معلمة المغرب

قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف
الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى

16

من إنتاج
الجمعية المغربية
للتأليف والترجمة والنشر

نشر
مطابع سلا

2002 - 1423

المغرب الأقصى

رقم الإيداع القانوني
بالخزانة العامة للكتب والوثائق ـ الرباط
1984/629

جميع حقوق النقل والترجمة ـ جزئيا أو كلياً بأي شكل كان ـ محفوظة
للجمعة المغربية للتأليف والترجمة والنشر ولمطابع سلا

رد مك 7 - 00 - 03 - 9981 (المجموعة)
رد مك 8 - 022 - 03 - 9981 (الجزء 16)

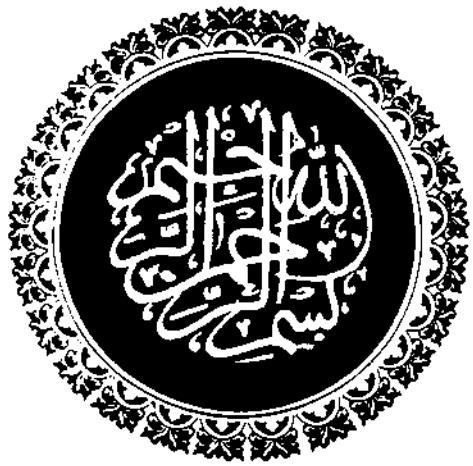
بسم الله الرحمن الرحيم

أعد هذا الجزء من معلمة المغرب بدعم من وزارة الثقافة والاتصال ويسعد الهيئة العلمية للمعلمة أن تتقدم للسيد الوزير بأصدق عبارات الشكر والامتنان.

المدير المشرف : محمد حجي

لجنة التحرير : أحمد التوفيق. أستاذ التاريخ بكلية الآداب. الرباط
محمد حجي. أستاذ التاريخ بكلية الآداب. الرباط

لجنة العلوم الإنسانية : محمد بنشريفة. أستاذ الأدب المغربي والأندلسي بكلية الآداب وعضو أكاديمية المملكة المغربية. الرباط
إبراهيم بوطالب. أستاذ التاريخ بكلية الآداب. الرباط
سالم يفوت. أستاذ الفلسفة بكلية الآداب. الرباط
مصطفى ناعمي. باحث في التاريخ الاقتصادي بالمعهد الجامعي للبحث العلمي. الرباط

لجنة العلوم الطبيعية والجغرافيا : عبد الله العوينة. أستاذ الجيمورفولوجيا بكلية الآداب. الرباط
مصطفى عياد. أستاذ الجغرافيا البشرية بكلية الآداب. الرباط
إدريس الفاسي. أستاذ علم التربة والبيئة بكلية الآداب ومعهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة. الرباط
عبد المالك بنعبيد. أستاذ بالمدرسة الوطنية الغابوية. سلا ومعهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة. الرباط
محمد رمضاني. باحث في البيولوجيا الحيوانية بالمعهد العلمي وأستاذ بكلية العلوم. الرباط

اختصارات

ت .	= توفي
تح.	= تحقيق
تر.	= ترجمة
خ. ت	= خزانة تطوان
خ. ح.	= الخزانة الحسنية (الملكية) بالرباط
خ. ص.	= الخزانة الصبيحية بسلا
خ. ع.	= الخزانة العامة بالرباط
خ. ق.	= خزانة القرويين بفاس
خ. ي.	= خزانة ابن يوسف بمراكش
د. ت	= دون تاريخ
د. د. ع.	= دبلوم الدراسات العليا
د. م.	= دون مكان
ط.	= طبعة
←	= انظر

* عندما يكون للكاتب مادتان أو مواد متتابعة لا يذكر اسمه إلا في آخرها.

المشاركون في هذا الجزء

محمد **إحدي**، كلية الآداب ـ أگادير
عبد الحميد **احساين**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء
ميلود **أحمَنّ**، كلية الآداب ـ مراكش
محمد **أخريف**، وزارة التربية الوطنية ـ القصر الكبير
الفقيه **الإدريسي**، كلية الآداب ـ بني ملال
محمد **أديوان**، كلية الآداب ـ الرباط
شفيق **أرفاك**، كلية الآداب ـ أگادير
عبد الرزاق **ازريكم**، كلية الآداب ـ مراكش
مصطفى **أعشي**، معهد الدراسات الافريقية ـ الرباط
عمر **أفا**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد **الأكلع**، كلية الآداب ـ مراكش
العربي **اكنينح**، وزارة التربية الوطنية ـ فاس
محمد **الأمراني**، أستاذ باحث
حسن **أميلي**، كلية الآداب ـ المحمدية
خالد **أوشن**، باحث ـ أگادير
عباس **برادة السني**، وزارة الخارجية
عكاشة **برحاب**، كلية الآداب ـ المحمدية
عبد اللطيف **برحو**، المعهد الوطني للبحث في الصيد البحري
محمد **بلعربي**، باحث ـ الرباط
عبد العزيز **بل الفايدة**، كلية الآداب ـ القنيطرة
عائشة **البلغيتي**، كلية الآداب ـ الرباط
رقية **بلقدم**، كلية الآداب ـ القنيطرة
علي **البليشي**، كلية الآداب ـ الرباط
أحمد **بنجلون**، باحث ـ الرباط
محمد **بندعنون**، المدرسة الغابوية للمهندسين ـ سلا
زينب **بنرحمون**، أستاذة باحثة ـ الرباط
زليخة **بنرمضان**، كلية الآداب ـ المحمدية
عبد المالك **بنعبيد**، المدرسة الغابوية للمهندسين ـ سلا
عثمان **بناني**، كلية الآداب ـ الرباط
رحال **بوبريك**، كلية الآداب ـ أگادير
محمد **بوخبزة**، باحث ـ تطوان
عبد القادر **بوراس**، المركز الجهوي التربوي ـ القنيطرة
أحمد **البوزيدي**، كلية الآداب ـ فاس
محمد **بوسلام**، وزارة التربية الوطنية ـ الرباط
مصطفى **بوشعراء**، باحث ـ سلا
عبد الله **بوصحابة**، كلية العلوم، فاس

إبراهيم **بوطالب**، كلية الآداب ـ الرباط
عبد المحيد **بوكاري**، باحث ـ الرباط
أحمد **بومزگو**، وزارة التربية الوطنية ـ تيزنيت
جامع **بيضا**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد ابن **تاويت التطواني**، كلية الآداب ـ الرباط
عبد الله المرابط **الترغي**، كلية الآداب ـ تطوان
أحمد **التوفيق**، محافظ الخزانة العامة ـ الرباط
حسن **جلاب**، كلية اللغة العربية ـ مراكش
الحسين **جهادي الباعمراني**، وزارة التربية الوطنية ـ الدار البيضاء
محمد **الحاتمي**، كلية الآداب ـ أگادير
عبد اللطيف **حافظ**، كلية الآداب ـ بني ملال
حسن **حافظي علوي**، كلية الآداب ـ مراكش
محمد **حجاج الطويل**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء
محمد **حجي**، كلية الآداب ـ الرباط
عبد الرحمان **الحرادجي**، كلية الآداب ـ وجدة
أحمد **حرزني**، المعهد الزراعي، سطات
عبد الرحمان **الحريشي**، باحث ـ الرباط
عبد الجليل **حليم**، كلية الآداب ـ فاس
محمد **حمام**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد **حنداين**، وزارة التربية الوطنية ـ أگادير
يحيى **الخالقي**، كلية الآداب ـ بني ملال
علال **الخديمي**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد **خريوعة**، المعهد العلمي ـ الرباط
خالد **الخضري**، وزارة الثقافة ـ الرباط
نجاة **الخياطي**، كلية العلوم ـ الرباط
محمد عبد العزيز **الدباغ**، وزارة الثقافة ـ فاس
محمد معروف **الدفالي**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء
نفيسة **الذهبي**، كلية الآداب ـ القنيطرة
محمد **رابطة الدين**، كلية الآداب ـ مراكش
علال **رگوگ**، كلية الآداب ـ بني ملال
محمد **رمضاني**، المعهد العلمي ـ الرباط
بوجمعة **رويان**، كلية الآداب ـ القنيطرة
فريد **الزاهي**، وزارة الثقافة ـ الرباط
أحمد **زروال**، كلية الآداب ـ مراكش
قاسم **الزهيري**، باحث ـ الرباط
خليل **السعداني**، كلية الآداب ـ بني ملال

محمد **السعديين**، وزارة التربية الوطنية ـ سلا
عبد السلام **السعيدي**، باحث ـ مراكش
المهدي **السعيدي**، كلية الآداب ـ أگادير
أحمد بن بنعاشر **السفياني**، وزارة التربية الوطنية ـ سلا
م. الحسن **السكراتي**، كلية الآداب ـ أگادير
رشيد **السلامي**، كلية الآداب ـ مراكش
محمد **السماحي**، كلية الحقوق ـ الرباط
إبراهيم **السودي**، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة ـ الرباط
محمد **السوسي البهاوي**، باحث ـ تطوان
أحمد **السوسي التناني**، باحث ـ سلا
مصطفى **الشابي**، كلية الآداب ـ الرباط
إدريس **شحو**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد **الشريف**، باحث ـ تطوان
محمد عزيز بن عبد الله **الشفشاوني**، مهندس باحث ـ الرباط
أحمد **الشكري**، معهد الدراسات الافريقية ـ الرباط
صالح **شكاگ**، وزارة التربية الوطنية ـ الرباط
الحسن **شوقي**، وزارة التربية الوطنية ـ قلعة السراغنة
المصطفى **شويكي**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء
محمد **الشياظمي**، باحث ـ الرباط
مبارك **الشيكر**، باحث ـ القنيطرة
مبروك **الصغير**، المعهد الوطني لعلوم الآثار ـ الرباط
علي **الصقلي**، وزارة التربية الوطنية ـ الرباط
علي العزيز **الضعيفي**، كلية الآداب ـ بني ملال
أحمد صالح **الطاهري**، المعهد الوطني لعلوم الآثار ـ الرباط
محمد **الطيلسان**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد **الظريف**، كلية الآداب ـ المحمدية
عبد العزيز ابن **عبد الجليل**، وزارة الثقافة ـ مكناس
زين العابدين ابن **عبد النبي**، المدرسة الغابوية للمهندسين ـ سلا
عدي **عَزّى**، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة ـ الرباط
أحمد **عزّاوي**، كلية الآداب ـ القنيطرة
محمد ابن **عزوز حكيم**، باحث ـ تطوان
محمد **علالي**، المدرسة الغابوية للمهندسين ـ سلا
عبد العزيز **العلوي**، باحث ـ فاس
أحمد **عمالك**، كلية الآداب ـ مراكش
محمد **عمراني**، كلية الآداب ـ القنيطرة
الحاج موسى **عوني**، كلية الآداب ـ فاس
عبد الله **العوينة**، كلية الآداب ـ الرباط
مصطفى **عياد**، كلية الآداب ـ الرباط
حياة **الغراس**، أستاذة باحثة ـ مراكش

إدريس **الفاسي**، كلية الآداب ـ الرباط
عبد الإلاه **الفاسي**، كلية الآداب ـ القنيطرة
محمد **فتحة**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء
حسن **الفگيگي**، كلية الآداب ـ القنيطرة
محمد **الفقير**، باحث ـ سلا
بوشتى **الفلاح**، المعهد العلمي ـ الرباط
محمد **الفلاح العلوي**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء
المصطفي **فنيتر**، كلية الآداب ـ مراكش
أحمد **أبو القاسم**، باحث
حمزة **الكتاني**، باحث ـ الرباط
محمد **كريوط**، كلية الآداب ـ الرباط
مصطفى **لالي**، باحث ـ وجدة
محمد **اللبار**، كلية الآداب ـ فاس
عبد الإله **مالك**، مدرسة الشرطة ـ القنيطرة
الملكي **المالكي**، كلية الآداب ـ تطوان
محمد **ماگامان**، وزارة التربية الوطنية ـ مراكش
أحمد **متفكر**، باحث ـ مراكش
الحسن **المحداد**، كلية الآداب ـ أگادير
المكي **مربي**، باحث ـ مراكش
نجاة **المريني**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد العربي **المساري**، جريدة العلم ـ الرباط
مصطفى **المسناوي**، وزارة الثقافة ـ الرباط
عبد العلي **مشروح**، المدرسة الغابوية للمهندسين ـ سلا
محمد **المغراوي**، كلية الآداب ـ الرباط
أحمد **المكاوي**، كلية الآداب ـ الجديدة
محمد **المنصور**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد **المنوني**، كلية الآداب ـ الرباط
أحمد **الموسوي**، وزارة الشبيبة والرياضة
محمد **الناصري**، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة ـ الرباط
عبد الله **نجمي**، كلية الآداب ـ الرباط
علي **نجيب**، باحث مغربي في السويد
محمد **هشمي**، المدرسة الغابوية للمهندسين ـ سلا
أحمد **هوزالي**، كلية الآداب ـ مراكش
أحمد **الوارث**، كلية الآداب ـ الجديدة
إبراهيم **الوافي**، كلية الآداب ـ أگادير
محمد **وحيد**، وزارة التربية الوطنية ـ الدار البيضاء
عبد الرحيم **وطفة**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد عزيز **الوكيلي**، وزارة التربية الوطنية ـ الرباط

Liste des principales abréviations des périodiques

A.A : *L'Afrique et l'Asie.*
A.A.N : *Annuaire de l'Afrique du Nord.*
Acad. Sc. Col. : *Académie des Sciences Coloniales.*
A.E.S.C : *Annales : Economie, Sociétés, Cultures.*
A.F : *Afrique Française.*
A.F : R.C : *Afrique Française : Renseignements Coloniaux.*
A.I.E.A : *Archivos del Instituto de Estudios Africanos.*
A.I.E.O : *Annales de l'Institut d'Etudes Orientales.*
A.M : *Archives Marocaines.*
A.M.S : *Archives Marocaines de Sociologie.*
And. : *Al-Andalus*
Ann. Rech. Forest. Maroc : *Annales de la Recherche Forestière au Maroc.*
Ant. Afr. : *Antiquités Africaines.*
B.A.M : *Bulletin d'Archéologie Marocaine.*
B.A.R : *British Archeological Reports.*
B.C.T.H : *Bulletin du Comité des Travaux Historiques.*
B.E.P.M : *Bulletin de l'Enseignement Public au Maroc.*
B.E.S.M : *Bulletin Economique et Social du Maroc.*
B.G.M : *Bulletin de Géographie du Maroc.*
B.I.D.M : *Bulletin de l'Information et de la Documentation Marocaine.*
B.I.F.A.N : *Bulletin de l'Institut Français d'Afrique Noire.*
B.M.S.A.P : *Bulletin et Mémoires de la Société d'Anthropologie de Paris.*
B.L.O.A.B : *Bulletin de Littérature Orale Arabo-Berbère.*
B.L.S : *Bulletin de Liaison Saharienne.*
B.S.G : *Bulletin de la Société Géographique (Paris).*
B.S.G.A : *Bulletin de la Société de Géographie d'Alger.*
B.S.G.A.O : *Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran.*
B.S.H.M : *Bulletin de la Société d'Histoire du Maroc.*
B.S.O.A.S : *Bulletin of the School of Oriental and African Studies.*
B.S.P.M : *Bulletin de la Société de Prehistoire du Maroc.*
Bull. Archéol. : *Bulletin Archéologique.*
C.A.A : *Cahiers de l'Afrique et de l'Asie.*
Cah. Rech. Agron. : *Cahiers de la Recherche Agronomique.*
C.A.T.A.N : *Cahiers des Arts et Techniques d'Afrique du Nord.*
C.B.E.T : *Cuadernos de la Biblioteca Española de Tetuan.*
C.C.E.J : *Collection des Centres d'Etudes Juridiques.*
C.E.A : *Cuadernos de Estudios Africanos.*
C.H.I : *Cuadernos de Historia del Islam.*
C. Méd. : *Cahiers de la Méditerranée.*
C.R.A.I.B.L : *Compte-Rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
C.R.A.S : *Compte-Rendus des Séances de l'Académie des Sciences de Paris.*
C.T : *Cahiers de Tunisie.*
E.B : *Encyclopédie Berbère.*

E.I.1 : *Encyclopédie de l'Islam. (1ère édition).*
E.I.2 : *Encyclopédie de l'Islam (2ème édition).*
E.T.A.M : *Etudes et Travaux d'Archéologie Marocaine.*
Et. Medit. : *Etudes Méditerranéennes.*
F.M : *France - Maroc.*
F.S.S.A.N : *Fédération des Sociétés Savantes d'Afrique du Nord.*
G.E.M : *Grande Encyclopédie du Maroc.*
Hesp : *Hespéris.*
H-T : *Hespéris-Tamuda.*
H.T.E : *Hommes, Terre et Eaux.*
I.G : *Information Géographique.*
I.H.E.M : *Institut des Hautes Etudes Marocaines.*
I.H.E.M : N-D : *Institut des Hautes Etudes Marocaines : Notes et Documents.*
Inst. Gen. Franco de Est. e Invest. Hisp. Ar. : *Instituto General Franco de Estudios e Investigaciones Hispano Arabe.*
I.S.C : *Institut Scientifique Chérifien.*
Isl. Cult. : *Islamic Culture.*
I.S.P.M : *Institut Scientifique des Pêches Maritimes.*
J.H.S.N : *Journal of the Historical Society of Nigeria.*
M.A.I.B.L : *Mémoires de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
Medit : *Méditerranée.*
M.E.F.R : *Mélanges de l'Ecole Française de Rome.*
N.A.M.S.L : *Nouvelles Archives des Missions Scientifiques et Littéraires.*
P.I.H.E.M : *Publications de l'Institut des Hautes Etudes Marocaines.*
P.S.A.M : *Publications du Service des Antiquités du Maroc.*
P.S.H.M : *Publications de la Section Historique du Maroc.*
R.A : *Revue Africaine.*
R.A.P : *Revue de l'Action Populaire.*
R.C.C : *Revue de la Chambre de Commerce.*
R.D.M : *Revue des Deux Mondes.*
R.E.A : *Revue des Etudes Anciennes.*
R.E.I : *Revue des Etudes Islamiques.*
R.E.L : *Revue des Etudes Latines.*
R.G.L : *Revue de Géographie de Lyon.*
Rev. Geo. Phys. Géol. Dyn. : *Revue de Géographie Physique et de Géologie Dynamique (Paris).*
R.G.M : *Revue de Géographie du Maroc.*
R.H.C.M : *Revue d'Histoire et de Civilisation du Maghreb.*
R.H.E : *Revue d'Histoire Economique.*
R.H.M.C : *Revue d'Histoire Moderne et Contemporaine.*
R.M.D.E.D : *Revue Marocaine de Droit et d'Economie du Développement.*
R.M.E : *Revue Maroc-Europe.*
R.M.F : *Revue Militaire Française.*
R.M.F.P.E : *Revue Marocaine des Finances Publiques et d'Economie.*
R.M.M : *Revue du Monde Musulman.*
R.P.P : *Revue Politique et Parlementaire.*
Rev. Inst. Hist. Mil. : *Revue Internationale d'Histoire Militaire.*
S.G.L : *Sociedade de Geografia de Lisboa.*
S.I : *Studia Islamica.*
S.I.H.M : *Sources Inédites de l'Histoire du Maroc.*
Soc. Sc. Nat. Phys. Mar. : *Société des Sciences Naturelles et Physiques du Maroc.*

شالّة، ورد ذكر موقع شالة عند المؤلفين القدامى كمدينة صغيرة تقع على نخر يحمل اسم "سلا" يرجع تاريخ تأسيس شالّة أو "سلا" إلى القرن السابع أو السادس ق. م إذ أبانت الحفريات الأثرية عن مواد خزفية فينيقية، تدفع إلى الاعتقاد بأن الموقع قد لعب على العهد الفينيقي دور محطة تجارية مهمة في الحركة الملاحية بين مدينة ليكسوس، قبالة العرائش، وجزيرة موكادور. وفي عهد المملكة المورية، ازدهرت المدينة وما لبثت أن اكتسبت مكانة تجارية هامة بحوض البحر المتوسط جعلتها تربط علاقات تبادل مع شبه الجزيرة الإيبيرية وإيطاليا. وعلى عهد الملكين يوبا الثاني وابنه بطوليميوس، شيدت بشالة / سلا عدة بنايات عمومية عكس جلها التأثير الهلنستي والروماني، واستطاعت المدينة أن تحصل على استقلالها وتسك نقوداً تحمل اسمها.

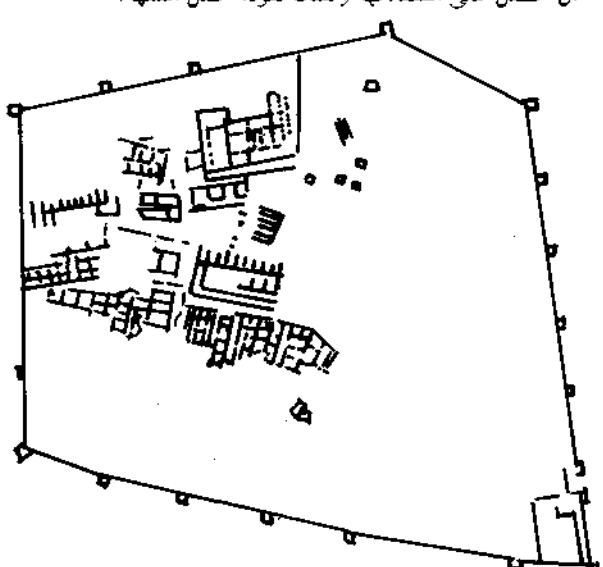

شالة : تصميم للموقعين الروماني والإسلامي

ابتداء من سنة 40 ميلادية، شهدت شالة تحولا جذريا بسبب الاحتلال الروماني للمنطقة وضواحيها، تمثل في تغيير مكوناتها وإعادة تهيئة جزء كبير من تشكلها الحضري بإنشاء الساحة العمومية (الفوروم) والحمامات والمعبد الرئيسي (الكابيتول) وحماية أراضيها بحائط محصن بخندق وأبراج للمراقبة، امتد جنوب المدينة، من الساحل الأطلسي إلى حدود وادي عكراش. وفي سنة 144 ميلادية، أحيطت أحياء سلا من طرف ماركوس سيلبيسيوس بسور من الحجر المنجور للدفاع عن المدينة والحد من هجمات القبائل المورية خاصة قبيلة الأطولول، لتبقى بذلك خاضعة للاحتلال الروماني حتى أواخر القرن الرابع أو بداية القرن الخامس الميلادي.

يظهر من خلال النصوص العربية للعصر الوسيط، أن شالة التي بقيت منذ العصور القديمة مهجورة تحول موقعها إلى رباط فسيح يتجمع فيه المسلمون لمواجهة قبيلة برغواطة، وصفه ابن حوقل بقوله: "وادي سبو هو وادي فاس، ومن ورائه إلى ناحية بلد برغواطة على نحو بريد، وادي سلا، وإليه تنتهي سكنى المسلمين وهو رباط يرابط فيه المسلمون وعليه المدينة الأزلية المعروفة بسلا القديمة، قد خرجت والناس يسكنون ويرابطون برباط يحف بها وربما اجتمع في هذا المكان من المرابطين مائة ألف إنسان (...)، ورباطهم على برغواطة". (ابن حوقل، 1873، ص. 56) ويظهر من خلال مصادر أخرى أن الموقع احتضن في هذه الفترة مدينة عامرة، بحيث يروي ابن أبي زرع أن موسى بن أبي العافية المكناسي قد ملك في عام 313 / 926 مدينتي فاس وجميع بلاد المغرب، وأجلى جميع الأدارسة عن بلادهم وأخرجهم من ديارهم وملك مدينة أصيلا ومدينة شالة وغيرها من بلادهم..." (*القرطاس*، ص. 50).

إلا أن هذه الحاضرة سرعان ما تعرضت للضعف والانحطاط، ويصفها الإدريسي في القرن السادس (12 م) بأنها قد هجرت وخربت : "ومدينة سلا الحديثة (تقع) على ضفة البحر، وكانت في القديم من الزمان مدينة شالة على ميلين من البحر، وموضعها على ضفة نهر أسمير الذي يتصل الآن بمدينة سلا الحديثة وهناك مصبه في البحر. وأما

شالة القديمة فهي الآن خراب وبها بقايا بنيان قائم وهياكل سامية، ويتصل بخرابها عمارات متصلة وزروع ومواش لأهل سلا الحديثة" (*نزهة المشتاق*، ص. 47).

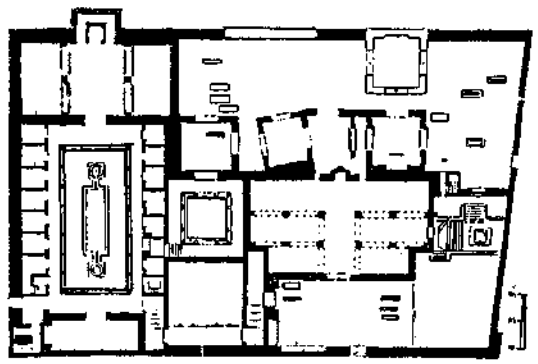

وتظل الفترة التالية غامضة بالنسبة لشالة إلى أن اتخذ السلطان أبو يوسف يعقوب، سنة 1284/683، من الموقع مقبرة لدفن ملوك وأعيان بني مرين، حيث شيد النواة الأولى لمركب معماري ضم مسجداً وداراً للوضوء وقبة دفنت بها زوجته أم العز بنت محمد ابن حازم، وفي سنة 1286/685 توفي أبو يوسف بقصره بالجزيرة الخضراء، فحمل جثمانه إلى شالة حيث دفن بإحدى قبب المقبرة السلطانية.

وفي القرن الثامن (14 م) أحاط السلطان أبو الحسن شالة بسور خماسي الأضلاع وأمر بتوسيع المقبرة الملكية وزخرفتها. أما ابنه السلطان أبو عنان فقد خص الروضة بعناية فائقة، فبنى المدرسة، شمال المسجد، والحمام شمال غرب الخلوة، وزين أضرحة أجداده بقبب مزخرفة ومنمقة تعتبر نموذجا حيا للفن المعماري المميز لدولة بني مرين.

لكن هذا الازدهار لم يعمر طويلاً، وتراجعت شالة مباشرة بعد قرار المرينيين بإعادة فتح مقبرة القلة بفاس، شمال غرب باب الجيسة، فأهملت بناياتها، وتعرضت في بداية القرن التاسع (15 م) للنهب والتدمير على يد أحمد اللحياني (816 - 822 / 1417 - 1437)، الذي ثار على بني عمومته، بني مرين، وشكل إمارة بمكناس امتدت حتى بلاد تامسنا. وفي القرن الحادي عشر (17 م) تحولت الأسوار إلى ثكنة احتمى بها أفراد من الجيش، رسمت بواخر معاصرة على واجهات الباب الرئيسي للروضة. وقد استطاعت قبائل صبُّاح العربية السيطرة على الموقع واستعملته لتخزين غنائمها التي سلبتها أثناء حملاتها على قبائل ضاحية مدينة الرباط، ولم تبرحه إلا في سنة 1790 بعد أن فتحها السلطان مولاي اليزيد. إلا أن جيوش قائده، أبي يعزى الفشتالي، لم تكتف بطرد أهل الصباح، بل أقدمت على تدمير وتحطيم الأسوار، لتفقد شالة جزءاً آخر من مكوناتها.

انطلقت الحفريات الأولى سنة 1929/1347 على يد الأميرة المصرية خديجة فؤاد، ومكنت من الكشف على جزء عريض من الحي العمومي للمدينة الرومانية وخاصة قوس النصر والساحة العمومية والمحكمة والكابتول. وتواصل التنقيب بشكل منتظم ابتداء من سنة 1958 حتى سنة 1986، وهم حوض الحوريات والحمامات والمخازن. وفي سنة 1966 تم حفر مجموعة من المقابر شرق وجنوب أسوار رباط الفتح، تجاوز عددها ثلاث مائة قبر، ترجع كلها إلى الفترة الرومانية الممتدة من القرن الأول حتى القرن السادس الميلادي. في نفس الفترة وخاصة ما بين سنتي 1950 و1960، نظمت أبحاث وحفائر بالخلوة، كشفت النقاب عن المدرسة وعدد من القبب والمقبريات التي دمرت وأطمرت بعد إخلاء الروضة والتخلي عنها في بداية القرن التاسع (15 م).

لقد مكنت مختلف هذه الحفريات من الكشف عن جملة من الخاصيات الحضرية والتاريخية لشالة، من أبرزها انتظام المدينة في حيها العمومي على جانبي شارع رئيسي (الديكومانوس ماكسيموس) مرصف ينتهي جزئياً في أقصى الجهة الشرقية بالساحة العمومية (الفوروم) لينطلق منها وينعطف في زاوية قائمة نحو الجنوب ثم في اتجاه الشمال، ويمتد خارج السور المريني، صوب ميناء المدينة على ضفة النهر. أما شمال غرب الساحة فيُوجد معبد موري مكون من خمس مقصورات يبرز من خلال مكوناته المعمارية بعضا من خاصيات العمارة الدينية المحلية وانفتاحها على التيارات الخارجية. كما كشفت الحفريات جنوب الشارع الرئيسي عن حوض الحوريات ومخازن وحمامات عمومية أعيد استعمالها في العصر الوسيط. أما المعبد الرسمي (الكابتول) فقد بني شمال قوس النصر فوق صف من الدكاكين المقببة ومسطبة مسطحة، حتى يتمكن، جريا على عادة جل المدن الرومانية، من الهيمنة على الفضاءات الأخرى للمدينة.

وفي القرن الثامن (14 م) أحيط الموقع بسور خماسي الأضلاع، تقويه أبراج مربعة الشكل وتتخلله ثلاث بوابات أكبرها وأجملها زخرفة وعمارة الباب الرئيسي الذي ينفتح بواسطة قوس منكسر ومتجاوز يصل ارتفاعه إلى 4،80 مترا، قبالة السور الموحدي لرباط الفتح. أما داخل الموقع فقد تم تشييد أربع مجموعات معمارية مستقلة ومتكاملة تجسد كلها عظمة ومكانة مقبرة شالة في العهد المريني. ففي الزاوية الغربية للموقع ترتفع بقايا التراللة وهي عبارة عن فندق يضم فناء وغرفا خصصت لإيواء الحجاج والزوار. وفي الجزء السفلي تنتصب بقايا المقبرة المرينية المحصنة التي اشتهرت عند عامة الرباط بالخلوة، والتي تضم مسجداً ومجموعة من القبب من أهمها قبتي السلطان أبي الحسن وزوجته شمس الضحى والمدرسة التي تبقى بمنارتها المكسوة بزخرفة هندسية متشابكة ومتكاملة وزليجها الرقيق المزركش نموذجا أصيلا للعمارة المغربية في القرن الثامن الهجري / الرابع العاشر الميلادي.

وقد بنيت المدرسة من طرف السلطان أبي عنان شمال الخلوة، وجاءت وفية لشاكلة أخواتها بكل من فاس ومكناس وسلا، إذ تنتظم في جزءين، يضم الأول بيت الصلاة. هذا الأخير يأخذ شكلا مستطيلا، يصل طوله إلى 15.95 مترا وعرضه إلى 5.90 أمتار، وينقسم بواسطة دعامات من الآجور المشوي إلى بلاطين متعامدين مع جدار القبلة. أما الجزء الثاني فيشكله صحن مستطيل ومكشوف، يتوسطه صهريج وتحيط به أربعة أروقة تحملها أعمدة رخامية بيضاء، وسواري مزدوجة مكسوة بالزليج، تفضي إلى بقايا مجموعة من الغرف المخصصة لسكنى الطلبة.

في الجهة الشمالية الشرقية للموقع، يرتفع أحد أروع حمامات القرن الثامن (14 م) بالمغرب، بقبته النصف دائرية التي تحتضن أربع قاعات: قاعة لخلع الملابس وثانية باردة وثالثة دافئة ثم رابعة ساخنة.

أما حوض النون، فيقع في الجهة الجنوبية الغربية للخلوة وقد تخلى عن وظيفته الأصلية كقاعة للوضوء تابعة لمسجد أبي يوسف يعقوب وتحول، بعد أن نسجت حوله الذاكرة الشعبية خرافات وأساطير عدة، إلى عين مقدسة تؤمها فئة عريضة من ساكنة الرباط ونواحيها قصد التبرك بها.

ابن حوقل، *صورة الأرض*، بيروت، 1979 ؛ أ. البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب*، نشر دوسلان، باريس، 1965 ؛ ش. الإدريسي، *نزهة المشتاق*، د. ت ؛ مجهول، *كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار*، نشر سعد زغلول عبد المجيد، الدار البيضاء، 1985 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1973 ؛ الحسن الوزان، *وصف إفريقيا*، الجزء الأول، تر. حجي وم. الأخضر، الرباط، 1980 ؛ أ. الونشريسي، *المعيار*، بيروت، 1971 ؛ عثمان عثمان إسماعيل، *تاريخ شالة الإسلامية*، بيروت، 1975 ؛ *حفائر شالة الإسلامية*، بيروت، 1978.

Basset H. et Lévi-Provençal E., *Chella, une nécropole mérinide, Hesp.*, Paris, 1921-22; Boube J., *Fouilles archéologiques à Sala, H.T*, 1966, p. 23-32 ; *Documents d'architecture mauré-tanienne au Maroc, B.A.M.*, T. 7, 1967 ; *Les Nécropoles de Sala*, Paris, 1999 ; Chatelain L., *Le Maroc des Romains: étude sur les centres antiques de la Maurétanie occidentale*, Paris, 1944; Euzennat M., *Le limes de Tingitane: la frontière méridionale*, Paris, 1989; Gascou J., *Inscriptions antiques du Maroc*, Paris, 1982; Tissot Ch., *Recherches sur la géographiie comparée de la Maurétanie Tingitane*, Paris, 1878.

أحمد صالح الطاهري

شالوبة ترجمة لفظية للزورق الفرنسي (Chaloupe)، وهي زورق هجومي، من المراكب الحربية الصغيرة المجهزة بالمدفعية التي استخدمت في الأسطول الجهادي المغربي والتي استعملت في العمليات الخاطفة على مقربة من المراسي وخاصة في مرسى أبي رقراق خلال القرن (17 م)، وبصورة متميزة كزوارق ملحقة بالسفن العاملة على مقربة من السواحل الإيبيرية، لسهولة استعمالها في الهجمات السريعة ضد السفن ضعيفة التسليح، وأيضاً للقيام بإنزالات مباغتة على السواحل. وتتميز الشالوبة بصغر حجمها الذي لا يتعدى عشرة أمتار طولا ومترين ونصف عرضا، تجهز أحيانا بصار واحد، مع قمتها بجؤجؤ مرتفع قادر على تحمل عنف الموج، ومجهزة بقوة مجذافية من حوالي اثنتي عشرة وحدة، وقابلة لحمل ما متوسطه ثلاثون مقاتلا. نظراً لتكاليفها

البسيطة وليسر استعمالها، ظلت الشالوبة من القطع واسعة الانتشار في المراسي المغربية حتى القرن (19 م) وبأعداد وافرة، حيث كانت البركاصات والماعونات وما شابهها تتحول إلى شالوبات عند تجهيزها للعمل العسكري بقطعتين مدفعيتين على الأقل أو بعض الحجارات.

التخيلي، *السفن الإسلامية*، ص. 72، وأيضاً.

S.I.H.M. - Les Pays-Bas, T. IV, p. 248, 326-27, T. V - p. 438 ; note, Brunot, *Op. cit.* p. 249.

حسن أميلي

الشام، عبد السلام بن الشيخ مفتاح سبط الشيخ ماء العينين وولد ابن أخيه الشيخ مفتاح ابن الطالب بوي. ولد في اسمارة سنة 1909/1327 وتعلم العلوم الدينية والأدبية في مدارس الزاوية المعينة.

ساهم بدور فعال في الحركة الوطنية في الصحراء المغربية بشعره وخطبه ومقالاته التي كان ينشرها بالجرائد الوطنية التي اختصت في الصحراء.

له أشعار متنوعة أغلبها في الدفاع عن وحدة المغرب نشر بعضها في جريدة *صحراء المغرب* و*صحراؤنا*. يتميز شعره ببداوته وانفتاحه على المحاولات التجديدية التي ظهرت في شعر الصحراء بعد استقلال أقاليم المغرب الشمالية. كما له شعر حساني متميز.

توفي سنة 1407 / 1987.

ماء العينين ابن العتيق، *سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان*، مخطوط، ورقة 70 ؛ *صحراؤنا*، عدد 50 - 10 ماي 1968 ؛ *باقة شعر من أقاليم الجنوب*، ص. 37، مطبوعات وزارة الثقافة ؛ *ديوان العلامة الأديب محمد البيضاوي الشنگيطي*، ص. 264، تح. م. الظريف، سلا، 1، 2000.

محمد الظريف

الشامي، بيت الشاميين في فاس من أكبر وأشهر البيوتات. "والبيوت، على ما قال صاحب الدرر البهية، تعظم بأحد أمور أو بجلها أو مجموعها كالعلم والولاية والثروة والجود والشجاعة وأسبابها". وقد ذاع صيت

الشاميين في فاس منذ أن استوطنوها، بما كان رجالاتهم يتداولونه أبا عن جد من الخطط الرفيعة والولايات الجليلة وبما كانوا عليه من الخصال الحميدة مع النباهة والعلم والإقدام. وإنهم يرفعون نسبهم لسعد بن عبادة الخزرجي الصحابي، كما هو مثبت في رسومهم، يصرحون بذلك ولا ينكر عليهم أحد. وقد نزلوا أول الأمر في واحة تيكورارين، إحدى واحات توات، حيث يوجد ضريح أحد أجدادهم الولي الصالح سيدي عمر بن محمد الصالح الخزرجي الشامي، وهو مقام كبير هنالك بشهادة أبي سالم العياشي في رحلته. ثم إن فرعا منهم انتقل من تيكورارين إلى فاس واستقر بها في تاريخ مجهول. لكن صاحب النشر ترجم لبعض رجالهم اسمه عبد الواحد، ذاكراً بأنه توفي سنة 1024، وقائلا عنه "وبيتهم بيت ثروة وملأ"، ومشيراً إلى وفاة" الفقيه أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن محمد بن عبد الوهاب بن محمد بن إبراهيم الشهير بالشامي في ربيع الثاني من سنة 920، ومترجما للفقيه الأديب أبي الحسن علي بن أحمد الشامي الخزرجي، صديق المقري الذي أورد الكثير من منظوماته في روضة الأزهار. وقال المرحوم عبد السلام ابن سودة في *دليل مؤرخ المغرب* بأن له تأليفاً في الشرفاء الطالبيين. كما أن صاحب *سلوة الأنفاس* ذكر من هؤلاء الشاميين الشيخ عبد الرحمان بن محمد (فتحا) بن محمد بن عبد الحق الشامي، قائلا إنه "كان من كبار الأولياء وصدور الأصفياء ذا أحوال ربانية ونعوت كمالية عرفانية، وكانت له يد كبرى في علوم الأسماء وخواصها وله في ذلك تأليف". ونقف في بعض الكتب على ذكر بعض رجالاتهم. فقد ذكر ابن زيدان في ترجمة السلطان المولى الرشيد أنه قدّم لدى دخوله فاس العدل مسعود الشامي لنظارة الأحباس، فامتنع من ذلك فسجن سبعة أشهر إلى أن استجاب للأمر: "على شرط أن لا يتعرض له قاض ولا وال لأن الأحباس كلها حازها اللصوص والأشراف أيام الفترة حتى كادت تستأصل كلها. واشتغل (مسعود الشامي هذا) بالبحث عنها واستظهارها، ومن اتهم بربع أو أرض أو جنان أو دكان يحوز ما عنده من الرباع، فما ظهر رسمه رده له وما وجد مغصوبا أو لا رسم عنده علم أنه مغصوب فيحوزه للحبس، حتى ردّ الأوقاف كلها وزاد عليها ما وجد مغصوبا من الوقف أو غيره". وقال الضعيّف الرباطي إن بيعة أهل فاس للسلطان محمد ابن عربية بتاريخ 28 جمادى الثانية عام 1149، خرجت من دار عبد الرحمان الشامي، وكان ذلك سبب امتحانه على يد السلطان المولى المستضيء فيما بعد، على ما جاء عند ابن زيدان. وعند ابن زيدان أيضاً نقرأ في ترجمة السلطان عبد الله بن إسماعيل، أنه عيّن عام 1154 لخطبة جامع القصبة بباب المحروق بفاس الفقيه أحمد الشامي. كما ذكر هذا المؤرخ في ترجمة السلطان سيدي محمد بن عبد الله أن محمد بن أحمد الشامي" المدعو النقيب، كان ناظراً على مسجد القرويين، ورد ذكره كذلك بدفتر الأحباس المكناسية".

وكانت بيوت آل الشامي موزعة على أحياء المخفية ودرب القليلي والسبيطريين والعقبة الزرقاء. أما في عصر صاحب *الدرر البهية* فكان ثلاثة فروع منهم ساكنين بالمخفية ودرب مشماشة، وهي: بيت الناظر علال بن إدريس الشامي وبيت محمد بن الحفيد وبيت عبد الرحمان بن أحمد. ومن هذه البيوت تفرعت الأسرة في عهد الحماية وبعدها. فبقي في فاس من بقي وانتقل إلى باقي مدن المملكة، وبخاصة منها الرباط والدار البيضاء، رجال ونساء يتعاطون فيها المهن الحرة والوظائف الإدارية الحكومية وغير الحكومية على اختلاف أصنافها.

أ. بن محمد المقري، *أزهار الرياض في أخبار عياض*، صندوق إحياء التراث الإسلامي، 5 أجزاء ؛ محمد بن الطيب القادري، *نشر المثاني لأهل القرن الحادي والثاني*، تح. م.حجي وأ. التوفيق، الرباط، دار المعارف، 5 مجلدات، 1398 / 1978 ؛ م. الضعيف الرباطي، *التاريخ*، الرباط، دار المأثورات، 1986 ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية والجواهر النبوية*، فاس، الطبعة الحجرية ؛ ع. الرحمان ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس*، 5، مجلدات، الرباط، 1929 ـ 1933 ؛ ع. السلام ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب*، الدار البيضاء، دار الكتاب، 1960، مجلدان.

الشامي، أحمد بن محمد الفاسي، ولد يوم 9 شوال 30/1279 مارس 1863 في بيت المروءة والديانة والجاه، وربّي تربية حسنة إذ حفظ كتاب الله ولقن أساليب التجويد وأصول القراءات من قبل كبار العلماء الماهرين في تلك العلوم، منهم محمد بن مسعود ومحمد الدجناتي والشريف الغالي المنصوري. والتحق بجامعة القرويين ليملأ عقيرته من علوم الوقت من نحو ولغة وفقه وتوحيد وأدب وسير، آخذا عن محمد بن التهامي الوزاني وعبد الله بن حمدون بناني المدعو فرعون، والشيخ الكامل بن محمد ـ فتحا ـ الأمراني، وأحمد بن الجيلالي المغاري، وأحمد بن الخياط الزكاري وأحمد بن الطالب ابن سودة، وعلي بن عبد القادر ابن سودة، وعن عمه محمد الحفيد بن محمد الشامي، وعن حماد الصنهاجي، وعن محمد ـ فتحا ـ بن قاسم القادري ومحمد بن رشيد العراقي ومحمد بن عبد الواحد الإدريسي الشبيهي. وجرى بينه وبين فطاحل علماء وقته من أمثال الشيخ شعيب الدكالي مناظرات. وقد أجازه هذا الشيخ إجازة عامة يوم 21

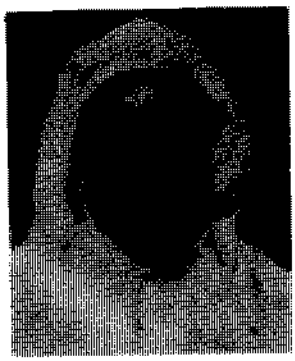

شوال 1327. ثم إنه اعتكف على التدريس بالقرويين وببعض المساجد الأخرى. وعندما تجلى علمه وظهر نفعه، عيّنه القاضي في عهد المولى عبد العزيز من جملة رجال الدرجة الرابعة. ثم ترقّى إلى الدرجة الثالثة فالثانية سنة 1321 وصدر له الإذن بتعاطي خطة العدالة فلم يزاولها بانتظام، مع ما كان ملحوظاً به من عين الرضى والإكبار لدى الخاصة والعامة. وقد قربه السلطان المولى عبد الحفيظ وقدمه لسرد الحديث بمجلسه، مكلفا إياه بالسهر على ما صار يطبع بالمطبعة الحجرية والسلكية من كتب العلم كشرح الحطاب على *المختصر* و*البحر* لأبي حيان والأبي والسنوسي. حج بيت الله سنة 1327 في الركب الرسمي، وتوقف بالقاهرة للسهر على طبع الكتب المذكورة. ووزع بالبقاع المقدسة ما أمر به السلطان أن يوزع من الهبات على العلماء وذوي الحاجة من المهاجرين، والتقى بأمير الحجاز وأكرم وفادته. ثم عاد إلى المغرب وإلى التدريس، إذ كان يدرس *خليل* بعد صلاة الفجر و*ألفية* مالك في الصباح، ودرسا في *تحفة ابن عاصم*، ودروسا في الوعظ والإرشاد بعد العصر، وكل ذلك بالقرويين. أما دروس السيرة و*البردة* و*الهمزية* فكان يلقيها في مساجد أخرى. مما جعله مرجعا يرجع إليه في كل الملمات والمعضلات. ولما أنشئ النظام الجديد في القرويين، عيّن أحمد بن محمد الشامي في الطبقة الثانية، فعمت الفائدة من علومه، إلى أن نزل به المرض فأقعده في الفراش حتى لبى داعي ربه يوم الثلاثاء 29 رمضان 1364، فدفن في روضة الشاميين بالقباب قرب الشيخ الغياثي. وقد قال المؤرخ عبد السلام ابن سودة إنه أخذ عنه الألفية وشيئاً من *المختصر* بشرح الخرشي، وكتاب *الاستقصا* في النظام الجديد وأجازه إجازة تامة عامة بخطه.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع بوفيات القرن الثالث عشر والرابع*، ثم *سل النصال للنضال بالأشياخ وأهل الكمال*، ضمن *موسوعة أعلام المغرب*، تح. م. حجي، دار الغرب الإسلامية، 10 أجزاء، الجزء 9.

الشامي، إدريس بن محمد أخ الفقيه أحمد سابق الذكر، ولد عام 1281 / 65 ـ 1866، علامة مشارك عدل موثق، من آخر من أتقن تلك الفنون في فاس، وكتب الوثائق بشروطها وقيودها وما يراد من عمومها وخصوصها عن

دراية وتثبت، وعناية بجودة الخط. أخذ عن أحمد بن الطالب ابن سودة، وعن محمد بن التهامي الوزاني، وعن أحمد بن الحياط الزكاري، وعن محمد ـ فتحا ـ القادري، وعن عبد المالك العلوي الضرير. وأخذ عنه عبد السلام ابن سودة المؤرخ الحساب والفرائض وأسلوب التوثيق. ولما لبى داعي ربه، دفن بروضتهم بالقباب.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع بوفيات القرن الثالث عشر والرابع*، ثم *سل النصال للنضال بالأشياخ وأهل الكمال*، ضمن *موسوعة أعلام المغرب*، تح. م. حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 10 أجزاء، الجزء 9.

الشامي، العربي بن إدريس يتصل نسبه بسعد بن عبادة الخزرجي الأنصاري الصحابي الجليل. ولد في فاس عام 1321 / 03 ـ 1904، وحفظ القرآن بالمكتب المجاور لسيدي المخفي بأعلى حومة المخفية على الفقيه محمد السملالي التازي، كما قرأ هناك أيضاً سلكتين على يد الفقيه أحمد الخمسي. ثم التحق بجامعة القرويين للنهل من معينها. فأخذ عن الفقيه الصوفي محمد الراضي السناني الألفية بالموضح وعن شيخ الجماعة مولاي عبد الله الفضيلي جمع *الجوامع* بالمحلى و*المختصر الخليلي* بحواشيه و*رسالة الوضع للعضد* بشرح السمرقندي والأزهري الصريح واستعارة الشيخ الطيب ابن كيران بالبوري، وقد لازمه وتأثر به وهو عمدته. وأخذ عن أحمد بن المامون البلغيثي *كتاب أحكام القرآن* للقاضي أبي بكر بن العربي المعافري و*التلخيص بمختصر السعد*. وأخذ عن أحمد بن الجيلالي الأمغاري *مختصر خليل* بحواشيه. وأخذ عن الطائع ابن الحاج السلمي *المختصر الخليلي* بحواشيه و*الألفية* بالخضري. وأخذ النحو عن محمد بوعشرين و*الألفية* بالمكودي عن محمد بن عبد القادر ابن سودة، و*التحفة* بالشيخ التاودي ابن سودة و*الألفية* بالمكودي عن عمه أحمد الشامي وصحيح *الإمام البخاري* عن محمد بن أحمد ابن الحاج السلمي بالضريح الإدريسي، و*الشمائل المحمدية* للترمذي بضريح مولاي أحمد الصقلي عن القاضي محمد بن رشيد العراقي، ومسند *الإمام ابن حنبل* عن محمد السائح الرباطي، وكتاب *البخاري* عن الشيخ شعيب الدكالي، وعلم البيان عن محمد بناني، و*المختصر بالزرقاني* عن محمد بن العربي العلوي، و*التلخيص بمختصر السعد* عن محمد أقصبي، كما سمع عن علماء آخرين واستفاد منهم من أمثال أحمد ابن الحياط الزكاري ومحمد ـ فتحا ـ بن عبد الكبير ابن الحاج السلمي. فتخرج من الجامعة مشبعا بعلومها، بعد أن اختبرت ذلك منه لجنة مركبة من أحمد بن الجيلالي الأمغاري ومحمد بن إدريس البدراوي وعبد الواحد الفاسي والشريف التاكناوتي وعبد السلام بن عمر العلوي. وعيّن مدرسا بالقرويين سنة 1352، فدرس بالأقسام الابتدائية النحو بالمقدمة *الأجرومية* بشرح الأزهري وحاشية أبي النجا وقواعد اللغة العربية *وقطر الندى وبل الصدى* لابن هشام الأنصاري. ثم انتقل للتدريس بالأقسام الثانوية فدرس

النحو *بالألفية* مشروحة بابن عقيل والموضح والبلاغة بالتلخيص *بمختصر السعد والجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون* للدمنهوري والفقه *بالتحفة* بشرح التاودي ابن سودة *والمختصر* بالدردير. أما في الأقسام العليا، فإنه درس في النهائي الشرعي *جمع الجوامع* بالمحلى والتفسير. كما درس في كلية الشريعة بعد تأسيسها في عهد الاستقلال أصول الفقه، وظل يلقي محاضراته إلى أن أحيل على التقاعد.

توفي صبيحة يوم السبت 16 صفر عام 1405، الموافق ليوم 10 نونبر 1984، مأسوفا عليه مذكوراً بلسان الخير لدى الخاص والعام ممن عرفه وقدر فيه ما كان عليه من حب الخير للناس ومن الاستقامة والتواضع والترفع عن السفاسف وكرم النفس. ووري مثواه الأخير بروضتهم بالقباب خارج باب فتوح.

م. بن الفاطمي ابن الحاج السلمي، *إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين*، الدار البيضاء، 1992.

الشامي، علال بن إدريس. كان من أعيان خدام الدولة العلوية، في عهد السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام. تولى خطة الحسبة في فاس. ثم تولى عمالتها. وقد ورد ذكره في ظهيرين من السلطان المذكور إلى ولده وخليفته سيدي محمد بن عبد الرحمان، يأمر في الأول، بتاريخ فاتح شعبان 1256، بأن يقوم علال الشامي ببعض الأغراض المخزنية، ويأمر في الثاني، بتاريخ 11 رمضان 1262، بأن يدفع "الطالب علال الشامي" ثلاثين مدا من القمح للقاضي الحاج عبد القادر بن محيي الدين" إعانة له على مؤونته وينظر له دارا يسكنها مناسبة لحاله، وإن كان أهلا للتدريس يجعل له ما يستحقه من المشاهرة". ولم نقف لا على تاريخ ولادة المترجم له ولا على تاريخ وفاته.

ع. الرحمان ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس بجمال تاريخ حاضرة مكناس*، الرباط، المجلد الخامس، 1933.

إبراهيم بوطالب

الشامي، محمد صادق بن سليم بن ياسين بن القطب الشهير حامد العطار، الدمشقي المغربي هجرة. هكذا عرّف الشامي نفسه في رسالته التي طبعت في طنجة سنة 1901. لا يعلم على وجه الدقة تاريخ حلوله بالمغرب. ولكنه كان موجوداً على أرضه أواخر سنة 1311/1893.1894 حسبما يظهر من خطاب بعثه في 11 دجنبر من هذه السنة إلى محمد الطريس، النائب السلطاني، واصفا فيه مظاهر الحفاوة التي استقبل بها ماء العينين في مدينة مراكش. ولم يوضح في رسالته المطبوعة تاريخ هجرته إلى المغرب ولا الظروف المحيطة بها، غير أنه سجل فيها أنه استوطن مراكش وكسب فيها مالاً وعقاراً، كما ربط صلات وطيدة مع أعيان مغاربة أبرزهم إبراهيم بن بوشعيب الهنتاتي من مدينة أزمور.

يبدو أن الشامي وفد إلى المغرب لتعقب نشاط بعض المناهضين للسلطان العثماني عبد الحميد الثاني، خاصة أعضاء من جمعية "تركيا الفتاة"، فحرر سنة 1319/ 1901 منشوراً، باعتباره وكيلا للسلطان العثماني ومديراً للطباعة العثمانية، وقد خاطب فيه المسؤولين في المخزن العزيزي وحذرهم من بعض العثمانيين الذين شقوا عصا الطاعة على الدولة وفروا إلى أوربا ومنها إلى المغرب، حاضا إياهم على طرد هؤلاء بل قتلهم. وطالب أعضاء المخزن وسماهم: المهدي المنبهي، عبد الكريم بن سليمان، محمد الطريس، فضول غزنيط، محمد التازي وعبد الله بن سعيد، بتنبيه السلطان مولاي عبد العزيز والرعايا المغاربة لشأن هؤلاء اللاجئين "حتى تجري المخابرات الرسمية في حقهم".

وفي السنة ذاتها، وبالضبط بتاريخ 1901.8.17 ورد في أحد خطاباته إلى المخزن أن حياته معرضة للخطر على يد علي بوطالب، وهو شخص كانت له صلات واتصالات بالأتراك، دون أن يبين علّة هذا الاتهام. ولعل ذلك حصل في إطار صراع مصالح بين رجلين لهما نفس الارتباطات بالسلطنة العثمانية.

ويظهر أن المترجم لم يلتزم بالمهمة التي جاء من أجلها إلى المغرب، أي مراقبة الأعضاء الهاربين إلى المغرب من المنتسبين إلى جمعية "تركيا الفتاة" فخاض في أمور جرّتْ عليه نقمة السلطان مولاي عبد العزيز، الذي صادر أملاكه وبهائمه وأمواله، وذلك قبيل وفاة الصدر الأعظم أحمد بن موسى (باحماد) سنة 1900/1318، وحينما فشل في استرجاع أملاكه والمحافظة على صلاته مع كبار المسؤولين بعد وفاة باحماد، فرّ إلى جبل طارق وأخذ يتهجم بشدة على السلطان وكبار رجال المخزن، مما جعل المخزن يترصده للإيقاع به، وهو ما أفصحت عنه رسالة من وزير الخارجية آنذاك عبد الكريم بن سليمان إلى النائب السلطاني محمد الطريس مؤرخة في 20 أكتوبر 1904، إذ طلب منه الاجتماع مع بناصر غنام ومحمد المقري لأجل اتخاذ التدابير الضرورية لإسكات صوته أو القبض عليه بمساعدة ممثلي فرنسا وألمانيا وانجلترة، أو توظيف الحيلة لاستقدامه إلى طنجة وإعلان العفو عنه إذا ما أشهر توبته وتخلى عن ادعاءاته في حق المخزن.

خلف الشامي "*رسالة*"، تدخل في باب الرسائل النصحية، وقد فرغ من تأليفها سنة 1901 حسبما تدل على ذلك التواريخ المثبتة في الصفحتين الأولى والخامسة منها. وتمتزج في أسلوبها العامية بالفصحى. وقد تعمد كتابتها بهذه الكيفية حتى يتمكن من تبليغ أفكاره إلى أكبر عدد من المتلقين حسب قوله.

عالج في هذا الكتيب أوضاع العالم الإسلامي ناقداً وناصحاً، ساعياً إلى ائتلاف الجامعة الإسلامية، مركزاً على أحوال الدولة العثمانية والمغرب في عهد السلطانين عبد الحميد الثاني ومولاي عبد العزيز، ومن بين ما تناوله في هذه الرسالة خط سكة الحديد الرابط بين الشام والحجاز، مثنيا

على سياسة عبد الحميد بعبارات فيها الكثير من المداهنة والتملق. وتأرجح بين تمجيد مولاي عبد العزيز وانتقاده وإلقاء اللوم عليه، ولعل ذلك بسبب المصادرة المذكورة سابقا. وقد خلّف ما كتبه بشأن السلطان مولاي عبد العزيز ردود فعل سلبية في أوساط المخزن المغربي. وهو ما يدل عليه خطاب منه إلى الطريس بتاريخ 17 ـ 8 ـ 1901، حاول فيه تبرئة نفسه من التهم الموجهة إليه، معتبراً أنه قام بدور الناصح.

ومن الأمور التي تناولها في رسالته "النصحية" ظروف تولي مولاي عبد العزيز العرش وقرد الرحامنة بزعامة مبارك ابن الطاهر بن سليمان، وتقاطر مبعوثي الدول الأوربية على البلاط العزيزي للضغط والحصول على الامتيازات.

توجد في رسالته هاته، الكثير من صيغ التملق لأسرة آل موسى، وخاصة الحاجب باحماد الذي قارنه ببسمارك واللورد سالسبوري واللورد غلادستون، معتبراً موته "كرفد الفاتحة من القرآن" (*رسالة*، 98). وما يبرر ذلك أن هذه الأسرة أحاطته بالرعاية والعطاء. وأثنى على الوزراء فضول غرنيط، المهدي المنبهي، عبد الكريم بن سليمان، محمد التازي والنائب السلطاني محمد الطريس، وبناصر غنام وعبد الله بن سعيد، ناعتا إياهم بالحكمة والدهاء وحسن التدبير والخصال الحميدة ونعوت أخرى مليئة بالغلو والتملق. وقد ذكر أنه بصدد طبع كتاب في مصر لإظهار فضائلهم، وبالفعل تجسد ذلك في مؤلفه *"الثغر البسام في مآثر الوزير سيدي أحمد بن موسى الهمام"* حيث عرّف فيه بهذا الحاجب معدداً مزاياه، مترجما لعدد من أعضاء المخزن وبعض العلماء من فاس والرباط.

توفي بعد عام 1319 / 1901.

م. العطار الشامي، *رسالة*، **مطبعة الآباء الفرنسيسكانيين**، طنجة، 1901 ؛ ع. الرحمان ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 1، ص. 455 ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، ج 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985 ؛ م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، منشورات كلية الآداب، الرباط، 2، 1987 ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية بالمغرب*، ج 4، الرباط، 1989 ؛ أ. المكاوي، *أضواء على رسالة محمد العطار الشامي* الصادرة في طنجة، مجلة *دار النيابة*، العدد، 26 ـ 27، 1990.

أحمد المكاوي

شانا، محمد مقاوم ولد سنة 1926 بأيت وعلي أيت القال قبليين جماعة سيدي الغندور إقليم الخميسات. انخرط في صفوف المقاومة منذ سنة 1953 وقد عرف بوطنيته الصادقة. قام بعدة أعمال فدائية يشهد له بها رفاقه في درب الكفاح، ونتيجة لنشاطه هذا فقد تعرض للاعتقال والتعذيب ورغم ذلك ظل وفيا لقيمه الوطنية حتى تحقق الأمل باستقلال البلاد وقد وافاه الأجل المحتوم يوم 17 فبراير 1996.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 516106.

شَانَّة ويكتب أيضاً شَنَّة أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم *Chana*.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 1415.

محمد ابن عزوز حكيم

شاهين، طائر من أنواع الكواسر سباع الطير النهارية، متوسطة القد بين الصقر والباز، تسمى أيضاً في بعض مناطق المغرب "الساف". تصنف سلالات الشاهين إلى فصيلة الصقريات Facconidae ورتبة الجوارح النهارية Rapaces Falconiformes يعيش نوعان منه في المغرب وينتميان إلى أربع سلالات :

شاهين المغرب أو الشاهين البربري Falco pelegrinoides يسمى بالفرنسية Faucon de Barbarie وبالإنجليزية Barbary falcon. طائر أصغر من صقر شاهين Falco peregrinus ويختلف عنه بلون ريشه الشاحب على الصدر والضارب إلى الحمرة على مؤخرة العنق وعلى توبج الرأس. ريشه أسود على الرأس والذنب ضارب إلى الزرقة وأبيض ضارب التوشيم على الصدر. قصير الرقبة والساقين والفخذين والذنب، طويل الجناحين، غائر العينين، محدب الظهر وعريض الهامة. أخضر الكفين وطويل الأصابع. المنقار أسود معقوف وقصير، المخالب مقوسة سوداء، الذنب دائري قليلاً وبدون خطوط. يبلغ طول الجسم 38 ـ 46 سم وتزن الذكور 500 ـ 600 كرام والإناث 900 ـ 1200 كرام، تبلغ بسطة الجناحين 90 ـ 100 سم. الإناث أكبر حجما ووزنا من الذكور. يعيش منعزلا أو مزدوجا في أغلب الحالات.

أفراد المجموعات المغربية موزعة على مختلف المناطق الجافة وشبه الجافة بجبال الأطلس والهضاب والنجود العليا الوسطى والشرقية وتافيلالت وتنغير وورزازات وبوعنان والساقية الحمراء والعيون وگلتة زمور. نادر في المناطق الغابوية. من الصعب التمييز بين سلالات شاهين المغرب الثلاث Brookei وPelegrinoides وMinor إذ يكمن

الاختلاف في الحجم وفي الخطوط الصدرية فهي عريضة وداكنة عند السلالة الأولى ورقيقة عند الثانية ومتلاشية غير واضحة عند الأخيرة.

يتوالد مرة في السنة بين فبراير وأبريل وينصب الزوجان العش على صخور الأجراف الصعبة المنال ويتخذ أحياناً عش البوم أو عش أنواع أخرى من الصقور. تبيض الإناث 2 ـ 4 بيضات ملساء داكنة، يبلغ طول قطريها 40.5 × 50 ملم. يحضن البيض بالتناوب من طرف الزوجين حوالي 30 يوما. تأخذ الصغار حريتها تدريجيا بين شهر يونيو وشهر يوليوز.

تم إحصاء حوالي ثلاثين زوجة على طول السواحل المتوسطية الممتدة من سبتة إلى مليلية وأقل من 5 زوجات في ضواحي الرباط والصويرة وعدة زوجات مستقرة في الحوز وفي الجنوب الشرقي من البلاد. وحسب ما جاء في قول Meade-Waldo كان هذا الطائر يتوالد فوق صومعة الكتبية بمراكش سنة 1901 ويحتمل أيضاً أنه كان يتوالد فوق صومعة حسان. يتكون غذاؤه من الطيور فقط كالبط والحجل والسلوى والحمام والزرزور والهدهد ومختلف أنواع العصافير. إنه طائر محمي في المغرب ومنه عدة أفراد تربى لتستعمل في ميدان صيد الحجل والسلوى والحمام بعد تدريبها من طرف البزادرة.

يقتصر التوزيع الجغرافي لهذا الطائر على المغرب والجزائر وتونس ومصر والشرق الأوسط وآسيا الوسطى.

الشاهين الجوال أو صقر شاهين Falco peregrinus يسمى بالفرنسية Faucon pélerin وبالإنجليزية Peregrine وبالإسبانية Falcon comun وبالإيطالية Pelligrino. لون ريشه رمادي أزرق على الظهر والبطن ناصع البياض عليه خطوط سوداء متقطعة. المنقار أسود يميزه عن الصقور والبزاة، الذيل طويل نسبيا ومخطط بريش أسود وأبيض؛ يبلغ طول الجسم 38 ـ 50 سم ويزن 900 ـ 1300 كرام وتبلغ بسطة الجناحين 95 ـ 110 سم. الإناث أكبر حجماً ووزناً من الذكور.

يتوالد في أوروبا ومعظم مجموعات أوروبا الغربية مهاجرة تأتي إلى المغرب كل خريف عبر مضيق جبل طارق لتقضي فصل الشتاء في السواحل المغربية وفي شمال موريتانيا من الرأس الأبيض إلى نواكشوط. تعود إلى أوروبا بين فبراير ومارس ولاتتوالد في المغرب ويتكون قوته من مختلف أنواع الطيور الكبيرة والصغيرة.

تتوزع الأفراد منعزلة أو مزدوجة على مختلف المناطق المغربية بين أكتوبر ومارس. كما أن عدة أفراد تقطع الصحراء المغربية لتشتو في موريتانيا والسنغال والدول المجاورة.

م. رمضاني، بولحية، *معلمة المغرب*، الجزء 6، ص. 1845 ؛ *الرحمة*، *معلمة المغرب*، الجزء 13 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، ط 3، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1932.

P. Bergier, *Les falconiformes marocains. Statuts. Répartition et Ecologie*, *Annales CEEP (ex. CROP)* n° 3, 1987 ; H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europ with North Africa and the Middle East*, 1979 ; C. Harrisson, *Les nids, les oufs et les poussins d'Europe en couleur*, Paris 1977 ; Meade-Waldo, E.G.R, 1903, *Birds notes from Morocco and the Great Atlas*, Ibid. : 196-214 ; *Fauconnerie et Faucon pélerin "Encyclopédie Microsoft Encarta 2000"*.

محمد رمضاني

الشاوش (أولاد ـ) أسرة تطوانية فاسية، لعل أصلهم من تلمسان. ذكر صاحب *إزالة الالتباس* أنه وقف على وثيقة مؤرخة بعام 1144 تدل على إقامتهم بفاس، واستمر وجودهم بها إلى سنة 1851/1267 حسب وثيقة أخرى وقف عليها. ولهم جنان بامراح خارج باب الحوخة ينسب إليهم إلى الآن، يعرف بجنان ساحل شاوش.

وأول من هاجر منهم إلى تطوان محمد بن مصطفى بن إبراهيم الشاوش وبها توفي ودفن بالزاوية الريسونية. وانتقل ابنه عبد السلام إلى القصر الكبير وبها توفي عن أولاده أحمد وعبد الكريم ومحمد، وعاد أحمد إلى تطوان واشتغل بالتجارة، ثم عين أميناً لصندوق شركة التعاون الصناعية إلى أن توفي عام 1371 وكانت ولادته عام 1896/1313.

ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، 2 : 193 ؛ *روايات شفوية عن آل الشاوش التطوانيين ومعرفة شخصية*.

الشاوش، حميدة ← الشتاشني

الشاوش، عبد السلام بن أحمد التطواني كان متأدباً متطبباً غريب الأحوال يكتب مقالات وأحيانا روايات اجتماعية طبع بعضها في حجم صغير، ويكتب إسم الجلالة أو بعض الآيات بخطوط يتأنق فيها بالأصباغ ويصنع لها أطراً ويبيعها، ورأيته يبيع بعض الأدوية التي يركبها ويشرح فائدتها وكيفية استعمالها.

توفي في 30 شعبان 17/1369 نونبر 1950.

م. داود، *عائلات تطوان*، مخطوط.

الشاوش، محمد العربي بن عبد السلام التطواني الأستاذ الكاتب الأديب الصحفي. ولد بتطوان عام 1339/ 1921-20 ودرس بالمدارس الحرة، وانتسب على كبر إلى كلية أصول الدين بتطوان التابعة لجامعة القرويين، وحصل على إجازتها، ثم انتسب إلى دار الحديث الحسنية، وحصل على إجازتها أيضاً، وهو عضو برابطة علماء المغرب، وعمل في سلك التعليم مدة طويلة.

كتب مقالات وأبحاثاً منشورة في صحف حزب الإصلاح الوطني بتطوان وحزب الاستقلال وفي مجلة *دعوة الحق* وغيرها. وله نظم رصين.

ألف *دليل أضواء على الحركة الوطنية* ومسرحيتين: *أملنا فيكم أيها الشباب*؛ *رجال المستقبل*، وأصدر جريدة *المجتمع* لكنها لم تعمر.

توفي محمد العربي الشاوش بتطوان عام 14/1413 سبتمبر 1993 وخلف أولاداً يعملون في التعليم.

مصطفى السعشوع، كتاب عن ذكرى وفاة محمد العربي الشاوش، مخطوط.

محمد بوخبزة

الشاوي، أسرة فاسية نسبة إلى قبيلة الشاوية الشهيرة ببلاد تامسنا. وهم ـ حسب القادري صاحب *نشر الثاني*، فرقتان، فرقة يوصفون بالخزرجيين في رسوم أنكحتهم وأملاكهم قديماً، منهم عبد الواحد الشاوي (ت. 1024/ 1615) والفقيه المدرس القاضي علي بن محمد بن عبد الوهاب (ت. 928/1522) وقد انقرضوا من فاس. والفرقة الثانية من عموم قبيلة الشاوية، وهم آل الشيخ الصالح سيدي أحمد الشاوي صاحب الضريح الشهير بحي الجرف المعروف اليوم بحي سيدي أحمد الشاوي.

م. ابن الطيب القادري، *نشر الثاني / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 3 : 1226 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، 2 : 194.

الشاوي، أحمد (سيدي -) بن محمد من أشهر أولياء فاس وصلحائها المنتفع بنفحاتهم الروحانية والمعتقد في بركتهم في حياتهم وبعد مماتهم، إذ تحول ضريحه بحي الجرف المعروف اليوم باسم حي سيدي أحمد الشاوي إلى زاوية مقصودة، ثم إلى مسجد يصلي فيه الجمعة سكان هذا الحي وأحياء الدوح والزيات وباب الحديد وزقاق البغل والعيون. ينتسب هذا الولي إلى إقليم الشاوية، وهم أعراب من بني هلال استوطنوا السهول الممتدة في جنوب شرقي الدار البيضاء في العهد الموحدي. انتقل الولي المذكور إلى فاس بعد بلوغه سن الحلم، وذلك في النصف الثاني من القرن العاشر (16 م) والتزم من حينه بأحد أولياء فاس المبرزين، وهو سيدي أحمد بن يحيى اللمطي، دفين النواعريين الذي "سلب له الإرادة وألقى إليه قياده"، على ما جاء في بعض التراجم. فصار له كالعبد المسخر، واقفا بباب داره يقضي الأغراض المنزلية ويسهر على أحوال فرس الشيخ في الأروى، ويلبس المهين من الثياب، ويفتل العسف إذا اقتضى الحال، ولا يشارك في السماع مع باقي الإخوان. ثم إن شيخه زوّجه بامرأة من داره، وأسكنه بيتا بين الأروى والدار "لا يظهر منه وسطها"، ثم أسكنه داراً بجوار داره فأقام سيدي أحمد الشاوي بها حتى مات الشيخ فانتقل إلى دار في الجرف، التي تحولت زاوية ثم ضريحا ثم مسجداً جامعا. وكان عندما يظهر عليه أثر الأحوال الربانية، ينطق بأقوال لا تردد فيها ولا احتشام، فيطلب من شيخه مثلا أن يعطيه الدنيا والآخرة، أو أن يعطيه أربع نساء، أو أن يطلب منه من يقوم بخدمته، "وكذا، على ما تقول التراجم المتناقلة، مما لا اختيار له فيه". كما كان يطلب في سجوده ربعة مملوءة بمثاقيل الذهب، وذلك من باب الاندفاع الرباني ومسايرة الأمر الإلاهي وليس الشهوات الذاتية، وإلا فكيف وأهل البدايات أول قدم لهم في الطريق النزع عن الدنيا ومحوها في القلب بالكلية". وكان شيخه يعتني به ويربيه، ومن مناهجه في ذلك أن كان يتعمد "إخفاء ذلك عن بعض الحاضرين فيزجره بلسانه ويظهر عدم الإقبال عليه وهو يمده باطنا"، وذلك بناء على أن "ما لا يدفن لا يتم نتاجه"، وأن "صون البداية ضامن لحصول النهاية"، وأن المسك إذا غمت رائحته أعبق وفاح". وكان شيخه على بينة من أنه هو صاحب المدد بعده، وتذكر له في ذلك أقوال وتنبؤات. فقد خرج أحمد الشاوي ذات مرة إلى لمطة شمال فاس ليقطف توت الزرب لأهل الشيخ اشتهينه، وكان الشيخ مع بعض الأتباع فسألوه عن وارث سره، فقال" ذهب بها صاحب التوت". وقال مرة أخرى: "ذهب بها الأصلع"، وذلك من أوصاف أحمد الشاوي. وعندما حضرته الوفاة وكان في النزع الأخير فأغمي عليه ثم استفاق فسأل من بالباب فقيل له أحمد الشاوي، فقال قبل أن يلفظ الأنفاس: "ما أراد الله إلا الشاوي". وقد توفي الشيخ أحمد ابن يحيى في منتصف العقد التاسع من القرن العاشر، وانتقلت بركته إلى الشيخ أحمد الشاوي، الذي أقام زاوية خاصة به في حي الجرف، كما أقام أربع زوايا في بلاد لمطة، كانت عبارة عن ضيعات تدرّ عليه من الخيرات والغلات ما بوأه مبوأ المحسن الطاعم لجماعة أتباعه وكل من يقصده للتبرك به. وتقول التراجم إنه كل شديد الحرص على ترتيب شؤون زواياه"، حتى إنه ليقول لبعض القبائل المتعلقين به، فيما نقل عنه، إذا رفعتم طرفا من اللحم فاجعلوا منه عظما للشاوي". كما كان شديد الغيرة على أتباعه لا يقبل منهم أن ينصرفوا إلى زوايا أخرى، إذ قال لبعض من بدا منه ميل إلى ذلك: "من لم يقنعه السبع أكله الذيب". وكان لا يحب أن يرى أتباعه يتسولون ويتكففون. مما ينمّ عن سموّ النفس وعن قدرة خارقة على الأخذ والبذل. تعرض بسبب ذلك إلى حسد بعض إخوانه الذي رام الغدر به فرماه فجأة بقوس لكنه أخطأه، وكان ذلك سبب انتقال الشيخ إلى داره في الجرف. أما طريقته فطريقة الجذب القوي والفيض الروي، يقع له الفيض أحيانا وتظهر عليه سطوة الحال وصولته، ويصرح بالإعطاء والمنع، والنفع والدفع، منطلق اللسان بذلك شأن المتصرف المأذون، على ما قال مترجمه ابن عيشون. أما أصحابه: "فيستعملون السماع بين يديه، وتظهر الأحوال على كثير منهم، ويتحركون ويتواجدون مع تحريهم الصدق ومراعاة الأدب، ومن ظهر عليه في حاله خلاف الأدب أدبه بزواله". وكثر أتباعه ولهجت بذكره الألسن، وبخاصة أهل لمطة. وكان هو نفسه يتردد على زيارة ثلاثة مشايخ، هم السادة عبد السلام بن مشيش وأبو يعزى وأبو سلهام. وإذا كان قد انتفع من الناس، فإن الناس قد انتفعوا منه بما خلد من الأوقاف في سبيل الله فكثرت على يديه بما لم يسبق لأهل فاس به نظير. كما أقدم على إصلاح بعض المرافق العمومية مثل إصلاح قنطرة ابن طاطو خارج باب الگيسة التي ذهب بها السيل

وإصلاح ماء مسجد الأندلس الجاري من ناحية باب الجديد. وحفظت له الذاكرة الصوفية أقوال منها أن: "الصحبة رقعة في الثوب فلينظر أحدكم ما يليق بثوبه"، ومنها: المومن لا يغفل ولا ينام"، ومنها: "لكل شيء وقت ولا يحدث شيء قبل وقته"، ومنها: "المريد الصادق لا ينتفع من شيخه إلا بعد وفاة شيخه". أما كراماته، فلا تعد ولا تحصى سواء ما كان منها في حياته أم بعد وفاته ولا تختلف على العموم عن المألوف في كرامات الأولياء والصالحين من إغاثة المضطر الواقع في الضائقة، أو الانتقام الرباني من رجل سلطة لم يراع للشيخ حرمة زاويته في متابعة ذوي الجرائم المستظلين بظلالها، أو ما لحق إحدى زوجاته الأربع التي أبت إلا أن تتزوج بعد موته فأصابها الجذام هي وبعلها. مما يوحي بما صار للشيخ أحمد الشاوي من الرغبة والرهبة في نفوس العباد. ولذلك كان ضريحه مقصوداً. ولذلك أقدم السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان سنة 1282 على إصلاحه وإعداده لصلاة الجمعة.

توفي بفاس عام 31/1014 ـ 1932.

م. ابن عيشون، *الروض العطر الأنفاس*، تح. زهراء النظام، الرباط، 1997 ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، تح. م. حجي وأ. التوفيق، الرباط، 1977، 5 مجلدات ؛ س. الحوات، *الروضة المقصودة*، تح. ع. العزيز تبلاني، الدار البيضاء، 1994 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، فاس، الطبعة الحجرية، 3 مجلدات.

إبراهيم بوطالب

الشاوي، بلقاسم قائد قلعية ورئيس المجاهدين بها على عهد المولى الرشيد وبداية عهد المولى إسماعيل. أصله من أهل مدشر إشاوين المستقرين بجبل القرمود من جماعة فرخانة. تم تعيينه سنة 1074 / 1663، وهي السنة التي ضبطنا فيها طاعة قبيلة قلعية للمولى الرشيد أثناء جولاته بالريف الشرقي ومحاولة تكوين نواة حركته به قبل الإعلان الرسمي عن توليته. اضطلع بمهمة قيادة القبيلة ورئاسة الجهاد بمساعدة مقدمي أخماس القبيلة، لاسيما مقدم خمس الگعدة محمد بن مسعود القيطوني، انطلاقا من رباط مليلة المعرف به سابقا.

كان إسبان مليلة المحتلة قد استغلوا فرصة اضطرابات ما قبل معركة وادي المخازن، ثم ما بعد وفاة أحمد المنصور السعدي فشيدوا سلسلة من الأبراج خارج أسوار المدينة بفحصها الغربي، دعوها بالأبراج الخارجية، مما شكل خطراً على رباط مليلة والأراضي القلعية، فوجب على قائد قلعية التدبر في مواجهة تلك الخطورة. ويعد القائد بلقاسم الشاوي أول من طرح فكرة غزو أبراج مليلة وهدمها مع رفيقه المقدم محمد بن مسعود القيطوني الگعداوي، حسبما نستمده من تقاييد معاصرهما أحمد بن القاضي الگعداوي القلعي، علاوة على المستمد من المراجع الإسبانية.

تلخصت فكرة هدم الأبراج الخارجية المقترحة في طريقتين: إما بالهجوم على البرج مباشرة بعد الاستدارة به وعزله عن المدينة المحتلة، أو بحفر الأنفاق قصد الوصول إلى أساسه وتفجيره بالبارود الموضوع في قارورة من طين. وهذه الطريقة هي التي سيتم استخدامها في باقي الثغور المغربية، لا سيما أثناء استرجاع العرائش ومحاصرة سبتة على العهد الإسماعيلي. وقد سبق أن فصلنا الحديث عن تلك الغزوات الخاصة بميدان مليلة.

فخلال المدة التي بقي فيها بلقاسم الشاوي قائداً ورئيسا للمجاهدين نظم أربع غزوات: اثنتان خاصتان بالأبراج وهما: هدم برج سانتو طوماس دي كانتيرا (Santo Tomas de Cantera)، وذلك يوم 5 ربيع الثاني عام 1078 / 24 شتنبر 1667 وهدم برج أقمقوم في السنوات الموالية. كما نظم غزوتين وجهتا نحو أسوار مليلة، واحدة تمت في نفس السنة التي بعد غزوة أقمقوم، بينما نظمت الأخرى سنة 1669/1080 لإنقاذ مجموعة من الأسرى القلعيين.

احتفظ بلقاسم الشاوي بالقيادة إلى سنة 1084/ 1673، وهي السنة التي عين فيها المولى إسماعيل مساعده ومقدم خمس الگعدة القلعي برباط مليلة محمد بن مسعود القيطوني الگعداوي، دون أن تتأكد من مصيره.

أ. بن القاضي الگعداوي، تقييد، مخطوط، خ.ح.ر ؛ م. الفكيكي، *المقاومة المغربية للوجود الإسباني بمليلة*، الرباط، 1997 ؛ *ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية*، تطوان.

Juan Antonio. *Poblacion General de España*, Madrid 17 ; Gabriel, 1952. Gabriel Morales. *Efemerides* ; *Diario de Melilla*.

حسن الفكيكي

الشاوي البوزيري، محمد بن داود من مشايخ الصوفية في العهد الوطاسي، وهو تلميذ الشيخ عبد العزيز التباع وأورد محمد المهدي الفاسي في *ممتع الاسماع* قصة انتقاله من مشيخة القبيلة إلى المشيخة الصوفية وتخليه عن متاعة وزينة الحياة الدنيا وقال عنه بأنه كان من عتاة المشايخ بأولاد بوزيري بالشاوية فأرسل إليه الشيخ عبد العزيز التباع تلميذه عبد الله الغزواني ليعطيه الإدام لحاجة أتباعه الفقراء إليه؛ فصادف هذا الطلب إحساسا صوفيا كامنا في نفسه ومن الغد ارتدى ملابس الفقراء واتخذ رمحه عكازا ورافق عبد الله الغزواني إلى مراكش والتقى بالشيخ التباع الذي اهتم به وقال له: "قبلت مالك ورددته عليك فاعمل زاوية".

ولما عاد إلى قبيلته أسس زاويته وصار من أهل الخصوصية وذاع صيته وانتفع أهل البادية بتربيته وامتد تأثيره الروحي إلى تادلا التي أدركه فيها أجله حوالي سنة 33/940 ـ 1534 بهضبة وزراراگ أو (ازراق) على بعد 10 كلمترات من القصيبة.

م. ابن عسكر الشفشاوني، *دوحة الناشر*، 95 ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع*، ص. 59 ـ 67 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 5 : 128.

محمد ماگامان

الشاوي، بوشعيب بن محمد الرامي بن محمد البهلولي المولود عام 1869/1286 بقبيلة البهالة ضواحي سطات. درس القرآن والعلوم الأولية بمسقط رأسه ثم شد الرحلة إلى مدينة فاس للدراسة على شيوخ القرويين. وبعد حصوله على مرغوبه من المعارف عاد إلى سطات وعقد حلقات دراسية بمساجدها، بعدها التحق بمدينة مراكش للتدريس بالجامعة اليوسفية، وببعض مساجد المدينة. كما تولى الإمامة والخطبة بجامع الكتبيين. وقد تخرج عليه جماعة من العلماء الذين كان لهم حضور في الساحة الفكرية بمدينة مراكش.

له تأليف: *الكواكب النيرات في شرح العمريطي للورقات* (مخطوط).

توفي عام 1930/1349.

المختار غازي، *إشارات من تاريخ سطات*، ج 1، ص. 162 ؛ *روايات شفوية*.

أحمد متفكر

الشاوي، ثريا أول فتاة مغربية تعلمت قيادة الطائرة من عائلة فاسية معروفة، ذكية، طموحة، متفتحة، مشبعة بروح وطنية صادقة ورثتها عن أبيها وأسرتها. فهي بنت عبد الواحد الشاوي (1968.1911/1388.1330) رائد النهضة الفنية في المغرب فقد كان من مؤسسي الحركة المسرحية المغربية.

ولدت ثريا بمدينة فاس في 7 رمضان 14/1353 دجنبر 1934، وشبت في وسط أسري يؤمن بالحرية وبالكفاح من أجل الوصول إليها، تابعت دراستها في مدينتي فاس والدار البيضاء، ولما كان والدها يؤمن بتحرير المرأة فقد أشرك ابنته في نشاطه الفني ومثلت في بعض مسرحياته وهي ابنة ثماني سنوات، وكانت بذلك أول فتاة مغربية وقفت على خشبة المسرح. ولا زمت والدها وقاسمته جل نشاطاته الفنية خاصة وأنه كان يعتبر المسرح والفن رسالة وطنية. وانتقلت مع والدها إلى مدينة الدار البيضاء سنة 1948 وهناك تابعت دراستها، وتعلمت سياقة الطائرات. وشاركت في عدة نشاطات وطنية خاصة في الفترة التي تم فيها نفي السلطان محمد بن يوسف (20 غشت 1953 . 16 نونبر 1955).

وعندما عاد من المنفى كانت طائرتها ترمي المناشير مرحبة بعودة السلطان فوق سماء مدينة سلا والرباط.

وفي عشية يوم الخميس ثامن عشر رجب عام 1375/ فاتح مارس 1956 تعرضت ثريا للاغتيال من قبل مجهولين، ومازال سر مقتلها وما أحيط به غامضا حتى الآن.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*. بيروت، 1996، ج 9: 3310 ؛ *أرشيف الندوبة السامية للمقاومة* ؛ زين العابدين الكتاني، *المرحوم عبد الواحد الشاوي* ؛ *مجلة الفنون*، الرباط، العدد، 2، دجنبر، 1973، ص. 14 . 16، الرباط، *مجلة اللقاء*، العدد، 16، السنة، 2، ص. 73 . 75، غشت، 1969.

رقية بلمقدم

الشاوي، عبد الرحمان بن أبي **القاسم** الغنامي أصلا، من أعلام الشاوية وقضاتها في منتصف القرن الثاني عشر (18م). ولا يعرف تاريخ ولادته ولا وفاته. كتب *رحلة حجازية* ومن خلالها نقف على أهم شيوخه وعلى رأسهم محمد بن عبد السلام بناني ومحمد بن زكري، الأمر الذي يدل على أنه درس بجامع القرويين بفاس. وتعتبر هذه الرحلة التي لا تتجاوز 23 صفحة من بين المصادر العشرين للمؤرخ الأديب محمد الصغير الافراني في كتابه *صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر* حيث اعتمدها في ترجمته للمجاهد السلوي محمد العياشي المالكي: "...والرحلة لسيدي رحو الغنامي الشاوي. ورحو مختصر لاسم عبد الرحمان عند المغاربة. ورجع إليها كذلك في كتابه *نزهة الحادي في أخبار ملوك القرن الحادي* عند الحديث عن نفس المجاهد الشهيد حيث أشار إلى كرامته ومعاناة سكان أزمور مما لاقوه من إذلال على يد البرتغاليين المحتلين للبريجة المعروفة بالجديدة بعد تحريرها وتجديد بنائها. وقد وصف الإفراني القاضي الشاوي بقوله: "الفقيه العلامة قاضي تمسنا في حينه أبي زيد عبد الرحمان بن أحمد الغنامي الشاوي...".

وأول مصدر لترجمته رحلته الحجية سنة 1141 المسماة *رحلة القاصدين ورغبة الزائرين*. وقد افتتحها بالتعريف بنسبه وذكر هدفه من تأليفها الذي هو الاهتمام بالجانب الديني ومناسك الحج وملاقاة العلماء وأهل الصلاح وزيارة الاحياء منهم والأموات حسب الإمكان فلم يهتم بوصف الطريق ولا الحياة الاجتماعية ولا الكتابة بأسلوب أدبي. ومع صغر حجمها فلا تخلو من فوائد علمية وتاريخية وأوصاف لركب الحجيج وذكر المشايخ، مثل محمد بن عبد السلام بناني الذي حج معه ومحمد بن عبد الرحمان الدلائي خطيب مسجد المولى إدريس بفاس الذي وافاه أجله وهو في طريقه إلى المدينة. ودفن بوادي فاطمة في 24 حجة عام 1141 هـ.

كان يسعى لزيارة العلماء في القاهرة أو مكة أو المدينة. ففي المدينة المنورة قدم إفادات عن مكتبتها الزاخرة بمختلف التآليف والمصاحف بأحجام متنوعة وفي طليعتها مصحف الخليفة عثمان بن عفان الذي قيل له بأنه في صندوق

بالروضة الشريفة لا يخرج إلا عند الدواهي العظام للاستشفاع به. وأن المؤلفين في العالم الإسلامي يتشرفون بإهداء كتبهم إلى المقام النبوي رجاء إقبال القراء عليها. وأما في القاهرة فيستفسره الشيخ عمر الصعيدي عن الفقيه محمد بن زكري فيحدثه عنه عبد الرحمان الشاوي بالتقدير والاحترام والتضلع في العلوم، فيؤكد السائل كفاءة علماء المغرب الذين زاروا المشرق فيقول: "سبحان الله فقهاء المغرب لهم الحفظ التام والفهم الكثير، كذلك ورد علينا فقهاء من ناحية المغرب مثل محمد الصغير وغيره...".

وفي 24 شوال عام 1142 عاد الشيخ عبد الرحمان الشاوي إلى المغرب عبر تطوان بعد عنائه من أهوال البحر والخوف من القراصنة المسيحيين. توفي بعد هذا التاريخ في سنة غير محددة.

عبد الرحمان الشاوي الغنامي، *رحلة القاصدين ورغبة الزائرين*، مخطوط م. الملكية، 56 ؛ م. الافراني، *صفوة من انتشر*، ص. 89 ؛ *نزهة الحادي*، طبعة هوداس، ص. 268 ؛ ع. السلام بنسودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، ج. 2 رقم 1474 ؛ م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، ج. 1 رقم 497 ؛ م. ماگامان، *الرحلات المغربية في القرنين 11 و12 للهجرة*، د.د.ع مرقونة بكلية آداب الرباط.

محمد ماگامان

الشاوي، عبد الرحمان بن **محمد** الفاسي لقبا، المكناسي دارا وقرارا، والمعزاوي نسبا؛ فقيه ورع مبرز في التعديل انتهت إليه رئاسة الموقتين بالجامع الأعظم بمكناس في العهد الإسماعيلي بظهير ملكي مؤرخ بـ13 حجة عام 1123 تضمن الثناء عليه والتنويه بصفاته الحسنة. فهو رجل صالح وناسك ومرابط وساع إلى الخير. وهو موقت ومزوار المؤذنين. وهذا الظهير هو تجديد لما بيد الشاوي من ظهائر شريفة وإقرار في وظيفته الدينية التي بين أهميتها وتفصيلها. وختمه بالرعاية الملكية والتوقير له ولأسرته. وظل عبد الرحمان متوليا هذه الخطة إلى أن خلفه فيها ابنه محمد عام 1716/1128.

توفي بعد هذا التاريخ وتسلسلت هذه الوظيفة في عقبه.

عبد الرحمان بن زيدان، *الإتحاف*، 5 : 285.

الشاوي، عبد القادر بن **عبد الرحمان** بن سعيد حافد عبد الرحمان سابق الترجمة، تخرج فقيها وعالما متضلعا في التوقيت، فاسترجع رئاسة التوقيت بعد وفاة جده على مرحلتين : المرحلة الأولى شاركه فيها مؤقت آخر لصغر سنه، المرحلة الثانية انفرد فيها بهذه الخطة وأعفي شريكه بظهير الملك المولى سليمان بتاريخ 8 شوال عام 1225.

ولما تولى المولى عبد الرحمان جدد ظهيره للموقت عبد القادر الشاوي مع أخيه في 8 شعبان عام 1241 هـ وبقي في رئاسة توقيت الجامع الكبير بمكناس إلى حين وفاته.

توفي بمكناس عام 1842/1258.

عبد الرحمان ابن زيدان، *الإتحاف*، 5 : 334 ـ 335.

الشاوي، عبد القادر بن **محمد** بن عبد الرحمان، أخذ عن والده رئيس المؤقتين بمكناس وعن الشيخ العربي بن عبد السلام الفاسي ودرس عليه بغية *الطلاب* للحباك وكتاب ابن البنا وعدة أبواب من *الزيج الحديث* وأخرى من *الزيج القديم* وغيرها من كتب هذا الفن. وأجازه إجازة عامة في أوائل قعدة عام 1134 هجرية وتصدر للتدريس.

توفي شهيدا مع والده تحت ردم زلزال سنة 1756/1169 الذي اجتاح عدة مناطق من المغرب.

ع. الرحمان ابن زيدان، *الإتحاف*، 5 : 331 ـ 332.

الشاوي عبد الواحد الفاسي، يُعدّ من طليعة الرواد الذين نهضوا بفن المسرح بمدينة فاس، عند النشأة، وأحد صفوة الفنانين الموهوبين الذين تجاوز نبوغهم أي تكوين في أية مدرسة باستثناء مدرسة الحياة والعمل.

ولد بفاس عام 1911/1330، وبدأ دراسته بمسقط رأسه، إلا أنه لم يواصل تعليمه الثانوي لأسباب غير معروفة، لكنه تتلمذ على الفقيه محمد القري، وتأثر به، مما مكنه من تكوين نفسه واكتساب ثقافة أدبية عالية خاصة وأنه كان شغوفاً بالقراءة والمطالعة مما ساعده على كتابة مسرحيته ومقالاته الصحيفة. وبرز كأول ممثل كبير للمأساة، وجمع بين التأليف والتمثيل والإخراج.

كان الشاوي شديد الحب لوطنه كما كان يبغض الاستعمار ويميل وينزع للعدل فجعل من الكتابة والتمثيل وسيلة لتبليغ رسالته الوطنية والحضارية في وقت كان كل شيء فيه مصادراً في المغرب.

وهكذا أسس وثلة من شباب مدينة فاس الوطنيين كالمهدي المنيعي وعبد السلام التويمي ومحمد بوعياد وغيرهم من الرواد أول فرقة تمثيلية في المغرب، شخصت رواية "صلاح الدين الأيوبي". وأسس صحبة زملائه جمعية "الجوق الفاسي" التي ترأسها وقد جاهدت هاته الفرقة جهاداً كبيراً وأصبحت فيما بعد تدعى "فرقة الاتحاد المسرحي" وقامت بعرض مسرحياتها في مختلف المدن المغربية.

كان عبد الواحد الشاوي وزملاؤه من المؤلفين المترجمين يجعلون من إبداعاتهم وسيلة لتعرية نوايا الاستعمار، لذلك

كانت مواضيعهم تستمد مضامينها من تاريخ الإسلام أو من الأحداث السياسية المعيشة

وإلى جانب التمثيل والإخراج ألف الشاوي عدة مسرحيات من بينها: اليتيم المهمل، مجنون بإرادته، قف أيها المتهم، خطورة الزواج، بالعلم ينتهي الفساد، أصدقاء أم لصوص، يتيم الصحراء، فاين دواك يا مريض، حلقات الملاهي، المتفرنج، عوائدنا في الزواج، في سبيل المجد، الداء والدواء، في ظلال العرش، المثري العظيم ابن الاحسان، نحن أطفال ضعاف.

كانت هاته المسرحيات مقترنة بقضايا الشعب المغربي، وتعكس مرحلة تتصف بالنضال لذلك حاول الشاوي من خلالها أن يبلور أهدافا سياسية واجتماعية وطنية.

بالإضافة إلى ذلك حاول تبليغ هاته الأهداف بكسر الحدود التي خلقها وجسدها الاستعمار فقام برحلة إلى الجزائر مع فرقته حيث قدم على خشباتها المسرحية عدة عروض.

وإلى جانب نشاطه المسرحي قام بأداء دور في السينما في فيلم "الباب السابع" مع جورج مارشال، وإيميك لاربون، وماريا كازا ريس. ومثلت معه ابنته ثريا التي شاركته في عدة مسرحيات ـ دوراً في هذا الفيلم.

كان المترجم يؤمن ويعمل على أن الفن بالنسبة إليه ليس مجرد هواية أو ميلا بل رسالة وواجبا عليه الاستمرار فيه، وذلك ما سبب له الكثير من المعاناة.

إلى جانب المسرح كان الشاوي أيضاً من الرواد في المجال الصحفي، فاشتغل بجريدة السعادة وخاصة في المجال الفني. وأصدر في 20 ربيع الأول 1356 الموافق 31 ماي 1937 أول عدد من جريدة "*راديو المغرب*" بفاس، وهي عبارة عن جريدة أسبوعية أدبية فنية صدر منها حوالي سبعة أعداد لمدة سنتين. ولقد امتاز أسلوبه بالسلاسة والوضوح، كما كان تعبيره متزناً يهدف نحو البناء والتطور، ويهدف من ورائه إلى خلق طاقة فنية مغربية.

انتقل الشاوي سنة 1948 إلى مدينة الدار البيضاء حيث شغل منصب مدير "الوكالة المغربية للنشر والأخبار". غير أنه أصيب بمرارة وخيبة أمل بعد مقتل ابنته ثريا في فاتح مارس 1956 فتخلى عن كل نشاط، واكتفى بالنشر في عدة مجلات، وأصبح وكيلاً عاماً لمجلة التعاون الوطني. إلى أن أصيب بمرض عضال أدى إلى وفاته في 23 صفر 1388 / 22 ماي 1968.

ع. القادر السبيحي، *نشأة المسرح والرياضة في المغرب*، الرباط، 1986، ص. 274، 298 ؛ ع. الواحد الشاوي، *تقلب الفن المسرحي بالمغرب*، جريدة *السعادة*، 29 غشت، 1933، ص. 3 ؛ ز. العابدين الكتاني، عبد *الواحد الشاوي، رائد النهضة الفنية*، *مجلة الفنون*، العدد 1، فاتح نونبر، 1973.

رقية بلمقدم

الشاوي، قاسم بن **بوشعيب**، مقاوم، ولد بمدينة سيدي قاسم سنة 1914 دفعته غيرته على وطنه إلى خوض معركة التحرير إلى جانب التدلاوي والزرهوني فشارك مشاركة فعالة في المظاهرة التي عرفتها مدينة سيدي قاسم يوم 3 غشت 1954 كباقي مدن المملكة احتجاجا على السياسة العدوانية المتبعة من طرف المستعمر.

وفي هذا اليوم المشهود كان الشاوي مكلفا صحبة رفاقه في الكفاح بعمليات فدائية تستهدف اغتيال أحد المتعاونين مع الاستعمار وأثناء تنفيذه لإحدى العمليات أصيب بطلقة نارية في كليتيه فسقط على إثرها شهيداً في ساحة الفخر والاعتزاز ودفن بمقبرة القرناني بمدينة سيدي قاسم بجانب جماعة من شهداء معركة ذلك اليوم المشهود.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 511784.

الشاوي، أبو القاسم بن **دُرَى** (بفتح الراء) المكناسي، خدم السلطان مولاي إسماعيل.

علامة جليل، وأستاذ مقرئ، له مهارة كاملة وقدم راسخ ومعرفة زائدة بعلوم القراءات السبع كما شهد بذلك شيخه العلامة شيخ الإقراء في زمانه محمد بن عبد الرحمن بصري الذي حلاه في إجازته بـ: "الطالب النجيب، الحافظ المتقن المجود الاريب، الضارب في فن القراءة بسهم نافذ مصيب..."

أخذ أبو القاسم عن الشيخ بصري المذكور وختم عليه سبع ختمات من القرآن جمع في الأولى بين روايتي نافع وابن كثير وفي الثانية والثالثة رواية أبي عمرو بن العلاء، وجمع في الباقي بين الأئمة السبع.

ومن مشايخه أيضاً أبو عبد الله محمد الهواري وأبو العلاء إدريس المنجرة، وأبو عبد الله محمد الصواف الفيلالي، وغير هؤلاء من المبرزين في علم القراءات.

وانتصب بعد ذلك للتعليم فأجاد وانتفع به جمع كثير وجم غفير، وأصبحت له لدى سيده السلطان مولاي إسماعيل مكانة مكينة، واعتبار ورفعة وهذا من الميزات التي عرفت عن هذا السلطان أي تقريبه لأهل العلم.

ترك أبو القاسم عدة مؤلفات منها: *حفظ الأماني* شرح الجعبري شرحا عجيبا متقنافي مجلدات وهو ما يدل على اقتدار المؤلف وباعه الطويل، وشرح *الهمزة والكنز والحرز* وتقييداً على ابن بري ... وغيره. كما كان يقرض الشعر ويتقنه، أورد بعضاً منه ابن زيدان في *الإتحاف*.

توفي عام 1150 / 37 ـ 1738.

ابن زيدان، *الإتحاف*، 4، ص. 536 ـ 541 ؛ علال معكول، *الحركة الثقافية في مكناس خلال القرن الثاني عشر الهجري*، *أعمال ندوة المحاضرة الإسماعيلية*، 1988، ص. 332.

رقية بلمقدم

الشاوي، محمد بن **عبد الرحمان** المعزاوي نسبا (نسبة إلى بومعزة) والمكناسي دارا. أخذ عن والده وهو الذي

فتح له مجال الاهتمام بعلم الفلك والحساب قبل أن يتوجه إلى فاس للأخذ عن مشايخها، أمثال محمد بن عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي والعربي بن عبد السلام الفاسي وعبد الواحد بن محمد بن هارون والعربي بن عبد السلام بن إبراهيم الدكالي ومحمد بن أحمد ابن الحاج. وأجازه الثلاثة الأولون إجازة عامة في التعديل والتوقيت. وأثنوا عليه ونوهوا بمكانته العلمية في هذا الفن. وقد أورد ابن زيدان نصوص إجازاتهم له مع الإشارة إلى الكتب التي درسها وأتقنها والآلات التي استعملها. ولما استوفى رغبته العلمية عاد إلى مدينة مكناس لتولي رئاسة التوقيت بجامعها الأعظم بظهير إسماعيلي مؤرخ بـ29 حجة عام 1128 هـ.

ظل الشاوي في مهامه إلى أن توفي شهيدا مع ابنه عبد القادر تحت الردم في زلزال عام 1169 / 55- 1756.

وتسلسلت خطة التوقيت في عقب عبد الرحمان الشاوي الذي كان يدعى بمزوار المؤذنين وحصل أبناؤه وأحفاده على ظهائر الملوك العلويين من المولى إسماعيل والمولى سليمان والمولى عبد الرحمان تزكيهم في رئاسة التوقيت بمكناس وتشملهم بالرعاية والتوقير وتحدد لهم نصيبهم من الوقف.

عبد الرحمان ابن زيدان، *الإتحاف*، 4: 88 إلى 96 ؛ 5 : 285 و331 و334.

محمد ماگامان

الشاوي، محمد بن **عمرو** بن أبي القاسم المعروف بالجزائري. نسب إلى الجزائر لإقامته بها سنين مع الأخوين السعديين عبد الملك وأحمد المهاجرين إليها خوفاً من بطش أخيهما عبد الله الغالب، وظل الشاوي معهما مغترباً إلى أن رجعا إلى المغرب بمعونة الأتراك. فلما تولى الملك عبد المالك المعتصم كتب له، ثم كتب لأخيه أحمد المنصور من بعده. حلاه معاصره عبد الواحد السجلماسي الحسني رئيس كتّاب أحمد المنصور ـ على تشدده وتحريه ـ بأوصاف سامية منها: "الفقيه الأديب الكاتب الذي ارتفع في مقامات الأخلاق وسما، وغدا بين النظراء في عذوبة الشمائل علماً، وحصل من الأدب اليانع على حظ وافر ونصيب، ورمى إلى غرض الإجادة في منازعه بالسهم المصيب..." كما حلاّه رفيقه أحمد ابن القاضي في المنتقى المقصور "بالفقيه الكاتب اللوذعي". وله أشعار متفرقة في الحوليات وكتب التراجم.

عاش المترجم في رغد من العيش بمراكش، لما أفاض عليه الخلفاء السعديون من هدايا وعطايا. لا سيما أحمد المنصور الذي سوّغه خراج قبيلة مسفيوة كلها عدا اعشار الزيت، فاجتمع من أعشار الزيت في إحدى السنين خمسون قنطاراً فكتب إلى المنصور أبياتاً يمدحه ويذكر حاجته إلى هذه الزيت.

... فمنها اصطباحي في الدجى وتطيبي
ودهن طعامي ثم منها تعطري

فترك له المنصور أعشار زيته مادام حياً، فكان يبيع منها بالآلاف من العين كل سنة.

أ. ابن القاضي، *المنتقى*، تح. م. رزوق، 1 : 409، *والهامش*، 1 : م. الإفراني، *نزهة*، تح. ع اللطيف الشاذلي، الدار البيضاء، 1998، ص. 204 وفي مواضع أخرى ؛ ع . الله گنون، *النبوغ المغربي*، ط 2، بيروت، د.ت. ص 873؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1976، ج 5 : 180 ـ 182؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 5: 146.

الشاوي، المفضل (الحاج ـ) بن الغماري الحريزي المنياوي، فقيه متصوف، له *رسالة الأصفياء في التبرك بآثار الأولياء*، طبعت بالدار البيضاء سنة 1936/1355؛ *رسالة المحقق في صفات الموثق*، طبعت على الحجر بفاس؛ *نور المشكاة في مسائل الزكاة*، طبعت بالرباط سنة 1365.

توفي بعد عام 1365/1945.

إ. الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، سلا، 1988، ص. 186.

محمد حجي

الشاوية ـ جغرافيا ـ جزء السهول الأطلنتية الوسطى الواقع بين واد النفيفيخ شمالا وواد أم الربيع جنوبا، والذي يمتد نحو الداخل ليشمل الجزء الجنوبي من هضبة الفوسفاط حتى مشارف الرحامنة. وتحتل بذلك هذه المنطقة موقعا متميزا سواء على صعيد المغرب ككل أو على صعيد المغرب الأطلنتي الذي تتوسطه. ويمكنها هذا الموقع من الانتصاب كمنطقة عبور بين شمال وجنوب المغرب وبين الساحل الأطلنتي والمناطق الداخلية، وخاصة الحوز وتادلة، وبالتالي تفرض الشاوية نفسها كصلة وصل بين مناطق مختلفة وكقطب جهوي ووطني على العديد من المستويات.

رغم اشتهار الشاوية كمنطقة جغرافية متميزة بموقعها وبشخصيتها الطبيعية التي يعطيها إياها طابع الانبساط وضعف تقطع السطح، فإنها لا تخلو من تنوع في مكوناتها الطبيعية. فهي تتكون من ثلاثة نطاقات متباينة :

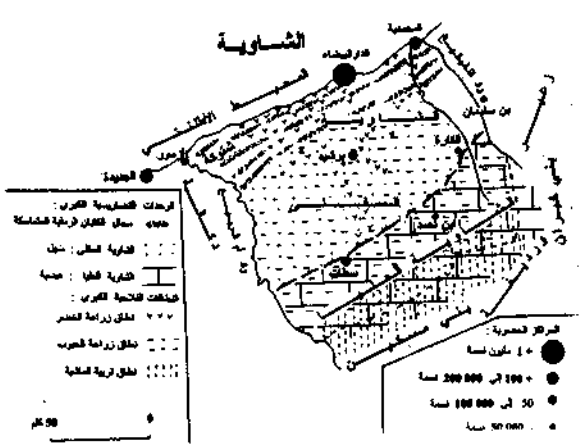

ـ النطاق الساحلي المتكون من كثبان رملية متماسكة اتخذت شكل تلال طولية لا يتعدى ارتفاعها 180 مترا تمتد

بشكل مواز للساحل وتنتشر نحو الداخل على عمق 20 إلى 30 كيلومترا. ويتميز هذا النطاق بمحدودية إمكانياته الفلاحية نظرا لانتشار القشرة الكلسية على قمم وسفوح التلال ولتكدس التربة (الرمل والحمري) في المنخفضات. غير أن اعتدال المناخ والوفرة النسبية للأمطار به (450 مم سنويا) والرطوبة الجوية المرتفعة وتوفر فرشات مائية غزيرة المياه قد جعلته يفرض نفسه كنطاق فلاحي قائم الذات داخل الشاوية.

- السهل الداخلي أو سهل برشيد الذي يشكل مع النطاق الساحلي الشاوية السفلى، يتميز بانبساطه وبتربته الخصبة (التيرس). وإليه يرجع الفضل في اشتهار الشاوية بدور خزان الحبوب المغربي. غير أن عدم تجاوز المتوسط السنوي للأمطار به حاجز 400 مم، يشكل عائقا أمام انتظام زراعة الحبوب وخاصة خلال فترات الجفاف الأخيرة، وبالتالي دفع العديد من الفلاحين إلى استبدال الحبوب بمزروعات أخرى. وبذلك يدخل السهل الذي استمدت منه الشاوية شهرتها عهد التحولات الفلاحية التي ستمكنه من التكيف مع متطلبات السوق ومع إعادة توزيع الأدوار داخل الشاوية.

- الشاوية العليا: تشكل الجزء الجنوبي من الشاوية ككل وتتكون من هضاب كلسية يتراوح ارتفاعها بين 300 م في الغرب و700 م في الشرق. ونتيجة لذلك يتخذ جزؤها الشرقي طابع مجال شديد التقطع من جراء تعمق مجاري المياه به. ويترسخ الطابع الهضبي لهذا الجزء من الشاوية من خلال امتداد الطبقات الفوسفاطية به إلى مشارف مدينة سطات، وعبر إشرافه على الشاوية السفلى بواسطة حافة يتراوح ارتفاعها بين 100 و150 مترا، تقطعها مجاري عديدة للمياه. وتتميز الشاوية العليا بضعف ملحوظ للتساقطات وخاصة في جزئها الجنوبي والشرقي حيث يتراوح المتوسط السنوي للأمطار ما بين 250 و350 مم. ويتعزز التباين داخل الشاوية العليا بسبب تنوع التربة وتباين خصوبتها بين التيرس والحمري والحرش... ومع ذلك يحافظ هذا الجزء من الشاوية على طابعه كمجال تسود به زراعة الحبوب.

إن تنوع المكونات والخصائص الطبيعية لمنطقة الشاوية لا يقلل في شيء من أهميتها الفلاحية بقدر ما يجعل منها مجالا يتنوع ويتكامل إنتاجه الفلاحي وموارد عيش سكانه باستمرار.

تتكون ساكنة المنطقة من مجموعة قبائل الشاوية التي يرجعها المؤرخون إلى قبائل برغواطة التي شكلت السكان المعروفين لهذه المنطقة. وأهم فروعها الحالية: أولاد حريز، أولاد سعيد، المزامزة، أولاد بوزيري، امزاب، المذاكرة، مديونة، زناتة، أولاد زيان، الزيايدة. وتجاورها من الشمال الشرقي قبائل زعير وبني خيران ومن الجنوب وردیغة وبني مسكين والرحامنة ومن الغرب دكالة وشتوكة.

وبحكم موقعها كمنطقة عبور وقربها من الدار البيضاء وتزايد عدد وحجم مدنها شهدت الشاوية تزايدا ملحوظا في حجم سكانها، بحيث انتقل عددهم من حوالي 1.5 مليون نسمة سنة 1960 إلى ما يزيد عن 4 ملايين نسمة سنة 1994، الشيء الذي يجعلها اليوم تضم حوالي 15٪ من مجموع سكان المغرب على رقعة لا تتجاوز 1.5٪ من مساحته العامة وبكثافة سكانية تناهز 350 نسمة في الكيلومتر المربع مقابل 40 نسمة / كلم2 كمعدل وطني. ويقطن أكثر من 80٪ من سكان الشاوية بالمدن. ويرجع هذا الحجم الديموغرافي الكبير وهذه النسبة العالية للسكان الحضريين بالأساس إلى الدار البيضاء الكبرى التي تمثل حوالي 80٪ من مجموع سكان المنطقة و82٪ من ساكنتها الحضرية. ولذلك فباستثناء الدار البيضاء الكبرى تبدو الشاوية منطقة قروية بطابعها العام وبساكنتها وبنشاطها الاقتصادي.

تتميز الشاوية بكونها منطقة يترسخ طابعها الفلاحي باستمرار ومجالا يعزز دورة كقطب اقتصادي يستأثر بالصدارة على الصعيد الوطني كأكبر تجمع صناعي وكأول سوق تجارية. وبفضل تعدد أدوارها وضخامة التركز الاقتصادي بها فقد أصبحت تلعب دورا محوريا في هيكلة التراب المغربي واكتسبت بها الأنشطة الاقتصادية دور المكانة الأولى في هيكلة مجالها الحضري والجهوي.

بفضل مؤهلاتها الطبيعية أصبحت الشاوية خلال القرن العشرين واحدة من أغنى المناطق الفلاحية بالمغرب، وخاصة في ميدان إنتاج الحبوب. ونظرا لقربها من الدار البيضاء ولانفتاحها المبكر أمام تصدير المنتوجات الفلاحية فقد شهدت مجموعة من التحولات مست النشاط الفلاحي في بنياته وإنتاجه. ويتجلى ذلك بالخصوص من خلال هيكلة المنطقة في شكل ثلاثة مجالات فلاحية متميزة:

- مجال زراعة الخضر الممتد على طول الساحل داخل نطاق الكثبان الرملية المتماسكة من المحمدية إلى منطقة شتوكة المشرفة على نهر أم الربيع. ورغم اشتهاره بزراعة الطماطم فقد تنوع إنتاجه الفلاحي ليشمل مختلف أنواع الخضر وحتى بعض الفواكه (الموز، البطيخ...) وقد ساعدت الرطوبة الجوية المرتفعة إلى جانب تنوع الإنتاج على توسع هذا المجال بشكل مضطرد نحو الداخل، على حساب زراعة الحبوب. ففي شمال الدار البيضاء تتوسع زراعة الخضر بشكل مواز لواد المالح لتمتد نحو الجنوب على طول أحد روافده المتمثل في واد حصار، في اتجاه مديونة ومنها إلى برشيد، في شكل حزام نصف دائري يحيط بمدينة الدار البيضاء ويتطور في ارتباط بها. وفي جنوبها توسع هذا النطاق انطلاقا من جماعات دار بوعزة وبوسكورة والسوالم ليشمل جماعات الساحل والغنيميين وسيدي المكي وسيدي العابدي أي أنه تجاوز برشيد ليشرف على مدينة سطات. وبذلك يكون نطاق زراعة الخضر أكثر المجالات الفلاحية بالشاوية دينامية على المستوى النوعي والكمي. وقد استفاد في ذلك من استغلال مياه الفرشة الباطنية في ميدان السقي.

- مجال زراعة الحبوب الذي ظل إلى عهد قريب يطابق

الشاوية السفلى عموما وسهل برشيد على الخصوص والذي يعتبر من أهم مناطق زراعة الحبوب بالمغرب (معدل مردود الحبوب يفوق به 20 قنطاراً في الهكتار). وقد أدت مجموعة من التحولات إلى تراجع هذه الزراعة بشكل متواصل أمام زحف زراعة الخضر وانتشار الصناعة داخل الأرياف وتطور ظاهرة الإقامات الفخمة لسكان المدن على طول المحاور الطرقية وخاصة منها محاور: الدار البيضاء - برشيد، برشيد - سطات، برشيد - بن احمد، مديونة - برشيد، الدار البيضاء - أولاد عبو... وقد شجع على ذلك إحداث نطاق للزراعة الكثيفة تقوم على السقي بالأذرع المحورية في جماعة لحساسنة (بوفروج) وأولاد سعيد قرب بولعوان وأولاد بوزيري (سيدي محمد برحال). ونتيجة لذلك تفقد الشاوية السفلى تدريجيا مكانتها كخزان للحبوب بالمغرب، ويتراجع طابعها القروي والفلاحي وتتعزز مظاهر ومكونات الحياة الحضرية بها. وبشكل مواز لذلك تتعدد بها التجمعات التجارية والخدماتية والسكنية ذات الطابع الحضري: سيدي العايدي، بوفروج، لغنيميين، الدروة، أولاد صالح...

وإزاء هذا التطور توسعت زراعة الحبوب داخل الشاوية العليا وخاصة في جزئها الجنوبي الذي أصبح يضاهي الشاوية السفلى. وبذلك تعزز دور النطاق الممتد من سطات إلى بني اخلوق وأولاد مراح ومن أولاد سعيد إلى بن احمد كمجال لزراعة الحبوب (الشعير والقمح والذرة) في تناوب مع القطنيات (الحمص والفول والعدس...). غير أن توالي سنوات الجفاف خلال العقدين الأخيرين قد أدخل الشاوية العليا بدورها في مسلسل من التحول شبيه بالذي يشهده سهل برشيد، حيث تكاثر اللجوء إلى استغلال المياه الجوفية من أجل إنتاج الخضروات: موالين الواد قرب سطات، ضواحي قيصر، أولاد بوزيري، المعاريف - أولاد امحمد قرب ابن احمد...

- نطاق تربية الماشية: يتمحور حول المجال الذي تحتله قبائل بني مسكين التي لا تنتمي لقبائل الشاوية لكنها ألحقت بها إداريا منذ عهد الاستعمار. غير أن النجاح الكبير الذي لقيه نشاط تربية الأغنام وخاصة فصيلة الصردي جعل هذا النشاط ينتشر في معظم أرجاء الشاوية العليا، في تكامل مع زراعة الحبوب. وبذلك فتربية الأغنام التي تشكل ببني مسكين نشاطا شبه وحيد للسكان أصبحت بمثابة مورد لا يمكن الاستغناء عنه في الشاوية العليا عموما وخاصة منذ أن أصبح الجفاف ظاهرة تتكرر باستمرار.

يتجلى من خلال التوزيع المجالي للإنتاج الفلاحي ومن التحولات التي شهدها أن الشاوية قد دخلت برمتها عهد تنوع الإنتاج وتعزيز ارتباطه بالسوق البيضاوية وبالتصدير نحو الخارج وبظاهرة التمدين التي تكتسح هذه المنطقة بشكل مضطرد.

وفي ارتباط بهذه الدينامية شهدت الصناعة تطورا ملحوظا منذ بداية القرن العشرين. فإن كانت مدينة الدار البيضاء تشكل القطب الرئيسي لهذا النشاط داخل الشاوية وعلى صعيد المغرب فإن ذلك لم يمنع من تأثر المنطقة ككل بهذا النشاط. ففي ارتباط بالدار البيضاء كميناء للتصدير وللاستيراد وكسوق استهلاكية وكمجال صناعي تتعدد به فرص وقنوات ترابط وتكامل الصناعات، تطورت مجموعة من المراكز الصناعية المتفاوتة الأحجام والمضامين داخل الشاوية. وتشكل مدينة برشيد (حوالي 50 وحدة صناعية) أولها بحكم تطورها بضواحي الدار البيضاء وفي ارتباط بها. وعلى مقربة منها تطورت أيضا مجموعة من التجمعات الصناعية الأخرى مثل: أحد السوالم، تيط مليل، مديونة، بوسكورة، عين حرودة... هذا فضلا عن مدينة سطات التي يتخذ بها حضور الصناعة (حوالي 30 وحدة صناعية) أبعادا كمية ونوعية لا تخلو من أهمية اقتصادية واجتماعية.

وبهذا الحضور المتعدد الأبعاد والأشكال للصناعة بها أصبحت الشاوية مندمجة في دور القطب الصناعي الذي تضطلع به الدار البيضاء، أي أن هذه المدينة التي شكلت عاصمة للشاوية منذ عهد البرغواطيين وقبل أن تصبح عاصمة اقتصادية للمغرب كله قد ساهمت في الاندماج التدريجي لمحيطها الجهوي كأول قطب اقتصادي بالمغرب.

ولم تكن الدار البيضاء لتجر الشاوية في فلكها ولتشركها في وظائفها الاقتصادية لولا توفر هذه المنطقة على البنيات التحتية الضرورية لذلك. وفي هذا الصدد تعتبر الشاوية من المناطق المغربية التي تتوفر على شبكة طرقية كثيفة (1 كلم من الطرق المعبدة في كل 5 كيلومترات مربعة، مقابل 1 لكل 20 كمعدل وطني) وتستجيب هذه الكثافة المرتفعة لكثافة الرواج التجاري وحركة السكان بهذه المنطقة. غير أن تمحور شبكة الطرق حول مدينة الدار البيضاء يجعل كثافة هذه الشبكة تتراجع كلما تم الابتعاد عن العاصمة الاقتصادية. كما أن هذه المنطقة تعد أكثر تجهيزا على الصعيد الوطني في ميدان السكة الحديدية بحيث تخترقها أربعة خطوط ذات اتجاهات مختلفة. وهذا ما يساهم في تنشيط حركة الرواج داخلها وبينها وبين باقي جهات المغرب.

تلعب مدينة الدار البيضاء دورا محوريا في الهيكلة المجالية للشاوية على كل المستويات. فحجمها كأكبر مدن المغرب ووظيفتها كعاصمة اقتصادية قد جعلاها تزكي وضعيتها كعاصمة للشاوية وكقطب مهيمن داخلها. وهذا ما يفرض على باقي مدن المنطقة مهما تنامت أحجامها الديموغرافية وتنوعت وظائفها الاقتصادية أن تظل خاضعة لنفوذ الدار البيضاء وضعيفة التأثير حتى داخل المحيط المباشر لها. وهذا شأن مدينة سطات بالأساس التي رغم ترقيتها إلى رتبة عاصمة إقليم ثم عاصمة جهة، تظل خاضعة لنفوذ العاصمة الأولى للشاوية على كل المستويات.

ويؤدي النفوذ القوي للدار البيضاء داخل الشاوية إلى عدم تشكل شبكة حضرية متوازنة ووظيفية بهذه المنطقة. فرغم انتقال عدد المراكز من 8 سنة 1960 إلى 24 سنة 1994

وانتقال مجموع السكان الحضريين بها من 1.066.900 نسمة سنة 1960 إلى 3.205.630 نسمة سنة 1994، فإن مدينة الدار البيضاء تظل مهيمنة بحجمها وبحصتها من السكان الحضريين التي انتقلت من 90,5٪ سنة 1960 إلى 82٪ سنة 1994. ومما يزيد من حدة هذا التركز الحضري أن المدينة الثانية بالشاوية التي هي المحمدية قد نشأت وتطورت في ارتباط وثيق بالدار البيضاء فظل حجمها متواضعا أمامها (170.000 نسمة). ورغم ارتقاء مدينة سطات إلى مستوى المدن الكبرى (96.217 نسمة) ورغم موقعها بعيدا نسبيا عن الدار البيضاء فوضعيتها لا تختلف كثيرا عن وضعية المحمدية. أي أن الشاوية التي تسجل أعلى وتيرة للتمدين بالمغرب تظل أحادية القطب وشديدة التركز في هذا الميدان.

ويجسد هذا التركز العمراني التركيز الحاصل على المستوى الوظيفي للشبكة الحضرية الذي يجعل الدار البيضاء على رأس الجهاز الإنتاجي الصناعي ومحور الشبكة التجارية بمختلف مكوناتها ومحرك آليات الرواج المالي ومختلف الخدمات الموجهة للمقاولات وللأفراد. ويساهم قصر المسافات (أبعد نقطة عن الدار البيضاء داخل الشاوية لا تتعدى 120 كلم) وتوفر وسائل المواصلات في جعل مختلف مدن الشاوية مجرد محطات في طريق الدار البيضاء.

أمام الهيمنة المتنامية للدار البيضاء داخل الشاوية لجأت الإدارة الترابية منذ عهد الاستعمار إلى إعطاء هذه المنطقة هيكلة إدارية ترتكز على استراتيجية تشجيع تطور العواصم المحلية. وفي هذا الصدد تعددت محاولات عزل المنطقة إداريا عن الدار البيضاء، سواء عند إدماج الشاوية في جهة الدار البيضاء أو مع إحداث دوائر ومقاطعات مدنية: الشاوية الشمالية، الشاوية الوسطى، الشاوية الجنوبية. فكان من نتائج هذا التقطيع بزوغ ثلاث عواصم محلية: سطات، برشيد، ابن سليمان. وبعد عهد الاستعمار انتقلت الشاوية من مجموعة دوائر تابعة لجهة الدار البيضاء إلى أقاليم تابعة لجهة الدار البيضاء أيضا. ورغم كون التقطيع الجهوي لسنة 1997 قد جعل الشاوية تشكل إلى جانب ورديغة جهة منفصلة عن الدار البيضاء فإن عدم تفعيل هذا التقطيع لم يغير أدنى شيء من تبعية الشاوية للدار البيضاء، وبالتالي من خضوع هيكلة مجالها في شموليته للتيارات المتشعبة التي تتحكم فيها العاصمة الفعلية للشاوية.

انطلاقا من كل هذا يتجلى أن الشاوية التي كان لها دور أساسي في نشأة وتطور مدينة الدار البيضاء قد ظلت مشدودة إلى عاصمتها الأولى رغم التحولات العديدة التي شهدتها المنطقة في بنياتها ومرتكزاتها العمرانية والاقتصادية، ورغم التموضع الجديد للدار البيضاء على الصعيد الوطني. وكان من نتائج ذلك تحمل هذه المنطقة انعكاسات روابطها القوية بعاصمتها الأولى والمتمثلة أساسا في كونها تزداد اكتظاظا في تعميرها وكثافة في استغلال مجالها الفلاحي وسرعة في إيقاع التمدين بها. وهذا ما يجعلها تعزز يوما بعد يوم اندماجها في الوظيفة القيادية التي تضطلع بها الدار البيضاء اقتصاديا داخل المغرب. غير أن قوة جذب الدار البيضاء وحدة التركز بها قد حولت الشاوية برمتها إلى ضاحية تساير تطور العاصمة الاقتصادية وأحيانا ضحية تتخلص فيها وبواسطتها هذه المدينة من نفاياتها ومشاكلها وفائضها الديموغرافي. وتبعا لذلك أصبح التلوث بالشاوية يهدد بتدهور خطير للبيئة وأضحى مشكل السكن الذي تعاني منه الدار البيضاء يجد حلولا له داخل الشاوية بأشكال وأساليب تهدد التوازنات البيئية والديموغرافية والاقتصادية والاجتماعية داخل هذه المنطقة.

المصطفى شويكي، *علاقة مدينة سطات بالشاوية*. *حوليات كلية الآداب والعلوم الإنسانية* - عين الشق، الدار البيضاء، عدد 5، 1988، ص. 77 - 84.

M. Chouiki, *Settat et son rôle régional*, Thèse de doctorat de 3ème cycle, Tours, 1985 ; R. Fosset, *Le réseau urbain des bas plateaux atlantiques moyens au Maroc*, in fascicule n° 3, Tours, 1978 ; *Société rurale et organisation de l'espace : les bas plateaux atlantiques du Maroc moyen: Chaouia - Doukkala - Abda*, Thèse d'Etat, Montpellier III, 1979.

المصطفى الشويكي

* * وعن تاريخ الشاوية يذكر دو شينى De Chenier الذي كان قنصلا لفرنسا بالرباط من 1767 إلى 1787 مواقع الشاوية من تادلة إلى دكالة. وكذلك فرق دومباي Dombay (1801) بين إقليم تامسنا والشاوية: فتامسنا تمتد عنده من وادي الشراط إلى وادي أم الربيع وهي ما ينطبق على سهل الشاوية اليوم، تحد شرقا بتادلة والشاوية وشمالا ببني حسن وغربا بالمحيط وجنوبا بدكالة. أما الشاوية فاعتبره إقليما تابعا لمملكة فاس، "يقطنه قوم عصاة نهاب"، وبين أنه يحد "غربا بإقليم تامسنا وشمالا ببني حسن حيث يشتبكون معهم في صراع لا ينقطع". وهكذا يغلب على الظن أن اسم الشاوية قد تعمم في عهود لاحقة لاستقرار القبائل العربية والزناتية في سهل تامسنا الواسع وسهوب تادلا، على سكان الشاوية اليوم؛ عندما زحف الرحل الباحثون عن المراعي الخصبة لماشيتهم، من السهوب الداخلية نحو السهول الساحلية الرطبة غربا، واختلطوا مع السكان المحليين فغلب على الجميع اسم الشاوية.

ويظهر أن اسم الشاوية بدأ يغلب على اسم تامسنا شيئا فشيئا منذ القرن السابع عشر وإلى نهاية القرن الثامن عشر على أقل تقدير؛ إذ منذ بداية القرن التاسع عشر بدأت كلمة الشاوية تحل محل كلمة تامسنا في الكتابات المخزنية.

أما اسم الشاوية فهو جمع شاوي ويعني ملاكي قطعان الغنم أو رعاة الشاة، والمقصود به مجموعة القبائل التي كانت تتعاطى لرعي الماشية وخاصة ماشية السلطان. وتتفق روايات الإخباريين المغاربة على أن الشاوية ينتمون إلى حسان بن أبي سعيد الصبيحي نسبة إلى صبيح بالتصغير وهو بطن من بطون سويد. وسويد هي إحدى قبائل بني مالك ابن زغبة الهلاليين. وكان دخول حسان وأخيه موسى بن أبي

سعيد إلى المغرب الأقصى أيام السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني مؤسس الدولة المرينية (1269 ـ 1286 م). ويثبت الناصري نقلا عن ابن خلدون، أن الشاوية كانوا "يتصرفون في الدولة على ما كان لسلفهم من ولاية الشاوية والنظر في رواحل السلطان والظهر الذي يحمل من الإبل". وهكذا يتأكد أن القبائل العربية التي تحالفت مع المرينيين هي التي غلبت اسم الشاوية على الإقليم الجغرافي الذي كان يسمى تامسنا. ولاشك في أن تلك القبائل هي التي زحفت مع قبائل زناتة مثل مغراوة ومزاب وكتامة، من المغرب الأوسط نحو سهول المغرب المطلة على المحيط، وانضافت للقبائل العربية من بني هلال، التي كان يعقوب المنصور الموحدي (1184 ـ 199 1م) قد نقلها من المغرب الأدنى (تونس) والمغرب الأوسط (الجزائر) إلى المغرب الأقصى. وعلى هذا الأساس قد يكون لشاوية المغرب الأقصى علاقة قرابة مع شاوية المغرب الأوسط المنتشرين في منطقة الأوراس بالجزائر.

ومهما يكن فإن الشاوية أصبحت، منذ القرن الثالث عشر (19 م)، تكوّن اتحادية قبلية كبيرة وقوية، متشكلة من عناصر سلالية متعددة ومختلفة الأصول. اختلطت فيها الأصول العربية بالأصول البربرية ـ كما هو شأن معظم المجموعات القبلية المغربية ـ وامتزجت عناصرها لتكون في النهاية قبيلة كبيرة زادها الموقع الجغرافي تماسكا وتجانسا واضحين، وصهرتها عوامل تاريخية واقتصادية وسياسية وعسكرية منذ زمن بعيد. فالشاوية اليوم تتكون من قبائل بعضها من أصول مصمودية وزناتية وصنهاجية، وبعضها من بني هلال وبني سليم وبني معقل. ومع أخذ هذه الحقيقة بالاعتبار، يجب أن نثبت أن لغة هذه الاتحادية هي العربية وهذا الواقع معروف بالشاوية منذ زمن بعيد.

ويظهر أن تكوّن اتحادية الشاوية لم يطرأ عليه تغيير منذ القرن الثامن عشر، بيد أنها عرفت تطورات في توزيع عناصرها نتيجة لعوامل إدارية وجبائية. فالشاوية كانت تتكون من اثنتي عشرة قبيلة في سجلات المخزن هي: أولاد حريز ـ المذاكرة وأولاد علي ـ مزاب والأعشاش ـ المزامزة ـ أولاد سعيد ـ أولاد بوزيري ـ أولاد سيدي بنداود ـ كدانة ـ زناتة ـ مديونة ـ أولاد زيان ـ الزايدة وبني أوري. وكانت هذه القبائل موزعة على مجموعتين كبيرتين هما:

مجموعة أولاد بورزق: وتشمل المزامزة ـ أولاد سعيد ـ كدانة ـ أولاد سيدي بنداود ـ أولاد بوزيري ـ زناتة.

مجموعة أولاد بوعطية: وتضم مزاب والأعشاش ـ المذاكرة وأولاد علي ـ أولاد حريز ـ مديونة ـ أولاد زيان ـ الزايدة، وهذه القبائل الثلاث الأخيرة كانت متحدة في مجموعة تسمى الشهاونة.

كان أساس التنظيم الاجتماعي بالشاوية مبنيا على إحصاء عدد خيام كل قبيلة. وكانت كل قبيلة تتوزع إلى دواوير، وكل دوار يتكون من مائة خيمة. ولاشك في أن هذا التنظيم أحدثه المخزن لمعرفة كيفية توزيع الجبايات على القبائل، مثل الزكاة والعشر، والكلف المخزنية مثل الحركة والعسكر والهدية وصيانة روام المخزن المعدة للنقل ومواشيه، وسخرة الذين يكلفون ببعض المهام في القبائل.

ويبدو أن هذا التنظيم أصبح ساري المفعول منذ عهد السلطان مولاي عبد الرحمان (1822 ـ 1859)، بدليل أن قبائل أخرى عرفت نفس التنظيم في عهده مثل قبيلة زعير. وتبرز المستندات الرسمية أن الشاوية كانت موزعة في سنة 1890 أي في عهد مولاي الحسن (1873 ـ 1894) إلى مائة (100) دوار؛ وكان كل دوار يضم مائة (100) خيمة. وهكذا كانت كل مجموعة من المجموعتين السابقتين، أولاد بوعطية وأولاد بورزق، تمثل نصف الشاوية على حدة، أي أن كل مجموعة تتكون من خمسين دوارا موزعة على الشكل الآتي:

أولاد بوعطية: (أولاد حريز ـ المذاكرة ـ أولاد علي : 12,5 دوار ونصف دوار؛ مديونة وأولاد زيان: 18 دوار ؛ مزاب والأعشاش : 12,5 دوار ؛ الزايدة وبني اورى : 07 دواوير.

أولاد بورزق: المزامزة وكدانة: 13 دواراً ؛ أولاد سعيد : 13 دوار؛ أولاد بوزيري : 13 دوارا وثلاثة أرباع الدوار؛ أولاد سيدي بنداود : 02,1 دوارين وربع ؛ زناتة : 08 دواوير.

وهكذا كانت الدواوير موزعة حسب أهمية كل قبيلة من حيث عدد سكانها وكوانينها. وكانت الواجبات الجبائية تفرض على أساس هذا التوزيع. فمثلا كان واجب الزكاة والعشر المفروض على الشاوية يساوي 150.000 ريال خلال القرن التاسع عشر (50.000 ريال زكاة المواشي و100.000 ريال أعشار الحبوب)، فكان نصيب كل مجموعة نصف هذا المقدار. وكان نصيب أولاد حريز والمذاكرة وأولاد علي ثمن المقدار المذكور، أي 18.750 ريال لأنهم يمثلون ثمن الشاوية (12,5 دوار).

والملاحظ أن الشاوية كانت مقسمة إداريا إلى قيادات عديدة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. لكل قبيلة قائد، سوى قبائل المذاكرة وأولاد حريز وأولاد علي فكانوا خاضعين لنفوذ قائد واحد من عائلة برشيد الحريزية. كما كانت قبيلة كدانة مضافة إلى قيادة المزامزة. وكان مزاب والأعشاش يكونون قيادة كبيرة تابعة لأسرة ابن احمد المزابية. وسرعان ما توزعت إلى 6 قيادات في عهد مولاي الحسن وإلى 14 قيادة، في عهد السلطان مولاي عبد العزيز (1894 - 1908). وبدون شك، فإن تفتيت قبائل الشاوية إلى قيادات صغرى كانت تمليه ضرورات إدارية وسياسية. ويجب أن نلاحظ كذلك أن عملية إخضاع القبائل إلى قواد عديدين، كانت تزداد كلما اقتربنا من نهاية القرن التاسع عشر. وهذا الأمر يفسر بتزايد التدخل الأوربي في الشؤون المغربية، مع ما كان يصحبه من استغلال رأسمالي، ومن تفشي عواقب نظام الامتيازات الأجنبية، في ميدان الحمايات القنصلية والمخالطات بين التجار الأجانب والفلاحين. لقد زاحم التجار

الأجانب أهل الشاوية في قوتهم اليومي وشاركوهم فيما يملكون. كما زاحموا حكام القبائل في النفوذ، وتسببوا في تدهور هيبتهم. ونشأ عن كل ذلك فتن واضطرابات اجتماعية اعتبرها المراقبون الأجانب سببة مرتبطة بالتنظيم الاجتماعي، ولم يفهموها في إطار ظروفها المكانية والزمانية. وقد استغل التجار الأجانب تلك الاضطرابات لرفع قضايا ودعاوى عديدة ضد المخزن، كان الهدف منها تخريب الدولة المغربية من الداخل. واستجابة لتلك التحديات كان السلاطين يضاعفون من مراقبتهم لقبائل الشاوية التي عرفت الاستغلال الرأسمالي أكثر من غيرها من القبائل. وهذا ما يفسر توزيع الشاوية سنة 1897 إلى 28 قيادة، بينها 7 قيادات كبرى، والباقي وعدده 21 قيادة موزعة على مزاب والأعشاش (14 قيادة)، الزيايدة (4 قيادات)، أولاد بوزيري (3 قيادات)، كما يتضح من الجدول التالي.

التوزيع الإداري للشاوية حوالي 1315/1897-1898

القبيلة	الفرقة	عدد القواد	أسماؤهم
أولاد سعيد	؟	1	العياشي السعيدي
المزامزة	المزامزة + كداتة	1	المعطي بن عبد الكبير المزامزي
زناتة	زناتة	1	بوشعيب الزناتي
أولاد سيدي بنداود	أولاد سيدي بنداود	1	الجيلالي بن الرغاي الداودي
أولاد بوزيري	؟ ؟ ؟	3	أحمد بن صالح الزيراوي البهلول بن سالم الزيراوي مسعود بن محمد الزيراوي
أولاد حريز أ. علي المذاكرة	أولاد حـريز أولاد علي المذاكرة	1	عبد السلام بن رشيد الحريزي
مديونة	مديونة + سوالم	1	أحمد بن العربي المديوني
أولاد زيان	أولاد زيان	1	الحسن بن العايدي الزياتي
الزيايدة	موالين الوطى موالين الغابة ؟ بني أورى	1 1 1 1	عبد الله الزيادي الوطاوي محمد بن أحمد الزيادي ابن المعطي الصلحاوي الشرقي الوراوي
مزاب	بني إبراهيم أولاد شبانة الأحلاف حمداوة أولاد مراح	1 1 1 1 1 2	العباس الإبراهيمي الجيلاني المسيعدي الشباني عبد القادر الحلفي بوزيان الحمداوي ابن خليش المراحي احمد بن البهلول المراحي
الأعشاش	أولاد فارس أولاد عريف الخزازرة الأولاد أولاد محمد معـــــاريف	1 1 1 2 2 1	احمد بن التومي الفارسي أحمد بن حجاج العريفي ابن العربي الخزاري بنداود الولدي إبراهيم الولدي الجيلاني زربول المجدي عبد السلام المحمدي عمر المعروفي

والجدير بالذكر، أن الشاوية كانت تمثل منذ تكونها كتلة بشرية معتبرة ذات أهمية سياسية واقتصادية كبيرة في البلاد. وكان المخزن يعتمد باستمرار على جباياتها المنتظمة، ومساهماتها الدائمة في التكاليف المفروضة على المجتمع المغربي. وتأتي أهمية الشاوية من موقعها المتوسط، ومن خصوبة تربتها ووفرة إنتاجها ومداخيل مرسى الدار البيضاء، الواقع بتراب قبيلة مديونة. وكانت للمخزن بالشاوية أمراس لخزن الزرع الاحتياطي لمواجهة الطوارئ والأزمات في المغرب. وكان المخزن يعتمد على قبائل الشاوية في المحافظة على قسم كبير من الخيل والبغال والإبل والمواشي. فعلى سبيل المثال والمقارنة، كان بالشاوية سنة 1896 حوالي 887 من بغال المخزن الموزعة على القبائل، و268 من الجمال، في حين كان عدد الجمال بدكالة المجاورة 212 وبعبدة 77. وقد نبهت كتب الرحلات الأوربية الاستطلاعية إلى أهمية إنتاج الشاوية من الحبوب والأصواف والمواشي. كما نبهت إلى أهميتها الاستراتيجية، ولا غرابة بعد هذا أن يستهدف الاحتلال الفرنسي قبائل الشاوية سنة 1907 ويستخدمها في مخططه الاستعماري للمغرب.

ع. الرحمن ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1959، ج. 6 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ط. 2، الدار البيضاء، 1954 ـ 1956 ؛ ح. الوزان (ليون الإفريقي)، *وصف إفريقيا*، تعر. م. حجي وم. الأخضر، بيروت ؛ م. السليماني، *اللسان المعرب*، مخطوط، خ. ح ؛ *كناش رحلات السلطان مولاي الحسن*، مخطوط، خ. ح. ؛ *وثائق* خ. ح. ؛ ع. الوهاب بنمنصور، *قبائل المغرب*، الرباط، 1388 / 1968 ؛ ع. الخديمي، *التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب*، الدار البيضاء، 1994.

A. Adam, *Histoire de Casablanca des origines à 1914*, Aix-En-Province, 1968 ; M. Chenier De, *Recherches historiques sur les maures et histoire de l'empire du Maroc*, 3 T., Paris, 1787 ; G. Colin, *Shawia, E.I.*, 1er éd. ; De Foucauld, *Reconnaissance au Maroc, 1884-1885*, Paris ; Grasset Capitaine, *A travers la chaouia avec le corps de débarquement de Casablanca*, Paris, 1906 ; Huot Lt-Cl, *La situation politique en Chaouia, Aout-Décembre 1907, Décembre-Janvier 1908. Bull. de la société de géographie du Maroc*, FASC, 2-3, 1922 ; E. Miège, *Notes sur les Mzab et les Achache, A.B*, vol. 3, Fasc. 2-3, 1918 ; M. Quedenfeldt, *Division et répartition de la population berbère au Maroc*, traduit de l'Allemand par H. Simon, Alger, 1904 ; Segonds Lieutenand, *La Chaouia et sa pacification*, Paris [s.d.] ; P. Tubert Lt., *La Chaouia, Bull. Soc. d'Alger et de l'Agrique du Nord*, 1914, 1er et 2ème trim. ; *Villes et tribus du Maroc, Casablanca et les Chaouia*, 2 T., Paris, 1915 ; F. Weisgerber, *Les Chaouia*, Paris, 1907 ; *Casablanca et les Chaouia en 1990*, Casa 1939.

علال الخديمي

الشاوية ـ ورديغة، جهة من الجهات المغربية الست عشرة تمتد جنوب جهة الدار البيضاء، على مساحة 16940 كم2، وتضم ثلاثة أقاليم. سطات وخريبگة وبن سليمان. ساكنة الجهة تبلغ 1.5 مليون نسمة (حسب إحصاء 1994).

وللجهة عدة مؤهلات طبيعية، إذ كل ترابها ضمن المجالات الملائمة للنشاط الفلاحي، بسبب استواء السطح داخلها، وامتداد أتربة جيدة بها. أما المياه الباطنية، فتقتصر على الفرشة المائية للشاوية السفلى (منطقة برشيد).

ترتفع الجهة من الساحل إلى الجنوب، الشيء الذي يسمح بتقسيمها إلى أشرطة متوالية:

ـ شريط المجال الساحلي، ذي الأتربة الرملية.

- سهل برشيد، وهو عبارة عن مجال غني بأتربته الجيدة وفرشته المائية الهامة.

- هضبة بن أحمد - سطات وامتداداتها الشرقية في منطقة الخطوات.

- هضبة البروج الجنوبية، والمتميزة بالجفاف وفقر الأتربة وقلة المياه.

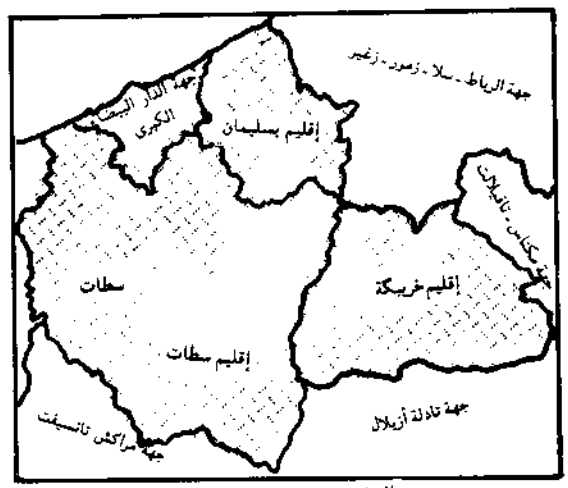

الشاوية وردیغة (جهة -)

يمثل سكان الجهة 5٪ من مجموع سكان المغرب، على مساحة لا تتعدى 2.4٪ من مساحة البلاد، بكثافة تصل في متوسطها إلى 90 نسمة / كم2. إلا أن معدل النمو السنوي 82 . 94 ضعيف بالمقارنة مع المتوسط الوطني ولا يتعدى 1.3٪. وهكذا نجد بعض الجماعات، تعرف نمواً سلبيا خلال هذه العشرية (في إقليم خريبكة على الخصوص) بينما تتزايد الساكنة بوتيرة عالية في سهل برشيد والمجال الساحلي.

ورغم قربها من الدار البيضاء، فإن الجهة تحتفظ بسيادة الطابع القروي، إذ تمثل ساكنة الأرياف نسبة تفوق 60٪ من المجموع، ولا ترتفع نسبة التمدين إلا في إقليم خريبكة، بسبب سيادة النشاط المعدني، على حساب النشاط الزراعي. رغم ذلك تحتضن الجهة 23 مركزاً حضرياً، أهمها مدينتا سطات وخريبكة. وخريبكة وحدها، بسكانها المائة وخمسين ألفا، تمثل ربع السكان الحضريين في الجهة. أما سطات، وادزم وبرشيد فهي من فئة المدن المتوسطة. وتعرف سطات نمواً ديمغرافيا هاماً بسبب استفادتها من استثمارات صناعية، إضافة إلى ربطها بالطريق السيار بمدينة الدار البيضاء. وتسجل مدينة برشيد أعلى وتيرة نمو، بتزايد سنوي يقترب من 5٪، بسبب موقعها بجوار جهة الدار البيضاء، مما جعلها تستفيد من سياسة تشجيع اللامركزية الصناعية.

من أهم المدن كذلك، مدينة بن سليمان وأبي الجعد، أولاهما في نمو مطرد، بينما الثانية ذات نمو ضعيف، مقداره 1.35٪، وهي أخفض وتيرة تعرفها مراكز الجهة.

أما السكان القرويون، فيتركزون في الجماعات المتاخمة للدار البيضاء، وفي محيط سطات وخريبكة.

نسبة السكان النشيطين متواضعة في الجهة. إذ لا يتعدى النشيطون المشغلون ربع مجموع السكان، نصفهم يعمل في القطاع الفلاحي والغابوي. أما المناجم، فهي لا تشغل أكثر من 3٪ من السكان. لكنها تساهم في خلق مناصب شغل متعددة في الإدارة والخدمات.

وتبقى الركيزة الفلاحية أساساً هاماً في نمو المنطقة. ذلك أن الجهة تحتوي على 1.1 مليون هكتار من الأراضي الصالحة للزراعة، جلها بورية ومختصة في زراعة الحبوب. ويمتد السقي على 8000 هكتار، بتقنية ضخ مياه الفرشة الباطنية.

وتحتل الجهة المرتبة الأولى في المغرب من بين الجهات ذات الإنتاج المنجمي، بسبب احتوائها على أهم المكامن والمذخرات الفوسفاطية في المغرب.

وتعرف الصناعة نمواً هاماً، إذ تشغل 17٪ من اليد العاملة (238 مؤسسة صناعية)، وتتركز أساساً في إقليم سطات.

وتعاني الجهة من ضعف تجهيزاتها الاجتماعية، إذ تشكو من تواضع نسبة التمدرس وارتفاع نسبة الأمية، وانخفاض نسبة ربط السكان بالماء الشروب والتيار الكهربائي. إلا أن الجهة تحتوي على تجهيزات هامة في ميدان النقل (سكة حديدية مزدوجة وكثافة الطرق) إضافة إلى ربطها بالطريق السيار. وقربها من مدينة الدار البيضاء، يجعل الجهة في مقدمة المجالات المستقبلة للاستثمار، رغم ظاهرة تهميش المجالات الجنوبية من إقليم خريبكة.

م. الأسعد، م. محيي الدين، م. امدافعي و ع. س. ابن زاهير، *جهة الشاوية - وردیغة، دراسة في الجغرافيا الإقليمية*، مجلة *جغرافية المغرب*، مجلد، 19، 2001، ص. 61 . 79 ؛ مديرية إعداد التراب، *جهة الشاوية - وردیغة*، 1999، منشورات عكاظ.

عبد الله العوينة

شايب - عينو، قدور، من رياس الرباط المرموقين العاملين في صفوف أسطول سيدي محمد بن عبد الله، ومن بين الرجال الأساسيين في الملاحة الجهادية. كان خلال الفترة الممتدة من سنة 1766 إلى 1772 م يقود سفينة سنبوك كبيرة مجهزة ببطارية مؤلفة من أربعة عشر مدفعا، وتحت إمرته طاقم مكون من ثمانين رجلا.

وقد أصبح شايب عينو من كبار الرياس المعتمدين من قبل السلطان في المهام الملاحية الرسمية، حيث شارك في سنة 1203 / 1789 في البعثة المغربية التي ترأسها القائد محمد الزوين الرحماني الموفدة إلى القسطنطينية.

توفي بعد عام 1203 / 1789 .

ابن زيدان، *إتحاف*، ج. 3، ص. 200، و263، و306.
Chenier, *Journal*, pp. 96-97, 103-104 et 125-127.

حسن أميلي

ابن **شْبَاد، أحمد** محمود بن محمد، مقاوم من مواليد سنة 1930 بإقليم أسا من والديه محمد بن شباد والسالكة بنت إبراهيم.

اختار الشهيد العمل المسلح ضمن صفوف جيش التحرير بالمقاطعة السابعة تحت مسؤولية إيدا ولد الشامك حيث شارك مشاركة فعالة في العديد من العمليات التي قام بها جيش التحرير إلى أن استشهد في معركة وادي الصفا بالصحراء. وبذلك سجل اسمه ضمن لائحة شهداء الاستقلال الأبرار الذين ضحوا بأرواحهم في سبيل الحرية والكرامة.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 501391.

الشبانات، قبيلة تنتمي إلى عرب بني معقل، وتتألف من بطنين كبيرين: بطن بني ثابت وبطن أولاد علي (*قبائل المغرب*، 1 : 427). كانت جموعها أول الأمر، تتخذ من نواحي ملوية جنوبا إلى حدود البحر الأبيض المتوسط شمالا، مواطن لظعنها وتحركها إلى جانب قبيل ذوي منصور وعبيد الله (*تاريخ ابن خلدون*، 6، 71). ولم تلبث أن انتقلت بعد ذلك للاستقرار ببسائط سوس الأقصى بعد أن استصرخها علي بن يدر الزكندري ضمن قبائل معقلية أخرى ضد جزولة سنة 1218/615 (*زهر البستان*، 35، 36). ومنذ ذلك الحين، صار لقبيلة الشبانات شأن مميز في تاريخ هذه الجهة من المغرب، حيث استأثرت بطونها وعشائرها بمعية إخوانهم من ذوي حسان بالأراضي الخصبة وألزموا جزولة وغيرها من المجموعات القبلية المحلية بأداء الضرائب والإتاوات (*تاريخ ابن خلدون*، 6، 91). وبحكم شدة شكيمتها وكثرة أعدادها تحولت إلى قوة اجتماعية وازنة تجاوزت تأثيرات نفوذها نطاق السياق المحلي لجهة سوس لتشمل سياقات أوسع أفقا، اختلفت حيثياتها باختلاف الظرفيات السياسية والاجتماعية التي كانت تفرزها الساحة المغربية مع توالي الفترات التاريخية.

فمنذ أن أوشكت الدولة الموحدية على نهايتها، دخلت قبيلة الشبانات إلى جانب بني حسان في معارك دامية مع بقية أمراء بني يدر بإقليم سوس، حيث لقي الأمير علي بن يدر مصرعه في أحد فصولها المروعة سنة 668. واستمرت الحرب سجالا بين الطرفين إلى غاية تدخل الأمير أبي علي بن السلطان المريني أبي سعيد في منطقة سوس بعد تملكه لسجلماسة، حيث أجهز كلية على إمارة بني يدر بقتل أميرها عبد الرحمن بقاعدة تارودانت، وانحاشت إليه، بالمقابل، قبيلة الشبانات التي أغرته بغزو قرى سوس وحفزته على أخذها عنوة (*العبر*، 6 : 91. 92). وقد سجلت قبيلة الشبانات بصنيعها هذا ميلا مبكرا نحو خدمة المخزن المغربي والإذعان لمقتضى سلطته. فقد شاركت في الحملة العسكرية التي قادها أبو يعقوب ضد يغمراسن بتلمسان سنة 670 / 1271. كما لعبت دورا مشهودا في حملة السلطان أبي الحسن المريني على قصور سوس حيث أعانته على اقتحامها وإعادة إلحاقها بسلك الطاعة المخزنية من جديد. ويبدو من خلال هذه الوقائع التاريخية أن المجال الحيوي لتحركات قبيلة الشبانات لم يخرج عن دائرة سوس الأقصى طيلة القرنين 14 و15 حيث ظلت تتنازع السيادة على أراضي هذا الإقليم مع إخوانها من عرب بني معقل وتقتسم معهم حاصلات الإتاوات التي كانت تفرض قسرا على الأهالي المحليين.

غير أنه مع الاجتياح البرتغالي لسواحل سوس في مطلع القرن العاشر (16م) اتجهت قبيلة الشبانات ـ شأنها في ذلك شأن باقي القبائل الأعرابية الأخرى ـ إلى التعاون مع المحتل البرتغالي في الإغارة على سكان القرى والمداشر القريبة من الشواطئ والمشاركة في مصادرة ممتلكاتهم وتخريب أراضيهم الزراعية (*جوانب من تاريخ تزنيت*، 25). لكن مع ظهور الحركة السعدية وحملها لواء الجهاد ضد قوات الاحتلال البرتغالي، دخلت قبيلة الشبانات ومعها معاقلة عرب سوس منعطفا جديدا ستتبلور في خضمه معالم العلاقة المستقبلية التي ستجمع بين هذه الفصائل القبلية برمتها والسلطة السعدية الصاعدة. فقد انخرطت قبيلة الشبانات، أسوة بغيرها من القبائل السوسية، في عمليات الجهاد التي خاضها الشرفاء السعديون الأوائل ضد القوات البرتغالية الجاثمة بحصن فونتي، كما شاركت، في الوقت نفسه، في الحملات التي قادها هؤلاء الشرفاء ضد بعض المناطق في الجنوب لإخضاع سكانها واستتباعها لسلطتهم الجديدة. وقد شكلت قبيلة الشبانات في هذا السياق مكونا أساسيا ضمن فرق جيش أهل سوس الذي أنشأه أحمد الأعرج وأخوه محمد الشيخ بعد أن استتب لهم الأمر وتمكنوا من تارودانت التي صارت مقرا لإمارتهم السياسية الناشئة (*Notice sur les Cherarda*, p. 38). ونظرا للدور الوظيفي الذي اضطلع به جيش أهل سوس في سيرورة بناء الدولة السعدية وتثبيت دعائمها في المجال، عمد السعديون منذ ابتداء أمرهم، إلى الاحتماء بفرق هذا الجيش والاستناد إليها في المهام الأمنية والوظائف العسكرية البالغة الحساسية باعتبارها كانت تمثل شوكة الدولة وعصبيتها الأولى بدون منازع. ولهذا السبب تحديدا وزعت وحدات هذا الجيش على شكل أحزمة بشرية بضواحي المدن والمراكز التي كانت تشكل مجالات حيوية لتأمين سلطة الدولة وحماية مصالحها الاستراتيجية.

وتفيد بعض الأدبيات التاريخية أن السعديين لما دخلوا إلى مدينة مراكش وقضوا على الإمارة الهنتاتية عملوا على توطين فرقة من الشبانات بضواحي المدينة ضمن فرق أخرى معقلية استقدموها من سوس تضم أولاد مطاع وأولاد جرار وزرارة (*Les tribus Guichs*, p. 4)، كما قام محمد الشيخ المهدي بخطوة أخرى مماثلة حينما دخل إلى فاس وأجهز على الإمارة الوطاسية حيث وطن في بسيط أزغار مجموعة من الوحدات القبلية المعقلية بهدف مراقبة وتطويق قبائل الخلط

وسفيان التي كانت تشكل فيما سبق الدرع العسكري الداعم للدولة المرينية (*Le Haouz*, I, 240).

ومنذ أن حلت فرقة الشبانات بحوز مراكش كفرقة جيش في الجهاز العسكري السعدي صارت أعدادها تتزايد بوتيرة مستمرة بفعل الهجرات المتتالية لعناصر القبيلة الأم من مجال استقرارها بسوس، لدرجة أصبح معها الوجود الشباني في منطقة الحوز يمثل تجمعا قبليا صلب القاعدة والوزن. وقد أسهمت وحدات جيش هذا التجمع، من دون شك، في إقرار الأمن وتكريس سلطة المخزن عبر المجال، من خلال المشاركة في الحملات العسكرية والحركات السلطانية التي كانت تنظم بين الفينة والأخرى بحسب مقتضى الحاجة والغاية، فضلا عن دور الجهاد والمراقبة للشواطئ الذي كان يضطلع به قبيل بني عميرة أحد الفروع الشبانية بالسوس الأقصى (*Les tribus Guichs*, p. 3). ويظهر أن هذه الأدوار قد اكتست طابعا أكثر عضوية وفعالية بعد الإصلاحات والتنظيمات التي استحدثها السلطان أحمد المنصور في الميدان العسكري، حيث صارت قبيلة الشبانات، ومعها قبائل جيش أهل سوس، تؤلف "وحدات عساكر النار" (*مناهل الصفا*، 203) تتوفر على نظام تأطيري خاص بها وتنعم ببعض المرتبات المالية والاقطاعيات لقاء خدماتها المخزنية (*Notice sur les Cherarda*, p. 38).

ومع وفاة السلطان أحمد المنصور سنة 1603/1012، حذت قبيلة الشبانات حذو باقي قبائل الجيش الأخرى، حيث انخرطت في لجة الصراع الذي انفجر على أوسع نطاق بين الإخوة الأمراء المتنازعين حول ولاية العهد، حيث شايعت الأمير زيدان بعد أن تمكن من السيطرة على مراكش وخاضت ضمن معسكره حروبا تعددت فصولها ومواضعها بتعدد الأطراف المتنازع معها. فقد ناصرته في المواجهات الدامية التي قادها ضد أخيه أبي فارس، وابن أخيه عبد الله بن محمد الشيخ المامون (S.I.H.M., *Angleterre*, T. II, p. 349). كما عضدته أيضا في المنازلات التي جرت بينه وبين الثائر ابن أبي محلي (*وصف الممالك المغربية*، 149، 154، 162، 168). ونظرا للنفوذ المتنامي الذي أضحت تتمتع به قبيلة الشبانات بفعل علاقات الخؤولة التي كانت تجمعها بالأسرة المالكة، ونظرا كذلك لما آل إليه الوضع في المغرب من تصدعات سياسية وانقسامات اجتماعية في ظل تآكل السلطة الشرعية بمراكش خلال النصف الأول من القرن 17، بادر الشبانيون، وفي خطوة غير مسبوقة، إلى اقتحام المعترك السياسي حيث أطاح زعيمهم عبد الكريم الشباني المدعو كروم الحاج بأبي العباس بن محمد الشيخ الأصغر آخر أمير سعدي سنة 1658، وأخذ البيعة لنفسه "فانتظمت له مملكة مراكش ونواحيها" (*نزهة الحادي*، 408) وأعقبه بعد اغتياله ابنه أبو بكر الشباني الذي لم تتجاوز فترة حكمه أربعين يوما. وقد استغرق الوجود السياسي للإمارة الشبانية مدة عشر سنوات (من 1069 إلى 1079) إلى أن أجهز عليها السلطان العلوي المولى الرشيد حيث نكل باتباعها أبشع تنكيل ولاحقهم حيثما اتجهوا أشد ما تكون الملاحقة إلى أن كسر شوكتهم وتمحضوا لسلطته سنة 1669 (*الدر المنتخب*، 5: 337 ؛ *المفاخر العلية*، 205). وعلى إثر هذه الواقعة، اندمجت في جيش المولى الرشيد مجموعة شبانية تقدر بـ6.000 جندي حيث قضت بضواحي مدينة فاس فترة من الزمن ثم عادت أدراجها إلى حوز مراكش بعد أن لم تتصل بالمرتبات والتعهدات الموعودة (*زهر الأكم*، 160). وفي نفس السياق ثار بفاس في ظل عهد السياب قائد شباني آخر يدعى أبو عبد الله الدريدي حيث استقل بحكم فاس الجديد مسنودا من قبل إخوانه عرب أهل سوس إلى أن دخل المولى الرشيد المدينة سنة 1664 فتصدى لحركته ضمن خطة شاملة استهدفت كل الزعامات الأخرى المستقلة ببعض الأحياء.

وبحكم تطلعها الجامح إلى إثبات قوة ذاتها ومناوءة كل من يروم منازعتها هذا المسعى المتجدد، ساندت قوى الكتلة الشبانية سنة 1675 الأمير أحمد بن محرز في ثورته ضد عمه السلطان المولى إسماعيل، حيث شاركت ضمن صفه في عدة مواجهات حاسمة. وقد منح هذا الأمير مساكن لبعض جماعاتها بمدينة مراكش اعترافا لها بخدماتها ومواقفها المنحازة (*Histoire de Moulay Er-Rechid*, p. 82). ولما تمادت الجموع الشبانية في ممارسة أعمال السطو والجور في حق الأهالي بالحوز محتكمة في ذلك لإرادة الانتزاء والتسلط في غياب أية سلطة رادعة، قام المولى إسماعيل سنة 1079. 1679 بنقل هذه الجموع برمتها رفقة قبيلة زرارة إلى وجدة و"كتبهم في الديوان وقيد عليهم العياشي بن الزوغبر الزراري" (*البستان الظريف*، 163)، وقد أنيطت حاميات هذه القبائل تحديدا بمهمة تضييق الخناق على بني يزناسن المشايعين للأتراك بإيالة الجزائر، ومنعهم من الحرث في بسائط أنكاد (*الروضة السليمانية*، ورقة أ / 61). ومن جهة أخرى، عمل المولى إسماعيل في إطار مشروع تكوين قبائل الجيش على إدماج فرقة من الشبانات كانت قد بقيت بفاس منذ ثورة الدريدي ضمن وحدات جيش الودايا بمدينة مكناس (*Les tribus Guichs*, p. 4).

وفي خضم التطورات الجديدة التي عرفها المغرب بعد وفاة المولى إسماعيل وما رافقها من تفكك متسارع لبنية النظام العسكري، شرعت فرقة الجيش الشبانية، أسوة بغيرها من المجموعات المعقلية الأخرى، في مغادرة معسكراتها وقلاعها والعودة بشكل جماعي إلى مواطنها الأصلية بالحوز، ملحقة أبلغ الأضرار بكل الممتلكات والتجمعات البشرية التي صادفتها في طريقها (*زهر الأكم*، 248). وعلى الواجهة الجنوبية، تواصلت، في نفس الوقت، هجرة بعض الجماعات الشبانية من وسط القبيلة الأم بسوس. وإذا كانت المصادر التاريخية لا تقدم بعض الإفادات بخصوص مصير قبيلة الشبانات إبان النصف الثاني من القرن 18، فإن ذلك لا يعني البتة، أنها باتت مشلولة الحركة والفعل، بل فقط،

لأن مجال تأثيرها ارتبط، فيما يبدو، بالحدث المحلي داخل محيط الحوز في الأغلب الأعم.

على أن ما طرأ من توتر في العلاقة بين السلطان المولى سليمان وزاوية الشيخ أبي العباس الشرادي جعل الجماعة الشبانية تتصدر مرة أخرى واجهة الأحداث، إذ شاركت إلى جانب إخوانها من طوائف الشراردة كزرارة وأولاد دليم وتكنة وذوي بلال وغيرهم، في المواجهات الدامية التي جرت وقائعها بين المولى سليمان وشيخ الزاوية آنذاك المهدي الشرادي، مما أدى في نهاية المطاف، إلى هزيمة السلطان ونهب محلته التي توزعتها الشراردة شذر مذر كما جاء عند الناصري (*الاستقصا*، 8، 162). لكن لما تجددت وثبة المهدي الشرادي ضد سلطة المخزن، مرة أخرى، قام السلطان المولى عبد الرحمان بتخريب الزاوية الشرادية ومحق أتباعها، كما عمل في نفس الوقت، على ترحيل طوائف الشراردة وضمنهم المجموعة الشبانية سنة 1829 إلى مكناس ثم بعد مضي عام تقريبا، نقلهم إلى بسيط أزغار بالقرب من سيدي قاسم، حيث سجلهم في ديوان الجيش، ليتحولوا، منذ ذلك الحين، من قبائل ناكثة للطاعة، إلى قبائل عاملة في سلك الجندية بانتظام.

ويستفاد من مستندات الوثائق والكنانيش المخزنية لمغرب القرن الثالث عشر (19 م) أن الحضور الشباني في التنظيمات العسكرية والمخزنية للدولة، استمر قائما بدرجات متفاوتة الأهمية وزنا وعددا سواء على مستوى إدالات الجيش من المسخرين أو المخازنية التي كانت تلازم المؤسسة المخزنية باستمرار (*إتحاف*، 3، 554) أو على مستوى تنظيمات قبائل الجيش ممثلة، على وجه التحديد، في مجموعة قبائل الودايا (*Le Haouz*, I, p. 242-43) أو مجموعة قبائل الشراردة (*Les tribus Guichs*, p. 4).

ع. ابن خلدون، *العبر*، 6 : 91، 7 : 305 ؛ م. مجهول، *تاريخ الدولة السعدية*، 82 ؛ ع. العزيز الفشتالي، *مناهل الصفا*، 203 ؛ م. الصغير الافراني، *نزهة الحادي*، 408 ؛ م. ابن العياشي، *زهر البستان*، م.خ.ع.د. 2152، 35، 36 ؛ أ. زيد ع. الرحمن الفاسي، *الأقنوم*، خ.ع. 90د، 2، 197 ؛ خ. دي هنين، *وصف الممالك المغربية*، 71، 149، 154، 162، 168 ؛ أ. القاسم الزياني، *البستان الظريف*، 163 ؛ الروضة السليمانية، م. خ. ع. د 1275، ورقة أ/61 ؛ ع. الكريم بن موسى الريفي، *زهر الأكم*، 160 ؛ م. بن عبد السلام الرباطي، *تاريخ الضعيف الرباطي*، 2، 543 ؛ ع. السلام اللجائي، *الفاخر العلية*، خ. ح. 460، 2، 205 ؛ أ. ابن الحاج، *الدر المنتخب*، 5، 337 ؛ أ. بن خالد الناصري، *الاستقصا*، 7، 51 ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، 3، 146 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 19، 148 ؛ *خلال جزولة*، 4، 98 ؛ ع. الوهاب بنمنصور، *قبائل المغرب*، 1، 427 ؛ ع. آفا، *مسألة النقود*، 76، 79؛ ت. برادة، *الجيش المغربي*، 123، 126 ؛ أ. بومزكو، جوانب من تاريخ تزنيت، ندوة تيزنيت وباديتها، 25.

A. Dziubinski, *L'armée et la flotte de guerre marocaines à l'époque des sultans de la dynastie saâdienne*, *H.T.*, vol. XIII, Fasc. Uniq., 1972 ; J. Le Coz, *Le Rharb, Fellahs et Colons, Rabat*, 1964, T. I ; *Les tribus guichs au Maroc*, *R.G.M.*, n° 7, 1965, pp. 3-4 ; G. Mouette, *Histoire des conquêtes de Moulay Er-Rechid et de Moulay Ismaïl et description du Maroc*, in *S.I.H.M.*, *Dynastie Filalienne*, France, T. II, pp. 67, 82 ; L. De la Chappelle, *Le Sultan Moulay Ismaïl et les berbères sanhaja du Maroc central*, *A.M.*, vol. XXVII, 1931 ; M. Morsy, *La relation de Thomas Pellow une lecture du Maroc au 18ème siècle*, Paris, 19836 ; *Moulay Ismaïl et l'armée de métier*, *R.M.C.*, T. XIV, avril-juin 1967 ; P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*, Rabat, 1983, T. I ; S. Lieutenant Cornice, *Notice sur les Cherarda*, *A.B.*, vol. 4, Fasc. 1-2, 1919-1920 ; *S.I.H.M.*, *Angleterre*, T. II, p. 349.

الفقيه الإدريسي

الشباني، أبو بكر بن عبد الكريم، سليل أسرة ارتبطت وظيفيا بسلك الخدمة العسكرية، إسوة بغيرها من الأسر والعشائر المنحدرة من أصول شبانية معقلية بالحوز المراكشي. كان جده أبو بكر الشباني، شقيق أم الأمير زيدان السعدي، يتولى منصب قائد للجيش في عهد ولاية هذا الأمير. وقد خاض ضمن معسكره حروبا طاحنة ضد كل الأطراف التي نازعته شرعية الملك في مدينة مراكش (*وصف الممالك المغربية*، 149). أقام أبوه القائد عبد الكريم الملقب بكروم الحاج عام 1069 إمارة سياسية على أنقاض السلطة السعدية الآفلة بعد مؤامرة اغتيال ذهب ضحيتها أبو العباس بن محمد الشيخ الأصغر آخر أمير سعدي (*نزهة الحادي*، 374). تولى أبو بكر رئاسة الإمارة الشبانية مباشرة بعد مقتل والده عبد الكريم بطعنة رمح من قبل أحد جنده عام 1079 (*الإعلام*، 8، 180). بيد أنه لم يلبث على كرسي السلطة سوى أربعين يوما حتى داهم السلطان المولى الرشيد مدينة مراكش وأجهز على الإمارة الشبانية بصفة نهائية، دون أن يخلف أبو بكر أثناء هذه المدة الوجيزة أثرا يذكر به أو عملا يحسب له. ويفيد الأسير مويط في هذا الإطار، أن المولى الرشيد لم يجد مقاومة كبيرة من قبل أبي بكر وإخوانه من العصبة الشبانية، حينما هم باقتحام أسوار مدينة مراكش، ويعزى ذلك - حسب زعمه - إلى أن أبا بكر كان لحظتئذ منشغل العواطف بأخت الأمير أبي العباس التي كانت قد وعدته بالزواج منها، ومن جهة أخرى، أن جنده من الشبانات كانوا أقل انضباطا وعلى درجة كبيرة من التسيب وعدم الانتظام (*Histoire de Moulay Er-Rechid*, p. 34).

ونتيجة لهذا الوضع المختل، لم يجد المولى الرشيد فور زحفه على مراكش أية صعوبة في القبض على القائد أبي بكر وأفراد عشيرته، كما لم يلق في الوقت ذاته، أية مواجهة من قبل سكان المدينة، بحكم ما كانوا يشعرون به من ضجر وسخط عميقين من جراء طبيعة أسلوب مؤسسة الحكم التي كان أبوه عبد الكريم الشباني قد أسند شؤون إدارتها لشخص يهودي غريب عن المجتمع المحلي. ولعل هذا الموقف هو ما يفسر من جهة أخرى، انضمام هؤلاء السكان للمولى الرشيد ومبايعتهم له عند أول ظهور له على مشارف المدينة. وتؤكد معظم الأدبيات التاريخية في هذا السياق، أن المولى الرشيد قام بإعدام أبي بكر وعشيرته بعد أن كان يستعد للفرار إلى الجبال المجاورة بهدف التحصن بها. كما أخرج، في نفس الآن، أباه عبد الكريم من قبره وأحرقه بالنار، وذلك انتقاما

لمقتل الأمير أبي العباس السعدي وترامية على السلطة الشرعية بدون وجه حق، ومن ناحية أخرى، ثأرا لأفراد الأسرة المالكة التي انتهكت حرمتها واستبشعت كرامتها. وحتى يقل شوكة التكتلات الشبانية المتسلطة ويجهز على قواعد تحصنها وتجمعها قام المولى الرشيد بإبادة كل الجماعات الشبانية التي وقفت مدافعة معاندة في وجه جيوشه الحاركة، كما طارد بشدة كل العناصر الأخرى المنهزمة التي لاذت بالفرار إلى القصبة الموجودة بأحد الجبال القريبة من المدينة حيث حكم السيف في رقابها بدون هوادة إلى أن "قتل من أعيانهم نحو أربعة وعشرين رجلا، وعلقهم على أبواب مراكش" (*زهر الأكم*، 139)، واستنزل في المقابل "الفئة الشريدة من العياصي وأخذهم بالأقدام والنواصي" (*نزهة الحادي*، 428).

وعلى إثر هذه الحملة العسكرية الكاسحة وما أسفرت عنه من نتائج ميدانية، اختفت الإمارة الشبانية - وإلى غير رجعة - من الوجود السياسي، وانتهت معها كلية طموحات الجموع الشبانية الهادفة إلى الاستبداد بالسلطة ضمن كيان سياسي قبلي مستقل بذاته. وقد عمل المولى الرشيد، في محاولة منه لتفكيك روابط اللحمة العصبية بين فصائل التجمع الشباني، ومنع أية محاولة محتملة للتمرد في المستقبل على السلطة الشرعية، على ترحيل بعض الفرق الشبانية إلى جهة المغرب الشرقي، كما ألحق البعض الآخر منها بتنظيمات جيش القبائل ووطنها بالقرب منه بالحاضرة الإدريسية فاس (*Histoire de Moulay Er-Rechid*, pp. 39, 67).

م. الصغير الإفراني، *نزهة الحادي*، 428 ؛ خ. دي هنين، *وصف الممالك المغربية*، 149 ؛ م. بن الطيب القادري، *نشر المثاني*، 2، 181 ؛ ع. الكريم بن موسى الريفي، *زهر الأكم*، 139 ؛ أ. القاسم الزياني، *الترجمان المعرب*، 3، 717 - 18 (نسخة محققة، كلية الآداب - الرباط) ؛ أ. عبد الله محمد الكنسوسي، *الجيش العرمرم*، 1، 114 ؛ م. بن عبد السلام الرباطي، *تاريخ الضعيف الرباطي*، 1، 148 ؛ أ. ع. الله البزيوي، *تاريخ دول الإسلام*، م. خ. ح. 413، 135 ؛ م. عبد الرحمن بن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، 3، 52 ؛ ع. بن إبراهيم، *الإعلام*، 1، 217، 18.

D. Jacques-Meunié, *Le Maroc saharien des origines à 1670*, Paris, 1982, T. II, 723, 24 ; G. Deverdun, *Marrakech des origines à 1912*, Rabat, 1959, p. 460 ; G. Mouette, *Histoire des conquêtes de Moulay Er-Rechid et de Moulay Ismaïl et description du Maroc*, in *S.I.H.M. : Dynastie Filalienne, France*, T. II, pp. 34, 39, 40, 67 ; *S.I.H.M., France*, T. III, p. 579.

الشباني، عبد الكريم بن أبي بكر سابق الترجمة، ينتسب إلى قبيلة الشبانات إحدى أبرز المجموعات القبلية المعقلية التي كانت تستقر بمجال السوس الأقصى. كان أبوه قائدا في جيش الأمير زيدان السعدي (*وصف الممالك المغربية*، 149)، اشتهر اسمه على ألسنة العامة بكروم الحاج. بيد أن ذكره في الاستغرافيا المغربية الحديثة ارتبط بكيفية مخصوصة "بالإمارة السياسية" التي أقامها بمدينة مراكش عام 1659/1069 على إثر مؤامرة الاغتيال التي دبرها في حق الأمير أبي العباس أحمد بن محمد الشيخ السعدي، آخر رمز من رموز السلطة الشرعية المتداعية بمملكة مراكش (*Histoire du Maroc*, T. II, p. 280). وتجمع أغلب النصوص التاريخية في هذا السياق، على أن واقعة الاغتيال هاته، لم تأت عبثا ومعزل عن أي سبق ترصد أو تخطيط، بل جاءت في واقع الأمر، تجسيدا فعليا لإرادة سياسية تملكت الجماعة الشبانية بصورة غير مسبوقة، في إطار ما آلت إليه السلطة السعدية خلال النصف الأول من القرن 17 من تفكك وانحسار، من جراء تزايد نفوذ الإمارات الجهوية المستقلة، وتفاقم ظاهرة الانقسامات القبلية وتكالب الأطماع الأجنبية على السيادة الوطنية.

ولا غرو، أن إقدام القوى الشبانية على هذه الخطوة السياسية الحاسمة، بجرأة وجسارة، إنما يكشف بعمق عن حجم المكانة الوازنة التي صارت تتمتع بها هذه القوى القبلية في دواليب المخزن السعدي، وذلك بحكم علاقات الخؤولة التي كانت تجمعها بالأسرة المالكة في مملكة مراكش. ومن جهة أخرى، نتيجة لماضيها الراسخ في الخدمة المخزنية، حيث انتظمت فرق الشبانات في سلك تنظيمات قبائل الجيش منذ نشأة الإمارة السعدية بسوس إبان مطلع القرن 16. ومما لا ريب فيه، أن هذه الحيثيات، قد مثلت مجتمعة القاعدة الخلفية التي أسندت طموح الجماعات الشبانية إلى تملك السلطة والانقلاب بدون تردد على أولي نعمتهم، وهو الطموح الذي تحول إلى فعل ملموس، مع بداية النصف الأول من القرن 17، بعد أن استسلمت الشبانية أم الأمير أبي العباس السعدي لإرادة عبد الكريم الشباني "كبير حي الشبانات" منقادة وراء مشاعرها العاطفية، غير عابئة بمصير ابنها ومستقبل عرشه الآيل إلى الأفول. ولعل هذا الأمر، هو ما تشير إليه بعض المدونات الإخبارية، إذ تؤكد في هذا الخصوص، أن السيدة الشبانية "أحبت كروما الحاج حبا شديدا" فكان يتردد عليها في العلن بقصد الضيافة، فترسل إليه العلف وألوان الطعام فتضع أسفل القصع قطع الذهب والفضة وتجعل فوقها ما لذ من أصناف المطعومات، فكان كروم الحاج "يأخذ الذهب والفضة ويترك الطعام لمن حضر معه هنالك حتى طمع... في المملكة لأجل ما حصل بيده من المال" (*الدر المنتخب*، ج. 7، 338).

وبحكم هذه الحظوة البالغة التي نالها كروم الحاج لدى سيدة قصر مراكش نتيجة تعلقها وانجذابها الشديد إليه، فضلا عما شهده، بموازاة ذلك، مسار الحركية القبلية بمجال الحوز المراكشي في هذه الآونة التاريخية بالذات، من اشتداد شوكة الجماعات الشبانية وتطلعها الأكيد إلى فرض وصايتها وهيمنتها على المؤسسة المخزنية (*L'établissement des dynasties*, p. 168)، بادر كروم الحاج ويتواطئ مع السيدة الشبانية إلى تدبير مؤامرة اغتيال الأمير أبي العباس، تحقيقا لمسعاه الحثيث إلى الاستئثار بالسلطة، ومن جهة

أخرى، تلبية لمطلب السيدة الشباتية التي راودته بإلحاح عن نفسه (*تاريخ الضعيف*، 1، 147 ـ 48).

وتكريسا لهذه الإرادة الجماعية الناقمة أحكمت الجموع الشبانية المتوثبة حصارها على مدينة مراكش وأمعنت في مضايقة الأمير أبي العباس لعدة أشهر متوالية، بأشد ما تكون أشكال الحصار والمضايقة (*تاريخ دول الإسلام*، 135). وحيث لم تعد الحالة تزداد إلا استصعابا وتعقيدا، أقنعت السيدة الشبانية ابنها أبا العباس بزيارة أخواله الشبانات حتى يجبر خواطرهم ويزيل ما بأنفسهم ـ وهي في ذلك إنما تريد الإيقاع به ليس غير ـ فما كان منه، خوفا من سوء العاقبة، إلا أن امتثل لأمرها، فبعثت لكروم الحاج تخبره بذلك، وهكذا خرج أبو العباس قاصدا أخواله فاستقبله في منعطف الطريق القائد عبد الكريم بالترحيب والاكرام في موضع خال بوادي النفيس يعرف "بالمراح الواسع تحت زيتونة... وأمره أن ينزل على فرسه وكان تلقاه بالطعام فلما نزل وجلس بالأرض قتله غدرا" (*تاريخ الضعيف*، 1، 147). وبتنفيذ مؤامرة الاغتيال الخسيسة هاته، في حق الأمير أبي العباس سنة 1659، انتهت وإلى غير رجعة دولة الأشراف السعديين.

وعلى إثر هذه الحادثة المروعة، دخل عبد الكريم الشباني إلى مراكش خلسة من دون أن يطلع أحدا على فعلته، وسار حتى وصل إلى قصر الإمارة فأدخلته أم أبي العباس جهارا "وفرق الأموال وأعطى ما لا حد له ولا قرار" (*الدر المنتخب*، 5، 338)، وبذلك تحققت اللحظة الموعودة التي طالما انتظرتها السيدة الشبانية بشغف شديد، حيث تزوجها القائد عبد الكريم الشباني ودعا الناس في المقابل لبيعته، وأجبرهم على الانقياد لطاعته، وبحكم ما أظهره من شدة وحزم "انتظمت له مملكة مراكش ونواحيها" (*نزهة الحادي*، 408). ولدعم نفوذ إمارته على الصعيد الجهوي، لم يتورع عبد الكريم الشباني في هذا السياق عن توجيه حملة عسكرية ضد "آسفي وأعمالها" بهدف إلزامها على الاعتراف بشرعية سلطته وتقديم فروض البيعة له، غير أن هذه الحملة منيت بفشل ذريع (*الإعلام*، 8، 180).

أما فيما يرجع لطبيعة التوجه الذي نهجه في مجال إدارة الشؤون العامة، فقد اختلفت الرؤى والأحكام بشأنه في المتن الاستغرافي، تقييما وانطباعا، ففي الوقت الذي يؤكد فيه الافراني على طابع "السيرة الحميدة" بوصفه الخاصية الأساس التي ميزت ذلك التوجه، يقر الأسير مويط، عكس ذلك، إذ يشير إلى أن نهج إدارة عبد الكريم كان مصدر استياء وامتعاض شديدين من قبل كل الأهالي بمدينة مراكش، لأنه أوكل مهام الحكم في إدراته لشخص يهودي (*Histoire de Moulay Er-Rechid*, p. 4). على أن أبرز حدث شهده عهد عبد الكريم الشباني، وتلازم معه في الخطاب المصدري تلازم علة بمعلول، هو حدث القحط المفرط الذي اجتاح البلاد عام 1070، إذ خلف آثارا بالغة الخطورة على حياة الناس أفرادا وجماعات، بسبب ما نتج عنه من ارتفاع مهول في الأسعار وانتشار مفجع للمجاعات، لدرجة اضطر معها الناس إلى "أكل الجيف" (*نزهة الحادي*، 408 ؛ *المفاخر العلية*، 205).

وبالرغم من اغتصابه للسلطة الشرعية، فقد تمكن القائد عبد الكريم الشباني استنادا إلى عصبية بني جلدته ممثلة في التجمعات القبلية الشبانية، الاستمرار في حكم إمارته مدة تنيف عن عشر سنوات (1079/1069) إلى أن قتله أحد جنوده سنة 1668 (*الإعلام*، 8، 180)، ثم خلفه ابنه أبو بكر من بعده في زعامة الإمارة الشبانية، إلى أن قضى عليها كلية السلطان العلوي المولى الرشيد في إطار خطة عسكرية شاملة استهدفت كل الإمارات الجهوية المستقلة، وقام في هذا الاتجاه كذلك بإخراج القائد عبد الكريم من قبره وأحرقه بالنار جزاء ما اقترفه من بشيع الأفعال يوم دخوله قصر المملكة بمراكش حيث "فتك بالأبكار الشريفة بنات مولاي العباس وأخواته وغيرهن" (*تاريخ الضعيف*، 1، 148)، كما طارد بدون هوادة الجموع الشبانية حيثما اتجهت إلى أن كاد أن يفني جمعها قتلا وتشريدا.

م. الصغير الإفراني، *نزهة الحادي*، 75،374، 408 ؛ خ. دي هنين، *وصف الممالك المغربية*، 149 ؛ *ظهائر سعدية وعلوية*، ميكروفيلم، 23، خ. ع؛ م. بن الطيب القادري، *نشر الثاني*، 2، 175 ؛ *التقاط الدرر*، 176، 77 ؛ أ. القاسم الزياني، *البستان الظريف*، 119 ؛ م. ابن عبد السلام الرباطي، *تاريخ الضعيف الرباطي*، 147، 148 ؛ أ. ع. الله البزيوي، *تاريخ دول الإسلام*، مخطوط خ. ح. 413، 135 ؛ ع. السلام اللجائي، *المفاخر العلية*، خ. ج. 460، 2، 205 ؛ أ. ابن الحاج، *الدر المنتخب*، 5، 337، 39 ك أ، بن محمد الرهوني، *عمدة الراوين*، 1، 272 (نسخة محققة مرقونة بكلية الآداب ـ الرباط) ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 8، 180، 81 ؛ م. الكانوني، *آسفي وما إليه*، 38 ؛ إ. حركات، السياسة والمجتمع، 101، 102.

A. Cour, *L'établissement des dynasties des chérifs au Maroc*, Paris, 1904, p. 168 ; H. Terrasse, *Histoire du Maroc*, Casablanca, 1950, T. II, 208 ; G. Mouette, *Histoire des conquêtes de Moulay Er-Rechid et Moulay Ismaïl et description du Maroc*, in *S.I.H.M. ; Dynastie Filalienne, France*, T. II, pp. 34 - 36 ; *S.I.H.M., Angleterre*, T. I, p. VII.

الفقيه الإدريسي

الشباني، عبد الله بن علال، مقاوم ولد حوالي سنة 1343 / 1925 بدرب الاسبان بالبيضاء من أبويه علال بن المعطي وحادة بنت بوعبيد. كان منتميا لفرقة فدائية بالدار البيضاء صحبة المهدي الهرموشي، ولم يكتف بالعمل بالدار البيضاء بل امتد إلى مدن أخرى، خصوصا وأنه كان صانعا للقنابل اليدوية التي كان يوزعها على قصبة تادلة، وبني ملال ووادي زم. كما كان يقوم بأعمال مسلحة أخرى كوضع قنبلة في كنيسة بقصبة تادلة وتنفيذ عملية المسبح بتاريخ 14 يوليوز 1955، وواصل عمله بكل شجاعة ووطنية إلى أن أوشي به فألقي عليه القبض حيث مات تحت تأثير التعذيب بتاريخ 5 صفر عام 1375 / 23 شتنبر 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 513740.

الشباني، عبد المالك بن محمد بن الطالب المراكشي، من الشبانيين الشرفاء الحسنيين، ولد بمراكش عام 1346 / 1928 وبها درّس في جامعة ابن يوسف إلى أن تخرج منها بشهادة العالمية من شعبة الآداب.

درّس في التعليم الابتدائي والثانوية بمحمد الخامس بمراكش، ثم نجح في مباراة مفتشي التعليم الابتدائي سنة 1376 / 1956 فأصبح مفتشاً جهوياً للتعليم الابتدائي في مراكش وأقاليم الجنوب. وفي السنة التالية انتقل إلى الرباط للعمل داخل وزارة التعليم حيث أسندت إليه مهمة رئيس تحرير *مجلة التربية الوطنية* فعمل فيها بجدية وكفاية طوال ثلاث سنوات (1379 ـ 1381 / 1959 ـ 1961). كان مكتمل الثقافة طيب الأخلاق آتاه الله بسطة في المرح والذكاء الاجتماعي، وبفضله تميزت *مجلة التربية الوطنية* بحسن إخراج وصدور منتظم وتنوع في الموضوعات الشيقة المفيدة. ولو أنه لم يكن يوقع أغلب ما ينشر من بحوث ومقالات، ويكتفي أحياناً بالتوقيع باسم مستعار. وفي عام 1381 / 1962 توجه إلى لبنان ضمن بعثة من موظفي وزارة التعليم والفنون الجميلة حيث مكث سنة في التدريب بمركز تكوين الأطر التربوية العليا التابع لجامعة الدول العربية. وبعد رجوعه إلى الرباط أسندت إليه مهام تربوية داخل الوزارة، قبل أن يعين ملحقاً ثقافياً سنة 1397 / 1977 بسفارة المغرب بنواكشوط حيث مكث ثلاث سنوات، وبعد ذلك أسندت إليه مهمات في المصالح المركزية بوزارة الخارجية ووزارة الإعلام وعمادة جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء إلى أن أحيل على المعاش.

توفي بمراكش مساء يوم الأحد فاتح محرم عام 1317 / 19 ماي 1996. وأقيمت له ذكرى الأربعين بمراكش شارك فيها بكلمات وقصائد ثلة من أصدقائه ومحبيه نشرت في كتاب.

جماعة من الكتاب، مولاي عبد الملك الشباني في ذكراه الأربعين، مراكش، 1997 : معرفة شخصية.

محمد حجي

الشب أو حجر الشب (Alun)، معدن يتكون من ثاني كبريت البوتاسيوم والألومينيوم المتميه، K2SO4Al2 (SO4)3 24H2O ؛ نظامه البلوري معيني، على شكل مجموعات أعراف ذات قواعد موشورية سداسية؛ صلابته 4 ـ 3.5 ؛ كثافته 2.65 ؛ لونه أبيض، أربد وأحيانا ضارب إلى الحمرة؛ انكساراته غير متساوية، وانفصاماته بارزة.

عند وضع مادة الشب داخل أنبوب مغلق، فإنها تهرم عندما يصبح لونها مائلا إلى الأحمر الداكن، وتفرز بعدها ماء حامضا. أما عند تسخين حجر الشب مجتمعا إلى نيترات الكوبالت فيصير الباقي منقعا، ويصبح لونه أزرق ويذوب عند اختلاطه مع الحامض الكبريتي.

من بين كل أنواع الشب، يعتبر شب البوتاس وشب الصودا، أهم مادة صناعية تستعمل في الصباغة كقارض وكمعالج للجلد. إلا أن أهمية الشب أصبحت تضمحل، وذلك لمنافسة سلفات الالومينيوم له. ومن خاصيات هذا المعدن، أن ذوبانه يزداد مع ازدياد الحرارة :

حرارة C°	ذوبان الشب g/l
0	29,5
30	84
100	1540

ويصعب ذوبانه إذا ما اختلط مع الكحول. أما إذا ما بردنا مادة الشب الذائبة في المحلول التي تبلورت فيه، فإنها تصبح كتلة زجاجية أطلق عليها اسم "شب الصخر". وعند تسخين هذه الأخيرة إلى درجة C°100، فإنها تجفف رويداً رويداً؛ وحين وصول الحرارة إلى حوالي C°200 فإنها تصبح كاملة الجفاف، والمادة الباقية تظهر على حالة مضرعة.

إن شب الألومينيوم وشب الحديد عرفا منذ القديم، بحيث كانت صناعة الشب مصدراً للربح الكثير في تركيا التي كانت تصدرها إلى العديد من البلدان. بعدها تبوأت إيطاليا صدارة مصدري هذه المادة. ونشير أنه، وحتى منتصف القرن التاسع عشر، كانت أهم المنابع الطبيعية لاستخلاص هذه المادة:

ا ـ "حجر الشب" نفسه، المكون من ثاني كبريت البوتاسيوم والألومينيوم القلوي، ذات البنية البلورية الآتية : $K\,Al_3\,(SO_4)_2\,(OH)_6$

ويعتبر حجر الشب من أهم معادن البوتاسيوم والألومينيوم.

2 ـ توضّعات "النضيد البيريتي"، والتي كانت تحرق حتى حرارة C°500، لكي لا تفقد الأنهيدريت الكبريتي. وعند وضع المتبقى في الماء، ينحل هذا الأخير، بحيث نلاحظ ترسيب جزء مهم من الألومينيوم الزائد؛ أما المحلول القلوي المتبخر فيعطينا ما يسمى "بشب روما" الظاهر على شكل مكعبات صغيرة.

يستعمل الشب في مجالات عديدة نذكر منها:

. صناعة الصباغة، حيث يعطي الألومينيوم المتموه المختلط مع العديد من الألوان، مادة اللّك المثبت. وتستعمل هذه الخاصية في تقنيات التشبع بالقوارض. فمثلا، إذا ما أشبعنا ألياف الصوف بمحلول الشب الساخن المتموه، فإننا نتسبب في ترسب الألومينيوم داخل نسيج الصوف، مما يثبت الصباغة غاية التثبيت. أما إذا أردنا أن نحصل على نفس النتيجة بالنسبة لمادة القطن، فلا بد لنا من إضافة المحلول القلوي للصودا، والنتيجة في كلا الحالتين، هي الحصول على ألوان تمتاز بشدة مقاومتها أثناء عملية التنظيف، وعند تعرضها لشدة الضوء، وقوة صمودها لعملية التآكل.

. صقل وتَغْرِية الورق، قصد سد المسام بتوضعات راتنج الألومنيوم.

. ميدان الدباغة، حيث يلعب الألومينيوم دور المثبت كما هو الشأن بالنسبة للصوف.

نجد مادة الشب في المغرب على شكل استدلالات جد نادرة في المناطق الآتية:

. نَجْد رأس الطرف (منطقة الريف) مجتمعة إلى الصخور البركانية المنسوبة إلى النيوجين (الزمن الثالث).

. إسْكْ نْوادَنْ (الخريطة الجيولوجية لسيسي بمقياس 1/100.000).

. إستوالين (الخريطة الجيولوجية لگوليمة بمقياس 1/100.000).

عبد الله بوصحابة

* * تزايدت الحاجة إلى الشب بالمغرب وبلاد الإسلام عامة وأوربا في العصر الوسيط لاستخدامه في عدة صناعات هي: صياغة الذهب والفضة، وصباغة المنسوجات، والصيدلة. ولأن المناجم المعروفة منه كانت قليلة، فلا غرابة في إبعاد الرفاق الرحلة في طلبه من آفاق بعيدة. فمصادره المعروفة وقتئذ أرض الشحر من بلاد اليمن، (*عجائب المخلوقات*، 225) وبلاد الواحات بمصر، وأشهر مناجمه هناك منجم فرقرون الذي كان يحمل منه ألف قنطار في كل سنة إلى القاهرة، (*الخطط*، 1 : 417 و*صبح الأعشى*، 3 : 284 و455 و*كتاب الجغرافيا*، 128 ؛ و*نخبة الدهر*، 80). والصحراء الوسطى ببلاد المغرب ما بين تادمكة وغدامس، ومنها كان يحمل إلى مختلف مناطق بلاد المغرب وأوربا (*المسالك*، 2/ف 1476). أما ما كان يعرف بالشب الذفر فكان يجلب من بلاد الروم (*نخبة الدهر*، 80).

استخدم الشب الأبيض في تثبيت الصباغة على الثياب، لأن الصباغين إذا جعلوا الثوب في الشب الأبيض ثم جعلوه بعد ذلك في الصبغ، فإن الصبغ لا يفارقه (*عجائب المخلوقات*، 225). لكن أكثر الصناع حاجة إلى الشب بنوعيه الأبيض والأزرق هم الصاغة والعاملون بضرب الفضة والذهب من أهل الكيمياء بدور السكة (*كنز العطار*، 26 أ). ذلك أن الشب الأبيض كان يستخدم في صياغة الفضة، أما الشب الأزرق فكان يستخدم في صياغة الذهب (*كنز العطار*، 25 ب و26 أ). قال في قوانين الدواوين: "ويحتاج إليه في أشياء كثيرة، أهمها صبغ الأحمر، وللروم فيه من الرغبة بمقدار ما يجدون من الفائدة، وهو عندهم مما لابد منه ولا مندوحة عنه" (*صبح الأعشى*، 3 : 455).

ذكر البكري في القرن الخامس (11 م) أن التجار كانوا يتحملون مشاق السفر في المجابة التي يمر عبرها الطريق الرابط بين تادمكة وغدامس من أجل التزود بحجارة تاسي النسمت في الذهاب إلى بلاد السودان والتزود بالشب في طريق العودة منها، لأن معدن الشب لا يحمل إلا من تلك الصحراء إلى جميع البلاد (*المسالك*، 2 : 882)، لكننا لا نعرف مكان هذا المنجم اليوم.

وذكر الحميري في معرض حديثه عن انكلاس وهي أكبر بلاد كوار قطرا، أن بها الشب الخالص المتناهي في الطيب، وأن هذا الشب الذي يكون في بلد كوار بالغ في نهاية الجودة، ويتجهز به في كل سنة إلى سائر البلاد بما لا يحصى كثرة (*الروض المعطار*، 39). ولعل المقصود بمنجم انكلاس هو ما يعرف اليوم بمنجم قلالة القريب من بلدة (*Tableau géographique*، 335). وقد عرف هذا النوع من الشب في بعض المصادر باسم الشب الكواري (*وصف إفريقيا الشمالية*، 24).

أما بخصوص استخدام الشب في مختلف الأغراض الصيدلية والعلاجية والعطرية، فتتوفر على معلومات لا بأس بها في كتب الطب والصيدلة والعطارة، لأن الشب استخدم في هذه الصناعات على نطاق واسع. والأنواع التي استعملت منه فيها ثلاثة هي: المشقق والمستدير الذي يسمى في بعض كتب الطب بالمدحرج، والرطب. والأول أجودها، ويضاهيه في الجودة ما كان أبيض شديد البياض، ظاهر الحموضة، قابض على اللسان. وبهذين الخاصيتين يعرف المغشوش من الجيد من الشب. وأما المستدير فينبغي أن يكون تدويره طبعا لا مصنوعا، سريع التفتت. وأما الرطب، فتفوح منه رائحة، ويختار منه ما كان لينا متساوي الأجزاء في الرطوبة والميعان (*ما لا يسع الطبيب جهله*، 185 أ).

استخدم الشب في القرن الخامس (11 م) في الأكحال لقلع اللحم الزائد في العين والأجفان وإزالة الظفرة (*الأدوية المفردة*، 57 ب). وفي القرن الثامن (14 م) كان يخلط بورق الكرم والعسل ويطلي للجرح المتقرح. كما كان يخلط بالماء ويصب على مكان الحكة والآثار البيض في الأظافر فينفع، وكان يعجن بالشمع ويجعل على الداحس فيزيله، وكان يخلط جزء منه بجزء من الملح فينفع القروح الخبيثة ويمنعها من الانتشار، وكان يذاب بالماء ويحشى به الشعر فيقتل القمل. أما ماؤه فينفع من حرق النار ويقطع رائحة الإبط لطوخا. أما إذا جعل في صوفة، وجعل في فم الرحم قبل الجماع فإنه ينشفه، ويمنع من الحبل، وإذا دووم عليه أخرج

الجنين، وهو نافع لورم اللثة، واللهاة، والنغانغ، والفم دروراً، وغرغرة، وطلاء من الخارج، وإذا مسك على السن المتخلخلة أمسكها وشدها (ما لا يسع *الطبيب جهله*، 185 أ و185 ب) كما كان يستعمل أيضاً في علاج القلاع (*الاكتفا*، 35 أ و35 ب). واستخدم على نطاق واسع في علاج أمراض المعدة من جميع أنواع العلل الحارة والباردة والرطبة والباسة التي تعتريها (*الإيضاح في أسرار النبات*، 72). واستخدم أيضاً في قطع نزيف الدم، وتجفيف القروح المتآكلة (*عجائب المخلوقات*، 225). ومعلوم أن من أشهر خواص الشب أنه إذا طرح في الماء الكدر والنبيذ الكدر صفاه وروقه (نخبة الدهر، 80).

ابن أبي الصلت أمية بن عبد العزيز، *الأدوية المفردة*، مخطوط، خ.ح. رقم، 1716 ؛ أ. البكري، *المسالك والممالك*، تح. أدريان فان ليوفن وأندري فيري، تونس، ج 2 ؛ 1992 ؛ ش. الإدريسي، *وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية*، نشر هنري بيريس، الجزائر، 1957 ؛ القزويني، *عجائب المخلوقات*، بيروت، 1973 ؛ المقريزي، *الخطط*، ج 1، بيروت، 1959 ؛ ابن كبير يوسف الخوبي الكتبي، *ما لا يسع الطبيب جهله*، مخطوط، خ. ح. رقم، 2628 ؛ الغرفي محمد بن يحيى، *الاكتفا في طلب الشفا*، مخطوط، خ. ح. رقم، 1044 ؛ الحميري، *الروض المعطار*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1984 ؛ شيخ الربوة، *نخبة الدهر في عجائب البر والبحر*، بطرسبورغ، 1923 ؛ الشيداني عبد الرحيم بن نصير، *الإيضاح في أسرار النبات*، مخطوط، خ ح. رقم، 6838 ؛ مجهول، *كنز العطار*، مخطوط، خ. ح. رقم، 1716.

Godinho, *L'économie de l'empire portugais. XV - XVI siècles*, Paris, 1930; R. Mauny, *Tableau géographique de l'Ouest africain au Moyen Age*, Dakar, 1961.

حسن حافظي العلوي

الشبوط (سمك)، والسبوط والمبروك كما هو في بعض المعاجم وكما ينطق به في الشرق العربي والكارب ـ المعرب من الفرنسية والانجليزية Carpe ـ كما هو في الدارج بالأقطار المغاربية، تطلق على ثلاثة أنواع من السمك تألف الوديان وبحيرات المياه العذبة القارية. أدخلت هذه الأنواع إلى المغرب وتأقلمت بكيفية ناجحة في كل الأوساط المائية القارية المغربية. تصنف علميا إلى الأسماك العظمية شعاعيات الزعانف من رتبة مفتوحات المثانة Cypriniformes ومن فصيلة الشبوطيات أو الشبابيط Cyprinidae.

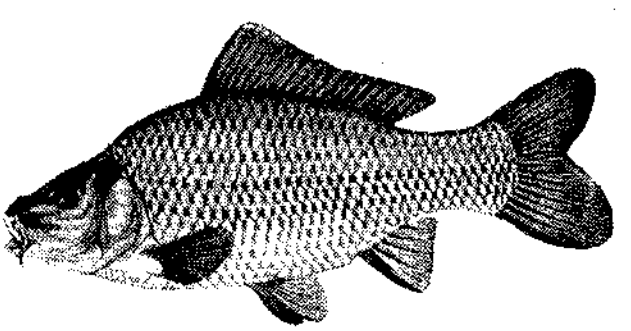

* الشبوط العادي سيبرينوس كارپيو Cyprinus carpio يسمى بالفرنسية Carpe commune وبالإنجليزية Common carp. موطنه الأصل الأودية والبحيرات القارية الآسيوية. تحكم الإنسان في استزراعه وتربيته منذ قرون سابقة للرومان والإغريق وقد طور الصينيون واليابانيون استزراعه وتمكنوا من فرز عدة ضروب وسلالات مختلفة الألوان ـ حمراء مذهبة، بيضاء، سوداء، مزركشة ـ تستعمل لتزيين الأحواض السمكية المنزلية وأحواض الحدائق والنافورات.

يرجع تاريخ إدخاله إلى المغرب إلى سنة 1936 بواسطة محطة تربية الأسماك بأزرو وذلك لتعزيز وتقوية الصيد الرياضي والتقليدي في بحيرات السدود والبحيرات الطبيعية الأطلسية. تأقلم الشبوط العادي في البحيرات المغربية بكيفية ناجحة، يفضل البحيرات والوديان الضعيفة الجريان والغنية بالوحل والأعشاب المائية.

الشبوط سمك دقيق الذنب عريض الوسط لين الزعانف صغير الرأس. الظهر بني داكن والجوانب فضية والبطن أبيض فاتح. يحمل الفك السفلي زائدتين لحميتين طويلتين وزائدتين قصيرتين (لحية صغيرة لينة). يحمل الخط الجانبي 33 ـ 40 حرشفة دائرية كبيرة. يبلغ طوله الأقصى مترا، والوزن الأقصى 30 كيلوغراما، الزعنفتان الظهرية والشرجية متقابلتان على مؤخرة الجذع ومتقايستان. الجسم مغطى بحراشف دائرية كبيرة، الفكان قويان يحملان أسنانا مستدقة الرأس وعديدة.

سريع النمو في المياه المغربية ويصير بالغا بعد 3 ـ 5 سنوات ويعمر حوالي 20 سنة. يفضل العيش في المياه التي تتراوح حرارتها بين 20 ـ 27 درجة. يتوالد في المغرب بكيفية طبيعية من يونيو إلى يوليوز بين النباتات المائية الكثيفة. يرتبط عدد البيض بالقامة والوزن ويقدر بحوالي 100.000 بيضة في الكيلوغرام الواحد. يبلغ قطر البيض 1 ـ 1.6 ملم. تخرج الصغار من البيض بعد 3 ـ 8 أيام بطول لا يتعدى 9 ملم.

سمك قارت يتغذى من براعم وأوراق مختلف النباتات المائية ومن الديدان والحشرات والقشريات المائية الصغيرة. يصاد بالصنارة المطعمة بالذرة والبطاطس والفول والديدان وبالشباك وهو سمك سريع وقوي يقبل عليه الصيادون كثيرا.

* الشبوط العاشب Ctenopharyngodon idella يسمى بالفرنسية Carpe herbivore وأمور أبيض Amour Blanc نسبة إلى نهر أمور بشمال الصين وبالإنجليزية Grass carp. الجسم طويل ونحيل يبلغ أحيانا 120 سم وشائع بين 40 ـ 60 سم، الحراشف دائرية وعريضة. موطنه الأصل الأنهار الصينية السريعة الجريان: نهر أمور ونهر يانك تسي. يتميز هذا النوع بنمط عيشي عاشب في استطاعته أن يأكل كمية من النباتات المائية تعادل 120 ـ 150٪ من وزنه في كل يوم وبهذا يلعب دورا هاما في محاربة ظاهرة التخاصب التي تهدد الأنظمة المائية القارية. يقتات من الطحالب المجهرية

والكبيرة وخاصة منها طحالب كاروفيتا Charophyta التي تكون مجموعات مكثفة وقصيرة يصعب قطعها بواسطة آلة تنقية الأحواض من النباتات (Faucardeur). يألف المياه المرتفعة الحرارة (18 ـ 27 درجة) ويمتنع عن الأكل تحت حرارة تقل عن 14 درجة. تم إدخاله من آسيا إلى أوربا في بداية السبعينيات الأخيرة ثم إلى المغرب سنة 1983 لمحاربة ظاهرة التخاصب في سد سيدي محمد بن عبد الله وبعد ذلك تم استزراعها في السدود الأخرى كسد المسيرة والقنصرة وبين الويدان وفي قنوات الري بحوض اللكوس بالعرائش وقنوات الري بحوض أم الربيع بدكالة وحوض سوس ماسة بضواحي أگادير.

تأقلم هذا النوع في المغرب بكيفية ناجحة إلا أنه لا يتوالد إلا عن طريق ولادة اصطناعية تحكم فيها المختصون في المركز الوطني لتربية الأسماك بأزرو وطوروها لتزويد مختلف الأنهار والسدود بالبلاعيط التي تربى في أحواض خاصة. كانت أول محاولة للولادة الاصطناعية سنة 1990 بمحطة الدورة قرب بني ملال، تمت عن طريق حقن هرمون الغدة النخامية في بطن الإناث والذكور البالغين. يستخرج هذا الهرمون من الغدة النخامية لنفس النوع أو لسمك قريب النسب في التصنيف العلمي. يلعب هذا الهرمون دورا فعالا في تنشيط وحث النضج الجنسي في آن واحد عند الجنسين. يستورد هذا الهرمون على شكل مسحوق يتم حقنه بواسطة جرعة مضبوطة ترتبط بقامة ووزن الذكور والإناث المختارين لإجراء عملية التلقيح. تحك جوانب بطن الذكور والإناث بعد حوالي 48 ساعة من عملية الحقن ويخلط روال الذكور بالبويضات ليتم التلقيح تحت حرارة مائية تقارب 20°C. تعرف محطة الدورة حاليا نشاطا كبيرا في التوليد الاصطناعي واستزراع الشبوط العاشب والشبوط آكل النباتات المجهرية بعد أن كان النوعان يستوردان من الخارج.

* الشبوط الفضي Hypophtalmychthys molitrix يسمى بالفرنسية Carpe argentée وأمور فضي Amour argenté بالإنجليزية Silver carp. الجسم طويل ونحيل يبلغ أحيانا 100 سم وشائع بين 40 ـ 60 سم، الحراشف دائرية وصغيرة فضية اللمعان. موطنه الأصل البحيرات والأنهار الصينية. يتميز بأكله للنباتات المجهرية الدقيقة وبهذا يلعب دورا هاما في محاربة ظاهرة التخاصب التي تهدد أنظمة مياه البحيرات القارية. تم إدخاله من آسيا إلى أوربا في بداية السبعينيات الأخيرة ثم إلى المغرب سنة 1983 لمحاربة التخاصب في سد سيدي محمد بن عبد الله وبعد نجاح تأقلمه والتمكن من توليده عن طريق الولادة الاصطناعية تم توزيعه على السدود الكبرى.

م. رمضاني، *سمك التروتة بالمغرب*، *معلمة المغرب*، جزء 7، ص. 2341 ـ 2342 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ أ. المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

A. Zraouti, *Etude hydrobiologique et socio-économique des principaux plans d'eau à truite du Moyen Atlas*, Mémoire fin d'étude, ENFI, Salé, 1993 ; P. S. Maitland, *Les poissons des lacs et des rivières d'Europe*, Paris, 1977 ; B. J Muus et P. Dahlström, *Guide des poissons d'eau douce et pêche*, Paris, 1973.

محمد رمضاني

الشبلي، أسرة تطوانية ومكناسية أصلها من الأندلس وقد انقرضت بتطوان. منهم أحمد الشبلي، فقيه كان يزاول خطة العدالة بتطوان سنتي 1194 و1195.

الشبلي، أحمد بن عبد المالك، قائد وقع مع النائب السلطاني في الشؤون الخارجية السيد محمد الخطيب معاهدة الصلح بين المغرب وإسبانيا يوم 5 شوال 1276 (26 أبريل 1860).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1430.

محمد ابن عزوز حكيم

الشبلي، أحمد (مولاي ـ) من أولياء مكناس المشهورين الذين يحج إليهم الناس للتبرك والدعاء.

تحليه الوثائق الحبسية بالشريف الحسني، وهو نسب يؤكد ما هو منقوش في جبص بدائرة مسجد ضريحه.

لا يعرف عنه سوى ما ذكره وأنه ولي صالح، والدعاء في ضريحه مستجاب وكما ورد عند ابن زيدان (*الإتحاف*، ا، ص. 303) : "لم أقف على من تعرض لترجمته ولا على من له أدنى معرفة بشيء من حاله".

ونظراً لما كان يوليه السلطان المولى إسماعيل من تقديس واحترام وتقدير للأولياء والصالحين فإنه بنى عدة أضرحة لأولياء عاصمته (*أوقاف مكناس*، ا : 229 ـ 231) من بينها ضريح ومسجد مولاي أحمد الشبلي، يشهد بذلك نقش بأعلى القوس يسار الذاهب للضريح.

وهذا ينفي ما قيل من أن السيدة حبيبة بنت الطاهر بادو هي التي بنت ضريح الولي المذكور ومسجده من مالها الخاص لرؤيا رأتها وقد كانت كفيفة البصر فرد الله عليها بصرها، وهذا إن صح يُحمل على مزيد من التجديد والتنميق فقط.

وكان لهذا الولي: أوقاف داخل مدينة مكناس وخارجها حبست عليه من قبل المولى إسماعيل ومن قبل محبيه.

ع. الرحمان ابن زيدان، *الإتحاف*، ج ا، ص. 169 ـ 303 ؛ م. المنوني، *وثائق ونصوص*، ص. 51 ؛ ر. بلمقدم، *أوقاف مكناس*، ص. 229 ؛ *حوالة أحباس صغرى مكناس*، 4، ص. 126.

رقية بلمقدم

الشبلي الموسيقي، لا يعرف اسمه، من أعلام الموسيقى الأندلسية بالمغرب في القرن الثاني عشر (18 م). ظهر بمكناس، وكان مقصد طلاب الموسيقى يأخذون عنه أصولها وقواعدها.

وقد عرض لذكره المؤرخ التطواني عبد السلام السكيرج في نزهة الاخوان، فأفاد أن المهدي بن طاهر الفاسي التطواني المتوفي عام 1764/1178 تتلمذ عليه في علم الموسيقى الأندلسية، فأتقن طبوعها الأربعة والعشرين، وأجاد العزف على الرباب والعود.

م. داود، *تاريخ تطوان*، ج. 3، ص. 69 ؛ م. المنوني، *مجلة البحث العلمي*، ع. 14 و15، السنة السادسة، 1969 ص. 161.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الشّبَنْيالُو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل إسم Espanyol وEspañol ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1006 (1598).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1421.

محمد ابن عزوز حكيم

شبوكة (واد -)، يحد حوض واد شبوكة شمالا بنهر أم الربيع وجنوبا بواد سرو، ويصرف كل المنطقة الجنوبية لهضبة اجدير ومجمل هضبة سرو، يأخذ منبعه من ضاية ميامي، جنوب غرب جبل إغود (1954 م) بهضبة اجدير.

يعتبر واد شبوكة من أهم روافد واد سرو، ويتميز بحوض شبه طولي ذي اتجاه عام شرق ـ غرب، يصل مؤشر تراصه (k) إلى 1.23. ومن أهم روافده نجد، في الضفة اليمنى، واد ماريغ (ماريغ كلمة أمازيغية تعني مالح) المنحدر من منطقة بومزيل والذي يلتقي سافلة مركز جنان اماس بواد نيسان الذي يتغذى من مجموعة من العيون الكارستية العذبة (عيون جنان اماس). وأخيرا أسيف ناروكو الذي يصرف المنطقة الغربية لهضبة اجدير (منطقتا اسول والمعراض 1407 م). أما روافد الضفة اليسرى فتتمثل في واد لحلو وواد ثوشنيط شمال مركز لهري.

تتكون صخور حوض واد شبوكة من صخور طينية ملحية تريباسية غير نافذة، تنتشر أساسا في المنخفضات، ومن صخور كاربوناتية، كلسية دولوميتية لياسية، تشكل المستويات العليا لهضبتي سرو واجدير. ويتميز هذا المجال بشدة التقطع بحيث ساهمت كل من البنائية (انكسارات ش 15 وش 90) والمواد الترسالية الهشة بتدخل فعال للتعرية.

يتلقى هذا الحوض تساقطات مهمة تتعدى 900 ملم في السنة (Martin, 1981)، تتساقط على شكل ثلوج فوق المرتفعات التي يفوق ارتفاعها 1800 م. ويندرج هذا الحوض من الناحية البيومناخية ضمن نطاقين: نطاق شبه رطب في الواجهة الغربية ونطاق رطب ويوافق المناطق التي يتعدى ارتفاعها 1800 م. يتميز بغطاء نباتي منفتح ومتدهور على شكل ماطورال يتكون أساسا من العرعار الأحمر والمجنح والخروب وينتشر في المنخفضات وفي السفوح الجنوبية الشرقية الجافة، في حين تتطور غابة حقيقية تتشكل أساسا من الأرز والبلوط الأخضر في المستويات العليا لهضبتي أجدير (سرو).

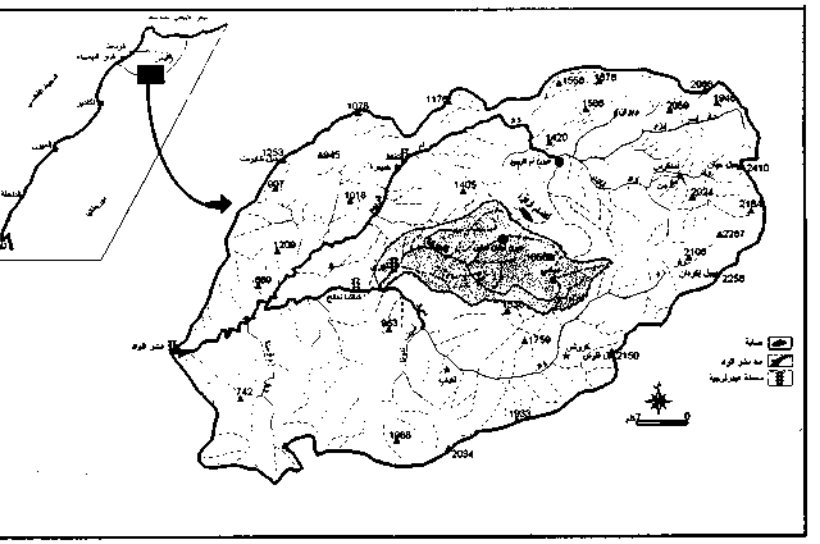

النظام الهيدرلوجي: يعرف واد سرو نظاما هيدرلوجيا يتميز بتغيرات فصلية مهمة :

* فترة المياه العليا وتوافق شهور دجنبر، يناير، فبراير، مارس، أبريل وماي.
* فترة المياه الدنيا وتوافق شهور يونيو، يوليوز، غشت، شتنبر، أكتوبر ونونبر.

تعد المياه العليا والدنيا ظواهر هيدرلوجية فصلية تتميز بها جميع الأنهار كيفما كانت ظروفها البيومناخية والصخارية، أما الفيضانات وفترات الشح فتعتبر من الظواهر الهيدرلوجية الاستثنائية وتتميز بعدم انتظامها في الزمان والمكان: الفيض عبارة عن انتفاخ سريع ومهم للصبيب ويمكن أن يحصل في أي لحظة خلال الدورة الهيدرلوجية، أما الشح فهو عبارة عن صبيب هزيل وضعيف غير اعتيادي.

يتميز واد شبوكة بصبيب نوعي مهم، يصل إلى 7,8 ل/ث/كلم2، مقارنة مع الصبيب النوعي لواد سرو الذي يسجل كمية تبلغ 4,8 ل/ث/كلم2.

يحيى الخالقي، *الأنظمة الهيدرلوجية الكارستية للهضاب الجنوبية الغربية للأطلس المتوسط، دراسة هيدرلوجية وهيدروكيماوية (عين اللوح ـ الحمام ـ أجدير ـ عيون أم الربيع)*، بحث لنيل دكتوراه الدولة، بني ملال: المعطيات الهيدرلوجية، وكالة الحوض المائي لأم الربيع، بني ملال.

J. Martin, *Le Moyen Atlas central étude géomorphologique*, Rabat.

يحيى الخالقي

ابن **شبونة، عبد الله** بن أحمد خلوف الازدي المعروف بابن شبونة أحد الشيوخ الحفاظ بمدينة سبتة في العهد المرابطي حيث عرفته طالبا وأستاذا ماهرا بجامعها بعد أن تخرج على يد عدد من شيوخها منهم أبو الأصبغ عيسى بن

سهل وأبو محمد بن جعفر والفقيه أبو عبد الله بن عيسى التميمي وغيرهم من العلماء السبتيين، ولما اجتاز الشيخ أبو علي الحسين الصدفي المعروف بابن سكرة بسبتة عقب عودته من رحلته المشرقية سنة 490 هجرية سمع منه عدد من السبتيين منهم ابن شبونة الذي برز في الفقه المالكي غير أن شنآنا وقع بينه وبين أستاذه ابن عيسى الذي تولى قضاء المدينة اضطره إلى مغادرة بلدته والتوجه إلى سلا عند أسرة بني عشرة التي أحسنت وفادته فاشتغل بالتدريس والإفتاء مدة إقامته عندها ثم شد الرحلة إلى أغمات حيث علا شأنه بها وكان له القدم الراسخ في التدريس والفتيا بها والمشاركة في الأدب مع التحلي بالورع والاستقامة وحلاوة الشمائل وكثرة الحفظ، فعلم الأمير علي بن يوسف بن تاشفين بمكانته العلمية ودماثة أخلاقه فشمله بعطفه وكرمه إلى أن توفي بأغمات عام 537 وعمره ثمانون سنة.

القاضي عياض، *الغنية*، تر. ماهر زهير، الترجمة رقم 57 ص. 154 ؛ *المعجم في أصحاب أبي علي الصدفي*، ص. 214 ؛ ع. العزيز بنعبد الله، *سبتة ومليلية معقلان مغربيان أساسيان على البحر الأبيض المتوسط*، ص. 43.

محمد ماگامان

الشبيبة والرياضة (وزارة -) غداة استقلال المغرب كانت مؤسسات الشبيبة والرياضة من جمعيات ونواد ودور الشباب ومخيمات ومسارح وملاعب بحجم ضئيل للغاية يقصر عن استيعاب الطاقات الهائلة التي كان يزخر بها مجتمعنا المغربي الخارج لتوه من أسْر الهيمنة الاستعمارية.

وبعد أن كان قطاع الشبيبة والرياضة مصلحة تابعة لوزارة التربية الوطنية، ثم قسما وبعدها مديرية تحت إشراف نفس الوزارة، ارتبط مصيره بقطاعات أخرى مثل الصحة، والأنباء وغيرها، كما تطورت هيكلته عبر السنوات: من مندوبية سامية إلى كتابة دولة، إلى وزارة قائمة الذات.

وحيث إن مسألة خلق مؤسسات جديدة على امتداد التراب الوطني كله تتطلب قواعد وأنظمة جديدة تفسح المجال أمام الشباب المغربي لممارسة حقه الطبيعي والمشروع في تنمية نفسه على النحو الذي يعود عليه وعلى وطنه بالخير والتقدم، دعت الحاجة إلى وضع تشريعات جديدة في مجال الحريات العامة؛ وكانت أول خطوة على هذا الطريق تتجلى في الظهير الشريف عدد 376.58.1 الصادر في 3 جمادى الأولى عام 1378 الموافق 15 نونبر 1958 والمنظم لحق تأسيس الجمعيات. وسرعان ما تلته مجموعة كاملة من الظهائر والمراسيم والنصوص التطبيقية لها، لتنظم مجالات نشاطات الشبيبة والرياضة على الصعيد الوطني. وهكذا فتحت تلك التشريعات والتنظيمات أمام الشبيبة المغربية آفاقا رحبة للعمل والنشاط المتنوعين. ونتج عن ذلك أن شهدت السنوات الأولى للاستقلال خلق العشرات من الجمعيات الثقافية والرياضية والفنية، التي جاءت لتعزيز عمل قطاع الشبيبة والرياضة للقيام بدور كبير في معظم التظاهرات الإنمائية التي نسوق فيما يلي، بعضا منها على سبيل المثال :

1957 : مشروع شق طريق الوحدة على امتداد 70 كلم بين شمال وجنوب المملكة. وقد شارك فيه ما يناهز 11000 من المتطوعين الشباب.

1960 : حملة وطنية لمحاربة الأمية التي شملت جميع عمالات وأقاليم المملكة.

1961 : - حملة بناء المدارس.

- حملة التشجير.

- المساهمة في عملية إنقاذ ضحايا زلزال أگادير.

وكان من الطبيعي، نتيجة للتطورات التي طرأت على نشاطات القطاع الحكومي للشبيبة والرياضة والقطاع الخاص من جمعيات وأندية وجامعات ثقافية ورياضية، أن تستقطب بلادنا العديد من التظاهرات الشبابية والرياضية القارية والجهوية والدولية مثل:

1962 : تنظيم الألعاب الرياضية العربية.

1965 : تنظيم أول مناظرة وطنية حول الرياضة.

1979 : تنظيم الدورة الرابعة لمهرجان الشباب العربي.

1983 : تنظيم الدورة التاسعة لألعاب البحر الأبيض المتوسط.

1995 : المساهمة في المؤتمر العالمي للمرأة ببيكين (الصين).

1997 : المساهمة في اللقاء العربي للمرأة الريفية بالقاهرة (مصر).

وتميزت الفترة ما بين 1964 - 1968 بنشاط ثقافي وتربوي حافل إذ كانت تشهد بداية كل سنة تدشين موسم ثقافي تساهم فيه جميع الشخصيات الأدبية والثقافية للبلاد. وقد شهدت مختلف جهات المغرب محاضرات وندوات حول مواضيع شتى، وكذا عروض مسرحية لفرقة المعمورة الشهيرة التي كان لها الفضل في احتضان أبرز الفنانين المرموقين في المجال المسرحي. كما كانت مختلف جهات المغرب تشهد عروضا سينمائية ومعارض للفنون التشكيلية وحصصاً لنوادي الكتاب الحي.

وأهلت الوزارة فريقنا الوطني في كرة القدم أربع مرات على التوالي لنهائيات كأس العالم وذلك في: سنة 1970 بالمكسيك؛ وسنة 1986 بالمكسيك - حيث وصل الفريق الوطني إلى الدور الثاني كأول بلد عربي وإفريقي؛ وسنة 1994 بالولايات المتحدة الأمريكية؛ وسنة 1998 بفرنسا.

بالإضافة إلى مشاركته المنتظمة في الدورات الأولمبية وحصاد أبطالنا لنتائج باهرة زكت المرتبة التي يحتلها المغرب بين مصاف الدول المتقدمة، وعكست بحق المجهود المبذول على شتى المستويات للرقي بالنشاط الرياضي ومنها :

- إحراز المغرب على كأس إفريقيا للأمم سنة 1976.

- إحراز المغرب على كأس إفريقيا للشبان سنة 1996.

كما ساهمت وزارة الشبيبة والرياضة في إعداد وإبراز

مؤهلات فردية عند العديد من الرياضيين المرموقين أمثال عبد السلام الراضي ؛ سعيد عويطة ؛ فاطمة عوام ؛ نوال المتوكل ؛ خالد السكاح؛ إبراهيم بوطيب ؛ إبراهيم بولامي ؛ صلاح حيسو؛ نزهة بدوان ؛ هشام الكروج ؛ عبد الحق عشيق؛ يونس العيناوي. وأحمد فرس، ومحمد التيمومي وبادو الزاكي ومصطفى حجي الذين حصلوا على الكرة الذهبية الإفريقية.

أما من الناحية التنظيمية والتشريعية فقد عرف قطاع الشبيبة والرياضة إصدار عدة نصوص تنظيمية وهكذا فقد صدر بتاريخ 11 جمادى الثانية عام 1406، موافق 21 فبراير 1986، مرسوم يحمل رقم 806 ـ 84 ـ 2 يتعلق بتحديد اختصاصات وتنظيم وزارة الشبيبة والرياضة. وفي فاتح جمادى الأولى 1407، موافق 2 يناير 1987، صدر مرسوم آخر يغير المرسوم الملكي رقم 66 ـ 1194 موافق 9 مارس 1967، بمثابة النظام الأساسي لموظفي وزارة الشبيبة والرياضة. وإذا كان المرسوم الملكي المؤرخ في 9 مارس 1967 كما وقع تغييره بالمرسوم المؤرخ في 2 يناير 1987 قد حدد شروط وظروف الولوج والتدرج في مختلف السلاليم الخاصة بموظفي هذا القطاع، فإن المرسوم الصادر في 21 فبراير 1986 قد رسم بكيفية واضحة اختصاصات وتنظيم وزارة الشبيبة والرياضة في شكلها الحالي.

وهكذا نجد الوزارة مكونة، إلى جانب ديوان الوزير، من:

1 ـ إدارة مركزية تضم :

ـ كتابة عامة ومفتشية عامة ومديرية للشباب والطفولة ومديرية للرياضات ومديرية للشؤون العامة وقسم لتكوين الأطر وقسم لشؤون المرأة.

ويعتبر في عداد المصالح المركزية كل من المعهد الملكي لتكوين الأطر المحدث والمنظم بموجب المرسوم عدد 381 ـ 79 ـ 2 بتاريخ 11 رجب 1400 موافق 26 ماي 1980 كما تم تعديله وتتميمه. وتضطلع هذه المؤسسة بتكوين أطر متخصصة في مختلف الدرجات والسلاليم. وهناك المركب الرياضي محمد الخامس بالدار البيضاء والمجمع الرياضي الأمير مولاي عبد الله بالرباط المرتبطان بالإدارة المركزية.

1 ـ مصالح خارجية: تغطي غالبية عمالات وأقاليم المملكة وتسهر على تنسيق وتتبع نشاطات مختلف المؤسسات التابعة لها أو المرتبطة بها عن طريق الوصاية، ويبلغ عدد نيابات الوزارة حاليا 59 نيابة.

كما صدرت عدة نصوص قانونية أخرى، منها : مرسوم رقم 2.57.497 بتاريخ 3 أكتوبر 1957 المتعلق بتنظيم الرياضة؛ ظهير رقم 1.70.235 بتاريخ 16 يونيه 1971 يتعلق بإحداث المجلس الوطني للشباب والرياضة ؛ ظهير رقم 1.57.245 بتاريخ 10 شتنبر 1957 يتعلق بنشاط الجمعيات والعصب والجامعات الرياضية.

الوسائل والبنيات التحتية: من أجل ضمان تأطير ملائم للشباب، قامت الوزارة بإحداث وتوسيع شبكة البنيات التحتية التربوية والاجتماعية والرياضية، وتحسين مرافقها وخدماتها باستمرار حتى تتمكن من الاستجابة لحاجيات الفئات المستهدفة. وهكذا تتوفر الوزارة حاليا، على الوسائل الذاتية التالية:

ـ 354 مؤسسة للشباب (مؤسسات تربوية وثقافية) تساهم في تنمية شخصية الشباب وإدماجهم في الحياة، مع تمكينهم من وسائل التعبير وتنمية مؤهلاتهم وتطلعاتهم. وذلك في إطار احترام ثقافتهم وقيمهم الوطنية ؛

ـ 1405 مسؤول ومنشط يسهرون على التأطير والتنشيط والتسيير ؛

ـ 15 مركزاً لحماية الطفولة منتشرة عبر مختلف جهات المملكة ؛

ـ مخيمات صيفية تستقطب سنويا ما يفوق 43000 طفل وطفلة ؛

ـ 39 جامعة رياضية ـ 147 عصبة جهوية ـ 6969 ناديا ـ 300 ألف منخرط ؛

ـ 199 منشأة رياضية من مركبات وملاعب وقاعات مغطاة موضوعة رهن إشارة الشباب لممارسة مختلف الرياضات، وتعد هذه التجهيزات أدوات حقيقية لتنمية الصحة، والتربية البدنية، وكذا لتأطير الشباب وخلق ظروف ملائمة للممارسة الرياضية ؛

ـ 1065 مؤطرا ومنشطا مختصا يسهرون على تدريب الشباب وتأطيرهم البيداغوجي وكذا على تسيير التجهيزات؛

ـ 279 مؤسسة نسوية، منها 151 نادي بالوسط القروي يستفيد منها سنويا أزيد من 126.000 رائدة ؛

ـ 124 مركزاً للتكوين المهني، منها 08 بالوسط القوي في شعب مختلفة وبمستويات التخصص والتأهيل، والتقني، حيث بلغ عدد المستفيدين منها 8000 فتاة. خلال سنة 2000. وتنظيم دروس محاربة الأمية يستفيد منها سنويا أزيد من 12.000 فتاة وامرأة.

ـ 1170 مؤطرة تسهر على تسيير وتنشيط الأندية النسوية ومراكز التكوين المهني ؛

ـ 156 تعاونية تعليمية وخدماتية لفائدة النساء ورائدات المؤسسات النسوية حيث استفادت منها خلال سنة 2000 أزيد من 3600 امرأة وفتاة ؛

ـ وحدات متنقلة للتوعية والتكوين ومحاربة الأمية: تستهدف هذه الوحدات، الفتيات والنساء خاصة في المناطق القروية، وقد بلغ عدد المستفيدات من خدمات هذه الوحدات بالنسبة لسنة 2000 وحدها ما يناهز 27000 مستفيدة ؛

ـ 314 روضا للأطفال منها 115 بالعالم القروي يستفيد منها حوالي 8600 طفلا ؛

ـ 701 منشطة يسهرن على تنشئة الطفولة الصغرى ؛

ـ 59 نيابة تقوم بتمثيل وزارة الشبيبة والرياضة على مستوى العمالات والأقاليم. فهي تضطلع بتطبيق وتتبع العمليات المسطرة ضمن السياسة القطاعية للوزارة، من خلال مختلف المؤسسات المتخصصة التابعة لها.

الظهائر والمراسم المذكورة داخل النص: *وثائق وزارة الشبيبة والرياضة*.

أحمد الموسوي

الشبيه (أولاد -)، شرفاء أدارسة مُعظمهم في زرهون وقليل منهم بمكناس وفاس وغيرهما ينسبون إلى جدهم الشريف أحمد الشبيه (ت. 943 / 1536) المدعو كذلك لشبهه بالنبي عليه السلام لوجود صورة الخاتم النبوي بين كتفيه. وهم ولاة ضريح جدهم إدريس الأكبر، وكانوا أولا يُدعون "الشبيه" بدون ياء النسب، ثم أصبحوا يُعرفون بالشبيهي. تولوا نقابة الأشراف بالمغرب منذ عهد السلطان الرشيد بن الشريف الذي أسندها إلى عبد القادر بن محمد الشبيه(ت. 1099) آتي الترجمة، واستمرت النقابة فيهم إلى الوقت الحاضر. وهم أربعة فروع بحسب الجد القريب الذي ينتسبون إليه، ثلاثة إخوة: النقيب عبد القادر، وأخواه محمد العربي وعبد الواحد، والرابع عمهم الطاهر.

كانت سكنى الشبيهيين أولاً بمدينة مكناس، ثم انتقل معظمهم إلى مدينة زرهون، ولازموا سكنى الزاوية بإزاء ضريح جدهم المولى إدريس، وبقي فرع منهم بمدينة مكناس، ثم توزعوا بين مكناس وزرهون وفاس والرباط. وبرز منهم علماء مشاركون، وفقهاء متمكنون، ومقرئون، وخطباء، وقضاة، ومفتون، وعدول، ونظار، ومحتسبون، وأمناء... كما أصبحوا مقربين من المخزن العلوي منذ عهد المولى رشيد (1075 - 1082 / 1666 - 1672) ذلك أن هذا السلطان أمر بضبط الأنساب للحد من عدد المدعين للشرف الذين تكاثروا أواخر الدولة السعدية، وفي هذا الإطار عين عبد القادر بن عبد الله بن محمد الشبيهي نقيباً للشرفاء الأدارسة بمدينتي مكناس وزرهون، فكان أول نقيب من الأسرة الشبيهية التي توارثت خطة النقابة أبا عن جد حتى عهد قريب. واستأثروا بالعطايا والصدقات التي كانت توهب للضريح الأدريسي وهم على حد تعبير صاحب *نشر المثاني* (ج 4، ص. 243) الولاة في هذا العصر لضريح جدهم الأمام مولانا إدريس الأكبر دفين جبل زرهون، وإن تخللت الولاية للضريح المذكور وقبض الصدقات التي تجيئ إليه لا لغيرهم من الشعب الجوطية المستقرين بمكناسة الزيتون الذين هم من عقب مولاي عبد الواحد المجاهد". وأصبح الشبيهيون منذئذ يتمتعون باحترام وإجلال وتبجيل من قبل السلاطين العلويين الذين خلعوا عليهم - وحتى عهد الحسن الثاني - ظهائر التوقير والاحترام.

ع. الرحمان ابن زيدان، *الإتحاف*، 4، ص. 284 ؛ *العز والصولة*، 2، ص. 89 - 100 ؛ *المنزع اللطيف*، ص. 241 - 245 - 246 ؛ الطيب الطاهري، *تطيب الأنفاس بأخبار من استوطن من الطاهريين حاضرة مكناس*، ص. 12 - 13 ؛ م. القادري، *نشر المثاني / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، ج. 4 : 1697 ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، المحمدية، 1999، ج. 2 : 18 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، 2 : 197 .

رقية بلمقدم

الشبيه، أحمد بن عبد الواحد بن عبد الرحمن بن أبي غالب. ينتهي نسبه إلى يحيى الشريف الجوطي، أحد أحفاد القاسم بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الله. وهذا يعني أنه من الفرع الجوطي الإدريسي الحسني (*إتحاف*، 1 : 317). ولقب "بالشبيه لشبهه بجده المصطفى صلى الله عليه وسلم، وكانت له علامة بين كتفيه شبيهة بخاتم النبوة" (*ابتهاج*، 142).

ولد في آخر القرن التاسع (15 م). ولاشك أنه سلك طريق العلم في بداية حياته، بل لعله تفنن في العلوم النقلية والعقلية المعروفة في زمانه، وشاهد ذلك أنه يحلى في كتب التراجم بالعالم النبيل (*إتحاف*، 1 : 317). وسلك طريق التصوف على يد الشيخ محمد بن عبد الرحيم التازي المدعو ابن يجبش (ت. 920/1514)، دفين تازا، وعن جماعة من الشيوخ، منهم عمه أبو الحسن علي بن يجبش التازي (ت. 891 هـ) وطريقه غير معروف، ومنهم إبراهيم التازي، وهو عن أبي عبد الله الهواري، وعن أبي عثمان سعيد الصفريوي، وطريقته وفائية شاذلية، ومنهم أبو عبد الله محمد الزيتوني (ت. 911 هـ)، دفين المسيلة من بلاد الجريد، وطريقته تنتمي إلى مولاي عبد القادر الجيلاني. كما أخذ ابن يجبش عن الشيخ أبي فارس عبد العزيز بن خليفة القسنطيني دفين خارج تونس (913 هـ)، وهو عن أبي محمد عبد الله بن أبي القاسم الجزائري من الشاذلية، وعن أحمد زروق البرنسي الفاسي (ت. 899/1490).

وإلى جانب ابن يجبش التازي لقي أحمد الشبيه الشيخ أبا محمد عبد الله الغزواني دفين مراكش (*ابتهاج*، 143 ؛ *إتحاف*، 1 : 318)، وطريقته، كما هو معلوم، جزولية شاذلية، وقد أخذها هذا الأخير عن عبد العزيز التباع، عن مؤسس الطريقة الإمام محمد بن سليمان الجزولي.

وأهم ما تميز به أحمد الشبيه في تصوفه هو النسك (*إتحاف*، 1 : 317)، على منوال الصوفية الزهاد، من جهة، والمحبة (*ابتهاج*، 142) على منوال الصوفية العشاق، من جهة ثانية. يعني أن من طريقه دوام النسك، و"من طريقة دوام النظر لإحسان الله إليه وضروب امتنانه عليه ومطالعة النعم التي لا تقبل الحصر والعد منة بعد منة، وذلك سبب تنوير القلب وزيادة الإيمان وعظم المحبة" (*ابتهاج*، 143)، عملا بحديث رسول الله "جبلت القلوب على حب من أحسن إليها"، حتى قيل عنه بأنه "محب عامل على شهود المنة" (*ابتهاج*، 142).

توفي الشيخ أحمد الشبيه في شعبان 943/1537، ودفن بروضة سيدي عمرو الحصيني خارج باب عيسى من بلده مكناسة الزيتون.

ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، ج. 1، الرباط، 1347/1929 ؛ ع. الرحمن الفاسي، *ابتهاج القلوب*، تح. حفيظة الدازي، رسالة جامعية في التاريخ، مرقونة كلية الآداب بالرباط ؛ م. العربي الفاسي، *مرآة*

المحاسن، ط. حجرية بفاس، 1324 هـ ؛ م. المهدي الفاسي، *تحفة أهل الصديقية*، مخطوط ؛ ع. السلام القادري، *القصد الأحمد*، ط. حجرية بفاس، 1351 هـ.

أحمد الوارث

الشبيه، عبد القادر بن عبد الله بن محمد بن عبد القادر الجوطي الإدريسي الحسني، نقيب الأشراف الأدارسة بمدينتي زرهون ومكناس. فقيه مشارك، نعته ابن زيدان (*الإتحاف*، 5 : 300 بـ "صدر أوحد، ركن معتمد فريد عصره... بهي السمت، وقور صموت يعتمد في مهمات الأمور عليه..." وكان يتصف بخصال عالية وسجايا حميدة، حسن السيرة، طاهر السريرة.

لذلك كانت له حظوة تامة ومكانة شماء لدى الملوك العلويين الذين عاصرهم، ينظرون إليه بعين الإكبار والإجلال، فاجتباه السلطان مولاي رشيد (1075 ـ 1082/ 1664 ـ 1672) وولاه نقابة الأشراف الأدارسة في مدينتي مكناس وزرهون، وكان أول من تولاها من الشرفاء الشبيهيين، فأحكم نظام النقابة وأجرى على مقتضى الشريعة أحكامها. "ولي النقابة على الأشراف بالمغرب بالحضرتين. خاتم المحققين لفصول ولايتها وآخر المتقنين لعلي مكانتها ملك زمامها فأحكم نظامها... وخطاباته الموجودة فيما وقع بيده من "الرسوم" تؤذن بعراقته فيما تعلق بها من العلوم..." (*التقاط الدرر*، 2 : 238). للمترجم تأليف سماه ديوان الأشراف وثق فيه فرق الأشراف كبيرها وصغيرها وأصنافها وميزهم عن أصحاب الدعاوي المجردة.

وهو أول من بني القبة على ضريح جده إدريس الأكبر بزرهون، إذ كان قبره قبل ذلك عارياً بلا بناء، يدور عليه حائط من بناء السلطان أبي سعيد بن يعقوب المريني (710 ـ 731/1310 ـ 1331) وقد جدد السلطان مولاي إسماعيل (1082 ـ 1139/1672 ـ 1727) للفقيه عبد القادر الشبيهي ولايته على خطة النقابة وأسبغ عليه وعائلته ظهائر التوقير والاحترام.

توفي في ربيع الأول عام 1099 / يناير ـ فبراير 1688 فتولاها بعده ابنه مولاي الطيب، ثم توارثها أحفاده من بعده.

ع. الرحمان ابن زيدان، *الإتحاف*، 5، ص. 319 ـ 320 ؛ العز والصولة، 2، ص. 81 ؛ *المنزع اللطيف*، ص. 241 ؛ القادري، *التقاط الدرر*، 2، ص. 237 ؛ ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب*، ص. 97 ؛ م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، 1، ص. 178.

رقية بلمقدم

الشبيهي (أسرة) ← **الشبيه**

الشبيهي، أحمد بن **عبد الله** الفاسي. حلاه رفيقه إدريس الإدريسي "بالفقيه العلاّمة المدرس العدل المبرز المفتي الشهير الكاتب المقتدر" تعاطى خطة الشهادة قبل أن يعمل أستاذاً بثانوية مولاي إدريس بفاس، ثم عين عضواً بمجلس الاستيناف الشرعي بالرباط، ثم عضواً بالمجلس العلمي للقرويين قبل أن يحال على المعاش. له مساهمة ألقاها بثانوية مولاي إدريس بفاس في شعبان سنة 1343/ مارس 1925 طبعت بفاس.

أ. التمبكتي، *تاريخ الشعر والشعراء بفاس*، فاس، 1343 / 1924 ؛ إ. الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، سلا، 1988، ص. 186 ـ 187.

محمد حجي

الشبيهي، أحمد بن الفاطمي بن محمد بن محمد بن النقيب مولاي عبد القادر الشبيهي، ولد بزرهون، ونشأ في بيت عفاف وتدرج في مسالك التعليم بدءاً بشيوخ الزاوية الإدريسية الزرهونية، ثم انتقل إلى مكناس وبعدها مدينة فاس فأخذ عن الشيخ أبي عبد الله ابن الخياط العطار، وعن شيخ الجماعة بفاس سيدي محمد بن عبد الرحمن الفيلالي، وأحمد بن محمد المرنيسي وأحمد بناني، وعبد السلام بوغالب ومحمد بن حمدون ابن الحاج السلمي وغيرهم.

ومهر في علوم: الحساب والهيئة والتعديل والتنجيم والجداول وسرالأسماء. وتولى عدة مهام منها: إمامة الضريح الأدريسي بزرهون والنيابة عن النقيب به إلى جانب مهمتي التعديل والتوقيت. وأخذ الطريقة الدرقاوية عن سيدي مالك بن خدة، وانعزل في آخر عمره وأكب على العبادة والتلاوة والأذكار والتهجد في الأسحار والاعتكاف وملازمة الزاوية الدرقاوية والمسجد الجامع.

توفي بفاس في 26 ذي القعدة عام 1324 / 12 يناير 1907.

ابن زيدان، *الإتحاف*، 1 : 463 ؛ *وثائق وظهائر عائلية لأسرة الشبيهي*.

الشبيهي، عبد الرحمن بن عبد القادر. لا تُعرف مراحل دراسته لكنه كان مبرزاً في الفقه وعلم الأنساب، وصفه ابن زيدان بالفقيه العلامة النسابة بينما نعته القادري (*النشر*، 4 : 243) بالرئيس الوجيه القائد. له تآليف منها: *خلاصة الدر النفيس* وهي عبارة عن أرجوزة ناقش فيها مؤلفي *الدر السني* و*درة التيجان* مع المناوي في أغلاط وقعت لهم حول بعض فرق الجوطيين بفاس ومكناس، وله تقييد صغير في نفس الموضوع.

كان يتكسب بممارسة الفلاحة فحقق ثروة هامة وعينه السلطان عبد الله بن إسماعيل والياً على جميع جبل زرهون، إلا أنه فقد معظم ثروته أواخر حياته.

لا يعرف تاريخ وفاته بدقة إلا أنه مات أواسط القرن الثاني عشر (18 م).

ع. الرحمن ابن زيدان، *الإتحاف*، 5، ص. 284 ؛ القادري، *نشر المثاني*، 4، ص. 243 ؛ م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، ص. 216.

رقية بلمقدم

الشبيهي، عبد السلام، بن يوسف الإدريسي. ولد بمكناس في الثلاثينيات. وقد شب على حب الموسيقى، فكان يرافق عمه سيدي مشيش بن المختار الشبيهي إلى الزاوية العلمية، وهناك أقبل على حفظ مستعملات السماع والمديح حتى برع في إنشادها.

وقد تعرف على المرحوم الحاج إدريس ابن جلون التويمي بمناسبة تأسيس جمعية هواة الموسيقى الأندلسية عام 1958، فكان ذلك بداية دخوله إلى مجال طرب الآلة، وفي بحر العقد السادس دعي إلى الرباط للعمل في حظيرة جوق الآلة بالقصر الملكي.

ومنذ أن استقر بالرباط أصبح يلازم مجالس الذكر والمديح ضحى يوم الجمعة ويعاشر روادها من عشاق هذا الفن.

وتحتفظ الإذاعة الوطنية ببدائع مأثورة مما سجلته بصوته في حوالي عشر حلقات، وذلك ضمن البرنامج الفني الذي كان يشرف عليه الفنان الأستاذ عبد اللطيف بنمنصور تحت عنوان "الكواكب اليوسفية"، كما تحتفظ بشريط سجل فيه بصوته الأذان، وكانت - حتى عهد قريب - تواظب على إذاعته عند الإعلام بأوقات الصلوات الخمس. وكان يحفظ النوبات الإحدى عشرة، ويجيد إنشاد المواويل والبيتينيات.

توفي يوم 27 جمادى الثانية عام 4/1409 يبراير 1989 بمدينة الرباط.

معلومات أخذتها من أخي المترجم الشريف مولاي إدريس بمكناس.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الشبيهي، عبد القادر بن عبد الله النقيب، عينه السلطان مولاي رشيد سنة 1670/1080 بظهير نقيبا عاما للأشراف خلفا لأبي العلاء بن محمد الطاهري. وقد كان هذا التعيين الرسمي نابعا من رغبة السلطان في تجديد خطة النقابة بسبب ما ترتب عن إهمالها أواخر العهد السعدي من نتائج سلبية على مستوى الشرف ومصالح الدولة العلوية الناشئة، ولما تميز به النقيب من مؤهلات، هي، حسب صاحب *نشر المثاني*، العلم وحسن السيرة والإنصاف. جدد له السلطان مولاي إسماعيل ولاية أشراف المغرب في المدن والبوادي وأنعم عليه بزكاة شرفاء مصمودة سنة 1700/1111 كما أصدر السلطان سنة 1705/1117 ظهيرا للنقيب حدد فيه مجال عمله وأمره باستعمال الصرامة في ضبط أمور الشرفاء. ينسب للنقيب عبد القادر الشبيهي *ديوان في الأنساب* على غرار دواوين العهد الإسماعيلي، تضمن فرق الشرفاء وأصحاب الدعاوى المجردة. توفي بعد عام 1705/1117.

م. القادري، *نشر المثاني*، الجزء الثاني، ص. 341 . 355 تح. م. حجي وأ. التوفيق ؛ م.عمراني، *ظهائر السلطان مولاي إسماعيل للنقيب عبد القادر الشبيهي*، كلية الآداب، القنيطرة.

محمد عمراني

الشبيهي، عبد الواحد بن عبد الرحمن، فقيه مشارك في علوم كثيرة، أخذ التصوف عن الشيخ مولاي الطيب بن محمد الوزاني. ولي الخطبة والإمامة بمسجد زاوية جده مولاي إدريس بزرهون فأجاد. وكان خطيباً فصيحاً بليغاً.

رحل إلى الحج وجاور بالمدينة ومكة مدة سنة ودخل مصر عام 1184 ثم رجع إلى المغرب واضطر إلى ترك مكناس وزرهون أيام الفتنة التي تلت وفاة المولى إسماعيل، فمكث إلى ما شاء الله إلى أن ولي أمر زرهون السلطان سيدي محمد ابن عبد الله في حياة والده، فعاد عبد الواحد إلى داره بزرهون واستقر بها. ومن صفاته المتواترة عنه أنه كان رجلاً صالحاً ناسكاً متعففاً فاضلاً صواماً قواماً صادق الأقوال والأفعال.

توفي بزرهون عام 1194 / 1780.

م. بن الطيب القادري، *نشر المثاني*، 4 : 244 ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *الإتحاف*، 5، ص. 393 ؛ م. المنوني، *مصادر تاريخ المغرب*.

الشبيهي، الفاطمي بن محمد الحسني. فقيه، أديب. له باع طويل في الخطابة والتدريس يتسم بخصال عالية وأخلاق شريفة، ودين متين، ذو جاه ووجاهة ومكانة في مجتمعه.

أخذ عن والده أولاً فأتقن القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم، ثم واصل تعليمه فأخذ عن ابن الحاج السلمي الفاسي ومن في طبقته.

تولى الخطبة والإمامة بالمسجد الأعظم بزاوية جده بزرهون، كما تولى خطة القضاء إلا أنه أعفي منها، وأقر على الإمامة والخطبة وظل يمارسهما حتى وفاته. وله أرجوزة جمع فيها فروع شرفائهم الشبيهيين وألحق فيها أصاغرهم وأكابرهم.

توفي سنة 1840/1256 ودفن بجوار ضريح والده بخزانة الكتب الكائنة يسار المسجد الأعظم بزرهون.

ع. الرحمن ابن زيدان، *الإتحاف*، 5، ص. 517.

الشبيهي، الفضيل، بن الفاطمي، فقيه مشارك في كثير من العلوم إلا أن له اليد الطولى والبراعة الكبرى في الفقه أصوله وفروعه، وفي الحديث والتفسير، والإفتاء والنوازل.

وكان على حد تعبير ابن زيدان، "إمام المعقول والمنقول، وفارس ميدان الفروع والأصول، نقاد، بحاث، مطلع، صدر محقق ماهر دراكة كامل محدث حافظ... مفت نوازلي ذو ملكة كاملة ... ودين متين" (*الإتحاف*، 5 : 518).

أخذ أولاً عن والده وأعمامه بزاوية زرهون ثم رحل إلى فاس فأخذ عن الحاج الداودي التلمساني وأحمد المرنيسي ومحمد بن حمدون السلمي بن الحاج والمهدي ابن سودة وعبد السلام بوغالب وأحمد المرنيسي وغيرهم من شيوخ العلم بجامع القرويين.

تولى كأبيه وأسلافه الإمامة والخطبة بالمسجد الجامع بالزاوية الإدريسية، وقد أشاد ابن زيدان ببراعته الخطابية فقال: "وإذا ارتقى منصة الخطابة كان أطلق الخطباء لسانا، وأفصحهم بياناً" (*الإتحاف*، 5 : 518). كما كان يجلس على كرسي الحديث فيسرد الصحيح الجامع خاصة في الأشهر الحرم الثلاث فيفسر غوامضه ويوضح مشاكله ويطبق أحواله على الفروع المالكية، وتفقه على يده كثيرون منهم: عبد السلام بن عمر العلوي المدغري، ومحمد بن أحمد العلوي الإسماعيلي، وابنه الفاطمي الشبيهي وغيرهم كما أجاز لكثير من أعلام الوقت.

وإلى جانب مكانته العلمية المرموقة كان المترجم يتحلى بسجايا عالية، وفضائل رفيعة، وإباء نفس وانبساط وبشاشة ممزوجة بأدب ووقار وحشمة، كما كان رقيق القلب سريع الدمعة يكثر من التلاوة فلا يفتر عنها غالباً.

توفي في 10 شعبان عام 1318/ 3 دجنبر 1900 ودفن خارج زاوية جده مولاي إدريس ـ ترك له مؤلفات منها: تعليق على الصحيح عنونه بـ*الفجر الساطع* في أربعة مجلدات كبيرة جمع فيه فأوعى، وطبق الأصول على الفروع. ونسخ بخط يده صحيح البخاري ومسلم نسختين بذل المجهود في تصحيحهما ومقابلتهما على الأصول المعول عليها بالمغرب فكانتا عديمتي النظير.

ع. الرحمن ابن زيدان، *الإتحاف*، 5، ص. 518. 520.

الشبيهي، محمد بن إدريس الحسني، سليل النقيب الشهير عبد القادر بن عبد الله. ولد حوالي عام 1280/ 63-1864 عالم متميز، ذو ثقافة متنوعة، ومشاركة وبراعة في جملة مواد، فقها ولغة وتصريفاً ونحواً فضلاً عن الأدب والعروض والقوافي، مع مخالطة للسيرة النبوية. تميز بين زملائه من شيوخ مكناس ـ على حد تعبير العلامة محمد بن عبد الهادي المنوني ـ بالمشاركة في الأدب إلى جانب تفوقه في العلوم الأصلية، مما جعله في بلدته شاعر علمائها، وعالم أدبائها.

أخذ عن أعلام مدينة مكناس أمثال: الطاهر بن الهادي ابن العناية (1306/1881) ومحمد بن العربي المنوني (1316/1898)، والمفضل بن الهادي ابن عزوز (1319/ 1901)، والمفضل بن المكي السوسي (1320/1902) وعبد السلام بن محمد الصنهاجي (1320/1903). وقاضي مكناس أحمد بن الطالب ابن سودة (1321/ 1903)، ومحمد القصري (1324/1906) والمعطي بن محمد الكبير ابن عبود (1330/ 1912).

على يد هؤلاء الشيوخ اكتسب المترجم ثقافة متنوعة. فنبغ في الأدب كما نبغ في المعارف التقليدية، وظهر نبوغه الشعري مبكراً، ويعتبر بالنظر إلى مسلسل الحياة الأدبية في مكناس ـ أواسط القرن التاسع عشر ـ امتداداً لثلة من الشعراء المجيدين أمثال الطاهر بن الهادي بن العناية الشهير ببوحدو، ومحمد بن المعطي المسطاري، وأصبح من الشعراء المرموقين على مستوى أدب عصره، مع أن شعره لم يدون، ولا يعرف منه إلا القليل الذي يوجد متناثراً في بعض المؤلفات والمقيدات، ويشمل المديح النبوي والرثاء والمطارحات، والتقريظ وأدب المختمات الدراسية، يقول محمد بن عبد الهادي المنوني عن شعره إنه كان "يتميز بنصاعة الديباجة ومتانة التركيب، إلى معنى بديع، وخيال يزين نسيب الشاعر، مع اهتمام بالصنعة البديعية".

ولم تثنه ثقافته الأدبية العميقة عن التفرغ لنشر العلوم اللسانية والشرعية بل كان التدريس هاجسا التزمه طيلة حياته حيث قضى ما يربو عن أربعين سنة في تكوين طلابه جيلاً بعد جيل. فكان ثالث ثلاثة من أركان التعليم بمدينة مكناس، وهم شيخ الجماعة محمد بن الحسين العرائشي، والقاضي محمد بن أحمد السوسي. ويشف أسلوب تدريسه عن تمكنه من مادته، مع جودة إدراك وحسن تفهيم، وكان يسلك في إقرائه الطريقة المثلى في التعليم الأصيل، وبما أنه شاعر فقد كان يرجز لطلبته مسائل المادة التي يصعب تحصيل قواعدها.

وممن أخذ عنه: الفقيه إبراهيم بن محمد المسطاسي، ومحمد بن الحاج محمد ابن عزوز، ومحمد بن محمد بن قاسم بصري ومحمد بن سعيد بن عبد السلام الدكالي والقاضي محمد بن إدريس العلوي الاسماعيلي (1370/ 1953) ومحمد بن العربي المنوني (1380/1968) ومحمد بن المفضل برادة، ومحمد بن أحمد بن الفقيه، ومحمد المختار السنتيسي، ومحمد بن عبد القادر العرائشي والطيب بن عبد القادر الحريف (1407/1986) وغيرهم.

وإلى جانب التدريس أسندت له خطة العدالة بالمدينة سنة (1307/1889) إلا أنه رفض ممارستها فيما بعد. وفي سنة 1319/1902 تولى خطة جامع الزيتونة، ورشح للوعظ في الجامع الكبير بكرسي الذخيرة والتفسير وما معهما. ولم يتصد للتأليف، بل كان يفضل نشر العلم بالتدريس.

إلى جانب ما ذكر، كان المترجم يتمتع بأخلاق سامية فقد

كان حسب ما وصفه به العلامة المنوني: "عزيز النفس في علو همة، يترفع عن مخالطة الولاة، ويبتعد عن حضور الرسميات، كما كان كشيوخ جيله متين الديانة حسن البزة يلازم ارتداء الكساء زي الفقهاء آنذاك كما كان يتجافى عن الانخراط في الوظائف الرسمية.

وكانت وفاته في 23 جمادى الأولى 22/1362 ماي 1943، ودفن في مقبرة أسرته في درب الشرفاء بسوق العطارين من مكناس.

ع. ابن زيدان، *العز والصولة في معالم نظم الدولة*، الرباط، 1962، ص. 180 ؛ أ. سكيرج، *غاية المقصود بالرحلة مع سيدي محمود*، فاس 1911، لوحة 120 ـ 122 ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، طبعة حجرية، 1329، الجزء 2، ص. 18 ؛ أ. المنوني، *وثائق ونصوص عن أبي الحسن علي بن منون*، الرباط، 1976، ص. 197 ؛ محمد بن إدريس الشبيهي، *رمز النبوغ المبكر للشباب*، مجلة دعوة الحق، العدد 285، محرم 1412 غشت 1991، ص. 99 ـ 115.

الشبيهي، محمد بن **عبد الواحد** الحسني، فقيه إليه المرجع في الفتوى بزاوية مولاي إدريس زرهون، وبيده أزمة نواب قضاتها، وعليه كما يقول ابن زيدان التعويل في التعديل والتجريح. كما كان يتحلى بأخلاق حسنة، ودين متين، يحب أهل الخير ويواليهم ويسعى إلى مرضاتهم وإكرامهم.

تولى إلى جانب خطة الفتوى إمامة الخمس بضريح مولاي إدريس بزرهون، ومهمة الوعظ بالكرسي المخصص لذلك بالمسجد الجامع إثر صلاة الصبح فكان "يشنف آذان السامعين برقائق التفاسير القرآنية؛ وجوامع الكلم المصطفية؛ ونافع معارف السادات الصوفية؛ فترتاح لذلك القلوب وتنشرح الصدور لحسن تحبيره وتمكن تصديره" (ابن زيدان، الإتحاف، 4 : 285). كما مارس الفلاحة واستطاع من خلالها أن يكون له ثروة هامة.

له تقييد في أدب زيارة الأولياء والترغيب في ذلك، وآخر في جواز تأخير السحور إلى طلوع الفجر وطرر على صحيح البخاري من كتاب التفسير إلى الختام وغير ذلك مما لازال مخطوطاً تحت يد بعض أفراد من عائلته.

توفي ليلة 10 من ذي الحجة 25/1324 يناير 1907. ودفن بالروضة الشهيرة خارج باب زاوية زرهون.

ع. الرحمن ابن زيدان، *الإتحاف*، 4، ص. 284 ـ 286 ؛ القادري، نشر *المثاني*، 4، ص. 243 ـ 245.

رقية بلمقدم

الشتاء، فصل من فصول السنة، يتميز في المغرب بحكم موقع هذا الأخير من العرض بكونه الفترة التي تتعرض فيها منطقته أكثر لمختلف المؤثرات المناخية المهيمنة على حركة الهواء في العروض الوسطى.

تسود فترة هذا الفصل ما بين الانقلاب الشتوي في 21 دجنبر والاعتدال الربيعي في 21 مارس تكون خلالها زاوية سقوط الأشعة عند حدوث الانقلاب الشتوي متعامدة مع مدار الجدي في نصف الكرة الجنوبي، بينما تصبح هذه الزوايا صغيرة عند مختلف عروض النصف الشمالي مما يعني انخفاضاً كبيراً في تركيز الطاقة الواصلة إلى سطح هذا النصف بفعل الميلان الكبير لهذه الأشعة وتعرضها إثر ذلك لعمليات تشتيت وتبديد كبيرين خلال اختراقها لمختلف طبقات الغلاف الجوي كما أن ميلانها هذا هو الذي يجعلها لا تصل بتاتا إلى القطب الشمالي حيث تسود عنده فترة ليل طويل تدوم ستة أشهر.

ولهذه الوضعية وقع جد هام على الخصائص الطاقية بوجه عام والمناخية بصفة خاصة إذ أنه بفعل ضعف تركيز الطاقة الواصلة إلى السطح وبسبب ميلان محور الأرض فإن مدة النهار تتناقص ومدة الليل تتزايد تناسبيا وذلك في كل عروض النصف الشمالي ودائما باتجاه القطب مما يؤثر على الميزانية الإشعاعية الإجمالية اليومية فتعرف حرارة الليل والنهار تفاوتا مهما في كل المناطق المغربية وخاصة القارية منها.

كما أن انتقال تركيز الطاقة إلى النصف الجنوبي تبعا للحركة الظاهرية للشمس ينتج عنه أيضا نزول نظام الضغط الجوي إلى عروض أكثر جنوبية دائما في النصف الشمالي يتبعها تزايد أكبر في تردد الكتل الهوائية الباردة على المغرب والآتية من المناطق القطبية عبر مسالك قارية أو بحرية الشيء الذي يجعل الحرارة عموما تسجل أكبر انخفاض لها خلال هذا الفصل فتتعدد عند ذلك حالات حدوث الصقيع خلال الليل في المناطق الداخلية وحتى في المناطق الساحلية أحيانا خاصة عقب حدوث استقرار كبير للهواء خلال سيادة الوضعيات الجوية الضد إعصارية لعدة أيام متتالية.

كما يسفر هذا النزوح جنوبا لنظام الضغط عن انتقال مسارات اضطرابات الجبهة القطبية للتعمق أكثر حول عروض المغرب وحوض البحر الأبيض المتوسط فترتفع وتيرة تردد الوضعيات الجوية المضطربة وخاصة منها الممطرة جداً كالاضطرابات الشمالية الغربية أو الاضطرابات الغربية وحالات نشوء الاضطرابات المحلية.

وتعتبر الأنواع الثلاثة من أنماط الطقس الرئيسية في المغرب لهذا الفصل، فالاضطرابات الشمالية الغربية تتميز بكونها تتسبب في تساقطات هامة جداً وذات انتشار مجالي واسع قد يشمل أحيانا حتى مناطق جنوب الأطلس الكبير بينما الاضطرابات الغربية أو الجنوبية الغربية تتميز بكونها تتسبب في تهاطلات على المناطق الشمالية وتقل فيها غزارة الأمطار كلما اتجهنا نحو الجنوب الذي يبقى نسبيا في منأى عن مسارات الاضطرابات حيث يسود فيه طقس صحو ومشمس. أما النوع الثالث فيتحقق على إثر انخفاض، ولفترة وجيزة، لسرعة التيار النفاث شبه المداري الذي يعلو منطقة الاضطرابات فيشكل رسمه في أعقاب ذلك انعراجات كبيرة تجعل الهواء القطبي البارد في الأجواء العليا يتقدم

أكثر نحو الجنوب عبر ما يسمى بالأودية الباردة فيزيد ذلك من عدم استقرار الجو واضطرابه مما يجعله من أكثر أنماط الطقس غزارة لا سيما وأنه من النوع الذي ينشأ ويتطور وينقرض عند المنطقة المغربية. كما يعرف هذا الفصل تساقطات ثلجية نسبيا مهمة خاصة إذا ما توفرت بعض الظروف الجوية الملائمة والمسببة لانخفاض كبير للحرارة والتي تكون من سيماتها أيضا نزول مستويات الارتفاعات التي تصبح عندها التساقطات ثلجية من ما بين 2000 و1500 متر إلى حوالي 1000 متر تقريبا ومن أهم هذه الوضعيات أن تصاحب الاضطرابات التي تهم المغرب تسربات لهواء قطبي قاري أو أركتي قاري تصل إلى المغرب من الشمال الشرقي عبر القارة الأوربية.

علي البليشي

الشتاشني، حميدة بن محمد بن عمر، المعروف بالشاوش، ينتسب إلى قبيلة أيت شتاشن الإينولسانية بناحية دمنات. وبها ولد في حدود 1894/1312. حسب ما حكاه عن نفسه، إلا أن تحديد ولادته في هذا التاريخ أمر مشكوك في دقته وضبطه. فقد حدث أن السلطان عبد العزيز عين المدني الأگلاوي عاملا على المناطق الجنوبية (*الإعلام*، 2 : 236) بعد مقتل الجيلالي بن حدو الدمناتي، ففرض المدني الأگلاوي على قبيلة أيت شتاشن عددا من الرجال والفرسان للمشاركة في الحركة المخزنية لتمهيد بلاد تافيلالت، ويذكر حميدة أن أسرته قد زودته بفرس و"مكحلة" ليشارك بهما في الحركة المخزنية فكيف يتأتى لحميدة أن يشارك في هذه الحركة، وهو لم يتجاوز بعد الربيع العاشر من عمره ؟ وإذا صح أنه شارك فعلا في هذه الحركة، فإنه قد يكون ولد على الترجيح في أواسط العقد التاسع من القرن الثالث عشر (19 م) أي قبل التاريخ الذي حدده لميلاده بثماني أو تسع سنوات على الأقل.

وبعد عودته من حركة تافيلالت استقر بمسقط رأسه وأقبل على ممارسة بعض الأعمال التجارية بأسواق المنطقة، إلا أن توتر علاقة حميدة بأفراد عائلته دفعه إلى مغادرة المنطقة والهجرة إلى الشاوية ثم منطقة الغرب، وقد صادف رجال المخزن يقومون بحملة للتجنيد في الطابور المخزني، فلم يتردد في الانضمام إلى صفوف المجندين، حيث نقل إلى العيش والتدريب بثكنات لفاس، وقد كان المشرفون على تدريب جنود الطابور المخزني ضباطا فرنسيين. وبعد ثورة الطابور المخزني بفاس يوم 17 أبريل سنة 1912 (*Au seuil*, 281)، اختفى حميدة عن الأنظار في جملة الفارين من الطوابير المخزنية، وبعد استقرار الأمور بفاس، التقطه الفرنسيون ضمن من التقطوه من قدماء المجندين في الطابور الذين لم تثبت مشاركتهم في أحداث فاس، فجُندوا ضمن سرايا الفرسان المعروفة آنذاك بالصبايحية (*Les spahis*). وقد رُحل حميدة إلى أوربا بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى.

وبعد انتهاء الحرب عاد حميدة إلى المغرب، حيث شارك إلى جانب القوات الفرنسية الغازية في معارك الأطلس المتوسط والشمال وبوذنيب. ولأسباب غير معروفة استغنى الفرنسيون عن خدمات حميدة، فعاد إلى مسقط رأسه بدمنات، لكنه لم يستطع التأقلم مع ظروف الحياة المدنية، فتوجه سنة 1920 إلى مركز أزيلال فأدمج "كمخزني" في القوات المساعدة أو المتحركة (Makhzen mobile) التي أنشأتها سلطة الحماية لتتقدم طلائع القوات الفرنسية الغازية. وبالرغم من بعض الصعوبات التي واجهت حميدة في بداية عمله الجديد، فإن معرفته الدقيقة بأحوال القبائل جعلت ضابط الاستخبارات بمركز أزيلال، ملازم أول، جورج سبلمان (Lieutenant Spillmann) بمباركة رئيس المركز آنذاك القبطان شاردون (Capitaine Charodon) يُرقي حميدة إلى رتبة شاوش. وقد رجحه بعد ذلك ليقوم بربط الاتصال بين الفرنسيين وبعض القبائل التي ما تزال تقاوم جيوش الدخلاء من أمثال قبائل أيت محمد وغيرها، وبقيادة المرابط موحا الحنصالي، ومما يؤكد نجاح حميدة الشاوش في هذه المهمة أن جورج سبلمان قد تلقى أول رسالة من نوعها من المرابط الحنصالي، فعجل سبلمان بالترخيص لحميدة الشاوش بالاتصال شخصيا بسيدي موحا الحنصالي، وبعد أربعة أيام من المفاوضات، عاد حميدة إلى أزيلال ومعه مقترح من الحنصالي من ثلاث نقط أهمها: عدم دخول الحنصالي وأتباعه في مجال نفوذ أسرة الأگلاوي والإبقاء على سلطة الحنصالي على كل القبائل التي كانت تابعة لأسلافه، وقد وافق الفرنسيون فورا على شروط المرابط الحنصالي (*Souvenirs d'un colonialiste*, 49) ويعتبر خضوع الحنصالي والقبائل التابعة له لسلطة الحماية نجاحا شخصيا لجورج سبلمان وحميدة الشاوش. ولأسباب غير واضحة نجد حميدة الشاوش اعتزل العمل من جديد والتحق بمسقط رأسه سنة 1926م. وفي سنة 1927 عين جورج سبلمان ضابطا للاستخبارات بمركز تلوات، القلب النابض لقيادة عائلة الأگلاوي، فأصبحت الحاجة ملحة لشخص في مثل كفاءة وقدرة حميدة الشاوش، فاستدعاه سبلمان من دمنات. وما كاد حميدة الشاوش يلتحق بتلوات، حتى وضعت سلطة الحماية رهن إشاراته كل الإمكانات العادية اللازمة، فانطلق في عملية استطلاعية واسعة استغرقت ثلاث سنوات، كان خلالها دائم التنقل بين القبائل في مجال يمتد من تارودانت غربا إلى قلعة مگونة شرقا ومن زاگورة جنوبا إلى ورزازات شمالا تمكن خلالها من ربط صلات قوية مع عدد كبير من أعيان قبائل أيت عطا. وفي نفس الوقت كانت سلطة الحماية تقوم بجولات استطلاعية بالطائرات الخفيفة لتصوير مناطق الواحات وأسواقها وأهم التجمعات السكنية ويؤكد جورج سبلمان أن جل الصور التي التقطتها الطائرات الاستطلاعية تبقى دون فائدة تذكر إذا لم يقم الشاوش حميدة بتوضيحها وإعطاء التفسيرات الضرورية لكل صورة صورة على حدة، ويتضح دور حميدة الشاوش في

المعلومات الدقيقة والمضبوطة التي توصلت إليها سلطة الحماية عن مناطق الأودية بتدغة ودادس ودرعة. ويؤكد سبلمان، أنه بفضل حميدة الشاوش تمكن الفرنسيون من الاتصال بعدد من شيوخ وأعيان قبائل أيت عطّا من أمثال الشيخ مُجداش ولد الحاج فاسكا، شيخ أيت بويَكْنفَنْ باميضر ناحية تدغة، وباسو ولد ميمون شيخ أيت سليلو بالنقب، ومبارك ولد الفُضيل شيخ أيت ولالْ بدرعة وتازرين (*Les Aït Atta*, 162) وبفضل هذه الجهود التي بذلها حميدة الشاوش خلال ثلاث سنوات متتالية، باتت سلطة الحماية الفرنسية على بينة تامة من أحوال القبائل المستقرة منها والمترحلة بالمجال الترابي المعروف آنذاك بدائرة ورزازات، وهكذا بدأت فرنسا زحفها على واحات وادي درعة منذ شهر يناير 1931 حيث نزل جورج سبلمان على رأس قوة من الگوم والمخازنية بمزگيطة بعالية درعة، وأسس مكتب الشؤون الأهلية لدائرة درعة بموقع أگدز الحالي، وقد التحق حميدة الشاوش بجورج سبلمان الذي عهد إليه بقيادة قوات المخازنية (*Souvenirs d'un colonialiste*, 95) وانطلاقا من أگدز جدد حميدة الشاوش اتصالاته بأعيان وادي درعة، الذين أصبحوا يرون في حميدة الضامن لسلامتهم مما كانوا يعتقدونه أو يتوقعونه من الفرنسيين، فسارعوا إلى الاتصال بمركز أگدز. لم يمض إلا عام واحد على تأسيس مكتب الشؤون الأهلية بأگدز حتى كانت واحتا تينزولين وترناتة على استعداد تام لاستقبال القوات الفرنسية فتوجه سبلمان وحميدة الشاوش في نهاية شهر دجنبر 1931 إلى جبل زاگورة بالمدخل الجنوبي لواحة ترناتة وأسس سبلمان مركز الشؤون الأهلية بموقع مدينة زاگورة الحالية. وقد انتقل حميدة الشاوش إلى هذا المركز الجديد، ولا يزال المسنون من سكان المنطقة يذكرون الأدوار التي قام بها في التخفيف من آثار التوتر بين السكان وضباط الشؤون الأهلية.

وانطلاقا من زاگورة كثف حميدة الشاوش من اتصالاته السرية والعلنية مع أعيان القبائل بالواحات الجنوبية الثلاث من وادي درعة تمهيدا للزحف عليها وضبط أمورها، إلا أن صعود بعض قبائل أيت عطا إلى جبل صاغرو في مطلع سنة 1933 م، جعلت حميدة الشاوش ينتقل إلى جبهة القتال صحبة جورج سبلمان. ويعترف هذا الأخير بأن دور حميدة الشاوش كان حاسما في الاتصال ببعض القبائل الثائرة والتمهيد لإنهاء القتال بجبل صاغرو (*Les Aït Atta*, 166, 167) ونظرا لهذا الدور الكبير الذي قام به حميدة الشاوش في إنهاء القتال بصاغرو واستسلام قادة المقاومة لسلطة الحماية، فقد وشح حميدة الشاوش بثلاثة أوسمة من بينها الوسام العلوي، باعتبار أن تمهيد المناطق الجنوبية كان باسم المخزن. ويظهر أن انتقال جورج سبلمان من دائرة درعة، قد أثر على وضعية حميدة الشاوش لذلك قرر بدوره اعتزال العمل سنة 1934، فعاد إلى مسقط رأسه دون الحصول ولو على منحة للتقاعد تساعده على مواجهة متاعب الحياة. وقد أدرك القبطان شاردون حاكم دائرة ورزازات وضعية حميدة الشاوش، لذلك أوعز إلى الباشا التهامي الأگلاوي بتعيينه في أي وظيف يساعده على مواجهة ظروف الحياة فعينه شيخا على إحدى فرق قبائل الوداية بحوز مراكش، إلا أن ظهور زايد أوحماد بمنطقة تودغة وما ألحقه هذا المقاوم ضد القوات الفرنسية بالمنطقة، جعلت أنظار سلطة الحماية تبحث عن رجل قادر على مواجهة هذه الوضعية، فتوجهت مرة أخرى إلى حميدة الشاوش، فعينه التهامي الأگلاوي خليفة له على بلاد تدغة، فالتحق سنة 1936 م بمقر عمله بتنغير. ولا نتوفر على ما يسمح لنا بالتعرف على المراحل الأخيرة من حياة حميدة الشاوش وهو يمارس عمله كخليفة للأگلاوي بين قبائل أيت عطا. ولا تاريخ وفاته.

وثائق محلية وتحريات ميدانية بدائرة زاگورة.

G. Spillmann, *Les Aït Atta du Sahara et la pacification du Haut Dra*, Rabat, 1936 ; *Souvenir d'un colonialiste*, Paris, 1957.

أحمد البوزيدي

شْتوكة أو أشْتُوكن أو هَشتوكة، قبيلة كبيرة تستقر وسط سهل سوس، ما بين نهري سوس وماسة. وقد وردت في مصادر مختلفة منذ العصر الوسيط، *كأخبار المهدي* للبيذق (ق. 12)، و*تاريخ ابن خلدون* (ق. 14)، كما وردت عند صاحب *ديوان قبائل سوس* (ق. 16) وأيضا عند مارمول (ق. 16). وتشير بعض المصادر إلى احتوائها على حوالي أربعين قرية، قسم منها يستقر في السهل والقسم الآخر في جبل جزولة.

ويصفها صاحب *الديوان* المذكور قائلا "هشتوكة جبلا وفحصا عندهم ألفان وخمسمائة سرجة. أهل مزال / وبنوباها / وإداومنو / وإكونكا / إيجكيكيلن / وإداكاران / وأهل ميلك / وأهل لوكانة / وأهل الحلت/ وبنومريبط/ وكدية بني حامد /وأهل حامد / وأهل وادريم/ وسندالة". (الحساني، *ديوان*...، ص. 22 - 23). ولم تبق شتوكة كما كانت في القرن العاشر (16 م)، بل انضافت إليها قبائل أخرى، وردت في تقرير De Segonzac (ق. 19)، ولم ترد في الديوان المذكور وهي: أيت عميرة وأيت بكر وأيت بوطايب وأيت بولفاع وأيت علال وأيت عمر وإيد أوبوزيا وأيت إيعزا" (De Segonzac, p. 305). ولعلها وفدت على المنطقة في القرن السابع عشر والثامن عشر. وتتوفر بعض الأسر على وثائق تثبت أصلها الصحراوي.

إن استقرار قبائل شتوكة وسط سهل سوس الذي يربط بين الشمال والجنوب، يجعلها معرضة لزحف قبائل متعددة. لذلك فهي في تحول مستمر، وتساهم في مختلف الأحداث التاريخية، كما تتأثر بكل الحركات التي تمر بالمنطقة، فهي تساند الثورات، لكنها سرعان ما تتعاون مع المخزن، وذلك بسبب وقوعها وسط سهل مكشوف، على عكس المناطق الجبلية المحصنة.

ساهمت بقوة في الدفاع عن المخزن السعدي. فعندما استصرخ زيدان بأبي زكريا الحاحي ضد أبي محلي، هبت قبائل شتوكة لنصرته. ويقول عنها أبو زكريا في رسالة إلى أبي محلي ما يلي: "... وقد أتيتك بأهل البنادق والأضرار من شبانة ومن انتمى إليهم من بني جرار وأهل الشرور والبؤس من هشتوكة إلى بني كنسوس..." (الإفراني، *نزهة...*، ص. 208).

وفي عهد المولى إسماعيل، كان خليفة المخزن، المستقر بتارودانت يعتمد على القبائل العربية المستقرة بضواحي المدينة... وكذلك على كونفدرالية إيحاحان وأشتوكن (شتوكة) (Montagne, *Un magasin...*, p. 226). وفي عهد المولى عبد الله كانت قبائل شتوكة تناصره. ووجدنا أن السلطان، قد أرسل سنة 1737/1150 ظهير توقير لأحد فقهاء هشتوكة لما كان لهم من تأثير على السكان، وهو سيدي محمد بن أحمد التاكوستي من قبيلة أيت صواب وأذن له "... أن يقبض الجزية من يهود هذا الإقليم السوسي. أينما كانوا من جبل أو (أوطا) من غير منازع ولا معارض". (السوسي، *المعسول*، 8 : 75).

ويستنتج من هذا الظهير أن شتوكة كانت تابعة للمخزن في هذا الوقت، على عكس قبائل سوس الأقصى. وفي سنة 1754/1168 وقفت ضد الثائر الشريف الكثيري بوتكلا حيث "اتفقت عليه هوارة وشتوكة، فنهضوا إليه وقتلوه" (الضعيف، *تاريخ*، 118). ووقفت أيضا بنفس الطريقة ضد الثائر المكاوي "الذي تخطى واد والغاس ليستولي على عاصمة سوس (تارودانت) إلا أن الهشتوكيين وجيش الحكومة تحت سلطة المولى سرور خليفة السلطان المولى عبد الله بن إسماعيل في تلك المدينة لاقوه في بسيط (هشتوكة) فأصيب الثائر في رأسه برصاصة..." (السوسي، *المعسول*، 4 : 26). يبين كل هذا أن قبائل شتوكة، كانت ناصرة للمخزن وشيعته، حتى في الفترات التي عرف فيها قمة ضعفه كالاضطرابات (1727 - 1757).

وتنتمي أغلب قبائل شتوكة إلى حلف "تحكات" أحد الأحلاف القبلية الكبرى بسوس، والذي يتميز عادة بتحالفه مع المخزن ضد حلف تاكوزولت المعارض للسلطة المركزية. وهذا ما يفسر كون قبائل شتوكة متحالفة مع المخزن، ضد مختلف الثورات، لأن أغلبها ينطلق من قبائل جزولة التي تنتمي إلى ذلك الحلف. ونجدها تقف إلى جانب السلطان ضد إمارة سيدي هاشم المرتكزة على حلف إكيزولن. وتؤدي للمخزن كل الكلف المفروضة عليها رغم وجود بعض التمردات من حين إلى آخر. وفي سنة 1834/1251 كانت ثلاث قبائل من شتوكة قد دفعت وحدها، للمخزن من المال 3.832 مثقال. (*كناش* رقم 15 خ. ح. الرباط).

وفي سنة 1882 وأثناء حركة الحسن الأول لسوس، قسم أشتوكن إلى قسمين: أهل أزغار وعين عليهم إبراهيم الدليمي، الذي يحكم على القبائل التالية: أيت الدليمي، وإيداومنو، وأيت بها وملال، وأيت عصيرة، وإنشادن، وأيت بكو، وأيت بلفاع، وأيت إيلوكان، وأيت ملك، وأيت عمر. وبعد 1888 تسلم القيادة الحسين بن إبراهيم.

أما أهل الجبل والدير، فقد عين عليهم القائد علي الكارني ويحكم القبائل التالية: إيداوكان، وأيت إعزا، وأيت بوطايب، وإيكونكا، وأيجكيكيلن، وأيت باها ودرار، وأيت مزال، وإسندالن. "فلما رجع السلطان مولاي الحسن إلى مقره مراكش، قام أهل سوس، من وادي سوس إلى وادي ماسة، على ساق واحدة، ليمحوا من فيه رائحة المخزن، فهدموا ديار (القواد) بهشتوكة وهوارة ورأس وادي سوس..." (الاكراري، *روضة*، 70). وبعد ذلك أرسل المولى عبد العزيز محلته، وخيمت في وسط شتوكة بتابوحنايكت سنة 1896/1314، فقامت شتوكة، ومن معها من القبائل الأخرى "فأكلوا المحلة". وجهز القائد المخزني سعيد الكيلولي محلة أخرى تمكن بواسطتها من السيطرة على شتوكة وهزمهم.

هكذا نجد أن قبائل شتوكة تعتبر من أكبر قبائل سوس التي لعبت أدوارا تاريخية في تاريخ سوس، وشكلت عماد المخزن في نشر نفوذه في سوس الأدنى، ومركز انطلاق الحركات المخزنية نحو سوس الأقصى، وخاصة ابتداء من القرن الثامن عشر. غير أن تحالفها مع المخزن يبقى مع ذلك مسألة نسبية.

بنعلي الحساني، *ديوان قبائل سوس*، تح. أفا عمر، الدار البيضاء، 1989 ؛ م. الإفراني، *نزهة الهادي*، إشراف السيد هوداس؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، الجزء الثامن، الدار البيضاء، 1962 ؛ الجزء الرابع عشر، مطبعة النجاح، البيضاء، 1962 ؛ م. الضعيف، *تاريخ الضعيف*، تح. العماري ؛ *كناش* رقم 15 خ. ح. ورقة 3، الرباط ؛ م. بن أحمد الإكراري، *روضة الأفنان*، تح. أنوش، أكادير، 1998.

M. De Segonzac, *Voyage au Maroc (1899-1901)*, Paris, 1903 ; R. Montagne, *Un magasin collectif de l'Anti-Atlas, Hesp.*, Tome IX, 2° et 3° trim., 1929.

محمد حنداين

شتوكة ـ أيت بَها، أحد أقاليم جهة سوس ـ ماسة ـ درعة، يمتد على مساحة 3.644 كلم2، تحده من الشمال عمالة إنزكان ـ أيت ملول ومن جهة الشمال والشرق إقليم تارودانت، ومن الجنوب إقليم تزنيت، ويشرف من الجهة الغربية على المحيط الأطلنتي بساحل رملي يتعدى طوله 36 كلم. ويشكل في نفس الوقت أحد الأقاليم التابعة لولاية أكادير.

يعتبر إقليم شتوكة ـ أيت بها إقليماً فتياً، أحدث سنة 1992، بعدما كان يشكل دائرة تابعة لإقليم أكادير. يتكون من ثلاث دوائر هي أيت بها وبيوكرى وبلفاع ـ ماسة، ومن 22 جماعة، منها 20 جماعة قروية، وجماعتين حضريتين هما بيوكرى وأيت بها.

تمتد الدائرة الترابية لهذا الإقليم على مجال تضاريسي متنوع، تتجابه عنده التضاريس السهلية الممثلة في سهل

شتوكة ـ ماسة بالتضاريس الهضبية والجبلية التي تميز الأطلس الصغير الغربي.

فالتضاريس الجبلية، تمتد شرق الإقليم، وهي جزء من كتلة أكردوس، يتكون من صخور قديمة تعود إلى مرحلة ما قبل الكمبري، عبارة عن مواد اندفاعية شديدة التنوع وصخور متحولة من الكوارتزيت. هذه الصخور الصلبة ذات المقاومة العالية تتوافق مع مجموعة من الأعراف العالية يعتبر "جبل لكست" الذي يتجاوز علوه 2350 م من أشهر قممها.

وتشرف هذه الكتلة الجبلية في اتجاه الغرب على شريط هضبي متوسط ارتفاعه في حدود 750 م، وهو في الواقع عبارة عن سطح تعرية يقطع مواد السلسلة الرسوبية المنتمية للزمن الأول التي تغطي مواد الكتلة القديمة السالفة الذكر. وما يميز هذا الشريط الهضبي هو تقطعه الشديد، وإشرافه على سهل شتوكة في اتجاه الغرب بحافة جيدة التشخيص يتجاوز مداها 100 م. وترتبط هذه الحافة بانكسار مهم له علاقة بحادث شمال الأطلس الصغير، المسؤول عن تهدل سهل سوس ـ شتوكة ـ ماسة ورفع الأطلس الصغير.

سهل شتوكة ـ ماسة، عبارة عن سهل منحصر بين الساحل وحافة الأطلس الصغير، متوسط ارتفاعه 150 م. يتخذ مظهراً متموجا يزداد وضوحاً في اتجاه خط الساحل وذلك بالارتباط مع نشر المواد الرملية الشاطئية التي تتمكن من التوغل بعيداً نحو الداخل.

نظراً لموقعه الجنوبي فإن إقليم شتوكة ـ أيت باها يقع نظريا بنطاق جاف، غير أن الظروف المحلية التي تجعله يتمتع بتضاريس عالية من جهة، وتجعله ينفتح على البحر من جهة ثانية، تساهم بشكل قوي في تلطيف المناخ المحلي. فمتوسط الحرارة السنوية هو في حدود 21 درجة، مع فارق واضح بين حرارة الشتاء الدنيا 14 درجة وحرارة الصيف العليا 27 درجة. أما متوسط التساقطات المطرية فإنه في حدود 260 ملم، مع تفاوت واضح في التوزيع بين المناطق الجبلية التي يرتفع معدلها إلى حدود 300 مم (محطة أيت بها)، والمناطق السهلية التي ينزل معدلها إلى 220 مم (محطة بيوكرى).

إن هذا المناخ الملطف ساهم إلى حد كبير، على غرار باقي مناطق سوس، في وجود غطاء غابوي كثيف نسبيا يمتد على مساحة تتجاوز 90.000 هكتاراً، ويتكون أساسا من نوع نباتي فريد يتمثل في شجرة أركان التي تتكيف بشكل بديع مع ظروف الوسط الطبيعي المحلي. وتغطي شجرة أركان وحدها حوالي 84000 هكتار، هو ما يماثل حوالي 11.5٪ من مجموع مساحة غابة أركان المنتشرة داخل جهة سوس ـ ماسة ـ درعة التي ينتمي إليها الإقليم.

كما أن هذا المناخ يوفر إتاوات مائية تبقى مهمة نسبيا، تمكن من تغذية شبكة مائية سطحية يعتبر واد ماسة الذي يبلغ متوسط صبيبه السنوي حوالي 138 مليون م3 من أشهر عناصرها. كما تمكن الموارد المطرية من تغذية الفرشات الجوفية التي تعرف توسعا ملحوظاً عند سهل شتوكة ـ ماسة حيث تستقر فرشة يتجاوز متوسط مذخراتها المائية 41 مليون م3. وقد شكلت هذه الموارد المائية السطحية والجوفية، ومنذ القديم، قاعدة أساسية لقيام نشاط زراعي مسقي توسع وتطور اليوم بشكل كبير، حيث أصبح الإقليم يتوفر على إحدى الدوائر السقوية المهمة على الصعيد الوطني، وذلك

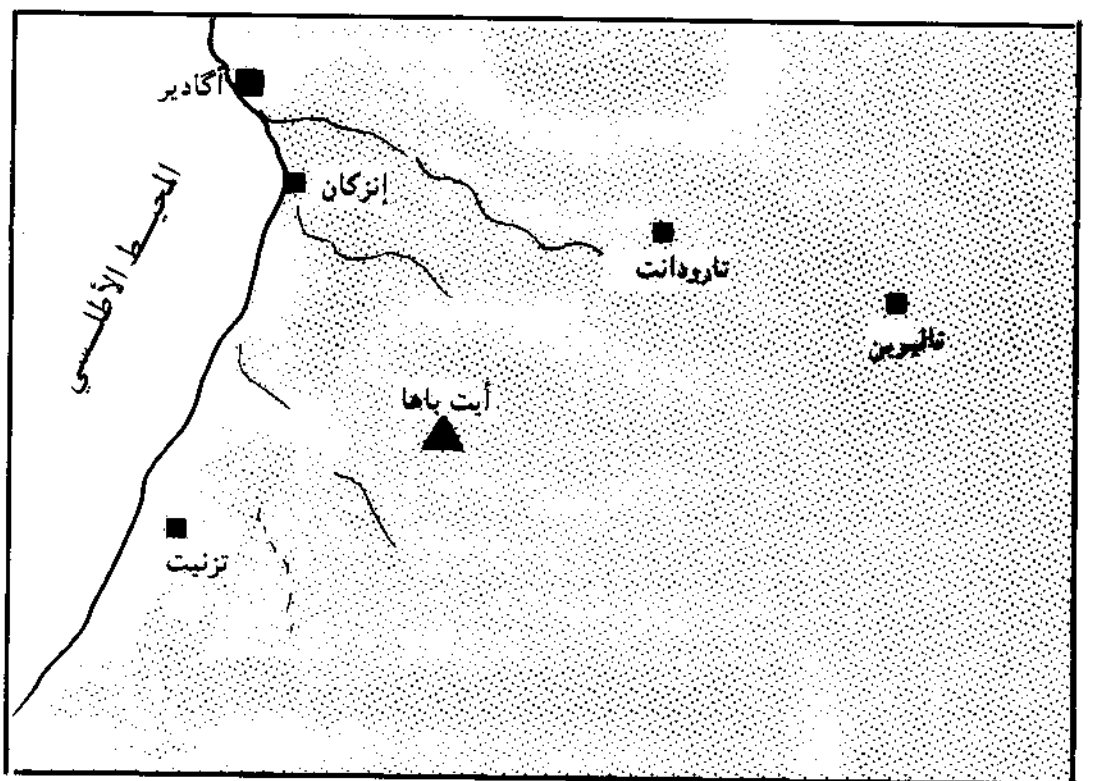

شتوكة أيت باها (إقليم)

بعد تجهيز واد ماسة بسد يوسف بن تاشفين منذ سنة 1973 ليخزن أكثر من 300 مليون م3.

يقدر حالياً مجموع ساكنة إقليم شتوكة ـ أيت بها بحوالي 256000 نسمة، وحسب نتائج إحصاء 1994 كان في حدود 240000 نسمة، وهو ما يعادل 9،1٪ من مجموع سكان جهة سوس ـ ماسة ـ درعة، وحوالي 0،9٪ من مجموع سكان المغرب. وبتتبع نمو سكان الإقليم خلال العقود الأخيرة يتبين أنه يعرف نمواً متواصلاً في عدد سكانه، فخلال سنة 1982 لم يكن يتجاوز 205344 نسمة، وهو ما يعني أنه يعرف نسبة نمو تتجاوز 1،3٪ في السنة.

ويرتبط هذا النمو في حجم السكان بقوة الجذب التي أصبحت تتمتع بها المناطق السهلية التي عرفت انتفاخا بينا في ساكنتها الريفية وتوسعا متواصلا للظاهرة الحضرية بها. وذلك على عكس المناطق الجبلية التي تسجل مختلف جماعاتها القروية تراجعا في حجم سكانها بلغ متوسطه السنوي ـ 0،62٪ بدائرة أيت بها خلال الفترة الفاصلة بين سنتي 1982 و1994.

بلغ مجموع السكان الحضريين سنة 1994 حوالي 25600 نسمة، وأكبر المراكز يبقى هو بيوكرى، عاصمة الإقليم، بساكنة بلغت 13885 خلال نفس السنة. وعلى الرغم من أن نسبة السكان الحضريين تبقى محدودة وتبتعد كثيراً عن المعدل الوطني لأنها لم تتجاوز 10،7٪، فإنه لابد من تسجيل أن الظاهرة الحضرية تعرف توسعا سريعا جعل بعض المراكز مثل بيوكرى تسجل نسبة نمو تتجاوز 11٪ سنويا خلال نفس الفترة الإحصائية المذكورة. وفي نفس الوقت توسعت مجموعة من الدواوير وتحسن مستوى تجهيزاتها الجماعية فأصبحت تشكل مجالا حضرياً حقيقياً مثل ماسة وإنشادن وبلفاع وأيت عميرة وسيدي بيبي.

ونظراً لخصوصياته الطبيعية، فإن اقتصاد إقليم شتوكة ـ أيت بها يرتكز على قطاعين أساسين هما الزراعة والسياحة. وإذا كان القطاع الأول قد عرف استثماراً مهما جعل الإقليم من المناطق الزراعية المتطورة على الصعيد الوطني، فإن قطاع السياحة مازال لم يجد الطريق نحو استثمار الطاقات والإمكانيات الواعدة المتوفرة في هذا الباب.

تبلغ مساحة الأراضي الزراعية حوالي 138000 هكتار، ويمكن التفريق داخل النشاط الزراعي بين قطاعين مختلفين قطاع البور الممتد على حوالي 110000 هكتار، والقطاع المسقي الذي يشمل حوالي 28000 هكتار. القطاع الأول ينتشر حيثما تتوفر الأتربة اللازمة لظهوره، لكن مردوديته تبقى محدودة بسبب ضعف التساقطات المطرية، ويقتصر في الغالب على زراعة الحبوب من نوع الشعير. وأما القطاع المسقي فإنه يظهر حيثما تتوفر المياه السطحية والجوفية، ويمكن التفريق بداخله هو الآخر بين القطاع المسقي الأصلي المعروف بـ "التقليدي" والقطاع المسقي "العصري" الذي عرف توسعا لافتاً بتدخل من الدولة وأيضاً بمبادرات القطاع الخاص.

يمتد القطاع المسقي التقليدي على طول المجاري المائية، وعلى الخصوص عند القطاعات التي توفر في نفس الوقت الأتربة اللازمة وإمكانية تعبئة المياه السطحية والجوفية سواء بالمناطق الجبلية أو السهلية. وتقدر المساحة الإجمالية لهذا القطاع بحوالي 10000 هكتار، ويبقى أهم قطاع مسقي تقليدي هو الذي يستقر حول مجرى واد ماسة الأسفل، وهو القطاع المعروف باسم "تسيلا وأوغزفن" الذي يغطي حوالي 1230 هكتار، وهو الآن يستفيد من جزء من مياه سد يوسف بن تاشفين، حيث تم الاعتراف بحقوق الفلاحين المائية القائمة قبل بناء السد.

أما القطاع المسقي العصري فإنه يتمثل في الدائرة السقوية المعروفة باسم شتوكة ـ ماسة التي أنشأتها الدولة على مساحة 18300 هكتار. وتشكل هذه الدائرة قطاعا مسقياً عصرياً متطوراً، وذلك لأنه أنشئ على أراضي بورية بالأساس، وتم تجهيزه بشبكة ري حديثة نصف ـ متحركة تعتمد على تقنية الرش. وقد وجه هذا القطاع لإنتاج البواكير الموجهة للتصدير بالدرجة الأولى، نظراً لما يتوفر عليه من خصوصيات طبيعية مواتية. وعلى الرغم من المشاكل المرتبطة بتواتر السنوات الجافة وما لها من انعكاس على عدم انتظام الواردات المائية، وعلى الرغم من الصعوبات التي أصبح يعرفها تصريف الإنتاج نحو أوربا، فإن قطاع شتوكة ـ ماسة يبقى من القطاعات الفلاحية المسقية المغربية الرائدة فيما يخص إنتاج وتصدير البواكير.

إضافة إلى هذا القطاع المسقي العمومي، فإن الإقليم يعرف توسعا متواصلا للمساحة المسقية العصرية بمبادرة من الخواص، ويتجاوز هذا القطاع حالياً 7500 هكتار.

وبسبب طبيعة إقليم شتوكة ـ أيت بها وما يوفره من مجال رعوي، يوفر للسكان إمكانية مزاولة نشاط تربية الماشية على نطاق واسع. وقد بلغ حجم القطيع خلال موسم 96 ـ 1997 حوالي 332000 رأس، 58٪ منها يمثله قطيع الماعز والثلث يمثله الغنم، والباقي يقدمه قطيع البقر الذي يقترب من 30000 رأس. وبالطبع فإن أهمية هذا القطيع الأخير يرتبط بالزراعات العلفية التي تمارس على نطاق واسع داخل الدوائر السقوية. وتجدر الإشارة إلى أنه بالإضافة إلى هذه القطعان المحلية، فإن تراب الإقليم يستقبل سنوياً قطعان القبائل الرحل الصحراويين. وإذا كانت هذه الظاهرة مألوفة وتعود إلى مراحل تاريخية قديمة، فإنها أصبحت تطرح مجموعة من المشاكل المتعلقة بتدبير المجال الرعوي المحلي، خصوصاً خلال السنوات الأخيرة التي أصبحت فيها قطعان الرحل تصل بأحجام كبيرة لا يحتملها المجال الرعوي المحلي.

يتمكن السكان عند الساحل من مزاولة نشاط الصيد البحري، غير أنه يبقى محدود الأهمية بسبب غياب البنيات التحتية، فالإقليم لا يتوفر على أي مرفأ. لذلك يقتصر هذا النشاط على الصيد بمراكب صغيرة لا يتجاوز عددها 400 وحدة، وأيضاً على الصيد السياحي عند الساحل. ويقدر مجموع حجم الصيد بحوالي 1000 طن في السنة.

لقد ساهم هذا النشاط الزراعي الكثيف في ظهور مجموعة من الأنشطة الموازية مثل الصناعة، وإن كان مستوى الاستثمار بهذا القطاع يبقى ضعيفا بسبب المنافسة القوية التي تحدثها مختلف الأحياء الصناعية بأكادير الكبرى المجاورة. فمجموع الوحدات لا يتعدى 24، وجلها متخصص في الصناعة الفلاحية المتمثلة في وحدات تلفيف الخضر والفواكه. مجموع مناصب الشغل المتوفرة في حدود 1500 منصب، وبالطبع فإن العمل يخضع لموسمية النشاط الفلاحي.

خارج النشاطين الزراعي والصناعي يعرف الإقليم نشاطا سياحيا محدوداً لا يتطابق مع ما يتوفر عليه من رصيد سياحي مهم. فإقليم شتوكة ـ أيت بها يتوفر على واجهة بحرية رملية، وعلى مشاهد طبيعية جبلية خلابة، وعلى تنوع أحيائي نباتي وحيواني كثيف، وعلى إرث ثقافي محلي غزير بمكوناته المعمارية والفلكلورية...، لكن هذا الرصيد لم يجد بعد طريقه نحو الاستثمار على الرغم من كون الواجهة البحرية تدخل في إطار مجال الشركة الوطنية لإعداد خليج أكادير التي لم تتمكن بعد من إخراج محطة "تفنيت" المبرمجة ضمن أنشطتها إلى الوجود. وكل ما يتم تسجيله من حركة سياحية حالياً يتم فقط على هامش محطة أكادير الدولية.

ومن بين الركائز والأنشطة المدرة للدخل داخل الإقليم لابد من الإشارة إلى عائدات الهجرة. إن إقليم شتوكة ـ أيت بها يعتبر من الأحواض الهجرية الأولى في المغرب. لقد تعود أبناءه على الهجرة منذ القديم من أجل العمل ومن أجل التجارة على الخصوص، سواء نحو دول أوربا أو نحو باقي الأقاليم المغربية.

إن إقليم شتوكة ـ أيت بها يعتبر من الأقاليم التي لا يزال الطريق أمامها طويلا من أجل تحقيق التنمية، غير أن هذا لا يمكن أن يتم دون أن تؤخذ بعين الاعتبار مجموعة من التحديات والرهانات التي لا يمكن تحقيق التنمية المتوازنة والدائمة دون رفعها.

فمن القضايا التي يجب الخوض فيها دونما انتظار هناك عدم التوازن الصارخ على مستوى إعداد التراب بين المناطق الجبلية التي تعرف تفريغاً حقيقياً والمناطق السهلية التي تعرف تكدسا بشريا بسبب استقطابه للعاملين من كل الآفاق. واستمرار هذه النزعة لا يمكن إلا أن يدعم هذا الاختلال وما يمكن أن يترتب عنه من مشاكل على مستوى تدبير المجال.

ومن القضايا المطروحة أيضاً يعرف إقليم شتوكة ـ أيت بها تطوراً ملحوظاً فيما يخص ظاهرة التمدين، فبعدما كانت نسبة الحضريين لا تتجاوز 5،4٪ سنة 1982 أصبحت تتجاوز 10٪ سنة 1994. ويرتبط هذا التضخم بالطبع بالدينامية الاقتصادية التي يعرفها الإقليم، لكن أيضاً بالضغط الذي تعرفه مراكز أكادير الكبرى، وبالتطور والنمو الذي عرفه قطاع النقل بين مختلف المراكز الحضرية بسوس الأسفل. وهكذا فقد أصبحت تتوسع مجموعة من التجمعات البشرية بسرعة فائقة وهو ما يتطلب وضع المخططات اللازمة والمحكمة للتحكم في الظاهرة والحيلولة دون الانزلاق نحو المشاكل التي يعرفها باقي المجال الحضري الوطني.

إن المحرك الحقيقي للتنمية بالإقليم وعموم أقاليم منطقة سوس ـ ماسة ظل ولا يزال هو الموارد المائية. غير أنه خلال العقود الأخيرة أخذ يتبين شيئاً فشيئاً أن المنطقة متوجهة لا محالة نحو وضعية خصاص في الآجال القريبة، وهو ما يمكن أن يندر بحجم المعضلة المتربصة بالمنطقة. صحيح أن السنوات الجافة المتلاحقة قد ساهمت في تقلص حجم الموارد المائية، لكن المسؤولية الكبرى تعود إلى نظام تدبير هذه الموارد وخصوصاً الموارد المائية الجوفية التي تتعرض لاستغلال لا يتوافق ومستوى تجددها. فقد أصبحت فرشة شتوكة، على غرار فرشة سوس، تسجل حصيلة سلبية متواصلة بلغت خلال سنة 1998 حوالي 18،5 مليون م3. وعليه فإن مستقبل الإقليم سيبقى رهيناً بالطريقة التي سيتم التعامل بها مع الموارد المائية.

وبالارتباط مع هذه العوامل مجتمعة، وما يرافقها من ارتفاع في الكثافة البشرية وفي تكثيف استغلال الموارد الطبيعية، وبالارتباط أيضاً مع طبيعة الوسط الطبيعي الهشة، فإن خطر التصحر لم تعد ملامحه خفية داخل الإقليم. فتراجع المساحة الغابوية أمر قائم، وكذلك تدهور التربة وزحف الرمال. غير أن الإقليم، ومن أجل معالجة الوضع وصيانة اختلالات البيئة المحلية، أصبح يتوفر على بعض الفرص ومنها منتزه سوس ـ ماسة الذي يغطي كل الجبهة الساحلية، وكذلك مشروع محمية أركان للمجال الحيوي الذي يغطي كافة الدائرة الترابية للإقليم. وزيادة على ذلك فإن الإقليم أصبح مشهوراً، على الصعيد الوطني، بنشاط وعمل الجمعيات المحلية التي أصبحت تأخذ بزمام المبادرة في كثير من قضايا التنمية المحلية.

المصادر المذكورة داخل النص : دراسة ميدانية.

الحسن المحداد

الشتوكي، إدريس، رياضي من مواليد الدار البيضاء سنة 1928/1347،6 انضم إلى صفوف فريق الوداد البيضاوي منذ طفولته، وكان وحيد زمانه عطاء وممارسة إلى جانب ثلة من نجوم الكرة آنذاك، حيث شكل صحبة جُماد وعبد السلام أجمل وأفضل ثلاثي كروي عرفته الساحة الرياضية المغربية. من مميزات الشتوكي اللعب بطلاقة في أي مكان حتى حراسة المرمى. وقد قال عنه أحد الصحفيين الفرنسيين: لاعب سبق زمانه بما آتاه الله من موهبة وتقنيات قَلَّ نظيرها رغم نحافة جسمه وقصر قامته. اكتشفه في فرق الأحياء المدرب المحنك

الأب جيگو وأقحمه في صفوف الوداد الذي كان يسيره السيد بنجلون. اختير أحسن لاعب في شمال إفريقيا واحترف بأندية فرنسية كبرى كفريق نيس وفريق بوردو ولعب ضمن الفريق الوطني الأولمبي الفرنسي في فترة الحماية.

لم تنل من وطنيته كل الإغراءات التي بسطت أمامه وظل وفيا لبلده ولأبناء وطنه، حيث تقلد مسؤولية تأسيس فريق الجيش الملكي بأمر من الحسن الثاني الذي كان مغرما بطريقة لعبه لما كان وليا للعهد، وعمل الشتوكي كمدرب ولاعب واكتشف عدة مواهب كروية كالجنرال حسني بنسليمان والكولونيل بلمجدوب قبل أن يعاوده الحنين إلى فريقه الأول الوداد كلاعب. وبحكم عمله في إدارة المكتب الشريف للفوسفاط فضل الاستقرار بمدينة خريبگة ولعب مع الأولمبيك المحلي، ومن ثم تقاعد عن العمل ولزم البيت إثر وعكة صحية ألزمته الفراش.

عبقرية هذا الرجل غير موثقة وطنيا، لكن أرشيف الرياضة الفرنسية تحتفظ بأشرطة مصورة لإنجازات هذه المعلمة الرياضية.

توفي مساء يوم الجمعة 6 صفر 19/1423 أبريل 2002 ودفن بمقبرة الشهداء بالدار البيضاء.

ع. الله رشد، *تاريخ الرياضة بالمغرب*، 1918 - 1998، الدار البيضاء ؛ الحسين الحياني، *العربي بنمبارك لاعب القرن*، القنيطرة، 2000 ؛ *جريدة العلم*، ع 18967 - 21 - 4 - 2002 ؛ *رواية شفوية* ؛ *وثائق خاصة*.

محمد بلعربي

الشتيوي، مصطفى، قائد كان يرأس فرقة المدفعية في معركة وادي المخازن وإليه أوكل عبد المالك المعتصم مهمة اطلاق أول طلقة مدفعية ضد الجيش البرتغالي.

Ojeda Luis de, *Comentario que trata de la infelice jornada del Rey Don Sebastian* (*S.I.H.M. France* I, pag. 575 - 627).

محمد ابن عزوز حكيم

شَجَاعْدِينْ، البشير، مقاوم ولد بقبيلة أولاد سعيد سنة 1919. درس بالمدرسة القرآنية في سيدي علال القيرواني بالمدينة القديمة في الدار البيضاء، حصل على شهادة التعليم الثانوي من ثانوية ابن يوسف بمراكش، ثم على شهادة العالمية من جامعة القرويين في فاس. درس بمدرسة محمد بن يوسف في الدار البيضاء. كان من مسيري خلايا حزب الاستقلال ومؤطرا لأول خلية فدائية تأسست في الدار البيضاء. ألقي عليه القبض سنة 1954 وتعرض للتعذيب مدة أربعين يوماً. حكمت عليه المحكمة بعشر سنوات سجنا انفراديا في سجن عين قادوس بفاس وضعفها نفيا خارج الدار البيضاء. درس في ثانوية الأرميطاج بالدار البيضاء.

توفي في زلزال مدينة أگادير ليلة الاثنين ثاني رمضان عام 1379 / 29 فبراير 1960.

من شهادة شقيق صاحب الترجمة.

محمد وحيد

شجرة الطبوع، مصطلح موسيقى "الآلة الأندلسية"، وهو جدول مرسوم يعكس طبوع الموسيقى الأندلسية المتداولة بالمغرب، يذكر أصولها، ويرد إلى كل أصل ما تفرع عنه من الطبوع.

وتعتبر رسالة محمد البوعصامي المتوفى أواسط القرن الثاني عشر، أول مصدر مغربي ورد فيه ذكر هذا المصطلح. يقول البوعصامي: وهذه شجرة تجمع الأصول والفروع إن شاء الله تعالى...

وإذا كانت نسخة الخزانة الحسنية الوحيدة خالية من رسم هذه الشجرة، فقد تناقلته مصادر أخرى من بينها كتاب *الأنيس المطرب* للعلمي في ترجمة لمحمد البوعصامي.

ويطلق على شجرة الطبوع في تونس مصطلح (ناعورة الطبوع).

م. البوعصامي، *إيقاد الشموع للذة السموع بنغمات الطبوع*، مخ. بالخزانة الحسنية ضمن مجموع (14) رقم 11333 ز من ص. 221 إلى ص. 245. ت ح. ع. العزيز ابن ع. الجليل، منشورات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة التراث، 1995 ؛ عبد العزيز بن ع. الجليل، معجم مصطلحات الموسيقى الأندلسية المغربية، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الرباط، 1992، ص. 59 ؛ م. بن الطيب العلمي، *الأنيس المطرب فيمن لقيه مؤلفه من أدباء المغرب*، ط. حجر فاس، ص. 163.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الشجع، (قبيلة)، يُحدّد موطنها اليوم بعمالة تاوريرت التابعة لولاية وجدة حسب التقسيم الإداري الجديد، يخيم قسم منها بجوار مدينة العيون الشرقية - أي قصبة عيون سيدي ملوك سابقا - حيث يطغى على جل فصائله طابع الاستقرار، ويخيم قسم آخر يسهل تارفاطا شمال مدينة دبدو ويطغى عليه طابع الترحال. وتتفق مختلف المصادر على اعتبار القبيلة من أصول عربية، إلا أن هناك غموضاً في انتسابها إلى بني هلال أو إلى بني معقل، كما يلاحظ تباين بين المصادر في كتابة اسم القبيلة، تارة يُكتب اشجع وتارة

يُكتب السجع وتارة الشجع، ويرجح أن الصواب هو اشجع، وهناك قبيلة أخرى تحمل الاسم نفسه تستوطن أحواز مدينة فاس، غالبا ما تنعت بالشجع الشراگة. ومن الثابت أن بعض فصائل الشجع غادرت موطنها الأصلي بشرق البلاد واستوطنت أحواز فاس لما كانت في خدمة السلطان مولاي رشيد (*الاستقصا*، 7 : 41 ـ 42). مما يؤكد انتسابها إلى قبيلة الشجع المخيمة بشرق البلاد.

وكان الشجع يُعتبرون من عرب البدو الرحل، حيث كانوا يمارسون الانتجاع بين غرب بسيط أنگاد والهضاب العليا لمنطقة الظهرا جنوب رأس عين بني مطهر مرورا بسهل تافراطا، إلا أنهم كانوا يخيمون لمدة طويلة بجوار قصبة عيون سيدي ملوك. مما جعل بعض فصائلهم تميل إلى الاستقرار، فتعاطوا الزراعة إلى جانب الرعي، وهو ما أشار إليه الرحالة الفرنسي دوفوكو لما مرّ بموطنهم، ثم أكدت الوثائق المخزنية هذه الحالة في بداية القرن العشرين.

كانت قبيلة الشجع تتركب في الأصل من ثلاث فرق كبيرة وهي: الشراگة ـ الفلالگة ـ الگنانة. لكن هذا التقسيم تغير مع مرور الزمن وتبدل الأحوال خصوصا في مطلع القرن العشرين، حيث صارت القبيلة تتكون من فرقتين رئيستين، استوطنت الأولى سهل تارفاطا واستقرت الثانية بجوار قصبة عيون سيدي ملوك، وهو ما يُلاحظ حاليا. وقد رسّخت أحداث الثائر الجيلالي الزرهوني المشهور باسم الروگي بوحمارة هذا التقسيم، حيث ناصرته فصائل الشجع أهل تارفراطا، بينما ظل الشجع المخيمون قرب العيون مناصرين للسلطة الشرعية. وفي العقد الأول من القرن العشرين تغيّر النسيج القبيلي حول قصبة العيون، إذ انضاف إلى قبيلة الشجع أولاد سيدي الشيخ إخوان الشيخ محمد العربي البوشيخي المشهور باسم بوعمامة، بعد أن صارت القصبة المذكورة مستقرا له ولأتباعه، وتعاظم أمر أولاد سيدي الشيخ بالمنطقة بعد فرض الحماية على المغرب سنة 1912، حيث صاروا يشكلون قبيلة مستقلة عن الشجع، وأصبحوا يعرفون باسم البوشيخيين، وبحكم الاستقرار وتقادم استغلال الأرض استحوذوا على مساحات كبيرة حول قصبة العيون كانت في الأصل ملكا لقبيلة الشجع، مما ترتبت عليه نزاعات بين الطرفين وجدت طريقها إلى المحاكم في خمسينيات القرن العشرين، وبناء على مبدإ تقادم الاستغلال صدر الحكم بتقاسم الأراضي بين الطرفين. والجدير بالتذكير أن المخزن سبق أن أوصى بذلك قبل عهد الحماية حين استفحل النزاع بين الجانبين.

ع. الرحمان ابن خلدون، *العبر*، 6 : 120، بيروت ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ط. 2. الدار البيضاء، 7 : 41. 42 ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *العز والصولة*، 1 : 161 ؛ عكاشة برحاب، *شمال المغرب الشرقي*، ص. 70 ـ 71.

Carte des tribus. Maroc. Province du Nord. Division de la carte. Rabat. Réimpression en 1977 : Voinot. *Ouida et l'Amalat* ; La Martinière et La Croix. *Documents*, t. 1.

عكاشة برحاب

الشجعي، أحمد بن علال. ولد بفاس الجديد عام 1352/ 1933 من أسرة كان ربها يشتغل عاملا في شركة للنجارة. التحق أحمد بمدرسة سيدي مَجْبر الصناعية حيث حصل على "الكفاءة الصناعية" في الحدادة والترصيص والكهرباء عام 1951. وفي عام 1952 وظف عاملا في مصلحة البريد.

ظهرت ميوله نحو الموسيقى وهو ما يزال طفلا، فكان يحمل ضمن أدواته المدرسية نايا صغيرا. ويتصيد الفرص للنفخ فيه خلال فترات الاستراحة ومن حوله أصدقاؤه التلاميذ.

وقد اتضحت ملامح موهبته الفنية وتنامت لديه رغبة الانخراط في الحياة الموسيقية، فأخذ يرتاد محافل الغناء والطرب بالمدينة وبجنان السبيل التي كانت مقاهيها تتنافس في تقديم أجود الأغاني الشرقية والتونسية، كما أقبل على النوادي التي كان مطربو فاس يجتمعون بها لسماع الأغاني المشرقية والتمرن على أدائها، كنادي "جوق النهضة" بفاس الجديد الذي كان يرأسه عازف الكمان الفنان علي الهواري، ونادي الفنان بلعيد السوسي.

وقد تأتى للشجعي أن يتعرف على المطربين الفاسيين، وفي مقدمتهم المطرب محمد المزگلدي، والمرحوم عبد الرحيم السقاط الذي شجعه على تعلم العزف على الكمان، الأمر الذي حمل الفنان بلعيد على أن يفسح له مجال العمل في مجموعته.

وعلى امتداد سنتين كان أحمد الشجعي يترصد لحظات الفراغ من عمله الوظيفي ليقضيها في المحافل الموسيقية. فلما كانت سنة 1953 طلب منه الالتحاق بالرباط والانضمام إلى الفرقة الموسيقية التي تشكل منها الجوق العصري لدار الإذاعة.

وفي عام 1957 أسندت إليه بدار الإذاعة رئاسة "جوق المنوعات". وفي السنة نفسها أوفد إلى باريس للمشاركة في التدريب البيداغوجي التي احتضنته مدرسة مارتونو طوال شهر شتنبر.

وعندما دب النزاع عام 1960 إلى صفوف أعضاء الجوق الوطني البارزين بسبب التنافس على منصب الرئاسة عمدت الإدارة إلى الفصل بين هؤلاء بتنصيبهم على رأس الأجواق المحلية، فكان من نصيب أحمد الشجعي أن عين رئيسا لجوق إذاعة فاس، فيما عين المرحوم عبد القادر الراشدي على رأس جوق إذاعة طنجة، وعين محمد بن عبد السلام على رأس جوق ثالث بمكناس.

وفي فاس التأمت ثلة من الفنانين حول الشجعي، كان فيهم مغنون وعازفون وملحنون بارزون أمثال عبد الرحيم السقاط، ومحمد المزگلدي، ومحمد فويتح، والعابد ازويتن، والعربي بناني، وعبد الحي الصقلي. وسرعان ما أصبح جوق الإذاعة بفاس يَبُزُّ نظيره في العاصمة، وأصبح الفنانون الفاسيون يملأون الساحة بألحانهم، ومن بينها مقطوعات غنائية ووصلات ومعزوفات آلية أبدعها المترجم.

وكان مما لحنه من الأغاني: نشيد الجلاء، وفرحة بلادي، وهما مما غناه المطرب محمد فويتح، ونشيد الوحدة الافريقية من غناء محمد الحياني.

ومن جهة أخرى أبدع الشجعي في تلحين مقطوعاته الآلية، ومنها: موسيقى أعراس، وفرحة السد، وإلهام، وأحلام، وزهور، وحبايب، وموسيقى أيام، وموسيقى سمراء، وفرحة الشعب، وذكرى، ونجوى العرش.

لقد كان أحمد الشجعي بحق واحدا من رواد "الموسيقى العصرية" بالمغرب الحديث، ملأ الأسماع بألحانه التي تفيض رومانسية وجمالا، كما كان عازفا متميزا على الكمان. وبوفاته في بحر السبعينيات فقدت الأوساط الفنية واحدا من أنشط عناصرها الفاعلين على مستوى العزف والتلحين والقيادة.

حوار أجراه محمد الأزمي مع المترجم بإذاعة فاس عام 1970 ؛ *معرفة شخصية*.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الشجعي، حميدة من كبار الموظفين المخزنيين في منتصف القرن الثالث عشر (19 م)، عيّنه السلطان عبد الرحمان بن هشام (1822-1859) عاملا على مدينة وجدة خلفا للقائد علي بن الطيب الكنّاوي في 15 يوليوز 1844، أي قبيل معركة إسلي بحوالي شهر، ثم انتدبه للتفاوض مع السلطات الفرنسية بالجزائر المحتلة والتوقيع على اتفاقية خاصة بالحدود، طبقا لما نص عليه البند الخامس من معاهدة الصلح الموقعة بطنجة بين المغرب وفرنسا يوم 10 شتنبر 1844. ومن المرجح أن انتسابه لقبيلة الشجع ومعرفته لأحوال المنطقة الشرقية كان وراء تعيينه على رأس الوفد المغربي في مفاوضات للأمغنية، وكانت الوثائق المخزنية في بعض الأحيان تسميه بأحمد الشرگي، ونرجح أن يكون ذلك نسبة إلى الشرگ، أي موطنه الأصلي بشرق المغرب، غير أن هناك من فسّر ذلك بانتمائه إلى الشجع الشراگة المخيمين بأحواز فاس، وهذه فرضية مستبعدة، لكون المترجم أنهى حياته العملية بصفته قائدا على إخوانه من قبيلة الشجع بشرق البلاد كما تؤكد ذلك الوثائق المخزنية.

اشتهر حميدة الشجعي في المصادر المغربية والفرنسية باعتباره مفوض السلطان في مفاوضات قرية للأمغنية (أقصى غرب الجزائر)، إذ هو الذي وقّع اتفاقية الحدود يوم 18 مارس 1845 الشهيرة، والتي صارت فيما بعد قاعدة أساسية لإثبات معالم الحدود بين المغرب والجزائر. وقد تبيّن من تحفظ السلطان على بنود الاتفاقية المذكورة أنه لم يكن راضيا على رئيس الوفد المغربي، حيث اعتبر أن الحيف الذي لحق المغرب عقب توقيع الاتفاقية المذكورة ناتج عن سوء تدبير وتفريط من حميدة بن علي الشجعي، بل اتهمه السلطان بالسقوط في شباك الإغراءات الفرنسية، والمقصود بذلك سياسة "الضبلون" (أي الرشوة) التي اتبعتها فرنسا لنيل مبتغاها من المغرب الذي انهزم أمام جيوشها، غير أن تولي حميدة الشجعي ولاية وجدة بعد ذلك ثلاث مرات يؤكد أن المخزن قد أدرك ما يفرضه واقع الحال المترتب عن الغلبة والقوة على الطرف الضعيف في المفاوضات.

وللمترجم تجربة طويلة في الخدمة المخزنية منذ سنة 1844، حيث تولى ولاية وجدة ثلاث مرات كما سبقت الإشارة إلى ذلك، ولما زار السلطان مولاي الحسن شرق البلاد سنة 1876، عينه قائدا على قبيلة الشجع وحدد له الإقامة بقصبة عيون سيدي ملوك (العيون الشرقية)، لكن السكان رفضوه وطالبوا تحكيم المخزن المركزي بينهم وبينه، وبعد التحقيق في أمر الخلاف الواقع بين الجانبين قرر السلطان إعفاءه من منصبه في نهاية سنة 1884. ومنذ هذا التاريخ انقطعت أخباره في الوثائق المغربية.

توفي بعد سنة 1301 / 1884 .

ملف وجدة بمديرية الوثائق الملكية بالرباط، *دورية الوثائق*، العددان 2،1 ؛ ابن زيدان، *إتحاف*، ج. 5 ؛ عكاشة برحاب، *شمال المغرب الشرقي*.

Voinot, *Oujda et l'Amalat* ; La Martinière et Lacroix, *Document*, 4 tomes ; I. Hamet, *Le gouvernement marocain et la conquête d'Alger, Annale* 1, Alger, 1925 ; P. de Cossé-Brissac, *Les rapports de la France et du Maroc pendant la conquête de l'Algérie 1830-1847*, *Hesp.*, 1931.

عكاشة برحاب

الشخّار، جنس أسماك متوسطة القد، تعيش في السواحل القليلة العمق ببحار المناطق الحارة. كما هو شائع في اللسان الدارج بشمال إفريقيا تبث أصواتا خشنة ناتجة عن احتكاك الأسنان الحلقومية مما أدى إلى تسميتها بالشخار أو الزاجر. ثلاثة أنواع شائعة في البحار المحيطة بالمغرب، تصنف علميا إلى فصيلة هيموليدي Haemulidae. تصاد على طول السواحل المغربية عن طريق الصدفة بالشباك المستقيمة وبالجيبيات وبحبال الصنانير العمقية وبصنارة اليد. موجودة على طول السنة في الأسواق السمكية المغربية وتستهلك طرية.

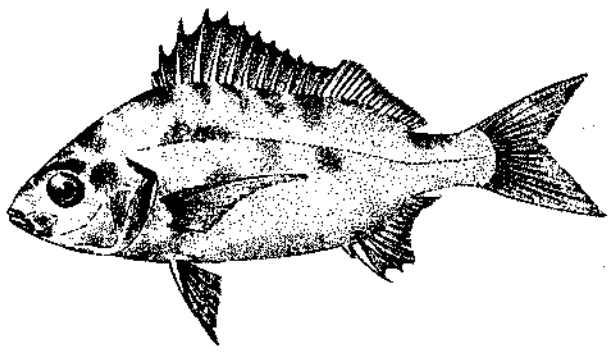

تتميز الأنواع بجسم مستطيل ومضغوط قليلاً. جانبية الرأس محدبة، الشفتان غليظتان والفم صغير إلى متوسط؛ يحمل الذقن من 2 إلى 6 مسام أمامية متبوعة أحيانا بشق

وسطي؛ يختفي الجانب العلوي للفك تحت محجر العين أثناء إغلاق الفم؛ الجانب العلوي للغشاء الخيشومي الأول محدب قليلاً ومسنن ؛ يحمل الغشاء الخيشومي شوكة غير واضحة. الأسنان خرطومية على صفوف ضيقة بالفكين وتوجد الأسنان الكبيرة على السلسلة الخارجية؛ القوس الفوهي بدون أسنان. زعنفة ظهرية واحدة تحمل 11 . 13 شوكة قوية و13 . 19 شعاعا لينا، تتكون الشرجية من 3 أشواك قوية ومن 7 . 13 شعاعا لينا، الصدريتان طويلتان؛ الذيلية مستقيمة إلى متشعبة قليلا. الحراشف مشطية وخشنة اللمس، تغطي الجسم بكامله والرأس ما عدا الخطم وأحيانا قاعدة الأشعة اللينة للزعانف.

ـ الشخار الزائف Pomadasysincisus يسمى أيضاً شبوكة في الدار البيضاء وورنفلور وبالفرنسية Grondeur métis وبالإنجليزية Bastard grunt وبالإسبانية Roncador وRonco mestizo يبلغ طول الكبار 50 سم وشائع بين 20 . 30 سم. لونه بني رمادي داكن جهة الظهر وفضي جهة البطن. يحمل الذقن سِتّين أماميين متبوعين بشق وسطي. عدد الأشواك الخيشومية السفلية 12 . 13 ؛ تتكون الظهرية من 12 شوكة والشرجية من 11 . 13 أشعة لينة. يعيش قرب الشواطئ على الرمال وبين الصخور في أعماق لا تتعدى 100 م. شائع في السواحل المتوسطية الجنوبية من مصر إلى المغرب وفي المحيط الأطلنطي من المغرب إلى أنكولا ويعيش أيضاً في البلقان وفي خليج ليون الفرنسي ونادر في جنوب إسبانيا.

ـ الشخار المخطط Parapristipoma (Diagramma) octolmeatum يسمى بالفرنسية Grondeur rayé وبالإنجليزية African striped grunt وبالإسبانية Burro chiclero لا يتعدى طول الكبار 60 سم وشائع بين 20 . 30 سم. لونه بني بنفسجي على الظهر وفضي على البطن. تتكون الظهرية من 13 شوكة و14 . 15 أشعة لينة. يقتصر توزيعه الجغرافي على السواحل المغربية والجزائرية والتونسية والإسبانية ويعيش أيضاً في السواحل الأطلنطية الممتدة من المغرب إلى أنكولا. يتغذى غالبا من الرخويات والقشريات ويعيش بين الصخور الشاطئية وفي الأعماق الرملية التي لا تتعدى 100 م.

الشخار المتوسطي Plectorhynchus medeterraneus يسمى أيضاً في الأسواق السمكية المغربية تغوالين وأباديش، وبورقيطي وقتاش والمبرو المزيف وبالفرنسية Grondeur rayé وبالإنجليزية Rubberlip grunt وبالإسبانية Burro chiclero. لا يتعدى طول الكبار 80 سم وشائع بين 45 . 60 سم. لونه أسمر وانعكاساته بنفسجية على الظهر وفضية على البطن. يحمل الذقن 6 مسام أمامية ولكن بدون شق وسطي؛ جانب الغطاء الخيشومي الأول مستقيم ويحمل أسنانا. على القوس الخيشومي الأول 19 . 20 شوكة خيشومية سفلية. تتكون الظهرية من 13 شوكة و14 . 15 أشعة لينة. يقتصر توزيعه الجغرافي على السواحل المغربية والجزائرية والتونسية والبرتغالية الجنوبية ويعيش أيضاً في السواحل الأطلنطية المستمدة من المغرب إلى أنكولا. يتوالد في فصل الربيع ويتغذى غالبا من الرخويات والقشريات ومن الحيوانات البلانكتونية. يعيش في الأعماق الرملية والوحلية وفي الحصى ونباتات بوزيدونيا في المياه الساحلية من 10 إلى 150 م.

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي*، مكتبة لبنان، ط. 3، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1932.

D. Lloris & J. Rucabado, *Guide d'identification des ressources marines vivantes du Maroc*, Rome, F.A.O. 1998.

محمد رمضاني

الشداخ، عائلة قيادية بقبيلة مسگينة، ضاحية أگادير، تولت القيادة رسميا أثناء نزول السلطان المولى الحسن في حركته الأولى بسوس سنة 1299/1882 في شخص القائد الحسين بن عبد الله الشداخ. ويُستشف من مظان مراسلات مخزنية أن جانبه كان ضعيفا بين جيرانه الكسيميين والخواريين، بل لقي حتفه في عراك مع هوارة سنة 1305 . خلفه ابنه البشير بظهير حسني يحمل تاريخ 03 جمادى الأولى من سنة 1305 بعد أن زكاه مقدم زاوية بني تنانة وحلاه بالأهلية وتمكن من توقيع هدنة مع الهواريين.

بيد أن القلاقل لن تهدأ خاصة مع القائد الحاج أحمد الگسيمي بمركز إينزگان، الذي تمكن من أن يقتطع منه فرع أيت عباس وغدا إلى نظره رسميا، وبالتالي لم يعد الشداخ قائدا إلا على طرف من مسگينة.

بعد وفاة السلطان المولى الحسن تعرضت داره للخراب مثل معظم أقرانه عدا الگسيمي.

بعد سجنه هنيهة عاد إلى منصبه زمن السلطان عبد العزيز ووجد موقنا له في ظل سيادة الگلّوليين.

بالمقابل استمر صراعه مع الگسميين حول قضايا من أهمها: إدارة فرع أيت عباس، وتدبير شؤون الساقية الجهادية بالدشيرة وشؤون التزايل بين أگادير والصويرة، كما هو مثبت في شكاوى إلى المركز (1312.1311). وفي نفس الآن دب شنآن مرير مع الجيران : هوارة وهشتوكة (1314.1313) حسب روايات ممثلين مخزنيين "الزراوي والتمري الحاجي".

بعد ذلك فتك خليفة القائد عبد المالك المتوگي المهدي بأخ القائد البشير الشداخ (عبد السلام)، وعمت البلوى، وبعد حين دخلت المنطقة في مرحلة عصيبة.

بقي البشير حيا إلى زمن الحماية وفشلت ريحه، في حين احتفظت أسرة الگسيمي بجزء كبير من إشعاعها.

لقد كانت هذه الصورة انعكاسا لما عرفه السوس بكامله من فوضى زمن الگلولي والنفلوسي.

أرشيف خ.ح ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 14 : 152.151 ؛ *المعلمة*، 835.

شيق أرفاك

شدّاد، مولاي الحسن بن أحمد، مقاوم ولد بإيداوتنانت بإقليم أگادير سنة 1924، ثم انتقل إلى الدار البيضاء، وكان عضوا نشيطا في صفوف منظمة الهلال الأسود، وكانت له قبل ذلك مشاركة في العمل الوطني بمدينة أسفي، فاضطر إلى مغادرتها بعد افتضاح أمره. عمل تحت إشراف الحسن الگلاوي، وزود منظمة الهلال بمسدس من عيار 6,35 ملم.

اغتيل يوم فاتح يناير 1956 بمدينة مراكش من قبيل أفراد أعضاء في "المنظمة السرية" إذ كانت الهلال الأسود ترفض عروض المنظمة السرية بإلقاء السلاح، لأنها ربطت ذلك بجلاء آخر جندي عن المغرب.

من شهادة المقاوم الهلالي عدنان محمد بنمسعودك ملف المقاومة رقم 400219.

محمد وحيد

الشدادي، أسرة فاسية ـ سلوية، ينسبون لبني شدّاد من القبيلة الزجلية بأعلى جبل شفشاون. وهم شرفاء أدارسة من العمرانيين غير الجوطيين. واختلف في نسب الجد عمران الذي ينتسبون إليه، قال النسابة علي ابن ريسون العلمي: الغالب على الظن أنهم ينتسبون إلى عمر بن إدريس الأصغر صاحب ترغة وصُحف اسمه إلى عمران. وقال غيره، وزعم أنه التحقيق، أنهم من ولد عبد الله بن إدريس دفين تَمْدُلت بسوس. والذي اعتمده الإمام القصار وغيره من النسابين أن جدهم عمران بن زيد من حفدة إدريس الأصغر دفين رأس القليعة من فاس. وذكر ابن علي الدكالي أن الشداد بين الفاسيين أصلهم من مدينة سلا، ومنها انتقلوا إلى سكنى فاس. وما زال بسلا طائفة منهم.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، المحمدية، 1999، ج 2 : 58 ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، ط 2، الرباط، 1996 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، 2 : 197.

الشدادي، أحمد بن علي الحسني الفاسي، فقيه متمكن من فروع المذهب المالكي، وخاصة ما يتعلق بفقه التوثيق وحساب الفرائض. ولي قضاء مدينة فاس الإدريسية والخطابة بجامع القرويين مرتين، وقضاء فاس الجديد ثم قضاء زرهون فوزان فطنجة، وكان لا ينقطع عن تدريس مختصر خليل وكتب الوثائق والحساب في القرويين، ألف *حاشية على الزقاقية*، *وأخرى على العمل الفاسي*، وله *تقاييد تاريخية مفيدة*.

توفي بفاس في 16 رجب عام 21/1163 يونيه 1750 ودفن خارج باب القريعة.

م. القادري، نشر الثاني، *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، 6: 2161 ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، الرباط، ج 1 : 341 ؛ ع. السلام ابن سودة، *دليل*، الدار البيضاء، ط 2، 1960 ؛ إ. الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، سلا، 1988، ص. 187.

الشدادي، الحسن بن عبد الرحمن بن أحمد الشريف الحسني الفاسي. ولد بفاس في حدود عام 1834/1250. تلاه تلميذه عبد الحفيظ الفاسي في *رياض الجنة* "بالفقيه العالم العدل ... "كان عدلاً مبرزاً شهير الفكر مقصوداً معظماً محترماً معروف القدر شهير الحسن، جميل السمت جميل السيرة حسن الاعتقاد كريم النفس" أخذ عن شيوخ عصره بفاس، أمثال محمد گنون وأبي عيسى ابن الحاج. كان مقبلاً على التدريس ثم انقطع عنه عندما انتصب لتعاطي العدالة.

أجاز تلميذه عبد الحفيظ الفاسي إجازة عامة وبما له من روايات مسلسلة كثيرة عن طريق مجيزه عبد القادر بن مصطفى المشرفي الراشدي المعسكري.

توفي بفاس في 13 ربيع الأول تمام 1329 / 14 مارس 1911.

ع. الحفيظ الفاسي، *رياض الجنة*، الرباط، 1931، ج 2 : 9، 10.

محمد حجي

الشدادي، الصديق بن مَحمد الرباطي ولد بالرباط عام 92/1310 ـ 1893 وتلقى العلم على مشايخ مسقط رأسه كالفقيه محمد بن أحمد العياشي والفقيه عبد السلام بن إبراهيم والشيخ محمد الرغاي وأبي حامد البطاوري وأبي عبد الله الرندة والقاضي عبد الرحمان بريطل والتهامي الغربي ومحمد بن عمر دينية وغيرهم.

أول وظيفة شغلها الصديق الشدادي هي الانخراط في الجندية أيام شبابه على عهد السلطانين مولاي عبد العزيز ومولاي عبد الحفيظ إذ كان مسيراً لإحدى الفرق العسكرية. وفي عهد الحماية، عندما أسست أول مدرسة حرة سنة 1919/1338 وهي مدرسة والزهراء على يد الحاج الفاطمي بركاش والمعطي بوهلال وغيرهما انخرط الشدادي في سلك التعليم فدرّس بها كما درّس بالزاوية المعطوية قبل أن تتحول إلى مدرسة حرة، ثم أصبح المترجم مديراً لثاني مدرسة حرة بالرباط ومقرها الزاوية الكتانية في الوقت الذي كانت سلطات الحماية تضع العراقيل في طريق تأسيس المدارس العربية الحرة. وكان الشدادي من متوسطي طلبة الرباط الذين لم يساعدهم الظرف على تتميم دراستهم. وأما المواد التي

كان يدرّسها لتلاميذه فهي الحساب والفقه. وكان شغوفا بمطالعة كتب التصوف وحفظ كلام القوم والتكيف بأحوالهم.

ونظراً لفصاحة الرجل اختير للخطابة بالمسجد العتيق بقصبة الأوداية، فخطب به مدةً طويلة. وكان يختار خطبه من المجلات الإسلامية المصرية التي كانت رائجة في المغرب كمجلة *الإسلام* ومجلة *المنار* للشيخ رشيد رضا المتسمة بالروح التجديدية.

وكان منخرطا في الطريقة الكتانية التي أسسها الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني ولقنه إياها محمد بن حساين النجار السلوي. ثم جدد العهد بالشيخ عبد الكبير الكتاني، وأصبح مقدما للزاوية وملقنا لأورادها، وتعاطى خطة الشهادة ودام فيها إلى أن وافاه الأجل يوم 7 صفر عام 1379/ 12 أكتوبر 1959.

ع. الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين*، ج 1، ص. 55، ج 2، ص. 306 ـ 307.

عبد الإله الفاسي

الشدادي، عبد الله بن عبد النبي، قائد كان على رأس جماعة من المجاهدين من قبيلة سماتة. انضم إلى صفوف المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني؛ وقد شارك في جميع المؤتمرات التي عقدتها الثورة كما شارك في عدة معارك كانت آخرها المعركة التي جرت بالمنزه (القصر الكبير) يوم 22 مارس 1918 حيث عد من المفقودين وربما كانت جثته بين الجثث التي استولى عليها الاسبان وعرضوها بسوق القصر الكبير.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب*، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

الشْديدْ، أسرة من أعيان بيوتات فاس أصلهم من الأندلس، ينتسبون إلى الأنصار حسبما وقف عليه مؤلف *إزالة الالتباس* في رسم مؤرخ بعام 1078/1667، وهم أهل طلب ومعاش وحرفة، منهم عدول ثروة، وسكناهم بزنقة الرطل من حومة العيون، ولم يبق منهم اليوم بفاس إلا قليل.

م. القادري، *نشر المثاني/موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 5 : 1870 ؛ ع. الكبير الكتاني، *زهر الآس*، الدار البيضاء، 2002، 2 : 539 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، 2 : 199.

الشْديدْ، أحمد بن حمدون الفاسي، فقيه صوفي حلاه القادري في *نشر المثاني* بالفقيه العدل الأرضى الناظر العلامة المدرس الولي الصالح. درس على شيوخ عصره وسلك طريق القوم على يد الشيخ سيدي الحاج الخياط الرقعي مقدم الطريقة الوزانية بزاوية الشرشور بفاس، وكان يتردد على وزان لزيارة الشيخ سيدي محمد بن مولاي عبد الله الشريف، ثم ولده مولاي التهامي فحفيده مولاي الطيب.

تولى كرسي الرسالة بالمستودع القريب من باب الكتبين الذي كان لجده مدة، ثم ولاه عامل فاس عبد الخالق عديّل على نظر أحباس فاس، فتغير حاله.

توفي بفاس في حدود عام 1186/1772.

م. القادري، *نشر المثاني/موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 6 : 2256.

الشْديدْ، محمد بن **حمدون** الفاسي، «كان من فقهاء فاس المعتبرين، وعدولها المرضيين» (*نشر المثاني*). أكثر تدريسه *لرسالة ابن أبي زيد القيرواني* بالمستودع الذي عن يسار الداخل من باب الكتبين إلى جامع القرويين.

توفي في ربيع الثاني عام 1110/ أكتوبر-نونبر 1698.

م. القادري، *نشر المثاني/موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 5 : 1870.

محمد حجي

الشرابلي، أحمد بن **علال**. ولد بمراكش، وكان من متصوفيها. يرجع سبب تلقيبه بالشرابلي إلى أنه سأل ذات يوم شيخه الفقيه المحدث أبا العباس أحمد بن أحمد السوسي الذي كان حيا عام 1147 هـ عن صفته، فقال: أنا رجل شرابلي. فجعل ابن علال يقول شراب لي شراب لي، فلقب بذلك.

ترجم له صاحب *السعادة الأبدية*، فوصفه بصاحب الأزجال المشهورة، وصنفه ضمن صلحاء حومة القصور وما والاها بمراكش. وعرف به التاودي ابن سودة في فهرسه، فنعته بالولي الصالح، وذكر أنه عندما مات حضر في جنازته من الخلق ما لا يحصى وجعل الناس كلهم يتأسفون على فقده ويثنون عليه ويذكرون كراماته.

وقد وقف ابن سودة على ديوان من كلامه بالملحون فيه توسلات وسقامات على نحو ما للساحلي في *منازل السائرين*، وفيه أدعية وأحوال الصالحين. ومن أزجاله المشهورة عند المنشدين للأمداح النبوية حسب الطبوع الموسيقية؛ وينشدها كذلك موسيقيو الآلة بَرْولة :

صلى اللهْ عْلى الهاشمي المجدد طه
من لا خلقْ الله في السما ولا في الأرضْ بحالْ
أحمد مولى التاج....

انظرها كاملة في *الإعلام* (2 : 399)

يوجد مقام الشيخ أحمد بن علال الشرابلي بحومة القصور من مراكش ويعمل له موسم في أول كل ليلة من رجب ينشدون أزجاله المشهورة في مدح النبي عليه السلام، وهو بقعر الدرب المسمى به، وبني عليه بيت هناك عن يسار الداخل.

توفي بمراكش خلال النصف الثاني من القرن الثاني عشر (18م).

التاودي ابن سودة، *الفهرس*، مخطوط ؛ م. الموقت المراكشي، *السعادة الأبدية*، ط. حجر فاس، ص. 133،132 و145،144 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ط. 2، الرباط، 1974، ج. 2 : 398 ـ 400.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الشرادرة، قبيلة تتكون من أربعة عظام هي: زرارة، تكنة، الشبانات، أولاد دليم، ودجاهيات. تنتشر حاليا على الضفتين اليمينين لوادي سبو وزگوطة، على مساحة تقدر بـ 750 كلم^2. (*Monographie de la région de Meknès*, p. 33). وتنحدر هذه المجموعة البشرية من عرب بني معقل الذين دخلوا المغرب وانتشروا في قفار الصحراء، خلف جبال الأطلس، من ملوية إلى شواطئ المحيط الأطلسي، مع أواسط القرن السابع (13 م). وكانت الشرادرة، وهي فرع من الشبانات في هذا التاريخ، تشكل، إلى جانب الأوداية، والمغافرة، فرقة من ذوي حسان، أحد فروع قبيلة بني معقل الرئيسية التي كانت تشمل ثلاثة بطون كبرى: ذوي عبد الله، وذوي منصور، وذوي حسان (*العبر*، ج. 6، ص. 137.138.139) وكانت مواقعهم في بداية استقرارهم بالمغرب، في نواحي ملوية، بجوار إخوانهم ذوي منصور (*العبر*، ج. 6، ص.137). إلا أنه بعد انقراض الأمبراطورية الموحدية، واضطراب الأحوال في البلاد، استنجد علي بن يدّر الزگندري، صاحب السوس، بهؤلاء القوم، وأنزلهم بهذا الإقليم، واستعان بهم على حرب قبائل گزولة الظواعن، وحصن نفسه بهم. وبعد تغلبهم على سكان المنطقة، واستقرارهم فيها، صارت لهم دالة على قصور سوس، ونول، وتارودانت، ووضعوا الإتاوات عليها. (*العبر*، ج. 6، ص. 137.138) وعندما وصل السعديون إلى الحكم، دخل الشبانات ومن ضمنهم الشرادرة والأوداية، وأهل سوس من معقل، في طاعتهم، وصاروا يكونون نواة جند هذه الأسرة وحميتها العسكرية، وأصبحوا يندرجون في عداد قبائل الجيش التي انتخبها سلاطين هذه الدولة لتوطيد سلطتهم في البلاد، ودرء المخاطر التي كانت تحيط بهم. وقد ظلت هذه القبائل مجتمعة في إقليم سوس، تحظى برعاية الدولة، وتستفيد من الامتيازات التي أغدقها عليها سلاطينها طيلة القرن العاشر (16م). وعندما ذهبت ريحها، افترقت هذه القبائل، واتجهت فرق منها نحو الشمال.

وفي نهاية القرن الحادي عشر (17م) كانت الشبانات ومن ضمنها الشرادرة، تنتجع في أحواز مراكش وتعيش في وئام تام مع الأوداية. فعندما دخل مولاي إسماعيل مدينة مراكش في سنة 1088 / 1676 ، كانت الشبانات ومن ضمنها الشرادرة، تنتشر في بسيط البحيرة (*الاستقصا*، ج. 7، 51). وفي عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1757-1790)، كانت منازل الشرادرة غربي مراكش، على بعض يوم لهم.

وفي هذا التاريخ نشأ في الشرادرة الشيخ أحمد الشرادي، من أهل الصلاح، ومن أصحاب الشيخ سيدي أحمد بن ناصر الدرعي، فآمنوا ببركته وأعتقدوا فيه، ثم جاء بعده ابنه عبد قسار على نهج أبيه، وبنى زاوية منسولة إليهم (انظر الشرادي زاوية) (*الاستقصا*، 8 : 160).

ع. الرحمان ابن خلدون، *العبر*، الجزء 6، بيروت، 1959 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1956.

A. Louis, (Commandant), *Monographie de la région de Meknès*, *B.S.G.M.*, n° 2, 1916.

العربي اكنينح

الشراعي (Zabra, Lougre)، مركب من فصيلة القادس وبنفس مواصفات الدعومة من حيث الهيئة والحجم، لا سيما في مرحلته الأولى خلال القرن العاشر (16 م)، بتوفره على صار واحد وعلى عدد مجاذيف مشابه لما سبقه.

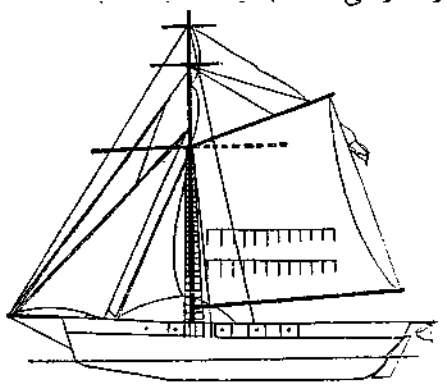

رسم لسفينة نوع شراعي
" Les derniers corsaires de la Manche " عن:

ونظرا لخفته وضالة طاقمه اعتمد الشراعي كخافرة للسواحل منذ عهد محمد الشيخ السعدي، خاصة في مرسى تافطنة قصد مراقبة نشاط الصيد المزاول من طرف إيبيريي جزر الخالدات، وأساسا في الناحية الجنوبية لمرسى أسفي، واستمر العمل به في تلك النواحي حتى نهاية القرن المذكور على الأقل.

S.I.H.M., 1e série, *France*, T. I, p. 106-108 et T. III, p. 442.

حسن أميلي

شْراگة أو شْراقة، قبيلة كبيرة تقع بين واد سبو وقبيلتي فشتالة والحياينة شمال مدينة فاس. تكونت في الأصل من أخلاط من القبائل، منها من ينحدر من أصل عربي مثل الشجع، وبني عامر، ومنها من ينتمي إلى أصل بربري مثل مديونة، وهوارة، وبني سنوس، بالإضافة إلى أولاد جامع الذين كانوا يحسبون منذ عهد مولاي رشيد على گيش هذه القبيلة (*Le Makhzen marocain*, p. 301). ولفظ شراقة في الأصل، لقب كان يطلق على عرب بادية تلمسان ومن انضاف إليهم، وسموا بذلك لأنهم كانوا في جهة الشرق من المغرب الأقصى. فأهل تلمسان كانوا يسمون أهل المغرب الأقصى مغاربة، وأهل المغرب الأقصى كانوا يسمون أهل تلمسان مشارقة (*الاستقصا*، ج. 7، ص. 41). وتنحدر أشجع شراگة من القبائل العربية التي كانت، في مطلع القرن الأول الهجري، تعيش بضواحي المدينة المنورة (*معلمة المغرب*، ج. 2، ص. 459). وقد دخلت إلى المغرب ضمن جموع عرب بني معقل وبني هلال الذين وصلوا إلى هذا البلد في القرن

7.6 هـ (13.12 م). وقد تحدث ابن خلدون عن أشجع في القرن الثامن الهجري (14 م). وكانوا في هذا الوقت، يعيشون في وئام تام مع عرب بني معقل، ضمن فرقة ذوي منصور التي كانت تنتشر من ملوية إلى درعة (*العبر*، ج. 6، ص. 121.120). وقد فرض هؤلاء القوم هيمنتهم على مناطق الواحات الجنوبية وملكوا قصور الصحراء، وفرضوا الأتاوات على أهلها، واستفادوا في الفترة المتأخرة من حكم الموحدين وبداية عهد بني مرين، من الإقطاعات التي أنعم بها عليهم الملوك المرينيون الأوائل مقابل تأمين الطرق التجارية، وسلامة القوافل المتنقلة بين سجلماسة وبلاد السودان، وقد ظلت أشجع مستقرة في المغرب الشرقي مدة طويلة، تمارس الرعي وتربية الماشية، وتستعين من عائدات تجارة السودان عن طريق خفارة القوافل التجارية العابرة لأراضيها. ففي عهد مولاي رشيد العلوي كانت أشجع تنتجع بين أنكاد وضواحي تلمسان. فعندما خرج هذا السلطان إلى تلك النواحي سنة 1665/1075 انضمت إليه الشجع، وبنوعامر، من العرب، ومديونة وهوارة وبنو سنوس، من البربر، وبايعوه، وناصروه (*الاستقصا*، ج. 7، ص. 41). ويعرف هؤلاء القوم جميعا بشراقة أو شراگة. ولمكافأة شيعته، أنزل مولاي رشيد الشجع، وعرب الشرق وبربره الذين شدوا عضده وآزروه بأحواز فاس، ونفذ لهم الأرض هناك. ولما تضرر الفاسيون من أعمالهم المشينة، وتضايقوا منهم، نقلهم إلى بلاد صدينة وفشتالة بين نهري سبو وورغة، وأقطعهم تلك الأراضي، وأمدهم بالمال لبناء قصبة الخميس، وجعلهم قبيلة واحدة، لم يتميز فيها عربها وبربرها، وذابوا في بوتقة واحدة (*الاستقصا*، ج. 7، ص. 42.41). غير أن أخبارا أخرى تتحدث عن وجود أفواج من جند شراگة بضواحي فاس، منذ عهد السلطان زيدان ابن المنصور السعدي (1613-1627). وقد اعتمد عليهم عبد الله بن الشيخ السعدي كذلك لتثبيت نفوذه واستيلائه على الحاضرة الإدريسية، إذ كان أغلب جنده من شراقة (*الاستقصا*، ج. 6، ص. 52). إلا أننا لا نعرف هل شراقة المتحدث عنهم في هذه الفترة، هم نفس القوم الذين صاحبوا مولاي رشيد العلوي إبان زحفه على فاس واستيلائه عليها سنة 1666م، أم أن لفظ شراقة إسم لقبيل كبير كان يطلق على جميع البطون القبلية التي كانت تنتجع في الهضاب العليا غرب مدينة تلمسان.

وردت في المصادر التاريخية، منذ عهد السلطان مولاي رشيد، إشارات كثيرة تتحدث عن الأدوار العسكرية التي اضطلع بها گيش شراگة لفائدة المخزن العلوي. فقد كان هؤلاء، إلى جانب الأوداية، وعبيد البخاري، يشكلون عصبية الدولة وحميتها. وقد برز منهم قواد كبار نذكر منهم على الخصوص حميدة الشجعي أو الشرگي الذي ترأس الوفد المغربي في مفاوضات للامغنية لتسطير الحدود بين المغرب والجزائر سنة 1845/1261، والعربي ولد ابّا محمد الشرگي الذي كان واليا على الشراگة أيام السلطان مولاي الحسن (1894.1873) والذي تنسب إليه إلى اليوم، قرية ابّا محمد التي تقع على بعد 60 كلم تقريبا شمال مدينة فاس (*الوثائق*، ج. 3، ص. 151).

ع. الرحمان ابن خلدون، *العبر*، ج. 6، بيروت، 1959 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 3 أجزاء، الدار البيضاء، 1956 ؛ *معلمة المغرب*، مطابع سلا، 1989، ج. 2 ؛ *مجلة الوثائق*، الرباط، 1976، ج. 3.
R. Maudiut, *Le Makhzen marocain*, *Revue de A.F.*, n° 12, 1903.

العربي اكينح

* * وهناك شراگة أو شراقة الصوفية، عرفت بها الطائفة اليوسفية التي نشأت في المغرب خلال الربع الأول من القرن العاشر (16 م)، وتسللت من الطريقة الراشدية التي أسسها الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي (ت. 1524/931) صدر الطبقة الزروقية الأولى. وقد ظهرت هذه التسمية، أول ما ظهرت، في الترجمة التي أفردها أبو حامد العربي الفاسي للشيخ الراشدي، في كتابه *مرآة المحاسن*، الذي توفي دون أن يتمه عام 1642/1052، وضبطها بتشديد الراء. وكلامه صريح في الدلالة على أن أهل زمانه كانوا يذكرون اليوسفيين بهذه التسمية، وأنها تشمل جمعهم، وتعرف بها طائفتهم. وتوالى وتتابع ذكرها في المصادر المصنفة خلال النصف الثاني من المائة الحادية عشرة للهجرة: فسمى المؤلف المجهول اليوسفيين بالشراقيين، وذلك في كتابه *تبصرة الرئيس الأمين*، الذي يبدو أنه قد ألفه في أواخر عهد السعديين. كما عرفهم الإمام الحسن بن مسعود اليوسي (ت. 1690/1102) بالشراقة، وبالشراقات. وأطلق عليهم قاضي الجماعة بفاس محمد بن الحسن المجاصي (ت. 1691/1103) لقب الشراقيين، وذلك في الفتاوى التي أصدرها في نازلتهم عام 1670.69/1080.

وهم في الأصل عرب بادية تلمسان، ومن انضاف إليها، وسموا بذلك لأنهم في ناحية الشرق من المغرب الأقصى. فأهل تلمسان وأعمالها يسمون أهل المغرب الأقصى مغاربة، وأهل المغرب الأقصى يسمون أهل تلمسان وأعمالها مشارقة. لكن العامة يلحنون في هذه التسمية فيقولون شراقة. وقد فرت قبائل برمتها من هؤلاء الأعراب في وجه الأتراك، واستقرت بسهول سايس وحوض سبو، وكونت أحد الأركان المهمة في الجيش السعدي.

وحينما نستعرض كافة القبائل المغربية التي احتضنت زوايا يوسفية، خلال القرنين العاشر والحادي عشر (16 و17م)، أوالتي ظلت على نحلة هذه الطائفة إلى أولية القرن الرابع عشر (20 م)، فإننا لا نجد لإحداها أصلا يمت إلى موطن قبائل الشراقة من بادية تلمسان وأعمالها، الأمر الذي يغنينا عن التفكير فيما لو كان نشوء الطائفة اليوسفية، بالمغرب الأقصى خلال الربع الأول من القرن العاشر (16م)، يؤرخ لموجة من موجات هجرات قبائل الشراقة من المغرب الأوسط إليه، أو الافتراض أن بعض قبائل الشراقة ربما كانت

من بين الفرق الأولى التي تفرعت عن الطائفة اليوسفية، فضلا عن أن الدخول الاضطراري لقبائل الشراقة إلى المغرب الأقصى، وفرارها في وجه الأتراك ينفي كل صلة لها بالطريقة الراشدية، التي نظمت بين مؤسسها الشيخ أحمد بن يوسف وبين عروج (ت. 1518/924) ما هد دولة الأتراك بالمغرب الأوسط علاقة تعاضد وتآزر، استمرت من بعدهما بين مشايخ وأتباع هذه الطريقة، في هذه البلاد، والحكام الأتراك، ودامت حتى تاريخ الحملة الفرنسية على الجزائر عام 1830/1245.

ولكي نقف على الأسباب التي دفعت بمغاربة زمان الفترة ليقاربوا بين اليوسفيين والشراقيين، ويخلطوا بينهما، ويطلقوا لقب هؤلاء على أولئك، لا بد من اعتبار زمان ظهور تسمية الشراقة كتسمية تميز كافة الطائفة اليوسفية أوبعض فرقها، وهو القرن 17/11. فخلاله تفرقت السلطة السياسية بالمغرب أيادي سبأ، وقد تماثلت الأدوار التي لعبها كل من اليوسفيين والشراقيين زمنئذ. فاليوسفيون أدلوا بدلوهم، إسوة ببقية الزوايا والطوائف، وظهروا كقوة محاربة خطيرة. كما كرث الشراقة حاضرة فاس، وأشبعوا أهلها تنكيلا وتقتيلا، و"مدوا أيديهم في حرائم الناس، ونهبوا الأسواق، وجاهروا بالفساد، وأظهروا السكر في الطرقات، واقتحموا على الناس دورهم". وكانت لهم أيام ووقائع مع أهم القوات السياسية في البلاد. وبالنسبة للمغاربة الذين عاشوا هذه الفترة الحالكة من تاريخ الدولة السعدية، التي أعقبت وفاة السلطان أحمد المنصور (ت. 1603/1012) وامتدت إلى نهاية دولة الشرفاء الزيدانيين (1659/1070)، فاليوسفية والشراقة قد مثلتا قوتين محاربتين طرأتا على المغرب من جهة واحدة وهي المغرب الأوسط، ودخلتا وطنهم في وقت واحد، وهو مطلع القرن 16/10، وجاءتا إليهم بكل الشرور التي امتحنت بها السنة وأهلها في بلادهم.

وهكذا فإن التطابق في الأدوار التي لعبتها هاتان القوتان اللتان دخلتا المغرب في زمان متقارب، وقدمتا إليه من مكان واحد، بالإضافة إلى قبول العديد من ممارسات قبائل شراقة لا تجد تفسيرات لها فيما شاع بين مغاربة هذا العصر عن تعاليم اليوسفية من إباحة قتل النفس وأكل مال الغير وانتهاك الحرمات، كلها عوامل ساعدت على توسيع دائرة استعمال تسمية الشراقة وإطلاقها على أتباع الطائفة اليوسفية، من قبيل التمايز والتنابز، وللتأكيد على أن هذه البدعة أجنبية عن المغرب الأقصى، وأنها تنتمي في أصولها المذهبية وعناصرها البشرية إلى تاريخ ومجتمع المغرب الأوسط.

م. العربي الفاسي، *مرآة المحاسن*، 224 ؛ مجهول، *تبصرة الرئيس الأمين في ذكر شروط إمام المسلمين*، مخطوط ؛ ح. اليوسي، *رسالة العكاكز*، مخ. خ ع 1224 ك، 167، 171 ؛ أ. الهشتوكي، *هداية الملك العلام إلى حج بيت الله الحرام والوقوف بالمشاعر العظام وزيارة النبي عليه الصلاة والسلام*، مخطوط خ ع 190 ق، 83 ؛ م. المجاصي، *نوازل*، ط. حجرية، 112 ؛ م. الإفراني، *نزهة الحادي*، تح. ع. الشاذلي، 193، 289، 341.338، 346، 357، 383 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 5 : 51.50 ؛ م. المنوني، *ملامح من تطور المغرب العربي في بدايات العصور الحديثة*، منشورات الجامعة التونسية ومركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، سلسلة الدراسات التاريخية، 1979، 79، الهامش 10 ؛ ع. العزيز بنعبد الله، *الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، معلمة المدن والقبائل*، ملحق 2، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط. فضالة، المحمدية، 1977، 287 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 52 ؛ ع. الشاذلي، *الحركة العباسية*، 168.166 ؛ ع. نجمي، *التصوف والبدعة بالمغرب*، 314.311.

E. Doutté, *Mérrâkech*, Paris, 1905 ; *Magie et religion dans l'Afrique du Nord*, Alger, 1909 ; *Missions au Maroc: En tribu*, Paris, 1914 ; E. Dermenghem, *Le culte des saints dans l'Islam Maghrébin*, Paris ; J. Berque, *L'intérieur du Maghreb*, Paris, 1978 ; *Ulémas, fondateurs, insurgés du Maghreb 17e siècle*, Paris, 1982..

عبد الله نجمي

الشرايبي، أسرة فاسية عريقة، قال عنها صاحب *إزالة الالتباس*: "أهل طلب وتجارة ومال ومعاش وثروة وحرفة". رأى ذكر آل الشرايبي في رسم مؤرخ بعام 1677/1088، وأورد تراجم مختصرة لبعض علمائهم القدامى والمحدثين، أولهم شيخ الجماعة بفاس في الحساب والفرائض أحمد بن عبد الجليل الشرايبي، وآخرهم الوطني المجاهد عبد الهادي الشرايبي آتيا الترجمة. وذكر الكتاني في *زهر الآس* الفرق الكثيرة لآل الشرايبي بفاس ومن توفي منهم وما ترك من أولاد، وتفرقهم في مراكش والجديدة ودكالة والدار البيضاء وغيرها.

ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، 2 ؛ 200 ؛ ع. الكبير الكتاني، *زهر الآس*، الدار البيضاء، 2002.

الشرايبي، أحمد بن **عبد الجليل** الفاسي، قال عنه في *إتحاف المطالع* : "كان فقيهاً مشاركاً عالماً بالفرائض والحساب، له تأليف في المحاصة". وتأليف آخر في الحساب سماه *الواحد الكامل*.

توفي بفاس ليلة الأربعاء ثاني وعشري شوال عام 4/1190 دجنبر 1776 ودفن بروضة الشيخ العايدي بالقباب.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 7 : 2408 ؛ *إزالة الالتباس*، مرقون، 2 ؛ 200؛ ع. الكبير الكتاني، *زهر الآس*، الدار البيضاء، 2002.

الشرايبي، أحمد الفاسي، أديب كاتب كان يتاجر في مدينة الجديدة مطلع القرن الرابع عشر (20 م) عينه الجنرال ليوطي المقيم العام لفرنسا بالمغرب عضواً في الوفد المغربي للمشاركة في المعرض التجاري المقام بمدينة ليون من فاتح مارس إلى 15 منه سنة 1919 (28 جمادى الأولى ـ 12 جمادى الثانية 1337) إلى جانب تجار آخرين من فاس والرباط ومكناس والدار البيضاء وأسفي ومراكش. ألف الشرايبي في ذلك رحلة سماها: *رحلة الوفد الميمون إلى*

مدينة ليون. تحدث فيها عن المعرض ومدينة ليون ومدن فرنسية أخرى زارها الوفد المغربي وما شاهدوه فيها من مآثر وصناعات حديثة.

توفي بعد 1387 / 1919.

أ. الشرايبي نفسه، *رحلة الوافد المبعون إلى مدينة ليون*، مخطوط ؛ م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، المحمدية، 1989، ج. 2.

محمد حجي

الشرايبي، أحمد بن **محمد**، مقاوم ولد سنة 1341 / 1923 بمدينة فاس وقد انخرط في صفوف المقاومة حيث كان عضوا بمنظمة الهلال الأسود بالدار البيضاء، قام بعدة أعمال

فدائية كما وزع مناشير تحث على مواصلة الكفاح إلى أن سقط شهيدا بتاريخ 25 جمادى الثانية عام 1375 / 8 فبراير 1956.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة رقم 108.

الشرايبي، عبد الهادي بن عبد الكريم العالم المتفتح والمناضل الوطني المكافح، ولد في فاس سنة 1327/1909 وشرع في مسيرته العلمية بإتقان الكتابة والقراءة واستظهار شيء من القرآن الكريم على يد الفقيه هاشم أگومي بمكتبه بحومة كرنيز. ثم التحق بمدرسة سيدي بناني بالدبوان، وقد

كانت أول مدرسة عصرية حرة أقيمت في المدينة بإشراف المرحوم التاجر الوطني السيد أحمد بن الطاهر مكوار والتاجر الشريف مولاي أحمد العمراني، وفيها أكمل حفظ القرآن الكريم على يد الفقيه بن ناصر الداودي. كما درس فيها مبادىء العلوم العربية على الأستاذ القاضي الحسن الداودي، ومبادىء الفقه والتوحيد على الفقيه مولاي إدريس بن علي العلوي. وبعد التخرج منها، التحق عبد الهادي الشرايبي بجامعة القرويين سنة 1340 لينهل من معينها العربي الإسلامي ويرتوي من دروس كبار علمائها. فأخذ *المختصر* بالخرشي و*الألفية* بابن عقيل عن الأستاذ الطائع ابن الحاج السلمي، و*المختصر* بالزرقاني والرهوني وبناني من باب البيوع عن شيخ الجماعة مولاي عبد الله الفضيلي، و*المختصر* بالشروح المذكورة من باب البيوع وباب الفرائض عن العلامة رئيس المجلس العلمي الشيخ أحمد بن الجيلالي الأمغاري، والمختصر بالزرقاني من باب الصيام عن الفقيه الراضي السناني، وأخذ *الألفية* بابن عقيل عن الفقيه إدريس المراكشي، والألفية بالشرح المذكور و*حاشية الشيخ الطيب ابن كيران على الموضح* عن الفقيه العلامة عبد الرحمان الشفشاوني، و*الشاطبية بعلم القراءات* عن الفقيه محمد بن عبد المجيد أقصبي، ودروسا من *صحيح البخاري* و*صحيح مسلم* عن القاضي الوزير الفقيه الشريف محمد بن العربي العلوي، ودروسا في التوحيد على يد العلامة مولاي علي الدرقاوي. وأخذ *السلم* بشرح بناني على يد الفقيه العباس بناني، ورجز *الاستعارة* للشيخ الطيب ابن كيران على الفقيه الصوفي محمد بن عبد القادر بناني. ودروسا في *المختصر* بالخرشي على الفقيه محمد بن الحسن الصنهاجي. وعندما ارتوى من كل ذلك، فإنه اختير لنيل شهادة العالمية أمام لجنة مركبة من مولاي عبد الله الفضيلي وأحمد ابن الجيلالي الأمغاري والطائع بن أحمد ابن الحاج السلمي وعبد الواحد بن عبد السلام الفاسي، فنال الإجازة العلمية سنة 1348. وصار يلقي دروسا في القرويين تطوعا، كما اشتغل بالتدريس في المدرسة الحرة برحبة القيس، ثم كان مديراً لها، ودرّس أيضاً بمدرسة درب الطويل وأشرف بعد حين على إدارة شؤونها. ذلك بأنه كان من الرعيل الأول من الشباب الوطني الذي أدرك أن مصيبة الاستعمار لم تأت إلا من تفريط المغاربة في العلم والدراسة. وقد تخرج في الثلاثينيات من القرن العشرين لينزل مع زملائه الوطنيين من أمثال علال الفاسي ومحمد بن الحسن الوزاني إلى ميادين النضال كفاحا، وليعتلي كل منبر سانح للصدع بحب الوطن وبحقوقه. ولذلك صارت حياته كلها جهاداً، وسجنا يدخله وآخر يخرج منه. وأول ما امتحن به، الضجة المفتعلة التي نسج خيوطها أرباب التزمت والبهتان والتضليل ممن كان يأكل من يد المعمرين ويتصدى لكل فكر تقدمي أو تعبير فطري عن حب الوطن. وكان عبد الهادي الشرايبي قد كتب مقالاً صدر في مجلة "الإسلام" التي كان يصدرها الأستاذ محمد داود في تطوان، في عدد شهر ذي القعدة 1352 (مارس 1934)، يتغنى فيه بما غلب عليه من حب الوطن بأسلوب عاطفي يقول فيه من

جملة ما قال: "فهل ألام ؟ دائماً أعبدها (يعني بلادي) ودائماً أختصها بالعبادة. ولقد تكون نفسي ثائرة مضطرمة، ولربما تكون ثورتها عنيفة إذا أنا فارقتها برهة من الزمن، فلا تهدأ ثورتها ولا يسكن جيشانها إلا حين تحتضنني أكنافها الرحيبة وتظللني سماؤها الصحوة الباسمة"، إلى كلام كله على هذا المنوال المعبر عن قوة الوعي الوطني وما كان يتطلع إليه ذلك الجيل المؤسس. ولكن سلطات الحماية وأذنابها من علماء السوء ما كانوا إلا ليسعوا في إسكات مثل هذه الأصوات. فمنع عبد الهادي الشرايبي من التدريس، وسحبت منه شهادة العالمية، ورمي بالانسلاخ عن حدود العقيدة. وكان ذلك أول معركة خاضها. ولم تزده إلا إيمانا بوجوب الكفاح والجهاد من أجل نصرة الوطن. فقد شارك في مظاهرات خريف سنة 1355 (1936) ودخل سجن عين قادوس لمدة شهر. وفي السنة التالية، شارك في مظاهرات أكتوبر 1937، فألقي القبض عليه، وحكم عليه بسنتين سجنا قضاها في برج النور في فاس، ثم في معسكر بكوليمة في الصحراء، لينقل بعد ذلك إلى سجن علي مومن في ناحية سطات ثم إلى سجن الدار البيضاء المدني. واستفاد من سجنه هنالك ليتعلم اللغة الفرنسية. ولما أقدم الوطنيون على المطالبة بالاستقلال سنة 1363 (1944)، كان عبد الهادي الشرايبي ممن زج بهم في سجون الاستعمار في الرباط ومكناس، وكان من المهددين بالإعدام بتهمة الاتصال بالألمان. وكانت تهمة ملفقة. اضطرت السلطات الاستعمارية لانعدام الحجة إلى إخلاء ساحته، واكتفت بإجباره على هجرة فاس، فانتقل إلى الدار البيضاء واستوطنها. وفيها عاد إلى مهنة التعليم في مدرسة محمد بن العربي العلمي الحرة مدرسا ثم مديرا. وبلغت المدرسة رتبة مرموقة في الحقل التربوي في تلك المدينة بفضل مجهودات مديرها ومواهبه. وفي الدار البيضاء كان آخر ما امتحنه به الاستعمار، إذ دخل سجن غبيلة على إثر أحداث دجنبر 1952 المترتبة على مقتل الزعيم النقابي التونسي فرحات حشاد، ولكن سرعان ما أطلق سراحه.

ولما استرجعت البلاد استقلالها سنة 1956، انخرط عبد الهادي الشرايبي في سلك الديبلوماسية المغربية الناشئة، فكان مستشاراً في سفارة المغرب في تونس سنة 1375. ثم إنه هو الذي فتح أبواب السفارة المغربية في ليبيا بصفة قائم بالأعمال بدرجة وزير مفوض، وذلك عام 1376. ثم انتقل إلى سفارة المغرب في القاهرة بنفس الرتبة والدرجة، وفيها قام بتمثيل المغرب في جلسات الجامعة العربية. وعاد إلى المغرب إلى أن عيّن قائماً بالأعمال بسفارة المغرب في باكستان، واستفاد من مقامه هنالك ليتعلم اللغة الإنجليزية. وبعد باكستان، أصبح سفيراً في ليبيا وذلك إلى سنة 1384. وعاد إلى المغرب ليدير قسم الشؤون الثقافية في وزارة الشؤون الخارجية، وهو المنصب الذي انتهت به مهامه الإدارية يوم أحيل على التقاعد سنة 1392. وقد حج إلى بيت الله الحرام وتبرك بالبقاع المقدسة وزارها ثلاث مرات عام 1386 وعام 1393 وعام 1399.

وللأستاذ عبد الهادي الشرايبي عدة تآليف تثبت مكانته العلمية وقدرته على التبليغ وإفادة عموم القراء، منها *الفقه الواضح* في جزأين، قرأ فيه مبادئ الدين أجيال من الشباب المغربي. وله أيضاً *التلاوة العربية* في أربعة أجزاء، مشاركة مع محمد بن العربي العلمي وإدريس بن محمد بن جعفر الكتاني. وله كتاب بعنوان *ثمن الحرية*، وهو عبارة عن مذكراته في النضال الوطني، صدر بالدار البيضاء عام 1398 (1978). هذا فضلاً عماً لا يحصى من المقالات في الصحف والمجلات، التي يروي متأسفا في كتابه الآنف الذكر أن بعض أقاربه بادر إلى إحراقها خوفا من التفتيش البوليسي في مظاهرات 1944. وكان عبد الهادي الشرايبي قد انضم إلى جانب محمد بن الحسن الوزاني بعد انشقاق الحركة الوطنية سنة 1937. فكان من كتاب جريدة الدفاع لسان حال الحزب القومي في الثلاثينيات، وفي جريدة الرأي العام في الأربعينيات والخمسينيات، وأيضاً في مجلة الثقافة المغربية التي أصدرها علال بن إدريس الجامعي ابتداء من سنة 1942 لتعوض مجلة الراحل سعيد حجي. وكان من قادة حزب الشورى والاستقلال. وبتلك الصفة، شارك في إعداد الوثيقة التي تقدم بها الحزب في شتنبر 1947 إلى المقيم العام الجنرال جوان بقصد استنباط النوايا التي عبر عنها في اللحظات الأولى من حكمه من أن نظام الحماية لابد أن يتغير. وشارك عبد الهادي الشرايبي في المباحثات التي جرت مع الإقامة إلى جانب محمد بن الحسن الوزاني وعبد القادر ابن جلون. ولما تبين سوء نية المقيم العام المذكور، انقطع الاتصال. وكان باختصار رجل علم وتعليم، ممن عرف كيف يصل الأصالة بالحداثة، وكيف يكرع من العلوم التقليدية ليجدد للثقافة العربية الإسلامية آفاق البحث العلمي. كما كان مناضلاً مقداما لا يتوانى عن التضحية من أجل استرجاع السيادة المغربية وصون الكرامة الوطنية.

توفي رحمه الله يوم الاثنين 16 ذي القعدة عام 16/1407 يوليوز عام 1987، ودفن بمقبرة الشهداء في الدار البيضاء.

عبد الهادي الشرايبي نفسه، *ثمن الحرية*، الرباط، 1398/ 1978 ؛ م. ابن الحاج السلمي، *إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين*، الدار البيضاء، (د. ت).

الشرايبي، علال الفقيه العلامة المشارك الموثق أخذ عن محمد ـ فتحا ـ بن قاسم القادري، وعن عبد الله البدراوي، وعن عبد المالك الضرير العلوي، وعن محمد ـ فتحا ـ كنون، وعن عبد السلام الهواري وعن أحمد بلخياط وعن آخرين ممن كانوا في رتبتهم. كان ماهرا في علم التوثيق والأحكام. وتولى قضاء الدار البيضاء سنة 1922، حيث حمدت سيرته وأحكامه.

وقد ذكر صاحب *سل النصال* أنه أخذ عنه في فاس شيئا

من علم النوازل وأسلوب كتابة الوثيقة. وجاء في رثائه في جريدة السعادة بقلم محمد بن يحيى الحسني الصقلي قوله بأنه: "الطود الراسخ الذي لم تؤثر فيه زعازع الأهواء، فكان يتلقاها بصدر رحب وثغر باسم عن فكر ثاقب وسياسة مثلى حببت فيه كل القلوب، رجل العدالة والنزاهة والصرامة في الحق والغيرة على إعلاء منار الشريعة السمحة التي عرف لها مكانتها وما هو واجب عليه من كونه حارس لها فلم تكن تصلح إلا له ولم يكن يصلح إلا لها".

توفي بالدار البيضاء على إثر عملية جراحية يوم الخميس فاتح صفر سنة 18/1350 يونيو 1931 فوُورِي التراب هناك.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع بسل النصال / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، 10 أجزاء، الجزء 9.

إبراهيم بوطالب

الشرايبي، الغالي، موسيقي. ولد بمدينة فاس في مطلع القرن العشرين. ومنذ شبابه ظهر ولعه بالموسيقى الأندلسية، فأقبل على تعلمها وحفظ مستعملاتها على يد الفقيه محمد البريهي.

وقد التحق الغالي الشرايبي بجوق البريهي عازفا على الكمنجة، وكان إلى جانبه الفنانون مولاي أحمد الوكيلي (عود) وإدريس اسمير (كمنجة) وعزوز بناني (طر) ومحمد دادي (طر) وعثمان التازي (عود).

وفي شهر ماي من عام 1939 كان ضمن أعضاء الجوق الذي شارك في المهرجان الأول للموسيقى المغربية المنعقد بفاس برئاسة الحاج عثمان التازي، حيث تم عرض صنعات من نغمة النهاوند على ميزان القائم ونصف.

انتقل الغالي الشرايبي إلى الرباط في الخمسينيات، وهناك انضم إلى جوق الإذاعة الوطنية برئاسة المرحوم الوكيلي. وفي عام 1965 التحق بمعهد مولاي رشيد أستاذا للصنعة والعزف على الكمنجة، ثم انقطع عن التدريس به عام 1968.

توفي يوم الأربعاء 7 ربيع الأول 7/1390 ماي 1970.

روايات شفوية ومعرفة شخصية.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الشرايبي، محمد بن المختار الفاسي، أديب شاعر صوفي، عاش في مراكش تاجراً ناسكاً. لا تعرف من آثاره الشعرية إلا ثلاث قصائد مطولة طبعها في حياته: *عقد الجواهر واللآلي والفتح الوهبي المتوالي* في الانتماء والتعلق بالشيخ العارف بالله سيدي محمد بن أحمد الملقب بسيدي رحال البدالي، (مطبعة الأمنية بالرباط، 1957/1377)؛ *قطعة شعرية في بعض مفاخر مراكش الحمراء* أذيعت من قاعة دار الطرب بمراكش يوم الأربعاء 18 ربيع الثاني عام 7/1358 يونيه 1939 وطبعت بمطبعة التقدم الإسلامية بمراكش؛ *النهل الأوفر في التعلق بمولانا إدريس الأكبر*، ألقاها بضريح المولى إدريس في موسم العلميين بزرهون سنة 1366 / 1947 وطبعت بمطبعة الأمنية بالرباط.

توفي بعد سنة 1377 / 1957.

إ. الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، سلا، 1988، ص. 188.

محمد حجي

شربار، فرجي، مقاوم ولد سنة 1334 / 1915 يأسا من والديه حمدي بن عدي ومحيجيبة بنت علي.

انخرط في صفوف جيش التحرير منذ انطلاقته ضمن المقاطعة السابعة تحت مسؤولية إيدا ولد التامك.

وقد اتسم شربار بأخلاقه العالية وحبه لوطنه طيلة انخراطه ضمن صفوف جيش التحرير حتى سنة 1960، شارك في عدة معارك ضد الاستعمارين الاسباني والفرنسي كأم لعشار، ومركالة، والرغيوة ووادي الصفا والساقية الحمراء وتلوين وثلاثاء صبويا وتاولاشت بأيت باعمران.

توفي يوم 29 رجب عام 1415/ فاتح يناير سنة 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 501335.

شربار، محمد بن حمدي، مقاوم ولد سنة 1317 / 1900 يأسًا.

التحق بصفوف جيش التحرير بالصحراء المغربية ابتداء من سنة 1957 ضمن المقاطعة السابعة تحت قيادة امبارك منار وإدريس بن بويكر. وقد شارك في عدة معارك ضد المستعمر الأجنبي منها معركة أم العشار والتي أصيب فيها بجروح بالغة.

وقد وافته المنية يوم 8 ربيع الثاني عام 4/1416 شتنبر 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 513311.

الشّرْبي، عائلة أندلسية كانت موجودة بتطوان عام 1081 وما تزال أسر إسبانية تحمل اليوم اسم Sorbe وSorbas نسبة إلى مدينة إسبانية بنفس الاسم. ومنهم بتطوان أفراد عُرفوا بالتجارة والفلاحة، والخدمة المخزنية من أعلامهم الحاج عبد الله الشربي سفير السلطان محمد بن عبد الله بن إسماعيل إلى تركيا العثمانية، وقد كتب له رسالة مع رفيقه القائد مبارك بن حماد، وصفه فيها بمعرفة المشارقة ومخالطتهم وبعث معهما ستمائة ريال هدية للسلطان عبد الحميد العثماني، وذلك سنة 1198 / 1784 أورد نص الرسالة الشيخ داود في تاريخ تطوان. ومنهم عبد السلام الشربي أمين الديوانة بتطوان سنة 1257 / 1841، والحاج أحمد الشربي أمين الصائر بمراكش سنة 1255 ـ 1258 / 1839 ـ 1842.

م. داود، *عائلات تطوان*، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 208، مخطوط ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 282، ط. تطوان ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطاون*.

محمد ابن عزوز حكيم ومحمد بوخبزة

الشربي، الحاج محمد من أعيان تطوان الذين مثلوا المدينة في مراسيم بيعة السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن في شهر ربيع الأول 1276 (أكتوبر 1859).

ويقول عنه الكاتب الإسباني ألاركون Alarcon إنه ظل بتطوان أثناء الاحتلال الإسباني لها سنة 1276 (1860) حيث تعرف عليه وكان يزوره من حين لآخر بداره ووصفه بالشاعر الموهوب الذي ألف عدة كتب في الفقه والتاريخ وله ديوان شعر؛ الأمر الذي جعل ألاركون يهدي له قصيدة بالإسبانية عنوانها "إلى الشربي الشاعر المغربي" (A Chorby poeta marroqui) نشرها ألاركون في ديوان شعره.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

الشربيل، من أحذية النساء في المغرب قبل انتشار الأحذية العصرية إلى جانب المشّاية والرّيحيّة. فالمشّاية بلغة بسيطة الصنع لها مقدمة دائرية تكون دائماً واطئة وبدون كعب ولا تبطين رقعتها تتخذ من الجلد العادي. وهي تلبس عادةً داخل المنزل أثناء القيام بمختلف الأشغال اليومية ويكون لونها إما أسود أو أحمر أو برتقالياً. وتختلف الريحية عن المشاية في أنها تكون في الغالب الأعم سوداء اللون ذات مقدمة مستديرة ومترهلة كانت المرأة تلبسها عندما تغادر بيتها لقضاء مآربها الخاصة. أما الشربيل فهو أحسن هذه الأحذية النسوية وأبهاها على الإطلاق من حيث الشكل ودقة الصنع والتطريز ورشاقة المنظر.

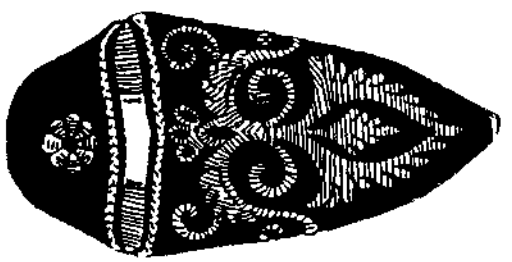

وكلمة شربيل تركية، أصلها شربلا التي تطورت إلى شبريل ثم إلى شربيل. وكان هذا اللفظ يدل على الأحذية الجلدية السوداء التي تنتعلها بدون كعب داخل البلاط نساء الحريم في القسطنطينية قبل أن ينتقل استعمالها فيما بعد إلى سائر العالم العربي والإسلامي وخاصة بعد امتداد نفوذ الدولة العثمانية إلى بلدان شمال إفريقيا في القرن العاشر (16م).

وتطور الشربيل إلى حذاء نسوي رفيع تتنافس الإناث في تغطية رقعته بالطرز الجزئي أو الكامل بخيوط الحرير أو الفضة أو الذهب.

لقد ظل مجال الشربيل في المغرب مقتصراً إلى نهاية القرن (19 م) على حريم المخزن ونساء كبار الأعيان في البلاد. وشيئاً فشيئاً انتشر استعماله في صفوف الفئات المتوسطة الأوضاع الاجتماعية وتعدى هذا النطاق في القرن الرابع عشر (20 م) (عرف أكبر انتشار له فيما بين 1912 و1956) ليشمل معظم نساء المغرب. لذا كانت سائر النساء الحضريات موسرات ومعسرات يمتلكن زوجاً واحداً من الشربيل كما يمتلكن رداء واحداً من القفاطين الزاهية وجملة من الحلي والمجوهرات الفضية أو الذهبية.

وبما أن الشربيل يعتبر في المغرب أحسن وأجود الأحذية النسوية بل هو الأبهى والأزهى والأكثر أناقة ورشاقة من سائر الأحذية الأخرى فإن سعره كان بسبب ذلك مرتفعاً ويزداد أكثر كلما كان مثقلاً بالطرز والتوشية.

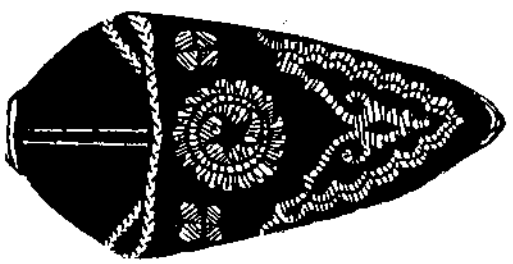

وكان أحسن أنواع الشربيل ما يتم صنعه "تحت الطلب" مما كان يندرج تحت اسم "شربيل الوصية" الذي يتخصص في تحضيره حرفيون مهرة يدعون "الشرابلية". أما متوسطة الجودة منها فكانت تصنع بالجملة وتعرض للبيع في القيساريات إلى جانب الأثواب والحلي والمجوهرات. وكانت فاس هي أكبر مركز على الصعيد الوطني في صناعتها ومنها كانت توزع بأعداد وافرة داخل المغرب وخارجه وكان من منتجات هذه المدينة من الشربيل ما يصل إلى السودان ومصر والنيجر والسينغال. كما كانت الرباط ومراكش ومكناس وتطوان من أكبر مراكز إنتاجها على الصعيد الجهوي. وقد نال المعلم محمد بن العربي بن إبراهيم والحسن المرنيسي، وهما أشهر صناع الشربيل في فاس، من الثروة والجاه والمال مالم ينله غيرهما من الحرفيين في المغرب، وقد استمر ذكر اسميهما إلى حدود النصف الأول من القرن (20)

في كل حواضر البلاد (R. Guyot, *Les Cordonniers de Fès*, p. 30). أما أكثرهم ثروة وجاها فكان هو المعلم السحاقي الذي كان "لا يخيط الشربيل إلا بالقنب البلدي وينمق بعضه بالقطن والحرير ويرصعه بالصقلي الحر ويبطنه بالملف". وقد كان هذا المعلم معاصر للسلطان سيدي محمد بن يوسف ويتوفر منه على ظهير للتوقير والاحترام موقع بيد الحاج محمد المقري بتاريخ 20 ماي 1933.

ومن مواصفات الشربيل أنه كان دائماً مغطى بالطرز، لكن هذا الطرز يختلف باختلاف الأذواق، فمنه الجزئي والكلي، ومن الكلي ما كان يغطي الرقعة بكاملها أو يغطيها في جزء منها بالحرير والجزء الثاني بخيط الفضة أو الذهب. ومن الشربيل ما كان امتلاؤه بالطرز خفيفاً وما كان ثقيلا ومنه ما كان مغطى أيضاً بخيوط النحاس مما عرف عند النساء الحضريات "بشربيل البلسيان". وكان أرفع الأنواع كلها هو الشربيل الممتلئ كليا والمطروز بخيوط الذهب مما يدعى "الصقلي"، وبما أن الطرز في هذا النوع كان يغطي كل مكان من رقعة الشربيل فقد سماه المغاربة "بلغة الصقلي الحر" أو "شربيل الصم" أو "الشربيل المغطوس". أما أدناه في مراتب الجودة فكان طرزه من خيوط النحاس الأصفر مما تسميه النساء "شربيل البلسيان" أو "شربيل الصقلي الحرامي". وكيفما كان نوع الطرز الذي يغطي رقعة الشربيل، فقد كانت كل النساء في المغرب تفضلنه على غيره من أنواع الأحذية فكانت هدايا العرائس لا تخلو من زوج منه سواء في الحواضر أو البوادي المغربية وبذلك كان قطعة لباسية لا يخلو منها صندوق أي امرأة.

أمين الريحاني، *المغرب الأقصى*، بيروت، 1975 ؛ حلمي محمد عشيش، *المغرب الأقصى كما رأيته*، القاهرة، دون تاريخ ؛ ع. العزيز بنعبد الله، *معجم الملابس*، الرباط، 1975 ؛ إ. بن الماحي، *إعلان الصناعة الفاسية بنهضتها السامية*، فاس، 1938 ؛ ع. أمهان، *الفنون المغربية الأصلية*، *مجلة أبعاد فكرية*، العدد الثاني السنة الأولى، 1989 ؛ جامعة الدول العربية، معجم اللباس، الرباط، 1975 ؛ م. حنيني، *نزعة التطور لدى المرأة المغربية*، *مجلة أمل*، العدد التاسع السنة الثالثة، 1997 ؛ ابتسام الصفار ومحمد بدري، *الأحذية والنعال*، النجف، 1973 ؛ علي طعمة، *المغرب تاريخه حضارته وحقيقته*، بيروت، دون تاريخ ؛ محمد عزيز حلمي، *عادات الزي في المغرب الأقصى*، د. ت. ود. م.

L. Brunot, *La cordonnerie indigène à Rabat*, *Hesp.*, T. 33, 1946; L. Bègue, *Les babouches et leurs décorations*, *France-Maroc*, n° 3, 15 mai 1917; R. Guyot *et al. Les cordonniers de Fès*, *Hesp.*, tome 23, 1936; A. Hardy, *Les babouchiers de Salé*, in *B.E.M.*, tome 5, 1938 ; S. Belkaïd, *La tannerie dans la ville de Marrakech*, Université de Nice, thèse de 3e cycle, 1983 ; Anonyme, *L'industrie marocaine des parures*, *B.I.D.M.*, juillet 1942; L. Massignon, *Enquête sur les corporations d'artisans et de commerçants au Maroc*, *R.M.M.*, vol. 58, 1924.

محمد بوسلام

ابن **شرحبيل** أو **الشرحبيلي الدرعي** بن محمد بن علي بن شرحبيل الدرعي، يكنى أبا محمد وأبا علي، اشتهرت نسبته إلى جده الثالث شرحبيل (*الدرر*، 167 ؛ *طلعة*، 2 : 10 ؛ *المعسول*، 18 : 241).

كان مولده يوم الاثنين 11 شعبان 1079/14 يناير 1669 في درعة، وفيها نشأ وتعلم. وقد اهتم في البدء بعلوم الظاهر، حتى أتقنها وحققها (الحضيكي، 167 ؛ *المعسول*، 18: 240 ـ 241)، وتفنن في جملة من العلوم العقلية والنقلية فاستحق لقب العالم العلامة (*الدرر*، 167 ؛ نشر، 3 : 333)، ثم سعى وراء علوم الباطن فأخذها، وتضلع بعلومها وأحكمها (*طبقات*، 167 ؛ *المعسول*، 18 : 240).

قرأ أولا على الشيخ أحمد بن محمد أحوزي الهشتوكي، وعليه اعتمد، وأخذ عنه، وعن الشيخ أبي العباس أحمد الخليفة بن مَحمد ابن ناصر الدرعي شيخ الزاوية الناصرية في تمكروت وكبير الطائفة الناصرية وزواياها في المغرب، أخذ عنه الورد الناصري وصحبه واختص به، وكان المباشر له في غالب أحواله، وصاحبه في وجهتيه الحجازيتين، وشاركه فيمن لقي فيهما من المشايخ". وذكر في *الدرر المرصعة* أن ابن شرحبيل ألف تآليف برسم شيخه أحمد الخليفة وبإشارته، منها *شرحاه على صغرى السنوني*، و*شرح سيف النصر* للشيخ مَحمد ابن ناصر ثلاثة شروح، كبير، وصغير، ومتوسط. وكان شرع في شرح *غنيمة العبد المنيب* للشيخ المذكور، وفي جمع *مناقب شيخه أبي العباس أحمد الخليفة*، لكن اخترمته المنية قبل أن يتمهما. ولقربه منه زوجه شيخه أحمد الخليفة من أخته عاتكة، فأصبح صهراً له (*طلعة*، 2 : 10).

ومن ثم، جعله بعضهم وارث شيخه أحمد الخليفة ابن ناصر، واعتبره الحضيكي ممن حاز أسرار الطريقة الغازية، ونعته "بشيخ الطائفة الشاذلية، ووارث الطريقة الصديقية العظمى"، بل رفعه غيره إلى مقام القطبانية (*خلال جزولة*، 3 : 82).

ولهذه النعوت أهميتها، إذا علمنا أن شيخه أحمد الخليفة لما توفي عام 1129/ 1717، لم يخلف عقبا، وأن ابن شرحبيل كان ممن نافس شيوخ الأسرة الناصرية على الزعامة في زاوية تامگروت. وقد تجاذب الحبال في هذا الصدد مع موسى بن محمد الكبير بن محمد ابن ناصر، ابن أخي شيخه أحمد الخليفة ابن ناصر. وكان موسى من المتخرجين على يد عمه أحمد الخليفة ابن ناصر، في علوم الظاهر والباطن، مثل ابن شرحبيل.

وقد أكدت الكتابات الناصرية بالإجماع على وصية أحمد الخليفة لابن أخيه موسى، بينما تأبى بعض المصادر، ولا سيما منها السوسية إلا أن تؤيد ابن شرحبيل في دعواه بوراثة شيخه، وأنه "الوصي" بعد "الخليفة".

ومهما يكن من أمر، فإن ابن شرحبيل باشر فعلا بعد وفاة أحمد الخليفة أمور الزاوية الناصرية في تامگروت، وقضى على رأس الزاوية مدة تجاوزت حولين من الزمن بعد وفاة أحمد الخليفة. ولنا شهادة مهمة على ذلك، وهي الرسائل التي كان يبعث بها ابن شرحبيل إلى المقدمين على الطوائف و الزوايا الناصرية بصفته شيخ الزاوية الناصرية الأم

في تامگروت (*رسائل ووصايا*). وظل كذلك إلى أن اضطر إلى مبارحة تامگروت تحت ضغط الأسرة الناصرية. يفهم ذلك من رسالة بعث بها المسمى محمد بن إبراهيم بن محمد التاكرشتي الهشتوكي الصوابي، تلميذ ابن شرحبيل، من درعة إلى أهله في سوس سنة 1132/ 1720، يخبرهم فيها أنه انتقل مع شيخه ابن شرحبيل من تمجروت إلى أغلان في درعة، بأمر من الشريف خليفة والده السلطان إسماعيل لشكاية المرابطين الناصريين، وثم أمر ابن شرحبيل أصحابه بالانتقال إلى أغلان، معلقا على تلك الواقعة، بقوله "...والحاصل قد شتت أمر هذه [الزاوية]...". وكان انتقاله وصحبه في شهر شوال 1132، حسب تاريخ كتابة هذه الرسالة (*المعسول*، 18 : 242).

واستقر في زاوية أغلان نحو عامين، قبل أن يرحل عنها أيضا في اتجاه فاس، وقد كان بها سنة 1134 (*المعسول*، 18 : 245). وإذا كنا لا ندري سبب انتقاله إلى الحضرة الإدريسية من أغلان، ولا السنوات التي بقي فيها بجوار مولاي إدريس، فإننا نعلم أنه كان موجودا في عام 1139 هـ بسوس (*المعسول*، 18 : 245).

وقد استقر ابن شرحبيل في نهاية رحلته بسوس في الزاوية التي أسسها في المكان المسمى أمان ملولين (الماء الأبيض) في قبيلة أيت تاكن (صنهاجة)، وهناك استقر به المقام، منذ عام 1139 هـ على الأقل (*المعسول*، 18 : 245).

وحقق ابن شرحبيل في زاويته الجديدة شعبية واسعة، وأقبل عليه السوسيون إقبالا عظيما، حتى صارت يده لا يعلى عليها في الطريقة هنالك (*المعسول*، 18 : 245). بل الظاهر أن نفوذ زاوية أمان ملولين الشرحبيلية أثر كثيرا على نفوذ الزاوية الناصرية الكبرى التامگروتية نفسها في منطقة سوس، حيث صار لها أتباع ومقدمون لا يدينون بالولاء والتبعية سوى للزاوية الشرحبيلية، مما خلق متاعب جمة للزاوية التامگروتية ولشيخها، موسى بن محمد الكبير بن محمد ابن ناصر، وهو الذي جاذب ابن شرحبيل الحبال، كما علمنا.

وفي هذا الصدد كتب صاحب *الدرر المرصعة*، وهو محمد المكي ابن شيخ زاوية تامگروت موسى ابن ناصر، بمناسبة حديثه عما سببه تعاظم نفوذ ابن شرحبيل لوالده هذا من متاعب، قائلا: "...ثم لما حلت سنة اثنتين وأربعين سافر (والده موسى بن محمد بن محمد ابن ناصر) من حضرة الزاوية المحروسة قصد النظر والوقوف على ما لها، بقطر سوس الأقصى، من الأحباس، من زيت وزرع وحديد ونحاس، وغير ذلك، لعدم إيصال شيء منها إلى الزاوية لاستيلاء بعض الكفرة الفجرة من المقدمين على ذلك، فسافر حتى بلغ زاوية أبي علي ابن شرحبيل الموسومة بـ(أمان ملولين) فلقيه بها وتكلم معه في ذلك. وكان المقدم المذكور من أصحابه وأتباعه المنوهين باسمه الزاعمين أنه الوصي. ووعده أن يكتب له، ويأمره برد ما أخذه ومنعه. وحاصل الأمر أنه لم يكتب له كما وعده، بل رجع عن مقالته، وركن إلى فعله الذميم (القديم). فخرج الوالد من عنده وقلبه نار تستعر، واجتاز بمراكش ثم بدمنات، وبها ابتدأه المرض الذي مات به" (*الدرر*؛ الدرة، 134؛ *المعسول*، 18 : 246).

وقد نقل المختار السوسي كلام مؤلف الدرر، ثم كتب معلقا عليه: "انتهى المقصود الذي يفهم منه أن إشعاع سيدي حسين أكثر ضوءا من إشعاع سيدي موسى. وقد أتى سيدي موسى إلى سوس لعله ينقذ هناك ما يريد إنقاذه، ولكن غمرته أمواج سيدي حسين..." (*المعسول*، 18 : 246).

بل لم ينفك نفوذ ابن شرحبيل في امتداد، ولا سيما في سوس. وقصده الناس من كل وجه لأخذ العلم، وللزيارة والتبرك. فلما "...رأى اشتياق الناس إلى لقياه، أعمل الرحلة في جميع قبائل سوس في طائفة من الطلبة من أصحابه، يدرس فيهم ويرشد العامة، ويصالح بين المتحاربين، ويسعى في المصالح العامة، فأقام أسواقا، وفصل قضايا كثرت الحروب حواليها"، وبنى مدارس وزوايا.

ومن أشهر الأسواق المنسوبة إليه في سوس منذ تلك الرحلة: سوق الخميس من أيت بوبكر في بعمرانة، وثلاثاء الاخصاص، وجمعة تيمولاي، وخميس تاغجيجت. كما تنسب إليه من يوم جال هناك تلك الجولة الكبرى، عيون ماء، لاتزال تجري قسمة مياهها كما قسمها لأهلها يومئذ (*المعسول*، 18 : 240). أما الزوايا المضافة إليه فهي الزاوية الكبرى في أمان ملولين، وأخرى في المنابهة، وثالثة في هوارة، ورابعة في مدينة تارودانت، وأخرى في درعة (*المعسول*، 18 : 249).

دامت رحلة ابن شرحبيل في سوس نحو سنة، وحين رجع لم يبق في داره إلا ثمانية أيام، فوافاه أجله يوم الخميس ثامن جمادى الثانية سنة 1142/ 29 دجنبر 1729. ودفن بزاويته الكبرى في أمنان ملولين، وبنيت عليه بها قبة بديعة (الدرر، 168). وبعد امحمد بن أحمد الحضيكي (ت. 1189/ 1775) مؤلف المناقب المنسوبة إلى اسمه، من أشهر تلامذته (طبقات، 167، 168).

أ. الخليفة ابن ناصر وابن شرحبيل الحسين، *رسائل ووصايا ناصرية*، مخطوط خ. ع.، بالرباط، ضمن مجموع ؛ محمد المكي ابن ناصر، *الدرر المرصعة في أخبار أعيان درعة*، تح. م. الحبيب نوحي، د.د.ع.، مرقون بكلية الآداب بالرباط ؛ م. بن أحمد الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزكو، د.د.ع.، مرقون بكلية الآداب بالرباط ؛ م. الخليفتي، *الدرة الجليلة في مناقب أحمد الخليفة*، تح. أ. عمالك، د.د.ع.، 1406/1986، مرقون بكلية الآداب بالرباط ؛ داود بن علي السلالي، *بشارة الزائرين الباحثين في الصالحين*، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج. 18، الدار البيضاء، 1381/1962 ؛ *خلال جزولة*، ج. 3، تطوان، دون تاريخ ؛ م. القادري، *السقاط الدرر*، تح. هاشم العلوي القاسمي، بيروت، 1403/1983 ؛ *نشر الثاني*، ج. 3، تح. م. حجي وأ. التوفيق، الرباط، 1407/1986 ؛ أ. الناصري، *طلعة المشتري في النسب الجعفري*، ج. 2، سلا، 1987.

أحمد الوارث

الشرحبيلية، زاوية تدعى أيضا زاوية سيدي حُسَيْن نسبة إلى مؤسسها الحسين الشرحبيلي سابق الترجمة. تقع بمكان يسمى "أمان ملولين" بتراب ويسلست (قبيلة إيزناگن). ويبدو أن تداعيات اختيار الموضع نابع من كونه امتدادا طبيعياً لمجالي سوس ودرعة، تتوسطه مجموعة من القبائل: إيزناگن، أيت إمر، أيت سمكان وأيت وعزدة... إضافة إلى كون منطقة رأس وادي سوس، تعتبر المعقل التقليدي للطريقة الناصرية وقاعدتها المتقدمة، ونستفيد من أدبيات الزاوية نفسها، أن هناك ممهدات لتوغل الطريقة حتى قبل استقرار الشرحبيلي بها عن طريق أبناء المنطقة الذين تتلمذوا مباشرة على يد الشيخ محمد بن ناصر من أمثال: صاحب *"الأجوبة الناصرية"* محمد بن أبي القاسم الصنهاجي (ت. 1143/ 1691 . 1692). كما اتخذها بعض رموز أفراد الأسرة الناصرية معقلا ذا قيمة روحية، في خضم الصراعات حول مشيخة تامگروت التي تنتاب أفراد الأسرة، كما هو الشأن بالنسبة لعلي بن محمد بن ناصر أثناء صراعه مع أخيه أحمد بن محمد. وظل هذا التأثير يمارس عبر مراسلات بين الزاوية الأم بتامگروت وأتباعها بالمنطقة.

لقد شكل الصراع حول خلافة الشيخ أحمد بن ناصر، منعطفا رئيسيا في تاريخ الزاوية الناصرية، اضطر معها الشرحبيلي إلى النزوح من تامگروت إلى قبيلة إيزناگن، حيث أسس زاويته المشهورة بأمان ملولين سنة 1139 / 1725. 1726، وكانت تعرف بزاوية الرحمة والأمان، ولاشك أن مكانته العلمية والصوفية أهلته ليؤسس زاوية منظمة تجاوز نفوذها قبائل رأس الواد لتعانق مجالات جغرافية متباينة داخل الصقع السوسي، فانخرطت بسرعة في محيطها القبلي، وذلك من خلال الأدوار التي كانت تضطلع بها من قبيل: إطعام الطعام، التدريس والإرشاد وفض النزاعات... وطارت شهرة مؤسسها، وأقبل عليه الناس من كل الآفاق.

وكغيرها من الزوايا المشهورة آنذاك، ظلت موارد الزاوية الشرحبيلية تأتي من إعانات سكان المنطقة عن طريق تقديم جزء من المحصول يسمى (ترباعيّين). كما أن أحباسها أضحت منتشرة بشكل كبير في جميع أرجاء سوس، حيث لا يخلو أي مدشر أو قرية من أحباس موقوفة لصالح الزاوية كما تساق إليها الإعانات من هدايا وزيارات وذبائح...

وهكذا استقطبت الزاوية الناشئة بدورها عددا لا يستهان به من الأتباع، وازداد بذلك إشعاعها، وتحولت على إثره الإعانات التقليدية التي كانت تأخذ طريقها إلى تامگروت لصالح زاوية آمان ملولين. ومن مظاهر هذا التحول رفض مقدمي الزاوية بسوس دفع عائدات الأحباس للزاوية الأم. وهذا ما كلف سوسى الناصري عناء الانتقال إلى المنطقة لاسترجاع مواردها، وتجديد الصلة بفروع الزاوية الناصرية، بيد أن اتصالاته بغريمه الحسين الشرحبيلي آلت إلى الفشل "فخرج الوالد من عنده، وبقلبه نار تسعر" (*الدرر المرصعة*). ولا يستبعد أن يكون ذلك الإحباط، كما يستشف من كلام صاحب الدرر، سببا في مرض وفاته.

و"هكذا ختمت حياة هذا الرجل العظيم في بحبوحة متسعة من الشهرة الطنانة في سوس" (*المعسول*، ج. 187، ص. 246). ويظهر أن أتباعه وزواياه تكاثرت خاصة في حوض سوس (المنابهة، تارودانت، هوارة...). توفي المترجم ليلة الخميس 8 جمادى II 1142 / 9 يناير 1729 وقد واصل أولاده وأحفاده نفس النهج، وحافظوا على مكانة الزاوية العلمية والصوفية. وتستوقفنا المصادر عند البعض منهم من أمثال محمد بن عبد الله الشرحبيلي، مَحمد وأحمد الشرحبيلي، ممن كانوا يتصفون بصفات العلماء المتصوفة. ويبدو أن تألق نجم الزوايا الأخرى داخل المجال السوسي، آل إلى تراجع وتيرة الزاوية الشرحبيلية.

م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة بأخبار أعيان درعة*. تح. م. الحبيب النوحي. د.د.ع. الرباط، 1987، ص. 167، 241، 306، 459 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، د.د.ع. الرباط، 1994، ترجمة رقم 254 ؛ ع. الرحمان الجشتيمي، *الحضيكيون*، تر. 48 . 49 . 50 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج. 18، ص. 238، 245 . 248 . 249 ؛ ج. 19، ص. 232 . 236 ؛ ج. 20، ص. 162 ؛ *خلال جزولة*، 3 ؛ 65 ؛ *وثائق خاصة*.

L. Justinard, *Notes sur l'histoire du Sous au XVI siècle*. A.M., 1933.

أحمد بومزگو

شرا، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Serra وJerra ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1088 / 1677.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1426.

محمد ابن عزوز حكيم

الشرادي، أسرة فاسية منسوبة إلى قبيلة الشراردة المعروفة بحوز مراكش حيث توجد زاوية الشرادي التي هي فرع عن الزاوية الناصرية. استقرت فرقة منهم قديماً بمدينة فاس، وهم أهل معاش وحرفة، والتحق بهم آخرون بعد تخريب زاويتهم الأمّ سنة 1244/1809.

ولما دخل الشيخ محمد بن أحمد الشرادي إلى فاس مرجعه من الحج سنة 1177/1764 استقبله الفاسيون بحفاوة وأخذوا عنه الطريقة، وبنوا الزاوية الشرادية بزنقة الدرج من عدوة فاس الأندلس، ورتب لهم فيها أوراد الوظيفة الزروقية وغيرها وأقيمت فيها الصلوات الليلية بإمام راتب، ونصب فيها كرسي لتدريس الفقه والتصوف. وبعد تخريب زاوية الشرادي الأم انتقل شيوخها إلى زاويتهم بفاس.

م. القادري، *نشر المثاني / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 6 : 2147 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، 2 : 200.

محمد حجي

الشرّادي (زاوية -)، بحوز مراكش، أسسها أحمد بن عبد الله بن مبارك الشرادي، تلميذ أحمد ابن ناصر شيخ الطريقة الناصرية. وقد نجح أحمد بن عبد الله الشرادي في استقطاب أتباع كثيرين بنواحي مراكش، خاصة ضمن قبيلته الشراردة.

وبعد وفاته سنة 1160/47 . 1748 خلفه ولده محمد الذي حج في سنة 1177/1763 . 1764 وفي طريق عودته إلى موطنه مر بمدينة فاس وأسس بها فرعا للزاوية في عدوة الأندلس. وفي عهد المولى سليمان تولى أمر الزاوية ولده المهدي الذي لم ينل من العلم إلا قليلا حسب صاحب كتاب *الاستقصا*، لكنه ادعى معرفة السيمياء والحدثان "فازداد ناموسه وتمكن من جهلة قومه". واتسع صيته إلى ما وراء حدود قبيلته، وربما وصل به الأمر إلى التصريح بأنه "المهدي المنتظر"، وهو شيء يسهل تصديقه في خضم الأزمة الاقتصادية والسياسية التي طبعت السنوات الأخيرة من حكم المولى سليمان.

وجاءت هزيمة السلطان سليمان في ربيع 1819 وما تلاها من أزمة سياسية لتخلق الظرفية المواتية لاستفحال أمره وظهور علامات الخلاف بينه وبين ممثلي المخزن بمراكش وأحوازها. ومن أسباب الخلاف التي استفحلت بعد هزيمة زيان مسألة إيواء الزاوية للهاربين من عدالة المخزن ولجوء القائد قاسم الشرادي إلى إخراجهم منها سيرا على نهج المولى سليمان الذي لم يعترف في وقت من الأوقات للزوايا بحق حماية الجناة والمتمردين على الدولة. ويقول الزياني أن القائد المذكور أغرى السلطان بتأديب المرابط وشيعته، لكن الحملة العسكرية التي جهزت لهذا الغرض آلت إلى الفشل بعد أن رجع الجيش المخزني على أعقابه مسلوبا من الخيل والسلاح. وهذا ما حدا بالسلطان إلى تنظيم حملة أكبر استنفر لها عددا من قبائل الحوز، وفي طليعتهم قبيلة الرحامنة. ويلوم الزياني القائدين قاسم الرحماني وعمر بوستة على سوء نصحهما للسلطان والدفع به إلى التشدد ورفض تشفع الشراردة والتماسهم للعفو. ومرة أخرى هزمت الجيوش المخزنية ولم يفلت المولى سليمان إلا بانحيازه لجانب الشراردة الذين ساروا به إلى الزاوية قبل أن يصحبوه إلى أبواب مراكش في مشهد يذكر بهزيمة زيان قبل ثلاث سنوات تقريبا، وما أعقبها من إرجاع السلطان إلى دار ملكه على يد الذين هزموه بالأمس. وكانت هذه الهزيمة القاسية الضربة القاضية لمعنويات سلطان تجرع مرارة الهزائم وسئم الحياة، فكانت وفاته بعد ذلك بوقت يسير، تاركا لابن أخيه مولاي عبد الرحمان الذي أوصى له بالخلافة مهمة تدبير أمر الزاوية الشرادية.

وإذا كان المولى عبد الرحمان قد غض الطرف عن ما سبق من توتر بين الزاوية والمخزن فإنه أظهر ما يكفي من الحزم لزجر كل التجاوزات التي تخرج بالزاوية من المجال الديني الصرف إلى المجال السياسي. وكان من جملة ما يؤاخذ به المولى عبد الرحمان الزاوية الشرادية احتفاظها بعدد من المدافع والمهاريس التي استولى عليها مقاتلو الشراردة في حربهم مع جيوش المولى سليمان. وفي سنة 1828/1244 صمم المولى عبد الرحمان على وضع حد نهائي لوجود هذه الزاوية، فحشد الجيوش وحاصرها لمدة أسبوع قبل أن يقتحمها ويُخربها ويهدم أسوار قصبتها. وفرّ شيخها المهدي الشرادي وتم نقل من بقي منهم إلى ناحية الغرب. وبعد ثلاث سنوات من هذه الحملة التأديبية أرسل المهدي الشرادي من يتشفع له عند السلطان فعفا عنه المولى عبد الرحمان وسمح له بالسكنى مع أولاده بمدينة مكناس. ثم بعد حين ولاه على قومه لكنهم رفضوه بعد أن سقطت هيبته في نظرهم وحمّلوه ما أصابهم من مآسي.

أ. بن خالد الناصري، *الاستقصا*، ص. 2، الدار البيضاء، 1956، الجزء 9 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام*، الرباط، 1974، الجزء 2.

محمد المنصور

الشرّادي، أحمد بن عبد الله بن مبارك الزراري القضاعي. والزراري نسبة إلى زرارة، إحدى قبائل گيش حوز مراكش، سليلة عرب معقل الصحراء. والقضاعي، نسبة إلى القبيلة العربية المشهورة بشبه الجزيرة العربية.

لا نعرف شيئا يذكر عن حياته الأولى، ولا عن طلبه للعلم. والغالب على الظن أن شهرته ارتبطت بانتسابه للشيخ أحمد بن ناصر الدرعي، صاحب زاوية تامگروت (ت. 1129/ 1717)، حيث كان من بين من أخذوا عنه الورد، من طريق الشيخ الحسن اليوسي. كما كان يروي عن أبي سالم العياشي، والمرسلي التامگروتي.

وبناء على ما سبق، نستخلص أن شهرة الشرادي قد ارتبطت بالتصوف ؛ إذ تذكر المصادر التي ترجمته أنه كان راسخ القدم في هذا المضمار. قال القادري: "فمنهم الولي الصالح، العارف الناصح، ذو البرهان الواضح، معدن الأسرار، وكهف الوفود والزوار، الشائع ذكره في الحواضر والبوادي" (*النشر*، 4 : 59).

وتفيد المصادر أيضا، أنه كان مقيما بمدينة مراكش، التي اشتهر بها فروع الزاوية الناصرية الواقعة برياض العروس. فتعدد أتباعه ومريدوه، وصار الناس يترددون عليه بالزيارة، دون مقدم الزاوية الناصرية، محمد بن عبد الله الحمري، الذي كان له الإذن من الشيخ أحمد بن ناصر.

ومن ثم، سولت له نفسه الخروج عن الناصريين، فانعزل عنهم مع أتباعه، قبيل عام 1121/1709، كما يستفاد من رسالتين ؛ إحداهما للتاستاوتي، والأخرى للحمري (*طلعة المشتري*، 2 : 113 . 114 و*إعلام* المراكشي، 6 : 16 . 18). لكن الناصريين، شيوخا وتلاميذ، لم يسكتوا عما فعله الشرادي؛ حيث اعتبروه منشقا عنهم؛ الأمر الذي اضطر معه إلى مغادرة مراكش ليشيد زاوية خاصة به غربي هذه المدينة. وهنالك شاع ذكره، فقصده الناس من الآفاق البعيدة. وممن

أخذ عنه الطريقة سيدي محمد بن عبد الله، أوائل نزوله بمدينة مراكش ؛ حين كان خليفة والده بها (الحسن العبادي، *الملك المصلح*، ص. 62). كما أخذ عنه يحيى بن عبد الله الجراري السوسي (*الإعلام*، 2 : 379).

توفي أحمد الشرادي عام 1747/1160 ودفن بالزاوية المنسوبة إليه، التي استمرت قائمة العين والأثر حتى عام 1244/ 1829، حيث تم تخريبها على أيدي جيش السلطان عبد الرحمن بن هشام.

م. القادري، *نشر الثاني*، 4: 59 ؛ أ. الناصري، *طلعة المشتري*، 2 : 113 ـ 114 ؛ ع. المراكشي، *الإعلام*، 2 : 378 و6 : 18 ؛ ح. العبادي، *الملك المصلح*...

أحمد عمالك

الشرادي الفاضلي، محمد بن إبراهيم، ولد يوم ثاني رجب 1338/ 25 دجنبر 1919 بالدار البيضاء. التحق بعد مرحلة الكتاب القرآني بمدينة سطات بالتعليم العصري المزدوج، الابتدائي بسطات والثانوي بثانوية مولاي يوسف بالرباط. وبعد حصوله على شهادة الدروس العادية الإسلامية (C.E.N.M.) انضم كتلميذ معلم إلى قسم تكوين المعلمين الملحق بالثانوية اليوسفية وتخرج منه. بعد تكوينه البيداغوجي، عُين معلما متدربا للغة الفرنسية في فاتح مايو 1939 بالمدرسة الابتدائية الإسلامية بمراكش القصبة. ومنها انتقل إلى التعليم بسلا فاستوطنها إلى آخر حياته، وحصل على دبلوم اللغة العربية من معهد الدراسات المغربية العليا، الشيء الذي أهله للاندماج في إطار الأساتذة المكلفين بالدروس، بثانوية الليمون في فاتح أكتوبر 1954، ثم بثانوية مولاي يوسف بالرباط. بعد ذلك تم تعيينه نائبا لمدير التعليم التقني بوزارة التربية الوطنية في فاتح نونبر 1961، ثم مفتشا للغة العربية بالتعليم الثانوي ورقي إلى مفتش أول بوزارة التعليم إلى أن أحيل على المعاش.

عرف المترجم بدماثة الخلق وحسن المعاشرة، والقدرة على التحليل بموضوعية، وشغف بعد تقاعده بالدراسات الإسلامية من علوم قرآنية ومختلف مدارس الحديث والفقه، محاولا كشف مدلول النصوص في ضوء سياقها التاريخي، مقارنا أحكام مختلف المذاهب وناقدا آراء الفقهاء والمتكلمين. شرع

في ترجمة معاني القرآن الكريم بعد اطلاعه على ترجمات من سبقوه لذلك لكن رحيله المبكر حال دون تحقيق أمنيته.

ألف بالمشاركة مع ابن خاله محمد القباج كتاب *باقة من الأمثال المغربية* بترجمتها الفرنسية، في طبعة جيدة أنيقة، غفل من أية إشارة لتاريخ النشر أو للمطبعة وتوفي فجأة ليلة السبت 19 صفر 1406/ ثالث نونبر 1985، ودفن بباب معلقة ورثاه على قبره صديقه الشاعر علي الصقلي بكلمة مؤثرة، ثم أقيم له حفل تأبين، ألقيت فيه كلمات وقصائد وأنشدت بدوري قصيدة شعرية مطلعها :

القلب أصبح واهي الأوتاد لما نعيت محمد الشرادي

م. الشرادي نفسه، *باقة من الأمثال المغربية*، د. ت ؛ *وثائق إدارية وعائلية* ؛ *معرفة شخصية*.

أحمد السوسى التنانى

الشرادي، محمد بن **أحمد** الزراري القضاعي، ثاني شيوخ الزاوية الشرادية، الواقعة بحوز مراكش على بعد نصف مرحلة من المدينة في اتجاه الغرب، خلفا لوالده أحمد بن عبد الله الشرادي سابق الترجمة. بل تعتبر بعض المصادر محمد بن أحمد الشرادي هو مؤسس الزاوية، وليس والده (*الاستقصا*، ج. 8، ص. 160). ونعتبر هذا القول الأخير مجرد سبق قلم، إذ رغم أن كتب التراجم، التي تنسب الزاوية للشرادي الأب المتوفى حوالي 1160 / 1747، لا تحدد تاريخ تأسيس هذه الزاوية، فإنه يفهم مما ترويه كتب التاريخ عن لجوء الأمير سيدي محمد بن عبد الله، أيام كان خليفة لوالده بمراكش، إلى هذه الزاوية، بسبب فتنة الرحامنة، واتصاله فيها بأحمد الشرادي (*تاريخ الضعيف*، 1 : 277) أنها سابقة الوجود عن هذا التاريخ، أي أن الزاوية، تبعا لذلك، كانت قائمة زمنئذ، وأن محمد بن أحمد الشرادي، إنما خلف والده فيها.

وقد تتلمذ محمد الشرادي على يد والده، في نفس الزاوية، وأخذ عنه فيها علوم الظاهر والباطن. ويُذكر أنه بلغ في هذا وذاك مقاما عليا بشهادة المترجمين له، حيث وصف بالفقيه والعلامة والصالح الورع (*الإعلام*، 6 : 146)، ووصف بالشيخ المشارك الأديب المؤرخ (*الإعلام*، 6 : 147)، كما نعت بالفضل والقدر الكبير والعز الخطير والجلال والمجد (*نشر الثاني*، 4 : 95)، بل لم يتردد العلماء في مدحه، كما فعل المؤرخ الزياني في الفهرسة التي ذكر فيها شيوخ السلطان مولاي سليمان، حيث حلاه بقوله:

ومقصد العلوم والأوراد محمد ابن الصانع الشرادى

ولا غرو في ذلك، فقد خلف محمد بن أحمد الشرادي والده على رأس الزاوية الشرادية في حوز مراكش، وحظي، إبان مشيخته، بمكانة مرموقة لدى الخاصة والعامة وفي هذا الصدد يُذكر أن السلطان مولاي سليمان طلب منه أن يجيزه في مروياته، فأجازه إجازة عامة، حسبما أجازه شيخه الوالد عن أبي سالم العياشي، بما احتوت عليه فهرسة هذا الأخير.

بل لقد استغل الشيخ الشرادي هذه المناسبة فختم نص الإجازة بنصائح موجهة إلى السلطان مولاي سليمان نفسه، مما قال فيها: "...وعلى سيدنا إيثار العدل وقصد الحق والنصح لجميع الخلق مع الفحص عن الأحوال".

توفي عام 1212/ 1798، وقبره في الزاوية الشرادية القديمة.

آ. الناصري، *الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى*، البيضاء، تسعة أجزاء، 1954 ـ 1956 ؛ *طلعة المشتري في النسب الجعفري*، طبعة حجرية مصورة بالأفسيت، 1407/1987، جزآن ؛ ع. بن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط؛ م. بن أحمد الشرادي، *إجازة مولاي سليمان*، م. خ. ع. الرباط، رقم 2795 د، ضمن مجموع ؛ م. بن الطيب القادري، *نشر المثاني*، تح. م. حجي وأ. التوفيق، الرباط، أربعة أجزاء، 1397 ـ 1407/ 1977 ـ 1986 ؛ م. الضعيف، *تاريخ الضعيف الرباطي*، تح. م. البوزيدي الشيخي، البيضاء، 1988.

أحمد الوارث

الشرادي، محمد الرباطي، أحد أفراد البعثة الطلابية التي وجهها الحسن الأول إلى أوربا سنة 1874/1291. وقد درس الهندسة الحربية في إسبانيا مع طالبين آخرين، هما عبد السلام الرباطي وأحمد بن العباس ابن شقرون الفاسي. ومكثوا هناك تسع سنوات إلى أن تم تكوينهم، وقد ألحق محمد الشرادي فور رجوعه بالخدمة المخزنية بحاشية الحسن الأول.

لا يعرف تاريخ وفاته بالضبط، ولكنه في حدود 1340/ 1922.

ع. الرحمن ابن زيدان، *العز والصولة*، الرباط، 1961، ج 2 : 150، 160 ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، بيروت، 1988، ج 1 : 167 ـ 168.

الشرادي، محمد الزوين ← سيدي الزوين

الشرادي، محمد الفاطمي بن المقدم محمد بن حمادي الفاسي، يعرف فريقه بالشرادي بوعصا، فقيه مشارك تخرج على يد كبار شيوخ عصره: أحمد بن الخياط الزكاري، وهو عمدته، وعبد السلام الهواري، وعبد الله البدراوي وأضرابهم. ولي قضاء مدينة تارودانت مدة ثم رجع إلى فاس وانقطع للتدريس والتربية والتأليف أكثر إقرائه لمختصر خليل و*ألفية* ابن مالك، ومعظم مؤلفاته في الفقه المالكي، وهي صغيرة على العموم طبعت كلها على الحجر بفاس: *تسهيل النجعة بمراتب الشفعة؛ تشنيف السمع في حكم السبع؛ تقييد في نوني التوكيد؛ مسائل النحلة؛ وردة الدهان في أحكام الرهان*.

وكان خطيب جامع المنية، وأسندت إليه في آخر عمره عضوية المجلس العلمي بالقرويين إلى أن أدركته الوفاة بهذه الصفة.

توفي بفاس يوم الأربعاء 19 صفر عام 8/1344 شتنبر 1925 ودفن إلى جانب شيخه أحمد ابن الخياط بضريح الشيخ يحيى الزكاري بحي الرميلة.

ع. السلام، ابن سودة، *إتحاف المطالع/سل النصال/ موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 8 : 2947 ؛ إ. الإدريسي، *معجم الطبوعات المغربية*، سلا، 1988، ص. 188 ـ 189.

محمد حجي

الشرادي، المهدي بن محمد بن أحمد بن مبارك. تذكر المصادر أنه تصدر للمشيخة في الزاوية الشرادية بحوز مراكش، بعد وفاة والده، حوالي 1212/1798، ونهج نهج والده وجده، وجرى مجراهما في التصوف (*سلوة الأنفاس*، 3: 205 ؛ *الاستقصا*، 8 : 160). ويفهم من كتب المناقب أنه لم يكن يقل عن سلفه مستوى، لا في علوم الظاهر ولا في علوم التصوف. ومن ثم، وصفه بعضهم بالفقيه الذاكر الناسك (*سلوة الأنفاس*، 3 : 205)، لكن بعضهم أخذوا عليه غلوه في اعتماد علوم الغيب وإفشائه أسرارها للعوام، وبالغوا في انتقاد هذا المسلك إلى حد الطعن في صلاحه والتقليل من شأنه، فسماه بعضهم بالدجال (*الاستقصا*، 8 : 22)، ووصفه بعضهم بالفتان والضال (*إتحاف أعلام*، 5 : 22، 102)، وغير ذلك من هذه النعوت والصفات. وفي هذا الصدد كتب صاحب *الاستقصا* قائلا: "...نشأ المهدي الشرادي في دولة السلطان المولى سليمان رحمه الله، واتخذ شيئا من كتب العلم من غير أن يكون له فيه يد تعتبر، ثم تظاهر بمعرفة السيميا والحدثان، فازداد ناموسه، وتمكن من جهلة قومه، وربما نما شيء من أمره إلى السلطان فتغافل عنه" إلى أن استفحل أمره، وأعلن العصيان.

والواضح أن التقليل من شأن المهدي الشرادي يرتبط في كتابات منتقديه بمعارضته لسياسة المخزن، زمن المولى سليمان. وفي هذا الإطار، معلوم، أن السلطان المذكور تبنى، منذ توليه الحكم، سياسة ترمي إلى إخضاع مؤسسة الزاوية للشرع، ومن ثمة فرض هيمنة سياسية دينية كاملة للمخزن في البلاد. الأمر الذي أدى إلى نشوب مواجهات عنيفة بين المخزن وتلك المؤسسة الدينية ـ القبلية، خصوصا إبان الفترات التي اضطر فيها المخزن إلى جباية المستحقات الضريبية من القبائل في السنوات العجاف، كما حصل في بداية القرن 19 م. (*الأولياء*، ص. 822 ـ 827).

وإذ نجحت قوات المولى سليمان في إخماد ثورات قبائل عديدة، واستحان الصوفية وأرباب الزوايا الذين قادوها أوعضدوها، فإنها لقنت الهزيمة أكثر من مرة، أخطرها هزيمتان، كانت إحداهما في حوز مراكش، أمام خدام الزاوية الشرادية، بقيادة الشيخ المترجم له، المهدي بن محمد الشرادي سنة 1230/1814.

وفي هذا الصدد ذكرت المصادر التاريخية أن نفوذ شيخ الزاوية الشرادية بلغ مستوى جعل أمر المخزن لا يستقيم في قبيلة الشراردة بحوز مراكش، الأمر الذي دفع المخزن إلى شن

الحرب على القبيلة وزاويتها وزعيمها. لكن الغزوة انتهت بهزيمة ساحقة لجيش المخزن، وهلاك كبار قواده. بل لم يقف الأمر عند هذا الحد، إذ "(...) زحف الشراردة إلى المحلة (السلطانية)... فتوزعتها... شذر مذر، ... وتقدم (كبارها) إلى السلطان...، وكان راكبا على بغلته، فالتفوا عليه، وساروا به إلى زاويتهم، وأنزلوه بالدار المعروفة عندهم بدار الموسم، واحترموه وغدوا وراحوا في خدمته... وبقي عندهم ثلاثة أيام، وحضرت الجمعة فصلاها عندهم وخطبوا به، ومن الغد ركبوا وصحبوه إلى مراكش إلى أن وصل إلى عين أبي عكاز، فودعوه ورجعوا..." (*الاستقصا*، 8 : 106). وبقدر ما أثرت هذه الهزيمة على هيبة المخزن، زادت من استفحال نفوذ الشيخ المهدي الشرادي، حتى قيل إنه ادعى المهدوية (*الاستقصا*، 9 : 18).

لكن الظاهر أن هذا القول مبالغ فيه، لأنه بمجرد أن بويع السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام سنة 1822/1238، بايع الشيخ المهدي الشرادي السلطان الجديد، "(...) في جملة الناس، ولما قدم السلطان قدمته الأولى إلى مراكش، لقيه الشراردة في خمسمائة فارس بمشرع ابن حمو مؤدين الطاعة، ففرح بهم وأكرم وفادتهم. ولما عزموا على الرجوع كان في جملة ما قال لهم السلطان: إن ما فات قد مات، وما نهب في أيام الفتنة فهو هدر، ومن الآن من فعل شيئا يخاف على نفسه. فرجع الشراردة إلى بلادهم وعيَّد السلطان بمراكش عيد المولد (1243 هـ)، فحضرت الوفود، وحضر الشراردة في جملتهم، وساقوا للسلطان خمسة عشر جملا من الكتان وخمسة أحمال من الملف وأربعة آلاف مثقال عينا، مما كانوا نهبوه من صاكة الصويرة قبيل وفاة السلطان المولى سليمان... فكان من تمام إحسان السلطان إليهم، وتألفه إياهم أن قال لهم: افرضوا لي مائتي فارس منكم تذهب إلى درعة، وهذا الكتان والملف هو كسوتهم، والمال صانرهم، ففعلوا، وكساهم السلطان، وأنعم عليهم" (*الاستقصا*، 9 : 17).

لكن العلاقة بين السلطان مولاي عبد الرحمن والشراردة سرعان ما ساءت. وفي هذا الصدد كتب الناصري : "لما ولي (السلطان) أخاه المولى المامون على مراكش تمرضوا في طاعته، ودعا المهدي (الشرادي) تهوره إلى أن شكاه إلى السلطان، وهو بمكناسة يومئذ، ويعتد عليه بأنه يأخذ منهم الزكوات والأعشار على غير وجهها الشرعي، وأنه ولى عليهم أربعة عمال أو خمسة، عوض عامل واحد كان يتولى عليهم، فأغضى السلطان عن ذلك، وبالغ في إلانة القول له في كتابه، ووعده بأنه إذا وصل إلى مراكش يشكيه من أخيه. وفي أثناء ذلك، وقبل وصول كتاب السلطان إليه أغرى إخوانه بالخروج عن طاعة السلطان، والاشتغال بما يسخط الله ويرضي الشيطان، فانبثت خيولهم في الطرقات، ومخروها مخرا وانتسفوها نسفا، وعمدوا إلى قوادهم الذين ولاهم المولى المأمون عليهم فقبضوا عليهم وأودعوهم السجن وانتهبوا دورهم، ووصل المسافرون والتجار إلى باب السلطان مجردين عراة يشكون السلطان مادهمهم من أمر الشراردة" (*الاستقصا*، 9 : 17، 18 ؛ *الإعلام*، 7 : 276).

وأضاف الناصري "...وكان المهدي قد عظم ناموسه، وتمكن من جهلة قومه، وكاد يتجاوزهم إلى غيرهم حتى صار يعرض أو يصرح بأنه المهدي المنتظر، وكان السبب في طغيانه وطغيان قومه ما اتفق له في هزيمة السلطان المولى سليمان رحمه الله، فظن المهدي وشراردته أن لا غالب لهم من الله" (*الاستقصا*، 9 : 18).

وعلى كل، فقد توجه السلطان في أوائل عام 1244 هـ، نحو الزاوية الشرادية، على طريق أسفي، على رأس جنود جرارة، وأحدق بها من جهاتها الأربع، ونشبت الحرب بين الطرفين، سبعة أيام متتالية من شهر ربيع النبوي 1244 هـ، تبادل فيها الجيشان الضرب بالمهارس والمدافع.

وزيادة في انتقاد الشيخ المهدي الشرادي، ذكر الناصري، أن اليوم الخامس من الحرب صادف عيد المولد النبوي من سنة 1244 هـ، "فأراد السلطان رحمه الله أن يعفي الناس من الحرب ذلك اليوم، فحمل الشراردة طغيانهم وبغيهم على أن تقدموا للجيش، وأنشبوا الحرب، فأمر السلطان بالزحف إليهم والنكاية فيهم، وكان المعلم الأكبر أبو عبد الله محمد ابن عبد الله ملاح السلاوي حاضرا في هذه الوقعة فتقدم إليه السلطان بالوصاية بالجد والاجتهاد في الرمي فرمى عليهم في ذلك اليوم مائتين وثمانين بنبة كلها في وسط الزاوية، تتفرقع عند نزولها فتأتي على ما جاورها من جدار وغيره حتى شاهدوا في ذلك اليوم الموت الأحمر، وكانوا هم أيضا يرمون بالكور والبنب من المدافع والمهاريس التي استولوا عليها في محلة السلطان المولى سليمان" (*الاستقصا*، 9 : 19).

وفي اليوم السابع، يضيف الناصري، ومن نقل عنه، افترقت كلمة الشراردة، وفر عنهم شيخهم المهدي الشرادي، وانهزموا أمام جيوش السلطان، و"...تفرقوا شذر مذر، وباتوا يتحملون بنسائهم وأولادهم إلى منجاتهم، والذين صعب عليهم الخروج اجتمعوا، وساروا إلى القواد الأربعة فسرحوهم، ورغبوا إليهم في الوساطة عند السلطان، فأصبحوا على أطراف المحلة يستأذنون على المولى المأمون، فأذن لهم، ودخلوا عليه، وشفعوا فيمن بقي منهم، وطلبوا الأمان فأمنهم، ثم تقدموا إلى السلطان، فاستأذنوا فأذن لهم ودخلوا وأخبروا بما عقد لهم المولى المأمون من الأمان فأمضاه لهم، ثم أمر السلطان بجمع الشراردة الذين بقوا بالقصبة، فجمع له منهم نحو الألفين، وعاثت الجيوش في بيوتهم وأمتعتهم، وقيل إن السلطان رحمه الله لم يؤمنهم، ولما قبض عليهم عزم على تحكيم السيف في رقابهم، فاستفتى العلماء فيهم فتحاموا الافتاء بإراقة الدماء، حتى إن منهم من أفتى، وهو الفقيه محمد بن المرابط المراكشي بأنهم تابوا قبل القدرة عليهم، فتوقف السلطان رحمه الله عن قتلهم"، لكنه أمر

بسور القصبة فهدم، وحيزت المدافع والمهاريس التي كانت منصوبة عليه، ونهبت الناس ما وجدت من الأثاث والذخائر والأنعام (*الاستقصا*، 9 : 20،19)، وصير السلطان تلك الزاوية بلاقع، وقلع أشجارها، ونقل ما كان بها من الزيتون والفواكه للجنان الكبير الذي اتخذه بمراكش وسماه الزهراء (*إتحاف أعلام*، 5 : 23)، ثم غرّب عيال المهدي وأولاده إلى مكناس، وفرق مساجين الشراردة، فسجن بعضهم برباط الفتح، وبعضهم بمكناسة، وبعضهم بفاس. ثم بعد مضي نحو السنة سرحهم ونقلهم إلى بسيط أزغار، وجمع إخوانهم من القبائل فضمهم إليهم (*الاستقصا*، 9 : 20 ـ 21). بينما بقيت الزاوية خالية لم تسكن إلى سنة 1249 هـ، حيث عمرها مولاي عبد الرحمن بأيت إيمور، ثم نقلهم، وأنزل محلهم الودايا (*إتحاف*، 5 : 23).

وأما زعيمهم المهدي الشرادي فإنه "انتحى إلى تيزكين من قبيلة گدميوة... ثم انتحى إلى سوس، والتحق بسيدي محمد أعجلي، وهو ساكن في قبيلة بعقيلة، لا بمعمرانة، كما قال صاحب *الاستقصا*" (*المعسول*، 5 : 292). وقد مكث صحبة الشيخ أعجلي ثلاث سنين، أي إلى حدود 1247 هـ، ثم بعث من شفع له عند السلطان، فقبل السلطان شفاعته، وجاء تائبا، ثم بعثه إلى مكناسة، فاجتمع بأولاده، وبعد مدة يسيرة ولاه السلطان على إخوانه (*الاستقصا*، 9 : 21).

وقد وقفنا بالفعل على ظهير أصدره السلطان مولاي عبد الرحمن للمهدي الشرادي عندما تولى القيادة، وهو بتاريخ رمضان 1252 هـ، يأمره فيه بالاهتمام بإقامة قواعد الإسلام بمحل ولايته، وإرشاد الناس إليها وتعليمهم أمور دينهم، وما يجب عليهم، وجبرهم على العمل به (*إتحاف أعلام*، 5 : 101).

وعلى كل حال فبعد عودة المهدي الشرادي من الحج، ولاه السلطان على إخوانه مرة أخرى، لكنهم لم يقبلوه، ثم سجن، ثم سرح، وتقلبت به الأحوال، وتأخرت وفاته إلى أوائل شوال من سنة 1293/أواخر أكتوبر 1876، في أول دولة السلطان الحسن الأول. وكانت وفاته بفاس، ودفن خارج باب الشريعة المعروف بباب المحروق). ويذكر أنه خلف عدة أبناء، بعضهم في مراكش، وبعضهم بحوز فاس قرب وادي أرضم، على قدر مرحلة من فاس، أشهرهم العباس بن المهدي، نزيل مراكش، والمتوفى بها عام 1903/1321.

أ. الناصري، *الاستقصا*، البيضاء، 1954 ـ 1956 ؛ أ. الوارث، *الأولياء والصوفية ودورهم الاجتماعي والسياسي في المغرب خلال القرنين 17 و18م*، مرقونة ؛ ع. بن إبراهيم، *الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام*، الرباط، 1974 ـ 1983 ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، الرباط، 1347 ـ 1352/ 1928 ـ 1933 ؛ م. بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس*، طبعة حجرية بفاس، 1318/ 1900 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، الدار البيضاء، 1383 ـ 1383/ 1960 ـ 1963.

الشرادية (طريقة صوفية)، تنسب إلى الفقيه الصالح أحمد بن عبد الله الشرادي سابق الترجمة. وكان من المنتسبين إلى الطائفة الناصرية، إذ تذكر كتب التراجم أنه دخل عالم التصوف، على يد الشيخ أحمد الخليفة بن محمد ابن ناصر الدرعي، كما أخذ علوم الظاهر على يد كبار علماء هذه الطريقة مثل الحسن اليوسي، وأبو سالم العياشي فكان من الصوفية العلماء، على غرار كبار الصوفية المنتسبين إلى الطريقة الناصرية، بل يُذكر أنه بلغ في طريق الناصرية مقاما عاليا.

بيد أن الشيخ الشرادي سرعان ما نحا لنفسه اتجاها جديدا، جعله ينفصل عن شيوخه في الطريقة، ويصنَّف من قبلهم ضمن "الخائنين" المغضوب عليهم في الطائفة. فهل يعني هذا أنه أسس طريقة جديدة ؟ وإذا كان الأمر كذلك، ما هي هذه الطريقة ؟

لم يتخل عن الورد الناصري، وظل يلقنه لأتباعه إلى أن توفي حوالي عام 1160/ 1747. ومن أشهر من أخذ عنه هذا الورد السلطان سيدي محمد بن عبد الله، الذي اتصل به في زاويته، لما حل بمراكش خليفة عن والده (*الإعلام* للمراكشي، 2 : 146 ؛ *الملك الصالح*، 62). وقد سار ابنه الفقيه محمد بن أبي العباس الشرادي، المتوفى بعد 1212/ 1798، على سنة والده "وجرى مجراه"، مثله مثل الشيخ الثالث للزاوية "الفقيه الذاكر السني" المهدي بن محمد بن أحمد الشرادي.

أحرزت الشرادية، بفضل هذا التوجه، على شعبية واسعة، وأحرز شيوخها، على "صيت كبير وذكر علي قوي شهير..."، في حوز مراكش، وصاروا في قومهم شيوخا معتقدين، وزعماء مسموعين ذوي رياسة عظيمة، حسبما دل عليه غنى أهلها، وكثرة ممتلكات الزاوية، وشساعة الأراضي الفلاحية التابعة لها، التي بلغت مساحتها زمن شيخها الأول، أحمد بن محمد الشرادي، خمسة آلاف هكتار (*Le Haouz*, 1 : 244). بل الظاهر أن نفوذ الشراديين تعدى مجال قبائل الشراردة، وإخوانهم من عرب الحوز، و"...شاع ذكرهم في الحواضر والبوادي" (*الإعلام*، 2 : 378)، بلغ صداه إلى مدينة فاس، حيث صار للشراردة فيها، منذ عهد شيخهم الأول، أتباع وزاوية (*نشر المثاني*، 4 : 59).

أ. الناصري، *الاستقصا*، ط.2، 1954 ـ 1956 ؛ *طلعة المشتري*، ط. حجرية مصورة بالأفسيت، 1407/ 1987 ؛ ح. العبادي، *الملك الصالح سيدي محمد بن عبد الله العلوي*، البيضاء، 1987 ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، تح. م. حجي وأ. التوفيق، الرباط، أربعة أجزاء، 1397، 1407/ 1977 ـ 1986 ؛ م. الضعيف، *تاريخ الضعيف*، تح. م. اليوزيدي الشيخي، البيضاء، 1988 ؛ يحيى بن عبد الله الجراري، *فهرسة*، مخطوط خ. ع.، الرباط، رقم 71 ج.

P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*, Rabat, 1983, 2 tomes.

أحمد الوارث

الشراط (وادي ـ)، يمثل مجرى وادي الشراط الحد الغربي والطبيعي الفاصل بين هضاب زعير خصوصا السفلى الغربية والهوامش الشرقية لهضاب الشاوية السفلى، المنتمية لبنية حوض برشيد. كما يشكل وادي الشراط أيضا، منطقة

اتصال بين هذه الأخيرة ومتون وتلال منطقة الخطوات، حيث تمتد عاليته، عبر تشعب روافد حوضه هناك.

يتراوح عمق وادي الشراط ما بين 460 م في العالية، و250 م في الوسط و40م قرب مصبه بالساحل الأطلنتي، متوسطا هضبة سيدي بطاش غربه، وهضبة بنسليمان شرقه. وذلك ضمن حوض نهري، تبلغ مساحته الإجمالية 700 كلم2، وبطول لا يزيد عن 70 كلم.

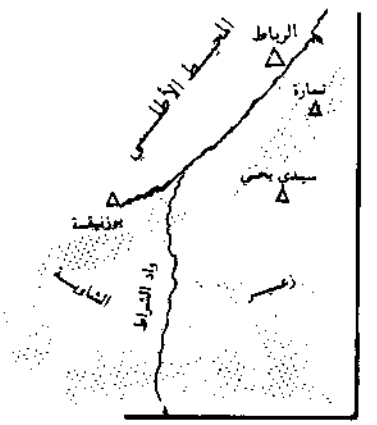

تشكل الوادي في مرتفع بنيوي، يمثله هورست الشراط الباليوزوي. في صخور متحولة، تتمثل في فليش الديفوني الأسفل. وعبر مجال يندرج الآن، ضمن سطح تحاتي فسيح، متعدد المراحل والأصول. يقطع قواعد صخرية باليوزوية. كانت تكون تضاريس جبلية هيرسينية. توافق بنية إلتوائية، ارتبطت بحركات بنائية تعرف باسمها، انطلقت خلال العصر الديفوني، لتنتهي في العصر البيرمي، أي قبل 245 مليون سنة من الآن.

تشهد التركات التي ساهم في تكوينها مجرى الشراط قرب مصبه الحالي، على أنه حديث. إذ من المرجح أن يكون منطلق تشكيل واديه، انطلق بتزامن مع تراجع الغمر البحري المسعودي، أي خلال المرحلة القارية السلاوية، الموافقة لنهاية الرباعي القديم (م. *الطيلسان*، 1999).

كما يعكس انعطاف الوادي العنيف، انطباعه وتحكم الحوادث البنائية في رسم قطاعه الطولي، نتيجة تجدد نشاطها خلال هذه المرحلة أيضا (*الطيلسان*، 1999).

يتسم مجرى وادي الشراط بضعف صبيبه، الذي لا يتعدى معدله 90 ل/ثا. إضافة إلى تذبذب جريانه. يعكسه تراجعه السريع مع توقف تساقطات فصل الشتاء. كما يقترب من حالة الشح، خلال فصل الصيف الجاف، ما بين يوليوز وأكتوبر. يبدأ صبيب مجرى الشراط في الانتعاش من جديد، مع حلول فصل الإمطار. إذ يبلغ أقصاه، كما حدث في 23 فبراير من سنة 1968، حيث تم قياس 86.5 ل/ثا. لكن دون أن يتجاوز معدل ما يصرفه سنويا 50 مليون م3.

لا يعكس صبيب مجرى وادي الشراط، خصائص مناخ المنطقة شبه الرطبة فحسب، بل يرجع بالدرجة الأولى إلى صغر حجم حوضه، الذي تشكل بسليله في ركائز صخرية راشحة، بل مقددة بالصدوع والإنكسارات، إضافة إلى قرب مصبه بالساحل الأطلنتي، الواقع في منطقة الغوازي، التي اشتهرت باستقرار الإنسان النيوليتي بها، منذ ما يزيد عن 3600 سنة قبل الآن (*الطيلسان*، 1999). حيث عثر على مقبرة بشرية، ترجع لهذا التاريخ (Daugas *et al*.... 1989).

G. Beaudet, *Le plateau central marocain et ses bordures, étude géomorgraphique*, Thèse de doctorat es-lettres ; J.P. Daugas, J.P. Raynal, A. Ballouche, P. Pichet, J. Evin, J.P. Texier, A. Debnath, *Néolithique nord-atlantique du Maroc : premier essai de chronologie par le radiocarbone*, C.R. Acad. Sc. Paris, T. 308, série II, 1989 ; A. Michard, *Elément de géologie marocaine*, 1976 ; *Les ressources en eau...* ; M. Tailassane, *Les bas plateaux des Zaers occidentaux et leur littoral, formations superficilles et l'évolution du milieu naturel depuis le Néogène*, Thèse de doctorat d'Etat, Univ. Med. V., Rabat., 1999

محمد الطيلسان

الشراط، أسرة فاسية قديمة أصلها من قبيلة زناتة، أهل معاش وحرفة، لعل أصلهم من الأندلس، وقف مؤلف إزالة الالتباس على ذكرهو في حوالة فاسية مؤرخة بعام 1500/905. ويوجد جنان الشراط حتى اليوم خارج باب الحديد. ونقل مؤلف نشر المثاني في ترجمة مسعود الشراط دفين خارج باب الجيسة (ت. 1622/1031) عن جده في *القصد الأحمد* أن الشيخ مسعوداً لُقب بالشراط لاحترافه بذلك في صغره. وفي فاس أولاد ابن عيشون الشراط لعلهم من هؤلاء. وقد تولى عدد منهم الخدمة مع المخزن أمناء ونظارا، واستوطن بعضهم مدينة مراكش.

م. القادري، *نشر المثاني/ موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 3 : 1252 ؛ ع. الكبير الكتاني، *زهر الآس*، الدار البيضاء، 2002، 2 : 406 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، 200:2.

محمد حجي

الشرّاط، أحمد، من رجالات المخزن في نهاية القرن الثالث عشر ومطلع القرن الرابع عشر (20.19 م)، عهد إليه الوزير الأعظم الوصي على العرش أحمد بن موسى في نهاية سنة 1898 برئاسة الوفد المغربي في المفاوضات التي جرت بمدينة وجدة مع الوفد الفرنسي، بهدف حل المشاكل التي كانت تقع بالحدود المغربية ـ الجزائرية وتصفيتها في عين المكان. وكان المخزن قد استثقل حل مشاكل الحدود بطنجة على يد المندوب المخزني بها، حيث كانت خزينة الدولة تتحمل دفع التعويضات التي كانت تطالب بها السلطات الفرنسية بالجزائر، بينما أفلتت القبائل المغربية المطالبة بدفع الحقوق المترتبة عن أفعالها إزاء القبائل الجزائرية أو إزاء الجيش الفرنسي، كما أن حقوق القبائل المغربية كثيرا ما ضاعت لجهل أصحابها بالمسطرة الواجب اتباعها. ولتجاوز هذه المشاكل تقرر إجراء مفاوضات مباشرة واستخراج الحقوق في وقتها دون مماطلة من هذا الجانب أو ذاك. استمرت

المفاوضات زهاء سنة كاملة (1899)، وطرحت مشاكل مسطرية تسببت في تعثر المفاوضات بين الوفدين. وقد أبان أحمد الشراط عن دراية كبيرة وحنكة سياسية قل نظيرها بين رجالات المخزن، وذلك بشهادة رئيس الوفد الفرنسي، رغم صعوبة الاتصال السريع مع المخزن المركزي، حيث وقف بالمرصاد للمطالب الفرنسية، مطالبا المعاملة بالمثل في تسوية المشاكل المترتبة عن جوار قبائل البلدين، فأفشل مناورة فرنسية كانت ترمي إلى إلزام المغرب دفع تعويضات عن النفقات المترتبة عن حراسة الحدود واستنفار القبائل الجزائرية أثناء الفتن التي كانت تقع بناحية وجدة. وقد انتهت المفاوضات بالفشل يوم ثاني يوليوز 1899، بعد أن طالب أحمد الشراط أن يتضمن محضر التسوية طبيعة الحجج الجزائرية وقدر التعويضات المطلوبة والإقرار بحل الدعاوي المغربية بنفس الشروط. وفي نهاية المطاف تقرر أن تُستأنف المفاوضات بتلمسان في بداية سنة 1900 لتصفية أمر التعويضات، لكن فرنسا اشترطت إبعاد أحمد الشراط من كل مفاوضات مقبلة باعتباره مسؤولا عن فشل مفاوضات وجدة واتهامه بتهييئ دعاوي مغربية لا أساس لها من الصحة،، والتي يصعب على الجانب الفرنسي دحضها، وفعلا توبعت المفاوضات لكن بباريس وليس بتلمسان كما كان مقررا لها برئاسة وزير خارجية المغرب عبد الكريم بن سليمان، وانتهت بتوقيع ثاني اتفاقية خاصة بمناطق الحدود المغربية الجزائرية يوم 20 يوليوز 1901.

ملف أحمد الشراط بمديرية الوثائق الملكية بالرباط ؛ ع. برحاب، المجال الحدودي بين المغرب والجزائر في مطلع القرن العشرين (1900-1912)، الدار البيضاء، 2002، ص. 22-38.

عكاشة برحاب

الشراط، قائد طنجة على عهد آخر ملوك بني مرين عبد الحق المريني، نجهل اسمه والجهة التي ينتمي إليها، وإن كنا نرجح أنه من المنطقة الهبطية، حيث ما تزال إلى هذا الوقت قرية الشراط بفرقة سبلولة من قبيلة بني يدر الهبطية. ولا يعرف متى تسلم المهمة بعد وفاة صالح الياباني سنة 844/ 1440 أو بعد ابنه أبي بكر المتولي بعده. ويعود أول علمنا بوجوده على رأس المدينة في هذا المنصب إلى ما قبل يوم 5 ذي الحجة 862/ 14 أكتوبر 1458، حينما حل عبد الحق المريني بطنجة في بداية نوفمبر السنة بنية استكمال استعدادات حصار القصر الصغير المحتل من طرف ألفونص الخامس البرتغالي يوم 12 ذي الحجة 862/ 21 أكتوبر 1458.

شارك القائد الشراط في تنظيم عمليات الحصار المريني للقصر الصغير المحتل مرتين، الأولى بتاريخ 19 صفر 863. 26 ديسمبر 1458، والثانية بتاريخ 1 رمضان 22 شوال 863/ 2 يوليو 22 غشت 1459.

ونعلم بعد انتهاء الحصار الأخير أن السلطان عبد الحق كلفه بتنظيم حراسة قرى أنجرة والطريق الساحلي المؤدي إلى طنجة، خوفا من تعرضها لغزو برتغالي القصر الصغير، تاركا بحوزته فيلقا مكونا من ثمانمائة فارس وثلاثة آلاف من المشاة. ومن أجل ذلك خلق نظام حراسة خاص بكل قرية اعتماداً على وسائلها الأولى الذاتية إلى حين وصول النجدات من طنجة.

غير أن أكبر مهمات القائد الشراط كانت منصبة على مراقبة القصر الصغير المؤدي إلى طنجة عبر الحوض الأدنى لواد أليان في اتجاه طرف المنار وطنجة البالية. كما اختيرت كدية تافغولت مقرا للحراسة، وهي واقعة غرب حد أنجرة، بجوار مدشر خندق الزرارع الحالي، والمدشر المعروف إلى يومنا بمدشر طلعة الشريف، الفاصل بينهما وادي سيدي قنقوش المعروف منذ القرن الخامس عشر بهذا الاسم. وعين الشراط لهذه المهمة مساعده المسمى القائد الطاهر الشريف، ووضع تحت تصرفه في محطة تافغولت لتلك الغاية أربعين من فرسانه، بينما حصن طنجة البالية.

وقد حضر القائد الشراط عدة مرات مما نعلمه عن الإخباري البرتغالي زورارا إلى أنجرة في محاولة إغاثة القرى المعرضة لغزوات قائد القصر الصغير ضون ضوارتي دي منيسيس، ابن قائد سبتة، مثل قرى الخراب، وابن أبي العيش والرصافة والرمان وملوسة بدون جدوى، غير أنه تمكن من الإشراف على تحصين طنجة البالية وإتقان الحراسة والدفاع عنها لمنع وصول البرتغاليين إليها براً وبحراً، وبذلك استطاع تدبير وسائل إفشال محاولاتهم العديدة خلال سنة 869/ 1464 لاحتلالها، إلى أن رددت مصادرها قول "إن طنجة هي مقبرة البرتغاليين". ولم نقف بعد هذا التاريخ عن أي خبر يخص تاريخ عزل القائد الشراط أو وفاته.

ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية الغربية*، أطروحة مرقونة، الرباط، 1991 ؛ *ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية*، تطوان، 1952.

Zurara, *Cronica do D. Duarte de Meneses* ; F. De Meneses; *Histoire de Tanger*, Tanger, 1732 ; J. Mascarenhas, *Histoire de Ceuta*, Lisboa 1648. Rui de Pina, *Cronica de D. Duarte*, p. 100 ; Damiao de Gois, *Cronica* de Principe D. Joao, p. 50 ; David Lopes, *Os Portugueses em Marrocos*, p. 438-477.

الشراط، محمد بن أحمد، مؤلف تقاييد مجموعة متعلقة بالمقاومة المغربية المنظمة ضد الثغور الشمالية المحتلة، مع التركيز على سبتة. عاش بقرية بنيونش المجاورة لسبتة خلال الثلث الأخير من القرن الثالث عشر (19م). وطرفاً من الذي يليه، متصلاً بالشيخ أحمد الرهوني التطواني مؤلف *عمدة الراوين*.

سمّى الشراط هذه التقاييد التي ألفها *المختصر لأهم الأخبار عن حروب المجاهدين الأبرار من أجل استرداد المدن والأمصار من يد أعداء الله النصارى الكفار*، بعد أن جمعها من كنانيش مختلفة، مرتباً فصولها ترتيباً زمنياً. وكان الفراغ من التأليف يوم الجمعة متم شهر رجب عام 1350/ 11 ديسمبر 1931. وأصول المخطوطة مختلفة وجدت بخزانة

الفقيه أحمد الرهوني، وهي على النحو التالي: تقاييد قديمة منسوبة إلى الشريف أحمد بن محمد ابن عبد الرحمن البقالي. يبدأ سردها من احتلال مدينة سبتة، لتغطي أحداث المقاومة إلى سنة 868/ 1464. *كناش البيوت*: تبدأ من سقوط أصيلا وطنجة سنة 876/ 1471 إلى سنة 1007/ 1599. *كناشة المجهول*، تبدأ من سنة 880/ 1476 للإعلان عن حصار مغربي جديد لسبتة وتابعه هجوم أمير شفشاون علي بن راشد على المدينة. *كناشة حوادث الزمن لمجهول*، تعرضت للفترة الممتدة بين سنة 907/ 1502 وسنة 1007/ 1599، مروراً بإعادة بناء مدينة تيطاوين. ثم تناولت حصار محمد البرتغالي لمدينتي أصيلا وطنجة وتبعتها محاولات علي بن راشد العلمي، حاكم الشاون في كل من سبتة وطنجة. وقد أورد صاحبها خبر انسحاب البرتغال عن أصيلا والقصر الصغير واستيلاء الإسبان على حجرة بادس. وأنهت الكناشة حديثها بمعركة وادي المخازن.

كناشة المكي بن الحاج عبد السلام اللماعي، القاضي بقرية البيوت الأنجرية: بدأ الحديث فيها عن الهجوم الأجنبي على تيگيساس الغمارية قبل سنة 1018/ 1608، وتوالي سرد المقاومة إلى تسهيل المامون السعدي استيلاء الإسبان على العرائش. وما قام به النقسيسيون والمجاهد محمد العياشي ضد سبتة، وانتهت الكناشة بذكر أطوار الحصار الذي عرفته المدينة من سنة 1720 إلى سنة 1727. *كناشة عبد السلام ابن عجيبة*: ركزت الحديث على حصار سبتة سنتي 1064/ 1654 ـ 1655؛ *كناشة محمد بن محمد الزواق*: تبتدئ أحداثها من سنة 1068/ 1658 بالهجوم على سبتة، ثم تناولت مسألة تسليم البرتغال طنجة للإنجليز سنة 1073/ 1662 وما تعرضت له طنجة وسبتة ما بين 1075/ 1664 وسنة 1106/ 1694 من المقاومة؛ *كناشة البشير بن محمد العزيفي*. اختصت بالحديث عن الحصار الإسماعيلي لمدينة سبتة ما بين 1694 و1727؛ *كناشة اللغميش*: بدأ بها صاحبها من سنة 1727 ليتابع سرده سنة 1728. *كناشة عبد الله بن أحمد العشايري*: تتعلق بأحداث سنوات 1140/ 1728 إلى 1278/ 1862. أبرز من خلالها حصار المولى اليزيد لسبتة، وما حدث بعد ذلك من مواجهة مشكل تعيين حدود المدينة على عهد المولى سليمان، ثم على عهد المولى عبد الرحمن وما تلا إثر ذلك من اتفاق 1260/ 1844. وأخيراً ما قامت به قبيلة أنجرة من المعارضة التي ترتبت عنها فصول حرب تطوان إلى سنة 1278/ 1862.

بقيت المخطوطة بقرية بنيونش إلى أن حصل عليها الفقيه محمد بن عزوز، قاضي قبيلة بني گرير الغمارية، المتوفى سنة 1947، وتحولت إلى يد ابن أخيه محمد ابن عزوز حكيم، فقام بنشرها سنة 1979 ضمن كتاب *لماذا نطالب باسترجاع مدينتي سبتة ومليلية ؟*

توفي محمد الشراط بعد عام 1350/31 ـ 1932.

م. بن أحمد الشراط، *مختصر لأهم الأخبار عن حروب المجاهدين الأبرار من أجل استرداد المدن والأمصار من يد أعداء الله النصارى الكفار*، تح. ابن عزوز حكيم.

حسن الفكيكي

الشراطين (مدرسة ـ) بفاس، تقع بحي الشراطين الذي تقتبس منه اسمها، وتنفتح عليه ببابين، باب رئيسي يفضي إلى صحن المدرسة، وباب ثانوي يؤدي إلى دار الوضوء (وقد أزيل هذا الأخير وأقيم مكانه دكان). وللمدرسة باب ثالث رئيسي يطل على زنقة صفايرية (السبيطريين)، التي تربط المدرسة مباشرة بجامع القرويين.

ويطلق عليها المدرسة الجديدة لتمييزها عن المدارس المرينية القديمة. فقد شيدها المولى الرشيد، أول سلطان علوي حكم المغرب ما بين 1077 و1083/ 1666 ـ 1672. وقد بنيت على انقاض دار عزيز، وهذا الأخير شخصية مجهولة وإن كان صاحب *الاستقصا* يلقبه بالباشا (*الاستقصا*، ج. 7، ص. 41). ويشير عبد الهادي التازي إلى أن المدرسة أقيمت في مكان منجرة قديمة كانت من الأملاك المحبسة على جامع القرويين (*التازي*، ج. III، ص. 679، تعليق 94)، في حين يذهب الباحث الفرنسي بيريتيي أنها عوضت مدرسة اللبادين المرينية (Pérétié, p. 270). وتفيد المصادر التاريخية أن المولى الرشيد شرع في بناء المدرسة في أوائل شعبان 1081/ 1670 وذلك بعد عودته من الحملة التي شنها على زاوية إيليغ بمنطقة سوس. وإذا كانت المصادر تتفق على تحديد تاريخ انطلاق الأشغال بالشراطين، فإنها لا تعير اهتماما لتاريخ إنهاء المشروع ما عدا صاحب *الدرر الفاخرة* الذي يشير إلى أن المولى إسماعيل هو الذي أكمل بناءها. وقد استشهد ابن زيدان بقصيدة لعبد القادر بن علي الفاسي (ت 1096/1684) تشيد بجمال المدرسة وبروعة بنائها وتاريخ بنائها بحروف الجمل «خطفت» 1089هـ.

ومما يؤكد هذه الحقيقة، الكتابات المنقوشة في مدرسة الشراطين، ذلك أن بعض النقوش تشيد بالمولى الرشيد والبعض الآخر بالمولى إسماعيل. وهكذا نقرأ مثلا في الكتابة المنقوشة على القنطرة الخشبية التي تعلو باب المدرسة ما يلي: [أمر ببناء هذه المدرسة السعيدة مولانا الرشيد بن مولانا الشريف أيد الله أمره وأعز ذكره...]. في حين أن الكتابة المنقوشة على الجبس والتي تحيط بمحراب قاعة الصلاة تنوه بالمولى إسماعيل: [النصر والتمكين والفتح المبين لمولانا إسماعيل أمير المؤمنين].

من هنا نخلص إلى أن الكتابات المنقوشة تدعم ما ذهب إليه ابن زيدان من أن الشراطين معلمة أنشأها المولى الرشيد وأتمها خلفه المولى إسماعيل.

يدخل إنجاز المولى الرشيد لهذا المشروع العلمي في إطار حرصه على إحياء وتعزيز دور القرويين وملحقاتها، والرفع من مستوى العلم وأهله، ولقد عُرف بتعظيمه وتكريمه للعلماء وتشجيعه للطلبة مما كان له أثر فعال في رواج بضائع

العلم، فكثر المقبلون عليه وعمرت أسواقه بعد الكساد (*الدرر الفاخرة*، ص. 12).

والجدير بالذكر أن المولى الرشيد كانت له علاقات متميزة مع الطلبة. فهو الذي وافق على إقامة حفل سلطان الطلبة الذائع الصيت اعترافا منه بجميل هذه الشريحة التي كان لها دور بارز في تعزيز حكمه وتحقيق مقاصده.

وقد انخرطت الشراطين في تنشيط حفل سلطان الطلبة الذي كان يعقد خلال فصل الربيع، حيث يتجه طلبة المدينة إلى وادي فاس للنزهة على مدى أسبوعين. وارتباطا بالمهرجان المذكور، يورد الضعيف الرباطي حادثة الاختلاف بين طلبة فاس حول من يكون سلطانا عليهم، وقد وقع النزاع المذكور بمدرسة الشراطين، انحاز على إثره طلبة اجبالة إلى طلبة المدن، في حين انضاف طلبة الشاوية ودكالة إلى طلبة البادية. وبعد ذلك اختارت كل فرقة أميرا عليها، فخرج طلبة الجبل من مدرسة الصفارين بسلطانهم، وانطلق من الشراطين طلبة البادية بسلطانهم. وقد حدثت تلك الوقائع عام 1211/ 1796 (*كتاب الضعيف*، ج. II، ص. 518. 519).

وشهدت رحاب الشراطين أيضا تنظيم بعض الحفلات الكبرى، ففيها صنع السلطان المولى سليمان عام 1213/ 1798 طعاما للطلبة بمناسبة زفاف أخته أم كلثوم بنت محمد بن عبد الله بالشريف السيد محمد بن الطاهر المدغري. وكان هذا الأخير إماما بالمدرسة وأحد طلبتها النجباء. (*كتاب الضعيف*، ج. II، ص. 541 و562).

وكان أغلب الطلبة القاطنين بالشراطين من تافيلالت والمناطق الشرقية (تازة، وجدة، بني يزناسن، الريف، الجزائر...) (Pérétié, p. 271)، وقد اختارها للسكن عدد من كبار العلماء والقضاة، ومن أشهرهم المؤرخ الضعيف الرباطي الذي ألف في أحد بيوتها القسم الأخير من كتابه المعروف وذلك عام 1201/ 1786 (*تاريخ الضعيف*، ج. I، ص. 153).

تعد الشراطين من أكبر مدارس فاس وأضخمها، فقد شيدت على مساحة فسيحة ذات شكل مستطيل نسبيا. وهي تتكون من مستوى أرضي وطابقين. تزين مدخلها الرئيسي المطل على شارع الشراطين نقوش وزخارف على الجبس والخشب. ويفضي الباب إلى الصحن عبر مدخل مستقيم وطويل. والصحن فضاء واسع الأكناف ذو شكل مربع، تتوسطه نافورة بديعة. وتنتظم حول الصحن أهم مكونات البناية. ففي الجهة الشرقية تنفتح عليه قاعة الصلاة بواسطة ثلاثة أقواس وذلك على غرار قاعة الصلاة بالمدرسة العنانية. في حين تتكون الواجهات الأخرى المطلة على الصحن من أعمدة بدينة ومركبة تمتد عموديا نحو الأعلى حيث تتقاطع مع القناطر الخشبية الأفقية التي تساعد على حمل السقوف. وتتشكل كل واجهة من ثلاث أقواس: قوس كبير بين قوسين أصغر منه حجما. ويلاحظ بأنه في كل زاوية من زوايا المدرسة الأربع يوجد فناء صغير تتوزع حوله غرف الطلبة، مكونة وحدات سكنية شبه مستقلة في الإضاءة والتهوية، يطلق عليها الدويرة، وتحتل دار الوضوء الزاوية الجنوبية الغربية من البناية.

ومن خصائص المدرسة أنها تشتمل على أروقة في كل طابق تفضي إلى غرف الطلبة، وهذا النسق يذكر بالمدرسة المصباحية.

وبالرغم من ضخامة المدرسة واتساع أرجائها (تحتوي على حوالي 232 غرفة)، واقتباسها لبعض العناصر التخطيطية من المدارس المرينية، فإن أهميتها الزخرفة تبقى محدودة، فواجهاتها الداخلية لم تحظ إلا بأفاريز خشبية منقوشة وإطارات من الجبس المنقوش حول الأقواس والنوافذ والأركان، وبالتالي تركت مساحات فارغة وخالية من الزخارف. ولم تخرج قاعة الصلاة عن هذه القاعدة، فباستثناء واجهة المحراب التي زينت بأشرطة من الجبس المنقوش (زخارف كتابية وهندسية ونباتية)، فإن باقي الجدران الداخلية مجردة من أي عنصر تزييني.

وخلاصة القول أن القائمين على إنجاز مدرسة الشراطين، وبالرغم من تأثرهم بالنمط المريني في البناء والزخرفة، فإنهم لم يتمكنوا من مجاراة ومحاكاة الطراز الفني الذي غرسه أسلافهم بالمدينة منذ قرون عديدة. وقد يكون لوفاة المولى الرشيد المباغت - أي بعد عامين من انطلاق العمل بالمدرسة - أثر على التشكيل النهائي لهذه المعلمة. ويبدو أن السلطان الرشيد، الذي كان يبجل العلماء، ويحفز الطلبة بالعطايا والصلات، كان يطمح أن تكون مدرسته الجديدة نموذجا فريدا للأسلوب الفني والزخرفي الأصيل ومنارا للعلم والمعرفة بالحاضرة الفاسية.

ع. الرحمن ابن زيدان، *الدرر الفاخرة*، الرباط، 1356/1937؛ ع. الهادي التازي، *جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس*، بيروت، 1973؛ م. الضعيف، *تاريخ الضعيف الرباطي*، تح. البوزيدي الشيخي، الدار البيضاء، ط. I، 1928.

A. Pérétié, *Les Medersas de Fès*, A.M., T. 18, 1912 ; G. Marçais, *L'architecture musulmane d'occident. Tunisie, Algérie, Maroc, Espagne, Sicile*, Paris, 1954 ; Ch. Terasse, *Medersas du Maroc*, Paris, 1927.

الحاج موسى عوني

شَرَاعة، قصبة مخزنية في شمال شرق المغرب، شيّدها السلطان مولاي إسماعيل في إطار سياسته الرامية إلى مراقبة قبائل بني ازناسن، حيث بُنيت بدير الجبل الذي يحمل إسمهم من جهة الشمال، بينما شيّدت قرينتها قصبة عيون سيدي ملوك من جهة الجنوب، وهي اليوم في طريق الاندثار، حيث لم يبق من أسوارها إلا النزر القليل (سنة 1995)، ويطلق إسم شراعة أيضاً على وادٍ يمر بمحاذاة القصبة المذكورة ويصب في وادي ملوية.

يبعد موقع قصبة شراعة عن مدينة أبركان - مقر عمالة الإقليم - بحوالي 10 كلم من جهة الغرب، وتعدّ القصبة من

الأسواق الحدودية التي تقرر مراقبة الحركة التجارية بها بموجب اتفاق الحدود الموقع بين فرنسا والمغرب سنة 1902، (البند الثاني من اتفاق الجزائر، 20 أبريل 1902). وقد اشتهرت كثيراً أثناء مواجهة المخزن للروگي بوحمارة في مطلع القرن العشرين، حيث خضعت تارة لهذا الجانب أو ذاك

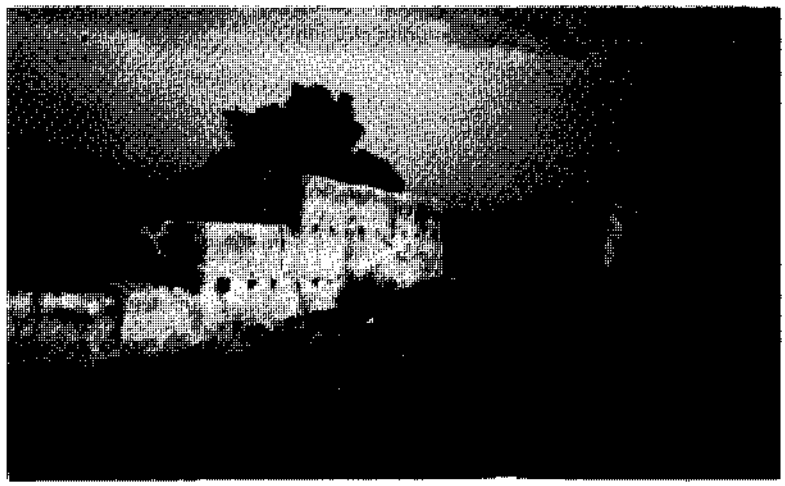

حسب ميزان القوة، لكن في نهاية المطاف آلت إلى سيطرة الجيوش المخزنية ابتداء من سنة 1906، فصارت قاعدة لها لمحاربة الروگي الذي اتخذ قصبة سلوان مستقرا له، وقد وصفها بعض المستكشفين الفرنسيين في نهاية القرن الثالث عشر (19 م) بأنها سوق مزدهرة تُعقد مرتين في الأسبوع وترتادها قبائل بني ازناسن وقبائل عرب تريفة. إلا أن السلطات الفرنسية بعد احتلال وجدة سنة 1907 وإخضاع بني ازناسن نقلت السوق من قصبة شراعة إلى أبركان، حيث استحدثت مركزاً إداريا، كان نواة للمعمرين الفرنسيين بالمنطقة.

ع. برحاب، *شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي، الدولة المغربية وشكله الأطراف في مطلع القرن العشرين.*

Louis Jean-Baptiste Say. *La frontière du Maroc. Bull. de la Ste de géographie commerciale de Paris*, 1888.

عكاشة برحاب

شَرْقَرَقْ أو شرقراق، طائر من القواطع زاهي الألوان بين زرقة وحمرة وسواد، في حجم اليمامة وأصغر من الحمام، كما هو في المعاجم وفي اللسان الدارج في المغرب وفي الشرق العربي ويسمى أيضاً غراب زيتوني في مصر وضؤضؤ في الجزيرة العربية وأخيل في اليمن. يصنف إلى فصيلة الشرقراقيات Coraciidae ويدعى علميا Coracias garrulus وبالفرنسية Rollier de l'Europe وبالانجليزية Roller وبالإسبانية Carraca وبالإيطالية Ghiandaia marina.

المنقار قوي مسود، الريش على الجناحين والعنق والرأس أزرق مخضر وبني أشقر زاه على الظهر، الذيل أخضر يتوسطه ريش بني وينتهي ببقع سوداء. القائمتان بنيتان، يبلغ طول الجسم 33 سم ولا يتعدى وزن الكبار 200 كرام.

يعيش غالبا مزدوجا وأحيانا في مجموعات قليلة الأفراد. يتغذى من الحشرات يلتقطها وهي طائرة ومن القواقع والزواحف الصغيرة.

يشتو في إفريقيا الاستوائية والجنوبية ويهاجر إلى إفريقيا الشمالية وأوروبا الجنوبية والوسطى الشرقية منذ بداية الربيع إلى أواخر الصيف. يتوالد في معظم المناطق الغابوية المغربية منذ مايو إلى يونيو. ينصب العش بين شقوق جذوع الأشجار أو الصخور ويتكون من قطع النباتات والأغصان ويفرش بالصوف والريش. تبيض الإناث عادة 4 ـ 5 بيضات بيضاء ملساء لامعة، طول قطريها 28.4 × 35.4 ملم. يحضنها الأبوان بالتناوب حوالي 18 يوما وتغادر الفراخ العش بعد أربعة أسابيع.

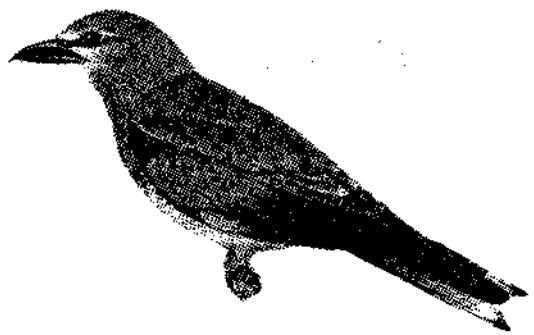

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان ـ الطبعة الثالثة، 1988.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow. *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*. 1979 ; C. Harrison. *Les nids, les oeufs et les poussins d'Europe en couleurs*. Paris, 1977.

محمد رمضاني

شرّو، رحو، مقاوم ولد سنة 1908 بأيت بازة ناحية إيموزار مرموشة إقليم بولمان. التحق بالتشكيلة التي كانت مرابطة بجبال الأطلس المتوسط والتي كان يقودها إلياس ميمون أوعقّى منذ 20 غشت 1953 وذلك بحكم أنه ينتمي إلى نفس المنطقة الجبلية أي ايموزار مرموشة.

وأثناء عمله المسلح، ونضاله المستميت أظهر شرّو براعة فائقة في التصدي لعساكر العدو ومواجهتهم ـ وظل مناضلا إلى غاية 2 أكتوبر من سنة 1955، إذ عند مشاركته في هجوم على ثكنة تابعة للجنود الفرنسيين بإيموزار مرموشة ونظراً لضراوة المعركة أصيب برصاصة في رأسه ألقته طريحا في فراش الموت.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 526364.

شَرْشَمة، طعام من قمح ولبن يهيّأ للأطفال احتفالا بظهور الأسنان الأولى وهكذا يقع ترطيب القمح في الماء

والملح ثم يتم تكسيره بلطف حتى تزال قشرته. ثم يترك للإنضاج مع الحليب. وبعدها يوضع في الأواني مع البيض والزبدة ويوزع على كل أهل الحي وكذلك على الحاضرين.

وترافق هذه المناسبة حفلة غناء ورقص. وعند نهاية الحفلة تعطي المدعوات أو الجارات بعض النقود لأم الطفل.

تحريات ميدانية.

علال رگوگ

شَرْشُور ـ طائر ـ أو برقش أو أبو براقش كما هو شائع في المعاجم وفي بعض مناطق الشمال الإفريقي، من جنس الطيور البرية، صغير القد وحسن الصوت. يصنف إلى رتبة الجوائم مخروطيات المناقير أو العصفوريات Passeriformes وإلى فصيلة الشرشوريات Fringillidae. منه نوعان شائعان في المغرب يصنفان إلى جنس Fringilla :

شرشور الأشجار يدعى علميا Fringilla coelebs وبالفرنسية Pinson des arbres وبالإنجليزية Chaffinch وبالإسبانية Pinzon comun وبالإيطالية Fringuello. اسمه الظالم في مصر والصغنج في لبنان وسوريا. موطنه إفريقيا الشمالية وأوروبا الوسطى والجنوبية ومنه عدة مجموعات ترحل شتاءً إلى أوروبا الشمالية وآسيا الغربية ومصر وليبيا. يألف الغابات والأدغال وأشجار البساتين والحدائق. ريش الذكور رمادي أزرق باهت على الرأس والعنق والظهر، على كل جناح بقع واضحة من الريش الأبيض وبقع سوداء، ريش الصدر والبطن وردي مصفر فاتح. المنقار قرني قوي جداً والقائمتان بنيتان ونحيلتان، الذيل أسود وطويل نسبيا وريشه الجانبي أبيض. تختلف الإناث عن الذكور بريش بني زيتوني شاحب على الظهر ورمادي على الصدر والبطن. تبلغ بسطة الجناحين 26 سم وطول الجسم 15 سم ولا يتعدى وزن الكبار 30 گراما. الذيل طويل ومستقيم المؤخرة. يعيش مزدوجا ويتغذى من مختلف الحبوب ومن الثمار العنابية والحشرات والديدان والعناكب.

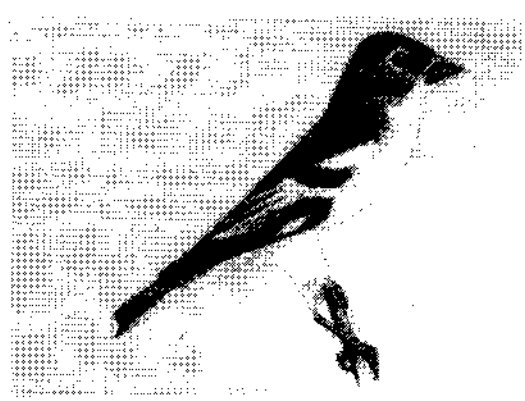

أغلب المجموعات مستقرة في المغرب وتضاف إليها في فصل الشتاء بعض المجموعات الأوروبية. شائع في المناطق الجبلية وفي الهضاب والسهول الوسطى والساحلية وغير موجود في المناطق الصحراوية. يتوالد منذ أبريل إلى يونيو وينصب العش بين أغصان الأشجار المورقة تصنعه الأنثى بدقة بالغة، تزين حاشتيه بقطع الأشن وتفرشه بقطع الصوف أو القطن. تبيض الإناث غالبا 4 ـ 5 بيضات ملساء زرقاء مخضرة إلى بنية ومزركشة بنقط سوداء، يبلغ طول قطريها 14.6 × 19.5 ملم وتزن 1 ـ 2.5 كرام. تحضن الإناث البيض 11 ـ 13 يوما ويقوم الزوج بالحراسة والبحث عن الأكل. تتغذى الصغار من الديدان والحشرات يأتي بها الآباء وتبقى بداخل العش حوالي أسبوعين قبل أن تأخذ حريتها تدريجيا. تتوالد بعض الأفراد المسنة مرتين في السنة.

شرشور جبلي يسمى علميا Fringilla montifringila وبالفرنسية Pinson du Nord وبالإنجليزية Brambling وبالإسبانية Pinzon real وبالإيطالية Peppol. يختلف عن شرشور الأشجار بريش أبيض على الردف وبريش أسود لامع على الرأس والعنق وبداية الظهر. ريش الصدر والبطن برتقالي فاتح. يبلغ طول بسطة الجناحين 24 سم وطول الجسم 14 ـ 15 سم وتزن الكبار 25 ـ 30 كراما. يألف الغابات الصنوبرية والأدغال بأوروبا الوسطى والشمالية. عدة مجموعات تشتو في غابات جبال الأطلس وجبال الريف والهضاب الوسطى. تمثل المناطق المتوسطية المغربية والجزائرية والتونسية الحدود الجنوبية لتوزيعه الجغرافي يأتي إليها في الفصول البادرة.

يتوالد في أوروبا الشمالية من مايو إلى يوليوز وتبني الأنثى العش وحدها بين أغصان الأشجار وهو مفروش بدقة من قطع الأشن ومن الأعشاب الدقيقة والصوف. تبيض 5 ـ 7 بيضات زرقاء مخضرة منقطة بالبني، طول قطريها 14.6 × 19.5 ملم وتحضنها 11 ـ 13 يوما. تغادر الفراخ العش بعد أسبوعين. تتغذى من الحبوب والعناكب والحشرات ومن الثمار العنابية.

م. رمضاني، حسون، *معلمة المغرب*، الجزء 10 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان ـ الطبعة الثالثة، 1988.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow. *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*. 1979. 320 p. ; C. Harrison, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleurs*. Paris 1977. 430 p. ; M. Thevenot, P. Beaubrun, R.E Baouab et P. Bergier. *Compte rendu d'ornithologie marocaine*. Rabat. 1982.

محمد رمضاني

الشرطة، كانت السلطات الأمنية في مغرب ما قبل الحماية موزعة بين المحتسب والباشا في الحواضر الكبرى، وبين "القياد" الذين كانوا يمارسون شطراً كبيراً من هذه السلطة في البوادي من جهة أخرى، معتمدين في ذلك على المخازنية الذين كانت مهمتهم هي تنفيذ الأوامر، والقرارات الصادرة سواء عن حكومة المخزن ـ السلطة المركزية ـ أو الباشا والقائد كسلطة إقليمية.

وقد عرفت الحواضر المغربية الكبرى كالرباط وسلا، وفاس ومراكش، وطنجة وتطوان أسلوبا أمنيا قوامه "البياتة" وهم عبارة عن عسس كان يستأجرهم التجار ليحرسوا محلاتهم خلال فترة تبتدئ قبيل صلاة العشاء، وتنتهي مع الخيوط الأولى للفجر.

أما أول إشارة وردت بضرورة إنشاء قوات أمنية في المغرب، فقد جاءت في اقتراح تقدمت به بعثة أرسلتها "لجنة المغرب" بالبرلمان الفرنسي (Comité du Maroc) إلى السلطان مولاي عبد العزيز برئاسة سان روني طايانديي (Saint-René Taillandier) حيث اقترحت عليه وضع برنامج للأشغال العمومية، وإنشاء بنك مركزي بالإضافة إلى إنشاء قوات أمنية للحفاظ على النظام.

ويؤكد عبد الله العروي في بحثه المنشور تحت عنوان *"مؤتمر الجزيرة"*... أن ألمانيا كانت قد نبهت المخزن إلى أن الدول لم تنتدب هذه البعثة، خلافا لما ادعاه رئيسها، فسأل المخزن إنجلترا إن كانت مستعدة لضمان انصراف المستشارين الفرنسيين بعد إنجاز الإصلاحات ؟ وكان في ذلك وسيلة للكشف عن أن قضية الإصلاحات لم تكن سوى ذريعة (أي لوضع المغرب أمام الأمر الواقع وإخضاعه للحماية) ومع ذلك فقد جمع مولاي عبد العزيز مجلسا للأعيان واستمع لشروح المبعوث الفرنسي، ثم أشار هذا المجلس بأنه لا ينبغي بأي وجه من الوجوه إنجاز هذه الإصلاحات بمساعدة دولة واحدة فقط، واعتمد المخزن على هذه الوصية وأجاب بجواب رسمي يوم 27 ماي 1905 يقول فيه إن على الدول الإثنتي عشرة المتمثلة في مؤتمر مدريد الذي انعقد سنة 1880 أن تساهم جميعا في إعداد الإصلاحات وتنفيذها". (*مذكرات من التراث المغربي*، 4 : 279).

وقد ظلت حكومة السلطان مولاي عبد العزيز متشبثة بموقفها إلى أن قرر مؤتمر الجزيرة الذي افتتح أشغاله يوم 15 يناير 1906 بحضور 12 دولة أوربية بالإضافة إلى الولايات المتحدة الأمريكية واستمر إلى غاية السابع من أبريل، إنشاء قوات أمنية من 2000 إلى 2500 رجل يتولى قيادتهم الفعلية ضباط إسبانيون وفرنسيون.

وكانت سلطات الحماية قد بادرت منذ بسط نفوذها على المغرب إلى إصدار قرار وزيري سنة 1913 تأسست بمقتضاه "مصلحة الشرطة العامة" تحت مراقبة الكتابة العامة للحكومة الشريفة، وهي الهيئة التي أصبحت منذ سنة 1930 تحمل إسم "إدارة الأمن".

وفي سنة 1937 صدر قرار آخر جدد هذا الجهاز، ومنح مفوضيه مزيدا من السلطات وأطلق عليه اسم "إدارة الأمن العمومي".

وبعد استعادة المغرب لاستقلاله الوطني صدر يوم 16 ماي 1956 الظهير الملكي الذي تأسست بمقتضاه الإدارة العامة للأمن الوطني كهيئة مكلفة بالمحافظة على النظام العام، وأمن المواطنين وتنفيذ القوانين، إذ جعل منها الظهير المذكور مديرية عامة تابعة لوزارة الداخلية، لكنها تعمل تحت السلطة المباشرة لمدير عام ـ يعين بظهير ملكي ـ ذي سلطات أمنية عامة تشمل مجموع التراب الوطني.

لقد جاء تأسيس الإدارة العامة للأمن الوطني ـ أشهرا معدودات بعد رحيل الاستعمار ـ ليؤكد رغبة المغرب في تجسيد استقلاله من خلال هيئات وطنية قمينة بأن تلبي حاجيات أبنائه، في نطاق صون كرامتهم، وضمان حقوقهم، والدفاع عن عزتهم، ولذلك لا غرو أن يتزامن هذا التأسيس مع صدور الظهير الملكي الشريف المؤسس للقوات المسلحة الملكية في 14 ماي 1956 والظهير الشريف بشأن إحداث الدرك الملكي في أبريل 1957.

وفي نفس السنة استقبل العاهل الراحل جلالة الملك المغفور له محمد الخامس أول فوج متخرج من حراس الأمن بالقصر الملكي بالرباط وخاطبهم بقوله "على شرطتنا الفتية أن تقوم بواجبها في حماية الأمن الوطني والنظام العام دونما تمييز سواء بين المواطنين، أو بين من اختاروا الإقامة فوق تراب المغرب".

وقد راهن الأمن الوطني منذ تأسيسه على محو الصورة التي خلفتها ممارسة الشرطة الاستعمارية التي كان هدفها خدمة مصالح المستعمر، أما الرهان الثاني الذي كان على الأمن الوطني أن يحققه فهو تحصين أمن المواطنين وسلامة أرواحهم وممتلكاتهم، وضمان الظروف التي تساعد على ممارسة الحريات الفردية والجماعية في نطاق المشروعية والقانون.

تمارس الشرطة المغربية مهامها في الحفاظ على النظام العام وسلامة المواطنين وسلامة ممتلكاتهم وسكينتهم على مستويين الأول وقائي، والثاني زجري.

وتعتبر شرطة الزي أو شرطة الهيئة الحضرية، في طليعة المؤسسات التي تمارس الدور الوقائي للشرطة وذلك من خلال دوريات الشرطة الراجلة، أو المحمولة التي تحافظ على الأمن في المدن والدوائر الحضرية، وتمارس شرطة الشارع العام التي تحرص على استتباب النظام سواء في الشارع العام، أو بمناسبة تنظيم المهرجانات واللقاءات الرياضية.

وتحرص شرطة الهيئة الحضرية بتنسيق تام مع فرقة الأحداث التابعة لكل شرطة قضائية محلية أو إقليمية على حماية الأحداث بضمان تطبيق التشريعات التي تحظر استقبالهم في بعض الأماكن العمومية التي يحددها القانون، وإيقاف الجانحين منهم وإحالتهم على المصالح المختصة

بالبحث عنهم وتقديمهم إلى أولياء أمورهم وكفلائهم. وتمارس شرطة الهيئة الحضرية مهامها اليومية عادة بنظام التناوب المعروف بـ 4 × 8، بمعنى أن أفراد الفرقة يشتغلون ثمان ساعات، ليعودوا لممارسة مهامهم بعد أربع وعشرين ساعة على نهاية كل نوبة عمل، غير أن هذا النظام قد يتعرض للتعديل عندما تدعو إلى ذلك بعض الظروف الاستثنائية.

ومن مهام شرطة الزي الرئيسية تنظيم المرور في شوارع الدوائر الحضرية، والحرص على تطبيق التشريعات واللوائح المتعلقة بتنظيم السير والجولان. ومن أجل ذلك يعطي قانون السير لأعوان شرطة المرور حق تسجيل محاضر ضد السائقين والمشاة المخالفين، ويتوفر المحلفون من هؤلاء على صلاحية استخلاص غرامات تصالحية يؤديها المخالفون بخصوص بعض المخالفات التي لا تستوجب سحب رخصة السياقة.

أما على مستوى الزجر، فتمارس الشرطة المغربية دورها في قمع الجريمة بواسطة دوائر الشرطة التابعة للأمن العمومي التي غالبا ما تختص بالبحث في المخالفات والجنح الضبطية والتأديبية والجنايات التي تكون عناصر الواقعة الإجرامية فيها متوفرة. فيما تختص المصالح الإقليمية والولائية للشرطة القضائية في البحث في الجرائم الأكثر خطورة لاسيما تلك التي تتطلب اختصاصا ترابيا أوسع وإمكانيات أكبر لإيقاف المساهمين أو المشاركين في الجريمة.

ويمارس ضباط الشرطة هذا الدور بمقتضى قانون المسطرة الجنائية الصادر في فبراير 1958 الذي أناط بهم مهمة كشف الجرائم والبحث عن مرتكبيها وجمع الأدلة ضدهم وتقديمهم إلى المحاكم المختصة.

وهكذا يحدد قانون الإجراءات الجنائية لضباط الشرطة القضائية ثلاثة أطر للبحث في الجرائم:

أ ـ إطار التلبس بالجريمة (الجرم المشهود) الذي يمنحهم اختصاصات واسعة على غرار التفتيش والحجز، والاحتفاظ بالشهود، وتسخير الخبراء، والانتقال إلى عين المكان لإجراء المعاينات الضرورية، وذلك من أجل وضع حد سريع للاضطراب الناجم عن الجريمة، والذي يتطلب إمكانيات أوسع لجبر خاطر المجتمع، وإعادة السكينة الاجتماعية على وجه السرعة بإيقاف المجرم وتقديمه للعدالة.

ب ـ البحث التمهيدي: ويجرونه إما مبادرة منهم أو بناء على شكاية أو وشاية أو تكليف من النيابة العامة، وعلى أية حال فإن هذا البحث يختص بالجرائم التي لا تندرج في إطار التلبس بالجريمة، حيث تكون سلطات ضباط الشرطة القضائية محدودة، إذ لا يمكنهم إجراء التفتيش بالقوة والقهر، بل بناء على إذن مكتوب من صاحب المنزل المراد تفتيشه، وفي حالة استثنائية تبعا لإذن مكتوب من النيابة العامة، كما لا يمكنهم أثناء إجراء البحث التمهيدي تسخير الخبراء إلا بطلب من النيابة العامة.

ج ـ الانتداب القضائي: ويتعلق بالإجراءات التي ينجزونها بناء على تفويض من السلطة القضائية، وغالبا ما يصدر هذا التفويض عن أحد قضاة التحقيق ليقوموا مقامه بعمل من أعمال التحقيق (الاستماع إلى شاهد، تفتيش ... الخ).

رتب وأسلاك موظفي الشرطة:

تشمل شرطة الزي الأسلاك التالية :

1) سلك حراس الأمن والرقباء :

ويشتمل الرتب الآتية: حارس الأمن ـ مقدم مساعد ـ مقدم رئيس.

2) سلك ضباط الأمن :

ويشمل الرتبتين التاليتين: ضابط الأمن ـ ضابط أمن ممتاز.

3) سلك قواد حراس الأمن :

ويشمل الرتب التالية: قائد حراس الأمن ـ قائد حراس الأمن الممتاز ـ قائد الهيئة.

أما بالنسبة للشرطة المدنية فإنها تشمل الأسلاك التالية:

1) سلك المفتشين :

ويشمل رتبتين : مفتش الشرطة، ومفتش الشرطة الممتاز.

2) سلك مسعفات الشرطة :

ويشمل رتبتي مسعفة الشرطة ومسعفة الشرطة الممتازة.

3) سلك ضباط الشرطة :

ويشمل رتبتين : ضابط الشرطة، وضابط الشرطة الممتاز.

4) سلك مساعدات الشرطة :

ويشمل رتبتي مساعدة الشرطة ومساعدة الشرطة الممتازة.

5) سلك عمداء الشرطة :

ويشمل رتب: عميد الشرطة، عميد الشرطة الممتاز، وعميد الشرطة الإقليمي.

6) سلك المراقبين العامين :

ويشمل رتبة مراقب عام للشرطة.

7) درجة الوالي :

وتشمل رتبة والي الأمن.

وتجدر الإشارة إلى أن الإدارة العامة للأمن الوطني تتوفر منذ العام 1978 على معهد ملكي للشرطة بمدينة القنيطرة يتوفر على أكاديمية تختص أساسا بتكوين عمداء الشرطة، وضباط الشرطة وضباط الأمن، كما يتوفر المعهد على مدارس فرعية لتكوين مفتشي ومسعفات الشرطة، وحراس الأمن، توجد إثنتان منها على التوالي في كل من أبي الفناديل بأحواز سلا، ومدينة إفران بالأطلس المتوسط.

وتصدر الإدارة العامة للأمن الوطني مجلة الأمن الوطني (الشرطة سابقا) المنتظمة الصدور منذ سنة 1961 وتنشر أبحاثا شرطية وقانونية لا تخاطب فحسب رجل الشرطة بل عموم القراء. وأخيراً فقد تعاقب على الإدارة العامة للأمن الوطني منذ الاستقلال حتى الآن أربعة عشر مديراً عاماً،

أولهم المرحوم محمد الغزاوي - أحد الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال في 11 يناير 1944 - وآخرهم السيد حفيظ بنهاشم الذي يعتبر أول مدير عام سبق أن عمل في سلك الشرطة التي انخرط فيها منذ مطلع الاستقلال قبل أن يلتحق بوزارة الداخلية في مطلع السبعينيات، مديراً عاماً للأمن الوطني في ماي 1997.

عبد الإله مالك

شرعاوي، محمد. مقاوم، ولد سنة 1937/1355 بمدنية مراكش من أبويه مبارك بن علي وزينب بنت العربي. وبسالة جياشة وروح وطنية غيورة اندفع إلى صفوف الوطنيين الذين استنهضوا الهمم في الذكرى الثانية لنفي المغفور له محمد الخامس، فنظموا مظاهرة عارمة بمدينة مراكش لعدة أيام من شهر غشت 1955. وهكذا شارك الشهيد بحماس كبير في هذه المظاهرة التي لازمها اطلاق الرصاص منذ البداية على المتظاهرين فأصابته إحدى رصاصات المستعمر الغادر بحي المواسين، نقل على إثرها إلى مستشفى المدينة حيث لفظ أنفاسه الأخيرة يوم 3 محرم عام 1375 / 22 غشت 1955.

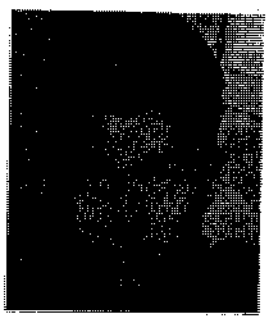

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 506986.

الشرعي، أسرة تنحدر من منطقة عين الحوث حوز مدينة تلمسان. هاجروا إلى المغرب واستقروا بمدينة القصر الكبير. وبعد مدة تحول فرع منهم إلى مدينة فاس، ومن فاس انتقل الشريف مولاي عبد السلام بن الغالي بن طاهر إلى مدينة مراكش عام (1289/ 1872) ومنه تفرعت الأسرة الشرعية القاطنة بمراكش. وقد وقفت على رسم عدلي يتضمن أبناء عمومتهم القاطنين بالقصر الكبير وهم : الحاج محمد بن إدريس بن محمد الشرعي، وأحمد بن مولود الشرعي، وأحمد بن ناصر الشرعي، ومحمد (فتحا) بن محمد الشرعي، المنتسب لشرفاء عين الحوث الكائنة بحوز مدينة تلمسان من آل البيت.

وثائق وكنانيش عائلية عند عبد السلام بن مولاي إبراهيم الشرعي.

الشرعي، عبد السلام بن الغالي ولد ليلة 27 من رمضان عام 26/1267 يوليوز 1851، ودرس بمدينة فاس على شيوخ أجلاء أمثال: محمد (فتحا) گنون، والتهامي گنون، والهادي الصقلي. ثم رحل إلى مدينة مراكش عام 1872/1289، ومنها سافر لتونس حيث درس على بعض الشيوخ، وأجازه الشيخان أحمد بن محمد بن الخوجة وسالم بوحاجب. ثم سافر إلى الأسكندرية، ومنها إلى الحجاز لأداء فريضة الحج وذلك سنة 1877/1294 وبعد أداء مناسك الحج رجع إلى مراكش ونفذ له قاضيها عبد الواحد بن المواز عام 1881/1298 خطبة جامع سيدي أبي العباس السبتي، وجعله قيما على خزانة كتبه، ثم تولى بعدها الكتابة ببنيقة الصدر الأعظم احماد بن موسى.

وفي سنة 1885/1303 تولى القضاء بالنيابة بمدينة أسفي حسب وثيقة بخط المترجم له يقول فيها : "حللت ثغر أسفي عشية الأربعاء العاشر من ربيع الثاني عام 1303"، وأسند إليه نيابة القضاء بصفة رسمية عام 1308/ 1809 وفي هذه المدينة تزوج بالسيدة الغالية مولاة بنهيمة وانجب منها.

وفي عام 1899/1317 عاد إلى مراكش نائبا عن قاضيها المنيعي الذي غادر مراكش في مهمة مخزنية. وفي العام الموالي توفي المنيعي فعين المترجم خلفاً له. وكان يحكم بمقصورة ابن يوسف، ويخطب بجامعها بخطب يمليها من حفظه. كما درس همزية *البوصيري*، وكان يقرأ المواهب سرداً من حفظه.

وفي أخريات حياته كُفَّ بصره، فطلب الإعفاء من القضاء. وفي أخريات حكم السلطان عبد العزيز أسندت إليه الإمامة بقبة ضريح أبي العباس السبتي.

توفي قبيل المغرب يوم خامس ربيع الثاني عام 1334/ 10 فبراير 1916 ودفن بضريح أبي العباس السبتي.

ع. ابن إبراهيم *الإعلام*، الرباط، 8 : 505 ؛ *وثائق وكنانيش* عند حفيده *عبد السلام الشرعي*.

الشرعي، محمد بن عبد السلام، ولد بمدينة مراكش عام 1302/ 1885 ونشأ في بيت علم وعفاف، سهر والده على تنشئته تنشأة صالحة، وبعد حفظه للقرآن الكريم اهتم به والده بتعليمه وتثقيفه، وتلقينه علوم اللغة والدين. كما درس على جماعة من علماء ابن يوسف منهم: أحمد ولد الحاج المحجوب، والحسن الرحماني، الشيخ أبو شعيب الدكالي، وغيرهم.

ثم رحل إلى مدينة فاس فدرس بالقرويين على علمائها. وقد أجازه جلة علماء مراكش وفاس. ثم عاد إلى مسقط رأسه ليساعد والده أيام قضائه بمراكش. وبعدها اشتغل عدلا بنظارة الأحباس الصغرى. ثم كاتبا خاصا للخليفة السلطاني مولاي عبد الحفيظ عام (1321/ 1902).

وفي 25 رجب عام 1906/1325 عين كاتبا ببنيقة الصدر الأعظم محمد بن كبور في بداية الدولة الحفيظية، وبقي في

عـمله بدار المخـزن بفـاس والرباط، أيام الصـدر المدني الأگلاوي، ثم الصدر الحاج محمد الجباص، وفترة مع الصدر الحاج محمد المقري.

ولما توفي والده عام 1916/1334 عاد إلى مراكش نزولا عند وصية والده الذي كلفه قيد حياته بشؤون العائلة، ونظراً لحسن تصرفه وإخلاصه في العمل ارفقه الصدر الأعظم الجباص بشهادة حسن سيرته، وكذا وزير العدلية الشيخ أبو شعيب الدكالي. وأنعم عليه بوسامين الأول بتاريخ 10 أكتوبر 1916 والثاني في 17 يونيه 1937.

وبعد أن تقلد عدة مناصب إدارية تولى الإمامة والخطبة بمسجد الشيخ أبي العباس السبتي له كناشة متنوعة بين أدب، ولغة، وتاريخ، ودين، وتلخيص لمؤلفات. وهو الذي يرجع إليه الفضل في الحفاظ على *ديوان شاعر الحمراء* محمد ابن إبراهيم المخطوط إلى أن سلمه إلى ابن أخته الشاعر مولاي الطيب المريني، وعليه اعتمدت اللجنة الملكية التي سهرت على جمع شعر شاعر الحمراء.

توفي صباح يوم الخميس 23 ربيع الأول عام 1380/ 15 شتنبر 1960. ودفن بالضريح العباسي قرب والده.

أ. متفكر، *ذيل الإعلام*، مخطوط ؛ *وثائق عائلية عند حفيده عبد السلام الشرعي*.

أحمد متفكر

الشرفاء في المغرب، وهم المنتسبون لأهل البيت المنحدرون من ذرية الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب وفاطمة بنت الرسول عليه السلام، لأن المغرب في نظر النسابين المغاربة لم يحتضن سوى هاذين الفرعين، وتبعا لذلك فإن شرفاء المغرب هم الحسنيون والحسينيون. وبالمقارنة يعتبر الحسنيون أكثر عدداً من الحسينيين، وينقسمون إلى عدة فروع يصعب حصرها، وأكثرها تشعبا وعدداً الأدارسة، بحكم أقدمية استقرارهم في البلاد.

يلتقي نسب الشرفاء الحسنيين في الجد الجامع عبد الله الكامل بن محمد النفس الزكية بن حسن المثنى بن الحسن ابن علي بن أبي طالب. ويتألف هؤلاء حسب كتب الأنساب من خمس مجموعات كبرى هم: الأدارسة والسليمانيون والعلويون والزيدانيون والقادريون.

الشرفاء الأدارسة

ينحدر الشرفاء الأدارسة من أبناء إدريس الثاني الذين تقاسموا الملك بعد وفاة أبيهم بإيعاز من جدتهم كنزة وهم: القاسم وعمر وداوود ويحيى وحمزة وعيسى وعبد الله وأحمد. بيد أن المؤرخين اختلفوا في عددهم وفي تحديد الأقاليم الخاضعة لحكمهم. وقد نتج عن هذا الاختلاف تفاوت في عدد الفروع الإدريسية وتضارب في مواطنها، مما جعل عملية ضبط الشرف الإدريسي من الناحية الجنيالوجية والجغرافية من الأمور المستعصية، ناهيك عن قوة انتشار الشرفاء الأدارسة في البوادي والمدن واختلاطهم بعامة الناس وكثرة نزوحهم عن المواطن الأصلية. ويظهر من خلال كتب الأنساب أن الجوطيين والعلميين مثلوا أشهر الفروع الإدريسية. فالأدارسة الجوطيون تقاسموا الشهرة القائمة على وضوح النسب مع الصقليين في فاس المرينية حسب رأي ابن السكاك. وبعد ذلك تمكن العلميون من فرض شهرتهم خلال فترة حكم السلطان أحمد المنصور الذهبي نتيجة لاستشار رموز الشيخ عبد السلام بن مشيش وتصدرهم لميداني التصوف والجهاد في الشمال الغربي وبروزهم في معركة وادي المخازن، فتم الاعتراف بهم من طرف الجوطيين والتحقوا بشرفاء الدرجة الأولى في النسب.

الشرفاء العلويون

معلوم أن العلويين أحدث استقرارا، حيث قدم جدهم الحسن الداخل إلى سجلماسة بواحات تافيلالت، في بداية الدولة المرينية في حدود سنة 664/ 1266، على عهد السلطان أبي يوسف يعقوب. ومن هذا الجد تناسلت الأسرة العلوية، التي استوطنت خلال العهد العلوي الأول قصور الرتب والسيفة والقصر الفوقاني من تنجوت وأولاد عبيد وأخنوس وعلي بن محمد والمراسي والمطلع وقصبة مولاي الشريف وأبي حامد وصوصو وتيرمت والمخازن. أما الشرفاء الذين خرجوا من تافيلالت، فقد انتشروا في نفس الفترة في ملوية ومدغرة وفاس وبني زروال وصفرو وتوات ومراكش وأدخسان والشياظمة. وحسب شهادة صاحب *الدر السني* بلغ عدد أفراد الأسرة العلوية في عصره ما ينيف على ألف رجل، ولاحظ أن أولاد يوسف بن علي الشريف هم أكثر عدداً. ويتبين من كتب الحوليات التي تناقلت أخبار الشرفاء الفيلاليين أن هؤلاء كانوا يتمتعون بسمعة طيبة في مجتمع واحات تافيلالت خلال العهد المريني والسعدي. غير أن شهرتهم في النسب على ما يبدو من مدونات الأنساب تمت بعد وصولهم إلى الحكم حيث سيتقاسمون الدرجة الأولى مع العلميين، بينما تراجعت مكانة الجوطيين.

الشرفاء الزيدانيون

تتجاهل مدونات أنساب العهد العلوي الأول شرف الزيدانيين الذين كان لهم شأن في الحياة السياسية المغربية قبلهم. ولعل الطعن في شرفهم تم بإرادة ملوك الدولة العلوية الأوائل كما تدلنا على ذلك مجموعة من المصادر. وعلى عكس جل النسابة أكد بعض المؤرخين نسبهم الشريف، نذكر على سبيل المثال بما أورده أحمد بابا التمبكتي ومحمد الإفراني. تذكر المصادر أن جد الزيدانيين قدم إلى بلاد درعة في نفس تاريخ قدوم جد العلويين الحسن الداخل، لنفس الغرض. وإذاكان الزيدانيون بعد إقصائهم من النسب دخلوا تدريجيا في طي النسيان فإن زمام السلطان سيدي محمد بن عبد الله نص صراحة على وجودهم بفاس.

الشرفاء القادريون

يندرج القادريون ضمن السلالة الحسنية، وينتسبون إلى الجد الجامع الشيخ عبد القادر الجيلالي صالح بغداد، سليل

موسى الجون بن عبد الله الكامل. انتقلت جماعة منهم من الكوفة إلى الأندلس إثر نزاعهم مع الحسينيين واستوطنوا واد آش، ثم نزحوا إلى غرناطة في زمن غير معلوم لدينا. وفدت جماعة منهم إلى المغرب واستوطنت فاساً في بداية العهد المريني على ما يبدو. ومعلوم أن التأثيرات القادرية الصوفية بلغت إلى المغرب قبل هذا التاريخ. حصل القادريون على امتيازات مادية ومعنوية هامة في أواخر الدولة المرينية، وحلوا سياسيا مكان الجوطيين في البلاط المريني. كما كانت لهم وجاهة عند الوطاسيين تقديرا لدورهم السياسي المتمثل في مساعدة محمد الشيخ الوطاسي في السيطرة على فاس وانتزاع السلطة من الجوطيين سنة 1471، علاوة على استماتتهم في الدفاع عن الوطاسيين ضد السعديين. ولأجل ذلك عانى القادريون من مضايقات السلطة السعدية، وخصوصا على يد عبد الله الغالب بسبب التواطئ مع أتراك الجزائر. ثم انتعش القادريون في بداية الدولة العلوية، وتبوأوا مكانة رفيعة في مجتمع حاضرة فاس، وبرزوا في ثلاثة ميادين هي: التصوف والعلم والتجارة. كان القادريون خلال العهد العلوي الأول منقسمين إلى ثلاثة فروع هي: فرع محمد وفرع أحمد ابني الجد الداخل إلى فاس، والفرع الذي ينتسب إليه العالمان الشهيران عبد السلام ومحمد بن الطيب.

الشرفاء الحسينيون

ينقسم الشرفاء الحسينيون في المغرب إلى ثلاث مجموعات هم: الصقليون والعراقيون والمسفريون. تنحدر كلها من الحسين بن علي بن أبي طالب، ومن نسل ولده زين العابدين. انتقل الصقليون من موطنهم الأصلي صقلية إلى مدينة سبتة في أواخر العهد الموحدي، وعاشوا في رعاية العزفيين. ولما تزايدت شعبيتهم في الوسط السبتي، خاف يحيى العزفي على سلطته وقام بطردهم إلى الجزيرة الخضراء، فوقعوا أسرى في يد الإسبان. لكن السلطان المريني أبا عنان أطلق سراحهم مقابل فدية وعزز مكانتهم بسبتة. وحينما أتى الصقليون إلى فاس المرينية حملوا معهم شهرتهم وأصبحوا ينافسون الجوطيين أهل الدرجة الأولى في الشرف كما أورد ابن السكاك في *نصح ملوك الإسلام*. شكل الصقليون ثلاثة فروع هي: السبتيون أهل سبتة والطاهريون بفاس والصقليون المحتفظون بنسبهم الأصلي، ونالوا حظوة لا تضاهى في البلاط المريني.

مثّل الشرفاء عامّة في المجتمع المغربي فئة اجتماعية متميزة قائمة على الإرث السلالي، نجد نظيراً لها في بعض المجتمعات مع مراعاة الخصوصيات المحلية؛ ولعل أهم ما تميز به الشرفاء الرابطة السلالية والدفاع المشترك عن حيازة النسب الشريف بدافع الحفاظ على مكانة اجتماعية وسياسية. ولم يكن هناك من بد من الحفاظ على تلك المكانة إلا اعتماداً على تنظيم داخلي هو النقابة التي كانت المرآة التي عكست جانبا من وضعية الشرفاء. وإذا كان النسب الشريف هو الذي ميز فئة الشرفاء عن العامة، فإنه كما يبدو من مدونات الأنساب جسد درجات متفاوتة في الشهرة القائمة على وضوح النسب واستمرار تسلسل رموز البركة في الأسر الشريفة. وبما أن القيمة الأساسية المعترف بها للشرفاء من قبل العامة استندت إلى البركة فإن واقع الحياة الاجتماعية يجعلنا نميز بين صنفين من الشرفاء، أصحاب البركة وهم الشرفاء فوق العادة ويمثلون النخبة، ومجموعة الشرفاء العاديين الذين افتقروا إلى خاصية البركة الذين عرفوا بعامة الشرفاء. وانطلاقا من كون النسب الشريف هو أصل تقمص رمز البركة، فإن المعايير التي وضعها النسابون في اعتبار وضوح النسب المستندة إلى القاعدة الفقهية المعتمدة لإثبات النسب الشريف جعلت الشرفاء درجات متفاوتة في الشهرة. كما أعار النسابون الاهتمام في التصنيف الاجتماعي للشرفاء الوجاهة السياسية وتداول النقابة والبروز في ميدان الصلاح وامتلاك الثروة. وتجلى هذا التفاوت والتمييز بين الشرفاء في الحياة اليومية على مستوى تداول ألقاب التسييد.

وبالنظر إلى علاقة الشرفاء بالسلطة السياسية، جسدوا إحدى الأدوات الفعالة في دعم مشروعية الحكم، فهم من جهة طرف أساسي في بيعة السلطان، ومن جهة أخرى الوسيط المفضل لديه في حل النزاع مع القبائل الرافضة للأحكام المخزنية بطرق سلمية، وبنجاح الشرفاء في حمل القبائل على طاعة السلطان وأداء ما ترتب عليها من واجبات وتكاليف، مثلوا عنصراً فاعلا في بسط سيادة السلطان لايقل أهمية عن أسلوب الحركة. وبالمقابل منح السلطان للشرفاء الفاعلين في الحقل الرمزي امتيازات معنوية ومادية تجعلها في التوقير والاحترام والاستقلال في القضاء فيما يتعلق بنزاعهم الداخلي العادي، وقبول شفاعتهم، والإنعام عليهم بمختلف الأصناف العقارية وإعفائهم من الضرائب، فضلا عن الصلات النقدية والعينية. وإذا كان الشرفاء في إطار هذه العلاقة مثلوا سنداً قويا للسلطة السياسية فإنهم استمدوا منها بدورهم مكانتهم الاجتماعية والسياسية.

م. ابن السكاك، *نصح ملوك الإسلام*، طبعة حجرية فاس، د. ت. ص. 14. 17. 19. 21؛ ع. السلام القادري، *الدر السني*، طبعة حجرية، فاس، 1308، ص. 54. 55. 59. 69؛ إدريس الفضيلي، *الدرر البهية*، الجزء الثاني، طبعة حجرية، فاس، د. ت، ص. 52. 213. 222؛ م. عمراني، *الشرف والمجتمع والسلطة السياسية - الشمال الغربي نموذجا - من القرن 16 إلى 19*، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة ترقونة، كلية الآداب، الرباط، 2001، ص. 55. 110.

محمد عمراني

شرفاء سجلماسة أو تافيلالت، سمّوا بذلك لأن بلاد سجلماسة لم يكن فيها شرفاء من آل البيت حتى حلّ بها الحسن بن القاسم من ذرية الحسن السبط بن علي بن أبي طالب سنة 664/ 1266 فعُرف هو وأبناؤه من بعده بشرفاء سجلماسة، ودُعوا أيضاً بالشرفاء الحسنيين نسبة إلى جدهم

الأعلى الحسن السبط، وبالشرفاء العلويين نسبة إلى جدهم القريب المولى علي الشريف دفين تافيلالت المتوفى سنة 847/ 1443.

يتفق النسابون على تواتر سلسلة نسب شرفاء سجلماسة التي تنتهي إلى محمد النفس الزكية بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهكذا يكوّن العلويون والأدارسة الفرع الحسني الأكثر انتشاراً لآل البيت بالمغرب، حيث يجتمعون معاً في جدهم عبد الله الكامل. كما يكوّن بنو عمهم الحسينيون آل الحسين السبط الصقليون والعراقيون والمسفريون الفرع الحسيني الأقل عدداً من آل البيت بالمغرب.

اشتهر شرفاء سجلماسة العلويون بالغيرة على نسبهم على كثرة عددهم وتفرقهم في البلاد بحيث "لا يمكن لدخيل أن يتسور عليهم، ولا أن يروم الوصول إليهم... وهذا ديدنهم حيثما حلوا ... لا يُنكحون بناتهم غير جنسهم" (*الدرر البهية*، 2 : 87) لذلك كان لهم نقباء من أنفسهم يسهرون على نقاء جماعتهم، ويقضون فيما يحدث بينهم من خلاف. ويسمى النقيب أيضاً مزواراً. وأشهر نقيب للعلويين المتأخرين بمكناس المؤرخ عبد الرحمن ابن زيدان مؤلف *إتحاف أعلام الناس*.

أ. العلوي، *الأنوار السنية في نسبه من في تافيلالت من الأشراف الحمدية*، المحمدية، 1966 ؛ م. الزكي العلوي، *المطالع الزهراء الجامعة لأسماء بني الزهراء*، مخطوط ؛ ع. السلام القادري، *الإشراف على من بفاس من الأشراف*، ط. حجر فاس؛ *الدر السني فيمن بفاس من النسب الحسني والحسيني*، ط. حجر فاس ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، المحمدية، 1999، الجزء الأول.

محمد حجي

الشرفي، بيت، على ما جاء في *الدرر البهية*، من "أعظم بيوتات فاس وأقدمها وأجلها مكانة وأعظمها، ثابت الأعراف والأصول، مثمر الأغصان والفصول، فكم فيه من ولي كبير، وعالم نحرير، وذي قدر شامخ شهير". ينتسبون إلى الشرف (بفتح الشين والراء، وإن سار اللسان الفاسي بضمّ الشين وجزم الراء)، وهي مرتفعات مطلة على إشبيلية من شمالها، اشتهرت باعتدال مناخها وكرم تربتها. انتقلوا إلى فاس قبل سقوط غرناطة، بدليل ما بيدهم من ظهائر ملوك بني مرين، وبخاصة منهم أبو عنان وعبد العزيز في أواسط المائة الثامنة من الهجرة. وكان قد ذاع صيت أحد رجالاتهم، وهو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد، خطيب قرطبة وصاحب شرطتها، على ما أثبت صاحب القاموس مستغربا، ولهذا القاضي المكلف بالشرطة شعر مذكور. وقد توفي سنة 396. وكان من رجالاتهم أيضاً أبو الدر ياقوت بن عبد الله الشرفي المعروف بالنوري الموصلي الكاتب، ويكنى أمين الدين، اشتهر بجودة الخط، وكانت النسخة من *صحاح الجوهري* بخطه تباع بأعلى ثمن. مات في الموصل سنة 618، مشهوداً له بأصوله الأندلسية. ومنهم العالم الدراكة محمد ابن الطيب بن محمد الشرفي، ازداد في فاس عام 1110 وتوفي فيها عام 1170. ومنهم الفقيه الشيخ أحمد بن محمد ابن عبد السلام الشرفي، ولد بمصر بعد استقرار والده بها، وكان شيخ رواق المغاربة في الأزهر، وبالقاهرة توفي سنة 1188.

ويرفع آل الشرفي نسبهم للولي الصالح أحمد بن قاسم دفين روضة الأنوار خارج باب الفتوح، وهو من أشياخ محمد والد أبي المحاسن يوسف الفاسي وهو عمدته، ورد ذكره في *مرآة المحاسن* وفي *متع الأسماع*، أخذ عن أبي الحسن علي بن محمد صالح الأندلسي، دفين الروضة المذكورة، وهو عمدته، ومن رجال التصوف وأهل المقامات الروحانية في المائة العاشرة. وقد دأب ملوك الدولة العلوية على الإنعام على رجالات هذه الأسرة المجيدة بظهائر التوقير والاحترام، منذ السلطان المولى إسماعيل إلى الملك محمد الخامس، اعترافا بعلوّ مقامهم علماً وديانة ومروءة، وبأنهم من ذوي الفضيلة والصدارة، كان منهم الأئمة الفصحاء والموثقون النزهاء والأمناء والمحتسبون الأتقياء والكتاب والوزراء الماسكون بزمام اللغة نظماً ونثراً، اشتهر منهم في الديوان الإسماعيلي العربي بن المهدي بن محمد (فتحا) بن محمد بن إبراهيم بن الشيخ أحمد بن قاسم الجد الجامع لشعبتهم، وذاع في عهد الحسن الثاني صيت السفيربن الأستاذين السيدين عبد الله وعبد الوهاب مدّ الله في عمرهما، وأخيهما المرحوم القاضي السيد الطيب، والدهم القاضي السيد علي بن الطيب. وكانت مدينة فاس هي موطن الأسرة الشرفية قبل عهد الحماية. أما بعد ذلك وبعد استرجاع المغرب استقلاله فإن العديد من أفرادها خرجوا إلى باقي الحواضر المغربية بقصد الاشتغال في الإدارة العمومية وغير العمومية أو في المهن الحرة.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية والجواهر النبوية*، فاس، الطبعة الحجرية ؛ ع. الكبير بن هاشم الكتاني، *زهرة الآس في بيوتات أهل فاس*، تح. علي بن المنتصر الكتاني، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 1422/ 2002، مجلدان ؛ ع. الوهاب الشرفي، *نبذة مرقونة عن أخبار الأسرة الشرفية*، بحوزتنا.

الشرفي، إدريس بن عبد الرحمان بن محمد بن أحمد، ولد عام 1280/ 63 . 1864 عالم مشارك، وفقيه مطلع يقول الشعر وينتحله. أخذ عن والده الشيخ عبد الرحمان، وعن الشيخ عبد الله بن إدريس البدراوي الحسني، وعن الشيخ عبد المالك بن محمد العلوي الضرير، وعن الشيخ محمد (فتحا) القادري الحسني وآخرين. كان متتبعا لما جرى على المغرب من الوقائع الجسام زمن الاقتحام الاستعماري، ويروي ذلك بتفاصيله للمؤرخ عبد السلام ابن سودة، محتفظا، على ما قال هذا المؤرخ، بكل ما كان يصدر من الجرائد، ناقما بوجه خاص على الحاجب أحمد بن موسى، المدعو ابا احماد، وكذلك على أولاد التازي، مع إعجاب تام بالسلطان المولى الحسن وإجلال لما بذل من الجهود صونا لحرمة المغرب.

توفي يوم 23 ربيع الأول عام 13/1366 فبراير 1947. ودفن بروضة الشرفيين بالقباب، خارج باب الفتوح.

ع. السلام ابن سودة، *سل النصال/موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، المجلد 9.

الشرفي، الطيب بن علي بن الطيب بن عبد الرحمان، الفاضل اللبق الأريب، كان من أول المتخرجين من المدرسة الإدارية المغربية بعد إحداثها سنة 1948، من شعبة العدل والقضاء. ويوم استرجع المغرب استقلاله سنة 1955، كان من الركائز التي انبنى عليها نظام العدل المغربي المعاصر، بما أسند إليه في الحين من المسؤوليات الكبرى والمناصب العليا، فكان رئيسا للمحكمة الإقليمية في أگادير، ثم رئيساً للمحكمة الإقليمية في الرباط، ثم رئيساً للمحكمة الإقليمية في الدار البيضاء. وآخر ما مارسه من تلك الأشغال، أنه كان الوكيل العام للملك بمحكمة الاستئناف في الدار البيضاء عندما اختطفته يد المنون يوم 17 صفر عام 6/1400 يناير 1980، فدفن في مقبرة الشهداء بهذه المدينة.

ع. الوهاب الشرفي، *نبذة مرقونة عن أخبار الأسرة الشرفية*، بحوزتنا.

الشرفي، العباس بن عبد الرحمان المحتسب والوزير كان العباس من رجال العلم والمشاركة، يقول الشعر، له في ذلك ملكة جليلة، ولد حوالي سنة 1290/ 1873 في فاس، وتخرج على والده، وعلى الشيخ أحمد ابن الخياط، والشيخ أحمد بن الجيلالي الأمغاري، والشيخ محمد (فتحا) كنون، والشيخ عبد المالك الضرير والشيخ عبد السلام الهواري وغيرهم من تلك الطبقة. تولى الكتابة بدار المخزن منذ أيام السلطان المولى عبد العزيز، ثم في عهد المولى عبد الحفيظ. وترأس مجلس الجنايات في عهد المولى يوسف، وأسندت إليه وزارة الأوقاف، كما تولى النيابة عن الصدر الأعظم. وكان في كل ذلك مثال النزاهة والإخلاص. له ديوان شعر حافل على مثال أهل الأندلس، على ما ذكر المؤرخ عبد السلام ابن سودة. ونشر له المؤرخ عبد الرحمان ابن زيدان عدة قصائد قالها في مدح الرسول ومدح السلطان المولى يوسف، منها قصيدة في مولد عام 1337 مطلعها:

مولاي يوسف نور العصر نخبته
تاج الملوك وأعلى خيرهم أدبا
بعدله ابتهج الإسلام وانتشرت
راياته وتولى الجهل واحتجبا

وقال عنه عبد الله الجراري بأنه: "يعدّ من علية أدباء المغرب وشعرائه المكثرين الذين طالما قصدوا ومدحوا في شتى المناسبات، وحلوا الألغاز والمعميات الأدبية، خاصة ما كان ينشر من آونة لأخرى على أعمدة صحيفة السعادة لسان حكومة الحماية". ومما أورد له، بيتان في درس الفقيه الحجوي صاحب *الفكر السامي*.

وفي ذلك، على ما يبدو، دعابة وخفة روح الشاعر أكثر مما فيه نقد أو مؤاخذة. فإن المترجم كان يحضر في الرباط دروس الشيخ شعيب الدكالي ودروس الشيخ محمد المدني ابن الحسني والشيخ أحمد بن المامون البلغيثي وغيرهم من دعاة السلفية الصالحة.

توفي العباس الشرفي في الرباط وووري في تربتها يوم الخميس 11 جمادى الأولى سنة 17/1359 يونيو 1940.

ع. الرحمان ابن زيدان، *اليمن الوافر الوفي في امتداح الجناب المولوي اليوسفي*، فاس، 1342؛ ع. الله الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين الرباط وسلا*، الرباط، 1391/ 1971، مجلدان؛ ع. السلام ابن سودة، *سل النصال/ موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، 10. مجلدات، المجلد 9.

الشرفي، عبد الرحمان بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبي جيدة بن أحمد بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن الولي الصالح أحمد بن قاسم الشرفي، وسط عقد هذه الأسرة الجليلة، ومجدد صرحهم، والجد الذي منه تفرع من لا يزال منتشراً منهم في كبريات الحواضر المغربية إلى يومنا. نشأ في أحضان والده الفقيه السيد محمد، محتسب فاس، "الذي كان من أعيان أهل زمانه ومن أهل الديانة والمروءة"، على ما قال صاحب الدرر البهية. ولي الحسبة مكرها، فحمدت سيرته وطهرت تلك الخطة على يده من الدنس. توفي عام 1269، مخلفا ولده عبد الرحمان، الذي أخذ العلم عن الشيخ محمد الفيلالي الحجرتي والشريف الوليد العراقي الحسني والعلامة القاضي عبد الهادي بن عبد الله العلوي والفقيه عبد القادر الكوهن والفقيه العباس ابن كيران وعن أضرابهم. وتضلّع في علوم الفقه فصار إليه المرجع في أصول المذهب المالكي وجزئياته. دخل السلك المخزني، مستكتبا أول الأمر لدى بعض عمال السراغنة فتجلت مواهبه. ثم كانت الخطوة الثانية هي الكتابة في الحضرة السلطانية إبان صدارة المختار الجامعي. ولما عزل الجامعي عن الوزارة، التزم المترجم منزله، إلى أن أسندت إليه حسبة فاس. فقام بالخطة على ساق الجد، وكان فيها "المحك الفاضح لكل ذي مكيال وقسطاس"، على ما جاء في *فواصل الجمان*. ثم عزل عنها بسبب تصرفه الصارم مع بعض عبيد الخليفة السلطاني سيدي محمد ممن كان يتعلم الصنائع في فاس، إذ قبض عليه وأمر بضربه ضرباً موجعاً دون أن يراعي انتماءه لخدمة الخليفة، كما أبعد بعض العدول من ذوي الحظوة عن خطة التوثيق. فبلغ ذلك عامل فاس المدعو ابن الطالب الذي كان "يسير، بقول صاحب *فواصل الجمان*، في الحاضرة بسيره في البادية"، فكاتب السلطان في تأديب المحتسب. ولما جاء الأمر بذلك، بلغ الغاية في الإضرار بالمترجم وعامله بتمام القسوة والتشديد. لكن صديق المحتسب عبد الرحمان الشرفي، الفقيه محمد غريط بادر إلى التشفع فيه وإخبار السلطان المولى عبد الرحمان بما كان من تهويل قضيته لديه. فصدر التوبيخ للعامل، كما صدر الأمر للفقيه الشرفي بالتوجه إلى المحلة السلطانية القائمة يومئذ بزمور، فتولى قراءة الحديث بحضرة

السلطان المولى عبد الرحمان الذي كان في اللحظات الأخيرة من أيامه. ولما توفي وبويع لولده سيدي محمد، فإنه أسند للمترجم أمر مباشرة الأشغال الأجنبية وتصفح الرسوم الدينية. وأوفده في السفارة إلى إنجلترا على ما قال صاحب *الجيش العرمرم*. مما لم يشفع له لدى ممثل إنجلترا في المغرب، وهو جون درامند هاي الذي كتب مرتين بشأن المترجم له، يوم كان كاتباً في أسفي مع العامل ابن هيمة، مشتكيا لدى نائب السلطان محمد بركاش "من ما ظهر من القبح والكراهية من الفقيه السيد عبد الرحمن الشرفي" وذلك في صيف عام 1287 الموافق عام 1870. وآخر ما تقلد المترجم من المناصب، أنه استوزر لدى خليفة السلطان المولى الحسن في مراكش، وهو أخوه المولى عثمان. وقد استخف الخليفة بوزيره. فما كان من السلطان إلا أن كاتب أخاه الأمير محذراً من ذلك قائلاً : "فإن كاتبنا الطالب عبد الرحمان الشرفي إنما أبقيناه معك لما نعلم من عقله وتجريبه للأمور [...] فلا بد كن عند إشارته فيما يشير به عليك [...] ولا تستبدّ دونه بأمر". مما يدرك منه ما كان للمترجم من المكانة في الجهاز المخزني، نالها مما استوعب من العلوم، ومما كان عليه من الإقدام في الأعمال السلطانية، وأيضاً من براعة القلم نظماً ونثراً. ولقد احتفظ ببعض شعره، يذكر منه الأبيات المكتوبة بأسفل منار مسجد الوادي بالعدوة في فاس، مطلعها :

ليس ارتفاعي لفخر لاكن علوت لحسر

وباشا فاس يومئذ الحاج عبد الله بن أحمد البوخاري صاحب البناء المذكور، الذي كان شبه خربة يرتادها الدعار فقام بإصلاحه وزده إلى بيت التقوى والعبادة.

مرض الفقيه عبد الرحمن الشرفي مرضاً ألزمه العودة إلى فاس والقعود في داره، إذ اختلّ عقله في آخر عمره.

توفي يوم الأربعاء 13 جمادى الأولى عام 1304/ 7 فبراير 1887 "وعمره على ما قال صاحب *فواصل الجمان* ست وسبعون سنة وتسعة وستون يوماً". ودفن بالقباب خارج باب فتوح.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، فاس، الطبعة الحجرية؛ م. غريط، *فواصل الجمان*، فاس، المطبعة الجديدة، 1346 ؛ ع. ابن إبراهيم، ط 2، *الإعلام*، الرباط، المطبعة الملكية، 1977 ؛ ع. الوهاب ابن منصور، *الوثائق*، العدد 8، الرباط، 1412/ 1992 ؛ خالد ابن الصغير، *المغرب في الأرشيف البريطاني، مراسلات جون درامند هاي مع المخزن، 1846 ـ 1886*، الدار البيضاء، ولادة، 1992.

الشرفي، عبد السلام بن الطيب بن عبد الرحمن، ولد بفاس عام 1292/ 1881 كان من رجالات العلم والذكر والتدريس. أخذ عن والده الشيخ الطيب المتوفى سنة 1334، وعن الشيخ محمد بن التهامي الوزاني، والشيخ عبد السلام الهواري، والشيخ عبد المالك العلوي الضرير، والشيخ عبد السلام بناني الطيب، والشيخ التهامي بن المدني گنون وغيرهم. له تأليف في *إعراب لفظة "تمود"*، وآخر في *زيارة النعال* التي عند الشرفاء الطاهريين الصقليين بفاس، وآخر في مسألة السدل، عنوانه *زهرة الأفكار في الرد على المخالف بالقبض في هذه الأعصار*. قرأ عليه المؤرخ عبد السلام بن سودة عدة علوم في جامع سيدي العواد.

توفي يوم الخميس 2 رجب عام 1348/ 5 دجنبر 1929 ودفن بروضتهم بالقباب، خارج باب الفتوح.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع: سل النعال/ موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، 10. مجلدات، المجلد 9.

الشرفي، علي بن الطيب بن عبد الرحمان بن محمد، الفقيه العلامة المشارك الموثق المدقق صاحب الخط الحسن، أخذ عن والده الشيخ الطيب بن عبد الرحمن، وعن الشيخ محمد بن رشيد العراقي الحسيني، وعن الشيخ عبد السلام ابن محمد الهواري، وعن الشيخ محمد بن قاسم القادري، وعن الشيخ أحمد بن محمد ابن الخياط الزكاري، وعن الشيخ عبد السلام بناني الطيب، وعن الشيخ التهامي بن المدني گنون وعمن كان في رتبتهم من علماء نهاية القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر (19 ـ 20 م) اشتغل بالتوثيق والتدريس. وذكر ابن سودة في *سل النصال* أنه قرأ عليه شيئاً من علم التوقيت. ولما ارتقت به علومه ومداركه إلى رتبة القضاء، وكان على وشك مباشرة تلك الوظيفة، اختطفته المنون.

توفي يوم 28 رمضان عام 1358/ 11 نونبر 1939 فوري التراب في روضة الأسرة الشرفية في القباب خارج باب فتوح.

له مؤلفات منها: *ضوء النبراس في ماء مدينة فاس*، *واليواقيت الحسان فيما بفاس من الخير والإحسان*، *وتأليف في العائلة الشرفية*.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع : موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، المجلد 8.

إبراهيم بوطالب

الشرقاوي، أسرة سلوية ـ رباطية عريقة أصلها من بجعد تادلا، من آل الشيخ الشهير بوعبيد الشرقي (ت. 1012/ 1603) انتقلوا إلى سلا في القرن الحادي عشر (17 م) ويوجد الشرقاويون في عدة مدن أخرى، وغلب عليهم

لفظ الشرقاوي بدل الشرقي الأصلي لأجدادهم وقد تعاطى الشرقاويون السلويون الفلاحة والتجارة كما كان منهم فقهاء وقضاة وعدول وأئمة وصلحاء. اشتهر منهم الغزواني بن البغدادي الشرقاوي من صلحاء سلا وفقهائها (ت. 1143/ 1730) دفين منزله بسيدي مغيث قرب المسجد الأعظم؛ ومحمد بن الحفيان الشرقاوي من فقهاء سلا كان حياً عام 1278/ 1862 ؛ وعبد السلام الشرقاوي من شعراء الملحون في القرن الثالث عشر (19 م)؛ ومحمد بن المعطي بن العباس الشرقاوي من عدول سلا كان بقيد الحياة سنة 1323/ 1905.

م. بوشعراء، *ملحق الإتحاف الوجيز*، ط. 2، الرباط، 1996.

محمد حجي

الشرقاوي، أحمد البجعدي، رسّام ولد سنة 1934 بمدينة بجعد، وهو أحد روّاد الفن التشكيلي الحديث بالمغرب وأول من كرّس نفسه لفهم كنه الإشارات والرموز التراثية التي كانت تسكنه منذ صباه من دون منازع، ونقلها ببراعة على اللوحة باستخدام أسلوب فريد وإحساس تواصلي في منتهى الدّقّة.

بعد مرحلة الشباب التي زاول فيها فن الخط العربي، انضمّ إلى أول فوج ذهب إلى الخارج قصد التكوين، إذ حصل على دبلوم الحرف الفنية بباريس سنة 1959، حيث أقام معرضه الأول، ثم سُجّل في العام الموالي بمرسم أوجام التابع للمدرسة الوطنية للفنون الجميلة، قبل أن يلتحق بأكاديمية الفنون الجميلة بفارسوفيا ليدرس بها (1961) في إطار التبادل الثقافي المغربي البولوني. وفور مغادرته بولونيا فضّل الاستقرار بباريس بعد أن تمكّن من الحصول على منحة من اليونسكو للقيام بأبحاث حول موضوعي الحروفية العربية والعلامة الأمازيغية.

قادته تحرياته إلى جبال الأطلس المتوسط ومناطق أخرى للغوص في السلطة الأسطورية للرموز والإشارات التي كانت تمارس على محيطه القريب وللكشف عن تعدّد معانيها واستعمالاتها الزخرفية والوظيفية ـ الاجتماعية. لكن مشروعه لم يعمّر طويلا، إذ باغتته المنية في سن لا يتعدى 33 عاما.

في هذه المدّة القصيرة من حياته الفنية أقام الشرقاوي 32 معرضاً، نصفها جماعيّ، في كل من باريس والرباط والدار البيضاء ومدريد وطنجة وفارسوفيا وطوكيو والجزائر العاصمة وليون وكارلشتاد بالسويد، وحتى بعد وفاته نظم الكثير من زملائه معارض تكريمية له، كما سمّيت إحدى القاعات العمومية للعروض في الرباط باسمه في نهاية الثمانينيات، وتمّ عرض لوحاته في العديد من المناسبات بالداخل والخارج، كانت آخرها سنة المغرب بفرنسا (باريس 1999).

بدون إنكار انخراطه في محيط الثقافة الغربية، ظل الشرقاوي مرتبطاً بموطنه الأصلي ومتشبثاً إلى أبعد حدود بمرجعياته التخطيطية الفنية في علاقة عفوية وكذلك عن وعي فكري ومعرفي. حتى إنّه دفع بالنقاش الأبدي حول التجريد والتجسيد إلى دائرة أبعد، فكان همّه الشاغل على المستويين الوجودي والفني مبنيا على إشكالية التأليف والتلاقح بين المرجعية الأصلية التقليدية والحداثة الغربية، وذلك بمثابرة متواصلة وفي صمت تأمّلي، بل وفي نوع من الصوفية الإبداعية.

لقد استوحى أشكاله من الرموز التي تحفل بها الحضارة المغربية (من حلي وزرابي ووشم وخزف ...)، ولم يكتف باستنساخها وإعادة إنتاجها في حلّة "أخرى"، بل جرّدها وأعاد صياغتها وشحنها بحمولات رمزية وجمالية خاصة بغير قليل من المهارة والأحاسيس. وضمن هذا الانتقال في مواطن العلامة والرمز لم تنحصر إنجازاته في الإشارة والرمز فقط، بل هي كذلك تركيب.

ونذكر من بين أهمّ ملامح تطوّر تقنياته المستعملة والمتغيّر ولون المرئية الموظفة في تأثيث فضاء لوحاته : التخلّي تدريجياً عن استعمال مواد خشنة تلصق بسن اللوحة (خيش، ورق مضغوط،...)، وعن الاحجام الصغيرة واللون الواحد والأساسي الداكن والأشكال المشبعة واللمسات العجينية... بل أخذ شيأ فشيأ يستعمل أساساً فاتحاً وألواناً مضادّة بجانب الألوان الدافئة (أحمر، أصفر، بنّي) وافتحت الحواشي الواضحة المعالم لتفسح المجال لتراكب لوني شفّاف متلائي الجوانب. كما أن إحدى أهمّ المميّزات تتمثل في ترتيب مكوّنات اللوحة حسب تباعد / تقارب مركزي مع قائل خادع أفقياً وعمودياً، وكذلك في تداخل الأشكال الأساسية ومشتقاتها التي يعزّز بعضها البعض (مثلثة، مربعة بيضوية، نقطية وتناسلها إلى أجزاء فرعية متراكبة.

E. A. El Maleh, A. Khatibi, T. Maraini, *La peinture de Ahmed Cherkaoui, l'expérience marocaine*, éd. l'Harmattan, Paris 1987 ; M. Sijilmassi, *L'art contemporain au Maroc*, Paris, Casa, 1989 ; T. Maraini, *Ecrits sur l'art*, Mohammédia, 1990 ; M. Riffi, *Le patrimoine symbolique dans l'art musulman*, mémoire, INSAP, Rabat, 1993 ; *Situation des arts plastiques au Maroc*, *Souffles*, n° 7-8, 1967.

مصطفى عياد

الشرقاوي أحمد (الحاج -) **الرباطي**، وطني كبير ولد بمدينة الرباط سنة 1315/1897. تلقى تعليمه الأولي في

الكتاتيب القرآنية ثم صار يتعاطى الدروس العلمية على علماء وقته وبصفة خاصة شيخ المحدثين العلامة السلفي الشيخ أبي شعيب الدكالي. وبفضل اجتهاده ومثابرته، تضلع أحمد الشرقاوي في العلوم الفقهية حتى حاز على إجازات من بعض علماء المغرب والمشرق، وأصبح له باع وقدرة على إعطاء دروس الوعظ والإرشاد في عدد من مساجد الرباط ومراكش، واستطاع أن يفعل نفس الشيء في الحرم المكي بالديار المقدسة أثناء حجه في عام 1933 (*وثيقة*، 24).

وبسبب نشاطه الكثيف ودعمه المادي والمعنوي في معركة مناهضة الشعب المغربي للظهير البربري، اعتقلته سلطات الحماية ثم نفته إلى مراكش في محاولة لضرب العناصر النشيطة للحركة الوطنية بالرباط.

وقد عُرف الحاج أحمد الشرقاوي بما قام به في المشرق العربي في بداية سنة 1933، فقد صادف الحال أنه ذهب إلى الديار المقدسة في نفس الوقت الذي ذهب فيه الشيخ عبد الحي الكتاني إلى المشرق في محاولة لئيمة للاتصال برجال الفكر الإسلامي، وكان مسلحا برسائل توصية من الأمير شكيب أرسلان. فلما بلغ أحمد الشرقاوي خبر وصول عبد الحي الكتاني إلى القاهرة قام بواجبه الوطني في التشهير بهذه الشخصية التي باعت نفسها للاستعمار، وأكثر من الاتصالات برجال مصر وعلمائها، فكانت اتصالاته مفيدة ومؤثرة ونجح في فضح عبد الحي الكتاني وكشف خباياه وإظهاره على حقيقته (أ. القادري، *مذكراتي*، 1 : 168).

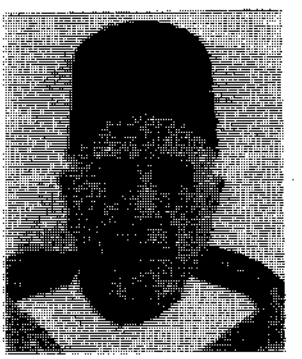

وبفضل مكانته في صفوف الحركة الوطنية، كان أحمد الشرقاوي أحد المؤسسين للحزب الوطني لتحقيق المطالب المغربية في أبريل 1937، وقد كان عضواً في مجلسه الوطني ورئيساً لمكتبه بالرباط، ولذلك لم يجد الحزب أفضل من منزله قُرب زنقة القناصل بالمدينة القديمة بالرباط لعقد مؤتمره الخارق للعادة في 13 أكتوبر 1937 والذي ترأس أعماله الزعيم علال الفاسي، وذلك لدراسة الأحوال العامة في المغرب وتحديد سياسة صريحة العداء للحماية وتصرفاتها (ع. الفاسي، *الحركات*، 215)، وإصدار ميثاق وطني تقرر فيه قطع العلاقات مع الدوائر المسؤولة الفرنسية إلى أن توقف الاضطهادات التي كانت مسلطة على الشعب في مختلف القطاعات. وقد ترتب عن هذا الموقف اعتقال بعض زعماء الحزب الوطني كان منهم الحاج أحمد الشرقاوي الذي ظل بالسجن سنة كاملة قضى جزء منها في سجن لعلو بالرباط والباقي في سجن العذير ما بين أزمور والجديدة. وعند خروجه من السجن في نهاية سنة 1938، عمل الحاج أحمد الشرقاوي مع بعض زعماء الحزب الوطني من أجل ضمان استمرار نشاط الحركة الوطنية في الظروف المعقدة التي كان يمر منها المغرب وفرنسا والعالم في ذلك الوقت، وقد شكّل هؤلاء لجنة تنفيذية مؤقتة كان ضمنها الحاج أحمد الشرقاوي الذي كان كغيره من أعضاء اللجنة يستعمل إسما مستعاراً هو يعقوب المنصور. وقد وقّع هؤلاء البيان الذي عبّر فيه الحزب الوطني بتاريخ 14 يوليو 1939 عن موقفه من السلطات الفرنسية زمن الحرب وهو مطالبة الحكومة بما فيه مصلحة البلاد والتفاهم معها على ذلك، والتعاون النزيه معها كلما أظهرت استعدادها (أ. القادري، *مذكراتي*، 1 : 480).

وفي 29 غشت 1939 كان الحاج أحمد الشرقاوي ضمن وفد الحزب الوطني الذي قابل المقيم العام الجنرال نوگيس (Nogues) ليعبر له باسم الحزب عن موقفه إزاء ظروف الحرب وتضامن المغرب مع فرنسا. وكان الوفد يتشكل من محمد غازي، أبو بكر القادري والحاج أحمد الشرقاوي (أ. القادري، *مذكراتي*، 1 : 486). كان الحاج أحمد الشرقاوي أحد أعضاء "الطائفة" وهي الجناح السري في الحزب الوطني، وبصفته تلك كان أحد الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال وأحد المؤسسين لحزب الاستقلال. كان الحاج أحمد الشرقاوي رجل تعليم من الطراز الأول، وقد اشتغل بالتعليم بعد خروجه من الوظيف سنة 1934، فأسس مدرسة بحي العكاري بالرباط، ثم أدار المدرسة الغازية بحومة بوقرون في نفس المدينة. وكان أحمد الشرقاوي من رواد تعليم الفتاة المغربية ومن المشجعين على قبولها في المدارس المختلطة، كما كان من السباقين للقيام بمكافحة الأمية بين الرجال والنساء. وعندما بدأ التفكير في بناء مدرسة ثانوية كبرى للتعليم الحر بالرباط كان الحاج أحمد الشرقاوي من اللجنة المؤسسة لهذه المدرسة التي أطلق عليها إسم "مدارس محمد الخامس" والتي أصبح مديراً مسيّراً لها طوال عشر سنوات من سنة 1947 إلى سنة 1957. وبفضل جهوده الحميدة وتشجيعه وحثه على متابعة التعليم العالي، توجه العديد من طلبة وطالبات مدرسته إلى بلدان المشرق العربي وخصوصا مصر وسوريا، ومازال كثير من هؤلاء يذكرون الدعم القوي الذي وجدوه عند مدير المدرسة الحاج أحمد الشرقاوي في وقت كان التوجه للمشرق العربي لمتابعة الدراسة من الممنوعات لدى سلطات الحماية. وقد ظلت مدرسة "مدارس محمد الخامس" في رعاية وتحت إدارة مديرها الحاج أحمد الشرقاوي مركزاً للتكوين الوطني ونشر الثقافة الوطنية طول الفترة التي سبقت الاعلان عن الاستقلال. وتجدر الإشارة إلى أن مجموعة من طلبة هذه

المدرسة انخرطوا في صفوف الفداء عند نفي الملك محمد الخامس (عبد الفتاح سباطة، *رواية شفوية*).

وقد عُرف أيضاً عن الحاج أحمد الشرقاوي نشاطه الجم في المجالات الخيرية التي كانت تتطلب مجهودات مادية ومعنوية، وقد كان دائماً يمزج بين أقواله وأفعاله، ولا يوفر جهداً ولا وقتاً ولا مالاً من أجل الرفع من مستوى العمل الخيري في المغرب، فكان أحد المؤسسين للميتم الإسلامي بالرباط، وكاتبا عاما للجمعية الخيرية المغربية الرباطية بين سنتي 1944 و1947، وهي الجمعية التي رعت أعداداً من الأطفال المغاربة الذين أصبح لهم شأن كبير في عهد الاستقلال (عبد الله الشرقاوي، رواية شفوية). ونظراً لبروزه في مجالات الحركة الوطنية المختلفة وبصفة خاصة في مجال تكوين الخلايا الوطنية بالرباط ومنها الخلية التي كان فيها الشهيد علال بن عبد الله، فقد تَعَرَّض أحمد الشرقاوي كغيره من زعماء الوطنيين لصنوف من القهر والاضطهاد والنفي والإعتقال، وقد نُفي ما بين سنتي 1952 و1955 بأقا وفم الحصن ومير اللفت وكوليم وقلعة مكونة واغبالو نكردوس. وعندما أطلق سراحه وحصل المغرب على استقلاله أصبح عضواً في المجلس الوطني لحزب الاستقلال ومفتشا للحزب في سنتي 1956 و1957، إلى أن عين مستشاراً بالسفارة المغربية بجدة من سنة 1957 إلى سنة 1961، ثم وزيراً مُفوضا بوزارة الخارجية في سنة 1962 حيث انتقل في نفس السنة إلى ديوان وزارة الشؤون الإسلامية وظل به إلى أن انتخب عضوا في مجلس النواب في 17 ماي 1963 (*وثيقة*، 25).

وكما قالت عنه مجموعة من قدماء الوطنيين الذين عرفوه وخبروه وعملوا معه، فقد كان الرجل وطنيا صادقا، عميق الإيمان بحقوق وطنه، متشبثا بمبادئه وعقيدته لا تزعزعه الأحداث ولا الصدمات، ثابت الجنان قوي الإرادة.

توفي بالرباط في 5 رجب عام 1397/ 22 يونيو 1978 ودفن بمقبرة العلو.

ع. الفتاح سباطة، رواية شفوية؛ ع. الله الشرقاوي، رواية شفوية؛ العربي المطاسي، رواية شفوية ؛ أ. القادري، *المجاهد محمد اليزيدي*، الدار البيضاء، 1999 ؛ *مذكراتي في الحركة الوطنية*، الدار البيضاء، 1993، جزآن ؛ ع. الفاسي، *الحركات الاستقلالية في المغرب العربي*، طنجة، 1948 ؛ *المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير*، *وثيقة المطالبة بالاستقلال، تراجم الموقعين*، *الرباط*، الدار البيضاء، 1996.

الشرقاوي، الحفيان الرباطي، من الرعيل الوطني الأول الذي عايش فترة الحماية كلها بوعي كامل. فقد وُلد بالرباط في نهاية القرن الماضي سنة 1897، وتوفي بمنزله بالرباط في يناير 1961.

كما الحفيان الشرقاوي ضمن فئة من الرواد الوطنيين الذين عاصروا كل الأحداث الخطيرة التي رسمت تاريخ المغاربة في فترة الاحتلال الفرنسي للمغرب من فرض معاهدة الحماية إلى انفجار الثورة الريفية والقضاء عليها، ثم ما تلى ذلك من المؤامرات التي قصد بها الاستعمار الفرنسي ترسيخ وجوده في المغرب سياسياً واقتصادياً وثقافياً وحضارياً.

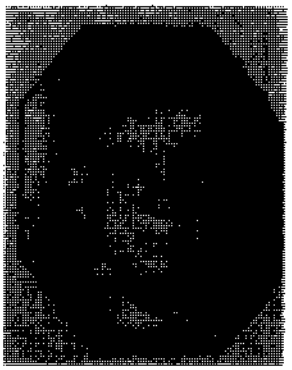

تَعرَّف الحفيان الشرقاوي على محمد اليزيدي أحد مؤسسي الحركة الوطنية المغربية في أواخر العشرينيات (أ. القادري، *مذكراتي*، 2 : 426)، وقد جمعت بين الاثنين أخوة صادقة وعلاقة وثيقة ظلت قائمة طيلة فترة نضالهما المشترك ضد الاستعمار. وقد أثرت هذه العلاقة على حياة ونشاطات الحفيان الشرقاوي الاجتماعية التي اكتست غطاء ثقافيا وفنّيا مع أنها كانت في جوهرها نشاطات سياسية الغرض منها توعية المغاربة بالحالة التي هم عليها في فترة الحماية. وقد كان على اتصال وثيق بجمعية "إلى الملتقى" الرياضية التي كان اتجاهها ثقافيا تكوينيا، وجمعية "الجوق الرباطي" التي كان نشاطها ينحصر في بث الوعي الثقافي والاهتمام بتمثيل روايات تاريخية وإلقاء محاضرات وتنظيم مسامرات وما شاكل ذلك (أ. القادري، *مذكراتي*، 1 : 121).

كان صدور ما يسمى بالظهير البربري في 16 ماي 1930، فرصة للوطنيين المغاربة لتصعيد وبلورة هجومهم على الإدارة الفرنسية الاستعمارية، وكان الحفيان الشرقاوي ضمن مجموعة الرباط التي نظمت عملية قراءة اللطيف بمساجد الرباط طيلة شهر يونيو 1930، وهي العملية التي أدت في نهاية الأمر إلى الانتفاضة الشعبية ضد هذا الظهير، كما أنه كان ضمن الموقعين على العريضة التي قدَّمها أهل الرباط إلى السلطان محمد بن يوسف بتاريخ 17 غشت 1930 احتجاجا على صدور الظهير البربري (*وثيقة*، 26).

ومنذ هذا التاريخ، انغمر الحفيان الشرقاوي انغماراً كليا في العمل الوطني خاصة بعد نفي محمد اليزيدي إلى قلعة السراغنة واعتقال عبد اللطيف الأعتابي والمعطي بُاخاي، وقد كانوا جميعا من النواة الصلبة في جماعة الرباط المناهضة للظهير البربري.

ونظراً للثقة الكبيرة التي كان يحظى بها الحفيان الشرقاوي، والمنزلة التي كان يحتلها عند إخوانه الوطنيين، ثم لكرمه الذي كان مضرب الأمثال، فقد أصبحت داره رقم 15 بزنقة باكستان بمارسة بالرباط مند بناءها سنة 1934 داراً

للحركة الوطنية، ففيها كان يقيم سنوياً العديد من الوطنيين القادمين من جميع أنحاء المغرب للمشاركة في عيد العرش (الحبيب بن الحفيان الشرقاوي، رواية شفوية)، وفيها كانت تنعقد الاجتماعات السرية والعلنية وتُتّخذ فيها أخطر الإجراءات والقرارات حتى غدت هذه الدار لكثرة ما شهدته من نشاطات سياسية واجتماعية وثقافية معلمة من معالم الحركة الوطنية بمدينة الرباط. وقد تمّ عقد أول مؤتمر لكتلة العمل الوطني في دار الحركة الوطنية هذه وذلك يوم 25 أكتوبر 1936، وهو المؤتمر الذي انتهى بصياغة المطالب المستعجلة للشعب المغربي التي قُدّمت للقصر الملكي وللمقيم العام الفرنسي (أ. القادري، *مذكراتي*، 1 : 308).

وعندما قرّر بعض الزعماء الوطنيين في نهاية سنة 1938 تأسيس جماعة سرية لتسيير الحركة الوطنية والإشراف على نموها وتطورها، كان الحفيان الشرقاوي من العناصر الفاعلة في هذه الجماعة السرية التي كان لها الدور الهام والحيوي في تنظيم الحركة الوطنية على أسس ثابتة. وقد عُرفت هذه الجماعة بالطائفة، وكان أفرادها القلائل منبثين من بعض المدن المغربية وخاصة سلا وفاس والرباط. وقد نشأ عن هذه الطائفة حزب الاستقلال، واستمرّ نشاطها الوطني السري إلى غاية سنة 1953.

تعرض الحفيان الشرقاوي للاعتقال ولمختلف المضايقات الاستعمارية، فقد كان معروفا لدى إدارة الحماية بمواقفه ونشاطاته الوطنية، ويكفي أنه كان من أوائل الموقعين على عريضة المطالبة بالاستقلال سنة 1944، وداره كانت دائماً تَعُجُّ بالنشاط الوطني، كما كان أحد المسؤولين بجانب المهدي بن بركة وعلال كراكشو بإعانة ومساعدة عائلات المعتقلين والمنفيين من الوطنيين بمدينة الرباط، وهذه كانت مهمة ذات حساسية خاصة نظراً لما كانت تتطلبه من عناية كبيرة، وسرية كاملة (الحبيب الشرقاوي، *رواية شفوية*).

واشتغل الحفيان الشرقاوي في السنوات من 1946 إلى 1949 بالتجارة وجعلها مصدر عيشه ووسيلة من وسائل اتصاله مع جمهور عريض من المواطنين، وقد كان شريكا لأحمد اليزيدي شقيق الزعيم الوطني محمد اليزيدي في تجارة الشاي والسكر بمتجر في ديور الجامع معقل الحركة الوطنية بالرباط.

وقد ظل الحفيان الشرقاوي طيلة فترات نضاله الوطني منسجما مع نفسه ومخلصا لمبادئه، ورفض بعد حصول المغرب على استقلاله تعيينه في أي منصب إداري، وظل حتى اللحظة الأخيرة من حياته دعامة قوية من دعامات الحركة الوطنية المغربية. وتوفي بالرباط ودُفن في مقبرة الشهيد علال بن عبد الله في رجب-شعبان عام 1380/ يناير عام 1961.

أ. القادري، *مذكراتي في الحركة الوطنية*، جزآن ؛ المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *وثيقة المطالبة بالاستقلال*، الحبيب بن الحفيان الشرقاوي، *رواية شفوية*.

عثمان بناني

الشرقاوي، الشرقي بن محمد الرباطي. أديب مدرس متصوف جزم في إتحاف المطالع أن أصله من طنجة. درس بالرباط على الشيوخ محمد الرغاي ومحمد السايح ومحمد المدني ابن الحسني. وكان يقرض الشعر ومنه قصيدة أبّن بها شيخ الجماعة محمد المكي البطاوري، وأخرى ردّ فيها على الشبان العصريين الذين كانوا يهاجمون الطرقيين، ولا يقومون - في نظرة - بأركان الدين. كما ألف في الموضوع كتاباً صغيراً سماه *نهاية الانتصار وغاية الانكسار على صاحب الإظهار*، رد فيه رداً عنيفاً على الشبان المنتحلين السلفية للتشهير بشيوخ التصوف الأحياء والأموات، ونعتهم بأقبح الصفات، وكان في طليعة هؤلاء المردود عليهم محمد المكي الناصري والأديب محمد بن العباس القباج اللذان كانا وراء إصدار اظهار الحقيقة بصفة مباشرة، ويقول المترجم في حقهم: "فأهم مسألة عندهم اليوم مسألة الأولياء والعلماء، والأفاضل والشرفاء، فهم مجتهدون بكل معنى الكلمة في بث روح التنفير منهم بين مواطنيهم، كأنهم يعبدون الله بذلك، وهم باطنَ الأمر جزاءً لهم مطرودون، يدعون معرفة الحقيقة والحقّ يعلم أنهم عنها مُبعدون".

أثار كتاب الشرقاوي ضجة كبرى في صفوف الشبان الناهضين وصدّروا الرد عليه الشاعر محمد بن اليماني الناصري الذي أصدر كتاب *ضرب نطاق الحصار على أصحاب نهاية الانكسار*، كال للشرقاوي فيه الصاع صاعين، واشتمل على نصوص تقاريظ أشهر الشبان الوطنيين الذين لمزوا المترجم بكل وصف جارح. وبقطع النظر عن اتجاه الفريقين فقد مثلت هذه النقائض طليعة الحوار والجدل الفكري المنشور بالمغرب في العشرينيات من القرن الماضي.

توفي بالرباط يوم الأحد 21 محرم عام 1390/ 29 مارس 1970.

الشرقي الشرقاوي نفسه، *نهاية الانتصار وغاية الانكسار على صاحب الإظهار*، تونس، 1345 ؛ م. اليمني الناصري، *ضرب نطاق الحصار على أصحاب نهاية الانكسار*، الرباط، د. ت؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع/ موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 9 : ع. الله الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر*، الرباط، د. ت. ج 2 : 443.

محمد حجي

الشرقاوي، عبد الله بن الحاج العربي بن بنداوود آتي الترجمة. ولد بأبي الجعد في 18 شعبان عام 1290/ 9 شتنبر سنة 1873 وبها قرأ على الشيخ الحسن بورقيبة الآسفي في مدرسة الزاوية، أخذ عنه علوم الفقه والحديث والأدب والبيان وغيرها، ثم أخذ من شيوخ مراكش وفاس، وكان له ميل خاص إلى الفقه ومدارسة مسائله.

تولى القضاء بأبي الجعد عام 1334/ 1916، وهو ما يزال في ريعان الشباب، واهتم بالتدريس، وكان يشرف على حفلات ختم *صحيح البخاري* و*الشفا* لعياض و*الذخيرة* لسيدي محمد المعطي الشرقي، حيث حبس عليها لتقرأ في مسجد مولاي سليمان ببجعد ولازالت أحباسها إلى الآن.

إن الممارسة السياسية لزاوية أبي الجعد في عهد القاضي عبد الله الشرقاوي قد اصطدمت بكثير من العراقيل والعوائق، ذلك أن الوجود الفرنسي بالمنطقة قد قلص من المكاسب التي حققتها الزاوية، وضيق عليها السبل، وبالرغم من ذلك فإن المترجم شارك في الفعل السياسي بشكل إيجابي للحفاظ على المكاسب والامتيازات بالمنطقة ومراقبة ما يحدث في مجالها، بل وخارجه. لقد كانت الزاوية ممثلة بالشيخين الحاج محمد وسيدي الحاج عبد الله وحاضرة في ورديغة إلى جانب الجنرال فرانشي ديسبيري (Franchi D'Espery) لاختيار قواد المنطقة.

وقد ذكر ابن سودة أن لعبد الله بن الحاج العربي *تقاييد في تاريخ المغرب وعوائده*، وقد أكد ذلك معاصره الحاج محمد بن العربي أنه رأى عنده بعض هذه التقاييد، وهي عن العوائد والأعراف والشخصيات والأنساب والمناقب ... بتادلا، غير أنها تفرقت - فيما يبدو - فيما تفرق من مكتبته بين الورثة، إضافة إلى مراسلاته مع علماء عصره والشخصيات البارزة فيه.

توفي في 7 ذي الحجة عام 1371، موافق 28 غشت سنة 1952، ودفن بجوار منزله بدرب عرباوة من بجعد، ويزور قبره بعض الأتباع من تادلا وورديغة والسماعلة.

ابن سودة، *إتحاف المطالع/ موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، ج 9، 3278 ؛ *مقابلة مع الحاج محمد بن العربي الشرقاوي في بجعد*، خلال شهر نوفمبر 2001، وهو عدل بالمحكمة بأبي الجعد عاصر القاضي الحاج عبد الله بن الحاج العربي؛ *سجلات المحكمة المركزية بأبي الجعد* (ابتداء من عام 1335/ 1917) تقاييد الرسوم المتعلقة بالأملاك، تقاييد الشركات ورسوم الإيصاء، تقاييد المقالات والأجوبة والآجال، تقاييد رسوم النكاح والطلاق).

Eickman, *Quelques aspects de l'organisation politique et économique d'une zaouia marocaine au XIXe s*, in Lamalif ; Niegle, *La Madersa et les bibliothèques de Boudjad*, R.M.M., Tome 24, 1912.

الشرقاوي، العربي (الحاج -) بن بنداوود حفيد الشيخ سيدي بوعبيد الشرقي العمري البجعدي. عاش في كنف والده، ودرس بعض العلوم بزاوية أبي الجعد، كما ناب عن والده في القيام ببعض الأمور الجليلة وكأنه كان يهيئه لخلافته على أمور زاويتهم، فانتدبه لزيارة بعض أعيان المغرب وتبليغ رسائله، أو للتحكيم بين القبائل وفض النزاعات بينها... أو مرافقة بعض القوافل الجائزة من مناطق تصرف الزاوية... أو الإشراف على نفقات الزاوية واستقبال ضيوفها.

ولما توفي الشيخ بنداوود عام 1306/ 1889 ترك أولاداً كثيرين كانوا كلهم يتطلعون إلى خلافة والدهم.

لكن بحكم تجربة الحاج العربي وحنكته وعلاقته بالسلطان الحسن الأول اختير ليكون رئيسا للزاوية.

وقد عرفت الزاوية في عهده ثراء واسعا وانتعاشا قويا، وأدركت رخاء لا مثيل له، مما مكنها من مواجهة حاجياتها وتغطية مصاريفها المختلفة وبالتالي توسيع دائرة أنشطتها الاجتماعية فوجد في حرمها الأمن والغذاء والكساء.

وله أشعار كثيرة في التوسل والمديح الصوفي والنصائح أورد بعضها في *الفتح الوهبي*.

ألف المترجم *الفتح الوهبي في مناقب أبي المواهب سيدي العربي*. يعني جده العربي بن المعطي ابن الصالح.

توفي بمسقط رأسه عام 1316/ 1898.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع/ موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 8 : 2817 ؛ *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، ج 1 : 237، 238 ؛ م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، ج 2 : 107، 108 ؛ د. أيكلمان، *الإسلام في المغرب*، ص. 42 ؛ أ. بوكاري، *الزاوية الشرقاوية*، 1 : 257، 260.

Cimetière, *Notice sur Boujad*, R.M.M., Sept. 1913, vol. 24.

عبد المجيد بوكاري

الشرقاوي، محمد الصالح بن محمد المعطي البجعدي التادلي. نشأ في بيئة صوفية تميزت حسب العبدوني بـ "العفاف والطاعة والديانة". وكان ما انتاب حياته من عدم استقرار بسبب مشاطرته والده في ترحاله وغربته، بعيدا عن بلدته وعشيرته، سببا فسح له المجال ليتردد على مجالس العلم بفاس ومراكش. فأخذ عن بعض أشهر شيوخ وقته، أمثال الحسن اليوسي، وأحمد بن ناصر الدرعي ومحمد بن سعيد الهبري الطرابلسي، وأحمد العطار، ومحمد بن عبد القادر الفاسي.

ومن خلال إجازة له، نتبين أنه حاز نصيبا غير يسير من علوم الحديث والعربية والشعر. وله منظومات شعرية موزونة وملحونة احتفظت بها كتب التراجم، وسند صوفي متنوع، حيث أخذ عن عدة شيوخ مغاربة ومشارقة. فمن المغاربة أخذ الورد الناصري عن الشيخ الحسن اليوسي والشيخ أحمد بن ناصر ؛ فتلقى الإذن بتلقين ذلك الورد ؛ سيما بعد أن زار درعة، وتبوأ عند الشيخ الناصري حظوة رفيعة، كما يفهم مما قال له ذات يوم : "أنت بضعة مني، أنا كأنت وأنت كأنا، يسوؤني ما يسوؤك، ويسرني ما يسرك" (*الروض اليانع الفائح*، ص. 68 - 69). ومن المشارقة محمد بن سعيد الهبري، ومحمد بدر الدين القرافي. ولذلك اشتهر متصوفا

أكثر منه عالما. فكان كثير التلاوة لكتاب الله، كثير الذكر والسماع، زاهداً متقشفا، سخيا كريما، منفقا إنفاق من لا يخاف الفقر.

وتناقل كتّاب التراجم عنه الكرامات والمناقب والمكاشفات والأحوال. فقصده الناس من مختلف الآفاق من أجل الأخذ والاستشهاد بالرؤية والتبرك.

وبسبب الشهرة التي نالها محمد الصالح، فقد أعطى زخما جديدا للزاوية الشرقاوية، بما يسر من سبل الاستقرار والتعمير بها فكثر الوافدون عليها من طلبة العلم والورد؛ بل تردد عليها بعض كبار أعلام العصر أمثال: الحسن بن رحال المعداني، وعبد القادر ابن شقرون، ومحمد الصغير الإفراني. وقد امتن الأخير للمترجم بفضله عليه، حيث كان وراء تبييض كتابه *نزهة الحادي* الذي يعد فريدا في بابه.

توفي صاحب الترجمة يوم الأربعاء ثاني عشر صفر عام 1139/ 9 أكتوبر 1726، ودفن بقرية أبي الجعد وبني عليه ابنه محمد المعطى المشهد المعروف اليوم بضريح سيدي صالح.

ح. بن محمد المعداني، *الروض اليانع الفائح في مناقب الشيخ أبي عبد محمد الصالح*، مخطوط، خع. الرباط، رقم 1835 د؛ م. بن عبد الكريم العبدوني، *يتيمة العقود الوسطى في مناقب أبي عبد الله سيدي محمد المعطي*، مخطوط، خ. ع. الرباط، رقم 305 ك؛ الإفراني، *نزهة الحادي*، تح. ع. الشادلي، ص. 436؛ الخليفتي، *الدرة المجلية*، ص. 369 ـ 383؛ القادري، *الشقاط الدرر*، 438؛ *الاستقصا*، 7: 113 ـ 114؛ *إعلام المراكشي*، 6: 37 ـ 43؛ أ. بوكاري، *الزاوية الشرقاوية*، ص. 103 ـ 107.

أحمد عمالك

الشرقاوي، محمد بن **عبد الرفيع** صاحب الضريح أمام ضريح سيدي فرج بالرباط كان من المرابطين الصلحاء ينتسب إلى الشيخ مَحمد الشرقي.

توفي بالرباط يوم الخميس 7 صفر 1202/18 نونبر 1787 وبنيت قبة على ضريحه. وظل الشرقاويون يتصرفون في ضريحه على الأقل إلى الوقت الذي عاش فيه ناقل خبرهم الكاتب محمد بوجندار المتوفى عام 1326/ 1908.

م. بوجندار، *الاغتباط*، 114.

عبد الاله الفاسي

الشرقاوي، محمد العربي بن محمد المعطى بن محمد الصالح حفيد الشيخ مَحمد الشرقي البوجعدي. من المرجح أن ولادته كانت في العقد السادس من القرن الهجري الثاني عشر (18 م) (*الزاوية الشرقاوية*، ص. 110).

نشأ يتيما فكفله أحد أساتيذ الزاوية، الفقيه المحجوب الموسوي، فحفظ على يده القرآن الكريم، وأخذ عنه علم الرسم والتوحيد. وأخذ بالزاوية أيضاً عن محمد بن قاسم الفيلالي، الذي أجازه إجازة عامة مؤرخة في عام 1183. وليعمق معارفه، ارتحل إلى فاس فأخذ بها عن شيخ الجماعة محمد التاودي ابن سودة. وفي عام 1190/ 1776 سافر بقصد أداء فريضة الحج، فأخذ عن بعض الشيوخ المشارقة، نذكر منهم مرتضى الزبيدي الذي حلاه في إحدى إجازاته له بـ "سيدنا ومولانا سلالة الصالحين وخلاصة العلماء العاملين شرف الدين محمد العربي بن شيخ الجماعة ولي الله سيدي محمد المعطي بن الصالح العمري الشرقي التادلي". وأخذ أيضاً عن أحمد جاد الله الخناني، ومحمد بن الحريري الأزهري، والشهاب أحمد الدمنهوري؛ ويظن الكتاني أن الأخير أعلى من لقي. أجازه معظم هؤلاء، كما هو مثبت في مخطوط *الفتح الوهبي*، لحفيده أبي حامد العربي بن داوود (ص. 214 ـ 242). ونقل الكتاني ما وصفه به قاضي مكناس أحمد بن عبد الملك العلوي، حيث قال: "السيد العربي هذا آية في الحفظ واستحضار الحديث والتفسير وسرد الصيام وإحياء الليل، دائم في القيام وإطعام الطعام". وأضاف أن المترجم كان كثير الاعتناء بعلم الحديث وبخاصة الصحيح، وتتبع مختلف أسانيده (الكتاني: *فهرس الفهارس*، 2: 779).

وكما استجاز الشيخ العربي الشرقاوي فقد أجاز بعض أعلام عصره؛ منهم السلطان المولى سليمان، والعربي بن أحمد ابن التاودي ابن سودة، وأحمد بن محمد بن عبد السلام البناني البلخ الفاسي، ومحمد بن عبد الرزاق الفاسي وغيرهم. فضلاً عن ذلك كان الشيخ العربي الشرقاوي شديد الكلف بالكتب، فزود خزانة الزاوية بعدد وافر منها، بادلا فيها أنفس الثمن.

هذا عن جانب تكوينه العلمي. أما من حيث تكوينه الصوفي، فقد أخذ عن والده بواسطة محمد بن أبي القاسم الفيلالي. وأخذ الطريقة الخلوتية عن شيخها محمد الحفناوي الشافعي، في أثناء مقامه بمصر (*الزاوية الشرقاوية*، ص. 111، نقلا عن ع. الجبرتي، *عجائب الآثار*، 1: 525).

كان المترجم كثير الزيارة للأولياء، كثير الذكر والتلاوة والصلاة والدعاء والمناجاة والبكاء، محافظا على الصلاة في الجماعة، زاهداً صابراً وقوراً طيب الأخلاق.

وبالرغم عما اشتهرت به الزاوية الشرقاوية من بعد صيت في عهد العربي الشرقاوي، فإنها عرفت كذلك أكبر اصطدام مع المخزن، حيث أقدم السلطان محمد بن عبد الله على تخريبها، ونفى شيخها المترجم مع سائر أفراد أسرته إلى مدينة مراكش، حيث سكن حومة القصور. وبعد ثلاث سنين رجع إلى زاويته، بعد وفاة السلطان سنة 1204/ 1790. واعتنى به السلطان اليزيد، فأتحفه بعدد وافر من الكتب.

وكان الشيخ محمد العربي الشرقاوي من بين من انحازوا إلى جانب الأمير المولى هشام، حيث بايعه، تبعا لمعظم أهل الجنوب المغربي، الذين استنكفوا عن بيعة المولى سليمان، ولأن الأمير المذكور هو الذي ساعده على الرجوع إلى زاويته (*الإعلام*، 6: 186).

وهذا هو السبب الذي جعل المولى سليمان يشخصه إلى

مدينة فاس، ويأمره بالإقامة بها، حوالي عشرين شهراً. لكن ما لبث أن عفا عنه، فرجع من جديد إلى زاويته وأقام بها حتى وفاته، بالوباء الجارف الذي نزل بالمغرب: سنة 1234/ 1818، فيما بين جمادى الأولى وأواخر جمادى الثانية. (*الإعلام*، 6 : 184 ؛ الكتاني، *فهرس الفهارس*، 2 : 778).

ع. بن داوود الشرقاوي، *الفتح الوهبي*، ص. 214. 242 ؛ الناصري، *الاستقصا*، 8 : 133 ؛ ع. بن إبراهيم المراكشي، *الإعلام*، 6 : 182 ـ 186 ؛ ع. الكتاني، *فهرس الفهارس*، 2 : 778 ؛ أ. بوكاري، *الزاوية الشرقاوية*، 1 : 110.

أحمد عمالك

الشرقاوي، المعطي بن العربي الرباطي ولد بالرباط سنة 1909. تلقى تعليمه الأولي في الكتاتيب القرآنية وخاصة عند الفقيه محمد بن الجيلاني الأزرق (ت. 1957) الذي كان كُتابه القرآني يتوفر على جماعة من الطلبة تخرجوا على يديه في استظهار القرآن الكريم وحفظه وحفظ نُبَذ هامة من المتون العلمية ساعدتهم على تلقي العلم بسهولة (ع. الجراري، *أعلام*، 2 : 416).

التحق المعطي الشرقاوي بميدان العمل الحر صغير السن بعد أن قضى فترة من الوقت يساعد الفقيه الأزرق في تسيير كُتابه، وقد كان لشقيقه الأكبر الوطني الغيور الحفيان الشرقاوي الموقع على وثيقة الاستقلال (ت. 1961) تأثيراً قوياً عليه وعلى توجهاته السياسية، وبواسطته دخل عالم الحركة الوطنية وارتبط ارتباطا وثيقا بعدة شخصيات لعبت دوراً كبيراً في نشأة الحركة الوطنية وبصفة خاصة الزعيم محمد اليزيدي (ت. 1989). ونظراً لنباهته ولُطف معاشرته وحُسن هيئته، ألحقه محمد اليزيدي بجمعية الجوق الرباطي التي كان يُشرف عليها والتي كان نشاطها ينحصر في بث الوعي الثقافي والاهتمام بتمثيل روايات تاريخية وإلقاء محاضرات وتنظيم مسامرات وما شاكل ذلك (أ. القادري، *مذكراتي*، 1 : 121)، وقد كان من جملة أفراد هذه الجمعية السبتل العيساوي، مصطفى بن عبد الله، عبد اللطيف العتابي، المعطي اباخاي، وهؤلاء كانوا جماعة المعطي الشرقاوي، وكانوا كلهم من الرعيل الأول الذي كان في مقدمة المدافعين عن وحدة الأمة المغربية عنه انفجار قضية الظهير البربري.

زاول المعطي الشرقاوي أعمالا تجارية حرة وتنقل بين أسفي والدار البيضاء والرباط، وظل خلال ذلك مرتبطا بنشاطات الحركة الوطنية ورجالها، ولذلك كان في مقدمة المنخرطين في كتلة العمل الوطني المنعقد مؤتمرها الأول في منزل شقيقه الحفيان الشرقاوي بمارسة بالرباط بتاريخ 25 أكتوبر 1936. وعندما حمي الوطيس بين أعضاء الحزب الوطني وبين الإقامة العامة، قامت السلطات الفرنسية باعتقال ونفي عدد من زعماء الحزب وأعضائه النشطين، وكان من ضمن هؤلاء المعطي الشرقاوي الذي اعتقل في نهاية شهر أكتوبر 1937 وظل في السجن سنة كاملة قضى جزءاً منها في سجن لعلو بالرباط وجزءاً في سجن العدير بين أزمور والجديدة والباقي في سجن غبيلة بالدار البيضاء. يقول أبو بكر القادري عن هذه الفترة في *مذكراته* "ومن السجناء الذين انتقلوا معنا من سجن الرباط إلى العدير ثم غبيلة المرحوم الفقيه محمد غازي والمرحوم سيدي الحاج أحمد الشرقاوي والمرحوم عبد اللطيف العتابي والمرحوم المعطي الشرقاوي والمناضل الصامد الحاج محمد علوة، فهؤلاء عرفتهم في السراء والضراء، فكانوا إخوة صادقين في وطنيتهم، ومخلصين في عقيدتهم ثابتين على مبادئهم ..." ثم يشير في مكان آخر إلى أن "كثير من الذكريات تبقى عالقة بالأذهان رغم مرور الأزمان، وأكثر منها تنسى مع مرور الأعوام ومن جملة ذلك مالا أزال أذكره في حق الأخوين: عبد اللطيف العتابي والمعطي الشرقاوي، فلقد كانا يعيشان في السجن كالشقيقين، فقلما تجدهما مفترقين، سواء في وقت الأكل أو في وقت اللعب، وإن كان العتابي لا يحسن أية لعبة، وإن كان كثير التعالبق واذاعة الأخبار. وذات يوم زار السجن أحد الأطباء أو أحد المساعدين لست أدري، ومعه بعض الأدوية أو بعض الحقن قال إنها اختراع جديد. وإن لها فوائد كثيرة، وكان قصده أن تجرب على المساجين، فطلب منا نحن المساجين أن نستعملها دون إلزام ـ والحق يقال ـ فما كان من العتابي والمعطي إلا أن يبادرا بقبول استعمالها، وهكذا لُقحا بذلك الدواء، فلم تمض إلا ساعات معدودات حتى أصابتهما حمى شديدة، اضطر بسببهما المسؤولون في السجن إلى أخذهما لعيادة السجن قصد معالجتهما، وبعد أيام عديدة رجعا إلينا وهما في حالة ضعف وتعب بسبب فضولهما رحمهما الله" (*مذكراتي*، 1 : 461). وتذكر السيدة عائشة الشرقاوي زوجة المعطي الشرقاوي أن الحقنة كانت خاصة بداء التيفويد وأن زوجها ظل يعاني من مضاعفات ما حصل في السجن لفترة طويلة (عائشة الشرقاوي، *رواية شفوية*).

وبعد الخروج من السجن، كان المعطي الشرقاوي ضمن جماعة من الوطنيين الذين حاولوا ضمان استمرار نشاط الحزب الوطني في الرباط وسلا رغم الظروف المعقدة التي كان

يمر منها المغرب وفرنسا والعالم في ذلك الوقت، وقد تشكلت تلك الجماعة من أبي بكر القادري ومحمد غازي والسعيد حجي وأحمد الشرقاوي والحفيان الشرقاوي والمعطي الشرقاوي والمعطي الباخاي وعبد اللطيف العتابي ومحمد البقالي (أ. القادري، *مذكراتي*، 1 : 473).

وعندما تأسس حزب الاستقلال سنة 1944، كان المعطي الشرقاوي في مقدمة مناضليه والمدافعين عن مبادئه، وكان من العناصر الأساسية الدائمة في النشاط الاستقلالي الخاص بدعم ومساعدة عائلات المعتقلين والمنفيين من زعماء حزب الاستقلال ومناضليه في مدينة الرباط.

وعندما تأسست مدارس محمد الخامس بالرباط وبدأت في ممارسة نشاطها في سنة 1946، تكونت جمعية أطلق عليها اسم "صندوق الطالب" كانت مهمتها مساعدة الطلبة المحتاجين ودعمهم ماديا ومعنويا لاستكمال دراستهم. وقد كان المعطي الشرقاوي من الأعضاء النشطين في هذه الجمعية التي كان على رأسها الحاج عثمان جوريو والحاج أحمد الشرقاوي (عثمان جوريو، *رواية شفوية*).

ونظراً لنشاطه الوطني المعروف، لم تتردد سلطات الحماية من اعتقاله ضمن مجموعة من الوطنيين قبيل أيام من نفي الملك محمد الخامس في 20 غشت 1953، وذلك تحسبا لما قد تقوم به الحركة الوطنية من ردود فعل ضد العدوان الاستعماري على العائلة الملكية.

وعندما حصل المغرب على استقلاله، تم اختيار المعطي الشرقاوي ليكون خليفة في أحياء العكاري وأگدال وديور الجامع لعامل العاصمة الحاج عباس التازي. وقد اشتهر طيلة مدة خلافته بالعفة والمصداقية والسمعة الطيبة وخدمة المواطنين. وقد نتج عن موقفه الرافض لعمليات التزوير في انتخابات سنة 1963 توتر بالغ بينه وبين وزارة الداخلية أدى إلى ابقافه عن عمله فترة من الوقت. وأحيل المعطي الشرقاوي على المعاش سنة 1972، وخرج من الوظيف على باب الله وهو لايملك سوى العفاف والكفاف والغنى عن الناس.

وقد عاش السنوات الأخيرة من حياته في مشاكل صحية ألزمته الفراش إلى أن انتقل إلى رحمة الله في 23 ربيع الأول عام 15/1408 نوفمبر سنة 1987، ودفن في مقبرة الشهداء بالرباط.

أ. القادري، *مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية*، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 1993، جزآن ؛ ع. الله الجراري، *أعلام الفكر المعاصر*، الرباط، مطبعة الأمنية، 1971، 1971، جزآن ؛ عائشة الشرقاوي زوجة المعطي الشرقاوي، *رواية شفوية* ؛ الحاج عثمان جوريو، *رواية شفوية*.

الشرقاوي، المفضل بن محمد بن الحفيان الرباطي. ولد بالرباط في 6 رمضان عام 10/1345 مارس 1927. تلقى تعليمه الأولي في كُتاب الفقيه المكي بن أحمد بريبش، ثم في المدرسة الغازية التي كان يُديرها الوطني الكبير الحاج أحمد الشرقاوي. وبتوجيه من مدير المدرسة ونصيحة منه، انتقل المفضل الشرقاوي إلى مدرسة أبناء الأعيان بحي لعلو سنة 1936، وفيها حصل بعد سنتين على الشهادة الابتدائية، ثم انتقل إلى ثانوية الليسون بحي الليسون، وفيها حصل على شهادة البكالوريا، والتحق بعدها بمعهد الدراسات العليا بالرباط حيث انهى دراسته بها سنة 1947 (شقيقه عبد الله الشرقاوي، شهادة شفوية).

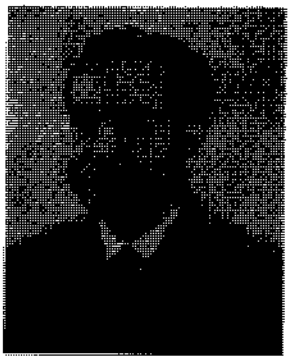

ومنذ طفولته الأولى، اتصل المفضل الشرقاوي بمجموعة من الشخصيات كان لها دور كبير في توجهه السياسي والفكري، وكان على رأس هؤلاء محمد الرشيد ملين وأحمد رضا اگديرة.

وبفضل نفوذ محمد الرشيد ملين الذي كان والده حينئذ وزيراً للأوقاف، التحق المفضل الشرقاوي بنفس الوزارة عندما حصل على شهادة معهد الدراسات العليا، وظل فيها إلى أن استطاع بفضل دعم ومساعدة محمد الرشيد ملين الالتحاق بجامعة گرونوبل بفرنسا حيث حصل على إجازة الحقوق سنة 1955.

كان المفضل الشرقاوي رجل ثقة ونزاهة، وقد عُرف عنه الوفاء لأصدقائه والإخلاص والتفاني في عمله، ولذلك أصبح بمجرد عودته من فرنسا من العناصر الفعالة في جماعة محمد الرشيد ملين زعيم الاحرار المستقلين وقريبا جدا من أحمد رضا اگديرة، وبفضلهما اقترب كثيراً من القصر الملكي وبصفة خاصة من الملك الحسن الثاني في فترة ولايته للعهد ثم بصفة أخص بعد ذلك. عاش المفضل الشرقاوي في دائرة أحمد رضا اگديرة طيلة الفترة التي كان فيها هذا الأخير يحتل مناصب سامية عديدة في الدولة المغربية من وزارة امبارك البكاي (ت. 1961) في 5 دجنبر 1955 إلى 15 غشت 1964.

فخلال هذه الفترة التي امتدت على مدى تسع سنوات ونصف كان أحمد رضا اگديرة يتمتع بسلطات واسعة لسنوات طويلة باعتباره المدير العام لديوان ولي العهد ثم للديوان الملكي مع تفويض من الملك، بالإضافة لوزارة الداخلية والفلاحة والخارجية في فترات مختلفة (Sehimi.

(*Guedira*, 21). وقد بدأ المفضل الشرقاوي مسيرته في دواليب الدولة المغربية باحتلاله منصب مدير الديوان في وزارة الدفاع عندما تشكلت حكومة البكاي الأولى في 7 دسمبر 1955، وقد كان لهذا المنصب أهمية خاصة نظراً لما كان يجتازه المغرب حينئذ من ظروف معقدة أثناء إعادة بناء أجهزة الدولة المغربية ومؤسساتها وخاصة القوات الملكية المسلحة. وعندما أصبح أحمد رضا اگديرة وزيراً للأعلام والسياحة في حكومة امبارك البكاي الثانية بتاريخ 3 دجنبر 1956 التحق به المفضل الشرقاوي مديراً لديوانه. وعندما أقيلت حكومة البكاي في 16 أبريل 1958 انتقل المفضل الشرقاوي إلى وزارة العدل قاضيا بالمجلس الأعلى، ولكنه عاد بقوة ليحتل رئاسة ديوان بالديوان الملكي، وذلك عندما تشكلت حكومة جديدة في 27 ماي 1960 برئاسة الملك محمد الخامس، عُين فيها ولي العهد نائبا للرئيس وأحمد رضا اگديرة مديراً لديوان ولي العهد ونائب رئيس الحكومة. ونظراً لتكوينه القانوني وموقعه في حزب الأحرار المستقلين، كان المفضل الشرقاوي ضمن أعضاء المجلس الوطني الاستشاري الثمانية والسبعين الذين عينهم الملك محمد الخامس في 17 نوفمبر 1960 من أجل دراسة مشروع دستور "يكون في إطار احترام المبادئ الأساسية للإسلام مع مراعاة الطابع الخاص للمغرب مع إحداث مؤسسات ديموقراطية في نطاق الملكية الدستورية" (ع. لوزي، *المسألة الدستورية*، 49).

ولم تدم حياة هذا المجلس طويلا، إذ جاءت نهايته بعد مرور شهرين فقط على تنصيبه وذلك بعد أن قرر مجموعة من الأعضاء وعلى رأسهم محمد بن الحسن الوزاني وأصحابه، والمحجوبي أحرضان وأصحابه، وأحمد رضا اگديرة وأصحابه ومن بينهم المفضل الشرقاوي الانسحاب من المجلس بعد انتخاب الزعيم علال الفاسي رئيسا له (ع. لوزي، *لوزي، المسألة الدستورية*، 51).

ونظراً لاقتراب المفضل الشرقاوي من ولي العهد الذي كانت مجموعة أحمد رضا اكديرة تلتف حوله في هذا الوقت، فقد تم اختياره بعد وفاة الملك محمد الخامس وتولية الملك الحسن الثاني في 26 نوفمبر 1961 مديراً للديوان العسكري للملك، وظل كذلك بعض الوقت إلى أن أصبح عاملا على مدينتي الرباط وسلا لفترة قصيرة انتقل بعدها ليشغل منصب كاهية كاتب الدولة في الداخلية وكان صاحب هذه الوزارة حينئذ هو أحمد رضا اگديرة (شقيقه عبد الله الشرقاوي، *رواية شفوية*).

وعندما أراد الملك الحسن الثاني وضع الدستور الذي عرض على الاستفتاء الشعبي في 7 دجنبر 1962، انقسمت الأحزاب السياسية بين معارض ومؤيد، وقد عارض الاتحاد الوطني للقوات الشعبية وحزب الدستور الديموقراطي والاتحاد المغربي للشغل والاتحاد الوطني لطلبة المغرب، وأيّد حزب الأحرار المستقلين وحزب الاستقلال والحركة الشعبية، وقد كان حزب الأحرار المستقلين والمفضل الشرقاوي من عناصره الأساسية وعلى رأسهم أحمد رضا اگديرة هو القوة الضاربة المساندة والمؤيدة لدستور الحسن الثاني، وقد تم عقد العديد من الاجتماعات للخبراء الذين وضعوا مشروع خطوطه الرئيسية في منزل المفضل الشرقاوي نفسه وبحضور الملك الحسن الثاني في بعض الأحيان (زوجته طيبة الدبي، *رواية شفوية*).

بعد الاستفتاء والمصادقة على دستور سنة 1962، بدأت مرحلة التحالفات الحزبية للاستعداد للانتخابات التشريعية التي حُدّد تاريخها في 17 ماي 1963. وكان هذا الاستحقاق الانتخابي سببا في بروز تحالف حزبي جديد أطلق عليه "جبهة الدفاع عن المؤسسات الدستورية" برئاسة أحمد رضا اگديرة الذي كان في هذا الوقت يجمع بين وزارتي الداخلية والفلاحة. وقد تم تأسيس الجبهة في 20 مارس 1963، وكانت تتشكل من "حزب الأحرار المستقلين" وهو العمود الفقري للجبهة وقاطرتها، وحزب "الحركة الشعبية" بزعامة المحجوبي أحرضان، و "حزب الدستور الديموقراطي" بزعامة محمد بن الحسن الوزاني وبعض الشخصيات المستقلة (ع. لوزي، *لوزي، المسألة الدستورية*، 79).

وبفضل موقعه في هذه الجبهة أصبح المفضل الشرقاوي بعد انتخابات 1963 رئيسا للمجلس البلدي بالرباط ورئيسا لمجلس المستشارين، بينما أصبح عبد الكريم الخطيب رئيسا لمجلس النواب.

ولكن يبدو أن فشل "جبهة الدفاع عن المؤسسات الدستورية" في الحصول على نتائج مقنعة بالنسبة للحسن الثاني في انتخابات ماي 1963، كان بداية لأفول نجم أحمد رضا اكديرة وأصحابه في حزب الأحرار المستقلين ومنهم المفضل الشرقاوي، خاصة بعد إقالة أحمد رضا اگديرة من وزارة الداخلية في 6 يونيو 1963 وظهور علامات انهيار التحالفات الحزبية داخل الجبهة، ثم انهيار الحزب الاشتراكي الديموقراطي الذي أسسه أحمد رضا اگديرة وأصحابه ومنهم المفضل الشرقاوي في 12 أبريل 1964 والذي لقي نفس مصير الجبهة بعد انسحاب أغلبية مؤسسيه في شهر ماي 1965 (Sehimi, *Guedira*, 119).

وقد كانت سنة 1965 سنة الانكماش والتراجع الكبير لجماعة حزب الأحرار المستقلين القديمة بعد 10 سنوات تقريبا من اللمعان والظهور، وفي المقدمة كان أحمد رضا اگديرة والدائرة الصغيرة المحيطة به من الأصدقاء، الأوفياء، ومنهم المفضل الشرقاوي، وقد تعمّق هذا الانكماش والتراجع بعد أحداث مارس 1965 الدامية والتي ظهر فيها بوضوح تفضيل سياسة القمع وإسكات صوت المعارضة بجميع الوسائل. وقد زادت عزلة هذه الجماعة وابتعادها عن القصر الملكي عندما أعلن أحمد رضا اگديرة عدم موافقته على حالة الاستثناء التي أعلنها الملك الحسن الثاني في خطاب وجهه للشعب المغربي مساء يوم 7 يونيو 1965، كما أكد أحمد رضا اكديرة للملك أنه "إذا كانت الوضعية السياسية مهتزة فإن السبب

في ذلك هو التطبيق السيء للنظام التشريعي" (M. Monjib, *La monarchie*, 335)، كما لم يتردد المفضل الشرقاوي رئيس مجلس المستشارين في الجهر بعدم دستورية إعلان حالة الاستثناء وذلك عندما استشاره الملك الحسن الثاني حسب ما ينص على ذلك دستور سنة 1962، بينما عبّر رئيس مجلس النواب عن رأي مخالف لذلك.

وبدأت من هذا الوقت حالة من الخمود بالنسبة للمفضل الشرقاوي، ولم يكن راضيا عن التغيير الذي أصاب المغرب وأدّى إلى هيمنة مجموعة من العناصر لا علاقة لها بالوطنية ولا بالوطنيين، ولم يبدأ في العودة إلى دائرة الضوء مرة أخرى إلا عندما عاد أحمد رضا اگديرة للحياة السياسية كوزير دولة مسؤول عن التخطيط وتكوين الأطر في 21 فبراير 1969. وتقول السيدة طيبة الدبي زوجة المفضل الشرقاوي أن زوجها كان على موعد مع الحسن الثاني بمناسبة عيد الشباب في 9 يوليوز 1970 وذلك من أجل تدبير مركز جديد له في دواليب الدولة، إلا أن الأقدار لم تمهله إذ اختطفته يد المنون وهو في الثالثة والأربعين من عمره في صباح يوم الثلاثاء 7 يوليو 1970، إذ أصيب بأزمة قلبية وهو يسبح في شاطئ الرمال الذهبية القريب من الرباط بين تمارة والصخيرات. وقد دُفن بأمر من الملك الحسن الثاني في زاوية سيدي السايح المقابلة لجامع مولاي المكي بحي سيدي فاتح بالرباط (شقيقته عائشة الشرقاوي، رواية شفوية).

عائشة الشرقاوي شقيقة، المفضل الشرقاوي، *رواية شفوية* ؛ ع. الله الشرقاوي شقيق المفضل الشرقاوي، *رواية شفوية* ؛ طيبة الدبي زوجة المفضل الشرقاوي، *رواية شفوية* ؛ ع. العزيز لوزي، *المسألة الدستورية والمسار الديموقراطي في المغرب*، منشورات المجلة المغربية للإدارة المحلية والتنمية، سلسلة مواضيع الساعة، العدد الخامس، دا النشر المغربية، الرباط، 1996 ؛ ع. الله الجراري، *أعلام الفكر المعاصر*، الجزء الثاني، مطبعة الأمنية، الرباط، 1971.

M. Monjib, *La monarchie marocaine et la lutte pour le pouvoir*, Paris, 1992 ; Sehimi Mustapha, *Guedira - Fidélité et engagement*, Rabat, 1996.

عثمان بناني

الشرقاوية، طريقة صوفية، تنسب إلى الشيخ سيدي بوعبيد الشرقي دفين بجعد آتي الترجمة. وهي طريقة سلوكية تربوية، تفرض الصحبة والخدمة ومجاهدة النفس، باعتبارها السبيل الموصل إلى معرفة الله، على غرار سائر الطرق الصوفية. بيد أن المجاهدة في الشرقاوية، لا تعتمد السهر ولا الجوع ولا لبس المرقعات، وإنما تقوم أساسا على ما يعرف بالمجاهدة الروحية الخالصة، المرادفة لما يسمى في التراث الصوفي بالمحبة (*المرقي*، 272 وما بعدها). ومن ثم جاءت الوسائط لإحراز "الوصول" منسجمة مع هذا النوع من المجاهدة، وتمثلت أساسا في عنصرين أساسين، أولهما التربية بـ"الهمة"، وقد خص بها بوعبيد الشرقي الصفوة من أصحابه، أما الأسلوب الثاني، وهو الأهم، فتمثل في "المحبة" أولا، والذكر ثانيا.

ويقصد بالمحبة محبة الله الخالصة، وذلك بتقديم أوامره على هوى النفس حبا لا رجاء ولا خوفا ولا طمعا في الإثابة والجزاء في الدنيا أو الآخرة، ولو كان هذا الجزاء نعيم الجنة. فغاية المنى ونهاية المطلب، بل أشرف المطالب، النظر إلى المحبوب، والوقوف بين يديه في الدنيا قبل الآخرة. ويقصد بالمحبة أيضا محبة الرسول عليه السلام، والإكثار من الصلاة عليه، والتخلق بأخلاقه، وتمني رؤيته، وتمكن محبته وعظمته في قلب السالك، حتى إنه لا يملك نفسه عند سماع اسمه، وقد يخر صريعا من فرط محبته له (*المرقي*، 273 - 303).

وهذه أمور باطنية، كما يبدو، إنما كان لها انعكاس على ظاهر المنتمين إلى الطائفة الشرقاوية. ومن أهم ما ظهر منها ما يسمى عندهم "شدة الوجد"، ومعناه شدة الشوق إلى لقاء المحبوب، والرغبة في القرب منه، وهو ما يعبر عنه أيضا بالاشتياق، أي زيادة الشغف بالمحبوب إثر اللقاء مخافة القطيعة وعدم حدوث اللقاء ثانية (*المرقي*، 311 - 312).

وقد رتب بوعبيد الشرقي لأصحابه أذكارا، صارت له ولأتباعه أوراداً. ولم تخرج عن أحزاب الإمام مَحمد بن سليمان الجزولي، وعلى رأسها حزب *الفلاح*، يقرأونه صباح مساء، مع زيادات عليه من عنده "..فصار مجموع ذلك حزبا، وهو حزب الشيخ الشرقي"، إلى جانب *دلائل الخيرات*، الذي واظب مريدو زاويته على قراءته وتلاوته مرفوقا بعدد من الأدعية والابتهالات، بعضها من إنشاء أشياخ الزاوية. وذلك كله وفق البرنامج المعهود لدى الجزوليين. غير أن أهم مظاهر الذكر بروزا في طريقة بوعبيد الشرقي هو "السماع". كما جاء عند الحسن اليوسي في معرض ذكره للشيخ بوعبيد الشرقي: "...وطريقة هذا الولي الكبير... مبنية على السماع، وما فيه من الجذبات والشطحات الربانية والأحوال الصادقة والمعارف الصمدانية..."

وقد تحدث أحد أتباع هذه الطريقة عن الحضرة أيام الشيخ فقال: "كان سيدي بوعبيد الشرقي عادته السماع والتواجد عن غلبة حال منه، فإذا تغلغل فيه حضره أصحاب الأحوال من كل ناحية، واشتغلوا بالجذب معه، وهو يتكلم بسماع يفتح صم الجبال، ويهيّج أحوال الرجال، حتى يموت ممن حضر ذلك جماعة، وكانوا يعدّون أكفانهم لذلك اليوم، ولا يموت إلا من أحرق الحب كبده، فهم إذ ذاك بين باك ونائح، ولا يتفرقون إلا على أسرار ربانية وأمداد رحمانية وفيض قوي..." (*الفتح الوهبي*، 229).

ع. الخالق العروسي، *المرقي في مناقب القطب سيدي محمد الشرقي*، خ. ع.، الرباط، رقم 1911 د ؛ ع. الكريم العبدوني، *بتيمة العقود الوسطى في مناقب الشيخ أبي عبد الله محمد المعطى*، مخطوط خ. ع.، الرباط، رقم 2306ك ؛ ع. اللطيف الشاذلي، *التصوف والمجتمع، نماذج من القرن العاشر الهجري* ؛ ع. بن داود الشرقاوي، *الفتح الوهبي في مناقب الشيخ أبي المواهب مولانا العربي*، م. خ. ع.، الرباط، رقم 2312 ك.

أحمد الوارث

الشرقي، بوعبيد (سيدي -) مَحمد بن أبي القاسم الجابري الرقمي المعروف بالزعري الشيخ الشهير. ينتسب إلى الخليفة عمر بن الخطاب وقومه بنو جابر قبيلة عربية مشهورة في عداد قبائل جشم الهلالية التي استقرت بتامسنا، والرقمة إحدى بطون وردیغة المتفرعة عنها. وتغيرت صيغة النسبة عند حفدته المتأخرين، فأصبحت "الشرقاوي".

كان الشيخ سيدي بوعبيد الشرقي صالحاً مكاشفاً، كما كان والده أبو القاسم عارفاً ذا وفرة في الدنيا وتوسعة من غنم وبقر وإبل. (يتيمة، ص. 110). واتصل بالشيخ التباع وأصبح بعد ذلك شيخاً صوفيا ذا قدم راسخ وسند عال في طريق القوم.

ولد الشيخ أبو عبيد الشرقي بين عامي 926 و928 بعد رحيل والده أبي القاسم عن عشيرته وإقامته لزاويته بجوار أم الربيع (يتيمة، ص. 110) وحفظ القرآن وجوّده على يد والده، ثم انتقل إلى زاوية الصومعة حيث أخذ عن الشيخ سعيد أمسناو إلى أن توفي، فرجع إلى زاوية والده، كما أخذ التصوف عن أربعة أشياخ: والده أبي القاسم، والشيخ عبد الله ابن ساسي، وعبد الله الغزواني ومحمد بن عمر المختاري، والكل عن القطب سيدي عبد العزيز التباع.

سأل محمد بن عبد الكريم العبدوني شيخه صالح بن المعطى الشرقي عن الورد الذي تركه الشيخ لأصحابه بقصد أخذه عنه فقال له: "يا ولدي ما ترك لهم إلا حزب الفلاح يقرأونه صباحاً ومساء وزيادات عليه من عند أشياخ سيدي محمد الشرقي ومن عنده زادوها على حزب الفلاح فصار مجموع ذلك حزباً وهو حزب الشيخ الكبير الذي يقرؤه. أصحابه يبدؤونه بحزب الفلاح ويزيدون عليه ذلك". (يتيمة، ص. 265)، مع *دلائل الخيرات* يقرأونه على قدر ما استطاعوا، فمن قدر منهم على ختمه كله في النهار فعل، ومن قدر على قراءته ثلثاً ثلثاً في كل يوم فتلك الطريقة المثلى، يبدؤه يوم السبت يقرأ منه ثلثا ويوم الأحد ثلثا ويوم الاثنين يختمه ويوم الثلاثاء أيضاً يقرأ منه ثلثا ويوم الأربعاء ثلثا ويوم الخميس يختمه، ويوم الجمعة يقرؤه كله، وهذه الطريقة هي سنة المشايخ من أصحاب الجزولي... وكذلك يقرأ حزب الفلاح بعد صلاة الصبح. (يتيمة، ص. 265).

تحكي المصادر عن أولية محمد الشرقي أنه كان قاطنا قرب أبيه بدير جبل تادلا من ناحية أزراراق ببلاد وردیغة (يتيمة، ص. 118)، استقروا في تلك البلاد وكونوا لهم نفوذاً وعصبية (يتيمة، ص. 126). فأزعجه عن المكوث به مضايقة جيرانه له.

كان سعي سيدي بوعبيد إلى منطقة تكون غنية بعيونها ومياهها وأغراسها المنوعة وخيراتها العميمة، وذلك عامل من العوامل لاختيار الموقع والاستقرار فيه كبعض زوايا المنطقة مثل الصومعة وأكرض ... فهي مشرفة على السهل، مضمونة الأرزاق والخيرات، مأمونة من الغارات والسطوات.

ومن المرجح أن يكون أسس زاويته في بداية الستينيات من القرن العاشر (16 م) في منطقة خصبة بتادلا، فلم تعجبه وانتقل إلى أبي الجعد التي تمثل القسم الذي تبرز فيه القشرة الكلسية أو تقع قريباً من السطح تاركة تربة حمراء رقيقة قليلة الخصوبة في شكل هضاب ذات محدبات خفيفة الانحدار، تقطعها شبكة مائية تتكون من روافد موسمية لأم الربيع، يعتبر وادي أبي الجعد أكثرها جفافاً وجدبا بسبب قارية المناخ الذي يتميز بالحرارة المرتفعة صيفاً وضعف التساقطات وعدم انتظامها شتاء مما يفسر صعوبة قيام نشاط زراعي قار ويعطي للرعي والانتجاع أهمية كبرى.

شرع الشيخ الشرقي في بناء المرافق اللازمة لإقامة عائلته والوافدين عليه، فقطن فيه وسكنه "واستقر فيه واستوطنه، وحفر "بير الله"، وبني مسجداً للعبادة" (يتيمة، ص. 126)، ليصبح نواة عمرانية في مكان خلاء لاعمارة فيه، إذ توسعوا في البناء لتلبية حاجيات الزاوية، فخلفت تجمعاً سكنياً كان نواة لتكوين معلم من المعالم المشهورة في منطقة تادلا، "وأتته من كل بلد الطوائف والركبان من العرب والبربر والسوس الأقصى وجميع الجهات ... حتى عمرت ببركته تلك البلاد... وولد له فيها جملة من الأولاد".

عقد سيدي مَحمد الشرقي صلات كثيرة مع زوايا عصره في تادلا وخارجها... وتكونت له شهرة خارج منطقة نفوذه.. بل دخل في تحد مع أشياخ كثيرين حفظت لنا المصادر حلقات منه، وهو من قبيل "ما يقع من التخالف الذي أوجبه اختلاف المشرب" (*صفوة من انتشر*، ص. 25).. وإن كانت بعض المصادر تذهب في تفسير هذه الأحداث وتأويلها لصالح الجهة التي تنتمي إليها (*المرآة والمرقي* مثلا)، مما وسع من دائرة الخرق بين عدد من الشيوخ الصوفيين... وفي اعتقادنا أنه لا يخرج عن دائرة التنازع على الخلافة الصوفية، وهذا ما أبرزته الرسائل والمكاتبات التي صدرت عن الفريقين، وإن كنا لا نطمئن إلى بعض ما جاء فيها لما شابها من زيادة ونقصان..

ويؤثر عنه كلام عال في المعارف والحقائق جله ملحون هو خلاصة تجربته العرفانية وزبدة معارجه الروحانية في سماء القرب. وقد خصص صاحب *المرقي* فصلاً في ذكر شيء من كلام سيدي محمد الشرقي (من ص. 497 إلى ص. 503)، علاوة على *ديوان صغير* جمعت فيه بعض ملحوناته (يقع في عشرين ورقة، مسجل في لوائح الخزانة العامة بالرباط عدد 3027 ك)، إضافة إلى مخاطباته ومكاتباته مع أهل زمانه مثل الشيخ أبي الطيب صاحب ميسور (يتيمة، 238) وأبي المحاسن الفاسي (يتيمة، 239)، وأحمد بن امبارك التستاوتي (يتيمة، 236)...

توفي سيدي محمد الشرقي في اليوم الأخير من ذي الحجة عام تسعة وألف ودفن في اليوم الأول من المحرم فاتح 1010/ 2 يوليوز 1601 بين صلاة الظهر والعصر، عن سن تناهز 86 سنة.

ع. الفاسي، *ابتهاج القلوب*، 212، ص. 216، مرقونة ؛ م. المهدى الفاسي، *تحفة*، ص. 49 ؛ *ممتع*، 11 ؛ الصومعي، *التشوف الصغير*، ورقة 86، 1103 د ؛ الإفراني، *صفوة من انتشر*، ص. 25 ؛ م. القادري، *نشر*، 1 : 80، 81 ؛ *الإكليل والتاج*، ص. 305، 306، مرقونة ؛ م. العربي القادري، *الطرفة*، ص. 5، 2254 د ؛ ع. الفاسي، *الإعلام بمن غبر*، ص. 249 ـ 368، مرقونة ؛ العروسي، *المرقي في بعض مناقب القطب سيدي محمد الشرقي*، موضوع فيه، خ. ع 1911 د ؛ العبدوني، *بتيمة العقود الوسطى*، 230 ـ 269، 273، خ. ع 305 ك ؛ المعداني، *الروض اليانع الفائح*، 433 ـ 455، ومواضع أخرى، خ. ع 86 ج ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 1 : 193 ؛ الناصري، *الاستقصا*، 5 : 193 ـ 194 ؛ ابن زيدان، *إتحاف*، ج 5 : 474 ؛ ل. بروفنسال، *مؤرخو الشرفا*، ص. 300 ؛ أ. بوكاري، *الزاوية الشرقاوية*، 1 : 43 ؛ أ. عمالك، *مادة تيغريت*، *معلمة المغرب*، 8 : 2709 ـ 2710 ؛ م. عربوش، *أبو القاسم الصومعي*، ص.
Cimetière, *Notice sur Boujad R.M.M.*, 7e année, Sept. 1913, Vol. 24 ; Niegel, *La Medersa et la bibliothèques de Boujad, R.M.M.*, 7e année, Sept. 1913, Vol. 24

عبد المجيد بوكاري

الشرقي (ابن ـ) **الحُصَري**، أحمد بن محمد المراكشي ينحدر سلفه من قبيلة أگلاوة بالأطلس الكبير، وأما هو فمراكشي المولد والنشأة والوفاة، ففي مدينة مراكش حفظ القرآن وتلقى تعليمه في مدارسها التي منها مدرسة الباشا ثم المدرسة الحرة للفقيه عبد القادر المسفيوي، وحضر دروس محمد المختار السوسي بمدرسته بحي الرميلة كما تابع بصفة اختيارية دراسته بكلية ابن يوسف قبل أن يشملها النظام التربوي سنة 1938، فكان جل أساتذته من رواد الحركة الوطنية التي عمت تنظيماتها جل حواضر المغرب وفي طليعتها مراكش التي واجه شبابها وشيبها وطلبتها وعلماؤها جبروت سلطات الحماية من تعذيب ومحاكمة وسجن ونفي فنال المرحوم أحمد ابن الشرقي ما ناله رفاقه في الكفاح من الممارسات العدوانية الاستعمارية، فعرفته مراكش شابا وكهلا وشيخا بوطنيته الصادقة ووجدت فيه مربيا محنكا وموظفا نزيها ومستشاراً مستقيما في أول مجلسها البلدي، ورأت فيها باحثا مدققا في تاريخها وحضارتها وملما بمعرفة اشهر بيوتاتها وراوية ثقة لمسار الحركة الوطنية بصفة عامة والحركة القومية وحزب الشورى والاستقلال بصفة خاصة فكان المراكشيون يقدرون نشاطه في المجال السياسي

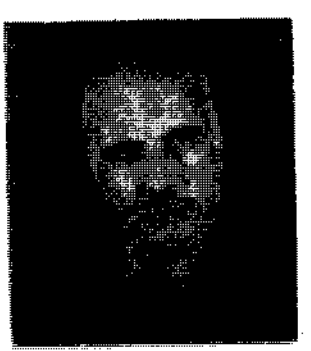

ويعتبرونه من الوطنيين القلائل الذين سعوا لتأسيس التنظيم السياسي بمراكش وبث النوعية في مختلف الأوساط الاجتماعية غير مبال بمراقبة الشرطة السرية لنشاطه الدؤوب وأسفاره المتعددة بين الدار البيضاء والرباط وفاس لحضور اجتماعات القيادة الوطنية وفروعها فكان من جملة المناضلين الذين ألقي عليهم القبض في أواخر أكتوبر 1937 وحكم عليه بالسجن سنة نافذة قضاها بسجن بوالمهاريز بمراكش وبعد اطلاق سراحه امتهن التجارة ولما أعلن عن تأسيس حزب الشورى والاستقلال سنة 1946 سعى لفتح فرع له بمراكش وضم إليه نخبة من الطلاب والمثقفين ثم بدا له أن يترك التجارة ويكرس جهوده للتدريس بالتعليم الحر فاشتغل معلما بالمدرسة العبدلاوية إلى صيف 1953 حيث امتدت يد المستعمر إلى العرش المغربي ونفي الملك محمد الخامس وفي نفس الوقت عمدت السلطات المحلية إلى تحويل المدارس الحرة إلى مدارس حكومية وطرد هيئة التعليم الحر منها.

فاضطر ابن الشرقي إلى مغادرة مراكش والعمل بمدرسة الأميرة عائشة بسلا نيابة عن مديرها الحاج أحمد معنينو الذي حكمت عليه المحكمة العسكرية الفرنسية بالدار البيضاء بـ 18 شهراً حبساً نافذاً.

ولما انتهت الأزمة المغربية وعاد الملك إلى عاصمته الرباط رجع ابن الشرقي إلى مراكش وتولى الإشراف على مكتب حزب الشورى والاستقلال وبعدما تأسست أول حكومة مغربية في دجنبر 1955 عين نائبا لمندوب الشبيبة والرياضة ثم انتقل إلى ورزازات كمندوب لنفس الوزارة وفي سنة 1960 عاد إلى مراكش موظفا بنفس المندوبية فقام بعدة مهام تربوية وثقافية واجتماعية منها إشرافه على مركز الملاحظة أي إعادة التربية للأطفال المنحرفين ومنها إشرافه على النادي الثقافي وعضويته في مكتب مأوى الشباب وحضوره الفعال في مهرجانات الشباب حيث كان شغوفا بالأسفار سواء داخل المغرب أو خارجه وعلاوة على مهامه الإدارية ومساهمته التطوعية في النشاط الجمعوي فقد ظل حريصا على الوفاء للوطن والعمل على تقدمه فشارك في الانتخابات البلدية بنجاح سنة 1960 وتم انتخابه عضواً في المكتب بصفته النائب الأول للرئيس الأستاذ محمد بوستة فكان مثالا للنزاهة والاستقامة. وبعد تقاعده تفرغ للبحث في تاريخ مراكش فألف كتاباً في جزئين تحت عنوان *ارتسامات ومعطيات تاريخية حول مدينة مراكش*. وبلغت مراجع بحثه باللغة العربية 26 منها 23 مرجعا مغربيا ومرجع أندلسي هو *المقتبس* لابن حيان واثنان للمشارقة هما *الكامل في التاريخ* لابن الأثير وظهر الإسلام لأحمد أمين. وأما مراجعه بالفرنسية فتصل إلى 31 موزعة بين الرحالين والمؤرخين والأثريين وعلماء الاجتماع وقد تناول في بحثه المحيط المراكشي بدءاً من العهد المرابطي ومنتهيا باسترداد المغرب استقلاله وكان بود المؤلف متابعة بحثه ولكن المرض ألزمه الفراش إلى أن توفي بتاريخ 24 رجب عام 5/1417 دجنبر 1996 عن سن بناهز السابعة والسبعين.

روايات شفوية عن أصدقاء المترجم ؛ أ. ابن الشرقي نفسه، *ارتسامات معطيات تاريخية حول مدينة مراكش*؛ أ. معنينو، *ذكريات*، 4 : 49.

محمد ماگامان

الشرقي، الشاذلي بن المفضل العمري، عالم فاضل، صالح كامل، صاحب الضريح الشهير بحي الجزاء بالرباط. كان من العلماء الصالحين المجابي الدعوة، ومن ذوي الكرامات والمتبرك بهم أحياء وأمواتا، وقد توفي في أوائل القرن الثالث عشر (19 م).

دينية، مجالس الانبساط، ص. 85.

حسن أميلي

الشرقي، العربي بن المعطى بن الصالح العمري التادلي حفيد الشيخ سيدي بوعبيد. حفظ القرآن على يد الفقيه المحجوب المساوي، وأخذ النحو والتوحيد والفقه عن الشيخين محمد بن بلقاسم السجلماسي صاحب *العمل الرباطي* وشيخ الجماعة بفاس التاودي بن سودة، وأجازه إجازة عامة.

ثم توجه للمشرق بقصد الحج عام 1190 وأخذ عن شيوخ عديدين منهم محمد العقاد الفيومي بجامع الأزهر، ومحمد ابن أحمد الأثري الحنفي وحسن بن علي الجدادي المالكي، وعبد الباسط السنديوني والشيخ محمد مرتضى الزبيدي.

كان للمترجم حظوة عند السلطان المولى سليمان يستشيره في الأمور الجسام ويأخذ بمشورته ويقدر آراءه، غير أن الوشاة أفلحوا في الوشاية به ورموا الشيخ بالميل إلى مناصرة الخارجين على المخزن وإيوائهم.

توفي في شهر جمادى الأولى عام 1234/ فبراير - مارس 1819 متأثراً بأعراض الطاعون الذي اجتاح البلاد في هذا التاريخ.

العربي الشرقاوي، *الفتح الوهبي في مناقب أبي حامد مولانا العربي*، مخطوط ؛ م. التازي، *الكوكب الأسعد*، ص. 18 - 21 ؛ خ. ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، 1 : 361، 3 : 179 - 182 ؛ خ. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 5 : 180 - 184 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 8 : 133 ؛ خ. ابن سودة، *إتحاف المطالع/ موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، 7 : 2503 ؛ خ. الحي الكتاني، *فهرس الفهارس*، 2: 778 - 781 ؛ رسالة مولاي سليمان لسيدي العربي بن المعطى، خ. ع 1264 د (ص 361 - 365) ؛ رسالة مولاي سليمان إلى أبناء الشيخ العربي بن المعطى بعزيهم في وفاة والدهم عام 1234 (خ. ع. 147 ج، ص. 220).

Villes et tribus : Casablanca et sa région, Paris, 1915. Tome I, 226 ; Tome II, 182, 183, 230, 295 ; Eicklman, *Quelques aspects de l'organisation politique et économique d'une zawia marocaine au XIX siècle : un essai socio- historique*, p. 44, *B.S.H.M.*, N° 45, 1971-1973, Rabat.

الشرقي، الغزواني بن الشيخ سيدي بوعبيد (بوشاقور) كان عالما عاملا، تفقه في العلم الظاهر على الفقيه الأجل أبي العباس أحمد المنجور بمدينة فاس.

وتحكي أدبيات المناقب الشرقاوية عن رحلة الفتى الشرقي بحثاً عن طبيب مداو يشير عليه في دواء الروح، فانطلق في رحلته تلك يجوب الدنيا على أولياء الله في وقته، ويقطع في زيارتهم الفيافي والأوطان، وكل من وصل إليه منهم ورغبه في قضاء مراده يرده إلى وطنه وبلاده ويقول له: أنت ولد الشيخ الشرقي وحاجتك عند أبيك فارجع إلى دارك ولذ بأبيك في قضاء مآربك وأوطارك.

وذكروا أن سيدي الغزواني رحل إلى سلا لملاقاة سيدي عبد الله ابن حسون، وفي *المرقي*" أنه تلقاه بباب المصلّى من سلا فرده من هناك إلى والده (*المرقي*، ص. 456)، فرجع إلى أبيه بحنين وأنين.

له رباعيات زجلية كثيرة حاور ببعضها والده الشيخ وأحد إخوته.

توفي الغزواني بعد زمن يسير من ولايته خلال النصف الأول من القرن الحادي عشر (17 م) ودفن بروضة رجال الميعاد بجعد في موقع الزاوية الأول على بعد بضع كلمترات من بجعد الحالي. وقد أعيد ترميم روضته بمبادرة من أحد حفدته.

العروسي، *المرقي في بعض مناقب القطب سيدي محمد الشرقي*، ص. 457 (1911 د) ؛ العبدوني، *بتيمة العقيد الوسطى في مناقب سيدي محمد المعطي*، ص. 86 (305 ك) ؛ ع. بن بنداود الشرقي، *الفتح الوهبي في مناقب مولانا أبي المواهب مولانا العربي*، ص. 234 - 239 (2312 ك).

عبد المجد بوكاري

الشرقي محمد بن **صالح**، مقاوم وُلد سنة 1931 بقبيلة السلالة الفقري أولاد سي عبد النبي إقليم خريبگة من والديه محمد بن صالح وحادة بنت قدور، وقد كان وطنيا غيورا، استرخص أعز ماليه من أجل تحرير وطنه فانضم إلى تشكيلة فدائية بالإقليم تحت مسؤولية السيد المعطي، وكان ضمن هذه الجماعة يحرر المناشير ويسلمها للمكلفين بتوزيعها ويبعث برسائل التهديد إلى المتعاونين مع الاستعمار وكان يحث على مقاطعة بضائع المستعمر.

وفي يوم 20 غشت 1955 كان من بين أوائل المشاركين في مظاهرة وادي زم حيث قام بعدة أعمال تخريبية منها

تحطيم أعمدة الهاتف وإضرام الحرائق وقد استشهد يوم 21 غشت 1955 رميا بالرصاص بعدما قتل اثنين من المستعمرين.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم 525146.

الشرقي، محمد المُعطي بن الصالح العمري البجعدي، مؤلف *الذخيرة*. بلغت الزاوية في عهده أوج ازدهارها وأدركت شأوا بعيدا في تادلا وخارجها، وحققت ثراء كبيرا ساهم في تكريس وجودها وإشعاعها.

وتحت رعاية والده تفقه في العلوم حفظا وفهما، فقرأ النحو والتوحيد والفقه على أبيه وعمه سيدي محمد بن المعطي، والأصول والبيان على الفقيه أحمد بن زاكور الفاسي، وعلم التصريف والحساب على الفقيه محمد الطيب الفيلالي، والحديث والتفسير والسير على الفقيه العافية الصومعي، وقرأ الطب على الفقيه عبد القادر بن شقرون المكناسي، والتصوف على أحمد بن حم السريفي بإذن من والده.

وتدل أحواله وأخباره على افتتانه القوي بالرسول صلى الله عليه وسلم ومحبته العميقة لذاته الشريفة، إذ كان ممن لهم القدم الراسخ والثناء الشامخ والمقام العلي الباذخ في محبته الفائقة وخدمته الشريفة، ليس له ما يشغله عنها ولا عنده ما يلهيه ولا يبعده منها، فقد كانت غيبته فيه صلى الله عليه وسلم تامه، ونفحته فيه مستغرقة عامة، ولا يستهتر إلا بذكره ولا يأنس إلا بمدحه وفخره، ولا يفنى إلا فيه، ولا يفيق إلا عند شم عطره، فيمدحه... تطيب أحواله، وبالصلاة عليه تنتعش أوصاله، روحه في جماله هائمه، وأنفاسه في بحور أوصافه عائمه، وهو الذي حق له أن يقول: "لو حجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما أعددت نفسي من المسلمين..." (*يتيمة*، ص. 305).

وينقل في *اختصار اليتيمة* عن أحدهم في وصف حال الشيخ "قد كان... دائما في مقام الجلال، ولا تجده إلا في حالة القبض وكثرة خوفه ووجله من الله، ولا يجد راحة إلا إذا كانت المبيضة في يده يملي على الناسخ ما يكتب من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، فتجده في تلك الحالة فرحا مسرورا، ولا يفتر عن ذلك إلا إذا قام يتوضأ..." (*اختصار*، ورقة 71 ظ).

ألف *ذخيرة المحتاج في الصلاة على صاحب اللواء والتاج*، شرع في تأليفه في أعوام الخمسين من القرن الثاني عشر (18 م)، وهو أعظم كتاب في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. قال عنه الحضيكي: "وهو كتاب جليل عجيب لا نظير له في بابه" (*طبقات*، ص. 312).

وتوجد من هذا الكتاب أسفار كثيرة في الخزانات المغربية عامة وخاصة، وقد حصرنا من هذه المجموعات جملة وافرة قاربت الستين (56 سفرا) دون المكرر منها وهو كثير، مما يظهر قيمة الكتاب وصورة تداوله في زمان المؤلف وبعده.

وأغلب هذه المجموعات توجد في خ.ع. وخ.ح.، وتوجد مجموعة أخرى بخزائن متفرقة كالخزانة الصبيحية بسلا (11 سفرا) وخزانة علال الفاسي بالرباط وخزانة المسجد الكبير بوزان، وخزانة القرويين بفاس... هذا علاوة على مجموعة نفيسة منه بخزائن الأسر الشرقاوية ببجعد والرباط وسلا والبيضاء وغيرها.

وقد خصصت أحباس لقراءة كتاب *الذخيرة*، منذ عصر المؤلف، بزوايا ومساجد المغرب كما في بجعد ومكناس وفاس ومراكش وسلا...

توفي محمد المعطي عام 1180/1767.66، ودفن بضريح يشوي جثمان رفيقه وكاتبه محمد بن عبد الكريم العبدوني.

العبدوني، *يتيمة العقود الوسطى في مناقب محمد المعطى*، خ. ع. 305ك؛ المكي بن المعطي، *اختصار يتيمة العقود الوسطى* (509 ج)؛ م. القادري، نشر، 2 : 277، 278؛ *التقاط*، 2 : 446؛ *فهرس العسيري*، ص. 197 (1361 ك)، خ. ع.؛ *فهرس الشاوي بن سودة*، ورقة 40 ظ (163 د) خ. ع.؛ الحضيكي، *فهرسة*، ص. 29، 30 (4582 د) خ. ع.؛ *طبقات*، تح. م. بومزكو، ص. 312، (ترجمة 508)، مرقونة؛ الخليفتي، *الدرة الجليلة في مناقب الخليفة*، تح. أ. عمالك، ص. 383، 390، مرقونة؛ الزياني، *جمهرة النسبان*، ص. 230 (2839 د)، خ. ع.؛ الحوات، *الروضة المقصودة*، ج. 2 : 510، 512؛ ع. بنسودة، *إتحاف المطالع*، ضمن *موسوعة أعلام المغرب*، ج. 7 : 2387؛ ع. الفاسي، *تذكرة المحسنين*، ضمن *الموسوعة*، ج. 7 : 2390؛ الكتاني، *فهرس الفهارس*، ج. 1 : 780؛ *سلوة الأنفاس*، ج. 1 : 193؛ ليفي بروفنسال، *مؤرخو الشرفاء*، ص. 236؛ م. الأخضر، *الحياة الأدبية في المغرب*، ص. 288، 290، (والهامش 42)؛ أحمد بوكاري، *الزاوية الشرقاوية*، ج. 1 : 108، 110؛ فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالخزانة العامة بالرباط، مج 5/ 282، 283؛ م. حجي، *فهرس الخزانة الصبيحية بسلا*، ص. 255؛ *إسهام المغاربة في كتابة السيرة النبوية: نموذج كتاب الذخيرة لمحمد المعطى بن الصالح الشرقاوي*، ص. 57، 65 ضمن ندوة مدينة أبي الجعد: *الذاكرة والمستقبل* (1995)؛ م. المنوني، *تاريخ الوراقة المغربية*، ص. 133.

Niegle, *La Médersa et les bibliothèques de Boujad*, *R.M.M.*, 7e année, septembre 1913, vol. XXIX ; L. Benjelloun Laroui, *Les bibliothèques du Maroc*, Rabat.

عبد المجيد بوكاري

الشرقي، مَحمد مفضل (سيدي -) بن أحمد العمري، يعرف بـ "مُولْ الگُمري" درس بفاس على شيوخها وبخاصة الأستاذ المؤلف المكثر عبد الرحمن ابن القاضي (ت. 1082/ 71. 1672) أخذ عنه القراءات السبع وأجازه فيها، وسلك طريق التصوف على يد مريد والده الصالح محمد الحفيان الرتبي السجلماسي، وتخرّج على يده كثير من القرّاء والمريدين. وكان كثير الإطعام في زاوية جده ببجعد.

انتقل إلى سلا، في تاريخ غير محدود وسكن في ضاحيتها سائراً على نهجه في الإقراء والتربية. وحلاه المؤرخ ابن علي السلاوي في الاتحاف بالقاضي "وقد اشتهر قدره في الناس كثيراً، وكان يفرّ من ذلك، وإذا سأله أحد أن يتخذه

شيخاً يقول: نحن إخوة في الله، والدرهم الكامل ينفق منه" (*الاستقصا*، 7 : 103).

وكان له كلام كثير على طريق العروبي الملحون خاطب به الرئيس محمد الحاج الدلائي حين دخلت مدينة سلا تحت سلطة الدلائيين وللشيخ محمد مفضل نفوذ روحي فيها. مشت الوشاة بينهما، وجرت بينهما مكاتبات ومعاتبات.

توفي بأحواز سلا سنة 1071/ 60 ـ 1661 فحمل إلى المدينة ودفن بالطالعة قرب الجامع الأعظم وقبره مزارة مشهورة.

أ. التستاوتي، *اختصار مقنع الأسماع*، مخطوط ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1955، ج 7 : 103 ـ 140 ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، ط 2، الرباط، 1996، ص. 121.

محمد حجي

الشّرگ، مصطلح سوسي يعني الجهة الشرقية من بلاد سوس بين منحدرات الأطلس الصغير الجنوبية وجبل باني الغربي والأوسط. اختلف حول منطلقه هل هو مركز بويزكارن أم مركز تاغجيجت، وتميل الرواية المحلية إلى هذا الأخير، بالمقابل حُسم في منتهاه وهو مجرى وادي درعة الأوسط. واستعمل بعضهم بدله مصطلح "القبلة"، بيد أن مجالها أعمّ يشمل الجنوب برمته.

أما حين نعتمد شواهد محلية مدونة، فقد أدرج محمد بن الحسين أوهاشم الإيليغي في رسالته إلى المركز بتاريخ 29 جمادى الأولى 1307 منطقتي تندوف والسودان الغربي في أخبار الشرگ.

بيد أن الإگراري تحدث عن مواقع كثيرة جنوب بويزكارن ولم يقترن المصطلح إلا بمركزين: تمنارت وأقا.

وأثناء الاحتكاك بالواقع، لاحظنا أن التغاجيجتيين والتمنارتيين يتحاشون الانتماء إلى الشرگ، ويذهبون إلى أن المقصود به ما وراء تيزگي يبريغن نحو طاطا وتسينت. وعليه تحمل الكلمة حمولة ثقافية في ذهن المحليّين وبها تتنابز القبائل بينها.

م. الإگراري، *روضة الأفنان*، تح. حمدي أنوش، أگادير، ص. 106، 119، 138، 310 ؛ *وثائق خ. ح* ؛ *بحث للطلبة* بكلية الآداب، ابن زهر.

V. Monteil, *Notes sur Tekna*, p. 33.

شفيق أرفاگ

الشرگي، رياح محلية قارية حارة وجافة تهب على المغرب من حين لآخر وهي ذات اتجاه شرقي عموما لذلك تسمى بالشركي في المتداول المغربي والذي يميزها عن ما يسمى بالغربي والمقصود به الهواء الرطب أو المعتدل الحرارة والآتي من المحيط.

ورياح الشركي تظهر عموما في كل الفصول تقريبا لكن وتيرتها تزداد خاصة ما بين نهاية الربيع ونهاية الصيف، هبوبها من الشرق إلى الغرب يكسبها حرارة وجفافاً إضافيين بسبب خضوعها لظاهرة "الفوهن" والمترتبة عن الإرتفاع والنزول الاضطراري للهواء أثناء تخطيه لسلسلة جبال الأطلس المتوسط والكبير، فارتفاع الهواء المنقول بواسطة هذه الرياح فوق السفوح الشرقية أو الجنوبية الشرقية لهذه السلسلة يجعله يخضع للقاعدة العامة لإرتفاع الهواء مما سيجعله يتبرد ذاتيا نسبيا نتيجة لتباعد جزئيات هذا الهواء عن بعضها البعض وعند النزول الاضطراري لهذا الهواء على السفح الموالي فإن جزيئاته تنضغط وتصطدم أكثر فيما بينها مما يجعله يزداد حرارة وجفافا لاسيما وأن الهواء المنقول عبر رياح الشركي هو أصلا حار وجاف نظراً لطبيعة أصله الصحراوي الجاف لكن خضوعه لظاهرة "الفوهن" يزيد من حرارته وجفافه لذلك يلاحظ عادة تفاوت كبير في الحرارة والرطوبة ما بين السفوح الشرقية والمناطق الأطلسية الغربية وخاصة الساحلية منها.

وهذه الرياح تسببها وضعيات جوية محددة يمكن تلخيصها في أربع حالات متميزة.

الوضعية الأولى وهي التي يكون فيها المغرب موجوداً عند الهوامش الجنوبية لخلية الضغط المرتفع والممتد نطاقيا من جزر الأصور إلى سواحل شمال حوض البحر الأبيض المتوسط وأوروبا الغربية مما يعني أن الهواء الذي يهم المغرب يأتيه من الشرق أو من الشمال الشرقي وهو عادة هواء صحراوي تكون فوق المناطق الجافة والقاحلة لشمال إفريقيا.

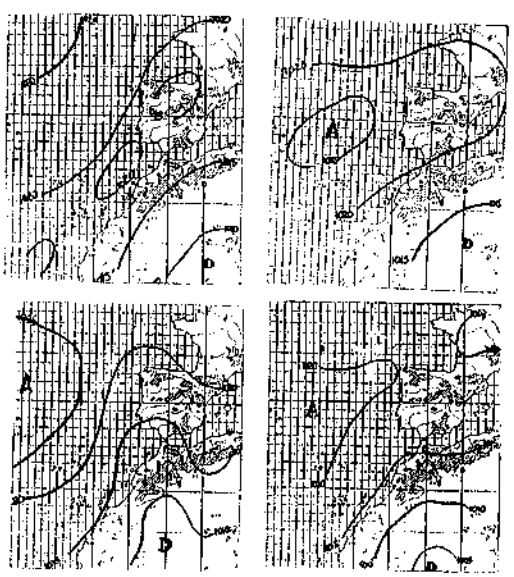

أما الحالات الثلاث الباقية فهي تنتمي في الواقع لنمط طقس واحد مترتب عن حالة سيادة المنخفض الصحراوي الذي هو كثير التردد خلال فترة الصيف خاصة والفصول الانتقالية عامة لكن اختلافها عن بعضها البعض يكمن في مدى تركيز وتوجيه هذه الرياح.

الحالة الأولى وهي ما يمكن تسميته بحالة طقس المنخفض الصحراوي ذي الممال الضعيف والذي يسفر عموما عن اقتصار تركيز رياح الشرگي على المناطق الجربية بصفة

خاصة بينما تتميز الحالة الثانية بكونها ذات مجال قوي يجعل حقل انتشار هذه الرياح يشمل أيضاً وبدرجة أكبر هذه المرة المناطق الشمالية مما يعني أن الحرارة خلاله ترتفع ويزداد جفاف الهواء أثناءها أكثر في المناطق الشمالية وخاصة منها المناطق الساحلية. في حين أن الحالة الثالثة يأتي تميُّزها من هبوب رياح الشركي هذه المرة من الجنوب الشرقي وهي وإن كانت ذات نسبة تردد جد إستثنائية إلا أن حدوثها يقترن وتسجيل أرقام قياسية للحرارة في المغرب وخاصة في مناطق السهول الداخلية كسهل الغرب وتادلة والحوز.

تأثير هذه الرياح في المغرب يبقى نسبيا محدوداً لكونها ذات ترددات شديدة التغير من سنة لأخرى لكن بوجه عام تبقى المناطق الساحلية الجنوبية انطلاقا من أسفي المنطقة التي تعرف أكبر نسب لتردد رياح الشركي بينما لا تكاد تقتصر في الشمال على المنطقة حول القنيطرة.

وعموماً تحمل رياح الشركي معها بوادر نهايتها في المناطق الساحلية بالذات حيث لا تعمر هناك أكثر من يومين إلى ثلاثة أيام بينما يمكنها أن تدوم أكثر من أسبوع في المناطق الداخلية ومرد ذلك إلى أن رفعها لحرارة المناطق الساحلية بشكل بارز ينجم عنه خلق تناقض هام ما بين حرارة القارة والبحر ينشط على إثره مفعول ما يسمى بنسيم البحر الذي يحمل عبر تيارات هوائية أفقية من البحر إلى القارة تأثيرات المحيط النوعية والجد ملطفة للحرارة والذي ينهي فعلها الآثار المحرقة والمجففة لرياح الشركي عند المناطق الساحلية.

علي البليشي

الشركي، البشير بن السناح يُعدُّ هذا الرجل من أبرز القواد العسكريين الذين تميزوا في صفوف فرقة گيش شراگة وأولاد جامع، بل في صفوف المغرب برمّته، أواخر القرن الثالث عشر (19 م)وبداية القرن العشرين. وقد أشارت إليه مصادرنا العربية والأجنبية، في سياق الحديث عن فتنة الفتان الجيلاني بن عبد السلام الزرهوني المدعو الروگي بوحمارة، وعن أعمال الاغتصاب والسطو التي كان يقترفها في منطقة فحص طنجة، المغامر الخطير أحمد الريسوني.

كان البشير واحداً من القادة العسكريين الذين ظل يعوّل عليهم السلطان المولى عبد العزيز بن الحسن، من أجل إخماد فتنة الروگي بوحمارة. ففي مطلع سنة 1903، حلَّ بمدينة مليلية السليبة، عن طريق البحر، الأمير مولاي عرفة بن محمد، عم السلطان عبد العزيز، على رأس كتيبة من الجيش المغربي، بهدف تعزيز ودعم صفوف القوات المخزنية المرابطة بمنطقة گلعية وقصبة جنادة، بقيادة المترجم، قادماً لها من مدينة طنجة على متن السفينة المغربية "التركي". وبالمناسبة قام ربان هذه الأخيرة، الألماني ليونهارد كارو Leonhard Karow، بزيارة مجاملة وتعرف على القائد البشير، وترك لنا ارتساماته وانطباعاته عن هذا الرجل.

أجل، إن ما يهمنا، في المقام الأول، من هذه الشهادة، هو إعطاء فكرة، ولو تقريبية، عن تاريخ ولادة مترجمنا والذي قد يكون من مواليد العقد الرابع أو الخامس من القرن التاسع عشر، أي أن سنه في الوقت الذي التقى به، أول مرة مع الربان الألماني، كان يتراوح ما بين خمسين وستين سنة. ويذكر محمد المختار السوسي، في *المعسول*، في سياق الترجمة التي أفردها للقائد الناجم بن مبارك الأخصاصي الدليمي الشرادي، أن البشير بن السناح الشركي، كان من القادة العسكريين الأوائل الذين كلفهم السلطان بالقضاء على فتنة بوحمارة، وذلك منذ اشتعالها أواخر شهر أكتوبر من سنة 1902، إلى جانب قواد مرموقين من العسكر والگيش، كالقائد يرعى السباعي، ومحمد بن العربي بن حم البخاري، والجيلاني الشرادي، وصالح الزمراني، وأحمد المنبهي ...

ونجد لمترجمنا ذكراً أيضاً في الوثائق المخزنية. فقد ورد ذكره في مجموعة منها، بمناسبة توجهه، إلى جانب الأغوات القائد عبد السلام بن الراضي الحسناوي، والقائدين الناجم وصالح الزمراني السالفي الذكر، والقائد مولاي عمر المراكشي، والقائد ولد الحاج المعطي التادلاوي، وإلى سوس في خريف سنة 1896، في رفقة الأمير مولاي عثمان بن محمد، الخليفة السلطاني حتى هذا التاريخ بمدينة مراكش، والباشا الشهير حم بن الجيلاني البخاري.

وفي بداية صيف سنة 1903، زادت وضعية المخزن سوءاً وحرجا، على إثر اختطاف الصحافي الجاسوس و. ب هاريس (William Burton Harris) بالقرب من قرية زينات بمنطقة جبالة، معقل الريسوني وذلك في 16 يونيو 1903.

وقد تزامن هذا الحدث مع وصول السفينة "التركي" وربانها الألماني إلى ساحل قبيلة گلعية. وهذه المرة أيضاً، التقى كارو بصديقه القائد البشير الذي أكرم وفادته، جريا على عادته في الاعتناء والترحيب بضيوفه. إلا أن الرجل بدا له هذه المرة مهموماً، وغير راض عن السلطان ولا عن أعوانه الكبار، متهما إياهم بالتقصير في أداء مهامهم والتهاون في تدبير شؤون البلاد، كما تشكى له من ظاهرة التهريب وتسرب الأسلحة النارية الحديثة إلى هذه المناطق، عن طريق الجيوب الإسبانية في الشمال، والإيالة الجزائرية في الجهة الشمالية الشرقية، إلى درجة أن المتمردين وأهالي قبائل الريف على الخصوص، أصبحوا الآن مسلحين ببنادق متطورة وحديثة الصنع كالموزر مثلا من نوع سنة 1886 (Mauser)، في حين لم يعد في يد الجند ومقاتلي المخزن من أبناء القبائل سوى بندقية شاسبو (Chassepot) القديمة من نوع سنة 1873.

وأيا كان الأمر، فقد استمر المترجم على هذه الحال، في مواجهة الروگي بوحمارة وأتباعه، تارة في منطقة گلعية، وتارة أخرى في وجدة ونواحيها، مدة سنتين على الأقل بعد هذا التاريخ، أي حتى أواخر سنة 1905. وكأن الستار قد أسدل عن مرحلة أولى، أصيب المخزن عند انتهائها بخيبة أمل كبيرة، بعد أن عجزت قواته وفشلت مساعيه في إنهاء

الفتنة، لتبتدئ مرحلة أخرى، ظهرت خلالها وجوهٌ جديدة اقتصر الحديث عنها في مصادرنا، كالباشا عبد الرحمن بن عبد الصادق الريفي الذي عوّض الحاجب والأمين أحمد الركينة التطواني في مهام المشرف السياسي والعسكري العام على القوات المخزنية في المنطقة الشرقية، اعتباراً من أواخر شهر يوليو 1904، والباشا أحمد بن كروم الجبوري البخاري، عامل وجدة وكبير واحدة من المحال الثلاث التي كان رجالها يناوشون الروگي القتال، والقائد الأغا أحمد المنبهي الحراب، فضلا عن الشريفين من قرابة السلطان المولى عبد العزيز بن الحسن، بوبكر بن الشريف ومصطفى بن عبد الرحمن.

وهذا ما يسمح بالتأكيد على أن الرجل لم يكن حاضراً في الهجوم الأخير الذي شنته القوات المخزنية على الثائر في مكان اختبائه بزاوية مولاي عمران بقبيلة بني مستارة بمنطقة جبالة، وذلك في 22 غشت 1909، أدّى إلى اعتقاله وإنهاء فتنته وإراحة البلاد والعباد من مشاكله وأضراره. ثم إننا لا ندري هل كان المترجم، في التاريخ، حياً يرزق، أم أنه قد فارق الحياة، بعد أن أبلى البلاء الحسن في خدمة المخزن، والدفاع عن مؤسساته.

خ. ح، *محفظات مولاي عبد العزيز بن الحسن*، كناش رقم 763 ؛ *وثائق وزارة الحرب بفانسين* (A.G.V.)، *محفظات* رقم : 3h14, ...3h15, 3h16, 3h17 ؛ ع. الوهاب بن منصور، *أعلام المغرب العربي*، المطبعة الملكية، الرباط، 1979، ج 1، ص. 303 وما بعدها؛ م. بن الحسن الثعالبي الفاسي الحجوي، *انتحار المغرب الأقصى بيد ثواره*، مخ. خ. ع. ر. رقم ح 123 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، مطبعة الجامعة، الدار البيضاء، 1961، ج 20، ص. 5 وما بعدها.

Leonhard Karow, *Neuf années au service du Maroc*, Trad. et note de M. et J.-L Miège, Rabat, 1998.

الشرگي، العباس ولد بًا مُحمد، ينتمي هذا الرجل إلى إحدى كبريات الأسر المخزنية في مغرب القرن الثالث عشر (19 م). فقد اختص في الفترة الممتدة ما بين اعتلاء السلطان محمد بن عبد الرحمن العلوي عرش البلاد سنة 1859 وسنة 1912، بالإشراف على شؤون گيش شراگة وأولاد جامع من جهة، وباشوية فاس الجديد من جهة أخرى، فضلا عما كان يُسند إليها من مهام ومأموريات، بين الفينة والأخرى، كالولاية على مدن أخرى وقبائل في جوار مدينتي فاس ومكناس، كالبهاليل أو الزراهنة مثلا، وكقيادة الحركات والحملات العسكرية في مناطق الشمال على الخصوص، أو القيام بعمليات خرص حبوب عدد من القبائل هنا وهناك، وكلها خدمات كان السلاطين يكلفون بإنجازها ثلة من أعوانهم الكبار الذين كانوا تثقون فيهم ويعتمدون على خبرتهم، ونباهتهم وحزمهم، حتى يحصل المراد في أحسن الظروف.

ويرجع الفضل في كسب هذه الأسرة شهرتها المعهودة ومكانتها المرموقة في الجهاز المخزني إلى سلف المترجَم، الباشا محمد بن عبد الكريم الشرگي الذي قال عنه السلطان محمد بن عبد الرحمن، في رسالة اعتماده سفيرا لدى نابوليون الثالث (Napoléon III)، أمبراطور فرنسا، والرسالة بتاريخ 22 ربيع الثاني 14/1282 شتنبر 1865، ما يلي: «...وبموجب ذلك، عيّنّا للسفارة لديكم خالنا الأرضى الأنجد القائد محمد بن عبد الكريم الشرقي، وهو أحد باشات جيشنا ومن كبار رجال دولتنا مع ما تشرف به من قرابة الرحم لدينا...».

ويبدو أن المترجَم كان له قدر من الإلمام بمبادئ اللغة العربية، بعد أن تمكن ولا شك، في مرحلة أولى من تعلمه، من حفظ القرآن الكريم، إذ حلاه السلطان المولى الحسن (1290-1311/1873-1894) بـ«الخديم الطالب»، في رسالة وجهها إلى المصدق العوني، أحد قواد قبيلة دكالة، يُخبره فيها بورود العباس ولد أبًّ مُحمد عليه، للإشراف على عملية خرص حبوب إيالته، برسم سنة 1892/1310- 1893.

ولكن يبدو أن صاحبنا لم يكن دائما يحسن التصرف مع الغير، إذ كان يترك العنان أحيانا لنزواته وأطماعه، عابثا بممتلكات الغير، مما كان يؤدي إلى تعالي أصوات المتضررين من ممارساته، مطالبين بوضع حد لأداه وضوره. وهذا ما تسمح مصادرنا بتلمس جوانب منه، نكتفي هنا بسوق حالتين إثنين، متباعدتين نسبيا في الزمان والمكان، ولكنهما تكتسيان دلالة خاصة بالنسبة لما ذهبنا إليه. فأما الحالة الأولى فقد تضمنتها رسالة الوزير الصدر أحمد بن موسى إلى المترجَم نفسه، وهي بتاريخ 25 جمادى الأولى 22/1315 أكتوبر 1897، في وقت كانت المحال السلطانية منتشرة في أراضي قبيلة الأعشاش المنتفضة ضد المخزن.

وأما الحالة الثانية، فنستقيها من مصادرنا عن الفترة التي تولى فيها المترجم مهام عمالة وجدة وناحيتها، في الفترة ما بين 26 غشت 1900، تاريخ حلوله بالمنطقة، و3 دجنبر 1901، تاريخ وفاته بها، بعد أن فشل سلفه في هذا المنصب القائد بوبكر بن محمد الحباسي، في فض النزاع المسلح الذي كان قد اندلع بين قبيلتي المهاية والشجع، وأودى بحياة قائد المهاية محمد بن بوبكر السهلي في نهاية سنة 1897.

فمنذ أن حل المترجم بهذه الربوع وهو في صراع ونزاع مع أهلها وبالخصوص سكان مدينة وجدة من جهة، وقبائل بني إزناسن بزعامة قائد قبيلة بني عتيگ بُولَنْوار لهبيل من جهة أخرى. وقد ظل هذا الأخير يوجه رسالة بعد أخرى إلى السلطان المولى عبد العزيز وأعوانه الكبار، متشكيا من سلوك العامل الجديد ومتهماً إيّاه بأنه: «...شدَّد عليهم، وذعرهم من غير جريمة، وبالغ في المكر بهم، وسمع كلام الوُشاة فيهم، وادّعى أنه اشتراهم من السلطان بعشرة آلاف ريال، فطلبوا من السلطان عزله وتولية من شاء عليهم حتى ولو كانت أمَةً، فإنهم يقبلون الخدمة معها...».

توفي بوجدة عاملا عليها سنة 1319 / 1901 .

خ.ح. محفظة رقم 78، وثيقة بتاريخ 9 رمضان 11/1303 يونيو 1886 ؛ خ.ح. محفظة رقم 162، وثيقة بتاريخ 7 صفر 25/1305 أكتوبر 1887 ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، الرباط، 1929-1933، ج. 2، ص. 194-195 ؛ ج. 3، ص. 318، 570 ؛ ج. 5، ص. 228، 235، 264، 499 ؛ ع. الكبير الكتاني، *زهر الأس*، الدار البيضاء، 2002 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ط. 2، الدار البيضاء، 1956، ج. 9، ص. 116- 117.

مصطفى الشابي

الشرگي، محمد بن الطيب الصميلي الفاسي. ثالث ثلاثة من علماء المغرب المبرزين الذين طبقت شهرتهم المغرب والمشرق خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر (17- 18 م) : هما محمد بن سليمان الروداني والحسن اليوسي (انظرهما في *المعلمة*). وقد وهم الفضيلي في *الدرر البهية* حين عدّ المترجم من آل الشرفي (بالفاء) الأندلسيين.

وُلد محمد الشرگي بفاس عام 1110 / 98 - 1699، ولا يُعرف متى جاء أبوه أو جده إلى مدينة فاس من بلاد شراگة. ولا يبعد أن يكون ذلك في أواخر العقد الثامن أو أوائل التاسع من القرن الحادي عشر (17 م) مع الدلائيين المُغربّين إلى فاس لماله من خؤولة فيهم. درس الشرگي في فاس على أخواله الدلائيين وفي مقدمتهم شيخ الجماعة محمد المسناوي الدلائي، وعلى غيرهم أمثال محمد بن عبد القادر الفاسي والعربي بردلة ومحمد عبد السلام بناني، ثم درس على علماء المشرق أثناء رحلاته المتكررة إليه، ومن أشهرهم عبد الباقي الزرقاني وأبو طاهر الكوراني وعمر الباعلوي، وبلغ عدد شيوخه مائة وثمانين.

وأخذ عن الشرگي عدد لا يحصى من نجباء الدارسين بالمغرب والمشرق أمثال حمدون بن محمد بن عبد السلام بناني الذي أجازه الشرگي إجازة عامة ذكر فيها شيوخه المائة والثمانين، وأحمد بن عبد العزيز الهلالي السجلماسي مؤلف *فتح القدوس في شرح خطبة القاموس* (انظرهما في *المعلمة*). والحافظ مرتضى الزبيدي شارح *القاموس* الذي قال عنه في مقدمة *تاج العروس* : "وهو - الشرگي - عمدتي في هذا الفن، والمقلد جيدي العاطل بحلي تقريره المستحسن ... لا أدعي فيه دعوى فأقول شافهت أو سمعت أو شددت أو رحلت أو أخطأ فلان أو أصاب، أو غلط القائل في الخطاب، فكل هذه الدعاوى لم يترك فيها شيخنا لقائل مقالا، ولم يُخل لأحد فيها مجالاً".

كان ابن الطيب الشرگي كثير الأسفار لا يكاد يستقر بمكان غرباً وشرقاً، وجاور بالحرم المكي سنتين درّس خلالهما كتب الصحاح الستة وغيرها من أمهات المسانيد، وكان علم الحديث والإسناد تخصصه الثاني بعد متن اللغة وفقهها.

خصص لابن الطيب الشرگي كبار الحفاظ وأصحاب كتاب التراجم ترجمات حافلة، وقال عنه خالد المرادي الدمشقي في *سلك الدرر* : "كان - الشرگي - فرداً من أفراد العالم فضلاً وذكاء، له حافظة قوية وفضله أشهر من أن يذكر". وحلاه الحافظ الكتاني مؤلف *فهرس الفهارس* بالإمام العلامة اللغوي المحدث المسند فخر المغرب على المشرق... نادرة عصره في اتساع الرواية وقوة العارضة ورُزق فيها سعداً مبيناً، وأخذ عنه بالشام والحجاز والعراق ومصر وغيرها من البلاد".

ألف ابن الطيب الشرگي نحو خمسين كتاباً، منها في اللغة حاشيته الكبرى على القاموس المحيط : *إضاءة الراموس وإضافة الناموس على إضاءة القاموس* (طبعتها وزارة الأوقاف المغربية سنة 1403 / 1983 في ثلاثة أجزاء) وعلق عليها في *فهرس الفهارس* بأنّ مَنْ طالعها بالدقة يجد أمراً مهولاً من سعة حفظه واستحضاره، وكثرة تآليفه وواسع رحلته. وأعجب ماتجد فيها ما في أولها من أنه ألفها حالة مفارقته لأصوله وكتبه، قال : إلاّ ما علق بالبال، أو علّق في طرس بال... إن هذا الكتاب طُلب منا ونحن في أثناء أسفار ليس معنا من مواده ورقة فضلاً عن أسفار"؛ ومنها حاشية على *المزهر فقه اللغة* لجلال الدين السيوطي سماه *المسفر عن خبايا المزهر*".

وأشهر مؤلفاته في الحديث حاشية على *إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري* لأحمد القسطلاني؛ وله رحلتان حجازيتان، وفهرستان تحدث فيهما عن شيوخه ومقروءاته ومروياته، كبرى بعنوان *إقرار العين بإفراد الأثر بعد ذهاب العين*، وصغرى بعنوان : *إرسال الأسانيد وإيصال المصنفات والمسانيد* ؛ وله مصنّفان في التعريف بمعاصريه المغاربة بعنوان *الأنيس المطرب فيمن لقيته من أدباء المغرب* (يوافق اسمه اسم كتاب محمد العلمي المشهور) والمشارقة : *الأفق المشرق بتراجم من لقيناه بالمشرق*.

جاور ابن الطيب الشرگي في آخر عمره بالمدينة المنورة، حيث وافته المنية سنة 1170 / 56 - 1757.

م. بن الطيب الشرگي، إرسال الأسانيد، مخطوط؛ *إضاءة الراموس وإضافة الناموس على إضاءة القاموس*، تح. ع السلام الفاسي والتهامي الراجي، المحمدية، 1983 ؛ ع. الحي الكتاني، *فهرس الفهارس*، بعناية احسان عباس، بيروت، 1986، ج 2 : 1067 - 1071 ؛ مرتضى الزبيدي، *ألفية السند*، مخطوط ؛ *تاج العروس*، الكويت، ج 1 : أ. الهلالي، *فهرست*، تح. رشيد المصلوت، 1981؛ م. خليل المرادي الدمشقي، *سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر*، الاستانة، 1291 ؛ ع. المجيد الزبادي، رحلة، مخطوطة ؛ محمد الشوكاني اليمني، *إتحاف الأكابر في إسناد الدفاتر*، حيدر أباد ؛ م. الطالب ابن الحاج، *كناشة*، مخطوطة ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، المحمدية، 1999، ج 2 : 336 ؛ م. الكتاني، سلوة، ط. حجر فاس، 1300، ج 3 : 52 ؛ م. الأخضر، *الحياة الأدبية بالمغرب في عهد الدولة العلوية*، الدار البيضاء، 1977، ص. 257 - 264.

الشرگية، آمنة بنت الطيب الفاسية، أخت محمد بن الطيب الشرگي سابق الترجمة تدعى بامْنة وتعرف بالعالمة. قال عنها مؤلف *إتحاف المطالع* : "كانت خيرة دينة صالحة متبتلة".

توفيت بفاس في أوائل حجة عام 1187 / أواسط فبراير 1774، ودفنت بالقباب قرب ضريح سيدي العايدي خارج باب الفتوح.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 7 : 2400.

الشركية، زهرة بنت محمد، بن موسى الفاسية، زوجة الحسن اليوسي، فقيهة محدثة، أخذت عن زوجها مروياته بسنده المذكور في فهرسه، وروى عنها ذلك ابن أخيها محمد بن الطيب الشركي سابق الترجمة وذكرها في فهرسه.

م. ابن الطيب الشركي، *إرسال الأسانيد*، مخطوط، ع. الحي الكتاني، *فهرس الفهارس*، باعتناء إحسان عباس، بيروت، 1989 ؛ ج 2 : 1071.

محمد حجي

الشرن جنس أسماك بحرية تصنف إلى طائفة شائكات الزعانف وفصيلة الشيميات Carangidae وجنس Trachurus. والشرن كما هو شائع في اللسان المغربي الدارج يدعى أيضاً حينكا في الصويرة وصوريل في الدار البيضاء وجوريل في طنجة والعرائش والاسم مأخوذ من الإسبانية.

يعيش في بحار المناطق المعتدلة وشائع في البحر المتوسط والأماكن الدافئة من المحيط الأطلسي. كل الأنواع سطحية المعيشة وتتنقل عموديا وأفقيا في أسراب متعددة الأفراد وصيدها صناعي وشبه صناعي وتقليدي على طول السواحل المغربية. تصاد بالشباك الحلقية الدائرية والشباك المزودة بالإنارة والجيبيات العمقية والشاطئية والشباك المستقيمة وحبال الصنانير العميقة وشباك الحواجز وصنارة اليد. تقدر الغنائم بكميات كبيرة كما يوضح الجدول ذلك. يوجد بانتظام في الأسواق السمكية الوطنية. يستهلك طريا ومبردا ومجمدا ومملحا ومجففا ومبخرا ومعلبا وعلى شكل دقيق ويستعمل أيضاً كطعم للصيد.

أربعة أنواع شائعة في الأسواق السمكية الوطنية وفي السواحل المغربية. تتميز بزعنفتين صدريتين طويلتين ومنجليتي الشكل، متساويتي الطول مع الرأس. تحولت بعض الحراشف إلى درقات على الجهة الخلفية للخط الجانبي وكل الحراشف صغيرة ملساء ودائرية.

ـ الشرن المتوسطي يدعى علميا Trachurus mediterraneus وبالفرنسية Chinchard à queue jaune وبالإنجليزية Mediterranean horse mackerel وبالإسبانية Jurel mediterraneo.

الجسم ممدد ومضغوط قليلا يبلغ طوله الأقصى عند تشعب الذيلية 60 سم وشائع بين 10 ـ 50 سم. العينان كبيرتان وجفنهما الشحمي نام جدا ؛ الفك العلوي متوسط العرض ويمتد إلى أسفل الجانب الأمامي للعين ؛ الأسنان صغيرة على صف واحد بالفكين ؛ عدد الأشواك الخيشومية 13 ـ 17 علوية و36 ـ 41 سفلية على القوس الخيشومي الأول. تحمل الزعنفة الظهرية الأولى 8 أشواك، وتحمل الثانية شوكة واحدة و29 ـ 35 شعاعا لينا ؛ تتكون الشرجية من شوكتين مفصولتين عن باقي الزعنفة ومتبوعتين بشوكة و26 ـ 39 شعاعا لينا ؛ يرتبط الشعاع اللين النهائي للظهرية والشرجية بغشاء مع باقي الزعنفة. حراشف الجهة الأمامية على الخط الجانبي كبيرة وشبيهة بالدرقات على الجهة الخلفية يبلغ عددها 75 ـ 89 منها 35 ـ 44 درقة على الجهة المستقيمة. ينتهي الخط الجانبي الثانوي بين الشوكة الثامنة والشعاع اللين الثالث للظهرية. بقعة صغيرة سوداء على جانب غطاء الغلاصيم. الثلثان السفليان للجسد والرأس شاحبان عموما، مبيضان إلى فضيين.

سطحي المعيشة ومهاجر، يعيش في مجموعات كبيرة من سطح البحر إلى 600 م من العمق في القيعان الرملية والوحلية ويقترب من السواحل في الصيف ؛ يدخل أحيانا مصبات الأنهار ويتوالد في الصيف. يتغذى من السردين والأنشوفة ومن القشريات (الإريان والميزيداسيات).

ـ الشرن الأروبي يدعى علميا Trachurus trachurus وبالفرنسية Chinchard d'Europe وSaurel وبالإنجليزية Atlantic horse mackerel وبالإسبانية Jurel.

طوله الأقصى حوالي 60 سم وشائع بين 15 ـ 30 سم. الجسم ممدد ومضغوط قليلا، العينان كبيرتان وجفنهما الشحمي نام جدا ؛ الفك العلوي متوسط العرض ويمتد إلى أسفل الجانب الأمامي للعين ؛ الأسنان صغيرة على صف واحد بالفكين ؛ عدد الأشواك الخيشومية 15 ـ 18 علوية و 41 ـ 48 سفلية على القوس الخيشومي الأول. تحمل الزعنفة الظهرية الأولى 8 أشواك، وتحمل الثانية شوكة واحدة و29 ـ 33 شعاعا لينا ؛ تتكون الشرجية من شوكتين مفصولتين عن باقي الزعنفة ومتبوعتين بشوكة و 29 ـ 24 شعاعا لينا ؛ يرتبط الشعاع اللين النهائي للظهرية والشرجية بغشاء مع باقي الزعنفة. الحراشف صغيرة ودائرية ؛ عدد الحراشف والدرقات على الخط الجانبي 66 ـ 75 منها 31 ـ 36 درقة على الجهة المستقيمة. ينتهي الخط الجانبي الثانوي بين الشعاع اللين التاسع عشر والحادي والثلاثين للظهرية. الجهة العلوية للجسد والرأس داكنة إلى سوداء تقريبا أو رمادية إلى خضراء وزرقاء ؛ الثلثان السفليان للجسد والرأس شاحبان عموماً، مبيضان إلى فضيين.

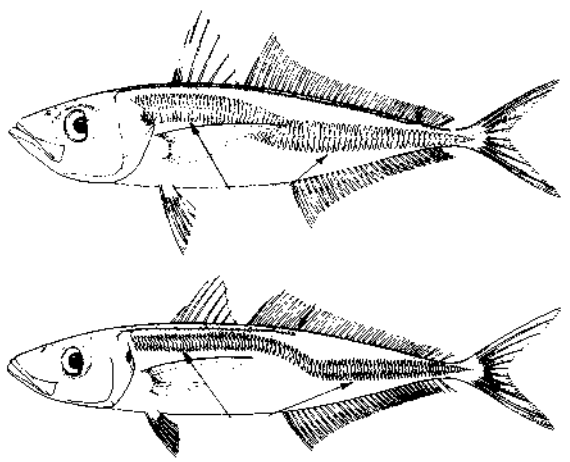

سمك سطحي المعيشة يتنقل في مجموعات متعددة الأفراد ويألف الأعماق الرملية بين 100 و 200 م، وأحيانا في المياه العميقة التي تبلغ حوالي 600 م. يتوالد من يناير إلى أبريل ونضجه الجنسي الأول عند 20 سم من الطول الكلي. يتغذى من مختلف الأسماك ومن القشريات والحبار.

- شرن أعالي البحار يدعى علميا Trachurus picturatus وبالفرنسية Chinchard du large وبالإنجليزية Blue jack mackerel وبالإسبانية Jurel de altura.

كثير الشبه مع نوع الشرن المتوسطي ويبلغ طوله 60 سم. ينتهي الخط الجانبي الثانوي بين الشعاع اللين السادس والشعاع اللين العاشر للظهرية ؛ العدد الإجمالي للحراشف والدرقات على الخط الجانبي 93 - 100 ؛ تقدر المسافة الفاصلة بين الشعاعين الأخيرين للظهرية والشرجية العلوية عند الكبار ب 1،7 مرات من طول المسافة التي تفصل الأشعة السابقة لهما. يألف أعماقا تتراوح بين 20 - 400 مترا ويعيش في مجموعات متعددة الأفراد.

- شرن مبقع يسمى شخورة في مصر ويدعى علميا Caranx rhonchus و Decapterus وبالفرنسية Cométe coussut وبالإنجليزية False scad وبالإسبانية Macarela rea و Jurel rea.

السنة	1994	1995	1996
الكمية بالطن - السواحل المتوسطية	5074	7345	4822
الكمية بالطن - السواحل الأطلسية	24394	23130	10658
الكمية الكلية بالطن	29468	30475	15470
السنة	1997	1998	1999
الكمية بالطن - السواحل المتوسطية	3933	2582	1855
الكمية بالطن - السواحل الأطلسية	8579	7354	10944
الكمية الكلية بالطن	12512	9936	12799

كمية سمك الشرن المصادة سنويا في المغرب

لونه بني زيتوني على الظهر وأبيض مخضر فاتح على الجانبين والبطن، على الزعنفة الظهرية الثانية بقعة سوداء تميزه عن الأنواع الأخرى. يبلغ طوله 60 سم وجسمه طويل ومضغوط قليلا جانبيا. أسنانه على الفكين موزعة على عدة صفوف غير منتظمة. تتكون الزعنفة الأولى من 8 أشواك والثانية من شوكة واحدة و28 - 32 شعاعا لينا. الحراشف صغيرة ودائرية. يعيش في مجموعات مهمة العدد ويألف الأعماق المتراوحة بين 30 - 50 مترا ويعيش أيضاً في أعماق تتعدى 200 م. يتوالد في الصيف ويصير ناضجا جنسيا بعد بلوغه 22 سم من الطول. يتغذى من القشريات والأسماك الصغيرة.

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم*

الزراعية، مكتبة لبنان - الطبعة الثالثة، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

D. Lloris & J. Rucabado, *Guide d'identificatiom des ressources marines vivantes du Maroc*. Rome, FAO, 1998, 263p.

محمد رمضاني

شَرْيَان، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Serria : وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1145 / 1733.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1433.

محمد ابن عزوز حكيم

الشريحة، التين المجفف الذي يعرف في الفصحى "بزبيب التين" ولعل الأصل في الاسم يرجع إلى طريقة تجفيفه إذ يتم تشريحه وتفتيته دون قطع أجزائه ونشره تحت الشمس أو في الظل حتى يجف.

لم ترد الكلمة في المصادر الوسيطية مما يعني أنها دخلت إلى المغرب متأخرة وأشارت إليها المصادر لاحقا. والفترة في تقديري هي نهاية العصر الوسيط وبداية الحديث ؛ فالبكري في (*المغرب*، 147) تحدث عن التين المجفف في عدة أماكن من الغرب الإسلامي : "مغيلة القاط حصن كبير له جامع وسوق كثير الأنهار والثمار معظم شجر التين ومنه يحمل زبيباً إلى فاس ..."

الإشارة الصريحة إلى الشريحة وردت عند ابن غازي (*الروض الهتون*، 6) وهو يتحدث عن خيرات مكناسة وبعددها ويصنفها ومنها الفواكه، ومما قال عن التين : "ومنها نوع جليل أبيض مائل للخضرة مستدير يقال له الانبضار يشرح فتأتي شريحته في غاية الطيب ..."، وعلق ناشر الكتاب قائلا : "الشريحة معروفة بهذا الاسم إلى اليوم وهو تين مستطيل شديد الحلاوة أسود اللون أو مائل إلى السواد".

تحيلنا الإشارة والتعليق عليها إلى ما يوجد اليوم في الأسواق، فالشريحة لم تعد نوعاً معيناً من التين بل أطلقت على كل أنواع التين المجفف (زبيب التين). والشريحة تباع اليوم على أشكال مختلفة منها البسيطة المجففة بشكل تلقائي وتسمى (الشريحة العطارية) وكانت توزن أو تكال بالمكاييل وشبيه بها التين الذي شرح (أي فتح) وترك للشمس حتى جف ويباع وزناً أو كيلا (هذه الأنواع اختفت أو هي في طريق الزوال لأنها من الأنواع الرديئة أو القليلة الجودة، أما الشريحة الجيدة فتباع على شكل أقراص جافة وطرية ومنظومة في حبال ملتصق بعضها إلى بعض أو تباع في صناديق صغيرة أو علب، هذا النوع يُمكن تسميته بالشريحة الصناعية اذ تدخل في تحضيرها تقنيات التلفيف والمعالجة والتصبير وما إلى ذلك.

ارتبطت الشريحة في المغرب بالصّلاح وزيارة الأضرحة

والمقابر، فتجد الزوار يتصدقون بها، ويرجع الزائرون إلى الأضرحة بها كبركة من ضريح الولي الفلاني؛ ولعل هذه العادة ترجع إلى الأصول فأغلب المتصوفة والزهاد من الصلحاء والأولياء كانوا يكتفون حسب المصادر بالقليل من الأكل حفنات من زبيب العنب أو سبحة من الشريحة يأخذون منها حبات معدودات، ولم يكن التين الطري من مأكولاتهم (التشوف، 296) لأنهم اعتبروه بذخاً.

البكري، *المغرب الجزائر*، 1911 ؛ ابن غازي، *الروض الهتون*، الرباط، 1964 ؛ التادلي، *التشوف*، الرباط، 1958 و1984 ؛ ابن قنفذ، *أنس الفقير*، الرباط، 1964 ؛ م. الطويل، *الفلاحة المغربية في العصر الوسيط*، مرقون، كلية الآداب بالرباط، 1988 ؛ مذكرات شخصية.

محمد حجاج الطويل

شريشار، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Charche: وهو اسم مدينة إسبانية ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1469.

محمد ابن عزوز حكيم

الشريشي، أسرة سلوية أصلها من مدينة شريش بالأندلس، انتقلوا إلى سلا منذ منتصف القرن السادس (12 م) وعاشوا فيها وولد بعضهم فيها. وساح بعضهم إلى بلاد المشرق ومات هناك.

الشريشي، أحمد بن محمد البكري التيمي فقيه من أصل أندلسي من مدينة شريش، استوطن أسلافه مدينة سلا، وعين قاضياً بمكناس. وتوفي سنة 611.

الشريشي، أحمد بن محمد القرشي التيمي، يلقب تاج الدين ولد بسلا سنة 581، ونشأ بمراكش ثم رحل إلى بلدان المشرق العربي فأخذ عن جماعة، منهم محمد بن إبراهيم العنبني السلاوي لقيه بالفيوم. كان وافر الحظ من علم البيان وشاعراً محسناً وبارعاً في أصول التصوف والفقه. ولتاج الدين (وهو غير أبي العباس المذكور قبله) ديوان عنوانه : *"أنوار السرائر، وسرائر الأنوار"*، مخطوط الخزانة الصبيحية بسلا.

وتوفي بالفيوم من مصر سنة 641.

الشريشي، الحسن البكاء أبو علي، كان من أولياء الله، جال في بلاد المشرق. أصله من شريش ورحل إلى مراكش ثم نزل بسلا على بني حمدين. وقبره اليوم بالزاوية الدرقاوية بحومة باب حسابن بسلا، زاوية بناها عليه بعض ملوك بني مرين، وصارت تلك الزاوية لأصحاب مولاي أحمد الصقلي الفاسي ثم انتقلت إلى أصحاب مولاي العربي الدرقاوي. وكان لأبي علي أتباع ومريدون انقرضوا بعد وفاته التي لا نعلم تاريخها، وهو من أهل القرن السادس الهجري.

أ. الشريشي، *أبو أنوار السرائر وسرائر الأنوار*، مخطوط ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 2 : 125 ـ 143 ؛ م. ابن علي الدكالي، *إتحاف أشرف الملا*، ص. 39 ؛ م. بوشعراء، *ذيل الإتحاف الوجيز*، 264، ط 2 ؛ ع. بن إبراهيم، *الإعلام*، 1 : 326 ؛ التادلي، *التشوف*، العلم، 70 ؛ محمد بن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، 106 ـ 107، ط 2.

مصطفى بوشعراء

الشريشي، محمد أحد أطباء المغرب الذين برزوا في صناعة الطب علماً وتطبيقاً. اشتهر عند زملائه بالطبيب الماهر وعند العامة بحكيم الرعاء. وكانت حانوته برحبة الوزان بمدينة سبتة معروفة عند الخاصة والعامة. احترمه الأمراء والملوك من بني مرين لمهارته وحسن مشورته ودقة ملاحظاته الطبية وكانوا يستدعونه إلى فاس لتطبيبهم ولمناظرة أطبائها. وقد عده السلطان أبو عنان واحداً من أربعة رجال اختصت بهم مدينة سبتة دون سائر بلاد المغرب وتفوقوا في عصرهم. من أشهر تلامذته طبيبة سبتة عائشة ابنة الشيخ الكاتب والمحتسب محمد ابن الجيار. توفي محمد الشريشي عام 771 / 1370.

مجهول، *بلغة الأمنية*، الرباط، 1984، ص. 51 ـ 52، 55 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1973، ص. 317.

رشيد اللامي

الشريعة (باب -) **بفاس** من أهم أبواب المدينة، يعرف الآن بباب المحروق، يخرج منه إلى قصبة الشراردة وظهر الخميس، ويعتبر مبدأ المحور النازل إلى المدينة على طريق الطالعة الكبيرة.

بناه الأمير الموحد محمد الناصر سنة ستمائة هجرية حينما أعاد بناء سور مدينة فاس، وجعله بناء ضخما يليق بالمهمة التي أعد لها، وأعني تنفيذ العقوبات وإقامة الحدود، ولذلك سماه باب الشريعة، شأنه في ذلك شأن باب الشريعة بمراكش وباب الشريعة بمدينة تازا.

وسبب تحوير اسم هذا الباب من باب الشريعة إلى باب المحروق يرجع إلى تاريخ تجديده على يد محمد الناصر سنة 600، فإنه حينما أتم بناءه ظفر بالعبيدي الذي كان قد دعا لنفسه بجبال ورغة وهو المعروف بمحمد بن عبد الله بن العاضد فنفذ فيه حكم الإعدام وعلق رأسه على هذا الباب واحرقت جثته بجانبه فسمي الباب منذ ذلك الحين بباب المحروق ولا علاقة لهذه التسمية بالحدث الذي وقع للسان الدين بن الخطيب حينما أخرجه اعداؤه من قبره وأحرقوه قرب هذا الباب سنة 776.

وتذكر كتب التاريخ أن أبا بكر بن العربي المعافري قد

وفد على المغرب من الأندلس لمبايعة عبد المومن بن علي مع وفد من مدينة إشبيلية، وأنه أصيب أثناء وفادته بمرض أدى به إلى الموت فدفن بمدينة فاس خارج باب المحروق. ولعل هذا الخبر لم يشر إليه المؤرخون إلا بعد تحوير اسم الباب لأن ابن العربي رحمه الله توفي قبل إطلاق لفظ المحروق على الباب بنحو ستين سنة.

جنى زهرة *الآس للجزنائي*، تح. ع. الوهاب ابن منصور، المطبعة الثانية، 1991 ؛ روض القرطاس لابن أبي زرع، تح. م. الهاشمي الفلالي ؛ *جذوة الاقتباس* لابن القاضي القسم الأول، صفحة 229 وصفحة 300 طبعة دار المنصور للطباعة والوراقة بالرباط ؛ *البيان المعرب في أخبار الأندلس والمغرب* لابن عذاري، تح. الكتاني وم. زنيبر وم. ابن تاويت وع. القادر زمامة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، مطبعة النجاح الجديدة ؛ *الاستقصا* للناصري ؛ *سلوة الأنفاس*، ج 2، ص. 47 ؛ فاس قبل الحماية لروجي لوطورنو، تر. م. حجي وم. الأخضر، ص. 87 ؛ ذكر بعض مشاهير *أهل فاس القديم* للشيخ محمد بن عبد القادر الفاسي، ص. 4 من الملزومة الثانية.

محمد بن عبد العزيز الدباغ

الشريعة (باب -) **بمراكش** هما في الأصل بابان تأسس الأول منهما خلال زمن حكم المرابطين، وظهر الثاني بعد تخريب الأول في عهد حكم الموحدين، اندرس ولم تكشف بعد عن آثاره رسوم.

1 ـ باب الشريعة المرابطي :

حسب إشارات المصادر المتداولة، فإن موقع هذا الباب كان في نقطة من نقط القسم الجنوبي للواجهة الغربية لسور المدينة. (*نظم الجمان*، 159 ـ *البيان*، 4 : 84) وغير ممكن حاليا ضبط تاريخ تأسيسه، والمرجح أن تشييده تم داخل زمن بناء السور. أما تاريخ تخريبه فمحدد بدقة في ما قبل يوم الاثنين الخامس والعشرين من ربيع الآخر من عام تسع وسبعين وخمس مائة هجرية. وأصبح موقعه بعد ذلك جزءا من المجال الذي توسعت فيه المدينة، حيث نشأت حومة أگادير، (*البيان*، 153 ـ 154) لم تحتفظ المصادر بأية جزئيات خاصة بمعمار ووظائف هذا الباب.

ولعل ما يميز الأحداث التي أشارت إليها بعض المصادر وشكل باب الشريعة المرابطي جزءاً من إطارها الجغرافي، هو طابعها العسكري، وزمنها المحصور في فترة من عام 524 / 1130 ، فهو أول باب من أبواب المدينة حاصره الموحدون، بعدما تمكنوا من الوصول إلى أسوار مراكش، وبخارجه وداخله جرت المواجهات السابقة لحصار البحيرة (*نظم الجمان*، 159 ؛ *البيان*، 4 : 84).

2 ـ باب الشريعة الموحدي :

حدد ابن عذاري بدقة بالغة تاريخ تأسيسه كما يلي : "وكان الابتداء في بناء الأساس صبيحة يوم الاثنين الخامس والعشرين من ربيع الآخر من السنة المؤرخة ـ سنة تسع وسبعين وخمسمائة ـ واتصل بناء السور، وبناء باب الشريعة مدة من أربعين يوما حتى كمل وجاء على ما قدر فيه وأمل" (*البيان*، 154).

حسبما يلاحظ فإن إنشاء هذا الباب جاء في سياق توسيع مساحة المدينة جهة قسمها الغربي الجنوبي. حيث بنيت حومة أگادير كحل لأزمة السكن التي يبدو أن العاصمة الموحدية كانت تعاني منها في النصف الثاني من القرن السادس (12 م)، خاصة بعد ترحيل قبيلتي هسكورة وصنهاجة إليها (*البيان*، 153 ـ 154).

حدد كل من ابن صاحب الصلاة وابن عذاري، موقع هذا الباب في الجهة الجنوبية الغربية من المدينة *المن بالإمامة*، 214، *البيان*، ق. م. 154، وأكدته إشارة للعمري تفيد وجوده بين باب الرب وباب نفيس (*Masâlik*، 186 ـ 188).

ويبدو أن Demombynes لم يميز في تحقيقه لهذا الباب، بين باب الشريعة المرابطي والآخر الموحدي، ويفهم من نفس التعليق أن الباب الأول، هو المقصود في الأخبار التي لها صلة بباب الشريعة، في فترة الموحدين (*Masâlik*، 187 : *Citation* N°2) وهو وهم، وحسب الخريطة التي وضعها لمكونات المدينة، فقد وطنه في موقع توجد به بقايا باب مغلق ملاصق لضريح الإمام السهيلي، دون الإشارة في التعليق إلى ما يدعم ذلك من حجج وقرائن.

وقد تبنى Deverdun هذا التوطين، وحاول تأكيده بعثوره في مسجد عتيق، بحي سيدي ميمون حاليا، على مدفن مريدين من أتباع الصوفيين الجزولي والتباع، أشار صاحب *متع الأسماع* إلى أنهما دفنا داخل باب الشريعة من مراكش، واستنتج من ذلك أن أقرب باب إلى المسجد المذكور هو بالذات ما اعتقده Demombynes باب الشريعة (*Marrakech des origines*، 1/203-204).

ولعل المكان المشار إليه كموقع لباب الشريعة الموحدي، يبدو مستبعدا لاعتبارات متعددة، يمكن اختزالها في ملاحظات ثلاث هي :

ـ من خلال معاينة موقع المسجد الذي أشار إليه Deverdun، يبدو ما اعتبره أقرب باب إليه، غير ذي قيمة بالنسبة لهذه الملاحظة بالذات، فمجال حومة أگادير ـ سيدي ميمون حاليا ـ وحسب المصادر المتداولة، لم تكن تتوفر سوى على باب واحد، هو باب الشريعة، وأينما كان موقع هذا الباب في الحومة، فسيكون أقرب إلى المسجد المذكور.

ـ يقع الباب المقترح داخل الروضة التي بها قبر الإمام السهيلي، وهي المعروفة في فترة حكم الموحدين بجبانة الشيوخ، وكانت بها "مقابر أكابرهم وجبانات الأعيان" *ورقات* : 303، ومعلوم أن تاريخ وفاة أبي القاسم ضبطه بدقة تلميذه ابن دحية كما يلي : "وتوفي رحمه الله بحضرة مراكش يوم الخميس، ودفن ظهره، وهو اليوم السادس والعشرون من شعبان عام أحد وثمانين وخمسمائة" *المطرب من أشعار أهل المغرب*، 233. وفي ذلك ما يفيد وجود الروضة المذكورة ابتداء من تاريخ الشروع في توسعة المدينة.

اعتباراً إلى أن مكانها، كان فيما يبدو امتدادا" للبراح الذي كان ... متسعا في باب الشريعة المتصل بالشريعة القديمة وهو اليوم مدينة ثانية متصلة بمراكش القديمة" (*المن بالإمامة*، 214، ومن خلال هذه الجزئيات يتبين أن جبانة الشيوخ كانت روضة مخزنية، والباب المؤدي إليها هو باب السادة (*ورقات*، 303، وهذا مؤشر على أنها لم تكن من ملحقات أگادير وإن كانت تجاورها من الجنوب، وإذن فلا تبدو أية وظيفة للباب المقترح.

- من خلال محاولة تتبع مواقع الروضات الخارجية المشار إليها في فترة الموحدين، لم نعثر على أية حالة لباب في داخل روضة، بينما الملاحظ كقاعدة هو مجاورة الباب لها، مسألة تبدو على سبيل المثال في روضة باب أغمات وباب الدباغين وباب فاس.

إلى جانب ذلك فوجود الباب في الروضة يعيق وظائفه، وكانت ذات اعتبار بالنسبة لباب الشريعة، خاصة منها الاقتصادية، بحكم قربه من سوق الماشية والدواب (*البيان*، ق. م، 320، *ورقات*، 304، وانفتاحه على مجال فلاحي غني، والأمنية حيث كانت تعلق به رؤوس الخارجين عن الطاعة، وإذا كان القاسم المشترك بين الوظيفتين هو ارتباطهما بحركة بشرية غير متقطعة، لتنشيط الرواج وتوسيع نشر خطاب الترهيب والترغيب، فإن اختيار بناء الباب داخل الروضة، يعتبر من دون شك عائقا أمام تحقيقهما معا.

جمع باب الشريعة الموحدي بين وظيفتين، الأولى عامة ودائمة، وتتعلق بخدمات التنقل من وإلى المدينة، وأداء المغارم واستخلاص المستفاد (*رسائل موحدية*، 431، *البيان*، ق. م. 449، وتعليق رؤوس قتلى الخارجين عن طاعة المخزن (*البيان*، ق. م. 338 - 337. أما الثانية فخاصة وظرفية منها خدمة دينية، لكون باب الشريعة يشكل أقرب باب يربط المدينة بمصلى العيدين. ولعل لهذه التسمية علاقة بهذه الشعيرة الدينية، (Notes de Toponomastique 210-234)، وخدمات مخزنية، حيث كانت تجري بخارجه الاستقبالات الرسمية للوفود الكبيرة (*المن بالإمامة*، 213 - 214 - 243 - 242.

ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة*، تح. ع. الهادي التازي، بيروت، 1987 ؛ ابن دحية، *المطرب من أشعار أهل المغرب*، تح. إبراهيم الأبياري، حامد ع. المجيد، أ. بدوي، مراجعة طه حسين، بيروت، 1954 ؛ ابن القطان، *نظم الجمان*، تح. م. علي مكي، بيروت، 1990؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، ج. 4، تح. إحسان عباس، بيروت، 1967 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب قسم الموحدين*، م. إبراهيم الكتاني، م. ابن تاويت، م. زنيبر، عبد القادر زمامة، الدار البيضاء، 1985 ؛ م. المنوني، *ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين*، الرباط، بدون تاريخ ؛ *رسائل موحدية*، مجموعة جديدة، تح. ودراسة، أ. عزاوي، الجزء الأول، الدار البيضاء، 1995.

Umari, *Masâlik al-absâr*: introduction et traduction annotée de Gaudefroy-Demombynes, Paris, 1927; Levi-Provençal (E), *Notes de toponomastique maghrébine, les noms des portes; le bab-al-saria et la saria dans les villes de l'occident musulman au moyen âge*, A.I.E.O. Alger 1930; Gaston Deverdun, *Marrakech des origines à 1912*, 2 vol., Rabat, 1959, 1966.

محمد رابطة الدين

الشريف بن **إسماعيل** بن الشريف بن علي العلوي، الأمير، من الذين ولاهم المولى إسماعيل على الأقاليم عام 1111/ 1700 ؛ هو والمولى محمد العالم شقيقان، أمهما رومية (*زهر الأكمام*، ص. 210 ؛ *المنزع اللطيف*، ص. 392). وفي عام 1114 / 1703 بعث به والده إلى درعة لمحاربة الأمير أبي النصر الذي كان قد طرد أخاه المولى عبد المالك واستولى على ذلك الإقليم. فنزل دار الإمارة بأغلان : التي كانت مقر العمالة بوادي درعة. ومن خلال عدة قرائن يبدو أن وادي درعة شهد نوعا من الاستقرار، سيما من جانب قبائل أيت عطا الذين لم نقف على أي هجوم لهم على تلك الجهة في ذلك الإبان. فكانت هذه ولايته الأولى على تلك الجهة ؛ إذ مكث بها إلى عام 1118 / 1706 ؛ وهي السنة التي بعث به والده فيها إلى سوس للمشاركة في محاربة محمد العالم الثائر بها.

وتغيب عنا أخبار المترجم، بعد هذا التاريخ، فلا نعرف أي شيء عنه حتى سنة 1125 / 1713، حيث ولاه والده على درعة ثانية، مكان الخياط بن منصور.

والغالب على الظن أن درعة شهدت بعض الاستقرار، في أثناء ولاية المولى الشريف الثانية، باستثناء حركة العصيان التي تزعمتها قبائل منطقة محاميد الغزلان سنة 1135 / 1722 (*La relation de Thomas Pellow*, p. 188)، والتي لسنا على يقين من مشاركته في قمعها.

كما ساهم في زيادة التقارب بين المخزن والزاوية الناصرية. والدليل على ذلك أنه كان كثير التردد على مجالس الشيخ أحمد بن ناصر (*الدرر المرصعة*، 187)، وأنه هو الذي حسم مادة النزاع بين الحسين الشرحبيلي وبين موسى الناصري لصالح الناصريين ؛ حيث تهدد الشرحبيلي بالضرب بالمنشار إن استمر في طلب مشيخة الزاوية الناصرية. وفي أثناء ولايته الثانية شاد القصبة التي وصفها محمد المكي الناصري ؛ كما يفهم مما قاله في ذلك السياق : "ولما أتم بناءها وشيدها وزخرفها، ونزلها بأهله وعمرها، لم تطل فيها مدته، ولم يبلغ فيها أمنيته، بل اخترمه هادم اللذات (*الدرر المرصعة*، ص. 177. ومما يذكر أن المولى الشريف كان مائلا إلى أخيه المولى أحمد الذهبي، في أثناء النزاع على العرش (*زهر الأكمام*، ص. 180.

وقد أثنى عليه سائر من ترجموه. فذكر محمد المكي الناصري أنه كان أديباً مشاركاً في جميع العلوم، محبا لأهل العلم، مغرما باقتناء الكتب، سيما التاريخ والأدب. امتدحه الشعراء وأجزل لهم العطاء. توفي المولى الشريف بوادي درعة، في داره بقصبة أغلان الباشا بعد وفاة أبيه بشهرين، يوم الجمعة ثامن رمضان سنة 1139 / 1727، ودفن بزاوية سيدي عمرو، إزاء القصبة المذكورة، (م. س. 177).

ع. ابن موسى الريفي، *زهر الأكمام*، تح. أ. بنعبادة، ص. 180 - 210؛ *الدرر المرصعة*، ص. تح. م. نوحي، 177 - 187 ؛ الخليفتي،

الدرة الجليلة، ص. 188 ؛ *الاستقصا*، 7 : 90 ؛ أ. البوزيدي، *التاريخ الاجتماعي*، ص. 112 ـ 113 و133 ـ 188.

M. Morsy, *La Relation de T. Pellow*.

أحمد عمالك

الشريف التلمساني، محمد بن سعد بن الحاج، فقيه مشارك ماهر، تولى قضاء تلمسان مدة، حتى إذا دخل الفرنسيون إليها هاجرها في جملة من هاجر إلى المغرب، ودخل إلى فاس في مهل شوال عام 1257 / 16 نونبر 1841. من مؤلفاته : *شرح على رسالة ابن أبي زيد القيرواني* لم يكمل ؛ *وشرح على همزية البوصيري* كذلك.

توفي بفاس يوم 27 محرم عام 1264 / 4 يناير 1848 ودفن قرب الشيخ ابن حرزهم خارج باب الفتوح.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 7 : 2581.

محمد حجي

ابن **الشريف، حميد** الودغيري ويكتب أيضاً بنشريف. ولد بمدينة فاس سنة 1359 / 1940 وبعد إنهاء دراسته بثانوية مولاي إدريس، هاجر عام 1960 إلى السينغال للقيام بأعمال حرة، وهناك أنجز أول عمل فني له كمقدّم للأخبار باللغة العربية بإذاعة دكار بتعاون مع بعض المهاجرين اللبنانيين. وحين عودته إلى المغرب اشتغل بأعمال المونطاج بالإذاعة الوطنية إلى أن شرع في العمل بالتلفزة المغربية باستوديوهات عين الشق بالدار البيضاء، فالتحق بها كمساعد كاميرامان إلى جانب كل من أحمد حيضر ومحمد ظريف تحت إدارة المرحوم محمد الزياني في الوقت الذي كان البث التلفزيوني مباشرا. وهكذا تدرج حميد بنشريف في مهامه من كاميرامان مساعد إلى مدير تصوير، مركب أفلام، كاتب سيناريو، مخرج مساعد فمخرج ومعد برامج وأفلام تلفزيونية.

كان أول إنتاج تلفزيوني قام بإدارة تصويره إدارة كاملة سنة التحاقه باستوديوهات عين الشق عام 1963، فيلما وثائقيا من توقيع شقيقه رشيد بنشريف تحت عنوان فاس مهد الحضارة ونظراً لولع حميد بنشريف بالموسيقى أنتج وأخرج عدداً من الأغاني المصورة لفنانين مغاربة وعرب في الفترة ما بين 1964 و1970 وهي :

- القمر الأحمر وميعاد لعبد الهادي بلخياط
- سواح لعبد الحليم حافظ
- حلم لأم كلثوم
- وسط الطريق لنجاة الصغيرة

كما ساهم في إخراج برنامجين أسبوعيين (كاميرا 4) (مجلة الدار البيضاء) إلى جانب كل من شقيقه رشيد وحسن المفتي، وأحمد حيضر وأحمد العلوي ومحمد الركاب.

في عام 1980 أسس حميد بنشريف شركة إنتاج خاصة أطلق عليها اسم : "فيلمس فيلم" "Film's Films" وأنتج في إطارها أعمالا تلفزيونية وسينمائية على رأسها أغنية مصورة لعبد الحليم حافظ تحت عنوان (قارئة الفنجان). ثم انطلاقا من أغنية (القمر الأحمر) التي صورها سابقا، كتب وأخرج حميد بنشريف أول وآخر فيلم روائي سينمائي طويل له تحت عنوان (خطوات في الضباب). ومن أشهر أعماله التلفزيونية برنامج ترفيهي بعنوان (التلفزة 3) "T.V.3" رفقة الثنائي خديجة أسد وسعد الله عزيز.

وهكذا توزعت أعماله السينمائية منذ الستينيات إلى آخر حياته على النحو التالي :

- 1966 : إدارة تصوير فيلم وثائقي (شروق) إلى جانب المخرج عبد الله المصباحي من إنتاج وزارة لإعلام الكويتية.
- 1970 : ساعد في تصوير وإخراج (الكنز المرصود) فيلم روائي طويل لمحمد عصفور. كما قام بمهمة المونطاج للأفلام التالية :
- 1974 (الصمت اتجاه ممنوع) روائي طويل لعبد الله المصباحي
- 1975 : (فاس، رعاية وتجديد) وثائقي قصير للعربي بناني
- 1984 : (الناعورة) أو (مولاي عقوب) روائي طويل لكل من محمد عبد الكريم الدرقاوي والمرحوم مولاي إدريس الكتاني.

في حين حمل مشروع فيلمه الروائي الطويل الثاني عنوان (الجسر) حيث توفي حميد ولما يتجاوز المشروع مرحلة السيناريو.

أما آخر إنتاج وقعه المرحوم بنشريف فتجسد في تصوير وإخراج أغنية وطنية بمناسبة عيد الشباب لكل من سميرة بنسعيد ومحمود الإدريسي تحت عنوان *درس في الحب* وحدث ذلك عام وفاته.

توفي بالدار البيضاء يوم 19 ربيع الثاني عام 1407 / 16 دجنبر 1986.

خالد الخضري، *دليل المخرجين السينمائيين المغاربة*، ص. 99/100. واتصال شخصي : رواية شفوية عن شقيقة المخرج السيدة ثريا الودغيري وزوجها المخرج ومدير التصوير السيد محمد عبد الكريم الدرقاوي.

خالد الخضري

الشريف السبتي، أحمد بن أبي القاسم الطاهري

ابن أبي الشرف رفيع الحسيني، من أشراف سبتة الطاهريين الصقليين الحسينيين الذين يتصل نسبهم بالحسين بن علي بن أبي طالب. ويكنّى أبا العباس الشريف. قدم هؤلاء الأشراف إلى المغرب مع جدهم أبي طاهر بن الحسين من جزيرة صقلية عبر الأندلس واستقروا بسبتة في منتصف القرن السادس (12 م)، وبعد ذلك انتقلت فروع أخرى من بني عمومتهم إلى فاس ومراكش. وقد تعايش الفرع السبتي من هؤلاء الأشراف مع بني العزفي أصحاب سبتة وصاهروهم، وبعد أن تزايد نفوذهم وعظمت مكانتهم بين أهل سبتة تضايق بنو العزفي من ذلك فتنكروا لهم وغربهم كبيرهُم يحيى العزفي إلى الجزيرة الخضراء فاعترضتهم مراكب النصارى في بحر الزقاق وأسروا الكثير منهم من بينهم أبو العباس صاحب الترجمة ووالده أبو القاسم محمد، ففداهم ملوك بني مرين بالمال الكثير واعتنوا بهم. وكانت لهذه الأسرة روضة مشهورة بسبتة تعرف بروضة الشرفاء الحسينيين تجمع قبور عدد كبير منهم تبلغ حوالي ثلاثين قبراً. يعد المترجم كبير أشراف سبتة الحسينيين بدون منازع في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي، بل اعتبره المؤرخون خاتمة الشرفاء العظام بسبتة. قال ابن خلدون في نسبه : "ذو النسب الواضح، السالم من الريبة عند كافة أهل المغرب" وأضاف الأنصاري : "الشريف الكبير، الرئيس الشهير، الكاتب الأديب التاريخي السخي الجواد الفذ في عصره وزمانه". فقد طارت شهرته في كل أنحاء المغرب والأندلس، وكان العلماء والفقهاء يخطبون وده ويتنافسون في التقرب إليه، كما جله ملوك بني مرين واعترفوا له بالفضل والكرم والتقوى. ومن تجليات ذلك أن السلطان أبا سعيد عثمان (710 / 1311 ـ 731 / 1331) بدل المال الكثير في فدية أبي العباس الشريف ووالده عندما أسرهما النصارى في بحر الزقاق، وتقدر بحوالي 6500 دينار من الذهب حسب مضمون الرسم المعقود في ذلك والمؤرخ بالموفى عشرين محرم عام 720 / 1321. وكان حفيده السلطان أبو عنان (749 / 1348 ـ 759 / 1358) يستدعي هذا الشريف كل سنة إلى حضرة فاس لحضور احتفالات المولد النبوي ويخلع عليه الخلع الملوكية تقديراً له واحتراماً لشخصه وأسرته. وبهذه المناسبة كان السلطان يعد له ديناراً مسكوكاً يصنع بمدينة مراكش وزنته مائة دينار ذهبي يدفعه له مع تحف وجوائز أخرى. وفي إطار انفتاح المخزن المريني على قوة الشرفاء ومحاولة استقطابهم لما يمثلونه من نفوذ معنوي قوي على المجتمع، خصص لهذه الشريف عطاء مرسوم له من بيت المال يقدر بثلاثين ديناراً من الذهب في رأس كل شهر بالإضافة إلى امتيازات مادية أخرى. فقد كان فائد مضرب الميناء لسبتة مخصصاً لأبي العباس الشريف دون غيره وذلك مرة كل ثلاثة أيام، أي فائد اليوم الواحد له وفائد اليومين الباقيين لبيت المال، ويقدر مبلغ ما يحصل عليه عن طريق هذا الفائد ما بين 500 و700 دينار ويصل أحياناً إلى 2000 دينار في اليوم. حظي أبو العباس بعناية كبيرة من ملوك فاس خاصّة أبو عنان الذي حفظ له دوره المؤثر في قيادة ثورة سبتة على والده السلطان أبي الحسن بعد واقعة القيروان سنة 749 / 1348 وإقامة الدعوة بها لولده أبي عنان والوقوف إلى جانبه وتسليمه إياه البلد، فعينه ناظراً على بلده سبتة وصاحب الشورى فيها بعد إزاحة بني العزفي عنها، وأمر صاحب قصبتها ألا يقطع أمرا إلا بمشورته. واستمر على ذلك النفوذ سائر أيام أبي عنان ومن أتى بعده، فكان العمال يخافونه ويشاورونه وكلما رأى من أحدهم حيفا أو خروجا عن الحق كتب إلى السلطان في شأنه فيعزل من فوره ويعوض بغيره. وكان يعد مجلسا في رياضه بالصفارين من سبتة لاستقبال رجالات المخزن بها فكان : "يأتي إليه صبيحة كل يوم صاحب القصبة مسلماً عليه ثم ينصرف، ثم يأتي الوالي على قبض الجباية مسلماً، ثم ينصرف بعد تقبيل قدمه، ثم يأتي صاحب الشرطة وكذا جميع أمراء سبتة إلا القاضي لمكان خطته". وقد أثارت هذه المكانة الكبيرة للشريف اهتمام كبار علماء عصره فخصوه بالزيارة، وأعجبوا بشخصه وقدروه لعظمة حفاوته بهم وكرمه، وحسن استقباله لهم وما يتحفهم به من ألوان الطعام والشراب يعجز الأمراء عن فعل مثله. وقد تحدثت المصادر، ومن بينها كتاب *الكواكب الوقادة في ذكر من دفن في سبتة من العلماء والصلحاء والقادة*، عن كثرة نزول لسان الدين ابن الخطيب عند الشريف كلما توجه إلى المغرب فكان يوسعه إكراما ويخرج به إلى بساتينه بقرية بليونش. ومن أشهر زياراته تلك التي قام بها في جمادى الثانية من عام 763 / 1362 بمعية السلطان أبي عبد الله محمد بن يوسف بن الأحمر عند رجوعه إلى غرناطة وقاضي حضرته أبي الحسن النباهي، فوصف جمال الاحتفال وكرم الضيافة وروعة الاستقبال. كما قام ابن خلدون بزيارة شريف سبتة عند رحلته إلى الأندلس سنة 764 / 1363 وروى كيف أنزله ببيته المجاور للمسجد الجامع، وكيف بالغ في الاحتفاء به وضيافته. لم يقتصر جود هذا الشريف وكرمه على الخاصة من الناس بل كان سخياً حتى مع عامتهم وضعفائهم ويصرف كل أمواله في إطعامهم. وبلغت شهرته الآفاق وتجاوز كرمه حدود سبتة، فكان التجار والضعفاء على السواء يرصدون وقت قدومه على فاس في أعياد الميلاد ويترقبون كذلك وقت قفوله عنها لينفق على الجميع من ماله ويرفع عنهم اللوازم المخزنية. عُرف عن الشريف امتلاكه لعقارات وأملاك كثيرة بمدينة سبتة وخارجها تحاكي ما كان يملكه العزفيون ومن ذلك الرياضات والبساتين والقصور والمنيات وغيرها.

توفي أبو العباس الشريف عام 776 / 1375 وعمره ينيف على الثمانين وقبره كان معروفاً بروضة أسرته التي ذكر المقري أنها بالجانب الشرقي من رابطة الفصال خارج الباب الأحمر من سبتة.

م. ابن مرزوق، *المسند*، تح. ماريا خيسوس بيغيرا، الجزائر، 1981، ص. 149 ـ 150 ؛ ابن الأحمر، *بيوتات فاس الكبرى*، الرباط، 1972، ص. 15 ـ 17 ؛ ابن خلدون، *المقدمة*، بيروت، 1988، ص. 315 ؛ *العبر*، بيروت، 1978 ؛ ج 7، ص. 581 ـ 582 ؛ *التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً*، ج 7، ص. 876 ـ 877 ؛ ابن السكاك، *نصح ملوك الإسلام بالتعريف بما يجب عليهم من حقوق آل البيت الكرام*، طبعة فاس، د. ت، ص. 17 ـ 18 ـ 21 ـ 30 ؛ الأنصاري، *اختصار الأخبار*، الرباط، 1983، ص. 24 ـ 25 ؛ مجهول، *بلغة الأمنية*، الرباط، 1984، ص. 53 ؛ مجهول، *مجموع مؤلف من ظهائر شريفة وعقود أنكحة متعلقة بالشرفاء السجلماسيين وغيرهم*، مخطوط د، 723، ص. 115 ـ 116 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1974، ص. 201 ؛ أ. المقري، *أزهار الرياض*، الرباط، 1978، ج 1، ص. 32 ـ 45 ؛ ع. السلام القادري، *الدر السني*، طبعة فاس، 1308، ص. 69 ؛ م. القبلي، *مساهمة في تاريخ التمهيد لظهور دولة السعديين*، ضمن *كتاب مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط*، الدار البيضاء، 1987، ص. 84 ـ 87 ـ 90 ـ 91 ـ 94 ـ 103 ؛ ر. السلامي، *وثائق مرينية، دراسة وتحقيق*، د. د. ع، مرقونة، كلية الآداب، الرباط، 1989، ص. 280 ـ 282.

Calero (I), una familia ceuti en la Granada de los siglos XIV y XV: Los Banu L-Sarif Al-hasani; in "AL-Qantara", vol. VII, Fax.1, Madrid, 1986, pp.85-105.

الشريف السبتي، أحمد بن أبي **القاسم الغرناطي**، قاضي الجماعة بغرناطة أبا العباس وأبا جعفر. كان فقيهاً وقاضياً، أخذ عن أشهر شيوخ وقته الفقيه أبي سعيد فرج بن لب وغيره. كانت فتاويه مشهورة في بلاد الأندلس والمغرب نُقل بعضها في *معيار الونشريسي*. ومن أشهر تلامذته محمد بن عاصم الغرناطي صاحب كتاب *جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى*.

حظي أبو العباس كوالده بعناية فائقة عند ملوك غرناطة. فولاه سلطانها الغني بالله محمد الخامس (755 / 1355 ـ 793 / 1391) خطة الكتابة والقضاء واستمر في نفس المنصب في عهد أبي الحجاج يوسف الثالث (810 / 1408 ـ 820 / 1417). ويعتبر أبو العباس صديقاً حميماً لشاعر غرناطة أبي الحسن ابن فركون الذي كان يصفه بالشريف المعظم وقد عمل على تدوين بعض ملامح هذه الصداقة من خلال أشعاره الكثيرة التي قيلت في مناسبات عديدة وكذلك المراجعات الشعرية التي كانت بينهما وسجلها ابن فركون في ديوانه الموسوم *بمظهر النور الباصر*. لا نعرف تاريخاً مدققاً لوفاة أبي العباس الشريف. ويستفاد من كلام ابن فركون عنه أنه ظل حيا بعد سنة 812 / 1410.

ابن فركون، *ديوان ابن فركون*، تقديم وتعليق م. بن شريفة، الدار البيضاء، 1987، ص. 250 ـ 251 ـ 290 ـ 292 ـ 389 ـ 390 ؛ *مظهر النور الباصر في أمداح مولانا أبي الحجاج الملك الناصر*، إعداد م. بن شريفة، الدار البيضاء، 1991، ص. 26 ـ 33 ـ 35 ـ 86 ؛ م. ابن عاصم، *جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى*، تح. صلاح جرار، عمان، 1989، ج 1 : 173 ـ 174 ؛ ج 2 : 280 ؛ أ. الونشريسي، *المعيار*، ط 2، بيروت، 1981، ج 3 : 32 ـ 35 ؛ أ. بابا التنبكتي، بيروت، د. ت، ص. 76 ـ 313 ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1968، ج 5 : 199 ؛ ج 6 : 27 ـ 147 ؛ *أزهار الرياض*، الرباط، 1978، ج 1 : 59 ـ 60.

الشريف السبتي، أحمد بن **محمد** المقرئ الحسني، اشتهر بإقراء القرآن وتجويده وبكونه من أئمة المجودين والقائمين على تعليمه بالمغرب. قرأ عليه بسبتة ثلة من علماء عصره كالفقيه النحوي محمد بن علي بن أحمد الخولاني المعروف بابن الفخار والشيخ المحدث محمد بن أحمد بن إبراهيم بن الزبير ومحمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم الأنصاري المعروف بالشُّدَيِّد.

توفي هذا الشريف سنة 737 / 1337.

ابن الخطيب، *الإحاطة*، تح. م. عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1975، ج 3 : 36 ـ 157 ـ 199 ؛ ابن القاضي، *درة الحجال*، تح. م. الأحمدي أبو النور، تونس، 1970، ج 1 : 28 ؛ م. حجي، محقق، *ألف سنة من الوفيات*، الرباط، 1976، ص. 190.

الشريف السبتي، أبو القاسم محمد بن أحمد الغرناطي الحسيني، ويعرف أيضاً بالشريف الغرناطي. حلاه القاضي النباهي بقوله : "وكان ـ رحمه الله ـ نسيج وحده براعة وجلالة، وفريد عصره بلاغة وجزالة، إلى الشيم السنية التي التزم إهداءها، والسير الحسنة التي لا ينازع في شرف منتهاها". كما وصفه آخرون بأنه "رئيس العلوم اللسانية بالأندلس" وأنه كان "آية الله الباهرة في العربية والبيان والأدب". ترجم له الكثيرون من معاصريه وغيرهم واتفقوا على ريادته في علوم العربية وقدرته الفائقة في الجمع بين امتلاك ناصية العلم والتدريس ومزاولة القضاء. ولد أبو القاسم الشريف بموطن أسلافه الشرفاء الحسينيين بسبتة في السادس لشهر ربيع الأول من عام 697، ونشأ في بيت اشتهر بالعلماء والأدباء والقضاة. في عصر سبتة الذهبي ترعرع أبو القاسم وشب على مجالسة العلماء واصطحابهم، فقرأ في بدايته القرآن على والده أبي العباس ثم اتصل بمشايخ بلده ولازمهم وأخذ عنهم كثيراً من العلوم من أمثال شيخ العربية والأدب في زمنه أبي عبد الله بن هانئ والخطيب المحدث أبي عبد الله بن رُشيد والإمام أبي القاسم بن الشاط والقاضي الإمام أبي إسحاق الغافقي والخطيب أبي عبد الله المغاري والقاضي أبي عبد الله القرطبي والفقيه أبي عبد الله بن حريث. وقد تتلمذ على يديه علماء كبار كلسان الدين ابن الخطيب وأبي إسحاق الشاطبي والوزير الكاتب أبي عبد الله بن زمرك وأحمد ابن الخطيب القسنطيني الشهير بابن قنفذ والكاتب أبي القاسم ابن رضوان المالقي والأديب المحدث أبي عبد الله محمد بن جزي الكلبي وغيرهم. وفي إطار التواصل الفكري بين علماء المغرب وخاصة سبتة وعلماء الأندلس انتقل أبو القاسم إلى مالقة ثم غرناطة حيث اتصل بملوكها من بني الأحمر الذين أعجبوا بشخصه وعلمه فضلاً عن نسبه الشريف فقربوه إليهم وأمسكوه خطة القضاء والكتابة.

وهكذا عندما قدم إلى غرناطة في دولة أبي الوليد إسماعيل (713 / 1314 ـ 725 / 1325) قلده كتابة الإنشاء والقضاء والخطابة بالمسجد الجامع. كما استعمله في السفارة للملوك المغرب من بني مرين وملوك قشتالة. وبقي كذلك إلى أن عزله عن القضاء السلطان أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل في شهر شعبان من عام 747 / 1347، فانحاز إلى التدريس وإقراء العربية والفقه، لكنه أعيد مرة ثانية إلى القضاء بمدينة وادي آش ثم بغرناطة واستمر في هذا المنصب إلى أن هلك السلطان أبو الحجاج يوم عيد الفطر من سنة 755. وجدد خليفته الغني بالله محمد بن أبي الحجاج ولاية أبي القاسم على قضاء غرناطة ورفع رتبته وزاد من شأنه وبقي على تلك الحال.

توفي ضحى يوم الخميس 21 شعبان من عام 760 / 1359 أو 761 / 1360. ومن أشهر تآليفه *رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة*، شرح فيه مقصورة الأديب أبي الحسن حازم بن محمد القرطاجني التي مدح فيها السلطان الحفصي المستنصر بالله.

أبو القاسم الشريف السبتي نفسه، *رفع الحجب المستورة*، ج 4، تح. م. الحجوي، المحمدية، 1997 ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة*، تح. م. ع. الله عنان، القاهرة، 1975، ج 2 : 181 ـ 187 ؛ *اللمحة البدرية في الدولة النصرية*، بيروت، 1978، ص. 105 ـ 116 ؛ أبو الحسن النباهي، *المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا*، بيروت، د. ت، ص. 171 ـ 177 ؛ ابن فرحون، *الديباج المذهب*، تح. مأمون بن محيي الدين الجنان، بيروت، 1996، ص. 384 ـ 385 ؛ ابن الأحمر، *نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان*، تح. م. رضوان الداية، بيروت، 1967، ص. 231 ـ 235 ؛ *نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان*، تح. م. رضوان الداية، بيروت، 1976، ص. 145 ـ 149 ؛ ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1978، ج 7 : 691 ـ 692 ؛ *التعريف بابن خلدون* ؛ ابن حجر العسقلاني، *الدرر الكامنة*، بيروت، د. ت، ج 3 : 352 ـ 353 ؛ م. ابن عاصم، *جنة الرضا* ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1973، ص. 306 ؛ *درة الحجال*، تح. م. الأحمدي أبو النور، القاهرة، 1970، ج 2 : 268 ؛ المقري، *نفح الطيب*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1968، ج 5 : 189 ـ 199 ؛ م. حجي، محقق، *ألف سنة من الوفيات*، الرباط، 1976 ؛ ص. 123 ؛ إسماعيل باشا البغدادي، *هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين*، بيروت، 1955، ج 2 : 161 ؛ ع. الله گنون، أبو القاسم الشريف، ضمن سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب، العدد 1 ـ 2، بيروت، د. ت ؛ م. ابن تاويت، سبتة المسلمة، *مجلة المناهل*، العدد 22، يناير، 1982، ص. 151 ؛ م. العربي الخطابي، *سبتة رجالها ومكانتها وصلاتها العلمية بمختلف الحواضر الإسلامية*، *مجلة المناهل*، العدد 22، يناير 1982، ص. 75 ـ 76 ؛ م. بن عبد العزيز الدباغ، أبو القاسم السبتي الشهير بالشريف الغرناطي، ضمن *كتابه من أعلام الفكر والأدب في العصر المريني*، الدار البيضاء، 1992، 76 ـ 115.

Calero (I), *una familia ceuti en la Granada de los siglos XIV y XV: Los Banu L-Sarif Al-lusani*. vol. VII. Fax.1. Madrid, 1986.

رشيد السلامي

الشريف، عبد الله (مولاي ـ) بن إبراهيم الحسني الإدريسي العلمي اليملحي الوزاني، اشتهر باسم مولاي عبد الله الشريف. يرتبط في هذا النسب بالفرع العلمي الشهير، وذلك من جهة أمه وأبيه، فأمه رحمونية علمية، بينما ينحدر والده من سلالة يملح أخي مولاي عبد السلام بن مشيش شيخ جبل العلم.

تربى مولاي عبد الله الشريف في أحضان أسرة معروفة بثرائها بين سكان مدشر تازروت في بني عروس ببلاد غمارة. وهذا المدشر هو مسقط رأسه سنة 1005 / 6-1597. واستفاد كثيرا من هذا الوضع في حياته التعليمية، ونعني بذلك تمكنه من مواصلة دراسته خارج تازروت، ولا سيما في فاس، التي قضى بها مدة طويلة امتدت من 1028 / 1619، إلى 1034 / 1625 (*سلوة*، 1 : 370 ؛ *La Maison du cautionnement*, 24, 67-77). حيث أخذ عن قاضي الجماعة أبي القاسم ابن أبي النعيم الغساني (ت. 1023 / 1623) وعلي بن قاسم البطوئي الفاسي (ت. 1039 / 1629)، والفقيه الصوفي محمد ابن عطية السلوي (ت. 1052 / 1642)، قرأ عليه النحو والحديث والتفسير والفقه "...وأجازه في جميع مقروءاته ومسموعاته ومناولاته ومعروضاته" (*سلوة*، 1 : 370).

وهذا يعني أن مولاي عبد الله الشريف قد صار في نهاية رحلته من المتفقهين في علوم الظاهر. ومن جانب آخر يبدو أن مولاي عبد الله الشريف تأثر إبان إقامته في الحضرة الإدريسية بالجو الصوفي السائد فيها. يفسر ذلك اتصاله ببعض أوليائها زمنئذ. وقد ذكرت المصادر منهم "الشيخ البهلول الملاستي سيدي عزوز دالله، وذلك في ابتداء أمره عند قدومه لفاس بنية طلب العلم" (سلوة، 1 : 290)، والولي الصالح الحسن بن محمد بن علي ابن ريسون (ت. 1055 / 1645) دفين فاس. ولعل هذا التأثر هو الذي جعل مولاي عبد الله الشريف يلازم في نهاية رحلته العلمية زاوية الشيخ ابن عطية السلوي، آخر أساتذته في علوم الظاهر، كما رأينا، حتى لقد ذهب القادري إلى اعتباره الشيخ الذي تخرج على يده مولاي عبد الله الشريف في العلم والعرفان.

بل يبدو أن التصوف صار الهدف الرئيسي للمترجم له منذ عودته من فاس إلى ديار أهله بجبال غمارة.إذ بدأ من هناك رحلة جديدة كانت هذه المرة عبارة عن سياحة صوفية. زار خلالها أضرحة مشاهير أولياء المغرب، وبعض كبريات الزوايا، قبل أن ينتهي به المطاف، في شهر ربيع الثاني 1026 / 1617 إلى زاوية الشيخ علي بن أحمد الجرفطي الصرصري، المتوفى أواخر العقد الثالث من القرن 11 (17م) بمدشر المغاصن من جبل صرصر ببلاد الهبط، على بعد حوالي 24 كلم شمال غرب وزان (*La Maison du cautionnement*, 82-85). فلازم هذه الزاوية، وصار من مريدي شيخها المفضلين. كما جعل مولاي عبد الله من شيخه هذا معتمدا له في طريق القوم، وإليه انتسب، وعليه عول في السلوك.

ويذكر الوزانيون أن طريقة مولاي عبد الله الشريف إحياء لطريقة جده مولاي عبد السلام بن مشيش من جديد، كما

فعل أبو الحسن الشاذلي. يؤكد ذلك ما تميزت به حياة مولاي عبد الله الشريف الروحية قبل ظهور أمره وبعده، من سلوكات، وما ارتبط بذلك من أخبار تدل كلها على أنه كان يرمي فعلا إلى إلغاء أية منة لأي شيخ وقتي عليه (راجع : *الروضة*، 469 ـ 470 ؛ *الترجمان*، 72 أ)، وأنه كان يرمي فعلا إلى سن "طريقة" خاصة به، لا يناظرها زمنئذ في شمال المغرب على الأقل "طريقة" أخرى. ويبدو أن ملامح هذه "الطريقة" ظهرت على سلوكات مولاي عبد الله الشريف، وهو لا يزال في صحبة شيخه الصرصري، مما جعل هذا الأخير يترك له إدارة أمور الزاوية في حياته، ويوصي له بالخلافة من بعده. وكان تخمينه في محله، حيث اشتهر "أمر" مولاي عبد الله الشريف والشيخ الصرصري كثيرا. وبلغ صدى هذه الشهرة مدينة فاس، مما جعل زوار ضريح مولاي عبد السلام ابن مشيش من أعيان الحضرة الإدريسية سنة 1037 هـ / 1628م، وهي السنة التي توفي فيها الشيخ الصرصري، يعرجون على جبل صرصر لمعاينة صاحب "الأمر الجديد" بها، والاطلاع بالتالي على ذلك الأمر "الجديد" (*La Maison du cautionnement*, 88-90).

خرج مولاي عبد الله الشريف إلى الناس في مدشر أبي شقرة، وصار لهم فقيها وإماما، ثم انتقل إلى مدشر آخر مجاور يدعى الميقال بجبل بوهلال في مصمودة نفسها، وبنى زاوية، ثم تركها وانتقل إلى وزان بسفح جبل مصمودة، حيث زاويته اليوم وزاوية أعتابه "...و نزل منه بالدار التي كانت تعرف هنالك منذ القديم بدار الشيخ الولي الكبير مولانا أبي سلهام دفين البحيرة..."، وهي التي اتخذها زاوية (*الروضة*، 464 ؛ *الترجمان*، 71 ب).

كما كان مولاي عبد الله الشريف ومن تبعه، في سماعهم بالجلالة وبالأحزاب ملتزمين بالسبحة، وليس بأية آلة أخرى (*Esquisse*, 244). ويفسر هذا كله ويدعمه ما عبر به محمد ابن جعفر الكتاني عندما جعل "معتمد الطريقة الوزانية على السلوك في الظاهر والجذب في الباطن" (*سلوة*، 1 : 231). وهو وصف من الدقة بمكان حيث يشير إلى عدم ظهور الجذبات والشطحات، أو ما يعرف بالأحوال العرفانية على شيخ الطريقة الوزانية وأتباعه في حضرتهم خصوصا، وفي حياتهم الروحية عموما. وإذا ظهرت فظهورها كعدمه، إذ لا يتعدى هذا الظهور الافتخار بعلو المقام، وإظهار كرامات، كان الحرص شديدا على أن تكون على مقاس معجزات الرسول (ص) (نشر، 4 : 64، 118، 205، 240 ؛ *الروضة*، 380، 475). ولعل هذا بالذات ما جعل العربي الدرقاوي يصف أتباع مولاي عبد الله الشريف بالصلاح أكثر من العرفان. وجعل أحمد التجاني ينظر إلى مولاي الطيب، وكان أكثر خلفاء مولاي عبد الله الشريف التزاما بطريقة جده، من أهل الدنيا لا الآخرة، فآخرى أن يكون وليا (*مجموع مختصر*، 11 ـ 12). ومن أهم ما نستحضره هنا بالذات ما قيل عن الناصرية الأم بأنها تزيين للظاهر وإصلاح للباطن، لحرص أهلها، كما هو معلوم، على عدم التميز عن الجماعة الإسلامية ظاهرا، ودعوتهم بالأساس إلى تغيير البواطن بإصلاحها وتجنب الكشف عن أسرارها، انسجاما، ولا شك، مع مبدإ تجنب الدعاوى، أحد المبادئ الأساسية لأهل الظاهر في التصوف.

وهناك إشارات تفيد تصدر مولاي عبد الله الشريف في زاويته لتدريس المواد العلمية التي تلقاها عن شيوخه، من حديث وتفسير وسير وتصوف وعلوم اللغة (*La Maison du cautionnement*, 78). ومن أشهر من تخرج على يده ابنه مولاي محمد بن عبد الله. وقد قيل عن هذا الأخير إنه كان مقصودا للزيارة من البادية والحاضرة، "وكان يجلس إليه العلماء الأئمة أعلام هذه الأمة فيأخذون عنه الأحاديث النبوية..." (نشر، 3 : 192). وأنه كان يعتني كثيرا في تدريسه "بالحكم والإحياء والقوت..." (نشر، 4 : 240)، وأنه كان يجيز العلماء بما أخذ عن والده (نشر، 2 : 348)، مما يشهد له ولوالده مولاي عبد الله الشريف بالمشيخة في العلم الظاهر، على غرار المشيخة في التصوف. ويشهد للزاوية الوزانية زمن مولاي عبد الله الشريف بكونها كانت مدرسة علم وزاوية تصوف.

توفي مولاي عبد الله الشريف بوزان عام 1089 / 1678، مخلفا وراءه زاوية كبيرة، وذرية شهيرة، وطريقة صوفية متميزة.

م. المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع*، طبعة حجرية بفاس، 1896 ؛ ع. الرحمن الفاسي، *ابتهاج القلوب*، تح. حفيظة الدازي، د. د. ع. 91 ـ 1992، مرقونة ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، تح. م. حجي وأ. التوفيق، الرباط، 77 ـ 1986 : س. الحوات، *الروضة المقصودة*، ع. تيلاني، الرباط ؛ م. بن جعفر الكتاني، *سلوة*، طبعة حجرية بفاس، 1900 ؛ العربي الدرقاوي، *رسائل*، جمع : أ. الزكاري، طبعة حجرية بفاس، 1334 ؛ ع. الحفيظ الفاسي، *الترجمان المعرب عن أشهر فروع الشاذلية بالمغرب*، م. خ. ع. الرباط، رقم 4400 د ؛ م. التنجيطي السباعي، *مجموع مختصر من كلام الشيخ أحمد التيجاني*، م. خ. ح. الرباط، رقم 1354 ؛ ع. المحي الكتاني، *فهرس الفهارس*، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١ ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، المحمدية، 1978، جزآن ؛ م. منصور، *تصوف الشرفا، الممارسة الدينية والاجتماعية للزاوية من خلال مناقبها*، ضمن *التاريخ وأدب المناقب*، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي، عكاظ، 1989، ص. 17.

G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc*, Paris, 1951; H. El. Boudrari, *la Maison du cautionnement: Les Shurfa d'Ouezzane*, These du Doctorat de 3e cycle en Anthropologie sociale et historique, École des hautes études en Science sociales, Paris, 1984.

أحمد الوارث

الشريف (مولاي -) بن **علي** بن محمد الحسني، أبو الأملاك جد الأسرة العلوية المالكة. وهو ينتمي إلى الفرع اليوسفي، مقابل الفرع المحمدي. ولد سنة 997 / 1589 بتافيلالت في هذا التاريخ كان قد مضى على ورود جده الحسن بن قاسم إلى بلاد المغرب أكثر من ثلاثمائة سنة ؛ مما

يعني أن أسرته قد انصهرت في "المجتمع" الذي حلت بين ظهرانيه.

لا نعرف شيئا يذكر عن طلبه ولا عن مستواه العلمي، لأن المصادر التي ترجمته قصرت الاهتمام على جانب وجاهته المعنوية. يفهم منها أنه كان أفضل إخوته التسعة وأشهرهم. ومن ثم تمتع بنفوذ كبير ؛ فكان "أهل سجلماسة وكافة أهل المغرب يقصدونه في المعضلات، ويستشفعون به في الأزمات، ويهرعون إليه فيما جل وقل من الملمات" (النزهة، 423). كما تفيد المصادر أنه كان يعمل من أجل الوصول إلى الملك، سيما وأن الظرف كان ملائما، بسبب استشراء التطاحن على السلطة بين أواخر أمراء السعديين، وتعدد الأدعياء في كثير من جهات البلاد، فضلا عن التهديد الأجنبي.

ولما بلغ أشده، صادف أن أضحت تافيلالت مهددة من قبل إمارة السملاليين، التي صارت تتطلع إلى التوسع شرقا ؛ سيما بعد أن امتد نفوذها إلى وادي دادس المتاخم لجهة تافيلالت ؛ والقبائل الرحل التي كانت تعد تلك الجهة أحد مجالات نجعتها ؛ قصده سكان قصور وادي إفلي، وعقدوا له البيعة سنة 1040 / 1631 (*الترجمان*، ص. 1 ـ 2).

غير أن تلك البيعة لاقت معارضة أحد أقوى قصور جهة السفالات، وهو قصر تابوعصامت ؛ الأمر الذي أفضى إلى تدخل كل من السملاليين والدلائيين في تافيلالت ؛ حيث استنجد المولى الشريف بأبي حسون واستصرخ بنو الزبير - أهل قصر تابوعصامت - بالدلائيين.

وإذا كان الدلائيون قد اقتصروا على بعث رسل محملين برسائل دعت الفريقين إلى حقن الدماء، فإن السملاليين تدخلوا عسكرياً ؛ وهو الأمر الذي جعل المترجم في "حيص بيص". لكن حسه السياسي ألهمه التنازل عن الملك لابنه المولى مَحمد، لما كان يتمتع به من قوة وشجاعة، وليتفادى ذلك الحرج الذي ألجأته إليه معارضة بني الزبير (م. س. ن) ولخص الزياني تاريخ توليته وتنازله في البيتين التاليين:

تقلد الشريف بالصحراء ... في عام امش 1041 أيام السراء
وعام همش 1045 سلم الأمر زهد ... ونجله محمد الملك قصد

وبذلك يسود الاعتقاد أن التنازل كان في العام المشار إليه سلفا.

غير أن السملاليين أدركوا مغزى ذلك التنازل، فاحتالوا على المولى الشريف ليعتقلوه. فتولى أمر ذلك عاملهم المدعو أبو بكر الذي تظاهر بالمرض، فدعا الشريف المترجم يستعيده. ولما زاره قام باعتقاله، وبعث به مسجونا إلى سوس، حيث حبس في حصن بقمة جبل جنوبي إيليغ، عاصمة الإمارة السملالية. ونقل المختار السوسي أن بودميعة اعتقل المولى الشريف يوم الثلاثاء آخر شعبان سنة 1047، وهو تاريخ غير صحيح. والراجح عندنا، ومما نفيده من عدة قرائن أن الاعتقال تم فيما بين 1045 و1047.

ويجمع كثير من الكتاب على أن السملالي وسع عليه، في أثناء الاعتقال. ودليلهم على ذلك أنه "أنعم عليه بسيدة تدعى مباركة المغافرية اقترن بها هناك، وهي أم مولاي إسماعيل". على أن هنالك من يذهب إلى أن المترجم تسرى بها (*إيليغ قديماً وحديثاً*، ص. 109 ـ 110).

وأياما كان الأمر، فإن المولى الشريف قضى مدة في "مطبق" تازروالت، اختلفت المصادر في تحديدها. وعمل أبناؤها، سيما المولى مَحمد والمولى الرشيد، على البحث عن وسيط لفك أسر والدهم. وفي هذا السياق توجهوا إلى الزاوية الدلائية، وكلهم أمل في وساطة محمد الحاج، لكن بدون جدوى. والغالب على الظن أن السملالي ظل محتفظاً برهينته حتى انهزم في وادي درعة، وولى الأدبار نحو سوس، يجر أذيال الخيبة. وكان ذلك سنة 1051 / 1641. وهي السنة التي تم فيها إطلاق سراح المولى الشريف، مقابل فدية كبيرة، قدرها البعض بما يزيد عن قنطار ذهبا (*إيليغ*، ص. 114). وتفيد المصادر أنه ولد له في أثناء الأسر ثلاثة أولاد، من بينهم المولى إسماعيل (*البستان الظريف*، ص. 39). توفي المترجم ثالث عشر رمضان من عام 1069 / ثالث يونيو 1659، ودفن بزاوية سيدي بوزكري، بتافيلالت (*نشر المثاني*، 2 : 89 ؛ *الدرر البهية*، ص. 180).

أ. بن محمد العلوي، *الأنوار السنية في نسبة من بسجلماسة من الأشراف الحمدية*، الرباط، د. ت ؛ م. الصغير الإفراني، *نزهة الحادي*، تح. ع. الشادلي، الدار البيضاء، 1419 / 1998 ؛ م. بن الطيب القادري، *نشر المثاني*، تح. م. حجي وأ. التوفيق، الرباط، 1402 / 1982، الجزء 2، *والتقاط الدرر*، تح. هـ. العلوي، بيروت، 1403 / 1983، أبو القاسم الزياني، *البستان الظريف*، القسم الأول، تح. رشيد الزاوية، الريصاني، د. ت. ؛ *الترجمان المعرب*، القسم الخاص بالدولة العلوية، نشر هوداس، 1888 ؛ أ. أكنسوس، *الجيش العرمرم*، ط. 2، مراكش، 1414 / 1994، الجزء الأول، أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1956، الجزء السادس ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، ط. 2، المحمدية، 2001، الجزء الثاني، م. المختار السوسي، *إيليغ قديماً وحديثاً*، الرباط، 1386 / 1966.

أحمد عسالك

ابن الشريف، محمد مقاوم ولد سنة 1915 بدوار الزاوية ملحقة دائرة اكنول بإقليم تازة. انخرط في صفوف جيش التحرير غداة تأسيسه بالمنطقة الشمالية بجبال الريف وعمل ضمن التشكيلة التي كانت مرابطة بمركز اسويل بيورد ناحية اجدير تحت قيادة عمر اشتاتو. وبقي يعمل ويناضل بكل نزاهة وإخلاص وبسالة نادرة حيث شارك في عدة معارك أبان فيها عن روح قتالية عالية كالهجوم على مركز المستعمر بيورد ومركز بوزينب.

وظل كذلك إلى أن استشهد في إحدى المواجهات بين جيش التحرير وقوات الاحتلال بمكان يدعى كدية الشوك بضواحي بورد وذلك بتاريخ 2 / 12 / 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 514098.

الشريف بن **محمد الحسني** الدرعي من أشراف سجلماسة الذين طرأوا على وادي درعة بعد قيام الدولة العلوية خلال النصف الثاني من القرن الحادي عشر (17م).

يحليه صاحب *الدرر المرصعة* بالعالم العلامة الفقيه الأديب (*الدرر*، 138) لا نعلم شيئاً عن نشأته، وهل ولد في درعة أم في سجلماسة ؛ وكل ما نعرفه عنه أنه كان يعيش في نهاية القرن الحادي عشر (17م) وطيلة النصف الأول من القرن الثاني عشر (18م)، بواحة اكناوة، حيث أسس قصبة خاصة به لا تزال تعرف إلى اليوم بقصبة مولاي الشريف.

ورغم أن الناصري، قد حلاه بالعلم والفقه فلم يثبت عنه أنه مارس التدريس كباقي علماء وقته بدرعة إذ يبدو من خلال بعض الإشارات أنه كان يمارس نشاطاً تجاريا بالمنطقة حيث كانت واحة لكناوة إبانه ما تزال تحتفظ ببعض الأنشطة التجارية التي ورثتها منذ العهد السعدي. وفي غمرة الأحداث القبلية التي عرفتها واحتا اكناوة ومحاميد الغزلان خلال العقد الرابع من القرن الثاني عشر الهجري (18م) (*Relation de Pellow*, 119)، تعرض الشريف بن محمد لبعض المضايقات، فقتل أحد أولاده على يد بعض الظلمة حسب تعبير الناصري (*الدرر*، 139)، وقد تأثر كثيراً لهذا الحدث، ورغم أن السلطان مولاي إسماعيل قد انتقم للشريف بن محمد فإنه فضل الانكماش على نفسه بقصبته، حيث أقبل على قرض بعض المرجزات (*الدرر*، 138 ـ 139) وتكشف هذه المقطعات الشعرية عن رهافة إحساس الشريف بن محمد الحسني، وتأثره العميق لمقتل ابنه في أحداث لا يَدَ له فيها.

وفي سنة 1149 / 36-1737 هجرية سافر الشريف بن محمد الحسني إلى تافيلالت فأدركه أجله بالقرب من سجلماسة عن سن عالية، فنقل إلى موطن أهله حيث دفن هناك.

م. المكي بن موسى الناصري، *الدرر المرصعة*.
Thomas Pellow:, *Relation de Thomas Pellow*, Paris 1983.

أحمد البوزيدي

الشريّط، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Axeret -chret - Xaret؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

محمد ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1435.

محمد ابن عزوز حكيم

الششتري، علي بن عبد الله النميري ولد بششتر إحدى قرى وادي آش بالأندلس عام 610 / 1213. واتصل بالمتصوف الأندلسي عبد الحق ابن سبعين عام 648، فدرس عليه الفلسفة، واشتهر بحفظ أزجاله وتواشيحه، ولازمه في تجواله بمدن المغرب والجزائر وتونس.

ولما توفي شيخه انفرد بعده بالإقامة على الفقراء المتجردين، فكان يتبعه في تنقلاته ما ينيف على أربعمائة منهم.

ألف الششتري عدة كتب منها : *الرسائل العلمية*، *والعروة الوثقى والمقاليد الوجودية في أسرار الصوفية*. وله ديوان شعر مشهور حققه الدكتور علي سامي النشار عام 1960.

اشتهر الششتري بما كان يتغنى به في الأسواق من أزجال شيخه ابن سبعين أو بما نظمه هو نفسه من موشحات وأزجال على طريقة أهل الأندلس. وقد لقيت أناشيده بعد وفاته ـ وما تزال حتى اليوم ـ شيوعا واسعا، فأصبح بعضها مما يتغنى به فقراء درقاوة في المغرب.

أما في تونس فقد نحت المتصوفة من اسمه كلمة "الششتارة" وأطلقوها على جماعة الذكر، كما نحتوا منه لقب " الشيخ الششتري" في التدليل على شيخ العمل الذي يتولى في الحضرة نقر الطار ويشهد له بمعرفة الطبوع والأنغام وأسمائها.

ويحفل كناش الحايك بأشعار الششتري حتى لا تكاد تخلو منها نوبة من النوبات الاحدى عشرة. وقد أحصيت عددها في هذا الكناش فوجدتها تنيف على ثمانين صنعة أغلبها من التواشيح.

توفي في النصف الثاني من القرن السابع (13 م).

ع. الجراري، *القصيدة*، ص. 551 ؛ الصادق الرزقي، *الأغاني التونسية*، ص. 110 ؛ المقري، *نفح الطيب*، ج 7، ص. 161 ـ 167.

عبد العزيز بن عبد الجليل

شَشُّو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Xaxo؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1454.

محمد ابن عزوز حكيم

الشطرنج بالمغرب، يمكن القول بأن الشطرنج جزء من تراث البشرية الفني والعلمي، وهو يضرب بجذوره في أعماق التاريخ، ولم يتفق العلماء والباحثون على إثبات موطنه الأصلي، وإن كان بعضهم يرجّح أنه من عمل بلاد الهند .. ومن الثابت أن العرب عرفوا الشطرنج فيما عرفوه من حضارات الأمم، أخذوه عن الفارسيين عندما دانت بلادهم للحكم الإسلامي.. وقد شُغف العرب بهذه اللعبة فتعلموها وبرعوا فيها، وإن المتصفح لكتب الأدب العربي يجدها زاخرة بأخبار الشطرنج ونوادره.. ومما لا شك فيه أن دخول الشطرنج

إلى القارة الأوربية تحقق على أيدي العرب، فعن طريق الأندلس وإيطاليا وعن طريق بلاد الشام إبان الحروب الصليبية كانت هذه اللعبة من جملة ما أخذه أهل أوربا من علوم العرب وثقافتهم وحضارتهم الخلاّقة.

عُرف بعض الشطرنجيين المسلمين ببراعتهم وجودة لعبهم، ومن أشهرهم : أبو العباس أحمد العدلي، وأبو القاسم التوّزي، وأبو بكر محمد الصولي، وأبو الفرج محمد اللجلاج... ومارس الشطرنج من قبيل الترفيه بعض الصحابة، منهم أبو هريرة، وعبد الله بن العباس، وعبد الله بن الزبير، والحسين بن علي.. كما مارسه عدد من التابعين والفقهاء، منهم سعيد بن المسيّب، وسعيد بن جبير، وعلي بن الحسين زين العابدين، وابن شهاب الزّهري، والقاضي أبو الحسن الماوردي، والإمام الشافعي.. كما مارس الشطرنج من الخلفاء والملوك يزيد بن معاوية، وعبد الملك بن مروان، والوليد بن عبد الملك، وهشام بن عبد الملك، وهارون الرشيد، والأمين، والمأمون، والسلطان محمود الغزنوي، وبطل الإسلام صلاح الدين الأيوبي، وغيرهم.. ومن الشعراء الفرزدق، وابن الرومي، وابن المعتز، وعلي بن الجهم وغيرهم.. وأخذ الشطرنج العربي في الماضي نقاشاً طويلاً بخصوص مكانه بين الحلال والحرام، فقد اختلف الفقهاء في حكمه بين الإباحة والكراهة والتحريم.. قال كثير من الفقهاء إن الشطرنج مباح شرعاً ولكن بشروط ثلاثة، أولها ألاّ يؤخر الإنسان بسببه صلاته عن وقتها، وثانيها ألاّ يُلعب كقمار أي رهان على مال، وثالثها أن يحفظ اللاعب لسانه حال اللعب عن الفحش والخنا وردىء الكلام.

عرف المغاربة الشطرنج منذ العهود الإسلامية الأولى، فقد ظل المغرب على صلة وثيقة بالأندلس العربية منذ نشأتها، ومن ثم كان التفاعل كبيراً بين هذين القطرين في كل ما يتعلق بمظاهر الحضارة من علوم وفنون وصناعات وغيرها.. ومما لاشك فيه أن لعبة الشطرنج كانت من بين الفنون الرفيعة التي اتسمت بها حضارة الأندلس الزاهية حيث تعاطاها رجال نبهاء تحدثت عنهم كتب الأدب والتاريخ كأمير قرطبة عبد الرحمن الثاني، ووزير المعتمد بن عباد أبي بكر محمد بن عمار، وقاضي قضاة إشبيلية أبي بكر ابن العربي المغافري.. وليس ببعيد أن يكون رجال المغرب بحكم الجوار والعلاقات المستمرة مع الأندلس قد تعلموا هم أيضاً فن الشطرنج وأولعوا به.. ولا تخلو كتب تاريخ المغرب من تلميحات طفيفة لبعض الشخصيات المغربية التي مارست لعبة الشطرنج، فقد جاء ـ على سبيل المثال ـ في كتاب "النبوغ المغربي" للبحاثة عبد الله گنون أن العلامة الشهير أحمد المنجور الفاسي الذي عاش في العصر السعدي "كان أحد الأبطال في لعب الشطرنج".. وقد استعمل بعض الأدباء في تعابيرهم ألفاظاً شطرنجية، من ذلك أن الشاعر المغربي "ابن الونّان" الذي عاش في القرن (18) قال في قافية شهيرة له :

ولا تحارب ساقط الفدر فكم من شهة قد غلبت بيذق

وعاش في القرن (17) شيخ وقور يدعى زنوف التازي، وكانت له دراية بأصول الموسيقى الأندلسية وطرائف اللعب بالشطرنج، ومن ثم ألف كتاباً بعنوان "مختصر الأفاريد" وضمنه باباً خاصاً بلعبة الشطرنج. وقد طبع هذا الكتاب بخط مغربي سنة 1300 بمطبعة حجرية فاسية. ومن هنا يتضح أن الشطرنج عرف بالمغرب منذ القديم وخاصة في كبريات المدن كفاس وتطوان وسلا والرباط ومراكش، غير أن لاعبيه كانوا قلة لا ينضمهم ناد أو اتحاد، وإنما كانوا هواة متفرقين يمارسون اللعبة داخل دورهم أو في منتديات خصوصية.

وبلغ من اهتمام المغاربة بالشطرنج أن نظموا فيه بعض القصائد الشعرية، ومنها *ياقوتة الشطرنج* وهي أرجوزة قيمة أنشأها الأديب محمد بن محمد بن محمد حركات السلاوي سنة 1333/ 1915، من 320 بيتاً.

وأخرى لمحمد بن محمد بن علي الدكالي، طبعت بالرباط د. ت. (حوالي 1927)، ومنها في وصف الرقعة قوله :

وثالثة شاعر الحمراء محمد بن إبراهيم مدح بها الباشا التهامي الأگلاوي باسم *الشطرنج الناطق*، وذلك بأن ملأ بيوت الشطرنج الأربعة والستين بعددها من الكلمات، ثم كون من تلك الكلمات أبياتاً شعرية تختلف في بحورها وقوافيها، وتتألف معانيها من سير القطع الثمانية على الرقعة في مختلف الاتجاهات.

وفي مجال التأليف طبع بالرباط سنة 1926 كتاب صغير لمؤلفه مصطفى بن محمد الغربي الرباطي عنوانه *زهر النارنج في تعريف الشطرنج*. وهناك مخطوط لعبد السلام بن سودة بعنوان *الزهر من أكمامه في الشطرنج وأحكامه*، وقد فرغ من تأليفه سنة 1924.

ولا ريب أن المغاربة ظلوا يلعبون الشطرنج حسب أصوله وطرائقه العربية القديمة إلى حين احتكاكهم بالأوربيين الذين توافدوا على المغرب منذ القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر (19 ـ 20 م)، وعندئذ تعرّف المغاربة على الشطرنج العصري فأعجبوا به وحذقوه.. وقد عاش بمدينة سلا لاعب مقتدر اسمه الحاج عمر المالقي. ويقال إن سلطات الحماية استقدمت إلى المغرب بطلاً فرنسياً حيث أجرى بقاعة فندق المامونية بمراكش مقابلة شطرنجية آنية (سنة 1950) شارك فيها عدد من الهواة كان من بينهم الحاج عمر المالقي وهو يرتدي لباسه المغربي التقليدي، وقد نشرت الصحافة آنذاك خبر انتصار هذا اللاعب على البطل الأوربي الزائر.. وعندما أنشأ الأجانب بالمغرب إبان عهد الحماية أنديتهم الخاصة التي كانت تعنى بكل أنواع الرياضة البدنية والفكرية أخذ بعض المغاربة يرتادونها ويشاركون في أنشطتها، بل نالوا أحياناً قصب السبق في بعض أنواعها ومنها، رياضة الشطرنج.. ومما هو جدير بالذكر أن البطل الفاسي أحمد بنيس شارك في بطولة الجزائر سنة 1948 وانتزع رتبتها الأولى من أيدي جماعة من اللاعبين الفرنسيين.. وخلال الأربعينيات شارك

بطل تطوان إدريس ابن عبود في بطولات بإسبانيا وحظي هناك بالتقدير والإعجاب من لدن الشطرنجيين الإسبان.

وأسست بمدينة تطوان غداة استقلال المغرب سنة 1956 أول جمعية شطرنجية تحتضن هواة مغاربة هي الهيئة المغربية للشطرنج، وقد قامت منذ تأسيسها بعدة أنشطة، وشارك ممثلوها في كثير من المباريات التي جرت بالمغرب وإسبانيا، واستقدمت إلى تطوان ثلاثة أبطال إسبان (بيريس، پومار، مدينا) وبطلاً من البرتغال (دوراو). وفي نفس الوقت قام النادي الإسباني بمدينة العرائش بتنظيم عدة مباريات حبية بين فرق مدن مغربية وإسبانية. كذلك نظم هذا النادي في سنة 1964 مباراة دولية بين المغرب وإسبانيا، شارك فيها من جانب الفريق الإسباني ثلاثة أبطال مرموقين هم : أرتورو پومار، وأنطونيو مدينا، ورفاييل سابوريدو. أما الفريق المغربي فكان مؤلفاً من : إدريس ابن عبود، ومحمد بلعربي، وأحمد بنيس.

وشهد المغرب منذ أواخر الخمسينيات نهضة شطرنجية مطردة، إذ أقبل أبناء الوطن على ممارسة رياضة الشطرنج الذهبية، وتاقت نفوسهم إلى إجادتها حسب قواعدها ونظرياتها الحديثة، وأنشئت الجمعيات في كثير من المدن، وأقيمت المنافسات الودية بين الفرق.. وكُلِّلتْ جهود الهواة بتأسيس *الجامعة الملكية المغربية للشطرنج* في الجمع العام التأسيسي الذي عقد بفندق زلاغ بفاس يوم 2 نوفمبر 1963.

اهتمت جامعة الشطرنج في البداية بتنظيم البطولات الوطنية الفردية للرجال، وقد بلغ مجموعها لحد الآن 29 بطولة. وأشرفت على تنظيم مباريات فرقية أخرى باسم "كأس العرش" ابتداءً من 1982. وقد بلغ مجموع هذه المنافسات لحد الآن 13 مباراة.

كذلك نظمت الجامعة 16 بطولة وطنية فردية خاصة بالشبان (دون 20 سنة). و14 بطولة وطنية فردية للإناث.

ومن بين الأنشطة الهامة التي أنجزتها جامعة الشطرنج المغربية تنظيمها مباراة دولية بإحدى قاعات "فندق الدار البيضاء" بالعاصمة الاقتصادية في شهر مارس 1974، شارك فيها عشرة أبطال يمثلون ثمانية بلدان (رومانيا، الفيليبين، يوغو سلافيا، روسيا، الولايات المتحدة، إسبانيا، المغرب، تونس).. وقد شرّف جلالة الملك الحسن الثاني جامعة الشطرنج باستقباله للاعبين الدوليين الذين شاركوا في هذه المباراة، وذلك أثناء المهرجان الذي أقيم قرب مدينة القصر الكبير بمناسبة تدشين بناء سد وادي المخازن. وكان يتقدم هؤلاء الأبطال في حفل الاستقبال الشيخ محمد المكي الناصري وزير الأوقاف والشؤون الثقافية والأستاذ محمد التبر رئيس الجامعة المغربية للشطرنج.

ويمكن القول بأن أكبر تظاهرة شطرنجية عربية شهدها المغرب تتمثل في *المهرجان العربي الثالث للشطرنج* الذي أقامته الجامعة المغربية ـ تحت إشراف الاتحاد العربي للشطرنج ـ بمدينة تطوان في أكتوبر 1985. وقد أقيم حفل افتتاح المهرجان بمنزل عبد السلام الحاج بتطوان بحضور وزير الشبيبة والرياضة عبد اللطيف السملالي، ورئيس الاتحاد الدولي للشطرنج فلورنسيو كامپومانيس، ورئيس الاتحاد العربي للشطرنج التونسي محمد رضا بلقاضي .. واشتمل هذا المهرجان على الأنشطة والأعمال الرئيسية التالية : (أ) تنظيم البطولة العربية الفردية للذكور والإناث. (ب) تنظيم الملتقى الأول للحكام العرب (ج) تنظيم ندوة عن تاريخ الشطرنج العربي، تولى تأطيرها عبد الرزاق أحمد طه رئيس اتحاد الشطرنج العراقي ومحمد مراد سكر رئيس الاتحاد اللبناني للشطرنج (د) اجتماع الجمعية العمومية للاتحاد العربي للشطرنج.. كذلك نظمت جامعة الشطرنج المغربية في نوفمبر 1998 مهرجاناً عربياً للشطرنج بمدينة أگادير حيث جرت بطولة عربية فردية للذكور وبطولة عربية فردية أخرى للإناث، بالإضافة إلى تنظيم بطولة فردية للفتيان وأخرى للصغار.

وشارك أبطال المغرب في بطولات عربية فردية أقيمت في عدد من العواصم والمدن العربية : تونس (1983)، دبي (1984)، تونس (1987)، الكويت (1989)، دبي (1991)، الدّوحة (فبراير 1993)، عمّان (ديسمبر 1993)، إربد بالأردن (1994)، بيروت (1995)، بغداد (1997).

وابتداءً من سنة 1986 نظمت تحت إشراف الجامعة المغربية عدة بطولات وطنية فردية خاصة بالفتيان والصغار ذكوراً وإناثاً (أقل من 16، 14، 12 سنة).. وجاءت بعد ذلك مشاركة أبطال المغرب الناشئين في العديد من البطولات الدولية والعربية التي أقيمت ببعض المدن الأوربية والعربية، وهي بطولات تنظم لصالح اللاعبين الذين تقل أعمارهم عن 20 سنة أو أقل من ذلك.

وعلى الصعيد المغاربي نظمت جامعة الشطرنج البطولة المغاربية الأولى للفرق الوطنية بمدينة وجدة سنة 1990.. وتلا ذلك مشاركة ممثلي المغرب في منافسات مغاربية (فردية أو فرقية) أقيمت معظمها في تونس والجزائر.

ومن الأحداث الشطرنجية الطريفة التي عرفها المغرب في العقد الأخير تنظيم الجامعة المغربية لمباراة آنية للبطل الروسي العالمي "أناتولي كارپوف" حيث تقابل بأحد فنادق الدار البيضاء يوم 28 مارس 1992 مع 18 لاعباً ولاعبة كان من بينهم وزير مغربي وعدد من رجال المال والأعمال بالعاصمة الاقتصادية.. وكنشاط مواز لمباراة دولية مغلقة نظمت في ماي 1994 بالدار البيضاء (بمشاركة عشرة لاعبين دوليين) أقيمت ببهو بنك الوفاء يوم 7 ماي 94 مباراة آنية للبطل العالمي السابق "بوريس سپاسكي" حيث تقابل فيها مع 23 مشاركاً كان من بينهم رئيس الجامعة واثنان من رؤسائها السابقين.

وأخيراً تجدر الإشارة إلى مشاركة الفريق الوطني المغربي في المنافسات التالية :

ـ بطولة الأمم الأفريقية الأولى التي جرت بمدينة القاهرة في ماي / يونيو 1993.

- بطولة الأمم الأفريقية الثانية، ونظمت أيضاً بالقاهرة في يوليو 1997.

- البطولة العربية الأولى للأندية البطلة التي أقيمت كذلك بالقاهرة في أبريل 1999.

- الألعاب العربية التاسعة التي أقيمت بالأردن في أغسطس 1999.

وفي مجال التأليف الشطرنجي الحديث أصدر أحمد الشرقاوي إقبال سنة 1969 كتاباً بعنوان *لعبة الشطرنج في ماضيها الإسلامي*. وأصدر كاتب هذا العرض في سنة 1972 كتاباً عنوانه *شذرات من الشطرنج*، كما أخرج في سنة 1981 كتيباً طبع على نفقة الجامعة بعنوان *قوانين لعبة الشطرنج وطرق تنظيم مبارياتها*، وقد اعتبر هذا الكتيب التقني الأول من نوعه في الوطن العربي.

وينضوي تحت لواء الجامعة الملكية المغربية للشطرنج خلال موسم (1999/2000) 76 ناديا. واعتباراً للموقع الجغرافي تقسم خريطة الأندية الشطرنجية إلى ثمان عصب.

محمد حسن السوسي البهاوي

الشط، أبو سالم إبراهيم، من أبرز رياس البحر في عهد السلطان أحمد المنصور السعدي، اشتهر بشجاعته ونجابته في المعرفة بأحوال البحار والملاحة، وبإقدامه في تنفيذ العمليات الجهادية ضد السفن المعادية للمغرب، وخصوصاً بالمياه المتاخمة للشواطئ الممتدة بين سلا ومضيق جبل طارق، الشيء الذي جعل السلطان المذكور يعينه على إمارة الأسطول السعدي بظهير شريف من إنشاء الكاتب محمد بن عيسى، جاء فيه :

«هذا ظهير كريم ... للرايس الأنجد الأحظى الأمضى المجاهد الأوجه الأكمل أبي سالم إبراهيم الشط، ولما كان ممن علمت كفايته، واشتهرت في الجهاد عنايته، وأربت في البر والبحر على الغايات غايته، وأحاطت بتصاريف ذوات الألواح والرسى درايته، رأى أيده الله أن يقلده قيادة الأسطول ... ويسند إليه رياسة القطائع والشواني ويحط زمامها من يده بيد الحازم اليقظ الذي لا يلم به الكسل والتواني، فقدمه أعلى الله قدمه وعرفه الخير والبركة في كل ما توجه إليه عزمه، ويممه على العمارة البحرية والقطائع الجهادية، فليتقدم لذلك بما لديه من الجد والمضاء، والكفاية التي يستمد منها الصارم والمنتضى، عاملا بما يقضي له من الله الثواب، ومنا مزيد العز ومزيد الرضى..."

ع. العزيز الفشتالي، *مناهل الصفا*، تح. ع. الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف، الرباط، 1972، ص. 129 - 30 ؛ ع. الهادي التازي، *التاريخ الدبلوماسي للمغرب*، ج 8، المحمدية، 1988، ص. 251.

حسن أميلي

الشط البحري، جزء من قاع البحر مرتفع عما حوله ولكن على عمق يكفي للسماح بالملاحة. ويمكن للشط أن يكون رمليا وحسب (اصطلاح محلي في المغرب العربي مثل هضبة الشطوط).

وبصفة عامة، فمصطلحات «شط» وبالخصوص «شُطّ» وشطوط (جمع شط) تعرف بالمستنقعات المالحة وكذلك بالسبخات أو السباخ وهي أراضي ذات نزّ وملح وتعتبر الشطوط أيضاً كسبخات بحرية المنشأ.

وانطلاقا من هذه المعطيات، يمكن القول بأن التعريف العام لمصطلحات شَط، شُط، شطوط وكذا شُطّانْ (جمع شط) يطرح إشكالية الترادف بين الشطوط والسبخات أو السباخ، والتي لكل منها مميزات وظروف ايكولوجية وبيئية وبيولوجية خاصة ومحددة على الرغم من تشابهها الكبير.

ومن جهة أخرى، اعتمدت المصطلحات العربية والتي هي الأصل والمصدر للتعريف بلفظات شط، شطوط، شطان في لغات أخرى وخاصة منها الفرنسية.

وتعتبر الشطوط كمرادفات للسباخ أو السبخات (جمع سبخة)، وفي هذا الباب عُرف بالشطوط أو السبخات كبحيرات أو مستنقعات مالحة والتي يحدث بها التبخر أثناء فصل الصيف تكون صفّاح ملحي خام أو طبقة ملحية.

ويطلق بشمال إفريقيا أيضاً مصطلحا شطوط وسباخ على المنخفضات المكونة من رواسب الشِّقْن التي تغطيها الأملاح والتي لا تمكث بها المياه إلا في فترات من السنة.

وتُعرف الشطوط كذلك بمنطقة المغرب العربي كوهدات أو منخفضات بالصحراء، والنجود العليا (المغرب، الجزائر، تونس)، خالية من الماء على العموم ومغطاة بقشرة ملحية أو صفاحات ملحية والتي يمكنها أن تمتلىء لفترة قصيرة بالأمطار التي تهم تلك المناطق.

وبالنسبة لعدد من الباحثين المهتمين بالأتربة المالحة والنباتات الالفسلحية فالشطوط هي منخفضات ذات مساحات مختلفة (كبيرة وصغيرة) وتحتلها المياه المالحة. كما تصب بها مجاري مياه أو أودية مهمة وعادة مالحة. والميزة الأخيرة، حسب الباحثين أعلاه، هي ما يفرق أساساً بين الشطوط والسباخ أو السبخات. فهذه الأوساط الحياتية (السباخ) تعتبر في هذه الحالة كمنخفضات تتجمع فيها مياه مالحة ولا يصب فيها أي مجرى للمياه أو واد. والملوحة في هذه الظروف لها ارتباط بسيلان مياه الأمطار يحمل الأملاح المنحلة (صخوراً أو أتربة مالحة مجاورة للسبخات) أو التبخر وتركيز الأملاح على شكل قشرة أو طبقة ملحية.

وفي تعريف آخر، تعتبر الشطوط كمنخفضات كبيرة المساحة، يحيط بها جرف أو أجراف وتصب بها مجاري مياه ويمكنها أن تصبح يابسة جزئيا أو كليا خلال الفترات الجافة. وحسب بعض الباحثين تعتبر الشطوط بإفريقيا الشمالية (المغرب، الجزائر، تونس)، عبارة عن أحزمة أو رقع أرضية متراكزة ومالحة تحيط كليا بالسبخات. وهذه الاحزمة تكون أوساط حياتية تنمو بها عدة أنواع من السرمقيات والنباتات أليفة الملح.

أما بالنسبة لباحثين آخرين وخاصة منهم المهتمين بالزراعة والري فإن الشط يعني الشاطئ ويستعمل خطأ للتعريف بالجوانب التي تحيط بالبحيرات المالحة للسهول العليا بالجزائر.

وعلى الرغم من أن بعض الباحثين ربطوا استعمال مصطلحات شطوط، سبخات وسباخ بإفريقيا الشمالية أو المغرب العربي وخاصة بالمغرب والجزائر وتونس، يمكن القول بأن هناك أبحاث ومساهمات علمية بيّنت بأن استعمالها ودراسة بيئتها ونظمها الايكولوجية همّ عدة جهات بالشرق الأوسط وجهات أخرى.

ويمكننا القول كذلك إن الجهات البيوجغرافية المتميزة للعراق بمناطقها الرطبة والمالحة بنهري دجلة والفرات وخاصة شط العرب (Chot al Arab) وأهواره (جمع هور) لها صلة وطيدة بالشطوط المالحة التي تنمو بها تشكيلات ونظم بيئية مختلفة بما فيها شبه المدارية الالفملحية.

وانطلاقا من كل هذه المعطيات ومصادر علمية أخرى يمكننا أن نعرف بالشطوط على النحو التالي :

"الشطوط هي منخفضات أو وهدات ترسيب نتيجة تأثير مياه الأمطار أو مجاري المياه والأودية وتذرية تحت عوامل تبخر مياهها وتجفيفها وكذا الأملاح أو المتبخرات التي تُكوّن القشرة الملحية.

فهي اذن أوساط حياتية ذات نظم ايكولوجية وبيئية خاصة ومتخصصة في تكيفها العالي مع الأملاح وتركيزها المرتفع. وتتميز أيضاً بخصوصياتها البيولوجية بما فيها تنوعها البيولوجي من فلورة وفونة وديناميكيتها الوظيفية السريعة المرتبطة بالتغيرات في درجات ملوحة ورطوبة تربتها ومياهها وكذا تغيرات مستوى أو عمق المياه السطحية أو الباطنية أو الطبقة المائية الجوفية. وكل هذه العوامل الايكولوجية والبيئية وتغيراتها في الزمان ولمختلف الأوساط الحياتية للشطوط لها ارتباط قوي بالظروف المناخية (أمطار وتهطال، درجات الحرارة، نوع وقوة الرياح ...) والإطار البيئي الموقعي (الأملاح والمتبخرات ونوعيتها وتركيزها، رطوبة التربة والرواسب، بنية وقوام ومسامية التربة، انحدار...). وعامل الإنسان والظروف السوسيو اقتصادية والتي، في معظم الأحيان إن لم نقل كلها، تؤدي إلى تدهور قوي أو تدمير وتصحر الشطوط.

ومن الناحية الجغرافية، فالشطوط مثلها مثل معظم السبخات تحتل مواقع بالمناطق الجافة وخاصة المناطق شبه الصحراوية والصحراوية وذلك تحت العوامل البيئية الرئيسية التي تمكن من تكونها ونشأتها وتطورها.

ومن الأمثلة البارزة للشطوط بشمال إفريقيا هناك شط تيگري (Chot Tigri) بالجنوب الشرقي للمغرب الشرقي، شمال غرب فگيگ وشمال شرق بوعرفة وشط (Chott Hodna) بالجنوب الشرقي للجزائر العاصمة وشط الجريد (Chott Jérid) بتونس الوسطى.

2 ـ الإطار الجغرافي والايكولوجي والبيئي :

2 ـ 1 ـ التوزيع الجغرافي :

تتوزع الشطوط في مناطق مختلفة عبر العالم على الرغم من أن معظم الباحثين الفرنسيين الذين اهتموا وساهموا في العديد من الدراسات العلمية المهمة حصروا وجود الشطوط ونشأتها والتعريف بها بإفريقيا الشمالية أو المغرب العربي وعلى وجه التحديد بالمغرب والجزائر وتونس.

ونظراً لارتباط وتكوّن وديناميكية الشطوط بالمتبخرات (الأملاح خاصة) ورطوبة أو تجفيف التربة وكذا بالبيئة الجافة، شبه الصحراوية والصحراوية والانحباس، فالشطوط والسباخ تجد بهذه المناطق الجيوغرافية الظروف الملائمة لتكونها.

وفي هذا الباب، لا بد من أن نؤكد على أن الدراسات في هذا الميدان أنجز الكثير منها بالجزائر على الخصوص وكذا تونس.

وبالنسبة للمغرب، انجزت في هذا الميدان بعض المساهمات المحدودة والتي اهتمت بالجنوب الشرقي أو المغرب الشرقي أو بسبخات الجنوب الغربي المغربي أو في مجال المياه المالحة بالمغرب.

وبيّنتْ هذه المساهمات العلمية أن الشطوط وخاصة السبخات تتموقع بجنوب المغرب الشرقي والجنوب الشرقي المغربي والجنوب وكذا الجنوب الغربي للمغرب أي بالمناطق الجافة وبالخصوص شبه الصحراوية والصحراوية.

وكعيّنة لهذه الأوساط البيئية، هناك شط تيگري شمال شرق بوعرفة والشط الغربي جنوب شرق عين بني مطهر، والتي تمتد شرقاً بالجزائر وخاصة الشط الغربي.

ومن جهة أخرى فاستعمال مصطلحات سبخة وسبخات بالنسبة للمنخفضات المالحة بالمنطقة الجافة وشبه الصحراوية والصحراوية هو السائد.

واستعمال نفس المصطلحات يظهر بحدّة في المناطق البيوجغرافية بالجنوب الغربي المغربي.

ففي كل هذه المناطق الألفاظ المستعملة هي سبخة، سبخات وسباخ.

2 ـ 2 ـ الظروف الايكولوجية والبيئية :

2 ـ 2 ـ 1 الملوحة

ان الملوحة كما بيّناه في المجال المتعلق بالسبخات (انظر سبخة) هي العامل الايكولوجي الأساسي الذي يلعب دوراً بارزاً في بيئة الشطوط من نشأتها وتكوينها إلى تطورها. والملوحة تهم التربة والرواسب، والمياه المتجمعة على السطح، السديمة المغذية، والمياه الباطنية والجوفية.

وترتبط ملوحة الشطوط بتواجد أملاح مختلفة والتي تكون إما مدمصة بالنسبة للتربة على شكل كاتيونات (K+, Ca++, Mg+, Na+) أو منحلة على شكل كاتيونات (K+, Ca++, Mg++, Na+) وانيونات (Co3--, Co3H-, So4--, Cl-).

وكما هو الشأن بالنسبة للسبخات، وفيما يهم الكاتيونات فالكاتيون (تربة، مياه السدية والباطنية) هو الصوديوم (+Na) الذي يفوق 50٪ مقانة مع الكاتيونات الأخرى، بل ويتعدى في حالات كثيرة 95٪. أما الكاتيونات الأخرى وخاصة المغنيزيوم (++Mg) والكالسيوم (++Ca) فتصل، بل وتتعدى في ظروف بيئية خاصة 40٪ أو 50٪. وتحتل هذه الكاتيونات أي ++Mg أو +Ca المرتبة الثانية بعد الصوديوم +Na. أما تركيز البوتاسيوم، فيبقى متواضعاً مقارنة مع الكاتيونات الأخرى.

وبالنسبة للأنيونات، يبقى الكلورید (-Cl) هو السائد مقارنة مع الأنيونات للأخرى. وكما هو الحال بالسباخ، فالكلورید يمثل أكثر من 40٪ بالنسبة للانيونات الأخرى. وفي معظم الأحيان، وحسب الظروف الإيكولوجية، فهو يفوق 50٪ أو 60٪ من مجموع الانيونات بالوسط البيني الطبيعي للشطوط.

ويمثل انيون السلفات (--SO4) نسبة مهمة جداً، بل ويمكن أن يكون أكثر تركيزاً من الكلورید (-Cl) نفسه وخاصة بالمناطق التي يوجد بها الجبس أو سلفات الكالسيوم (Ca-So4). وفي هذه الحالات، يمثل السلفات نسبا تتراوح ما بين 30٪ أو 40٪ إلى أكثر من 60٪ أو 70٪.

أما الانيونات الأخرى، أي البيكاربونات (HCO3) والكاربونات (CO3) فتبقى نسبها متواضعه عادة مقارنة مع الانيونات السالفة الذكر إلا في بعض الحالات الخاصة.

والملح السائد بالشطوط هو كلورید الصوديوم (N2Cl2)، ويمثل كلورید المغنيزيوم (MgSo4) نسبا مرتفعة جداً أيضاً في كثير من الشطوط المغربية. وفي حالات متميزة يمكن أن يكون الملح السائد هو سلفات الكالسيوم (Ca So4) وخاصة في الأوساط الطبيعية التي تحيط بها بيئة جبسية، أو كلورید المغنيزيون (Mg So4).

وعلى العموم، فالأملاح بالشطوط المغربية متنوعة وقوية التركيز وخاصة في الفصول الجافة والحارة.

وتتعدد أنواع الأتربة بالشطوط حسب التركيبة الكيماوية. ونوع التربة السائد هو السولنشاك (Solontchaks) باختلاف أصنافه (Solontchak calcium, Solnte hak sodique). أما الأنواع الأخرى فهي السولونيتز (Solonetz) والأتربة القلوية المالحة (Sols à alcali salés).

وتنتمي هذه الأنواع من التربة إلى الأتربة المالحة (Sols halomorphes) والتي ينتمي معظمها إلى قسم التربة الملحية الصودية (Classe des sols salsodiques).

وتعرف درجة ملوحة التربة ومياه الشطوط (مياه السطح، سدية متوحة، مياه باطنية) بتحديد الناقلية الكهربائية (Conductivité électrique) والتي كما ذكرناه بالنسبة للسبخات (انظر سبخة) تقاس بالمليموس لكل سنتمتر (mmhos/cm) أو ميكروموس لكل سنتمتر (µmhos/cm). وتستعمل الناقلية الكهربائية لدراسة مستخلص عجين التربة المشبعة.

وفي حالات أخرى، تقاس الملوحة (تربة ومياه الشطوط) بتحديد كميات الغرامات في اللتر أو الميليمكافيء في اللتر (meq/l).

وتتغير ملوحة الشطوط حسب الظروف الايكولوجية والبيئية لهذه الأوساط الحياتية الطبيعية (بيومناخ، رطوبة ومياه، أنواع الأتربة والأملاح والانحباس ...).

وفي معظم الأحيان، فالناقلية الكهربائية (ماء، تربة) تتغير من أقل من 10 (mmhos/c m) في حالة تجمع المياه بالشطوط إلى أكثر من 100 (mmhos/cm).

وفي الحالات القصوى (جفاف، فترات جافة طويلة، تبخر قوي ...) تتكدس الأملاح بالشطوط كملح أبيض وعلى شكل قشرة أو طبقة ملحية سميكة يسود فيها كلورید الصوديوم (Nacl) أو سلفات الكالسيوم أي الجبس (CaS64).

2. 2. 2. رطوبة الأتربة :

إن رطوبة التربة هي العامل الايكولوجي الثاني بعد الملوحة والذي يلعب كذلك دوراً أساسياً في بيئة الأوساط الحياتية للشطوط بالمغرب وبجميع المناطق الجيوجغرافية التي توجد بها، وذلك مثلها مثل السبخات والمناقع الخورية وجميع الأراضي المالحة.

وتتغير رطوبة التربة كثيراً حسب الظروف البيئية للشطوط. وترتفع درجة رطوبة الأتربة المالحة نتيجة التساقطات المطرية وتجمع المياه بمنخفضات الشطوط والتي تصل أو تفوق التشبع. ولدرجة رطوبة التربة صلة قوية بمستوى المياه الباطنية (السدية المتوحة). وكلما كان مستوى الماء الباطني قريبا من سطح الشطوط كلما ارتفعت درجة الرطوبة والعكس صحيح.

وفي فترات الجفاف تتدنى درجة رطوبة تربة الشطوط بكيفية قوية، مما يؤدي، عبر التبخر الحاد أو التبخر نتح العالي إلى تكون وتكدس المتبخرات والأملاح على شكل قشرة أو طوابق ملحية يطغى عليها كلورید الصوديوم (NaCl) على العموم أو كلورید المغنيزيوم (Mg Cl2) أو سلفات الكالسيوم أي الجبس (Na Cl) في البيئة التي توجد بها صخور أم محيطة بالشطوط والتي تكون غنية بالملح المذكور.

2. 2. 3 ـ العوامل الجيولوجية والجيومورفولوجية والتربية :

إن لهذه العوامل تأثيراً مباشراً على الظروف الايكولوجية والبيئية للشطوط المغربية خاصة والشطوط بصفة عامة وكل الأوساط الحياتية الملحية.

فالعامل الجيولوجي وخاصة عندما تكون الصخور الأم المحيطة أو المحادية للشطوط تحتوي على الأملاح كالصلصال الملحي أو الجبسي أو من الطين الملحي الترياسي أو كلسية ـ جبسية أو غيرها من الصخور التي تؤدي إثر تفسخها إلى تحرير أنواع مختلفة من الأملاح أو المتبخرات.

فبالنسبة للمغرب الشرقي والجنوب الشرقي المغربي، زيادة على شطوط تيكري والغربي هناك مناطق أخرى مالحة مثل سهل تمالت بحوض گير والتي يمكن اعتبارها كشط حقيقي والذي تغطيه طبقة أو صفّاحة جبسية وهذه المنطقة بالذات تتميز ببيئة وصخور أم غنية بالأملاح (كلوريد وسلفات، صوديوم وكالسيوم).

أما البيئة الجيومورفولوجية والتشكيل، فلهما دور أساسي في سيلان المياه وبالتالي في تغذية الشطوط بالأملاح المختلفة.

ولعامل التربة كذلك مكانة أساسية في البيئة الملحية للشطوط المغربية وخاصة في تأثيرها على تركيز الأملاح ودرجات الملوحة والرطوبة خلال فصول السنة.

وتكمن أهمية التربة أيضاً في مكوناتها الفيزيائية ودرجة رطوبتها أو جفافها ومكوناتها الكيماوية.

والأتربة الموجودة بالشطوط المغربية تتكون من الطمي أو الطين في المواقع الوسطى للشطوط والرمل في جوانبها الخارجية. لكن في عدة حالات، يمكن أن يكون الشّط بأكمله ذا تربة رملية أو طمية رملية حسب الظروف الموقعية.

3 ـ التنوع البيولوجي والنظم الايكولوجية والعشائر النباتية :

الشطوط بكل مكوناتها البيولوجية من فلورة وفونة وأوساطها الحياتية المختلفة تتميز بتنوع بيولوجي مهم يمكن من تكون عدة تشكيلات نباتية ذات أجناس وأنواع نباتية خاصة. وهذه التشكيلات المكونة من النباتات الالفلحية تساهم في تكون نظم ايكولوجية متخصصة في الملوحة على شكل عشائر ذروية موقعية. والنظم البيئية نفسها تتكون من عدة تجمعات نباتية تساهم بدورها في تحديد العشائر النباتية أليفة الملوحة.

بقيت الشطوط، مثلها مثل السبخات، مهمشة من جانب الدراسات العلمية المعمقة وذلك مقارنة مع الأوساط الطبيعية الأخرى كالغابات والسهب والتشكيلات الحراجية الأخرى.

وفي هذا الباب لابد من التذكير بأن الشطوط بتونس والجزائر أنجزت في شأنها عدة دراسات اهتمت بعدة جوانب من خصوصياتها.

أما فيما يهم التنوع البيولوجي، فالثروة الحيوانية تتكون من عدة أنواع من الطيور بما فيها المهاجرة والمائية التي يمكن أن توجد بأعداد مهمة عندما تكون الشطوط ممتلئة جزئيا أو كليا بالمياه.

توجد بالشطوط أيضاً عدة أنواع من الزواحف والبرمائيات والثدييات وكذا الحشرات المختلفة وغيرها.

وبالنسبة للتنوع البيولوجي للفلورة، هناك تشابه بين الشطوط والسبخات من حيث الأنواع والأجناس والعائلات نظراً لتأثير العامل المشترك وهو الملوحة وتغيرات تركيزها. وهذه التغيرات تشمل أيضاً درجات رطوبة الرواسب والأتربة (انظر سبخة).

والفصائل النباتية التي لها تنوع بيولوجي نباتي متميز تنتمي خاصة إلى السرمقيات (Chénopodiacées) والرصاصيات (Plumbaginacées) والطرفيات (Tamaricacées) والقديسيات (Zygophyllacées) والنجيليات (Graminées) والبطباطيات (Polygonacées) وعائلات أخرى مثل Spergulariacées، Frankéniacées، Aizoacées وغيرها.

والأنواع النباتية التي تنتمي إلى هذه الفصائل تنمو بالشطوط على شكل أحزمة متتالية من قعر هذه الأوساط (في بعض الحالات يكون القعر خاليا من النباتات نظراً لقوة الملوحة أو تكدس المياه) إلى الجوانب الخارجية، وذلك مرتبط بتغيرات درجات الملوحة والرطوبة حيث تنخفض من الموقع المركزي بالشطوط في اتجاه المناطق الجانبية والخارجية.

والأنواع النباتية التي تنمو بالمناطق الوسطى للشطوط والمرتبطة بملوحة عالية (أكثر من 50 غ / ل أو أكثر من 100 غ / ل) هي :

التليث (Halocnemum strobilaceum)، والارتروكنيموم (Arthrocnemum macrostachyum)، والهالوبوليس (Halopeplis amplexicaule) والحزيري الثمري (Salicornia fruticosa) والحزيري العشبي (Salicornia europaea)، والسوادة المثمرة (Suaeda fruticosa) والروتا (Salsola vermiculata) والقطف أو السرمق (Atriplex halimus) ونوع من النجيليات (Sphenopus divaricatus) الخ...

وفي الدرجة الثانية أي عندما ينخفض تركيز الأملاح شيئاً ما (5 ـ 10 غ / ل) تنمو أنواع نباتية أخرى مثل الشنان (Anabasis aphylla)، الطرطيع (Frankenia corymbosa) والغردق (Nitraria schoberi) أو (Nitraria retusa) ونوع من الباذنجانيات (Lycium intricatum) وأنواع من القديسيات (Zygophyllum gaetulum, Zygophyllum album) أو الرصاصيات (Limonium delicatulum) أو الطرفاويات التي هي من الأنواع الشجرية مثل (Tamarix aphylla, Tamarix balansae, Tamarix speciosa, Tamarix boveana).

هذا، وزيادة على عدة أنواع نباتية تنتمي إلى فصائل Aizocées وSpergulariacées وComposées وPolygonacées الخ...)، توجد بالمواقع الرطبة جداً والأقل ملوحة (1 أو 2 غ / ل إلى 10 غ / ل) عدة أنواع نباتية تنتمي إلى البركيات (Typha angustifolia) أو إلى الاسليات (Juncus acutus) أو إلى السعديات (Scirpus maritimus) وغيرها.

كل هذه الأنواع النباتية بما فيها القبسية تساهم في تكوين عشائر نباتية مختلفة حسب درجات الملوحة والرطوبة وكذا تشكيلات نباتية بل وحراجية في حالات خاصة (الطرفاويات) وعدة نظم بيئية متميزة.

4 ـ استغلال الشطوط وتدهورها وضرورة حمايتها :

زيادة على الأدوار المهمة التي تلعبها الشطوط في المجال البيولوجي والايكولوجي والبيئي، فهذه الأوساط الحياتية الطبيعية تستعمل في الجانب الاجتماعي الاقتصادي شأنها شأن السباخ.

فالشطوط تستغل في مجالات شتّى أهمها :

ـ الرعي وتربية الماشية

ـ الصيد والقنص البري

ـ الزراعة بالمواقع الأقل ملوحة وخاصة بالجوانب الخارجية للشطوط

ـ استغلال الأنواع النباتية والأعشاب التي تستعمل في الطب التقليدي وكذا الأشجار (الطرفاء مثلا بجميع أنواعها) والأنواع المخشبة في عدة استعمالات كحطب وقود للتدفئة...

ـ استغلال بعض الأنواع النباتية (Phragmites communis) كسياج للحقول والمزروعات والاسل أو السمار والحلال في البوريات (حصير منسوج).

ـ استغلال المياه العذبة عبر حفر الآبار بمحيط الشطوط (سقي الخضروات، ارواء الماشية ...).

ـ الترفيه والسياحة بما فيها السياحة البيئية.

فعلى الرغم من كل المهام والأدوار الايكولوجية والبيئية التي تلعبها الشطوط (ضبط الفيضانات، تغذية المياه الباطنية، تصفية المياه، مدخر للتنوع البيولوجي وقيمة وإرث ثقافي وحضاري...) والسوسيواقتصادية فالشطوط تخضع لضغط قوي ومستمر واستغلالات غير عقلانية أدّى إلى تدهور نظمها الايكولوجية وأوساطها الحياتية وبيئتها وتصحرها.

لذلك يجب أن تعطى أهمية كبيرة للشطوط والسبخات عن طريق الدراسات العلمية المعمقة وصونها والمحافظة عليها لحمايتها من التدهور.

M. Bendjaanoun, *Etude synécologique et syndynamique de la végétation halophile et hygro-halophile de l'estuaire du Bou-Regreg (Littoral atlantique du Maroc). Applications et perspectives d'aménagement.* Thèse de Docteur-Ingénieur. Univ. d'Aix-Marseille III, 1981 ; *Etude écologique de la végétation halophile, halohygrophile des estuaires, lagunes, deltas et Sebkhas du littoral atlantique et méditerranéen et du domaine continental du Maroc.* Thèse de Doctorat d'Etat Es-Sciences Naturelles. Univ. Aix-Marseille III, 1991 ; G. Gaucher et S. Burdin, *Géologie, géomorphologie et hydrologie des terrains salés*, Paris, 1974 ; Ch. Killian, *La végétation autour du Chott Hodna, indicatrice des possibilités culturales et son milieu édaphique. Ann. Inst. Agr. Serv. Rech. Exp. Agr. Alg., I.A.A.*, Alger, 1953 ; J. Margat, *Répartition des eaux salées au Maroc. Atlas du Maroc, Notices explicatives*, Planche 14b., Rabat, 1960, 20p. + I.C.C.h.t. ; G. Novikoff, *Contribition à l'étude des relations entre le sol et la végétation halophile en Tunisie. Ann. Inst. Nat. Rech. Agr.* Vol.34, Tunis, 1961 ; P. Simonneau, *La végétation halophile de la plaine de Perrégaux (Oran)*. Alger, 1952.

مَحمد بندعنون

الشط الغربي، منخفض مغلق يستقطب تصريفا داخليا، يمتد في الهضاب العليا المغربية الجزائرية على بعد حوالي 120 كلم جنوب مدينة تلمسان الجزائرية و30 كلم جنوب شرق عين بني مطهر المغربية. ويقع معظمه في التراب الجزائري بينما يمتد أقصى طرفه الغربي في التراب المغربي، ويكتسي هذا الموقع أهمية جغرافية وتاريخية للمنطقة ؛ فهو عبارة عن حوض مستطيل يصل طوله إلى حوالي 90 كلم ومتوسط عرضه يبلغ حوالي 15 كلم. ويتكون هذا الشط مثل سائر المنخفضات المائية الريحية من عدة وحدات متجاورة ومتصلة تُؤوي ضايات موسمية ضحلة ومالحة قعرها منبسط تسمى "سبخات" على ارتفاع حوالي 1000 متر. وتشرف على هذا المنخفض سطوح شبه مستوية يصل ارتفاعها إلى حوالي 1100 متر تحمل غطاء صخريا فُتاتيا رباعيا عبر حافات منحدرة تظهر فيها مستويات من رواسب الزمن الجيولوجي الثالث تضم الكلس والصلصال والرمل.

وتتخلل هذه المنخفضات "گور" أو آكام تنتشر فيها كثبان رملية حول السبخات وفوق السفوح. كما تنبثق فيها بعض الينابيع تشكل موارد للسكان والماشية على السواء، تعرف بـ "العگلة" (العقلة) وهي محطة تعقل فيها الجمال عادة للاستراحة والشرب والتزود بالماء بالنسبة للرحل والقوافل في هذا الوسط الذي لا تكاد تتجاوز أمطاره السنوية 200 ملم مع عدم انتظام شديد. وتعتبر عگلات الحباري المنگوب والشبكة أهم هذه المحطات بالنسبة للجزء الذي بقي مغربيا من الشط الغربي بعد الاستقلال. وقبيل توغل الاستعمار الفرنسي داخل التراب المغربي انطلاقا من الجزائر خلال أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر (19 ـ 20 م) كان الشط الغربي يميز فيه عادة بين شرقي (شط حميان) تتردد عليه قبيلة حميان الجزائرية وجزء غربي (شط المهاية) تتردد عليه قبيلة المهاية المغربية التي كانت تمتلك إضافة إلى العگلات السابق ذكرها كلا من عگلات أو أحساء قصدير وبوفاطمة والمرير والبرازية...

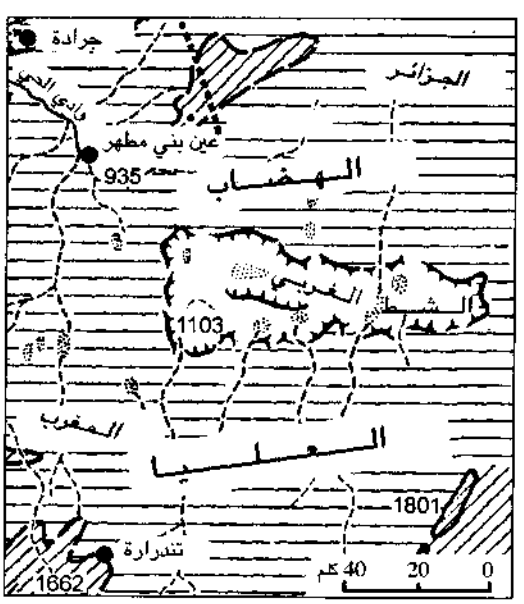

لقد أسهم هذا الوضع في تكثيف التحرشات الاستعمارية على التخوم المغربية في هذه المنطقة الحساسة الواقعة جنوب ثنية الساسي التي توقف عندها ضبط الحدود بين الطرفين بموجب معاهدة للامغنية المبرمة سنة 1945 باعتبارها أراض غير محروثة. فقد كانت تشكل نقط ماء حولها مراع غنية بالشيح والحلفاء بنوعيها (الگدّيم والسناغ) تنتشر فيها الملحيات (النباتات المالحة مثل الگطاف وغيرها) التي تلجأ إليها المواشي هروبا من قر الشتاء والجفاف المزمن فكانت القبائل المتجاورة تتزاحم وتتنازع أحيانا حولها.

كانت السلطات الاستعمارية المتربصة بالتراب المغربي آنذاك تتخذ ذلك ذريعة لتبرير توغلها واحتلالها بدعوى نشر "الأمن والطمأنينة" أمام عجز سلطات المخزن وعدم جدوى الاستمرار في تقديم الشكايات إلى محكمة فاس ـ حسب اعتقادها ـ عن هجومات القبائل المغربية (المهاية وبني مطهر وبني گيل...) على كقبائلها" (حميان) ومخيماتها العسكرية. وقد أفضى هذا السلوك إلى إقامة مراكز متقدمة مثل عين بني مطهر (بَرگنت) سنة 1904 والتي لم تخف التقارير الاستعمارية آنذاك أهميتها الاستراتيجية بينابيعها وسوقها. ومع التحولات المجالية الحديثة التي طالت المنطقة خلال القرن الرابع عشر (20 م) لم يعد لهذا الشط سوى دوره التقليدي في استقطاب الماشية ومربيها بكلا الجزأين المنتميين كل على حدة إلى القطرين المغربي والجزائري داخل حدود موروثة عن الاستعمار الفرنسي.

J. Despos et R. Raynal, *Géographie de l'Afrique du Nord-Ouest*, Paris, 1975 ; De La Martiniere H.M.P. & N. Laerois, *Documents pour servir à l'étude du Nord Ouest Africain*, Gouvernement Général de l'Algérie, 1894 ; R. Paskoff, *Les hautes plaines du Maroc Oriental : la région de Berguennt*, *Les Cahiers d'Outre-mer*, 1957, XX, n° 37 ; A. Cour, *Notes sur la région de Berguennt*, *B.S.G.A.O.*, 1909.

عبد الرحمان الحرادجي

الشّطّون، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Xeton وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1088 / 1677.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1437.

الشّطيبَة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Esteve - Esteva؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1438.

محمد ابن عزوز حكيم

الشُّطَيْبي، الحاجّ **محمد** بن علي بن محمد بن حسن ابن حيون الصقلي الأندلسي البرجي، يُعرف بالحاج الشُّطَيْبي بالتصغير (882 ـ 963/1476 ـ 1556). ينتسب إلى أحد البيوتات الأندلسية التي هاجرت إلى المغرب، وهوبيت البرجيين. وأصلهم من غرناطة، وانتقلوا إلى شمال المغرب على عهد السلطان أبي عنان المريني، وبيتهم بيت ثروة وعلم وصلاح.

وتوافق ولادة الشُّطَيْبي إخراج كتاب *قواعد التصوف* بالحاضرة الوطاسية فاس، والذي فرغ منه الشيخ أحمد زروق (ت. 899 / 1493) في نفس العام 882 / 1476. ولا أصدق من هذه المصادفة في الكشف عن مآل هذا الوليد الذي سيخلف صاحب هذا الكتاب أعمق الأثر في سيرته، وسيستغرق فكره وطريقه جل عمره الطويل الذي سيزيد عن الثمانين حولاً. ولا ريب أن الشطيبي لم يلق الشيخ زروق ولم يره، فقد كان في عامه الأول حين هجر زروق المغرب وغادره إلى غير رجعة، ولم يكمل عقده الثاني لما أدركت الوفاة زروق بمسراته. ولا نعلم صلته بالرعيل الأول من الزروقيين المغاربة، الذين تركهم زروق بالمغرب، والذين أفلحوا في الحفاظ على البذرة التي خلفها بالتربة الصوفية المغربية، وتعهدوها بالعناية إلى أن أخرجت زرعها واستغلظ واستوى على سوقه. كما نجهل منطلق وسياق رحلته إلى المشرق، وأيضاً البلاد المشرقية التي جال وطاف واستقر بها عدا دمشق.

ولا يستبعد أن يكون الحاج الشطيبي قد قصد من أخذه السمت إلى الشام زيارة الشيخ علي بن ميمون الغماري (ت. 917 / 1512)، الذي طبقت شهرته آفاق البلاد المشرقية، واندرست بطريقته الميمونية الطريق في المشرق، وأصبحت كالشاذلية في المغرب. وهو وإن كان قد تأسى في هذا ببعض الحجاج المغاربة، الذين حرصوا على الاتصال ببلديهم الشهير هذا، فإنه قد يكون سعى إلى ذلك للصلة الوثيقة بين الميمونية والزروقية، والتي تكاد تكون امتداداً لها ببلاد الشام والأناضول.

ولا نعرف من مشايخ الشطيبي من المغاربة والمشارقة، من الفقهاء والصوفية، سوى الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي (ت. 931 / 1524)، الواسطة المعتبرة على عهده في الأسانيد الزروقية، وصدر الطبقة الزروقية الأولى، ولا نعلم إذا ما كان قد انتسب إليه وهو مُشرق أو مُغرب. وهذا لا ينفي لقاء الشطيبي وأخذه عن غيره من المشايخ المشارقة والمغاربة، من الزروقيين وغيرهم. وقد جعل محمد بن عسكر (ت. 986 / 1578) زروق "شيخ شيوخه"، وهو قول يؤكد تعدد شيوخه، ويفيد أن جلهم أو بعضهم من الزروقية.

والمؤكد أن استقرار الحاج الشطيبي بضريح الشيخ زروق بمسراتة تم إبان أوبته من البلاد المشرقية، ودام مقامه به ثلاثة أعوام كاملة. وبحسب ما نعلم من ولوعه العلمي، وشغفه بالكتابة تأليفاً ونسخاً، فمن السهل تصور النشاط الذي صرف فيه هذه المدة التي قضاها بواحة مسراتة الحافلة بمظاهر الحياة الثقافية والجو العلمي. ولاشك أنه قد عكف

على دراسة الطريقة الزروقية في مصادرها الأصلية بخط ويد مؤسسها زروق، وعب ونسخ ما استطاع من التراث الضخم الذي خلفه أحمد زروق في مختلف المعارف والعلوم الإسلامية، كما اتصل وتباحث في موضوعه مع أعيان الطبقة الأولى من صحب زروق من المجاورين بضريحه أو المترددين إليه من المشرق والمغرب. وعليه تكون الغاية من انتساب الشطيبي إلى الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي، سواء تم ذلك قبل هذا المقام أو بعده، تحصيل سنده الرفيع في الزروقية، وليس الأخذ بمذهبه ونحلته المخالفة للطريقة الزروقية. وتأثر الشطيبي بفكر أحمد زروق واضح في تآليفه، وبالأخص في شرحه للحكم العطائية والمباحث الأصلية، وتأسيه به باد في تعففه عن اتخاذ أو بناء زاوية. وهو وإن عد من أعلام الطبقة الأولى في الراشدية، إلا أنه سار في علمه وعمله على سنن الطريقة الزروقية، وعمل على نشرها والدعوة إليها، ولم يؤسس طريقة خاصة به.

وعاد الحاج الشطيبي إلى المغرب المشحون بجو الخصومة الشديدة للزروقية والراشدية، وقد انضاف إلى الخلاف القديم الذي ذرّ قرنه بين الشيخ زروق ومعاصريه من الجزوليين وغيرهم، عودة الزروقية ـ الراشدية متلفعة دعوة بسطامية خطيرة قد تفتح باب الفتنة في الدين. فاستعرت معارضة ومكافحة الراشدية بالمغرب شيخاً ومذهباً وأتباعاً، ولم يتم التمييز بين أعلام الطبقة الأولى من مشايخها به، ولم يقع التفريق بين من حرص منهم على تأسيس طريق تخصه، ومن سار على سنن الشيخ أحمد زروق، ومن عمل على نشر مذهب تلميذه الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي. وحصل النظر إلى زعماء هذه الاتجاهات الرئيسية الثلاثة في الطريقة الراشدية بالمغرب من خلال صورة البدعة المرسومة لشيخهم ومذهبه، فلبثوا مرهقين تحت ضغطة معاصريهم من الأمراء والفقهاء والصوفية، أواخر أيام الوطاسيين وصدر الدولة السعدية.

وقد تأسى الحاج الشطيبي بالشيخ زروق أيضاً في نفوره من العيش بالحواضر الكبرى المكتظة بالسكان، والمليئة بالشرور والآثام. وبحث مثله عن مكان هادئ ومريح ونا ء عن الحواضر بقدر كاف، وغير خال من مظاهر الحياة الثقافية والنشاط العلمي والجو الديني. فاختار مدشر تازغدرة الجبلي الواقع بفرقة بني إبراهيم من القبيلة الزرواية، وألقى به عصا التسيار، واتخذه داراً ومقاماً، وانقطع به إلى أن أدركه اليقين.

وقام الحاج الشطيبي بالإمامة بجامع هذا المدشر، وأنشأ به معهداً علمياً جمع فيه تلاميذه. وقسم أيامه بين التدريس والتأليف ونساخة الكتب والاشتغال بالفلاحة والصيد. ولم يصل حبله بأحد من الحكام الوطاسيين، ولم يجب على الدعوات التي وجهها إليه السلطان محمد الشيخ المهدي ماهد دولة السعديين (ت. 964 / 1556)، عملاً بنهي الشيخ زروق عن مخالطة الملوك. وتعفف في رزقه عن كل الخطط الرسمية، وكان ينزل إلى الأسواق وللحقول ليشتغل بما كان يشتغل به عوام الناس. وكان قوي البنية، قوي الإيمان، متعدد المواهب، يقوم كل يوم بواجباته في جامع تازغدرة أماماً ومدرساً، ويخرج للحقل لفلح الأرض وغرسها وسقي الأشجار وتعهدها، فإذا أوي إلى بيته ليلاً أقبل على الكتابة تآليفاً أو نسخاً لأمهات الكتب. ومما يذكر في هذا الصدد أنه انتسخ كتاب *نزهة الناظرين وتحفة القاصرين في شرح منازل السائرين* لأبي عبد الله المقدسي، مع المقابلة على كثير من نسخه، وكتابة تعاليق عليه، في مدة لا تتجاوز اثنين وأربعين يوماً. وقد ألف في كثير من الفنون، في علوم القرآن والتصوف والتاريخ والنوازل والفلك والفلاحة والكيمياء والخط وغير ذلك. وهذه قائمة تآليفه التي وصلتنا، ومعظمها مازال مخطوطاً :

ـ *اللباب في مشكلات الكتاب*، في آيات القرآن الكريم المشكلة والمبهمة.

ـ *اللباب المختصر لأهل العبادات والنظر*، هو مختصر سابقه. وقد حظي الكتابان بعناية الباحث محمد بوطربوش، الذي اعتمدهما في دراسة منهج الشطيبي في التفسير.

ـ *الحديقة المستقلة في فتاوى علماء الأمة*، جمع الشطيبي فيه فتاوى المتأخرين من فقها ءالأندلس.

ـ *فتح الباب الملتزم الجامع لبعض كتاب الحكم*، شرح فيه الحكم العطائية.

ـ *الإشارات السنية إلى بعض معاني المباحث الأصلية*، شرح فيه قصيدة المباحث الأصلية عن جملة الطريقة الصوفية لابن البنا ء السرقسطي.

ـ *شرح أنوار السرائر وسرائر الأنوار*، شرح فيه رائية الشريشي.

ـ *عيون الناظرين في شرح منازل السائرين*، شرح فيه كتاب *نزهة الناظرين* للمقدسي.

ـ *مفتاح الجنة المتوقف على الكتاب والسنة*، صنفه في الأدعية والأوراد.

ـ *الجمان في أخبار الزمان*، ألفه في التاريخ، وهو مقسم إلى ثلاثة فصول : الأول، من بدء الخليقة إلى ظهور النبي (ص) الثاني، من مولده (ص) إلى وفاته (ص). الثالث، ويتضمن تاريخ الخلفاء الراشدين، ثم بني أمية وبني العباس حتى خلافة المستكفي، يتلو ذلك موجز في فتح مصر خلافة عمر بن الخطاب (ص)، ثم فتح الأندلس وموجز في تاريخها، ثم عرض سريع لتاريخ دولة الموحدين حتى الخليفة يعقوب المنصور، ويختم بذكر علامات الساعة وانقراض الدنيا.

ـ *مختصر الجمان*.

ـ *تخميس بردة شرف الدين البوصيري*، والتعليق عليها.

ـ *نبذة فلكية للاختبارات النجومية*، في علم الفلك.

ـ *ذات الفصلين واخلع النعلين*، في الكيمياء.

ـ *صنعة الفلاحة*، رسالة رتبها على ثمانية أبواب، واعتمد فيها على ما تقرر في كتب علما ، الفلاحة الأندلسيين أمثال ابن ليون وابن بصال وابن وافد، كما اعتمد

على تجاربه الشخصية مبينا ما يلائم طبيعة البلاد المغربية بصفة خاصة.

وبالإضافة إلى هذا القسط المتوفر من تراث الحاج الشطيبي، والذي مازال معظمه على حالته الخطية، ويحتاج إلى دراسة وتحقيق، هناك قسط ضائع لم يصلنا كتأليفه في الرؤيا والخط.

وزيادة على التأليف، فقد عكف الشيخ الشطيبي على تدريس العلوم بمعهد تازغدرة، وبالأخص التفسير والحديث، وكانت له فيهما رواية عالية. واشتهر من تلامذته وأتباعه: أبو علي منصور البجائي، روى ابن عسكر بواسطته عن شيخه الشطيبي، وحلاه بتلميذه الكبير. وأبو حفص عمر الوريا غلي. وعبدالله بن سعيد المناني الحاحي (ت. 1012 / 1603)، مؤسس زاوية تافيلالت في زداغة، في منتصف القرن 10 / 16، وقد انقطع مثل شيخه للتدريس والتأليف ونساخة الكتب. وأبو النعيم رضوان بن عبد الله الجنوي (ت. 991 / 1583) شيخ المحدثين بفاس، وكان رزقه مثل شيخه من التدريس ونسخ الكتب.

أما عن الجانب الروحي من شخصية الشطيبي، فقد كان من صنف المدركين للغيب من البشر بالرؤيا والموهبة، في النوم واليقظة. ولكثرة مشاهدته النبي (ص) قال : من زعم أن محمداً (ص) قدمات فقد كفر. وعلى الرغم من أن قولته هاته لها وجوه واحتمالات وتأويلات، فإن الفقهاء قد بادروا إلى الإنكار عليه، وكان على رأسهم أبو حفص عمر بن عيسى بن عبد الوهاب الشريف العلمي (ت. بعد 956 / 1549). وقد اشتهر هذا الفقيه بمناظرته مع الحاج الشطيبي في موضوع هذه القولة، وكتب إليه وهو يقول : من زعم أن محمداً (ص) لم يمت فقد كفر. وحاول الشطيبي تبرير قوله بتأويل معنى الموت الذي يقصد، وبما رآه منصوصاً في أحد كتب خزانة جامع دمشق. ولم يزدد العلمي إلا إلحاحاً في الإنكار عليه، فسكت عنه الشطيبي ولم يجبه بشيء.

ولعل النفرة بين الحاج الشطيبي وخاصة وقته قد تفاقمت، فانتهت إلى انقطاعه عن الناس بمدشر تازغدرة، وزهده في الدنيا. ويذكر في القصيدة التي نظمها في التعريف بزمانه وأهله سبب هذا الانقطاع والزهد، وهو فساد الزمان، وفشو الحرام، وتراخص العلماء وتعاميهم عن الشبهات، وضياع الدين. ولاشك أن هذه اللوحة القاتمة تؤرخ لفساد العلاقة بين مشايخ الفقه والتصوف المغاربة ومشايخ الراشدية به.

ولم يعان الحاج الشطيبي من التقليل من شأنه في المضمار الروحي فحسب، بل ومن التهوين من مكانته في المجال الفكري أيضاً. وحينما نهتدي *بدليل مؤرخ الأقصى*، لنقف على تأليف هذا المصنف المكثر، لا نعثر إلا على كتاب *الجمان* به. وليت الإجحاف الذي لحق بالشطيبي في *الدليل* وقف عند حد الاقتصار على ذكر تأليف واحد له، بل تجاوزه إلى التعليق عليه بأنه كتاب *خال من الفائدة على كبر جرمه* !

وينبو هذا الحكم عن موقف السلف الذين أولوا كتاب *الجمان* ما يستحق من عناية، لا لكبر جرمه فحسب، ولكن لطموح وضخامة المشروع التاريخي الذي أنجزه صاحبه. ولا أدل على التحقق من فائدته من كثرة استنساخه، ووفرة نسخه التي سارت بها الركبان شرقاً وغرباً. وقد ترجم إلى اللغة الفرنسية بعناية المستشرق Sylvestre DeSacy وطبع في باريس.

م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، تح. م. حجي، 16 ـ 18، 125 ؛ أ. بن القاضي، *درة الحجال*، تح. م. الأحمدي أبي النور، 2 : 203 ؛ م. المهدي الفاسي، *تحفة أهل الصديقية*، مخ خ ع عدد 6 ـ 7 ج، 69 ـ 72 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، 217 ـ 218 ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، تح. م. حجي وأ. التوفيق، 1 : 89 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ط. حجرية، 2 : 258 ؛ ع. بن إبراهيم، *الاعلام*، 6 : 292 ؛ ع. بن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، 1 : 157 ؛ ع. عنان، *فهارس الخزانة الملكية*، 129 ـ 131 ؛ م. المنوني، *ملامح من تطور المغرب العربي في بداية العصور الحديثة*، منشورات الجامعة التونسية، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، 1979، 104، الهامش، 90 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 122 ـ 159 ـ 162 ـ 463 ـ 481 ـ 482 ـ 483 ـ 560 ؛ م. البشير الفاسي، *قبيلة بني زروال*، 64 ـ 65 ؛ س. أعراب، ترجمة مطولة للشيخ الشطيبي، صحيفة "الميثاق" التي تصدر بطنجة، الأعداد 42 ـ 43 ـ 44 ؛ نفس المؤلف، حول تأليف كتاب *الجمان في مختصر أخبار الزمان*، مجلة دعوة الحق، العدد الأول، السنة التاسعة، 1965، 83 ـ 84 ؛ نفسه، نظرة في كتاب *صنعة الفلاحة لأبي عبد الله الشطيبي*، مجلة دعوة الحق، العدد الأول، السنة الثالثة عشرة، 1969، 121 ـ 123 ؛ ع. نجمي، *التصوف والبدعة بالمغرب*، 217 ـ 218 ـ 240 ـ 274 ؛ م. بوطربوش، أبو عبد الله الشطيبي، *آثاره ومنهجه في التفسير*، د. د. ع. كلية الآداب بالرباط، 1989 ـ 1990.

عبد الله نجمي

شَطِّيرْ، أسرة تطوانية شريفة النسب أصلها من قبيلة سماتة الهبطية وقد انقرضت بتطوان. منهم علي بن الطاهر بن أحمد بن محمد عالم له عدة مؤلفات كان إماماً بجامع الربطة حيث كان يلقي دروسه، ترجم له الشيخ ابن عجيبة في *ازهار البستان* ووصفه بالفقيه الإمام المحدث العالم النحرير وفي سنة 1185 (1770). كان يزاول خطة العدالة وكانت وفاته يوم 27 ذي الحجة 1191. وعبد الله بن علي بن الطاهر بن أحمد فقيه أديب شاعر تولى الإمامة والتدريس بجامع الربطة، ومن مؤلفاته كتاب *نضار الأصيل في بساط الخليل*. وقد زاول خطة العدالة وابتكر لعبة شبيهة بالشطرنج سماها *الوسيط*. ازداد سنة 1181 وتوفي سنة 1215 (1800). والباتول بنت عبد الله بن علي كانت تعلم النساء لعبة شبيهة بالشطرنج ابتكرها والدها وسماها *الوسيط*، وكانت بقيد الحياة سنة (1800).

محمد ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها.

محمد ابن عزوز حكيم

شعبان رايس، علج انكشاري، من الرياس العاملين أصلا في صفوف الأساطيل الجهادية العثمانية في البحر المتوسط، الذين التحقوا للعمل في الأسطول السعدي خلال عهد أحمد المنصور. ويعتقد أنه نزح إلى المغرب قادما من الجزائر، حيث بوأته مهارته الملاحية وتجربته الجهادية أعلى مراتب الأسطول السعدي آنذاك خلفا للرايس إبراهيم الشط، ولا سيما إبان مرحلة الغزو المغربي للسودان 999 / 1590، حيث وصف بـ "قبطان الأسطول الإمامي ورئيس الجماعة من رؤساء المراكب الجهادية والقطائع البحرية".

الفشتالي، *مناهل الصفا*، ص. 130 ؛ التازي، *التاريخ الدبلوماسي*، ج 8، ص. 251.

شعبان رايس، علج برتغالي عامل في صفوف رياس البحر السلاويين، كان في سنة 1646 يقود سفينة جهادية جزائرية الأصل تدعى سرطان البحر (de Crabbe) جهزها بدعم من حاكم سلا بستة عشر مدفعا وبطاقم مؤلف من مائة وخمسة وسبعين رجلا، وقد أعيد ترميمها بسلا. ركب شعبان رايس البحر طيلة ثلاث أشهر ولم يستول إلا على سفينة إنجليزية مشحونة بالملح وقارب صيد في خليج غاسكونيا.

وفي 22 يوليو من نفس السنة سقط أسيرا بين يدي القرصان الهولندي كورنليس فيربيك (Verbeck C.) ببحر المانش، بعد معركة حادة قتل خلالها عدد كبير من رجاله، وأسر الباقون على متن سفن أخرى بأمر من القبطان المذكور، فيما اقتيدت سفينته غنيمة إلى أمستردام.

S.I.H.M. - les - Angleterre - T III - P455 note et Pays-Bas - T V - p.114-16.

حسن أميلي

شعبانة، حفلات شعبية تتم خلال النصف الثاني من شهر شعبان حيث يجتمع أبناء الحي في أحد البيوت ويقيمون حفل عشاء يرافقه الطرب والمرح.

وفي مراكش مثلاً يكون هذا الحفل في النزاهة حيث تؤكل "الطنجية المراكشية" التي تعتبر آخر أكلة بالنهار تؤكل ويحيا هذا الحفل غالبا بالاستماع إلى طرب الملحون ويشترك في الاحتفال عادة الرجال والنساء.

أما شعبانة في آسفي فيتم فيها عادة تزيين البنات الصغار وإلباسهن أحسن اللباس ثم الذهاب بهن إلى بعض دور الأشراف والأفاضل أو الزوايا حيث ينضم إليهن كثير من المتفرجات والمستمعات.

ولا يقتصر إحياء شعبانة على الأفراد في البيوت، بل نجد تلاميذ الكتاتيب القرءانية كذلك يحتفلون بهذه المناسبة حيث يقوم أطفال الكتاتيب بالطواف على البيوت لجمع التبرعات كما يقوم أصحاب الكتاتيب بدعوة الأعيان لدعم وتمويل هذه الحفلات. وبعد تجميع هذه الهبات يقوم أصحاب الكتاتيب بشراء الخرفان ولوازم الحفلات ويخرجون إلى ضواحي المدن حيث يقضون بضعة أيام صحبة رجال الطرب.

وتكون هذه مناسبة لأطفال الكتاتيب للعب واللهو والترويح عن أنفسهم. وخلال أيامنا هاته مازالت عادة شعبانة يحتفل بها في الأيام الأخيرة من شهر شعبان وتكون مناسبة لتوديع الأيام العادية لاستقبال شهر رمضان الذي يتغير فيه النمط المعيشي اليومي للفرد.

ويشهد كذلك شهر شعبان الاحتفال بشعبانة عند گناوة حيث تقوم هذه الطائفة بإحياء ليالي شعبان الگناوية بتنسيق مع العرافات، وهي مناسبة لختم نشاط هذه الطائفة خلال السنة التي لا تبتدئ إلا بعد شهر رمضان من السنة الموالية.

أ. الصبيحي، *مذكرات صالح العبدي وباكورة الزبدة في تاريخ أسفي وعبدة*، تقديم زكي مبارك ومحمد الحلوفي، الرباط، 1993.

S. Biarney, *Notes d'ethnographie nord africaine* 1924 p.74.

علال ركوك

الشعر الأمازيغي ← أمارگ

الشعر العربي بالمغرب بدأ يظهر مع قيام الدولة الإدريسية أواخر القرن الثاني (8 م)، وينحصر المأثور منه في هذه المرحلة في نتف من الشعر المنسوب لإدريس الأول، وبعض أولاده. غير أن الطوابع التي طغت على هذا الشعر تبيّن أنه كان شعر حماسة ونضال سياسي ضد التهديدات المشرقية وتهديدات الأغالبة والعبيديين. وكان شعر البدايات معبّراً عن الصراع في صورة تقائض لا ترقى إلى المستوى الفنّي الذي كانت عليه في عهد بني أمية في المشرق، لكنها كانت تقوم بوظيفتها الإخبارية والسجالية مع ذلك، وكانت أشعار هذه المرحلة الإدريسية ميّالة إلى ترسيخ الحكم الشريف بإشاعة الدين الإسلامي وتزكية الخلافة الإسلامية في المغرب الأقصى.

أما من حيث الكم فقد كان شعر هذه المرحلة شذرات مفرقة في بطون الكتب والمصادر الأدبية والتاريخية المغربية، ويصعب مع هذا التشتت جمع معالم صورة حقيقية لما كان عليه الوضع الشعري آنذاك.

عرفت الأوضاع الحضارية والاجتماعية بالمغرب تحولاً مشهوداً في عهد المرابطين الذين نزحوا من الصحراء حيث كانت معاقل دعوتهم في رباط عبد الله بن ياسين. وقد نضج الفكر المرابطي السياسي في تلك المعاقل النائية، فخرجت الحركة السياسية من الخفاء وأعلنت الجهاد المقدس بعد أن عصفت رياح الفرقة بالحكم الإدريسي وظهرت نزوات مارقة في جنوب المغرب وشماله في إمارتي البورغواطيين والغماريين، مما استلزم جمع الجموع وإعداد العدّة لردّ الأمور إلى نصابها وقطع دابر الدعوات المفسدة والملحدة. فكان الجهاد المرابطي جهاداً مبنياً على مبدإ عام وهو نشر كلمة الله في الآفاق والتشبث بالسنة النبوية والفقه الإسلامي في صورة الفروع المالكية التي اصطفاها الحكم المرابطي وعززتها سلطته الزمنية والروحية.

في ظل هذا الحكم الذي استأصل شأفة الفساد الديني والاجتماعي بدأ ازدهار الآداب ولاسيما الشعر نظراً لأدواره الطلائعية في نشر أمجاد أمراء المسلمين وإشاعة ما يقومون به من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر.

ولقد فتح المرابطون أبواب قصورهم للشعراء الذين كانوا يفدون عليهم في مواسم النصر ومناسبات الفخر وتقديم التهاني، فاجتمع لهذه المرحلة من الأرصدة الشعرية ما يمكن من استخراج بعض ملامح الوضع الشعري وطوابعه من خلال أشعار القاضي عياض أو ابن بياع السبتي أو الأعمى التطيلي، وغيرهم من شعراء المرحلة. ونلخص ملامح هذا الوضع في الملاحظات الآتية :

1 ـ ارتقى المستوى الفني للشعر، في العهد المرابطي سواء في الأندلس أو في المغرب الأقصى، نظراً لتأثر شعراء الغرب الإسلامي بالشعر المشرقي، لا سيما بعد دخول أشعار الفطاحل إلى الأندلس كأبي تمام والمتنبي وبشار.

2 ـ كان للشعر في عهد المرابطين وظيفة إخبارية ودينية، إذ اهتم الشاعر بذكر مواطن الصلاح والإصلاح في الدعوة المرابطية، وتم ربط عجلة الشعر بعجلة السياسة، بحيث ظهرت لدى الشعراء المرابطين ميول مدحية تضاهي أمداح بني أمية أو بني العباس، وفي شعر ابن بياع السبتي نماذج تدل على ذلك التيار المدحي الواضح.

3 ـ كانت بنيات الشعر المرابطي تميل إلى الجزالة والقوة لدى الشعراء الذين كانوا يمتحون من التجارب المشرقية والأندلسية، غير أن بعض الخطباء الذين برزوا في النثر تعاطوا للشعر أيضاً لكنه كان أقل بهاء ورونقاً عندهم نظراً لإقحامهم مفاهيم الفقه أو الشريعة بصور تتفاوت فجاجة، مما ينقص من جمالية أشعارهم.

ولما كان الحكم الموحدي في أصله ردّة فعل على الكيان المرابطي الذي بدأ يضعف ويدخل مرحلة التلاشي ؛ اعتمد على الشعر من أجل تثبيت أركان الدولة الموحدية الجديدة، ونشر فلسفتها الداعية إلى الرجوع إلى الأصول أي الكتاب والسنة ونبذ الفروع بما فيها الفروع المالكية.

فصار الشعر في العهد الموحدي بمثابة صحيفة الحزب السياسي بمفهوم اليوم. ولا نكاد نشك في هذا الأمر إذا طالعنا أشعار الجراوي وابن حبوس وعمر الأغماتي وغيرهم من الشعراء الموحدين الذين بنوا شاعريتهم على أساس سياسي محض، لا يفترق فيه المعيار السياسي عن المعيار الديني والاجتماعي، وذلك نظراً لاختلاط المعيارين وتلازمهما في التصور السياسي الموحدي. ومن مراجعة أشعار هذه المرحلة تتكون لدينا صورة تقريبية لأهم موضوعات هذا الشعر وأدواره ومنسوباته الجمالية، وهذا ما نلخصه في الملاحظات الآتية :

1 ـ لقد كانت الدعوة الموحدية رجوعاً إلى الأصول الإسلامية، بتأسيس تصور ديني مبني على التمسك بالكتاب والسنة ونبذ الفروع التي هي أصل الخلاف الديني وهو ما تفرع عنه كل خلاف سياسي يؤدي بالضرورة إلى إضعاف شوكة التحكم وظهور الفتنة بشكل عام.

2 ـ عبّر الشعر الموحدي عن هذا التصور بربط موضوعات الشعر بالسياسة مباشرة، فتحدث الشعراء عن شرعية الخلافة الموحدية من منطق دَعَوي إسلامي يمتح مفاهيمه الأساس من النزعة الشيعيّة بما تحمله من دعوة إلى الجهاد على أساس إشاعة مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

3 ـ حاول الشعراء الموحدون ربط مفهوم الخليفة بمفهوم الإمام، فجاءت أمداحهم السلطانية، غير فاصلة بين المفهومين، فيظهر لنا الخلفاء الموحدون، وعلى رأسهم زعيم الدعوة المهدي بن تومرت، أئمة دينيين في صورة من التشيع الواضح.

4 ـ ارتبطت مفاهيم الإمامة والخلافة في تصورها السياسي في أذهان الشعراء الموحدين، بمفاهيم مساعدة ومثبتة للحكم كالمهدوية والعصمة ومعرفة ظاهر الدين وباطنه، وهي كلها مفاهيم لها أصولها الشيعية المشرقية. وتم استغلالها في المنطق السياسي الموحدي من أجل تمييز أئمة الموحدين عن غيرهم، ولمنحهم الثقة الشعبية الدينية التي يحتاجون إليها للقيام بالجهاد وتفعيل مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

5 ـ أما من ناحية جمالية هذا الشعر فإن الشعراء المبرزين أمثال الجراوي وابن حبوس والأغماتي وأبي الربيع ومن حذا حذوهم كانوا لا يقلون في شعرهم المدحي والاجتماعي والديني، عن شعراء الشيعة المشارقة كابن قيس الرقيات والطرماح بن الحكيم ودعبل وغيرهم.

فألفاظ الشعراء الموحدين ومعانيهم كانت تمتح بصورة مباشرة من هذا المعين المشرقي، وأما معجمهم السياسي فكان يستجيب لمقتضيات اللحظة التاريخية الموحدية بكل زخمها وتنوعات حيثياتها. فقد حاول الشعراء الموحدون الالتزام بالاعتدال في تصوير الخليفة الإمام ولم يقعوا إلا نادراً في التهويلات التي اشتهر بها شعراء الشيعة المشارقة.

6 ـ وإلى هذه المرحلة الموحدية يُنسب أول شعر ملتزم بالمعنى السياسي والفلسفي لهذا المفهوم الدقيق. فشعر الموحدين شعر قضية وهي ترسيخ الحكم بمعايير دينية محددة، وهو شعر حرب وحماسة وصراع في البدايات الأولى. وقد تشرب بروح صوفية هادئة في أواخر العهد الموحدي، زمن الخليفة المرتضى.

وإذا كان زمن الموحدين زمن صراعات وجهاد ديني، فإن زمن المرينيين الذين ورثوا تركات ثقيلة من العهدين المرابطي والموحدي، كان زمن بناء وتشييد واستقرار إلى حدّ ما، بعد أن نشطت حركة الأدب في الأندلس والمغرب، واتسعت دوائر العلوم والاختصاصات الفكرية، فشملت النهضة سائر نواحي المعرفة الإسلامية في ذلك الوقت.

استطاع سلاطين بني مرين تقريب وجهات النظر السياسية والدينية، نبذاً لخلافات بين الأصوليين والفروعيين، وحقنا

لدماء الأبرياء من عامة الناس الذين لا يفهمون أحياناً لماذا يموتون ضحية خلافات فكرية وتطاحنات في الرأي والتصور. لقد اتجه المرينيون إلى نواحي الحياة الثقافية والفكرية فجمعوا كلمة المسلمين حول الكتاب والسنة والفروع المالكية، ورأبوا الصدع الثقافي والشرخ السياسي القديم، وأبدوا ميولاً واضحة لترسيخ المعارف ببناء المدارس وفتح بلاطاتهم في وجه الشعراء والعلماء.

وقد استفادت الحياة الأدبية من هذا الانفتاح والنهضة العامّة، ونلخص أوضاع الشعر في هذه الفترة في الملاحظات الآتية :

1 ـ ترسخت الشخصية الشعرية المغربية بعد قرون من التجربة والعطاء الميداني الذي تكونت معه ملامح شعرية مغربية أصلية، تمتح من التجربة المشرقية بذكاء يتيحُ لها التجاوز أحياناً واستشراف آفاق الإبداع نبذاً للاتباع والتقليد.

2 ـ لقد ظهر شعراء مرينيون كبار في الغرب الإسلامي وفي المغرب الأقصى لا يقلون درجة عن كبار شعراء العربية، وممن ذاع صيتهم في هذه الفترة المشهورة شعراء مزجوا بين الشعر والخطابة كعبد المهيمن الحضرمي، وعبد الله بن الرضوان وإبراهيم بن الحاج النمري وغيرهم..

ومن الشعراء الذين برزوا في مجالهم وطارت شهرتهم في هذا العصر مالك بن المرقل الذي لا يقل شعرية عن غيره من شعراء المشارقة في قوة اللفظ ووضوح المعنى وجزالة الصياغة وإبداع الصورة والخيال، ومنهم كذلك لسان الدين بن الخطيب وابن زمرك.. وآخرون.

3 ـ لقد كان الشعراء المرينيون يحترمون عمود الشعر العربي ويستغلون إمكاناته في حدود ما يبحثون عنه من جمالية رائعة وابداع أصيل. وبالعودة إلى هذه الأرصدة الشعرية المغربية وإمعان النظر فيها يتضح للمحلل ما كان لهؤلاء الشعراء من اطلاع واسع في اللغة العربية والشعر المشرقي، مما أتاح لهم التصرف في الموضوعات من هجاء ومدح ورثاء وحماسة ونسيب وفق الطرق الشعرية الجدية والهزلية المشهورة في الدواوين المشرقية.

وقد كان لهؤلاء الشعراء حس متميز لغوياً وشعرياً بحيث كانوا دقيقين في مراعاة وجوه التناسب بين موضوعاتهم ومعانيهم ومبانيهم، حتى ليخيّلُ للناظر في أشعارهم أنهم ليستمدون ذلك الحس التناسبي من روح التناسق والتناسب الذي شاع في عمران المرينيين وزخارف قصورهم ومدارسهم. فقد كانت ألفاظهم ومعانيهم منتقاة حسب المواقف الشعرية ومقتضيات اللحظات الشعورية المعبّر عنها.

ولما آلت السلطة إلى السعديين عملوا على إشاعة العلم والمعرفة، وركزوا تعليم اللغة العربية وأصول الدين الإسلامي في كافة مناطق المغرب خاصة بعد سقوط الأندلس وسيطرة العثمانيين على مناطق من المغرب الكبير، فظل المغرب الأقصى في العهد السعدي مستقلاً تمتد حدوده الجنوبية إلى ماوراء النيجر. ونلخص ملامح الوضع الشعري في هذه الفترة في الملاحظات الآتية:

1 ـ ظهر شعراء فطاحل أمثال عبد العزيز الفشتالي والشياظمي والهوزالي وابن صالح مخلوف وابن أبي محلّي وعبد الرحمان التمنرتي وغيرهم.

وكانت مآثر المنصور الذهبي من تشييد عمراني وفتح لآفاق إفريقية لنشر الإسلام مجالات واسعة للقول الشعري عند الشعراء السعديين ومن ذلك أمداحهم وشعر الحرب والحماسة وشعر الابتهالات والتوسل. فقد ازدهرت هذه الموضوعات على الطريقة المغربية التي بدأت تتضح معالمها وتتجذر في الرؤية والتصور لدى شعراء هذه المرحلة وأهم مزاياها :

أ ـ اعتماد المعجم الديني الإسلامي، والامتياح من تجربة أسلافهم منذ العهد المرابطي، مع الاستفادة من تجربة الشعر المشرقي بجميع موضوعاته واتجاهاته.

ب ـ ظهر في هذا الشعر تميز مغربي واضح، كما هو الشأن في شعر عبد العزيز الفشتالي، الذي قاربت جماليته الشعرية ومستواه الفني، جمالية أبي الطيب المتنبي ومستواه الفني.

2 ـ انتشر شعر التوسل والتصوف في دوائر شعراء الزوايا ومعاقل نشر الدين وتعليم العربية وعلوم الفقه. وقد كان هذا النفس التوسلي الصوفي أصيلاً في الشعر المغربي، لأنه يمتح من تجربة دينية أو ممارسة صوفية أو توسلية مباشرة، ولم يكن دوماً مجرّد أصداء لتجارب توسلية أو صوفية للآخر المشرقي أو الأندلسي.

وصلت قافلة الشعر المغربي إلى العصر العلوي محملة بتراث ضخم من مختلف المراحل التي اجتازتها. فكانت أعداد الشعراء في تزايد واضح، والموضوعات تتداخل وتتفاعل بحيث انتفت مبرّرات التركيز على موضوع دون آخر، وولت دواعي الخلافات المذهبية والنعرات الطائفية في ظل حكم بدأ بترسيخ سلطته الزمنية والروحية من منطلق ديني يعزّز مبدأ الشرف بالانتساب إلى بيت النبي (ص)، ويحقق النهضة والازدهار الحضاري من منطلقات اقتصادية واجتماعية وفكرية بتوحيد كلمة المغاربة والصمود في وجه الاخطار المداهمة. ولا أدل على ذلك من محاولات السلطان سيدي محمد بن عبد الله الإصلاحية التي عمت سائر المستويات الحربية والتجارية والفكرية.

وقد ظهرت طوائف من الشعراء المغاربة في زمن العلويين منذ الفترات الأولى لهذا الحكم إلى اليوم. وتميزت أسماء شعرية لامعة في بداية المرحلة كابن الونان وحمدون بن الحاج وابن إدريس العمراوي وابن زاكور وابن الطيب العلمي وأكنسوس، وغيرهم من الشعراء الذين واكبوا حركة الإصلاح وما نجم عنها من تطورات فكرية وثقافية في العهد العلوي الأول. وما تزال قافلة الشعر تسير في ركاب الدولة العلوية نحو آفاق أرحب وأوسع.

ابن أبي زرع، *القرطاس*، فاس، 1843 ؛ ع. الواحد المراكشي، *المعجب*، القاهرة، 1949 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، بيروت، 1950 ؛ الفتح ابن خاقان، *قلائد العقيان*، القاهرة، 1320 ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، القاهرة، 1936 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1956 ؛ ع. الله گنون، *النبوغ المغربي*، تطوان، 1357 ؛ *التعاشيب*، تطوان (د. ت) ؛ ع. العزيز بنعبد الله، *مظاهر الحضارة المغربية*، 1957 ؛ م. المنوني، *العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين* ؛ ع. الجراري، *الأدب المغربي ظواهره وقضاياه*، الرباط، 1979.

محمد أديوان

الشعر في عهد الحماية والاستقلال ← **الأدب المغربي** في عهد الحماية والاستقلال

الشعرية من الأسماك العظيمة شائكات الزعانف كما تسمى في الأسواق السمكية المغربية وتدعى علميا Stromateus fiatola وبالفرنسية Fiatole وبالإنجليزية Butterfish وبالإسبانية Pampano وPalometa fiatola.

لون الشّعْرية أزرق بني على الظهر وأبيض فضي اللمعان على الجانبين والبطن مع بقع بنية ذهبية اللمعان. الجسم عريض ومضغوط جانبيا، الخطم قصير ومنفرج، العينان صغيرتان ومحفوفتان بغشاء شحمي، الغشاء الخيشومي رقيق يحمل شوكتين صغيرتين، الفم صغير جداً والأسنان صغيرة وموزعة على صف واحد، على طول مؤخرة الظهر زعنفة واحدة تتكون من 5 ـ 6 شوكات غير واضحة ومن 42 ـ 50 شعاعا لينا. الذيلية متشعبة جداً والصدريتان عريضتان، الشرجية طويلة تتكون من 3 شوكات ومن 33 ـ 38 شعاعا لينا. الخط الجانبي مستقيم وواضح عليه حراشيف دائرية أنبوبية وبسيطة. يبلغ طول الجسم عند تشعب الذيلية 50 سم وشائع بين 18 ـ 35 سم.

سمك سطحي المعيشة على الهضبة القارية، يعيش في مجموعات قليلة العدد من سطح البحر إلى 100 م من العمق في القيعان الرملية والوحلية وغالبا ما تنضم الصغار إلى مجموعات قناديل البحر غير بعيد عن سطح البحر. يتوالد في الصيف. يتغذى من السردين والأنشوفة ومن القشريات

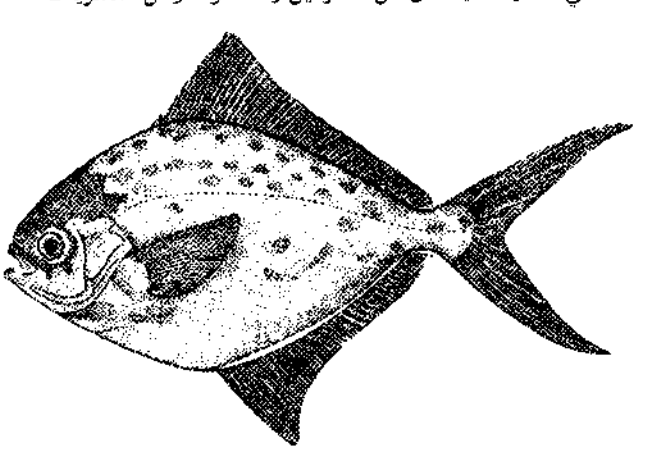

والهائمات الأوقيانوسية. يقتصر توزيعه الجغرافي على البحر المتوسط وعلى السواحل الأطلسية الممتدة من البرتغال إلى رأس الرجاء الصالح وشائع في السواحل المغربية. تصاد الشعرية عن طريق الصدفة بالشباك الخلقية الدائرية والشباك المزودة بالإنارة والجيبيات العميقة والشاطئية والشباك المستقيمة وحبال الصنانير العميقة وشباك الحواجز وصنارة اليد. يوجد طول السنة في الأسواق السمكية الوطنية ويستهلك طريا ويكثر الإقبال عليه للذة لحومه.

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988.

D. Llpris & Rucabado. *Guide d'identification des ressources marines vivantes du Maroc*. .Rome, FAO. 1998.

محمد رمضاني

شَعْشوع ـ بفتح الشين الأولى المشددة وتنطق تاء مفخمة أعجمية ـ، اسم ولقب عائلة نبيلة مازالت موفورة الوجود بفاس والرباط والدار البيضاء، وطنجة والعرائش والقصر الكبير وفگيگ، وقبائل : انجرة وبني جرفط وغيرها. وهم ينتسبون للشرف الميموني نسبة لجدهم الولي سيدي ميمون دفين مدشر (جنان النيش) بقبيلة (بني بوزرة) الغمارية، وهو والد الشيخ الصوفي الشهير علي بن ميمون الذي قدم أجدادُه من الأندلس، واستوطنوا قديما تطوان، ومنها خرجوا لتلك المدن وغيرها، عرف منهم السيد أحمد بن العياشي الشعشوع الذي استوطن القصر الكبير وتعاطى الفلاحة بمزارعه إلى أن توفي هناك ودفن بمقبرة سيدي علي بوغالب، وغالب من يوجد الآن بتلك المدن وبتطوان من حفدته.

رسم شجرة العائلة المحرر بفاس بتاريخ 5 ربيع الثاني عام 1292 المحفوظ عند عميد الأسرة المذكور. معلومات مكتوبة تفضل بتحريرها الأستاذ المذكور.

محمد بوخبزة

الشعّار، أحمد من علماء سبتة الذين كان لهم باع في علوم النحو واللغة والشعر. اشتهر لتقدمه في القراءات ومعرفته برسم المصحف الكريم وتفننه في الخط. كان يُدرّس بمسجد مقبرة زجلو بسبتة وحضر صاحب *بلغة الأمنية* حلقات دروسه في التفسير والأحاديث والفقه والتصوف خاصة *إحياء علوم الدين* لأبي حامد الغزالي و*رعاية* المحاسبي وغيرهما، وكذلك العربية والآداب مثل *الجمل* و*ألفية* ابن مالك والجزولية ومقامات الحريري.

تُرجم له في كتاب *الكواكب الوقادة في ذكر من دفن في سبتة من العلماء والصلحاء والقادة* ولا نعرف تاريخ وفاته. ويبدو من خلال كلام صاحب *بلغة الأمنية* أن أحمد الشعار ربما توفي قبل سنة 820 / 1417 وذلك لسببين أولهما أن هذا التاريخ هو تاريخ تأليف الكتاب، وثانيهما أن مؤلفه يترحم عليه وهذا يعني أن أحمد الشعار كان قد مات قبل تاريخ تحرير *بلغة الأمنية*.

مجهول، *بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب*، المطبعة الملكية، الرباط، 1984، ص. 44.

رشيد السلامي

أبو **شعيب السارية** أيوب بن سعيد الصنهاجي أصلا، الدكالي موطنا دفين مدينة أزمور المشهور بمولاي بوشعيب أزمور. ولد في قرية أيير من بلاد عبدة، سنة 443 / 955.45 وبها نشأ، وتعلم القراءة وحفظ القرآن الكريم "بالروايات العشر" (*المواهب*، 16). "ثم ارتحل في طلب العلم إلى عدة مدن منها أغمات وريكة، وأزمور، وفاس. ويقال إنه ارتحل إلى الأندلس، فدخل إشبيلية وقرطبة..." (*المواهب*، 17) وقد أخذ، خلال هذه الرحلة، شتى فنون العلم الظاهر المعروفة في عصره، على يد علماء أجلة، تذكر منهم المصادر الشيخ أبا جعفر إسحاق بن سعيد الأمغاري من أهل تيط، والشيخ أبا العباس أحمد بن العريف دفين مراكش، والإمام القاضي أبا بكر بن العربي الأندلسي الإشبيلي دفين مدينة فاس، والقاضي عياض دفين مراكش (*المواهب*، 17). وبعد أن عاد من رحلته المذكورة "استوطن أبو شعيب أغمات وريكة واتخذ بها داراً وأهلاً، كما استوطن مدينة أزمور واتخذ بها أيضاً داراً وأهلاً، وكان يتردد بينهما وبين أغمات"، وبينهما وبين (يال سكاون) بدكالة. وكان أينما حل وارتحل يشتغل بتعليم القرآن للصبيان (*المواهب*، 16).

غير أن أبا شعيب سرعان ما سمت نفسه إلى أخذ علم الباطن، أو ما يعرف بالتصوف وسلوك طريق القوم. وقد صحب في هذا الشأن عدة مشايخ، أشهرهم : أبو ينور عبد الله بن وكريس الدكالي، من مشنزاية، وقبره شهير جداً في وسط صقع دكالة باسم (سيدي بنور). وقد اعتبره التادلي معتمد أبي شعيب في طريق القوم، استناداً إلى قوله : "استند إليه أبو شعيب فحكمه في نفسه وتربى به وتأدب بآدابه ورضع ثدي معارفه وأسراره، وتخلق بأخلاقه، ففاز منه بمعرفة ربه، وفتح له على يديه حتى بلغ مقاما شاسعاً في الولاية والمعرفة بالله تعالى" (*التشوف*، 130).

قد تتلمذ على الشيخ أبي شعيب السارية جم غفير من طلبة العلم والتصوف، وخصوصاً من أبناء قبيلة دكالة. نذكر منهم أبا حفص عمر بن معاد الصنهاجي من أهل ايفغل من بلد أزمور المتوفى عام 561 ويوسف بن أبي حفص الصنهاجي، من جهة أزمور أبا محمد عبد الخالق بن ياسين الدغوغي، المتوفى عام 571، وهو دفين بلدته بسبت بني دغوغ من عمل مراكش (*التشوف*، 183 ـ 222). غير أن أشهرهم، على الإطلاق، هو الشيخ أبو يعزى، الذي خدم شيخه، أبا شعيب السارية، "عاماً كاملاً، تماماً كما تخدم المملوكة سيدها"، إلى أن أذن له أبو شعيب بالانصراف، وتأسيس رباط خاص به (*المواهب*، 47).

كما خلف أبو شعيب ابنين من صلبه، يوسف وعمر، لم يشتهر أي منهما بالتصوف، ولا أحد من ذريتهما، على نحو قول صاحب *التشوف* : "إنه لم يترك بعد ولدا سلك طريقه" (*التشوف*، 209). وهذا أمر مخالف للرواية الشائعة التي تقول إنه توفي أعزب، وأن المرأة التي كان سيتزوجها هي عائشة البحرية دفينة الضفة اليمنى لأم الربيع، قبالة ضريح مولاي بوشعيب بأزمور.

ويفهم من مختلف الكرامات والمعلومات المتعلقة بشخصية أبي شعيب السارية أو برباطه، أن هذا الولي لعب أدواراً فعالة لصالح العامة، وأن رباطه كان مأوى للمسافر والتاجر والغريب وابن السبيل والمظلوم والخائف والجائع، وكل من أراد البيت الآمن لنفسه أو لمتاعه. كما كان ملجأ آمنا للمضطهدين من قبل المخزن الحاكم أو ذوي النفوذ بشكل عام. مما يدل ولاشك على الدور الفعال الذي لعبه رباط أزمور وشيخه مولاي بوشعيب.

وهكذا تخبرنا المصادر أن الشيخ أبا شعيب توسط كثيراً لمن اشتكى إليه، كما فعل، مثلاً، عندما قصد السلطان الموحدي عبد المومن بن علي بمراكش، يشفع لحريم أمير المرابطين علي بن يوسف في تسريحهم. وكذلك عندما "جاء شفيعاً في جماعة أهل بلدة أزمور اقترفوا ما جعل والي المدينة يحكم بقتلهم" (*المواهب*، 31 ـ 35).

كل هذا وغيره يدل على أن أبا شعيب، الولي الصوفي، لم يكن منقطعا كلية عن الدنيا، بقدر ما كان رجلاً عملياً اجتماعيا، يعمل من أجل الدنيا، تماما كما يعمل من أجل الآخرة.

فمن أهم تلك المعلومات ما ذكره الصومعي في *المعزى*، حيث يقول بأن، الشيخ "أبا شعيب قصد السلطان عبد المومن بن علي يشفع لحريم السلطان علي بن يوسف في تسريحه" (*المواهب*، 31). وأخرى شيء يلاحظ من خلال هذا الخبر أن أبا شعيب كان على علاقة طيبة مع الطرفين المرابطي والموحدي، وإلا كيف نفسر تدخله لصالح آل يوسف بن تاشفين لدى خصومهم الموحدين. وإذا كان من الصعب التأكيد على هذا الأمر بالنسبة لخلفاء عبد الله بن ياسين، فإنه يسهل علينا بخصوص آل عبد المومن. ومن هذه الدلائل دخول مولاي بوشعيب إلى مراكش عام 541 / 1146، أي في نفس السنة التي دخلها الخليفة عبد المومن بمعية الشيخ أبي حفص، بعد أن قام هذا الأخير بالإجهاز النهائي على البرغواطيين (*أزمور*، 96). ثم استقباله لابن صاحب الصلاة بأزمور، وهو الذي ورد أصلا على رجال الدولة، كما قلنا.

وبعد وفاة أبي شعيب سنة 1166/561 أصبح ضريحه محط اهتمام خصوم المغرب، وخصوصاً برتغاليي الجديدة الذين أغاروا عليه أكثر من مرة (*الاستقصا*، 7 : 185)، لأنه كان بمثابة ثكنة للمجاهدين، وظل محط عناية سلاطين المغرب إلى عهد الدولة العلوية، ولاسيما من طرف السلطان الحسن الأول.

ي. التادلي، *التشوف إلى رجال التصوف*، تح. أ. التوفيق، طبعة

الرباط، 1404 : م. بن إدريس القادري، *المواهب السارية في مناقب أبي شعيب السارية*، مخطوط ؛ ع. الكبير الفاسي، *تذكرة المحسنين بوفيات الأعيان وحوادث السنين*، *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 1 : 365 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 2 ـ 3 ؛ ع. الهادي التازي، *آزمور مولاي بوشعيب من خلال التاريخ المحلي والدولي للمغرب*، *مجلة المناهل*، العدد 35، ربيع الثاني 1407 / دجنبر 1986.

أحمد الوارث

أبو شعيب (الشيخ -) ← الدكالي الصديقي

الشفاعة هي التوسط بين طرفين للحصول على منفعة لأحدهما لكنها اكتسبت في المغرب معنى العفو الذي يمنحه الطرف الأقوى في المعادلة، أي الطرف الذي يملك السلطة المادية أو السياسية أو الدينية التي تجعله في موقع متفوق. وبهذا المعنى كان الجناة أو المتمردون على الدولة يطلبون شفاعة السلطان، أي عفوه عمّا تنسب إليهم من تجاوزات.

وقد اقترن مفهوم "الشفاعة" بمفاهيم أخرى مثل "الزواك" و"العار" و: التعرگيبة" (انظرها في المعلمة) و"الحرم". ومن الواضح أن بعض هذه المفاهيم يمثل جزءاً من المنظومة القبلية وركناً من أركان العرف الذي كان ينظم الحياة الاجتماعية ويوفر أدوات لحل النزاعات، سواء بين الأفراد والمجموعات أو بين هذه والمخزن. كما أن طقوس "الزواگ" و "التعرگيبة" هي بالتأكيد طقوس محلية سابقة للإسلام، لذلك اعتبرها العلماء من بقايا "الجاهلية"، فوقفوا ضدها وحاربوها، خاصة فيما يتعلق برمي العار على الأولياء والصالحين الذين يصبحون بموجب التقاليد مجبرين على تنفيذ رغبة الملتمس لشفاعتهم، وهو ما رأى فيه بعض العلماء سوء أدب في حق أولياء الله.

لكن موقف العلماء لم يمنع الناس من اللجوء إلى هذه الطقوس ومن طلب شفاعة السلطان أو ذوي النفوذ والجاه. ولم تقف الدولة ضدها بل ساندتها ودعمتها لما كانت توفره من مخرج سلمي لأزمات مستعصية. ويذكر المؤرخون أن السلطان العلوي سيدي محمد بن عبد الله كان لا يرد شفاعة الخصم بل ربما أو عز إلى البعض من الرعية بطلب الشفاعة "فيقلع عن عز ويستدرك الأمر قبل تفاقمه" (*أكنسوس*، ص. 317 ـ 318). ويدخل في نفس الإطار احترام السلاطين لأماكن الحرم كالاضرحة والزوايا وقبول شفاعة أصحابها.

إلا أن الشفاعة وغيرها من أدوات التوسط والمصالحة تأثرت بكيفية سلبية عندما أراد السلاطين مركزة الدولة واحتكار معظم السلط ابتداء من القرن التاسع عشر. وكانت هذه الرغبة في المركزة تتم في الغالب على حساب القوى الدينية كالزوايا والشرفاء الذين كانت الرعية تقصدهم للتوسط وللشفاعة. وهكذا أصبح السلاطين يردون شفاعة الشرفاء والمرابطين فنسفوا بذلك ركناً هاماً من أركان التوازن الاجتماعي. ويكفي أن نذكر هنا مثالين لهذه الظاهرة: الأول يتمثل في رفض مولاي الحسن في سنة 1875 شفاعة شيخ الزاوية الوزانية عندما توسط لديه لإنهاء تمرد بوعزة الهبري، فكان ذلك الرفض إشارة لشريف وزان بنفض يده من يد المخزن وطلب الحماية الفرنسية. أما المثال الثاني فيتعلق برفض المولى عبد العزيز لشفاعة الشرفاء الأدارسة عندما أخرجوا قاتل الإنجليزي دافيدكوبر من ضريح مولاي إدريس بفاس (1902) بعد أن عاهدهم السلطان بالصفح عنه، إلا أن مولاي عبد العزيز نكث عهده وبادر إلى قتل الجاني، فكان ذلك ضربة قاسية للشرفاء الأدارسة وإخلالا بأحد الأعراف التي قام عليها النظام الاجتماعي. لكن هذه الحادثة كانت في الواقع ضربة لهيبة مولاي عبد العزيز وإيذاناً بسلسلة من الثورات والفتن أدت في النهاية إلى سقوط البلاد في قبضة الاستعمار.

أ. الناصري، *الاستقصا*، الجزء 9، الدار البيضاء، 1956 ؛ م. بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس*، فاس، 1899، الجزء الأول. م. أكنسوس، *الجيش العرمرم*، مخطوط، الخزانة العامة، د 339.

محمد المنصور

الشَّفَّاقْ. عبد السلام بن عبد الله قائد كان برأس جماعة من المجاهدين من قبيلته بني يسف انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني ؛ وقد شارك في المؤتمر الذي عقدته الثورة بضريح سيدي يسف يوم 7 ماي 1913، ولم يشارك إلا في أربع معارك حيث استشهد في المعركة التي جرت بقرية بوعودة يوم 15 يوليوز من نفس السنة.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب*، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

شفشاون (مدينة وإقليم -) تأسست مدينة شفشاون كرد فعل للمد الصليبي المتمثل في احتلال طنجة وأصيلة سنة 1471، على يد الشريف علي بن راشد المشيشي، الذي جعلها قاعدة خلفية للجهاد نظراً لموقعها المحصن وراء الجبل. وهي مدينة تعلو سطح البحر بـ 300 م كما أنها المقر الإداري لإقليم تبلغ مساحته 4350 كم2. تستمد اسمها من "شف" انظر "شاون" بمعنى القرون ؛ وهي تسمية وصفية لموضعها عند قدم أجراف جبل لشهب الكلسي. أما طابعها المعماري والثقافي فيتأصل من ازدواجية الحضارة المغربية الأندلسية بعد خروج المسلمين من المدن الإيبيرية حيث استقبلت شفشاون أعداداً كبيرة منهم.

ورد ذكر شفشاون في مذكرات شارل دو فوكو الذي مربها سنة 1884 فوصف بها كثرة الحرفيين وساكنة تناهز 5000 نسمة، وهو نفس العدد الذي استمر إلى غاية 1920 حين دخلها الجيش الإسباني قبل أن ينسحب منها سنة بعد ذلك (1921)، في اتجاه بعض المدن الساحلية إثر رد فعل الثورة الريفية العنيف. وفي سنة 1926 عاد إليها الإسبان مرة أخرى بعد تحالف جبان، فرنسي ـ إسباني ليجعلوها

واحدة من خمسة مراكز لإدارة شؤون الريف استمرت لثلاثة عقود (1926 ـ 1956)، وهذه المراكز هي :

- شفشاون بالنسبة لإقليم غمارة ؛
- العرائش بالنسبة لإقليم اللكوس ؛
- تطوان بالنسبة لإقليم جبالة ؛
- الحسيمة بالنسبة لإقليم الريف ؛
- مليلية بالنسبة لإقليم كرت.

تشرف شفشاون على منخفض طولي يمتد 100 كم ما بين خميس أنجرة (بشبه جزيرة طنجة) وباب تازة (بالريف الأوسط)، يتوسط وحدتي الذروة الكلسية والأعراف النوميدية، وانطلاقا من خانق واد لاو يتم ربط المنطقة بالواجهة المتوسطية. وتكتسب شفشاون شهرتها من موقعها المتدرج فوق توضعات رصراصية ومواد فتاتية عبارة عن هشيم وتراكمات كاربوناتية عند قدم جبل تيسوكا. كما تضفي عليها الجنان وبساتين الأشجار المثمرة المحيطة بها طابعا متميزا وجمالية قل مثيلها.

تمتاز تضاريس إقليم شفشاون بالتمزق نتيجة تعمق شبكة الجريان وتعدد الأعراف (كلسية وحتية). وجراء هذا الوضع الطبغرافي المتمثل في قمم الريف الأوسط، تأخذ الأودية وجهات متغايرة صوب البحر المتوسط (واد لاو، بوحية، بوأحمد، ورينجة) أو صوب المحيط الأطلنتي (واد اللكوس، واد درعة عبر واد أودور).

يمتد ساحل إقليم شفشاون من الجبهة إلى واد لاو ويظهر أجرافا صخرية وسفوحا شديدة التمزق تمتاز بالوعورة وقوة الانحدار، ضمن تكوينات تشرف مباشرة على البحر بمئات الأمتار (400 إلى 600 م). ولا ينفتح هذا الشاطئ إلا عند مخارج بعض الأودية (الاو، تحيساس، أمتر، تاغروت، ورينجة).

تتعدد الوحدات الجيلوجية بالإقليم بحيث نجد :

- الصخور القاعدية المتبلرة، (بريدوتيت، غنس، ميكاشست).
- الصخور الرسوبية وتناسب وحدة غمارة والصخور الأولية وغطاء الزمن الثاني المحيط بها.
- رسوبات فتاتية متنقلة توضعت في منخفض عميق طوال أزمنة الكريتاسي، الاليجوسين والميوسين.

تتوسط إقليم شفشاون الصخور الكلسية لتؤلف حزاما كاربوناتيا (الذروة الكلسية) تقارب ارتفاعاته 2000 م (كلتي، لقرع، تيسوكا...)، وتشكل خط مفترق المياه بين الأحواض المتوسطية والأطلنتية. بها أشكال كارستية متنوعة سطحية وباطنية نتجت عن تحلل الصخور الكلسية. وهو ما يفسر وجود أعمق هوة كارستية بالمغرب (تغوبيت) قرب جبل بوحلا، غير بعيد من قرية الشرافات بين باب برد وباب تازة.

أما الصخور الرملية النوميدية المنتشرة موازاة مع الظهر الكلسي من جهة الجنوب الغربي فهي من مخلفات فرشة كبيرة لم يتبق منها حالياً إلا أحجام منعزلة ذات اتجاه شمالي غربي ـ جنوبي شرقي. تعلو فرشتي طنجة وكتامة الصلصاليتين وأحيانا ترتبط بهما بواسطة تراكمات سفحية سلبسية تستقر فوقها غابات البلوط الفليني (جبل خزانة، جبل سكنى، جبل بوهاشم...).

مناخ إقليم شفشاون من النوع المتوسطي، شتاؤه معتدل ورطب وصيفه جاف وحار؛ تتوزع تساقطاته بين شتنبر وماي. أما المعدل السنوي للأمطار فيتجاوز 800 مم / سنة

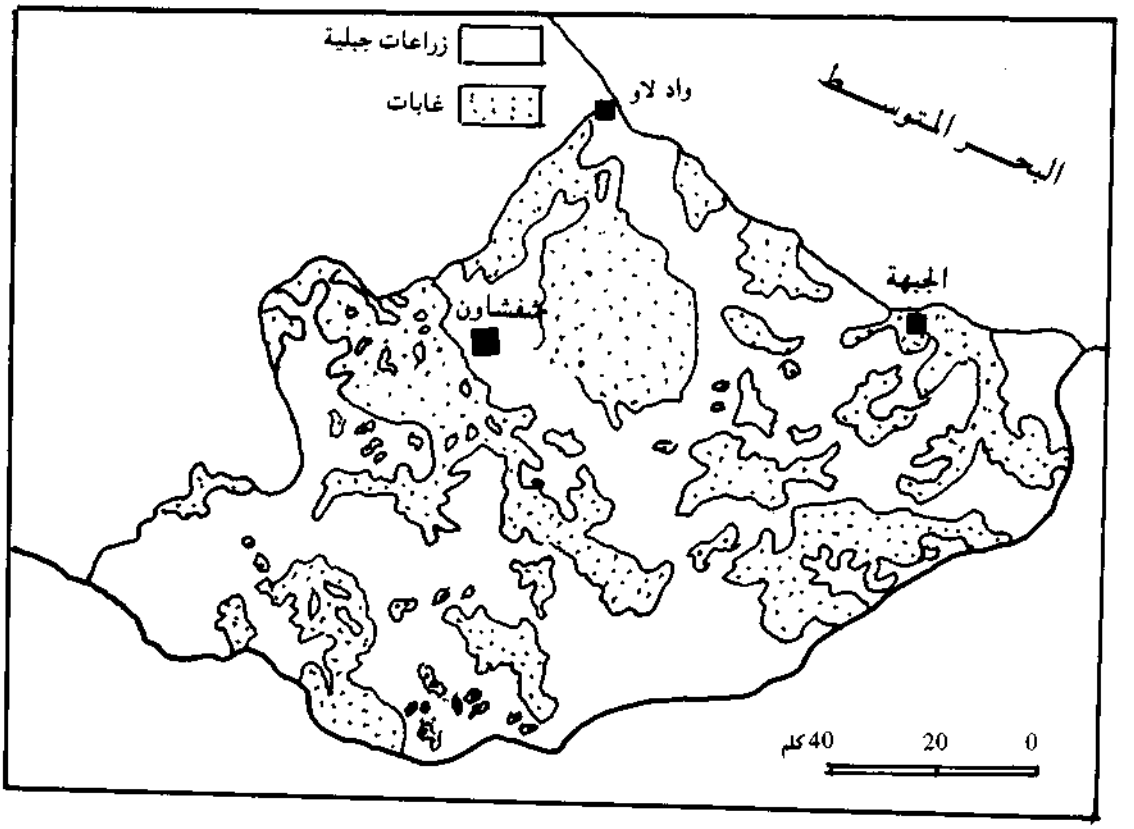

بمجموع الإقليم ما عدا قرب الساحل حيث تنزل الأمطار دون 400 مم. ومن أهم نتائج هذا المعطي انتشار غطاء نباتي طبيعي كثيف يمتاز بالغنى من حيث التنوع والأصناف النباتية والمساحات المغطاة (شكل 1).

تعتبر وفرة التساقطات (أمطار وثلوج) بإقليم شفشاون مصدراً لحقينات العديد من السدود داخل الإقليم :

- سد علي ثلاث (1934) في مقدمة الظهر الكلسي تبلغ مساحة حوضه 436 كم2 إلا أن حجم الحقينة (20 مليون م3) لا تتناسب وكمية الأمطار بالعالية.

- وبالعكس يمثل سد واد المخازن وسد الوحدة مستقرا طبيعيا لموارد الإقليم المائية تترجم حقيناتها أهمية موارد المياه السطحية بالإقليم.

ونظراً لطبيعة صخورها، تعتبر الذروة الكلسية خزانا حقيقيا للمياه الجوفية حيث تبلغ طاقة تخزينها حوالي 200 مليون م3 سنويا جزء منها يتفجر في عيون رأس الماء، ماجو، الشرافات وغيرها... ويضمن صبيبا منتظما لها على مدار السنة.

جدول 1 : الحرارة والأمطار بإقليم شفشاون
من خلال محطتي الجبهة وشفشاون

المحطة	ارتفاع (م)	خط طول	خط عرض	معدل حرارة دنيا	معدل حرارة عليا	الامطار (مم/سنة
الجبهة	10	4° 40'	35° 14'	--	--	358
شفشاون	280	5° 15'	35° 10'	5.9	33.9	893

تشكل مدينة شفشاون إلى جانب طنجة وتطوان والعرائش رابع مركز حضري لجهة طنجة ـ تطوان، تحيط بإقليم شفشاون أقاليم الحسيمة وتاونات من الشرق، سيدي قاسم من الجنوب وإقليم تطوان من الغرب والشمال الغربي. ويستقر بالمنطقة سكان قرويون في الغالب ضمن كثافات تتجاوز المعدل الوطني بكثير. ذلك أن شفشاون هو الإقليم الأقل تمدنا بالشمال إلى جانب تاونات حيث لا تتجاوز بهما نسبة سكان الحواضر 10٪.

جدول رقم 2 : توزيع السكان بإقليم شفشاون

مساحة كم2	السكان	قرويون	حضريون	كثافة ن/كم2
4350	439303	396389	42914	101.0

وتعتبر شفشاون كذلك (أو الشاون)، المدينة الوحيدة داخل الإقليم أما دونها فعبارة عن مراكز تضخمت على جوانب طريق عابر أو لوجود نواة إدارية كمقر دار الجماعة أو سوق أسبوعي (الجبهة، زومي، بريكشة، باب برد، باب تازة، تانقوب، دردارة). وهي مراكز غالبا ما تفتقد إلى خدمات التطهير وجمع النفايات والإضاءة العمومية.

جدول 3 : تطور عدد سكان مدينة شفشاون خلال القرن العشرين.
وتيرة غير منتظمة

السنة	عدد السكان	ن الزيادة
1884	5000	--
1921	5000	--
1935	6158	%1.5
1940	12397 نسمة %13	%1.5
1954	14175 نسمة %18	%1
1960		
1971		
1982	26499	%4.1
1994	42914	

جدول 4 : بنية أعمار السكان بشفشاون الاحصاء العام 1994

أعمار	شفشاون
4-0	17.1
9-5	17
14-10	13.6
19-15	10.4
24-20	8.0
29-25	6.1
34-30	5.9
39-35	4.6
44-40	3.7
49-45	2.6
54-50	2.7
59-55	2.1
64-60	2.1
69-65	

يبدو من بنية أعمار سكان إقليم شفشاون أن 60٪ منهم دون 20 سنة، مما يشكل عبئا إضافيا يجب مواجهته من حيث تلبية متطلبات ساكنة في حاجة إلى الاستثمار على مستوى التربية والتعليم والتكوين والتطبيب...

جدول 5 : نسب الأمية لدى ساكنة شفشاون ٪ :

المدن	القرى	ذكور	إناث	مجموع
33	75	51	89	70

الجماعات المحلية (شكل 2) : 1 تيزكان، 2 سطحية، 3 بني بورزة، 4 أمطر، 5 بني سميح، 6 متيوة، 7 تاسيفت، 8 بني سلمان، 9 بني منصور، 10 إوناز، 11 بني رزين، 12 واوزكان، 13 طالبوت، 14 بني دركول، 15 بني صالح، 16 باب برد، 17 تاسروت، 18 باب تازة، 19 بني فغلوم، قلعة بوقورة، 20 أولاد مالح، 21 منصورة، 22 تانقوب، 23 دردارة، 24 الغدير، 25 فيفي، 26 مقرصات، 27 بني أحمد شرقية، 28 أسجن، 29 بريكشة، 30 عين بيضة، 31 زومي، 32 منصورة، 33 بني أحمد غربية، وشفشاون.

جدول 6 : توزيع الوحدات الادارية بإقليم شفشاون

دوائر	4
ج. قروية	33
ج. حضرية	1

الأنشطة والخدمات : يمتد ساحل إقليم شفشاون بين رأس الصيادين ورأس ترغة أي بين الجبهة وواد لاو، على طول 120 كم. مرفأ وحيد للصيد بالجبهة يوجد ضمن هذا الشريط الساحلي وهو ما يترجم ضعف مساهمة هذا الساحل في المنتوج المحلي خاصة على مستوى الصيد. وهو معطى تفسره قلة التجهيزات والطبيعة التقليدية لقوارب الصيد وضعف التكوين في تقنيات الصيد والملاحة لدى السكان. ويمكن تحديد البعض من مشاكل استغلال الموارد البحرية كما يلي :

- صعوبة الوصول إلى ميناء الجبهة وقلة المياه وغياب وحدات التصبير
- انعدام أوراش إصلاح قوارب الصيد وعدم وفرة قطع الغيار وحتى المحروقات
- انعدام مساحة مخصصة لبيع إنتاج الصيد اليومي.

وفي مجال المواصلات يخترق إقليم شفشاون محور الطريق الوطنية رقم 2 من الشرق إلى الغرب ؛ إلا أن مخططها لا يفيد من حيث محدودية إشعاعها على المجال. ورغم شبكة طولها 750 كم، تبقى البنيات الطرقية دون المعدل الجهوي (15 كم / 100 كم2). كما أن حالتها تبقى في المجمل سيئة تعاني من معضلة الحركات السفحية والانقطاعات المتتالية جراء السيول والانجراف مما يتطلب استثمارات كبرى للإبقاء على صلاحيتها خلال كل فصل مطير.

جدول 7 : البنية الطرقية الريفية بإقليم شفشاون (كم)

طرق رئيسية	طرق ثانوية	طرق ثلاثية	مسالك	مجموع
172	135	277	180	764

علاوة على أعطاب قطاع المواصلات، تعتبر مكافحة التعرية إحدى أولويات التنمية المستديمة بالإقليم وهو أمر يتطلب معالجة أحواض الأودية الصغرى والمتوسطة وغراسة السفوح المهددة بعالية سد واد المخازن وسد الوحدة.

جدول 8 : توزيع المساحات حسب أنماط الاستهلاك بإقليم شفشاون

أراضٍ بور	أراضٍ سقوية	غابات	مراعٍ	مجموع
96200	3800	175000	160000	435000

ينعكس النقص في بنيات المواصلات سلبا ويزيد من معاناة شفشاون من العزلة خاصة في القطاعات المنتجة كالتصنيع. فانعدام أسس استقبال هذه الأنشطة إضافة إلى صعوبة المجال الطبيعي وغياب أي منظور بديل لإنقاذ الأوساط الجبلية ؛ كلها عناصر لا تمكن من تشجيع الاستثمار الصناعي ولا تسمح بالتهيئة الملائمة للتراب، بل تدفع السكان إلى الهجرة أو الاكتفاء بزراعة القنب الهندي المحظورة والتي تعرف انتشاراً كبيراً في أوساط الفلاحين.

تشكو المدينة والإقليم من غياب أي تدبير للثروات المحلية خاصة الغابوية منها والغلال الموسمية والمياه المعدنية والثروة الحيوانية. فغنى محيط شفشاون بالمجالات ذات الأهمية السياحية يتمثل في تعدد مؤهلات تنمية السياحة الجبلية إلى جانب إمكانات تنمية سياحة ساحلية حقيقية. ولعل كل ذلك يقتضي تهيئة محكمة ومتكاملة من حيث التجهيز واعتماد السياحة الوطنية. أما مجالات استقطاب زوار إقليم شفشاون وحاضرتها فمتعددة ومن أهمها :

- المدينة القديمة، قصبة عبد الكريم، عيون رأس الماء قرب المدينة،
- مراكز الجبهة، ترغة، قاع أسرس وأمتر، على الساحل
- صومعة وشلالات الشرافات، مغارات تغوبيت الكارستية
- عين الرامي ومحمية طالاسمطان (60.000 هك)

شفشاون إقليم جبلي يتوسط جبال الريف كما يشرف على البحر المتوسط بسفح عمودي يخلق متاعب لاستقرار السكان والأنشطة. أما السفوح الجنوبية فهي متدرجة الارتفاع، ذات غطاء نباتي متنوع وكثيف. وتعترض الواجهتان معا ، الشمالية والجنوبية، صعوبات ناتجة عن تعرية الأتربة في ظروف مناخ إما شبه جاف أو كثير الرطوبة وذلك جراء زوال الغابات التي تمثل حالياً ثلث مساحة الإقليم.

يشكو إقليم شفشاون وحاضرته من خصاص كبير على مستوى التجهيزات الأساسية في ارتباطها مع حاجيات السكان وتدبير ثم استغلال الموارد الطبيعية.

دراسة ميدانية ووثائق رسمية.

بوشتى الفلاح

الشفشاوني، عبد الرحمن بن عبد الهادي بن إدريس، يتصل نسبه بالحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت الرسول عليه الصلاة والسلام.

ولد المترجم له في مدينة فاس بحومة الجزيرة حوالي سنة 1306 / 88 ـ 1889 وما أن تخطى سنوات الطفولة الأولى حتى انكب يستظهر كتاب الله ويتعلم مبادئ الكتابة والقراءة في كتّاب درب السعود على يد الفقيه أحمد الفشتالي الزعيمي. ثم نقل إلى كتّاب حي مصمودة فقرأ على الفقيه أحمد الغزاوي. ثم نقل إلى كتّاب الأقواس فقرأ

على الفقيه علي الخمسي. ثم اختص بالقراءة على الفقيه علي الفكيكيي فكان يدرس معه كتاب الله بضريح ابن عطية بالحبيل. ثم رجع إلى مكتبه الأول ومعلمه الفقيه الفشتالي. وقضى زمنا طويلاً في إتقان حفظ القرآن في الضريح الإدريسي على الفقيه ابن علي إلى أن استظهره على النهج المسلوك يومئذ، بحيث لم يغادر الكتاب حتى كان على بينة تامة من التنزيل الحكيم مع إتقان رسمه ونصوصه وملكة

في تجويده وترتيله، فضلاً عن حفظ بعض أمهات المتون النثرية والأراجيز النظمية، كمختصر خليل الذي كان يقرأ زوال كل يوم بعد أذان الظهر بالقرويين، وكرسالة ابن أبي زيد القيرواني، والأجرومية والألفية والعاصمية والزقاقية والمرشد المعين وأرجوزة السلم وما إلى ذلك. وإنه زاول الدراسة بقراءة الأجرومية بشرح الأزهري في مسجد القاضي عياض بحومة الصناعة على الفقيه الشريف محمد (فتحا) بن قاسم القادري، والمرشد المعين على الضروري من علوم الدين بصغير الشيخ مبارة على الفقيه عبد الصمد كنون بمسجد الشحامين في النخالين وعلى الفقيه إدريس بن عمر الشامي بجامع الأندلس. وانتقل سنة 1320 إلى معهد القرويين لينهل من معينه المتدفق بالعلوم الشرعية والأدبية، فأخذ عن كبار علماء العصر من أمثال محمد (فتحا) الإيراري والراضي السناني وعبد الله الفضيلي ومحمد بن رشيد العراقي وأحمد بن الخياط الزكاري والقاضي محمد بن العربي العلوي وعبد السلام الهواري والتهامي كنون ومحمد بن جعفر الكتاني والشريف الحسين العراقي والفقيه عبد السلام غازي والفقيه أحمد بن الجيلالي الأمغاري والفقيه حماد الصنهاجي والفقيه محمد أقصبي والشيخ شعيب الدكالي والفقيه محمد بن محمد بن عبد القادر ابن سودة والفقيه إدريس المراكشي والفقيه عبد السلام بناني وأخيه القاضي عبد العزيز بناني والشيخ عبد الحي الكتاني والفقيه عبد الرحمان ابن القرشي والفقيه عمر العراقي والفقيه الحيسوبي محمد بن علي اللأغزاوي والفقيه محمد العلمي والقاضي محمد بن الطالب الفاسي والشريف الفقيه أحمد بن المامون البلغيثي. حتى إذا بلغ الأشواط النهائية من الدراسة الجامعية، اختبر فيما امتلك من العلم والقدرة على تبليغه أمام لجنة يتقدمها الشيخ أحمد ابن الخياط، فمنح درجة العالمية وألحق بقائمة العلماء من المرتبة الرابعة، وذلك سنة 1333. وما لبث أن تسلق المدارج إلى أن ارتقى إلى المرتبة الأولى. وكان فور تخرجه قد انكب على التدريس تطوعا في القرويين، فألقى دروساً في الأجرومية ولامية الأفعال والألفية لابن مالك وفي الفرائض والحساب والعروض ونظم الاستعارة ولامية الزقاق والتحفة والبردة ومختصر خليل بالدردير من باب البيوع، كما أنه سرد صحيح البخاري ثلاث مرات بالتناوب مع بعض أقرانه وذلك في شهر الصيام ويختمونه ليلة القدر.

وقد اشتغل بالتدريس ابتداء من سنة 1339 في المدارس الحكومية المحدثة بعد فرض الحماية على البلاد، فدرس في مدرسة أبي الجنود، ثم في مدرسة العدوة سنة 1345، ثم مدرسة أبناء الأعيان بدرب ابن يعدس في حي رأس الجنان. ثم عيّن عضواً مستشاراً بالمحكمة الابتدائية، ثم عضواً متمرنا بمجلس الاستئناف الشرعي الأعلى في الرباط، وذلك عام 1348. وانتقل إلى منصب قاضي مدينة وجدة في ربيع الثاني من سنة 1352، وظل يمارس الأحكام هناك إلى سنة 1357، إذ سمي مستشاراً بالمجلس الأعلى الآنف الذكر، ثم نائب الرئيس في ربيع 1363، ثم نائبا عن قاضي القصر الملكي في شعبان 1371. وكان في تلك الأثناء مكلفا بإلقاء دروس الفقه في المدرسة المولوية. وآخر ما تقلد من المناصب العليا رئاسة الغرفة الشرعية في المجلس الأعلى إلى أن بلغ سن التقاعد فعين رئيساً شرفياً للمجلس قبل أن يحال على المعاش. وظل طيلة عمله في الوظيف يشرف برفقة العالمين محمد بن عبد السلام السائح الرباطي وأحمد بن عبد النبي السلاوي على لجنة امتحانات التخرج من جامعة القرويين. ولما استرجع المغرب استقلاله وبات من الضروري إعادة النظر في قضائه ومحاكمه، فإن الفقيه عبد الرحمن الشفشاوني انتدب للعمل في لجنة وكل بها تدوين أحكام الفقه الإسلامي إلى جانب المختار السوسي وأحمد البدراوي والمهدي العلوي ومحمد بن العربي العلوي والأساتذة الحسين ابن البشير ومحمد داود وعلال الفاسي وحماد العراقي. وأما رحلاته، فقد شارك في مؤتمر أحباس الحرمين الشريفين المنعقد في الجزائر العاصمة، وهناك اتصل بالشيخ البشير الإبراهيمي وألقى دروسا بمسجد المدينة الجامع.

وخلاصة القول أن الفقيه عبد الرحمن الشفشاوني كان من كبار علماء عهد السلطان سيدي محمد بن يوسف. ذاع صيته في مجال الفقه وفك ألغازه وتشعبات نوازله، مع عناية بنشر العلم والسهر على المحافظة على العلوم الإسلامية في الوقت الذي صار للصدمة الاستعمارية ما صار من الوقع على كل صعيد. فكان رجل تدريس وعمل أكثر مما كان رجل تدوين الكتب وتحبيرها، وإن كان قد خلف العديد من التقاييد التي لا تزال في مسوداتها عند ولده الأستاذ المهندس الوزير السيد يحيى حفظه الله. بيد أن المترجم كان مالكا بزمام النظم، وله قصائد تثبت مهارته في ذلك، منها

على سبيل المثال لا الحصر قصيدة في مدح السلطان سيدي محمد بن يوسف فهو من كبار خدامه، وأخرى في هجاء محمد بن عرفة سلطان الفرنسيس كما كان يسمى عند عامة الشعب المغربي الذي لم يرض بمبايعته أحد. والقصيدتان مذكورتان عند بلحاج السلمي. وله أيضاً منظومة رجزية في إرث ذوي الأرحام من ثمانية وأربعين بيتا صدرت في مجلة القضاء والقانون عدد أبريل 1958.

توفي ليلة الأحد 15 رمضان عام 1387 / 17 دجنبر عام 1967، ودفن بمقبرة سيدي الخطاب خارج باب العلو من الرباط.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع : سل النصال / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 9 : 3398 ـ 3399 ؛ ع. الله الجراري، *أعلام الفكر المعاصر*، الرباط، 1391 / 1971، في مجلدين ؛ م. السلمي ابن الحاج، *إسعاف الإخوان*، الدار البيضاء، 1412 / 1992.

الشفشاوني، عبد الله بن **عبد الرحمان**، ينتمي إلى الجيل الأول من شباب المغرب الذي تخرج من الجامعة الفرنسية. درس أول الأمر العلوم الرياضية. ثم مال عنها ليدرس العلوم القانونية والاقتصادية. وعاد إلى المغرب في السنوات الأخيرة من عهد الحماية، فالتحق بإدارة التخطيط والإحصاء. ولما استرجع المغرب استقلاله، كان عبد الله الشفشاوني من الرجال المعوّل عليهم، على قلتهم يومئذ، في تجديد صرح الإدارة الوطنية. وقد عينه الملك محمد الخامس نائب كاتب الدولة في المالية في الوقت الذي كان المغرب يسعى إلى التخفيف من التبعية للسوق الفرنسية ومنطقة الفرنك. وتجلت مؤهلاته في الوزارة واستحسنها الجميع، لما كان مجبولا عليه من الذكاء وخفة الروح وشرف السلوك.

توفي فجأة، مأسوفا عليه مذكوراً بلسان الخير، بعد مرض خاطف لم يمهله طويلاً في جمادى الثانية عام 1378 / 58 ـ 1959، ودفن بمقبرة العلو في الرباط.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع : سل النصال / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، 10 مجلدات.

إبراهيم بوطالب

الشفشاوني، عبد الله بن **محمد** بن المكي الحسني الموسوي. مقاوم كبير، ولد بفاس سنة 1349 / 1927، ودرس في الكتّاب فحفظ شيئاً من القرآن، وكان يمتهن حرفة الخرازة. انخرط في حزب الاستقلال أواخر الأربعينيات وتزوج في أول الخمسينيات. وأنجب ولداً وبنتاً. عرف بنشاطه الوطني فألقي عليه القبض أولاً يوم السبت 4 ذي الحجة عام 1372 / 15 غشت 1953 وسجن سبعة شهور بفاس والرباط. وبعد خروجه من السجن أنشأ خلية للفدائين بفاس، قامت بأعمال قتل وتخريب ضد المستعمرين وعملائهم المغاربة المتعاونين معهم. وألقي عليه القبض وعلى أفراد من خليته في مطلع سنة 1955 حيث قضى ثلاثة أشهر في البحث والاستنطاق بفندق النجارين بفاس "تحمّل فيه من أنواع التعذيب والتنكيل مالا تطيقه الجمادات، ورغم ذلك لم يعترف لجلاديه بمن يمد التشكيلة بالسلاح والمال" ثم أحيل

على المحكمة العسكرية هو ومن معه من الفدائيين. افتتحت المحاكمة يوم الأربعاء 29 رجب عام 1374 / 23 ماس 1955 واستمرت إلى يوم السبت 9 شعبان / 2 أبريل من نفس السنة. أبدى المترجم أثناءها شجاعة نادرة وقد خصص في كتابه فصلاً بعنوان :. "قضية الشفشاوني ... الرؤيا الواضحة" أثبت فيه سير هذه المحاكمة وتدخلات الدفاع خاصة الأستاذ لوكران الفرنسي الحر. ومما نطق به الشفشاوني في الجلسات العلنية للمحكمة العسكرية : "كنت أو من بأن الفداء وسيلة للموت الذي أفضله على البقاء بالحياة في جو الإهانة والاحتقار الذي يفرض على المغاربة" (ص. 299) وعلق الأستاذ لوكران على تصريح الشفشاوني : "نريد أن نعيش أحراراً أو نموت" بقوله : "يذكرني هذا الشعار بالشعار الذي كان مكتوباً على رايات الجنود المتطوعين (في الثورة الفرنسية) سنة 1792 : "الحرية أو الموت".

وفي ختام جلسات المحكمة سأل الرئيس المتهمين : "هل لديكم ما تضيفونه لتعزيز دفاعكم ؟ فوقف الشفشاوني واقترب من المنصة، وبصوت قوي ومرتج وقع هذا التصريح الأخير باللغة العربية الفصحى مؤكداً على كل كلمة في صمت مفجع للقاعة : "دمي، وروحي، وحياتي، أقدّمها فداء لوطني ولديني وملكي".

ثم رجع إلى مقعده، وقبل أن يجلس أضاف :

"إنني فخور لكوني قمت بواجبي كوطني".

ثم رفعت الجلسة، وحكمت المحكمة بالإعدام على عبد الله الشفشاوني. وأعدم بسجن العادر صبيحة يوم الثلاثاء 13 حجة عام 1374 / 2 غشت 1955.

وثائق عائلية.

محمد عزيز بن عبد الله الشفشاوني

الشفشاوني، يحيى بن المهدي الشيخ الهمام العلامة الإمام الحبر المتبحر الفهامة الناشر الصالح البركة العارف

الواصل الولي الكامل، على ما قال صاحب *سلوة الأنفاس*، كان علما من الأعلام في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله وفي عهد خلفيه المولى يزيد والمولى سليمان، اتسعت معارفه في المنطوق والمفهوم مع القدرة على الغوص على الدقائق، فكان له إلمام تام بدقائق الفقه والحديث والفرائض والحساب، مع ميل إلى الاعتزال عن الخلق والاعتكاف على العبادة والأذكار. فكان معظماً عند الخاصة والعامة، مقصوداً من قبل الجميع، يسترشد الخاص والعام بأقواله وآرائه، ولد سنة 1153 / 40 ـ 1741 وتخرج على علماء وقته من أمثال محمد بن قاسم جسوس، والشيخ عمر الفاسي، والشيخ التاودي ابن سودة، وأخذ الفرائض والحساب عن الشيخ أبي العباس أحمد الشرايبي. وكان السلطان سيدي محمد بن عبد الله يحبه ويجله ويقدمه على غيره في الأمور الدينية. واقتفى أثره في ذلك ولده وخليفته المولى سليمان الذي أبى إلا أن يزوره في منزله في درب الطويل، فكان ذلك مفخرة تناقل ذاكرها عقبه جيلا بعد جيل. ولقد تولى الإمامة والخطبة في المسجد الإدريسي زهاء ثلاثين عاماً إلى أن استعفى فأعفي ليلتزم حدود منزله.

توفي في عاشر ذي الحجة سنة 1228 / 3 نونبر 1881.

م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، فاس، الطبعة الحجرية، 3 مجلدات ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 7 : 2489.

إبراهيم بوطالب

الشفشاونية، آمنة بنت عبد الله بن أحمد الشكوري المعروفة بين أزواج الناصريين بالشفشاونية سليلة بيت عريق من بيوتات شفشاون الذين تربطهم بناصريي تامگروت علاقة مصاهرة وعلم وتصوف. يتصل نسب أهلها بالصحابي الجليل أبي بكر الصديق رضي الله عنه (*الدرر*، 110).

ولدت بمدينة شفشاون سنة 1089 / 1678 ساقتها الأقدار في بداية العقد الثاني من عمرها إلى زاوية تامگروت لزيارة أختها التي كانت بعصمة أبي عمران موسى ابن مَحمد الكبير، ويظهر أن فطنتها وجمالها أثارا انتباه الخليفة الشيخ أحمد بن ناصر، فخطبها من أهلها ثم أعرس بها ليلة الاثنين الأخير من صفر عام 1102. وهكذا تكون قد دخلت بيت الزوجية وهي طفلة لا تتجاوز الثالثة عشرة من عمرها.

اعتنى الشيخ أحمد بن ناصر بزوجته الشفشاونية فأدبها وحرص على تعليمها حتى حفظت القرآن الكريم، وصارت بعد ذلك أحب أزواجه إليه تصاحبه في رحلاته التفقدية بالزاويا الناصرية بدرعة، وكان الشيخ يعزلها عن أزواجه الأخريات بزاوية الفضل (*الدرر المرصعة*، 110) كانت توصف بالكرم المفرط والعفاف التام، وليّن الأكناف للضعفاء والأيتام،وكان وردها كل يوم أحزاباً من القرآن الكريم آلافا من الهيللة ومثل ذلك من الصلاة على النبي (ص) وكانت السبحة لا تفارقها على الاطلاق.

برعت آمنة الشفشاونية في معالجة بعض الأمراض الجلدية كالبرص والحب الإفرنجي والدماميل بأنواعها وأمراض العيون.

توفيت عن أربع وستين سنة بوباء الطاعون سنة 1153 / 40 ـ 1741، ودفنت بمقابر الناصريين بزاوية تامگروت.

م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، د. د. ع مرقون، تح. الحبيب نوحي ؛ أ. الناصري، *طلعة المشتري في النسب الجعفري*، ج. 2.

أحمد البوزيدي

الشفشاونيّون، من بيوتات فاس الكبرى منذ أن استقروا فيها في عهد أحمد المنصور السعدي. ذكرهم كل من أرّخ لهم بأعلى ما يكون من عبارات التحلية، فقال صاحب *الدر السني* : " الشرفاء الفضلاء النبهاء الكملاء الأعلين رتبا الأكرمين عما وأبا، الذين امتازوا بفرعهم الشهير، امتياز العلم الذي لا يقبل النكير، واحتازوا من الوضوح ما هو كشمس تلوح لهم في الأصالة والجلالة الطلعة الغراء، والرتبة العلياء، ولهم من الخلال السنية والخصال السرية ومكارم الأخلاق وما ناسب تلك الأنساب الشريفة والأحساب المنيفة التي هي أولى بالمحامد على الإطلاق. وجبلوا والحمد لله على الشيم الرفيعة وكرم النفس ولين الطبيعة". مما برأهم أسمى مقام في مدينة فاس التي جاؤوا إليها من مدينة شفشاون. وفي انتسابهم إلى هذه المدينة الجبلية المجاهدة قولان على نقل صاحب *الدرر الفاخرة*، فإما لخؤولتهم في آل الرشيد المجاهدين الذين اختطوا تلك القلعة في حدود سنة 876 من الهجرة، فسكنوا معهم فيها فعرفوا بالنسبة إليها. وإما أن جدهم القادم على فاس، وهو أحمد بن يحيى، بقصد قراءة العلم في جامعتها، صار نسب الشفشاوني تعريفا به وشهرة له. ولا تناقض بين الفرضيتين. وكان موطنهم الأصلي مدشر بوسرواس في جبل العلم حيث كانوا يعرفون بأولاد يحيى. وأول قادم منهم على فاس الذي اشتهر بفقهه وأدبه، هو أحمد بن يحيى بن الحسن بن أبي القاسم بن الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن أبي بكر بن موسى بن مشيش، ترجم له صاحب *درة الحجال* وكذلك صاحب *نشر المثاني*. وقد أخذ العلم في فاس عن شيوخ الوقت من أمثال الشيخ السراج الصغير والشيخ الحميدي. واجتمع بأبي المحاسن يوسف الفاسي الذي أثنى عليه أزكى الثناء، وبأبي محمد عبد الله بن علي بن طاهر الحسني. وقد ولد سنة 945 وتوفي سنة 1001 بفاس. وأورد له صاحب *درة الحجال* أبياتا تشهد على ملكته الأدبية وعلى أجواء الأنس والمرح في فاس في جنان وسْلن (بكسر الواو وسكون السين وفتح اللام) في أرباضها الشمالية. قال :

إذا القلب منّي دهـاه شجـن وأجفان عيني جفاها الوسن
وجمر الغضا في الحشا قد أضا حثثت المطيّ إلى وسلن ...

ولما استقر الفقيه المذكور بفاس، تصاهر مع الشرفاء

العمرانيين الجوطيين فأنجب ولده محمد (فتحا) الذي كان من عدول سماط القرويين، ثم استنابه للأحكام القاضي محمد بن محمد بن إبراهيم الدكالي سنة 1034 إلى أن طلب الاستقالة وانعزل في منزله.

توفي سنة 1050 / 40 ـ 1641 وخلف محمد بن أحمد هذا ولدين، عبد الوهاب ولم يعقب، ومحمد العربي وهو أصل من تنسل من هذه الأسرة الشفشاونية في فاس. ذلك بأنه خلف خمسة فروع، وعقبه من اثنين هما عبد السلام والطالب. وكانت سكناهم في حومة الجزيرة بعدوة الأندلس، وبدرب الطويل أيضاً، وبعضهم كان يسكن البراطليين قرب الضريح الإدريسي، والبعض الآخر بحي سبع لويات في جوار مسجد القرويين. وقد ذكر صاحب الدرر البهية من كان حيا منهم في نهاية القرن الثالث عشر، منوها بما كانوا عليه من العناية بصون سمعتهم وضبط نسبهم فقال : "فلا يمكن لدخيل أن يتجرأ عليهم ولا أن يروم الوصول إليهم". وكان جل الأسر المشهود لها بالشرف في فاس من أصهارهم. وهم على ما قال صاحب *نشر المثاني* : "أهل سكون ودعة واقتصار على ضرورياتهم، ولهم اعتناء بالتكسب وإصلاح الضياع"، فضلاً عن الإكباب على العلم والسعي في نشره.

أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، تح. م. الأحمدي أبو النور، القاهرة، 1370، 3 مجلدات، المجلد 1 ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، تح. م. حجي وأ. التوفيق، الرباط، 1397، 4 مجلدات ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، فاس، الطبعة الحجرية ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، فاس، الطبعة الحجرية، 3 مجلدات.

إبراهيم بوطالب

شْقَارَة ويكتب أيضاً أشقارة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم الحروف اللاتينية هكذا - Segarra çeguera ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Sequerra, Sagarra, Segarra.

محمد ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1473.

محمد ابن عزوز حكيم

شْقَارَة، عبد الصادق بن أحمد التطواني، موسيقي شهير، ولد سنة 1931. وهو ينتمي من جهة والدته إلى الشيخ محمد الحراق. وقد وجد نفسه منذ طفولته في احضان أسرة مولعة بالموسيقى والطرب، فكان والده من أتباع الزاوية الحراقية، وكان يرافقه إليها، فيحضر بها حلقات الذكر والسماع التي كان يرأسها شيخ الزاوية يومئذ عرفة الحراق، كما كان يرافقه إلى الدار الكبيرة بالجامع الكبير في جنان بومراح، حيث يستمع إلى المداحين والمسمعين وهم ينشدون البردة والهمزية ويرددون البراول وأشعاراً من ديوان محمد الحراق. وكان الصبي إلى ذلك يواظب على الكتّاب القرآني، قبل أن يلتحق بالمدرسة الأهلية بتطوان.

ولما بلغ شقارة من العمر سبعة عشر عاماً، وكان قد تعلم من والده بعض مبادئ العزف على الكمان والتوسيد في ضبط الميازين، التحق بمعهد تطوان للموسيقى، فحفظ النوبات الاحدى عشرة على يد محمد بن عياد، والعربي الغازي، ومحمد بيصة، وعبد السلام الدريدب، ومحمد العربي التمسماني، كما تعلم العزف على الكمان ومهرفيه بفضل أساتذة هذه الآلة، خاصة منهم العياشي الورياگلي، ومحمد المودن.

وبعد ما أنهى دراسته عام 1956 عين أستاذاً لآلة الكمان خلفا لشيخه العياشي الورياگلي، واستطاع على مدى عقدين كاملين أن يقوم بمهمة التدريس على أحسن وجه، قبل أن يتقلد مسؤولية الحراسة العامة بالمعهد عام 1976. هذه المهمة التي ظل يتحملها حتى عام 1992 تاريخ إحالته على التقاعد.

وقد كان شقارة من أنشط الفنانين العاملين في جوق المعهد التطواني للموسيقى الأندلسية منذ أن رأسه الفنان محمد العربي التمسماني، فاشتغل إلى جانبه، وكان ساعده الأيمن، وخليفته في قيادة الجوق كلما اقتضت الظروف غيابه. جمع بين مهارتين قل أن تجتمعا في فنان واحد. أولاهما العزف على الكمان، فقد برع فيه إلى حد كبير وثانيتهما الإنشاد، فقد حاز فيه قصب السبق جودة وحفظا، وكان فيه فارس الميدان، تألق نجمه بين المنشدين، وخاصة في اداء البيتينات. وكان حريصاً على احترام تقاليد الموسيقى الأندلسية، يرى في إقبال بعض الشباب على إنشاد الموال على الطريقة الشرقية وادراجه في ميازين الآلة ما يخل بخصوصيات الموسيقى الأندلسية ويفقدها نكهتها ويضر ببنيتها.

تعددت ممارسات شقارة الموسيقية، وتنوعت عطاآته وابداعاته. وفي مقدمة تلك الممارسات تأتي الموسيقى الأندلسية من خلال الدور الريادي الذي كان يحتله بين أعضاء جوق المعهد التطواني عازفاً ومنشداً كثيراً ما ينفرد بأداء أبيات الصنعات، ثم من خلال اضطلاعه برئاسة مجموعات موسيقية نذكر منها الجمعية التطوانية للموسيقى الأندلسية التي أسسها عام 1977، والجمعية التطوانية

لعشاق الطرب الأندلسي التي أنشأها عام 1992.

وفي إطار عنايته بالموسيقى الأندلسية تندرج مساهمته إلى جانب المرحوم مولاي أحمد الوكيلي والمرحوم الحاج عبد الكريم الرايس في تسجيل بعض النوبات عام 1961 بإشراف منظمة اليونسكو، وكذا مشاركته ضمن جوق المعهد التطواني في إنجاز انطولوجيا الموسيقى الأندلسية بعناية وزارة الشؤون الثقافية. وإلى ذلك اجتهد في نشر هذه الموسيقى بين أوساط الشباب من خلال تسجيلاته المتعددة وجولاته عبر المدن المغربية، كما ساهم في التعريف بها على المستويين العربي والدولي، ومن أجل ذلك قام برحلات فنية متعددة إلى المدن الإسبانية، وإلى فرنسا والسنغال، وشارك في المهرجان الإسلامي الذي احتضنته مدينة لندن عام 1975 بحضور عاهلة بريطانيا الملكة ايليزابيث.

وإلى جانب اهتمامه بموسيقى الآلة كانت للمرحوم شقارة عناية خاصة بفني المديح والسماع. وفي هذا المضمار أنشأ عام 1986 "جمعية مرتع الأذواق لشباب زاوية الحراق" وسجل منتخبات من قصائد المديح لعل أكثرها شيوعا وانتشاراً قصيدة "الفياشية".

وكان شقارة ضليعا في أداء الأغاني الشعبية المحلية سواء منها الطقطوقات والعيطات المنتشرة في منطقة جبالة وفي أحواز تطوان أو الأغاني التطوانية الحضرية. وهي أغان تتسم بنكهة خاصة وتشكل نتاج تمازج بين ألحان وإيقاعات الغناء الشعبي وموسيقى الآلة والطرب الغرناطي. فلقد استطاع أن يخرج بها من حيزها المكاني المحدود إلى فضاءات تعانق فيها آفاقا رحبة، كما استطاع أن يحولها إلى إنجازات فنية ناجحة بفضل ما أضفاه عليها بصوته الدافئ ولهجته التطوانية المتميزة من تدفق وحيوية. ولعل من أنجح نماذج هذه الأغاني مقطوعته الشهيرة "الحبيبة أو جرحتيني" التي طبقت شهرتها الآفاق منذ أن قدمها لأول مرة عام 1957 بمسرح محمد الخامس على ايقاع الرقصات التطوانية التي أعدت تصميمها السيدة كلارا أستاذة الرقص والباليه يومئذ بمعهد تطوان.

وبفضل جهود المرحوم شقارة تهيأ لكثير من الأغاني الشعبية والتطوانية أن تنتعش وأن تطفو على الساحة بعد أن كاد النسيان يطويها إلى الأبد. ومن هذه الأغاني : كانْ مسافْر ـ راس الغريب براني ـ أنا مزاوك ـ قوموا تبايعوا يابنات اليوم ـ ياولدي ـ مولاي عبد السلام ـ النارگداتْ في گليبي ـ أنا العابلة مولاتي.

وتأتي بعد هذه الانجازات أعمال أخرى تندرج فيما يمكن اعتباره من قبيل المقاربة بين موسيقى الشعوب. وقد أنجز في هذا الصدد مقطوعة غنائية بالاشتراك مع المغني الإسباني المعروف Nibrijano عام 1982، وهي أغنية "يا بنت بلادي Macama monda"، وكان غناؤها يجري باللغتين العربية والإسبانية بالتناوب بين المطربين. وتعكس هذه التجربة ـ إلى حد ـ بعض وجوه التواصل بين الموسيقى الأندلسية المغربية وبين غناء الفلامنكو الذي يشكل بعض ما تبقى من آثار الموسيقى العربية بجنوب إسبانيا بعد نزوح العرب عنها.

وفي سياق تعاونه مع الفعاليات الأجنبية أيضاً أنجز في سنة 1991 بمشاركة عازف البيانو الانجليزي ما يكل نيومان الحائز على الاوسكار عن أحسن موسيقى لفيلم "بيانو" معزوفات موسيقية هي عبارة عن ارتجالات على ألحان من الموسيقى الأندلسية الغربية، جرى تقديمها في حفل خاص أقيم على هامش المعرض الدولي بإشبيلية عام 1992.

لقد كان شقارة بتعدد اهتماماته الفنية ورحابة محفوظاته الموسيقية وتنوع إبداعاته مدرسة قائمة بذاتها، سماتها التجديد والابتكار، والجرأة على اختراق الحصار الذي يطوق الأغنية التطوانية والجبلية، وتكسير النمطية التي تطبعها والخروج بها إلى عالم الحداثة ومنحها شروط الاستمرارية والتطور.

توفي بتطوان ليلة السبت 10 رجب عام 1419 / 30 أكتوبر 1998.

المفضل الحضري، *جريدة الاتحاد الاشتراكي*، 15 ـ 11 ـ 1998 ؛ مصطفى الغازي، 24 ـ 1 ـ 1999 ؛ بطاقة شخصية.

عبد العزيز بن عبد الجليل

ابن **شقرا** ← ابن **شگرة**

شقرون، أسرة سلوية عريقة، وهي غير أسرة ابن شقرون الفاسية. ذكر في *إزالة الالتباس* (2 : 208) أن أصل ابن شقرون الفاسيين يُظن أنهم من قبيلة شراگة وأن شقرون ـ بدون ابن ـ موجودون أيضا بفاس ولعلهم فرقة أخرى، ووقف المؤلف في حوالة مؤرخة بعام 838 على "شقرون السلاوي" وبهذا يتأكد أن آل شقرون ـ بدون ابن ـ سلويون انتقل بعضهم إلى فاس في القرن التاسع (15 م) وانقرضوا هناك. وبقوا بسلا حتى اليوم وبرز منهم أفراد تفننوا في صنع شموع المولد النبوي. وفي مختلف الحرف والبحرية منهم : شقرون الذي ذكره لسان الدين ابن الخطيب في قصيدته العينية الشهيرة (البيت، 46) ولم يذكر اسمه وإنما أورد هوية الأسرة السلوية القديمة فهو من أهل القرن الثامن (14 م) ؛ والحاج أبو الفرج شقرون كان سنة 938 عاملاً في العهد السعدي على سلا وقد تجول بالأقطار المشرقية ولم يظهر له خبر ؛ ومحمد شقرون الذي كان سنة 1311 رئيساً لمرسى الدار البيضاء، كما كان من قبل يعمل مع البحريين بسلا.

جعفر الناصري، ابن الخطيب بسلا، سلا، ص. 67 ؛ م. ابن علي، كناشة، 4257 دال، ص. 37 ؛ ع. السلام ابن سودة، إزالة الالتباس، مرقون ؛ م. بوشعراء، ذيل الإتحاف الوجيز، ط 2 ؛ وثائق آل بنسعيد.

ابن **شقرون**، أسرة فاسية لعلها من قبيلة شراگة : أهل تجارة ومال وطلب وحرفة ومعاش. كانوا يتولون رآسة ركب

الحاج في القرن الثاني عشر (18 م) وهم غير آل شقرون ـ دون ابن ـ فهؤلاء سلويون كما تقدم. ورأى مؤلف *إزالة الالتباس* في طرة مخطوط *زهر البستان* لمحمد العياشي (خ. ع 2152 ك) ذكْرَ ابن شقرون البهلولي صاحب الدار الكائنة بين جزاء ابن برقوقه وحومة المخفية المعروفة اليوم بدار الزليج مع عرصتها وحمامها قال: والعجب أن كل ذلك تغيّر. الدرب الآن يقال له درب القائد، والحمام حمام المخفية، والعرصة عرصة الريحان، وهي الآن في ملك أولاد الوزير ابن إدريس. وابن شقرون البهلولي هذا هو صاحب شرطة السلطان محمد الشيخ الوطاسي البرتغالي (ت 931 /1525).

وذكر في زهر الأس أن آل ابن شقرون في عصره كانوا على فرق كثيرة منها فرقة الشيخ عبد القادر بن أحمد آتي الترجمة، وفرقة أولاد الكريمي وبوشوكة وغيرهم.

ع. الكبير الكتاني، *زهر الأس*، الدار البيضاء، 2002، ج 1 : 550 ـ 554 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، 2 : 208.

ابن **شقرون، أحمد** بن العباس الفاسي أحد أفراد البعثة الطلابية التي وجهها الحسن الأول إلى أوربا، ذهب إلى إسبانيا سنة 1291 /1874 رفقة الطالبين عبد السلام ومحمد الشرادي الرباطي، فأقاموا هناك تسعة أعوام وكان تخرّج ابن شقرون في الهندسة الحربية. ولا تعرف المهمة التي أنيطت به بعد رجوعه من إسبانيا.

توفي عام 1354 / 35 ـ 1936.

ع. الرحمن ابن زيدان، *العز والصولة*، الرباط، 1961، ج 2 : 150 ـ 160 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 8 : 3045 ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، بيروت، 1988، ج 1 : 167 ـ 168.

محمد حجي

ابن **شقرون، أحمد** بن **عبد السلام** المكناسي، يعرف بولد النبي. أحد رواد الحركة الوطنية بمدينة مكناس. ولد عام 1318/1900، وتربى في كنف والده الفقيه المقرئ عبد السلام ابن شقرون. فأدخله الكتاب حيث تعلم مبادئ الكتابة، واستظهر القرآن الكريم وحفظه في سن مبكرة. ثم شد الرحال إلى العاصمة الفاسية للارتشاف والارتواء من ينابيع العلم والمعرفة بها، فقصد جامع القرويين حيث تتلمذ على شيوخه المبرزين من أمثال سيدي أحمد بن الخياط، وأحمد الجيلالي الأمغاري وعبد السلام ابن سودة، وعبد السلام السرغيني ومولاي عبد السلام بن عمر العلوي، ومولاي محمد بن العربي العلوي، وعبد الرحمن بن القرشي وغيرهم مما لا يتسع المجال لذكرهم. وهناك تعرف على رواد السلفية وأعضاء الحركة الوطنية.

وبعد أن قضى وطره من الدراسة، وتشبع بأفكار السلفية والوطنية عاد إلى مسقط رأسه، حيث تصدر للتدريس بالجامع الكبير، واستقطبت حلقاته الدراسية اهتمام الكثير من الطلاب والشباب الوطني فأقبلوا عليها حتى ضاقت رحاب الجامع مما أزعج السلطات الفرنسية بالمدينة، فبعثت المخبرين وراء ابن شقرون يقتفون أثره، ويحصون عليه أنفاسه بهدف إرهابه وإرغامه على الحد من نشاطه التعليمي لكن ذلك لم يزده إلا تصميماً على مواصلة النضال بشجاعة سواء من خلال حلقاته الدراسية التوجيهية أو من خلال العمل السياسي في صفوف الحركة الوطنية. وهكذا كان من المؤسسين لـ "جماعة إحياء السنة وإماتة البدعة"، كما كان في مقدمة الذين قادوا حركة اللطيف على إثر صدور الظهير البربري في 16 ماي 1930، وانضم إلى كتلة العمل الوطني لحظة إنشائها، وأيد مع زملائه الوطنيين بمكناس مطالب الشعب المغربي التي قدمتها الكتلة سنة 1934 لسلطات الحماية وبعثوا برقية إلى وزارة الخارجية الفرنسية يؤيدون فيها ما جاء في تلك المطالب، كما أيد كذلك المطالب المستعجلة لسنة 1936.

وفي سنة 1937 انضم إلى الحزب الوطني بعد انشقاق الكتلة. وكان من أبرز الشخصيات الوطنية التي ساهمت بشكل فعال في قيادة انتفاضة بوفكران في مستهل شهر شتنبر. فَحُكِمَ عليه بالسجن لمدة ثلاثة أشهر نافذة قضاها صحبة رفاقه الأربعة : محمد برادة، ومحمد بن عزو، ومولاي إدريس المنوني، ومحمد ولد مدان السلاوي في سجن سيدي سعيد بمدينة مكناس. لم تنل مضايقات السلطات الفرنسية لا من عزم أحمد ابن شقرون، فواصل نضاله بعد خروجه من السجن واستمر في تقديم دروسه بالجامع الكبير بحماس إيماناً منه بأن التعليم هو السلاح الناجع لدحر الاستعمار إلى أن تم إنشاء المعهد الإسلامي 1943 فعين كاتباً إدارياً له.

وفي 11 يناير 1944 بادر إلى التوقيع على عريضة المطالبة بالاستقلال، وقاد حملة جمع إمضاءات العرائض المؤيدة لها.

واصل ابن شقرون أداء رسالته التعليمية والوطنية والدينية، وسجن إبان الأزمة المغربية على إثر نفي محمد بن يوسف 1953، ونقل إلى سجن علي مومن قرب مدينة سطات بتهمة عدم التوقيع على عريضة خلع السلطان وبيعة محمد ابن عرفة، وهناك التقى بالفقيه المرحوم محمد المنوني، ثم أطلق سراحه بعد عودة محمد الخامس من المنفى. حيث عاد إلى ممارسة عمله التعليمي إلى جانب مهمته ككاتب للمجلس العلمي بمكناس. عرف عن ابن شقرون ثبات في الرأي وتصلب في المواقف وعدم المحاباة أو المجاملة مما تسبب له في خلافات مع زملائه وانتهى به الأمر إلى الاستقالة من مهامه ثم إلى الانعزال ورفض المناصب، وظل كذلك إلى أن توفي في 27 صفر عام 1390/4 ماي 1970 ودفن بالزاوية التهامية بجناح الأمان بمكناس.

ع. السلام ابن سودة، *اتحاف المطالع/موسوعة أعلام المغرب*، بيروت 1996، مج9: 3419؛ إ. الهلالي، *البيان لمعركة ماء أبي فكران*،

الدار البيضاء، 1985، ص. 51 ـ 53 ؛ بوشتى بوعسرية، *وطنيو مكناس الموقعون على عريضتي المطالبة بالاستقلال*، دورية جمعية أساتذة التاريخ فرع مكناس، 1990، ص. 75 ـ 76 ؛ *مقابلات متعددة* مع المرحوم محمد بن عبد الهادي المنوني.

رقية بلمقدم

ابن **شقرون، الحسن** بن محمد العربي الفاسي، ولد بفاس سنة 1337 / 1919 ودخل الكتاب لاستظهار القرآن، وكانت لوالده علاقة تجارية مع إسبانيا فارتحل معه إلى مدينة مليلة وهناك حذق الاسبانية. ولما عادت العائلة إلى فاس وظهرت على الابن الحسن بوادر النجابة في تعليمه الابتدائي التحق مباشرة بالقسم الثاني من ثانوية مولاي إدريس بفاس في أكتوبر سنة 1937 وتدرج بتفوق في أقسامها إلى أن حصل على شهادة البكالوريا الأولى من نفس الثانوية سنة 1942 ثم على البكالوريا الثانية في قسم الرياضيات من الليسي الفرنسي بفاس سنة 1943. وبعد ذلك التحق بليسي هانري الرابع بباريز لتحضير مباراة الدخول للمعهد الوطني الزراعي فتخرج منه مهندساً فلاحياً.

قام الحسن ابن شقرون أثناء دراسته بثانوية مولاي إدريس بتأطير التلاميذ وبث روح الوطنية فيهم، وذلك ما جعل ثانوية مولاي إدريس على رأس المناصرين لعريضة المطالبة الاستقلال المقدمة بتاريخ 11 يناير 1944. وكان رد فعل السلطات الاستعمارية إلقاء القبض على من اعتبرتهم المسؤولين وعلى رأسهم الحسن ابن شقرون.

ولما كان المسؤولون في الحزب الوطني يهيئون عريضة المطالبة بالاستقلال، ارتأوا أن هذه المطالبة ينبغي أن تكون صادرة عن جميع ممثلي المغاربة وهيآتهم الوطنية ولذلك قرروا أن يبعثوا رسولا إلى محمد بن الحسن الوزاني الذي كان منفيا بإيتزر ليبلغوه أمر العريضة ويعرضوا عليه توقيعها. واختاروا لهذه المهمة الصعبة الحسن ابن شقرون الذي تمكن من الاتصال بالوزاني وأبلغه المأمورية وأمكنه الرجوع دون أن تعلم السلطات بذلك في الوقت المناسب لمنعه. وعلى إثر القمع الذي جابه به الفرنسيون حزب الاستقلال قامت مظاهرات صاخبة في كل من الرباط وسلا وفاس. وكانت مظاهرات فاس غاية في الانضباط والاستمرار المخطط له من قبل، نتيجة عمل لجنة متخصصة كان الحسن ابن شقرون من بين مسيريها.

وبعد هذه الفترة التي أبان فيها عن مقدرة خارقة في الإقناع والتنظيم إضافة إلى تفوقه في دراسته العليا بفرنسا وانضمامه إلى الطلبة العاملين في فرع حزب الاستقلال بباريز، صار صلة وصل بين الفرع وبين اللجنة التنفيذية بالرباط. وفي احدى زياراته للمغرب سنة 1368 / 1949 وأثناء رحلته صحبة الحاج عمر ابن عبد الجليل من الرباط إلى فاس أصيب في حادثة سير مفجعة ذهب ضحيتها مأسوفا على شبابه ووطنيته.

وقد أقيم له حفل تأبين كبير بفاس يوم 13 شعبان عام 1368 / 10 يونيه 1949 **ألقيت** فيه ـ من جملة ما ألقي ـ قصيدة مؤثرة لعلال الفاسي بعث بها من المنفى وقرئت بالنيابة عنه، مطلعها :

هل منك يا حسن الصفات بديل ... أم هل إلى صبر عليك سبيل

معرفة شخصية.

عبد الرحمن الحريشي

ابن **شقرون، عبد العالي**، مقاوم، ولد بفاس سنة 1933. وكان من أهم أعضاء منظمة اليد السوداء بفاس. شارك في تنفيذ العديد من العمليات إلى أن ألقى عليه القبض وحكمت عليه المحكمة العسكرية الدائمة بالإعدام بتهمة القتل العمد والمشاركة فيه وتكوين عصابة إجرامية. ونفذ في حقه هذا الحكم بسجن العاذر بتاريخ 4 يناير 1955.

كتاب شهداء الاستقلال، الجزء الأول.

ابن **شقرون، عبد القادر** بن **أحمد** الفاسي من العلماء المرموقين بالحضرة الإدريسية خلال النصف الثاني من القرن الثاني عشر وأول تاليه (18 ـ 19 م). من شيوخه أحمد الهلالي وعبد الرحمن المنجرة وعبد القادر بوخريص ومحمد جسوس ومحمد بن الحسن بناني وعمر الفاسي وغيرهم. وقد اشتغل بالتدريس فكان من جملة من أخذ عنه السلطان المولى سليمان. كما قُلد القضاء أواخر دولة سيدي محمد بن عبد الله مرّة بسجلماسة ومرة أخرى بمدينة فاس. وقد حج والتقى بعلماء المدينة والأزهر بمصر وأخذ عن الشيخ مرتضى الزبيدي وغيره.

من العلوم التي برز فيها عبد القادر بنشقرون علم الحديث، لذلك كان يحضر مجالس الحديث السلطانية التي كانت تُقام خلال شهر رمضان، وخاصة في عهد المولى سليمان الذي أمره بوضع مؤلف في هذا الفن. وكان هذا السلطان يحترمه كثيراً ويعطف عليه، وعندما أصيب بداء الأكلة في وجهه كان المولى سليمان يزوره. وعند وفاته حضر جنازته والصلاة عليه وأمر بدفنه بالحرم الإدريسي على الرغم من معارضة الشرفاء الذين لم يقبلوا أن يُدفن أحد البلديين (انظر هذه المادة) بأشرف بقعة بالمدينة. ألف المترجم شرحاً للعشرة الثانية من أحاديث *الأربعين النووية*.

وكانت وفاته في حادي عشر من شهر شعبان عام 1219 / 15 نونبر 1804.

ج. بن إدريس الكتاني، *الشرب المحتضر*، فاس، 1905 ؛ م. بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس*، فاس، طبعة حجر 1300، الجزء 1 ؛ ع. الكبير الكتاني، *زهر الأس*، الدار البيضاء، 2002، ج 1 : 550 ـ 551.

محمد المنصور

ابن **شقرون، عبد القادر** بن **العربي** المنبهي المدغري المكناسي الطبيب، يكنى أبا محمد وأبا نصر، فقيه متمكن

أديب شاعر ناثر، وطبيب ماهر. درس علوم الشريعة واللغة والأدب بفاس على أحمد ابن الحاج ومحمد القسنطيني ومحمد المسناوي الدلائي، وبمكناس على القاضي محمد السوسي وسعيد العميري وعبد السلام البيجري، وأخذ الطب بفاس عن الطبيب الماهر أحمد بن محمد أدراق وبمكناس عن إبراهيم بن القائد علي الأندلسي.

حج المترجم ولقي عدداً من علماء المشرق بمصر والحجاز وأخذ عنهم، واستقر آخر حياته بمدينة مكناس يدرس للطلبة، ويعالج المرضى ويصنع لهم الأدوية، على صلة بالقصر السلطاني حيث يعدّ من أطباء المولى إسماعيل. لقيه شيخ الأدباء المغاربة في عصره محمد بن الطيب العلمي وخصه بترجمة حافلة في كتابه *الأنيس المطرب* وحلاه بقوله : "شاعر مصيب، رتع من البلاغة بمرعى خصيب ؛ وأحرز من الدراية أوفر نصيب، ودخل بيوت العربية من أوضح المسالك، وطرز في حديث السنن نحو ابن مالك، بفقه مالك ؛ واختار الوحدة، وانفرد بالخمول وحده ؛ ورغب عن الولدان، واعتزل الإخوان والأخدان، وضم إلى علم الأديان علم الابدان، فركّب الأدوية ؛ وانتشرت له بين الحكماء أي ألوية ؛ وعرف الأمراض ؛ وأرسل سهام الرقى فأصابت الأغراض". وحضر العلمي يوماً مجلس إقراء ابن شقرون الفقهي وسجل ما قاله في تقريراته واستشهاداته بما يدل على ضلاعة الرجل في هذا الفن من العلوم الشرعية، وسأله عن أشياء من الأطعمة والأشربة النافعة فأمده بقائمه مطولة تدل على مهارته الطبية. وخصص له الطبيب الفرنسي H. P. G. RENAUD ترجمة ضافية في بحثه عن *الطب والأطباء بالمغرب* مع شرح وتحليل *للأرجوزة الشقرونية*.

أشهر مؤلفات المترجم علاوة على أرجوزته الطبية في موضوع الأغذية الصحية التي تعرف بالشقرونية المشتملة على سبعمائة بيت. شرح *لكتاب البسط والتعريف* لعبد الرحمن المكودي في النحو ؛ وأشعار كثيرة لم تجمع في ديوان، أكثرها في المديح النبوي، ومنها بيتان لطيفان في الدرهم الفضي الذي ضربه المولى إسماعيل وما نقش عليه من كلمات.

توفي ابن شقرون بمكناس بعد عام 1140/1727.

أبو القاسم العميري، *فهرس*، مخطوط ؛ العربي بن محمد بصري، *منحة الجبار ونزهة الأبرار وبهجة الأسرار في ذكر الأقطاب والأولياء، الأشراف والعلماء، الأخيار*، مخطوط م. بن الطيب العلمي، *الأنيس المطرب فيمن لقيه مؤلفه من أدباء المغرب*، ط. حجرية فاس، 1897 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، الرباط، 1933، 5 : 320، 330 ؛ ع. الله گنون، *النبوغ المغربي* بيروت، د.ت ؛ م. ابن تاويت وم. عفيفي، *الأدب المغربي*، بيروت، 1960 ؛ م. الأخضر، *الحياة الأدبية بالمغرب*، الدار البيضاء، 1977 / د. رينو، *الطب والأطباء بالمغرب*، *صحيفة معهد الدراسات الشرقية*، 1937، 3 : 89 ـ 99.

محمد حجي

ابن **شقرون، العربي** الفاسي، من رواد المخرجين السينمائيين ولد بفاس في فاتح قعدة عام 1348 / 31 مارس 1930 بالرباط. ويعتبر من أبرز رواد السينما الوثائقية المغربية وواحداً من : « ثلة السينمائيين الأوائل ـ والقلائل ـ الذين استخدموا الكاميرا آنذاك كأداة للمساهمة في ترميم الصدع الذي أحدث الاستعمار الفرنسي في جسد الأمة المغربية. أنجز العربي بنشقرون ما بين 1956 و 1970 لحساب المركز السينمائي المغربي الخارج لتوه من هيمنة الإدارة الفرنسية، مجموعة من الأشرطة التسجيلية القصيرة عن مختلف أوجه المغرب الحضارية، الاقتصادية والطبيعية. وكذا الروبرتاجات الخاصة بالأنباء المصورة المغربية المسجلة لأهم الأنشطة الوطنية التي كانت تشاهد في القاعات السينمائية قبل عرض الفيلم الرئيسي، في الستينيات وإلى غاية منتصف السبعينيات. بل إن كثيراً من الناس كانوا يفدون إلى قاعات السينما من أجل مشاهدة "الأنباء المصورة" خصوصاً في غياب التلفزيون وقتئذ.

وإلى العربي بنشقرون يعود الفضل في إنجاز أول شريط مغربي أنجز في فجر الاستقلال سنة 1956 بالضبط حيث أخرج (صديقتنا المدرسة) وهو فيلم وثائقي قصير (11 دقيقة) 35 ملم بالأبيض والأسود.

درس العربي بنشقرون السينما سنتي 1955 و1956 في كل من المعهد التجريبي للسينما بروما (إيطاليا) وبجامعة كاليفورنيا الجنوبية بلوس أنجليس (أميركا) كما تلقى تداريب تطبيقية باستوديوهات "ميتروغولدوين مايير" بهوليود. وباستوديوهات باوليس وتشينيشيتا بروما (إيطاليا) ثم بالغرفة النقابية الفرنسية للصحافة المصورة بباريس (فرنسا). وفور عودته إلى المغرب سنة 1957 اشتغل بالمركز السينمائي المغربي كمخرج للأنباء المصورة والعديد من الأفلام التسجيلية القصيرة من أبرزها : (الصخرة) سنة 1958 الذي يوثق لإعطاء الانطلاقة من لدن الملك الراحل المغفور له محمد الخامس لبناء حي جديد بمدينة الدار البيضاء، سمي "بالدرب الجديد" المعروف حالياً بالحي الحسني، إثر حريق مهول شب بمنازله الصفيحية آنذاك مخلفاً ما يربو عن 10 آلاف شخص بدون مأوى، في حين تَمّ بناء الحي الجديد لإيواء ثلاثين ألف ساكن. عن هذا الفيلم كتبت جريدة "العهد الجديد" بتاريخ 2 غشت 1960 تحت عنوان "إخراج نقي" ما

يلي :

"ورغم جفاف موضوع الشريط فإن المتفرج ومن دون مبالغة سيشتاق عند النهاية إلى أن يعاد عرض الشريط أمامه ويعاد وذلك للباقة الاخراج وحسن التخلص إلى المناظر فالشريط كان خاليا من كل كلمة أو تعليق لكن الوجوه والحركات المعبرة كانت تغني عن كل شيء. كانت تبعث من على الشاشة تأثيراً مُمَغْنَطاً لا يسلم من الانقياد إليه. وقد أحسنت وزارة الأنباء والسياحة الاختيار حين عهدت بالإخراج إلى السيد العربي بنشقرون فهو خبير، نلمس خبرته من بابين : أولهما نقاوة شريطنا الذي عرض في مهرجان برلين فلفت الانظار وأحرز التنويه. وثانيهما ثقافته السينمائية".

مارس المرحوم العربي بنشقرون إلى جانب الإخراج مهمة إنتاج الأفلام الدعائية مؤسساً لهذا الغرض شركة "إيما فيلم" واهتم أيضاً بقطاعي الاستغلال والتوزيع حيث كان مالكاً لقاعة "سينما مونتيكارلو" بالدار البيضاء. كما اعتبر المراسل الرسمي لدور الأخبار الفرنسية : *"Les actualités françaises"* - *"Eclair journal"* - *"Fox Movietone"* - *"Pathe Journal"* هذا وتضم فيلمغرافية العربي بنشقرون زيادة على الفيلمين المذكورين (صديقتنا المدرسة) 1956 و(الصخرة) 1958 والذي شارك في مهرجان برلين السينمائي سنة 1960، الأعمال التالية :

- 1959 (الحرف الجلدية بالمغرب)
- 1962 (الزيتونة الدائمة) - (الثروة المنجمية بالمغرب)
- 1969 (الدار البيضاء ميناء إفريقيا)
- 1964 (المغرب بلد الفوسفاط) - (الجمعية الدولية لمنتجي الفوسفاط الطبيعي)
- 1965 (الكهرباء راحة)
- 1969 (كيلاز جماعتي)
- 1970 (من المحاميد إلى طنجة)
- 1971 (قرى في الشمس)
- من الروبرتاجات المسجلة لمختلف الأنشطة والأحداث الوطنية نذكر :

1956 (الجيش الملكي) (المغرب واحد) (سنة من الاستقلال)

1957 (ذكريات المنفى)

1965 (افتتاح المركب الكيماوي بأسفي)

- ساعد في إخراج عدد من الأفلام الأجنبية المصورة بالمغرب منها :

1959 (سلامبو) لسيرجيوغرييكو Sergio Grieco إنتاج إيطالي فرنسي

1960 (الطريق نحو زاگورة) أو (سر الرجال الزرق) لكل من إيدموند أغابرا وماركوفيريدي Admond Agabra et Maroc Ferreri إنتاج فرنسي إيطالي

1962 (لورانس العرب) للمخرج البريطاني دافيد لين David Lean

1962 (شهرزاد) لبيير غاسبار ويت Pierre Gaspard-Huit إنتاج فرنسي - إسباني - إيطالي

توفي في 6 جمادى الأولى عام 1405 / 8 فبراير 1984.

خ. الخضري، *دليل المخرجين السينمائيين المغاربة*، ص. 101 - 102؛ *لقاء* شخصي بشقيق *المخرج عبد الرحيم بنشقرون* ؛ صفحة "الفن السابع" جريدة *العلم*، بتاريخ 26 مارس 1984 من إعداد م. الحساني.

خالد الخضري

شقرون الفخار، أحمد بن محمد الأندلسي الفاسي، من الصوفية الأندلسيين المتوافدين بفاس خلال القرنين العاشر والحادي عشر (16 - 17 م). كان من مريدي الشيخ أبي المحاسن الفاسي وأخيه عبد الرحمن العارف، المقربين لزاويتهما، وقد أصهر بابنته عائشة إلى صوفي أندلسي آخر هو محمد بن عبد الله معن.بربع دينار وذهب بها إليه دون سابق إعلام، فلما فتح الباب دفع إليه المرأة وانصرف. اقتداء بفعل سعيد ابن المسيب مع المطلب بن أبي وداعة. قال في حقه محمد المهدي الفاسي في *الإلماع*: "الرجل الصالح، ذو الحال والنور اللائح، والرحمة والحنان الواضح، المحب الصادق".

توفي بفاس عام 1028 / 1619.

م. المهدي الفاسي، *الالماع ببعض من لم يذكر في مجمع الأسماع*، مخطوط ؛ م. القادري، *نشر المثاني / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 3 : 1243.

شقرون الفخار، عائشة بنت أحمد بن محمد سابق الترجمة، تكنى أم أحمد. وأحمد ولدها هو الصوفي الشهير أحمد ابن عبد الله معن الذي ألف في مناقبه عبد السلام القادري كتاب *المقصد الأحمد في التعريف بسيدنا ابن عبد الله أحمد*. وقد رأينا في ترجمة أبيها أنه زوجها من الشيخ محمد بن عبد الله معن وحملها إليه دون سابق إعلام.

قال في *المقصد الأحمد* : "السيدة الفاضلة الزكية، الكاملة الطيبة فالمطهرة الخيرة المنورة، ذات البركات الواضحة، والأنوار اللائحة والأعمال الصالحة... لها من الصلاح مكانة علية، ومرتبة سنية، وحظ عظيم من البر والإحسان... كثيرة الصدقة من عمل يدها على الفقراء والمساكين والضعفاء من أصحاب بعلها المنتسبين إلى الله والمجموعين به على الله، تواسي مديانهم وتعين محتاجهم، بالهبة الكثيرة، والمنحة الغزيرة، من حيث لا يشعرون بما صرفت من ذلك عليهم - بواسطة الشيخ زوجها -".

توفت في شهر رمضان عام 1057 / أكتوبر 1647، ودفنت وراء بعلها محمد بن عبد الله معن داخل القبة.

ع. السلام القادري، *المقصد الأحمد في التعريف بسيدنا ابن عبد الله أحمد*، ط. حجرية فاس ؛ م. القادري، *نشر المثاني / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 4 : 1428 - 1429.

ابن **شقرون الكريمي، علال** بن أحمد الفاسي. ولد ونشأ بفاس، ودرس على كبار شيوخ العصر: محمد بن عبد الصمد گنون وطبقته وهو من أقران أحمد ابن الخياط ومحمد بن الطاهر بناني ورفقائهم في الدراسة.

اشتغل مدة بالتدريس في القرويين ثم انتصب للشهادة في سماط العدول، واستُكتب أخيراً مع الباشا العربي ولد بّا محمد الشرگي. له *كناشة علميّة* كانت في خزانة الشيخ عبد الحي الكتاني وكتب على ظهر أول ورقة منها تعريفاً موجزاً بالمترجم وأتى ببعض نوادره الأدبية.

في وسط هذه الكناشة فهرس للمترجم يذكر فيه شيوخه وما قرأ عليهم من كتب في مختلف فروع العلوم الشرعية واللغوية والعقدية وتواريخ ذلك. إضافة إلى أهم أطوار حياته وأزواجه وأولاده وأحفاده. ومنتقيات من قراءاته الأدبية ومختارات من الأشعار كل ذلك بخطه النسخي المرونق.

توفي بفاس يوم الأربعاء ثامن وعشري ربيع الثاني عام 1319 / 14 غشت 1901 ودفن بروضة درب الحرة.

علال ابن شقرون الكريمي نفسه، كناشة، مخطوط، خ. ع. رقم 469 ك ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 8 : 2826 ؛ م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، الدار البيضاء، 1989 ؛ ج 2 : 162.

محمد حجي

ابن **شقرون، محمد** (الحاج -) المكناسي. ولد عام 1915. مارس التجارة في شبابه، ثم تعرف على مقدم الزاوية العلمية المعلم بنعيسى بن المحجوب في بداية الثلاثينيات، وأخذ عنه بطابحي رصد الذيل وبطايحي عرق عجم، ثم انضم إلى جوقه عزفا على العود. وكان الجوق يومئذ مشكلا على النحو التالي :

- المقدم بنعيسى : رئيس الجوق وعازف على العود.
- العازفون على العود : محمد بناني، وامحمد الصانع وج. محمد بنشقرون.
- العازفون على الكمنجة : أحمد الرزينة، وعبد الكريم الوزاني، والحاج محمد التازي.
- عازف الماندولين : عبد الحميد جلول.
- ضارب الطر : الحسين العراقي.
- المنشدون : الحاج أحمد السطاسي، ومولاي عبد السلام الشبيهي، ومولاي إدريس الشبيهي.

وكان رئيس الجوق يستقدم من مدينة فاس - عند الحاجة - امحمد عيوش عازف الرباب، والخميري، وبنعيسى العوانش.

وقد كان بنشقرون من أوائل الطلبة الذين التحقوا بدار الجامعي لتعلم الموسيقى الأندلسية إثر افتتاحها عام 1932 على يد المعلم الفاسي محمد دادي. وقد عرف يومئذ بسرعة الحفظ، فاستوعب ميزان بسيط رصد الذيل في فترة وجيزة، وأتقن العزف على العود.

وقد مارس تعليم الصنعة والعزف لتلامذة المدرسة في الخمسينيات، ثم انقطع عن ذلك ليشتغل بالتجارة، غير أنه لم يتخل قط عن اهتمامه بالموسيقى الأندلسية، فاضطلع برئاسة جوق الهواة لفترة قصيرة قبل أن يسلم قيادته لزميله في المدرسة الفنان مولاي أحمد المدغري. وفي عام 1970 عاد ليرأس جمعية هواة الموسيقى الأندلسية بمكناس.

وقد وافاه الأجل يوم 12 مارس 1990.

معلومات خاصة، شريط يتضمن حواراً أجري معه في ملك ابنه فؤاد بنشقرون.

ابن **شقرون، محمد** بن **المهدي** المراكشي. موسيقي ترجم له صاحب *الإعلام* فذكر أنه فقيه مشارك في عدة علوم وفنون. كان ملما بالعلوم الدينية واللغوية، كما كان حسن الترنم بالقرآن الكريم، مواظبا على صلاة التراويح بالجامع اليوسفي.

له منظومة في التوحيد على غرار *المرشد المعين*. وإلى ذلك فقد كان ابن شقرون عارفا بالألحان والطبوع حافظاً لمستعملات طرب الآلة والسماع.

توفي بمراكش عام 1324 / 1906.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 19، ج 7، ص. 140 ؛ ع. العزيز بنعبد الله، *الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية*، ج 2، ص. 20.

عبد العزيز بن عبد الجليل

شَقُّور والشْقُور وشاقور، أسر تطوانية. أما شَقُّور فهي شريفة النسب عَلَمية من نسل الجد الجامع للأشراف العلميين أبي بكر بن موسى بن مشيش (وموسى هذا هو أخو الشيخ عبد السلام ابن مشيش) وموطنهم الأصلي قبيلة بني عَروس كسائر الأشراف العلميين، نسبة لجبل العلم بالقبيلة المذكورة. ومنها انتشروا في كثير من القبائل والمدن بشمال المغرب وغيره.

وأما الشْقُور - بقاف مخففة - فلعلها من الريف ومازالت موجودة بتطوان وكان بعضهم يتّجرون في البز إلى عهد قريب، ومنهم الأستاذ الرياضي المسرحي حسن ابن الحاج محمد الشْقُور المتوفى يوم الأربعاء 15 رجب عام 1422 / 3 أكتوبر 2001 ولا يعرف أصل الشاقوريين.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 206، مخطوط ؛ م. داود، *عائلات تطوان*، مخطوط.

محمد بوخبزة

شقور، أحمد بن **محمد** الحسني العلمي الموساوي، حلاه في *إتحاف المطالع* بالفقيه العلامة الأديب الناظم الناثر، وهو الذي جمع أشعار سليمان الحوات في مدح السلطان المولى سليمان. وهو ديوانه الثاني. رتبه على حروف المعجم وفرغ منه في ربيع الأول عام 1232.

توفي يوم الخميس تاسع عشر رجب عام 1234 / 12 ماي 1819.

أ. شقور نفسه، *ديوان سليمان الحوات*، مخطوط، خ ح، 2941 ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، المحمدية، 1999، ج 2 : 92 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، ج 2 : 209؛ *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 7 : 2503.

محمد حجي

شَقُّور، أحمد بن مرزوق قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلته بني عروس. انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي تزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني وقد شارك في مؤتمرات الثورة المنعقدة :

- بضريح سيدي يسف التليدي يوم 7 ماي 1913
- عين الدالية يوم 13 من نفس الشهر
- ضريح مولاي عبد السلام بن مشيش يوم 20 يوليوز 1913
- قرية الزوة يوم 11 يناير 1915 وشارك في 32 معركة.

توفي بعد عام 1333 / 1915 .

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب*، الرباط، 1981.

شقُّور، أحمد ولد الرايس قائد كان يرأس فرقة من المجاهدين من قبيلته بني حسان. انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي تزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني وقد شارك في مؤتمرات الثورة المنعقدة :

- بضريح سيدي يسف التليدي يوم 7 ماي 1913
- عين الدالية يوم 11 من نفس الشهر
- ضريح مولاي عبد السلام بن مشيش يوم 15 شعبان عام 1331 / 20 يوليوز 1913
- قرية الزوة يوم 11 يناير 1915 وشارك في 21 معركة.

توفي بعد عام 1333 / 1915 .

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة بشمال المغرب*، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

شقُّور، علي (مولاي -) بن أحمد الحسني العلمي. عرف بالورع، واشتهر بالتصوف، فاتخذ من بيته في أول الأمر منتدى يلتقي فيه هواة المديح، ثم تحول إلى الزاوية التي أقامها للذكر وإنشاد الأمداح على اطباع الموسيقى الأندلسية.

وقد اشتهرت الزاوية الشقورية بشفشاون، وأصبحت تنسب إلى مؤسسها. ومنها تخرج نخبة من مشهوري طرب الآلة وفني المديح والسماع وفي طليعة هؤلاء لمع العربي الزايدي عازف العود والرباب، ومحمد بن الصادق عازف الرباب، والهاشمي الفيلالي أخديم والعربي الحضري عازفا الكمنجة ومحمد المفريج وعبد السلام الورياشي، وهما ممن برعوا في حفظ كناش الحايك ومهروا في تعليم النوبات الأندلسية.

وتتميز ممارسة رواد الزاوية الشقورية حتى يومنا هذا بالتجاوز في استخدام الآلات الوترية والإيقاعية عند إنشاد ميازين "الآلة" وقصائد المديح.

توفي مولاي علي شقور عام 1315 / 97. 1898.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الشقوري، أسرة فاسية أصلها من الأندلس من مدينة شقورة من أعمال جيّان. قال القادري : "وبنو الشقّوري معلومون في بيوت الأندلس، وقد انقرضوا الآن (النصف الثاني من القرن الثاني عشر (18 م). وذكر منهم جدته فاطمة بنت أحمد جمدون الشقورية. الصالحة السيدة الناصحة، ذات التجارة الرابحة.

م. القادري، *نشر الثاني / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 4 : 1711.

محمد حجي

الشقُّوري، غالب بن علي بن محمد اللخمي، والشقوري نسبة إلى شقورة بالأندلس. ورد ذكره عند ابن الخطيب بأبي تمام وعند ابن أبي زرع بأبي محمد. كان "من أهل الفضل والدماثة، حسن الخلق، وسيم الخَلْق، مليح الانطباع، مستطرف الأغراض". رحل في شبابه إلى المشرق فحج وقرأ الطب بالمارستان بالقاهرة، وزاول العلاج بها على طريقة المشارقة. وعند عودته مكث ببجاية مدة انتصب فيها لممارسة مهنة الطب ثم انتقل إلى المغرب واستقر بفاس، فوقف على خدمة سلطانها أبي سعيد عثمان بن يعقوب المريني الذي ولاه الحسبة بها، ثم خدم خليفته السلطان أبي الحسن إلى أن توفي في أوائل عام 741 / 1340 بسبتة وهو في أهبة الاستعداد مع مخدومه للجواز إلى الأندلس ومواجهة النصارى في معركة طريف التي نشبت بين الطرفين في نفس التاريخ المذكور. خلف الشقوري تواليف كثيرة في الطب وعلومه كان لها صيت كبير بين أقرانه ومعاصريه من الأطباء.

ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1973، ص. 396 ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة*، تح. م. عبد الله عنان، القاهرة، 1975، ج 3، ص. 172 ؛ ج 4، ص. 240 - 241 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1974، ص. 506.

رشيد السلامي

الشكّارة لم يرد لها ذكر في القواميس التي اهتمت بالغريب من الألفاظ في اللغة العربية (المصباح المنير) ولا بالتي اهتمت بالفصيح من اللغة، مما يعني أن الاسم غير متداول خارج المغرب، وأنها دخلت العامية المغربية في مراحل متأخرة (أواخر العصر الوسيط وبداية الحديث) ونعتقد أنها دخلت من اللهجات الإيبيرية ؛ وقد وردت الإشارة إلى "الشكارة" في المصادر التاريخية العربية وخاصة كتب

المناقب وتراجم المتصوفة والصلحاء (*القصد*، 92 و*المنهاج*، 283، وبهجة 173).

الإشارات الأولى تفيد أنها وعاء جلدي لنقل وخزن الأشياء خاصة المواد الغذائية، جاء في (*القصد*، 92) في معرض حديث المؤلف عن الصلحاء : "من عادة عباد بقوية وصالحيهم أن يجتمعوا ليلة النصف من شعبان ..." إلى أن قال : فوضعت الشكارة بالخبز..."

أما صاحب *بهجة الناظرين* (ص. 173) فقال وهو يتحدث على لسان والده :

"كانت سنة قد عدم فيها الزبيب وكان الشيخ أبو إبراهيم أمغار يعودني في كل يوم ويأتيني بقبضة من زبيب شكارة مملوءة زبيباً فوضعها بين يدي..."

ولم تضف المصادر اللاحقة أية إشارة تفيد في معرفة شكل الشكارة ولا كيفية صنعها ولا حجمها، وحتى كتب الحسبة التي كان من المفروض أن تتناول الموضوع لم تفعل على غرار كتب الحسبة الأندلسية (في *أدب الحسبة*، 878) لكن الإشارة التي وردت في (*المنهاج*، 283) تفيد في معرفة المادة التي تصنع منها الشكارة "شكارة الكتاب" وهي الجلد، فلاشك أنه يشير إلى غلاف الكتاب وغالباً ما يكون من جلد ناعم وهو جلد الضأن.

ما قبل هذه المصادر التي اعتمدناها، وردت إشارات إلى أوعية استعملت للأغراض نفسها لكن بأسماء أخرى : جام (للخبز) وخُرج فيه كتب (*التشوف*، 427) فهل الأمر يتعلق بتغيير أسماء لمسمى واحد ؟ أم أن الموضوع يتعلق بوعاء جديد في شكله وفي اسمه ؟ في تقديري الجواب الأخير هو الصحيح، لكن مفهوم الشكارة اليوم يبقى قريباً من الاستعمالات القديمة فهي وعاء لحمل الكتب والخضر والمواد الصلبة بالفواكه الجافة لكن التداول الحالي لا يعكس الأصل في دخول الشكارة إلى المغرب، بل وقع خلط في المفهوم إذ ذكرت الأنواع الأخرى مجازاً للتشبيه ؛ لكن الشكارة منذ أواخر العصر الحديث وإلى غاية بداية القرن العشرين ارتبطت بالنقود وبالمال عموماً.

واعتبرت في الحضارة المغربية علامة من علامات الرجولة فخروج الشخص من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الشباب والرجولة يرمز إليه بتمنطق الشكارة؛ وقد مرت منذ دخولها المغرب بمراحل في صنعها، فكانت ساذجة لا تتطلب مهارة ولادقة ثم أصبحت شكارة مقبولة تلبي الحاجة إليها قبل أن تصل إلى قمة جودتها وإتقانها حتى أصبحت من أدوات زينة الرجل وأبهته فاشتهرت على الخصوص الشكارة المراكشية ذات الجيوب المتعددة والتطريز الجميل والشكل المستطيل المطوي على نفسه، ومنها النوع الفاسي والسلاوي والرباطي إلى غير ذلك من المدن العتيقة ؛ وتختلف بينها مثل الزرابي في التزويق والتطريز ونوع الجلد.

أصبحت الشكارة "التقليدية" بعدما تخلى عنها الناس تحفة وقطعة من تراثنا المغربي الأصيل وجب الحفاظ عليها وإحياؤها حتى لا تبقى من مقتنيات السياح فقط.

أ. الفيومي، *المصباح المنير في غريب الشرح الكبير*، مصر، د. ت. ؛ البادسي، *القصد الشريف*، الرباط، 1982 ؛ ابن عبد العظيم، *بهجة الناظرين*، مرقون كلية الآداب بالرباط، د. د. ع.، 84 ـ 1986 ؛ الماجري، *المنهاج الواضح*، مصر، 1933 ؛ السقطي، *في أدب الحسبة*، بيروت، 1987 ؛ الزبيدي، *تاج العروس من جواهر القاموس*، مكتبة الحياة، بيروت، بدون ؛ التادلي، *التشوف*، الرباط، 1984 ؛ م. الطويل، *النقل والتنقل*، مرقون، كلية الآداب بالرباط، 1998.

محمد حجاج الطويل

أبو الشكاوي، علي بن منصور البوزيدي الحسني، متصوف كبير كان يسكن شالّة، ويتردد على الشيخ أبي المحاسن يوسف الفاسي، ينتسب لآل البيت من بني عيسى بن إدريس الأزهر، دفين أيت عتاب. وعن كنيته أبي الشكاوي (جمع شكوة على غير قياس : وعاء من جلد للماء واللبن) ذكر صاحب *ابتهاج القلوب* أن علي بن منصور مرّ يوماً مع بعض أصحابه بعجوز فاستضافوها، فقالت.

ما عندي إلا هذه الشكوة فأخذها المترجم وجعل يصب منها في القصاع حتى ملأ قصاعاً كثيرة من اللبن الحليب فسمي لذلك بأبي الشكاوي.

كان "من شيوخ التربية والترقية الروحية "من أهل الأحوال السنية، والسيرة المرضية، واقفاً عند الشريعة معظماً لها محافظاً عليها" (*متع*، 185).

أخذ عن ستة وعشرين من شيوخ التصوف الجزوليين المشهورين في عصره، منهم العسال وعبد الرحمن المجذوب وأبو الروابن وعلي الشبلي السريفي، ورحل للمشرق وأخذ عن شيوخ آخرين. مات بسقط رأسه الرباط عام 1180 / 1767.66.

قال في *مرآة المحاسن* : "قدم علينا ـ علي بن منصور ـ بفاس سنة أربع وألف فقال للشيخ أبي المحاسن إن الأجل قد قرب وما جئت إلاّ لوداعك وانصرف، فمكث غير بعيد وسمعنا خبر موته بشالة في السنة المذكورة، وبها كانت سكناه" ودفن خارج شالة وبنيت عليه قبة جددها العارف بالله أبو المواهب سيدي العربي ابن السائح. وضريح أبي

الشكاوي مزارة شهيرة. وبقي عقبه بشالة والرباط، وكان منهم صالحون متصوفون.

توفي عام 1004 / 5 ـ 1596.

م. العربي الفاسي، *مرآة المحاسن*، ط. حجر فاس، 218 ـ 219 ؛ ع. الرحمن الفاسي، *ابتهاج القلوب*، تح. حفيظة الدازي، مرقون ؛ م. الطيب الفاسي، *مطمح النظر*، مخطوط ؛ م. المهدي الفاسي، *متع الأسماع*، ط. حجر فاس، ص. 182 ـ 187 ؛ م. الإفراني، *صفوة*، ط. حجر فاس، د. ت ؛ م. القادري، *نشر المثاني / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 3 : 1084 ـ 1085 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، مرقون ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، تح. أ. الناصري، ط 3، الدار البيضاء، 2001، ج 5 : 207 ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، ط 2، الرباط، 1996، ص. 117 ـ 118 ؛ م. بوجندار، *الاغتباط*، الرباط، 1987، ص. 435 ـ 436.

أبو **الشكاوي، محمد** بن أحمد الخضر بن علي بن منصور المرباطي فقيه أديب شاعر. أخذ عن الشيخ علي العكاري حين قدم إلى العدوتين من زاوية الدلاء، قال في *الاغتباط* : "كان من العلماء الأدباء المحاضرين ذوي الإجادة في النظم على اختلاف أنواعه ما بين قصائد موزونة، وأزجال معربة وملحونة، وموشوحات ذات أسماط وأنماط، تزري بجواهر الأسماط" وأورد له قصيدة رائية في مدح الشيخ العكاري، مطلعها :

سما في سماء المجد عن كوكب البدر ثناؤك يا شيخ الجهابذة الغر

توفي بالرباط عام 1180 / 1767.

م. القادري، *نشر المثاني / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 7 : 238 ؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أ. العماري، الرباط، 1986، ص. 174 ؛ م. بوجندار، *الاغتباط*، الرباط، 1987، ص. 112 ـ 114.

محمد حجي

ابن **شگرة** أو ابن شقْرا أو شقرة، أسرة دكالية من فرقة بني دغوغ ينتسبون لآل البيت. نزحوا منذ القرن العاشر (16 م) إلى مراكش وسيدي رحال وزمران بسبب خدمتهم مع المخزن. وأول من يذكر منهم هناك القائد علي ابن شگرة خليفة حاكم مراكش حين اغتال الانكشاريةُ الاتراك محمداً المهدي الشيخ سنة 964 / 1537، وعمل بعد ذلك مع عبد الله الغالب وابنه المتوكل في كل من مراكش وفاس. وذكرت المصادر التاريخية أن السلطان الرشيد بن الشريف العلوي احتفل بعرس أخيه إسماعيل في دار ابن شقرا بفاس الجديد.

مجهول، *تاريخ الدولة السعدية* ؛ م. الإفراني، *نزهة*، تح. ع. اللطيف السادلي، الدار البيضاء، 1998 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ط 2، الرباط.

ابن **شگرة، عبد السلام** بن الفاطمي الزمراني، متأدب شجاع، عمل كاتباً عند قائد زمران عمر المصباحي ثم جندياً في جيش الحسن الأول فقائداً للمائة، ونظراً لنجدته عينه السلطان قائداً لقبيلة زمران بعد موت عمر المصباحي سنة 1303 / 1886. ضبط ابن شگرة شؤون القبيلة، مستعيناً بابن عمه وخليفته الجيلالي بن العباس ابن شگرة ثم فوّض إليه الحكم واستقر هو بمراكش في الرياض المنسوب إليه حتى اليوم بدرب دباشي، ليكون قريباً من حكومة المخزن مكلفاً بشؤونه الفلاحية بتملالت، وتوجيه عسكر الإيالة، ومؤن الدار السلطانية، ومرافقة السلطان في حركاته، ومنها الحركة التي مات أثناءها السلطان بتادلا سنة 1311 / 1894 فثارت قبيلة زمران ـ مثل كثير من القبائل ـ على حاكمها خليفة القائد عبد السلام ابن شگرة وقتلوه وانتهبوا داره.

أصبح للمترجم مكانة متميزة عند السلطان عبد العزيز حتى عينه وزيراً للحرب (العلاّف الكبير) عام 1319 / 1901 مكان المهدي المنبهي، ثم رجع لقيادة قبيلة زمران، فثاروا عليه وقتلوه في فاتح صفر 1323 / 6 أبريل 1905.

وثائق خ. ح ؛ *محفظة 1323* ؛ أحمد بن إبراهيم الدمناتي، *القول الجامع في تاريخ دمنات وما وقع فيها من الوقائع*، مخطوط، خ. ح؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ط 2، الدار البيضاء، 1955، ج 5 و7 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، المحمدية، ج 20.

الحسين شوقي

ابن **شگرة، علي** بن مسعود الدكالي من كبار قواد الدولة السعدية ولم يكن من أرباب القلم وإنما كان رجل تدبير وقيادة الجند في ظل سلاطينها محمد الشيخ وابنه عبد الله الغالب وحفيده محمد المتوكل، جمع أوصافا متعددة فهو خليفة ووزير وقائد القواد. فكان خليفة للسلطان محمد الشيخ بمراكش وكان على رأس المبايعين لابنه عبد الله الغالب ولما عقد السلطان الجديد لابنه المتوكل على الخلافة بفاس أرسل معه القائد ابن شگرة فتوطدت بينهما الصداقة. وتتحدث المصادر التاريخية عن مشاركة هذا القائد في المعارك التي خاضها المتوكل ضد عميه عبد المالك وأحمد المنصور سواء في موقعة الركن قرب فاس في أواخر 983 أو معركة خندق الريحان التي لقي فيها القائد ابن شگرة مصرعه قرب سلا عام 984 هجرية. والجدير بالملاحظة أن عبد المالك استعمل في مواجهة ابن أخيه الحيل والدهاء لاستمالة قواده واعداً الطائعين ومتوعداً الرافضين لطاعته، فاستجاب له بعض القواد الأندلسيين وشاع الخبر بأن ابن شگرة حذا حذوهم، فتقول الرواية التاريخية بأن المتوكل لما بلغه خبر انضمام عدد من القواد إلى عمه أصيب بالإحباط ولم ينه المعركة فقرر الرجوع إلى فاس لجمع أمتعته ولما علم القائد ابن شگرة بأن ما قيل عنه هو محض افتراء التحق به بوادي النجاة وعاتبه على تسرعه في الانسحاب وتصديق الوشاية به. وأورد مؤلف تاريخ الدولة السعدية التگمدارتية هذه الرواية.

"فداخله الخوف (أي المتوكل) من كثرة الخلاف إذ جاءه فقال له كن على حذر وانج بنفسك فان ابن شگرة عمدة أصحابك خالف بمن معه وهم مرتقبون الصباح وكان القائل لهذا الكلام غاشا له وكاذبا عليه في الخبر..."

وبعد هذه الهزيمة المعروفة لمعركة الركن تابع عبد المالك مطاردة فلول المتوكل المجتمعة تحت قيادة ابن شكرة فالتقى به بخندق الريحان فلقي ابن شكرة مصرعه.

وبعد قرابة أربعة عقود من هذه الحادثة قدم لنا السلطان زيدان السعدي أمارات عن سلوك حاشية عمه عبد الله الغالب وذلك في رسالة وجهها إلى الفقيه أبي زكرياء يحيى الحاحي فيصف ابن شكرة بالوزير ويتهمه بشرب الخمر والانغماس في الملذات.

"وكان قواد المولى المذكور مثل وزيره ابن شكرة ..... قد انغمسوا في شرب الخمر واتخاذ القيان وبسط الحرير وغير ذلك من آلات الذهب والفضة .... ولعل زيدان أراد بهذا الموقف أن يشعر مخاطبه بإمكانية تعايش أهل الصلاح والتقوى وأهل البذخ والملذات. وفي مراكش هناك حي بين روض الزيتون وأگدال با احماد يحمل اسم جنان ابن شكرة.

مجهول، *تاريخ الدولة السعدية التگمدارتية*، تح. ع. الرحيم بنحادة، ص. 35 ـ 36 ـ 37 ـ 49 ـ 50 ؛ أحمد بن القاضي، *درة الحجال في اسماء الرجال*، تح. م. الأحمدي أبو النور، 1 : 154 ؛ م. الصغير الافراني، *نزهة الحادي*، طبعة هوداس، ص. 17 ـ 62 ؛ *الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى*، ط. 2، الدار البيضاء، 5 : 54 ـ 58 ـ 62.

Deverdun G. Marrakech des origines à 1912 p. 412.

محمد ماگامان

الشكري، حم بن محمد بن أحمد بن يحيى البطيوي البجيوي أحد قضاة قبيلة قلعية بالريف الشرقي، ومن جيل أبناء الريف الشرقي المساهمين في حركة المقاومة ضد الاستعمار الفرنسي انطلاقا من إقليم الناظور المنضوي ضمن المنطقة الخليفية تحت الحماية الإسبانية، وهو نجل آتي الترجمة المجاهد الشكري محمد بن أحمد بن يحيى. وذريته هي المعروفة حاليا بكنية البنيحياتي. ولد الفقيه حمو الشكري بقبيلة بني شكر القلعية سنة 1310 / 1892 بمدشر ميساديت، فرقة بجيوة، من شبه جزيرة هرك وبه نشأ.

ومثل جميع فتيان قومه وعصره تعلم وحفظ القرآن بمسجد القرية. غير أن الظروف الصعبة التي كان الشمال الشرقي المغربي يجتازها، من جراء التجاء الروكي بوحمارة إلى قبيلة قلعية من جهة، وامتداد نطاق الاحتلال الإسباني من جهة أخرى، وما تبع ذلك من تصدي الشريف سيدي محمد أمزيان بالمقاومة، كل ذلك جعل والده المجاهد محمد يحثه على المزيد من القراءة والتعلم بعيدا عن موطنه والتنقل بين مراكز الدراسة بقبائل الريف الشرقي، ثم بناحية جبالة وأخيراً بالعاصمة العلمية مدينة فاس. وهي المراحل التي كلفته من المتابعة ما زاد على الخمس عشرة سنة إلى غاية تخرجه من جامعة القرويين.

تعد المرحلة الدراسية التي قضاها الفقيه حمو بقرية تازغين التمسمانية مفيدة لتكوينه الأولي وهو ابن ثماني عشرة سنة، إذ أنها أتاحت له التمكن من القراءات القرآنية والشروع في الإطلالة على بعض العلوم. ولاشك أن هذه المرحلة الدراسية كانت الحافز على تلبية طموحه العلمي خارج إطار الريف الشرقي. ولم يكن المجال المختار بعد ذلك سوى المراكز العلمية المنبثة في ناحية جبالة لتكون هي المحطة العلمية الثالثة، إسوة بما سار عليه طلبة الريف الشرقي.

وحسب مقيداته ورواية نجله محمد البنيحياتي أنه تنقل بين مراكز غمارة وجبالة، بدءاً من قبيلة الأخماس. لكنه سرعان ما انتهى به الرحيل إلى قبيلة سماتة للتتلمذ على فقيهها المشهور العالم الشيخ أحمد بن يرمق السماتي، سابق الترجمة بهذه المعلمة. وكان الشيخ قد أسس معهد عين بيضا الذي عمت شهرته آفاق الشمال الغربي المغربي وامتدت إلى قبيلة قلعية. ففي سنة 1333 / 1915 كان الشيخ أحمد بن يرمق بحضور الفقيه حمو الشكري وشهادته يدرس الشيخ خليل والتحفة والبلاغة والمنطق، مما يفيدنا باستكمال الفقيه الشكري ما سبق أن أخذه بمركز تمسمان. والمشهور عن الشيخ السماتي أنه كان يشجع طلبته المتخرجين من معهد عين بيضا على التوجه إلى فاس لاستكمال دراستهم العليا بالعاصمة العلمية. وربما كان للزحف الإسباني على القبيلة السماتية المحتلة يوم 6 مايو 1921 يد في الضغط على الفقيه حمو لمغادرة معهد عين بيضا.

وبالفعل فقد انتقل الفقيه حمو الشكري إلى فاس التي حل بها في شوال 1338 / يونيو 1920، ونزل ضيفا على الزاوية التجانية التي كانت ترحب بالطلبة الأفاقيين. وقد ترك الفقيه حمو تقييداً سجل فيه أسماء شيوخه وسنوات وفياتهم، ثبتت صحة ما ورد في حقهم بما قمنا به من التحريات، وذلك نتيجة استمرار العلاقة العلمية بهم ومتابعة أخبارهم، فمنهم : الشيخ محمد الفاطمي بن محمد الشرادي المتوفى عام 1344 / 1925، وهو من أساتذة القرويين الذين كان لهم باع في المرتبة العلمية الأولى، كما أشار إلى الحاج العربي بنيس المتوفى عام 1350 / 1932، وإلى أحمد بن الجيلالي الفيلالي المتوفى 1352 / 1934، وإلى عبد الله بن إدريس بن أحمد العلوي الفضيلي المتوفى عام 1963 / 1944.

ويبدو أن سنة التخرج والعودة إلى موطنه ببني شكر

كانت خلال الأشهر الأولى من سنة 1923. والتخرج من جامع القرويين كان مشهوراً، يخول التنقل في المناصب، بدءاً من الإمامة والخطابة والتدريس بمساجد البلدة. هذا هو ما حدث بالنسبة للفقيه حمو حين انتدب من فرقة أولاد داود الكبدانيين. وكان من الطبيعي أن يوثق الفقيه حمو اتصالاته بعميد الزاوية القادرية، خريج القرويين وابن قبيلته الفقيه السيد الحاج حمو القادري (1861 ـ 1938)، آتي الترجمة. فقد استدعاه سنة 1926، وهو آنذاك قاضي القضاة بالمنطقة الخليفية، لتولي منصب النيابة بمحكمة قاضي القضاة التي كان مقرها داخل مدينة مليلة المحتلة.

بقي الحاج حمو الشكري بالمنصب قرابة عشر سنوات، أي إلى سنة 1935 حيث انتدب قاضيا موقتا بقبيلة أولاد ستوت من قبائل الريف الشرقي بتاريخ 28 ربيع النبوي عام 1354 / فاتح يوليو 1935. ثم نقل إلى قبيلة المطالسة، حيث بقي إلى أن عزلته سلطات الحماية سنة 1953 إبان الاعتداء الفرنسي على العرش المغربي، وآنذاك حول اتجاهه بكل حماس ووعي نحو المساهمة في حركة التحرير. ويعد السير في هذا الاتجاه اقتداء بخطة والده في الجهاد ضد بوحمارة والإسبان، وقد كان هو نفسه من المساعدين له خلال سنة 1909، بعد اندلاع مقاومة الشريف محمد أمزيان وسنه 17 عاما، كما أنه شاهد أولى المعارك التي جرت بجوار مليلة، وهو من الذين حضروا معركة "خندوق" أو "إغزر أوشن" يوم 27 يوليو 1909 وشاهدوا مقتل الجنرال "بينتو" في نفس اليوم. كانت معركة سيدي موسى، حسب قوله هي آخر ما شاهده، إذ أنه قرر العودة إلى قبيلة تمسمان في شهر ذي القعدة عام 1328 / نوفمبر ـ ديسمبر 1910 لمتابعة الدراسة، مثلما تمت الإشارة إليه.

وليس من الغريب في شيء أن يعلن القاضي حمو الشكري عن اندماجه في نطاق المقاومة المسلحة المستهدفة لتحرير البلاد من الحماية والاستعمار الفرنسي، بدءاً من المساهمة في تزويد الخلايا الفدائية العاملة بالمدن الهامشية المجاورة لحدود المنطقة الخليفية ما وراء مجرى واد ملوية، وإلى الاتصال التلقائي بجيش التحرير بدافع وطني صرف. فما كان على الفقيه حمو الشكري إلا التمكن من إخفاء مشاعره الوطنية وهو بالسلك القضائي بقبيلة المطالسة المجاورة لاكزناية، فسرعان ما انكشفت تلك المشاعر الزائدة عن حاجة الإسبان ومراقبتهم للوضع، رغم ما كانوا يظهرونه من المرونة وعدم المبالاة تجاه الحركة الوطنية القائمة بالمنطقة السلطانية. فالواقع أن مرارة التعدي على العرش جعلت الحاج حمو الشكري يعتبر الإدارة الإسبانية صنو أختها الفرنسية، فلم يتوان عن الدعوة إلى المقاومة بالحماس الديني الذي تشبع منه منذ شبابه، سراً أحيانا وجهرا مرات أخرى. وهذا كان سببا كافيا للإدارة الإسبانية لإبعاده عن منصب القضاء.

وميدان المقاومة المسلحة المتوفر آنذاك بعد حدث 20 غشت 1953، مما يتصل بإقليم الناظور، كان مقتصراً على تزويد مختلف خلايا المقاومة الفدائية بجهات بركان وتاوريرت ووجدة قبل أن يتأسس جيش التحرير بقبيلة اكزناية في آخر سنة 1954، بالسلاح والذخيرة. كان القاضي حمو الشكري قد تعلم الشيء الضروري للحصول على السلاح وتهريب لوازم الحرب أثناء أداء مهمته بمليلة ونتيجة قرب مدشره وتماس حدود قبيلته لحدود المدينة المحتلة، ولذلك لم يصعب عليه التعرف على الوسطاء للقيام بالمهمة. وقد أهلته مهنته كقاض ولاشك من جهة أخرى أن ينتقي معارفه ليكون أمينا على الأموال والودائع وتوجيهها بأمانة إلى الوسطاء بينه وبين الفدائيين.

وفي هذا الباب كان للفقيه حمو اتصال ببعض تجار مدن المنطقة. وقد وجدنا في تقييد له ما يدل على مساهمته الفعلية في تشكيل ما يشبه خلية وطنية، سماها "الهيئة المدنية المكافحة" متكونة من معارفه البالغين ستة عشر فرداً. وكانت الخلية موسعة الانتساب شملت قبائل بني شكر ومزوجة وأولاد ستوت وبني بويفرور وبني سيدال. ظهر هذا التوزيع في جمع التبرعات وفيما توفر لديه من السلاح بتاريخ 26 يناير 1954، ثم بتاريخ 27 شتمبر 1955 قصد تزويد المقاومة ببعض الذخيرة والكساء والأغطية، حسبما دل على ذلك تقييده بمدشر تاوريرت الشكري.

هكذا لم يستسلم الحاج حمو الشكري بإبعاده عن القضاء، بل فتح باب تجربة مقاومة الاستعمار بإمكاناته المتوفرة. ولاريب أنه قد خرج من تلك التجربة راضي النفس بعد أن اتخذت المقاومة أبعادا أكبر من طاقته بتأسيس جيش التحرير، ولذلك وجد المتنفس الجديد في الانخرط في سلك التعليم الابتدائي، حيث عين سنة 1955 معلما بموطنه الصغير، وبقي بنفس الوظيف إلى وفاته يوم الأربعاء فاتح أبريل 1964.

حمو بن محمد الشكري، تقاييد، مخط.ط ؛ وثائق محمد البنيحياتي ؛ م. بن حمو البنيحياتي، *مذكرات مرقونة* ؛ ع. الهادي التازي، *جامع القرويين*، بيروت، 1972 ؛ م. عمراني، *جامعة القرويين*، 1914 ـ 1934، رسالة مرقونة، الرباط، 1988 ؛ ينعبد الله الوكوتي، *مذكرات مقاوم*، الرباط، 1996 ؛ ح. بن ع. الوهاب، *تاريخ القضاء في شمال المغرب*، تطوان، 2000 ؛ *ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية*، تطوان، 1053.

Gonzalo Calvo, *Espana en Marruecos*. ; Enrique Lopez, *Cronica de las Campanas del Rif de 1911- 1912 - 1913*, p.14 ; Alarcon, *Melilla* 1909 ; *Diario de la Guerra. Cronica de un testigo* ; *Legation de la Republique Française au Maroc*, Direction des Affaires Politiques et Commerciales ; D. Berenguer, *Campañas en el Rif y Yebala*.

الشكري، عبد القادر بن الحاج الطيب بن محمد بن عبدون. أحد شخصيات الريف الشرقي خلال النصف الأول من القرن العشرين. ازداد سنة 1865 (1870) دخل مسيد القرية وحفظ نصيباً من القرآن، كما تلقى بعض مبادئ اللغة. وتابع سيرة والده في حرفتي الفلاحة والتجارة. انخرط في الحركة المناهضة للالتجاء بوحمارة إلى قلعية منضويا تحت

لواء المحلة المخزنية وشارك في حركة الجهاد التي قادها محمد الشادلي والشريف محمد أمزيان سنة 1909 ضد الجيش الإسباني. وفي هذا الصدد يشير تقييد القاضي الحاج حمو بن محمد الشكري (البنيحياتي) سابق الترجمة إلى أنه من الجماعة الأولى التي اجتمعت مع الشريف محمد أمزيان إلى جانب محمد الشادلي والمجاهد محمد بن أحمد بن يحي الشكري آتي الترجمة، وكان من المشاركين في لقاء القلعيين للإسبان في معارك بني أنصار وتخريب منشآت مد السكة الحديدية ومن الحاضرين في معركة سيدي موسى ومقتل الجنرال بينتوس.

ففي يوليو 1909 كان بجماعة مجاهدي بني شكر فيما يقابل "سوطو مايور" ينتظر وصول النجدة التي طلبها من صديقه قائد مزوجة محمد الشادلي سابق الترجمة. انهزمت قواته بتاجديرت يوم 20 يوليو من نفس السنة، فكانت نتيجة المعركة قاسية على الشكريين، إذ كانت حداً فاصلاً بين جهاد عبد القادر الشكري وانصرافه إلى مسالمة الإسبان ومهادنتهم بحجة عدم جدوى استمرار المقاومة.

فالمعروف أن القائد عبد القادر بن الحاج الطيب الشكري قد اتخذ ابتداء من سنة 1910 موقفا جديداً تجاه الوجود الإسباني لم يتغير خلال مدة حياته، غير أن الموقف الذي رفع من مكانة عبد القادر بن الحاج الطيب الشكري هو القبض على زمام القبيلة إثر انهزام الإسبان سنة 1921 بمعركتي أنوال وعروات وعدم مهاجمة مدينة مليلة في وقت كانت تعاني من العزلة والذهول التامين من هول انتصار ثورة محمد بن عبد الكريم الخطابي. وهذا الموقف هو نفس الاستراتيجية التي اختارها زعيم الثورة حين وصول المجاهدين إلى مشارف المدينة.

بقي عبد القادر بن الحاج الطيب الشكري قائد بني شكر متمتعا بعطف الإسبان عالي المنزلة لديهم إلى أن تمت ترقيته إلى باشا ثم نائب الصدر الأعظم بالمنطقة الخليفية على ناحية الريف كلها. واحتفظ بتلك الصفة إلى وفاته يوم 28 محرم عام 1370 / 9 نوفمبر 1950.

Gonzalo Calvo, *Espana en Marruecos, Cronica de la Campañas del Rif de 1911, 1913* ; Enrique Lopez Alarcon, *Melilla* 1909 ; *Aldaba de Melilla* ; Eduardo Maldonado, *El Rogui*. Tetuán 1949.

الشكري، علي مجاهد ومقدم غزاة بني شكر المرابطين بميدان مليلة. ولا نعرف الفرقة التي ينتمي إليها. ظهر بميدان مليلة بعد حصار المدينة سنتي 1774 ـ 1775، وعلى الخصوص في محضر الاتفاق المبرم يوم 10 أبريل سنة 1782 بين القلعيين وحاكم مليلة. وهو معاصر للمجاهد محمد الرتبي سابق الترجمة والمرابط البشير الكبداني. تعرض لإدانة المخزن نتيجة عدم تلبية دعوة السلطان محمد بن عبد الله إلى التخلي عن الجهاد سنة 1788 في إطار سياسة التحكيم وضبط الهدوء، رافضا الأوامر التي جاء بها قواد الوفود على التوالي محمد الشرقي ومحمد بن عبد الكريم راغون وعبد الوهاب الفاسي ومحمد التيسي التاوناتي. بقي على الشكري بالميدان مجاهداً إلى أن توارت عنا أخباره سنة 1211 / 1797.

ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإسباني بمليلة*، الرباط، 1997.
Archivo General de Simancas. Estado, legajos 4336. 4315. 4334. 4320.

الشكري، محمد بن أحمد بن يحيى، أحد مجاهدي الريف الشرقي، والد سابق الترجمة الشكري، حمو بن محمد بن أحمد بن يحيى. ولد حوالي سنة 1280 / 1863، وهو من مريدي الزاوية القادرية بشبه جزيرة هرك المنعوتين بالفقير. نعرف أخبار جهاده مما روى عنه وقيده نجله حمو. انخرط ضمن رجال مقاومة الشريف سيدي محمد أمزيان فحمل السلاح ضد الروكي بوحمارة أولا والتوغل الإسباني بقلعية ثانيا.

فعن مساهمته في حرب الجيلالي بوحمارة روى محمد الشكري لنجله حمو مداهمة رجاله لقبيلة بني شكر ووصولهم إلى قرية ميساديت عدة مرات، منذ حلول الثائر بقصبة سلوان سنة 1903، وما تلا ذلك من التغلب على القوات المخزنية والسيطرة على قصبة جنادة فرخانة، وذلك بحثا عن الأموال والأقوات والتمكن من القضاء على المناوئين لحركته. وكان الفقير المجاهد محمد الشكري من الذين انخدعوا في البداية مما ادعاه بوحمارة من نسب الأسرة العلوية المالكة، غير أنه لم يلبث أن تعرف على حقيقة أمره واسمه من خلال الدعاية المضادة التي كلف بها مناصرو المجاهد الشريف محمد أمزيان. كان انجلاء تلك الحقيقة هي المناسبة التي حثت محمد الشكري على الانخراط في حركة المقاومة لأول مرة والمشاركة الفعلية في حرب بوحمارة وطرده من قصبة سلوان في آخر عام 1908.

ولما كانت التوسعات الإسبانية المدبرة من حاكم مليلة الجنرال "مارينا" على حساب أراضي قلعية موازية مع آخر تحركات بوحمارة، فإن الفقير محمد كان من الأوفياء المساندين لحركة الشريف محمد أمزيان المقاومة للإسبان. وبذلك وجدناه يلبي نداء الجهاد بمجرد أن علم ببطلان ما كان يدعيه الإسبان من عدم وجود أي نية توسعية.

اختير محمد الشكري للمشاركة في الاجتماع السري الذي عقده الشريف محمد أمزيان بزاوية أزغنغان من بني يفرور إلى جانب شيخ قبيلة بني شكر عبد القادر بن الحاج الطيب الشكري سابق الترجمة، مع كل من محمد التباع البوبفروري، ابن أخي الشريف محمد أمزيان، والقائد الشادلي المزوجي سابق الترجمة وعلال بن محند السيدالي. ومن مشاركته في هذا الاجتماع نستدل على أهمية دور الفقير محمد في تنظيم الحركة الجهادية ببني شكر وبميدان الجهاد ببني انصار. ومن نتيجة قرار الاجتماع المذكور، مما قصه علينا، نعرف الخطة المتفق عليها قبل يوم 9 يوليو 1909

لتخريب السكة الحديدية التي شق طريقها الإسبان من مرسى مليلة إلى المكان المعروف لدى الإسبان بالمحطة الثانية (Segunda Caseta) ببني انصار، تمهيداً لمد الخط عبر أراضي مزوجة وبني بوبفرور في اتجاه جبل نْ إكسان لاستغلال منجم الحديد.

وتبعا للأحداث نعرف من رواية الفقير محمد الشكري أن تطبيق تعليمات الاجتماع أدى إلى تكوين الخلية الجهادية الأولى في تاريخ مقاومة الشريف محمد أمزيان، مشتركة بين أخماس قلعية، مؤلفة من ستة وعشرين مجاهداً، كان منهم إلى جانبه عبد القادر بن الحاج الطيب الشكري، رئيس قبيلة بني شكر ومحمد النصري، شيخ بني أنصار والشادلي، قائد بني انصار. يقول مما رواه لابنه حمو، سابق الترجمة، "فقتلنا كثيراً وألقينا القبض على كثير منهم وفر الكثير إلى مليلية". وهو يعني ما وقع حسب المراجع الإسبانية هجوم يوم 19 يوليو 1909.

ومن الأعمال الجهادية التي أشار إليها الفقير محمد الشكري ما حكاه عن المشاركة في تنظيم اعتراض تقدم الإسبان في أشهر معارك مقاومة التوغل الإسباني المعروفة بمعركة "إغزار نْ أوشن" وهي المعركة التي كان مسرحها عند منحدر كدية سيدي موسى، بساحل سبخة بوعرك الشمالي، تلك المعركة التي أذهلت نتائجها الدولة الإسبانية، حينما علمت بمقتل الجنرال بينْتُو بساحتها يوم 27 يوليو 1909 مع عدد كبير من الضباط. عاش الفقير المجاهد محمد باقي حياته في ظل التوسع الإسباني بقلعية واحتلال قبيلته بعد استشهاد الشريف محمد أمزيان وترسيخ نظام الحماية إلى وفاته في جمادى الثانية ـ رجب عام 1347 / ديسمبر 1928.

حمو بن محمد الشكري، *تقاييد*، محمد بن حمو بن يحيى البنيحياتي : *مذكرات مرقونة*، *معلمة المغرب*، *مذكرات المغرب*.

Ambassade de la République Française en Espagne, *Consulat de France a Malaga*, 20 Juillet 1909 ; Gonzalo Calvo, *España en Marruecos, Cronica de las del Rif de 1911, 1912, 1913*, p.14 ; Enrique Lopez Alarcon, *Melilla, 1909 : Diario de la Guerra, Cronica de un testigo* ; Legation de la Republique Française au Maroc, Direction des Affaires Politiques et Commerciales ; Gonzalo Calvo, *Espana en Marruecos, Cronica de las Campaños des Rif*.

حسن الفگيگي

الشَّكْوَة وعاء من جلد الماعز والغنم، يبقى الجلد على هيئته الأصلية بعد دبغه بلحاء الشجر وقشور الرّمان والشبّ والملح، بعد مرحلة الترقيد، يغسل الجلد جيداً ثم تغلق منافذ الأرجل في حين يحول مكان العنق إلى فم للشكوة منه يصب الحليب الرائب إلى البطن. تربط الشكوة إلى ثلاثة أعمدة مائلة في انتصابها إلى بعضها البعض ومتعاكسة (الْوَاگدْ). تجلس المرأة أمام الشكوة وتشرع في عملية المخض وذلك بدفع الشكوة إلى الأمام ثم إلى الخلف بشكل متتال وسريع. قد تستغل المرأة فترة الاستراحة لتطلع على وضعية تحول الحليب إلى لبن. إذا توفر الدفء لا تتطلب العملية وقتاً طويلاً. أما في حالة انخفاض درجة الحرارة يوضع شيء من النار تحت الشكوة لتعطيها الدفء اللازم. بعد الانتهاء يصفى اللبن ويعزل الزبد.

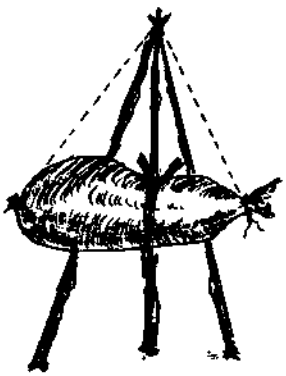

واحتلت الشكوة مكاناً متميزاً ضمن أواني الطبخ في المجموعات الرعوية، لذلك أصبحت رمزاً يعكس جانباً من حياة البداوة والأرياف. نسجت حولها حكايات وأساطير. فتتحول بعد مدة من الاستعمال إلى وسيلة للعلاج. ترقد الشكوة في اللبن خلال ثلاثة أيام تقريباً، ثم تطبخ إلى جانب عدد من الأعشاب المختارة : توابل، زعتر، حلبة، ثوم ... وتركيبة من الأعشاب والبهارات تعرف "برأس الحانوت" فيأكل منها ويشرب من مرقها كل مصاب بالحميات وخصوصاً التيفويد. وتقول بشأنها الأحجية :

حَاجَيْتَكْ عْلَى ثْلَاثَةْ وگُوفْ، والرَّابَعْ مَلْفُوفْ، والخَامَسْ يضْرَب ويْشُوفْ

الأعمدة (التواكد) — الشكوة — المرأة التي تمخض

تحريات ميدانية.

G. Colin, *La vie Marocaine*, Paris 1953 ; V. Loubignac, *Textes Arabes des Zaër*, Paris 1952.

صالح شگاگ

شَلْبدُورْ ويكتب أيضاً صلبدور، أسرة تطوانية ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Salvador وهو الاسم الذي مازالت تحمله بعض الأسر الإسبانية نسبة للمدينة الإسبانية التي تحمل نفس الاسم : وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1443.

محمد ابن عزوز حكيم

الشلح، محمد أيت أومتجار الشهير بلقب "الشلح". ولد في مسفيوة، بناحية مراكش حيث كان والده قائدا على القبيلة. انتقل في شبابه إلى مدينة مراكش، وفيها التحق بدار السي سعيد مقر تعليم طرب الآلة. وهناك تتلمذ على

المعلم عبد السلام الخياطي. وبعد تخرجه عُيّن للتدريس بها إلى جانب زميله في الدراسة الشريف مولاي عبد الله الوزاني.

في عام 1970 انتقل إلى مدينة الرباط، وبها اشتغل معلماً للطرب الأندلسي والعزف على الكمنجة من صنف آلطو بمعهد مولاي رشيد إلى حدود سنة 1978.

وقد تخرج على يده خلال هذه السنوات ثلة من خيرة حفاظ الآلة الأندلسية، كان في طليعتهم طلبة الأفواج الأولى من حملة الجائزة الأولى في الموسيقى الأندلسية. وللتاريخ نذكر أن الفوج الأول (دورة يونيو 1974) كان يضم محمد اطراشن، وعبد السلام الوزاني نجل المرحوم مولاي عبد الله الوزاني، ومحمد الزاكي، وهم من عازفي العود، ومحمد ابريول، وعبد الفتاح بن موسى وهما من عازفي الكمنجة.

وقد كانت لجنة التحكيم في دورتي يونيو 1974 و1975 مشكلة من : محمد أيت أومتجار الشلح، ومحمد السبيع، ومحمد الجعايدي، وعبد السلام ملين، إضافة إلى الحاج عبد الكريم الرايس الذي استقدم من مدينة فاس.

وقد كان الفنان محمد الشلح ـ إلى جانب اشتغاله بمعهد مولاي رشيد ـ عضواً بجوق الموسيقى الأندلسية لدار الإذاعة الوطنية، وكان من خيرة العازفين على الكمنجة. وقد توفي رحمه الله يوم 26 ماي 1992.

معلومات خاصة : رواية السيد عبد السلام الوزاني أحد تلامذة المترجم.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الشلحة ← تشلحيت

شلاّل، أسرة ريفية منتمية إلى قبيلة قلعية وإلى خمس بني بويفرور، ومدشر إعلاطن أو آيت علا، ونرجح إرجاع أصلها إلى أيت علا بني توزين من الريف الشرقي. وقد سبق تقديم تراجم أفراد الأسرة الشلالية القلعية تحت مدخل البويفروري، ذكرنا منهم حميدة بنشلال وابنه محمد بن حميدة ابن شلال. أما الفرع المستقر بمدينة تطوان فأول من نعرف من أعضائه هو :

شلاّل، عبد السلام أقدم من نعرف من الأسرة الشلالية، تاجر كان في جمادى الثانية 1257 / يوليو 1841 بجبل طارق. وذكرت الوثائق عنه دون تفصيل أنه تدخل فيما لا يعنيه من الدخول في الفضول والغض من المسلمين وتعظيم جانب النصارى والركون إليهم. غير أنه لم يلبث أن عاد إلى الصواب والجادة نتيجة تهديد باشا طنجة آنذاك بوسلهام بن علي أزطوط.

شلاّل، محمد اكتفت الوثائق بذكر الكنية والاسم فقط، ربما كان من ذرية سابقه عبد السلام شلال. كان أمين العسكر بتطوان تم تعيينه من طرف السلطان المولى عبد العزيز بتاريخ 20 صفر 1321 / 18 مايو 1903، بدل المعزول الحاج علال بناني، بعد أن أدى اليمين على الاستقامة وعدم التصرف في مال المخزن.

تم تعيين محمد شلال أمينا في ظرف دقيق تمثل في مناسبة الاستعدادات الجارية لإرسال المحلة المخزنية على ظهر السفينة "التركي" إلى قبيلة قلعية لمحاربة الظاهر بها الثائر بوحمارة الذي امتد نفوذه إلى القبيلة في مستهل ربيع تلك السنة. وكان الأمين مكلفا بتقديم المؤونة للجيش بحصر قائمة العسكر وما بها من مراتبهم. وبتاريخ 14 ربيع الأول 1321 أمر بدفع المؤونة للباشا البشير بن السناح قائد إدالة قلعية وإلى مولاي عرفة ومحمد الأمراني المكلفين بنفس المهمة. وقد حل مولاي عرفة بتطوان بعسكره يوم 18 ربيع النبوي 1321 / 14 يونيو 1903. ومنذ هذا التاريخ اختفى عنا اسم محمد شلال ولم نقف على عقبه من أثر بتطوان وطنجة، في حين برزت الأسرة الشلالية القلعية.

وثائق خ. ح : كناش 1، 1319 ـ 1323 ؛ معلمة المغرب ؛ ظهير بتنظيم اللجان القروية للفرق والجماعات، تطوان، 1952.

حسن الفكيكي

ابن **شلاّل، حميدة** بن العربي قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلة بني بويفرور. انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف سيدي امحمد أمزيان ضد التدخل العسكري الإسباني بناحية الناظور وشارك في عدة معارك منها المعركة التي استشهد فيها الشريف أمزيان بعزيب علال وقدور يوم 28 جمادى الأولى 1330 (15 ماي 1912).

أعمال ندوة الشريف امزيان والمقاومة المسلحة في الشمال الشرقي (1909 ـ 1912) تطاون 1996.

محمد ابن عزوز حكيم

الشلاّلات بالمغرب تشكل الشلالات مناطق انقطاع الانحدار في المقاطع الطولية للأنهار وفي السفوح، وتتطور بصفة عامة فوق الصخور الكاربوناتية والبركانية المتميزة بمقاومة كبيرة إزاء عوامل التعرية، وعادة ما توافق نقط تشكيل الرصاصة (مواد كاربوناتية ثانوية ناتجة عن تساقط الكلس)، خاصة إذا كان حوض التغذية يتكون من صخور كاربوناتية وهي وضعية تتميز بها أغلب الشلالات المغربية. ولهذا سنركز في تعريفنا هذا على هذا النوع من الشلالات ومن أهمها :

ـ شلال إفران الزاوية : يوجد بهضبة الحمام بالأطلس المتوسط بين عين اللوح وامريرت ويبعد عن هذه الأخيرة بـ 28 كلم في اتجاه أزرو (12 كلم معبدة وتدخل ضمن الطريق الرئيسية رقم 24 و16 كلم غير معبدة في اتجاه مركز إفران

الزاوية). يتخذ شكلا شبه دائري، يصل مداه إلى حوالي 160م ويشرف على مركز إفران الزاوية. تلعب مياه عين ثيسدلث (360 ل / ث) دوراً أساسياً في تشكيل ونمو هذا الشلال الرصاصي ويتميز من جهة، بوجود غطاء نباتي مائي كثيف يكسو السفوح ومن جهة ثانية، بسيلان مهم يسقط من الأعلى على شكل زراديب تمنحه جمالية عالية. ويعتبر شلال إفران الزاوية نموذجا حيا لتشكيل الرصاصة الحالية.

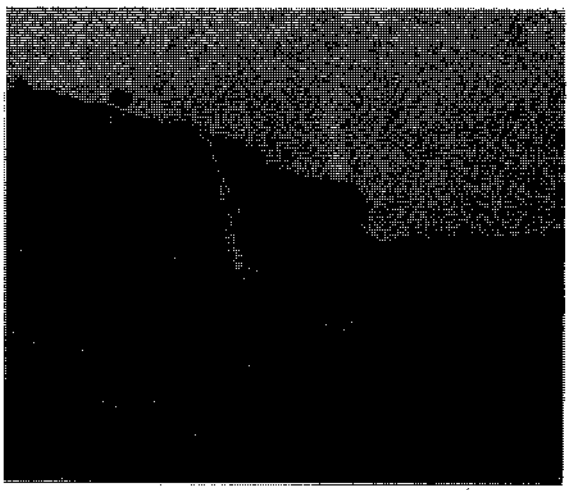

ـ شلال مدينة صفرو : يوجد بهضبة صفرو بالأطلس المتوسط ويبعد عن مدينة فاس بـ 30 كلم في اتجاه الجنوب (الطريق الرئيسية رقم 20)، ويقع غرب مدينة صفرو وهو عبارة عن انقطاع في الانحدار على واد أكاي (850 ل/ث) الذي يشكل مع واد ليهودي الذي يعتبر امتداداً له نحو الشمال الشرقي أحد روافد نهر سبو.

يتشكل الشلال أساساً من رصاصة ذات أجيال مختلفة تنتمي للزمن الرابع، وعكس شلال إفران الزاوية فإن شلال صفرو يتميز بتراجع كبير في نمو رصاصته نظراً للتدخل البشري الذي يظهر أساساً على مستوى تحويل المياه وعلى مستوى تدهور الغطاء النباتي (ارتفاع نسبة التعكر في المياه).

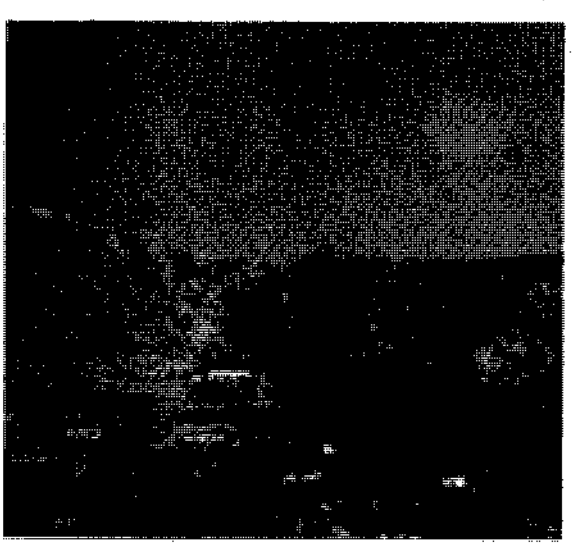

ـ شلال سكورة : يقع بمنخفض سكورة بالأطلس المتوسط الملتوي، يبعد عن مدينة صفرو بـ 60 كلم في اتجاه طريق المنزل. يتخذ شكلا شبه دائري، يكسوه هو الآخر غطاء نباتي مائي يلعب دوراً أساسياً في تشكيل الرصاصة عن طريق تثبيت الكلس. وقد ساهمت عين نشاشوط (تعني ثاثوط بالأمازيغية مادة الصوف) ذات سحنة كيماوية بيكاربوناتية كلسية في نمو رصاصة الشلال وذلك خلال الرباعي الأوسط والحديث، إلا أنه يلاحظ حالياً تراجع كبير في تشكيل الشلال نظراً للتحولات المجالية التي عرفها جبل تيشوكث والمتمثلة في تدهور الغطاء النباتي وتحويل مياه العين للسقي من جهة وفي ضعف التساقطات (ظاهرة الجفاف) من جهة أخرى.

ـ شلال أوزود : يقع بإقليم أزيلال، ويبعد عن مدينة بني ملال بحوالي 140 كلم في اتجاه مدينة أزيلال. ويتشكل هو الآخر من تكونات رصاصية تنتمي إلى مختلف فترات الرباعي، يتميز شلال أوزود بغطاء نباتي مائي مهم ومياه تنحدر بكيفية متفرقة من أعلى الشلال مشكلة بذلك زراديب مائية تغذي بحيرة في قدم الشلال، الشيء الذي يمنح لشلال أوزود جمالية عالية تستقطب كل من يعشق الطبيعة الخلابة.

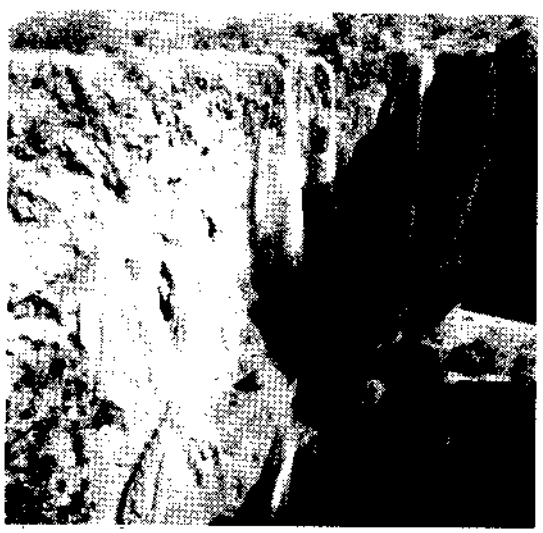

يرتبط تشكيل الشلالات الرصاصية بصفة عامة بمجموعة من العوامل :

ـ فيزيوكيماوية : تتمثل في التركز المهم لثاني أكسيد الكاربون وللمواد المذابة في الماء (حالة إشباع وفوق إشباع). هذا بالإضافة إلى تأثير الأيون المشترك كالكالسيوم الناتج عن تحلل الجبس أو الدلومي.

ـ هيدرجيولوجية : تتمثل في وضعية النظام. ففي حالة الأنظمة غير المتطورة المتميزة بجريان باطني بطيء وبكارست مشبع هناك تغذية دائمة ومنتظمة للعيون، الشيء الذي يسمح بتشبع المياه وبالتالي إمكانية تساقط الكلس.

ـ طبوغرافية : تتجلى في الانقطاع في الانحدار (شلالات) الذي يساعد على تساقط الكلس بفعل فقدان ثاني أكسيد الكاربون.

ـ جيولوجية وجيومرفولوجية : تتمثل في تغيرات المستوى القاعدي الكارستي الناتج عن البنائية أو تغير مستوى البحر، مما يؤدي إلى إعادة هيكلة بنية الجريان.

ـ إحيائية : تتمثل في دور النباتات المائية والبكتيريا في استعمال الغاز الفحمي المذاب في الماء وذلك خلال مدة الإنبات والنشاط البيولوجي الذي يساعد على تثبيت وتساقط الكلس.

إذا كانت هذه العوامل تساعد على تشكيل ونمو الرصاصة فإن هناك عوامل أخرى تؤدي إلى تراجع أو توقف بنائها ومن أهمها :

ـ تغير الحالة الكيماوية للماء الناتج عن انخفاض كمية ثاني أكسيد الكاربون بسبب تدهور النبات والتربة سواء ارتبط ذلك بالمناخ أو بتدخل الإنسان.

ـ تطور الأنظمة الكارستية الذي يؤدي إلى سرعة الجريان الباطني وإلى فترات فيض عنيفة وشح طويل.

ـ ارتفاع نسبة تعكر المياه التي تحول دون تشكيل الرصاصة، وهي ظاهرة مرتبطة أساساً بتدهور الغطاء النباتي والترابي.

ـ هلاك البكتيريا التي تعمل على تثبيت الكلس نتيجة تلوث المياه.

يمكن لهذه الشلالات أن تلعب دوراً أساسياً من الناحية السياحية (السياحة الجبلية)، وذلك بتوفير البنيات التحتية من فنادق ذات طابع تقليدي محلي وطرق ومقاه من جهة، وتشجيع الأهالي عن طريق منح بعض الامتيازات من جهة ثانية (قروض، إعفاء من الضريبة). مع الأخذ بعين الإعتبار التوازنات البيئية لأن الإستغلال المكثف للموارد يؤدي لا محالة إلى الإخلال بهذه الأوساط المتميزة بالهشاشة والضعف.

يحيى الحالقي، *الأنظمة الهيدرلوجية الكارستية للهضاب الجنوبية الغربية للأطلس المتوسط، دراسة هيدرلوجية وهيدركيماوية* (عين اللوح ـ الحمام ـ أجدير ـ أغبال ـ عيون أم الربيع)، بحث لنيل دكتوراه الدولة.

Colloque de l'AGF, *Formation carbonatées externes, tufs et travertins*, 1981, Mémoire AFK, n°3 ; G. Couvreur, *Essai sur l'évolution morphologique du Haut Atlas central calcaire (Maroc)*. Paris, 1981 ; *"Travertins et évolution des paysages holocènes dans le domaine méditerranéen"*, *Méditerranée*, Tome 57, 1-2, 1986 ; Colloque *"Les édifices travertineux et l'histoire de l'environnement dans le midi de la France"*. Trav. 1988, n° XVII, URA. PIREN, Aix-en-Provence ; Actes de séminaire *"L'homme et les carbonates au Maroc"*, *Etudes de Géographie Physique*. Aix-en-Provence, 1988 ; J. Martin, *Le Moyen Atlas central : étude géomorphologie*. Rabat, 1981 ; L. Gourari [et al.], *Hydrochimie, processus, facteurs de précipitation des encroutements travertineux et les causes géo-environnementales du ralentissement de leur formation actuelle dans le bassin karstique de l'Oued Aggai (Causse de Sefrou, Moyen Atlas)*. *Comun. Inst. Géol. E Miniero*, t. 87, 2000.

يحيى الحالقي

الشُّلّي، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Cheli - Xoiélà : ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Selles, Chelli, Xeli؛ وقد انقرضت هذه الأسر بتطوان سنة 1195 / 1781. وكان منهم أحمد الشُّلّي الذي كان يزاول خطة العدالة من سنة 1189 إلى سنة 1195 / 1775 ـ 1780. وعبد القادر الشُّلّي فقيه أديب توفي بتطوان سنة 1355 / 1936. وقاسم بن محمد الشُّلّي كان أسيراً بفرنسا يحمل رقم 440 وقد أطلق سراحه بطلب من السلطان مولاي إسماعيل سنة 1138 / 1726 مقابل فدية مقدارها 500 ليرة.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1444.

محمد ابن عزوز حكيم

الشلي، علي بن الحسن، رفع البعض عمود نسبه إلى القاسم بن إدريس الثاني، والمؤكد في المصادر أنه كان من مشاهير مشايخ الطريقة الشاذلية الجزولية في بلاد الهبط خلال القرن العاشر الهجري السادس عشر للميلاد، تتلمذ على الشيخ يوسف التليدي ولازمه إلى آخر حياته واستخلفه في إمامة الصلوات الخمس، ويعتبره البعض وارث سره. أسس بإيعاز من شيخه زاويته بجبل آل سريف في قرية أبي جديان حيث توجد زاويته وضريحه. وتتجلى شهرة هذا الشيخ حسب شهادة صديقه ابن عسكر في كثرة أتباعه. ويضيف صاحب *ممتع الأسماع* أن الشيخ علي الشلي عاشر مشايخ الأسرة الفاسية بالقصر الكبير، وهم عبد الرحمان المجذوب ويوسف الفاسي وعبد الرحمان الفاسي، أشار إلى أصله الإشبيلي. ويمثل علي الشلي نموذجا لأولياء جبال الهبط الذين مزجوا بين الممارسة الصوفية والمشاركة في الجهاد. توفي حوالي 981 / 1573، ودفن بأبي جديان، وأقيم على قبره ضريح أصبح مزاراً مشهوراً في قبيلة آل سريف. ترك الشيخ علي الشلي زاوية انتظم فيها أتباعه، ما لبثت أن تحولت إلى مركز علمي بارز في بادية القصر الكبير لحفظ القرآن وتلقين علوم الدين. وخلف ذرية كونت أسرة الشليين التي احتل أعيانها مكانة بارزة في آل سريف القصر الكبير.

م. بن عسكر، *دوحة الناشر*، تح. محمد حجي، الرباط، 1977، ص. 86 ؛ المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع*، تح. ع. الحي العمراوي وع. الكريم مراد، فاس، 1989، ص. 133.

محمد عمراني

الشليحْ (ابن ـ) أسرة سلوية ثرية أصلها من قبيلة بني حسن فرقة الصفافعة بطن بني ثور فخذة بني گمرة. كان منهم في القرن الثالث عشر (19م) مسؤولون ماليون وملاكون كبار، منهم : الحاج عبد القادر بن الحاج قاسم ابن الشليح أحد أمناء الخرص بالسهول وحصين وعامر والصفافعة؛ وابنه الحاج عبد الله فقيه ومقرئ (ت. 1330 / 1912) ومحمد ابن الشليح شاعر الملحون الهجّاء المقذع،

كان بناءً وعُمّر طويلا ومات في أوائل القرن الثالث عشر (19 م) ومحمد بن الحاج قاسم ابن الشليح من الفلاحين الكبار، أمين الخرص بقبيلة بني حسن (ت. 1308 / 1891).

ويوجد فريق من آل ابن الشّلِيحْ بفاس، ينطق بهم هناك دون "ال" : ابن شليح، وهم ـ حسب *زهر الآس* ـ بيت قديم بفاس أصلهم شرادیون من قبيلة الشراردة الدليميين. منهم القائد مبارك بن محمد بن شليح وغيره من قواد الجيش أيام سيدي محمد بن عبد الرحمن. لهم أملاك بفاس تعرف باسمهم، ومازالوا حتى الآن بهذه المدينة.

م. بوشعراء، *علاقة المخزن بأحواز سلا*، 28، التعريف، 2 : 58 ؛ *ذيل الإتحاف الوجيز*، 199 ـ 200، ط 2 ؛ *وثائق بنسعيد* ؛ *وثائق*، خ. ص ؛ م. الفاسي، *شعراء الملحون*، مجلة *المناهل*، عدد 23، ص. 13. ع. الكبير الكتاني، *زهر الآس*، الدار البيضاء، 2002، جـ1 : 555-556.

مصطفى بوشعراء

الشليحْ، حماد بن المرابطي مقاوم من مواليد 1898 بأيت ياسين إقليم گلميم، وكان قبل انخراطه في صفوف جيش التحرير يعمل كسابا. ورغم كبر سنه فقد نمت فيه روح الوطنية والغيرة على مقدسات البلاد حيث قرر الانضمام إلى صفوف إخوانه المجاهدين سنة 1957 وشارك في عدة معارك منها : برغيت، تلوين ومعركة أوريال التي استشهد فيها سنة 1957، دفاعا عن استقلال البلاد وحريتها واستكمال وحدتها.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 503535.

ابن **الشليحْ، الطيب** (الحاج ـ) بن عبد الله السلوي، كان أبوه وعمه من أغنياء سلا وكبار رجال المخزن المكلفين بالشؤون المالية في عهد السلطانيين سيدي محمد بن عبد الله والحسن الأول، يتوليان قضايا الخرص وجمع أموال الدولة من قبائل بني حسن وآلت هذه الثروة إلى المترجم فلم يرعها حق رعايتها.

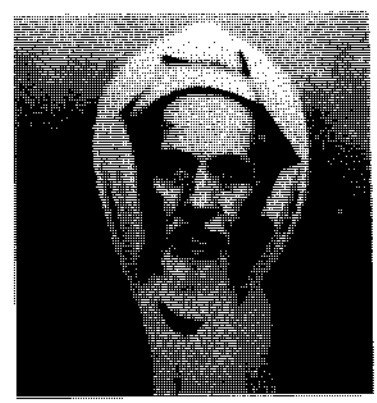

درس بمسقط رأسه سلا على كبار علماء المدينة، كأحمد ابن خالد الناصري وعبد الله ابن خضراء وأحمد الجريري، ثم رحل إلى فاس فأخذ كذلك على شيوخها. وكان تخصصه في اللغة وقواعدها، يدرّس بالجامع الأعظم *ألفية ابن مالك* ولاميتي *الأفعال* و*ابن المجراد السلوي* وما إلى ذلك. وكان معظم كتب خزانته مخطوطة أو مطبوعة على الحجر، لا يقتني بله يعتمد المطبوعات الحديثة لأنها في نظره غير مصححة. كما كانت له مشاركة في علم الفلك والتوقيت، يحضر ـ على كبر سنه ـ دروس صهره الباشا الحاج محمد الصبيحي بمنزله في هذا الفن. وكان تجاني الطريقة لا يكاد يتخلف عن الزاوية التجانية القريبة من دار سكناه خاصة ليلة المولد النبوي الشريف، كما أسندت إليه خطبة الجمعة بجامع الشهباء في آخر عمره.

كانت دروس الشيخ ابن الشليح ـ على إفادتها ـ مزعجة لكثرة صياحه وضربه على الأرض بيده أثناء التقرير، كما كان عبوسه الدائم يوحي بانقباض وضيق عطن، لكنه منشرح بشوش في المجالس الخاصة التي حضرتها معه بمنزل شيخنا الحاج محمد الصبيحي.

توفي بسلا سنة 1368 / 48 ـ 1949.

ع. الله الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر*، الرباط، 1971، ج 2 : 315 ؛ ع. الرحمن حجي، كلمة تقديم *شرح بحرق الكبير للامية الأفعال*، سلا، 1939. *معرفة شخصية*.

محمد حجي

شليش والشليشي أسرتان تطوانيتان أصلهما من الأندلس حيث مكث بعض أفرادهما بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Xerez؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Jerez نسبة إلى مدينة شريش Jerez de la Frontera وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1200 (1786). ومنهم العربي بن أحمد شليش، الذي كان يزاول خطة العدالة بتطوان سنة 1199 (1785).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1445.

محمد ابن عزوز حكيم

شماعو، أسرة سلوية عريقة، أصلها من الأندلس من منطقة الغرب Algarve جنوب البرتغال ومازال اسم هذه الأسرة حتى اليوم يُكتب بالحروف اللاتينية Simao ويقال إن كريستوف كولومبس مكتشف أمريكا برتغالي من هذه المنطقة ـ وليس كطلانيا ولا إيطاليا ـ واسمه الحقيقي Simao Palha كان صديقاً حميماً للملك البرتغالي جان الثاني الذي أوفده إلى إزابيلا الكاثوليكية متنكراً لتتبنى سفره بحثاً عن طريق بحرية إلى الهند.

وتختلف كلمة "شماعو" في الوثائق القديمة، تزاد الهمزة في أولها تارة وتحذف، ويضاف حرفا المد في وسطها وآخرها ويحذفان. كانت مساكنهم بسلا قريبة من الجامع الأعظم في العقبات المحيطة به كالعقبة القبلية المعروفة اليوم بعقبة

المدرسة، وكان منهم أئمة وطلبة وتجار ومجاهدون، أمثال أحمد شماعو القائم بمسجد الحجامين سنة 1278 / 1862. والحاج محمد شمعو والمكي بن الحاج أحمد اشمعو من المجاهدين الذين نالوا صلة الحسن الأول سنة 1292 / 1875، والحاج عبد القادر بن عمر شماعو أحد التجار الذين أعذر إليهم بالإشهاد العدلي سنة 1318 / 1900 لبلأ يداينوا الولاة من عمال وأشياخ ومن في معناهم ممن يتصرفون في أموال الدولة، والأخوين بوبكر ومحمد اشماعُ من الطلبة السلويين السبعة المشاركين في البعثة التعليمية التي أرسلها الحسن الأول إلى أوربا سنة 1302 / 1885، واستوصى بهم خيراً النائب السلطاني بطنجة الحاج محمد الطريس.

أ. القادري، *مع هؤلاء*، *أبحاث ومذكرات*، الرباط، 2001، ص. 111 ـ 117 ؛ م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد السلاويين*، الرباط، 1991، ج 2 : 52 و150 ـ 151 ـ 185 و258.

شماعو، محمد بن أبي بكر ولد بسلا سنة 1325 / 1907 وبها نشأ وتعلّم، وكان كسائر أقرانه الشبان السلويين شغوفاً بقراءة الصحف والاصدارات المشرقية الحديثة، مشاركاً في الحركة الوطنية منذ نشأتها متطوعاً في التعليم الحر بالزاوية القادرية، وتحمس في حركة اللطيف ضد الظهير البربري سنة 1930، فنفي لذلك إلى المغرب الشرقي أزيد من عامين. وكان متطلعاً إلى الالتحاق بالحركة الوطنية المتمركزة بمدينة فاس بتنظيماتها السرية. فقد جاء في تصريح متأخر للمترجم إلى جريدة التجدي الأسبوعية "كان العلاليون ـ هكذا كان يدعو الاستقلاليين بعد أن خاصمهم ـ وعدوني بأن يكون اسمي في قائمة الكتلة، كتلة العمل الوطني لأصبح في طليعة الوطنيين، ولكن القوم خدعوني واستبدلوا اسمي بالسيد أبي بكر القادري ـ يريد استبدلوا باسمي اسم القادري.

أصدر محمد شماعو جريدة *الوداد* بسلا كرابع جريدة وطنية سمحت الإقامة العامة بصدورها سنة 1937 مع جريدة *الأطلس* لمحمد اليزيدي بالرباط وجريدة المغرب لسعيد حجي بسلا، وجريدة عمل الشعب ـ بالفرنسية ـ لمحمد حسن الوزاني بفاس. وصدر أول عدد من جريدة *الوداد* بتاريخ 24 جوان 1937.

كتب محمد شماعو *مذكرات* بشكل يوميات يسجل كل يوم أسماء من لقيهم وملخص ما أجرى معهم من أحاديث وانطباعاته حولهم. وكان الشيخ محمد المختار السوسي يشفق مما قد يكون شماعو كتبه عنه في مذكراته.

سلك شماعو، بعد انفصاله عن الحركة الوطنية في الأربعينيات مسلكاً جلب إليه كثيراً من الانتقادات والاتهامات، فاضطر إلى ملازمة بيته بحي القساطلة مدة طويلة، تصوف بعدها وانخرط في سلك الطريقة البودشيشية فأصبح مريدو هذه الطريقة يثنون عليه خيراً.

توفي بسلا في فاتح رمضان عام 1417 / 9 يناير 1997.

م. شماعو نفسه، *جريدة الوداد*، سلا ؛ أ. معنينو، *ذكريات ومذكرات*، طنجة، د. ت. ج 10 ؛ ب. القادري، *مذكراتي في الحركة الوطنية*، الدار البيضاء، 1998، ج 1 : 119 ـ 120.

محمد حجي

الشمْرة، رقصة يكون المشاركون فيها مشمرين عن سواعدهم، وهي عبارة عن حلقة غناء ورقص في آن واحد، وهذا اللون نجده في مناطق وادي نون وما جاوره. والملاحظ أن هذا النوع خاص بالشباب حيث يجلس الذكور على شكل دائرة ويضرب أحدهم بالقضيبين على الگدرة بينما تتوسط الدائرة بنت بكر تقوم بالرقص وتكون هذه مناسبة بالنسبة للراقصة لإظهار مفاتنها.

تنطلق هذه الحفلة مباشرة مع الغروب لتنتهي قبل منتصف الليل. وتكون مضامين المقاطع التي ترد في الشمرة تدور حول موضوع الغزل، وهكذا ينطلق المغنون في ترديد المقاطيع رفقة إيقاع بطيء ما يزال يرتفع تدريجيا حتى يصل القمة التي تعني النهاية.

تحريات ميدانية.

علال رگوگ

شَمُرّة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Chamorro وXamorra ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1088 / 1677.

محمد ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1470.

محمد ابن عزوز حكيم

شمسي، أحمد، من رياس سلا العاملين في أسطول مولاي إسماعيل منذ ثمانينيات القرن السابع عشر، وقد تميز بسقوطه أسيرا في يد إحدى سفن سان مالو الفرنسية سنة 1691، وعمره ثلاثون سنة، ومكث في طواقم التجذيف على متن القادس الملكي (La Victoire) إلى حدود صيف 1709، حيث سمح لسويس الرابع عشر بإطلاق سراحه طبقا لالتزامات الرهبان المحررين لدى مولاي إسماعيل. وقد وصل

شمسي إلى سلا على متن السفينة (le St. Pierre) في السنة الموالية.

S.I.H.M. 2e - S - France - T. VI. p.62-63 note.

حسن أميلي

ابن **شمسي، العربي** بن فضول المكناسي. اشتهر باسم أبيه فضول. فقيه أستاذ مقرئ متقن مجدد، شيخ جماعة القراء بحاضرة مكناس، وصفه القاضي أبو العباس ابن سودة في شهادة وقعها شيوخ المدينة المبرزون بأنه : "من أهل الفضل... شيخ جماعة الأسانيد وقتئذ بهذه الحضرة المكناسية"، كما كان يتحلى بسجايا عالية ومروءة كاملة، وفضائل رفيعة، ودين متين، ووجه بشوش.

أخذ عن والده الحاج فضول وجده من قبل أمه الحاج محمد السقاط، وسيدي إبراهيم اليزيد وهو عمدته.

تصدر للتعليم وإقراء القراءات السبع بإتقان ومهارة، وواظب على ذلك بجد واجتهاد مدة تزيد عن الخمسين سنة، فتخرج على يده عدد كبير من حملة القرآن وحفاظ المتون السبع حتى كاد، على حد تعبير ابن زيدان (*الإتحاف*، 5 : 44) "لا يوجد في زمنه من القراء إلا من أخذ عنه أو عن تلاميذه" ومن بينهم على سبيل المثال لا الحصر : محمد بن العياشي القبري، والعباس السقاط، والعلامة التهامي بن عبد القادر الحداد، وأحمد بن الطيب الفيلالي، ومحمد بن أحمد الحميدي...

وكان العربي ابن شمسي يحب الخلوة والعزلة عن الناس يقضي جل يومه في مكتب تعليمه بحومة التوتة المحمول على سقايتها، مرتباً أوقاته ومقسماً لها لإفادة الطلاب على اختلاف طبقاتهم، يشتغل من شروق الشمس إلى الزوال بتعليم الصبيان، وبعد أداء صلاة الظهر يفد إليه قراء السبع فيشتغل معهم إلى العصر، ثم يقبل على التلاوة مع المتعلمين إلى الغروب. وظل كذلك إلى أن وافته المنية في 2 ذي القعدة عام 1322 / 8 يناير 1905.

ابن زيدان، *الإتحاف*، 5، ص. 440 ؛ م. العرائشي، *الثقافة بمكناس*، *أعمال ندوة الحاضرة الإسماعيلية*، 1988، ص. 308.

ابن **شمسي، عمر** بن محمد، من أسرة مكناسية عريقة، ولد بمدينة مكناس في 6 يونيو عام 1917 ونشأ في كنف أسرة عالمة، فتلقى تعليمه الأولى في كتاب ابن عمه الفقيه المقرئ عبد الهادي بنشمسي، والتحق بعد ذلك بالمدرسة المختلطة حيث حصل على شهادة الدروس الابتدائية، تابع بعدها دراسته بثانوية بوميرو Poyemireau ثم بمعهد الدروس العليا.

انضم بنشمسي إلى الحركة الوطنية في سن مبكرة مما يدل على أنه كان يتسم بوعي سياسي وحماس وطني. وشارك بفعالية في العمل الوطني بمدينة مكناس فكان ضمن الشباب الذين ساهموا في تنظيم وتأطير أحداث انتفاضة بوفكران بداية شتنبر 1937. وقام صحبة عدد من أقرانه بتأسيس فرع الكشفية الحسنية بمكناس في بداية الأربعينيات 1941 واتخذوا منها ملاذا آمنا للعمل السياسي بمواجهة القمع الفرنسي المسلط على الوطنيين عامة وعلى الشباب الواعي المؤمن بالتحرر خاصة كما ساهم بشكل بارز في تأسيس جمعية قدماء تلاميذ مكناس سنة 1943 التي تولى رئاستها فيما بعد. وتابع نضاله صحبة رفاقه سواء داخل الجمعية السابقة الذكر أو داخل صفوف حزب الاستقلال. ولم يتردد

في 11 يناير 1944 في التوقيع على عريضة المطالبة بالاستقلال، باعتباره واحدا من الشباب الممثل للهيأة الثقافية الوطنية التي كانت تنضوي تحت اسم جمعية قدماء التلاميذ. وبذلك تكون هذه الجمعية ـ وغيرها بباقي مدن المغرب ـ قد أعلنت صراحة عن مواقفها الوطنية المؤيدة لمطلب الاستقلال بعد أن كانت السلطات الفرنسية تعتقد خطأ أن أعضاءها يساندون سياستها اعتباراً من كونهم ولدوا من رحم المدارس الفرنسية التي أرادها المستعمر أن تكون في خدمته، فإذا بها تنضم إلى الصف الوطني وكان في مقدمة هؤلاء عمر بنشمسي. ونتيجة لذلك تعرض لعدة مضايقات من قبل السلطات الفرنسية التي أعفته من مهمته على رأس جمعية قدماء التلاميذ في 29 ماي 1947، لم يؤثر ذلك على نشاطه السياسي أو يفت في حماسه ووطنيته فكان من بين المنظمين لحركة الإضراب بمدينة مكناس تضامنا مع الشعب التونسي على إثر اغتيال الزعيم النقابي فرحات حشاد سنة 1952، وهي حركة عمت المغرب بكامله، فاعتقل من قبل الفرنسيين مع جماعة من المناضلين، ونفيه إلى "آيت هاني" بالرشيدية، ثم نُقل إلى سجن أسول ومن هناك إلى معتقل أغبالو نكردوس الذي ظل به حتى سنة 1955.

وبعد حصول المغرب على استقلاله أسندت لعمر بنشمسي عدة مسؤوليات فكلف بمهمة في وزارة الداخلية، ثم عين عاملاً بالتتابع على كل من إقليم مراكش، وإقليم تافيلالت، وأسفي وفاس، فعاملاً ووالياً على ولاية الرباط وسلا.

وكانت وفاته يوم الأحد 30 رمضان 1422 / 16 دجنبر 2001.

بوشتى بوعسرية، *وطنيو مكناس الموقعون على عريضتي المطالبة بالاستقلال*، دورية جمعية أساتذة التاريخ فرع مكناس، 1990، ص. 57 ـ 111 ؛ المندوبية السامية للمقاومة، *تراجم الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال*، 1996، ص. 116 ؛ *مقابلة* مع المرحوم بنشمسي بتاريخ 24 ـ 4 ـ 1989.

رقية بلمقدم

شمسي، عيسى مقاوم من مواليد مدينة الدار البيضاء سنة 1927 من والده الطاهر بن حمو وأمه الغالية بنت الحسين.

تميزت حياته بالدور الكفاحي الذي لعبه إبان الملحمة الوطنية في سبيل تحرير البلاد وصيانة كرامتها حيث ناضل إلى جانب إخوانه بروح حماسية بدافع الغريزة الوطنية مسجلا أعمالا نضالية في تاريخ المقاومة المغربية من خلال منظمة "السيف الأسود" التي كان ينتمي إليها حيث كان يقوم بجميع ما يعهد به إليه من أعمال فدائية بأمانة وإخلاص.

توفي في 11 فبراير 1996.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 517818.

الشَّمَّاخ، محمد بن **أحمد** العثماني من فخذة الشمّاخة بطن ضريسة من أولاد جلول الخلط، الساكنين بين المحبط وسبو من إقليم القنيطرة ولي قضاء مدينة سلا أواسط القرن الحادي عشر (17 م). وتوفي بسلا عام 1508 ولايزال بمدينة سلا قرب جامع الشهباء درب يحمل اسمه (درب الشماخ).

م بن علي، *الإتحاف الوجيز*، ط 2، ص. 121؛ م. القادي، *نشر المثاني*، 2 : 42 ؛ جعفر الناصري، *تقييد القضاة*، مخطوط.

Villes et tribus du Maroc. Rabat, Tome IV, page 141.

مصطفى بوشعراء

الشماع، أسرة فاسية عريقة، وهم على فرقتين. فرقة من الأنصار كان لهم ذكر قديم وعز ومال بفاس، منهم أحمد بن إبراهيم الأنصاري الشماع (ت. 709/1311) وقد انقرضت، وفرقة إدريسية أصلهم من الأندلس، كانت على ملكهم بلاد بجبل زالغ هي الآن في ملك بني سودة، وقف مؤلف *إزالة الالتباس* على ذكرهم في حوالة فاسية مؤرخة بعام 905/1500، وآخر ما وقف على ذكرهم في رسم مؤرخ بعام 1236/1821.

ع. الكبير الكتاني، *زهر الأس*، الدار البيضاء، 2002، 2 : 407؛ ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، 2 : 2004.

ابن **الشماع، أحمد** بن محمد بن إبراهيم الاوسي المراكشي. وهو غير أبي العباس أحمد بن محمد المعروف بالشماع الهنتاتي التونسي المتوفى سنة 833 / 1430. وصفه تلميذه أبو زكرياء يحيى السراج في *فهرسته* : "بالشيخ الفقيه الخطيب الأستاذ المقرئ النحوي الاصولي". فهو متفنن في علوم شتى عارف بأغوارها كأصول الدين والفقه واللغة العربية، وهو إمام في الفرائض والحساب وله دراية بالمنطق والهندسة والتوقيت فجمع بذلك بين المعقول والمنقول. من أشهر شيوخه الفقيه المحدث ابن جابر الوادي آشي والفقيه أبي القاسم الشريف السبتي والخطيب ابن مرزوق، ولازم العالم المعقولي الكبير محمد الآبلي بسبتة وغيرها، كما أخذ أيضاً عن الشيخ الفقيه أحمد بن الحسن بن عبد الرحمن الحميري، وعن الفقيه المدرس عبد العزيز القيرواني، وعن الشيخ الأستاذ النحوي سليمان بن سعدون وعن الخطيب يحيى بن رشيد وعن الأستاذ المقرئ جابر بن علي بن جابر الأنصاري وعن الشيخ المقرئ محمد بن محمد بن أحمد الطنجي وعن الحاج محمد بن عبد الواحد الرباطي وعن الخطيب محمد بن يوسف اليحصبي اللوشي وعن الحسابي ابن نبيل وعن الإمام ابن البناء العددي. ومن تلامذته الشيخ الفقيه أبو عبد الله ابن حياتي الغافقي وابن الخطيب القسنطيني الشهير بابن قنفذ وأبي زكرياء يحيى السراج وإسماعيل ابن الأحمر وابن مرزوق الحفيد. توفي ابن الشماع بمدينة فاس لكن الذين ترجموا له اختلفوا في تحديد السنة، فالونشريسي في *وفياته* ذكر سنة 789 وابن القاضي في *لقط الفرائد* أشار إلى سنة 779، ونعتقد أن التاريخ الأخير أقرب إلى الحقيقة خاصة وأن تلميذ ابن الشماع وهو يحيى السراج ذكر نفس هذا التاريخ ودعمه بالساعة واليوم والشهر حين جعل وفاة أستاذه ليلة الثلاثاء الثامن لصفر عام 779 / 1377.

يحيى السراج، *فهرسة*، مخطوط، خ. ع. 1242 ك ؛ ابن قنفذ، *أنس الفقير وعز الحقير*، نشر م. الفاسي وأدولف فور، الرباط، 1965، ص. 68؛ مجهول، *بلغة الأمنية*، الرباط، 1984، ص. 35 ؛ أ. باب التنبكتي، *نيل الابتهاج بتطريز الديباج*، بيروت، د. ت، ص. 74 ؛ م. حجي، محقق، *ألف سنة من الوفيات في ثلاثة كتب*، الرباط، 1976، ص. 87 ـ 131 ـ 224 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1998، ط 2، ج 2، ص. 218 ـ 221 ؛ عبد الحي الكتاني، *فهرس الفهارس*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1982، ج 2 : 1089 ؛ ع. السلام ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، الدار البيضاء، ط 2، 1960، ج 2 : 309.

رشيد السلامي

الشماعية، قصبة إسماعيلية وسط قبيلة احمر ببلاد عبدة، ارتبط اسمها بصناعة الشموع التي تعاطى لها السكان. أسسها المولى إسماعيل لتعليم الفروسية والرماية. وفي عهد الحماية أُحدث بها مكتب للشؤون الأهلية بتاريخ 1919. وأسندت رئاسة المكتب للضابط (Trebons). ومنذ فاتح يناير 1923، أصبحت الشماعية مراقبة مدنية تابعة لجهة عبدة يراقب مجالها الإداري عدة قيادات.

وحسب إحصاء 1936، بلغ عدد سكانها حوالي 698 ن، 44 منهم فرنسيون، و5 أروبيون. وبلغ عدد سكان ملحقة الشماعية 83.694 ن. إلا أن هذا العدد تراجع سنتين بعد

ذلك بنسبة : 20.000 ن بسبب تأثير جفاف 1937 ـ 1938 من مجاعة ووباء التيفوس وهجرة نحو الشمال. وبالإضافة إلى النشاط الرعي ـ زراعي، وجدت بها حرف متنوعة ارتبطت أساساً بما تنتجه المنطقة من أصواف. وعرفت أسواق الملحقة رواجا تجاريا مهما، وخاصة سوق خميس زيما وأحد اليوسفية واثنين متوكة وجمعة سيدي شيكر. إلا أن بروز المركز الفوسفاطي باليوسفية منذ 1932، قلّل من أهمية الشماعية.

ومن المقاييس والموازين التي استعملت بالشماعية، نذكر :

الطول	القامة	1,50 متر
المساحة	الخدام	1/8 هكتار
الوزن	العبرة	25 لتر
الزيت	الرطل	14 كلغ

اشتهرت منطقة الشماعية كذلك برصيدها الصوفي. وهذا ما يفسر تعدد الأضرحة والزوايا. ففي سنة 1938، توزع أتباع الزوايا كالتالي :

القادرية	350	الدرقاوية	132
الناصرية	752	الكتانية	440
التجانية	442	البوعزاوية	5

وتوفرت منطقة الشماعية على رصيد بشري، عملت إدارة الحماية على استغلاله في مشاريعها الاستغلالية، في الحرب العالمية الثانية، بحيث جندت ما بين 1939 و 1940 أكثر من 100 عامل و1500 مجند، معظمهم فقد أو أسر. وفي سنة 1940 كان عدد العائلات المسجلة في دفتر التعويضات العسكرية 924 عائلة.

وقدمت منطقة الشماعية إنتاجا حيوانيا وزراعيا لا بأس به. إذ أنتجت المساحات المخصصة لزراعة الحبوب خلال فترة الحماية ما يلي بالقناطير.

	شعير (ق)	قمح صلب (ق)	قمح رطب (ق)
1915	11.771	3.346	-
1923	74.208	18.982	2
1941	75.000	25.279	15.063

واشتهرت المنطقة كذلك بزراعات شجرية متنوعة، احتلت في سنة 1940، مساحات مختلفة :

تين	زيتون	لوز	عنب
26.528	12.132	6.022	4.036

ونظرا للإمكانيات الرعوية المتوفرة بالمنطقة، توفرت ملحقة الشماعية على قطعان مختلفة.

	1920	1929	1940
جمال	4.476	5.589	5.508
خيول	925	1.258	788
بغال	1.753	2.733	2.332
أبقار	27.205	26.512	15.984
أغنام	557.193	275.005	315.973
ماعز	117.992	63.839	119.727

وأصبحت الشماعية مركزاً محدداً بظهير 13 ـ 4 ـ 1974. تمتد على مساحة تفوق 174 كلم2. وأصبحت مركزاً بلدياً ودائرة تراقب مجال أحمر، تابعة لإقليم أسفي جهة دكالة ـ عبدة. وحسب إحصاء 1994، بلغ سكان الشماعية 18.010ن، يقطنون 3099 مسكن. شكل الذكور من هذا العدد : 49.51٪ بينما بلغ عدد السكان النشيطين 54.37٪. نسبة الأمية في صفوف البالغين منهم : 64.47٪. ومن حيث البناء تسيطر الدور المغربية (العصرية أو التقليدية) بحيث تصل نسبتها إلى 73.83٪ من مجموع المساكن. ولا تتعدى نسبة المنازل المكهربة 69.19٪، والمزودة بالماء الصالح للشرب 58,71٪.

موقع "الشماعية" في جهة دكالة ـ عبدة

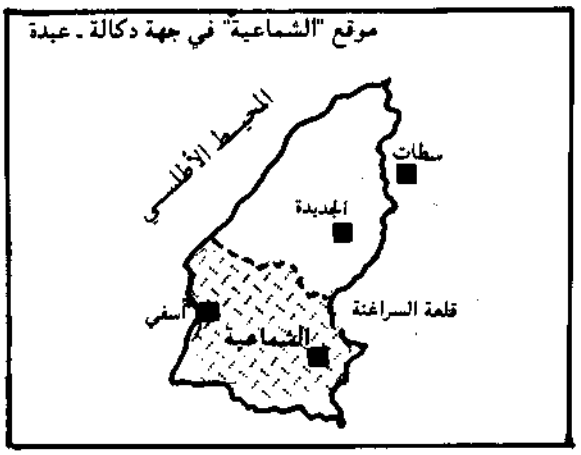

Guide des communes, Direction générale des collectivités locales, Rabat, 1991 ; A. Hardy, *Monographie de l'annexe du controle civil de Chamaïa*, 13 mars 1941 ; J.T. Robert, *Dictionnaire des villes et localités du Maroc*, Rabat, 1936.

صالح شكاگ

الشَّمَنْدَر أو الشَّوْنْدر من أصل فارسي كما يدعى في العراق والشام، أو البنجر من أصل تركي كما يدعى في مصر، أو الصّوطلة من أصل يوناني في بلدان أخرى، كلها

أسماء تستعمل في البلدان العربية لنبات بيطا فولگاريسْ Beta Vulgaris الذي ينتمي إلى فصيلة السرمقيات Chenopodiaceae. وهو نبات بري طبيعي بالمنطقة المتوسطية وجنوب أوربا وغرب آسيا. يشمل النوع عدة ضروب تزرع لعدة أغراض. بعضها يستخرج السكر من جذورها كالشمندر السكري وبعضها يأكلها الإنسان كالباربا والسلق (انظر باربا)، وبعضها تعلفها الماشية، وبعضها مازالت برية. فالزراعة على كر الأيام غلظت ورق السّلق التي تؤكل مطبوخة، وغلظت جذور الشمندر السكري أو العلفي، وهما الضربان اللذان سنتطرق لهما هنا.

أشرنا سابقاً في مادة "باربا" إلى أن الشمندر أو البنجر نبات عشبي ثنائي الحول، يكون في عامه الأول مجموعة كبيرة من الأوراق العريضة تمكنه بفضل التمثيل الضوئي من تركيب الاحتياطات السكرية التي تخزن في الجذر الوتدي اللحمي، لاستعمالها في العام الثاني لتحويل البراعم المتوجة للجذر إلى ساق أو عدة سيقان تحمل في أعلاها أزهاراً ثم ثماراً. بينما يتخشب الجذر ويتصلب بعد فقدانه لمحتوياته السكرية.

فبعد إنْبات البذور تتكون الأوراق العريضة مجتمعة على شكل حلزوني في قمة الجذر. تكون الأوراق معنقة وذات نصل يظهر عروقاً بارزة. ومع النمو بواسطة التمثيل الضوئي يتضخم الجذر الوتدي فيصبح في بداية صيفه الأول عبارة عن لفت كبير مخروطي الشكل يستخدمه النبات لتخزين السكريات. وإذا لم يقتلع النبات في بداية صيفه الأول عندما يصل الجذر إلى أقصى حجمه، فإن برودة فصل الشتاء تحدث تحولا جذريا بسبب ظاهرة الاسترباع Vernalisation التي بفضلها ينتهيأ النبات لتكوين السيقان وللإزهار وللإثمار في فصل الربيع من السنة الثانية. فيهيج النبات بأزهاره ويعطي البذور وذلك بفضل استغلال المخزونات السكرية للجذر، لأن أوراق السيقان الجديدة تكاد تنعدم أو تكون صغيرة جداً. تظهر الأزهار مُجتمعة على شكل باقات في أطراف السيقان، بدون بتلات، وذات خمس سبلات وخمس أسدية. عند نضج الثمار تكون البذور مُجمّعة على شكل كبيبات ناتجة عن التحام الثمار بعد عملية تخصيب الأزهار.

من حيث الحرارة يتطلب الشمندر 5° عند عملية الإنبات، وما بين 25 و28° لنموه الطبيعي. لكن ارتفاع الحرارة يزيد من عملية التنفس على حساب التمثيل الضوئي وبالتالي انخفاض محسوس في إنتاج المواد الجافة والسكرية.

من حيث الإضاءة يعتبر الشمندر من نباتات النهار الطويل أي أن فترة الإضاءة اليومية تعمل على مسارعة برْعَمة النبات وإزهاره وإثماره.

مساحات وإنتاج الشمندر السكري بالمغرب

المنطقة	المساحة المزروعة (هكتار)		الإنتاج السنوي (طن)		المردود في الهكتار (طن)	
	معدل 1995.99 النسبة المائوية	سنة 2000.99	معدل 1995.99 النسبة المائوية	سنة 2000.99	معدل 1995.99	سنة 2000.99
الغرب	16578 26,4	13679	433738 15,9	646154	35,1	49,4
دكالة	18243 29,0	17312	1033699 37,9	1002249	59,2	57,9
تادلة	17263 27,5	15201	903036 33,0	771689	52,7	51,8
اللكوس	6246 10,0	4430	119520 4,4	265685	29,6	62,1
ملوية السفلى	4475 7,1	3348	239996 8,8	137952	53,0	41,2
المجموع	62804 100	53970	2729988 100	2823729	49,1	53,4

يحتاج الشمندر لنموه كميات هامة من الماء. مع تزايد كمية الماء تزداد إنتاجية جذر الشمندر لكن محتواه السكري يتناقص. ولهذا ينصح بالكف عن الري لعدة أيام قبل اقتلاع الشمندر.

أدخل ضرب الشمندر السكري إلى المغرب سنة 1960 مع أن الضروب البرية طبيعية بهذا البلد. ولم تتوسع زراعته إلا ابتداء من سنة 1962، وكان ذلك لهدف إنتاج حاجيات البلاد من السكر الذي كان ينتج بكميات كبيرة في مناطق عديدة من المغرب كسوس وشيشاوة، إبان دولة السعديين (انظر قصب السكر). وهكذا عرفت المساحة المزروعة بالشمندر السكري تزايداً هاماً حيث كانت تقدر بحوالي 7000 هكتار سنة 1964 فأصبحت سنة 1997 حوالي 70 000 هكتار، وتحول الانتاج السنوي في الهكتار من 20 طن سنة 1963، وهي سنة بداية التصنيع الوطني للسكر، إلى 53 طن في سنة 2000. وتم ذلك بفضل نتائج البحث في هذا الميدان لهدف سد حاجيات المغرب من مادة السكر.

كما تناقصت زراعة الشمندر في البور لفائدة الزراعة المسقية. ففي بداية الستينيات كان قسط الزراعة البورية من الشمندر السكري يساوي حوالي 77٪ فأصبح حالياً 18٪. ويقتصر البور على جزء من سهل الغرب وجزء آخر من منطقة اللكوس حيث تكون التساقطات المطرية كافية لهذه الزراعة.

يزرع الشمندر السكري في المغرب (انظر الجدول) في سهول الغرب ودكالة وتادلة واللكوس وملوية السفلى. وأهمها حالياً هي دكالة التي تساهم بما يقارب 38٪، وتادلة بحوالي 33٪. ولقد أنشئت في هذه المناطق عدة معامل لتصنيع الشمندر السكري وكذلك قصب السكر لإنتاج السكر ومواد أخرى.

يزرع الشمندر العلفي في عدة مناطق وأهمها تلك المذكورة أعلاه. لكن الكميات المنتجة تبقى ضعيفة بالمقارنة مع الشمندر السكري.

كان الإنتاج الإجمالي السنوي للشمندر السكري في المغرب حوالي 70 000 طن سنة 1963، فتجاوز 283 000 طن سنة 2000.

تقدر كمية الإنتاج الوطني من السكر بحوالي 450 000 طن (معدل سنوي لفترة ما بين 1993 و1997) أي ما يعادل ما بين 50 و55٪ من حاجيات المغرب من هذه المادة التي يستهلك منها سنوياً 889 000 طن. يساهم الشمندر السكري بحوالي 376 000 طن منها أي 80٪ من الإنتاج الوطني. بينما يسد قصب السكر 20٪ الباقية.

وما يلفت النظر هو أن المغاربة يستهلكون سنوياً 30 كلغ لكل فرد في حين لا يتجاوز المعدل العالمي 20 كلغ لكل فرد.

إضافة إلى السكر ينتج الشمندر السكري ما يقارب 156 000 طن من الكُسب المجفف وهو ما يبقى من الثُفل أو الدّبس بعد استخراج المواد السكرية من لفْت النبات، وكذلك حوالي 130 000 طن من الثُفل أو الدّبس أو المُولاس.

وكلتا المادتين تلعبان دوراً هاماً في تغذية الماشية نظراً لمحتواها العالي من الطاقة. يوزع الكُسْب على منتجي الشمندر في إطار إتفاقيات مبرمة معهم. أو يباع لكسابي الماشية. أما الدّبس فجزء منه يصدر والجزء الآخر يستهلك محلياً كمادة علفية أو يستخدم في صناعة الخميرة والكحول.

أبحاث شخصية.

M. Allali, *La betterave à sucre au Maroc* - rapport du Centre Technique des Cultures sucrièresde l'ORMVAG - Kénitra, 2001 ; Ministère de l'Agriculture, du Développement *Rural et des Pêches Maritimes, Plan de restructuration de la filière de betterave à sucre au Maroc.* Rabat, 1998.

محمد علالي وعبد المالك بنعبيد

الشموع (موكب -) بسلا مهرجان شعبي يقام بمدينة سلا مساء يوم الحادي عشر من ربيع الأول من كل سنة احتفاء بذكرى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث يطاف بهياكل من الخشب الملبس بالورق الأبيض المزين بألوان من الشمع على صورة تستحسنها الأنظار، يطلق عليها السلاويون "دور الشمع". يبلغ طول كل هيكل من هذه "الشموع" من ميترين إلى ثلاثة أمتار ونصف، إحداها مفرطحة تحمل اسم "الشهدة". أما الأسرة السلاوية التي اشتهرت بصنع هذه الشموع وزخرفتها فهي أسرة شقرون، وهي من أصل أندلسي ومن أبرز أفرادها في هذه المجال أحمد ولد المعلم شقرون الذي أخذ مبادئ هذه الصناعة عن جده لأمه المكي بلبشير (La procession des cierges, 7). كما عرفت أسرة المريصي - وهي من الأسر المنقرضة من سلا - بالجودة في صنع الشموع. ينطلق العمل بعد عاشوراء ينقل شموع الموسم المنصرم من ضريح سيدي عبد الله بن حسون إلى منزل المعلم المذكور الموجود بحي البليدة، وذلك لاستخلاص المادة الأولية - الشمع - ويستعان بشراء ما ينقص منها خاصة من مدينة فاس. ثم يتم الشروع في عملية صنع

مئات القطع الصغيرة من الشمع وزخرفتها بألوان زاهية. هكذا يستمر العمل زهاء شهرين، تصنع خلالهما ثماني شموع : ست من الحجم الكبير، واثنتان أقل حجماً.

ينطلق موكب الشموع من الدار المشار إليها أعلاه صوب ضريح سيدي أحمد حجي بالسوق الكبير قصد الزيارة، ثم يتم التوجه نحو ضريح سيدي عبد الله بن حسون قرب المسجد الأعظم، مروراً بأزقة المدينة. يرتدي الحاملون لهذه الشموع أفخر ملابسهم ـ لباس رجال المدفعية القدماء ـ وتصحبهم جماعة من الطائفة الحسونية على إيقاع الطبول وبعض الآلات الموسيقية الأخرى. وفي هذا اليوم ـ مساء الحادي عشر من ربيع الأول ـ يحرص السلاويون على أن يلبس أطفالهم الزي التقليدي ابتهاجاً بهذه المناسبة، ويرافقونهم لمعاينة موكب الشموع الذي ينتهي به المطاف بضريح سيدي عبد الله بن حسون حيث تبقى الشموع معلقة بقية السنة. ويتابع الحفل ليلا بسرد الأمداح النبوية على نغمات الآلة الأندلسية ورقص أكبر الشموع وهي مدلاة من السقف إلى حوالي متر من الأرض بواسطة الحملة الذين يتنافسون في إرقاصها في تناغم مع الإيقاعات الموسيقية.

تفيدنا المصادر أن أول من ندب للاحتفال بالمولد النبوي بالمغرب، هو قاضي سبتة أبو العباس أحمد بن القاضي محمد بن أحمد اللخمي ثم العزفي السبتي المتوفى عام 633 / 1236. وغير خفيّ، أن المرينيين أولوا عناية فائقة لهذا الاحتفال. وكان أول من احتفل بالمولد النبوي هو يعقوب بن عبد الحق الذي أحيا ليلة المولد بفاس، واستمع إلى قصائد الشعراء. وفي سنة 621 / 1292 أحدث ابنه يوسف تعميم هذا الاحتفال في جميع جهات المغرب (*الاستقصا*، 3 : 90). أما عن أصل الاحتفال بموكب الشموع بمدينة سلا فيرجع إلى الفترة التي كان فيها أحمد السعدي وأخوه عبد المالك لاجئين لدى العثمانيين لاسترجاع ملك أبيهما محمد الشيخ من يد عمهما عبد الله الغالب. وهناك عاين الأخوان الاحتفال الذي يقام بإسطامبول ليلة المولد النبوي حيث يقام حفل كبير تحمل فيه أشباح من الشمعدانات (الحسكات) من المعدن المفضض والمذهب يطاف بها نهاراً في سائر شوارع المدينة. يتقدم الموكب العلماء، والوزراء، ورجال الدولة، وصبيان الكتاتيب ومعلموهم، والموسيقى تصدح بنغماتها، وينتهي بهم المطاف إلى القصر السلطاني حيث توضع تلك الشموع بأماكن خاصة (*نبذ*، 13). وبعد معركة وادي المخازن 986 / 1578، جلب أحمد المنصور الذهبي المعلمين من فاس ومراكش وسلا ما بين نجارين وشماعين وأوعز إليهم الأنموذج الذي عاينه بعاصمة العثمانيين، فصنعت الأشكال الخشبية السالفة الذكر. وقد أرخى الفشتالي العنان لقلمه ليقدم لنا وصفاً في منتهى الدقة لاحتفال المنصور السعدي بالمولد النبوي، كما أمدنا بصورة واضحة عن هذه الشموع وصانعيها "الذين يبارون النحل في نسج أشكالها لطفاً وإدماجاً" (*مناهل الصفا*، 236). وكان نائب السلطان أحمد المنصور بسلا يحتفل بمولد الرسول صلى الله عليه وسلم وينهج نفس نهج هذا الأخير بمراكش. وكان الشيخ عبد الله بن حسون ـ وهو معاصر للمنصور السعدي ـ يولي عناية فائقة لهذا الاحتفال حيث كان يطعم الطعام، ويحرق من الطيب الشيء الكثير. وبعد وفاته 1013 / 1604، وخوفاً من أن يقع تراخٍ في الاحتفال بالمولد النبوي بسبب الهزات السياسية العنيفة الناتجة عن صراع أبناء المنصور على الحكم، أوقف بعض أصحابه السانية التي يوجد بها اليوم مركز البريد، والمستشفى بباب فاس ـ باب الخميس حالياً ـ على صنع الشموع وإحياء الليلة، كما حبس غيره نصف أحد فنادق سلا على إطعام الفقراء ليلة المولد النبوي، وآخر حبس داراً لأجل ذلك.

هكذا اشتهرت الحاضرة السلاوية بالاعتناء التام بمولد الرسول صلى الله عليه وسلم، وحرص السلاويون كل الحرص على التشبث بالاحتفال بموكب الشموع الذي أفل من الحواضر المغربية الأخرى.

ع. العزيز الفشتالي، *مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا*، تح. ع. الكريم كريم، ص. 235 ـ 252 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 3 : 90 ؛ م. ابن علي الدكالي، *نبذ من تاريخ سلا*، مخطوط خ، ص. 534، ص. 13 ؛ م. المنوني، *المولد النبوي الشريف في المغرب المريني*، دعوة الحق، السنة 12، ع 1 : 1983، ص. 196 ـ 117 ـ 131.

V. Laubignac, *La procession des cierges à Salé*, *Hesp*. 1946.

محمد السعديين

شْمِيدْل (ماكسيميليان ـ) Maxmilien Schmidel

طبيب يهودي من أصل هنغاري كان من سنة 1868 إلى 1885 أول قنصل عام للإمبراطورية النمساوية الهنغارية المعروفة عند الكتاب المغاربة في النيابة السلطانية بطنجة باسم الانبيريال أو اللنبيريال أو نبريال تحريفاً لكلمة Imperial أي الأمبراطوري الواردة مثلاً في عبارة : ministère impérial تلك الدولة التي استمرت قائمة الذات بين المجر والنمسا ومتحدة من 1867 إلى 1918.

ولد ببوبليسيا سنة 1833 واستقر سنة 1858 بتطوان بوصفه طبيباً حتى سنة 1865، وكان يتلقى من سالومون رُوتْشَايْلْدْ أدوية و200 فرنك شهرياً لعلاج اليهود المحليين وفي سنة 1868 رحل إلى طنجة وعين قنصلاً لبلاده بها، لكنه انغمر في مضاربات عقارية فاتخذ خلطاء وسماسرة ومحميين. وبعد عزله سنة 1885 ظل متردداً بين أوربا والمغرب، وفي سنة 1899 استوطن مراكش لمزاولة الطب بها واتخذ له زبناء كثيرين من يهود المدينة.

توفي يوم 16 رجب 1323 / 16 شتنبر 1905 بطنجة وكتب أحمد الطريس إلى أبيه قائلاً : "لارحم الله تلك العظام ! بعد أن كان مريضاً بألم في جنبه.

م. بوشعراء، *الاستبطان*، 2 : 595 ـ 596 ؛ *وثائق مخزنية في مكتبة تطوان*، *وثائق الطريس*.

J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 2 : 471-553

مصطفى بوشعراء

شَمِيس ـ ظَلِيل، مصطلحان جغرافيان يرتبطان بالسلاسل الجبلية، من حيث اتجاه سفحيها الشمالي والجنوبي، ودرجة تأثرهما بالإشعاع الشمسي. إذ يترتب عن عامل التوجيه (التعرض ـ التعريض) ودرجة الإشماس تعارض ملموس بين السفحين على المستوى الإيكولوجي ؛ باعتبار أن السفح الشميس يكون ذا اتجاه جنوبي أو جنوبي شرقي، يعاني من ندرة التساقطات، ويتعرض لضغط وقوة الإشعاع. في مقابل سفح ظليل ذي اتجاه شمالي أو شمالي غربي، يحظى بظروف طبيعية ملائمة، ويتلقى تساقطات مطرية وفيرة (Pierre G., 1970).

إن التأكيد على عنصر التوجيه (التعرض ـ التعريض) ليعد أمراً جوهرياً ؛ ذلك أن الحديث عن شميس وظليل لا يمكن أن يتأتى إلا بالنسبة لسفوح الجبال الموجودة بالمناطق الجافة أو شبه الجافة.. كما هو حال البلدان المنتمية للحوض المتوسطي، المعروف بتقلباته المناخية وهشاشته البيئية... من أجل ذلك، يفقد المصطلحان هذا البعد الإيكولوجي في النطاقات التي تشهد تساقطات غزيرة ومنتظمة، من شأنها أن تعم كلا السفحين وبنفس الكمية على مدار السنة. ومن ثم فإن مفهومي "شميس ـ ظليل" لا يكتسيان أية أهمية في العروض الوسطى المعتدلة بأوربا الغربية مثلاً، كما أنهما لا يعنيان شيئاً بالنسبة للمجالات المدارية الرطبة...

ويمكن ملامسة التعارض القائم بين السفحين الظليل والشميس، بداية من أبسط قمة أولية وأيا كان تصنيفها نقطية كانت أم خطية أم مستوية ؛ وانتهاء بالسلاسل الكبرى كجبال الريف والأطالس بالمغرب، بصفة عامة، والأطلس الكبير منها على وجه الخصوص...، حيث يكتسي المفهومان دلالة بيئية كبرى، إن على مستوى الإيكولوجيا الطبيعية أو البشرية.

1 ـ على المستوى الطبيعي : يمكن مقاربة هذه الدلالة من خلال إبراز التفاعل الذي يبديه كلا السفحين إزاء الظروف الطبيعة :

ـ الظليل : بفعل وقوعه على الواجهة الأطلنتيكية للكتل الجبلية المغربية، فإن السفح الظليل يكون مواجها للرياح الغربية أو الشمالية الغربية المشبعة بالرطوبة، مما يعرضه لأمطار تصاعدية غزيرة مواكبة لارتفاع التضاريس. هذه التهاطلات، غالباً ما يتجاوز معدلها 1000 ملم، سيما في بعض المحطات الأرصادية المنصبة فوق تلك السفوح، كإفران وأزيلال وأوكيمدن... وفضلاً عن ذلك، فإن السفوح الظليلة تعد من أهم المناطق المتلقية لتساقطات ثلجية معتبرة، بداية من ارتفاع 1500 متر فما فوق، حيث تساهم في تغذية الأنهار الكبرى بالمغرب، مثل سبو وأم الربيع وملوية، وحتى الأنهار الصحراوية منها، كزيز ودرعة...

إن هذه العوامل الإيكولوجية الإيجابية التي يحظى بها السفح الظليل، تجعله موئلا لغطاء نباتي متميز، تتدرج مستوياته بنوع من الانتظام من الأسفل إلى الأعلى، وبشكل يوائم التصنيف المتوسطي المتعارف عليه (Quézel 1976 وOzenda 1975). مثال ذلك، في الأطلس الكبير والمتوسط، نجد أن هذا التدرج يبدأ، مع بعض التفاوتات المحلية، بالمستوى النباتي المتوسطي الحار Thermoméditerrannéen، الذي يقع، على وجه التقريب بين 400 و1000 متر بالنسبة للريف ؛ ويصل إلى 1200 متر بالأطلس المتوسط ؛ و1400 متر بالأطلس الكبير و1600 متر بالأطلس الصغير. يمثل هذا المستوى على وجه الخصوص : العرعار المغاربي وصنوبر حلب... إضافة إلى بعض الأصناف المحدودة الانتشار كالخروب وسرو الأطلس... تليها غابات البلوط الأخضر (الحبنية Sclérophylles) والعرعار الأحمر الجبلي، والعرعار الكادي... التي تعكس المستوى النباتي الأوسط Mésoméditerrannéen بين ارتفاعي 1000 و1400 متر بالريف ؛ وبين 1200 ـ 1600 م بالأطلس المتوسط ؛ وبين 1400 ـ 1800 م بالأطلس الكبير وبين 1600 و2000م بالأطلس الصغير. ثم التشكيلات الصرفة للبلوطين الأخضر والزان النفضي، وكذا مزيج البلوط الأخضر والأرز...، التي ترمز للمستوى المتوسطي العلوي Supraméditerranéen، الموجود بين 1600 ـ 2000 متر بالأطلس المتوسط ؛ و1800 ـ 2200 متر بالأطلس الكبير ؛ و2000 ـ 2400 متر بالأطلس الصغير. يعقبه المستوى المتوسطي الجبلي، الذي يبدأ في الريف عند مستوى 1800 متر وينتهي عند 2300 متر ؛ وبين 2000 ـ 2500 متر في الأطلس المتوسط ؛ 2200 ـ 2700 متر بالأطلس الكبير ؛ و2400 ـ 2900 متر بالأطلس الصغير. من ضمن الأصناف الدالة عليه بامتياز نجد غابات الأرز الخالص وشوح المغرب، بالإضافة إلى البلوط الأخضر... وأخيراً يأتي العرعار الفواح الممثل، بامتياز، للمستوى المتوسطي القمي، الذي يتراوح بين 2500 و3200 متر بالأطلسين المتوسط والكبير خاصة.

ـ الشميس : بالنظر إلى عامل التوجيه، الجنوبي أو الجنوبي الشرقي، فإن السفح الشميس، كما يدل على ذلك الاشتقاق اللغوي، يتعرض لأكبر قدر من الإشماس ؛ الشيء الذي يتسبب في هشاشة بيئية واضحة المعالم. يضاعف من حدتها وقوع هذا السفح في ظل المطر، مما يحرمه من الاستفادة من الاضطرابات المحيطية، المسؤولة عن أهم التساقطات التي تشمل المغرب. إذ بعد أن تجتاز هذه الاضطرابات السفح الغربي الظليل، حيث تفرغ حمولتها المطرية، فإنها تصل عقيمة إلى السفح الشميس فاقدة لرطوبتها، فتهب عليه في شكل رياح جافة تعرف برياح الفوهن، الحاملة لمؤشرات القحط والتصحر ... كما يعتبر هبوب رياح الشركي الحارة، من العوامل المفاقمة للجفاف بالسفح الشميس، المؤججة لعنفوانه. هذا الجفاف الذي يصبح، بلا ريب، معطى متوطنا وهيكليا، لا ظاهرة لحظية أو عابرة فحسب.

إن تضافر هذه العوامل مجتمعة، من شأنه أن يؤثر سلبا

على الغطاء النباتي الطبيعي الذي يبدو فقيراً، على وجه الإجمال في السفح الشميس. إذ يقتصر على بعض الفصائل المتكيفة، التي تعكس اختلالاً بيناً في تراتبية المستويات النباتية عموماً. فيهيمن العرعار الفواح على المستوى المتوسطي القممي، أو يستقر في أعلى السفح، عند ارتفاعات غالباً ما تشغلها تشكيلات الأرز في الجهة المقابلة، أي في السفح الظليل. تلي العرعار الفواح باتجاه الأسافل، إما غابات البلوط الأخضر الذي يكون خالصاً وفي أقصى درجات معاناته، تخالطه بعض بقايا العرعار المجنح المتدهور ؛ أو يتم المرور مباشرة إلى التشكيلات السهوبية التي تتألف أساساً من نباتات وسادية أو من الحلفاء والشيح... الممتدة على مساحات شاسعة تتخللها، لماما، بعض الأصناف المقاومة والصامدة. ومنها بطم الأطلس، الذي طاله معول التخريب بصورة مبكرة، ليس في هذا المجال فحسب، بل وعلى مستوى المغرب ككل ؛ مما جعله يدخل ضمن الأنواع الخليفة Espèces reliques، بفعل التدهور الشديد الذي لحق نظامه البيئي طيلة القرن المنصرم.

2 ـ على المستوى البشري : تنشأ عن التعارض القائم بين السفحين الظليل والشميس انعكاسات متعددة ومتنوعة، نجد لها أثراً بينا على الجانب البشري أيضاً ؛ ونمس بالخصوص، عنصري الاستيطان والنشاط لدى الإنسان..

ـ بالنسبة للاستقرار البشري، يبدو أن اعتدال المناخ، ووفرة الموارد الطبيعية التي يتمتع بها أهالي السفح الظليل على مستوى السلاسل الجبلية المغربية، قد مثلت عنصر إغراء وجذب بالنسبة لأهالي السفح الشميس. لذا نجد أن موجات الجفاف التي ترددت بكثرة على السفح الشميس للأطلس المتوسط، مثلاً، وخاصة ملوية العليا..، قد أجبرت "أهل الشمس" من قبائل بني مگيلد.. على النزوح في شكل هجرات متتالية، تكبر أو تصغر حسب حدة الجفاف ووقعه على المنطقة المهجورة، باتجاه السفح الظليل، أي الأطلس المتوسط الهضبي، ليستقروا به وليصبحوا هم أيضاً من "أهل الظل" (Ben Ali 1976) ؛ بل ويمكن الجزم بأنهم أضحوا أهل الديار الحقيقيين في الوقت الراهن. لحقتهم بعد ذلك هجرات أخرى محدودة، شملت على الخصوص بعض القبائل من أيت عطا، الذين عضدوا وجود أسلافهم من بني مگيلد... معززين بذلك التنوع البشري الهائل الذي عم هذا المجال. ولعله من نافلة القول، أن هذا الانتقال من سفح إلى آخر، كان يجري في ظروف تاريخية عسيرة ومعقدة ؛ وأنه لم يكن ليتم من دون صراعات دموية وتطاحنات قبلية، لا شك، أنها شكلت منعطفات أساسية في حياة هذه القبائل، وتحولات عميقة في الصيرورة التاريخية لهذا المجال.

ـ أما فيما يتعلق بالجانب الاقتصادي، فيستشف من أنواع الأنشطة الممارسة على كلا السفحين، والتي يحكمها، بلا منازع، عاملا الوفرة والندرة. فإذا كانت المؤهلات الطبيعية التي يزخر بها السفح الظليل كالمياه والغابات والكلأ... تسمح باتباع نظام رعيي ـ زراعي ـ غابوي مندمج ومتكامل، يمثل النشاط الرعوي فيه الركيزة الأساسية، إضافة إلى القيام بزراعة مسقية محدودة، وإمكانية الاستفادة من الثروة الغابوية الوفيرة، فإن الموارد المحدودة التي يوفرها السفح الشميس، والمتمثلة أساساً في الأحراش والتشكيلات السهوبية، لا تتيح سوى نشاط واحد يتجلى في الرعي المقلال. هذا النظام، الذي هو في ذات الوقت أسلوب للعيش ونمط في الإنتاج، كان وما يزال يمارس على نطاق واسع، مستنداً إلى نظام الدورة الرعوية التي يتنقل فيها القطيع بين المرعى الصيفي في الجبل والمرعى الشتوي في المجالات الوطيئة.

إذا أخذنا هذه المعطيات بنظر الاعتبار، أي التعارض الملحوظ بين السفحين الظليل والشميس في مجموع التراب المغربي، فسنخلص إلى نتيجة واضحة، مفادها أن السفح الظليل يوجد في وضع أنسب. إذ هو بمثابة مصيدة للتيارات الهوائية المطيرة القادمة من المحيط الأطلنتيكي ؛ تهب عليه رخاء فتجعله ينعم بأكبر قدر من الاعتدال والرطوبة، وبالتالي فإنه يتحول، على مستوى الذاكرة الجماعية، إلى رمز للخصب والوفرة والعطاء... على عكس السفح الشميس، الذي تلفحه الشمس بنار شعاعها، وتهب عليه رياح الشرقي بلظى زفيرها، فترتفع حرارته ويشتد جفافه...، ويصير بذلك مؤشراً للجدب، دالا على القحولة، طارداً لأهله...، خاصة في فترات القيظ وموجات الحر والجفاف، التي لا تكاد تبرح السفح إلا لتعود لتعصف به بعد حين.

يبقى أن نشير إلى أن مفهومي ظليل وشميس، اللذين ترتبت عنهما كل هذه التحولات السوسيو ـ مجالية إلى حدود الماضي القريب، قد باتا يحملان مدلولا نسبياً في الوقت الراهن. فهما يظلان مرتبطين بحقبة زمنية خلت، كان الأهالي خلالها مذعنين لحتمية الطبيعة، معتمدين بصفة مطلقة على ما يجود به المكان. أما الآن وقد امتلكوا الآلة والتقنية، فقد صار بمقدورهم التخلص نسبيا من هذه التبعية، وأمسى باستطاعتهم الصمود والتحكم فيها، ولو جزئياً. لذلك لم يعد استصلاح الأراضي البوار مستعصياً، ولا استخراج المياه من الأعماق أو تعبئتها أمراً مستحيلاً... وما فتئنا، في هذا الإطار، نلحظ إنتاج محاصيل ذات قيمة مضافة عالية كالتفاح والإجاص مثلاً... اللذين أصبحت ضيعاتهما تنتشر على نطاق واسع في منطقتي ميسور وميدلت.. الواقعتين على السفح الشميس، كما في أوريكة وأيت أورير وأزرو... الموجودة على السفح الظليل.

لقد انقلبت المعادلة، وأضحى تطوير وتنمية كلا السفحين الظليل والشميس معاً أمراً ممكناً وفي حدود معينة ؛ شريطة أن تحترم سلامة البيئة، وتغدو التنمية هادفة ومستدامة.

إدريس شحو

الشّنْتُوف، مشيش بن علال قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلته بني حُزمر انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني وشارك في كثير من المعارك وأصيب بجروح بالغة في معركة كدية الطاهر يوم 25 يونيو 1920 توفي على إثرها بعد ذلك بأيام.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة*، الرباط، 1981.

الشّنْتُوف، المفضل بن أحمد قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلة أهل سريف. انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني ؛ وقد شارك في عدة معارك حيث كان يقول عنه الجميع إنه كان يحسن الرمي لأن والده كان "شيخ الرما".

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة بشمال المغرب*، الرباط، 1981.

شَنْتِيلْ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعضُ أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا çentina؛ وما زالت بإسبانيا تحمل اسم Centeno وهو نبات يشبه الزرع. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1088 / 1677.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 1450.

شنديرُو، ويكتب أيضا شنديرُ أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل Sendero ومعناه الطريق ؛ وقد هاجرت هذه الأسرة أول مرة إلى قبيلة بني حزمر ومنها انتقلت إلى تطوان حيث انقرضت سنة 1185 (1771).

محمد ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع في الرقم 1451.

محمد ابن عزوز حكيم

شَنْطرْ، أحمد مقاوم هو شنطر أحمد بن الحسين بن محمد بن لحسن المعروف في المقاومة بأحمد لخصاصي عاش من 1915 - 1979 من المشهورين في المقاومة وأعضاء جيش التحرير المغربي رقم بطاقته كمقاوم هو 521431، ينتمي إلى قبيلة أيت علي في الأخصاص بسوس.

كان يتقن الفرنسية، ومما جاء في مذكراته حسب ما سجله عنه ابنه الأستاذ شنطر حسن قوله : "كبرت في لخصاص، وأدركت ما يعانيه السكان أثناء مقاومة القائد المدني الأخصاصي للزحف الفرنسي حتى سنة 1934.

وقبيل الحرب العالمية الثانية هاجرت إلى فرنسا، فشاهدتُ ما يعانيه الشعب الفرنسي من الغزو الألماني. وكنت مع عبد العزيز الماسي الذي انخرط في سلك المقاومة الفرنسية ضد الألمان، كما رأيت التضحيات التي قدمها الجنود المغاربة لتحرير فرنسا.

وحوالي 1950 رجعت إلى المغرب، لكنني وجدتُ فرنسا تعامل المغاربة بنفس القساوة التي كانت تعاملهم بها ألمانيا.

ولذلك كوّنا جماعة فإتصلنا بالسلطان محمد بن يوسف، نستطلع رأيه، فلخّص لنا جوابه هكذا "إنّ فرنسا لا تُريدُ أن تتفقَ معنا على أيّ شيء" قال شنطر : ولذلك كوّنا اللجنة الأولى مع محمد الزرقطوني والجماعة المعروفة من المؤسّسين الأولين.

قال : وكان أول سلاح استعمل هو مسدس لشنطر، لذلك فرّ إلى تطوان حيث تم تأسيس جيش التحرير، وسجّل أطوار ذلك كله إلى أن وقع إدماجه في الجيش الملكي، "من مذكراته بخط ولده الدكتور شنطر حسن مرقونة".

كان أحمد شنطر معروفاً بشجاعته وكرمه، وقد رفض المناصب التي عرضت عليه، ولما توفي في 30 يونيو سنة 1979 اثنت عليه وعلى أعماله الوطنية معظم الجرائد الوطنية، كما أرخ له بعض أصدقائه في كتاباتهم، ومن ذلك:

جريدة *الاتحاد الاشتراكي* على لسان الفقيه البصري فيما بعد ؛ جريدة *أنوال* "*أضواء على ملحمة المقاومة المسلحة المغربية*" عدد 2073 ؛ الثورة الخامسة "*صفحات من تاريخ المقاومة وجيش التحرير*"، ج 1، ص. 281 ؛ ع. الله الصنهاجي، *مذكرات في تاريخ حركة المقاومة وجيش التحرير المغربي* ؛ عبد الكريم الخطيب، *مسار حياة* ؛ مجلة *العلوم الاجتماعية* (أبحاث) الجزء الأول.

M. Zaki, *Résistance et Armée de Libération*.

الحسين جهادي

شنظورة أو شنذورة، علي ولد سنة 1114 / 1703 هو ابن هدي بن أحمد بن دامان. أبوه هدي هو الذي قاد الحرب المعروفة بشريبه ضد ناصر الدين ووضع أسس إمارة الترارزة (جنوب غرب موريتانيا) بعد أن كان أبوه أحمد بن دامان مهّد لها. ويعتبر علي شنظورة هو المؤسس الفعلي لهذه

الإمارة عبر سياسة حكيمة من ناحية تسيير أمور الإمارة على المستوى الداخلي والخارجي. فمنذ البداية عمل على إشراك قبائل الزوايا المنهزمة في شريبه في إدارة شؤون الإمارة عبر تعيين المختار ابن اشفغ موسى قاضياً وعبد الله بن محمد العلوي المعروف بابن رزاكة العلوي مستشاراً. على المستوى الخارجي واجه الأمير في عدة معارك أولاد دايم وأولاد رزك والبراكنة ـ ASSA'DM.M.P.59 وفي إطار هذه المواجهة اضطر علي شنظورة لطلب المساعدة الخارجية واتجه سنة 1720 إلى مولاي إسماعيل رفقة مستشاره العالم ولد رزاكة الذي كانت له علاقة وطيدة بالبلاط العلوي خصوصاً بابن مولاي إسماعيل المولى محمد المعروف بالعالم لاشتهاره بالعلم. فمؤلف *الوسيط* كتب "وكان له [بابن رزاكة] صديق من الترارزة، واسمه أهل شندورة، جد محمد لحبيب الأمير المشهور. وكان يضطهده أبناء رزك، لشوكتهم في ذلك العصر، فأخذه مرة وتوجه به إلى مكناسة الزيتون حرسها الله ولما قدماها ونزلا عند المولى إسماعيل أكرمهما [...] ثم ذكرا السلطان صولة أبناء رزك في أرض القبلة، فأمدهما بمحلة كبيرة وأمَّر عليها أهل شندورة، فسار بها إلى أن وصل أرض القبلة، فأباد أبناء رزك ولم يبق إلا مواليهم من ذلك الوقت" (*الوسيط*، ص. 1 ـ 2). بعض الكتابات لا تعتبر أن علي شنظورة تلقى مساعدة مباشرة من السلطان نفسه بل تمت نجدته من بعض قبائل تكنة. هذا الرأي نجده لدى الأنتروبولوجي الإسباني كارو باروخا الذي يروي عن أحد أعيان ازرقيين أن علي شنظورة طلب المساعدة العسكرية من شيخ ازرقيين مقابل ضريبة (غفر) سبعة جمال وناقة كل سنة وقد ظل أمراء الترارزة يؤدون هذا الغفر إلى حدود سنة 1932 ـ 1933. (Caro Baraja, p.39-40).

لقد استطاع بفضل هذه المحلة أن يهزم خصومه وإبعاد الخطر الذي كان يشكله البراكنة على إمارته. وما أن استتب الأمر لعلي شنظورة حتى تفرغ لتنظيم إمارة الترارزة وربط علاقات تجارية مع القوى الأوربية خصوصاً الفرنسيين والإنكليز. كما أنه قام بشن حملات عسكرية على منطقة والو وفوتو على الضفة الجنوبية من نهر السنغال. ولقد توفي سنة 1339 / 1921-20 (محمد فال بن بابه العلوي، ص. 28) تاركا إمارة قوية ومنظمة.

م. فال بن بابه العلوي، *كتاب التكملة في تاريخ إمارتي البراكنة والترارزة*، تح. أ. ولد الحسن، بيت الحكمة، تونس، 1986.

M. as-Sa'dm, *Emirat et espace émiral maure: Trâza aux XVIIIe XIX siècles*, Revue du Monde et de la Méditerranée, 54, 1989 ; J. Caro Baroja, *Estudios Saharianos*. Madrid, 1995.

رحال بوبريك

شنفور، محمد، مقاوم ولد سنة 1927 بدوار بني مدورة ناحية فاس، انخرط بصفوف الجيش الفرنسي، إلا أن غيرته الوطنية دفعته للفرار والالتحاق بجيش التحرير ببوسكور تحت قيادة حسن المغراوي، ونظراً لخبرته العسكرية عين قائداً للثلاثين، وشارك في عدة هجومات منها هجوم تيزي انتايدة عين مزيزو، وعند رجوع المغفور له محمد الخامس إلى أرض الوطن التحق المرحوم بالجيش الملكي.

توفي يوم 28 جمادى الأولى عام 1416 / 23 أكتوبر 1995 بفاس.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 504289.

شَنْكورة أو شندگورة أو سندكورة أسماء عامية تطلق على نوعي جنس نباتي يسمى علميا أيُوگا Ajuga وينتمي إلى فصيلة الشفويات Lamiaceae أو Labiaceae. والنوعان أيُوگا إيفا Ajuga iva وأيُوگا كامبيتيس Ajuga chamaepytis طبيعيان بالمغرب.

والنوعان معمران لبضع سنوات، وذوا قامة قصيرة منبطحة على الأرض في شكل جُنيّبي متفرع. أوراقهما مستطيلة ضيقة ذات حواف مسننة في بعض الحالات. أزهارهما وردية أو بيضاء أو صفراء.

يتواجد النوعان في المنطقة المتوسطية والجزر المجاورة لها.

يستعمل النوعان في التطبيب التقليدي لعدة أغراض كمعالجة بعض الأمراض مثل داء السكري، وكمادة مضادة لديدان الأمعاء.

J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle, médecine arabe ancienne et savoirs populaires*, Paris, 1977 ; A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc. évaluation et préservation de la biodiversité*, Paris, Rabat, 2000.

زينت بنرحمون

الشنكيطي، أحمد بن الأمين بن محمد الأمين بن عثمان من قبيلة ادا وعلى الشهيرة في بلاد شنقيط، ولد سنة 1280 / 1864، تلقى العلم على يد مجموعة من الشيوخ منهم المختار بن ألما ويحظيه ابن عبد الودود وغيرهما. وكانت ميوله إلى الشعر أكثر من غيره من مجالات الثقافة العربية، تنقل عبر مجموعة من المراكز العلمية وعاش مدة طويلة في المغرب مثل فاس ومراكش والسمارة وغيرها. بعد

آدائه لمناسك الحج وزيارته لتركيا وسوريا بين سنة 1317 / 1319 بالقاهرة سنة 1320. وظل بها إلى أن توفي سنة 1331/ 1913 عن عمر يناهز الخمسين.

اشتهر بالزهد والتقشف وانتقاد البدع خلف عدة مؤلفات أغلبها في اللغة والأدب، منها كتاب *الوسيط في تراجم أدباء شنكيط*، الذي يعتبر من أبرز مؤلفاته، وفيه تبرز قوة حافظته وغيرته الوطنية، فقد ترجم فيه لـ 79 شاعراً من بلاد شنقيط من بداية القرن الحادي عشر الهجري (17 م) إلى النصف الأخير من القرن الثالث عشر (19 م). اعتماداً على الذاكرة، وسبب تأليفه أن بعض النبهاء المصريين" استنكروا عليه في مشاحنة متشنجة أن يتصف بالآداب غير الأقطار المشرقية، فنشر هذا الكتاب سنة 1329 / 1911 في الرد عليه وغيره ممن يعتقدون اعتقاده. وقد ذيله بملحق في التعريف ببلاد شنگيط وتاريخها وثقافتها ويعتبر هذا الكتاب من أقدم وأهم مصادر الشعر العربي في بلاد شنگيط.

أ. بن الأمين الشنقيطي، *الوسيط في تراجم أدباء شنقيط*، بعناية فؤاد سيد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 4 ؛ الخليل النحوي، *بلاد شنقيط المنارة والرباط*، ص. 503 ؛ ع. الله بن محمد سالم بن السيد، *المعارضة في الشعر الموريتاني*، ص. 4، المطبعة المدرسية ؛ *الدرر اللوامع شرح جمع الجوامع* في العلوم العربية في مجلدين، طبع بالقاهرة ؛ سنة، 1320 ؛ *الدرر في متع عمر*، في الرد على محمد محمود بن التلاميذ التركزي، طبع في القاهرة، سنة 1325 ؛ *شرح المعلقات العشر وأخبار قائليها*، طبع فازان، سنة، 1329 ؛ *شرح ديوان طرفة بن العبد، وديوان الشماخ بن ضرار*، طبع فازان، 1327/ 1909 ؛ تصحيح كتاب *الأغاني لأبي الفرج الاصبهاني*، طبعة الساسي، وغيرها.

الشنگيطي، أحمد ابن **الشمس**، من أعلام زاوية الشيخ ماء العينين البارزين وأكثرهم وفاء لمبادئها. ولد سنة 1283 / 1863 بشنقيط. صحب الشيخ ماء العينين نحو ثلاثين سنة، وعندما بلغ مقاماً عالياً في التصوف صدره إلى قبيلته اداو لحاج لنشر الطريقة المعينية، فتتلمذ عليه كثير من أبنائها، بعدها استخلفه على زاويته بفاس، فظل بها يشرف على تربية المريدين وطبع مؤلفات الشيخ ماء العينين إلى أن استباحتها القوات الفرنسية، فهاجر إلى بلاد الحرمين وسكن المدينة المنورة إلى أن أدركته الوفاة.

خلف عدة أعمال أدبية من أبرزها :

- *النفحة الأحمدية في بيان الأوقات المحمدية*، في جزئين، طبع بالمطبعة الجمالية بمصر سنة 1330 / 1912.
- *الأنوار المعينية*، مخطوط، خ. ع تحت رقم د 1866 - 1609.
- أشعار كثيرة في أغراض متنوعة.

توفي سنة 1342 / 1923.

م. الغيث النغمة، *الأبحر المعينية*، ورقة 137، مخطوط خ. ع. ؛ ماء العينين ابن العتيق، *سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان*، مخطوط، ورقة 91، نسخة ؛ ع. الحفيظ الفاسي، *معجم الشيوخ*، ج 1 : 125.

الشنگيطي البيضاوي، محمد بن عبد الله الجكني اللمتوني ولد في بلدة "جوك" بمنطقة تگانت جنوب بلاد شنگيط سنة 1311 / 1892 في بيت علم وصلاح ينتهي نسبه إلى جاكان، جد قبيلة تجكانت حفظ القرآن وتعلم مبادئ اللغة والإعراب والصرف والتاريخ وهو ابن إحدى عشرة سنة على أمه خديجة بنت البيضاوي دفينة المقبرة السهيلية بمراكش وجدته لأمه فاطمة دفينة اسمارة، وأخواله محمد محمود دفين اكردوس وسيدي محمد وسيدي أحمد دفيني البقيع والطالب محمد سهيد اغلان.

هاجر مع أخواله وأبناء عمه إلى اسمارة ونزلوا في جوار الشيخ ماء العينين بعد اشتداد الضغط الفرنسي على الجنوب المغربي، ومنها انتقل إلى مراكش سنة 1326 / 1908، فصار من حاشية السلطان مولاي عبد الحفيظ واستكمل تكوينه في مراكش وفاس على يد مجموعة من الشيوخ، منهم الشيخ محمد الأغظف بن الشيخ أحمد الولاتي وأبناء عمه أولاد مايابا وسيدي أحمد بن الخياط والفقيه المهدي الوزاني وأبو شعيب الدكالي وغيرهم بعد توقيع معاهدة الحماية سافر مع أخواله وأبناء عمه إلى المشرق، فجاور بالأزهر الشريف وأخذ على مجموعة من علماء مصر مثل الشيخ سليم البشري ومحمد أبي الفضل ومحمد بخيت والشيخ الرداد الطرابلسي ومبارك الصعيدي. بعد تنازل السلطان مولاي عبد الحفيظ عن العرش مرَّ بمصر في طريقه إلى الحجاز، فاستصحبه معه ومكث بالمدينة ثلاثة أشهر. ثم استصحبه بعد حجه إلى طنجة، فظل في خدمته إلى أن رحل عبد الحفيظ إلى أوربا، فانتقل الشنگيطي البيضاوي إلى تطوان يعلم ويتعلم الفرنسية إلى أن انتقل إلى بني ملال عن طريق طنجة للكتابة والترجمة، تولى مناصب كثيرة، منها : تحرير جريدة السعادة بالرباط ابتداء من أكتوبر 1920، وعضوية مجلس الاستيناف الشرعي بالرباط والقضاء في قبيلة بني عمير من 1921 إلى سنة 1926، ثم وادي زم من سنة 1926 إلى 1932، وأخيراً ولي باشوية تارودانت من سنة 1932 إلى 1945.

وهو من الشعراء المتميزين والكتاب المرموقين في زمانه، ومن أشهر آثاره :

- *بعض الأحكام الشرعية في العقار والمواريث*، مخطوطة.

- *بعض المقالات النقدية حول الشعر*، نشرت في مجلة المغرب.

- أشعار متنوعة معظمها منشور بجريدة *السعادة*، وقد تم جمع هذه الأشعار وإخراجها في ديوان يجمع بين إنتاجه الفصيح والحساني وتحقيقها على يد كاتب هذه الترجمة.

توفي سنة 1365 / 1945 بعد مرض عضال ودفن بمراكش بمقبرة باب أغمات.

م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، ج 4، ص. 157 - 159، تطوان، د. ت. ا، ص. 196 ؛ ع. الله الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين*، الرباط، 1391 / 1971 ؛ ع. الجراري، *معالم مغربية*، ص. 140، ط 1، 1991، الرباط ؛ م. الظريف، *ديوان العلامة الأديب محمد البيضاوي الشنگيطي*، جمع وتحقيق، سلا، 2000.

محمد الظريف

الشنگيطي، التجاني، بهذا عرف، واسمه أحمد بن باب بن أحمد لبيب العلوي، درس على والده وعلى والدته خديجة بنت المختار بن عثمان. ثم توجه إلى بلاد المشرق عن طريق المغرب وهو شاب، وركب البحر من الجديدة إلى طنجة فأصابه ميد شديد فتخلى عن البحر وعزم على أن يحج براً. وتوجه من طنجة إلى مكناس حيث لقي الشيخ سيدي العربي ابن السائح في الزاوية التجانية - قبل أن يتنقل إلى الرباط - ووقعت بينهما محبة زائدة، وذلك عام 1257 / 1841.

مكث بمكناس ثلاثة أشهر أخذ عنه أثناءها العربي ابن السائح منظومته منية *المريد* في مدح الشيخ أحمد التجاني، وشرحها بعد ذلك بكتاب *بغية المستفيد* ؛ كما قرأ عليه *نظمه في أزواج النبي عليه السلام* وبنيه منهن وما لبناته من بنين وبنات، وكتب عليه ابن السائح من إملاء الناظم في مواضع منه، وكتب الشنقيطي له بخط يده في مواضع من هوامشه وأذن له في شرحه. ولعل الشرح لم يكتب. ومن مؤلفات التجاني الشنقيطي أيضاً شرح *نفيس على نظمه في أزواج النبي عليه السلام* في مجلد ؛ *ونظم ورقات إمام الحرمين* في الأصول ؛ *ورحلة* التزم فيها ذكر من لقيه من الأعلام في وجهته لبيت الله الحرام وابتدأ بذكر أشياخه والده ووالدته وغيرهما. قال ابن السائح : "رأيتها عنده وقد كمل منها مجلد، وذلك قبل أن يجتاز ببلاد الواسطة والجريد وتونس والبلاد المشرقية".

أعجب العربي ابن السائح بالمترجم وبمكانته في علمي الظاهر والباطن، وقال فيه في مقدمة *البغية* : "من إنشاء أخينا وصفينا وحبيبنا الأخص وولينا أعجوبة الدهر في كرم الأخلاق ولطف الشمائل، وغرة العصر الجامع لشتات الفواضل والفضائل، الفقيه الأديب، العلامة المشارك الألمعي الأريب..."

توفي حوالي 1257 / 1841 بالمدينة المنورة.

العربي ابن السائح، *بغية المستفيد*، القاهرة، ط 3، 1304 - 1887 ؛ أ. الشنقيطي، *الوسيط في تراجم أدباء شنقيط*، مصر - الدار البيضاء، 1961 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 7 : 2599.

محمد حجي

الشنگيطي، محمد الأمين بن عبد الله الصحراوي، المراكشي أصله من شنقيط ولد بشنقيط حوالي سنة 1225 / 1810 وقدم شاباً إلى مراكش فاستوطن وقضى بها زهاء أربعين سنة، فاستقر بدرب مولاي عبد القادر الجيلالي بحي ضباشي. وقد جدد سنة 1254 / 1838 تاريخاً لذلك في كتابه *مقدمة الارتجال في حين ذكر صاحب* (*الإعلام*، 7 : 28) أنه قدمها بإشارة من شيخه سيدي قدور العلمي سنة 1256 / 1840.

وكان له ابن اسمه عبد الوهاب ظهرت نجابته، وتوفي في محرم من سنة 1291 / 1874 بمكناس، فرثاه بقصيدة مطلعها :

جفني همى بعقيق الدمع باكيه
على الغريب الذي غابت بواكيه

قيل في وصف الأمين الصحراوي : (صفته أسمر، كث اللحية، ضعيف الجسم، ربعة للطول، معتدل الأعضاء، حسن الثياب، ذوهيبة) (*الإعلام*، 7 : 22).

أخذ عن عمر بن المكي الشرقاوي البوجعدي الذي أجازه إجازة عامة سنة 1259 / 1843 وعن محمد بن عبد الودود الحاجي، الذي رثاه بعد وفاته بقصيدة دالية.

تصدر للتدريس بمدينة مراكش (وكان له ولوع بالأدب، واطلاع على التاريخ، وشغف باللغة) (*الإعلام*، 7 : 21).

وكانت له وجاهة عند السلاطين والولاة. فقد كانت لسيدي محمد بن عبد الرحمن محبة كبيرة فيه مذ كان وليا للعهد. وقربه أثناء حكمه، وكان يصله بالعطايا الوافرة. وكذا الشأن مع ابنه المولى الحسن الذي أجازه على كتابه *مقدمة الارتجال* بذهب كثير.

كما كانت له علاقة حميمة بالوزراء : العربي بن المختار الجامعي، وعلي المسفيوي، وموسى بن أحمد.

وتبدو مكانته فيما لقيه من ترحيب وإجلال خلال رحلاته الطويلة عبر بعض المدن المغربية، فقد كان ولاتها وقوادها يتلقونه بحفاوة بالغة ويستدعون العلماء والصوفية لمجالسته : فقد نزل بالرباط عند القائد عبد السلام السويسي، ولقي عنده العلامة محمد دينيا، والمكي بن عمرو الرباطي وغيرهما.

واجتاز إلى سلا لزيارة ضريح أحمد بن عاشر، ونزل عند الفقيه العربي بن سعيد. وفي دكالة حل بدار القائد محمد بن الكامل، ولقي بها العلامة الصوفي عمر ابن سودة سنة 1284 / 1867.

ونزل بفاس عند صديقه الفقيه الأديب عبد الله بن أحمد باشا المدينة، وكانت مناسبة للتردد على مجالس العلم بالقرويين والتذاكر مع علمائها، من أمثال إدريس ابن عبد الهادي العلوي والكامل الأمراني، وصالح التادلي، ومحمد وعبد المالك العلويين، والعلامة محمد گنون، وأحمد بن سودة وابن عمه محمد بن عبد الواحد، وجعفر الكتاني، وعبد الله بن إدريس البكراوي، والخطيب علال الفاسي، والفقيه محمد السباعي، والأديب الكاتب عبد الواحد بن المواز.

وفي مكناس اعتنى به الفقيه محمد بن العربي الجامعي، والمقدم الجيلاني الرحالي، والفقيه المختار بن عبد الله بن أحمد. وتلاقى مع قاضي المدينة فضول بن عزوز، وزار شيخه سيدي عبد القادر العلمي الشاعر. وطاف على أضرحة أولياء المدينة (الإعلام، 7 : 26 ـ 28).

وكانت طريقته ـ كأغلب الصحراويين ـ مختارية، إلا أنه بعد حلوله بمراكش أخذ يلازم الزاوية القادرية بضباشي،

وكان له إيمان راسخ بالأولياء، ومحبة فيهم، واعتقاد ببركتهم وزهد عام في الدنيا يتجلى ذلك :

ـ في ولعه بزيارتهم خلال رحلته الطويلة.

ـ ولجوئه إلى أضرحة مدينة مراكش (وخاصة ضريح الإمام الجزولي) عندما يلم به أي خطب.

ـ كثرة ما يرويه من أخبار الصوفية، وقطب الزمان ...

ـ انعكس هذا الاهتمام على آثاره : فقد كان أغلب شعره في مدح الرسول، وكانت مؤلفاته في الطريقة الصوفية، وزيارة الأولياء. توفي محمد الأمين الصحراوي بمراكش سنة 1295 / 1878 عن نحو سبعين سنة (*الاعلام*، 7 : 26) وفي (*السعادة الابدية*، 1 : 100 ـ 101) أنه توفي سنة 1296 / 1878. ودفن برباط عبد القادر الجيلاني بضباشي.

شعره :

يضم كتابه *المجد الطارف والتالد* أغلب شعره، ويمكن تقسيمه إلى صنفين :

الصنف الأول، قصائد في مدح السلطانين الجليلين وأفراد أسرتهما الكريمة، والتنويه بأعمالهما وجهودهما في خدمة الوطن، ونشر العلم والثقافة، ومدح وزراء وخدام دولتيهما، أهمها :

ـ أرجوزته في نسب العلويين.

ـ قصيدته في مدح المولى محمد بن عبد الرحمن العلوي.

ـ قصيدة رثى بها السلطان المولى محمد بن عبد الرحمن العلوي.

ـ ونظم سنة 1293 / 1876 قصيدة في تهنئة مولاي الحسن.

وكان ميالا إلى ارتجال الشعر، ومعارضة القصائد، وتخميسها، وقد عرض عليه محمد الشاهد الفاسي ـ وهما بدار الكاتب الوزير على المسفيوي بمراكش ـ أن يخمس بيتين من قصيدة سينية، فأجابه على الفور وخمسهما.

وإلى جانب هذا الميل، إلى الارتجال، كان له ولع بالصنعة، والاحتفال بالألفاظ فقد نظم قصيدتين في لزوم مالا يلزم :

ـ أولاهما في المدح النبوي ذيلها بمدح السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن.

والثانية في ختم البخاري (المجد الطارف والتالد، 418).

وله في هذا الاتجاه أبيات في مدح حاضرة فاس.

ـ الصنف الثاني : قصائد في المدح النبوي والتوسل بأولياء المشرق والمغرب، فقد تضافرت أسباب وشروط جعلت الأدب العلوي يطبع بهذا الطابع الديني التوسلي. وقد بلغ بعضها أزيد من 400 بيت.

ـ ومن أطول قصائده وأحسنها القصيدة المنفرجية التي تقع في زهاء 430 بيت، قال بأنه كان يجد لقراءتها بركة، فأهدى نسخة منها للسلطان أولها :

صل يارب على نور الهدى كاشف الكرب ومفتاح الفرج

إلى جانب الأمداح النبوية، للأمين الصحراوي قصائد في مدح الأولياء، من المشرق والمغرب : من أمثال عبد القادر الجيلاني مؤسس الطريقة القادرية والمولى إدريس.

ـ وكانت له محبة خاصة برجالات مراكش كما أسلفنا، يزورهم كثيراً ولا سيما الجزولي والغزواني منهم، وله فيهم قصيدة طويلة تشتمل على حوالي ثمانين بيتا، مطلعها :

كرامات أهل الله في المد الثبت
عن الله والرسل الكرام على البت

(*المجد الطارف والتالد*، 195 ـ 199).

بهذه القصائد والمعارضات الشعرية يُعد محمد الأمين الصحراوي الشنجيطي أحد شعراء القرن التاسع عشر من أمثال محمد بن إدريس، وابنه إدريس بن محمد العمراوي، وأكنسوس... وغيرهم من رواد النهضة الشعرية الحديثة. إلا أن شاعرنا لقي من الإهمال والنسيان ما جعل الباحثين والكتاب يغفلون ذكره، ويهضمون حقه.

مؤلفاته:

ذكر له صاحب *دليل مؤرخ المغرب الأقصى* المؤلفات التالية :

ـ *المنهج المختار والكوثر المدرار*، في *مناقب الشيخ وأشياخه الأبرار* : وهو في التعريف بالشيخ المختارالكنتي، شيخ الطريقة المختارية الكنتية.

ـ *مقدمة الارتجال في مشاهير سبعة رجال*، كان بمثابة مقدمة لكتاب الارتجال، مخطوط الخزانة الحسنية رقم 194.

ـ *الارتجال في مناقب ومشاهير سبعة رجال*، ومن *اشتهر في مراكش أو دخلها من مشاهير صلحاء الرجال*.

ـ *المجد الطارف والتالد* على أسئلة الناصري سيدي أحمد ابن خالد : مخطوط الخزانة العامة بالرباط 588 ك، رد فيه على أسئلة بعث بها إليها المؤرخ المذكور في رسالة تحت عنوان : (رسالة في تحقيق أمر سبعة رجال دفناء مراكش).

ـ ونسب له محمد بن محمد المؤقت المراكشي كتابا تحت عنوان :

- تأليف في ضجيعي أبي العباس السبتي (*السعادة الابدية*، 1: 101):

- وله شرح نظم اضاءة الادموس

والملاحظ أن كل مؤلفاته تدور حول موضوع التصوف ومناقب الأولياء. وهو الموضوع الذي استأثر باهتمام الشعراء والكتاب والمؤلفين على السواء في هذا العصر.

ع. بن إبراهيم المراكشي، *الاعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام*، ط. 2، الرباط، 1974 ـ 1983 ؛ م. الأخضر، *الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية*، الدار البيضاء، 1977 ؛ ع. السلام بن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، 2، الدار البيضاء، 1960 ؛ م. بن محمد المؤقت المراكشي، *السعادة الابدية*، ط. حجرية، 1335 ؛ م. المكي بن مريدة السرغيني، *الكواكب السيارة في البحث والحث على الزيارة*، مخطوط خ. ع.، رقم 479 ك ؛ م. الأمين الشنجيطي الصحراوي، *مقدمة الارتجال*، مخطوط خ. ع.، 588 ك.

حسن جلاب

الشنگيطي، محمد تقي الله يلقب محمد بُويَ. ولد سنة 1287 / 1870 بالساقية الحمراء. أخذ العلم على يد والده الشيخ ماء العينين وغيره من أساتذة مدرسة السمارة.

خلف أعمالاً أدبية وعلمية كثيرة منها :

- *سراج كل سار في سيرة الوارث المختار*، وهو نظم في سيرة والده الشيخ ماء العينين، توجد منه نسخة خطية بخزانة حفيده ماء العينين تقي الله بالرباط.

- *مذكر الموارد في سيرة شيخنا الشيخ ماء العينين ذي الفوائد*، وهو نظم في سيرة والده أيضاً، مخطوطة خاصة.

- *نفحة الرؤوف على دعوات مذهب المخوف*، وهو حاشية على كتاب *والده مذهب المخوف في الأسرار*، مخطوطة الخزانة الصبيحية بسلا، 1864.

- *تبيين ما يعنون من ألفية ابن مالك وابن بون*، ذكرها ابن العتيق في كتابه سحر البيان ورقة 121.

- *ديوان في أغراض كثيرة معظمها في مدح والده*.

وغيرها.

توفي سنة 1320 / 1902 بمراكش وهو عائد مع والده إلى الصحراء بعد زيارته للسلطان مولاي عبد العزيز.

م. الغيث النعمة، *الأبحر المعينية*، الجزء الثاني، تح. المداح م. المختار، د. د. ع.، الرباط، مرقونة ؛ ماء العينين بن العتيق، *سحر البيان*، ورقة 121، نسخة مخطوطة، خاصة؛ م. الظريف، *الحياة الأدبية في زاوية الشيخ ماء العينين*، ص. 118، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، الرباط، 1986، مرقونة.

محمد الظريف

الشنگيطي، محمد العاقب الجكني، ينتسب إلى آل ميابا الجكنيين المشهورين بالعلم والصلاح، في المشرق والمغرب.

ولد عام 1286 / 1869 في منطقة يقال لها البحير، وهو واد بمنطقة خضراء تسكنها جماعة من تجكانت.

حفظ القرآن على يد أبيه وأخواله من أهل الطالب، ودرس مبادىء العلوم على يد والده، ودرس الأمهات بدءاً بالخضري، فابن عاشر، *فالرسالة*، *فمختصر* الشيخ أحمد ولد أحمد الهادي. كما درس على أعمامه من آل ميابا كالشيخ محمد العاقب الكبير، والشيخ محمد الخضر؛ والشيخ محمد حبيب الله وغيرهم.

كان شغوفا بالعلم واسع النظر حر الفكر، لا يفتر عن قراءة القرآن الكريم كلما فارق الكتب والتدريس. رحل مع أعماله عن أرض شنقيط إلى اسمارة بالصحراء المغربية ليستقر بهم المقام سنة 1326 / 1908 بمدينة مراكش، وليحلوا ضيوفاً على السلطان المولى عبد الحفيظ بعد مبايعته، وبعد مدة قصدوا الديار المقدسة لأداء فريضة الحج، وتشاء الأقدار أن يتخلف المترجم له عن هذه الرحلة بسبب مرض ألم به ولازمه مدة سنة. وبعد شفائه عاد إلى حياته الطبيعية، فاندمج مع الوسط المراكشي، وتطوع بإلقاء دروس اختيارية لطلبة ابن يوسف وفي جامع القصبة، وجامع المواسين، وجامع باب دكالة وغيرها من المساجد، وتشاء الأقدار أن يزور مراكش أحد أبناء أعمامه من آل ميابا وهو الأديب محمد البيضاوي الذي جاء يسأل عنه، ويوصي به صديقه القائد العيادي الرحماني الذي كانت تربطه وإياه صداقة متينة. فاعتنى به القائد عناية كبيرة، فأسكنه في بيت قريب منه، وجعله شيخا له وناصحا، وإماما في صلاته. ويغدق عليه من عطاياه، ويباهي به جلاسه من العلماء. خصوصاً وأن الشيخ العاقب كان حافظاً للنصوص والمتون الشرعية، مستحضراً لها عند الحاجة. ذاكراً لله في الحركة والسكون.

توفي بمراكش سنة 1384 / 1964، ودفن بمقبرة باب الخميس.

روايات شفوية من أسرته ؛ آ. متفكر، *ذيل الاعلام*، مخطوط.

أحمد متفكر

الشنگيطي، محمد بن عبد العزيز حَامَّنَّ الغَلاَّوي. من أعلام الثقافة البارزين في أقاليم المغرب الصحراوية في بداية القرن العشرين. ولد بشنقيط سنة 1284 / 1867 تلقى تعليمه الأول على يد عمه ابن حامّن وغيره من شيوخ قبيلته. عندما اشتد الضغط الفرنسي على أدرار قدم على الشيخ ماء العينين بالساقية الحمراء، فأخذ عنه بعض العلوم واشتغل بالقضاء والتعليم في زاويته شارك في الكثير من المعارك التي شنتها القبائل الصحراوية على الجيش الفرنسي في أدرار، مثل المينان ودامان وغيرهما وأبدى فيها شجاعة نادرة.

بعد وفاة الشيخ ماء العينين اشتغل بالقضاء والكتابة زمان الشيخ أحمد الهيبة والشيخ مربيه ربه. وظل يدرس بجامع إفني إلى أن توفي سنة 1375 / 1955. له *أشعار في مدح الشيخ ماء العينين* جمعها الشيخ محمد الغيث النعمة في ديوانه *الأبحر المعينية في الأمداح المعينية*. يتميز شعره بقوته ومتانته وبداوة صوره.

الشيخ أ. بن الشمس، *النفحة الأحمدية في بيان الأوقات المحمدية*، ج 2، ص. 93، مصر، 1330 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 4، ص. 299 ؛ م. الغيث النعمة، *الأبحر المعينية في الأمداح المعينية*، ج 1، ص. 149، تح. أ. مقرئ، مرقون، كلية الآداب، الرباط.

الشنگيطي، محمد الغيث النعمة ولد في رمضان عام 1300 / 1882 أخذ العلم على يد والده الشيخ ماء العينين وغيره من أساتذة مدرسة السمارة. بعد وفاة والده الشيخ ماء العينين انخرط في حركة الجهاد التي شهدها الجنوب المغربي بقيادة أخيه الشيخ أحمد الهيبة. اشتغل بالتدريس في سوس، فظل يتنقل بين عدد من قراها في تزنيت ووجان وأيت الرخا وغيرها إلى أن توفي بكردوس سنة 1339 / 1920، فدفن إلى جانب أخيه الشيخ أحمد الهيبة.

تخرجت على يده أفواج من أدباء الصحراء وسوس من بينهم المحفوظ بن الحضرام والشيخ محمد الإمام والشام عبد السلام وعلي بن الطاهر وعبد الرحمان الأزاريفي وغيرهم.

من أبرز آثاره :

- *الأبحر المعينية في الأمداح المعينية* في جزئين، وقد تم تحقيقه من طرف أحمد مفدي والمداح محمد المختار، كلية الآداب الرباط.

- *تنبيه معاشر المريدين، كتاب في التصوف*، طبع على الحجر بفاس سنة 1322.

- *الفواكه*، توجد منه نسخة مخطوطة مبتورة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم د 1434.

- *نور الغسق في بيان هل إسم الجلالة مرتجل أم مشتق*، في اللغة طبع بذيل كتاب النفحة الأحمدية لأحمد بن الشمس بالمطبعة الجمالية بمصر (د. ت).

- *ديوان شعر في مختلف الأغراض* سيصدر قريباً ضمن منشورات مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي.

أنظر حوله :

ابن العتيق، *سحر البيان*، ورقة 132، نسخة مخطوطة خاصة م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 4، ص. 273 ؛ م. الظريف، *الحياة الأدبية في الزاوية المعينية*، ص. 3، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب، الرباط، مرقونة ؛ ع. الحفيظ الفاسي، *معجم الشيوخ*.

محمد الظريف

الشّنيلي، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Genil ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1678.

محمد ابن عزوز حكيم

الشّهباء (جامع -) بسلا، ويدعوه السكان : "جامع لالاّ الشهبة"، أحد أقدم مساجد سلا يرجع بناؤه إلى عهد المرابطين، ويرجح مؤلف *الإتحاف الوجيز* أن يكون ذلك تم بأمر من يوسف بن تاشفين الذي "أمر ببناء المساجد بفاس وغيرها من مدن مملكته في كل حومة". وتختلف المصادر في أصل التسمية حيث تعزوها الرواية الشفوية إلى بنائه من طرف صالحة اسمها لالة الشهبة ذكرها شاعر الملحون محمد ابن لحسن في قصيدته الجهادية أو السلوانية ضمن صلحاء سلا الذين "حضروا من كل مزار" للتصدي للبوارج الفرنسية التي قنبلت المدينة سنة 1851 والتي يقال إنها مدفونة بحي الطالعة كما جاء في أبحاث أركيولوجية لجودية حصار بنسليمان. وحسب بعض المصادر فإن سبب التسمية يرجع لوجود بعض سواري المسجد مغطاة بحجارة شهباء من أنقاض شالة، كما هو الشأن بالنسبة لمسجد الزرقاء بحي زناتة الذي يوجد بصحنه رخام أزرق اللون من نفس المصدر. على أن البعض يذكر أن الاسم الحقيقي للمسجد هو مسجد سيدي فرج المدفون مع آخرين جوار المسجد الذي كانت تلتجئ إليه النساء الحوامل عندما تعسر عليهن الولادة، في حين يعزو آخرون هذه البركة إلى ماء بئر كانت موجودة بمرافق الوضوء التابعة للمسجد.

ومهما كان فإن الثابت هو أن هذا المسجد نهض بدور المسجد العتيق في سلا بعد خراب المسجد الذي بناه بنو العشرة المؤسسون بجوار قصرهم الفخم الذي كان يتردد عليه أكابر أهل العلم والأدب من الأندلس، وينزل به ملوك الموحدين عند حلولهم بسلا وخصوصاً منهم عبد المومن.

ولما جدد يعقوب المنصور الموحدي المسجد الأعظم ووسعه على الحالة التي هو عليها الآن تقريباً، أعيدت إليه خطبة الجمعة، وبقي جامع الشهباء للصلوات الخمس فقط. إلى أن تكاثر عدد سكان المدينة فأصبح فيها ثلاثة جوامع تقام فيها الجمعة : الجامع الأعظم، وجامع سيدي أحمد حجي وجامع الشهباء.

وقد جُدد بناؤه بعد الاستقلال حيث رُدم الجامع القديم الذي كان يُنزل إليه بعدد من الدرج، وشيد آخر جديد فوقه.

م. بن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، 1986، ج. الناصري، *ابن الخطيب بسلا*، 1988 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، ج 2، المحمدية، 1977 ؛ *الحوالة الجديدة*، مخطوط، خ. ح ؛ م. زنيبر، *شذرات من تاريخ مدينة سلا*.

M. Naciri, *Salé. Etude de géographie urbaine*, 1963 ; J. Hassar Bensslimane, *Recherches archéologiques à Salé*, 1979 ; K.L. Brown, *An urbain view of moroccan history, Salé, 1000-1800*, 1971.

محمد الفقير

شهبون، أحمد، طالب فاسي، عضو إرسالية تعليمية إلى مصر زمن السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان، وقد تضمنت هذه البعثة فضلاً عن شهبون، كلا من محمد بن كيران الفاسي وعبد القادر بن علال ابن محمد القليعي.

توجه هؤلاء إلى الديار المصرية على عهد حاكمها سعيد باشا، ثاني حكام مصر من سلالة محمد علي رائد النهضة المصرية، وذلك حوالي 1276 / 1859 وظلت هنالك إلى سنة 1280 / 1863.

تلقى أفراد هذه الإرسالية تكوينا عصريا مرتكزاً على العلوم الهندسية والرياضية والجغرافية. وكان من نتائج هذا التكوين العصري أن وضع أحمد شهبون "كتاب الجغرافية المغربية"، وهو أول كتاب جغرافي مغربي صمم على النمط الحديث. وتكمن أهمية هذا الكتاب في أن صاحبه ضمّنه معطيات جغرافية جديدة قياسا بما كان مألوفا في الكتابات المغربية خلال القرنين 18 و19 الميلاديين، التي درجت على تقسيم العالم اعتماداً على نظرية الأقاليم السبعة كما وردت عند بطليموس في القرن الثاني الميلادي وتوظيف معلومات جغرافية متجاوزة منذ قرون مثلما يوجد في كتابات الزياني والصفّار وإبراهيم التادلي. أما أحمد شهبون فإنه وظف التقسيم القاري للعالم.

ويتألف كتابه من خرائط ورسوم وجداول، منها خرائط القارات الخمس (آسيا، إفريقيا، أوربا، أمريكا واستراليا) إضافة إلى غرينلاند، مرفوقة ببيانات عن بحورها وأنهارها وبحيراتها وجزرها وجبالها وأجناسها وأرقام عن سكانها (عدد النفوس)، مثبتا الفروق في التوقيت بين البلدان والمدن، مقدما هذه المعلومات بالكثير من التنظيم والدقة وبالمصطلحات الحديثة كما كانت متداولة لدى الأوربيين، واحتوى الكتاب صورة الفلك (وهي أول لوحة) بيّن فيها الخطوط (الاستواء، السرطان، الجدي)، وصورة شاملة للكرة الأرضية بشريطها الشرقي والغربي، ورسما لفلك القمر، ورسما للكرة الأرضية من وجه مرفوع عليها دائرة الشمس. وضم الكتاب لوحة للبروج وصفتها والمنازل والكواكب السيارة، ثم ثورة دائرة الحول وبيان الكبس. وختم شهبون مؤلّفه بخارطة "إقليم المغرب"، بين فيها أسماء المناطق والقبائل والمدن والأنهار الرئيسية، وتضمنت هذه الخارطة قصور توات باعتبارها جزءاً من التراب المغربي حيث لم تكن اغتصبت بعد من قبل المستعمر الفرنسي. حرر هذا الكتاب وطبع بمدينة فاس سنة 1315 / 1898 حسبما وثّق ذلك شهبون في الصفحات الأولى والثانية والأخيرة منه.

أ. شهبون، *كتاب الجغرافيا المغربية*، فاس، 1315، مخطوط خ. ح.، رقم 2388 ؛ ع. الرحمان ابن زيدان، *الدرر الفاخرة بمآثر العلويين بفاس الزاهرة*، الرباط، 1356 / 1937 ؛ *العز والصولة في معالم نظم الدولة*، ج 2، الرباط، 1961 ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، ج 1، بيروت، 1985 ؛ م. بوشعرا، *الاستيطان والحماية بالمغرب*، ج 4، الرباط، 1989.

أحمد المكاوي

شهبوني، محمد مقاوم من مواليد سنة 1334 / 1916 ببني توزين إقليم الناظور.

بدافع الغيرة الوطنية كان الفقيد يحرض سكان المنطقة التي ينتمي إليها على مواجهة الاستعمار وذلك بحكم انتمائه إلى زاوية سيدي عيسى المعروفة بنشاطها الديني. وعندما تأسس جيش التحرير بادر إلى الانضمام إليه بدافع الجهاد ومحاربة المستعمر الغاشم تحت رئاسة عبد القادر الدويري وقد عرف ببطولته المتميزة للدفاع عن حرية المغرب واستقلاله حتى تحقق النصر.

توفي يوم الخميس 24 جمادى الأولى عام 1416 / 19 أكتوبر 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 520794.

الشهدية، صنف من أصناف شجر الخوخ يتميز بفاكهة ملساء، ولب ناعم وهش ونواة غير ملتصقة باللب. تنتسب الشهدية من حيث التصنيف النباتي إلى نوع الخوخ (= Prumus persica Batsh. Prumus vulgaris Miller) الذي ينتمي بدوره إلى أسرة الورديات (Rosaceae).

أصل شجر الخوخ من جبال الصين ومناطق أخرى من برمانيا والهند الصينية، استقدم قبل العصور الوسطى إلى أوروبا وكذلك إلى مناطق من حوض البحر الأبيض المتوسط.

يشتمل نوع الخوخ على حوالي مائة صنف تختلف فيما بينها بحسب مواصفات الفاكهة والخصائص البيئية لنمو الأصناف، هذه الأصناف تجتمع في أربع مجموعات من ضمنها المجموعة التي تشمل أصناف الشهدية. وتنقسم مجموعة الشهدية بدورها إلى مجموعتين حسب لون اللب : الشهدية ذات اللب الأبيض والشهدية ذات اللب الأصفر. وتحتوي هاتان المجموعتان على حوالي 15 صنف تختلف فيما بينها حسب خصائص البراعم، قامة الأشجار، كثرة الأزهار، وقت الإزهار، توقيت نضج الفاكهة، خصائص الفاكهة من لون ومذاق، المقاومة للأمراض والحشرات الضارة، الحساسية للجليد، أهمية الإنتاج، تحمل ظروف النقل والإيداع.

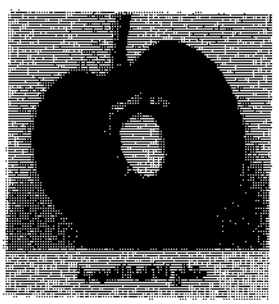

توجد أصناف الشهدية وتزرع في المناطق المعتدلة الدافئة والمتوسطية ذات برودة في فصل الشتاء، إلا أن هناك تبايناً بين الأصناف في ما يخص الظروف البيئية وكذلك مقاومة

الجليد الربيعي والأمراض الفطرية والبكتيرية وتأثير الحشرات الضارة. ولهذه الأسباب اجتهد الاختصاصيون في البستنة لإيجاد الأصناف التي تتكيف مع مختلف الظروف البيئية التي تسمح لزراعة الشهدية.

تزرع شجرة الشهدية بالمغرب أساسا بسهل سايس بنواحي مكناس حيث تكثر المزارع الشاسعة، وبنواحي بولمان وإفران وبسهل الغرب، وبنواحي الخميسات وبني ملال ومراكش. وتوجد كذلك في أغلب مناطق المغرب حيث تكون الظروف ملائمة ولكن بقلة. لا توجد إحصائيات مستقلة بزراعة الشهدية، فالمعطيات الموجودة تجمع بين المساحات المغروسة بالشهدية والخوخ. حسب إحصائيات مديرية الإنتاج الفلاحي لسنة 97 / 1998، تغطي أشجار الخوخ والشهدية حوالي 3700 هكتار بنسبة 20٪ من المساحات المغروسة بالورديات.

تنضج فاكهة الشهدية من بداية شهر أبريل وتمتد إلى آخر شهر غشت وذلك بحسب الأصناف. أغلب الأصناف المغروسة بالمغرب مستوردة من فرنسا وإيطاليا وإسبانيا.

أبحاث شخصية.

زين العابدين عبد النبي

الشّوار أو الشُّورَة في العرف المغربي هو ما تحضّره الفتاة وهي مازالت في عصمة والديها من لوازم شخصية متعلقة باللباس والأغطية والأردية وبعض الحلي مما تصحبه معها إلى بيت الزوجية. وفي هذا الصدد يقول أفيلال وهو يتحدث عن انتشار فن التطريز في فاس في صفوف الفتيات "كانت كل فتاة، بما تعلمته من الطرز تُكسي نفسها وتقتني صورتها (شُورتها) وتشتري ما تحتاج إليه من الحلي" (محمد أفيلال، *تنبيه الاكياس*، ص. 39). كما يشير الرهوني أثناء حديثه عن صناعة الحرير في تطوان إلى أن السواد الأعظم من نسائها كن يشتغلن في "استخراج الحرير من الدود فكان يحصل للناس منه أرباح طائلة ومنه كانت تكتسي العائلة ومنه تُشوِّر لنفسها الأبكار" (الرهوني، *تاريخ تطاوين*، الجزء الأول، ص. 365).

أما في مدن الداخل والجنوب فيعوض مصطلح الشوار لفظ "الجهاز" و"البتات" وهما يدلان على نفس المعنى السابق. فالجهاز أو الدهاز (بتحويل الجيم في اللسان الدارج إلى دال أو أحيانا إلى جيم مصرية يعني متاع البيت وزاده هو ما تعنيه لفظة البتات بالضبط (*المنجد في اللغة والأعلام*، ص. 25 و106). وفي هذا السياق يسود استعمال هذا المثل في سهول دكالة وتادلة والسراغنة وعبدة والشاوية للتعبير عن شقاء امرأة في منزل زوجها "لابتات ولافتات" إشارة إلى أن المعنية بالأمر لافراش لها ولامتاع في بيتها يريحها زيادة على ضعف التغذية وهزالها (الفتات تريد معروف يقدم للمرأة النفساء والضيوف).

ولقد جرت الأعراف والتقاليد في سائر حواضر المغرب وبواديه، أن الفتاة ما إن تبلغ سن الرشد حتى تبدأ في تحضير نفسها للانتقال إلى بيت زوجها وهي مازالت في بيت والديها. فهي في الوقت الذي تساعد أمها على ترتيب أثاث البيت وتدبير شؤونه من مشاركة في الطبخ والغسل والكنس والنسخ والخياطة ورعاية الأطفال تخصص دائماً وقتاً معيناً لتحضير وتجهيز جزء من بيتها المرتقب بمساعدة الأم والأخوات والصديقات والقريبات. وكان هذا التحضير يندرج ضمن أهم انشغالات الفتيات، ومازال ذلك ساري المفعول إلى اليوم، وقد يمتد على طول سنوات عديدة، والحاذقة من الفتيات هي من يطول الحديث عن وصف شوارها وتعداد قطعه كما أن الناجحة من الأمهات هي من تجهز ابنتها عروساً لزوجها بكل ما يحتاجه بيت الزوجية من قطع مزينة بالطرز الفاسي الأصيل. وتهم هذه القطع بالأساس أثاث غرفة النوم بكاملها من أغشية مخدات ورداء سرير وغطاء موائد قاعة الضيافة ومناديلها ومستلزمات الاستحمام وبعض القطع المهداة إلى أم العريس ووالده وإخوته من الذكور والإناث.

ع. العلي الوزاني، *خاطبات من فاس*، *مجلة المناهل*، عدد 6 دجنبر 1979 ؛ م. بن التهامي أفيلال، *تنبيه الأكياس للاقتصاد في اللباس والأعراس*، تطوان، 1976 ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين في تاريخ تطاوين*، الجزء الأول مخ خع بتطوان، رقم 676.

M. Bousser et A. Khelladi, *Enquête sur le trousseau*, Alger, 1942 ; A. Lamazière, *Le Maroc secret*, Paris, 1932 ; E. Chimenti, *Eves marocaines*, Tanger, 1935 ; P. Odinot, *Géranium ou la vie d'une femme marocaine*, Rabat [s.d.] ; J. Guy, *Cinq semaines au Maroc*, Paris, 1932 ; M. Sijilmassi, *Les arts traditionnels au Maroc*, Paris, 1986 ; G.S. Colin, *La vie marocaine*, Paris, 1953 ; M. Chavagnac, *De Fès à Oujda*, 1887, s. l. ; J. Couste, *Les grandes familles indigènes de Salé*, Rabat, 1931.

محمد بوسلام

الشواري، لم يرد ذكر في المصادر لا تصريحاً ولا تلميحاً للشواري باستثناء إشارة وردت في كتب الحسبة :

"ومن شيرات اللوز المقنطرة شيرتين وثلاثة أغطية..." (*في أدب الحسبة*، 87)، ويضيف المصدر نفسه في موضوع أدوات ومواعين حمل الأمتعة والمنتجات الفلاحية والصناعية والأشياء الأخرى قوله موضحاً أكثر : "... ومن أغشية خوابي التين سبعة أغشية ومن شيرات حمل الخوابي والمساور الصغار ثلاثة في الفلق من حساب أربع خوابي وأربع مساور في الشيرة".

ويفهم من الشروح الواردة في القواميس والمعاجم القديمة ومنها (المصباح) أن الكلمة قد تكون في الأصل من "الشوار" والشوار كما هو معروف اليوم هو متاع العروس ولوازمها، ولعل الشبه هناك يكمن في عملية الجمع والتنوع؛ فالشواري يجمع خليطاً من الأمتعة والمواد والأشياء الصغيرة والكثيرة لكن هذا النوع من الشواري لا نجده إلا عند العطار المتجول بدابته، فشواري العطار يحمل كل شيء يطلبه الزبون فهو بمثابة دكان متنقل أو "بوتيك" متجول بالنسبة للنساء في البادية خاصة.

لكن الأصل في تقديري ليس له ارتباط بشواري العطار حسب ما جاء في بعض الاجتهادات بل الشواري مرتبط أكثر بالشيرات والشبرة وجمعت في المغرب على شكل "شواري وشواريات" بدل "شيرة وشيرات" ويؤكد ذلك ارتباط المغرب بالأندلس وتلقيه الكثير من التأثيرات الأندلسية خاصة في مادة الفلاحة والنقل. فالإشارات الواردة في كتب الحسبة تدقق في الصناعات وكيفية صنعها ومواصفاتها كل ذلك في ارتباط وثيق بكيفية استعمالها.

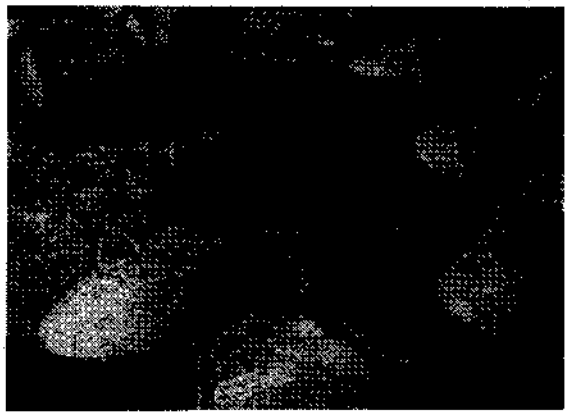

لكل مادة مواعين نقلها الخاصة بها، الردمى، وهي قفاف خاصة بنقل الأتربة والحصى وما شابهها، المساور، سلال خاصة بالتبن وهكذا.

أما الشيرات أو "الشواريات" فهي لنقل الأحجام الكبيرة نسبياً وهي المواعين التي توضع فيها بعض المواد الفلاحية مثل المساور والخوابي (*في أدب الحسبة*، 87)، ويفهم من الأوصاف ومن المواد المحمولة أن الشيرة والشيرات شبيهة بالسلال الكبيرة المستطيلة تحمل على جانبي ظهر الدابة ويُشد بينها بحبال، وأهم عامل في استعمالها هو المحافظة على التوازن بين شقي الشيرات، وبالرجوع إلى الميدان وهو هنا الأسواق في البادية المغربية، يلاحظ وجود نوعين من الشواري الشواري الشبيه بالذي وصفته النصوص في الأندلس ويسميه سكان البادية "شواري دالعود" ويصنع عادة من أعواد الدفلى أو الطرفا وحتى من أغصان العرار في بعض المناطق؛ وهو مستطيل الشكل ويحمل الجبليون فيه المواد الصلبة أساساً: حجارة، طوب، فخار، القرع وأكياس المنتجات الفلاحية وغيرها (مذكرات خاصة).

النوع الثاني والمنتشر أكثر في السهول لا علاقة له بالنوع الأول إلا في طريقة حمله على ظهر الدابة فهو موزع على جانبيها بشكل متساوٍ ويتطلب استعماله الحفاظ على التوازن، ويصنع من الألياف النباتية "الدوم، سعف النخيل القصير، وسعف النخيل المثمر، والحلفاء".

وطريقة صنعه تختلف من مكان إلى آخر لكن أجود أنواع الشواري هو ما صنع من ظفير الدوم" دفعة واحدة، أما الطريقة الثانية فتصنع ظفائر من الدوم أو سعف النخل على شكل شرائط ثم تخاط إلى جانب بعضها، فهذا نوع أقل صلابة ودواماً من النوع الأول؛ أما شواريات الحلفاء فأقل متانة من الأنواع كلها واستعمالها واستهلاكها سريع وحتى أثمنتها أقل من الأول؛ والشواري فيه حجمان: الكبير وهو الأكثر انتشاراً واستعمالاً في البوادي وخاصة السهول، والحجم الصغير وهو في العادة يوضع على ظهر البغال، ويستعمل في المناطق الجبلية أو في المدن، أما النوع الكبير فيوضع على ظهر الحمار في حالة وجود أحجام وأمتعة أو منقولات تفيض على جانبي الشواري يعمد صاحب التنقل إلى استعمال عمود بشكل أفقي على ظهر الحمار وطرف العمود يخترقان مقبضي الشواري على الجانبين وهكذا.. والشواري أداة ووعاء لحمل كل شيء ويتناسب والحمار، فالحمار دابة لكل الطرقات والظروف والمساحات بأقل التكاليف والشواري صالح لنقل كل الأشياء في جميع الظروف، أما الشواري الصغير فغالباً ما تحمل عليه المواد الثقيلة: أتربة وأحجار ومعادن الخ... أو يحمل فيه الجبليون مشترياتهم الأسبوعية من السوق.

في الظروف الحالية حيث تناقصت كثير من المواد الطبيعية وخاصة الدوم عمد بعض الصناع إلى نسج الشواريات من ألياف وشرائط بلاستيكية، خاصة الحجم الصغير، لكنه لم يلق رواجاً لقلة مكانته وقصر مدة تلاشيه أما الشواري الطبيعي فقد يدوم استعماله في الظروف العادية جيلاً كاملاً، وبعد بداية تلاشيه يستعمل في نقل الأشياء الخفيفة (التبن الغبار، الأعشاب...) وبعدما يصبح غير صالح حتى لهذه المهمة يستعمل فراشاً مدعماً للبرذعة (أحلاس) واستعمالات أخرى هامشية.

م. السقطي، *في أدب الحسبة*، بيروت، 1987؛ م. الطويل، *النقل والتنقل في المغرب خلال العصر الوسيط*، أطروحة مرقونة، كلية الآداب بالرباط، 1998؛ *تحريات ميدانية*.

محمد حجاج الطويل

الشواني (سفن) ومفردها شاني من الدخيل أصلها لاتيني Chenille نوع من المراكب الكبيرة كانت منتشرة في الغرب الإسلامي طيلة العصر الوسيط وتستعمل في أوقات السلم والحرب، فهي أكبر من القارب وأصغر من الأنواع التي ظهرت في العصر الحديث مثل (الكاراڤيلا)، تسير بشراعين متقابلين مستطيلين، تنساب على صفحة الماء بهدوء، ولعل تسميتها Chenille جاءت مطابقة لشبهها بدودة الفراش المعجم.

أول إشارة للشواني في المغرب جاءت في (*البيان*، 112) وتتعلق بالعهد المرابطي: "أن يوسف بن تاشفين تاق إلى العبور إلى الأندلس وكانت محصنة بالبحر فأنشأ شواني ومراكب..."

لكن الشواني كانت معروفة من قبل في الغرب الإسلامي فالبكري في (*المغرب*، 94) قال في معرض حديثه عن المراسي: "... ومن مرسى بونة تخرج الشواني محاربة إلى

بلاد الروم وجزيرة سردانية وكرسيقة وما والاها..."، ويفهم من كلام البكري أن هذا النوع من المراكب استعمله الأغالبة وغيرهم من الإمارات في الغرب الإسلامي كسلاح هجومي وقد أكدت ذلك كثير من المصادر والدراسات مثل زيدة التاريخ.

استمر العمل بالشواني في الغرب الإسلامي طيلة العصر الوسيط أي أزيد من ثمانية قرون مما يعني أن التشبث بهذا النوع كان بسبب فعاليته وأيضاً بسبب وجود صناع له في الغرب الإسلامي، وأيضاً لقلة تكاليف صناعته وصيانته ولسهولة استعماله، لكن الفترة الأخيرة من العصر الوسيط شهدت بداية النهاية ليس للبحرية المغربية وحسب بل حتى لصناعة المراكب، ففي عهد المرينيين بدأت صناعة المراكب تضعف، فكان اعتمادهم في تنقلاتهم البحرية على شراء السفن وكرائها، ومن الأنواع التي كانت تُشترى أو تكرى الشواني : "لم تزل المراكب تترى وتتعاقب شفعاً ووتراً في كل فصل من القراقر والمراكب والغزويات والقوارب والشواني كراءاً وشراءاً إلى سنة 749 ..." (*المسند*، 393).

كان المرينيون يكترون المراكب ويشترونها من أصحابها وهم صناع وتجار الدويلات البحرية التي عادت لتسيطر على البحر بعد زوال الهيمنة الموحدية على البحر الأبيض المتوسط *(القدمة)* وهذه الدويلات إيطالية وايبيرية ؛ ويذكرنا الجزيري صاحب مخطوط *(المقصد المحمود)* بتقنيات كتابة عقود كراء المراكب ويفهم من خلالها الأنواع التي كانت تكترى في عهده ومنها الشواني :

"عقد كراء سفينة بعينها : اكترى فلان بن فلان جميع سفينته المسماة بحراق أو قُرْلي أو شاني بجميع أداتها القائمة فيها من القلوع والصواري والأطراف والهواجل...".

لكن ذلك لا يعني أن الاعتماد كلياً كان على الأجنبي في ميدان النقل البحري، فقد استمر المغاربة يعتمدون على أنفسهم في بعض المناطق خاصة الشمال الغربي للمغرب حيث آل العزفي الذين دافعوا عن المنطقة انطلاقاً من قاعدتهم ومدينتهم التي استقلوا بها سبتة، كما كان بعض المغاربة في الشمال يقوم بالنقل ما بين ضفتي البحر المتوسط لكن الأمر لم يستمر، فابن بطوطة انتقل إلى الضفة الأخرى على متن مركب في ملك أهل أصيلا (*الرحلة*، 651) وهو من نوع شيطي الرحلة (651).

الجزيري، *المقصد المحمود*، مخطوط خ. ع ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب* ؛ البكري، *المغرب*، باريس، 1911 ؛ م. السليساني، *زيدة التاريخ*، مخطوط ؛ م. ابن مرزوق، *المسند* ؛ ع. ابن خلدون، *المقدمة*، بيروت ؛ ابن بطوطة، *الرحلة*، بيروت، 1968 ؛ م. الطويل، *النقل والتنقل*، مرقون، كلية الآداب بالرباط، 1998.

J.B. Belot, *Dictionnaire Français Arabe*. Beyrouth, 1986.

محمد حجاج الطويل

شوتان، ألكسيس Chottin Alexis ولد بالجزائر، وفيها درس وظهر اهتمامه بالموسيقى المغاربية. انتقل إلى المغرب الأقصى في العشرينيات، وفي سنة 1927 كان يشغل منصب مدير مدرسة أبناء الأعيان بمدينة سلا. وقد نعته أحد مراسلي جريدة السعادة في هذه الفترة بأنه "كان خير معين للشبيبة على النهضة الأدبية"، وذلك بمناسبة حضورة اجتماع بعض شبان سلا لتأسيس "النادي الأدبي السلوي"، حيث انتخب مستشاراً فنياً.

وقد التحق بإدارة الشؤون الأهلية التي عينته في عام 1929 مديراً على "دار الطرب"، وهي التسمية الأولى لما يسمى اليوم بمعهد دار مولاي رشيد بالرباط ؛ وقد ظل على رأس هذه المؤسسة إلى غاية 1952، وهو تاريخ تعيينه مفتشاً للتعليم الموسيقي بالمغرب.

يحتفظ معهد مولاي رشيد ضمن وثائقه بمذكرة شوتان اليومية، وهي عبارة عن دفتر كان يدون فيه بخط يده دروس الموسيقى الأندلسية التي كان يقوم بتلقين قواعدها لطلبة المعهد.

وفي سنة 1932 أوفد شوتان من طرف إدارة الشؤون الأهلية إلى القاهرة على رأس المجموعة الموسيقية التي مثلت المغرب في المؤتمر الأول للموسيقى العربية، وكان بمعيته : عمر الجعايدي بصفته رئيساً للجوق، والمنشد محمد اشويكة، ومحمد المطيري، ومحمد امبيركو، وعثمان التازي، وعبد السلام بنيوسف، ومحمد دادي.

وقد حرر شوتان إثر عودته من القاهرة تقريراً نوّه فيه خاصة بأشغال "لجنة التسجيل" التي كان أحد أعضائها، وهو التقرير الذي عرّبه عبد الكريم بو علو رئيس تحرير جريدة *السعادة*.

وبعد استقلال المغرب حصر شوتان نشاطه في التدريس بالمعهد الوطني للموسيقى بالرباط، واستفاد من دروسه عدد كبير من الطلاب المغاربة.

يشكل العقدان الثاني والثالث من هذا القرن أخصب فترات حياة شوتان من حيث تنوع الأعمال الفنية وتعدد البحوث العلمية التي أنجزها في مجال الموسيقى المغربية. ففي مجال الأعمال الفنية ظهرت له :

- مدونة *"غناء الأرواح وذكرى بلد الانشراح"* وتحتوي هذه المدونة على صفحات من التراث الموسيقي الأندلسي، اثنتان من قائم ونصف العشاق، والثالثة من الطرب الغرناطي.

- مدونة *"الأهازيج الدينية والشعبية المستعملة بمدينة فاس"*. وقد صدرت بمجلة هسبريس في عددين متتاليين هما عدد الفصل الثالث من سنة 1923، وعدد فبراير 1924.

أما على مستوى البحث العلمي فقد ظهرت عناية شوتان بمختلف فنون الموسيقى المغربية، فألف في بعضها كتباً قائمة بذاتها، وخص بعضها الآخر بمقالات وبحوث نشرها في مجلات ودوريات متخصصة وغير متخصصة.

- ففي مجال التأليف أنجز شوتان ما يلي :

1. *"Corpus de musique marocaine"* وهو كتاب في جزأين :

أولهما تحت عنوان *Nouba de Ochchak* دون فيه ثماني عشرة صنعة من بسيط نوبة العشاق ممهداً لها بتدوين بغية النوبة، فتوشية، فبغية البسيط.

وقد قدم المؤلف لكتابه بمدخل عرف فيه بالنوبة وميازينها الخمس، وبالأنساق الايقاعية المتوالية في الميزان، ثم تحدث عن طبع العشاق، وإيقاع البسيط وختم ببيان البنيات اللحنية للصنعات.

اعتمد شوتان في تقديم صفحات البسيط الطريقة التالية :

1 ـ تقديم أبيات الصنعة في صيغتها العربية.

2 ـ ترجمة أبيات الصنعة إلى اللغة الفرنسية.

3 ـ التدوين الموسيقي لألحان الصنعة. وقد لجأ إلى وضع مقاطع الكلمات العربية بالحروف اللاتينية تحت المدرج الموسيقي لمساعدة قارئ النوتة على الإنشاد.

4 ـ شرح المصطلحات المتعلقة بالجانبين الشعري واللحني.

وقد جاء في سياق التحليل والشرح التنويه بالفنانين الذين ساعدوه في إنجاز المدونة وخاصة منهم محمد امبيركو.

الجزء الثاني تحت عنوان : *Musique et danses berbères du pays Chleuh*.

وفي هذا الكتاب عرف شوتان بجوقة الروايس، وتحدث عن الغناء والمقامات والرقصات، منوها بالرايس بلعيد وفرقته. وقد أتى ببيان أغاني سوس وحاحة والأطلس الكبير، ثم ختم الكتاب بنماذج مدونة لبعض أغاني رقصات أحواش.

وفي عرضه نوه المؤلف بالرايس ساسبو الذي ساعده في إنجاز عمله.

وقد مهد لهذين الكتابين السيد بروسبير ريكارد رئيس إدارة الشؤون الأهلية يومئذ.

2 ـ *Tableau de musique marocaine*

قسم المؤلف هذا الكتاب إلى قسمين، تحدث في أولهما عن أغاني احيدوس وأحواش وزمور وسوس، وخص القسم الثاني بالموسيقى العربية التقليدية في المغرب. وبعد ذلك تحول إلى الموسيقى في العصر الحاضر، وختم بالحديث عن الموسيقى الشعبية وآفاق الموسيقى المغربية.

جريدة *السعادة*، العدد 3087، 9، شوال، 1345 / 1927 ؛ أ. معنينو، *مجلة الفنون*، عدد 9 و10، يوليوز وغشت، 1994، ص. 40 ـ 42 ؛ *الرحلة الفنية إلى الديار المصرية*، تعريب عبد الكريم بوعلو، الرباط، 1932 ؛ *غناء الأرواح في ذكر بلد الانشراح*.

A. Chottin, *Corpus de musique marocaine*, Fasc. I, *Nouba de Ochchak*, 1931 ; *Corpus de musique marocaine*, Fasc. II, *Musique et danses berbères du pays Chleuh*, Paris, 1933 ; *Tableau de la musique marocaine*, Paris, 1938 ; *Chants arabes d'andaloussie ; Transcription, traduction et harmonisation*, Premier recueil ; *Avis religieux recueillis à Fès, Hesp.*, 3ème trimestre, 1923 ; *Avis populaires recueillis à Fès, Hesp.*, Fev. 1924.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الشُّوح، (نبات) ويسمى عند البعض التنُّوب، جنس نباتي يشمل عدة أنواع نادرة في المنطقة المتوسطية، وأنواع أخرى واسعة الانتشار في المناطق المعتدلة من النصف الشمالي للكرة الأرضية، وذلك على طول الحزام ما بين شرق سيبيريا وغرب كندا والولايات المتحدة. أما في شمال إفريقيا فإننا نجد نوعين هنا : نوع جزائري ونوع مغربي كما نجد نوعاً ثالثاً بالأندلس. ينتمي الجنس لفصيلة الصنوبريّات Pinaceae أو التنوبيات Abictaceae.

والشُّوحُ المغربي هو آبْيِيسْ ماروكانا Abies maroccana شجرة عالية، قد تبلغ 50 م من الارتفاع. ذات تاج جميل جداً مخروطي الشكل. جذعه مستقيم حامل لفروع أفقية.

قشرة الجذع رمادية اللون وملساء في الصغر، وتتشقق وتصير بنية اللون وضاربة إلى الاحمرار في الكبر. الأوراق إبرية الشكل مستقيمة وذات طول يبلغ 20 مم وقاعدة عريضة وطرف حاد، ومحمولة على الأغصان في شكل حلزوني. الازهرارات الذكرية على شكل هرّي وذات لون أحمر ضارب إلى الأرجُواني وكثيرة العدد. أما الازهرارت الأنثوية فهي قليلة العدد، خضراء اللون قبل أن تحمر وتظهر في قمة الشجرة. الثمار مخروطية ذات شكل أسطواني وذات طول يتراوح ما بين 12 و20 سم البذور مجنحة.

الشوح المغربي نوع قبسي لا يصادف في أي بلد آخر. وهو نادر جداً إذ لا يعيش إلا في المنطقة الكلسية من الريف الغربي شمال وشرق مدينة شفشاون حيث يقطن في البيومناخات الرطبة وشديدة الرطوبة الموجودة في الطابقين النباتيين فوق المتوسطي والجبلي المتوسطي.

يحبذ الشوح الأتربة الحدسلية الحمراء أو الضاربة إلى السمرة، والسميكة تاركا بذلك الأتربة الصخرية للأنواع الأخرى غير بلوط الزان.

وفي هذه الظروف البيئية يشكل الشوح غابات كثيفة وذات تنوع إحيائي جد غني، بل أغنى الغابات المغربية في هذا المجال. ولكن على مساحة لا تتعدى 3000 هـ في مجموعها المكون من كتلة تالسمطان وكتلة تازاوت. ونظراً لأهمية هذه الثروة وندرتها ولجمال المناظر الخلابة ورونقها، فقد أنشئ المتنزه الوطني لتالسمطان (انظرتالسمطان).

وفي هذا المجال ينظم الشوح عشيرة نباتية خاصة به أو مختلطا في المستويات السفلية مع البلوط الأخضر أو بلوط الزان أو الصنوبر المغربي أو الصنوبر الأسود، وفي المستويات العلوية مع الأرز. ففي الطابق فوق المتوسطي وعلى الأتربة الأكثر سمكا يختلط الشوح مع بلوط الزان تاركان الأتربة الأقل سمكا للبلوط الأخضر والصنوبر وخاصة الأسود منهما. أما في الطابق الجبلي المتوسطي فإن التربة تصير أقل سمكا وأقل ملاءمة للشوح بينما تصير الظروف أكثر ملاءمة للأرز.

تعطي غابة الشوح عدة أنواع من الخشب الجيد والمواد الأخرى للتنوع الاحيائي للمنطقة، المستخدمة في النجارة لصناعة الأثاث وفي صناعة بعض الأواني وأشياء أخرى (انظر قيقب). لكن بسبب ندرة نوع الشوح المهدد بالانقراض، منع منعا كليا استغلال خشبه.

بالإضافة إلى هذه الاستعمالات يستخدم الشوح في التطبيب التقليدي لعدة أغراض.

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc. évaluation et préservation de la biodiversité*. Paris, et Rabat, 2000, 360 p. ; L. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris, 1938.

عبد المالك بنعبيد

الشَّوْدَري بفتح الشين والدال والراء المكسورة، اسم عائلة أندلسية مازالت موجودة بتطوان وأصلها من مدينة (شوذر) من أعمال جيّان بالأندلس، ولكنه ينطق بالدال المهملة، وقال شيخنا الرهوني بأن أصلها من غُمارة. قال الأستاذ داود ولا آدري مستنده في هذا.

أول من عُرف منها أواسط القرن الحادي عشر الهجري : الفقيه العدل الأديب السيد علي بن محمد الشَّوْدَري ومنهم الفقيه أبو يعقوب عيسى الشودري من أدباء تطوان، وهو الذي خاطبه ابن زاكور الفاسي من قصيده بقوله :

يا مَن به شرُفت على تطـــوان تطـاون الغـرا بلا بهتـــان

وفي هذا العهد تقريبا كان بتطوان من هذه العائلة : الفقيه الأديب أبو المحاسن يوسف بن محمد الشودري صاحب المنظومة المسماة ورد *الشهي العاطش، وصولة الإسلام بالعرائش* التي قرظها عالم تطوان الحاج علي بركة الأندلسي، وقد أورد داود هذه المنظومة كلها بالمجلد الثاني من *تاريخ تطوان* ومنهم الفقيه إبراهيم جد المذكور يوسف، وله تقريظ على ديوان الرافعي التطواني المحفوظ بالخزانة الداودية. ومن العائلة عدول ونظار أحباس وكان لبعضهم مهارة في الآلة الأندلسية حفظا وعزفا.

م. داود، *عائلات تطوان*، نسخته بخطه بخزانته بتطوان، تاريخ تطوان له. 1 : 421، ط تطوان.

محمد بوخبزة

الشورَى والاستقلال (حزب -) حزب سياسي وطني مغربي، تأسس في ظل كفاح الحركة الوطنية ضد الحماية، ناضل أيام الحماية من أجل نشر مبادئ التربية على الديموقراطية وحقوق الانسان، ومن أجل حصول البلد على الاستقلال. كما ناضل في عهد ما بعد الحماية من أجل تحقيق وإرساء دعائم مجتمع ديموقراطي تحت سلطة نظام ملكية ديموقراطية دستورية برلمانية.

يرتبط اسم حزب الشورى والاستقلال باسم مؤسسه وزعيمه محمد بن الحسن الوزاني، أحد مؤسسي وزعماء الحركة الوطنية الكبار، وباسم عدد من القيادات التي تحملت مسؤولية تسييره في مختلف المراحل. وهي أسماء برزت في العمل الوطني السياسي منذ بدايته سنة 1930 بحركة الاحتجاج ضد الظهير البربري، بل منها من ساهم في العمل في حركة العشرينيات التي شكلت الإرهاصات المباشرة لبداية العمل الوطني السياسي، فشاركت في الحركة الجمعوية الثقافية والمجتمعة بكل تلاوينها، وعملت ضمن الجمعيات السرية الأولى، كما أصبح بعضها عضواً في تنظيمي "الزاوية" و "الطائفة" ثم كتلة العمل الوطني.

في مستهل سنة 1937 نظراً لخلافات في الرؤى بين مكونات قيادة الكتلة، خصوصاً بين التوجه الذي يمثله علال الفاسي والتوجه الذي يمثله محمد بن الحسن الوزاني انشق هذا التنظيم على نفسه في مؤتمر تم عقده بفاس للرقي بالكتلة إلى مستوى حزب سياسي عصري، وإثر هذا المؤتمر احتفظ علال الفاسي وأنصاره بتنظيم الكتلة ثم حولوه إلى حزب أطلقوا عليه اسم "الحزب الوطني لتحقيق المطالب" بينما اضطر محمد بن الحسن الوزاني أمام جنوح المختلفين معه إلى تعميق الخلاف لجمع أنصاره في تنظيم خاص، أطلق عليه اسم "الحركة القومية"، وجعل له جريدتين ناطقتين باسمه هما : جريدة *"الدفاع"* باللغة العربية، إلى جانب جريدة *"عمل الشعب"* باللغة الفرنسية.

ومنذ انشقاق كتلة العمل الوطني توزع الوطنيون بمنطقة الحماية الفرنسية إلى "حزبيين" وهم منخرطو وأنصار "الحزب الوطني لتحقيق المطالب"، و"قوميين: وهم منخرطو وأنصار "الحركة القومية". وفي أواخر سنة 1937 وإثر اصطدام بين الحزب الوطني وسلطات الإقامة العامة، وتعرض قيادته للاعتقال تضامنت الحركة القومية مع الحزبيين، تضامنا عرض قادتها وعدداً من مناضليها للاعتقال والنفي، والتنكيل. وكان نصيب الوزاني مؤسس الحركة هو تسع سنوات من المنفى. بعد هذا القمع وبسبب ظروف الحرب العالمية الثانية وما صاحبها من منع لأي تحرك سياسي وطني تراجع العمل الوطني إلى الخلف ولم يظهر من جديد إلا في بداية سنة 1944 عندما قدم وطنيون من الحزب الوطني ومن تحالف معه ما سمي "عريضة المطالبة بالاستقلال"، وأسسوا على إثرها "حزب الاستقلال". وقد ساهمت الحركة القومية في هذه العودة، وقدمت هي الأخرى عريضة مماثلة بعد تقديم الأولى بيومين، أي بتاريخ 13 يناير 1944، وغيرت إثر ذلك اسمها إلى "الحركة القومية الاستقلالية".

وفي سنة 1946 وإثر انفراجات ما بعد الحرب العالمية الثانية أفرجت السلطات الفرنسية عن الزعيم محمد بن الحسن الوزاني الذي عاد لتوه للعمل السياسي الوطني، وجدد انسجاما مع الشروط الدولية والداخلية تنظيم "الحركة القومية الاستقلالية" بتأسيس حزب سياسي ضم مناضلي الحركة، وعدداً مهما من المنتحقين الجدد، اختار له اسم "حزب الشورى والاستقلال" وفي المؤتمر التأسيسي الذي عقده الحزب بمدينة الدار البيضاء بتاريخ 27-28-29 يوليوز 1946، صادق المؤتمرون على "ميثاق الاستقلال القومي" برنامجا للحزب، وانتخبوا مكتبا سياسيا يشرف على التسيير، وفي بداية شهر ابريل 1950 عقد الحزب مؤتمره الثاني بمدينة فاس حيث صادق المؤتمرون على "ميثاق" يحدد المبادئ ووسائل العمل، وأدخلوا تغييرا على تركيبة المكتب السياسي.

تألف المكتب السياسي لحزب الشورى والاستقلال في

المؤتمر التأسيسي من تسعة مسؤولين هم : محمد بن الحسن الوزاني أمينا عاما، وعبد القادر بن جلون نائبا للأمين العام، وعضوية كل من الحاج أحمد معنينو، ومحمد الفاضل المؤقت، وإبراهيم الهلالي، وعلي العراقي، ومحمد العربي العلمي، وعبد الهادي الشرايبي، ومحمد بن عبد الله. وفي مؤتمر 1950 غادر تركيبة المكتب ثلاثة أسماء هم : محمد العربي العلمي، وعبد الهادي الشرايبي، ومحمد بن عبد الله. وانضاف إلى الذين استمروا في المسؤولية، مسؤولون جُدُد هم : الحاج عبد القادر العلج، ومحمد الشرقاوي، وأحمد بن سودة وعبد الهادي بوطالب، والمهدي بن صابر، وإدريس الكتاني. وفي إطار الهيكلة والتنظيم أصدر الحزب جريدة ناطقة باسمه ابتداء من شهر أبريل 1947 هي جريدة *"الرأي العام"* أسند مهمة إدارتها لأحمد بن سودة، كما أسس الحزب فروعا له بمختلف جهات المغرب، وخلق مجموعة من التنظيمات الموازية : طلابية، مثل "الرابطة القروية" وتنظيم "الطلبة الشوريين"، ونسائية مثل "جمعية أخوات الصفا" التي كان مقرها بمدينة فاس ولها فروع بمختلف مدن المغرب، و"جمعية السيدات المغربيات" التي كان مقرها المركزي بمدينة الدار البيضاء، وشبابية مثل "مغرب الغد" و "الكشاف المسلم" وفنية مثل "إخوان الفن" و "الكوكب المسرحي"، وغيرها. كما فتح الحزب مكتبا له بالقاهرة، وآخر بباريس، وساهم في تأسيس "عصبة الدفاع عن المغرب الحر" التي ضمت إلى جانب بعض الشوريين المستقرين بفرنسا - آنذاك - شخصيات فرنسية متعاطفة مع القضية المغربية.

آمنت قيادة حزب الشورى والاستقلال بدور النخبة في إصلاح المجتمع وقيادته نحو الأفضل، وانحازت على المستوى الفكري والايديولوجي إلى قيم الثقافة السياسية الديموقراطية الغربية دون تفريط في الثقافة العربية الإسلامية، حيث تبنت نوعا من الوطنية الليبرالية، أعلنت من خلالها الولاء للوطن ومعاداة الاستبداد والاستعمار وجعلت الديموقراطية صنوا للاستقلال، كما عبر عن ذلك اسم الحزب، وللوصول إلى الأهداف المتوخاة تبنى حزب الشورى والاستقلال النزعة الاصلاحية المعادية للتطرف والثورة، المتشبثة بـ"الحكمة والسياسة" و"الموعظة والمجادلة بالتي هي أحسن". وقد انعكست هذه الايديولوجية الوطنية الاصلاحية الليبرالية في برنامج الحزب بوضوح، حيث ناضل الشوريون من أجل الديموقراطية ومن أجل الاستقلال، برؤية وزعت المسألة المغربية بين بعدين أحدهما داخلي يقتضي حله، مواجهة الصفة الباطنية للحماية المتمثلة في الاستعمار والاستبداد والاستعباد، عن طريق الكفاح من أجل إقامة نظام "الشورى" بمعنى نظام الديموقراطية، والمؤسسات التمثيلية، والبعد الثاني خارجي، تفرض تصفيته التخلص من الصفة الظاهرية لنظام الحماية بإبرام معاهدة جديدة بين المغرب وفرنسا تلغي معاهدة 1912 وتحل محلها. لقد تجسد هذا الاهتمام بالديموقراطية والاستقلال نظرياً في كل وثائق الحزب، كما تجسد عمليا في تصور اقترحه الحزب على السلطات الفرنسية سنة 1947 لحل المشكلة المغربية الفرنسية، على مراحل، وهو التصور المعروف باسم "مذكرة 23 شتنبر 1947".

على المستوى الحزبي طمح حزب الشورى والاستقلال أن لا يكون حزبا بالمعنى المعتاد، وإنما مدرسة لتكوين أطر سياسية، ولتربية الشعب تربية وطنية، وتأطيره وترشيده من أجل تأطير الوطن. كما آمن بالتعددية الحزبية والمنافسة السياسية الشريفة، وبالتنسيق الحزبي على المستوى الوطني، فدعا مراراً إلى التقارب مع الأحزاب الوطنية خاصة مع حزب الاستقلال. وشارك في جبهة الأحزاب الوطنية التي تأسست بطنجة سنة 1951.

وبالإضافة إلى نضال الحزب من أجل الديموقراطية والاستقلال حسب تصوره وبرنامجه وايديولوجيته حضر الشوريون في كل محطات النضال الكبرى في الخمسينيات، إذ شاركت قواعد الحزب مشاركة فعالة في حوادث 1952 بالدار البيضاء. ولعب زعيمه دوراً مهما لدى الجامعة العربية من أجل طرح القضية المغربية على هيئة الأمم المتحدة، وساهم وفده لدى المنظمات والهيئات الدولية في تدويل القضية المغربية، والدفاع عنها في دورات الهيئة الأممية، خصوصاً في دورة قصر شايو بفرنسا. ولما أقدمت السلطات الفرنسية على نفي السلطان سنة 1953، أدان حزب الشورى والاستقلال بشدة الاعتداء على العرش. وترجمت قواعده هذه الإدانة بالانخراط في المقاومة المسلحة من خلال خلايا ومنظمات خاصة بهم، أو من خلال منظمات تعاونوا فيها مع غيرهم، مثل منظمة "الهلال الأسود".

شارك حزب الشورى والاستقلال في محادثات "ايكس ليبان" التي جرت بفرنسا من أجل حل القضية المغربية، وشارك في حكومة البكاي الأولى بستة وزراء، وفي المفاوضات الفرنسية المغربية التي نتجت عنها اتفاقية الاستقلال سنة 1956، وقد رفض الشوريون المشاركة في حكومة البكاي الثانية، ضد ما اعتبروه مؤامرة في حق حزبهم وتهميشا لمشاركته الفعلية في تسيير الشأن العام في عهد الاستقلال، وتبنوا موقف المعارضة ليصبح حزبهم أول حزب معارض في عهد الاستقلال، واستطاعوا عبر صحافتهم وتجمعاتهم الشعبية الكبرى خصوصا في الدار البيضاء وعبر المجلس الوطني الاستشاري إحراج الحكومات المتعاقبة إزاء قضايا متعددة.

وليستجيب الحزب لمتطلبات المرحلة الجديدة - مرحلة الاستقلال - عمل الشوريون على تجديد بنيته، واطروحاته النظرية، خلال عدة مجالس وطنية، وفي المؤتمر الوطني العام الذي انعقد سنة 1959، وهكذا أصدر الحزب جريدة جديدة باللغة الفرنسية - إلى جانب الرأي العام باللغة العربية - سماها "الديموقراطية"، أسند إدارتها لمحمد الشرقاوي، كما وسع من عدد فروعه وأعاد هيكلتها، وعزز تنظيماته الموازية

بجمعيات جديدة، وأنشأ : "مدرسة الإطار" لإعداد المسيرين، مثلما طعم خطه الايديولوجي بالتأكيد على الديموقراطية، واعتبار الاستقلال مجرد وسيلة لبناء نظام ملكية دستورية برلمانية. وتوضح وثائق المؤتمر الوطني العام الذي عقده الحزب سنة 1959 تصور الشوريين لدولة الاستقلال وبرنامجهم السياسي، والاقتصادي والاجتماعي.

أما بخصوص المواقف فعلى المستوى الداخلي، طالب حزب الشورى والاستقلال وناضل من أجل جلاء الأجانب عن التراب المغربي، واستكمال الاستقلال، مثلما ناضل من أجل بناء دولة ديموقراطية ليبرالية عصرية، ومجتمع عصري ومتفتح، وأفرد القسم الأكبر من مطالبه لإقرار الحريات العامة وإقرار مبدأ حقوق الإنسان والمواطن، ومبدأ التعددية الحزبية والانتخاب في أفق نظام ملكية دستورية برلمانية. وعلى المستوى الخارجي تضامن مع بلدان المغرب العربي ضد الممارسات الاستعمارية، واعتبر استقلال المغرب وتونس استقلالا مهدداً باستمرار مادامت الجزائر تحت سلطة الفرنسيين. ونادى بالتعبئة ومساندة الجزائر في كفاحها كما تضامن مع البلاد العربية والإسلامية، وإزاء كل القضايا ومنح القضية الفلسطينية أولويات كبرى، وناصر حركات التحرر إفريقيا وعالميا.

وفي الوقت الذي كانت قيادة الحزب تعمل على تقويته فكريا وايديولوجيا، وعلى توسيع قاعدته وإحكام تنظيمه، لأداء رسالته كانت عوامل مضادة تستنزف هذا الحزب وتعمل على إنهاكه. وهي عوامل توزعت إلى خارجية وداخلية. فمن خارج الحزب تعرض الشوريون لهجمة عنف سياسي كبرى من طرف حزب الاستقلال، وظفت الاضطهاد النفسي، والاختطاف السياسي، والاعتقال والتعذيب حتى الموت، والاغتيال وغيرها من ممارسات العنف التي أصبحت وسيلة عقاب المنتمين لحزب الشورى والاستقلال كما تسببت في تعطيل جرائد الحزب مرات متعددة، وشل حركة مكاتبه وفروعه في جهات كثيرة، وبموازاة هذه "الظاهرة"، تعرض الحزب لهزة داخلية كبري إثر انضمام أفراد قيادية مهمة، وقواعد كثيرة إلى الجماعة المنشقة عن حزب الاستقلال سنة 1959، لتؤسس معها حزب "الاتحاد الوطني للقوات الشعبية"، فقد قاطع المنشقون الشوريون المؤتمر الوطني العام، وسحبوا معهم لسان الحزب جريدة *"الرأي العام"*، كما استولوا على مطبعته مجردين إياه من رأسمال بشري مهم، ومن وسائل لوجيستيكية رئيسية، سرعان ما ظهرت آثارها واضحة، إذ لم تمض على عملية الانشقاق هاته سوى ثلاثة أشهر، حتى أعلن زعيم الحزب ومؤسسه محمد بن الحسن الوزاني في بلاغ صحفي بتاريخ 4 يناير 1960 تغيير اسم "حزب الشورى والاستقلال" باسم جديد هو "حزب الدستور الديموقراطي".

ميثاق الاستقلال القومي، الصادر عن المؤتمر التأسيسي اللحزب، سنة 1946 ؛ *ميثاق الحزب*، الصادر عن مؤتمر، سنة 1950 ؛ هذه هي *الحماية في مراكش*، وفد حزب الشورى والاستقلال بالشرق ـ لجنة تحرير المغرب العربي، 1953 ؛ *مراكش المغربة في صور*، في سبيل الحرية الغالية، كفاح وثبات وتضحية، وفد حزب الشورى والاستقلال بالشرق ـ لجنة تحرير المغرب العربي، 1953 ؛ *الجلاء التام كما يريده حزب الشورى والاستقلال*، الأمانة العامة، في سبيل مجتمع انقلابي *صالح*، قسم النشر، 1959 ؛ *مذكرات حياة وجهاد*، ستة أجزاء، صدرت عن مؤسسة محمد حسن الوزاني بين سنوات 1982 ـ 1986 ؛ *خطب وتصريحات صحفية* في أربعة أجزاء ؛ صدرت عن مؤسسة محمد حسن الوزاني سنة 1988 ؛ *دراسات وتأملات* في ثلاثة أجزاء، صدرت عن مؤسسة محمد حسن الوزاني سنة 1987 ـ 1988 ؛ أشفورد دوكلاس آي، *التطورات السياسية في المملكة المغربية*، تر. عائدة سليمان عارف وأحمد مصطفى أبو حاكمة، الدار البيضاء، دار الكتاب، 1964 ؛ التجكاني المهدي، *دار بريشة أو قصة مختطف*، الدار البيضاء، 1987 ؛ م. العربي الخطابي، *المغرب في طريق الاستقلال*، الدار البيضاء، 1955 ؛ إ. الكتاني، *المغرب ضد اللادينية*، الدار البيضاء، دار السلمي، 1958 ؛ حسن أحمد المصمودي، *صفحات في تاريخ المغرب المعاصر* ؛ أ. بن سودة، في حديث المفتي، *مسيرة نضال وثبات*، الطبعة 2، الدار البيضاء، 1987 ؛ أ. الحاج معنينو، *المجلس الوطني الاستشاري ومعارضة حزب الشورى والاستقلال، 1956 ـ 1959*، الدار البيضاء، 1986 ؛ *صحافة الحزب*، جريدة الدفاع، 1937 ؛ جريدة *الرأي العام، ما بين سنوات 1947 ـ 1959*.

P. D. I., *Memoire sur la compétence de l'O.N.U dans l'affaire marocaine*, PDI, novembre 1951 ; *Dialogue de sourds, ou les pourparlers franco-marocains, 1947-1950*, Bureau d'édition du PDI, Décembre 1951 ; *Le Maroc et la ligue arabe*, Janvier 1952 ; *La question marocaine problèmes et solutions, le gouvernement français devant ses responsabilités*, Décembre 1954 ; *L'action du peuple*, 1937 ; *Démocratie, 1957-1958* ; L. Cerych, *Europeens et marocains*, 1930-1956, *Sociologie d'une décolonisation*, 1964 ; L. Gravier, *Crise au sein de P.D.I. entre partisan et adversaire d'un rapprochement avec le néo Istiqlal*, *Le Monde* 21 août 1959 ; C.A. Julien, *Le Maroc face aux impérialismes*, Paris, 1978 ; J. et S. Lacouture, *Le Maroc à l'épreuve*, Paris, 1958 ; R. Letourneau, *Evolution politique de l'Afrique du Nord musulmane*, Paris, 1961 ;G. Oved, *La gauche française et le nationalisme marocain, 1905 - 1955*, Paris, 1984 ; R. Rezette, *Les partis politiques marocains*, 2ème éd., Paris, 1955 ; F. Taillart, *Le nationalisme marocain*, Paris, 1947 ; J. Waterbury, *Le commandeur des croyants. La monarchie marocaine et son élite* ; Izarab Ouzzani, *Mohammed Hassan Ouazzani, mémorial du Maroc*, vol. 6.

محمد معروف الدفالي

شوراق، ميمون مقاوم من مواليد سنة 1921 بكبدانة إقليم الناظور. من الرعيل الأول من الوطنيين الذين بذلوا النفس والنفيس في سبيل طرد المستعمر الغاشم وتحرير الوطن. فقد ساهم في عمليات إنزال السلاح من الباخرة *دينا* القادمة من المشرق، حيث يشهد له بعمله البطولي ومثابرته في عملية إنزال السلاح التي استغرقت ليلة واحدة. كما شارك في إخفاء الأسلحة ليتم نقلها إلى مراكز جيش التحرير المغربي. كما ساهم في نقل الحصة المخصصة من الأسلحة إلى الجزائر في إطار التعاون بين أقطار المغرب العربي.

توفي في 24 جمادى الأولى عام 1416 / 19 أكتوبر 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 505295.

شُورِيّة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Soria وهو اسم مدينة إسبانية. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1088 / 1677.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 1461.

محمد ابن عزوز حكيم

الشوك، يطلق على بعض النباتات الشوكية وخصوصا منها كثيرة الأشواك. فهو اسم صفة يستعمل للتصنيف من الناحية النباتية.

تعتبر الأشواك أجساماً مخروطية صلبة وحادة تنفذ إلى الأجسام الرطبة حين تلمسها ويضغط عليها. استعملها الإنسان لوصف النباتات بسبب حدة وخزها وما ينتج عن ذلك من آلام وتورم في الجراح التي تسببها.

تختلف النباتات الشوكية فيما بينها حسب حجم الأشواك وقياسها وطبيعتها. يرجع أصل الأشواك عند بعض النباتات إلى أوراق فقدت لونها الأخضر وتفلطحها وأصبحت نحيفة ومخروطية وصلبة. ويمكن تشخيصها كأوراق متحورة عن طريق ملاحظة مكانها في أسفل البرعم الإبطي أو الفرع بقليل. كما أن الأذنيات والقنابات يمكن أن تتحور إلى أشواك.

وهناك أيضاً أشوك تنتج عن تحور الأغصان وهي عادة تنشأ في إبط الورقة أو أعلى قليلاً منها.

وهناك نوع من الأشواك ينتج عن "نموات" الانسجة الخارجية للساق والبراعم كما هو موجود عند الورد والعليق. وهي لا تختلف في وخزها عن أشواك الأوراق أو الأغصان.

تكثر النباتات الشوكية عادة في المناطق الجافة حيث تعتبر من النباتات المتحملة للجفاف لأن وجود الأشواك يلعب دوراً مهماً في الحد من النتح وذلك عن طريق غلق المسام أو الحد من شدة الضوء والنقص من درجة حرارة الأوراق.

وتوجد النباتات الشوكية كذلك في المناطق التي يكثر فيها الرعي لأنها تتحمل الرعي بسبب وجود الأشواك (نوع من الدفاع الذاتي). وكذلك لاستغلالها المجال الفارغ بسبب انقراض النباتات الأخرى. وفي هذه الحالة، خصوصاً، تلعب النباتات الشوكية دوراً مهما في الحفاظ على النباتات الأخرى من الانقراض حيث تخلق لها ملجأ تنمو فيه وتبذر في حماية من الرعي.

أمثلة من النباتات الشوكية :

- أشواك الأوراق : بعض الصبريات - السكوم - إرنجيوم - التاكة.
- أشواك الأغصان : الثمام، الزعرور، الزخزوف، الكندول، "رامنوس".
- أشواك الأذينات : بعض أنواع الطلح - السكوم - السدر.
- أشواك النموات : العليق، الورد، الكرنينة، الزرنيج "أطراكتليس".

تستعمل في كثير من الحالات النباتات الشوكية، كسياج لحماية المزروعات أو أماكن الحيوانات الأليفة.

علم النبات، تر. الهيئة القومية، للبحث العلمي، الجماهيرية العظمى، 1989 ؛ *جغرافية النبات*، عبد السلام تشاح، نشر إفريقيا الشرق، 1990.

عبد النبي زين العابدين

الشُولُو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Chullo وهو اسم مدينة إسبانية. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

الشُولُو، عبد الرحمن خبير في المدفعية أمره السلطان يوم 6 ذي القعدة 1278 (5 ماي 1862) ليتوجه إلى تطاون "للوقوف على اشتراء المدافع للمدينة من طرف الباشا عبد القادر اشعاش"، وجاء في رسالة سلطانية أخرى بتاريخ 23 صفر 1279 (20 غشت 1862). موجهة إلى الباشا الشعاش أنه يتعين عليه أن "يتفاوض مع الشولو الطبجي في فرمات المدافع التي أمرنا باشترائها بقصد تطاون" وعند وصول المدافع إلى تطوان في شهر رجب 1280 (يناير 1864) وضعها عبد الرحمن في محلها ؛ كما جاء في رسالة سلطانية أخرى إلى الباشا المذكور بتاريخ 21 ربيع الثاني 1280 (5 أكتوبر 1863) أنه يجب توجيه المعلم الشولو إلى طنجة "ليباشر مع النائب محمد برگاش أمر السراير التي جلبت على يد العطار بقصد المدافع القديمة".

وبالإضافة إلى عمله كرئيس لفرقة المدفعية بحامية تطوان كان الخبير الشولو يعمل ميقاتياً بالمسجد الأعظم التطواني من سنة 1280 (1863) إلى أن وافته المنية سنة 1287 (1870).

الشُولُو، محمد مدفعي ماهر كان يعمل بجانب أخيه عبد الرحمن في فرقة المدفعية لحامية تطوان سنة 1246 (1830).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية.

محمد ابن عزوز حكيم

الشوّاف والشوافة، ساحران يزعمان الرؤية من خلال حجب الزمان والمكان معاً، أو من خلال حجب أحدهما دون الآخر، كالاطلاع على ما سيحدث بالنسبة للزمان، ومعرفة ما حدث عن بُعد وخلف الجدران بالنسبة للمكان.

ولحرفة الشّوافة المعروفة في حواضر المغرب وبواديه شبه كبير بالعرافة انطلاقاً من المعنى الاصطلاحي وإن كانت تختلف عنها من حيث الوسيلة والأداة.

وللشوّاف ـ كما يدعي أهل هذه الحرفة ـ قدرة على اكتشاف الفعل والشيء المخبأين والاطلاع على الفاعل والكشف عن أسرار ذلك باستعمال أحد الوسائل التالية :

1 ـ الاتصال بالجن (الخدام) :

وفي هذه الحالة لا يكون الاتصال قائما على علاقة تسخير كما يسود لدى السَّحرة، بل قائماً على وقوع الشواف (الوسيط) تحت المسّ، وخضوعه لساكن روحاني يسكنه ويكون بمثابة عينه التي يرى بها وأذنه التي يسمع بها وربما كان أيضاً لسانه الذي يتكلم به إلى طالب المشورة، ولذلك يمارس هذا النوع من الشوافين طقوسا غريبة تسبق وقوع التلبس المذكور.

2 ـ استخدام القراءة اعتماداً على خط الزناتي أو أسلوب الزايرجية :

وتقوم الوسيلة الأولى على الضرب في الرمل بعظام قصيرة أو مدوّرة وأخرى طويلة مستقيمة تحل محل الرموز التي استعملها الشيخ الزناتي، وذلك للحصول على أوضاع مختلفة يكون لكل منها رمزيته ومعانيه نسبة إلى اسم طالب المشورة أو الشخص المعني بها واسم والدته.

أما الثانية (الزايرجية) فتقوم على استخدام اسم الشخص المعني واسم والدته في حساب مدروس ومعلوم لدى الشواف يخضع الاسمين فيه لجدول مكون من مربعات عددها في الضلع الواحد بعدد حروف الاسمين المذكورين، ليصل من خلال ذلك إلى تركيبات عددية يحولها من جديد إلى حروف لها دلالاتها ورمزياتها العرافية.

3 ـ أسلوب التحليل النفسي :

وهذا في حقيقته شبيه إلى حد كبير ببعض ما يقوم به المحللون النفسانيون مع مرضاهم، حيث يقوم أساساً على دراسة أولية لمظهر الشخص المعني، طالب الاستشارة، وحركاته وسكناته، ونوعية طبعه من خلال شكل وجهه وهندامه ويديه، ومن خلال تغير قسماته خلال مخاطبة الشواف إياه... وبذلك يتسنى لهذا الأخير أن يقف من خلال جس أول لنبض مخاطبه من التعرف على الشيء الكثير عن شخصيته وعما من شأنه أن يؤثر فيه إيجابا وسلبا، ويثير فيه عواطفه ويذكي انفعالاته.

وفي هذا الأسلوب يكون الشواف كالسائق الحاذق ويكون مخاطبه كسركبة لا حول لها ولا قوة منقادة لسائقها تمام الانقياد.

4 ـ القراءة في راحة اليد أو الفنجان أو اللّدون (الرصاص) أو البيضة أو أي شيء آخر : ويكون التركيز خلال ذلك كما في الطريقة السابقة على أحوال الشخص طالب الاستشارة وعلى ردود فعله إزاء ما يلقى عليه من الأخبار والمعطيات التي يفترض أنها إجابة على أسئلته، فمثلا قد يكون هذا الطالب سائلا عن شيء سُرق منه، فيلجأ الشواف إلى الحديث عن أشخاص مفترضين منهم الأصدقاء ومنهم الأقارب من خلال ذكر أوصاف قد تدل على بعضهم، حتى إذا لمس من مخاطبه حركة انفعالية بإزاء ذكر أحدهم ركز الشواف كلامه حول شخصه بما يوحي لضحية السرقة بأنه السارق المطلوب، وكثيراً ما أدى هذا النوع من الشّوافة الكاذبة إلى مآسي وجنايات ذهب ضحيتها أشخاص حامت حولهم التهم بالواسطة ذاتها.

5 ـ أساليب مختلفة لا تخرج عن ذات الشعوذة، تتشابه نتائجها الوخيمة وتعتبر فعلا سُبّة في حق انسانية الإنسان، فبالأحرى إذا كان هذا الإنسان ابن هذا العصر بالذات !

ويبقى القول إن هذه الممارسات جميعها منهيٌّ عنها في الإسلام، وقد صدرت فيها أحاديث نبوية شريفة صريحة تتوعد أصحابها باللعنة ولا تستثني من ذلك كل من يلجأ إلى خدماتهم من الخاصة والعامة على السواء.

محمد عزيز الوكيلي

شويكة، محمد بن الجيلالي. ولد بمكناس أواسط القرن الثالث عشر. ومنذ شبابه انتسب إلى الطريقة القادرية العلمية، فلازم شيوخ الزاوية العلمية بمكناس وواظب على حفظ المدائح والإنشاءات إلى أن أصبح من امهر المنشدين بها.

استقدمه السلطان المولى يوسف إلى الرباط، وضمه إلى المجموعة الفنية التابعة للقصر السلطاني، وأسكنه داراً بالمشور.

ومنذ استقراره بالرباط توثقت صلته بشيوخ الفن بها أمثال عبد السلام گديرة، ومحمد بن أحمد بنمنصور، وعبد السلام بنيوسف. وعن هؤلاء تلقى نوادر صنعات الآلة وإنشادات الطبوع المفقودة كإنشاد حمدان وإنشاد الصيكة.

في عام 1932 رافق الوفد المغربي إلى المؤتمر الأول للموسيقى العربية بالقاهرة. وجاء وصفه في تقرير الرحلة بمنشد القصر السلطاني. وقد كان ـ بعد الفنان الكبير عمر الجعيدي رئيس الجوق ـ عمدة المجموعة في تسجيل الصنعات المختارة، فسائر هذه الصنعات مسجلة بصوته المنفرد. أما بقية أعضاء الوفد فقد اقتصروا على المصاحبة الآلية. وما تزال الأشرطة ـ على قدم العهد بها ـ تقيم الدليل على قوة صوته وسعة طبقته وفخامة نبراته. توفي في منتصف القرن الرابع عشر (20 م).

ع. اللطيف بنمنصور، *مجموع أزجال وتواشيح وأشعار الموسيقى الأندلسية المغربية المعروف بالحايك*، ص. 465 ؛ شوتان ألكسيس، *الرحلة الفنية إلى الديار المصرية*، تعريب عبد الكريم بو علو، المطبعة الرسمية بالرباط، 1932.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الشياظمة، منطقة بإقليم الصويرة في أواخر السهول الأطلسية، يحدها من الشمال قبيلة عبدة، ومن الجنوب قبيلة حاحا، ومن الشرق بلاد أحمر والحوز، ومن الغرب البحر المحيط.

ينتمي السكان إلى العنصر المصمودي مثل قبيلتي مسكالة ورگراگة اللتين يقول الحسن الوزان إنهما كانتا تسكنان الجزء الغربي وجميع السهول المجاورة وتحتلان أربعة أقاليم هي حاحا وسوس وجزولة وناحية مراكش، بحيث لم تكن المنطقة تُعرف قبل قدوم القبائل العربية إليها إلا باسم رگراگة، على طول الجناح الشمالي بينما كان الجناح الجنوبي يُعرف بحاحا.

وتعتبر قبيلة رگراگة من أهم القبائل بمنطقة الشياظمة، نظراً للدور الديني الذي ما زالت إلى الآن تلعبه عن طريق زواياها، كزاوية أقرمود وزاوية رتنانة وزاوية كرات وغيرها. وفي هذا الصدد، يقول عبد الوهاب بن منصور : "فرگراگة أشرف قبائل مصمودة لسبقهم إلى الإسلام وجهادهم في سبيله حتى ليقال إن قدماءهم شدوا الرحلة إلى النبي محمد (صلعم) بمكة في أول ظهوره... وأسلموا ورجعوا إلى المغرب. كانت مواطنهم على عدوتي وادي نفيس "تانسيفت" عند مَصَبه في البحر، ثم تلاشوا في القبائل فبعضهم بسوس وبعضهم بالسراغنة وبعض آخر في جهات أخرى، ولم يبق منهم في مواطنهم الأولى إلا قبيلة صغيرة مندمجة في شعب الشياظمة".

وعليه فإن هذه المنطقة لم تكن في الأصل تحمل اسم الشياظمة قبل توافد بعض القبائل العربية عليها. يقول صاحب كتاب *الاستقصا* إن هذه المنطقة ظلت كلها قبل تعريبها لا تعرف الا باسم رگراگة على طول الجناح الشمالي للصويرة، بينما الجناح الجنوبي كانت توجد فيه حاحا. أما تسميتها الشياظمة، فلم نسمع بها إلا انطلاقاً من العصر السعدي، حيث سمعنا بوزراء شياظميين وكتاب كان لهم نفوذ في بلاط أحمد المنصور".

أما فيما يرجع لأصل كلمة "الشياظمة" التي أصبحت علماً على هذه المنطقة، فهو اسم عربي لهذه القبيلة المضريّة التي جاءت إلى المغرب هي وقبيلة بني حارث وهم رهط من بني هلال ومع بعض العرب من بني معقل الذين كانوا يتوافدون على هذه الناحية في العصر الموحدي، فاختلطوا بقبائل رگراگة وبعض قبائل حاحا وعلى يدهم تعربت شيئاً فشيئاً هذه المنطقة وأصبحت تعرف بالشياظمة. وفي معنى هذا الاسم يقول ابن منظور في *لسان العرب* إن لفظ "الشيظم" و"الشيظمي" يعني الطويل الجسيم الفتيُّ من الناس والخيل والإبل، والأنثى "شيظمة". ويقول عنترة :

والخيل تقتحم الخبار عوابساً ما بين شيظمة وأجرد شيظم

وتتكون منطقة الشياظمة حالياً من عدة قبائل في شمال البلاد، كأولاد الحارث والمخاليف واحمر والمدارعة وأولاد عيسى، والمناصير، والنجوم وأولاد الحاج والثوابت ؛ بينما نجد في جنوب البلاد قبائل مسكالة والحنشان وإدا وگورض والنيرات وأولاد بوخيمة وأولاد حسن والكريمات وزاوية رگراگة.

الركراكي السعيدي، *السيف المسلول* ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ ع. بنمنصور، *قبائل المغرب* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954 ؛ ع. ركوك، *القيادات في ظل الحماية*.

الشياظمي الحاجّي، إسماعيل بن الطاهر بن الحبيب السباعي وُلد سنة 1296 / 1878 ببلاد الرواحلة قبيلة أولاد بوعزيز بدكالة، وبها شرع في حفظ القرآن الكريم على يد والده في المدرسة التي كان يديرها ويطعم طلبتها، غير أن وفاة والده اضطرته إلى الانتقال إلى الجديدة عند أخيه المقدم السيد محمد الشياظمي، وهناك أتمّ حفظ القرآن وعدد من الأمهات، ثم بدأ يحضر الدروس التي كان يلقيها في أهم مساجد المدينة القاضي سعيد بن الهيبة والقاضي أبو شعيب المبخوت ثم رحل إلى فاس لإتمام دراسته بالقرويين، بصحبة رفيقه الطالب محمد الحطاب والطالب عباس البنّاني.

ولما عاد إلى الجديدة التحق بسماط العدول واشتغل بالتدريس، ومن الخصال التي كان يمتاز بها أنه كان دائماً أنيق الملبس والمظهر، لطيف العبارة دقيقها في لفظه وكتاباته. ولقد وقفت على عدة رسوم محررة بخط يده كان فيها من أدقّ وأمثل عدول عصره، كما أنه كان شغوفاً بتحرير المراسلات ذات الأسلوب الرفيع ولازلت احتفظ ببعض النماذج منها، وهي مبوّبة حسب مواضيعها. ومن الفنون التي برزّ فيها علم تراجم الرجال، فحرر المئات من تراجم رجالات دكالة من شرفاء وعلماء وقضاة وأعيان وشيوخ الطوائف الدينية.

وربما كانت هذه الخصال سبباً في كونه انْتُدِبَ للإشراف في سنة 1917 على مصلحة المراسلات التي كانت تبعثها المراقبة إلى عمال وقواد وقضاة دكالة، تلك المراسلات التي كان يتولى ترجمتها بالفرنسية الترجمان ديلمارس Delmerès، مع المراقب المدني المستعرب Reignier.

وإذا ما رجعنا إلى المعلومات المتعلقة برجالات دكالة وبالزاويا الدينية التي كانت منتشرة بها والوارد ذكرها في كتاب *سديّة أزمور وضواحيها* وفي كتاب *قبائل دكالة* من سلسلة مدن وقبائل المغرب، تلك المعلومات التي نسبها المراقب المذكور إلى نفسه بعد ترجمتها إلى الفرنسية، فإنه يظهر جلياً من المبيّضات التي وقفت على بعضها والتي مازلت أحتفظ بها، أنها كانت في الأصل من تحرير الفقيه إسماعيل الشياظمي.

بقي المترجم له يعمل بالمراقبة المدنية طيلة إحدى عشرة سنة، أي إلى سنة 1928، وهو التاريخ الذي توفي فيه أخوه المقدم الشياظمي، فاستقال ليخلف أخاه في وظيف أبي المواريث.

توفي سنة 1351 / 1932 ودفن بمقبرة سيدي أحمد النخل بالجديدة.

وثائق عائلية ؛ وروايات شفوية.

الشياظمي الحاجّي، الطاهر بن الحبيب بن سعيد السباعي، لم نعثر في الوثائق التي بين أيدينا على التاريخ الذي ولد فيه. وكل ما نعلم هو أنه حفظ القرآن الكريم بقراءة ورش وبعض القراءات السبع، ثم بدأ يتردد على حلقات دروس بعض علماء قبيلته ومنهم الفقيه القاضي السيد سعيد بن عمارة الرجراجي، أحد العلماء المشهورين في وقته وإمام جامع سيدي يوسف وخطيبه ومدرس العلم به في الصويرة. وتتلمذ كذلك لابن عمه أبي جابر الحاجي المعروف بالشباني، فتأثر تأثراً كبيراً بما كان يمتاز به هذا العالم من شجاعة وإقدام وحدّة في الطبع وجدّ في العمل وانتصار للحق.

وبعد أن قضى المترجم له فترة من الزمن بمراكش طلباً للعلم، عاد إلى الشياظمة لينهج نهج شيوخه، فانخرط في سماط العدول وبدأ يقوم بالتدريس في مدرسة أولاد الحاج الشهيرة بالشياظمة إلى أن وقع نزاع بينه وبين ابن عمه، القائد سليمان الحاجي المعروف بالخنزة. وتطور هذا النزاع إلى عداوة أدت بالمترجم إلى الهجرة إلى بلاد دكالة حيث تزوج وأسس مدرسة يعلم فيها.

وبعد وفاة القائد الضّوّ، نقل الفقيه الشياظمي مدرستَه إلى قبيلة الرواحلة بدكالة وكانت الدراسة تبتدئ قبل طلوع الفجر ؛ وفي أيام البرد كان الطلبة يجمعون حطب "الكندول"، وهو نبات يكثر في تلك الناحية. ويُوقدون ناراً يلتفون حولها بقراءة ألواحهم على ضوئها وللشعور بدفء حرارتها. وكان الفقيه شديد معاملة الطلبة المتهاونين. وبقيَ يشتغل بالفلاحة والتدريس إلى أن بلغ سنّا عالية.

توفي في متم حجة الحرام سنة 1303 / موافق 29 شتنبر 1886.

وثائق عائلية.

الشياظمي الحاجي، محمد بن الطاهر بن سعيد السباعي وُلد سنة 1259 / 1843 بدار القائد الضّوّ بأحواز الجديد ونشأ بين أحضان والده ثم انتقل إلى مراكش فدرس على أعيان علمائها أمثال ابن عمه محمد بن إبراهيم الحاجي السباعي، ثم ذهب إلى فاس فدرس على علمائها أمثال محمد بن المدني گنون والمهدي بن سودة والمدني بن جلون. وبهذه المدينة أخذ كذلك ورد الطريقة الدرقاوية على شيخها مولاي الطيب بن مولاي العربي، كما تعرف على الأمير مولاي يوسف بن الحسن العلوي. وبعد عودته من فاس انخرط في سماط العدول بالجديدة سنة 1293 / 1876 ثم لم يلبث أن انتُدب للكتابة بمحكمة باشا هذه المدينة وبصفته منخرطاً في الطائفة الدرقاوية، أخذ يلقي كل مساء دروساً في الزاوية الدرقاوية فيحدث الفقراء في أمور دينهم ويفسر لهم رسائل الشيخ مولاي العربي وحكَم ابن عطاء الله ؛ ثم أصبح بعد ذلك لا يمارس العدالة والكتابة بالمحكمة المذكورة إلاّ لماماً، حينما شرع في ممارسة التجارة مع صهره الحاج أحمد الأزموري باستيراد المنتوجات من انگلترا وألمانيا على الخصوص. وفي سنة 1315 / 1897 عين مقدماً للزاوية الدرقاوية بعد وفاة مقدمها الحاج محمد بن يسف الدكالي الفرجي، ثم قام في سنة 1898 بتشييد زاوية أخرى من ماله الخاص، فكان الفقراء لا يغادرون الزاوية بعد صلاة العشاء إلاّ بعد أن تُقدّم لهم قصعة من الكسكس، وهي القصعة التي وصفها الشيخ شعيب الدكالي في حديث طويل بأنها "قصعة أكبر من صلاة الخوف". ولهذه الغاية كان المقدم الشياظمي قد زوّد الزاوية بمطحنة ميكانيكية تحرك باليد لطحن القمح الذي كانت تصنع منه مؤونة الفقراء، كما عمد إلى الأراضي التي كان يملكها حول الزاوية فوزعها على الفقراء بأثمان زهيدة وتقاضى لمدة طويلة، ثم بنى حمّاماً لتمكين هؤلاء الفقراء مجانا من الاغتسال والتوضؤ، تشجيعا لهم على أداء الصلوات في أوقاتها، بل إن حرصه على ذلك كان يحمله أحيانا على ضرب كل منْ وجده نائما في الزاوية أثناء صلاة الفجر.

ويُذكر أن السلطان مولاي يوسف زار المقدم الشياظمي سنة 1331 / 1913 في زاويته وذبح ثوراً على بابها، بمعيته وزير العدل العلامة المحدث الشيخ شعيب الدكالي والحاجب السيد التهامي عبابو.

وكما ورد في *سلسلة مدن وقبائل المغرب* فإن المقدم الشياظمي كان رجلا قويّ البنية حادّ الذكاء واسع الثقافة، يتمتع بنفوذ حقيقيّ بدكالة، ويقال إن تدخله قبل الحماية لدى الثوار في أيام السّيبة، كان له أثر.

وفي سنة 1919، بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، أقيم من جديد معرض ليون التجاري بفرنسا في شهر مارس من ذلك العام فوجهت الإقامة العامة الدعوة إلى عدد من كبار التجار المغاربة لحضور هذا المعرض الدولي، وكان من المدعوين المقدم الشياظمي، فكتب رحلة سجل فيها كل ما شاهده في فرنسا بدقة وبأسلوب حيّ جذّاب، فذكر التجار الذين سافروا معه، ووصف الباخرة التي سافروا فيها ومدينة مرسيلية والحافلة الكهربائية التي نقلتهم إلى زيارة الكنيسة سانتا مرية Santa Maria ووصفها بدقة، وأخبرنا أن الوفد المغربي استقبل بالمعرض من جانب حاكم مدينة ليون، وأورد كلمة الترحيب التي ألقاها هذا الحاكم والجواب الذي ألقاه المقدم الشياظمي نيابة عن الوفد، كما تحدث عن قيمة هذا المعرض ... ولم يبق من هذه الرحلة إلا بضع صفحات.

توفي عن سن تناهز 86 سنة في 28 ربيع الثاني سنة 1347 / 13 أكتوبر عام 1928 ودفن بالزاوية الدرقاوية التي تقع بالدرب الطويل بالجديدة.

وثائق عائلية ؛ وروايات شفوية.

الشياظمي الحاجّي، المصطفى بن إسماعيل بن الطاهر السباعي وُلد بالجديدة سنة 1348 / 1930. وبها أنهى دراسته الابتدائية والتحق بالثانوية الفرنسية الوحيدة التي

كانت بالجديدة، فتابع دراسته بها إلى أن حصل على البكالوريا، فانخرط في سلك التعليم الابتدائي وعمل به طيلة أربع سنوات، ثم اجتاز مباراة الدخول إلى المدرسة الإدارية وبدأ في نفس الوقت يُهيّئ الإجازة في الحقوق. وصادف تخرجه حصول المغرب على الاستقلال ومغادرة عدد كبير من الاداريين الفرنسيين المغرب. فاستدعي من قبل المدير العام للأمن الوطني، لشغل منصب عميد للشرطة

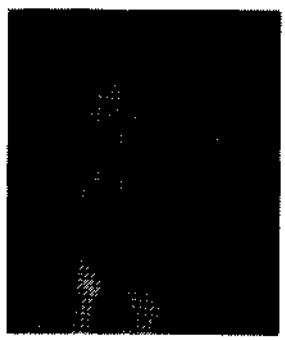

بالدار البيضاء، وبعد ذلك أرسل إلى كلية سانْ سيرْ بفرنسا التي تخرج منها، ثم أسندت إليه رئاسة إدارة الأمن الاقليمي بالرباط. فكان عليه بالإضافة إلى السهر على الأمن بالعاصمة في هذه الفترة التي كان يكتنفها شيء من الاضطراب، العمل على المساهمة في تكوين الأطر الضرورية لمغربة رجال الأمن. وبعد ذلك رقي إلى درجة عميد ممتاز، فعيّن رئيساً للأمن الإقليمي بمراكش.

توفي في فاتح رجب عام 1412 / 6 يناير عام 1992 ودفن بمقبرة الشهداء بالرباط.

معرفة شخصية ؛ ووثائق عائلية.

محمد الشياظمي

الشياظمي، حمّو بن **بركة** قائد بجيش حوز مراكش شارك في معركة وادي المخازن بجانب السلطان مولاي عبد المالك، وقد وصفه الفشتالي في *مناهل الصفا* بالقائد الصدر في عهد السلطان مولاي أحمد المنصور الذهبي.

ع. العزيز الفشتالي، *مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا*، تح. كريم، الرباط، 1972، صفحات 31، 60، 68، 115.

Luis de Ojeda, *Comentario que trata de la infelice jornada del Rey Don Sebstian* (*S.I.H.M. France* I. pag. 575-627).

محمد ابن عزوز حكيم

الشياظمي، علي بن منصور بن المرابط المراكشي، حلاه المقري في *روضة الآس* بقوله : "الفقيه الأديب المتفنن، القائد الرئيس، الكاتب البليغ المشارك أبو الحسن علي بن منصور بن المرابط الشياظمي، من أهل مراكش. لقيته بمراكش المحمية، وشاهدت جملة من أحواله السنية، وهو متول قيادة ألف عنان، جامع بين رئاستي القلم والسنان".

ضنت المصادر التي أوردت بعض أشعاره بترجمة حياته، فلا نعرف شيئاً عن طفولته وشيوخه وعن الفترات التي تولى فيها رئاسة قيادة الجيوش السعدية في عهد السلطان أحمد المنصور، ولاشك أنه كغيره من معاصريه درس على شيوخ العصر كالشيخ المنجور والقاضي الحميدي والفقيه السراج وغيرهم من العلماء الذين أخذ عنهم أغلب شعراء وكتاب هذا العصر، يقول المقري : "رأيته في مجلس البخاري يورد كثيراً من الأسئلة الدالة على رسوخ قدمه في الفنون، ويجيب عن الأسئلة". أما توليه قيادة الجيش فيظهر أنها كانت في فترات مختلفة، داخليا في استئصال الفتن الداخلية، وخارجيا في المعارك التي خاضتها الجيوش السعدية في بلاد السودان، وإن لم تنص المصادر على ذلك بالحرف.

وإذا كان مؤرخو عصره وغيرهم قد أغفلوا الحديث عن حياته في فترات مختلفة، فإنهم أوردوا له مجموعة هامة من الأشعار التي أنشدها في مناسبات مختلفة، بل إنهم أبدوا آراءهم في هذه الأشعار وفي صاحبها، من هؤلاء الفشتالي الذي أشاد به في أكثر من موضع في كتابه مناهل الصفا، يقول عنه في تقديم إحدى قصائده : "الفقيه الأديب البليغ الأريب القائد أبو الحسن علي بن منصور الشياظمي"، ويحليه في مناسبة أخرى بقوله : "الفقيه الأصيل الفاضل الجليل نادرة العصر ونخبة الدهر القائد أبو الحسن..." ولعل أهم تقريظ أصدره الفشتالي في حق الشياظمي قوله : "الفقيه الفاضل، جملة السذاجة وكرم الخلق، طيب النفس، جميل العشرة وطيء الكنف في الطبع، مسترسل عنان النشأة على الفطرة، جامع لمحاسن الأدوات من طلب ممتع وأدب بارع، وخط رائق وقلم فصيح وسيف باتر وسنان عامل القائد أبو الحسن علي بن منصور الشياظمي"، كما تحدث عن شاعريته وبراعته ابن القاضي في *درة الحجال*، قال : "له نظم رائق ونثر فائق... وهو من أعيان الأفاضل الأماثل، وله مقطعات كثيرة في غاية الجودة والإجادة في نوعها".

أما غير معاصريه، فقد أورد له اليفرني في *نزهة الحادي* مجموعة من أشعاره كان يقدم لها بقوله : "قال الوزير القائد أبو الحسن علي بن منصور الشياظمي" أو : "القائد الوزير الفقيه" أو "الوزير الأديب القائد". كما أورد له الناصري في *الاستقصا* قصائد شعرية متنوعة يقدم لها بقوله : "قال الوزير القائد" أو "قال الوزير الأديب".

لقد برع الشياظمي في قصائده المولدية بصفة خاصة، إذ كانت مشاركته كغيره من الشعراء مباراة رسمية يسعى من خلالها إلى إبراز تفوقه على غيره وإلى الفوز بجائزة السلطان وإعجابه، وقبل ذلك إلى التعبير عن مشاعره الدينية الصادقة، وعن حبه للرسول عليه السلام ولعشرته من بعده، ومن ثم تميزت قصائده المولدية بنفس روحي يرتقي بصاحبه إلى عالم قدسي لا يملأه غير التذكير بصفات الرسول ومعجزاته، وغير امتداح أخلاقه وخلاله.

وعن براعته في النظم يقول المقري : "ونظمه كما علمت في غاية السلاسة والسهولة، وأغراضه فيه مقبولة".

أما بالنسبة لأمداحه، فقد نبه مؤلف *"الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى"* إلى انتهاج الشاعر طريقة الغلاة في المدح، فهو يقول عن إحدى قصائده المدحية : "والقصيدة على تواضعها بألفاظها وقوافيها تذكرنا بلهجة الجراوي لدى الموحدين، وتعيد إلينا ما كان عليه أولئك إزاء الأيوبيين الأتراك بما كان عليه هؤلاء السعديون إزاء العثمانيين الأتراك".

وقد حرصت على جمع أشعاره وتحقيقها وضبطها في كتابي *"الشعر المغربي في عصر المنصور السعدي"*، أما نثره، فقد أشاد به المقري إذ قال عنه : "له يد طولى في المنظوم والمنثور" وهو : "المشارك الأديب، مستلقي راية الأدب باليمين، والمتآلي ألا يشارك في نيلها باليمين، من قصرت عن مجاراته عن أرباب البيان الخطى، وتسنم غارب الإجادة دونهم وامتطى، قيد اللواحظ ببيانه وبنائه، ومستوقف الطرف بلسانه وسنانه، مجرى أنفاس المحابر على صفحات المهارق، ونجيع الكماة على صفاح الصوارم في المآزق".

توفي بالوباء عام 1012 / 1603.

أ. المقري، *روضة الآس*، ص. 173 ؛ ابن القاضي، *درة الحجال*، ج 3 : 258 ؛ ع. العزيز الفشتالي، *مناهل الصفا*، تح. كنون في أماكن متفرقة، *المنتقى المقصور*لابن القاضي في أماكن متفرقة ؛ اليفرني، *نزهة الحادي*، طبعة حجرية، ص. 136 وغيرها، تح. الشاذلي، ص. 188 ـ 202 ـ 235 ؛ ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 9 : 191 ؛ الناصري، *الاستقصا*، ج. 5 : 157 ؛ محمد حجي، *الحركة الفكرية*، المحمدية، 1977، ج. 2 : 379 ؛ ابن تاويت، *الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى*، الدار البيضاء، 1984، ج. 3 : 677 ؛ نجاة المريني، *الشعر العربي في عصر المنصور السعدي*، ص. 383.

نجاة المريني

الشياظمي، محمد بن بركة قائد مشارك في معركة وادي المخازن بجانب السلطان مولاي عبد المالك، وقد ذكره الفشتالي في *مناهل الصفا* من بين قواد الجيش في عهد السلطان مولاي أحمد المنصور الذهبي.

ع. العزيز الفشتالي، *مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا*، تح. كريم، الرباط، 1972، صفحات 75، 77، 93، 167.

Luis de Ojeda, *Comentario que trata de la infelice jornada del Rey Don Sebstian* (S.I.H.M. France I, pag. 575-627).

محمد ابن عزوز حكيم

الشِّيبَة أو الشَّهيبة أو الشُّهَيْبة أو شيبة العجُوز أو شعرة مريم أسماء لنوع أرطماسيا آربوريسانس Artemisia arborescens من جنس الشيح (انظر الشيح) الذي ينتمي إلى فصيلة النجميات أو المركبات Asteraceae أو Compositae.

الشهيبة جنيبة يبلغ علوها ما بين 40 و100 سم. أوراقها ذات لون فضي حريري وجد مقسمة. ازهاراتها رؤيسية الشكل ومجمعة في سنيبلة متشعبة وكثيفة. أزهارها بيضاء مائلة إلى الاصفرار.

يصادف النوع في الجزء الغربي من المنطقة المتوسطية. أما في المغرب فإنه يتواجد طبيعيا على الأجرف الساحلية المتوسطية، لكن الإنسان استعمله منذ أقدم العصور كنبات طبي وعطري، فغرسه في الحدائق القريبة من المنازل.

أشهر استعمالات الشهيبة هو استخدامها في تعطير الشاي في فصل الشتاء. كما تستعمل في التطبيب التقليدي لعدة أغراض.

J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle. médecine arabe ancienne et savoirs populaires*. Paris, 1997 ; A. Benabid, *Flore et écosystème du Maroc. évaluation et préservation de la biodiversité*. Paris, Rabat, 2000.

زينب بنرحمون

الشّيبُو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس وقد انقرضت بتطوان سنة 1088 (1677). كان منهم فقيه زاول خطة العدالة بالمدينة لمدة طويلة ابتداء من سنة 1055 (1645) وكان من بين الذين شهدوا بظلم أولاد النقسيس وطغيانهم في شوال 1078 / أبريل 1668.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون*، (تطاون 1999، والمراجع في الرقم 1477.

محمد ابن عزوز حكيم

الشّيح أو أرطماسيا أو أرطاماسيا أو عبيثران أو أفسنتين بالعربية أو إفْسي أو فسّي أو إيزري بالأمازيغية، أسماء لأنواع جنس نباتي يعرف بالفرنسية بـArmoise وعلميا بأرتيسْيا Artemisia الذي ينتمي إلى فصيلة المركبات أو النجميّات Asteraceae. يمثل الجنس بالمغرب بـ 14 نوعاً منها 8 أنواع قبسية لا توجد في بلد آخر. كل أنواع الشيح جُنَيْبات أو جُنَيِّبات عطرة، وذات لون أشهب (انظر الشهيبة). ازهاراتها على شكل رؤيس صغير ذي قنابات شفافة الحواف وأزهار أنبوبية الشكل.

تعيش أنواع الشيح عموماً في المناطق السهبية من السهول والهضاب والجبال.

لأنواع الشيح عدة فوائد. فهي عطرية تستعمل لتطييب الشاي، وطبية تستخدم لمعالجة عدة أمراض، لكن المقادير الكبيرة تصبح سامة للإنسان. ومن فوائد البعض منها أيضاً أنهار رعوية.

نذكر من أهم أنواع الشيح :

ـ الشُّهَيْبَة أو الشَّهيبَة أو الشيبة (انظر الشهيبة) أو الشيح الشجيري أو علمياً أرتيسيا آربوريسانس Artemisia arborescens وهو النوع الشائع الاستعمال لتعطير الشاي في فصل الشتاء.

- الشيح الرومي أو الافسنتين أو أرتميسيا أبسانتيوم Artemisia absinthium وهو النوع الشائع الاستعمال في التطبيب العصري كما كان ومازال يستخدم في التطبيب التقليدي. إنه جنيبة قائمة يتراوح علوها ما بين 40 و80 سم، ذات سيقان عشبية، أوراقها كبيرة الحجم نسبيا، ريشية، ذات لون فضي ومكسوة بزغب ناعم.

يصادف النوع طبيعيا في معظم أرجاء المناطق المعتدلة من العالم القديم، لكنه نادر جداً في المغرب إذ لا يمثل إلا بأفراد متناثرة في غابات الأرز للجزء الشرقي من الأطلس المتوسط الخاضع للبيومناخين شبه الرطب والرطب. وهو يعيش في الطابقين فوق المتوسطي والجبلي المتوسطي.

كما هو الشأن بالنسبة للشهيبة، يكثر استعمال هذا النوع في صناعة الأدوية وفي التطبيب التقليدي، كنبات مسخن ومقو ومسهل للهضم والتبول، ومضاد للحرارة وديدان الأمعاء وغير ذلك. إنه مصدر لزيت عطري يستخرج بعلمية تقطير الأوراق ويستخدم في صناعة أدوية التدليك، لكنه ضار جداً إذا استعمل بكمية كبيرة. يستخدم كذلك في تطييب المشروب المعروف باسم أبسنت وهو شراب محرم.

- الشيح العادي أو الشيح الأبيض أو علميا أرتميسيا هيربا آلبا Artemisia herba-alba أو حاليا أرتميسيا إنكولتا Artemisia inculta وهو أشهر أنواع الشيح لأنه واسع الانتشار في سهول وهضاب المناطق الجافة وشبه الجافة في كل بلدان شمال إفريقيا من المغرب إلى مصر وجنوب أوروبا.

إنه جنيبة يتراوح علوها ما بين 30 و60 سم. ذات سيقان عديدة، ومكسوة بزغب ناعم. أوراقها ريشية، قصيرة، وبرية وفضية اللون. إزهاراتها عنقودية الشكل وغير كثيفة. رؤيساتها الزهرية قليلة الأزهار نسبيا.

يعيش النوع في ما يسمى عند أهل المغرب الشرقي "بلاد الشّيح والرّيح" للتعبير عن البلاد التي لا ينبت فيها إلا الشيح الذي يسود كافة المنطقة. ولهذا نراه يكسو بعشائره السهوب الطينية والمراعي الجافة وشبه الجافة في الهضاب والجبال قليلة الارتفاع من الجزء الشرقي من الريف وكافة أنحاء المغرب الشرقي وما بين الأطلس الكبير والأطلس الصغير. وفي جل أنحاء هذه المناطق كما هو الشأن في الهضاب العليا بدول شمال إفريقيا يتقاسم الشيح مع الحلفاء هذه الأراضي. فالشيح يقطن الأترية الطينية والطميية تاركا الأترية الصخرية والحجرية للحلفاء.

أهم استعمالات الشيح هو الرعي من طرف الأغنام التي يكون لحمها عطراً ولذيذاً بفضل أكلها لهذا النبات. لكن الرعي المفرط والمشاريع الفاشلة "لتحسين" المراعي باستبدال الشيح بأنواع من النجيليات مثل أگروبيروم Agropyron أو بالقطف الاسترالي Atriplex nummularia، أدت إلى تدهور خطير أو تدمير كامل لتشكيلات هذا النوع الرعوي الممتاز. وذلك ما يلاحظ في منطقة بوميا بناحية ميدلت أو بتاندرارا وأبو عرفة في المغرب الشرقي.

أما في ما يخص الاستعمالات الأخرى فإنها عديدة جداً كما يشير إليها المثل المغربي بالعامية : "اللّي مْجرّب الشيحْ، ما يفوتّ قدّامُوا بلا مايديّه" أي أن الإنسان المجرب لفوائد الشيح لا يمر بجانبه هذا النبات دون أن يقطفه ليأخذه معه. فالشيح مفيد ضد ديدان الأمعاء والجراثيم والبرد وعدة أمراض أخرى. ولهذا يستعمل في عدد كبير من الوصفات في التطبيب الشعبي، وكذلك في بعض المأكولات كتحضير مرق الحلزون المحبذ أكله من طرف أغلبية المغاربة خاصة في الشتاء ضد أمراض هذا الفصل، إضافة إلى كل هذه الميزات المفيدة جداً، يعطي الشيح عسلا رفيعا وذا أهمية كبيرة في التطبيب التقليدي.

- شيح ما بين الأطلسين المتوسط والكبير أو علميا أرتميسيا ميساطلانطيكا Artemisia mesatlantica جُنَيْبة يتراوح علوها ما بين 20 و 40 سم، ذات سيقان متعددة، مكسوة بزغب ناعم. أوراقها قصيرة، ومكسوة بزغب فضي، وريشية. إزهاراتها مجتمعة على شكل شمْراخ أي عنقود تكون فيه الفروع الوسطى أطول من الفروع العليا والسفلى.

إنه نوع قبسي خاص بسهول وهضاب المنطقة الموجودة ما بين الجزء الأوسط من الأطلس المتوسط والجزء الغربي من الأطلس الكبير الشرقي، حيث يصادف في الطوابق النباتية ما بين المتوسطي والجبلي المتوسطي وذات البيومناخات شبه الجافة وشبه الرطبة والرطبة.

يستعمل النوع لنفس الأغراض المشار إليها بالنسبة للنوع السابق الذكر، لكن سهوبه ضيقة المجال.

- الأنواع الأخرى من الشيح أغلبها قبسية وتصادف في مجالات جبلية من السلاسل الأطلسية. وتعرف باستعمالات محلية تشبه تلك التي ذكرت في ما يخص الأنواع الأخرى من الشيح.

أبحاث شخصية.

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc. évaluation et préservation de la biodiversité*. Paris, 2000 ; J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle. médecine arabe ancienne et savoirs populaires*. Paris, 1997.

عبد المالك بنعبيد

الشيخ : يلقب به من يفترض فيه أنه اكتسب دراية وتجربة في حياة طويلة حتى ولو لم يكن من الشيوخ المعمرين، وبها يستحق أن يرجع إليه في علم أو توجيه وإرشاد أو صناعة أو فن. تقابل كلمة الشيخ في مجال المتكلمين بالأمازيغية بالمغرب كلمة "أمغار"، فلتراجع المادة في هذه المعلمة. والتفوق في الدراية يوجب الوقار ويستدعي الطاعة والاقتداء. وسلطة الشيخ معنوية أو مادية أو هما معا.

شيخ *القبيلة*. ربما كان هذا الصنف أقدم وجودا من غيره وأعم لم يصل إلينا أثر يدل بما لا يدع مجالا للشك أن أصل هذه المشيخة ديني أو سحري، ولكنها ظهرت سلطوية، عائلية

في الغالب، متوارثة في بعض الأحيان، تناوبية في بعض الحالات الأخرى، حيث يتولاها شخص لمدة معينة عن فرقة من القبيلة ثم تنتقل إلى شخص من فرقة أخرى. ومن آثار وجود هذا الشيخ المختار من الجماعة في الماضي الاسم الذي يطلق عليه وهو "أمغار ن توگا" ومعناه شيخ الربيع، لأن الجماعة عند اختياره تلقي عليه باقة زهور. وقد ظهر أيضاً أن مجالس تدبير شئون القبائل يتكون من عرفاء يطلق عليهم اسم الشيوخ، وهم حريصون على منع استبداد شيخ بغيره من الأقران، ولكن هذا الاستبداد تأتى كلما سنحت الفرصة. والغالب أن يساعد عليه تدخل أو مساندة من ولاة الدولة المركزية في المدن والجهات، وفي داخل القبيلة ومجموعة اتحادية من القبائل وحتى بمنأى عن التأثير المباشر للدولة كان لكل فرقة شيخ وكان للقبيلة "شيخ أعلى" يكون إلى نظره بقية الشيوخ.

ومن أصداء المشيخات التاريخية الكبرى التي وصلت إلينا تلك المتعلقة "بأشياخ" قبائل الموحدين، وهم حلفاء ابن تومرت من المصامدة خاصة للإطاحة بالمرابطين ثم حلفاء وارث فكرته ومؤسس الدولة عبد المومن وخلفائه في دعم الدولة، وكانت لهم دالة عليها في مرحلة أولى ثم ضعف نفوذهم شيئاً فشيئا في هرم السلطة الموحدية. ثم ظهرت على المسرح في العهد المريني مشيخات كبرى في الجبل كمشيخة هنتاتة. الذين وصف ابن الخطيب حضارتهم ونفوذهم في رحلته "نفاضة الجراب". وقد تسمى بعض سلاطين الدولة السعدية بالشيخ.

"الشيخ" كمؤسسة لقب كل واحد من مديري السلطة في البوادي سواء في مجال الأمازيغ أو مجال قبائل العرب، وهو منصب تكيف حتى مع وجود سلطة عمال المخزن أو تعيين شيوخ متميزين على غيرهم قوادا للمخزن في القبائل. وحتى في حالة وجود عامل مخزني في المدينة ووجود قائد تابع له كان من قبل شيخا في قبيلة فإن الشيوخ ظلوا يدبرون شئون فرق من القبائل إلى يومنا هذا وحتى مع وجود الجماعات المحلية ورؤسائها المنتخبين، فالشيخ يشرف لحساب سلطة القائد الإداري على عدة قرى يمثله في كل قرية مقدم. بل إن مقدمي الأحياء في المدن صار لهم مشرف على مستوى الدائرة الحضرية يحمل لقب "الشيخ".

ومن القوانين المنظمة لوظيفة الشيخ :

- ظهير 16 فبراير 1916 الذي ينص على أن تعطى لكل شيخ سنتيمات في تحصيلات ضريبة الترتيب السنوية ؛
- ظهير 6 أبريل 1956 الذي ينص على أن القواد كرجال سلطة في عهد الاستقلال يساعدهم في مهمتهم شيوخ [...] ونص على أن الشيوخ يعينون ويعزلون بقرار يصدره عامل الإقليم باقتراح من القواد. كما أشار إلى مرسوم يحدد الشروط التي تمنح بمقتضاها تعويضات الشيوخ للقيام بمهامهم. وبهذا ألغيت المقتضيات التي كان الشيوخ بمقتضاها ينالون قسطا من محصول الضرائب ؛
- مرسوم 3 أكتوبر 1956 الذي نص على الشيوخ يتلقون بموجب قرار صادر من عامل الإقليم تعويضا شهريا عن القيام بالوظيفة يتراوح مقداره بين 20 000 و30 000 فرنك، وذلك حسب أهمية القبيلة أو الفرقة ؛
- مرسوم 14 يناير 1961، بشأن تعويض شيوخ طرفاية ؛
- مرسوم 20 شتنبر 1973، يحدد تعويض الشيوخ القرويين بما يتراوح بين 300 و400 درهم ؛
- مرسوم 20 يوليوز 1979، ينص على أن الشيوخ القرويين يتقاضون تعويضا يتراوح بين 330 و400 درهم شهرياً ؛
- مرسوم 17 يوليوز 1995، ينص على منح تعويض عن التجول للشيوخ الحضريين يتراوح بين 165 و240 درهماً.

وبحكم قرب الشيوخ من ميدان ممارستهم السلطة ومعرفتهم بالناس فقد لعبوا دوراً مهماً في الوساطة في تنفيذ تعليمات السلطة وفي استخباراتها، وهم يعطون شهادة إدارية تثبت السكنى وتحمل معلومات يحتاج إليها الأشخاص في عدد من التدابير الإدارية، بالإضافة إلى أنشطة أخرى تتعلق بممارسة السلطة وبالاستخبار.

كان لكل تجمع لليهود في مدينة أو قرية شيخ منهم يسمى "شيخ اليهود"، يعينه القائد أو العامل المسلم برضا أهل ملته في الغالب ويكون واسطة بينهم وبين ممثل المخزن، يتولى تنظيم الشرطة في حي اليهود أي الملاح.

شيخ العلم، يطلق على المدرّر في الكُتّاب القرآني كما يطلق على المدرس في الجوامع التي هي بمثابة مدارس لفنون العلم الراقية. ولما كان التلقي المباشر عن المعلم وهو ما يسمى بأخذ العلم، أهم من الكتاب في دور تمرير المعارف عبر الأجيال، فإن الشيخ هو المعتبر في الإجازة، وكل إجازة في فنون العلم تستمد قيمتها من سمعة الشيوخ الذين أعطوها. فكل مدرس عالم هو شيخ لمن أخذوا عنه، وبعض تراجم المدرسين تكون "معاجم الشيوخ". والشيخ يبني شهرته بعطائه قبل أن تكرس تعيينه سلطة قائمة. ومشيخة العلم جامعة مشاركة أو متخصصة وتفترض شخصية متميزة بأخلاق وطبع متميز. وفي كل بلد شيوخ مقصودون مهيبون.

شيخ الجماعة، هو رأس الشيوخ العلماء في بلد مشهور بالعلم بفاس ومراكش، ومن الأسماء المتأخرة في هذه الخطة غير الرسمية اسم الشيخ أبي شعيب الدكالي انظر اسمه بالمعلمة.

شيخ العلماء، خطة اقترحها الدستور المقدم للسلطان مولاي عبد العزيز من طرف عبد الكريم مراد، وقد عرفه بأنه "ناظر أوقاف العلماء والمدارس ومواضع التدريس". وهو فيه بمثابة وزير للتعليم.

شيخ التصوف، استعملت كملة الشيخ لكل متصوف مشهور منذ بدايات التصوف بالمغرب في القرنين الخامس والسادس الهجريين. ومشاهير شيوخ ذلك الوقت هم مادة كتاب *التشوف* لابن الزيات. ومنهم أصحاب رباط تيط

بدكالة ويحمل كل واحد منهم لقب "أمغار" أي الشيخ بالأمازيغية. أطلق الشيخ في هذه البدايات على كل من له أصحاب يعتقدون في صلاحه.

وفي عهد لاحق انتظمت الطرق الصوفية ونسبت إلى الشيوخ ثار جدل في الأندلس والمغرب حول ضرورة اتخاذ الشيخ أو عدم لزوم اتخاذه. وقد صدرت في الموضوع فتاوى ولا سيما في ما بين القرن السابع والقرن العاشر. وقد تحدث ابن خلدون عن هذه المسألة في كتابه *شفاء السائل لتهذيب المسائل* فقال: "ثم اعلم أن افتقار هذه المجاهدات إلى الشيخ المعلم، والمربي الناصح، ليس على سبيل واحدة؛ بل هو في بعضها أكمل وأولى، وفي بعضها أحق وآكد، وفي بعضها أوجب، حتى إنه لا يمكن بدونه". وقال: "... وأما مجاهدة الاستقامة التي هي التخلق بالقرآن وبخلق الأنبياء فمحتاجة إلى الشيخ المعلم لعسر الاطلاع على خلق النفس، وخفاء تلونات القلب، وصعوبة علاجها ومعاناتها".

وهكذا صار التصوف على طريقة الجنيد مكملة لعقيدة المغاربة الأشعرية وأخذهم بفقه الإمام مالك، ودرجوا على الإقرار بذلك وتحصيله في منظومات مبادئ مثل *المرشد المعين* لابن عاشر حيث ورد من شروط المتصوف:

يصحب شيخا عارف المسالك يقيه في طريقه المهالك

فالذي يصحب الشيخ يسمى المريد، والأخذ عن الشيخ يبدأ بعلامات تغلب عليها المصافحة في المغرب بالنسبة للرجال. والتربية تكون بالأذكار وقراءة الأحزاب وباتباع سلوك محاسبة النفس، وربما وقع تركيز داخل خلوة.

ليس لشيوخ التصوف بالمغرب مشيخة عامة مفروضة وإنما كل شيخ مقر بسلسلة أخذه وغالبها تنتهي إما إلى الشاذلي بواسطة الجزولي وإما القادرية منذ دخولها إلى المغرب وإما إلى التجانية، وليس لشيوخ المغرب هيئة ظاهرية مميزة في اللباس وغيره مما ببلاد الشرق من السمات وإن كان بعضهم تخضب بالحناء.

وشيوخ التصوف في المغرب بعضهم ربى المريدين، وهؤلاء هم الشيوخ بكامل الاصطلاح، وبعضهم إنما اشتهر بالبركة والصلاح وإجابة الدعوة وقد كتبت في أخبار بعضهم تراجم متخصصة وأفردت لآخرين مناقب وألفت، ولاسيما في شيوخ الطائفة المنحدرة من الجزولي، كتب "كالتحفة الصديقية" للفاسي.

شيخ الصنعة، يطلق لفظ الشيخ على كل متمهر يرجع إليه أصحاب حرفة أو صنعة أو فن كشيخ الرماة أو شيخ المصاقرية أو شيخ الحيالة. ودور الشيخ في الحرف يكون ذا طابع تحكيمي عند فض النزاعات والنظر في النوازل، فالشيخ هنا كالأمين خبير في مجال معين من الحياة الاقتصادية أو الاجتماعية أو الفنية. ومن ذلك شيخ النظار، وهم الخبراء المحكمون في شئون العقار، وشيخ الفلاحين، وشيخ "الكسابة" وهم مربّو الماشية ورعاتها.

شيخ الطرب، يلقب بشيخ الملحون الشاعر البارع النظم في هذا الفن، ويسمى أيضاً بشيخ الكلام". وقد يطلق على منشد غير ناظم أو على عازف موهوب، فيقال له "الشيخ الموهوب".

شيخ البئر، روحاني وهمي يعتقد أنه يسكن الآبار داخل الدور، ويخوف الأطفال لتسكينهم.

الجريدة الرسمية (التواريخ المذكورة أعلاه). آ. البيذق، *أخبار المهدي ابن تومرت*؛ ابن الزيات، *التشوف*؛ ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*؛ م. المهدي الفاسي، *تحفة أهل الصديقية*؛ ر. لوتورنو، *فاس قبل الحماية*.

أحمد التوفيق

ابن **الشيخ مفتاح، عبد السلام**، هو سبط الشيخ ماء العينين وابن ولد أخيه: السيد محمد مفتاح الخير بن الشيخ الطالب أبي بكر. ولد في اسمارة سنة 1327 / 1909 قبيل انتقال آل الشيخ ماء العينين إلى تيزنيت، حفظ القرآن ومبادئ العربية على يد أمه السيدة آمنة الشفا المتوفاة سنة 1339، وهي من بنات الشيخ ماء العينين العابدات الصالحات. تلقى تكوينه العلمي والأدبي على يد شيوخ المدرسة المعينية ويعرف بالشام. له أشعار كثيرة تتناول مواضيع متنوعة من وصف ورثاء وغزل وإخوانيات ووطنيات نشرت بعضها في جريدة *صحراء المغرب* و*صحرائنا* وبعضها ما يزال مخطوطاً بخزانة ابنه المرحوم عمر الشام.

توفي سنة 1987.

الشيخ مربيه ربه، *قرة العينين في كرامات الشيخ ماء العينين*، ورقة 142، مخطوطة خاصة؛ ماء العينين بن العتيق، *سحر البيان في شمائل شيخنا ماء العينين الحسان*، 70 ـ 144؛ م. الظريف، *ديوان العلامة الأديب محمد البيضاوي الشنجيطي*، تح. م. الظريف، سلا، 2000، ص. 264؛ *الحياة الأدبية في الزاوية المعينة*، ص. 285، د. د. ع. مرقونة.

محمد الظريف

الشيخات (جمع شيخة) تعني النساء اللواتي يتخذن من الغناء والرقص حرفة. وهي ترادف أحيانا معاني قدحية مثل العاهرات والراقصات. وإذا حاولنا تتبع نشأة الشيخات لا تسعفنا المصادر في الوصول إلى ذلك ولا تمكننا من الكشف عن هويته وما تصادفه الحديث عن شاعرات أو مغنيات في بلاطات الأمراء وأصحاب القرار وفي بعض الأحيان من هن من دخلن في صراع مع ممثلي المخزن مثلاً الشيخة حادة والقائد عيسى بن عمر العبدي في نهاية القرن التاسع عشر والتي نسجت عنها الذاكرة الشعبية أسطورة وعيطة خربوشة وان كنت أستبعد أن هذه المرأة تعتبر شيخة بالمعنى الحالي ولكن كانت شاعرة تدافع عن قبيلتها.

وإذا سلمنا بأن الشيخات فرق يحترفن الغناء والرقص في المجتمعات الزراعية حيث كانت تسود الحياة الجماعية فإن عملية الغناء كذلك كانت تتم بطرق جماعية وهذا ما نلاحظه في جميع رقصات المغرب تقريبا على رأسها

أحيدوس حيث تكون مشاركة النساء بشكل مكثف. ومع تطور وسائل العيش والحياة داخل الحواضر بدأ النساء يقتحمن هذا الميدان شيئا فشيئا. وتعود أول شهادة بشكل مكثف لنا عن هذا النوع من المغنيات إلى سنة 1903 حيث يذكر لنا Aubin Engène أن هناك شيخات مشهورات في فاس بؤدين الملحون ومن أشهرهن "أبريكة بنت علال وخدوج السبتية" وخلال العقد الثالث من القرن العشرين كنا نسمع عن شيخات من الطراز الرفيع أمثال الشيخة الرويضة والشيخة البوكدراوية والزروقية والعرجونية والمرينية وكذلك الشيخات اليهوديات على رأسهن الشيخة زهرة الفاسية. ومع بداية مرحلة الاستقلال ظهر فوج جديد كخربوعة والزحافة واسكندرية والغالية والخوضة وغيرهن كثيرات. وشهدت الفترة كذلك ظهور ما يسمى بفحول العيطة مثل قيبو، صالح إسماعيلي الصاحب بلمعطي.

طبعا هناك مجموعة عوامل ساهمت في نشوء وتطور الظاهرة ففي البداية كانت فرق العيطة لا تضم النساء وشيئا فشيئا بدأن يتكاثرن إلى درجة أصبحت هناك فرق لا تضم في صفوفها سوى النساء. وهذه من النتائج التي تمخضت عن ذلك التصدع والتخلخل الذي أصاب نظم وبنى المجتمع المغربي التقليدي في اتصاله مع الأوروبيين. ذلك أن النساء اصبحن مجبرين للخروج إلى العمل في ظل تفكك التضامن العائلي وبما أن أغلبهن فقيرات ومنحدرات من أوساط ريفية وأغلبهن مطلقات ولا تكوين لهن يبقى المآل الوحيد لهن هو الخدمة في البيوت أو ممارسة الدعارة أو العمل مع الشيخات. إنها حرفة اضطرارية بالنسبة للنساء حيث لا يمكن لفتاة معينة أن تتعلم من صغرها لكي تصبح شيخة. إن هذه الحرفة إفراز لتفسخ القيم وتدني ذلك التضامن العائلي الذي كان سائداً داخل الأسر في المجتمع المغربي. هذا إضافة إلى ظاهرة الهجرة والاستقرار في المدن الكبرى على نمو وتطور هذه الظاهرة.

ينطلق مشوار الشيخة التي يشترط فيها الجمال وصغر السن حتى تتمكن من جلب الزبناء من الخدمة في منزل شيخة قديمة في الحرفة كخادمة وفي نفس الوقت تشرع في تعلم الرقص ثم النقر على التعريجة والبندير ويبقى الغناء هو المرحلة الأخيرة التي تتوج بها الشيخة المتعلمة مشوارها وتصبح شيخة معلمة ولكن ليست كُلُّ شيخة يمكن ان تشتغل ضمن ارباعة الشيخات "طباعة" أي رئيسة أو مسيِّرة فرقة.

إن رقص الشيخات لا ينتمي إلى مدرسة معينة حيث نجد فيه تداخل بين ما هو شرقي وما هو محلي وتبقى الميزة الأساسية له هو أن كل شيخة ترتجل وتعطي طابعا شخصيا لرقصها يجعلها تجلب المتتبع بلباقة مثيرة ومغرية عن طريق تحريك الكتف والصدر والنهدين، وتمويج الحوض والبطن إضافة إلى حركات للرأس والشعر وحركات الدرديك على القعدة وهي مستحدثة وغيرها.

إن مجموعات الشيخات الحالية تتكون من ثمانية أفراد وهو طاقم يتركب من ثلاثة رجال وخمس نساء بشكل عازف الكمان ضمن هذه التركيبة عنصراً فاعلاً ومتمرساً على دراية بكل أنواع العيوط والأغاني والوصلات الصامتة أي "التعريضات" لكنه ليس مسؤولا بالدرجة الأولى على تسيير الفرقة، ويرافقه غالبا عازف على آلة العود وعازفان على الايقاع يساعدونه في عملية ترديد الأغاني. أما المسؤول المباشر والأول عن الفرقة فهي امرأة تسمى الطباعة أي التي تطبع أي تدشن وجبة العمل وتنهيها وتتصرف حسب ما تتطلبه ظروف عملها وطبعا تكون هذه المرأة قديمة في الحرفة ولها إلمام واسع بكل أنماط الغناء الموجود، ثم نجد امرأة أخرى بإمكانها تعويض دور الطباعة. وتكتفي الاخريات بترديد الأبيات المتداولة ويرقصن خلال الفسحات الغنائية وضمنهن نجد مبتدئات أو متعلمات.

وفي بعض الاحيان نجد ذلك التجاوب الذي تقوم به الشيخات حيث يتم تأدية العيطة عن طريق التناوب بين الشيخة المسؤولة وأحد رجال طاقم الفرقة كما كنا نلاحظ مع بوشعيب البيضاوي والان خديجة البيضاوية وغيرهما.

إن ظاهرة الشيخات مازالت موجودة على الساحة الفنية ولها جمهورها ومكانتها الخاصة بها، رغم ظهور فرق مختلفة ومتعددة يكون لها في بعض الأحيان نفس إنتاج الشيخات.

وقد يبرز نوع آخر من فرق الشيخات لا تضم في صفوفها سوى النساء يعتمدن فقط على آلات الايقاع متجاوزات آلات العزف. هذا النوع أصبح مفضلا بشكل كبير ومطلوبا خصوصا في حفلات النساء ويطلق عليهن أسماء مختلفة تتخذ صيغة الجمع مثل الهواريات، العونيات،...

بصفة عامة يبقى فن الشيخات ذا استمرارية وحضور داخل المجتمع لأنه إفراز ناتج عن تداخل وتساكن وتفاعل معطيات شتى داخل المجتمع المغربي.

ع. رگوك، *الغناء الشعبي المغربي*، انماط وتجليات، مراكش، 2000.
Viviane danse d'une rive à l'autre, Paris, 1985.

علال رگوگ

الشيخية، طائفة صوفية نشأت بالمغرب في سياق انتشار الزروقية ـ الراشدية به، وتنتمي في جغرافيتها إلى الحلقة الراشدية المغربية المتاخمة لمجال انتشار الطريقة الراشدية بالمغرب الأوسط على عهد مؤسسها الشيخ أحمد بن يوسف (ت. 931 / 1524)، والممتد من سهل شلف شرقاً إلى ندرومة غرباً ومن السواحل المطلة على البحر المتوسط شمالاً إلى تخوم الصحراء جنوباً. ويمكن رسم خريطة هذه الحلقة الراشدية المغربية على شكل هلال يصل طرفاه ما بين السواحل المتوسطية الشمالية والسواحل الأطلسية الصحراوية مروراً بالأقاليم الشرقية والجنوبية : من قبيلة تريفة حيث تأسست أول الزاويا اليوسفية بالمغرب، فواحة فجيج حيث زاوية أولاد عبد الجبار وزاوية سيدي الشيخ، فواد گير حيث

زاوية محمد بن عبد الرحمان "مول السهول"، فالرتب حيث الزاوية الصادقية، فواحة كرزاز حيث الزاوية الكرزازية، فتوات حيث زاوية موسى ومسعود، فسجلماسة حيث الزاوية الغازية، فدرعة حيث الزاوية الناصرية إلى الساقية الحمراء حيث زاوية أحمد العروسي. وتترجم هذه الخريطة الواسعة جهود أعلام الطبقتين الأولى والثانية في الراشدية وأتباعهم من بعدهم، ويكاد تكوينها يستغرق القرنين 10 و11 / 16 و17 بأتمهما.

ولد الشيخ عبد القادر بن محمد بن سليمان بن بوسماحة الحمياني الصديقي المدعو "سيدي الشيخ"، مؤسس الطائفة الشيخية، حوالي 951 / 1544، في بيت جاه وصلاح وشرف نسب. وينتسب جده الأعلى محمد بن سليمان العلي إلى الخليفة أبي بكر الصديق، وهو أول من انتقل من سلفه من الحجاز إلى المغرب الأوسط، أواخر القرن 8 / 14 أو في بداية القرن الذي يليه. وتفرعت من ولده قبائل متعددة استقرت في غرب هذه البلاد، منها قبيلة حميان والترافي وشراگة وعكرمة وغيرها. وينتسب بيت الشيخ عبد القادر السماحي إلى حميان، ويعرف أهله بالبوبكريين نسبة إلى صدر الخلفاء الراشدين.

وستتفرع عن البوبكريين قبيلتان كبيرتان هما أولاد سيدي الشيخ وأولاد النهار، اللتان تنتسبان إلى مؤسس الطائفة الشيخية وابن عمته يحيى بن صفية. وإذا كانت قصور ومجالات نفوذ وتنقل أولاد سيدي الشيخ تمتد من بوسمغون والشلالات والبيض شرقاً إلى فجيج غرباً، وإلى گورارة وتوات جنوباً، فإنها كانت محسوبة ـ في التاريخ الذي يهمنا ـ على الإيالة المغربية، مثلها مثل معظم القبائل والقصور الواقعة في الجنوب الغربي من المغرب الأوسط، إذ لم تبلغ إيالة الأتراك بالجزائر في توسعها جنوب مناطق التل إلى القصور الصحراوية إلا نادراً.

ولا ريب في كون البوبكريين هم أبطال الحركة الصوفية التي عملت على نشر الطريقة الراشدية بمجال نفوذهم الديني والدنيوي، في حياة الشيخ أحمد بن يوسف، خلال الربع الأول من القرن 10 / 16. وهذا واضح في تراجم المعاصرين منهم لهذا الشيخ، والذين ارتبطت الأحداث البارزة من سيرهم به: فسليمان جد الشيخ عبد القادر أحد "المذابيح" السبعة، وهم صفوة الطبقة الراشدية الأولى، وكبار صحب الراشدي. وعمه أحمد المجذوب الحمياني أحد مشاهير هذه الطبقة أيضاً، وهو جد قبيل مستقر بالعين الصفراء. وعمته صفية عقد الشيخ أحمد بن يوسف قرانها على أنجل أحد صلحاء جبل عمور، وخلفت منه يحيى (1016 / 1529 ـ 1607)، الذي انتشرت من عقبه قبيلة أولاد النهار. ووالده محمد دفين شلالة، يقوم ضريحه على بعد خطوات من قبر فاطمة بنت أحمد بن يوسف. وهذه الإضاءات من سير هؤلاء الأعلام كافية في الدلالة على صلتهم الوثيقة بالشيخ أحمد بن يوسف، ومكانتهم الرفيعة بين صحبه، وبلائهم في نشر طريقته بين خدامهم وأتباعهم من القبائل التي كانت تدين لهم بالخدمة والتبعية.

وفي الوقت الذي خلصت فيه الرئاسة للشيخ عبد القادر السماحي، وقد تفرقت الدولة السعدية أيادي سبأ واشرأب أتراك الجزائر بأعناقهم صوب المشرق وفتنه، فإنه قد ابتلي بخصيم من أبناء جنسه، وهو الفقيه والصوفي الشهير أحمد ابن أبي محلي (ت. 1022 / 1613) الذي شن حملة ضارية ضده، وألف عدة كتب في انتقاده والتشنيع عليه وإخراجه من سلك التصوف بالمرة والزج به في دائرة أهل البدع والأهواء. ودفع ببعض أتباعه إلى الارتداد عنه، وأقنع بعض أعيان الفقه والتصوف بالتوهم والحذر منه، وصرف كتاب التراجم المغاربة عن الاهتمام بسيرته وذكره.

ويعود أول لقاء بين الرجلين إلى عام 1008 / 1599، على إثر قراءة ابن أبي محلي على الشيخ أبي القاسم بن عبد الجبار بفجيج وإتمام كتاب *"الشفا"* للقاضي عياض على يده. فتعارف في حلقات الدرس مع نجل الشيخ عبد القادر المدعو زروق والعديد من أتباعه، ورحل إليه وهو يومئذ بشلالة، فلقيه ونال قراه، وأهداه عمامته وجبة ودابة. ولم يكن ابن أبي محلي قد قصده بنية الانتساب إليه، رغم أن عمدته في الطريق الشيخ محمد بن المبارك الزعري التستاوتي قضى في العام الذي قبله (ت. 1007 / 1598). كما لم يكن يومها بالشخصية القليلة الخطورة، وكان من ذوي الوجاهة والنفوذ في قرى بني عباس الواقعة على وادي الساورة، بسبب جاهه الصوفي والعلمي ورحلته الحجازية الأولى ومصاهرته شيخ هذا البلد وعقده مصاهرة ثانية مع بني گومي على بعد مرحلتين من بني عباس شمالاً. وكان يضيف الواردين عليه من المشرق ومن المغربين الأوسط والأقصى، ويقضي حاجات العلماء الذين يكاتبونه من مكة والقاهرة وفاس وغيرها. وقد اتخذه السلطان أحمد المنصور كمستشار له في شؤون الصحراء، وأمر عماله بتيگورارين وتوات بالاتصال به وأخذ رأيه في المشاكل التي تعترضهم هناك.

واستمرت المراسلات بين ابن أبي محلي وزروق السماحي، فأثمرت الزيارة الثانية التي حدثت عام 1011 / 1602، والتي انتهت بالمصاهرة بينه وبين الشيخ عبد القادر الذي زوجه أجمل بناته، واتخذه تابعاً ونسباً وصهراً، وساكنه في بيته. وتشيع ابن أبي محلي لصهره، واعترف بمنته عليه، وحرر رسائل في حمده ومدحه، وكتب في ذلك إلى أتباعه، واعتنى بتأنيته وعزم على شرحها. لكن سرعان ما تكدر الصفاء بينهما وانتهت العلاقة إلى فساد، فانفصل ابن أبي محلي عن السماحي، وطلق ابنته، وفر في وجهه إلى زاوية شيخه عبد الجبار بفجيج يعاني من سم قتال دس له في طعام أو شراب تناوله بداره.

ولا يفصح ابن أبي محلي عن دواعي القطيعة الفجائية والنهائية التي ذرت قرنها بينه وبين صهره، ويعزوها إلى

وقوفه بالمعاينة على أمور شنيعة كان يجهلها منه، وصحوته من الغفلة التي قادته إلى مصاهرته ومساكنته ومشايعته. وتوسل في صراعه معه بالتاريخ البدعي الذي تراكم طوال القرن العاشر (16 م)، وهمّ الطريقة الراشدية شيخاً ومذهباً وأتباعاً. وألح على الصلات التي نظمت بين السماحي واليوسفيين اخوانه في الراشدية، والذين عملوا على نشر مذهب المحبة الخالصة بالمغرب خلال المائة العاشرة للهجرة، فاتهموا بالغلو والإباحة، وامتحنوا خلافة السلطانيين محمد البرتغالي الوطاسي وعبد الله الغالب بالله السعدي.

وقد استغرقت خصومة ابن أبي محلي مع الشيخ السماحي طوراً كاملاً من أطوار حياته القلقة، واستمرت من عام 1011 / 1602 إلى عام 1019 / 1610، وهو أنشط هذه الأطوار من حيث التأليف والتصنيف، وخلاله أبدع معظم تراثه التي تترجم عناوينه العنيفة حلقات هذه الهجمة الشرسة. وباكورته "القسطاس المستقيم في معرفة الصحيح من السقيم" الذي ألفه بدار صهره، وصاح فيه عليه، وكاد أن يلقى حتفه بسببه. ووصلت أصداء هذه الصيحة إلى تيگورارين التي مربها ابن أبي محلي في طريقه إلى الحج للمرة الثانية، ومكث بها أربعة أشهر من عام 1013 / 1604. وحاول أثناءها قاضي الجماعة بهذا الصقع محمد بن عبد الله ابن عبد الكريم الوطاسي الجراري (ت. بعد 1017 / 1608) أن يصلح ذات البين بينه وبين السماحي للصحبة والمعرفة التي كانت له بهما، ورغم أنه رأى النبي (ص) في المنام فأخبره أن كلا منهما على صواب. وكان ظن ابن أبي محلي في القاضي المذكور ظن سوء، ولم يكن في قرارة نفسه يفرق بينه وبين السماحي، فلم ير في رؤياه سوى أحلومة زائفة عدل إليها لأنه لم يجد في يقظته دليلا يذب به عن صاحبه.

وبعد *"الإصليت الحريت في قطع بلعوم العفريت النفريت"* الذي وصف فيه ابن أبي محلي رحلته الحجازية، وذكر فيه شيوخه في علمي الظاهر والباطن، ونسبه الجشاني والعلمي والعرفاني. ألف عام 1016 / 1607 " منجنيق الصخور لهدم بناء شيخ الغرور ورأس الفجور"، ورمى به السماحي، ووصفه فيه بالدجال الأزعر. وسخر من لقب الشيخ الذي يباهي به، وقال إن حقه أن يكتب بالسين المهملة : السيخ، ولعله من السوخ الذي يعني الخسوف والرسوب. وأعطاه لقباً من عنده وهو الذيخ وهو الضبع، ولم يعد يذكره إلا به. واستكثر عليه أيضاً النسبة إلى جده بوسماحة، لما تحمله من معاني الجود والعطاء من كرم وسخاء. ورأى أن حقها أن تكون بالجيم بدل الحاء "أبو سماجة"، والتي تتفق مع ما يروم نعته به من قبح وشر. وجعله يؤول هو وشيعته في بعض صورهم إلى نحو ما كان عليه اليوسفيون، واتهمهم باستباحة الزنى وسفك دماء المسلمين، ونفى عنهم ترك الصلاة وأكل رمضان والميتة. وساق ابن أبي محلي في منجنيقه المقالة التي أنشأها الجراري قاضي تيگورارين، وأيضاً القصيدة التائية التي نظمها على غرار تائية الشيخين الجيلاني والسماحي، وقصد بها الصلح بين الخصمين. وانتقدهما ابن أبي محلي انتقاداً شديداً، وصرح برأيه في صاحبهما، وأنه على مذهب السماحي في سلوكه بأتباعه، وأنه مثله من شيعة اليوسفيين، ومن المستحلين للزنى والعبث بالنساء.

وورث مشيخة الطائفة الشيخية نجله أبو حفص عمر بن عبد القادر السماحي (ت. 1071 / 60 ـ 1661)، وعنيت بذكره كتب التراجم المغربية، وأجمع أصحابها على علمه وصلاحه، واستقامة أمور الطريقة الشيخية على عهده، وجمعه بين التدريس والجهاد والحج. وكان ينزل بالقليعة، وهي قرية من قرى واحة وارگلة، ودفن قرب والده ببوسمغون.

وتكاثر أولاد سيدي الشيخ من عقب أبي حفص، وعاشوا في مجال نفوذ الزوايا الشيخية الممتد بين البيض وفجيج، إلى أن احتل الفرنسيون الجزائر عام 1245 / 1830، وهزموا الجيش المغربي في معركة إيسلي عام 1260 / 1844، ووقعوا مع السلطان مولاي عبد الرحمان اتفاقية للامغنية عام 1216 / 1845، والتي رسمت الحدود التي قسمت أولاد سيدي الشيخ إلى فرقتين : أولاد سيدي الشيخ "الشراگة" التابعين للجزائر المحتلة، وأولاد سيدي الشيخ "الغرابة" المحسوبين في عداد لقبائل المغربية. وإذ امتاز أولاد سيدي الشيخ "الشراگة" بجهادهم ضد الفرنسيين منذ عام 1281 / 1864، وبشاعرهم المناضل محمد بلخير الذي خلد كفاحهم في قصائده، فإن أولاد سيدي الشيخ "الغرابة" سيضربون مثلهم بنصيب في الجهاد، وسيزيدون عليه بتجديد وإحياء الطريقة الشيخية، التي أصبحت تعرف بالطريقة "البوعمامية ـ البوشيخية" نسبة إلى الشيخ محمد بن العربي البوشيخي الشهير ببوعمامة.

ولد بوعمامة بواحة فگيگ، وبالضبط في قصر الحمام الفوقي القريب من زاوية جده الشيخ عبد القادر بوسماحة، وذلك عام 1256 / 1840. وظهر بمظهر المجدد لطريقة أسلافه لما آلت إليه مشيخة هذه الزاوية التي تعد أم الزوايا الشيخية، وابتدع لأتباعه ورداً ادعى أنه تلقاه من جده السماحي في منامه. واستطاع أن ينشر نفوذه بين أولاد سيدي الشيخ "الشراگة" و"الغرابة" وغيرهم من أهل القبائل والقصور المغربية والجزائرية الواقعة بهذه التخوم، وأعاد لزاوية جده الإشعاع الصوفي الذي تمتعت به على عهده.

ودعا بوعمامة إلى جهاد الفرنسيين ما بين 1292 ـ 1302/ 1875 ـ 1884، وتزعّم حركة جهادية كبرى ضدهم عام 1299 / 1881. واضطر بعد فشله في وجههم إلى اللجوء إلى الواحات الجنوبية الشرقية معقل أتباع الطريقة الشيخية، ثم أزاحه الفرنسيون عنها في مطلع القرن العشرين بعد بسط نفوذهم على هذه الواحات، فتحرك شمالاً نحو منطقة التل، وحط رحالهُ قرب عين بني مطهر. وصادف نزوحه ثورة بوحمارة التي عمت شمال شرق البلاد ما بين 1321 ـ 1334 / 1903 ـ 1906، فأعلن نصرته، وانخرط أتباعه في جنده. لكنه بدا بمظهر المتعاون مع المحتلين لما تراجع بوحمارة عن عمالة

وجدة، وشرعوا في التقدم. وساعدهم على الوصول إلى قصبة العيون التي أسس بها عام 1323 / 1905 زاويته التي تعرف بالزاوية العمامية، والتي جمع بها أهله وأتباعه. وبها حدثت وفاته يوم 12 رمضان 1326 / 8 أكتوبر 1908.

وتحدث الجنرال Georges Spillman عن وضعية الطائفة الشيخية بالمغرب بعد مرور ثلاثة عقود على وفاة بوعمامة، وبالضبط عام 1939. فعدها من الطوائف المضمحلة والمحصورة في مناطق محدودة، وقدر عدد أتباعها بنحو ستمائة وسبعين منتسباً، ووزعهم على خريطة لا تمت بصلة لمجال طريقتهم تاريخياً وجغرافياً واجتماعياً. وتقتصر هذه الخريطة على الحواضر عوض الواحات والقصور والقبائل، وتنتشر معظم مراكزها في وسط البلاد وغربها عكس شرق البلاد وجنوبها. وتأتي مدينة وجدة على رأس هذه المراكز لاتخاذها سكناً من قبل ثلثي العدد المذكور من الشيخيين، ولا عجب في ذلك فهي الأقرب إلى المجال التاريخي لطائفتهم. ويتوزع الثلث الباقي، وبالترتيب حسب عدد الأتباع، على مدن الرباط والجديدة والدار البيضاء ومكناس وفاس ومراكش.

م. حجي، *الحركة الفكرية*، 32، 33، 511، 516، 625، 630 ك ع.
ف. خشيم، أحمد زروق والزروقية، 167 ؛ أ. أمزيان، *مساهمة في دراسة المجتمع الواحي بالجنوب الشرقي المغربي خلال القرن 19*، تحبيح ما بين 1845 ـ 1903، د. د. ع، مرقونة ومحفوظة بخزانة كلية الآداب بالرباط، 87، 90، 503، 524 ؛ ع. القدوري، ابن أبي محلي الفقيه الثائر، 46، 49 ؛ ع. برحاب، بوعمامة، *معلمة المغرب*، 6 : 1802 ـ 1803 ؛ ع. نجمي، *التصوف والبدعة بالمغرب*، 31، 32، 286، 287، 346، 347.

L. Rinn, *Marabouts et Khouan*, 349-368 ; O. Depont et X. Coppolani, *Les confréries religieuses musulmanes*, 468-481 ; G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc*, 75, 76, 120, 122, 277 ; J. Berque, *Ulémas, fondateurs, insurgés du Maghreb*, 45-80.

عبد الله نجمي

شيرة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Sierra ومعناه المنشد أو سلسلة جبال ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1194 (1780).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 1466.

محمد ابن عزوز حكيم

شيشاوة، (منطقة ومدينة) زراعية ومدينة تاريخية وبلدية حديثة وإقليم جديد يعبره واد يحمل نفس الاسم. واختلف الباحثون في مدلول الاسم، تعتبره رواية محلية مشتقا من (إشيشاون) أي صغار الدجاج الذي اشتهرت المنطقة بتربيته، لكن الراجح علميا أنه اسم معرب محرف لكلمة سكساوة وهو اسم قبيلة جبلية "إسكساون" كان مجالها الرعوي يمتد على طول الواد الذي مازال يحمل اسمها ويعتبر واد شيشاوة امتداداً له وهو يصب في واد تانسيفت، ويقال إذا كانت اغمات أيلان هي مدينة أوريكا فإن شيشاوة هي مدينة سكساوة.

أنشئ إقليم شيشاوة بالحوز الغربي إثر تقسيم إداري (جديد طبقا لمقتضيات المرسوم 2.91.90) بتاريخ 11 يناير 1991 تبلغ مساحته 6.872 كلم2 مقسم إلى أربع دوائر هي شيشاوة وإيمي ـ ن ـ تانوت وامتوگة ومجاط. يضم 15 قيادة و38 سوقا أسبوعيا و35 جماعة منها جماعتان حضريتان : هما شيشاوة وإيمي ـ ن ـ تانوت و33 جماعة قروية منها 14 بالجبال و13 بسهل الحوز و6 بالهضاب الغربية. يتميز الإقليم بتنافر تضاريسه التي تتكون من أجزاء متباينة لأربع وحدات رئيسية هي :

ـ القسم الغربي من سهل الحوز : يتميز بانبساطه وتموجه وظهور سطوح صخرية للكلس المستنقعي أو تلال هرسينية ذات صخور صلبة كالشيست والكوارتزيت يكون 40٪ من مساحة الإقليم يتناقص ارتفاعه من الجنوب 600م إلى مجرى تانسيفت 300م.

ـ منطقة الدير : تكون 16٪ تمتد من إيمي ـ ن ـ تانوت إلى مشارف أمزميز. تتميز بزراعة مسقية بخارج الأودية يفصل بينها مدرجات بينهرية جافة.

ـ قسم هضبي متموج بدائرة امتوگة يمتد غربا وهو جزء من هضاب وتلال المحيط الأطلنتيكي يتراوح ارتفاعه بين 500 ـ 800م يكون 24٪ من مساحة الإقليم، غني بمدخراته الفوسفاطية خاصة بمسگالة وببعض المكامن البترولية والغازية الصغيرة.

ـ قسم جبلي بأقصى الجنوب وهو جزء من الأطلس الكبير الغربي يتكون من قمم عالية وهضيبات مثل مولاي علي 3.349م وهضبة تيشكا 2.500 م وأحواض نهرية أهمها سكساوة وأسيف المال وإيمي ـ ن ـ تانوت.

يتميز مناخ الإقليم بتباينه الكبير تبعا لتنوع الوحدات التضاريسية ما بين سهل وجبل وأحواض وهو عموماً متوسطي قاري شبه جاف قليل الأمطار 170 ـ 300 ملم / السنة فقد كان معدل مدينة شيشاوة التي تقع على علو 340 م هو 175 ملم وإيمي ـ ن ـ تانوت (880 م) 324 ملم والودجان (700 م) بدير سكساوة 251 ملم لكن الجفاف استفحل في العقدين الأخيرين خاصة في التسعينيات إذ لم يسجل بالحوز الغربي إلا 82 ملم سنة 1993 وبمدينة شيشاوة 82,5 ملم سنة 1993 و63,4 ملم سنة 1994. لكن تهديد الجفاف غدا معطى مزمنا وفرض على السكان التكيف مع ظروف بيئية مضطربة قاسية منذ القديم. كما يتميز الإقليم بدرجات حرارة دنيا وعليا حادة ومدى حراري يومي وفصلي كبير يمتد من دون الصفر بالأحواض الجبلية إلى 49 درجة بمنخفضات الحوز عند هبوب رياح الشرگي. وتتلخص الشبكة المائية في وادين يتميز مجراهما بدوام نسبي في المجال الجبلي وبالتقطع والموسمية بالسهل هما أسيف المال كان معدل صبيبه السنوي 56,3 مليون م3 وواد شيشاوة الذي

يتلقى عدة روافد جبلية أهمها سكساوة صبيبه 63 مليون م3 وواد إيمي - ن - تانوت صبيبه 11.5 مليون م3 وأمزناس 13 مليون م3. ويقدر مجموع صبيب الوديان بالإقليم في السنوات المطرة العادية حوالي 4500 لتر / ث. ونظراً لجفاف الإقليم فإن زراعته تعتمد أساسا على الري وتتركز مجالاتها بضفاف الوديان إلا أنها تستفيد من ظواهر جيولوجية وطبوغرافية خاصة أدت إلى ظهور عدد من العيون خاصة بالحوز الغربي أهمها عين أباينو: 500 لتر / ث ورأس العين 40-70 لتر / ث وأغرماش 40-90 لتر / ث. ويقدر معدل صبيب العيون : 800 لتر / ث. كما يضم الإقليم عدة فرشات مائية متباينة أهمها فرشة عامة بسهل مجاط طاقتها 150 لتر / ث لكنها عميقة + 40 م لذلك صارت تحفر عليها أثقاب، فرشة نهاية الحوز الغربي 150 لتر / ث. كما توجد أحواض صغيرة ومتفرقة تمد آبارها السكان بمياه الشرب وذلك بمسگالة وبقعور الأحواض وضفاف الوديان. وهناك مساحات شاسعة تنعدم فيها المياه سواء الجوفية أو الجارية فيعتمد السكان على استغلال مياه السيول العرضية والأمطار لملء مطافي مهيأة لخزن مياه الشرب على الأقل، وعلى سبيل المثال يوجد بجماعة السعيدات بدائرة شيشاوة 181 مطفية جلها فردي ومنها ما هو جماعي، كما يهيئ القرويون حفرا على مجرى السيول، تختزن ماءها لتتحول إلى غدير مؤقت يستعمل لإرواء الماشية وأشغال التنظيف والبناء، لكن توالي سنوات الجفاف يدفع السكان في كثير من القرى إلى شراء المياه ونقلها في براميل. أما السدود فلا يوجد منها بالإقليم سوى ثلاثة سدود تلية أهمها سد الدويران حقينته 600.000م3. ومن المقرر الشروع في بناء سدين على وادي أسيف المال وسكساوة عند مخرجه في بولعوان سنة 2002 سيمكنان من ضمان سقي 12.400 هـ بصفة دائمة.

يعاني الإقليم كذلك من ضعف الغطاء النباتي الطبيعي سواء بالجبل أو السهل، تبلغ المساحة الغابوية 110.000 هـ أي 16٪ من المساحة الكلية تتركز أساسا في الجبال أهم أشجارها البلوط الأخضر 38٪ الثويا 15٪ العرعار الأحمر 16٪ أركان 9٪ لكنها تتراجع بحوالي 2.000 هـ سنوياً تحت ضغط حاجيات السكان والرعي الجائر والجفاف، تنتشر خاصة بسفوح محمية محفوظة بتربتها وتوجهها أما الأحواض المنخفضة فإنها فقدت غطاءها منذ عقود أو قرون وعمتها الحلفة وأحراش شوكية.

تتميز التربة بضعفها إذ تتكون من تربة هزيلة كثيرة الحجارة أهمها الحرشة تغطي 62٪ من المساحة الكلية والحمري 24٪ والرمل 12٪ والدهس 1.7٪ وأرقوان 3٪ والتيرس 1.3٪ وكلها تعاني من تعرية ريحية ومائية وبشرية، كما تكثر بها السطوح الصخرية مما يجعل السهل وكذلك الجبل أصلح ما يكون للرعي وهذا ما جعل عدداً من القبائل البدوية الصحراوية والعربية المهتمة بالرعي والترحال تستقر به أهمها أولاد بوالسبع ومجاط وتيدرارين وتكنة وأيت لحسن وجلها وفدت إلى المنطقة في عهد السعديين أو العلويين.

السكان : ورد اسم شيشاوة في كتابات عدد من المؤرخين منذ أيام المرابطين كاسم يطلق على منطقة فلاحية تمتد على طول الواد وكذلك اسم مدينة صغيرة ذات موقع استراتيجي تعبرها طرق مهمة من مراكش نحو الصويرة وأكادير وسوس والصحراء الجنوبية وقد استوطنها بربر المصامدة منذ القديم ولها علاقات تاريخية بمنطقة رگراگة عند منصب واد تانسيفت وجدت بها مخلفات رومانية مسيحية كبقايا كنيسة وأضرحة وانتشر بها الإسلام في عهد المرابطين وأصبحت مركزاً عمرانياً وتجارياً مهما في طريقهم من مراكش إلى الصحراء وعرفت في عهد الموحدين ازدهاراً اقتصاديا. لكنها تعرضت للتخريب من جيوش المرينيين الذين وفدوا لكسر انطلاقة القبائل الجبلية ودحرها إلى جبالها، لكن المدينة استعادت نشاطها وأهميتها في عهد السعديين وانتعشت بها زراعة قصب السكر الذي يسقى بمياه الواد والعيون وأنشأوا بها معملا لاستخراج السكر مازالت أطلاله واضحة على بعد 5 كلم من المركز الحالي بسافلة الواد. وفي عهد العلويين ازدادت المدينة انتعاشا واشتهرت بها كتاتيب ومدارس وطرق صوفية. كما استفادت من السلم الاستعماري في عهد الحماية فاختفت النزاعات المزمنة بين القبائل الرعوية بالسهل وبينها وبين سكان الأودية الجبلية حول المراعي والمياه خاصة. كما استعادت مدينة شيشاوة أهميتها بعد مرور طرق وطنية مهمة بها.

بلغ سكان الإقليم 311.800 ن سنة 1994 مقابل 269.631 ن سنة 1982 ويلاحظ أن نسبة التزايد بين الاحصائين كانت ضعيفة 1,2٪ سنويا أي أقل من المعدل الوطني : 2.06٪، ويفسر ذلك بأهمية الهجرة الريفية بسبب استفحال الجفاف كما يلاحظ ضعف نسبة الحضريين 11,2٪ يتوزعون في بلديتين هما شيشاوة : 9.738 ن وإيمي - ن - تانوت 12.592 ن ومركز حضاري : سيدي المختار : 9.495 ن وتبلغ الكثافة بالإقليم 45.38 ن / كلم2 أما معدل الأسرة فهو 5.86 فرد ومعدل الخصوبة 4.9 مقابل 3.28 على الصعيد الوطني 1994.

وتتميز البنية التحتية بضعفها فالمدارس قليلة وكذلك الكتاتيب مما يرفع نسبة الأمية إلى أكثر من 90٪ في جل الجماعات خاصة الجبلية أما الكهرباء فلا يستفيد منها إلا حوالي 50٪ من سكان المراكز الحضرية أما بالمجال القروي فلا يتجاوز المستفيدون 3.468 أسرة 1996 وهناك 23 جماعة قروية ليست بها الكهرباء. ويطرح تزود القرى بمياه الشرب صعوبات خطيرة بسبب استفحال الجفاف من جهة وندرة المياه الباطنية والسطحية بالإقليم من جهة أخرى إذ صار يعتمد حوالي 90٪ من القرويين على المياه المخزونة بالمطافي أو المشتراة كما أن الطرق المرصفة نادرة إذ تنحصر في الطرق الوطنية العابرة للإقليم وهي 170 كلم من الطرق الوطنية و124 من الطرق الثانوية و647 كلم من الطرق الثلاثية لم

يرصف منها سوى 21٪ والباقي عبارة عن مسالك صعبة خاصة بالجبال، ومازالت وسائل النقل الآلي ناقصة مما يفسح المجال للنقل الغير المشروع خاصة بالمناطق الجبلية، وتبلغ كثافة الطرق بالإقليم 5.5 كلم / 100 كلم2 مقابل 8,5 على الصعيد الوطني 1995. كل هذه المعايير تؤكد أن شيشاوة هي إقليم ريفي يتميز بضعف البنية التحتية والحضرية سواء على مستوى التجهيزات أو الخدمات أو التأطير الإداري والتقني أو الطرقات والنقل.

الفلاحة : تعتبر الفلاحة وأنشطة القطاع الأول النشاط الرئيسي للسكان إذ يستغل بها 72٪ والباقي في التجارة والحرف والإدارة وأشغال البناء والمناجم، لكن أبناء الفلاحين يهاجرون ويعملون في مختلف المهن كالبناء والتجارة... بالمدن إن لم يجدوا فرصة للهجرة إلى الخارج ولا يرجعون إلى قراهم إلا وقت الحرث والحصاد إن توفرت الأمطار. ويتميز الإقليم بسعة الأراضي الجماعية 56,8٪ والأراضي المخزنية 25,5٪ وكلاهما يستغلان في الرعي والزراعة البورية وأراضي الگيش والأحباس 3.5٪ أما أراضي الملك الخاص فلا تتعدى 15٪ أي 103.000 هـ تستغل في زراعة بورية ومسقية. وتبلغ مساحة الأراضي المستغلة في الزراعة 160.000 هـ أي 23.3٪ من المساحة الكلية منها 12,2٪ مسقية بصفة موسمية أو عرضية أو دائمة أحيانا وتمثل أراضي الرعي 46.2٪ بينما تبقى 14٪ عقيمة لأنها عبارة عن صخور سطحية أو كثيرة الحجارة غير منتجة. وتعتبر زراعة الحبوب خاصة الشعير زراعة مجازفة بناصيبية. كما تتميز الملكية بتفتتها الكبير بسبب توالي التقسيم بين الورثة وبالتفاوت ف 77.3٪ من الفلاحين يمتلكون 30,9٪ بحيث يبلغ معدل ملكيتهم 1.3 هـ مفتتة إلى مشارات عديدة و4٪ من الملاكين يمتلكون 33.5٪ من المساحة الزراعية مما يجعل معدل ملكيتهم تتجاوز 20 هـ. ويبدو أن سلطات الحماية كانت تشجع التمليك، فاستولى عدد من أرباب الأسر الإقطاعية على مساحات واسعة من أراضي الجماعة وسجلوها بل حفظوها لصالحهم. ويلاحظ أن توالي سنوات الجفاف في العقدين الأخيرين من القرن العشرين أدت إلى تقهقر الأعمال الفلاحية وتراجع أعداد القطعان مما حتم على الرجال خاصة الشباب الهجرة ومساعدة الأسرة حتى أصبحت الهجرة هي النشاط الرئيسي بقرى وجماعات كثيرة ولا يزور المهاجرون قراهم إلا في المناسبات الدينية والعائلية وكثيراً ما تتحول هجرتهم المؤقتة إلى هجرة دائمة.

أما أهم المنتجات فهي الحبوب إذ يخصص لها 97٪ من المساحة خاصة الشعير 64٪ منها ويبلغ معدل مردوديتها في السنوات العادية 12.6 ق / هـ لكنها تنخفض إلى 3 أو أقل في السنوات الجافة الأخيرة حتى أصبح بعض الفلاحين لا يرجون من الزراعة غير التبن. أما القطنيات فلا تتجاوز مساحتها 600 هـ والخضر 1550 هـ 0,7٪ وأهمها البطاطس والعلف خاصة الفصة 2.380 هـ وتحتل الأشجار المثمرة أهمية خاصة إذ تبلغ مساحة أراضيها 20.483 هـ 1996 تتركز في النطاقات المسقية في السهل والجبل وأهمها اللوز 1.04 مليون شجرة أي 45.20٪ تنتج في سنة ممطرة عادية 78.000 قنطار يأتي بعدها الزيتون 1.04 مليون شجرة أي 34,40٪ تنتج في سنة عادية 273.000 قنطار وهي مردودية ضعيفة : 40 ق / هـ بالنسبة للزيتون و12 ق / هـ بالنسبة للوز تقل كثيراً عن المعدل الوطني والإقليمي، يليهما المشمش والرمان والتين والجوز الذي ينحصر في الأودية العالية : 50.470 شجرة ومؤخراً أشجار التفاح.

ومن الأنشطة الحديثة بالإقليم الاستغلال المنجمي لكنه يقتصر اليوم على البارتين، يوجد به منجم مهم بجماعة أيت حدو يوسف أنتج 81.700 طن سنة 1996 يعمل به 180 عاملا ويلاحظ أن معظم رخص الاستغلال المعدني تمارس نشاطها بهذه الجماعة. كما يستغل بالإقليم عددمن مقالع الصخور مثل الموزايك وصخور الكلس خاصة التي يتزود بها معمل سيمار للإسمنت الموجود بجماعة امزوضة على طريق مراكش ينتج 600.000 طن سنويا يعمل به 290 عاملا رسميا وحوالي 230 موسميا. وهناك مدخرات ومؤشرات تدل على غنى المنطقة الجبلية بالمعادن خاصة النحاس ومدخرات صغيرة من البترول والغاز بالهضاب الغربية لكن يلاحظ أن رخص البحث المعدني تراجعت كثيرا في السنوات الأخيرة.

أما السياحة فتنحصر في المناطق الجبلية لكنها مازالت في مرحلة جنينية وظهر مؤخرا شركتان للصيد السياحي بالجبال هما : "صيد الأطلس" تكتري 5.000 هـ من مجالاته الغابوية و"سمير صيد" تكتري 13.000 هـ، تنظمان الصيد السياحي للأرانب والحجل، تعملان على إدخال وتربية حيوانات أخرى كالخنزير والغزلان، وقد أنشأت "سمير صيد" مركز استقبال يتكون من ثلاث غرف بعالية الوادي بجماعة أيت حدو يوسف.

وكجميع العواصم الإقليمية الفتية تضم شيشاوة مؤسسات تعليمية ابتدائية وإعدادية وثانوية ومستوصفا ومندوبية إقليمية للصحة ومنشآت تابعة للأشغال العمومية والبريد والفلاحة والمياه والغابات والأمن الوطني والقرض الفلاحي ومختلف الوكالات البنكية والقباضة... مما أدى إلى خلق شريحة واسعة من الموظفين تضفي على المدينة بسكنها ولباسها ونمط عيشها طابعا حضريا يسعى الجميع إلى تقليده.

لقد أنجزت الوكالة الحضرية التابعة لولاية مراكش تصميم تهيئة لمدينة شيشاوة لتنظيم عمرانها وضبط توسعها وتعمل المصالح البلدية على إنشاء منطقة خضراء ومقبرة وترصيف أزقة الأحياء وإعادة هيكلة الدواوير القديمة التي تحولت إلى أحياء سكنية خاصة أولاد باني وأولاد ابراهيم التي تصلبت مبانيها بنسبة 80٪ ودوار بلهاشمي بنسبة 65٪ كما تعمل على إعادة هيكلة كثير من التجزئات السكنية الهامشية التي ظهرت بشكل عشوائي، كما أنجزت مؤسسة الإيراك

تجزئات سكنية تتوفر على الشروط المعمارية أهمها تجزئة النصر 1 للسكن الاقتصادي 500 منزل والنصر 2 بها 912 منزل والنصر للإقامات 236 فيلا والنصر 3 لمنطقة صناعية. ويتوقع تصميم التهيئة إزالة الكثير من المباني والمحلات التجارية التي بنيت بشكل عشوائي وإعادة بناء المحطة التجارية الطريقية وفنادق ومتحف. ويلاحظ أن شيشاوة لم يصلها إلى حد الآن أي إسقاط للأنشطة السياحية المنتعشة بالأقطاب الثلاثة التي تتوسطها وتربط بينها وهي مراكش وأگادير والصويرة رغم احتوائها على مآثر تاريخية مهمة كبقايا معمل السكر الذي يعود إلى عهد السعديين وعين أباينو ذات الصبيب الدائم والحرارة الثابتة صيفا وشتاء.

بحوث ميدانية، نتائج إحصاء السكان لسنة 1982 و1994، *خرائط طبوغرافية وجيولوجية* ؛ ضعيف لحسن، *عوامل التطور العمراني بالمدن الصغرى نموذج شيشاوة* ؛ عمراوي محمد، دور التجارة والخدمات في التوسع الحضري لمدينة شيشاوة، *مونوغرافية شيشاوة*، عمالة شيشاوة.

P.N.U.D., *Etude monographique de la province de Chichaoua*, Octobre 1992 ; J. Berque, *Structures sociales du Haut Atlas Occidental Seksaoua*, Paris, 1955 ; P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*, Rabat, 1983.

أحمد هوزالي

الشيعة بالمغرب، لا شك أن الصراعات التي تمت في المشرق الإسلامي كانت تمتد للغرب الإسلامي بحكم وحدة الترابط بينهما، هاته الوحدة التي لم تكن تنفي ما لكل منهما من خصوصية. فلم يكن الغرب الإسلامي مجرد مردد لهاته الصراعات بل كان تربة خصبة لبلورتها وتشكيلها وتكوينها، وبالتالي أرضية لتكوين دول لم يتمكن دعاتها من تأسيسها في المشرق الإسلامي، ومن هذا القبيل نذكر دول الخوارج ودولة الشيعة الفاطمية وغيرهما. وحديثنا عن الشيعة بالمغرب يحتم علينا إبراز فرعين من فروعهما وهما :

- الشيعة الزيدية.
- الشيعة الباطنية الإسماعيلية.

وذلك على اعتبار أن الفروع الأخرى كالإمامية الاثنى عشرية لم يعرف لها وجود قوي بالمغرب.

1) الشيعة الزيدية :

لعل دولة الأدارسة هي أقرب مثل فعلي للشيعة الزيدية ذات المنحى الاعتزالي بالمغرب. فدولة الأدارسة بالمغرب 172/ 788 - 313 / 925 - كما تذكر المصادر - تأسست إثر فرار إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب إلى المغرب الأقصى بعد انهزام العلويين أمام العباسيين في موقعة فخ (بضواحي مكة) سنة 169 / 785.

وكان الأدارسة يلقبون بالإمام، حيث انتقلت الإمامة إليهم بعدما أوصى محمد النفس الزكية لأخيه إدريس الأكبر.

ولما كان الأدارسة يثبتون خلافة الشيخين مجانبين قول الروافض، ويقولون بإمامة أولاد الحسن والحسين على السواء، فإن موقفهم هذا جعل الباحثين ينقسمون إزاءهم إلى قسمين، خاصة وأن المصادر المباشرة لهاته الفترة تكاد تكون منعدمة.

أ - قسم اعتبر الأدارسة شيعة زيدية، وبالتالي فهم بالضرورة معتزلة لأنه كما يقول الشهر ستاني : "صارت الزيدية كلهم معتزلة"، وذلك لتتلمذ الإمام زيدبن علي (ت. 121 / 739) على واصل بن عطاء أحد شيوخ المعتزلة (ت. 131 / 748) (*الملل والنحل*، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل، ج 1 : 29). وما يرجح هذا الرأي أن صاحب *الاستبصار*، (ص. 194 - 195، نشر سعد زغلول عبد الحميد) يذكر أن إدريس الأول (ت. 177 / 793) عندما نزل بقبيلة أوربة، كان رئيسها إسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي معتزليا، وتقارب إدريس الأول مع إسحاق في المذهب كان وراء مبايعة قبيلة أوربة لإدريس الأول.

ونحن نعلم أن المعتزلة كانوا مؤيدين لزيد بن علي وبايعوه بالإمامة، ثم بايعوا ابنه يحيى (ت. 126 / 743)، ثم بعد مقتله بايعوا محمد بن عبد الله بن الحسن المعروف بالنفس الزكية أخ إدريس (ت. 145 / 762)، وقد كان النفس الزكية هو وإخوته وأبوه وأعمامه كلهم معتزلة أخذوا عن واصل بن عطاء (محمد عمارة، *الإسلام وفلسفة الحكم*، ط 2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1979، ص 688 - 692).

وكان واصل بن عطاء هو نفسه خريج مدرسة محمد بن الحنفية بالمدينة المنورة (النشار، *نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام*، ج 1 : 533) وبالتالي كان أحد دعاة آل البيت ومناصريهم عمل على نشر الاعتزال والدعوة لآل البيت، فكون دعاة لهذا الغرض بلغوا أقاصي المغرب وفي هذا يقول أحد شعراء المعتزلة :

له خَلْفَ شعب الصين في كل ثغرة ... إلى سوسها الأقصى وخلف البرابر
رجال دعاة لا يفل عزيمهم ... تهكم جبار ولا كيد ماكر

وقارن نفس المعطيات لدى الشهر ستاني في، ن. م. س. ص 46.

ب - قسم اعتبر الأدارسة أئمة من آل البيت وأنهم أهل سنة وجماعة، وأن الوصف الصحيح لدولتهم، أنها دولة علوية هاشمية سنية (حسين المؤنس، *تاريخ المغرب*، ج 1 : 372). على أن أصحاب هاته الدعوة تنقصهم النصوص المثبتة لكلامهم.

على أنه مهما قيل عن مذهبية الأدارسة، فإنه مما لاشك فيه أنه كان لهم دور مهم في التمهيد لظهور المذهب الشيعي الإسماعيلي، فقد هيؤوا - كما يرى د. أحمد مختار عبادي - النفسيات والذهنيات المغربية لتقبل الدعوة الشيعية الباطنية (*في التاريخ العباسي والفاطمي*، ص. 228)، فمن بين الأمور "الهامة التي قام بها الأدارسة، والتي يمكن اعتبارها تمهيداً للدعوة الإسماعيلية، إشاعة الظاهر أو ما يسمى بفضائل آل البيت التي جعلت المغاربة مستعدين بتقبل أية فكرة تقال عنهم" (محمد بوغالي، *الفكر الباطني بالمغرب*

والأندلس. ص. 171 ؛ موسى لقبال، دور *كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية*، ص. 209)، ولهذا كنا نجد أحد دعاة الإسماعيلية وهو الداعي إدريس عماد الدين، يعتبر أن خوف بني العباس من قيام إدريس بن عبد الله بن الحسن بالمغرب ودسهم السم له هو محاولة لإطفاء نور الله الذي أبى إلا أن يتمه على يد الإمام عبيد الله المهدي (ت. 322 / 934) (*عيون الأخبار*، تحقيق محمد اليعلاوي، ص. 48).

2) الشيعة الباطنية الإسماعيلية :

يذكر لنا الداعي الإسماعيلي الكبير القاضي النعمان بن محمد (259 / 872 ـ 351 / 961) أن جعفر الصادق (ت. 148 / 765) أرسل سنة (145 / 762) داعيين شيعيين من المشرق إلى الغرب الإسلامي (إفريقية على الخصوص) لبذر بذور الدعوة الشيعية ونشرها (*افتتاح الدعوة*، ص 26 ـ 27، تحقيق فرحات الدشراوي)، وبما أن المصادر الإسماعيلية غالبا ما تتكتم عن أسماء دعاتها وتكوينهم وأهدافهم لأغراض سياسية، فإن القاضي النعمان لا يقدم لنا معلومات كافية عن هذين الداعيين سوى أن أحدهما اسمه أبو سفيان والآخر الحلواني.

وقد خاض أبو عبد الله الشيعي حروبا ما بين 291 و296 / 903 و909، تمكن خلالها من القضاء على دولة الأغالبة ثم دولة الرستميين الخارجية في تاهرت، ومضى قدما إلى المغرب الأقصى، فدخل سنة 296 / 909 سجلماسة وقضى على دولة بني مدرار الخارجية، وأطلق سراح الإمام المهدي عبيد الله الذي كان اليسع بن مدرار أمير سجلماسة قد ألقى عليه القبض وسجنه.

وهكذا قامت دولة إسلامية جديدة في الشمال الإفريقي، ودخل الإمام المهدي عبيد الله مع أبي عبد الله الشيعي مدينة رقادة سنة 297 / 910 وبويع المهدي بالخلافة وأعلن تأسيس دولة الفاطميين الإسماعلية، وفي سنة 308 / 973 أسس المهدي مدينة المهدية قرب البحر جنوب المنستير بتونس وانتقل من رقادة إليها، فبقيت المهدية عاصمة الدولة الفاطمية إلى أن غادروها إلى القاهرة في عهد المعز لدين الله الفاطمي في 7 رمضان 362 / 11 ـ 6 ـ 973.

والجدير بالذكر هنا أن الشيعة الإسماعيلية بالمغرب لما أسست دولتها وأعلن عبيد الله المهدي نفسه أمير المؤمنين، أثرت سياسة الفاطميين بالمغرب تأثيراً يمكن متابعة ظواهره في المستويات التالية :

1 ـ من الناحية العسكرية تميز حكم الفاطميين قبل انتقالهم إلى مصر بمحاولات التوسع في المغربين الأوسط والأقصى، بهدف التحكم في الطرق التجارية، رغبة في سد منافذها على الدولة الأموية بالأندلس، مما أثار غضب هاته الأخيرة وجعلها تساند القبائل المغربية المعارضة للدولة الشيعية الفاطمية وتشجع ثوارها، مما أفضى إلى إيجاد حياة سياسية غير مستقرة بالمغرب في تلك الفترة، وكان توجه الفاطميين نحو الشرق لضرب الخلافة العباسية والسيطرة على الأماكن المقدسة والطرق التجارية عاملا آخر في سياسة عدم استقرارهم بالمغرب واهتمامهم بمصر.

2 ـ من الناحية السياسية، فإن تأسيس الدولة الفاطمية بجهود مغاربية، كان بمثابة إعلان على أن أجهزة الحكم لن تكون بعد الدولة الفاطمية معتمدة على العنصر "العربي" وإنما على عنصر "ايمازغن" (البربر)، وقد تنبه ابن خلدون لذلك.

3 ـ من الناحية الاقتصادية، إن رغبة الشيعة الفاطميين في التوسع غربا وشرقا حتم عليهم تكوين جيش تطلب مصاريف باهظة ترتب عليها فرض جبايات وخراجات أثقلت كاهل الناس، فوقعوا في أخطاء سابقيهم، مما جعل الناس يحتجون على ذلك ويتكتلون مع فقهاء المالكية المعارضين، وخاصة في المدن الكبرى حيث ظل للمالكية نفوذ رغم هيمنة الشيعة وضغوطهم.

4 ـ من الناحية العقدية الدينية، لقد قاتل الفاطميون الخوارج والمخالفين لهم، وحاولوا فرض المذهب الشيعي الإسماعيلي كمذهب رسمي للدولة، على أنهم كما لاحظ الفريد بل (*الفرق الإسلامية*...، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ص. 164 ـ 201) كانوا متسامحين إلى حد ما مع أهل السنة" وخصوصا من كانوا على مذهب أبي حنيفة". وبذلك يمكن القول : إن المذهب المالكي بفضل جهود أئمته في القيروان والأندلس قد تمكن من التغلغل في المغرب الأقصى والتجذر، وخاصة بعد رحيل الفاطميين إلى مصر، وسيتمكن المذهب المالكي من الانتشار والانتصار النهائي مع الدولة المرابطية 430 / 1038 ـ 541 / 1146.

على أن هذا المد والجزر الذي عرفه المذهب الشيعي الإسماعيلي بالمغرب، ترك بصمات واضحة في بعض الاتجاهات الفكرية ـ السياسية بالمغرب.

القاضي النعمان بن محمد، *تأويل الدعائم*، تح. محمد حسن الأعظمي، مصر، د. ت ؛ *افتتاح الدعوة*، تح. فرحات الدشراوي، تونس، 1975 ؛ جعفر بن منصور اليمن، *كتاب الكشف*، تح. د. مصطفى غالب، ط 1، بيروت، 1984 ؛ الداعي إدريس عماد الدين، *عيون الأخبار*، *تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب*، محمد اليعلاوي، ط 1، بيروت، 1985 ؛ م. عمارة، *الإسلام وفلسفة الحكم*، ط 2، بيروت، 1979 ؛ م. بوغالي، *الفكر الباطني بالمغرب والأندلس والحركة المناهضة له حتى أواسط القرن السادس الهجري*، رسالة مرقونة لنيل دبلوم الدراسات العليا، مراكش، 1999 ـ 2000.

محمد الأمراني

الشيگر، مسعود أحد رجال الدولة المغربية في النصف الأول من القرن العشرين. من مواليد مدينة سيدي قاسم سنة 1905. تخرج في القانون من معهد الدراسات العليا بالرباط وانخراط في سلك الموظفين بإدارة الشؤون الشريفة سنة 1927 وهي الإدارة التي كانت الواسطة بين السلطان والحماية الفرنسية. اشتهر منذ ذلك الوقت بالحنكة والدقة.

عند نشأة الحركة الوطنية بعد صدور الظهير البربري في

16 مايو 1930 لتنسيق الوحدة المغربية، كان له دور في مناهضته. ساهم في تحرير دفتر المطالب المغربية 1939، وفي الكتابة في الصحف باللغتين العربية والفرنسية تحت أسماء مستعارة. وكان له أسلوب دقيق في التعبير. عمل في كتلة العمل الوطني ثم في الحزب الوطني، وحزب الاستقلال فأصبح من أعضاء اللجنة التنفيذية وكان من ضمن المحررين للوثائق القانونية. وساهم بنصيب وافر في نشر كتاب "الاستقلال" بالفرنسية وهو عبارة عن صك اتهام لوضعية الحماية ؛ ثم شارك في تحرير وثيقة 11 يناير 1944 للمطالبة بالاستقلال وكان من الموقعين عليها. فطرد من الوظيف عقب ذلك. بعد انفراج الجو السياسي سنة 1947 عين في الصدارة العظمى (الوزارة الأولى) ثم خليفة لمدير ديوان جلالة محمد الخامس. وقد ساهم بأوفر حظ في تحرير جميع المذكرات التي كان يوجهها السلطان إلى حكومة فرنسا ويتبادلها مع الإقامة الفرنسية بالداخل وذلك من منطلق انتمائه لحزب الاستقلال.

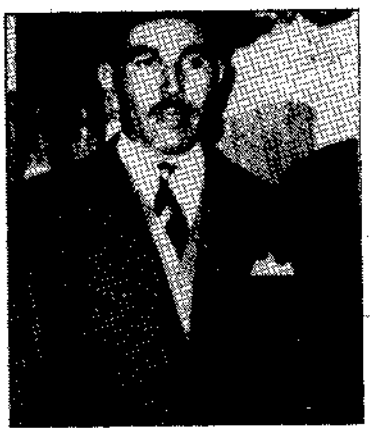

لما استقل المغرب تقلب في العديد من أهم المناصب السامية : فعين مديراً للديوان الملك بمجرد عودة محمد الخامس من المنفى ثم وزيراً للداخلية سنة 1958 وأميناً عاماً لمجلس الدستور ورئيساً لمجلس الحسابات بالإضافة إلى تبوئه رئاسة غرفة في المجلس الأعلى للقضاء.

توفي في 18 أبريل 1969.

قاسم الزهيري

شينيي لويس Louis Chénier هو القنصل العام لفرنسا في المغرب فيما بين 1767 و1782، في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله. ولد في قرية مونفور Montfort بإقليم لانكدوك Languedoc في الجنوب الشرقي من فرنسا. كان والده يشتغل بالتجارة، ثم تعاطى صناعة التعدين التي لم يحالفه النجاح فيها، فانعزل في مدينة كاركسون Carcassonne. وفي تلك المدينة شبّ لويس شينيي وترعرع في أحضان خاله الذي كان من تجار الجوخ المرموقين، وصار مفتشاً لمصانع الجوخ في مقاطعة كاركسون بكاملها. وهو الذي حثّ ابن أخته الناشئ على الاشتغال بالتجارة الخارجية، وساعده على الالتحاق بدار فرنسية تصدر القماش إلى اسطنبول فانتقل لويس شينيي إلى تلك الحاضرة سنة 1742. وهنالك ظهرت مواهبه، لا لأنه كان شغوفاً بالتجارة، ولكن لأنه كان متميزاً بالجدية والعناية بدقائق الأمور، وبفطنة خالية من كل جاذبية، لكنها فطنة المجتهد المثابر الصبور. مما جعل أصحاب الدار التي يشتغل بها يقدمونه ليشرف عليها عندما عزموا على الانسحاب من اسطنبول في نهاية سنة 1747. وصادف أن انتهت بعد ذلك ببضعة أشهر الحرب بشأن ولاية عهد النامسا، فنشطت المبادلات التجارية من جديد بين فرنسا والشرق الأوسط. وازدادت حظوة لويس شينيي لدى أبناء وطنه من التجار الذين انتخبوه سنة 1750 "نائبا عن الأمة"، كما كان يقال عمن ينطق بلسان أولئك التجار لدى سفير فرنسا في الدولة العثمانية. وسرعان ما حظي شينيي لدى السفير نفسه الذي ما فتىء ينوّه في رسائله لوزارة الخارجية بذكائه ومواهبه وإخلاصه. ولذلك أقدمت الوزارة على تكليفه بشؤون الوكالات التجارية الفرنسية في الشرق الأوسط كله. وكانت تلك خطوة أولى نحو دخول الهيأة القنصلية التي صار لويس شينيي يتشوّف إليها بعد أن تزوج في اسطنبول، وازداد له ثمانية أولاد، عاش منهم خمسة، واشتهر منهم اثنان، أحدهما في الشعر وهو أندري، ويعدّ من أكبر شعراء فرنسا في القرن الثامن عشر، والثاني في السياسة وهو ماري ـ جوزيف. واقتضت تربية الأولاد أن يعود الوالد إلى فرنسا سنة 1765. فأقام في مرسيليا ثم في باريس. وكان من حسن حظه أن قرر ملك فرنسا وسلطان المغرب في تلك الأثناء تجديد الصلات الديبلوماسية بينهما التي ظلت منقطعة زهاء خمسين عاماً. ورأت الحكومة الفرنسية أن لويس شينيي أحسن من يقوم بفتح أبواب القنصلية الفرنسية في المغرب من جديد، ويسعى في تقوية الشبكة التجارية الفرنسية في البلاد، ويسوي ما كان عالقا من المشاكل، ويميط خطر القراصنة المغاربة عن الملاحة الفرنسية. وجاء لويس شينيي إلى المغرب في ربيع سنة 1767، بصفة قنصل فرنسا العام، في ركاب سفارة الكونط دي برونيون Breugnon الذي وكّل به أمر تجديد الروابط الديبلوماسية بين المملكتين. وكتب لشينيي أن يقضي في المغرب زهاء خمس عشرة سنة، إذ لم تنته مهمته إلا في شتنبر 1782، مع انقطاع للعطلة ولتفقد أحوال أسرته التي لم تصحبه إلى المغرب أبداً، دام بين 5 يوليوز 1773 و22 أبريل 1775. وفي المغرب لم يعتن لويس شينيي بشؤون بني جلدته فحسب، بل انكب على دراسة تاريخ المغرب وعلى تدوين ما كان يجري فيه على مرأى ومسمع منه. وترتب على دراساته وملاحظاته كتاب في ثلاثة مجلدات، صدر في باريس سنة 1787 تحت عنوان *Recherches historiques sur les Maures et l'Histoire de l'Empire du Maroc*، تجاوز علم التاريخ اليوم ولاشك ما ورد في المجلدين الأولين منه عن العصور

الغابرة من تاريخ الغرب الإسلامي. ولكن محتويات المجلد الثالث تعتبر من مصادر تاريخ المغرب في عهد سيدي محمد ابن عبد الله بما تحتوي عليه من المعلومات والملاحظات الحية التي لا نجد مثلها في المصادر المغربية. وما صفحات هذا المجلد الثالث إلا ملخصات عن التقارير الدقيقة المطولة التي كان القنصل الفرنسي يكتب بها لحكومته عن الشاذة والفاذة مما يجري في المغرب. وقد اعتنى باحث فرنسي بإصدارها كاملة في مجلدين ضخمين، ولا غنى عنها لاستنكاه أحوال المغرب في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، بالرغم مما يدعو إلى التحفظ أحيانا من أحكام شينيي الذي أعماه في بعض الحالات ما بدا له من تردي الحضارة الإسلامية يومئذ وتفوق أوربا عليها، فظل يتساءل كيف آلت الأمور إلى الانحطاط في بلدان كانت في عهد قريب هي التي تعلم أساليب الحضارة للأوربيين، وهو سؤال وجيه رد عليه القنصل بأجوبة لامت إلى الموضوعية بصلة، وتنذر بما سيكون من الأحكام الاستعمارية الجزافية على ديار الإسلام في القرن اللاحق.

إ. بوطالب، *لويس شينيي قنصلا ومؤرخا*، *المناهل*، عدد، 36، سنة، 1987، ص. 154 ـ 198.

P. Grillon, *La correspondance du consul Louis Chénier. 1767 - 1782*, Paris, 1970.

إبراهيم بوطالب

الشيهب الناجم، مقاوم ولد سنة 1918 بطانطان انخرط في صفوف جيش التحرير ضمن المقاطعة الثامنة بمركز تفودارت تحت إمرة بوي أحمد. وقد ساهم بسلاحه وإبله ومقتنيات أخرى تبرع بها في سبيل استقلال بلاده.

توفي بتاريخ 31 ـ 5 ـ 1995.

المندوبية السامية لقدماء المحاربين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*.

الشيوعية بالمغرب دخلت الشيوعية إلى المغرب أول ما دخلت خلال العشرينيات من القرن الماضي عن طريق مناضلين شيوعيين أوروبيين ـ فرنسيين خاصّة. وقد انتظم هؤلاء في البداية كفرع جهوي تابع للحزب الشيوعي الفرنسي. ورغم محاولاتهم الجادّة التواصل مع محيطهم المغربي، وخاصة منه القروي، عبر "الوداديات الشيوعية"، إلا أن نفوذهم بقي منحصراً وسط العمال ذوي الأصل الأوروبي. أما العمال المغاربة فكان عددهم محدوداً على كل حال.

سنة 1937 كاد الفرع الجهوي "المغربي" للحزب الشيوعي الفرنسي ينشق تحت تأثير تيار لاسلطوي anarchisant يتزعمّه عمّال إسبانيون. وكان ذلك التيار يطالب أساساً بقطع العلائق العضوية مع الحزب الشيوعي الفرنسي، وتأسيس حزب شيوعي مغربي مستقل، وهو ما ستنتهي القيادة الرسمية للتنظيم إلى الإذعان له، بعد فترة المنع التي مرّ منها هذا الأخير ابتداء من 1939.

في يوليوز 1943 يخرج أخيراً للوجود الحزب الشيوعي بالمغرب Le parti communiste du Maroc. وعلى الرغم من استمرار السيطرة الفعلية على دواليبه لمناضلين أوروبيي الأصل إلا أن هؤلاء تعمّدوا أن يفسحوا أوسع مجال لمناضلين مغاربة في قيادته. ومع ذلك فإن هذا الإجراء لم يكف لتجنيب الحزب خطأ لازال ورثته يؤدون ثمنه وإلى اليوم. ذلك أنّه أيّد، على لسان أمينه العام آنذاك، ليون سلطان، قمع مظاهرات يناير 1944 المؤيّدة لبيان الاستقلال، ظناً منه أن الأمر كان يتعلّق بمناورات هتلرية ! وصحيح أن الحزب سرعان ما راجع هذا الموقف، وطالب بإطلاق سراح المعتقلين، بل وشرع في تسريع وتيرة "مغربة" ذاته، بتنصيب علي يعته أمينا عاماً سنة 1945 إثر وفاة سلفه، وتعديل اسم الحزب ليصبح "الحزب الشيوعي المغربي"، وعملياً إقصاء أعضائه ذوي الأصل الأوروبي تدريجيا، إلا أن ذلك وغيره لم ينفع في إخراج الحزب من عزلته، خاصة كأنه لم يتبنّ صراحة موقف المطالبة بالاستقلال إلاّ في بداية شهر غشت 1946.

والمثير للانتباه أن الحزب الذي كان المؤسس الرئيسي للحركة النقابية بالمغرب، سيجد نفسه، بعد سنوات قليلة من إعادة بناء الاتحاد العام للنقابات المتحدة بالمغرب، أقليّة وسط هذا الجهاز في نفس الوقت الذي سيكون فيه قد اضطرّ لنوع من الانسحاب من البوادي.

حاول الحزب الشيوعي المغربي الخروج من عزلته بدعوته، ابتداء من سنة 1947، إلى إقامة جبهة وطنية بينه وبين حزبي الاستقلال والشورى والاستقلال، ولكنه لم يجد آذانا صاغية. ومع ذلك واظب على الالتصاق بسياسات الحزبين الوطنيين الآخرين، مكتفيا، من جهة أخرى، بضمان حد أدنى من الوجود وسط الطبقة العاملة، إلى أن طاله المنع إثر حركة الاحتجاج على اغتيال المناضل النقابي التونسي فرحات حشاد، في دجنبر 1952.

بعد نفي محمد بن يوسف من قبل سلطات الحماية، انخرط الحزب الشيوعي المغربي في المقاومة المسلحة، عدا المدنية، مثله مثل الحزبين الوطنيين الآخرين وغيرهما من القوى السياسية الجديدة. وقد نشط أعضاؤه المقاومون في هذا المضمار من خلال منظمة *الهلال الأسود* على الخصوص. ولكن مشاركة الحزب في المقاومة لم تنفع هي الأخرى في رفع العزلة عنه من طرف القوى الوطنية الأخرى، بل العكس تماماً هو الذي حصل، إذ كان بعض قادة المقاومة الشيوعيين من أمثال عبد الله الحداوي وعبد الكريم بن عبد الله من أبرز ضحايا تصفيات الحسابات بين المقاومين التي تلت الاستقلال. كذلك فإن الحزب وإن استرجع شرعيته غداة الاستقلال مباشرة إلا أنه سيتعرّض للمنع مرة أخرى بعد بضع سنوات فقط (في فبراير 1960)، وهذه المرة في ظل حكومة ليست وطنية فحسب وإنما يسارية أيضاً.

خلال عقد الستينيات، التزم الحزب الشيوعي المغربي، وهو في السرية، أقصى درجات الاعتدال، سواء تعلّق الأمر

بالشؤون الداخلية للمغرب أو بشؤونه الخارجية، وذلك للحفاظ على وجوده على الأقل، وهو وجود كاد ينحصر في الاتحاد الوطني لطلبة المغرب وفي الاتحاد المغربي للشغل. كذلك انكب على مراجعة الأسس النظرية والفلسفية لعمله، وهكذا كفّ عن الرجوع إلى الماركسية ـ اللينينية، مستبدلا إياها بإحالة عامة إلى الاشتراكية العلمية، مشدّداً في نفس الوقت على تمسّكه بالهوية الإسلامية للشعب المغربي. في هذه الأثناء وكعربون على صدقه أدّى الأمين العام على بعثة فريضة الحج. وفي سنة 1969 أعتقد الحزب أن الأجواء أصبحت مواتية لعودته للعمل الشرعي، فخرج للوجود العلني تحت اسم جديد هو حزب التحرر والاشتراكية، ولكن العدالة حرمته من حق العمل الشرعي، في نفس السنة.

لم يفلت هذا الحزب العريق بصفة تبدو نهائية من دوامة المنع والعمل السري إلاّ ابتداء من سنة 1974، حيث شملته إرادة الملك آنذاك في خلق إجماع حول قضية استرجاع الأقاليم الصحراوية، وهو الإجماع الذي واكبه ما سمّي بالمسلسل الديموقراطي. انخرط حزب التقدم والاشتراكية، وهو الاسم الأخير لنفس المسمّى، بحماس، في هذا المسلسل، وزكى جميع مراحله بدون تحفّظ، وهويتوفر الآن على فريق برلماني وعلى تمثيلية في حكومة التناوب.

في الوقت ذاته الذي كان فيه الحزب الشيوعي المغربي يفكر في التخلص من صفة الماركسية ـ اللينينية، كانت مجموعات من الشباب تستعد للجهر بتشبعها بهذه الإيديولوجية. وكانت بعض هذه المجموعات تنتمي إلى الحزب الشيوعي ذاته، فيما انتمت أخرى للحزب اليساري الآخر، الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، وانبثقت ثالثة، تلقائياً، من الحركة التلاميذية والطلابية. وكان الذي يجمع كل هذه المجموعات هو رفضها، في آن، للنّهج "الاصلاحي" الذي كان يسير عليه الحزبان اليساريان رسمياً، وللنهج "البلانكي" الذي كان يحتفظ به أحدهما احتياطياً. بالمقابل، كان أفراد تلك المجموعات معجبين أيّما إعجاب بالتجربتين الثوريتين الصينية والفتنامية على الخصوص. كما تأثروا عميقاً بالبديل الذي قدّمته للأمة العربية جمعاء الثورة الفلسطينية بعد هزيمة يونيو 1967.

ولم تنته سنة 1970 حتى كان تنظيمان ماركسيان ـ لينينيان قد تشكلا من تلك المجموعات، التنظيم الأول سوف تتفرع عنه منظمتا "23 مارس" و"لنخدم الشعب"، والتنظيم الثاني سوف يحمل اسم "إلى الأمام".

ورغم فتوتهما واستعارة الخلافات منذ البداية فيما بينهما وداخلهما فإن التنظيمين استطاعا بسرعة أن يكتسحا الساحة الطلابية، بل وأن يوجدا لهما موطئ قدم في المعامل والأحياء والقرى. مما حدا بالنظام أن يسلّط القمع عليهما مبكراً. وهكذا وابتداء من يونيو 1971، تتابعت المحاكمات واعتقل المئات من المناضلين الذين قضى بعضهم زهاء عشرين سنة بالسجن.

ولاشك أن القمع أضعف الحركة الماركسية ـ اللينينية وعطّل نموّها. ولكن الذي أضعفها أيضاً، فوق خلافاتها العقدية والسياسية "العادية"، هو انقسامها بخصوص قضية استرجاع الأقاليم الصحراوية. فبينما عبر قسم منها عن استعداده للانخراط في الإجماع الحاصل حول هذه القضية، أصر قسم آخر على تبنّي الموقف الأممي القائل بحق "الشعب الصحراوي" في تقرير مصيره.

أما القسم الأول فقد انخرط فعلا في الإجماع، وفي المسلسل الديموقراطي المواكب له، وهو الذي مثلته على الخصوص منظمة العمل الديموقراطي الشعبي المنبثقة من منظمة *23 مارس*، أما القسم الثاني فقد مثلته بامتياز منظمة *إلى الأمام*.

لم يعد اليوم الطيف الماركسي ـ اللينيني يعكس بالضبط وضعية الانطلاق. فقد تآكلت المنظمات الأصلية، وظهرت منظمات جديدة، وفضّل العديد من المناضلين البقاء خارج أي تنظيم سياسي. والحقيقة أن المرجعية الماركسية ـ اللينينية ذاتها أصبحت باهتة لدى معظم المحسوبين على التيار الماركسي ـ اللينيني أو حركة اليسار الجديد، وصار هؤلاء يفضلون نعت أنفسهم بالديموقراطيين الجذريين.

م. بوعزيز، *اليسار المغربي الجديد ... النشأة والمسار*، دار توبقال للطباعة والنشر، مراكش، 1993.

R. Rézette, *Les partis politiques marocaines*, Paris, 1955 ; C. Palazzoli, *Le Maroc politique*, Paris.

أحمد حرزني

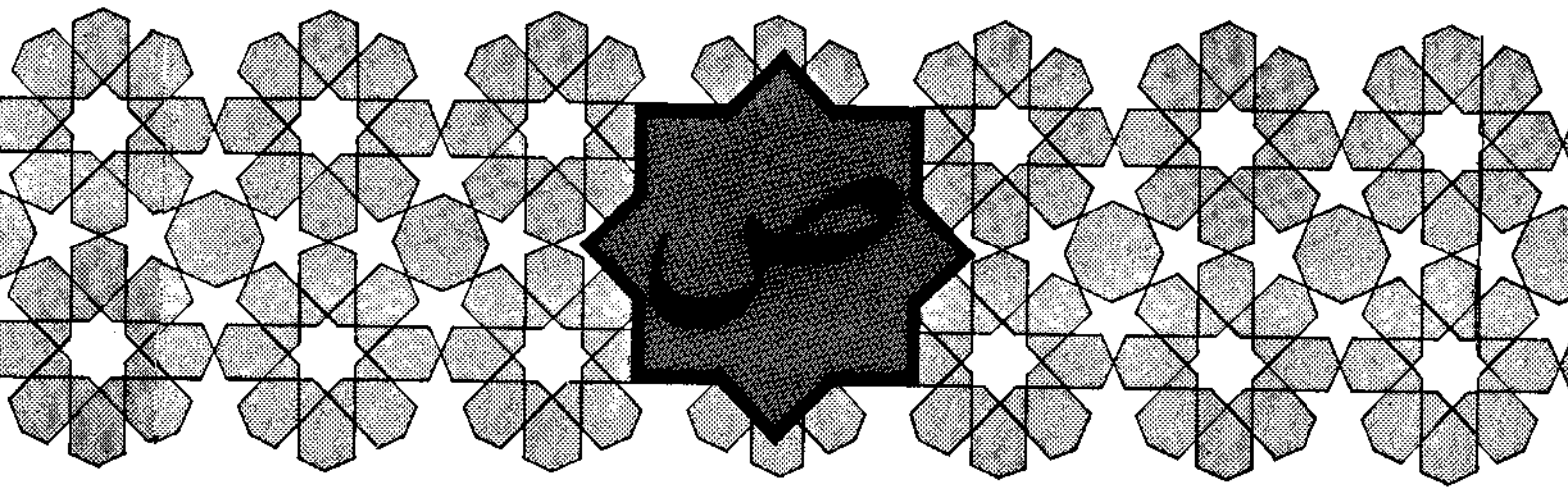

ابن **صابر**، أسرة فاسية تنسب إلى الشيخ الشهير أبي يعزى (مولاي بوعزة) يلنور بن ميمون الدكالي الهزميري (ت. 573 / 77 . 1178). ويعرفون اليوم في فاس بأولاد بلعباس نسبة إلى جدهم بلعباس ابن صابر آتي الترجمة، ويعرفون أيضاً بالبوعزاوي.

ابن **صابر، أحمد** بن العباس ← **البوعزاوي، أحمد**

ابن **صابر، بلعباس** البوعزاوي الفاسي فقيه أديب، إليه ينتسب المتأخرون من بني صابر البوعزاويين. كان كاتباً مع السلطان سيدي محمد بن عبد الله ثم مع ولده المولى سليمان.

توفي عام 1240 / 24 . 1825.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 7 : 2521.

ابن **صابر، المهدي** بن المعطي الرباطي، أديب كاتب، درس بمصر وبعد تخرجه من إحدى جامعاتها رجع إلى الرباط "شعلة ذكاء وفطنة وعلم ووطنية صادقة لو قدرت له الحياة لكان من الأفراد المعدودين بالمغرب".

توفي بعد زوال يوم الأربعاء ثاني عشر شعبان عام 1371/ 7 ماي 1952 وأقيم له حفل تأبين بالرباط بعد مرور أربعين يوماً على وفاته.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 9 : 3276.

محمد حجي

الصابرة أو الأغاف أو الأجاف أو علميا أگافي Agave اليوناني الأصل ومعناه الباهرة، هو جنس نباتي يمثل بعدة أنواع تصادف طبيعيا في أمريكا الوسطى. وهو من فصيلة النرجسيات Amaryllidaceae.

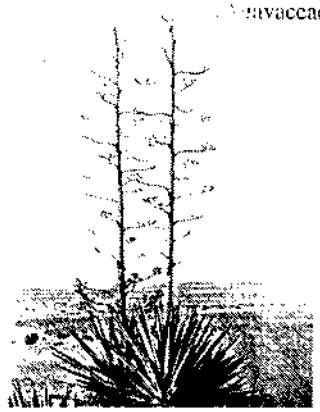

تجدر الإشارة إلى أن نباتات الألوة Aloe أو الصبر أو الصبر أو المقر التي تشبه الصابرة، تنتمي إلى فصيلة الزنبقيات Liliaceae. ولقد أدخلت إلى المغرب كنباتات جُنَبِّيَّة تستعمل في التزيين. كالصبر السقطري الذي أصله من جزيرة سقطرة اليمنية، وغيره من الأنواع الأخرى.

كما نشير إلى أن الصابرة تختلف عن الهندية أو الصبّار (انظر الصبار) أو الكاكتوس Cactus الذي هو جنس من فصيلة الصبّاريات Cactaceae.

تتميز أنواع الصابرة بكونها نباتات وحيدة الفلقة ومستديمة ودائمة الاخضرار وعديمة السيقان الهوائية وذات

جذور ليفية وأوراق قاعدية ومتجمعة ولحمية وقائمة. تبلغ العصا الزهرية الحاملة للشمراخ عدة أمتار. وتستخلص من الأوراق ألياف تستعمل في صناعة الحبال كحبال جر الحيوانات وربطها وغير ذلك.

جل أنواع الصابرة مقاومة للجفاف مما يجعلها تغرس في الأراضي الجرداء الجافة.

أدخلت إلى المغرب عدة أنواع من الصابرة. لأجل الزينة وتثبيت الأراضي والكثبان الرملية ولأغراض واستعمالات أخرى.

نذكر من هذه الأنواع نوعين شائعين :

- الأغاف الأمريكي أو أگافي أمريكانا Agave americana وهو النوع الأكثر شيوعا. ويتميز بأوراقه التي قد تبلغ المترين من الطول وذات اللون الأخضر الضارب إلى الزرقة. بالنسبة لبعض الضروب تكون حواف الأوراق بيضاء أو صفراء. الأوراق مسلحة على حوافها بأشواك مقوّسة ومنتهية في أطرافها بشوكة صلبة. تظهر العصا الزهرية بعد حوالي 10 سنوات وتكون قوية إذ من الممكن أن تبلغ 10 م. إزهراراتها عنكولية الشكل وذات فروع متعرجة، وأزهار خضراء مصفرة وكبيرة الحجم وذات أسدية طويلة. تموت النبتة تدريجيا بعد نضج الثمار وتتجدد بواسطة الإشكار من البراعم العرضية.

الموطن الأصلي هو أمريكا الوسطى والمكسيك ومنها انتشرت زراعتها في جميع المناطق المتوسطية من إفريقيا الشمالية وأوربا الجنوبية والجزر المجاورة لها حيث صارت شبه طبيعية. وقد أدخلت في المغرب في بداية القرن السابع عشر فغرست في جميع البيومناخات الخاضعة للطابقين تحت المتوسطي والمتوسطي الدافيء. وذلك لاستعمالها للتزيين أو لتثبيت الجوانب المنحدرة للطرق، وفي أغلب الحالات لإنشاء أسيجة حية صعبة الاختراق. كما يمكنها أن تنتج العسل إضافة إلى استعمالها في التصبين وفي التطبيب التقليدي كالإجهاض والتقيؤ ومعالجة الشعر وغير ذلك.

- الأغاف المكسيكي أو السيسال أو أگافي سيسالانا Agave sisalana : وهو النوع الأقل شيوعا من النوع السابق حيث لا يصادف إلا في المناطق الساحلية على الكثبان الرملية أو في بعض الحدائق.

يتميز النوع بأوراقه القصيرة نسبيا مقارنة مع النوع السابق، وذات اللون الأخضر القاتم دون أن يكون ضارباً إلى الزرقة. تحمل الأوراق أشواكا تجعل تداولها صعبا. العصا الزهرية قصيرة إذ لا تتعدى 8 م من العلو.

يعتقد أن الموطن الأصلي لهذا النوع هو المكسيك حيث استعمل النبات من طرف الأزتكيين لمدة طويلة وذلك لانتاج الألياف النسيجية. ألياف السيسال خشنة ومرنة وذات طول يتراوح ما بين 50 و150 سم، ولون يشبه لون التبن الناصل.

يزرع السيسال حاليا في معظم المناطق المدارية وشبه المدارية، وذلك لأنه شديد المقاومة للجفاف.

وكانت أهم عمليات زراعة السيسال في المغرب هي التي أنجزت سنة 1963 على مساحة 1330 هكتار بالجنوب الشرقي للكثبان الرملية الساحلية المحيطة بالصويرة حيث أنشيء معمل لإنتاج الألياف. فكانت آنذاك الكمية المنتجة 266 طن سنويا من الألياف المستخرجة من الأوراق باليد أو بواسطة آلة تزيل القشرة للوجهين السفلي والعلوي للورقة، ثم تنظف الألياف وتجفف ثم تكبس في حزمات لصنع الحبال وأشياء أخرى مثل ما يسمى بالصابرة المستعملة في صناعة النسيج. لكن المعمل أغلق في أواخر السبعينيات من القرن العشرين.

A. Benabid, *Flore et écosystème du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*, Ibis Press, Paris, 2000, 360 p. ; A. Metro et Ch. Sauvage, *Flore des végétaux ligneux de la Mamora*, Soc. Sc. Nat. Phys. Mar., Rabat, 1955.

عبد المالك بنعبيد

الصابون، ارتبطت صناعة الصابون أساساً بصناعة زيت الزيتون ووفرته، وارتبط هذا بازدهار الفلاحة بصفة عامة وغراسة الأشجار المثمرة بصفة خاصة، وهذا الازدهار لم يكن دائماً مرتبطاً بالظروف الطبيعية مثل ملاءمة المناخ ووفرة الأمطار وغيرها، بل ارتبط كذلك بالعوامل البشرية والسياسية ؛ فالاستقرار والأمن كانا دائماً من أهم أسباب التصاق الفلاح بالأرض وتطوير عملية استغلاله لها وبالتالي الزيادة في كمية الإنتاج وتنويعه ؛ ويحدث عكس ذلك تماماً عندما تستعر الحروب وتحتدم الصراعات ويعم الاضطراب والفوضى فيضطر المزارع إلى هجرة أرضه ونشاطه مكتفياً بنوع من الاستغلال الملائم لحالة الخوف والاضطراب وهو الرعي والترحال.

تفيد الكثير من المصادر التاريخية أن إنتاج الزيتون وزيت الزيتون تأخر إن لم نقل توقف في الأماكن التي اشتهرت بإنتاجه وهي مركزة أساساً في شمال المغرب خلال العصر الوسيط الأعلى (الفلاحة المغربية). أما جنوب وادي أبي رقراق فلم تشر المصادر إلى وجود تقاليد لغراسة شجر الزيتون في هذه الفترة لأن شجرة أركان وزيت أرگان كانا يعمان معظم المناطق الجنوبية ؛ وانتشار هذه الشجرة الطبيعية إلى حدود نهر أم الربيع جعل انتشار تقاليد استخراج زيتها أكثر تداولا فهي شجرة لا تتطلب غراسة ولا عناية بل إن السكان يقومون بجمع ثمارها وتكسيرها واستخراج لبها وقلبه وعصره للحصول على الزيت الذي تعددت استعمالاته (الأكل والدهن والطبخ والإنارة...) (*المغرب*، 163) وإذا قفزنا إلى نهاية العصر الوسيط فإننا لا نستغرب إذا حدثنا الحسن الوزان (وصف، 1 : 77) عن استعمال بعض سكان هذه المناطق الجنوبية الرماد في التنظيف بدل الصابون مما يعني أن استعمال الصابون وصناعته وتجارته في هذه المناطق كانت منعدمة في هذه الفترة، أما قبلها وتحديداً في (العصر الوسيط الأوسط) فإن انتشار غراسة أشجار الزيتون في المنطقة الجنوبية قد بدأ مع

المرابطين ليصل إلى ذروته في العهد الموحدي (*الاستبصار*، 210) لأن المصامدة وخاصة مصامدة الجبل غراسون بالدرجة الأولى فلهم تقاليد عريقة في غراسة الأشجار المثمرة ؛ ولعل انتشار هذه الفلاحة ووفرة منتوجها (الزيتون وزيت الزيتون) أحدث أنشطة صناعية موازية خاصة في مدينة مراكش. فالشريف الإدريسي أشار إلى سوق لبيع الصابون في المدينة بقوله : "وكانت أكثر الصنع بمدينة مراكش متقبلة عليها مال لازم مثل سوق الدخان والصابون" (*نزهة*، 3 : 235) ؛ فإشارة الإدريسي تتعلق ولاشك ببداية لهذه الصناعة في العهد المرابطي وبوجود سوق لها ؛ مما يعني أن استهلاك الصابون وصناعته ارتبطا بالمدن وبمستوى معيشي واجتماعي متقدم.

ونستطيع بتتبعنا للإشارات والنصوص القصيرة الواردة في بعض المصادر أن نميز ما بين المناطق العريقة في صناعة زيت الزيتون ومشتقاته وما بين المناطق الحديثة طيلة العصر الوسيط، فالحسن الوزان (*وصف*، 264) أشار إلى صناعة الصابون بكثرة في قبيلة بني مسكلدة لكنه لاحظ أنهم لا يعرفون صناعة الصابون الصلب، ولعل ملاحظته هذه نجمت عن مقارنته لما شاهدهُ في الديار الإيطالية، وملاحظته هذه تعني فيما تعنيه أن الصابون الذي كان مستعملا في المغرب في عهده خلال العصر الوسيط كان مائعاً أو لزجاً مثلما نجد اليوم عند العطارين وبعض والباعة الآخرين والمعروف "بالصابون البلدي" لكن إشارته إلى وجود عدد كبير من دكاكين باعة الصابون في مدينة فاس لا تعني بالضرورة أن الصابون المباع كان فقط من النوع المحلي "المائع" فقد كانت عملية التبادل التجاري نشيطة ما بين التجار المغاربة والأجانب وكان الصابون الصلب من مواد التبادل (Amari (A)) (سلفاتوري).

استمرت صناعة الصابون في المغرب مثل باقي الصناعات تقليدية وعرف الإنتاج ارتفاعاً وانخفاضاً بحسب وفرة انتاج زيت الزيتون وغراسة أشجاره كما أشرنا إلى ذلك في البداية. استمرت تقليدية إلى أن دخل الاستعمار الامبريالي بثقله وأهدافه التي من بينها استغلال ثروات المستعمرات بواعد سكانها وتشجيعهم على الاستهلاك والقضاء بالتالي على الصناعة والتجارة التقليدية. ومن أنشط القطاعات التي اهتم الاستعمار الفرنسي قطاع الزيت والصابون فأسس شركة Huileri et savonnerie du Maroc والتي كان مقرها بمدينة الدار البيضاء، وهيمنت على الإنتاج في معظم التراب الوطني، لكن استهلاك الصابون كما أشرنا آنفاً ارتبط بالمستوى المعيشي وبالمدن أساساً أما البادية وسكان القرى فكانت لهم تقاليد متوارثة في تنظيف الملابس وغسلها وهي تقاليد احتفالية فلكلورية حيث يتم الجمع بين التصبين والرقص والغناء، فتصبين الثياب الصوفية والاغطية والأفرشة الثقيلة يتم بشكل جماعي تستعمل فيها الأرجل على ايقاع أهازيج شعبية تنشط العملية (الستيف) أما المواد المستعملة في هذه العملية وفي غيرها فهي نباتية بالدرجة الأولى "تيغشت والغاسول" (*وصف*، 2 : 281 و283) (الفلاحة المغربية) أما الصابون البلدي "المغربي" فقد تهمش دوره وأصبح مقتصراً على تكملة المنظفات الأخرى خاصة عند الاستحمام، وحتى الصابون الصلب الذي يبقى مثله مثل الصابون البلدي مستخرج من زيت الزيتون فقد تدحرج بدوره إلى درجة ثانوية بعد مزاحمة الصابون المسحوق له، والذي ابتعد كل البعد عن الأصل : شجرة الزيتون وزيت الزيتون.

البكري، *المغرب الجزائر*، 1911، باريس، 1965 ؛ الإدريسي، *نزهة المشتاق*، الطبعة الإيطالية نابولي بدون تاريخ ؛ مجهول، *الاستبصار*، الاسكندرية، 1958 ؛ الوزان، *وصف إفريقيا*، جزآن، الرباط، 1980 ؛ م. الطويل، *الفلاحة المغربية في العصر الوسيط*، كلية الآداب، 1988 (مرقون) ؛ سلفاتوري، *العلاقات التجارية بين بلدان المغرب وإيطاليا في العصر الوسيط*، مجلة البحوث التاريخية، العدد 2 يوليه، 1986، ص. 309 - 329 تر. عمر محمد الباروني.

A. Amari, *Diplomi Dellarchino Florentina*.

محمد حجاج الطويل

الصابونجي أو الصبونجي أسرة سلوية تنتسب إلى آل البيت، أصلها من تركيا أو تونس. كانوا يعملون في البحر وبهذه الصفة جاؤوا إلى المغرب للعمل في أسطول السلطان سيدي محمد بن عبد الله وأول من عرف منهم بسلا الرئيسان البحريان علي الصبونجي ومولاي المنجي الصبونجي.

وقد كتبت كلمة الصبونجي بدون مد في نصوص القرن الثاني عشر (18 م) وبخاصة الظهائر التي وجهها سيدي محمد بن عبد الله إلى الرئيس علي الصبونجي، ثم أضيف إليها المد "الصابونجي" في العقود العدلية والمراسلات وغيرها منذ أواسط القرن الثالث عشر (19 م). والصبونجي صيغة تركية تعني صانع الصابون. ويوجد صابونجيون عرب قليلون ببلاد الشام المناخمة لتركيا، منهم لويس الصابونجي (ت. 1350 / 1931) ويوحنا الصابونجي (ت. 1332 / 1914) وهما لغويان كبيران لهما مؤلفات كثيرة وصحف ومكانة عند الخليفة العثماني عبد الحميد، وقاما بتعليم أبنائه. والصيغة المنتشرة في المشرق للمنسوبين إلى الصابون هي العربية الصابوني.

ظهائر وعقود عدلية عند آل الصابونجي السلويين ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، ط 2، الرباط، 1990، ج 3 ؛ م. بوشعراء، *ذيل الإتحاف الوجيز*، ط 2، الدار البيضاء، 1996.

الصابونجي، أحمد (مولاي -) بن محمد السلوي. أحد كبار التجار، اشتهر باستقامته وعفته وأعماله الخيرية، أسند إليه منصب أمين مرسى الدار البيضاء سنة 1317 / 1899 ثم بالجديدة والعرائش، وكلف بالإشراف على دار السكة ومراقبة النقود بطنجة، وعُين عضواً في لجنة تخطيط الحدود مع الجزائر، وعضواً في مجلس الأعيان الذي كوّنه السلطان عبد العزيز بفاس للنظر في المشاكل الداخلية والخارجية خاصة ما يتعلق بالتدخل الأجنبي. وأخيراً عضواً

في مجلس الحرمين الشريفين.

عمل المترجم على تشجيع التعليم العربي الحر بسلا لمواجهة المدارس التي استحدثها الفرنسيون، وحبّس داراً له بدرب لعلو لإيواء تلاميذ أول مدرسة حرة أسست بسلا سنة 1338 / 1920 تخرج منها طلائع الشباب الناهض بالمدينة.

توفي بسلا يوم 23 حجة عام 1352 / 8 أبريل 1934 ودفن بالدار التي حبسها على التعليم الحر بدرب لعلو.

أ. معنينو، *ذكريات ومذكرات*، طنجة، 1991، ج 1 : 63 و105 ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، بيروت، 1985، ج 2، ص. 204 ؛ أبو بكر القادري، *مذكراتي في الحركة الوطنية*، الدار البيضاء، 1992، ج 1 : 27 ؛ م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد*، الرباط، 1991، ج 2 : 24 و274.

محمد حجي

الصابونجي، عبد الله (الحاج -) بن محمد (الحاج -) السلوي أمين بن أمين. تاجر اشتهر باستقامته فأسند إليه منصب أمين بمرسى الصويرة سنة 1325 / 1907.

توفي بسلا في ربيع الأول عام 1332 / يناير - يبراير 1914.

الوثائق الملكية، عقود نكاحه وإراثته.

الصابونجي، علي جد الصابونجيين السلويين، وهو رئيس بحري قدم من تونس للعمل في أسطول السلطان سيدي محمد بن عبد الله. وقد اتصل أول ما جاء بالسلطان في إحدى الحواضر التي كان يتنقل بينها، فعينه رئيساً على غليوطة وأمره بالتوجه إلى مرسى سلا وبعث رسالة مؤرخة في 16 شوال عام 1183 / 12 فبراير 1770 إلى الأمناء بسلا والرباط يستوصيهم خيراً بالرئيس علي الصبونجي ليستقبلوه أحسن استقبال. وبخرجوا الأنفاض عندما ترسو غليوطته ويحتفلوا لذلك على العادة.

وفي 21 جمادى الثانية عام 1194 / 24 يونيه 1780 أنعم السلطان على المترجم بالسكنى في دار الرايس صالح بسلا. ولعلها إحدى الدور التي تتكون منها دار الصبونجي الكبرى بحي رأس الشجرة أسفل الجامع الأعظم. ومازالت حتى اليوم دار الرايس معروفة بقاع الدرب الملاصق لدار الصبونجي.

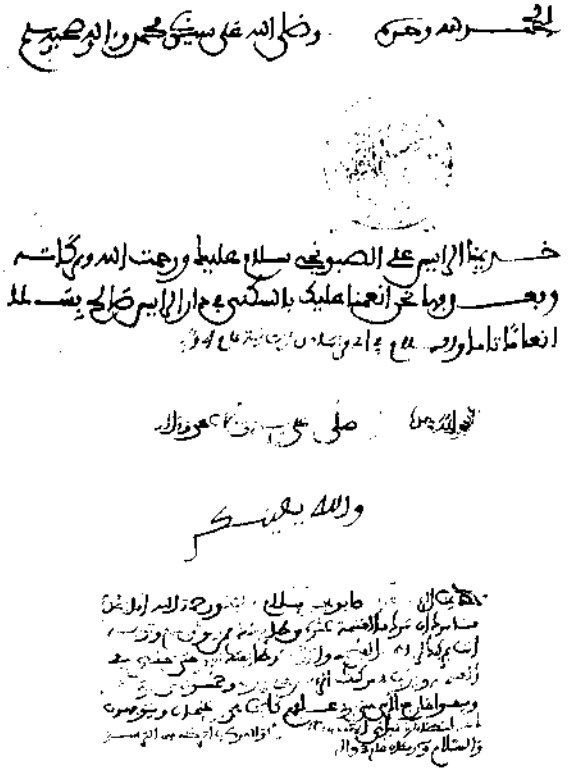

طال أمد رآسة علي الصبونجي للسفن الجهادية ممتعا بثقة السلطان، وتمتد تواريخ الظهائر الموجهة إليه من سنة 1183 / 1769 إلى سنة 1201 / 1787 وأكثر ما تتحدث عن الغنائم، الأمر الذي يدل على الدور الفعال للمترجم في الجهاد البحري. وفي ظهير مؤرخ بتاسع رمضان عام 1193 / 20 شتنبر 1779 أمر السلطان الصبونجي بأن يترك بالغنيمة عشرة من بحارته ممن يوثق بهم ويتوجه هو بمركبه لرباط الفتح لينتظر مع خمسين من بحرية الرباط خارج المرسى قدوم كاتب السلطان محمد ابن عثمان ويصحبوه لقضاء الأغراض التي وجهه السلطان إليها. وهذه هي سفارة ابن عثمان الأولى إلى

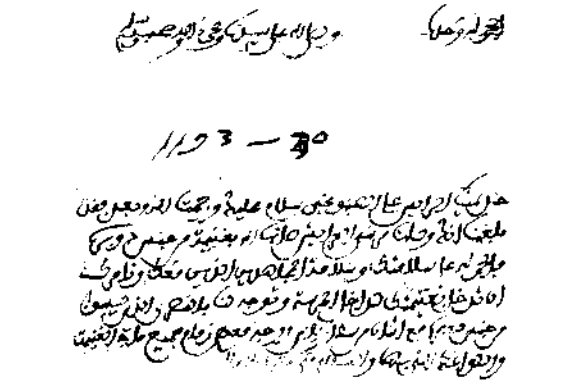

إسبانيا لفك الأسرى التي ألف فيها رحلته *الإكسير في فكاك الأسير*. وصحب علي الصبونجي بعد ذلك سنة 1203 / 1789 سفارة القائد محمد الزوين الرحماني إلى الخليفة العثماني عبد الحميد رئيساً لإحدى السفن الأربع التي أهداها السلطان العلوي للخليفة العثماني.

توفي بعد عام 1203 / 1789.

مجموع ظهائر اصلية بيد الصبونجيين السلويين ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، ط 2، الرباط، 1990، ج 3 ؛ جعفر الناصري، سلا *ورباط الفتح*، مخطوط، خ. ص ، ج 4.

الصابونجي، محمد بن **أحمد** السلوي تاجر كان يحظى ـ كسائر بني عمه ـ بتقدير سكان المدينة. وهذا السيد هو جدي للأم، من بنته مينة زوج الفقيه العدل محمد بن الفقيه المقدم الحاج عبد الله جغالف والد جدتي شامة.

توفي بسلا سنة 1295 / 1878.

عقود أنكحة ووصايا وتركات بيد السيد محمد بن محمد بن عبد الله الصبونجي.

الصابونجي، محمد (الحاج ـ) بن **عبد الله** السلوي، تاجر كبير أسندت إليه الأمانة في عدة مراسي. وتتحدث عنه الوثائق المخزنية من سنة 1298 إلى سنة 1311 / 1881 ـ 1893 أميناً بمرسى أسفي وتطوان وغيرهما.

توفي بعد سنة 1311 / 1893.

الوثائق الملكية ؛ عقد نكاحه ؛ م. بوشعرا، *التعريف ببني سعيد*، الرباط، 1991، ج 2.

الصابونجي، محمد بن عبد الله (الحاج ـ) **السلوي**، تاجر ولد بسلا سنة 1318 / 1900 وبها نشأ وحفظ القرآن ومبادئ اللغة والدين ثم اشتغل بالتجارة وانتقل إلى الخميسات فاتسعت تجارته وعلاقاته مع باديتها وبقي فيها إلى أن مات. عرف بالوطنية الصادقة منذ شبابه فكان من الموقعين على العريضة السلوية بتاريخ 23 غشت 1930 للاحتجاج ضد الظهير البربري. وفي أحداث سنة 1937، كان

قد انتقل إلى الخميسات فقام هناك بحركة احتجاج ضد ما كان يتعرض له الوطنيون بفاس وسلا وغيرهما من اضطهاد واعتقال ونفي، فضيقت عليه السلطات المحلية وهددته بالسجن. ومن ثم أصبح بيته مقراً لاجتماعات الوطنيين وفي مقدمتهم عمرو بناصر بنو زكري الزموري (انظره في *المعلمة*) الموقع على عريضة 11 يناير 1944 للمطالبة بالاستقلال، وأسس الصبونجي مدرسة الأطلس الحرة، ومكتبة الأطلس لبيع الجرائد الوطنية ومنها *العلم*، وأسند إدارتها إلى عمرو بناصر المذكور. وعلى إثر المظاهرات التي أعقبت استشهاد النقابي التونسي فرحات حشاد في دجنبر 1952 سجن المترجم ثم أقفلت سلطات الحماية المدرسة والمكتبة.

توفي محمد الصبونجي بالخميسات في 25 جمادى عام 1383 / 14 أكتوبر 1963.

عقود نكاحه وإراثته ؛ تقييد ولده محمد بن محمد الصبونجي ؛ جريدة *العلم*، ليوم 15 أكتوبر 1963.

محمد حجي

صاحب الأشغال أو **الأعمال** هو المكلف بمداخيل الدولة ومصاريفها وفي مصادر كثيرة : صاحب الأشغال العملية (*البيان*، 131 و237) وصاحب الأشغال المخزنية. واختصر في مصادر أخرى إلى كلمة "المشتغلين" وكلها أسماء وإشارات لمنصب سياسي خطير الشأن صنفه ابن خلدون ضمن أركان الملك الثلاثة : الجند والمال والمخاطبة (*المقدمة*، 245) وقد اعتمد الموحدون والحفصيون بعدهم على "صاحب الأشغال" في ضبط مداخيل الدولة ومصارفها على المستوى المركزي والجهوي، ولم يكن يتولى هذا المنصب عندهم إلا الموحدون، وخاصة على المستوى المركزي، لكن هذا الشرط لم يلتزم به في بعض الفترات وخاصة في الجهات والعمالات (المقدمة) ولعل هذه الوظيفة كانت لها الأهمية القصوى في المخزن الموحدي لما تميز به عن غيره من سياسة متشددة في مسألة جمع الأموال ومستحقات المخزن بصفة عامة، فقد اتبع سياسة مرنة بعد الثورات التي كادت تقضي عليه والتي اندلعت في المغرب الأقصى كله. وبفضل السياسة المرنة تلك، أصبح شريكاً مع السكان في ممتلكاتهم في البوادي والمدن وبنسب متفاوتة بحسب النشاط والعمل وبحسب الإنتاج والأمكنة (ابن غازي *الروض*، 20 و24)، وكان يستخلص نصيبه بواسطة موظفين يعملون تحت إشراف صاحب الأشغال (*الروض*، 24 ؛ *التشوف*، 194) وعرفوا باسم القشاشين. ويبدو أن هذا المنصب كان مرتبطاً بالتقطيع الإداري للعمالات والأقاليم والمدن الكبرى : وهؤلاء المشتغلون الجهويون والمحليون كانوا تحت إشراف صاحب الأعمال المخزنية الذي هو منصب مماثل على الصعيد المركزي، وقد تولى هذا المنصب في عهد الخليفة يعقوب المنصور وفي عهد ابنه الناصر الشيخ أبو محمد ابن أبي علي ابن مثنى، قال عنه في (*البيان*، 3 : 237) "صاحب الأعمال المخزنية المفوض إليه الأشغال العملية".

ومن الذين تولوا منصب صاحب الأشغال على المستوى الجهوي شخص عرف بعبد الحق "صاحب أشغال فاس". وهو منصب خطير الشأن لأن أهميته وخطورته تأتي من كون المخزن في العصر الوسيط (وما بعده) كان يعتمد في حله وترحاله على صاحب الأشغال لتوفير ما تحتاجه المحلة السلطانية ومحلات الجيش والموظفين من تمويل وتموين وعلف وما إلى ذلك مما كان يحتاجه المخزن في تنقله في أوقات السلم والحرب، بل إن خطورة المنصب وأهميته الاستراتيجية تزداد إبان الحروب والاستعداد لها، ومثال ذلك ما أورده صاحب البيان عن حملة الناصر وتوجهه للجهاد في الأندلس جرياً على سنن أجداده قال صاحب (*البيان*، 3 : 237).

"... إلى أن استقبل المنازل التي كانت تستمد منها الرُّفاق وتحتقب منها الحقائب ويدخل منها الأزودة المقيم والذاهب فألفاها قد جَفَّ معينها وخف بتوالي العدوان قطيفها ولم يبق منها لمخازن السلطان الوافرة أثر ولا يتضح لخازنها دليل ولا نظير..."

وقد تلاعب بأموال المخزن النقدية والعينية كبار الموظفين من عمال ومشتغلين وأعوانهم وصنائعهم، فما كان من الناصر إلا أن ضرب على أيديهم بقوة وكلف لتنفيذ ذلك ابن مثنى "صاحب الأعمال المخزنية" وكان كبير المتلاعبين عبد الحق بن أبي داوود عامل فاس، قال ابن عذاري عن الناصر : "... فتروح بعد وصوله إلى المدينة ثلاثاً ليبث في نفوس المشتغلين الطمأنينة والأمان وليصبح ظنونهم في وصول أبي محمد إليهم في ذلك الأوان ثم فوجئ عبد الحق بالقبض عليه بدار الإشراف وأرسل إلى منزله من ألحقه بالثقاف وبالغ في استصفاء أحواله وتبسط اليد بالقبض على كافة أصحابه وعماله ونفذ الكتب إلى سائر الجهات بتثقيف من خدم في مدته وغمس يده في أشغاله..."

وربما كان هذا الحادث السبب الأكبر لا في هزيمة العقاب (609 . 1199) ولا في بداية نهاية الدولة الموحدية وضياع الأندلس فحسب، بل كان السبب الرئيس في إضعاف المغرب وتراجع مجهوداته وأنشطته وإنتاجه حتى تأخر عن الركب الحضاري وأصبح عرضة للاحتلال والاستعمار.

تحدثت الوثائق الموحدية الرسمية عن مهام أخرى لصاحب الأشغال : وهي رفع المظالم على اختلافها وإزالة المحدثات وقطع المسكرات وتغيير المنكرات (رسائل موحدية) ؛ لكن ذلك لا يعني تداخل المهام والوظائف فالمخزن الموحدي عرف بضبطه الإداري حتى إن العديد من الدارسين يجعلونه متأثراً في ذلك بالامبراطورية الرومانية. وقد يكون استنتاجهم صائباً رغم البعد الزماني بين الامبراطوريتين، لكن التقاليد البربرية الأصيلة (المصمودية) والتي انطلقت منها التنظيمات الموحدية الإدارية السياسية والعسكرية والاقتصادية كانت حاضرة بثقلها طيلة مدة حكم الموحدين.

ابن عذاري، *البيان المغرب*، بيروت، 1948، وتطوان 1960، الدار البيضاء، 1985 ؛ ابن خلدون، *العبر*، 7، دار البيان، بيروت، بدون تاريخ ؛ ابن غازي، *الروض النهتون*، الرباط، 1964 ؛ التادلي، *التشوف*، الرباط، 1958 و 1984؛ بروفنصال، *رسائل موحدية*، الرباط، 1941 ؛ عزاوي، *رسائل موحدية دفينة*، مرقون، كلية الآداب بالرباط، 1986 ؛ م. الطوبل، *النقل والتنقل في المغرب خلال العصر الوسيط*، كلية الآداب بالرباط، 1998، مرقون.

صاحب البحر عرفت كثير من المناصب والوظائف في صدر الدولة الإسلامية ـ صاحب (كذا) ـ صاحب الشرطة ـ صاحب الأحكام ـ صاحب الصلاة ـ صاحب البصرة... وهكذا، وانتقلت هذه الألقاب إلى الغرب الإسلامي منذ وقت مبكر، ولما عرف الغرب الإسلامي ازدهاراً وتفوقاً بحرياً لقب القائم على هذا القطاع "بصاحب البحر" على أن صاحب البحر ليس مثل العامل على منطقة معينة يقال عنه مجازاً صاحب إشبيلية أو صاحب سلا ـ فصاحب البحر لقب رسمي لمنصب استراتيجي كان يتولاه، مثل باقي المناصب الكبرى ـ الأمراء وكبار شخصيات العصبيات الحاكمة (خلال العصر الوسيط) ـ ففي العهد الموحدي والذي ظهر فيه هذا اللقب ـ باعتبار الموحدين القوة البحرية السائدة في الغرب الإسلامي ـ كان لا يتولى هذا المنصب إلا الأمراء (السادة) وأحياناً كبار الشخصيات المصمودية الأشياخ (الجدول المرفق) ولظروف مستجدة وأسباب خاصة كان يعهد بهذا المنصب إلى الأجانب.

ومن مهام صاحب البحر أو صاحب إمارة البحر (*نظم الجمان*، 148) مراقبة المراسي : الورود والصدور منها وتنظيم الشحن والإفراغ وتوفير الأمن للمراكب والبضائع وعمليات التبادل التجاري واستخلاص مستحقات المخزن وأساساً : الحرص على أمن السواحل وحمايتها من أي طارق، وتجهيز الأساطيل في أوقات السلم والحرب، على أن مهام صاحب البحر وإن كانت واضحة ومحددة بدقة في العهد الموحدي الأول (رسائل موحدية) فإنها أصبحت فيما بعد متداخلة مع مهام بحرية أخرى مثل قائد البحر ورؤساء البحر وقادة الأساطيل وقد أفاد العلامة ابن خلدون في التفريق بين بعض المهام البحرية في الأندلس قبل المرابطين وبعدهم : "... وكان *قائد* الأساطيل بالأندلس ابن دماحس ومرفأه للحط والإقلاع بجاية وألمرية، وكانت أساطيله مجتمعة من سائر الممالك من كل بلد تتخذ فيه السفن، أسطول يرجع نظره إلى قائد من النواتية يدبر أمر حربه وسلاحه ومقاتلته ورئيس يدبر أمر جريته بالريح أو بالمجاذيف وأمر إرسائه في مرفئه..." (*العبر*، 253 . 254).

وفي حالة الحرب كانت الأساطيل تؤلف وتجمع قطعها من سائر المراسي التي تحت حكم السلطان فتعد وتشحن وتجمع في ميناء واحد ويقوم السلطان بتفقدها واستعراضها عند اكتمالها ويعين عليها *قائداً واحداً* : "... فإذا اجتمعت الأساطيل لغزو محتمل أو غرض سلطاني مهم عسكرت بمرفئها المعلوم وشحنها السلطان برجاله وأنجاد عساكره

صاحب البحر القائد أو الرئيس	المكان	العهد	المصادر
ابن فاطمة	المغرب	المرابطون	بسط الأرض 45، 46
محمد بن ميمون	الأندلس	" "	مفاخر البربر، 58 ؛ المقدمة، 265
داود بن عائشة	المغرب والأندلس	" "	البيان، 2 : 337
علي بن عيسى	" "	" "	البيان، 3 : 21 ؛ أخبار المهدي، 67
علي بن ميمون	" "	" "	البيان، 3 : 21 ؛ المقدمة، 255
أحمد بن ميمون	" "	" "	الإعلام، 3 : 236 ؛ المقدمة، 255
أحمد بن عمو الأوزالي	" "	" "	نزهة المشتاق
عيسى بن ميمون	" "	" "	استقصا، 2 : 206 ؛ المقدمة، 255
ابن دماحس	الأندلس	" "	المقدمة، 253 و254
غانم بن محمد بن مردنيش	" "	الموحدون	المن، 516 ؛ البيان، 3 : 157 ؛ استقصا، 2 : 192
يحيى بن أبي زكرياء	إفريقية	" "	استقصا، 2 : 217
السيد أبو العلاء	ميورقة	" "	استقصا، 215 ؛ العبر، 6 : 217
السيد أبو سعيد بن أبي حفص	" "	" "	" " " " "
عبد الله بن اطاع الله	" "	" "	البيان، 3 : 32
ناصر بن تامة	سبتة سلا	" "	التشوف، 207
ابن عمرويين	سبتة	" "	التشوف، 270 و280
أحمد الصقلي	المغرب	" "	المقدمة، 255
أبو محمد عبد الله بن سليمان	أزمور	" "	البيان، 3 : 32 ؛ أخبار المهدى، 75 ؛ رسائل، 11 ؛ نظم الجمان، 148
السيد أبو العلاء الكبير	المغرب والأندلس	" "	البيان، 3 : 234
يحيى بن أبي زكريا الهزرجي	" "	" "	استقصا، 2 : 215
علي بن خلاص	" "	" "	استقصا، 1 : 203
الفقيه العزفي	سبتة	" "	القرطاس، 313
السيد أبو زيد عمر	ميورقة	" "	العبر، 6 : 247 ؛ استقصا، 2 : 218
أبو محمد عبد الله بن جامع	سبتة	" "	المن، 218 ؛ البيان، 3 : 117 ؛ استقصا، 2 : 218
أبو العباس الرنداحي	سبتة	عام 647 هـ	البيان، 3 : 488
أبو زكريا بن مزاحم الكومي	" "	الموحدون	البيان، 3 : 350
السيد أبو عبيد بن عبد السلام الكومي	" "	" "	البيان، 3 : 203
ابن مسعود	سلا	الموحدون	المسند، 345
يوسف الجيدي	بادس	" "	المقصد، 74
محمد بن القايد القاسم الرجراجي	سبتة	المرينيون	القرطاس، 373
محمد بن الفقيه العزفي	المغرب	" "	القرطاس، 313
يحيى بن الفقيه بن أبي طالب العزفي	سبتة	عام 714 هـ	القرطاس، 399
محمد بن يوسف الأبكم	المغرب	أبو عنان	استقصا، 3 : 200 ـ 202
يحيى الرنداحي	المغرب	المرينيون	العبر، 7 : 214
أبو الحسن بن كماسة	سبتة	بنو الاحمر	استقصا، 3 : 100 ؛ العبر، 7 : 240
الرئيس أبو سعيد	مالقة	المرينيون	استقصا، 3 : 82
محمد علي العزفي	سبتة	" "	استقصا، 3 : 115
إبراهيم البطروجي	المغرب والأندلس	" "	استقصا، 4 : 42
أحمد بن الخطيب	المغرب	أبو عنان	العبر، 7 : 240

ومواليه وجعلهم لنظر أمير واحد من أعلى طبقات أهل مملكته يرجعون كلهم إليه..." (*العبر*).

ويبدو من مختلف النصوص والإشارات التاريخية "أن منصب صاحب البحر لم يكن مركزياً إلا في الحالة التي أشار إليها ابن خلدون وتعني "قائد البحرية" في وقت الحرب، أما ما عدا ذلك فإن منصب صاحب البحر أو صاحب إمارة البحر فكان جهوياً أي بحسب المراكز البحرية النشيطة في وقت الحرب أو السلم. جاء في *نظم الجمان* (148) :

"... ثم جاء على بن عيسى الموحد *صاحب البحر* بالقطايع وحصرهم في سبتة..."

وفي الوثائق الموحدية الرسمية : "... رجع التاجر إلى بجاية بعد غيبته تلك السنين الطويلة فوجد ابا محمد عبد الله بن سليمان صاحب *إمارة البحر*..." (رسائل موحدية بروفنصال).

ع. الرحمن ابن خلدون، *العبر*، بيروت ؛ ابن القطان، نظم الجمان، تطوان، د. ت ؛ بروفنصال، *رسائل موحدية مومنية*، الرباط، 1941 ؛ عزاوي، *رسائل موحدية دفينة*، د. د. ع. مرقون، كلية الآداب بالرباط، 1986 ؛ م. الطويل، *النقل والتنقل في المغرب خلال العصر الوسيط*، مد. د. ع. رقون، كلية الآداب بالرباط، 1998 ؛ ابن سعيد، *بسط الأرض*، تطوان، 1958 ؛ مجهول، *مفاخر البربر*، الرباط، 1934 ؛ ابن عذاري، *البيان*، بيروت، 1948 وتطوان، 1960، الدار البيضاء، 1985 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1974 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954 ـ 1955 ؛ ابن صاحب الصلاة، *المن*، بيروت، 1964 ـ 1987 ؛ ي. التادلي، *التشوف*، تح. أ. الوفيق، الرباط، 1985 ـ 1984 ؛ البيدق، *أخبار المهدي*، الرباط، 1971 ؛ ابن مرزوق، *المسند*، الجزائر، 1981 ؛ البادسي، *المقصد*، الرباط، 1982.

صاحب الصلاة صنف ابن خلدون الخطط الدينية الشرعية الخلافية هكذا : الصلاة ـ الفتيا ـ القضاء ـ الجهاد ـ الحسبة.

وجعل إمامة الصلاة أرفع هذه الخطط كلها ... وأضاف : "أن المساجد العظيمة أمرها راجع إلى الخليفة أو من يفوض إليه من سلطان أو من وزير أو قاض..." (*العبر*، ا : 219 ـ 220).

فهذه الوظيفة حسب ابن خلدون ذات أهمية قصوى فهي تمثل الخليفة وليس كما قيل "أنها تعني بكل وضوح الذي يؤم الناس في صلواتهم" (*المن*، 7 و8) ؛ فليس كل من يؤم الناس في صلواتهم يحمل لقب *صاحب الصلاة* ؛ وبرجوعنا إلى ابن خلدون (*العبر*، ا : 219) نستطيع أن نقف على تحديد دقيق لوظيفة *صاحب الصلاة* ؛ يقول ابن خلدون : ".. فاعلم أن المساجد في المدينة صنفان : مساجد عظيمة كثيرة الغاشية معدة للصلوات المشهودة وأخرى دونها مختصة بقوم أو محلة وليست للصلوات العامة، فأما المساجد العظيمة فأمرها راجع إلى الخليفة أو من يفوض إليه..."

هذه بداية وظيفة *صاحب الصلاة* لكنها تطورت عبر التاريخ لتصبح أوسع وأعمق. فصاحب الصلاة الذي يعينه الخليفة مباشرة وليس للولاة عليه أي سلطان كان يشرف على أئمة المساجد ويزودهم بإرشاداته وتعليماته وينظر في مشاكلهم ويراقب أعمالهم ؛ وعادة ما كان *صاحب الصلاة* يختار من بين الفقهاء الخطباء، ويقوم بنفسه بإلقاء خطب الجمعة والأعياد والخسوف والاستسقاء، ومن مهامه أساساً الخطب في المساجد العظمى مثل مسجد الكتبية بمراكش والمسجد الأعظم بإشبيلية ومسجد قرطبة (*البيان المغرب*، 3 : 195) (*المن*، 7 و8) (*علام الدولة الموحدية*، 267).

يرجع أول ذكر في المصادر *لصاحب الصلاة* إلى أواسط القرن الثالث (9م) بالمشرق ثم انتقل إلى المغرب بعد ذلك وليس المنصب ولا اللقب *صاحب الصلاة*. من إبداع الموحدين كما اعتقد بعض الدارسين الأجانب وحتى بعض المغاربة بل هو سابق على الدولة الموحدية بكثير، فأول إشارة إليه كانت في الإمارة البرغواطية (ق 2 هـ ـ 6 هـ/ 8 م ـ 12 م)، جاء عند أبي عبيد البكري في (*المغرب*، 134) :

"أخبر أبو صالح زمّور بن موسى بن هشام بن واردبزن البرغواطي وكان *صاحب صلاتهم* حين قدم على الحكم المستنصر رسولا..." وكان الرسول قد وصل إلى قرطبة في شهر شوال (352 ـ 963)، ولا يقابل هذا المنصب وزارة الأوقاف كما ذهب إلى ذلك بعض الدارسين بل كانت مهمة *صاحب الصلاة* شبيهة بمهمة المفتي، وقد تولى هذا المنصب في العهد الموحدي عدد من العلماء والفقهاء الأندلسيين مما يقوي الإعتقاد بأن هذا المنصب كان مقصوراً على أهل الأندلس ومنهم والد مؤلف كتاب *المن بالإمامة*. وقد توارث هذا المنصب عدد من علماء الأندلس في مدينة واحدة بل ومن عائلة واحدة (*المن*، 7 و8). ويبدو من خلال المصادر الوسيطة أن خطة *صاحب الصلاة* لم يتبعها غير الموحدين باستثناء ما أشار إليه البكري عن البرغواطيين، حتى أن ابن خلدون وهو يستعرض الخطط الشرعية والفقهية والدينية والدنيوية ووظائف الملك لم يشر إليها في زمانه مما قد يفيد أن الدولة المرينية وقد قلدت الموحدين في الكثير من المظاهر لم يكن *صاحب الصلاة* من الوظائف المعروضة عندهم لكن ابن الحاج في (*فيض العباب*، ص. 12) وهو مؤرخ معاصر وقريب من البلاد ذكر أن السلطان أبا عنان استحدث منصب *صاحب الصلاة* : "إحداث أبي عنان لمنصب صاحب الصلاة في كل المناطق التي تحتاج إلى ذلك وأمر القضاة بترشيح الناس لهذا المنصب فكتب الظهائر بالتعيينات وعمل مرتبا يوسع في العدد، والجراية وعين لكل واحد منهم أعواناً بقدر ما يحتمل بلده وعمل لكل عون مرتباً يقيم به أوده وتعلو فيما كلف به يده..."

ورغم أن ابن خلدون كان معاصراً لابن الحاج فإن هذا الخبر عن إحداث هذا المنصب لن يغيب عن ابن خلدون اللهم إلا إذا أحدث بعد مغادرته المغرب وهذا هو الأرجح ؛ ونص

فيض العباب يضيف معلومات جديدة عن خطة صاحب الصلاة : فهي ليس خطة مركزية بل موزعة بحسب الحاجة إليها في مختلف الجهات، ولصاحب الصلاة مساعدون يعملون تحت إشرافه وله ولأعوانه مرتبات تكفي حاجاتهم حتى لا يمدوا أيدهم إلى الغير.

ابن خلدون، *العبر*، دار البيان، بيروت، بدون تاريخ ؛ ابن صاحب الصلاة، *المن بالامامة*، بيروت، 1964 . 1987 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، بيروت، 1948 وتطوان، 1960، الدار البيضاء، 1985 ؛ ع. الله علي علام، *الدولة الموحدية في عهد عبد المومن بن علي دار المعارف*، مصر، 1968 ؛ أبو عبيد البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب*، الجزائر، 1911، باريز، 1965 ؛ ابن الحاج النميري، *فيض العباب*، الرباط، 1984.

محمد حجاج الطويل

الصاروخ، عبد السلام بن لحبيب بن أبا حنيني ولد سنة 1347 / 1928 بالريصاني بقصر ابدعة إقليم الرشيدية. كان من شيوخ الحلقة الرواد في جامع الفنا. أسمر اللون، أصلع الرأس مقوس الحاجبين حاد النظرات، قامته طويلة فارهة، بنيته قوية، لسانه بذيء ولغته داعرة. كان من حفظة القرآن الكريم، وكان يسترزق بتلاوته في الأسواق والمناسبات كغيره من الحفظة الذين لا يمتهنون أية حرفة. والدافع وراء ذلك هو البحث عن لقمة العيش لأبنائه التسعة الذين يجمعهم بيت متواضع بالحي المحمدي بمراكش.

كان الصاروخ يجعل ذاته موضوعا يقيم عليه حلقته مستغلا فيها كل ما يثير الضحك عند زبنائه وغالبيتهم شباب لأنه لم يكن يملك أي شيء آخر يشد به المتفرجين إليه سوى بنية جسده القوية واللغة الداعرة واللسان البذيء وسباب الجمهور. وكان كل هذا يثير المتفرج وهو يضحك دون أدنى رد فعل منه تجاه الصاروخ. وكمثال على ذلك، فقد لجأ في أحد الأسواق الأسبوعية التي تقام بأحواز مراكش إلى حمل جحش على كتفيه وصار يطوف به السوق حتى تبعه خلق كثير فالتفت إليهم ووجه نحوهم سبابا فادحا وهم يضحكون ثم قال لهم : "عندما كنت أحمل القرآن انصرفتم عني وعندما حملت الحمار ياولاد ال ... تبعتموني" (*جامع الفنا*، 35).

تمكن عبد السلام الصاروخ بهذا الفعل من إشهار نفسه. فصار يتهافت عليه السوقة من الناس، وأغلبهم من الشباب والأطفال. ومنذ ذلك الحين، أصبحت الحلقة التي يعقدها الصاروخ بثلاثاء مسفيوة سببا في عدم ذهاب الكثير من التلاميذ إلى مؤسساتهم التعليمية في هذا اليوم. والجدير بالذكر أنه لا يمكن لأحد أن يقوم بهذا الفعل إلا إذا توفرت فيه قواعد الحلقة التي تنبني أساسا على الجرأة (أي الجبهة بالمعنى الدارج)، وغياب "المركة" (الكاف فوقه ثلاث نقط وهي كلمة دارجة)، أي انعدام الخجل والاتصاف بالوقاحة أي (القباحة بالدارجة)، بالإضافة إلى الثبات والروية دون الوقوع في الاستفزاز.

عبد السلام الصاروخ لم يكن جريئا ووقحا فحسب، بل كان يلجأ إلى تحدي متفرجيه باستعمال القوة أحيانا إن استفزه أحد. وحين كان يعرف بنفسه، كنا نسمعه يقول : "أنا اسمي الصاروخ ومنعت من الذهاب إلى القمر لأنهم يخشون أن أحضره معي إذا عدت إلى الأرض".

عاصر عبد السلام الصاروخ الكثير من رواد الحلقة أصحاب السير والغزوات والقصص في ساحة جامع الفنا منهم من قضى نحبه كعمر ميخي، وطبيب الحشرات ومحمد مامداد، وباقشيش، والحسين السيرة، وإدريس لعور، والركراكي والكبيري معروف ومحمد الصويري وأحمد الوريكي الشويخة. ومنهم من لازال ينتظر - وهم مسنون - كالشرقاوي صاحب الحمام، وعياد البعير وعمر الدحش وأحمد بوشامة والشباير محمد والجابري مولاي أحمد والفطن مولاي أحمد والتمعيشة أحمد ومولاي مبارك المداح وبعصوصة ميلود وعبد الحكيم المغني. وقد أصبح هؤلاء يدعون بشيوخ الحلقة بعد أن أسست - حديثا - جمعية تهتم بهم إثر الإعلان عن ساحة جامع الفنا تراثا إنسانيا. ومن جيل الرواة الجدد الذين عاصروا عبد السلام الصاروخ : محمد بالهاشمي باريز (وهو لقبه المسجل في الحالة المدنية) وعبد الرحيم بن حسن المقوري المعروف بعبد الرحيم الأزلية - لتفوقه في روايتها - وغيرهما ممن كانوا يترددون على جامع الفنا ويقيمون الحلقة به. لأن إقامة الحلقة في جامع الفنا هي بمثابة إجازة للحلايقي وشهادة على كفاءته وقدرته على إرضاء جمهور جامع الفنا الذي يصعب جمعه وإرضاؤه.

توفي عبد السلام بن لحبيب الصاروخ في 28 رجب 1416 / 20 دجنبر 1995. ودفن بمقبرة باب الخميس بمراكش، عن عمر يناهز 67 سنة.

جواهري، *جامع الفنا*، الرباط، 2001 ؛ الزيارة الميدانية لشيوخ الحلقة بجامع الفنا ومقهى أبا مادان بدرب ضباشي، 13 و14 يوليوز، و13 غشت، 2001 ؛ سجل الحالة المدنية للمترجم بمقاطعة الحي المحمدي الداودبات بمراكش.

عبد الرزاق ازريكم

الصّاري، جزء مهم من أجزاء السفينة أو المركب بل إنه الأهم في المراكب والسفن التي تتحرك بواسطة الرياح، فالصاري هو ذلك العمود الضخم الطويل الذي يتوسط السفينة ويحمل الشراع الذي يحرك السفينة بواسطة الريح، والمراكب أنواع منها القوارب الصغيرة التي تسير بأشرعة صغيرة، صاريها بسيط متناسب وحجمها والغرض منها، أما السفن الضخمة العابرة للبحار والمحيطات فتكون متعددة الأشرعة أو القلاع ومتعددة الصواري وغالباً ما يوجد صار رئيسي كبير يتوسط صاريين أصغر منه، مثل الكاراڤيلا.

يشترط في الصاري أن يكون طويلاً مستقيماً لا عوج فيه صلباً وضخماً، ويتخذ من خشبة واحدة وكانت فيما سبق من جذع شجرة واحدة عملاقة، والنوع الملائم لصناعة

"الصاري" كان متوفراً بكثرة على ضفاف البحر المتوسط وفي شمال غرب أوربا كالصنوبر، وفي المغرب كانت الأشجار الملائمة لصناعة السفن والصاري : أشجار الأرز والصنوبر، ومن أسباب تقدم صناعة السفن في الدول البحرية الأروبية في العصر الوسيط وحتى عند الفينيقيين شرق البحر الأبيض المتوسط وجود أشجار الأرز والصنوبر، على أن القيود التي فرضت على تجارة الأخشاب في إطار الصراع المسيحي الإسلامي جعلت بلاد المغارب تستنزف مخزونها من الأنواع الملائمة لصناعة المراكب ومنها الأشجار العملاقة التي يتخذ منها الصاري، فاضطر الصناع إلى حل المشكل باتخاذ الصاري من عدة جذوع أشجار متوسطة الصلابة والسمك وجمعها إلى بعضها بواسطة النجارة والغراء على أن تربط بأحزمة من حديد أو نحاس.

يحمل الصاري إضافة إلى الشراع : الجامور وهو البرج الخشبي الأسطواني الشكل الذي يخترقه الصاري ويثبت في أعلاه أسفل العلم ومنه تتم عملية المراقبة والاستكشاف ؛ كما يحمل الصاري القرية وهي العارضة الخشبية التي تتقاطع مع الصاري أسفل الجامور ويثبت على طولها الشراع.

الجزيري، *المقصد المحمود*، مخطوط، الخزانة العامة بالرباط ؛ الزجالي، *أمثال العوام*، فاس، 1971 ؛ فلها لم هو نيرباخ، *البحرية العربية وتطورها في البحر المتوسط*، تطوان، 1954 ؛ ارشيبالدلويس، *القوة البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط*، القاهرة، 1960 ؛ م. الطويل، *النقل والتنقل في المغرب خلال العصر الوسيط*.

M. Lombard, *L'Islam dans sa première grandeur*. Paris, 1980.

محمد حجاج الطويل

صـــاريوة أو صـــريوة حي بفـــاس يُنسب إلى أولاد الصاريوي، فخذة من قبيلة بني يازغة كان لهم ذكر بفاس من أقدم بيوتاتها، ذوو عز وودولة ومال. وهو حي معروف حتى الآن بالقليعة داخل باب الفتوح من عدوة فاس الأندلس. وكان معموراً بالسكان ثم خرب وأصبح مقبرة. ويشتهر حي صاريوة بضريح الشيخ الصالح سيدي علي بن أبي غالب الصاريوي (انظر ترجمته في *المعلمة* : بوغالب) وقد ذكر القادري في *النقاط الدرر* أنه في عام 1090 / 1679 بُنيت قبة ضريح سيدي أبي غالب الصريوي. وكان بفاس أيضاً فندق يعرف بفندق صاريوة مذكور في عدة حوالات قديمة. وقد انقرضت هذه الأسرة من فاس.

وذكر ابن الأحمر في *بيوتات فاس الكبرى* أن سلف علي ابن أبي غالب خرجوا من فاس فارين من موسى بن أبي العافية في أيام ولايته على فاس واستقروا في بني صاريوة من قبيلة بني يازغة. ولما رجعوا إلى فاس نزلوا داخل باب الفتوح فدعي ذلك الحي صاريوة، ونسب إليه الشيخ علي بن أبي غالب الصاريوي، وقد تضاربت أقوال المؤرخين والنسابين حول هذا الصالح، تجد ذلك مبسوطاً في الترجمة المطولة التي خصه بها مؤلف *سلوة الأنفاس*.

إ. ابن الأحمر، *بيوتات فاس الكبرى*، الرباط، 1972 ؛ م. القادري، *النقاط الدرر*، تح. هاشم العلوي، بيروت، 1983 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، ط. حجر فاس، 1300، ج 2 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إزالة الإلتباس*، مرقون ؛ لوطورنو، *فاس قبل الحماية*، تر. م. حجي وم. الأخضر، بيروت، 1986 ؛ علي الكتاني، *الشرفاء الكتانيون في الماضي والحاضر*، الدار البيضاء، 1999.

محمد حجي

الصّاع، أداة لكيل الحبوب وما في حكمها مثل الزبيب والتمر وغيرهما، وقد كانت تصنع من فخار وخشب قبل أن تصبح من قصدير أو نحاس ؛ والصاع وحدة للكيل، وقد ورد في المصادر التاريخية مع المد كأصغر وحدات للكيل ؛ لكن تقديراته اختلفت في الزمان والمكان وتردد ذلك في كتب الفقه والحسبة وفي كتب النوازل وغيرها حتى إن الكثير منها كان يؤكد على المرجعية الشرعية فيذكر المد النبوي والصاع النبوي تمييزاً له عن غيره (*البكري المغرب*، 89 ـ 151 ؛ *مسالك*، 298 ؛ *القرطاس*، 384 ؛ *الضعيف*، 31 ـ 32).

وفي مصادر أخرى ذكرت أدات الكيل مقرونة باسم حاكم الوقت أو المكان الموجودة فيه أو نُسبَتْ إلى المجموعة البشرية المستعملة لها كقولهم : "مد مروان ابن الحكم" و"صاع أهل الحجاز" (إثبات ما لا بد منه) وفي المغرب جاء في حديث البكري عن مليلية : "وكيلهم يسمونه المد وهو 25 مداً بمد النبي (صلعم) ورطلهم مثل رطل نكور 22 أوقية..." وعن مدينة فاس قال : "ومدهم يسع من الطعام 80 أوقية ومديهم يسمونه اللوح وفيه من هذا المد 120 مداً..." وعن سجلماسة : "... وقمحهم رقيق صيني يسع مد النبي ﷺ 75 ألف حبة..." (*المغرب*، 89 و171 ـ 151) ؛ وتشعبت أدوات الكيل واختلفت مقادير وحداته من بلد إلى آخر ومن فترة إلى أخرى ففي كتاب *التشوف* على سبيل المثال أكثر الإشارات عن الكيل بالصحفة (*التشوف*، 239 و280 ـ 331 وغيرها) وكذلك البادسي في (*المقصد الشريف*، 879).

وقد أحدث هذا الاختلاف البلبلة في صفوف الناس وخاصة في الأسواق. وأحدث التفرقة داخل الأمة الواحدة (الموحدة دينياً) وفسح ذلك المجال للمرابين والمطففين وباقي المتلاعبين للإضرار بأطراف الإنتاج وبالبيع والشراء. فكان المخزن يتدخل من حين لآخر لضبط المكاييل والموازين ولقطع الطريق على أولئك المفسدين، فكان أول المتدخلين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومروان ابن الحكم وهشام بن إسماعيل (*إثبات ما لابد منه*، مخطوط) ؛ وفي المغرب تدخل كثير من الأمراء والخلفاء والسلاطين لضبط وسائل التعامل بين الناس في الأسواق، من ذلك ما جاء في (*القرطاس*، 384) "...وفي هذه السنة أمر أمير المسلمين يوسف بتبديل الصيعان وجمعها على مد النبي وذلك على يد الفقيه عبد العزيز الملزوزي المكناسي..."

ارتبط ضبط المكاييل والأوزان والنقود وتوحيدها بقوة

المخزن وضعفه وبأوقات الشدة (مجاعات وعروب) وبأوقات الرخاء فيتدخل السلطان ويعين من يقوم بهذا العمل فيرجع أدوات التعامل بين الناس في الأسواق إلى الشرع ويحدث العكس عند ضعف المخزن فتتشعب المشكلة إلى درجة التسيب، فتظهر أدوات بأسماء ومقادير جديدة، ويمكن تتبع سيرورة هذا التطور عبر مراحل التاريخ ومن خلال العديد من المصادر، ورغم ذلك فإن المد والصاع بقي الوحدة المرجعية الشرعية الأساسية في ميدان الكيل ؛ وحتى اليوم فرغم ظهور المكاييل والمقاييس الحديثة فمازال المرجع والاحتكام إلى الأدوات التاريخية "المد والصاع" كلما تعلق الأمر بالشرع.

تميز العهد المريني الأول خاصة فترة حكم السلطانين أبي الحسن وأبي عنان بمحاولة جادة بضبط أساليب ووسائل التعامل التجاري متأثرين في ذلك بما بلغته الأندلس من تقدم في الميدان، فوضعوا ـ على سبيل المثال ـ مقاييس شرعية مجسمة يرجع إليها المتنازعون ويحتكمون إليها (*القرطاس*، *المسند*، *فيض العباب*).

ولا بد للباحث أو الدارس لهذا الموضوع أن تتشعب به الإشارات المتناثرة في مختلف المصادر والنصوص ؛ وقد حاول كثير من هؤلاء قدامى ومحدثين عرباً وأجانب وضع مصنفات وجداول وملخصات لهذا الموضوع الشائك فلم يتم الحسم فيه، ومن ذلك مخطوطة مغربية مفقودة معروف منها قطعة صغيرة وهي من تأليف أبي العباس أحمد بن محمد بن أحمد اللخمي العز في الذي عاش ما بين 557 . 633 / 1162 . 1236 بعنوان "إثبات مالا بد منه لمريد الوقوف على أحوال الدينار والدرهم والصاع والمد".

ومن الذين أدلو بدلوهم في الموضوع من الأجانب : نيل أو ستاس، وألفريد بيل، ومن الدراسات والاجتهادات الحديثة في التصنيف أطروحة بالفرنسية "نشرت تحت عنوان : "السلاطين المرينيين الأولين : التاريخ السياسي والاجتماعي".

وكخلاصة لما قيل وكتب في الموضوع ضمن هذا البحث لائحة بالمقاييس والمكاييل :

* مد النبي (صلعم) ليس أكثر من رطل ونصف
  ولا أقل من رطل وربع
* صاع أهل الحجاز : 5 ارطال وقيل 5 أرطال و 1 / 3
  ـ بعد تعديل عمر (رضعه)
  ـ المد (مد الطعام) 7.5 صاع أو 83 رطل
* صاع أهل المدينة : 15 صاع = 80 رطلا
  ـ الوسق = 60 صاعاً
  الصاع = 4 أمداد
  القفيز = 10 صاع أو 40 مداً
* الصاع القرطبي = 5 أمداد إلا خمس
  ـ الوسق = 6 أقفزة
  ـ القفيز القرطبي = 44 مداً
  ـ الكيل بمد النبي = 3 امداد و 2/ 3
  ـ مد النبي = رطل ونصف في الحنطة
  رطل وثلثان في غيرها

المرجع : *إثبات ما لابد منه*، مخطوط.

الأوقية = 33.33 جرام الدوحة ص 87

الرطل = 533.28 جرام

الصاع = 4 أمداد ويمثل 60 / 1 من الصحفة

الصحفة
الوسق } = 60 صاعاً
الحمل

المكاييل والأوزان	المقابل بالجرام والكيلو
الرطل	533,28 جرام
الصاع	2810,50 جرام
المد	702,62 جرام
الصحفة ، الوسق الحمل	168,63 كلج

أ. البكري، *المغرب*، الجزائر، 1911، باريز، 1965 ؛ أ. العزفي، *اثبات ما لابد منه لمريد الوقوف*، مخطوط ؛ العمري، *مسالك الأبصار*، الجزائر 1924، م. المنوني، *وريقات عن الحضارة*، الرباط، 1979 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ ابن الحاج، *فيض العباب*، الرباط، د. ت ؛ ابن مرزوق، *المسند الصحيح*، الجزائر، 1981 ؛ م. الضعيف الرباطي، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أ. العماري ؛ التادلي، *التشوف*، الرباط، 1958 و1984 ؛ البادسي، *القصد الشريف*، الرباط، 1982 ؛ م. الطويل، *النقل والتنقل في المغرب خلال العصر الوسيط*، د. د. ع. مرقون، كلية الآداب بالرباط، 1998.

A. khamlouchi, *Les premiers sultants mérinides 1269 - 1331: Histoire politique et sociale*, Paris, 1987.

محمد حجاج الطويل

صاع، مدينة مندثرة، وصاع تحريف لكلمة "زا" التي تعني باللسان الصنهاجي الحلفاء (نبات الحلفا) وهو اسم لواد من أهم روافد ملوية بالمغرب الشرقي ينبع من منطقة جنوب غرب مدينة عين بني مطهر ويصب بملوية بإقليم تاوريرت بمكان يسمى بملقى الويدان أي نقطة التقاء واد زا بواد ملوية، ويأخذ واد زا أسماء أثناء مسيرته حيث يسمى بواد الشارف بالنجود العليا، ثم واد الحي، ثم واد زا بتاوريرت وناحيتها.

ونظراً لأهمية صبيبه واستمرار جريانه على طول السنة فقد أنشئت على روافده عدة حواضر وأراض زراعية مهمة منذ فجر التاريخ، وقد دلتنا الأبحاث الأثرية على وجود استقرار إنساني قديم بمنطقة تاوريرت ونواحيها التي يمر بها واد زا كموقع القطيطير قرب ملقى الويدان بإقليم تاوريرت وعرفت صاع كمدينة قائمة بذاتها بناء على الإشارة الواردة عند ابن حوقل البغدادي في كتابه صورة الأرض وكذلك عند البكري في كتابه المسالك والممالك، وقد ذكرها هذا الأخير تارة باسم صاع وتارة بكدية تاوريرت. إلا أن الإدريسي في كتابه نزهة

المشتاق (القرن 12 م) أكد وجود هذه المدينة باسم صاع، بينها وبين مليلية مرحلة"، وهي مدينة لطيفة صغيرة بأسفل كدية تراب مطلة على نهر كبير يشق أرباضها ويخترق ديارها وهي الآن مهدمة خربها المصامدة". وابتداء من القرن (13 م) عرفت مدينة صاع بمدينة تاوريرت. ويظهر أن موقعها الاستراتيجي كنقطة وصل بين فاس غربا وتلمسان شرقا ومليلية شمالا وسجلماسة جنوبا عبر دبدو" وكذلك لوفرة مياهها وخصوبة أراضيها أهلها لتكون مدينة مزدهرة بالجهة الشرقية وعرضة للصراع المريني الزياني (انظر تاوريرت معلمة *المغرب*).

ابن حوقل، *وصف الأرض*، ص. 88 ؛ أ. البكري، *المغرب في ذكر أخبار المغرب*، 90، 93 ؛ ش. الإدريسي، *نزهة المشتاق*، 247 ؛ *دراسة ميدانية*.

الصغير مبروك

صاغرو (جبل ومقاومة) يعتبر جبل صاغرو من الناحية الجيولوجية امتداداً للأطلس الصغير، ورغم تعرضه للتعرية بفعل قدمه، فإن جغرافيته يطغى عليها طابع التضرس أساسا، ويسودها المناخ القاري الذي يتميز بالحرارة والجفاف صيفا والبرودة والجفاف شتاء :

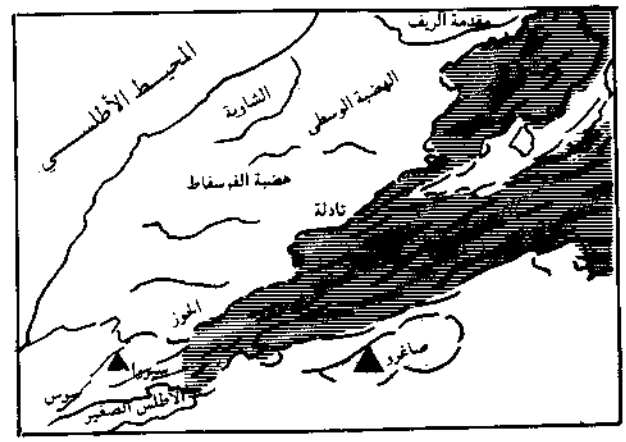

وقد لعبت هذه الظروف الطبيعية القاسية دوراً أساسياً في تاريخ سكان جبل صاغرو. فقد أملت نمط حياة سكان جبل صاغرو الذي يقوم على الترحال والانتجاع نحو مناطق أقل قساوة خاصة منطقة الدير.

ومن الناحية التاريخية يعتبر جبل صاغرو موطن قبائل أيت عطا، حيث شهد ميلاد اتحاد هذه القبائل سنة حوالي سنة 1550 برعاية مؤسس زاوية تامصلوحت الشيخ عبد الله ابن حساين الأمغاري وبقيادة أحد تلامذته الملقب "دادا عطا" جد الاتحادية. ويبدو أن اتحاد أيت عطا اتخذ شكله النهائي خلال القرن الثالث عشر (19 م) أي أصبح يتكون من خمسة أخماس بعد انضمام قبائل أخرى إليه، ورغم اتساع الرقعة الجغرافية لهذا الاتحاد، فإن أيت عطا بمختلف مكوناتهم أطلق عليهم : "أيت عطا صاغرو" بسبب ارتباطهم الوثيق بجبل صاغرو وموطنهم الأصلي، يمثل ذلك في الذاكرة الجماعية لأيت عطا صورة "فرس مربوط بحبل طويل إلى جبل يشده إليه مهما بعد به الجولان" بل أكثر من ذلك أن عاصمتهم ومركز إشعاعهم يقع في صاغرو وهو "مركز إغرم أمزدار" ذلك المكان الذي خصود بإجلال حقيقي بحيث تحسم فيه كبريات النزاعات التي تقع بين مختلف أخماس أيت عطا وتحرم فوق أرضه الحروب وأخذ الثأر. ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل أن أيت عطا اختاروا جبل صاغرو للاعتصام به، ومجابهة القوات الفرنسية وتسجيل البطولات سنة 1933، وبذلك اكتملت الصورة الرمزية لجبل صاغرو كموطن أصلي لاتحاد قبائل آيت عطا عند تأسيسه وكمعقل لمقاومة آيت عطا ضد الاستعمار الفرنسي.

عندما تكالب الاستعمار على البلاد، وشرع في اقتضام أجزاء من تراب المغرب انطلاقا من الجزائر، كانت قبائل أيت عطا من أولى القبائل التي هبت للدفاع عن حوزة الوطن، وهكذا اصطدمت أيت خباش إحدى قبائل أيت عطا بالاستعمار الفرنسي منذ سنة 1870.

بدأت القوات الفرنسية بتطويق جبل صاغرو وذلك باحتلالها واحة درعة ما بين 1931 و1932، وكذلك واحات دادس وتدغة في نفس الفترة. وفي نفس الوقت سطرت القوات الفرنسية على تازارين وتاغبالت وحوض واد الرك الأسفل أي كل البلاد الواقعة بين صاغرو والحمادات الجنوبية الشرقية، وبذلك تم تطويق كتلة صاغرو من جميع الجهات.

وقد كانت القوات الفرنسية المحاصرة لجبل صاغرو تتكون من مجموعتين : غربية تحت قيادة الجنرال كاترو ، وشرقية تحت قيادة الجنرال جيرو .

- حركة الرك : 800 محارب وفيلق من الگوم.
- حركة زيز : 500 محارب.

وكانت هذه القوات معززة بـ 44 طائرة ومدافع مختلفة، وأسلحة متطورة. أما قوات المقاومين المعتصمين بجبل صاغرو فهي لا تقارن من حيث العدد والعدة بقوات الاستعمار إذ تقدرها المصادر المختلفة بحوالي 1200 مقاوم مسلح و7000 من الأطفال والنساء والشيوخ، وكان سلاح المقاومين هو قبل كل شيء بنادق من نوع "بوشفر" و"مانشستر" وكذلك معرفتهم لطبيعة جبل صاغرو الوعرة.

بدأ الهجوم الفرنسي على صاغرو ليلة 12 فبراير 1933 انطلاقا من جميع الجبهات المحيطة بالجبل، فكان الفشل مصير هذه الهجومات، بل أن المقاومة حققت انتصاراً ساحقا تجلى في تقهقر القوات الفرنسية واستيلاء المقاومين على غنائم هائلة تتكون من 17 دابة محملة بالمؤونة والذخيرة. وقد أشارت صحف الاستعمار إلى هذه الهزائم، مما زاد من شعبية المقاومين المعتصمين بجبل صاغرو فتعاطف معهم سكان

الواحات، وفي المقابل انهارت معنويات القوات الفرنسية. ومع ذلك استمر حصار أيت عطا الذين تجمعوا في هضبة الإبر Plateau des Aiguilles وهو منخفض محاط بجبال عالية حادة على شكل إبر في منطقة بوكافر. وقد انضمت قوات وتعزيزات إضافية للقوات الفرنسية. كما أن الطيران الحربي كثف من الغارات على أيت عطا وإحراق الماشية، وكذلك قنبلة عيون المياه.

وهكذا اجتهد هؤلاء الضباط في تفتيت "القبيلة المقاومة" وجعلها في حالة التشظي ولتصبح عبارة عن قبائل وأخماس. وأمام هذا الوضع قرر عسو وبسلام (انظر في المعلمة) بعد مشاورة بقية المقاومين النزول للتفاوض وذلك يوم 25 مارس 1933 لتحقيق سلم بدون هزيمة وحقنا لدماء النساء والأطفال والعجزة.

ع. القادر بوراس، *جانب من مقاومة أيت عطا*، *مقاومة بوكافر بجبل صاغرو*، أعمال ندوة المقاومة، كلية الآداب، مراكش، 23 ـ 30 نونبر 1990 ؛ م. بوكبوط أحمد البوزيدي، *وثيقة مغربية عن معركة بوكافر*، هيسبريس تمودا، العدد 35 الجزء الثاني، 1997 ؛ دافيد مونتغومري هارت، *أيت عطا بالوسط الجنوبي المغربي*، مجلة واجهة عدد مزدوج 1312 صيف خريف 2001.

J. D'esme, *Henri de Bournazel. Lumière d'un exemple*, Paris, 1952, p. 32 ; J. Saulay (Colonel), *Histoire des Goums marocain*, Tome I, Paris 1985 ; Huré (Général A), *La pacification du Maroc*, Dernière étape 1931-1934, Paris, 1952 ; G. Spillman, *Les Aït Atta du Sahara...*, Rabat, 1936; H. Bordeaux, *Capitaine de Bournazel*, Paris, 1935.

عبد القادر بوراس

ابن **صافي**، أسرة فاسية تنتسب إلى الأنصار، كان لهم ذكر بفاس وإليهم تنسب سويقة ابن صافي أسفل درب الحرة من حومة الطالعة.

ذكر صاحب السلوة ـ نقلاً من خط بعض الفضلاء ـ أن سويقة ابن صافي منسوبة إلى دفينها الشيخ أبي بكر بن خلف ابن صافي. وهم غير أولاد الصافي الفاسيين من قبيلة فشتالة الذين منهم الشيخ الشهير بوشتى الخمار الصافي (ت. 997 / 1589).

ابن **صافي**، **أبو بكر** بن خلف الأنصاري القرطبي يعرف بالمواق. "وكان حافظاً حافلاً في علم الفقه والخلاف ملازماً للتدريس تام النظر لا يدانيه أحد في ذلك" (جذوة، 106) له تنبيهات ومقالات مفيدة سكن مدينة فاس ونال حظوة عند الموحدين فولوه قضاء مدينة فاس وبقي متولياً هذه الخطة إلى أن توفي في آخر شوال عام 599 / 11 يوليوز 1203. ودفن بداره المعروفة بفاس داخل درب ابن صافي.

م. ابن الأبار، *التكملة لكتاب الصلة*، نشر كودير، مدير، 1883 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، ذ. حجر فاس، 1300، ج 1 ؛ 224 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، الرباط، 1973، ج 1 ؛ 106 والهامش 128 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إزالة الإلتباس*، مرقون، 2 : 90.

محمد حجي

الصاكة، أصل الكلمة إسباني (Saca) وهي تعني في القاموس الإسباني، الرسوم المفروضة على الصادرات والواردات. وإذا كنا لا ندري، بالضبط متى دخلت هذه الكلمة إلى القاموس المغربي فإن ما هو مؤكد أنها كانت متداولة، على الأقل، منذ القرن التاسع عشر. وقد كانت تتضمن معنيين اثنين :

أحدهما يرتبط بالرسوم المفروضة على الصادرات (الموسوقات)، في الوقت الذي كانت فيه كلمة التعشير تطلق على الرسوم المفروضة على الواردات. ولقد كان للبند السابع من الاتفاقية التجارية التي فرضتها بريطانيا على المغرب في العام 1856 أثره الحاسم في وضع حد للسيادة المغربية بتقنينه تسعيرة الرسوم الجمركية، صاكة وأعشاراً، وبالتالي تم تجريد البلد من سلاحه الأساسي في مقاومة التسرب الأوربي المتمثل في التشريع الجمركي.

والمعنى الثاني يتعلق باحتكار تجارة مادة الكيف ومادة التبغ فيما بعد. فغداة إحياء المخزن احتكاره لمادة الطرقة (الكيف أو القنب الهندي) في العام 1896 بعد الإلغاء الذي كان قد طالها سنة 1886، أشار ظهير عزيزي مؤرخ في 22 محرم 1314 / 3 يوليوز 1896 إلى مادة الطرقة بمصطلح الصاكة : "وفي ظنه رحمه الله [أي والده المولى الحسن] أن بسبب تسريح الصاكة وانعدامها تنعدم المفاسد المترتبة عليها وتنقطع مواد الضرر الحاصلة منها، فإذا به ازداد أمرها قوة واتسع خرق ضررها أكثر مما كان وبقي الناس على ما كانوا عليه من استعمالها وبيعها وشرائها، بل تفاحش التجاهر بها أكثر من قبل لأن محل بيعها كان مخصوصاً مقيداً وقت تحجير الصاكة فلما سرحت كثرت مواضع بيعها بغير قانون ولا قاعدة وتمخض الضرر [...] وقد اقتضى نظرنا الشريف [...] تحجير الصاكة كما كانت".

في هذا السياق اللغوي، وبعد فرض عقد الحماية على البلاد (30 مارس 1912) تأسست إدارة خاصة باحتكار التبغ سميت، بناء على الظهير المؤسس لها، بـ "إدارة صاكة التبغ".

وانطلاقاً من هذا التاريخ أصبح من الشائع في لغة التداول الشعبي ـ إلى يومنا هذا ـ أن تطلق كلمة الصاكة على حانوت بيع التبغ، على أساس أن صاحب الحانوت لا يجوز له أن يقوم ببيع هذه المادة إلا بعد حصوله على رخصة قانونية من شركة التبغ، مقابل واجب مادي، وأيضاً على أساس، أن نفس الشركة هي التي تزوده بالمادة دون غيرها من القنوات الأخرى، وإلا اعتبر ذلك مخالفة للقانون، وتجري عليه، في حالات الضبط، مقتضيات القانون المتعلق بالتهريب.

وثائق خ. ح ؛ دورة الوثائق، م. 2 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 9 يوسف بجاجا، *رحلة إلى كتامة وما جاورها عبر تضاريس الخدرات والتهريب*، أسبوعية الصحيفة، العدد 18، 18 ـ 24 ماي 2001، ص. 8 ـ 9.

عبد العزيز الخليشي

صَالَحْ ويكتب أيضاً الصَّالَحْ أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Çale .ومنهم : محمد بن العربي الصالح الذي كان يزاول خطة العدالة من سنة 1183 إلى 1214 (1770 ـ 1799).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطاون، 1999، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 1103.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **صالح**، أسرة تطوانية نبيلة، أصلها من جبال غمارة. كانوا من مشاهير أسرها وأعيانها، جمعوا بين العلم والجاه، وتوارثوا ذلك خلفاً عن سلف.

وأصلهم الأول ـ حسب ما يذكره سعيد أعراب ـ من الساقية الحمراء بالصحراء المغربية، انتقلوا قديماً إلى شمال المغرب فنزلوا أولاً قبيلة بني يطفت الصنهاجية القائمة بين قبائل الريف وغمارة، وكان سكناهم بها بقرية اسنادة قريباً من جزيرة بادس بالريف. ثم انتقلوا إلى قبيلة بني رزين إحدى قبائل غمارة التسع اليوم.

وهم ينتسبون إلى الولي الصالح سيدي إبراهيم بن صالح دفين قبيلة متيوة الريف، فهم ذريته. وقد اتخذوا مدشر أزاغر في بني رزين مستقراً لهم، فتأصلوا به، وأصبحوا من أعيانه ووجهائه، إذ نبغ منهم، ومنذ القرن الثاني عشر للهجرة، علماء وأدباء وقضاة وولاة ووجهاء. واتسعت هذه الوجاهة لتشمل قبيلة بني رزين أولاً، فقبائل غمارة ثانياً. وأصبح بيت بني صالح في غمارة كما يصفه الأستاذ أعراب "بين علم وجاه وفضل وصلاح وجهاد وكفاح"، أو كما ذكره الأستاذ عبد الله گنون "أهل علم وفضل".

ومنذ منتصف القرن الثاني عشر للهجرة أصبح لأسرة ابن صالح حضور في واجهتين :

الأولى : اعتبار وجاهة رجال هذه الأسرة، إذ أصبح منهم العلماء والأدباء والقضاة والأعيان وولاة الأمر والقيادة في قبيلة بني رزين، فغدوا في طليعة من يتوجه إليهم الخطاب من سلاطين المغرب وولاته، فتُكْتب لهم ظهائر التعيين والتمييز، وتبعث إليهم الرسائل على أنهم أصحاب الشأن، رؤساء قبيلة بني رزين وبقية غمارة، والممثلون لأفراد هذه القبيلة، فيكلفون بمهام القضاء أو الولاية، واستتباب الأمن في منطقة غمارة عامة، وبني رزين خاصة، ومدّ يد المساعدة لولاة القبائل المجاورة، كما يخاطبون في أمر جمع الناس، وتجييش الجيوش إن كان الأمر يستدعي ذلك. ويكثر عدد هؤلاء الرجال من أسرة ابن صالح، فهم حاضرون يمارسون المهام في كل زمن، منذ النصف الأول من القرن الثاني عشر (18 م) إلى عصرنا الحاضر.

ويورد المؤرخ محمد داود في *تاريخ تطوان* عدداً من هذه الخطابات والظهائر. اطلع عليها في خزانة أسرة ابن صالح بتطوان، وهي موجهة إلى أشخاص عديدين من هذه الأسرة، وفي أزمنة مختلفة.

الثانية : من خلال المكتبة الغنية التي توارثتها الأسرة خلفاً عن سلف. ومركزها الأصلي بقرية أزاغر من قبيلة بني رزين في غمارة موطن سكنى آل ابن صالح. وقد تكونت هذه المكتبة بطول المدة مع تتابع العلماء في هذه الأسرة.

استقرت هذه المكتبة أخيراً بيد الفقيه القائد اليزيد بن صالح باشا مدينتي شفشاون وتطوان قبل استقلال المغرب. ويتحدث عبد الله گنون عن هذه المكتبة فينقل عن صاحبها هذا أن مخطوطاتها نحو الألف. أكثرها بقي بالبادية بالمقر الأصلي، وأن ما نقله منها إلى تطوان، "إنما هو بعض نفائسها التي يخاف عليها من الضياع، كما حصل في كتاب *الذخيرة* لابن بسام الذي سرق منه وبيع للمستشرق الفرنسي ليفي بوفنصال. الذي باعه إلى الجامعة المصرية، وكانت من النسخ التي جرى عليها طبع الكتاب هناك". واستعرض گنون عند التعريف بهذه المكتبة خمسة عشر مخطوطاً من نوادرها.

ومن مخطوطات هذه المكتبة ما تحصل بطريق النّسخ، إذ كان أبناؤها يحرصون على تزويد مكتبتهم بنوادر الكتب التي يطلعون عليها، فينقلون منها بخطوطهم نسخاً يغنون بها رصيد مكتبتهم. ومن نوادر منتسخاتهم *ديوان الشاعر علي مصباح الزرويلي* (ت. 1130) إذ كانت المكتبة الصالحية تحتفظ بنسخة خطية كتبها الأديب محمد الطيب ابن صالح عام 1199 عن الأصل الذي كتبه الشاعر.

م. داود، *تاريخ تطوان*، المجلدات، 2 ـ 3 ـ 4، تطوان ؛ *ديوان علي مصباح الزرويلي*، تح. محمد الحسني، د.ت. ع. مرقون، الرباط ؛ ع. الله گنون، *المكتبات بتطوان*، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج 1، ج 1 ؛ 1955 ؛ صلاح الدين المنجد، *تقرير بعثة معهد المخطوطات إلى المغرب*، مجلة معهد المخطوطات العربية، مجلد 5، ج 1 ؛ 1959 ؛ سعيد أعراب أبو عبد الله بن صالح الغماري، من *شعراء البادية* ؛ جريدة *الميثاق*، لسان رابطة علماء المغرب، طنجة ؛ مجلة مواسم، طنجة، عدد مزدوج، 7 ـ 8، شتاء 97 وربيع 1998.

عبد الله المرابط الترغي

ابن **صالح**، أسرة سلوية ـ رباطية، وتوجد في كثير من المناطق المغربية. ذكر التادلي في *التشوف* عبد الله بن صالح الذي كان مؤدبا وفقيها بمدينة سلا توفي سنة 570 حيث كان له كتاب قرآني. إلا أن المؤرخ الضعيف الرباطي يذكر عدداً ممن يحملون هذا النسب : فمنهم العربي بن صالح الذي قتل في المعركة التي جرت بين المغاربة والأتراك أيام المولى إسماعيل سنة 1103 / 1692 وهي معركة المشارع على نهر ملوية التي انتصر فيها أتراك الجزائر على *قول المحقق*. ومنهم الشيخ محمد بن صالح الذي كان من أعيان قبيلة أنكاد وقتل سنة 1129 في إطار التطاحن الذي كان قائما بين بعض قواد القبائل أيام السلطان نفسه. ومنهم من ينتمي إلى فاس مثل مسعود بن صالح الذي يذكره الضعيف في حوادث

سنة 1173. ومنهم المنتمون إلى الشيخ المعطي ابن صالح المتوفى سنة 1180 دفين مدينة بجعد. ومنهم سعيد بن صالح الذي كان قائدا أيام السلطان مولاي سليمان وقد عينه قائداً للعبيد وأسكنه المهدية مع أسرته في صفر 1210. ولا يعلم الوقت الذي شهد استقرار الأسرة التي تحمل لقب ابن صالح بالرباط. كما أن أصحاب التراجم المهتمين بأهل الرباط وسلا لم يذكروا من هذه الأسرة فرداً واحداً اشتهر بعلم أو بما يميزه عن باقي الناس فلا نجد هذا الاسم عند أبي جندار أودينية أو الجراري أو عند محمد بن علي الدكالي ولا حتى في الأجزاء الخمسة من *إتحاف* ابن زيدان. فينفرد الضعيف على هذا الأساس بذكر آل بن صالح ممن أشير إليهم سابقا من غير أهل الرباط.

واليوم يقطن الرباط عدد ممن يحملون هذا اللقب ومنهم أحمد بن صالح المتوفى سنة 1393 / 1973. أخذ العلم عن العالم محمد المدني بن الحسني. عمل مدرسا بمدرسة الأحباس بديور الجامع بالرباط فكان يقرئ العربية والتربية الإسلامية. وتميز بمزاج حاد كما صرح بذلك أحد أعضاء عائلته. وكان من بين أعضاء المجلس العلمي بالرباط. وتوفي عن سن تفوق السبعين بقليل.

الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أحمد العماري، مصطفى بوشعراء، ملحق تراجم سلوية جديدة في *الإتحاف الوجيز* ؛ *روايات شفوية*.

عبد الإله الفاسي

ابن **صالح، أحمد** (الحاج -) الغماري، وجه إليه الأمير مولاي العباس ابن السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام رسالة في شأن حرب تطوان عام 1276 / 1860، يستنفره فيها لجمع المجاهدين من رجال غمارة، والإسراع بالقدوم إلى ساحة الحرب بتطوان. وتاريخها شعبان 1276 / فبراير - مارس 1860.

توفي بعد عام 1276 / 1860.

ابن **صالح، البشير** بن **الحسين** مقاوم ولد سنة 1935 بإقليم الساقية الحمراء بجنوب المغرب.

دفعته أفكاره الوحدوية إلى الالتحاق بصفوف جيش التحرير المغربي البطل وذلك بتاريخ 1 - 5 - 1956 لغرض الدفاع عن الوحدة الترابية لوطنه الغالي فجاهد جهاد الوطني المخلص والمسلم والمؤمن في جميع المعارك والهجومات التي كان يقوم بها جيش التحرير المغربي وبالخصوص الفرقة التي كان منضويا تحتها والمعروفة بالمقاطعة الأولى التي كان يقودها السيد علال الخميسي. وعندما اتخذت قيادة جيش التحرير المغربي بالجنوب قرار التوجه إلى الحدود الموريطانية لخوض غمار الحرب هناك مع العدو الفرنسي تحمس الشهيد وتطوع. وعند المواجهة أبان عن روح عالية في التفاني والإخلاص، لكن الأجل وافاه على إثر إصابته بنيران الأعداء فسقط شهيداً في معركة تكل بالتراب الموريطاني وذلك بتاريخ 20 دجنبر 1956.

ابن **صالح، الحبيب**، مقاوم، ولد سنة 1924 باصبوية إقليم تزنيت. انخرط في صفوف جيش التحرير بالصحراء المغربية بالمقاطعة الحادية عشر تحت قيادة الملالي، كان مثالا للمجاهد في سبيل الله، وواصل عمله بجيش التحرير بكل تفان وإخلاص، كما كان معروفا بغيرته الوطنية لاسترجاع ما تبقى من أرض الوطن من المستعمر الإسباني.

شارك في عدة معارك منها معركة أصدر بثلاثاء اصبوية التي استشهد فيها بتاريخ 16 - 11 - 1957.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 503400.

صالح، رايس بحري من أبرز الرياس الآفاقيين العاملين في أسطول سيدي محمد بن عبد الله، ومن المشهود لهم بالجرأة والإقدام حسب شهادة القنصل شونيبه. باشر العمل ضمن طائفة رياس الرباط وسلا منذ سنة 1761، وسرعان ما برزت نجابته في ذلك، حيث ذكرته الوثائق الفرنسية من بين كبار الرياس 1767 بصفة أمير الأسطول المغربي. وبتلك الصفة كان يحظى بتقدير القناصل والسفراء الأجانب الذين كانوا يخطبون وده.

وبناء على مرتبته هذه كان السلطان يسند إليه أمر الاهتمام بشؤون الرياس والبحارة، وأمر الإشراف على تطبيق العقوبات في حق المخالفين منهم لتعليماته ؛ ومن ذلك إشرافه على متابعة قضية الرايس عمر، وعلى إطلاق سراح أسراه من الرعايا الفرنسيين استجابة لمطالب الدبلوماسي الفرنسي بوطونييه (Pothonnier).

وفي السنة ذاتها كان يقود سفينة سنبك كبيرة مجهزة ببطارية من أربعة وعشرين مدفعا، وبطاقم مؤلف من مائة وثلاثين رجلا، لما هاجم سفينة فرنسية تحت قيادة القبطان موتارد (Motard)، الذي قاوم بضراوة أودت بحياة أربعين من المهاجمين إلى أن اضطر إلى الاستسلام في النهاية، بعدما أوشكت سفينته على الغرق.

وفي سنة 1769 أسند إليه السلطان قيادة سفينة فرقاطة جديدة كبيرة مجهزة بثلاثين مدفعا، وبطاقم مؤلف من مائتي رجل، كان يقودها أيضاً سنين بعد ذلك. ويبدو أن نشاطه الملاحي قد ظل إلى ما بعد سنة 1784، انطلاقا من سلا.

الضعيف، ص. 169 - 70 ؛ وعبد الهادي العسري، *كناش في أسرار البحر*، الخزانة العامة، الرباط، مخطوط، رقم 1409 د، ص. 10 و 38 - 39 ؛ والزياني، *الترجمانة*، ص. 165 ؛ وأيضاً :

L. Chenier, *Journal du Consulat Général de France à Maroc (1767 - 85)*, Publié par Charles Penz, Casablanca, 1943, p. 57, note 12-111, 75-58, 117-18 ; et *Recherches historiques sur les Maures et histoire du Maroc*, T. III, Paris, 1787, p. 242.

حسن أميلي

بنت **صالح، صفية** مقاومة، ولدت سنة 1921، ببني احمد ناحية خريبگة. شاركت في المظاهرة الصاخبة التي عرفتها مدينة خريبگة والنواحي تخليدا لثورة الملك والشعب.

وقد استشهدت وهي حاملة راية الوطن، يوم 20 غشت 1955.

المندوبية السامة لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاومة رقم 524283.

صالح، بن طريف البرغواطي، ينتمي إلى أسرة زناتية، قد تكون أصولها القديمة يهودية تتصل بالنبي يعقوب بن إسحاق حسبما ذكرته رواية أبي صالح زمور البرغواطي.

نشأ صالح بن طريف ببرباط بالأندلس، "ودرس شيئا من النجوم وصلحت منزلته في علمها إلى أن قوم الكواكب وعمل التقاويم والمواليد، وأصاب في كثير من أحكامه" (ابن حوقل)، ولا شك أن اختياره للاعتزال وللتعمق في علم التنجيم كان يخفي ميولا باطنية ورغبة في التخلص من التأثير الصفري الخارجي الذي مال إليه بربر زناتة في هذه الفترة. وعند عودته شارك في ثورة البربر إلى جانب والده الذي كان أحد قواد ميسرة المدغري. وبعد انهزام قوات الصفرية في معركة الأصنام أمام العرب سنة 125 / 743 رجع أبوه طريف إلى منطقة تامسنا فأسس بها إمارة برغواطة، وظل على رأسها إلى وفاته سنة 131 / 748. فخلفه ابنه صالح على رأسها، وظل أميراً لهذه الإمارة إلى وفاته أيضاً سنة 178 / 794، ثم خلفه ابنه إلياس وتعاقبت سلالته على حكم الإمارة إلى حدود مجيء المرابطين.

أما ما يتعلق بالديانة البرغواطية التي تنسب لصالح بن طريف، فالأخبار متناقضة حول مؤسسها هل هو صالح هذا أم حفيده يونس بن إلياس بن صالح. وعلى كل حال فالمصادر تذكر بأن صالحا ادعى النبوة وادعى أنه صالح المؤمنين المذكور في القرآن، وكتب لقومه قرآنا بلغتهم، وذكر أن اسمه في اللسان العربي صالح وفي السرياني مالك وفي الفارسي عالم وفي البربري وار إياوارا، أي الذي ليس بعده أحد. وشرع نحلة جديدة خالفت التعاليم الإسلامية كلية وإن قلدتها بطريقة ساذجة في بعض الشعائر. ويلاحظ عليها الجمع بين المتناقضات بحيث بالغ صاحبها في التشدد في جوانب وبالغ في التساهل في جوانب أخرى : فمثلا بدل صيام شهر رمضان فرض صيام شهر رجب، وجعل خمس صلوات في اليوم ومثلها في الليلة، والتضحية في اليوم الحادي عشر من محرم، وحرم على أتباعه أكل رؤوس الحيوانات والبيض، وجعل أكل الدجاج مكروها. أما عقوبة السارق فقد جعلها القتل، وحرم التزوج بين قومه وبين المسلمين، وأدمج في نحلته مؤثرات أخرى بعيدة عن الشعائر الإسلامية. وبالمقابل نجده قد تساهل في أمور أخرى، فمثلا جعل للرجل الحق أن يتزوج أي عدد شاء من النساء، وجعل الطلاق ومراجعته بدون تحديد. وعموما فإن تصنيف هذه النحلة لا زال يثير الكثير من التقاشات بين من يرى أنها توليف غير متناسق لا يرتبط بأصل مذهبي محدد، وبين من يرى أنها نحلة خارجة، وبين من يرى أنها محاولة للعودة إلى أصول دينية أمازيغية قديمة متأثرة بالتعاليم اليهودية.

توفي صالح بن طريف دون أن يتمكن من إعلان نحلته، لذلك ظلت المصادر تصفه بالتقشف وبسلامة الدين. وكان قد علّم تعاليمه لابنه إلياس (178 . 228 / 824) وأوصاه ألاّ يبوح بشيء منها قبل أن تتقوى دولته، وأوصاه من الناحية السياسية أن يحالف أمير الأندلس الأموي. وتتضارب الروايات بعد ذلك حول مصير صالح، فبعضها ذكرت أنه غادر بلاد برغواطة في اتجاه المشرق، ووعد أنه سيعود إلى الظهور في دولة السابع من ملوك البرغواطيين مؤكدا أنه المهدي الأكبر الذي يظهر في آخر الزمان، وبعضها ذكرت أنه توفي سنة 178 / 794 بعد أن حكم 47 سنة، وهذا هو الراجح. وبما أن المصادر لا تذكر شيئا عن مدة حكم طريف وابنه صالح، فإن مرحلة تأسيس التجربة السياسية للبرغواطيين تظل مجهولة تماما.

وقد حافظ ابنه إلياس على أسرار النحلة البرغواطية فلم يظهر منها شيئا إلى أن قام ابنه يونس بن إلياس (228 . 271 / 842 . 882) بإعلان هذه النحلة ومحاولة فرضها بقوة السيف حيث قتل كل من لم يسلم بها، فكان ذلك سبب عداء طويل بيت أهل السنة وبين البرغواطيين انتهى بالقضاء على كيانها السياسي على يد المرابطين، وعلى ما تبقى من مؤثراتها على يد الموحدين.

ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ أ. البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب*، دي سلان، الجزائر، 1911 ؛ ابن حوقل، *صورة الأرض*، بيروت، 1979 ؛ ابن الخطيب، *كتاب إعلام الأعلام*، ج 2، مختار العبادي، م. إبراهيم الكتاني، الدار البيضاء، 1964 ؛ ابن خلدون، *تاريخ ابن خلدون*، بيروت، 1981.

محمد المغراوي

ابن **صالح، عبد الوهاب** بن موسى مقاوم ولد عام 1914 بدوار اديباكو اداي اصويا أيت باعمران دائرة افني.

وقد انخرط في صفوف جيش التحرير منذ سنة 1957 بالمقاطعة الحادية عشرة تحت مسؤولية مبارك بن عبيد، فكان نشيطاً في عمله معروفاً بغيرته الوطنية. وقد شارك في عدة معارك ضد الجيش الإسباني، إلا أن القدر شاء أن توافيه المنية أثناء خوضه معركة "اصدر" التي دارت رحاها يوم 29 . 11 . 1957.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 503600.

بنت **صالح، لعزيزية** بنت بوعزة مقاومة ولدت بتاريخ 1910 بدوار العمامرة فرقة أولاد عبدون قبيلة أولاد بحر الصغار، بإقليم خريبگة.

كانت المثال الساطع للمرأة المغربية وبسالتها وقوتها فأعطت باستشهادها الدلالة الواضحة والمعنى الصريح عن الاستماتة والتضحية في سبيل الوطن وتحرره حيث إنها شاركت بفعالية نادرة في المظاهرة الصاخبة التي عرفتها مدينة خريبگة والنواحي بمناسبة ثورة الملك والشعب يوم 20 غشت سنة 1955. وعندما اشتدت الأمور عند الفرنسيين قرروا استعمال السلاح لردع الثوار وحملهم على السكون والهدوء فأطلقوا النار بطريقة عشوائية ووحشية فسقطت من بين الضحايا الذين سقطوا في ساحة الشرف والسمو حيث استشهدت بطلقات نارية وهي حاملة للعلم الوطني عاليا في نفس يوم الثورة أي 20 غشت 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 526273.

ابن **صالح، محمد التهامي** الغماري، وجّه إليه القائد أحمد بن علي الريفي رسالة بتاريخ 16 شعبان 1139 / 8 أبريل 1727 غداة وفاة السلطان المولى إسماعيل يخبره فيها ببيعة السلطان الجديد أحمد الذهبي، ويطلب منه مصاحبته للوفادة على السلطان المذكور. كما وجه إليه رسالة أخرى بتاريخ 7 شوال 1142 / 25 أبريل 1730، تتعلق باستتباب الأمن في غمارة، والأخذ بيد ولاة منطقة الريف ومعاونتهم، ثم التذكير بتقديم ما تعوّد على دفعه من حصة المال والخيل لتمويل جيش العبيد.

توفي في حدود عام 1170 / 1757.

م داود، *تاريخ تطوان*، المجلدات، 2، 3، 4، تطوان.

ابن **صالح، محمد الطيب** الفقيه الأديب الشاعر القاضي، وجه إليه والي تطوان وسائر الشمال القائد محمد السلاوي رسالة بتاريخ 11 رجب عام 1223 / 2 شتنبر 1808 في شأن الصلح بين القبائل، وبخاصة بين متيوة وغمارة.

توفي عام 1227 / 1812.

م داود، *تاريخ تطوان*، المجلدات، 2، 3، 4، تطوان.

محمد المرابط الترغي

صالح، (أبو **محمد** -) بن **واندلوس** الروداني الأسود الملقب سيدي وسيدي، يعد كتاب *التشوف* المصدر الوحيد لترجمة هذا الرجل الصالح المدفون في مدينة تارودانت إلى جوار مسجد يحمل اللقب الذي اشتهر به "سيدي وسيدي".

وقد ركز هذا المصدر شأن المؤلفات المعنية بالخوارق والكرامات على ذكر أخبار أبي محمد صالح الدالة على صلاحه كالإخبار بالغيب والخضوع لإرادة الله أو سلب.. دون الإشارة إلى معارفه وشيوخه في الدارسة والتعلم ودون ضبط تاريخ ميلاده ووفاته.

ولد أبو محمد صالح أوائل القرن السادس للهجرة في أسرة ذات أصول أندلسية كما يدل على ذلك لقب أبيه واندلوس. ولازال درب بالقرب من ضريحه يحمل اسم درب إيْندلاس. إشارة إلى الأندلسيين الذين استوطنوا تارودانت في مرحلة غير محددة تاريخيا، وكان والده ذا مال ويسار يشتغل حسب ما ورد عند ابن الزيات. شأن كثير من سكان تارودانت في ذلك العهد. بعصر قصب السكر وتحويله إلى شراب "أنْزير" المسكر.

ويظهر مما رواه صاحب *التشوف* عن نشأة أبي محمد صالح أمران اثنان:

الأول: كونه حصل بعض المعارف الفقهية في مدينته انطلاقا من قيامه بكسر خوابي المسكر لأهله، وربما لغيرهم من سكان تارودانت، مما أدى إلى سجن أهله إياه مدة سنين. ثم رفضه البقاء بينهم وهو يتجرون في المسكر وخروجه للحج. وهذا يبرز تشبع أبي محمد صالح بتعاليم حركة التطهير الأخلاقي والمذهبي التي أطلقها المهدي بن تومرت لمحاربة كثير من الظواهر الاجتماعية والأخلاقية الشائعة في عهد المرابطين (سيدي وسيدي أبو محمد صالح بن واندلوس صالح تارودانت - أحمد بوزيد الكنساني، ص. 18-19).

الثاني: كونه تلقى التربية الصوفية في حداثته يدل على ذلك سلوكه مع رفيقه للحج من أبناء بلده لما حاول بيعه في كل بلد دخلا إليه، قال عن ذلك: "توجهت إلى المشرق، فصحبني رجل من أهل بلدي، فكلما دخلنا بلدا رام بيعي وأدخلني في السوق فلم يجد من يشتريني وأنا لا أنكر عليه شيئا إلى أن رجعت معه إلى السوس" (*التشوف*، ص. 347) وفي هذا السلوك دلالة على اعتصامه بمبدأ الاستسلام لقضاء الله أو سلب الإرادة كما يسميها المتصوفة.

خرج أبو محمد صالح من تارودانت للحج وعندما عاد استقر بمراكش ثم في أغمات وريكة في صحبة الزهاد وكان على مذهب أبي العباس السبتي في الإنفاق والجود يدل على ذلك ما روي عنه من أنه لم يكن يمسك شيئاً مما يفتح له فيه (*التشوف*، 347) وكون منزله بمراكش قبلة المساكين (*التشوف*، ص. 349) وكونه صاحب بعض أتباع السبتي ومنهم خادمه علي بن أحمد الصنهاجي (*التشوف*، ص. 348).

ويقدم لنا ابن الزيات وصفا موجزا لحاله يدل على مظهره ومخبره، وقد لقيه بمراكش قال: "أدركت أنا بمراكش أبا محمد صالح ورأيته، فكان يأتي إلي فيكلمني بكلام لا أفهمه وإذا رآه من لا يعرفه، يقول: هذا مجنون" (*التشوف*، ص. 349).

فهذا الوصف يبرز سلوك أبي محمد صالح مسلك الزهاد المجاذيب المتواضعين في أخلاقهم ومظهرهم وملبسهم المعتنين بأمر المسلمين، وبما ينفع الناس خاصة المساكين منهم بالتصدق عليهم ومواساتهم في مصائبهم، ولا أدل على ذلك من الحكايات والكرامات التي ساقها ابن الزيات والتي تدور حول مواساة المساكين والسعي في إصلاح أحوالهم.

ومما يدل على مكانة أبي محمد صالح وصف ابن الزيات له بأنه كان من الأفراد. إضافة إلى مصاحبته أبا يعقوب يوسف بن عيسى بن عمران وهو أحد رجال مراكش السبعة (ت. 593) وجماعة من الصلحاء كأحمد الوراق نزيل أزمور وابنه إبراهيم نزيل مراكش ومخلوف بن محمد الأنصاري ويوسف بن عيسى القبسي وعبد الوهاب الغازي .. ولا يبعد أن يكون صاحب أبا العباس السبتي (ت. 601) ولو أن المصادر لم تشر إلى أي اتصال بينهما رغم وجوده بمراكش معاصرة من الزمن. (*التشوف*، ص. 348 ـ 349 ؛ *الأعلام* 1 : 241 العباس بن إبراهيم المراكشي).

عاد أبو محمد صالح في آخر حياته إلى تارودانت بعد وفاة والده الذي ترك له أموالا وأملاكا كثيرة تصدق بها كلها على المساكين ولم يبق شيئاً لنفسه سيراً على المذهب الذي ارتضاه لحياته، حتى توفي بعد سنة 590 ودفن بتارودانت في مسجد بالحي الذي يحمل اسمه إلى اليوم. ولا تذكر المصادر ذريته إلا ما كان من إشارة محمد المختار السوسي إلى أن آل توبالت الصحراوية بطرفاية يرفعون نسبهم إليه (*خلال جزولة*، 4 : 192).

أكسب خلق الجود أبا محمد صالح مكانة متميزة في قلوب معاصريه تبرزها الكرامات التي نسجت حوله، والتقدير الذي حظي به بين أهل بلده الذين أقاموا عليه ضريحا بعد وفاته، ورووا الحكايات والأشعار عن سمو مكانته وجلال قدره حتى صار أشهر صلحاء المدينة على مر الزمان. (أحمد بوزيد الكنساني ـ سيدي وسيدي، ص. 35).

ي. ابن الزيات، *التشوف*، تح. أ. التوفيق، الرباط، 1404 ـ 1984 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1974 ؛ م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، تطوان، (د. ت) ؛ أ. بوزيد الكنساني، *سيدي وسيدي، أبو محمد صالح بن وانداليوس*، صالح تارودانت، تارودانت، سلسلة أعلام سوس، 1423 ـ 2002.

المهدي السعيدي

صالح، (أبو **محمد** ـ) بن ينصارن الحاج يحيى الماگري الدكالي : نسب أسرته في بني نصر الماگريين، التي استقرت بأسفي أواسط القرن الخامس (11 م). ومع أن أصل الشيخ بربري، فقد حاول صاحب *المنهاج الواضح*، إضفاء صبغة النسب العربي القرشي عليه. (1 : 53) وعن مكانة بيته، قال الكانوني : "هذا البيت من أعظم البيوتات قدرا تعدد رجاله وفضلاؤه" (الكانوني، *جواهر الكمال*، 4).

ولد الشيخ أبو محمد صالح بأسفي سنة 550 / 1150 ـ 1151. وبها توفي في 25 ذي الحجة 631 / 1234. ودفن بمقر الرباط الذي أقامه بها. وقد عاش إحدى وثمانين سنة، شكلت جزءاً مهما من عصر الدولة الموحدية، فعاصر تسعة من ملوكها : من عبد المومن ابن علي 558 / 1162، إلى عبد الواحد الرشيد 640 / 1242.

أما معاصروه من العلماء وشيوخ التصوف، فهم كثر مثل :

ابن حرزهم الفاسي (559 / 1163)، أبي يعزى بلنور (561 / 1165)، أبي القاسم السهيلي (581 / 1185)، أبي مدين (559 / 1163)، عبد السلام بن مشيش (629 / 1225)، أبي الحسن الشاذلي (656 / 1258)

تميزت الفترة الأولى من طفولته، بدراسة مبادئ القراءة والكتابة، وحفظ القرآن، وبعض المتون في اللغة والأدب والحديث والفقه، وأصول الدين، في كتاتيب ومساجد مسقط رأسه. ثم أصبح يتلقى العلم وهو في بداية الشباب، على القطب أبي عبد الله أمغار في رباط شاكر (الأزموري، *بهجة الناظرين*). ثم دفعته رغبته وتعطشه إلى المزيد من المعرفة والتحصيل فهاجر إلى الأسكندرية. وبمصر، كان زواجه الأول من إمرأة اسمها تاكُولي. ورزق منها أربعة أشقاء هم : محمد وأحمد وعبد الله ويحيى. وعندما توفيت تزوج البنت التي ربَّتها امرأته ؛ ورزق منها عيسى وعبد العزيز.

وأثناء إقامته بأرض الكنانة، قام بدراسة التفسير والحديث والفقه. لكنه كان يميل أكثر إلى التصوف، ويحاول الاتصال بأقطابه. ومن أكبر شيوخه في الفقه والتصوف : ابن عوف "فإنه لازمه دهرا طويلا، واقتبس منه علما جليلا" (*المنهاج*، 1 : 57) ؛ وأبو عمران موسى بن الهارون الماجري، قرأ عليه *تهذيب المدونة* ؛ ولازمه عشرين سنة. وأبي محمد عبد الرزاق الجزولي. ويعد أبو مدين شعيب من أكبر شيوخه في التصوف أيضاً (*المنهاج*، *1 : 58*) وكان أبو محمد صالح قد التقى به في مدينة بجاية (ابن قنفذ، *الأنس*، 31 ـ 62) وللمزيد من النهل من مثل هذه العلوم والاقتداء بشيوخها رحل إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، ليتنقل بعد ذلك، بين مراكز العراق والشام. وكلها كانت تعج بالأتقياء وشيوخ التصوف. فالتقى ببعضهم مثل : شهاب الدين السهروردي (ت. 632 / 1234) صاحب كتاب *عوارف المعارف*، مقيماً بكل منطقة أو ناحية تساعده على النهل من موردها الروحي الإسلامي العذب. وقد مكنته رحلته الطويلة إلى الشرق من رصد منهج أقطاب العلم والتصوف في الممارسة الصوفية. وفي طريق عودته إلى أسفي، حل بتونس، وأقام بها فترة مكنته من الاتصال بشيوخ العلم والصلحاء فيها. مثل : أبي يوسف بن يعقوب بن ثابت. وأبي محمد عبد العزيز المهدي. (محمد مخلوف : *شجرة النور الزكية*، 169) كما قام بالقاء دروس الوعظ والتوجيه الصوفي على بعض طلابها، ومن المحتمل أن يكون أبو الحسن الشاذلي من بينهم وبذلك لمع نجمه، وطارت شهرته في الآفاق، خاصة بعد أن أصبح يتوفر على ثقافة دينية واسعة لم تخرج عن إطار الثقافة المالكية التي تميز بها عصره ؛ غير أن انشغاله انحصر أكثر في *التوصي والتصوف*، المطبوع بتصوف أبي طالب المكي، والقشيري، والغزالي ؛ بدليل عنايته باستنساخ بعض الكتب مثل :

- *المفصل الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى*.
- *بداية الهداية للغزالي*.

ـ *الرسالة القشيرية*.

فرائض الصلاة للصقلي (ابن قنفذ، *الأنس*، 63).

لم يقتصر أبو محمد صالح على عملية استنساخ هذه الكتب بل حاول اقتحام مجال التأليف الصوفي والمشاركة فيه. فصنف كتاب *تلقين المريدين* وهو عبارة عما جمعه ونقله الشيخ من كتب التصوف (البادسي، *المقصد*، 102).

وانطلاقا من ذلك، فإن ما يمكن استنتاجه هو أن تكوين وثقافة أبي محمد صالح لم يضيفا جديدا لما كان شائعا من أنواع العلوم في عصره ؛ إلا أنه بالمقابل استوعب تلك الثقافة استيعابا كبيراً وبحرص شديد، جعله يتطلع دائماً إلى المزيد منها فأصبح "عالما عاملاً متورعا" (*المنهاج*، 1 : 63) كما قام بتحصيل مسؤولية التدريس والتلقين، خاصة في أسفي وفي المراكز التي سبق أن حل بها. وكان ذلك في إطار إقامة وإنجاح مشروعه الصوفي المتمثل في تأسيس طائفته وتبني مبادئها فأصبح له اتباع منتشرون في جل مراكز مصر واشتهرت مكانته فيها لتعم كذلك مدنا إسلامية، كمكة والمدينة ومدن العراق وبعض مدن الشام وإفريقية، إضافة إلى الجزائر والمغرب الذي يبقى هو المجال الرئيسي الذي انصب فيه نشاط طائفته الماجرية التي اشتهرت أيضاً بتأسيس ركب الحاج المغربي (محمد المنوني، *مدرسة أبي محمد صالح*، 198).

أ. بن إبرهيم الماجري، *المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح*، تع. عبد السلام السعيدي، د. د. ع. كلية الآداب، الرباط، 1993 ؛ عبد الحق بن إسماعيل البادسي، *المقصد الشريف* تح. أحمد سعيد أعراب، الرباط، 1982 ؛ أحمد ابن قنفذ، *أنس الفقير*، تح. محمد الفاسي وأدولف فور، الرباط، 1965 ؛ م. بن عبد العظيم الأزموري، *بهجة الناظرين وأنس الحاضرين ووسيلة رب العالمين في مناقب رجال أمغار الصالحين*، مخطوط، خ. ع 1343 ؛ م. بن الكانوني، *جواهر الكمال في تراجم الرجال*، الدار البيضاء، 1356 ؛ م. المخلوف، *شجرة النور الزكية* د. ت ؛ م. المنوني، معطيات مدرسة أبي محمد صالح نموذج ؛ م. القبلي، *قراءة في زمن أبي محمد صالح* ضمن أعمال "*أبي محمد صالح المناقب والتاريخ*".

عبد السلام السعيدي

ابن **صالح مختاري، محمد**، ولد سنة 1926 بجماعة تاكمة بقيادة كلميم وسط عائلة متواضعة الحال وابتدأ حياته الوطنية ضمن صفوف حزب الاستقلال في بداية الخمسينيات،

كما انخرط في المقاومة المسلحة السرية سنة 1953 وشارك في المظاهرة الشعبية بتاريخ 17 غشت 1953 وتعرض لمحاولات الاغتيال من السلطات الاستعمارية عدة مرات أصيب في إحداها برصاصة في وجهه فنقل على إثرها إلى المستشفى الذي فر منه إلى إقليم الناظور.

وبقي هناك يجري الاتصالات مع بعض أفراد المقاومة إلى أن انضم إلى جيش التحرير سنة 1955.

وإثر الهجوم على ثكنة الجيش الفرنسي بتافوغالت استشهد بعد اصابته برصاص العدو في يوم 3 أكتوبر 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 401199.

ابن **صالح، المعطي**، ولد سنة 1930 بوادي زم شارك في ظاهرة 20 غشت من سنة 1955 وهو اليوم الذي يعد بحق حدثا بارزاً ساهم بشكل ملحوظ في الدفع بعجلة الاستقلال إلى الامام، إذ خرجت فيه حشود جماهيرية من جميع الفئات الشعبية ومن كل حدب وصوب إلى شوارع المدينة لكي يتظاهروا وأملهم في عودة ملكهم المحبوب من المنفى إلى عرش أجداده والحصول على استقلال بلادهم، لكن قوات الظلم والعدوان لم تتأخر في استعمال نيرانها وأسلحتها الفتاكة ضد المتظاهرين فسقط العديد في الشوارع والأزقة التي احتضنت دمائهم الزكية فداء للحرية، فكان الشهيد المعطي بن صالح من هؤلاء الضحايا الذين باستشهادهم عجلوا بالاستقلال والخلاص وقد كان استشهاده في هذا اليوم العظيم بشارع النصر بمدينة وادي زم.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 526430.

ابن **صالح، اليزيد** الغماري التطواني، باشا مدينة تطوان وجه إليه الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي ونائبه أخوه السيد مَحمد الخطابي رسالة أثناء الثورة يعينانه فيها قائداً على قبيلة بني رزين، وأخرى في شأن قيادة جيوش غمارة أثناء حرب الريف التحريرية فيما بين سنوات 1341 و1344 / 1923 ـ 1926.

وقد كانت المكتبة الصالحية الغنية ـ ما تزال محفوظة عند السيد اليزيد بن صالح باشا مدينة تطوان في عهد الاستعمار الإسباني. إلا أن مصير هذه المكتبة يبقى مجهولا بعد وفاة صاحبها. والمعروف المتداول أن كثيراً من كتب هذه المكتبة اليوم قد تفرق شذر مذر، فلا يعرف لها طريق ولطالما سألت أبناء آخر المتملكين لهذه المكتبة عن كتبها ومخطوطاتها فكانت الإجابة بأن كل شيء ضاع، وأنه لم يبق منها شيء يمكن أن يلتفت إليه.

توفي في حدود سنة 1360 / 1941.

م. داود، *تاريخ تطوان*، المجلدات، 2. 3. 4، تطوان ؛ *ديوان علي مصباح الزرويلي*، تح. محمد الحسني، د. د. ع. مرفون، الرباط ؛

ع. الله گنون، *المكتبات بتطوان*، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج 1، ج 1 : 1955 ؛ صلاح الدين المنجد، *تقرير بعثة معهد المخطوطات إلى المغرب*، مجلة معهد المخطوطات العربية، مجلد 5، ج 1 : 1959 ؛ سعيد أعراب أبو عبد الله بن صالح الغماري، من *شعراء البادية : جريدة الميثاق*، لسان رابطة علماء المغرب، طنجة ؛ مجلة مواسم، طنجة، عدد مزدوج، 7 ـ 8، شتاء 97 وربيع 1998.

عبد الله المرابط الترغي

الصالحة (جنان ـ). كانت أرض مدينة مراكش عند تأسيسها قاحلة يطير الطائر فوقها فيسقط من العطش والرمضاء كما قال المؤرخون، وقد اختارها المرابطون لتشبهها بالمنطقة التي جاؤوا منها، إلا أنهم ـ بعد بنائها والاستقرار بها ـ استنبطوا المياه بواسطة أسلوب الخطارات الذي ابتكره ونفذه عبيد الله بن يونس.

وطور الموحدون أساليب توفير المياه بجره من الأطلس الكبير بواسطة السواقي، وحفر الآبار، وبناء الصهاريج والخزانات فأصبحت المدينة خضراء، تزخر بالعرصات والجنانات وتنتج أنواع الخضر والفواكه.

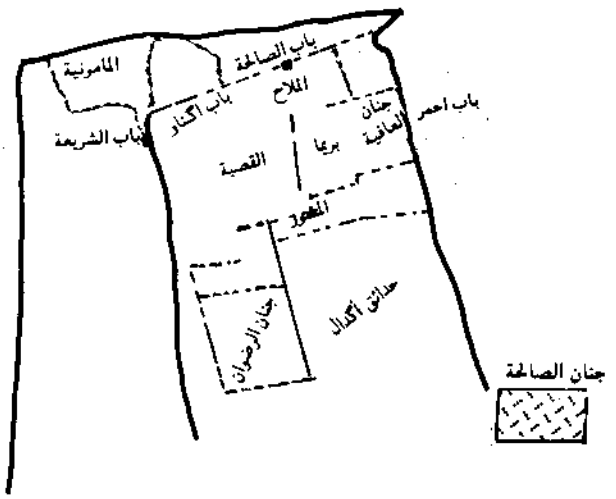

واشتهر كثير من هذه العرصات على الصعيد الوطني كعرصات أكدال، والمنارة، والمامونية، والسملالية، وعرصة الحارثي، وعرصة مولاي عبد السلام، وعرصة موسى.

ونهضت كذلك بأدوار ثقافية وترفيهية واجتماعية ... (*معجم عراصي مدينة مراكش*، حسن جلاب).

ويعتبر جنان الصالحة أقدم عرصات مدينة مراكش، إذ يعود غرسه إلى العصر المرابطي، ورغم تردد اسمه في كتب التاريخ فإن المؤرخين لم يقدموا لنا معلومات ضافية عما كان مغروسا به، أو عن مقياسه طولاً وعرضاً.

يقع على السور الجنوبي المرابطي لمراكش، ويؤدي إليه الباب الذي اتخذ اسم الجنان وهو باب الصالحة.

ذكره البيذق والعمري وابن أبي زرع، ووردت الإشارة إليه وتحديد موقعة في تصميم Mathan سنة (Deverdun, 1585 (125)، وشهد هذا الباب أحداثا مهمة، سواء عند دخول عبد المؤمن إلى المدينة (*أخبار المهدي*، 65) أو عند دخول أبي دبوس إلى مراكش ضحى يوم السبت 22 محرم 665 / 1266 أثناء مواجهته للمرتضى الموحدي على حين غفلة من أهلها (*الاستقصا*، 2 : 257 و*الاعلام*، 3 : 13) ونفذ الاعدام في بعض أنصار المرتضى خارج هذا الباب (Deverdun, 160).

وكما هو الشأن بالنسبة لوظائف الأبواب بمراكش، كانت خارج باب الصالحة مقبرة، ومن مشاهير الشخصيات المدفونة بها :

ـ ابن عفير الأموي المولود سنة 593 / 1196 بمراكش والمتوفى بها سنة 667 / 1268 (*الذيل والتكملة*، 6 : 310 و*الاعلام*، 5 : 367).

ـ أبو علي عمر بن كامل الفخار المتوفى سنة 592 / 1196 (*التشوف*، 306) وحسب اجتهاد دوفردان بناء على ماوقف عليه من وثائق وخرائط، فإن موقع هذا الباب يلتقي مع الجدار الذي يمر بالشارع الرئيسي للملاح، (Deverdun, 113) وكان أحد الأبواب المؤدية من المشور اليراني إلى حي بريما يدعى باب الصالحة نسبة إلى العرصة المذكورة.

وقد تم هدم هذا الباب على عهد الموحدين إثر أحداث حدائق أكدال وتشييد القصبة، وكان هذا التوسيع على حساب جنان الصالحة : "ثم أن الخليفة عبد المؤمن غرس خارج مراكش المسرة التي بظاهر جنان الصالحة، وهو بستان طوله ثلاثة أميال وعرضه قريب منها، فيه كل فاكهة تشتهيها الأنفس، وجلب إليه الماء من أغمات واستنبط له عيونا كثيرة..." (*الحلل الموشية*، 145 ؛ *الاعلام*، 1 : 78 و85).

وعند ابن أبي زرع إشارة إلى النهر الذي جلبه المنصور الموحدي من الأطلس الكبير سنة 585 / 1188، يخترق قصوره، ثم يمر على السقائف والمرجات، ثم يحدق بالجامع ويمر بالأسواق قدر ميل إلى أن يخرج على باب الصالحة من أبواب مراكش (*الأنيس المطرب*، 154 ؛ *ورقات عن الحضارة المرينية*، 562).

ويبدو أنه شيد صهاريج يجمع فيها ماء هذا النهر الكبير لتنظيم الاستفادة منه، قال عنها دوفردان بانها تظهر من الجو وسط مقبرة باب أغمات (Deverdun, 88).

وقد سمي حي من أحياء الملاح بحي الصالحة جرفه فيضان سنة 1639 الذي شهدته مدينة مراكش.

وبهذا فان حدائق أكدال قد استوعبت القسط الأكبر من جنان الصالحة.

وقد اشار الناصري إلى مكانة جنان الصالحة في الذاكرة الشعبية لسكان المدينة إذ كان أطفالهم يتغنون بأغان تخلده

من مثل قولهم :

آجرادة مالْحـــة فينْ بتّ سارحْـة

فـي جْنان الصالحـة

أبو بكر بن علي الصنهاجي، *البيذق، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين*، ط. دار المنصور، الرباط، 1971 ؛ أحمد بن خالد الناصري، *الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى*، ط. دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954 ؛ عباس بن إبراهيم المراكشي، *الاعلام بمن حل مراكش وأغمات من الاعلام*، تح. عبد الوهاب بنمنصور، المطبعة الملكية، 1974 ؛ ابن أبي زرع، *الأنيس المطرب بروض القرطاس*، ط. دار المنصور، 1973 ؛ يوسف بن يحيى التادلي ابن الزيات، *التشوف إلى رجال التصوف*، تح. أحمد التوفيق، ط. الدار البيضاء، 1984؛ مجهول، *الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية*، تح. سهيل زكار وعبد القادر زمامة، ط. الدار البيضاء، 1979 ؛ حسن جلاب، *معجم عراصي مدينة مراكش*، ط. مراكش، 2002 ؛ محمد المنوني، *ورقات عن الحضارة المرينية*، منشورات كلية الآداب بالرباط، 1979.

G. Deverdun, *Marrakech dès origines à 1912*, Rabat, 1956.

حسن جلاب

الصالحي، الحسين بن إبراهيم السوسي، أديب شاعر ناثر، ولد سنة 1313 ودرس في مسقط رأسه، وفي المدرسة الإلغية ثم المدرسة الإيمورية من مدارس سوس العلمية العتيقة. وأشهر شيوخه خالد البشير بن أبي بكر الأغوديدي، والطاهر الإفراني.

أورد له في *المعسول* جملة من المراسلات النثرية والقصائد والمقطعات، إلا أن المنية اخترمه في مقتبل العمر. فمات شهيدا بالوباء في شهر ذي الحجة عام 1336 / شتنبر - أكتوبر 1918.

م. المختار السوسي، *المعسول*، الدار البيضاء، 1961، ج. 2 : 75-80 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 8 : 2903.

محمد حجي

الصالحي، محمد من الرياس المغاربة العاملين في أسطول سيدي محمد بن عبد الله، ذكره هوست يقود سفينة سنبك سنة 1179 / 1766 مجهزة بطاقم مؤلف من مائة وستة وعشرين رجلا وبطارية مكونة من ست عشرة قطعة مدفعية.

وقد أشار القنصل البرتغالي كولاصو إلى استمراريته في المهنة خلال سنوات 1773 و1774 و 1775 في مراسي الشمال (طنجة والعرائش) على متن سفينة من نوع فرقاطة مجهزة ببطارية مهمة (34 مدفعا)، ومشرفا على طاقم كبير (250 رجلا)، قبل أن يتراجع موقعه في سنة 1778 بقيادته لسنبك صغير مجهز بعشرة مدافع وبطاقم لا يتعدى أربعين رجلا.

مجهول، *الرئاسة البحرية ورجال القوة الجهادية في المغرب*، الخزانة العامة، الرباط، ميكروفيلم، رقم 43، ص. 1 ـ 2 ؛ ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 3، ص. 260 وأيضاً.

Miège, *Course et marine marocaines : 1767 - 1778*, *Maroc-Europe*, n° 11, 1997-98.

حسن أميلي

الصالحي، المدني بن علي بن عبد الله (1312 ـ 1365) هو ثالث ثلاثة قامت عليهم المدرسة الإلغية، أبوه علي بن عبد الله الإلغي، وعمه مؤسس المدرسة محمد بن عبد الله.

ولد عام 1312 / بقرية دوكادير وأمه نفيسة بنت الشيخ المدني الناصري. ونشأ في هذه الأسرة العلمية المتدينة، ولما وصل سن التعليم ألحقه أبوه، كإخوته، بالكُتّاب لتعلم القراءة والكتابة وحفظ كتاب الله على يد أساتذة منهم أحمد أخساي، وإبراهيم بن الحاج القاسمي البعقيلي، ومحمد بن محمد الأنامري السملالي.

وبعد حفظ القرآن الكريم انتقل إلى تحصيل العلوم فجلس في المدرسة الإلغية إلى الأستاذ أبي القاسم بن مسعود التاجرمونتي، ثم الأستاذ أحمد بن صالح التانكرتي الإفراني بالمدرسة الإيمورية، فلازمه عدة سنوات حصل فيها الفنون المتداولة يومئذ في المدارس العتيقة من نحو ولغة وفقه وأدب وفرائض وحساب وسير وحديث وتفسير، وكان هذا الأستاذ يعنى به عناية خاصة فيطالع معه كتب الأدب والتاريخ ويناقشه فيها، ويوضح له ما غمض منها، فكان لهذه العناية الخاصة من قبل الأستاذ أثر بالغ في نبوغ التلميذ وشغوفه.

وإضافة إلى دراسته المنتظمة على يد أستاذه التاجرمونتي، كان كُلّما عاد إلى منزله أيام العواشر ينخرط في المجالس العلمية والأدبية التي يقيمها أبوه، فيعطيه كتابا أديب ليتلوه على الحاضرين، ثم يناقشه في المسائل اللغوية والنحوية والصرفية...

وقد انتفع بهذه المجالس انتفاعا عظيما زاد من تحصيله ومعارفه.

وبعد أن ملأ جعبته من العلوم والمعارف، أرسله والده للمشارطة في مدرسة سيدي علي أوسعيد بالأخصاص سنة 1340.

ولما توفي والده سنة 1347 خلفه على المدرسة بوصية منه، فأراد أن يحل محل أبيه في العلم والرئاسة والجهاد، والناس يومئذ قد تحلقوا حول آل الهيبة، لكن ذلك لم يتحقق للمترجم.

قال عنه أخوه الطاهر : "إن سيدي المدني دراسته أفضل دراسة، فإنه يستفرغ فيها وسعه، وتظهر سعة أخلاقه في "التقرير" حتى إنه فريد بين أقرانه في الدراسة، ولو كان له مراعاة لملأ مركزه كما ملأه أبوه قبله لما له من سعة معارف وحسن إدراك" (*المعسول*، 2 : 131).

ولما احتلت تلك الربوع نهائيا سنة 1352 فضل العزلة والانزواء، ولزم مدرسته وتلاميذه، وتدريسه بدأ يخفت عما كان عليه من قبل، وقد حاول أن يكون له شأن عند أصحاب السلطة بتافراوت، فسافر إلى الرباط بظهائر الاحترام والتوقير التي ورثها عن آبائه، فاستطاع أن يرجع بظهير من محمد الخامس، بيد أنه لم يوصله إلى مراده من الرئاسة،

فقبع في مدرسته، إلى أن أدركته منيته في جمادى الثانية عام 1365.

ترك المترجم آثارا أدبية كثيرة تجلت في قصائده التي يقولها في كل مناسبة، ورسائله التي يتبادلها مع شيوخه ونظرائه من علماء سوس وأدبائها، وقد أورد محمد المختار السوسي طرفا منها في *الإلغيات* والجزء الثاني من *المعسول*.

ذلك هو العلامة ابن العلامة الذي أثنى على سيرته غير واحد من معارفه وأصدقائه وتلاميذه الذين ذكر منهم المختار السوسي 77 فرداً. قال فيه المؤرخ ابن الحبيب السكرادي : كان "طيب الأخلاق، حسن الأدب، حافظا لغريب اللغة وغوامضها، فنه الأدب واللغة العربية، حفاظاً لقصائد أهل العصر ونوادرهم، لا يمل مجلسه، وهو إلى الآن لزم بلده وعمارة مدرسته بأنواع الأنصبة، ولم يقصر جهده في نشر العلم وتلقينه لطالبه". (*المعسول*، 2 : 153).

المعسول، الجزء 2 ؛ *الإلغيات*.

محمد الحاتي

صَالِشْ ويكتب أيضاً شالص، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Aslas ؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Sales ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 1106.

صالص، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Salas وهو اسم مدينة إسبانية.

صالص الحاج محمد بن علي من أعيان تطوان الذين كانت تقبل شهادتهم أمام محكمة القاضي بمثابة شهادة العدول سنة 1249 (1833).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 1105.

محمد ابن عزوز حكيم

صاي، لوي جان باتيست (Louis Jean-Baptiste Say) ضابط في البحرية الفرنسية، (نانط 1852 ـ مرسى صاي بغرب الجزائر 1915)، كان من أنصار التوسع الفرنسي انطلاقا من الجزائر نحو المغرب ونحو إفريقيا السوداء، فانساق مع أهوائه التوسعية سنة 1875 بعد أن طلب إعفاءه من الخدمة العسكرية بهدف استكشاف مناطق جديدة وضمها لدائرة النفوذ الفرنسي بشمال إفريقيا. وفي هذا الصدد قام بعد رحلات استكشافية نحو منطقة الهوگار جنوب الجزائر (1875 ـ 1877). وفي سنة 1886 أصدر كتيّبا عن السياسة التوسعية الفرنسية، وفي ضوئه قرر القيام برحلة استكشافية لشرق المغرب خلال السنة نفسها، حيث زار جبال بني إزناسن وسهل تريفة وقصبة السعيدية ووادي ملوية السفلى، وكتب تقريراً مفصلا عن رحلته، ورفعه إلى أعلى السلطات ببلاده، وكان يسعى إلى إقناع الحكومة العامة للجزائر على وجه الخصوص لاحتلال الشريط الساحلي المغربي الواقع بين وادي ملوية ووادي كيس.

وفي سنة 1900 استقر به المطاف بشرق وادي كيس، بعد أن استحوذ على الأراضي المجاورة للساحل، وكانت جلها في ملكية قبائل من بني إزناسن (بني منگوش)، وتبنّى مشروعا توسعيا يهدف إلى إحداث مرسى بموقع رأس الماء بتراب قبيلة كبدانة على الضفة اليسرى لوادي ملوية، ليكون محطة تجارية لترويج السلع الفرنسية تمهيدا لبسط النفوذ الفرنسي على شرق المغرب، فنظّم حملة دعائية كبرى لإنجاح مشروعه مدعوما بجمعيات علمية وباللوبي الاستعماري بغرب الجزائر، إلا أن الحكومة الفرنسية عارضت المشروع مخافة إثارة مشاكل مع إسبانيا.

فتراجع صاي عن مشروعه الأصلي وأقام محطة تجارية شرق وادي كيس في موقع يبعد عن خط الحدود بحوالي 1500، حيث أقام بعض التجهيزات لاستقبال السفن الصغيرة، وصار الموقع آنذاك ينعت باسم عجرود كيس، وطغى عليه في نهاية المطاف اسم مؤسسه، فصار يُدعى مرسى صاي. وأصبحت هذه المحطة المستحدثة سوقا لترويج السلع الفرنسية نحو بني إزناسن وسهل تريفة، وأيضاً منفذا لتصدير منتجات فلاحية من شرق المغرب دون أداء الرسوم الجمركية للدولة المغربية، ومما زاد في الإشعاع التجاري لهذه المحطة قربها من خط الحدود وغياب مرسى مفتوح للتجارة بالمنطقة الشرقية. كما استقطب مرسى صاي عدداً كبيراً من سكان شرق الريف، خاصة منهم أهل بقّيوة الذي فروا من موطنهم بعد الأحداث التي عرفها الريف في نهاية القرن التاسع عشر، وشكلوا يدا عاملة طيعة في مشروع صاي، وبرز منهم بعض الأفراد الذين أصبحوا من المقربين لمحمد بن عبد الكريم الخطابي أثناء ثورته ضد التوسع الإسباني (القائد حدو)، وقد واجه المخزن نشاط التهريب المنطلق من مرسى صاي بإقامة ديوانة قرب قصبة السعيدية في مستهل القرن العشرين. وقد تسبب نشاط التهريب في شهر أبريل 1901 في أزمة بين المغرب وفرنسا إثر مقتل صحفي فرنسي بمصب وادي ملوية، وأعقب ذلك توقيع اتفاق باريس في 20 يوليوز 1901 بهدف وضع الأسس لتنظيم العلاقات بمنطقة الحدود.

استفاد المخزن من مرسى صاي أثناء فتنة الروگي الذي استقر بشرق المغرب، فكانت بعض المراكب المخزنية (التركي) تقوم بإفراغ حمولتها وإنزال العسكر الموجه لعامل وجدة

بالمرسى المذكور بعد استئذان السلطات الفرنسية بالجزائر.

كان صاحب مشروع صاي ينوي إقامة مرسى كبير بأقصى غرب الجزائر واحتكار الرواج التجاري بين المغرب والجزائر إلا أن المشروع لقي معارضة شديدة من كبار التجار بوهران والغزوات بغرب الجزائر، وأقبر بعد وفاة صاحبه سنة 1915. فصار مرسى صاي فيما بعد محطة للاصطياف يرتاده على وجه الخصوص المستوطنون الفرنسيون المستقرون بناحية تلمسان ومغنية.

وفي فترة الحماية أقيمت قنطرة على مصب وادي كيس للربط بين مرسى صاي ومصطاف السعيدية، إلى أن تم هدمها إثر التوتر الذي اندلع بين المغرب والجزائر سنة 1963. وبعد استقلال الجزائر سنة 1962 صار مرسى صاي يُنعت باسم مرسى بلْمْهيدي، وهو أحد قادة جبهة التحرير الجزائرية.

ع. برحاب، *شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي*، 1989 ؛ *السعيدة أو سعيدة عجرود صلة وصل بين المغرب والجزائر*، مجلة جمعية تاريخ المغرب، وجدة، العدد الأول، 1993، ص. 10-115 ؛ *المجال الحدودي بين المغرب والجزائر في مطلع القرن العشرين*، منشورات كلية الآداب، المحمدية، 2002.

Louis Jean-Baptiste Say, *La frontière du Maroc*, *Bulletin de la Société de Géographie Commerciale de Paris*, 1888, p. 526-536 ; J. Hess, *La question du Maroc*, Paris, 1903 ; L. Voinot, *Les entraves au commerce algéro-marocain et la conclusion d'accords spéciaux (1898-1902)*, *B.S.G.A.O.*, 1933 ; F. Llabador, *Port Say et son fondateur*, Oran, 1955.

عكاشة برحاب

الصايِر (أمين -)، تعني كلمة الصَّايِر أو الصائر في العرف المغربي النفقة والمصروف. والفعل صيَّر. وفي الدوائر المخزنية يجب التمييز، على الأقل منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر وإلى حدود توقيع عقد الحماية، بين مصطلحين : أمين الصاير أو الصائر، بالمفرد، وأمناء الصائر بالجمع.

فأما أمين الصائر فهو المسؤول المالي الذي كان يتولى، بأمر سلطاني، كل النفقات المخصصة لجانب السلطان وحاشيته المقربة التي ترافقه في حله وارتحاله.

وأما أمناء الصائر فقد كانوا مستقرين في العواصم التقليدية الثلاث : فاس ومراكش ومكناس، باعتبارها العواصم التي كانت تتوفر، بشكل قار، على بيت مال. وكان عددهم بكل مدينة من هذه المدن الثلاث لا يقل عن اثنين ولا يزيد على ثلاثة. وباستثناء أمناء صائر مدينة فاس الذين كان مقر اجتماعهم وعملهم يتم في فندق النجارين أولاً، ثم بعد ذلك في دار عديل - بحومة المعادي - التي صودرت من أسرة هذا الشخص في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان (1859 - 1873)، فإن عمل واشتغال أمناء صائر مراكش ومكناس كان يتم في بنيقة، داخل مقر الإقامة السلطانية.

ومن حيث الوظائف التي كانوا يقومون بها فيمكن حصرها في ما يلي : أولاً، الإشراف على فتح خزائن الدولة - إلى جانب مسؤولين آخرين - كلما تعلق الأمر بوصول دفعة جديدة من الأموال.

ثانياً، الإشراف على تمويل نفقات المخزن بالعواصم الثلاث. وكانت تدور حول الرواتب الشهرية لحاشية السلطان وجيشه وموظفيه، هذا فضلاً عن التناقيذ (مبالغ نقدية يومية) والملازم (مؤن غذائية).

أما مصادر تمويل هذه النفقات فكانت تفد من مستفادات مدنهم، أي من مداخيل المكوس (الصنك) والأملاك المخزنية، وإذا لم تف بسد الحاجيات كان يوجه إليهم الأمر بفتح خزائن الدولة.

ع. الرحمن بن زيدان، *الإتحاف*، ج 2 ؛ نعيمة التسوزاني، *الأمناء بالمغرب في عهد السلطان مولاي الحسن*، 1874 - 1894، مطبعة فضالة، 1979 ؛ ع. الخمليشي، *المخزن والضرائب المفروضة على التجارة الداخلية - مكوس الحواضر*، 1856 - 1896، د. د. ع. 1989.

عبد العزيز الخمليشي

الصايغ أو الصائغ أسرة شهيرة وعريقة بفاس، كان لهم بها صيت وجاه. أصلهم من سرقسطة الأندلس. ومنهم بفاس الفقيه الملامتي أبو بكر ابن الصائغ التجيبي (5230 / 35 - 1136).

ومن أولاد الصائغ الفاسيين اليوم فرقة أهل عقبة ابن صوال من عدوة فاس الأندلس. وأخرى انتقلت إلى مصر.

ع. الكبير الكتاني، *زهر الأس*، الدار البيضاء، 2002، ج 1 : 560 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إزالة الإلتباس*، مرقون، ج 2.

محمد حجي

ابن **الصايغ، يحيى** بن محمد بن علي الأنصاري السبتي. يكنى أبا الحسين ويعرف بابن الصائغ. نشأ ببلدته وتتلمذ بها عن كبار علمائها. روى بها عن أبي بكر يحي بن رزق، وأبي محمد عبد الله بن عبيد الله الحجري وأبي حسن بن سهل وغيرهم. دخل الأندلس وسمع من أعلامها كأبي مروان بن قزمان وأبي القاسم بن بشكوال. وتكرر دخوله إليها. وحدث بإشبيلية وقرطبة (*الذيل*، 2 : 521 ؛ *اختصار*، 23 ؛ *صلة*، 200). وكان كثير التردد على فاس. كما كان يكثر من زيارة المتصوف الشهير أبي يعزى (*المقصد*، 47 ؛ *دعامة*، 42 ؛ *التشوف*، 218 - 377). ويؤثر عنه أنه كان زاهداً فاضلاً، ويصنف من أهل الضبط والمعرفة والتقييد، مشرعا إلى قضاء حوائج الناس. كما عرف عنه الصلابة في قول الحق. ومما يذكر عنه في هذا الباب أن أبا العلاء إدريس ابن يعقوب بن عبد المؤمن غضب على أهل سبتة فأمر أن يحشر الناس خارج المدينة في صعيد. فاجتمع الناس وطال بهم المقام وبلغ الخبر إلى ابن الصائغ فجاء حتى بلغ مرقب أبي العلاء ثم رفع رأسه وكان في صوته جهارة وفي كلامه

ارهاب فقال له : "انصب صراطك وضع ميزان". ثم التفت إلى الناس وقال : "امشوا من هنا". فافترقوا. روى عنه أبو الخطاب وقد لازمه وسمع عليه وصحبه في الحضر والسفر، وهو آخر من روي عنه بسماع الأندلس. كما حدث عنه المسند أبو الحسن علي بن محمد الغافقي، والتجيبي، وأبو عبد الله ابن هشام، وأبو الحسن الشاري، وغيره. ويعد أبو عبد الله بن حوط الله آخر من روي عنه باجازة (*التكملة*، 2 : 73 ؛ *صلة*، 200 ؛ *الطيل*، 2 : 562). توفي بسبتة سنة 200 / 1204، ودفن بمقبرة الربض البراني من داخل سور البحر من الموضع المعروف بمضرب الشبكة (*اختصار*، 23).

الأنصاري، *اختصار الأخبار*، الرباط، 1403 / 1983، ص. 23 ؛ م. ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، تح. محمد بن شريفة، 1984، القسم الثاني، ص. 561 - 562 ؛ *تراجم الغرباء في القسم الثاني من صلة الصلة لابن الزبير* : ابن الزيات التادلي، *التشوف*، تح. أ. التوفيق، الرباط، 1404 / 1984، ص. 218 - 296 - 297 - 377 ؛ ابن الزبير، *صلة الصلة*، تح. لفي بروفنسال، باريس، 1938، ص. 200 ؛ ابن الأبار، *التكملة لكتاب الصلة*، 1887، المجلد الثاني، ص. 730 ؛ العزفي، *دعامة اليقين في زعامة المتقين*، تح. أحمد توفيق، الرباط، 1989، ص. 42.

زليخة بنرمضان

ابن **صَبّاحْ**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا - Çabe - Çaba Sabba.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 286.

محمد ابن عزوز حكيم

الصباغة (البلدية) كانت الصباغة بالمواد الطبيعية هي السائدة في كل أرجاء العالم إلى حدود 1856، وهي السنة التي توصل فيها الكيميائي الانجليزي هنري بركان Henri Perkin إلى صناعة الملونات الكيميائية انطلاقا من قطران الفحم الحجري. ولذلك فقد كانت الصباغة المستعملة في المغرب من عدة قرون هي "الصباغة البلدية". وحتى بعد انتشار "الصباغة الرومية" ابتداء من النصف الثاني من القرن الثالث عشر (19 م) في جل الدول الأوربية، فإن استعمالها في المغرب بقي قليلا إلى حد الندرة ظل يندرج ضمن نطاق المحظور. وبسبب بداية انتشار الصباغة الرومية في المغرب بعد توقيع معاهدة 1856 التي تنص على فتح البلاد للتبادل مع الأجانب، أصدر السلطان عبد الرحمان بن هشام ظهيراً إلى الخاص والعام، وإلى التجار بشكل أخص، يدعو إلى تجنب بيع الزرابي المصبوغة بالصباغة الرومية وطلب من محتسب مدينة الرباط أن يحرص على تداول الحرفيين للصباغة البلدية ومراقبة جودة ألوان الزرابي المعدة للبيع قبل نقلها إلى "سوق الدلالة" (J.L. Miège, *Documents inédits*, p. 174).

وقد كانت "الصباغة البلدية" تحظى بشهرة كبيرة تستحقها بالفعل. فقد كانت الزرابي والمنتجات الجلدية والأقمشة والأردية والأصواف المعالجة بالصباغة البلدية ذات صيت ذائع داخل المغرب وخارجه لأن ألوانها كانت قابضة وناصعة. وكانت الرباط سلا من أكبر مراكز الصباغة البلدية إلا أن ما كانت تنتجه فاس ومكناس في أحيا، خاصة يتجاور فيها الصباغون والدباغون كان أكبر وأحسن بكثير مما تنتجه الرباط وسلا (F. Benoit, *L'empire de Fès*, p. 114) وحتى في أصغر المدن والقرى كان وجود الصباغين ضرورياً ضرورة الغذاء لارتباطه باللباس والرداء.

وكانت الصباغة البلدية تنجز من لدن حرفيين متخصصين طبقا لطرق وأساليب يرثها الآباء عن الأجداد. وكان الزبناء يفدون إلى دكاكين الصباغين ويطلبون تلوين ما يستقدمونه إليهم من جلود وأصواف وأثواب قطن أو كتان أو حرير وأحزمة وأقمشة وغيرها طبقا لرغباتهم. وكانت الصباغة البلدية تستمد الألوان المستعملة فيها من ثلاثة مصادر مصدر نباتي يستنبط من النيلة (النيلج كلمة عربية من أصل فارسي) والحناء والزعفران وقشور الرمان ولحاء شجر الجوز، ومصدر معدني يستمد من الحديدة الزرقاء والبارودية والطرطار (الحديدة الزرقاء هي سلفات الحديد والبارودية هي سلفات النحاس والطرطار هو ثاني طرطار البوطاس) ومصدر حيواني يؤخذ من حشرة "القشينية" التي تسمى أيضاً حشرة القرمز، وتعيش في مناطق واسعة من حوض البحر الأبيض المتوسط على نبات الصبار وشجر البلوط (السندبان). وقد كانت تجارة القشينية وتوزيعها تخضع لمراقبة المخزن الذي كان يفوت احتكار بيعها لمن يتفق معه على ذلك. ففي سنة 1763 مثلا فوض السلطان أمر الاتجار فيها إلى أحد أكبر أثرياء اليهود بفاس بعد أن حدد له ثمن اقتنائها في "أربع أوقيات وبيعها في ثمان ومن خالف ذلك عوقب" (*تاريخ الضعيف*، الجزء الأول، ص. 313). وبما أن الطلب عليها كان كبيراً وكان المنتوج منها لا يكفي للاستهلاك الداخلي فإن كميات كبيرة منها كانت تستورد من إسبانيا على الخصوص.

من هذه المصادر الصباغية الثلاثة كانت تستنبط ثلاثة أنواع رئيسية من الألوان هي الأزرق والأحمر والأصفر. وعن كل لون رئيسي يتفرع لفيف من الألوان الفرعية التي كان الصباغون يحصلون عليها بمزج لونين أو أكثر طبقا لمواقيت ومقادير معروفة لديهم. فاللون البرتقالي ينتج عن دمج الأ... بالأصفر واللون الأخضر بمزج الأصفر والأزرق والبنفسجي بمزج الأحمر والأزرق وهكذا ذواليك من غير ما ذكر من الألوان الفرعية الأخرى مما كان الصباغون يتقنون تحضيره عن طريق خلط الأصباغ وتجريبها وتعديلها بالزيادة والنقصان وإعادة النظر في معايير الصباغة ومقاييسها ومواقيتها.

فاللون الأحمر يستمد من نبات الفوّة بعد أن تؤخذ عروقها وتجفف وتدق وتطبخ بماء مغلى وتنقع لبضعة أيام فتخلف مسحوقاً دقيقاً يستعمل كملون. ويستمد نفس اللون الأحمر أيضاً من تجفيف بيض القشينية ودقه ومعالجته واستخراج مسحوق منه يصلح لإعطاء لون أحمر فاقع يدعى القشيني أو القرمزي. أما اللون الأزرق فيتم الحصول عليه بسحق أوراق النيلة ودقها بنفس الطريقة حتى يتخلف في نهاية مرحلة معالجتها دقيق أزرق قان يستعمل كمادة ملوِّنة. ويستنبط الأصفر من نبات "تيزغا" (المعروف بالليرون أو الوزال أو الحابور باللغة العربية) وقشور الرمان بعد سحقها وطبخها وتنقعها. وقد كانت هذه النباتات الصباغية تجنى في أوقات معلومة يعرفها العشابون المتخصصون في الجني والتخزين. وكان الصباغون والنساجون وغيرهم يقتنون منها الكميات الوافرة ويحتفظون بها في شيء خصائصها التلوينية.

وبعد الحصول على المادة الملونة من المصادر الآنفة الذكر كان الصباغون يباشرون عملية التلوين التي كانت تمر عبر المراحل الخمس التالية :

ـ الغسل : وأثناءه يتم تحضير الألياف المهيأة للصبغ لتقبل مفعول الأملاح المعدنية وامتصاص الملونات، ويبدأ ذلك بتنظيفها أولاً بماء دافئ ومادة صابونية تتكون أساساً من تيغشت (أصلها الأمازيغي تيغيغشت ثم الصابون البلدي، وهو صابون رخو البنية بني اللون مازال استعماله متداولا بشكل قليل إلى اليوم.

ـ الفتح : وخلاله يتم تخضيب الألياف التي نظفت في المرحلة السابقة بتسخينها في ماء معتدل الحرارة تضاف إليه مواد مساعدة على تقبل الألوان وتثبيتها أهمها الشب والطرطار (الشب كلمة عربية فصيحة وهي ملح معدني قابض ومرسخ لونه أبيض وهو مكون من كبريت البوطا سيوم والماغنيزيوم، أما الطرطار فهي بدورها كلمة عربية أصلها دردي تحولت إلى Tartre التي تداولها الصناع تحت لفظ طرطار. ويعتبر هذا الثنائي ضروريا في أية عملية صباغة، وفي هذا الصدد يقول المثل الحرفي الذي انتقل إلى التداول الشعبي : "إذا تلاقى الشب والطرطار تخرج الصباغة هندية"، أي أن تضافر مفعول أحدهما بالآخر ينتج عنه ترسيخ الملون على القماش أو الثوب فيبدو وكأنه مصبوغ في الهند التي اشتهرت منذ عدة قرون بجودة صباغتها ودقتها ونصاعتها. لذلك سميت هذه المواد المساعدة على تثبيت الألوان بالمرسِّخات (Les mordants).

ـ الصباغة : وهي عملية توضع خلالها الألياف المغسولة والمفتوحة في إناء كبير يدعى "الطنجير" يحتوي على ماء مغلى تتراوح درجته الحرارية بين 90° و100°، على أن تظل مغمورة تحت الماء مع تفقدها بين الفينة والأخرى بيد الصباغ الحرفية وتحريكها المستمر ومراعاة الاحتفاظ للماء على نفس درجته الحرارية حتى تتحد الصباغة بالألياف وتأخذ اللون المطلوب.

ـ التنقية : وهي عملية تنظيف الألياف مما يعرف في الصباغة العصرية بالشطف، وخلالها توضع المواد المصبوغة

بعد الانتهاء من صباغتها بالتدريج وعلى التوالي في ماء فاتر صاف ثم في ماء دافئ ثم في ماء بارد. وتعتبر الصباغة ناجحة في هذه المرحلة إذا أزيلت الألياف من آنية الصباغة وبقي الماء فيها صافيا لالون له.

ـ التجفيف : وهي آخر مرحلة تسحب فيها الألياف وتعرض بعد الصبغ والشطف والتنظيف إلى التهوية وامتصاص أشعة الشمس لتجف تحتها قبل أن تصبح جاهزة للاستعمال.

وقد كان الصباغون البلديون حاذقين مهرة عارفين بتقنيات التلوين فكانوا لذلك يحصلون على ما يريدون من ألوان رئيسية وفرعية. وكان كل لون عندهم معروفا باسمه الخاص ولا يختلط بغيره كما كان السواد الأعظم من الناس لا يخطىء في معرفة المميزات الخاصة بكل لون ويدرك الحدود الفاصلة حتى بين الألوان الفرعية نفسها.

فعن اللون الأصفر يتفرع الخابوري والكبريتي والقُشري والرنجي والقيقلاني والقيحي والتبني والورسي والقُصبي والكامسوني وظهر الجمل والمشماشي والگرعي والذهبي والجنجلاني والزيواني وشمس العشي والقُمري وضو الصباح والمحنية، وهي على التوالي ألوان الخابور والكبريت وقشور الرمان والرنج (فصيلة مرة من الليمونيات) والقيقلان (الميموزا) والقبح (المُدَّة البيضاء التي لا يخالطها الدم) والتبن ونبات الورس والقصب وتابل الكامسون ووبر ظهر الجمل وفاكهة المشمش والقرع والذهب والزنجلان والزيوان وشمس الأصيل ولون القمر وشروق شمس الصباح ولون الحناء الأصفر.

ويتفرع عن الأزرق النيلي والفضي والعلجي والخلي والسنجابي والرمادي والزرزوري والزريقم والسماوي وبين الأولوان والشب المغلوف والشب المفتوح والگراگي وأزرق لبراية وقلب الحجر والنشيبي. وتنتسب هذه الألوان بالتتابع إلى النيلة والفضة والعلجة (لون زرقة عيون العلوج الأعاجم) والخل والسنجاب والرماد وطائر الزرزور. أما الزريقم فهو الأزرق الخفيف الذي يميل إلى البياض والسماوي لون السماء وبين الألوان أزرق وسط لا هو بالخفيف ولا بالقاتم لون الشب أزرق باهت وفيه نوعان القاتم والخفيف. أما الگراگي وأزرق لبراية وقلب الحجر فلم نقف لها على معنى:

ومن الألوان المتفرعة عن الأحمر نذكر المفوي والأرجواني والأحمر القاني والمرجاني والطرطاري والعقيقي ودم الغزال واللوزي والقهوي والغيسى والقرفي والشكلاطي والدخاني والوردي والفنيدي والعكري والديدي والحمصي المغلوق والمفتوح والعسلي والزيبي وعنق الحمام والقمحي والمقرف والقسطلي وهي كلها ألوان واضحة ومعروفة باستثناء الدخاني والديدي والمقرف التي تنتسب إلى لون ورق التبغ (طابا) ونبات أداد والجلد المدبوغ.

وهناك ألوان تتفرع عن الأخضر أهمها الزيتي والقزبوري والخرشوفي والشرقراقي والزنجاري والخزي والليمي والخسي وراس الواد (الزنجار أو السنجار لون الصدأ الذي يصيب النحاس، الليمي لون ورق الليمون الأخضر وراس الواد لون الحشائش الخضراء والأعشاب المترعرعة على ضفاف الأودية).

ويتفرع عن اللون الأبيض الحليبي والثلجي والعاجي والسجاري والأشهل والأشحم والبلجة والشربة واللؤلئي والمسكي والسكري (السجاري أبيض تتخلله حمرة والأشهل أبيض مغبر والأشحم أبيض يميل إلى السواد والبلجة أبيض غير مكتمل الصفاء والشربة بياض مشرب بحمرة كحمرة اللسان).

وإذا كان اللون الأسود حالكا دعي الغرابي وإذا تناوب فيه الأبيض والأسود سمي النمري، ثم هناك الأزعر والأشقر ولونهما يميل إلى الذهب. أما الأزغب فسواده يتخلله بياض والأشهب يغلب بياضه على سواده والأبلق يطلق على كل لون قاتم مفرط في لونه.

وقد تكون هذه الألوان في لغة الحرفيين الصباغين إما مفتوحة أو باهتة أو قاتمة. فالألوان الفاقعة على العموم تدعى البلقاء والباهتة تسمى الخفيفة والبراقة تسمى المبرنقة. أما الألوان المتعددة في ثوب واحد فتسمى المبرقشة في حين تدعى الألوان المختلطة بأشكال الزهور والورود "المخلبة" وتنعت الألوان المذمومة القبيحة والتي لا يكاد يتضح نوعها الحقيقي "المدغرة".

ع. القادر زمامة، *هذه الألوان وهذه الأسماء*، مجلة *الثقافة المغربية*، العدد 7، فبراير 1970 ؛ ع. العزيز بنعبد الله، *معجم الألوان*، الرباط، 1969 ؛ محمد المسعودي، *بطاقة تقنية حول الصباغة النباتية*، الدار البيضاء، 1989 ؛ عبد الإله الفاسي، مدينة الرباط وأعيانها، الرباط، 1996 ؛ الشريف الإدريسي، *نزهة المشتاق*، القاهرة، م. الحلوي، *معجم الفصحى في العامية المغربية*، الدار البيضاء، 1988 ؛ م. *الروض المعطار*، بيروت، 1975.

P. Groussin, *Notes sur la teinture au Maroc*, *Cahiers des arts et techniques d'Afrique*, n° 5, année 1955 ; M. Lacroix, *Notes sur les produits tinctoriaux d'origine végétale dans la région de Ouarzazate*, op. cit. ; A. Touchon, *Notes sur la teinture végétale dans le sud tunisien*, op. cit. ; L. Gatineau, *Notes sur le montagne d'une cuve à indigo*, op. cit. ; Ch. Zeigler, *Etude sur la tannerie et les industries connexes au Maroc*, Paris, 1923 ; H. Miner, *Le déclin des corporations de Fès*, in *B.E.S.M.*, vol. 30, n° 109, 1968 ; L. Coustillac, *La teinture végétale*, *Cahiers des arts et techniques d'Afrique*, n° 5, 1959 ; F. Speranza, *La peinture marocaine*, in *Revue Maqroc-Europe*, n° 2, 1992 ; F. Benoit, *L'empire de Fès*, Paris, 1931 ; P. Ricard [et al...], *Procédés marocaines de teinture des laines*, Rabat, 1938.

محمد بوسلام

الصبّاح (عرب ـ) قبيلة مستقرة في الحوض الأوسط والأسفل لأودية غريس وزيز بمقاطعتي تيزمي وقصور المعاضيد وفزنة والسيفة. وقد ذُكروا لأول مرة من لدن ابن خلدون وأرجع نسبهم إلى قبائل بني معقل العربية ويعتقد أن استقرارهم بتافيلالت يرجع إلى القرن العاشر (16 م) في الفترة التي كانت فيها هذه القبائل قد بدأت حصارها على السكان المستقرين بعد تخريب سجلماسة، وتأكد لنا وجودهم

بالمناطق المذكورة من خلال الرسالة التي أرسلها أبو حسون السملالي إلى مولاي محمد بن الشريف العلوي المؤرخة سنة 1061 / 1651، نفهم من خلالها أنهم كانوا أتباعا له خلال مقامه بتافيلالت حيث وزع عليهم أراضي في الرتب بزيز الأوسط. وبعد هذا التاريخ تجمع كل المصادر على وجودهم في القصور نفسها إلى حين ارتباطهم بحلف أيت يفلمان لمحاربة عدوهم المشترك المتمثل في حلف قبائل أيت عطة التي بدأت تنافسهم في تافيلالت.

ع. الرحمن ابن خلدون، *العبر*، بيروت ؛ م. المختار السوسي، *إيليغ قديما وحديثا*، الرباط، 1966، ص. 130.

محمد احدي

الصبّاحي، أسرة رباطية ـ سلوية يرجّح أن أصلها من قبيلة الصباح القريبة من الرباط وكثيراً ما كان فرسانها يغيرون على الجارتين سلا والرباط وخصوصا في القرن الثاني عشر (18 م) ومنهم قاسم ولد الجرارية الصباحي الذي يذكره الضعيف في حوادث 1205. ولا تسعفنا المصادر المكتوبة ولا الرواية الشفوية في الاطلاع على من ـ ربما ـ برز من هذه الأسرة ممن يستحقون الذكر بعد أن أصبحت أسرة الصباحي من الأسر الحضرية القاطنة بمدينة الرباط، فلا نعرف مثلا لماذا سمي أحد أزقة المدينة القديمة بزقاق الصباحي وهو أحد الأزقة التي تصل بين شارعي الگزا وسيدي فاتح. وتدل بعض المراجع على أن مدينة سلا برز فيها أعلام يحملون هذا اللقب أكثر من جارتها الرباط، فقد اشتهر فيها عبد السلام بن موسى بن طلحة الصباحي الذي كان حوالي 1283 / 1866 عدلا بسلا ثم صار نائبا عن القاضي. وكان حافظا ومقرئا ونحويا ومن أشياخ المؤرخ السلاوي أحمد بن خالد الناصري. وكان له ابن عم هو محمد بن طلحة الصباحي الذي كان فقيها ومؤدبا وكان أيضا من أشياخ الناصري. وهناك فقيه ثالث يحمل نفس اللقب في سلا أيضاً وهو بوعزة بن طلحة الصباحي وكان موجودا سنة 1279. ولا يعلم ما إذا كانت له قرابة مع شيخ الناصري. غير أن الصباحيين السلويين غلبت عليهم كنية "ابن طلحة".

م. الضعيف *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. العماري ؛ مصطفى بوشعراء، ملحق، *الإتحاف الوجيز*.

عبد الاله الفاسي

الصُّبَّار، أو الهَنْديَّة أو التِّين الشَّوكي أو كَرْمُوس النَّصارَى أو الزَّعْبُول بالعربية أو تَاكَنَّاريتْ أو تَاهَنْديتْ أو تَارُوميتْ بالأمازيغية، كلها أسماء لنبات أوبُونتْيَا فيكُوسْ إنْديكَا Opuntia ficus-indica الذي ينتمي إلى فَصيلة الصُّبَّاريات Cactaceae الأمريكية الأصل والتي تشمل حوالي 2000 نوع، جد مختلفة في أشكالها وقاماتها فمنها الكروية ومنها الشمعية ومنها المضربية الشكل. جميعها تعيش في المناطق الجافة وشبه الجافة نظراً لاختزانها الماء في سوقها وتقليص أو انعدام أوراقها. ولهذا انتشرت زراعة عدد كبير من هذه الأنواع في جل أرجاء العالم كنباتات زينة أو رعوية أو مثمرة.

والصبار أو الهندية شجيرة عصارية قد يصل علوها إلى حوالي 5 م. أغصانها مسطحة تشبه شكل مضرب كرة التينس، بيضوية أو ملعقية الشكل. طول الأغصان يتراوح ما بين 40 و50 سم، وعرضها ما بين 20 و30 سم، وسمكها ما بين 1 و3 سم. تبقى الأغصان خضراء لتلعب دور الأوراق في التخليق الضوئي لمدة تبلغ عدة سنوات. تظهر على وجهي الأغصان بقيعات بيضوية الشكل وتحمل بعض الأشواك ذات اللون الأبيض العاجي وذات طول يتراوح ما بين 2 و3 سم. تخرج الأغصان الفتية من البُقَيْعَات الموجودة في رأس الأغصان البالغة. تظهر على الأغصان الفتية ولفترة قصيرة أوراق لحمية صغيرة على شكل مخابيط مُقَوَّسَة. مع تقدمها في العمر تصير الأغصان أسطوانية الشكل فيعطي مجموعها متكونا من جذع جد متفرع. تظهر الأزهار منفردة، صفراء اللون، وذات أعداد غير محددة من البتلات والأسدية. الثِّمَار عنبية الشكل وذات حجم كبير نسبيا إذ تتجاوز بيضة الدجاجة، ومحتوية على عدد كبير من البذور ذات اللون الأسود.

الموطن الأصلي للهندية هو أمريكا الحارة من حيث جلبت إلى أوربا الجنوبية مروراً بجزر الكاناري وذلك إبان الرحلات الأولى لكْرِيسْتُوفُوسْ كُلُومْبُوسْ لاستعمال ثمارها لمعالجة مرض السكوربوت Scorbut وهو مرض يفسد الدم عند بني البشر. فغرست لهذا الغرض حول القلاع والحصون. ثم أدخلها العرب المهاجرون من الأندلس إلى شمال إفريقيا في القرن السادس عشر ميلادي. لهذا السبب، لم يذكرها آنذاك محمد حسن الوزان في وصفه لإفريقيا.

وبعد ذلك أدخلت إلى جل المناطق المتوسطية وجزرها وآسيا الجنوبية وإفريقيا الجنوبية و استراليا.

فإذا كان لفظ الصُّبَّار يدل على تحمل النبات للجفاف، فإن لفظ الهندية يدل على الموطن الأصلي الذي هو الهند الغربي. أما كرموس النصارى فتعني أن العرب هم الذين أتوا بها من الأندلس إلى المغرب. غير أن الفرنسيين عندما استعمروا شمال إفريقيا سموا النبات تين البربر وأكَنَّاري أو تَاكَنَّاريت تنسب إلى جزر الكناري.

غرست الهندية في المغرب في السهول والهضاب وسفوح الجبال الخاضعة لجميع البيومناخات المتعلقة بالطابقين تحت المتوسطي والمتوسطي الدافئ، وخاصة في المناطق شبه الجافة والجافة. وانتشرت بسرعة كبيرة على الأجرف والصخور الجبلية حيث صارت شبه طبيعية، وذلك بفضل الطيور التي تحبذ أكل ثمارها فتنثر بذورها في نفاياتها.

تتكاثر الهندية ببذورها كما هو الحال على الأجرف بواسطة الطيور، أو بأغصانها الخضراء التي تتجذّر بسرعة فائقة عندما توضع على الأرض.

أهم استعمالات الهندية هي استهلاك ثمارها طازجة من

طرف البشر في فصل الصيف، غير أن بعض الضروب تعطي ثمارها في فصلي الخريف والشتاء. وفي بعض المناطق تُجَفَّف الثمار لتُدَّخَرَ كمؤونة لاستهلاكها وقت الحاجة.

وتستعمل الضروب المشوكة أيضا كسياج حي يصعب اختراقه. في حين تفضل الضروب عديمة الأشواك لتحسين المراعي أو لإنتاج العلف للماشية في فصل الشتاء عندما يندر العشب أو التين. ولنفس الغرض تحرق الأشواك بتمرير الأغصان الفتية فوق النار قبل تقديمها للماشية.

بالإضافة إلى هذا تعرف للهندية استعمالات أخرى في مجال التطبيب التقليدي.

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc. évaluation et préservation de la biodiversité*. Paris, 2000. 360 p. ; A. Metro et Ch. Sauvage, *Flore des végétaux ligneux de la Mamora*. Soc. Sc. Nat. Phys. *Mar., Rabat. 1955* ; J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle, médecine arabe ancienne et savoirs populaires*, Paris, 1997.

عبد المالك بنعبيد

الصَّبّاغ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا *Sebec*. ومنهم **محمد** ابن العربي الصباغ عالم زاول خطة الإفتاء والشهادة بتطوان إلى أن حج سنة 1332 (1913) وكانت وفاته بالمدينة المنورة.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 1108.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **الصبّاغ**، أسرة مكناسية من قدماء بيوتات هذه المدينة أصلهم من الخزرج، ويصعد ذكرهم إلى القرن السادس (12 م) حيث ورد ذكر أحد أعيانهم عند ابن عبد الكريم في *المستفاد* : (مصورة خاصة نقطعة منه) فيأتي به اسم أبي إسحاق إبراهيم عرف بابن الصباغ : في سياق الرواية عنه المرة الأولى والثانية والثالثة، مع تحليته بالشيخ، ووصفه مرة بالمكناسي.

ثم استمرت الأسرة مذكورة حتى القرن الحادي عشر (17 م)، ولـ*نُشِرْ* ـ أولاً ـ إلى *الذخيرة السنية*، ط الجزائر ص 55 سنة 615 حيث يرد هذا الاسم : "وفي تاسع وعشرين من ذي قعدة من السنة المذكورة ولد الفقيه الصالح أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الخزرجي المكناسي المعروف بابن الصباغ".

وقد يكون هذا حفيد المذكور قبله.

ثم اشتهرت هذه الأسرة ـ أكثر ـ باسم العالم اللامع محمد ابن أبي الفضل ابن الصباغ، وكان موضع تنويه من عدد المترجمين : ابن خلدون وابن غازي وبابا السوداني ومؤلف طبقات المالكية وابن زيدان، وسواهم. وهو أحد الأعلام الذين استصحبهم معه أبو الحسن في رحلته لتونس.

وفي عصر أبي عنان يذكر اسم أحمد بن أبي الفضل ابن الصباغ الخزرجي ضمن لائحة الأعلام في المجلس العنائي، حسب الجادري في *شرح البردة* خ. ف 643، فيحليه هذا المصدر بالعارف بالفقه والحديث، الآية في علم التاريخ.

ومن الآثار المعمارية لهذه الأسرة بمكناس "مسجد سيدي الصباغ" عند مدخل زقاق الفرموتي في جهة حي "رحبة الزرع القديمة"، ولهذا الاسم كان ذكر هذا المسجد في "حوالة الأحباس الصغرى" بمكناس رقم 4 من قسم الحوالات بالخزانة العامة ص. 146.

وفي "ورزيغة" بضاحية مكناس كان "مدشر ابن الصباغ"، حسب موجب تقويم أرباب البصر المؤرخ في أول ذي القعدة عام 1029 (حوالة الأحباس الكبرى بمكناس) رقم 5 ص 284.

ثم ورد ذكر هذا المدشر في وثيقة مؤرخة في أواخر شوال 1052.

وتعتبر هذه الأسرة اليوم منقرضة.

محمد المنوني

ابن **الصباغ، محمد** بن **أحمد** المكناسي البعقيلي ثم الفاسي، من قبيلة بعقيلة السوسية. ظنه الزركلي من بني عُقيل فدعاه العُقيلي. ولد عام 900 / 1582 ودرس بفاس على أحمد ابن القاضي وأضرابه. عالم بالحساب والتوقيت والأسطرلاب والأوفاق. درّس هذه العلوم بفاس، وكان من بين من أخذها عنه وتخرج على يده عالم فاس الكبير عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي صاحب *الأقنوم*. وكان ابن الصباغ إلى ذلك مشاركاً في الحديث والفقه والفرائض، إليه المرجع في ذلك كله.

ألف كتباً عديدة، منها : *سلك فرائد البراقيت في الحساب والفرائض والمواقيت* (طبع على الحجر بفاس) وكان من الكتب الدراسية في القرويين وغيرها ؛ وكتاب *كشف قناع الالتباس عن بعض ما تضمنته من البدع مدينة فاس*، مخطوط ؛ وشرح أرجوزة الجزنائي : *النور المنير في صناعتي التوفيق والتكسير* (طبع كذلك على الحجر بفاس) *وإدراك البغية في شرح المنية* في الحساب لابن غازي مخطوط ؛ *وطبقات بعض الأعلام*، وقد خلط مترجمو ابن الصباغ المشارقة في نسبه فجعله بعضهم شخصين وترجم له ترجمتين مختلفتين وأدمج بعضهم عناوين مؤلفاته.

توفي بفاس عام 1076 / 65 ـ 666 ودفن بعين اصليتن بدار ابن عبد الكريم.

م. الإفراني، *صفوة*، ط. حجر فاس ؛ م. الخضيكي، *طبقات الخضيكي*، تح. أ. بوشرگو، د. د. ع. مرفون ؛ م. القادري، *نشر المثاني / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 4 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، ط. حجر فاس، ج 1 ؛ م. مخلوف، *شجرة النور*، بيروت، د. ت ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، ط 2، الرباط، 1990، ج 4 ؛ خ. الزركلي، *الأعلام*، ط 4، بيروت، 1979، ج 6 ؛

أ. رضى كحالة، *معجم المؤلفين*، دمشق، 1957، ج 8 : 279 و9 : 21 ؛ أ. المكناسي، *فهرس المؤلفين*، تطوان، 1952 ؛ إ. الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، سلا، 1988، ص. 203.

محمد حجي

ابن الصبّاغ، محمد بن **محمد** المكناسي الخزرجي يكنّى أبوه أبا الفضل. قرأ على علماء مكناسة وعلى مشايخ علماء فاس ومنهم الشيخ أبو عبد الله الآبلي (راجع مادة : الآبلي في المعلمة) فلازمه وأخذ عنه العلوم العقلية حتى صار كما قال ابن خلدون معاصره "مبرزاً في المعقول والمنقول، عارفاً بالحديث ورجاله، إماماً في معرفة كتاب الموطأ وإقرائه" (*العبر*، 7 : 838)، وقال عنه ابن مرزوق من معاصريه أيضاً "فقيه، نبيل، مدرك، حافظ، مفوّه، مقدام، عريض الدعوى" (*المسند*، 268). وهذا البروز العلمي جعله يصبح أحد أعضاء المجلس العلمي للسلطان أبي الحسن ومن مرافقيه في حركته إلى تونس حيث أفاد من علمه حيثما حلّ، إلى أن توفي غريقاً في أسطول أبي الحسن الذي تحطّم شرقي الجزائر أواخر سنة 750 (جعل الونشريسي وابن القاضي هذه الحادثة سنة 749 في *ألف سنة من الوفيات*، 117 ـ 200 ؛ *والجذوة*، 301).

ابن مرزوق، *المسند الصحيح*، ص. 138 ـ 268 ؛ ابن خلدون، *العبر*، 7 : 838 (ضمن "التعريف بابن خلدون") ؛ ابن غازي، *الروض الهتون*، ص. 16، الرباط، 1952 ؛ الونشريسي، *الوفيات* (ضمن كتاب *ألف سنة من الوفيات* ص. 117، محمد حجي)، الرباط، 1976 ؛ ابن القاضي، *لقط الفرائد*، ص. 200 (ضمن "ألف سنة من الوفيات") ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، ص. 301، الرباط ؛ التنبكتي، *نيل الابتهاج*، 244 ـ 245 (كتاب على هوامش الديباج المذهب).

أحمد عزاوي

الصباغ، مصطفى بن محمد التطواني أديب كاتب وصحفي بارع، عمل مدة محرراً في جريدة العلم، وكان ما ينشر فيها شيقاً جذاباً لأسلوبه الجيد وطرافة الموضوعات التي يتطرق إليها.

توفي في حادثة سير بين تطوان والرباط مأسوفاً على شبابه وأدبه، في أوائل ربيع الثاني عام 1386 / أواخر يوليوز 1966 ودفن بمسقط رأسه تطوان.

جريدة العلم أعوام السبعين والثمانين من القرن (14 هـ) ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 9: 3394.

محمد حجي

الصباغ وهبي، أحمد بن عبد القادر، مقاوم ولد سنة 1922 بمدينة الدار البيضاء. عمل في صفوف المقاومة السرية المغربية وناضل مع باقي اخوانه المقاومين من أجل استرجاع سيادة البلاد.

كان معروفا بتهريب المقاومين المحكوم عليهم بالإعدام من السجن ويقوم بإعانة الأراصل من ماله الخاص، وعرف بذلك بإخلاصه وتفانيه في سبيل استقلال وعزة البلاد.

ألقي عليه القبض من السلطات الاستعمارية وسجن أول الأمر بالدار البيضاء بتاريخ 21 / 12 / 1954 ثم بسجن القنيطرة 3 / 5 / 1955 وحكم عليه بالإعدام وبيع سيارته

التي كان يهرب فيها المقاومين ولكنه تمكن من الفرار من سجن القنيطرة إلى أن توفي وهو يقوم بواجبه الوطني بتاريخ 30 شتنبر 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 522133.

الصبّان، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Çabena - Çaben. ومنهم أحمد بن عبد السلام الصبان فقيه كان من بين الذين شهدوا ضد الباشا السابق عبد الكريم ابن زاكور بأنه تصرف في أموال بيت المال لصالحه في صفر 1180 (1767). ومحمد بن محمد فقيه زاول خطة العدالة بتطوان من سنة 1270 إلى 1285 (1854 ـ 1868) وذلك كأنه ظل بالمدينة أثناء الاحتلال الإسباني لها من سنة 1276 إلى 1277 (1860 ـ 1862) وكانت وفاته سنة 1285 (1868). ومحمد بن عبد الله الصبان فقيه تولى خطة العدالة سنة 1281 (1864).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 1107.

محمد ابن عزوز حكيم

الصبان أبو **زكرياء** المكناسي، المعروف بسيدي بوزكري، من أشهر أولياء مدينة مكناس، وضريحه وروضته مزارة مقصودة للتبرك، ورغم شهرته لا تعرف له ترجمة عدا ما يوجد عرضا في ثنايا مؤلفات عبد الرحمن ابن زيدان، خاصة من خلال تراجم الشخصيات الواردة في كتاب *الإتحاف*، كما هو الحال في ترجمة محمد بوزگري، وعبد الحق بوزكري وهم من آل الولي المذكور حيث جاء وصفه فيها بالولاية والصلاح وعلو الشأن.

وكان للملوك الدولة العلوية اعتقاد كبير فيه فلا يدخلون مدينة مكناس خاصة إذا كانوا قادمين من جنوبها إلا بعد زيارتهم لضريحه. ولذلك خصوه بتحبيسات كثيرة شملت أراضي شاسعة. وبروضته توجد قبور عدد من أبناء المولى إسماعيل، فالمولى محمد بن عبد الله حبس - من جملة ما حبس على هذا الولي - حسب ما ورد في الجزء الثاني من *حوالة الأحباس الكبرى* (ص. 256 - 257) "ستة وثلاثين مثقالا للطلبة الذين يقرأون الحزب، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم على قبر والدته وأعمامه الذين معها في روضة أبي زكرياء الصبان".

حوالة الأحباس الكبرى، الجزء 2، ص. 256 - 257 ؛ ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، الجزء 1، ص. 53 - 174 ؛ الجزء 3، ص. 248.

رقية بلمقدم

الصبان، محمد الفاسي موسيقي. أخذ أصول الموسيقى الأندلسية حفظا وعزفا وإنشاداً عن شيخ جماعة الموسيقى بفاس الحاج حدو بن جلون. ذكره عالم الرباط إبراهيم التادلي في كتابه *"التذكار لما في التذكرة من الطب مع الأختصار"*، فرتبه ضمن شيوخه الذين أخذ عنهم مستعملات الموسيقى الأندلسية بفاس خلال إقامته بها للدراسة، فقال : "كان يأتيني للمدرسة وأذهب إليه، ويعلمني ما عنده. كان ولا ألذ من صوته".

وإلى مهارته في الإنشاد فقد كان جيد الضرب على آلة العود، وفي ذلك يقول التادلي في كتابه *السقا ومغاني الموسيقى*" : "شيخنا الفقيه السيد محمد الصبان الفاسي، كان يحسن ضرب العود غاية.

وإلى مواهبه الموسيقية فقد كان الصبان حلو المعاشرة، وافر الاطلاع حتى قال عنه تلميذه التادلي : "فإذا آنسك بالموسيقى وفرغ منها آنسك بأخبار الأمم وأيامهم. ولم أر هذا في شيخ من شيوخ الموسيقى".

التادلي إبراهيم، *التذكار لما في التذكرة من الطب مع الاختصار*، بتفل محمد المنوني، البحث العلمي، ع 14 و15، السنة 6 يناير - دجنبر، 1969، ص. 160 ؛ *أغاني السقا ومغاني الموسيقى* مخطوط، ص. 34.

عبد العزيز بن عبد الجليل

صُبْح، جارية رومية جميلة تسراها الطبيب الأديب أحمد ابن محمد ابن شعيب الجزنائي (ت. 749 / 1349) (انظره في *المعلمة*) "فأدبّها حتى لُقنت حظاً من العربية ونظمت الشعر، وكان شديد الغرام بها، فهلكت أشدّ ما كان حباً لها وامتداد أمل فيها، فكان بعد وفاتها لا يُرى إلا في تأوه دائم وأسف متماد، وله فيها أشعار بديعة في غرض الرثاء" (*الإحاطة*، 1 : 280).

أورد ابن الخطيب قصائد ومقطعات قالها الجزنائي في صبح، منها :

أصْباحُ أيامي ليالٍ كلها ... لا تنجلي عن صبحك المتنفّس

وكذلك أورد ابن الاحمر في *نثير الجمان*، وابن القاضي في *جذوة الاقتباس*، وغيرهم ممن ترجم للجزنائي مقطعات أخرى في رثاء صبح.

ل. ابن الخطيب، *الإحاطة*، تح. ع. الله عنان، القاهرة، دار المعارف، د. ت. 1 : 280 - 285 ؛ إ. ابن الأحمر، *نثير الجمان*، بيروت، 1967 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1973، ج 1 : 119 - 121.

محمد حجي

الصُبِحي، أحمد بن أبي القاسم - بضم الصاد وكسر الباء - من بني صُبح القاطنين على وادي سبو. دخل مدينة فاس طلبا للعلم وحصل علم الفروع على يد الشيخ أبي عبد الله محمد المسناوي وغيره وتضلع في الفقه وأصبح مفتيا معتمداً في فتاويه على المشهور. وكان القاضي علي أبو عنان يستشيره في الأحكام. ولما ولي القائد محمد بن علي الزموري على فاس اتخذه كاتبا له ؛ فحسنت حاله. وأما مشربه الصوفي فيتجلى في لقائه بالشيخ مولاي الطيب الوزاني والتبرك به ولما توفي بالطاعون في 20 ربيع الأول عام 1156 هجرية تم دفنه بمقبرة الفقراء التابعين لزاوية وازان بفاس المعروفة بروضة محمد جاء الخير.

محمد بن الطيب القادري، *نشر المثاني*، 4 : 40، تح. محمد حجي وأحمد التوفيق ؛ محمد بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 1 : 30.

محمد ماكامان

صِبَرة أو صيبارة قرية بائدة يقع ترابها سابقاً بشرق مدينة سلا، ويمتد من باب فاس إلى ما وراء سهب القايد شرقاً، ويسير الخط نحو الشمال إلى ما يسمى الآن تابريكت نسبة إلى عين البركة التي كانت تسقي صيبارة، ثم نحو الجنوب إلى هضبة مَطّانة. المحرفة عن مَطّالة التي هي جمع مَطّال وهو صانع الحديد يضربه ساخناً حتى يمده ليطول، ولا تزال بهاته المنطقة أكيار الحديد قائمة قرب الخندق، فكانت مطانة امتداداً لقرية صِبَرة، تُضرب فيها الخيام وتصنع حذوات الأفراس وغيرها من لدن السمارين والمَطّالين للوافدين عليها.

نزل الصيباريون بشرق سلا كما تقدم حيث تقوم اليوم مؤسسات بحي المزرعة منها مستشفى أمراض العيون وآخر للأمراض العقلية، ومقبرتان واحدة للمسلمين (مقبرة أبي العباس بن أحمد بن يوسف المعروف في بعض المراجع بأبي العباس بن طلحة المتوفى سنة 540) والأخرى لليهود (أي المبعارة)، هذا زيادة عن مشهد رجال صيبارة وزاوية النساك.

والظاهر أن استيطانهم المنطقة كان كما قال محمد ابن علي في *الإتحاف الوجيز* من أجل حراسة "المدينة وما حواليها من يسومها بسوء، حتى كان يسوغ لأهل سلا أن يُصَيّفوا بأجنة مَطّانة، لأمن البلاد بأولئك النُّزّل. وكانت قصور أهل سلا ومنتزهاتهم بأجنة مَطّانة ممتدة إلى ماء إسْمِير أي الوجلة الحالية (*الإتحاف*، 58).

وتروي المصادر أن أهل هاته القرية كانوا كثيري العدد وأن منهم من كان يسكن الأخْصاص ومنهم من كان يسكن الخيام ومنهم من كانوا يسكنون داخل المدينة. كما أنهم كانوا شديدي التمسك بالدين فكانوا حسبما قيل يخرجون من المدينة ليلاً ويقصدون زاوية النساك بمئات من الفنارات والمصابيح لتحصيل فضل الجماعة بتلك الزاوية، وهذا شيء ناقشه ومجده مؤلف *الإتحاف الوجيز* ذاكراً أنه لم يكن الناس محتاجين إلى الصلاة جماعة هناك لوجود المساجد بالمدينة السلاوية وعلى رأسها الشهباء والجامع الأعظم.

أما تاريخ وجود قرية صيبارة فهو سابق عن العهد المريني، إذ أن أبا عنان أنشأ هناك سنة 757 حبا في أهل القرية زاوية النساك لنزول الواردين عليها من الغرباء والمنقطعين وذوي الحاجة وكبراء الدولة وأعيانها وإطعامهم، مثلما أحدثها في أماكن أخرى من المغرب لهاته الغاية.ولم أقف على ما قد فعله رجال الآثار في الكشف عن معالم القرية وبيان سبب خرابها الآن. ومما لاشك فيه أن خلاء صيبارة كان بسبب الفتن التي قامت في عهد بني مرين ولا سيما في آخره واستمرار ذلك، زد على ذلك أن سكنى الصيباريين بالأكواخ والخيام ليس مما يدعو إلى المقام بها طويلا، لتعرضها احتمالاً للعواصف والأمطار والرياح وغير ذلك من الأحوال الجوية، فلربما لو بنيت بالأحجار والطابية لدامت طويلاً.

أهل صيبارة يخاطبون بالتشريف، ولا شك أن رحليهم كان لجهات مختلفة لا سيما نحو الشمال. لهم الآن زاوية بقبيلة سفيان، أي أنهم كانوا يقيمون هناك بوصفهم برانيين عن سفيان. ولا أرى ما علاقة هؤلاء بالصيابرة الموجودين بقبيلة الخلط حيث يسكن أفرادها اليوم قرب عين تيسْوات جوار مصطاف مولاي بوسلهام من قيادة للامَيمونة تاگْناوَت، وهم معروفون أيضاً بقبيلة بني أحسن بطن أولاد خليفة فرقة أولاد مَحمد وفخذة أولاد غانم بطن أولاد عبد الله، فرقة الصفافعة والكل بإقليم القنيطرة شمالاً.

م. بن علي، *الإتحاف الوجيز*، 58، 69، 70، ط 2 : م. بوشعراء، *علاقات المخزن بأحواز سلا*، 200، 205 ؛ *الأصول الاجتماعية لأهل سلا*، مخطوط المؤلف.

V.T.M., Rabat, Tome IV, 132 - 151.

مصطفى بوشعراء

صَبْري، العربي مقاوم ولد سنة 1933 بأنزگان إقليم أگادير. حفلت حياته بالأعمال النضالية والكفاح من أجل نيل حرية البلاد واستقلالها حيث برهن من خلال عدة أعمال فدائية قام بها إلى جانب إخوانه المقاومين عن وطنيته القحة وتضحيته الجسيمة من أجل تحرير الوطن من ربقة الاستعمار حيث كان يقوم بتوزيع المناشير على السكان لنشر الوعي بين المواطنين وحثهم على التصدي للاستعمار الغاشم وعدم الرضوخ له. وقد ظل كذلك إلى أن تحقق المبتغى وتم استقلال البلاد.

توفي يوم 31 . 1 . 1995 .

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 507287.

صُبُويَا، من قبائل أيت باعمران التي تنسب كلها إلى الجد الأعلى يحيى، وتنص أعراف أيت باعمران القديمة على تقسيم القبيل، إلى أيت بَاهَا أيحيى، ويتركزون في الجنوب الشرقي من إقليم أيت باعمران، بينما يتركز إخوانهم أيت بوبكر أيحيى في الشمال الغربي.

وقبيلة ـ صُبُويَا ـ من اللَّفّ الأول في أقصى الجنوب، وتشمل قمم الجبال المطلة على المحيط الأطلسي، وقد استفسر السلطان الحسن الأول عن معنى الكلمة، فأوّلها بعضُهم بالصّبْرَة أي "عمل الأطفال"، نظرا لما أحدثوه من إزعاج، تراكمت عدة أسباب لإبرازه، كالمجاعة التي حلت بالإقليم، وكبُعْد المخزن المركزي على حد قول السلطان نفسه : "مع كون البلاد لم تتحكم بالمخزن مدة من السنين، تنيف على عدد السّتّين" (*الاستقصا*، 176) وكذلك أطماع الأجانب منهم الإسبان الذين "قد عزموا على الأخذ بشرطهم المذكور في معاهدة تطوان" (المرجع نفسه).

كما حاول البعض جعل كلمة ـ صُبُويَا ـ من أصل إسباني، وكلا التفسيرين عن الحق زائغ، فالكلمة أمازيغية محضة ـ معناها ـ أَفْلُمُونْ ـ ج إفُلْمَانْ للجلباب، وتعني سلسلة من قمم جبال على شكل أهرام هندية مثل القُبّ تماما، وهذا المصطلح مازال يستعمل في أدايْ بتافراوْت ويطلق على تلك القمم، بينما أصبح في أيت باعمران يطلق على القبيلة من باب إطلاق الحال وإرادة المحَلّ.

وهذه الكلمة تكتب هكذا في أعراف أيت باعمران القديمة، بل حتى المجددة مثل عرف سنة 1272 وعرف سنة 1290 وعرف سنة 1293.

ونسبة الرجل إلى القبيلة ـ أصْبَايُو، ونسبة الأنثى تاصْبَايّوتْ ـ وفي محاولة العدول يكتبون أحيانا ـ إصْبُويَا ـ كما ورد عند ابن زيدان وفي *الاستقصا*، والبعض ينسب هكذا الصّبُوي أو الهصباوي مما يفقد المصطلح معناه الجغرافي، مثل ـ هشتوكة وهلالة ...

كانت قبيلة ـ صُبُويَا ـ قبيلة متواضعة، تعيش على تربية الماشية وتربية النحل، ونظرا للجفاف اشتغلت بالتجارة، لكونهم همزة وصل بين شمال المغرب وجنوبه، ولتعلمهم اللسان الحساني من الرعاة الصحراويين الذين يستقرون في أرض القبيلة حتى يزول الجفاف فتصنعوا تلك اللهجة. وإلى ذلك أشار ابن زيدان بقوله : " وقبائل أيت باعمران هذه كثيرة تفوق الحصر، يتكلمون العربية والسوسية" *الإتحاف* ج 2، ص 210. هذا وقد أثنى ابن زيدان رحمه الله على أيت باعمران، وأسبل عليهم صفات تستحق أن تخلد في *معلمة المغرب* إذ قال : "ولأيْت باعمران كرم زائد وشجاعة، وهم أباة الضّيْم، أهل شمم ونخوة ... يكرمون الضيف" *الإتحاف*، ج 2، ص. 210.

وبظهور أطماع الأوربيين في ساحل أيت باعمران، وخاصة بعد انسحاب الإسبان من مراسي المغرب بعد استيفاء ما بقي من شروط معاهدة تطوان، ـ ومع الأكل تأتي الشهية ـ لذلك ظهرت أطماع ما كيتري وكورطيس في جنوب المغرب، وكان موقع ـ أساكا ـ (المجاز) وأركْسيسْ من أنسب المواقع لتأسيس مرسى بأقل كلفة.

وقد اضطرت المجاعة السكان إلى أن يهرعوا إلى المواد التي يخرجها التاجر الإنجليزي، فانجرّ إلى ذلك شيخ قبيلة ـ صبويا ـ مضطرًا وهو مبارك نْدْ ـ يَاگو ـ وقد أدرك السلطان تأثير هذه المسغبة على الإقليم فعزم على فتح مرسى أساكا هناك باسم الدولة المغربية وليس باسم الأجانب، ومما ورد في رسالة السلطان تجاه هذا المشكل قوله : "حتى سَوّلت له نفسه فتحها على يد بعض تجار الدول" *الإتحاف*، ج 2، 215.

وكلمة بعضهم لا تخص قبيلة ـ صبويا ـ وحدها، بل تعم بَايْرُوكْ التكني حسب رسالة السلطان سيدي محمد إلى أخيه مولاي العباس، منها "فإنّ بَيْرُوكْ التَّكْني تواطأ مع بعض النصارى على البناء بشاطيء أرضهم" *الإتحاف*، ج 1، ص. 381، كما تعم المرابط الحسين أهاشم شريف ـ تازْرْوالْت ـ مع أعيان قبيلة أيت إخْلْفْ في موضع ـ رْكُونْتْ ـ مع شركة فرنسية، إلا أن مرسى أركْسيسْ بقبيلة ـ صبويا ـ نالت السبق. مما دفع بعامل المخزن بسوس إلى القبض على التاجر الانجليزي ومعه جماعة. وقد أثارت هذه الواقعة ردود فعل، منهم من ذهب من الفقهاء الموالين للحاحي سعيد إلى هجو قبيلة ـ صبويا ـ وبالغ ـ سامحه الله ـ حتى عد عملهم ذاك شركا وكفرا إذ سمّى عمل العامل المخزني في ـ صبويا ـ "فتحا" كما أفتى بإباحة أموالهم ودمائهم فقال قصيدة منها :

فأمْوالُهم مُباحَةٌ ودماؤُهُم تُراقُ بسَيْفِ الشَرعِ من دُونِ ما نُكْرِ

عن المعسول، ج 15، ص. 224.

أوْردنا هذا للتاريخ، ومازالت الأشراف تُهجي وتمدح، ولقبيلة صبويا مكانة لا تجحد في المقاومة الوطنية وجيش التحرير، ومعركة ـ أصْدْرْ ـ وشجاعتهم في انتفاضة أيت باعمران ضد التجنيس سنة 1947 بقيادة القائد أحمد اصبايّو، والشيخ سعيد الخمسي، وايت باعمران بدون استثناء، رَمْزٌ مُشَاعٌ للمقاومة والوطنية.

أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 9، ص. 176 ؛ ح. الجهادي، *بحث ميداني في إقليمين، أعراف متداولة بخطوط عدول وقضاة*، *الإتحاف*، ج 2، ص. 210 ؛ نفسه كاملا، *الإتحاف*، ج 2، ص. 215. 381 ؛ *المعسول*، ج 15، ص. 224.

حسن جهادي

صُبيح، قبيلة عربية من بطون بني مالك المقيمين بشمالي مدينة سلا، وجدهم صبيح بن علاج بن مالك، كان "لهم عدد وقوة وهم يظعنون بظعن سويد ويقيمون بمقامهم (*العبر*، 6 : 102) ويعد بنو مالك أحد الشعوب الخمسة المكونة لقبيلة زغبة الهلالية الكبرى، نسبة إلى الجد الجاهلي زغبة بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر، ويوجد فريق من صبيح ببلاد اكتاوة في درعة، وفيها قصر بني صبيح على الطريق التي كانت تربط المغرب بالسودان الغربي.

وإلى قبيلة صبيح ينتمي الشاويون سكان بلاد تامسنا من جدهم حسان بن أبي سعيد الصبيحي الذي دخل هو وأخوه موسى إلى المغرب الأقصى أيام السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني.

ع. الرحمن ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1959، ج 6 : 95، 102 ؛ ع. الوهاب بن منصور، *قبائل المغرب*، الرباط، 1968، ص. 422، 423.

محمد حجي

ابن **صبيحْ**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني سعيد الغمارية وقد أنجبت بعض الفقهاء مثل : عبد المجيد بن أحمد ابن صبيح الذي تعاطى خطة العدالة سنة 1120 (1708). ومحمد ابن صبيح، الذي كان يزاول خطة العدالة بتطوان سنة 1142 (1729). ومحمد بن عبد المجيد ابن صبيح الذي زاول نفس الخطة سنة 1191 (1777).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 287.

محمد ابن عزوز حكيم

الصبيحي، أسرة سلوية نبيلة، تنتسب إلى قبيلة صبيح العربية المتفرعة عن قبيلة بني مالك من زغبة الهلالية، المستقرة ببلاد أزغار شمالي مدينة سلا. أنجبت كثيراً من الفقهاء والصلحاء والأمناء والولاة. وتوارث الصبيحيون حكم مدينة سلا منذ أواخر القرن الثالث عشر (19 م) إلى منتصف الذي يليه (20 م).

وهناك آل الصبيحي الصحراويون من قبيل ذوي منيع، نزحوا إلى وادي درعة ضمن القبائل التي طرأت على واحات هذا الوادي في مطلع القرن الثالث عشر (19 م) فاستوطنت قصر بني صبيح بواحة أكتاوة الذي كان من أكبر المحطات التجارية بواحات درعة، تلتقي فيه القوافل من سوس وتافيلالت وبلاد السودان.

الصبيحي، أحمد بن محمد السلوي. ولد بمدينة سلا في شهر صفر عام 1300 يناير 1882، وبها نشأ وتعلم، حفظ القرآن وجوّده بقراءة ورش إفراداً على يد الأستاذ أحمد بن أحمد البارودي (ت. 1310 / 1893) وحقق قراءة ورش وقالون جمعا وأتقن القراءات السبع على يد شيخ جماعة القراء بسلا محمد بن عبد الله بريطل (ت. 1334 / 1916) الذي يتصل سنده بالإمام محمد ابن غازي المكناسي الفاسي (ت. 919 / 1513) بسنده المذكور في فهرسه : *التعلل برسوم الإسناد*. ودرس قواعد اللغة وعلوم الشريعة بمسقط رأسه كذلك على عدد من الشيوخ، كخاله القاضي محمد بن أحمد السدراتي، والحسن بن إسماعيل، ومحمد حتّى الزموري، ومحمد المنصوري، وعبد القادر التهامي، وأحمد بن الفقيه الجريري.

ثم قضى بفاس أربع سنوات في الأخذ عن كبار علمائها، أمثال قاضي الجماعة بها عبد الله بن خضراء السلاوي، وعلي بن الطيب الدرقاوي، ومحمد القادري، وأحمد بن الخياط، وأحمد بن الجيلالي، ومحمد گنون، وعبد السلام الهواري، وغيرهم. وقد أجازه بعض هؤلاء الشيوخ إجازات عامة توجد نصوصها في *كشكول* المترجم. وبذلك تخرج أحمد الصبيحي عالماً مشاركاً في العلوم اللغوية والنقلية والعقلية، متخصصا في القراءات التي يعدُّ من أعلام عصره المبرَّزين فيها.

مكث أحمد الصبيحي بسلا، بعد رجوعه من فاس، نحو اثنتي عشرة سنة يشتغل بالكتابة في الباشوية والعدالة في مرسى العدوتين وتولي خطة الحسبة، وكان يقوم في نفس الوقت بإلقاء دروس في الحديث والسيرة والفقه واللغة والأدب، وأكثر ما كان يدرّس القراءات في جامع سيدي أحمد حجي بجوار سكناه. ثم عُين ناظرا لأحباس أسفي سنة 1336 / 1918 فلم يبق فيها سوى ثلاث سنوات، نقل على إثرها إلى الكتابة بوزارة الأحباس لبضعة أشهر، ثم إلى نظارة الأحباس الكبرى وأحباس الحرمين الشريفين بمدينة مكناس حيث بقي سبع عشرة سنة (1922 ـ 1938) يزاول هذه المهمة الدقيقة بكفاية ونزاهة، أضيف إليه خلالها النظر في الأحباس الصغرى والزوايا بمكناس. ومعلوم أن أحباس مكناس من أغنى الأحباس في المغرب بسبب أوقاف السلطان المولى إسماعيل، ومن جملتها تحبيسه زيتون غابة حمرية بمكناس على الحرمين الشريفين. وأخيراً رجع أحمد الصبيحي لمسقط رأسه ناظراً لأحباس سلا حيث أنهى بقية مدة وظيفه.

كان أحمد الصبيحي، إلى جانب الأعباء الإدارية المنوطة به، نشيطا في الميدان العلمي، يبحث ويحاضر ويكتب في الصحف، ويناقش المستشرقين ويساجل الشعراء ويؤلف في مختلف الموضوعات اللغوية والأدبية والتاريخية والاجتماعية. فعندما كان محتسبا بسلا ألف كتاب *أصول أسباب الرقي الحقيقي* محللا جوانب الدين والعلم والفلاحة والتجارة والصناعة والاقتصاد، ونشر *الرحلة المغربية المكية* بجريدة *السعادة*، كما نشر مقالات في بعض الدوريات، اشتهر منها نقده لبعض إنتاج الشاعر المطبوع عبد الله القباج وبيان سرقاته الأدبية بكيفية موضوعية وموثقة، الأمر الذي كان له صدى واسع في الأوساط الثقافية حتى دعاه شيخ المحدثين والسلفيين ونائب الصدر الأعظم آنذاك العلامة شعيب الدكالي "محتسب العلماء".

وفي أثناء عمله بأسفي ألّف ثلاثة كتب عن هذه المنطقة، هي : *باكورة الزبدة من تاريخ أسفي وعبدة* ؛ وعيسى بن عمر *وفظائعه* ؛ وصلحاء أسفي وعبدة. على أن فترة توليه نظارة مكناس هي أزهى فترات حياته العلمية وأغزرها إنتاجاً. فهناك نشر كتاب *بعض العادات المغربية* (1925) ؛ و*أمثال العجائز* ضمّنه ثلاثمائة مثل نقلها إلى الفرنسية عبد القادر ابن شهيدة ونشرت الترجمة مع النص العربي (1930) ؛ و*المقتطف اليانع من روض الحديث الجامع* نظمه في خمسة مقاصد، وأتى فيه بنحو سبعمائة حديث شرحها مرتبة على حروف الهجاء (1934) ؛ و*الرُّحيلة الثانية إلى مصر* (1935) ؛ ونبذة من *ديوان أحمد الصبيحي*، انتقاء عبد القادر ابن شهيدة (1937) و*معجم إرجاع بعض الدارج في المغرب إلى حظيرة أصله العربي* الذي خرّجته ونشرته الخزانة الصبيحية بسلا سنة 1990.

ولأحمد الصبيحي كتب أخرى ما تزال مخطوطة، أهمها *الكشكول* في خمسة أجزاء، سمى الأول *الفالوذج*، والثاني *الدرر*، والثالث *الروض*، والرابع *مسك دارين*، والخامس *نسيم السحر*. وهي عبارة عن كناشات علمية متنوعة الموضوعات، احتوت على كثير من الرسائل والمنظومات في مختلف الفنون، إضافة إلى إجازات وقصائد مطولات ومقطعات مختارة لشعراء قدماء ومعاصرين، ووفيات بعض أعلام المغرب وبخاصة العدوتين وفاس. ابتدأ الصبيحي جمع هذا الكشكول وهو ابن اثني عشر عاماً، وربما استمر عمله فيه إلى ما قبيل وفاته، ولذلك يتضمن، فيما يتضمن، أخبار طفولته وقراءاته الأولى، وتراجم شيوخه من الكتاب إلى جامع القرويين ومعاصريه من الأدباء والشعراء، ومقتطفات من آثارهم العلمية والأدبية نقلها من خطوطهم، لا سيما عبد الله بن خضراء، وأحمد بن خالد الناصري، والطيب عواد، ومحمد حركات، وإدريس الجعيدي، والعربي بن السائح.

توفي بسلا يوم الأربعاء 15 محرم 1363 / 2 يناير 1944.

أ. الصبيحي، نفسه، *الكشكول*، مخطوط، خ ص في خمسة أجزاء ؛ وثائق أصلية خطية، خ. ص ؛ م. حجي، تقديم *معجم إرجاع الدارج في المغرب إلى حظيرة أصله العربي*، سلا، 1990 ؛ *فهرس الخزانة العلمية الصبيحية*، سلا، الكويت، 1985.

محمد حجي

الصبيحي، أبو **بكر** بن الهاشمي السلوي، ولد بسلا سنة 1320 / 1903 من أسرة عريقة عملت مدة أجيال في

خدمة الدولة المغربية، خاصة في مراكز السلطة. حصل على شهادة الكفاءة في الحقوق والعلوم السياسية من معهد الدراسات العليا في الرباط الذي أنشأه نظام الحماية وكان بمثابة كلية الحقوق والعلوم الإنسانية وعين في إدارة الشؤون الشريفة وهي الإدارة التي كانت الواسطة بين سلطان المغرب والحماية الفرنسية. ثم سمي مديراً لديوان باشا الدار البيضاء أكبر الحواضر المغربية سنة 1937. وكان له اهتمامات بالشؤون الاجتماعية بالدار البيضاء. عاد إلى وظيفه الأول بإدارة الشؤون الشريفة في المحكمة العليا فأبان عن كفاءة قانونية وإدارية عالية.

اشتغل لمدة قصيرة في القطاع الخاص كمدافع امام المحاكم المغربية إلى سنة 1949، ثم عين عضواً في المحكمة العليا. وكان من مؤسسي النادي الأدبي الإسلامي بسلا الذي كان له دور ثقافي بارز في الثلاثينيات والأربعينيات بسلا.

منذ نشأة الحركة الوطنية وهو متصل بها عن طريق شقيقه عبد اللطيف الذي كان أول من نبه إلى خطورة الظهير البربري الذي استصدرته الحماية لتمزيق وحدة المغرب وعن طريق كثير من قادة الحركة الذين كانوا زملاءه في الدرس والتحصيل. قام بدور كبير في فرع حزب الاستقلال بسلا إبان اشتداد الأزمة المغربية ـ الفرنسية وكان من الموقعين على وثيقة 11 يناير 1944 للمطالبة بالاستقلال فانفصل عن الوظيف.

وبعد الاستقلال عين عضواً ملحقاً في الديوان الملكي كمحافظ على الوثائق والأرشيف لتخصصه في هذا المجال. ولم يتوان عن مواصلة أعماله الاجتماعية بما عهد فيه من نشاط.

سقط ضحية حوادث الصخيرات بالرباط يوم 16 جمادى الأولى عام 1391 / 10 يوليوز 1971 اثر الانقلاب الذي حاول القيام به فريق من ضباط الجيش الملكي.

أ. الصبيحي نفسه، ترجمته بقلمه، كناشة، مخطوط، خ. ص.

الصبيحي، الطيب (الحاج ـ) بن الحاج محمد عامل سلا بعد عبد الله بنسعيد. ولد سنة 1266 / 1850 وتوفي سنة 1334 / 1916. تعاطى التجارة وسافر من أجلها إلى جهات مختلفة مثل فاس ووهران. عين سنة 1306 / 1889 أميناً بعدة مراس أولها أسفي وآخرها الجديدة. وفي سنة 1323 / 1905 أصبح قائداً لمدينة سلا.

كوستي وعشاش، *بيوتات مدينة سلا*، تح. فجاة المريني، ص. 105، 106 ؛ م. بوشعراء، *ذيل الإتحاف الوجيز*، 242، ط 2 ؛ *وثائق بنسعيد ووثائق*، خ ص.

مصطفى بوشعراء

الصبيحي، عبد العزيز، الدرعي الأكتاوي المعروف بالشيخ لَعْزيز. بدأ مسيرته السياسية كواحد من أعيان جماعة قبيلة بني صبيح ممثلا لعظمه ومدافعا عن مصالحه. ونظراً للطريقة التداولية التي تتبعها قبائل القصور بدرعة لتولي مشيخة القبيلة، وصل لَعزيز الصبيحي إلى منصب مشيخة قبيلة قصر بني صبيح في بداية النصف الثاني من القرن الثالث عشر (19 م).

كشف الشيخ لعزيز عن موهبة سياسية كبيرة، حيث تمكن من كسب عطف كل سكان القصر بما في ذلك الطائفة اليهودية وشيخها موشي نايت ميجُّو، إذ كان جوادا مضيافا لا يبخل على من قصده سواء من سكان القصر أو غيرهم من أهل أكتاوة ودرعة، فسارت بذكره الركبان. كان الشيخ لَعزيز يتطلع إلى فرض هيمنته على القصور المجاورة لقصر بني صبيح تمهيداً لمد نفوذه على كل قبائل واحة أكتاوة، إلا أنه اصطدم بشيخ قبيلة قصر بني حيون في وقته محمد البشْرَى بن عبد الملك الحيوني الذي لم يكن يقل طموحا عن الشيخ لعزيز، ولا نفوذاً ومكانة بين قبائل اكتاوة، وقد تفاقمت الصراعات والدسائس بينهما إلى أن استنجدا بقبائل أيت عطا فكان تدخلها وبالاً على المتنافسين معاً. ومات الشيخ العزيز الصبيحي في حدود 1290 / 1873.

وثائق محلية، اتفاقيات، رسائل ؛ الفقيه الحيوني، *رحلة الحيوني*، مخطوط ؛ الفقيه التنوگالي، *العقود الجوهرية*، مخطوط.

G. Spillmann, *Districts et tribus de la Haute vallée du Dra* ; P. Azam, *Les cités rurales de Ktaoua*, C.H.E.A.M., Paris, 1946 ; *Sédentaires et nomades dans le Sud marocain*, C.H.E.A.M., 1947 ; Anonyme, *Monographie de l'Oued Dra*.

أحمد البوزيدي

الصبيحي، عبد الغني بن أحمد السلوي، ولد بسلا في 23 محرم عام 1349 / 20 يوليوز 1930. ودرس بالعدوتين وأتم دراسته بفرنسا حيث حصل على شهادة في التجارة من أحد المعاهد الفرنسية العليا.

أسندت إليه بعد الاستقلال مناصب إدارية وتربوية هامة اضطلع بها باقتدار وعفة ونزاهة. فكان عضواً في ديوان وزير الاقتصاد الوطني، ومسؤولاً في إدارة الفوسفاط، ثم مديراً عاماً لشركة النقل المغربية CTM، وأستاذاً بكلية الحقوق والمدرسة الوطنية للتجارة وإدارة المقاولات بالدار البيضاء.

توفي بالدار البيضاء في شهر رجب ـ شعبان عام 1416 / دجنبر 1995.

وثائق خ. ص. بسلا.

الصبيحي، عبد اللطيف بن الهاشمي السلوي، ولد بسلا سنة 1314 / 1897، وبها نشأ وحفظ القرآن وتعلم مبادئ العربية، قبل أن يدخل المدرسة الفرنسية حيث تلقى تعليماً عصرياً مزدوجاً وحصل على الشهادة والتحق بمدرسة اللغات الشرقية فحصل على دبلومها. عُين بإدارة الشؤون الشريفة بالإقامة العامة، ومن ثم أمكنه الاطلاع على الظهير البربري (16 ماي 1930) قبل صدوره في *الجريدة الرسمية*، فتأثر تأثراً شديداً وأطلع قرناءه الشبان السلويين على فحواه ودعاهم إلى محاربة سياسة التفرقة وفصل البربر عن الشريعة الإسلامية. وهو الذي تزعّم حركة قراءة اللطيف في مساجد سلا التي عمت بعد ذلك سائر الحواضر المغربية وبعض المراكز الإسلامية في المشرق.

فُصل الصبيحي عن وظيفته ونُفي إلى سوس لمدة سنتين أُصيب خلالها بمرض مزمن. وقد ذهب جماعة من شباب العدوتين إلى بيت المترجم لمواساة والدته السيدة عائشة بنت الحاج علي زنيبر الوطني الكبير صاحب مشروع الدستور، وكان من بينهم أبو بكر القادري الذي وصف عن مشاهدة ثبات هذه المرأة التي سماها أم المغاربة وروى في *مذكراته* الخطاب الذي ألقته أمامهم جاء فيه : "أبنائي، إني والله لمسرورة جداً بجهادكم في سبيل الدّين والوطن، أعانكم الله وقواكم، وزاد في مددكم، وإني لمغتبطة كذلك بمشاركة ابني عبد اللطيف في هذه الحركة، وتعاونه معكم، واحتجاجه ضد السياسة البربرية، وإبعاده من أجل أفكاره الوطنية، وإني معكم مستعدة لأن أضحي بنفسي ومالي وأولادي في هذا السبيل..."

شارك عبد اللطيف الصبيحي في تأسيس النادي الأدبي بسلا سنة 1927، وترأس لجنة من نخبة الشباب السلوي المهتم بقضية التمثيل. وكانت أول رواية مثلوها في 5 يونيو 1928 بعنوان *الرشيد والبرامكة* بمسرح النهضة بالرباط لقيت نجاحاً كبيراً، وأعيد تمثيلها بالدار البيضاء، ثم رواية في *سبيل التاج* في 21 شتنبر 1929. وأصدر جريدتين : *العمل* بالعربية، *والصوت الوطني* بالفرنسية.

وبعد انعقاد مؤتمر أنفا بالدار البيضاء أثناء الحرب العالمية الثانية الذي حضره محمد الخامس إلى جانب الرئيس الأميركي روزفيلت والانجليزي تشرشل، وماراج فيه من حديث عن استقلال المغرب : أسس عبد اللطيف الصبيحي نادي روزفيلت بالرباط، ودعا إلى حفل خطابي كبير لتدشين هذا النادي، وكان من بين المدعوين علماء كبار جاؤوا بلباسهم التقليدي (الگسا) في مقدمتهم سفير سلا الشيخ أبو بكر زنيبر لكن سلطات الحماية منعت هذا التجمع في آخر لحظة، وبقي المترجم مع جماعة من الشباب الوطني يجتمعون في نادي روزفيلت ساعين في التقارب المغربي الأميركي للضغط على فرنسا والحصول على الحرر من نير الحماية.

وبعد الاستقلال عين المترجم عضواً في المجلس الوطني الاستشاري، ثم سفيراً للمغرب بأميركا الجنوبية ثم بالدول السكندينافية.

توفي بمسقط رأسه يوم الأحد 17 قعدة عام 1384 / 20 مارس 1965.

ع. اللطيف الصبيحي نفسه، *جريدة العمل* : *الصوت الوطني* : *تصريحاته ومذكراته* ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 9 ؛ 3388 ؛ أ. القادري، *مذكراتي في الحركة الوطنية*، الدار البيضاء، 1993، جزآن ؛ أ. معنينو، *ذكريات ومذكرات*، طنجة، د. ت. 10 أجزاء ؛ *المجلس الوطني الاستشاري*، الدار البيضاء، 1986 ؛ ع. الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر*، الرباط، 1971، جزآن.

الصبيحي، عبد الله بن محمد السلوي. ولد بسلا سنة 1332 / 1914 وبها نشأ وتعلم على يد شيوخها وفي مقدمتهم والده الباشا العلامة محمد بن الطيب الصبيحي آتي الترجمة، ثم التحق بمدرسة أبناء الأعيان الابتدائية بسلا وبعدها ثانوية مولاي يوسف فليسي گورو الفرنسي فليسي لويس الأكبر بباريس حيث حصل على البكالوريا. ومن ثم التحق بمعهد جنسون دي ساي للتهيُّؤ إلى ولوج المعهد الزراعي گينيون الذي تخرج منه مهندساً فلاحياً سنة 1939.

وبعد عودته إلى مسقط رأسه مارس الفلاحة وأصبح ممثلاً لمنتجي الخضر بسلا، ثم عمل مع جاك بيرك في عملية

التنمية الفلاحية بالمغرب وأسسا مركز تحديث الفلاحة. وفي سنة 1947 أسند إليه منصب مندوب الصدر الأعظم في الشؤون الاقتصادية والفلاحية والتجارية في حكومة المخزن تحت إمرة محمد الخامس إلى أن أقاله من منصبه المقيم العام الجنرال جوان بسبب مواقفه الوطنية. وبعد الاستقلال عين عضواً بالمجلس الوطني الاستشاري، وبعد حل هذا المجلس، رجع المترجم إلى عمله كمزارع قبل أن يقوم سنة 1967 بتأسيس الخزانة العلمية الصبيحية خارج باب بوحاجة بسلا لتؤوي خزانة الكتب العامرة التي حبسها والده على الباحثين والطلبة وعموم القراء. وقد تخلى المترجم عن أنشطته الفلاحية وأقبل بكليته على تسيير هذه الخزانة وإغنائها بعدد وافر من المطبوعات التي اقتناها أو أوقفها علماء المدينة على هذه الخزانة التي امتلأت رحابها بالباحثين والطلبة السلويين والوافدين من مختلف الجهات.

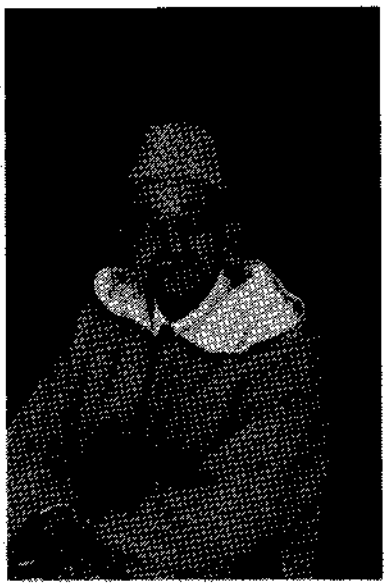

توفي بالمدينة المنورة بعد أداء مناسك العمرة يوم الجمعة 8 شعبان عام 1416 / 29 دجنبر 1995 ودفن بالبقيع.

ع. الله الصبيحي نفسه، *كناشة علمية*، مخطوط، خ. ص ؛ *وثائق عائلية* ؛ ع. السلام ابن سودة، *سل النصال / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 9 : 3413.

الصبيحي، عبد الهادي بن أحمد السلوي، ولد بسلا في 9 جمادى الأولى عام 1344 / 25 نونبر 1925، وبها نشأ ودرس في المدارس العصرية بالعدوتين، وأتم دراسته في إحدى الجامعات الفرنسية (گرينون) حيث تخرج مهندساً فلاحياً سنة 1951. شغل بعد الاستقلال عدة مناصب سامية إدارية ودبلوماسية ودولية أظهر فيها كفاية ونزاهة نادرة، كان مندوباً إقليمياً لوزارة الفلاحة بالرباط (56 ـ 1957)، ومفتشاً منتدباً لوزارة الفلاحة في المنطقة الشمالية سابقاً (58 ـ 1959) ومدير ديوان وزير الفلاحة (58 ـ 1959) ومدير ديوان وزير الاقتصاد الوطني (59 ـ 1960) وعاملا لإقليم الدار البيضاء (60 ـ 1961).

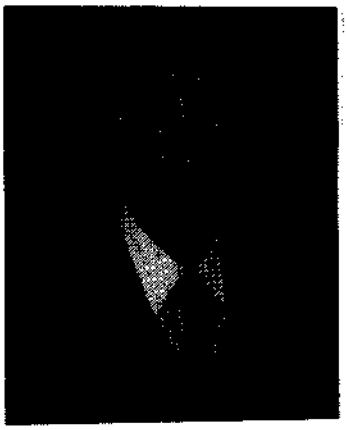

ثم دخل عالم الدبلوماسية، فأصبح وزيراً ممثلاً دائماً للمغرب لدي المنظمة الدولية للتغذية والزراعة (61 ـ 1965)، وسفيراً لجلالة الملك لدى دول التوافق مقيماً في أبيدجان (65 ـ 1967)، وسفيراً لجلالة الملك في الاتحاد السوفياتي وبلغاريا مقيماً في موسكو (67 ـ 1971) ؛ ومديراً عاماً للمكتب الشريف للتصدير OCE (17 ـ 1972) ثم رجع إلى وزارة الفلاحة والإصلاح الزراعي (1972) قبل أن يعين سفيراً لصاحب الجلالة بالدول السكندنافية مقيماً في كوبنهاگ (73 ـ 1976) فسفيراً لصاحب الجلالة في دولة الكويت والبحرين مقيماً في الكويت (78 ـ 1980) إضافة إلى مهام دولية أخرى.

توفي بسلا في 27 شوال عام 1418 / 24 فبراير، 1998.

وثائق عائلية وإدارية.

الصبيحي، محمد بن **الطيب**، باشا سلا وعالمها وحاكمها الشهير. ولد بسلا عام 1299 / 1882 ودرس بها أولاً على القاضي عبد القادر بن محمد التهامي (ت. 1356 / 1937) والعدل محمد المنصوري (ت. 1346 / 1928) والقاضي الخطيب سي حمتي الزموري (ت. 1359 / 1940) وشيخ الجماعة بسلا أحمد بن إبراهيم ابن الفقيه الجريري (ت. 1353 / 1934) والقاضي الحاج علي بن محمد عواد (ت. 1354 / 1935) والفقيه أحمد بن بوبكر عواد (ت. 1358/ 1939) ورحل إلى فاس سنة 1319 / 1901 لإتمام دراسته وبقي فيها إلى سنة 1324 / 1906 حيث أخذ الحديث والفقه والأصول واللغة وقواعدها والبلاغة والمنطق عن شيوخ القرويين المشهورين أمثال التهامي ابن المدني گنون، وعبد السلام الهواري، وأحمد ابن الخياط، وأحمد بن محمد العلمي، ومحمد بناني الديوان، وأحمد ابن الجيلالي

الأمغاري، ومَحمد القادري، وأحمد بن المامون البلغيثي، والفاطمي الشرادي، ومَحمد بن محمد گنون، والقاضي محمد بن رشيد العراقي وغيرهم. وقد أجازوه إجازات عامة وخاصة. وأخذ الحساب والفرائض والفلك والتوقيت والتنجيم عن الشيخ محمد بن علي الأغزاوي، كما قرأ الحساب أيضاً بالرباط على الشيخ المهدي متجينوش.

وبعد رجوعه إلى سلا أخذ يلقي دروساً بجامع سيدي الحاج عبد الله بباب حسابن، إلى أن أسند إليه منصب باشوية مدينة سلا بعد وفاة والده الحاج الطيب الصبيحي سنة 1332 / 1914 وظل يشغل هذا المنصب إلى الاستقلال (1375 / 1956). كان بيته الجميل الفسيح دائماً مفتوحاً في وجه زوار المدينة من علماء وشرفاء وصلحاء وكبار رجال المخزن يكرمهم وينفق عليهم بغير حساب، ولم يكن ينقطع طوال هذه الحقبة عن التدريس بمنزله بعد صلاة الصبح إلى الضحى. وقد لازمت هذه الدروس مع خالي محمد العوني تارة وصديقي عبد الرحمن ابن عبد النبي تارة أخرى نحو خمس سنوات قرأنا عليه أثناءها الحساب والجبر والمقابلة بكتاب القلصادي، ختمناه أكثر من مرة، والتوقيت بكتب الشيخ مَحمد العلمي المطبوعة على الحجر بفاس، والفلك بكتاب *المناهج الحميدية في حساب النتائج السنوية* لعبد الحميد مرسي غيث الفلكي المصري وهو مبني على رصد جديد لشيخه حسين زايد ختمناه كذلك أكثر من مرة، ورصدنا ما حدث خلال ذلك من كسوف الشمس وخسوف القمر. كما قرأنا عليه *القوانين الفقهية* لابن جزي وكتاب *الفقه على المذاهب الأربعة*، وكان حديث الصدور في مصر.

لم يؤلف - على سعة علمه - سوى كتيب سماه *انبلاج الفجر عن المسائل العشر* (طبع بالرباط سنة 1359 / 1940) يدل رغم صغر حجمه على تحقيق المترجم وتدقيقه في مثل تقدير الزمن بين الاصفرار والغروب، وطلوع الشمس وحل النافلة، والفجر والاسفار، ووزن الدرهم الشرعي والمثقال أو الدينار، وخرص التمر والعنب الخ.

توفي بسلا بعد زوال يوم الأحد تاسع صفر عام 1389 / 27 أبريل 1969 ودفن تحت درج الخزانة العلمية الصبيحية خارج باب الخباز (بوحاجة) بسلا.

معرفة شخصية ووثائق عائلية.

محمد حجي

الصبيحي، محمد بن **عبد القادر** فقيه مدرس ومفت، كان من سنة 1214 إلى 1219 قاضياً بمكناس. وعاش بسلا في خطة العدالة. وكان بقيد الحياة سنة 1242 / 1826.

تقييد للحاج محمد الصبيحي بخزانته ؛ م. بوشعراء، ذيل، الإتحاف الوجيز، 242، ط. 2 ؛ *وثائق شخصية.*

الصبيحي، محمد بن **محمد** (الحاج -) الأمين فقيه وعالم رافق السلطان مولاي إسماعيل إلى تافيلالت لقراءة *صحيح البخاري* عليه حسبما جاء في تقييد للحاج محمد بن الطيب الصبيحي. ووصفه معاصروه بالفقيه النزيه والعالم النبيه، ورثاه أحمد الحافي ومَحمد بن عبد الرحمن بن زكري وأحمد بن عبد القادر التستاوتي المباركي بشعر ونثر أورد بعضهما محمد بن علي في *الإتحاف الوجيز* بعد أن حلاه بالعلامة النجيب.

توفي يوم الأربعاء 20 ربيع الثاني 1122 / 18 يونيه 1710.

م. بن علي، *الإتحاف الوجيز*، 134 ـ 136 ؛ *تقييد الحاج محمد الصبيحي بخزانته* ؛ أ. الصبيحي، *الروض*، 150، المجموع 3864 بالخزانة الصبيحية.

الصبيحي، مُحمد بن **مَحمد** بن مَحمد (فتحاً فيهما) بن يحيى. ولي على نظارة الأحباس الكبرى بسلا من سنة 1271 إلى وفاته وذلك بعد موت محمد بن عبد الهادي زنيبر، وعلى يده بنى حمام الطالعة. وكان إلى جانب منصبه يشتغل بصناعة الصابون وبالفلاحة وتوفي عام 1285 / 68 ـ 1869.

تقييد للحاج محمد بن الطيب الصبيحي بخزانته ؛ الوثائق الملكية ؛ م. بوشعراء، ذيل، الإتحاف الوجيز، 242، ط 2.

محمد بوشعراء

الصبيحي، يحيى بن عبد العزيز الدرعي الاكتاوي، خَلَفَ أباه في مشيخة قصر بني صبيح، وهو ما يزال شابا

في مقتبل العمر، وقدورثها عن أبيه مشيخة متضعضعة، خاصة بعد هجوم قبيلة بني حيون على بلاد بني صبيح سنة 1292 / 1879، فنهبت كل ما تمكنت من الوصول إليه من تمور ومزروعات، وقطعت أعداداً كبيرة من أشجار النخيل (وثيقة محلية) وقد اندلعت حروب طاحنة بين القبيلتين والمتحالفين معهما من قبائل أيت عطّا. ولعل هذه الأحداث هي التي جعلت الشيخ يحيى الصبيحي يجنح إلى السلم، ويحاول رتق ما فتقه والده، وفي هذا الإطار بدأ يلم صفوف قبيلة بني صبيح، فاستقطب إلى جانبه عدداً من عقلاء القبيلة الذين يمثلون كل الأعراق المتساكنة داخل أسوار القصر (دراوة، الأعراب، الأحرار، اليهود، أيت عطّا). ثم بعد ذلك ألغى الإتاوات الإجبارية التي كانت القبيلة تؤديها للشيخ لعْزيزْ وعوضها بمساهمات تطوعية لمواجهة مصاريف الضيافات العامة.

صادفت السنوات الأخيرة من مشيخة يحيى الصبيحي، في مطلع القرن الرابع عشر (20 م) تدفق أمواج قبيلية جديدة على واحتي اكناوة والمحاميد، نتيجة الضغط الفرنسي في الصحاري الشرقية والجنوبية، وقد أثارت هذه الأمواج البشرية الطارئة سلسلة من الاضطرابات الاجتماعية زعزعت ما تبقى من هيبة للأسر التقليدية مثل أسرتي الحيوني والصبيحي بأكناوة، التي فقدت سيطرتها على ما تبقى لها من أتباع، وفي هذه الظروف المضطربة توفي الشيخ يحيى الصبيحي في زمن غير محدد من بداية عهد الحماية. وبوفاته انتهت هذه الأسرة ولم يبق لها بين سكان قصر بني صبيح إلا ذكريات متناقضة.

وثائق محلية، اتفاقيات، رسائل ؛ الفقيه الحيوني، *رحلة الحيوني*، مخطوط ؛ الفقيه التنوكالي، *العقود الجوهرية*، مخطوط.

G. Spillmann, *Districts et tribus de la Haute vallée du Dra* ; P. Azam, *Les cités rurales de Lkiawa, C.H.E.A.M.*, Paris, 1946 ; *Sédentaires et nomades dans le Sud marocain, C.H.E.A.M.*, 1947 ; Anonyme. *Monographie de l'Oued Dra.*

أحمد البوزيدي

الصحافة بالمغرب : إذا كانت أوروبا قد عرفت الصحافة بمفهومها العصري منذ القرن السادس عشر نتيجة لانتشار الطباعة وازدهار التجارة والمبادلات، فإن المغرب قد تأخر عن هذا الركب ولم تظهر فيه الجرائد الأولى إلا في العشرينيات من القرن التاسع عشر. ولكن مع ذلك، فقد كانت نخبة من المغاربة على علم بوجود تلك الأوراق الإخبارية قبل ذلك التاريخ بكثير. فالغساني أشار إليها في كتابه *رحلة الوزير في افتكاك الأسير* الذي كتبه في أواخر القرن الحادي عشر (17 م) عقب مهمة كلفه بها السلطان المولى إسماعيل لدى الملك الإسباني كارلوس الثاني (1690 ـ 1691) عندما كتب : "ويسمونها الكاسيطة، فيطلع الإنسان منها على أخبار كثيرة، إلا أن فيها من الزيادة والكذب ما تحمل عنه الشهوة الإنسانية".

إن "الكاسيطة" المذكورة عند الغساني مأخوذة من الكلمة الإسبانية "Gaceta" المشتقة بدورها من اللغة السائدة في البندقية أو من الإيطالية. ذلك أن البندقية كانت مهد الصحافة في أوروبا عندما ظهرت فيها في القرن السادس عشر أوراق إخبارية يطلق عليها اسم Gazeta الذي يعني عملة صغيرة تؤدى ثمنا لتلك الأوراق. فاتسع معنى الكلمة ليشمل الجرائد نفسها، وسرعان ما تعممت في مجموع الولايات الإيطالية بصيغة Gazzetta. ومن اللغة الإيطالية انتقلت إلى بعض اللغات الأوروبية الأخرى كالفرنسية (Gazette)والإسبانية (Gaceta)، ولا يستبعد أن تكون الكلمة قد تسربت من شبه الجزيرة الإيبيرية إلى المغرب حيث ترد في الوثائق والمصادر بصيغ مختلفة مثل : الكاسيطة والكازيطة والجازيطة الخ. وقد استمر تداول هذا المصطلح في الكتابات المغربية مدة طويلة حتى حلت محله كلمتا "الجريدة" و"الصحيفة" بفعل تأثير بعض المشارقة الذين استقروا في المغرب وعملوا في حقل الصحافة.

وبعد شهادة الغساني بما ينيف عن نصف قرن، كتب محمد الصفار التطواني رحلته المشهورة إثر زيارته لفرنسا (1845 ـ 1846). وفي هذه الرحلة نجد وصفا مهما للصحافة باريس إذ يصف الكتاب انتشارها وكيفية الاشتراك فيها، علاوة عن معلومات عن الإشهار فيها، والقوانين المنظمة لها، دورها كأداة للمعارضة السياسية. ومما استرعى انتباهه كون القراء الفرنسيين متشبثين بجرائدهم إلى درجة المغالاة في ذلك. ومما جاء تحت قلم الصفار في هذا الصدد : "وبالجملة، فالكوازيط عندهم من أهم المهمات، حتى إن أحدهم قد يصبر على الأكل والشرب ولا يصبر على النظر في الكازيطة".

أما إدريس العمراوي، الذي اطلع على رحلة الطهطاوي المصري إلى الديار الفرنسية واستفاد منها، فقد أسهب أكثر من الغساني والصفار في وصف الطباعة والصحافة والمكتبات إبان رحلته إلى فرنسا سنة 1860.

كانت المدينتان المحتلتان مليلية وسبتة سباقتين إلى النشاط الصحافي في أرض المغرب، وذلك بصدور El Liberal Africano (المتحرر الإفريقي) سنة 1820 في المدينة الأولى وEl Eco Constitucional (الصدى الدستوري) سنة 1822 في المدينة الثانية. ثم جاء دور تطوان في بداية الستينيات إذ أصدرت بها قوات الاحتلال صحيفة El Eco de Tetuan (صدى تطوان) سنة 1860 ثم El Noticiero (المخبر) سنة 1861. وإذا لم يكن لهذه الجرائد أثر مباشر وجلي على السكان المغاربة، فإنها جعلتهم يستأنسون شيئا فشيئا بأدوات إعلامية كانت غريبة عن مجتمعهم. وقد تعزز هذا الاستئناس بصفة ملحوظة في طنجة ابتداء من عقد الثمانينيات إذ شهد الثغر، بعد تأسيس مطبعة" أبرينس Abrines فيه، ميلاد عدد لا يستهان به من الصحف بمختلف اللغات الأوروبية (The Times of Morocco - Le Réveil du Maroc - Al-Moghreb Al Aksa ـ الخ..). وكان معظمها يدين بالولاء للمفوضيات الأجنبية أو لبعض الأوساط المالية

التي لم تكن تنظر إلى المغرب إلا كغنيمة يجب استنزافها حتى النخاع. وهذا ما جلعها تتجاسر على البلاد والعباد ضاربة عرض الحائط بالمقدسات والقيم والعادات المحلية. وتوجهها هذا هو الذي أثار حفيظة المخزن وجعل النائب محمد بن العربي الطريس يرسل مذكرة إلى مختلف المفوضيات الأجنبية بطنجة بتاريخ 20 يوليوز 1886 يبلغها قراره بإلغاء الصحف الصادرة بالمدينة. غير أن هذه المبادرة ظلت حبرا على ورق ولم تعدل من لهجة "الجوازيط" إلا قليلا. ولعل ذلك هو الذي جعل السلطان المولى الحسن يقول عنها، حسب ما أورده وزيره محمد المفضل غريط في رسالة موجهة إلى النائب المخزني بطنجة : "إن الجوازيط من باب حاطب ليل، ومن محدثات الأمور التي لم يعهد مثلها. وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة [...]". غير أن هذا الحكم الصارم لم يمنع المخزن الحسني من الاستعانة بالصحافة كلما كانت في ذلك مصلحة البلاد.

هيمنت الصحف الصادرة باللغات الأجنبية في المغرب طيلة العقدين الأخيرين من القرن الثالث عشر، (19 م) ولم نسجل إلا استثناء واحدا تمثل في صدور جريدة *المغرب* بطنجة ابتداء من منتصف ماي 1889. كان يحررها شاميان هما عيسى فرح وسليم كسباني، ولكن صاحبها الحقيقي هو الانجليزي بودجيت ميكن Budgett Meakin الذي كان يملك أيضاً *The Times of Morocco* (أزمنة المغرب). ولما لم يكن الإقبال عليها كبيرا فإن جريدة *المغرب* لم تعمر إلا سنة واحدة.

ومع إطلالة القرن العشرين واشتداد التنافس الاستعماري حول المغرب، ازداد عدد الصحف الأجنبية الصادرة بالمغرب فعكست صحافة طنجة بالخصوص مختلف المصالح المتباينة والمتناقضة. وتعززت بظهور جرائد عربية اللسان ومختلفة المشارب والمصالح مثل "السعادة و"الصباح" و"الفجر" و"استقلال المغرب" و"الحق" الخ. وبهذا كانت طنجة، بموقعها الممتاز على مضيق جبل طارق وعلى بعد أقل من عشرين كيلومترا من القارة الأوربية، وبساكنتها المختلفة الأجناس والعقائد واللغات، قد لعبت دوراً رياديا في تاريخ الصحافة بالمغرب. وباحتلال الشاوية سنة 1907 تحول مركز الدعاية الفرنسية إلى الدار البيضاء حيث صدرت جرائد عديدة أهمها La Vigie Marocaine (نونبر 1908) التي مهدت لميلاد "إمبراطورية إعلامية" ترأسها أسرة "ماص" Mas القادمة من مدينة "ليون" الفرنسية والتي كان لها لاحقا شأن كبير في ظل نظام الحماية.

نشأت الصحافة وترعرعت في المغرب في غياب أي قانون ينظم نشاطها. وقد فطن الجنرال ليوطي، أول مقيم عام فرنسي بالمغرب، منذ السنوات الأولى من عهد الحماية إلى خطورة هذه الثغرة بالنسبة لسياسته. فعمد إلى استصدار ظهير 27 أبريل 1914 الذي يعتبر أول قانون منظم للصحافة تشهده البلاد. وإذا كان هذا الظهير قد استلهم الكثير من القانون الفرنسي لسنة 1881 المتعلق بالصحافة والحريات العامة، فإنه كان أقل منه ليبرالية في عدد من مضامينه. فالظهير المذكور كرس الأفضلية للصحافة المحررة بالفرنسية على حساب الصحافة المكتوبة بالعربية أو العبرية. فكان على الراغب من المغاربة في إصدار صحيفة عربية أن يتخطى حواجز قانونية تثبط العزائم. وهذا ما يفسر لجوء المتعلمين المغاربة إبان عقد العشرينيات إلى الاكتفاء بمنشورات سرية مخطوطة أو مرقونة وزعوها في بعض الحواضر مثل "السيف القاطع" و"اللواء" و"الإسلام" و"الوداد" و"المدرسة" و"الوطن" و"أم البنين"... وكانت أصداؤها محدودة جداً، لكن وجودها يعبر تعبيرا واضحا عن شعور محرريها بالحرمان فيما يخص حرية التعبير.

جاء الظهير الاستعماري المؤرخ في 16 ماي 1930 والرامي إلى الإخلال بوحدة المغاربة فأفرز جوا عاما نما فيه تأسيس شريحة مهمة من النخبة المغربية التي وعت أكثر من أي وقت مضى أهمية إيجاد صحافة وطنية تضطلع بالدفاع عن تطلعات المغاربة إلى الإصلاح. ولكن قبل التمكن من تحقيق ذلك، عرج بعض الوطنيين، أمثال محمد بن الحسن الوزاني وأحمد بلافريج، على باريس حيث أسسوا مجلة *Maghreb* (يوليوز 1932) كمنبر في المهجر للحركة الوطنية الناشئة. وقد شكلت هذه المجلة مدرسة حقيقية تخرج منها عدد من الصحفيين المغاربة. وكانت هذه التجربة مقدمة لإصدار أول جريدة وطنية بفاس تحت عنوان *L'Action du Peuple* (*عمل الشعب*)، وذلك في غشت 1933. وشكل إصدار هذه الجريدة الوطنية باللغة الفرنسية، *La Volonté du Peuple* (*إرادة الشعب*) التي تلتها، تحايلا على القانون الذي يفرض، فيما يخص المطبوعات العربية، الحصول على ترخيص مسبق من الصدر الأعظم، وهو شيء كان بعيد المنال. وكما كان منتظراً لم تمر هذه المناسبة دون إثارة ردود فعل عنيفة في أوساط بعض المعمرين الذين كانوا يعتقدون أن الصحافة قد تتحول إلى سلاح خطير في أيدي الوطنيين المغاربة.

استهانت الإقامة العامة أول الأمر بصحافة وطنية مكتوبة بلغة يجهلها السواد الأعظم من المغاربة. لكن سرعان ما أدركت خطأ تقديرها عندما لا حظت أن الإقبال على الصحافة الوطنية شمل حتى الأميين الذين يبحثون بعد اقتناء جريدتهم عمن يترجم ويفسر لهم محتوياتها. فقد استطاعت الصحافة الوطنية أن تجلب اهتمام القراء المغاربة نظراً لإقدامها على فتح ملفات حساسة قلما اهتمت بها الصحافة الأوربية الصادرة بالمغرب. فقد اعتنت بإصلاح التعليم والقضاء، والإدارة، كما طالبت بتحسين وضعية الفلاحين وأرباب الصناعات التقليدية، ومستوى الصحة العمومية. وكانت تندد دون كلل بالمضايقات التي تمارسها السلطة على الحريات العامة للمواطنين. أما على الصعيد الخارجي، فقد اهتمت الصحافة الوطنية بتطورات القضية الفلسطينية وبالأوضاع في بلدان شمال إفريقيا.

ولهذا كله كانت الإدارة الاستعمارية تترقب الفرصة المناسبة لخنق الصحافة الوطنية في المهد. وهو ما تحقق فعلا في ماي 1934 عندما تذرعت السلطات الفرنسية بالدور التعبوي الذي لعبته تلك الصحافة أثناء زيارة السلطان سيدي محمد بن يوسف إلى فاس. ولم يشمل المنع *L'Action du Peuple* فحسب، بل طال أيضاً *Maghreb* الصادرة بباريس وكذا جريدتان تطوانيتان هما "*الحياة*" و"*السلام*". ومنذ هذا الإجراء جعلت الحركة الوطنية في مقدمة مطالبها ضرورة إقرار حرية التعبير الصحافي في المغرب. وتجدر الإشارة هنا أنه كلما ضيقت فرنسا الخناق على الصحافة الوطنية في المنطقة السلطانية، كلما وفرت السلطات الإسبانية في المنطقة الخليفية هامشا من الحريات العامة لتظهر أنها أهل بثقة المغاربة من غريمتها في الجنوب.

في سنة 1936، وبعد صعود الجبهة الشعبية إلى الحكم في فرنسا، حصل انفراج نسبي في مجال الحريات العامة في المغرب، مما جعل المشهد الإعلامي يتعزز بظهور صحف وطنية باللغة العربية مثل "الدفاع" و"الأطلس" و"المغرب". ولكن سرعان ما خاب أمل الوطنيين عندما لجأت الإدارة الاستعمارية إلى قمع حرية التعبير من جديد غداة أحداث بوفكران في خريف 1937. ولم يسمح بعودة الصحافة الوطنية إلى الأكشاك في المنطقة السلطانية إلا بعد الحرب العالمية الثانية لتأخذ هذه المرة مشعل المطالبة الصريحة بالاستقلال وإلغاء معاهدة فاس سنة 1912 (العلم - الرأي العام - حياة - الشعب - Espoir - L'Istiqlal...). وقد سايرتها في هذا التوجه الجرائد الوطنية الصادرة في تطوان وطنجة (الحرية - الأمة - الريف - "الوحدة المغربية" - منبر الشعب - الشعب - La Voix du Maroc...). وإذا كان هذا التعدد في المنابر الإعلامية الوطنية يعكس اختلاف التيارات المذهبية والحزبية، فإنه في الوقت ذاته يشكل خطة ناجعة لتفادي التعطيل الذي كانت تفرضه الرقابة كلما انزعجت من مقال أو تحقيق. وقد كانت وطأة مصالح الرقابة ثقيلة خاصة في المنطقة الرازحة تحت الاحتلال الفرنسي حيث بلغت أوجها في بداية الخمسينيات عندما تمكن الوطنيون من تدويل "القضية المغربية" وعرضها على أنظار الأمم المتحدة. فاستغل المقيم العام الجنرال غليوم أحداث "الكاريان سانطرال" (دجنبر 1952) ليوجه ضربة قاسية للنشاط الصحافي الوطني إذ منع معظم الجرائد الحرة وشمل الاعتقال والنفي عدداً من رجال القلم : الفقيه محمد غازي وعبد الرحيم بوعبيد وعبد الكريم حجي وقاسم الزهيري ومحمد الشرايبي وغيرهم. وبذلك خلت الساحة لفائدة الصحف الاستعمارية، وفي مقدمتها مجموعة ماص، التي لعبت دوراً حاسماً في عزل ونفي السلطان ابن يوسف في غشت 1953.

لم تستأنف الصحافة الوطنية نشاطها إلا بعودة السلطان من منفاه وإعلان استقلال المغرب. وفي ظل العهد الجديد تغير المشهد الإعلامي المغربي بتوقف عدد كبير من الجرائد الفرنسية والإسبانية عن الصدور نتيجة لرحيل المعمرين. وأما من الناحية القانونية، فقد حل ظهير 15 نونبر 1957 محل القوانين الاستعمارية المنظمة للصحافة والحريات العامة. ومع ذلك، فقد استمرت مجموعة "ماص" بجريدتيها اليوميتين *Le Petit Marocain* و*La Vigie Marocaine* تقلق راحة النقابة الوطنية للصحافة المغربية التي خاضت معها معركة قضائية طويلة لم تنته فصولها إلا في أكتوبر 1972.

م. الغساني، *رحلة الوزير في افتكاك الأسير*، طنجة، 1940، ص. 67 ؛ ميلار، سوزان، *صدفة اللقاء مع المجديد*، رحلة الصفار إلى فرنسا، 1845 - 1846، تعريب الدراسة ومساهمة في التحقيق، خالد بن الصغير، الرباط، 1995 ؛ إ. العمراوي، *تحفة الملك العزيز بمملكة باريز*، فاس، 1909، ص. 50 - 55، رسالة الوزير م. المفضل غريط إلى الطريس بتاريخ 22 ذي الحجة 1306 هجرية / 19 غشت 1889، المكتبة العامة والمحفوظات، تطوان، مج 28 - 78.

Amina Aouchar. La *presse marocaine dans la lutte pour l'indépendance*. Ed. Wallada, Casablanca, 1990 ; Jamaâ Baida. *La presse marocaine d'expression française des origines à 1956*. pub. de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, Rabat, 1996 ; *Libertés publiques au Maroc sous le Protectorat français : Presse écrite et droits de l'homme, H.-T.*, vol. XXXIX, fase. 1, 2001, p. 71 - 78 ; Souriau-Hoebrechts. *La presse maghrébine : Libye, Tunisie, Maroc, Algérie*. Ed. du CNRS, Paris, 1975.

جامع بيضا

الصحة بالمغرب بدأ تنظيمها بطريقة عصرية مع الحماية الفرنسية التي أنشأت سنة 1912 إدارة للصحة العمومية. وكان الأطباء الأوربيون الذين توافدوا على المغرب في السنوات القليلة السابقة لتوقيع الحماية، يشكلون النواة الأولى لإدارة الصحة، منهم دبلوماسيون، ومبعوثون وعسكريون. وكان الأطباء الدبلوماسيون يعملون إلى جانب السلطان سعيا وراء تأثير بلدانهم على سياسته أو توجيهها بما يخدم مصلحة تلك البلدان، ومن أهم هؤلاء هنري دو لامارتينيير Henri de La Martinière وفيرناند ليناريس Fernand Linares الذي مكث بالمغرب ما بين 1877 و1902.

أما الأطباء المبعوثون فهم الذين بعثتهم دولهم إلى المغرب في إطار الشؤون الخارجية ابتداء من نهاية 1904 وتعززت وضعيتهم بمقتضى عقد الجزيرة الخضراء في 1906، الذي سمح لهم بإمكانية التسرب داخل البلاد لحماية الفرنسيين في المدن والمراسي وما يواليها من البوادي مما قد يتهددهم من الأوبئة والأمراض. ومن هؤلاء الأطباء، وايزجيربير Weisgerber ومرشان Mauchamp وريني Raynaud وشاتينيير Chatinière، ممن لعبوا دوراً مهماً في المساعدة على التغلغل الاستعماري في المغرب، وعلى سبيل المثال فوايزجيربير هو الذي ألف عن الشاوين كتاباً كان يعتبر آنئذ دليلا لا مناص منه لضباط الحملات العسكرية بالمغرب، كما أن الخريطة التي وضعها في سنة 1910 لمنطقة فاس، هي التي اعتمدها موانيي Moinier في زحفه على المدينة سنة 1912. وكان من نتائج وجود الأطباء المبعوثين أن

انبثت في بعض المدن، بالمناطق الأولى التي أقام بها الفرنسيون، مستوصفات تحمل أسماء أطباء أمثال موران Mauran بفاس وبوڤري Bouveret بالصويرة وگيشار Guichard بالجديدة، وموشان Mauchamp بمراكش.

ومنذ سنة 1907 كان تسيير الشؤون الطبية يخضع لمصالح الصحة العسكرية. فكانت البنيات التحتية التي تم ارساؤها في ميدان الصحة لخدمة الاحتلال العسكري أرضية لانطلاق إدارة الصحة العمومية.

وقد أوكلت مهمة إنشاء هذه الإدارة في عهد ليوطي، للدكتور جوردران Jourdran الطبيب الرئيس لقوات الاحتلال، بمساعدة الدكتور موران Mauran فكان ذلك بقرار 21 أكتوبر 1912 المتعلق بالإعانة الطبية الأهلية، ويتضمن إحداث تجهيزات ثابتة متنقلة. ثم صدر قرار 21 ماي 1913 ليزيد من اختصاصات الإدارة ويوسع من مهامها ويخلق "إدارة الصحة والإعانة العمومية"، وذلك لما أصبح ينتظر القائمين بشؤون الصحة من أعمال تتزايد بتوسع البقاع المحتلة من البلاد، فتم تقسيم المجال الذي تمارس فيه إدارة الصحة نشاطها إلى ثلاث مناطق هي :

- منطقة مدنية وتضم مدن الرباط والدار البيضاء والجديدة، وأسفي والصويرة، وما يلي هذه المدن في شعاع لا يتعدى عشرة كيلومترات.
- منطقة الاحتلال التي يتمركز بها الجنود في غرب البلاد.
- منطقة الاحتلال التي يعسكر بها الجنود في المغرب الشرقي

وتحتوي هذه المناطق المحتلة عسكريا على وحدات صحية ثابتة كالمستشفيات وقاعات التمريض العسكرية، وعلى إعانة طبية متنقلة أو جوالة.

وجاء قرار مقيمي مؤرخ بـ 20 مارس 1915 ليقضي بتحولات مهمة في ميدان الصحة حيث أصبحت إدارة الصحة على قسمين :

- مصلحة الصحة العسكرية، وعلى رأسها الطبيب المفتش مديراً عاماً.
- مصلحة الصحة والإعانة العمومية، ويتولى أمرها مدير للصحة والإعانة العمومية تابع مباشرة للمدير العام.

وتمشيا مع ما أصبح منوطا بها من أدوار، إذ دخل المغرب الشرقي ضمن دائرة ما ينبغي أن تشمله الأعمال الطبية، فقد شهدت إدارة الصحة بقرار 9 مارس 1917 تغييراً في الاسم وأصبحت تسمى "مصلحة حفظ الصحة العمومية"، وتم في السنة الموالية إنشاء "مجلس أعلى لحفظ الصحة" يجتمع كل شهر تحت رآسة المقيم العام ومدير مصلحة الصحة، ويهتم بتطوير الخدمات في هذا الميدان. وبقيت إدارة الصحة تابعة بشكل يكاد يكون كاملاً لإدارة الصحة العسكرية حتى سنة 1926 حيث استقلت عن الوصاية العسكرية بمقتضى ظهير 15 مارس من السنة نفسها.

وحاول القائمون بشؤون الصحة في هذه المرحلة العمل على مكافحة الأوبئة والأمراض المتوطنة سعيا إلى ضمان اتصال مباشر مع السكان بما قل من التكاليف، وتوفير بيئة سليمة تتمكن معها جحافل الغزو من اكتساح مزيد من البقاع، بالإضافة إلى تسهيل استغلال البلاد والحفاظ على ثروتها البشرية. ولتحقيق هذه الأهداف استعملت إدارة الصحة آليتين شكلتا حجر الزاوية في العملية هما : المكاتب الصحية والفرق الصحية المتنقلة.

- انشاء المكاتب الصحية : كان المكتب الصحي يتكون من ضابط مهندس وطبيب عسكري وطبيب مكلف بالمستوصف المدني بالإضافة إلى ممثل عن المخزن وأحد أعيان السكان. وكانت كل مدينة تتوفر على مكتب صحي، ويسمى أيضاً المكتب البلدي الصحي، وتتحدد اختصاصاته في تقديم تقارير تتضمن مجموعة من المعطيات المتعلقة بحياة السكان في المدينة، ففي الأوقات العادية تنحصر أنشطته في مراقبة الوفيات والتأكد من الموتى، وجمع البيانات حول الأمراض المعدية، بالإضافة إلى مراقبة المساكن صحيا وذلك بجمع القمامة والقضاء على الفئران، ومراقبة العمارة ومياه الشرب وما يعرض للبيع من مواد غذائية. أما في الأوقات غير العادية، عند ما تداهم البلاد موجة من الأوبئة أو عندما تشتد وطأة مرض معد، فإنه كان على المكتب الصحي القيام بعمليات التطهير ومحاربة القمل وتلقيح السكان وعزل الجياع والمتسكعين وإقفال الفنادق.

- الفرق الصحية المتنقلة وتسمى أيضاً المجموعات الصحية المتنقلة أو الفرق الصحية الجوالة - وهي أجهزة طبية اعتمدتها فرنسا في عملية التغلغل السلمي بالمغرب، وكان يُرمز إليها في التقارير بـ (Groupe Sanitaire G. S. M (Mobile وهي حسب تعبير ليوطي مستوصفات متنقلة للاستشارة والعلاج".

ب - المعهد الصحي بالرباط. شرع في بناء المعهد الصحي في سنة 1928، بحي أگدال، وكان يسعى إلى أهداف عملية وتطبيقية واجتماعية وكانت له اتصالات مستمرة مع كل مصالح الحماية كما كان يعمل بتنسيق مع معهد پاستور بالدار البيضاء. وقد جاء في خطاب الدكتور گو Gaud بمناسبة تدشينه للمعهد في أواخر دجنبر 1930 "إن معهد الصحة مؤسسة تقنية تابعة مباشرة لإدارة الصحة العمومية، ومهمتها حفظ الصحة ودراسة الوقاية من الأمراض المتوطنة والوبائية، واستعمال الموارد التقنية المتعلقة بالحفاظ على الصحة العمومية".

واعتمد المعهد منذ نشأته على مجموعة من الموافق لتسهيل مامورية العاملين به كالخزانة التي تضم كثيراً من الكتب في الطب والأمراض والعلوم البيولوجية ومتحف يحتوي على كل ما من شأنه أن يساعد المهتمين بأمور الصحة في القيام بعملهم في هذا الميدان كالإحصاءات والصور ووسائل التطهير، كما كان المعهد يصدر مجلة تسمى: "نشرة معهد الصحة المغربي" تتولى نشر ما ينجز من

دراسات حول الأمراض وما تتوصل به إدارة المعهد من تقارير عن الأحوال الصحية بالمناطق، ودور الأطباء، والتقارير السنوية لإدارة الصحة.

وارتبطت بالمعهد الصحي مجموعة من المصالح المختصة هي :

- المختبر المكروبيولوجي وكانت مهمته القيام بالفحوص المكروبيولوجية المختلفة مما يحتاجه الأطباء، كما كان يقوم بتحليل عينات من المياه لمعرفة مدى صلاحيتها للشرب.

- مختبر علم الطفيليات : وكان يقوم بما يطلبه أصحاب المصحات من فحوص ويبحث في ما تسببه الطفيليات من أمراض، ويدرس الحشرات التي من شأنها أن تنقل العدوى.

- مصلحة مكافحة الأوبئة : وكانت تتولى القضاء على الأوبئة أو الحد من انتشارها، وذلك بعزل المصابين بالوباء، وغسل ملابسهم وتطهيرها من القمل والأوساخ.

- مصلحة مكافحة حمى المستنقعات : كانت هذه المصلحة موجودة قبل تأسيس المعهد بسنوات، وكان اهتمام العاملين بها ينصب على دراسة البعوض، والبحث عن المؤشر الطحالي وفحص شفرات الدم، وضبط المستنقعات ورشها بالمبيدات المانعة لنشاط البعوض وتكاثره.

- مصلحة الكيمياء البيولوجية والسمامة : وكانت تقوم بدراسة ما تقدمه الصيدلية المركزية من أدوية. وتبحث في المواد الغذائية والمياه المعدنية.

- مختبر علم التشريح : وكان يهتم بفحص الانتفاخات والأورام ويدرس أطراف الأعضاء المبتورة من جسم الإنسان أو الحيوان، ويساعد على تشخيص بعض الأمراض.

المستشفيات التابعة لإدارة الصحة العمومية

المنطقة	اسم المستشفى	طاقته الإيوائية
الرباط	مستشفى مولاي يوسف ويسمى أيضا المستشفى الأهلي للرباط	300 سرير
الدار البيضاء	جول كولياني المستشفى العسكري	500 سرير
فاس	مستشفى كوكار	617 سرير
مكناس	المستشفى العسكري "لوي"	556 سرير
وجدة	المستشفى العسكري "Accolas"	
مراكش	مستشفى موشان	320 سرير
أكادير	المستشفى المختلط	

ب - الوحدات الطبية المتخصصة

وهي ثلاثة أنواع :

- مستوصفات لمكافحة الأمراض التناسلية، وقد عرفت النور منذ سنة 1916 مع لاكابير Lacapère في فاس ثم انتشرت في مدن أخرى كالدار البيضاء والرباط، ومكناس ووجدة ومراكش.

- مستوصفات مكافحة السل، وقد ظهرت بإيعاز من عقيلة الماريشال ليوطي، وكانت مرتبطة بالعصبة المغربية لمكافحة داء السل التي انشئت سنة 1924. وُجد هذا النوع من المستوصفات بمدن الرباط - وفاس ومكناس ومراكش والدار البيضاء.

- مستوصفات أمراض العيون وكانت توجد بالرباط والدار البيضاء، وفاس ومكناس ومراكش وطنجة وكانت تجري بها، بالإضافة إلى الاستشارات الطبية - عمليات العلاج والجراحة ذات الصلة بأمراض العيون، كما كانت تساهم في حملات مكافحة الرمد.

ج - قاعات التمريض الخاصة بالمغاربة

وكانت توجد في المراكز الحضرية الكبرى كمكناس ووجدة وسلا وسطات والقنيطرة وتازة وغيرها، وتعالج الأمراض الأكثر انتشاراً، ويعمل بها متخصصون في الطب العام، ولا تتسع طاقتها الايوائية إلا لعدد قليل من المرضى، وكان يشرف على هذه الوحدات أطباء يعمل تحت إمرتهم ممرض نقيب وبعض الممرضين من المغاربة. وصل عدد هذه الوحدات في نهاية الحماية إلى ما يربو على الستين.

د - قاعات الفحص

كانت قاعات الفحص منبثة في التجمعات السكنية مثل الرماني وتدرس وعين اللوح والحاجب، وهي تشبه إلى حد ما مراكز إنقاذ في البادية إذ كانت تشكل مرحلة انتقالية يتم فيها التعرف على حالة الوافدين من المرضى قبل إرسالهم إلى الوحدات الاستشفائية. يزور هذه القاعات طبيب مكلف مرة أو مرتين في الأسبوع، وغالبا ما يكون ذلك في يوم السوق الأسبوعي. بلغ عدد قاعات الفحص في نهاية الحماية 312.

3 - وحدات خاصة لإسعاف الأم والطفل

تضم هذه الوحدات دور الولادة و"نقط الحليب". فالأولى تهتم بكل ما يتعلق بالولادة والاستشارات الطبية والفحوص الموازية لفترة الحمل، وأهم دور الولادة تلك نسبت إلى إحدى الطبيبات الأوائل بمراكش وهي فرانسواز لوجي Françoise Legey. أما الثانية أي "نقط الحليب" فقد رأت النور بإيعاز من عقيلة الماريشال ليوطي، وهي دور للحضانة تتكفل بالرضع الذين يعانون من سوء التغذية حيث تقدم لأمهاتهم الرضاعات وحلب الحليب، ويتم تلقيحهم ضد الأمراض، كما يقدم للمصابين منهم بداء من الأدواء ما يلزم من الأدوية والعقاقير.

ولابد في ختام الحديث عن إدارة الصحة من تقديم بعض الأرقام، فقد انتقل عدد الأطباء العاملين بها من 93 سنة 1926 إلى 140 سنة 1931 إلى 351 سنة 1956، أما الطاقة الايوائية للمستشفيات ودور العلاج فقد انتقلت من 2100 سرير سنة 1926 إلى 4950 سنة 1939، إلى 15423 سنة 1955، وهي اعداد قليلة إذا قيست بعدد السكان، الذين كانوا يربون على السبعة ملايين في نهاية الحماية.

** وزارة الصحة أسست مباشرة بعد إعلان الاستقلال سنة 1956، وأسندت إلى الدكتور عبد المالك فرج (انظره في *العلمة*).

وزراء الصحة المغاربة من البداية إلى الآن

الاسم	تاريخ ابتداء المهمة	تاريخ نهاية المهمة
د. عبد المالك فرج	7 دجنبر 1955	3 دجنبر 1958
د. يوسف بلعباس	24 دجنبر 1958	5 يناير 1963
د. عبد الكريم الخطيب	5 يناير 1963	13 نونبر 1963
د. العربي الشرايبي	13 نونبر 1963	6 غشت 1971
د. عبد المجيد بلماحي	6 غشت 1971	12 أبريل 1972
د. عبد الرحمان التهامي	12 أبريل 1972	25 أبريل 1974
د. أحمد رمزي	25 أبريل 1974	10 أكتوبر 1977
د. رحال الرحالي	10 أكتوبر 1977	11 أبريل 1985
ذ. الطيب بن الشيخ	11 أبريل 1985	11 غشت 1992
د. عبد الرحيم الهاروشي	11 غشت 1992	31 يناير 1995
د. أحمد العلمي	27 فبراير 1995	13 غشت 1997
عبد اللطيف الكراوي	13 غشت 1997	14 مارس1998
د. عبد الواحد الفاسي	14 مارس 1998	
ذ. التهامي الخياري		

وطرحت على وزارة الصحة وهي في بدايتها في المغرب المستقل كثير من المشاكل ذلك أنها واجهت في سنة 1959 أخطر تسمم غذائي عرفته البلاد وهو المتعلق بالزيوت المغشوشة التي تسبب استهلاكها في تسمم ما لا يقل عن 10.000 شخص في مكناس وسيدي قاسم وسيدي سليمان، ونتج عن ذلك ظهور كثير من حالات الشلل. وابتليت بعض جهات منطقة مكناس في نفس الفترة بوباء التهاب السحايا وألمت بالمغرب في سنة 1960 كارثة زلزال أكادير. وقد تطلبت هذه المشاكل مجهودات كبيرة من طرف وزارة الصحة.

وكان على الوزارة أيضاً أن تأخذ على عاتقها مهمة الاعتناء بالحالة الصحية للمغاربة الذين كانوا يعانون من كثير من الأمراض ذات الصلة بالظروف الاقتصادية والاجتماعية كالسل والزهري والرمد والحميات مما لم تفلح إدارة الصحة إبان عهد الحماية في تطويقه إلا بقدر يسير.

وتمشيا مع هذا التوجه كان لزاما على وزارة الصحة تكوين أطباء وأطر صحية، وهو ما عبر عنه محمد الخامس في خطاب القاه في 18 نونبر 1960، إذ قال "وسعينا في توفير الإطارات الصحية بالبلد وضاعفنا الجهود لتكوين رجال الصحة من أطباء وممرضين. وفي الأسبوع الأول من الشهر الحالي دشنا بالدار البيضاء مدرسة ابن رشد الطبية التي ستسد في المستقبل حاجتنا إلى الأطباء، وأنشئت مدرستان لكتوين الممرضين والممرضات بطنجة وأكادير ووسعت المدارس الأخرى التي أنشئت من قبل لهذا الغرض حيث يزاول بها الآن دروس التمريض 550 من التلاميذ ذكوراً وإناثاً".

وفي سنة 1962 تم فتح أول كلية للطب بالمغرب في مدينة الرباط ثم في الدار البيضاء في سنة 1975. وقد ساهمت المؤسستان في تكوين كثير من الأطباء، ويوضح الجدول التالي تطور عددهم في القطاعين العمومي والخاص ما بين 1979 و1991.

السنوات	عدد الأطباء	
	في القطاع العام	في القطاع الخاص
1979	849	854
1980	895	867
1981	1153	1061
1982	1306	1181
1983	1517	1308
1984	1479	1478
1985	1816	1763
1986	2081	1864
1987	2338	
1988	2759	2187
1989	2607	2243
1990	2894	2817
1991	3088	3032

واهتمت وزارة الصحة بالمؤسسات الاستشفائية، فعملت على تجديد بعضها وإنشاء أخرى، وأمدتها بالأدوية والأسرة، سعيا وراء سد ما يظهر من حاجيات. ويوضح الرسم البياني التالي تطور عدد الأسرة بالمستشفيات العمومية ما بين 1960 و1990.

ويلاحظ أن عدد الأسرة أبعد من أن يكفيَ حاجيات بلد يربو عدد سكانه على 25 مليون نسمة، فسرير واحد لكل 900 شخص أبعد حتى من الحد الأدنى المتفق عليه من طرف منظمة الصحة العالمية، وهو سرير لكل 300 شخص.

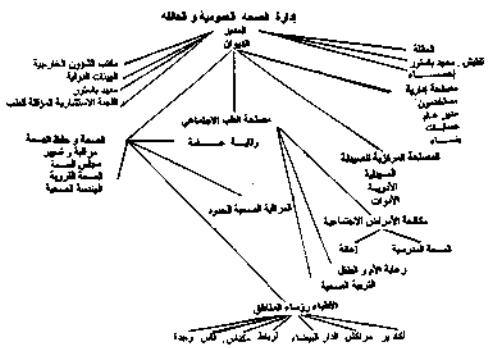

واهتمت الوزارة بصحة الطفل والأم وتم إدماج التنظيم العائلي في برامجها وأنشطتها. فشهدت عمليات الولادة على سبيل المثال داخل المؤسسات الصحية ارتفاعا ملحوظا كما يظهر ذلك من الجدول التالي الخاص بعمليات الولادة في ما بين 1986 و1992 :

السنوات	الولادة	
	العادية	القيصرية
1986	116589	9415
1987	136952	10876
1988	144412	11793
1989	140163	11986
1990	171412	14164
1992	193403	23779

وحاولت وزارة الصحة من جهة أخرى نشر الوعي الصحي بين الناس وتعميم الشعور بخطر الأمراض المعدية وضرورة التوقي منها، وكانت تعطي للأمهات دروسا في التربية الصحية ليربين الناشئة في صحة جيدة.

وتم اعتماد التلقيح ضد الأمراض التي تصيب الأطفال بكثرة، وتبنت هذا العمل أعلى سلطة في البلاد إذ وجه الملك الحسن الثاني نداءً إلى الأمة المغربية بمناسبة الأيام الوطنية للتلقيح في فاتح أكتوبر 1987 قال فيه : "... ستنطلق بحول الله وقوته غدا الجمعة 2 أكتوبر 1987 بكافة ربوع المملكة حملة وطنية للتلقيح، وإن الهدف الذي حددناه لهذه الحملة الصحية هو تلقيح جميع أطفال مملكتنا دون الخامسة من العمر ضد ستة أمراض فتاكة".

وأولت الوزارة اهتماما بصناعة الأدوية والعقاقير، تنفيذاً للتعليمات الملكية إذ جاء في خطاب العرش لسنة 1967 : "وقد أصدرنا أوامرنا باتخاذ التدابير الكفيلة بتنمية صناعة صيدلية وطنية ... وقررنا إنشاء مختبر وطني لمراقبة الأدوية المصنوعة من حيث جودتها". وهكذا تم تنظيم مهنة الصيدلة وفتحت ببعض الكليات أقسام للصيدلة. سعيا وراء تكوين أطر من شأنها أن تضمن للبلاد نوعاً من الاكتفاء من العقاقير والأدوية.

وعلى الرغم مما بذلته وزارة الصحة في المغرب المستقل من مجهودات فإن ذلك بقي دون المستوى المطلوب إذ مازالت بقاع كثيرة من البوادي تعاني من عدم وجود التجهيزات الطبية أو قلتها أو بُعدها، ويتضح هذا مما تشير إليه الإحصاءات من كون المستوصفات لا تتعدى واحداً لكل 18.000 من النسمات، ثم إن هذه المستوصفات بالإضافة إلى عدم كفايتها تفتقر إلى التجهيزات التي من شأنها تقديم خدمات للسكان. ولعل ما يعرفه القطاع الصحي من مشاكل وينعكس سلبا على حياة الناس، هو ما جعل الحديث عن الملف الصحي والتغطية الصحية اليوم، على كل لسان.

الهيكل التصميمي العام الحالي لوزارة الصحة العمومية

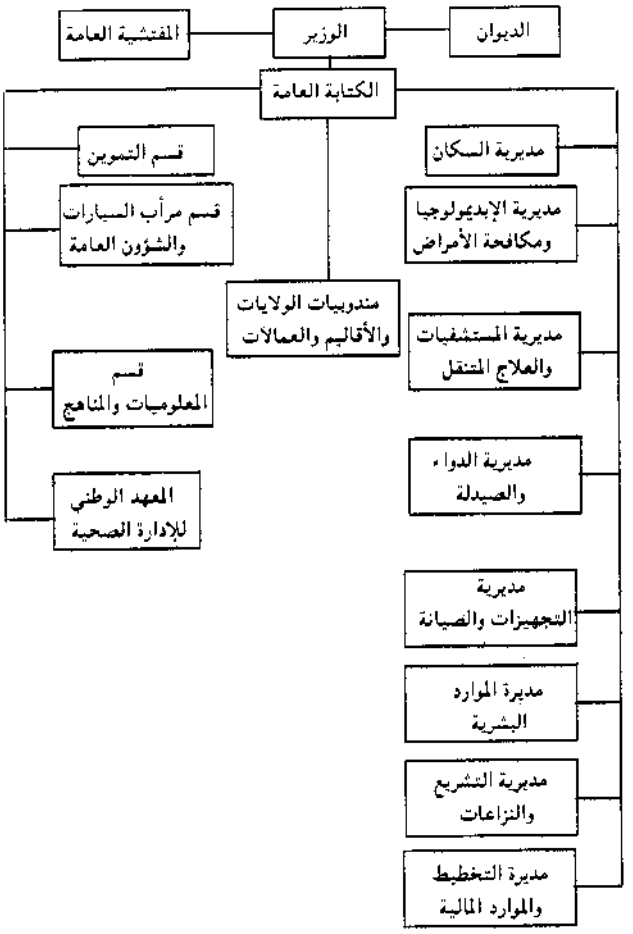

جريدة *السعادة*، أعداد متفرقة على عهد الحماية والاستقلال ؛ *انبعاث أمة*، ج 6 ؛ خطب وندوات صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، المجلد 3، نشر وزارة الإعلام ؛ كتاب *التربية الوطنية* للسنة التاسعة من التعليم الأساسي ؛ جريدة *الاتحاد الاشتراكي*، 2 شتنبر، 1992.

Annuaire statistique du Maroc ; *Bulletin de l'Institut d'hygiène du Maroc* ; *Bulletin officiel* ; R. Cruchet, *La pénétration pacifique au Maroc*, Paris, 1931 ; M. El Ghoti, *Histoire de la médecine au Maroc le XXe siècle 1896 - 1994*, Casa, 1995.

بوجمعة رويان

الصحراء المغربية. كلمة الصحراء عربية مشتقة من صفات ونعوت مختلفة مثل صَحَر، أصْحَر، صُحَرة وصُحْر والتي تعني الاسمرار المحمرّ أو الاسمر المحمر وكذا الاشقر والاصهب والأمغر. ولكلمة صحراء (Sahara) مرادف آخر وهو مصطلح (Désert) والذي يعني البادية أو البيداء. لكن، مناخيا، فالصحراء في الحالة الأولى (Sahara) تتميز بتساقطات مطرية تقل عن 100 ملليمتر كمعدل سنوي وتنتمي إلى المناخ المتوسطي الجاف جداً أو القاحل جداً (Hyperaride) ذي أمطار تظهر في الفصل البارد عموماً أي

الشتاء. أما في الحالة الثانية، فالصحراء التي يطلق عليها مصطلح Désert، والتي تتميز بنفس التساقطات المطرية، فتهطالها ليس له أي نظام محدد ومضبوط (حدوث الأمطار في أي فترة أو فصل من السنة وخاصة في الفترات الحارة والجافة جداً أي بالصيف أو الخريف).

وإذا كانت الصحاري تعرف كمناطق جغرافية توجد بين خطي المطر المتساوي (Isohyètes) المميزة بمعدلات مطرية تساوي أو تقل عن 100 مليمتر (أو 150 مليمتر في حالات أخرى)، فهي كذلك، زيادة على الإطار المناخي تعرف بنباتها المتميز وكذا ببيئتها الصحراوية. فالصحاري هي اذن مجالات بيوجغرافية واسعة وفقيرة الماء والنبات. وهي إما حارة (Déserts chauds) ذات مطر قليل جدا مثل الصحراء الكبرى بإفريقيا الممتدة من المحيط الأطلسي إلى البحر الأحمر وإما شديدة البرودة أو جليدية (Déserts froids) مثل القطب الشمالي.

وتوجد الصحاري بمختلف القارات (الصحراء الكبرى شمال الساحل الافريقي، جنوب إفريقيا، آسيا بما فيها الجزيرة العربية المشهورة بصحرائها المسماة الربع الخالي، استراليا، أمريكا الشمالية والجنوبية والمناطق الجليدية بالقطبين الشمالي والجنوبي).

وتعرف الصحراء الكبرى الإفريقية التي تنتمي إليها الصحراء المغربية بمختلف مناطقها البيوجغرافية كمجال جاف جداً تحده شمالا جبال الأطلس بإفريقيا الشمالية الغربية والبحر الأبيض المتوسط بإفريقيا الشمالية الشرقية وكذا الساحل الافريقي (Sahel) وخاصة السهب الساحلية المختلفة أو الاستبس (Steppes sahéliennes) أو التشكيلات النباتية والحراجية للسفانات (Savanes).

وزيادة على المعدلات المطرية المحدودة بالصحراء والتي يمكن أن لا تتعدى 5 أو 10 مليمترات سنويا (العرق الغربي الكبير، العرق الشرقي الكبير، تنزروفت، فزان...)، فالتساقطات المطرية تتميز بكونها نادرة جداً شديدة التغيرات وعنيفة جداً ومحصورة التهاطل في الزمان والمكان.

والأمطار العاصفية الصحراوية والتي يصحبها البَرَد (Grêle) عادة تنتج عنها سيول وامتطاحات جارفة. وعكس الصحراء الساحلية (درعة السفلى وأقاليم الساقية الحمراء ووادي الذهب مثلاً)، فالصحراء القارية تتميز بضعف التغيّم (Faible nébulosité) وطول فترات التشميس وقلة الندى والضباب وضعف درجة رطوبة الهواء (بين 5 و10٪، 20 و50٪ عموماً حسب فترات السنة).

إن تغيّرات درجات الحرارة محدودة بالصحراء الساحلية ومرتفعة بالمناطق الصحراوية القارية. فيمكن أن تنزل إلى (2 -) و(10 -) درجات مئوية أو أقل أثناء الفترات الباردة جداً وتصل إلى ما بين 48 و57 درجة مئوية (الحرارة العليا القصوى) في فصل الصيف (يوليوز أو غشت) والرياح التي تهم الصحاري هي الصّابيات (Alizés) والشرقي (Chergui) وأخرى جنوبية شرقية أو شرقية مثل (Sirocco) والسموم (Simoun) والحَرُور (Harmattan) والخماسين (Khamsin) وتتميز الصحاري بتشكيل صحراوي خاص وبعروقها ورقوقها وحماداتها ووديانها وأوديتها وواحاتها وعيونها وكذا بالخطارات والفجّارات وسباخها وشطوطها المالحة وتربتها الصحراوية. وتنفرد كذلك بأنواعها النباتية والحيوانية ونظمها الايكولوجية الطبيعية الصحراوية.

ولقد عرفت الصحاري وخاصة الصحراء الكبرى بإفريقيا تغيرات مناخية كبيرة بالزمنين الثالث والرابع أدت إلى المرور من مناخ مداري رطب إلى مناخ متوسطي جاف جداً. وهذه التغيرات تعاظمت في فترات العصر الحجري القديم وخاصة خلال النيوليتي أي منذ 8000 سنة تقريبا والتي منذ بدايتها أصبح التصحر يتقوى تدريجيا.

وتمتاز الصحراء بخصائصها السوسيو اقتصادية المرتبطة بعامل الإنسان (زراعات مختلفة بالواحات، استغلال ثمور النخيل والأشجار المثمرة والحناء، رعي الماشية وخاصة الجمال أو الإبل والماعز، استغلال النباتات الطبية والعطرية والأملاح والمعادن والبترول والغاز والصخور المختلفة كالرخام والرمال وغيرها من الموارد المتجددة وغير المتجددة، استغلال عبر السياحة بما فيها السياحة البيئية ...).

2 ـ الإطار الجغرافي والايكولوجي والبيئي بالصحراء المغربية :

2. 1 ـ الخصائص الجغرافية، الجيولوجية، الهيدرولوجية والمناخية :

من الخصائص المهمة للصحراء المغربية امتدادها بمناطق جغرافية وكذا بيوجغرافية متنوعة تشمل الجنوب الشرقي والجنوب الغربي بالمغرب فتوزيع مناطقها يمتد جنوب وجنوب غرب النجود العليا وجنوب الأطلس الكبير والأطلس الصغير وجبل باني، فالمناطق شبه الصحراوية والصحراوية تمتد على العموم من مصب وادي درعة غربا إلى نواحي فكيگ وبوعرفة شرقا مروراً بمناطق طانطان ـ أقا ـ طاطا ـ اكدز ـ الرشيدية.

والمناطق الصحراوية المغربية الممتدة جنوب النجود العليا والأطلس الكبير تشمل أودية زيز وغريس بتافيلالت ودادس ودرعة... وهضاب الحمادة أو الحمادات أو الحمايدية مثل حمادات گير ودرعة وغيرها والتي يتراوح ارتفاعها من 500 متر إلى 1000 متر عموما أو من 800 متر إلى 1100 متر جنوب الأطلس الصغير، أو لا يتعدى 200 متر بالصحراء الجنوبية الساحلية وشبه الساحلية في الساقية الحمراء ووادي الذهب. أما الجبال شبه الصحراوية أو الصحراوية فهي لا تتعدى 2000 متر إلا في جبل صاغرو.

ويمتاز تشكيل التضاريس الصحراوي بمرتفعاته وكذا بمنخفضات على شكل أخاديد تلتقي بالوهدات التي تسمى الفايجات عبر مضايق يطلق عليها "الخنق ـ الخنوق" ويتميز كذلك بتنوع أجزائه التي ينضم إليها ما يعرف بالحمايدية. أو ما يسمى بالقعدة أو الگعدة مثل گعدة الساقية الحمراء. كما

ما يسمى بالقعدة أو الكعدة مثل كعدة الساقية الحمراء. كما توجد منخفضات ووهدات متميزة يطلق عليها الغرارات أو الگرارات التي تصبح لوقت وجيز على شكل ضايات نتيجة تجمع مياه الأمطار بها. أما من حيث التشكيلات الجيولوجية فإنها مرتبطة بالأطلس الصغير وجبال باني والوركزيز وجبال أدرار سطوف بوادي الذهب المطلة على الهضاب والنجود والحمادات. وهي مكونة من أقدم الصخور المنتمية إلى القبكمبري مثل الأعبل أو الكرانيت والرّيوليت والحبيبي أو الكابروس أو إلى الكمبري مثل النّضيد أو الشيست والگرانيت والكوازتزيت. أما الهضاب والسهول الصحراوية فتتميز بصخور الزمن الثاني (مرل كلسي) مثل سهل تافيلالت ـ درعة وتغطيها صخور ورسوبات تنتمي إلى الزمنين الثالث والرابع (جبس، كلس بحيري، حُثّ ...) مثل ما هو عليه الحال بمنخفضات ورزازات ـ بودنيب ـ بوعرفة. أما صخور الحمادة فهي كلسية. تمتاز الصحراء المغربية في جل ربوعها الجغرافية بتكونات رملية تسمى العروق (جمع عرق) ذات الأشكال المختلفة نتيجة لتأثيرات الرياح وقوتها وتوجهها وأهمها النّبكات والكثبان الرملية الخطية والسيوف والبراخن والكثبان الرملية الهرمية أو الغُرود. أما الرقوق (جمع رُقّ) فهي سهول صحراوية شاسعة مكونة من رمل وحصى وحصباء.

وتوجد بالصحراء المغربية أعداد مهمة من السبخات ذات الأراضي والمياه المالحة وخاصة بالمناطق الجنوبية الغربية (سبخة الطاح، سبخة أم الضبع، سبخة هويسلكا، سبخة اغزومال...) والشطوط وهي أيضاً أراضٍ مالحة (شط تيگري والشط الغربي بالجنوب الشرقي للمغرب...).

ومن البحيرات الصحراوية ذات الأهمية البيولوجية والايكولوجية نجد بحيرة إريقي الموسمية والمكونة من وادي درعة (جنوب شرق فم زگيد). أما العيون (Sources)، فتوجد بعدة جهات جغرافية كالعين الزرقاء لمسكي قرب الرشيدية وعيون الساقية الحمراء وغيرها.

تنتمي الأتربة إلى المعدنية الخام أو قليلة التطور أو الرمادية شبه صحراوية أو ما يسمى بالسيروزيم الموجودة بواحات النخيل أو إلى الملحية في السبخات والشطوط.

ومن خصائص الصحراء المغربية وديانها التي تتجمع بها مياه الأطلس الصحراوي الكبير والصغير وجبال صاغرو وباني والوركزيز والحمادات (غير، غريس، زيز، الداورة، درعة، الساقية الحمراء...).

وتتميز الوديان الصحراوية بتغير كبير في صبيب مياهها والذي يصل مستوى أقصى في فترات الامتطاح مما يمكن أن يحدث اضراراً كبيرة بالواحات والبنيات الأساسية والتنموية. وتبقى مياه هذه الوديان حبيسة الوهدات والمنخفضات مثل غريس وزيز (منخفض الداورة) أو يمكن أن تصل إلى المحيط الأطلسي (درعة ـ الساقية الحمراء ...).

وتعتبر الواحات وخاصة واحات النخيل ونظمها الايكولوجية المختلفة بزراعاتها المكونة من الحناء والأشجار المثمرة المختلفة (زيتون، رمان، إجاص، لوز...) وزراعات أخرى (قمح، شعير، ذرة، فصّة...) من المميزات الأساسية للصحراء المغربية.

أما من الناحية المناخية فالمناطق شبه الصحراوية وخاصة الصحراوية تتميز بتساقطات مطرية محدودة وذات تغيرات قوية من سنة إلى أخرى، بما فيها تتابع فترات طويلة دون تهطال مطري. والمعدل المطري السنوي يتراوح ما بين 100 و140 مم (سيدي افني : 139 مم، الرشيدية : 130 مم گسومليم: 120 مم، ورزازات : 108 مم). أما بالمناطق الصحراوية الحقيقية فإنه لا يتعدى 100 مم (أرفود : 89 مم الريصاني : 76 مم، الطاوس : 62، زاگورة : 74 مم، تاگونيت : 54، طاطا : 99 مم، آسّا 50 مم، طرفاية : 43، عيون الساقية الحمراء : 52 مم، الداخلة : 38 مم، الگويرة : 25 مم، السمارة : 45 مم ...).

وتتغير درجات الحرارة حسب الشهور ومن سنة لأخرى وكذلك حسب المناطق الجغرافية. والتغيرات القوية تميز الجهات الصحراوية القارية (الجنوب الشرقي والجنوب الصحراويين) وذلك عكس ما يحدث بالصحراء الساحلية وشبه الساحلية للمغرب.

وتتغير المعدلات الحرارية السنوية ما بين 20 و30 درجة عموماً بالمناطق الصحراوية الداخلية وما بين 18 و20 درجة إلى 22 درجة بالجهات الصحراوية الساحلية وشبه الساحلية. ومعدل درجات الحرارة القصوى للشهر الأكثر سخونة في السنة (يوليوز أو غشت) يتميز بتغير من 40 إلى 45 درجة مائوية على العموم بالمناطق الجغرافية الصحراوية القارية، في حين يتراوح ما بين 0 و6 درجات بالنسبة لمعدل درجات الحرارة للشهر الأكثر برودة في السنة (دجنبر أو يناير). وتصل درجات الحرارة القصوى الدنيا المطلقة إلى أكثر من 50 درجة في الصيف ويمكن أن تنزل درجات الحرارة الدنيا المطلقة إلى أقل من 5 أو 10 درجات تحت الصفر في الشتاء.

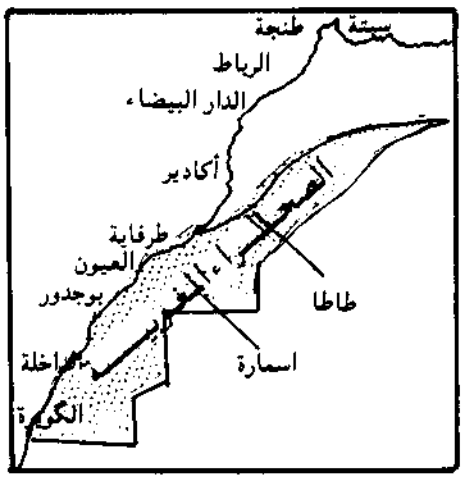

القصوى للشهر الأكثر سخونة يتراوح عموماً بين 24 و30 درجة (طرفاية : 24 درجة : عيون الساقية الحمراء : 30 درجة، الداخلة : 27 درجة). وبالنسبة للشهر الأكثر برودة في السنة، فإن معدل درجات الحرارة الدنيا يقع ما بين 11 و14 درجة. والرياح السائدة هي الصابيات الشرقية الشمالية (63٪ شمالية شمالية شرقية وشمالية غربية) وكذلك نسيم البحر الذي يلطف الحرارة.

ويؤثر الندى والضباب على الظروف الإيكولوجية بصفة قوية بالصحراء الساحلية نظرا لارتفاع عدد الأيام لهذين العاملين خلال السنة، وذلك عكس ما يحدث بالصحراء المغربية الداخلية والقارية. وتتميز الصحراء الداخلية بارتفاع فترات التشميس وضعف التغيم عكس ما يحدث بالصحراء الساحلية وشبه الساحلية. أما درجة رطوبة الهواء، فتتغير ما بين 5 و10٪ بالجهات القارية الحارة والجافة جداً في فترات الرياح الحارة الشرقية والجنوبية وما بين 20 و50٪ في الفترات المعتدلة والحارة (الصحراء الداخلية القارية) وترتفع بقوة إلى ما بين 60 أو 70٪ إلى 100٪ بالشريط الساحلي.

ونتيجة لكل هذه العوامل الايكولوجية يكون التبخر نتحا محدوداً شيئاً ما بالصحراء الساحلية وقويا بالصحراء القارية. وبالتالي، فالظروف البيئية تكون ملائمة وأقل قسوة بالنسبة للنبات والحيوان وكذا الإنسان وللنظم الإيكولوجية بصفة عامة بالصحراء الساحلية مقارنة مع الصحراء القارية.

وهذه المعطيات تبين أن الصحراء المغربية تنتمي إلى البيومناخ الصحراوي المتوسطي أو المتوسطي شبه المداري، أو شبه المداري - مداري في مناطقه الجغرافية الجنوبية الغربية.

2. 2 . التنوع البيولوجي والنظم البيئية :

إن الظروف البيئية الصعبة أو القاسية في بعض المناطق الجغرافية الصحراوية أدت إلى الحدّ من التنوع البيولوجي مقارنة مع ما يوجد في جهات ذات عوامل إيكولوجية ملائمة. فالصحراء الكبرى مثلا والممتدة من المحيط الأطلسي إلى البحر الأحمر لا ينمو بها إلا ما يقارب 1200 نوع نباتي وهو عدد محدود جداً مقارنة مع المساحة الشاسعة للصحراء الكبرى.

وبالنسبة للمغرب، فعدد الأنواع النباتية للحمادات الصحراوية مثلاً يحصر في 260 نوعا. ويصل هذا العدد إلى 330 نوعا تقريبا بالصحراء الجنوبية الغربية المغربية أي بإقليم الساقية الحمراء ووادي الذهب.

لكن على الرغم من تواضع عدد الأنواع النباتية الصحراوية، فإن هذه الأنواع تبقى متميزة جداً وتحتوي على نسبة هامة من النباتات القبسية أي تلك التي لا توجد إلا بهذه المناطق الجغرافية الجافة والقاحلة.

والأنواع النباتية الصحراوية بالمغرب تعتبر ذات أصول متنوعة ومختلفة فهي متوسطية أو صحراوية أو سنديّة أو شبه مدارية أو مدارية جافة أو قبسية. وتمتاز الصحراء المغربية الساحلية الحمراء عن المناطق الصحراوية القارية الداخلية للمغرب ولدول أخرى بنمو أنواع نباتية خاصة تنتمي إلى الفلورة الماكارونيزية والتي لا توجد إلا في هذه الجهة الجغرافية من العالم وليا امتداد في جزر الكناري (الجزر الخالدات) بالمحيط الأطلسي على الخصوص.

وتكوّن النباتات الصحراوية عشائر نباتية تنمو على الكثبان الرملية والرقوق والحمادات أو في الأودية المرملة أو المواقع المالحة من سبخات وشطوط ومناقع خورية.

ومن أهم الأنواع النباتية الصحراوية :

* السنطيات أو الطلحيات (Mimosaceae) عدة أنواع من أشجار الطلح مثل Acacia raddiana وAcacia albida وAcacia ehrenbergiana التي تكوّن أهم النظم على شكل سافانا صحراوية.

* القدّيسيّات (Zygophyllaceae) أو الزقوميات (Balanitaceae) : عدة أنواع مثل الغرقد (Nitraria retusa) (Nitraria schoberi) والزقوم أو اهليج (Balanites aegyptiaca).

* الكبّاريات (Capparis decidua) : أتيل (Maerua crassifolia)، الكبار النفضي (Capparis decidua).

* السبوتيات (Sapotaceae) : أركان (Argania spinosa).

* الصفلاييات (Asclepiadacea) : منها العاقور (Calotopis procera) وهو نوع ساحلي ، مداري والحلاب (Periploca angustifolia).

* الفراشيات (Papilionaceae) أو الفوليات (Fabaceae) :

منها الهيديسارم المغربي أو السُّلة الشجرية (Hedysarum argentatum) وهو نوع قبسي يوجد بمنطقة طرفاية والرتم الأبيض أو الصحراوي (Retama raetam).

* البطميات (Anacardiaceae) وأهمها الذي يقطن الغرارات.

* الطرفيات (Tamaricaceae) الطرفاء أو الأثل يشمل عدة أنواع شجرية وشجيرية على ضفاف الأنهار بالمناطق الجافة منها الصحراوية وشبه الصحراوية. وأهمها Tamarix aphylla وTamarix boveana وTamarix malenconiana و Tamarix gallica.

* البطباطيات (Polygonaceae) : أرطى (Calligonum comosum) التي تنمو طبيعيا على الكثبان الرملية.

* النخليات (Palmaceae) : النخل، النخيل (Phoenix dactylifira) أشجار النخيل تكون باحات أو منقبات واحات الصحراء المغربية وخاصة جنوب الأطلس الصحراوي (منطقة فگيگ) والأطلس الكبير وجبل صاغرو (واحات تافيلالت بأودية زيز - غريس، واحات أودية درعة ودادس ...) وجنوب الأطلس الصغير (واحات فم زكيد - تيسينت - طاطا - اقا - فم الحصن ...) وبمواقع أخرى صحراوية.

* الحوريات (Salicaceae) : جنس Populus (الحور) يضم عدة أنواع شجرية وأهمها بالنسبة للصحراء المغربية Populus euphratica أو الحور الفراتي الذي ينمو طبيعيا على ضفاف الوديان الجارية أو السواقي بالأودية والواحات.

أما أهم التجمعات فهي كالآتي :

الوديان الجارية أو السواقي بالأودية والواحات.

أما أهم التجمعات فهي كالآتي :

. تجمعات نباتية الفرّمْلية بالعروق (Ergs) ودورها أساسي في تثبيت الكثبان وأهمها النجيليات (Poaceae) التي تشمل أنواعاً من جنس أريستيدا مثل السباط (Sobtusa, S. plumosa, S. pungens).

. تجمعات نباتية مرتبطة بالرقوق والحمادات : عدة أنواع منتمية لأجناس وفصائل مختلفة منها السرمقيات (Chenopodiaceae) مثل Anabasis oretioides والصليبيات (Brassicaceae) مثل Zilla spinosa وFarsetia hamiltoni.

. تجمعات نباتية مرتبطة بالأودية المرملة الصحراوية غير المالحة وهي مشكلة من النوع الحراجي السائد الذي هو الطلح (Acacia raddiana).

أما التنوع البيولوجي الحيواني فينتمي إلى أصول مختلفة : صحراوية ـ عربية، صحراوية ـ سنْدية، صحراوية ـ ساحلية، مدارية، متوسطية، شمالية معتدلة، قبْسية.

وتجدر الإشارة إلى أن التصحر القوي للمناطق الصحراوية قبل الهولوسيني خاصة ما بين (18000 ـ) و(12000 ـ) سنة (مع فترات رطبة ما بين 9500 ـ و4500 ـ سنة) قد أدى إلى انقراض عدة أنواع من اللبونات بالمغرب وخاصة منها الصحراوية.

فمنذ بداية الهولوسيني (العصر الحجري القديم) بيّنت المعطيات الإحاثية وكذا النقوش الصخرية (العصر الحجري الحديث) أن الأنواع الحيوانية الصحراوية ذات الأصول المدارية كانت تساهم بشكل كبير في التنوع البيولوجي للبونات.

وأنواع اللبونات الكبيرة التي انقرضت إثر التغيرات المناخية (جفاف، تصحر) وتدهور الأوساط البيئية الناتج عن عامل الإنسان هي :

الفيل الافريقي والعتّابي أو الزرد ووحيد القرن الأبيض وفرس النهر والزرافة والجاموس والهلوف أو الخنزير أبو قرنين والنّوّ الأزرق والضبع المرقط والسِّمْع.

ومن بين اللبونات الصحراوية التي انقرضت في بداية القرن العشرين نذكر منها بنوعين Addax nasomaculatus وOryx dammah والغزلان (Gazella leptoceros)، والحيرم (Alcelaphus buselaphus) والقط النمر أو البجّ (Serval constaéntina) وأسد الأطلس (Panthera leo leo).

ومن أهم الطيور التي انقرضت من الصحراء بالمغرب هناك النعامة (Struthio camelus) ولقد شمل الانقراض أيضاً واحداً من الزواحف المميزة للصحراء المغربية وهو تمساح النيل (Crocodilus niloticus) والذي كان حتى حدود 1930 يوجد بثلاث قلتات بدرعة السفلى (تيزكي رمتز، تفكوم جنوب آقا وقلتة تانزيدة جنوب فم الحصن).

وبصفة عامة، وفي الظروف الحالية، هناك عدة أنواع من اللبونات العائشة التي تقهقرت أعدادها بصفة قوية جداً وتحديداً الغزلان (Gazella dorcas, Gazella cuvieri)، وخاصة Gazella dama mhorr التي أصبحت على وشك الانقراض.

وهناك أنواع أخرى من اللبونات اللاحمة التي هي أيضاً على وشك الانقراض كالفهد (Acinonyx jubatus) أو أصبحت نادرة جداً أو في طور الانقراض كالعُنّاق (Lynx caracal) والشَّفَّة (Felis serval) وسَنّور الصحراء (Felis margarita) والفَنَك (Fennecus zerda) والشنصر (Mellivora capensis) والضبع المخطط (Hyaena hyaena barbara) والثعلب السمسمي (Vulpes rupelli) وغيرها مثل الأرويّة المغربية (Ammotragus lervia).

ومن بين الزواحف الصحراوية التي أصبحت نادرة أو مهددة بالانقراض هناك ورل الصحراء (Varanus grieus) والاسقنقور أو سمك الرمال (Scincus albifasciatus) وأنواع من الافاعي (Spalirosophis diadema, Bitis arietans) والثعابين مثل الثعبان آكل البيض (Dasypeltis scabra) والكوبرا (Naja haje) وغيرها.

ومن أنواع الطيور التي أصبحت نادرة أو مهددة بالانقراض بالصحراء المغربية هناك أنواع الحبارى وهي الحبرج أو الحبارى المتوّجة (Chamydotis undulata) والحبارى العربية (Ardeotis arabs) وأنواع أخرى مثل الحذف الرخامي (Marmaronetta angustirostris) وأبو منجل (Geronticus eremita) والقطاة (Pterocles lichtensteinii و Pterocles coronatus) وغيرها.

أما بالنسبة للحيوانات اللبونة البحرية التي تعتبر مهددة بالانقراض فهناك الفقمة أو عجل البحر (Monachus monachus) أو ما يسمى بالفرنسية Phoque moine والذي يقدر تعداده ما بين 100 و130 فرد جنوب الداخلة وخاصة بين راس بارباس وكركرات.

ونجد من بين الأسماك مثل الحنقليس (Anguilla anguilla) أي "النون" والبوري (Barbus) والبلطي (Tilapia) بالوديان شبه الصحراوية والصحراوية.

يضاف إلى التنوع البيولوجي الفطري تربية النحل والماشية (جمال، ماعز، أغنام، أبقار ...) التي تلعب دوراً أساسياً في المجال السوسيو اقتصادي للإنسان الصحراوي وبالمناطق الصحراوية. وبتافيلالت خاصة ودرعة، يوجد نوع خاص من الأغنام من سلالة الدمان (Demman) التي تلد من الخرفان من 2 إلى 5 مرتين في السنة عموماً.

3 ـ استغلال الموارد الطبيعية وإشكالياتها :

استغلال الموارد الطبيعية الصحراوية المتجددة يهم الأنواع النباتية والثروة الحيوانية البرية والنظم الايكولوجية المختلفة وكذلك الاملاح والمعادن والرمال والصخور المختلفة.

وبصفة عامة فالضغوط والتأثيرات القوية والمتزايدة للإنسان على الموارد الطبيعية بالصحراء وخاصة منها الطبيعية المتجددة أدت إلى اضطرابات وإلى إخلال قوي بالتوازنات الايكولوجية والبيئية الهشة والحساسة بالمناطق البيوجغرافية الصحراوية المختلفة.

التهديد بانقراض أنواع بيولوجية وجينية مهمة من التنوع البيولوجي لهذه المناطق وخاصة منها الأنواع الحيوانية (غزلان، أروية، حبارى، أفاعٍ وثعابين، عظاية...) وإلى تصاعد التصحر والتصحير والترمل لواحات النخيل الصحراوية.

والأسباب الرئيسية المؤدية إلى تدهور البيئة الصحراوية وانظمتها الإيكولوجية وإلى التصحر هي : قطع الأشجار، اجتثاث وقلع الغابة وخاصة السنطيات (الأكاسيا) وأنواع الطرفاء، والاستغلال المفرط للنباتات الطبية لأهميتها في الطب التقليدي وكذا النبات العطري وجمع البذور والثمار لعدة أنواع نباتية وحراجية، واستئصال النبات بجذور، وحرث الأراضي الهامشية بعد اجتثاث نباتها، والاستغلال العشوائي والمفرط لحطب الوقود والتدفئة وخشب البناء والدباغة والصمغ، والرعي الجائر وكذلك القنص المفرط للحيوانات المختلفة وخاصة أنواع الغزلان والحبارى والاروية والصيد بالصقور (أعيان شرق اوسطيون وخليجيون ومغاربة)، وجمع البيض، واستعمال الفخوخ، والصيد بالأسلحة النارية المتطورة وخاصة الأسلحة الحربية (قنص الغزلان خاصة، الاروية، الحبارى...) والاستغلال المفرط للواحات وتجفيف المناطق والمواقع الرطبة والقلتات، وتوسيع الشبكة الطرقية، والسياحة غير العقلانية، والاستعمال العشوائي لمبيدات الحشرات بما فيها المحظورة أو المضرة بالنظم البيئية كما هو الشأن أثناء مكافحة الجراد والطفيليات، والجمع والاستغلال الممنهج للزواحف والبرمائيات على الرغم من أن عدة أو جل الأنواع إما محمية أو نادرة أو قبسية أو مهددة أو على وشك الانقراض (بيع الحرباء، والأفاعي والثعابين وأنواع أخرى للسياح أو لمتهني تربيتها أو تصديرها إلى الخارج) ...

ومن أهم الظواهر انتشار مرض البيّوض بسبب فطر Fusarium oxysporum var. albedinis.

- المحافظة على البيئة الصحراوية وإعادة تأهيلها :

للحد من التأثيرات السلبية على الموارد الطبيعية الصحراوية وخاصة المتجددة منها وللحد كذلك من تدهور النظم البيئية والأوساط الحياتية بمختلف المناطق الجيوجغرافية بالصحراء المغربية اتخذت عدة مبادرات وحددت استراتيجيات في هذا الاتجاه من شأنها إن كانت هناك إرادة حقيقية وإن طبقت بكيفية عقلانية وسليمة أن تؤدي إلى إعادة تأهيل النظم البيئية المتدهورة على الرغم من الوقت الطويل الذي تتطلبه هذه العملية بالصحراء المسيد، وواد تغزرت، وأيت اومريبت، وايماون، وواحة تيسنت، وواد ميرد، ومسيسي، ومرزوقة، وجبل كروز، والخنق، وواد تودغة، وجبل صاغرو، وفم اساكا، والشاطئ الأبيض، ومصب درعة وواد الشبيكة، وواد أما فاطمة، وواد الواعر، وهور الخنيفيس، وراس اوفيست وحاسي الطوف، وجون الداخلة، وجون سينترا.

أما المناطق الرطبة بالصحراء فهي سد المنصور الذهبي (وارزازات) وضاية تامزكيدات (ارفود).

وأهم هذه المحميات المنتزه الوطني للداخلة الذي يضم مناطق قارية وساحلية وبحرية. ويعتبر هذا المنتزه ذا أهمية قصوى نظراً لما يحتوي عليه من تنوع بيولوجي ممتز ومتميز أو نادر (غزلان، أروية، فهد...، زواحف وبرمائيات، طيور، فقمة أو عجل البحر ...).

وأهم ما يميز هذا المنتزه الوطني نظمه البيئية المشكلة من الطلح Acacia raddiana والكبار النفضي (Capparis decidua) والزقوم (Balanites aegyptiaca) وغيرها. ويمكن لهذا المنتزه أن يلعب دوراً أساسياً في إعادة تأهيل الثروة الحيوانية المنقرضة أو المهددة بالانقراض إذا اتخذت جميع الاجراءات اللازمة والملائمة لبلوغ هذه الأهداف الضرورية.

وهناك مشروع إحداث محمية المجال الحيوي لنخيل (Phoenix dactylifera) وباحاته (Palmeraies) وواحاته (Oasis). لكن، على الرغم من هذه المبادرات، لا بد من تحديد استراتيجية شمولية ترتكز على المحافظة على الموارد الطبيعية الصحراوية وخاصة المتجددة وصونها من كل عوامل التدهور والاندثار والانقراض والمساعدة على تجديدها الطبيعي على الخصوص وكذا الاصطناعي.

وفي هذا الاطار من الضروري اعتماد خطط وبرامج عمل طموحة تعطى فيها الأسبقية لمكافحة التصحر والتصحير والترمل بكيفية شمولية ومتكاملة (جبال وسفوحها، هضاب، سهول...) مع التركيز على الواحات المختلفة وخاصة واحات النخيل التي أصبحت مهددة بالتدهور والانقراض نتيجة هذه العوامل وبرامج التهيئة المختلفة غير الملائمة. ومن بين الأعمال التي يجب اعتمادها، هناك محاربة التعرية الهوائية والترمل بكل الوسائل الميكانيكية غير المضرة بالبيئة وبالخصوص البيولوجية وذلك عبر انتقاء ملائم ايكولوجيا للنبات والأشجار التي تؤدي إلى نتائج ايجابية ودائمة.

ولبلوغ هذه الأهداف ولإعادة تأهيل النظم الايكولوجية والبيئية الطبيعية أو الناتجة عن عمل الانسان، لا بد من مراجعة برامج التنمية المختلفة بالمناطق الصحراوية وكيفية تدبيرها وخاصة التهيئة الهيدروفلاحية العصرية والمعتمدة على السدود الكبرى عموما وتلك المهتمة بالمجال الرعوي. فعلى الرغم من أهمية هذه المشاريع التنموية في المجال السوسيو اقتصادي، فقد أدت إلى ظهور تأثيرات سلبية متعددة على البيئة الصحراوية (تجفيف سافلة السدود، تملح التربة والمياه انتشار البيوض وانقراض النخيل ...) والتي يجب الحد منها وإصلاحها في إطار تتبع وتقييم دائمين لهذه المشاريع بما فيها تلك التي هي في طور الإنجاز مثل محمية أو محميات المجال الحيوي لباحات النخيل. وفي هذا الإطار، لا بد من المحافظة وإعادة تاهيل برامج التهيئة التقليدية الملائمة للظروف الايكولوجية الصحراوية والتي ترتكز على المؤهلات الحقيقية للبيئة الصحراوية (سواقي، خطارات...).

ومن الضروري إشراك السكان في برامج التهيئة المندمجة والملائمة للظروف البيئية الصحراوية عبر شراكة فعلية تمكن

في نفس الوقت من الرفع من مستوى عيشهم وصون وتجديد الموارد الطبيعية المتجددة ودوامها. ولبلوغ هذه الأهداف، هناك مؤهلات أخرى يجب أخذها بعين الاعتبار للوصول إلى تنمية متكاملة مثل المواقع ذات الأهمية التي يمكن استغلالها إيجابيا عبر السياحة البيئية.

A. André, G. Bons, G. Bryssine, I. Bryssine, B. Delannoy, B. Girot, J. Mathez, C. Paque et Ch. Sauvage, *Contribution à l'étude scientifique de la province de Tarfaya*, Trav. Inst. Sci. Chér. Série générale n° 3, Rabat, 257 p., 1975 ; J. Bellakhdar, A. Benabid, J. Vittoz et J. Marechal, *Tissint, une oasis du Maroc présaharien. Monographie d'une palmeraie du Moyen Dra*, Coll. Etudes Sahariennes, Al Biruniya, 243 p., 1992 ; A. Benabid, *La végétation psammophile de l'Afrique du Nord : Communautés végétales colonisant les sables et les dunes au Maroc, en Algérie, en Tunisie et en Libye*, Ecole Nationale Forestière d'Ingénieurs, Salé, 101 p. + annexes, 1987 ; *Flore et écosystème du Maroc. Evaluation et préservation de la biodiversité*, Editions Ibis-Press, Paris, 359 p., 2000 ; A. Benabid et O. M'hirit, *Les bases écologiques et techniques de l'action forestière dans les provinces sahariennes (cas de la province de Layoune)*, Ecole Nationale Forestière d'Ingénieurs, Salé, 58 p. + annexes, 1980 ; M. Bendaanoun, *Causes de dégradations de la végétation des milieux dunaires. Projet RAB / 89 / 034*, DEFCS, Rabat, p. 12 - 18, 1993 ; *La végétation des milieux dunaires littoraux, sahariens et désertiques*, Projet RAB / 89 / 034, DEFCS, Rabat, p. 30-49, 1993 ; *Désertification, phénomène planétaire : cas du Maroc (causes, impacts, moyens de lutte et développement)*, MAMVA, Agriculture et environnement, n° 1, Rabat, p. 16- 40, 1994 ; *La végétation et la biodiversité floristique des zones arides et sahariennes et lutte contre la désertification*, Ecole Nationale Forestière d'Ingénieurs, Salé, 32 p., 1997 ; G. Camps, *Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du Nord et du Sahara*, Doin Edit., Paris, 366 p. ; J. Despois et R. Rayyal, *Géographie de l'Afrique du Nord*, Payot Edit., Paris, 570 p., 1967 ; J. Dubief, *Le climat du Sahara*, Volumes 1 et 2, Université d'Alger, Institut des Recherches Sahariennes, Alger, 312 p. et 275 p., 1959-1963 ; E. Guinea, *Aspecto forestal del desierto. La vegetacion leñosa y los pastos del Sahara español*, Inst. For. Inv. y Exp., Madrid, 152 p., 1945 ; MAMVA / AEFCS, Plan directeur des aires protégées et plan de gestion des aires protégées, Projet "Etude de définition d'un réseau d'aires et de sites protégés et élaboration de plans de gestion des parcs nationaux du Maroc", Plus, Vol., AEFCS, Rabat, 1992 ; O. M'hirite, M. Benzyane, F. Benchekroun, S.M. El Youssi et M. Bendaanoun, *L'arganier. Une espèce fruitière - forestière à usages multiples*, Mardaga édit., 150 p., 1998 ; V. Monteil et Ch. Sauvage, *Contribution à l'étude de la flore au Sahara occidental*, Notes et documents, Institut des Hautes Etudes Marocaines, Larose 2dit., I, 120 p., 1949 ; P. Quezel, *La végétation du Sahara du Tchad à la Mauritanie*, Masson et Cie édit., Paris, 333 p., 1965 ; P. Quezel, M. Barbero, A. Benabid et S. Rivas-Martinez, *Les structures de végétation arborée à Acacia sur le revers méridional de l'Anti-Atlas et dans la vallée inférieure du Dra (Maroc)*, Phytocoenologie 25 (2), Berlin-Stuttgart, p. 279-304, 1995.

محمد بندعنون

* * استعمل ابن خلدون لفظة الصحراء بمعنى المكان الخالي من العمارة، واستعمل كلمة القفر للدلالة على الصحراء كما هي في اصطلاحنا اليوم. كما استعمل كلمة القفار الغربية للدلالة على صحاري المغرب الأقصى واستعمل قاصية القفر ومفازة العطش للدلالة على الصحراء الواقعة جنوب الزاب (*العبر*، 6 : 77). واستعمل القلقشندي، في معرض حديثه عن صحراء بلاد المغرب، كلمة الصحراء الكبرى للدلالة على القفر (*صبح الأعشى*، 5 : 152).

ويعد أهم مصدر وسيطي عن صحراء المغرب الأقصى وكل الصحراء الكبرى في عداد المفقود اليوم، والأمل كبير في العثور عليه، يتعلق الأمر بكتاب الرحالة المغربي أبي عبد الله محمد ابن فاطمة، الذي وصلتنا إشارات منه في نقول المتأخرين عنه كالبكري وابن سعيد وابن خلدون وغيرهم. ورغم ما وصلنا من معلومات عن المسالك الصحراوية ونقط الماء ومواطن القبائل الصحراوية فإنه يصعب على الباحث تحديد مجال امتداد صحراء المغرب الأقصى في العصر الوسيط. فهي عند البكري مجالات الملثمين (*المسالك والممالك*، 2 / ف 1435). وأولها وادي تارگة، الذي هو الساقية الحمراء اليوم، وبعده تبدأ المجابة الكبرى (*المسالك والممالك*، 2 / ف 1430). وذكر نفس المؤلف في موضع آخر من كتابه أن نول لمطة آخر مدن الإسلام وهي في أول الصحراء (*المسالك والممالك*، 2 / ف 1425). أما عرض هذه الصحراء من الشمال إلى الجنوب فهو مسيرة شهرين (*المسالك والممالك*، 2 / ف 1430). وتجب الإشارة هنا إلى أن البكري جعل بلد الواح الداخل الواقع جنوب بلاد مصر آخر مدن الإسلام بالجهة الشرقية للصحراء الكبرى (*المسالك والممالك*، 2 / ف 1109) فتتكون حدود بلاد الإسلام في الجزء الشرقي من الصحراء في أكثر المنطقة توغلاً في الجنوب مقارنة مع مثيلاتها في الغرب زمان البكري.

وقسم صاحب *الاستبصار* بلاد المغرب إلى قسمين وقال : "فمنها الصحراوية أو ما قاربها، والساحلية وما يليها". وتبتدئ الصحراء بالنسبة إليه في شرق بلاد المغرب على مرحلة أو نحوها من الساحل (*الاستبصار*، 3 و109). في حين تحد عند الإدريسي في الشمال بسلسلة جبال دائرية، أي بجبال درن، وفي الجنوب ببلاد السودان وفي الشرق بفزان وفي الغرب ببلاد لمطة وصنهاجة.

وصحراء بلاد المغرب حسب ابن سعيد من الإقليم الثاني (*الجغرافيا* : 124) وتشغل أربعة أجزاء منه. فالجزء الأول والثاني، من الغرب إلى الشرق، أرض قنورية، وهي قمنورية عند الإدريسي، ثم أعالي أرض غانة، ثم مجالات زغاوة. وفي الجزء الثالث أرض ودان وعلى سمتها شرقا أرض سنتيرية، وتسمى الواحات الداخلة. قال ابن خلدون : "وفي الجانب الأسفل منهما، أي من الجزءين الأول والثاني، صحراء نستر متصلة من الغرب إلى الشرق ذات مفاوز يسلك منها التجار ما بين بلاد المغرب وبلاد السودان" (*المقدمة*، 73). وقد وهم ابن خلدون هنا حين جعل صحراء نستر إلى الجنوب من الجزءين الأول والثاني، فهما إلى الجنوب منهما في الخرائط القديمة، حيث ترسم المواضع الشمالية في الجنوب والجنوبية في الشمال، كما هي الحال في خريطة الشريف الإدريسي، لكن الصواب أنهما إلى الشمال منهما.

وصحراء نستر هي صحراء بني ينتسر وهي المجابة الكبرى أيضاً عند البكري لأن بني ينتسر هؤلاء قوم من

صنهاجة الرمال، كانوا يتنقلون في هذه المجابة في النصف الثاني من القرن 5 / 11 (*المسالك والممالك*، 2 ف 1430). وسمى القلقشندي صحراء لمتونة ببادية البربر وجعل حدودها بين طرف بلاد المغرب من الجنوب وبين طرف بلاد السودان من الشمال (*صبح الأعشى*، 3 : 229).

والصحراء عند الوزان هو ما كان يعرف عند بطليموس بليبيا. وقد قسمها على أساس إثني إلى خمسة أقسام : صحراء صنهاجة وتبتدئ عند المحيط غربا وتمتد شرقا إلى ملاحة تغزة، وتنتهي شمالا في تخوم نوميديا أي إقليم سوس عند أقا ودرعة. وتسير جنوبا حتى أرض السودان عند مملكتي ولاتة وتنبكتو. الصحراء الثانية التي يسكنها شعب ونزيگة وتبتدئ غربا من تخوم تغزة، وتمتد شرقا إلى تخوم الأير، وهي البلاد الخالية التي يسكنها شعب تارگة وتتاخم شمالا صحراء سجلماسة وتابلبلت وبني گومي، وجنوبا صحراء گير التي تناسب مملكة كوبر. الصحراء الثالثة التي يسكنها شعب تارگة، وتبتدئ عند تخوم الأير غربا وتمتد إلى قفر إيغيدي شرقا وتتاخم شمالا مفازات توات وتيگورارين ومزاب، وجنوبا المفازات القريبة من مملكة أگدز. والصحراء الرابعة التي يسكنها شعب لمطة وتبتدئ عند إغيدي وتمتد إلى تخوم القفر الذي يسكنه شعب برداوة وتتاخم شمالا قفار تگرت وورگلة وغدامس، وجنوبا حتى المفازات الممتدة حتى گانو مملكة بلاد السودان. وأخيراً الصحراء الخامسة التي يسكنها شعب برداوة تبتدئ غربا من حيث تنتهي سابقتها، وتمتد شرقا إلى قفر أوجلة، وتتاخم شمالا مفازات فزان وبرقة، ممتدة جنوبا إلى تخوم مفازة بورنو. ثم قال أما باقي صحاري ليبيا، أي التي تمتد من أوجلة إلى النيل، فيسكنها الأعراب وشعب يدعى لواتة وهو إفريقي أيضاً (*وصف إفريقيا*، 2 : 148 ـ 158).

اعتمد المعاصرون في تحديد مفهوم الصحراء على الخصائص المناخية أو البيولوجية أو الصخرية، وتعددت آراؤهم في ذلك بتعدد تخصصاتهم. ويبرز المناخ كأهم عنصر لرسم حدود المناطق الجغرافية، لأنه هو الذي يحدد طبيعة العناصر الأخرى التي يستند إليها للحكم على منطقة دون أخرى كالغطاء النباتي مثلا (*Afrique Occidental*, p. 83) وتظل الحدود الطبيعية للصحراء الإفريقية غامضة وغير واضحة بسبب الاختلاف الواضح بين المعطيات الطبيعية للحافة الشمالية للصحراء والحافة الجنوبية لها. وقد ناقش Capot Rey هذه المسألة بإسهاب، وانتهى إلى وضع حدود تقريبية بالاعتماد على العناصر المناخية، فجعل حدود الصحراء عند قدم جبال درن، من المغرب الأقصى إلى طرابلس، وبهذه الأخيرة تنتهي الصحراء على بعد بعض عشرات الكيلومترات جنوب ساحل سرت، وفي الجنوب وادي السنغال وثنية النيجر ومنطقة إيندي بتشاد (*Le Sahara Français*, t. 1, p. 7 - 35 ; *Le climat*, t. 1, p. 17 ; *Sahara Oriental*, p. 43).

غير أن الحدود الجنوبية وكذلك الحدود الشمالية لهذه الصحراء غير واضحة المعالم، لأنها غير ثابتة وانتقالية وتختلف بحسب مزاحمة الصحراء للعمارة ومباعدتها (*المعجب*، 493). ومن ثم، فإن المرور إليها يكون بالتدريج. فهي تصل في الشمال الشرقي لبلاد المغرب إلى الهضاب

الليبية وصحراء سرت وجبل نفوسه وشط الجزيد وفي الشمال الغربي إلى السورة وسجلماسة ودرعة (*Sahara Oriental*, p. 42-43). وقد اقترح Capot-Rey الحدود الآتية للصحراء : في الشمال من الغرب إلى الشرق قريبا من خط 29 و 15 دقيقة بگلميم إلى 34 و30 دقيقة بقفصة. وفي الجنوب تنحدر الصحراء إلى 19 برأس تيميريس وإلى خط 16 بكوروطورو Koro - Toro. وما بين قفصة وأگادس تصل المسافة 2000 كلم في حين أنها بين گلميم ونواكشط 1400 كلم فقط (*Les Limites du Sahara*, p. 47).

لم تتحسن معارف الأوربيين عن الصحراء إلا في الأزمنة المتأخرة. ففي العصور القديمة كانت كل مناطق بلاد المغرب تعرف عندهم بليبيا وكل المناطق الداخلية تعرف بإثيوبيا. وظلت معارفهم عنها مضطربة في الخرائط والأطاليس التي تعود إلى العصر الوسيط. ففي أطلس كطلونيا الذي أنجز سنة 1375 على عهد شارل الخامس Charles V من طرف اليهودي الميورقي Abraham Gresques وضعت كلمة "الصحراء" في منتصف الطريق ما بين جبال الأطلس وممالك السودان. وبعد ذلك بحوالي قرنين من الزمن حصر Ortelius منطقة الصحراء في خريطته التي أنجزها سنة 1570 بالمناطق الجنوبية لليبيا. والصحراء عند Williams Caesius الذي رسم رسما للكرة الأرضية سنة 1622 هي المناطق الداخلية لليبيا، ونفس الشيء نجده في خريطة Bleau التي أنجزها سنة 1665، ومع الزمن تم التخلي عن أسماء ليبيا ونوميديا ككلمات دالة على الصحراء الإفريقية عند الأوربيين، واستعاضوا عنها بكلمات أخرى ككلمة الجريد (*Le Sahara*, p. 4).

واهتم الفرنسيون بالصحراء منذ القرن 19 الميلادي، بدليل العدد الكبير من الرحالين الذين زاروا المناطق الصحراوية إن عبر السواحل أو عبر الدواخل. ومن أشهر هؤلاء نذكر René Caillié وPanet وDoulsو Mage وPaul Blanchet لكن معرفتهم بها تزايدت بتزايد العمليات العسكرية التي قادتها فرنسا في اتجاه الصحراء عبر جنوب المغرب ابتداء من سنة 1934 فكثرت تآليف الضباط الفرنسيين حول الصحراء، الأمر الذي توفرت معه مادة تاريخية من الأهمية بمكان رغم ما تحمله من نصائح للمستعمرين، ورغم الأهداف الكولونيالية التي كانت وراء جمعها.

تزايد الاهتمام الأوربي بالصحراء في الثلاثينيات من القرن الماضي، لما أقام معهد الدراسات العليا المغربية مؤتمرا علميا نشرت أعماله في مجلة *Hespéris* العدد : 10، 1930. ثم ما فتئت بلاد الصحراء تستأثر بالاهتمام، إلى أن ظهر كتاب *Le Sahara Français* في مطابع P.U.F. سنة 1953 متضمنا ببليوغرافيا عامة عن الصحراء، شملت كتابات عدد كبير من المهتمين على اختلاف تخصصاتهم الجغرافية واللسانية والسوسيولوجية.

الزهري، *كتاب الجغرافية*، تح. محمد حاج صدوق، بور سعيد، د. ت ؛ أبو الفدا، *تقويم البلدان*، باريس، 1840 ؛ ابن سعيد، *كتاب الجغرافيا*، تح. إسماعيل العربي، بيروت، 1970 ؛ ابن عذاري المراكشي، *البيان*، ج 1، تح. ج. س. كولان وإ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، ن بيروت، 1983 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1973؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 7، بيروت، 1981 ؛ القلقشندي، *صبح الأعشى*، القاهرة، 1969 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1982.

J. Lanfry, *Le Berbère de Ghadams*, p. 58-59 et 60 ; Gast, *Désert Saharien*, R.O.M.M., 1981 ; Capot-Rey, *Le Sahara français*, t. I, P.U.F., Paris, 1953 ; *Les limites du Sahara*, Paris, 1952 ; Dubief, *Le climat du Sahara*, t. I, Alger, 1959.

حسن حافظي علوي

الصحراوي الروداني، محمد بن صالح عالم وأديب لا نعرف من حياته إلا نتفا قليلة أوردها في مقدمة ديوانه المخطوط، وأوردها الجشتمي في كتابه "الحضيكيون"، فقد وصفه بأنه كان عالماً بارعاً متبحراً في كل فن من فنون علوم الشريعة، من علوم القرآن والحديث والتفسير والفقه والنحو والبيان والمنطق واللغة والحساب والفرائض والأدب" وقد ترجمه لأنه أحد شيوخه.

ولد بالساقية الحمراء، وقرأ على والده، ثم انتقل ليأخذ عن شيخه أبي العباس أحمد ابن عبد العزيز الهلالي عالم سجلماسة الشهير.

أعمل الرحلة مع شيخه الهلالي ووفدا على السلطان محمد بن عبد الله بمكناس عام 1171، ورجعا معاً إلى مقر الشيخ بالزاوية الحمزاوية، ولزمه إلى أن أجازه عام 1173، فرحل عنه إلى موطنه بالساقية الحمراء، ولما بلغه نعي شيخه عام 1175، وكان عازما على القدوم عليه، لزم مكانه بالساقية الحمراء وقضى بها ما يقارب أربعين سنة. تزوج وولد هناك، واتسع رزقه فبنى خيمة كبيرة جعلها مسجداً للصلاة، ومكانا لقرى الأضياف، واستأجر مؤدبا يقرئ أولاده القرآن وما تيسر من العلم.

ولما أصيبت البلاد سنة 1212 بمجاعة شديدة، عزم على الرحيل وقصد سلطان الوقت سليمان مارا بمراكش والرباط وسلا، وقدم بين يدي السلطان مجموعة من القصائد في مدحه ومدح جده المصطفى عليه السلام.

تولى القضاء بمدينة تارودانت بتكليف من السلطان، بيد أن مهنة القضاء لم تعجبه، فاستعفى السلطان فأعفاه، وأقطعه أملاكا بتارودانت كانت مورد رزقه. ومازال إلى اليوم بدرب كسيمة بتارودانت بقايا داره الكبيرة وبقايا أملاكه وبقايا أبنائه الذين انقطع عنهم العلم.

ترك ابنه صالح بتارودانت ولداً اسمه العربي كان عالماً جليلاً محصلا له باع طويل في اللغة والأدب، وكان خطيبا بمسجد (سيدي وسيدي). وكان يعترض على بعض أحكام القاضي عبد الكريم التملي، مما أدى إلى نقله إلى فاس، وهناك بقي إلى أن توفي بعد عام 1230.

وإلى جانب ابنه العربي ترك ديواناً شعرياً قدم له بمقدمة طويلة ذكر فيها بعض جوانب حياته العلمية، وإجازة شيخه

الهلالي له، وذكر فيها محتويات الديوان التي هي مجموعة من القصائد في مدح الرسول عليه السلام بلغ عددها 18 قصيدة متفاوتة الطول، وقد نظم على كل بحر من بحور الشعر العربي قصيدة، وختمها بأخرى. ويشتمل الديوان أيضاً على قصائد في مدح السلطان سليمان وعددها 26 قصيدة مع خمس نتف. وهذا الديوان مازال مخطوطا لدى إحدى الأسر السوسية.

م. المختار السوسي، *العسول : خلال جزولة*، ج 4.

محمد الحافي

الصحراوي، عبد الرحمان حرب، مقاوم ولد بزاكورة سنة 1926. انضم لصفوف الحركة السرية للمقاومة بالدار البيضاء سنة 1954، بقيادة الكمالي عمر الفيلسوف. قام بعدة أعمال فدائية. اعتقل بسوق القريعة بالدار البيضاء سنة 1955 ، لكنه تمكن من الفرار واختفى عند احد أصدقائه إلى أن نظمت الحركة المنتمي إليها سفره إلى المنطقة الشمالية مع

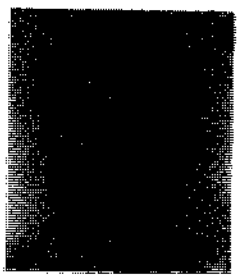

رفيقه الشهيد أحمد الصباغ. في طريقه إلى هناك اكتشفت الشرطة الفرنسية أمرهما فطاردتهما بعين الشعير قرب فاس وقد وقع تبادل إطلاق النار بينهما وبين رجال الدرك فسقط عبد الرحمان الصحراوي شهيداً سنة 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 400323.

الصحراوي، عبد القادر البيضاوي. لم يذكر في ترجمته اسم والده ولا المنطقة الصحراوية التي ينتمي إليها. وإنما المعروف أنه نشأ بالدار البيضاء وتعلم في مدارسها العربية الحرة. وقد دخل يوماً المؤرخ محمد الكانوني الأسفي مع مدير المدرسة إلى القسم الذي يدرس به المترجم للتعرف على مدى إدراك التلاميذ واستعدادهم، فأعجب بالصحراوي وجرأته في الجواب وقال : "هذا التلميذ الجهوري الصوت سيكون له شأن !".

توجه المترجم بعد إنهاء دراسته الثانوية إلى مصر حيث انخرط في سلك طلبة جامعة القاهرة وتخرج منها بلسانس ممتازة في الآداب. ولما رجع إلى المغرب اشتغل بالتدريس

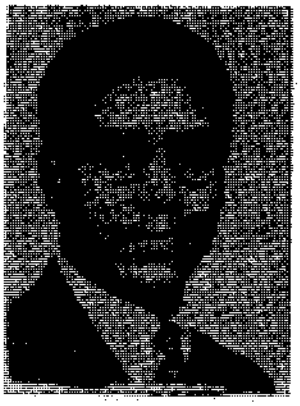

والعمل السياسي مع إحدى منظمات اليسار وانتخب عضواً في البرلمان، فكانت تدخلاته وانتقاداته نارية، وصف مثلاً عملية كانت تقوم بها الحكومة لتشجيع العاطلين على التوجه إلى الخارج للعمل ضمن اتفاقيات ثنائية مع بعض الدول الشقيقة والصديقة بأنها "عملية لتسويق اللحوم البشرية... بإبعاد المواطنين للتخلص منهم..." وبعد ذلك عُرض عليه العمل في الحكومة كوزير للأنباء فقبل وانقلبت معارضته مساندة وإشادة. وقد أدخل اصلاحات جذرية على وسائل الإعلام المسموعة والمرئية، وأطال فترات البث والارسال، وجعل نشرات الأخبار على رأس كل ساعة. ثم عين سفيراً للمغرب بلبنان. كانت له مقدرة تامة في البحث والانشاء والخطابة، وحرر العديد من المقالات، إلا أنه لم يؤلف سوى كتابين صغيرين، هما، *جولات في تاريخ المغرب*، الذي نشر سنة 1961 بالدار البيضاء، وكتاب *شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي*، الذي طبع سنة 1965 بالدار البيضاء أيضاً.

كان من المعجبين بكتابات المترجم عبد السلام ابن سودة الذي قال عن الجولات : "كتاب أعجبت به كثيراً وقرأته ثلاث مرات لحسن أسلوبه ومتانة مادته" وكذلك عبد الله عبد الدايم الأستاذ بكلية الآداب بالجامعة السورية الذي قال في تعليق له على بحث للمترجم حول شخصية *يوسف ابن تاشفين* : "ويصل ... إلى هذه الحقائق جميعها عن طريق أسلوب في البحث يمتاز بطول النفس، والجري وراء الحجج ومطاردة النصوص، وتطويق الموضوع تطويقاً علمياً من جميع جنباته". توفي بالرباط بسبب مرض عضال وعمليتين جراحيتين في ساعة مبكرة من صباح يوم الثلاثاء تاسع عشر رجب عام 1395 / 29 يوليوز 1975، ودفن في مقبرة الشهداء" في محفل رهيب بحضور أعيان الدولة والعلماء ووجهاء العدوتين.

ع. القادر الصحراوي نفسه، *جولات في تاريخ المغرب*، الدار البيضاء، 1961 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 9 ؛ إ. الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، سلا، 1988.

محمد حجي

الصحراوي، عبد الوهاب بن محمد بن مَحمد الخلفي الدكالي، الفقيه الأصولي، المشارك.

ولد عام 1314 / 1896. نشأ يتيما في حجر والدته زهراء بنت محمد العنتري، وتحت كفالة أخيه محمد الذي قام برعايته أحسن قيام. حفظ القرآن الكريم حفظا متقنا وهو ابن عشر سنوات، ثم شرع في حفظ الأمهات كألفية ابن مالك، ونظم الشاطبي في علم التجويد، وابن عاشر. ولامية الأفعال، والمعلقات، وتلخيص المفتاح وغيرها. ثم شد الرحال إلى قبيلة أولاد يحيى فدرس الألفية على الفقيه سيدي رحال، بعدها ذهب إلى مدرسة أولاد سيدي عبد الله بن مسعود فدرس على الفقيه الضرير سليمان *الألفية* بالموضح، *والمختصر* بالزرقاني، ثم رحل إلى جامعة القرويين فدرس على : شيخ الجماعة أحمد بن الخياط، وعبد الصمد گنون، وأحمد بن كيران، وعبد الله الفضيلي، والراضي الحنش وغيرهم، وأجازه جل شيوخه.

وبعد مضي عشر سنوات بالقرويين عاد إلى مدينة الجديدة حيث تولى خطة العدالة. وفي سنة 1349 / 1930 تولى خطة القضاء بقبيلة أولاد عمرو بدكالة مدة سبع سنوات. ووقعت بينه وبين الحاكم العسكري الفرنسي (كوستين) بدائرة سيدي بنور مناقشة في أمور شرعية كانت السبب في تخليه عن منصب القضاء، وتصدره للإفتاء.

وفي سنة 1361 / 1942 انتقل إلى مدينة مراكش فانخرط في سلك التدريس بجامعة ابن يوسف حيث قضى 25 سنة ينشئ فيها الأجيال، إلى جانب الدروس الوعظية التي كان يعطيها في بعض مساجد مراكش.

كان رحمه الله يمتاز بالخلق القويم، والشخصية الجذابة، والذاكرة القوية، مع حسن المعاشرة ولين الجانب. كما كان يتقن لعب الشطرنج، ويحفظ الباب الخاص بالشطرنج من كتاب *مختصر الافاريد*.

انتقل إلى رحمة الله يوم السبت 9 صفر الخير 1392 الموافق 25 مارس 1972 ودفن بضريح الإمام السهيلي خارج باب الرب.

أ. متفكر، *ذيل الاعلام*، مخطوط ؛ جريدة *العلم*.

أحمد متفكر

الصحراوي محمد الأمين بن عبد الله الحسني الحجاجي المراكشي، ولد حوالي سنة 1225 / 1808 وهاجر موطنه بالجنوب ليستقر بمراكش سنة 1254. وكان مقر سكناه بدرب زاوية عبد القادر الجيلاني بحومة ضَبَّشي حيث تزوج وأنجب الأولاد.

كان المترجم وجيها عند السلاطين وكبار رجال الدولة يصله محمد بن عبد الرحمان بالعطايا. وأجازه الحسن الأول على كتاب *الارتجال*. ومن الوزراء الذين كانت لهم به صلة خاصة العربي بن المختار الجامعي وموسى بن أحمد البخاري.

ويلمح صاحب *الاعلام* (7 : 22) إلى المناورة التي وقعت له مع الوزير الطيب بن اليماني بوعشرين "وأدت إلى أن أراد المترجم أن يناوشه بالضرب". ويذكر أن هذا الوزير العالم تعرض لمحن قاسية من جراء هزيمة القوات المغربية في معركة إيسلي والضغوط التي مارسها عليه الحاجب الوزير موسى بن أحمد وربما يكون لذلك ولغيره انعكاس على علاقة بوعشرين بالآخرين بمن فيهم العلماء والفقهاء.

ومن شيوخ المترجم محمد بن عبد الودود الحاجي وعبد القادر بن محمد العلمي (ت. 1266 / 1849) وعمر بن محمد المكي الشرقاوي التادلي مؤلف كتاب *موارد الصفا في الصلاة على النبي المصطفى* بمراكش سنة 1259. وأجازه في جميع مروياته. واشتهر الحجاجي كمهتم بالتاريخ والتصوف ونظم الشعر واللغة والأدب، كما اشتغل بالتدريس بمراكش.

ويلاحظ أنه تنقل بين عدة مدن مغربية في أواخر حياته (الرباط وسلا ومكناس وفاس) حيث اتصل بكبار علمائها وزار أشهر أوليائها ومساجدها. ومن تآليفه : *الارتجال في مناقب ومشاهد سبعة رجال وما اشتهر في مراكش أودخلها من صلحاء الرجال*، ويبدو أن المؤلف لم يتمم هذا الكتاب لأنه اشتغل بتأليف مصنف آخر ؛ *المجد الطارف والتالد على أسئلة الناصري سيدي أحمد بن خالد* أو *تحبير التحرير على أسئلة الناصري سيدي أحمد بن خالد السلوي النحرير*، وقد جعله المؤلف بمثابة مقدمة لكتاب *الارتجال* سابق الذكر.

وهو جواب عن سؤال وجهه الناصري مؤلف *الاستقصا* عن أولية سبعة رجال وسبب تسميتهم بهذا العلم المشهور ووقت شهرتهم به ؛ كما تعرض فيه لأخبار تنقلاته بين المدن المغربية التي زارها.

ـ *المنهج المختار والكوثر المدرار في مناقب الشيخ المختار وأشياخه الأخيار الأبرار*، عرف فيه الحجاجي بالشيخ المختار ابن أحمد الكنتي (ت. 1226 / 1811ـ12) ؛

ـ *شرح معظم إضاءة الادموس ورياض الشموس في اصطلاح القاموس*، من تأليف أحمد بن عبد العزيز الهلالي السجلماسي نزيل مدغرة ؛

ـ *تأليف في ضجيعي أبي العباس السبتي* ؛

ـ *الدرة المنيفة والمقالة الظريفة في صفة الحجرة والروضة الشريفة* ؛

ـ وله عدة قصائد في أغراض مختلفة، ولا سيما في المديح النبوي.

توفي بمراكش التي قضى بها مدة أربعين سنة عام 1295/ 1878، ودفن بزاوية الشيخ عبد القادر الجيلاني بالدرب الذي كان يسكنه.

س. الحوات، *الروضة المقصودة*، تح. ع. تبلاتي، جزءان، 1994 ؛ م. بوجندار، *الاغتباط بتراجم أعلام الرباط* ؛ م. دبنية، *مجالس الانبساط*، الرباط، 1986 ؛ م. ابن الموقت، أبو عبد الله محمد المراكشي، *السعادة الأبدية*، طبعة حجرية، ج. 1، 1336 / 1918 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الاعلام*، الرباط، الجزآن، 6 و7 ؛ *إظهار الكمال في تتميم مناقب أولياء* ؛ ع. بنعبد الله، *معلمة الصحراء*، ملحق 1، 1396 / 1976 ؛ *معلمة المغرب*، ج. 6 ؛ *ندوة الرباط وسلا*، ج. 1، المحمدية، 1994.

المكي مربي

الصحراوي، محمد المهدي وقيل الصحراوي ـ بمعجمة ـ عالم صوفي يرفع نسبه إلى الأمويين الأندلسيين الفارين من العباسيين. وكانت مدينة فاس مستقر سلفه وبها نشأ ودرس بجامع القرويين. ومن جملة شيوخه الحسن اليوسي وأحمد بن الحاج (الحفيد) والشيخ الصوفي الحاج الخياط الرفيع، ثم توجه إلى وزان وأخذ عن شيخها محمد بن مولاي عبد الله الاوراد والاحزاب والجلالة. وبعد وفاة الشيخ أخذ عن خلفه مولاي التهامي ثم عن خلفه مولاي الطيب. وتطلعت نفسه إلى أن يصبح مقدما على الفقراء الوزانيين بفاس، غير أن شيخ الزاوية أسند هذه المهمة إلى مريد آخر هو قاسم بن محمد بن رحمون الزرهوني فلم يقبل الصحراوي المهدي هذا الأمر الواقع معللا عدم دخوله تحت إشراف ابن رحمون بأن هذا المقدم رجل من الحرفيين فهو حائك وأما هو فعالم، فدعم موقفه بمجالسه العلمية التي كان يعقدها بجامع الدوح ويعطي فيها لكل من الطلبة والفقراء دروسا خاصة فكان يقرأ أحزاب الشيخ والجلالة صباحا ومساء ويدرس الرسالة وابن عاشر بين العشاءين ويخصص دروسا للفقراء من حكم *ابن عطاء الله* وقوت *القلوب* لأبي طالب المكي و*الإحياء* للغزالي. وأمام إقبال الطلاب والفقراء على دروسه والانتفاع بها حاول المقدم ابن رحمون إقناعه بالرجوع إلى صف الفقراء وإشعاره بأنه لا يتوفر على إذن الشيخ في تلقين الورد ولكنه ظل متمسكا بموقفه. ولما سافر إلى وزان ذكره الشيخ بضرورة اتباع المقدم ابن رحمون فلم يحد عن موقفه بل قال للشيخ "أنا فقيه وابن فقيه والمقدم الذي وليت على الفقراء دراز ابن جزار...:" وبقي على حاله بدون إذن من الشيخ إلى أن توفي حوالي 1140 / 27 .1728 .

م. بن الطيب القادري، *نشر المثاني*، 4 : 234، تح. م. حجي وأ. التوفيق ؛ م. بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 2 : 35.

محمد ماگامان

الصحراوي، يحيى بن أبي بكر بن يوسف بن تاشفين المرابطي، عرف بالصحراوي وبابن الصحراوية، فارس من أمراء المرابطين، ظهرت نجابته في عهد عمه علي بن يوسف فعينه واليا على فاس وسبتة. وعندما اشتد ضغط عبد المومن على جيش تاشفين بن علي بنواحي وهران خرج الصحراوي من فاس بجيش لإنجاد عمه فوصل إلى منطقة تلمسان، لكن خبر مقتل ابن عمه أمير المسلمين تاشفين بن علي دفعه إلى العودة بجيشه إلى فاس فأخذ ينظم قواته للدفاع عنها في وجه الموحدين الزاحفين إليها من الشرق.

وبعد مناوشات قليلة بين قوات الصحراوي والجيش الموحدي في ضواحي فاس، تبين معها أن الموحدين لم يكونوا يرغبون في مواجهة مفتوحة، فبدأوا يستعدون لحصار المدينة، وفي هذه الأثناء اتصل مشرف فاس ابن خيار الجياني بالموحدين وسهل لهم دخول المدينة، فاضطر الصحراوي إلى الفرار عنها سنة 540، وتوجه إلى طنجة مع من معه من لمتونة، وبعد عدة أشهر جاز إلى الأندلس والتحق بيحيى ابن غانية عندما تبين له أن أمر الموحدين في ازدياد.

وبعد قيام ثورة أهل سبتة ضد الموحدين جاز قاضيها عياض إلى الجزيرة الخضراء واتصل بابن غانية فبعث معه يحيى بن أبي بكر الصحراوي واليا على سبتة فاستولى عليها، وحاول أن يقوم بحركة أوسع لاسترجاع ملك المرابطين، فبعد تأمين سبتة وطنجة اللتين عادتا لبيعة المرابطين اتصلت به القبائل الثائرة التي ساندت ثورة الماسي سنة 543 /1148 ، فزحف إلى مدينة سلا، وقتل والد الماسي الذي كان ثائرا بها، ثم نزل جنوبا فالتفت حوله قبائل دكالة وبرغواطة ورجراجة وحاحة، وشكلت حركته تحديا قويا للموحدين، لذلك فإن عبد المومن بعث إلى قواده في جميع الجهات يطلب منهم إنجاده بالقوات، فاجتمع لديه جيش ضخم خرج به من مراكش لحرب الصحراوي والقبائل المحالفة له، ودارت بين الطرفين معركة شرسة في منطقة على الساحل عند أبصرول جنوب مدينة أزمور، فهزم جيش القبائل وفر الصحراوي إلى الصحراء، وعندما تحركت بعض القبائل من جديد ضد عبد المومن سنة 548 / 1153 اتصلت به قبيلة جزولة فوفد إليهم والتحقت بهم قبيلة لمطة وقبائل السوس وسيطروا على بعض الحصون والمواقع، فجيش الموحدون لإخضاعهم عدة جيوش، وبعد انكسار هذه الثورة جدد الصحراوي طلب العفو من عبد المومن فعفا عنه وأكرمه وحظي لديه وجعله قائدا على من بقي من لمتونة. وكان عبد المومن بعد مدة قرر أن ينكل به على أقوال نسبت إليه، وكان أبو جعفر بن عطية صهر يحيى الصحراوي وكاتبا للخليفة فنبهه مما كان يدبر له، وكان هذا سبب نكبة هذا الأخير وقتله سنة 553 / 1158 . وألقي القبض على الصحراوي فسجنه عبد المومن وظل في السجن إلى وفاته.

ابن عذاري، *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب* (قسم الموحدين)، تح. جماعة من الأساتذة، الدار البيضاء، 1406 / 1985 ؛ أ. البيذق، *أخبار المهدي بن تومرت*، تح. عبد الحميد حاجيات، الجزائر، ط. 2، 1986 ؛ ع. الواحد المراكشي، *المعجب*، تح. محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، القاهرة، 1949.

محمد المغراوي

الصَّحْفة، تجمع على صحاف، مكيال من خشب غير مُركّب، بل يتم نحت الصحفة واستخراجها من قطعة واحدة من جذع الشجرة ؛ وليست كل الأشجار صالحة لصناعة الصحاف، وأجودها ما صنعت من خشب يجمع بين المتانة والصلابة وحسن المنظر والرائحة الطيبة واللون اللامع. وتدعى الصحفة في المغرب اليوم ـ قصعة جمعها "قصاع" ـ تنحت من جذوع شجر الجوز وهي أجودها تليها المنحوتة من شجرة الأرز

فالصنوبر بجميع أنواعه وخاصة "العرعار" وهذه جميلة المنظر طيبة الرائحة شديدة اللمعان لكنها أقل صلابة ومتانة.

لم تشر المصادر إلى أنواع الأشجار التي تنحت منها الصحاف ولكن أبو عبيد البكري في (*المغرب*، 156) أشار إلى أن شجر تامجاثت كانت تصنع منه الأواني الخشبية وتصدر، ويوجد هذا الشجر قرب مدينة تيومتين وبه سمي المكان تامجاثت قال : "... ومنه آنية سجلماسة ودرعة وما والاها..." (*معلمة المغرب*، مادة تامجاثت).

لاشك أن أول استعمال للإنسان لهذا النوع من الأواني كان لأغراض الطبخ وإعداد الطعام وتناوله. ثم تطور ليصبح في فترة تاريخية مكيالا أو مكاييل. والراجح أنها أي الصحاف استعملت للغرضين معاً في بداية الأمر. ونجد بقايا هذا الاستعمال حتى اليوم في بعض الجهات من المغرب أي أن الصحفة أو القصعة تستخدم مكيالاً وإناء لتقديم الطعام وخاصة "الكسكس" والثريد و"بركوكش" و"الرفيسة" و"العصيدة" وما شابهها..

ويفهم من مختلف الإشارات أن مناطق صناعة الصحاف في المغرب كانت محدودة خلال العصر الوسيط. فبالإضافة إلى تامجاثت التي ذكرها البكري (*المغرب*، 156) ـ والتي لم ترد عند المصادر التي أتت بعده ـ أشار صاحب *معيار الاختيار* (143) إلى أن سبتة ونواحيها كانت تتوفر على "الخشب الذي يصنع منه كل منحوت" دون تحديد ما إذا كانت الصحاف ضمن المنحوت ؛ ولا يفيدنا صاحب *اختصار الأخبار*، وهو ابن سبتة في شيء، فقد أشار إلى أن "عدد المنجرات المعدات لعمل القسي 40 منجرة" ؛ نفهم ضمناً من إشارة (*التشوف*، 380) عن "الصحاف الهسكورية" أنها من صنع هسكورة ويؤكد ذلك ما كانت تتوفر عليه المنطقة من غابات وأشجار ضخمة صالحة لهذه الصناعة. وما عدا ذلك فالمصادر التي تتعدد فيها الإشارات إلى الصحاف توحي بأن هذا النوع من الأواني كان استعماله كمكيال أكثر من استعماله كأوانٍ للطبخ وتقديم وتهييء الطعام. ولعل ذلك راجع لقلتها فقد وردت إشارات في بعض كتب التصوف *أنس الفقير*، 32 و*التشوف* عن استيراد للصحاف من الخارج : "صحفة كبيرة من عود من عمل الروم".

الصحفة مكيال		الصحفة ماعون	
المصدر	الصفحات	المصدر	الصفحات
البكري، *المغرب*،	156	التادلي، *التشوف*،	238 ـ 304
البادسي، *المقصد*،	138، 87		239 ـ 331
ابن أبي زرع، *القرطاس*،	302، 384		264 ـ 372
	385، 401		280 ـ 418
التادلي، *التشوف*،	383		284
ابن قنفذ، *أنس*،	32	ابن عذاري، *البيان*، 4 :	99
		الماجري، *المنهاج*،	345

في العامية المغربية المتداولة اليوم وحتى في الفصحى اختفت كلمة "الصحفة" وحلت محلها كلمة قصعة كإناء لتهييء وتقديم الطعام. والكلمتان استعملتا منذ العصر الوسيط ؛ ويميز السكان ما بين "القصعة" التي هي مرادف للصحفة والمنحوتة من الخشب وما بين "القصرية" المصنوعة من الطين. وكانت الكلمة مستعملة منذ العصر الوسيط. وقد انفرد بذكرها في هذه الفترة صاحب (*المقصد الشريف*، 132).

أشرنا إلى أن الأواني الخشبية ربما كانت من الأواني الأولى التي استعملها الإنسان القديم، وفي السياق التاريخي والتطور الحضاري أصبحت متطورة الصنع وأكثر إتقاناً وجمالاً فتراجع انتشارها إذ أصبحت غالية الثمن ولا يقتنيها إلا الأغنياء والأعيان، أما الفقراء فقد أصبحت أوانيهم من الطين (الساذج) (poterie)، وبعد التطور الذي حصل في صناعة الأواني الطينية بظهور الخزف (*وصف إفريقيا*، 1 : 185 ـ 193) تراجعت أواني الخشب من جديد لتعود في متناول الفقراء ؛ وفي أيامنا هذه أصبحت الأواني الخشبية من التحف ومن مقتنيات السياح، أي أنها لم تعد في متناول الجميع :

استخدام الصحاف كمكيال كان منذ العصر الوسيط وما بعده ويقابل الصحفة في بعض المصادر والدراسات الوسق والحمل : الصحفة = الوسق = الحمل = 60 صاعاً.

الصاع = 5 ارطال و3/1

الرطل = 533.28 جرام

الصحفة = 60 x [(533,28) x (5,33)]

= 160 كلج

وعن الصحفة أو القصعة كإناء لتهييء الطعام وتقديمه للأكل اختلفت الإشارات إليها ما بين الصغيرة للاستعمال المنزلي العادي للشخص الواحد أو للأسرة، وما بين الضخمة المعدة لإطعام الناس في المناسبات. فقد كان هذا النوع الأخير من الضخامة بحيث لا يقوى على حملها وهي مملوءة إلا العبيد ؛ منها ما يحمله شخصان ومنها ما يحمله أربعة أشخاص ؛ ويستنتج من بعض المصادر (*دوحة الناشر*، 170) وحتى من الرواية الشفوية المتداولة اليوم أن بعض هذه الصحاف (القصاع) كان يحمل من الكسكس القنطار أو بعض قنطار، ومن اللحم الخروف وما يزيد عنه. وقد ارتبطت هذه المظاهر الضخمة بأبهة المخزن وأعوانه وبكرامات بعض الزوايا. وبصفة عامة كانت القصاع أو الصحاف الكبيرة من علامات ومظاهر الكرم المغربي الذي ما تزال بقاياه بالصورة التي عرضنا لها موجودة في بعض المناطق وفي بعض المناسبات.

البكري، *المغرب*، الجزائر، 1911، وباريس، 1965 ؛ م. حجي، *معلمة المغرب*، مطابع سلا ؛ ابن الخطيب، *معيار الاختيار*، المحمدية، 1976 ؛ الأنصاري، *اختصار الأخبار*، تطوان، مجلة، ع 3، 1958 ـ 1959 ؛ التادلي، *التشوف*، الرباط، 1958 و1984 ؛ ابن قنفذ، *أنس الفقير*، الرباط، 1965 ؛ ابن أبي زرع، *روض القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، تطوان، 1960، بيروت،

1948 ؛ الماجري، *المنهاج الواضح*، المطبعة المصرية، 1933 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1980 ؛ أبو العباس اللخمي العزفي، *قطعة من كتاب إثبات ما لابد منه لمريد الوقوف على أحوال الدينار والدرهم والصاع والمد*، مخطوطة خاصة ؛ م. الطويل، *النقل والتنقل في المغرب خلال العصر الوسيط*.

Ahmed Khanboubi, Les premiers sultans mérinides, 1269-1331, Paris, 1987.

محمد حجاج الطويل

صخرة الدجاجة كتلة صخرية بين مواطن وردیغة وبني خيران. شكلت حصنا طبيعيا ومنبعا للمياه (عين السلطان، وادزا مراين...) لذلك مثلت نقطة حيوية لتخييم المحلات المخزنية "ولازال الركاب الشريف مخيما بصخرة الدجاجة من بلاد وردیغة كما قدمنا لكم بقصد تتميم مباشرة ما بقي من الأغراض...". ولعبت دور محطة أساسية للعبور، فقد احتلت مركزاً استراتيجيا في الطريق السلطاني الرابط بين فاس / الرباط ومراكش مروراً بتادلا. ففي "السفرة الثامنة لمولاي الحسن، عام 1298، نهض سيدنا من مكناس إلى مراكش على زمور على الرباط على زعير على صخرة الدجاجة وفيها عيد الفطر على تادلة والسراغنة والرحامنة إلى مراكش". وفي سفرته الرابعة عشرة "نهض عام 1304 من مراكش إلى فاس، في يوم الثلاثاء 27 شوال 1304 رحل من بوقصيبة (بوگروم) إلى سيدي محمد لبصير ببلاد السماعلة، وفي اليوم الموالي من سيدي محمد لبصير إلى ابيار مزوي فصخرة الدجاجة". و"في يوم السبت 2 حجة 1308 رحل من الكيسان إلى صخرة الدجاجة ببلاد وردیغة، ويوم الخميس من صخرة الدجاجة إلى ابيار أمزو ببلاد وردیغة".

وشكلت صخرة الدجاجة نقطة عبور وتخييم رئيسة للحركة الحفيظية المنطلقة من مراكش نحو فاس. وخيمت بها المحلة الحفيظية ابتداء من 25 أبريل، ومنها أصدر السلطان الجديد عدة ظهائر لتعيين قواد جدد بالمنطقة.

وخيمت بها المحلة العزيزية المتوجهة من تمارة نحو مراكش

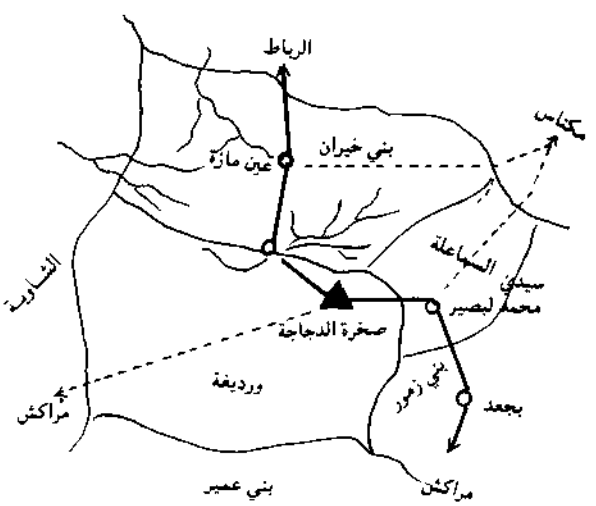

منذ 24 يوليوز 1908. وعبرتها القوات الفرنسية لأول مرة بقيادة المقدم Mauveaux بتاريخ غشت 1909. وفي نونبر 1912 نزلت بها القوات الفرنسية من جديد بقيادة الجنرال Franchet d'Espery حيث تأسس مركز عسكري ثانوي يستند إلى المركز الخلفي بابْن احمد.

الوثائق الملكية ؛ مؤلف مجهول، *مراحل رحلات السلطان مولاي الحسن*، خ. ح.

P. Marty, *Notice sur le Tadla*, Bouchron, 1909 ; R. Peyronnet, *Tadla, pays Zaïn, Moyen Atlas*, Alger, 1923.

صالح شكاك

أبو **صخُور**، وينطق به أيضاً بُوصْخُور، هو محمد العربي الخمسي، نعته المؤرخون "بالمرابط" وواحد من "أهل الكشف والولاية". دخل تاريخ المغرب في بداية دولة سيدي محمد بن عبد الله العلوي في صفر من عام 1171 / أكتوبر 1757 حين دعا قبائل جبالة وغمارة إلى عدم مبايعة السلطان الجديد زاعما أن ملكه لن يطول، وكان ذلك سبباً في تخلف هذه المنطقة عن مبايعة السلطان.

وحتى لا يتسع الخرق إلى جهات أخرى من البلاد اغتنم سيدي محمد بن عبد الله فرصة أول زيارة له لمكناس لتنظيم حملة عسكرية ضد بوصخور والقبائل الواقعة تحت تأثيره.

ولهذا الغرض خرج السلطان من مكناس في جيش عظيم يوم 8 ذي القعدة 1171 / 15 يوليو 1758 في اتجاه شفشاون. ولكن القبائل الجبلية تلقته بالطاعة والولاء والهدايا وسلمت له المرابط بوصخور. فقبل السلطان بيعتهم وأبقاهم على حالهم واكتفى بقتل بوصخور وتوجيه رأسه ليعلق على أبواب فاس ومكناس.

ثم تابع السلطان طريقه لشفشاون التي سبق أن سدت أبوابها أمام قائد المخزن. فحرق الأشجار المحيطة بالمدينة ثم ولى عليها وعلى الجهة الشمالية الغربية الباشا ابن العياشي قبل أن يعود إلى مكناس.

لكن فتنة بوصخور لم تنته بقتله، ذلك أن السلطان عاد إلى مكناس من هذه الحملة وهو مريض، فتذكر الناس تكهن بوصخور بقصر حكمه واضطربت الأحوال من جديد ليس فقط في منطقة جبالة وغمارة بل كذلك في الجهات الأخرى المجاورة لها. ولم تنته هذه الفتنة إلا بعد شفاء السلطان ومعاينة الناس لذلك في احتفالات عيد المولد النبوي لربيع الأول من عام 1172 / أكتوبر 1758 التي أقيمت بمكناس.

وهكذا تكون فتنة محمد العربي الخمسي بوصخور دامت سنة كاملة (أكتوبر 1757 إلى أكتوبر 1758).

أ. ابن الحاج، *الدر المنتخب*، مخطوط، خ. ح، عدد 1920، ص. 46. 48 ؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، الدار البيضاء، 1988، ص. 303 ؛ أبو القاسم الزياني، *الروضة السليمانية*، مخطوط، خ. ع، عدد 1275، الورقة، 114.

فاطمة الحراق

صخور الرحامنة اسم مركز وجماعة تقع على الطريق الوطنية رقم 9 الرابطة بين الدار البيضاء ومراكش، تابعة إداريا لإقليم قلعة السراغنة، دائرة الرحامنة، قيادة صخور الرحامنة. تعتبر من الجماعات القديمة بالمغرب إذ أحدثت سنة 1977، وعرفت عدة تقسيمات منذ هذا التاريخ، كان آخرها سنة 1992، حيث فصلت عنها جماعة سيدي منصور. تبلغ مساحتها الحالية 261 كلم2.

تنتشر أراضي الجماعة فوق هضبة الرحامنة التي هي جزء من القاعدة القديمة الأطلنتيكية (الميزيتا)، يرجع تكوينها إلى الحقبة الهرسينية وهي سطح تحاتي قديم يتكون أساسا من الشيست والحث والگرانيت، متموج قليلا، معدل ارتفاعه 500 م، تبرز به نتوءات صخرية ضخمة كتلال عالية يقع أهمها بجوار مركز الجماعة وهي جرف البيضاء : 713 م، وأدنى نقطة ارتفاع بها : 413 م. أغلب أراضي الجماعة متموج مكسو بالحجارة مما يجعل تربتها فقيرة زراعيا فهي هيكلية ناقصة التطور، تتكون في معظمها من تربة الحمري الكثيرة الحجارة والحصى، وجزئيا من البياض، لكن المنخفضات والمقعرات تتجمع بها تربة رسوبية غرينية لا بأس بها. ويلاحظ أن قيمة التربة تتدهور من الشمال نحو الجنوب.

المناخ : يطغى على مناخ هضبة الرحامنة وبالتالي جماعة الصخور مناخ معتدل قاري يتميز بصيف حار خاصة عندما تهب رياح الشرقي، فتضعف المؤثرات الأطلنتيكية، وهذا ينعكس على نظام الأمطار التي تتميز باضطراب كبير لكمياتها من سنة لأخرى : 40 ـ 400 ملم / سنة، تتركز تساقطاتها بين نونبر وأبريل. بلغت مقاديرها 180,7 ملم سنة 1991 ـ 1992 و202,6 ملم سنة 1997 ـ 1998. وهذا ما جعل الجماعة تختص قديما في الرعي وتربية الأغنام، يبلغ المعدل السنوي للحرارة حوالي 20 درجة لكنها تعرف درجات عليا تتجاوز 40 درجة صيفا. كما تنخفض في بعض ليالي الشتاء إلى درجة التجمد مما يؤدي إلى ظهور الصقيع (الجريحة). أما الجريان السطحي فيكاد يكون منعدما باستثناء بعض الشعاب (السيول) التي تجري بها المياه بشكل عرضي إثر سقوط الأمطار. لكن أراضيها لا تبعد كثيراً عن نهر أم الربيع.

إن لقساوة المناخ وجفاف التربة انعكاسات سلبية على الغطاء النباتي الطبيعي الذي يتمثل في أعشاب حولية تظهر بعد سقوط الأمطار، تبرز بينها شجيرات قصيرة للسدرة الشوكية والطلح والدوم بالشمال، لكنها أزيلت في معظمها بسبب توسع زراعة الحبوب البورية والرعي الجائر، ولم يبق بارزاً على سطحها كنباتات دائمة سوى السدرة التي تعاود الظهور بعد كل موسم زراعي، والصبار الذي عرف توسعا كبيراً منذ فترة الحماية، إذ صار الكثير من القرى والمقابر والطرق محاطة بالصبار حتى أصبحت ثمراته أشهر منتوجات الجماعة. وذاعت شهرة كرموس الصخور والجبيلات (ثمرات الصبار) في مناطق بعيدة كمراكش وأسفي وخريبگة. كما اكتست أشجار الأوكالبتوس أهمية متزايدة إذ تغرس بالحدائق العمومية والخاصة وبجوانب الطرق وبمناطق تشجير عديدة خاصة بمنحدرات التلال العليا وضفاف نهر أم الربيع وشمال المركز وهي التي تتحمل بصبر قساوة المناخ خاصة بعد استفحال الجفاف.

وينتمي سكان الجماعة إلى مجموعة قبائل الرحامنة، وهم في معظمهم قبائل صحراوية عربية ومستعربة، وفدوا على المنطقة من سوس والصحراء الجنوبية الغربية في ركاب السعديين في القرن العاشر (16 م)، واستوعبوا بقايا السكان المحليين الأصليين، وطبعوا المنطقة بنمط عيشهم البدوي القائم على الرعي ونصف الترحال وزراعة بورية يناصبية للحبوب خاصة الشعير، يزعمون انتسابهم إلى جد اسمه رحمون. ولم تستقر أسرهم وتظهر لهم قرى منازلها بالطين المدكوك سوى في مطلع القرن العشرين. وترسخت الظاهرة خلال فترة الحماية.

بلغ سكان الجماعة 10959 نسمة في إحصاء 1994 موزعين على أربع مشيخات و57 دواراً ومركز قروي واحد. تصل كثافتهم إلى 41,98 ن / كلم2، لكنها تتباين من جهة لأخرى ذلك أن استفحال الجفاف أذكى الهجرة القروية نحو المدن خاصة مركز الجماعة الذي بلغ عدد سكانه 3526 ن (مقابل 2400 ن سنة 1982). عرفت معظم القرى هجرة مكثفة شبه جماعية أحياناً، إذ لم يبق في بعض القرى سوى ثلث سكانها، لهذا يلاحظ أن عدد سكان الجماعة يتراجع لكن لا يرتبط ذلك بالهجرة فقط بل كذلك بفصل جماعة سيدي منصور عنها وقد تطور سكان الجماعة كالتالي : 18142 ن سنة 1971 و18667 ن سنة 1982 و10959 ن سنة 1994.

بلغت نسبة الخصوبة 3,55 لكنها بالنسبة للأمهات المولودات في عقد الأربعينيات خاصة بين 1945 ـ 1949 بلغت 7,70. وتبلغ نسبة الأمية في الشرائح التي يتجاوز عمرها عشر سنوات 71,30٪ (68,38٪ للذكور و80,73٪ للإناث).

ومازالت أراضي الجموع واسعة الانتشار لكن الملك الخاص في توسع مستمر منذ أيام القايد العبادي الذي أعطى المثل للأسر الإقطاعية في بداية عهد الحماية بالاستيلاء على أكبر ما يمكن من أراضي الجماعة والگيش وخوصصتها (تمليكها لصالحه) فتجاوزت أملاكه بمنطقة الرحامنة 40.000 هكتار، كما عرفت أراضي الدولة تقلصا لأسباب مختلفة. ولا تحتل الغابات إلا 1,8٪ من أرض الجماعة أي حوالي 3500 هكتار تتمثل في مناطق تشجير الأوكالبتوس بالمنحدرات الجنوبية لوادي أم الربيع وببعض التلال وبجوانب الطرق.

يقوم الاقتصاد الفلاحي على تكامل بين الزراعة الحولية للحبوب وتربية المواشي خاصة الأغنام وذلك في إطار أساليب تقليدية تعتمد على الدواب والأيدي العاملة لممارسة زراعة يناصيبية للشعير خاصة ضعيفة المردودية. لكن في

بعض السنوات الوفيرة الأمطار تعرف المنطقة تغيرا جذريا إذ ينتشر العشب الكثيف والأزهار وتنتعش الأغنام وتفيض الخيرات... تساهم المواشي بأكثر من نصف دخل الفلاحين، تترك لها مساحات واسعة للرعي (كأراضي مستراحة) كما تجد في الحصائد مجالا غنيا لتغذيتها. لكن استفحال الجفاف في العقدين الأخيرين أدى إلى تراجع أعداد الأغنام مما يترتب عنه كراء الحصائد صيفا لأشخاص يحترفون تربية الأغنام التي ينقلونها على الشاحنات من الحوز وتادلة. وفي السنوات الجافة تتحرك مواشي الجماعة شمالا للرعي بحصائد الشاوية ودكالة.

مركز صخور الرحامنة :

يقع على علو 473 متر، وسمي بصخور الرحامنة لوقوعه بين تلين صخريين علوهما 713 متر و642 متر مما يجعله يحتل ممرا استراتيجيا. كان نزالة تاريخية مهمة على طريق مراكش أنفا الرباط فاس، تعبره القوافل الرسمية لانعدام الأمن بالطريق الداخلي عبر تادلة، خاصة عندما تتمرد بعض القبائل الموجودة فيه. تحول في عهد الحماية إلى محطة لحراسة الطريق الرئيسي والسكة الحديدية التي عبرته في امتدادها من الدار البيضاء سنة 1932، انشئت به ثكنة عسكرية وبعض المنشآت الإدارية والخدماتية، ثم ظهر بجانب الطريق عدد من الدكاكين والمقاهي، فتحول إلى محطة طريقية. وفي عهد الاستقلال ازدادت أهميته بارتفاع حركة النقل بين الدار البيضاء ومراكش بل وكل جنوب المغرب. إن وقوع المركز على طريق وطني مهم وباعتباره بوابة الإقليم، اكتسب دينامية كبيرة وتحول إلى محطة طريقية تتوقف به جل وسائل النقل العمومي والخاص للتغذية أو شراء اللحوم... وظهرت به ثلاث محطات بنزين وفندق غير مصنف.

ولوحظ في السنين الأخيرة توسع كبير في ساحته لأسباب متعددة يبرز في مقدمتها هجرة القرويين إما هروبا من انعكاسات الجفاف، أو أملا في الحصول على عمل قار، حيث يمارس معظم النشيطين منهم حرفا تجارية وخدماتية غير مهيكلة، وإما لمصاحبة أبنائهم الذين يتابعون دراستهم بالمدرسة الابتدائية أو الإعدادية أو الثانوية. ولمواجهة تزايد السكان، نشطت حركة البناء، وأصبح الطابع العمراني للمركز يتميز بنوعين من أنماط البناء، ففي الجهة الشمالية يسود البناء المنظم نسبيا، مكون من الصلب، يتوفر على المرافق الأساسية كما يخضع لشروط التعمير. وفي الجنوب يسود البناء العشوائي يختلط فيه عدة نماذج من السكن، ما بين صلب تقليدي من الطين المدكوك، وصلب عصري مبني بالإسمنت كليا أو جزئيا وسكن هش يختلط فيه الطين بالقش يفتقر إلى المرافق الضرورية، الشيء الذي دفع الجماعة إلى إحداث مكتب تقني لمراقبة البناء لحماية الطابع الحضري للمركز. ويلاحظ أن السكن الريفي المبني بالطين المدكوك يكون 67.28٪ من المنازل بينما تكون نماذج السكن الحضري الحديث 28.27٪ وشقق العمارات 1.56٪ والسكن الهزيل 2.20٪.

عرف المركز أول تصميم نمو سنة 1961، وبتوسع المركز تم تغييره بتصميم آخر سنة 1985، لازال معمولا به إلى الآن رغم تجاوز حدوده لتزايد الهجرة باستفحال الجفاف، مما أحدث أزمة سكنية خاصة وأن إنجاز أشغال تجزئة جديدة شرع فيها منذ 1990 لازال يتعثر بعراقيل كثيرة منها ارتفاع ثمن البقع وزيادة مسلسل تفقير الفئات الشعبية العاجزة عن دفع ثمن البقعة، مما دفع المجلس إلى الشروع في إنجاز تجزئة للسكن الشعبي الرخيص. ويتوفر المركز على حديقة عمومية تعرف بـ "الجردة" موروثة من الفترة الاستعمارية أضيف إليها حديقة صغيرة : 7800 م2 أنشئت منذ 1980 بقلب المركز، لكنها بعيدة نسبيا عن سكن الأطفال، وتعرضت مؤخرا للإهمال مما ألحق إتلافا بأشجارها وتجهيزاتها.

يتكون قلب المركز من محلات تجارية تنتشر على طول الطريق الرئيسي خاصة بجهته الشرقية، حيث يوجد السوق ومعظم الدكاكين والمقاهي القديمة. أما غرب الطريق المستد ش. ج فتوجد به المصالح الإدارية : مقر القيادة، مقر الجماعة القروية، إدارات، المركز الفلاحي والقرض الفلاحي، مقر الدرك الملكي، وملعب، أضيف به مؤخرا صف من الدكاكين والمقاهي الجديدة. ينتشر جنوبه حي سكني قديم هو "حي العرب" يتكون من سكن تقليدي مبني بالطين المدكوك. أما بالجهة اليمنى الوسطى فتوجد أهم المنشآت الاقتصادية : سوق وسويقة دائمة تتميز بدكاكينها الكثيرة لبيع اللحوم والمقاهي وساحة وقوف السيارات والمدرسة والإعدادية والثانوية والمسجد وأحياء تقليدية قديمة مثل : حي النوالة. وبالامتداد الشمالي الشرقي يوجد السكن العصري المتمثل في تجزئة العيادي التي صارت من أهم أحياء المركز، ظهر شرقها تجزئة حي بئر أنزران.

يضم المركز اليوم مجموعة من المنشآت العمومية والتجهيزات يعود معظمها إلى مرحلة الحماية والسنوات الأولى للاستقلال، وكانت بداية ظهور هذه التجهيزات سنة 1932 بتأسيس مقر القيادة أنشأته السلطات كمركز للمراقب المدني. وبعد الاستقلال تم نهج سياسة اللامركزية فتعاقب على تسيير الجماعة عدد من المجالس خلفت مجموعة من المنشآت والتجهيزات وطورت مستوى الخدمات. في 1994 بني مقر جديد للجماعة، فانفصلت عن مقر القيادة، كما توسعت شبكة الماء الشروب الذي ظهرت لبنتها الأولى منذ عقد السبعينيات اعتمادا على بئر قريب من المركز، لكن يتولى المكتب الوطني للماء الشروب لتسيير هذه المصلحة سنة 1990 تجددت الشبكة تدريجيا مستفيدة من قروض أجنبية. بلغ عدد المشاركين فيها 603 سنة 1996. كما عملت الجماعة على حفر عدد من الآبار ببعض القرى لأن المياه الجوفية عميقة وشحيحة، وزاد توالي سنوات الجفاف الوضع خطورة إذ جفت كثير من الآبار، مما طرح بحدة مشكل مياه الشرب سواء للسكان أو مواشيهم، ودفع إلى تكوين مؤسسات : نقابة الرحامنة لصيانة نقط الماء، قصد إشراك

السكان في حل هذا المشكل. وتجددت شبكة توزيع الكهرباء خلال سنة 1994 و1995 فأصبحت جل شوارع وأزقة المركز مضاءة. بلغ عدد المستفيدين من الكهرباء 70٪ لكن الدواوير الهامشية لا زالت محرومة منها. أما شبكة التطهير فقد ظهرت نواتها الأولى منذ بداية الثمانينيات لكنها ظلت محصورة بالمؤسسات العمومية والمقاهي والمنازل المرتبطة بالطريق الرئيسي والحيين الجديدين : تجزئة العبادي وبئر أنزران، مع تمديد جهة الغرب لخدمة سكن بعض المرتبطين بالقيادة ومقر الجماعة. وفي سنة 1994 أنجزت اتصالات المغرب تغطية جميع أحياء المركز بشبكة الهاتف القار والهاتف المحمول، مما أدى إلى خلق مناصب شغل الشباب الذين فتحوا أكشاكا هاتفية. كما يتوفر المركز على مستوصف أنشئ سنة 1952، أدى دوراً مهما خلال الستينيات والسبعينيات لكنه تعرض للإهمال في العقد الأخير، ويهتم أساسا بتقديم الإسعافات الأولية، وبعد ترميمه أنشئت به أقسام جديدة لتنظيم الأسرة وحماية صحة الأم والطفل ومحاربة داء السل وداء السكري، لكنه يعرف اكتظاظا باعتباره مستوصفاً لست جماعات قروية. ويتوفر المركز على صيدليتين وطبيب للطب العام (قطاع خاص) وصانع أسنان.

أما التعليم فقد عرف توسعا مستمراً، حيث أنشئت مدارس فرعية بكل الدواوير المهمة دعمت بمطاعم مدرسية، مما جعل الجماعة تتوفر على مدرستين مركزيتين ومجموعتين مدرسيتين تضمان 14 مدرسة فرعية، وتم مؤخرا إنشاء إعدادية ثم ثانوية، مما أعطى للتعليم دفعة قوية، جعل الكثير من الأسر تنتقل إلى المركز لمساعدة أبنائها على متابعة الدراسة، ويبلغ مجموع موظفي التعليم بالجماعة 70 معلما و54 أستاذاً.

ونظراً لمحدودية ميدان الشغل بالمركز الذي ينحصر في الأنشطة التجارية وبعض الخدمات الشخصية بالإضافة إلى الوظيفة العمومية والجماعية، فإن أعداداً متزايدة من الشباب خاصة المتعلم منهم لايجد له مجالا للتشغيل اللهم إلاّ بعض المحظوظين الذين يرثون مراكز آبائهم، أما الباقي فمصيره الهجرة إلى المدن الكبيرة والمتوسطة أو نحو الخارج. إن أهم أنشطة المركز اليوم هي التجارة المرتبطة بالطريق، حيث يصطف حوله أكثر من 300 محل تجاري منها 190 محلا مستغلا.

وتبدو بناية الجماعة القروية اليوم كأهم منشأة يعمل بها 44 موظفا، يلاحظ تكدسهم في المناصب الإدارية ونقص كبير في أطر التطهير وصيانة منشآت البنية التحتية. وتفتقر الجماعة كجل الجماعات القروية إلى أطر تقنية مختصة. وللجماعة مداخيل أهمها مداخيل كراء 6 مقاه وحوالي 100 دكان لكن بسومة كرائية هزيلة متجمدة منذ عقود، يضاف إليها مداخيل السوق خاصة رسوم الذبح : 12 درهماً للخروف و90 درهماً للبقر، بصل معدل الأغنام المذبوحة يوم السوق حوالي 300 خروف و23 رأسا من الأبقار. وبلغت ميزانية الجماعة 1878732 درهماً سنة 1997. 1998، يوجه منها حوالي 80٪ للتسيير فلا يبقى للتجهيز إلا النزر اليسير مما يتطلب الحصول على قروض وإعانات لإنجاز منشآت جديدة ومشاريع تنموية. ويفتقر المركز إلى جهاز التطهير والتنظيف، الشيء الذي يتم بشكل عرضي وذلك بتجنيد عمال الإنعاش الوطني أو القيام بحملات تطهير في بعض المناسبات خاصة قرب حلول موعد أعياد وطنية، وغالبا ما يتكلف السكان بنصيب مهم لتنظيف أحيائهم، لكن التخلص من النفايات يتم برميها في مزابل مرتجلة محلية قريبة من كل تجمع سكني. وباعتبار موقع هذا المركز على طريق حيوي فإن الجماعة ما فتئت تطالب بإحداث بعض المرافق المهمة مثل : محطة طريقية ومكان رسمي لاستقبال النفايات، وبناء مركب تجاري جديد بالإضافة إلى سوق سمكي، وتجميل واجهة المركز بتبليط أرصفة الطريق الرئيسي وإنشاء مزيد من باحات مبلطة لوقوف السيارات أمام المقاهي والدكاكين والسوق.

وبعيدا عن المركز، نجد قرى تحولت إلى سكن ريفيين عاطليين ينتظرون فرجا من السماء. إن أهم نشاط بالجماعة خارج المركز هو تربية الأغنام تأتي بعدها زراعة بناصيبية للحبوب، تعتمد على أمطار عرضية تشح سنة بعد سنة طيلة عقد الثمانينيات والتسعينيات مما أدى إلى هجرة كثيفة وإفراغ كبير للقرى، وتكدس سكان فقراء بالمركز لا يمتلكون شيئا ولا حرفة لهم تساعدهم على إيجاد شغل اللهم إلا أشغال البناء وتجارة التقسيط خاصة يوم السوق، حيث يمارس كثير من العاطلين مهنا بسيطة للارتزاق.

وينعقد يوم الأربعاء سوق أسبوعي يلعب دوراً رئيسياً في الإشعاع الاقتصادي للمركز إذ يجتذب إليه سكان عدد من الجماعات المجاورة، بل يتوقف به عدد من سيارات الخواص الذين يشترون اللحوم خاصة. لكن توسع العمران وتزايد الإقبال جعله يضيق بأنشطته، فقرر مجلس الجماعة سنة 1992 نقله إلى ضواحي المركز وتحويل مكانه إلى تجزئة ذات موقع ممتاز بتوسط المركز، لكن المشروع لازال يتعثر لما يتطلبه من تكاليف متزايدة، ولهذا لازال السوق بمكانه، لكن نمت إلى جانبه سويقة متعددة النوايا منها سوق الخضر وسوق اللحوم المرتبط بالطريق الرئيسي يتكون من 15 محلا للبقالة والخضر و17 محلا لبيع اللحوم، يعرف رواجا كبيرا طيلة الأسبوع، مما دفع الجماعة إلى الاهتمام بهذا المرفق الحيوي، فحولت سوق اللحوم القديم إلى سوق للخضر وبنت دكاكين جديدة على الطريق لبيع اللحوم. ظهر بينها بعض المقاهي، تقدم المشروبات والتغذية التي تقوم أساسا على شي اللحوم و"القضبان". ويلاحظ أن دكاكين السويقة هي في خدمة عابري الطريق أكثر من السكان المحليين الذين يعتمدون في معظم مشترياتهم خاصة اللحوم والخضر والملابس والأدوات المنزلية على السوق الأسبوعي الذي لازالت تتكون جل منشآته التجارية من خيام مؤقته وبسط.

الجلامي عبد الحميد، *مونوغرافية صخور الرحامنة*، تحضير كتابة الجماعة : التنمية المحلية من خلال نموذج صخور الرحامنة، الداوميش نعيمة، الجماعة المحلية والتنمية نموذج صخور الرحامنة، كلية الآداب، شعبة الجغرافيا، مراكش، بحث ميداني.

أحمد هوزالي

الصخيرات، مدينة ساحلية صغيرة، تقع على الطريق السيار الرابط بين الرباط والدار البيضاء. كانت الصخيرات، خلال فترة الحماية جزءاً من جهة الرباط، تابعة للمراقبة المدنية لأحواز الرباط، مركزاً للاستيطان. بلغ عدد سكانها سنة 1936 أقل من 100 نسمة، 48 منهم فرنسيون، وبلغ مجموع عدد الأجانب : 24 نسمة، بينما لم يتعد عدد السكان المسلمين : 18 نسمة.

وفي شتنبر 1994، بلغ عدد سكان بلدية الصخيرات 29.599 نسمة موزعين على 5217 مسكناً. وتوزعت هذه الساكنة بين 49.69٪ إناثا و50.31 ذكوراً. يتميز التوزيع حسب الفئات العمرية باتساع قاعدة الهرم السكاني، بحيث تشكل نسبة القادرين على العمل (16 ـ 59 سنة) 57.75٪ تليها فئة الصغار (أقل من 15 سنة) بنسبة 37.12٪ أما معدل التكاثر الطبيعي فيصل 6.8٪.

اما على المستوى الاجتماعي، فالأمية تمس 48.36٪ من مجموع السكان الذين تتعدى أعمارهم 10 سنوات. موزعة بين الإناث 60.65٪ والذكور 35.69٪. ولا تتعدى نسبة النشاط الفعلي 34.56٪ من مجموع السكان، بحيث أن مجموع العاطلين يصل إلى24.94٪ في علاقتهم بالساكنة النشيطة. أما توزيعها حسب السكن، فيمكن تلخيصه كالتالي :

نسبة القاطنين لغرفة إلى 2 غرف	نسبة القاطنين لأربع غرف	نسبة المالكين للسكن	نسبة السكن الريفي
%61,44	%8,90	%63,27	%65,19

نسبة المنازل المكهربة	نسبة المنازل المرتبطة بشبكة الماء
%22,81	%19,30

وخلال الستة أشهر الأولى من سنة 2000، كانت بنيتها التعليمية موزعة كما يلي :

	الابتدائي	الإعدادي	الثانوي
عدد المؤسسات	5	2	1
عدد التلاميذ	4003	1691	615

وتتوفر الصخيرات على عدة جمعيات ثقافية ورياضية... كما تتوفر المدينة على دار للشباب تساهم في التنمية الثقافية والاجتماعية :

عدد المستفيدين من الأنشطة التربوية والاجتماعية	من الأنشطة الثقافية	من الأنشطة الرياضية	من الأنشطة الاشعاعية
1190	1169	799	1200

وتعتمد منطقة الصخيرات في اقتصادها على أنشطة مختلفة، تلعب فيها الفلاحة دوراً رئيساً لما تتوفر عليه المنطقة من تربة خصبة ومناخ معتدل. ويقدم مجالها الفلاحي إضافة إلى مجالي عين عودة وتمارة إنتاجاً متنوعاً. وهكذا توزعت المعطيات الانتاجية خلال الستة أشهر الأولى من سنة 2000 كالتالي.

المزروع	المساحة (هـ)	المزروع	المساحة (هـ)	المزروع	المساحة (هـ)
القمح الطري	15.000	الخضر	1.450	الورديات	1.000
القمح الصلب	1.700	اللوبياء	30	الحوامض	67
الشعير	5.000	الطماطم	127	الكروم	1.600
الفواكه الاستوائية	343				

وتحتل تربية الماشية مكانة مهمة في الاقتصاد المحلي. تربى بطرق عصرية أو تقليدية، تحتل فيها الأغنام المرتبة الأولى، ثم الأبقار بأنواعها للتسمين أو لإنتاج الألبان...

الأبقار 28.000 رأس
المهجنة 5.600 رأس
أصلية 4.200 رأس
المحلية 18.200 رأس
الأغنام 110.000 رأس

كما تتوفر الصخيرات على بعض الصناعات التي تساهم في الانتاج وفي توفير فرص الشغل، نذكر على سبيل المثال لا الحصر.

المؤسسة الصناعية	عدد العمال	المؤسسة الصناعية	عدد العمال
سلام غاز	62	كرمطرال	89
ماطو	16	الصلب والحديد	89
شركة البناء	120		

وتلعب السياحة دوراً إيجابيا في اقتصاد المنطقة، لما تتوفر عليه من مؤهلات سياحية، كالمناخ والموقع الهام بين مراكز حضرية مختلفة إضافة إلى اتساع شواطئها المهمة. وهكذا توزعت الحركة السياحية بالفنادق المصنفة في مجموع العمالة إلى :

	الستة أشهر الأولى 1999	السنة أشهر الأولى 2000
الوافدون	6605	8464
المبيتات	12259	12956

وقد أصبحت الصخيرات منذ أوائل الثمانينيات تكوّن مع جارتها تمارة إقليماً مستقلاً ضمن ولاية الرباط الكبرى، ثم ضمن الجهة العاشرة حسب نظام الجهات 16 المحدث في ماي 1997.

يمتاز إقليم الصخيرات ـ تمارة بموقعه الاستراتيجي الممتد على طول الساحل الاطلنتي. وشساعة مساحته وغطائه النباتي الوفير، كما أن أراضيه يخترقها نهران هما واد يكّم وواد الشرّاط، ويعد القطاع الفلاحي فيه من أغنى القطاعات الموجودة على طول الساحل. أما المجال الصناعي والمتركز في مدينة تمارة فيعتبر نموذجاً متطوراً باستمرار، كما أنّ هذا القطاع همّ كذلك جانباً من الصخيرات. (انظر إقليم الصخيرات ـ تمارة. *معلمة المغرب*، 8 : 2535.

Recensement Général de la population et de l'habitat de 1994. Secrétariat d'Etat à la population : Bulletin économique et social, premier semestre 2000, province : Skhirat - Temara.

صالح شكّاك

* *

وفي القصر الملكي الصيفي بالصخيرات أقام الحسن الثاني ـ كعادته كل سنة احتفالاً بذكرى عيد ميلاده يوم 9 يوليوز الذي كان والده محمد الخامس قد جعله عيدا للشباب. وكان موعد الحفل يوم السبت 10 يوليوز 1971 ابتداء من الساعة العاشرة صباحا. وقد تقاطر على القصر كل رجالات الدولة، مدنيين وعسكريين، فضلا عن السفراء وزعماء الأحزاب والنقابات وعدد من أصدقاء الملك وأفراد الأسرة المالكة ورجال الصحافة، وعامة الحاشية الملكية وخاصتها. وكان الحفل يجري في جو من المرح وطرح التكليف وتلافي ثقل التشريفات الرسمية. فاللباس لباس الصيف، والمدعوون يتعاطون ما يرغبون فيه من وجوه التسلية من سباحة أو رياضة الكولف، أو ألعاب الورق، أو ينبسط بعضهم للبعض فيتبادلون أطراف الحديث. ولما بلغت الساعة الواحدة بعد الزوال، صاروا يجلسون حول موائد الغذاء الطافحة بالطعام من كل لون شهي. وبينما هم كذلك، إذ داهمهم من كل جانب من مباحات القصر سيل من الجند المدجج بالسلاح، يرمونهم بنيران بنادقهم وبالقذائف اليدوية، ويصوبّون نحوهم أسلحة أثقل من ذلك وأشد فتكا. فجرح من جرح، ومات لتوه من مات، وصدرت الأوامر لمن نجا بأن ينبطحوا على الأرض واضعين أيديهم على قفاهم، ثم بأن يجلسوا متربعين مع دفع الأيدي فوق الرؤوس. وويل لمن حاول الفرار، مثلما فعل من لاذ بجهة البحر، فإنهم طوردوا وأعيدوا إلى سياج القصر بمنتهى الغلظة والفضاضة. وامتد ذلك زهاء ثلاث ساعات في حالة من الفزع الأكبر، سواء من جهة الشرذمة المهاجمة أو من جهة ضيوف الملك وخدامه بالأحرى.

أما المهاجمون، فإنهم كانوا في محاولة انقلاب عسكري أقدم عليها الجنرال محمد المذبوح، قائد الحرس الملكي والساعد الأيمن للحسن الثاني في كل ما يتصل بالشؤون العسكرية. وقام بتنفيذها الكولونيل مَحمد اعبابو، مدير المدرسة العسكرية بأهرمومو، قرية على بعد سبعين (كلم) جنوب شرقي فاس في قلب جبال الأطلس المتوسط. وكان هذا الضابط من ذوي البطش والنزق والجبروت، مطلق العنان، لما يربط بينه وبين الجنرال المذبوح من الأواصر القبلية. فكلاهما من قبيلة اكزناية في الريف الشرقي. وكان قد تسلق الرتب في الجيش بوتيرة سريعة، حتى صار كولونيلا ولما يتجاوز السادسة والثلاثين من العمر. ولم يكن سبب ذلك مجرد ما وهب من الخصال القتالية والقيادية، وإنما أيضا من قدرة فائقة على التزلف لرؤسائه من الضباط، وإرشائهم بما كان يختلس من أموال الدولة، سرا وعلانية، لصرفها في ما يذلل أمامه عقبات الطموح. فأصبح ذا مال وجاه في بضع سنوات. ولذلك سولت له نفسه أن يختطف الجهاز المخزني بكامله، بعد أن عيّن مديراً لمدرسة أهرمومو سنة 1969. فضاعف من عدد تلامذتها الذي ارتفع من ستمائة إلى ألف وأربعمائة. وجعلهم أداة عسكرية طوع إرادته الجبارة. وهؤلاء الشباب المجندون الذين كانوا في الغالب في العشرين من عمرهم، تزيد أو تنقص، هم الذين جاء بهم محمد اعبابو يوم 10 يوليوز 1971، موهما إياهم بأنهم في الطريق إلى مناورات كبرى بالسلاح الحي في غابة مدينة ابن سليمان شرقي الدار البيضاء. حتى إذا اقتربت تلك القافلة المركبة من زهاء أربعين شاحنة تحمل خمسا وثلاثين كرمندو، مع الذخيرة والعتاد والرشاش الثقيل والبازوكا، إضافة إلى سيارات الجيب الناقلة للضباط، قال لهم الكولونيل الماكر، في وقفة قرب سيدي بوقنادل، بأن عليهم أن يهاجموا قصر الصخيرات لإنقاذ الملك الحسن الثاني من بعض المتربصين به. وأمر بأن يتم الهجوم من جهتين في مجموعتين، يقود أولاهما هو نفسه من الجنوب، ويقود الثانية من جهة الشمال أخوه الأكبر منه محمد (ضما) اعبابو، وهو أيضاً برتبة كولونيل، كان يدرس بالمدرسة العسكرية في القنيطرة. وهكذا انسدت الكماشة النارية على قصر الصخيرات وعلى الملك وضيوفه. وأطلق العنان لجنود في تمام الذعر والجهالة يقتلون جزافا، تارة لتصفية الحساب مع بعض الضباط من أمثال الكولونيل أبو الحمص، قائد الدرك الملكي الذي كان محمد (فتحا)

اعبابو يحقد عليه، أو الجنرال إدريس النميشي قائد الطيران، أو الجنرال محمد الغرباوي كبير الضباط المرافقين للملك. وتارة أخرى يقتل الناس لبث الرعب وقمع كل مقاومة، مثلما حصل للكولونيل عبد القادر لوباريس الذي حاول أن يثني المهاجمين عن فعلتهم فأردوه شبه قتيل. وقد ذهب ضحية الرمي العشوائي وزراء ومدراء وشخصيات معروفة وأخرى مغمورة. ونجا البعض بالنفس ولكن بجروح متفاوتة، مثل الأمير المرحوم المولى عبد الله أخ الحسن الثاني، والزعيم الوطني الغيور محمد بن الحسن الوزاني الذي أطار الرصاص ذراعه الأيسر. وكان من ضحايا الهجمة مدبرها الأول نفسه الجنرال محمد المذبوح، ذلك بأنه هاله ما رأى من التقتيل العشوائي. فصار يجادل اعبابو، وامتنع عن إخباره بمكان الحسن الثاني في القصر. فظن اعبابو أنه ينوي الغدر به، فتراشقا بالنار، فجرح اعبابو في ذراعه وسقط المذبوح قتيلا. ولما فقدت المؤامرة رئيسها، رأى اعبابو أن يعود إلى الرباط، رفقة أربعة جنرالات، هم الجنرال عبد الرحمان حبيبي قائد حامية مراكش، والجنرال الخياري بوكرين قائد حامية فاس، والجنرال الكبير بلبصير قائد حامية مكناس، والجنرال حمّو أمحزون قائد حامية القنيطرة، للسير بالانقلاب في ما كان مخططا له من احتلال دار الإذاعة والتلفزة، ومقر وزارة الداخلية ومقر القيادة العامة للجيش. وفي مقر القيادة العامة، تشكل مجلس للثورة، برئاسة الكولونيل العربي الشلواطي، قائد المكتبين الثالث والرابع لدى أركان الحرب. وانتقل محمد اعبابو للتمكن من دار الإذاعة والتلفزة، التي صارت تذيع البلاغات عن قيام الثورة ونجاحها، وتطالب بالمساندة. كما تم التمكن من وزارة الداخلية دون كبير عناء، إذ لم يكن أحد يتوقع ما وقع. ولكن ما أن عاد محمد اعبابو من دار الإذاعة، حتى وجد نفسه وجها لوجه مع الجنرال البشير البوهالي القائد العام لأركان الحرب، الذي جاء مهرولا من الصخيرات شاهرا للسلاح، ناهرا مخزيا للكولونيل الثائر، فتطاير الرصاص من الجانبين، وسقط الجنرال البوهالي والكولونيل اعبابو ميتين. وبموت اعبابو، ماتت أطماعه الوهمية.

وكان بداية ذلك من قصر الصخيرات، حيث ما أن خرج اعبابو منه، حتى توقف التقتيل. ولما توقف التقتيل، خرج الحسن الثاني ومساعدوه الأقربون من أمثال الوزير الأول يومئذ السيد أحمد العراقي، والجنرال محمد أوفقير وزير الداخلية، من مخابئهم. وما أن بصر بعض أولئك الجند المغرر بهم بالملك، حتى ارتموا على يده يقبلونها، وتعالى الهتاف بحياته، وقرئت الفاتحة، وكانت بداية النهاية، إذ أمر الملك الجنرال البشير البوهالي بالتوجه إلى مقر القيادة العامة لإرجاع الأمور إلى نصابها، فكان ما ذكرناه من الاقتتال بينه وبين اعبابو. كما أمر الحسن الثاني الجنرال أوفقير بالتأكد من إخلاص السواد الأعظم من الضباط والجنود. وبذلك أحبط التمرد قبل منتصف ليلة الأحد. وألقي القبض على أعضاء مجلس الثورة المزعوم. واسترجعت دار الإذاعة والتلفزة ومقر وزارة الداخلية. وألقي القبض على مجموع الجنود الذين شاركوا في المحاولة الفاشلة. ثم صدر الحكم بناء على الأعراف العسكرية بإعدام الضباط المتورطين في الانقلاب، وهم العربي الشلواطي وحسو أمحزون والخياري بوكرين والكبير بلبصير ومصطفى أمحراش وعبد الرحمان حبيبي والفنيري وبوبرّي ومحمد (ضما) اعبابو والمانوزي، فأعدموا رميا بالرصاص بعد أن جردوا من رتبهم أمام الملأ. وكان ذلك يوم الثلاثاء 13 يوليوز قبل الظهيرة. أما السواد الأعظم من المتمردين، فإنهم أحيلوا على المحكمة العسكرية، هم وضباطهم الذين قادوهم إلى تلك المجزرة. فصدر الحكم في حق الجنود بعدم المسؤولية. وحكم على ضباطهم بأحكام تتراوح بين السجن المؤبد وسنوات متفاوتة من الحبس بناء على ما ثبت من مشاركتهم في التقتيل.

كادت هذه الهزة المباغتة العنيفة أن تزيغ بالمغرب في ما لا تحمد عقباه من دروب التيه والمغامرة. وكان من الطبيعي أن يتأثر الجهاز العسكري بمن قتل من كبار قادته في ظرف وجيز، وبما كان من تصرفات الجنرال أوفقير طيلة السنة التالية. ذلك بأن الحسن الثاني جعله وزيراً للدفاع، مكلفا إياه بالبحث في أسباب الانقلاب، والسعي في العودة بالأمور إلى سابق السكينة والانضباط. فاتخذ الجنرال أوفقير ذلك ذريعة للإعداد لانقلاب جديد يقوده بنفسه، مما يبرر أقوال من يدعي أنه كان على بينة من محاولة المذبوح واعبابو، وظل يترقب لمن تكون الغلبة، حتى إذا خرج الملك ناجيا، لم يتورع أوفقير عن إعدام سابق رفاقه. وسهر على أن يخفف مما تعرض له باقي المتمردين من الامتحان. ثم صار يعد لجولة خاصة به. وكان ذلك في 16 غشت 1972، يوم كان الملك عائدا من الديار الفرنسية على متن طائرة خاصة. فلما دخلت الطائرة الأجواء المغربية، اعترض سبيلها طائرتان من المقاتلات ترميها بوابل من القذائف. لكن الملك الحسن الثاني خرج ناجيا من هذا الهجوم أيضا. وكانت تلك معجزة ثانية في أقل من سنتين. وقام بالهجوم طيارون من قاعدة القنيطرة الجوية بأمر من أوفقير. وسرعان ما ألقي القبض عليهم. وقتل أوفقير في ظروف غامضة. وقيل إنه انتحر بعد أن تبين له أن لا سبيل للتمويه مرة أخرى. ثم حكمت المحكمة العسكرية بعد شهور على المسؤولين فأعدم من أعدم، وألقي في غيابات سجن تازمامرت الرهيب بالآخرين، بعد أن ألحق بهم ضباط واقعة الصخيرات.

ولقد كتب الكثير عن هذه الوقائع في شكل مذكرات أو شهادات، إما من قبل من نجا من المذبحة، وإما من قبل من أفنى شبابه من طيشه في الزنازن. ولكن الذاكرة متنوعة متباينة، والتاريخ هو سبيل الحكم المنسجم. والحقيقة التاريخية، هي أن النظام الملكي الدستوري في المغرب، أعرق وأثبت من أن ينال منه أي انقلاب عسكري. ذلك بأن صاحب الشرعية في المغرب هو الملك، وما الجيش والدرك والشرطة

إلا أدوات تلك الشرعية. ولا إرادة للإدانة بغير إرادة الماسك بها. وجاءت المحاولتان، على ما تخللهما من الفجائع والمآسي، بالدليل القاطع على إدراك السواد الأعظم من الضباط والجند لتلك الحقيقة، وعلى تمسكهم بالإخلاص لقائد الأمة. ولم تمض ثلاث سنوات حتى كانوا يزحفون بكل سلاحهم إلى الصحراء المسترجعة من اسبانيا، ليقفوا درعا منيعا في وجه أعداء وحدة البلاد التاريخية. وتلك وظيفتهم الوحيدة، وذلك سبيلهم الوحيد إلى المجد.

الحسن الثاني، *التحدي*، الرباط، 1403 / 1983 ؛ م. المعزوزي، *أحداث الصخيرات، 10 يوليوز 1971، إضاءات وحقائق تاريخية*، منشورات جمعية أسر ضحايا الصخيرات، الرباط، 2001 ـ 2002 ؛ محمد الرايس،

Le massacre de Skirat, 10 juillet 1971. Crime contre l'humanité , Mohamed Rayess, De Skirat à Tazmamart, Retour du bout de l'enfer, Afrique Orient, Maroc, 2002 ; J. Benoit-Méchin, Deux étés africains, Albin Michel, 1972.

إبراهيم بوطالب

الصّخيري، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازال هناك أسر إسبانية تحمل اسم Zahora - Zuraira ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1206 (1792).

وتجدر الإشارة إلى أنه كان بأحواز غرناطة المسلمة حصن الصخيرة وقرية الصخيرة.

الصخيري، عبد السلام بن محمد التطواني زاول خطة العدالة من سنة 1122 إلى سنة 1159 (1710 ـ 1746).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 1112.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **الصديق** أسرة إدريسية من سلالة داود بن إدريس الأزهر، هاجر سلفها إلى الأندلس بعد سقوط دولة الأدارسة، ومن هناك توجه أحد أجدادها إلى تلمسان في أواخر القرن الخامس (11 م) وبقي عقبه بنواحي شرق المغرب إلى أن ظهر منهم عبد المؤمن الكبير وكان من أولياء القرن التاسع (15 م)، ومدفنه بقبيلة بني إزناسن ويعرف بأبي قبرين. وفي أواسط القرن العاشر انتقل حفيده عبد المؤمن الصغير بن محمد بن عبد المؤمن الكبير إلى منطقة غمارة فاستقر بتُجكان بقبيلة بني منصور، وكان هو الآخر صوفيا زاهدا ظاهر الولاية.

ومنذ ذلك التاريخ اتخذت هذه الأسرة الشريفة قرية تجكان الغمارية موطنا لها. وتميز أبناؤها على مدى القرون اللاحقة بالإقبال على العلم والتصوف، ومن أشهرهم عبد المؤمن الصغير تلميذ الشيخ الصوفي الشهير علي الشلي (ت. 990 / 1582) وأحمد بن عبد المؤمن تلميذ الشيخ مولاي العربي الدرقاوي (ت. 1239 / 1823)، والشيخ محمد بن الصديق الذي انتقل إلى سكنى مدينة طنجة حيث تفرغ لنشر العلم والتصوف، وأسس الطريقة الصديقية الدرقاوية. وأنجب سبعة أبناء هم أحمد وعبد الله وعبد العزيز وعبد الحي ومحمد الزمزمي والحسن وإبراهيم نبغوا جميعا في العلوم الشرعية، فكان منهم محدثون وأصوليون وفقهاء. وقد تجاوزت تآليفهم مجتمعين 470 كتابا.

أ. ابن الصديق، *التصور والتصديق بأخبار الشيخ سيدي محمد بن الصديق*، القاهرة، ط 2، 1980 ؛ عبد الله بن الصديق الغماري، *سبيل الترفيق في ترجمة عبد الله بن الصديق*، القاهرة، 1985.

الصديق بن أحمد بن محمد بن قاسم الغماري الحسني، جد الأسرة العالمة ابن الصديق وُلد بقرية تجكان سنة 1246 / 1830، في أسرة إدريسية النسب انتقلت إلى المنطقة منذ القرن العاشر (16 م). كان أبوه أحمد تلميذا للشيخ مولاي العربي الدرقاوي، ومن الشيوخ المربين بجبال غمارة، وله كتاب في آداب المريدين وعدة رسائل في التصوف.

أخذ الشيخ الصديق الطريقة الدرقاوية عن الشيخ الهاشمي بوزيد أحد تلاميذ والده، ثم انتقلت إليه مشيخة التصوف بزاوية أبيه بتجكان فقام بها وكثر مريدوه، وكان ذا سمعة طيبة في أوساط القبائل الجبلية الغمارية مرجوعا إليه في حل الخصومات والنزاعات القبلية. وإلى الشيخ الصديق تنتسب الأسرة الصديقية الغمارية الطنجية.

توفي سنة 1331 / 1913.

أحمد ابن الصديق، التصور والتصديق بأخبار سيدي محمد بن الصديق، القاهرة، ط 2، 1980، ص. 15 ـ 17.

ابن **الصديق أحمد** بن محمد الغماري ولد بقبيلة بني سعيد بنواحي تطوان سنة 1320 / 1902، ونشأ بمدينة طنجة وبها حفظ القرآن الكريم وأخذ مبادئ العلوم على الفقيه السيد العربي بن أحمد بودرة. ثم تتلمذ لعدد من الشيوخ منهم والده الشيخ سيدي محمد بن الصديق وأحمد بن عبد السلام العيادي السميحي الغماري أخذ عنهم العلوم الشرعية واللغوية.

رحل إلى مصر عدة مرات، فكانت رحلته الأولى بقصد الدراسة واستغرقت سنتين من 1339 / 1921 إلى 1341 /

1923، التحق خلالها بالجامع الأزهر، وأخذ عن علمائه وغيرهم. ونظراً لأن تكوينه الأساسي بالمغرب كان متينا فقد تخرج من الأزهر بعد سنتين من الدراسة فقط.

توسع أحمد بن الصديق في الأخذ عن شيوخ، سواء بالدراسة أو بالإجازة، وقد بلغ عدد العلماء الذين أجازوه 106 شيخ منهم ست عالمات، من المغرب ومصر والجزائر والحجاز واليمن والهند وأفغانستان وإيران وتركيا. ومن علماء المغرب الذين أجازوه الشيخ محمد بن جعفر الكتاني التقى به بدمشق، والشيخ أحمد ابن الخياط الزكاري بفاس والعلامة محمد بن إدريس القادري نزيل الجديدة. كما حصل على إجازات كثيرة من علماء المشرق مثل الشيخ عبد المجيد الشرنوبي والشيخ أحمد بن محمد رافع الطهطاوي وشيخ الديار الشامية بدر الدين المغربي ومن علماء تركيا العلامة محمد زاهد الكوثري.

ظهرت علامات النبوغ العلمي عليه في سن مبكرة وصار مرجعا للعلماء وطلبة العلم في علم الحديث بالخصوص منذ إقامته بمصر، ومن علامات نبوغه المبكر تأليفه لأول كتبه في سن الثالثة والعشرين. وقد ظل بعد ذلك غزير الإنتاج العلمي، حيث ألف 155 كتابا طبع منها 47، ويقع بعضها في ثمانية أجزاء. وأكثر مؤلفاته في علم الحديث، لكنه ألف أيضا في مختلف العلوم الشرعية كالفقه والأصول والتصوف، تميز أغلبها بنظرات بالعمق في التناول والاجتهاد في الطرح، خاصة وأنه كان ذا اجتهادات خاصة في المجالات الفقهية والحديثية، مع دعوة ملحة إلى نبذ التقليد وتحرير العقل الفقهي بالخصوص من الموروث المذهبي، كما كانت نظرته نقدية للتراث الإسلامي واستدرك على عدد كبير من المسلّمات والاجتهادات والأفكار. وبجانب نشاطه العلمي خَلَفَ والده في مشيخة الطريقة الصديقية، وحافظ على نفس التوجه الصوفي الجامع بين العلم والتصوف والمنفتح على الواقع الاجتماعي خاصة من جانب تقويم الانحرافات العقدية والسلوكية.

وعلى المستوى السياسي كان للشيخ أحمد بن الصديق مواقف مناهضة للوجود الاستعماري الإسباني بالمنطقة الشمالية، وقام بمحاولتين لتحريك أتباع زاويته في انتفاضة مسلحة ضده كانت الأولى سنة 1355 / 1936، فسجن بسبب ذلك ثلاث سنوات ونصف، والثانية سنة 1369 / 1950 حوكم على إثرها ونفي إلى المنطقة التي كانت خاضعة للاحتلال الفرنسي.

وفي أواخر سني حياته هاجر إلى القاهرة وبها توفي سنة 1380 / 1960.

عبد الله التليدي الحسني، الأنيس والرفيق بمآثر الشيخ سيدي أحمد بن الصديق، مخطوط ؛ حياة الشيخ أحمد بن الصديق، تطوان، المطبعة المهدية ؛ م. ابن الحاج السلمي، *إسعاف الإخوان الراغبين*، الدار البيضاء ؛ لبابة بن عجيبة، *الجهود العلمية*، 38 ـ 34، ص. 1992 / 1412، 1، للأسرة الصديقية، بحث الإجازة في الدراسات الإسلامية، كلية الآداب بالرباط، 1998.

ابن **الصديق، عبد الحي** بن محمد الغماري، ولد بطنجة سنة 1335 / 1917، تعلم القرآن الكريم ومبادئ العلوم على يد الفقيه محمد المصوري، وابتداءً من سن الخامسة عشرة بدأ متابعة دراسته العلمية بالزاوية الصديقية، فأخذ بالخصوص عن خاله السيد أحمد بن عبد الحفيظ بن عجيبة وشقيقه السيد أحمد بن الصديق والفقيه العربي بوعياد والفقيه عبد الرحمن بن أحمد الجزائري.

وفي سنة 1355 / 1936 رحل إلى القاهرة لإتمام دراسته بالجامع الأزهر، فقضى بها 10 سنوات أخذ خلالها عن عدد كبير من العلماء المصريين والمغاربة منهم شقيقه السيد عبد الله. كما أجازه عدد آخر من علماء مصر والشام والمغرب مثل الشيخ عبد الحي الكتاني والشيخ عبد الرحمن قرعة مفتي الديار المصرية والشيخ بدر الدين الدمشقي والشيخ راغب الطباخ مؤرخ حلب والشيخ خليل الخالدي المقدسي.

وبعد رجوعه إلى المغرب سنة 1365 / 1946 درس بالزاوية الصديقية، ثم عين سنة 1373 / 1953 مديراً للمعهد الإسلامي بطنجة، ثم أستاذا به إلى أن طلب التفرغ النسبي. فاتجه كلية للتأليف في القضايا الفقهية والأصولية على وجه الخصوص.

كان عالما أصوليا فقيها متمكنا، مشاركا في غير ذلك من العلوم الشرعية، وقد غلب عليه الميل إلى الاجتهاد ونبذ التقليد، وتدل على ذلك مؤلفاته العديدة التي بلغت 21 كتابا طبع منها 16 كتابا في الفقه والأصول، والبقية مخطوطة.

توفي بمدينة طنجة يوم 15 شعبان 1415 / 15 يناير 1995.

م. ابن الحاج الفاطمي السلمي، *إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين*، الدار البيضاء، دار النجاح الجديدة، ط 1، 1412 / 1992، ص. 351 ـ 353 ؛ لبابة بن عجيبة، *الجهود العلمية للأسرة الصديقية*، بحث الإجازة في الدراسات الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1419 / 1998.

ابن **الصديق عبد العزيز** بن محمد الغماري، ولد بطنجة سنة 1338 / 1920، درس القرآن ومبادئ العلوم بالكتاب الملحق بالزاوية الصديقية بطنجة على الفقيه محمد المصوري الأندلسي، وأخذ علوم اللغة عن خطيب نفس الزاوية الفقيه العربي بوعياد، ثم شد الرحال صوب القاهرة سنة 1355 / 1936، فانتسب إلى الجامع الأزهر، فأخذ عن عدد من علماء مصر وعلى شقيقه السيد عبد الله الذي كان قد سبقه إليها. كما حصل على إجازات عدد من العلماء من مصر والشام وفلسطين وتونس وتركيا والهند.

مكث بالقاهرة 11 سنة متواصلة ميزها نشاطه العلمي حيث كان يكتب ببعض المجلات المصرية، كما كان يخطب

ببعض مساجد القاهرة. وفي سنة 1367 / 1948 عاد إلى المغرب، فزاول الخطابة بزاوية والده بحي القصبة أولا، ثم انتقل إلى الزاوية الحمدوشية وبعدها إلى مسجد بني مكادة حتى تم إيقافه عن الخطابة. كما انكب على تدريس علم الحديث والتفسير والتصوف بالزاوية الصديقية بطنجة مدة طويلة.

كان عالما محدثا متضلعا في العلوم الشرعية المختلفة، وغلب عليه التخصص في علوم الحديث والرجال والمصطلح، ومن الناحية الفقهية غلب عليه الاجتهاد ومجانبة التقليد. وقد انكب طيلة حياته على التأليف في المجالات المختلفة لعلم الحديث النبوي والفقه حتى أربت تآليفه على 140 كتابا ورسالة، طبع منها 39 كتابا. وكان له إلى جانب ذلك متابعة لبعض القضايا العلمية والدينية في بعض المجلات والجرائد الوطنية.

وكان من رجالات التصوف علما وسلوكا، على جانب كبير من الورع والزهد، وقد أصبح شيخا للطريقة الصديقية بعد وفاة شقيقه السيد عبد الله.

توفي بمدينة طنجة يوم 6 رجب 1418 / 7 نونبر 1997.

محمد ابن الحاج الفاطمي السلمي، *إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين*، الدار البيضاء، دار النجاح الجديدة، ط 1، 1412 / 1992، ص. 351-353 ؛ لبابة بن عجيبة، *الجهود العلمية للأسرة الصديقية*، بحث الإجازة في الدراسات الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1419 / 1998.

ابن **الصديق عبد الله** بن محمد الغماري ولد بمدينة طنجة سنة 1328 / 1910، وتلقى تعليمه الأول بالزاوية الصديقية على الفقيهين محمد البراق الأنجري ومحمد الأندلسي المصوري. وأخذ العلوم الشرعية واللغوية على شقيقه أحمد وعلى خاله أحمد بن عبد الحفيظ ابن عجيبة.

رحل إلى فاس سنة 1343 / 1924 لاستكمال دراسته، فالتحق بجامع القرويين وأخذ بها عن عدد وافر من العلماء، منهم الشيخ الحبيب المهاجي والشيخ محمد بن الحاج السلمي ومحمد بن عبد الكبير بن الحاج السلمي والشيخ أحمد بن الجيلالي الأمغاري والشيخ أحمد القادري والشيخ محمد بن الحسن الصنهاجي والشيخ أبي الشتاء الصنهاجي وشيخ الجماعة مولاي عبد الله الفضيلي والشيخ الراضي السناني والشيخ العباس بناني والشيخ الحسين العراقي والشيخ عبد الرحمن بن القرشي. وفي أثناء دراسته بفاس ظهرت علامات نبوغه العلمي وشهد له بذلك عدد من شيوخه، ومن مظاهر ذلك أنه ألف في هذه الفترة شرحا للأجرومية يعتبر أوسع شرح لها.

ثم رجع إلى طنجة سنة 1346 / 1927 فدرس على والده الشيخ محمد بن الصديق، والتحق بمصر حيث انتسب إلى الأزهر الشريف سنة 1349 / 1930، فأخذ هنالك عن عدد كبير من علماء مصر مثل الشيخ محمد حسنين مخلوف والشيخ محمد بخيت المطيعي والشيخ حامد جاد، وعلى شقيقه السيد أحمد الذي كان قد سبقه إلى مصر وغيرهم. وحصل على شهادة العالمية للغرباء سنة 1352 / 1933 ثم تقدم لامتحان الشهادة العالمية الأزهرية فحصل عليها سنة 1361 / 1942 وحصل على إجازات من عدد كبير من العلماء من المغرب ومصر والشام والعراق واليمن والهند وتركيا وتونس والمغرب. وصار منذ ذلك الحين يدرس العلوم الشرعية بالجامع الأزهر بصفة تطوعية. ثم عينته وزارة الأوقاف المصرية مفتشا على الدروس التي تلقى في الصحيحين بمساجد الرفاعي وسيدنا الحسين والسيدة زينب بالقاهرة سنة 1376 / 1956، وكانت نشاطاته العلمية خلال إقامته بالقاهرة متعددة، فقد ألف عدداً كبيراً من مؤلفاته هناك، كما كان يجيب على الأسئلة الشرعية والدينية ببعض المجالات المصرية، وكانت صلاته واسعة بعلماء مصر والمشرق. وبعد إقامة طويلة بمصر رجع إلى المغرب سنة 1390 / 1970 فاستقر بمدينة طنجة خطيبا بالزاوية الصديقية، ومدرسا للعلوم الشرعية بها، وقد أخذ عنه بها العدد الجم من طلبة العلم كانوا يرحلون إليه من الآفاق.

كان الشيخ عبد الله بن الصديق عالماً فريدا من نوعه في تفننه في العلوم الشرعية واللغوية والمنطق، وإحاطته الواسعة بدقائقها، مستحضراً للنصوص وأقوال العلماء وحججهم في المسائل المختلفة، واسع الاطلاع على أدلة المذاهب الفقهية الإسلامية والعقائدية دقيق الاستنباط، وقد انفرد بمسائل

واجتهادات كثيرة في الأصول والحديث والتفسير، وكان يتمتع بذاكرة قوية وسرعة في البديهة. وقد وصل في علم الحديث بالخصوص إلى درجة عالية من التمكن حتى اعتبر حافظ العصر، حيث كان يستظهر أكثر من عشرة آلاف حديث بأسانيدها ومعرفة رجالها، وذلك ما تؤكده شهادات العلماء فيه، كما تظهره تآليفه التي تجاوزت المائة عنوان. وكان إلى جانب هذا صوفيا سنيا غلب عليه الزهد والورع والانصراف عن الدنيا.

توفي رحمه الله بطنجة سنة 1413 / 1993.

ع. الله بن الصديق الغماري، *سبيل التوفيق في ترجمة عبد الله بن الصديق*، القاهرة، مطبعة دار البيان، 1985 ؛ م. ابن الحاج الفاطمي السلمي، *إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب العاصرين*، الدار البيضاء، دار النجاح الجديدة، ط 1، 1412 / 1992، ص. 351 ـ 353 ؛ فدوى بنكيران، **الحافظ سيدي عبد الله بن الصديق وأثره في المعرفة العلمية**، بحث الإجازة في الدراسات الإسلامية، كلية الآداب بالرباط، 2001 ؛ لبابة بن عجيبة، *الجهود العلمية للأسرة الصديقية*، بحث الإجازة في الدراسات الإسلامية، كلية الآداب بالرباط، 1998.

محمد المغراوي

ابن **الصديق، محمد الزمزمي** بن محمد الغماري الطنجي. ولد ببور سعيد بمصر عام 1330 / 1912 وأتى به والده إلى طنجة حيث نشأ وتعلم ولما بلغ التاسعة عشرة من عمره توجه إلى القاهرة لإنتاج دراسة على شيوخها، ثم رجع إلى طنجة وأخذ يلقي دروساً في التفسير والحديث والفقه والأصول والإسلام بالجامع الكبير وبالزاوية الصديقية، وأسندت إليه خطبة الجمعة ببعض المساجد.

ألف عدداً من الكتب والرسائل الدينية طبع أكثرها.

توفي بطنجة يوم الجمعة 28 ذي الحجة عام 1408 / 12 غشت 1988.

م. ابن الحاج السلمي، *إسعاف الإخوان الراغبين*، الدار البيضاء، 1992.

محمد حجي

ابن **الصديق، محمد** بن **الصديق** بن أحمد الغماري الحسني الإدريسي. اشتهر بنسبته إلى والده الشيخ الصديق. وكانت أسرته من قبل تعرف بابن عبد المومن نسبة إلى جده الأعلى الشيخ العارف عبد المومن.

ولد محمد بن الصديق بتجكان من قبيلة بني منصور الغمارية سنة 1295 في أسرة اشتهرت بالولاية والصلاح وتَولّي مشيخة الطريقة الصوفية الدرقاوية.

فوالده الشيخ الصديق (ت. 1331) هو العارف بالله الهائم في محبته العائم في بحر مشاهدته، صاحب الأذواق والأحوال والكرامات.

وجده هو الشيخ المربّي أحمد بن عبد المومن (ت. 1262) أحد كبار أصحاب الشيخ العربي الدرقاوي. وهو من جهته وارث سرّ الطريقة الدرقاوية وشيخها. وهو ذو أتباع ومريدين وتلامذة. وعن طريقه وطريق أصحابه ترسخت الدرقاوية في كثير من مناطق المغرب.

نشأ الشيخ محمد ابن الصديق تحت رعاية والده ببلادهم فحفظ القرآن برواية ورش وغيرها. ثم أخذ في طلب العلم هناك في بلده على بعض أقربائه كأخيه العلامة محمد المعروف بالقاضي (ت. 1320) وغيره.

ورحل إلى فاس في طلب العلم سنة 1312 حيث جلس إلى شيوخ العلم والتدريس بها. فقرأ مختلف العلوم من الحديث والتفسير والفقه والأصول والنحو والمنطق والبلاغة وغيرها على شيوخ عدة، من أشهرهم : أحمد ابن الخياط الزكاري (ت. 1343) والحاج محمد گنون، ويُعرف بگنيون بالتصغير (ت. 1328) والشيخ محمد التهامي گنون (ت. 1331)، والشيخ عبد المالك العلوي الضرير (ت. 1318) والشيخ المهدي الوزاني (ت. 1342) وغيرهم.

وفي فاس اتصل بفقراء الزاوية الدرقاوية من تلامذة أصحاب جده الشيخ أحمد بن عبد المومن، فانضاف إلى زاويتهم بزنقة الرطل بفاس، ولازم الشيخ سيدي محمد ابن إبراهيم. (ت. 1326) ـ المدفون بزاويته بزنقة الرطل من حومة العيون بفاس ـ وامتثل لأوامره فتربى به التربية الصوفية وسلك على يده ليحصل له الفتح في الطريقة الدرقاوية وليصبح فيما بعد أحد كبار شيوخها. ولم يعد إلى بلده حتى استوى عوده في العلم والعمل.

وتبدأ مرحلة جديدة من حياته مع أوائل العقد الثالث من القرن الرابع عشر للهجرة، حين ينتقل إلى سكنى طنجة فيشتهر أمره في الدرس والخطابة والموعظة الحسنة. وتهب عليه نفحات السرّ الإلاهية، فيتصدر للمشيخة الصوفية، مع ما كان عليه من حضور في المشيخة العلمية، فيكثر أتباعه وتلامذته، ويَترسخ به وبهم وجود الطريقة الدرقاوية.

وحوالي منتصف العشرة الثالثة من القرن الرابع عشر يقوم بإنشاء زاويته الصديقية الدرقاوية بطنجة ليتجمع حولها أتباعه، وتصبح الزاوية الرئيسية الدرقاوية بها.

وبشكل مواز لذلك بدأت نواة الزوايا الفرعية لها تظهر في بعض مناطق الشمال. فبنيت بقرية ترغة من قبيلة بني زيات الغمارية زاوية للصديقيين امتلأت بالاتباع ومريدي الطريقة الدرقاوية في تلك الناحية، يتصدرها المقدمون الذين أعطاهم الشيخ الإذن لتربية الفقراء وتنظيمهم.

وإذا كانت زاوية طنجة الرئيسية قد امتد أمدها لتظل قائمة إلى اليوم كمركز للدرقاوية الصديقية، فإن الزاوية التي عرفتها قرية ترغة لم تعمر طويلا، إذ هي اليوم خربة قد طواها النسيان.

ونظراً لكثرة الأتباع فقد أصبح الشيخ محمد ابن الصديق يمثل موطن الحذر بالنسبة للاستعمار الذي كان يرغب في بسط حمايته على المغرب. فقد صدرت من الشيخ مواقف أثارت حفيظة فرنسا عليه. وتطورت هذه المواقف بعد فرض

الحماية على المغرب لتتعمق هوة الصراع أكثر بين رغبة الاستعمار في تسخيره والضغط عليه، وبين رفض الشيخ لذلك وانزوائه على نفسه وزاويته وأتباعه، فتسلط عليه من أذى الاستعمار وأذنابه ما انعكس في أشكال متعددة، عانى الشيخ من ذلك شدة كثيرة. يذكر ولده في التصور والتصديق عن مواقفه ما نصه : "واشتهر الشيخ بين جميع رجالها بالمغرب وحكامها فيه بأنه العدو اللدُود لفرنسا، فسلكوا معه كل المسالك، وأطمعوه بالأموال والمرتبات وتنفيذ الكلمة والمساعدة على نشر طريقه في سائر أنحاء المغرب وغير ذلك كما فعلوا بغيره. فلم يزده ذلك إلا عداوة لهم وتباعداً منهم... ثم لما يئسوا من ميله، شرعوا يحاربونه في أصحابه وأتباعه بالمغرب ويعاكسونه في كل مآربه ويقفون في وجه مقاصده لإخوانه وأصحابه...".

وقد كان للشيخ في مرحلة حياته رحلتان كبيرتان إلى المشرق. الأولى عام 1329. وقد توجه بوفد كبير من أهله وأصحابه بحراً إلى الحجاز، فزار العديد من بلاد المشرق والتقى بعلمائه في الحجاز واليمن والشام ومصر قبل أن يعود إلى بلده بعد غيبة دامت ما يقارب السنة. ثم تكررت له رحلة ثانية إلى المشرق عام 1345. غير أنه اقتصر فيها على مصر والشام ليحضر مؤتمر الخلافة الإسلامية الذي ألحّ عليه المصريون آنذاك في حضوره. ولم تستغرق هذه الرحلة أكثر من ثلاثة أشهر لقي فيها بعض العلماء بالقطرين المذكورين.

وما كاد يعود إلى طنجة من رحلته الأخيرة هاته حتى لزم بيته، "فكانت وفود الزوار تتوارد عليه من كل ناحية... بل زاد الأمر وعظم بانقطاعه عن الخروج، فكان يعمّر معهم أوقاته بالمذاكرة بأنواع العلوم والمعارف، مع القيام بحقوق المسلمين وقضاء حوائجهم بالتوسط والشفاعات" إلى أن توفي بطنجة سادس شوال عام 1374 / 1954.

لم يترك الشيخ محمد ابن الصديق كتباً أو مؤلفات رغم تمكنه في العلم. ولكنه ترك وراءه زاوية صديقية عامرة بفقراء الطريقة الدرقاوية ؛ وأبناء اشتغلوا بالعلم وبرزوا فيه تأليفاً وكتابة ودرساً ؛ وجواً مشحوناً بالعلم والمعرفة، يحركه أبناؤه وأتباعه من العلماء.

أ. الصديق، *سبحة العقيق بذكر مقامات الشيخ سيدي محمد ابن الصديق*، مخ خ ع، د 1815 ؛ المؤذن بأخبار سيدي أحمد بن عبد المومن، منه مخ خ ع، د 136 ؛ *سلوة الأنفاس*، 3 : 345 ؛ *التصور والتصديق بأخبار الشيخ سيدي محمد ابن الصديق* م. العياشي السكيرج، *نبذة التحقيق في ترجمة الشيخ محمد ابن الصديق*، مخطوط بطنجة، 43 ـ 52 ؛ ع. بوعياد الطنجي، *نسمات وادي العقيق في مناقب الشيخ محمد ابن الصديق*، مخطوط بطنجة ؛ التليدي، *حياة ابن الصديق أحمد*، 11 ؛ ع. الله ابن الصديق، *سبيل التوفيق*، 53 ؛ محمد گنون، مواكب النصر، 37 ؛ *فهرس الفهارس*، 1 : 387 ؛ *الفكر السامي*، 4 : 320، القاهرة ؛ رياض الجنة أو معجم الشيوخ، 1 : 127، 4 : 311 ؛ معجم الشيوخ، 1 : 49 ؛ للمراكشي الاعلام، 7 : 151 معجم المطبوعات المغربية، 65 والمراجع المذكورة ؛ الدر المكنون للسشرفي، 110، ط. على الحجر بفاس، معجم الشيوخ، 1 : 167 ؛ الاعلام للمراكشي، 3 : 167 ؛ معجم *المطبوعات المغربية*، 66 والمراجع المذكورة ؛ القادري، فهرس محمد بن قاسم، 38، بفاس ، 8 : 377، 246 ؛ فهرس الفهارس، 2 : 1113؛ معجم الشيوخ، 2 : 48، ؛ الفكر السامي، 4 : 318، 363 ؛ *التصور والتصديق*، 190 ومابعدها، التصور والتصديق، 33، 46.

عبد الله المرابط الترغي

الصديقي، محمد بن سعيد الصويري ثم البيضاوي. فقيه مفت ولوع بالتاريخ وتراجم الرجال. ولد بمدينة الصويرة حوالي عام 1310 / 1893 ونشأ بها ودرس على فقهائها الذين ذكر بعضهم في كتابه *إيقاظ السريرة*. وأتم دراسته بمراكش على علماء جامع ابن يوسف.

ولما رجع إلى مسقط رأسه اشتغل بالتدريس واسندت له الخطابة بالجامع الكبير إلى أن وقع له خصام مع قاضي الصويرة إدريس ابن خضراء السلاوي الذي نفس عليه ـ حسب قول المترجم ـ تأليفه في تاريخ الصويرة استجابة لاقتراح أحد المستشرقين الفرنسيين. فانتقل إلى السكنى بالدار البيضاء وانتصب لتلقي الشهادات في سماط العدول، واشتهر بالإفتاء فقصده الناس لذلك من جميع أنحاء البلاد.

يعتبر كتابه *إيقاظ السريرة لتاريخ الصويرة* المرجع المعتمد لمعرفة ماضي هذه المدينة منذ التأسيس والمراحل التي مرت بها إلى منتصف القرن الرابع عشر (20 م). مع تراجم أعيانها وعمالها وقضاتها وفقهائها.

توفي بالدار البيضاء يوم السبت سادس عشر رجب عام 1395 / 26 يوليوز 1975 ودفن بمقبرة الشهداء بحي ابن مسيك.

م. الصديقي نفسه، *إيقاظ السريرة*، الدار البيضاء، د. ت ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع : سل النصال / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 9 : 3458 . 3459.

محمد حجي

الصديقية طريقة صوفية من فروع الطريقة الدرقاوية الأم إلى جانب طرق أخرى مثل الحراقية والعجيبية التي تفرعت كلها من نفس الأصل. أسسها الشيخ محمد بن الصديق سابق الترجمة الذي أخذ الطريقة الشاذلية الدرقاوية

أثناء إقامته لطلب العلم بفاس عن الشيخ محمد بن المفضل ابن إبراهيم (ت. 1326 / 1908)، وقرأ عليه عدداً من الكتب في التصوف مثل *الحكم* وكتاب *التنوير* لابن عطاء الله الاسكندري، وكتاب *العهود المحمدية والمتن الكبرى* للشعراني، ورسائل جده أحمد بن عبد المؤمن الغماري في التصوف. وكان الشيخ ابن إبراهيم يتفرس فيه النبوغ في العلم والتصوف.

وبعد ثلاث سنوات قضاها بفاس رجع الشيخ محمد بن الصديق إلى قريته تجكان فاستقر بها ثلاث سنوات أخر، ثم قرر العودة إلى فاس للملازمة شيخه محمد بن إبراهيم بزاويته. وهكذا أخذ مساره الصوفي يتبلور خاصة لاعتبارين، الأول تزكية الشيخ ابن إبراهيم له لمشيخة الطريقة، والثاني وجود نسب صوفي يربطه بالطريقة الدرقاوية، فبينه وبين مؤسسها أربعة شيوخ أحدهم هو جده الشيخ أحمد بن عبد المؤمن تلميذ مولاي العربي الدرقاوي. ويتصل سند هذه الطريقة بعدد من أقطاب التصوف المغربي عبر العصور، إلى الشيخ أبي الحسن الشاذلي وشيخه مولاي عبد السلام بن مشيش، وبعده يأخذ سند الطريقة مسارا مشرقيا.

شجرة الطريقة الصديقية

الشيخ مولاي العربي الدرقاوي (1150 ـ 1239 / 1737 ـ 1823)
|
الشيخ أحمد بن عبد المؤمن الغماري (1200 ـ 1262 / 1785 ـ 1846)
|
الشيخ محمد بن أيوب (ت. 1273 ـ 1856)
|
الشيخ عبد الواحد بناني (ت. 1285 ـ 1868)
|
الشيخ محمد بن المفضل ابن إبراهيم الفاسي (ت. 1326 ـ 1908)
|
الشيخ محمد بن الصديق الغماري (1295 ـ 1354 / 1878 ـ 1936)

تأسيس الطريقة الصديقية بطنجة : توجه الشيخ سيدي محمد بن الصديق إلى مدينة طنجة للزواج من ابنة خاله السيد عبد الحفيظ بن عجيبة الحسني، وقرر الإقامة بها سنة 1319 / 1901. ونظراً لضعف النشاط الصوفي بالمدينة مع الفتور الذي أصاب الزاوية الحراقية بالخصوص، وجدت الطريقة الدرقاوية المجال مناسبا للانتشار، فأسس الشيخ ابن الصديق زاوية كبيرة بحي القصبة بطنجة سنة 1323 / 1905، بنيت على قطعة أرضية من أملاك الأحباس وهبها السلطان المولى عبد العزيز لهذا الغرض (نص ظهير السلطان، بكتاب *سبحة العقيق*، ص. 57). فأصبحت من الزوايا المغربية الأكثر نشاطا. ولم يحصر الشيخ نشاطه بمدينة طنجة بل وسعه إلى باقي المنطقة الجبلية التي كان يتردد عليها لنشر تعاليمه، فكثر أتباعه بالقبائل الجبلية المجاورة لطنجة وتطوان وغمارة.

كان للزاوية الصديقية توجه خاص حيث لم يكن الشيخ محمد بن الصديق يركز على التصوف وحده، بل جمع بين التربية الصوفية وبين تدريس العلم، فصارت زاويته بطنجة مدرسة علمية تخرج منها عدد من العلماء أشهرهم أبناؤه الستة الذين وصلوا إلى درجة الاجتهاد. ومن بين المميزات التي حرصت عليها الطريقة مسألة محاربة التقليد والالتزام بالسنة والإقبال على علم الحديث على وجه خاص، وقد ظهر ذلك جليا في الأوراد والأذكار والوظائف التي وضعها الشيخ محمد بن الصديق. كما أنها تجنبت كثيرا من الآراء والممارسات التي ظهرت على بعض الطرق الصوفية في العصور المتأخرة.

النشاط الجهادي للزاوية الصديقية : نظراً لانفتاح الشيخ محمد بن الصديق على الأفكار التحررية التي كانت تروج في العالم الإسلامي وقتئذ خاصة فكرة الجامعة الإسلامية، فإنه تخلص من ظاهرة الجمود التي سيطرت على التصوف المتأخر، وتجاوز نشاط زاويته الحدود التربوية والعلمية إلى ممارسة بعض الأدوار الجهادية في مقاومة المستعمر بالمنطقة الجبلية خاصة بمنطقة دار بن قريش بقبيلة بني حزمار حيث وقف أتباعه سدا منيعا في وجه تقدم الإسبان نحو تطوان من ناحية الجنوب، وبعد ذلك بسنوات شارك أتباعه من قبيلة أنجرة والقبائل المجاورة لطنجة وتطوان وعلى رأسهم تلميذه القائد محمد المجاهد في محاربة الإسبان إبان حرب الريف وبتنسيق مع حركة الجهاد بزعامة الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي. كما حصلت توترات عديدة لأتباع الطريقة مع الإدارة الدولية بطنجة، حيث تبنت الطريقة الصديقية موقف العداء للمستعمرين الفرنسيين والإسبان.

وقد استمر نفس الدور بعد وفاة الشيخ محمد بن الصديق، حيث ألقي القبض بعد مدة على ابنه وخلفه الشيخ أحمد بن محمد بن الصديق وحوكم بتهمة حيازة الأسلحة والتحريض على مقاومة الاحتلال الإسباني بالمنطقة المجاورة لطنجة، ثم صدر ضده حكم بالنفي إلى المنطقة التي كانت تحت الاحتلال الفرنسي فأقام منفيا بمدينة الجديدة مدة ثم بسلا حيث أسس زاوية أسفل الجامع الأعظم.

وبفضل إقامة أبناء الشيخ سيدي محمد بن الصديق خاصة أحمد وعبد الله بمصر مدة طويلة تكون للطريقة الصديقية فرع بمصر.

أحمد بن الصديق الغماري، *سبحة العقيق لذكر مناقب الشيخ محمد ابن الصديق*، مخطوط، خ. ع، رقم 1815 د ؛ عبد الله ابن الصديق، *سلسلة الطريقة الشاذلية الصديقية*، الرباط، د. ت ؛ عبد الله التليدي الحسني، *الأنيس والرفيق بأثر الشيخ سيدي أحمد بن الصديق*، مخطوط ؛ عبد السلام بن العربي بوعياد الطنجي، *نبذة تاريخية عن حياة الشيخ سيدي محمد بن الصديق وجهاده ضد الاستعمار*، الدار البيضاء، د. ت ؛ محمد الحبيب التجكاني، *وثائق وتحقيقات عن المجاهدين بدار ابن قريش*، تطوان ؛ العربي عجولو الرحموني، *الزاوية الدرقاوية بطنجة : تاريخها، مبادؤها، أدوارها*، رسالة، د. د. ع، مرقونة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 1412 / 1992.

Michaux-Bellaire, *Les Derqaua de Tanger*, *Revue du Monde Musulman*, t. 39, 1920.

محمد المغراوي

الصدر الأعظم، أي الوزير الأول في حكومة المخزن المغربي. ويجد الباحث صعوبة في تتبع تاريخ هذا المصطلح وعلاقته بتاريخ الوظيفة التي يرمز إليها. ويرجع ذلك لسببين يتمثلان، أولاً، في عدم حرص المخزن على استعمال الألقاب الإدارية في وثائقه التي كانت تكتفي بإيراد مصطلحات لا تخلو من دلالة، مثل "الخديم" أو "الوصيف" أو "غلام المقام العالي". ولم يبدأ الأمر في التغير إلا مع بداية العقد الثاني من القرن العشرين الذي استعمل فيه مصطلح "الوزير الكبير" ("كناش المكاتب الرسمية الواردة على إدارة البريد المخزنية"، قسم الوثائق، خ. ع) ؛ وثانياً، في استعمال المصادر والكتب المختلفة لبعض المصطلحات الأخرى، وهي : "الوزير" و"الوزير الصدر" و"الوزير الأول" و"الوزير الأعظم" والفقيه الكبير و"الوزير الأكبر".

وإذا كانت الجريدة الرسمية التي ترمز لبدء عهد "الحماية"، قد استعملت مصطلح "الصدر الأعظم"، بشكل رسمي، فإنها لم تمتنع عن استعمال صيغ ومفاهيم أخرى للإشارة لنفس الوظيفة. وهذه المفاهيم هي : "البنيقة الكبرى" و"الوزارة الكبرى" أو "الوزارة الكبيرة" (ج. ر. 13 . 1914، ص. 34 . 63 . 64 . 59). والظهائر السلطانية نفسها، لم تلتزم دائما بصيغة "الصدر الأعظم". وكمثال على ذلك الظهير الذي نص على تولية محمد الگباص "صدرا كبيرا بوزارة الداخلية" (نونبر 1913).

وتجدر الإشارة إلى أن وجود أو استعمال معظم هذه الألقاب ارتبط بالتطورات التي عرفها المغرب في القرن التاسع عشر. فقد كان السلطان قبل حدوث هذه التطورات، يستعين، في تسيير شؤون الدولة، ب "هيأة معينة لها أسماء خاصة، لا يطلق على (أي) فرد من أفرادها اسم وزير". وكان يرأسها "شخص يطلق عليه اسم "رئيس الكتاب". وكانت "رياسة الكتاب هذه كمنصب الصدارة.. شكلا ومعنى، ولا تختلف معها إلا في التسمية فحسب" (*العز والصولة*، الجزء الأول، ص. 272). ومع تطور أمور المخزن، أطلق لقب وزير على رئيس الكتاب الذي كان يتمتع، حسب ما ذكره محمد أكنسوس، بحق "التصرف التام في جميع أمور الباب (السلطاني).. والنظر التام في الكتاب وغيرهم من رؤساء الأجناد، ومباشرة العمال، والوساطة بين الناس وبين السلطان". واستنادا إلى ما ذكره هذا الكاتب الذي أصبح وزيراً في عهد مولاي سليمان، فإن شرط إتقان فن الكتابة لم يكن ضرورياً لتولي هذه المهمة. فبعض رؤساء الكتاب، مثل العربي قادوس "وزير" السلطان سيدي محمد بن عبد الله، والقائد أحماد "مولى أتاي" وزير مولاي سليمان، لم يكن يتوفر فيهما هذا الشرط، لكن ذلك شكل استثناءً، إذ كان أغلب الوزراء يحسنون "الكتابة والترسيل". ونذكر من هؤلاء، أبو عباس اليحمدي وزير مولاي إسماعيل، ومحمد ابن إدريس وزير السلطان مولاي عبد الرحمان، و"الوزير الأعظم... الطيب بن البساني" وزير سيدي محمد بن عبد الرحمان (*الجيش العرمرم*، تحقيق أحمد الكنسوسي، الجزء 2، ص. 174).

ولم يكن المخزن يتوفر في تلك الفترة إلا على وزير واحد؛ إذ لم يرتفع عدد الوزراء إلاّ في النصف الثاني من القرن التاسع عشر نتيجة تزايد الضغط الامبريالي وتعقد العلاقات مع الأجانب الأوربيين. فالمخزن أصبح يتكون، في عهد مولاي الحسن، من خمسة وزراء. وكان أبرز هؤلاء، "الوزير الأعظم" الذي احتفظ له الاخباريون، في نفس الوقت، بلقب "الوزير". وبناء على ما ذكره الحسن بن الطيب بوعشرين فإن "الوزارة كانت أعظم في ذلك الوقت من جميع الخطط، فلا كلام لغير صاحبها" (*التنبيه المعرب عما عليه الآن حال المغرب*، ص. 34). ولم يستعمل المؤرخ أحمد الناصري، من جهته، مصطلح الصدر الأعظم، وإنما اكتفى باستعمال مصطلحي "الوزير" والوزير الأعظم" (*الاستقصا*، ج 7، ص. 10-65 ، ج 9، ص. 165). وهذا اللقب الثاني يقابل مصطلح Le Grand Vizir الذي تكرر استعماله في الوثائق الفرنسية قبل "الحماية". والجدير بالملاحظة هو أن بعض المؤلفين والباحثين لم يلتزموا باستعمال هذين المصطلحين فقط، أثناء الحديث عن بنيات المخزن في القرن التاسع عشر. وقد استعملوا، بشكل خاص، مصطلحي الصدر الأعظم والصدارة للإشارة إلى مؤسسة "الوزارة" أو "الوزارة العظمى". فالباحث إبراهيم حركات، مثلاً، ذكر "أن أول من شغل منصب الصدر الأعظم كان الفقيه أحمد اليحمدي في عهد مولاي إسماعيل" (*المغرب عبر التاريخ*، الجزء الثالث، ص. 367). أما المرحوم محمد المنوني الذي أشار إلى تأسيس وزارتي الحرب والعدلية على يد السلطان محمد بن عبد الرحمان، ووزارتي الخارجية والمالية في عهد مولاي الحسن، فقد أكد أن "الصدارة وفي ضمنها الداخلية.. هي الوحيدة التي كانت موجودة من قبل" (*مظاهر يقظة المغرب الحديث*، الجزء ا، ص. 43).

ويمكن التأكيد، رغم كل ما قيل، أن مصطلح الصدر الأعظم لم يستعمل، بشكل رسمي، إلا بعد صدوره في الجريدة الرسمية عقب توقيع عقد "الحماية" في 30 مارس 1912. فظهير 31 أكتوبر 1912، المتعلق بالمخزن واختصاصات الوزراء، استعمل في نسخته الفرنسية، وهي الأصل، مصطلح Le Grand Vizir. أما الترجمة العربية، فقد استعمل فيها مصطلح الصدر الأعظم. وهذا أمر قد يدفعنا إلى القول بأن استعماله ترسيخ لمصطلح منبثق من صميم الواقع المخزني ومن مرجعية ثقافية مغربية، خصوصا وأن مصطلح "الوزير الصدر" استعمل في بعض المصادر التاريخية المغربية ؛ لكن ذلك لا ينبغي أن يمنعنا من التساؤل عما إذا كان هذا المفهوم مقتبسا من المعجم الإداري العثماني، خصوصا وأن الفرنسيين استعملوا، في نفس النص المذكور أعلاه، لفظ "الفرمان" التركي بدل كلمة "الظهير" المعمول بها في الاصطلاح المخزني.

وتجاوزا لهذا النقاش الذي يدور حول المصطلح، تجدر الإشارة إلى أن دور الصدر الأعظم، على غرار ما كان عليه الأمر في الدولة العثمانية، كان هاما وأساسيا. فإذا كانت الحجابة تؤهل صاحبها ليحتل مرتبة هامة في النسق المخزني، فإن "الوزارة"، كانت ترفع من تولى أمرها إلى مرتبة أعلى من باقي الوزراء. إذ كان بمثابة "وزير أول" يساعد السلطان على مباشرة أمور الدولة وإدارة شؤون البلاد. وكان يقوم، بشكل خاص، بالدور المنوط بوزير الداخلية في الأنظمة الإدارية العصرية. فمسؤولياته شملت، في مجال السياسة الداخلية، شؤون القبائل والمدن وقضايا الأعيان والزوايا. أما في المجال الإداري المحض، فقد تمثلت مهمته في اقتراح تعيين أو عزل ممثلي المخزن من ولاة ومحتسبين وقضاة ومدرسين ونظار، والإشراف على أمورهم والتدخل في المسائل المتعلقة بالإنعامات والحركات وغيرها...

ورغم النفوذ الذي تمتع به هذا الوزير، فإن مهامه لم تؤهله ليقوم بدور "رئيس الحكومة" أو رئيس الوزراء. كما أنه لم يكن مفوضا للتصرف بحرية دون الرجوع إلى السلطان في القرارات التي تتخذ داخل القصر. فالعاهل احتل مكانة بارزة في قمة النسق الإداري وأمسك بزمام السلطة التنفيذية برمتها، وكان.. هو المسير لكل شيء في داخل القصر وخارجه، وصاحب الرأي والتنفيذ في جميع الشؤون" (*العز والصولة*، ج ١، ص. 271). أما الوزراء، فكانوا أدوات تنفيذ. ولم تكن اختصاصاتهم، نتيجة لطبيعة النسق المخزني التقليدي، محددة وواضحة. وقد انعكس ذلك على سلطات واختصاصات الوزير الأعظم التي كانت تتزايد أو تنكمش ارتباطا بدرجة قربه من السلطان والحظوة التي يتمتع بها في القصر السلطاني. فاختصاصات الوزير الحاج المعطي في عهد مولاي الحسن مثلا، لم تتجاوز المهام التقليدية المنوطة بوزارته؛ في حين اتسعت اختصاصات الوزير أحمد بن موسى البخاري (باحماد)، الذي استولى بعد وصول مولاي عبد العزيز إلى السلطنة، على مقاليد الأمور واحتوى على خطط جميع الوزراء وكبراء الدولة" (الحسن بن الطيب بوعشرين، المصدر السابق، ص. 45)، وامتدت سلطته لتشمل حتى الأمور المتعلقة بالسياسة الخارجية. وبعد وفاته، تقلص دور خلفه الوزير الحاج المختار بعد أن استولى وزير الحرب المهدي بن العربي المنبهي، الذي استطاع أن يكتسب ثقة السلطان، على زمام السلطة الفعلية.

وفي فترة "الحماية"، حرصت السلطة الاستعمارية على التمييز بين اختصاصات الوزراء وتحديد صلاحيات الصدر الأعظم الذي أصبح، بناء على ما نص عليه ظهير 31 أكتوبر 1912، مكلفا، من الناحية المبدئية أو النظرية على الأقل، بالإدارة العامة للبلاد والأمن والتعليم والوقاية الطبية والأشغال العمومية والفلاحة والغابات والمناجم؛ بل إنه زود، استنادا إلى البند الرابع من عقد الحماية، بتفويض عام من السلطان، لممارسة السلطة الإدارية والتنظيمية العامة التي أسندت إليه. لكن سلطات "الحماية"، التي انتزعت من المخزن اختصاصات وزارتي الحرب والخارجية، استعملت هذا التفويض الوزيري كتقنية أو وسيلة قانونية لإفراغ السيادة المغربية من محتواها وللاستحواذ على معظم اختصاصات الإدارة المخزنية واحتكار السلطة الفعلية (Mohamed Lahbabi, *Le gouvernement marocain...*, pp. 190-193, 201-208).

وبناء على ذلك، كان الصدر الأعظم خاضعا في كل تصرفاته وممارساته لمراقبة الإدارة الاستعمارية، وخصوصا "لإدارة الشؤون الشريفة" التي أصبحت تسمى ابتداء من سنة 1936، "إدارة الشؤون السياسية"، و"إدارة الداخلية" بعد الحرب العالمية الثانية. وكانت القرارات التي يوقعها الصدر الأعظم تهيأ من طرف المصالح الفرنسية. أما القواد والباشوات، وكل ممثلي المخزن في الجهات والأقاليم، فقد كانوا خاضعين لسلطة "ضباط الشؤون الأهلية" أو "المراقبين المدنيين" الفرنسيين، رغم أنهم كانوا تابعين، نظريا، لإشراف الصدارة العظمى.

والحديث عن هذه المؤسسة، التي لا تخفى أهميتها في الاستراتيجية الاستعمارية، يجرنا بالضرورة للحديث عن الصدر الأعظم محمد المقري الذي ارتبط ذكره بتاريخ الحماية، فهذا الشخص الذي تقلد مناصب مخزنية متعددة وأسند له مولاي حفيظ مهمة الوزير الأعظم بعد انسحاب المدني الگلاوي سنة 1911، أقاله الفرنسيون، بعد سنة 1912، من الصدارة التي أسند أمرها إلى محمد الگباص في شهر نونبر من سنة 1913. لكن المقري، الذي اشتهر بـ "مرونته" ودهائه وخبرته في مجال التعامل مع الأوربيين، تمكن سنة 1917، من العودة إلى منصبه. فالمستعمر الذي جعل من الصدارة العظمى أداة لتوطيد دعائم السيطرة الفرنسية بالمغرب، شعر بصعوبة الاستغناء عن هذا الشخص الذي أظهر استعداده لتطبيق كل "الإصلاحات" المقترحة والإجراءات المتخذة.

ومن هذه الإجراءات ظهير 13 غشت 1953، الذي نص على تأسيس مجلس مصغر يترأسه، بصفة شكلية، الصدر الأعظم الذي زود بتفويض عام من "أجل اتخاذ جميع الإجراءات التنظيمية أو الفردية التي تهم الإدارة". وكان هذا المجلس يتكون، بالإضافة إلى الرئيس من وزيرين مساعدين وموظفين فرنسيين كبار هم "الكاتب العام للحماية" و"مستشار الحكومة الشريفة" ومدير الداخلية. ونشير أيضاً، إلى الظهير الذي وقعه ابن عرفة في 9 شتنبر 1953، أي بعد نفي السلطان الشرعي للبلاد؛ وكان الغرض منه تقوية سلطات هذا المجلس، الذي أصبح يتمتع بصلاحية ممارسة السلطة التشريعية (ألبير عياش، *المغرب والاستعمار*، ص. 98).

وبعد عودة السلطان سيدي محمد بن يوسف من المنفى وحصول المغرب على استقلاله، أعفي محمد المقري من مهامه وألغي منصب أو مصطلح الصدر الأعظم الذي عُوِّض بلقب

"رئيس المجلس". وقد كان لهذا الأمر دلالته، إذ أنه يرمز لرغبة المسؤولين الجدد في تجاوز سلبيات الماضي والانفتاح على مرحلة جديدة يسند فيها أمر تدبير شؤون الحكومة، كما هو الحال بالنسبة للوزير الأول في الأنظمة الليبرالية العصرية، لرئيس المجلس. لكن العمل بهذا النظام لم يستمر طويلا ؛ إذ أصبحت رئاسة مجلس الوزراء، بعد صدور دستور دجنبر 1962، من اختصاص الملك، الذي تشكلت حكومته من وزراء يتقدمهم "وزير أول" لم تكن له سلطة رئيس الوزراء.

أ. الناصري، *الاستقصا*، ع. الرحمان ابن زيدان، *إتحاف إعلام الناس*، الرباط : *العز والصولة*، الرباط، 1961 ؛ م. أكنسوس، *الجيش العرمرم الخماسي*، تح. الكنسوسي ؛ ألبير عياش، *المغرب والاستعمار*، حصيلة السيطرة الفرنسية، دار الخطابي، 1985 ؛ إ. حركات، *المغرب عبر التاريخ* ؛ الحسن بن الطيب بوعشرين، *التنبيه المُعرب عمّا عليه الآن حال المغرب*، السِّفر الأول، تح. م. المنوني، الرباط، 1994 ؛ م. الحجوي، *انتحار المغرب الأقصى بيد ثوارد* ؛ مخطوط ؛ م. المشرفي، *الحلل البهية* ؛ ميشيل روسي، المؤسسات الإدارية المغربية، الدار البيضاء، 1993 ؛ *الجريدة الرسمية*؛ مصطفى الشابي، *النخبة المخزنية في مغرب القرن التاسع عشر*، 1995 ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، بيروت، 1985.

Benjelloun, *Droit administratif*, t. I, Rabat, 2ème éd., 1992 ; Emmanuel Durand, *Traité de droit public marocain*, Librairie générale de droit et de jurisprudence, 1955, 3691 p. (IHEM, t. XLVI, Mohammed El Yagoubi, *Le droit administratif marocain*, t. I, année 1987, imprimerie Arrissala, Rabat, pp. 44-45 ; H. Gaillard, *"La réorganisation du gouvernment marocain"*, *supplément de l'Afrique française*, 1916, pp. 153-170 ; Arthur Girault, *Principes de colonisation et de législation coloniale*, Larose ; Mohamed Lahbabi, *Le gouvernement marocain à l'aube du 20ème siècle*, les éditions maghrébines, Casablanca, 1975 ; Laubadère (André de), *Les réformes des pouvoirs publics au Maroc - le gouvernement, l'administration, la justice*, (Paris, Librairie générale de droit et de jurisprudence, 1949, 99p.).

عبد الحميد احساين

الصدف جمع أصداف، حيوانات مائية أغلبها بحرية تصنف علميا إلى طائفة الرخويات ومنها فصيلة صفيحيات الخياشيم أو الغلاصم Lamellibranchia Pelecypods وتسمى أيضا رقائقية الخياشيم أو ذات الصراعين تتميز بقوقعة ذات صمامين، وفصيلة البطنقدميات أو القواقع الحلزونية Gasteropoda. وعلى عكس الرخويات النموذجية كالأخطبوط والحبار فإن ذات الصراعين أو ثنائيات الصدف على هيئة طبقتين متصلتين ببعضها ولا تتوفر على منطقة رأسية متميزة عن الجذع. يتوفر الجسم على فتحتين : الأنبوب المستنشق والأنبوب الفواح أو الزافر تستعملان لدخول الماء وخروجه.

تتغذى أصناف الأصداف من الأجسام العضوية المجهرية العلقية ومن النباتات وحيدات الخلية الدقيقة تمتصها وتصفيها بواسطة الغلاصم الصفيحية. تتوفر معظم الأنواع على قدم واحد فأسي الشكل متطور ومتين يستعمل للتنقل في أغلب الحالات وتكون متقلصة أو منعدمة عند الأصناف المستقرة كبلح البحر مثلا Mytilus galloprovincialis و Pernapicta حيث يلتصق الحيوان بالصخور بواسطة ألياف خاصة وهي مواد سائلة تدعى النسالة تتصلب عند اتصالها بالماء إلى أن تصير مادة متينة شديدة المقاومة. ورغم رهافة ودقة هذه الألياف فهي قادرة على تثبيت وترسيخ الصدف بصلابة على الصخور ويصعب اقتلاعها بفعل قوة الأمواج التي قد تنقلها إلى عرض البحر أو تحطمها بقوة اضطرابها وتلاطمها بالصخور.

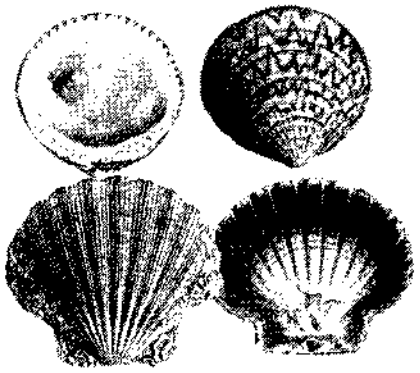

معظم أنواع ثنائيات الصدف من جنسين متشابهين ويختلفان فقط في لون الأجهزة التناسلية : برتقالية لدى الإناث وبيضاء لدى الذكور. يتم تلقيح البويضات في الماء بعد إلقاء المواد التناسلية من طرف الجنسين.

يبلغ عدد أنواع ثنائية الصدف حوالي 10000 في العالم منها أكثر من 300 نوع معظمها بحرية تعيش في السواحل المغربية. يؤكل العديد منها ونذكر من بين الأنواع ذات قيمة اقتصادية في المغرب المحار Huître وتتم زراعته بكميات هائلة في بحيرة الوالدية والناظور، وبوزروك (بلح البحر) Moule والصدفة البساطية روديتابس ديكوساتس Palourde وتسمى في المغرب الميخة أو النميعة والصدف القلبي كارديوم والصدف البراق Vernis والصدفة المروحية المشطية من جنس بكتين التي تعتبر من الأنواع اللذيذة الطعم وقد تم إدخال نوع Patinopecten yessoensis سنة 1996 بخليج إمسوان شمال أكادير لتجربة استزراعه في المياه المغربية وقد أعطت التجارب الأولية نتائج مشجعة إذ بلغ طول الأفراد المرخص للتجارة - 10 سم - بعد 13 شهرا. تعد تربية هذا النوع المحاولة الأولى من نوعها على الصعيد الإفريقي والأوروبي يقوم بها المعهد الوطني للبحث في الصيد البحري بتعاون مع شركة مستقلة مغربية. يعيش هذا النوع في المياه الباردة بالمحيط الهادي على السواحل الكندية واليابانية في أعماق تتراوح بين 10 - 30 م.

وهناك أيضا الأصداف الموسية منها سكين البحر إنسيس الذي يتعدى طوله 20 سم ومنه عدة أنواع تألف الأماكن الرملية والوحلية الساحلية كخليج الداخلة.

تنمو أنواع بلح البحر - بوزروك أو أم الخلول كما يسمى في الشرق العربي - في كتل ملتصقة بالصخور أو الخشب

المغمور في الماء. وتعيش معظم أنواع ثنائيات الصدف مطمورة في رمال ووحل الشواطئ الضحلة وفي البحيرات الساحلية. يعد نوع بينا النبيلة Pinna nobilis من أكبر الصدفات حجما يبلغ طولها 60 سم وهي شائعة في بحيرة الناظور وبعض المناطق الساحلية المتوسطية.

للتذكير فإن المحارات اللؤلئية غير موجودة في السواحل المغربية.

تتخذ معظم أصناف صدفات البطنقدميات هيئة الأنبوب الحلزوني ومنها ما يربو عن 500 نوع تعيش في السواحل المغربية. إن القواقع البرية وقواقع المياه العذبة سبق ذكرها في مادة الحلزون. من بين أنواع صدفات البطنقدميات البحرية الشائعة صدفة أذنية من جنس هاليوتس والقبعة الصينية من جنس باتيلا وفيسوريلا وصدفة بوقية من جنس موريكس وشارونيا وعدة أنواع من الصدف المخروطية من جنس كونس ومنه نوع الصدفة المخروطية المغربية Conus maroccanus الذي يرجع تاريخ تصنيفه إلى سنة 1795 من طرف شميتز.

م. منيوي، بوزروك، *معلمة المغرب*، ج 5، ص. 1697. 1698 ؛ م. خريوعة ومحمد رمضاني، الحلزون، *معلمة المغرب*، ج 11، ص. 3540. 3541.

Id Halla M., *Biologie des moules Perna perna et Mytilus galloprovincialis dans la baie d'Agadir*, Doc. 3e cycle, Agadir, 1997, 160 p.

محمد خريوعة

صدقي، محمد مقاوم، ولد بمدينة الدار البيضاء سنة 1921، عمل في صفوف النضال الوطني وساهم في تأسيس المنظمة السرية والتخطيط لعملياتها، استشهد في فاتح شتنبر 1955 بعد إنجاز أعمال فدائية كثيرة.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 130.

صدينة (قبيلة -) كانت في القرن الثالث (9 م) مستقرة قرب فاس بحوض إينّاون بين نهري سبو وورغة، ناصرت إدريس الأول في الفترة التأسيسية. في قرية عرف بوجودها أبو عبيد الله البكري في القرن الخامس (11 م)، وكانت آنذاك جزءاً من حوز تطوان أو ناحية مجكسة قاعدة لجماعة بني مرزوق بن عوف المصامدة.

تشكل صدينة في الوقت الحاضر فرقة بالحوز التطاوني، متضمنة تسعة مداشر، كان عدد سكان التجمع قبل سنة 1931 حوالي 448 دارا، وهو ما يعادل في المتوسط 2240 ساكن. وقريةصدينة واقعة في آخر كتلة صدينة المجزأة إلى جبل درسة في الشرق (400 م.) والمسحر في الغرب (552 م.) وقمة صدينة (632 م.) التي تعلو في الشمال.

وارتبط تاريخ صدينة بتاريخ المقاومة المغربية ضد الوجود البرتغالي بسبتة في الفترة المتراوحة بين سنة احتلال سبتة عام 818 / 1415 وسنة 868 / 1464، إذ أنها كانت مركز الحملات الجهادية المنطلقة من مجكسة العليا. فالجبل كان مستقر رئيس المجاهدين عب (عبد الله) بن محمد المتزعم لحركة الجهاد بين 1415 و1420، وهو نفس موطن أحمد بن سلام بن مرزوق الصديني المتزعم لغزوة سنة 1430.

ولصدينة وأهلها فضل في تحقيق أول انتصار على القوات البرتغالية التي قادها العاهل البرتغالي ألفونصو الخامس حين حاول غزو قرى فرقة صدينة في مستهل سنة 1464 بنحو ثمانمائة من فرسانه والوصول إلى تطوان بما سماه زورارا بالنزهة العسكرية. وكانت النتيجة مقتل حاكم القصر الصغير دون ضوارتي دي منسيس.

أبو عبيد الله البكري، *المغرب*، باريس، 1965 ؛ ابن حوقل، وصف الأرض ؛ ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبري بالثغور الشمالية المغربية*، الرباط، 1991، أطروحة مرقونة ؛ أ. بن الشراط، تقييد، تح. م. بن عزوز حكيم بعنوان، *لماذا نطالب باسترجاع طليلية وسبتة* ؛ ع. الوهاب بنمنصور، *قبائل المغرب*، الرباط، 1968 ؛ *ظهير لتنظيم اللجان الفرعية للفرق والجماعات*، تطوان، 1952.

Cronica de D., *Zurara Eanes Gomez de Duarte de Meneses* ; *Géografie de Marruecos, Protectorados y Posesiones de España en Africa*, t. 2, Madrid, 1936.

الصديني، أحمد بن سلام بن مرزوق، من الأسرة الصدينية المصمودية القديمة التي كانت لها الرياسة بجبل الدرقة من حوز تطوان يعرف بابن مرزوق. كان حوالي سنة 833 / 1430 شيخ تجمعات فرقة صدينة ومقدمها في الحركة الجهادية. اكتفى الإخباري البرتغالي زورارا بتسميته بمرزوق، على خلاف أحمد الشراط الذي عرف في تقييده باسمه الكامل.

نعتقد أن ابن مرزوق استقر أثناء تدبير غزوته بمدشر بلوازن، الواقع على السفح الشرقي من جبل الدرقة للقيام بدور المراقبة والتعبئة. بدأ عمله الجهادي قبل سنة 831 / 1428، إذ أنه شارك في عدد من الغارات السابقة، المنظمة من طرف الجزوليين ومعاصره أبي علي الحسن العلمي، مقدم جبل حبيب، وتاليهم سيدي طلحة.

عزم الصديني بعد غزوات سيدي طلحة على رئاسة حملة جهادية. فقبل شعبان سنة 833 / أبريل 1430 تمكن من استطلاع أخبار سبتة. ومما قاله للحضور قبل انطلاق الغزوة : "فمن شأن هذه الغزوة أن تكون فاتح باب الانتقام الذي يتمناه المسلمون، لما لاقوه من الأضرار على يد هؤلاء الأشرار الذين غادروا مواطنهم للاستيلاء على بلادنا".

لم نتوصل إلى ضبط تاريخ الغزوة بدقة بناء على ما سرده زورارا. ولكننا نقترح أن يكون موعدها في شعبان سنة 833 / أبريل 1430، فبعد أيام مضت من شهر أبريل السنة، ظهر المحاربون بميدان سبتة، وتبين من التخطيط الذي رسمه الشيخ بن مرزوق للغزوة أن المغاربة وزعوا قواتهم على قسمين.

غير أن البرتغاليين ضبطوا الوسيلة التي مكنتهم من إبعاد المغاربة إلى جهة قلعة متنة أو كاستيخوس. والمشهور عند الإخباري البرتغالي أن المعركة قد نتج عنها إصابة الشيخ ابن مرزوق الصديني بجرح عاد به إلى منزله وبه توفي بعد أيام. وبذلك يمكن تعيين تاريخ الوفاة بشهر شعبان عام 833 / أبريل 1430.

أبو عبيد الله البكري، *المغرب*، باريس، 1965 ؛ ابن حوقل، *وصف الأرض* ؛ ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبري بالثغور الشمالية المغربية*، الرباط، 1991، أطروحة مرقونة ؛ أ. بن الشراط، *تقييد*، تح. م. بن عزوز حكيم بعنوان، *لماذا نطالب باسترجاع مليلية وسبتة؟ ظهير لتنظيم اللجان القروية للفرق والجماعات*، تطوان، 1952.

Azurara, Cronica de D. Duarte de Meneses ; *Géografia de Marruecos, Protectorados y Posesiones de España en Africa*, t. 2, Madrid, 1936.

حسن الفكيكي

الصديني، موسى بن يحيى الفاسي، أبو عمران : كبير فقهاء فاس في وقته، ومن الطبقة الأولى من علمائها الذين وصلتنا أسماؤهم. كان من الفقهاء الحفاظ للمذهب المالكي، ملما بالرأي والمسائل. قام برحلة مشرقية لقي خلالها أبا جعفر الأسواني المالكي بمصر وسمع من ابن عبدون القزويني وغيره من العلماء.

وعلى عادة عدد من علماء المغرب في ذلك العهد كان أبو عمران الصديني يتردد إلى الأندلس للرباط في سبيل الله في الثغر الأعلى الأندلسي، وأخذ عنه هناك أبو الفرج عبدوس وغيره.

توفي بمدينة فاس سنة 388 / 998، عن سبع وسبعين سنة ودفن بباب الجيزيين. كان ولده أبو الفضل أحمد (ت. 408 / 1017) من العلماء أيضاً، واستمر العلم في أسرته إلى القرن السادس.

القاضي عياض، *ترتيب المدارك*، ج 6، ص. 279 ؛ ابن الفرضي، *تاريخ علماء الأندلس*، القسم 2، ص. 150 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، دار المنصور، ج 1، ص. 344 ؛ أ. بابا التنبكتي، *نيل الابتهاج بتطريز الديباج*، *طرابلس*، كلية الدعوة الإسلامية، 1989، ص. 603، 604.

محمد المغراوي

الصَّرُّوخ، محمد بن مَحمد شيخ الجماعة بقبيلة بني گرفط المعروف بلقب ابن طاسة نسبة إلى أمه ؛ كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلته وقد انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني، عين عضوا بالمجلس الاستشاري للمقاومة في المؤتمر المنعقد بقرية عين الدالية يوم 11 ماي 1813 ؛ وشارك في مؤتمرات الثورة المنعقدة بضريح مولاي عبد السلام بن مشيش يوم 20 يوليوز 1913 وبقرية الزوة بقبيلة جبل حبيب يوم 11 يناير 1915 ؛ وشارك في المعركتين اللتين جرتا بالمكان المعروف بدية الروضة بقبيلة انجرة يومي 11 و12 يوليوز 1919 حيث تم القضاء على الحامية الاسبانية برمتها.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب*، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

الصرصار (حشرة) كما هو في القواميس، يسمى في المغرب *صرصار* الليل وفي شمال البلاد "گريلّو" المأخوذة من الإسبانية Grillo يطلق على جنس من الحشرات المجنحة Insectes من رتبة مستقيمات الأجنحة Orthopeta ومرتبة Ensiferes وعمارة Grylloïdea وفصيلة Gryllidac تضم ما يقرب من 1500 نوع في العالم منها عدة أنواع تعيش في المغرب.

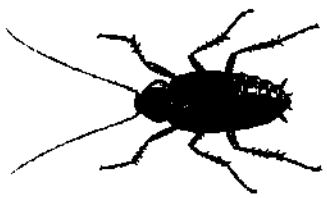

تسمى بالفرنسية Grillon وبالأمازيغية أفرضوض وأبورجيج ج. إبُورْجِيجَن. من بين الأنواع الشائعة الصرصار البيتي Gryllus domesticus والصرصار الحقلي Gryllus campestris وبالفرنسية Grillon des champs. لا يتعدى طولهما 4 سم. الجسم بُني مسود لامع. الرأس دائري ضخم يحمل زبانيين طويلتين. العينان مركبتان. يحمل الفم فكين علويين وفكين سفليين كلها طاحنة وقوية. يحمل الصدر ثلاثة أزواج من الأرجل يستعملها للمشي وتساعده الأرجل الأمامية على حفر الجحور التي يتخذها مسكنا له وكثيرا ما يبلغ طولها 50 مم. الأرجل الخلفية قوية ونطاطة بواسطة الفخذ العريض والقوي الذي يساعد على القفز. تنتهي

الأرجل بمخالب ويتكون الفص الأخير من ثلاث جُزَيئات فقط عند كافة الأنواع الشيء الذي يميز الفصيلة عن باقي الفصائل الأخرى.

تتميز الإناث بثلاث زوائد طويلة ودقيقة الرأس في مؤخرة البطن كلها صلبة وقوية وتشكل الزائدة الوسطية الذنب المغرز للبيض بداخل التراب.

الأجنحة مستدقة في المؤخرة وتُكون الأغمدة الحافظة للأجنحة عند الذكور الجهاز الصرصاري حيث يقف الزوج بباب الجحر في فصل الربيع والصيف فيحك الأغمدة مع بعضها لتحدث صوتا مطربا جلابا للإناث وفي حالة الاقتراب منه يتوقف فجأة ويدخل الجحر مما يجعل مشاهدته نادرة وصعبة.

يتوالد في فصل الصيف وتضع الأنثى من 20 إلى 60 بيضة بداخل التراب وتخرج الصغار من البيض بعد 7 ـ 15 يوما وذلك حسب الحرارة والرطوبة.

يتغذى من النباتات والحشرات الصغيرة كالنمل ويعيش بجوار البيوت وتحت الأحجار وفي البساتين والحدائق ولا يضر بالإنسان. معظم الأنواع تعرف بأصواتها عند العامة نظرا لنشاطها الليلي ولا تخرج في النهار إلا نادرا. أصواتها تثير انتباه الخفافيش وطيور البوم فتبحث عنها لتأكلها.

من بين الأنواع النادرة التي تعيش في شمال إفريقيا فقط : Sciobia ambiqua وBrachytripes megacephalus.

إن نوع الصرصار المبقع Gryllus bimaculatus شائع في المغرب بجانب البحيرات والوديان.

م. التهامي، *معجم التهامي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان بيروت، 1988.

M. Boulard, *Les orthoptères. Grande Encyclopédie Alpha des Sciences et des Techniques*. Zoologie. Paris, 1984, 30 - 34 ; A. Gaillat-Airold. *Una nueva sciobia del Morocco*. Boll. Mus. Zool. Anat. Comp. Genova. 19 (114), 1 - 4, 1939.

نجاة الخياطي

صرصر جبل مخروطي الشكل يقدر ارتفاعه بحوالي 800 م فوق سطح البحر. يقع بمنطقة جبال الريف الغربية، ويشرف على مدينة القصر الكبير. يمثل فاصلا طبيعيا بين حوض لكوس وسهل الغرب. ولعل الجبل عرف بهذا الاسم منذ القديم، ذكره البكري وحدد موقعه شرق قصر دنهاجة في الطريق إلى مدينة البصرة. كانت تسكنه بطون من قبيلة كتامة وأصادة زمن الأدارسة، وبعد انقراض كتامة على يد المرابطين، استقر بجواره في عهد السلطان يعقوب المنصور الموحدي (1286 ـ 1307) عرب الخلط وبني هلال ومعقل، وامتزجوا مع بقايا العنصر الكتامي الأصلي.

يختفي اسم الجبل من المصادر، ولم يرد ذكره عند الوزان ضمن جبال الهبط، وظل سكان جبل صرصر موزعين من الناحية الإدارية بين قبيلة آل سريف وقبيلة مصمودة إلى غاية القرن الثالث عشر (19 م) على ما يبدو، حيث كونوا قبيلة صغيرة حملت اسم الجبل، لكنها ظلت تابعة من الناحية الإدارية تارة لآل سريف وأخرى لمصمودة. وتتألف من القرى الآتية : الزاوية، النحل، رأس المقيل، حجاوج براقين، أولاد مصباح شطيطة، الدمنة، البستون، نصف غماري بني هلمة.

أ. البكري، *وصف إفريقيا*، باريس، 1965، ص. 110.

الصرصري، علي بن أحمد. من أشهر أولياء بلاد الهبط خلال العهد السعدي، ينتسب إلى الأسرة الغيلانية ببني جرفط، حسب عمود نسب متداول. ولد في أوائل القرن العاشر (16 م) بقرية الشنايلة الجرفطية، وبعد وفاة والده هاجر مع أمه وأخيه إلى قبيلة آل سريف وقطن بقرية المنجرة. درس بزوايا ومدارس القصر الكبير وتطوان ثم شد الرحال إلى فاس للاستزادة من المعرفة فأخذ على يد كبار علمائها العلوم الشرعية من فقه وحديث وتفسير أمثال الشيخ محمد القصار ورضوان الجنوي. ويظهر أن سيدي علي بن أحمد كان عالما متمكنا من علوم عصره كما يدل على ذلك فهرسه، غير أنه اشتهر في ميدان التصوف. اتصل في بداية رحلته الصوفية بالشيخ يوسف الفاسي الذي سكن من روعه وبعث في نفسه الطمأنينة حسب جل الروايات، كما أخذ عن الشيخ عبد الرحمان المجذوب وعن الشيخ علي الشلي (ت. 981 / 1573) دفين أبي جديان بآل سريف وعلى الشيخ الحسن بن عيسى المصباحي (ت. 970 / 1572) دفين الدعادعة الواقعة على وادي مضى ببلد البروزيين (سوق الأربعاء) من عمل القصر الكبير، ويعتبر ابنه عيسى (ت. 982 / 1574) عمدته في التصوف. انتقل سيدي علي بن أحمد بعد وفاة شيخه عيسى بن الحسن المصباحي إلى جبل صرصر وسكن بمدشر المغاصي وتصدر للتدريس. ويظهر أنه أسس زاويته بنفس المكان بعد معركة وادي المخازن. ولا نستبعد مشاركته في هذا الحدث بحكم قربه من الميدان وملازمته لشيخه المصباحي الذي أكدت المصادر مساهماته في الجهاد. اشتهرت الزاوية الصرصرية بإطعام الطعام وتدريس العلوم الدينية كالتوحيد والفقه والتصوف والتفسير والحديث والمنطق والبلاغة والبيان والمعاني والبديع واللغة والتنجيم، وذلك على غرار باقي الزوايا الهبطية، وتجاوز إشعاعها النطاق المحلي، بدليل وجود أتباع من مختلف مناطق المغرب. اختلف كتاب التراجم في تاريخ وفاة الشيخ، والشائع أنه توفي سنة 1027 / 1617، وهذا التاريخ يتطابق مع بداية تأسيس الزاوية الوزانية على يد تلميذه ووارث سره الشيخ عبد الله بن إبراهيم العلمي. ولعل اختيار سيدي علي بن أحمد للشريف العلمي في توريث الولاية له ما يبرره في المصادر، ذلك أن الشيخ شعر بضعف مصداقية أبنائه الذين مالوا إلى الفروسية والاهتمام بأمور الدنيا حسب رواية عبد السلام القادري. وقد كان لهذا الانتقال تأثير سلبي في مسار الزاوية الصرصرية، حيث إنها تعرضت للإهمال، واندرست معها قرية المغاصي، إلى أن قام الشرفاء الوزانيون بتجديد ضريح الشيخ سيدي علي بن أحمد

وبنوا عليه قبة وعملوا على ترسيم حرمه، فتكونت حوله قرية الزاوية الحالية، ولعل التفاتة الوزانيين نحو شيخ جدهم هي التي ضمنت استمرار سلطة الولي الروحية في قبيلة صرصر وضمنت لأبنائه السند المعنوي المتجلي في الحرمة والوقار من طرف المخزن العلوي، فهؤلاء أصبحوا ينعتون في المراسلات المخزنية بالشرفا، أولاد سيدي علي بن أحمد.

المهدي الفاسي، *متع الأسماع*، فاس، 1989، ص. 157، تح. عبد الحي العمروي وعبد الكريم مراد ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، الجزء الأول، 1978، ص. 237، تح. م. حجي وأ. التوفيق ؛ ع. السلام القادري، *التحفة القادرية*، الجزء الثاني، مخطوط خ. ع. الرباط، رقم 2321 ك، ص. 62-63.

محمد عمراني

الصرف (مكتب -) الصرف عملية نقدية قديمة في التاريخ بقدم تعامل البشر بالنقود المعدنية في مبادلاتهم التجارية. والصراف هو الذي يبدّل الدنانير بالدراهم، ويسّر الأداءات في الجهات البعيدة بما يكون بينه وبين الصيارفة هنالك من الارتباط. ولذلك كان جلّ الصيارفة في مغرب ما قبل الاستعمار من اليهود، فنسبة الصراف في عائلاتهم كثيرة، والرابطة المالية طريق ممهد للمعاملات. ذلك بأن النقود في مجتمعات ما قبل الثورة الصناعية كانت قائمة على المعادن وعلى الذهب والفضة والنحاس أو البرونز بوجه خاص. وكانت قيمتها في وزنها. ولا غنى عمن يصرف الدرهم الفضي بالدينار الذهبي أو كسيات القطع البرونزية بما يعادلها في سكة معدنية أرقى منها. يضاف إلى ذلك أن السكة كانت تختلف من إقليم إلى إقليم ومن قطر إلى آخر بالأحرى. ومن أدوار الصراف أن يجتنب نقل تلك النقود الثقيلة وأن يسعى في تيسير المعاملات بالمعاوضة المكتوبة في الصكوك يتناقلها التجار ويتعاملون بها، وذلك هو ما مهد للمعاملات البنكية المعاصرة. ومن أعمال الصيارفة أيضا في مغرب ما قبل الحماية، صرف النقود الأجنبية التي كان التعامل بها حرا بناء على قيمتها المعدنية، فالريال الفرنسي كان يجرى التعامل به، مثله في ذلك مثل البسيطة الإسبانية أو الدرهم المغربي.

أما بعد فرض الحماية الأجنبية على المغرب، فإن الدولتين الحاميتين فرنسا وإسبانيا سرعان ما عملتا على إلحاق مناطق نفوذيهما بعملتيهما. فصارت المنطقة السلطانية تابعة لمنطقة الفرنك الفرنسي. وصارت المنطقة الخليفية تابعة لمنطقة رواج البسيطة الإسبانية. أما منطقة طنجة، فإن خضوعها لحكم دولي جعلها مفتوحة أمام كل العملات، بناء على ما كان جاريا في المغرب قبل الحماية، وبناء أيضاً على مقررات الخزيرات التي تقضي بأن تبقى أسواق المغرب كلها مفتوحة أمام تجار جميع الأمم بدون استثناء. بيد أن الحكومة الفرنسية ما لبثت أن تجاوزت هذا القرار. وسعت جادة في جعل السوق المغربية حكرا على منتجاتها وعلى عملتها.

ومن الخطوات الأولى في هذا المضمار، إلغاء السكة المعدنية المغربية التقليدية وتعويضها سنة 1920 بسكة ورقية تحمل اسم الفرنك المغربي تابعة للفرنك الفرنسي ومساوية لقيمته، تيسيرا للمبادلات التجارية بين البلد الحامي وباقي مستعمراته والبلد المحمي. وجاءت الخطوة الثانية سنة 1939، ليلة اندلاع الحرب العالمية الثانية، عندما اشتدت حاجة فرنسا إلى احتكار خيرات مستعمراتها لمواجهة الخصم الألماني. وكان لا بد لها من أن تكدّس بخزينتها كل ما يمكن من العملات الأجنبية لتقتني بها ما لا يتوفر في ترابها أو في المستعمرات من البضاعة. ولما أقدمت الحكومة الفرنسية على مراقبة للصرف في حدود ترابها، بادرت سلطات الحماية في الرباط إلى استصدار ظهير (10 شتنبر 1939) يعلن مراقبة مماثلة على معاملات المغرب مع البلدان غير المنضوية في منطقة الفرنك. ثم إن فرنسا خرجت من الحرب منهكة القوة، فازدادت حاجتها إلى المستعمرات وإلى المغرب بوجه خاص. فتعززت مراقبة الصرف، وأحدث مكتب خاص بذلك بظهير 14 دجنبر 1944، كان كل ما يمرّ به من العملات الأجنبية تحت تصرف "الصندوق المركزي لفرنسا وراء البحار"، وكان صندوقا مكلفا بإحصاء كل ما يروج من العملة الصعبة في المستعمرات الفرنسية لتستعين بها الحكومة في باريس لتجديد صرح الاقتصاد الفرنسي غداة الحرب. وسرعان ما أدى ذلك إلى التصالح مع خصوم الأمس والاتفاق معهم على السعي في بناء الوحدة الأوربية. مما اقتضى من الجميع أن يخفف من المراقبة على المبادلات وعلى رواج الأموال بينهم. ولم يكن ذلك في صالح السوق المغربية، وإن كان المسيطرون عليها في الغالب فرنسيين وأوربيين، فظل مكتب الصرف المغربي ملتزما بتمام المراقبة على الرواج النقدي مع الخارج باستثناء منطقة الفرنك. واحتدم النزاع في نهاية الأربعينيات وطليعة الخمسينيات بين فرنسا والولايات المتحدة حول حرية المعاملات في المغرب، عندما كانت الولايات المتحدة تبني القواعد العسكرية في المغرب وتحتاج إلى استيراد مواد بنائها وتجهيزها من معاملها الذاتية ولا تود أن تخضع لمراقبة مكتب الصرف. ورفع النزاع إلى محكمة لاهاي الدولية التي حكمت (27 غشت 1952) لصالح الولايات المتحدة بناء على مقررات الخزيرات. فتقرر العمل بمبدأ "الاستيراد بدون عملة أجنبية" لفائدة البضاعة الأمريكية، مما كان بمثابة الثلمة الواسعة في نظام مراقبة التجارة الخارجية المغربية وعمليات الصرف مع غير الأسواق الفرنسية، وجاء تذكيرا بخصوصيات السوق المغربية وبكونها متميزة عن السوق الفرنسية.

وما أن استرجع المغرب استقلاله سنة 1956 حتى صارت التناقضات بين المصالح التجارية الفرنسية والمصالح المغربية إلى التفاقم. ذلك بأن عجز ميزان الأداءات الفرنسي اشتد سنة 1957، فاضطرت الحكومة الفرنسية إلى تخفيض قيمة الفرنك الفرنسي الذي ارتفع صرفه من 350 إلى 420 فرنك

للدولار الواحد. فبادرت الحكومة المغربية إلى اتخاذ الإجراءات المناسبة لحماية مبادلات البلاد. ومن تلك الإجراءات، إحداث مكتب للصرف خاضع لوزارة المالية المغربية دون سواها بظهير 22 يناير 1958. كما أن المغرب ارتبط بالعديد من البلدان والأسواق غير التابعة لمنطقة الفرنك، واتفق معها على شروط ثنائية في الأداء تأخذ بعين الاعتبار مصالح التجارة المغربية. ومن تلك البلدان إسبانيا مثلا وروسيا السوفياتية والصين وبلغاريا ومصر وغينيا ـ كوناكري. ولما أقدمت فرنسا على تخفيض جديد من قيمة الفرنك في دجنبر 1958، ليزداد انفتاحها على الأسواق الخارجية، قررت الحكومة المغربية الانفصال عن منطقة الفرنك، وجندت كل الطاقات لحماية الاستقلال المالي المغربي ودعم الإنتاج الوطني وتوسيع آفاق التزود من البضائع الأجنبية بأقل ما تعرض به في الأسواق العالمية وبيع المنتجات الوطنية بأعلى ما يتأتى من الأسعار. ومن أهم ما تقرر في هذا الصدد، إحداث بنك المغرب (يوليوز 1959) للسهر على شؤون السكة المغربية المجددة التي عادت لتحمل اسم الدرهم. وكان رد فعل الحكومة الفرنسية أن أوقفت ما كان يسمى "بحساب المعاملات" الذي كان يوازن بين الخزينتين في عهد الحماية من جهة الأداءات الخارجية.

وكان من الطبيعي أن ينتهج المغرب المستقل نهجا اقتصاديا قائما على التوجيه الحكومي، وذلك بقصد تقوية القدرة الإنتاجية الوطنية ولزوم مراقبة الصرف حتى تتغلب الصادرات على الواردات. فاشتدت مراقبة مكتب الصرف بما لم يسبق له نظير، سيما وأن استقلال البلاد اقترن حتما برغبة العديد من أرباب الأموال الأوربيين في هجرة المغرب مصحوبين بأموالهم، معرضين الاستثمار في البلاد إلى الانهيار. وكان من الضروري مثلا أن تنزل المنحة السياحية التي كانت تبلغ 100000 فرنك سنة 1955 إلى 25 درهما سنة 1959. كما أن منحة مغادرة المغرب نهائيا لمن رغب في ذلك من المستثمرين الأوربيين حصرت في 100000 درهم فقط. وأقدمت الحكومة المغربية سنة 1973 على إصدار مدونة للاستثمار تقضي بإشراك الأموال المغربية لزوما في كل مقاولة أجنبية قائمة سابقا أو تقام لاحقا في البلاد.

لكن هذه السياسة التوجيهية الصارمة لم تُؤْت أكلها، إذ تبيّن في مطلع الثمانينيات أن الرأسمال الوطني غير قادر على الاستجابة لحاجيات البلاد في الاستثمار، وأن لا مناص من الاستعانة بالرأسمال الأجنبي الذي لا بد من إغرائه بما يجتذبه نحو المغرب. وجاء ذلك في الوقت الذي صار الجميع ينادي بضرورة تحرير المبادلات من القيود بناء على ما اتضح من فشل الأنظمة الاشتراكية عن تعويض الأنظمة الليبرالية في مجال النمو الاقتصادي السريع. وكانت الديون الأجنبية قد تراكمت على المغرب جراء عجز ميزان التجارة الخارجية وميزان الأداءات. وكان لا مناص من اللجوء إلى المنظمات النقدية الدولية لمراجعة شروط تسديد تلك الديون، فقبلت ذلك بشروطها، ومنها التخفيف من مراقبة الصرف، وإعداد الدرهم للتصريف في الخارج. وأول ما تقرر في هذا المضمار، إصدار مدونة للاستثمار جديدة (1983)، تسمح للأجانب باستثمار أموالهم في البلاد دون إشراك الأموال المغربية، بل وتسمح لهم بالخروج بأرباحهم وسحب أموالهم عند الاقتضاء. مما كان يحمل على تحرير المبادلات مع الخارج شيئا فشيئا. ففي مجال الواردات مثلا، رفعت كل القيود التي كانت تقسم البضاعة الأجنبية إلى ما هو مسموح باستيراده بغير رخصة، وما يسمح باستيراده بشروط وما لا سبيل إلى استيراده على الإطلاق. بحيث أعلن عن حرية الاستيراد باستثناء بعض المواد. وكذلك الشأن في الصادرات التي كانت بعض موادها مقيدة بترخيص سابق من وزارة التجارة ومن مكتب الصرف، فتقرر إلغاء الترخيص سنة 1988. وسمح للمصدرين بالتداول بالعملة الصعبة، فيفتحون حسابات من هذا القبيل يودعون فيها ما يدخل عليهم من مبيعات السمك في الخارج وينفقون منها لأغراضهم التجارية خارج الحدود. وهكذا تحررت من كل القيود خلال العقد التسعيني مجمل ما يسمى بالعمليات التجارية، مثل الضمانة من تقلبات العملات، ونفقات النقل الدولي، وعقد التأمين وتأمين التأمين، ونفقات المساعدة التقنية، والأسفار التجارية إلى الخارج، وكذلك تكاليف العلاج الطبي، وتكاليف دراسة الطلبة في الجامعات الأجنبية، والحج إلى بيت الله الحرام، والمنحة السياحية التي انتقلت من 100 درهم سنة 1990 إلى 1000 درهم ثم إلى 5000 (شتنبر 1992)، وبلغت في مطلع سنة 2002، 10000 درهم. كما أعفيت الاستثمارات الأجنبية وما يعود عليها منها من الأرباح وما يدخره الأجراء الأجانب من أجراتهم وما إلى ذلك من كل مراقبة من لدن مكتب الصرف. وكذلك الأمر بخصوص نقل الرساميل بالعملة الصعبة أو بالدرهم المتصرف من المغرب وإليه، ذلك بأن الأموال الأجنبية لها كامل حرية الاستثمار في البلاد مهما كان شكل ذلك. وللمستثمرين الأجانب حرية تفويت أموالهم أو تصفية مقاولاتهم عن طريق الأبناك دون سابق تأشير من مكتب الصرف. وقد اعترف بهذه الحرية للمغاربة المقيمين في المهجر والراغبين في استثمار أموالهم في وطنهم بالعملة الصعبة. وصار من الممكن أيضا للأموال المغربية بأن تقتحم الأسواق الخارجية بأموالها، ففتحت بعض الأبناك المغربية شبابيك لها في بعض الحواضر الأوربية والأمريكية. مما سمح للمقاولات المغربية بالبحث عن مصادر لتمويل مشاريعها في الداخل خارج الحدود. وجاءت هذه القرارات التحررية مستجيبة لتعليمات صندوق النقد الدولي، بل تجاوزت الحد الأدنى منها بكثير، على ما صيغ من ذلك في البند الثامن من قانونه النظامي الداعي إلى التخفيف من كل مراقبة للصرف والتخلي عن الاتفاقيات الثنائية في الأداءات. وقد أعلن المغرب عن فسخ تلك الاتفاقيات، وصار أقرب ما يمكن أن تكون عليه دولة نامية في تحرير مبادلاتها

مع الخارج، علما بأن الدول النامية لا سبيل لها إلى الحرية المطلقة في هذا الصدد، لضعف طاقاتها الإنتاجية وقصور أموالها وحاجتها إلى الأموال الأجنبية التي لا تريد أن تراهن إلا بما يعود عليها من الأرباح المضمونة. وأخطر معيقات النموّ، ارتفاع مؤشر ما يسمى "بحركية الرسمال"، يعني عدم استقراره أو قصر نفسه. والمؤشر على تلك الحركية في المغرب من أعلى ما توجد عليه البلدان النامية. ولذلك لا بد له من التمسك بمراقبة ميزان التجارة الخارجية وميزان الأداءات، علما بأن الدول العظمى التي لا تراقب صرفها مع الخارج تعدّ على رؤوس الأصابع. ولذلك فلا يزال مكتب الصرف المغربي، إذا ما غضضنا الطرف عما أشرنا إليه من الإجراءات التحررية، له ثلاث واجبات. أولها ترتيب عمليات الصرف فيما لا يزال يحتاج إلى المراقبة من المبادلات على قلتها. وثانيها تتبع الجانب النقدي من تلك المبادلات مع الخارج لتبقى عين الدولة على ما في خزينتها من العملة الصعبة وعلى ما عليها من الديون الخارجية. وثالث تلك الواجبات تتبع الأرقام وإخطار الجهات المسؤولة والجمهور بالإحصاء المضبوط. وقد أصبحت هذه المسؤولية الإحصائية اليوم هي المهمة الكبرى لمكتب الصرف بعد أن صارت المبادلات مع الخارج تتخلص من القيود السابقة.

Tiano André, *La politique économique et financière du Maroc indépendant*, Paris, PUF, 1963 ; Oufae Benjelloun, *La convertibilité monétaire, cas du dirham*, Casablanca, Imprimerie Najah al-Jadidi, 1993.

إبراهيم بوطالب

الصّرُوف (عيارات للوزن)، تتخذ غالبا من معدن النحاس أو الحديد أو غيرهما.. وقد عرفت في عموم جهات المغرب عبر مختلف العهود، وتستعمل لوزن الأشياء الثمينة كالحلي والنقود، والأدوية والعقاقير، كما تستعمل لوزن البضائع والسلع التجارية العادية من مختلف الأحجام، ويتم ضبطها على يد المحتسبين والقضاة والفقهاء، وعموم التجار. وقد سعينا بكامل الحرص للعثور على نماذج عتيقة منها بدون جدوى، إذ نعد من الأمور الضائعة.

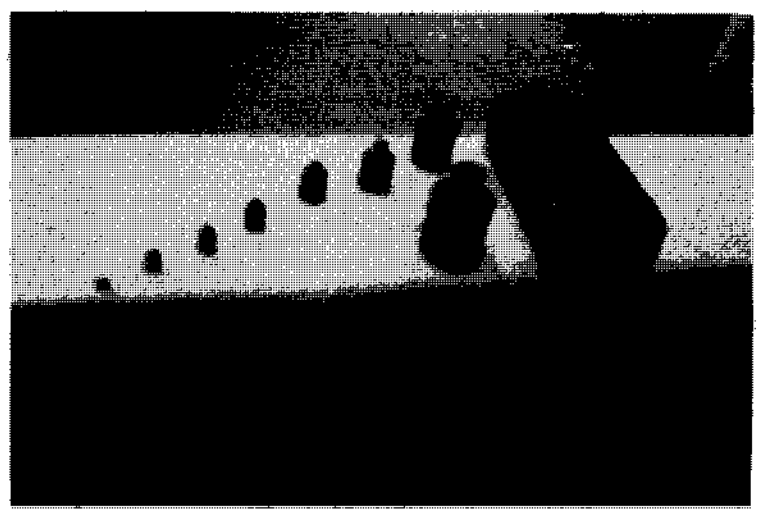

وقد تعرضت أسماء هذه العيارات لكثير من الاختلاف سواء في وحدات قياسها أو في أجزاء هذه الوحدات ومضاعفاتها، فكانت الوحدات المعروفة المتداولة منها : هي الأواقي وأجزاؤها ومضاعفاتها التي تشكل مختلف المثاقيل والأرطال والقناطر.

ولما كانت "الأوقية" هي الوحدة الأساسية في تأسيس عيارات الوزن "الصروف" فلا بد من الإشارة إلى أن الأوقية عموماً تنقسم إلى قسمين الأوقية السنية والأوقية العرفية كما فصل ذلك عمر بن عبد العزيز الكرسيفي حيث يعود التجار عند إرادة تحقيق السنية إلى وزن "الدرهم الشرعي" (انظر مادة الدرهم في *المعلمة*) بينما يعودون في الأوقية العرفية إلى الأعراف المحلية إذ هناك اختلافات محلية في أنظمة محلية منها الأوقية المراكشية والأوقية الفاسية والأوقية الجزولية السوسية والأوقية الدرعية، ومنها تتشكل صروف "الأرطال" التي تعرف نفس التنوع المحلي بل والتنوع بين وزن مادة إلى وزن غيرها فالرطل العطاري، غير الرطل الخضاري، والفخامي وغيره (انظر مادة أوقية ورطل في *المعلمة*).

وقد توصلنا إلى العثور على أوائل "الصروف" العيارات الوزنية الشائعة الاستعمال بالمغرب منذ القرن الثاني عشر (18 م) وهو ما يسمى رطل السوق" أو رطل ماركو - MAR-CO وهو من وضع انجليزي استعمل بالمغرب خلال القرن الثامن عشر والتاسع إلى مطلع القرن الرابع عشر (20 م). وقد اثبتنا نموذجا له هنا وهو عبارة عن أوعية يحتوي كل منهم الآخر، ويتألف هذا الرطل من 16 أوقية وهي تتكون من :

نصف الرطل : 8 أواقي
ربع الرطل : 4 أواقي
ثمن الرطل : أوقيتان
أوقية : الوحدة الأساسية
نصف أوقية : 1 / 2
ربع أوقية : 1 / 4
ثمن أوقية : 1 / 8
نصف ثمن أوقية : 1 / 16
ربع ثمن أوقية : 1 / 32

وللصروف والأرطال بالمغرب عدة أنظمة، تُطبّق في وفاق تام بين الناس في مختلف الأسواق، وكان المجتمع المغربي قد حصلت فيه الكفاية في مجال استعمال "الصروف" وغيرها من المقاييس والمكاييل حتى مطلع القرن العشرين أي في فترة ما قبل الاستعمار بحيث لم تدع الضرورة يومئذ إلى استعمال مقاييس موحدة في عموم البلاد. وهذا هو الوضع السائد - غالبا - لدى مختلف أمم الأرض ففي كل بلد توجد وحدات ومقاييس تختلف عن غيرها من البلدان. وإن كانت أحيانا بعض البلدان تستعير وحدات و"صروف" بلدان أخرى لعهود محدودة.

والظاهرة المتميزة التي عرفها القرن الثالث عشر (19 م) هي التقارب الاقتصادي بين شعوب العالم مما أدى إلى ضرورة استعمال المقاييس الموحدة مع النظام المتري الذي جعل وحدة "الكرام" وحدة أساسية في الوزن نشأ في فرنسا سنة 1791 وتعمّم فيها بعد خمس سنوات، ثم انتشر في مختلف بلدان أوروبا ما بين 1856 و1890 ومابعدها.

وفي عهد الحماية الفرنسية على المغرب أصبح النظام المتري مفروضاً، بإصدار ظهير سنة 1914 الذي وقع بموجبه تنظيم وحدات "الصروف" والعيارات ضمن وحدات المقاييس والمكاييل، وقد صدر ضمن الجريدة الرسمية وأقر نظام "الكرام" وأجزائه ومضاعفاته. ووقع تعميمه في المغرب بقوة القانون وكان يتركب من 1غ، 2غ، 5غ، 10غ، 20غ، 50غ، 100غ، 200غ، 500غ، ثم كيلوكرام. ومضاعفاته.

ولو أنه ألغيت تدريجيا كل المقاييس الوزنية "الصروف" القديمة، فقد بقيت في كلام الناس وذاكرتهم أسماء "الصروف" القديمة التي ألصقوها بالصروف والعيارات الجديدة، فاستعملوا الأوقية من حبوب الشاي، وهم يقصدون 30 كراماً، ورطل اللحم وهم يقصدون 500 كراماً، مما بقي في الاستعمال في بعض الجهات إلى اليوم.

أنا عمر، *نظام المقاييس والأوزان المغربية وتطورها نحو النظام المتري*، ضمن كتاب فكر وتاريخ بالرباط، ص. 185 ـ 190 ؛ *النقود المغربية في القرن الثامن*، ظهير 1914، الجريدة الرسمية بتاريخ 14 أكتوبر 1914 ؛ ع. الكرسيفي، *رسالة في تحقيق أوزان النقود* بسوس، *كتاب النقود المغربية في القرن الثامن عشر*، ص. 141 ـ 176.

عمر أفا

الصرُوف الموسيقية، ظاهرة إيقاعية تعتبر من خصوصيات إنشاد الشعر الملحون. وهي عبارة عن مقاطع لفظية جاء ابتكارها في العصر السعدي على يد علمين من أعلام الملحون هما عبد العزيز المغراوي (ق 10 ـ 11 هـ) والمصمودي (أوائل ق 11 هـ).

والصروف نوعان :

ـ صروف المغراوي، وهي الدندنة. وتنحت من كلمة "دان" فتأتي مسبوقة بحرف نداء (أدان ـ يادان) أو متصلة بياء كياء النسب (داني) أو جامعة بينهما (ياداني).

ـ صروف المصمودي، وهي صيغ لفظية نحتها من ثلاث كلمات هي : لالاّ ـ مولاتي ـ مالي.

ولا تحمل الصروف بنوعيها أي معنى خاص من شأنه أن يغني مضامين أبيات القصيدة، ولكنها في مقابل ذلك تبدو وكأنما وضعت لتغطية الجملة اللحنية في حال امتداد نفسها، فهي إذن أشبه بالتراتين التي تشغل أبيات الصنعة في الموسيقى الأندلسية.

وتتميز دندنة المغراوي بكونها تقوم من أشطار الملحون مقام التفعيلة من البيت العروضي الموزون. ويعني هذا أننا نستطيع تجزئة أشطار القصيدة إلى مقاطع لنقابلها بصيغ الدندنة على غرار تقطيع الأبيات الموزونة وفق مقاطع التفعيلات. ومثال ذلك نقتبسه من قصيدة الشمعة للشيخ محمد بن علي :

أيْلاَ باكيا بسقامك شوفي اسقام حالي من قيس وارثو بعد افناء حب ليلى

وتقطيعه كالاتي :

أيْلاَ / باكْ / يا بسّ / قامَكْ / شوفي سْ / قامْ / حالي

ادانْ / دان / داني / داني / يادانْ / دان / داني

منْ قيس / وارْ / ثوبعد / دافنا / ء اغرام / حب / ليْلى

ادان / دان / داني / داني / يادان / دانْ / داني

وقد أراد المصمودي استبدال الدندنة بالموالي، غير أن صنيعه كان أشبه بالترنيمات التي يرددها المنشدون عادة في مستهل القصيدة أو خلال أشطارها من قبيل قولهم : يا سيدنا. يالالا ـ الحَادّة... والتي يرجعها الشداة عادة لضبط الايقاع.

ونتيجة ما فعله المصمودي فقد تخلى النظام عن الدندنة بعد المغراوي، وعادوا إلى اتباع أسلوب المحاكاة في نظم قصائدهم.

ولقد شكلت الدندنة ـ إلى جانب وظيفتها الغنائية ـ طفرة جديدة في تطور الشعر الملحون من الوجهة العروضية، غير أن دعوة المصمودي إلى استبدالها بالموالي أوقف تيار التجديد ومهد لمن جاء بعده طريق العودة إلى أسلوب المحاكاة واتخاذ القصائد المشهورة نماذج وقدوداً لمنظوماتهم.

ع. الجراري، *القصيدة*، 134 ؛ ع. العزيز ابن عبد الجليل، مجلة *التراث الشعبي*، ع 10، س 11، 1980، 118، بغداد ـ العراق.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الصَّريدي، محمد من أبرز عمال السلطان المولى سليمان. وجّهه في سنة 1218 (1803 ـ 1804)، وهو آنذاك عاملاً على إقليم سجلماسة، في حَملة لتمهيد المناطق الصَّحراوية الواقعة بين فگيگ ودرعة، فأمّن الطرق هناك وفتحها في وجه التجار. وفي سنة 1226 (1811 ـ 1812) ولاه السلطان على قبائل الأطلس المتوسط، المعروفة ببرابرة الدولة، كزمور وگروان وبني مطير، وذلك في إطار محاولات المخزن للتصدي لبرابرة الجبل كأيت أومالو بزعامة رئيسهم أبي بكر أمهاوش. ويُشير أبو القاسم الزيّاني إلى أن هذا القائد أساء التصرف مع القبائل البربرية، فاشتكت به للسلطان، لكن هذا الأخير لم يردعه ولم يعزله. فكان ذلك حافزاً لعصيَان هذه القبائل وخروجها على المولى سليمان. ويصفُ الزياني القائد محمد الصريدي بالمشؤوم والظالم ويُحمّله مسؤولية تمرد القبائل الأطلسية.

محمد المنصور

صعصاع، أحمد بن الشرقي، ولد سنة 1925 بمدينة خريبگة وكان من الوطنيين الأحرار الذين عبروا عن سخطهم بخروجهم إلى شوارع المدينة للتنديد بالوجود الفرنسي.

ولما اشتدت الأزمة ووقعت الاشتباكات بين المتظاهرين وقوات الاحتلال تدخل الجنود الفرنسيون وأطلقوا النار فسقط عدد كبير من المواطنين من بينهم الشهيد المذكور، وذلك يوم تخليد ذكرى ثورة الملك والشعب 20 غشت 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 405772.

الصَّغِيْر، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Çaguer ؛ وقد أشار إلى هذه الأسرة الحاج عمر لوقش في قصيدته المشهورة، منهم :

محمد بن أحمد الصغير كان من بين أعيان تطوان الذين شهدوا بأن الباشا السابق عبد الكريم ابن زاكور قد تصرف في أموال بيت المال لصالحه وذلك في صفر 1180 (يوليوز 1766). وعبد الكريم بن المهدي الصغير كان يرأس فرقة المدفعية بحامية تطوان سنة 1240 (1824).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 1123.

محمد ابن عزوز حكيم

الصغيري، حماني بن المعطي مقاوم من مواليد 1935 بقصر أولاد غانم، الجرف ارفود إقليم الرشيدية.

عمل ضمن جيش التحرير بصحراء المغرب بالمنطقة الشرقية، وقد ابلى البلاء الحسن في خدمة الوطن وشارك مشاركة فعالة في عدة معارك ضد جيوش الاستعمار الغادر، فلم يتراجع ولم يتوان في أعماله حتى استشهد في احدى المعارك على يد العدو الاستعماري من جراء اصابته بشظايا

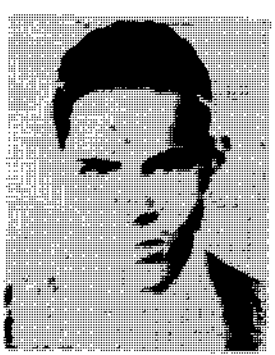

قنبلة رمته بها إحدى الطائرات الاستعمارية الفرنسية آنذاك في مكان يدعى الصفصاف (گلتة الغدير) على بعد 8 كيلو مترات من النجاح تقريبا وذلك بتاريخ 14 يوليوز 1957.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 510746.

صفرو، مدينة داخلية، تقع في الوسط الشمالي من المغرب، في أقصى الجنوب الشرقي من سهل السايس وفي حضن الحافة الشمالية الوسطى للأطلس المتوسط. لا تبعد عن مدينة فاس إلاّ بحوالي ثلاثين كيلومترا إلى الجنوب الشرقي.

انتسابها إلى مجال اتصال قوي بين السهل والجبل، يتمتع بخاصيات الغرارة المائية النسبية والتنوع المرفولوجي والترابي والأحيائي وتعدد الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية الموافقة، يضعها في أحد أهم المواقع من ضمن ما ينعت بدير شمال الأطلس المتوسط (*الدير، المعلمة*، ج 12، ص. 4130).

أيّاً كانت الجهة التي تُقبل منها على المدينة، فهي تبدو بيضاء في منخفض يتسع فيه وادي أگّاي، وسط جنان يانعة كثيفة الخضرة، شديدة التميز عن حقول السايس الممتدة تحتها أو بوارات الأجراف الأطلسية المشرفة عليها. فمن شدة ما أعجب الواصفون بهذا المشهد الأخاذ، سرت على الموقع كناية "واحة صفرو"، لما في بلوغه من الشعور بالمتعة، يغري بالتوقف، خاصة بالنسبة للقادم من فاس في فصل الصيف.

والواقع، بالطبع، أن كناية الواحة مجازية هنا لا علاقة لها بالوضع الجغرافي. فالمدينة التي توجد في عرض '33°50 شمالا، وطول '4°50 غربا، على ارتفاع 850 م، وفي سفح ينظر إلى الشمال، مع توجه دقيق إلى الشمال الشرقي، هي وسط في كل شيء، وبالتالي بادية الاقتراب من البيئات المعتدلة في مفهومها المناخي المضبوط. يبلغ معدل التساقطات فيها قرابة 830 مم، مع القمتين المعهودتين في النظام المتوسطي، من بينهما الارتفاع الأهم في الأمطار في فصل الخريف، خاصة خلال شهر نونبر، وارتفاع أقل في الربيع، واضح في شهر مارس، بينهما أدنى ثانوي، يتضح في شهر يناير، يتميز بالبرودة التي يمكن أن تؤدي إلى بعض الثلج الخفيف.

تعرف صفرو، كباقي المحطات المغربية، جفاف الصيف، خاصة في يوليوز وغشت، لكن المعدلات تبقى دائما فوق الصفر، إذ يصلها بعض رداد العواصف الصيفية التي تلطف جو الأطلس من فوقها.

تفوق مقادير المطر في صفرو ما تستقبله مدينتا إيموزار أو الحاجب، وهي تماما بحجم التساقط على آزرو، رغم أن موضعها أقل ارتفاعا وبالتالي درجات حرارتها أرحم في فصل الشتاء مع أنها لا تختلف كثيراً في الصيف.

إذا ما اعتبرنا الأشهر التي يقل معدل حرارتها الدنيا عن 4° أشهراً باردة (Martin, 1981)، فإن مداها لا يتعدى الشهرين في صفرو، على أنه ثلاثة أشهر في الحاجب وأربعة في إيموزار. أما فصل الصيف، حسب قياس گوسن، والذي يمتد في صفرو من 25 ماي إلى 30 شتنبر، فإنه لا يقل إلا قليلا في مدينة إفران ذاتها الموجودة على ضعف الارتفاع (1635 م)، حيث يستغرق الفترة من 15 يونيو إلى 15 شتمبر، رغم أن فصل الشتاء بها قاس يعرف ستة أشهر

باردة على التمام مرفوقة بتساقطات أكبر، منها جزء هام على شكل ثلوج.

يزيد من طراوة الجو التنوعُ الطبيعي للبيئة الصفريوية وقوامها تعدد الأجراف المكتنفة من الجنوب والغرب والتي تتدفق منها العيون وتتعمق فيها الكهوف وتسيل من خلال إفريزاتها الصخرية شلالات صغيرة، أهمها شلال أگاي المنحدر من الجبل ليعبر "الواحة" من الغرب إلى الشرق، ساعيا بعد ذلك إلى الالتحاق بنهر سبو الذي يرفده عن يساره، بضعَ كيلومترات قبل وصوله إلى مستوى سيدي حرازم فالضاحية الشرقية لمدينة فاس. ومن جملة الكهوف، توجد مغارات لها شأن عند عموم الأوساط الشعبية هناك، أهمها كهف المومن وكهف العُبَّاد. أما إلى الجنوب الغربي من الموقع، فتتربع أفضل المراقب للتفرج على المدينة ومحيطها من علو 955 م، حيث يوجد حصن سيدي علي بن زبان (حصن ابريو سابقا)، وخاصة ضريح سيدي علي أبو سرغين وتحته عين للارقية.

يرجع السر في كل هذه الثروة المائية، ليس فقط للوضع المناخي، الذي يرتبه أومبرجي في شبه الرطب من ضمن المناخات المتوسطية، ولكن كذلك للبنيات الصخرية المحيطة التي استطاعت أن تكتنز عبر العصور احتياطيا مائيا يسهم بحظه في تكوين المخزون المائي الذي يزود العيون.

يُعزى الرخاء الهيدروجيولوجي للموقع إلى وجود إحدى أهم بنيات تفريغ مياه كارست الأطلس المتوسط تجاه المنخفض السايسي، كما هو الشأن مع موقعي إيموزار والحاجب. نفس الظلفاء الكاربوناتية السميكة (دولومي الليلياس)، تهيكل هنا الهضبة الأطلسية الصلبة، المتشققة والمنفذة، المشرفة على المدينة، وتغلف نفس القاعدة الطينية الحمراء والبازلتية المتفسخة والكتوم، المنتمية للتريلس. يُكوّن هذا الثنائي الطبقاتي، متى وُجد، أهم نظام هيدروجيولوجي بالمغرب على الإطلاق. وهو يتميز في عالية صفرو بنوع من التقطع، الناتج عن العديد من الصدوع، أهمها الانكسار الأساسي لتيزي نتغاتن (أو : تايليلوت). وقد سمح هذا الوضع البنيوي بتأسيس أحد أجمل المناظر المغربية، إذ استغل التفسيخ الكارستي هذه الشقوق فهيأ أهم شبكة من البحيرات خلال أروع الغابات. ورغم أن مثل هذا النوع من التشكيل يمنع وجود المجاري المائية السطحية، مُحوِّلا جل المياه إلى جوف الأرض ثم إلى العيون الهامشية، ومن ضمنها تلك التي تنعش جنان صفرو، فإن حدَّة عُرْف جبل كندر - جبل عباد (1768 م) المسيطر على الهضاب المحيطة قد فرضت مجرى وادي أگاي المنبعث من سفح الكتلة، وجهة الشمال الشرقي، صوب المدينة ثم إلى نهر سبو.

أما المغاور والكهوف المشرفة على المدينة فأنواع مختلفة. منها أفواه تفريغ مياه الكوس الأطلسي، والمفروض أن تكون عميقة ومرتبطة بسراديب الفرشة الجوفية، وغيرها كثير من المغارات الناتجة عن التفريغ بالتفسخ الكارستي، ومنها، على النقيض من ذلك، مغارات البناء الناتجة عن الرصاصة التي ترسبها مياه العيون المشبعة بالكلس وتركزها الطحالب والنباتات الغزيرة التي تعمر السفوح الظليلة البليلة (*الرصاصة، المعلمة*، ج 13، ص. 4361).

لا شك أن السلالات الأولى من التعمير في هذه البقاع كانت تسكن الكهوف، ومن الطريف أن نجد من ضمن الموقع الواسع مركزاً فريداً من نوعه وشديد التعبير بهذا الصدد. فمدينة البهاليل، الموجودة على بعد خمسة كيلومترات إلى الشمال الغربي، مبنية على أساس قرية كهفية كبيرة، ما زال السكان الأصليون الذين يتمتعون بامتلاكها يفضلون الإقامة بها خاصة أثناء الفصول المتطرفة، كلما اشتد الحر أو القر.

كما يبدو أن النَّويَات السكنية جاءت كذلك متدرجة في أول عهدها على طول الوادي، ربما على النحو القديم الذي ظهرت به "مدائن مكناس" على ضفاف واد بوفكران، قبل أن يستقر التركيز على الموقع النهائي. ثم لا شك اتضحت معالم المدينة إبان بناء مدينة فاس، قاعدة حكم الأدارسة، وبفعل استقطابها لموجات من النازحين من الجنوب، على عهد المرينيين. وأخيراً، كان على صفرو أن تتعايش مع مدينة فاس التي سرقت الأضواء، وقضت جل وقتها عاصمة لكل البلاد المغربية.

أما مدينة صفرو الأصيلة التي انحدرت من هذا التطور التاريخي، فإنها تبدو اليوم مركزاً متواضعا، محاطا بسور جامع ينتمي إلى منعطف القرنين الثاني والثالث عشر (18 و19 م). أضيف إليها، من جهة الجنوب الغربي، حي عصري خلال القرن العشرين، تطبيقا للثنائية الحضرية التي فرضها الاستعمار الفرنسي على مدننا القديمة. يصل بين النواتين شارع مولاي الحسن، الرابط بين الساحة التي تحمل نفس الاسم، والتي يوجد بها المدخل الرئيسي للمدينة الأصلية (باب المقام)، وشارع محمد الخامس، المحور الرئيسي للحي الحديث، بعد أن يكون قد عبر وادي أگاي. وهنا كذلك نجد خاصية تغلب على الثنائية الحضرية المعاصرة عندنا، حيث يستعمل المخطّط للفصل بين النواتين، التقليدية والحديثة، أي معلمة طبيعية موجودة تمكن من الفصل الفعال، كالوادي مثلا، وإلا تمت الاستعاضة بالحي العسكري. يحيط بالمدينة مجال فسيح من الحدائق المنتجة، تغلب فيها البقول والأشجار، وأساسا منها أشجار الزيتون والكرز (حَب الملوك).

يبلغ سكان المدينة اليوم 55 000 نسمة، ولا زالت تعقد سوقها الأسبوعي يوم الخميس. لكن يغلب على أوصافها في كل المراجع أنها هادئة وحالمة، وهي في الواقع كنايات تدل على الخمول الاقتصادي الذي تعاني منه المدينة رغم مؤهلاتها من الموارد الطبيعية والمقومات الحضارية والجمالية.

يلعب خندق واد أگاي الدور الأول في هيكلة المدينة الأصلية. تنتظم الضفة الشمالية، اليسرى من النهر، من حول الأحياء السكنية والأسواق، التي تبرز من بينها صباغة

الفضة، ثم المسجد الكبير، أما الضفة الجنوبية فيتوسطها حي الملاح. يذكر هذا الحي السكني الأخير وكذا ما سبق من عمل الفضة بالدور الكبير الذي لعبه اليهود في الحركة الاقتصادية للمدينة. يرجع الحضور اليهودي بالمدينة إلى عهود البدايات، كما أنه ازدهر خلال فترة الحماية فوصل تعداده إلى أكثر من ثلث مجموع السكان بها، ثم بدأ يتراجع بعد الاستقلال. لكن العديد من يهود صفرو لم يغادروا إلا بعد حرب 1967، محدثين الخلل في العديد من القطاعات والحرف التي اشتهروا بتنشيطها.

تتميز المدينة بنوع من الوداعة الأليفة وبقدر أكيد من معالم الأصالة تجعلها تستحق الزيارة والاهتمام، لكنها عانت على مدى مراحل تطورها من الظل الطاغي الذي تنشره عليها حاضرة فاس بمعالمها العلمية والمعمارية، وأسواقها وفنها وصنائعها. فبقيت محصورة في جنانها لم يزد سكانها على العشرة آلاف (10 000) بُعَيْدَ الحرب العالمية الثانية، وحوالي 18 000 في الخمسينيات، قبيل الاستقلال، ثم بقيت مستقرة في الستينيات بمستوى العشرين ألف (20 000)، ثم تأثرت بعد ذلك بحمأة تزايد وتيرة الهجرة من الأرياف فارتفع العدد إلى 40 000 في التسعينيات ثم إلى 55 000 في بداية الألفية الثالثة.

ربما أمكننا استشفاف بعض ملامح أسباب الخلل بالنظر إلى الوضع الاقتصادي، بالاحتكام على الخصوص إلى أعمال أحد العارفين بشؤون المدينة (حسن بنحليمة، 1977).

بالطبع، هناك الظرفية الوطنية والدولية التي لعبت أدواراً حاسمة بالنسبة لكل مدننا العتيقة. فلم يسع الحرف التقليدية، التي كانت في الماضي تهيكل الحياة الاقتصادية على مدى واسع جدا بمدينة صفرو، إلا أن تصطدمَ بطريقة غير متكافئة مع دواليب الاقتصاد الحديث الذي جاء به الاستعمار، وأن ترتبط بمراكز وموازين الثقل الخارجي على مستويات القرار والإنتاج. كما أن التغيير السريع في عادات الاستهلاك لدى الأهالي قد فعل الباقي. مع أن صفرو وكانت قد وجدت لنفسها بعض الميادين الإنتاجية النوعية المعتمدة على الموارد الطبيعية الوفيرة المحيطة، وتخصصت في بعض المنتجات المرتبطة بحاجيات الأرياف بالأطلس المتوسط على الخصوص. لا زالت طبيعة الرواج في سوق الخميس تنم عن نوع الإشعاع لدى الأرياف، لكن المواد المتبادلة، على كثرتها، زهيدة الثمن محدودة القيمة المضافة لا تسمح بالتراكم الكافي لتخويل الإقلاع.

الملاحظ كذلك أن القطاعات القليلة التي استطاعت بعض الصمود، هي ذاتها قد فقدت من تألقها وجودة إنتاجها، والمواد الداخلة فيه، حتى تتكيف مع الأسواق الدنيا التي لازالت تقوى على طرقها. ذلك هو الشأن بالنسبة لنسيج الصوف وشغل الجلد، المنبثقين من الحياة الرعوية لجل سكان الأطلس المتوسط المجاور. تدهورت صناعة البلاغي الرفيعة إلى خرازة متواضعة غالبا ما تستعمل مواد الرسكلة الرخيصة. أما صناعة الصوف التي تعبر بحق عن مهارات نوعية وجودة حقيقية اشتهرت بهما المدينة، فقد عرفت تناقصا مهولا في وحدات الإنتاج بسبب العزوف والتدني في متطلبات الزبناء الجدد وفي قدرتهم انشرائية.

ظاهرة أخرى تدل على حقيقة الانكماش الاقتصادي وهزال الإمكانات المادية للمجتمع بالمدينة هي التضخم المبالغ للخدمات الصناعية الصغيرة التي تقدمها الأسر، خاصة الإناث من كل الأعمار، للمعلمين والوسطاء والباعة، بأثمان مخجلة، يتم تسويقها بصفرو أو جلبها إلى أسواق فاس وحتى الدار البيضاء. يضطلع القطاع بنسبة كبيرة من أشغال الحرف التقليدية، يصعب حصر عدد العاملين به، وقد تخصص في ميادين الغزل والنسيج والخياطة والطرز وكل أشغال الحرير (بنحليمة، 1977).

عرفت بعض الأنشطة الأخرى شيئا من التحديث والتوسع، منها البناء وتحويل المواد الغذائية. استفاد البناء من تزايد السكان ابتداء من السبعينيات، وإن كان الاستثمار في العقار المواكب له غير منتج بل وهو هنا متلف لأراضي الجنان التي خلقت الطابع الخاص للموقع. أضف إلى هذا التطور البيئي المخيف أن جل مقالع الصخور تنخر حافة الأطلس المشرفة على المدينة فتسهم في تلويث فضائها بكل المقاييس.

أما الصناعات الغذائية فأهمها على الإطلاق إنتاج زيت الزيتون الذي عانى من مشاكل التسويق بعد فترة من الرخاء والذي يُرجى أن يجد نفسه في سياق المخطط الزيتي الذي تُعدُّ له البلاد على الصعيد الوطني.

لا شك أن مدينة صفرو تستحق أحسن بكثير من واقعها الاقتصادي والاجتماعي الراهن، وأن لا مخرج من الركود إلاّ في إطار التنمية الشاملة التي ترفع من مستوى الأرياف المحيطة كما تعنى بتنظيم الصناعات بالمدينة.

في انتظار هذا المشروع المعقد والطويل الأمد، يمكن النهوض بالموارد السياحية ذات المرتكز البيئي، المتأرجح بين بحيرات الأطلس في المجال الخلفي الجنوبي وبلاد غابات البلوط الأخضر والأرز الباسقة الممتدة إلى الشرق، ومنها قمة أبو يبلان (3190 م)، التي تُرى من محيط المدينة، مجللة بالثلوج في جل فترات الشتاء والربيع، وكذا المشاهد القريبة ومنها الخوانق الرائعة لوادي سبو وغيرها من الزيارات المبتكرة لمواقع فريدة كالبهاليل ومنتزهات العيون والمحطات المائرية.

بالمدينة نفسها، توجد بعض الأنشطة لدعم السياحة وتنشيط الصناعة التقليدية، نذكر من بينها : "مهرجان حب الملوك" الذي ينظم غالبا في الأسبوع الأخير من شهر يونيو، و"موسم سيدي لحسن اليوسي"، أحد صلحاء القرن الحادي عشر (17 م)، دفين العدوة الشمالية، ويكون في شهر غشت. وهي مواعيد متفاوتة القدم لم تعرف أية إضافات معبرة إلا ما كان من إنشاء لمركز الصناعات التقليدية يعرف خاصة بأشغال الخشب والزرابي.

وبديهي أنه لن يتأتى أي نهوض حقيقي إلا بعد ترتيب شؤون المدينة نفسها والرفع من مستوى الخدمات بها، بدءاً بتنسيق جماليات وادي أكادي والجسور المقوسة الواعدة التي تعبره، وقبل كل شيء بتنظيفه وتحويله إلى مجال جذب لا إلى خرابة ترمى بها النفايات.

على العموم، الأطلس المتوسط الذي يحرس المدينة، مجال هائل حافل بالإمكانات الطبيعية، يمكن أن يعطي المزيد الكثير إن هو أمن من بعض المطبات التي تستهدف سلامته البيئية. وسهل السايس، فضاء حضاري رحب بمقياس الأجيال الطويلة، ومحطة شديدة التألق والتميز في أفق الوحدة المغاربية، فحري إذن بمدينة صفرو، التي تقتسم المصيرين معا، أن تتطلع إلى الغد الأفضل.

H. Benhalima, *L'artisanat traditionnel sefrioui : son agonie et les limites de sa rénovation*, Rev. Géogr. Mar., Rabat, I (Nouv. Sér.), 1977 ; *Sefrou : de la tradition du dir à l'intégration économique moderne, étude de géographie urbaine*, Montpelier, 1977, 2 vol., 243 p. ; D. Fassi, *Les formations superficielles du Saïs de Fès et de Meknès : du temps géologique à l'utilisation actuelle des sols*, Notes et Mém. Serv. Géol., Rabat, n° 389, 1999, 527 p. ; F. Joly, *Place des pays de piémont dans la vie économique et humaine du Maroc*, Notes Marocaines, 1960, 97-102 ; J. Martin, *Le Moyen Atlas Central, étude géomorphologique*, Notes et Mém. Serv. Géol. Rabat, n° 258, 1981, 445p.

إدريس الفاسي

صفرو (بني إزناسن) موقع بجبال بني إزناسن ضمن مجال قبيلة بني منكوش التي تستوطن القسم الأوسط من السلسلة الجبلية. وغالبا ما يرد في الوثائق التي تعود إلى القرن التاسع عشر على الشكل التالي : أهل صفرو أو سوق صفرو. يطل موقع صفرو على السفح الجنوبي لجبال بني إزناسن الذي يشرف على بسيط أنگاد. ويُستفاد من الوثائق المغربية أنه كان سوقا مزدهرة للمواشي في نهاية القرن التاسع عشر، حيث كان محطة لتهريبها نحو غرب الجزائر. أما سبب نعت الموقع باسم صفرو، فيعود حسب بعض الروايات إلى قدوم بعض الأسر من مدينة صفرو القريبة من فاس إلى بني إزناسن في بداية القرن الثامن عشر، واستقرت ضمن مجال إحدى فصائل بني منكوش (بني مَرِّيصَنْ) التي انصهرت فيها إلى حدّ أن صارت هذه الفصيلة تنعت باسم أهل صفرو.

ع. برحاب، *شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي*.

Mhmmed Ben Rahhal, A travezrs les Beni Snassens, in Bulletin de la Société de géographie et d'Archéologie d'Oran./ 1889, p. 5 - 50 ; Auguste Moulieras, Le Maroc inconnu (1ère partie, exploration du Rif), Oran, 1895 ; Louis Voinot, Oujda et l'Amalat, Oran, 1912.

عكاشة برحاب

الصفريوي، محمد بن زروق الفاسي، حلاه تليمذه ابن رحمون ـ ينقل *إتحاف المطالع* ـ بقوله : "شيخنا الأستاذ المجود الخطيب البليغ" وذكر أنه أخذ العلم عن عبد الرحمن المنجرة ومحمد بن عبد السلام بناني وعمر الفاسي والتاودي ابن سودة ومحمد بن قاسم جسوس. له فهرس ذكر فيه أشياخه ومقروءاته، يظهر فيه سنده العالي.

توفي في أواسط صفر عام 1245 / أواسط غشت 1829.

م. الصفريوي نفسه، *فهرس*، مخطوط ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 7 ؛ *دليل*، ط 2، الدار البيضاء، 1960، 2 : 323.

محمد حجي

الصَّفْصَاف، أو عُود الماء أو أمُّ السَّوَالف أو سَوَالف عَائشة أو سَوَالف العَلْجَة بالعربية أو أمَّاسْ أو وَامَّاسْ أو تَاسَمْلِيلْ أو تَاسَمْلِيلْت بالأمازيغية، أسماء تطلق على أنواع جنس سَالِيكْسْ Salix الذي ينتمي إلى فصيلة الصفصافيات Salicaceae الشاملة كذلك لأنواع جنس الحور

أو بُوبُولُوس Populus (انظر الحور). ولهذا وجبت الإشارة إلى الخطإ الشائع عند المغاربة وشمال إفريقيا بصفة عامة عند استعمال لفظ الصفصاف للتعبير عن الحور والاكتفاء بعود الماء للتعبير عن الصفصاف.

وأنواع الصفصاف أشجار أو شجيرات أو جنيبات متساقطة الأوراق تعيش على ضفاف الأنهار والسواقي والبحيرات والضايات والمرجات، ممثلة بأفراد متناثرة أو بتشكيلات كثيفة. البعض منها لها أغصان سهلة اللَّيِّ تصلح لصناعة السلالة أي صناعة السلال والمذاري وعدة أشكال من الأثاث وسواها. والبعض منها تستعمل في التطبيب التقليدي. أوراقها رمحية مستطيلة. جميع الأنواع ثنائية المسكن، تزهر قبل ظهور الأوراق. ازهاراتها هرية.

تصادف سبعة أنواع بالمغرب من بينها نوع واحد غير طبيعي لكنه أدخل منذ أقدم العصور :

ـ سَبِيب العَوْدَة أو سَوَالف عائشة أو سَوَالف العَلْجَة أو صفصاف بابل أو علمياً سَالِيكْسْ بَابِيلُونِيكَا Salix babylonica : يتميز بهيئته المُتَهَدِّلة ولهذا سمي بالصفصاف المتهدل أو Saule pleureur بالفرنسية. قد يبلغ تاجه المستدير الشكل والمتهدل 10 م من الارتفاع. قشرة جذعه مشققة. أغصانه ذات لون أخضر زيتوني مائل إلى الأرجواني، رقيقة وطويلة ومتهدلة. أوراقه رمحية مستطيلة ومن حجم 17.5 سم طولا و2.5 سم عرضا. تظهر أزهاره

مجتمعة في ازهرارات هرية تلاحظ في أطراف الأغصان القصيرة والمورقة.

يعتقد أن الموطن الأصلي لهذا النوع هو آسيا لكن جمال هيئته جعلت زراعته كشجرة للزينة تنتشر في كل أرجاء العالم وذلك منذ أقدم العصور كما هو الشأن بالنسبة لإحدى عجائب الدنيا : حدائق بابل المعلقة.

بالإضافة إلى استعمال النوع كشجرة زينة في الحدائق، تستخدم أغصانه في صناعة السلل والمذاري بالرغم من أنها غير مَرِنة.

- الصفصاف ثلاثي الأسدية أو سَالِيكْسْ تْرِيَانْدْرَا Salix triandra : شجيرة أو شجرة يتراوح علوها ما بين 1,5 و4 م. جذعها رمادي اللون. أغصانها جد مرنة، سمراء أو مائلة إلى الاحمرار. أوراقها رمحية ورمحية مستطيلة، ذات حجم من 13.5 سم طولا و3,5 سم عرضا، لا معة على الوجه العلوي، جرداء على الوجهين، مسننة على محيطها. أزهارها الذكرية ذات 3 أسدية.

يصادف النوع على ضفاف الأنهار والضايات في السهول والجبال المنخفضة للمناطق البيومناخية الرطبة وشبه الرطبة وشبه الجافة.

تعتبر أغصان هذا النوع من أرفع المواد المستخدمة في صناعة السلال والمذاري والأثاث.

- الصفصاف الأبيض أو سَالِيكْسْ آلْبَا Salix alba : شجرة يتراوح علوها ما بين 10 و25 م. أغصانها مَرِنَة سمراء أو صفراء. أوراقها رمحية ضيقة من حجم 13 سم طولا و5,5 سم عرضا، مكسوة على وجهيها بزغب حريري. أزهارها الذكرية ذات سَدَاتين ومحاطة بحراشف ذات لون أصفر يميل إلى الصُّهْبَة.

يعيش النوع على ضفاف الأنهار والبحيرات في شمال وغرب ووسط المغرب أي في الريف والأطلس المتوسط والأطلس الكبير، حيث يصادف في الطوابق النباتية للمتوسطي الدافيء والمتوسطي وفوق المتوسطي وفي البيومناخات شبه الجافة وشبه الرطبة والرطبة الدافئة والمعتدلة والباردة والقارسة.

يعتبر النوع من أفضل الأنواع المستخدمة في السلالة.

- الصفصاف الأرجواني أو سَالِيكْسْ بُورْبُورِيَا Salix purpurea : شجرة قصيرة القامة إذ لا يتعدى علوها 6 م. أغصانها ذات لون أسمر ضارب إلى الحمرة. أوراقها رمحية مستطيلة من حجم 11.5 سم طولا و1,5 سم عرضا، مسننة على أطرافها، ذات لون أخضر على وجهها العلوي، وأخضر فضي على وجهها السفلي.

يصادف النوع على ضفاف الأنهار والبحيرات في شمال ووسط وغرب المغرب، أي في الريف والأطلس المتوسط والأطلس الكبير، حيث يعيش الطوابق النباتية للمتوسطي الدافيء والمتوسطي وفوق المتوسطي ذات البيومناخات شبه الجافة وشبه الرطبة والرطبة الدافئة والمعْتدلة والباردة والقارسة.

نظراً لجمال لون أغصانه وليونتها يعتبر النوع من أحسن الأنواع في صناعة السلالة.

- الصَّفْصَاف الرُّنَيْدي أو ساليكس بيديسلاطا Salix pedicellata : شجرة يتراوح علوها ما بين 6 و8 م. أغصانها صهباء إلى بُنِّيَة اللون أو ضاربة إلى السواد. أوراقها إهليلجية أو بيضوية أو مستديرة الشكل، خضراء اللون وجرداء على وجهها العلوي، وخضراء فضية ومكسوة بزغب ناعم ومبرزة للعروق على وجهها السفلي.

يصادف النوع على ضفاف الأنهار والمستنقعات والضايات في السهول والجبال والغابات الرطبة حيث يعيش في المناطق البيومناخية الخاصة بشبه الجاف وشبه الرطب والرطب، والطوابق النباتية المتعلقة بالمتوسطي الدافيء والمتوسطي وفوق المتوسطي.

نظراً لصعوبة لَيِّ أغصانه، لا يحبذ النوع في صناعة السلالة.

- الصفصاف الأرْمَد أو سَالِيكْسْ سِينِيرِيَا Salix cinerea : شجيرة من 5 إلى 6 م من الارتفاع. أغصانها صعبة اللَّي. أوراقها بيضوية مقلوبة الشكل، من حجم 11 سم طولا و1,5 سم عرضا، خضراء أو ضاربة إلى اللون الرمادي، وبَرِيَّة على وَجْهَيْهَا.

يعيش النوع على ضفاف الأنهار والبحيرات في المناطق البيومناخية شبه الجافة وشبه الرطبة والرطبة وفي الطابقين النباتيين للمتوسطي وفوق المتوسطي.

لا يستخدم النوع في صناعة السلالة نظراً لصعوبة لَيِّ أغصانه.

- الصفصاف الزَّيْزَفُوني أو سَالِيكْسْ إِيلِيَاغْنُوسْ Salix eleagnos : شجيرة من 4 إلى 5 م من الارتفاع أغصانها متعددة العقد. أوراقها مستطيلة الشكل وفضية اللون، من حجم 11 سم طولا و1 سم عرضا.

يعيش النوع على ضفاف الأنهار وفي الغابات المطرة في الريف والأطلس المتوسط، حيث يصادف في البيومناخين شبه الرطب والرطب الباردين والقارسين، وفي الطابقين النباتيين للمتوسطي وفوق المتوسطي.

لا يستخدم النوع في السلالة نظراً لصعوبة لي أغصانه، لكنه يستعمل في الحدائق كنبات للزينة.

أبحاث شخصية.

A. Benabid, *Flore et écosystème du Maroc. Evaluation et préservation de la biodiversité*. Paris, Rabat, 2000 ; J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle, médecine arabe ancienne et savoirs populaires*, Paris, 1997 ; L. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris, 1938 ; A. Metro et Ch. Sauvage, *Flore des végétaux ligneux de la Mamora*, Soc. Sc. Nat. Phys. Mar., Rabat, 1955.

عبد المالك بنعبيد

الصفار، أسرة فاسية - تطوانية أصلها من حصن الصفرة أحد حصون جيّان بالأندلس، وكان أول قادم منهم

إلى المغرب ـ حسب *إزالة الالتباس* ـ يرعى الإبل للحجاج، واستقر بقبيلة بني والمجل على إبل كان يرعاها لبعض التجار الحجاج من أولاد الفخار الأندلسيين، فصحت تلك الإبل لصيانته، واكتسب الصفار شيئاً من المواشي وتموّل. وفي أيام الفتنة بين الوطاسيين والسعديين خلال النصف الأول من القرن العاشر (16 م). باع مواشيه ودخل فاساً وسكن بحومة رأس الجنان، واحترف بنوه بحرفة الحجامة، ثم استغنوا وصاروا تجاراً وملكوا أصولاً، ولهم عدة دور وأروية بدرب الخطار ما زالت تنسب إليهم إلى الآن، وبها سكنى بعضهم، وجنات بالمرج خارج باب الخوخة، وعرصة بمصمودة أعلى درب الخطار كانت بها ناعورة وبنيت الآن.

تولى آل الصفار الفاسيون رآسة ركب الحاج المغربي، وكان منهم قائد فاس محمد العربي الصفار (ت. 1178 / 1765) والحاج عبد القادر الصفار الذي جدد ضريح الشيخ ابن حرزهم خارج باب الفتوح، وعلى باب الضريح كتابة تفيد أن الصفار جدده أيام السلطان المولى الرشيد، ومن متأخريهم العربي بن محمد الصفار المدعو الحايل الذي كان خليفة بفاس أيام الحسن الأول.

وذكر الكتاني في *زهر الآس* منهم الفقيه محمد بن إبراهيم التينملي الشهير بالصفار شيخ المحدث الكبير يحيى ابن أحمد السراج صاحب *الفهرس* (ت. 804 / 1402).

أما آل الصفار التطوانيون فلعلهم من مهاجرة الأندلس بعد تغلب المسيحيين، عند نهاية القرن التاسع (15 م) وكان منهم كذلك فقهاء وأدباء وموظفون سامون في حكومة المخزن، أشهرهم محمد بن عبد الله الصفار آتي الترجمة.

وانتقل بعض آل الصفار الفاسيين إلى مدينة سلا في مطلع القرن الرابع عشر (20 م) للعمل في حكومة المخزن، وأشهرهم الكاتب الشاعر المدني الصفار صاحب مولديات في كتاب اليمن *الوافر الوفي*.

ع. الكبير الكتاني، *زهر الآس*، تح. علي الكتاني، الدار البيضاء، 2002، ج 1 : 505 ؛ ع. ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، ج 2 : 94.

محمد حجي

الصفار، محمد بن إبراهيم من أهل مراكش. أستاذ وإمام في القراءة وبليغ في علم العربية لوقته وله تأليف في القراءات. أخذ عن كثير من شيوخ المغرب وعلى رأسهم شيخ المحدثين والرحالة أبو عبد الله محمد بن رُشيد الفهري، كما لقبه كبار علماء عصره من أمثال ابن خلدون المؤرخ. كان الصفار يحضر مجالس السلطان أبي عنان المريني (749 / 1348 ـ 759 / 1358) ويعارضه القرآن برواياته السبع.

م. ابن مرزوق، *المسند الصحيح الحسن* تح. ماريا خيسوس بيغيرا، الجزائر، 1981 ؛ ابن الحاج النميري، *فيض العباب*، تح. م. بن شقرون، الرباط، 1984، ص. 57 ؛ ابن خلدون، *التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا*، ضمن *كتاب العبر*، ج 7، بيروت، 1978، ص. 853 ؛ م. حجي، محقق، *ألف سنة من الوفيات في ثلاثة كتب*، الرباط، 197 ؛ بابا التنبكتي، *نيل الابتهاج* (على هامش الديباج لأبي فرحون)، القاهرة، 1351، ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، ط 2، 1998، ج 4 ؛ ع. العزيز بنعبد الله، *معجم المحدثين والمفسرين والقراء بالمغرب الأقصى*، المحمدية، 1972.

رشد السلامي

الصفّار، محمد بن عبد الله التطواني. أطلق على والده لقب الجياني نسبة إلى مدينة جيّان Jaen الأندلسية، حيث الجذور الأولى لهذه الأسرة. ولد محمد الصفار بمدينة تطوان في العشرة الثانية من القرن الثالث عشر (19 م). ومازال البيت الذي وُلد فيه المترجم قائماً إلى اليوم في تطوان، وهو مسكن بسيط من طابقين يوحي بأن أسرة الصفار كانت متواضعة، وربما كانت غنية من حيث ثقافتها وأصلها المتميز، دون أن تكون على حظ من الثروة المادية. وبها استهل مرحلته التعليمية على عدة شيوخ لا تعرف أسماؤهم لأن الصفار لم يترك فهرسة تحتوي قائمة بأسماء الشيوخ والعلوم التي درسها بتوجيه منهم.

انتقل إلى فاس للدراسة بجامع القرويين رفقة صديقه محمد عزيمان، الذي أصبح قاضيا بتطوان فيما بعد. استقر بفاس مدة فاقت ثماني سنوات، درس خلالها الفقه والأصول والحديث والنحو، وكان شيخه الأساسي العالم ابن عبد الرحمان الحجرتي، كما أخذ عن مولاي الطيب بن مولاي العربي الدرقاوي وسيدي عبد السلام البقالي، ولقي سيدي قدور العلمي والخضير السجعي.

قفل إلى تطوان سنة 1352 / 1836 وأضحى يلقب بالفقيه لما اكتسبه من علوم شرعية وتمكّن من اللغة العربية والمام بالتوقيت. وبعيد عودته اشتغل بالعدالة بل وأصبح من أبرز عدول تطوان، وكان أحيانا ينوب عن القاضي في إصدار الأحكام. وبموازاة مع ذلك دَرَّس بمساجد تطوان الفقه والحديث والمعاملات، وكان من بين تلامذته المفضل أفيلال المشهور الذي درس عليه مختصر خليل ولامية الأفعال والألفية.

بدأ محمد الصفار مشواره في خدمة المخزن مع القائد محمد أشعاش عامل تطوان، وبعد وفاته لازم ابنه عبد القادر أشعاش، وسبب خدمته في المخزن أن السلطان عبد الرحمان ابن هشام أمر عمال المغرب بأن يتخذوا الكتاب الذين يحسنون الإنشاء والترسيل للرد على مكاتبه عوض الاعتماد على طلبة البادية الذين يجهلون النحو واللغة. واعتبارا لتمكن الصفار من العلوم الشرعية والعلوم العربية استكتبه أشعاش بعد أن مارس عليه ضغطا للقبول بهذه الوظيفة.

رافق الصفار، بصفته كاتبا، عبد القادر أشعاش ضمن سفارة إلى باريس سنة 1261 / 1845، حيث قضت هذه السّفارة خمسين يوما في العاصمة الفرنسية. وبعد عودتهما، انكب على تحرير الملاحظات والانطباعات عما شاهده، واستغرق ذلك شهوراً عديدة، كما زاول، فضلا عن خدمة المخزن بصفته كاتبا، العدالة والتدريس.

وقد كتب القنصل الفرنسي بوميي (Beaumier) الذي رافق البعثة المغربية إلى رئيسه في طنجة دوشاستو (De Chasteau)، يقول : "إن الفقيه ... مشغول طوال الوقت. إن لديه موهبة عقلية نادرة، وهو بصدد إنجاز بحث حقيقي، فقد كتب أشياء كثيرة". وعلى امتداد صفحات الرحلة، بدا الصفار مفعما بالحيوية وبدقة الملاحظات. إذ عبر عن مشاعر الإعجاب أمام جمالية المرأة، وأبدى تحسراته أثناء قيامه بالوضوء استعدادا للصلاة في بر النصارى. كما تألم متبرما من الساعات الطوال التي كانت تستغرقها وجبات الطعام أثناء المأدبات الرسمية في الديار الفرنسية. أما وجهات نظره وأفكاره، فتتباين من صفحة إلى أخرى، بعضها مبتذل وعادي لا أصالة فيه، وبعضها الآخر أصيل جداً. ولم تكن رحلة الصفار إلى فرنسا التي استغرقت خمسين يوما، مجرد سلسلة من الأشياء المثيرة، بل كانت تجربة حقيقية على درب التحولات، بحكم مظاهر الحداثة التي عاينها شخصيا فتركت بصماتها على امتداد حياته في السنوات اللاحقة.

وبعد عودة الصفار إلى تطوان استأنف مزاولة مهامه العدلية، وإلقاء الدروس في الجامع، إضافة إلى قيامه بمهام الكتابة في خدمة الباشا عبد القادر أشعاش. وفوق هذا وذاك، انهمك محمد الصفار في تحرير رحلته لتقديمها كتقرير مفصل يرفع إلى حضرة السلطان. وبعد أن أتم الصفار ذلك العمل، عاد إلى الظل، ولم يقع في فصول حياته ما يستحق الذكر خلال السنوات القليلة اللاحقة. غير أن هذه المرحلة ما لبثت أن انتهت في شهر رمضان من سنة 1267 / 1850، حين فقد عبد القادر أشعاش حظوته السابقة عند السلطان مولاي عبد الرحمن. وبحكم العلاقات الحميمة القائمة بين باشا تطوان ومحمد الصفار، فقد وجد هذا الأخير نفسه في وضعية غير مريحة. وقبيل حلول عيد الأضحى، أمر السلطان عامله على تطوان بالقدوم إليه في فاس لتقديم هدية العيد، كما جرت العادة بذلك، فامتثل أشعاش واتجه إلى فاس مصطحبا معه محمد الصفار دون أن تساوره أي شكوك في نوايا سيده. وحين اتجه أشعاش إلى حضرة السلطان لتقديم الهدية، بقي الصفار في ضيافة الفقيه الخطيب الكبير الفاسي، فبلغه خبر القبض على أشعاش، فالتجأ لحماية نفسه بحرم الزاوية الفاسية.

وقد تمكن الصفار من تجاوز هذه الأزمة، بل وخرج منها بترقية لم يكن يتوقعها. ويبدو أن كونه قد كتب تفاصيل الرحلة إلى فرنسا هو الذي شفع له عند السلطان، فلم يكتف بإطلاق سراحه، بل وجهت إليه الدعوة للالتحاق بحاشية السلطان. وهكذا بدأت المرحلة الثانية من حياة الصفار، وتشمل الفترة الطويلة التي قضاها في خدمة المخزن على المستوى المركزي. ويبدو أن هذه المرحلة التي يمكن تسميتها بالمخزنية عسيرة التتبع، ويكتنفها كثير من السرية والغموض. فقد عاش الصفار على امتداد الثلاثين سنة اللاحقة منغمسا إلى أقصى الحدود في الوسط المخزني المركزي القريب جدا من شخص السلطان. فما لبثت فردانيته أن انصهرت في بوتقة النسيج المخزني العريض، ليصبح جزءا لا يمكن فصله عن مكوناته وارتبطت حياته به ارتباطا وثيقا بذلك النسق.

وحين حل الصفار ببلاط السلطان، لم يلحق بمجموعة الكتاب المتخصصين في تحرير المراسلات المخزنية، بل أسند إليه السلطان مولاي عبد الرحمن مهمة السهر على تربية وتعليم أفراد الأسرة السلطانية. فكان من بينهم الأمير مولاي الحسن. وتمتنت صلات الصفار بالسلطان الذي قدر تدريجيا مكانته العلمية، فاتخذ منه كاتبه الخاص، وانتهى به المطاف إلى الارتقاء لمنصب الصدر الأعظم في السنوات الأخيرة من حكم السلطان مولاي عبد الرحمن، وهو أعلى مرتبة يمكن أن يطمح إليها موظف مخزني. وكانت مهمته الجديدة تتمثل في الجلوس إلى جانب السلطان، والعمل على تنفيذ أوامره، والبقاء على اتصال مستمر عن طريق المراسلة، مع جميع الموظفين المخزنيين على المستويات المحلية. وعلى الرغم من أن العلاقات بين السلطان ووزيره قد تختلف حسب الظروف، فإن هنالك نقطة أساسية واضحة تماما، وهي أن الصدر الأعظم لا بد من أن يتمتع بثقة السلطان الكاملة حتى يمكنه البقاء في منصبه. ومن الأمور المثيرة المعبرة عن خصوصيات محمد الصفار، صموده الطويل الأمد، وبقاؤه مدة قاربت ثلاثة عقود من الزمن طرفا فعالا في مركزية السلطة المخزنية. ويعتبر هذا رقما قياسيا له أهميته في عالم المخزن المعروف بتقلباته العديدة.

حينما أصبح الصفار صدراً أعظم للدولة، بادر في الحال إلى إقصاء منافسيه مستعينا في ذلك بمكانته الجديدة. وحسب ما هو وارد عند محمد غريط في *فواصل الجمان*، فقد كان هنالك وقتئذ قائد للمشور ماسك بزمام الأمور، فشكاه الصفار إلى السلطان الذي أقاله من منصبه. وبعد ذلك يضيف محمد غريط قائلا : "استبد الوزير بتدبير أعماله وتنفيذ أشغاله، متمريا ضرعها منتقيا زرعها، وإن ما جمعه بتطوان أودعه". وبالفعل، فقد تضمنت وصية الصفار - وهي وثيقة يبلغ طولها ستة أمتار وعرضها ثلاثين سنتمترا - لائحة طويلة بالممتلكات والعقارات والديون المخلفة والأشياء الثمينة التي كان يملكها. ويستفاد منها أنه ترك بعد وفاته أزيد من ثلاثين عقارا موزعة على مدن تطوان وفاس وزرهون ومراكش، بقيمة 42.883 ريال.

ولا تقدم المصادر إلا معلومات طفيفة وخاطفة حول ما تبقى من فصول حياة الصفار أثناء مرحلته المخزنية. ففي صيف سنة 1859 حين ساءت صحة مولاي عبد الرحمن، سادت الشكوك حول مصير الولاية، فكان الصفار المرتكز الأساسي الذي اعتمد عليه المخزن وهو المتحكم الحقيقي في زمام الأمور. كما لعب الصفار دوراً أساسياً في تولية خلف المتوفى، سيدي محمد بن عبد الرحمن (1859 - 1873)، الذي كانت ميوله الإصلاحية واضحة المعالم.

وحاول السلطان الجديد تحقيق نوع من العقلنة لبنيات

الدولة، فعمل إلى جانب وزيره محمد الصفار على إنشاء منصب حديث العهد في المغرب، هو منصب وزير للشكايات، للنيابة عن السلطان في الرد عن التظلمات الصادرة على المستويات المحلية من مجموع البلاد، وكلف محمد الصفاربتحمل أعباء تلك المهمة الجسيمة.

ظل الصفار على رأس وزارة الشكايات طوال حكم سيدي محمد بن عبد الرحمان وقسما كبيرا من فترة حكم مولاي الحسن إلى وفاته. فكان التطواني الوحيد الذي تولى الوزارة مع ثلاثة من سلاطين المغرب. ولا يعلم عن الصفار أنه خلف تآليف غير رحلته إلى فرنسا سنة 1261/ 1845، وقد ظلت هذه الرّحلة مهملة وغير موظفة في الأعمال الأكاديمية والبحث التاريخي والأدبي بالرغم من عرض أبرز محتوياتها من قبل محمد داود في *تاريخ تطوان*، ومحمد العربي الخطابي، إلى أن جعلتها الباحثة سوزان مبلار موضوعا لأطروحتها ونالت بها شهادة الدكتوراه في جامعة ميشغن عام 1976. وكان الصفار قد تأثر في كتابة رحلته شكلا ومضمونا بكتاب رفاعة الطهطاوي *تخليص الإبريز في تلخيص باريز* الصادر عن مطابع بولاق المصرية عام 1834، غير أنه طبع رحلته بشخصيته وثقافته، وتبدو في الكثير من صفحاتها ومضات الانفتاح بالرغم من المسحة الدينية المهيمنة عليها.

لازم الصفار حاشية السلطان خلال جميع تنقلاته وتحركاته بالرغم من كبر سنه، وفي إحدى حركات مولاي الحسن أصيب بالمرض فيما كانت محلة السلطان تخترق المناطق الجبلية الممتدة ما بين فاس ومراكش، وقد أحاطه مولاي الحسن بالرعاية، من ذلك وضعه في محفته الخاصة، ولما دنت المحلة من منطقة دار ولد زيدوح بتادلا توفي محمد الصفار (1298 / 1881)، وقد حمل جثمانه في محفة سلطانية إلى مراكش، وبها أقبر في ضريح الولي سيدي يوسف بن علي.

م. الصفار، *رحلة*، مخطوط بالخزانة الحسنية، الرباط، رقم 113 ؛ ع. القادر بناني، *تلخيص ما عليه المعول في أخبار من بالمغرب من الدول*، مخطوط، خ. ج، الرباط، رقم 12385 ؛ مجهول، *تقييد في ترجمة الصفار*، مخطوط بالخزانة الحسنية، الرباط، رقم 12419 ؛ م. غريط، *فواصل الجمان في أنباء وزراء وكتاب الزمان*، فاس، 1347 / 1928 ؛ ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 5، 1977 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الاعلام*، ج 7، 1962 ـ 1975 ؛ م. العربي الخطابي، *مشاهدات ديبلوماسي مغربي في عهد المولى عبد الرحمان*، مجلة دعوة الحق، ع 264، 1987 ؛ خ. بن الصغير، *المغرب وبريطانيا العظمى في القرن 19* (1856 ـ 1886)، الرباط، 1997 ؛ سوزان مبلار، *صدفة اللقاء مع الجديد*، رحلة الصفار إلى فرنسا، 1845 / 1846، الرباط، 1995 ؛ أ. المكاوي، *صورة أوربا في الكتابات المغربية خلال القرن 19 تنازع الانفتاح والانغلاق*، دكتوراة الدولة في التاريخ، كلية الآداب، فاس، 1996.

أحمد المكاوي وخالد بن الصغير

الصّفار، محمد العربي (الحاج ـ) ينتمي إلى بيت ثروة ورياسة مشهور بفاس. ولاه مولاي عبد الله بن إسماعيل سنة 1748 على جهة القرويين عندما كانت قيادة فاس مُقسمة بين ثلاثة قواد.

وعندما بويع سيدي محمد بن عبد الله في سنة 1757 أقره على ولايته، وعندما قرر السلطان أن يجعل قيادة فاس في يد قائد واحد اختاره لذلك فأصبح محمد العربي الصفار حاكماً لمدينة فاس الإدريسية بجهاتها الثلاث. وفي سنة 1175 (1761 ـ 1762) أسند إليه سيدي محمد النظر في أمكاس فاس فصار يقبضها مُقابل 12.000 مثقال يدفعها لبيت المال كل سنة. ثم بعد ذلك أضاف له السلطان أمكاس ملاح فاس ومدينتي تازة وتطوان. وعندما فتح سيدي محمد مدينة الصويرة للتجارة الأوربية كلّفه بانتقاء نُخبة من رُماة فاس ليسكنوا بهذا المرسى، إلا أن الخمسين رامياً الذين عيّنهم الصفار لهذه المهمة أظهروا العصيان وحاولوا التنصل من الأمر السلطاني لولا حزم القائد الذي اختار رؤوس الفتنة وجعلهم طليعة المبعوثين إلى ثغر الصويرة.

وقد بلغ محمد العربي الصفار من السطوة والنفوذ بفاس ما جعله يُعين قاضياً ثانياً في شخص العربي القسمطيني ليُنافس به القاضي عبد القادر بوخريص، ولو أن هذا الإجراء لم يَدُم طويلاً.

توفي محمد العربي الصفار يوم 5 أكتوبر 1767 (11 جمادى الأولى 1181) فعيّن السلطان ولده العربي في محله قائداً على المدينة.

محمد المنصور

الصفار، مَحمد بن **المدني** السلوي أحد الشبان المتنورين الذين تلقوا تعليما مزدوجا وتألقوا في الأربعينيات من القرن العشرين.

انخرط المترجم كأخويه أحمد والعباس في سلك التعليم الرسمي معلما للغة الفرنسية بالمدارس الابتدائية بفاس ثم بسلا، وكان من الرعيل الأول الذي التحق بالمدرسة المغربية للادارة (E. M. A)، وبعد الاستقلال التحق بالمصالح المركزية لوزارة المالية فكان أول مدير مغربي للصندوق المغربي للتقاعد ثم مديراً للميزانية، وكان يتابع في نفس الوقت تكوينه بكلية الحقوق حيث نال الإجازة منها في أوائل الستينيات. كما مثل المغرب لسنوات في المجلس الإداري

للصندوق الإفريقي للتنمية (B. A. D) وفي مستهل السبعينيات عُين مديراً لصندوق المقاصة الذي بقي يديره إلى أن أحيل على المعاش.

قام المترجم إلى جانب ما ذكر بعدة مهام في الخارج، منها مهمة خاصة لدى حكومة الجمهورية الفيتنامية لإرجاع بعض قدماء الجيش الفرنسي المغاربة الذين وقعوا في الأسر من طرف قوات الفيتكونغ إلى بلادهم، فرجعوا إلى المغرب مع زوجاتهم الفيتناميات وأولادهم ومنحتهم الحكومة المغربية معاشات خاصة لتسهيل إعادة إدماجهم في مجتمعهم.

اشتهر محمد الصفار، طيلة حياته الإدارية بالاستقامة في العمل، وانتقى بعض زملائه في حقل التعليم للعمل معه في وزارة المالية، فساهم بذلك في وقت مبكر وفي ظروف صعبة في مغربة هذا المرفق الهام في وقت كانت كل أطره فرنسية.

توفي يوم الجمعة 18 قعدة 1422 / فاتح فبراير 2002.

وثائق عائلية ومعرفة شخصية.

أحمد السوسي التنائي

الصفارية (طائر) أو صُفّارية كما هو في المعاجم، جنس طيور من القواطع، تنتمي إلى رتبة الجواثم Passeriformes وفصيلة أوريوليدي Oriolidae وجنس Oriolus المُمَثل في المغرب بنوع واحد : أوريولوس أوريولوس Oriolus oriolus. يسمى في المغرب بوطاطة والطائر الأصفر وتسميه العامية الصُّفارية وصُفَّرة في الشام والصَّفِّير في مصر. يدعى بالفرنسية Lariot d'Europe وبالانجليزية Golden oriole.

يبلغ طوله 22 ـ 24 سم ويزن ما بين 68 و78 غ. ريش البطن والظهر عند الذكر أصفر مذهب لامع وأخضر ملطخ بالرمادي عند الأنثى. ريش الجناحين والذيل أسود. المنقار بني أحمر، الأرجل رمادية زرقاء.

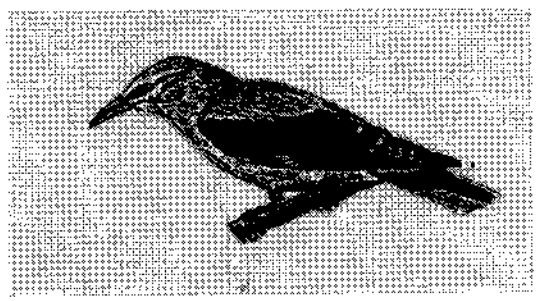

تمتد مدة التوالد منذ شهر ماي إلى بداية شهر يونيو وتقوم الأنثى بصنع العش لوحدها على أشجار الغابات وعلى الأشجار العالية الموجودة بالمزارع والحدائق وعلى جانب الأنهار وخاصة منها أشجار الحُورPeuplier. يوضع العش في أعالي الأشجار بين غصنين عادة ويتكون من الأعشاب اليابسة ومن قطع أعجاز الأشجار وتوضع بداخله قطع من الصوف والقطن والريش. تضع الأنثى من 3 إلى 4 بيضات ونادرا 5 أو 6 بيضات، لونها أبيض وردي لامع ومنقطة بالأسود. تبلغ من الطول 30.8 x 21.3 ملم.

يتكون غذاؤه من الحشرات التي تعيش على الأشجار ومن الثّمار العنبية اللحمية (baies) وخاصة منها التين.

إنه طائر شديد الحذر يفضل العيش مختفيا بين الأشجار ويعد من الطيور المهاجرة. يتوالد في شمال إفريقيا وفي أوربا ماعدا الجزر البريطانية.

يأتي إلى المغرب من جنوب الصحراء ابتداء من شهر فبراير وتستقر مجموعات كبرى متعددة الأفراد في المناطق المتشجرة بالهضاب الأطلنطية وبسفوح جبال الريف والأطلسين المتوسط والكبير وبالنجود الوسطى بينما تعبر مجموعات أخرى المغرب في فصل الربيع لتقضي فصل الصيف في أوروبا مارة بمضيق جبل طارق. تبتدئ الهجرة إلى جنوب الصحراء وإفريقيا الوسطى والجنوبية خلال شهري يوليوز وغشت لتشتو في هذه المناطق.

إنه النوع الوحيد من فصيلته الذي يعيش في المناطق الحارة الاستوائية وشبه الاستوائية خلال فصلي الخريف والشتاء ويتوالد في شمال إفريقيا وأوروبا. تبقى الأنواع الأخرى من فصيلته في المناطق الحارة طوال السنة ولا تتعدى المناطق الصحراوية شمالا.

أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

P. C. Beaubrun et M. Thevenot, *Recensement hivernal d'oiseaux d'eau au Maroc : janvier 1986-87-88*. Documents de l'Institut Scientifique, 11, Rabat, 1988 ; W. Reade&t E. Hosking, *Les oiseaux, leurs oeufs et leurs nids. Reproduction, oeufs et jeunes*, Ed. Nathan, Paris, 1968, p. 191-192 ; C. Harrison, *Les nids, les oeufs et les poussins d'Europe en couleur*. Multiguide nature, Elsevier, Paris, 1977, 430 p. ; H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and Middle East*. Ed. Collins, London, 1984, p. 124-125.

محمد رمضاني

صفيرة، الحاج قدور أحد أبرز تجار وأعيان فاس في عهد المولى سليمان. ولاه السلطان إمارة ركب الحاجّ في سنة 1797، وهو منصب لم يكن يُسند عادة إلاّ لذوي المروءة من تجار مدينة فاس. وفي السنة التالية عزله وولى على الركب الطاهر بادو المكناسي فاغتاظ أهل فاس لذلك لأن التعيين كان مخالفاً للعُرف. وفي سنة 1811 ولاه المولى سليمان قيادة مدينة فاس وهي المهمة التي بقي يزاولها إلى حين وفاته.

توفي في صيف عام 1227 / 1812.

محمد المنصور

صقر يجمع على صقور، اسم يطلق على بعض أنواع الكواسر سباع الطير النهارية كبيرة القد، تسمى أيضاً في بعض مناطق المغرب الساف. والصقر في اللغة كل طائر من

الجوارح اللاحمة يصيد خلا النسر والعقاب. والعرب يفرقون بين الصقور والبزاة كما جاء في مادة الباز، فالبزاة صغر العيون مدورة الرؤوس قصار الأجنحة طوال القوادم، وللصقور أجنحة طويلة مستدقة الرأس ومنجلية الشكل. تصنف الصقور إلى فصيلة الصقريات Falconidae ورتبة الجوارح أو الكواسر النهارية Rapaces Falconiformes. من بين الصقور التي تعيش في المغرب :

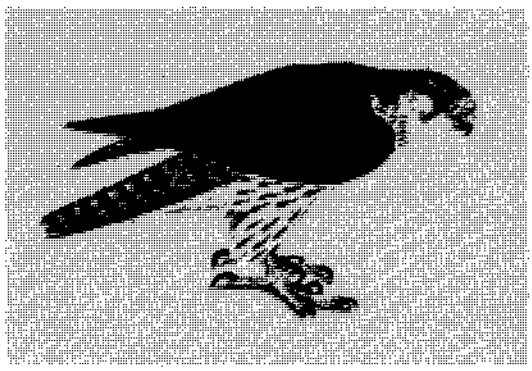

صقر الشرق يسمى علميا Falco cherrug وبالفرنسية Faucon sacre وبالإنجليزية Saker falcon وبالإسبانية Halcon sacre وبالإيطالية Sacro. وهو مشهور بصقر الغزال في المؤلفات العربية والبلاد العربية ولفظة الشرق فصيحة واردة في اللغة وهو الاسم النوعي الذي سماه به غراي سنة 1833 وهذه اللفظة عامية في الهند وإيران. إنه طائر كبير الحجم وقوي ريشه ضارب إلى الحمرة على مؤخرة العنق وعلى توبج الرأس، رمادي ملطخ على الرأس والذنب ضارب إلى البني الداكن على الجناحين والظهر وأبيض ضارب التوشيم البني على الصدر، طويل الجناحين، غائر العينين، محدب الظهر وعريض الهامة. المنقار أسود معقوف وقصير، المخالب مقوسة سوداء. يبلغ طول الجسم 45 ـ 55 سم وتزن الذكور 700 ـ 900 غرام والإناث 1000 ـ 1300 غرام، تبلغ بسطة الجناحين 200 ـ 225 سم. الإناث أكبر حجما ووزنا من الذكور.

طائر نادر جدا في المغرب وقد شوهد منه فرد في ضواحي الدار البيضاء سنة 1963 كما جاء في قول Mayaud (1970) وتمت مشاهدة بضعة أفراد في فصل الشتاء بجوار بني ملال وورزازات والصويرة وتيزنيت وكولمين وأولوز. يشتو في تونس وليبيا ومصر والشرق العربي ويتوالد في الجنوب الشرقي لأوروبا والجنوب الغربي لآسيا.

يتوالد بين فبراير وأبريل وتبيض الإناث 3 ـ 6 بيضات ملساء بيضاء مصفرة منقطة بالأسود والأحمر، يبلغ طول قطريها 42 x 54 ملم. يحضن البيض بالتناوب من طرف الزوجين حوالي 28 يوما وتغادر الصغار الأوكار بعد حوالي 40 يوما. يتغذى من الحشرات الكبيرة ومن الزواحف والطيور والثدييات الصغيرة.

الصقر الحر المغربي يسمى علميا Falco biarmicus erlangeri وبالفرنسية Faucon lanier وبالإنجليزية Lanner falcon وبالإسبانية Halcon borni وبالإيطالية Lanario. يدعى الطائر الحر في المغرب وفي الشرق العربي وهو طائر أصغر من صقر الشرق والشاهين المغربي ويختلف عن الضرب الأوروبي Feldeggi وعن ضرب الشرق العربي Tanypterus بصغر حجمه وشحابة ريشه الرمادي على الظهر والجناحين، على رأسه بياض، بطنه أغبر بني وأبيض، تظهر على الصدر والبطن أثناء التحليق خطوط بنية والذيل موسوم بستة إلى ثمانية خطوط داكنة. طويل الجناحين، غائر العينين ومخيف المنظر. المنقار أسود معقوف وقصير، المخالب مقوسة سوداء. يبلغ طول الجسم 38 ـ 45 سم وتزن الذكور 450 ـ 500 غرام والإناث 600 ـ 800 غرام، تبلغ بسطة الجناحين 80 ـ 100 سم. يعيش منعزلا أو مزدوجا.

تقدر أفراد المجموعات الآبدة في المغرب ما بين 900 إلى ألف زوجة موزعة على مختلف المناطق الجافة وشبه الجافة بجبال الأطلس والهضاب والنجود العليا الوسطى والشرقية والمناطق الصحراوية الجنوبية، معظم الأفراد مستقرة وتقطع نادرا مسافات قصيرة سواء للبحث عن الأكل أو للتوالد.

يتوالد مرة في السنة بين فبراير وأبريل ويتخذ أعشاشا قديمة لطيور أخرى كالغراب ليضع بيضه وهي أعشاش منصوبة على صخور الأجراف الصعبة المنال أو على أشجار الصنوبريات العالية. تبيض الإناث 3 ـ 4 بيضات ملساء بيضاء مصفرة منقطة بالأسمر البنفسجي، يبلغ طول قطريها 41 x 52 ملم. يحضن البيض بالتناوب من طرف الزوجين حوالي 30 يوما. تأخذ الصغار حريتها تدريجيا بين شهر يونيو وشهر يوليوز.

يتكون غذاؤه من الحشرات الكبيرة والزواحف والثدييات الصغيرة والطيور كالحجل والسلوى والحمام والزرزور والهدهد ومختلف أنواع العصافير والطيور المائية وصغار الدواجن. طائر محمي في المغرب. يقتصر التوزيع الجغرافي لهذا الطائر على المغرب والجزائر وتونس ومصر واليونان وجنوب إيطاليا وتركيا ومعظم الدول الإفريقية الوسطى والجنوبية.

م. رمضاني، الباز، *معلمة المغرب*، الجزء 3، ص. 989 ؛ م. رمضاني، بولحية، *معلمة المغرب*، الجزء 6، ص. 1845 ؛ م. رمضاني، الرخمة، *معلمة المغرب*، الجزء 13 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

N. Mayaud, *Additions et contribution à l'avifaune du Nord-Ouest de l'Afrique*, Alauda, 38 : 27 - 43, 1970 ; P. Bergier, *Les falconiformes marocains. Statut, Repartition et Ecologie*, Annales CEEP (ex. CROP), n° 3, 1987, 160 p. ; H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*, 1979, 320 p. ; C. Harrisson, *Les nids, les oufs et les poussins d'Europe en couleur*, Elsevier 1977, 430 p.

محمد رمضاني

الصقلي (أسرة) ← الصقليون

الصقلي، إدريس بن محمد ولد بفاس حوالي عام

1280 / 63 . 1864 وبها نشأ، غير أنه لم ينل من العلم إلا قليلا. لكنه عوض ذلك بعلم الحياة الذي ناله عن طريق الأسفار والرحلات التي كان يقوم بها دراكا خصوصا إلى الشرق العربي والتي أتاحت له أن يتعرف على شخصيات مرموقة في مختلف المجالات السياسية والاجتماعية والدينية والأدبية، من أمثال الشيخ الإمام محمد عبده والكاتب الكبير عبد العزيز البشري والمفكر الاجتماعي عبد الله نديم... بل ربط علاقة قوية بالسلطان العثماني عبد الحميد آخر السلاطين العثمانيين ! وقد مهّد له بعض هذا صديقه الحميم الشيخ أبوشعيب الدكالي الذي كانت طبقت شهرته الآفاق في مختلف البلاد الشرقية.

حجّ أربع عشرة مرة، بالرغم عن مشاقّ السفر آنذاك، وكان سفره لإحدى حجاته سببا في رزئه أسرته بكاملها، وكانت تتكون من زوجته وولده وبنته وخادمة. أكلتهم نيران الباخرة التي كانوا على ظهرها، ولم ينج من الحريق إلا أفراد قلائل، منهم المترجم، أنقذوا بعد قضائهم نحو يومين بالبحر، متشبثين ببعض أخشاب الباخرة المحترقة.

وتوفي عن نحو مائة سنة يوم عاشر ذي الحجة عام 1375 / 19 يوليوز 1956 ودفن بالقباب بروضة الشيخ يونس.

معرفة شخصية : ع. السلام ابن سودة، *سل النصال* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 9 : 3315.

الصقلي، عبد القادر بن محمد بن أحمد المدعو السيد ابن أحمد ولد بفاس عام 1303 / 85 . 1886 وتلقى تعليمه بالقرويين على فطاحل العلماء لذلك العهد من أمثال أحمد ابن الخياط الزكاري ومحمد القادري ومن لف لفهما.

انصرف اهتمامه بعد تخرجه إلى خطة التوثيق والعدالة، وأمكنه أن يكون على رأس العارفين بالقلم الفاسي المعروف بأنه قلم لا يجارى في ضبط الفرائض ضبطاً لا يفلت أدنى جزئيات الفريضة كيفما كانت. لم يتخذ له طبلة حياته المهنية مكانا بين العدول في السماط الذي كان مخصصا لهم جوار القرويين، وإنما جعل من بيته مكانا لاستقبال الواردين عليه للشهادة. وكان كما قال في *إتحاف المطالع* : "من آخر من أتقن الوثيقة بفاس".

عين بوزارة العدل بالرباط ضمن قضاتها المبرزين، لكنه اعتذر عن عدم الاستعداد لقبول هذا المنصب بحالة والدته الصحية التي كانت رفضت الانتقال إلى الرباط، ولم يكن لها من يُعنى بها سواه.

تخرّج على يده بعض من تألقوا في ميدان التوثيق والعدالة، والذين عين بعضهم في مناصب قضائية رفيعة بعد الاستقلال.

توفي بفاس ليلة السبت تاسع وعشرين صفر 1389 / 17 ماي 1969.

وثائق عائلية : ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 9 : 3416.

علي الصقني

الصقليّ، عبد الهادي بن إدريس بن محمد بن العربي سليل شعبة الشرفاء الصقليين الحسينيين، الوطني المخلص الغيور، والمناضل المتواضع الصبور، كان من السباقين إلى التوقيع على وثيقة الاستقلال. ولد في فاس، سنة 1915، وتابع دراسته الابتدائية في الكتاب، ثم في مدرسة بني عدس التي حصل فيها على الشهادة الابتدائية. وتابع دراسته بثانوية المولى إدريس، وتخرج منها حاملا لشهادة الدراسات الثانوية، فالتحق بمعهد الدراسات الإسلامية العليا. ولما أنهى مشواره الجامعي هنالك سنة 1939، انخرط في سلك الوظيفة العمومية في هيأة الترجمة لما كان له من الملكة بزمام اللغتين العربية والفرنسية، ولإلمامه بعلوم القانون. واشتغل أول الأمر بإدارة الداخلية في الرباط. ثمّ عيّن ترجمانا لدى محكمة الباشا في فاس ابتداء من 1942. ولما كان من الجيل الأول من الشباب الوطني المؤسس للحركة الوطنية في العقد الثلاثيني من القرن العشرين، بما حصل في إعدادهم التعليمي من التجديد وبما ترتب على ذلك لديهم من الوعي بأسباب النازلة الاستعمارية وبكيفية التخلص منها، فإنه كان من المناضلين الوطنيين المرموقين ومن المنظور إليهم بعين الرضى والإعزاز في المغرب المنتفض. ولا غرابة في إقدامه على توقيع عريضة المطالبة بالاستقلال ليوم 11 يناير 1944، وكان ذلك بحضور المرحومين الحاج عمر ابن عبد الجليل ومحمد (فتحا) ابن سودة. ولم يبال بما كان لا بد أن يثير على نفسه من نقمة السلطات الاستعمارية، إذ زج به في سجن "برج النور" مع باقي الموقعين من مناضلي فاس. ثم لما أطلق سراحه، صدر الأمر بطرده من الوظيف. ولم يعد إلى ممارسة عمله إلا بشرط أن يشتغل خارج فاس، وكان ذلك ضربا من النفي المقنع، فاشتغل في تاوريرت بضعة أشهر. ولكن تاوريرت كانت قريبة الاتصال بفاس، بحيث لم ينقطع الربط بين المترجم له وبين أسرته وإخوانه في النضال. فأمرت السلطة الاستعمارية بإبعاده إلى شيشاوة في صيف 1944. وكان بعد الشقة بين تلك القرية وبين فاس لا يسمح بالصلة المتواترة المنتظمة. فأقام فيها مغتربا تحت المراقبة

الدائمة إلى سنة 1953، عندما اقتضى نظر المسؤولين الفرنسيين نقله من جديد إلى إدارة الداخلية المركزية في الرباط. وهناك عاش أيام ثورة الملك والشعب، التي كللت بالتخلص من عهد الحجر والاستعمار في نونبر 1955. وما أن تشكلت الحكومة المغربية الأولى بعد الاستقلال، وأسندت فيها وزارة العدل للمرحوم عبد الكريم ابن جلون حتى نادى على صديقه في الكفاح عبد الهادي الصقلي ليلتحق بسلك القضاء المغربي المحتاج يومئذ إلى من يجدد صرحه. فعيّن المترجم وكيلا لجلالة الملك في الجديدة، ثم رئيسا للمحكمة الابتدائية بها سنة 1958. ولبث هناك إلى أن عيّن نائبا لرئيس المحكمة في الدار البيضاء سنة 1962. وآخر مهمة قام بها، مهمة مستشار بمحكمة الاستئناف في المدينة نفسها. ومنها أحيل على المعاش سنة 1975. فالتزم بيته متتبعا لأحوال الوطن ونشاط حزبه، حزب الاستقلال، ولمصير الأمة الإسلامية في مغارب الأرض ومشارقها، يفعل الخير، ولا ينوي إلا الخير، شأن المؤمن السليم الطوية النقي الجانب، مذكورا لدى الجميع بلسان التقدير والاحترام. انتقل إلى جوار ربه يوم الاثنين 3 شعبان 1421 الموافق ليوم 21 أكتوبر 2001. وقد رثاه الوزير الأول الأستاذ عبد الرحمان اليوسفي، فقال في رسالة التعزية في وفاته بأنه أحد أركان الحركة الوطنية، المجاهد الأستاذ الذي تحمل بصبر ويقين كل التضحيات التي بذلها من أجل وطنه.

معرفة شخصية : روايات شفوية.

الصقليّ، العربي بن أحمد من الوجوه اللامعة في الصحافة المغربية المكتوبة والمسموعة والمرئية في النصف الثاني من القرن العشرين. ولد بمدينة الدار البيضاء يوم 2 دجنبر 1938. وما أن قطع مراحل التعليم الابتدائي والثانوي حتى دخل ميدان الممارسة الصحفية. فاشتغل في صحيفة "لي بيتي ماروكان" Le Petit Marocain الصادرة في

المغرب. ثم ذهب إلى فرنسا، فاشتغل في الوكالة الفرنسية للصحافة، ثم في دار الإذاعة والتلفزة الفرنسية، ثم في جريدتي "لو موند" Le Monde و"الإكسبريس" L'Express. وعاد إلى المغرب سنة 1958 للعمل في دار الإذاعة والتلفزة المغربية بصفة مبعوث أول الأمر، ثم بصفة رئيس للتحرير. والصفة الأولى هي التي جعلته يغطي للرأي العام المغربي أحداث الحرب الأهلية في الكونغو سنة 1960. وكان العربي الصقلي من مؤسسي التلفزة المغربية. اشتغل بذلك فيما بين 1962 و1972. وظلت نشرة الأخبار باللغة الفرنسية في التلفزة مقترنة لعدة سنوات بما جبل عليه من ذلاقة اللسان وبملامحه الدالة على حسن طويته. وقد أصبح في تلك الأثناء مدير قسم الأخبار في دار الإذاعة والتلفزة.

ولما كان شغوفا بالعمل في الميدان، فإنه رافق البعثة العسكرية المغربية التي شاركت في معارك حرب 1973 بين العرب وإسرائيل في الجولان. فهو الذي غطى وقائعها للجمهور المغربي. ويوم استرجع المغرب صحراءه، في خريف سنة 1975، كان العربي الصقلي مندوب وزارة الأنباء في الأقاليم المسترجعة. وبقي هنالك إلى أن عاد إلى الإدارة المركزية للوزارة في الرباط ليشرف على قسم الأخبار. ثم إنه أقدم، ابتداء من 1982، على الاشتغال بالنشر، فأحدث شركة تحت اسم "نويفو ميديا" Nuevo Media، وأشرف على إصدار مجموعة من النشرات بالعربية وبالفرنسية، مثل "مواقع وحواضر" Sites et Cités، للتعريف بكبريات المدن المغربية وبمدى أصالتها، ومثل "ميموريال المغرب" Mémorial du Maroc، الذي هو عبارة عن جولات مثيرة في تاريخ المغرب. وآخر ما أشرف على نشره هو كتاب عن مدرسة الرسم المغربية، تحت عنوان "لمحات خالدة" Regards immortels، يحتوي على ترجمات كبار الرسامين وعلى نماذج مصورة من جيد إبداعاتهم، مما شهد على ما كان عليه العربي الصقلي من العناية بشؤون الفن ومن رقة الذوق ورغبة في خدمة الصالح العام. وكان رحمه الله من مؤسسي المعهد العالي للصحافة، كما كان هو الرئيس المؤسس للقسم المغربي من الاتحاد الدولي للصحفيين وللصحافة الناطقة بالفرنسية. وهو من حملة وسام العرش من درجة فارس. لبى داعي ربه على إثر نوبة قلبية يوم الثلاثاء 19 صفر عام 1416 الموافق ليوم 18 يوليوز 1995، مأسوفا عليه، مذكورا بلسان الخير لدى الجميع.

صحيفة Le Matin، عدد 8949، 21 صفر 1416 / 20 يوليوز 1995 ؛ *معرفة شخصية.*

إبراهيم بوطالب

الصقلي الفرضي، أحمد بن محمد بن أحمد الحسيني الفاسي فقيه متخصص في تقدير فرض النفقات، واشتغل به طوال حياته، وكان إليه المرجع في ذلك بفاس غير مزاحم، وله في الموضوع *أرجوزة* وصفها في *إتحاف المطالع*

بأنها "وحيدة في بابها". وله عليها شرح ضمنه اجتهادات الفقهاء في الموضوع.

توفي بفاس في شهر صفر عام 1214 / يوليوز ـ غشت 1799. ودفن بروضة الشيخ الحسن الصنهاجي برحبة الزيت.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 7 : 2467.

الصقلي القطب، أحمد بن محمد الحسيني الفاسي، ولد بفاس سنة 1112 / 1700 وحفظ القرآن وتعلّم من الفقه ما يقيم به شعائر دينه، ثم تجرد للعبادة والتفكر "فكان يصوم بعض الأيام ويقوم بعض الليل ويتلو ما تيسر من القرآن ويطلب طريق التصوف ويطالع كتب القوم سيما شرح *الشيخ ابن عباد على الحكم* فإنه كان لا يفارقه ليلاً ولانهاراً، وكان له دكان يبيع فيه العطر بالعطارين الكبرى من ناحية المدرسة لاتراه فيه إلاّ مكبّاً على الشرح المذكور" (*الإعلام*، 2 : 386).

أخذ طريق التصوف عن الشيخ مولاي الطيب بن محمد الوزاني، وصحب سنين عديدة الفقيه الصوفي محمد الزبادي فزارا مزاراً الشيخ مولاي عبد السلام ابن مشيش بجبل العلم، وحجّا سنة 1158 / 1745 وهي الحجة الثالثة بالنسبة للمترجم، فلقيا بمصر الشيخ محمد بن سالم الحفناوي شيخ الطريقة الخلوتية فأخذاها عنه وأذن لهما في تلقينها.

بدأ أحمد الصقلي يُحيي الليالي بالذكر مع مريديه في فاس ويلقنهم الطريقة الشاذلية الخلوتية، ولم تكن له زاوية وإنما كانوا يجتمعون في أماكن خاصة يذكرون فيها عشية يوم الجمعة، فكان يظل صامتاً مفكراً وهم يذكرون. ولقيه الشيخ أحمد التجاني أول ما قدم إلى فاس ولم يأخذ عنه لكنه كان كثير التعظيم له ويقول : "لم يدفن قطب بداخل سور مدينة فاس سوى مولانا أحمد الصقلي". وعلى يد المترجم انتشرت الطريقة الخلوتية بالمغرب، إذ أخذها عنه فيمن أخذ عدد وافر من الفقهاء والشيوخ المتصوفة مثل الشيخ التادوي ابن سودة الذي أفاض في التنويه به في *فهرسه* الشهير.

توفي بفاس بعد عصر يوم السبت سابع رمضان عام 1177 / 10 مارس 1764 ودفن ظهر الغد في دار بأقصى درب سبع لوبات حيث بنيت له زاوية بعد موته.

التادوي ابن سودة، *تقييد في ترجمة أحمد الصقلي القطب*، مخطوط ؛ *فهرس*، مخطوط ؛ م. القادري، *نشر المثاني / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 7 : 2220 ـ 2221 ؛ م. الزبادي، *سلوك الطريق الوارية بالشيخ والمريد والزاوية*، مخطوط ؛ ع. الواحد الفاسي، *غاية الأمنية وارتقاء الرتبة العلية في ذكر الأنساب الصقلية*، مخطوط ؛ م. الطالب ابن الحاج السلمي، *الإشراف على من بفاس من مشاهير الأشراف*، مخطوط ؛ س. الحوات، *الروضة المقصودة*، نشر ع. العزيز تلاني، الدار البيضاء، 1994 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، ط. حجر فاس، 1300، ج 1 : 133 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ط 2، الرباط، 1974، ج 2 : 386 ـ 392.

محمد حجي

الصقلي، محمد بن **أحمد** الحسيني، ولد ونشأ بفاس نشأة ورعة صوفية، هيأتها له أسرته التي كانت تعرف في الوسط الفاسي بذلك، كان يُدعى السيّد، وله حظوة خاصة عند السلطان محمد بن عبد الرحمن وحظوة لدى الحسن الأول لأنه الذي أشرف على تنشئته وتربيته، وأصبح من أقرب المقربين إليه لا يفارقه حضراً ولا سفراً. وجرت العادة في التحركات السلطانية أنه كلما ضربت الخيام الملكية بمكان، كانت خيمة المترجم بجوار خيمة جلالته ويُسمح له بالبقاء، على فرسه عند السلام على الحسن الأول قبيل انطلاق أيّ "حركة".

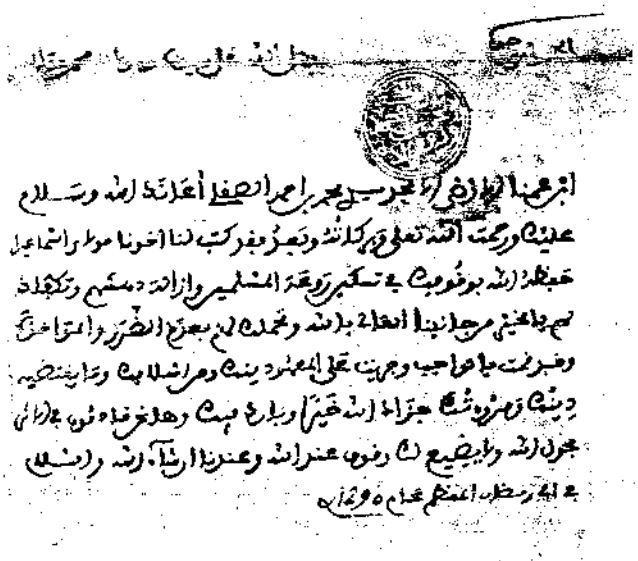

كان المترجم ينتسب لحي بعض الأزقة في حي سبع داخل فاس، كما تدل على ذلك العديد من الظهائر التي وجهها إليه كل من سيدي محمد بن عبد الرحمن والحسن الأول، يخاطبانه فيها بابن عمنا بدلاً من العبارة التقليدية "خديمنا".

توفي بفاس يوم الخميس حادي عشرة ذي الحجة عام 1322 / 16 فبراير 1904، ودفن بزاويتهم في حي السبع لويات.

وثائق عائلية، وظهائر ملكية ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع/ موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 8 : 2836.

الصقلي، محمد الجواد بن عبد السلام ولد بفاس في العقد الأول من القرن الثالث عشر (19 م) وتربى تربية صالحة، تتميز باعتناق الفضيلة، والنأي عن الرذيلة، وبعد تجاوزه مرحلة الكتّاب القرآني انخرط في سلك طلبة القرويين. وتخرج منها بتفوق وهو ما يزال طري العود، واشتغل بالتدريس فكانت دروسه تنم عن طول باعه، وسعة اطلاعه وأخذ عنه جيل كامل من الطلبة، حتى عدّ شيخ الجماعة بفاس. وشارك في الحقل الوطني، فكان على رأس الذين امتنعوا عن توقيع العريضة التي عرضت على العلماء في موضوع مبايعة "ابن عرفة" فطرد من القرويين، وتسبب له

ذلك في ضائقة مالية شديدة إلى أن فرج الله كربته ببزوغ فجر الاستقلال، فأمر محمد الخامس الذي كان وثيق الصلة به قبل نفسه، بتعويضه عما فات.

تولى عمادة كلية الشريعة بفاس، وهو المنصب الذي بقي فيه إلى أن أدركته الوفاة يوم خامس شوال عام 1392 / 12 نونبر 1972، ودفن بروضة الصقلبين داخل باب عجيسة. وأقيم له حفل تأبيني بعد مرور أربعين يوماً على وفاته.

وثائق عائلية، ومعرفة شخصية : ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 9 : 3442.

الصقلي، محمد بن **عبد القادر** الضرير ولد بفاس عام 1324 / 6 . 1907 ولم يمر على ميلاده أكثر من شهر حتى أصيب بالجدري الذي أفقده بصره. دخل إلى القرويين وهو في أشد ما يكون شوقا إليها، وما إن استهل دراسته بها حتى بدأت مخايل ذكائه الحاد الذي عوضه الله به عن بصره تظهر لأساتذته وبذلك تسابق الطلبة لمرافقته.

كان محل تنويه من جميع الذين شاركوا في امتحان تخرجه كعالم من القرويين، وشارك بنجاح وتفوق في مباراة للتوظيف بنفس الكلية التي تخرج منها حديثا، ومنذ ذلك الوقت وهو يمارس التعليم بالقرويين حتى أصبح أحد المدرسين بالقسم النهائي الديني، وعرف عنه أنه كان فارسَ علم المنطق والتوحيد.

توفي بفاس يوم الاثنين سابع عشر جمادى الأولى عام 1396 / 17 ماي 1976، ودفن بالقباب خارج باب الفتوح.

وثائق عائلية، ومعرفة شخصية : ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 9 : 3464.

الصقلي، مَحمد بن **عبد الكريم** ولد بفاس وتابع دراسته بالمدارس العصرية، وكان على جانب كبير من الذكاء وقوة الشخصية، فاجتاز سنوات الدراسة جميعها ابتدائيا وثانويا وعاليا بنجاح جعله في أغلب الأحايين ينال الدرجة الأولى في كل امتحان.

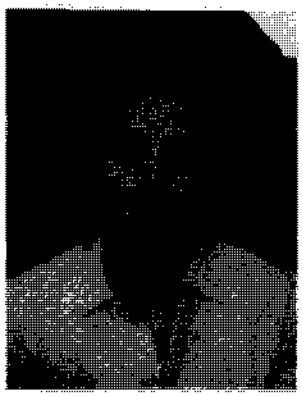

أولع بالأدب العربي قدر ولعه بالأدب الفرنسي، وكان من نتائج ذلك أنّ كان له قلم سيال فيهما معا، بل إنه كان يقرض الشعر بهما معا ! اشتغل أولاً بالتدريس، فكان أستاذاً لا معلماً للغة العربية بثانوية أزرو، ثم نشط في المجال الصحفي فبدأ يكتب في بعض الصحف العربية المغربية وبعض الصحف الفرنسية. ونظراً لبزوغ نجمه في عالم الصحافة، عين رئيس قلم التحرير في جريدة *الرأي العام* التي كان يصدرها حزب الشورى والاستقلال على عهد الحماية، وكان لمقالاته فيها صدى واسع الانتشار، لما كانت تحويه من أفكار ونظريات غاية في الجرأة، كما كانت تحليلاته السياسية أحيانا، مثار إعجاب من طرف الساسة المغاربة.

توفي مأسوفاً على شبابه في حادثة سير وهو في طريقه من فاس إلى ايموزار خلال عطلة الصيف، أوائل صفر عام 1378 / 1958 أواسط أكتوبر ودفن بالزاوية الصقلية بفاس.

معرفة شخصية : ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 9 : 3344.

علي الصقلي

الصقلي، محمد بن **عبد الله** بن طاهر الحسيني الفاسي. قاضي الجماعة بمراكش ابن قاضي الجماعة بها، كانت لهما وجاهة ومكانة عند الموحدين.

ترجم له ابن عبد الملك في *الذيل والتكملة* وقال إنه روى عن إبراهيم ابن قرقول، وروى عنه علي بن القطن ومحمد بن حماد العجلاني وكان راوياً للحديث حافظاً لمتونه بصيراً بعلله، عارفاً برجاله، مشرفاً على طبقاتهم وتواريخهم، عني

بهذا الشأن أتم عناية، ودرس ببلده، واستدرك على *الأحكام الكبرى* لعبد الحق أحاديث كثيرة في أكثر الكتب (الأبواب) رأى أن أبا محمد أغفلها وأنها أولى بالذكر.

... ومال وقتاً في فاس إلى التحليق بالوعظ والتذكرة، فانجذبت نفوس الناس على طبقاتهم إليه. وكان وقور المجلس، نظيف المجلس جميل الإشارة.

توفي بإشبيلية حين قدم الأندلس غازياً في وقعة العقاب سنة 608 / 11 ـ 1212.

م. ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*، القسم الأول من السفر الثامن، تح. م. بنشريفة، الرباط، 1984 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ط. 2، الرباط، 1976، ج 4 : 160 ـ 166.

محمد حجي

الصقلي، محمد الفاطمي بن الحسين الفاسي. ولد عام 1275 / 1859 بفاس، وما إن أتم مهمته بالكتّاب القرآني، واستظهاره للذكر الحكيم حتى أُخذ إلى متجر لأحد أعمامه بسوق التلبس المتفرع عن العطارين، وشاءت الصدفة أن يأخذ مكانه، ذات يوم بعد صلاة العصر، بين طلبة إحدى حلقات الدروس بالقرويين، حيث ألقى سمعه إلى أستاذ كان يدرس في الغالب مادة أدبية سهل على المترجم فهم ما تضمنته، فأعجب بالأستاذ أيما إعجاب.

كان هذا سبب إقباله على الدارسة بالقرويين دراسة جعلته يتبحر فيما يخص جانب الفقه بما فيه الفرائض، قدر تبحره في علوم الآداب بمختلف ألوانها وأشكالها، الأمر الذي جعله يمتهن العدالة والإفتاء عن جدارة، كما جعل منه شاعراً كبيراً، لا سيما في فن التوشيح الذي تناهى إليه، والذي برهن من خلاله على أنه جدير بأن يعد من أكبر الوشاحين حتى على صعيد أعلامه الأندلسيين.

قرأ عليه عدد من الأدباء الفاسيين وغيرهم علم العروض والقوافي وتدربوا بين يديه على قرض الشعر، في مصرية معلقة على الساباط الذي بين مكتب سيدي النالي ودار بوعلي المعروفة بمصرية دار عديل بفاس. لأن المقامات والشعر لم تكن تدرس بالقرويين منذ القدم. ومن بين الآخذين عنه إدريس التناني ومحمد بن جعفر الكتاني وإدريس بن طلحة.

للمترجم ديوان شعر كبير تركه وديعة عند أحد أبناء عمه عندما خرج إلى الحج، فضن بإطلاع أي أحد عليه حتى عُدّ الديوان مفقوداً. وأخيراً تم العثور عليه، فجمعه كاتب هذه السطور وحقق القسم الأول المتضمن للموشحات وطبعه بعنوان : *الفاطميات : موشحات*. وسينشر القسم الثاني المتعلق بالشعر.

كان الفاطمي الصقلي إلى جانب شاعريته ناثراً بليغاً، له *مقامات* ضاع أكثرها ورحلة بعنوان : *النفحة الشمالية الغالية الأنفاس في الرحلة الخمّالية لزيارة قطب فاس*. وكتاب *في الوفيات*، أدمجه ابن سودة في *إتحاف المطالع* ؛ كما كان فقيهاً موثقاً له *فتاوى* وردود فقهية على بعض معاصريه من القضاة والمفتين.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ط 2، الرباط، ج 7 : 106 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 8 : 2795 ؛ ع. الصقلي، *لمحة عن الشاعر محمد الفاطمي الصقلي / تقدم الفاطميات موشحات*، الدار البيضاء، 2001.

علي الصقلي

الصقلي، محمد بن **الوعدودي** مقاوم من مواليد سنة 1927 بمدينة العرائش، تعرف عند انتقاله إلى مدينة الرباط عاصمة المملكة على المقاومة وبعض رجالاتها المرموقين فدفعه حماس الشباب وغيرته الوطنية إلى الانضمام إلى الخلايا السرية التابعة للمقاومة المغربية بحكم الحضور

المستفز للمستعمر الاستعماري داخل العاصمة فن المقاومة عمدت إلى التحرك السري، فكانت كل العناصر تتحرك بسرية كبيرة لدرجة أن المستعمر كان يجد صعوبة حقيقية وهو يحاول رصد هذا التحرك وكان الصقلي منضويا ضمن منظمة أنصار محمد الخامس بالرباط والتي كانت تحت مسؤولية مصطفى العبدي.

قام بعدة أعمال فدائية شجاعة وجليلة إلى جانب إخوانه المقاومين فكان تارة يجلب السلاح من الشمال أي المنطقة الخليفية وتارة يكلف بعملية فدائية في العاصمة إلى أن استشهد يوم 28 فبراير من سنة 1956 بحي العكاري بالرباط برصاص قوات الاحتلال.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 524794.

الصقلي، مَحمد بن **يحيى** ولد بفاس وبها نشأ وتربى وأخذ قسطا لا بأس به من العلم مكّنه من أن يستزيد منه اعتماداً على نفسه، فأقبل على قراءة الكتب في مختلف الميادين، خاصة منها الكتب الأدبية العصرية سواء منها الشعرية أو النثرية، وبلغ به ولعه بالكتب أنه أخذ يتاجر فيها حيث انتقل إلى الدار البيضاء، وفتح مكتبة عرفت باسمه، حلاه الإدريسي في *معجم المطبوعات* "بالفقيه الأديب الأريب الكاتب الشاعر الناقد. كان جوالاً يميل إلى الأدب ويكاتب الأدباء مع أريحية".

وفي هذا الجو الذي تتفتق فيه القرائح، وتستيقظ الملكات، أخذ المترجم يكتب المقالات في بعض صحف ذلك

العصر، بل أخذ ينظم الشعر في مختلف الأغراض، غير أنه شعر لا يكاد يمتاز بشيء عما كان يطبع الشعر في ذلك العهد من ضعف في المعنى والمبنى، واعتماد المدح كأهم غرض. من آثار قلمه : *رحلة إلى تركيا* نشرت تباعاً في جريدة *السعادة* ؛ *كتاب الخريدة الغيداء في وصف الدار البيضاء*، طبعت بتونس سنة 1924 ؛ *تنبيه المستبد حيث على جهله يعتمد*، فرغ من تأليفه في 19 محرم عام 1326، طبع بفاس ؛ *نيل الأماني بتشطير قصيدة أم هاني*، طبع بمراكش، سنة 1343 ؛ *نبذة الزهريات*، تشتمل على مساجلات مع شعراء من معاصريه، طبعت بتونس سنة 1924 ؛ *ديوان شعر يقال إنه طبع على الحجر بفاس*.

توفي بالدار البيضاء عن نحو أربعين سنة، عام 1354 / 1936، 35.

أ. النميسي، *تاريخ الشعر والشعراء بفاس*، فاس، 1924 ؛ ع. ابن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، الدار البيضاء، ط 2، 1960، ج 2 : 357 و383 و413 ؛ *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 8 : 3043 ؛ ع. كحالة، *معجم المؤلفين*، دمشق، 1957 ؛ إ. الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، سلا، 1988، ص. 207.

علي الصقلي

الصقليون، من بيوتات فاس الكبرى، يتصل نسبهم بالحسين بن علي بن أبي طالب. وقد غلبت عليهم النسبة إلى صقلية الجزيرة الشهيرة في البحر المتوسط التي فتحها العرب في مطلع القرن الثالث (9 م) ومكثوا فيها قرنين ونصف قرن ناشرين لغتهم وحضارتهم. ودخل صقلية في تلك الحقبة أسر عربية نبيلة، منها آل الحسين سبط الرسول عليه السلام الذين عُرفوا بالصقليين بعد خروجهم من الجزيرة في جملة من خرج منها من المسلمين أواخر القرن الخامس (11 م) واستوطنوا مدن فاس وسبتة وطنجة.

يمثل الحُسينيون الفرع الثاني لآل البيت بالمغرب، بعد الأدارسة الحسنيين السابقين إلى الدخول إلى المغرب أواخر القرن الثاني (8 م) مع إدريس الأول. وقد عُني النسابون المغاربة والأندلسيون بالبحث في شرف الصقليين وسلسلة نسبهم المتصلة بالحسين السبط عن طريق موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين. ومن هؤلاء النسابين إسماعيل بن الأحمر في *حديقة النسرين*، والإمام محمد القصار في *الروض الزاهر*، وشيخ الجماعة بفاس محمد المسناوي الدلائي في *نتيجة التحقيق* الذي قال فيه "... فكان من منة الله عليّ أن وقع بين يدي جزء من *حديقة النسرين* لابن الأحمر بخط يده رفع فيه نسبهم (الصقليين) في غير موضع إلى الحسين رضي الله عنه". وكان الصقليون يُدعون أيضاً طاهريين، نسبة إلى جدهم طاهر بن الحسن الصقلي، ثم أصبح الصقليون والطاهريون فرعين متميزين من شرفاء المغرب الحُسينيين (انظر الطاهريين في *المعلمة*).

تمتع الصقليون الطاهريون بحظوة كبيرة لدى ملوك الموحدين، فولّوهم قضاء الجماعة بمراكش، واستصحبوهم في جوازاتهم الجهادية إلى الأندلس، واستمر تعظيمهم وتكريمهم في الدول التي توالت بالمغرب إلى اليوم.

وذكر صاحب *إزالة الالتباس* أن الصقليين الفاسيين على ثلاث فرق : الأولى أهل مصمودة ودرب الدرج وكانوا يُعرفون بالسبتيين لأنهم أقاموا مدة بسبتة قبل أن ينتقلوا إلى فاس، انقرضوا بموت محمد بن العربي الصقلي السبتي سنة 1059 / 1649 ؛ الثانية يعرفون بالصقليين الطاهريين، استقروا مدة بالأندلس قبل أن ينتقلوا إلى المغرب ويستوطنوا مدينة فاس. ومازالت بها بقيةٌ منهم إلاّ أنهم غلبت عليهم نسبة الطاهريين ؛ والفرقة الثالثة سكناهم بزنقة حجامة، ومنهم القطب أحمد بن محمد، والقاضي عبد الهادي، والشاعر محمد الفاطمي، وسائر الصقليين المعاصرين.

م. ابن الأبار، *التكملة*، طبعة إسبانيا ؛ م. ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*، القسم الأول من السفر الثاني، تح. م. ابن شريفة، الرباط، 1984 ؛ إ. ابن الأحمر، *حديقة النسرين في أخبار بني مرين*، مخطوط ؛ بيوتات فاس الكبرى، الرباط، 1972 ؛ مجهول، *الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية* العبد الحقية، الجزائر، 1339/ 1920 ؛ م. بن سعيد الهنا قاضي دكالة وأزمور، *كنز الأسرار ولواقح الأفكار*، مخطوط ؛ م. القصار، *الروض الزاهر في نسب سيدي محمد طاهر*، مخطوط ؛ ع. الواحد الفاسي، *غاية الأمنية وارتقاء الرتبة العلية في ذكر الأنساب الصقلية ذات الأنوار البهية*، مخطوط ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، ط 2، المحمدية، 1999، ج 2 : 220، 221 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ط 2، الرباط، 1976، ج 4 : 160 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، ج 2 : 96، 99.

محمد حجي

الصقيع يقصد بالصقيع حالة انخفاض حرارة الهواء إلى درجة متساوية أو أقل من الصفر وهي الحالة التي يترتب عنها طبعا تجمد الماء الموجود على السطح. ويميز عادة بين نوعين من الصقيع تبعا للأسباب المحدثة له والمتمثلة في حالتين جويتين تنخفض معهما درجة الحرارة إلى مستويات دنيا ينجم عنها في الغالب حدوث صقيع.

الحالة الأولى وتحدث أساسا خلال فصل الشتاء هي تقدم مهم للكتل الهوائية القطبية أو الأركتية الباردة باتجاه العروض المغربية في أعقاب توقف لحظي لنشاط الاضطرابات مما يسمح بتدفق هائل للهواء البارد نحو الجنوب الشيء الذي يسفر عن نزول محسوس جداً لدرجات الحرارة في كل المناطق المغربية وخاصة منها المناطق القارية فينتج عنها هنا وهناك حالات كثيرة من الصقيع.

الحالة الثانية والتي تسمى بصقيع الإشعاع تصاحب عادة حالات الاستقرار الكبير للهواء والناجمة عن تمركز الضغوط الجوية المرتفعة فوق شمال إفريقيا أو امتدادها للالتصاق بتلك التي تهم أوروبا الشرقية وهي حالات تتردد كثيرا خلال فصول الخريف والشتاء والربيع وتكون أكثر حدة خلال فصل

الشتاء. فهدوء الرياح وصفاء السماء خاصة خلال الليل يجعل الفقدان الحراري يكون على أشده مادامت الطاقة المنبعثة بواسطة الإشعاع الأرضي الموكول لها تسخين الهواء تستنفد لعدم وجود سحب تحبسها وتعيدها إلى طبقات الجو السفلى فهي بهذا المعنى طاقة مفقودة. والذي يزيد من حدة هذا الفقدان هو ثانية طول مدة الليل خلال فصل الشتاء، ففي فترة متأخرة من الليل يتوقف مفعول التسخين بواسطة الإشعاع الأرضي فتنخفض بشكل محسوس درجة حرارة السطح ومعها طبقات الهواء الملامسة له والتي تنزل إثر ذلك إلى ما دون الصفر. انخفاض الحرارة هذا يؤدي طبعا إلى تجمد الماء لكن أيضا إلى حدوث تكثف للهواء يؤدّي إلى تحول الماء داخل الهواء من حالة غاز (بخار الماء) إلى حالة ماء سائل وهي القطرات الدقيقة من الماء المكونة للسحب أو تلك التي تُكوّن قطرات الندى وتظهر على شكل بلورات جليدية على النباتات خلال حدوث صقيع والتي تكون بالتالي أبرز مظاهره. يبدو إذن أن حدوث الصقيع يرتبط بظروف جوية خاصة هي المسؤولة عموماً عن الانخفاض المهم للحرارة لكن إذا كانت هذه الظروف في الحالة الأولى تعني سيادة كتل هوائية أصلا باردة تخضع مناطقنا لفعل أثيرها المميز حيث تبقى هذه الحرارة جد منخفضة جداً لأيام متتالية وخاصة في المناطق الداخلية والجبلية بوجه خاص مع مدى يومي نسبيا ضعيف. لكن ظروف الحالة الثانية تعمل في المقابل على جعل هذه التفاوتات الحرارية بينيومية ويومية (النهار ـ الليل) تكون مهمة مع استمرارية كبيرة يمكنها أن تتعدى الشهر وخاصة خلال منتصف فصل الشتاء.

يمكن للصقيع أن ينتشر على مناطق واسعة داخل التراب المغربي حيث إن التردد الأقصى لعدد أيام الصقيع تكون عادة أكبر على وجه الخصوص داخل المناطق الجبلية حيث تنزل الحرارة إلى درجات جد منخفضة جداً خلال الليل في حين تسجل تواترا إلى حد ما أقل في باقي المناطق بما في ذلك الساحل الأطلسي Bidault, Debrach (1934) ; Lecoz (1964) ; Debrach et al (1958).

ويمكن الإشارة هنا إلى أن التغيرات المناخية التي عرفها المغرب خلال العقدين الأخيرين والتي أدت إلى تنامي ظاهرة الجفاف وما يترتب عن ذلك وفي المقابل إلى الزيادة في تردد أكبر لأنماط الطقس الصحو على السواء خلال فترات الخريف أو الشتاء أو الربيع إلى الزيادة أيضا في عدد أيام الصقيع يؤدي بدوره إلى إحداث تغير نسبي في المناخ الحراري المغربي يمكن الحديث عن بعض مؤشراته في تسجيل درجة واحدة تحت الصفر خلال ليلة 1 إلى 2 فبراير 1999 في محطة الرباط وهي درجة قياسية جديدة منذ 1976.

J. Debrach, G. Bidault, *Les gelées nocturnes sur le littoral marocain*, C.R. Session Ass. Fr. Av. Sci. Rabat, p. 88 - 97, 1934 ; J. Debrach, J. Ousset, M. Michel, *Données nouvelles sur la température de l'air au Maroc*, A. Serv. Phy. globe et météorl. Inst. Sci. chérif. Rabat, t. 18, p. 67 - 116, 1958 ; L. Lecoz, *Le Gharb - Fellah et clous*, Thèse, p. 131 - 177, 1964.

علي البلشي

صلادي، عباس (رسام) ولد سنة 1950 بمراكش. وبعد حصوله على الباكلوريا بمراكش تابع دراسات فلسفية لمدة قصيرة ليتخلى عنها ويتفرغ للتشكيل. ولأن الممارسة الفنية تمثل لديه أسلوب حياة وممارسة وجودية، فقد استقر بأحد الحوانيت بالمدينة القديمة، وجعل منه معمله ورواقه في الآن نفسه، يشتغل به مثله مثل كل صانع تقليدي ويبيع منتجاته بأبخس الأثمان، همه في ذلك ليس إبراز تحسرية الفن والفنا

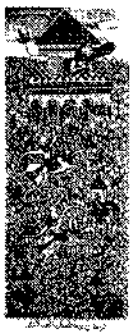

جعله إنتاجا من ضمن الخبرات الذهنية والرمزية للإنسان المغربي.

كان أول معرض قدمهُ صلادي في ساحة جامع الفنا سنة 1977. وكأنه بذلك استعرض أعماله في فضاء المتخيل المغربي بامتياز، لتتمازج وتتجاوب مع حكايات سيف بن ذي يزن والهلالية والعنترية، ومع لعب حواة الثعابين وروائح العطور والبخور ونكه الأطعمة العابقة في الفضاء. وإذا كانت معارضه الأولى قد تمت في مراكش، خاصة بالمعهد الفرنسي، فإن الجمهور المغربي قد تعرف عليه في الثمانينيات بقاعة المعمل بالرباط، ثم بقاعة نظر وبصمات بالدار البيضاء، ليتعرف الجمهور الغربي على أعماله في معارض جماعية بمدريد وباريس في أواخر الثمانينيات، قبل أن يوافيه الأجل عام 1992.

إن عالم صلادي عالم حكائي، فهو يروم صوغ لحظات وفضاءات تتميز بمشاهد ترغب دائما في قول شيء ما. فثمة شخصيات وأفعال وحركات وعلاقات وعلامات، أي كل العناصر المشكلة للحكاية. بيد أن تلك الحكائية والمشهدية تتميز بالتعقيد والتركيب، وتنحو منحى فنطاسيا، بحيث يجد المشاهد نفسه أمام تحويلات متعددة لفضاءاته المرجعية. فكل العناصر الواقعة من إنسان وحيوانات وفضاءات (حديقة، حمام، شارع، دكان... الخ) تتخذ صبغة عجيبة تذكرنا بالفضاءات المتخيلة التي نحياها في الخرافات والأساطير والنصوص القديمة.

ينزع صلادي دائما إلى عملية التهجين (التركيب بين مكونات متنافرة)، وهي عملية مجازية تمكنه من الصوغ الجديد للشخصيات والفضاءات، بالشكل نفسه الذي تعمد إليه الحكاية العجيبة الشعبية. هكذا يحمل الكائن الإنساني

رأسا حيوانيا أو أشبه بالحيواني، وتأخذ الحيوانات رؤوسا إنسانية. غير أن هذه اللعبة البلاغية ليست دائما بهذه البساطة. فالرأس الحيواني للإنسان لا ينزع عنه إنسانيته. إن شكله يحيل إلى الحيوان فيما يحتفظ ببعض عناصره الأصلية (الشعر مثلا). من ثمة فإن التحويل الذي يمارسه صلادي على شخصياته يمر من خلال التقريب والتغريب بين المتنافرات من غير تركيب كلي. كما أن التركيب قد يكون بسيطا أو مركبا. فهو بسيط لأنه يركب بين عنصرين، وهو مركب حين يتجاوز ذلك إلى ثلاثة عناصر فأكثر. فالأسد الرابض مثلا (1988) يتم تغريبه أولا وقبل كل شيء من خلال الفضاء الفيضاني الذي يربض عليه، مانحا إياه منذ البدء بعدا إنسانيا، ثم من خلال تحويل الرأس إلى شكل ورقة، ثم بمنح الورقة مضمون الوجه الإنساني وتحويل القوائم الأمامية إلى يدين أنثويتين.

ثمة تنويعات كثيرة على تلك اللعبة البلاغية التهجينية، ومن خلالها يمنحنا صلادي عالمه العجيب، الذي يشي برؤية فكرية للعالم تتعالى على عفوية وبساطة الفن الخام أو البدائي الساذج. وكأنه بذلك يمارس إعادة خلق للعالم تنتفي فيها الحدود بين مكوناته النوعية الكبرى من حيوان ونبات وجماد، عالم متمازج ومتعاضد يتم فيه تبادل الأدوار وتغيب فيه التراتبية المبنية على العقل. هذا التصور يسعى إلى استعادة صورة العالم الأولى حيث الفضاء الطبيعي والبشري عبارة عن جنة تتكلم فيها الحيوانات وينطق فيها الطير ويطير فيها الإنسان. من ثم فإن لوحات هذا الفنان عبارة عن استعادة خصوصية للفردوس المفقود بجماله وخلائطه النوعية. بيد أنها استعادة شخصية تنبئ عن تصور خاص للوجود ولميتافيزيقاه الصميمة. ويتبدى ذلك بوضوح في نمط من اللوحات التعبيرية التي يزاوج فيها صلادي بين الرمزية والتهجين ويسعى فيها إلى الكشف عن منظوره للحياة. ففي لوحة من أواخر الثمانينيات، يبدو الكائن في شكل رجُلين تنفتح ساقاهما على العالم ويتحول فيها باقي الجسم إلى بحر تبدو فيه الحيوانات المنوية عبارة عن أزهار سوسنة فيما يأخذ أسفل الرجُلين شكل العضو الأنثوي الذي يسيل باتجاه حوض. ووراء الرجُلين (الكائن) ثمة طائر مسجى له وجه أنثوي. وبهذا يحملنا الفنان إلى صلب التجربة الحياتية ومتخيلها الخصيب، متمثلا إياها في شكل طبيعي يتجاوز بكثير تصورنا العلمي لها، ليزج بها في عمق التعبير الطفولي والخيالي للوجود.

يمتح صلادي تقنياته التصويرية من الإرث البصري للفنون الإسلامية من توريق ومنمنمات. ولذلك، فإنه يستعمل تقنية الرسم التي تعتمد الدقة في التخطيط والمهارة والإتقان في تكوين التداوير. وهو لا يسعى بذلك إلى المحاكاة التشخيصية للواقعي، وإنما في صوغ شخصياته وفضاءاته وكاناته بما يتناسب مع منظوره الحلمي الخرافي. وغالبا ما تحمل شخصياته على الرسوم الفرعونية، ووضعياتها على تقنية المنمنمة. لذا ليس من الغريب أن يستعمل الفنان في الغالب الأغلب الحبر الصيني كمادة والورق كسند. وتتشكل تلويناته من الألوان الواضحة من غير مزج أو تعديل. فما يبتغيه هو التصوير لا الاشتغال على المواد، لا التجديد في التقنية وإنما في الموضوع والمنظور. وهو بذلك يعيد الحياة لتقليد بصري تليد، وجد نهضته الأولى في القرن الماضي على يد الجزائري محمد راسم، وبالمغرب على يد عبد الكريم الوزاني في النصف الأول من هذا القرن، بالرغم من الاختلاف الأكيد في الرؤى والمبتغيات.

ع. صلادي، *كاتلوغ تابين*، مراكش، 1993.

M. Sijelmassi, A. Khatibi, *L'art contemporain au Maroc*, ACR, Paris, 1989 ; M. Sijelmassi, *La peinture marocaine*, Arthaud, Paris, 1972 ; Toni Maraini, *Ecrits sur l'art*, Al Kalam, Rabat, 1986.

فريد الزاهي

الصلب (أو الفولاذ)، أصل الكلمة لاتيني : أسياريوم (Aciarium) مشتقة من أساس (Acies) وتعني سنان أو باتر؛ وهو خليط مكون أساسا من الحديد والكاربون (1.8٪ على الأكثر) ؛ وأحيانا من الحديد والمنغنيز أو السيليسيوم، أو الفوسفور، أو النيكل، أو الكروم، أو الموليبدين، أو الفاندبوم. ومن ميزات الصلب قابليته للحصول على خصوصيات مختلفة ومتنوعة بالمعالجة الميكانيكية والحرارية. كما ترتبط الخاصيات الفيزيائية لمختلف أنواع الصلب، قبل كل شيء، بنسبة الكاربون، وكذلك بالطريقة الموزع بها هذا الأخير في الحديد.

تعتبر عملية صلادة الفولاذ الطريقة الأساسية لتصلبه بالمعالجة الحرارية ؛ وتكْمُن هذه العملية في تسخين المعدن إلى حدود درجة 800، حيث يُكون سائلا صلبا من الكاربون في مادة الحديد، ثم يبرد هذا الأخير فجأة داخل الماء أو الزيت. يسوق الصلب تحت أشكال مختلفة، نذكر منها القضبان، الأنابيب، السكك الحديدية، الروافد، الخ... ؛ وتصنع هذه الأخيرة داخل معامل الفولاذ بعملية التصفيح وبتغيير شكل السبائك المسخنة.

يصنف الصلب حسب تكوينه إلى عادي وممتاز. يمثل "الصلب العادي" أكثر من 90٪، حيث يحتوي على كمية متغيرة من الكاربون (1.8٪ على الأكثر، والمنغنيز (ما بين 0.3٪ و0.5٪) والسيليسيوم (ما بين 0.1٪ و0.6٪) والكبريت 0.05 على الأكثر) والفوسفور (أقل من 0.05٪). ويدخل هذا النوع من الصلب في صناعة الآلات، والسيارات، والمنشآت العمرانية (أبنية، قناطر، وغيرها)، وأجفان السُّفن.

إلا أنه، ولاستعمالات خاصة، لا بُد من "الصلب الممتاز"، ذي التركيبة الخاصة ؛ فهو يشتمل على الفاندبوم والموليبدين وغيرهما، زيادة على احتوائه على كمية أكبر من المنغنيز، والسيليسيوم، والنحاس مقارنة مع "الصلب العادي". ونذكر من بين أصناف الصلب الممتاز :

1 ـ صلب النيكل : ويحتوي على ما بين 2٪ و40٪ من النيكل، مما يجعله يكتسب قوة صلادية جيدة، وخاصيات ميكانيكية متميزة، ومقاومة عالية ضد عملية التآكل. ولهذا كله، يستعمل صلب النيكل لصناعة قطع غيار محركات السيارات.

2 ـ صلب الكروم : ويشتمل على 1٪ إلى 18٪ من الكروم، الذي يعطيه مقاومة أقوى ضد التكسر، ويستعمل كصلب لمدرّجات الكرويات والمعدات.

3 ـ صلب النيكل والكروم : نذكر من بين أنواع صلب النيكل والكروم، الصلب اللؤلؤي (6٪ من النيكل و2٪ من الكروم على الأكثر)، والصلب المعدني المحتوي على نسبة أكبر من الكروم والنيكل : المتميز بعدم تأكسده، وكثرة لمعانه، وقدرته على مقاومة التآكل. ويستعمل في صناعة الأنابيب، ومستودعات تكرير البترول، والطائرات، والكبسولات الفضائية ولوازم المطبخ.

D. Reig. *Dictionnaires Arabe-Français, Français-Arabe, As-Sabil*, Collection Saturne. Librairie Larousse, 1986 ; E. Saïdi, *Lexique de géologie et de géomorphologie (français-arabe)*, Rabat, 1990 ; *Dictionnaire Encyclopédique*. Edition Larousse/VUEF, 2001 ; *Encyclopédie*, Microsoft, Encarta 2002.

عبد الله بوصحابة

الصلة المخزنية، نوع من العطاء أو الراتب الذي كان السلطان يمنحه من بيت المال على يد الأمناء للشرفاء والمرابطين والعلماء والقضاة والأئمة والطلبة والجند. وهو تقليد مغربي مخزني عرف منذ تأسيس الدولة العلوية. والصلة حسب المراسلات المخزنية خلال القرن الثالث عشر (19 م) صنفان : عامة وخاصة، نقدية وعينية، منتظمة شهرية وسنوية وغير منتظمة. فالصلة العامة شملت كافة العناصر المعنية والغرض منها حسب ملفوظ الرسائل المخزنية إعانة المحتاجين والإحسان إليهم، أما الصلة الخاصة فإنها اقتصرت على الأعيان والمراد بها الرعاية السلطانية وتوطيد العلاقات الودية بين السلطان وهؤلاء. وقد تفاوت محتوى الصلة المخزنية حسب المكانة الاجتماعية والسياسية لأعيان الشرفاء والمرابطين وفعاليتهم في الخدمة المخزنية. وبخصوص العلماء تم توزيع الصلة المخزنية تبعا لمرتبتهم العلمية. والملاحظ من نصوص الوثائق أن الصلة النقدية كانت أقل من الصلة العينية التي تألفت من المواد الغذائية الأساسية كالقمح والإدام والخليع والماشية والسكر والأتاي الطاغين في الرسائل لانتشار استهلاكهما في الأعياد والحفلات العائلية والضيافة، كما شملت الأثواب المستعملة في لباس الرجال والنساء والأطفال والخدم. والملاحظ كذلك أن المحتوى المادي للصلات المخزنية تأثر بالظروف الاقتصادية كما وقع في مطلع القرن العشرين، حيث شهد عهد السلطان مولاي عبد العزيز نقصا كبيرا في صلة العلماء والشرفاء نتيجة للأزمة المالية والاقتصادية، وبالتحول الذي طرأ على علاقة الفئات المعنية بالمخزن.

خ. الرحمان بن زيدان، *العز والصولة*، الرباط، 1962، الجزء الثاني، ص. 163 وما بعدها ؛ م. عمراني، *جامع القرويين والحماية*، رسالة جامعية، كلية الآداب، الرباط، 1989، مرقونة، ص. 62 ـ 68 ؛ *الشرف والمجمع والسلطة السياسية*، أطروحة الدولة، كلية الآداب، الرباط، 2001، مرقونة، ص. 468 ـ 477.

محمد عمراني

صَلْدُور، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس وقد انقرضت بتطوان سنة 1088 (1677).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون، 1999، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 1116.

محمد ابن عزوز حكيم

الصمطة أو السمطة، مجموعة من الأسماك البحرية جسمها طويل مضغوط شريطي الشكل، رمادي إلى أزرق فولاذي فضي اللمعان. ويسمى أيضا السبتة والسيوف في بعض الأسواق السمكية المغربية كالعرائش وطنجة والحسيمة. تصنف علميا إلى فصيلة تريكيوريدي Trichiuridae ومنها ثلاثة أنواع شائعة في البحار المحيطة بالمغرب. تتميز بفم كبير غير قابل للتمديد وبفك سفلي بارز جدا. الأنياب ضارية على الفكين معوجة على الجهة الأمامية للفك العلوي. الزعنفة الظهرية طويلة تمتد من خلف العين إلى الذيلية وتتكون من جهة شوكية أمامية قصيرة متبوعة بالجهة الرخوة.

إنها أسماك شرسة مفترسة تعيش في المياه العمقية على الرمال والوحل بعقبة الجرف القاري والهضبة القارية. تصعد ليلا قرب سطح البحر فتصاد عن طريق الصدفة بالشباك الحلقية وبالجيبيات وبحبال الصنانير العمقية وبصنارة اليد. موجودة طول السنة في الأسواق السمكية المغربية وتستهلك طرية ومبردة.

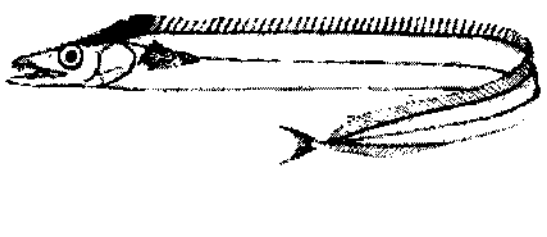

1 ـ الصمطة الفضية Lepidopus caudatus تسمى أيضا سنتورة وسيف في مختلف أسواق الأسماك المغربية. تدعى بالفرنسية Sabre argenté وبالإنجليزية Silver scabbardfish وبالاسبانية Pez cinto. لون الكبيرة أسود داكن على الرقبة

والجهة الأمامية للظهرية. الحوضيتان صغيرتان تتكونان من شوكة على شكل حرشفة والذيلية صغيرة جدا ومتشعبة. تحمل الرقبة قنزعة ناتئة جلدية. 3 زوجات من الأنياب الأمامية على الفك العلوي وزوجة واحدة على الفك السفلي متبوعة بأسنان دقيقة على القوس الفوهي. الزعنفة الظهرية منحدرة وطويلة جدا تتكون من 9 أشواك و90 . 107 أشعة لينة، الصدريتان على شكل مثلث لهما 12 شعاعا لينا، الشرجية طويلة ومنحدرة، تتكون من شوكة بدائية ومن شوكة على شكل قلب ومن 60 . 65 شعاعا لينا، الجسم خال من الحراشف، الخط الجانبي منحن جهة الصدريتين ومستقيم على الواجهة البطنية. يقع الشرج وسط الجسم. يبلغ الطول الأقصى للكبار 210 سم بوزن لا يتعدى 2 كيلوجرام، وشائع بين 50 . 100 سم. يتوالد في الشتاء والربيع ويتغذى من الأسماك والقشريات والرخويات رأسيات القوائم. توزيعه الجغرافي مقتصر على حوض البحر المتوسط الغربي والسواحل الأطلنطية الممتدة من فرنسا إلى المغرب ويعيش أيضا في سواحل إفريقيا الجنوبية ونيوزيلاندا وأستراليا.

2 . الصمطة السوداء Aphanopus carbo تسمى أيضاً سنتورة وسيف في مختلف أسواق الأسماك المغربية ويصعب تمييزها من الفضية. تدعى بالفرنسية Sabre noir وبالإنجليزية Balck scabbardfish وبالأسبانيةSable negro. قريبة الشبه بالصمطة الفضية وتختلف عنها بعدم وجود الحوضيتين عند الكبيرة. الذيلية صغيرة جداً ومتشعبة. يبلغ الطول الأقصى للكبار 114 سم، وشائع بين 50 . 75 سم، يقتصر توزيعها الجغرافي على السواحل الأطلنطية الإفريقية.

3 . الصمطة غمد الخنجر Trichiurus lepterus تسمى أيضاً سنتورة وسيف في الدار البيضاء والصويرة وأكادير والعيون وطان طان. تدعى بالفرنسية Poisson-sabre commun وبالإنجليزية Largerhead hairtail وبالأسبانية Pez sable. الحوضيتان والذيلية منعدمة. يتقلص الجسم تدريجيا نحو الخلف لينتهي برأس مستدق. الجانب السفلي لغطاء الغلاصم مقعر. يحمل الفكان زائدة جلدية. زوجة واحدة من الأنياب الضاربة على الفك السفلي و2 . 3 زوجات على الفك العلوي متبوعة بصف واحد من الأسنان الجانبية المضغوطة والحادة. تتكون الظهرية من 3 أشواك و135 شعاعا لينا، الجسم خال من الحراشف، الخط الجانبي معوج جهة الصدريتين ومستقيم على الواجهة البطنية. الصدريتان شفافتان تقريبا والزعانف الأخرى مصفرة شاحبة. يبلغ الطول الأقصى للكبار مترين بوزن لا يتعدى 2 كيلوكرام، وشائع بين 50 . 100 سم. يتوالد في الصيف بين يوليوز وغشت ويتغذى من الأسماك والقشريات والرخويات رأسيات القوائم. توزيعه الجغرافي واسع جدا يشمل معظم المناطق الحارة والمعتدلة كالبحر المتوسط والمحيط الأطلنطي والمحيط الهادي.

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988.

D. Lloris & J. Rucabadon, *Guide d'identification des ressources vivantes du Maroc*, FAO, 1998, 263 p.

محمد الرمضاني

صُمْعَان، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس انجبت بعض الفقهاء تذكر الوثائق منهم : محمد بن محمد صمعان فقيه تولى خطة العدالة بتطوان سنة 1218 (1803) وعبد السلام بن أحمد صمعان فقيه كان بقيد الحياة سنة 1124 (1712).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون، 1999 ، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 1119.

محمد ابن عزوز حكيم

الصمغ، مادة لزجة تفرزها بعض النباتات، وتجمد نتيجة تعرضها للهواء. وتتنوع الأصماغ بتنوع النباتات، غير أنها تتشابه كلها في الأوصاف. وقد اهتم علماء الطب والنبات العرب بأصناف الأصماغ من حيث مصادرها وخصائصها وأوجه استعمالها، غير أنهم اختلفوا في عددها الذي يبلغ 28 نوعا، يمكن أن نذكر منها الفربيون والصبر والكافور والكينة.

ويعتبر الطب والصيدلة من أهم مجالات استخدام الأصماغ. فكانت تنفع في توقيف نزيف القروح والتئامها، وفي عملاج الزكام وتخفيف الآلام... الخ. ويكون الدواء عبارة عن مشروب أو حقن.

وبالنظر إلى أن الأصماغ مادة أولية أساسية في الطب وبعض الحرف، فإنها كانت سلعة نافقة في المبادلات التجارية منذ القديم. فكان صمغ سقطرى مثلا يصدر إلى اليونان. وكانت قبرص تزود البلدان الإسلامية بنوع من الصمغ يسمى الميعة، كما كان صمغ جاوة يحظى بشهرة ذائعة الصيت في صناعة العطر.

ولعل أهم الأصماغ المرتبطة بالمغرب هو الصمغ العربي. ويستخلص من لحاء الطلح، وهي شجرة متعددة الأصناف، يقع موطنها الأصلي بالقارة الأفريقية، وبالضبط على ضفاف نهري السينغال والنيل. وهي شجرة كبيرة، غليظة الساق، بيضاء الخشب، ولكنه إذا تقادم اسود كخشب الأبنوس، وزهرة الطلح بيضاء اللون وطيبة الرائحة. وأوراق هذه الشجرة شبيهة بأوراق العرعر، وكانت تستعمل بوجه خاص في الدباغة.

وثمر الطلح هو القرظ، ومنه يعتصر رُب يعرف باسم الأقاقيا، وله نفس الخصوصيات العلاجية لباقي الأصماغ. كما ينتج الطلح صمغا كثيراً أحمر اللون وشائع الاستعمال. وقد نسب إلى العرب لدورهم الرئيسي في تسويقه ونشره.

ونظراً لعلاقات المغرب التجارية مع أفريقيا الغربية، لا نستبعد أن يكون الصمغ من بين ما كانت القوافل تحمله إلى شمال الصحراء منذ العصر الوسيط على الأقل. والملاحظ في

هذا الإطار أن البكري (منتصف القرن 5 / 11) ذكر وجود أشجار الصمغ العربي بشمال مدينة أودغشت، وتحدث عن تصديره إلى الأندلس حيث كان يصمغ به الديباج. وإذا توخينا دقة أكبر قلنا بأن هذا النوع من الشجر كان ينتشر بالساحل السوداني. وهو منطقة تتوسط الصحراء شمالا والسفانا جنوبا، ويسودها الجفاف، وتتميز بغطاء نباتي ضعيف يطغى عليه الطلح.

ويبدو أن الصمغ العربي وصل إلى أوربا عن طريق بلاد المغرب منذ العصر الوسيط، وأن الواردات الأوربية من هذه المادة بدأت تتزايد انطلاقا من عصر النهضة الذي شهد توسعا في النشاط الحرفي، بما في ذلك صناعة النسيج. وعندما تخطت أوربا وساطة شمال أفريقيا في منتصف القرن 9 / 15، صارت السفن الأوربية تتزود بالصمغ العربي مباشرة من الأسواق المنتجة في غرب أفريقيا. وسرعان ما أصبح دور هذه السلعة يتعاظم في المبادلات التجارية بين الدول الأوربية ودول الساحل. فمن جهة صار الصمغ أهم صادرات السينغال خلال القرنين 17 و18 م، وعماد الإمارات الموريطانية في نهاية القرن (18) وبداية القرن (19 م). ومن جهة ثانية دخلت دول أوربا في منافسة تجارية شديدة على الصمغ السوداني، إلى حد تحولت فيه في القرن (18 م) إلى ما يمكن أن نسميه بحرب الصمغ. وهي حرب تجد تعليلها في تعدد استعمالات هذه المادة، وخصوصا في مجال صناعة الحلوى وصناعة النسيج. وظلت هذه الصناعة الأخيرة تستخدم الصمغ العربي على نطاق واسع إلى حدود منتصف القرن (19 م).

ولكن مع توالي سنوات الجفاف والإفراط في الاستغلال والتفريط في حقوق العمال، تراجع إنتاج دول الساحل من الصمغ العربي. فبعد أن أنتج السينغال مثلا 1700 طن في 1977 ـ 1978، لم يوفر خلال 1979 ـ 1980 سوى 750 طن.

ع. الله البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب*، وهو جزء من كتاب *المسالك والممالك*، 1857، ص. 158 ؛ ابن البيطار ضياء الدين، *الجامع لمفردات الأدوية والأغذية*، 1992، ج 3، مادة صمغ، ص. 114 ـ 115 ؛ مادة طلح، ص. 140 ؛ ج 4، مادة قرط، ص. 257 ـ 258 ؛ زكريا القزويني، *آثار البلاد وأخبار العباد*، د. ت. مادة جزيرة سقطرى، ص. 82 ـ 83 ؛ نفسه، *عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات*، د. ت. مادة كافور، ص. 299 ؛ أحمد العمري، *مسالك الأبصار في ممالك الأمصار*، في الحيوان والنبات والمعادن، 1996، مادة سنط، ص. 412 ـ 413 ؛ السحن الوزان، وصف *إفريقيا*، 1983، ج 2، ص. 283 ؛ محمد وجدي، *دائرة معارف القرن العشرين*، د. ت. مج. 5، مادة الصمغ، ص. 568 ـ 574.

H. Deschamps, *Histoire générale de l'Afrique Noire*, 1970, Idex ; A. Dietrich, *Article Samgh. Encyclopédie de l'Islam*, 1978, T. 8, p. 1078 ; P. Decraene, *Le Sénégal*, 1985, pp. 10-11, 83.

عبد العزيز العلوي

الصّمّار. أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Asmar - Çamar. ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Azamar وAçamar ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان وكان منهم : عبد الرحمن بن محمد الصمار فقيه زاول خطة العدالة من سنة 1171 إلى سنة 1182 (1758 ـ 1767) ومحمد بن أحمد الصمار فقيه كان يزاول خطة العدالة سنة 1273 (1857).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 1118.

محمد ابن عزوز حكيم

الصناديق مؤسسات عمومية أنشئت بعد الاستقلال للإسهام في تدبير الشؤون العامة سواء على شكل مكاتب عهد إليها باستغلال ثروات طبيعية ومنجمية كالمكتب الشريف للفوسفاط ومكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية أو بامتيازات تجارية وصناعية كالمكتب الوطني للكهرباء ومكتب السكك الحديدية أو على شكل صناديق مكلفة بتدبير قطاعات إدارية واجتماعية كصناديق التقاعد مثلاً. وكان الغرض من إنشاء المؤسسات العمومية في الأصل هو ضمان نجاعتها عن طريق إعطائها مرونة في تدبير شؤونها وتسهيل حركيتها بتحريرها من الإكراهات الادارية التي تتسم مساطرها بالبطء والتعقيد على أن تتم مراقبتها من طرف موظفين تابعين لوزارة المالية، يسهرون على تطبيق القوانين المتعلقة بها من جهة وعلى توجيهات مجالسها الإدارية من جهة أخرى. ولهذه الغاية توالد العديد منها بعد الاستقلال وأصبح بعضها عبارة عن شبه إقطاعيات بميزانيات ضخمة لم يتورع المسؤولون عنها في تضخيم أجورهم ومنافعهم العينية وأدى في كثير من الحالات إلى تجاوزات خطيرة تمثلت في خروقات قانونية وهدر للمال العام.

سبق أن كُلف الوزير الحاج محمد باحنيني بجرد شامل للمؤسسات العمومية وتحديد مجالات تدخلها. ويقال بأنه كان كلما هم بختم الدراسة التي أعدها في الموضوع برز له المزيد منها لدرجة اقتناعه بصعوبة التقصي التام لها فعبر في نهاية تقريره عن تحفظه بعبارة "والله أعلم".

أحمد السوسي التاني

صناكة، مجاهد قائد، هكذا سماه الإخباري البرتغالي زورارا بدون أن يذكر اسمه وكنيته قريبة من الزناكي. ظهر سنة 1511 وكان آنذاك فارسا وقائدا في جيش طلحة العروسي، القائد المكلف من قبل محمد البرتغالي، وبقي في خدمة ولده أحمد بن طلحة العروسي، ولم يختف إلا سنة 1529. أظهر كفاءته إلى جانب المقدمين الآخرين طوال تلك المدة، وكان تحت إمرته خمسون فارسا، كلف بحراسة قرى حوز القصر الكبير، ومرافقة الجيش الجهادي في الحملات المنظمة ضد مدينة أصيلا.

ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبري بالثغور الشمالية العربية*.

B. Rodrigues, *Anais*.

حسن الفكيكي

الصُّنجة عيار نحاسي للوزن، تنطق بالصاد في الدارجة والأمازيغية المغربيتين، على حين أنها "سَنْجة" بالسين وهي كلمة من أصل فارسي بمعنى "الحجر" المعدّ للوزن، تجمع على صنجات وصنوج، وهي عيارات نحاسية أو غيرها من المعادن، تستعمل للوزن للكميات الصغيرة فيما هو دون الرطل وذلك قبل شيوع النظام المتري على أساس وحدة "الگرام" ابتداء من صدور ظهير 1914، أما ما قبل ذلك فنجد في الوثائق المغربية "درهم الصنجة" أو "الاوقية الصنجية" أي أن تلك النقود موزونة وليست معدودة، وقد ذكر عمر بن عبد العزيز الكرسيفي في نهاية القرن الثالث عشر (18 م) وجود صنجات من النحاس عند التجار بسوس لوزن النقود، كما ذكر ذلك مارتان Martin, A.G.P في منطقة توات في نهاية القرن الثالث عشر (19 م). ورغم البحث عن نماذجها تعذرّ علينا الحصول عليها.

وكانت كلمة الصنجات أو الصنوج، إنما تستعمل عند وزن الكميات الصغيرة فيما دون الرطل كما يبدو، أما العيارات التي تستعمل في مختلف الأوزان فكانت تعرف عند التجار باسم "الصّروف". (انظرها في *المعلمة*).

ع. أفا، *مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر*، الدار البيضاء، 1993 ؛ ع. الكرسيفي، *رسالة في تحرير السكك المغربية ورسالة في تحقيق أوزان النقود بسوس*، ص. 22، الرسالتان ضمن كتاب مسألة النقود، ظهير 1914، انظر فكر وتاريخ، منشورات كلية الآداب، الرباط، ص. 198.

عمر أفا

صندوق الإيداع والتدبير أُحدث بعد الاستقلال كأداة لاستقطاب الادخار المالي وتسخيره لفائدة التنمية الاقتصادية والاجتماعية في المجالات التي تحددها الدولة وبعبارة أخرى السهر على مركزة الادخار العمومي لتفعيل السوق المالية وتنشيط حركيتها بمختلف التوظيفات.

أحدث هذا الصندوق بظهير رقم 1.59.074 مؤرخ في فاتح شعبان 1378 / 10 فبراير 1959، منحه صفة مؤسسة عمومية تتمتع بالشخصية المدنية والاستقلال المالي. يحدد سياسته العامة مجلس إداري يرأسه الوزير الأول ويدبر شؤونه مدير عام. وللنهوض بمهمة تسخير المدخرات لفائدة التنمية الاقتصادية والاجتماعية أحدثت بالصندوق مؤسسات مختصة في مختلف الميادين يسهر على توجيهها ومراقبتها أهمها :

- الشركة العقارية العامة Compagnie Générale Immobilière (C.G.I.).
- صندوق القرض العقاري والسياحي Crédit Immobilier et Hotélier (C.I.H.).
- صندوق التجهيز الجماعي Fonds d'Equipement Communal (F.E.C.).
- الصندوق الوطني للتقاعد والتأمين Caisse Nationale de Retraite et d'Assurance (C.N.R.A.).
- الشركة المركزية لإعادة التأمين Société Centrale de Réassurance (S.C.R.).

يتجلى من خلال هذه الأدوات أن صندوق الإيداع والتدبير يتدخل مباشرة أو عن طريق منح القروض للخواص وللجماعات المحلية وللمستثمرين في ميادين متنوعة كالسكن الفردي والجماعي وتمويل البنيات التحتية الجماعية وإعداد المناطق الصناعية والمنشآت السياحية... والمساهمات في رساميل مؤسسات صناعية كبرى الخ ...

ويمكن إجمال مراحل تدخلات صندوق الإيداع والتدبير كالتالي :

1) من الإنشاء إلى بداية الثمانينات : تميزت هذه الفترة بتطور الاقتصاد المغربي نحو المزيد من الليبرالية الشيء الذي حتم على الصندوق إصلاح هيكلته بهدف تقوية تنافسيته لفائدة زبنائه. كما تم تحرير وتنشيط السوق المالي بمتابعة إصلاح نظام البورصة سنة 1967 وإنشاء الشركة الوطنية للاستثمار (S.N.I.) لتوجيه الاستثمارات لفائدة التنمية الاقتصادية بمزيد من النجاعة والفعالية. وعرفت هذه الفترة كذلك اختيار المجال السياحي كأولوية في تخطيطات الدولة، تكفلت فيه شركة المغرب السياحي Maroc Tourist بإنشاء عدة وحدات سياحية خصوصاً في الشمال على الشاطئ المتوسطي. وخلال الفترة نفسها أصبح صندوق القرض العقاري والسياحي (C.I.H.) بعد إعادة هيكلته تابعاً لصندوق الإيداع والتدبير. وابتداء من 1973، عرف قطاع الصناعة ازدهاراً ملحوظاً بفضل مغربة الوحدات الصناعية. وهكذا ساهم الصندوق في معمل الإسمنت لا فارج المغرب ومؤسسات كارنو للصلب (Carnaud et Forges de Basse Indre) والشركة العقارية الفرنسية المغربية (C.I.F.M.) المختصة في بناء المجموعات السكنية الاقتصادية. وفي هذا الإطار تم إحداث وتجهيز مناطق صناعية بكل من سلا والخميسات والناظور وسطات وبوزنيقة ومراكش وبنمسيك بالبيضاء.

2) فترة 1983 ـ 1993 عرفت هذه الفترة انشغال السلطات العمومية بإعادة التقويم الهيكلي بقصد إعادة التوازنات الكبرى في الميدانين الاقتصادي والمالي ؛ وخلال هذه الفترة التي ميّزها التقشف المالي تابع الصندوق سياسة الاستثمار في الأولويات المحددة من طرف الدولة وهي :

- العقار بإنشاء 21528 مسكن.
- السياحة بإنشاء تجهيزات سياحية بلغت 7222 سرير أي 10٪ من الطاقة الايوائيّة الإجمالية.
- البنى التحتية للجماعات المحلية عن طريق منح القروض من طرف صندوق التجهيز الجماعي (F.E.C.).
- الحيطة الاجتماعية بإحداث نظام تكميلي للتقاعد، ونظام للمحامين وآخر للتجار والحرفيين (الضمان الحرفي).

3) منذ 1993 أدت عدة عوامل مهمة إلى تغيير في المجالين الاقتصادي والمالي طبعته ليبرالية النشاط

الاقتصادي التي تواصلت بكيفية حثيثة، وسياسة الخوصصة وتحرير السوق المالي، فكان من اللازم أن يواكب صندوق الإيداع والتدبير هذا التطور ورسم استراتيجية جديدة تساير المناخ الجديد عن طريق سن سياسة الشراكة مع زبنائه الرئيسيين.

وهكذا، تكفل الصندوق بالتدبير الإداري للصندوق الوطني للتأمين والتقاعد (C.N.R.A.) وعبره للنظام الجماعي لمنح رواتب التقاعد (R.C.A.R.) الذي يكون مع شركة الشمال الافريقي ولما بين القارات (C.N.I.A.) والشركة المركزية لإعادة التأمين (S.C.R.) الثلاثي الذي يكون قطب التأمين والاحتياط لمجموعة صندوق الإيداع والتدبير.

لكن يجب ملاحظة أن إحداث نظام جديد للتقاعد لفائدة مستخدمي الجماعات المحلية الذين لا يتقاضون أجورهم من الميزانية العامة للدولة ولغير المرسمين من أعوان الدولة بجانب الأنظمة القائمة الأخرى وهي :

- أنظمة الصندوق المغربي للتقاعد : المدنية والعسكرية ونظام القوات المساعدة.
- نظام الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي الذي يغطي عمال القطاع الخاص.

فضلاً عن عدة أنظمة أخرى تخصُّ أطر ومستخدمي مؤسسات عمومية كبرى كبنك المغرب والمكتب الشريف للفوسفاط، أدى إلى المزيد من تشرذم المشهد الاحتياطي في المغرب، وكرس التفاوتات والاختلالات التي تتجلى نتائجها في مجال الضمانات القانونية وبكيفية محسوسة فيما يتقاضاه المستفيدون من مختلف الأنظمة من معاشات وتعويضات.

ولا يمكن في ظل هذا التشرذم إقرار نوع من العدالة والإنصاف إلا بتقليص عدد الأنظمة بصهرها في عدد قليل حسبما تمليه الخصائص النوعية للمنخرطين فيها واعتماد مبادئ عامة تسود الجميع.

ولتكوين فكرة عن الودائع المؤتمنة لدى الصندوق نشير إلى أنها بلغت سنة 2000 : ثلاثين ملياراً ومائة وتسعة عشر مليون درهم (30.119.000.000) منها :

44.95٪ تمثل ودائع الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي C.N.S.S.

19.60٪ تمثل ودائع الصندوق الوطني للتوفير C.E.N.

8.56٪ تمثل ودائع صندوق الشغل Fonds du travail.

4.63٪ تمثل ودائع كتاب المحاكم.

22.26٪ تمثل ودائع مصادر مختلفة.

أما الأرباح الصافية لسنة 2000 فبلغت 470.289.810 درهم، مسجلة تراجعا بنسبة 16٪ عن سابقتها.

معلومات ووثائق شخصية.

Site internet de la C.D.G : w.w.w.@cdg.org.ma ; *Rapport annuel de la C.D.G*, exercice 2000.

صندوق التجهيز الجماعي ← صندوق الإيداع والتدبير

صندوق القرض العقاري والسياحي ← القرض العقاري

الصندوق المغربي للتقاعد (C.M.R.) أحدث في عهد الحماية بظهير مؤرخ في فاتح شوال 1348 / 2 مارس 1930 من أجل "أداء المعاشات المخولة بمقتضى ظهير 30 رمضان 1348 / فاتح مارس 1930" على شكل مؤسسة عمومية تتمتع بالشخصية المدنية، يسيرها مكتب إداري مكون أساسا من السلطة المسؤولة عن المالية والكتابة العامة للحكومة، والخازن العام ومدير صندوق الإيداع ومدير الميزانية وممثلين عن المنخرطين. ولم يكن يتوفر على هيكل إداري تابع له بل كان العاملون به موظفين تابعين لوزارة المالية يتقاضون أجورهم من الميزانية العامة للدولة وعلى رأسهم مدير يقوم في نفس الوقت بمهمة كاتب للمجلس الإداري ويعتبر مسؤولا عن تنفيذ مقرراته. لكن، لاعتبارات ناتجة عن تبعات الاستقلال أصبح الصندوق، ولسنين عديدة، عمليا، مرفقاً من مرافق وزارة المالية، في ظل تجميد أي نشاط للمجلس الإداري.

لم يسترجع الصندوق صفة المؤسسة العمومية بما في الكلمة من معنى، أي متمتعا بالشخصية المدنية والاستقلال المالي، إلا في سنة 1996 بالقانون رقم 95 ـ 43 المصادق عليه بالظهير رقم 1.96.106 المؤرخ في 7 غشت 1996، حيث أصبحت له هياكله الإدارية الخاصة التي أدمج فيها من رغب في ذلك من العاملين به ورجع إلى وزارة المالية من فضّل الاستمرار في الانتماء لسلكه الأصلي.

وفي هذا الإطار انعقد لأول مرة اجتماع المجلس الإداري برآسة الوزير الأول عبد الرحمان اليوسفي، في شكله الجديد بعد أربعين سنة من السبات.

يسير الصندوق المغربي للتقاعد الأنظمة الآتية :

1 ـ نظام المعاشات المدنية المتعلق بموظفي وأعوان الدولة والجماعات المحلية الرسميين، حسب مقتضيات القانون رقم 01171 المؤرخ في 12 قعدة 1371 / 30 دجنبر 1971 كما تم تتميمه على التوالي :

- بالقانون رقم 89 ـ 06 المصادق عليه بظهير رقم 1.89.205 المؤرخ في 21 دجنبر 1989 والذي أضاف إلى الراتب الأساسي الذي يُكوّنُ قاعدة تصفية المعاشات، بمفعول فاتح يناير 1990، التعويض عن الإقامة بنسبة 10٪ ونصف التعويضات النظامية المرتبطة بالسلم والدرجة للمعنيين بالأمر.
- بالقانون رقم 97 ـ 19 المصادق عليه بظهير رقم 1.97.167 المؤرخ في 27 ربيع الأول 1418 / 2 غشت 1997 الذي أضاف إلى قاعدة تصفية المعاشات الخمسين في المائة المتبقية من التعْويضات القارة والدائمة المرتبطة بالوضعية النظامية للمعنيين.

2) نظام المعاشات العسكرية المطبق على جنود القوات المسلحة الملكية وأفراد القوات المساعدة، ويرتكز في مقتضياته الأساسية المتعلقة بتصفية المعاشات على المبادئ الواردة في قانون المعاشات المدنية.

3) معاشات الزمانة لفائدة المدنيين والعسكريين الذين يلحقهم ضرر تنتج عنه عاهة دائمة بسبب حادثة شغل أو مرض يثبت انتسابهما للعمل أمام لجنة خاصة تقرر ذلك وتحدد نسبة العجز.

4) معاشات لفائدة المقاومين الذي أصيبوا بعطب من جراء قيامهم ببعض الأعمال الفدائية خلال فترة المقاومة أو لبعض فئات المعوزين منهم وكذا لفائدة ذوي حقوق الشهداء.

5) بقايا بعض الأنظمة الخاصة التي منحت قبل الاستقلال لبعض الأعوان غير الرسميين والتي هي في طريق الانقراض.

من المفيد الإشارة إلى أن الأنظمة الرئيسية المسيرة من طرف الصندوق تعتمد نظام التوزيع Répartition أي أن المعاشات المخولة برسمها تمول من الاقتطاعات المنجزة على رواتب المنخرطين فيها ومساهمة مشغليهم، وتتم تصفيتها على أساس آخر أجرة تقاضاها المحال على المعاش من جهة والأقدمية المؤدى عنها لدى الصندوق من جهة أخرى. ونظام التوزيع هذا هو غير النظام الاستثماري Capitalisation الذي تصفى فيه المعاشات على أساس ما وفره المنخرطون من رصيد وما ساهم به مشغلوهم، بعد استثماره في حساب خاص بكل منهم.

يبلغ حاليا عدد المنخرطين في الصندوق المغربي للتقاعد حوالي 500 ألف وعدد المعاشات مائة ألف تقريباً.

معلومات شخصية.

Guide de l'affilié au régime des pensions civiles édité par la Caisse Marocaine des Retraites, Septembre 2001 ; *La Vie Economique* n° 4180 du 6 au 12 septembre 2002.

الصندوق المهني المغربي للتقاعد. أنشئ سنة 1949 وذلك في إطار ظهير 15 نونبر 1958 المنظم للجمعيات لفائدة مأجوري المقاولات المنخرطة فيه. لذا فإنه يعتبر، منذ إنشاء الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي سنة 1959، (ونظامه إجباري كما هو معلوم) نظاماً اختياريا، أو تكميليا له.

يدبر شؤونه مجلس إداري مكون من 12 إلى 24 عضوا ينتخبهم الجمع العام للمنخرطين لمدة أربع سنوات.

تتراوح واجبات الانخراط لاكتساب الحقوق المعاشية ما بين 6 إلى 12٪ من الأجور موزعة بالتساوي على الأجراء وأرباب العمل. تستثمر اقتطاعات العمال من طرف شركات التأمين في حسابات خاصة بكل واحد منهم بينما تخضع مساهمات أرباب العمل لإدارة الصندوق على أساس النظام التوزيعي، أي أن مدخراته تدبر بكيفية مزدوجة : استثماريا وتوزيعيا.

يمنح ص. م. م. ق. معاشات للمنخرطين فيه عند بلوغهم حد السن في 60 سنة أو لذوي حقوقهم في حالة وفاتهم وهم الأرامل (50٪ من مبلغ المعاش) والأيتام (20٪ لكل منهم) على ألا يتعدى المبلغ الإجمالي للمعاش 100٪.

يمكن الحصول على معاش ابتداء من 50 سنة، وفي هذه الحال يتم خصم نسبة عن كل سنة قبل بلوغ حد السن. كما يمكن تأجيل تقاضي المعاش في حالة الاستمرار في العمل ويستفيد المعنيون حينئذ من زيادة عن كل سنة من العمل بعد سن الستين.

ومن المفيد ملاحظة أن هذا الصندوق هو تجمع لمقاولات خاصة يدار بمعزل عن دواليب الدولة، رغم أن بعض المؤسسات العمومية منخرطة فيه.

الصندوق المركزي للضمان، مهمة هذا الصندوق هو الحلول محل بعض المستفيدين من قروض من مؤسسات مالية تشترط ضمانة الدولة في صلب العقود التي تربطها بالمستفيدين من خدماتها.

لذلك فإنه في حالة عدم الوفاء برد الدين تحل الدولة محل المدين لتسديد ما بقي بذمته.

يدار هذا الصندوق من طرف إطار تابع لوزارة المالية.

صندوق الموازنة أو المقاصة. الغرض من إنشائه هو دعم ثمن بيع المواد الواسعة الاستهلاك كالدقيق والسكر والزيت، عن محصول الفوائد المحصلة من بيع بعض المواد التي توفر هامشا كبيراً للربح كالمحروقات على وجه الخصوص.

وبما أن بعض المواد المدعمة كالسكر تستفيد منها جميع الطبقات الاجتماعية بما فيها الميسورة منها، وبعض المقاولات الصناعية (المشروبات الغازية، المربيات، الحلويات) فإن الدولة عمدت في السنوات الأخيرة على استرجاع قيمة الدعم من هذه المقاولات لفائدة الصندوق.

الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي، مؤسسة عمومية ذات شخصية اعتبارية واستقلال مالي أحدثت بظهير رقم 1.59.148 مؤرخ في 31 دجنبر 1959 وتم تعديله بظهير رقم 1.72.148 مؤرخ في 27 يوليوز 1972. من أجل الحماية الاجتماعية لعمال القطاع الخاص. يدبر شؤونه مجلس إداري يرأسه الوزير الأول ـ شأنه شأن المؤسسات العمومية التي يشمل مجال نفوذها مجموع التراب الوطني ـ والسلطة الحكومية المكلفة بالتشغيل وممثلي المركزيات النقابية على وجه الخصوص.

تتكون موارد الصندوق المالية من :

ـ واجبات اشتراك العمال بنسبة 1.90٪ من جميع عناصر الأجرة في حدود 5000 درهم شهريا.

ـ مساهمات أرباب العمل بضعف نسبة العمال أي 3,80٪ فضلا عن 10٪ برسم صرف التعويضات العائلية.

- فوائد إيداع المدّخرات لدى صندوق الايداع والتدبير.

ويصرف للمنخرطين فيه فضلا عن التعويضات العائلية:

- معاشات الشيخوخة عند بلوغ حد السن : 60 سنة عدا عمال المناجم : 55 سنة.

- معاشات الزمانة أو العطب عند التوقف الاضطراري عن العمل بسبب العجز.

- معاشات ذوي حقوق المنخرطين وتصرف ابتداء من سن الخمسين.

- تعويضات عن التوقف المؤقت عن العمل بسبب المرض أو الولادة.

أنشأ ص. و. ض. ج. عدة مصحات متعددة الاختصاصات في عدة مدن منها البيضاء والمحمدية والقنيطرة وغيرها صرفت عليها أكثر من 6 ملايير درهم كدعم لحدود 2002.

عرف تسيير الصندوق عدة اختلالات كانت محل لجنة تقصي الحقائق من طرف مجلس المستشارين كشفت أرقاما مهولة :48 ملياراً من الأموال المبددة التي لو تم استثمارها لبلغت 115 ملياراً، أي ما يفوق مرة ونصفاً نفقات ميزانية التسيير العمومية لسنة 2001 وتمثل 80٪ من المديونية الخارجية للدولة إلى غاية متم 2001.

وثائق ومعلومات شخصية، نص استجواب رئيس لجنة تقصي الحقائق لمجلس المستشارين المنشور بجريدة الأحداث المغربية، عدد 1235 بتاريخ 9 يونيه 2002.

أحمد السوسي التناني

الصَّنْطو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Santo ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون، 1999، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 1120.

محمد ابن عزوز حكيم

الصنعة مصطلح موسيقي خاص بالموسيقى الأندلسية المغربية، يطلق على المقطوعة الغنائية في ميازين النوبات. وتعتبر الصنعة بمثابة الوحدة الأساسية للميزان.

والصنعات أو الصنائع من الوجهة اللغوية أربعة أنواع :

1 - الشعر الفصيح الموزون على البحور الخليلية. وتُعرّف الصنعة عادة باسم بحرها فيقال مثلاً : صنعة كامل أو صنعة بسيط.

2 - التوشيح، وهو ما نظم على أنساق الموشحات بأغصانها وأسماطها. ويُعرّف عادة بأسلوب نظمه، فيقال توشيح، أو صنعة توشيح. ويكون من الفصيح.

وتشكل التوشحات التي يحتوي عليها كناش الحايك أقساما مختارة من الموشحات الأندلسية بنوعيها التام والأقرع، وهذه الأقسام لا تخرج في مجملها عن أربع صور هي :

أ - التوشيح القائم على قفل واحد. وهو يشكل ما يعرف عادة بالصنعة الثنائية.

ب - التوشيح القائم على بيت واحد. ويشكل ما يُعرف عادة بالصنعة الثلاثية.

ج - التوشيح القائم على بيت وقفل. ويشكل ما يعرف عادة بالصنعة الخماسية.

د - التوشيح القائم على قفلين متحدي القافية يتوسطهما بيت من قافية مغايرة. ويشكل ما يعرف في العادة بالصنعة السباعية.

هـ - الزجل هو ما نظم بلهجة عامة الأندلس. وقد عارضه بعض المغاربة بأزجال من لهجة عامة المغرب. وتسير الأزجال على نسق الموشح من حيث تبنيها نظام توالي الأقفال والأبيات.

و - البرولة أو البريولّة، وهي ما نظم بلهجة عربية ملحونة كالشعر الملحون المغربي. غير أن البرولة تأتي على نسق التوشيح من حيث تبنيها نظام توالي الأقفال والأبيات، وليس على نسق قصيدة الملحون.

ع. العزيز ابن عبد الجليل، *معجم مصطلحات الموسيقى الأندلسية المغربية*، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الرباط، 1992، ص. 43 ؛ الموسيقى الأندلسية المغربية - فنون الأداء، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1989، ص. 171 - 175.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الصنك، مصطلح عامي يقابله، في لغة الضاد، كلمة المكس. ومعناه الرسوم التي كانت الدولة تفرضها على المواد والسلع الداخلة للمدن (حقوق الأبواب) والمعروضة للبيع في الأسواق والفنادق.

وإذا كان السلطان المولى سليمان (1792 - 1822) قد قام بإلغاء تلك الرسوم التي كانت سائدة في عهد والده السلطان محمد بن عبد الله (1757 - 1790) فإن خلفه المولى عبد الرحمان بن هشام (1822 - 1859) سن سياسة تجارية سميت في الوثائق المغربية بسياسة "الكنطردات"، والمقصود بها احتكار تجارة بعض المواد لحساب الدولة، وذلك بهدف إخضاع التبادل التجاري لمراقبة الدولة، والحد من أطماع الحكومات الأوربية التي كانت تسعى إلى غزو السوق المغربية.

بيد أن اتفاقية 9 دجنبر 1856 - التي فرضتها بريطانيا على المغرب - وضعت حداً لهاته السياسة. ويكفي أن نشير هنا إلى ما ورد في البند الثاني من الاتفاقية التجارية الذي نص على "إسقاط الكنطردات والممنوعات في المتاجر (...) وبـ[illegible] الكنطردات في جميع المخرجات من أي نوع كانت بإبالته إلا العلق والدبغ" والقنب الهندي (الكيف) والكبريت والرصاص ومواد الحرب عموماً. ومعنى هذا أن المخزن وجد نفسه مضطرا للانتقال بشكل تدريجي من سياسة الاحتكارات إلى سياسة فرض الرسوم ثانية على مبيعات الأسواق.

حتى إذا جاءت حرب تطوان ـ الضربة العسكرية الثانية ـ وما ترتب عليها من فرض أداء غرامة وقدرها عشرون مليونا من الريال، كشرط لانسحاب إسبانيا من تطوان التي احتلتها في 6 فبراير 1860 خلال حربها التوسعية في التراب المغربي، والتي تزامنت مع بداية حكم السلطان محمد بن عبد الرحمان (1859 ـ 1873)، أصبح من المشروع عندئذ أن يقال بأن أمر تلك الرسوم "تفاحش غاية التفاحش" إن من جهة تعميمها، لتشمل كل أسواق الحواضر وكذا أسواق البوادي الخاضعة لسلطة السلطان، أو من جهة فرض رسوم جديدة على السلع بأبواب المدن.

ولما كانت بعض بنود اتفاقية 1856 ـ بالإضافة إلى بعض بنود اتفاقيتي 1861 ـ 1863 ـ قد نصت على إعفاء الرعايا الأجانب وإلى جانبهم فئة المحميين من أداء أي "مكس ولا غرامة ولا أعشار ولا ما يشبه ذلك"، فإن المغاربة وحدهم تحملوا عبء أداء هذه الرسوم، ومن ثم كان من الطبيعي أن يزداد التهافت نحو الحماية. وهذا ما عبرت عنه، بمرارة، إحدى رسائل أحد المسؤولين وهو محمد بن يحيى إلى أمين الأمناء محمد بنيس، بتاريخ 25 جمادى الثانية 1280 / 7 دجنبر 1863 : "... ترى الذمي لا يساوي فلسا واحداً يدخل ويخرج ولا يؤدي في الأبواب، والمسلم يؤدي شريفا ومشروفا" وأكثر من هذا، تضيف الرسالة : "وصاروا، اليهود النصارى، يضحكون علينا وصرنا عندهم ملعبة ومضحكة [...] وهذه مذلة عظيمة، صار الناس في كل يوم يدخلون تحت الحماية". (*دورية الوثائق*، المجموعة، 4، ص. 303 ـ 304).

وبوفاة السلطان محمد بن عبد الرحمان ارتفعت الأصوات مطالبة بوضع حد لهذه الرسوم. في هذا السياق اشترط الدباغون بفاس مقابل تقديمهم البيعة للسلطان الجديد مولاي الحسن (1873 ـ 1894) إلغاء المكوس. وهكذا توقفوا عن أدائها، ونهبوا دار أمين الأمناء محمد بن المدني بنيس. ومع انتشار هذا الخبر، حذت عدة مدن حذو فاس، من بينها أزمور والجديدة وسلا والصويرة والعرائش والقصر الكبير.

إلا أن التوقف عن أداء المكوس كان توقفا عابراً، بحيث لم تمر سوى بضعة شهور على بيعة المولى الحسن حتى تمكن من إقرارها من جديد، كما كانت في عهد والده. وقد كلفه ذلك، أحيانا، ضرورة استخدام قوة السلاح، كما وقع بالخصوص مع أهل فاس.

وبقدر ما عمل المولى الحسن على إقرار المكوس القائمة، قام كذلك بإدخال تنظيم جديد على جهاز أمانة المستفادات، وفي الوقت ذاته جعل من بين أولى اهتماماته السياسية المطالبة بوضع حد لآفة الحماية التي انعكست مضاعفاتها ـ بسبب عدم الأداء ـ على مداخيل خزينة الدولة. ومما كتبه في هذا الشأن إلى نائبه محمد بركاش، بتاريخ 6 رجب 1296 / 6 يوليوز 1878 : "وأن المستفاد ضعف جداً بتعذر القبض على الجمالة في الأبواب ومن أهل الحماية المتعلقين بهم في سوق الجلد والسباط والحانك لكونهم يتسوقون بها أكثر [...] وأمر ذلك لا يزيد إلا استفحالا، وغير خاف عليك ما فيه من الخرق والمفسدة الكبيرة والمضرة لبيت المال، فقم على ساق الجد والحزم في حسم ذلك واجعل هذا الأمر من أهم الأمور وآكدها". (*دورية الوثائق*، م. 5، ص. 98).

كان علينا أن ننتظر انعقاد مؤتمر مدريد (1880) ـ الذي انعقد في الأصل لمناقشة معضلة الحماية ـ وكذا القانون المكمل له، المسمى بوفق أو ترتيب 30 مارس 1881، الذي نص على إلزام الأجانب والمحميين أداء مكوس الأبواب وبعضاً من مكوس الأسواق (بالإضافة إلى الواجبات الفلاحية، أي الزكاة والأعشار).

وإذا كان الجدول أدناه ـ الجدول الأول ـ يمكننا من تسهيل قراءة ما ورد في عدد من فصول قانون 1881 المتعلقة بتسعيرة مكوس الأبواب، فإنه بالاستناد إلى هذا الجدول يمكن تسطير عدد من الملاحظات :

أولها، أن الوحدة النقدية التي حدد بها الأداء هي وحدة البليون. ومن المعلوم أن البليون كان عملة إسبانية فضية، وكان يطلق على البليون أيضاً اسم القرش، وكلاهما يساوي عشرين سنتيما، أي 1 / 20 ريال.

ثانياً، أن المبلغ الواجب أداؤه يختلف بحسب نوع البهائم من جهة، وبحسب نوع البضاعة من جهة ثانية.

الجدول الأول : تسعيرة صنك الأبواب من خلال قانون 1881

أنواع البضائع	المبلغ الواجب أداؤه	الفصول المحددة لذلك
1 ـ البضائع الأجنبية عن حمل الإبل عن حمل الخيل والبغال عن حمل الحمير	ستة بلايين أربعة بلايين بليونان	الفصل الثاني عشر
2. البضائع المغربية المصنعة وكذا البضائع الواردة من البادية عن حمل الإبل عن حمل الخيل والبغال عن حمل الحمير	أربعة بلايين بليونان بليون	الفصل الثالث عشر
3 ـ الحبوب والقطاني والحطب والفحم عن حمل الإبل عن حمل الخيل والبغال عن حمل الحمير	بليونان بليون نصف بليون	الفصل الرابع عشر
4 ـ الحلفة والعرف والغلة والخضر أيا كانت عن حمل الإبل عن حمل الخيل والبغال عن حمل الحمير	ثلاثة أرباع بليون نصف بليون ربع بليون	الفصل الخامس عشر
5 ـ التبن والربيع والدوم المعد لفراريين المدن	معفاة من الأداء	الفصل السادس عشر

بحسب نوع البهائم نظراً للاختلاف الموجود في حجم أحمال كل بهيمة : في القمة نجد الإبل، وفي أدنى مستوى هناك الحمير، وبينهما في الوسط البغال والخيل. أما من جهة نوع البضاعة فقد وقع التمييز، في المستوى الأول، بين البضائع الأجنبية وبين البضائع المغربية (سواء منها المصنعة أو الوافدة من البادية مثل الجلد والصوف والزيت) بحيث نلاحظ أن السعر المفروض على النوع الأول يضاعف، أو يكاد يضاعف السعر المفروض على النوع الثاني. وإذا كان هذا التباين في السعر يبدو للوهلة الأولى أنه لصالح البضاعة المغربية حتى يبقى ثمنها منخفضا أثناء البيع، فإن التجار الأجانب كانوا يستفيدون من هذا التخفيض، وذلك لسبب بسيط وهو أن أهم البضائع المندرجة في هذا الفصل - حتى ولو لم يرد ذكرها بالصرف - كانت تدور حول الجلد والصوف، ومن المعلوم أن هاتين المادتين كانتا من المواد الموجهة للتصدير. وفي المستوى الثاني، وقع تمييز آخر بين منتجات البادية، بحيث نلاحظ أنها صنفت إلى ثلاثة أصناف : في المرتبة الأولى نجد البضائع المشار إليها أعلاه (الجلد والصوف والزيت) وفي المرتبة الثانية هناك الحبوب والقطاني والحطب والفحم، بحيث إن السعر الذي فرض على هذه المواد إذا كان ينقص بما يعادل النصف بالنسبة للصنف الأول، فإنه بالمقابل يضاعف، أو يكاد يضاعف، السعر المفروض على الصنف الثالث، أي الحلفة والعرف والغلة والخضر.

ثالثاً، إعفاء بعض المواد من كل أداء وهي التبن والربيع والدوم، لكن هذا الإعفاء، يضيف هذا الفصل موضحاً، مشروط بشرط، وهو أن تكون هذه المواد متجهة مباشرة إلى الفرارين. ومعنى هذا أنه إذا كانت متجهة إلى البيع في السوق، عندئذ يلزمها الأداء. ويبدو أن هذا الامتياز الذي أعطي للفرارين يجد تفسيره في الوظيفة الاجتماعية التي تقوم بها تجاه السكان، زد على ذلك أن جلها كان إما بيد الأحباس أو المخزن.

متى يؤدى هذا الرسم ؟ وما هو الإجراء الذي يلزم الأمناء اتخاذه تجاه المؤدي حتى لا تقع مشاكل بين الطرفين ؟ ذلك كان موضوع الفصل العاشر والحادي عشر.

يقول الفصل العاشر : "السلع المنتقلة من مدينة إلى أخرى فلا يؤخذ عليها الصاكة إلا مرة واحدة وذلك وقت خروجها من المدينة". ويضيف الفصل الحادي عشر : "والذي يكون قد دفع الصاكة يأخذ بطاقة ليقدمها وقت دخوله للمدينة المقصودة، وإذا مر بالمدن فلا يدفع عليها شيئاً بل عليه أن يقدم البطاقة التي بيده كلما طلبت منه من المكلفين بذلك، والبطاقة مذكور فيها عدد البهائم الحاملة وقدر الصاكة المدفوعة، وذلك دليل أن البطاقة دفعت".

أما بالنسبة لرسوم الأسواق، فإن قانون 1881 خصها بثلاثة فصول، وهي الفصل الرابع والفصل الثامن والفصل التاسع. وهكذا، كما يتضح من الجدول أدناه - الذي سطرناه بالاعتماد على المعلومات الواردة في هذه الفصول الثلاثة - يمكننا أن نأخذ فكرة مباشرة عن المواد التي اقترحت أن تكون خاضعة لأداء رسوم الأسواق من قبل الأجانب والمحميين، إسوة بالمغاربة غير المحميين، هذا فضلاً عن التسعيرة الواجب أداؤها والطرف المؤدي.

الجدول الثاني : تسعيرة رسوم الأسواق من خلال قانون 1881

المنافع	التسعيرة	الأطراف المؤدية
الفواكه اليابسة : (التمر والتين والزبيب والجوز واللوز) ومثلها الحناء والزيتون	عشرة في المائة	البائع
الجلد	حسبما هو جار به العمل في كل محل	البائع
الخيل والبغال والحمير والإبل البقر	خمسة في المائة عن كل رأس أربعة بلايين عن كل رأس	مناصفة بين البائع والمشتري مناصفة بين البائع والمشتري
الغنم والماعز	ربع بليون عن كل رأس	مناصفة بين البائع والمشتري

لكن مقابل الالتزام بأداء الرسوم المنصوص عليها في هذا القانون احتج ممثلو الدول الأجنبية بضرورة التزام المخزن بتطبيق ما كان قد ورد في الفصل الحادي عشر من اتفاقية مدريد الذي يقضي بحق تملك الأجانب العقارات والأراضي. وبما أن المخزن ظل يعارض - ولو على المستوى النظري - قبول تملك الأجانب الأملاك العقارية، لما يشكله ذلك التملك من خطر على استقلال البلاد، فإن الأجانب وإلى جانبهم المحميين امتنعوا عن أداء كل الرسوم المنصوص عليها في هذا القانون. ومعنى هذا أن القانون المكمل لاتفاقية مدريد انتهى بالفشل، وبالتالي ظل المغاربة غير المحميين وحدهم يتحملون أعباء الجباية الصنكية وغيرها من الجبايات الأخرى.

صحيح أن المولى الحسن قام في العام 1885، إثر الانتهاء من أداء غرامة حرب تطوان، بإلغاء صنك الأبواب. بيد أن هذا الإلغاء لم يعمر طويلا، إذ بعد سنتين على بيعة السلطان المولى عبد العزيز (1894 - 1908)، وفي سياق أزمة مالية حادة، قام من جديد بإحيائه وذلك بعد أزيد من سبعة شهور من المفاوضات مع ممثلي الحكومات الأجنبية بطنجة. وهي المفاوضات التي توجت بتوقيع اتفاقية جديدة، بتاريخ 2 يونيو 1896، مدشنة بذلك مرحلة جديدة في تاريخ الجباية الصنكية، أبواباً وأسواقاً. فما هو الجديد التي أضافته فصول

هذه الاتفاقية، أو هذا القانون، بالمقارنة مع فصول قانون 30 مارس 1881 ؟

بخصوص صنك الأبواب، فإن المقدار الواجب أداؤه، إن على أنواع البضائع أو على بهائم الحمل، ظل ثابتا دون أن يمسه أي تغيير (انظر الجدول الأول) باستثناء ما وقع في مادتي الفحم والخضر الطرية، حيث نص الفصل العاشر على أنها معفاة من الأداء. وحسب ما ورد في الظهير الموجه إلى باشا مكناس حم بن الجيلاني بتاريخ 22 محرم 1314 / 3 يوليوز 1896، على إثر صدور هذا القانون، فقد برر السلطان ذلك بقوله : "وأما العطاء على الحافر بالأبواب فقد أسقطنا مما كان قديما فيه أيضاً العطاء على البياض والخضر الطرية كلها والهيشار وعروق الدوم لكونها أيضاً مما يروج فيه الضعفاء".

أما بالنسبة لصنك الأسواق، فإن أول ما يثير الانتباه هو أنه تم التمييز، بشكل واضح، بين ثلاثة أمور : الرسوم التي يلزم أداؤها من قبل الجميع، وهي المنافع العامة ؛ ثم الرسوم الخاصة برعية المخزن، وهي المنافع الخاصة ؛ وأخيراً الرسوم الملغاة، أي التي أسقط عنها العطاء.

فأما المواد التي أدرجت في قائمة المنافع العامة، أي التي يلزم الجميع أداء الواجب المفروض عليها، أجانب ومحميين وغير محميين، فقد حددت في نفس المواد المشار إليها في الجدول الثاني، باستثناء مادة الجلد التي وقع في شأنها تمييز جديد. ذلك أنه إذا كانت الفقرة المخصصة لمادة الجلد في الفصل الثامن من قانون 1881 لم تميز بين الجلد الطري والجلد المدبوغ، على أساس أن العطاء يشمل النوعين معاً، فإن قانون 1896 نص على أن العطاء يكون فقط على الجلد الطري وحده، وقد تم تحديد ذلك كما يلي : "جلود البقر الطرية وكذا جلود الماعز والغنم، سواء بالمجزرة أو بمكان البيع، يؤدى عنها الواجب بحسب العرف المحلي". ومتى علمنا أن الجلد المدبوغ هو الذي كان يصدر إلى الخارج، فهمنا، عندئذ، بعض الأسباب الخفية التي حدت بممثلي الحكومات الأجنبية إلى انتزاع هذا المكسب الجديد. كما أن المبلغ المؤدى عن هذه المواد والأطراف المؤدية ظلا ثابتين دون أي تغيير (الجدول الثاني).

وأما الرسوم الخاصة برعية المخزن، وهي المنافع الخاصة، أي التي لا يؤديها سوى المغاربة غير المحميين، فقد حددت ـ في النص الفرنسي ـ في ست مواد، وهي : الجلد المدبوغ، والحائك، والبلغة، والخضر، والخشب والفحم. ومعنى هذا أن التمييز الذي ظل مسكوتا عنه في قانون 1881 أصبح مع قانون 1896 مقننا. وقد كان من نتيجة هذا التمييز ظهور مصطلحين جديدين في الوثائق المغربية، وهما "المنافع العامة" و"المنافع الخاصة". ومن حيث المبلغ الواجب أداؤه عن هذه المواد، فإنه لم يحدد، على أساس أنه يبقى حسب ما هو جار به العمل في كل محل. ويبدو أن مرد ذلك يعود إلى أن تلك المبالغ لم تكن واحدة وموحدة في كل أنحاء البلاد.

وفي ما يتعلق، أخيراً، بالرسوم الملغاة على الناس كافة، فقد ارتبطت، حسب النص الفرنسي، برحبة الزرع، والبالي، والملح، والعطارين، وميزان الصوف المغزولة، وميزان الفضة، والدباغة، ومهراس القهوة". وبناء على ظهير 3 يوليوز 1896، الموجه إلى باشا مكناس، فإن الأمر يتعلق، أساسا، بالتخفيف عن الرعية "لكونها في الغالب لا يروج فيها إلا الضعفاء والمساكين الذين تجب الشفقة عليهم".

والخلاصة أنه إذا كان الأجانب، وإلى جانبهم الجيش العرمرم من المحميين، قد أكدوا من خلال هذا القانون ـ الذي ظل ساري المفعول إلى ما بعد توقيع عقد الحماية ـ الامتيازات القديمة وأضافوا إليها أخرى جديدة، فإن المواطنين المغاربة غير المحميين ظلوا يعانون من إجحاف ومذلة وهم يرون أنفسهم يؤدون رسوما خاصة بهم، ومن ثم كان من الطبيعي أن يزداد النهافت على الحماية للتخلص من ذلك الاجحاف. وعاقبة ذلك بالنسبة للدولة الزيادة في تقليص مداخيلها، وتحطيم سلطتها، وتفكيك توازناتها، والانجاد، تدريجيا، إلى فخ القروض المفروضة. وهذا ما كانت تسعى وتجد إليه الحكومات الأجنبية.

وثائق خ. ح : دورية الوثائق، م. 4 و5 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 8 و9 ؛ ع. الخطيبي، المخزن والضرائب المفروضة على التجارة الداخلية ـ مكوس الحواضر (1856 ـ 1896) د. د. ع. 1989.

عبد العزيز الخطيبي

صنهاجة إحدى القبائل الأمازيغية الكبرى، تمتد مواطنها من شواطئ المحيط الأطلنتي إلى غدامس في تخوم السودان بليبيا، بحيث "لا يكاد قطر من أقطار المغرب الكبير يخلو من بطن من بطون صنهاجة في جبل أو بسيط حتى زعم كثير من الناس أنهم ثلث البربر" (*الاستقصا*، 2 : 3). وذكر ابن خلدون أن "هذه الطبقة من صنهاجة هم الملثمون الموطنون بالقفر وراء الرمال الصحراوية بالجنوب، أبعدوا في المجالات منذ دهور قبل الفتح لا يُعرف أولها". (*العبر*، 6 : 370) وأكد الباحثون الغربيون هذه النظرية اعتباراً لمطاردة الجيوش الرومانية بعض القبائل المغربية التي ثارت ضد الوجود الروماني فيما بين القرن الأول والثالث الميلادي، والتي لاذت بالفرار إلى الصحراء بعد انتصار الجيوش الرومانية عليها (*Population*. 1 : 381).

إذا كان الصنهاجيون أو الملثمون يعمرون هذه البلاد الشاسعة من الصحراء الإفريقية فإن ثقلهم السياسي والاقتصادي ارتكز في المنطقة الغربية المعروفة بصحراء الملثمين التي يحدها المحيط الأطلنتي غرباً وتادمكة من الجنوب الشرقي وتوات من الشمال الشرقي، والسوس الأقصى ووادي درعة شمالاً ونهرا السنيغال والنيجر جنوباً.

وأكبر قبائل صنهاجة الصحراء ثلاث : گدالة ولمتونة ومسوفة :

كانت منازل گدالة في الجانب الغربي من الصحراء الموالي

للمحيط الأطلنتي إلى مصب نهر السنيغال، وكانوا أغنياء يسيطرون على مملحة أوليل (*Les Almoravides*, p. 217) التي كان ملحها يصدّر مباشرة إلى الممالك السودانية في حوض نهر السنيغال، وإلى غانة وممالك النيجر بواسطة أودغست.

ويتوسط مجال لمتونة الجغرافي بين أراضي گدالة غرباً وبلاد مسوفة شرقاً، وتمتد شمالاً إلى وادي تارگا (الساقية الحمراء) ووادي نول، وجنوباً إلى الحوض الذي أسست فيه عاصمة ملكها أودغست (*نزهة المشتاق*، ص. 125). وتأتي أهمية لمتونة من سيطرتها على أقدم طريق يعبر الصحراء باتجاه بلاد السودان الذي أصبح يعرف بطريق اللمتوني.

تقع قبائل مسوفة إلى الشرق من مواطن لمتونة وإلى الغرب من قبائل زناتة (*الاستبصار*، ص. 79) وتمتد شمالاً إلى تندوف ووادي درعة (*المغرب*، ص. 149) وجنوباً إلى منعطف النيجر "وهم قبائل كثيرة من صنهاجة يسكنون تلك الصحراء ولا يستوطنون بلداً، وإنما عيشهم على اللبن واللحم وهم خلق كثير" (*الاستبصار*، 197) وبلادهم من أكثر صحراء الملثمين جفافاً وأقلها مياهاً. وقد سيطروا على الطريق الرابط بين سجلماسة وغانة (*صورة الأرض*، 97 ـ 98)، واستولوا منذ القرن الثاني الهجري (8 م) على مملحة تغازى الواقعة على ذلك الطريق، وانفردوا بالشهرة في قيادة القوافل وهدايتها. فكانوا من أغنى قبائل الصحراء.

يضاف إلى هذه القبائل الكبرى أربع قبائل صنهاجية أخرى أضعف شأناً وأقل عدداً لكنها كانت على صلة وثيقة بها وشاركت مشاركة فعالة في حركة التكتل الصنهاجي :

ـ بنو وارث ذكرهم البكري نقلاً عن الوراق في وصف مراحل الطريق الرابط بين تامدلت وأودغست : "... ثم تمشي منه في بلد وارث خمسة أيام مجابة في كثبان رمل إلى بير عظيمة في حد بني وارث قبيلة من صنهاجة" (ص. 157). وكانوا يحصلون على قدر كبير من حاجياتهم عن طريق حماية القوافل ورسوم المرور.

گزولة تمتد مواطنها جنوب المغرب الأقصى بين وادي سوس ووادي درعة، وتخترقها الطرق التجارية المتجهة إلى بلاد السودان، ومن ثم انسابت فرق منهم إلى الصحراء وعاشوا بين أظهر قبيلة گدالة. وأشهر مواقع گزولة على خط القوافل التجارية في موطنهم الأصلي بسوس مدينةُ تمارت (*المغرب*، ص. 157) في بلاد الفايجة المنفتحة على الصحراء، مسقط رأس تين يزا مارن أمّ عبد الله بن ياسين.

ـ لمطة قبيلة صنهاجية أصيلة من سلالة الجد الأعلى صنهاج على أشهر الأقوال أو من ذرية أحد إخوته على ما ذهب إليه ابن خلدون (*العبر*، 6 : 188) كانت تسكن بين وادي سوس ووادي نون. وفي هذا الموقع الأخير أسس اللمطيون حاضرتهم نول لمطة. وتنطلق من بلادهم شبكة من الطرق باتجاه السودان. تسربت عبرها عشائر لمطة إلى صحراء الملثمين لتقيم بين ديار لمتونة ومسوفة.

ـ تَرْغَة أو تارگا (تَرْجَة)، ورد اسمها ضمن لائحة أسماء قبائل دعاها ابن حوقل القبائل الصنهاجية الخُلَّص (*صورة الأرض*، ص. 101). ويرى بعض المؤرخين ـ بناء على معنى تارگا في لغة الطوارق ـ أن أصلهم من فزان أو من الساقية الحمراء، وربما كانوا قد استقروا أثناء هجرتهم من الشرق في فزان مدة قبل أن ينتقلوا إلى الوادي : الساقية الحمراء. وكانت مواطنهم في العصر الوسيط بين الساقية الحمراء ووادي درعة (*المغرب*، ص. 174).

تتفق آراء معظم النسابين على الأصول العربية لقبيلة صنهاجة، وأنهم من حمير من اليمن، ويختلفون في أسباب هجرتهم من اليمن إلى بلاد المغرب وتاريخ تلك الهجرة في أخبار لا تخلو من طابع أسطوري.

تركزت مواطن الصنهاجيين خارج الصحراء في العهد الإسلامي بالمغربين الأدنى والأوسط، وأعظم بطونهم تلكاتة، وكبيرهم مناد بن منقوش بن صنهاج الأصغر الذي ناصر الأغالبة التابعين للدولة العباسية، وملك جانباً من هذه البلاد، وحل محله بعد موته ابنه زيري بن مناد الذي ناصر الفاطميين عند قيام دولتهم بتونس (*العبر*، 6 : 312). ولما عزم المعز الفاطمي على نقل دولته إلى مصر أناب عنه في إفريقية بُلكين بن زيري الصنهاجي سنة 362 / 973. فضبط البلاد إلى أن توفي وخلفه ابنه المنصور الصنهاجي الذي جرت بينه وبين أعمامه حروب طويلة فانهزموا أمامه ولحق بعضهم بالأندلس وأسسوا هناك مملكة غرناطة ضمن ممالك الطوائف. واستعان باديس بن المنصور بعمه حماد في إخضاع ثورة الزناتيين وجعل له ملك جميع ما يفتحه فأسس قلعة بني حماد بناحية قسنطينة واستقل بحكم المغرب الأوسط وبذلك انتشر النفوذ الصنهاجي في المغربين الأدنى والأوسط والأندلس (*العبر*، 6 : 317 ؛ *خلاصة تاريخ تونس*، 105) إلى أن قضى عليهم المرابطون.

أما المجموعة الصحراوية من صنهاجة المعروفة في الكتابات العربية الوسيطة بالملثمين، فهي موغلة في المفاوز الواقعة بين المغرب وبلاد السودان، كما سبق. ويعدّون من أول من اعتنق الإسلام في هذه المنطقة، لاتصالهم بالسوس الأقصى الذي تذكر بعض الروايات أن الفاتح العربي عقبة ابن نافع الفهري وصل إليه ونشر فيه الإسلام (*فتوح إفريقيا*، ص. 58).

تعتبر مملكة أودغست أول تنظيم سياسي تبلور فيه تحالف قبائل صنهاجة بزعامة لمتونة في تخوم السودان التي يُطلق عليها الفزاري (ت. 790 م) بلاد أنبيه (*Recueil*, p. 42) ويذكر اليعقوبي أن مملكة أودغست (يحرّفها غسط) كانت على غير دين الإسلام : "... غسط وهو واد عامر فيه المنازل وفيه ملك لهم لا دين له ولا شريعة يغزو بلاد السودان وممالكهم كثيرة" (*البلدان*، ص. 111)، لا يُعرف تاريخ نشأة هذه المملكة بدقة ولا متى أصبحت أودغست عاصمة لصنهاجة. وإنما المؤكد أنها كانت قائمة في القرن الثاني

(8 م). وقد حدد ابن أبي زرع في *القرطاس* (ص. 121) تاريخ نشأتها ببداية حكم عبد الرحمن الداخل في الأندلس، ونحن نعلم أنه دخل الأندلس سنة 138 / 755 . 756 م. وأكد ذلك ابن خلدون في *العبر* (6 : 371).

كانت حدود مملكة أودغست تتسع تارة وتضيق أخرى بحسب قوة الرؤساء وضعفهم. ويعتبر ابن خلدون تلاگاگين اللمتوني أول ملك لصنهاجة الصحراء. واستمر الملك في ذريته من بعده. وبلغت أودغست أوج عزها وسعتها أيام ملكها تيولوتان بن تلاگاگين، فصارت مساحتها حسب القزاري الذي قدرها بـ 2500 فرسخ طولاً و600 فرسخ عرضاً (*Recueil*, p. 42) وحوّل لويكي Lewicki الفراسخ إلى أميال فصارت 6.000.000 كلم2.

كان ملوك أودغست ينتمون جميعاً إلى قبيلة لمتونة وينحدرون من بيت بني ورتنطق (*العبر*، 6 : 373)، ثم استقرت السلطة في بيت تلاگاگين وابنه تيولوتان الذي ظل يحكم صحراء الملثمين خمسا وستين سنة، إلى حفيده تميم الذي ثار عليه شيوخ صنهاجة وقتلوه سنة 306 / 918 م، ولم يجتمعوا على أحد بعده، واستمر تشتت الصنهاجيين 120 سنة (*القرطاس*، ص. 121) هيمنت خلالها إمبراطورية غانة وحلفاؤها الزناتيون على الطرق التجارية، وأُبعد الصنهاجيون عن المناطق الحيوية للتجارة العابرة للصحراء، وحُشروا في مواقع قاحلة حتى قال عنهم البكري : "صنهاجة ظواعنُ رحالة في الصحراء ... وليس يعرفون حرثا ولا زرعا ولا خبزا، وإنما أموالهم الأنعام، وعيشهم من اللحم واللبن، ينفَدُ عمرُ أحدهم وما رأى خبزا ولا أكله" (*المغرب*، ص. 164).

تفرقت قبائل صنهاجة في هذه الفترة الحرجة وتصارعت بسبب ندرة المياه والمراعي على نحو ما وصفهم النويري في *نهاية الأرب* نقلا عن عبد العزيز بن شداد : "وكان بالصحراء قبائل العرب، وهي لمتونة وگدالة ولمطة وانبيصر وإيتواري ومسوفة وأفخاذ عدة، وكل قبيلة قد حازت أرضا يسرح فيها مواشيها ويحمونها بسيوفهم" (ص. 377).

وقد عرفت الصحراء جفافاً حاداً في النصف الأول من القرن الثالث (9 م) أدى إلى هلاك جزء كبير من الثروات الحيوانية (*الكامل*، 9 : 75). واضطر الصنهاجيون إلى البحث عن بديل في التجارة التي افتقدوها، وأخذوا يعملون على استرجاع مناطق نفوذهم القديمة. وتكتلوا من جديد خلال العقد الثالث من القرن الهجري الخامس (1030 ـ 1039) حول زعيمهم محمد بن تيفاوت اللمتوني الذي تصفه المصادر بأنه "من أهل الدين والفضل والحج والجهاد" (*العبر*، 6 : 372).

كان ذلك نقطة تحول في سلوك الصنهاجيين وعقيدتهم، حيث لم يعودوا يبحثون عن زعيم قوي وكفى، وإنما أصبحوا يلتفّون حول رجل سومن صالح شجاع يطمئنون إليه ويُسلسون إليه القياد. سار ابن تيفاوت على رأس جيوش الملثمين نحو الجنوب لردع السلطة الغانية ـ الزناتية واسترجاع أوداغست، فاعترضتهم جيوش غانة في أعداد هائلة وصدّتهم وقُتل ابن تيفاوت بعد أن قضى ثلاث سنوات في قيادة الصنهاجيين، فخلفه صهره يحيى بن إبراهيم الگدالي الذي أتى يعبد الله ابن ياسين مرجعه من الحج سنة 428 / 1037. وأصبح الطريق بذلك ممهداً لإقامة دولة المرابطين (*البيان المغرب*، 4 : 8).

تنازل يحيى الگدالي ـ بإشارة من ابن ياسين ـ عن منصبه ليحيى بن عمر اللمتوني الذي أصبح ـ بإجماع قبائل صنهاجة ـ رئيس دولة المرابطين، ولقبه ابن ياسين "أمير الحق". (*البيان المغرب*، 4 : 12).

أظهر يحيى بن عمر اللمتوني كفاية حربية وسياسية فائقة، وقاد بنجاح المرابطين خلال سنة 447 / 1055 في معارك استرجعوا خلالها مدينة أودغست وسائر صحراء الملثمين، وملكوا أطرافا من بلاد السودان. ثم اتجه إلى الشمال فاستولى على مدينة سجلماسة بعد أن هزم حاكمها المغراوي مسعود بن وانودين، ورجع إلى الصحراء للقضاء على تمرد گدالة فقتلوه سنة 448 / 1056. وتولى الرآسة بعده أخوه أبو بكر.

صرف أبو بكر بن عمر نظره عن الصحراء إلى حين، وولى وجهه شطر الشمال، فأخضع أولاً بلاد سوس ودرعة قبل أن يتوجه إلى تامسنا لقتال قبائل برغواطة. وفي غمرة هذه المعارك قُتل عبد الله بن ياسين، فتابع أبو بكر جهاد البرغواطين وشرّدَ بهم مَنْ خلفهم. واتخذ من آغمات بعد فتحها مقراً له. ثم رأى أن يرجع إلى الصحراء سنة 453 / 1061 بعد أن أناب عنه في إتمام توحيد المغرب ابن عمه يوسف بن تاشفين اللمتوني، تاركاً معه نصف الجيش (*الاستقصا*، 2 : 19).

كانت مصالح المرابطين في الجنوب قوية بالرغم على الأهمية التي أعطوها للشمال. فالمساحات الخاضعة لنفوذهم شاسعة جداً، والطرق التجارية التي تخترقها في غاية الأهمية، وبعض الممالك السودانية التي اعتنق ملوكها ورعاياها الإسلام انفصلت عن امبراطورية غانة وصاروا ينتظرون من المرابطين أن يُعينوا بالقضاء على الوثنية في غرب إفريقيا. وقاتل هؤلاء الملوك الحديثو عهد بالإسلام إلى جانب المرابطين خلال فترة مبكرة من قيام دولتهم بالصحراء. لذلك لما رجع أبو بكر إلى المغرب ليطلع على أحوال يوسف بن تاشفين، اطمأن على رسوخ قدمه وعاد إلى الصحراء، متخلياً له نهائياً عن السلطة في الشمال (*المصدر السابق*، 20).

حقق أبو بكر أعمالا عظيمة ودخلت جيوشه عاصمة غانة سنة 468 / 1076 ـ على أصح الأقوال ـ ودخلت في طاعته عدة ممالك سودانية. وظلت العلاقة بينه وبين يوسف ابن تاشفين طيبة سليمة. (*قيام دولة المرابطين*، 220 ـ 221) وتمكن يوسف بن تاشفين خلال هذه الفترة مدعوماً مؤيّداً من قومه الصنهاجيين بالصحراء وأميرهم أبي بكر، من القيام

بأهم المنجزات العسكرية والسياسية والعمرانية : أسس مدينة مراكش سنة 453 / 1061، وفتح حواضر المغرب الأقصى والأوسط : فاساً وطنجة وسبتة، وبلاد غمارة وتادلا، وجزائر بني مزغنة وشيد حصوناً وقلاعاً كثيرة.

كانت الإمدادات الصنهاجية من الصحراء لا تنقطع عن يوسف بن تاشفين. فقد أرسل في بداية عهده يطلب من الملثمين القدوم إلى المغرب، فولّى أفراد القبائل الكبرى شؤون التسيير وقيادة الجيوش، واتخذ من أفراد القبائل الصغرى حشمه مثل گزولة (*الحلل الموشية*، ص. 33). وقبل أن يعبر إلى الأندلس لخوض معركة الزلاقة "قدمت عليه جنود الله من الغرب والصحراء والقبلة والزاب ـ وهو في سبتة ـ فشرع في إجازتها إلى الأندلس". (*الاستقصا*، 2 : 31).

وكان موت أبي بكر بن عمر سنة 480 / 1087 إيذاناً بانقسام الامبراطورية المرابطية واستقلال الجزء الشمالي منها عن الصحراء. فقد ضرب يوسف بن تاشفين السكة باسمه (*السكوكات المغربية*، ص. 543)، وحصل من الخليفة العباسي أحمد المستظهر على كتاب يعهد إليه فيه بحكم المغرب والأندلس (*العبر*، 6 : 386) وتسمى بأمير المسلمين. واستمرت دولة المرابطين قائمة بالمغرب والأندلس إلى سنة 539/ 1145، حيث خلفتها دولة الموحدين. في حين ظل الشطر الجنوبي للدولة المرابطية تحت حكم زعماء لمتونيين حتى دخول قبيلة المغافرة العربية إلى الصحراء في القرن العاشر (16 م).

ومازالت حَتّى اليوم بطون من صنهاجة مستوطنة في مناطق مختلفة من المغرب بالريف والسهول الأطلنتية بالشاوية ودكالة وعبدة، وفي السوس الأقصى.

علي ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، بيروت، 1978 ؛ م. الشريف الإدريسي، *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق*، (قسم إفريقيا والأندلس) تح. إسماعيل العربي ؛ أبو عبيد البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب*، الجزائر، 1857 ؛ أ. البلاذري، *فتوح البلدان*، تح. ع. الله أنيس الطباع وآخر، بيروت، 1987 ؛ م. الحميري، *الروض المعطار*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1984 ؛ أبو القاسم ابن حوقل، *صورة الأرض*، بيروت، 1979 ؛ ع. ابن خلدون، *المقدمة* ؛ *العبر*، بيروت، 1956 عصصت ع. اللطيف دندش، *دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا*، بيروت، 1988 ؛ ع. ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1973 ؛ ع. الرحمن السعدي، *تاريخ السودان*، تح. هوداس، باريس، 1981 ؛ أ. اليعقوبي، *كتاب البلدان*، النجف، 1957 ؛ ع. الرحمن ابن عبد الحكم، *فتوح إفريقيا والأندلس*، بيروت، 1964 ؛ م. ابن عذاري، *البيان المغرب*، تح. إحسان عباس، ط. 3، بيروت، 1983، ج 4 ؛ أ. ابن فضل الله العمري، *مسالك الأبصار في ممالك الأمصار*، تح. مصطفى أبو ضيف أحمد، الدار البيضاء، 1988 ؛ أبو الفداء، صاحب حماة، *الأخبار القويمة عن الحوادث القديمة*، ذيل على كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية للطبري، مصر، 1919 ؛ تقويم البلدان، باريس، 1840 ؛ صالح بن قربة، *السكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد*، الجزائر، 1986 ؛ كمت القاضي الفغ محمود، تاريخ الفتاش، نشر هوداس ودي لافوس، بلانس، 1981 ؛ مجهول، *الاستبصار في عجائب الأمصار*، تعليق سعد زغلول عبد الحميد، بغداد، 1986 ؛ *الحلل الموشية*، تح. سهيل زكار، وع. القادر زمامة، الدار البيضاء، 1979 ؛ حسن أحمد محمود، قيام *دولة المرابطين، صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى*، القاهرة، د. ت ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ط. 2. الدار البيضاء، 1954، الجزء الثاني ؛ القاضي النعمان التميمي، كتاب المجالس والمسامرات، تح. الحبيب الفقي وآخرين، نشر، تونس، 1978 ؛ أ. النويري، *نهاية الأرب في فنون الأدب*، تح. مصطفى أبو ضيف أحمد، الدار البيضاء، 1985 ؛ المختار ولد حامد، حياة موريتانيا ـ الجغرافيا ـ بيروت، 1994 ؛ م. الناني ولد الحسين، *صحراء الملثمين وعلاقتها بشمال وغرب إفريقيا*، أطروحة دكتورة مرقونة، كلية الآداب، الرباط، 1999 ؛ أ. الشكري، *مملكة غانة وعلاقتها بالحركة المرابطية*، الرباط، 1997 ؛ ح. حسني عبد الوهاب، *مختصر تاريخ تونس*، تونس، 1980.

S.M. Cissoco, *Histoire de l'Afrique Occidentale, moyen-âge et temps moderne du VIIe siècle à 1850*, Paris, 1966 ; J. Cuoq, *Recueil des sources arabes concernant l'Afrique Occidentale du VIIe au XVIe siècle*, Paris, 1975 ; Histoire *de l'islamisation de l'Afrique de l'Ouest des origines jusqu'à la fin du XVIe siècle*, Paris, 1984 ; M. Delafosse, *Haut-Sénégal-Niger*, Paris, 1912; P. Lafosque, *Notes sur Aoudaghost, ancienne capitale des berbères Lemtouna*, in *B.C.E.H.S.* de l'A.O.F, 1940 ; Lagardere, *Les Almoravides jusqu'au règne du Yusuf Ben Tashifine (1039 - 1106)*, Paris, 1991 ; T. Lewicki, *Les origines de l'Islam dans les tribus berbères du Sahara*, in *Studia Islamica*, vol. 32, 1970 ; R. Mauny, *Tableau Géographique de l'Oueste Africain au Moyen Age...* ; C. Modat, *Les populations primitives de l'Adrar*, in *B.C.E.H.S.* de l'A.O.F., t. 1, 1919 ; J. Ki-Zerbo, *Histoire de l'Afrique noire d'hier à demain*, Paris, 1972 ; R. Roget (textes traduits par...), Le Maroc chez les auteurs anciens, Paris, 1924 ; UNESCO, *Histoire générale de l'Afrique*, t. 3, UNESCO, N.E.A., Paris, 1990 ; CH. de La Véronne, *Sanhadga, E. I*, 2 éd. 1998, T 9 : 18 - 19.

الصنهاجي، أسرة فاسية تنتسب إلى قبيلة صنهاجة الكبرى. وهم في فاس ـ حسب إزالة الالتباس ـ على فرقتين : فرقة قديمة بالمدينة معظمهم أهل معاش وحرفة، وكان منهم فقهاء وقضاة وعدول ومدرسون وصلحاء، مثل شمس الدين أبي عمر الصنهاجي المولود بفاس سنة 565 الذي توجه إلى مصر وخالط علماءها وولي قضاء قوص ودرّس بالأزهر ومات بالقاهرة سنة 639 / 41 ـ 1242، ذكره ابن السبكي في *الطبقات* ؛ والولي الصالح الحسن الصنهاجي دفين رحبة الزيب بفاس ؛ وفرقة من صنهاجة الجبل دخلوا إلى فاس قريباً وزادوا في نسبهم "الغازي الحسيني". وقد وقع إبطال نسبتهم الحسينية من طرف الشرفاء الحسينيين. (انظر في *المعلمة* : *الصنهاجي*، أبو *الشتاء* ومحمد).

ع. الكبير الكتاني، *زهر الأس*، الدار البيضاء، 2002، ج 1 : 569 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إزالة الإلتباس*، مرقون، 2 : 93.

محمد حجي

الصنهاجي، أحمد أزناك أي الصنهاجي في الأمازيغية. ينتمي إلى قبيلة وسلست المنضوية تحت لواء صنهاجة أو زناكة التي توجد مواطنها حوالي مدينة تازناخت على الطريق الواصلة بين ورزازات وأگادير، بالأطلس الصغير. انتقل منها في زمن غير معروف إلى قرية تعزيت، حيث توجد زاوية سيدي عبد الحق القيرواني، وبها تزوج من

إحدى بنات الزاوية المذكورة. ومنها ارتحل مع بعض من قبيلته، إلى أيت ماحي، فخدة من قبيلة أيت عتاب القبيلة المشهورة على الضفة اليمنى لوادي العبيد بالأطلس المتوسط الغربي. وهنالك أصبحوا يدعون إزناگن واكسيسي. وينتمون الآن إلى خمس أسمسيل، أحد أخماس قبيلة أيت عتاب المذكورة. استقر أحمد الصنهاجي بأيت ماحي فبنى بها داراً وغرس أجنة ثم اشتغل، كباقي تلاميذ الناصريين بتلقين الأوراد للمنخرطين في سلك الطريقة وتدريس طلبة العلم، يذكر محمد بن عبد الله الخليفتي الذي انفرد بترجمته أنه كان فقيها ورعا زاهدا عالما بعلمه مجاهدا في عبادة ربه. أخذ عن الشيخ أحمد بن ناصر الدرعي، ولزمه حتى "نال منه نيلا عظيما"، وصار من أكابر تلاميذه. اشتهر الصنهاجي بتعبير الرؤيا، فكان "يرى الرؤيا فيعبرها لنفسه فتجيء كفلق الصبح"، على حد كلام الخليفتي.

وبما أن تلك الجهة التي استقر فيها أحمد الصنهاجي وتصدر لنفع الناس وظهر صلاحه، كانت من بين البوادي النائية، فقد انتشر صيته بسرعة وقصده الناس للتربية وطلب العلم. فنشأت حوله طائفة من المريدين الناصريين الذين شكلوا سلسلة متصلة الحلقات في جهتهم وعملوا على دعم زاوية تامگروت بحرصهم على الوقوف على سائر الوظائف التي كانت الزاوية الأم تضطلع بها.

وكما نجهل تاريخ ولادته نجهل تاريخ وفاته، غير أننا واثقون من أنه توفي بعد سنة 1134 / 1722، وهي السنة التي مر فيها الحسين الشرحبيلي بقرية تعزيت في طريقه إلى مدينة فاس. وكان المترجم قد لقيه وعزم على استفساره عن النزاع الذي نشب بينه وبين موسى الناصري حول مشيخة تامگروت، فكان من بين من جنحوا إلى الحياد إزاء ما وقع.

م. بن عبد الله الخليفتي، *الدرة الجليلة في مناقب الخليفة*، مرقون، تح. أ. عمالك، ص. 275 ؛ *التحري الميداني*.

أحمد عمالك

الصنهاجي الحسن بن علي حفيد المنصور بن بلكين بن مناد، ولد بسوسة في رجب 502 / فبراير 1109، تولى ملك الزيريين بعد وفاة والده وعمره اثنتا عشرة سنة، وقام بأمره مولاه صندل الخصي، ثم مات صندل وقام بأمره بعده مولاه أبو عزيز موفق (*البيان*، ١ : 308 و*نهاية الأرب*، 368).

كان الحسن هذا، وهو آخر ملوك الزيريين بإفريقية، قوي النفس مجتمع الفكر لا يتزحزح لعظام الأمور ولا يتضعضع لنوائب الأمور، مستوقد الذهن شجاع القلب كريم النفس حسن الفروسية ينظم الشعر (*المؤنس*، 116).

غادر عاصمة ملكه المهدية بعد أن غلبته جيوش روجار ملك صقلية عليها سنة 543/ 1148، بأهله وولده، وكانوا اثني عشر ولدا ذكرا غير الإناث وخواص خدمه. ولحق بمحرز بن زياد الفادغي شيخ عرب رياح، وطلب منه العون على محاربة النصارى، ولما لم يجبه إلى طلبه، أراد الرحيل إلى مصر لطلب العون من الخليفة الفاطمي الحافظ، لأن باسمه كان الحسن يخطب بالمهدية، فابتاع من تونس مركبا أعده لسفره (*رحلة التجاني*، 342) فأرصد له جرجي بن مخائيل الأنطاكي قائد أسطول ملك صقلية عشرين قطعة ترقب إقلاعه وتتبعه، وعلم بذلك الحسن فعدل عن السفر إلى مصر.

قرر بعد ذلك التوجه إلى الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي الگومي فارتحل إلى عنابة ونزل على صاحبها الحارث ابن المنصور، ومنها إلى قسنطينة حيث نزل على صاحبها سبع بن العزيز أخو يحيى صاحب بجاية (*العبر*، 6 : 215) ومنها سار إلى الجزائر، فحل بها في محرم 544 / مايو 1149 واستقر بها في أمكنة لا تليق به وجرايات لا تكفيه إلى أن فتحها عبد المؤمن سنة 547 / 1152 (*الكامل*، 11، 17 ؛ *رحلة التجاني*، 343). فخرج إليه وبايعه، فأكرمه عبد المؤمن وصاهره، وحمله معه إلى مراكش، ثم صحبه في حملته على إفريقية سنة 554 / 1159 (*القرطاس*، 198). ولما افتتح عبد المؤمن المهدية سنة 555 / 1160 أسكنه بها وأقطعه رحيش، فأقام بها ثماني سنين، إلى أن استدعاه الخليفة يوسف بن عبد المؤمن للقدوم عليه، فارتحل بأهله يريد مراكش، وهلك بتامسنا في طريقه إليها في مكان يعرف بآبار زلو سنة 566 / 1171 (*العبر*، 215 و*رحلة التجاني*، 349 و*المؤنس*، 139 و116 و*الحلل السندسية*، ١ : 247، 248).

ابن عذاري المراكشي، *البيان*، ن ج ١، تح. ج. س. كولان وإ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة ن بيروت، 1983 ؛ ابن خلكان، *وفيات الأعيان*، ج 2، تح. إحسان عباس، بيروت، 1970 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، دار المنصور، الرباط، 1973 ؛ ابن الخطيب، *أعمال الأعلام*، تح. حسن حسني عبد الوهاب، بلرمو، 1910 ؛ ابن خلدون، *العبر*، ج 6، دار الفكر، بيروت، 1988 ؛ التجاني، *رحلة التجاني*، الدار العربية للكتاب، ليبيا ـ تونس، 1981 ؛ ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، ج 11، القاهرة، 1301 ؛ النويري، *نهاية الأرب*، تح. مصطفى أبو ضيف أحمد، الدار البيضاء، 1985 ؛ السراج، *الحلل السندسية*، ج ١، تح. م. الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985.

حسن حافظي علوي

الصنهاجي، سعيد ← الأنجري سعيد

الصنهاجي، عبد العزيز من كبار صلحاء سلا زهداً وورعاً ومكاشفة، عرف باللَّبْلي نسبة إلى مدينة لبلة الأندلسية. زاره السلطان عبد العزيز المريني فكاشفه بأشياء تعجب منها. كان المترجم يطعم الطعام، ويبذل الجهد في قضاء حاجات المسلمين. لقيه محمد بن أبي بكر الحضرمي بمدينة سلا عام 763 / 1361 وتبرك به والتمس منه الدعاء، وقد سطر بعض كراماته في كتابه *السلسل العذب*، كما أشاد به ابن الخطيب في إحدى قصائده التي يتشوق فيها إلى الحاضرة السلاوية.

كان الشيخ عبد العزيز الصنهاجي حيا في حدود 770 / 68 ـ 1369. دفن خارج باب معلقة قريباً من ضريح الشيخ أحمد بن عاشر الجزيري السلاوي.

م. الخضرمي، *السلسل العذب*، تح. م. النجار، ص. 31 ـ 35 ؛ ابن قنفذ، *أنس الفقير*، تح. م. الفاسي وأدولف فور، 1965، ص. 84.

محمد السعدين

الصنهاجي الغازي، أبو الشتاء بن الحسن، من صنهاجة الشمس مدشر أولاد الفاطمي عمالة تاونات، وبها ولد سنة 1299 / 1882. انتقلت أسرته إلى فاس سنة 1315 / 1897، وادعوا الشرف الحسيني فلم يسلّم لهم ذلك الشرفاء الحسينيون المعروفون المعدودة فرقهم على رؤوس الأصابع وانتهى الأمر إلى التداعي والحكم ببطلان هذا الانتساب.

درس المترجم بفاس على الشيوخ عبد الله الفضيلي ومحمد العلمي والفاطمي الشرادي وغيرهم، وتخرج فقيهاً متمكناً من فروع المذهب المالكي وأصوله مشاركاً في الفلك والتوقيت والحساب. اشتغل بالتدريس بالقرويين قبل إدخال النظام وبعده وانتفع به الطلبة أيما انتفاع لحسن تدريسه وتبليغه. ذكر إدريس الإدريسي أنه "كان عالماً عارفاً بالفقه والفرائض والحساب والتوقيت، خيراً ديناً ذا سمت حسن ومروءة تامة، مشتغلا بالعلم والتعليم دؤوباً على التدريس يغلب عليه علم الفقه، وكان الطلبة الأفاقيون يتهافتون على دروسه، كما وقع الإقبال على مؤلفاته".

بلغت مؤلفاته نحو عشرين كتاباً، طبع منها : *الإيضاح والتحصيل لشرح الخرشي على فرائض خليل* ؛ *تحرير المقالة في مسائل الوكالة* ؛ *تحفة الإخوان لمسائل الإيمان* ؛ *تحفة المبتدئين في إعراب الماضي والمضارع والأمر بإيضاح وتبيين* ؛ *منهاج الناشئين من القضاة والحكام في كيفية إجراء الدعوة من البدء إلى تمام الأحكام* ؛ *مواهب الخلاق على شرح التاودي للامية الزقاق*.

توفي بفاس يوم الثلاثاء ثاني عشري رمضان عام 1365/ 20 غشت 1946، ودفن بالقباب.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع وسل النعال / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 9 ؛ إ. الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، سلا، 1988.

الصنهاجي الغازي، محمد بن الحسن. ولد ببلدة صنهاجة الشمس عام 1305 / 87 ـ 1888 وهناك حفظ القرآن ولما بلغ العاشرة من عمره دخل مع أسرته إلى فاس فأتم دراسته وأخذ عن شيوخ القرويين أمثال أحمد ابن الحياط وأحمد ابن الجيلالي الأمغاري ومحمد بن قاسم القدري وشقيقه أبي الشتاء الصنهاجي سابق الترجمة وغيرهم. وفي سنة 1330 / 1912 أدرج في لائحة العلماء المدرسين. وعمل كذلك في التعليم الرسمي، وبمجلس الاستيناف الشرعي الأعلى بالرباط. له تعاليق على *شروح التلخيص* في البلاغة، وعلى *صحيح البخاري* و*كتاب السبكي في الأصول*، وكتب فقهية متنوعة.

توفي بالرباط ليلة السبت 14 حجة عام 1365 / 9 نونبر 1946 ونقل إلى فاس فأقبر بروضة الحميري بالقباب في جوار شقيقه أبي الشتاء.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع وسل النعال / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 9 ؛ م. ابن الحاج، *إسعاف الإخوان*، الدار البيضاء، 1992، ص. 178 ـ 179.

الصنهاجي، محمد بن **أحمد** بن عيسى الفاسي، أديب شاعر ناثر، فقيه مشارك. عمل كاتباً مع باشا فاس عبد الله بن احماد السوسي، ثم مع الوزير محمد ابن العربي الجامعي حظياً لديه، فلما مرض الجامعي سنة 1303 / 1886 صار الصنهاجي ينوب عنه بأمر مولوي ثم حل محله في الوزارة.

كان محمد الصنهاجي علاوة على أعماله المخزنية، لا ينقطع عن التدريس بالقرويين، لا سيما مادة أصول الفقه، وكسب أموالاً طائلة وأصولا كثيرة بولايته بعد أن كان ذا فاقة في أول أمره.

توفي بفاس يوم الخميس سادس جمادى الثانية عام 1309 / 7 يناير 1892، ودفن بزاوية الشيخ قاسم ابن رحمون.

ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، ط 2، الرباط، 1990، ج 2 : 207 و 513 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع/ موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 8 : 2787.

محمد حجي

الصنهاجي، محمد بن **عبد المنعم** الحميري السبتي. يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن عبد المنعم (جذوة، 316) كاتب، فقيه، شاعر، نحوي وطبيب. كان متضلعا في علوم عصره من حديث ولغة ونحو. كما كان على دراية بالعلوم العقلية. تتلمذ بسبتة عن أبي إسحاق الغافقي وأبي القاسم ابن الشاط (*الدرر*، 4 : 32). وقد اعتبره ابن الخطيب من صدور الحفاظ وفحول النحاة، بل تفرد في ذلك، بحيث كان يستظهر كتاب *التاج* للجوهري ويسرد كتاب سيبويه بلفظه. وكان يقدم جواهر ابن شاش في الفقه على غيرها من كتبه

(*الإحاطة*، 3 : 134؛ *بلغة*،175 ؛ *الكتيبة*، 277). درس بالمسجد الموجود بإزاء زقاق الفضل على الممر الأعظم. ويذكر أبو عبد الله الزيات أنه كان يقرئ طلبته في المجلس الواحد علوما متعددة وكانت آخر مواده الطب يقول : "فكنت أرى بعض الطلبة ممن طال به المجلس خارجا من المسجد ويدخل إليه أصحاب العلل والزمن شيوخا وكهولا لحضور دولته الطبية". كما برهن على مهارة عالية في الشطرنج. كما كان يقول الشعر وقد اختبره الفاسيون في اللغة والنحو حين حضر فاس في وفد أهل سبتة أيام حكم السلطان أبي الحسن، وبرهن عن تفوقه وأقام الدليل على قوله من شواهد العرب. فعلم السلطان والحضور منزلته (*بلغة*، 175 ؛ *اختصار*، 20). ومما يدل أيضاً على مكانة الرجل في سبتة أنه انتدب كممثل لأهل بلده في الوفد الذي قدم غرناطة لتقديم البيعة لسلطان بني نصر حينما سقطت سبتة في قبضتهم وذلك سنة 705 / 1306. وكان يوجد من بين أفراد هذا الوفد أستاذاه أبو القاسم ابن الشاط ومحمد بن علي بن هانئ اللخمي السبتي (*الإحاطة*، 3 : 135). يعتبره المؤرخون المحدثون (*الروض*، *المقدمة*) مؤلف كتاب *الروض المعطار في خبر الأقطار* مع العلم أنه لا يوجد في متون المصادر المترجمة له ما يدل على ذلك. كما يعوزنا ما يفيد بشكل مؤكد على اهتمام الرجل بكتب الجغرافيا والرحلات. وقد اختلف في تحديد مكان وظروف وفاته فحسب *بلغة الأمنية* توفي في سبتة في أحد شهور عام 750 / 1349 (*بلغة*، 176 ؛ *اختصار*، 20). أما ابن الخطيب فيذكر أن الموت الناجم عن وباء قاتل جرفه وجرف الوفد المرافق له عند أحواز تازة وهم في طريق عودتهم من فاس (*الإحاطة*، 3 : 135).

مجهول، *بلغة الأمنية ومقصد اللبيب*، تح. م. ابن تاويت، مجلة تطوان، العدد 9، 1964، ص. 175 ـ 176 ؛ ابن حجر العسقلاني، *الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة*، بيروت، الجزء الرابع، ص. 32 ؛ الأنصاري، *اختصار الأخبار*، الرباط، 1403 / 1983، ص. 20؛ ابن الخطيب، *الإحاطة*، تح. م. عبد الله عنان، القاهرة، 1395 / 1975، الجزء الثالث، ص. 134 ـ 135 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1973، ص. 316 ؛ م. بن عبد المنعم الحميري، *كتاب الروض المعطار*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1980، *مقدمة*.

زوليخة بنرمضان

الصنهاجي محمد بن **علي**، المراكشي عالم مبرز في التوقيت والتعديل والأوقاف. وكان عمه إمام المعدلين والموقتين بمراكش أواخر القرن الحادي عشر. واعتبارا للروابط الوثيقة بين هذه المدينة وقبائل وادي نفيس سواء على المستوى العلمي أو الصوفي أو الاقتصادي انتقل إلى زاوية تاسفت ملازماً لمسجدها مدرساً ومعتكفاً ما بين سنوات 1112 و1127 فأقبل عليه طلبتها وعلى رأسهم ابن شيخ الزاوية عبد الله بن إبراهيم الزرهوني، وبقي بها أزيد من خمس عشرة سنة. ووجد فيه أهلها ضالتهم المنشودة وهي الاهتمام بعلم الفلك واستطلاع الكواكب وتحديد موقع القبلة، وأصبح مرجعهم في التنبؤ في أوقات الشدة والابتلاء التي عرفتها المنطقة وعاشها هو نفسه مع السكان وأهمها : دخول المحلة المخزنية لتاسفت وتهديمها للزاوية. وظهور المدعي بودربالة يزيد نجل المرابط محمد بن عبد الله الولتيتي بقبيلة زداغة طلبا للحكم وبحثا عن مؤيدين وأتباع.

وقد أشار إلى هذه الاستشارة عبد الله الزرهوني ابن شيخ الزاوية في كتابه : *رحلة الوافد* وخاصة ما تعلق بشيخه الصنهاجي والتعريف به.

وبعد حوالي شهر من دخول المحلة الزاوية أرسل قائدها الباشا عبد الكريم في طلب الصنهاجي وسأله عن أحوال المرابط إبراهيم الزرهوني ورغب في معرفة ما عنده من علم الفلك والكواكب وغيرهما ثم خلّى سبيله وذلك في شوال عام 1127 وتوفي بعد هذا التاريخ.

ع. الله الزرهوني، *رحلة الوافد في أخبار هجرة الوالد في هذه الأجيال بإذن الواحد*، تح. علي صدقي ازايكو ؛ م. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، ج 6 ، 331.

محمد ماكامان

الصنهاجي، محمد ماني بن محمد بن المفضل، ولد بفاس عام 1260 / 1844 ودرس على كبار شيوخ عصره : محمد بن المدني گنون وعبد السلام بوغالب والمهدي ابن سودة وأضرابهم، وأخذ الطريقة التجانية عن أبي المواهب العربي ابن السايح الرباطي.

كانت له اليد الطولى في الإفتاء والنوازل مع التحرير والإتقان لذلك نُقل إلى الدار البيضاء حوالي سنة 1306 / 1888 للتدريس والإفتاء بها. وله *تآليف كثيرة*، منها *تأليف في مسألة الكسب*، وآخر في حديث *لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق وتقييد في نفي ما نسب إلى حسان بن ثابت من أبيات*، *وتعاليق على مواضيع من ألفية ابن مالك*. وقد جمع *فتاويه* تلميذه الشيخ أحمد بن الحاج العباشي سكيرج في مجلد.

توفي بفاس في حادي عشر ربيع الأول عام 1333 / 27 يناير 1915 ودفن بالقباب قرب ضريح الشيخ حماموش.

أ. سكيرج، *رفع النقاب* ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع وسل النصال / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 8.

محمد حجي

الصنهاجي، الدمعز، يكنّى أبا عبد الله، طبيب وفقيه سبتي. يذكر صاحب *اختصار الأخبار* أنه اشتغل بالتوثيق بسماط العدول من سبتة. كما تولى بعض المهام بها أيام استيلاء الملك أبي عبد الله بن الأحمر على المدينة. إلا أنه بعد عودة سبتة إلى الإيالة المرينية وثورة الأهالي بها على عامل بني الأحمر يحيى بن شعيب الصنهاجي وذلك ليلة الجمعة ثالث عيد الأضحى من سنة 788 / 1387، نهب منزله وسلبت ذخائره وكتبه، وغرب ضمن من غرب من أكابر سبتة إلى فاس. وبها توفي في جمادى الأولى سنة 792 / 1391.

بلغة الأمنيه ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب، تح. م. بن تاويت، مجلة تطوان، العدد 9، 1964، ص. 187.

زوليخة بنرمضان

الصنهاجي ميمون بن ياسين لمتوني أصله من الصحراء وسكن ألمرية وإشبيلية، يكنى بأبي عمر. كان رجلا صالحاً صحيح السماع ثقة فيما يرويه فاضلا موثرا سمحا بما يملكه، حسن اللقاء، جميل العشرة، كريم الأخلاق، جليل المقدار، معظما عند العامة والخاصة، معتنيا بالآثار مقتنيا للأصول، وصحب أبا عبد الله مالك بن وهيب وزير السلطان علي بن يوسف (*الذيل والتكملة*، 8 : 406). حج سنة 497 / 1104 وسمع بمكة من أبي عبد الله الطبري *صحيح مسلم*، بقراءة محمد بن هبة الله بن مميل الدمشقي في نسخة سنفرية عدة ورقها مائة ورقة وثلاث وسبعون ورقة في كل صفحة منها خمسون سطرا بخط المتقن البارع أبي عبد الله مالك بن يحيى بن أحمد بن وهيب وباقتراح المترجم له. وقد نسخها كذلك عليه في نسخة أصغر قصد بها تخفيف محملها للرحلة. قال ابن عبد الملك : "وإنها لمن أغرب ما رأيت من نسخ *صحيح مسلم* وأشرفه" وقد وقف ابن عبد الملك أيضاً على نسخة أخرى مشرقية الخط من صحيح مسلم مجزأة تسعة وعشرين جزءاً تجمعها ستة مجلدات سمعها المترجم له على الطبري بمكة وابتاعها هناك (*الذيل والتكملة*، 8 : 405). وسمع بمكة أيضاً من أبي مكتوم بن أبي ذر الهروي صحيح البخاري من أصل أبيه أبي ذر، سمعه عليه في عدة اشهر قبل وصول الحجيج، وابتاعه منه بمال جليل، وهو الذي أوصله إلى المغرب (*التكملة*، 2 : 174). وروى بمكة أيضا عن أبي عبد الله محمد بن أحمد الأندلسي وأخذ عنه اختصاره تفسير الطبري، وعن محمد بن موسى بن الفرج الدريندي وتناول منه تحفة الأصحاب في شرح الشهاب من جمعه (*الذيل والتكملة*، 8 : 405).

لما عاد ميمون بن ياسين الصنهاجي إلى المغرب أسمع الحديث بمراكش وبتاسغيموت (*الذيل والتكملة*، 8 : 406) وذكر البيدق في معرض حديثه عن الحصون التي بناها المرابطون لكي ينتصروا بها على الموحدين أن الذي بنى تاسغيموت هو ميمون بن ياسين الصنهاجي وأن الموحدين هزموه بها (*أخبار المهدي*، 45، 91) ويفهم من ذلك أن المترجم له كان إلى جانب إلمامه بالعلوم وشغفه بجمع الكتب من قواد المرابطين وعظمائهم في تدبير الشؤون العسكرية.

حدث ميمون بن ياسين بالأندلس بإشبيلية وبغيرها، وممن حدث عنه أبو إسحاق بن حبيش وأبو القاسم بن بشكوال وأبو إسحاق بن فرقد وأبو بكر بن خير وأبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن مسلمة وأبو الحسن مفرج بن سعادة وغيرهم (*التكملة*، 2 : 197 و*الذيل والتكملة*، 8 : 406). وكانت لديه نسخة من كتاب *إحياء علوم الدين* للغزالي، كان معول الغزالية بالمغرب عليها بعد إحراق الإحياء، ثم توعده السلطان علي بن يوسف بإحضارها له (*نظم الجمان*، 71 و*ندوة أبو حامد الغزالي*، 126).

توفي ميمون بن ياسين بإشبيلية في ذي القعدة سنة 530/ غشت 1136 (*التكملة*، 2 : 197 و*الذيل والتكملة*، 8 : 306، و*الإعلام*، 7 : 3010).

ابن الأبار، *التكملة*، تح. ع. الهراس، الدار البيضاء، ج 2 ؛ ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، السفر 8، تح. م. بنشريفة، الرباط، 1984 ؛ البيدق، أخبار المهدي، الرباط، 1971 ؛ ابن القطان، *نظم الجمان*، تح. ع. م علي مكي، بيروت، 1990 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج 7، المطبعة الملكية، الرباط، 1979 ؛ م. المنوني، *إحياء علوم الدين في منظور الغرب الإسلامي أيام المرابطين والموحدين*، ضمن أعمال ندوة أبو حامد الغزالي، دراسات في فكره وعصره وتأثيره، الرباط، 1988.

حسن حافظي علوي

الصنوبر أو تايدا بالأمازيغية شجر يسمى علميا بينوسْ Pinus من فصيلة الصنوبريات Pinaceae أو الشوحيات Abietaceae التي تشمل أيضاً أنواع الشوح والأرز (انظر شُوح وأرز)، والتي لها انتشار واسع جداً في النصف الشمالي فقط من الكرة الأرضية وخاصة بمنطقة التايگا التي تشكل حزاما متواصلا يمتد من سيبيريا شرقا إلى غرب كندا مروراً بالدول الاسكاندنافية.

يمثل الصنوبر بأكثر من 150 نوع في العالم. وهي أشجار كبيرة ونادراً جنبات، ذات تاج مخروطي الشكل، وارتفاع يتراوح ما بين 20 و50 م، أغصانها كوكبية وأفقية. أوراقها دائمة الخضرة إبرية الشكل ومجتمعة في غمد : كل ورقتين أو ثلاث أو خمس أوراق مجتمعة في غمد واحد. يختلف طول الإبر حسب الأنواع. أزهارها مجتمعة في مخاريط ذكرية وأخرى أنثوية محمولة على نفس الشجرة. ثمارها على شكل مخاريط بيضوية الشكل وذات أحجام تختلف حسب الأنواع، متألفة من حراشف متخشبة مرتصة وموشورية الشكل. تحمل كل حرشفة في داخلها بذرتين بيضوية الشكل ومجنحة. تنضج المخاريط الثمرية بعد سنتين أو ثلاث سنوات.

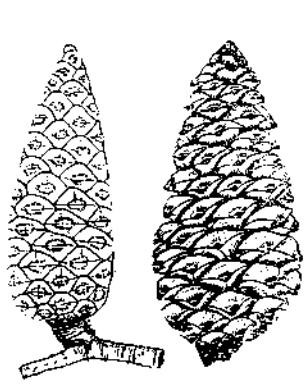

أنواع الصنوبر الطبيعية بالمغرب ثلاثة. أما الأنواع الدخيلة فهي عديدة، سنذكر أهمها :

- الصنوبر الحلبي أو بينوس حلبينسيس Pinus halepensis نوع نسب اسمه إلى مدينة حلب السورية بالرغم من أنه قليل الانتشار في الجزء الشرقي من المنطقة المتوسطية ويكثر في جزئها الغربي كما هو الشأن في الجزائر وإسبانيا وتونس حيث يشكل غابات تكسو مساحات شاسعة. أما في المغرب فانتشاره محدود.

الصنوبر الحلبي شجرة ذات تاج كروي الشكل وارتفاع يتراوح ما بين 20 و 30 م. جذعه شبه مستقيم. أوراقه لينة، كل ورقتين مجتمعتان في غمد واحد. يتراوح طول الورقة ما بين 5 و10 سم. لون الأوراق أخضر فاتح. يبلغ طول المخاريط الثمرية من 8 إلى 12 سم.

ينحصر مجال الصنوبر الحلبي في المغرب في المنطقة الشرقية وخاصة في جبال بني يزناسن ودبدو وكذلك في بعض المنخفضات المقعرة من السلاسل الجبلية من الريف والأطلس المتوسط والأطلس الكبير، لأنه يخشى رطوبة الجو الصادرة من المحيط الأطلنطي.

يعيش الصنوبر الحلبي في البيومناخات شبه الجافة وشبه الرطبة من الطابقين المتوسطي الدافيء والمتوسطي. وفي جل هذه المجالات يصادف على أتربة متنوعة، ما عدا الملحية منها، لكنه يحبذ الكلسية منها.

إنه من الأنواع آلفة النور والحرارة، والمحبذة للقارية، إذ لا يصادف طبيعيا على الساحل الأطلنطي.

تظهر تشكيلات الصنوبر الحلبي في نطاقات البلوط القرمزي والبلوط الأخضر والعرعر البربري واستثنائيا البلوط الفليني.

- الصنوبر الصنوبري أو الصنوبر البحري أو بينوس بيناستير Pinus pinaster يشمل ضربين طبيعيين بالمغرب وضربا ثالثا دخيلا. فالضربان الطبيعيان بالمغرب هما الصنوبر الصنوبري المغربي Pinus pinaster var. maghrebiana الذي هو قبسي خاص بالمغرب حيث يشكل بقعا محدودة المساحة ومتناثرة في الارتفاعات المتوسطة من الريف والأطلس المتوسط والأطلس الكبير، وكذلك الصنوبر الصنوبري الإيبيري Pinus pinaster var. iberica الذي ينتشر بشبه الجزيرة الإيبيرية ولا يصادف طبيعيا في المغرب إلا في مجال شبه جزيرة طنجة ما بين القصر الصغير وشفشاون. أما الضرب الدخيل فهو الصنوبر الصنوبري البحري الذي موطنه الأصلي هو جنوب غرب فرنسا المتوسطية.

الصنوبر الصنوبري شجرة يتراوح ارتفاعها ما بين 20 و40 م. جذعها مستقيم وذو لحاء سميك. فروعها على شكل كوكبات. أوراقها صلبة وخشنة. كل ورقتين مجتمعتان في غمد واحد. يبلغ طول الورقة ما بين 10 و25 سم. لون الأوراق أخضر قاتم. يتراوح طول المخروط الثمري ما بين 8 و20 سم.

تعيش تشكيلات الضربين الطبيعيين على أتربة متنوعة الصخرية وفي مناطق بيومناخية شبه رطبة ورطبة ورطبة جداً. أما من حيث التنطيق الارتفاعي فإن الضرب المغربي يوجد في الطابقين المتوسطي وفوق المتوسطي أي ما بين 1000 و2200 م من الارتفاع، بينما ينحصر الصنوبر الإيبيري في الطابق المتوسطي الدافيء ما بين سطح البحر و1000 م.

تظهر تشكيلات الصنوبر المغربي في مجالات الوحدات البينية من طرف البلوط الأخضر أو البلوط الفليني أو الأرز أو الشوح بينما تستقر بقع الصنوبر الايبيري في مجالات الوحدات البينية المنظمة من طرف البلوط القرمزي والبلوط الفليني.

يستعمل الضرب الدخيل في تشجير المناطق البيومناخية شبه الرطبة والرطبة من الشمال والشمال الغربي للمغرب على أتربة حمضية كما هو الشأن بالمعمورة ومنطقة طنجة والعرائش وتطوان وشفشاون التي لا يتعدى ارتفاعها 1000م.

- الصنوبر الأسود الموريطاني أو بينوس كلوزيانا تحت نوع موريطانيكا Pinus clusiana ssp. mauritanica نسب إلى موريطانيا الرومانية لأنه قبسي لشمال إفريقيا حيث يوجد بمنطقتين جبليتين على مساحات جد محدودة بالشمال الجزائري والشمال المغربي. إنه شجرة جميلة الهيئة وطويلة القامة إذ من الممكن أن يبلغ علوها 50 م، ذات جذع مستقيم وأوراق لينة مستقيمة أو مقوسة. كل ورقتين مجتمعتان في غمد واحد. يبلغ طول الورقة ما بين 8 و15 سم، وطول المخروط الثمري ما بين 5 و8 سم فقط.

يشكل الصنوبر الموريطاني باقات على مساحات جد محدودة في الجزء السفلي من مجال الوحدة البينية فوق المتوسطية المنظمة من طرف الشوح المغربي أو البلوط الأخضر وذلك في البيومناخ الرطب وعلى أتربة كلسية للجزء الشرقي من الظهرة الكلسية للريف الغربي.

- الصنوبر الكاناري أو بينوس كاناريينسيس Pinus canariensis نوع قبسي خاص بالجزر الخالدات. إنه شجرة من الممكن أن تتجاوز 30 م من العلو. جذعها مستقيم. أوراقها لينة ومتدلية وطويلة إذ يتراوح طولها ما بين 20 و30 سم، ورقيقة. كل ثلاث ورقات مجتمعة في غمد واحد. طول المخروط الثمري يتراوح ما بين 15 و20 سم.

أُدخل الصنوبر الكاناري إلى كل المناطق ذات المناخ المتوسطي الموجودة في القارات الخمس. فبالنسبة للمغرب يغرس النوع في الجزء الشمالي وخاصة في منطقة وزان، وتازة، والريف الغربي وكذلك في الحدائق للزينة. وتتم عمليات التشجير بنجاح في المناطق شبه الرطبة من الطابقين المتوسطي الدافيء والمتوسطي.

- الصنوبر الثمري أو المظلي أو بينوس بينيا Pinus pinea نوع طبيعي بالمنطقة المتوسطية لأوروبا وآسيا. لكنه نظراً للذة بذوره وجمال هيئته المظلية الشكل استعمله الإنسان منذ أقدم العصور كشجرة مثمرة وشجرة زينة فغرسه في الحدائق وعلى مساحات واسعة في السواحل المتوسطية في القارات الخمس.

إنها شجرة يبلغ ارتفاعها ما بين 20 و30 م، ذات تاج كثيف مظلي الشكل. كل ورقتين مجتمعتان في غمد واحد. طول الورقة من 8 إلى 10 سم، لونها أخضر زاه. المخروط الثمري بيضوي الشكل أو شبه كروي، ذو طول من 8 إلى 10 سم. البذور كبيرة جداً مقارنة مع الأنواع الأخرى، وذات غلاف سميك وقاس، يصعب كسره لاستخراج النواة ذات المذاق اللذيذ في تغذية الإنسان.

في المغرب يستعمل هذا النوع في التشجير الحراجي في المناطق البيومناخية شبه الجافة وشبه الرطبة والرطبة للطوابق الثلاثة السفلية وهي المتوسطي والمتوسطي الدافيء وتحت المتوسطي. وأقدم المساحات المشجرة من هذا النوع هي التي أنجزت في العشرينيات من القرن العشرين بالجبل الكبير بطنجة وكذلك بضواحي العرائش. لكنه غرس بالحدائق كشجرة زينة قبل ذلك بكثير. ولم يغرس بالمغرب لحد الآن كشجرة مثمرة لأن أهل المغرب الأقصى يجهلون قيمة استهلاك بذوره نظراً لكونهم لم يتأثروا بعادات العثمانيين الذين لم يدخلوا هذا البلد بخلاف ما هو معروف في الجزائر وتونس وبلدان الشرق الأوسط وكذلك بلدان أوروبا المتوسطية كإيطاليا وإسبانيا والبرتغال. وتجدر الإشارة إلى أن تونس تشتري كميات كبيرة من بذور الصنوبر الثمري لاستهلاكها في الحلويات أو مع الشاي، وذلك من البلدان المنتجة وخاصة إيطاليا لأن بلدان الشرق الأوسط كلبنان وسوريا وتركيا والعراق وإيران تستهلك جل إنتاجها من هذه المادة في تحضير عدة أنواع من الحلويات.

وما ورد هنا عن استهلاك بذور الصنوبر الثمري ينطبق تماما على استهلاك بذور الفستق الذي يكاد يجهله أهل المغرب بينما يعتبر من أهم المواد الأساسية في تحضير الحلويات المنتجة في بلدان الشرق الأوسط (انظر فستق).

- الصنوبر البروتي أو بينوس بروتيا Pinus brutia نوع يشبه كثيراً الصنوبر الحلبي لكنه خاص بالجزء الشرقي للمنطقة المتوسطية حيث يوجد ما بين جزيرة كريت غربا والعراق شرقا مروراً بفلسطين ولبنان وسوريا وتركيا.

إنها شجرة يزيد ارتفاعها عن 20 م، ذات جذع مستقيم. تجتمع كل ورقتين في غمد واحد. لون الأوراق أخضر غامق، طولها من 10 إلى 15 سم. المخاريط الثمرية بيضوية الشكل وملتصقة مباشرة بالغصن.

أدخل النوع في المغرب ليستعمل في عمليات التشجير الحراجي لبعض المناطق شبه الجافة وشبه الرطبة والرطبة. لكن المساحات المشجرة بهذا النوع مازالت محدودة جداً بالرغم من تميزه باستقامة ساقه وتحمله للبرودة مقارنة مع الصنوبر الحلبي الذي يعتبر بديله في الجزء الغربي من المنطقة المتوسطية.

- الصنوبر المونتيري أو بينوس رديأتا Pinus radiata شجرة يتراوح ارتفاعها ما بين 25 و30 م، ذات تاج كثيف. أوراقها ذات لون أخضر داكن، وطول ما بين 10 و20 سم. كل ثلاث ورقات مجتمعة في غمد واحد. طول المخاريط الثمرية يتراوح ما بين 7 و10 سم.

المنطقة الأصلية للنوع هي الجهة الشرقية من خليج مونتيري بوسط كاليفورنيا ذات الظروف المناخية الشبيهة بتلك التي تتميز بها المنطقة المتوسطية. ونظراً لنمو السريع فقد استعمل في التشجير الحراجي خارج موطنه الأصلي، وذلك في المنطقة المتوسطية الدافئة شبه الرطبة والرطبة من وسط الشيلي وبالقرب من مدينة الكاب بجنوب إفريقيا، وبجنوب غرب استراليا، بالإضافة إلى سواحل بلدان حوض البحر المتوسط.

أما في المغرب فقد استعمل في عمليات التشجير التي شملت مساحات من الريف الغربي ومنطقة تازة والمعمورة والغرب والهضبة الوسطى. ولكن هذا النوع لم يعط نتائج جيدة. فبالرغم من نموه السريع فإنه لا يتحمل فترات اشتداد الحرارة والجفاف بفصل الصيف، فينتج عن ذلك وفيات لأشجار بالغة من تشكيلاته قبل استغلالها.

تعطي أنواع الصنوبر مواد عديدة، منها خشب خفيف ومرن وسهل الاستعمالات الشيء الذي يجعله يصلح في صناعة الأثاث وصناعة الصناديق الخاصة بتلفيف البواكير المغربية المهيأة للتصدير. كما يستعمل في البلدان الأوروبية وغيرها لإنتاج عجين الورق ذي الألياف الطويلة. إضافة إلى إنتاج البذور بالنسبة للصنوبر الثمري، وإنتاج مادة القطران.

أبحاث شخصية.

A. Benabid. *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*. Ibis Press, Paris, 2000, 360 p. ; L. Emberger. *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*. Larose, Paris, 1938.

عبد المالك بنعبيد

الصهيونية والمغرب بعد سنوات قليلة من انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في بال Bâle بسويسرا سنة 1897، بدأ بعض النشطاء الصهاينة الأجانب - ومعظمهم من يهود أوروبا الوسطى والشرقية (Achkénazes) - يؤسسون في المغرب خلايا لبث أفكارهم في الأوساط اليهودية المغربية. فأسست أول الأمر جمعيات في بعض المدن الساحلية كتطوان والصويرة وأسفي، ثم بعد ذلك توغلت الحركة إلى مدن داخلية كفاس ومكناس وصفرو. وقد انصب هم هذه الجمعيات على جمع التبرعات وإرسالها إلى المنظمة الصهيونية العالمية، كما قامت بنشر بعض الأدبيات الصهيونية في صفوف المتعلمين اليهود خريجي مدارس الرابطة اليهودية العالمية التي نشطت في المغرب منذ سنة 1862. ومعلوم أن هذه الرابطة لم تكن تشاطر في تلك الآونة عمل الحركة الصهيونية على اقتلاع يهود الشتات من مواطنهم الأصلية وتهجيرهم إلى فلسطين. إنها على عكس ذلك كانت تهدف إلى ربطهم بالحضارة الفرنسية، كما كانت تسعى جمعية Hispano - Hebrea إلى ربط مصيرهم بالقارة الإسبانية.

وبعد الإعلان عن وعد بلفور (1917)، رمت الدعاية الصهيونية بثقلها في المغرب أكثر من أي وقت مضى لتقنع

اليهود بأن الوقت قد حان للانضمام بحماس لمشروع "الوطن القومي" في فلسطين. ومن تجليات هذه الحملة إقدام جوزيف ليفي، وهو وكيل الشركة اللندنية Macabean Land Company Limited، على توزيع مطبوعات صهيونية في فاس وتمكنه من بيع أراضي فلسطينية لبعض يهود هذه المدينة الذين لم يسبق لهم أن عرفوا عن فلسطين إلا الاسم. وهذا من الأسباب التي جعلت الجنرال ليوطي يقف بالمرصاد للدعاية الصهيونية خشية أن تفسد ما كان يسميه بـ "سياسته الإسلامية". وقد وجد المقيم العام الفرنسي الدعم والسند من يحيى الزاكوري، مفتش مدارس الرابطة اليهودية، الذي كان يرى بدوره في الصهيونية عنصر بلبلة بالنسبة لليهود المغاربة. ومن الإجراءات التي اتخذها ليوطي في هذا الصدد رفضه لمدة الترخيص بتأسيس فرع مغربي للفدرالية الصهيونية الفرنسية، وكذا منعه دخول الجريدة الصهيونية Haolam (ماي 1924) إلى منطقة النفوذ الفرنسي بالمغرب. وهذه المعارضة الرسمية للصهيونية لم تكن تستند إلى مبادئ مذهبية بقدر ما كانت تمليها واقعية سياسية تتهيب من ردود فعل الأغلبية المسلمة على تلك الدعاية الدخيلة.

وفي منتصف عقد العشرينيات، ظهرت بالمغرب أدوات إعلامية صهيونية نشيطة أهمها Renacimiento de Israel (نهضة إسرائيل) في طنجة، وL'avenir illustré (المستقبل المصور) في الدار البيضاء. ولعبت هذه المجلة الأخيرة، التي كان يديرها البريطاني ذو الأصل البولوني Jonathan Thursz، دوراً خطيراً في بث الأفكار الصهيونية بين الشبيبة اليهودية. فبدون كلل دعت قراءها إلى ضرورة التبرع المالي لفائدة المشروع الصهيوني في فلسطين. وقد عبأت المجلة طاقاتها للاحتفال سنة 1927 بالذكرى الثلاثين للمؤتمر الصهيوني الأول المنعقد في سويسرا، فكانت المناسبة مواتية لتنظيم "يوم الشيكيل" حيث دعي جميع اليهود المغاربة إلى تسديد مبلغ رمزي حدد في عشرة فرنكات. وسرعان ما فرض ثورز Thursz نفسه كزعيم وكلت إليه مهمة تمثيل اليهود المغاربة في المؤتمرات الصهيونية العالمية (فيينا سنة 1925 ـ بال في سنة 1931 ـ أنفرس سنة 1938...). غير أن ذلك لا يعني أن أغلبية اليهود المغاربة يشاطرون أفكار ثورز ومساعديه. فالدار البيضاء شهدت سنة 1932 ميلاد جريدة L'Union Marocaine التي كانت تعمل على إدماج اليهود المغاربة في الحضارة الفرنسية بدلا من دعوتهم إلى الهجرة إلى "أرض الميعاد".

وما كانت الحركة الوطنية المغربية الناشئة لتبقى مكتوفة الأيدي أمام حملات الدعاية الصهيونية، سيما وأن أصداء أحداث فلسطين خلال الثلاثينيات قد شدت أنظار مناضليها وجعلتهم يقتنعون بضرورة عرقلة كل ما من شأنه أن يشكل رافدا يستفيد منه المشروع الصهيوني في الشرق الأوسط. وكان محمد الخلطي من أبرز أولئك الذين جبروا أعمدة الجرائد الوطنية لينذروا اليهود من مغبة الاستجابة للشعارات والدعوات الصهيونية التي تتعارض كليا مع هويتهم المغربية. وعندما أقدمت مجموعة من الكشافة اليهود على رفع العلم الصهيوني في طنجة إبان مسيرة استعراضية (3 أبريل 1934)، كاد الأمر أن يفضي إلى قلاقل خطيرة بين المسلمين واليهود في تلك المدينة.

خمد النشاط الصهيوني في المغرب إبان الحرب العالمية الثانية، وبالخصوص طيلة الفترة التي سادت فيها أحكام سلطة فيشي في البلاد (من صيف 1940 إلى أواخر 1942). ذلك أن اليهود المغاربة عانوا من القوانين العنصرية التي أصدرتها الإدارة الفرنسية بالرغم من معارضة السلطان سيدي محمد بن يوسف لسريانها عليهم. ولما وضعت الحرب أوزارها، تفشى في أوساط الطائفة اليهودية تعاطف كبير مع بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية على حساب فرنسا، فنشطت في المغرب جمعيات صهيونية أمريكية (أهمها American Jewish Joint Distribution Committee) كانت تتوفر على وسائل مادية ضخمة رأى فيها بعض اليهود تعويضا عن سنوات الحرمان التي ذاقوا مرارتها خلال الحرب. وفي ضوء هذه التطورات الجديدة، اضطرت الرابطة اليهودية العالمية إلى تعديل موقفها التقليدي من الصهيونية وإبداء تفهم أكبر لتطلعاتها السياسية.

منذ أوائل 1947 نشطت في المغرب مجموعات صهيونية عملت على ترحيل اليهود إلى فلسطين بالرغم من معارضة الحركة الوطنية المغربية لذلك. وغداة الإعلان عن ميلاد دولة إسرائيل (ماي 1948) تدخل السلطان محمد بن يوسف شخصيا ليذكر رعاياه من المسلمين واليهود بضرورة الحفاظ على العلاقات الودية التاريخية بين الملتين ويكون أي تعاطف مع الصهيونية من لدن اليهود المغاربة يلحق الضرر بهويتهم المغربية. لكن هذا النداء لم يحل دون استمرار الهجرة السرية عبر المغرب الشرقي. وهذه المنطقة بالضبط هي التي شهدت أحداثا دامية في يونيو 1948 أسفرت عن سقوط 44 قتيلا يهوديا. وإذا كانت عناصر هذا الحدث مازالت غامضة، فإن ما خلفه من قلق وعدم اطمئنان في الأوساط اليهودية المغربية قد استغل من لدن الأوسط الصهيونية، محليا وعالميا، لتكثيف حركة الهجرة والخروج بها من السرية إلى العلن. وهكذا تأسس في أبريل 1949 جهاز يدعى "كاديما" Cadima (إلى الأمام) أنيطت به هذه المهمة، فأصبحت الهجرة تتم من الدار البيضاء بحرا وجوا أمام الملأ.

وباشتداد الأزمة المغربية ـ الفرنسية خلال النصف الأول من عقد الخمسينيات ازدادت وتيرة النشاط الصهيوني في المغرب وارتفعت أرقام المهاجرين اليهود الذين شدوا الرحال إلى فلسطين أو فرنسا أو الولايات المتحدة الأمريكية أو كندا. ولما حصل المغرب على استقلاله حاولت الأحزاب الوطنية، بتنسيق مع نخبة من الشخصيات اليهودية المغربية الرافضة للصهيونية، العمل على إدماج الطائفة اليهودية في

الهياكل الفتية للمغرب المستقل والحيلولة دون استمرار النزيف الذي لحق بالبلاد ثقافيا واقتصاديا من جراء هجرة جزء من ساكنته. ومن جهتها قررت الحكومة حل جمعية "كاديما" وفرض قيود على هجرة اليهود (10 يونيو 1956). لكن هذا الإجراء لم يزد نشطاء الصهيونية إلا إصرارا على السير قدما في مخططهم، سيما وأنهم أصبحوا يتلقون مختلف أنواع الدعم من أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية (الموصاد) ومن منظمات يهودية أوروبية وأمريكية. وشهدت الهجرة السرية التي كانوا ينظمونها إحدى فصولها المؤلمة يوم 10 يناير 1961 بغرق سفينة صغيرة في البحر المتوسط قبالة الشواطئ المغربية. وإذا كانت كل الدلائل تشير إلى تورط "الموصاد" في هذه العملية التي خلفت أزيد من أربعين ضحية، فإن الصهيونية العالمية استغلتها فرصة للتشهير بالحكومة المغربية واتهامها بعدم احترام حقوق الإنسان فيما يتعلق بحرية تنقل المواطنين.

ومن جهة أخرى وزعت سريا في بعض الحواضر المغربية مناشير تدعو اليهود المغاربة إلى التشبث بحقهم في الهجرة. وعقب ذلك مورست ضغوط دولية شتى على المغرب جعلت موقفه يلين شيئا فشيئا بخصوص هجرة اليهود. فكانت النتيجة هو انتقال ساكنة المغرب من اليهود من 250.000 نسمة سنة 1948، إلى 160.000 سنة 1960، إلى 40.000 سنة 1967، ثم إلى أقل من 4000 عام 2000. وبهذا تكون الصهيونية قد لعبت دوراً خطيراً في اجتثاث إحدى أقدم العناصر السكانية المغربية في أقل من قرن واحد.

M. Abitbol, Zionist Activity in the Maghreb, in The Jerusalem Quarterly, n° 21, Fall, 1981, p. 61 - 84 ; J. Baïda, La presse juive au Maroc entre les deux guerres, in Hespéris-Tamuda, vol. XXXVII, 1999, p. 171-189 ; J. Benros, Migrations juives du Maroc, Imp. EMF, Paris, 1991 ; A. Bensimon, Hassan II et les juifs. Histoire d'une émigration secrète, ed. du Seuil, Paris, 1991 ; M. Kenbib, Juifs et musulmans au Maroc, 1859-1948. Contribution à l'histoire des relations inter-communautaires en terre d'Islam, Pub. de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, Rabat, 1994 ; M. Laskier, The evolution of Zionist activity in the Jewish Comminities of Morocco, Tunisia and Algeria, 1897 - 1947, in Studies in Zionism, Tel Aviv University, n° 8, Automn 1983, p. 205 - 236.

جامع بيضا

صْوَاب (أيت -)، قبيلة سوسية من قبائل الأطلس الصغير الغربي والنسبة إليها صوابي. تحدها قبيلة اشتوكن شمالا، أيت أحمد غرباً جزء من إيداوگارسموكت وإيدوا سملال جنوباً، أملن شرقاً.

من وحداتها الكبرى : أيت بحمان، أيت تودما، أيت أغان، انظريف، تكوشت، أيت وگمان، أيت أمگوني، أزور اغالن، أيت واغزن...

تمتد أراضيها على مجال جبلي متقطع، أساسه سلسلة جبال الكست كما تتوزع قراها فوق القمم أو تندرج على السفوح. ومما يبرز الأهمية الاستراتيجية للقبيلة، أنها تشكل ممراً طبيعياً بين حوض أملن وسهل اشتوكن عبر فجاج جبلية تدعى محلياً إيسَاوْنْ.

ومن الناحية التاريخية، يحفل "ديوان قبائل سوس" بإشارات إلى الصعوبات التي اعترضت حملات السلطان أحمد المنصور، التي استهدفت تراب قبيلة أيت صواب. وتبقى مساهمتها ضمن قبائل سوس على عهد السعديين هي 70 سرجة فقط. وبنفس الحدة واجه القائد المخزني الگيلولي مقاومة قبائل أيت صواب، في محاولاته المتكررة لاختراق الأطلس الصغير، انطلاقاً من تيزنيت واشتوكن. لهذا حافظت القبيلة على نظامها القبلي المرتكز على "مجالس إينفلاس" بجانب سلطة الشيوخ. وعلى عهد الحماية، كان لها حضور على واجهة الأحداث خلال سنوات المقاومة، وهذا ما يفسر عنف وقوة المواجهات التي جمعت القوات الفرنسية ومجموع السكان الذين ظلوا متمنعين بالمناطق الجبلية إلى حدود 1934، حين استسلمت القبائل المنضوية تحت قيادة الشيخ مربيه ربه. وبمركز تنالت تم تسليم وجمع الأسلحة. من أشهر مدارسها : إمگوني، تنالت، إيساگن، فوگرض، تاكوشت، تاوريرت وانو.

إبراهيم الحساني، *ديوان قبائل سوس*، مخطوط ؛ المختار السوسي، *المعسول*، أجزاء متفرقة ؛ *تحريات ميدانية*.

أحمد بومزگو

الصوابي، أحمد بن **عبد الله** السوسي. ولد عام 1095 بقرية أيسغاركيس من قبيلة أيت صواب المنضوية تحت لواء قبيلة هشتوكة [إشتوكن] الجزولية [إگزولن] الكبرى.

تلقى تعليمه الأولي بمسقط رأسه، ثم انتقل ضمن بعض جماعات السوسيين الذين ظلوا يترددون إلى جهة درعة، لأخذ الورد عن الشيخ أحمد بن ناصر صاحب زاوية تامگروت. فكان من بين الآخذين عنه، ولما رجع إلى سوس استقر ببلاده ماسة، بمكان يدعى أمرزگون على الحدود الجنوبية لوادي ماسة الأعلى، قرب أيت امريط. وهنالك انعزل عن الناس، لأسباب تلوح إليها رسالة من شيخه، فأسس زاوية ناصرية عرفت باسم زاوية أگدال ماسة، رفع بها الراية للزائرين وتصدر لإطعام الطعام وتلقين ورد الناصريين. وسمي ذلك المحل حمى الصوابي.

ويتفق كل من ترجموا الصوابي على أنه لقي في ذلك المكان الترحاب والحفاوة من لدن الخاصة والعامة. كما كان من أكبر تلاميذ الناصريين في بلاد سوس، بل إنه كان التلميذ النموذج، حيث تصدى للدفاع عن السنة ومحاربة البدع، وأسس بجوار زاويته مدرسة للتعليم فجمع بين التصوف والعلم، حتى عده الحضيكي - في طبقاته - خاتمة محدثي سوس. ذلك أنه أقام لدرس البخاري سوقا نافقة في مدرسته، فقصده طلاب العلم من مختلف الجهات.

ويظهر أن الصوابي أبدى من التمسك بالطريقة الناصرية ما دفعه إلى حد التعصب. فاستفرغ جهده في المنافحة عنها بكل ما أوتي من وسائل، وتحيز إلى موقف بعض شيوخها

من وقف الشيخ الهبطي تحيزاً صارخا، حيث عده مخالفا للوقف السني. فكتب بشأن ذلك الرسائل في النهي عنه لأنه مناف للترتيل وغير مراع للمعنى المطلوب. وعمل التلاميذ الذين اجتمعوا حوله في رباط ماسة على دعم رأيه بالقول والعمل، حتى وتر عنهم أن من سلك مسلك الهبطي في الوقف في الرباط المذكور يصاب بالعمى أو بمس من الجن.

على أن الصوابي أقام مدرسة علمية كبيرة أضحت قبلة لطلبة العلم في حياته وبعد مماته. كانت تلك المدرسة تضم عدداً من الرواد، منهم الصغار الذين يحفظون كتاب الله تعالى ومنهم الطلبة الذين يعكفون على درس العلم، كالتفسير والحديث واللغة والعقيدة والمنطق. وقد عدد الأستاذ البابك المتون التي عنيت مدرسة الصوابي بدرسها، كما ذكر عدداً من العلماء الأفذاذ الذين تخرجوا منها، مثل عبد الله بن إبراهيم الرسموكي، وأحمد بن عبد الله الماسي، ومحمد بن أحمد الحضيكي الذي كان "طبقة وحده"، ويذكر محمد المختار السوسي أن الدراسة تسلسلت فيها على أيدي شيوخ آخرين مثل علي بن محمد أكبيل المتوفى عام 1162 وأحمد بن محمد التاساكاتي المتوفى عام 1214 ثم على أيدي المرزجانيين، ولا ينبغي أن نغض الطرف عن بعض ممن توارد عليها، كأحمد الورزازي دفين تطوان، وكان قد درس بها مدة. هذا فضلاً عن أبناء الصوابي والنساء اللاتي كان قد اختصهن بجناح من مدرسته. ولم تنقطع بها الدراسة إلا بعد مفتتح القرن الهجري الرابع عشر.

وكانت وفاة أحمد الصوابي يوم الثلاثاء عشرين رمضان عام 1149 / 1738 ودفن بأيسغاركيس حيث يوجد ضريح سيدي إيبورك، من أهل القرن العاشر.

الخليفتي، *الدرة الجليلة*.. الإكراري، *روضة الأذهان*، م. المختار السوسي، سوس العالمة .. *خلال جزولة*، *المعسول*، م. البابك، أگدال ماسة، *معلمة المغرب*، 2 : 603.

أحمد عمالك

صوبور Subur، مدينة في المغرب القديم. انفرد الجغرافي بطليموس بذكرها دون غيره. وعدها من المدن الداخلية، مرتبة ما بين مدينة أخرى مجهولة لدى الكتاب الآخرين سماها أسبينون Ospinon وبين مدينة معروفة قديما وحديثا هي بناسة Banasa. وقد حدد للمدينة التي تعنينا هنا الإحداثيات التالية : الطول 6 درجة و50 والعرض 34 درجة و20.

كما انفرد الكاتب نفسه بإطلاق هذا الاسم على أحد أنهار المغرب القديم وهو نهر سبو الحالي. رتب الكاتب النهر ما بين مصب نهر لكسوس وهو اللكوس حاليا ونهر سلاتا Salata وهو أبو رقراق حاليا. وقد حدد لنهر سبو الإحداثيات التالية : الطول 6 درجات و20 والعرض 34 درجة و20.

وهنا نلفت النظر إلى ظاهرة اقتران بعض المدن المغربية القديمة بأسماء الأنهار التي شيدت على ضفافها. والأمر يخص على الساحل المتوسطي كلا من مدينة ملوشا Molochat على نهر ملوية الحالي ومدينة تامودة Tamuda على واد مارتيل الحالي. ثم على الساحل الأطلسي نجد مدينة زليل Zilil القريبة من نهر تاهدارت الحالي. وبعدها مدينة لكسوس فمدينة سلا.

ومن جهة أخرى ورد الاسم القديم لنهر سبو بصيغة تكاد تطابق التسمية الحالية، وذلك عند بلنيوس الشيخ الذي سماه سبوبوس Sububus ورتبه ما بين نهر لكسوس ونهر سلا. وقد وصف النهر بكونه صالحا للملاحة، وأن مدينة بناسة تقع على ضفافه. ثم ذكر نفس النهر باسم سبوبا Sububa في سياق حديثه عن رحلة بولبيوس وما استقاه منها من معلومات حول المعالم الجغرافية الموريطانية.

نستبعد رأي تيسو الذي ظن أن كلمة سبور أطلقها الفنيقيون على هذا النهر وهي من لغتهم. بينما يرى أن اسم خرتيس Chretis المذكور في رحلة حنون أو كرابيس Krabis الوارد في رحلة سكولكس ينطبق على واد سبو أيضاً. ويزعم أن هذه التسمية أقرب إلى الصيغة الأصلية لاسم النهر في اللغة الليبية. وما يدعو إلى الاعتراض على هذا الرأي كون المصادر الأقدم، والتي اهتمت بالشأن الفنيقي والقرطاجي لم تستعمل اسم سبور وهو ما كان ليخفى على حنون صاحب الرحلة القرطاجية. وعلى العكس من ذلك، اقتصر تداول الاسم على آخر المصادر المهتمة بالجغرافية التاريخية للمغرب القديم. أيا ما كان الأمر، فإن اسم سبو الحالي مازال ينطوي على الاسم العتيق، وهذا يمثل مؤشرا قويا على رسوخ مقومات الحضارة المغربية العريقة.

م. مجدوب، 1998، دراسات عن الحياة الاقتصادية بموريطانية في القرن الأخير قبل الميلاد، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، مرقونة.

Pline l'Ancien, 5.5 et 9 ; Ptolémée, 4.1.2 et 7 ; Ch. Tissot, Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane, Paris, 1878 ; R. Roget, Le Maroc chez les auteurs anciens, Paris ; R. Rebuffat, Recherches sur le bassin du Sebou, 1985-6, 2. Le Périple d'Hannon, BAM 16, p. 257-84.

محمد مجدوب

الصورة الجوية هي كل صورة تؤخذ من مركز علوي في اتجاه منطقة منحدرة. وبهذا يمكن إطلاق هذا الوصف على أي صورة أخذت من منطقة مرتفعة كيفما كان نوعها : عمارة مرتفعة، "طيارة ورق" (Cerf-volant) صاروخ، منطاد، طائرة، مكوك فضائي... أو من ارتفاع بضعة أمتار عن الأرض كما يقوم بذلك علماء الآثار لأخذ صور دقيقة للآثار في مجالها الأصلي، لكن سنتطرق للصور المأخوذة من الطائرات المحلقة داخل الغلاف الجوي المنحدر والتي تلتقط وتسحب بطريقة كيمائية ضوئية.

في ما يخص تطور الصور الجوية، لا يمكن فصل تاريخها

عن تاريخ المكونات المساهمة في الحصول عليها. وهكذا نجد أن هذا التاريخ يرتبط ارتباطا مباشرا على الأقل، بتاريخ الصور الفوتوغرافية والطيران.

يمكن إرجاع تاريخ الصور الفوتوغرافية إلى أرسطو (384 ـ 322 ق. م) الذي تحدث عن "الغرفة المظلمة" ـ وهي عبارة عن مكعب مغلق فارغ يحتوي على ثقب دقيق يتوسط إحدى واجهاته وتسمح للصور أن تكون معكوسة على الواجهة المقابلة ـ وعن حقيقة الرؤية التي تحدث بواسطة انعكاس الأشعة الضوئية. لم يكتب لهذه النظرية أن تنتقل للغرب إلا بواسطة العلامة العربي ابن الهيثم (965 ـ 1039) الذي راجع نظرية أرسطو وطورها، الشيء الذي جعل ليوناردو دافينشي يرسم الغرفة المظلمة ويجعلها ضمن اختراعاته. وبعد ذلك وعلى طول القرون، تطورت الغرفة المظلمة حتى سجل رسميا الفرنسيان جوزيف نيبس (1765 ـ 1833) وجاك لويس ماندي داكير (1787 ـ 1851) اختراعهما للآلة الفوتوغرافية البسيطة ووسائل أخذ الصور. منذ ذلك التاريخ، تطورت الآلة الفوتوغرافية ووسائل أخذ الصور حيث أصبح اليوم بإمكانك أخذ الصور في برهات تقل في بعض الأحيان عن جزء من عشرة آلاف من الثانية بعد أن كان أخذ الصور الأولية في مدد يمكن أن تصل حتى ثماني ساعات.

كما أنه في الأول كانت الصور تؤخذ بالأبيض والأسود ولا يمكن سحب نسخ من الصورة الأصلية، وابتداء من 1935، تاريخ إنجاز فيلم "كوداكروم"، بدأت الصورة الملونة تكتسح الساحة إلى أن طغت على الصورة بالأبيض والأسود في زمننا هذا. لم يكتف المهتمون بالجزء المرئي من الأشعة المرئية بل طوروا آلاتهم وموادهم الكيميائية لأخذ صورة الأشعة فوق البنفسجية وتحت الحمراء المنعكسة. وإذا كان الاهتمام بالأشعة فوق البنفسجية محدوداً في بعض الاستعمالات العلمية فإن الأشعة تحت الحمراء استرعت اهتمام المختصين، خاصة خلال الحرب العالمية الثانية، وذلك لاستشعار التمويهات العسكرية حيث إن اليخضور الموجود في أوراق النباتات يجعل هذه الأخيرة تظهر أنصع من الأصباغ الخضراء التي تطلى بها المعدات العسكرية، على الصور التحت حمراء بالأبيض والأسود وحمراء وليس خضراء، على الصور التحت حمراء الملونة.

هذا في ما يخص التاريخ المقتضب جداً للصور الفوتوغرافية، أما في ما يخص ارتباطها بالجو، فيمكن إرجاع ذلك إلى أول صورة أخذت من طرف كاسبار فليكس تورناشون المعروف بالنظار (1820 ـ 1910) الذي أخذ صورة لقرية بوتي بيسيطر، قرب باريس سنة 1858، من ارتفاع عدة مئات الأمتار من على منطاد. وفي 24 أبريل 1909، صور ويلبور رايت فيلما سينمائيا من فوق سانطو تشيلي، بإيطاليا. وفي أواخر 1915 أنتجت الآلات الفوتوغرافية الخاصة لأخذ الصور من الجو (أو الغرفة المترية). استعملت هذه الآلة في أول الأمر في الميدان العسكري خلال الحرب العالمية الأولى، وبتطوير التكنولوجيا وتطور الحاجيات البشرية، تمكن الإنسان من أخذ صور فوتوغرافية دقيقة لبعض مناطق الأرض والقمر والكواكب بواسطة المكوكات الفضائية وغيرها من الناقلات الجوية والفضائية في أواخر القرن المنصرم وبداية القرن الحالي.

أما في المغرب، فقد أخذت واستعملت الصور الجوية منذ بداية القرن العشرين ؛ حيث نجد صورة جوية للدار البيضاء أخذت سنة 1907 من طرف العقيد ساكوني، وذلك بواسطة طيارة ورق. وهذه الصورة تزين كتاب *على عتبة المغرب المعاصر* للدكتور فيصغرير، والذي ألفه سنة 1947. وكان أول مسح جوي لإحدى الغابات المحيطة بنازة سنة 1914. لكن الخزانة الوطنية للصور الجوية لا تحتوي إلا على صور أقدمها أخذت سنة 1949 لمنطقة الرباط. إلى جانب ذلك، تحتوي الخزانة نسخ وأشرطة لعدة بعثات استمرت حتى وقتنا هذا وأهمها أول مسح كلي للمغرب وذلك بمقياس 20.000 / 1 وغطى كل تراب المملكة سنة 1986.

ـ تقنية أخذ الصور الجوية :

لأخذ الصور الجوية يجب التوفر على طائرة وغالبا ما تكون من النوع الصغير، مزودة بغرفة مترية.

ويمكن التمييز بين نوعين من هذه الصور :

ـ الصور المائلة : وهي التي تزيد زاوية التقاطها (عند النظر إلى نظير السمت) على سبع درجات.

ـ الصور العمودية : وهي التي تقل زاوية التقاطها عن سبع درجات.

ولكل من النوعين طرق استغلاله. لكن الصور الكثيرة الشيوع هي الصور العمودية وذلك لسهولة استغلالها بالنسبة لمعظم التطبيقات. ورغم تعدد المقاسات لهذه الصور فالكثيرة الاستعمال في المغرب ومعظم الدول الأخرى، هي الصور المربعة التي يبلغ ضلعها 23 سم. وللآلة الفوتوغرافية المستعملة في أخذ هذه الصور أهمية قصوى حيث إنه حسب مميزاتها على الأرض يحدد السلم المتوسط للصورة وذلك عملاً بالمعادلة التالية :

مقياس نقطة ما على الصورة = البعد البؤري لشبحية الآلة / ارتفاع الآلة عن النقطة المصورة

ـ خاصيات الصور الجوية

إذا ما نظرنا إلى الصور الجوية، فإننا غالبا ما نشبهها بالخريطة، رغم أن هذه الأخيرة تختلف كثيراً عن الأولى. فالخريطة إسقاط عمودي لمنطقة أرضية على الورقة بينما الصورة إسقاط منظوري لنفس المنطقة على الورقة. وهذا الفرق أساسي بالنسبة للسلالم التي يمكن أن تستخلص من الصور الجوية : فالسلم يمكن أن يتغير من جهة لأخرى بل من منطقة لأخرى على نفس الصورة، الشيء الذي لا يمكن أن يحدث بالنسبة للخريطة. وهو الشيء الذي يجعلنا نحدد تعريف سلم النقطة على الصورة رغم استحالة تصور ذلك بالنسبة للخريطة.

وعلى ذكر السلم، يمكن تصنيف الصور الجوية كما يلي :

- ذات مقياس كبير إذا زاد سلمها على 10.000 / 1.
- ذات مقياس متوسط إذا كان مقياسها بين 10.000 / 1 و20.000 / 1.
- ذات مقياس صغير إذا قل مقياسها على 20.000/ 1.

ولتصوير منطقة ما، يقوم الطيار بالتحليق فوق المنطقة وذلك باتباع خطوط طيران متوازية ومتساوية البعد. وباتباع كل خط طيران يبدأ الطيار في التقاط الصور بحيث تكسو كل صورتين متتابعتين على نفس الخط، منظرين متجاورين، شريطة أن تغطي الصورتان في 60٪ منهما على الأقل نفس البقعة المصورة. هذه الخاصية تمكننا عند الحاجة، من رؤية هاتين الصورتين (الزوج التجسيمي)، بواسطة المجسام، على شكل منظر ثلاثي الأبعاد. ونشير إلى أن كل خطي طيران متتابعين يشتركان في تغطية 30٪ من البقعة الأرضية المصورة، وذلك لضمان تغطية كل المنطقة المراد تصويرها.

- استغلال الصور الجوية

ساعدت الصور الجوية على تطوير عدة ميادين. فبعد أن استعملت بكثافة في الميدان العسكري وخاصة في الاستطلاعات خلال الحربين العالميتين والحروب الجهوية الكبرى، استغل استعمالها أو لا في المسح الجغرافي والطبوغرافي، حيث طورت آلات التفسير والاستغلال وذلك لاستخراج الخرائط الجغرافية على العموم والطبوغرافية على الخصوص، مباشرة وفي وقت قياسي من الصور الجوية. بعد ذلك، اهتمت القطاعات المعرفية الأخرى بهذه الصور وجعلتها أداة لا غنى عنها في استخراج المعلومات وإفادة البشرية منها فقد استعملت هذه الصور في ميادين علم الأرض من جيولوجيا وتربة ومعادن وكذا الثروات الطبيعية الأخرى، الغابوية منها والفلاحية ودراسة الوحيش، والثروات الرعوية والمائية وإعداد الأحواض المائية. واستعملت الصور الجوية كذلك في الهندسة المدنية ودراسة وإعداد المناطق الحضرية ومختلف التخصصات الجغرافية على العموم وكذا ميادين علوم الآثار.

- الوضعية الحالية في المغرب

كما سبق أن أشرنا فإن المغرب لم يبق بمنأى عن هذا الميدان الأساسي لتطوير عدة قطاعات معرفية وإنمائية فلا توجد مؤسسة علمية أو تعليمية بالمغرب لم تهتم بهذه التكنولوجيا ولم تدخلها في برامجها التكوينية بل جعلت منها إحدى المواد الأساسية لتكوين أطرها. وأنشأ المغرب خزانة للصور الجوية موجودة أساسا بالإدارة المركزية للخرائطية بالرباط. وإلى جانب ذلك توجد خزانات أخرى للصور الجوية وذلك بوزارة الفلاحة والوكالات الحضرية وقطاعات أخرى.

إلا أن الصور المستعملة تقتصر في معظمها على الصور بالأبيض والأسود وما زالت الصور تحت الحمراء بالأبيض والأسود والصور الملونة محدودة الاستعمال رغم المعلومات الإضافية المهمة التي يمكن أن توفرها في مختلف ميادين الاستعمال، وذلك راجع بالأساس لتكلفتها المرتفعة شيئاً ما بالنسبة لتكلفة الصور بالأبيض والأسود.

أما الصور المستعملة في الميدان المدني، فجلها يؤخذ من شركات خاصة يتمركز معظمها في مدينتي الرباط والدار البيضاء، تعدى نشاطها التراب الوطني إلى دول أخرى.

أبحاث شخصية : وثائق مديرية الخرائطية.

عبد العلي مشروح

الصور الفضائية نخص بهذا الاسم تلك الصور الرقمية المأخوذة من خارج الغلاف الجوي.

- نظرة تاريخية

ارتبط تأريخ هذه الصور بتاريخ غزو الفضاء وتطور التقنيات الرقمية.

فيمكن تأريخ الغزو الفعلي للفضاء بإطلاق القمر الاصطناعي السوفياتي سبوتنيك 1 سنة 1957. بعد ذلك توالى السباق إلى الفضاء بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي السابق. وابتداء من 1970، دخلت عصر الفضاء دولٌ أخرى بداية باليابان والصين.

وتجدر الإشارة إلى أنه في عصرنا الحالي لم يقتصر استغلال الفضاء على الدول الغنية. بل هناك الدول العربية التي أرسلت القمر الصناعي المتخصص في الاتصالات التلفزية "عرب سات"، ومصر التي أرسلت أكثر من قمر إلى الفضاء الخارجي، والمغرب الذي أرسل من قاعدة بايكونور الروسية، بواسطة الصاروخ الروسي زينيت، أول قمر اصطناعي له يوم الاثنين 10 دجنبر 2001 في الساعة الخامسة مساء و18 دقيقة. وقد أطلق على هذا القمر الاصطناعي، قبل إرساله، زرقاء اليمامة، لتعويض التسمية بماروك توبسات بعد الإطلاق.

ومن خاصيات هذا القمر، أنه صمم وصنع في جزئياته وركب محليا من طرف أطر مغربية. كما أن التجارب أجريت بشراكة ألمانية.

وهذا القمر من النوع التتابعي، الذي يدور حول الأرض بوتيرة مضبوطة. وماروك توبسات يدور 14 مرة في اليوم حول الأرض، منها أربع مرات فوق المغرب، على علو 1000 كلم وبانحدار 98 درجة بالنسبة لخط الاستواء. كما أن شكله مكعب، يصل ضلعه 40 سم ووزنه 50 كلغ. وتتلخص مهمة هذا القمر في مراقبة الأرض والاتصالات وجمع المعطيات والرصد.

والأقمار الاصطناعية والمكوكات الفضائية تمكنت من غزو الفضاء الخارجي بفعل تطور عدة قطاعات تكنولوجية ومعرفية وعلى الخصوص تطور التقنيات الرقمية من تكنولوجيا الحواسيب وتحليل الإشارات وتقنيات الاتصال وغير ذلك من التقنيات التي يطول ذكرها في هذا الباب.

على كل حال، كانت أغراض غزو الفضاء تتنوع حسب

الدولة الغازية والظرف المخصص للمغامرة. وكان أول قمر اصطناعي أطلق لدراسة الثروات الطبيعية بهدف تجاري هو لاندسات 1 الأمريكي الذي أطلق في 23 ـ 7 ـ 72 والذي تلته 4 أقمار اصطناعية أخرى من نفس السلسلة، أطلق آخرها بتاريخ 1 مارس 1984. إلى جانب ذلك نجد الأقمار الاصطناعية الأوروبية سبوت التي أطلق أولها بتاريخ 22 ـ 1 ـ 1986.

ـ الوسائل المستعملة في أخذ الصور الفضائية

لا تهتم الصور الفضائية الجوية بالتقاط سلم الموجات المرئية للأشعة الشمسية المنعكسة على مكونات سطح الأرض فحسب، بل تلتقط الأشعة غير المرئية كذلك من أشعة تحت حمراء قريبة (والتي يتراوح طول موجاتها بين 700 و1100 نانومتر تقريبا) والأشعة تحت الحمراء المتوسطة (التي يتراوح طول موجاتها بين 1300 نانومتر تقريبا و3000 نانومتر) والأشعة تحت حمراء الحرارية (التي يزيد طول موجاتها على 3000 نانومتر).

واستغلال هذه الجهات من الطيف الكهرومغناطيسي يمكن المهتمين من فهم بعض المعطيات التي لا يمكن فهمها بالاستغلال المفرد لأشعة الطيف المرئية.

ولأخذ كل هذه النواحي من الطيف واستغلالها إلى أبعد الحدود كان من الضروري تصور آليات جديدة لالتقاط هذه الصور تتلخص في تخصيص مستشعرات خاصة لكل منطقة من مناطق الطيف، وهكذا نجد في Landsatim (البرنامج الخرائطي الموضوعي لاندسات) مثلا مستشعر خاص باللون الأزرق وآخر خاص باللون الأخضر وثالث خاص باللون الأحمر ورابع خاص بالأشعة تحت الحمراء القريبة وخامس خاص بجزء من الأشعة تحت الحمراء المتوسطة وسادس خاص بجزء ثان من الأشعة تحت الحمراء المتوسطة وسابع خاص بالأشعة الحمراء الحرارية.

ـ خاصيات الصور الفضائية

من خلال ما سبق يمكن اعتبار الصورة الفضائية مجموعة صور مطبقة الواحدة منها على الأخرى وذلك حسب عدد القنوات المستعملة فالبنسبة للمثال السابق، نجد أن صورة منطقة من المناطق تتكون من سبع طبقات صور كل واحدة منها خاصة بأحد مناطق الطيف. هذا فيما يخص التركيب العمودي. أما على الصعيد الأفقي فتتكون كل طبقة (قناة) من مربعات متجاورة تسمى عنصورة (كلمة مركبة من كلمتي عنصر وصورة) أو بيكسل وتبين مقياس اشتشعار انعكاس مكون الطيف المعني في البقعة المقابلة على وجه الأرض، وغالبا ما يتراوح مدى الانعكاس ما بين 0 و255 مستوى. أما ضلع المربع المستشعر على وجه الأرض فيتغير حسب البرنامج المعني (لاندسات، سبوت...) والجهاز المستشعر فالبنسبة للاندسات نجد أن جهاز MSS (الماسح المتعدد الأطياف) ينتج عنصراً ذا أضلاع من 80 م. أما الجهاز الخرائطي الموضوعي (TM) فينتج عنصراً من120 م للضلع بالنسبة للقناة تحت الحمراء الحرارية و30 م للضلع بالنسبة للقنوات الأخرى.

أما بالنسبة لسبوت فينتج عنصراً من 10 م بالنسبة للصور بالأسود والأبيض بالنسبة لصور متعددة الأطياف.

بقي أن نشير إلى أن كل صورة من لاندسات MSS تغطي بقعة أرضية مربعة، ذات ضلع يصل إلى 185 كلم وذلك في فترة زمنية لا تزيد على 25 ثانية، الشيء الذي يعطي 30.000.000 معلومة بالنسبة لكل صورة، وهو شيء لا يمكن تحليله إلا بواسطة حاسوب. أما صورة سبوت فتكسو مناظر أرضية مربعة يصل ضلعها إلى 60 كلم.

ـ استغلال الصور الفضائية

كما أشرنا لذلك من قبل، يتم استغلال الصور الفضائية بواسطة برامج معلوماتية متطورة من طرف أخصائيين يتطلب أن يكونوا مدركين لمجالاتهم المعرفية بالإضافة لتكنولوجيا المعلوميات وتحليل الإشارة.

وتستغل المعلومات المستخلصة من هذه الصور في عدة مجالات منها، إلى جانب المجالات العسكرية الحساسة، دراسة الثروات الطبيعية على العموم والغابوية والرعوية على الخصوص وخاصة الآفات الطبيعية والاصطناعية التي يمكن أن تتعرض لها، دراسة الثروات الفلاحية. وكذا المعدنية، والمائية والوحيشية والسمكية، ودراسة تطور الحواضر والآفات التي يمكن أن تتعرض لها اليابسة أو المحيطات والبحار.

ـ الوضعية في المغرب :

منذ بداية اهتمام العالم باستغلال الصور الفضائية في الميادين المدنية، اهتمت مختلف القطاعات في المغرب بتأهيل أطرها لاستعمال تقنيات الاستشعار البعدي الفضائي وذلك داخل الوطن وخارجه في جامعات ومعاهد مرموقة في الميدان.

كما سارعت مختلف المؤسسات الجامعية ومؤسسات تكوين الأطر لاقتناء المعدات وإرسال البعثات للتمكن من نقل التكنولوجيا الجديدة، بل تعدت ذلك إلى تكوين أطر بعض الدول الصديقة والشقيقة في ميدان الاستشعار البعدي الفضائي.

وموازاة مع ذلك، أنشئ المركز الملكي للاستشعار البعدي الفضائي سنة 1989 الذي يعتبر المخاطب الرسمي في مجال اقتناء الصور الفضائية وتقديم بعض الخدمات في الميدان.

كما وافقت الأمم المتحدة على إنشاء المركز الجهوي الإفريقي للتكنولوجيا الفضائية بالرباط وهو مركز متخصص في تكوين رعايا بعض الدول الإفريقية في مجال تكنولوجيا الفضاء والتكنولوجيات الموازية.

أبحاث شخصية : وثائق لمديرية الخرائط، الرباط.

عبد العلي مشروح

الصورة الفنية بالمغرب إن التفكير في الصورة ومسائلة نوعية حضورها بالمغرب لا يمكن أن يتم بعيدا عن التفكير في مصادرها، ونوعية تملكنا لها تداوليا وفنيا، ونوعية استجابتها للفضاء الذهني والثقافي المغربي، والتحرير الذي مارسته بالعلاقة مع التصورات التي ظلت سائدة اتجاهها. فإذا كان التصور الأصلي كما تم تداوله في منع الصورة و"تحريمها" (من قبل الإسلام) قد ظل فاعلا في

نسيج الوعي واللاوعي المغربي، فإن نتائجه الواقعية ظلت فاعلة ومتعايشة مع وجود وتداول التصوير بالمغرب منذ الأدارسة. صحيح أن الحدود التي وضعتها الأحاديث النبوية للتصوير قد كانت في أصل تطور الصورة الذهنية والبلاغية وفنون الخط والزخرفة (التي اعتبرت، تبعا لعملية استبدالية تعويضية واضحة، تصويرا)، غير أن التعايش بين التصوير والتصوّر، أي بين الصورة الملموسة والصورة الذهنية، قد استمر في الوجود في شكل هوامش واضحة ومؤرخ لها.

المغاربة والصورة

ذكر محمد المنوني، في دراسة جامعية، أن المغاربة عرفوا التصوير المرسوم والملون والمنحوت، في الحياة اليومية، وفي الكتب المتداولة. وأن الصور الخيالية والصور الحيوانية كانت تزين الكتب والحمامات، وقبّة القرويين، ولعب الأطفال، والحلوى، لا فرق في ذلك بين الأدارسة والموحدين والمرينيين والعلويين. ويعلق المنوني على هذه الظاهرة قائلاً : "لم يشتغل المغرب الإسلامي بالتصوير إلا قليلا، شأنه في ذلك شأن المسلمين العرب في هذا الصدد، تأثرا بموقف الدين بالنسبة لعدد من أنواع التصوير. وقد كان هذا من أسباب إهمال أكثر المصادر التاريخية لتسجيل هذه الظاهرة، حتى لا يكاد يعثر على نماذج من أخبارها إلا عرضا وعفوا وفي حالات قليلة".

ولهذا السبب، ظل مغرب بدايات القرن يعكس ويستجيب بشكل واضح لهذا الصراع الداخلي بين محرمي التصوير ومبيحيه، أي بين من يعتبرون أن دواعي التحريم والحصر والكبت قد امحت مع استتباب التوحيد، وبين من ظلوا إلى حدود الثلاثينيات والأربعينيات والخمسينيات يعتبرون أن محاربة الصورة شكل من أشكال محاربة فساد أحوال البلاد والعباد. فقد أثار محمد بن عبد الله الموقت في كتابه *الكشف والتبيان عن حال أهل الزمان* في فصل بعنوان المصور وحكم التصاوير، الأمر بقوله : "المصور هو الذي يصنع صورة قائمة بنفسها كالخشب والطين، والصورة القائمة بغيرها كنقش صورة على بساط وغيره، وقد فشا هذا الداء اليوم في غالب الحرف، وقلّ أن تدخل منزلا لا ترى فيه صورة من الصور التي نهى عنها الشرع"، ليردف هذا الإنكار باستعراض لأقوال الفقهاء واختلافاتهم في النهي عن التصوير. وفي *الرحلة المراكشية*، تذهب به فتاواه إلى حدود تحريم لعب الصبيان التي تأخذ شكل صور : "ومن عوائدهم الشنيعة شراؤهم لأولادهم يوم عاشوراء ونصف رمضان صورا محرمّة من الصور القائمة بنفسها ولها ظل وليس بها نقص، وهذه الصور النظر إليها حرام، ولا تدخل الملائكة بيتا هي فيه... وكذلك شراؤهم لما يصنع من الحلاوات على صور الحيوانات التي شاعت اليوم، ويدخلون ذلك دورهم ويجتمعون عليه، وذلك حرام بلا كلام".

بل إن فقيها متأخراً وسّع من التحريم ليشمل المسرح، في كتاب شهير في هذا الشأن هو : *إقامة الدليل على حرمة التمثيل* لأحمد بن الصديق، الصادر بالقاهرة سنة 1953. وعلة التحريم تعود في نظره إلى ناظم كبير يتعلق بأنواع الصورة عموما، هو طبيعتها المحاكاتية واللهوية، وتحول المثل إلى صورة بحيث يتصور في أي صورة شاء.

الصورة والشهادة

والحقيقة أن مواقف من هذا القبيل ليست بعامة ولا بمثلة لحضور الصورة والتصوير بمغرب النصف الأول من هذا القرن. فقد شاعت صور السلاطين مرسومة بالريشة أو بالآلة الفوتوغرافية منذ أواخر القرن الماضي. وتدوولت صور السلاطين مشخصة لحياتهم وعلاقاتهم ولتحركاتهم الرسمية. ولعل أدل شيء على ذلك أن السلطان المولى عبد العزيز قد مارس التصوير بالكاميرا السينماتية والكاميرا الفوتوغرافية، ولا تزال الصور التي أخذها لبعض نساء القصر محفوظة لدى الجماعين. كما أن الفقهاء تجادلوا في أمر الفوتوغراف ورخصوا للتصوير الشخصي، واتخذوا، حسب المنوني، صوراً شمسية صارت متداولة.

كما ظهرت كتب تحمل بين طياتها صوراً عديدة إضافة لصورة المؤلف، كالكلمات الذهبية في *أخبار الرحلة المغربية* لمحمد بن مصطفى بوجندار الرباطي (1924)، وسمط اللآلي في سياسة المشير ليوطي نحو الأهالي لعلي الطرابلسي (1925)، *والأدب العربي في المغرب الأقصى* لمحمد بن العباس القباج (1929)، *والإتحاف* لابن زيدان (ما بين 1929 و1933)، *ودليل الحج والسياحة* لأحمد بن محمد الهواري (1935)، *والدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة* لابن زيدان (1937)، *وكشف الغطاء عن سر الموسيقى ونتائج الغناء* للشريف مولاي إدريس بن علي الإدريسي وغيرها.

وبلغ الانفتان بالصورة وبدورها في تشخيص الحدث والإنسان إلى أن يتم الاعتقاد في دورها في تخليد الشخص، قدرة الكتاب على التخليد لأقواله، والإعلان عن ذلك بنوع من الإيمان بالدور السحري للصورة. بل إن بعضهم حولها إلى هدية يكتب عليها بعض الخواطر المنظومة ويرسلها للمتلقي، وكأنها بطاقة بريدية، تعبيراً عن الود. وبهذا تحولت الصورة من علامة بصرية (أيقونية) دالة على الشخص في ذاته، إلى رسالة حاملة لخطاب مزدوج وباثة لمعاني ذهنية وبصرية تتطلب النظر والتأمل والتواصل. إن التواصل بالصورة مع الذات يشكل، بهذا المعنى، "قطيعة معرفية" مفضية إلى الحداثة، ومع الآخر إلى تثبيت دعائم نمط جديد من التواصل في حقل الثقافة المغربية.

يعتبر ابن زيدان، مثل بوجندار، أن الطابع التوثيقي للصورة يمنح مصداقية أكبر للتشخيص. بل إن بوجندار ذهب إلى أبعد من ذلك فأرخ بالصورة والكلمة لزيارة الرئيس الفرنسي، وأثبت صور حاشية السلطان وموظفيه الكبار، وكأنه بذلك أنجز أول استطلاع بالصور في تاريخ المغرب. من ناحية أخرى يمكن اعتبار علاقة بوجندار وابن زيدان وعبد الأحد الكتاني ومحمد جنون، وغيرهم ممن أسسوا هذه التجربة بالصورة (فقد كتبوا كلهم تحتها أبياتا تشيد بتخليدها لهم)، علاقة اعتقاد أكيد في صلة النظر بالوجود. فالصورة هنا تعيد تشكيل الذات، وتستحضرها في غيابها الواقعي والوجودي. وهي "فاتنة وجذابة لأنها تشكل الذات، فبدونها قد لا يكون وجود الشخص على ما هو عليه". إنها الأداة الواقعية التي تسدّ ذلك الفراغ الحاصل بين الحياة والموت. ومن ثم، فهي تساهم في حل مشكل الزمن، وبشكل مغاير

للكلمة. إذ الصورة تجسيد للجسد، للهوية الوجهية (الصورة حسب *لسان العرب* هي الجسم والوجه أيضا)، ومأسسة لصورة المؤلف. وبهذا المعنى يمكن القول بأن الصورة الشخصية قد ساهمت بشكل كبير في ولادة المؤلف في مغرب العشرينيات والثلاثينيات باعتبارها ذاتا تحتل مع مكتوبه حيز الكتاب وتسهر عليه بحضورها الأكيد.

ونمثل لذلك بصورة طريفة للشاعر عبد القادر حسن، أثبتها في صدر ديوانه الغزلي *أحلام الفجر*، الصادر سنة 1936، وذيلها بأبيات نقتطف منها البيت التالي :

أنا مثل نفسي لا أرى لي مشابها
وإن كان هذا القول جلّ عن الفهم

تتحول الصورة هنا إلى عنصر للهوية الفردية والاختلاف الجذري عن الآخرين. إنها إثبات للذات في أحديّتها وفي تماثلها مع نفسها وصورتها. وبذلك تدخل الصورة بشكل جذري في ولادة الذات من جديد.

التصوير الفوتوغرافي بالمغرب

ظلت الصورة الفوتوغرافية، إذن، تقوم بدور الذاكرة والشهادة، سواء في شكلها كصورة شخصية أو عائلية أو كصورة عامة (بطاقة بريدية... الخ). والحقيقة أن الفنانين الكولونياليين قد استحوذوا على الساحة التصويرية بالمغرب لمدة طويلة قبل أن يتخصص بعض المغاربة بالتصوير الشمسي ويبرزوا في هذا المضمار سواء بمتابعة وتسجيل الأحداث البارزة أو بالبورتريهات الخاصة بالشخصيات السياسية. ويمكن تقسيم الصورة الكولونيالية إلى ضربين :

الأول ويتعلق بالصورة التسجيلية للمآثر المغربية والمناظر الطبيعية ونوعية السكان وضروب الحرف التقليدية. وهي تنقسم بدورها إلى صور إثنوغرافية مصاحبة للنصوص المكتوبة عن المغرب، من قبيل الصور التي تقدمها مؤلفات إدمون دوتيه، قبل الحماية ؛ وصور التقطت بعد الحماية، كان الهدف منها تقديم المغرب في شكل صور.

والثانية عبارة عن نماذج من شخصياته، رجالا ونساء. وتتميز هذه الصور في غالبيتها بكونها كانت تخضع من قبل المصورين لضرب من المسرحة التي تركز على هذا الجانب أو ذاك من الشخصية : كالتركيز على العلامات والندوب والوشم الموجود على الجسد، وتعرية نهود النساء، بل أخذ صور عارية لبعضهن. ولا يخفى أن هذه المقاربة تخضع لمنظور لا يمكن إلا أن ندرك مسعاه الغرائبي Exotique الذي يأخذ الجزء مثلاً للكل، ويحول الصورة إلى مجال لتملك الآخر في غيريته غير القابلة للاختزال.

وإذا كان المغرب قد عرف بعض المصورين منذ بداية الاستقلال، فإن الذي غلب على نشاطهم هو متابعة الأحداث الرسمية، والتحقيقات الصحفية والأرشفة. والغالب الأغلب منهم لم يتلقوا تكوينا معينا في مجال التصوير الفني، بل تعلموا الصنعة في الميدان. ونخص بالذكر هنا مرادجي الذي يدين له المغاربة بصور العائلة الملكية، ومحمد عصفور الذي امتهن التصوير الفوتوغرافي والسينمائي منذ الأربعينيات.

بل إن مجال البطاقات البريدية الفنية قد ظل هو نفسه، حتى بعد 1953 حكرا على عدسات الأجانب، ناهيك عن الكتب المصورة ذات الطابع الفني. ولم يدخل الفنانون المغاربة المصورون هذا الميدان إلا في العقدين الأخيرين من القرن الماضي، خاصة وأن المغرب ظل يفتقر إلى المطابع المتخصصة في التصوير الفني، والتي عرفت بعض الازدهار منذ الثمانينيات.

وكان من اللازم انتظار سنة 1975 حتى يتم اعتبار التصوير الشمسي فنا قائما بذاته. وهو ما أطلق العنان في جميع مناطق العالم لهذا الفن الذي ظل هامشيا وتوثيقيا لمدة طويلة ؛ الأمر الذي فتح المجال بالمغرب إلى إعادة الاعتبار للصورة الفنية الفوتوغرافية، وإلى ولادة المعارض لهذا الفن التليد، منذ الثمانينيات، ليبرع في ذلك فنانون مغاربة من قبيل داود أولاد السيد والتهامي الناصر وعبد الرزاق بن شعبان ورشيد بنداود وأحمد بنسماعيل وغيرهم.

من ثم يمكن القول بأن الممارسة الفوتوغرافية الفنية بالمغرب ممارسة فتية. ولا يعود هذا فقط كما ألمحنا إلى ذلك إلى تأخر الاهتمام بهذا الفن، وإنما أيضاً وأساسا إلى وضعيته الاعتبارية، بوصفه فن البومي والاستعمالي بامتياز. بيد أن هذه الوضعية الملتبسة التي لا تزال ترافق هذا الفن، والتي تجعله يجاور الهواية بشكل مستمر، هي التي تحدد أيضاً هويته الفنية. فليس من قبيل الصدفة أن تتجه أعمال بنشعبان وبنداود وبن إسماعيل وأولاد السيد مثلاً إلى الاعتماد على الخلفية الاستطلاعية التي تحكمت في الممارسة الفوتوغرافية.

فأعمال ابن شعبان وابن إسماعيل تتجه نحو التقاط الأمكنة العتيقة والفضاءات الحاملة لتراب الأرض والتاريخ، وهي من ثم تسجيل بصري للذاكرة الإنسانية والمكانية التي تحفل بها المدن المغربية. هكذا تنضح شخصياتهم وفضاءاتهم بهذا الانغمار في أغوار المحجوب، ذاك الذي يدمره الاكتساح الحديث للتمدن والحداثة. وتتجه أعمال أولاد السيد إلى أن تختار لنفسها الاشتغال بالأبيض والأسود قطعا، متابعة اليومي في تفاصيله البالية، سابغة عليه مسحة عتيقة تضاف إلى هامشية شخصياته وفضاءاته. وكأن الفنان وهو يرصد هذه المكونات الاجتماعية الحداثية يمنحها الحياة في حركاتها وسكناتها المكشوفة.

أما أعمال التهامي الناصر فإنها أحيانا تتجه نحو منح الصورة الفوتوغرافية منحا جماليا تشكيليا، وهو الأمر الذي نجد امتداداً له في أعمال محمد بنباسيدي وخالد الأشعري وجعفر عاقيل. ولا يخفى أن هذا المنحى يسعى إلى فتح التصوير الفوتوغرافي نحو ضرب من التجريدية يحول العدسة الفوتوغرافية إلى فرشاة تمنح الألوان من خلال الاشتغال التقني على مصدر النور وعلى لعبة العتمة والضوء.

غير أن ريحا من التجديد والتحول بدأت تهب على هذا الفن بحيث إن الكثير من الشباب بدأ يتوجه نحو التعامل مع المعطيات البصرية للحداثة وتحويل المنظور الفني إلى لاقط للتحولات العمرانية والحداثية التي تسم الواقع المعيش. وفي هذا المضمار تندرج أعمال سعاد كنون عن مدينة طنجة، ونبيل مهداوي عن مكناس. وكأننا بهؤلاء الفنانين يخرجون بالصورة من مجال الشهادة على الآيل للمضي نحو الحاضر بكل سماته.

أسئلة الصورة الفنية بالمغرب

تتسم الصورة الفوتوغرافية بكونها عملية مطبوعة بالمحاكاة للمرئي. بيد أن عمليات التأطير والتقطيع والاشتغال على الضوء والألوان، والمنظور، كلها عمليات تخضع لتدخل العين الرائية وقدرتها، إلى جانب التقنية، على خلق الصورة بحيث نعيد من خلالها اكتشاف موضوعها. إن المرئي التقني، هنا أكثر حرية مما هو في الصورة السينمائية، وأكثر قدرة على تحويل الذات المصورة إلى ذات مبدعة باعتماد الحس الجمالي والقدرة على تطويع التقني للجمالي. بيد أن سلطة المرئي تظل حاضرة بحيث إن الفن الفوتوغرافي يظل بشكل أو بآخر مرجعيا حتى وهو يمارس كل أنواع التحويل التقني (الذي يتم حاليا بالمعالجة الحاسوبية المتطورة). وهو في الآن نفسه يمارس لعبته الجمالية بكاملها بالتوكيد على هذه المرجعية أو محوها، وفي كلا الحالين تكون النتيجة باهرة.

من ثم تنبع أهمية التصوير الفوتوغرافي الفني في التأريخ وإبراز قدرته على استغلال الممكنات التقنية كي يسمو العمل التقني إلى مجال العمل الفني. فالعين الفوتوغرافية لعّابة بكل ما يبيحها لها المرئي. ثم هي تزاوج بين الالتقاط والشهادة والتحويل الفني للمعطيات البصرية. ومع أن الصورة الفوتوغرافية لم تجد بعد مكانها إلى جوار الفن التشكيلي والسينمائي، فإن فنانيها ما يزالون يجاهدون بصبر وأناة من أجل منحها مكانها ومكانتها.

وفي عصر الصورة الرقمية الذي نعيشه الآن والتواصل العالمي عبر شبكة الأنترنيت، بدأ القائمون على الشأن الثقافي يسعون إلى تغيير نظرتهم التحقيرية للصورة الفنية، ويعتقدون في ضرورة العمل على تطويرها، سواء من خلال التفكير في إنشاء متحف للفن المعاصر (قيد الدرس)، أو تعميق صندوق دعم السينما، أو التفكير في ضرورة تدعيم شبكة التكوين في المجال البصري (سينما وفنون تشكيلية). وهو الأمر الذي من شأنه تطوير الممارسة البصرية، التي تحتاج أساسا للرواج والتواصل المستمر مع الجمهور ومحبي الفن، من خلال مؤسسة ثقافية حية وفعالة.

م. المنوني، التصوير بالمغرب الإسلامي في القديم، *دعوة الحق*، ع 1، 2، يناير 1971، ص. 83 ؛ م. بن عبد الله الموقت، *الكشف والتبيان عن حال أهل الزمان*، مطبعة مصطفى البابلي الحلبي وأولاده، القاهرة، 51350، ص. 54 ؛ م. بن عبد الله الموقت المراكشي، *الرحلة المراكشية*، مطبعة دار الرشاد الحديثة، ب. ت، بدون مكان النشر، ج 2 ص. 87 ؛ م. المنوني، *مواقف مغربية وأعمال في مبادرات المرحلة الأولى بعد الحماية*، الموقف، ع 3، دجنبر 1977، ص. 64 ؛ م. أمين العلوي، *بوادر استعمال الصورة الشخصية الفوتوغرافية بالمغرب*، مجلة مكناسة، سلسلة الندوات، منشورات كلية الآداب بمكناس، خاص عن الدور التربوي والتعليمي للصورة، 1992، ص. 83.

Maurice Mourier, "Fascination de l'image", in *Comment vivre avec l'image*, PUF, 1989, p. 279.

فريد الزاهي

الصُّوري، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Soriano نسبة إلى مدينة صورية Soria ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاوين* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 1126.

صُوطو ويكتب أيضاً صُوطُ أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Sot ؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Soto وSotto كما هناك مدينة تحمل اسم Soto.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاوين* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 1127.

محمد ابن عزوز حكيم

صوفاكس Sophax، أحد ملوك المغرب القديم. انفرد بلوترخوس في القرن الميلادي الثاني بذكر هذا الملك في حديثه عن تدخل صيرطريوس بموريطانية سنة 82 قبل الميلاد. فأراد أن يشيد بتاريخ طنجة الغابر عن وقته بل السابق عن الوجود الفنيقي بالبلاد. أورد الكاتب ما يلي : "يحكي أهل تنكي أنه بعد أنتايوس Antaeus أنجبت زوجته مع هرقل ولدا يدعى صوفاكس. ولما أصبح ملكا أطلق اسم والدته على المدينة المذكورة". والجدير بالملاحظة أن هذا الاسم كان خالدا في التاريخ القديم، حيث سمي به الملك البارز في مملكة الماسيسوليين غرب نوميدية وعاصمتهم هي مدينة سيگا Siga.

م. مجدوب، 1995، *مختصر حول تاريخ موريطانية قبل السيطرة الرومانية*، بحوث، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، العدد 6، ص. 149 - 174.

Plutarque, Sertorius, 9, 8.

محمد مجدوب

الصول أو سمك موسى، من جنس أسماك بحرية تصنف إلى طائفة شانكات الزعانف وفصيلة صوليدي Soleidae. شكله بيضوي مضغوط بقوة وعيناه على الجانب الأيمن عند معظم الأنواع. لون الواجهة الحاملة للعينين أسمر فاتح مع رخاميات سوداء وعدة بقع مختلفة الحجم والشكل حسب الأنواع. الواجهة العمياء بيضاء وزعانفها داكنة. الفم صغير تحتي ومقوس يحمل أسنانا صغيرة، الغشاء الخيشومي الأول مكسو بجلد وحراشف الزعنفة الذيلية منفصلة أو مرتبطة بالظهرية والشرجية حسب الأنواع. الخط الجانبي واضح على الجانبيتين، الحراشف مشطية خشنة اللمس. يعيش في بحار المناطق المعتدلة وشائع في البحر المتوسط والأماكن الدافئة من المحيط الأطلسي والمناطق الاستوائية ومنه عدة أنواع تعيش في البحيرات الساحلية كبحيرة الناظور والوليدية وسيدي موسى ومولاي بوسلهام وشرم الداخلة وخنيفيس. كل الأنواع عمقية المعيشة تألف الأعماق الرملية والوحلية منذ السواحل إلى أعماق تتعدى 1000 م. يتغذى من القشريات عشاريات القوائم ومن الرخويات ثنائيات الصدف ومن القواقع والحلقيات والديدان. تتوالد

معظم الأنواع في الربيع والصيف وتعمر 15 ـ 20 سنة. صيدها شبه صناعي وتقليدي على طول السواحل المغربية. تصاد بالجيبيات العمقية والشاطئية والشباك المستقيمة وشباك الحواجز. يوجد بانتظام في الأسواق السمكية الوطنية ويستهلك طريا ومبردا ومجمدا.

يعيش أحد عشر نوعا وفصيلة Soleidae في البحار المحيطة بالمغرب ويعد الصول العادي Solea vulgaris والصول السنيغالي Solea senegalensis وSolea solea من الأنواع الشائعة في الأسواق السمكية الوطنية. يبلغ طوله الأقصى 60 سم وشائع بين 15 ـ 30 سم.

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*. لبنان، ط 3، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1932.

D. Lloris & J. Rucabado. *Guide d'identification des ressources marines vivantes du Maroc*, FAO, 1998, 263p.

محمد رمضاني

صولا Sulla، قائد روماني كان له دور هام في التأثير على أوضاع المغرب القديم وبخاصة ربط العلاقات بين الملك الموري بكوس الأول وروما. لقد برز الرجل في حرب يوغرطة كمساعد لماريوس Marius، الذي كان قائداً للجيش الروماني في هذه الحرب ما بين سنتي 107 و105 قبل الميلاد. وهو الذي تولى مهمة المفاوضات مع الملك بكوس خلال الحرب المذكورة.

أرسل بكوس سفارة إلى مريوس ليسمح لها بالتوجه إلى روما قصد الاتصال بمجلس الشيوخ. وأفاد المؤرخ المذكور أن صولا رحب بهم وأحسن إليهم خلال مقامهم في معسكر مريوس، الذي كان غائباً حين وصولهم.

وبالنسبة للمذاكرات التي جرت في روما بين الوفد الموري ومجلس الشيوخ الروماني، فقد لخصها سالوست في نص مقتضب قائلا : "وفي روما رجا السفراء من مجلس الشيوخ العفو عن الخطأ الذي وقع فيه ملكهم، ثم طلبوا بعد ذلك محالفتنا وصداقتنا، فأجيبوا بهذه العبارات : إن مجلس الشيوخ والشعب الروماني لا ينسون الإحسان والإساءة، ولكن حيث إن بكوس يندم على ذنبه، فنحن نوافق على الصفح عنه وسينال حلف الشعب الروماني وصداقته عندما يستحقها" (سالوست، حرب يوغرطة، 104).

وبعد انتهاء حرب يوغرطة استمرت العلاقة بين الملك الموري والقائد الروماني صولا. يتضح ذلك من خبر يفيد أن بكوس بعث إليه مائة أسد مع مروضيها، وذلك سنة 93 قبل الميلاد. وقد ظل بكوس مخلصا لروما، وجسد تعامله مع صولا بصنع تماثيل من الذهب تصور عملية تسليم يوغرطة لصولا. وقد بعث الملك هذه التماثيل إلى روما حيث نصبت في ساحة الكابتول ومعها تماثيل أخرى بعثها بكوس مخصصة لفيكتوريا إلهة النصر عند الرومان. ولما اندلع الصراع بين مريوس وصولا نجد هذا الأخير يفرض هيمنته على مجال نفوذ الموريين ويبعث بومبيوس الأكبر ليسوي أوضاع البلاد لصالحه.

سالوست، *حرب يوغرطة*، تر. م. التازي سعود، فاس، 1982 ؛ م. مجدوب، *أضواء على أوضاع موروسية من خلال حرب يوغرطة*، بحوث، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، العدد 3، 2 ، ص. 61 ـ 82 ؛ نفسه، 1990، *ملكة الموريين وعلاقاتها مع روما الغابة سنة 33 ق. م*، رسالة لنيل د. د. ع.، مرقون، فاس ؛ *دراسات عن الحياة الاقتصادية ببريطانية في القرن الأخير قبل الميلاد*، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، مرقونة، 1998.

Sénèque, Brièveté de la vie, 13, 6, 7 ; Pline l'Ancien, 8, 16 ; Plutarque, Marius, 32 ; Sulla, 5-6 ; S. Gsell, Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, 1928, t. 7, Paris, M. Majdoub, Pompeus Magnus et les rois maures, dans Africa Romana, 1998, 12, p. 1321-8.

محمد مجدوب

الصولدي، عملة أجنبية استعملت في المغرب، وهي في الأصل عملة رومانية ذهبية اسمها Solidus عرفت منذ القرن السادس للميلاد بدءاً من عهد بوسطين الأول البيزنطي (522 ـ 527) ميلادية، ولعل استعمال كلمة "الصولدي" كانت معروفة لدى المغاربة منذ القديم غير أن استعمالها للنقود النحاسية الأجنبية الإسبانية والفرنسية انما شاع خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، وكان المغاربة ينطقون "الصولدي" باللام في وسط المغرب وجنوبه، بينما ينطق في الشمال "الصوردي" بالراء، وجمعه في الوثائق المغربية "الصَّوالِد" و"الصُّوالْدة" وقد استعمل هذا الاسم في اللغة الأمازيغية والدارجة للدلالة على الفلوس النحاسية عموماً، وعلى النقود النحاسية الأجنبية على الخصوص، والتي كانت تحمل على أحد وجهيها صورة وجه أحد الملوك والأباطر الأوروبين.

ومن حيث الصرف يعتبر الصولدي عملة تكميلية وغير مرغوب فيها غالبا، فكان وجود الصولدي إلى جانب العملات المغربية والأجنبية بقلة خلال حقب كثيرة ولكنه شاع كثيراً خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر بموازاة مع التوسع الأوروبي، وبالخصوص في الجهات الشمالية وعند الحدود الجزائرية وقد استفحل أمره وأصبح مزعجا في الصرف سنة 1887 ممّا جعل السلطان مولاي الحسن يأمر قائده على منطقة وجدة عبد الملك بن علي السعيدي "أن يسقط تلك الصواليدة" ويمنع تداولها في الأسواق.

ومن حيث القيمة فإن الصولدي أقل قيمة من "البليون" إذا أخذنا العملة الإسبانية، والبليون هو مايسميه المغاربة القرش، فالريال الإسباني = 25 قرشاً "بليونا" والبليون = 20 سنتيما على أساس أن الريال الإسباني والفرنسي كل منهما يصرف بـ 500 سنتيم، ومن ذلك يتضح تدني صرف الصولدي وقيمته، وله مضاعفات من فئة 1 و5 و10، وهو ماقلده السلطان مولاي عبد العزيز عند ما ضرب الموزونات النحاسية على أساس خمسمائة سنتيم للريال العزيزي إذ جعل الصولدي يساوي الموزونة.

ع. أفا، *مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر*، ص. 408 ؛ *جواب قائد وجدة عبد الملك بن علي السعيدي عن رسالة السلطان مولاي الحسن بتاريخ 9 جمادى الأولى 1305 (1887)*، مديرية الوثائق الملكية بالرباط (م. و. م. ر).

F. Delamare [et al.], *Mécanique de la frappe des monnaies*, in Revue Numismatique, VIe série - Tome XXVI, année 1984 (Paris), p. 37.

عمر أفا

الصومعي، أحمد بن أبي **القاسم** الشعبي الهروي التادلي، مولدا ومنشأ وادارا. يرجع أصله، حسب عبد الرحمن التادلي، إلى أغمات ـ أيلان ـ التي انتقل منها جده محمد بن سالم ليستوطن زمران، القبيلة المشهورة شرقي مراكش (*التشوف الصغير*، ورقة 85 ب).

ولد الصومعي في بلدة الصومعة سنة 920 / 1514، بناء على ما جاء عند أحمد المقري في *روضة الآس* أنه كان في سنة 1010 / 1601 شيخا "أناف على الثمانين". لكن محقق كتاب *المعزى* ذكر أنه ولد بعد التاريخ المذكور بعشرين سنة على الأقل بناء على قرائن ذكرها.

نشأ الصومعي في بيئة متصوفة. فقد أخذ والده عن الشيخ عبد العزيز التباع مبادئ التصوف، ويُعدّ شيخه. وكان يتوافد على الصومعة كبار متصوفة تادلا ؛ منهم مؤسس الزاوية سعيد أمسناو وعلي بن إبراهيم البوزيدي.

بعد أن جمع الصومعي القرآن الكريم في زاوية الصومعة، على يد الشيخ سعيد أمسناو، وحفظ بعض المتون الأولية، انتقل، طلبا للعلم، إلى كل من مراكش وفاس وبعض الجهات الأخرى، مثل سوس.

ومن تضاعيف المصادر يبدو أن شيوخ الصومعي كانوا كثيرين. أولهم والده، أبو القاسم بن محمد الزمراني، الذي ذكره صاحب *الفوائد الجمة* في مقدمة شيوخه (التمنارتي، ص. 57). ثانيهم، سعيد أمسناو، الذي يعد عمدته. فعلى يده تلقن مبادئ تربيته، وعنه أخذ علومه الأولى في زاوية الصومعة. وباختصار فيه اقتدى، وعلى رأيه سلك (*المعزى*، ص. 215). ثالثهم، علي بن إبراهيم البوزيدي، صاحب أكرض، الذي كان أول شيخ اتصل به الصومعي خارج بلدته. واستمر ملازما له حتى وفاته. فانتقل بعدها إلى مراكش، حيث أخذ بها عن الشيخ أحمد بن علي الدرعي الرسالة القيروانية (م. س. ص. 202 ؛ *الإعلام*، 2 : 261). وبالمدينة المذكورة أيضاً، أخذ عن أبي عمرو القسطلي، وعبد الله بن ساسي. ذكر المترجم أنه كان كثير الزيارة له بمراكش (م. س. ن). وبها أخذ كذلك عن عبد الله بن حسين، وعبد الله الوردي الذي لقبه برابطة الغار يوم السبت سادس عشر محرم عام 987 (المعزى، ص. 272).

وبفاس أخذ عن أحمد العبادي التلمساني *عقيدة أهل التوحيد*، سنة 966 / 1559، وعن محمد بن عبد الله الشريف (*نشر الثاني*، 1 : 114). والغالب على الظن أنه أخذ عن مشايخ آخرين، منهم من أخذ عنه بواسطة، ومنهم من اتصل به مباشرة، نذكر منهم على سبيل المثال أبا عبد الله محمدا بن علي المخروبي الطرابلسي ؛ الذي أجازه (*روضة الآس*، ص. 302).

ومهما يكن من أمر، فإن ثقافة الصومعي كانت متعددة المشارب، وإذ نسلم بأن الغالب عليه هو التصوف، فإن مضامين كتاب *المعزى* ترشح بنوع من الموسوعية يغلب عليها الأدب والمناقب. يقول أحمد المقري عن هذا الموضوع :

"وشاهدت من كثرة حفظه لحكايات الصالحين عجبا. يذكر بكل محل ما يناسبه، ومع ذلك يأتي أيضاً ببعض الحكايات التاريخية" (*روضة الآس*، ص. 300). ولم يكن الصومعي يدخر وسعا في الإقبال على سائر طرق اكتساب العلم. يذكر الإفراني أنه كان يحضر مجالس الحديث التي يقيمها السلطان المنصور في قصره (*الصفوة*، ص. 24). كان ذلك إبان إقامته "القسرية" بمدينة مراكش.

وكما درس الصومعي العلم، فقد انخرط في سلك التصوف. ومن بين شيوخه، ذكرنا سعيدا أمسناو الذي عينه خلفا له على زاوية الصومعة، وعليا بن إبراهيم البوزيدي، الذي كان أول شيخ "أورده ماء الفقر". وأخذ بعد ذلك عن أبي عمرو القسطلي، وعبد الله بن ساسي، وعبد الله بن حسين التامصلوحتي. كما أخذ عن بعض أصحاب الشيخ أحمد زروق، مثل يعزى الجزولي ومحمد المخروبي الطرابلسي. وسبقت الإشارة إلى أنه لازم الشيخ أحمد بن علي الدرعي مدة. فكما أخذ عنه العلم أخذ عنه التصوف. ولقي بعض كبار شيوخ التصوف آنذاك، أمثال عبد الله الغزواني، وسعيد بن عبد المنعم الحاحي، وأحمد بن موسى السملالي (*المعزى*، ص. 270).

كما سعى الصومعي إلى تعميق ممارسته الصوفية رواية ودراية، فكان يقضي جل وقته في تدريس "علوم الحقيقة". بل حاول أن يهجر دائماً ويتفرغ للتصوف لولا أنه رأى رؤيا اضطر بعدها إلى الاستقرار في زاويته ملازما تعليم الصبيان وتلقين المريدين. ولعل ذلك الاستقرار قد أثمر ما خلفه الصومعي من مؤلفات عديدة.

وأياما كان، فإن الصومعي يعد من كبار متصوفة ذلك الزمان. فقد وترت عنه الكرامات، وقصده الناس من جهات بعيدة. واشتدت المنافسة بينه وبين بعض متصوفة زمانه، أبرزهم الشيخ محمد الشرقي، صاحب أبي الجعد (العروسي، *المرقي*، ص. 85 ـ 86).

وبالرغم عن سكوت المصادر عن ذكر تلاميذ الصومعي ؛ فإننا نعتقد أنهم كانوا كثيرين. ويكفيه أن يتتلمذ له الفقيه الشاعر أحمد بن أبي محلي (*نزهة الحادي*، ص. 201)، والأديب المؤرخ أحمد المقري (*روضة الآس*، ص. 300).

لم يكن موقف الصومعي من السلطة الحاكمة مخالفا لما كان عليه باقي متصوفة العصر ؛ إذ لم يثن في كتاباته على أي سلطان سعدي، باستثناء أحمد الأعرج الذي ذكره في سياق حديثه عن نقل رفات الجزولي إلى مدينة مراكش (*الإعلام*، 4 : 335). وهذا أمر عادي بسبب ما تعرض له أصحاب الزوايا من محنة في ذلك العهد. ومن ثم ذهب البعض إلى أن هوى الصومعي كان مع الناصر، حين ثار على عمه أحمد المنصور. كما ينبغي ألا نستغرب من التنافر الذي وقع بين المترجم وبين الأمير زيدان، الذي لطمه وأهانه.

خلف الصومعي تراثا مكتوبا كثيرا غلب عليه التصوف والأدب. ويعد المقري المصدر الذي نقل عنه جل المتأخرين

فيما يختص بتعداد مؤلفاته، حيث ذكر أنه استجاز شيخه الصومعي فأخرج له ستين مجلداً من مؤلفاته(*روضة الآس*، ص. 300 ـ 302). وأشهرها :

ـ *المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى*.

ـ *لباب اللباب في معاملة الملك الوهاب*.

ـ *اختصار مروج الذهب ومعادن الجوهر*، للمسعودي.

توفي بقرية الصومعة أوائل ربيع الأول عام 1013 / أواخر يوليوز 1604.

أ. الصومعي نفسه، *المعزى*، تح. ع. الجاوي ؛ أ. المقري، *روضة الآس*، ع. الرحمن الصومعي، *التشوف الصغير*، مخطوط، خ. رقم 931 ؛ أ. باب التنبكتي، *كفاية المحتاج*، تح. م. مطيع، المحمدية، 2000 ؛ م. الإفراني، *صفوة*، ط. حجر فاس ؛ *نزهة الحادي*، تح. ع. اللطيف، الشاذلي، الدار البيضاء ؛ م. المخضيغي، *مناقب*، تح. أ. بومزگو، ع. العروسي، *المرقي في مناقب سيدي محمد الشرقي*، مخ. خ. ع. 1911 د ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، ج 2 ؛ م. الفاسي، *تحفة أهل الصديقية*، مخطوط، خ. ع، 76 ج، *ممتع الأسماع*، طبعة جديدة؛ لبقي بروفنصال، *مؤرخو الشرفاء* ؛ ك. بروكلمان، *تاريخ الأدب العربي*، ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج 2 ؛ الزركلي، *الأعلام*، ج 1 ؛ ع. گنون، *النبوغ المغربي*، *خل وبقل*، م. حجي، *الحركة الفكرية*، ج 1 ؛ أ. بوكاري، *الزاوية الشرقاوية*، م. عربوش، *أحمد بن أبي القاسم الصومعي*.

أحمد عمالك

الصومعي، عبد الرحمن بن إسماعيل التادلي، عالم صوفي اشتهر بكتابه *تشوف الراغبين إلى السادة الكرام المتصوفين*، ويسمى أيضاً *التشوف الصغير*، تمييزاً له عن كتاب *التشوف إلى رجال التصوف* ليوسف ابن الزيات التادلي من رجال القرن السابع (13 م).

يظهر من قراءة *التشوف الصغير* أن مؤلفه تكون تكوينا علميا وصوفيا في بلاد تادلا فقط. ثم اشتغل فيها بالتدريس والتأليف وتربية المريدين. يتجلى ذلك في معرفته الواسعة لرجال هذا الإقليم، وبخاصة أهل القرون الثامن والتاسع والعاشر للهجرة، (14 ـ 16 م) يستقصيهم على ما في أسلوبه من اختصار، ويستطرد إشارات تاريخية مفيدة لاخبار الصومعة وداي ومن فيهما من الشرفاء وغيرهم.

توفي بعد عام 1010 / 1001.

ع. الرحمن الصومعي نفسه، *التشوف الصغير*، مخطوط ؛ ع. السلام ابن سودة، *دليل*، ط 2، الدار البيضاء، 1965، ج 1 رقم 1022 ؛ أ. المكناسي، *أهم المصادر*، تطوان، 1963 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، الرباط، 1964 ؛ *الحركة الفكرية*، المحمدية، 1978، ج 2 : 506.

الصومعي، محمد بن عبد الرحمن التادلي. عالم مشارك وصالح، اشتهر بشرحه *سينية ابن باديس البوصيري*. مكث مدة طويلة في الزاوية الدلائية يلازم مجالس الشيخ الحسن اليوسي وغيره من علماء الدلاء. ثم التحق بمراكش لسلوك طريق القوم على يد الشيخ محمد بن عبد الله السوسي (ت. 1079 / 1668) قبل أن يرجع إلى مسقط رأسه ويقبل على تعليم طلبة قبيلته وغيرهم من أبناء الإقليم التادلي. وتكاثر الآخذون عن محمد بن عبد الرحمان الصومعي، طلبة ومريدين، وأجمع الناس على محبته وتعظيمه، وصلحت أحوالهم بإرشاده واجتهاده.

توفي عام 1123 / 1712.

أ. الولالي، *مباحث الأنوار*، مخطوط ؛ م. القادري، *نشر المثاني* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 5 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، الرباط، 1964 ؛ *الحركة الفكرية*، المحمدية، 1978، ج 2 : 507.

محمد حجي

ابن **صوّال**، أسرة فاسية عريقة، ذكر ابن الأحمر في *بيوتات فاس الكبرى* أن بيتهم "بيت فقه وثروة، ولهم زقاق يقال له عقبة ابن صوّال. ولا عقب لهم" واشتهرت هذه العقبة في القرون الأخيرة بسكنى الشرفاء الكتانيين. بها وذلك بعد رجوعهم ـ ضمن الشرفاء الأدارسة ـ إلى فاس أيام المرينيين. وقد أوقف أحد المحسنين من أعيان فاس داراً بمصريتها وأرواها بعقبة ابن صوال على الشريف الصالح عبد العزيز بن محمد بن قاسم الكتاني (ت. ح 997 / 1589) وشقيقه علي وعقبهم. فسكنوها. ومازالت هذه الدار محبسة على الكتانيين حتى اليوم.

إ. ابن الأحمر، *بيوتات فاس الكبرى*، الرباط، 1972، ص. 29 ؛ الطالب ابن الحاج، *نظم الدر واللآل في شرفاء عقبة بني صوال*، مخطوط ؛ ع. الكبير الكتاني، *زهر الآس*، الدار البيضاء، 2002، ج 1 ؛ ع. السلام ابن سوده، *إزالة الإلتباس*، مرقون، ج 2 ؛ علي المنتصر الكتاني، *الشرفاء الكتانيون في الماضي والحاضر*، الدار البيضاء، 1999.

محمد حجي

الصوّان (تيمشْ) حجر (Silex)، أصل الكلمة لاتيني، وهو حجر صلب، حبيباته دقيقة ؛ لونه أصفر صافي إلى أسمر أو أسود، جوانبه شفافة ؛ ذات كسور مصقولة ومحارية ؛ لمعانه ساطع. والصوّان خفي التبلور، لا شكلي، وشائع لمعدن المرو ؛ غالبا ما يوجد على شكل كويرات منتشرة أو متجمعة على شكل صفوف متوازية للتوضعات الطباشيرية، والصخور الكلسية لحقبة الكريتاسي. يوضع الصوّان منذ بداية التصخر داخل الرسابة وهي لازالت مفتتة ؛ كما يعتبر من الأحجار الاحيانية السليسية المتموهة، التي تُكوِّن حدثاً شاذاً داخل الترسبات الكلسية. إن وجود الأشواك المجهرية للاسفنج، وأصداف المشطورات والمكسرات المحارية داخل الصوّان لدليل قاطع على أن هذه البقايا للهياكل السليسية قد استعملت ولاشك كشعيلة لتوضعاته.

لقد استعملت قطع الصوّان في الأزمنة القديمة في صناعة الأسلحة ذات الرؤوس الحادة، كالحراب، والنصّال والفؤوس، ورؤوس الخناجر، والاسهم ؛ زيادة على إشعال النار، وبارود سبطانة البنادق الحجرية. ولقد تم هذا من قبل أن يكشف الانسان عمل هذه الأدوات من المعادن. أما في عصرنا هذا، فيستعمل الصوّان أساساً في صناعة الخزف.

ونشير هنا إلى أننا نجد الصوّان في المغرب في الرواسب الفوسفاطية، والطبقات الطباشيرية :

1 ـ الرواسب الفوسفاطية، يظهر فيها الصوّان على نحو نسق يعلو النسق الفوسفاطي (فوسفاط رملي ومرن فوسفاطي)، يتميز بتبادل رتيب في صخور المرن مروراً بشرائط سليسية بيضاء مسامية، وشرائط ذات لون بني فاتح من الصوّان.

2 ـ الطبقات الطباشيرية الموجود فيها الصوّان، مكونة من الأحجار الرملية التي تعزى إلى السينوماني السفلي أو قاعدة الطباشيري الأعلى، حيث يتقدم الاطلنطي متجاوزاً فوق المجال النجدي، حيث نرى استمرار واتصال الطباشيري السفلي الممثل في صخور الرمل والأحجار الجيرية : كما يكوّن خليجين، الأول بحوض الصويرة والآخر في حوض أگادير.

J. Agard, *Minerais et substances utiles de la carte géologique au 1/200.000è des environs de Casablanca*, Rapport SEGM, n° 151, 1950 ; J. Aubouin, R. Brousse et J.P. Lehman, *Précis de géologie : pétrologie*, Paris, 1975 ; *Bulletins mensuels de la conjoncture minière*, Ed. Ministère de l'Energie et des Mines, Direction des Mines, Maroc ; B. Bariand, F. Cesbron et J. Geffroy, *Les minéraux, leurs gisements, leurs associations*, Paris, 3 vol., 1978 ; *Eléments de la géologie du Maroc, Mines, Géologie et Energie*, Publication de la Direction des Mines, de la Géologie et de l'Energie (Ministère de l'Energie et des Mines, Maroc), n° 41, 1977 ; *Géologie des gîtes minéraux marocains (Substances métalliques et non métalliques)*, 2ème éd., t. 1, Rabat, 1980 ; *Géologie des gîtes minéraux marocains (Phosphates)*, 2ème éd., t. 3, Rabat ; A. Foucalt et J. F. Raout, *Dictionnaire de géologie*, Paris, 1988 ; Kourimsky, *Encyclopédie des minéraux*, Paris, 1986 ; P. Lapadu-Harques, *Précis de minéralogie*, Paris, 1954 ; A. Michard, *Elément de Géologie marocaine*, Rabat, 1976 ; D. Reig, *Dictionnaire arabe-français, français-arabe*, Paris, 1986 ; D. Rudolf et R. Lubos, *La grande encyclopédie des minéraux*, Paris, 1989 ; E. Saïdi, *Lexique de géologie et de géomorphologie (français-arabe)*, Rabat, 1990.

عبد الله بوصحابة

الصّويرة، مدينة متوسطة عريقة وعاصمة إقليم ذات شهرة تاريخية ولها من الظروف الطبيعية والبشرية والاقتصادية ما يؤهلها لكي تلعب أدواراً رئيسية على الصعيدين الإقليمي والجهوي، لولا الإكراهات الخانقة والمعيقات التي تجعلها تنمو بمشقة وتتخلّف شيئاً فشيئاً عن ركب الحواضر المغربية الفاعلة والنشيطة وظيفيا وعمرانياً.

تتخذ المدينة موقعاً وسطاً بين الأقطاب الجهوية الثلاثة (مراكش وأگادير وآسفي)، كما تنفتح على المحيط الذي يعدّ مصدر ثروتها، بل سبب وجودها، ولا تبعد عن الدار البيضاء إلاّ بحوالي 350 كلم. لكن هذه الوضعية تجعلها في آن واحد متطرّفة ومعزولة عن المحاور الأساسية للتيارات التجارية والبشرية (الدار البيضاء ـ مراكش ـ أگادير)، خصوصاً وأن السلوكية تصبح صعبة في بلاد الشياظمة وخاصة بفعل تقطع التضاريس التلية والهضبية.

كما أن موضع المدينة الذي يرجع إلى عهود قديمة، ولا سيما المكان الذي تمّ اختياره لبناء القصبة والمدينة القديمة، هو فريد بالمنطقة الساحلية، إذ يتميّز بالانخفاض وبروز الخيف الصّخري الشاطئي المكوّن من الكثبان المتصلبة القديمة (الرباعي ونهاية الزمن الثالث). ومنه يمتدّ الشاطىء الرملي بالخليج الواسع والمحمي من طرف الأرخبيل القريب إلى ما بعد مصب واد القصب نحو الجنوب، غير أن ما تنفرّد به مدينة الصويرة على الإطلاق هو تطويقها التامّ "بجبال" من الكثبان الرملية الحديثة والمتحركة. ويعزى هذا التراكم الضخم على المشارف القريبة إلى التعرية الريحية التي تضاعفت بعد اجتثاث غابة الأرگان والعرعر المجاورة على إثر بناء مدينة الصويرة منذ 1757. حتى إنه في بداية القرن العشرين وصل تهديد زحف الرمال إلى حدّ أقصى. لذلك قرّرت سلطات الحماية تشجير الشريط المحيط بالمدينة بداية من 1918 بموازاة مع إصدار قوانين تمنع أي نشاط فلاحي ورعوي داخل هذا الشريط. واستمرّ تثبيت الكثبان إلى نهاية الخمسينيات بمعدل 350 هـ سنوياً بالشجيرات والأشجار المتأقلمة مع المعطيات المحلية (طرفاء، رتم، سنط، ميموزا، عرعر، أو كليبتوس).

فضلاً عن ذلك، تتوفّر المدينة على مناخ متوسطي شبه جاف (280 ملم سنوياً)، يتميّز دون غيره بالمغرب بمعدل حراري يعادل 18.5، ولا يبتعد المدى الحراري كثيراً عن هذا المتوسط طوال السنة، بسبب تلطيف الحرارة الصيفية بالرياح الجارية وانعدام الصقيع والبرد القارس خلال فصل الشتاء. لكن دنو تيار الكناري البارد في السواحل يسفر عن ازدياد قوة الرياح الشمالية الشرقية بين أبريل وأكتوبر، وخصوصاً خلال يوليوز وغشت، وهو ما يؤثر سلباً نسبياً على الرواج السياحي في هذه الفترة.

النمو الديمغرافي بمدينة الصويرة

	1960	1971	1982	1994
عدد السكان	26.392	30.061	42.035	56.074
نسبة التزايد السنوي (٪)	-	1,2	3.0	2,6

رغم ترقية الصويرة إلى صفّ البلديات منذ 1917، تمّ تهميشها منذ بداية عهد الحماية لصالح مدن الشمال الأطلنطي بمحور الجديدة ـ القنيطرة. ومع ذلك تعتبر مركزاً تجارياً أساسياً إلى حدود الخمسينيات من القرن 20. فكان عدد سكانها في الثلاثينيات يناهز 14000 نسمة، نصفهم تقريباً يهود وأوربيون. وبعد رحيل جلّهم بعد الاستقلال، وفي الوقت الذي شهدت فيه المدن المغربية المتوسطة والكبيرة انفجاراً ديمغرافياً حقيقياً، ظلت تنمو مدينة الصويرة ببطء شديد إلى حدود 1974، لما انفصلت دائرتها عن إقليم آسفي لتشكل إقليماً قائم الذات. وبعد بضع سنوات من التزايد

السّكاني المتوسط والذي يرجع بالأساس إلى الهجرة القروية (التي تمثّل 41٪ من مجموع تلك الزيادة بين 1960 و1971)، تراجع النمو الديمغرافي منذ بداية التّسعينيات، بعدما أصبحت المدينة تشكو جلياً من النقص الحاصل في الحيّز القابل للبناء.

بفضل بنياتها التحتية وتجهيزاتها الجماعية وتنوّع أنشطتها ووجود الميناء، يمكن اعتبار مدينة الصويرة متعدّدة الوظائف ومتوفرة على كل مقومات المدينة العصرية. ذلك أنها مدينة إدارية بالدرجة الأولى، تحتضن جلّ المرافق والمصالح العمومية وشبه العمومية الإقليمية وكذا مختلف مؤسسات الخدمات. كما حافظت على صناعتها التقليدية التي نالت بها شهرة وطنية، ولا سيّما في ميدان الصيّاغة وصناعة الخشب. كما أحدثت صناعات عصرية عديدة تتصدّر لائحتها معاصر الزيتون ومعامل تصبير السمك.

واستمرت أيضاً في تطوير السياحة الاستحمامية الوطنية والعالمية بتدعيمها في السنوات الأخيرة بشتى المهرجانات الثقافية والفنية. مع العلم أن الميناء، رغم تذبذب رواجه وتواضعه اليوم مقارنة مع الموانئ الأطلنطية الأخرى، فهو يعرف تفريغاً سمكياً يتراوح في المعدّل بين 5000 ط و10 000 ط في السنوات الأخيرة (2537 ط سنة 1999) والتي يصبّر جزء ضئيل منه محلياً.

وقد استنفدت المدينة القسط الأوفر من الحيّز الحضري القابل للبناء خارج المجال الغابوي ويتجه التعمير إلزامياً نحو الجنوب، فيما وراء سيدي مگدول والخليج، أي صوب قربة الذيابات (على واد القصب) التي تم التفكير في استخدامها لفك الحصار على الصويرة وبناء مدينة جديدة بها.

** ينتمي إقليم الصويرة إلى جهة مراكش ـ تانسيفت ـ الحوز، وهو من الأقاليم المغربية القديمة نسبياً (1974) والمتوسطة الحجم (6335 كلم2). ونظراً للتقلص الذي تشهده مدينة الصويرة وظيفياً وديمغرافياً وعمرانياً يكاد ينحصر نفوذها على ناحيتها في المهام الإدارية. أما بعض التجهيزات والأنشطة والخدمات النادرة والرفيعة فيجب البحث عنها في مراكش وأسفي وحتى أگادير.

يتكوّن التراب الإقليمي من أربع وحدات تضاريسية أساسية تتدرج من الشمال نحو الجنوب. عند انتهاء الطرف الجنوبي الأقصى لسهل عبدة يمتد شريط ساحلي (بعرض 15 كلم في المتوسط) من الكثبان الحثية البليورباعية المتوازية التي تعلوها قشرة كلسية ورمال متحركة أحياناً. وما عدا هذا الشريط الساحلي الذي يضمحلّ في حدود جنوب حاحا فإن باقي التكوينات تنتمي بالدرجة الأولى إلى الكلسي الكريتاسي والإيوسيني. وهي عبارة عن هضاب وتلال متداخلة سواء في الشياظمة ذات الارتفاع المتوسط (بين واد تانسيفت وواد القصب) والتي تحتضن شكلا استثنائيا بالمنطقة (جبل الحديد) أو في حاحا التي تعرف ارتفاعاً فجائيا للتضاريس (بداية من جبل أمسّيطن) أو في أقصى الجنوب (الأطلس الكبير الغربي).

على أن التعرية المائية والريحية تتميّز بعنف تزيد من حدته طبيعة المناخ المتوسطي شبه الجاف، حيث لا يتعدى حجم التساقطات 280 ملم سنويا بمدينة الصويرة، مع كثير من التفاوتات بين السنوات. في الفترة الأخيرة تم تسجيل كميات مطرية جدّ متباينة كان أقصاها 624 ملم سنة 95 ـ 1996 وأدناها 164 ملم سنة 94 ـ 1995. زد على ذلك أن الغطاء النباتي الطبيعي الواقي يعرف تدهوراً مطّرداً بفعل عملية الاجتثاث والرعي المفرط. وحاليا يتوفر الإقليم على مساحات مازالت واسعة من الغابات بمجموع حوالي 259000 هـ. تتوزع بين الصنوبريات في الداخل، بمساحة 108 400 هـ، من بينها 95 500 من العفصية (وهي أكبر مساحة إقليمية في المغرب من هذا النوع) والمورقات (145 000 هـ) في الجزء القريب من البحر، وضمنها 132 000 هـ من الأرگان (وهي ثالث أكبر مساحة في المغرب بعد مساحة الأرگان بإقليمي أگادير وتارودانت).

إلى حد الآن ظلت الغابة تؤثث المشهد الريفي العام وظلت المعطيات الطبيعية تمثل أهم الموارد بالنسبة للسكان الذين يستقرون بالأرياف بالدرجة الأولى.

تطور عدد سكان إقليم الصويرة
(5 جماعات حضرية ومركز و25 جماعة قروية)

السنوات	حضريون	ريفيون	المجموع
1960	27175	282075	309250
1971	32333	329919	362252
1982	46858	346825	393683
1994	75437	358244	433681

يعد إقليم الصويرة من أضعف الأقاليم المغربية من حيث نسبة التمدين. ذلك أن الجماعات الحضرية الخمس (الصويرة، تامانار، الحنشان، أيت داود وتالمست) لا تمثل سوى نسبة 17.4٪ من العدد الإجمالي للسكان سنة 1994، مع العلم بأنّ نسبة سكان الحضر عرفت نسبة متوسطة للنمو سنة 1982 (بين 3,3٪ و4٪). ونظراً للهجرة القروية المستمرة فإن ساكنة الأرياف تعرف ركوداً وفي العديد من الجماعات تراجعاً (حوالي 14 جماعة قروية). أما المراكز الحضرية الأخرى فهي جدّ متواضعة حجماً ووظيفياً (تامانار : 8620 ن، الحنشان : 3898 ن، تالمست : 3406 ن، أيت داود : 2118).

إن استمرار الاستقرار بالأرياف وكذا الكثافة المرتفعة نسبيا بالمقارنة مع الموارد (57 ن / كلم2) يدلاّن على الارتباط الوثيق بالنشاط الزراعي والرعوي بالإقليم. في منطقة الشياظمة يتغلّب نظام الإنتاج المبني على الزراعات

المتنوعة (وخصوصاً الشعير) مع استراحة للأرض وتربية الأغنام أساسا. أما في حاحا والأطلس الكبير الغربي، فالنظام رعوي زراعي مع استغلال خاصّ لغابة الأركان من طرف الماعز. وعلى صعيد مجموع الإقليم يتكون القطيع من الأغنام (492300 رأس) والماعز (352400 رأس) والأبقار (56500 رأس). أما المساحة العامة المزروعة بالحبوب فتتراوح بين 225000 هـ و300 000 هـ.

أما الاقتصاد الحضري والمبادلات الاقليمية فترتكز على بنيات تحتية وتجهيزات اجتماعية متفاوتة وضعيفة على العموم. خارج الطريق الوطنية الساحلية والطريقين الجهويين الصويرة ـ شيشاوة وسميمو ـ إمنتانوت لا يتوفر إلاّ جزء ضيق من الإقليم على شبكة ملائمة من الطرق والمسالك الإقليمية والجماعية (ما بين الصويرة وشيشاوة). وحتى المطار الموجود جنوب مدينة الصويرة والمستخدم في السيّاحة فرواجه ضعيف. ولم تسجّل بمركز الصويرة سنة 1999 سوى 107 وسيلة نقل، بما فيها سيارة سياحية.

يتميز القطاع الاجتماعي وقطاع الخدمات أيضاً بخصاص ملحوظ، ولا سيّما في الوسط الريفي وخارج المنطقة الممتدة بين الصويرة وتمنار. ذلك أن الميدان الصّحّي لا يتوفر إلاّ على مستشفى إقليمي واحد (358 سرير) و56 طبيب (37 في القطاع العمومي) و7 مراكز صحيّة (4 قروية) و28 مستوصف (27 في البادية).

النسب المائوية في بعض القطاعات الاجتماعية بالوسط الريفي بإقليم الصويرة (1994)

	دائرة الصويرة		دائرة تمنار	
	ذكور	إناث	ذكور	إناث
التمدرس	43	15	48	10
الأمية	77	95	77	98
البطالة	5	7	6	7

كما تجدر الإشارة إلى أنه حتى مدينة الصويرة نفسها تفتقد لعدد كبير من الخدمات النادرة التي غالباً ما توفرها العواصم الإقليمية، مثل الهندسة المعمارية والطبغرافية والبيطرة ومكاتب الدراسات والتوثيق ووكالات الأسفار والمؤسسات الثانوية الخاصة والعليا والمصحات والطبّ الاختصاصي وقاعات السينما والمراكز الثقافية وسيارات الأجرة الكبيرة والحافلات...

توفر الأرض في الوسط الريفي معظم المؤهلات الاقتصادية، كما تحتوي على صعيد الإقليم على مجموعة من الثروات المعدنية، بين ما هو في طريق الاستنفاد وما هو احتياطي أو صعب الاستغلال. ويتعلق الأمر بمناجم الكبريت بسيدي غانم والملح جنوب سميمو في إدّا أو عزة وأوزلا والحديد بجبل الحديد شمال الصويرة، وخصوصاً أحد الأحواض النفطية الواعدة بالمغرب واحتياطي كبير من الشيست النفطي والغاز الطبيعي بتويكيت والفوسفاط في أولاد بوسبع وانفيفة ومسكالة.

يواجه استغلال هذه المعادن بالطريقة المثلى عدة عراقيل، على رأسها تذبذب الأسواق العالمية وضعف القطاع الصناعي وبعدها عن الموانئ وأماكن التحويل والمعالجة. ولو أن عدد المؤسسات الصناعية كبير نسبياً بالمقارنة مع حجم الإقليم ونسبة التمدين به : حوالي 2000 عامل بخمسين مؤسسة صناعية منها 8 وحدات عصرية لمعالجة الزيتون (بجانب عدد كبير جداً من المعصرات التقليدية).

أما الصيد والسياحة فيتركزان في مدينة الصويرة التي يشكو فيها القطاع الأخير من ضعف بنية الاستقبال، سواء بالنسبة للسياحة الداخلية أو الوطنية، والتي تتمثل في 4 فنادق مصنفة ومخيم واحد، ومن قرية وإقامات سياحية.

التعمير الحضري لمدينة الصويرة، 10.000، مديرية المحافظة العقارية والأشغال الطبغرافية، الرباط، 1977 ؛ الصويرة، *الذاكرة وبصمات الحاضر*، أيام دراسية، منشورات لكلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، 1994، مديرية الإحصاء، *الإحصاءات العامة للسكان والسكنى*، 1960 ـ 1971 ـ 1982 ـ 1994 ؛ مديرية الإحصاء، *النشرة الإحصائية السنوية للمغرب*، 2000 و1978.

A. Courapied, *Essaouira, étude d'architecture*, Paris, 1978 ; H. B. Ottmani, *Une cité sous les alizés, Mogador*, Ed. La Porte, Rabat, 1997 ; *Etude de l'état de l'environnement au sein de la médina d'Essaouira*, 1980 ; SCET, *Etude préliminaire du schéma directeur de la ville d'Essaouira*, Rabat, s. d.

مصطفى عياد

* * كان السلطان محمد بن عبد الله يتوقع من بناء الصويرة أن يعزز مكانة المغرب ويدعم قوته. وأشار أحمد الغزال ـ وهو من حاشية السلطان ـ إلى أن مصب واد أبي رقراق صارت الرمال تسده مدة شهرين في السنة ،إبان فصل الشتاء، فيعرقل تحركات القراصنة المغاربة. وعجز المهندسون عن إيجاد حل لذلك المشكل القائم، فاقترح بناء مرسى جديد في الصويرة، حتى "تسافر منها القراصين متى شاءت". وكأن ما ذهب إليه الغزالي من أن الهدف من بناء الصويرة قد كان هو الدفاع عن الإسلام في مواجهة الكفار سيكسب تأسيس المرسى الجديد مشروعيته. والواقع أن أنشطة القراصنة المغاربة التي كانت تعتبر عمليات بحرية مشروعة تناقصت حتى تلاشت. وذلك لأن التجارة والمبادلات المنظمة بمقتضى اتفاقيات تجارية صارت من الوسائل التي تتيح للمخزن إمكانية مراقبة أنشطة التجار الأجانب، وتتحدث مصادر أجنبية عن رغبة السلطان في وضع حد لحق الاحتكار التجاري الذي كانت الشركة الملكية الدنماركية للتجارة قد حصلت عليه سنة 1751 في كل من أسفي وأگادير والرباط وسلا والمعمورة والعرائش وتطوان. إذن فقد كانت للسلطان رغبة أكيدة في تركيز مجموع التجارة الخارجية في مرسى واحد يخضع في تسييره وتدبير شؤونه للقصر السلطاني خضوعا مباشرا كليا. وكانت تسعى هذه السياسة إلى الرفع

من مداخيل المخزن بواسطة الرسوم الجمركية، وفي التقليص من الاستقلالية التي كانت تتمتع بها المؤسسات التجارية الأجنبية.

لقد بنى السلطان المرسى من أجل المبادلات التجارية، غير أن توفير سلطة المخزن وتدعيمها تطلبا أيضاً إنشاء مؤسسات عسكرية في المدينة الجديدة. ويمكن القول إن السلطان محمد بن عبد الله كان بصدد إنشاء مدينة على غرار الرباطات، وهي تلك القصبات المحصنة التي بنيت على طول السواحل المغربية في القرنين الرابع عشر والخامس عشر دفاعا عن الإسلام من أعدائه البرتغاليين وقتئذ. وكانت المدينة الجديدة شبيهة بالمراكز التجارية المحصنة التي سبق أن أسسها الإسبانيون والبرتغاليون فسموها بريزيديوس، وهي حصون أو مواقع تجارية تتولى حراستها حاميات عسكرية. وكان البرتغاليون والإسبانيون يصرون على مواصلة احتلالهم بمواقع على الساحل كما هو حال الجديدة الموجودة في قبضة البرتغال وسبتة ومليلية الواقعتين تحت النفوذ الإسباني. ومن ثم ظل الجهاد قضية حقيقية، وهذا هو السياق الذي يجب أن تدرج فيه وجهة نظر الغزال المشار إليها أعلاه، حتى تفهم فهما صحيحا.

ولما كان مرسى الصويرة السلطاني جزءاً من الديار العلوية الشريفة، فقد كان لا بد من اتخاذه حاضرة تتمتع بكل مواصفات الحاضرة الإسلامية. غير أن التجارة هي التي منحت في الحقيقة للمدينة الجديدة قابلية الحياة والنمو، فكان معظم التجار فيها يهودا. وكان قطاع التجار القوي من المكونات الأساسية للمجتمعات الإسلامية الحضرية دائما. وكان القرار القاضي بإقامة التجار اليهود في المدينة جزءاً من التقاليد الراسخة والمتجذرة في التجربة الحضرية المغربية، وكان يعتبر وسيلة لضمان التطور الاقتصادي للمدينة الجديدة. وحتى يجذب المخزن المركزي التجار إلى مدينة الصويرة، فقد بنى لهم الدور أو سمح لهم ببنائها، ومنح القروض وخفض الرسوم الجمركية للقادمين الجدد. وجاء في إحدى المخطوطات، ضمن مجموعة وثائق آل قرقوز أن يهود تجار أگادير بنوا الدور في الصويرة في البداية دون أن تكون لهم رغبة في الإقامة بها على الدوام. وبناء على نصيحة أسداها يهودي يتمتع بنفوذ كبير في حاشية القصر هو سومبال، اختار السلطان محمد بن عبد الله عشر عائلات من الأسر اليهودية الثرية من مختلف مدن المغرب، واتفق مع كل منها على أن ترسل أحد أفرادها إلى المدينة الجديدة ضمن الأسر المذكورة : سومبال ودلفانتي (الشريقي) من أسفي، ثم قرقوز وديلامار من مراكش، ثم أفلالو وبيينيا من أگادير، ثم ليفي يولي وليفي بن سوسان والناحوري من الرباط، وأخيرا أبو درهم من تطوان. ولا توجد أي إشارة دقيقة إلى التاريخ الذي وقعت فيه هذه الحركة، لكن الظاهر أنها حصلت بضع سنين من إنشاء المدينة. وفضلا عن هؤلاء، قدم إلى المدينة بقصد الاستقرار بها بعد ذلك ببضع سنين يهود تجار آخرون من أسفي والرباط وسلا وتطوان ومراكش وأگادير وسوس. إذ وفد على المدينة من مراكش كل من مسقنين والصباغ وبينتو، وجاء من تطوان حديدة وإسرائيل، ومران من أسفي، وأهم من هؤلاء جميعا كدالة الذي أتى من أگادير، فساهموا جميعا في تشكيل نخبة تجار الصويرة.

وحدث تواصل تدريجي بين التجار اليهود الصويريين وبين شبكات التجار اليهود الأوربيين في حوض البحر المتوسط. فكان حاسما في تدشين مرسى الصويرة لحركة متنامية للتصدير والاستيراد. غير أن الشبكة اليهودية التي كان ينتشر أعضاؤها على امتداد الطرق التجارية البرية الداخلية للمغرب كانت لها أهميتها المماثلة. إذ كانت تعتمد معظم مبادلات المغرب الخارجية على مقايضة المنتجات المستوردة والمصدرة من جنوب غرب البلاد. وقد جاءت بعض كبريات الأسر التجارية اليهودية الصويرية، مثل آل أفرياط وآل أحيون، من هذه المناطق. وكانت علاقاتهم المتينة باليهود والوكلاء التجاريين والزعامات القبلية في منطقة الجنوب الغربي، تيسر فعلا رواج السلع.

وفي القرن الثاني عشر (18 م) اتخذ ممثلو الشركات التجارية الأجنبية في العواصم الأوربية الكبرى مواقعهم في الصويرة. وحمل السلطان محمد بن عبد الله كل التجار الأوربيين على الانتقال من الرباط وأسفي وأگادير وبقية مراسي المغرب إلى المدينة الجديدة. وفي آخر الأمر، أصبحت الصويرة المرسى البحري الوحيد الذي يسمح بممارسة التجارة الخارجية منه. وحينما تراجعت المبادلات التجارية مع المغرب عند نهاية القرن الثامن عشر، غادر معظم التجار الأجانب الصويرة، وذلك على الرغم من حلول تجار أوربيين آخرين بالصويرة في أواسط القرن الثالث عشر (19 م) بعد معاهدة 1856 مع بريطانيا وما ترتب عليها من تحرير للمبادلات الخارجية. لكن التجار اليهود هم الذين تركوا بصماتهم الواضحة المعالم على المدينة. ولما كانوا تجارا رسميين في خدمة السلطان، فقد حصلوا على الدور داخل القصبة حيث توجد مرافق السلطات المخزنية وبقيم الأجانب. بينما استقر عامة اليهود في الزاوية الشمالية الغربية للمدينة في حي الملاح. وكان عامة يهود الصويرة يعيشون في البداية مع المسلمين في المدينة، غير أنهم أرغموا بعد صدور ظهير سلطاني على الانتقال إلى حي يهودي سنة 1807. وكانت فئة التجار اليهود المقيمين في القصبة أكثر مجموعات المدينة تأثيرا على الإطلاق. إذ تمحور الحيز الأكبر من الأنشطة الاقتصادية للمدينة على صفقاتهم وعملياتهم التجارية، بل ظل ازدهار المدينة مرتبطا بمدى نجاح أعمال المؤسسات التجارية التي كانوا يديرونها. كما اعتمد كافة تجار الجنوب المغربي على وساطة هؤلاء التجار اليهود لتسويق انزرع والمنتجات الأساسية في المبادلات مع أوربا. ووجدت المؤسسات التجارية الأوربية نفسها مرغمة على التعامل مع هذه الفئة من تجار السلطان لأن معظم تجارة المغرب الخارجية كانت في قبضتهم

أ. الناصري، الاستقصا، ط 2، الدار البيضاء، 1956، ج 8، ص.

54 ؛ م. أكنسوس، *الجيش العرمرم*، مخطوط، د 339 خ ع ؛ م. الضعيف الرباطي، *تاريخ الضعيف*، تح. العماري، الرباط، 1986 ؛ أ. الغزال، *نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد*، بيروت، 1980 ؛ م. القادري، نشر المثاني، القسم الرابع، تح. م. حجي وأ. التوفيق ؛ *موسوعة أعلام المغرب*، ج 6، بيروت، 1996، الغرب الإسلامي، ص. 2223 - 2224.

Troisième voyage de Razilly 1629. Document XXXIII, in Sources Inédites de l'Histoire du Maroc, Série France, t. III, p. 117 et 121 et 267.

خالد بن الصغير

* * أما المآثر التاريخية بالصويرة فتتمثل في نقائش تشتمل تواريخ مكتوبة بالأرقام، كما أنها تشير إلى أسماء "المعلمين" البنائين أو المهندسين الذين أشرفوا على البناء وهم أحمد الطح ومحمد تمري وكنون الفاسي. أما من الناحية الفنية فهذه الخطوط جد متفاوتة بحيث يمكن اعتبار نقيشة باب محمد أو مسعود أهمها شكلا ومضمونا.

إن هذا الاختلاف في الأشكال والمضامين، يوازيه اختلاف في التواريخ المرفقة التي نقشت بالأرقام. واستعمال الأرقام للتأريخ لم يكن من الأمور المعتادة في العمارة المغربية قبل الفترة السعدية. وشاع استعمالها في البنايات العلوية منذ فترة سيدي محمد بن عبد الله واستمرت بعده. ويمكن تفسير اختلاف التواريخ أساسا في كون البناء بالمدينة، لم يرتفع بموت سيدي محمد بن عبد الله بل استمر إلى 1764 و1814. فالمدينة لم تبن دفعة واحدة، الشيء الذي يستنتج عند قراءتنا للمعالم الأثرية بالمدينة كذلك.

تظهر المدينة داخل الأسوار على شكل جزر سكنية متباينة. فمن جهة البحر تمتد القصبة القديمة داخل حزام من التحصينات ـ وقد تهدم جزء منها ـ وتقابلها القصبة الجديدة وهي محاطة بدورها بأسوار مخططة على شكل هندسي محكم ذي المربعات المنسقة. ثم تمتد المدينة بشوارعها الواسعة المتقاطعة التي أبهرت أكثر من زائر والتي نسبت إلى "عبقرية" مهندس معماري فرنسي يدعى كورنو . وأخيراً في الزاوية الشمالية يوجد حي الملاح.

بالنسبة للقصبة القديمة، فهي تبدو على شكل مدينة صغيرة تحيط بها أسوار مدعمة بالأبراج المربعة، وكانت بها ثلاثة أبواب رئيسية : باب الأخضر المؤدي للمرسى، باب محمد أو مسعود ـ وهو مازال قائما يصل إلى المشور ـ وباب القصبة الذي كان يصل إلى المدينة ولم يبق له أثر.

ويمكن تمييز فضاءين أساسيين داخل القصبة : ساحة الجامع وساحة باب محمد أو مسعود. هذا بالإضافة إلى أهم العناصر المعمارية للمدينة الإسلامية : مسجد جامع، مدرسة، حمام، قيسارية أسواق، فرن ودور سكنية على اختلاف أحجامها وأنماطها.

إن أهم الشواهد المعمارية في هذا الجزء من المدينة يبرز الوظائف الأساسية للقصبة. وهكذا يتشكل المركز السياسي من دار القائد والحي الملكي. فأما دار القائد، فهي المؤسسة المعمارية التي ظلت تبرز في الوثائق المرسومة طوال القرنين الثاني عشر والثالث عشر (18 و19 م) كرمز للمخزن بالقصبة القديمة. هذه الداركانت مخصصة للسلطان ثم لعبت فيما بعد أدوارا مختلفة. وأما الحي الملكي فقد كان السلطان سيدي محمد بن عبد الله قد أمر ببنائه، إلا أن هذا المشروع لم ينجز منه سوى باب المنزه، الذي يطل على ساحة المشور وباب المرسى وهو ما يسمى حاليا بساحة المولى الحسن.

وتبرز البنايات الدينية في القصبة القديمة على زوايا مثلث، أبرزها الزاوية التي يقع فيها الجامع وهذه البنايات الثلاث هي :

- الجامع العتيق (ساحة المولى الحسن)
- بيعة عطية بالزنقة التي تحمل نفس الاسم
- الكنيسة البرتغالية (زنقة ابن زهر)

فقد كان سيدي محمد بن عبد الله يلح كثيراً على احترام ديانات أهل الكتاب وشكلت القصبة القديمة مركزاً أساسياً. منذ البداية، لسكنى مجموعات بشرية متعددة العقائد والأصول ترتبط فيما بينها بعلاقات ودية ومصلحية في الوقت نفسه. وكانت ديار القصبة سكنا ومستودعا لتجار السلطان (مسلمين ويهودا) والتجار الأجانب وأعضاء القنصليات الأجنبية على اختلاف أصولهم. فقد كثرت بهذا الجزء من الصويرة الدور الضخمة، ذات الأبواب الكبيرة الجميلية، والتي تتميز أساسا بكونها دوراً ذات وظائف مركبة.

وكانت بالقصبة مجموعة من الهياكل الاقتصادية. ويبدو من خلال الخرائط القديمة، أن الهيمنة الاقتصادية كانت للسلطان الذي كان يملك كلا من القيسارية وحوانيت بالسوق. بالإضافة إلى ذلك، كانت دار الاعشار متصلة بدار المخزن، كما يتضح أن المسجد الجامع كان مرتبطا بالسوق والقيسارية اللذين كانا يمتلان في محيطه القريب.

وتجدر الإشارة هنا أن أزقة القصبة القديمة تتميز بكونها واسعة ومستقيمة وتتراوح مقاييسها ما بين 5 و3 م، وتتقاطع أزقتها على شكل زوايا قائمة. "تغطيها سقوف من القناطر الخشبية تعرف محليا باسم "تسيوت". وتتميز معظم الأزقة الداخلية للقصبة بكونها أزقة عل شكل "ساباطات". أطوال هذه الساباطات زنقة خالد بن الوليد بالقصبة القديمة. التي تنتهي عند البحر، وربما كان الغرض الأساسي من هذا التخطيط تسهيل نقل البضائع التي كانت تخزن في جميع أنحاء القصبة.

وترتبط القصبة بالمرسى عبر تحصينات بحرية تدعى السقالات. وأهم عناصر هذه التحصينات باب المرسى الذي يشكل معلمة معمارية فريدة في العمارة المغربية، سواء في هيكلها أو في زخرفها. وهذه الباب تحمل في أعلاها خطوط منقوشة وتاريخ البناء بالأرقام (1184 هجرية).

وتتكون هذه الإسقالات من قسمين رئيسين : سقالة القصبة وسقالة المرسى.

أما اسقالة القصبة، فهي تقع شمال غرب المدينة وتمتد على جرف مستطيل بجوف القصبة وترتبط بالبرج الشمالي المستدير. والسقالة هذه من بناء مهندس من جنوة كما تؤكده مجموعة من الوثائق الإسبانية. وقد تعرضت جوانب منها إلى ضربات مدافع الأمير دو جوانفيل De Joinville سنة 1844 إبان هجوم البحرية الفرنسية على المدينة. وقد تم ترميم هذه المعالم بعد ذلك من طرف المخزن.

تمتد اسقالة القصبة من القبلة إلى الجوف على مساحة طولها 175 م، ويصل عرضها إلى 8 م، وهي محمولة على مجموعة من المخازن، وترتفع قبتها المبنية بالحجارة المنجورة مشرفة على المرسى. ووظيفة هذه السقالة هي حماية المرسى، فمنها تنطلق المدافع مرحبة أو مهددة لكل من قدم إلى المدينة من البحر. وقد بنيت أسفلها مجموعة من الأهراء (أربعون) لإيواء المكلفين بالحراسة، وشكلت مستودعاً هاماً للأسلحة في الماضي. أما الآن فهي عبارة عن حوانيت ومصانع للخشب (منجرات)، وكلها تنفتح بأقواس نصف دائرية من الحجر المنجور.

ويرتفع وسط هذه الاسقالة برج مربع الشكل يعرف ببيت اللطيف، لكون "الطلبة" كانوا يقرأون فيه كتاب *الشفاء* في عهد سيدي محمد بن عبد الله. وعلى أحد جدران هذا البيت تبرز نقيشة أصبحت اليوم رمزاً للمدينة، وهي مكتوبة بالخط الكوفي : "بركة محمد".

بنيت السقالة أساسا بالحجارة المنجورة وتشكل "شرافاتها" عنصرا متميزا. فهي ذات طابع أوربي وتنتهي بمتراس ذي فتحات هندسية مهذبة تتوزع على فوهاتها مجموعة من المدافع (40 مدفعا في الأصل). وهذه التحف الأثرية مزينة بزخارف وخطوط منقوشة تشير إلى تواريخ صناعتها التي تتراوح ما بين 1541 / 1594 ثم ما بين 1614 و1778.

أما اسقالة المرسى فهي محمولة على قنطرة ذات خمسة أقواس. ويحمل مفتاح قوسها المركزي نقيشة خطية شبيهة في صيغتها بالتي تعلو باب المرسى. وأهم ما يميز هذه السقالة برجها الكبير، إذ يشكل النقطة الأساسية من الناحية الدفاعية. وأسفل هذه السقالة توجد مخازن تزيد عن العشرين معدة لبراميل البارود والكور وإيواء المراكب والمعدات البحرية من مخاطف وحبال وغيرها. فقد كانت في الواقع دارا للصناعة.

إن أهم ما يميز هذه السقالات كونها ذات طابع أوربي في شكلها المعماري، فقد استعمل الحجر المنجور كمادة أساسية للبناء، وتبرز "شرفاتها" بنتوءات وفتحات أسطوانية على الجدار.

أما الجزء المعروف بـ"المدينة" فهو يختلف في عدة أشياء عن القصبة. فمساحته شاسعة وتحيط به أسوار تمتد على شكل حزام طوله 2476 م تقريبا. ويتراوح ارتفاعه ما بين 7 و9 أمتار بما في ذلك "الشرافات" التي ينتهي بها السور ويصل العلو في بعض الجهات إلى 12 م.

وتسمح الصورة الجوية للمدينة بتمييز الجزر السكنية التي يتخللها محوران أساسيان : المحور الأول يمثله سوق الحدادين وهو شارع واسع عرضه 15 م وطوله كلمتران تقريب. يعرف حاليا جزء منه باسم محج الزرقطوني، والجزء الآخر باسم محج الاستقلال، وهو امتداد لشارع عقبة أو ساحة المشور سابقا. وهذا المحور الأول ينطلق من المرسى مرورا بباب المنزه، ثم باب السبع، ويشكل فيه السوق الجديد المركز الأساسي، وينتهي عند باب دكالة. وهذه الأبواب التي تتوزع بشكل منتظم هي ثلاثية (ذات ثلاثة أقواس) وضخمة.

المحور الثاني (يعرف باسم سوق أقّا) ينطلق من باب مراكش وهو أقل اتساعا، يلتقي بساط الحدادين في المركز (السوق الجديد) وينتهي عند باب بني عنتر.

بعد ذلك تأتي الأزقة الثانوية التي تتميز أحيانا باستقامتها وهي ترتبط بأزقة ملتوية وضيقة عادة ما تكون مسقوفة (الساباطات). وهي طرق الخاصة لأنها تكون في ملك ساكني الحومات.

ومن الملاحظ جدا أن المرافق الإسلامية كثيرة ومتعددة بالمدينة. فبالإضافة إلى الأسواق، نجد الحمامات التي تتوسط أهم الأحياء والفنادق والطواحين والأفران ومعاصر الزيت والطرازات...

وإذا كانت القصبة تضم مسجدا جامعا واحدا، فالمدينة على العكس تعج بالبنايات الدينية التي تفوق الثلاثين (جوامع، مساجد، زوايا وأضرحة) وقد بقيت قائمة إلى حد الآن. بعضها على حاله الأصلي والبعض الآخر أدخل عليه من الترميمات والتجديدات على مر العصور ما غير من بعض ملامحه. أهم هذه المباني وأكبرها جامع سيدي يوسف بن علي (المعروف عند عامة الناس باسم بن يوسف). وهو بناء ضخم متناغم الأجزاء يبرز من الخارج من جهة، عن طريق الباب الرئيسية ذات الجمالية البسيطة المرتكزة أساسا على الحجر المنجور، ومن جهة أخرى عن طريق صومعته العالية المتناسقة الهيكل التي توجت بسقف هرمي الشكل على نمط نماذج معمارية دينية أخرى بنيت على عهد سيدي محمد بن عبد الله.

بالإضافة إلى هذه المعلمة الكبيرة هنالك مساجد أخرى عديدة تتوسط أهم الحومات : مسجد البواخر ومسجد حاحا ومسجد الشبانات... وقد كان لكل حومة، سور خاص ينتهي بباب تترك مفتوحة أثناء النهار وتقفل بالليل بعد صلاة العشاء مباشرة.

فهذه الأحياء تتميز بتنظيم عمومي، و "نصف عمومي" وخاص. فالمجال العمومي نشيط تشكل فيه الوظيفة التجارية والاقتصادية الأساس : معاصر وطواحن وأفران... ويلي هذه الأحياء ما سميناه بالمجال "النصف العمومي" الذي يتشكل من الساباط والتقويسات التي تؤلف بدورها "حومات" صغيرة مسقفة يشتركها سكان نفس الزقاق. أما المجال الخاص فتمثله الدور السكنية. فكل حومة وحدة

عمرانية مستقلة ومغلقة تنتشر فيها الأزقة المسدودة لتزيد من عزلتها ضمانا للأمن والحميمية.

وعلى طول المحاور الرئيسية، كانت تتوزع ـ توزيعا محكما ـ مجموعة من المرافق التجارية (الفنادق والمقاهي والأهرية والأروية...) التي يتردد عليها التجار لقضاء أغراضهم.

وتتميز المدينة بمحورين أساسين وهما شارع الحدادين وسوق "آقا" اللذان يتقاطعان عل شكل زوايا قائمة، ويشكل السوق الجديد نقطة التقائهما. وبالرغم مما يعكسه هذا التخطيط ويوحي به من "تنظيم أوربي "فهو في الواقع لا يختلف في توزيعه عن أسواق المدن الإسلامية الأخرى. وقد كانت الأسواق بالمدينة متنوعة وكثيرة ومنتظمة تنظيما حسب الوظائف (الجزارين والخياطين والحدادين والخضارين والصواغين...). فالسوق بضوضائه وحركته الدائبة بعيد عن الأحياء السكنية فالشوارع العريضة ليست غائبة في المدن الإسلامية إنما تلاشت ملامح بعضها لتزايد النسيج الحضري وزحف البناء. ويعتبر هذا النوع من التخطيط، من المعايير التي تميز المدن المرتبطة بالبحر.

ويظل الجزء الأكثر صبغة بالأحياء الأوربية في مدينة الصويرة مثمتلا في القصبة الجديدة، المحاطة بدورها بأسوار والتي تبرز بتخطيط على شكل هندسي محكم (مستطيل) ذي المربعات المنسقة على شكل شطرنج.

يطلق اسم القصبة الجديدة على الجانب المبني المقابل لباب محمد أ'ومسعود، لتمييز هذا الحي الجديد عن القصبة القديمة. وقد ابتدئ في تأسيسها سنة 1863 ميلادية، وفرغ من بنائها سنة 1869. وقد تولى القيام على بنائها الأمين الحاج الطيب بوجيدة. ثم الأمين الحسين بن الحاج عبد الكبير گنون.

يختلف هذا الجزء تماما عن باقي أجزاء المدينة، بحيث يتخذ التصميم المستطيل الذي تصل مساحته 13.490 م2، يتخلله شارع محوري يربط ما بين الباب المطل على المشور سابقا وباب السبع وقد اشترط المخزن أن تكون المنازل مركبة من مستوى سكني (علوي) ومستوى يصلح مستودعا للبضائع (سفلي). ولم تكن بالقصبة الجديدة أية مرافق عمومية.

لم يكن يهود الصويرة في عهد سيدي محمد بن عبد الله ينفردون بحي خاص بهم بل كانوا يسكنون مختلطين بالسكان المسلمين بالخصوص في القصبة القديمة وقوس بن عطار بدرب أهل أگادير. كما كانوا يسكنون بالجزء الموالي للقصبة القديمة وهو الحي المحاذي لحرمة بني عنتر. وهذا الحي كان قريبا من دار السكة، حيث كانت تستخدم اليد العاملة اليهودية. وكان قوس بن عطار قريبا من القيسارية المعروفة بفندق الصاغة. وقد اشتهر اليهود بالمدينة إلى عهد قريب منا بصناعة مجوهرات من الذهب والفضة تتميز بالإتقان والجودة (الدگ الصويري).

وفي عهد المولى سليمان عين ليهود الصويرة حي خاص بهم شمال المدينة قرب باب دكالة. ولم تمر إلا مدة زمنية قصيرة حتى عرف حي الملاح تكدسا سكنيا مهما (6000 نسمة سنة 1865 فاضطر المخزن إلى الترخيص بتشييد حي آخر لليهود سمي بالملاح الجديد أو الملاح الصغير في حومة الشبانات.

فقد كانت الساكنة اليهودية مضطرة وهي محصورة في مساحة ضيقة جدا للتوسع، الأمر الذي يفسر كون السكن بالملاح مؤلفاً من دور عالية من طابقين أو ثلاثة طوابق ذات أفنية صغيرة.

يتضح إذن من خلال هذه القراءة لمدينة الصويرة أن معالمها مرآة لتطور مستمر لحضارة مغربية. ويعكس تخطيط المدينة بقوة ارتباطها بالبحر الذي شكل أهم مورد لها لمدة من الزمن. أما ما تتميز به المدينة من عمارة وتخطيط "مركب" يجمع ما بين المحلي القديم والحالي الممتزج ببعض العناصر "الأجنبية" فهو نتيجة تمازج عناصر بشرية ذات أصول مختلفة شكلت ساكنة المدينة. كما أن هيكلها العام، وتوافر المرافق العامة وتنظيمها والمنهجية المنطقية في ترتيبها يكشف عن حاضرة إسلامية متميزة بالانفتاح والتعايش.

أ. الناصري، *الاستقصا*، ط 2، الدار البيضاء، 1956، ج 8، ص. 54 ؛ م. أكنسوس، *الجيش العرمرم*، مخطوط، د 339 خ ع ر ؛ م. الضعيف الرباطي، *تاريخ الضعيف*، تح. العماري، الرباط، 1986 ؛ أ. الغزال، *نتيجة الاجتهاد*، بيروت، 1980 ؛ م. القادري، *نشر الثاني/ موسوعة أعلام المغرب*، ج 6، بيروت، 1996.

F. Benoit, *Comut l'avignonnais et l'urbanisme à Mogador au XVIII siècle*, dans *Mémoires de l'Institut historique de Provence*, T. X, 1933, 3ème trim., p. 181 - 186 ; N. Boyer (Capitaine), *La grande histoire d'un petit port Essaouira ou Mogador*, in *Revue Historique de l'armée*, Fév. 1960, p. 89 - 92 ; Pierre de Cénival, *Mogador*, in *Sources Inédites de l'histoire du Maroc*, T. I, 1ère série 1934, Portugal (dynastie saadienne), p. 120 - 129 ; D. Shroeter, *Merchants of Essaouira : Urban Society and Imperialism in Southwestern Morocco (1844-1886)*, Cambridge University Press, Cambridge, 1988 ; *Essaouira Work Shop in Progress, Mapping cities through typologies : exploring preservation & development*, Ed. Department of Architecture, MIT ; Aga Khan program for Islamic Architecture, 1995, 124 p. ; J. Galloti, *L'architecture musulmane des villes*, in *L'Art Vivant*, VI, 1930, p. 816-821.

مينة المغاري

الصويرة (زاوية -) ← **مرامر**

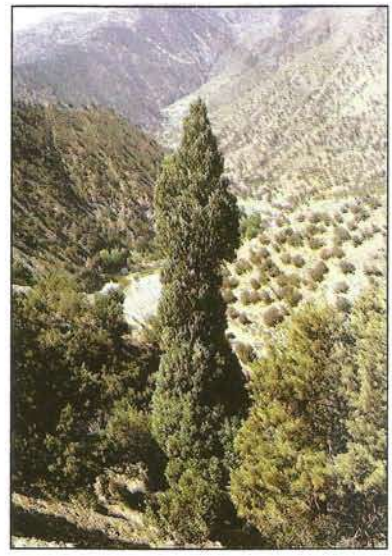

السرو
(شجر)

السلحفاة البرية
انظر صفحة 5069

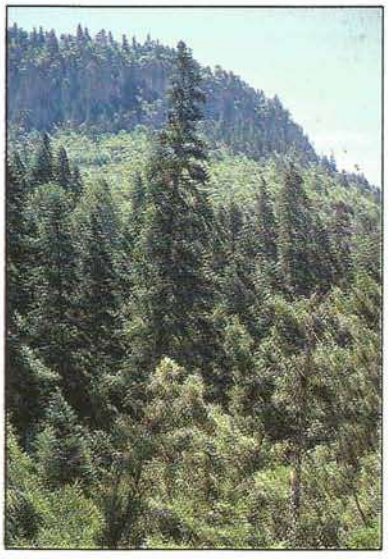

الشوح
(غابة)

السرو
(غصن)
انظر صفحة 4969

السكوم
انظر صفحة 5036

الشوح (غصن)
انظر صفحة 5431

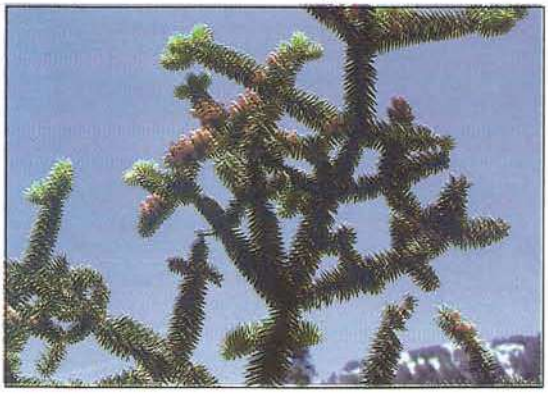

الشوك

انظر صفحة 5435

الشيح

انظر صفحة 5440

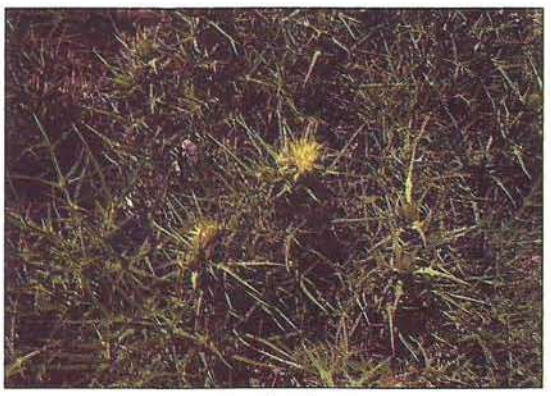

شوك الخرقوم

انظر صفحة 5435

الصبّار
(شجيرة)

شوك القوق

انظر صفحة 5435

الصبّار (فاكهة)

انظر صفحة 5483

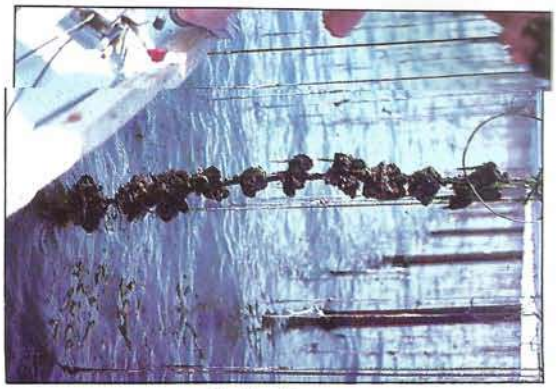

صدف المحار

انظر صفحة 5528

الصمطة
بيد صياد

انظر صفحة 5554

عملية جمع الصدف

انظر صفحة 5528

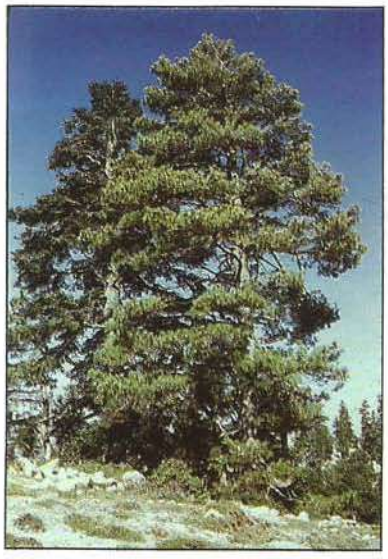

الصنوبر
(شجر)

الصمطة
مجموعة أسماك

انظر صفحة 5554

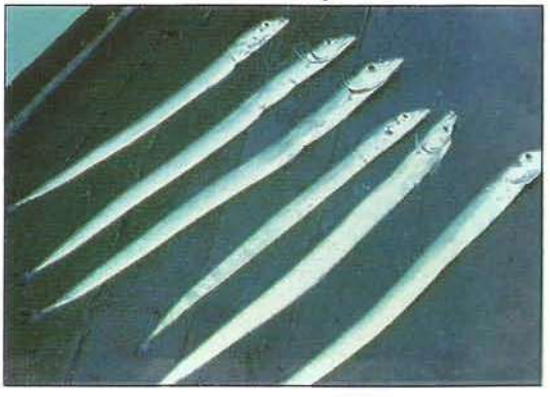

الصنوبر
(غصن مثمر)

انظر صفحة 5570

تـــم طبـــع الجـــزء 16 مـــن معـــلمـــة المغـــرب
بمطابـع ســـلا وبمـطبعـة النجـاح الجـديـدة
في رجـب عـام 1423 / شتنبر 2002

مـــطـــــــابـــع ســـــــــلا
قـسمـة 14، زنـقـة عـثمان بـن عـفـان
الحـي الصـنـاعـي لـتـابـريـكت
ص.ب. 596 ســلا

Directeur de publication : Mohamed **Hajji**

Comité de rédaction : Ahmed **Toufiq**
Mohamed **Hajji**

Comités scientifiques :

Pour les sciences humaines

Mohamed **BENCHERIFA**, Faculté des Lettres, Rabat.
Brahim **BOUTALEB**, Faculté des Lettres, Rabat.
Salem **YAFOUT**, Faculté des Lettres, Rabat.
Mustapha **NAIMI**, Institut Universitaire pour la Recherche Scientifique, Rabat.

Pour la géographie et les sciences de la nature

Abdellah **LAOUINA**, Faculté des Lettres, Rabat.
Dris **EL-FASSI**, Institut Agronomique et Vétérinaire Hassan II, Rabat.
Mustapha **AYAD**, Faculté des Lettres, Rabat.
Abdelmalek **BENABID**, Ecole Nationale Fôrestière, Salé.
Mohamed **RAMDANI**, Institut Scientifique, Rabat.

Tous droits réservés, y compris le droit de traduction ou de reproduction

même partielles sous quelque forme que ce soit.

IMPRIMERIE DE SALÉ

Lot 14, Rue Othman Ibnou Affane
Zone Industrielle de Tabriquet
B.P. 596 SALÉ

Encyclopédie du Maroc

Dictionnaire alphabétique des connaissances sur le passé et le présent du Maroc.

Publiée par

L'Association des Auteurs Marocains pour la Publication

Editée par

L'Imprimerie de Salé

"SALA"

2002 - 1423

Copyright © IMPRIMERIE DE SALÉ "SALA" 2002
ISBN 9981 - 03 - 00 - 7 (Ensemble)
ISBN 9981 - 03 - 022 - 8 (Tome 16)

Encyclopédie du Maroc

معلمة المغرب

قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف
الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى

17

من إنتاج
الجمعية المغربية
للتأليف والترجمة والنشر

نشر
مطابع سلا

2003 - 1424

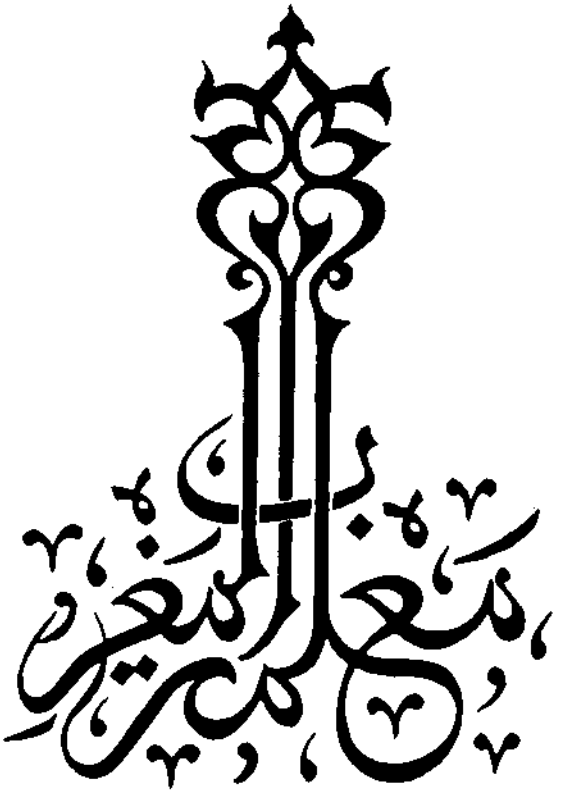

المغرب الأقصى

رقم الإيداع القانوني
بالخزانة العامة للكتب والوثائق ـ الرباط
1984/0629

جميع حقوق النقل والترجمة ـ جزئيا أو كلياً بأي شكل كان ـ محفوظة
للجمعة المغربية للتأليف والترجمة والنشر ولمطابع سلا

رد مك 7 - 000 - 03 - 9981 (المجموعة)
رد مك 2 - 024 - 03 - 9981 (الجزء 17)

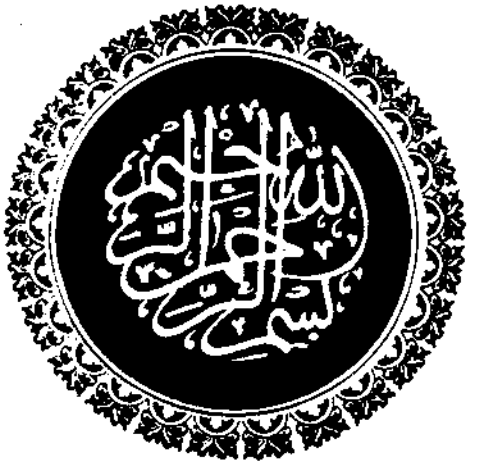
بسم الله الرحمن الرحيم

أعد هذا الجزء من معلمة المغرب بدعم من وزارة الثقافة ويسعد الهيئة العلمية للمعلمة أن تتقدم للسيد الوزير بأصدق عبارات الشكر والامتنان.

المدير المشرف : **محمد حجي** رحمه الله

لجنة التحرير : **أحمد التوفيق**، أستاذ التاريخ بكلية الآداب، الرباط

المرحوم **محمد حجي**

لجنة العلوم الإنسانية : **محمد بنشريفة**، أستاذ الأدب العربي والأندلسي بكلية الآداب وعضو أكاديمية المملكة المغربية، الرباط

إبراهيم بوطالب، أستاذ التاريخ بكلية الآداب، الرباط

سالم يفوت، أستاذ الفلسفة بكلية الآداب، الرباط

مصطفى ناعمي، باحث في التاريخ الاقتصادي بالمعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط

لجنة العلوم الطبيعية والجغرافية : **عبد الله العوينة**، أستاذ الجيمورفولوجيا بكلية الآداب، الرباط

مصطفى عياد، أستاذ الجغرافية البشرية بكلية الآداب، الرباط

إدريس الفاسي، أستاذ علم التربة والبيئة بكلية الآداب ومعهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة، الرباط

عبد المالك بنعبيد، أستاذ بالمدرسة الوطنية الغابوية، سلا ومعهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة، الرباط

محمد رمضاني، باحث في البيولوجيا الحيوانية بالمعهد الوطني وأستاذ بكلية العلوم، الرباط

اختصارات

ت.	= توفي
تح.	= تحقيق
تر.	= ترجمة
خ. ت	= خزانة تطوان
خ. ح.	= الخزانة الحسنية (الملكية) بالرباط
خ. ص.	= الخزانة الصبيحية بسلا
خ. ع.	= الخزانة العامة بالرباط
خ. ق.	= خزانة القرويين بفاس
خ. ي.	= خزانة ابن يوسف بمراكش
د. ت	= دون تاريخ
د. د. ع.	= دبلوم الدراسات العليا
د. م.	= دون مكان
ط.	= طبعة
←	= انظر

* عندما يكون للكاتب مادتان أو مواد متتابعة لا يذكر اسمه إلا في آخرها.

المشاركون في هذا الجزء

عباس **ارحيلة**، كلية الآداب ـ مراكش
شفيق **أرفاك**، كلية الآداب ـ أگادير
عبد الرزاق **ازريكم**، كلية الآداب ـ مراكش
محمد **الأسعد**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء
أحمد **أشعبان**، كلية الآداب ـ الجديدة
مصطفى **أعشي**، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية
عمر **أفا**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد الصغير **الإفراني**، باحث
عبد الواحد **أگمير**، كلية الآداب ـ الرباط
حسن **أمبلي**، كلية الآداب ـ المحمدية
محند **أيت الحاج**، وزارة التربية الوطنية ـ الدار البيضاء
أحمد **إيشرخان**، باحث ـ الرباط
ثريا **برادة**، كلية الآداب ـ القنيطرة
عبد اللطيف **برحو**، المعهد الوطني للصيد البحري
محمد الأمين **البزاز**، كلية الآداب ـ الرباط
بلكامل **البضاوية**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد **البقالي اليدري**، كلية الآداب ـ الرباط
رقية **بلمقدم**، كلية الآداب ـ القنيطرة
عبد الإله **بلمليح**، باحث
علي **البليشي**، كلية الآداب ـ الرباط
زوليخة **بنرمضان**، كلية الآداب ـ المحمدية
محمد **بنشريفة**، كلية الآداب ـ الرباط
عبد العزيز **بنعبد الله**، باحث ـ الرباط
عبد المالك **بنعبيد**، المدرسة الغابوية للمهندسين ـ سلا
عبد الرحيم **بنعلي**، كلية الآداب ـ مراكش
حليمة **بنگرعي**، كلية الآداب ـ القنيطرة
عبد المجيد **بهيني**، كلية الآداب ـ بني ملال
محمد الأمين **بوخبزة**، باحث ـ تطوان
فاطمة **بوستة**، باحثة ـ الرباط
محمد **بوسلام**، وزارة التربية الوطنية ـ الرباط
مصطفى **بوشعراء**، باحث ـ سلا
عبد الله **بوصحابة**، كلية العلوم ـ فاس

إبراهيم **بوطالب**، كلية الآداب ـ الرباط
أحمد **بومزگو**، وزارة التربية الوطنية ـ تيزنيت
محمد السوسي **البهاوي**، باحث ـ تطوان
جامع **بيضا**، كلية الآداب ـ الرباط
نجيب **تقي**، باحث
حسن **جلاب**، كلية اللغة العربية ـ مراكش
الحسين **جهادي**، وزارة التربية الوطنية ـ الدار البيضاء
محمد **حاتمي**، كلية الآداب ـ أگادير
محمد **حجاج الطويل**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء
محمد **حجي**، كلية الآداب ـ الرباط
عبد الرحمان **الحرادجي**، كلية الآداب ـ وجدة
محمد **حنداين**، وزارة التربية الوطنية ـ أگادير
علال **الخديمي**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد **خربوعة**، كلية العلوم ـ وجدة
محمد **الرفاص**، كلية الآداب ـ الرباط
عبد اللطيف **رمان**، باحث ـ أگادير
محمد **رمضاني**، المعهد العلمي ـ الرباط
علال **رگوگ**، كلية الآداب ـ بني ملال
بوجمعة **رويان**، كلية الآداب ـ القنيطرة
عبد الخالق **الزرواطي**، المركز الوطني لتربية الأسماك أزرو
قاسم **الزهيري**، باحث ـ الرباط
محمد **السعديين**، وزارة التربية ـ سلا
عبد القادر **سعود**، باحث
عبد السلام **السعيدي**، باحث ـ مراكش
رشيد **السلامي**، كلية الآداب ـ مراكش
مصطفى **الشابي**، كلية الآداب ـ الرباط
عبد اللطيف **الشاذلي**، مديرية الوثائق ـ الرباط
أحمد **شحلان**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد **شقرون**، كلية الآداب ـ الرباط
صالح **شگاگ**، وزارة التربية الوطنية ـ الرباط
الحسن **شوقي**، وزارة التربية الوطنية ـ العطاوية
المصطفى **شويكي**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء

عبد العزيز **الضعيفي**، كلية الآداب ـ بني ملال
محمد **الظريف**، كلية الآداب ـ المحمدية
عبد العزيز ابن **عبد الجليل**، باحث ـ مكناس
محمد بن **عبد الجليل**، باحث ـ فاس
امحمد ابن **عبود**، كلية الآداب ـ تطوان
سعد الدين **العثماني**، باحث ـ الرباط
محمد ابن **عزوز حكيم**، باحث ـ تطوان
أحمد أمزال **العسري**، باحث ـ الرباط
عبد الرحيم **العطاوي**، كلية الآداب ـ الرباط
برحاب **عكاشة**، كلية الآداب ـ المحمدية
عبد العزيز **العلوي**، باحث ـ فاس
أحمد **عمالك**، كلية الآداب ـ مراكش
عبد العلي **العمراني**، باحث
عبد الله **العمراني**، باحث ـ تطوان
محمد **عمراني**، كلية الآداب ـ القنيطرة
مصطفى **عياد**، كلية الآداب ـ الرباط
حياة **الغراس**، باحثة ـ مراكش
إدريس **الفاسي**، كلية الآداب ـ الرباط
عبد الإله **الفاسي**، كلية الآداب ـ القنيطرة
محمد **فتحة**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء
حسن **الفگيگي**، كلية الآداب ـ القنيطرة

علي **القاسمي**، باحث ـ الرباط
عبد الله **القجيري**، صيدلي ـ سلا
سليمان **القرشي**، باحث
محمد **كريوط**، كلية الآداب ـ الرباط
لطيفة **الگندوز**، معهد البحث العلمي ـ الرباط
محمد **اللبار**، كلية الآداب ـ وجدة
حسن **ليمان**، وزارة الثقافة ـ الرباط
محمد **ماگامان**، وزارة التربية ـ مراكش
محمد **مجدوب**، كلية الآداب ـ المحمدية
أحمد **مزيان**، كلية الآداب ـ فاس
محمد **المغراوي**، كلية الآداب ـ الرباط
أحمد **المكاوي**، كلية الآداب ـ الجديدة
محمد **المنصور**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد **المنوني**، كلية الآداب ـ الرباط
مصطفى **ناعمي**، معهد البحث العلمي ـ الرباط
محمد **هشمي**، المدرسة الغابوية للمهندسين ـ سلا
أحمد **هوزالي**، كلية الآداب ـ مراكش
أحمد **الوارث**، كلية الآداب ـ الجديدة
محمد عزيز **الوكيلي**، وزارة التربية ـ الرباط

بيبليوغرافيا إضافية
إلى ما ذكر في الأجزاء السابقة

أحد تلاميذ الشيخ سيدي الغازي
ـ *مناقب الشيخ أبي القاسم الغازي*، مخطوط.

إسماعيل ابن **الأحمر**،
ـ *حديقة النسرين في أخبار بني مرين*، مخطوط.

ف. **الإدريسي**،
ـ *الجباية في عهد الدولة السعدية*، د. د. ع. كلية الآداب فاس 94 ـ 1995 ـ

ارشيبالد لويس،
ـ *القوة البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط*، القاهرة، 1960.
ـ مجموعة جريدة السعادة، خ. ع الرباط،
ـ *ارشيف وزارة الخارجية الفرنسية باريس ونانط*.

أحمد سعيد **أعراب**،
ـ *ترجمة مطولة للشيخ الشطيبي*، جريدة الميثاق طنجة، ع. 42 ـ 43 ـ 44.
ـ *حول تأليف كتاب الجمان في مختصر أخبار الزمان*، مجلة دعوة الحق، ع. 1 السنة 13، 1969.
ـ *نظرة في كتاب صنعة الفلاحة لأبي عبد الله الشطيبي*، مجلة دعوة الحق، ع 1.
ـ *أبو عبد الله بن صالح الغماري من شعراء البادية*، مخطوط.

حسن **أفا**،
ـ *ديوان البونعماني*، الرباط، 1996.
ـ *الشعر العربي في سوس بين الاتباع والابتداع*، أطروحة مرقونة بكلية الآداب، أگادير، 2001.

م. بن التهامي **أفيلال**،
ـ *تنبيه الأكياس للاقتصاد في المآتم والأعراس*، تطوان، 1976.

محمد **الأكلع**،
ـ *دراسة جيومورفولوجية للنهاية الشرقية للحوز*، الرباط، 1989.

أ. **أمزيان**،
ـ *مساهمة في دراسة المجتمع الواحي بالجنوب الشرقي المغربي خلال القرن 19. فگيگ ما بين 1845 ـ 1903*، د. د. ع مرقون كلية الآداب الرباط.

محمد فال بن **بابه العلوي**،
ـ *كتاب التكملة في تاريخ إمارتي البراكنة والترارزة*، تح. أ. ولد الحسن، تونس، 1986.

ع. الجليل **بادو**،
ـ *الأثر الشاطبي في الفكر السلفي بالمغرب*.

أبراهيم **باشا البغدادي**،
ـ *هدية العارفين*، بيروت، 1982.

ماريا نوايباس **بالاو**،
ـ *بنو مرين في الاتفاقات المبرمة بين أراغون وغرناطة*، مجلة تطوان، ع 8، 1963.

يوسف **بجاجا**،
ـ *رحلة إلى كتامة وما جاورها عبر تضاريس المخدرات والتهريب أسبوعية الصحيفة*، ع 18، 2001.

محاند علال **البخلالي**،
ـ *مؤرخ طنجة محمد بن الحاج العياشي سكيرج*، مرقون.

م. فهد **بدري**،
ـ *العمامة*، مطبعة الحكومة، 1968.

كينيت **براون**،
ـ *موجز تاريخ سلا 1000 ـ 1800*، تر. محمد حيدة و انس لعلو، 2001.

عكاشة **برحاب**،
ـ *التهريب والحدود في شمال شرق المغرب (1845 ـ 1912)*، ضمن *وقفات في تاريخ المغرب* كلية الآداب، الرباط، 2001.
ـ *السعيدية أو سعيدة عجرود صلة وصل بين المغرب والجزائر*، مجلة جمعية تاريخ المغرب، وجدة، 1993.

م. بن حمو **البنحياتي**،
ـ *مذكرات*، مرقونة.

سعيد **بنسعيد العلوي**،
ـ *الاجتهاد والتحديث، دراسة في أصول الفكر السلفي في المغرب*.

ع. العزيز **بنعبد الله**،
ـ *مظاهر الحضارة المغربية*، الدار البيضاء، 1957.
ـ *معجم المحدثين والمفسرين والقراء بالمغرب الأقصى*، المحمدية، 1972.

محمد بنعبد الله،
ـ فكرة تأسيس مسجد باريس بين اقتراح المولى محمد بن عبد الله وتنفيذ المولى يوسف، دعوة الحق. ع 268، مارس، 1988.
شوقي بنعزوز،
ـ الماء ذلك التحدي المستمر، الرباط، 1994.
عبد العزيز بنكاعو،
ـ الأركيولوجية المغربية من خلال أعمال لويس شاتلان، بحث لنيل الاجازة مرقون كلية الآداب، الرباط، 1989.
ع. اللطيف بنمنصور،
ـ مجموع أزجال وتواشيح وأشعار الموسيقى الأندلسية المغربية.
م. بنهاشم،
ـ العلاقات المغربية الأمريكية، دراسة في تاريخ التمثيل الدبلوماسي الأمريكي بالمغرب، فاس، 2000.
الزاكي بنيونس،
ـ أبو القاسم السهيلي مفسراً، د. د. ع. مرقونة كلية الآداب، وجدة.
ع. القادر بوراس،
ـ جانب من مقاومة أيت عطا، مقاومة بوگافر بجبل صاغرو، مراكش، 1990.
إبراهيم بوطالب وآخر،
ـ سبتة ومليلية ـ تاريخ وواقع، الدار البيضاء، 1981.
ـ لويس شينيي قنصلاً ومؤرخاً، المناهل عدد 16 سنة 1987.
م. بوطربوش،
ـ أبو عبد الله الشطيبي، آثاره ومنهجه في التفسير، د. د. ع. مرقون كلية الآداب الرباط، 1990.
محمد بوعزيز،
ـ اليسار المغربي الجديد ... النشأة والمسار، مراكش، 1993.
بوشتى بوعسرية،
ـ وطنيو مكناس الموقعون على عريضتي المطالبة بالاستقلال، جمعية أساتذة التاريخ، مكناس، 1990.
م. بوغالي،
ـ الفكر الباطني بالمغرب والأندلس والحركة الناهضة له حتى أواسط القرن السادس الهجري، د.د. ع. مرقون كلية الآداب، مراكش، 2000.
م. بوكبوط وأحمد البوزيدي،
ـ وثيقة مغربية عن معركة بوگافر هيسبريس تمودا، ع 35، 1997.
محمد بوهلال،
ـ المهرجان الأول لإبداعات الشباب، 1998.
ضياء الدين ابن البيطار،
ـ الجامع لمفردات الأدوية والاغذية، 1992.
إبراهيم التادلي،
ـ زينة النحر بعلوم البحر، مخطوط خ. ع رقم 1347 د.
ع. الهادي التازي،
ـ أزمور مولاي بوشعيب من خلال التاريخ المحلي والدولي للمغرب، مجلة المناهل، ع 35 دجنبر، 1986.
ـ جامع القرويين، بيروت، 3، 798.
ـ قصر البديع، مجلة البحث العلمي ع. 28، 1978.
المهدي التجكاني،
ـ دار بريشة أو قصة مختطف، الدار البيضاء، 1987.
عبد السلام تشاح،
ـ جغرافيا النبات، الدار البيضاء، 1990.
ابن مريم التلمساني،
ـ البستان، الجزائر، د. ت.
ع. الرحمن التمارتي،
ـ الفوائد الجمة، مخطوط، ص 48 ـ 49 ـ 154.
م. التميمي،
ـ المستفاد في مناقب العباد، مخطوط.
الجزيري،
ـ المقصد المحمود، مخطوط.
عبد الحميد الجلامي،
ـ مونوغرافية صخور الرحامنة.
الجماعة القروية سيدي العايدي،
ـ مونوغرافية سيدي العايدي، مرقون.
جماعة من الكتاب،
ـ أعمال ندوة المحاضرة الإسماعلية، 1988.

- *دراسات حول المختار السوسي*، ضمن أعمال ندوة المختار السوسي، الدار البيضاء، 1986.
- *زهرة الآس في فضائل العباس*، الرباط، 1997.
- *العرب وإفريقيا*، بيروت، 1993.

مصطفى الجنابي،
- *البحر الزخار والعيلم التيار*، مخطوط.

جواهري،
- *جامع الفنا*، الرباط، 2001.

يسرى الجوهري،
- *شمال إفريقية دراسة في الجغرافية الاقليمية*، القاهرة، د. ت.

عبد الرحمن **حجي،**
- *تقديم شرح بحرق الكبير على لامية الأفعال*، سلا، 1939.

م. المهدي **الحجوي،**
- *حياة الوزان الفاسي*، 1935.

المحجوب بن الحرش،
- *سيدي رحال، مركز هامشي في طريق التمدن*، بحث لنيل الاجازة مرقون كلية الآداب، مراكش، 1996.

أحمد ابن **حسون الوزاني،**
- *فهرسة*، 69، مخطوط.

ح. **حسني عبد الوهاب،**
- *مختصر تاريخ تونس*، تونس، 1980.

المفضل الحضري،
- *عبد الصادق شقارة*، الاتحاد الاشتراكي 15 - 11، 1998.

م. **الحلوي،**
- *معجم الفصحى في العامية المغربية*، الدار البيضاء، بيروت، 1988.
- *الروض المعطار*، بيروت، 1975.

محمد حمام،
- *جوانب من تاريخ وادي دادس وحضارته*، الرباط، 2001.
- *النساء في الصلاح والولاية بالمغرب في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري* (14 م)، الرباط، 1998.

حوالة أحباس المساكين لمكناس، مخطوط.

م. **الحيمر،**
- *جيش العبيد والدولة المغربية منذ التأسيس إلى 1757*.

الفقيه الحيوني،
- *رحلة الحيوني*، مخطوط.

يحيى الخالقي،
- *الأنظمة الهيدرولوجية الكارستية للهضاب الجنوبية الغربية للأطلس المتوسط*، أطروحة مرقونة، الرباط.

خالد الخضري،
- *موقع الأدب المغربي من السينما المغربية*، الرباط، 1981.

ف. **خشيم،**
- *أحمد زروق والزروقية*، ليبيا.

محمد العربي الخطابي،
- *أمير سعدي في خدمة البلاط الإسباني*، مجلة *المناهل*، ع 13، 1978.
- *سبتة رجالها ومكانتها وصلاتها العلمية بمختلف الحواضر الاسلامية*، *المناهل*، ع 22، يناير، 1982.
- *المغرب في طريق الاستقلال*، الدار البيضاء، 1955.
- *مساهدات ديبلوماسي في عهد المولى عبد الرحمان*، مجلة دعوة الحق، ع 264، 1987.

عبد الكريم **الخطيب،**
- *مسار حياة*.

ل. ابن **الخطيب،**
- *مثلى الطريقة*، الرباط، 1973.

إدريس **خليفة،**
- *الحركة العلمية الثقافية بتطوان*، 1994.

ع. العزيز **الخميشي،**
- *المخزن والضرائب المفروضة على التجارة الداخلية 1856 - 1896*، د. د. ع، الرباط، 1989.

المهدي الخياري،
- *مدرسة سيدي الزوين، نشأتها ومنهجها في القراءات*، بحث جامعي مرقون بمراكش، 1986.

تعيمة الداويميش،
- *الجماعة المحلية والتنمية نموذج صخور الرحامنة*.

عصمت ع. **اللطيف دندش،**
- *دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب افريقيا*، بيروت، 1988.

أشفورد **دوكلاس أي**،
- *التطورات السياسية في المملكة المغربية*، تر. عائدة سليمان عارف وآخر، الدار البيضاء، 1964.
علال **رگوگ**،
- *الغناء الشعبي المغربي، أنماط وتجليات*، مراكش، 2000.
محمد بن سليمان **الروداني**،
- *صلة الخلف*، تح. م. حجي، بيروت، 1988.
ميشيل **روسي**،
- *المؤسسات الإدارية المغربية*، الدار البيضاء، 1993.
د. **رينو**،
- *الطب والأطباء بالمغرب*، صحيفة *معهد الدراسات الشرقية*، 1937.
ع. المجيد **الزبادي**،
- *رحلة*، مخطوط.
مرتضي **الزبيدي**،
- *ألفية السند*، مخطوط.
- *تاج العروس من جواهر القاموس*، تح. عبد الستار أحمد فرج، الكويت، 1965.
م. **الزجالي**،
- *أمثال العوام في الأندلس*، تح. م بن شريفة، فاس، 1986.
محمد **زروال**،
- *دراسة جيومورفولوجية للحاشية الشمالية لأطلس مراكش ما بين وادي الزات وغدات*، الرباط، 1987.
عبد القادر **زمامة**،
- *هذه الألوان وهذه الأسماء*، مجلة الثقافة المغربية، ع 7، 1970.
محمد **زنيبر**،
- *شذرات من تاريخ مدينة سلا*.
الزهري،
- *كتاب الجغرافية*، تح. م حاج صادق، الإسكندرية، د. ت.
قاسم **الزهيري**،
- *جنيف والعالم العربي*، الرباط، 1988.
- *مذكرات دبلوماسي*، الرباط، 1990.
أ. **سجلماسي**،
- *المغرب السينمائي*، منشورات *شراع*، العدد 65، الرباط، 1999.
العباس **السجلماسي الحجرتي**،
- *الروض الطيب العرف*، مخطوط.
السخاوي،
- *الضوء اللامع لأهل القرن التاسع*، بيروت، د. ت.
محمد المكي **السرغيني**،
- *الكواكب السيارة في البحث والحث على الزيارة*، مخطوط، خ. ع.
الميرالاي إسماعيل **سرهنك**،
- *حقائق الأخبار في دول البحار*، مصر، 1312.
ع. ابن **سعيد المغربي**،
- *القدح المعلى*، تح. إ. الابياري.
- *مختصر المغرب في حلى المغرب*، تح. شوقي ضيق.
م. **السقطي**،
- *في أدب الحسبة*، بيروت، 1987.
أحمد **سكيرج**،
- *منهل الورود الصافي*، مخطوط.
ع. الغني **سكيرج**،
- *ديوان حب الحصيد*، تطوان، 1987.
محمد بن الطيب **سكيرج**،
- *الشافي في علمي العروض والقوافي*، مخطوط.
م. بن العياشي **سكيرج**،
- *قرة العين، برحلة يومين*، مخطوط.
سلفاتوري،
- *العلاقات التجارية بين بلدان المغرب وإيطاليا في العصر الوسيط*، مجلة البحوث التاريخية، 1986.
أبو عبد الرحمن **السلمي**،
- *طبقات الصوفية*، تح. نور الدين شريبة، ط 3، القاهرة، 1997.
محمد **السليماني**،
- *اللسان المعرب عن تهافت الأجنبي حول المغرب*، الرباط، 1971.

محمد **السمار**،
ـ *مدينة الرباط من التأسيس إلى نهاية القرن السابع عشر الميلادي*، أطروحة مرقونة، الرباط، 2000.
ع. السلام **السميح**،
ـ *مقدمة تحفة الأنجاب في تسهيل علم الفرائض ومسائله الصعاب*، مخطوط.
م. الرضي **السناني**،
ـ *إعانة ذوي الخصاصة والإملاق بإخراج واجب زكاة الأوراق*، فاس، 1341 هـ.
ـ *الشذرات والتقاط الفوائد وغرر العوائد*، الدار البيضاء، د. ت.
أحمد ابن **سودة**،
ـ *في حديث المفتي، مسيرة نضال وثبات*، ط 2، الدار البيضاء، 1987.
علي **السوسي الفاسي**،
ـ *عناية الاستعانة في حكم التوظيف والمعونة*، مخطوط.
م.المختار **السوسي**،
ـ *أنا والأدب*، مخطوط.
عبد الله **السويسي**،
ـ *تاريخ رباط الفتح*، الرباط، 1979.
مصطفى **الشابي**،
ـ *النخبة المخزنية في مغرب القرن التاسع عشر*، المحمدية، 1995.
التهامي **الشاكري**،
ـ *الأدوية الرواقي من أداء الاختلافات في ماء السواقي*، تح. حسن حافظي علوي، مراكش، 2001.
عبد القادر **الشاوي**،
ـ *السلفية والوطنية*، مجلة *المناهل*. عدد خاص : *السلفية ثوابت وسياقات*.
عمر كمال **شبانة**،
ـ *الدولة الموحدية وتأملات في تاريخها*، مجلة *البحث العلمي* ع 20 / 21 السنة العاشرة 72 ـ 1973.
شجرة عائلة شعشوع،
ـ *رسم محرر بفاس بتاريخ 5 ربيع الثاني 1292*، مخطوط.
محمد المعطى **الشرقي**،
ـ *سفر المراني والبشارات*، مخطوط.
م. بن الطيب **الشرقي**،
ـ *إرسال الأسانيد*، مخطوط.
ـ *إضاءة الراموس وإضافة الناموس على إضاءة القاموس*، تح. ع. السلام الفاسي وآخر، المحمدية، 1983.
أ. **الشريشي**،
ـ *أنوار السرائر وسرائر الأنوار*، مخطوط، ع. ع.
أبو القاسم **الشريف السبتي**،
ـ *رفع الحجب المستورة*، تح. محمد الحجوي، المحمدية، 1997.
محمد **الشريف**،
ـ *الأسطول السبتي بين الجهاد والتجارة في القرن (12 ـ 14 م)*، مجلة البحث العلمي، ع. 15، 1998.
ع. الله **شقرون**،
ـ *فجر المسرح العربي بالمغرب*، تونس، 1988.
علال ابن **شقرون الكرعي**،
ـ *كناشة علمية*، مخطوط.
أحمد **شقور**،
ـ *ديوان سليمان الحوات*، مخطوط.
أ. **الشكري**،
ـ *الإسلام والمجتمع السوداني*، أبو ظبي، 1999.
حمو بن محمد **الشكري**،
ـ *تقاييد*، مخطوط.
محمد **شلال**،
ـ *كناش محمد شلال*، خ. ح 1319 ـ 1323.
محمد **شماعو**،
ـ *جريدة الوداد*، سلا.
الشيخ أ. ابن **الشمس**،
ـ *النفحة الأحمدية في بيان الأوقات المحمدية*، القاهرة، 1330 هـ.
ابن **الشماع**،
ـ *الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية تح : المعموري، ليبيا ـ تونس*، 1984.
محمد الأمين **الشنكيطي الصحراوي**،
ـ *مقدمة الارتجال*، مخطوط خ. ع.

م. **الشنگيطي السباعي**،
- *مجموع مختصر من كلام الشيخ أحمد التيجاني*، مخطوط خ. ع.
أحمد **شهبون**،
- *كتاب الجغرافية المغربية*، فاس، 1315 / 1898.
أليكس **شوتان**،
- *الرحلة الفنية إلى الديار المصرية*، تعريب عبد الكريم بوعلو، الرباط، 1932.
الحسن **شوقي**،
- *قبيلة السراغنة خلال القرن التاسع عشر*، مرقون.
محمد **الشوكاني**،
- *إتحاف الأكابر في إسناد الدفاتر*، حيدر أباد.
المصطفى **شويكي**،
- *علاقة مدينة سطات بالشاوية*، حوليات كلية الآداب عين الشق - الدار البيضاء، ع 5، 1988.
زينب **الشيكل** وأخرى،
- *الزاوية المعاشية ودورها الاجتماعي والسياسي*، بحث للإجازة في التاريخ، مرقون، الجديدة 93 - 1994.
أحمد **الصبيحي**،
- *باكورة الزبدة في تاريخ أسفي وعبدة*، الرباط، 1993.
ع. الله **الصبيحي**،
- *كناشة علمية*، مخطوط خ. ص.
أ. ابن **الصديق**،
- *سبحة العقيق بذكر مقامات الشيخ سيدي محمد ابن الصديق*، مخطوط.
خالد، **بن الصغير**،
- *المغرب وبريطانيا العظمى في القرن 19 (1856 - 1886)*، الدار البيضاء، 1990.
م. **الصفريوي**،
- *فهرس*، مخطوط.
علي **الصقلي**،
- *لمحة عن الشاعر محمد الفاطمي الصقلي*، الدار البيضاء، 2001.
عمر **صلادي**،
- *كاتلوغ تأبين*، مراكش، 1993.
ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية،
- *تطوان*، تطوان، 1952.
لحسن **ضعيف**،
- *عوامل التطور العمراني بالمدن الصغرى نموذج شيشاوة*، بحث مرقون.
م. بن الوليد **الطرطوشي**،
- *سراج الملوك*، تح. جعفر البياتي، لندن، 1990.
عبد الفتاح **الطوخي**،
- *السحر الأحمر*، بيروت.
محمد **الظريف**،
- *الحياة الأدبية في زاوية الشيخ ماء العينين*، د. د. ع مرقون كلية الآداب، الرباط، 1986.
- *ديوان العلامة الأديب محمد البيضاوي الشنگيطي*، سلا، 2000.
م. ابن **عاصم**،
- *جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى*، تح. صلاح جزار، عمان، 1989.
محمد ابن **العباس السوسي**،
- *المواهب القدسية في أسانيد المشايخ الصوفية*، مخطوط.
محمد ابن **العباس القباج**،
- *الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية*.
ح. ابن **عبد الوهاب**،
- *تاريخ القضاء في شمال المغرب*، تطوان، 2000.
محمد **العبدوني**،
- *يتيمة العقود الوسطى في مناقب محمد المعطى*، مخطوط.
ص. **العبيدي**،
- *الملابس العربية الإسلامية*، بغداد، 1980.
ماء العينين **ابن العتيق**،
- *سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان*، مخطوط.
أحمد ابن **عجيبة**،
- *رحلة ابن حمادوش الجزائري*، الجزائر.
محمد **العرايشي**،
- *الثقافة بمكناس*، أعمال ندوة المحاضرة الاسماعيلية، 1988.

ابن **العريف**،
ـ *محاسن المجالس*، نشر أسين بلا سيوس، باريس، 1933.
أحمد **عزاوي**،
ـ *الأسطول، التجارة، القرصنة فيما بين القرنين 6 و8 (12 ـ 14 م) ضمن البحر في تاريخ المغرب*، **المحمدية**، 1999.
محمد ابن **عزوز حكيم**،
ـ *معلمة معركة وادي المخازن*، تطوان، 2002.
أحمد **العزفي**،
ـ *إثبات ما لابد منه لمريد الوقوف*، مخطوط.
ـ *دعامة اليقين في زعامة المتقين*، تح. أحمد التوفيق، 1989.
ابن **عطاء الله الاسكندري**،
ـ *لطائف المنن*، بيروت، 1998.
ع. الله علي **علام**،
ـ *الدولة الموحدية في عهد عبد المومن بن علي*، مصر، 1968.
التقي **العلوي**،
ـ *أصول المغاربة*، مجلة *البحث العلمي*، ع 33.
ـ *التنظيم الجماعي والإداري*، مراكش، 1992.
الزكي **العلوي**،
ـ *مطالع الزهراء، الجامع لأسماء بني الزهراء*، مخطوط خ. ح رقم 656.
عبد الحميد **العلوي**،
ـ *تاريخ وجدة وأنكاد في دوحة الأمجاد*، الدار البيضاء، 1958.
محمد بن الطيب **العلوي**،
ـ *العلامة محمد السدراتي*، دعوة الحق، ماي 1978، ص 98.
محمد ابن **علي الدكالي السلوي**،
ـ *نبذ من تاريخ سلا*، مخطوط خ. ص.
ابن **العماد الحنبلي**،
ـ *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*، بيروت، د. ت.
محمد **عمارة**،
ـ *الإسلام وفلسفة الحكم*، ط. 2، بيروت، 1979.
عمالة شيشاوة،
ـ *مونوغرافية شيشاوة*، الدا البيضاء.
ج. د. **العمراني اشيطار**،
ـ *طنجة بين سنتي 1900 ـ 1912*، د. د. ع، الرباط، 95 ـ 1996.
محمد **عمراني**،
ـ *جامعة القرويين*، 1914 ـ 1934، د.د. ع مرقون كلية الآداب الرباط، 1988.
محمد **عمراوي**،
ـ *دور التجارة والخدمات في التوسع الحضري لمدينة شيشاوة*، بحث مرقون.
العمري،
ـ *مسالك الأبصار*، الجزائر، 1924، الرباط، 1979.
أحمد **العمّاري**،
ـ *نظرية التحديث والمواجهة عند علي السوسي السملالي ضمن أعمال ندوة الاصلاح والمجتمع المغربي في القرن التاسع عشر*، الرباط، 1986.
عبد الله **عنان**،
ـ *فهارس الخزانة الملكية*، الرباط.
م. **عناني**،
ـ *الشاشية التونسية*، مجلة الأمل الثقافي، أكتوبر، 1970.
ف. **العيساوي**،
ـ *كلف البوادي المغربية*، ندوة البوادي المغربية الرباط، 1999.
ألبير **عياش**،
ـ *المغرب والاستعمار حصيلة السيطرة الفرنسية*، 1985.
المختار **غازي**،
ـ *إشارات من تاريخ سطات*، الدار البيضاء، د. ت.
عبد الرحيم **غنيمة**،
ـ *تاريخ الجامعات الإسلامية*.
محمد **الغيث النعمة**،
ـ *الأبحر المعينية في الأمداح المعينية*، تح. م المختار المداح، د. د. ع مرقون، الرباط.
عبد الاله **الفاسي**،
ـ *مدينة الرباط وأعيانها*، الرباط.

ع. الحفيظ **الفاسي**،
- *الترجمان المعرب عن أشهر فروع الشاذلية بالمغرب*، مخطوط. خ. ع.
ع. **الفاسي**،
- *تحفة الأكابر*، مخطوط.
علال **الفاسي**،
- *الحركات الاستقلالية في المغرب العربي*، طنجة.
محمد **الفاسي**،
- *شعراء الملحون*، مجلة *المناهل* عدد 23.
محمد المهدي **الفاسي**،
- *الإلماع ببعض من لم يذكر في متع الأسماع*، مخطوط.
أبو **الفدا صاحب حماة**،
- *الأخبار القوية عن الحوادث القديمة*، مصر، 1919.
ابن **فركون**،
- *ديوان ابن فركون*، الدار البيضاء، 1987.
ابن الفقيه **الهمداني**،
- *مختصر كتاب البلدان*، ليدن، 1302.
حسن **الفكيكي**،
- *الموريسكيون بمنطقة مضيق جبل طارق الثلث الأول من القرن الحادي عشر (17 م)* مجلة *الأكاديمية*، عدد 15.
أحمد **القادري**،
- *مع هؤلاء : أبحاث ومذكرات*، الرباط، 2001.
القاضي النعمان بن محمد،
- *تأويل الدعائم*، تح. محمد حسن الأعظمي، مصر، د. ت.
- *كتاب المجالس والمسامرات*، تح. الحبيب الفقي وآخرون، تونس، 1978.
محمد **القبلي**،
- *حول التحركات البشرية بمجال المغرب الأقصى فيما بين منتصف القرن الثاني عشر ونهاية القرن الثالث عشر للميلاد*، مجلة *كلية الآداب*، الرباط، ع. 21 - 22، 1997.
- *قراءة في زمن أبي محمد صالح*.
عبد المجيد **قدوري**،
- *ابن أبي محلي الفقيه الشاعر*، الدار البيضاء.
أ. **القدميري**،
- *إطلالة على دائرة تاهلة عمالة إقليم تازة*، 1982.
صالح بن **قربة**،
- *المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد*، الجزائر، 1986.
زكريا **القزويني**،
- *آثار البلاد وأخبار العباد*.
- *عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات*.
ع. بن يوسف **القفطي**،
- *إنباه الرواة عن أنبا النحاة*، تح. م. أبو الفضل إبراهيم، مصر، 1952.
عثمان **الكاديكي**،
- *الأمراض المعدية*، بنغازي، د. ت.
جاك **كايي**،
- *السفارات والبعثات المغربية إلى فرنسا*، مجلة *تطوان*، ع. 6، 1961.
إدريس **الكتاني**،
- *المغرب ضد اللادينية*، الدار البيضاء، 1958.
عبد الكبير **الكتاني**،
- *روض الأنفاس العالية في بعض الزوايا الفاسية*، مخطوط.
محمود **كعت**،
- *تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس*، تح. هوداس ودولافوس، انجي، 1913.
الكفيف الزرهوني،
- *ملحمة الكفيف الزرهوني*، تح. م. بنشريفة، الرباط، 1987.
عبد الصمد **گنون**،
- *مواكب النصر وكواكب العصر*، طنجة.
عبد الله **گنون**،
- *التعاشيب*، *تطوان*، د. ت.
عبد القادر **الكوهن**،
- *فهرس*، مخطوط.

محمد الكيكي،
- *مواهب ذي الجلال في نوازل البلاد السائبة والجبال*، تح. أ. التوفيق، بيروت، 1997.
محمد اللبار،
- *حول مقاومة المغرب للأهداف التوسعية الرومانية خلال منتصف القرن 1 م. أعمال مهادة لابراهيم بوطالب*، الرباط، 2000.
- *دور المغرب الشرقي في عرقلة الوجود الروماني في إفريقيا الشمالية*، جمعية تاريخ المغرب، يونيه، 1993.
سعيد بن عمر لمعاشي،
- *تحفة الحواشي في مناقب سيدي علي المعاشي*، الرباط، د. ت.
أبو بكر المالكي،
- *رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية*، تح. بشير البكوش ومحمد العروسي، بيروت، 1983.
المؤتمر التأسيسي لحزب الشورى والاستقلال،
- *ميثاق الاستقلال القومي*، الدار البيضاء، 1946.
أحمد متفكر،
- *ذيل الإعلام*، مخطوط.
مجهول،
- *تقييد في ترجمة الصفار*، مخطوط.
- *الرئاسة البحرية، ورجال القوة في المغرب*، مخطوط، خ. ع.
- *مجموع مؤلف من ظهائر شريفة وعقود أنكحة متعلقة بالشرفاء السجلماسيين وغيرهم*، مخطوط. خ. ع.
- *مراحل رحلات مولاي الحسن*، مخطوط.
الحسن المحداد،
- *الماء بحوض سوس، إسهام في دراسة نظام مائي مغربي جنوب أطلسي*، أطروحة مرقونة، الرباط، 1999.
محفظات المولى عبد الرحمان بن هشام، وثائق خ. ح.
محفظة 1323، وثائق خ. ح.
حسن أحمد محمود،
- *قيام دولة المرابطين*.
عبد الحليم محمود،
- *أبو الحسن الشاذلي الصوفي*، القاهرة، 1967.
- *المدرسة الشاذلية الحديثة وإمامها أبو الحسن الشاذلي*، القاهرة، د. ت.
مصطفى محمود،
- *السر الأعظم*، القاهرة، د. ت.
مديرية الإحصاء،
- *المغرب في أرقام 1999*، الرباط، 2000.
م. خليل المرادي الدمشقي،
- *سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر*.
مربيه ربه،
- *قرة العينين في كرامات الشيخ ماء العينين*، مخطوط.
مركز الدراسات والأبحاث في العلوم الاجتماعية،
- *التقرير الاستراتيجي للمغرب 1995 - 1996*، مجلة *أبحاث*، عدد خاص، الرباط، 1977.
المركز السينمائي المغربي،
- *الفيلم المغربي الطويل، جرد فيلموغرافي*، الرباط، 2000.
- *الفيلم المغربي القصير، جرد فيلموغرافي*، الرباط، 2000.
نجاة المريني،
- *الشعر المغربي في عصر المنصور السعدي*.
محمد العربي المساري،
- *المغرب ومحيطه*، الرباط، 1998.
محمد المسعودي،
- *بطاقة تقنية حول الصباغة النباتية*، الدار البيضاء، 1989.
مصطفى المسناوي،
- *أبحاث في السينما المغربية منشورات الزمن*، العدد 27، الرباط، 2001.
المشرفي،
- *الأنوار السنية في نسبة من بسجلماسة من الأشراف الحسنية*، تح. ع. الكريم الفيلالي، المحمدية، 1966.
حسن أحمد المصمودي،
- *صفحات في تاريخ المغرب المعاصر*، تطوان.
أحمد معنينو،
- *المجلس الوطني الاستشاري ومعارضة حزب الشورى والاستقلال 1956 - 1959*، الدار البيضاء، 1986.
الشفيق مقار،
- *السحر في التوراة والعهد القديم*، لندن، 1990.

المقريزي،
- *السلوك لمعرفة دول الملوك*، تح. ع. القادر عطا، بيروت، 1997.
المكاوي،
- *صورة أوربا في الكتابات المغربية خلال القرن 19 تنازع الانفتاح والانغلاق*، أطروحة، فاس، 1996.
- *مسألة الإصلاح عند المفكرين المغاربة في النصف الثاني من القرن 19*. د. د. ع مرقون، فاس، 1988.
محمد مكيمل وآخر،
- *زاوية سيدي إسماعيل*، بحث لنيل الإجازة مرقون بكلية الآداب، الجديدة، 1991.
عمر ابن الملقن،
- *طبقات الأولياء*، تح. نور الدين شريبة، القاهرة، 1973، تح. مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، 1998.
صلاح الدين المنجد،
- *تقرير بعثة معهد المخطوطات العربية إلى المغرب*، 1959.
المندوبية السامية للمقاومة،
- *تراجم الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال*، الرباط، 1996.
م. منصور،
- *تصوف الشرفاء، الممارسة الدينية والاجتماعية للزاوية من خلال مناقبها*، الرباط، 1989.
ابن منكلي،
- *كتاب الأحكام الملوكية والضوابط الناموسية في البحر*، مخطوط، دار الكتب المصرية، القاهرة.
م. المنوني،
- *ركب الحاج المغربي*، تطوان، 1953.
- *المولد النبوي الشريف في المغرب المريني*، دعوة الحق، ع 1، 1988.
م. المهناوي،
- *بعض مظاهر أزمة ممارسة الشورى بدولة الاسلام من خلال فتوى ابن ناجي في قضية تمليك المراطين*.
ع. المودن،
- *منوغرافيا دائرة بولمان إقليم بولمان 1982*.
سوزان ميلار،
- *صدفة اللقاء مع الجديد رحلة الصفار إلى فرنسا (1845 - 1846)*، الرباط، 1995.
أحمد الخليفة ابن ناصر، والحسين ابن شرحبيل،
- *رسائل ووصايا ناصرية*، مخطوط خ. ع.
جعفر الناصري،
- *سلا ورباط الفتح واسطولهما الجهادي*، مخطوط.
المهدي الناصري،
- *نعت الفطريس الغسيس هيان بن بيان المنتمي إلى سوس*، مخطوط.
م. الناني ولد الحسين،
- *صحراء الملثمين وعلاقتها بشمال وغرب إفريقيا*، أطروحة مرقونة كلية الآداب، الرباط، 1997.
أبو الحسن النهاهي،
- *المرقبة العليا، تاريخ قضاة الأندلس*، بيروت، 1983.
درويش النخيلي،
- *السفن الإسلامية على حروف المعجم*، جامعة الاسكندرية، 1974.
أ. النويري،
- *نهاية الأرب في فنون الأدب*، تح. م. أبو ضيف، الدار البيضاء، 1985.
دافيد منتغومري هارت،
- *أيت عطا بالوسط الجنوبي المغربي*، مجلة *واجهة*، ع مزدوج، 2001.
م. الهبطي المواهبي،
- *مفتون منسيون بغمارة وشفشاون*، 2000.
إبراهيم الهلالي،
- *التبيان لمعركة ماء أبي فكران*، الدار البيضاء، 1985.
أ. الهلالي،
- *فهرست*، تح. رشيد المصلوت، 1981.
تقي الدين الهلالي،
- *الهدية الهادية للطائفة التجانية*.
م. بن سعيد الهنا،
- *كنز الأسرار لواقع الأفكار*، مخطوط.
ابن جابر الوادي آشي،
- *برنامج ابن جابر الوادي آشي*، تح. م. الحبيب الهيلة، تونس، 1981.
وثائق كوسومار، الدار البيضاء.
وثائق المكتب الوطني للسكك الحديدية.

محمد وحيد،
- *مساهمة في دراسة الحركة الوطنية، مقاومة الدار البيضاء نموذجاً*، أطروحة دكتوراة مرقونة، الرباط، 2001.
ابن الوردي،
- *خريدة العجائب وفريدة الغرائب*، القاهرة، 1939.
وزارة الاشغال العمومية،
- *تعبئة المياه بواسطة السدود الكبرى*.
عبد العلي الوزاني،
- *خاطيات من فاس*، مجلة المناهل، دجنبر، 1979.
محمد حسن الوزاني،
- *خطب وتصريحات صحفية*، أربعة أجزاء - بيروت، 1988.
- *دراسات وتأملات*، ثلاثة أجزاء - بيروت، 1987.
م. أيت بومهاوت الوسخيني،
- *مدار السعود عن تفراوت الملود ومدرستها العتيقة*.
وفد حزب الشورى والاستقلال بالشرق،
- *هذه هي الحماية في مراكش*، القاهرة، 1953.
بنعبد الله الوكوتي،
- *مذكرات مقاوم*، الرباط، 1996.
مختار الوكيل،
- *جنيف والسياسة الدولية*، جنيف.
محمد التهامي الوكيلي،
- *السحر*، الرباط.
ولاية أكادير،
- *منوغرافية جهة سوس - ماسة - درعة*، أكادير، 1999.
المختار ولد حامد،
- *حياة موريتانيا* - الجغرافيا - بيروت، 1994.
جعفر بن منصور اليمن،
- *كتاب الكشف*، تح. مصطفى غالب، بيروت، 1984.

Supplément
à
la bibliographie des ouvrages et des articles
cités dans l'encyclopédie

AIMEL, G., *Le Palais d'El-Badi, A.B.*, III, 1918.

ALLAIN, Ch., *Reconnaissances archéologiques dans le Massif des Rehmna et la Bahira, Hesp.*, 1er - 2e tri., 1954.

ARRIBAS PALAU, M., *Cartas de recomendación cursadas Al Sultan Abu Said Utman III de Marruecos por el Rey de Aragon Fernando I. El Antequra. H.T.*, 1960, fasc. 3, vol. 1.

ARRIBAS PALAU, M., *Intercambio de embajadas entre Abu Said Utman III de Marruecos y Fernando I de Aragon*, Tetuan, 1956.

ARRIBAS PALAU, M., *Las treguas entre Castilla y Granada firmadas por Fernando I de Aragon*, Tetuan, 1956.

AYAD, M., LE COZ, J., *Vers une nouvelle ère hydraulique au Maroc*, in *Aspects de l'agriculture irriguée au Maroc*, Rabat, Montpellier, 1991.

BARDEL, G., *L'urbanisme*, Paris, 1959.

BARROUQUERE, C., CLARET, C., *Settat: centre historique de la Chaouia*, Paris, 1919.

BASSAC, *Note sur le Tafilalet et sur le Ziz, B.S.G.A.*, 3e trim., 1929.

BEGUIN, H., *L'organisation de l'espace au Maroc*, Bruxelle, 1974, 2 vol.

BELAL, A., *L'investissement au Maroc, 1912 - 1964*, Paris, 1976.

BELKAID, S., *La tannerie dans la ville de Marrakech*, Th. 3e cycle, Nice, 1983.

BELLAKHDAR, J., *La pharmacopée marocaine traditionnelle : médecine arabe ancienne et savoirs populaires*, Paris, 1997.

BENEVOLO, L., *Aux sources de l'urbanisme*, Paris, 1972.

BENCHENEB, M., *Origine du mot chéchia, R.A.*, n° 51, 1907.

BENHATI, A., *La politique marocaine des barrages*, in *Les problèmes agraires au Maghreb*, Paris, 1977.

BENZAKOUR, S., *Essai sur la politique urbaine au Maroc 1912 - 1975*, Casablanca, 1978.

BERNARD, P., *Les anciens impôts de l'Afrique du Nord.*

BERQUE, J., *Note sur l'histoire des échanges dans le Haut Atlas occidental, A.E.S.C.*, n° 3, 1953.

BONO, S., *Les corsaires en Méditerranée*, Rabat, 1998.

BOUBE, J., *Documents d'architecture maurétanienne au Maroc, B.A.M.*, 7, 1967.

BOUBE, J., *Fouilles archéologiques à Sala, H.T.*, 1966.

BOUBE, J., *Les nécropoles de Sala*, Paris, 1999.

BOULANGER, P., *Le cinéma colonial de l'Atlantide à Lawrence d'Arabie*, Paris, 1975.

BOURDON, G., *Ce que j'ai vu au Maroc : les journées de Casablanca*, Paris, 1908.

BRESSOLETE, H., DELAROSIERE, J., *Fès-Jdid : de sa fondation en 1276, au milieu du 20e S, H.T.*, fasc. un, 1982-1983.

BRUNOT, L., *Les babouches et leur décoration, F.M.*, n° 3, 15 mai 1917.

CAILLE, J., *Une ambassade autrichienne au Maroc en 1805*, Paris, 1957.
CANARD, M., *Les relations entre les mérinides et les mamelouks au XIVe siècle*, *A.I.E.O.*, V, 1939-1941.
CARCOPINO, J., *La côte océanique du Maroc : ce qu'en ont connu les anciens*, Rabat, 1949.
CASTELLS, M., *La question urbaine*, Paris, 1972.
CATTENOZ, G., *La fiscalité marocaine*, Paris, 1927.
CERDA, I., *La théorie générale de l'urbanisme*, Paris, 1973.
CHACK, P., *Du Maroc à l'Océan indien*, Paris, 1939.
CHALMETA, P., *Le barnamag d'Ibn Abi l-Rabi'*, *Arabica*, fasc. 2, juin 1968.
CHOAY, F., *L'urbanisme : utopies ou réalités*, Paris, 1980.
CHOUIKI, M., *Settat et son rôle régional*, Th. 3e cycle : Géo, Univ. Tours, 1985.
CHOUIKI, M., *Settat une ville moyenne au rôle régional compromis*, in *Petitles villes et villes moyennes dans le monde arabe*, Tours, 1986, T. 2.
CHOVIN, G., *Aperçu sur les relations de la France avec le Maroc, des origines à la fin du Moyen Age*, *Hesp.*, 3e -4e trim., 1957.
COLIN, G., *Shawia*, *E.I.*, 1ere éd.
CORNEVIN, R. et M., *Histoire de l'Afrique : des origines à nos jours*, Paris, 1956.
CORNICE, *Notice sur les Cherarda*, *A.B.*, vol. 4, fasc. 1-2, 1919-1920.
COTE, M., LEGRAS, J., *La variabilité pluviométrique inter annuelle au Maroc*, *R.G.M.*, n° 10, 1966.
COUR, A., *Les derniers mérinides*, *B.S.G.A.*, 1905.
CUOQ, J., *Recueil des sources arabes concernant l'Afrique occidentale*, Paris, 1985.
DELORME, H., *Note sur l'origine des Sraghna*, Dactyl.
DEMUCE, J., *L'Afrique au 16e siècle et le commerce anversois*, Anvers, 1937.
DERMENGHEM, E., *Le culte des saints dans l'Islam maghrébin*, Paris, 1954.
DESMAZIERES, B., *L'évolution des grands courants commerciaux à l'intérieur du Maroc*, Mémoire C.H.E.A.M., 1948.
DEVERDUN, G., GHIATI, M.B.A., *Deux Tahbis Almohades*, *Hesp.*, 3-4 trim., 1956.
Dossier sur le cinéma marocain, *Souffles*, n° 2, 1966.
DRESCH, J., LEPINY, J., *Guide alpin de la montagne marocaine : le Massif de Toubkal*, Rabat, 1938.
DUCROCQ, M., PASCON, P., *La mise en valeur du périmètre de la Tassaout (Haouz de Marrakech)*, *H.T.E.*, n° 6, 1973.
DZIUBINSKI, A., *L'armée et la flotte de guerre marocaine à l'époque des sultans de la dynastie saadienne*, *H.T.*, XIII, fasc. uni., 1972.
ECOCHARD, M., *Casablanca : roman d'une ville*, 1955.
EISENBETH, M., *Les juifs au Maroc*, Alger, 1948.
EL MOUVTASSER, M., *Collectivités traditionnelles et espaces montagnards dans les zônes d'arrière pays atlasiques méridionaux*, Th. : Géo, Aix-Marseille II.
EMBERGER, L., *Aperçu général sur la végétation du Maroc*, Berne, 1939.
EMBERGER, L., *Aperçu général sur la végétation du Maroc : commentaire de la carte phytogéographique du Maroc au 1/1.500.000*, Rabat.
ESCALIER, R., *Citadins et espaces urbains au Maroc*, Tours, 1984, 2 vol.
EUZENNAT, M., *Le limes de Tingitane : la frontière méridionale*, Paris, 1989.

FAGNAN, E., *Extraits inédits relatifs au Maghreb*, Alger, 1924.
FLOURIOT, J., *L'oleiculture dans la région de Marrakech, R.G.M.*, n° 9, 1966.
GALLAOUI, M., *La critique au pluriel*, Casablanca, 2002.
GODINHO, *L'économie de l'empire portugais, 15-16e s*, Paris, 1930.
GOULVEN, J., *Les Mellahs de Rabat-Salé*, Paris, 1927.
GRAILLOT, M., *Le culte de Cybèle, mère des dieux à Rome et dans l'empire romain, B.E.F.A.R.*, 1912.
GRAILLOT, M., *Les dieux tout puissants Cybèle et Attis et leur diffusion dans l'Afrique du Nord, R.A.*, I, 1904.
GRASSET, Cap., *A travers la Chaouia avec le corps de débarquement de Casablanca*, Paris, 1906.
GROVE, A.T., *Africa South of Sahara*, Oxford, 1967.
GUIHO, P., *La nationalité marocaine*, Paris, 1961.
HEIM, M., *A travers le vieux Maghreb*, Paris, 1926.
HOST, G., *Histoire de l'empereur du Maroc Sidi Mohammed Ben Abdallah*, Rabat, 1998.
HUOT, *La situation politique en Chaouia, Août-Décembre 1907, B.S.G.M.*, fasc. 2-3, 1922.
L'industrie marocaine des parures, B.I.D.M., juil. 1942.
JAIDI, M. D., *Cinégraphiques*, Rabat, 1995.
JAIDI, M. D., *Le cinéma au Maroc*, Rabat, 1991.
JAIDI, M. D., *Public(s) et cinéma*, Rabat, 1992.
LA CHAPELLE? F. de., *La formation du pouvoir monarchique dans les tribus berbères du Haut Atlas Occidental, Hesp.*, vol. 8, 3e-4e trim., 1928.
LE CORBUSIER, *La charte d'Athènes*, Paris, 1971.
LE CORBUSIER, *Manière de penser l'urbanisme*, Paris, 1963.
LE TOURNEAU, R., *Les débuts de la dynastie saadienne jusqu'à la mort de Mohammad Ach-Chaykh, 1557*, Alger, 1954.
LAHBABI, A., *Villes et politiques urbaines au Maroc*, Th. 3e cycle, Grenoble, 1976.
LAHLIMI, A., *Les terres irriguées et le monde rural dans la Tassaout moyenne, R.G.M.*, n° 11, 1967.
LENOIR, E, BRONQUIER-REDDI, V., *Bibliographie du Maroc antique, Africa Romana*, 1998.
LINARES, F. J., *Voyage au Tafilalet avec S. M. le sultan Moulay Hassan en 1893, B.I.H.M.*, juil. - sept. 1932.
LLABADOR, F., *Port Say et son fondateur*, Oran, 1955.
LUCCIONI, J., *Avénement de Sidi Mohammed Ben Youssef au trône du Maroc, 1927, R.O.M.M.*, XII, 1972.
MAILLOT, D., *Le régime administratif du cinéma au Maroc*, Rabat, 1961.
MAS-LATRIE, *Traité et documents divers concernant les relations des chrétiens et des arabes au Moyen Age*, Paris, 1868.
MASSON, P., *Histoire des établissement et du commerce français, 1560-1793*, Paris, 1903.
MATHIAS, J., *L'artisanat marocain, B.E.S.M.*, n° 96-97, 1963.
MAUDUIT, R., *Le makhzen marocain, A.F.*, n° 12, 1903.
MAUNY, A., *La magie et l'astrologie*, Paris, 1860.
MAUNY, R., *Découverte à Gao d'un fragment de partie émaillée du Moyen Age musulman, Hesp.*, 3e-4e trim., 1959.

MEUNIER, J., *Le grand riad et les batiments saadiens du Badi à Marrakech, selon le plan publié par Windus. Hesp.*, 1-2 trim., 1957.

MICHAUX-BELLAIRE, E., *Les habous de Tanger, A.M.*, XXII. 1914.

MICHAUX-BELLAIRE, E. *Les impôts marocains. A.M.*, vol. 1, n° 1, mars 1904.

MICHAUX-BELLAIRE, E., *Tanger et sa zône, in villes et tribus du Maroc*, vol. 7, Paris, 1921.

MINISTERE DU TOURISME, *Randonnées pédestres dans le massif du Mgoun*, Casablanca, 1989.

MORSY, M., *North Africa, 1800-1900*, London, 1974.

MORSY, M., *La relation de Thomas Pellow : une lecture du Maroc au 18e s.* Paris, 1983.

MURDOCK, G.P., *Africa : its peoples and their culture history*, New York, 1959.

NIANE, Dj. T., *Le Soudan occidental au temps des grands empires*, Paris, 1975.

OLIVIER, F., *Mémoire sur l'évolution économique des tribus de la banlieue de Meknès depuis l'occupation française*, Mémoire C.H.E.A.M., 1937.

PAVIS D'ESCURAC, H., *Le Magna Mater en Afrique, B.A.A.*, VI, 1975-1976.

PERUGIA, J. D., *Noms de lieu d'origine berbère dans le sud-ouest de la France, H.T.*, vol. 18, fasc. un, 1978-1979.

PIANEL, G., *Conquête du Soudan par Mawlay Al-Mansour, Hesp.*, 1953.

RENE - LECLERC, C., *La presse au Maroc : aperçu historique et situation en juillet 1908*, in *Congrès de l'Afrique du Nord, Paris, 6 - 10 octobre 1908, compte-rendu de travaux*, Paris, 1909, tome 1.

ROUCH, J., *Saïdia, port méditerranéen du Maroc français. La géographie*, LX, n° 1-2, 1933.

SEGONDS, *La Chaouia et sa pacification*, Paris, [s.d].

SIGELMASSI, *Les plantes médicinales au Maroc*, Casablanca, 1993.

SMAILI, M.A., *Les années terribles du Maroc Oriental, 1844-1945*, Oujda, 1996.

SOUIBA, F., EL-ALAOUI, F.Z., *Un siècle de cinéma au Maroc, 1907-1995*, Rabat, 1995.

TARRIT, C., *Le cercle de BeniMellal : étude sur le front chleuh, pays Aït Srir, B.S.G.M.*, III, 1923.

TASSERIE, G., *Contribution à l'étude de la tuberculose au Maroc*, Th, Doct., Paris, 1921.

TERRASSE, H., *Note sur les ruines de Sigilmassa, R.A.*, 3e-4e trim., 1936.

TIMOULE, A., *Les chroniques maritimes du Maroc : les statuts du marin et du navire marocains*, Casablanca, 1980.

TROIN? J.F., *Vision et utilisation des souks au Maroc*, in *Connaissances du Maghreb : sciences sociales et colonisation*, Paris, 1984.

TUBERT, *La Chaouia, Bull. Sté. d'Alger, et de l'Afrique du Nord*, 1e-2e trim., 1914.

VOINOT, L., *Une époque d'entente cordiale avec l'Amel d'Oujda, 1881-1885, R.A*, 1926.

WEISGERBER, F., *Les Chaouia*, Paris, 1907.

ZAFRANI, H., *Mille ans de vie juive au Maroc*, Paris, 1983.

ZARTMAN, I.W., *Government and politics in Northern Africa*, London, 1963.

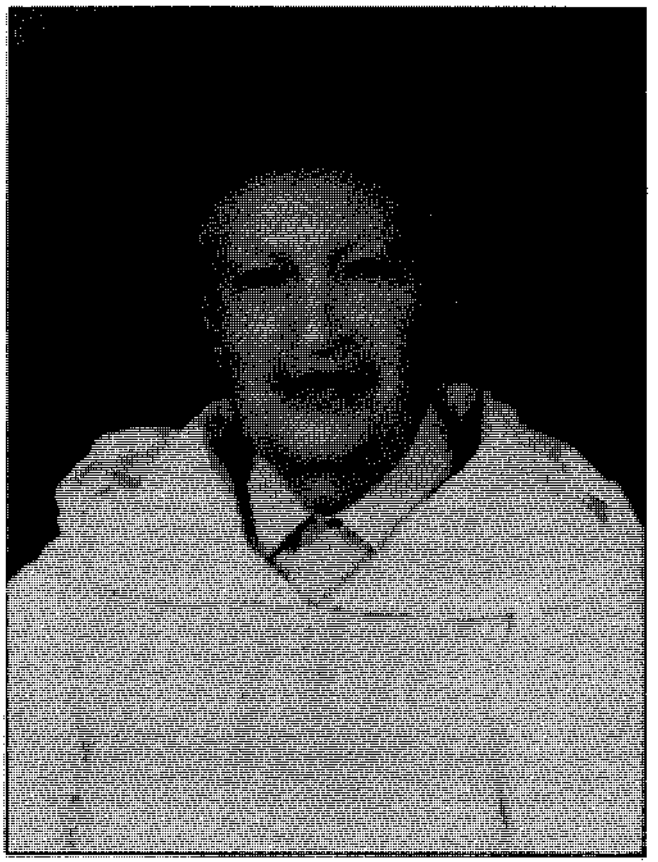

المرحوم الأستاذ محمد حجي
مؤسس معلمة المغرب
2003-1923

الصويري، أحمد بن **عبد الله** الإدريسي الحسني التناني المراكشي، اشتهر بنسبته إلى مدينة الصويرة لنشأته بها. بارع في المعقولات من حساب وتوقيت وتنجيم وفلك وتعديل وهيأة وتسطير الرخامات الشمسية وعملها بيده، مع المشاركة في العربية والفقه والحديث.

درس بجامع ابن يوسف، وله ثلاث *كناشات علمية*، واحدة دوّن فيها ما سمعه من فوائد من أشياخه ومؤلفات وتعاليق في الحساب والجبر والمقابلة واللوغاريتم؛ و*كناشة في الهندسة*، وثالثة في *قسمة ماء فاس*، وتعرف *بكناشة الصويري*.

كان أبوه عبد الله نديماً لعبد الرحمن بن هشام لما كان والياً بالصويرة. ولما ولي الملك قدم المترجم مع والده إلى مراكش واستقر بها إلى آخر حياته. وقد سماه السلطان محمد بن عبد الرحمن رئيس المهندسين، وعينه الحسن الأول رئيس قوّاد الطبجية، وخليفة وزير الحرب. وكان مع ذلك لا ينقطع عن التدريس. تخرج على يده عدد من الخيسوبيين والمهندسين المراكشيين مثل محمد بن المكي المسفيوي، وعبد القادر العلج ومحمد بن سعيد الجرجوزي. وكان يحضر مجالس *صحيح البخاري* في حضرة السلطان، ويكلف بمهمات، صموتاً كتوماً، كريم المائدة لا يأكل وحده، ويوزع المال والكساوى والأضحيات على المساكين.

توفي يوم الجمعة 23 محرم عام 1320 / 2 ماي 1902 عن نحو أربع وتسعين سنة، ودفن بضريح سيدي يوسف بن علي.

أحمد الصويري نفسه، *كناشته العلمية*. مخطوط؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ط 2، الرباط، 1974، ج 2؛ ع. السلام ابن سودة، *إلحاف المطالع/ موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 8؛ م. الكانوني، *جواهر الكمال*، الدار البيضاء، 1356.

الصويري، أحمد بن **علي** الأسفي، ولد بسوس عام 1293 / 1876 انتقل صغيراً إلى الصويرة ودرس بها ثم رجع إلى سوس وتابع دراسته، قبل أن يتوجه إلى فاس لإتمام دراسته على يد الشيوخ محمد بن المدني گنون وأحمد بناني كلاً وجعفر الكتاني وغيرهم وأجازوه جميع مروياتهم.

اشتغل بالتدريس في الصويرة وأسفي وتخرج على يده عدد من نجباء الطلبة.

وألف عدة شروح وتعليقات على الكتب التي كان يدرسها، منها *شرح البردة والهمزية* في السيرة النبوية، *وشرح لامية الأفعال* لابن مالك، *وتلخيص الشفا* لعياض، *وتعليق على الشمائل وصحيح البخاري ولامية الزقاق والمرشد المعين*. اطلع الكانوني على بعض هذه الكتب في مسوداتها وقال عن مؤلفها "إنه كان شديداً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حافظاً للقراءات السبع ذا حظ وافر من الإنشاء والترسيل مع حسن الخط وجودة الضبط ومواصلة التدريس وبث العلم والاعتناء بالكتابة والتقييد... وناب عن قاضي أسفي واستكتبه بعض عمال هذه المدينة لقلة ذات يده وكثرة عياله".

توفي بأسفي يوم الثلاثاء 6 رمضان عام 1335 / 20 نونبر 1936 ودفن بمقبرة رباط أبي محمد صالح.

م. الكانوني، *جواهر الكمال*، الدار البيضاء، 1356؛ ع. السلام ابن سودة، *إلحاف المطالع/ موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 8 : 2900.

محمد حجي

الصويرّة القديمة، تقع في الهامش الجنوبي الغربي للمسيطا الأطلنتية، وقد برزت هذه المنطقة على إثر الغزو البرتغالي للشواطئ المغربية.

تنفرد الصويرية القديمة بشاطئ يمتد على أزيد من كيلو مترين ويقر بها من مدينة أسفي التي تبعد عنها بحوالي 34 كلم فقط.

يشكل الشاطئ خليجاً بحرياً وجيّاً يحده جرف حي منحوت في تكونات بليورباعية حشية، ويشرف عليه جهة الداخل جرف أكثر ارتفاعا مهجور ومنحوت في الركيزة

الجوراسية وبين الجرفين يمتد منخفض مستطيل هو عبارة عن ولجة.

يعتبر شاطئ الصويرية أهم محطة سياحية بالإقليم، يتميز بمؤهلات طبيعية وسياحية قليلا ما تتوفر في الشواطئ المغربية. من أهمها :

- وجود غابة كثيفة تمتد على مئات الهكتارات لتشكل حزاما أخضر توفر من جهة الظل للمصطافين وتخلق مناخا مجهريا يتسم بالاعتدال الحراري، كما تقي الشاطئ من تأثير هبوب رياح الشرقي، ومن جهة ثانية يتجمع بها وحيش متنوع. يستمتع به القناصون الذين يقصدونها خلال فترة القنص.

يزيد الشاطئ جمالا توفُره على مصب واد تانسيفت الذي يفرغ فيه الرواسب السيليسية، القادمة من المنطقة المحورية لأطلس مراكش، التي تعتبر أصل الرمال الذهبية الهائلة التي تميزه. تتجمع عند هذا المصب بعض الطيور المهاجرة أهمها وأكثرها عدداً النحام ذو اللون الوردي والسيقان والأعناق الطويلة.

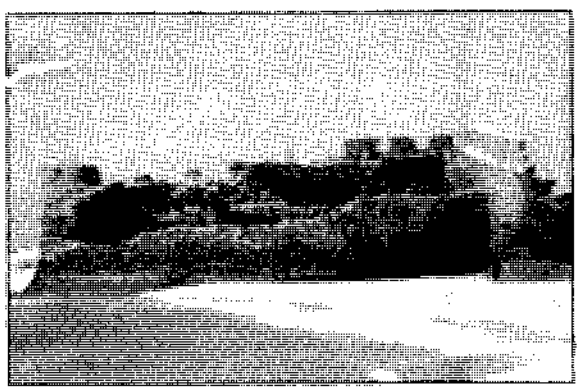

- يُوجد عند الضفة اليسرى لهذا المصب ضريح سيدي حْساين وقصبة حميدوش التاريخية، لا يعرف بالضبط تاريخ تشييدها وهناك من يرجعها إلى عهد السلطان مولاي إسماعيل.

- وجود قلعة برتغالية، تطل مباشرة على البحر وتشهد على الدور التاريخي لهذا الشاطئ.

- نصادف على بعد أربع كيلومترات من هذا الشاطئ دار القايد الحاجي وهي بمثابة رياض يزخر بفن معماري مغربي أصيل مزين بفسيفساء.

- يمتاز الشاطئ أيضاً بوجود ميناء صغير، تم إنجازه بدعم ياباني. يرسو به أزيد من 300 زورق ويضم قرية للصيادين. وتشتهر المنطقة بتنوع ولذة أسماكها (الشراغي، أمزوغ، بوشوك، الروبيو، الفرخ وحداد...).

يوفر الشاطئ إلى جانب الصيد والقنص إمكانيات هائلة للرياضة الملاحية والجولات المنظمة مشيا على الأقدام. كما يعرف حركة اقتصادية مهمة نظراً لتوافد المصطافين عليه للاستجمام والتخييم من إقليم أسفي ومراكش والبيضاء.

ويعتبر مخيم الصويرية غير منظم، تطبعه البداوة، التي تنعكس جلية في مرافقه التجارية والترفيهية.

لهذا السبب تولت المؤسسة الجهوية للتجهيز والبناء لمنطقة تانسيفت مشروع الاصطياف بالصويرية القديمة، وهو مشروع أصبح جاهزاً في السنوات الأخيرة دون أن يلقى إقبالا للمستثمرين والمصطافين، خصوصا وأن إعادة تصميم المدار المحيط بالشاطئ، امتدت على ما يناهز 100 هكتار، قدمت بأثمنة مناسبة جداً. ازدهر الشاطئ اقتصاديا في منتصف القرن 20 (1945) بإقامة وحدات صناعية لتصبير السمك من طرف بعض المستثمرين الأجانب. لكن توقف نشاطها مباشرة بعد الاستقلال وتعرضت للدمار.

عموماً يتوفر شاطئ الصويرية القديمة على مؤهلات سياحية فريدة لم تستثمر بعد بالشكل الذي يؤهل المنطقة من الناحية الاقتصادية والعمرانية.

تحريات ميدانية.

عبد الرحيم بنعلي

ابن **صْويلة** ويكتب بَنُو صْويلَةْ وبَلَنْصْويلَةْ أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Valenzuela و Palenzuela ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطاون، 1999، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 289.

ابن **صيّام** أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Benxean - Benxeam.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطوان، 1999، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 290.

محمد ابن عزوز حكيم

صيتيوس Sittius روماني كان له نشاط اقتصادي وعسكري في المغرب القديم، خلال عهد الملك مستانيسوس Mastanesosus وابنه بكوس Bocchus الثاني.

أوجز گسيل لمحة عن علاقته مع الملك الموري قائلا : "كان له عدة أصدقاء من بينهم كيكرو Cicero، الذي تولى القنصلية سنة 63 قبل الميلاد. ورث ثروة واسعة وأراد أن ينميها بعمليات بنكية في الولايات التابعة لرومة وخارجها. ثم اشترك في إحدى العمليات الكبرى مع أحد ملوك موريطانية، واضطر لتمويلها أن يقترض في رومة أموالا طائلة. فلما حل وقت الدفع عجز عن الأداء، فتقاضاه الدائنون. غير أنه لم ينتظر الحكم، وغادر إيطاليا عند بداية سنة 64 قبل الميلاد فورد على ولاية إسبانيا البعيدة ثم على موريطانية التي كان يوجد بها في أواسط سنة 64 قبل

الميلاد. وكانت هذه الرحلة لشؤونه كما أكد كيكرو". والجدير بالذكر أن الملك الموري مستانيوس هو الذي تعنيه مشاريع صيتيوس. اتفق الدارسون على أن الرجل قام بدور الوسيط التجاري وهو في موريطانية يجمع القمح الكافي لتموين رومة. وقد أصبح ممونها الرئيسي سنة 56 قبل الميلاد.

وبعد ذلك نجده قائدا للجيش في جند الملك الموري بكوس الثاني. وكان له دور حاسم في صفوف بكوس وهو يحارب مع قيصر ضد بومبيوس ما بين سنتي 46 و47 قبل الميلاد، حيث قامت بين قيصر وأتباع بومبيوس حرب أفريكا Africa، نسبة للولاية التي أقامها الرومان في منطقة نفوذ قرطاجة بعد القضاء عليها سنة 146 قبل الميلاد. وأهم المعارك التي خاضها مع بكوس الثاني هي الهجوم على مملكة يوبا الثاني المتحالف مع بومبيوس، وخلال هذه المعركة تم الاستيلاء على مدينة كيرتة العاصمة التقليدية للملوك النوميديين Cirta، فعجز يوبا الأول عن استرجاعها. كما تمكن صيتيوس من القضاء على صابورا Saburra قائد جند يوبا الأول الذي كلفه بالتصدي لعدوان خصومه الموريين.

ولما انتصر قيصر على أعدائه أقام ولاية رومانية جديدة في شرق نوميدية تدعى Africa Nova. ثم أقطع لصيتيوس ولبكوس الثاني قسما من نوميدية، فكان من نصيب صيتيوس القسم المتصل بالولاية الجديدة، والباقي ضمه الملك بكوس الثاني إلى مجال نفوذه. وحينئذ بلغت الحدود الشرقية لمناطق نفوذ بكوس الثاني نهر أمساگا Ampsaga.

م. مجدوب، *مملكة الموريين وعلاقاتها مع رومة لغاية سنة 33 ق. م*، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1990، فاس، مرقونة ؛ نفس، *دراسات عن الحياة الاقتصادية بموريطانية في القرن الأخير قبل الميلاد*، 1998، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، مرقونة ؛ نفسه، *المملكة الموريه وحدودها في المغرب القديم*، ندوة المجالات الحدودية في تاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، سلسلة الندوات، 6، 1999، ص. 7 ـ 20.

Cicéron, *Pro Sulla*, 20, 56 et 58 ; *Bellum Africum*, 25 et 36 et 48 et 93 et 95 ; Salluste, *Catilina*, 21, 3 ; Appien, *Guerres Civiles*, 4, 54 ; Dion Cassius, 43, 3 ; S. Gsell, 1912-28, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, 8 tomes, Paris ; F. Bertrandy, *L'Etat de Publius Sittius et la Numidie Cirtéenne (Ier s. av. Ier s. ap. J.-C)*, 1912-28, Thèse de Doctorat d'Etat, Université Paris IV, Sorbonne, Dactylographiée.

محمد مجدوب

الصيد البحري نشاط اقتصادي ورياضي مارسه المغاربة منذ زمن بعيد. وقد عرف هذا القطاع تطوراً هاماً خلال العقود الثلاثة الأخيرة نظراً لازدهار الأسواق السمكية الوطنية والأجنبية وخاصة منها الأسواق الأوروبية التي عرفت إقبالا هاماً على الموارد السمكية المغربية بشتى أنواعها. كان قطاع الصيد يخضع إلى إدارة الملاحة البحرية والصيد البحري خلال الفترة الممتدة بين 1933 ـ 1969. لقد أنشئ بالدار البيضاء سنة 1946 معهد للصيد البحري ليقوم بأبحاث علمية تتعلق بعلوم الأحياء للمصايد تهدف إلى تقييم وفرة وتوزيع الأنواع السمكية المستغلة ودراسة العوامل التي تؤثر على تغيرات مخزونات الثروات السمكية ليتم استغلالها المستديم بكيفية عقلانية رشيدة. وبعد تأسيس المكتب الوطني للصيد البحري بالدار البيضاء بمقتضى ظهير 21 فبراير 1969، أسند إليه هذا القطاع ليقوم بتدبير منتجات البحر على المستوى الأول ويسهر على تنظيم الصيد على الصعيد الوطني. يشكل هذا المكتب نقطة الالتقاء الرئيسية لقطاع الصيد يتمركز حولها جميع العاملين بالقطاع كما يعتبر المتدخل الأساسي داخل هذا القطاع والمؤهل لتنمية الإنتاج والرفع من مستواه. ويُعنى هذا المعهد بكل ما يهم مجال الصيد من دراسات أوقيانوغرافية تتعلق بالأنشطة الساحلية وبالأحياء المائية ومراقبة مستمرة لجودة وصحة الوسط البحري عن طريق شبكة مكونة من عدة مراكز ومحطات جهوية موزعة على السواحل المتوسطية والأطلنطية. ويتوفر على باخرتين علميتين : باخرة الشريف الإدريسي وباخرة الأمير مولاي عبد الله، يستعملهما لأخذ العينات من مختلف الأوساط البحرية واستكشاف أسراب الأسماك السطحية لتقييم وفرتها. ويسهر حاليا بتعاون مع اليابان على إنشاء مركز جهوي بأگادير يهدف إلى تحسين تقنيات الإنتاج وتثمين منتوجات المصايد. وينتمي إلى وزارة الصيد أيضاً المعهد العالي لتقنيات الصيد البحري بأگادير يتوفر على باخرة الحسني المجهزة بمعدات حديثة للتكوين. كما توجد ثلاثة معاهد أخرى للتكوين في مجال تقنيات الصيد في كل من طانطان والحسيمة وأسفي ومراكز أخرى للتأهيل في الدار البيضاء والعيون والداخلة والعرائش. وقد مر تطور هذا المكتب عبر ثلاث مراحل :

تميزت المرحلة الأولى (1969 ـ 1981) بتعدد المهام والاختصاصات المسندة إليه : تدبير أسواق السمك، البحث العلمي، النهوض بالصيد في أعالي البحار، تنمية وتنظيم الصيد الساحلي والتقليدي، تسويق منتجات البحر، التفاوض بشأن اتفاقيات الصيد مع السوق الأوروبية المشتركة، وإسبانيا والبرتغال والاتحاد السوفياتي.

شهدت المرحلة الثانية (1981 ـ 1996) إحداث وزارة الصيد البحري والملاحة البحرية وإعادة اختصاصات المكتب الوطني للصيد : تدبير أسواق السمك، الصيد البحري مع إعفائه من تدبير النشاطات المتعلقة بالصيد في أعالي البحار وتوزيع وتسويق منتجات الصيد.

تميزت المرحلة الثالثة (1996 ـ 2002) بإعادة تحديد موقع المكتب الوطني للصيد وإعادة اختصاصاته بموجب ظهير 29 يوليوز 1996، عرفت هذه المرحلة فصل البحث العلمي الذي تم مع إحداث المعهد الوطني للبحث في الصيد البحري. ترتكز المهام المسندة للمكتب على تنمية الصيد الساحلي والتقليدي وعلى تنظيم وتسويق منتجات الصيد.

أنشئت وزارة خاصة بالملاحة البحرية والصيد البحري سنة

1981، ثم وزارة مستقلة بذاتها للصيد البحري سنة 1997 تسهر على تنظيم وتدبير شؤون الصيد في إطار إستراتيجية التنمية الاقتصادية المستديمة لقطاع الصيد البحري مع إعطاء الأولوية للمحافظة على الثروة السمكية وتحسين استغلالها ومراعاة معايير الجودة في جميع حلقات المنظومة السمكية. تعتمد الوزارة على المعطيات العلمية في كل المخططات الخماسية والتدابير لاستغلال الثروات السمكية الوطنية وفي كل مفاوضات ترخيص الصيد للأجانب أو للحرفيين المغاربة. يقوم بإنجاز المعطيات العلمية المتعلقة بالمخزونات السمكية الوطنية باحثون متخصصون في علوم البحار بالمعهد الوطني للبحث في الصيد البحري.

تكونت أخيراً أربع غرف للصيد البحري بموجب قانون رقم 4.97 المتعلق بنظامها الأساسي والمطبق بالظهير الشريف رقم 1.97.88 الصادر في 2 أبريل 1997 : غرفة الصيد البحري المتوسطية وغرفة الصيد البحري الأطلسية الشمالية وغرفة الصيد الأطلسية الوسطى والغرفة الأطلسية الجنوبية. وهذه الغرف مؤسسات دستورية تتمتع بالاستقلال المالي تحت وصاية وزارة الصيد البحري وتتكون من أعضاء منتخبين وتتألف من عدة لجن منها لجنة المحافظة على البيئة والثروات البحرية ولجنة الطحالب والأحياء المائية. تمثل هذه الغرف قطاعات الصيد البحري لدى السلطات العامة الوطنية والجهوية والمحلية وتسعى إلى تزويد الحكومة بالآراء والمعلومات المتعلقة بالصيد في أعالي البحار والصيد الساحلي والتقليدي وتربية الأحياء المائية وكذا أعمال استغلال الموارد البحرية الحية الساحلية. وتقدم أيضا الاقتراحات المتعلقة بأنظمة الصيد البحري وتستشير الوزارة في إعداد وتطبيق مخططات تهيئة المصايد وإدارتها وفي كل تدبير يهدف إلى تحسين ظروف الشغل في قطاع الصيد البحري. تعمل هذه الغرف أيضاً على توسيع عملية تسويق المنتوج البحري واكتشاف وسائل جديدة للرفع من قيمة المنتوجات البحرية وتقوية علاقات التعاون مع المنظمات المهنية الدولية ومع المنظمات غير الحكومية الوطنية والدولية. توجد على رأس هذه الغرف جامعة غرف الصيد البحري بالرباط تنسق وتسهل الاتصال بينها وبين الوزارة والحرفيين وتزود غرف الصيد بالمعطيات والإحصائيات الوطنية والدولية المتعلقة بالقطاع المتوفرة لديها، وكذا بالوسائل التنظيمية والقرارات الإدارية.

يهدف المخطط الخماسي 2000 ـ 2004 لوزارة الصيد البحري إلى رفع القيمة المضافة لقطاع الصيد البحري وتحسين تنافسيته دون إفراط في الاستغلال للثروة السمكية مع مراعاة تحسين الأمن الغذائي وتدعيم ميزان الأداءات وذلك وفق مفهوم الصيد المستديم والمسؤول الذي يمكن من استغلال عقلاني للموارد السمكية على امتداد المنطقة الاقتصادية الخالصة للمملكة.

كما يتيح مناسبة لوضع معالم اقتصادية طموحة لتهيئة الساحل تقوم على تركيز أقطاب واعدة للتنمية المستديمة تعطي فرصا للشغل وتحافظ على جودة المنتوج. ويسعى في إطار استراتيجية الصيد وتأطيره إلى :

- تأهيل الأسطول الساحلي بتحسين ظروف السلامة والعمل والجودة والنظافة على متنه ؛
- إعادة هيكلة سفن الصيد في أعالي البحار ؛
- تتميم بناء وتجهيز ميناء الداخلة وإنعاش موانئ طرفاية، سيدي إيفني، أصيلا، رأس كبدانة، الصويرة، مهدية، العرائش، وبناء ميناء بوجدور ؛
- إنشاء 4 قرى للصيادين في إطار برنامج MEDA و5 قرى أخرى في إطار برنامج دعم منتجات الصيد وتثمينها، مع تزويدها بتجهيزات أساسية ؛
- إنشاء 29 نقطة إفراغ مهيأة على طول الساحل بدعم من صندوق الحسن الثاني.

يبلغ عدد الأنواع السمكية المستغلة في المغرب حوالي 350 تشمل الرخويات والأسماك والصدفيات والقشريات والطحالب : يأتي على رأسها السردين والأنشوفة والشرن والإسقمري. تتراوح كميات المنتوجات السمكية المصطادة في المنطقة الاقتصادية الخالصة للمملكة بين 625000 ومليون طن سنويا كما يوضح الجدول ذلك.

الكمية بالطن / السنة	1996	1997	1998	1999	2000	2001
الصيد البحري	525021	661646	607129	622160	765241	978519
الصيد في أعالي الجبال	90855	111493	91438	125007	133510	122485
السردين	393362	497821	436048	430715	539785	763689
إسقمري	16988	28775	11622	18035	34381	25890
الأنشوفة	12447	24955	40992	40220	22096	47393
الشرن	15471	12512	9936	12799	15144	12268
التونيات الدرعي،	5727	8780	8605	6715	7521	5028
القاروس	167	153	138	169	123	225
الزربغة، دنيس	229	111	133	147	241	299
الروبيو (دجاج)	2286	2216	2834	3160	4874	4334
سمك النازلي، ميرلا	2750	2074	1070	1988	2792	4055
القرب	869	1542	1263	2462	1755	1534
الباجو	6971	7876	7456	7228	8492	8701
سمك موسى، الصول	1340	1675	1543	2622	5952	3788
الرخويات	15647	18587	24204	33690	51039	38114
القشريات	2045	3206	4031	4581	4507	4606
الصدفيات	21	9	155	234	461	384
الطحالب	7625	8094	7049	8528	12068	7000
المغربة	448	771	1894	1202	1642	2700
المرجان الأحمر	4	3	2	5	8	7
المجموع استوى للمصايد	625195	783190	708481	758159	913339	1111498

يتكون أسطول الصيد البحري المغربي من حوالي 3000 سفينة متخصصة في صيد أصناف معينة من الموارد السمكية والطحالب والمرجان وذلك حسب التجهيزات ومعدات الصيد الموجودة على متنها. يوضح الجدول التالي

أصناف وحدات أسطول الصيد المغربي وتطور عدده خلال الأربع سنوات الأخيرة.

يتكون أسطول الصيد الساحلي والتقليدي من أكثر من 11 صنفا :

صنف السفن \ السنة	1998	1999	2000	2001
السفن الجرافة Chatuliers	436	449	463	426
سفن صيد السردين Sardiniers	408	426	434	415
سفن جبال الصنانير Palangriers	976	970	958	918
سفن الجر والسردي	282	279	267	312
سفن الصنانير والسردين	211	204	198	217
سفن الجر والصنانير	86	82	80	91
سفن المرجان	15	15	15	14
سفن المضربة	22	22	22	26
سفن جراد البحر Langoustiers	4	4	4	4
سفن مختلفة	61	61	61	63
سفن الطحالب	22	22	22	22
المجموع	2508	2524	2538	2523

يتكون أسطول الصيد في أعالي البحار من حوالي 450 وحدة متخصصة في صيد الرخويات كالحبار والأخطبوط والسبيدج وفي صيد القمرون وأنواع الأسماك السطحية الكبيرة كسمك التون وأبي سيف وغيرها. ويبين الجدول التالي نوع الأصناف وتطور عدد وحدات الأسطول الوطني طيلة الأربع سنوات الأخيرة.

الصنف \ السنة	1998	1999	2000	2001
سفن الرخويات	336	333	329	329
سفن القمرون	60	59	59	60
سفن الجر السطحية مجمّدة	5	5	5	5
سفن جبال الصنانير للتون مجمّدة	4	4	4	4
سفن بُبردة	21	21	21	21
سفن الجر مُجمّدة	28	28	28	28
المجموع	454	450	446	446

تصدر معظم منتجات مصايد أعالي البحار طرية مُبَرَّدة أو مجمّدة إلى الأسواق الأوروبية والآسيوية وتوزع كميات منتجات الصيد الساحلي والتقليدي على الأسواق السمكية الوطنية ووحدات التجميد والتعليب وصناعة دقيق وزيوت الأسماك. وتبلغ نسبة استهلاك الأسماك الطرية والمبردة بداخل المملكة حوالي 25٪ من المنتوج السنوي العام أي ما يعادل حوالي 200.000 طن وبهذا يبلغ معدل الاستهلاك النسبي السنوي لكل فرد 8 ـ 11 كيلو گرام. تتغير هذه النسبة حسب المناطق المغربية فتقدر بحوالي 30 كيلو گرام للفرد في السنة في الناظور وكيلو گرام واحد في تازة. تُحوّل كمية كبيرة من سمك السردين إلى صناعة الدقيق والزيوت وقد تجاوزت هذه الكمية 505000 طنا سنة 2001 لتنتج حوالي 100.000 طن من الدقيق و25000 طن من الزيوت. يوضح الجدول التالي تطور كميات حصيلة الموارد السمكية حسب استعمالها طيلة الخمس سنوات الأخيرة :

كمية المنتوج بالطن \ السنة	1996	1997	1998
الاستهلاك	169413	148191	182476
التعليب	138627	141760	147233
التجميد	3263	14387	22025
صناعة الدقيق وزيوت الأسماك	213720	357285	255308
شبه التعليب Semi-conserve	23	84	446
طعم صيد الأسماك			
مجموع كمية الصيد البحري	525022	661646	607129

كمية المنتوج بالطن \ السنة	1996	1997	1998
الاستهلاك	188921	253519	267739
التعليب	169679	129831	39423
التجميد	37048	56301	53775
صناعة الدقيق وزيوت الأسماك	222233	321528	5058692
شبه التعليب Semi-conserve	1413	5674	
طعم صيد الأسماك	3833	2649	6216
مجموع كمية الصيد البحري	622160	765241	978519

وزارة الصيد البحري، *محاور الاستراتيجية الوطنية للصيد البحري*، 2000 . 2004، ص. 12، 2000 : المكتب الوطني للصيد، *الصيد الساحلي والتقليدي بالمغرب*، المخطط الخماسي، 2002 . 2006 . 2002، ص. 22.

Ministère de la Pêche Maritime, *La mer en chiffre*. 2001 : *Rapport d'activité*. 2001 : *Valorisation et consommation des produits de la mer*. Conseil supérieur pour la sauvegarde et l'exploitation du patrimoine halieutique. Atelier 3. 2002.

محمد رمضاني وعبد اللطيف برحو

الصيد البري أو القنص، نشاط ترفيهي ورياضي مارسه المغاربة منذ زمن بعيد وطوروه عبر العصور فوضعوا له قوانين تهدف إلى توازن بيئي طبيعي يربط الثروة الوحيشية بالبيئة وبحياة الإنسان. وقد صدر أول ظهير شريف يتعلق بشرطة القنص في 6 ذي الحجة 1341 (21

يوليوز 1923) تلته خلال العقود الأخيرة عدة ظهائر شريفة وقرارات وزارية تغير وتتمم قوانين تسيير وتنظيم الصيد في المغرب. تسهر إدارة المياه والغابات على تنظيم وتسيير قطاع الصيد البري، وقد صدر في هذا الباب قرار وزاري رقم 62. 585 في 5 جمادى الثانية 1382 (3 نونبر 1962) يسن نظاما مستمرا للقنص. ونظراً للإقبال المكثف على هذا النشاط الترفيهي والرياضي فقد تأسست في السنوات الأخيرة قرابة 100 جمعية للقنص موزعة على مختلف المناطق المغربية، تدافع عن مصالح القناصين وتقوم بنشاط مكثف حسب المنطقة التي توجد فيها وحسب الإمكانيات المتوفرة لديها. وتأسس أيضاً المجلس الأعلى للقنص ليساهم في تسيير وتنظيم الصيد البري إلى جانب إدارة المياه والغابات والجامعة الملكية للصيد.

تقوم الوزارة المكلفة بالمياه والغابات بتحديد تاريخ افتتاح وانتهاء موسم القنص والنظام الخاص الجاري عليه خلال كل سنة وذلك بعد تنفيذ القرار الصادر عن الاجتماع السنوي المنعقد بمقر الوزارة بين ممثلي الجامعة الملكية للصيد والمجلس الأعلى للقنص وممثلي بعض الجمعيات

وقد صدر قرار وزاري في 24 ـ 7 ـ 2000 باقتراح من المجلس الأعلى للقنص ليغير ويتمم قوانين القنص خلال مواسم 2001 ـ 2002 ـ 2003. وهذا القرار يمنع قنص وأسر أنواع الطرائد المحمية التالية : الأسد والنمر والفهد والضبع والقرد والأيل المغربي وأنواع الغزلان والأروي وثعلب الماء والنمس والوشق والفنك والسنور الوحشي والضربان والشنصر والزريقاء وشبهم عرفان والقنفذ والسنجاب والفقمة والزواحف والطيور الكواسر النهارية والليلية والحبارى والدراج وبط شوال وأنواع طير شهرمان وحجل الماء وسواق الإبل والغطاس والكروان والقطاة وبلقشة ذوقنبرة وبرهان سلطاني والحذف المرقط والبط الرؤاسي وغريرة صدأة. يحتاج قنص الأيل الأوروبي والأروية المغربية المرباة إلى رخص تمنح من طرف الوزارة المنتدبة المكلفة بالمياه والغابات.

يلعب قطاع الصيد البري دوراً هاماً في إنعاش السياحة في معظم مناطق المملكة ويخلق فرصا للشغل بالعالم القروي. ونظراً للتقلبات المناخية التي عرفتها بلادنا خلال السنوات الأخيرة تراجعت بعض أصناف الطرائد وتكاثرت ظاهرة القنص اللامشروع الذي يهدد ديمومة حيوانات القنص، ولهذا فإن الوزارة والجامعة الملكية للقنص يسهران على تضافر الجهود مع الجمعيات للحد من هذه الظاهرة وإنشاء محطات جديدة لتربية الطرائد لتطعيم مناطق القنص التقليدي ومحميات القنص. كما تسعى الوزارة والجامعة إلى إعداد خرائط لمحميات القنص على صعيد كل منطقة لتفادي الغموض الذي يكتنف في غالب الأحيان حدود المحميات المرسومة في الخريطة المنجزة على الصعيد الوطني وذلك من أجل استغلال أمثل.

يوضح الجدول الزمني التالي فترات افتتاح وانتهاء القنص لموسمي 2001 ـ 2002 وكذا الأيام التي يباح فيها الصيد وعدد وحدات الطرائد المسموح بقنصها خلال كل يوم قنص للمغاربة والأجانب المقيمين بالمغرب :

أصناف الطرائد	فترة القنص	أيام إباحة الصيد	عدد الطرائد المسموح بها لكل قناص في اليوم
الحجل	1 أكتوبر ـ 10 دجنبر	الآحاد والأعياد	4
الأرنب	1 أكتوبر ـ 10 دجنبر	الآحاد والأعياد	1
القبرة	1 أكتوبر ـ 10 دجنبر	الآحاد والأعياد	5
البط أخضر العنق	1 أكتوبر ـ 10 دجنبر	الآحاد والأعياد	4
كل أنواع البط	1 أكتوبر ـ 25 فبراير	السبت ـ الأحد والأعياد	6
الشنقب	1 أكتوبر ـ 25 فبراير	السبت ـ الأحد والأعياد	20
السلوى	1 أكتوبر ـ 25 فبراير	الآحاد والأعياد	20
السمنة	1 أكتوبر ـ 25 فبراير	السبت ـ الأحد والأعياد	20
الحلوف ـ الخنزير	1 أكتوبر ـ 25 فبراير	ما عدا أيام الجمعة	1 لكل قناص
اليمام	8 يونيو ـ 30 يوليوز	الآحاد والأعياد	50
الحمام الأزرق والحمام البري	1 أكتوبر ـ 25 فبراير	الآحاد والأعياد	10
الإوز	1 أكتوبر ـ 25 فبراير	الآحاد والأعياد	2
القبرة البرية	1 أكتوبر ـ 25 فبراير	الجمعة ـ السبت ـ الآحاد والأعياد	40

القنص في المغرب، مجلة الجامعة الملكية المغربية للقنص، العدد، 9، ص. 58، سنة 2000.

محمد خربوعة وعبد الخالق الزرواطي

الصيدلة بالمغرب، كان المغرب جزءا لا يتجزأ من العالم العربي الإسلامي، فتجربته في ميدان الصيدلة لا تختلف عما كان معروفا في الأمة جمعاء من التداوي بالأعشاب، فكان الذي يجمعها ويحسن تركيبها هو بمثابة الصيدلاني، قبل أن تقع الثورة الصناعية في أوربا الغربية، وقبل أن يهتدي الصيادلة والعلماء إلى تركيب الأدوية الكميائية. وهذه الصناعة الصيدلية الجديدة هي التي دخلت المغرب بعد استعماره، بما فرضه الفرنسيون والإسبان من أدويتهم على المغاربة وبما نهلوا من خيرات البلاد النباتية والمعدنية لصناعتها. وقد رخصوا لمواطنيهم ببيعها في الصيدليات، ووضعوا الترتيبات القانونية والمسطرية لممارسة ذلك. فصدر أول ظهير منظم للمهنة يوم 12 أبريل 1916، الذي جعل فتح الصيدلية مقرونا برخصة من الكاتب العام للحكومة. ثم صدر ظهير آخر في دجنبر 1922، يعرف بالمواد السامة وبكيفية إنتاجها وبيعها واستعمالها للبشر والحيوان. ولما صار عدد الصيادلة يتكاثر، وكلهم من غير المغاربة، صدر ظهير بتاريخ 10 فبراير 1943، ينظم كيفية ممارسة أعمالهم، معرفا بأصنافهم وتخصصاتهم، ومدرجا كل صنف وكل تخصص في غرفة مهنية متميزة. فأقيمت ثلاث غرف، واحدة لأصحاب الصيدليات وخبراء التحليل البيولوجي، وثانية للصيادلة المتخصصين في صناعة الأدوية، وثالثة لتجار الأدوية ومن يوزعهم بالجملة على الصيادلة. وجعل

على رأس هذه الغرف، مجلس أعلى يعمل لدى المقيم العام في الرباط. وتقرر تعيين أعضائه من قبل الكتابة العامة للحكومة. وهذا الظهير هو الذي سارت بمقتضاه مهنة الصيدلة إلى أن ألغيت الحماية الأجنبية. وانكب المغرب يعيد النظر في ترتيب مصالحه ويرسم معالم المستقبل بمحض إرادته. وكانت البلاد في حاجة إلى الصيادلة لينخرطوا في النهوض بأحوال الصحة العمومية، ويقيموا صرح الصناعة الوطنية في مجال الأدوية. فقد كان عدد الصيادلة المغاربة المسلمين يوم استرجع المغرب استقلاله يعد على رؤوس الأصابع. ولم تتخرج أول امرأة في الصيدلة إلا سنة 1958، بحيث كان عدد الصيادلة من مختلف التخصصات في تلك السنة يناهز 400، عشرهم فقط من المغاربة بين مسلمين ويهود، والباقي من الفرنسيين والإسبان. وكانت الحكومة المغربية قد بادرت بإصدار ظهير 17 نونبر 1957، الذي أعاد النظر في التشريع الاستعماري. فألغيت الغرف المهنية السابقة، كما ألغي المجلس الأعلى. وأحدث مكانه مجلس وطني مؤقت للصيدلة (م. و. م. ص.)، مركب من عشرين عضوا، منهم عشرة صيادلة مغاربة وعشرة أجانب، يعيّنهم وزير الصحة العمومية، ليكونوا لديه بمثابة مجلس استشاري في شؤون الأدوية، وعليهم أن يضعوا مدونة قوانين المهنة وكيفية مراقبة ممارستها وزجر المخالفات. وكان هذا الظهير كالقنطرة التي عبرت بمهنة الصيدلة من فترة الاستعمار إلى مرحلة التصرف الوطني المطلق. فقد صدر ظهير بتاريخ 12 فبراير 1960. يقضي بإعادة النظر في كل المهن المتصلة بشؤون الصحة العمومية، إذ ليس شأن الصحة العمومية دون خطر شأن التربية والتعليم في أمور التنمية. ويعرف هذا الظهير بمعنى التخصص الصيدلي، وما هي وظيفة الصيدلي وحدودها. وأقيم للوقوف على كل ذلك ومراقبته هيأة للتفتيش، تعمل تحت إشراف المجلس الوطني المؤقت للصيدلة الذي منح صفة الشخصية المعنوية لينوب عن أصحاب المهنة في الحياة المدنية، ويتلقى طلبات الترخيص بفتح الصيدليات. وعندما يتحول إلى مجلس تأديبي، فلا بد أن ينضم إليه قاض من المجلس الأعلى للقضاء يعينه وزير العدل. وقد أصبح المغرب مدركا لحاجياته في الصيدلة بفضل تضافر الجهود بين أصحاب المهنة والمسؤولين الحكوميين. ونتج عن ذلك وعي بأن الحاجة إلى استيراد جل الأدوية من الخارج، لا يغني عن السعي في إقامة صناعة صيدلية وطنية توفر على البلاد العملة الصعبة وتشغل من المواطنين أكثر ما يمكن. ومما ساعد على ذلك في الستينات من القرن العشرين، ما جرى من هجرة الصيادلة الأوربيين للمغرب، وكذلك الصيادلة المغاربة اليهود بعد حرب حزيران 1967، فحل محلهم بالتدريج ما صار يتخرج من المغاربة المسلمين من كليات الصيدلة من كل جامعات العالم. وكان ذلك مدعاة إلى الإقدام على جعل أعضاء المجلس الوطني المؤقت للصيدلة موقوفا على المغاربة دون الأجانب. كما كان مدعاة للتفكير في الجوانب الصناعية، مع ما يرتبط منها بضرورة التمكن من الأسعار حتى تعرض الأدوية على الجماهير المستضعفة بأقل كلفة. وقد اختار المغرب النهج الليبرالي في الصناعة الصيدلية. وجاء ذلك على لسان الملك الحسن الثاني في خطاب العرش لسنة 1969، إذ قال: "وإلى جانب تكوين الأطباء، وتوفير أكبر عدد منهم، فإننا عنينا بصناعة الأدوية، وبذلنا لها من التشجيع ما هو كفيل بنموها وازدهارها، كما عنينا بما تستلزمه هذه الصناعة من مراقبة المصنوعات الصيدلية تفاديا لكل داء يمكن أن يتولد عن دواء غير صالح، فصناعة الأدوية ومراقبة الصناعة شيئان متلازمان، نحرص كل الحرص على أن يكون إنتاج مصانعنا مرتبطا ارتباطا وثيقا بالمراقبة، وصلاحه مرهونا بفاعليتها. وإذا كان قصدنا من هذه الصناعة الوطنية توفير العملة الصعبة وتشغيل اليد العاملة، فإننا نستهدف من ورائها تخفيض أثمان الأدوية المصنوعة ببلادنا تخفيضا يجعل هذا الإنتاج في متناول الفقراء وذوي الإمكانيات القليلة المحدودة. وإننا لجادون في العمل على أن يكون هذا التخفيض أمرا مفعولا". وكان قد صدر في هذه الغاية قرار ملكي يحدث هيأة التفيش الصيدلي لتتبع ما يجري في الصيدليات وفي المصانع، وذلك بتاريخ 16 شتنبر 1966. كما أقيم سنة 1969 مختبر وطني لمراقبة جودة الأدوية في الرباط. وهكذا صارت تقام كبريات المصانع الصيدلية من أمثال سماريب Smarip، ولابروفان Laprophan، وكوبير Cooper، وليبتي فارمغرب Le petit pharmaghreb، مجتمعة معظمها في الدار البيضاء، وبعضها في الجديدة وفي تمارة. وغني عن البيان أن هذه المصانع أقيمت بمساهمة كبريات دور الصناعة الصيدلية في أوربا من أمثال بايير Bayer وروش Roche وروسيل Roussel وديامانت Diamant وغيرها. وبذلك استطاع المغرب أن يوحد الإنتاج ويجعله مسايرا لطاقة السوق الوطنية، فانحصر عدد الأدوية المصنوعة في البلاد في 3500، بدلا مما كان يروج إبان الحماية، إذ كان عددها 8000 في منطقة النفوذ الفرنسي، و3000 في منطقة النفوذ الإسباني، فضلا عما كان من الخلط والإسراف في هذا الصدد في منطقة طنجة الدولية. ويوم تقرر سنة 1973 مغربة جميع المقاولات الأجنبية القائمة بالمغرب وإشراك الرسمال الوطني فيها بنسبة لا تقل عن نصف رسمالها، لم يتأت للقطاع الصيدلي مسايرة ذلك. ولكن الدولة أقدمت على إدخال بعض التصويبات على نظام المهنة. فصدر قرار ملكي بتاريخ 12 دجنبر 1976، يعوض المجلس الوطني المؤقت بمجلس وطني

لهيأة الصيادلة (م. و. ه. ص.) ينتخب أعضاؤه انتخابا ديموقراطيا، وينقسم إلى مجلسين جهويين، واحد للأقاليم الشمالية، ومركزه الرباط، والثاني للأقاليم الجنوبية، ومركزه الدار البيضاء، هذا فيما يعني أصحاب الصيدليات. أما أصحاب التحليل المختبري من البيولوجيين، فلهم مجلس خاص بهم، كما أن أصحاب الصناعة وكبار الموزعين، لهم مجلسهم أيضا. وكل مجلس ينتخب رئيسه، ونائب الرئيس والكاتب العام. وهؤلاء هم الذين يمثلون المجلس المتخصص في المجلس الوطني لهيأة الصيادلة الذي يتركب إذن من اثني عشر عضوا ينتخبون مكتبا للتسيير. ولايزال هذا التنظيم ساري المفعول. وقد ارتفع عدد الصيادلة سنة 1977 إلى 340، منهم 35 من الأجانب، بينما بلغ عدد أصحاب الصناعة والموزعين بالجملة 26، منهم 6 مغاربة و20 من الأجانب. وكان عدد البيولوجيين 34. وبذلك صار المغربي يخطو خطوات سريعة نحو تغطية حاجياته من الأدوية، وتوزيعها توزيعا محكما على جميع جهات المملكة بأقل ما يمكن من الكلفة. بل صار قادرا على إنتاج 80٪ من حاجياته إلى الأدوية، وإلى تصدير قسط منها. وجاء ذلك نتيجة لتكاثر المتخرجين في علوم الصيدلة، سواء من الجامعات الأجنبية أو من الكلية المغربية للطب والصيدلة التي أنشئت مطلع الستينيات من القرن العشرين، واشتغلت لإعداد الأطباء أولا الأمر، ثم لإعداد الصيادلة ابتداء من 1987، وذلك في أربع سنوات لمن يلجها من الطلاب الحاصلين على السلك الأول الجامعي من العلوم البيولوجية، مع حصر عدد كل فوج في ثمانين إلى مائة. ذلك بأن تكاثر عدد الصيادلة سرعان ما صار إلى التفاقم، سيما في العقد التسعيني، عندما بدأ يتخرج من دول أوربا الشرقية أعداد متزايدة منهم، جعلت المغرب يقترب من المعدل الدولي للتناسب بين عدد السكان وعدد الصيادلة، الذي هو صيدلي لكل خمسة آلاف نسمة. فإن عدد الصيادلة بلغ سنة 1996، 2907، منهم 1164 امرأة، و93 أجنبي. وفي سنة 1999، بلغ عددهم 4386، منهم 1765 امرأة، و88 أجنبي. مما يبعث مبدئيا على الارتياح، لو كان المجتمع المغربي قادرا على ضمان الشغل المثمر للجميع. أما وأنه مجتمع لايزال في طريق النمو، وطاقات جماهيره الشرائية متواضعة، فإن تكاثر الصيادلة يجعل بعضهم عاجزين عن مسايرة تكاليف المهنة. سيما وأنهم يفضلون المدن الكبرى في الغالب على المناطق النائية والقرى المنعزلة عند الإقدام على فتح صيدلياتهم. ولكن الدولة قد تتدارك جانبا من ذلك، بوم تقدم على بسط التغطية الصحية الشاملة لكافة شرائح المجتمع. ولقد عرض مشروع قانون بذلك على أنظار البرلمان. وإن دل هذا على شيء، فإنما يدل على أن علوم الصيدلة والمهن المرتبطة بها، في أساليبها العصرية، قد بلغت سن الرشد في المغرب، فهي تستشرف المستقبل بحزم، مثبتة أنها قادرة على مواجهة كل ما يحتمل فيه من الرهانات.

عبد الله القجيري

صيدُون أسرة تطوانية أصلها من الأندلس وقد انقرضت بتطوان. كان منهم أحمد صيدون من فرقة المدفعية بحامية تطوان في رجب 1246 (يناير 1831) وأحمد بن الحاج عبد السلام صيدون تولى نظارة أحباس جامع المصيمدي سنة 1247 (1832) وعبد السلام بن محمد صيدون كان قائد العسكر النظامي بتطوان سنة 1294 (1877).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطاون، 1999، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 1130.

محمد ابن عزوز حكيم

صيرطريوس Sertorius، قائد عسكري روماني تدخل في أوضاع المغرب القديم سنة 82 قبل الميلاد، في خضم الصراع بين القائدين الرومانيين صولا ومريوس، وظل وفيا إلى آخر رمق لصاحبه رغم اندحاره.

ورد أول خبر حوله عند الجغرافي سترابون في الربع الأول من القرن الميلادي، وهو يرتاب مما كان يحكى من روايات حول المغرب القديم الذي يدعوه بموروسية Maurusia. يتعلق الأمر في هذه الروايات بالنطاق الساحلي الأطلسي في مرحلة سابقة عن الوجود الفنيقي بالبلاد. ويقدر الكاتب أنها روايات أسطورية.

أيا ما كان الأمر، فإن الكتاب القدماء أشاروا إلى بعض من آثار هذه المرحلة، على أنها كانت موجودة في وقتهم. إن بومبونيوس ميلا، الذي وضع كتابا في الجغرافية حوالي سنة 44 بعد الميلاد، يروي في هذا الصدد ما يلي: "كان أنتايوس Antaeus ملكا على موريطانية، وما يؤكد ذلك وجود ربوة تحتوي على ضريح هذا العملاق. ويبدو شكلها على هيئة إنسان نائم على ظهره". وفي حديث الكاتب عن طنجة قال: "إنها مدينة قديمة جدا أنشأها انتايوس. والدليل على ذلك توفر المدينة على درع ضخم مصنوع من جلد فيل، وهو لا يناسب أي إنسان حاليا، بينما يؤكد السكان أن العملاق كان يستعمله".

وقد أثارت هذه المخلفات المادية التي كانت معروفة في القديم فضول القائد الروماني سيرطويوس، فنقب في ضريح هذا البطل سنة 81 ق. م. قال سترابون في هذا الصدد: "إن المؤرخ الروماني گابنيوس Gabinius لم يتجنب الحديث عن هذه الخوارق لما تحدث عن موروسية ولا سيما كلامه عن ضريح أنتايوس Antaeus بناحية لونكس Lynx (يقصد لكسوس) فزعم أن هيكله يقدر بستين ذراعا (حوالي 27 مترا)، وأن صيرطريوس كشف عنه ثم أعاد دفنه".

ثم تحدث بلوترخوس في القرن الميلادي الثاني عن تدخل صيرطريوس في موريطانية وذكر في هذا الصدد ما يلي : "يحكي الليبيون أن أنتايوس مدفون في ناحية تنكي. ولم يصدق صيرطريوس ما كان يقوله الباربايون عن طول قامته، مما جعله يكشف عن جثته، فتأكد من أن طولها يقدر فعلا بستين ذراعا لما أصابه من ذهول ذبح أضحية وأعاد دفن الجثة". والملاحظ أن المصدرين اختلفا حول موقع ضريح انتايوس.

ولقد أمدنا هذا المؤرخ بمعلومات تتعلق بأنشطة صيرطريوس السياسية في موريطانية. ففي بداية الأمر اندحر بإسبانيا أمام أتباع صولا بقيادة أنيوس Anius. وهذا ما حتم على صيرطريوس ارتياد البحر في جولة يائسة للنجاة بنفسه. ولما نزل في سواحل موريطانية لم يرحب به الموريون، بل منعوه حتى من التزود بالماء. ثم انسحب إلى جزر البليار، لكن أنيوس كان له بالمرصاد. غير أن صيرطريوس استفاد من تدهور الأوضاع الداخلية بموريطانية، حيث قام الموريون بثورة ضد الملك أسكاليس Askalis، فرحب الثوار بخدماته وانضم إليهم نظراً لوحدة هدفهم في التصدي لأسكاليس الذي بعث إليه صولا فرقة من المحاربين بقيادة فكيانوس Pakianus.

والملاحظ أن بلوترخوس بالغ في تقدير دور صيرطريوس في ثورة الموريين. فقد نسب إليه الانتصار في هذه المواجهة، زاعما أنه حاصر أسكاليس ثم قتله هو وإخوانه في طنجة، كما قتل القائد فكيانوس، وعند رحيله عن البلاد ترك للناس ثرواتهم ومدنهم وحكمهم في حين جند في صفوفه رجالا من الموريين رافقوه في العودة إلى إسبانيا. غير أن القائد صولا لم يقبل بخضوع موريطانية نوعا ما لنفوذ أنصار مريوس، فأرسل بومبيوس الأكبر لتسوية أوضاع البلاد وفق إرادته. والراجح أن بومبيوس نصب الملك الموري مستانسسوس Mastanesosus، الذي لم يسمح لأتباع صيرطريوس بالالتجاء مرة أخرى إلى بلاده لما دحرهم بومبيوس في إسبانيا سنة 73 قبل الميلاد.

م. مجدوب، 1990، *أضواء على أوضاع موروسية من خلال حرب يوغرطة*، بحوث مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، العددان 2، 3، ص. 61 ـ 82 ؛ نفسه، 1990، *مملكة الموريين وعلاقاتها مع روما لغاية سنة 33 ق. م*، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، مرقونة.

Strabon, 17, 3, 8 ; Pomponius Méla, 1, 25, 26 ; 3, 10, 106 ; Plutarque, *Sertorius*, 9, 6-10 ; S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, 8 tomes, Paris, 1928 ; M. Majdoub, *Pompeus Magnus et les rois maures*, dans *Africa Romana*, 12, 9, 1998.

محمد مجدوب

ابن **الصيرفي** أبو **بكر** يحيى بن محمد بن يوسف الأنصاري، المعروف بابن الصيرفي، من أهل غرناطة. أخذ عن أبي الحسن بن مغيث، وأبي بكر بن العربي، وأبي مروان بن بونه، وسواهم. كان من أهل المعرفة بالعربية والأدب واللغة والفقه والتاريخ، ومن الكتاب المجيدين، والشعراء المكثرين ؛ خدم الدولة المرابطية وكتب للأمير أبي محمد تاشفين بن علي بن يوسف :

1 ـ *الأنوار الجلية في أخبار الدولة المرابطية* ضمنه عجائب، وأجاد فيه كل الإجادة، بلغ به إلى سنة 535، ثم أوصله إلى قريب من وفاته، نقل عنه صاحب مفاخر البربر.

2 ـ *تقصي الأنباء، وسياسة الرؤساء*

3 ـ *إبراز اللطائف*

4 ـ *الدوريات* : رسالة في قول المدين لرب الدين.

ـ وله موشحات وفي شعره رقة.

نظم قصيدة في مدح الأمير تاشفين، وضمنها سياسة الحروب، وآداب القتال، يقول فيها :

أهديك من أدب الوغى حكما بها ... كانت ملوك الفرس قبلك تولع

لا أنني أدرى بهـا لـكـنـهـا ... ذكرى تحض المومنين وتنفـع

وهي طويلة.

وقد نوه بها ابن خلدون وقال : انها تنبهك إلى معرفة كثير من سياسة الحرب.

توفي بأريولة من أعمال مرسية.

ابن الأبار، *التكملة*، طبع مجريط، 1886 ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة*، ط. الشركة المصرية للطباعة والنشر، 1398 ـ 1978 ؛ *أعمال الاعلام*، قسم المغرب، نشر دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964 ؛ ابن خلدون، *المقدمة*، نشر دار الكتاب اللبناني، 1956 ؛ ابن الزيبر، *صلة الصلة*، القسم الأخير، المطبعة الاقتصادية بالرباط، 1937 ؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، طبع دار المعارف، مصر ؛ ابن سودة، دليل مؤرخ المغرب، نشر دار الكتاب، الدار البيضاء، 1960 ؛ البغدادي إسماعيل باشا، *إيضاح المكنون*، نشر مكتبة المثنى، بغداد، *هدية العارفين*، نشر مكتبة المثنى، بغداد ؛ حاجي خليفة، *كشف الظنون*، نشر مكتبة المثنى، بغداد ؛ الزركلي، *الأعلام*، طبع كوستانسوماس، 1375 ـ 1955 ؛ ع. الرحمان السيوطي، *بغية الوعاة*، نشر دار المعرفة، بيروت، لبنان، العباس بن إبراهيم، *الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام*، المطبعة الملكية بالرباط، 1403 ـ 1983 ؛ ع. كحالة، *معجم المؤلفين*، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان ؛ ل. بروفنصال، *نبذ تاريخية مفاخر البربر*، المطبعة الجديدة بالرباط، 1933.

سعيد أعراب

الصيف، فصل يناسب من الناحية الكونية الفترة الزمنية التي تكون فيها الأرض بالنسبة للشمس في وضعية تسمح بتركز أقصى للطاقة الواصلة من هذه الأخيرة إلى نصف الكرة الشمالي على الرغم من أن المسافة ما بين الشمس والأرض تبلغ خلال هذه الفترة مداها الأبعد وهذا التركيز إنما هو نتيجة لبلوغ درجة تعامد زوايا سقوط الأشعة مع مدار السرطان خلال بداية هذه الفترة في الثانية عشرة زوالا من 21 يونيو من كل سنة. وخلال هذا اليوم كذلك يكون تعامد هذه الأشعة قد بلغ أقصى نقطة له باتجاه الشمال على سطح الأرض، سرعان ما تبدأ بعده رحلتها نحو الجنوب وما فترة الصيف التي هي حوالي 93 يوماً و23 ساعة التي

هي كذلك الفترة الممتدة من يوم الانقلاب الصيفي في 21 يونيو إلى يوم الاعتدال الخريفي في 21 شتنبر من كل سنة، إلا انتقال تدريجي ومطرد لهذا التركيز ما بين مدار السرطان وخط الإستواء.

انتقال تركيز الأشعة إلى النصف الشمالي خلال هذه الفترة يخلق ظروفا جوية متميزة تتمثل في الزيادة في مدة النهار وقصر مدة الليل في النصف الشمالي والعكس تماما وبالمقابل في النصف الجنوبي وما يتبع ذلك من وقع جد هام على الظواهر الإشعاعية والحرارية بشكل عام لنصفي الكرة الأرضية.

وتتميز فترة الصيف بالنسبة للمغرب على المستوى المناخي على وجه الخصوص وعلى غرار باقي المنطقة المتوسطية التي ينتمي إليها، بسيادة جفاف فصلي جد متميز تعطي لهذا المناخ خاصيته الأساسية وسمته النوعي.

والمغرب بالنسبة للعرض متأثر بتزحزح نظام الضغط نحو الشمال ونحو الجنوب تبعا لحركة الشمس الظاهرية المعبرة بشكل أساسي عن مختلف الوضعيات التي تكون عليها الأرض بالنسبة للشمس والمحدِّدة بالتالي للفصول .. مما يجعله في وضعية خاصة خلال الصيف، إذ أن تركيز هذه الطاقة في النصف الشمالي يصاحبه تحرك مهم لنظام الضغط نحو الشمال مما ينتج عنه ابتعاد المؤثرات المناخية للعروض الوسطى عن المغرب وخاصة منها تموجات اضطرابات الجبهة القطبية واستقرارها في عروض أكثر شمالية بالنسبة للمغرب. لذلك تقترن عادة هذه الفترة بانعدام التساقطات من النوع الجبهي في الوقت الذي يسهم انتقال نظام الضغط نحو الشمال إلى تقدم الكتل الهوائية الصحراوية والمدارية لتشمل المغرب، مما يترتب عنه تنامي الارتفاع النسبي لحرارة هذا الفصل، حيث يؤدي إلى خلق ظروف عدم استقرار متباينة تسفر من حين لآخر عن أمطار عاصفية ذات امتداد مكاني وزماني محدود فوق المناطق القارية بالأساس.

تتميز الوضعية الجوية خلال فصل الصيف في المغرب بنوع من الرتابة، مقارنة بالتنوع النسبي للطقس ونماذجه خلال الفصول الأخرى، وذلك لأنه يوجد عموما خلال هذا الفصل عقب انتقال خلية الضغط المرتفع للأسور نحو الشمال في وضعية تجعله في منأى عن مسارات اضطرابات الجبهة القطبية، وفي نفس الوقت تحت سيطرة المنخفض الصحراوي الذي أصبح يستقر تبعا لتصاعده أيضاً نحو الشمال، عند الهوامش الجنوبية الشرقية لسلسلة الأطلس.

ويكون الطقس خلال هذا الفصل في الغالب صحواً مشمساً وحرارته مرتفعة نسبيا وخاصة في المناطق الداخلية، وإن كان توزيعها المجالي يبقى إلى حد ما مرتبطاً بنوعية الكتلة الهوائية التي تغطي المغرب والتي تتحكم فيها طبيعة الوضعية الجوية السائدة عند عرض المغرب ولموقع مراكز التأثير الفعالة فيها. و يمكن التمييز خلال هذه الفترة بين نموذجين من الوضعيات الجوية يتعاقبان على المغرب باستمرار، حيث نكاد نكون خلال هذا الفصل إما في وضعية جوية قارية وتحت فعل قيظ الكتل الصحراوية الحارة والجافة أو في وضعية معاكسة تماماً تكونُ فيها بلادنا تحت تأثير الهواء المحيطي الملطف.

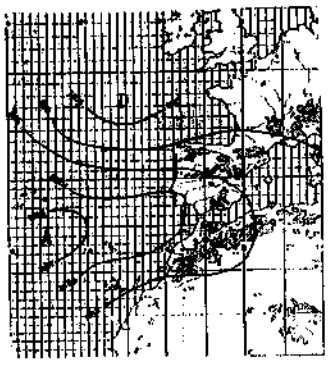

خريطة رقم 1

النموذج الأول (خريطة رقم 1) يتمثل في حالة تمركز خلية الضغط الجوي لمرتفع للأصور في عرض السواحل المغربية الإيبيرية مع امتداد بواسطة ظهر في اتجاه المناطق المغربية الشمالية مما يعني أن هذه الأخيرة تبقى تحت تأثير مباشر للهواء القطبي المحيطي، فتسود في هذه المناطق حرارات معتدلة. تقدُّم هذا الهواء نحو الداخل يجعله يصبح ذا اتجاه شمالي شرقي على المناطق الجنوبية على كل من المنطقة الممتدة من الصويرة إلى الأقاليم الصحراوية المغربية. وخلال هذه الوضعية وبفعل الانتظام الكبير الذي يعرفه الاتجاه العام للرياح عند هذه المناطق، تبرز على المناطق الساحلية المحاذية مناطق صعود مياه باردة من الأعماق (Roux) يظهر تأثيرها الفاعل على توزيع الحرارة العام على الساحل الأطلسي خلال هذا الفصل حيث يلاحظ أن الحرارة عموما تنخفض كلما اتجهنا نحو الجنوب عوض أن يكون العكس بحكم أن دور العرض يقضي بأن تزداد الحرارة بشكل عام في اتجاه الاستواء. فهذا الاستثناء الذي يظهر هنا يجعل الحرارة في أگادير أبرد من تلك التي تعرفها طنجة مثلا وهذا في حد ذاته حالة شاذة.

النموذج الثاني هي حالة سيادة كتل قارية حارة وجافة مرتبطة بشكل أساسي بخضوع الحالة الجوية في المغرب لتأثير المنخفض الصحراوي المسؤول هنا عن هبوب رياح الشركي المحرقة والجافة إلا أن درجة حرارة وحدة جفاف هذا الهواء يبقى إلى حد ما مرتبطاً بالشكل العام لحقل الضغط عند عرض المنطقة المغربية وعليه يمكن التمييز داخل هذه الوضعية ما بين أربع حالات أساسية :

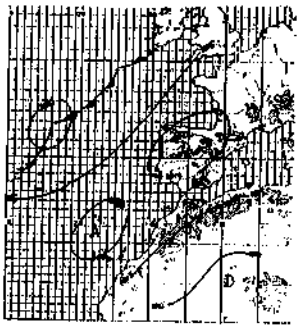

خريطة رقم 2

الحالة الأولى (خريطة رقم 2) تظهر وضعية جوية لمنخفض صحراوي بمال ضعيف من أهم خصائصه أن الهواء الحار والجاف لا يصل بما فيه الكفاية إلى المناطق الساحلية وإنما يقتصر بشكل خاص على المناطق الداخلية.

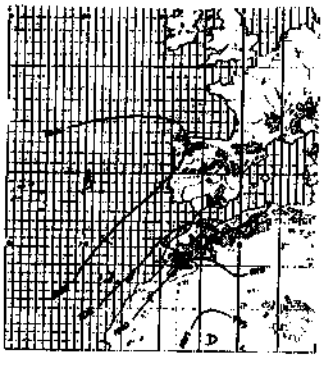

خريطة رقم 3

الحالة الثانية (خريطة رقم 3) تمثل وضعية جوية يظهر فيها المنخفض الصحراوي بمال قوي يجعل رياح الشرقي تكون أكثر تركيزا على المناطق الساحلية وبالتالي أكثر فاعلية على هذه المناطق التي ترتفع فيها الحرارة بشكل محسوس لا سيما وأن الهواء الأصلي حار وجاف قد ازداد حرارة وجفافا بسبب خضوعه لفعل الفوهن (Foehn) بسبب تكلس مختلف جزئياته على إثر نزوله الاضطراري على السفوح الغربية للأطلس المتوسط والريف.

خريطة رقم 4

الحالة الثالثة (خريطة رقم 4) وتبرز وضعية انتقال المنخفض الصحراوي ليشمل تقريبا كل التراب المغربي وجزءاً مهماً من شبه الجزيرة الإيبيرية مما يجعل الهواء الصحراوي ينتقل هذه المرة مباشرة من الجنوب أو من الجنوب الشرقي فتصبح الكتل الهوائية السائدة هنا حارة جدا فيتعرض مجموع المغرب لموجات متتالية ولعدة أيام من الحرارة المفرطة والتي تسجل خلالها بعض الأرقام القياسية خاصة في مناطق السهول الداخلية كسايس وتادلة والحوز وسوس.

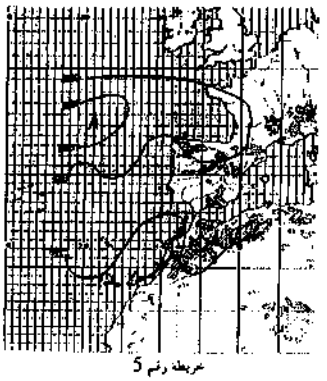

خريطة رقم 5

الحالة الرابعة (خريطة رقم 5) وهي وضعية الطقس غير المستقر في الأجواء العليا وتمثل إحدى وضعيات المنخفض الصحراوي دائما الذي استقر لفترة كافية فوق المغرب جعلت الهواء بفعل تسخينه الشديد، يصبح غير مستقر مما يترتب عنه طقس غائم وحار باستمرار، مصحوباً بعواصف رعدية محليا قوية فوق المناطق الجبلية تدوم عدة أيام متتالية.

A. Bellichi. *Les températures maximales d'été dans le Maroc Nord Occidental. Essai d'explication du caractère général de variation*, R. G. M., n° 9, 1985, p. 55 - 74 ; G. Roux. *Les zones de montée d'eaux froides le long de la côte atlantique du Maroc*. C.R.Ac. Sc., t. 225, 1947.

علي البليشي

الصيكة أحد طبوع الموسيقى الأندلسية الخارجة عن شجرة الطبوع، نسب استخراجه إلى صيكة بن تميم العراقي. فسمي باسمه. وهو يرتكز على نغمة مي، وقد يأتي مصوراً على نغمة سي.

الصيكا

والصيكة من الطبوع المستحدثة في المغرب، وفي هذا الصدد ذكر أحمد بن العربي أحضري (كان حيا في أواخر القرن الثالث عشر) أن الأديب والموسيقي المكناسي محمد

البوعصامي هو من استخدمه "وركب له تواشيه واستنبط جيشه".

ويعني هذا أن البوعصامي الذي كان حيا عام 1141 أضاف نوبة جديدة بتواشيها وميازينها إلى ما كان متداولا بين أرباب الآلة في مطلع القرن الثاني عشر. وقد جاء ذكر هذه النوبة - لأول مرة - بميازينها الأربعة : البسيط، والقائم ونصف، والبطايحي، والقدام، في المجموع المودع بالخزانة العامة تحت رقم 144 الذي انتهى منه جامعه في غرة رمضان 1202 موافق 5 يونيو 1788، أي قبل أن يخلص الحايك من مجموعه بنحو اثني عشر عاما.

ويبدو أن البوعصامي استقى طبع الصيكة من منظومة المقامات الموسيقية المشرقية عندما كان مقيما بالقاهرة حيث درس الموسيقى على بعض أعلامها، ونقصد بذلك مقام السيكة الذي يرتكز على درجة سي مع اعتراض الربع لنغمتي مي وسي من سلمه.

ويتكرر ذكر الصيكة في مصادر مغربية متعددة من بينها :

- *كناش* محمد بن الحسين الحايك. ففيه أن الطبوع أربعة وعشرون يضاف إليها طبع الصيكة.

- *أرجوزة* لسليمان الحوات المتوفى عام 1231 / 1816 تقع في 31 بيتا.

- *فتح الأنوار في بيان ما يعين على مدح النبي المختار* الحاج محمد بن العربي الدلائي المتوفى عام 1285.

- كتاب *السقا* لابراهيم التادلي. وفيه جاء أن هذا الطبع فخيم النغمات حلو الألحان، وله تأثيرات في نفوس المستمعين.

والغالب أن يكون استخدام طبع الصيكة بالمغرب قد انطلق في البدء من حلقات السماع بالزوايا بعد تعريته من ملامحه المشرقية، ومنها انتقل إلى ممارسي "الآلة". وهو أمر يدل على أن كلا من أحمد أحضري ومعاصره الدلائي صنفه ضمن الطبوع المعتمدة في إنشاد الأمداح النبوية.

توافينا المخطوطة رقم 144 بالبنية الشعرية لنوبة الصيكة، وقوامها 46 صنعة مصنفة على النحو التالي :

الميازين	الصنعات المروضية	التوشيحات	الازجال
البسيط	3	3	1
العام ونصف	1	3	-
البطايحي	2	3	5
القدام	6	1	8
غير مصنفة	1	6	3

غير أن بنية هذه النوبة ما لبثت أن تعرضت للتفكك، فأصبحت الأشعار المبثوثة في المخطوطة 144 عارية عن ألحانها، وانقطع إنشاد أغلب مستعملاتها، ولم يكد يسلم من الضياع سوى ست صنعات أدمجت ثلاث منها في نوبة المايه، ومثلها في نوبة غريبة الحسين.

وبالإضافة إلى هذه الصنعات نقف على حوالي مائة صنعة أخرى هي أيضاً قائمة على طبع الصيكة، وجلها مدمج في نوبتي *غريبة الحسين* (68) و*المايه* (20)، وبعضها مدمج في نوبات أخري كرصد *الذيل* (3) و*الاستهلال* (2) و*العشاق* (2) و*رمل المايه* (1).

وقد تم إدماج جل هذه الصنائع في نوبتي المايه وغريبة الحسين - كما رأينا - وكذلك لما بين طبعيهما وطبع الصيكة من قرابة، فكأن الصيكة - على حد تعبير من له بهذا الفن خبرة - "مولدة لتلحين فيما بين المايه وغريبة الحسين".

وقد نبه التادلي إلى صنعتين نادرتين من طبع الصيكة في ميزان البسيط، أولاهما صنعة "العود قد ترنم، وهي صنعة لا توجد بفاس إلا عند بعض المعلمين الكبار" والثانية "صنعة من رسولي إليك يانور عيني"، وهي من عجائب الموسيقى وأعذبها وألذها نغمة"، ثم عقب بالإشارة إلى أن المعلمين الكبار كانوا يبخلون بما لديهم ولا يعلمونه أحدا، وبذلك فهو يضع اليد على واحد من أهم أسباب الضياع الذي ناب مستعملات الموسيقى الأندلسية بما فيها ميازين نوبة الصيكة.

أ. أحضري، *ديوان الأمداح النبوية*، الباب الخامس، ص. 205 ؛ م. بريول، *مدونة غريبة الحسين، مواقع متعددة* ؛ إ. التادلي، *أغاني السقا*، ص. 79 ؛ إ. الحاج ابن جلون، تح. *كناش الحايك*، ص. 117. 120 . 143 . 146 . 214 . 318 . 343 ؛ م. بن الحسين الحايك، *المقدمة* ؛ ح. سليمان، مخطوطة بالمكتبة الملكية، الرباط، رقم 4229 ؛ مجهول، المخطوطة، رقم 144، خ العامة، ص. 279 . 294 ؛ ي. الشامي، *مدونة نوبة العشاق* ؛ *رمل المايه*، 164.

A. Chottin, *Tableau de la musique marocaine*, p. 191.

عبد العزيز ابن عبد الجليل

الصين والمغرب. تأسست جمهورية الصين الشعبية سنة 1949، وأعلن استقلال المغرب في سنة 1956، ثم انصرمت سبع سنوات قبل أن تقرر الدولتان إقامة علاقات دبلوماسية في سنة 1963. كان المغرب من الدول الناشئة الأولى التي اتخذت هذه المبادرة. ونكاد لا نجد أثراً لعلاقات عبر التاريخ بين الدولتين حين كانتا في أوج عزهما قبل أن تغزوهما الدول الاستعمارية، ما عدا في الرحلة التي قام بها ابن بطوطة إلى الصين في القرن الثامن (14 م) وبالتحديد ابتداءً من سنة 1342 وتجول في بعض ارجائها ماراً ببكين مما حكاه في كتابه : *تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار*.

الصين، كما لا يخفى، من أقدم الإمبراطوريات، يرجع تاريخها إلى أزيد من ثلاثة آلاف سنة، ازدهرت بها حضارة نادرة المثال وتولى السلطة فيها أباطرة عظام، ثم اعتراها ما اعترى سائر الدول فأصابها التأخر والانحلال في الوقت الذي حقق فيه الغرب ثورته الصناعية وبدأ يشره لامتلاك واستعمار الأقطار الافريقية والآسيوية.

كان تشين لونج آخر إمبراطور عظيم حكم الصين ستّين سنة إلى 1796 وخلفه ستة أباطرة ضعاف. فلما قامت حكومة مصلحة سنة 1840 بتحديث البلاد تصدت لها انجلترا بأسطولها فأجهضت عمليات الإصلاح. ثم تسابقت الدول الغربية أو من في حكمها كاليابان فأشهرت عليها حروباً ضارية : الحملة الفرنسية ـ الانجليزية سنة 1860، الحملة الفرنسية سنة 1865، الحرب اليابانية سنة 1894 والحرب الروسية اليابانية لامتلاك منشوريا سنة 1904. وفرضت عليها هذه الدول "معاهدات غير متساوية" اقتطعت بموجبها بعض أطرافها. انهارت الإمبراطورية الصينية سنة 1911 وقال عنها سون يات ـ سين أول رئيس جمهورية في بداية القرن العشرين : "لقد أصبحت الصين مستعمرة خادمة بجميع الدول".

بعد عشر سنوات قام الحزب الشيوعي بزعامة الرئيس ماوتسي ـ تونغ بتحرير الصين. وبعد ثمان وعشرين سنة من النضالات القاسية، تحررت الصين وتوحدت فيما عدا جيوب طايوان وهونغ ـ كونغ وما كاوو. فقام ماوتسي تونغ بصفته رئيس اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني في باب القصر الامبراطوري ببكين معلناً قيام "جمهورية الصين الشعبية" يوم فاتح أكتوبر 1949.

وشبيهة بمسيرة الصين مسيرة المغرب بعد ما كان إمبراطورية تمتد حدودها من الأندلس شمالاً إلى السنغال جنوباً ومن ليبيا شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً. ثم اعتراه ما اعتراه من الانحلال في أواخر القرن التاسع عشر واحتلال في سنة 1912، إلى أن تحرر سنة 1956. كان لإعلان جمهورية الصين الشعبية صدى واسع في العالم وإسوة حسنة بالنسبة للحركة الوطنية في المغرب التي كانت تكافح الاستعمار في تلك الظروف. ثم شارك وفد مغربي في مؤتمر باندونغ لدول عدم الانحياز الذي انعقد من 18 إلى 24 أبريل 1955 وحضره رئيس حكومة الصين الشعبية شوان لاي. ومعلوم أن هذا المؤتمر ضم تسعة وعشرين قطراً إفريقياً وآسيوياً وكثيراً من ممثلي حركات التحرير بصفتها أعضاء ملاحظين. وكانت أول فرصة للقاء ممثلي الصين بالوفد المغربي: لقد كان لهذا المؤتمر أثر بالغ في أقطار العالم الثالث وخاصة في البلاد الخاضعة للاستعمار والتي تحررت تباعاً بعد ذلك.

على أثر زيارة تشوان لاي للمغرب في بداية الستينيات، تقرر إقامة علاقات دبلوماسية كاملة بين الرباط وبيكين على مستوى السفراء وتوثيق روابط التعاون في شتى المجالات. وفعلاً قامت علاقات جيدة وتضامن وثيق على الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها. من ذلك أن الحكومة الصينية تبرعت بتشييد مجمع رياضي في الرباط واوفدت وحدات طبية تمارس الطب التقليدي (الوخز بالإبر) في كثير من عمالات المغرب، ويوجد تعاون في ميدان الصيد البحري بالمغرب، وإقامة تجربة زرع الشاي في شمال المغرب، علماً بأن مادة الشاي تشكل أهم مشروب في المغرب وجلها مجلوبة من الصين. والحكومتان الصينية والمغربية جادتان في الوصول إلى توازن في الميزان التجاري بينهما بتبادل زيارات الوفود الاقتصادية.

إن العلاقات المغربية ـ الصينية ممتازة. وقد لوحظ سعي حثيث من كلا الطرفين لتنميتها. فقد لوحظ أن وفوداً كثيرة من علية وزراء الصين والمغرب قامت بزيارات رسمية، منها زيارة الوزير الأول المغربي، وأبرمت اتفاقات في شتى الميادين.

ومما يجدر ذكره أن ثمانية سفراء مغاربة تولوا تباعاً هذا المنصب في الصين وهم : عبد الرحمن زنيبر، عبد اللطيف الفيلالي، عبد اللطيف الحميري، قاسم الزهيري، عبد الرحيم حركات، عبد الرحمن بوشعراء، عبد الرحيم بن عبد الجليل، المهدي ميمون.

الصديق بن العربي، *المغرب* : ع. السلام بن عبود، *تاريخ المغرب*.

J. Guillemen. *Histoire du parti communiste chinois* ; Seghers. *Dictionnaire de la politique* : Ibn Battuta, *Voyages* : G. Nacquet, *Dictionnaire des grands événements historiques*.

قاسم الزهيري

الصيني (تراب ـ) أصل الكلمة صيني، كاولين (Kao-ling) (Kaolin) وتعني الكدية العالية نسبة إلى المكان الذي وجدت فيه هذه المادة أول مرة. يتكون التراب الصيني أساسا من معدن الكاولينيت (Kaolinite) الذي ينتمي إلى مجموعة الصفائحيات الموهة المشتملة على طبقتين، الأولى ثمانية التناسق (Te) وتتكون من $(Si_4O_{10}(OH)_2)^{6-}$، والثانية رباعية التناسق (Oc) وتتكون من الجيبسيت $(Al(OH)_3)$.

إن معدن الكاولين هو طين أبيض، هش، خالص ؛ ذو لدانة متبدِّلة، ولكنها في الغالب ضعيفة، بلوراته كلينو معينية لا تشاهد إلا بواسطة المجهر. ومن خاصية التراب الصيني بقاء لونه الأبيض حتى بعد أن تصل حرارة تسخينه إلى حوالي 1450. ينتج معدن الكاولينيت عن تفسخ سيليكات الألومينيوم، وخاصة الفلسبار (أرتوز) ؛ إلا أنه يمكن أن تشتمل بنيته البلورية على بعض الآثار لأكاسيد الحديد (Fe) والمنغنيز (Mg)، والبوتاسيوم (K) والصوديوم (Na). وتتم عملية التفسخ تحت جوٍّ حار ورطب، أو بدافع ظاهرة التحول الحرمائي للصخور الصهارية الحامضة كاليكوجرانيت الغنية بالفلسبار البوتاسي، والمفتقرة إلى المعادن الحديدية والمنغنيزية على النحو التالي :

كاولينيت — فلسبار بوتاسي

$$2K[Si3\ Al\ O_8] + 11H_2O \rightarrow [Si_4\ O_{10}(OH)_2]\ Al_4\ (OH)_6 + 2^{\uparrow} + 4Si\ (OH)_4^{\uparrow} + 2(OH)^{\uparrow}$$

ينتج عن هذه العملية التفسخية بالانحلال المائي تحويل ما يعادل 66٪ من السليس [Si (OH)4] و100٪ من البوتاسيوم (K).

وتجدر الإشارة إلى أن التراب الصيني الصافي يعتبر المادة الخام لصناعة الخزف الرفيع. أما الأنواع المشوبة منه فتستعمل إما في صناعة الفخار، والحث والآجر، وإما كعناصر في صناعة الأصبغة أو الخضوب وكذلك الورق.

من الناحية التاريخية، فقد عرف التراب الصيني أول مرة في الصين، في بداية القرن الثالث بعد المسيح، حيث استعمل في صناعة "الخزف الصلب"، الناتج عن خليط من الكاو لينيت والفلسبار ت/ط والمرو. وبعد إعداد هذا الخليط، كانوا يتركونه تحت حرارة تتراوح ما بين c° 800 و c° 1050 (عملية التنشيط)، وبعدها تغطى العجينة المحصل عليها بقشرة من الفلسبار ت/ط، وترفع عندئذ درجة الحرارة ما بين 1250 و1450. والنتيجة، الحصول في الأخير على عجينة مزججة، بيضاء، شفافة ورنانة.

ولم تعرف أوروبا تقليد صناعة الخزف الصيني، حتى دخول القرن العاشر (16 م) ؛ حيث اخترع "الخزف الهش" الاصطناعي المكون من خليط الكاولين والرمل والصودا والمسخن حتى حرارة 1200. إلا أن هذا المنتوج الخزفي لا يرقى إلى نوعية الخزف "الصلب الصيني".

يوجد التراب الصيني بمناطق عدة بالمغرب، إلا أنه قليلا ما تكون له أهمية اقتصادية، إذا ما استثنينا الرواسب الآتية الذكر :

1 ـ راسب تارجيشت بالأطلس الصغير، الذي يتوفر على طاقات هائلة من معدن الكاولين في الصخور الطينية السلورية ؛ إلا أن تبعثرها وانعزال النطاقات الغنية، يجعل كل هذه الاحتياطات صعبة الاستغلال.

2 ـ راسب معزة الموجود بناحية المغرب الشرقي، حيث يظهر الكاولين على هيئة كتل وطبقات متداخلة في الخبث البركاني التابع للميوسين ـ البليوسين المرتبطة ببركان جوروجو.

3 ـ الرواسب المرتبطة بأعابيل المغرب الأوسط، كوالماس والمانت، وزعير. ولاشك أن أهمها هو كرانيت والماس وعلى الخصوص راسب اقلاي، والتي بينت فيه الأبحاث التي قام بها مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية (BRPM) منذ مطلع سنة 1994 أن السبب الرئيسي في تكوين الكاولين بالمنطقة هي عملية التفسخ الخرمائي لما بعد كرانيتي. ولقد أعطت التقديرات الأولية ما يزيد على 450.000 طن من معدن الكاولين براسب أقلاي وحده.

J. Agard, *Minerais et substances utiles de la carte géologique au 1/200.000è des environs de Casablanca*, Rapport SEGM, n° 151, 1950 ; J. Aubouin, R. Brousse et J.P. Lehman, *Précis de géologie : pétrologie*, Paris, 1975 ; *Bulletins mensuels de la conjoncture minière*, Rabat, Ministère de l'Energie et des Mines, Direction des Mines, Maroc ; B. Bariand, F. Cesbron et J. Geffroy, *Les minéraux, leurs gisements, leurs associations*, Paris, 3 vol., 1978 ; *Eléments de la géologie du Maroc, Mines, Géologie et Energie*, Rabat, 1977 ; *Géologie des gîtes minéraux marocains (Substances métalliques et non métalliques)*, 2ème éd., t. 1, Rabat, 1980 ; *Géologie des gîtes minéraux marocains (Phosphates)*, 2ème éd., t. 3, Rabat ; A. Foucalt et J. F. Raout, *Dictionnaire de géologie*, Paris, 1988 ; Kourimsky, *Encyclopédie des minéraux*, Paris, 1986 ; P. Lapadu-Hargues, *Précis de minéralogie*, Paris, 1954 ; A. Michard, *Elément de Géologie marocaine*, Rabat, 1976 ; D. Reig, *Dictionnaire arabe-français, français-arabe*, Paris, 1986 ; D. Rudolf et R. Lubos, *La grande encyclopédie des minéraux*, Paris, 1989 ; E. Saïdi, *Lexique de géologie et de géomorphologie (français-arabe)*, Rabat, 1990.

عبد الله بوصحابة

الصيني التازي، محمد بن عبد الرحمن، جد الأديب المؤرخ عبد الودود بن عمر التازي مؤلف كتاب *نزهة الأخيار* المرضيين في مناقب العلماء الدلائيين البكريين. أصلهم من شفشاون واستقروا مدة بتازا قبل أن ينتقل فريق منهم إلى فاس ويكونّوا إحدى فرق آل التازي المعروفين بالحاضرة الإدريسية. اشتهر المترجم بتلميذه الشيخ محمد بن عبد السلام بناني (ت. 1163 / 1750) الذي ذكره في فهرسه وحلاه بقوله : "سر الزمان، وآية العرفان، العالم العلامة، الحبر الفهامة، المحدث الصوفي المفسر الفقيه الجليل. ثم قال: لقيته بمنزله من تازة وقرأت عليه أوائل *الكتب الستة* وصدراً من *الشمائل والشفا* ومختصر ابن الحاجب وخليل وأجازني في جميع ماله من مروي ومسموع، ومفرق ومجموع، بحق روايته لجميع ذلك عن شيخ مشايخ الإسلام أبي عثمان سعيد قدورة الجزائري عن شيوخه المشارقة كالبابلي وإبراهيم اللقاني وعيسى الثعالبي وغيرهم، وعن الشيخ سيدي محمد المقري من شيوخ الجزائر، وبفاس عن سيدي عبد القادر الفاسي وسيدي حمدون المزوار وسيدي محمد بن أحمد الفاسي وغيرهم. وكتب لي الإجازة بخطه".

توفي بتازا سنة 1115 / 3 ـ 1704.

م. بن عبد السلام بناني، فهرس، مخطوط ؛ م. القادري، نشر *المثاني*، موسوعة *أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 5 ؛ 1895 ك ؛ ع. الكبير الكتاني، زهر الأس، تح. علي المنتصر الكتاني، الدار البيضاء، 2000، ج 1 ؛ 215.

محمد حجي

الصينية طبق يوضع فيه إبريق الأتاي وكؤوسه لا يكاد يخلو منه بيت مهما كان مستواه المادي في سائر أرجاء المغرب حاضرة وبادية. وهي تتخذ من معدن نحاس أصفر أو أحمر لدى السواد الأعظم من الناس أو من القصدير والألومنيوم عند الفقراء أو من الفضة والذهب بالنسبة إلى النخبة من الفئات العليا التي "تشرب الشاي [أيضاً] في كؤوس مزخرفة بالذهب" (عبد المجيد بن جلون : جولات في *مغرب أمس*، ص. 131). أما الفئات الوسطى من ذوي الظروف المادية الموسرة فتتخذها من نحاس مفضض أو مذهب.

ارتبط وجود الصينية بشرب الأتاي الذي أصبح ابتداء من مطلع القرن الرابع عشر (20 م) على الخصوص من بين الطقوس الغذائية التي لا تستقيم الحياة اليومية بدونها فغدت لأجل ذلك تندرج ضمن الأدوات الضرورية في كل مطبخ مغربي. وهي من نوعين : صينية بأربع قوائم وتكون مرتفعة عن سطح الأرض، وصينية واطئة وزاحفة لا أرجل لها.

وتتم صناعة الصينية، التي كانت في أول أمرها تستورد من فرنسا وانجلترا وألمانيا، على يد الصفارين والصباغين الذين كانوا يباشرون إنتاجها إما تحت الطلب لمن يوصي بتوفيرها وفق مواصفات معينة وإما بالجملة لعرضها في أسواق الحواضر والبوادي للبيع لعامة الناس.

وبما أن المشروب الذائع في المغرب قبل انتشار عادة شرب الشاي فيه كان هو الحليب واللبن، فإن وجود الصينية في البلاد كان غائبا كأداة من أدوات الطبخ (C. Olivier, *Le Maghreb aujourd'hui*, p. 54) وعليه فإن الصينية لم تُصبح معروفة بالاسم وبالوظيفة إلا ابتداء من النصف الثاني من القرن الثالث عشر (19 م) بعد أن انفتح المغرب على التبادل التجاري مع البلدان الأوروبية وفُتح المجال لتداول بضائع تجارية جديدة كان من ضمنها السكر والشاي. أما قبلها، فقد كانت الصينية كما كان الشاي والسكر من البضائع القليلة النادرة إلى حد أنها كانت تقدم ضمن الهدايا. وفي هذا السياق تلقى المستكشف المتجول في المغرب بوتوتسكي سنة 1791 من قائد تطوان حين وصوله إليها هدية تضم "رزمة أثواب وأربعة قوالب سكر وشاي" (J. Potocki, *Voyages en Turquie, en Egypte... et au Maroc*, p. 161).

وتستمد الصينية اسمها من بلاد الصين التي هي المصدر الرئيسي للأتاي. كما تنتشر في البلدان المجاورة لها في جنوب شرق آسيا، ومنها انتقلت مع عشبة الأتاي إلى المغرب وغيره من باقي بلدان العالم، مع ما يصاحبهما من الأواني الأخرى اللازمة لتحضيره مثلما انتقل إلينا منها أيضا حرير "الساتان" المنتسب إلى مدينة سايتونغ (الصينية).

وابتداء من عهد الحماية انتشرت عادة شرب الآتاي في جميع أرجاء المغرب وأصبح تناوله لا ينفصل عن الصينية وتوابعها واتخذ الناس لشربه أوقاتا معلومة وطقوسا وتقاليد. فإلى جانب الصينية كان حضور قالب السكر أمراً لازما إضافة إلى أوانٍ أخرى مساعدة على رأسها الإبريق المستدير الشكل الذي تتحلل فيه مواد الآتاي وتنصهر وتندمج ببعضها إلى أن تعطي للمشروب نكهته وهو يدعى "البراد" الذي يستمد تسميته من وظيفته التي تتجلى في احتواء الماء المغلى الذي يصب فوق حبوب الآتاي والسكر والنعناع حتى يبرد وتعتدل درجة غليانه ويصبح قابلا للشرب وهو في منزلة بين المنزلتين لا هو بالحار ولا بالدافئ قبل أن يقدم إلى الحاضرين. ويُوضع في الصينية دائماً إلى جانب "البراد" وعاء لصيانة الشاي إلى حين استعماله يدعى "الزنبيل" وآنية تحتوي على قطع السكر تسمى "الربيعة" وأخرى توضع فيها أوراق النعناع بعد غسلها وتنظيفها تدعى "ربيعة الاقامة" في مراكش وربيعة الـ [illegible] في غيرها من حواضر المغرب. هذا زيادة على قارورة على شكل كأس تستعمل للاحتفاظ بالماء المغلى الذي تمرر فيه حبوب الشاي مرة أو مرتيْن للتنظيف قبل خلطها بغيرها من المواد الأخرى وتسمى "كاس التشليلة". وغالبا ما تضاف إلى هذه الأواني ملعقة صغيرة تستعمل بين الفينة والأخرى لتحريك خليط الشاي وتفقده بالتقْليب حتى ينصهر داخل الإبريق. المرجل ولو أن استعمال الملعقة لم يكن بالشيء المحبوب ولا المقبول عند الماهرين من محضري الشاي. ومما تجدر الإشارة إليه أن كل هذه الأوعية تتخذ في الغالب من نفس لون ومعدن الصينية نفسها.

كانت تلك هي الأواني الرئيسية التي توجد داخل الصينية إضافة إلى أخرى منفصلة عنها ومرافقة لها ولا يستقيم أبداً وجود الصينية بدونها. فهناك المرجل المخصص لتغلية الماء حتى يصل إلى درجة التبخر مما يدعى "المقرج" أو المقراج" أو البقرج"، ويكون على العادة والقاعدة موضوعا فوق مزند ملتهب يسمى "المجمر". وغالبا ما كان هذا المرجل والمزند يُعوَّضان في مجالس الأعيان وكبار القوم بقدر أسطواني الشكل من نفس معدن الصينية ولونها يُضخ منه الماء بعد غليانه في إبريق الشاي بواسطة صنبور يفتح ويغلق في حينه يسمى "البابور" وهي كلمة أجنبية تعني البخار.

هذا وكانت للصينية ومازالت إلى اليوم في المجامع والأفراح والأعيان والمناسبات على اختلافها في المغرب طقوس خاصة بها. فقد كان يضرب لها خوان خاص ويُسند أمر الإشراف عليها إلى أشخاص معينين. وكانت الجلسة حولها تتحول إلى حلقة لتبادل الرأي والحديث وذكر الأخبار وسرد النوادر والمستملحات والحكايات، يجري كل ذلك إما في انتظار الانتهاء من تحضير الشاي على مرأى ومسمع من الجميع أو أثناء ارتشاف كؤوس الشاي. وكان "مول الصينية"، وهو الشخص الذي تسند إليه مهمة "إقامة الشاي" في الأعياد والأفراح والمناسبات يحظى بالتقدير والاحترام في المجامع لما يتوفر عليه من قدرة مشهود له بها في مجال النظافة ومن حنكة في مزج عناصر الشاي وتقدير مدة الانصهار وطريقة صب المشروب وتوزيع كؤوسه على الحاضرين وتحديد أي نوع من الشاي يقدم ولأي مقام. فهناك شاي الصباح وشاي الظهيرة وشاي المساء ثم شاي قبل الأكل وبعده. (والأكل فيه العادي وفيه الدسم) فشاي الأوساط الشعبية والأوساط المخزنية ولكل ذوقه ووسطه ومقامه. وكان المكلفون بتحضير الشاي داخل القصور السلطانية ومازالوا إلى اليوم يختارون من بين أجود المعروفين، وأكثرهم إتقانا في تحضيره يتحول إلى جليس للسلطان ورفيق له في الحل والترحال وإلى جانبه يخصص له مكان رفيع المستوى لتهيىء

الشاي وتقديمه له ولمن يشاركه الحديث في شؤون عادية يومية أورسمية.

م. بخوشة، *أدب المقاربة وحياتهم الاجتماعية*، الدار البيضاء، 1944 ؛ م. الصبيحي، *في بعض العادات المغربية*، فاس، 1925 ؛ ع. الرحمان بن زيدان، *العز والصولة في معالم نظم الدولة*، الرباط، 1961 ؛ دانييل شروتر، *تجار الصويرة*، الرباط، 1996، تعريب خالد بن الصغير ؛ ع. السلام الزموري، *منظومة في الأتاي*، مجموع المتون، طبعة حجرية، فاس، د. ت ؛ المكي البطاوري، *شرح الأرجوزة في الأتاي*، الرباط، 1946، مطبعة الأمنية ؛ ع. السلام الأزموري والمكي البطاوري، *الأرجوزة الفائقة فيما يحتاج إليه الأتاي*، مخ. خع، رقم 1709 د ؛ أ. المنجم، *رسالة في الشاهي*، مخ. خع، رقم 1425 ك ؛ ع. المجيد بن جلون، *جولات في مغرب أمس*، 1872، الرباط، 1974 ؛ ع. الوهاب بن أحمد ادراق، *قصيدة في التعناع*، مخ. خع، رقم 158 د ؛ م. بدر الدين الحسني الفاسي، *رسالة في شرب الأتاي ومنافعه*، مخ. خع، رقم 157 د ؛ ح. العجمي، *رسالة في الشاي وسبب حدوثه*، مخ. خع، رقم 2954 ؛ ع. الوهاب أدراق، *في الأتاي*، مخ. خع، رقم 3201 د ؛ مؤلف مجهول، *رسالة في بيان حقيقة الشاي*، مخطوط، كلية الآداب بالرباط، رقم مكل 232 ؛ مؤلف مجهول، *كتيب في الأشربة والمعاجين*، مخطوط، كلية الآداب بالرباط، رقم مكل.

Reynold de la Charrière, *Voyage au Maroc (1910-1911)*, Paris, 1913 ; Jean Potocki, *Voyage en Turquie et en Egypte, en Hollande et au Maroc*, Paris, 1980 ; Louis Brunot, *Textes en arabe dialectal de Rabat*, Fès 1918 ; *Au temps des Mehallas*, Casablanca, 1952 ; J.L. Miège, *Le Maroc et l'Europe (1830-1894)*, Paris 1961 ; H. Amic, *Le Maroc hier et aujourd'hui*, Paris, 1887 ; F. Weisgerber, *Au seuil du Maroc moderne*, Rabat, 1947 ; M. Bakkoucha, *Savoir vivre, vie sociale et religieuse des Marocains*, Casablanca, 1943 ; P. Odinot, *Le monde marocain*, Paris, 1926 ; C. Olivier, *Le Maghreb aujourd'hui*, Paris, 1975 ; J. Runner, *Le thé*, Paris, 1952 ; M. Bellakhdar, *Le costume de la médina de Fès, le vestimentaire et l'alimentaire*, Université de Toulouse 2, Thèse de 3e cycle, 1986 ; M. Periale, *Le Maroc à 60 à l'heure*, Rabat, 1936 ; F. Bonjean, *L'âme marocaine*, Paris, 1948.

محمد بوسلام

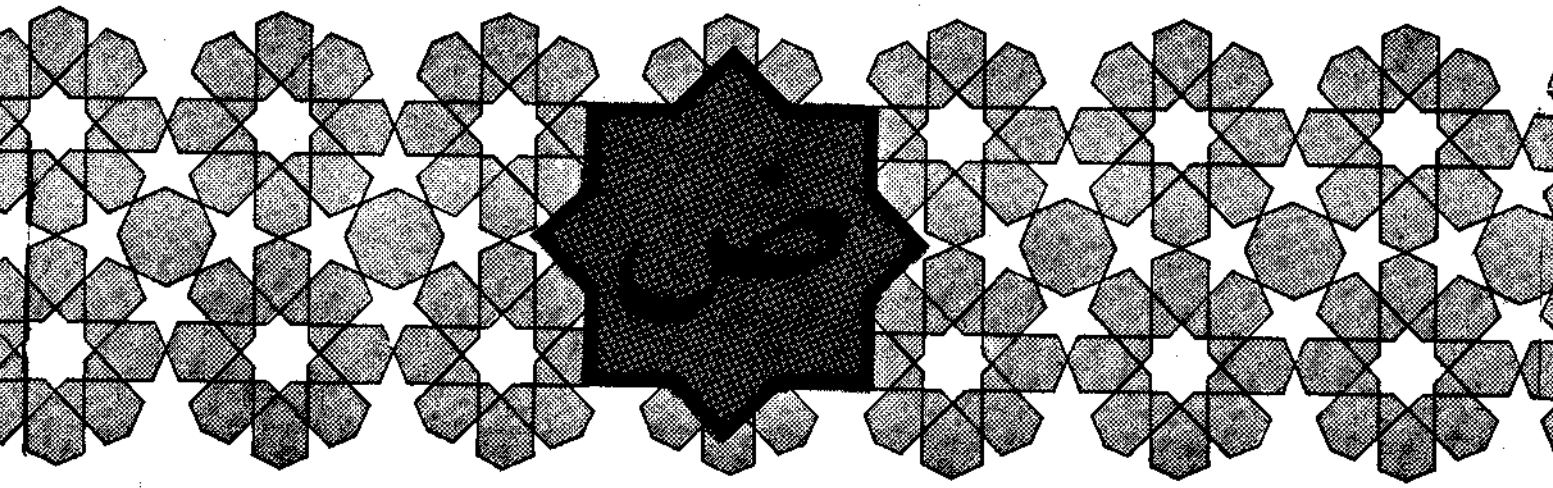

الضّاحية، مجال ثالث من حيث الشكل والمضمون وفضاء انتقالي يربط بين المجال الحضري والمجال الريفي ويعيش تحت نفوذ المدينة الأمّ وفي تبعية لها.

من ثمة، لا يمكن لأية دراسة أكاديمية أو وثيقة للتعمير، وبالأحرى لأية إجراءات تهييئية، أن تكون مستوفية لجميع أوجه المسألة الحضرية بمعزل عن الضاحية التي تشكل فعلاً كياناً قد يتمتع بقليل أو بكثير من الخصوصيات الذاتية، ولكن في انتظار إلحاقه الآجل أو العاجل بصميم الجهاز الحضري المرجعي. ويصبح الأمر ملحّاً إذا اعتبرنا أن الدينامية الاجتماعية والاقتصادية العامة تسير أكثر فأكثر نحو الاستقطاب الحضري السائد للسكان والاستثمارات والأنشطة الإنتاجية والخدماتية.

وإذا كانت ظاهرة الضاحية ولبدة الثورة الصناعية في أوربا، فإنها تمثل واقعاً حديثاً في المغرب، مازال يكتنفه الكثير من التعقد والغموض. على أن الكتابات التاريخية تبرز أن بعض مدن المغرب قد عرفت منذ بداية القرن السادس عشر الميلادي ظاهرة الحوْز، ومازالت بعضها تتوفر على قبائل متاخمة أو جماعات إدارية حوزية (مراكش، تطوان، فاس، مكناس، الرباط، سلا، طنجة، وجدة، أزمور). وجلّها عواصم سلطانية ومن كبريات المدن حالياً.

ومن بين ما تعنيه لفظة الحوز (أو الحوزة) لغوياً الحدود والنواحي، والضاحية كذلك تأخذ نفس المعنى، أي الظهير والناحية وبادية المدينة، مقابل الباطنة. كما أن أول استعمال للفظ الحوز أو الأحواز كان يدل على الضاحية والناحية والمنطقة المحيطة بالمدينة خارج الأسوار، وهو عبارة عن حزام من البساتين والمشاجر والمزروعات المتنوعة، يتراكز مع حُرم المدينة وقلبها ويضم بعض الدواوير والعزبان ويتعارض مع الخلاء الفسيح الذي يهدّد المجالات المجاورة غير الآمنة.

وإلى مطلع القرن العشرين لم تكن للحواضر المغربية ضواحي بالمفهوم الحديث. فكانت بادية المدن تتمثل في أحزمة من المزروعات المختلفة التي تتلاشى كثافتها كلما ابتعدنا عن أسوار المدينة، والتي لم تكن تحتضن داخلها سوى بعض البنايات البسيطة. وتتجلّى هذه الثنائية في تباين نمطين من العلاقات والتنظيمات وطرق العيش في إطار صلات متواضعة تتأرجح بين التكامل والتوازن. فكانت التخوم الخارجية للأحواز تلعب بعض الأدوار المتقطعة في الزمن والمكان من خلال بعض القصبات و"المحلات" العسكرية والأسواق والزوايا والأولياء والمواسم. أما البساتين الضاحوية فكانت من جهة بمثابة متنفّس يتم التردد عليه للترويح عن النفس، ومن جهة أخرى مجالاً فلاحياً لتزويد المدينة بما تحتاجه من منتوجات الأرض.

ومع دخول الاستعمار سيتغيّر وجه الحواضر جوهرياً، حيث ستنفجر المدينة القديمة لتفسح المجال خارج الأسوار وعلى مشارفها لمجموعة من "الأرباض" والأحياء التي ستأكل تدريجيا الحقول والمغارس. تارة تنفصل الأحياء والبنايات المختلفة بأراضٍ فلاحية أو بفراغات، وتارة أخرى تتجاور في ثنائية صارخة يتقابل فيها العصري والتقليدي والغني والفقير.

هكذا، وعلاوة على النواة القديمة، سيتوزّع حيّز المدينة الكبيرة إجمالاً إلى مجموعتين من الوحدات السكنية والوظيفية : منها المغربية الفقيرة والمتوسطة ومنها الأوربية الراقية. وحول هذه وتلك ستنبثق هالة من دور الصفيح لإيواء الوافدين الجدد على المدينة. أما خارج النطاق الحضري فاستقرت بعض الدواوير الريفية هنا وهناك، بل ظهرت على المحاور الطرقية الرئيسية المؤدية إلى المدينة بعض النويات القروية الناشئة وبعض المراكز الخدماتية المخصصة للمعمّرين.

ولقد شهد المغرب في عقدي الخمسينيات والستينيات تحولات عميقة ستنعكس مباشرة على صيرورة الضواحي والمدن معاً. ولعل الانفجار الديمغرافي في كل من الأرياف والمدن وما لحقه من تفاوت في مستوى الفئات الاجتماعية هما العاملان الحاسمان اللذان أسفرا في أول الأمر عن تفاقم ظاهرة التوافد على كبريات المدن.

وكان من شأن هذه الظروف أن عملت على تعجيل وتيرة انقراض أحواز الحواضر، ولا سيما الداخلية منها. مع ذلك ظلت المدن تتوفر بما فيه الكفاية على احتياطي عقاري قمين بتلبية احتياجاتها من الأراضي القابلة للبناء. مما جعلها تفضل تكثيف النسيج الحضري بنمو ينهج ثلاثة أساليب متزامنة : ملء ما أمكن من الفراغات الداخلية والأراضي الفلاحية للأحواز الخارجية والامتداد العمودي بواسطة العمارات والزحف الهامشي على الخصوص بجبهات التمدين المتعاقبة، وهي حالة الكثير من المدن المغربية الكبيرة والمتوسطة إلى عهد قريب.

وفي الوقت الذي عرف فيه السكن الفقير "عصره الذهبي"، سواءً في الهوامش السكنية المتسترة، وبالأساس في أحياء الصفيح، أو حتى داخل المدينة القديمة التي واصل سكانها الأوائل النزوح عنها إلى أحسن، اكتفى المغرب المستقل بتكثيف نسيج المدن واتباع سياسة التنظيف الاجتماعي والتمييز المجالي، على غرار الفترة السابقة، ولو أنّ بوادر إعادة النظر والبناء وهيكلة التركة الاستعمارية قد أدت إلى تحقيق بعض البرامج الإسكانية الاقتصادية وبعض الدراسات لتحسين إمكانيات استقبال المدن للأفواج المتزايدة من الوافدين إليها.

وكانت الضاحية تعيش مرحلتها الجنينية، واقتصرت على تكثيف وتنويع أنشطتها الفلاحية في ارتباط تدريجي بالمدينة. كما أن كبريات المدن قد خنقت، بفعل نموّها الفجائي مناطق نفوذها وأحدثت فراغاً حضرياً واسعاً حولها وحالت دون بروز شبكات حضرية مكتملة متقاربة ومتراتبة. فاستمرت في تلبية حاجيات "النواحي" من المصالح الإدارية والخدمات النادرة بطريقة مباشرة. أما توابعها من المدن الصغيرة والمراكز والقرى المجاورة فكانت تنمو ببطء. ومازال جزء كبير من الأقطاب الجهوية الآن يتنصّل بمشقة من ملامح هذا الوضع (مراكش، فاس، مكناس، طنجة، وجدة، آسفي).

أما إثبات تبعية المجال الهامشي للمدينة وإدماجه الوثيق في إوالية تطور المدينة الوظيفي والسكني فقد انطلقت مع بداية السبعينيات فصاعداً. حيث عملت المدن الكبرى على نموّها اعتماداً على تعدّد النويات، أي وفق زحف متلازم للضاحية والمدينة، الواحدة نحو الأخرى داخل المدار الحضري، واستمرّ تكثيف وانتشار نسيج المدينة بشكل متراكز، كما كان الأمر سابقاً، أو أخطبوطي. خارجه تضخمت المراكز الضاحوية والمدن التوابع السابقة، كما انطلقت عملية تمدين الأرياف بظهور مراكز أخرى عضوياً أو إراديّاً في الضاحية الخارجية وحتى الضاحية البعيدة.

وتضافرت مجموعة من الأسباب والوسائل الموجبة لتفسير هذا الاندماج بين المدن الكبيرة وضواحيها الذي أدّى حتماً إلى تشكيل مجموعات حضرية يبدو أن الأدوار والتموقعات تتوزع ضمن كل واحدة منها. وتأتي على رأس قائمتها العوامل التالية :

- مواصلة استقبال فائض سكان الأرياف مباشرة من طرف المدينة الكبيرة وعبر محطات قد تكون شبه حضرية أو ضاحوية.
- تقوية الرأسمال الخاص وتوسع الاستثمارات في الضاحية، وعلى الخصوص في قطاعي الفلاحة والصناعة بجميع أنواعها، وذلك بمنطق التركيز المجالي في الأقطاب الجهوية وغير بعيد عنها.
- تطوير وسائل المواصلات الضاحوية بموازاة مع تمتين العلاقة بين المدن والأرياف، ولاسيما العمومية منها والتي تستعملها جميع الفئات وعلى مسافات قد تمتد إلى عشرات الكيلومترات، مع العلم أن توفر النقل يساعد على توسع المدينة وإعطاء دفعة جديدة للحركات اليومية، وبالتالي تثبيت توزيع وحدات المجموعة الحضرية والسكان.
- ميل الرأسمال الخاص إلى توطيد التركيز الاقتصادي الذي سبق وأن قطع أشواطاً في الأقطاب الجهوية، وخصوصاً في الواجهة الأطلنطية التي تشهد في نفس الوقت نمواً متزايداً للوظيفة الترفيهية والاستحمامية والتي يعقبها ازدهار سياحي مترافق مع السكن الساحلي الراقي والقار.
- ممارسة السلطات العمومية والقطاع شبه العمومي والجماعات المحلية لتدخلات ظرفية بجانب السياسات الهيكلية، والعمل في آن واحد على البنيات الفوقية والمستويات التحتية في ميادين تهيئة التجزئات وبناء السكن الاقتصادي والمتوسط ومحاربة واستخلاف أحياء الصفيح وتشجيع الإنعاش العقاري وتجهيز الأرياف والتعمير والتكثيف الإداري وإعداد التراب واللامركزية واللاتمركز وفك اكتظاظ المدن.
- توطيد العلاقة بين الحركية السكانية المجالية والدينامية الاجتماعية، إذ أصبح انسياب السكان من أجل الشغل والاستقرار يأخذ اتجاهاً مزدوجاً، فصارت المدينة بدورها تلقي نحو الأطراف والهوامش بشرائح من الفقراء وبكل من يعاني صعوبة مسايرة تكاليف الحياة في المدينة، بالإضافة إلى الفئات الميسورة التي تفضل الإقامة بعيداً عن وسط المدينة.

وعلى هذه السيرورة، يتعذّر تصنيف الضواحي المغربية إلى مجالات متخصصة، كما هو الشأن في الدول المتقدمة. ويعزى ذلك التعدد في الوظائف إلى عدم مصاحبة وصاية المدينة منذ البداية بما يكفي في التخطيط والتنظيم والمراقبة لتدخلات الدولة والرأسمال الخاصّ. ولطالما خضع المجال الضاحوي لكثير من العشوائية وقليل من البرامج الاستدراكية، حتى أصبح يتخذ في المجمل أشكالاً وأحجاماً متنوعة، ويحتضن وظائف وأصولاً سكانية متعددة.

ويتعلق الأمر إذن بتباين الضواحي وأجزاء الضاحية الواحدة وليس بتوزيع مسبق ومرتب للأدوار والمهامّ قصد التخصص وتوزيع التوطينات. فهناك جزء صناعي وآخر عمّالي وقسم استحمامي، وهناك وحدات سكنية تتراوح بين الراقية والمتوسطة والمتواضعة، كلها متجاورة ومتناوبة

ومتداخلة فيما بينها، وكأن الضاحية أعادت إنتاج التفاوت الاجتماعي والتمييز المجالي والوظيفي اللذين اشتهرت بهما المدينة، مع فارق اتساع واستمرار حيوية الضاحية الفلاحية هنا، رغم تآكلها ومنافستها بمنتوجات أخرى.

والضاحية اليوم هي إذن علاقات ومستوى عيش وتوزيع للشغل وسلوكات، وهي بالتالي ظاهرة اجتماعية واقتصادية أكثر مما هي مجرّد تحديد وتوزيع مجالي للأشكال والتجهيزات والأنشطة والسكن. فهي تنبني على نوعية الأدوار المنوطة بها، ومدى سيولة الاتصال وكذا توفر وسائل النقل وأنماط البناء، ودرجة التمدين والبنيات العقارية وطبيعة الاستثمار ومستوى الكثافة السكانية وخصوصية السلوكات والأجواء العامة... ويبقى البعد أو القرب عن وسط المدينة الأم أو الانتماء أو عدم الانتماء الإداري لها ودرجة الهيمنة عليها اعتبارات نسبية.

تحولت الضاحية من مجال مستعار تتوسع عبره المدينة الكبيرة باطراد إلى كيان ذاتي وطرف فاعل في المجموعة الحضرية. ومن المجموعة الحضرية الكبيرة التي غالبا ما تتعاقب داخلها الضواحي، أو على الأقل تشتمل على جيلين من الضواحي اندمج فيها الواحد تلو الآخر، ينتشر مدار النفوذ ليسفر عن تكوين شبكة حضرية فرعية أو مكتملة. ومن مجموعات حضرية متجاورة بالواجهة الأطلنطية امتدت خيوط الروابط بينها لتعمل على تشكيل مجمع مدني عملاق على وشك الالتحام طوال شريط يصل القنيطرة بالجديدة على مسافة أكثر من مائتي كيلومتر. بعبارة أخرى، تندرج الضاحية ضمن مجال أوسع وفي إشكالية تشمل كافة مكونات النظام الحضري في واقعه وصيرورته، وتتأرجح بين المحلي والجهوي (أو الوطني)، أي بين التعمير والتنظيم الإقليمي وإعداد التراب الوطني.

وخارج مجمع القنيطرة الجديدة المتميز بضخامته وارتباط مجموعاته الحضرية الأربع فيما بينها بسلسلة من الضواحي الساحلية، قليلة هي المدن التي تتوفر على ضواحي واضحة المعالم وغير مبتورة، وعلى رأسها أگادير وتطوان والناظور. وذلك رهين ببعض الظروف الاستثنائية : كالكثافة السكانية المجاورة العالية، والعائدات الهائلة للمغاربة القاطنين بالخارج، والوضع الخاص لسبتة ومليلية، والاقتصاد الخفي الوازن الذي يعتمد على المخدّرات والسوق السوداء (ما عدا بأكادير)، والسياحة الشاطئية المزدهرة (ما عدا في الناظور). أما الأقطاب الجهوية الأخرى، فبقدرما تتحكم في مناطق شاسعة الأبعاد، بقدرما لازالت تفتقد العدد الكافي للقرى والمراكز الحضرية الصغيرة التي تسهل عملية المبادلات وترتكز حولها الحياة الضاحوية.

م. سلطان، *الأنشطة الحضرية والتوسع العمراني بالناظور الكبرى*، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، 1999، 2000 ؛ ب. إبيسك، من قضايا الجماعات الضاحوية، جماعة سيدي الطيبي مثال، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، 1999، 2000.

G. Chabot et J. Beaujeu - Garnier, *Traité de géographie urbaine*, Paris, 1963 ; P. Georges, *Précis de géographie urbaine*, Paris, 1968 ; *Dictionnaire de la géographie*, PUF, Paris, 1974 ; S. Benzakour, *Essai de la politique urbaine au Maroc, 1912-1975*, Casablanca, 1978.

مصطفى عياد

الرضاد أو موالين الضاد هو اسم موقع أثري (اكتشف خلال أبحاث التنقيب الأثري التي تقوم بها شعبة التاريخ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ عين الشق الدار البيضاء ـ، منذ سنة 1985، بمساهمة الطالب عمر مصيون). يرتبط اسم الموقع باسم مجمع ديني يهودي. يقع بقبيلة أولاد بوزيري، فخذة توامة، على بعد 56 كلم تقريبا جنوب مدينة سطات.

طبونيمية الاسم : لا ندري ما هي العلاقة الفعلية بين هذا الاسم والحرف الهجائي "ضاد" في اللغة العربية. وتكتب الكلمة في اللغات الأجنبية DAD أو ED-DAD. وتفيد أن "الضاد" لقب حبر يهودي (أبراهام آريور) نزح من القدس منذ ثلاثة قرون واستقر بالمنطقة ومات ودفن (*Villes et tribus du Maroc*, t. II, p. 293). وترى الرواية الشفوية أن كلمة "الضاد" أو "الضاض" هي اسم الجبل حيث يوجد موقع الضاد الأثري ومقبرة كان من بين قبورها قبر الحبر اليهودي.

المجمع الديني اليهودي : يشتمل المجمع على بيعة وبداخلها قبر ابراهام أوريور وتحيط بها مجموعة من المنازل خاصة بالزوار، يوجد من بينها بيت به قبر الحبر "نسيم بن نسيم"، وغير بعيد عن هذه المجموعة يوجد مصعدان يؤديان إلى مقبرة بها ستة قبور بنيت على سور موقع الضاد الأثري.

ولم تكن هناك في الأصل بيعة ولا أي مجمع ديني بل كان بالمنطقة، خارج سور موقع الضاد، قبر محاط بحوش بالمقبرة جعلت منه الطائفة اليهودية قبر أحد أحبارها المدعو "ابراهام أوريور" وقامت في سنة 1915 ببناء بعض البنايات (J. Goulven, *Les Mellahs de Rabat-Salé*, p. 93)، وربما كانت البيعة من ضمنها، وتوالت أشغال البناء من وقتها إلى يومنا هذا. ولا نملك معلومات كافية عن ترجمة الحبر باستثناء قدومه من القدس برفقة حبر آخر يسمى "يحيى الأخضر"، في إطار جمع المساعدات للطائفة اليهودية أو للتبشير الديني، وبعد استقراره بالمنطقة ووفاته بها (*Mellahs de Rabat-Salé*, p. 93). ارتبط اسمه "ابراهام" باسم نبتة كانت منتشرة على كل المقبرة تسمى محليا "أوريورة" وأصبح الاسم الشائع هو "ابراهام أوريور"، ويبدو من خلال نص "ملاحات الرباط وسلا" أن الكاتب أدرج اسما آخر "إبراهيم لوليو كوهن"، ربما هو أبراهام أوريور نفسه، الذي رافق يحيى الأخضر من القدس (نفس المرجع، ص. 94).

وتبين من خلال الدراسة الميدانية أن المقبرة كانت لأموات المسلمين ومازالت أشغال الحفر تكشف في الوقت الحالي عن قبور موجهة نحو القبلة كلها ومدفونة بطريقة واحدة. ومن غير المستبعد أن المقبرة كانت تابعة للموقع الأثري وهذا ما

تؤكده جميع الدراسات العلمية من أن المقابر الرئيسية كانت توجد خارج أسوار المدن ومحاذاة أبوابها الرئيسية.

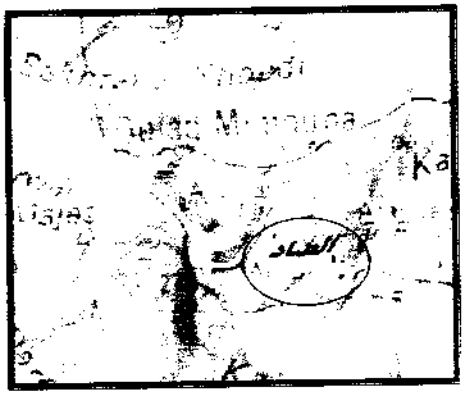

موقع الضاد الأثري :

يحتل الموقع قمة جبل الضاد المسطحة، بانحدار ضعيف نحو الجنوب الغربي. والجبل عبارة عن كتلة تل صخرية، يبلغ ارتفاعها 390 م تقريبا، تشرف عبر أجراف صخرية عالية على وادي قبيان باستثناء واجهة التل الشمالي المفتوحة على المجمع الديني اليهودي ودواوير الهواورة.

ويتكون الموقع من بقايا سور على الواجهة الشمالية الغربية ومن بقايا بنايات أغلبها عبارة عن منازل منتشرة على السطح المرتفع كله. وتعتبر الحجارة الطبيعية من مواد البناء الأساسية المستعملة في السور والبنايات، وهي من الحجم المتوسط دون صقلها وتشذيبها وموضوعة بتقنية منتظمة.

ويحيط السور بواجهة واحدة بالموقع بينما الواجهات الأخرى محصنة طبيعيا. و يصل السور إلى 210 م. تقريبا وعرضه بين 0.80 م. ومتر واحد، واتجاهه ش ش ج غ. وقد شيدت حديثا فتحة باب على السور، تربط بين السلم والمقبرة اليهودية. وينعطف طول السور بانعراجين : الأول على بعد 148 م. من انطلاقه بالشمال الشرقي والثاني على 150 م. ولا يمكننا أن نسجل حضور الأبراج المرتبطة بالسور بسبب كثرة الحجارة المنتشرة فوقه وخارجه. أما فتحات الدخول إلى الموقع فقد وقفنا على بقايا فتحتين على الأقل، ونفترض أن الفتحة الثالثة كانت بالموضع الذي بني عليه السلم والمقبرة اليهودية.

وشيدت فوق المساحة المحصورة (حوالي 24 كلم مربعة) بين السور وحافة الجرف الصخرية مجموعة من البنايات السكنية. وتبين البنى الأثرية اتجاه الجدران على السطح، ويبدو أنها بنيت على تخطيط هندسي منظم وغير عشوائي بحيث تلتصق كل واحدة مع أخرى بنفس المجموعة الداخلية وتشرف بعضها على نفس الاتجاه. إن صعوبة تتبع اتجاه الجدران حال دون ضبط نموذج هندسي لبعض الوحدات البنائية نظراً لتراكم الحجارة فوق بعضها، وهذا يتطلب القيام بعمل مضن للتنظيف ولترتيب الحجارة.

بالإضافة إلى البنى الأثرية، تم العثور على كمية كبيرة من القطع الفخارية والخزفية التي تبين من خلال القراءة الأولى، أن نسبة عالية منها تعود إلى ما قبل القرن الخامس عشر الميلادي، وهي فرضية لا بد من تحقيقها بعد الدراسة الدقيقة لهذه القطع. أما المواد المعدنية، فإن ما عثرنا عليه لا يعكس أهمية تذكر بالنسبة لتاريخ الموقع أو المواد الأثرية، لأنه لا يتعدى قطعا نحاسية مكسورة.

ونستخلص مما سبق أننا أمام موقع أثري محصن، قلعة أو حصن، ولا ندري هل اسم "الضاد" هو الاسم الأصلي أو كان يحمل اسما آخر، لأننا لم نجد في النصوص التاريخية إشارة إلى الاسم. وأهم إشكالية تطرح بالنسبة للموقع هي كيف ومتى تم ربطه بالطائفة اليهودية، بعبارة أخرى أننا نخشى أن يكون مصير الموقع الأثري هو نفس مصير المقبرة التي آلت إلى التلف، بعض النظر عن أصولها، وبني فوقها المجمع الديني اليهودي.

J. Goulven, *Les Mellahs de Rabat-Salé*, Paris, 1927 ; Michaux-Bellaire [et al.], *Villes et tribus du Maroc (Casablanca et les Chaouia)*, Paris, 1915 ; Ould Dada, *Settat chef-lieu de la Chaouia*, Settat, 1990

أحمد أشعبان

الضّاسر، بلعيد بن الحسن شاعر فحل قل نظيره بين الشعراء الشعبيين بمنطقة حاحا، والده كان يُقلَّد فنانا اسمه الضاسر فأصبح يحمل اسمه.

ولد الشاعر بلعيد بن الحسن سنة 1327 / 1909 بقرية أگزمير (خميس إقبّلين) ناحية اسميمو بإقليم الصويرة، وبعد أن تلقى مبادئ القراءة والكتابة عمل في المجال التجاري، وتزوج حيث رزق ولدين وأربع بنات.

وقد تعاطى قرض الشعر الشعبي الشلحي منذ صغره، وضمن المجموعات الأحواشية تناول في شعره مختلف مواضيع الحياة، وسجل للإذاعة الوطنية المغربية سنة 1956 قصيدة الاستقلال وأخرى بعد مرور بضع سنوات، وسجل قصيدة المعراج يوم 3 / 9 / 83 ثم قصيدة رمضان وأخرى بعنوان الزواج وذلك يوم الأربعاء 5 / 10 / 83 مغتنما بذلك زيارته لأهله وأصدقائه بمدينتي الرباط وسلا وقد بدت عليه حينذاك آثار الإنهاك والتعب وهو في حدود 77 سنة من عمره.

وللشاعر بلعيد الضاسر شهرة في مستوى ما لباقي كبار الشعراء بمنطقة سوس وحاحا لما يمتاز به شعره من جمالية وفن وموضوعية وشمولية.

أحمد امزال العسري

ضاكّة، الطاهر، من أسرة أندلسية رباطية اشتهر فيها بكونه من علماء وقته برز في الرياضيات والفلك، أخذ عن شيخ الرباط في علوم الرياضة والتوقيت والتعديل المعطي مرينو، وكان ناسكا منعزلا عن الناس ملازما لدويرته بدرب أجنين بالجزاء، وظل عازباً لم يتزوج. ومن تلامذته

علي دينية الذي أخذ عنه الحساب والتوقيت، والفقيه محمد ابن أحمد الرغاي، والفقيه التهامي البطاوري. اشتغل ناظراً للزاوية الرحمانية.

وقد توفي في 3 شعبان 1295.

دينية، *مجالس*، ص. 199.

عبد الإله الفاسي

الضاوي بن **صالح** (قائد)، ولد بأولاد بوغادي (بني خيران) حوالي سنة 1886. كان من أعيان بني خيران. وظهر طموحه السياسي أثناء مرور الحركة الحفيظية بالمنطقة في توجهها من مراكش نحو فاس، وخاصة أثناء رسوها بعين مازة ببني خيران منذ أواخر 1908. فقدم للسلطان الجديد الدعم المالي (مواشي ـ مؤن ـ أموال) والدعم المعنوي، ولعب إلى جانب قائد السماعلة محمد السربوت دور الوسيط بين المولى عبد الحفيظ وموحى وحمو الزاياني. فنجحا في استقدام "موسى" ابن موحى وحمو، و"العايدي" ابن أخيه، في إشارة لتمهيد الطريق للحركة الحفيظية للعبور نحو مكناس.

وشارك بفرسانه إلى جانب الفرنسيين في العمليات التي قادوها بتادلة والأطلس المتوسط. وحصل على وسام الشرف ووسام صليب الحرب. وعين قائدا على موالين الدندون رسميا في 18 نونبر 1922 موحدا بذلك ثلاث قيادات سابقة (المرسلي ـ بلمقدم ـ خلوق)، وعين الخليفة الشرقي بن محمد خليفة له في 14 أكتوبر 1925. وظل القائد الضاوي يتطلع إلى إزاحة القائد الدرموسي، قائد الكناديز، وتوحيد جميع بني خيران تحت قيادته. إلى أن تمت إقالته من القيادة بعد الاستقلال. وتوفي في أولاد بوغادي سنة 1972.

أحمد بن قاسم بن محمد المنصوري، *كباء العنبر من عظماء زيان وأطلس البربر*، تح. محمد بن الحسن، كلية الاداب والعلوم الإنسانية، بني ملال، 1997.

M. et E. Gouvion, *Kitab Aayne Almaghrib Alaqsa*, Alger, 1939 ; *Organisation territoriale du Maroc et commandement indigène*, 1° nov. 1921 - 1 janv. 1937.

صالح شكاگ

الضاوي، محمد (سيدي)، ويعرف اختصاراً بسيدي الضاوي، أحد أشهر أولياء مدينة الجديدة، إلى جانب لالة زهرة، وسيدي موسى. وينسبه العارفون إلى رگراگة، مما يفيد أنه من الطارئين على المنطقة. ويمكن أن ندفع بهذا المعطى إلى أبعد من ذلك، وتؤكد الرواية الشفوية التي تقول بأنه جاء من بلده، ونزل في دكالة قصد المرابطة والمساهمة في الجهاد لتحرير البريجة من الاحتلال البرتغالي. بل يفهم من نفس الرواية أنه كان من زعماء الجهاد في زمانه مثل الفقيه العياشي، وسيدي إسماعيل المشترائي. وتضيف الرواية نفسها أنه قاد أتباعه في هجمات عديدة ضد البرتغاليين، وكان سلاحهم المناجل. ولما قدم السلطان سيدي محمد بن عبد الله إلى حصار هذه المدينة، انضم سيدي محمد الضاوي إلى قواته، وشارك، إلى جانب سيدي لغنيمي، ولي سطات، والشيخ أحمد بن موسى ابن ناصر، كبير الطائفة الناصرية في المغرب، وكثير من أولياء المغرب، في طرد البرتغاليين وتحرير البريجة، التي صارت تسمى الجديدة. بل يذكر أن سيدي محمد الضاوي سقط شهيدا يوم هذا الفتح.

وإلى جانب الجهاد، كان سيدي محمد الضاوي فقيها معلما للقرآن وللقراءات، ورجلا متصوفا، له أتباع، يهتدون بهديه، ويتبعون طريقته في التصوف. ولعله كان من أتباع الطريقة الجزولية، مثل غيره من المجاهدين في زمانه. ومازال بعض الناس يحفظون بعض الفقرات من الوظيفة التي كان يرددها سيدي الضاوي مع أتباعه، ومطلعها :

إن لله رجالاً فطنـــا طلّقوا الدنيا وخافوا الفتنـــا

وهذا يعني أن سيدي الضاوي كان مرابطا في زاوية مع أصحابه، يعلمهم ويهديهم، ويرأسهم في الجهاد. ومن ثم، اكتسب شعبية كبيرة، فقصده العامة بدورهم، لنيل بركته.

ومن الآثار الباقيات، الدالة على ارتباط سكان الجديدة، بهذا الرجل اعتقاد الناس أن التبرك بتراب قبره فيه شفاء للمصابين بالأمراض الجلدية، وخاصة المرض المسمى على لسان العامة بالتالول. كما يؤكد هذا الارتباط بينه وبين السكان، وخصوصا من يجاور ضريحه، تسمية حيهم باسم هذا الولي. ويلاحظ، في نفس الإطار، استمرار ظاهرة مثيرة إلى الآن، وهي حرص أسر المدينة القديمة، وسكان حي سيدي الضاوي بالخصوص، على أن يقوموا بزيارة ضريح هذا الولي بمناسبة حفل ختان أحد أبنائهم. ففي هذه المناسبة يتجه أهل المختون بابنهم في حفل بهيج، فيطوفون حول الضريح من الخارج ثلاث مرات، ثم يطوفون بالداخل في الفناء ثلاث مرات أيضا، قبل القيام بعملية الختان.

بقيت الإشارة إلى أن بعض الناس يعتبرون أن زاوية سيدي محمد الضاوي هي النواة الأولى لمدينة الجديدة التي تكونت خارج السور. وبناء عليه، لاغرو إذا اعتبر من كبار أولياء مدينة الجديدة، مثل للازهرة، وسيدي موسى.

بحث ميداني، ورواية شفوية محلية.

أحمد الوارث

الضاوية، محمد بن حمادي، ولد سنة 1935 بوادي زم، إقليم خريبگة.

عُرف منذ شبابه بالغيرة الوطنية حيث اختار العمل المسلح ضمن التشكيلة التي يرأسها السيد ممدوح بوشعيب. قام بعدة عمليات ضمن فرقته وشارك في مظاهرة 20 غشت 1955 فكان على رأس المتظاهرين يذكي الحماس فيهم حاملا العلم الوطني وصورة لصاحب الجلالة المغفور له محمد الخامس.

ووجوده في مقدمة المتظاهرين يوم 20 غشت 1955 عرضه للإصابة بالرصاص الذي كان يطلقه جيش المستعمر فسقط شهيدا في ساحة الشرف.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 523505.

الضاية. تطلق على التجمع المائي بصرف النظر عن حجمه أو مساحته أو موقعه أو نوعية مائه، نجدها بمختلف أقاليم المغرب بالجبال مثل ضاية "عوة" وبالسهول بغابة المعمورة والشاوية ودكالة مثل ضاية "الفحص" وبالسواحل البحرية مثل ضاية "بوغابة" قرب المهدية. كما لا يراعى في التسمية مساحة التجمع المائي إذ تطلق على مستنقعات وتجمعات مائية موسمية صغيرة بالحوز ودكالة والشاوية، كما تطلق على بحيرات كبيرة نسبيا مثل ضاية "إفراح" وضاية "شيكر". كمالا يراعى فيها نوعية المياه إذ تطلق على مياه عذبة كمياه البحيرات الجبلية والمستنقعات والبرك المتخلفة عن سقوط الأمطار بدكالة والشاوية وغيرها، يستغل القرويون ما ءها في الاستهلاك المنزلي والتنظيف. كما تطلق على بحيرة ساحلية مرتفعة الملوحة : 6 . 7٪ مثل ضاية بوغابة قرب المهدية.

وبحيط الغموض بأصل الكلمة هل هي عربية أم أمازيغية أم لها مصدر آخر يعود إلى ما قبل الإسلام والتعريب بالمغرب إذ تستعمل بمدلولات متباينة في السهول حيث ساد التعريب في القرون الأخيرة والجبال حيث مازالت اللهجات الأمازيغية منتشرة. وإذا رجعنا إلى القواميس العربية نجد في لسان العرب : ضوا، الضوة، والضوة : الصوت والجلبة. وضوى يضوي ضيا : انضم إليه. والضوي : الضعف والهزال. ولعل أصل الضاية مستمد من الضاوية أي الضاية، وحذف المغاربة الواو في الاستعمال الدارج.

والواقع أن هناك تسميات عديدة تطلق على التجمعات المائية بالمغرب سواء الدائمة أو المؤقتة، منها ما هو دقيق نسبيا وما هو ليس كذلك، ومنها ما يسود في الجبال دون السهول أو العكس. ومنها المستمد من اللغة العربية أو اللهجات الأمازيغية، وهي :

- أگلمان ج. أگلميم : كلمة أمازيغية قديمة، تطلق على عدد من البحيرات بالجبال بصيغة الجمع مع تحويل كسرة الهمزة إلى فتحة مثل : أكلمان أزكزة وأكلمان سيدي علي، بل امتدت حتى إلى مشارف الصحراء مثل مدينة أكلميم بجنوب سوس، ويبقى الاسم حتى وإن جفت المياه واختفى مدلولها الأصلي.

- تامدا : اسم بحيرات جبلية صغيرة بالأطلس الكبير.

- إيفرض : تطلق على برك مؤقتة وبحيرات صغيرة غير عميقة بالجبال، كما تطلق على بحيرات اصطناعية تكونت وراء حواجز تقليدية على سيول بالمناطق الجبلية، وأحيانا على صهاريج لجمع مياه العيون.

- مرجة : تطلق على مستنقعات مؤقتة بالسهول خاصة بالغرب، وهي مرادفة لكلمة "ضاية" بقسم من دكالة. كما تطلق على بحيرات ساحلية مالحة مثل "المرجة الزرقاء".

- گلتة : تطلق على تجمعات مائية مؤقتة غالبا بمناطق عديدة بالمغرب كالحوز ودكالة بل حتى بالصحراء مثل : گلتة زمور، ويبقى الاسم حتى بعد اختفاء المدلول بتغير الظروف الطبيعية والمناخية.

- سبخة : تطلق على مستنقعات مؤقتة بالمناطق الجافة المستوية غالبا، وترتبط مياهها بالملوحة سواء من تربة قعرها أو مما تحمله المياه في جريانها. فعندما تجف المياه في الفصل الحار تخلف طبقة سطحية من أملاح بيضاء، وهي كلمة واسعة الانتشار خاصة في المناطق الجافة والصحراوية، لكننا نجدها تطلق على بحيرة ساحلية مالحة كبيرة مثل : سبخة بوعرگ قرب الناظور مساحتها 115 كلم^2، ويصل عمقها إلى 8 م.

- شط : تستعمل بالمغرب الشرقي والجزائر بنفس مدلول كلمة "سبخة".

- نقع : كلمة عربية تدل على مستنقعات صغيرة مؤقتة وهي قليلة الانتشار بالمغرب.

- بركة : كلمة عربية تطلق على تجمعات مائية مؤقتة صغيرة بالسهول الساحلية، تستعمل أحيانا كمرادف للضاية.

- غدير : كلمة عربية تطلق على تجمع مائي صغير مؤقت وأحيانا دائم، تستعمل بأقاليم عديدة مثل : الحوز والرحامنة ودكالة...

- وهناك بحيرات جبلية عديدة يعرفها السكان المحليون باسمها الخاص دون ذكر اسم نكرة يدل على تجمع مائي مثل : تامدا وإيسلي وتيسليت بالأطلس الكبير الأوسط وإيفني وهي بحيرة صغيرة عميقة جنوب جبل توبقال. وأحيانا يسبق الاسم بكلمة "أمان" أي مياه. وأحيانا يطلق على التجمع المائي اسم نكرة دون تسمية خاصة مثل "تامدا"، لأنها منفردة بمنطقتها الجبلية.

والواقع أن جل هذه التسميات غير دقيقة في مدلولها اللهم دلالتها على تجمع مائي، فهي ما زالت في حاجة إلى دراسة علمية منهجة لتحديد مدلولاتها وظروف تكوينها ودورها في التوازن البيئي. وهذا ما دفع الجغرافيين المغاربة الجدد إلى ربط التسمية المحلية للتجمع المائي مع الاسم الخاص له كاسم علم مركب مسبوق بكلمة "بحيرة" التي هي مصطلح جغرافي يقابل الكلمة الفرنسية Lac، التي تدل على تجمع مائي صغير دائم كليا أو جزئيا، إذ تتأثر بكمية التساقطات المطرية السنوية، تحيط به الأرض من كل

الجهات، وهو تصغير كلمة بحر، فيقولون بحيرة ضاية عوة وبحيرة أگلمان أزگزا وبحيرة المرجة الزرگة. كما تطلق الكلمة على أغلب التجمعات المائية المهمة حتى وإن كانت اصطناعية مثل بحيرات السدود أو ساحلية مثل بحيرة الوالدية وبحيرة ضاية بوغابة. أما التجمعات المائية المؤقتة المنتشرة على السطوح المسوّاة نسبيا وغير العميقة مثل الضايات والمرجات والبرك والنقع والغدير والگلتة والسبخة.... فتعرف كلها بمصطلح جغرافي حديث هو "مستنقعات" وهي ترجمة للكلمة الفرنسية Marécage.

تقوم الضايات وغيرها من تجمعات مائية بأدوار إيكولوجية واقتصادية واجتماعية مهمة، ارتبطت بها حياة كثير من التجمعات السكانية منذ القديم. تزود المواشي بمياه الشرب وأحيانا السكان كذلك، وتحافظ على استمرار كائنات حية عديدة منها ما هو خاص بها، من نباتات وطحالب وفطريات وأسماك وضفادع وسحالي وطيور... كما يكون بعضها محطات عالمية للطيور المهاجرة من أوربا نحو إفريقيا أو العكس، إذ تعد من المعالم التي تهتدي بها في طريقها، وتمكث بها بضعة أيام أو أسابيع للاستراحة وللتغذية.

كتب جغرافية متنوعة ودراسات جغرافية بمجلات متخصصة وبحوث ميدانية.

أحمد هوزلي

الضب، كما هو في اللغة وفي الدارج يجمع على ضُبّان وضباب، جنس حيوان من الزواحف Reptilia ومن رتبة العظاء Squamates وفصيلة الحبينات Agamidae. يشتمل على 12 نوعا تعيش كلها في المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية الجافة الإفريقية والأسيوية وتتحمل حرارة مرتفعة تتعدى أحيانا 50 C°. نوع واحد منها يألف المناطق الجنوبية المغربية يسمى علميا Uromastix acanthinurus belle, 1825 وبالفرنسية Lézard de palmiers وFouette queue du Sahara وبالإنجليزية Dhub وThorn tailed Agama وDabb-lizards وبالأمازيغية أگوتاي ج. إگوتاين، أگوجيم - ج. إگوجيمن، أمگاشو - ج. ثمگاشاون، أگزرام وأگيزام وأحردان.

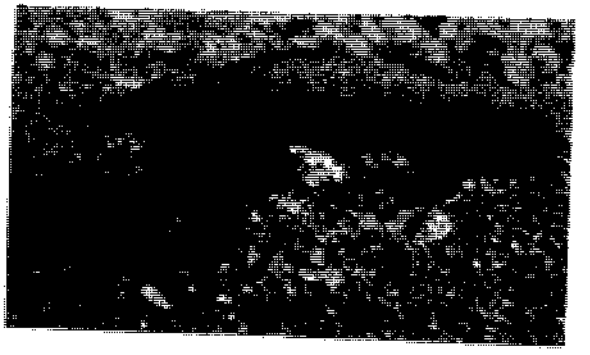

يتميز الضب بجسم غليظ متجعد ومسطح، يبلغ طول الكبار جمعا بين الجذع والذنب 42 سم، الرأس دائري ومسطح لا يتعدى طوله 7 سم، الذنب عريض وقصير نسبيا يصل طوله إلى 17 سم ويحمل عدة حلقات متراكبة مشوكة خشنة، القوائم قصيرة وقوية، الحراشف الظهرية متراكبة وأصغر من الحراشف البطنية. لونه أسمر أشهب في الظل، يميل إلى الصفرة خلال النهار فيختلط مع ألوان الرمال أو الأتربة المحاطة به. يتغير لونه حسب التربة والحرارة، يقضي الليل والأيام الباردة في جحور يبلغ طولها 80 - 300 سم وبين شقوق الصخور ويستأنف نشاطه نهاراً بعد ارتفاع الحرارة. يأخذ مكانه غالبا فوق صخرة مسطحة مرتفعة ويمدد رأسه عاليا ليتمكن من مراقبة كل ما يحيط به، يخشى الحرارة المفرطة فيلتجئ إلى الظل. يشتي طيلة فصل البرودة وينشط ما بين مارس وأكتوبر. يقاوم أعداءه بتحريك جانبي سريع لذنبه ؛ فمه خال من الأسنان والسم. يعيش منعزلا أو مزدوجا في أغلب الأحيان.

حيوان بيوض عاشب، موجود في عدة مناطق بجنوب المغرب وشرقه في عوينة تورقوز وزاكورا ووارزازات وفكيك وأرفود والرصاني والطوز والرشيدية وهضاب حمادة وطانطان والعيون والسمارة وكرسيف وتاوريرت. مهدد بالانقراض في عدة مناطق بجنوب المغرب لكثرة مضايقته من طرف الإنسان الذي يتغذى من ذنبه الغني بالدهنيات أو يحنطه للتزيين المنزلي كما يستعمله في الطب التقليدي وفي عالم السحر فنجد عدة نماذج مجففة عند بائعي الأعشاب. يصعب تدجينه في أغلب الأحيان لأنه يمتنع عن الأكل فيموت.

يتوالد في الصيف - يونيو - ويوليوز - وتضع الإناث بداخل التراب 5 - 20 بيضة بيضاء شبيهة بثمرة النخيل في شكلها، يبلغ قطرها الكبير 3.5 سم وقطرها الصغير 2 سم، تخرج الصغار بعد 6 - 8 أسابيع وتتغذى من النمل وحشرات صغيرة أخرى ومن أوراق الأعشاب ثم تصير عاشبة مع تقدم السن.

حيوان محمي في كل من المنتزه الوطني لإريقي الواقع بين وادي درعة والمنحدر الجنوبي للأطلس الصغير، والمنتزه الوطني لدرعة السفلى وهو حزام ممتد بين جبل باني وجبل واركزيز، والمنتزه الوطني للداخلة.

م. رمضاني، بوبريص، *معلمة المغرب*، الجزء 5، ص. 1627 - 1628؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان - الطبعة الثالثة، 1988 ؛ المعلوف أمين، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة ، 1932.

J. Bons, *Les lacertiens du sud-ouest marocain : systématique, répartition géographique, éthiologie, écologie. Trav. Inst. Sci. Chérif., Zoologie*, 18 , 1959.

الضبع، كما هو في الدارج واللغة، والضبع المخطط وعرفاء والذيخ والذيحة والضاحك كما هو في المعاجم، حيوان ثديي لاحم من الضواري Carnivore ومن فصيلة الضباع Hyaenidae. يسمى علميا Hyaena hyaena Linnaeus 1758 وبالأمازيغية إيفيس ونفيس وأريدال وتورسرا وبالفرنسية

Hyène rayée وبالإنجليزية Striped hyaena. يتميز بقامة كبيرة وبقوائم خلفية أقصر بكثير من الأمامية مما أدى إلى انحناء الظهر نحو الخلف. هيأته شبيهة بالكلاب، رأسه كبير وعنقه ضخم ؛ أذناه مثلثتان وبارزتان. شعره غزير طويل وخشن. تمتد على طول العمود الفقري من العنق إلى الذيل خصلة من الشعر الطويل الخشن تنتصب في حالة الغضب ؛ لونه رمادي إلى أصفر شاحب مع خطوط مستعرضة سوداء على الظهر والجانبين والقوائم. العنق أسود عموما ؛ شعر الذيل كثيف جدا وطويل، موحد اللون أو مخطط بالأسود. الفكان قويان يحملان أسنانا صيغتها على نصف الفكين كالآتي :

3 / 3 قواطع ؛ 1 / 1 أنياب ؛ 3 / 4 أضراس أمامية ؛ 1 / 1 أضراس = 34 سنا.

علوه عند الغارب 65 ـ 80 سم وطوله جسما بين الرأس والجسد 100 ـ 120 سم وطول الذيل 25 ـ 35 سم. يعيش منعزلا أو مزدوجا ويختفي نهارا في المغاور وبين الصخور ليستأنف نشاطه ليلا باحثا عن مختلف الحيوانات الصغيرة والجثث والعظام ليسحقها بفكيه القويين. وينسب إليه في بعض المناطق المغربية أنه يحفر المقابر ليأكل عظام الجثث كما ينسب إليه أيضا أنه يهجم أحيانا على قطيع الغنم. مازالت بعض الفئات البدوية في شمال إفريقيا تؤمن بمنفعة مخ الضبع في عالم السحر. يتوالد في فصل الربيع وتدوم مدة الحمل حوالي 110 أيام وعدد جرائه 1 ـ 4، توضع في الغيران والكهوف وترافق الأم بعد ستة أسابيع.

موطنه الأصل إفريقيا الشمالية والمناطق الصحراوية الإفريقية والشرق الأوسط والجزيرة العربية والهند. وصار نادرا في المناطق المغاربية ابتداء من منتصف القرن العشرين روضي المغرب منه عدة وحدات في شرق البلاد والأطلس الكبير والمناطق الصحراوية جنوب الأطلس الصغير. وانقرض في كل من الأطلس المتوسط والهضاب الوسطى.

ويعد من الحيوانات المهددة بالانقراض في المغرب ويحتاج إلى دراسة دقيقة تهدف إلى حمايته في أماكن آمنة. وتعيش عدة أفراد في الحدائق الحيوانية العمومية الوطنية والأجنبية.

J. Dorst et P. Dandelot, *Guide des grands mammifères d'Afrique, Les guides du naturalistes*, Délachaux et Niestlé, Neuchatel, Paris, 1973 ; S. Aulagnier et M. Thevenot, *Catalogue des mammifères sauvages du Maroc. Trav. Inst. Scient., Zool.*, n° 41, Rabat, 1986.

محمد رمضاني

الضُّبْلُونْ. أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Doblón وهو اسم عُملة إسبانية قديمة.

الضبلون، الحاج عبد القادر مثري كانت له تجارة مع بعض أقطار أوروبا وخاصة انجلترا، وفي شهر رمضان 1104 (ماي 1693) ؛ كان القائد علي بن عبد الله الحمامي ينوي إرساله سفيراً للسلطان مولاي إسماعيل إلى فرنسا.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1132.

محمد ابن عزوز حكيم

الضَّحَّاكي، الحمزاوي هو محمد الضَّحَّاكي نسبة إلى دوّار الضَّحَّاك، على مشارف ـ مِيرلفْتْ ـ وهو من شرفاء آل سيدي محند بن يوسف الوزاني، نقلت عن تلميذه وابن عمه سيدي إبراهيم ـ نْدْ زَاعْبُونْ ـ سنة 1980 مانصه "حدث لوالد مترجمنا هذا مشكل مع القبيلة، لذلك خافت زوجته على طفلها هذا، فهربت به عند أهلها بأيْت جرار، ولم ترجع به إلا بعد مدة، ولهذا بنعته البعض بالجراري في صغره".

وقد أطلعني سيدي إبراهيم هذا على مجموعة من الرسائل إلى مترجمنا، وتنعته دائما الشريف البركة الحمزاوي الصالح ... قال عنه صاحب *المعسول* : "تخرج بأحمد بن محمد الماسّي... ثم أقبل في مدارس بعمرانة إلى التخريج في الفنّ، وكان ينعزل عن غير تلاميذه، آية في حب الوحدة، وكان من الصالحين المعتقدين" في رجالات العلم العربي في سوس، ص. 227.

وقد عدّد صاحب *المعسول* كذلك من القراء الكبار، وقال : "وفنّ القراءات وإتقانه والقيام عليه من الفنون السوسية التي كانت سايرت عصرهم العلمي من قديم، وهو فنّ شريف مؤسس على قواعد علمية تدرّس بمؤلفات الشاطبي، وابن الجزري، وابن برّي والخرّاز وأمثالهم، وللسوسيين أيضاً مؤلفات في الموضوع... كشارح مورد الظمآن، وشارح مؤلف الخراز، وشرح الدرر اللوامع في قراءة نافع... ومن أشهر القراء بسوس أعجْلي، وأحمد أنجّار الباعمراني، ومحمد الضَّحَّاكي الباعمراني هذا من قبيلة أيْت إخْلف (سوس *العالمة*، ص. 32 ـ 33).

ومما جاء في كتاب المدارس العلمية العتيقة بسوس للمتوكل عمر الساحلي ص. 332 قوله : "المقرئ الشهير سيدي محمد ـ أ ضَّحَّاكْ ـ الباعمراني ... الذي نعته الأديب

لحسن البونعماني بخطة "الأستاذ الكبير الشريف - أو ضَحّاكْ - رحمه الله ورضي عنه" من غلاف الرحلة العبدرية. ومن أهم الصدف أن المتوكل هذا وجدني بميرلفت استجوب سيدي إبراهيم - نْدْ زاعبون - قصد استكمال ما نقلته عنه سابقا في السنة الماضية 1980، فحصرنا معا نسجل ما يقوله إبراهيم هذا الذي توفي في 11 يناير 1987 ومما استفدته عنه هذه المرة عن مترجمنا قوله : "إنه عمّي وشيخي وهو محمد بن عبد الله بن عبد الله مكرراً بن أحمد بن محمد بن حميدة ولد في موضع الضحاك وتوفي سنة 1327. ونفسه عند المتوكل. وللضّحّاكي عدد مطمٌّ ممن حفظ عنه القراءات السبع، وأسجل هنا أنّني رأيْت مصحفاً بخطّ الضّحّاكي برواية حمزة عند شيخنا سيدي الحسين بن أمغار بمدرسة بُوگارْفا

توفي سنة 1327.

محمد المختار السوسي، سوس العالمة، ص. 33 ؛ *رجالات العلم العربي بسوس له*، ص. 227 ؛ *المدارس العلمية العتيقة بسوس*، ج 3، ص. 332 ؛ جهادي، *جانب من تاريخ أيت باعمران*.

الحسين جهادي

الضرباني، محمد البيضاوي. رجل عصامي لا تعرف مراحل نشأته الأولى، وإنما يعرف أولاً كموظف بالبنك الجزائري بالدار البيضاء الذي كان الاب جيكو (ابن الحسن) أحد المسؤولين فيه، وكان الضرباني رياضياً يلعب كرة القدم إلى جانبه في فرقة "لبوسا" كحارس للمرمى معروفاً بالفقيه، الأمر الذي يدل على أنه كانت له مسكة من علم.

انخرط الفقيه الضرباني بعد ذلك في سلك التعليم وأسس مدرسة حرة في إحدى الدور التقليدية القديمة المجاورة لمقبرة سيدي مبارك بحي باب مراكش بالدار البيضاء سماها "المدرسة السنية"، تولى التدريس فيها معلمون كفاة فلقيت إقبالاً كبيراً من سكان الأحياء المجاورة، وتخرج منها تلاميذ نجباء، تابع بعضهم دراسته وشغلوا مناصب إدارية رفيعة. ونشط الفقيه الضرباني - إلى جانب التعليم - في الحركة القومية، ولقي من مضايقات السلطات الاستعمارية ما لقيه غيره من الوطنيين المكافحين.

وفي غمرة حركة التوسع والتجديد التي عرفتها المدارس الحرة برعاية محمد الخامس، سعى الضرباني في تحويل تلك المقبرة المندثرة مع بقعة فارغة مجاورة لها إلى مدرسة بعد جهد جهيد، وتحقق حلم الفقيه الضرباني بتطوير التعليم في المدرسة السنية الجديدة تبعاً للبرنامج الذي وضعته مندوبية المعارف بالقصر الملكي. وقد أصبحت المدرسة السنية الجديدة بدرب دار المولودي حي باب مراكش معهدين متجاورين : المعهد المحمدي للأولاد ومعهد الأميرة للاعائشة للبنات.

مات الفقيه الضرباني قرير العين في 19 صفر عام 1387 / 29 ماي 1967 بعد أن ترك ابنه حميداً خلفا له في تسيير المعهدين، ثم توفي حميد الضرباني سنة 1416 / 1996.

أ. زياد، *دفتر أيام في الدار البيضاء : روايات شفوية*، عن الأستاذ إدريس الفاسي.

محمد حجي

أبو ضربة، محمد بن إدريس بن عبد الحق المريني، كان والده إدريس أكبر أولاد عبد الحق جد بني مرين والذي قتل معه في حرب بني مرين عرب رياح سنة 614 / 1217. وكان لإدريس هذا عدة أولاد من بينهم محمد الذي ولد سنة 608 / 1211. شارك إلى جانب أعمامه في محاربة الموحدين، ففي سنة 638 / 1241 عندما خرج الأمير المريني أبو معرف محمد بن عبد الحق إلى ضواحي مكناسة لمواجهة الخليفة الموحدي الرشيد خرج إليهم الأمير محمد بن إدريس وبارز قائدهم ابن وانودين وهزمه، كما تمكن من قتل قائد الروم في الجيش الموحدي الملقب بأبي ضربة النصراني. وقد استطاع هذا الأخير قبل مقتله أن يصيب قاتله الأمير محمد بن إدريس بجرح عميق في مقدم رأسه وجبهته، وعندما اندمل جرحه ترك في وجهه أثرا لقب من أجله بأبي ضربة.

بعد هذه الواقعة لم نعد نسمع شيئاً عن أخبار الامير المريني إلا بعد سنة 660 / 1262 عندما ركز المؤرخون على دوره في مساندة تمرد ابن عمه يعقوب بن عبد الله على السلطان يعقوب بن عبد الحق ثم في ثورته هو على عمه السلطان بقصر كتامة. وأمام خطورة هذه الثورة وما يمكن أن ينتج عنها من صراع دموي بين أولاد وحفدة عبد الحق بهدف السيطرة على الحكم، قرر السلطان المريني سنة 662 / 1264 نفي أولاد أخيه إدريس كأبي ضربة محمد بن إدريس وأخيه أبي فارس عامر بن إدريس والحاج المجاهد التاهرتي على رأس طائفة من المجاهدين والمتطوعين المغاربة لمحاربة النصارى بالأندلس وكان أول جيش عبر إلى الأندلس من بني مرين. ومع ذلك استمر أبو ضربة في التشغيب على عمه ومعاداته إذ حاول من جديد إعلان الثورة عليه سنة 663 / 1265 بقصر عبد الكريم، فاضطر عمه أن يرسل إليه أحد أولاده وهو الأمير أبو مالك عبد الواحد الذي حاصره في معقله أياما ثم عفا عنه وأمنه وذلك لما بينهما من قرابة.

وفي سنة 669 / 1271 أخذ السلطان يعقوب البيعة لولده عبد الواحد برباط الفتح. فكانت الشرارة التي أشعلت نار الفتنة بين أولاد إدريس بن عبد الحق والسلطان يعقوب بن عبد الحق فأعلن أبو ضربة الثورة على عمه معتبراً أباه إدريس وأولاده من بعده أحق بالملك من أبناء عبد الحق وأن يعقوب وأولاده مغتصبين له فرفضوا بيعة ولده عبد الواحد. وقد اعتصم أبو ضربة ومن معه بجبل أمرگو في أحواز فاس (أو جبل علوذان من جبال غمارة) ثم خرج إليهم السلطان وولداه عبد الواحد ويوسف فحاصروهم بالجبل ثلاثة أيام. وبعدما اشتد الحصار عليهم استسلموا وطلبوا العفو فعفا عنهم وأمرهم بأن يخرجوا من بلاده إلى تلمسان التي نزلوا بها مدة ثم انتقلوا منها إلى الأندلس.

وبعد وفاة السلطان يعقوب سنة 685 / 1286 بالجزيرة الخضراء بويع ولده يوسف بالخلافة ثم رجع إلى دار ملكه بفاس، وعند استقراره بها عاد الحنين بأبي ضربة إلى الثورة من جديد على ابن عمه يوسف في جماعة من بنيه وإخوته، فتحصن بجبال ورغة من أحواز فاس ودعا لنفسه وانضم إليه أحد أولاد السلطان يعقوب وهو أبو معرف محمد واعلنوا جميعا مخالفتهم للسلطان الجديد بما اضطر معه هذا الأخير إلى مواجهة الموقف بكل حزم وصرامة فحارب المخالفين إلى أن تفرقت جموعهم. فرجع أبو معرف إلى طاعة أخيه بينما فر أبو ضربة وبنوه إلى تلمسان. فاعتقلوا في الطريق ونقلوا إلى رباط تازا. وبعد ذلك بعث السلطان يوسف أخاه أبا زيان لقتلهم فقتلوا جميعا وأبو ضربة من بينهم خارج باب الشريعة من رباط تازا وذلك في شهر رجب من سنة 685 / 1286.

ابن عذاري، *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب*، قسم الموحدين، تح. مجموعة من الأساتذة، دار الغرب الإسلامي، بيروت ودار الثقافة، الدار البيضاء، 1985، ص. 355 ـ 425 ؛ مجهول، *الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية*، دار المنصور، الرباط، 1972، ص. 47، 60، 97، 98، 109، 125 ؛ ابن أبي زرع، *الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس*، دا المنصور، الرباط، 1973، ص. 308، 377، 404 ؛ ابن خلدون، *العبر*، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1978، ج. 7، ص. 351، 367، 368، 377، 437، 763، 764 ؛ الناصري، *الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى*، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954، ج. 3، ص. 10، 23، 67.

رشيد السلامي

الضريبة. أصلا ما كان العبد يؤديه إلى سيده من الخراج المقرر عليه، وتجمع على ضرائب. ومن ذلك ضرائب الأرضين، وهي وظائف الخراج عليها. ثم اتسع المعنى حتى صار يفيد كل الجبايات التي يؤديها الفرد إلى صاحب السلطان في الجماعة طوعا أو كرها. وحيث إن شؤون السلطان انتظمت في المغرب منذ أقدم العصور، فإن نظام الضرائب أبعد في القدم من أن يوقف على جذوره بكل دقة. وكانت بعض أشكاله معمولا بها في الممالك الأمازيغية، إما من باب الفريضة لصاحب الغلبة، وإما من باب التعاضد مثل التويزة التي هي مساعدة أفراد الجماعة للعوزين أو العاجزين من إخوانهم، هذا فضلا عما فرضه الرومان من الضرائب أيام استعمارهم. ثم انتشر الإسلام، وانتشرت لغة القرآن، فصار ما يجبى لبيت مال المسلمين منقسما، كما هو الحال في كل الملل وفي كل النحل، إلى قسمين : قسم يؤديه الناس عن إيمان وطواعية، وتلك هي الصدقات الواجبة على المسلم والمنصوص على مقاصدها في قوله تعالى : "إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم" (*التوبة*، 60). وقسم آخر يؤدى جبرا وقهرا على من ليس من الملة كالجزية على اليهود والنصارى، أو كالخراج على الأراضي المنتزعة عنوة. ولما صارت الدولة الإسلامية إلى التضخم مع مرّ السنين، فإن جوانب الإكراه في تطعيم جاجيات بيت المال المتفاقمة أضحت هي المهيمنة، فصارت الصدقات فريضة، وصارت الفريضة مؤونة والمعونة وظيفة والوظائف لوازم واللوازم مغارم والمغارم وزائع والوزائع ضرائب. وأول إشارة بلفظ الضريبة في المغرب العربي، نقف عليها عند ابن حوقل وهو يتكلم عن مكان بأحواز طرابلس الغرب فقال : "وبه ضريبة على القوافل وقتنا هذا" (ص. 71). مما يدل على قدم المصطلح في مجالنا، وإن كنا نجهل كيفية تسربه إلى المغرب الأقصى ومتى حصل ذلك بالضبط. وحيث مازلنا نفتقر لبحث جامع عن تاريخ الضرائب عندنا، فإن المعلومات بشأنه قليلة متناثرة. ولا شك أن الدولة الموحدية هي التي اجتهدت لإرساء بعض الثوابت، إذ أمر عبد المؤمن بن علي بمسح الأراضي، وفرض الخراج عليها بصفة كونها ملكا للدولة، فلا عبرة بإسلام أصحابها. ثم قامت الدولة السعدية، ففرضت "النائبة" على القبائل ضريبة على الأشخاص، كما أن هذه الدولة فتحت أبواب التجارة مع الأوربيين لتجني من ذلك أموالا يحتجنها بيت المال السلطاني دون سواه، بما كان يفرض على المبادلات مع النصارى من الرسوم في الصدور والورود، وذلك من حقوق السلطان في الشريعة. وهذا النظام هو الذي عملت به الدولة العلوية منذ قيامها في منتصف القرن السابع عشر إلى أن فرضت الحماية الأجنبية عليها سنة 1912. وقد وصفه ميشو بيليير بكل تفصيل، مبينا أنه كان قائما على الزكوات والأعشار الشرعية، وعلى مجموعة من الفرائض والمغارم مثل هدايا الأعياد ومونة "المحركات" المخزنية والذعائر التي تلزم بها القبائل المشاغبة، هذا فيما يرجع لما يسمى اليوم بالضرائب المباشرة. أما بخصوص الضرائب غير المباشرة، فقد تعزز جانبها بما تكاثر من مخالطة تجار أوربا وتفاقم من ارتيادهم للموانئ المغربية والأسواق الداخلية، فكثرت المكوس وتعددت الرسوم الجمركية، وسعى الأوربيون بكل حرص في إرساء ضوابط كل ذلك في معاهدات حالت شيئا فشيئا بين السلطان وبين أن يتصرف بها بمحض إرادته كما

كان يفعل سابقا، من ذلك المعاهدة المغربية الإنجليزية لسنة 1856، والمعاهدة المغربية الألمانية لسنة 1890، والمعاهدة المغربية الفرنسية لسنة 1895. بل كان من مضاعفات تغلغل المستثمرين الأوربيين يومئذ في البلاد أن وجدت الدولة المغربية المسلمة نفسها مضطرة إما إلى جباية الزكوات والأعشار حتى من غير المسلمين، وإما إلى التصرف بما أرسته الشريعة لعهم أبناء الملة ومن جاء يزاحمهم في استغلال الأرض المغربية. وحاولت الدولة التخلص من هذه المفارقة بسن نظام "الترتيب" سنة 1881 الذي قضى بالمساواة بين الملزمين بالزكاة وبالعشر، وبين الشريف والمشروف، أو بين المسلم وغير المسلم على ترتيبات معينة وشروط عامة مضبوطة. لكن السلطان المولى حسن سرعان ما عدل عن هذا المشروع، لما أدرك من منافاته لروح الشريعة ولما ظهر فيه عند محاولة تنفيذه من التحجير على الراعي والرعية. حتى إذا آلت الأمور إلى خلفه المولى عبد العزيز، واشتد التكالب الاستعماري على البلاد، ظن هذا السلطان الذي لم يكن بعد قد جرب الأمور أن إصلاح شؤون الضريبة قد يخفف من متاعب الدولة. فأمر بإلغاء النظام الشرعي القديم وبالعمل بنظام "الترتيب". فانقطعت أسباب الجباية بالمرة، وعمت الفتنة في خضم مناورات الأجانب لفتح أبواب السوق المغربية على مصاريعها. واجتمعت الدول الكبرى في مؤتمر الخزيرات سنة 1906، وخرجت منه بطلائع نظام جبائي جديد ألزمت به المغرب، فوامه ضريبة على المنتجات الفلاحية، احتفظ لها باسم "الترتيب" يؤديها كل من يفلح الأرض بغض النظر عن ملته ونحلته. ثم إنهم أضافوا إلى الأعشار الجمركية على الواردات رسما يساوي 2.5٪، رصدت مبالغه لإصلاح شؤون الموانئ. هذا فضلا عن صاكة البتغ التي استقر العمل بها سنة 1908.

بيد أن الحماية الفرنسية الإسبانية التي فرضت على البلاد سنة 1912 بادرت إلى تجاوز كل ذلك، وأقامت بالتدريج نظاما ضرائبيا مقتبسا من الأعراف الأوربية، جاعلة النظام القديم في خبر كان. فالضرائب إما مباشرة وإما غير مباشرة. والضرائب المباشرة إما موضوعية وإما ذاتية. أما الموضوعية فمنها "الترتيب" ضريبة على الأرض كانت هي عقد القوس، وقد انتظمت قواعدها بصفة نهائية بظهير 11 مارس 1915. ومنها الضريبة الحضرية المفروضة على الممتلكات العقارية داخل الحواضر، وتقررت بظهير 24 يوليوز 1918. ومنها الضريبة على ممارسة المهن الحرة، وهي البطانطة، ومقتضياتها في ظهير 9 أكتوبر 1920. يضاف إلى ذلك الاقتطاع من الأجور الذي تقرر بظهير 30 أكتوبر 1939، والتكملة على البطانطة المقرر بظهير 12 أبريل 1941، والذي يعتبر أول محاولة لفرض الضريبة على المعاملات التجارية مهما كان نوعها، اعتمادا على مستوياتها بالأرقام. ومن الضرائب الذاتية، ففي البوادي "السخرة" على البالغين من المغاربة يشتغلون لصالح الدولة عددا من الأيام مجانا، وفي المدن الضريبة على السكن. أما الضرائب غير المباشرة فمنها ضرائب على رواج السلع والبضائع، وفيها أخرى على مواد الاستهلاك، وثالثة على تسجيل الرسوم وحقوق التنبر. وإذا ما استثنينا حقوق التسجيل والتنبر، فكل الضرائب غير المباشرة الأخرى كان معمولا بها في المغرب، مثل الرسوم الجمركية ومثل أشكال المكوس المتعددة على نقل البضائع وعبورها للمدن وحقوق الميزان والقاعة والرحبة. إلا أن الحماية الأجنبية أدخلت كل ذلك في قالب رتيب، وقسمت المداخيل بين ما يرجع إلى الصندوق العام لخزينة الدولة وبين ما تصرفه البلديات المحدثة بظهير 1917، مضيفة إلى المواد المكّسة بيع الخمور التي كثرت بتكاثر النصارى في البلاد، ومواد المتفجرات المستعملة في الحفر والمقالع، وأيضا ضريبة النقل الذي اشتد برا وبحرا وجوا. وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن النظام الضرائبي المغربي انقلب رأسا على عقب فيما بين 1912 و1956، ذلك بأن الضريبة التي كانت تعتبر سابقا وسيلة تستعين بها الدولة على أداء وظائفها المنحصرة أصلا في الذود عن الحمى وحفظ الرعية في نفسها وأعراضها وأموالها، تحولت إلى وسيلة سياسية واقتصادية سخرتها السلطات الاستعمارية في تجهيز المغرب بالتجهيزات الأساسية وفي إلحاقه بالأسواق العالمية. وغني عن البيان أن العبء الأكبر من تلك الضرائب كان يقع على كاهل المغاربة، ولا تؤدي الجالية الأوربية منه إلا بقدر ما كانت تستفيد. كما أن سكان البوادي كانوا يؤدون أكثر مما يؤديه سكان المدن. وكان يجبى من الضرائب غير المباشرة الواقعة على السواد الأعظم من السكان أكثر مما يجبى من الضرائب المباشرة الواقعة على الأقلية المستثمرة. بيد أن هذا الحيف في التوزيع كان دليلا على طبيعة البنية الاقتصادية المغربية عند منتصف القرن العشرين، ذلك بأن أساس الدخل العمومي فيها كان من الفلاحة التي منها رزق أزيد من ثلاثة أرباع المغاربة، وما عدا الفلاحة فكان بيد الأجانب في الغالب.

ولذلك، ما أن استرجع المغرب استقلاله حتى صارت الحكومات المتعاقبة تسعى جادة في فك هذه التناقضات وفي النهوض بالاقتصاد نحو الموازنة بين القطاعات والعدالة بين الطبقات الاجتماعية. ومن المبادرات المثيرة في هذا الصدد إلغاء ضريبة "الترتيب" في يونيو 1961، بعد أن تبين أن إعفاء الطبقات الفلاحية الدنيا منها يجعل ريعها دون تكاليف جبايتها. وذهب الحال بالدولة، في مطلع الثمانينات، إلى حد إعفاء الإنتاج الفلاحي جملة وتفصيلا من الضريبة رأفة بالسواد الأعظم من الأمة وتشجيعا لهم على الإنتاج والاستثمار لسد حاجيات ساكنة متزايدة في بلد متقلب المناخ. ولم تقدم الدولة على ذلك القرار إلا لإدراكها لما طرأ من التحول على بنية الإنتاج الوطني، الذي أصبحت الفلاحة فيه في العقد الأخير من القرن العشرين لا تحتل أكثر من 15٪ من الدخل القومي، فكان لا بأس بأن يقع العبء الضريبي على باقي القطاعات وعلى دخل الأفراد

والجماعات بصفة عامة بغض النظر عن نوعه. وهكذا، فإن الضرائب المعتمدة في المغرب في مطلع القرن الواحد والعشرين هي كما يلي :

- ضريبة على الدخل العام الواجبة على الأشخاص بالذات وعلى الشركات، ومن ذلك الأجور والمرتبات على اختلاف أصنافها والمعاشات، ومنها الأرباح المهنية، تجارية كانت أم صناعية أم حرفية، وأرباح المهن الحرة، وفوائد المضاربات العقارية. ومنها فوائد الرساميل المنقولة، كريع الأسهم والسندات وما إلى ذلك من وجوه المعاملات المالية. ومنها فوائد الإنتاج الفلاحي، علما بأنها معفية من الضريبة إلى حدود سنة 2010.

- ضريبة البطانطة المفروضة على الأشخاص بالمعنى أو بالذات، سواء كانوا مغاربة أم أجانب، يمتهنون مهنتهم أو يحترفون حرفة أو يشتغلون بالتجارة. على أن 90٪ من ريع هذه الضريبة يمول نفقات البلديات والجماعات المحلية، ويدخل الباقي صندوق الدولة المركزي. ويضاف إلى البطانطة أعشار وسنتيمات تمول غرف التجارة والصناعة والصيد البحري وتعاضديات الحرف اليدوية.

- الضريبة الحضرية المفروضة على كل مبني من العقار سواء كان يسكنه صاحبه أم لا، أم كان في متناول أقاربه ولو بالمجان، وكذلك كل مبني مهني أو استغلالي وما يوجد فيه من أدوات الإنتاج ومختلف الآلات، وأيضا الأراضي العارية إذا كانت تستغل بأي وجه من وجوه الاستغلال. شريطة أن يكون كل ذلك داخل المدار الحضري وفي أحوازه المحددة.

- ضريبة النظافة، وهي من جنس الضريبة الحضارية تفرض على العقار المبني والعاري لتمويل ضرورات الصيانة والتطهير والتنظيف، ومدخولها من نصيب البلديات والجماعات المحلية.

- الضريبة على القيمة المضافة، وهي من مبتكرات المغرب المستقل، ودليل قطعي على نمو اقتصاده وتشعبه وتنوعه، فهي مفروضة على كل أشكال الإنتاج الصناعي والحرفي والتجاري وعلى المهن الحرة، تحتسب بالنظر إلى أسعار البضائع والأشغال والخدمات وما يتصل بها من المداخيل، وأيضا بالنظر إلى التكاليف والحقوق والرسوم المتعلقة بها.

هذا إذن فيما يعني الضرائب المباشرة. أما الضرائب غير المباشرة، ففيها ضرائب التسجيل وضرائب التنبر، فضلا عن الرسوم الجمركية :

- وضريبة التسجيل فيها رسوم ثابتة وأخرى نسبية، وهي فرض على كل أشكال التفويت بالمال أو بالمجان، بخصوص العقار أو الحقوق العقارية الملموسة، وعلى واجبات الكراء البعيد المدى لدى الشركات العقارية، وأيضا على تفويت الأسهم وما إلى ذلك بين الأشخاص بالذات أو بالمعنى.

- ضرائب التنبر، وهي إما بالحجم أو بالنسبة أو بالتخصيص. يضاف إلى ذلك الضريبة السنوية الخاصة على السيارات، وما يقتطع من الرسوم على المحروقات النفطية.

والرسوم على عقود التأمين يعد أداتها لواجبات التسجيل والتنبر والرسوم على القيمة المضافة. وهذه الضرائب هي التي تتركب منها مداخيل الدولة ونفقاتها التي تقوم عليها ميزانية الدولة. فلتنظر في مكانها من هذه المعلمة.

ابن حوقل، *صورة الأرض*.

J. F.P. Hopkins, *Medieval muslim government in Barbary*, London, Luzac, 1958 ; E. Michaux-Bellaire, *Les impôts marocains, Archives Marocaines*, T. I ; J. Jouannet, *L'évolution de la fiscalité marocaine depuis l'instauration du protectorat*, Paris, L.G.D.J., 3 vol., 1953.

إبراهيم بوطالب

الضعفاني، حجاج ولد سنة 1922 بابن أحمد، وانخرط في صفوف المقاومة وتحمس للعمل الفدائي مع مجموعة من المناضلين وقام بعدة أعمال جليلة إلى أن استشهد بتاريخ 29 شتنبر 1955 أثناء العملية المعروفة بمعركة سيدي معروف بالدار البيضاء صحبة رفيقه في الكفاح الشهيد محمد الحداوي.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 68.

الضعيف، محمد بن عبد السلام بن أحمد بن امحمد الرباطي، المعروف بالضعيف من مؤرخي الدولة العلوية. ولد بناء على ما صرح به هو بالرباط في أواخر ذي الحجة عام 1165 / أوائل نوفمبر 1752. ويعتبر تاريخه المصدر الأساسي لحياته، ومنه نستقي التعرف على مختلف تنقلاته ودراسته وميوله العلمية وما جبل عليه من حب الاستطلاع. تميزت حياته بكثرة الرحلات العلمية، كان أولها سنة 1179 / 1766 وهو ابن أربع عشرة سنة، وآخرها سنة 1230/ 1815 عندما زار ضريح عبد الله بن ياسين وهو ابن خمس وأربعين سنة.

عرف بشغفه بزيارة أضرحة الأولياء والصالحين، وخاصة ضريح مولاي عبد السلام بن مشيش، علي الصرصري بجبل صرصر ومولاي بوسلهام بالغرب وعلي بوغالب بالقصر الكبير وبو شعب الدكالي بدكالة وعبد الله بن ياسين بنواحي الرباط ومولاي إدريس بفاس وزاوية وزان التي جلبت اهتمامه واستقر بها طويلا، ولو كان ذلك بصفة متقطعة. ويتتبع تنقلاته نتعرف على المراكز العلمية وأصحاب الكراسي من شيوخه والمواد الدراسية الداخلة في تكوينه.

ففي الرباط درس مختصر خليل على شيخيه أبي القاسم السجلماسي وعلى محمد بن جلون، وختمه يوم 4 رجب عام 1200 ثم الألفية في النحو في السنة الموالية. وفي يوم 9 شوال 1203 ابتدأ قراءة لامية الزقاق في الفقه على نفس الشيخ.

وكان شغفه بالرحلات العلمية من الدواعي المثيرة لمغادرة مسقط رأسه وإخبارنا عن شيوخه المعروفين بالمدن العلمية الكبرى. فزار مدينة تطوان التي درس فيها على الفقيه عبد الرحمن الخايك سنة 1197 / 1783. وتردد كثيرا على فاس، مثلما حدث سنة 1191 / 1778، حيث مكث سنة كاملة، وكان

بها سنة 1201 / 1787 عاكفا على إتمام الكراسة الأولى من تاريخه وسنة 1209 / 1795 ليحضر مجلس الشيخ عبد القادر بن شقرون ويدرس عليه صحيح البخاري والشيخ خليل وتفسير القرآن والألفية. وعن ابن السبكي أخذ الضعيف البلاغة والمنطق والأصول وكتاب الشفا للقاضي عياض، بينما درس حكم ابن عطاء الله في التصوف والتفسير والحديث على ابن كيران. ودرس بوزان الألفية على الفقيه محمد الوزاني وعلى الدرعاوي الوزاني.

وعن الرحلات العلمية تولدت علاقات محمد الضعيف الاجتماعية مع الشرفاء (الوزانيون والريسونيون) والعلماء (محمد بن جلون والعربي الغربي) ورجال السلطة (الوزير محمد السلاوي والقائد التويني والقائد عمر التشيتي. واجتمع له من جراء ذلك إنتاج أدبي شعري اختلف بين المديح والهجاء. ولكن أهم إنتاجه هو في التاريخ الذي استهواه فرتب له توقيته لجمع المادة وتحريرها أثناء جولاته.

اختص المشروع بتسجيل تاريخ الدولة العلوية من النشأة إلى الوقت الذي عاش فيه آخر عمره، وهو وفاة المولى سليمان يوم 13 ربيع الأول عام 1238 مثلما حدد هو. وبداية عهد المولى عبد الرحمن بن هشام، فأقبل على البحث عن المصادر، واستكمل معلوماته بالمشاهدة والاستماع إلى الرواية الشفوية.

لم يتمكن محمد الضعيف الرباطي من الخروج عن المنهج الحولي المتبع آنذاك من طرف المؤرخين. وبدأ التحرير بمدرسة الشراطين بفاس، وذلك سنة 1201 / 1787، اعتمادا على كتاب زهر الأكم لعبد الكريم بن موسى الريفي من بداية الدولة إلى عهد المولى عبد الله بن إسماعيل. ثم سرد ما تعلق بالسلطان محمد بن عبد الله معتمدا على ما استقاه من محمد الحاج المسناوي الرباطي ومحمد بن الطيب القادري. واستكمل تاريخه بحكم المعاصرة مما أتاحت له مشاهداته وما حصل عليه من معارفه من الرواة. وانتهى منه سنة 1211 / 1797. ثم تلا ذلك الحديث عن فترة المولى سليمان وشرع في تسجيلها سنة 1222 / 1808. وانتهى من آخر صفحة بسنة 1238 / 1822.

واشتهر محمد الضعيف الرباطي في دقة التعريف بما شاهده من الأحداث السياسية والاجتماعية والظواهر الطبيعية، مثل ما عرف بضبط تواريخ الأحداث. ونشير مثلا إلى تاريخ حلول الجيش المغربي بقبيلة قلعية للشروع في حصار السلطان محمد بن عبد الله لمدينة مليلة حين حدده بيوم 4 شوال عام 1188 الموافق تماما لما هو موجود بالمصادر الإسبانية وهو يوم 8 ديسمبر 1774.

ومن الغريب ألا نعرف تاريخ ومكان وفاته، ودليلنا لمعرفة سنة امتداد حياته هو النهاية التي وصل إليها كتابه وهي سنة 1238 / 1822، وابتداء من هذا التاريخ لا نعرف له خبرا. إلا أنه من المؤكد أنه كان سنة الانتهاء حيا، وهو تاريخ إعلانه لوفاة المولى سليمان و تقديم نص الوصية الخاصة ببيعة المولى عبد الرحمن بن هشام.

تاريخ محمد الضعيف الرباطي، فاس 1985، نسخة تحقيق أحمد العمازين. والنسخة المحققة من محمد البوزيدي الشيخي، مقدمتا المحققين : حسن الفگيگي، *المقاومة المغربية للوجود الإسباني بمليلة*، البيضاء، 1997.

حسن الفگيگي

الضَّغْس أو الطَّقْسُوس بالعربية المقتبسة عن اللاتينية أو إيگَنْ أو إيكْنِي أو أدْغَامْ أو ريمرْوَال بالأمازيغية أو إيفْ if بالفرنسية، أسماء لنبات شجري من المخروطيات يسمى علميا طَكْسُوسْ بَاكَاطَا Taxus baccata وهو من فصيلة الضغسيات Taxaceae.

يتراوح علو الشجرة ما بين 10 و15 م. إنها شجرة دائمة الأخضرار، ثنائية المسكن، ذات جذع غليظ وهيئة هرمية الشكل في الصغر وغير منتظمة في الكبر. أوراقها إبرية مسطحة ومنجلية الشكل ذات لون أخضر قاتم على وجهها العلوي. طول الورقة 30 سم. أزهاراتها الذكرية هرية الشكل، كثيرة العدد، كروية، صفراء. ثمارها خضراء قبل أن تصير حمراء.

يوجد الضغس طبيعيا في المناطق المعتدلة من آسيا وأوروبا وشمال إفريقيا.

يصادف الضغس في المغرب ممثلا بأفراد متناثرة في الغابات المطرة المنظمة من طرف الأرز الأطلسي والشوح المغربي وبلوط الزان والبلوط الزغبي، ولا سيما في الوديان المتواجدة في هذه الغابات حيث تكون الاتربة شديدة الخصوبة. ويتعلق الأمر بالريف والأطلس الكبير ما بين 500 و2500 م من الارتفاع أي في الطوابق النباتية للمتوسطي الدافيء والمتوسطي وفوق المتوسطي والجبلي المتوسطي ذات البيومناخات شبه الرطبة والرطبة وشديدة الرطوبة. لكن الضغس لا يظهر في الطوابق النباتية السفلى إلا في الريف الغربي.

عرف الضغس منذ أقدم العصور بمواده السامة جدا، بالنسبة للإنسان والحيوانات ولا سيما تلك التي تنتمي إلى فصيلة الخَيْليات التي تضم الخيل والحمير. فإذا تناول الحصان 250 غ من أوراق الضغس فإنه يموت بعد نصف ساعة. ولهذا منع ربط الخيل بأشجار الضغس.

وبفضل هذه المواد السامة اشتهر الضغس في العقدين الأخيرين في أوروبا وأمريكا كنبات ذي أهمية كبيرة لا يستغنى عنه في معالجة مرض سرطان الدم أو اللوكيميا.

يستعمل الضغس أيضا في عدة حالات من التطبيب التقليدي كالإجهاض.

وفي القدم كان الضغس يستخدم لتسميم رأس السهم. وكانت أغصانه اللينة تصلح لصناعة الأقواس المستعملة في الحروب.

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*, Paris, 2000 ; J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle*.

médecine arabe ancienne et savoirs populaires. Paris, 1997.

عبد المالك بنعبيد

الضفادع من الحيوانات الفقرية تتميز بقابليتها للعيش في الماء وعلى البر ولهذا سميت بالبرمائيات أو القوازب Amphibiens. تسمى هكذا في المعاجم وفي الشرق العربي مفردها الضفدع وتجمع على ضفادع وضفادى ولها أسماء كثيرة عند العرب منها القر والقرقرة وجرانة والشرنوغ والعدمول والعلجوم والنقاق والقداد وأبو المسيح وأم هبيرة. ويسمى صغيرها شرغوف وشفدع وشرغ وبوزرويطة.

تحتاج أنواع الضفادع إلى الماء أو الرطوبة الشديدة للعيش ولوضع البيض. يخرج من كل بيضة شرغوف يحمل ذنبا طويلا ومتينا يساعد على السباحة. تعرف الشراغيف تحولات شكلية وفيزيولوجية تتعلق بالدوران الدموي والتنفسي. بعد مراحل النمو الأولى تظهر القائمتان الخلفيتان تدريجيا ثم الأماميتان ويتقلص الذنب لينتهي به المطاف إلى الزوال نهائيا فيصير الفرد بالغا وقادرا على العيش خارج الماء. التنفس خيشومي لدى الشراغيف كما هو الشأن عند الأسماك والدوران الدموي بسيط ومتكامل، وعند النضج يصير التنفس رئويا والدوران مزدوجا غير كامل. الجلد عار لا يتوفر على وقاية أو غشاء يحميه وهو دائم الرطوبة يستعمل أيضاً للتنفس عند الكبار لكون الرئتين صغيرتين جداً لا تكفيان لتزويد الدم بما يكفي من الأكسجين. يتم تنفس الهواء والتخلص منه عند الأفراد البالغين عبر المنخرين والجلد وهذه الحركة الزفيرية سريعة جدا تتعدى 140 تهوية في الدقيقة.

الجمجمة مفرطحة ومعظمها من غضروف. تتألف الأطراف من العظام، نجد العضد في القائمتين الأماميتين ويتألف كما في الإنسان من عظم واحد يليه عظمان ملتحمان : الزند والكعبرة ويلي ذلك الرسغ وبه ست عظيمات صغيرة، ثم مشط القدم وأربع أصابع خالية من المخالب. القائمتان الخلفيتان معدتان للقفز وهما أكبر طولا وأشد متانة، نجد فيهما الفخذ ثم عظم الساق الكبير والعظم الصغير ملتحمان في عظم واحد. يظهر من الرسغ وقبله عظمان متوازيان طويلان وهذا الطول الثالث يزيد في قدرة القفز عندما تقذف الضفدعة بنفسها أثناء التنقل أو الهروب. ومن بعد الرسغ تلي عظام مشط القدم ثم خمس أصابع خالية من المخالب والأظافر.

الأذنان بدون صوان خارجي والعينان كبيرتان ناتئتان عليهما غشاء شفاف يجعلهما مشحمتين. تتكون الحاسة اللمسية من شبكة واسعة من النهايات العصبية موزعة على الجسم وخاصة على الرأس والظهر والقوائم. الأسنان بدائية ومتشابهة تتجه نحو داخل الفم وموزعة على الفكين ؛ تستعمل للإمساك بالفريسة المبتلعة كلها أكثر مما تستعمل للمضغ.

يفرز الجلد السم تلقائيا عند بعض الأنواع. الخلايا الملونة موزعة تحت الجلد وتتحكم في تغيير لون الأفراد الذي يساعد على التنكر والاختباء، الملائم في حالة الخطر أو على إثارة الانتباه خلال فترة التناسل.

الضفادع من ذكر وأنثى منفصلان ومتشابهان، الذكور أصغر حجما من الإناث يحدثون أصواتا تعرف بالنعيق تنجزه بواسطة جرابات صوتية تقع تحت الحنجرة أو في زوايا الفم يعتمد عليها في تصنيف الأنواع. ينفخ الذكور هذه الجرابات خلال فترة التناسل فتعطي هذه الأغشية شكلا كرويا مميزا لكل نوع وتحدث نعيقا متواصلا يكثر عند غروب الشمس وطلوع النهار. يتم التناسل عند أغلب الضفادع في أواخر الخريف وبداية الشتاء ويوضع البيض في مياه المستنقعات الوحلية والضايات والبحيرات والمنابع والأنهار الضعيفة الجريان وعلى الأراضي الرطبة وذلك حسب الأنواع. يلد العلجوم Crapaud البيض بداخل حبال جيلاتينية طويلة تتعدى أحيانا مترين ويتراوح عدد البيض بين 1000 ـ 20000. تبيض الضفادع المائية Grenouilles في الماء بداخل كتلة جيلاتينية تلتصق بالأعشاب ولا يتعدى العدد 2000 بيضة. يبقى البيض في الماء مدة تقل عن أسبوعين وتخرج منه شراغيف مذنبة سوداء أو سمراء داكنة تعيش في الماء حوالي 4 أسابيع لتتحول إلى ضفادع بالغة تغادر الوسط المائي وتلتجئ إلى المناطق الرطبة المعشوشبة كالحدائق والبساتين وضفاف الأنهار والبحيرات والصهاريج. تخشى الحرارة فتختفي نهارا ويكثر نشاطها ليلا لتبحث عن الحشرات والديدان والحلزونات.

تقسم طائفة البرمائيات Amphibiens إلى مجموعتين في المغرب :

مجموعة الضفادع البتراوات أو عديمات الذنب Anoures، شكلها قصير وسمين، منها خمس فصائل و9 أنواع تعيش في الأوساط الرطبة المغربية :

ا ـ فصيلة العدموليات Ranidae وتضم قرابة 200 نوع في العالم، واحد منها فقط يعيش في المغرب يدعى جرانة في اللسان الدارج المغاربي والعدمول أو الضفدعة الخضراء في المعاجم. يسمى علميا Rana ridibunda وبالفرنسية Grenouille verte وبالانجليزية Green frog. على الظهر والرأس بقع خضر وبنية مختلفة الأحجام والشكل عند الأفراد. يتراوح طول الجسم بين 6 ـ 15 سم والإناث أكبر حجما من الذكور.

يتميز هذا النوع بخفته وسرعته الفائقة في السباحة وفي

اصطياد الحشرات والديدان. يتوالد في شهر مايو وتعيش الشراغيف في الماء مدة تزيد عن شهرين قبل أن تصير بالغة. تتردد الأفراد البالغة على سطح الماء للتنفس وكثيراً ما تأخذ الكبيرة مكانها بين الأعشاب أو على ضفاف الأنهار والبحيرات لتستريح أو لتترقب فريستها، وفي حالة الإزعاج تقفز بسرعة لتغوص في الماء. تختفي في الوحل أو بين النباتات خلال فصل الشتاء وتستأنف نشاطها منذ فبراير إلى شتنبر. تعمر الأفراد حوالي 10 سنوات ويعيش هذا النوع في جميع البحيرات القارية والأنهار والمنابع المغربية الصحراوية والشمالية. يربى ويصاد لأكل لحوم سيقانه في بعض المناطق أو لإجراء تجارب علمية مختلفة في عدة مختبرات كليات العلوم الوطنية والأجنبية.

2 ـ فصيلة ضفدعيات الأشجار Hylidae وتشتمل على 250 نوعا في العالم منها نوع واحد يعيش في الأوساط المائية المغربية، إنه الضفدع المتوسطي يدعى علميا Hyla meridionalis وبالفرنسية Rainette méditerranéenne، يتميز بجسم نحيل لا يتعدى طوله 5 سنتمترات. الجلد أملس والقوائم رشيقة وطويلة. لونه أخضر على الظهر والرأس والقوائم وأبيض على البطن، على جانبيه لفافة سوداء رقيقة وقصيرة تربط العين بالإبط وهذه الخاصية تميزه عن نوع Hyla arborea الذي يعيش في أوروبا. يكثر نشاطه ليلا وكثيراً ما يأخذ مكانه فوق أغصان الأشجار والنباتات المجاورة للبحيرات والأنهار الذي يبيض فيها.

يقتصر توزيعه الجغرافي على المناطق الرطبة وشبه الجافة في كل من المغرب والجزائر وتونس وإيطاليا وجنوب فرنسا وشبه الجزيرة الإيبيرية وجزر الكناريا ومديرا. وهو شائع في البحيرات الطبيعية الأطلسية وضايات وجداول هضاب الريف والماس وسهول الغرب وغابة المعمورة وضاية سيدي بوغابة وبعض بحيرات السدود. تمتد فترة التوالد من نونبر إلى أبريل وتبيض الإناث 800 ـ 1000 بيضة تجمعها كتلة جيلاتينية. يبلغ قطر البيضة 1 ـ 1.5 ملم ولا يتعدى طول الشراغيف 8 ملم.

3 ـ فصيلة العلجوميات Bufonidae وتعرف عند العامة بالقرقر والقرقرة وهي ضفادع برية تدخل المياه لتبيض ثم تعود مباشرة إلى اليابسة لتختفي في المغاور وتحت الأحجار وبين النباتات. تختفي في المغاور وتحت الأحجار في الأيام الباردة وتستأنف نشاطها ليلا في الربيع والصيف. الجلد مجعد يبعث على الخوف والاشمئزاز، لونه أصفر شاحب إلى أخضر زيتوني على الظهر وأبيض رمادي على الصدر والبطن. تتوالد في أواخر الشتاء وبداية الربيع. تنتمي إلى هذه الفصيلة أربعة أنواع شائعة في مختلف المناطق المغربية :

** العلجوم الشائع Bufo bufo spinosus يسمى بالفرنسية Crapaud commun وCrapaud vulgaire وهو أكبر الضفادع حجما في المغرب وفي أوروبا، يتعدى طوله أحيانا 15 سم ويعيش في المناطق الجبلية المغربية وبار جدا في السهول والهضاب. يحفر مغاوير عميقة يختفي فيها خلال فصل الشتاء ولا يبتعد عن المناطق الرطبة. يتوالد في فصل الربيع. يتميز الضرب المغربي بشويكات صغيرة على تجعدات الظهر.

** العلجوم الأخضر Bufo viridis يسمى بالفرنسية Crapaud vert لا يتعدى طوله 10 سنتمترات والإناث أكبر حجما من الذكور. يتميز ببقع خضراء داكنة على ظهره. شائع في مختلف المناطق المغربية الرطبة والجافة ويعيش أيضاً في أوروبا وإفريقيا الشمالية وأسيا الوسطى.

** علجوم موريتانيا Bufo mauritanicus يسمى بالفرنسية Crapaud de mauritanie وCrapaud panthéran يتميز بخطم منفرج ومنحن نحو الأمام. يقتصر توزيعه الجغرافي على المغرب وموريتانيا والنيجر والجزائر وتونس ولا يبتعد كثيراً عن الأماكن الرطبة والبحيرات والضايات والأنهار. يستأنف نشاطه بعد غروب الشمس وقبل طلوعها ويختفي حفرة طول النهار. يبيض في مختلف أصناف المياه في فصل الشتاء وشائع في المناطق المغربية الشمالية والصحراوية.

** علجوم برونجيرسما Bufo brongersmai يسمى

بالفرنسية Crapaud de brongersma وهو أصغر أنواع العلجوم في المغرب يألف المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية خلافا للعلجوم الشائع الذي يعيش في المناطق الجبلية. شائع في حوض وادي درعة والساقية الحمراء.

4 ـ فصيلة الضفادع الطينية بيلوباتيدي Pelabatidae وهي ضفادع صغيرة القد جلدها أملس شديد اللمعان.

تنتهي القوائم بثؤلالات حادة على الأصابع تستعمل لحفر المغاوير. نوع واحد من هذه الفصيلة يعيش في السهول والهضاب الغربية الممتدة من طنجة إلى الصويرة. إنه العلوج المغربي يسمى علميا Pelobates varaldii وبالفرنسية Pelobate marocain. لا يتعدى طوله 5 ـ 6 سم يألف المناطق الرملية ويختفي بداخل حفر يتعدى عمقها 100 سم.

5 ـ فصيلة قرصيات اللسان ديسكوكلوسيدي Discoglossidae تضم أنواعا صغيرة القد لها لسان دائري جله ملتحم مع الفك السفلي. نوعان من هذه الفصيلة يعيشان في المغرب :

** العلجوم المولد Alytes obstetricans يسمى بالفرنسية Crapaud accoucheur وهو نادر في المغرب يألف بعض المناطق الجبلية الباردة شمال المغرب كالريف وجبل بوبيلان. يعيش بعيدا عن الماء ويعتبر العلجوم الوحيد الذي يتوالد خارج الماء. يحمل الزوج حبال البيض على الظهر وبين القوائم الخليفة ويذهب بها مراراً إلى الماء في انتظار تفقيسها. لا يتعدى طول الكبار 5 سم وعلى الظهر نتوءات داكنة :

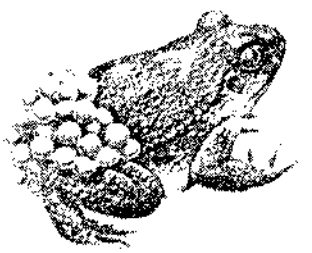

** العلجوم المصبوغ Discoglossus pictus يسمى بالفرنسية Crapaud peint وهو شائع في المناطق الرطبة وشبه الجافة المغربية. يعيش بجوار البحيرات والضايات والأنهار. لا يتعدى طول الكبار 7 سم وعلى الظهر ثلاثة خطوط طولية أو بقع مختلفة الأشكال. يختفي نهاراً في حفرته ويصيد الحشرات والعناكب والديدان ليلا. يقتصر توزيعه الجغرافي على المغرب والجزائر وتونس وجنوب فرنسا وشبه الجزيرة الإيبيرية.

مجموعة الضفادع المذنبة شكلها نحيف أهيف وذو ذنب طويل عند الشراغيف والكبار. قوائمها قليلة التطور متساوية المقاييس وقصيرة. تربط حياتها بالأوساط المائية أو شديدة الرطوبة. يكثر نشاطها ليلا ويقل نهاراً. بصرها وسمعها ضعيفان وحاسة شمها بالغة التطور والحدة. تنتمي إلى هذه المجموعة فصيلة السمادل Salamandridae ومنها نوعان يعيشان في المغرب :

** السمندل المبرقش يسمى علميا Salamandra algira وبالفرنسية Salamandre tâchetée. شائع في المياه الجوفية والمنابع والجداول الباردة بالمناطق الجبلية المرتفعة : تافوغالت وسيدي شيكر بضواحي تازة وايفران وازرو وخنيفرة وبني ملال وأوكايمدن وجبال الريف الوسطى والأطلس الكبير. يعيش في المغرب والجزائر وأوروبا الوسطى والجنوبية. يختفي نهاراً تحت الصخور وبين النباتات المائية ويستأنف نشاطه ليلا ليأكل الحشرات والديدان. جلده أسود تتخلله بقع صفراء أو حمراء يختلف حجمها من فرد لآخر. لا يتعدى طول الجسم 28 سم وشائع بين 10 ـ 15 سم. السمندل بيوض ولود، تحتفظ الإناث بالبيض في بطونها وتوضع الشراغيف في الماء لتواصل نموها بجوار الأبوين. لا يغادر السمندل الماء إلا نادرا ولا يبتعد عن مكان ولادته خشية من أعدائه. يعمر حوالي 25 سنة. تشبه الشراغيف الكبار في شكلها ولا تخضع إلى تغيرات فيزيولوجية خلال تطور مراحل النمو كما هو الشأن عند شراغيف الضفادع البتراوات.

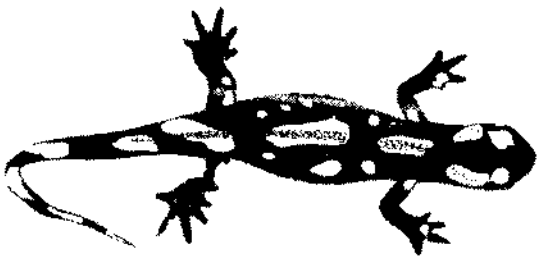

** تريتون والتل يسمى علميا Pleurodeles waltli وبالفرنسية Pleurodeles de Waltl. شائع في مياه الضايات العكرة والجداول القليلة الجريان في غابة المعمورة وسهول الغرب والشاوية ودكالة وضواحي أسفي والصويرة وفي جزيرة الصويرة. يقتصر توزيعه الجغرافي على المغرب وإسبانيا. لونه رمادي على الظهر والجانبين مع 8 ـ 10 بقع فاتحة ممتدة من الإبط إلى الخصر. يتراوح طول الكبار بين 20 ـ 25 سم. تعيش الصغار في الماء وبعد جفاف الضايات تلتجئ الكبار إلى الحفر والمغاوير أو فتحات جذوع الأشجار لتقضي فصل الصيف.

تلعب الضفادع دوراً هاماً في تغذية الطيور الليلية والنهارية والثعابين كما أنها تلتهم الحشرات الليلية المضرة بالنباتات والمنتجات الفلاحية، ولا تؤذي الإنسان.

م. رمضاني، *الزواحف*، *معلمة المغرب*، الجزء 13 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

G. Pasteur et J. Bonbs, *Les batraciens du Maroc*, *Travaux de l'Institut Scientifique Chérifien, Zoologie* n° 17, Rabat, 1959 ; Salvador, *Guia de los anfibios et reptiles espagnoles*, Madrid, 1974 ; E.N. Arnold& J.A. Burton, *Tous les reptiles et amphibiens d'Europe en couleurs*, Rabat, 1978.

محمد رمضاني

الضمير، الكبير ولد سنة 1920 بأولاد زيان بأحواز مدينة الدار البيضاء. انضم إلى صفوف المقاومة السرية بمدينة الدار البيضاء وعمل ضمن خلية درب الفقراء تحت مسؤولية عبد الله الخياني، ومولاي عبد الله بن محمد الفيلالي.

شارك في تنفيذ عدة عمليات فدائية مثل إضرام الحرائق ووضع القنابل للإضرار بمصالح المعمرين الفرنسيين.

فسقط رحمه الله شهيدا في ساحة الشرف بمدينة الدار البيضاء أثناء اشتباك دار بينه وعدد من إخوانه المقاومين وبين البوليس الفرنسي يوم 17 ماي 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 520830.

ابن **ضُنَّادُو** ويكتب أيضاً بَنْضُنَّادُو ومَلْضُنَّادُو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Maldonado ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1090 (1679).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 291.

محمد ابن عزوز حكيم

الضوء، عياد بن محمد ولد سنة 1920 بصبوية إقليم تزنيت ومن أجل تحرير ما تبقى من أرض الوطن انخرط في صفوف جيش التحرير بتاريخ 1 ـ 1 ـ 1957 تحت قيادة الملالي، بالمقاطعة الحادية عشر حيث كان مثالا للمواطن المكافح في سبيل الحرية والكرامة، وقد بقي يعمل ضمن الصفوف بكل نزاهة وإخلاص. وشارك في عدة معارك ضد الجيش الإسباني كمعركة اصدر بثلاثاء صبوية التي استشهد فيها بتاريخ 24 ـ 11 ـ 1957.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 503464.

الضوء، محمد بن **الحسين** الصاوي السباعي، علامة وفقيه ولد سنة 1332 / 1914 ببلدة السعيدات قبيلة أولاد أبي السباع حيث مدرسة السعيدات العلمية التي أسسها أسلافه أوائل القرن الثاني عشر للهجرة، وينسب إلى أسرة إدريسية شريفة وكان والده من الفقهاء المشتغلين بالتجارة. حفظ برواية وَرْش وقالون والمكّي على يد عدد من مشايخ مدرسة السعيدات ومدارس أخرى قبل أن ينتقل مع والده إلى أكادير سنة 1348 / 1930 قصد الاتجار وانهى حفظ القرآن لدى مشايخ سوس بمدارس تالبرجت وقصبة أكادير وفونتي، وانتقل سنة 1357 / 1938 إلى مدرسة الجامع الكبير بإنزگان، لأخذ العلم وحفظ المتون عن الفقيه الحاج عبد الرحمان المستغفر الانزگاني، وبعد سنتين استقر والده بمدينة انزگان فانتقل هو لأخذ العلم بين مدرسة السعيدات وتالبرجت حتى استقر بمدرسة "ايغيلالن" بقبيلة مسكينة عند فقيهها العلامة الحاج مسعود الوفقاوي من سنة 136 / 1941 و1366 ـ 1947 وهي سنة وفاة العلامة الوفقاوي، وقد استكمل في هذه

الرحلة تكوينه العلمي وتمكن من دراسة اللغة العربية وآدابها والفقه وعلوم القرآن وسائر الفنون وقد انتدبه والده للتجارة لمدة سنتين ثم بعد ذلك التحق بسلك التدريس والعطاء العلمي ابتداء من سنة 1368 / 1949.

انخرط في التعليم العصري معلماً رسمياً في مدرسة البنين الإسلامية بانزكان ولم يُرضه مقرر الحماية الفرنسية، فزاوج ذلك بمزاولة مهمة التعليم على النمط العتيق لاقراء كتاب الله والمواد الإسلامية وفي حي تالبرجت بالزاوية التجانية بأگادير، واستفاد على يده الكثير من تلاميذ تلك الفترة لمدة تسع سنوات، مستعينات بأخيه إبراهيم.

ولما تأسس المعهد الإسلامي "معهد محمد الخامس" بتارودانت بعد الاستقلال سنة 1376 / 1956 نشط مع جمعية علماء سوس في توجيه طلبة المدارس العتيقة إلى هذا المعهد بكامل الجدية، وبعد سنتين التحق بهذا المعهد سنة 1958 وقد نال شهادة الكفاءة في التعليم سنة 1962 واستمر أستاذاً للغة العربية والعلوم الإسلامية حتى أحيل على التقاعد سنة 1407 / 1987.

وكان قد التحق بالمجلس العلمي لتارودانت منذ 1976 فتوجه نشاطه إلى الاسهام في البحث العلمي وفي التحقيق والتأليف.

كانت له أنشطة متعددة فهو عضو في رابطة علماء المغرب، وتفرغ بعد التقاعد لمنصب الامانة والخطابة والوعظ والارشاد تطوعاً إلى جانب الالتزام بالطريقة التجانية واستقبال الطلبة والباحثين وتوجيههم وحلاقاة الأساتذة والعلماء حتى وافاه أجله بانزكان بتاريخ 17 ربيع الاخر 1424 / موافق 18 يونيو 2003. مؤلفاته : خلف الأستاذ محمد الضوء عدة تآليف نذكر منها.

- نظم البيان في رسم القرآن - ورسالة :
- راحة الجنان في خدمة القرآن - ورسالة فتح العلي السميع بشرح منظومة "نورة الربيع" - والمنهل العذب المورود في مآثر العلامة الحاج مسعود.
- رحلتان حجازيتان - ديوان شعر - سيرة ذاتية في كناش خاص - وإذا مساهمته في تحقيق الأجزاء 14 - 15 - 16 من كتاب المُحرّر الوجيز لابن عطية من إعداد المجلس العلمي لتارودانت وطبع وزارة الأوقاف سنة 1989 - 1991.

المتوكل عمر الساحلي، المعهد الإسلامي والمدارس العلمية بسوس، ج 1، ص. 165 - 169 ؛ كناش محمد الضوء : "ترجمته بقلمه" ؛ ترجمة وافية بقلم ابنه، الزبير بن محمد الصاوي في جريدة العلم، غشت، 2003.

عمر أفا

ابن صُوصة ويكتب أيضاً مَنْدُوصَة ومَنْصُوصة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Mendoza - Mendosa، ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Mendoza ! وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، كتاب أسماء عائلات تطاون أمن سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 292.

محمد ابن عزوز حكيم

الضوع، كما هو في المعاجم وكما ينطق به في معظم الدول العربية طائر من القواطع يصنف إلى رتبة الجوائم مشقوقات المناقير وفصيلة السديات Caprimulgidae. يسمى أيضا السيد في بعض المعاجم ويطلق عليه طائر الموت في بعض المناطق بالمغرب وأبو عصى في الشام وأبو النوع في مصر والقوة في السودان. اختلف العلماء في تحريم وتحليل صيده لشدة مشابهته بالبوم في بعض أحواله وبالخطاف في نحالة وقصر القوائم وطول الجناحين.

ثلاثة أنواع تعيش في المغرب مسرولة الساقين وتتميز بشعيرات كالهلب حول المنقار. يكثر نشاطها في غسق الليل وتحدث صوتا عند الطيران باهتزاز سريع للجناحين :

- الضوع الأوروبي Caprimulgus europaeus وبالفرنسية Egoulevent d'Europe وبالإنجليزية Nightjar وبالإسبانية Chotacabras gris وبالإيطالية Succiacapre.

طائر ريشه لين سريع الانتزاع لونه إلى الأسمر الرمادي ومبقع بخطوط ونقط بنية وصفراء على الظهر والصدر. المنقار واسع مفلطح رمادي مسود، الرأس كبير ومسطح، القوائم شقراء، الجناحان والذيل طويلة. تتميز الذكور ببقع بيضاء على مؤخرة الجناحين والذيل. يبلغ طول الجسم 26 - 27 سم وتزن الكبار 70 - 140 غرام. يعيش منفردا ونادرا وسط مجموعات قليلة الأفراد. عدة مجموعات تغادر المغرب لتشتو في إفريقيا الوسطى ثم تعود إلى المغرب لتشتو في إفريقيا الوسطى ثم تعود إلى المغرب وأوربا خلال فترة التوالد. يتغذى من الحشرات باصطيادها ليلا وهي طائرة. يأخذ مكانه نهارا بين الأعشاب أو على غصون الأشجار دون أن يتحرك وتصعب مشاهدته لشدة مشابهته بالمكان الموجود فيه.

يتوالد غالبا مرتين بين مايو وغشت في المناطق الغابوية والمراعي. العش عبارة عن حفرة غير مفروشة تتخذها الأنثى

عادة بين الأعشاب. لا يتعدى عدد البيض اثنين لونهما أبيض رمادي مبقع بالأصفر والبني ومنظرهما رخامي. يبلغ طول قطريها 22.5 x 32 ملم. يحضن البيض من طرف الأنثى حوالي 18 يوما ويقوم الزوج بالحراسة. تغادر الفراخ العش مباشرة بعد التفقيص وتأخذ حريتها تدريجيا وتحسن الطيران بعد أسبوعين.

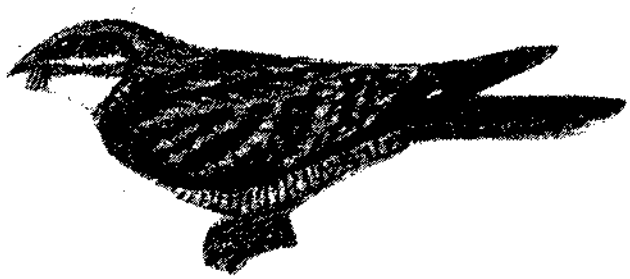

يعيش في مختلف المناطق المغربية. ويعيش أيضا في أوربا بخلاف الدول الاسكندنافية وفي شمال إفريقيا والشرق العربي وأسيا الغربية ومنه عدة مجموعات تشتو في ليبيا ومصر وبعض الدول الإفريقية.

- الضوع أشقر العنق Caprimulgus ruficollis وبالفرنسية Engoulevent à collier roux وبالإنجليزية Red-necked Nightjar وبالإسبانية Chotacabras pardo وبالإيطالية Succiacapre collorosso. يبلغ طوله 31 سم ويختلف عن السد الأوربي ببقعة من الريش الأبيض المصفر على العنق. الذكور والإناث متشابهة اللون وينتهي ذيلها ببقعة بيضاء واضحة. يبيض مرتين في السنة ويحضن بيضتين في كل مرة. يتوالد في المغرب والجزائر وتونس وإسبانيا ويشتو في جنوب المغرب وفي عدة دول إفريقية.

- الضوع المصري Caprimulgus aegyptius وبالفرنسية Engoulevent d'Egypte وبالإنجليزية Egyptian Nightjar وبالإيطالية Succiacapre isabellino. طائر يعيش في الهضاب العليا بالمغرب الشرقي والمناطق الجافة وشبه الجافة المغربية والجزائرية والتونسية وفي مصر والعراق وسوريا وإيران والجزيرة العربية. لونه شبيه بالرمال ويحمل الذيل والجناحان خطوطا بنية متقطعة. البطن أبيض ناصع. يشاهد أحيانا خلال النهار بعد ارتفاع الحرارة التي ترغمه على البحث عن مكان أقل حرارة. يصيده البدو أحيانا.

يتشاءم بهذه الطيور في عدة مناطق من المغرب وينسب إليها أنها تأتي لتبلغ بخبر الموت.

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية، 1988 ؛ أمين المعروف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Euorpe with North Africa and the Middle East*, London, 1979 ; C. Harrisson, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe*, Paris, 1977.

محمد رمضاني

الضيافة، إتاوة كانت تؤديها قبائل الساحل الجنوبي الأطلنطي المغربي للسلطة البرتغالية المحتلة للمنطقة فيما بين 862 ـ 947 / 1458 ـ 1541، خاصة قبيلتي عبدة ودكالة. تُدفع للقبطان المقيم بأسفي أو أزمور ويعمل على جمعها القائد بمساعدة الشيوخ ابتداء من شهر يوليوز ويستمر دفعها إلى شهر شتنبر. وتستخلص الضيافة من عين ما تملكه الكوانين من أبقار وأغنام وجمال ومن السمن والعسل. وكمثل لقيمتها بلغ عدد قلاّت السمن المدفوعة للبرتغاليين كضريبة في بعض السنين 1250 قلة.

وتحدثت المصادر المغربية عن الضيافة في العهد العلوي كفريضة تؤديها القبائل الثائرة بعد أن يتمكن السلطان من إخضاعها. وفي هذه الحالة تقدمها القبيلة متذللة خاضعة ومقرونة بالميرة، وتقصد بها طلب العفو. كما تقدّم القبائل الطائعة للسلطان الضيافة للتعبير عن فرحها وانشراحها بنزول محلة السلطان بين ظهرانيها.

وأما الضيافة بمعنى إكرام الضيف فهي مشروعة في الإسلام، وردت في القرآن الكريم في قصة إبراهيم مع الملائكة الرسل. لذلك كان يُخصص في القصور والبيوتات الكبرى جناح يُدعى دار الضيافة أو الضيوف.

أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، ط. 2، 1956، ج 9 : 157، 203، 204.

حليمة بنكرعي

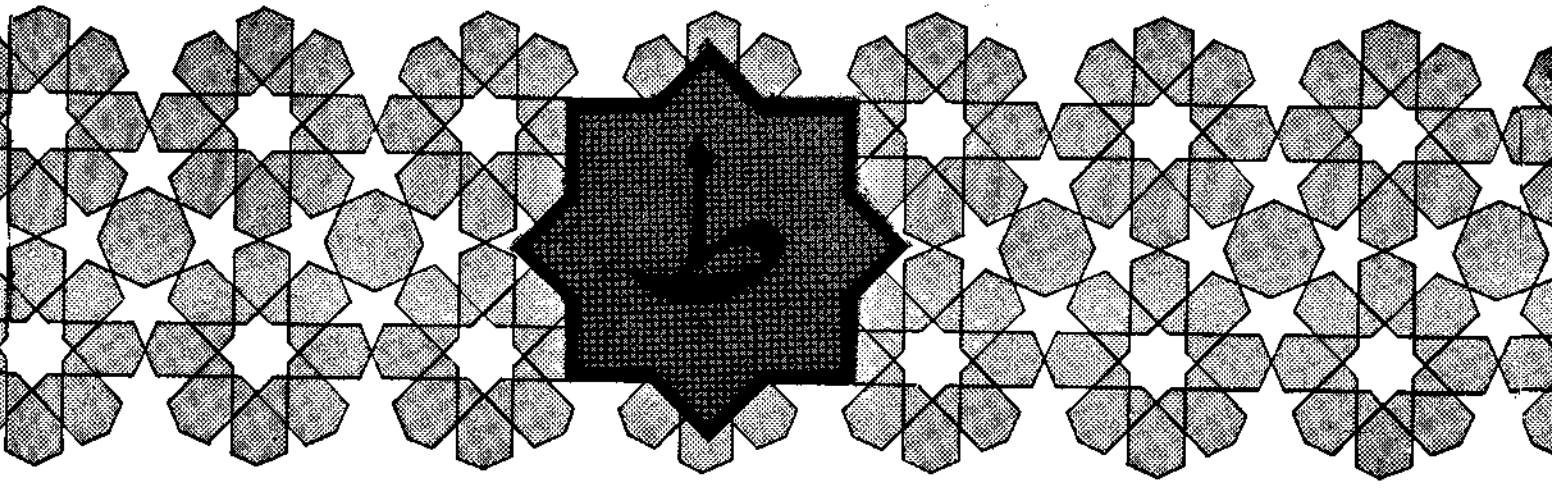

الطابع السلطاني أو **الطوابع المخزنية**، أنواع علامات التصديق على الظهائر والمراسلات السلطانية في المغرب أربعة وهي :

- التوقيع بخط يد السلطان على شكل توقيعات العدول على الوثائق الشرعية.
- العلامة الخطية المرسومة بخط يد كاتب الديوان على غرار العلامات التي كانت تحملها الفرامين العثمانية.
- الصورة المرسومة بخط يد كاتب الديوان على شكل خاتم.
- الطابع الذي يحمل اسم السلطان منقوشاً على صفيحة معدنية.

والعمل بالنوع الأول من العلامات المذكورة نجده في مراسلات السلطان أحمد الوطاسي (نموذج رقم 1) وعمه أبي حسون (رقم 2) كما نجده في مراسلات امراء الدولة السعدية أحمد الأعرج (رقم 3) ومحمد الشيخ المهدي (رقم 4). وأول من اتخذ النوع الثاني الشبيه بعلامات الفرامين العثمانية هو السلطان عبد الله الغالب (رقم 5 و6) الذي نجد بعض مراسلاته تحمل أيضاً النوع الثالث من علامات التصديق (رقم 7).

ويعد عبد الملك المعتصم الغازي في سبيل الله السلطان المغربي الوحيد الذي كان يوقع مراسلاته إلى ملوك أوروبا بالحروف اللاتينية (رقم 8 و9).

ولم يستعمل السلطان أحمد المنصور الذهبي سوى علامات التصديق الشبيهة بعلامات الفرامين العثمانية (رقم 12 و13).

ونتوفر على مجموعة من مراسلات السلطان محمد الشيخ المامون، البعض منها تحمل العلامات الشبيهة بالفرامين العثمانية والبعض الآخر الصورة المرسومة بخط اليد على شكل خاتم.

وأما السلطان زيدان فإنه لم يستعمل في تصديقه على جميع مراسلاته إلا العلامة الشبيهة بالفرامين العثمانية لدرجة أننا وجدنا إحدى علاماته منقوشة على مدفع صنع بالمغرب في عهده.

ولعل السلطان عبد الملك بن زيدان هو أول ملوك الدولة السعدية الذي اتخذ طابعا منقوشا على صفيحة معدنية، بالإضافة إلى أنه كان يستعمل النوع المرسوم بخط اليد على شكل خاتم.

ونتوفر على مراسلات للسلطان الوليد بن زيدان تحمل بعضها طابعا منقوشا على صفيحة معدنية والبعض الآخر يحمل علامة على غرار الفرامين العثمانية.

ومثل ذلك نجده في مراسلات السلطان محمد الشيخ الأصغر الذي كانت له طوابع منقوشة على صفيحة معدنية بالإضافة إلى اتخاذه علامات شبيهة بشكل علامات الفرامين العثمانية.

والنوع العثماني المذكور هو الذي اتخذه السلطان أحمد العباس آخر الملوك السعديين في التصديق على مراسلاته.

وأما علامات التصديق على الظهائر والمراسلات السلطانية في عهد الدولة العلوية فهي نوعان :

1) الطابع باسم السلطان منقوشاً على صفيحة معدنية.

2) الصورة المرسومة بخط يد كاتب الديوان على شكل خاتم.

لم نعثر على أية مراسلة صادرة عن السلطان محمد الأول ؛ وبخصوص السلطان مولاي رشيد نتوفر على وثيقة وحيدة هي المعروفة لحد الآن وتحمل تاريخ فاتح صفر عام 1078 وعليها طابع منقوش على صفيحة معدنية (رقم 41).

وتكاثرت الطوابع السلطانية ابتداء من عهد المولى إسماعيل (انظر كتابنا فقد أثبتنا فيه 17 نموذجاً للمولى إسماعيل (ص. 21 ـ 25) ؛ و8 لأحمد الذهبي ابن إسماعيل (ص. 27 ـ 29) ؛ و5 لعبد الملك بن إسماعيل (ص. 31 ـ 32) ؛ و4 لعبد الله بن إسماعيل (ص. 33 ـ 34) ؛ و3 لعلي الشريف بن إسماعيل (ص. 35 ـ 37) ؛ و2 لمحمد ابن إسماعيل (ولد عربية) (ص. 37) ؛ و2 للمستضيء

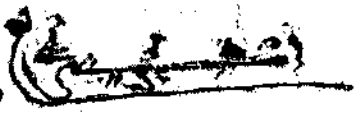

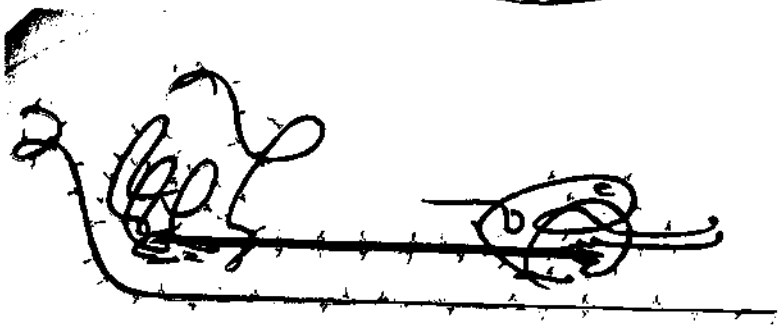

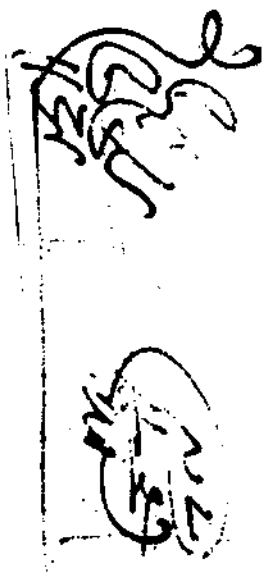

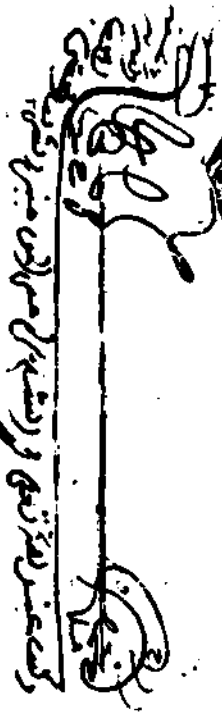

إسماعيل (ص. 39) ؛ وواحد لزين العابدين بن إسماعيل (ص. 41) ؛ و5 لسيدي محمد بن عبد الله (ص. 43 ـ 44) ؛ و2 لليزيد بن سيدي محمد بن عبد الله (ص. 45) ؛ و4 لسليمان بن سيدي محمد بن عبد الله (ص. 47 ـ 48) ؛ و4 لعبد الرحمان بن هشام (ص. 49 ـ 50) ؛ و3 لمحمد الرابع (ص. 51 ـ 52) ؛ و6 للحسن الأول (ص. 53 ـ 55) ؛ و6 لعبد العزيز بن الحسن (ص. 57 ـ 59) ؛ و12 لعبد الحفيظ بن الحسن (ص. 71 ـ 74) ؛ و9 ليوسف بن الحسن (ص. 65 ـ 67) ؛ و5 لمحمد الخامس، (ص. 69 ـ 70).

وتجدر الإشارة إلى أن جميع أنواع التصديق كانت توضع بأعلى الوثيقة بعد البسملة أو الحمدلة والتصلية وقبل نص الوثيقة ؛ في حين أن مراسلات وُلاة العهد والأمراء وخلفاء السلاطين والصدر الأعظم والوزراء وباقي خدام المخزن من سفراء وعمال وباشوات وقواد وأمناء وغيرهم فقد كانت مراسلاتهم تحمل طوابعهم بأسفل الوثيقة.

وبعدما تعمم استعمال الطابع المنقوش على الصفائح المعدنية في عهد الدولة العلوية أصبح لكل سلطان طابع كبير خاص بالظهائر والمراسلات المهمة وطابع صغير خاص بالمراسلات العادية.

M. Ibn Azzouz Hakim, *La sigilografía de los sultanes de la dinastía Alawí*. Madrid, 1998..

محمد ابن عزوز حكيم

الطّابية أو التابية، طريقة في البناء تكون "التراب المدكوك"، و"الطين المفرغ بالقالب" (*نزهة*، 3 : 233 ؛ *الروض*، 540 ؛ *مسالك*، 295 ؛ *وصف*، 1 : 10).

وتحدث عنها ابن خلدون بتفصيل في مقدمته، وبرجوعنا إلى الميدان ووقوفنا على بعض أوراش البناء في مختلف جهات المغرب وخاصة عمليات ترميم أسوار المدن العتيقة والبناء في المناطق الصحراوية والمتاخمة للصحراء تبين لنا عند المقارنة بما جاء في النصوص أن الطابية مازالت كما وصفها العلامة ابن خلدون، مع إضافة التقنيات الحديثة في بعض الأوراش الكبرى مثل استعمال آليات الرفع والدك والتخليط الحديثة واستبدال الألواح والقوالب الخشبية بالصفائح الحديدية ؛ وقبل أن نعرض لمراحل دخول هذه الصناعة إلى المغرب كما جاء في المصادر لابد من إبداء الملاحظات التالية المتعلقة بمميزات البناء بالطابية :

1 ـ البنايات بالطابية متينة وشديدة الصلابة، بل أصلب حتى من الاسمنت المسلح (*مسالك*، 295 ؛ *هسبريس*، 1945).

2 ـ البناء بالطابية لا يخلو من جمالية، فمازالت أسوار المدن العتيقة وأبراجها وأبوابها وكذلك القصبات والقصور في الجنوب المغربي تجذب الزوار من داخل المغرب ومن خارجه.

3 ـ تبنت سياسة الدولة المعمارية في هذه ستها الحديثة أسلوب الطابية خاصة في الجنوب المغربي وفي المناطق المتاخمة للصحراء فأدمجتها في مشاريعها العمرانية والسياحية.

4 ـ البناء بالطابية لبعض المساكن والمنشآت الكبرى يجعلها مكيفة تكييفاً طبيعياً، فهي باردة صيفاً دافئة شتاءً، (قصبة إيليغ نموذجاً) (زيارة ميدانية).

وتتبعنا لمختلف النصوص والإشارات الواردة في المصادر نستطيع أن نؤرخ لدخول هذه الطريقة في البناء إلى المغرب وانتشارها في جميع مناطقه، فأبو عبيد البكري وهو ممن كتب بتفصيل وتدقيق عن المغرب وقد عاش في القرن 5 هـ / 11 م لم يشر إلى الطابية، فعند حديثه عن مدينة مليلية قال :

"... مدينة مسورة بسور حجارة..." (*المغرب*، 89). فملاحظة البكري هنا عادية إذا ما اعتبرنا موقع مدينة مليلية وبعدها عن التأثيرات الصحراوية والسودانية ؛ ولكنه حتى في معرض حديثه عن أكبر الحواضر المغربية في عصره وأكثرها نشاطاً وغنى وارتباطاً بالصحراء والسودان الافريقي وهي سجلماسة قال عن سورها : "... أسفله مبني بالحجارة وأعلاه بالطوب بناه اليسع بن أبي القاسم سنة 199 هـ ..." (*المغرب*، 148).

وإذا رجعنا إلى الآثار المتخلفة اليوم عن سجلماسة فيما تبقى من جدرانها فهي مبنية بالطابية مما يعني أن المدينة لم تعرف البناء بالطابية منذ نشأتها (ق 2 هـ) إلى عهد البكري ق 5 هـ / 11م.

الشريف الادريسي 69 هـ / 12 م في *النزهة* 3 : 233 ـ ووردت عن أول إشارة إلى البناء بالطابية في معرض حديثه عن مدينة مراكش : "... بناؤها بالطوب والطين والطوابي المقامة من التراب..." من هنا نستطيع أن نقترح الفترة التاريخية التي دخلت فيها هذه الصناعة في البناء للمغرب وهي العهد المرابطي وتحديداً عهد الأمير علي بن يوسف (500 ـ 537 / 1107 ـ 1143) بل يمكننا أن نضبط أكثر فنقول إن الدخول كان سنة 519 / 1126 عندما أشار العالم والقاضي أبو الوليد ابن رشد على علي ببناء سور مراكش فكان المطلوب ـ بحسب الظرف وظهور المعارضة الموحدية ـ البناء بسرعة، عندئذ تم جلب أصحاب هذه الصناعة التي كان للمرابطين في مواطنهم الأصلية إلمام بها فاستقدم خبراء الطابية وعرفاؤها للإشراف على بناء السور ؛ جاء في *البيان المغرب*، 4 : 73 ما يلي :

"... ونبه القاضي (ابن رشد) على بناء الأسوار فشرع الأمير علي بن يوسف في بناء سور محدق بمراكش في هذه السنة (519) فكمل في أقرب وقت وأعجله...".

وقال العمري في (*مسالك الأبصار*، 295) في حديثه عن مدينة فاس : "... وجميع ابنيتها من الحجر والآجر والكلس موثقة البناء مشيدة الأركان والعتيقة بسور واحد من الحجارة والجديدة بسور من الطين المفرغ بالقالب من التراب والرمل والكلس المضروب وهو أشد من الحجر...".

في هذه النصوص والإشارات دليل على أن بداية العمل

بالطابية في البناء وخاصة بناء الأسوار كان مع المرابطين ثم تطور بعدهم وانتشر خاصة في عهد الموحدين والمرينيين وامتد إلى التاريخ الحديث والمعاصر. ويمكن تتبع ذلك من خلال النصوص والإشارات ومن خلال الآثار والبنايات الأثرية إلى بداية القرن العشرين. بل يمكن الوقوف على البنايات المشيدة بالطابية في شمال المغرب وجنوبه وفي شرقه وغربه من خلال أسوار المدن العتيقة والقصبات الإسماعيلية وقصبات القياد والباشوات وقصور الأعيان، وبعض الزوايا والمساجد وأيضاً القصور والقصبات الصحراوية. فضخامة هذه الأخيرة وجماليتها تعتبر ثروة وطنية بل وتراثاً إنسانياً عالمياً كما شهدت بذلك منظمة اليونيسكو في حق قصبة أولاد بن حدو قرب مدينة ورزازات.

والطابية كما جاءت عند ابن خلدون (*المقدمة*، 407 و408) "...ومنها البناء بالتراب خاصة يتخذلها لوحان من الخشب مقدران طولاً وعرضاً باختلاف العادات في التقدير وأوسطه أربع أذرع في ذراعين فينصبان على أساس وقد بوعد ما بينهما بما يراه صاحب البناء في عرض الأساس ويوصل بينهما بأذرع من الخشب يربط عليها بالحبال والجدر ويسد الجهتان الباقيتان من ذلك الخلاء بينهما بلوحين آخرين صغيرين ثم يوضع فيه التراب مخلطاً بالكلس ويركز بالمراكز المعدة حتى ينعم ركزه ويختلط اجزاؤه ثم يزاد التراب ثانياً وثالثاً إلى أن يمتلئ ذلك الخلاء بين اللوحين وقد تداخلت أجزاء الكلس والتراب وصارت جسماً واحداً ثم يعاد نصب اللوحين على صورة ويركز كذلك إلى أن يتم وينظم الألواح كلها سطراً من فوق سطر إلى أن ينتظم الحائط كله ملتحماً كأنه قطعة واحدة ويسمى الطابية...". وحرص ابن خلدون على الدقة في وصف الطابية له أكثر من مدلول فهو من جهة قد وقف بنفسه على هذه الصناعة فهو يتكلم عن مشاهدة، ومن جهة ثانية فهي بالنسبة إليه اكتشاف جديد لا يخلو من إعجاب، وقد تكلم عن الطابية كطريقة في البناء يلتجئ إليها الخاص والعام في بناء المساكن العادية وليست مقصورة على الأشغال الكبرى من أسوار ومرافق كبرى مما تنشئه الدولة.

أبو عبيد البكري، *المغرب الجزائر*، 1911 وباريس، 1965 ؛ الشريف الادريسي، *نزهة المشتاق*، الطبعة الايطالية، 5 أجزاء نابولي بدون تاريخ ؛ الحميري، *الروض المعطار*، بيروت، 1957 ؛ العمري، *مسالك الأبصار* ضمن ورقات عن الحضارة المغربية لأحمد المنوني، الرباط، 1979 ؛ الحسن الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1980 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، بيروت، 1983 ؛ ابن خلدون، *العبر*، ج 1، *المقدمة*، دار البيان، بيروت، بدون تاريخ.

Ch. Allain, *Reconnaissaces archéologiques dans le massif de Rhamna et la Bhira, Hesp.*, 1954, t. 41 ; *Une organisation agricole almohade dans la Bhira, Hesp.*, 1954, 3e et 4e tri. ; P. Berthier, *L'aqueduc de l'oued Oudar et le bassin des Gaba à Taroudant, H.T.*, 1963, vol. II, fasc. 1 et 2 ; J. Meunier, *Le Maroc saharien des origines à 1670*, Paris, 1982.

محمد حجاج الطويل

طابيرني (Tabernae)، تسمى حاليا لالة الجيلالية، وهي عبارة عن محطة في الطريق الرابطة بين طنجة وأدميركوريوس. يضعها صاحب مسالك انطونين على بعد 14 ميلا جنوب ريبيس (الدشر الجديد). وأول من اكتشفها القنصل الفرنسي شارل تيسو سنة 1874 الذي يصفها قائلا : "تغطي أطلال لالة الجيلالية نهاية هضبة تغمرها مياه وادي الغانم أو وادي السبت وهو المجرى المائي الوحيد الذي يصب في المحيط الأطلسي بين أصيلة والعرائش".

وتقع طابيرني اليوم على بعد 16 كلم جنوب أصيلة و18 كلم شمال ليكسوس. ويعني اسم طابيرني باللاتينية الأكواخ أو منازل خفيفة سهلة التفكيك مما يوحي أنها كانت في الأصل عبارة عن موقع به مبانٍ أنشئت بسرعة من الخشب في الغالب. وكانت تستعمل - على ما يبدو - كمحطة استراحة ونقطة مرور المسافرين من الشمال إلى الجنوب أو العكس.

يغطي موقع طابيرني غابة من أشجار الزيتون البري مما يجعل التعرف على أطلاله صعباً جدا. تحتل الأطلال الجزء الشمالي من الهضبة التي تشرف على وادي الغانم أو وادي السبت. وقد سبق لتيسو أن أشار إلى وجود جدار طوله 975 م كانت بقاياه لا تزال ظاهرة للعيان زمن الزيارة بجانب قلعة مبنية من أحجار كبيرة الحجم يبلغ محيطها 369 م. ويضيف تيسو إلى أنه بداخل هذه القلعة توجد بناية مبنية من أحجار طولها 95 م وعلوها 56 سم وسمكها 45 سم. تكون سورا رئيسيا مقسما إلى العديد من الغرف، مسبوقة بسور آخر وقد تعني هذه الجدران والأسوار معبدا.

وأما فيما يتعلق بالقسم غير العسكري في الموقع فمساحته تبلغ ضعف الموقع العسكري.

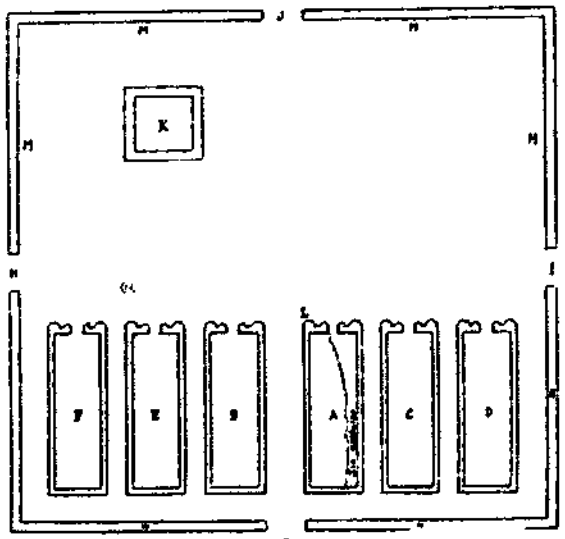

وقد أجرى دو لا مارتينيير (De La Martiniere) تحريات في طابيرني وأظهر أسس القلعة التي وصفها كالتالي : "عبارة عن قلعة صغيرة طولها 18 م وعرضها 16 م، أضيف إليها في كل من الجهتين اليمنى واليسرى قاعتان على هيئة برجين قسمتا من الداخل إلى غرف صغيرة تحيطان بدون شك

بساحة مركزية". وقد نشر كانيا الذي اقتبسنا منه هذه السطور مخطط الموقع الذي يرى فيه أنه عبارة عن برج داخل بناية دائرية قطرها 5 م تقع داخل الحصن بجوار إحدى القاعتين على هيئة البرج.

ويذكر شاتلان، الذي قام بزيارة للموقع رفقة مونطاليان سنة 1927، أنه لم يميز جدرانا أخرى غير جدران الحصن الرئيسي.

وقد أجرى مونطاليان تنقيبات في طابيرني سنة 1939 سمحت له بالتعرف أكثر على محتويات الموقع حيث اكتشف بنايات خارج جدران الحصن. وعند دراسته لهذه الأخيرة ووضع مخططاتها تبين له أنها تتضمن ست بنايات متوازية قريبة من البوابة المعروفة بالبوابة البريطورية. كما يبدو أنه كان بالداخل معبد صغير مغطى بقبة.

ويذكر شاتلان أنه استخرجت كذلك مسكوكات تعود لعهود الأباطرة الرومان هادريانوس وكمودوس وگوردبانوس الثالث وألكسندر سيفيروس وگاليانوس بالإضافة إلى قاعدة تمثال تحمل كتابة مكونة من خمسة أسطر يصعب فك رموزها.

Cagnat, *L'armée romaine d'Afrique*, 2e éd., Paris, 1912, 2 vol. ; Chatelain, *Le Maroc des romains*, Rabat, 3, 1937 ; Ch. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, Paris, 1878 ; Michaix-Bellaire et G. Salmon, *Les tribus arabes de la vallée de Lokkous, A.M.*, II, 1906 ; Tarradell, *Contribution à l'Atlas achéologique du Maroc, Région de Tétouan, B.A.M.*, VI, 1966, n° 3 ; *Guia Arqueologica, del Marruecos espaniol*, Tetuan 1953 ; *Marruecos antiguo, Nuevas perspectives Zephyrus* V, 1954 ; C. Montalban, *Resumen de la memoria referente a los trabajos efectuados en el año 1939 en las ruinas de Ad Mercurii y Tabernae*, Num 1, Larache, 1940 ; Pelayo Quintero Atauri, *Apuntes sobre*, Arqueologica del Marruecos Espaniol, Tetuan 1941 ; P. Quintero Atauri et G. Gumenz Bernal, *Excavaciones en Tamuda. Memoria resumen de las practicadas en 1943*, Tetuan, 1944 ; R. Roget, *Index topographique du Maroc*, 1938 ; *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924.

مصطفى أعشي

الطاح، اسم يطلق على مركز وعلى جماعة قروية وبشكل خاص على إحدى السبخات المشهورة بجهة العيون - بوجدور - الساقية الحمراء.

ظل موقع الطاح يشكل مركزا حدوديا خلقه المستعمر الإسباني لحراسة الحدود الوهمية الفاصلة بين الشمال المغربي وباقي ترابه الجنوبي المشكل من الساقية الحمراء ووادي الذهب، وذلك إلى غاية 1975 حيث تحول هذا الموقع إلى معبر للمسيرة الخضراء السلمية التي تم على إثرها استرجاع هذه الأقاليم الصحراوية.

وعلى إثر التقسيم الإداري الأخير لسنة 1992 فقد أصبح اسم الطاح يطلق على جماعة قروية تابعة لدائرة طرفاية، التي تنتمي بدورها لإقليم العيون التابع لجهة العيون - بوجدور - الساقية الحمراء. وقد بلغ عدد سكان جماعة الطاح حسب نتائج الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 1994 ما قدره 563 نسمة موزعين على 124 أسرة.

غير أن اسم الطاح يبقى مرتبطا أكثر بسبخة الطاح التي تعتبر بحق من أشهر المسطحات المائية المالحة المشهورة على صعيد الصحراء الإفريقية الكبرى الغربية.

تستقر سبخة الطاح عند الهضبة الساحلية المعروفة بالكعدة، التي تمثل في الواقع حمادة تنتمي موادها الصخرية إلى الزمن الثاني والثالث. وقد تطورت هذه السبخة على شكل منخفض يبلغ عمقه 55 متراً دون سطح البحر، وتتخذ شكل ممر تبلغ مساحته 250 كلم2 باتجاه عام شـ - ش - شـ / غ ج - غ بشكل مواز لساحل طرفاية، الذي لا يبعد عن الهامش الشمالي للسبخة إلا بحوالي 30 كلم، وبشكل مواز مع اتجاه الرياح التجارية التي تتردد بشكل قوي على هذه المنطقة.

وحسب هذه الظروف المحلية المتميزة بالجفاف، وبهبوب الرياح القوية وبتردد عال، والمتميزة أيضا بوجود إمكانيات جيولوجية قابلة لاحتضان فرشة مائية جوفية، إضافة إلى توفر شروط وجود الملح، فإن سبخة الطاح لا تخرج عن نطاق السبخات التي تتطور بالأوساط الصحراوية تحت تأثير الدينامية الجيمرفلوجية الماء - هوائية القادرة على توسيع هذه المنخفضات وحفرها على أعماق بعيدة دون مستوى سطح البحر.

إن هذه السبخة تشكل ثروة طبيعية حقيقية يمكن استغلالها على أوجه مختلفة : فهي تقدم منظرا طبيعيا خلابا غير مألوف يمكن استثماره كمنتوج سياحي، وتقدم مكمنا ملحيا لا يتم استغلاله إلا على نحو محدود، كما يمكن استغلالها لتوليد الطاقة الكهربائية بالاعتماد على الفرق الارتفاعي بين سطح السبخة وسطح البحر. ويتم حاليا التفكير في إمكانيات خلق مركب هيدركهربائي توجه طاقته لاستخراج ملح السبخة بإنتاج قد يبلغ 100 ألف متر مكعب في اليوم.

عبد اللطيف رمان

الطار أو الطر آلة الإيقاع المعروفة. تصنع من خشب على شكل دائرة تغطي أحد جانبيها قطعة من جلد الماعز. ويبلغ قطر الدائرة حوالي عشرين سم. وقد عرفت هذه الآلة بعدة أسماء منها الدف، والرق، والمزهر. فهي عند القاضي عياض : دف مربع بوجهين، وعند القلقشندي "قد تكون بصنوج، وقد تكون بغيرها".

ومن المصادر الفقهية التي ألمت بذكر الطر معيار الونشريسي، فقد جاء فيه أن أبا سعيد فرج بن لب (إمام مسجد قرطبة) سئل عن حضوره وليمة النكاح مع ما تشتمل عليه من الملاهي وأصوات النساء والطر المزنج فأجاب... : وأما سماع الطر بتلك الزنوج المعروفة فيه ففيه اختلاف بالإباحة والكراهة والمنع، لكن جرت عادة الشيوخ العلماء وأئمة الفقهاء بحضور موضع ذلك.

ومن المصادر التي عرفت بهذه الآلة كتاب "الدلالات

السمعية" لأبي الحسن علي الخزاعي، فقد جاء فيه أنه "وهو المستعمل الآن عند المغنين في الأعراس في عصرنا هذا، وفيه قطع من الصفر مستديرة مركبة في جوانب مجاورة، يسمع لها عند تحريكه وقرع بعضها بعضا تصويت وجلجلة".

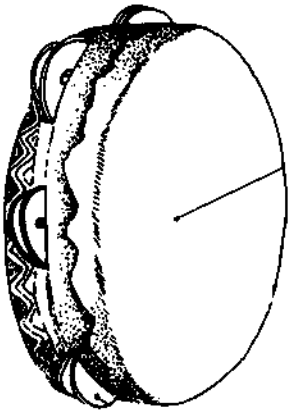

يستخدم الطار في مصاحبة العيطات الجبلية كما يستخدم في الموسيقى الأندلسية، وهو يحتل من جوقها مكانة رئيسية لوظيفته في ضبط حركة الألحان وتحديد الإيقاع. وقد أشار إلى ذلك شاعر الأندلس في عهد ملوك الطوائف ابن حمديس الصقلي إذ قال :

وراقصة لقطت رجلها حساب يد نقرت طارها

كما أكد إبراهيم التادلي أهمية هذه الوظيفة فنعت هذه الآلة بأنها "لجام الموسيقى وأساسها"، ونعت صاحبها بأنه "رئيس الموسيقى وأن صاحبها في القديم كان هو الرئيس الذي ينفق الشعر أولا ونغمته، وأصحاب العيدان والأربية تابعون له".

ويتم ضبط الميزان على الطار بواسطة نقره أو تحريكه. أما النقر فيكون على نحوين هما :

أ ـ ضرب وجه الطار بكف اليد اليمنى، وهي الضربة القوية من دور الميزان. وقد أسماها الحايك بالندف.

ب ـ ضرب جانب الطار بمعظم اليد اليمنى أو بالسبابة. وهي الضربة الضعيفة من الدور، ويسميها الحايك بالزنج.

غير أن "الآليين" تخلوا عن مصطلحي الندف والزنج واستبدلوهما بمصطلحين شرقيين هما الدم والتك.

وأما تحريك الطار فيراد به إسماع صوت الزنوج الصفرية المحيطة به، ويكون باليد اليسرى، وهو يحتل في دور الميزان موقع الفاصلة الصامتة.

علي الخزاعي، *الدلالات السمعية*، ط. القاهرة، 1980، ص. 774 ؛ ابن عبد الجليل، *معجم مصطلحات الموسيقى الأندلسية المغربية*، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريف، الرباط، 1992، ص. 32 ؛ *الموسيقى الأندلسية المغربية، فنون الأداء*، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1989، ص. 248 ؛ القاضي عياض، *بغية الراشد*، ص. 114 ؛ القلقشندي، *صبح الأعشى*، ج. 2، ص. 152 ؛ أ. الونشريسي، *المعيار المعرب*، ج. 3، ص. 181، طبع وزارة الأوقاف، المغرب.

عبد العزيز بن عبد الجليل

طارق بن زياد، تختلف الروايات حول نسب طارق بن زياد ابتداء من اسم أبيه، فهو تارة زياد وأخرى عمرو، وهو في رواية فارسي من همذان، وفي أخرى بربري من قبيلة نفزة، مولى لموسى بن نصير، وفي ثالثة طارق بن زياد الليثي بالولاء. تبدو الرواية الراجحة هي القائلة بنسب طارق البربري، إذ تقدم سلسلة نسب تقف عند نفزاو : فهو طارق بن زياد بن عبد الله بن رفهو ورفجوم بن ينزغاسن بن ولهاص بن يطوفت بن نفزاو. تلقى الإسلام عن أبيه عن جده عبد الله، الذي يغلب على الظن أنه أول من أسلم في سلسلة نسبه.

ليست لدينا معلومات عن طارق بن زياد قبل ولايته طنجة، عدا إشارة إلى أنه ولد نحو سنة 50 / 670.

وينم اختيار موسى بن نصير لطارق بن زياد واليا من قبله على طنجة سنة 89 /708، ثم قائدا لجيوش فتح الأندلس في رجب 92 / أبريل 711، عن دراية إدارية وعسكرية، مما يحيل على نشاطه العسكري قبل بروزه، بمعنى أنه شارك في فتوح المغرب بكفاءة عالية.

عبر طارق بن زياد البحر من سبتة، بقواته على ظهر سفن يوليان، ونزل على الضفة المقابلة في المكان الصخري الذي حمل اسمه إلى اليوم، وذلك يوم الاثنين 5 رجب 92 / 27 أبريل 711، واتجه غربا حيث زحف على ولاية الجزيرة، متجاوزا بعض المقاومة القوطية هناك. ثم قصد سهول المنطقة الوسطى ـ الغربية حيث هزم القوط ثانية، ثم تطلع إلى العاصمة القوطية طليطلة.

وأمام توحيد القوط صفوفهم وعزمهم على إيقاف زحف الفاتحين، استنجد طارق بموسى بن نصير فأمده بـ 5 آلاف مقاتل، استعدادا للمواجهة الحاسمة التي تمت بين الطرفين في سهل Frontera على ضفاف نهر وادي لكه أو بكه، ابتداء من 28 رمضان 92 / 17 يوليوز 711، وبعد مناوشات دامت ثلاثة أيام التحم الجيشان في معركة شاملة دامت سبعة أيام، أسفرت عن هزيمة ساحقة للقوط، رغم قلة عدد أفراد الجيش العربي ـ الإسلامي مقارنة بعدد أفراد الجيش الاسباني الذي تراوحت أعداده بين 100 ألف و40 ألف مقاتل.

وتحفل المصادر، الإسلامية خاصة، بروايات تحيط

بشخصية طارق بن زياد وبفتوحه في الأندلس، على رأسها الخطبة التي ألقاها في جنده، قبيل المعركة الحاسمة ضد القوط، والتي كان لها دور كبير في إذكاء حماس المقاتلين المسلمين ودفعهم إلى المواجهة بروح معنوية عالية كانت وراء انتصارهم، غير أن عدم ورود الخطبة في مصادر إسلامية متقدمة، يجعل الشك يتسرب إلى وجودها أصلا بالصورة التي تناقلتها مصادر متأخرة، من حيث روعة أسلوبها وعباراتها.

وإلى جانب الخطبة تتحدث المصادر عن إقدام طارق على إحراق سفنه بعد عبور جنده للمضيق، حتى يدفع أفراد قواته إلى الاستبسال في مواجهة القوط، ويقطع أمامهم سبيل التراجع والنكوص. غير أن هذا الحادث يمكن الشك فيه أيضا فالسفن كانت في ملكية يوليان، ولم يكن بمستطاع القائد العسكري التصرف فيها، ويؤيد ذلك ورود هذا الخبر في مصادر تبعد عن تاريخ الفتح بأكثر من ثلاثة قرون.

واصل طارق بن زياد زحفه في الأراضي الإسبانية شمالا، واشتبكت قواته مرة أخرى مع القوط عند مدينة استجة، فتمكن من هزمهم، ليفتح المجال أمام سقوط المدن والحصون الإسبانية تباعا، مثل قرطبة ومالقة، وغرناطة وإلبيرة ليتوج الأمر بفتح العاصمة القوطية نفسها (طليطلة). ثم تابع طارق بن زياد سيره شمالا، مخترقا قشتالة وليون، حتى أشرف على ثغر خيخون على ساحل بسكونية في المحيط الأطلسي، حيث وصله هناك أمر موسى بن نصير بالتوقف، وقد استغرق منذ عبوره سنة كاملة.

ويبدو أن توغل طارق بن زياد الكبير في الأراضي الإسبانية، كان وراء تخوف موسى بن نصير من نكسة تجهز على ما تحقق من مكاسب ترابية خاصة. وهكذا عاد طارق ليلتقي بموسى بن نصير عند مشارف مدينة طليطلة، وليتفق الرجلان على خطة لإكمال فتح إسبانيا، تقتضي بتوجه كل واحد منهما إلى جهة معينة، فكانت وجهة موسى الشمال، وكانت وجهة طارق الجهات الشرقية.

غير أن أوامر الخلافة الأموية جعلت حدا لفتوح الرجلين معا : موسى وطارق، فقد تم استدعاؤهما إلى دمشق، خوفا من تطورات لاحقة تعصف بكل ما تحقق للمسلمين في هذه البلاد البعيدة عن مركز الخلافة. وهكذا عاد طارق بن زياد صحبة موسى بن نصير إلى المشرق في شهر ذي الحجة 95 / غشت 714.

وإذا كانت المصادر تقدم روايات مختلفة ومتناقضة حول مصير موسى بن نصير في الشرق، فإنها تغفل مصير طارق بن زياد، ولا تضيف شيئا إلى تفكير الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك في تعيينه واليا على الأندلس، ثم تراجعه خوفا من استبداده بها، خاصة وقد بلغه ما كان يحظى به القائد البربري من هيبة وتعظيم هناك. فهل لقي طارق المصير الذي لقيه موسى بن نصير في دمشق ؟ لا نملك إجابة عن ذلك أمام غياب مطلق لمعلومات حول هذه الشخصية الفذة.

وهكذا لم ينصف المؤرخون والإخباريون شخصية طارق بن زياد، فبعد إهمالهم التعريف به قبل أول ظهور له في ولاية طنجة تجاهلوا مسار حياته بعد التحاقه بدمشق استجابة لأوامر الخلافة، عدا إشارة إلى أن وفاته كانت سنة 102 / 720، التي يصعب الأخذ بها، حيث يطبق صمت رهيب على اسم طارق بن زياد، سواء في المشرق أو المغرب.

ابن عبد الحكم، *فتوح إفريقية والأندلس*، 1964 ؛ ابن قتيبة الدينوري، *الإمامة والسياسة*، ج. 2، 1997 ؛ ابن القوطية القرطبي، *تاريخ افتتاح الأندلس*، 1957 ؛ مؤلف مجهول، *فتح الأندلس*، 1994 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب*، ج. 2، 1983 ؛ محمد بن عبد الله عنان، *دولة الإسلام في الأندلس*، ق 1، 1960 ؛ جرجي أنطونيوس طربيه، *الوجدية وأثرها في الأندلس*، 1983 ؛ خير الدين الزركلي، *الأعلام*، م 3، 1986 ؛ رينهرت دوزي، *المسلمون في الأندلس*، ج. 1، 1998.

عبد الإله بلمليح

طارو، جيروم و جان (Tharaud, Jérôme et Jean) (1874-1953) وأخوه شارل الذي كان يسمي نفسه جان (1877-1952)، من خريجي المدرسة العليا للأساتذة بباريز. بدآ الكتابة معا سنة 1898، فأنتجا أدبا جيّدا وأصيلا حقق لهما الشهرة ومكنهما فيما بعد من الدخول إلى الأكاديمية الفرنسية.

وصلا لأول مرة إلى المغرب سنة 1917، مدعوّيْن من طرف المرشال ليوطي، أول مقيم عام للحماية، الذي كان في تلك السنة يشغل منصب وزير الحرب في حكومة الجمهورية. فلم يكن هذا الاستدعاء من باب الكرم. فالأخوان كانا قد أبانا من ذلك الوقت عن مؤهلاتهما الأدبية. وأظهرا اهتمامهما الكبير بدراسة العنصر العربي واليهودي. إذ نُشر لهما سنة 1912 مؤلفهما *العيد العربي* (*La Fête arabe*) الذي كتباه عن مسلمي الجزائر المحتلة ؛ ثم ظهر لهما سنة 1917 مؤلف ثان، *ظل الصليب* (*L'ombre de la croix*) الذي يتحدثان فيه عن اليهود. ولذلك كان الهدف من دعوة الأخوين واضحا. فليوطي الذي كان يلقب إذاك "بمبدع المغرب الجديد"، كان يريد منهما إنتاج أعمال أدبية إعلامية، تخدم بجودتها ودقة مضمونها ومصداقيتها السياسة الاستعمارية التي خططت لها الإقامة العامة. ولهذا الغرض وحتى يتمكنا من معرفة المغرب بلدا وشعبا، أقام الأخوان ستة أشهر في الرباط، وسنتين في مراكش والجنوب، قاما خلالها بعدة رحلات إلى فاس، العاصمة الروحية.

أنفق الأخوان مقامهما الطويل في الاطلاع على أحوال المجتمع والتعرف بالأخص على عيوبه وشوائبه. فمكنتهما ملاحظاتهما والمعلومات التي حصلا عليها من كتابة ثلاثة مؤلفات. فنُشر لهما خلال سنة 1921 : *مراكش أو سادة الأطلس* (*Marrakech ou les seigneurs de l'Atlas*)، ثم *الرباط أو الساعات المغربية* (*Rabat ou les heures marocaines*). وبعد تسع سنوات طُبع لهما كتاب ثالث :

فـاس أو برجـوازيو الإسـلام (Fès ou les bourgeois de l'Islam).

تعتبر هذه الثلاثية من أبرز وأهم ما كتب إلى غاية الثلاثينيات عن مغرب الحماية في أدب الاستعمار الفرنسي. فهي في شكلها نموذج ناجح جعلها تأخذ الصدارة في رفوف المؤلفات الكلاسيكية التي خلفها هذا الأدب. إلا أن مضمونها في مجمله يعطي للقارئ صورة فقيرة وسلبية عن الإنسان المغربي وهو يعيش تحت رحمة المستعمر، فالأديبان سخرا كل مؤهلاتهما الفنية والتعبيرية لوصف أخلاقه المنحطة ؛ فأبرزا ميله الطبيعي إلى الكذب والنفاق والقساوة والفساد والرشوة وغيرها من الرذائل التي تجعل منه إنسانا منعدم الكرامة. ويزكي الأخوان أطروحاتهما بأمثلة يدعيان بأنهما أخذاها من الواقع المعيش، فيقولان مثلا بلسان واحد مبرزين أنانية الرجل الفاسي وعدم اكتراثه بالصالح العام :

"شاهدنا خلال فصل شتاء بكامله، أحد أغنياء فاس يعبر بركة وحل على مقربة من باب منزله، متنطيا بغلته التي رغم اشمئزازها من الماء القذر، لم تكن تستطيع تجنبه. فكانت المسكينة تغطس فيه حتى الركبة، فتلوث في كل مرة بلغتي صاحبها وسلهامه. وكان للغني صاحب وعدة عبيد يظلون متجمعين أمام مدخل الدار بدون عمل. وكان يكفيهم يوم واحد لملء الحفرة بالحجارة. ولكن صاحبنا الفاسي كان يفضل أن يغرق في الوحل أربع مرات في اليوم، بدلا من أن يتحمل بمفرده مصاريف هذا الإصلاح البسيط الذي كان سينتفع منه العموم".

من خلال هذه الشهادة النموذجية التي تبين في الواقع عدم اكتراث سلطات الحماية بإصلاح وترميم طرقات المدينة العتيقة، تتبين أهداف خطابات الأخوين من ثلاثيتهما. فهما لم يتطرقا قط إلى موضوع الاستعمار، بل عمدا على تكريس الصورة المشوهة للشخصية المغربية مقابل إبراز تفوق المعمر الفرنسي الذي يزعمان أنه جاء إلى بلاد المغرب ليقوم بالإصلاح الذي عجز المغاربة أن يحققوه. ولهذا كانت خطابات الأخوين جروم وجان طارو، رغم سموهما الفكري وتألقهما الأدبي، تسير في نفس السياق الذي رسمه أغلب كتاب الاستعمار في المغرب والذين كانوا على عكسهما يتميزون بضعف أو انعدام مؤهلاتهم الفكرية والأدبية.

محمد البقالي اليدري

طاطا، من أجمل واحات بائي الأوسط، تقع بشِعْبٍ ينفتح على جبل باني بوادي طاطا المنحدر من إداونظيف وتاگموت وإندوزال. وتعد من أهم المنافذ لاختراق الأطلس الصغير، وتقع شمال شرق واحة أقا، وعلى ارتفاع أقصاه 900 متر.

كان لهذا الموقع والموضع أثر كبير في قلة التساقطات بها، وفي ارتفاع حرارتها لانفتاحها على المجال الصحراوي، وقد تصل استثناء إلى خمسين درجة مئوية.

ولم يمنع هذا العائق من استقرار الساكنة مبكرا كما تشهد الشواهد الأثرية. وقد تناثرت على وادي طاطا قصور بلغ عددها عشرين قصرا تحتضن ثمانمائة دار، ويقطنها الشلوح والعرب من ذوي بْلالْ وأولاد جلال الذين استقروا بها بعد أواسط القرن الثالث عشر (19 م) وكان لها يد في تغيير معالم البنى السياسية بالمنطقة. كما كانت قلة من اليهود بقصر تِينْ تازارْتْ وبها ملاح صغير (14 عائلة). وقد تعرض هذا القصر لخراب.

ويبدو أن علم طاطا تداولته الكتابات حديثا، وكان العلم الأكثر تداولا، والذي مازالت تتداوله الألسن المحلية، هو "أسيف ـ نْ ـ وولْتْ"، وإليه ينسب الوولتيون، وتقرأ الكلمة خطأ بالولتي. وتفيد الرواية الشفوية أن الاسلام دخل الواحة من الجنوب، وأن أصل العائلات الطاطائية من تامدولت. فهل آثرت الاستقرار بهذه المدينة زمن الأدارسة ثم انتقلت منها أثناء خرابها خلال القرن 14 إلى طاطا ؟ سؤال يحتاج إلى أدلة يقينية لا تتوفر عليها اليوم.

وكان المخزن يولي اهتماما بالمنطقة للحفاظ على أمن المسالك المطروقة بين الواحة وبين محطات صحراوية تنتهي بالسودان الغربي.

لكن ضبط الأمن يستلزم خفارة كفأة للحد من هجومات قبائل الرحل المعقلية بالخصوص حسب روايات مارمول، ودوفوكو.. وهي أيت أوسا وأولاد جلال وذوي بْلالْ. لذلك كلما تجاوزت القوافل النطاق الجبلي للأطلس الصغير، كلما استعانت بقيادات ومشيخات وقوى ذات نفوذ مادي ورمزي محليا وإقليميا مثل إيليغ، تمنارت، أقا، علماء وفقهاء، وثلة من المرابطين.

وقد أرخى مشكل غياب الأمن على الوجود المخزني بالمنطقة، إذ كان ـ على العموم ـ ضعيفا تنقصه الوسائل، حتى في فترات قوة المركز كما كان على عهد السلطان المولى إسماعيل. ولم يتمكن المخزن العلوي في هذه الجهة إلا قليلا بعد توغل القائد أغناج زمن المولى سليمان في عمق طاطا وبنى بها قصبة سنة 1227 هـ تحمل اسمه، ومازال الشيوخ يعرفون موقعها.

ومن خلال هذا الضعف حاولت الاسطغرافيا الاستعمارية إدخال المنطقة في مجال بلاد السيبة معتمدة على رواية دوفوكو، وهذا الموقف مردود لأن زمن رحلة دوفوكو إلى المنطقة صادف تدهورها سياسيا واجتماعيا بل وبيئيا.

لقد كانت القبيلة على الدوام تعتمد على مشيخات لم تفتأ الحرب سجالا بينها، فاعتمد فرع أولاد جلال على نحلة تاگزولت، وآثر فرع ذوي بلال نحلة تاحگات السكتانية، بله دب نزاع بين فرعين من نفس الفصيل : حيان ومكراز.

ولدرء هذا الوضع، حاول السلطان المولى الحسن الأول تنظيم مشيخات القبيلة سنة 1303 /1886 واعترف بها رسميا وعلى رأسها عائلة بونعيلات الذويلالية، لكن الاحتفاظ على أربع قيادات إنما زادها تشرذما.

ويبدو أن جانب تاحگات تقوى وتغلب أخيرا على نحلة تاگزولت على غير العادة، وقد يكون بُعد المكان عن يعسوب الگلوليين بإيليغ أحد الأسباب.

ومن بين تداعيات هذه القلاقل تقلص عدد ذوي ويلال وأولاد جلال بشكل لافت للنظر، ومن بينها كذلك خراب مداشر وقرى بكاملها منها على الخصوص : قصر تين تازارت. ودفع هذا الوضع إلى تراجع قوة الطاطائيين أمام أندادهم من الجيران : سكتانة وأقا.

وواكب هذ التدهور فقدان طاطا لإشعاعا التجاري بعد أن تحول المسلك التجاري إلى مركز تندوف منذ أواسط القرن 19 وتقوى دور التاجاكنتيين.

وفيما سلف، استفادت الواحة من موقعها التجاري، واشتهرت بسوقين : أگادير الهنا، وأديسْ، فكانت العائلات الميسورة تفتات بالأساس من التجارة الصحراوية والسودانية، وتُعضّد حياتها بزراعة مسقية في شرائط ضيقة بها أشجار مثمرة : التين، البرتقال، الليمون، العنب، الزيوت... بالإضافة إلى التداول بين الشعير والذرة. ويظل التمر عصب الانتاج ومورد تبادل مع السوس والسودان، وقد عانى منذ قرن من آفة البيوض.

بالمقابل كانت الأراضي البورية ضعيفة الإنتاج (الشعير) ويبقى معدر درعة ملاذ السكان، وأهم المعادر ينسب لذوي بلال، وتحدث عنه دوفوكو بإسهاب، وتستفيد منه قبائل البْرابْر في إطار تعاقد، وفي أحايين كثيرة يكون مثار قلاقل وفتن.

لقد استثمرت الحماية الفرنسية تناقضات القبيلة الداخلية وضعف جانبها أمام جيرانها گلاوة، مما دفع بالقائد الدوبلالي ـ مثل ما وقع بأقا ـ إلى الاتصال بإدارتها مبكرا لقطع الطريق أمام طموحات الگلاويين، الذين أرادوا استغلال غموض الحدود بين القبيلتين.

وقد اعترفت الحماية بنفوذ الدوبلال في مجاله كما كان زمن السلطان المولى الحسن، ويحمل ظهير التولية تاريخ 21 القعدة 1336 / 1922 .

بهذا الإجراء، جرّ القائد الاحتلال إلى المنطقة، لكن لم يتأتّ ذلك رسميا إلا بعد عقد من الزمن، حين طلعت الجيوش الفرنسية إلى طاطا من مركز إغرم 1347 / 1929، وبعد سنتين بُنيت ثكنة عسكرية وتقوى بذلك جانب الدوبلاليين.

بهذا الإجراء كذلك تمكن الفرنسيون من شد الطوق على الأطلس الصغير من الجنوب ونشط عمل ضباط الشؤون الأهلية، وغدت طاطا أهم المراكز للمراقبة ولتكوين سرايا صحراوية من الأهالي تحت قيادة عسكرية فرنسية، تأهبا لاختراق بلاد الشرگ والصحراء خلال الثلاثينيات من القرن الماضي.

في ظلال التجاذب والتقاطع مع الحدث السياسي، احتضنت القبيلة ثقافة عالمة رموزها الزوايا والمدارس، وعلى رأس زاوية أفرا بأگادير الهنا، ومن وجوهها إبراهيم أومحند نايْتْ حساين، تيجاني الطريقة.

ويبدو أن أثر الطاطائيين في هذه الثقافة أقل ثراءً وتنوعاً مقارنة بمناطق من سوس. وعلى العكس كان التراث الشفاهي متعدد الأطياف من غناء ورقص وأمثال وحكايات وطقوس وما إليها، ومن حسن الطالع أن السكان احتفظوا على إشعاعه اعتمادا على فعاليات محلية.

المختار السوسي، *المعسول*، الأجزاء 6، 16، 18، 19 ؛ *خلال جزولة*، 3 : 64، 67، 68، 70، 88، 90،104، 135 ؛ *واحات باني : العمق التاريخي ومؤهلات التنمية*، أعمال ندوة طاطا (مارس 1995)، منشورات كلية الآداب ابن زهر، 1998 ؛ *أرشيف الخزانة الحسنية*.

A.F., Août 1922 ; CHEAM, n° 541, 1924 ; *A.F. : R.C.*, n° 4 oct, 1924 ; Archives Vincennes, 1926, Rapport Denis ; Ch. de Foucauld, pp. 318, 319, 400, 402 ; J. Meunié, *Le Maroc Saharien*, pp. 91, 95, 117, 123, 130, 228, 348, 354, 355, 565 ; J. Bellakhdar [et al.], *Tissint*, Rabat, 1992 ; M. Akhmisse, *Tata ou l'errance fujitive*, Rabat, 1990.

شفيق أرفاگ

طاطنباخ (فون) كريستيان (1846-1909)، دبلوماسي ألماني مثل بلاده في المغرب بصفة وزير مفوض مقيم، ثم بصفة مبعوث فوق العادة لدى السلطان المولى عبد العزيز، ثم كان رئيس البعثة الألمانية في مؤتمر الخزيرات إلى جانب رادوفيتس Radowitz، سفير ألمانيا يومئذ في مدريد.

وقد ازداد كريستيان فون طاطنباخ سنة 1846 في لاندسهوت Landshut في إقليم بايرن جنوب ألمانيا، من أسرة نبيلة ورث عنها لقب "الكراف" (يعني الكونت باللغات الأوربية الأخرى)، كما ورث عنها روح الكبرياء الطبقي الذي عززه في نفسه ما كان عليه من طول القامة وضخامة الهامة وامتداد الكاهل. اشتغل، بعد إتمامه لدراسة القانون، في إدارة إقليم ألزاس ـ لورين المنتزع من فرنسا في السبعينيات من القرن التاسع عشر، وذلك فيما بين 1873 و1878. ثم التحق بوزارة الخارجية، فعيّن كاتبا لدى السفارة الألمانية في بيكين عاصمة الصين، وأقام هناك من سنة 1879 إلى سنة 1884. ثم كان قنصلا عاما في بلغراد عاصمة مملكة الصرب. ثم ارتقى مستشارا لدى سفارة بلاده في مدريد. ومن مدريد صار يلم بالتدريج بقضايا المغرب، مما أهله للقيام بوظيفة الوزير الألماني المفوض المقيم في طنجة ابتداء من سنة 1889. وقد أمسك بزمام مصالح وطنه في المغرب بيد من حديد ملفوفة في الحرير، طيلة السنوات الأخيرة من عهد السلطان المولى حسن. وعرف كيف يستغل المنافسة بين باقي الأوربيين لترسيخ التجارة الألمانية في الأسواق المغربية، ذلك بأنه جرى بينه وبين السلطان المولى حسن تعاطف دعمته المصالح المشتركة، إذ التقى طاطنباخ مرة أولى بالسلطان في طنجة في خريف سنة 1889، ثم التقى به مرة ثانية في فاس، في سفارة رسمية في ربيع 1890، وأقام عدة شهور يبدي عظمة ألمانيا ومدى احترامها لدولة المغرب ورغبتها في النهوض بالعلاقات بين الدولتين. وصادف ذلك حاجة من السلطان إلى الصمود في وجه باقي الأقطاب العظمى، وبخاصة إنجلترا

وفرنسا وإسبانيا، التي كان ضغطها على المغرب قد تجاوز كل الحدود في تلك السنوات. وكان عليه في المقابل أن يلبي بعض ما كانت ألمانيا هي نفسها تلحّ فيه منذ سنوات من الملتمسات التجارية، وملخصها رفع الحواجز عن التصدير من المغرب، والسماح بتصدير الحبوب والقطاني على وجه الخصوص، التي ظل السلطان يعاملهم بالتسويف في شأنها ويتذرع بقول العلماء وأقطاب الرأي العام المغربي بعدم شرعية التنازل فيها. لكن طاطنباخ استطاع أن يقنع المولى حسن بسلوك مسلك وسط في الأمر، وذلك في الوقت الذي صارت فيه الجيوش الفرنسية على مرحلتين من واحات توات، وصار الإنجليز يطالبون بلهجة الغلظة والفظاظة بإدخال " الإصلاحات" التي لن تزيد التغلغل الأوربي إلا قوة وامتدادا. ودرءاً لذلك، تنازل المولى حسن فأمضى معاهدة تجارية مع طاطنباخ، رخص فيها بتصدير الحبوب المغربية وغيرها من المواد الاستراتيجية في اقتصاد المغرب يومئذ، برسوم غير مجحفة، على أن يجري ذلك لمدة ثلاث سنوات على سبيل التجربة. وكان ذلك باقتراح من طاطنباخ، حلا وسطا بين الرفض المخزني المعهود ورغبة التجار الأوربيين في التسريح المطلق. وظل طاطنباخ، أثناء السنوات الأخيرة من عهد المولى الحسن لا يبخل بمعاونته ونصائحه، علما بأن اهتمام الدبلوماسية الألمانية بعد انسحاب المستشار بيسمارك من السلطة وتربع الإمبراطور غليوم الثاني على عرش ألمانيا سنة 1890، قد تحول من الآفاق الأوربية الضيقة إلى آفاق ما وسموه بأنه "ألفيلت ـ بولتيك" Weltpolitik، أو "السياسة العالمية"، التي يشكل المغرب فيها حتما محطة بالغة الأهمية. ولقد تطورت العلاقات التجارية بين المغرب وألمانيا فيما بين 1885 و1896 بشكل أثار انتباه باقي الدول وحفيظتها. وكان للسفير طاطنباخ ضلع كبير في ذلك، بالرغم من مصير صلاته بالجهاز المخزني، بعد وفاة المولى الحسن يوم 7 يونيو 1894، إلى جولات عنيفة من الأخذ والرد، وذلك ولاشك بسبب تنافر الأمزجة بين الحاجب أحمد بن موسى والكراف فون طاطنباخ، وبسبب جرائم ذهب ضحيتها بعض الرعايا الألمان. ففي يوم 6 نونبر 1894، قتل فرانتس نويمان Franz Neumann في ضيعته بأحواز الدار البيضاء. فاستشاط طاطنباخ غضبا. وعوض أن يتقدم بشكواه إلى النائب السلطاني في طنجة على الطريقة المعهودة، فإنه أبى إلا أن يرحل هو بنفسه إلى فاس، حيث كان السلطان عبد العزيز مقيما بعد مبايعته، مطالبا المخزن بلغة التهديد والتعجرف بإلقاء القبض على الجناة وإعدامهم، ومعلنا أنه لن يغادر المدينة إلا بعد تلبية مطالبه التي عززها برسوّ مركب عسكري ألماني أمام طنجة. ولم يكن للمخزن بدّمن الإذعان. فطار صيت طاطنباخ في الأوساط الأوربية التي رأت أن لغة التعنيف هي اللغة المجدية مع الجهاز المخزني. والحقيقة هي أن المخزن العزيزي الناشئ كان لا يريد فقدان السند الألماني، فلبى ملتمسات طاطنباخ بالرغم مما جاءت عليه من الاستخفاف وسوء المراعاة، وذلك رغبة في تجاوز النازلة للعودة بالعلاقات مع الألمان إلى التفاهم المفيد للجانبين. لكن سرعان ما وقعت واقعة أخرى تجاوز فيها طاطنباخ كل الحدود، وذلك على إثر مقتل مواطن ألماني آخر، وهذه المرة في ضواحي أسفي، واسمه هيرمان روكشطروه Herman Rockstroh. ومرة أخرى، تصرف طاطنباخ في النازلة، وكأن لا حكومة في المغرب، وما على الأوربيين إلا أن ينتقموا لأنفسهم مما قد يلحقهم من الأضرار من قبل المغاربة. فجاء مهرولا من طنجة إلى أسفي، على متن مدرعة، للبحث بنفسه عن القتلة وإلزام السلطات المغربية بإعدامهم أمام الملأ. ولما استحال عليه النزول في ميناء أسفي بسبب أحوال البحر، فإنه أتم الرحلة إلى ميناء الصويرة. وهنالك ألزم عاملها بإمداده بستين عسكريا زحف بهم برا نحو أسفي. وأقام خيامه على مشارف تلك المدينة، بعد أن رفض دخولها للإقامة في المنزل المعد له خصيصا. ثم إن المركب الذي أنزله في الصويرة رجع منها. وما أن رسى في ميناء أسفي حتى صعد طاطنباخ على متنه، ثم نزل منه وسط اثني عشر بحارا ألمانيا على هيأة القتال، مخترقا وسط المدينة بهم في شكل سافر من التحدي والاستفزاز نحو مخيمه، ظنا منه أن العامل سيذعن لأوامره. لكن العامل ظل صامدا أمام تلك التمثيلية الخرقاء. وصار طاطنباخ يتنقل بحرا بين الموانئ الأطلسية المغربية، مهددا برميها بالقنابل إن لم يلبّ في الحين كل ما كان للتجار الألمان من المطالب ومن المساومات التجارية. واشتكى المخزن العزيزي من ذلك لدى الإمبراطور الألماني غليوم الثاني مطالبا بعزل طاطنباخ. ولكن شكواه ردت بتمام الاستعلاء، بل جاء أسطول ألماني يجوب مياه طنجة والرباط والدار البيضاء. واضطر المخزن إلى أداء دية روكشطروه القتيل، وإن ظل طاطنباخ يلحّ في لزوم إعدام القتلة الذين لم يعثر بعد لهم على أثر. وبلغت صلات طاطنباخ بالجهاز المخزني درجة من التوتر جعلت نواب الأجناس في طنجة يتساءلون عما إذا كانت ألمانيا قد تحولت من مساند للدولة المغربية إلى راغب في الإطاحة بها وفتح "المسألة المغربية" قبل الأوان. مما لم يكن يومئذ بتاتا من مساعي الدبلوماسية الألمانية، وهي في أوج تظاهرها بالمدافعة عن المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها. فما كان عليها إلا أن تبعد طاطنباخ عن المغرب. فشرفه الإمبراطور غليوم الثاني باستقبال خاص في نهاية سنة 1896، ثم عيّنه سفيرا في سويسرا، فغادر طنجة، مخلفا لدى الأوساط المخزنية تحفظا من الدبلوماسية الألمانية، لن يزيد مع تطور الضغط الاستعماري على المغرب في العقد الأول من القرن العشرين إلا تفاقما. ذلك بأن غاية ألمانيا من المغرب كانت لا تتجاوز الرغبة في تعزيز مكانتها التجارية في أسواقه، فلا تبدي تعاطفها مع المخزن إلا لمزاحمة منافسيها من فرنسيين وإنجليز. والحالة هذه، فإن التجارة الألمانية ازدهرت في المغرب بما لم يسبق له مثيل في عهد خلف طاطنباخ في

المفوضية الألمانية في طنجة وهو مينتسينكر Mentzinger، حتى إن ازدهارها صار عنصرا من عناصر "المسألة المغربية"، يوم مالت فرنسا إلى اقتسام النفوذ في المغرب مع أكبر منافسيها الدبلوماسيين وهم الإنجليز والإسبان وإلى حد ما الطاليان، دون إشعار الألمان بذلك، مما أغضب غليوم الثاني، فكانت زيارته لطنجة في ربيع 1905. واحتاج إلى أن يرمي خصومه بالورقة المغربية، فبعث بطاطنباخ إلى السلطان المولى عبد العزيز. وكان طاطنباخ قد انتقل من سفارة سويسرا إلى سفارة البرتغال، فجاء إلى فاس على طريقته المعهودة من الشموخ بالأنف وإبراز العضلات ورفع الصوت ليوحي للسلطان بالدعوة إلى عقد مؤتمر الخزيرات وإيقاف الفرنسيين عند حدهم. ولما اجتمع المؤتمر، كان من شبه الطبيعي أن يتولى رئاسة الوفد الألماني طاطنباخ، إلى جانب رادوفيتس السفير في مدريد، فكان طاطنباخ بمثابة الشرارة التي تلهب المناقشات نارا، وكان رادوفيتس بمثابة الماء يصبّ كلما تعالى اللهيب بما يتجاوز الأغراض الألمانية. وسرعان ما أدرك الوفد المغربي برئاسة النائب السلطاني في طنجة محمد الخطيب والأمين محمد المقري أن لا معوّل على الألمان. وأن الأوربيين على كلمة واحدة فيما يرجع لأخضاع المغرب لنفوذهم التجاري والسياسي. وما أن انتهى المؤتمر حتى عاد طاطنباخ إلى مقر سفارته بليشبونة، وفيها لقي حتفه سنة 1909.

P. Guillen, *L'Allemagne et le Maroc de 1870 à 1905*, Paris, 1967.

إبراهيم بوطالب

ابن **طاطو** ، أسرة قاسية عريقة منقرضة، إليها تنسب قنطرة ابن طاطو خارج بني مسافر المعروف الآن بباب سيدي بوجيدة الموصلة لبلاد الحبالات وغيرها، ولبنائها قصة طريفة ذكرها ابن سودة في *إزالة الالتباس*.

وقد جدد إصلاح هذه القنطرة الشيخ الصالح أحمد الشاوي في مطلع القرن الحادي عشر (16 م) والسلطان الرشيد ابن الشريف سنة 1081.

وقف مؤلف *إزالة الالتباس* على تقييد مؤرخ في عام 541 ذكر فيه محمد بن أبي طاطو (بزيادة أبي) : وعلى حوالة حبسية مؤرخة بعام 833 ذكر الموثق فيها بإشهاد على المنصور بن علي ابن طاطو.

ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، ج. 2 : 1 ـ 2.

محمد حجي

الطاعون، من الأوبئة المعدية التي فرضت ـ فيما مضى ـ ضريبة فادحة على الإنسانية. أصله نوع خاص من المكروبات تسمى باستريللا بستس (Pastourella Pestis) من فصيلة يرسينيا (Yersinia)، تختزنها بالخصوص الحيوانات القارضة كالجرذان والفئران، وتنتقل عدواها إلى الإنسان بواسطة لدغ البراغيث التي تعيش متطفلة على هذه الحيوانات. والطاعون الذي يصيب الإنسان يظهر في ثلاثة أنواع :

1) الطاعون الدملي : يصيب الغدد اللمفاوية، خصوصا تحت الإبط وفي العنق وثنايا الفخذتين، وتصل نسبة الوفاة به إلى 20٪ من مجموع الإصابات. تبدأ أعراضه بصورة تدريجية، فيشعر المريض بخمول عام مع صداع، ثم تبدأ حرارة جسمه بالارتفاع، وقد تصل إلى 40 درجة مائوية، مع صداع شديد ، وألم في الظهر، وتقيؤ ؛ وتبدأ الغدد اللمفاوية بالتورم، ثم تكبر، وتتصلب، وتؤلم ألما شديدا، ثم تتقيح.

2) الطاعون الرئوي : يحصل نتيجة مضاعفات الطاعون الدملي، أو نتيجة لعدوى من الإنسان المصاب إلى الإنسان السليم بواسطة رذاذ المريض أو بصاقه. تظهر أعراضه بصورة فجائية، فترتفع درجة الحرارة فجأة، مع قشعريرة، وصداع، وسعال ؛ وتصل نسبة الوفاة به إلى 70٪ من مجموع الإصابات خلال مدة لا تتعدى سبعة أيام.

3) الطاعون التسممي : وهو الأخطر على الإطلاق، وقد يحصل كمضاعفات للطاعون الدملي، أو الرئوي، أو كنوع قائم بذاته ؛ وفي هذه الحالة تتم العدوى عبر الغشاء المخاطي للفم والبلعوم ؛ وتظهر الأعراض بسرعة هائلة، وأهمها : انخفاض سريع في ضغط الدم، وقيء مفاجئ ونزيف دموي وتحدث الوفاة به في أقل من ثلاثة أيام، ونسبتها 100٪.

ورغم تكرار العدوى وخطورتها، فلم يعرف الناس طبيعة هذا الوباء ولا سبب انتشاره، وظلوا قرونا طويلة يعتقدون أنه إما من شؤم ناجم عن حركات الكواكب، أو تلوث الهواء بالأبخرة الفاسدة ؛ وحتى اسمه بالعربية (الطاعون) فراجع لاعتقاد العرب في الجاهلية بأن أرواحا شريرة تطعن المرضى فترديهم قتلى. وقد ظل الطب عاجزا أمامه إلى نهاية القرن التاسع عشر، حينما اكتشف العالم الفرنسي ألكسندر يرسن (A. Yersin) جرثومة الطاعون في هونغ كونغ سنة 1894 ؛ وهذا العالم هو الذي استحدث بعد ذلك طريقة لمداواة الموبوئين بواسطة المصل الذي أصبح منسوبا إليه.

كان المغاربة يطلقون على الطاعون "الحبوبة الكبيرة"، أو "القيسة"، أو "الجمرة" ؛ إلا أن التسمية المتداولة في المصادر المغربية هي الطاعون، أو الوباء. على أن هذه المصادر كثيرا ما استعملت التعبيرين للدلالة على أي وباء معد، خصوصا بصدد أوبئة الحقبة الوسيطة ـ وحسب الطبيب الفرنسي رينو (Dr. L. Raynaud) فإن أقدم طاعون معروف في المغرب هو طاعون عام 542 ؛ وقد أحصى هذا الطبيب أربعة وعشرين طاعونا في الفترة الممتدة بين 742 و1818. وفي رأينا، فإنه لا بد من التمييز بين مرحلتين عند تأريخ طواعين المغرب :

المرحلة الأولى : تبدأ من العصور الإسلامية الأولى وتستمر إلى منتصف القرن الرابع عشر الميلادي، وخلالها تشير المصادر إلى الأوبئة التالية : 260 / 873 ـ 874 ؛ 285 / 898 ـ 899 ؛ 307 / 919 ـ 920 ؛ 344 / 955 ـ 956 ؛ 379 /

989 ،990 / 407 ؛ 1016 ،1017 / 571 ؛ 1175 ،1176 / 610 ؛ 1213 ، 1214 ؛ 616 ،617 / 1219 ، 1220 ؛ 630 / 1233 ، 1234 ؛ 634 ،635 / 1237 ،1238 ؛ 693 / 1294 ،1295.

تنعت المصادر هذه الأوبئة أحيانا بالطاعون، وأحيانا أخرى بالوباء : إلا أن سكوتها عن ذكر الدماميل، والقيء، وبصق الدم، والإسهال، يدفعنا إلى إبداء كثير من التحفظ إزاء لفظة الطاعون التي استعملتها، سيما وأننا نعرف أن هذا الوباء الخطير كان قد انقطع أثره في العالمين الشرقي والغربي بعد قرنين من هجماته الدورية. فآخر طاعون تعرض له الشرق الإسلامي هو طاعون عام 770 م. وآخر طاعون تعرض له الغرب المسيحي هو طاعون نابولي سنة 761. وبعد احتجابه في ظروف غامضة، فإنه لم يعد إلى الظهور إلا بعد خمسة قرون، ابتداء من الطاعون الأسود في العام 1348 م. فقبل هذا التاريخ إذن يمكن القول : إن كثيرا من الأوبئة التي نعتها الإخباريون المغاربة بالطاعون قد تكون مجرد أمراض مختلفة، خاصة الجذري وحمى التيفوس الوبائية.

المرحلة الثانية : تبدأ من سنة 1348 وتستمر إلى بداية القرن العشرين، وخلالها تعرض المغرب لسلسلة من الطواعين أصبح بالإمكان التأكد من طبيعة بعضها بفضل الدراسة المقارنة، أو بفضل ما تضمنته المصادر ـ أحيانا ـ من إشارات إلى أعراضها.

بدأت السلسلة بطاعون 749 ـ / 1348 الذي انتشر في سائر أنحاء المعمور، وأطلق عليه الكتاب الأوروبيون الطاعون الأسود، وقدروا عدد ضحاياه بـ25 مليونا من الأنفس. أما الكتاب المسلمون فقد نعتوه بـ"الطاعون الأعظم"، أو "الطاعون الجارف"، وكان لهم قصب السبق في وصف أعراضه ورصد وقائعه. من ذلك الوصف الدقيق الذي قدمه ابن خاتمة في مدينة ألمرية، حيث ذكر أن المصاب به كان يظهر عليه "تشنج وبرد في الأطراف وقيء مراري، وسواد في اللسان، أو تورم في الحلق، أو وجع في الرأس، وغثيان. وقد تحدث قروح سود في مواضع من الجسم، وأكثر من ذلك في الظهر، والعنق، وقد تحدث في الأطراف" (*تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد*، الخزانة العامة بالرباط، شريط 2112). ومن خلال ملاحظات لسان الدين ابن الخطيب نتبين أن جل الضحايا كانوا من الفئات الفقيرة ؛ ويرجع سبب ذلك، في نظره، إلى سوء السكن واكتظاظ السكان، وكذلك إلى الجهل بالأساليب الوقائية : "كما أن الضرر يحصل عن تلاقي أنفاسهم (يعني المرضى)، فكذلك يحصل من الأبخرة المتعفنة المتصاعدة من أبدانهم، وكذلك من استعمال ملابسهم وفروشهم التي تقلبوا فيها زمن مرضهم. ولقد شاهدت من أهل سوق الحلق بألمرية، الذين كانوا يبتاعون بها ملابس الموتى وفرشهم، مات أكثرهم" (*مقنعة السائل عن المرض الهائل*، نشرها م. ج. مولر، باريس، 1863). أما بخصوص ما أحدثه الوباء من تدمير في بلدان المغارب، فقد قدم عنه ابن خلدون وصفا بليغا بهذه العبارة : "فانتقص عمران الأرض بانتقاص البشر، فخربت الأمصار والمصانع، ودرست السبل والمعالم، وخلت الدور والمنازل". (*المقدمة*).

بجسامة الخسائر البشرية، وانعكاسات هذه الخسائر على الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وحتى السياسية، يأتي الطاعون الأسود في مقدمة الكوارث الطبيعية التي نكب بها المغرب خلال العهد الوسيط. إلا أنه يبقى مجرد وباء من سلسلة واسعة. أما وجه خطورته، فتكمن في هجماته الدورية. فبعد إقلاعه سنة 1350، فإنه عاد للفتك بالسكان في دورات متعددة، كما هو موضح في الجدول التالي :

1364 ـ 1363	1680 ـ 1678
1416 ـ 1415	1744 ـ 1742
1445 ـ 1442	1751 ـ 1749
1522 ـ 1521	1800 ـ 1798
1558 ـ 1557	1820 ـ 1818
1598 ـ 1597	1913 ـ 1911
1608 ـ 1604	1917 ـ 1916
1614	1919
1620	1922 ـ 1921
1627 ـ 1626	1933 ـ 1929

لقد ذكر الحسن الوزان في "*وصف إفريقيا*" أن الطاعون كان يظهر في المغرب بعد كل عشر سنوات، أو خمس عشرة سنة، أو عشرين سنة. إلا أن ظهوره لم يكن يخضع في الواقع لإيقاع معين. فإذا نظرنا، مثلا، إلى هجماته خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر نجد أنه ظهر في البداية سنتي 1742 ـ 1744، وهذا بعد مرور أزيد من نصف قرن على آخر هجوم له (1678 - 1680) ؛ ثم بعد عودته المبكرة سنة 1747، نراه يحتجب لمدة طويلة أخرى تناهز نصف قرن بحيث لم يظهر إلا في 1798 ـ 1800، ليعود مرة أخرى بعد ثماني عشرة سنة (1818 ـ 1820) ؛ وهذه العودة الأخيرة كانت آخر زيارة له للبلاد خلال القرن التاسع عشر، إذ أنه لم يظهر من جديد إلا في بداية القرن العشرين.

لم تكن هذه الطواعين متوطنة بل كانت تفد في الغالب من البلدان المتوسطية المجاورة، خاصة منها الجزائر. كانت العدوى تنطلق من هذا البلد الأخير عبر الطريق البرية الرابطة بين وجدة وفاس. ذلك ما حدث، مثلا، بالنسبة لطاعون 1742 ـ 1744 وطاعون 1798 ـ 1800 اللذين ظهرا أولا في المدن الشمالية والشرقية (تازة وفاس) ومنها امتدا إلى السواحل وباقي أنحاء البلاد. إلا أن هناك بعض الاستثناءات. فطاعون 1415 سرى من الطريق البحرية مع الحملة البرتغالية على سبتة ؛ كما أن طاعون 1818 ـ 1820 سرى هو الآخر عبر نفس الطريق، وقد نقله الحجاج المغاربة مباشرة من مصر بعد نزولهم في طنجة، ومن هذه المدينة زحف إلى المناطق الداخلية وباقي السواحل. على أن الاستثناءات الجديرة بالذكر هي اندلاع بعض الطواعين من داخل المغرب. فطاعون 1747 ـ 1751 انطلق من إقليم سوس في الجنوب، ومنه زحف إلى الشمال ؛ وهي نفس الظاهرة التي سجلت بصدد طاعون 1602 الذي انطلق هو الآخر من سوس وكان ذيلا لطاعون

1597 ؛ كما لوحظت نفس الظاهرة في سنة 1916 ثم في سنة 1932.

إذا كانت طواعين المغرب مرتبطة، عموما، بتلك التي ظهرت في البلدان المتوسطية، فهذا يجعلنا لا نشك في كونها طواعين حقيقية طالما أن مؤرخي تلك البلدان قدموا عنها أوصافا ذات دلالة. بيد أن المصادر المغربية لم تبخل علينا بأوصاف لأعراضها. يقول العربي المشرفي عن طاعون 1798 ـ 1800 : "وهو خروج شيء في مغابن الإنسان كإبطيه يشبه الجوزة، يسود ما حولها أو يحمر، يمرض الإنسان أياما عديدة، وربما يعيش ؛ ولما يطعن به الإنسان يتقيأ ما شرب، ولا يكاد يصبر على الماء، ويقع له إسهال في البطن أنتن من الجيفة". (أقوال الطاعون، مخطوطة في الخزانة الحسنية بالرباط، رقم 2154، ورقة 9). وتقدم المصادر إشارات أخرى كاشفة ؛ فهي تشير، من جهة، إلى هيجان الوباء في فصل الربيع كما نجد عند أحمد السلمي ابن الحاج : "وفي شهر جمادى الثانية ورجب وشعبان [من عام 1164 هـ / أبريل ـ ماي 1751] هاج المرض الوبائي بحضرة فاس وجميع بلاد المغرب" (*الدر المنتخب*، مخطوطة في الخزانة الحسنية بالرباط، ج. 8، ص.175) ؛ أو عند عبد السلام الفشتالي : "حتى ازداد أمره [طاعون 1798 ـ 1780] واشتد بأول شوال [8 مارس 1799]"، وهي تشير، من جهة أخرى، إلى انقطاعه مع بداية فصل الصيف : "ولم يزل أمره [طاعون 1750] يتفاقم إلى منتصف شعبان [8 يوليوز] فكفّ".

إن هذا الإيقاع يتفق مع ما نعرفه عن النسق الموسمي للطاعون ؛ إذ أن نشاط البراغيث، وهي العامل الرئيسي الذي ينقل الوباء إلى الإنسان، يخضع للعامل المناخي ؛ فهي تتوقف عن الإنتاج مع اشتداد الحرارة، وتموت إذا انخفضت درجة الرطوبة عن 80٪. ذلك ما يفسر بقاء المناطق الصحراوية بمنجى. وكانت هذه المناطق تلعب دور خزان بشري لتعويض الفراغ الذي كان الطاعون يحدثه في السهول.

محمد الأمين البزاز، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 1992.

J.-N. Biraben, *Les hommes et la peste en France et dans les pays méditerranéens*, Paris, 1976, 2 t. ; H.P.J. Renaud, *La peste de 1799*, *Hesp.*, 1921 ; *Le peste de 1818*, *Hesp.*, 1923 ; *Les pestes du milieu du XVIIIe siècle*, *Hesp.*, 1939 ; *Les pestes des XVe et XVIe siècles*, *Mélanges d'études*, Lisboa Paris, 1945 ; B. Rosenberger et H. Triki, *Famines et épidémies au Maroc au XVIe et XVIIe siècles*, *H.-T.*, 1973 et 1974.

محمد الأمين البزاز

الطاعون (جريدة)، أصدرها في فاس الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني في يناير 1908 قصد مواجهة الدعاية الاستعمارية التي كانت تبثها من طنجة جريدة "السعادة" الموالية لفرنسا. وهذا الموقف الدفاعي هو الذي يفسر اختيار ذلك العنوان المخطوط على شكل أفعى والرامي إلى زرع الرعب في قلوب المناوئين لاستقلال المغرب. ولكون الكتاني لا يتوفر على مطبعة، فقد لجأ إلى وسيلة تقليدية لإعداد جريدته. ذلك أنه كان يجمع حوله عددا من الطلبة فيستكتبهم المقالات المراد نشرها، ثم توزع نسخ الجريدة المخطوطة بين نخبة من المتعلمين. وكان طبيعيا، والحالة هذه، أن يكون عدد تلك النسخ متواضعا، وهو ما يفسر تعذر الحصول على نماذج منها اليوم. ولحسن الحظ، يمكن تكوين فكرة عامة عن شكلها ومحتواها بفضل مقال نشره لوي ميرسييه Louis Mercier في "*مجلة العالم الإسلامي*" *(La Revue du Monde Musulman)* سنة 1908. فحسب هذا الكاتب، الذي كان آنئذ مكلفا بقنصلية فرنسا في العرائش، كان العدد الأول من جريدة الطاعون يتشكل من أربع صفحات مقسمة إلى أربعة أعمدة. أما فحواه فهو عبارة عن نقد لاذع وشتم جارح لجريدة "*السعادة*" (المنعوتة بالشقاوة) ولمديرها الشامي وديع كرم. كما كانت الجريدة تناصر بحماس السلطان عبد الحفيظ وتصب جام غضبها على أخيه عبد العزيز الذي اضطر بعد خلعه إلى مغادرة فاس للاستقرار بعض الوقت في الرباط.

ويخبرنا ميرسييه في المقال المشار إليه آنفا أن العدد الثاني من جريدة الطاعون صدر بعد مرور شهر عن الأول. وحسب الكاتب نفسه، كان هذا العدد من حيث الشكل أقرب إلى منشور عادي منه إلى جريدة. أما لهجته فقد ظلت على نفس الوثيرة. والجديد في هذا الإصدار أن صاحبه أعلن عزمه على إرسال "*الطاعون*" إلى مكاتب الصحف العربية في طنجة وكذا إلى وصيفاتها في الشرق العربي. لكن ربما ظل هذا المشروع في مرحلة النوايا إذ لم نجد أية إشارات أخرى تفيد استمرار جريدة "*الطاعون*" بعد عدديها الأول والثاني.

كتب الموثق محمد المنوني في شأن "الطاعون" أنها نشرت بالمطبعة الحجرية الفاسية وكانت لسان النخبة الوطنية، وذلك استنادا إلى ما أوردته جريدة "*لسان المغرب*" في عددها ليوم 21 فبراير 1908. وإذ كانت هذه الإفادة تتناقض مع ما ذكره ميرسييه في كون الجريدة مخطوطة، فالمرجع أن يكون رأي هذا الأخير هو الصواب لأنه اطلع فعلا على تلك الجريدة في حين أن "لسان المغرب" تعترف أنها لم تقف حينئذ على نشرة منها.

لسان المغرب، العدد 25، 21 فبراير 1908، ص. 3 ؛ محمد المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، الجزء الثاني، الفترة المعاصرة (1790 ـ 1930)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1989، ص. 171.

L. Mercier, *La presse musulmane*, R.M.M., t. IV, 1908, p. 619 - 630.

جامع بيضا

الطاغية، لقب استعمله سلاطين المغرب لمخاطبة ملوك ورؤساء الدول المسيحية جريا على تقليد إسلامي خوطب فيه ملوك الروم بما يفيد الكفر والطغيان والخروج عن جادة الصواب والحق. ولم تكن هناك قاعدة واضحة ومصطلحات

ثابتة يستعملها السلاطين في مراسلاتهم مع رؤساء الأمم المسيحية، ولم يكن استعمال لقب "الطاغية" قاعدة سارت عليها كل الدول التي تعاقبت على حكم البلاد. فإذا كان المرابطون يخاطبون ملوك النصارى بإسبانيا بعبارة "الطاغية الباغية"، فإن الموحدين والمرينيين من بعدهم قد لجأوا إلى عبارات أقل حدة مثل "مطاع ملوك النصرانية" و"عظيم الأمة الرومية". بل إن المرينيين أصبحوا يخاطبون ملوك النصارى بأسماء وأوصاف تفيد الاحترام والإجلال، من ذلك عبارات "الأجل الأعز الكبير"، و"الملك الأجل المكرم"، و"الملك الأصدق"، إلى غيرها.

ويظهر أن الصيغة المستعملة في مخاطبة ملوك النصرانية كانت تختلف باختلاف العلائق التي تجمع المغرب بهؤلاء الملوك وأيضا بميزان القوى الذي يميز هذه العلائق. فالسلطان الواحد، مثل المولى إسماعيل العلوي، كان يتأرجح في مراسلاته مع هؤلاء الملوك بين لقب "الطاغية" وألقاب أخرى مثل "عظيم الروم". فإذا كان قد خاطب ملك إنجلترا، جيمس الثاني، بعبارة "طاغية الإنجليز"، فإنه خاطب ملك فرنسا بـ"عظيم الروم وكبير مملكة الفرنسيس".

إلا أن الدول الأوربية وبعد أن دخلت مرحلة القوة والتوسع على حساب الحضارات الأخرى أصبحت تأنف من مخاطبة ملوك الإسلام لها بلقب "الطاغية" أو ما شابهه من الأوصاف، واعتبرت أن ذلك لا يتناسب مع الأعراف الدولية الموجبة للمساواة في التعامل والتخاطب والقاضية باستبعاد كل العبارات التي تنقص من شأن أحد المتخاطبين. وبعد احتلال الجزائر وظهور الأطماع الاستعمارية الفرنسية تجاه المغرب بشكل صريح أصبح الدبلوماسيون الفرنسيون يعترضون على استعمال المغاربة لألقاب مثل "الطاغية" أو "الشيطان" أو "العدو"، حتى وإن كان هذا الاستعمال وارداً في المراسلات المخزنية الداخلية. ولم يعودوا راضين حتى بلقب "العظيم" أو "السلطان" بل أصبحوا يُلحون على أن تتم مخاطبة ملك فرنسا بألقابه الرسمية وهي "صاحب الجلالة، ملك فرنسا". وإذا كان المولى عبد الرحمن بن هشام قد استثقل هذه الألقاب وحاول التمسك بسنة الرسول عليه السلام في مخاطبة هرقل وقيصر بالعظيم، على الرغم من احتجاجات الدبلوماسيين الفرنسيين، فإن من سيأتي بعده من السلاطين سيُضطر إلى التسليم بالأمر الواقع والتخلي عن ألقاب اعتبرها الأوربيون مهينة لهم وغير مناسبة لمنطق العلاقات الدولية الجديدة.

مجلة الوثائق، دورية تصدرها مديرية الوثائق الملكية، الرباط، العددان 1 و2.

محمد المنصور

الطاقة بالمغرب، تلعب الطاقة دورا حيويا في مسلسل التنمية، فكيفية الوصول إليها ونوعية استهلاكها له أثر مباشر وحاسم على كل العوامل والأسبقيات التنموية، ولا تقف أهميتها على الأسر والصناعة والفلاحة والنقل... إن التزايد الديمغرافي والنمو الاقتصادي يزيد الطلب على الطاقة أكثر فأكثر، فقد ازداد الطلب العالمي عليها خلال العقود الأخيرة (1960-1990) بـ160٪. كما أن إنتاجها واستهلاكها يولد وينشر أكاسيد الكاربون والكبريت والأزوت في الجو مما يلحق ضررا بالبيئة وبصحة الإنسان ومما يفقد المغرب سنويا 20 مليار د هـ أي 8٪ من الدخل الوطني الخام. كما أن استعمال الطاقات التقليدية التي مازالت تكون الوقود الرئيسي لأغلب سكان الأرياف يؤدي إلى إبادة الغابات وتعرية التربة. لهذه الأسباب، يبدو أن مشاكل الطاقة لا يمكن تناولها إلا من زوايا منظور شمولي متناسق، يراعي دور الطاقة كعامل أساسي للتنمية من جهة، ومحدوديتها وانعكاساتها السلبية من جهة أخرى.

ورغم ضعف معدل الاستهلاك الفردي لموارد الطاقة بالمغرب (0,3 طن معادل بترول) فإن المغرب يواجه إكراها خطيرا في هذا الميدان يتجلى في تبعيته لوارداتها التجارية : 92٪ والاستعمال الكثيف للطاقات التقليدية : حطب وفحم الخشب : 30٪ من الاستهلاك الإجمالي المغربي. وتزداد الإكراهات خطورة بسبب ضعف فعاليات وتقنيات استهلاك الطاقة التجارية في الوسط الحضري، وتزايد الطلب على الطاقة التقليدية في الوسط الريفي بسبب صعوبة الوصول إلى الطاقات التجارية. لقد دفعت التحولات العميقة التي يعيشها الاقتصاد الوطني وتزايد الطلب على الطاقة خاصة الكهرباء السلطات إلى تطبيق برامج لتنمية الطاقة، تدخل في إطار النهج الليبرالي وذلك بزيادة العرض بسعر تجاري مشجع. غير أنه لازال يلاحظ عدم التوازن بين ضعف العرض وقوة الطلب، ذلك أن الاستثمارات في ميادين الطاقة مازالت هزيلة، فهي لم تتجاوز 82 مليار د هـ في 3 سنوات الأخيرة : 93 ـ 94 ـ 1995. إن تدبير الطلب الذي يوفق بين تلبية حاجيات البلد وضرورة الحفاظ على موارده الطبيعية وحماية المحيط البيئي، مازالت تحتاج إلى مزيد العناية. ويبرز في هذا الميدان موضوع حيوي هو تنمية الطاقات المتجددة التي لها انعكاسات سلبية ضعيفة على البيئة، فهي تكون بديلا مفيدا في كثير من الحالات بالمغرب، إذ تتوفر على ظروف طبيعية مشجعة، خاصة على مستوى الطاقة الشمسية والرياح التي يمكن استعمالهما على نطاق واسع.

استهلاك الطاقة التقليدية بالمغرب :

إن أول طاقة استعملها الإنسان القديم بالمغرب، هي طاقته الجسمية، مادام ينتقل باستمرار من أجل الصيد أو الهروب من الأخطار. ولعل أهم نقطة تحول في حياته هي استعماله للطاقة الحرارية، إذ مكنته النار التي أدرك الحصول عليها من احتراق الحطب من إنضاج طعامه وتدفئة مكان مبيته والإنارة.

وبتطور المجتمع الإنساني وتزايد حاجياته، تمكن الإنسان بالمغرب كغيره في سائر أرجاء الأرض من تدجين الحيوانات

خاصة المواشي الكبيرة مثل الأبقار التي صار يقدسها اعترافا بقيمة ما تقدمه له من غذاء وعمل، والدواب : الفرس والحمير والإبل التي اتخذها وسيلة لتنقله وحمل أمتعته، واستخدامها في الأعمال الفلاحية خاصة الحرث والدرس. ظل استغلال الطاقة في المغرب مقصورا على مصدرين رئيسيين هما الدواب والحطب، يساعده في ذلك كون النباتات والأشجار الغابوية تغطي مساحات شاسعة من المغرب لقلة البشر المستهلكين لها، كما ترعى بها وتعيش بها حيوانات وحشية يستفيد من طاقتها في أعماله ولحومها في طعامه، فتمد جسمه بأثمن طاقة عضلية وفكرية.

الطاقة الحيوانية : ظل استهلاك موارد الطاقة في نمو مطّرد إذ يرتبط بتزايد السكان والنمو الحضاري وتقدم مستوى العيش. ولئن قدر المختصون سكان المغرب في بداية القرن العشرين بحوالي 5.3 ملايين نسمة، فإن تكميم موارد الطاقة المستهلكة لم يجتذب اهتمام الباحثين والموثقين، لكن الأوضاع تتطور، ففي منتصف القرن العشرين، بدأت الإحصائيات تتكاثر وتزداد دقة حول كل الموارد الطبيعية والمنتجات الاستهلاكية بما فيها موارد الطاقة، وقدمت المصالح الإحصائية بالمغرب الأرقام الآتية حول قطيع المواشي: الوحدة 1000 رأس.

	الأبقار	أغنام	جياد	حمير	بغال
1984	3000	12000	315	1550	456
1995	2431	15590	156	880	519
1999	2565	14588			

ورغم أهمية هذا القطيع سواء على مستوى ما ينتجه من عمل في ميادين الفلاحة والنقل أو الاستهلاك البشري، فإنه لم يدخل في الإحصائيات الحديثة لاستهلاك الطاقة باعتباره قطاعا لا شكليا، يصعب تحليل إحصائياته في الظروف الراهنة لاستخراج مساهمته في حصيلة الاستهلاك الوطني للطاقة.

الطاقة الحرارية : ظل المغاربة يستهلكون الخشب وأنواعا كثيرة من الحطب والفضلات للحصول على النار، وأهم مصدرها الغابات والأحراش الطبيعية ثم البساتين، ذلك أن الأشجار المثمرة تقلم موسميا، وتنتهي بالموت، فتستغل بقاياها كحطب. وظل المغاربة يستهلكون خشب وحطب الغابات باعتبار الغابة ملكا جماعيا لكل مجموعة بشرية مستقرة ضمنها أو بقربها، وذلك دون تنظيم أو تقنين مضبوط. وصدر أول قانون مغربي حيث يتعلق بالغابة في عهد الحماية، يتمثل في ظهير 10 أكتوبر 1917 الذي نزع الغابة من مجال السيادة القبلية وجعلها ملكا للدولة، يتم تدبيره من طرف إدارة مركزية للغابات، لها سلطات واسعة، وشبكة متراتبة من الموظفين والمنشآت التي تسهر على حمايتها وتنظيم استغلالها خاصة فيما يتعلق بالرعي وجمع الحطب. وتضاعف استغلال موارد الغابة المغربية بتزايد المستوطنين الأوربيين وتوسع المدن وانتعاش الحياة الحضرية، فظهرت منشآت كثيرة لتحويل خشبها إلى الفحم الذي أصبح أهم وسيلة للطهي بالمدن في العقود الأولى لفترة الحماية، واستفحل الاستغلال خلال سنوات الحرب الثانية إذ تم إنتاج حوالي 1 مليون طن من الفحم في الفترة 1939 . 1946 أي ما يوازي 1.35 مليون ستير من الخشب، بالإضافة إلى ملايين الأطنان من الحطب الذي استهلك في الأرياف، وتم القضاء على مساحات غابوية شاسعة، خاصة في المناطق السهلة الوصول : السهول، مقدمة الجبال، الأودية والجبال الوسطى. ثم صدر ظهير 19 يونيو 1957 الذي منح قسطا من مداخل الغابة ومساحات الحلفا للجماعة القروية. أما ظهير 20 شتنبر 1976 فإنه صدر في إطار سياسة غابوية تستهدف حمايتها وترشيد استغلالها، بل والعمل على توسيع مجالها بالمشاركة في برامج إعادة التشجير التي يخصص لها 20٪ من مداخيلها، بينما تخصص 80٪ للتنمية المحلية. لكن هذا الظهير أضر في العمق بمستقبل الغابة، إذ صارت الجماعات القروية تستغل الغابة بأكثر من طاقتها على التجدد، وذلك لرغبتها في زيادة المداخيل.

بلغت المساحات الغابوية في المغرب في نهاية الألفية الثانية 8969600 هـ مع إضافة 475690 هـ إعادة التشجير وحوالي 3200000 هـ تغطيها نباتات الحلفا كليا أو جزئيا، يشكل استغلالها مصدرا ماليا لحوالي 800 جماعة قروية. تبلغ طاقتها الإنتاجية عند استغلالها بترشيد 15,63 مليون قنطار من الخشب والحطب في السنة. لكن الاستغلال الجائر يرفع إنتاجها إلى حوالي 60 مليون قنطار مما يستنزف قدرتها على التجدد، وهذا ما أدى إلى تراجع مساحتها خلال قرن (1912 - 2000) بـ50٪. كما تستغل الغابات استغلالا واسعا في الرعي إذ تكون مجالاتها 40٪ من المراعي الطبيعية توفر سنويا 1,5 . 2 مليار وحدة علفية أي ما نسبته 17٪ من حصيلة الكلأ بالمغرب.

تساهم الغابة اليوم بإنتاج 10.5 مليون متر مكعب سنويا من خشب وحطب تكون 30٪ من الحصيلة الوطنية للطاقة (تعادل ثلاثة ملايين طن بترول) موزعة إلى 88,74٪ من الاستهلاك القروي و11,26٪ للوسط الحضري، حيث يعتبر 5000 حمام تقليدي عمومي موجود بالمغرب أكبر مستهلك للحطب اليوم بحوالي 50٪ من الاستهلاك الحضري، يستهلك كل حمام حوالي 700 كلغ يوميا. إن هذا الاستغلال الجائر يؤدي إلى تراجع الغابة بحوالي 30 ألف هكتار سنويا، بل تجاوزت ذلك في عقد التسعينيات من الألفية الثانية بسبب استفحال الجفاف والرعي الجائر. ويعمل التقنيون اليوم على تطبيق تقنيات جديدة لاقتصاد استهلاك الحمامات بـ 50٪، وصرف الريفيين عن الحصول على حطب الطبخ من الغابة بتشجيعهم على استعمال أفران الغاز. ويلاحظ أن الرعي بالغابة يتراجع بتناقص قطعان الرعي بسبب جفاف كثير من

الآبار والعيون بالمناطق الجبلية وتناقص أعشاب الغابة وفروع الأشجار الطرية، والتحول التدريجي إلى تربية المواشي بالحظائر بدل الرعي.

استغلال الطاقات الحديثة :

لقد ارتبط استهلاك موارد الطاقة الصناعية الجديدة : بترول كهرباء غاز فحم حجري بفترة الحماية، إذ ظهر بالمدن المهمة التي استوطنها الأوربيون أولى المحطات الكهربائية : الدار البيضاء، الرباط، طنجة، فاس، مراكش... تعمل بوقود بترولي أو فحم حجري مستورد، وبتزايد الطلب على موارد الطاقة الأولية بحوالي 5٪ سنويا، أنشأت السلطات العمومية ومؤسسات القطاع الخاص الصناعي، أجهزة للبحث واستغلال موارد الطاقة الحديثة، فتم اكتشاف مدخرات بسيطة للبترول والغاز بسهل الغرب في عقد الثلاثينيات ثم بحوض الصويرة في الخمسينيات، لكن ظل إنتاجها محدودا فلم يتجاوز في أفضل سنواته حدود 100.000 طن (سنة 1962) وهو في انخفاض مستمر رغم بعض الاكتشافات الجديدة، ويلاحظ اليوم أم مدخرات الغاز بحوض الصويرة تعد باحتياطات أهم.

أما الفحم الحجري فقد اكتشفت أهم مدخراته بجرادة جنوب وجدة سنة 1927 وشرع في استغلالها سنة 1932 وقدرت احتياطاتها بـ100 مليون طن يمكن استخراج نصفها بمردودية اقتصادية مقبولة، لكن وجود الفحم بالأسواق الخارجية بأسعار أقل وجودة أفضل، والصعوبات التقنية المتزايدة أدى إلى إغلاق منجم جرادة سنة 2002. إلا أن استيراد الفحم في تزايد مستمر فقد وصل سنة 2000 إلى 3.3 مليون طن. كما يتزايد الطلب على البترول برثيرة مرتفعة تصل إلى 8٪ سنويا إذ لم يعد يستغل في النقل والصناعة وأفران الطبخ وقناديل الإنارة بل يستعمل كذلك كقوة محركة في المحطات الكهربائية الحرارية التي أنشئ معظمها قرب المدن الساحلية الكبرى، كما يستعمل كمادة خام في صناعات كيماوية. ويزداد الطلب على الغاز في العقود الأخيرة من القرن العشرين بوتيرة متزايدة : 5٪ سنويا إذ أصبح أهم وسيلة للطبخ والتدفئة بالمدن، كما يتوسع استعماله في الطبخ والإنارة في الأرياف بوتائر متسارعة، إذ يلقى مساعدة وتدعيما من الأجهزة الحكومية لتقليص استعمال الفحم الخشبي والحطب.

الرصيد الوطني من مصادر الطاقة الحديثة :

إن المخزون الذي وقع التعرف عليه قبل أكثر من نصف قرن : فحم جرادة وبترول الغرب وغاز الصويرة، قد أشرف على الاستنزاف. فإنتاج القطرات الأخيرة من النفط المغربي لا يتعدى حاليا 20 ألف طن سنويا بينما يتعدى استيراده 6 ملايين طن. أما الرصيد القابل للاستخراج من فحم مناجم جرادة لن يتعدى 35 . 50 مليون طن تحت ظروف قاسية قل نظيرها في العالم. بينما وصل استهلاك المغرب من الطاقة الحديثة المتاجر بها ما يعادل 10 مليون طن معادل بترول.

لم يكشف لحد الآن، رغم كل مجهودات التنقيب عن مصادر طاقية، والآمال التي تبزغ عند أبسط اكتشاف لمورد طاقوي لم تلعب دورا لو ثانويا في بنية الاقتصادي الوطني، وذلك إما لأن الرصيد الذي اختزنته الطبيعة بأراضيه أفسدت الحركات الجيولوجية الباطنية معظمه، وذلك لتسربه إلى الطبقات السطحية وتبخره وضياعه، ونجد بقاياه في كل طرفاية وتمحضيت ونواحي الريف على شكل صخور نفطية، كما أن الموارد العضوية الأولية لم تجد الظروف الجيوفيزيائية والجيوكيماوية والزمنية الكافية التي تسمح بتكوين البترول وتخزينه، فيبقى تطور هذه المواد العضوية في مستوى نفط بدائي متحجر بصخور رسوبية. إن رصيد المغرب من زيت الصخور النفطية لا بأس به إذ يقدر بحوالي 6 مليار طن معادل بترول، لكن استغلاله لن يتيسر تقنيا وصناعيا إلا بارتفاع سعر البترول بالسوق العالمي إلى ما يفوق 40 دولار للبرميل، أما متوسط تكلفته الحالية : 3 . 4 دولار للبرميل بالخليج العربي أو 10 . 15 ببحر الشمال فإنه لا يشجع على استغلالها، يضاف إلى هذا خطورة الانعكاسات السلبية على البيئة الذي يفوق بعدة أضعاف تأثير البترول والفحم الحجري.

لقد ترتب عن هذه الظروف شح كبير في استهلاك الطاقة المتاجر بها سواء على المستوى الوطني أو الفردي، وتبعية شبه مطلقة للسوق الدولية، إذ تجاوزت واردات البلاد من الطاقة المستهلكة 90٪ بل بلغت 97٪ سنة 2000.

لقد عرف استهلاك موارد الطاقة الحديثة تزايدا مستمرا منذ بداية فترة الحماية، وازداد حدة بعد الاستقلال فتضاعف الاستهلاك الوطني عدة مرات بين 1975 و2000. انظر الجدول: الوحدة 1000 طن.

	1975	1999
الفحم الوطني	700	267,9
الفحم المستورد	-	3120
البترول الوطني	20	11,3
البترول المستورد	2620	6732
الغاز الطبيعي الوطني	70	43,8
الغاز المستورد ومحروقات أخرى	-	839

لقد بلغ مجموع موارد الطاقة التجارية المستهلكة 9.6 مليون طن معادل بترول في نهاية 1999 يتوزع مصدرها كالتالي :

66,2٪ بترول - 0,4٪ غاز طبيعي - 24,9٪ فحم حجري - 6,4٪ كهرباء مستوردة من الخارج - 1.9٪ مستمدة من الطاقة المائية - 0,2٪ من الطاقة الريحية.

فإذا ما قسمنا هذه الحصيلة على سكان المغرب البالغ عددهم حسب الإسقاطات الإحصائية إلى غاية يوليوز 1999 :

28.238.000 نسمة كان معدل نصيب الاستهلاك الفردي بالمغرب هو 0.339 طن ب م. وهذا يعادل سدس معدل الاستهلاك الفردي العالمي، و6,1٪ معدل الاستهلاك الفردي الألماني. لكن لا ننسى أن حوالي 30٪ من الطاقة المستهلكة بالمغرب تعتبر تقليدية مصدرها الخشب والحطب والفضلات الحيوانية الجافة، وتنتمي إلى القطاع غير المهيكل، ولا تتناولها الإحصائيات العمومية، يضاف إليها كميات متزايدة من الطاقة الكهربائية والحرارية المستهلكة على المستوى الفردي، إما من الألواح الشمسية أو من المحركات الكهربائية الخصوصية الصغيرة. ويلاحظ أن معدل الاستهلاك الفردي للطاقة بالمغرب يتطور بوتيرة بطيئة بسبب تسارع النمو الديموغرافي من جهة ومسلسل التفقير والجفاف ونقص التشغيل من جهة أخرى، إذ كان يبلغ حوالي 200 كلغ م. ب للفرد سنة 1978 أي أنه لم يتضاعف بعد في مدة ربع قرن. ويتميز الاستهلاك الوطني بتفاوت كبير سواء بين الأوسط الريفية والحضرية أو بين الأقاليم والجهات الاقتصادية، فالجهة المركزية الوسطى حيث توجد المنطقة الصناعية للدار البيضاء الكبرى تستأثر بحوالي 50٪ من الاستهلاك الوطني للطاقة التجارية وتستأثر المراكز الحضرية بأكثر 75٪ من استهلاك الطاقة التجارية.

الكهرباء : ولتدقيق أكثر في مدى الاستهلاك الفردي للطاقة نقتصر على الكهرباء باعتبارها تتويجا لكل مصادر الطاقات الأخرى يدخل ضمنها أهم موارد الطاقة المستهلكة، ونحاط بأهمية إحصائية بالغة الدقة، مادام كل إنتاجها يتم في إطار القطاع المهيكل وعلى مستوى تجاري دقيق يحصي نبضاتها وتياراتها مآت آلاف العدادات. لقد بلغ إنتاج الطاقة الكهربائية الصافية المطلوبة 13.942.000 مليون كوس سنة 2000 منها 77.2٪ حراري موزع كالتالي : 59,76٪ من محطة الجرف الأصفر العاملة بالفحم و23,28٪ من محطتي المحمدية العاملتين بالفحم والفيول 9,19٪ من محطة القنيطرة و4,73٪ من محطة جرادة. و5,0٪ مائي مستمد من السدود الذي تناقص إنتاجها كثيرا لقلة مياهها نتيجة للجفاف، موزعة كالتالي : 66,50٪ من سدود حوض أم الربيع و19,77٪ من سدود حوض سبو. و0,5٪ ريحي مستمد من أول وأهم محطة للكهرباء الريحية بالكدية البيضاء قرب تطوان. و0,3٪ من إنتاج الخواص ببعض المراكز الثانوية الصغرى : مدن صغيرة وقرى. 16,3٪ كهرباء مستمدة من إسبانيا عبر شبكة الربط الكهربائي بين المغرب وإسبانيا و0,7٪ كهرباء مستمدة من الجزائر عبر شبكة الربط بين البلدين بشرق المغرب.

وتبلغ القدرة اليومية الصافية القصوى المطلوبة 43.6 مليون كوس والقدرة القصوى المطلوبة خلال ساعات الذروة 2470 ميگاواط. وتستمد هذه الكمية من الكهرباء من مولدات متنوعة للتيار المتردد، تبلغ قدرتها الإجمالية 4388,9 ميگاواط 26,50٪ مائي و72,20٪ حراري و1,20٪ ريحي. وإذا قسمنا هذه الكمية على عدد السكان نجد أن معدل الاستهلاك الفردي للكهرباء بالمغرب هو 493,7 كوس / للفرد. وكان يبلغ 231 كوس سنة 1978، فلقد تضاعف في حوالي ربع قرن، وهو يقل عن نسبة التزايد العالمي.

أما على مستوى سعر الكهرباء، فإن المغرب يحتل مكانة أقل تنافسا حيث يبلغ سعر الكهرباء للاستعمال الصناعي 0.73 د هـ / كوس مقابل 0,65 د هـ / كوس في إسبانيا و0,45 د هـ / كوس بتونس.

ويبذل المسؤولون المغاربة عن قطاع الطاقة والكهرباء جهودا للإسراع بوضع مخططات جديدة لبناء مزيد من المحطات الكهرمائية الصغيرة إذ لازال يتوفر لها 200 موقع لبناء سدود صغيرة لتزويد القرى في إطار مشاريع الكهربة القروية، وبناء محطة عاملة بالغاز بتاهدارت سنة 2004 قرب طنجة مستفيدة من مرور الأنبوب الناقل للغاز من الجزائر إلى إسبانيا عبر مضيق جبل طارق، كما يشجعون على استعمال الطاقات المتجددة من ريحية وشمسية وهي طاقات وافرة ومنتشرة بكل مكان تقريبا نظيفة وغير ملوثة وسهلة الاستعمال خاصة على المستوى الفردي. فاستغلال الطاقة الشمسية يتم على شكلين : طاقة كهربائية بواسطة الألواح الشمسية، وطاقة حرارية لأفران تسخين الماء بل طبخ الأطعمة وتدفئة المنازل.

أما على مستوى الرياح، فإن المغرب يتوفر على حقول هوائية مناسبة بشماله وجنوب خاصة وهو يخطط لبناء عدد من المحطات الريحية بالصحراء المغربية ومدينة الصويرة حيث يعمل على إنجاز مشروع رأس سيم لوضع مراوح بقدرة 60 ميگاواط. ويتوفر المغرب على 3450 كلم من الشواطئ تبلغ سرعة الريح بأماكن عديدة منها خاصة بالسواحل الصحراوية 6 . 11 كلم / ساعة وهي سرعة صالحة للاستعمال، وتستغل الطاقة الريحية على شكلين : مراوح ريحية لتحريك مضخات الماء أو مراوح لتحريك دينامو مولد للكهرباء.

وتتلقى الأراضي المغربية 3000 ساعة تشميس في السنة ناثرة طاقة نقية تبلغ 5 كيلواط / ساعة للمتر المربع في اليوم أو 1000 واط حراري تستطيع الألواح الشمسية الحصول منها على 100 واط. ويعمل مركز الطاقات المتجددة بمراكش على إشاعة أساليب وأجهزة استغلال الطاقات المتجددة. وحقق نتائج مشجعة كما يشجع على استغلال الطاقات العضوية للحصول على الغاز من الفضلات الحيوانية والنباتية بالقرى وذلك بإنشاء مخازن صهريجية مغلقة تتم فيها عملية الاختمار وتحول بطيء للمكونات العضوية، مولدة غاز الميثان الذي يوجه إلى أفران منزلية.

كما تعمل محطة الدراسات النووية المغربية بالمعمورة قرب الرباط على دراسة جدوى إنشاء محطة نووية لإنتاج الكهرباء. وبدأت الدراسة في مشروع محطة بساحل رملي فارغ بين مصب واد تانسيفت ومدينة الصويرة.

وتعمل سياسة المغرب في ميادين الطاقة على تنويع مصادرها وتحسين أساليب التسيير ونشر الكهرباء بكل القرى المغربية، وإعطاء انطلاقة جديدة في ميدان التنقيب عن البترول والغاز، بفضل مراجعة الإطار القانوني المشجع على الاستثمارات الخصوصية في ميادين الطاقة. كما تعمل المديرية العامة للكهرباء على خوصصة منشآت إنتاج الكهرباء، فاتحة المجال خاصة للشركات العالمية، وتوزيع المنتجات النفطية. كما ربطت السلطات العمومية ابتداء من سنة 1995 سعر الاستهلاك المحلي لمشتقات البترول بسعره في السوق العالمي.

ويخطط المسؤولون المغاربة لرفع نصيب الطاقات المتجددة في الاستهلاك الوطني إلى 10٪ سنة 2010 و20٪ سنة 2020، وكهربة 300.000 منزل قروي منعزل عن مسارات الشبكة الوطنية الكهربائية، باستثمار 20 مليار د هـ، وذلك للتخفيف من استيراد البترول بحوالي 2,7 مليار د هـ واقتصاد 1,8 مليون طن م. ب / سنة وإنقاص غازات الكاربون المنتشرة في الجو بحوالي 30 مليون طن في السنة وخلق 15.000 منصب شغل في المجال الريفي، وترشيد استعمال الطاقة باستعمال مصابيح ذات استهلاك ضعيف بـ 5 . 6 مرات بالنسبة لمصباح عادي.

ع. العزيز بنونة، *نحو مغرب مصدر للطاقة*، مطبعة دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1994 ؛ وثائق ومعلومات مختصين من مركز الطاقات المتجددة بمراكش ؛ معلومات وإحصائيات ووثائق من المكتب الوطني للكهرباء ؛ معلومات وإحصائيات ووثائق من وزارة الطاقة والمعادن.

Ministère de l'environnement et P.N.U.D., P.A.N.E. : *Energie et environnement*, préparé par A. Lahbabi, Rabat, 1996.

أحمد هوزالي

الطاقة الشمسية (بالمغرب)، تعتبر الطاقة الشمسية إحدى الطاقات المتجددة وترتبط أهميتها بنوع المناخ ومدة التشميس اليومي والفصلي والسنوي التي تميزه.

بالنسبة للمغرب، تبقى هذه المدة طويلة بالرغم من التباين الناتج عن تباين الظروف المناخية من الشمال إلى الجنوب ومن الغرب إلى الشرق. فمتوسط عدد ساعات التشميس السنوي يتراوح بين 2800 في المناطق الأقل تشميسا و3400 في المناطق الأكثر تشميسا. وهو ما يمثل إشعاعا يوميا ساقطا (Incident) متوسطا يُعادل ما بين 4,7 و5,7 كيلواط / ساعة لكل متر مربع. بمعنى أن كل متر مربع يتوصل سنويا بما يقدر بـ 1900 و2000 كيلواط / ساعة. ومن ثمة فمؤهلات المغرب كبيرة إن هو أراد استغلالها. وهل له خيار باعتبار ما يُكلفه استيراد الطاقة من الخارج وباعتبار تزايد حاجياته ورغبته في حماية البيئة...؟

رغبة المغرب في استغلال هذه الطاقة كبيرة وملحة في السنين الأخيرة. لكن من الناحية العملية يجب التحكم في التكنلوجيا وخلق إطار مؤسساتي وتوفير التمويل الضروري. وهو ما حصل بالمجهود الذاتي وبالتعاون مع دول ومؤسسات أجنبية.

أما استغلال الطاقة الشمسية فهو قديم، إذ كانت هذه الطاقة تستعمل مباشرة في تسخين المياه ولتجفيف الفواكه والخضر... لكن في حدود ضيقة. لكن منذ عقدين أصبحت الضرورة ملحة لتعبئة واستغلال هذا المصدر على نطاق واسع ولأغراض مختلفة منها التسخين وكل الأغراض الأخرى التي تستعمل لها الكهرباء.

لكل ذلك يتم صنع أجهزة تشكل مع بعضها أنظمة تعتمد كلها على مبدأ التقاط أشعة الشمس وتركيزها وتحويلها إلى كهرباء بواسطة لاقطات شمسية (Capteurs solaires)

وحسب الهدف، يتم التمييز بين نوعين من التكنلوجيا الشمسية : التكنلوجيا الشمسية الحرارية (Le solaire thermique) والتكنلوجيا الشمسية التدفق ـ ضوئية (Le solaire photovoltaïque).

تعتمد التكنلوجيا الأولى على مبدأ تحويل أشعة الشمس إلى حرارة بالاعتماد على "نصب" لاقطات شمسية تكون سطوحا أو بالتراكزات (Plan ou à concentration).

وتعتمد الثانية على مبدإ تحويل الطاقة الشمسية إلى طاقة كهربائية وهو ما يستلزم الاعتماد على مُولدات شمسية تدفق ـ ضوئية (Générateurs solaires photovoltaïques). تسمح بتحويل مباشر لضوء الشمس إلى طاقة كهربائية.

يتركب كل مولد (وهو نظام) من 4 أجزاء :

• اللوحة التدفق ـ ضوئية (Le module photovoltaïque) وهي تجميع لعدد كبير من النابعات الضوئية (Photopiles) أو الخلايا الشمسية المصنوعة من السّيليسْيوم.

• إطار حامل للوحات يسمح بتجميعها تماشيا مع الحاجيات إلى الكهرباء من جهة وبتوجيهها لتحقيق أعلى التقاط للضوء.

• بطارية تشحن خلال النهار تؤمن استمرارية التيار خلال الليل وخلال الأيام حيث تكون السماء مغيمة.

• أجهزة المراقبة والسلامة (الضابط المنظم (Régulateur التي تؤمن حماية اللوحات وتنظيم التفريغ الكهربائي للبطارية (Décharge de la batterie).

ويمكن تقدير أهمية الطاقة الكهربائية الممكن الحصول عليها بواسطة تحويل الطاقة الشمسية بالاعتماد على مردودية مولد تدفق ـ ضوئي المشار إليها بـ (R) والتي تمثل العلاقة بين الطاقة المحصل عليها سنويا (We) ومجموع الطاقة الشمسية الساقطة (Wi).

$$\left[R = \frac{We}{Wi} \times 100 \right] \qquad 100 \times \frac{\text{الطاقة الكهربائية المحصل عليها}}{\text{الطاقة الساقطة}} = \text{م}$$

ويمكن لكل نظام تدفق ـ ضوئي أن يعيش 15 سنة كمتوسط. وكلفته خلال عشرية التسعينيات وإلى 2002 تتراوح بين 8000 و1200 درهم.

وبالنظر إلى وضعية المغرب فيما يخص قطاع الطاقة ورغبته في تعميم هذه الخدمة لتشمل الأرياف كخطوة للتنمية، ونظرا للضغط على الغابات ولأخطار التدهور البيئي الذي ينتج عنه وضرورة تفاديها، أصبح استغلال الطاقة الشمسية جانبا من جوانب السياسة الطاقتية للبلاد ومكونا من مكوناتها.

وتنمية هذه الطاقة كواحدة من الطاقات المتجددة مرّ بمراحل ثلاث.

ـ مثلت الأولى التي امتدت من 1980 إلى 1988 مرحلة اكتشاف التكنلوجيا الخاصة بهذه الطاقة والقيام ببعض التجارب النموذجية. وخلال هذه المرحلة تم خلق مركز تنمية الطاقات المتجددة سنة 1982 (CDER).

ـ ومثلت المرحلة الثانية التي امتدت من 1988 إلى 1994 بكونها مرحلة بداية العمل الفعلي لاستغلال هذه الطاقة. فخلالها انطلقت برامج كبيرة معتمدة على معرفة دقيقة لطبيعة وحجم الطلب وعلى تكوين تقنيين، وتنظيم المستفيدين في جمعيات وعلى التعاون مع القطاع الخاص ومع جهات من الخارج (دول ومؤسسات...).

ومن البرامج التي انطلقت خلال هذه المرحلة نذكر اثنين :

• برنامج الطاقة الخاص (Le Programme Spécial Energie) الذي يندرج فيه المخطط الجهوي للتزويد بالطاقة لإقليم القنيطرة (Schéma d'approvisionnement énergitique régional de la province de Kénitra (= SAER) الذي أشرف عليه مركز تنمية الطاقات المتجددة (CDER) بمساعدة مكتب التعاون الألماني (GTZ).

• برنامج (المشروع النموذجي للكهربة الريفية) (Projet Pilote de Préelectrification Rurale) (PPER) الذي همّ أقاليم أسفي والرشيدية وأزلال، والذي أشرفت عليه مديرية الجماعات المحلية (DGCL) في مرحلة أولى ثم مركز تنمية الطاقات المتجددة بمساعدة فرنسية في مرحلة ثانية.

كان الهدف الرئيسي من برامج هذه المرحلة هو الاستجابة لحاجيات الساكنة الريفية الأساسية من الكهرباء بهدف الإنارة وتشغيل الأجهزة السمعية ـ البصرية.

ـ أما المرحلة الثالثة والتي بدأت منذ 1994 فهي مرحلة التعميم. أصبح بها لأصحاب القرار ولوزارة الطاقة والمكتب الوطني للكهرباء دور أساسي. فخلالها انطلق البرنامج الوطني للكهربة اللامركزية (Programme National d'Electrification Décentralisée PNED) بتعاون مع الاتحاد الأوربي. وخلالها تم إنجاز الشطر الثاني لبرنامج كهربة الأرياف PPER بكهربة 210 قرية. وانطلق البرنامج الجهوي للكهربة بالطاقة الشمسية (Programme Régional d'Electrification Solaire) (PRES) بتعاون مع البنك الألماني (KFW).

وتشكل برامج الكهربة المعتمدة على الطاقة الشمسية مكونا من مكونات برنامج الكهربة الشاملة للأرياف (PERG).

إن استغلال الطاقة الشمسية بالمغرب خيار لا محيد عنه لأسباب اقتصادية واجتماعية وبيئية وجيو ـ سياسية. فالسياسة المسطرة في هذا القطاع منذ عقدين أعطت ثمارها الأولى بحيث يمكن استنتاج ذلك من خلال أهمية عدد اللوحات المنصبة اليوم فوق السطوح ليس بالأرياف فقط بل بالمدن كذلك وليس فوق المنازل فحسب، بل فوق مؤسسات عمومية مختلفة (مدارس، مستوصفات، مساجد، آبار جماعية...) وكذلك غير عمومية.

وإذا كان عدد الأمتار المربعة من اللوحات المنصبة يقدر بـ10.000 م2 في السنوات الأولى من التسعينيات، ففي 2002 يمكن رفع هذه المساحة إلى 4 أو 5 أضعاف.

إن التجربة، بالرغم مما حققته من تقدم ومن جوانب إيجابية مازالت في البداية. وتعتريها بعض المؤاخذات خاصة من طرف المستفيدين الريفيين يجب العمل على تفاديها مستقبلا. فإذا كانت هذه الطاقة أفضل من طرق الإنارة التقليدية، فهي لا تسمح ـ حسب المستفيدين ـ من تشغيل عدة أجهزة وعدد كبير من المصابيح في نفس الوقت، ولا تسمح بتشغيل الثلاجات وعند العطب يطول الانتظار قبل الحصول على قطعة الغيار ومجيء التقني... ولهذه الأسباب إذا حضرت كهربة الشبكة لا يعود مكان للكهرباء الشمسية.

Ministère de l'Energie et des Mines, *Schéma d'approvisionnement énergétique régional de la province de Kénitra, stratégie et expériences; L'énergie solaire au Maroc. Journée d'information sur le marché de l'énergie solaire photovoltaïque dans le province de Kénitra, 17-2-1992 ; Les installations solaires photovoltaïques réalisées dans le cadre du schéma d'approvisionnement énergitique régional de la province de Kénitra, Journée d'information sur le marché solaire photovoltaïque, 17-2-1992*. Kénitra ; *Les énergies renouvelables au Maroc. développement et perspectives*, Rabat, 1999 ; *Programme d'électrification rurale globale*, Rabat, sept. 1997 ; CFER : *Aujourd'hui, les techniques de demain en matière d'énergies renouvelables*, in *Le Monde agricole et la pêche maritime*, n° 124, septembre - octobre 1998 ; M. Kerbout, *la perception de l'Allemagne à travers sa technologie, cas des systèmes solaires photovoltaïque installés dans la province de Kénitra*, in *Marocains et allemands, la perception de l'autre*, Rabat, 1995.

محمد كربوط

الطاقية، هي قبعة من خيوط صوف أو قطن أو غيرهما تسرد باليد بواسطة قضبان شبك خاصة تشبه القضبان التي تزرد بها الصدريات واليلكات. وتستعمل للإحاطة بالرأس وتغطيته كلا أو جزءا دون الجبهة والأذنين للوقاية من الحرارة أو البرودة. وهي تنتشر انتشارا كبيرا في حواضر وبوادي مناطق الحوز والرحامنة والسراغنة وحاحا وسوس ودكالة وعبدة والشاوية ويقل تداولها في شمال المغرب وشرقه وتخومه الجنوبية فيما وراء واد سوس حيث تستعمل أغطية رؤوس أخرى. ويسميها البعض من سكان المغرب "الطاقية المراكشية" من فرط انتشار استعمالها بين أهل مدينة

مراكش، وهي "تشبه نصف الكرة وتكون مطروزة من الخارج برسوم من خيوط متعددة الألوان، وللمغاربة في زركشتها شهرة كبيرة وخاصة [منهم] أهل مراكش (محمد بن أحمد اشماعو، *المجتمع المغربي كما عرفته*، ص. 49).

وتتخذ الطاقية من ألوان متعددة رغم أن اللون الأبيض فيها هو المفضل وتتخللها خروم لتهوية الرأس وأشكال متعددة من الطرز باليد. وقد كانت ومازالت هي غطاء الرأس الأساسي لدى الحرفيين والتجار وتعتبر مراكش هي أكبر مركز لإنتاجها. ففي هذه المدينة يتنافس في سردها الكبار والصغار والذكور والإناث من الطبقات الوسطى والدنيا، ويبادر من أنتجها هو نفسه إلى حملها لعرضها في فضاء معروف بجامع الفناء للبيع للعموم.

وهناك نوع آخر من الطاقيات يدعى "العراقية" وأصلها العربي الفصيح هو العرقية بدون ألف ولا تشديد، توجد مثيلة لها في المناطق الباردة من بلدان العالم الإسلامي تدعى "الملبدة" أو "القنور" لأنها تكون من صوف ملبد، وهي توضع فوق الرأس منفردة، وترتدى تحت العمامة لتمتص عرق الرأس ومن هذه الوظيفة أخذت اسمها. ومن الناس من كان يعوض العرقية بوضع مجرد منديل خفيف على الرأس تحت العمامة ليقوم بنفس مهمة امتصاص العرق فلا يحتاج إلى غيرها.

وتنتشر في مراسي المغرب القديمة وكذا في موانئه الحديثة اليوم طاقية من نوع خاص لا هي بالطاقية المراكشية ولا العراقية تشبه في مظهرها شكل الطربوش المستدير (طربوش الطاسة) يسود ارتداء ما يشبهها في بلاد الشام والرافدين وتركيا في الفصول الباردة (وخاصة في سوريا ولبنان). وهي تتخذ من صوف ممشوطة ناعمة وغير مكتملة التلبيد وتتكون من جزأين يكادان أن يكونا منفصلين لا يشدهما إلى بعضهما في نهاية القفا إلا شريط صغير. ويبقى لمستعملها الخيار إما في ارتدائها على شكل قطعة واحدة بعد إدماج القطعتين المنفصلين في واحدة أو تسريح القطعة المندمجة لتغطية الرأس والحنكين معا وقت البرد أو عند اللزوم. وقد شاع استعمال هذه الطاقية بشكل كبير ومازال لدى البحارة وعمال الموانئ والشحن والإفراغ والحراسة الليلية. لذلك يسميها الناس في هذه المدن الساحلية "طاقية البحرية".

محمد بن أحمد اشماعو، *المجتمع المغربي كما عرفته خلال خمسين سنة*، الرباط، 1980 ؛ محمد عنابي، *الشاشية التونسية*، مجلة الأمل الثقافي، أكتوبر 1970 دون عدد ولا مكان الطبع ؛ علي طعمة، *المغرب تاريخه وحضارته وحقيقته*، بيروت، دون تاريخ ؛ *تحريات ميدانية* في مراكش وفاس ووجدة والصويرة وأسفي.

W. Harris, *Le Maroc disparu*, Paris, 1929 ; H. De Lamartinière, *Souvenirs du Maroc*, Paris, 1946 ; J. Mercanton, B. Rouget, *Maroc terre et ciel*, Lausanne, 1954; G. Babin, *Au Maroc par les camps et par les villes*, Paris, 1912 ; A. Lamazière, *Le Maroc secret*, Paris, 1932.

محمد بوسلام

طاكوك، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة سوماتة الهبطية وكان جل أفرادها يتعاطون الدباغة ومازالت بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 800.

الطالب، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة وادراس كان بعد أفرادها من حفظة القرآن الكريم يتعاطون القراءة على القبور، ومازالت بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 801.

محمد ابن عزوز حكيم

الطالب أو الطالبي، أسرة سلوية شريفة أصلها من مدينة القصر الكبير، هاجر جدهم الولي الصالح سيدي أحمد بن محمد الطالب آتي الترجمة من القصر إلى سلا في أواسط القرن الحادي عشر (17 م). كانوا يعرفون أولاً بالطالب ـ بدون ياء النسبة ـ ثم أصبحوا منذ أواخر القرن الثالث عشر (19 م) يعرفون بالطالبيين. وذكر المؤرخ السلوي الفقيه ابن علي الدكالي في *الإتحاف الوجيز* أن آل الطالب السلويين هم من الشرفاء العلميين وأن ذلك ثابت في رسومهم القديمة. وذكر إدريس الفضيلي في *الدرر البهية* (2 : 53) عن الشرفاء الطالبيين أنهم "من أصرح الأشراف نسباً، وكبرائهم حسبا، وأعلاهم منصباً، وأكرمهم أماً وأباً..."

الطالب، أحمد (سيدي -) بن محمد القصري ثم السلوي (الجد) انتقل إلى مدينة سلا في أواسط القرن الحادي عشر (17 م) كما سبق، ليسلك طريق القوم على يد الشيخ مَحمد بن سعيد العتابي أكبر مريدي الشيخ عبد الله ابن حسون وخليفته في تربية المريدين بسلا. وقد أدخله العتابي الخلوة مدة صفت فيها روحه ولاحت عليه علامات الولاية والعرفان.

كان سيدي أحمد الطالب إلى جانب تصوفه وعنايته بالمريدين فقيهاً عارفاً بأمهات المؤلفات الصوفية يقوم على تدريس *المباحث الأصلية* لابن البناء وشرحه لأحمد زروق "فياتي بالعجب العجاب، ويتكلم على آيات القرآن بمنزع صوفي، وله اعتناء كبير بكتاب *دلائل الخيرات* لابن سليمان الجزولي.

توفي بسلا ضحوة يوم الجمعة الأولى من شهر رمضان عام 1072 / 26 غشت 1661 ودفن بالقرب من الجامع الأعظم، وضريحه مزارة عظيمة.

الطالب، صالح (ت. 1169 / 1755)، كان قائداً من قواد المخزن إلى أن تمرد فاستبد بما تحت ولايته في حصن

أگادير ومرساه في عهد السلطان عبد الله بن إسماعيل العلوي وخلفه محمد بن عبد الله العلوي (ت 1204 / 1789) الذي تمكن من اعتقاله وإيداعه في السجن في مدينة اگادير، وسرعان ما تمكن من أن ينتحر بمدية تمكن بعض من له به صلة من دسها له في خبزة. وللأهالي الشلحيين في قصة اعتقاله وانتحاره قصيدة مأساوية أمازيغية ينشدها المغنون، ولا يزال بعض الأهالي المجاورين لمدينة اگادير يرددون مقاطع منها، وذكر محمد المختار السوسي في (*خلال جزولة*، ج. 4، ص. 85) أنه قد سمعها.

وقد تحدثت مصادر تاريخية كثيرة عن الطالب صالح هذا مثل كتاب *الإتحاف* لعبد الرحمن بن زيدان، و*الجيش العرمرم* لمحمد أكنسوس، و*تاريخ الضعيف*. ولكن المؤلفين اللذين حققا في أصله وأخبار تمرده واعتقاله هما :

- محمد بن سعيد الصديقي في كتابه *إيقاظ السريرة لتاريخ السويرة*، ج. 1، ص. 15).

- ومحمد المختار السوسي في كتابه *خلال جزولة* المذكور ومخطوطه *من الحمراء إلى إيليغ*. وقد اتفقا على تعريف هذا الثائر بأنه : (الطالب صالح بن محمد بن بيهي السوسي ثم الحاحي، أخو القائد عبد الملك الفقيه باشا الصويرة وقائد حاحا، وكان أبوهما الشيخ محمد نشأ بقبيلة أولوز فاتكا يقتل ويغير وينهب، فأهدرت قبيلته دمه في عنفوان شبابه، ففر منهم إلى (حاحة) واستوطن قبيلة أيت زلطن وتأهل، وبعد مدة سمي شيخا على هذه القبيلة، ثم تولى عمالة حاحة وبعض القبائل السوسية، فكان له من الأولاد نحو الأربعين استخلف منهم في حياته ولده عبد الملك في ما كان عليه، وبعد وفاة السلطان استولى الطالب صالح على الموارد المخزنية بمدينة أگادير وميناتها، وكان شائع الصيت شديد الوطأة مسموع الكلمة، فأخذ يجمع الزروع والمواشي ويبيع ذلك لتجار النصارى ويستبد بالأرباح، ثم دعا شقيقه عبد الملك لشق العصا فامتنع فجمع الطالب صالح جموعه وحاصر شقيقه في (اگادير) إلى أن فر منه القائد عبد الملك والتجأ إلى الأعتاب الشريفة، واستولى الطالب صالح على أگادير، وبعد ذلك خرجت إليه طائفة من الجيوش المخزنية وحاصروه ومن معه حتى ساء حالهم، ثم استعمل معه السلطان محمد بن عبد الله الحيلة بالمكاتبة والمهاداة والاستشارة في الشؤون السوسية، فاغتر بذلك وكتب إليه بعزمه على تأديب قبيلة إيداوتنان المجاورة لأگادير، فلما وصلها وجه عشرة فرسان من التنانيين للقبض عليه فدفع لهم 300 من الخناجر والمكاحل من النوع الجيد الذي ينسب للطالب صالح نفسه، مع مال كثير - وهبوه لبناء زاوية شيخ قبيلتهم السيد إبراهيم بن علي التغانيمني (ت 989 / 1581) - فأخذوا الطالب صالح على غرة، حيث وجدوه على بغلته في أحد الأسواق يطوف على الناس فانقضوا عليه وأودعوه السجن حيث انتحر سنة (1169 / 1755). وبعد صاحب (*إيقاظ السريرة لتاريخ السويرة*) هذا الحدث باعثا أساسياً للسلطان محمد بن عبد الله على تأسيس مدينة الصويرة ومرساها سنة 1178 / 1760. إذ يقول : (ذاك أن حصن أگادير كانت تتداوله الثوار من أهل السوس مثل الطالب صالح وغيره، ويسرحون وسق السلع منه افتياتا ويستبدون بأرباحها، فرأى السلطان المذكور أن حسم تلك المادة لا يتأتى إلا بإحداث مرسى آخر قريباً إلى تلك الناحية، وأدخل في وسط المملكة من أگادير حتى تتعطل على أولئك الثوار منفعته، فلا يتشوف أحد إليه، فاختط مدينة الصويرة. وعندما تم بناؤها أمر السلطان بغلق ميناء أگادير وإبطاله ونقل عمارته إليها فصار نسياً منسياً وميناء عسكرياً) (*إيقاظ السريرة*، ص. 16).

تاريخ الضعيف الرباطي : ع. الرحمن بن زيدان، *إتحاف أعلام الناس* : م. أكنسوس، *الجيش العرمرم* : م. بن سعيد الصديقي، *إيقاظ السريرة لتاريخ السويرة* : م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، ج. 4 : *رحلة من الحمراء إلى إيليغ* : *إيليغ قديماً وحديثاً*.

محمد أبت الحاج

الطالب، علي بن مَحمد بن الشيخ أحمد، فقيه، ناسك متصوف، حلاه ابن علي الدكالي السلاوي في بعض تقاييده بصفات تبرز أنه سار سيرة أبيه وجده - علما وتصوفا - لم نقف على نشاطه العلمي بمدينة سلا خلال النصف الثاني من القرن 12 (18 م). ويبدو أن شهرة هذين الأخيرين قد استأثرت باهتمام المترجمين، الأمر الذي حال بيننا وبين تتبع مختلف مراحل حياة علي بن مَحمد الطالب.

اشترى المترجم من الحاج قاسم بن عبد الله التملي سانية (بستانا) توجد قرب زاوية جده الشهيرة، قرب المسجد الأعظم بسلا. وقد تصرف فيها إلى أن توفي، وخلفها لورثته من بعده. وقد طال العمران هذه السانية التي أصبحت تعرف - اليوم - بحومة الطالبية. ويوجد بها درب سيدي علي الطالبي، ولسنا ندري هل هو منسوب إلى صاحب الترجمة، أم - كما قيل لنا - إلى الحاج علي بن أحمد الطالب، المتوفى في 6 صفر 1395 /18 فبراير 1975، والمدفون بالركن الأيمن بالضريح المشار إليه.

توفي علي بن مَحمد الطالب بعد ثاني محرم 1184 / 28 أبريل 1770، ودفن بضريح جده المذكور، وعلى قبره دربوز.

م. ابن علي الدكالي، تقاييد ضمن كناشة : م. بن أبي بكر التطواني، مصورة بالخزانة الصبيحية بسلا، رقم 407، ص. 28 ؛ *رواية شفوية*.

محمد السعدين

الطالب، مَحمد بن أحمد، صالح ناسك خلف والده سابق الترجمة في مجالسه العلمية والصوفية وقد ذكره ابن عاشر الحافي صاحب *الفهرس* في بعض تقاييده وأثنى عليه. توفي ليلة الأربعاء 5 ربيع الثاني عام 1140 / 20 نونبر 1727، واحتفل الناس بجنازته من أهل العدوتين سلا والرباط رجالاً ونساءً ودفن بروضة والده.

طالب (أبو -) **محمد** بن **علي** بن الطيب، من الأشراف الأدارسة. لغوي، مترجم، باحث، أستاذ جامعي. يتقن اللغات العربية والإنجليزية والفرنسية والإسبانية والألمانية، ويلم بلغات أخرى.

ولد في مدينة فاس عام 1352 / 1933، وأنهى دراسته الثانوية في ثانوية مولاي إدريس في فاس. ثم أبحر عام 1954 إلى الولايات المتحدة الأمريكية للدراسة الجامعية بمنحة أمريكية، وكان المغرب آنذاك تحت الحماية الفرنسية. فالتحق بجامعة جاكسون فيل الحكومية بمدينة جاكسون فيل في ولاية ألباما لدراسة اللغة الإنجليزية. وكان المواطنون السود يكثرون في تلك الولاية، ويُمارس ضدهم التمييز العنصري بصورة قانونية، فكانت لهم أحياؤهم المعزولة في المدن، ومدارسهم الخاصة بهم، ومقاعدهم المحددة في مؤخرة حافلات النقل، وهكذا.

ولما كان محمد أبو طالب يحب الناس على اختلاف أجناسهم وألوانهم ومشاربهم الفكرية والاجتماعية، فقد أخذ يختلط بالأمريكيين البيض الميسورين في كنائسهم، والزنوج السود في أحيائهم الفقيرة، والهنود الحمر في محمياتهم المعزولة، وارتبط بعلاقات صداقة مع كثيرين منهم، فاكتسب معرفة عميقة بالشعب الأمريكي، وشرائحه الاجتماعية المتباينة، ولهجاته المختلفة، وثقافته عموماً.

وبعد تخرجه من الجامعة المذكورة بشهادتين : إحداهما في اللغة الإنجليزية وآدابها، والأخرى في التربية وطرق التدريس، علّم اللغة الإنجليزية في ثانوية إنستون بولاية ألباما خلال العام الدراسي (1959 - 1960). ثم رجع إلى المغرب ودرّس اللغة الإنجليزية في ثانوية مولاي إدريس بفاس خلال العام الدراسي (1960 - 1961).

وعاد محمد أبو طالب إلى الولايات المتحدة الأمريكية للدراسة والعمل في جامعة هاورد في واشنطن العاصمة في المدة من 1961 إلى 1964، حيث مكّنه إلمامه بلهجات اللغة الإنجليزية من إعداد رسالة ماجستير حول خصوصيات اللهجات الأمريكية في أعمال الكاتب الأمريكي الساخر مارك توين.

وكان محمد أبو طالب مولعاً باللغات الأجنبية فالتحق خلال العطل الصيفية بجامعات أخرى للدراسة، فدرس اللغة الإسبانية في جامعة خواناخواتو في المكسيك، وفي سانتاندر في إسبانيا، ودرس اللغة الألمانية بعد ذلك في جامعة هايدلبرغ في ألمانيا.

وبعد حصوله على الماجستير من جامعة هاورد، عاد إلى المغرب، ودرّس اللغتين الإنجليزية والإسبانية في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في فاس (1964 - 1968)، ثم انتقل إلى الرباط للتدريس في كلية الآداب والعلوم الإنسانية من عام 1968 حتى أواخر حياته، وتولى رئاسة شعبة (قسم) اللغة الإنجليزية فيها في المدة (1970-1972) وكذلك (1974-1976)، كما سعى إلى تأسيس شعبة اللغة الإسبانية وشعبة الألمانية في هذه الكلية وشجع عدداً من طلابه لتعلم اللغة اليابانية.

وفي الوقت نفسه كان يُكلّف بمهمات أخرى، فعمل مفتشاً للغتين الإنجليزية والإسبانية في المدارس الثانوية (1969-1971)، ومترجماً في الديوان الملكي بالرباط، وعضواً في كثير من وفود المغرب السياسية والثقافية، وأستاذاً زائراً في عدد من الجامعات الغربية.

كان محمد أبو طالب يحب طلابه ويرعاهم رعاية أبوية صادقة فأحبوه. وكان عدد منهم ينهي دراسته الجامعية ثم يمضي سنتين في التتلمذ عليه في منزله في دراسة حرة لا يحصل بعدها على شهادة، وإنما على ثقافة واسعة. وكان هؤلاء الطلبة يعدونه أباً روحيا لهم، فيفدون على منزله يوميا للحصول على توجيهاته، واستخدام مكتبته، وحاسوبه، ومطبخه. وقد رأيت بعضهم يعيني يسلم عليه ويقبل يديه، كما يفعل الأبناء المغاربة عادة مع آبائهم.

وعلى الرغم من إجادته اللغات الأوربية وآدابها، فإنه كان متمسكا بأصالته المغربية العربية الإسلامية، ومتعمقا في دراسة ثقافة أمته وآدابها وتاريخها. وكان مغربياً أصيلاً في خلقه وكرمه وتسامحه ووسطيته وفكره العميق، ومغربياً في ملبسه ومسكنه وسلوكه. وكان يغرس تلك الوطنية وذلك التوجه في طلابه الجامعيين خاصة المتخصصين منهم باللغات الأوربية وآدابها. وكان كثير من طلابه يأتي إلى منزله، حتى أثناء غيابه عن المنزل، للبحث في مكتبته التي كانت تجمع معظم ما كُتب عن المغرب باللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإسبانية، وتضم عددا كبيرا من ترجمات القرآن. وقد أُهديت هذه المكتبة بعد وفاته إلى الخزانة العامة بالرباط.

ويمكن الوقوف على مدى اتساع ثقافة محمد أبو طالب من إلقاء نظرة على المواد التي كان يتولى تدريسها في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، وهي : اللغة الإنجليزية،

الأدب البريطاني، الأدب الأمريكي، الحضارة الأمريكية، علم اللغة، الترجمة (نظرية الترجمة، الإنجليزية ـ العربية، الإسبانية ـ العربية)، الأدب المقارن، طرق البحث العلمي، الدراسات القرآنية في شعبة الدراسات الإسلامية بالكلية، العلاقات البريطانية المغربية في مدرسة الخدمة الخارجية.

ونظراً لعلاقاته الثقافية الواسعة، فقد كان يُستدعى أستاذاً زائراً لفترات متفاوتة في عدد من الجامعات، مثل جامعة برنستون الأمريكية (1964.1967)، جامعة مدريد (1965)، جامعة فرايبورغ (1978)، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية (1979.1980)، جامعة أولد دومنيون في فرجينيا (1985.1986)، الدورات التدريبية لمفتشي ومدرسي اللغة العربية التي كانت تعقدها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة في ماليزيا (صيف 1984 وصيف 1989) وبروناي دار السلام (صيف 1985)، وبنغلاديش (صيف 1990)، وغيرها.

وكان محمد أبو طالب يشارك في كثير من الندوات والمؤتمرات الوطنية والدولية، مثل: عضوية الوفد المغربي إلى مؤتمرات اليونسكو في نايروبي 1975 ومكسيكو 1980، ومؤتمر وزراء العدل لمنظمة الوحدة الأفريقية في بانجول 1981، ومؤتمر وزراء الثقافة العرب في الجزائر 1983، وقمة أديس أبابا، وحركة عدم الانحياز في كوبا، ومؤتمر الجمعية الدولية لرؤساء الجامعات في كوستاريكا 1981.

وكان محمد أبو طالب نشيطاً في الجمعيات الثقافية، فاشتغل أميناً لجمعية خريجي ثانوية مولاي إدريس بفاس، وأمينا لجمعية المائدة المستديرة المغربية الثقافية، وعضوا مؤسسا في جمعية دراسة العلاقات المغربية الأمريكية، واللجنة المغربية الأمريكية للتبادل الثقافي والتربوي، والمؤسسة المغربية ـ الأمريكية، والجمعية المغربية لمدرسي اللغة الإنجليزية، وعضوا في اللجنة الملكية لتأسيس جامعة الأخوين في إيفران بالمغرب.

وخصص محمد أبو طالب سنوات طويلة من حياته في البحث عن صعوبات ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأوربية، ونشر دراسات قليلة حول الموضوع ولكن المنية عاجلته قبل إكمال البحث بالطريقة التي كان يريدها.

أما عن أعماله المنشورة، فنذكر منها:

1 ـ أصدر كتابا بالإنجليزية عنوانه "*همسات غضب*" يضم قصائده التي نظمها بتلك اللغة في الفترة من 1961 إلى 1970 في المغرب ونيجيريا وإسبانيا وبريطانيا وأمريكا، وهي تعبّر بطريقة هادئة غير مباشرة عن هموم العالم الثالث ومعاناة شعوبه التي أنهكها استغلال المستعمر، وتصور آلام الإنسان المستضعف في كل مكان. ويقع هذا الكتاب في 50 صفحة من القطع الصغير ويضم 43 قصيدة، وعنوانه بالإنجليزية:

M. Abu-Talib, *Whispers of Anger*, London, 1971.

وقد ترجم أصدقاؤه كثيرا من قصائد هذا الديوان ونشروها في الصحف المغربية.

2 ـ ترجم محمد أبو طالب كتابين إلى اللغة الإنجليزية هما:

- A. Tazi-Saud, *Islamic Morals*, Rabat, 1988.
- Ministry of Education, *Islamic Education*, Rabat : Ministry of Education, in print, 4 vols.

وترجم الدستور المغربي إلى الإنجليزية 1962، 1972، 1992، 1996.

وترجم قصة قصيرة إلى الإنجليزية هي:

- I. Tazi-Saud, *"On the Road"*, *Middle East Review*, volume 7/1, Washington, D.C. 1967.

3 ـ نشر دراسات كثيرة يربو عددها على 41 دراسة باللغة العربية، و45 دراسة باللغة الإنجليزية، و4 دراسات باللغة الفرنسية، و4 دراسات باللغة الإسبانية، ودراستين باللغة الألمانية. (انظر القائمة كاملة في كتاب في تخليد ذكرى محمد *أبو طالب*).

وتوفي جراء المرض العضال في المستشفى المذكور بالرباط يوم 28 شعبان / 25 نوفمبر 2001 ونقل جثمانه إلى فاس ليدفن بجوار والدته في مقبرتها.

علي القاسمي

الطالب، الهاشمي بن مَحمد بن مَحمد كان إلى جانب صلاحه ونسكه فقيهاً متمكناً، وكان سنة 1228 / 1913 قاضياً بمدينة سلا، وله حفيد يسمى باسمه: سيدي الهاشمي الطالب اشتهر بالزهد والصلاح والولاية واعتقده الناس ومات سنة 1302 / 84 ـ 1885 وهو من أشهر الصلحا، المتأخرين بسلا.

الطالبي، أحمد بن **محمد** السلوي شخصية سياسية لامعة على عهد الحسن الأول وابنيه عبد العزيز وعبد الحفيظ. بدأ خليفة لعامل سلا، منذ سنة 1310 / 1893 واضطلع لعدة سنوات بالتسيير المستقل لشؤون المدينة وباديتها حسبما يتجلى من المراسلات العديدة التي كانت له مع المخزن المركزي. ثم كان أحد السلويين الثلاثة الذين شاركوا بفعالية في مجلس الأعيان الذي أسسه السلطان المولى عبد العزيز، فكان أحمد الطالبي ومعه أحمد الصابونجي وعبد الله ابن خضرا، من أبرز الشخصيات المرموقة في هذا المجلس، ثم شغل منصب أمين برسى العدوتين، وأخيراً صار ناظر الأحباس بسلا سنة 1326 / 1908 واستمر في هذه الخطة عشر سنوات، وتعتبر داره من أفخم دور المدينة بساباطها الكبير قرب ضريح جده سيدي أحمد الطالب.

توفي بسلا بعد سنة 1336 / 1918.

الطالبي، عبد القادر مقاوم ولد سنة 1934 ببني خيران دائرة وادي زم من أبيه عبد الرحمن بن بوعزة وأمه خديجة بنت العربي. من الرعيل الأول لرواد الحركة الوطنية حيث ضحى بالنفيس والنفس في سبيل حرية الوطن، الشيء الذي دفعه إلى المشاركة في الأحداث الدامية التي كانت منطقة أيت عمار مسرحا لها، إثر نفي محمد الخامس وأسرته الشريفة إلى جزيرة مدغشقر.

وقد ظل وفيا لقيمه الوطنية إلى أن وافاه الأجل المحتوم بتاريخ 26 مارس 1995 بمدينة خريبگة.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 518800.

الطالبي، محمد (الحاج) بن **أحمد** السلوي سابق الترجمة، يدعى سيدي حمان. من وجهاء مدينة سلا ورواد الوطنية فيها، عايش الحركة الوطنية وأيدها منذ نشأتها بنفسه وماله حتى كان يدعى "أبا الوطنية" في المدينة. "بيته مفتوح للاجتماعات السياسية، وضيافة الواردين من رجال الوطنية ينفق بسخاء من ماله الخاص... قاوم الظهير البربري سنة 1930، وكان أحد أفراد اللجنة التي رفعت عريضة الاستنكار ضد السياسة البربرية... تطوع بدار له بحي درب الأخيار لتصبح مدرسة للتعليم (*ذكريات*، 1 : 164).

توفي بسلا سنة 1390 / 1970 ودفن في أحد بيوت منزله المجاور لضريح جده سيدي أحمد الطالب.

أ. ابن عاشر الحافي، *تقييد*، مخطوط ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، ط 2، 1956، ج. 9 ؛ إدريس الفضيلي، *الدرر البهية*، المحمدية، 1999، ج. 2 ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، وذيله لمصطفى بوشعراء، ط 2، الرباط، 1996 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 8 ؛ ج. كوستي، *بيوتات مدينة سلا*، تح. ن. المريني، سلا، 1989 ؛ ج. الناصري، *تقييد في قضاة سلا*، مخطوط ؛ م. الفقيه التطواني، *كناشة*، مخطوطة ؛ أ. معنينو، *ذكريات ومذكرات*، ج. 1 و ج. 4 في مواضع متعددة ؛ م. بوشعراء، *التعريف*، الرباط، 1991، ج. 2، في مواضع مختلفة.

محمد حجي

الطالبي المعدري، أحمد بن مسعود ولد سنة 1285/ 68 ـ 1869، ولما وصل سن الدراسة ألحقه والده بالحاج محمد السرسيفي الذي حفظ على يديه القرآن الكريم، وبعد ذلك انخرط في سلك طلبة العلم لدى والده ثم لدى أخيه محمد، وعليهما اقتصر في الأخذ، وأتم ما هو بحاجة إليه بجده واجتهاده ومجهوده الشخصي.

بدأ مرحلة التدريس بسرد البخاري في مدرسة "تازرْوالْت" بطلب من محمد بن الحسين التازروالتي، ثم كانت البداية الفعلية لممارسته التدريس بمدرسة ميرْغْتْ، ومنها انتقل إلى مدرسة المعدر فخلف فيها والده، وسلك نهجه في الجد والاجتهاد والانكباب على تدريس الفقه وما إليه.

وبعد وفاة أخيه محمد أستاذ المدرسة البونعمانية طلب منه سكان أيت برابيم أن يقوم مقام أخيه، فقبل وانتقل إليها سنة 1320 فسلك مسلك أخيه، وتوزعت أوقاته بين التدريس والإرشاد والتربية والوعظ واستقبال الضيوف. وهو بهذا يكون أستاذا يلقي الدروس على الطلبة، وشيخا يربي المريدين ويعظ الفقراء الدرقاويين بعدما انخرط في سلك هذه الطريقة على يد الشيخ علي الدرقاوي الإلغي الذي كان يزور شيخه سعيداً بالمعدر، وكان الشيخ الإلغي يتصدر للوعظ والإرشاد حيث المترجم له، وثم عرفه وأعجب به وبطريقته فانخرط في سلكها، ولازم أورادها، بل ثار من شيوخها الذين عرفت بهم الطريقة الدرقاوية انتشاراً كبيراً.

انصرف أحمد بن مسعود إلى هذين المجالين كليا، بيد أنه قصر من نشاطه الصوفي بعد أن عرفت سوس حركة أحمد الهيبة الذي بويع بتيزنيت، وانتظم كثير من السوسيين، عواما وفقهاء، في حركته، ولم يعرض عنه إلا القليل، ومنهم أحمد بن مسعود مترجمنا الذي بقي على عادته من ملازمة طلبته ودروسه، ولم يجرفه تيار الهيبة.

وبعد احتلال فرنسا لتلك المناطق نهائيا سنة 1352 / 1934 أصابه ما أصاب كثيراً من أمثاله من تضييق ومراقبة من لدن السلطان الفرنسية، وهذا ما جعله يبالغ في العزلة حتى عن الفقراء، فلم يعد يزور موسم "المولد" بالمعدر، كما انقطع عن موسم دُوكادير، ولم يشتغل إلا بدروسه وطلبته إلى أن وافته منيته عام 1363 / 1944 بعد أن ربى العديد من المريدين، وعلم الكثير من الطلبة، وقد ذكر محمد المختار السوسي في *المعسول* (39) خريجا منهم المختار السوسي نفسه.

محمد حاقي

الطالبي المعدري، الحسن ← **البونعماني، الحسن**

الطالبي المعدري، محمد ← **البونعماني، محمد**

الطالبي المعدري، مسعود، ولد سنة 1240 / 24 ـ 1825 بتمْجُاض بأيت برابيم، وبعد أن حفظ القرآن على الأستاذ محمد الخنبوبي، التحق بمحمد بن العربي الأدوزي بالمدرسة الأدوزية ليأخذ عنه كل معارفه.

وبعد أن نهل من معين الأدوزي حتى ارتوى، ولج ميدان التدريس، فشارط بمدرسة سيدي مزال بن هارون بشتوكة، فأظهر همة عالية وجداً واجتهاداً في التدريس قل نظيرهما، فطارت شهرته، وسارت بذكره الركبان.

في سنة 1278 / 1861 غادر مدرسة سيدي مزال والتحق بالبونعمانية، فسار على ديدنه السابق من التفاني والإخلاص في التعليم، والضبط في دراسة الأنصبة اليومية من غير ملل أو تراخ، فاكتسبت المدرسة البونعمانية صيتا طيبا مما

جعل الطلبة يتوافدون عليها، فتضاعف أعدادهم ليصل إلى حوالي 160 طالباً.

وبعد البونعمانية رجع إلى مدرسة سيدي مزال مرتين أخريين. ولما زار الحسن الأول سوس سنة 1299 / 1882 وفد عليه المترجم ضمن أوائل الوافدين في جماعة كبيرة من الطلبة.

أمضى المترجم زهاء خمسين عاماً في التدريس، ولم يلتفت إلى ما كان يهتم به بعض معاصريه من الانصراف إلى النوازل والإفتاء. قال فيه الإكراري : "كثير التورع عن مظان الشبهة، راضيا بالدون من المعيشة، هاربا من الأحكام بين العامة، دؤوبا على الأنصبة.. وجل تدريسه في الفقه وعلم الحساب والألفية، ويقول : هذا بارود البلد" (*روضة الأفنان*، 205).

تخرج على يديه الجم الغفير من الطلبة الذين كان لهم شأن كبير في الميدان العلمي بسوس، ذكر منهم محمد المختار السوسي 87 متخرجا، منهم ابناهُ محمد وأحمد.

توفي عام 1319 / 01. 1902 ودفن بالمعدر.

محمد حاتمي

الطالبيون (الأدارسة الجوطيون) ← بوطالب

الطالبيون المعدريّون، أسرة سوسية شريفة ذاع صيتها، وأسدت لسوس الشيء الكثير في مجالي العلم والتصوف. أصلها من إداوسملال، ومنه انتقلت إلى تا جّاجْت بإمْجّاض، ومنها نزحت إلى أيت بْرايّم. وينتهي نسبها إلى إعزّى الطالب، وإليه تنسب. ويصل نسبها إلى علي بن أبي طالب. ولهذه الأسرة خزانة من أعظم الخزانات السوسية، أسسها أب الأسرة مسعود الطالبي المعدري سابق الترجمة الذي كان يقوم بنسخ الكتب بيده، أو يكلف مجموعة من الطلبة فينسخون له ما يشاء من الكتب، ثم زودها، من بعده ابناه محمد وأحمد بكثير من الكتب المطبوعة.

م. المختار السوسي، *رجالات العلم العربي بسوس، المعسول*، الجزء 13 ؛ الاكراري، *روض الأفنان*، مخطوط ؛ ع. المتوكل الساحلي، *المعهد الإسلامي والمدارس العلمية العتيقة بسوس*.

محمد حاتمي

الطالع الكبير (سبتة) يصنف ضمن المنشآت العسكرية الكبرى التي حظيت بها مدينة سبتة الإسلامية. وهو محرس كبير يفوق باقي المحارس الأخرى الموجودة في المدينة والتي وصل عددها - حسب صاحب *اختصار الأخبار* - إلى 18 محرسا، حجما واعتباراً. شيد من أجل دعم وتقوية تحصيناتها سيما وهي الثغر الإسلامي الذي كان أكثر تعرضا للاعتداءات البحرية إسلامية أندلسية ومسيحية. كان يوجد بأعلى جبل الميناء، وقد عرف لدى عامة أهل سبتة بالناظور. ينسب بناؤه إلى المرابطين الذين أوكلوا مهمة القيام بذلك إلى القاضي عياض. وقد عين عليه ناظر راتب. و. يد به حصن. كما بنيت به "قلهرة" كبيرة. وربما المقصود بالكلمة حسب التفسير الإسباني مخزن لتخزين المواد الغذائية تحسبا لنوائب الدهر من جفاف أو مجاعة أو حصار حربي. كما وجد بداخلها مسجد. فهو بهذه التشكيلة المعمارية والوظيفية يقترب من الأربطة التي كانت منتشرة على طول السواحل. ولا ندري إن كان بناؤه قد تزامن مع بناء المنارة المعروفة بمنارة أبي الفضل نسبة إلى القاضي أبي الفضل عياض اليحصبي وإن كنا نميل إلى الاعتقاد بأن البناء مرابطي في الأصل هو الآخر ويعتبره صاحب *اختصار الأخبار* الطالع الفذ النظير. كما يعتبره من أعجب الطلائع، بحيث يستطيع الناظر أن يتتبع كل ما يدور حواليه في العدوتين بحيث يمكنه أن يسترق النظر إلى بادس من بر الريف، وإلى طرف القسيس شرقا من مالقة، بل يتجاوز ما وراء طريف غربا إلى حدود شنيل من بر الأندلس. ولم يكن يخفى عليه ما يدور بمضيق جبل طارق من كبير الأحداث وصغيرها. من الأكيد أن وظيفة هذا المطالع لم تتعطل أبدا منذ إنشائه. وربما استمر يؤدي وظيفته حتى خلال الفترات التالية، بل ربما أنذر الناظر القائم عليه بالخطر حينما داهم الجيش البرتغالي المدينة من غير أن يجد آذانا صاغية، فظلت الاستجابة في حكم العدم.

الأنصاري، *اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار*، تح. عبد الوهاب بن منصور، الرباط، 1403 / 1983، ص. 32. 33.

زوليخة بنرمضان

طامايو ڤيلاردي خوسي Tamayo Velarde José، راهب إسباني من الطائفة اليسوعية ولد بإشبيلية يوم 5 يناير 1607. وفي يوم 7 ماي 1644 سقط أسيرا بيد قراصنة الجزائر وتم بيعه بتطوان للنخاس إبراهيم قردوس ؛ ويعترف في مذكراته بأنه كان في أول الأمر يسجن بالمطامير الواقعة بحومة جامع الكبير، وبعد ذلك سمح له بالسكنى خارج المطامير وبالتجول في أنحاء المدينة بكل حرية دون أن يكلف بأي عمل من مولاه بفضل تدخل القنصل الفرنسي جوان مارج Juan Marges الذي يعود له الفضل في افتدائه في أواخر سنة 1646.

وقد ترك لنا مجموعة من تقاييده حول الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بمدينة تطوان في عهد أولاد النقسيس، في مخططين يحمل الأول منهما عنوان : *Memorias del cautiverio* (مذكرات حول الأسر)، والثاني بعنوان : *Compendio de las costumbres ritos y gobierno* de Berberia (مختصر العوائد والطقوس ونظام الحكم ببلاد البربر). يعد مصدرا مهما يجب العمل على ترجمته إلى اللغة العربية بما فيه من معلومات لم توجد عند غيره.

توفي بمدينة سلامانكا يوم 27 مارس 1685.

طامايو، *Memorias del cautiveri*، مخطوط رقم 481 بمكتبة جامعة سالامانكا ؛ *Compendio de las costumbres ritos y gobierno de Berberia*، مخطوط رقم 1534 بنفس المكتبة.

محمد ابن عزوز حكيم

طانْية. أسرة تطوانية أندلسية كريمة انقرضت الآن، ولعلها لا تُوجَد إلاّ بتطوان، وقد ذكر الشيخ عبد الله بن محمد الفاسي (ت. 1131) نقلاً من خط جَده عبد الرحمن العارف أنه سمع من الفقيه القاضي عبد القادر طانْية التطاوني أن أصلَ سَلَفه من مدينة بَسْطة بالأندلس انتقلوا منها بعد سقوطها بيد الإسبان.

كان لبعض أفراد هذه العائلة شهرة بالعلم والقضاء والعدالة. وأقدم من عُرف منهم بتطوان الفقيه العلامة القاضي أحمد طانية كان قاضياً بها عام 1040 وهو من تلاميذ أبي حامد العربي الفاسي، توفي بتطوان عام 1063 كما ذكره أبو زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي في *(ابتهاج القلوب)* في ترجمة أبي حامد المذكور وَوَصَفَه صاحبُ *(الإعلام بمن عَبر)* بالفقيه الفاضل وفي عام 1071 و1080 كان قاضياً بتطوان الفقيه العلامة عبد القادر طانية وهو ابن الأول.

ومن عدول هذه العائلة الفقيه العدل محمد بن عبد الكريم طانية ووالدُه عبد الكريم، وقد وَقَفَ الأستاذ محمد داود على نسخة من *امواهب الجليل، بشرح مختصر خليل)* للحطاب، نسخها عام 1119 محمد بن عبد الكريم طانية التطاوني لأخيه في الله محمد بن مهدي يعقوب.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين في تاريخ تطاوين*، مخطوط خاص، 6 : 173، م. داود، تاريخ تطوان، 1 : 279، ط. تطوان، م. داود، عائلات تطوان، حرف الطاء، نسخة بخط المؤلف بخزانته الداوودية بتطوان، *تذكرة المحسنين بواسطة موسوعة أعلام المغرب*، 4 : 1454، ط. دار المغرب.

محمد بوخبزة

الطاهر أو ابن الطاهر أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظلت طائفة منها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغمت على كتابة اسم عائلتها بالحروف اللاتينية هكذا - Tahir Taer .

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 803.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **طاهر أحمد** بن **عبد القادر** بن علي الحسيني الجوطي : هكذا يسمي نفسه أول شرحه لروضة الأزهار، ويتضح من هذه السلسلة أن بيت المترجم يرجع إلى فريق بني طاهر، الفرجيين : نسبة لأبي الفرج بن إدريس بن عبد الواحد ابن محمد بن علي بن عبد الواحد المجاهد : الجد الجامع لهذه الشعبة مع باقي أبناء عمهم الأشراف الأدارسة الجوطيين.

وهذا الفريق هم الذين ينعتون بالطاهريين سكان حي حمام الجديد وحي حمام الحرة بمكناس : (حي سيدي عمَرو بوعوادة الآن)، حتى يتميزوا عن الطاهريين الأدارسة بفاس.

تاريخ ولادة المترجم ووفاته غير معروف، غير أنه فرغ من شرحه لروضة الأزهار عام 1035.

ولا يعرف من شيوخه سوى أستاذه إبراهيم السويدي، فيذكر أنه درس عليه أرجوزة روضة الأزهار للجادري، فاستفاد منه معلومات فلكية مهمة كانت المصدر الأول لشرحه على هذه الأرجوزة.

ومن قراءة هذا الشرح يتبين أن مؤلفه كان متضلعا في علم الميقات، المادة التي لا يتقنها إلا من كان عارفا بالحساب.

وفي آخر نفس الشرح يذكر المؤلف أنه استمد فيه من كتب الفقه جهده، ومما يؤكد معرفته بفقه الوثائق : تعاطيه لخطه العدالة بمكناس.

وهذه الخطة مضافا لها اشتغاله بالتاليف : يستتبع ذلك إتقان مادة النحو وشيئا من صناعة الإنشاء.

وهكذا : نتبين بضعة مواد كان المترجم يتوفر على معرفتها، فيتطابق هذا الاستنتاج - في الجملة - مع تحليته من جهة محمد العربي البصري : "كان فقيها حيسوبيا، عارفا بعلم المواقيت".

ويعقب المصدر ذاته بالتعريف بكتاب المترجم : "شرح روضة الأزهار للجادري شرحا مبسوطا جدا... وذيله بالكلام على ذات الذوائب".

ثم يختتم نفس المصدر الحديث عن هذا الشارح قائلا : "وكان من أصحاب الشيخ سيدي عبد الله الخياط"، وهي فقرة تشير إلى جانب السلوك السني للمترجم، حيث كان متبوعه الشيخ الخياط من المدرسة الصوفية الزروقية، فيقول عنه ابن عسكر : "كان من مشايخ الصوفية، وأهل التربية النبوية... وله أتباع صلحت أحوالهم".

أخيراً : نشير إلى أن شرح المترجم لروضة الأزهار لا يزال مخطوطاً في نسخ محدودة : واحدة منها : خ. ع، د 3268.

وثانية : خ. ع، ك 991 : أول مجموع.

مع قطعة من أوله في خزانة خاصة ضمن مجموع.

ملحق ا

يعتبر عبد القادر والد المترجم جماع الفروع الثلاثة لأسرة بني طاهر، قال في *"الدر السني"* بعدما عدد هذه الفروع : "فكل أولاد ابن طاهر يجتمع في عبد القادر هذا الذي هو ابن مباشر لجدهم طاهر المدعوين به"، وهو إلى هذا من صدور مكناس، ومن أعيان عدولها.

ومن الجدير بالذكر أن حفيد المترجم محمد بضم أوله بن محمد بفتح أوله المدعو حم : هو الذي صار نقيبا على أشراف المغرب خلال الدولة الإسماعيلية، قال في الإشراف

وهو يستعرض الفرجيين : "وكان منهم أبو عبد الله مُحمد الأكبر بن السيد حم بن أحمد بن عبد القادر بن طاهر المذكور: نقيبا، وليها بعد وفاة النقيب أبي محمد عبد القادر الشبيهي سنة تسع وتسعين وألف".

ونتبين من هذه الفقرة اسم أحد أبناء المترجم : محمد المدعو حم والد النقيب، وللمترجم ابن آخر يحمل اسم عبد الرحمن، مذكور في وثيقة مؤرخة في أوائل صفر عام 1042، حسب *حوالة الأحباس الكبرى بمكناس*، مصورة خ. ع. 5 ص. 21.

ومن هذه الأسرة العربي بن طاهر الحسني، هكذا ورد اسمه في وثيقتين : إحداهما : مؤرخة بأوائل رمضان عام 1117، والثانية : في منتصف نفس الشهر ونفس السنة. جنى *الأزهار* مخطوط، خ. س 1064 ز.

وقد يكون العربي هذا هو ابن حم بن علي بن عبد القادر، فيكون هو المذكور في سلسلة الأشراف الطاهريين بمكناس.

ملحق 2

توصية وتنويه بوالد المترجم وولده في رسالة صادرة عن المامون وهو ولي عهد والده المنصور السعدي، على بياض يتخلل النص.

عن الأمر العلي الإمامي المامووني الحسني، أيده الله تعالى :

حاكم مكناس محمد بن الأحرش، سلام عليك.

وبعد : فإنا نوصيك أتم الإيصاء بجانب الشريف المكرم العدل : أبي محمد السيد عبد القادر بن طاهر الجوطي، ونؤكد عليك في توقيره واحترامه وعدم هضم جنابه... أهل الحظوة من الشرفاء، لأنه من أعيانهم، وإياك ... جهته شيء من الضرر والتعدي.

وولده الطالب أبو محمد طاهر : لا تترك من يصله بإذاية ولا ضرر، ولا من يطوف بساحته، غير من كانت له دعوى قبله فليحضر ... المجلس الشرعي بعلي مقامنا، وأنت لا تطف لهم بساحة.

... من خدامك أوغيرهم يقربهم بوجه من الوجوه ... قدر منصبهم الشريف لدينا، ومكانتهم من علي مقامنا... لمن يصلهم بوجه من الوجوه.

والسلام... رمضان المعظم عام أربعة وتسعين وتسعمائة.

مصورة من الرسالة في خزانة خاصة.

انظر عن عبد القادر هذا وبعض أفراد أسرته ملحقين لهذه الترجمة ؛ أثبت هذه السلسلة محمد العربي البصري في مخطوطة *منحة الجبار*، ثانية مجموع، خ. س 941 ز، ص 164، مع *الدرر البهية*، ط ف : 2 : 31، وكانت وفاة عبد الواحد المجاهد عام 663، حسب *الذخيرة السنية : منحة الجبار*، ص. 164 ؛ من الوثائق التي كان عدلا شاهدا فيها نشير إلى ثلاثة، واحدة عام 1031 ؛ حسب حوالة أحباس الزوايا بمكناس، مصورة، خ. ع ص. 239. 240 ؛ *منحة الجبار*، ص. 164 ؛ *دوحة الناشر*، ط. ف. ص. 63 ؛ ط. ف. ص. 32 ؛ مخطوط خاص من تأليف محمد الطالب ابن الحاج.

محمد المنوني

ابن **الطاهر، أديب صالح**، ولد سنة 1914 بأولاد فارس إقليم سطات من أبويه الطاهر بن العربي وايزة بنت قبة.

شارك في العمل الفدائي في صفوف المقاومة المغربية إذ كان وراء تأسيس إحدى الخلايا السرية بقبيلة امزاب دائرة ابن أحمد.

وقد كان عمله موزعا بين مدينة الدار البيضاء ودائرة ابن أحمد حيث كان يقوم بجلب السلاح إلى مقر الخلية بالإضافة إلى مشاركته في العديد من العمليات الفدائية التي استهدفت منشآت المستعمر.

وواصل عمله البطولي بكل شجاعة وإقدام إلى أن استشهد رحمه الله بتاريخ 3 ماي 1956 بدائرة ابن أحمد فانضاف بذلك اسمه إلى قائمة شهدائنا الأبرار تغمدهم الله بواسع رحمته.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 520958.

الطاهر، امحمد، ولد بمدينة أسفي سنة 1929. وانتقل مع أسرته إلى مدينة الدار البيضاء سنة 1935، بعدما اضطر أبوه إلى التخلي عن عمله، كرئيس للصيادين بمرسى أسفي، بسبب علاقته المتوترة مع أصحاب المراكب والسفن الأجانب (سيما الرتغاليين)، وما قد يترتب عليها من مكائد ودسائس (تلفيق تهمة إحراق شبكة صيد في ملكية أجنبي).

استقرت أسرته في المدينة القديمة بالدار البيضاء، وبالضبط في دار قريبة من سيدي فاتح. وولج كتابا قرآنيا بجوار هذا الضريح، ثم التحق بمدرسة أبناء الأعيان (مدرسة ابن الرومي الآن) بالقرب من جامع ولد الحمراء، حتى حصل على شهادة الدروس الابتدائية في نهاية الثلاثينيات من القرن العشرين. اضطر إلى العمل لمساعدة أسرته، فاشتغل في البداية بإحدى محطات البنزين، دون أن ينقطع عن الدراسة (الدروس الليلية في إحدى المدارس)، ثم انتقل إلى شركة للفحم الخشبي بالدار البيضاء، قبل أن يضطر إلى العمل في فرعها بمدينة الرباط مدة قصيرة.

في هذه الأثناء، اندمج الطاهر امحمد في وسط الشباب الفرنسي بسهولة (لعب كرة القدم)، بفضل إتقانه اللغة الفرنسية، قبل أن يعرض عليه أحدهم الانخراط في صفوف الحزب الشيوعي للمغرب. وبعد موافقته على الاقتراح، بعثه الحزب إلى باريس سنة 1945، صحبة شاب مغربي آخر (عبد السلام بورقية). وقد تلقى هناك تكوينا سياسيا وإيديولوجيا في مدرسة الأطر التابعة للحزب الشيوعي الفرنسي، إلى جانب رفيقه وعدد من أبناء المستعمرات الفرنسية الذين اقتنعوا آنذاك بمبادئه أو تعاطفوا معها (نورد على سبيل المثال اسم فيرجيس Vergès من جزيرة لاريونيون La Réunion، وهو محامي عمر الرداد في قضية مقتل مشغلته الفرنسية، واسم فيلكس هوفويت - بوانيي - Félix Houphouëy - Boigny الذي ربط علاقات قوية بالحزب الشيوعي في "إفريقيا السوداء الفرنسية" في منتصف الأربعينيات من القرن العشرين). صار الطاهر امحمد، بعد عودته، عضوا نشيطا في صفوف الحزب الشيوعي. كما انغمس في العمل النقابي، بحضور مختلف نشاطات اتحاد النقابات L'Union des Syndicats التابع لمركزية س. ج. ت. بالدار البيضاء، والمشاركة في تجمعاته والتدخل في مناقشاته، حتى صار عضوا في المكتب المحلي للاتحاد سنة 1945.

بهذه الصفة، قام الطاهر امحمد بدور كبير وسط عمال مرسى الدار البيضاء من "الأهالي". فقد تجمع منهم خمسمائة في مقر النقابات بزنقة لاصال (زنقة فرحات حشاد اليوم) يوم 8 أبريل 1946، للاحتجاج على تأخر حصصهم من الدقيق بأربعة أشهر، وللمطالبة برفع أجورهم وبتسليم ملابس عملهم. وقام الطاهر إلى جانب مسؤولي نقابي آخر (ألفونس ألوكسيو Alphonse Aloccio)، بحث العمال على التعجيل بتأسيس نقابتهم دون التوقف عن العمل. وفي الوقت نفسه، تدخل الطاهر ورفيقه لدى أصحاب مخازن الحبوب بالمرسى ولدى مكتب القمح L'Office du blé، فحققا مطلب حصص الدقيق. وقد أثار هذا الكفاح حفيظة المراقب المدني رئيس المكتب المغربي للشغل Le Bureau marocain du travail، لأنه لم يرض بأن يتحقق ذلك دون تدخله، فأمر الشرطة باعتقال من عدهم "قادة" الإضراب الخمسة. احتج الطاهر ورفيقه بقوة على المراقب، مما أجبره على إطلاق سراح المعتقلين. ولم تفلح دسائس المراقب في استجابة العمال لدعواته وإغراءاته، بسبب العمل الذي قام به الطاهر وباقي أعضاء المكتب النقابي المحلي.

اكتسب الطاهر من نضاله ثقة عمال المرسى، بل وثقة باقي العمال المنخرطين في النقابة. وما يدل على هذا أن المؤتمر الرابع لاتحاد النقابات المنعقد بمراكش يومي 30 نوفمبر 1946 و1 دجنبر 1946 قرر انتخابه في لجنته التنفيذية، بل وعينه أمينا عاما للاتحاد العام للنقابات بالمغرب إلى جانب هنري برودوم Henri Prud'homme. وبذلك، أقدمت هذه النقابة لأول مرة على تعيين مغربي في ذلك المنصب الرئيسي إلى جانب الأمين العام الفرنسي.

واصل الطاهر نشاطه النقابي الدائب خلال السنوات اللاحقة، وبالأخص سنوات 1947 و1948 و1949، وخاصة في صفوف عمال مرسى الدار البيضاء. فقد كانت تتجمع جحافل من العاطلين كل صباح بالقرب من باب المرسى قبالة الصيد، لعرض قوة عملها على "مركز التشغيل" (المكلف في شركة لا مانوطونسيون ماروكان La Manutention Marocaine بتوفير حاجات السفن إلى العمال). وكان هؤلاء المرشحون للعمل عرضة لألوان من الاستغلال الذي يمارسه عليهم محمد التوزاني "رئيس مصلحة المستخدمين الأهالي" في الشركة ومن دونه من أعوانه ("الكابرانات" Les Caporaux). وقد أفاضت الصحافة النقابية في فضح مختلف الحيل والأساليب التي ابتدعها التوزاني ورجاله من أجل استغلال المياومين الذين أفلحوا في الحصول على العمل كل صباح، من مثل اقتطاع نسبة مهمة من أجورهم كل مساء، وفرض السخرة عليهم في أملاك المسؤول المذكور. وقد وقفنا على عدة تحقيقات وافتتاحيات في جريدة لوبوتي ماروكان النقابية، تشرح مختلف أشكال ذلك الاستغلال. وما يهمنا هنا هو مساعي الطاهر امحمد في النقابة لمواجهة هذا الوضع. فقد تمكن من تأليب أعداد متزايدة من عمال المرسى وتكوين نقابة خاصة بهم، تولى أمانتها، ومن خوض عدة معارك. وكان الهدف هو الوصول إلى ما حققه عمال الموانئ في فرنسا والجزائر، أي تأسيس مراكز مسؤولة عن مراقبة عمليات التشغيل وأداء أجور العمال ووضع بطاقات مهنية تكفل للعمال القدامى والمتمرسين الحظوة في الشغل والضمانات المرهونة بالعقود القانونية.

وبالطبع، لم يكن التوزاني ينظر بعين الرضا لمثل هذه المساعي التي تروم تنظيم العمال والاحتجاج على استغلالهم. فقد عمل منذ البداية على إحباط جهود الطاهر أمين نقابة المرسى والعمل على التخلص منه، حيث أمر رجاله بالهجوم عليه بجوار المرسى في أكتوبر 1946. وربما لم تكن هذه المحاولة الوحيدة لتصفيته. فقد روى لنا أخوه وابنه قصة حادثة السير التي كاد أن يروح ضحيتها، حين داهمته سيارة رجال التوزاني وهو على دراجته النارية بالقرب من بيته في اللوازيس، وقد تمكن من النجاة من الموت بأعجوبة. وقد استخلصت النقابة من هذه الحادثة ضرورة حماية الطاهر أثناء تنقلاته، فسلمته سيارة من نوع ستروين.

كان عمل الطاهر الدؤوب سببا في تجديد الثقة فيه في الانتخابات التي كانت تجري بالنقابة، بدليل إعادة انتخابه أمينا عاما في المؤتمر الخامس للاتحاد العام المنعقد بالدار البيضاء يومي 13 و14 مارس 1948، إلى جانب أمين عام فرنسي جديد، وهو أندري لوروا André Leroy.

وعلى العكس من ذلك، لم تكن سلطات الحماية مرتاحة لنشاط الطاهر النقابي، مما جعلها تعمل على كبحه. فقد أرغمته على مغادرة خريبكة وبوجنيبة وأحاطت السيارة التي نقلته وصحبه بدراجات رجال الدرك النارية حتى وصولها إلى الدار البيضاء، بعدما أفلح في الاتصال باللجنة التي كانت تؤطر إضرابات عمال المناجم هناك وفي حضور تجمع لعمال بولنوار يوم 22 ماي 1948 عبر فيه عن مساندته لهم. بل، ولم تتردد تلك السلطات في اعتقاله وسجنه، فقد ألقي عليه القبض من قبل رجال شرطة بزي مدني يوم 24 أكتوبر 1949، إثر خروجه من مقر النقابة. فقد حضر تجمعا لعمال شركة كوزيما المضربين، وخطب فيهم داعيا إلى تمكين العمال المغاربة من الحق النقابي ومساواتهم بزملائهم الأوربيين في التعويضات العائلية، وحث العمال على الاتحاد والصمود مادامت مطالبهم مشروعة. بعد اعتقاله، مثل أمام محكمة الباشا التي قضت يوم 27 أكتوبر 1949 بسجنه مدة شهر واحد. وقامت تلك السلطات في شهر فبراير 1950 بمنعه من الدخول إلى مرسى الدار البيضاء، كما أنها لم تتردد في منعه من السفر إلى فرنسا في عدة مناسبات ضمن وفود الاتحاد العام، بسبب مغربيته. وسواء كانت هذه المناسبة أو تلك، فقد حظي الطاهر باحترام العمال ودعمهم، وهو ما تثبته كثير من البلاغات والتقارير التي تحفظها صحف الاتحاد العام للنقابات بالمغرب في أواخر الأربعينيات من القرن العشرين مثل *لوبوتي ماروكان* و*لاكسيون ساندیكال*.

واصل الطاهر مسؤوليته في الاتحاد العام كأمين عام إلى نهاية سنة 1950. وبهذه الصفة، وقع، صحبة لوروا، على عقد 11 ماي 1950 الذي فوتت بموجبه جريدة *لوبرتي ماروكان* إلى بيير ماص قطب المجموعة الإعلامية الاستعمارية المشهورة بالمغرب. وقد أثار هذا العقد ما أثاره من ضجة حول مدى صلاحية الأمينين العامين في إبرام العقد. وما يهمنا هنا هو أن اسم الطاهر صار يتردد من جديد في كثير من الصحف.

لم ينقض إلا شهر واحد بعد ذلك، وبالضبط في شهر يونيو، حتى انعقد جمع عام للاتحاد ضرب موعدا للمؤتمر السادس في شهر نوفمبر الموالي. وقبل هذا التاريخ، صعد إلى مكتب الاتحاد العام ثلاثة أعضاء غير شيوعيين، استقلاليان مغربيان، وهما الطيب بن بوعزة ومحمد التباري، واشتراكي فرنسي ما لبث في هذا الجهاز إلا بضعة أيام قبل استقالته، وهو ليونيتي Léonetti. وانعقد المؤتمر السادس في نوفمبر 1950، وفيه أعيد انتخاب الطاهر امحمد في اللجنة التنفيذية للاتحاد العام، دون أن يحتل من جديد مكانه في أمانته العامة إلى جانب لوروا، بسبب حلول الطيب بن بوعزة في محله. وربما قطع الطاهر امحمد صلته بالحزب الشيوعي والاتحاد العام للنقابات المغربية منذ ذلك التاريخ، فطوى النسيان اسمه إلى الأبد واختفى ذكره في الصحف.

ولذلك، فإننا لا نعلم شيئا عن موقفه من تأسيس الاتحاد المغربي للشغل يوم 30 رمارس 1955، فهل ظل متشبثا بصمته وانعزاله ؟ أم هل وقف موقف عدد من الشيوعيين المغاربة الذين رفضوا المولود النقابي الجديد وعملوا على التصدي له بإحداث لجنة تحضيرية مكلفة بعقد مؤتمر تأسيسي لمركزية نقابية وطنية ديمقراطية، ونذكر في هذا الصدد مورشيح حداوي وعبد الله العياشي على سبيل المثال.

ما نعلمه هو أن الرجل قد اشتغل بعيد الاستقلال، وبالضبط سنة 1958، رئيسا لمصلحة الأمن في شركة السكك الحديدية بالمغرب التي تحولت فيما بعد إلى ملك الدولة المغربية (المكتب الوطني للسكك الحديدية). وألحق مدة أربع سنوات أو خمس بالفيدرالية الوطنية لعمال السكك الحديدية المنضوية تحت لواء الاتحاد المغربي للشغل بصفته رئيس مكتبها. تقاعد من مؤسسة المكتب الوطني للسكك الحديدية سنة 1985، لكن ضغط الظروف المادية أجبره على البحث عن عمل آخر، فاشتغل رئيسا للأمن الداخلي بالمصحة المتعددة الاختصاصات التابعة للصندوق الوطني للضمان الاجتماعي بحي الإنارة في الدار البيضاء من فاتح فبراير 1986 إلى سنة 1989. وقد توفاه الأجل المحتوم في 2 فبراير 1998.

ملف واصل امحمد (امحمد الطاهر)، مصلحة الموظفين بإدارة المصحة المتعددة الاختصاصات التابعة للصندوق الوطني للضمان الاجتماعي بحي الإنارة في الدار البيضاء ؛ الطيب بن بوعزة، ميلاد *الحركة النقابية العمالية الحرة بالمغرب*، ترجمة عبد الله رشد، مطبعة دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1992 ؛ ألبير عياش، *الحركة النقابية بالمغرب*، ج. 2، *مغربة الحركة 1943 / 1948*، ترجمة نور الدين سعودي، منشورات أمل، الدار البيضاء ؛ نجيب تقي، *مجموعة ماص الإعلامية بالمغرب في فترة الحماية*، أطروحة لنيل الدكتوراه في الآداب شعبة التاريخ وحدة المغرب والعالم المعاصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط (تاريخ المناقشة يوم 14 يناير 2000)، ج. 1، ص. 362، 364 و404، 415 ؛ *الصحف النقابية* بين 1946 و1950، وخاصة *Le Petit* و*L'Action Syndicale Marocain* ؛ كانت لنا لقاءات مع عدد من أفراد أسرة امحمد الطاهر (واصل)، ومنهم أخوه امجيد حلسوني وابنه جميل واصل وزوج بنته حسن. كما استأنسنا ببعض الشهادات التي استمعنا إليها من أصدقائه في العمل الحزبي أو النقابي، ومنهم عبد السلام بورقية ومورشيح حداوي وأحمد شعيرة.

A. Ayache, *Le mouvement syndical au Maroc*, t. 2, *La marocanisation 1943-1948*, Casablanca, 1990, p. 162-164, 176, 208, 227, 236, 271, 274 et 307 ; *Le mouvement syndical au Maroc*, t. 3, *Vers l'indépendance 1949-1956*, Paris, 1993, p. 36, 42, 53, 61, 64-65, 75; 89 et 91 ; *Maroc des origines à 1956, Dictionnaire biographique du mouvement ouvrier Maghreb*, Casablanca, 1998, p. 175-176 et 215-216 ; F. Benseddik, *Syndicalisme et politique au Maroc 1930-1956*, Paris, 1990, t. 1, p. 309, 484 et 587 ; H. Grimal, *La décolonisation 1919 - 1963*, p. 343 - 344 ; Taieb Ben Bouazza, *La naissance du syndicalisme ouvrier libre au Maroc* ; G. Oved, *La gauche française et le nationalisme marocain 1905 - 1955*, Paris, 1984, t. 2, p. 309, 484 et 587 ; J.-M. Rouart, *Omar la construction d'un coupable*, Paris, 1994, p. 80.

نجيب تقي

ابن **الطاهر، طيف علي** بن الطاهر من مواليد 1910 بسوس من أبويه الطاهر بن بيهي وفاطمة بنت محمد.

دفعته غيرته وروحه النضالية إلى المشاركة في المقاومة السرية المغربية حيث انضم إلى الخلية التي كان يرأسها محمد بن الحاج البقالي بمراكش ابتداء من سنة 1953. وقد عرف بين رفاقه المقاومين في المنطقة باسم علي البقال.

ومن الأعمال التي قام بها داخل المنظمة مشاركته في وضع قنبلة استهدفت قطار مراكش بالإضافة إلى مساهماته المادية، وقد بقي كذلك مناضلا وفيا إلى أن اعتقلته قوات الاحتلال حيث قدم إلى المحكمة التي أصدرت في حقه حكما بالإعدام يوم 29 دجنبر 1953 والذي نفذ بتاريخ 22 أبريل 1954 بسجن العاذر، فقد استرخص روحه فداء للوطن رحمة الله عليه.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 520933.

ابن **طاهر، عبد الله** بن **الحسين** بن موهب (أو ابن واهب) المدعو بالصقلي بن أحمد بن محمد بن طاهر. ينتسب إلى الفرع المراكشي من أسرة الطاهريين الحسينيين. ولاه الموحدون منصب قاضي القضاة بمراكش وبقي فيه إلى أن توفي. كان مشهوراً بالصلاح والنسك. وعندما أمر الموحدون بإحراق المدونة وأنكروا الرأي في الفروع الفقهية وفرضوا العمل بالمذهب الظاهري عينوا عبد الله مشرفا على تنفيذ هذا الإجراء فتصدى للإفتاء والقضاء بين الناس بمقتضى الظاهرية.

ابن الأحمر، *بيوتات فاس الكبرى*، دار المنصور، الرباط، 1972، ص. 17 ؛ التعارجي، *الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام*، المطبعة الملكية، الرباط، 1977، ج. 8، ص. 202.

رشيد السلامي

ابن طاهر المرسي، أبو عبد الرحمن عالم أندلسي ترأس ببلده مرسية عند قيام الثورة على المرابطين سنة 539 / 1144، وفشل في الاحتفاظ بها أمام زحف ابن مردنيش الذي تمكن من بسط سيطرته على أغلب مدن شرق الأندلس. وبعد ظهور الموحدين على الأندلس ترك بلده وحل بألمرية سنة 542 / 1147، ومنها خاطب عبد المؤمن بن علي برسالة غريبة المبنى في نصرة إمامة ابن تومرت سماها الكافية في براهين الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه عقلاً ونقلاً، وحلاه فيها بـ "حضرة إمام الموحدين المسمى حقيقة بأمير المؤمنين عبد المؤمن ابن علي رضي الله تعالى عنه" (ابن القاضي، *نظم*، ص. 101). وقد اشتهر أمرها عند الموحدين وتناقلتها أدبياتهم. صاغ رسالته في شكل حوار بين النفس المطمئنة والنفس الأمارة بالسوء، وقد وظف فيها بضاعته من العلوم العقلية التي كان أحد أعلامها المبرزين يومئذ. وأفاد فيها مما ورد في الرسالة المعروفة برسالة الإمامة لابن تومرت.

وكان لابن طاهر كتابات فلسفية، وذكر ابن رشد في كتابه *تلخيص الآثار العلوية* أن ابن طاهر "تحدث عن المواضع المسكونة من الأرض، مستعملاً مقدمات من العلوم الطبيعية، ووفق في ذلك، واستدعى كلامه ذاك ردوداً عديدة من أهل زمانه، انبرى لها هو أيضاً بالرد، فكان رده مشتهراً متداولاً بين أهل العلم"، لكن لم يتبق من تراث ابن طاهر الفلسفي سوى رسالته في المهدي.

بعد وفادته على مراكش سنة 542 / 1147 استقر بها مكرما من لدن الموحدين، وظل مرتسما في هيئة طلبة الحضر إلى وفاته سنة 574 / 1178.

ابن الأبار، *التكملة لكتاب الصلة*، الدار البيضاء ؛ *الحلة السيراء*، القاهرة ؛ ابن الزبير، *صلة الصلة*، منشورات وزارة الأوقاف ؛ ابن القطان، *نظم الجمان*، تح. محمود علي مكي ؛ ابن رشد، *تلخيص الآثار العلوية* ؛ ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*.

محمد المغراوي

الطاهري، حمدون، هو أحمد المدعو حمدون بن محمد الشريف الإدريسي الطاهري الجوطي، ولد بفاس في تاريخ غير محدد في النصف الأول من القرن الثاني عشر (18 م) وتربى في أحضان عمه مسعود، وتتلمذ للشيخين أحمد بن مبارك السجلماسي ومحمد جسوس. كان يعدُّ من علماء فاس، فقد نعته حمزة المكناسي بالفقيه العالم واعتبره صاحب *سلوة الأنفاس* عاملا محدثا صوفيا مشاركا خيراً دينا خطب في القرويين نيابة عن خطبائها، وأم صلاة الاستسقاء عدة مرات في آخر حياته. أخذ الطريقة الوزانية وصار من أتباعها على يد الشيخ قاسم بن رحمون مقدم فرع زقاق الحجر. وقام بأول زيارة للزاوية الوزانية سنة 1146 / 1734 واتصل بشيخها مولاي الطيب، ولازمه مدة وأخذ عنه الورد الوزاني وسمع منه مناقب أسلافه، فاختار الانقطاع إلى خدمته، وأصبح من أصحابه المقربين بفاس. توجت العلاقة بين الشيخ ومريده الفقيه في آخر حياتهما (فيما بين 1767 سنة وفاة مولاي الطيب و1777 سنة وفاة المؤلف) بتأليف كتاب *تحفة الإخوان ببعض مناقب شرفاء وزان*، وهو أقدم نص مناقبي داخلي بلغنا عن الزاوية الوزانية من التأسيس إلى وفاة الشيخ مولاي الطيب. وإذا كان الغرض من تأليفه حسب

ملفوظ ذيباجة الكتاب هو تدوين مناقب الشرفاء الوزانيين والحفاظ على مخزون الذاكرة الوزانية خوفا عليها من الضياع بناء على مصدرين رئيسيين هما قاسم بن رحمون ومولاي الطيب، فإن قراءة فاحصة للنص تجلعنا نقر بأهميته في حياة الزاوية الوزانية، فقد أتى في ظرفية سياسية مشأومة، ذاع فيها صيت مؤسسة الشرفاء الوزانيين وبلغت درجة كبيرة من الإشعاع والتوسع، مما دفع أحد أتباعها حمدون الطاهري إلى تأليف المناقب رجالها للتعريف بهم، ولأجل ذلك نعتبر هذا العمل خطابا إشهاريا تأسيسيا أحاط بأخبار أربعة مشايخ، هم علي الشوالي مولاي عبد الله الشريف ومولاي محمد ومولاي التهامي ومولاي الطيب، كما تضمن مختلف أنشطة الزاوية الوزانية. ويستفاد من نص التحفة نوع العلاقة التي كانت تربط الزاوية بخدامها، وتتجلى بوضوح وظيفة الفقيه ابن رحمون في ترسيخ تفوق الشرفاء على العامة وتكريس علاقة اجتماعية غير متكافئة بالصحبة.

توفي بفاس سنة 1191 / 1777.

حمدون الطاهري، *تحفة الإخوان*، طبعة حجرية، فاس، 1324 ؛ محمد بن حمزة المكناسي، *الكوكب الأسعد*، نشر على هامش *تحفة الإخوان*، ص. 45 . 82 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، طبعة حجرية، فاس، 1899، الجزء الثاني، ص. 72 ؛ ليفي بروفنسال، *مؤرخو الشرفاء*، تع. عبد القادر الخلادي، الرباط، 1977، ص. 232.

محمد عمراني

الطاهري، محمد بن **عبد السلام** الجوطي المكناسي

قال في حقه صاحب *الدرر البهية* : " له يد في معرفة الفقه وأحكام القضاء وعلم الأصول". وحلاه ابن زيدان في الإتحاف بـ "فقيه علامة مشارك مدرس مفت، موثق، نقاد متضلع، حسن الإدراك، متواضع، له معرفة كاملة ومهارة كافية في صناعة القضاء، وكان مجلسه مجلس تحقيق وتدقيق، وكان ممتع المذاكرة، مع إنصاف واعتراف بالحق حتى للمبتدئين من الطلبة".

أخذ عن محمد بن الجيلاني السقاط والقاضي أحمد بن الطالب ابن سودة وفضول ابن عزوز وغيرهم وأجازوه إجازات عامة.

تولى مهمة التدريس بالجامع الكبير وبزاوية سيدي قدور العلمي، والمدرسة الفيلالية التي كان إماماً بها. كما تصدر للعدالة بساط الشهود بمكناس، والنيابة في القضاء مدة طويلة، ثم استقل بقضاء مكناس في عهد السلطان عبد الحفيظ وصدراً من عهد خلفه مولاي يوسف.

وكان من المقربين لمولاي عبد الحفيظ، ولازمه أيام المداولة في شأن عقد الحماية، وله معه مراسلات يُحتفظ بها في أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية بمدينة نانت.

تتلمذ عدد هام من علماء مدينة مكناس على محمد بن عبد السلام الطاهري منهم : مؤرخ مدينة مكناس مولاي عبد الرحمن ابن زيدان، وعبد القادر بن أحمد العرائشي، وقاضي مكناس محمد السوسي، ومولاي إدريس بن عمر المطهري والباشا حم بن الجيلاني، ومحمد بن مبارك الهلالي وأحمد التراث ومحمد بن المكي السنتيسي وغيرهم من طلبة وقته بمكناس.

ومن مؤلفاته نذكر :

- *نظم رسالة الوضع وحاشية على ورقات إمام الحرمين في الأصول.*
- *حاشية على منظومة الزقاق.*
- *تقييد في جواز إنشاد الشعر في خطبة الجمعة.*

توفي بمكناس يوم الأحد 4 شوال عام 1339 ودفن بالزاوية الكنتية.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، طبعة حجرية، فاس، 1314، ج 2، ص. 52 ؛ الطيب الطاهري، *تطييب الأنفاس بأخبار من استوطن من الشرفاء الطاهريين حاضرة مكناس*، الرباط، 1985، ص. 26 . 28 ؛ ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 1 . 3 . 4 . 5.

الطاهري، مَحمد بن **المهدي** المكناسي، ولد عام 1910 بمدينة مكناس، واشتغل بالفلاحة منذ شبابه فكان تعلمه متواضعاً. إلا أن نظرته السياسية تفتحت ووعيه الوطني اتسع نتيجة احتكاكه بثلة من الوطنيين المكناسيين، فشارك بفعالية في جل التظاهرات الوطنية التي عاشتها مدينة مكناس. ومن بين مظاهر نشاطاته السياسية والوطنية: مقاومته للظهير البربري في ماي 1930 بجانب العلماء والسياسيين بالمدينة ومساهمته في تأسيس فرع كتلة العمل الوطني بمكناس سنة 1934، وبعد التصدع الذي حصل داخل هذه الكتلة في بداية 1937، انضم إلى الحركة القومية التي كان يرأسها محمد بن الحسن الوزاني.

وفي صيف 1937، حين بدأت إرهاصات تحويل مياه وادي بوفكران، حاول الوطنيون بمدينة مكناس إنشاء تنظم لهم في البادية، لذلك قامت في بداية شهر يونيو من نفس السنة لجنة مكونة من ستة أشخاص من بينهم محمد الطاهري بزيارة إلى منابع الوادي المذكور والاتصال بمكان القبائل المستفيدة من مياهه، لتوعيتهم وإثارتهم ضد المعمرين. كما أبلى محمد الطاهري بلاء حسنا في أحداث انتفاضة بوفكران، فتزعم المظاهرة التي انطلقت من جامع الزيتونة إلى مقر البلدية بشارع الجمهورية وكان الناطق الرسمي باسم المتظاهرين وكان في مقدمة المظاهرة الضخمة في ثاني شتنبر 1937، التي قابلتها القوات الفرنسية بعنف شديد، كما انضم إلى إحدى اللجن التي تكونت على إثر الأحداث الدامية لهذا اليوم، وشارك أيضاً صحبة إبراهيم الهيلالي في لجنة المفاوضات مع المسؤولين وهم الباشا أحمد السعيدي والحاج عبد السلام بوزيع ورئيس بلدية مكناس Brunel René "برونيل روني" وكان بمعيته سيدي إبراهيم الهيلالي. كما كان ضمن الوفد المكناسي الذي قدم للسلطان سيدي محمد بن يوسف تقريراً مفصلاً عن الأحداث المأساوية التي عاشتها مدينة مكناس يومي 1 و2 شتنبر 1937. وكان من الموقعين

في 13 يناير 1944 على "عريضة المطالبة بالاستقلال" التي قدمتها الحركة القومية. وقاد مع آخرين حملة جمع التوقيعات المؤيدة لهذه العريضة. وبعد تأسيس "حزب الشورى والاستقلال" سنة 1946 كان من بين أعضائه البارزين بمدينة مكناس، وظل مناضلاً في هذا الحزب إلى أن توفي في10 مارس 1985.

إ. الهيلالي، *البيان لمعركة ماء أبي فكران مع وجوب أتباع رسم الإمام*، الدار البيضاء، 1986، ص. 37 ـ 49 ـ 83 ؛ ب. بوعسرية، *الموقعون على وثيقة الاستقلال*، دورية جمعية أساتذة التاريخ والجغرافية، مكناس، 1990 ؛ جريدة *الوداد*، عدد 2، السنة 1، سلا، 29 ربيع الثاني، 1356، 8 يوليوز 1937.

رقية بلمقدم

الوطاهريون، أسرة إدريسية من بني القاسم الجوطيين، استوطنت مدينة مكناس بعد هجرة الجوطيين الجماعية من جوطة أوائل العهد المريني. استقر الوطاهريون بفاس زمن الوطاسيين في حدود سنة 881 / 1476، فانتقلت إليهم خطة النقابة العامة على شرفاء المغرب بعد سقوط الإمارة الجوطية وهجرة أبناء عمهم العمرانيين القسرية إلى تونس، وهي رتبة كانت تناهز الخلافة في المنزلة كما عبر عن ذلك صاحب *الدر السني*، وتجسد المكانة الاجتماعية والسياسية الرفيعة التي احتلها هذه الأسرة خلال العهد الوطاسي والسعدي. احتكر الوطاهريون نقابة العامة إلى غاية أن قرر مولاي رشيد سنة 1080 / 1670 تعيين عبد القادر الشبيهي نقيبا عاما بسبب ما لمسه من ضعف في النقيب إدريس بن محمد الوطاهري، وحققوا من "الجرايات العظام والخراجات الجسام والعطايا السنية وغيرها" ثروة ضخمة، وتربعوا قمة الهرم الاجتماعي بفاس إلى أواخر القرن التاسع عشر كما يتبين من التراجم الواردة في *الدرر البهية* لإدريس الفضيلي.

ع. السلام القادري، *الدر السني*، طبعة حجرية، فاس، 1308، ص. 23 ـ 28.

محمد عمراني

الوطاهريون، أسرة من الشرفاء الصقليين الحسينيين، وتذكر المصادر أن هؤلاء الأشراف دخلوا في بداية أمرهم في خدمة الفاطميين عندما كانوا يحكمون جزيرة صقلية في القرن الرابع الهجري / الحادي عشر الميلادي، غادر هؤلاء الأشراف الجزيرة في اتجاه الأندلس. وبعد قيام دولة الموحدين قدموا إلى المغرب وقرر فرع منهم الاستقرار بمراكش تحت حماية ورعاية خلفاء بني عبد المؤمن. وكان على رأس الداخلين إلى مراكش قادما من مرسى أگادير بالسوس الأقصى طاهر بن الحسين بن موهب الذي استخدمه الموحدون على العلف ثم خدمهم أولاده من بعده حيث برز منهم فقهاء وعلماء وقضاة أمثال عبد الله بن طاهر قاضي قضاة الموحدين وولده محمد قاضي الجماعة بمراكش. اشتهر هذا الفرع المراكشي بالطاهريين الحسينيين وبقوافي حظوة وعناية بني عبد المومن إلى نهاية دولتهم. لكن عندما استولى يعقوب بن عبد الحق المريني على عاصمة الموحدين سنة 668 / 1269 من بقي من الموحدين عنها واضطر هؤلاء الشرفاء الطاهريون مغادرة مراكش واستقروا بقصبة تاوريرت مدة ثم انتقلوا بعدها إلى فاس. وتجدر الإشارة إلى وجود فروع أخرى من أشراف المغرب تحمل لقب الطاهريين مثل الطاهريين الجوطيين الحسنيين والطاهريين الصقليين الحسينيين بفاس والطاهريين الصقليين بسبتة إضافة إلى الطاهريين الصقليين الحسينيين بمراكش. ويشكل تعدد هذه الفروع أحد العناصر التي تسببت في اختلاط الأمور على النساخ. وقد أورد العباس بن إبراهيم التعارجي في كتابه *الإعلام* مجموعة من المصادر التي تناولت أخبار الفرع المراكشي من هؤلاء الأشراف وأكدت صحة نسبهم وسلامته من الريبة ومن ذلك *كتاب الروض الزاهر في نسب سيدي محمد طاهر* للإمام القصار، وكتاب *لمحة البهجة العلية في بعض أهل النسبة الصقلية* للقادري، وتأليف عن الأشراف للسيوطي وكتاب الأنساب لابن جزي وكتاب كنز الأسرار.

ابن الأحمر، *بيوتات فاس الكبرى*، دار المنصور، الرباط، 1972، ص. 15 ـ 17 ؛ ابن خلدون، *المقدمة*، دار الفكر، بيروت، 1988، ص. 315 ؛ نفسه، التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا، ضمن كتاب *العبر*، ج. 7، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1978، ص. 876 ـ 877 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الاعلام مدينة فاس*، دار المنصور، الرباط، 1973، ص. 200 ـ 201 ؛ العباس بن إبراهيم التعارجي، *الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الاعلام*، المطبعة الملكية، الرباط، ط 2، 1998، ج. 4، ص. 160 ـ 166 ؛ محمد القبلي، *مساهمة في تاريخ التمهيد لظهور دولة السعديين*، ضمن كتاب، *مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط*، دار توبقال، الدار البيضاء، 1987، ص. 84، الهامش 5 وص. 94، الهامش، 34.

رشيد السلامي

الوطاوس، أسرة تطوانية أصلها من إحدى قبائل غمارة وقد انقرضت بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 804.

محمد ابن عزوز حكيم

الطاووس، كما هو شائع في المعاجم وفي اللسان الدارج عند العرب طائر مشهور بحسن ألوان ريشه الزاهية، يجمع على أطواس وطواويس. يصنف إلى رتبة الدجاجيات التي تشملPhasianidae وفصيلة التدرجيات Galliformes التدرج والدجاج الحبشي والدجاج الرومي والغرغر والحجل. موطنه الأصلي آسيا الجنوبية ومنه ثلاثة أنواع في العالم : طاووس سنبلي القنبرة Pavo muticus والطاووس الأسود Pavo nigripennis والطاووس الأهلي Pavo cristatus وهو الشائع عندنا وفي أوروبا وآسيا. يسمى بالفرنسية Paon commun وPaon bleu وبالانجليزية Peacock.

تختلف الإناث كثيراً عن الذكور في الحجم وألوان الريش، فريش الذكور أزرق مخضر اللمعان وعلى كل ريشة من الذيل والجناحين زخارف على شكل عين زاهية الألوان، البطن أسود والظهر أخضر ذهبي اللمعان، العنق طويل والرأس صغير جدا عليه لدى الذكور توبج مستقيم من الريش الأزرق والأسود، الجناحان قصيران لا يتعدى طولهما 50 سم عند الذكور، الذيل طويل جدا عند الذكور ويتعدى أحيانا 1.50 سم، المنقار قرني قوي جدا وصغير والقائمتان بنيتان. يبلغ الطول جمعا بين الجسم والذيل عند الإناث 100 ـ 135 سم وطول الذكور 230 سم ولا يتعدى وزن الكبار 1.5 كيلوكرام. يعيش في مجموعات صغيرة ويتغذى من مختلف الحبوب والحشرات والديدان والعناكب والزواحف والنباتات والثمار. يصير ريشه متكاملا بعد ثلاث سنوات من عمره ويغير ريش ذيله كل سنة. يربى مع الدجاج والتدرج والدجاج الرومي والحبشي وهو نادر في المغرب لقلة الإقبال عليه.

كانت بداية تدجينه في الهند منذ أزيد من 20 قرنا وانتشر تدريجيا عبر أنحاء العالم عن طريق التبادل التجاري، وهو طائر كثير الشبه في معيشته بالتدرج، خجول وشديد الخوف يختفي في الأدغال والغابات الكثيفة فتصعب مشاهدته.

يقضي نهاره على الأرض ليبحث عن الأكل ويلتجئ إلى أغصان الأشجار ليلا. طائر اجتماعي يعيش في مجموعات قليلة العدد ويحسن الطيران ويمشي بسرعة كبيرة بفضل قوائمه الطويلة القوية.

م. رمضاني، *معلمة المغرب*، الجزء 7، ص. 2304 ـ 2305 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988.

محمد رمضاني

الطائري، مسعود التحق بالرفيق الأعلى بتاريخ 8 ـ 1 ـ 1996 المقاوم الطائري مسعود، وهو من مواليد سنة 1915 بدوار أزيلا قيادة كتامة دائرة ترجيست من والديه امحمد الراضي وفطمة بنت علي الذرقيتي التحق. بصفوف جيش التحرير منذ انطلاقة الشرارة الأولى لعمليات جيش التحرير بالشمال حيث شارك إلى جانب إخوانه المجاهدين ملبيا نداء الضمير الوطني وقد أبلى البلاء الحسن خلال أدائه لواجبه في مواجهة الجيوش الفرنسية حتى بزغ فجر الاستقلال وتم جلاء المستعمر الغاشم.

رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جناته.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 523585.

طائفة إدَاوْلتيتْ، تتكون هذه الطائفة من مجموعة الفقراء المتصوفة (إفقرْنْ) من مختلف الطرق الصوفية، المنتمين إلى قبيلة إدَاوْلتيتْ المتكونة من إدَاوْسْمْلال وإدَاوْبَعْقيل وإدَاوگرْسْمُوكْتْ، ينضاف إليها فقراء تازْرَوالْت وأبناء السبيل الذين ينضمون إليها أثناء الطواف.

وسُميت طائفة لطوافها على عدد من الدواوير والمزارات بدْءاً من ثلاثاء إدَاوگاكْمَار، وانتهاء بتَامَّاشْتْ، مروراً بسيدي أحمد أوموسى، وتغْمي وأنْزي ووجَّان والسْعْدَر وأگْلُو وتزنيت. ويستمر طوافها شهراً كاملاً، يبدأ من الأسبوع الأول من شهر يناير الفلاحي، وينتهي في الأسبوع الأول من شهر فبراير الفلاحي.

ويُعتقد أن هذا الطواف بدئ فيه منذ القرن الهجري العاشر على يد الشيخ أحمد بن موسى دفين تازروالت (توفي 971) الذي أثر عنه قوله : "لنصل من لم يصلنا". والهدف من خلق هذا الطواف هدف ديني يتجلى في جمع فقراء إداولتيت مرة كل سنة على ذكر الله والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وتفقيههم ومن ينزلون بهم من سكان الدواوير التي يمرون بها أمور دينهم.

ويتولى قيادة الطائفة شخص يسمى "لْمْقدم"، قد يكون فقيها، أوفقيرا مسنا حافظا لعدد كبير من الأذكار والتصليات وكذا للمؤلفات الفقهية والوعظية المؤلفة باللسان الشلحي مثل كتاب الحوض لمحمد بن علي أوْزَال، ومؤلف الحاج الحسين بن مبارك التامودیزْتي، والأمير للحاج علي الدرقاوي. ويكون دور هؤلاء الفقهاء وهؤلاء الفقراء المجالسين هو تنشيط حلقات المذاكرة حول أمور العبادات ورئاسة حلقات الذكر، مما تعم به الاستفادة.

وموكب الطائفة يبدأ بعدد قليل في الانطلاقة، ثم لا يلبث أن يتكاثر المنضمون إليه بتوالي المزارات وانضمام فقراء الدواوير التي يمر بها الموكب، ويصل عدد أفراد الطائفة إلى الأوج عند ضريحي سيدي وگاگ، وسيدي أحمد بن موسى الذي يسميه بعض العامّة "الحج الأصغر"، وقد قدر پول باسكون عدد الفقراء بهذا الضريح يوم 15 ـ 1 ـ 1981 بما يناهز الألفين.

ويكون سير الطائفة على الأقدام، وعندما تشرف على مزار أودوار تبدأ برفع الصوت بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم إعلاما للسكان بالقدوم، فيستقبلهم هؤلاء أحسن استقبال بعد أن يطلب منهم المقدم الضيافة. وإذا كان المحل محل ذبح، فأول ما يبدأ به هو ذبح الذبائح المهداة إلى الطائفة، ثم يقصد الموكب المسجد، وإذا صادف الوصول وقت الصلاة صلوا جماعة، ثم يتبعونها بالنصاب اليومي من الأذكار. ثم تعقد حلقات الذكر والوعظ والتفقيه.

ويتولى السكان خدمة الطائفة مدة إقامتها بينهم بما يلزم من أكل وشرب ومبيت. وفي اليوم الأخير يقام دعاء الوداع على أمل اللقاء في العام القادم.

الظواهر الصوفية بسوس، طائفة إداولتيت، بحث الإجازة، *La maison d'Iligh*, Pascon, Rabat.

محمد حاتي

الطَبَايْري، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Tabarra - Tovarri.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 800.

محمد ابن عزوز حكيم

الطباعة بالمغرب، أجمعت معظم الدراسات والأبحاث التي أشارت إلى تاريخ الطباعة بالمغرب، على أن المغاربة كانوا من أواخر الدول الإسلامية إقبالاً على التقنية الجديدة للكتابة، رغم قربهم الشديد من أوربا، حيث لم يستعملوا هذا الفن الجديد إلاّ في العقد السابع من القرن التاسع عشر 1864، وذلك بعد مرور أربعة قرون على اكتشافه من الألماني يوهان غوتنبرغ Johan Gutenberg (حوالي سنة 1453).

وربما يرجع هذا التأخير إلى سياسة العزلة والاحتراز التي لجأ إليها المغرب لحماية أرضه من الاطماع الأجنبية، أو إلى أسباب اجتماعية ترتبط بالتوجه العام السائد داخل المجتمع المغربي المبني على المحافظة على التقاليد، ورفض أي تغيير وتجديد أو تفتح على أوربا وحضارتها.

ولكن هذا يعني أن المغاربة لم يكن لهم علم حتى ذلك التاريخ بتقنية الطباعة - كما جاء في بعض الكتابات المشرقية - إذ هناك العديد من الإشارات التي تؤكد بأن المغاربة كانوا على دراية بفن الطباعة، وتولدت لدى بعضهم رغبة في تزويد البلاد بها، بل تذهب بعض الدراسات أبعد من ذلك لتجعل المغرب أول دولة عربية استعملت تقنية الطباعة وذلك منذ بداية القرن السادس عشر على يد المهاجرين اليهود. فقد ورد في الموسوعة اليهودية خبر جلب المطبعة إلى المغرب على يد اليهود الفارين من إسبانيا والبرتغال بعد سقوط الأندلس سنة 1492، حيث استقر العديد منهم بمدينة فاس، وهناك استمروا في إنتاج مطبوعاتهم.

وفي هذا السياق قدم يوسف تدغي Joseph Tedghi دراسة مفصلة عن تاريخ الطباعة العبرية بفاس في القرن السادس عشر، اعتبر فيها مدينة فاس مهد الطباعة العبرية فإفريقيا، وربط بدايتها بطرد اليهود من الأندلس واستقرارهم بالمغرب ابتداء من سنة 1492. وقدم المؤلف قائمة الكتاب المطبوعة بفاس حدد عناوين تسعة منها وصدرت في المدة المتراوحة ما بين 1515 و1520 جلها ذات طابع ديني (أجزاء من التلمود، شروح للطقوس الدينية، تقاويم عبرية، تعليق على الصلوات ...).

وقد عزّز تدغي روايته بعرض صور لبعض المطبوعات العبرية الفاسية، محدداً أماكن وجودها، وعدد نسخها، منها نسخة تامة من كتاب تفسير التباريك والصلوات لداوود بن يوسف أبودرهام David Joseph Abuderham، ذيل بعبارة "تمت طباعته في شهر Kislev من عام 5277 (نوفمبر 1516) بمدينة فاس على يد شاموبل نديفوت Shemmuel Nedivot وابنه إسحاق Ishag، وتعرض هذه النسخة حاليا بخزانة Jewish theological seminary بنيويورك.

وقد يكون أن المغاربة المسلمين لم يتعاملوا مع المطابع العبرية بسبب اعتبارها ثقافة دخيلة تتعلق بأقلية غير مسلمة خصوصاً وأن جل منتجاتها ذات طابع ديني يهودي، لذا لم يظهر لها أي أثر في المصادر المغربية.

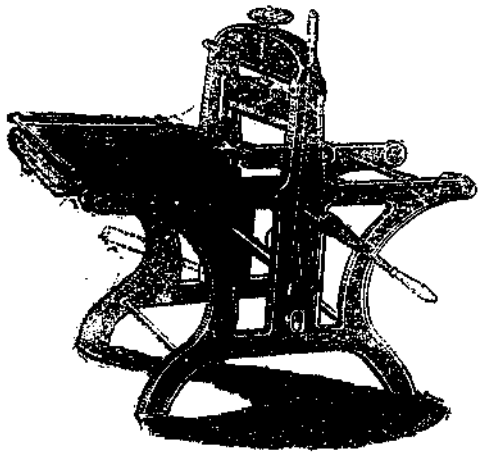

وقد وردت العديد من الإشارات إلى المطبعة في كتب الرحالات سواء منها السفارية أو الحجازية وصف فيها أصحابها آلة الطباعة بنوع من الدقة والإعجاب، مظهرين رغبتهم لتزويد المغرب بهذا الفن الجديد للكتابة، نذكر من بينها رحلة الصفار إلى فرنسا (ما بين دجنبر 1845 ومارس 1846)، والرحلة الحجازية للغساني (1858)، ورحلة إدريس العمراوي إلى باريس سنة 1860 والتي عنونها *"تحفة الملك العزيز بمملكة باريس"* حيث إن هذا الأخير لم يكتف بالوصف والاعجاب بل ختم حديثه عن المطبعة بمطالبة السلطان محمد ابن عبد الرحمان باقتناء آلة الطباعة وذلك بقوله: "ونطلب الله بوجود مولانا أمير المؤمنين، أن يكمل محاسن مغربنا بمثل هذه المطبعة، ويجعل في ميزان حسناته هذه المنفعة ..."

وبعد مرور أربع سنوات على رحلة العمراوي تظهر المطبعة بالمغرب كما أثبتت ذلك الوثائق المحفوظة في كناشة الوزير الطيب بليمني بوعشرين (ت. 1286 / 1869 . 1870)، والتي يظهر من خلالها أن دخول المطبعة إلى المغرب لم يكن عملاً مخزنياً، وإنما هو مبادرة فردية تمت على يد قاضي تارودانت محمد الطيب بن محمد السوسي التملي الروداني (ت. 1282 / 1865)، الذي نقش اسمه في سجل التاريخ بوصفه صاحب مبادرة رائدة.

ولقد قصرت كتب التراجم في الحديث عن هذه الشخصية التي كان لها فضل إدخال المطبعة إلى المغرب، فعدا بعض الإشارات الصغيرة هنا وهناك، يكاد المختار السوسي (ت. 1383 / 1963) أن يكون المرجع الوحيد لهذه الشخصية. ففي

معرض حديثه عن أسرة التمليين خلال العصر العلوي يقول : "نبغ منهم ثلاثة من القضاة علا شأنهم، وخفق أزماناً بندهم منهم : محمدين بن أحمد القاضي التملي (والد الطيب) ... والقاضي الثاني هو الطيب بن محمد ابنه (صاحب المطبعة)، كان يدرس ويداوم على ذلك وهو أدمث أهله خلقاً وألينهم عريكة، أخذ من فاس، ثم كان ينوب عن أبيه، ثم تولى القضاء بعده. توفي سنة 1282. وهو الذي اشترى في حجته المطبعة الحجرية الفاسية الأولى من مصر يريدها لنفسه، ثم حازها منه السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان سنة 1281، فنقلت من الصويرة إلى مكناسة. وأول ما طبع فيها *"الشمائل"* للترمذي، ثم حولت إلى فاس. وهذه همة عظيمة نادرة له رحمه الله" وختم حديثه بقوله : "فكان لتاروادنت وقاضيها السبق في إحداث المطبعة في المغرب وذلك فضل من الله يوتيه من يشاء".

وتفيدنا جميع الروايات بأن القاضي محمد الطيب الروداني، قصد الحج سنة 1280 / 1864، وعند رجوعه مر بمصر ـ كدأب المغاربة ـ واشترى مطبعة حجرية جلبها إلى المغرب، كما استقدم معه طبيعاً مصرياً يسمى محمد القياني ليشتغل بها.

وليست لدينا أية وثيقة أو إشارة إلى الثمن الذي اشترى به الروداني المطبعة، ولا الجهة التي اقتناها منها، وإن كنا نعتقد أنه اشتراها من مطبعة بولاق التي كان بها يومئذ قسم للطباعة الحجرية، ولكون الطبيع المصري محمد القياني كان يشتغل بها قبل تعاقده مع الروداني، وربما يكون وكيله ووسيطه في ذلك، المطبعي محمد هاشم المغربي، الذي كان يحظى بامتياز ومعاملة خاصة، إذ سمح له بفتح مطبعة بحارة برجوان بالقاهرة سنة 1861 دون مراعاة للشروط المنصوص عليها في القانون الخاص بالمطابع بمصر.

وتبقى هذه مجرد استنتاجات في غياب أية معلومات عن اتصال الروداني بالطباع المغربي بمصر. فكل الوثائق تبتدئ بالعقد المبرم بين الروداني ومحمد القياني بتاريخ 14 ربيع الأول 1281 / 11 يونيو 1864. فهذا العقد يلقي أضواء كاشفة عن تاريخ دخول الطباعة إلى المغرب، ويوضح نوايا الروداني، وعلى المكان الذي كان يرغب أن يشغل فيه مطبعته. فكما ينص العقد، يلتزم الطبيع المصري بأن يأتي برفقة الروداني إلى مدينته "رودانة" ويشتغل عنده في المطبعة مدة سنة كاملة، تبتدئ من ربيع الأول 1281 / يونيو 1864، وتنتهي صفر الخير 1282 / يوليوز 1865. ومقابل ذلك يتحمل الروداني القيام بجميع لوازم القياني من مأكل ومشرب وملبس حسب رغبته، مع أجرة شهرية بمقدار مائتي قرش مصري. كما نص العقد على أنه قابل للتجديد عند انتهاء السنة. فبنود العقد تظهر أن الروداني اشترى المطبعة لنفسه، وكان يرغب بتشغيلها ببلده تارودانت، بدليل تعهده بتحمل كل نفقاتها ونفقات الطبيع، ولم تظهر في العقد مطلقاً كلمة السلطان أو المخزن، فكيف يفسر انتقال المطبعة من الروداني إلى المخزن ؟ وبالتالي كيف تم تحويلها من مشروع فردي إلى مشروع مخزني رسمي ؟ .. هذه النقطة يكتنفها الكثير من الغموض، فبعض الذين تحدثوا عن المطبعة، أشاروا إلى أن الروداني عند وصوله إلى ميناء الصويرة (القريب من بلده تارودانت) أهدى المطبعة للسلطان محمد الرابع، الذي كان يقيم يومئذ بمدينة مكناس.

ويفترض جرمان عياش أن الروداني ربما اشترى المطبعة لحساب السلطان بصفته تابعاً للمخزن المغربي. ويمكننا أن نضع احتمالاً يرمي إلى أن الروداني عند وصوله بالمطبعة إلى ميناء الصويرة، واجه صعوبات مع موظفي المرسى، فأشار عليه البعض بإهدائها إلى السلطان، فحملها صحبة المعلم المصري إلى مكناس، حيث كان يوجد السلطان حينئذ، وقدمها هدية له، وهذا ما يقترب من رأي المنوني الذي يقول : "إن القاضي الروداني كان في أول الأمر يستخدم المطبعة في اسمه، غير أنه لا يلبث أن يقدمها هدية للسلطان محمد الرابع وقد وقع ذلك بمجرد رجوعه إلى المغرب".

وفي اتجاه آخر يشير المختار السوسي إلى أن الروداني اشترى المطبعة من مصر ليديرها بنفسه ببلده تارودانت، ثم حازها منه السلطان سيدي محمد بن الرحمان فنقلت من الصويرة إلى مكناس. وكلمة حيازة هنا تعني مصادرة، بمعنى أن المخزن صادر المطبعة باسم السلطان. وفي نفس السياق يشير مضمون وثيقة مستمدة من كناشة محمد بن عبد السلام الروندة (ت. 1365 / 1945) وهي عبارة عن حديث أجراه القاضي الروندة مع الطيب الأزرق أشهر طابع مغربي، حيث أخبره عن ظروف دخول المطبعة إلى المغرب، مشيراً إلى وصولها إلى ثغر الصويرة، مخبراً أمين المرسى المدعو الفرنصاوي القباج، وقائد المنطقة عبد الله وبه السوسي بأمرها، فكاتب هذا الأخير السلطان يعلمه بأمر المطبعة، فأصدر السلطان أوامره باحضار المطبعة ومعها الطبيع المصري إلى مكناس. وهذه المعلومات يقول الأزرق أخبره بها الطبيع المصري، دون أن يشير إلى الإهداء والتعويضات، كما أنه تحاشى ذكر الحيازة أو المصادرة كما جاء عند المختار السوسي، وان كان حديثه يوحي بذلك.

وعلى كل فهذه الشهادات جميعها تؤكد حقيقة واحدة، وهي أن القاضي محمد الطيب الروداني يرجع إليه الفضل في إدخال آلة الطباعة إلى المغرب، وقد توفي في نفس السنة ببلده تارودانت، ربما دون أن يشاهد أول ثمرات إنتاج مطبعته.

ويمكننا أن نتساءل عن أسباب اختيار الروداني لمطبعة حجرية، تقنياتها معقدة جداً بالقياس مع المطبعة التيوغرافية أو ما يسمى في المغرب بالسلكية.

قبل معرفة الأسباب لابد من التعرف على طريقة الطبع الحجري أو الليثوغرافي. فكلمة ليثوغرافي Lithography تعود إلى أصل إغريقي، وهي مكونة من مقطعين : حجر Litho وكتابة Graph، أي الكتابة على الحجر. اخترع هذه

الطريقة الألماني ألويز سنيفلدر Aloise Snifelder سنة 1796. والحجر المستخدم فيها مركب من الكلس والطفل والرمل، ينحت جيداً ويصقل بالرمل الناعم وينظف جيداً. أما تقنية الطباعة بالحجر التي كانت متبعة في "المطبعة المغربية" فهي كالآتي :

تبتدئ العملية من الناسخ الذي يكتب ما يراد طبعه بحبر خاص، وعلى ورق خاص يضغط عليه ـ بعد كتابته ـ بين ورقتين من النشا مبتلتين. وكان الناسخ يكتب على الورقة كتابة مستقيمة غير مقلوبة، وبعد هذا توضع اللوحة الحجرية التي يراد نقل الكتابة إليها في مكبس بعد أن يحمى، ثم تبسط الورقة عليها بطريقة عكسية، بحيث يقع وجهها المكتوب على وجه اللوحة الحجرية، ويضغطان مراراً كثيرة، فتلتصق الورقة باللوحة، ثم يربط ظهر الورقة ويفرك بالانامل لكي يسهل نزعها عن اللوحة، فتنتزع عنها تاركة الكتابة عليها، ثم يصب على اللوحة الحجرية مزيج من الماء والصمغ العربي، وتبل خرقة بحبر الطباعة ويمسح بها، فيلتصق الحبر حيث كانت الكتابة. وحينما تبرد جيداً يصب عليها مزيج يسير من الحامض ومذوب الصمغ مرة أو أكثر، حتى إذا تنشفت توضع في المطبعة، وتبلل بالماء ثم الحبر، بعدها يكبس الورق على الحجر، فتنتقل الكتابة من المساحة الطباعية إلى الورق مباشرة. ويجب إعادة تبليل اللوحة بالماء وتحبيرها قبل طبع كل ورقة.

وهكذا نرى أن طريقة الطبع على الحجر كانت معقدة شيئاً ما، فلماذا اختارها الروداني وفضلها على المطبعة التيبوغرافية ؟

يمكن أن نحصر ذلك في عدة أسباب وهي :

1 ـ السبب الديني والثقافي : فالروداني بحكم تكوينه الديني، رأى أن الطباعة الحجرية أكثر ملاءمة لذوق العلماء التقليديين، حيث ستحافظ لهم على تراثهم الذي كان يكتسي من نظرهم طابعاً قدسياً، والمتمثل في الخط المغربي التقليدي، لأن المطبوعات الحجرية تشبه في مظهرها المخطوطات تماماً، فهي لا تمثل أية قطيعة مع الماضي، ولا تتسبب في أي صدام مع العادات الثقافية المغربية.

2 ـ السبب الاجتماعي : إن الروداني في اختياره للطباعة الحجرية، حافظ على وجود طبقة مهمة داخل المجتمع المغربي، ونعني بها طبقة النساخ أو الوراقين الذين كانوا يعيشون من نسخ الكتب، لذا فالطباعة الحجرية ستحافظ لهؤلاء على مصدر رزقهم.

3 ـ السبب الاقتصادي : فالمطبعة الحجرية غير مكلفة كثيراً، فهي لا تتطلب تجهيزاً كبيراً، ولا تستدعي انشاء مؤسسة كبيرة، كذلك بعض المواد اللازمة للطبع يمكن صنعها بالمغرب أو جلبها من مصر، في حين تتطلب المطبعة السلكية تجهيزات وآلات باهظة الثمن تستورد من أوربا التي كان المغاربة يمقتونها آنذاك.

يظهر أن هذه الأسباب جميعها كانت حاضرة في ذهن الطيب الروداني عند عزمه على اقتناء المطبعة، فعرف مزايا المطبعة الحجرية وأدرك أنها سوف لا تحدث قطيعة مع الماضي بل ستضفي عليه فوائد جمة. ومن هنا كان إقبال العلماء المغاربة عليها كبيراً، لكونها تمثل التقنية الأكثر ملاءمة لأذواقهم في القراءة، ولا دراكهم لمزاياها المتمثلة في تكثير الكتب وتسهيل طرق التعليم، ونشر العلم والمعرفة، رغم أن البعض اعتبرها تمتهن الكتاب وتسلبه قداسته، وتعمل على إخماد القرائح وإهمال حفظ العلم في الصدور.

وهكذا، فبمجرد وصول المطبعة إلى ميناء الصويرة، ثم نقلها إلى مكناس، ومنها إلى فاس فدخلت تحت سلطة المخزن، وأصبحت نفقاتها حكومية تتعاون عليها الخزينة العامة والأحباس وذلك خلال الفترة الممتدة من صفر 1282 / يوليوز 1865 إلى آخر سنة 1278 / مارس 1871. وكانت تحمل في هذه المرحلة اسم "المطبعة السعيدة" أو "المطبعة المحمدية" نسبة للسلطان محمد الرابع، وقد استقرت بزنقة "جزاء برقوقة" من فاس الإدريسية، وهو موقع ممتاز لقربه من جامع القرويين ومن السوق التجاري من جهة، ولوقوعه بالقرب من ضفاف وادي فاس لتوفير الماء الضروري لحاجيات المطبعة من جهة أخرى.

أما جهازها التوظيفي، فكان يشتمل على الطبيع المصري، وعلى ناسخ، ومصحح، ومعاونين يبلغ عددهم عشرين منهم من صار من أقطاب الطباعة كالطيب الأزرق وأخيه العربي.

أما النساخ الذين وُظّفوا بالمطبعة فكان أولهم محمد بن سليمان الفاسي (ت. 1317 / 1899) الذي كان خطاطاً وكاتباً في خدمة السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان، وانتقل مع الطبيع المصري ليباشر تخطيط ونسخ الكتب الأولى. أما المصحح الذي ظهر اسمه في آخر الكتاب الأولى المطبوع بالمطبعة السعيدة، فهو أبو حفص عمر الرندي (ت. 1290 / 1873).

ولم تتعد منشورات هذه المرحلة ستة عناوين، وهي كالآتي :

ـ *الشمائل المحمدية* لأبي عيسى الترمذي، وهو كتاب في السيرة النبوية وقع الاختيار عليه من طرف السلطان تبركاً بالافتتاح، وقد تم طبعه بمكناس سنة 1282 / 1865، في 103 صفحة.

ـ *شرح المقدمة الأجرومية* للأزهري، تم طبعه سنة 1283 / 1866، في 180 نسخة. وهو يعد أهم الكتب في شرح مقدمة ابن أجروم في اللغة، ومن أهم الكتب التي اهتم بدراستها اللغويون المغاربة.

ـ *مختصر الدر الثمين*، أو المورد المعين في شرح المرشد المعين لمحمد ميارة الفاسي، طبع سنة 1283 / 1866، في 301 نسخة. وهو شرح وضعه ميارة على نظم عبد الواحد بن عاشر المسمى "*المرشد المعين في الضروري من علوم الدين*".

- *حلي المعاصم لبنت فكر ابن عاصم* لمحمد التاودي ابن سودة. طبع سنة 1284 / 1867 في 300 نسخة، وهو شرح لمنظومة ابن عاصم المسماة "*تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام*" التي تتناول علم القضاء والتوثيق.

- *شرح على مختصر خليل* لمحمد بن عبد الله الخَرْشي المصري، طبع في ستة أجزاء ما بين 1284 - 1287 / 1867 - 1870، في 600 نسخة. وكان من أكثر الكتب الفقهية تداولاً بالمغرب، وله شرحان الصغير والكبير. والصغير هو الذي طبع على الحجر بفاس.

- *قصيدة مولدية* لمحمد بن أحمد الرفاعي المدني، وهي قصيدة في الأمداح النبوية تم طبعها سنة 1287 / 1871. ويظهر أنها آخر ما طبع خلال هذه المرحلة التي كانت فيها المطبعة تحت إشراف المخزن.

ويمكن أن نلاحظ على هذه المطبوعات الاستهلالية التي حظيت بالأولوية في الطبع، المبالغة في إتقانها، تصحيحاً وطبعاً وورقاً. كما يظهر من خلال مواضيعها أن المخزن وظف المطبعة لأغراض تعليمية ولنشر الكتاب المدرسي المقرر للدراسة في القرويين.

وبعد سنة 1287 / 1871 دخلت المطبعة الحجرية مرحلة جديدة من حياتها، حيث توقف المخزن عن الإشراف المباشر عليها بسبب عجزه عن توفير نفقاتها، وأصبحت مؤسسة فردية تحت إشراف الطيب الأزرق، الذي تدرب على الطباعة عند الطبيع المصري ونال إجازة في فن الطبع، وقد سمح له المخزن بالإشراف المباشر على مؤسسة الطباعة، خصوصاً في تدبير مواردها المالية، مقابل تقديمه عشر 1 / 10 المنتوج المطبعي للمخزن الذي لم يتخل عن كامل إشرافه على المطبعة بل ظل يراقب المطبوعات من حيث نوعية النصوص، وجودتها ويحدد نسبة تسويقها، وكيفية توزيعها.

وقد تغير اسم المطبعة في هذه المرحلة فلم تعد تحمل اسم "السعيدة" أو "المحمدية"، وإنما صار اسمها "المطبعة الفاسية" أو "العامرة" وحافظت على نفس المقر الأول وهو زنقة "جزاء برقرقة" وأول ما ظهر ذلك الاسم بآخر كتاب "*دلائل الخيرات*" للإمام الجزولي، المنشور بالمطبعة الفاسية بتاريخ 10 صفر 1289 / 12 أبريل 1872. وقد حقق الطيب الأزرق للطباعة النجاح الكبير وضمن لها الاستمرارية، لذا اعتبر رائد ومعلم الطباعة في المغرب، وهو أول طابع أقدم على طبع القرآن الكريم وذلك سنة 1297 / 1879. حيث قوبل بالرضى من العلماء التقليديين، مما أعطى لأعماله النجاح المطلوب، فعادت عليه بالعديد من الأرباح مكنته من تأسيس مطبعة حجرية ثانية "بدرب الحمام" قرب الجوطية.

كما عرفت هذه المرحلة ظهور طباعين آخرين على رأسهم العربي الأزرق الذي تدرب عند أخيه الطيب، ثم استقر بمطبعته بدرب حسان من حي البليدة بفاس القرويين، التي نشر بها العديد من الكتب المهمة، كما تمكن من تطوير أساليب الطباعة وإتقانها، لذا اعتبر من أبرز العاملين في ميدان الطباعة الحجرية. استطاع الأخوان الطيب والعربي الأزرق نشر أكثر المطبوعات الحجرية من حيث العدد، التي لم تعد تقتصر على المقررات التعليمية، بل شملت جميع فروع المعرفة من علوم تجريبية، ونوازل فقهية، ورحلات وتراجم، ولغة، بالإضافة إلى فنون أخرى.

وقد تدخل المخزن لوقف احتكار الأخوين لميدان الطباعة الذي استمر حتى سنة 1308 / 1890، وذلك بفتح المجال أما مؤسسات طباعية جديدة، لكسر هيمنة آل الأزرق من جهة، وخلق التنافس والتنوع من جهة أخرى، فبرزت أسماء جديدة في هذا الميدان، نذكر منها : أحمد بن عبد المولى اليملاحي، وعبد السلام الذويب، ومحمد البادسي. لكن هذه الأسماء جميعها بما فيها أولاد الأزرق ستختفي عن ميدان الطباعة في عهد المولى عبد الحفيظ (1908 - 1912)، الذي صادر حوالي أربع مطابع وأنشأ منها مطبعتين تحت إشرافه المباشر واحدة حجرية بمقر المطبعة الأولى "بجزاء برقوقة"، والثانية سلكية وجعل مقرها داخل القصر الملكي. وبهذا أصبحت الطباعة مرة أخرى مؤسسة مخزنية رسمية.

وخلال عهد الحماية عادت المطبعة الحجرية لإشراف الخواص، وظهرت أسماء جديدة لطابعين وناشرين من بينهم أحمد بن عبد الكريم القادري الذي استخدم مطبعة بحي البليدة بفاس، وهي آخر مطبعة حجرية ظلت تعمل إلى أن دمرها الفرنسيون سنة 1944.

أما الطباعة التيبوغرافية أو ما تعرف في المغرب بالسلكية، فقد ظهرت في المغرب منذ وقت مبكر من القرن التاسع عشر على يد الإسبان بالشمال الذين أنشأوا مطبعة بمدينة سبتة سنة 1820، صدرت عنها جريدة أسبوعية تدعى "*المتحرر الليبرالي الافريقي El Liberal Africano*". وبعد أربعين سنة عند احتلال الإسبان لمدينة تطوان سنة 1860 انشأوا بها مطبعة بساحة الفدان مقابل منزل الباشا، وكانت في ملكية حاكم تطوان الإسباني المهندس العسكري. فاكوندوفالدسين D. Facunodo Valdés وعنها صدرت جريدة "*صدى تطوان El Eco de Tetuan*".

بعد هذا التاريخ انتشرت المطابع في الشمال خصوصاً مدينة طنجة حيث أسس الاتحاد الاسرائيلي منذ سنة 1870 مجموعة من المطابع لإصدار الصحف.

كما أنشأ شلمه ابن حيون مطبعته سنة 1891 والتي ستشرع ابتداء من سنة 1907 في إصدار الكتب بالعربية، وفي نفس السنة أنشأ الأخوان اللبنانيان أرتور وفرج الله نور مطبعة "*لسان المغرب*" التي صدرت عنها جريدة تحمل نفس الاسم، وهي من ضمن المطابع التي صادرها المولى عبد الحفيظ ثم فككها وأرسل أجزاءها إلى مراكش.

أما مدينة فاس مهد الطباعة المغربية، فقد عرفت الطباعة السلكية ابتداء من 1323 / 1905 على يد شخص

سوري يدعى أحمد يني، كان قد اقتنى مطبعة من الشرق بحروف عربية مركبة واستقر بها بمدينة فاس أكبر مركز ثقافي بالمغرب، واستطاع الاشتغال بها دون أن يتعرض لمضايقة أو معارضة من طرف العلماء المحافظين، خصوصاً أنها تحمل حروفاً غير التي تعودوا عليها في الطبع الحجري ككتابة الفاء بنقطة أسفل والقاف بنقطة واحدة أعلى.

وتجدر الإشارة إلى أن مطبعة أحمد يني استطاعت نشر تسعة عناوين ما بين سنتي 1324 ـ 1326 / 1906 ـ 1908، وهي نسبة ضئيلة، لكن أهميتها ترجع إلى أولويتها في طريقة وشكل الطبع، وكذلك إلى نوعية منشوراتها التي كانت في معظمها ذات طابع إسلامي صوفي للشيخ ماء العينين، ولأبناء الزاوية الكتانية. وفي آخر سنة 1326 / 1908، اشترى السلطان مولاي عبد الحفيظ هذه المطبعة، ووظف صاحبها للعمل بها، وهي التي أصبحت تعرف بالمطبعة المولوية وجعل مقرها داخل القصر الملكي بفاس.

ومن الواضح أن تبني مولاي عبد الحفيظ للمطبعة السلكية، وإشرافه المباشر عليها، كان وراء النشاط الكبير الذي عرفته هذه المؤسسة، حيث تمكنت من إخراج العديد من العناوين قيمة ونادرة الوجود، في مدة لاتتجاوز الأربع سنوات، وهي فترة حكم المولى عبد الحفيظ، حيث ستتوقف هذه المطبعة عن العمل بعد سنة 1912، لتنتقل آلاتها إلى دار المكينة المخزنية التي أصبحت تعرف باسم مطبعة البلدية.

وبمجرد ظهور المطابع السلكية بالمغرب، غزت آلاتها مختلف المدن بسرعة فائقة ولم تعد متمركزة في مدينة واحدة ـ كما كان عليه الحال بفاس بالنسبة للمطبعة الحجرية ـ بل انتشرت تقنياتها في كل أنحاء البلاد، وهذا ما يؤكد الاهتمام الزائد للمغاربة بفن الطباعة. ومن بين أهم المطابع السلكية التي تأسست خلال فترة الحماية الفرنسية نذكر ما يلي :

ـ المطبعة الجديدة بفاس : تأسست مكان مطبعة البلدية سنة 1923، من طرف شركة فاسية، وفي سنة 1350 / 1931 انتقلت إلى ملكية عبد العزيز بوطالب الذي جعل مقرها بحي الطالعة.

ـ المطبعة الوطنية بالرباط : كانت تسمى عند تأسيسها سنة 1926 بالأهلية، وابتداء من سنة 1929 أصبحت تعرف بالوطنية، كان مقرها بدرب الفاسي بالمدينة القديمة، وهي في ملكية عباس التناني.

ـ مطبعة الأمنية بالرباط : حلت مكان المطبعة الجديدة لفليكس مونشو Felix Moncho الذي أسسها سنة 1926 وجعل مقرها بساحة المامونية. وفي سنة 1937 نقل سعيد حجي مطبعته من سلا إلى هذه المطبعة التي أصبحت تعرف بالأمنية، وكان يطمح بأن يجعل من هذه النواة داراً للطباعة شبيهة بدار الهلال المصرية، لكن وفاته سنة 1942 حالت دون تحقيق هذا المشروع، فانتقلت ملكية المطبعة إلى محمد الصائغ حوالي سنة 1943 وظلت تعمل تحت نفس الإدارة إلى الوقت الحاضر، وقد انتقل مقرها أخيراً إلى وراء فندق باليما.

ـ المطبعة العربية بالدار البيضاء : تأسست سنة 1352 / 1933 بدرب غلف من طرف الفقيه الحسن البعقيلي. وقد كان لهذه المطبعة توجه خاص، حيث تخصصت في نشر الكتب الدينية فقط وكانت لا تقبل طبع سواها، عدا الأوراق التجارية.

ـ مطبعة التقدم الإسلامية بمراكش : تأسست سنة 1932 بروض الزيتون على يد العالم محمد المهدي الشرقاوي، الحاصل على شهادة العالمية من الكلية اليوسفية بمراكش، زار الشرق واطلع على فنون الطباعة بلبنان، كما حصل على شهادة اتقان مهنة الطباعة من مطبعة الجنوب بمراكش.

ـ المطبعة المحمدية (الملكية) : تأسست سنة 1363 / 1944 بمرسوم ملكي للسلطان محمد بن يوسف، لذا حملت اسم المطبعة المحمدية. يعين مديرها بظهير شريف، أول مدير تولى إدارتها هو أحمد رضا اگديرة، ويوجد مقرها داخل المشور الملكي. وأول ما طبع بها كتاب *"الفتوحات الإلهية في أحاديث خير البرية"* للسلطان سيدي محمد بن عبد الله الذي صدر سنة 1361 / 1945، في 642 ص.

م. المنوني، *مظاهر يقظة*، جزآن، الرباط، 1973 ؛ ج. عياش. *دراسات في تاريخ المغرب*، الدار البيضاء، 1986 ؛ ف. عبد الرزاق، *تاريخ الطباعة في المغرب*، الدار البيضاء، 1996، كتاشة ؛ رضوان أبو الفتوح، *تاريخ مطبعة بولاق*، القاهرة، 1953 ؛ ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 3، الرباط، 1931 ؛ *النهضة العلمية*، مخ. خ. ح. 11772 ؛ ع. ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، الدار البيضاء، 1960 ـ 1965، المختار السوسي، *خلال جزولة*، ج 4 ؛ خ. ابن الصغير، *صدفة اللقاء مع الجديد*، الدار البيضاء 1995 ؛ إ. العراوي، *تحفة الملك العزيز بمملكة باريز*، فاس 1909، م. الغيغائي، *رحلته الحجازية*، مخ ؛ ز. الكتاني، *الصحافة المغربية*، الرباط، 1969 ؛ ع. اللجائي، *المفاخر العلية*، مخ. خ. ج. 460 ؛ و. لوطورنو، *فاس قبل الحماية*، بيروت، 1986 ؛ م. المشرفي، *نزهة الأبصار*، مخ. خ. ج. 5616 ؛ ل. الكندوز، *الطباعة والنشر بالمغرب*، أطروحة دكتوراه في التاريخ ؛ أسعد كرم، *المغرب الأقصى ولغته*، *مجلة المقتطف*، فبراير، 1903 و ع 4 شتنبر 1881.

Encyclopedia Judica, Jerusalem, 1975, t. 11, Colounne 303 ; *Journal Asiatique*, vol. 2, t. 14, 1934 ; A. Laroui, *Les origines sociales*, Paris, 1977 ; A. Peretie, *Les Medrasa de Fès*, n° XVIII, 1911 ; D. Svend, *Histoire du livre*, Paris, 1960 ; G. Delphin, *Fès, son université...*, Paris, 1889 ; E. Aubin, *Le Maroc d'aujourd'hui*, Paris, 1904 ; J. Baida, *La presse marocaine*, Casablanca, 1996 ; A. Aouchar, *La presse marocaine*, Mohammedia, 1990 ; V. F. La Hoz, *Apuntes para la historiza de la imprenta en el norte de Marruecos*, Tetuan 1949 ; D. Bacaiçoa Armaiz, *Inventario provisional...*, Tetuan 1943.

لطيفة الكندوز

الطب في المغرب القديم، نفتقد مؤشرات دقيقة تسعفنا في ضبط محدد للبدايات أو الإرهاصات الأولى للطب بالمغرب القديم ولكن الاشارات الأولية التي تحملها

عظام الانسان Les ossements من مرحلة ما قبل التاريخ وخصوصاً تلك المكتشفة بأعداد كبرى (حوالي 180 هيكلا عظميا) بمغارة الحمام بتافوغالت بالمغرب الشرقي تسمح بالإحاطة ببعض الأمراض التي كانت سائدة حوالي 10.000 سنة قبل الميلاد بالجهة المذكورة، يتعلق الأمر بأشكال من الروماتزمات ناجمة عن الجلوس الطويل (La position assise) حسب الباحث الفرنسي داستوگ (Dastugue) ذكر منها روماتيزم العمود الفقري (Le spondylose) وروماتيزم المفاصل (L'osteoartrose). ثم إن التسوسات والأورام والكسور وآلام الرأس لم تتعدم بالمنطقة وهي تدفع إلى قول بأنه إذا كان الانسان القديم بالمغرب أو بغيره قد تعرض لمثل هذه الأمراض فلاشك أنه اهتدى إلى طرق علاجها، أو على الأقل إلى كيفية التخفيف من حدتها.

فهل الثقب الحاصل في مؤخرة الرأس (La trepanation) المكتشف بمغارة الحمام هو عمل طلسمي أم محاولة جراحية بدائية للتخفيف من آلام الرأس أو من غيرها من الأمراض التي تظهر أعراضها بالرأس ؟

مهما قلنا عن هذه العملية البدائية فإن تكرارها بنقط مختلفة من المعمور دليل على أن نتائجها كانت فعالة خلال هذه العصور الموغلة في القدم، وأنها لا تخلو من دلالات.

جبر أو جمع ولأم الكسور بوسائل بسيطة ظهرت إرهاصاته الأولى بنفس المغارة المغربية : مغارة الحمام. من خلال مثال امرأة متعددة الكسور استطاعت العيش رغم إعاقتها بفضل الرعاية التي خصت بها من طرف الجماعة.

لاشك أنه إلى جانب المداواة والرعاية الاجتماعية لعبت التغذية ونوعيتها دوراً هاماً في حفظ الصحة.

فلا تغيب عنا الكميات الهائلة من بقايا الحلزون، فما وفرته من بروتينات إلى جانب الأطعمة الأخرى النباتية والحيوانية ساعد على حفظ صحة السكان. بل نجت أكلة الحلزون أطفالنا من أمراض الكساح، فهي إلى اليوم وجبة مفضلة عند المغاربة.

هذه الاجراءات والآليات على الرغم من بساطتها هامة، تعلق بها القدماء بفضل غريزة حب البقاء فحفظوا صحتهم بل استعانوا بمن يدبر ويتدارك الخلل الحاصل.

فهل كان المشرف على علاج الحالات التي تستعصي على رب الأسرة كبير الجماعة، هل المعالج هو الكاهن ؟ هل هو ساحر طبيب ؟

لم يكن القدماء ليطرحوا أسئلة من هذه القبيل خلال هذه العصور الموغلة في القدم. كان الأمر سيّان ! فمن يستطيع أن يعيد السكينة والراحة لمتألم هو هذا وذاك.

لا ننسى أن مُسببات الأمراض لم تكن معروفة عند الإنسان القديم بشكل عقلاني تام. لذلك فالعملية السالفة الذكر ليست إلا إجراءً أولياً من ضمن سلسلة إجراءات أخرى اعتمدها القدماء لمحاصرة المرض. ولكن مجملها طواها النسيان وبعضها فقط (كقلع الأضراس، ولأم الكسور، وجراحة الرأس) شكل لبنات أو قواعد للطب بمفهومه العصري.

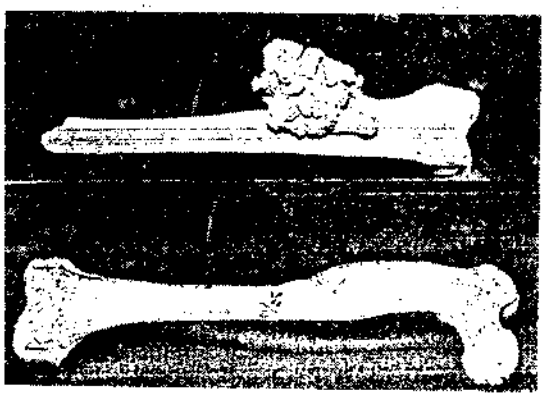

إذا كانت المعلومات الأولى ترتبط بالانسان القديم : إنسان ما قبل التاريخ فحسب فهذا الانسان لم يعش في فراغ ! لقد أكد علماء ما قبل التاريخ خصوبة الأرض المغربية وسيادة الغطاء النباتي على صعيد واسع وتنوع الوحيش (La faune)، فلا يلزم أن تغرب عنا الأمراض المرتبطة بالمرجات والمستنقعات، والأجمات والأدغال : ولا ندري ما هو مصير الانسان الذي كان له الوحيش بالمرصاد، فإذا لم يُرده قتيلا، وإذا ما أصاب مقتلا في قدم أوْيد من كان يعالجه ويخفف آلامه، بأية وسائل وأدوات كان يداوي جراحه ؟

ولاريب أن الوسط لعب دوراً رائداً في هذا الباب، ونعني بالوسط الجماعة التي عاش وسطها هذا الانسان. لقد كان ولازال - إلى يومنا هذا - قادراً على مداواة نفسه بنفسه بما يتوفر لديه من أعشاب وتوابل عندما يعز طلب المداوي ويجد الدواء بأعلى تكلفة ! ولاشك أن الانتروبولوجيين والاثنوغرافيين وسيتفقون على كون الطبيعة كان لها أيضاً عملها (ما نطلق عليه اليوم اسم المناعة) فهي تساعد على شفاء من قُدِّرله العيش بلا طب شعبي ولا عصري.

بقي أن نعرف نوعية الآلات التي آعتمدها القدماء للجراحة.

من البديهي أن تكون أدوات من حجر الصوان فهي خير آليات تُعوِّدَ على استعمالها منذ غابر العصور، وقد شكلها

فق حاجياته ومآربه. فهي طيّعة بين يديه سواء كان كاهنا ساحراً أورب أسرة. فالجميع آعتمد سكاكين الصوان عند قنص الوحيش وسلخ جلودها. وجرحها أو تقطيعها للتزود باللحوم. فكيف لا يلجأ إليها عند عمليات المداواة.

على كل إذا كانت معلوماتنا ضئيلة حول الطب خلال حقبة ما قبل التاريخ واتخذ معظمها طابع الافتراض فيتزايد الاهتمام بتخصص كتخصص الباليوباتولوجي (Paleopathologie) ستنفك الكثير من الطلاسم المتعلقة بهذه الحقبة التي تغيب فيها المصادر المكتوبة وتبقى الهياكل العظمية هي الملجأ الوحيد أمام المهتم بهذا الحقل المعرفي الشيق، وهذه المرحلة الهامة والطويلة من تاريخنا الغميس : ما قبل التاريخ (La préhistoire).

وعلى عكس المرحلة الآنفة الذكر فإن المرحلة اللاحقة والممتدة من ظهور الفنيقيين بالأرض المغربية حوالي الالفية الثانية قبل الميلاد إلى الفتح الإسلامي خلال القرن السابع الميلادي ـ تتميز بتنوع مصادر البحث وتعددها النسبي الأمر الذي يُبيح ـ بعد جمع شتاتها ـ إمكانية تقديم صورة ـ صحيح أنها غير تامة ـ على كل حال هي أوضح للحالة الصحية والطب والأطباء للمغرب غداة فجره التاريخي.

كانت صحة سكان المغرب القديم خلال فجر تاريخه (الالفية الثالثة أو الثانية) مضرب الأمثال. ولا أدل على ذلك قوة العملاق أنطي الذي لم تفرغ جعابه في المصارعة إلا بعد لأي وكان آخر من نازل البطل الاغريقي هرقل. أما قدرة العملاق أطلس فتفوق كل تصور، فهو من أوكلت له مهمة حمل قبة السماء فوق رأسه (انظر المعلمة مادتي أطلس وأنطي). ولا تخلو الأسطورة من حقيقة، بل هي الحقيقة نفسها إذ لكل بلد تاريخه الذهبي.

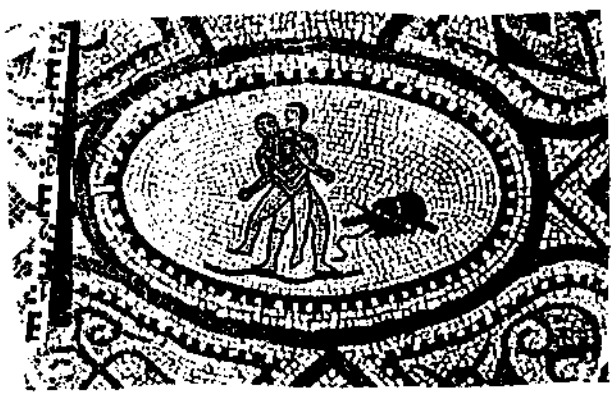

ولا شك أن التطور الحضاري المستمر أدى إلى تغير نمط عيش الساكنة المحلية مما جعل البعض يحتفظ، بل يتشبث ـ كما يحصل اليوم تماماً ـ بعادة مداواة نفسه بنفسه عن طريق الأعشاب والشعوذة فيما التجأ آخرون لطلب الصحة. والشفاء من الآخر هو إله عند البعض كإله الطب أسكولاب (Esculaqpe) وأولاده، وهو شخص قائم الذات ستحدد معالم شخصيته بالتدريج ليحمل خلال العصر الاغريقي ـ الروماني اسم مديكوس (Medicus).

هذا التأرجح بين الطب وعدمه، بين الصحة والسقم، تسعفنا ـ لحسن الحظ ـ المصادر في ترصده.

أقسر مؤرخ الاغريق هيرودت (Herodote) (القرن V ق. م.) فكرة صحة جميع سكان قارة ليبيا قال : "... من جهة أخرى لا يوجد بعد الليبيين (Libyens) على الاطلاق رجال سالمون وذوو شخصية قومية إلا المصريون..."

فمصطلح الليبيين الوارد عند هيرودوت كان ينطبق على كل سكان الشمال الافريقي من برقة شرقا إلى رأس سبارطيل غربا، وهيرودوت من خلال مطابقته السالفة الذكر وضع الليبيين على نفس المستوى الصحي مع قدماء المصريين.

وإذا كانت مدينة رومابدورها عاشت لأمد ستة قرون بلا طب ولا أطباء على حد قول الموسوعي اللاتيني بلين القديم (Pline l'ancien) (القرن الأول م) (انظر Plinc, H.N., XXIX, 11). فهل معنى ذلك أن جميع ساكنتها كانوا سالمين معافين ؟ وهل ما ينطبق على هذه المدينة العملاقة من قول يصلح بالنسبة لغيرها من مدن العالم القديم وبلداته ؟

لنتابع استحضار النصوص قبل الإجابة بالنفي أو الإيجاب على السؤالين السابقين ؟

أكد المؤرخ اللاتيني سالوست (Salluste) (ق 1 ق. م.) مقولة مؤرخ الاغريق هيرودوت حول صحة سكان الشمال الافريقي العالية، ولكنه بالغ في الاعتداد بها فقال ما مفاده بأن الرجال مميزون ببنية قوية، رشيقون ولا يشعرون بالعياء.

نعت الجغرافي الاغريقي سطرابون (Strabon) (ق. 1. ق. م) سكان المغرب القديم باسمهم، قال : "المور المسمون أيضاً بالموروزيين من طرف الاغريق شعب ليبي كبير وغني".

وأضاف قائلاً : "الموروزيون يحبون بعض التصنع، يضفرون شعورهم ويعتنون بلحيتهم. يتزينون بالحلي. ينظفون أسنانهم وأظافرهم، ولا تراهم يتنزهون إلا نادراً ليحافظوا على ترتيب وجمالية شعورهم".

وزاد قائلاً :

"يموتون جميعا بالشيخوخة إلا إذا اختصرت حياتهم بالحديد أو بأنياب الحيوانات لأنه إذا كان المرض لا يصيبهم الانادرا فهم تحت رحمة العديد من الحيوانات الشرسة".

فمعالم تدبير الصحة بينة من خلال تصريحات سطرابون، أليست الوقاية خيراً من العلاج ؟ فالحرص على التزين والاناقة والنظافة بنود أساسية لحفظ الصحة، وبلاشك فالأمر لا يشترك فيه كل الموريين. فالتباين الفئوي ضروري لضمان عيش الساكنة وإلا من سيحرث ويحصد ليأكل الكل ؛ من سيعمل ليستريح الآخرون ؟

فالجهد والعناء وعدم ضمان لقمة عيش مريئة هنيئة من تبعات كل ذلك الانهاك الصحي، والخمول والاتكالية والإفراط في الأكل من نتائجهم كذلك الخلل الصحي.

وهكذا فالصورة التي قد مناها عن الوضعية الصحية لسكان المغرب خلال مرحلة ما قبل التاريخ لن تختلف خلال المرحلة الممتدة من بداية التاريخ الأسطوري إلى حدود القرن الأول قبل الميلاد. فقد وجدت الصحة والمرض معا، ولكن وجود الطبيب وغيابه سيان بالنسبة لشعب حَبَاه الله بالقوة وصلابة العود حافظ عليها طويلا بما أنه عاش في تناغم مع بيئته.

ونستحضر في هذا الصدد أحد معمري الشمال الافريقي الذي سئل عن أسباب طول بقائه فأرجع ذلك للتغذية المتوازنة. ومن ضمن التركيبة العجيبة التي تندرج ضمن لائحة طعامه زيت الزيتون، هذا السائل الأزلي الذي قدر القدماء فوائده الجمة وأكد الطب الحديث الأمر.

نستنتج أن القدماء عرفوا الداء والدواء لأن الحالة الصحية ليست واحدة بالنسبة للجميع، وهذا ما أكده الطبيب الافريقي المشهور هيبوقراط (Hippocrate) قال : "من بين الليبيين الذين يسكنون بداخل الأراضي لا أحد في صحة جيدة نظراً لكونهم ينامون فوق جلد الماعز ولايملكون معطفا ولا أغذية مصدرها من هذا الحيوان".

مهما قلنا عن الملبس والمأكل، فلاشك أنه تجتمع أسباب أخرى لحصول المرض، وتتوفر خصوصيات أخرى لحفظ الصحة، فالقدماء انتبهوا لبعض الطرق الوقائية. نقرأ عند هيرودوت في هذا الشأن ما معناه أن الأعمال الوقائية التي يضطلع بها الكل لوقاية أطفالهم من البلعم (La pituite) حرق عروق أعلى الرأس وكذلك الصدغين بصوف الأكباش الدسم : ويساعد هذا الإجراء أيضاً على ضمان صحة جيدة.

وكانت تحدث للأطفال تشنجات عالجها الليبيون بممارسة خاصة تتمثل في رش الأطفال المصابين ببول التيس.

وهكذا، فالليبيون عرفوا طرق العلاج ووالقاية، وكانت تنجم عن بعضها انعكاسات سلبية (Contre indication) ألمُّوا أيضاً بكيفية الخلاص منها.

وما هي أنواع الأمراض ونسبتها ؟ كم هي نسبة المرض ؟ ما هي طرق العلاج لكل حالة على حدة ؟ هل جميع العلاجات كانت ناجعة ؟ وهل تمكن القدماء من الفلاح في تخفيف انعكاسات بعض العلاجات السلبية ؟

هذه سلسلة أسئلة لا نملك لمعظمها أجوبة شافية كافية لا عند ظهور الفينيقيين بالمغرب القديم حوالي الالفية الثانية قبل الميلاد ولا بعد ذلك عند احتلال الرومان لمثلثه الخصيب خلال القرن الأول الميلادي. والسبب واضح وجلي فكلما ابتعدنا عن التاريخ المعاصر تغيب العناصر الإحصائية جُملة وتفصيلا، وبالتالي لا نملك حقائق كاملة ولا أرقاما تامة ولا تقويما مناسبا للحالة الصحية والمرضية خلال مرحلة ما قبل الإسلام وبالأساس ما قبل الرومان. على كل، فسلامة الصحة وفق النصوص هي الأمر العام.

لنعد للسؤال الإشكال : روما لم تعرف الطب والأطباء لأمد ستة قرون. فهل معنى ذلك أنها لم تكن على بينة ببعض الممارسات التطبيبية كما هو حال سكان الشمال الافريقي ؟

فهذا أحد مشاهير روما كاتون (Caton) ألف كتاباً طبياً وعالج مرضى منزله بنفسه فقيل عنه : "لقد ألف كتابا في الطب وباعتماده كان يعالج مرضى منزله. لا يُخضعهم للحمية على الإطلاق. وكان يطعمهم الخضر وأطرافا صغيرة من لحوم البط والحمام والأرنب البري، وهي أطعمة خفيفة من وجهة نظره وصحية للمرضى ومن يستعملونها يحلمون أحلاما مزعجة. وبهذا العلاج والحمية فإنه كان يحافظ على صحة جيدة ويحفظ صحة أتباعه".

إذا كانت روما مثل باقي جهات المعمور استعملت لأمد عدة أجيال تجاربها الطبية ونجحت، فإنها لم تعد منغلقة على نفسها فأضحت قبلة للأطباء الأجانب الذين سيزداد عددهم خلال القرن الأول قبل الميلاد فيعفون من الضرائب مثلهم مثل الأساتذة.

وإذا كان الأطباء الغرباء أضحوا موضع ثقة من طرف الرومان ومميزين رغم وضعهم الاجتماعي المتردي إن كانوا عبيداً أو مُعتقين، بل أضحوا مفضلين على الأطباء المحليين، فهل معنى هذا أننا ضبطنا بداية للمسار الحقيقي للطب والأطباء ؟ هل وجود قائمة هامة بأسماء الأطباء الأجانب من خلال مصادر الشمال الافريقي وعلى رأسها النقائش (Inscriptions) تسمح بالقول بأن الطب بالشمال الافريقي شهد نفس المنعطف خلال القرن الأول قبل الميلاد وبعده ؟

على كل، ما هو مؤكد أنه خلال القرن الأول قبل الميلاد اقترن الطب بالمغرب باسم الطبيب الاغريقي أوفوربوس (Euphorbus) الطبيب الخاص للأكَلد يوبا II (Juba) ملك الموريطانيتين (المغرب والجزائر) الذي فوض لطبيبه مهمة رصد منافع النبتة العجيبة التي توجد بجبل أطلس حيث الأطولول (Autololes) (انظر المعلمة مادة أطولول) ونعني بها الأوفورب (Euphorbe).

ومما يذكر أن الطبيب الإغريقي أوفوربوس هو أخ الطبيب الذائع الصيت أنطونيوس موزا (Antonius Musa) الطبيب الخاص للامبراطور الروماني أغسطس (Auguste) (ق. 1. ق. م).

ولمَّا كان هذا الأخير مريضاً بداء الحصاة (Gravelle) بالإضافة إلى إصابته بداء الكبد طبق عليه الطبيب موزا المعالجة بالمياه الحارة، شُفي الامبراطور على إثرها وكنتيجة لذلك تم تخليد هذا الطبيب بتمثال وضع بالعاصمة روما إلى جانب تمثال إله الطب اسكولاب (Esculape). وقد فاقت أجرته السنوية كل عدٍّ إذ وصلت إلى 250.000 سستيرس (Sesterces).

عدَّد القدماء دور المياه الحارة في المعالجة. فهي تفيد الشخص المصاب بضربة الشمس، كما تساعد المرهق ليستعيد قواه. إذ كان ينصح بالجلوس في قاعة الحمام الدافئة (Repidarium)، ثم يدخل إلى القاعة الساخنة وبعدها

يلج لحوض المياه الحارة (Solium)، ومن ثمة يُدلكُ بزيت الزيتون ليعود مرة أخرى للحوض الساخن.

اهتدى الطبيب موزا لهذا الإجراء، فهل استفاد أخوه أوفوربوس من تجاربه ؟ ما نعرفه هو أنهما معا نصحا المستحمين المعافين (الأصحاء) بأخذ حمام بارد بعد حمام ساخن من أجل مسك جلد الجسم.

هل آدخل أوفوربوس هذه الطرق المشار إليها إلى حمامات الموريطانيتين بما أنه كان طبيب البلاط ليوبا الثاني

على كل فأوفوربوس هو الموحي لهذا العاهل بالعديد من الوصفات. وكما نعلم فيوبا II بدوره متعدد المواهب والثقافات، وقد أوحت له أعمال طبيبه بمصنف (Traité) حول نبتة الاوفورب، هاته النبتة هي المعروفة اليوم باسم علمي هو : (Euphorbia officinales) وقد نصبة المتخصصون في علم النبات لحمولتها من السموم.

إذن، الأوفورب ـ التي أسلفنا تحديدها بمجال الاطولول أي بالجنوب المغربي ـ استعملت منفردة أو مع تركيبات أو تحضيرات أخرى لعلاج لسعات الأفاعي، وباقي السموم. وهي حسب المؤلفين القدماء من عدة أصناف لانوع واحد ولذا خصصوا لكل نوع فوائده وصلاحياته فمنه ما هو خاص بإفراغ البلعم والمرارة عن طريق الأمعاء. كما يتداوى به لأمراض الفم أو تسوس الأسنان، ومنه ما يسهل.

ومن البديهي أن تاريخ الطب يفهم بالعبر. فوجود طبيب للبلاط بالمورطانيتين يعني وجود غيره من الأطباء نعرف أصنافهم ومراتبهم من خلال التاريخ المقارن كيف ذلك ؟

تتحدث الدراسات المتخصصة في تاريخ الطب الروماني عن وجود أطباء جوالين (Iatrosaphiste) أو (Circulatores) وأطباء زائرين للمرضى طريحي الفراش (Clinicus) وأطباء المدن الملحقين بالمشيخات (Curies) والخاصين بدعم المعدمين ويعرفون باسم (Archiatrus)، بل كان على رأس العديد الأطباء المنتمون لبعض العائلات الثرية رؤساء من المعتقين يسمون (Superpositus medicorum) أو (Supramedicos) بل أطباء متخصصون كأطباء العيون (Occulistes). وقبل معرفة أي الأنواع عرف بالشمال الافريقي عامة وبالمغرب بشكل خاص باعتماد المصادر المتاحة لا بأس من الإحاطة بإشكالية تركناها قائمة تتعلق بتعريف وتحديد مواصفات ما لمحنا له سلفا ونقصد بذلك الطبيب (Medicus).

حدد هيبوقراط أو أبقراط (V ق. م.) سلفا مواصفات الطبيب الناجح، قال : "يجب أن تكون للطبيب سلطة ويلزم أن تكون له سحنة جيدة وجسم ممتلئ يتناسب مع طبيعته. بالفعل، ويعتقد الناس بأن الذين ليست لهم صحة جيدة لا يستطيعون علاج الآخرين بشكل مناسب. يلزم (أيضاً) أن يكون الطبيب نظيفا وذا مظهر جيد ورائحة عطرة وكتوما. وفكريا يلزم أن يكون متواضعا ليس فقط محافظاً في حياته، وهذا سيزيد من صيته"وبما أن الصحة الجيدة شرط وجوب. فقد رمز للمرض بالنحافة والصحة بالسمنة، بل المريض ظهر هزيلا من خلال فسيفساء جميلة بالجزائر والطبيب صلب العود. ويدعم هذا المشهد ما ذكره هيبوقراط، ويبين المواصفات التي تسري على أطباء بلاد الاغريق تنطبق على زملائهم بالشمال الافريقي إغريقا أم غير إغريق.

يتأكد ذلك من خلال نص أبولي المادوري (Apulée de Madaure) (II . م) الذي ينوه بتواضع الطبيب وصراحته وشجاعته قال : "... يجلس بقرب المريض. يمسك يده يتحسسها ويجس النبضات ويراقب دقات القلب. وإذا وجد فوضى ولا انتظام [في دقات القلب] يعلن بأن الحال ليس على ما يرام. وثرينا (أي المريض الغني) تمنع عنه كل الأطعمة".

هل اعتمد القدماء حلولا أخرى غير الدواء والحمية ؟ يصور سيلز (Celse) بشاعة التشريح وخصوصا تشريح الأحياء (La visection)، والالتجاء للتشريح ليس خاصا بروما ولا بلاد الاغريق فالقديس أو غسطينوس سليل مدينة هيبون (القرن IV م) يذكر بشاعة تشريح الأحياء بل مدى شغف المشرحين بفحص كل جزء على حدة. يقول :

اهتدى القدماء للتشريح، بل بالغ بعضهم في الوحشية بتشريح أحياء لمعرفة مكان الأعضاء وعلاقة بعضها ببعض. واعتبر البعض الآخر تشريح الأموات أفضل بما أنه يسيح معرفة أشياء بالنسبة لطلبة الطب أفضل من جسم جريح.

انتبه القدماء لدور الموسيقى في العلاج ومنها نغمات عود الناي التي تصْلح للحد من أزمة عرق النسا (La sciatique) وغيره من الأمراض لمدى ارتباط جسم الإنسان بروحه.

هل اعتمد سكان المغرب القديم بدورهم على الموسيقى للعلاج ؟

لا ندري ولكن حضور الموسيقى بل قدمها أمر مؤكد يذكره الرحالة القرطاجي حانون الذي أنشأ مستعمراته بالسواحل المغربية خلال القرن V ق. م. ونرى أشكالا مختلفة من الأدوات الموسيقية من خلال مختلف آثار المغرب وعلى رأسها فسيفساؤه.

وذكرنا أن كل مشيخة تفترض وجود طبيب يمكن أن

نطلق عليه اسم الطبيب البلدي يعرف من خلال المصادر الأدبية والأثرية بالشرق والمغرب القديمين تحت اسم أركياطروس (Archiatrus)، فهل وجد هذا الصنف من الأطباء بالشمال الافريقي ؟ أجل، تؤكد ذلك نقائش الشمال الافريقي، وأيضاً الفسيفساء بل ومصادره المكتوبة ومن ذلك كتابات القديس أو غسطينوس. ولكن لا نعرف أدنى شيء عنه بالنسبة للمغرب القديم، فهل وجود المشيخات بأهم المواقع المغربية القديمة يفترض وجوده في غياب النقائش أو باقي المصادر الدالة عليه ؟

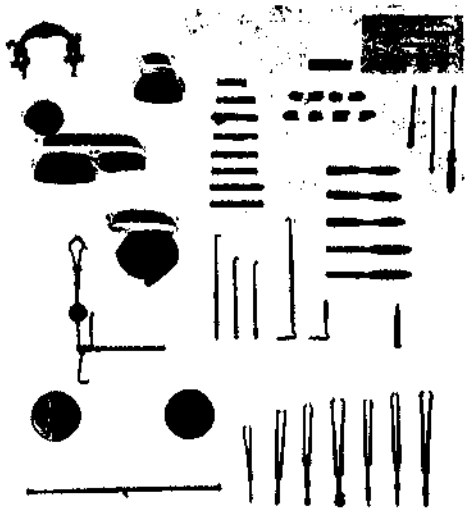

على كل، القاعدة العامة تفترض أن يكون لكل مدينة أطباؤها. وقد حدد عددهم بالنسبة للمدن الصغرى في خمسة أطباء وبالمتوسطة سبعة وبالكبرى 10 أطباء. وترجع للمشيخات مهمة اختيارهم وتعيين رئيس عليهم ومراقبته، بل وطرد المخالفين منهم. وكانت مكانة الطبيب تحدد وفق كفاءته من جهة وقدمه في المهنة من جهة أخرى. وطبيعي أن لكل قاعدة استثناء في كل زمان ومكان !

ولاشك أن السؤال الذي سيفرض نفسه، هو حول تعلم الطب وتعليمه.. فهل رؤساء الأطباء هم الذين كانت تسند لهم أيضاً مهمة التعليم ؟

أفادتنا الإشارات المصدرية بأن الطب كان يلقن ببعض مدن الشمال الافريقي الكبرى كقرطاج وهيبون، بل انتقل بعضهم إلى روما ولازم أطباءها. وفرض عليه القانون الرجوع لبلده بشكل إجباري بعد مضي عشرين سنة من مكوثه بالمدينة العملاقة، ولكن لا شيء يذكر عن المدارس الطبية بالمغرب القديم، فهل تفترض أن مدنه الكبرى تضمنت هذه النوعيات من المؤسسات ؟

على كل، للفرق العسكرية أطباؤها وللمسارح المدرجة أطباؤها وللمشيخات دور بَلْ واجب تعيين الأطباء، وبما أن التعليم يسبق الوظيفة سنفترض أنه كانت للمغرب مؤسساته الطبية.

نخلص إلى ترديد مقولة بلين القديم بأن الطب وجد بالمغرب القديم قبل الأطباء وبأن المؤشرات الأولى لوجود طبيب تعود لعصر يوبا الثاني بمعنى أن البلاد لم تتخلف عن الركب. بل زادت إلى معارفها بالعمليات الجراحية (La trepanation) وبفوائد النباتات (L'euphorbe) لمحاربة الأمم والشعوب الوافدة عليها. وما الحمامات الكثيرة كأمكنة للاسترخاء والاستجمام إلا دليل آخر ينضاف للعناصر المساعدة على حفظ الصحة وتجنب التردد على الأطباء، إلا عند الضرورات القصوى.

وقد قال سنيك (Seneque) الحكيم، : "من سبقونا لم يسرفوا في البذخ فكانوا هم الاسياد ونحن الخدم يقوون أجسامهم بالجهد وبالعمل وبالتعاطي للجري والقنص والحرث... وبذلك لم يكونوا بحاجة إلى طاقم من الأطباء ولكل الآلات الجراحية ولصناديق الأدوية. فتعدد الوجبات ترتب عنه تعدد الأمراض".

ب. البيضاوية، *لمحة عن الطب خلال العصر الروماني من خلال الآثار*، محاضرة ألقيت بوهاب كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، شعبة التاريخ، بتاريخ 22 أبريل 1998 ؛ *مظاهر اقتصادية من خلال فسيفساء الشمال الافريقي*، أطروحة لنيل دكتورة الدولة في الآداب، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، 14 يونيو، 2000.

J. André, *Etre médecin à Rome*, Paris, 1987 ; B. Belkamel, *Histoire de la médecine au Maroc antique*, dans *Histoire de la médecine au Maroc et dans les pays arabes et musulmans*, Casablanca, 1995, p. 37 - 45 ; J. Dastugue, *La paléopathologie* in *Histoire générale de la médecine*, Paris, (s.d.) ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924.

بلكامل البيضاوية

الطب التقليدي بالمغرب، جاء في تعريف منظمة الصحة العالمية بالطب التقليدي أنه "مجموع المعارف والممارسات، القابلة للتفسير أو غير القابلة، لتشخيص خلل عقلي أو اجتماعي والوقاية منه والقضاء عليه، اعتمادا فقط على التجربة المعاشة والملاحظة مما يمرره جيل إلى جيل آخر شفويا أو كتابيا".

ويطلق "الطب التقليدي" بالمغرب، على ما كان سائدا من طرق العلاج قبل مجيء الطب العصري الأوربي، وما ظل موجودا منها إبان الاحتلال الفرنسي بل وحتى يومنا هذا. ويختلف هذا الطب في مجالاته وطرقه ووسائله عن الطب العصري، وقد يكون أحيانا على طرفي نقيض معه، إذ يعتمد على مزيج من المواد النباتية والحيوانية والمعدنية بالإضافة إلى آليات أخرى ترتبط بالدين والسحر والشعوذة وما إلى ذلك مما يتوسم فيه المعلول كشفا سريعا لما يلم من الأضرار.

وقد ظل المغاربة منذ أمد بعيد، ومايزال بعضهم إلى اليوم، يواجهون ما يطرقهم من العلل، استنادا إلى ما يوفره هذا الطب من آليات العلاج التي يمكن أن نجملها في أربع :

1 ـ الاستشفاء بالحمامات

أهم نموذج يصادفنا في هذا الباب هو حمامة مولاي

يعقوب، على بعد 20 كلم شمال غرب فاس، التي ارتبطت بشخصية مولاي يعقوب الأسطورية والتي اشتهرت منذ القديم بمائها ذي المذاق الكبريتي، الذي شاع بين الناس أنه يعالج كثيرا مما يلهب الجلد من صنوف الطفح والبثور والدماميل والقروح.

وقد دخل الطبيب وايزجيربير Wesgerbère إلى حامة مولاي يعقوب، خفية في 1898 وأخذ بعضا من مائها لتحليله واختبار مدى صلاحيته للعلاج، وقام بعده أحد كبار الصيادلة، سنة 1917 ويسمى لانيو Lagneau بتحليل مياه الحامة، فإذا هي تحتوي على كميات كبيرة من الأملاح، والكبريت.

2 ـ الاستشفاء بالأضرحة والأولياء

شكلت أضرحة الأولياء أماكن يزورها المرضى وذوي العاهات طلبا للشفاء، وقد يزورها آخرون لتحقيق أغراض دنيوية تتعلق بالربح في تجارة أو البحث عن زوج، أو لطلب الحظ. وكانت زيارة الأضرحة تأتي بناء على نصيحة من أحد الأقارب أو الأصدقاء أو ببعض جربوا ذلك.

3 ـ الكتابة والتداوي بالأعشاب

دأب المغاربة في طبهم هذا على التداوي بالكتابة والأعشاب معتمدين في ذلك على مصنفات الطب القديمة، وعلى الخصوص منها كتابان شكلا حجر الزاوية في علاج ما كان يلم بهم من الأمراض، وهما : "تذكرة أولي الألباب" لداود الأنطاكي، وكتاب "الرحمة في الطب والحكمة" لجلال الدين السيوطي، وقد بلغ الاقبال على هذين الكتابين إلى حد استنساخهما عدة مرات.

وتحتوي الوصفات الواردة في الكتابين المذكورين على آيات، وجمل، وجداول وأرقام، بالإضافة إلى بعض النباتات أو نقيعها أو دقيقها. ويقوم "الفقيه" (بسكون الفاء) بكتابة التمائم، أي ما يعرف عند عامة الناس "بالكتْبة" (بفتح الكاف وسكون التاء). وقد يكون ذلك على الورق أو على الأواني أو على البيض أو على عظام بعض الحيوانات.

وغالبا ما يكون "الفقيه" من حفظة القرآن عارفا ببعض مبادئ الطب النبوي، بالإضافة إلى دوره في تعليم الصغار حفظ القرآن. ويؤمه الناس في المسيد ليكتب لهم تمائم لعلاج مرض أو درء ما قد يدور بخلد الانسان من ضربات الجن ووخزه وصفعاته، وقد يستوى "الفقيه" في خيمة صغيرة بأحد الأسواق فيتحلق حوله الناس بغرض أن يكتب لهم. وتسمى التميمة وما يرافقها من وصفات، عند عامة الناس "السبوب" (بسكون السين) ولعلها مشتقة من فعل سبب أو تسبب.

واستعمل الناس إلى جانب التمائم أعشابا وحيوانات للتداوي من بعض الأمراض، فاستغلوا من النباتات أوراقها وازدهارها وحبها ولحاءها وجذورها وألبانها، واستعملوا من الحيوانات بعض أجزاء الجسم كالمرارة والكبد. كما اعتمدوا على بعض الطيور كالغراب والحدأة واللقلاق والبوم. وكانت حوانيت العشابين تكتظ بمثل هذه الأشياء، فما أن يقف المرء أمام حانوت أحدهم حتى يثير انتباهه ما يتكدس أويعلق فيها من الأشياء الغريبة كرأس غزال بقرنيه، وثعلب محنط، وجلد أفعى وهداهيد وفئران وقنافيد وحرابي مجففة بالإضافة إلى أكوام من حزم النباتات.

وهذه أمثلة من الوصفات التي كانت تقدم لعلاج بعض الأمراض بالأعشاب أو الحيوانات :

ـ ضد القبض : يأخذ المصاب لسبعة أيام نقيع الخزامى.

ـ ضد الاسهال : يتناول المريض دقيق الدباغ مع الماء لمدة ثلاثة أيام في الصباح.

ـ ضد الدماميل : يوصى المصاب بقتل حدأة وطبخها في آنية لم تستعمل من قبل، ويأكل منها لمدة ثلاثة أيام.

وإلى جانب الوصفات التي تتضمن مواد نباتية أو حيوانية مما تمت الإشارة إليه، فقد شاع استعمال بعض المعادن كالملح والنحاس والحديدة الحمراء، والحديدة الزرقاء، والرصاص والشب والكبريت وغير ذلك، واستغلت هذه المواد في علاجات مختلفة بالتبخير أو التقطير أو التنقيع.

4 ـ الكي والجراحة

الكي هو لمس العضو المصاب بأحد الأدوات المستعملة في الكي كالسكاكين والمخاطف والمحاور بعد أن تحمى بالنار حتى تحمر كالجمر. واستعمل الكي لعلاج اليرقان وعرق

النسا وما قد يشوب مفاصل الإنسان ونواشره من الفدع والوكز. وقد يقتصر الكي على ما يسمى "الرشامة" وهو أن يحمى على سكين حادة ويرشق بحدها العضو المريض رشقات سطحية خفيفة.

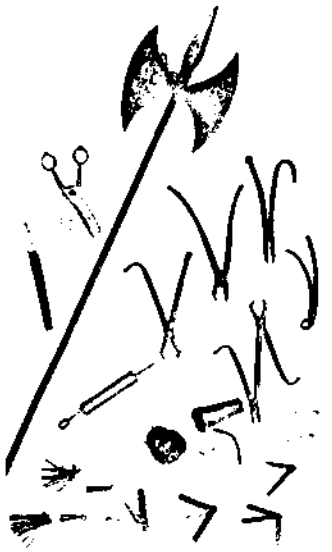

أما الجراحة فتعتمد الحجامة والفصد واستئصال الأورام وجبر الكسور، إزالة "الجلالة" من العين وقلع الاضراس وختان الأطفال. وكانت الحجامة، وهي استفراغ ما تحت سطح الجلد، وجر ما يحتقن من الدم في عروق الإنسان، تتم عن طريق شرط الأخدعين واستفراغ الدم من قفا الإنسان بواسطة آلة تسمى المحجمة وهي عبارة عن قارورة من الزنك، وتسمى عند عامة الناس "الكيسان"، وتسمى أيضا القارورة.

أما الفصد فيتم عن استئصال ورم أو استفراغ ما في الورم من أخلاط، وأحيانا لاستفراغ ما يجبين الإنسان من الدم المحتقن. وقد شاع بين الناس نوع من الفصد يقضي بشرط العضو الملدوغ لاستفراغ ما خلط بالدم من سم الأفاعي أو العقارب أو العناكب.

واعتمد في جبر الكسور على ما يسمى "الجبيرة" وهي عبارة عن قطع من الخشب الرقيق المسوى، أو أنصاف قطع من القصب، يتم شدها على العضو المكسور حتى تلفه ويضمد ذلك بثوب رقيق مع خليط من الدقيق ومح البيض، ثم يربط ذلك بإحكام وبعد مدة يلتحم العظم ببعضه البعض.

ظل الطب التقليدي موجودا على الرغم من انتشار الطب العصري وظل كثير من الناس إلى اليوم يهرعون إلى العلاج بالرقى والتمائم ونقائع الأعشاب، ويستقسمون في أمور كثيرة من حياتهم بما يشير عليهم به المشعوذون والعرافون. وقلما كانت النتائج المتوصل إليها من ذلك مرضية، مما يثير كثيرا من التساؤلات حول استمرارية هذا الطب على الرغم من عدم نجاعته.

م. الكتاني، *سلوة الأنفاس* ؛ ج. الـيـوطي، *الرحمة في الطب والحكمة* ؛ د. الأنطاكي، *تذكرة أولي الألباب* ؛ أ. بنعاشر الحافي، *تحفة الزائر* ؛ ن. بلحاج، *التطبيب والسحر في المغرب* ؛ ابن قيم الجوزية، *الطب النبوي* ؛ جريدة "*الأحداث المغربية*"، 9 يوليوز 2001 ؛ *الرواية الشفوية*.

L. Raynaud, *Etude sur l'hygiène et la médecine au Maroc* ; M. Nahon, *Notes d'un colon du Rharb (2 juillet 1920 - déc. 1924)* ; M. Akhmisse, *Médecine, magie et sorcellerie au Maroc* ; Dr. Bulit, *Notes sur la thérapeutique indigène dans le sud marocain, Hesp.*, 1922 ; A. R. De Lens, *Pratiques des harems marocains, Sorcellerie, Médecine, Beauté* ; J.E. Karmazyn, *Le Maroc en cartes postales* ; *Histoire des sciences médicales*, T. XXVIII, n° 2, 1994 ; A. Poiuponneau, *Moulay Yacoub, ville d'eaux marocaine, Maroc - Médical*, Avril et Mai 1923.

بوجمعة رويان

الطب العام في المغرب يوجد فقر كبير في المصادر التاريخية حول تطور الممارسة الطبية بالمغرب. والدراسات المتخصصة في هذا المجال قليلة. وبتجميع المعلومات المتناثرة في العديد من المؤلفات التاريخية والمصادر المختلفة يتبين أن الممارسة الطبية تزدهر تارة وتصاب بالتخلف تارة أخرى، حسب توفر العوامل السياسية والاقتصادية المساعدة أو المعيقة لازدهار الحياة الفكرية والعلمية عموما. وتدل المعطيات المتوفرة على أن أغلب الإنتاج الطبي المغربي مؤلفات ومصادر ومؤسسات تم إتلافه بسبب الصراعات المسلحة الداخلية أو الهجمات الخارجية أو على إثر الأوبئة والمجاعات المتتالية. وينطبق على المغرب تماما ما قاله بروان Brown من أنه لم يصلنا ولو واحد من الألف من المؤلفات الطبية العربية المتحدث عنها في فهرست ابن النديم. وقد تحدثت المصادر عن مستشفيات عدة شيدت لكننا لا نجد بقايا لآثارها، ونجهل مكانها وأطباءها وطريقة عملها، وفي كثير من الأحيان نجهل حتى أسماءها.

ولا يمكن الحديث عن تاريخ الطب بالمغرب دون ربطه بأمور ثلاثة :

1 ـ تاريخ الطب وتطوره في الحضارة العربية الإسلامية عموما. لأن حركة العلوم في المغرب في الغالب جزء لا يتجزأ من حركتها في الحضارة العربية الإسلامية.

وقد برز العديد من الأطباء في هذه الفترة، وكتبوا المؤلفات المتخصصة في ميادين الطب والصيدلة.

ومن أهم الأسماء الطبيب أبو القاسم محمد الوزير الغساني، وقد كان رئيس الأطباء والعشابين بمراكش، وعمل طبيبا خاصا لأحمد المنصور، أما مؤلفه الرئيس فهو : (حديقة الازدهار بشرح ماهية العشوب والعقاقير). اعتبره الدكتور رينو، أحد المهتمين بتاريخ الطب العربي إنجازا جديدا، ووصف الطبيب الغساني بأنه : "عقل متميز في عصره وفي وسطه الذي عاش فيه".

وامتازت هذه الفترة بمجيء العديد من الأطباء الفرنسيين إلى المغرب واستفادتهم من التجربة المغربية وأسماء بعضهم مشورة.

ولم تعرف مرحلة الدولة السعدية بناء مستشفيات كثيرة جديدة. لكن تم توسيع الموجود منها والعناية به. وكثر عدد العشابين (أو الصيادلة) حتى إن حسن الوزان أشار إلى أنه يوجد بفاس في القرن 16 شارع يضم مائة وخمسين دكانا للعشابين. ثم يضيف : "وكانت تلك الدكاكين جميلة ومزخرفة، ولها سقوف جميلة وخزانات. إني أظن أنه لا يوجد في العالم كله سوق للأدوية مثله".

ولقد تظافر عاملان أساسيان على إيقاف هذه النهضة الطبية هما :

- الصراعات السياسية بين خلفاء المنصور الذهبي.

- تتابع الأوبئة والمجاعات التي سببت خسائر بشرية كبيرة، وكانت تجتاح أيضا شبه الجزيرة الايبرية والأقطار المغاربية الأخرى. وفي المرحلة الخامسة بدأ بعض الاهتمام بعد فترة ركود يظهر بالميدان الطبي، وخصوصا أن مولاي الرشيد ثاني الملوك العلويين كان طبيبا وملكا. وكان يحضر الدروس بجامع القرويين ويشجع البحث العلمي بإعطاء منح لطلبة العلم. وتميزت فترة مولاي إسماعيل الطويلة بتطوير التعليم الطبي بجامع القرويين، والاهتمام بحفظ الصحة وخصوصا بوضع قنوات للصرف الصحي في العاصمة مكناس في مستوى عال من الأهمية. وعندما عم البلاد بعض الاضطرابات، لجأ الملوك العلويون إلى إرسال البعثات العلمية إلى الخارج. وممن بعث ضمنها الشريف عبد السلام العلمي الذي أرسل إلى كلية الطب بالقاهرة وعمل طبيبا خاصا للسلطان مولاي الحسن الأول. وله مؤلفات أهمها (ضياء النبراس في حل مفردات الأنطاكي بلغة فاس) كما ألف كتاب (*الأسرار المحكمة في حل رموز الكتب المترجمة*)، وهو محاولة لإعطاء نظرة على وسائل الطب الغربي آنذاك. لكن على العموم كان هناك ركود علمي عام، أثر في ميدان الطب.

وقد توقف العلاج في أغلب المستشفيات أو تحولت إلى ملاجئ للمرضى النفسانيين.

وتميزت فترة الحماية الفرنسية بأمرين اثنين هما :

- بناء مستشفيات عصرية في مناطق ومدن مختلفة، بعضها لا يزال يعمل إلى اليوم.

- تنظيم حملات واسعة النطاق لمكافحة عدد من الأمراض المعدية. والأمراض الأكثر انتشارا في تلك الفترة ثلاثة : السل والرمد والزهري.

وتشير الإحصاءات المتوفرة إلى أن عدد الأسرة في المستشفيات قد ارتفع من بضعة مئات سنة 1912 إلى أربعة عشر ألف سرير سنة 1955. كما ارتفع عدد الأطباء من مئتي طبيب سنة 1930 إلى ألف وخمسين طبيبا سنة 1955. وقد بقي هذا العدد بعد الاستقلال ثابتا إلى حدود سنة 1972.

لكن النقص الأكبر في السياسة الصحية لسلطات الحماية هو غياب أي تكوين لأطباء أو ممرضين مغاربة، وهو الخلل الذي كان على المغرب أن يعمل على معالجته بعد الاستقلال. وهكذا تم إنشاء أول كلية للطب بالرباط سنة 1962، وتبعها إنشاء كلية ثانية بالدار البيضاء سنة 1975. ولم تلحق بهما كليتان أخريان بفاس ومراكش إلا سنة 1999. وعلى الرغم من هذا التأخر في التعليم الطبي فقد ارتفع عدد الأطباء المغاربة الذين يمارسون داخل التراب الوطني من 35 طبيبا فقط غداة الاستقلال إلى أكثر من اثني عشر ألف طبيب في بداية القرن الحالي.

وفي موضوع السياسة الصحية كان هناك الاهتمام طيلة العقود الأخيرة من القرن العشرين بالطب الوقائي وبالطب القروي. ووضعت لذلك برامج متعددة ومتنوعة. لكن قلة الموارد المالية المخصصة لقطاع الصحية، وضعف الاستمرارية في السياسات الصحية المتبعة مع تغيير الحكومات المتعاقبة، وعدم وضوح الأولويات، كلها عوامل أدت إلى بقاء عدد من الاختلالات في القطاع الصحي. ومن أهمها استمرار التفاوت الكبير في المؤشرات الصحية بين البادية والمدينة، وبين محور القنيطرة الرباط - البيضاء، وباقي المناطق. يضاف إلى ذلك غياب نظام للتغطية الصحية إلى أن صادق البرلمان سنة 2002 على مدونة التغطية الصحية الأساسية والتي بوضع الهياكل والنصوص التنظيمية الضرورية لتطبيقها يرجى فتح عهد جديد للطب بالمغرب.

ع. العزيز بنعبد الله، *طبقات الأطباء بالمغرب الأقصى*، مجلة اللسان العربي، العدد 3، غشت، 1985، ص. 146-163 ؛ ابن زهر، *كتاب التيسير*، الرباط، 1991 ؛ سليم عمار، *طب النفس والأعصاب في المغرب والأندلس*، المجلة العربية للطب النفسي، م. 5، ع. 1، مايو 1994، ص. 76 ؛ *الطب النفسي عند العرب بين الأمس واليوم*، المجلة الطبية، السنة 3، ع. 1، ص. 5-11 ؛ ع. بنعبد الله، *العلوم الكونية والتجريبية في المغرب*، الرباط، 1421 / 2000 ؛ إ. حركات، *مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 9 / 15 م*، الدار البيضاء ؛ ع. المراكشي، *المعجب في تلخيص أخبار المغرب*، القاهرة، ط. 1، 1368 / 1949 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، ج. 1، بيروت، 1983.

M. Ghoti, *Histoire de la médecine au Maroc le XX siècle*, Casablanca, 1995 ; M. Akhmisse, *Histoire de la médecine au Maroc*, Imp. Eddar El Beida 812/91 ; L. Leclerc, *Histoire de la médecine arabe*, réédité par le Ministère des Habous et des Affaires Islamiques, Royaume

du Maroc. Rabat. 1980 ; H.P.J. Renaud, *Un essai de classification botanique dans l'œuvre d'un médecin marocain du XVI siècle. Mémorial Henri Basset*, publié par l'Institut des Hautes Etudes Marocaines. Paris. 1928. p. 197 -206 ; J. Sutter, *Quelques aspects de la psychogenèse en milieu indigène Nord-africain*, *Maroc médical*, n° 286, avril 1949 ; J. Luccioni, *Les maristanes du Maroc : le nouveau maristane de Sidi-Frej à Fès*, *B.E.S.M.*, vol. XVI, n° 58. 1953 ; G. Igert, *Milieu culturel marocain et névrose*, *Maroc médical*, n° 360, mai 1955 ; J. L. Roland et M. Teste, *Le cannabisme au Maroc*, *Maroc médical*, n° 395, juin 1958 ; T. Chkili, *Assistance psychiatrique au Maroc : problèmes actuels et perspectives d'avenir*, *la Tunisie Médicale*, n° 6, novembre/décembre 1975 ; D. Moussaoui et S. El Otmani, *Introduction des hôpitaux dans les pays arabes et musulmans in Histoire de la médecine au Maroc et dans les pays arabes et musulmans*, sous la direction de Driss Moussaoui - Michel Roux Dessarps. Casablanca. Edition Association Marocaine d'histoire de la médecine. 1995 ; B. Belkamel et B. Raouyane, *Les bimoristanes au Maroc*. idem. p. 47 ; S. El Otmani, D. Moussaoui, *Système nerveux et neuro-psychiatrie chez Ibn Rochd (Averroès) et Ibn Zohr (Avenzoar)*, idem, p. 51 ; A. Chakib. O. Battas. D. Moussaoui, *Le maristane Sidi Frej à Fès*. idem. p. 59 ; M. Akhmisse. *Les pratiques médicales traditionnelles au mausolée de sidi Ahmed Ibn Achir*, idem, p. 63 ; Ministre de la Santé. *Stratégie en santé mentale 2002*. document interne.

الطب النفسي بالمغرب. الطب النفسي فرع من فروع الطب، برز الاهتمام به منذ عرف الإنسان الاضطرابات العقلية والنفسية وحاول علاجها. ويصعب تحديد البدايات الأولى في هذا المجال بالمغرب، على عكس الطب العضوي الذي كشفت الحفريات أنواعا منه تعود إلى ما قبل عشرة آلاف سنة.

لكن من الثابت أنه منذ دخول الإسلام إلى المغرب الأقصى، ازدهر الطب بمختلف فروعه وخصوصا منها الطب النفسي، وأضحى علما يستفيد من عطاءات الأمم السابقة، وينمو ويتطور بالتجربة والملاحظة. وكان الأطباء يتم تكوينهم ويختبرون وتسلم لهم الإجازات قبل أن يسمح لهم بعلاج المرضى. وهذا ما جعل الباحث الفرنسي لوسيوني يعتبر تطور العناية بالمرضى عموما، وبالمرضى العقليين على وجه الخصوص، "واحدا من مميزات التاريخ المغربي. فربما ليس هناك شيء غيره يعطي فكرة أكثر دقة وأكثر وضوحا على عظمة الدولة المغربية ثم على انحطاطها".

سنتحدث تباعا فيما يخص الطب النفسي عن المستشفيات (البيمارستانات أو المارستانات) والأطباء والطرق العلاجية المعتمدة في تاريخ المغرب، ثم عن تطوره في العصر الحديث وآفاقه المأمولة.

المارستانات :

أقدم مارستان تتحدث عنه المصادر بني من قبل يعقوب المنصور الموحدي (1184 ـ 1199) وسماه دار الفرج. ورعى فيه عوامل الراحة النفسية من اعتدال الموقع والمناظر الطبيعية وغيرها.

كما اشتهر عن المرينيين وخصوصا أبو يوسف بن عبد الحق المريني (1258 ـ 1286) بناء المارستانات الكثيرة "للمرضى والغرباء والمجانين" في مدن فاس وطنجة ومكناس ومراكش وسلا. وبرزت بها التخصصات الطبية فكان من بينها الأمراض الباطنية والجراحة والتجبير والكحالة (علاج أمراض العيون). وكانت تلك المستشفيات تقسم إلى أجنحة على حسب التخصصات المختلفة. ويضم تخصص الأمراض الباطنية قسما للمحمومين، وثانيا للمسهولين، وثالثا للمبرورين (أي المصابين بالأمراض النفسية). وكان من أشهرها مارستان سيدي فرج بفاس الذي تم بناؤه من قبل أبو يعقوب المريني حوالي 1286 م. وكان يضم عددا من التخصصات الطبية. ثم تحول تدريجيا إلى مجرد ملجئ للمرضى العقليين حوالي القرن السادس عشر. ومن الجدير بالذكر أن الأب جيلبير جوفر الذي زار المغرب مرتين لافتداء أسرى الحرب المسيحيين في نهاية القرن الرابع عشر، قد قام في بلنسية بحملة انتهت ببناء أول ملجئ للمرضى العقليين بإسبانيا سنة 1410 م، على غرار مارستان سيدي فرج. واستمر بناء المستشفيات بوتيرة أقل في عهد السعديين والعلويين إلى أن أمر السلطان عبد الله بن المولى إسماعيل (1728 ـ 1757) ببناء قاعة على ضريح سيدي بنعاشر (توفي 1365 م) لاستقبال العديد من المرضى وخصوصا منهم العقليين الذين يأتونه. ثم أضاف إليه السلطان مولاي عبد الرحمان (1822ـ1859) حوالي ثلاثين غرفة ليعرف بمارستان سيدي بنعاشر.

الأطباء :

يهتم الأطباء في الحضارة الإسلامية دائما بدراسة الحالة النفسية والمعنوية للمرضى. وكان كثير منهم يتحدثون عن الطب الروحاني أي النفسي ويفضلونه على الطب الجثماني.

ويتضمن كتاب "التيسير في المداواة والتدبير" لأبي مروان عبد المالك ابن زهر (ت. 1162 م) وصفا غنيا للعديد من الأمراض والأعراض النفسية. وكان يتناولها بنفس الطريقة التي يتناول بها الأمراض العضوية تفسيرا وتشخيصا وعلاجا. وكان يميل باستمرار إلى البحث عن تفسير عضوي لكل عرض نفسي، ولم يلجأ في أي مكان من كتابه إلى أي تفسير غيبي سحري أو غيره مما هو منتشر لدى الناس. وقد بقي تصنيف ابن زهر للأمراض النفسية سائدا ومعتمدا على العموم في المغرب إلى حدود القرن السادس عشر. وله أيضا كتاب "الاقتصاد في إصلاح الأنفس والأجساد" ذكر في بدايته أن "الطب طبان، طب للبدن وطب للنفس"، ويبرهن فيه على مدى إيمانه بتكامل النفس والجسد في الصحة والمرض فيقول : "وإن كان شأن طب الأجساد شائع المعرفة فإن طب الأنفس أكثر علاوة وقدرا".

ومن المواضيع التي كثر الاهتمام بها من قبل الأطباء المغاربة المشاكل الجنسية وهي جزء لا يتجزأ من الطب النفسي. وقد خصص لها بعضهم مؤلفات مثل رسالتين في الباه لأحمد بن يوسف التيفاشي القفصي (ت. 1254 م)، و"بهجة المطالع في الحفظ للمجامع" وهي أرجوزة في تقوية الباه وضعها علي بن الطيب أبي الحسن المراكشي للعاهل المريني أبي سعيد عثمان بن عبد الحق (ت. 1231 م)، و"تحفة

العروس ونزهة النفوس في الباه" لأبي عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني، ومؤلف آخر في الموضوع لأبي الحسن العنسي المراكشي وكلاهما من القرن الثامن الهجري.

الطرق العلاجية :

تنوعت الطرق العلاجية للحالات النفسية لدى الأطباء المغاربة وخصوصا في فترة ازدهار الطب. وكان منها بالخصوص :

- العلاج النفساني الذي يهدف إلى توفير راحة البال للمريض وفتح باب الأمل له.

- الأدوية النباتية والمعدنية. وكانت هناك منذ البداية تصنيفات للأدوية ذات التأثير النفسي مثل المنومات والمخدرات والمفرحات والمقويات للباه وغيرها.

- العلاج بالموسيقى. فيحضر المرضى العقليون في المارستان سماع الأجواق الموسيقية ممزوجة بحكي القصص. وفي مارستان سيدي فرج بفاس كان المرضى يجتمعون إلى عهد قريب مرة كل جمعة لسماع الموسيقى الأندلسية.

- العلاج بالاستحمام بالماء الساخن أو البارد أو المعتدل.

- الرعاية الاجتماعية والعمل على دمج المريض في المجتمع تدريجيا. ومن ذلك ما أشار إليه عبد الواحد المراكشي في (المعجب) عند الحديث عن بيمارستان مراكش من أنه إذا نقه المريض، "فإن كان فقيرا أمر له عند خروجه بمال يعيش به ريثما يستقل، وإن كان غنيا دفع له ماله...".

- ومن المفيد الإشارة أيضا إلى أن أطباء المغرب كانوا يستعملون الإيحاء والتنويم في معالجة مرضاهم. ويتم ذلك بأساليب شتى مثل تعليق زجاجة لامعة أمام المريض، فيتبع حركتها إلى أن يتثاقل ويفقد إحساسه.

تدهور الطب النفسي بالمغرب :

بدأ منذ القرن الخامس عشر تدهور الطب النفسي بالمغرب تبعا لتدهور مختلف العلوم ودخول مجمل الحياة الفكرية في الجمود والانحطاط. لقد تحولت الممارسة الطبية من علم مبني على التجربة وتصور "موضوعي" للمرض والعلاج، إلى ممارسات تنبني على الشعوذة والسحر وزيارة بعض الأضرحة. وتحولت البيمارستانات إلى ملاجئ للمرضى العقليين الذين تتميز حالتهم بالهياج، وخلت من الأطباء والمعالجين. وقد بقي منها قبيل الحماية الفرنسية واحد في كل من فاس ومكناس والرباط ومراكش والدار البيضاء. وقد أشارت العديد من المصادر التاريخية إلى أن وسائل علاج المرضى في هذه الفترة اختفت من المارستانات لتترك المجال لممارسات مثل تقييدهم بالسلاسل وعزلهم في غرف مغلقة. وأضحت حياتهم صعبة جدا مع قلة الصدقات ومداخيل الأوقاف التي هي الموارد الوحيدة لإطعام المرضى وتوفير حاجيات تلك المستشفيات. ونجد لدى الحسن بن محمد الوزان (ليون الإفريقي) وصفا لحالة مارستان سيدي فرج في آخر القرن الخامس عشر يقول فيها : "وفي هذا البيمارستان حجرات مخصصة للحمقى، أي أولئك المجانين الذين يقذفون بالحجر أو يرتكبون أنواعا أخرى من الأذى، يقيدون فيها بالأغلال والسلاسل. وحواجز هذه الحجرات من جهة الممر وداخل البناية مسورة بعوارض خشبية متينة جدا. وإذا رأى المكلف بتقديم الطعام للحمقى هياج أحدهم انهال عليه بضربات متوالية من عصا يحملها معه دائما لهذا الغرض...". وهذا الوصف ينطبق على المارستانات الأخرى في تلك الفترة.

النهضة المعاصرة

مع دخول الحماية الفرنسية بالمغرب ظهرت بدايات نهضة للسياسات والبنيات الصحية. لكن الدراسات النفسية التي قام بها الأطباء الفرنسيون في تلك الفترة كانت تقوم على دونية المواطن المغربي البيولوجية والنفسية بالمقارنة مع الأوربي، وعلى اعتبار الديانة الإسلامية ذات تأثير سلبي على شخصية الإنسان. وكان هذا التوجه الاستعماري مؤثرا في مستوى العناية بالمرضى المغاربة التي هي أدنى بكثير مما هو موفر للمرضى الفرنسيين.

قسمت الأمراض النفسية في هذه الفترة إلى نوعين هما :

- الحالات الحادة التي تشفى بعد فترة قصيرة، وقد خصص لها أقسام طبية من "الصف الأول" توجد بالمستشفيات العامة في بعض المدن الكبرى،

- الحالات المزمنة، والتي تعتبر في الغالب غير قابلة للعلاج، وترسل إلى "أقسام الصف الثاني" التي توجد بالمستشفى الضخم الخاص بالأمراض النفسية بمدينة برشيد والذي هو أول مستشفى بني في هذه الفترة وذلك سنة 1919.

وعند استقلال البلاد كان يوجد بها إضافة إلى مستشفى برشيد الذي كان يضم 1800 سريرا، خمسة أقسام متخصصة في المدن الرئيسة وتضم في مجموعها حوالي 500 سريرا.

وإلى حدود بداية العقد السابع من القرن العشرين كان الطب النفسي في المغرب يعيش وضعية صعبة على مستويين :

- الأول : على مستوى السياسة العامة التي كانت تقوم على مستشفيات خاصة صغيرة أو أقسام للطب النفسي في عدد من الأقاليم. وتتكلف بعلاج مؤقت للمرضى النفسيين في انتظار نقل المزمنين منهم إلى مستشفى الأمراض العقلية بمدينة برشيد. ويشكل الاستشفاء أساس علاج المرضى، إذ تتجاوز مدته في كثير من الأحيان الخمس سنوات.

- الثاني : على المستوى الكمي، لم يكن بالمغرب أنذاك (1973 م) سوى عشرة مستشفيات أو أقسام متخصصة في الطب النفسي، تضم حوالي 3260 سريرا، 2000 منها توجد بمستشفى برشيد. ولم يكن يعمل بها سوى 19 طبيبا نفسيا و176 ممرضا.

وانطلقت منذ سنة 1973 استراتيجية جديدة تنبني أساسا على العلاج خارج المستشفى، وإشراك الأسرة فيه، وإنشاء أقسام لعلاج الأمراض النفسية في مختلف أقاليم المملكة

واعتبار مستشفى برشيد ذا طابع جهوي ثم إقليمي. وعلى المستوى القانوني التشريعي يقنن ظهير 30 / 04 / 1959 مقاومة الأمراض النفسية والوقاية منها، وينظم البنيات الإدارية والقانونية والطبية الضرورية. لكنه ليس كافيا ويحتاج إلى مراجعة وتطوير.

وبانطلاق الإستراتيجية الجديدة تطور عدد الأطباء النفسانيين ليصبح حوالي 250 طبيبا سنة 2002، يعمل منهم في القطاع العمومي ما يقرب 45٪ أي 112 طبيبا. كما تزايد عدد المراكز الصحية التي توجد بها الاستشارة الطبية النفسية في ربوع المملكة من اثنين في بداية السبعينات إلى 59 مركزا سنة 2002. وهو تطور نوعي في إطار المقاربة الجديدة للصحة النفسية. هذا في الوقت الذي لم يشهد فيه عدد المستشفيات والأقسام الخاصة بالطب النفسي إلا نموا بطيئا. وهكذا لا يوجد سنة 2002 بالمغرب إلا مركزان جامعيان للطب النفسي في كل من المستشفى الجامعي ابن سينا بالرباط والمستشفى الجامعي ابن رشد بالدار البيضاء، وسبعة مستشفيات طبية نفسية في كل مدن برشيد ومراكش ووجدة وفاس وطنجة وتطوان وعمالة سيدي البرنوصي زناتة بالدار البيضاء، مضافا إليها أربعة عشر قسما للأمراض النفسية في مستشفيات مختلفة. وبقي مجموع عدد الأسرة في نفس المستوى الذي كان فيه تقريبا، إذ بلغ سنة 2002 : 1934 سريرا. وهذا العدد يوازي سبعة أسرة لكل مائة ألف نسمة، وهو هزيل جدا إذا قارناه بالمتوسط العالمي (15 سريرا لكل مائة ألف نسمة)، الذي هو أيضا أدنى بكثير من المعيار المحدد دوليا (حوالي 35 سريرا لكل مائة ألف نسمة).

وقد وضعت وزارة الصحة خطة النهوض بالصحة النفسية تتضمن عددا من الأهداف الطموحة على مستوى التحسيس بالطب النفسي وأهمية علاج الحالات النفسية وتغيير بعض الجوانب السلبية في النظرة الشعبية إليها، وعلى مستوى المقاربة العلاجية بالتأكيد على أهمية الأسرة والوسط الاجتماعي في تخفيف المعاناة النفسية والتكلف بالمرضى النفسيين. كما تتضمن الخطة أهدافا طموحة في عدد الأسرة والأقسام الطبية النفسية والأطباء والممرضين المتخصصين، لكن ضعف الإمكانات المالية المرصدة وصعوبة الوضعية الاقتصادية العامة تجعل تحقيقها يحتاج إلى ابتكار وجهود مضاعفة.

ولا يمكن أن نغفل هنا أهمية الجمعيات المتخصصة وعطاءاتها في مجال الصحة النفسية وهي اليوم كثيرة، وهذا من الجوانب الإيجابية التي تجعل الأمل واسعا في مستقبل أفضل إن شاء الله.

ابن زهر، *كتاب التيسير*، الرباط، 1991 ؛ سليم عمار، *طب النفس والأعصاب في المغرب والأندلس*، المجلة العربية للطب النفسي، م. 5، ع. 1، مايو 1994، ص. 76 ؛ *الطب النفسي عند العرب بين الأمس واليوم*، المجلة الطبية، السنة 3، ع. 1، ص. 5. 11 ؛ ع. بنعبد الله، *العلوم الكونية والتجريبية في المغرب*، الرباط، 1421 / 2000 ؛ إ. حركات، *مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 9 / 15 م*، الدار البيضاء ؛ ع. المراكشي، *المعجب في تلخيص أخبار المغرب*، القاهرة، ط. 1، 1368 / 1949 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، ج. 1، بيروت، 1983.

J. Sutter, *Quelques aspects de la psychogenèse en milieu indigène Nord-africain*, *Maroc médical*, n° 286, avril 1949 ; J. Luccioni, *Les maristanes du Maroc : le nouveau maristane de sidi-frej à Fès*, *B.E.S.M.*, vol. XVI, n° 58, 1953 ; G. Igert, *Milieu culturel marocain et nevrose*, *Maroc médical*, n° 360, mai 1955 ; J. L. Roland et M. Teste, *Le cannabisme au Maroc*, *Maroc médical*, n° 395, juin 1958 ; T. Chkili, *Assistance psychiatrique au Maroc : problèmes actuels et perspectives d'avenir*, *la Tunisie Médicale*, n° 6, novembre/décembre 1975 ; D. Moussaoui et S. El Otmani, *Introduction des hôpitaux dans les pays arabes et musulmans in histoire de la médecine au Maroc et dans les pays arabes et musulmans*, sous la direction de Driss Moussaoui - Michel Roux Dessarps, Casablanca, Edition Association Marocaine d'histoire de la médecine, 1995 ; B. Belkamel et B. Raouyane, *Les bimoristanes au Maroc*, idem, p. 47 ; S. El Otmani, D. Moussaoui, *Système nerveux et neuro-psychiatrie chez Ibn Rochd (Averroès) et Ibn Zohr (Avenzoar)*, idem, p. 51 ; A. Chakib, O. Battas, D. Moussaoui, *Le maristane Sidi Frej à Fès*, idem, p. 59 ; M. Akhmisse, *Les pratiques médicales traditionnelles au mausolée de sidi Ahmed Ibn Achir*, idem, p. 63 ; Ministre de la Santé, *Stratégie en santé mentale 2002*, document interne.

سعد الدين العثماني

الطبّال، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا : Tabaler - Atabaler - Tabalet وما زالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Tabar و Tamborer.

ومن أفراد هذه الأسرة الذين ذكرتهم الوثائق :

الطبال، أحمد الذي كان يملك ثلاثة سفن قرصانية بمرتين كان يغير بها على مدينة سبتة، وذات يوم تعرض له الأسطول البرتغالي واستولى على سفنه الثلاثة، وكان ذلك سنة 935 (1528).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 805.

محمد ابن عزوز حكيم

الطبجية، جمع طبجي واللفظة تركية الأصل، يعني شقها الأول "طوب" "Top" المدفع، في حين يدل شقها الثاني، أي "جي" على المهنة المزاولة من طرف الشخص المقصود، ومن ثمة إطلاقها على من كان يختص من الجند بالخدمة في سلاح المدفعية. ومعلوم أن هذا النوع من السلاح، شأنه شأن السلاح الناري بصفة عامة، لم ينتشر استعماله في الجيش المغربي، على نطاق واسع، إلا بعد تولي الشرفاء السعديين الحكم في البلاد، وبالخصوص على عهد العاهلين عبد المالك بن عبد الله الغالب (986.984 / 1578.1576) وصنوه أحمد المنصور الذهبي (1012.986 / 1603.1578)، إذ استعمل كلاهما الأسرى المسيحيين والعلوج والأتراك في هذا التخصص الحربي. ومعلوم كذلك أن هذين العاهلين، قبل

تقلدهما الأمر بالبلاد، أقاما ردحا من الزمن في الديار التركية، الأمر الذي تسربت معه عادات وتقاليد تركية إلى المغرب، بحكم تشبع الرجلين بالثقافة التركية وإلمامهما بالتنظيمات والتقنيات الحربية عند الأتراك العثمانيين. على أننا لانجد أثرا للفظة الطبجي أو الطبجية عند كل من عبد العزيز الفشتالي في مؤلفه *مناهل الصفا* ومحمد الصغير الإفراني في كتابه *نزهة الحادي*، إذ يرد عوضها عسكر أو *عساكر النار*، أو *جيش النار*. ويبدو أنها صارت شائعة الاستعمال عند الإخباريين المغاربة في النصف الثاني من القرن الثامن عشر. فالضعيف مثلا في تاريخه، يستعمل هذه اللفظة باستمرار وكلما كان عليه ذكر معركة من المعارك استعمل فيها سلاح المدفعية والمهاريس.

على أن هذا المصطلح وما شابهه من المصطلحات العسكرية التركية الأخرى، كلفظة طابور مثلا، قد صار شائع الاستعمال في تنظيمات الجيش المغربي، بعد أن تقرر تأسيس نواة عسكرية جديدة، دعيت بجيش النظام أوعسكر النظام، غداة وقعة إسلي سنة 1844، ابتداء بتجربة الأتراك العثمانيين في هذا الميدان. وهكذا، تفيد وثيقة مخزنية بتاريخ 10 ربيع الثاني 1264، الموافق 16 مارس 1848، أن قائد جيش النظام بمدن شمال المغرب، تطوان وطنجة والعرائش، عبد السلام أقلعي، قد عاد من رحلته إلى مصر، وفي حقائبه خمسة وثلاثون كتابا في فنون وتقنيات الحرب الحديثة، هدية من خديوي مصر الباشا محمد علي إلى السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام، مما ساهم في دعم استعمال المصطلح العسكري التركي في تنظيمات الجيش المغربي.

وإلى حدود أواسط القرن التاسع عشر، ظل الجيش المغربي يتكون أساسا من رماة وخيالة قبائل الگيش وعبيد البخاري وحراك القبائل، إذ لم يكن عدد الطبجية أي المدفعيين من هؤلاء جميعا يتعدى بضع مئات من الأنفار. ولاشك أن اعتماد المسؤولين، في المقام الأول، على عنصر الخيالة أي الفرسان، ليعكس مفهومهم وتصورهم للعملية الحربية برمتها، حيث لم تتغير وجهة النظر هذه عما كان عليه الأمر أيام العرب ومن شابههم من الأمم والشعوب، بمعنى أن طريقة المغاربة الحربية ظلت تعتمد على تاكتيك الكر والفر، وبالتالي ترجيح سلاح الفروسية على باقي التنظيمات العسكرية الأخرى.

ومع تقدم القرن التاسع عشر واحتكاك عناصر الجيش المغربي بمحاربي الجيوش الأوربية الحديثة، وبخاصة بعد وقعة إيسلي من جهة، ووقائع حرب تطوان من جهة ثانية، تبين للجميع أهمية ودور سلاحي المدفعية والمشاة في حسم أطوار ووقائع الحرب الحديثة. فقد شاهد الخليفة سيدي محمد بن عبد الرحمن عن كثب، وبمعيته قواد الجيش المغربي والقبائل، أثناء وقعة إيسلي سالفة الذكر، ما كانت تحدثه من رعب وهلع ودمار قنابل العدو في صفوف المحاربين المغاربة وهم يتساقطون كأوراق الشجر. ولهذا، اتجهت عناية المخزن إلى الاهتمام بسلاحي الرماة والمدفعية.

ولم يكن السلطان المستنجد به ليضع هذا النوع من العتاد الحربي الخطير وذخيرته، إلا في أيد أمينة، أي من يحظى منه بثقة كاملة. وكان هذا شأن ثلة من ذوي النسب الشريف، من قرابة العاهل الحاكم، كالأمرانيين المكناسيين مثلا، وعدد من أغوات، وقوات طوابير العسكر النظامي والگيش.

وتقدم المصادر معلومات وبيانات عن نوعية وعدد قطع العتاد الحربي الثقيل الذي كان يسخره، بواسطة هؤلاء الطبجية، مغاربة كانوا أم أجانب، في حروبه وحملاته العسكرية، على امتداد القرن التاسع عشر. وكان هذا العتاد يشتمل على مدافع ومهاريس من أنواع وأحجام وعيارات مختلفة، برونزية وحديدية، تم الحصول عليها إما عن طريق الشراء، وإما قدمت للعاهل الحاكم من إحدى الدول الأوربية، علما بأن اعتماد المغرب على مشترياته من السلاح من أوربا، وبالخصوص إنگلترا، وفرنسا، وإيطاليا، وبلجيكا يعود إلى عشرات السنين قبل الشروع في إنجاز مشروعه التحديثي. وكانت عملية جلب العدة والذخيرة من هذه البلاد، تتم على يد مغاربة وأجانب. فكان منهم عدد من أعوان المخزن الكبار، كالوزير الصدر على عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن، الطبيب بليسني بوعشرين، أو أمين الأمناء محمد بن المدني بنيس، أو الحاجب موسى بن أحمد البخاري، أو وزير الحرب المهدي بن العربي المنبهي، أو النائب السلطاني بطنجة مَحمد برگاش وولده الحاج مُحمد وثلة من أمناء المراسي والمستفادات، ومن كبار التجار المغاربة النشيطين. وكان ينضاف إلى هؤلاء بين الفينة والأخرى، وسطاء آخرون سواء من السلك الدبلوماسي كالقنصل الفرنسي أوغست بوميي (Auguste Beaumier)، أو السفير الإنجليزي الشهير جون دراموند هي (John Drummond Hay)، أو من التجار والعسكريين الأجانب، كالتاجر الإنجليزي جمس كرتيس (James Curtis) أو الألماني هاسنر (Haessner)، أو الفرنسيين گوتش (Gautsch) وبرونشفيگ (Braunschvig)، أو الضابط الإنجليزي هاري ماك لين (Harry Mac Lean).

وكان السلطان يصحب في تنقلاته، عبر مختلف جهات البلاد، الجزء الأكبر من العتاد الحربي الثقيل والذي كان يتكون من مدافع ميدانية، وأخرى جبلية أو رشاشة، ومدافع الهون كذلك. فقد وصل عدد هذه القطع المدفعية مثلا، أثناء الحملة العسكرية التي استهدفت قبيلة الأعشاش المنتفضة ضد قوادها، في صيف سنة 1895، 29 مدفعا، من أنواع وعيارات وأحجام مختلفة، علاوة على 4 مدافع هون (mortiers)، و6 مدافع رشاشة من نوع گاردنر (Mitrailleuses Gardner).

الخزانة الحسنية، قوائم حسابية، محفظة سيدي محمد بن عبد الرحمن، سنة 1284 / 1864 ؛ محفظة مولاي الحسن رقم 80، وثيقة

بتاريخ 16 شوال 1303 / 18 يوليو 1886 ؛ محفظة مولاي الحسن رقم 243 ؛ محفظة مولاي الحسن، الوثائق الزيدانية، مجلد 29، وثيقة رقم 246 ؛ كناش رقم 10933، وثيقة بتاريخ 16 محرم 1284 / 20 مايو 1867 ؛ كناش رقم 309، وثيقة بتاريخ 17 شوال 1293 / 5 نونبر 1876 ؛ كناش رقم 117، وثيقة بتاريخ 14 ذي القعدة 1300 / 18 سبتمبر 1883 ؛ كناش رقم 348، وثيقة بتاريخ 17 جمادى الثانية 1301 / 14 أبريل 1884 ؛ كناش رقم 443، وثيقة بتاريخ أواسط رجب 1318 / العشر الأواخر من دجنبر 1900 ؛ مديرية الوثائق الملكية بالرباط، محفظة مراكش، وثائق سنتي 1262 و1263 / 1846 و1847 ؛ وثائق فانسن بباريز والتي نرمز إليها على النحو الآتي A.G.V. ؛ A.G.V., 3h1, Manuel de l'officier dans l'empire du Maroc, année 1844 ; A.G.V., 3h1, Rapport Marois - Strohl, 1877 ; A.G.V., 3h9, Rapport n° 30, juillet 1895 ; A.G.V., 3h16, année 1909 ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، الرباط، 1933،1929، ج. 2 وج. 5؛ م. الإفراني، *نزهة الحادي*، تح. ع. الشاذلي، الدار البيضاء، 1998 ؛ م. حجي، *الحياة الفكرية بالمغرب على عهد السعديين*، المحمدية، جزءان، 1977 ؛ م. الضعيف الرباطي، *تاريخ الضعيف*، تح. أ. العماري، الرباط، 1986 ؛ ع. العزيز الفشتالي، *مناهل الصفا*، تح. ع. گنون، تطوان، 1964 ؛ م. العربي المشرفي، *ذخيرة الأواخر والأوائل فيما يتضمن من أخبار الدول*، مخطوط خ. ع. ك 2659، جزء 2، ص. 28،27.

A. Dziubinski, *L'armée et la flotte de guerre marocaines à l'époque de la dynastie saadienne*, H.-T., vol. XIII, 1972.

مصطفى الشابي

الطبخ المغربي، الذي أصبح اليوم محط اهتمام العديد من الجهات والأطراف : (مستثمرين في السياحة وأصحاب البرامج التلفزيونية وصحفيين وكتاب للعديد من المجلات والمؤلفات في الطبخ وشركات الضيافة والتموين وغيرها...). هذا الطبخ من الصعب جدا تناوله والبحث فيه بكيفية علمية تاريخية ؛ فما نتلذذ به اليوم من مأكولات ومشروبات وحلويات ليست وليدة فترة قصيرة ؛ بل هي نتاج لسيرورة تاريخية طويلة بدأت منذ ظهور الإنسان على هذه الرقعة من العالم (آثار ما قبل التاريخ).

وللبحث في الموضوع علميا ووضع تصور تاريخي أولي لا بد من الأخذ بمنهج تكاملي بحيث نرجع إلى المصادر المكتوبة للبحث في الأصول والبدايات والتطور ؛ وفي حالة انعدامها ننطلق من الميدان، مما هو موجود، ولحسن حظ الباحث الميداني أنه سيجد الكثير من عناصر الطبخ المغربي ما تزال على ما هي عليه منذ أزمنة بعيدة إن لم نقل إنها بقيت كما ظهرت، خاصة في بعض المناطق وعند بعض الفئات من السكان، وتكملة للميدان يمكن الرجوع إلى المتاحف والآثار والدراسات الأنطروبولوجية على قلتها وعلاتها.

برجوعنا إلى المصادر المكتوبة لم نجد إلا مصدرين أو ثلاثة تعرضا للموضوع بشكل مفصل أحدهما اعتبر مفقودا ويعود الثاني إلى الفترة المرينية (فضالة الخوان) ؛ وبعد العصر المريني ظهرت كتابات متنوعة معظمها رسائل وأرجوزات تؤرخ لدخول مادة جديدة إلى المغرب مثل الشاي، وكيفية التعامل معها واستعمالها، إضافة إلى مقامات قليلة ألفت على غرار فن المقامات في المشرق تصف ما هو معروف في وقتها من مأكولات ومشروبات (وهي متأخرة جدا)، وما عدا ذلك لا نكاد نجد في المصادر المختلفة إلا إشارات عرضية وبعض المأكولات والمواد الغذائية والولائم ؛ وينفرد الحسن الوزان (*وصف إفريقيا*) بمدنا لمعلومات مفصلة ودقيقة تساعد على تكوين صورة ونظرة تاريخية عن الطبخ المغربي والمأكولات في نهاية العصر الوسيط وبداية التاريخ الحديث (*وصف إفريقيا*).

والمغرب بحكم موقعه الجغرافي كان منتهى هجرات العديد من الشعوب، وحتى بعد فتح الأندلس وتوسع الإمبراطورية الإسلامية ظل يلعب الدور نفسه بحكم وجوده في الزاوية الشمالية الغربية للقارة الإفريقية أي إليه كانت تنتهي الطرق البرية ؛ وهذا التأثير الجغرافي تجلى في تنوع ساكنته :

(البربر بأصنافهم الثلاثة والزنوج (السودان)، والعرب بصنفيهم : الهلاليون والمعقليون ثم العناصر الأندلسية). هذا على المستوى الإثنوغرافي أما على المستوى الحضاري فبحكم موقعه على الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط فقد تلقى تأثيرات الشعوب والحضارات المحيطة به : (الفينيقيون والإغريق والرومان والوندال والبيزنطيون والإيبيريون والدويلات الإيطالية وغيرها...).

هذه التأثيرات وأن تفاوتت نسبها والتعرف عليها من خلال الوثائق والآثار فإننا يمكن أن نلمسها في كثير من المجالات في المغرب ومنها الطبخ المغربي ؛ لقد قيل قديما : إذا أردت معرفة المستوى الحضاري لشعب معين فانظر إلى فنونه ومطبخه ؛ والمطبخ المغربي غني ومتنوع منذ القديم والشهادات الأولى للرحالة الذين زاروه تثبت ذلك، فالتاجر البغدادي ابن حوقل (ق. 4 / 10) قال لما زار بلد أغمات : "... وليس بالمغرب كله بلد أجمع ولا ناحية أوفر وأغزر وأكثر خيرا منها فقد جمعت فنون المآكل كلها ذات الصرود والجروم..." (*صورة الأرض*، 91)، ويؤكد ذلك أبوعبيد البكري (ق. 5 / 11) بصيغة أخرى : "... سوق أغمات وريكة يقوم يوم الأحد بضروب السلع وأصناف المتاجر يذبح فيها أكثر من مائة ثور وألف شاة وينفذ في ذلك اليوم جميع ذلك..." (*المغرب*، 153).

انصهرت في المطبخ المغربي كثير من التأثيرات الحضارية فأعطته التميز والهوية - التي أعجب بها الجميع - وليس من التعصب أو الشوفينية القول بمطبخ مغربي بل إنه استحق الصفة والهوية علميا وعن جدارة ؛ ويمكن استنتاج ذلك من استعراض المراحل التاريخية التي مر منها، بدءا بمرحلة ما قبل التاريخ والتاريخ القديم وإلى اليوم ؛ ويمكن للباحث أن يجد آثارا وتعايشا في المطبخ المغربي للمراحل التاريخية كلها مثل مرحلة الالتقاط والصيد وبداية الزراعة إلى ظهور

الخبز والكسكس وصولا إلى الشاي (ابتداء من ق 18 م) ثم الطبخ العصري المرتبط بفترة الاستعمار الفرنسي والإسباني للمغرب.

تبتدئ المرحلة الثانية حسب ما يستنتج من قراءة المصادر المكتوبة من بداية العصر الوسيط حيث ارتكز الطبخ المغربي على مواد الصيد والقنص وبقايا الالتقاط والتي اختلفت من منطقة إلى أخرى (من الساحل نحو الداخل ومن الشمال إلى الجنوب) ومن فصل إلى آخر ؛ ثم اللحوم المشوية (*أحسن التقاسيم*، 238) ؛ ورغم أن الكسكس (الكسكسو) من المأكولات الأساسية الأصيلة في المطبخ المغربي فإن الإشارة إليها في المصادر قليلة وتعود الإشارة الأولى إلى التاريخ الحديث لكن ذلك لا يعني عدم وجودها أو انتشارها، فالكسكس كان الأكلة العادية بل هي ما ميز البرابرة وخاصة منهم فرع البرانس : "نحن قوم نحلق الرؤوس ونلبس البرنوس ونأكل الكسكس" (*العبر*). الإشارة المتأخرة عن الكسكس ترجع إلى أمر غير عادي فقد وردت مرتبطة بالتصوف والصلاح : "...إن قدور مطبخته الكبرى ـ (عبد الله الكوش المراكشي) ـ يطبخ فيها ثوران مرة واحدة ويذبح في كل يوم البقر والغنم والإبل وعنده بلاط مجصص يبرد فيه الكسكس بالألواح كما يفعل بصابة الزرع عند التذرية والتصفية..." (*دوحة*، 108).

يمكن ملاحظة بداية تطور المطبخ المغربي إن لم نقل تحوله الكبير في المرحلة الثالثة التي يمثلها العهد المرابطي والموحدي والعصر المريني الأول، حيث عرف المغرب تطورا سياسيا كبير إذ أصبح يحكم إمبراطورية شاسعة فازداد الاحتكاك بشعوب وأجناس كثيرة وصحب ذلك تطور وازدهار اقتصادي (تجاري وفلاحي) كان له انعكاس على المطبخ المغربي، بدخول مواد جديدة وطرق مبتكرة للطبخ وتحضير الوجبات وتقديمها. وبصفة عامة فالمطبخ المغربي في العصر الوسيط ـ الأعلى والأوسط ـ لم يعرف بهارات وتوابل كثيرة وخضرا متنوعة (*التشوف*) وأهم ما سجلته المرحلة هو بداية الاهتمام الرسمي بالمطبخ المغربي، فالخليفة الموحدي عبد المومن أمر بتأليف كتاب في الطبخ.

وتبتدئ المرحلة الرابعة من العصر المريني الثاني حيث ازداد الارتباط بالأندلسيين، وبداية هجرتهم نحو المغرب، ويمكن القول إن الحضارة المغربية الأندلسة بدأ تشكليها منذئذ ويمكن ملامستها والوقوف عليها في شتى المجالات : المعمارية والفنية وفي اللباس والعادات والتقاليد والحياة الدينية والطبخ. وقد مست التأثيرات في المطبخ بالخصوص طرقا جديدة في الطبخ وإدخال مواد جديدة من توابل ومخللات ومصبرات وحلويات وأساسا طرق التحضير والتقديم (*وصف إفريقيا*).

امتدت هذه المرحلة إلى النصف الأول من ق. 20 (دخول الفرنسيين والإسبان إلى المغرب) مع بعض التأثيرات الإضافية خاصة العثمانية والتي يمكن إعطاء أمثلة منها في "الطاجين بالبرقوق واللوز المقلي والبيض واللحم". أما الطاجين المغربي فمعروف منذ نهاية العصر الوسيط : "طاجين بالخضر" و"طاجين الحوت" (*بهجة الناظرين*، 125) وبتتبعنا للمصادر ومقارنتها بالميدان وببعض الدراسات يمكن أن نقف عند كل عنصر على حدة فالتأثير السوداني مثلا نلمسه في الوصفات التي تعرف خليطا من اللحم سواء اللحم الباطني (التقلية) أو الخارجي المعروف بـ"هرتوكة" خليط من لحم الرأس البقري وأطراف من لحم بقرة يطبخ في الماء مع شحمه وكذلك الرأس المبخر والكرعين "هرگمة" وغيرها... ونلمس التأثيرات الأندلسية في "الخليع"، اللحم المفروم، الأسماك المقلية، قلي بعض الخضر كالفلفل... الخ.

ويشكل المطبخ المغربي اليوم ثالثة الأثافي التي تقوم عليها السياحة : (الكسكس ـ الطاجين ـ المشوي ـ الشاي المنعنع).

المعمار التقليدي في المدن العتيقة (الأقواس، الزليج ـ القاشاني النقوش والزخرف، النحت على الخشب) وفي البوادي، القصبات القصور حيث الأصالة والبساطة.

الفنون : الموسيقى الأندلسية (في المدن) الملحون والفنون الشعبية في البوادي وإذا أضفنا إلى ذلك اللباس التقليدي : في البوادي والمدن. الجلباب الأبيض الطربوش الأحمر واليلغة الصفراء للرجال في المدن والقفطان للنساء واللباس البدوي (حسب المناطق) فإن مقومات الهوية المغربية تكتمل.

ابن رزين، *فضالة الخوان*، الرباط، 1981 ؛ ميراندا، *كتاب الطبخ في المغرب والأندلس*، مجلة المعهد المصري بمدريد، 1961 ـ 1962 ؛ البتوري، *شرح الأرجوزة الفائقة*، مخطوط ؛ الزموري، *شرح أرجوزة الزموري في أناي*، م. د. 1709 أ. المكناس، *خارطة أثرية للمغرب القديم* ؛ ابن حوقل، *صورة الأرض*، ليدن، 1926 ؛ ابن خلدون، العبر، 1967 ؛ المقدسي، *أحسن التقاسيم*، ليدن، 1938 ؛ البكري، *المغرب*، الجزائر، 1911 ؛ الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1980 ؛ ابن عسكر، *دوحة الناشر*، الرباط، 1976 ؛ ابن الزيات، *التشوف*، الرباط، 1984 ؛ ابن عبد العظيم، *بهجة الناظرين*، مرقون، كلية الآداب بالرباط.

P. Ricard, *Gîteaux berbères*, *Hesp.*, VI, 1926 ; Brignon [et al.], *Histoire du Maroc*, Paris, 1967.

محمد حجاج الطويل

الطبل، آلة موسيقية إيقاعية أسطوانية الشكل، ارتبط استخدامها بكثير من أنماط الموسيقى المغربية، وخاصة منها الأنماط الشعبية والبدوية. ويدل شيوعها في هذه الأنماط على قدمها بالمغرب ومنذ أن تسربت إلى مناطقه الجنوبية الصحراوية من البلاد الافريقية رفقة العناصر الزنجية التي استقرت بهذه المناطق.

وقد واكبت الطبول في البدء المواكب الملكية منذ العهد المرابطي، فأصبحت على حد تعبير ابن خلدون من شارات الملك، "فلما كان عهد الموحدين زادت كبرا وضخامة، وأصبح استعمالها مقصوراً على السلطان ومحظوراً على من سواه من العمال، فإذا تحرك موكب الملك أخذت الطبول تدق خلف ساقته، وليس لأحد من الناس أن يضرب طبلة غيره لأنها من خصائصه".

وقد زاد شأن الطبول علوا عند بني مرين حتى بلغت في موكب أبي الحسن المريني مائة طبل. ومع تفكك الدولة المرينية وقيام بني وطاس لم تعد الطبول بمفردها ترافق المواكب الملكية، بل الحقت بها الأبواق ؛ فلما آل الحكم إلى المنصور السعدي تقلص دورها الرسمي لفائدة آلات النفخ النحاسية، وأخذ حضورها يتقوى في المحافل الشعبية لتصبح على العهد العلوي الآلة الأكثر استعمالا في المجموعات الشعبية من قبيل أحواش تاليوين، وطوائف گناوة، وفرق الطبالين والغباطين.

والطبول بالمغرب متنوعة الأشكال مختلفة الأحجام. وأكبرها الطبل المعروف باسم "گانگا"، وهو زنجي الأصل ويستخدم في رقصة الدست إحدى رقصات أحواش، وطبل گناوة الذي يضرب طرفه الأعلى بقضيب معقوف الرأس بينما يضرب طرفه الأسفل بقضيب صغير يمسك باليد اليسرى. ومنها أيضاً :

- الطبيلة. وهي طبلة مزدوجة تستخدمها في الغالب المعلمات في الغناء الحضري.

- ادجون، وهو طبل صغير أشبه بالدف، ويستخدم في مصاحبة أغاني منطقة الريف. وهناك طبول أخرى منتشرة في الأقاليم الجنوبية المغربية، ومنها :

- طبل "الكونتا"، وهو الذي يستخدمه الحراطين والعبيد، ويطلقون عليه أيضاً اسم "الدندون".

طبل "الگدرة". وهو عبارة عن جرة من طين تضرب عليها الراقصات الصحراويات بأيديهن في مصاحبة "رقصة الگدرة" الشهيرة.

طبل "الايگاون". وهو طبل ضخم مستدير، قاعدته نصف قرعة مجففة تغطي أعلاها قطعة من الجلد السميك، وتشد أجزاءه عشرة حبال متينة. والايگاون - مفرده ايگيو - هم منشدو الشعر الحساني في أقاليم الجنوب المغربي.

والطبول في الغالب مصنوعة من عود على شكل دوائر، باستثناء طبل "الكونتا" الذي يصنع من القرن المجفف، وهي أيضاً مغلفة بالجلد من أحد الجانبين، وقد يغلف بعضها من الجانبين معا كطبول گناوة.

ومن الطبول ما يوضع على الأرض كطبل الگدوة وطبيلة المعلمات، ومنها ما يحمل على الكتف كطبول غياثه بالقرب من تازة أو كطبول گناوة.

ابن أبي زرع، *الذخيرة السنية* ؛ ابن خلدون، *المقدمة*، المطبعة التجارية، ص. 209 - 257 ؛ القلقشندي، *صبح الأعشى*، ص. 308.
Odette de Puigaudeau, *H.-T.*, V. IV, fasc. 3, p. 347, 1968

عبد العزيز بن عبد الجليل

طبودة، الحسين، ولد سنة 1916 بكزناية بيرو تيزي وسلي، دائرة اكنول إقليم تازة.

كان من الوطنيين الغيورين على بلادهم الذين ضحوا بالغالي والنفيس من أجل الحرية والاستقلال ورمز السيادة المغربية. وقد شارك بشكل فعال في عملية تأسيس جيش التحرير بالريف استعداداً لخوض المعركة الحاسمة ضد العدو. وفي 1 - 10 - 1955 شارك إلى جانب رجال المقاومة في أول عملية هجومية ضد جنود الاستعمار بمركز تيزي وسلي حيث انطلقت العمليات المسلحة.

انتقل إلى رحمة الله بتاريخ 6 يوليوز 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 521666.

الطبوع مصطلح موسيقي ينحصر تداوله في الموسيقى الأندلسية بدول المغرب العربي. وقد قابله المؤتمر الأول للموسيقى العربية المنعقد بالقاهرة عام 1932 بمصطلح "المقام" في الموسيقى العربية المشرقية.

وقد انتقل تداول هذا المصطلح إلى غناء شعر الملحون بالمغرب منذ أن تبنى هذا الفن بعض طبوع الموسيقى الأندلسية.

ويبدو مفهوم "الطبع" أوسع دلالةً من مفهوم "المقام" الذي ينحصر في الدلالة على "السلم الموسيقي". ذلك أن الطبع ينسحب - مفهوماً أيضاً - على الخصائص اللحنية ذات التأثيرات النفسية، وبذلك فهو يشكل إحدى أهم خصائص المدرسة الموسيقية بالمغرب والأندلس.

وفيما تدل المصادر على أن مصطلح "المقام" لم يكن شائعاً قبل القرن الرابع عشر / الثامن إذ أن أول مصدر يرد فيه ذكره هو مخطوط *"درة التاج لغرة الديباج"* لقطب الدين الشيرازي المتوفى سنة 1310 / 710، فإن مصطلح "الطبع" يعود بنا إلى القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، فنجد ابن الخطيب يذكر أنه نقل عن الششتري (ت. 668) طبوع الذيل، وعرق عرب، ورمل ماية.

ويرتبط استعمال "الطبع" بمبدإ التأثير الذي تعكسه نظرية الايتوس Ethos اليونانية. وقد اكتست هذه النظرية أهمية كبرى منذ القرن الثالث، وعرض لها الكندي وإخوان

الصفا بتفصيل. وهي تتصل بالفكرة السامية القديمة لشرائع صائبة حران وبنظريات قدماء اليونان التي تزعم أن كل كائن على وجه الأرض متأثر بكائن آخر سماوي، وبذلك فهي تضع مقابلات تجريدية ميتافيزيقية بين الظواهر الطبيعية وبين عناصر ومقومات العمل الموسيقي :

- نغمات السلم السباعي : تقابل الكواكب السيارة السبعة.

- ملاوي العود الأربعة، وأوتاره الأربعة، ودساتينه الأربعة : تقابل البروج الأثني عشر.

- اوتار العود : تتعامل مع الطبائع الكونية، وهي الرياح والفصول والأمزجة والقوى العظيمة والألوان والعطور وأرباع دائرة البروج والقمر...

وقد كانت الموسيقى اليونانية العتيقة قائمة على مجموعة من المودات Modes شكل كل واحد منها سلماً متميزاً يتكون من جنسين أو عقدين Tetracordes، ولما اهتم الفلاسفة اليونان الأقدمون بنظرية الايتوس، فإنهم صنفوا هذه المودات (طبوع) بحسب أصناف التأثير التي تحركها، كمشاعر الألم والسعادة والحكمة والشجاعة، وأحاسيس الحزن والبكاء والنياحة.

وقد استمر تعدد هذه المودات أمراً قائماً حتى أواخر القرن الرابع بعد الميلاد عندما حصر سان امبرواز (St. Ambroise) قس ميلانو الطبوع الاغريقية في أربعة أصبحت تعرفُ فيما بعدُ بالطبوع الأصلية Modes authentiques.

وقد تنكّر منظرو الموسيقى الأوربية لنظرية الايتوس ابتداء من عصر النهضة (1685 - 1750).

أما المنظرون والفلاسفة العرب فكانوا - منذ عهد الكندي - يؤمنون بارتباط الظواهر الطبيعية بأوتار العود الأربعة، وحتى عند مازاد زرياب في هذه الآلة وترا خامسا فإنما ليكمل في عوده قوى الطبيعة الأربع ويقيم هذا الوتر مقام النفس من الجسد. وبذلك يتضح أن صنيعه لم يكن لرغبة في توسيع المساحة الصوتية للعود بقدر ما كان استجابة لغرض تجريدي.

ويعكس الجدول التالي صورة ارتباط أوتار العود بالظواهر الطبيعية عند العرب :

الأوتار	الألوان	العناصر الكونية	الطبائع البشرية	الصفات
الزير	أصفر	النار	الصفراء	حار / رطب
المثنى	أحمر	الهواء	الدم	حار / يابس
المثلث	أبيض	الماء	البلغم	
البم	أسود	التراب	السوداء	
وتر زرياب	أحمر دموي	الحياة	الروح	

وابتداء من عهد الفارابي حدث عزوف واضح من النظرية الميتافيزيقية للطبع الموسيقي، وقام بديلاً عنها اتجاه طبيعي رياضي وتجريبي يعتمد على فيزيائية الصوت الموسيقي.

ويبدو أن المدرسة المغربية الأندلسية حافظت على النظرية العتيقة، وتوجهتها بابتكار نظرية تجريدية حديثة هي نظرية "شجرة الطبوع" التي تجسد ارتباط الطبوع الأهلية والفرعية بالطبائع. وفيما يلي جدول يبيان هذا الارتباط كما في كتاش *الحايك* :

الطبوع الأصلية	الطبوع الفرعية	الفصول	الطبائع
الذيل	رصد الذيل - استهلال الذيل - عراق العجم - عراق العرب - مجنب الذيل - المشرفي	الخريف	السوداء
الزيدان	الاصبهان - العشاق - الحصار - الحجاز الكبير	الشتاء	البلغم
الماية	رمل الماية - انقلاب الرمل - الحسين - الحجاز المشرقي - الرصد - الزوركند	الربيع	الدم
المزموم	غريبة الحسين - حمدان	الصيف	الصفراء
الغريبة المحررة	لا يتفرع عنه شيء	—	—

ومن المنظرين المغاربة الذين اهتموا بنظرية الطبوع ونسبتها إلى الطبائع :

- محمد البوعصامي في رسالته "إيقاد الشموع للذة المسموع بنغمات الطبوع". وقد كان حيا في منتصف القرن الثاني عشر.

- محمد بن الحسين الحايك في كتاشه الشهير باسمه. وقد انتهى من جمعه عام 1214.

- أحمد اخضري في كتابه *ديوان الأمداح النبوية* وذكر النغمات الطبوع وبيان تعلقها بالطبائع الأربعة. وقد كان حياً أواخر المائة الثانية عشرة.

- الحاج محمد بن العربي الدلائي في كتابه "*فتح الأنوار في بيان ما يعين على مدح النبي المختار*" وقد توفي عام 1285.

- إبراهيم التادلي في كتابه *أغاني السقا وصغائي الموسيقى*. وقد توفي عام 1311 ومن المنظومات الرجزية التي ألمت بهذا الموضوع :

- منظومة الفقيه والقاضي عبد الواحد بن أحمد الونشريسي المتوفى عام 955. وقوامها أحد عشر بيتاً، ذيلها محمد بن علي الوجدي الغماد المتوفى عام 1033 بأربعة أبيات أخرى في نفس الموضوع.

- منظومة العالم الموسوعي عبد الرحمن الفاسي المتوفى عام 1040. وهي تحت عنوان : *المجموع في علم الموسيقى والطبوع*.

- منظومة الأديب سليمان الحوات الحسني المتوفى عام 1231 وعنوانها : *كشف القناع عن وجه تأثير الطبوع في الطباع*.

اخوان الصفاء، *الرسائل*، ج. 2، ص. 186 ؛ ابن الخطيب، *نفاضة الجراب في علالة الاغتراب*، ج.3، ص. 238 ؛ الكندي، *أجزاء خبرية في الموسيقى*، المقالة الثانية، تح. زكريا يوسف، بغداد،

1962 ؛ عبد العزيز بن عبد الجليل، *معجم مصطلحات الموسيقى الأندلسية المغربية*، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الرباط، 1992، ص. 31 ؛ *الموسيقى الأندلسية المغربية، فنون الأداء*، سلسلة عالم المعرفة، 1989، ص. 61 ؛ فارمر، *تاريخ الموسيقى العربية*، ص. 177.

الطبيلة، أحد أنواع الطبول بالمغرب وهي عبارة عن طبلتين صغيرتين صنعتا من طين مطبوخ، إحداهما أكبر من الأخرى، ويربط بينهما حبل متين.

ولكل طبلة فوهتان متفاوتتان في الاتساع، ويغلق أوسعهما بقطعة من الجلد. وعند استخدام الطبيلة فهي توضع على الأرض، وطرفاها المغلقان إلى أعلى، فينقر عليهما بكلتا اليدين بواسطة قضيبين من عود.

تستخدم هذه الآلة في أوساط المعلمات، وهن المطربات اللائي يردين الأهازيج الشعبية في المناسبات العائلية كالعقيقة والختان وحناء العروس والزفاف، كما تستخدم في أوساط عيساوة، وهي عند هؤلاء تعرف باسم "الطار".

وقد تبنت هذه الآلة في السنوات المتأخرة مجموعة ناس الغيوان واعتمدتها كآلة رئيسية لضبط الإيقاع.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الطجين أو الطاجين، هكذا جاء رسمه في إشارة تكاد تكون يتيمة وردت عند عبد العظيم الازموري في *بهجة الناظرين*، فقد عدد المؤلف مكرمات جده الأعلى من آل أمغار دفين تيط (مولاي عبد الله أمغار حاليا)، ومنها أنه كان يكاشف بأشياء غيبية من قبيل ما يدور في خلد زواره ومتمنياتهم، ومن ذلك ما جاء في الكتاب بخصوص ثلاثة متصوفة زاروه في بيته بتيط فلم يجدوه فذهبوا إلى حيث قيل لهم إنه موجود، وهو بستان يشتغل فيه بنفسه ؛ وفي طريقهم إليه كان كل واحد منهم يقول للآخر ما يريد أكله عند الشيخ : فقال أحدهم تمنيت أن آكل عنده الخبز والبطيخ وقال آخر تمنيت أن أكل عنده الخبز والعنب، أما الثالث فتمنى أن ياكل عنده الخبز والحوت، فكان لكل واحد منهم ما تمنى. ومن ذلك طاجين الحوت (*بهجة*، 126).

والطجين من فعل طجن طجنا وطجن الشيء قلاه ومنه الطاجن والطجين وهو ما يقلى فيه وجمعه طياجن وطواجن. والفعل من الدخيل على العربية. وإذا عدنا للإشارة الواردة في بهجة الناظرين في منطقة دكالة وتساءلنا : هل يتعلق الأمر بالإناء الذي قدم فيه الحوت أم بطريقة تحضير الحوت وطهيه فالمعروف اليوم أن اسم الإناء انتقل ليشمل المحتوى وطريقة الطبخ، فأصبح الحديث عن الطاجين الفاسي والمكناسي وطاجين أسفي والمراكشي والرباطي إلى غير ذلك مما هو مفصل ومشروح في كتب الطبخ.

فالمقصود هنا طريقة الطبخ والمواد المطبوخة والمحضرة أو المقدمة في الطاجين، أما الإناء نفسه فتشير كتب الطبخ اليوم إلى الطاجين السلاوي وهو الطاجين المعروف والموجود في الأسواق اليوم وهو من فخار، بني اللون، قطره وظهر غطائه وجوانبه مطلية بالبرنيق، فهل الأصل في صناعته مدينة سلا ؟ المصادر لا تسعفنا في الجواب، لكننا يمكن أن نخرج بمقارنة الإشارات الواردة في المصادر الوسيطية وبما هو عليه الحال اليوم، فمراكز صناعة الخزف التقليدي متعددة في المغرب وقد عرفت بعضها تطورا كبيرا حتى أصبحت مصنوعاتها متميزة مثل أسفي وسلا وفاس ومراكش وغيرها.

لكن المصادر الوسيطية تعطي السبق في صناعة الفخار لدكالة. وبرجوعنا للإشارة في *بهجة الناظرين* والتي تعود إلى القرن السادس (12 م) نستطيع القول إن الطاجين ظهر أول ما ظهر في دكالة وأنه سابق بزمن غير يسير عن الطاجين السلاوي وأن شهرة مدينة أسفي اليوم - وكانت ضمن مجال دكالة التاريخي - وتمثيليتها للخزف المغربي لم تأت من فراغ ؛ بقي أن نتساءل مرة ثانية : هل الطاجين كإناء أو ماعون، والطاجين كمحتوى وطريقة للطبخ، هل هو مغربي أصيل أم أنه مستورد ؟

من الصعب الإجابة على السؤال باليقين، فالمسألة ولا شك ترتبط بعلاقة المغرب بالأندلس وخاصة بعد الارتباط السياسي في عهد المرابطين والموحدين، فالأندلس كانت على درجة كبير من التقدم والتطور في الكثير من شؤون الحياة ومنها الطبخ وقد تأثر بذلك الأمراء والملوك والأعيان المغاربة العرب والبرابرة، فألفت لهم كتب في هذا الميدان بطلب منهم.

ومن ضمن ما تتطرق إليه هذه الكتب أدوات ومواعين الطبخ. ولا شك أن التأثر ظهر في دكالة باعتبار العلاقة والارتباط بينها وبين الأندلس بحرا كان نشيطا إن لم نقل مزدهرا وطبيعي أن يتبلور التأثير الأندلسي في قاعدة الإقليم مدينة أسفي؛ أما الطاجين السلاوي فلا شك أنه تطوير للطاجين الدكالي في طريقة الصنع وفي رخص التكاليف مما جعله ينتشر أكثر في فترة تراجعت فيها مدينة أسفي ودكالة عموما بسبب الاستعمار البرتغالي.

ومن الناس (رواية شفوية) من يعتقد أن الطاجين كأداة وكطبيخ من تأثير تركي. وهذا مستبعد بسبب الفارق الزمني الكبير، فالعثمانيون لم يظهروا على مسرح الأحداث ولم يصلوا في توسعهم إلى حدود المغرب إلا في القرن 16 م، والإشارة التي وردت في المصدر المذكور تعود إلى القرن 12 م. ومما يؤكد ما ذهبنا إليه أن الإشارة الثانية عن الطاجين كأداة طبخ تعود إلى بداية العصر المريني في المغرب والأندلس ويتعلق الأمر بكتاب *فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان* لابن رزين التجيبي فقد استعرض مواعين وأدوات المطبخ والطبخ ومنها "طاجين الحديد" ص. 98 و"طاجين فخار" ص. 13، فإنشاء هذه الأدوات ومواعين الطبخ ووصفات الطبخ التاريخية تعود إلى الحضارة المغربية الأندلسية التي بدأ تشكلها منذ وصول المغاربة إلى شبه الجزيرة الإيبيرية لتتضح أكثر في العهد المرابطي والموحدي وتبلغ درجة اكتمالها في العهد المريني وما بعده.

أما التأثير التركي فقد لا يتجاوز وصفة من الوصفات المطبخية مثل الطاجين بالبرقوق.

الماجري، *بهجة الناظرين*، مرقون كلية الآداب بالرباط، ش د ج ع 1985.1986 ؛ ابن رزين، *فضالة الخوان*، الرباط، 1981 ؛ ابن مرزوق، *المسند الصحيح*، الجزائر، 1981 ؛ ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، القاهرة بدون تاريخ، الدار البيضاء، 1989 ؛ معيار الاختيار، المحمدية، 1976 ؛ ميراندا، *الطبخ في المغرب والأندلس* (تحقيق)، مجلة المعهد المصري بمدريد 1961.1962.

محمد حجاج الطويل

الطحطاح، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني گرفط الهبطية، انقرضت بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى 1900)* تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 809.

الطرابلسي، أسرة تطوانية أصلها من الجزائر وكانت من بين الأسر التي هاجرت إلى تطوان سنة 1840. وكان جل أفرادها يتعاطون للصيد البحري، وقد انقرضت بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى 1900)* تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 811.

محمد ابن عزوز حكيم

الطرابُلسي، أسرة سلوية أصلها من طرابلس الغرب، ينسب أهلها إلى الشرف، وعرف منها أشخاص عملوا في الجهاد البحري وكان منهم فقهاء وأدباء مثل إبراهيم الطرابلسي المولود سنة 1260 والمتوفى سنة 1365 بسلا بعد أن عُمِّر طويلاً، كان من شعراء الملحون السلاويين، وسلام الطرابلسي الذي كان سنة 1181 / 1768 من رؤساء البحر، وكان يقود سفينة "المعونة" ذات 330 بحرياً و45 مدفعاً نحاسياً، ومحمد الطرابلسي فقيه وعدل بسلا كان سنة 1300 لا يزال بقيد الحياة.

م. الفاسي، *شعراء الملحون السلاويون في المناهل*، العدد 33، ص. 22 ؛ م. بوشعراء، *ذيل الإتحاف الوجيز*، 228، ط 2 ؛ *كتاب هوست الدانماركي عن المغرب*، سنة 1179 ؛ م. بوشعراء، *ذيل الإتحاف الوجيز*، 228، ط 2 ؛ ابن زيدان، *الإتحاف*، 3 : 262 ؛ م. بوشعراء، *التعريف*، 2 : 58، وذيل، *الإتحاف الوجيز*، 228، ط 2 ؛ الوثائق الملكية ؛ ابن زيدان، *الإتحاف*، 3 : 268 ؛ تاريخ الضعيف، ص. 195 ؛ م. بوشعراء، *ذيل الإتحاف الوجيز*، 228، ط 2 ؛ *وثائق الخزانة الصبيحية*.

R. Coindreau, *Les corsaires de Salé*. 90.

مصطفى بوشعراء

الطرابلسي، أمجد بن حسني الدمشقي، شاعر وكاتب، وباحث ومحقق، وأستاذ جامعي ووزير، من أصل سوري. أقام بالمغرب إحدى وثلاثين سنة أستاذاً بجامعة محمد الخامس بالرباط. ولد بحي السريجة بالعاصمة السورية دمشق في 10 رجب 1334 الموافق 13 ماي 1916. كان والده ضابطا في الجيش العثماني، ثم ضابطا في الجيش الفيصلي، وأمه تنحدر من أسرة دمشقية تعرف بأسرة عمر باشا. وكان الحبة الأخيرة من عنقود الأسرة، كما يقال. فقد أمجد أمه سنة 1918. أي بعد سنتين من مولده، وفقد والده سنة 1925 ؛ فكفله جده. [وكان أول ما نشره، في مجلة الرسالة، أبريل 1934، وهو تلميذ في التعليم الثانوي قصيدة بعنوان : *خيال أمي غابٌ*. تنظر في ديوانه : كان شاعراً، ص. 125].

وبالرغم من يُتمه المبكر، فقد نشأ أمجد في جو محافظ، مفعم بالرعاية والحنان، تسري فيه روح الدين الإسلامي الحنيف ؛ ممّا طبع شخصيته ونفسيته، وكان له بالغ الأثر في تربيته وتكوينه على مدى عمره. وكان والده ذواقة للأدب، حادَّ الذكاء، ملمّاً بالفرنسية والألمانية. ولعل روح هذا الوالد كان لها بعض الأثر على أمجد ؛ إن لم نقل الأثر العميق في ميوله الأدبية وحبه للكلمة.

بدأ تعليمه في كتاتيب دمشق، ثم بالمدارس الرسمية حيث أحرز على الشهادة الابتدائية ؛ فالتحق بعدها بـ"ثانوية عنبر" سنة 1927. وهي الثانوية التي كانت "تضم ـ كما قال عنها أمجد في حفل استقباله في مجمع اللغة العربية بدمشق ـ في عداد أساتذتها ثلاثة من فحول العربية كلهم أساتذتي، ولكل منهم عليَّ من الفضل ما لا يسعه عرفاني بالجميل، إثنان منهم كانا عضوين عاملين في المجمع، هما : عبد القادر المبارك وسليم الجندي، والثالث كان يشق طريقه إلى المجمع وهو محمد البَزَم. أعلام ثلاثة أحالوا المدرسة آنئذ إلى مجمع آخر بعلمهم الغزير ودروسهم الشيقة".

وظل قريبا من أستاذه محمد البَزَم مدة سنوات سبع، وقد تتلمذ له في الصفين السابع والثامن. وكان أستاذه هذا يلقبه بالنابغة، وهو بعدُ في السنة الثانية، "حتى أخذ رفاقي في الصف ينبزونني بهذه التسمية، بدلاً من تلك التي خصني بها أبواي"، كما جاء على لسان أمجد. فقد كان الأستاذ محمد البَزَم، يتحدث عن الطبع المتوقد لتلميذه أمجد، ويبدي إعجابه بنبوغه المبكر، وكان يجره جراً إلى قاعة الأساتذة ليقرأ في حضرتهم ما كتبه من إنشاء.

وكان يكافئه بين الفينة والأخرى، كما يكافئ كثيراً من زملائه، بأن يشتري له كتاباً، من أمهات كتب الأدب، ويضع عليه عبارة إهداء بخطه وإهدائه.

في هذه الثانوية العتيدة تفتقت عبقرية أمجد الطرابلسي، ومنها بزغت أسماء كثير من الأدباء والمصلحين في بلاد الشام.

من "ثانوية عنبر" هذه حصل أمجد على شهادة البكالوريا قسم الفلسفة سنة 1934، وهي سنة التي بدأ فيها ينشر شعره في مجلة *الرسالة* لأحمد حسن الزيات ؛ وهو لا يزال بعدُ تليمذاً في المرحلة الثانوية. وأخذ اسمه منذ ذلك الحين طريقه إلى الأوساط الأدبية في العالم العربي.

كان عمره يناهز التاسع عشرة حين رحل إلى قرية "جبات الزيت" في الجنوب من بلاد الشام، مروراً بالقنيطرة، سنة 1935 ؛ ليكون معلما بها. وفي السنة الموالية انضم إلى صف المعلمين، وبعد حصوله على الشهادة فيه ؛ ندبته وزارة المعارف سنة 1937 لتدريس اللغة العربية في ثانوية الكلية العلمية الوطنية في دمشق. وكان زميله فيها المرحوم خليل مردم بك الرئيس الأسبق للمجمع العلمي العربي.

وفي أواخر سنة 1938 أوفدته الحكومة السورية إلى فرنسا على نفقتها للتخصص في الأدب، وذلك إثر نجاحه في مسابقة مُعَدَّة لذلك.

كان من المقرر أن يعود أمجد من رحلته الدراسية بعد ثلاث سنوات، ولكن نشوب الحرب العالمية الثانية حال دون عودته إلى وطنه، فعقد العزم على مواصلة البحث والدراسة، فهيأ ليسانس في الأدب سنة 1941، ثم دافع عن أطروحته للدكتوراه في اليوم السادس من يناير سنة 1945 بباريس، تحت إشراف المستشرق الفرنسي ريجيس بلاشير (1900 - 1973). وخلال إقامته وغربته بباريس تزوج أمجد رفيقة دربه، السيدة الفاضلة : مونيك.

وعاد أمجد إلى وطنه ليعمل مدرسا في ثانوية التجهيز، وهي تحمل اليوم اسم "جودة الهاشمي" سنة 1945.

وفي سنة 1946، وبعد أن تم إنشاء كلية الآداب، جامعة دمشق، كان أمجد أول أستاذ يُعين بها لتدريس الأدب العربي، فبدأت رحلته المجيدة في تدريس التراث الأدبي، والنقدي، وترسيخ البحث في مجالات ذلك التراث. فكان من المؤسسين للتعليم الجامعي في بلاد الشام، وتميز أمجد في مساره العلمي بروح وطنية منقطعة النظير، وأبدى تفانيا في حب العربية وتراثها. وظل يدرس بكلية الآداب، جامعة دمشق إلى حدود سنة 1958.

وفي سنة 1958 تم الاتفاق على الوحدة بين سوريا ومصر، وفيها عيَّن الرئيس جمال عبد الناصر د. أمجد الطرابلسي وزيراً للتربية والتعليم في الإقليم السوري، ووزارة الثقافة مضافة إليها ؛ وكان ذلك في أول تعديل لحكومة الوحدة (24 ربيع الأول 1378 الموافق 7 تشرين الأول 1958). وأعاد الرئيس جمال عبد الناصر تشكيل الوزارة في 5 ربيع 1381 الموافق 16 آب 1961 فتسلم د. أمجد الطرابلسي وزارة التعليم العالي في دولة الجمهورية العربية المتحدة.

وفي سنة 1960 صدر في الخامس عشر من يونيو قرار رئيس الجمهورية العربية المتحدة بإنشاء مجمع اللغة العربية الموحد في إقليمي الجمهورية. وصدر قرار رئيس الجمهورية برقم (57) لسنة 1961 بتسمية كل من شكري فيصل ومحمد مبارك وأمجد الطرابلسي أعضاء في مجمع دمشق.

واستقال الأستاذ أمجد من وزارة التعليم العالي بتاريخ 1 جمادى الأولى 1381 الموافق 10 تشرين الأول 1961، وكان ذلك إثر استقالة الوزراء السوريين من حكومة الوحدة. وتبدَّد حلم الوحدة في 28 أيلول / سبتمبر 1961. واعتزل د. أمجد الطرابلسي العمل في هذا الميدان.

ومنذ أواخر سنة 1962 حل بأرض المغرب، وأقام الفترة الأولى من حياته بمدينة الدار البيضاء، ثم استقر بالرباط إلى يوم رحيله عن المغرب.

جاء الأستاذ أمجد إلى المغرب، وهو في أوج عطائه العلمي ؛ فوهب حياته وعلمه للتعليم الجامعي بالمغرب، وكانت الجامعة المغربية تتحسس حينئذ طريقها. فكان أحد الأعمدة التي قامت عليها. كرّس حياته للبحث العلمي فيها، وأفنى حياته في تكوين أجيال من الباحثين المغاربة، وظل يدرس ويؤطّر بحوث الإجازة ودبلوم الدراسات العليا وأطروحات الدكتوراه إلى أن تقاعد سنة 1992. وقد درّس في كل من الرباط وفاس (بكلية الآداب) ومراكش (كلية اللغة). وبقي بالمغرب سنة بعد تقاعده، ثم رحل إلى باريس في أكتوبر 1993 ليقضيَ بقية حياته بها.

كان الأستاذ أمجد من العقول المدبرة لمسار التعليم الجامعي بالمغرب، ومن المؤسسين لأكاديميته، والمتفانين في رعايته وتوجيهه، والعاملين على تحديد هويته. وشهد له الناس بالفضل لما أسداه من خير كثير للجامعة المغربية.

أحب الأستاذ أمجد بلاد المغرب، ووهب تعليمها الجامعي كل ما يملك من وقت وطاقة وعلم. وتعلق به طلبتها، وحل من نفوسهم مكانة خاصة جعلت منهم مريدين له.

وبعد انقطاع عن مجمع اللغة العربية بدمشق دام عشر سنوات، كان الاحتفال باستقبال الأستاذ أمجد سنة 1972 ؛ ومما قاله عن ارتباطه، منذ طفولته، بالمجمع : "كان لي هذا المجمع منذ تفتحت عيناي على أدب العرب، وتمرس لساني بلغة العرب ؛ وطناً في وطن، وأهلا إلى أهل. في "ظاهريته" تعلمت كيف أقرأ، وفي ندواته ومحاضراته كيف أفكر وأسمع. لا أذكر على وجه التحديد متى بدأ ترددي على قاعة الظاهرية ومحاضرات المجمع، فقد غاصت ذكرياتي عن كل هذا مع ما غاص في الماضي من خيالات الطفولة وصور

الصبا. ولربما تسرّبتُ إلى هذه المرابع وأنا تلميذ في (تطبيقات عنبر) أحبو إلى الحادية عشرة من سني".

ومما قاله د. شكري فيصل عن د. أمجد في حفل الاستقبال هذا :

"كان من هذا الجيل الذي يؤمن بالعمل فوق ما يؤمن بالنظر، والشعارات عنده لا تقوم مقام التطبيق، والأمنية لا تنقلب بالترداد واقعاً، والنصر ليس أنشودة.

كان من هذا الجيل الذي لا يوازن بين حق الوطن وحق المواطن ؛ ولكنه يعطي الوطن قيمة صوفية عميقة مجردة ؛ تتضاءل كل قيمة أخرى أن تطاولها، بله أن تقاسمها الوجود".

كيف كانت صورة أمجد في المغرب ؟

ـ كان من الرموز الثقافية في الجامعة المغربية، منذ التحق بها سنة 1962. وظل خلال مدة إقامته بالمغرب الأستاذ النموذجي للأستاذ الجامعي.

ومن آثاره العلمية :

أولاً : في مجال تأليف الرجال :

كان رؤيته التعليمية أن يتولّى تكوين الأجيال وإعدادها، ويلتزم بتأليف الرجال لا بتأليف الكتب. وهكذا تخرّجتْ على يديه في كل من سوريا والمغرب أجيال أصبحت لها مراكز كبرى في الإدارة والسياسة والتفتيش والتعليم الجامعي.

وقد كان الطلبة يوم قدومه إلى المغرب لا يتجاوز عددهم أصابع اليد. فقرّ عزمُه مع ثلة من علماء المغرب على إعداد باحثين مغاربة. وأغلب أساتذة هذه الجامعة اليوم هم من طلبة الأستاذ أمجد، أو هم من طلبة طلبته.

ثانياً : في مجال التحقيق وتأليف الكتب :

أ ـ في مجال التحقيق :

1) *زجر النابح لأبي العلاء المعري* (مقتطفات)، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، المطبعة الهاشمية بدمشق ـ ط 1 : 1385 / 1965 ـ ط 2 : 1982 [وهو كتاب رد فيه أبو العلاء على من تكلموا على أبيات من لزوم ما لا يلزم، ورموه بسببها بالكفر ؛ فألف هذا الكتاب للرد على الطاعنين في دينه. وقد أتيح للأستاذ أمجد العثور عليها في قسم المخطوطات بالمتحف البريطاني، لندن سنة 1954. وقال عن موضوع الكتاب ـ في مقدمة التحقيق ـ : "هو أحد التصانيف العلائية التي تكشف لنا عن الصراع الذي كان يدور في حياة أبي العلاء نفسه حول آثاره وآرائه ومسلكه في حياته وبين نفر من خصومه"، ص. 15 ـ ط].

2) *الصاهل والشاحج لأبي العلاء*، حققه في المغرب تلبية لرغبة مجمع اللغة العربية، الذي زوده بمخطوطتين ثمينتين ؛ تضمهما الخزانة الملكية بالمغرب. وقبل أن يُخرج الكتاب محققا في سلسلة منشورات المجمع، بادرت د. عائشة بنت الشاطئ إلى إخراجه، وأصدرت تحقيقا باسمها ؛ فتألم الأستاذ أمجد مما وقع. وظل تحقيق الأستاذ أمجد للكتاب مخطوطا، ولا يُعرف إلى اليوم المصير الذي آل إليه. ومن حسن الحظ أن الأستاذ أمجد كتب دراسة هامة حول "الصاهل والشاحج" نشرت في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق سنة 1974، وتقع في ثمان وثلاثين صفحة.

ـ في مجال النقد الأدبي :

3) *النقد واللغة في رسالة الغفران* (دروس وحاضرات ألقاها على طلاب شهادة آداب اللغة العربية بكلية الآداب، خلال العامين الدراسيين : 1949 ـ 1950 و1950 ـ 1951)، مطبوعات الجامعة السورية، دمشق، 1370 / 1951).

4) *نقد الشعر عند العرب حتى القرن الخامس للهجرة* [أطروحته للدولة تحت إشراف ريجيس بلاشير (1900 ـ 1973)، دافع عنها سنة 1945] (الطبعة الأولى بالفرنسية، منشورات المعهد الفرنسي بدمشق التابع لجامعة الصربون، 1956 ـ ترجمها إلى العربية : د. إدريس بلمليح، ط 1، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر، 1993).

5) *شعر الحماسة والعروبة في بلاد الشام أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين* (جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة، 1957).

ب ـ في مجال دراسة المصادر :

6) *نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب في اللغة والأدب* (خمس طبعات، أولها بمطبعة الجامعة السورية 1956، وآخرها سنة 1986 بالمغرب).

جـ ـ في مجال الإبداع الشعري :

7) ديوان شعر، عنوانه : *كان شاعراً* (من مطبوعات المجلس القومي للثقافة العربية 1993، وقد أهدى ديوانه إلى زوجته فقال : إلى رفيقة الدرب منذ خمسين عاماً، أم أولادي، وجدة أحفادي، مونيك الحبيبة، زوجتي).

ملاحظة : ما نشره الأستاذ أمجد في مجلة *الرسالة* لأحمد حسن الزيات، من أوائل سنة 1934 إلى أواخر 1940 يقدم ديوانا كبيراً لها.

ثالثاً : المقالات والمحاضرات :

له محاضرات ومقالات كثيرة نشرت في المجلات والدوريات، وما تزال موزعة في العالم العربي ولم يكتب لها الجمع. ومحاضراته تتوزعها عواصم الوطن العربي.

وفي يوم الأحد الثالث من شهر ذي القعدة 1421 الموافق ليوم 28 يناير 2001، انتقل إلى رحمة الله الأستاذ أمجد الطرابلسي، أستاذ الأجيال. وكان ذلك في الساعة الخامسة من صباح يوم الأحد، ودفن بمقبرة كوربفوا (Courbevoie) بباريس يوم الأربعاء 31 يناير 2001، عن سن يناهز 84 سنة.

عباس أرحيلة

الطرابلسي، الرايس سالم من الرياس المشارقة ذوي الأصول الطرابلسية، والذين انخرطوا في صفوف الأسطول المغربي على عهد سيدي محمد بن عبد الله. وقد بادر السلطان المذكور اعتباراً لأهمية الرايس سالم إلى إنشاء

سفينة عظيمة من أجمل القطع في أوراش مصب أبي رقراق سنة 1174 / 1760، من "طبقتين، وأنفق فيها مالا كثيراً.. ولما طلعت وأراد الخروج بها في البحر، ولم تقدر على الخروج لكبرها، أفرغ ما فيها وأخرجها بحيلة. وقد أنفق عليها نحو الأربعين قنطاراً أو أشد".

وقد تعرضت سفينته هذه في ذي الحجة سنة 1178 / 1765 إلى تهديد مباشر من طرف الأسطول الفرنسي المحاصر لمصب أبي رقراق، اضطر معها الرايس سالم إلى اللجوء بها وبقية السفن إلى داخل النهر قرب منارة حسان طيلة فترة الحصار والقصف. ونظراً لبراعته الملاحية، تبوأ الرايس سالم مرتبة رئيسية في الأسطول، وكان في سنة 1766 يقود فرقاطة من أكبر قطع الأسطول المغربي، مجهزة بأربعة وخمسين مدفعا، ويسير طاقما مكونا من ثلاثمائة وثلاثين رجلاً.

الضعيف، ص. 170 و172 ؛ وابن زيدان، *إتحاف*، ج.3 ، ص. 164، 165 و256 و259، 260، وأيضاً : Chenier, "*Journal...*", p. 103.

الطرابلسي، الرايس عميرة من الرياس المشارقة، طرابلسي الأصل كما يدل على ذلك لقبه، التحق بصفوف الأسطول المغربي خلال عهد سيدي محمد بن عبد الله، عاملاً بمرسى تطوان ؛ وكان في سنة 1186 / 1772 يشرف على سفينة غليوطة صغيرة مجهزة بستة وعشرين مجذافا ومدفعين ويشرف على طاقم مؤلف من خمسين رجلا.

Chenier, "*Journal...*", p. 125-127.

الطرابلسي، الرايس يوسف هو الآخر من الرياس الطرابلسيين أصلا، والملتحقين بصفوف البحرية المغربية على عهد سيدي محمد بن عبد الله منذ سنة 1178 / 1766، حيث باشر عمله على متن سفينة سنبك مجهزة باثني عشر مدفعا وبطاقم مؤلف من مائة وعشرين رجلا، وارتفعت كفاءتها الهجومية سنتين بعد ذلك إلى أربع وعشرين قطعة مدفعية. وقد تلقى في تلك السنة ظهيراً سلطانيا، يحدد مهمته الملاحية هو والرايس قدور شايب عينو.

وواصل الرايس يوسف مهمته البحرية على متن غليوطة مجهزة بعشرة مدافع وبطاقم مؤلف من مائة رجل، سنة 1772 ؛ وكان في سنة 1784 يعمل انطلاقا من مرسى سلا تحت إشراف الرايس عبد الله العسري، حيث ذكر ضمن الرياس الذين استفادوا من إنعام السلطان في تلك الفترة، ويبدو أنه استقر نهائيا بمدينة سلا، وتزوج بها. كما شارك في سنة 1203 / 1789 تحت إمرة المبعوث الرسمي القائد محمد الزوين ضمن البعثة المغربية الموجهة بدعم عسكري إلى السلطان العثماني.

العسري، كتاش، ص. 34 و39، والضعيف، ص. 19 . 96 ؛ ابن زيدان، *إتحاف*، ج. 3، ص. 259 . 260 و261 و362 . 363 ؛ أيضاً : Chenier, "*Journal...*", pp. 111-112 et 125-127.

حسن أمبلي

الطرايفي، أسرة قديمة بفاس، كان لهم شهرة أيام المرينيين، ومنهم الوزير عبد الله الطرايفي الذي ينسب إليه منزه الطرايفي بحومة الزيات حتى الآن، وهو اليوم في ملك ورثة الشيخ عبد الله الفضيلي آتي الترجمة. وقد وقف صاحب *إزالة الالتباس* على حوالة مؤرخة بعام 951 فيها ذكر حسن بن رحو الطرايفي، وفي أخرى أن لأولاد الطرايفي جناناً خارج عجيسة.

ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، ج 2 : 3.

محمد حجي

الطربوش لم يكن الذكور المغاربة، على عكس ما أصبح سائداً اليوم، يغادرون بيوتهم دون تغطية رؤوسهم أبداً إما بعمامة أو طاقية أو طربوش. ذلك أن ترك الرأس حاسراً كان يعتبر إخلالا بالآداب وخرقا للتقاليد. زيادة على أن تغطية الرأس كانت علامة من علامات الرجولة ومظهراً من مظاهر استكمال اللباس والزينة لدى الذكور، إلى درجة أن حاسر الرأس مثله مثل الشخص الأمرد كان يصعب تصنيفه مع الذكور.

والطربوش كلمة فارسية أصلها سرپوش انتقلت من إيران إلى تركيا ثم إلى سائر البلدان العربية وتحولت سينها إلى طاء في معظم البلدان العربية الإسلامية في المشرق والمغرب.

وقد انطلق استعمال الطربوش في البلدان العربية من مصر على وجه الخصوص منذ عهد محمد علي باشا الذي سعى في إطار تطويره الامبراطورية الإسلامية التي كان يتوق إلى إحداثها وترسيخ أركانها عبر عدة إجراءات، إلى تحديث اللباس العسكري فعمل على تعويض عمائم الجنود بالطربوش. وقع ذلك بتداء من سنة 1823 وبقي استعمال الطربوش مقتصراً على الجنود إلى أن بادر ابنه إبراهيم باشا إلى ارتدائه فكان أول من باشر وضعه على رأسه. ولم يتأخر والده بدوره عن التخلي عن العمامة العريضة المستديرة الكبيرة وتعويضها بالطربوش فكان ذلك إيذانا ببداية انتشاره في صفوف الأعيان من المدنيين أولا ثم بين باقي سكان مصر والبلدان المجاورة لها فيما بعد. وبسبب تزايد الطلب على الطربوش أنشأ محمد علي مصنعا له بالقاهرة كان ينتج 720 وحدة في اليوم لتلبية حاجات الجنود والمدنيين على حد سواء (*Revue des études islamiques*, tome 34, fasc. 2, p. 206).

ومن مصر انتقلت صناعة الطربوش فيما بعد إلى ليبيا وتونس والجزائر والمغرب وبلاد الشام وتنوعت أحجامه وأشكاله وتعددت باختلاف الوظائف والبلدان، فكان منه النوع المصري والشامي والتونسي والمغربي. وهو وإن كان يصنع في جميع الأقطار المذكورة من صوف ملبد أحمر، فإن علوه وسطحه وأهدابه كانت تختلف من بلد إلى آخر فكان المصري هو الأعلى والأكثر هدبا والأقل تسطيحا وكان

التونسي هو الأقصر والأكثر ميلا إلى الاستدارة وكان المغربي في منزلة وسط بينهما.

وكان هذا الطربوش المغربي من عدة أنواع معظمها كان ينتج في مدينة فاس وهي التالية :

- طربوش الطاسة : ويسميه بعضهم أيضاً "الطربوش التونسي" لأن شبيها له ينتج في تونس، وهو بشكله المعروف الحالي غطاء الرأس التقليدي الذي يرتديه التونسيون مع زيهم التقليدي في العديد من المناسبات الوطنية والدينية. وهو يدعى في المغرب "طربوش الطاسة" لأنه يشبه في مظهره الآنية التي كان السقاء التقليدي يوزع الماء على الناس للشرب فيها في أسواق المدن والبوادي مما يعرف عند المغاربة بالطاسة. كما كان البعض الآخر يسميه "طربوش الشوشة" لوجود هدبة ناتئة من صوف ملبد أسود في أعلى قمته. من الناس أيضاً من كان يسميها البلوطة لأنها تشبه بلوطة في شكلها (انظر مادة الشاشية). وقد انتشر استعمال هذا الطربوش في عهد الحماية خاصة في صفوف الفئات الاجتماعية الوسطى من التجار والبحارة والحرفيين وغيرهم.

- الطربوش الفاسي : ويسميه المشارقة الطربوش المغربي لاختلافه عن مثيله السائد في بلدان المشرق العربي من حيث إنه أقل ارتفاعاً وأكثر تسطحا وأهدابه أقل سمكا وازدحاما وعدداً، لكن صوفه أكثر تلبيداً ودكا من المشرقي. وبما أن فاس كانت هي أكبر مركز لإنتاجه فإن المغاربة يسمونه "الطربوش الفاسي". وقد انتشر ارتداؤه في صفوف جيل الحركة الوطنية والجيل الجديد من الشباب والمتأنقين من مغاربة الثلاثينيات والأربعينيات من القرن (20).

- الطربوش الطويل : وهو يختلف عن سابقيه في أنه لا يتخذ من صوف ملبد ولكن من قماش قطن أو كتان أو موبر أو صوف دقيق النسج. وتختلف ألوانه باختلاف الأشخاص وهو يشبه في مظهره الخارجي نصف قطعة بطيخ مفرغة من الوسط ينتشر انتشاراً واسعاً طربوش شبيه له لدى مسلمي الهند والباكستان وماليزيا وكذا أندونيسيا والبلدان المسلمة المجاورة لها، إلا أنه أقل اتساعا واكتنازاً منه. وقد شاع استعماله إلى جانب طربوش الطاسة والطربوش الفاسي في المغرب في صفوف الوطنيين ورجال المقاومة أيام الاستعمار فكان المغاربة يسمونه بسبب ذلك "الطربوش الوطني" أو "طربوش أولاد الوطن"، وهو نفس الطربوش الذي "كان يرتديه المرحوم الملك محمد الخامس" وهو "من الجوخ الأبيض أو السنجابي مرتفع قليلاً ويضغط وسطه العلوي إلى الأسفل بحيث يكون مقعراً".

- الشاشية : وهو طربوش من نفس لون ومصدر طربوش الطاسة لكنه مخروطي الشكل كان يرتديه المرتبطون بالوظائف المخزنية من المسلمين. وكان اليهود يستعملون نوعا خاصاً منه شبيها بطربوش الطاسة لكنه أصغر منه وأكثر التصاقا بقمة الرأس ولونه دائماً أسود. (انظر مادة الشاشية).

م. بن أحمد اشماعو، *المجتمع المغربي كما عرفته خلال خمسين سنة*، الرباط، 1980 ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية بالمغرب*، الرباط، 1984 ؛ علي طعمه، *المغرب تاريخه حضارته وحقيقته*، بيروت دون تاريخ، منشورات الهيثم للصحافة والطباعة والنشر.

F. Sourdon, *Le marocain, son âme et sa ville*, Paris [s.d.] ; Bruno Barbey, Tahar Benjelloun, *Fès immobile. Fès immortelle*, Paris, 1996 ; R. Arie, *Notes sur le costume égyptien dans la première moitié du XIXe s*, in *R.E.I.*, tome 34, fasc. 2, Paris 1968 ; M. Jalade, *Mohamed ben Youssef tel que je l'ai vu*, Paris, 1956 ; M. Chebel, *Le corps dans la tradition au Maghreb*, Paris 1984 ; J. Mercanton et B. Rouget, *Maroc, terre et ciel*, Lausanne 1954 ; K. Azoulay [et al.], *Essaouira, Mogador, parfums d'enfance*, Paris 1991.

محمد بوسلام

ابن **طريبة، يونس** بن **سليمان** الجذامي يكنى أبا الوليد ويعرف بكنيته ابن طريبة أو ابن طريحة. ولد بقصر كتامة من أسرة عربية أندلسية سكنت المدينة التي عرفت خلال القرن 6 هـ/ 12 م إقبال عدد من الأسر الأندلسية عليها من مختلف مدن غرب الأندلس بالخصوص. وقد عرفت المدينة بفضل هؤلاء الأندلسيين ازدهاراً علمياً تمثل في عدد من كان بها خلال القرنين 6 هـ و7 هـ من العلماء والصلحاء. وفي هذه البيئة العلمية النشيطة نشأ أبو الوليد بن طريبة، فدرس على جلة من علماء قصر كتامة كقاضيها أبي محمد بن فليح الحضرمي. ثم رحل إلى الأندلس لاستكمال تكوينه العلمي، فأخذ عن مجموعة لا بأس بها من علمائها، منهم أبو محمد بن عبيد الله، وأبو الحسن نجبة بن يحيى، وأبوذر الخشني وأبو الحسن بن الصائغ وأبو القاسم الملاحي وأبو عبد الله بن الملوز. وحصل على الإجازة من عالمين كبيرين هما أبو بكر بن الجد الفهري وأبو عبد الله بن الفخار في رمضان سنة 589 / 1193. وقد تجول المترجم في طلب العلم ولقاء الشيوخ بعدد من مدن الأندلس، فحصل بذلك علما غزيراً جعل منه عالماً مرقوماً. ونظراً لما كانت عليه غرناطة آنئذ من تألق علمي، فقد اختار الإقامة بها. وكان تضلعه في العلم ومشاركته في غير ما فنّ، مع حظ من قرض الشعر سبباً في إقبال الطلبة عليه للنهل من علومه ومعارفه، وخاصة علوم اللغة والأدب. ومن أخص تلاميذه الأندلسيين في هذه المرحلة أبو محمد عبد الله بن عبد العزيز القرشي وأبو الصفاء خالص بن مهدي، وابنه أبو عمر سعد بن خالص.

وفي حدود سنة 610 / 1213 أو بعدها بقليل غادر أبو الوليد بن طريبة الأندلس متوجها إلى المشرق، فنزل بتونس وقتاً، وأقبل عليه فيها مجموعة من طلبة العلم. ثم شد الرحال قاصداً مدينة طرابلس التي حظي فيها بتقدير خاص اعترافا بعلو كعبه في العلم، فعين بها قاضياً، ومن المعروف أن خطة القضاء في ذلك العصر كانت من الخطط التي لا يليها إلا العلماء المشهود لهم بالكفاءة العلمية والنزاهة وكرم الأخلاق.

لا تعيّن مصادر ترجمة ابن طريبة المدة التي قضاها قاضيا بطرابلس، وعلى كل حال فقد قرر سنة 627 / 1229

مغادرتها متوجها نحو القاهرة التي كانت شهرته قد سبقته إليها، وفيها أصبح أستاذاً بدار الحديث الكاملية خلفا لعالم أندلسي كان قد هاجر إلى مصر قبل أكثر من عقدين من السنين، هو أبو الخطاب ابن الجميل المعروف بابن دحية. وظل مترجمنامدرسا بهذه المدرسة إلى وفاته سنة 647 / 1249.

ابن الأبار، *التكملة لكتاب الصلة*، نشر د. عبد السلام الهراس، الدار البيضاء، (د. ت)، 4 : 230 ؛ م. ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، تح. م. بنشريفة، الرباط، 1984، 8 : 473 ؛ ابن الزبير، *صلة الصلة*، تح. عبد السلام الهراس وسعيد أعراب، الرباط، 1995، 5 : 304.

ابن **طربية، يونس بن يوسف** بن سليمان الجذامي، أبو الوليد المعروف بابن طربية أو ابن طربجة. من أهل قصر كتامة، وأصله من عرب الأندلس. ولا تتوفر معلومات عن نشأته وأسرته، طلب العلم بمدينته وتتلمذ على جلة من علمائها كأبي محمد بن عبيد الله، وأبي الحسن نجبة بن يحيى، وأبي ذر الخشني، وأبي الحسن ابن الصائغ، وأبي القاسم الملاحي، وأبي عبد الله بن الملوز. وحصل على الإجازة من عالمين كبيرين هما أبو بكر بن الجد وأبو عبد الله ابن الفخار في رمضان سنة 589 / 1193. وقد تجول في طلب العلم ولقاء الشيوخ بعدد من مدن الأندلس. واستقر به المقام بمدينة غرناطة.

اشتهر ابن طربية بتضلعه في العلم ومشاركة في غير ما فن، فأقبل الطلبة عليه للنهل من علومه ومعارفه وخاصة علوم اللغة والأدب. ومن أبرز تلاميذه الأندلسيين أبو محمد عبد العزيز بن عبد القوي القرشي، وأبو الصفاء خالص بن مهدي، وابنه أبو عمرو سعد بن خالص.

لاشك أن الظروف التي أعقبت معركة العقاب قد دفعت ابن طربية إلى مغادرة الأندلس والهجرة نحو المشرق بعد سنة 610 / 1213. وعلى عكس كثير من أهل المغرب والأندلس الذين كانوا يرحلون إلى المشرق في طلب العلم، فإن ابن طربية رحل وهو عالم متضلع، فكانت وجهته الأولى مدينة تونس التي سكن بها وقتا وأخذ عنه بها جماعة، ثم شد الرحال من جديد إلى المشرق فحل بمدينة طرابلس وسكنها مدة متوليا القضاء بها، ولاشك أن سمعته العلمية كانت قد سبقته إليها، حيث لم يكن يلي خطة القضاء خاصة بالمدن الكبرى إلا العلماء المشهود لهم بالكفاءة العلمية والورع، وظل قاضيا بها إلى سنة 627 / 1230. ومنها توجه إلى مصر فحل بالقاهرة التي كانت شهرته قد سبقته إليها أيضا، ولم يلبث أن أصبح أستاذا بدار الحديث الكاملية خلفا للعالم السبتي الشهير أبي الخطاب بن الجميل المعروف بابن دحية، والذي كان قد رحل إلى مصر سنوات قبل ذلك هربا من يعقوب المنصور الموحدي. واستمر ابن طربية أستاذا بهذه المدرسة إلى أن وافاه أجله سنة 641 / 1243.

ابن الأبار، *التكملة لكتاب الصلة*، ج. 4، ص. 230 ؛ ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، ج. 8، ص. 473 ؛ السيوطي، *بغية الوعاة*، ج. 2، ص. 366.

محمد المغراوي

الطرجمان (أسرة) ← الترجمان

الطراح، نسبة إلى شخص مرتبط بالفران التقليدي وهي مهنة آيلة إلى الانقراض، والطراح نوعان : الطراح الداخلي الذي يعمل داخل الفرن كمساعد "للمعلم" وهو الشخص المكلف "ببيت النار" المشرف المباشر على "خبر" العجين وإنضاجه، وهو في نفس الوقت مكلف بتسلم العجين من الزبناء وتسليمهم الخبز بعد إنضاجه "خبزه" واستخلاص أجرة ذلك وتسليمها لصاحب الفران ؛ وتتلخص مهنته في معرفة الألواح التي تحمل العجين سواء كان خبزا أو حلويات "الوصلة" أو "اللاطة" فهو يعرف كل وصلة وأصحابها وما تحمله من خبز ونوع الخبز وعدده. وبعد تسلم العجين يركنه في رفوف داخل الفران وعليه أن يراقبه إلى أن يخمر وتبدأ عملية الطرح أي تقديم الألواح "لوصالي" إلى المعلم الذي يسحب منه العجين بمهارة ويأخذ الطراح الألواح ليرتبها جانبا وهكذا، وبعد اكتمال إنضاج الخبز تأتي عملية إعادته إلى الألواح الخشبية بالترتيب. فيطلب المعلم من الطراح أن يقلب الطرحة ويعني عددا معينا من "الوصلات". الطرحة الكبيرة تتكون من 12 وصلة والصغيرة من 16 أي أن ترتيب العجين داخل بيت النار عكس ترتيب الطراح للألواح، وأحيانا يطلب منه أن "يسقط وصلة أواثنتين" بمعنى أن يركنها جانبا لسبب أولآخر أو لعدم اكتمال نضج عجينتها، فالطراح هنا يجب أن يكون فطنا وذا ذاكرة قوية حتى يسهل مهمة "المعلم" إذ يجب عليه أن يعرف ما تحمله كل وصلة من خبز عددا ونوعا ويعرف أصحابها حتى يسلمها لهم عند طلبها ومعه تتميز به شخصية الطراح من فطنة وخدمة الزبناء ومعرفة البيوت، فإن المثل القائل "ظاهر لحيا على وجه الطراح" لا يبدو سلبيا سواء تعلق الأمر بالطراح الداخلي أو الخارجي الذي يختلف عمله عن الأول في كونه يطوف بدروب الحي وأزقته ويجمع ألواح العجين من أمام أبواب البيوت، وقد جاءت هذه المهمة لتعوض عادة تاريخية اختفت، ذلك أن ربات البيوت لم يكن يحملن العجين بأنفسهن إلى الفرن بل لم تكن تتعدين الباب فكل مار من الزقاق أو الدرب سواء كان طفلا أوشابا أو رجلا، وسواء كان من علية القوم من العلماء والأعيان أم من عامة الناس إلا ويحمل العجين إلى الفرن، ولا يقتصر عمل الطراح الخارجي على جمع العجين وإيصاله إلى الفران وإعادته بعد خبزه بل يساعد الطراح الداخلي في عمله في أوقات الازدحام وكثرة الطلب.

بحث ميداني ؛ شريط وثائقي عن : الطراح الدكالي في المدينة العتيقة بالرباط ؛ التادلي، *التشوف*، الرباط 1956 و1984 ؛ ابن قنفذ، *أنس الفقير*، الرباط، 1965.

محمد حجاج الطويل

ابن **الطرّاحة، إبراهيم**، اشتهر كمغنّ وموسيقي في عصر بني مرين. وتدل الأخبار القليلة التي ألمت بذكره على أنه كان معاصراً للسلطان أبي الحسن المريني، ومن بعده لابنه أبي عنان، وأنه كان في مجالسهما بمثابة كبير الموسيقيين المغنين وزعيم المزمزمين ـ وهم المسمعون بالمفهوم الحديث ـ يرأس حضورهما لمجالس *السماع* في حفلات المولد النبوي.

وقد وردت الإشارة إلى ابن الطراحة ـ عرضا ـ في كتاب *المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن* لمحمد ابن مرزوق العجيسي التلمساني (الجد)، كما عرض لذكره ابن القاضي صاحب *الجذوة* عند ترجمته لمحمد بن عبد الرحمن المومناني الحسني، فنقل أن الحسين هذا اجتمع مع جماعة من أصحابه في مجلس ومعهم المغني إبراهيم ابن الطراحة فاقترح بعض الحاضرين على ابن الطراحة أن يغني لهم قول بشار بن برد :

رأين الغواني الشيب لاح بمفرقي ... فأعرضْنَ عني بالعيون الفواتر
وكن إذا أبصرنني أو سمعْن بي ... سعين يُعلْقْن الكُوا بالمَحاجر

وكان قد تقرر من عادة ابن الطراحة أنه لا يغني من الشعر ما انتهى إلى محمد بن يعقوب أو سمع منه ؛ وكان أبو يعقوب إذ ذاك في أول ظهوره معه، فقال ابن الطراحة لمقترح ذلك عليه : كلامكم عندي لا أرده والأمر ممثل ؛ فإن شئتم فاقترحوا على سيدنا أبي الحسين زيادة على البيتين، فأنشد بديهة :

فوا أسفا ولى الشباب وقدْ غدا ... ينافرني من كان بالأمس زائري
فلولا مشيبي ما أضعت مودتي ... ولا عاد محبوبي القريب منافري

محمد ابن شريفة، مقدمته *لكتاب إيقاد الشموع للذة المسموع بنغمات الطبوع*، لمحمد البوعصامي، تح. عبد العزيز بن عبد الجليل، منشورات أكاديمية المملكة المغربية، 1995، ص. ك و ل ؛ أحمد ابن القاضي المكناسي، *جذوة الاقتباس*، القسم الأول، دار المنصور للطباعة والوراقة، ص. 224 ـ 225.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الطرّاف، اسم أسرة تطوانية أصلها من قبيلة الحوز التطواني، وقد عرفت بهذا الاسم لأن جل أفرادها كانوا يتعاطون حرفة الإسكافي المرقع للأحذية ؛ وإليهم تنسب زنقة الطرافين بالمدينة ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

محمد ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1631.

محمد ابن عزوز حكيم

الطرّون، أسرة فاسية عريقة جاءت إلى فاس من القصر الكبير، وأصلهم من بني أمية من الأندلس، ذكرهم صاحب *بيوتات فاس الصغرى* ونقل عنه ذلك مؤلفا *إزالة الالتباس وزهر الآس*. واشتهر آل الطرون بتولي مناصب القضاء في عهد الوطاسيين، فكان عبد الرحمن بن محمد الطرون ذو اليد الطولى في العلوم، قاضياً بفاس الجديد، ثم عزل وخلّف ولديه الفقهيين أحمد ومحمد الطرون. كان أحمد كأبيه فقيهاً متمكناً بينما كان أخوه محمد تاجراً استنابه أخوه في الأحكام، "لأنهم كانوا يولون من كان غنياً وإن لم يكن من أهل العلم لينكف بماله عن أموال الناس والرشا".

الطرّون، أحمد بن **عبد الرحمن** تولى قضاء فاس الجديد وكان أبيه، وكان على اتصال وثيق بالوطاسيين يناصرهم ويرى مع غيره من علماء المدينة عدم خلع بيعتهم، لذلك لقي محمد المهدي الشيخ عنتاً كبيراً في الدخول إلى فاس للمرة الثانية بعد تغلبه على أبي حسون الوطاسي وأشياعه من أتراك الجزائر، بسبب موقف علماء مدينة فاس منه ودعوتهم إلى التمسك ببيعة الوطاسيين. فلما تمكن محمد الشيخ من الدخول إلى المدينة يوم السبت 24 شوال عام 961 أمر بقتل القاضي أحمد الطرون وأخيه محمد كما قتل الفقيهين الكبيرين عبد الوهاب الزقاق وعبد الواحد الرنشريسي.

أ. الناصري، *الاستقصا*، ط 2، الدار البيضاء، 1956، ج 5 : 28 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، طبعة حجرية، فاس، 1300، 3 : 250 ؛ ع. ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، 2 : 4 ؛ ع. الكبير الكتاني، *زهر الآس*، تح. ع. الكتاني، الدار البيضاء، 2000، ج 1.

محمد حجي

طُرّيرُو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Torrero وTerrero ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1097 / 1686.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 816.

محمد ابن عزوز حكيم

طرّيس أو **طوريس** (دي ـ) **ديبيگو** Diego de Torrés، كاتب إسباني ولد حوالي سنة 1526 بمدينة أموسا من بلاد كامبوس قشتالة. ولما أدرك الثامنة عشرة من عمره تاقت نفسه إلى السفر، فذهب إلى إشبيلية حيث مكث سنتين تعرف خلالهما على نبيل يدعى نيكولا نونيز الذي كان صهره الراهب فيرناند گوميز يعمل بالمغرب على افتداء الأسرى، بأمر من الملك "دم يوحنا"، فأقنعه بالذهاب إلى المغرب لمساعدة الراهب في مهمته على أمل أن يخلفه متى أصبح قادراً على ذلك رغم صغر سنه.

قبل ديبيگو دي طريس عرض نيكولا نونيز، ولو أنه أبدى بعض التحفظ أو التحسر، لأن عملا كهذا ليس من شأنه أن يدر عليه ما كان يحلم به ـ كشاب طموح ـ من غنى ورغد عيش. لكن يبدو أنه كانت تتجاذبه إلى ذلك نزعة دينية ورغبة في أن يخلع عليه الملك يوماً مّا مسوح الرهبنة مثلما خلعها على سلفه گوميز. وأخيراً أبحر من قادس في سفينة كرافيل قاصداً مازيغن (الجديدة) فأسفي، ومن هناك توجه

إلى مراكش حاملا ما أتى به من بضائع. فدخلها يوم عيد القربان (أوائل شهر يونيو) من سنة 1546 / ربيع الثاني 953. حيث استقبله الراهب فيرناند گوميز، وسكن بجواره في دار أعدت له في الحي الخاص بالنصارى (الديوانة الكبيرة). وقدّمه إلى الشريف محمد المهدي الشيخ، الذي لم يكن في ذلك الوقت ـ حسب عبارة المترجم ـ مشتغلا إلا بسياسة مملكته، لا يتحدث عن محاربة أحد ما عدا حاكم الجديدة البرتغالي الذي كان يتحرش بسكان المناطق المجاورة ويغير على مسارحهم وحقولهم.

وأول واقعة حربية سمع بها دي طوريس وهو بمراكش وسجل بعض أحداثها عن مشاهدة هي المعركة الذي جرت حول أزمور بعد إغارة البرتغاليين على هذه المدينة وأسرهم فيها الشيخين عبد الله بن ساسي ومحمد الكوش (زاد المترجم وسيدي كانون) والكرة العنيفة التي قام بها فريق من جيش محمد المهدي الشيخ، فقضوا على الحامية البرتغالية بالجديدة بعد أن أثخنوا حاكمها جراحا وقتلوا ابنه وكبار ضباطه، وأسروا بعضهم. وهنا أخذ گوميز، بطلب من حاكم الجديدة، يفاوض الشريف في افتكاك الأسرى، فتطلب ذلك أموالا باهضة، اضطر معها كوميز إلى الذهاب إلى لشبونة لإحضار المال اللازم وإطلاق سراح المغاربة الذين أسروا في أزمور. لم يتمكن گوميز من إنجاز ما تعهد به في الأجل المحدد في ستة أشهر، الأمر الذي تسبب في مضايقات للمسيحيين المقيمين بمراكش، وبذلك لم يعد إلى المغرب على ما يبدو، فخلفه منذ ذلك الحين دييگو دي طريس وأصبح مكلفا بقضية فداء الأسرى المسيحيين.

مكث دييگو في المغرب مدة لا نعرف مداها بالتحديد، ولكنها قد تناهز ثلاثين سنة، إذ نجده يواصل أحاديثه المتسلسلة عن تحركات الشرفاء السعديين ونشاطهم السياسي والعسكري والاجتماعي والعمراني إلى ما بعد وفاة عبد الله الغالب (981 / 1574) إلاّ أنه لم يشر إلى عبور المتوكل إلى البرتغال وتطارحه على ملكها سبستيان، وبالتالي لم يتحدث عن معركة وادي المخازن، إلا إشارة عابرة وردت في ختام الكتاب وهو يخاطب ملك اسبانيا والبرتغال (فيليب الثاني) مقدما له كتابه هذا محرضا إياه على اكتساح المغرب مهوّنا أمره عليه، ومؤكدا عليه في نفس الوقت أن يعد للحملة عدتها مادام ملوك المغرب قد طوروا جيشهم وأسلحتهم وأخذوا يقاتلون أحسن "منذ مدة من الزمن". وعلق في الهامش على هذه المدة بأنها سنة 1578، أي سنة معركة وادي المخازن.

هكذا يكون دي طوريس غادر المغرب قبل سنة 984 / 1577 وألف كتابه *تاريخ الشرفاء* *Histoire des Cherifs* بعد مدة من معركة وادي المخازن ربما في العقد الأخير من القرن السادس عشر. ولم نقف على تاريخ وفاته.

ديسكو دي طوريس نفسه، *تاريخ الشرفاء* الفصل 54 ؛ م. حجي وم. الأخضر، *تقديم الترجمة العربية*، سلا، 1988.

محمد حجي

الطرّيس، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث كانت تقطن مدينة طوريس Torres بإقليم جيان Jaén وكانت تحمل اسم البولو Polo وعندما هاجرت إلى المغرب واستقرت بتطوان حوالي سنة 979 (1572) وجدت بها أسر أندلسية أخرى تحمل اسم البولو اتخذت اسم البولو ذ الطريس Polo de Torres. ومع مر الأيام أصبحت تعرف باسم الطريس، ورمعنى الكلمة بالاسبانية البرج وهي من أنبل العائلات التطوانية.

ويبدو أن أفراد هذه الأسرة كانوا يشغلون مناصب إدارية في مدينتهم الأصلية بالأندلس حيث نجد أن جل من أتى منهم إلى المغرب أسندت إليهم وظائف مخزنية في الإدارة وفي الجمارك.

أرشيف محمد عبد الخالق الطريس بتطوان ؛ أرشيف ابن عزوز حكيم بتطوان ؛ مخطوط Isidro de las Cagigas. Familias tetuanies de abalengo.

الطرّيس، الحاج أحمد بن محمد بن العربي بن عبد الخالق بن محمد بن المهدي، فقيه تطواني عين خليفة لوالده النائب السلطاني في الشؤون الخارجية بطنجة سنة 1310 / 1892. وفي شهر ماي 1902 بعثه السلطان مولاي عبد العزيز على رأس السفارة التي مثلته في مراسيم تتويج الملك الإسباني ألفونصو الثالث عشر Alfonso XIII.

وعلى إثر الاحتلال الإسباني لمدينة تطوان عينه الخليفة السلطاني مولاي الحسن بن المهدي العلوي أول باشا للمدينة في عهد الحماية يوم 4 جمادى الثانية 1331 / 11 ماي 1913.

وكانت إدارة الحماية تسند إليه رئاسة جل المجالس واللجان المشتركة التي أحدثت بالمنطقة من سنة 1913 إلى سنة 1920 ؛ وعندما أنشئ المجمع العلمي المغربي يوم 20 ديسمبر 1916 تم انتخاب الباشا الطريس رئيسا له ؛ وقد زاول منصب الباشوية إلى أن وافته المنية في 21 ربيع الأول 1339 / 3 ديسمبر 1920.

أرشيف مؤسسة عبد الخالق الطريس بتطوان ؛ أرشيف ابن عزوز حكيم بتطوان ؛ ابن عزوز حكيم، سفارة الحاج أحمد الطريس بمدريد سنة 1902 (تحت الطبع).

الطريس، عبد الخالق بن **أحمد** بن محمد بن العربي، زعيم قاد الحركة الوطنية بشمال المغرب لمدة 24 سنة أي منذ استلامه مشعل الوطنية من يد أبي الحركة الحاج عبد السلام بنونة في سنة 1932 وعمره 22 سنة ؛ وكان شغله الشاغل العمل على المحافظة على الوحدة الترابية لوطنه المهدد بالانقسام بحكم الحماية المفروضة عليه سنة 1912 ؛ الأمر الذي جعله زعيم الوحدة بلا منازع.

ازداد بتطوان يوم 7 ماي 1910 وحفظ القرآن الكريم في كتاب الفقيه محمد بن مخوت ؛ وفي سنة 1925 التحق بالمدرسة الأهلية التي كان يديرها الفقيه محمد داود، وكان في نفس الوقت يحضر الدروس الفقهية التي كان يعقدها علماء المدينة في المساجد وبخاصة مسجد سيدي بركة بالسوق الفوقي.

وفي يوليوز 1927 توجه إلى فاس حيث التحق بجامع القرويين إلى غاية شهر سبتمبر 1928.

وفي شهر أكتوبر من نفس السنة توجه إلى القاهرة حيث التحق بالأزهر الشريف، ومنه انتقل في شهر مارس 1929 إلى كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول، وكان من بين أساتذته طه حسين وأحمد أمين وأمين الخولي وعبد الحميد العبادي الذين منحوه شهادة الكفاءة في الأدب والتاريخ.

وأثناء إقامته بالقاهرة إلى غاية شهر يونيو 1931 أنشأ مع زملائه الطلبة المغاربة المقيمين بمصر جمعية الدفاع عن القضية المغربية، وكان ينشر في الصحف المصرية مقالات ضد الظهير البربري كان يوقعها بالحرف ط. خ. ع. وكان أول مغربي وجه رسالة مفتوحة إلى رئيس الجمهورية الفرنسية أثناء زيارته لمنطقة بلاده بالمغرب.

وعند وجوده بتطوان أثناء العطل الصيفية، كان يشارك في التحركات الأولية للحركة الوطنية بالشمال، مثل حفلة الاستقبال التي أقيمت على شرف الأمير شكيب أرسلان بتطوان في شهر غشت 1930، وكان من بين مؤسسي الهيأة الوطنية السرية الأولى يوم 5 سبتمبر 1930.

وفي شهر أكتوبر 1931 التحق بجامعة السربون الفرنسية وعين مستشارا بجمعية طلبة الشمال الإفريقي المسلمين بباريس ؛ غير أنه أرغم على العودة إلى مسقط رأسه بطلب من أعضاء الهيأة الوطنية الذين رأوا أن الحركة كانت بحاجة ماسة لكفاءة وحيوية الشاب الطريس لمواجهة السياسة المتبعة من لدن المقيم العام الإسباني لوبيث فيرير Lopez Ferrer الذي كان يمانع في تطبيق مطالب الأمة الموجهة إلى رئيس الجمهورية الإسبانية بتاريخ فاتح ماي 1931.

وعاد الطريس إلى تطوان في أوائل شهر مارس 1932، وقد برهن على أنه كان أهلا للثقة التي وضعتها فيه رجال الحركة حيث لم تمر على وجوده بالمدينة سوى أسبوعين حتى تمكن من تأسيس يوم 23 مارس جمعية الطالب المغربية التي كانت الأولى من نوعها في مغرب الحماية ؛ وفي فاتح أبريل قام بإعادة تنظيم الهيأة الوطنية وجعلها تتكون من جماعة علانية وأخرى سرية ؛ والطريس هو الذي أدار المفاوضات التي أجرتها الهيأة مع المقيم العام حول كيفية تطبيق مطالب الأمة خلال شهري أبريل وماي من نفس السنة ؛ وبمعية الحاج عبد السلام بنونة كان من بين مؤسسي الجمعية الإسلامية الإسبانية التي أنشئت بمدريد يوم فاتح يونيو وكان الأمير شكيب أرسلان نائب رئيسها الوزير الإسباني رافولس Rafols.

ومن يوم 25 إلى 28 غشت من السنة المذكورة شارك في المؤتمر الثاني لجمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين المنعقد بعاصمة الجزائر.

وفي شهر أبريل 1933 زار الأمير شكيب أرسلان بجنيف ؛ ومان إن عاد إلى تطوان حتى تقدم يوم 9 يوليوز بملتمس يحتوي على مطالب إضافية لمطالب الأمة ليوم فاتح ماي 1931.

وفي شهر يناير 1934 توجه إلى مدريد صحبة الحاج عبد السلام بنونة من أجل أن يسلم إلى رئيس الحكومة الإسبانية مذكرة تحتوي على مجموعة من الإجراءات التعسفية التي اتخذها المقيم العام ؛ وفي فاتح مارس أنشأ جريدة *الحياة* التي كانت أول جريدة وطنية عربية رأت النور في عهد الحماية بالمغرب.

ولتنفيذ خطته الرامية لتعميم التعليم الحر بالمنطقة أنشئت في 18 ماي 1934 لجنة وطنية تمكنت في ظرف وجيز من إنشاء خمس عشرة مدرسة حرة في كل من تطوان والقصر الكبير والعرائش وشفشاون وأصيلا ؛ والطريس هو الذي اهتم بتعليم الرجال في دروس ليلية أحدثت في المدارس المذكورة لأول مرة في الشمال ؛ وباقتراح منه أنشأت إدارة الحماية المجلس الأعلى للتعليم الإسلامي أسندت رئاسته إلى العلامة أحمد الرهوني يوم 19 أكتوبر 1934.

وفي شهر غشت من نفس السنة أسس مع قدوم الصحفيين الإسبان بالشمال الأديب رافايل ذي رودا Rafael de Roda النقابة الحرة للصحفيين المغاربة والإسبان.

وفي شهر أكتوبر 1934 عين مديرا عاما للأوقاف الإسلامية في الحكومة الخليفية، ونظم إدارتها على غرار النظام المصري، وخصص ميزانية من مداخيل الأحباس لمساعدة التعليم الديني وبخاصة الكتاتيب القرآنية.

وبطلب من الطريس وافقت إدارة الحماية على إحداث عيد العرش بالشمال واحتفل به لأول مرة بصفة رسمية يوم 18 نوفمبر 1934.

وعندما قدمت كتلة العمل الوطني بالجنوب مطالبها إلى السلطان والحكومة الفرنسية، أيدها الطريس بمذكرة موجهة إلى السلطان وبرقية إلى وزير خارجية فرنسا.

وبصفته مديرا للأحباس قام بإعادة بناء مدرسة لوقش وزودها بمكتبة تم جلبها من مصر. وكان يوم تدشين المدرسة في 7 أبريل 1935 يوما مشهودا في تاريخ تطوان. والطريس هو الذي فكر في إحداث عيد الكتاب العربي على غرار عيد

الكتاب الاسباني وقد تقدم باقتراحه إلى المقيم العام يوم 24 أبريل من السنة المذكورة ؛ كما أنه يعود إليه الفضل في تأسيس المعهد الحر للدراسة العربية الثانوية العصرية والذي تم تدشينه يوم 5 نوفمبر من نفس السنة.

وفي يوم 2 سبتمبر قدم استقالته من مديرية الأوقاف احتجاجا على مصادرة جريدة *"الحياة"*.

وفي منتصف شهر نوفمبر توجه الطريس إلى مدريد من أجل تقديم مذكرة احتجاج على السياسة المتبعة من إدارة الحماية ؛ وفي يوم 25 من الشهر المذكور ألقى محاضرة بالمجمع العلمي الإسباني حول العلاقات المغربية الإسبانية.

وبفضل انخراطه في سلك الماسونية شأنه في ذلك شأن جل العناصر الوطنية بالشمال تمكنت الحركة الوطنية من الحصول على منجزات عديدة لصالح المنطقة في كثير من الميادين تحققت بمساعدة العناصر الماسونية الإسبانية المتمركزة في عهد الجمهورية في الحكومة والإدارة والأحزاب والصحافة.

وعندما قام الجنرال فرانكو بالانقلاب التي أطاح بالجمهورية انطلاقا من شمال المغرب في شهر يوليوز 1936، لم يكن رجال الحركة الوطنية في ركاب المتمردين كما يزعم البعض اليوم دون الإتيان بأية حجة وثائقية تثبت ادعاءاتهم، بل لدينا من الوثائق تم نشرها في مجلة *"الوثائق الوطنية"* ما يثبت أن الطريس كان أول من فرضت عليه الإقامة الإجبارية بداره ومثل ذلك جرى لباقي العناصر البارزة في الحركة ؛ وهناك مراسلات من الطريس إلى الخليفة السلطاني وإلى المقيم العام الجنرال أورگاث Orgaz تشهد بأن الحركة الوطنية التزمت الحياد في النزاع القائم بين الإسبانيين وفي نفس الوقت عبرت عن معارضتها لإقحام الجنود المغاربة في الحرب الأهلية الإسبانية ؛ الأمر الذي جعل المقيم العام يطالب بتقديمه أمام المحكمة العسكرية، غير أن الخليفة مولاي الحسن بن المهدي حال دون ذلك بتدخله لدى الجنرال فرانكو الذي أمر الكولونيل بيگبيردير Beigbeder بفتح باب المفاوضة مع الطريس. وكانت البادرة الأولى أن فرانكو وافق على انعقاد المؤتمر الثالث لطلبة بشمال إفريقيا المسلمين بتطوان من يوم 21 إلى 27 أكتوبر 1936 ؛ هذا المؤتمر الذي كان سينعقد بفاس من يوم 7 إلى 12 سبتمبر وحالت الإقامة الفرنسية دون ذلك.

وفي يوم 18 ديسمبر من نفس السنة تمكن الطريس من تأسيس حزب الإصلاح الوطني الذي ظل يرأسه لمدة عشرين سنة ؛ وللحصول على موافقة النظام الفرنكاوي على الحزب المذكور قبل الطريس منصب وزير الأوقاف في الحكومة الخليفية يوم 19 ديسمبر، غير أنه قدم استقالته منه سنة يوم 27 مارس 1937.

وفي سنة 1938 مثل الطريس أقطار المغرب العربي في المؤتمر البرلماني العربي للدفاع عن فلسطين الذي عقد بالقاهرة.

وفي سنة 1941 قام الطريس بمحاولة الحصول على مساعدة ألمانيا من أجل تحرير المغرب حيث توجه إلى برلين، وعند عودته بدأ يخطط لتنفيذ الخطة المتفق عليها وهي اكتساح وسط المغرب انطلاقا من شماله وصحرائه، غير أن موقف إيطاليا من المشروع حال دون تنفيذه، لأن موسوليني Mussolini كان يطالب بضم تونس والجزائر والمغرب إلى ممتلكات إيطاليا بعد انتصار المحور على الحلفاء ؛ والجدير بالذكر أن هذه المحاولة كانت سبب الحكم بالإعدام على الطريس غيابيا من طرف المحكمة العسكرية الفرنسية بمدينة Meaux يوم 17 يوليوز 1943.

وعلى إثر إنزال القوات الأمريكية بجنوب المغرب أنشأ الطريس مع الشيخ المكي الناصري الجبهة القومية للحركة الوطنية المغربية بتطوان يوم 18 ديسمبر 1942 ؛ وباسم هذه الجبهة تقدم الزعيمان يوم 14 فبراير 1943 بأول وثيقة للمطالبة باستقلال المغرب وجهت إلى قناصلة دول الحلفاء في كل من تطوان وطنجة ومدريد ولندن.

وعندما تأسست بمصر جامعة الدول العربية يوم 22 مارس 1945 كان الطريس أول زعيم مغربي وجه إلى أمينها العام عزام باشا مذكرة بتاريخ فاتح أبريل يطالب فيها باهتمام الجامعة بالقضية المغربية ؛ ويعود الفضل إلى الطريس في موافقة الحكومة الاسبانية على أن يكون لشمال المغرب ممثل في اللجان الثقافية العربية ابتداء من سنة 1946.

وكان الطريس أول زعيم أخبره الملك محمد الخامس بأنه يعتزم القيام بزيارته التاريخية إلى طنجة، وذلك لكي تكون

مشاركة رعاياه بالمنطقة الشمالية مشاركة مكثفة تأكيدا للوحدة، وكذلك كان الأمر في شهر أبريل 1947.

وعلى إثر اللقاء السري الذي جرى بين جلالة الملك والطريس بدار المنبهي بطنجة، توجه الطريس إلى القاهرة في شهر ماي حيث قام بحملة واسعة للتنديد بالسياسة المتبعة من لدن النظام الفرنكاوي بالمنطقة ؛ الأمر الذي جعل المقيم العام الإسباني الجنرال ڤاريلا Varela يمنعه من العودة إلى مسقط رأسه، وكان ذلك سبب المظاهرات الدامية التي جرت بتطوان يوم 8 فبراير 1948 حيث استشهد 21 وجرح 232 وألقي القبض على 1214 من الوطنيين وعلى رأسهم أعضاء اللجنة التنفيذية لحزب الإصلاح الوطني الذين نقلوا إلى سجن سبتة.

وعند حلول الذكرى الرابعة لزيارة الملك لطنجة شارك الطريس في التوقيع بالمدينة المذكورة على الميثاق الوطني ليوم 9 أبريل 1951 والذي كان يضم حزب الإصلاح الوطني وحزب الاستقلال وحزب الشورى والاستقلال وحزب الوحدة المغربية ؛ وكان ذلك سبب محاكمة كل من الطريس والزعيم علال الفاسي والشيخ المكي الناصري بتهمة القيام بعمل من شأنه أن يخل بالأمن العام بالمنطقة الدولية.

وكان الطريس لاجئا بطنجة منذ سنة 1948 عندما اضطر النظام الفرنكاوي للسماح له بالعودة إلى تطوان لاستئناف نشاطه الوطني، وذلك للحيلولة دون أن يستمر المهدي بنونة رئيس مكتب حزب الإصلاح بنيويورك في حملته ضد السياسة الإسبانية بمنطقة الشمال في الوقت الذي كان فيه فرانكو يطالب بانضمام بلاده إلى هيأة الأمم المتحدة ؛ وقد قبل الطريس الاقتراح لأن الحالة في المنطقة السلطانية كانت تنذر بالانفجار بسبب توتر العلاقات بين القصر الملكي والإقامة الفرنسية، فكان من مصلحة البلاد أن يعود الوضع في الشمال إلى ما كان عليه من قبل، وعاد الطريس لتطوان يوم 10 فبراير 1952.

وعندما استفحل أمر المؤامرة المدبرة ضد العرش في جنوب المملكة، رأى الطريس أنه يجب على الشمال أن يجدد بيعته للملك الشرعي، وقد استجاب لندائه حل العلماء والشرفاء والأعيان في جميع أنحاء المنطقة. وقام العلامة أحمد الرهوني بتحرير وثيقة تجديد البيعة التي وقعها آلاف المواطنين وختمها الطريس بتوقيعه يوم 29 أبريل 1953 ؛ هذه الوثيقة غيرت مجرى التاريخ لأنه بموجبها ظل أكثر من مليون ونصف من سكان الشمال متشبثين ببيعتهم للملك محمد الخامس طيلة المدة التي قضاها بالمنفى.

وعندما اعتدى الاستعمار الفرنسي على العرش في شخص الملك محمد الخامس يوم عرفة 20 غشت 1953 أصدر الطريس باسم حزبه بيانا ندد فيه بخرق الحكومة الفرنسية لمعاهدة الحماية التي التزمت فيها بالدفاع عن ملك المغرب وعن ولي عهده، وطالب بتدخل كل من الأمم المتحدة والجامعة العربية، كما دعا إلى عدم ذبح الأضحية وأن تكون خطبة الجمعة باسم الملك الشرعي في جميع مساجد المنطقة ؛ وفي نفس اليوم وجه إلى كل من المقيم العام الاسباني وإلى رئيس الدولة الاسبانية رسالتين يخبرهما فيها بأن سكان الشمال لا يريدون بالملك محمد الخامس بديلا ؛ وبناء على ذلك كان حزب الإصلاح الوطني هو وحده الذي ظل يدافع عن الملك الشرعي داخل الوطن. وكانت "الأمة" الجريدة الوحيدة التي تصدر بالمغرب وتفضح الأعمال الوحشية للاستعمار الفرنسي وتنشر إخبار الفدائيين. واستجابت حكومة مدريد لإدارة سكان الشمال فلم تعترف بابن عرفة لسببين : الأول لأنها لم تستشر من حكومة باريس فيما أقدمت عليه يوم 20 غشت لأن أمر الملك يخص أيضا منطقة حمايتها، والسبب الثاني هو أنها كانت تنوي استغلال الانفصام الذي وقع بين شمال المغرب وجنوبه لتحقيق هدفها الدفين الرامي إلى فصل الشمال عن الجسد المغربي حسب ما تقره الوثائق السرية التي نتوفر عليها.

وكان الطريس على بينة من المخطط الاسباني ورغم ذلك قبل منصب وزير الشؤون الاجتماعية في الحكومة الخليفية الذي عرضه عليه المقيم العام الجنرال گارثيا ڤاليينو Garcia Valiño ؛ وظل الطريس في المنصب طيلة المدة التي قضاها الملك الشرعي في المنفى، غير أنه ما إن عاد جلالته إلى ملكه حتى قدم الطريس استقالته يوم 9 يناير 1956 ؛ الأمر الذي أفسد على الاستعمار الاسباني خطته وأصبح الطريس في خطر حيث أعدت عناصر حزب الفلانخي La Falange خطة للقضاء عليه، وقد اطلع عليها الطريس فما كان عليه إلا أن يفر إلى طنجة، وبعد أسبوعين من لجوئه لطنجة تم توحيد حزب الإصلاح الوطني مع حزب الاستقلال يوم 16 مارس.

واستمر بطنجة إلى أن استدعاه جلالة الملك فتوجه إلى الرباط حيث تم تعيينه يوم 19 يونيو أول سفير للمغرب بإسبانيا. وفي يوم 28 قدم أوراق اعتماده إلى الجنرال فرانكو ؛ وفي الغد عين رئيسا للوفد المغربي الذي كلف باستلام إدارة الشمال من يد السلطات الإسبانية.

وفي يوم 31 يوليوز عين سفيراً قيماً على إدارة الشمال إلى أن تم إدماجها في الإدارة المركزية في شهر يناير 1957 ؛ وفي يوم فاتح مارس عين سفيرا بمصر ولبنان وسوريا ؛ وهو الذي رفع العلم المغربي لأول مرة بمقر جامعة الدول العربية يوم فاتح أكتوبر 1958.

وفي فاتح سبتمبر 1960 عين وزيرا للعدل ؛ وعندما كان الملك محمد الخامس بجنيف وولي العهد مولاي الحسن بالولايات المتحدة الأمريكية تولى الطريس سلطات رئيس الدولة من يوم 16 سبتمبر إلى يوم 7 أكتوبر 1960 ؛ وفي شهري نوفمبر وديسمبر من نفس السنة ترأس وفد المساعي الحميدة بعدد من دول القارة الأمريكية.

وعند وفاة الملك محمد الخامس كان الطريس هو الذي

حول عقد البيعة للملك الحسن الثاني في 10 رمضان 1380 / 26 فبراير 1961.

وفي يوم 8 مايو 1961 قدم استقالته من وزارة العدل لأسباب صحية ؛ وفي يوم 12 يونيو عين سفيرا بالقاهرة للمرة الثانية ومنح وسام العرش من الدرجة الأولى.

وعاد الطريس من القاهرة في منتصف نوفمبر 1962 للمشاركة في حملة الاستفتاء على الدستور، كما شارك في الحملة الانتخابية التشريعية في شهر ماي 1963 وانتخب ممثلا عن مدينة تطوان بالبرلمان الأول وذلك إلى أن تم الإعلان عن حالة الاستثناء بالبلاد يوم 7 يونيو 1965.

وقد وافته المنية بطنجة يوم 27 ماي 1970 ودفن بضريح سيدي المنظري بتطوان في اليوم التالي.

أرشيف مؤسسة عبد الخالق الطريس بتطوان ؛ أرشيف ابن عزوز حكيم بتطوان ؛ ابن عزوز حكيم، يوميات زعيم الوحدة، جزآن، الرباط، 1990.1992 ؛ في ركاب زعيم الوحدة، ج. 1، تطوان، 1999 ؛ نضال الطريس في ساحة الوحدة، الرباط 1980.1985 ؛ من مذكرات الزعيم، ج. 1، الرباط 1982 ؛ الطريس المفترى عليه، تطوان 1987 ؛ موقف الشمال من الاعتداء على العرش، تطوان 1984 ؛ وثائق تشهد، جزآن، الرباط 1980.1981 ؛ وثائق الحركة الوطنية في شمال المغرب، ج. 1، تطوان 1980 ؛ أب الحركة الوطنية الحاج عبد السلام بنونة، 4 أجزاء، الرباط 1987.1988.1895.

J. Wolf, *L'épopée d'Abd El-Khaleq Torres*, Paris - Casablanca, 1994.

الطرّيس، عبد الخالق بن **محمد** بن المهدي. فقيه تطواني حل سجل والده في منصب أمين الديوانة لأول مرة بالعرائش سنة 1216 (1801) ثم بطنجة وتطوان في عهد السلطان مولاي سليمان، وذلك إلى غاية سنة 1236 (1821) حيث عاد إلى مسقط رأسه وبه وافته المنية في السنة التالية.

أرشيف محمد عبد الخالق الطريس بتطوان ؛ أرشيف ابن عزوز حكيم بتطوان.

J. Wolf, *L'épopée d'Abd El-Khaleq Torres*, Paris - Casablanca 1994.

الطرّيس، العربي بن **عبد الخالق** بن محمد بن المهدي، كان هذا الفقيه التطواني من أبرز أمناء المخزن في عهد السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام الذي كان يخصه بعطف بالغ حيث نجده يقول عنه في رسالته إلى باشا تطوان بتاريخ 13 محرم 1257 / 7 مارس 1841 مايلي : "قد خدم ونصح أصلحه الله ورضي عنه وبارك له في عمره وولده وماله وأقر عينه في الدارين، وقد أنعمنا عليه بألف مثقال... وذلك كله قليل في حقه فإنا لم نجد أنصح منه".

وفي يوم 4 شعبان 1258 / 10 سبتمبر 1842 عندما عينه السلطان أمينا بديوانة الصويرة من أجل إصلاح أمر مرساها نجد العامل المذكور يقول في رسالة وجهها إلى باشا تطوان ما يلي : لم نر أحداً يضبط أمرها غير خديمنا الأمين الحاج العربي الطريس لما بلوناه من حزمه وضبطه، وقد كنا خاطبناه بذلك فامتنع فلم نردّ جبره، وقد تعين جبره اليوم، فبوصول كتابنا هذا إليك خاطبه بذلك ورغبه فيه حتى يجيب ولو جبراً، فإنا لم نجد عنه محيداً، وسهل له الأمر بأنا لا نطيل مكثه بها فوق سنة إن شاء الله ويتوجه لأهله يقيم فيهم الأربعة أشهر والخمسة. ويترك من يرضاه خليفة حتى يرجع لمحله، ولا يقبل منه عذرا في ذلك».

وقد امتثل الطريس أمر السلطان. وفي يوم 28 شعبان 1258 / 4 أكتوبر 1842 حل بمراكش ومنها التحق بالصويرة كأمين مرساها وعامل المدينة في آن واحد ؛ وبها مكث إلى أن وافته المنية سنة 1270 (1854).

وتستنتج من كناشه الخاص أنه كان ينفق مالا كثيرا في شراء العبيد من أجل تحريرهم.

أرشيف مؤسسة عبد الخالق الطريس بتطوان ؛ أرشيف ابن عزوز حكيم بتطوان ؛ قسم المخطوطات بالمكتبة العامة بتطوان.

J. Wolf, *L'épopée d'Abd El Khaleq Torres*, Paris, Casablanca, 1994.

الطريس، محمد بن **العربي** بن عبد الخالق بن محمد بن المهدي، فقيه تطواني قضى حياته في خدمة المخزن في عهد السلاطين سيدي محمد بن عبد الرحمن ومولاي الحسن الأول ومولاي عبد العزيز، فكان أول منصب أسند إليه كأمين مرتين سنة 1284 (1867) وفي يوم 21 ذي القعدة 1292 / 12 ديسمبر 1875 عين أمينا للمستفاد بالدار البيضاء ولم يظل فيه سنة كاملة حيث قدم استقالته منه يوم 28 شوال 1293 / 16 نوفمبر 1876 ؛ وأعيد تعيينه في نفس المنصب في رمضان 1294 / سبتمبر 1877 غير أنه قدم استقالته منه في شهر ربيع الأول 1295 / 19 مارس 1878.

وفي يوم 18 جمادى الثانية 1296 / 9 يونيو 1879 عين عاملا وأمينا للمستفاد بنفس المدينة ؛ ومرة أخرى قدم الطريس استقالته من المنصبين في ربيع الأول 1300 / فبراير 1883 ؛ وفي السنة التالية أسندت إليه خلافة النائب السلطاني في الشؤون الخارجية الحاج محمد برگاش بطنجة.

وفي سنة 1306 / 1888 ترأس السفارة التي بعثها السلطان مولاي الحسن الأول لتهنئة البابا ليون الثالث عشر

Léon XIII بمناسبة الذكرى الخمسينية لتربعه على كرسي الفاتيكان.

والطريس هو الذي ترأس الوفد الذي مثل المغرب في مؤتمر الجزيرة الخضراء المنعقد يوم 15 يناير إلى يوم 7 أبريل من سنة 1906 ؛ وحيث إنه اعتبر القرارات التي اتخذتها الدول الأوربية في المؤتمر تدخلا في الشؤون الداخلية لوطنه فقد امتنع عن توقيع العقد النهائي الصادر عن المؤتمر.

ومن المعلوم أن الفترة التي تولى فيها الطريس المنصب الخطير المتمثل في النيابة عن السلطان في الشؤون الخارجية، كانت فترة خطيرة في تاريخ المغرب المعاصر حيث كثرت فيها المطالبة الأجنبية بأشياء كثيرة تتنافى مع السيادة المغربية، وكانت كل من فرنسا وإسبانيا تتدخل في الصحراء المغربية، وعمت الفوضى بسبب ظهور الفتان بوحمارة سنة 1902 ؛ وكانت زيارة إمبراطور ألمانيا غليوم الثاني لطنجة سنة 1905، وحوادث الدار البيضاء واحتلالها مع احتلال وجدة ؛ في هذه الفترة برهن الطريس عن كفاءته وحنكته السياسية والديبلوماسية العالية.

وتشهد آلاف الوثائق التي يضمها الأرشيف الذي تركه النائب الطريس على ما قام به من أعمال خطيرة واتخذ من مواقف حازمة دفاعا عن استقلال وسيادة ووحدة المغرب في الظروف الحرجة التي مرت بها البلاد في الوقت الذي كانت فيه الدول الاستعمارية تتكالب على المغرب وتعقد الصفقات السرية التي أدت إلى فرض الحماية عليه بعد وفاة النائب الطريس بأربع سنوات حيث إن وفاته كانت بطنجة يوم 16 شعبان 1326 / 13 سبتمبر 1908.

وبخصوص الأرشيف المذكور يجب أن نقول إنه لا صحة لما زعمه البعض من أنه يوجد في حوزة الحكومة الإسبانية، لأن الحقيقة هي أنه صار بعد وفاة النائب في حوزة ولده الباشا أحمد ثم أصبح في ملك حفيده الزعيم عبد الخالق الذي فوته إلى الحكومة الخليفية في عهد الحماية. وقد قمت بتنظيمه. وهذا الأرشيف يشكل اليوم قسم المحفوظات بالمكتبة العامة بتطوان. وقد قام مؤرخ المملكة بتصوير جميع وثائقه التي توجد حاليا بمديرية الوثائق الملكية بالرباط.

قسم المحفوظات بالمكتبة العامة بتطوان ؛ أرشيف مؤسسة عبد الخالق الطريس بتطوان ؛ أرشيف ابن عزوز حكيم بتطوان ؛ ابن عزوز حكيم، *النائب السلطاني في الشؤون الخارجية الحاج محمد بن العربي الطريس* (تحت الطبع).

J. Wolf, *L'épopée d'Abd El Khaleq Torres*, Paris, Casablanca, 1994.

الطرّيس، محمد بن **المهدي** بن محمد. فقيه تطواني زاول منصب أمين الديوانة في كل من تطوان وطنجة والصويرة والدار البيضاء من سنة 1793 إلى سنة 1800 وكان يعمل بدار المخزن بمكناس حيث أصابه الطاعون ومات على إثره هناك سنة 1216 (1801).

أرشيف محمد عبد الخالق الطريس بتطوان ؛ أرشيف ابن عزوز حكيم بتطوان.

J. Wolf, *L'épopée d'Abd El-Khaleq Torres*, Paris - Casablanca 1994.

الطرّيس، المهدي بن **محمد**. كان هذا الفقيه أول فرد من أسرته التطوانية عين في سلك أمناء الديوانة في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله من سنة 1770 إلى سنة 1790 حيث عين بديوانة طنجة ثم بالعرائش فسلا والرباط، وكان أمينا بمرسى الصويرة عندما تولى المهندس الفرنسي كورنو Cornut بناء تحصينات المدينة المذكورة، وقد وافته المنية بتطوان سنة 1206 (1792).

أرشيف مؤسسة عبد الخالق الطريس بتطوان ؛ أرشيف ابن عزوز حكيم بتطوان.

J. Wolf, *L'épopée d'Abd El-Khaleq Torres*, Paris - Casablanca, 1994.
محمد ابن عزوز حكيم

الطرز (البلدي)، ما كان المغاربة يقتصرون على تفصيل الملابس والأقمشة والأردية والمنتعلات والأحزمة والحقائب وغير ذلك مما يحتاجون إليه في مجال اللباس والغطاء والفراش بل يسعون كل حسب طاقته وقدرته إلى تجميلها وتأنيقها بما يضفي على الهندام الأناقة والرشاقة اللازمتين.

وكان هذا الهاجس حاضرا لدى أهل الحواضر أكثر من سكان البوادي ولدى الإناث أكثر من الذكور، فكانت العملية الأولى في تحضير اللباس تبدأ بالخياطة ثم يليها الطرز الذي يسمى أيضا "الرقيم" و"الرشيم" كما تسمى الطرازات "الرقامات" و"الرشامات". وكان الطرز المتداول في المغرب من أنواع متعددة أهمها "طرز الحساب" الذي يدعى أيضا "طرز الغرزة" و"طرز العلجة" أو "طرز العلوج"، وتشتهر بهما مدينة فاس، ثم طرز "الرّندا" الذي يسمى أيضا "طرز الشبكة" أو "الختليت" السائد في الرباط وسلا و"طرز البزدادا" و"طرز الكانبا" المنتشر في طنجة وتطوان وشفشاون زيادة على أنواع أخرى من غير ما ذكر توجد في أزمور وأسفي وغيرهما.

ولقد ازدهر الطرز في المدن المغربية العريقة التي وفد إليها المهاجرون من العواصم الكبرى في المشرق والمغرب الإسلامي كدمشق وبغداد وقرطبة وغيرها (لسان الدين ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، ص. 280). وكانت هذه المدن المغربية هي فاس وتطوان والرباط وسلا ووجدة ومكناس والشاون وأزمور. وكان طرز فاس يحتل مرتبة الصدارة بين سائر المدن "بسبب دقة إنجازه وروعة أشكاله وتناسق ألوانه وتنوع أغراضه" (H. Terrasse, *Les arts décoratifs*, p. 99).

ولم يكن الطرز في المدن السالفة الذكر يمارس إلا في أوساط العائلات العريقة النازحة من الأندلس وبعض العائلات الأهلية المترفة، لكن نطاقه اتسع تدريجيا حتى ساد معظم الحواضر إلى حد أن جل النساء المغربيات أصبحن يعتبرنه من المبادئ الأساسية في تربية بناتهن. لذا كانت جل الأمهات الحضريات عندما تحتفلن ببلوغ بناتهم سن الرشد

تبادرن إلى وضع إبرة وكشتبان وخيط من حرير في أيديهن حتى يسهل عليهن تعلم فن الطرز. وكانت كثير من الأسر الحضريات "تأخذ بناتها منذ أول صيام لها إلى دار المعلمة الطرازة لتتعلم الطرز بالإبرة والحلقة تحت إشرافها" (G.S. Colin, *La vie marocaine*, p. 12).

وفي فاس كانت جل النساء تمارسن الطرز الذي كاد أن يتحول إلى حرفة نسوية قائمة بذاتها دون أن يكون لها كيان رسمي أو تنظيم حرفي علني لأنه كان ينجز كله داخل البيوت، فمنه كانت "تكسو الفتاة نفسها وتقتني صورتها [شورتها] وتشتري ما تحتاج إليه من حلي، كما [كانت] تستعين به الأم على مصاريفها الخاصة فلا تنتظر عطاء الرجل، وبواسطته أيضا تطرد الغنية الملل عن نفسها وتبين براعتها في الإبداع" (محمد بن التهامي أفيلال، *تنبيه الأكياس*، ص. 39).

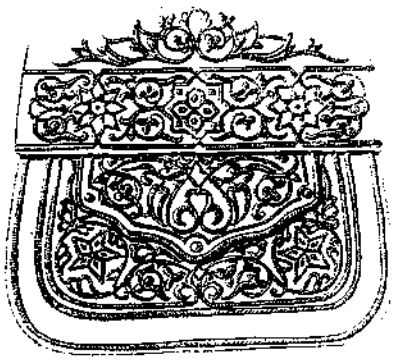

وكانت الماهرات من الطرازات معروفات بالاسم والسكنى في جل الحواضر لدى الحرفيين وسائر الناس ممن يحتاج إلى صنعتهن. وقد بلغ عدد الطرازات في فاس في بداية القرن 20 حسب أمين السرارين الحاج محمد السبتي 2500 معلمة متخصصة في الطرز بخيوط الذهب (الصقلي) و2000 معلمة في الطرز بخيوط الحرير (الصابرة). وفي الرباط كان المجتمع المحلي يعتبر الطرز أرقى ما يمكن أن تشتغل به النساء المحظيات والفتيات المصونات. أما في تطوان فكاد الطرز بخيوط الحرير أن يتحول إلى صناعة منزلية تمارسها جل التطوانيات وكان يشغل ألفا من العاملات من مجموع ساكنة تعدادها وصل إلى حوالي 25.000 (A. Joly, *L'industrie à Tétouan*, p. 146).

وكان الطرز، الذي يُنجز إما على الثوب أو الجلد، يتم إما بخيوط الذهب أو خيوط الفضة أو خيوط النحاس أو خيوط الحرير. إلا أن الطرز الذي كان سائدا هو الطرز بخيوط الحرير.

- الطرز بخيوط الحرير : لم يكن الطرز بخيوط الحرير يقتصر على الثوب بدون الجلد ولا على أردية الإناث دون الذكور لكنه كان أكثر استعمالا في الأثواب وملابس الإناث. وكان أكثر ما يطرز في ملابس النساء هو السبنيات وأطواق الأعناق وأطراف الأرجل وحواشي الأكمام وأسافل الملابس الدفينة والتحتيات والشرابيل والخمر وأردية الحمام ومناديل الرؤوس. أما ما كان يطرز من ملابس الذكور فهو الأحزمة والحقائب ووعاء دليل الخيرات وسروج الخيل ولوازمها. وكان الطرز إما من النوع الخفيف الذي لا يغطي إلا أجزاء معلومة من الملبوس، مما كان في متناول السواد الأعظم من الناس، أو من النوع الثقيل الذي يبدأ من تغطية الأجزاء المعرضة إلى النظر لتشمل كل أجزاء الملبوس بأشكال مختلفة الوضع والترتيب، مما لم يكن في متناول غير الفئات المترفة.

- الطرز بخيوط الذهب والفضة : لم يكن الطرز بخيوط الذهب والفضة يتعدى نطاق نخبة النخبة من أهل المخزن والأعيان وكبار الأثرياء. وكان يقتصر على أحزمة الذكور والإناث (المضمات) ومنتعلات النساء وسروج الخيل الفارهة التي كان يمتطيها رجال المخزن والقواد والباشوات ومن في مرتبتهم في الأعياد والمناسبات. وكانت الأوضاع المادية المبسوطة لهؤلاء تسمح لهم بارتداء أقمصة وقفاطين منسوجة من حرير ومطرزة بخيوط الذهب والفضة مما كان يسميه عامة الناس "المزردخان" أو "الخريب" في فاس و"حرير ما نقل عليه" في الرباط وسلا.

وكانت ترتبط بالطرز وتدور في فلكه مجموعة من الحرف نذكر منها على وجه الخصوص حرفة الحرارين وصناع خيوط الذهب والفضة والنحاس. وعليه فقد كان الطرز لا يستغني عن الحرارين والقطانين وصناع "خيط المجبود" أي ما يدعى عند عامة الناس "تاصقليت". وكان لا يمارس هذه الحرفة الأخيرة إلا فئة قليلة من الصناع المسلمين، أما معظمها فكان من اختصاص اليهود الذين أتقنوا صناعته وتفننوا فيها داخل أسوار الملاحات التي كانوا يقطنون بها (إلى جانب صناعة الحلي والمجوهرات). وقد أغدقت "مليخت الصقلي" هذه، أي صناعة الصقلي، على بعضهم أموالا طائلة رفعت آل الكوهن منهم في فاس على الخصوص إلى أعلى مراتب الثروة والجاه. وكانت أكبر أسواق خيوط الذهب والمعادن النفيسة في فاس توجد بجوار سوق الصرافين والصياغين. وفي الرباط إلى جانب السكاكين والسراجين. ومن بين أكبر السراجين المتعاملين مع اليهود والذين كانوا يوظفون أموالا

طائلة في شراء "سلك المجبود" لاستعماله في طرز الركائب والسروج لفائدة قواد وأعيان مختلف القبائل نذكر الحاج محمد السبتي ومحمد الشرايبي وإدريس السقاط الذين كانوا يدرجون ضمن كبار الأعيان والأثرياء في فاس.

وكانت أشكال الطرز وألوانه وأغراضه تقتبس من الواقع الحضاري الذي تعيش ضمنه الطرازات، وهو يتميز بوفرة النماذج الموروثة أبا عن جد مما ينقل من مجال الهندسة المعمارية الإسلامية وعالم الأشجار والأزهار والورود. أما الاقتباس من عالم الحيوانات فكان قليلا إلى منعدم في الطرز المغربي، ما عدا في طرز أزمور حيث كانت الطرازات الأزموريات تمثل تنانين خرافية وحيوانات خارجة عن سياق الحضارة الإسلامية التي من مرتكزاتها الأساسية "ألا ترسم المخلوقات حيوانية كانت أم بشرية" (محمد الشياظمي والحاجي السباعي، مدينة أزمور، ص. 56).

لسان الدين ابن الخطيب، *نفاضة الجراب في علالة الاغتراب*، الدار البيضاء، د. ت. تحقيق أحمد مختار العبادي ؛ محمد بن التهامي أفيلال، *تنبيه الأكياس للاقتصاد في المآتم والاعراس*، تطوان، 1976 ؛ عبد الحنين المكناسي، *الطرز المغربي*، الرباط، 1985 ؛ محمد الشياظمي والحاجي السباعي، *مدينة أزمور وضواحيها*، الرباط، 1987.

P. Ricard, *Les broderies marocaines*, Alger, 1918 ; *Le souq el Marktan et les broderies de Fès*, *F.M.* ; *Les arts marocains et leurs rénovations*, Bordeaux 1930 ; C. Brunot David, *Les broderies de Rabat*, Rabat, 1943 ; L.J. Nacivet, *Le filet brodé marocain*, in *F.M.*, n° 4 ; M. Guerard, *Contribution à l'étude de l'art de la broderie au Maroc*, *Hesp.*, t. 8, 1967 et *Hesp.*, t. 9, 1968 et *Hesp.*, t. 10, 1969 ; *Musée des arts d'Afrique et d'Océanie : Broderies marocaines*, Tours 1991 ; A.M. Goichon, *La broderie au fil d'or à Fès*, *Hesp.*, t. 26, 1939 ; F. Alaoui, *Manuel de broderie marocaine classique*, Salé 1969 ; H. Gayot, *La broderie de Fès*, Rabat, 1959 ; *Etude sur la broderie de Meknès*, Rabat, 1956 ; *Etude documentaire sur la broderie de Salé Moderne*, Rabat, 1955 ; L. Golvin, *Le métier à la tire des fabricants de brocart de Fès*, *Hesp.*, vol. 37, 1er et 2e trim. 1950 ; J. Jouin, *Les thèmes décoratifs des broderies marocaines*, *Hesp.*, vol. 21, fasc. 1 et 2, 1935 ; P. Larrea, *El Bordado in Sidi Ifni*, *Archivo del instituto de estudios africanos*, Madrid, 1954 ; G. Matha, *Contribution à l'étude de la broderie au Maroc*, in *Hesp.* vol. 8, 1967 ; M. Vicaire, *La fabrication du fil d'or à Fès*, *Hesp.*, vol. 24, 1er et 2e trim., 1937 ; J. Galloti, *Les métiers d'art au Maroc*, *F.M.*, n° 4 ; H. Terrasse et J. Hainaut, *Les arts décoratifs au Maroc*, Paris, 1925 ; J. Baldoui, *Les arts indigènes au Maroc*, Paris [s. l.] et [s. d.] ; J. Delanazière, *La décoration marocaine*, Paris, [s. l.] et [s. d.] ; A. Chenail, *Dessins d'arts marocains*, Rabat, 1930 ; G.S. Colin, *La vie marocaine*, Paris, 1953.

محمد بوسلام

الطُّرطوشي، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Tortosa وهو اسم مدينة إسبانية ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1088 (1677).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية الكثيرة التي ذكرها في الرقم 813.

الطرف، رأس يقع بشاطئ قبيلة الحوز التطواني شمال مدينة مرتين ؛ ويعرف أيضاً باسم "الگرورة" وبرأس كدية الطيفور وقد أطلق عليه الإسبان اسم كابونيگرو Capo Negro أي الرأس الأسود.

Comision historica de las campañas de Marruecos. *Geografia de Marruecos (protectorados y posesiones de España en Africa)*, Madrid 1936.

محمد ابن عزوز حكيم

الطَّرفاء، أو الطَّرْفة أو الطَّرَفَة أو الأثْل أو العريش بالعربية أو تَامَايْتْ أو أمَايْ بالأمازيغية أو تاماريسْ Tamaris بالفرنسية، أسماء لأنواع جنس تاماريكْسْ Tamarix الذي ينتمي إلى فصيلة الطَّرْفاويّات Tamaricaceae.

يمثل الجنس في المغرب بحوالي 10 أنواع طبيعية شجيرية باستثناء نوع واحد شجري. تتميز الأنواع بأوراقها الحرشفية، وأزهارها الصغيرة جدا والمجمّعة على شكل عناقيد. الأزهار مكونة من 4 أو 5 سبلات و4 أو5 بتلات و5 أسدية و3 كربلات.

أغلب الأنواع تعيش في المناطق الجافة لكن على ضفاف الأنهار والبحيرات والضايات والسبخات من سطح أتربة ذات فرشاة مائية جوفية قريبة بحيث تتفاوت درجات الملوحة حسب الأنواع. وتجدر الإشارة إلى أن الأوراق والأغصان الفتية تفرز على سطحها الكمية الزائدة من الملح تفاديا لظاهرة التسمم. مما يجعل الأوراق والأغصان تظهر مكسوة بتراكمات ملحية بيضاء اللون. وتعود هذه الظاهرة إلى أن أنواع الطرفاء التي تعيش في الأراضي المالحة تكون ملزمة بامتصاص الملح من التربة لتمكنها من امتصاص الكمية الكافية من الماء، ثم يفرز بعد ذلك الملك الزائد لتفادي أي تسمم.

لأنواع الطرفاء استعمالات عديدة، منها التي يستخدم خشبها، ومنها التي تستعمل في التطبيب التقليدي، ومنها التي لها منافع أخرى.

نظرا لصعوبة التمييز بين بعض أنواع الطرفاء، سوف لانتطرق إلا لأهمها :

- الأثْل أو لِثل أو تَلاَيَا أو الطرفاء الشجرية أو الطرفاء المفصلية أسماء عربية لنوع تَامَاريكْسْ آرْتيكُولاتا Tamarix articulata أو الطرفاء عديمة الأوراق أو تَامَاريكْسْ آفيلاً Tamarix aphylla.

شجرة يتراوح علوها ما بين 10 و15 م، جميلة المنظر، ذات تاج مُتَهدِّل ولون أخضر فضي. قشرة جذعها مشققة. قشرة أغصانها سمراء اللون. أوراقها شبه منعدمة (الطرفاء عديمة الأوراق)، إذ لا تظهر إلا على شكل أغمدة اسطوانية محيطة بالأغصان، مما يعطيها مظهرا مفصليا (الطرفاء المفصلية). لون الأغمدة أخضر فضي. ازهاراتها على شكل سنابل مُجمّعة في عُشكُول غير كثيف. تتركب الزهرة من 5 سبلات و5 بتلات و5 أسدية وقَلم واحد حامل 3 مياسم. ثمارها علبية ذات شكل هرمي، وحجم صغير جدا لا يتعدى 3 مم.

يعيش النوع طبيعيا على ضفاف الأنهار والسواقي والضايات، في المناطق الجافة والصحراوية الموجودة ما بين المحيط الأطلسي غربا وبلاد الهند شرقا. يحبذ الأتربة الطميية والطينية. ولهذا لا يصادف النوع طبيعيا في المغرب إلا في جنوب البلاد حيث ينظم تشكيلات تكون أحيانا كثيفة جداً ولا سيما طول وادي درعة ووادي زيزْ ووادي غْريسْ وروافد هذه الأنهار. لكن الإنسان غرس هذه الشجرة منذ أقدم العصور، فساعدها كثيرا في الانتشار في مجالاتها الطبيعية وخارجها وذلك لأجل أغراض عديدة.

يعتبر الأثْل الشجرة الوحيدة من هذا الجنس التي تعطي خشب النجارة والأثاث بكمية لا يستهان بها في المناطق الصحراوية، وذا جودة رفيعة. ففي هذا الشأن، يقال إن منبر النبي محمد (ص)، قد يكون صنع من خشب الطرفاء الشرقية Tamarix orientalis التي يعتبرها بعض الباحثين من نفس النوع المدروس هنا وهو الأثل المفصلي.

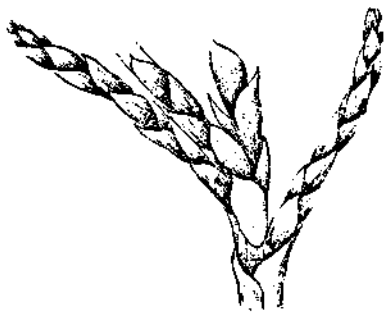

إضافة إلى هذا، يستخدم خشب النوع في صنع ركائز الخيام والسروج المحمولة على الجمال، وبعض الأواني وغير ذلك. كما يحرق خشب النوع كوقود أو يستعمل في صناعة الفحم أو القطران. كما استعمل في تكوين مصدات الرياح أو للتزيين في الحدائق أو طول الطرق.

وفي بداية السبعينيات من القرن العشرين ميلادي شرع في استخدام الأثْل من طرف مصالح المياه والغابات في عملية تثبيت الكثبان الرملية الصحراوية التي تهدد في زحفها مساكن ومزروعات أهالي الواحات.

ومن أهم الاستعمالات الأخرى تلك التي تخص ما يسمى العفْصة البلدية بالعربية أو تَاكَاوْتْ بالأمازيغية. وتَاكَاوْتْ ليست تيكّيوْت التي هي الدغموس (انظر الدغموس)، بل تضخم يظهر على بعض أغصان الأثل وينتج عن بعض الطفيليات الحيوانية. يتراوح حجم العفصة ما بين حبة جلبان وحبة جوز. تستخدم العفصة في الدباغة والصباغة وتلوين الشعر الأشيب باللون الأسود. وأشهر المناطق المنتجة لأجود مادة من الحفصة هي تافلالت وغريس وأغمات. وهكذا اشتهر الجلد الفلالي والأغماتي، وكانت كميات كبيرة من العفصة تصدر من هذه المناطق إلى فاس ومراكش والجزائر وليبيا وأوربا حيث كان قسط من هذه المادة يستخدم لصناعة الحبر، مما حفز سكان المناطق المنتجة على غرس الأثل على طول السواقي لتلبية الطلب المتزايد للعفصة.

تستخدم العفصة أيضا وحدها أو مخلوطة مع أوراق وحسب الأثل أو الشب في عدة مجالات كالوشم أو في التطبيب التقليدي مثل معالجة أمراض الجهاز الهضمي والجهاز التناسلي والسل والجدري وكذلك للإجهاض وغير ذلك.

وبفضل هذه الفوائد الجمة فقد ذكر الأثل والعفصة لدى الأطباء العرب مثل ابن البيطار وعبد الرزاق والوزير الغساسي الذي يخبرنا أن هذه المادة كانت تستعمل في صناعة الحبر.

- الطرفاء الفرنسية أو الطرفاء الكنارية أو علميا تَامَاريكْسْ كَالّيكَا Tamarix gallica أو تَامَاريكْسْ كَانَارِيبنْزِيسْ Tamarix canariensis : شجيرة يتراوح علوها ما بين 2 و6 م. أغصانها رقيقة وذات لون يميل إلى الحمرة. أوراقها ذات لون أخضر يميل إلى الزرقة، صغيرة جدا، وذات قاعدة موسعة، بيضوية إلى رمحية الشكل. أزهارها مجمعة في سنابل محمولة في طرف الأغصان الفتية الحولية، وذات لون وردي أو أبيض.

يصادف النوع في المنطقة المتوسطية والجزر المجاورة لها، والصحراء الشمالية والوسطى. أما في المغرب فإنه يوجد في جل أنحائه ما عدا الجبال العالية. يعيش على ضفاف الوديان والبحيرات والضايات التي تكون مياهها عذبة أو قليلة الملوحة.

يستعمل النوع كنبات زينة نظرا لجمال أزهاره، وكذلك في تثبيت الكثبان الرملية ذات فرشاة مائية جوفية قريبة من السطح. كما يستخدم في التطبيب التقليدي.

- الطرفاء الإفريقية أو تَامَاريكْسْ آفْرِيكَانَا Tamarix africana : شجرة أوشجيرة يتراوح علوها ما بين 3 و5 م. تتميز بأوراقها ذات الحواف الشّفّافة وأزهارها كبيرة الحجم نسبيا والتي تظهر قبل الأوراق وعلى الأغصان المعمرة، وبلون أبيض.

الموطن الأصلي للنوع هو الجزء الغربي من المنطقة المتوسطية حيث يعيش على الضفاف الصخرية والحجرية للأنهار.

استعمالات النوع قليلة جدا مقارنة مع النوعين السابقين.

A. Benabid. *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*, Paris, Rabat, 2000 ; J.Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle, médecine arabe ancienne et savoirs populaires*, Paris, 1997 ; L. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris, 1938 ; A. Metro et Ch. Sauvage, *Flore des végétaux ligneux de la Mamora*, Rabat, 1955.

عبد المالك بنعبيد

طرفاية (مدينة) تقع مدينة طرفاية على الساحل الأطلنتي على بعد 213 كلم جنوب غرب مدينة طان طان

وعلى بعد 100 كلم شمال مدينة العيون، تبلغ مساحة مدارها الحضري حوالي 25 كلم2 يحدها من الشمال والغرب المحيط الأطلنتي ومن الجنوب والشرق جماعة الطاح القروية.

تطورت مدينة طرفاية عند رأس جوبي حيث أنشأ بها مستكشف انجليزي عند نهاية القرن التاسع عشر 1882 قلعة تعرف إلى يومنا هذا باسم كازامار (دار البحر)، وقد احتلها الإسبان سنة 1916 وتم استرجاعها إلى حظيرة الوطن سنة 1958. غير أن الفضل في شهرة طرفاية يعود إلى الطيار الفرنسي سان إكزوبري الذي ذكرها في كتاباته (بريد الجنوب) خصوصاً وأنها كانت محطة مهمة للطائرات ونقطة ربط داخل خط البريد الجوي الذي فتح سنة 1925 للربط بين الدار البيضاء وسان لويس بالسنيغال.

وتعتبر سنة 1975 منعطفا مهما في تاريخ المدينة وذات دلالة رمزية حيث شكلت نقطة تجمع واستقبال المتطوعين المشاركين في المسيرة الخضراء المنحدرين من مختلف أنحاء الوطن، ومنها أعطيت انطلاقة عبور هذه المسيرة نحو الأقاليم الصحراوية الجنوبية التي ظلت تحتلها إسبانيا منذ أمد بعيد.

كانت المدينة تشكل عاصمة إقليم طرفاية، لكن بعد استرجاع الأراضي الصحراوية الجنوبية تم إلحاقها بإقليم العيون لتشكل مركزاً لجماعة قروية تابعة لدائرة الداورة. وعلى إثر التقسيم الإداري الذي شهده المغرب سنة 1992 رقي مركز طرفاية إلى بلدية تنتمي إلى إقليم العيون التابع بدوره لجهة العيون - بوجدور - الساقية الحمراء. وتعتبر طرفاية في نفس عاصمة لدائرة طرفاية المشكلة من أربع جماعات قروية هي : اخفنير، الداورة، الطاح، الحكونية.

إن عدد سكان طرفاية حالياً (سنة 2002)، بالاعتماد على نسبة النمو السنوي المسجلة بين سنتي 1971 و1994 (6,3٪) لا يقل عن 6700 نسمة. وبذلك تكون هذه المدينة قد سجلت نفس وتيرة النمو القوية التي عرفتها باقي المدن الصحراوية المغربية. وهكذا فقد انتقل عدد سكان طرفاية من 1104 فرد سنة 1971 إلى 2909 سنة 1982 ثم 4506 سنة 1994.

ولم يكن هذا التطور ممكنا دون المجهودات التي سجلتها المدينة على مستوى خلق البنيات التحتية المتمثلة بالخصوص في ميناء طرفاية الذي يعد أهم محرك لعجلة التنمية والمتنفس الاقتصادي لمدينة طرفاية. فقد أصبح يكتسي بعدا جهويا اذ يعد ثاني ميناء بالجهة بعد ميناء المرسى. فبعدما لم يكن يشكل في الستينيات سوى مرفأ صغير تحتمي فيه قوارب الصيد التقليدية من لجة المحيط الأطلنتي العالية، فقد أصبح اليوم يشكل مع الملحقات والوحدات الصناعية التابعة له أهم قطب اقتصادي بالمدينة.

شيد هذا الميناء سنة 1982 على مساحة 39,6 هكتارا يغطي فيها الحوض البحري مساحة 17 هكتارا، ويبلغ طول حواجزه 1720 متر، أما طول الأرصفة فيصل إلى 214 متر. ونشاط هذا الميناء موجه بالأساس إلى الصيد البحري وتصدير الرمال والملح. وتجدر الإشارة إلا أنه يحتل مكانة رائدة في ميدان صيد السردين وذلك نظراً لانفتاحه على المصايد الأطلنتية الغنية المرتبطة بتردد التيار البحري البارد الذي يمر من سواحل طرفاية والمعروف باسم الكناري غير أن هذا النشاط يعرف نوعا من عدم الانتظام ويعاني نوعا من ضعف التطور بسبب غياب بعض التجهيزات الأساسية داخل الميناء مثل الماء الشروب، وشبكة التطهير، وعدم ربط المركز بالشبكة الوطنية لتوزيع الطاقة الكهربائية. فالمركز يعتمد على محطة حرارية صغيرة لتوليد التيار الكهربائي.

إن مشكل الماء الشروب لا يقتصر على الميناء فحسب بل تعانيه المدينة بشكل عام بسبب ضعف الموارد المائية المحلية، ويعتمد في تزويد المدينة بالماء الشروب على تحلية المياه الجوفية بحجم لا يتجاوز 800 متر مكعب في اليوم. لكن أهم العوامل المعرقلة لنمو المدينة والتي لا تهدد مستقبل الميناء فحسب بل المدينة ككل يتمثل بشكل أساسي في ظاهرة زحف الرمال. إن موقع طرفاية الجنوبي الصحراوي المتميز بالتردد القوي للرياح، وشكل وطريقة رسم ساحلها تجلعها تعرف تعرية ريحية جد نشيطة تتجسد في تكوين وتحريك الكثبان الرملية التي تشكل عائقا حقيقيا أمام تنمية المدينة والمجال المحيط بها، فالكثبان الرملية تتسبب في خلق متاعب يومية للسكان، وتؤدي إلى دفن التجهيزات مثل الطرق وعرقلة السير العادي للميناء الذي يتعرض حوضه للطمر المتواصل. ومصدر هذه الرمال هو تفتت القشرة الصخرية الكلسية المكونة للصخر الأم على طول الساحل، هذه الفتاتات الرملية تلقي بها التيارات البحرية فوق الشواطئ لتحملها الرياح التجارية (الأليزي) الآتية من الجهة الشمالية والشمالية الشرقية إلى داخل المدينة.

وللحد من مشكل الترمل اتخذت بعض التدابير في إنشاء سور واقٍ في التسعينيات لحماية المدينة، إلا أن هذا الحاجز أصبح دون جدوى الآن أمام تعاظم ظاهرة زحف الرمال، وتعد فكرة انشاء حزام اخضر على شكل غابة الحل الأنجع لتثبيت الحقول الرملية. إلا أن تدبير مشكل الترمل يبقى صعبا ومعقدا ورهينا بالإمكانيات المادية والبشرية المهمة التي تفتقر إليها المدينة.

عبد اللطيف رمان

طرق موريطانيا الطنجية، تعتبر الطرق في عهد الاحتلال الروماني، وسيلة لانتقال الإنسان بثقافته وتجاربه ومنتوجاته، وقد استعملتها الدول لنقل جيوشها قصد توسيع نفوذها. ومن هذه الدول روما التي لجأت إلى إنشاء الطرق ومدها لتيسير تغلغل احتلالها واستغلال خيرات البلدان المحتلة. لذلك فروما نظمت الطرق وأنشأت الجسور والقناطر ووضعت العلامات الميلية عليها قصد معرفة المسافة وتسهيل نقل الجيوش والبضائع.

وإذا كانت روما قد اهتمت بطرق الولايات في باقي أنحاء الامبراطورية الرومانية، فإن طرق موريطانيا الطنجية كانت أقل تنظيما وجودة من طرق إيطاليا وإسبانيا إذ أن جلها غير مبلط وبدون علامات الأميال. وقد كان للعلامة الميلية أهمية خاصة في الطرق، إذ أنها تسجل المسافات على طول الطرق الرومانية. وقد سميت بالميلية لأن وحدة قياس المسافات كانت الميل الذي يساوي 1.55065 كلم. وكانت المسافة في إيطاليا مقاسة انطلاقا من روما، وفي الولايات انطلاقا من عواصمها.

ونظراً لغياب العلامات الميلية والتبليط في طرق موريطانيا يمكن اعتبارها مجموعة من المسالك التي كانت مطروقة منذ القديم من طرف السكان الأصليين، واستمر الرومان في استعمالها خلال فترة حكمهم بعد أن أدخلت عليها بعض التحسينات وأضيفت إليها بعض القناطر على الأودية والمجاري المائية.

وكانت شبكة موريطانيا الطنجية تتكون من قسمين :

أ ـ طريق يمكن أن نسميها إلى حد ما ساحلية.

ب ـ طريق أخرى داخلية، ويوجد على رأس هذين الطريقين طنجيس.

أ. الطريق الساحلية : يبلغ طولها 175 ميلاً تنطلق من طنجيس، وتتجه إلى زيليس عبر أدمير كوري ثم تتجه نحو طابيرني وليكسوس. وعند الخروج من ليكسوس تبتعد الطريق عن الساحل وتمر بفريجيدي ثم تتجه إلى بناسا على الضفة اليسرى لنهر سبو، ثم تسير محاذية لنهر سبو إلى تموسيدا. وما بين تموسيدا وسلا تمر الطريق بغابة المعمورة مع تفادي المستنقعات الموجودة على ضفاف نهر سبو، ومن سلا إلى أدمير كورسيوس (خريطة رقم 1).

ب ـ الطريق الداخلية : طولها 148 ميلا تنفصل عن الطريق الساحلية بعد 18 ميلا جنوب طنجيس عند محطة أدمير كوري التي لا تزال آثارها ظاهرة للعيان. ومنه إلى وادي لكوس عند أوبيدم نوفوم عبر أدنوفاص. ثم تستمر الطريق في اتجاهها نحو الجنوب إلى تريمولي ثم فوسبيتشيانس، ومن هذا إلى جليدا، ثم العين الكبريتية، أكودا كيكاي. ثم تتجه إلى وليلي التي تعتبر أهم قاعدة للاحتلال الروماني في الداخل، ومنها إلى المحطة النهائية في هذه الطريق وهي طوكولوسيدا. كما كان هناك اتصال بري بين وليلي وسلا عبر طوكولوسيدا، وبين طوكولوسيدا وتموسيدا عبر ألبيوم (الخريطة رقم 2). وبالإضافة إلى هذين الطريقين الرئيسيين كانت هناك بعض الطرق الفرعية. وهذه الطرق، أو على الأصح محطاتها، ذكرت من طرف عدد من المهتمين، وخاصة عند مسالك أنطونين، منها بابا، وتمودا. فهل كانت هناك طريق تربط هذين الموقعين، أم أن الاتصال بهذين الموقعين كان يتم بواسطة طرق فرعية تنطلق من الطرق السابقة ؟ بالنسبة لتمودا مثلا من المعروف عنها أنها كانت ترتبط بطنجيس عبر البنيان، وأما بالنسبة لبابا فليس من المستبعد أن تكون هناك طريق تربطها بأوبيدوم نوفوم من جهة، وبتريمولي من جهة ثانية، وربما بفوسبتيشيانيس (الخريطة رقم 1).

ولكن ألا يمكن الحديث عن طريق آخر يمر بوادي ورغة ويوصل بالبحر الأبيض المتوسط ؟ هذا الطريق الذي كان مع ذلك معروفا بغناه كما يذكر البكري. ويتم الوصول إلى البحر بعبور جبال الريف عن طريق روافد ورغة والاتصال بنهر غيس. وليس من المستبعد أيضا أن يكون هناك طريق آخر يمر بوادي اللبان شمال إيناون، يمكن من الوصول إلى مليلية بعد عبور وادي مسون. ولم يعر أحد أي اهتمام لهذه الطرق نظرا لاستحواذ ممر تازة على كل الاهتمام واستعمال إيناون من طرف طرق المواصلات العصرية، بالإضافة إلى اكتشاف آثار رومانية في بوحلو. وهذا الموقع الذي يوجد بعيدا في اتجاه الشرق ويبعد عن وليلي بحوالي 130 ميلا، كيف كان الاتصال بينه وبين وليلي ؟ هل كان هناك طريق يجمع بينهما ثم يمتد عبر ممر تازة إلى موريطانيا القيصرية أم أن الاتصال بينهما كان يتم بواسطة قوافل عسكرية فقط ؟ على كل، هذا تساؤل يصعب الإجابة عليه الآن مادام مشكل الاتصال بين الموريطانيتين الطنجية والقيصرية مطروحا للمناقشة، مع العلم أن هناك من الباحثين من يشكك في أن بوحلو كان تابعا للنفوذ الروماني.

والجدير بالذكر أن صاحب مسالك أنطونين يذكر أن شبكة طرق موريطانيا الطنجية مستقلة تمام الاستقلال عن موريطانيا القيصرية، وأن الاتصال بين طنجة في الطنجية وبورتوس ديفان (وهران) في القيصرية يتم بواسطة البحر. كما أن لوحة بوتينگر قد ضاع جزؤها الغربي وتتوقف في اسبانيا عند الشاطئ المتوسطي وعلى شط الحضنة بالجزائر.

أما الأماكن التي ذكرها الجغرافي رافين فيصعب تحديدها بالترتيب. هذا بالإضافة إلى أن علامات الأميال تتوقف عند طريق (Numerus - Syrorum - ad Fratres) للامغنية تمور بالقيصرية. وقد رفض الكاتب سلامة في عمله المتعلق بالطرق الرومانية في شمال إفريقيا الفرضيات العشوائية نظرا لغياب الوثائق.

ونفس الانطباع يتركه لدينا تفحص ما ذكره بطليموس الجغرافي عن المنطقة الفاصلة بين الموريطانيتين. فإذا أخذنا لائحة مراكز موريطانيا الطنجية الواقعة على البحر الأبيض المتوسط، ونقلناها على مربع تبعاً للأحداثيات، نجد أن عدداً

منها يقع في المغرب الشرقي وأنها تتبع ممرا برياً. وهذا ما اعترف به العالم موليير ناشر بطليموس، وما جعل شاتلان وكاركسو بينو يدافعان عن فكرة وجود اتصال وممر دائم الاستعمال بين الموريطانيتين. والجدير بالذكر أن بطليموس حصل على معلوماته من المسافرين بين الطافا (بالقيصرية) وطوكولوسيدا (بالطنجية) وترجم أيام السفر إلى إحداثيات رياضية على الشكل التالي :

طوكولوسيدا 715 عرضا، 33,30 طولا

تريسيديس 9 عرضا، 33,10 طولا

مولوكاث 10,10 عرضا، 33,05 طولا

بينتا 9,30 عرضا، 32,50 طولا

كالافا 11 عرضا، 32,40 طولا

الطافا 12,30 عرضا، 31,10 طولا

فيلاكوفي 12,40 عرضا، 32 طولا

وتتمثل الصعوبة في نقل هذه المراكز على الطبيعة، إذ أنها أكبر من خريطة شمال إفريقيا التي وضعها بطليموس والتي تتضمن خطأين :

1 ـ إن الساحل المتوسطي من طنجة إلى رأس بون يتجه إلى الشرق والجنوب الشرقي بدلا من الشرق والشمال الشرقي كما وضعه بطليموس.

2 ـ أن الساحل الأطلسي يتجه إلى الجنوب ـ الجنوب الشرقي بدلا من الجنوب ـ الجنوب الغربي، كما ذكره بطليموس. ولذلك فقد عرف تخطيط الخريطة حركة مزدوجة في الأخطاء مما أدى إلى نقص في الفروق بين خطوط العرض. وعليه فإن المراكز الساحلية فقط هي التي أمكن تحديدها بدون خطإ مع شيء من الحظ. أما بالنسبة للداخل فيجب ترجمة معطيات بطليموس وتصحيحها انطلاقا من تصحيح خطئه الأساسي. واعتماداً على كل ما سبق، فإن الاتصال البري بين الموريطانيتين لم يكن دائما مما دفع الرومان للاهتمام بالاتصال البحري. وعلى ذكر الاتصال البحري فالطرق البحرية في موريطانيا الطنجية كانت تربط بين طنجيس وسبتة من جهة وروسادير (مليلية) من جهة أخرى، ثم من روسادير عبر البحر إلى موريطانيا القيصرية. وليس من المستبعد أن يكون هناك اتصال بحري بين طنجيس وليكسوس، وسلا، وربما موگادور (الصويرة). نظرا لأهمية هذه المراكز، ولكونها مراكز تصدير الحبوب والأسماك المملحة إلى إيطاليا.

أما الطرق النهرية فالجدير بالذكر أن معظم الأنهار المغربية غير صالحة للملاحة بالإضافة إلى أن اتجاهها شرقي ـ غربي بينما اتجاه التدخل الروماني شمالي ـ جنوبي ـ ولذلك لم يستفد الرومان كثيرا من استعمالها.

مصطفى أعشي، *العلاقات السياسية والعسكرية بين المورو والرومان بين 44و285 ميلادية*. د.د.ع. الرباط، 1980 ؛ *حدود موريطانيا الطنجية في عهد الاحتلال الروماني*، مجلة *تاريخ المغرب*، عدد 3، 1983، ص. 69 ـ 80 ؛ *نهاية الوجود الروماني*، مجلة *أمل*، عدد 24، سنة 2001، ص. 115 ـ 140 ؛ عبد الله العروي، *تاريخ المغرب*، ترجمة الدكتور ذوقان قرقوط، بيروت، 1978.

Pline l'Ancien, *Histoire naturelle*, v. 14-15 ; M. Euzennat, *Les voies romaines dans l'itinéraire d'Antonin*, *Hommages à A. Grenier*, Bruxelles, 1962 ; ID. *L'archéologie marocaine de 1955 à 1957*, *B.A.M.*, tome 2, 1957, pp. 222-229 ; R. Mareshal, *Le limes de Tingitane au sud de Sala colonial*, *CRAI*, 1924 ; J. Baradez, *Deux missions de recherches sur les limes Tingitanes*, *CRAI*, 1955, pp. 228-288 ; *Fossatum Africae, Recherches aériennes sur l'organisation des confins sahariens à l'époque romaine*, Alger, 1951 ; L. Chatelain, *Inscriptions latines du Maroc*, Paris, 1942 ; R. Cagnat, *L'armée romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les Empereurs*, Paris, 1893 ; M. Rachet, *Rome et les berbères*, Bruxelles, 1970 ; R. Thouvenot, *Une colonie de Mauritanie tingitane, Valentia Banasa*, Paris, 1941 ; *Le géographe Ptolémée et la jonction terrestre des deux Maurétanies*, *R.E.L.*, LXIV, n° 1-2, 1962 ; J. Carcopino, *Le Maroc antique*, Paris, 1943 ; R. Roget, *Le Maroc chez les autres anciens*, Paris, 1924 ; L. Chatelain, *Sala romaine*, Rabat, 1931 ; ID. *Le Maroc des romains*, Paris, 1961 ; R. Rebuffat et Pallu, *Thamusida*, I, Paris, 1971 ; La Chapelle, *L'expédition de Suetonius Paulinus dans le Sud - Est du Maroc*, *Hespéris* 1934, t. XIX, pp. 107-127 ; M. Ouachi, *Situation de la Maurétanie Tingitane*, in Mémorial du Maroc, vol. I, Nord Organisation, 1983, p. 215-232 ; ID. *Les rapports militaires*, in *Mémorial du Maroc*, vol. I, 1983, p. 233-246 ; *Les rapports politiques*, in *Mémorial du Maroc*, vol. I, 1983, p. 247-256.

مصطفى أعشي

الطرق والمسالك. الطرق تاريخيا ليست هي الطرق اليوم من الناحية الهندسية والتقنية فهي حسب ما جاء في المصادر :

1 ـ مسالك ويقصد بها الطرق الكبرى العابرة للأقطار والرابطة ما بين البلدان.

2 ـ سبل وهي الطرق الثانوية الرابطة ما بين المدن والجهات في البلد الواحد.

3 ـ ممرات وهي الطرق الثلاثية أو الرابطة ما بين مختلف أجزاء الجهة الواحدة.

1 ـ يمكن تحديد المسالك التي كانت تخترق المغرب وتربطه بباقي الأقطار والمناطق في ست طرق كبرى :

أ ـ أول هذه المحاور ربط ما بين المدن البربرية في جبال درن والسودان خاصة نفيس وأغمات، وهذه المحاور ليست في الحقيقة إلا جزءا من محاور أكبر كانت تخترق الصحراء الكبرى منذ القدم ثم أعيد تنشيطها ابتداء من منتصف ق 1 هـ / 7 م، وزودت بالآبار وعبدت بعض أجزائها الصعبة، وكانت الأهداف من هذه العملية الرسمية تجارية بالدرجة الأولى وتتمثل في التوغل في بلاد السودان لجلب الذهب ؛ وكانت هذه المحاور تنطلق من مدينة أغمات لتلتقي عند مدينة نول مكونة مسلكا واحدا يخترق الصحراء الكبرى في جزئها الغربي، وقد عرف هذا المسلك في المصادر بأسماء مختلفة : المحور الصحراوي الغربي وطريق الذهب وطريق العبيد.

ب ـ المسلك الثاني : فاس ـ تامدولت ـ السودان : كانت مضايقة القبائل الصحراوية والسوسية للأدارسة ومراقبتها للطرق العابرة للصحراء واحتكارها لحق المرور والخفارة، وكذا فشل الأدارسة في بسط سلطتهم على تلك القبائل، وبعد العاصمة فاس عن الجنوب ؛ كان ذلك دافعا قويا للأدارسة

لبناء مدينة تامدولت التي استقطبت بسرعة نشاط القوافل الصحراوية ذهابا وإيابا وقد اختير لبنائها موقعا ممتازا كان السبب الرئيسي في نجاح المشروع كوفرة الماء والفلاحة والغابة ووجود معدن فضة إضافة إلى المكانة الاستراتيجية التي احتلتها المدينة بتحكمها في الممرات والخوانق المخترقة لجبل باني.

جـ ـ المسلك الثالث : فاس ـ أغمات ـ سجلماسة ـ السودان : يعتبر أهم مسلك في شمال إفريقيا وأكثرها رواجا ونشاطا في العصر الوسيط ومابعده، وقد عرف في المصادر العربية التاريخية والجغرافية بأسماء مختلفة مثل طريق التمر وطريق الملح وطريق التبر وقد ارتبط نشاطه ببناء مدينة سجلماسة في بداية القرن الثالث (9 م) حتى إنه استقطب معظم الحركة التجارية مع السودان وأصبح المحور الأكثر نشاطا رغم صعوبة اختراقه لجبل درن في فصل الشتاء وتحكم عدد من الممرات والخوانق (تيزي) في حركته، ورغم طوله الذي يصل إلى ثلاثة أضعاف المحور المباشر فاس ـ سجلماسة فإنه ظل المحور الأكبر استعمالا من قبل المسافرين والقوافل التجارية طيلة العصر الوسيط وما بعده إلى مطلع القرن العشرين وذلك بسبب الظروف الطبيعية التي كانت ملائمة في فصل الشتاء وتوفر الأمن، والتقائه قبل اختراق جبل درن بالمحور الثاني (أغمات ـ تامدولت ـ السودان) فهو يستفيد من الدير الجنوبي لجبل درن خاصة في فصل الشتاء حيث الدفء وقلة العواصف الثلجية وفي الصيف حيث وفرة المياه الباردة والمراعي والثمار، ويسير بمحاذاة الدير الجنوبي حتى وادي ورزازات ومن ثمة يخترق جبل درن ويسير في اتجاهين نحو مدينة فاس (طريق الدير أو الطريق الساحلي) وأحيانا والظروف الأمنية والطبيعية ملائمة يتم اختصار الطريق إلى النصف تقريبا فلا يصل المحور إلى ورزازات بل يخترق جبل مكون في اتجاه أغمات ثم مراكش وأحيانا يتخذ اتجاها أقرب باختراقه جبال فازاز عند ممر زاد.

د ـ المسلك الرابع : فاس بسجلماسة : أقرب المسالك الرابطة ما بين فاس وسجلماسة يخترق جبال فازاز ودرن الشرقي عبر ممرات وخوانق طبيعية، إلا أن قساوة الظروف الطبيعية في فصل الشتاء كانت تعيق استعماله فيضطر المسافرون والقوافل إلى اتباع المسلك الثالث عبر أغمات ؛ ومن نهاية الدولة الموحدية وطيلة العصر الحديث أصبح المسلك محفوفا بمخاطر قطاع الطرق وابتزاز القبائل للمارين.

هـ ـ المسلك الخامس : سجلماسة ـ تلمسان ـ المراسي المتوسطية : كان من أكثر المسالك نشاطا ورواجا تجاريا في فترات متقطعة من التاريخ الوسيط والحديث وإلى مطلع القرن العشرين، وقد ارتبط نشاطه أكثر بالظروف السياسية وبتوفير الأمن، فالمسلك يخترف من بدايته إلى ضواحي تلمسان مناطق صحراوية مقفرة ومفازات تكون في حالة ضعف الدول أو الحكام المحليين مصيدة للقوافل والمسافرين، فيضطر هؤلاء في حالة انعدام الأمن إلى سلوك الطريق الطويل (حوالي خمسة أضعاف طريق فاس ـ سجلماسة) إما فاس سجلماسة عبر أغمات أو سجلماسة عبر وجدة وفجيج.

و ـ المسلك السادس : طنجة ـ سبتة ـ تلمسان ـ القيروان عبر ممر تازة : هو أقدم المسالك الرابطة بين المغرب والمشرق والأكثر نشاطا عبر التاريخ وقد سلكته مختلف الشعوب والهجرات إلى المغرب والأندلس وسلكه الغزاة والتجار والحجاج وفيه تصب الكثير من المحاور والسيل.

2 ـ السبل أو الطرق الثانوية : اهتمت المصادر التاريخية والجغرافية بالطرق الكبرى (المسالك) التي ارتبطت بالتجارة الصحراوية ولم تهتم بالطرق الثانوية والثلاثية إلا نادرا : فالسبل تربط في الغالب ما بين الحواضر والتجمعات السكنية المحيطة بها، والتي تتحول في بعض الفترات من السنة أو بحسب الظروف الأمنية إلى قطع من المسالك ؛ وتتجمع السبل في الغالب عند نقط معينة مثل المدن الكبرى وملتقيات المسالك والحصون والمداشر والرباطات، وإذا تتبعنا شبكة السبل التي اعتمدنا في رسمها على الإشارات الواردة في المصادر التاريخية وأوصاف الرحالة وكتب الحوليات والتراجم وغيرها فإننا نجد أن هذه الشبكة تكاد تغطي كل التراب المغربي مع تفاوت في الكثافة والنشاط التي اختلفت حسب الزمان والمكان.

3 ـ الممرات أو الطرق الثلاثية :

تشكل شبكة أوسع من الأصناف الأخرى للطرق وتنتهي إلى السبل والمسالك ولكن ذلك لا يعني أن هذه الممرات كانت خاضعة لهندسة أو أعراف معينة تنتهي بها حتما إلى السبل بل وجد من الممرات ما ينتهي مباشرة إلى المسالك ؛ والممرات تخضع أكثر من غيرها من أنواع الطرق إلى مشيئة القبائل والبطون وأحيانا إلى العشائر والدواوير التي تمر بها ويخضع استعمالها لإذن مسبق. ولا يتدخل المخزن في ذلك إلا في حالة نزاع واصطدام بين القبائل لذلك حرصت هذه الجماعات السلالية على الحفاظ على استقلالها وحرية تنقلها باتخاذ ممرات تفضي بها إلى السبل والمسالك مباشرة.

وتنتهي شبكة الممرات في الغالب إلى المدن والقرى والمداشر والدواوير الواقعة على السبل المؤدية إلى ملتقيات المسالك، فقرية مكول وادندون ـ في المثال الذي أوردناه ـ تنتهي إليها ممرات الجهات الواقعة فيها وتعتبر هذه القرى محطات هامة على السبل المؤدية إلى المحاور الكبرى.

وخلاصة القول :

ا ـ قد تطابق أنواع الطرق التي عرضنا لها تصنيف الطرق المعمول به حاليا في بلادنا (طرق رئيسية وطرق ثانوية وطرق ثلاثية) إلا أن التطابق لا يعني التجهيزات والتقنيات أو الاتساع والتعبيد وما إلى ذلك، بل يعني فقط كثافة المرور وكثرة الاستعمال، وعند إمعان النظر في المصطلحات والكلمات الدالة على الطريق في اللغة العربية نجدها متداخلة ومتشابهة وتوظف في الغالب كمرادفات ولا نكاد

نجد الفرق الدقيق بينها مثل ما نجده في لغات أخرى كالفرنسية مثلا، فكل كلمة أو مصطلح له معنى ودلالة محددة تتطابق والواقع على الأرض في البادية (Route, Chemin, Voie, Piste, Sentier...) وفي المدينة (Rue, Boulevard, Avenue, Passage, Passerelle...) أما في العربية فالتداخل كبير ما بين الطريق والمسالك والممر والسبيل والجادة والمحجة وأمهات الطرق...

2 ـ إن المسالك والطرق رغم خلوها من أية هندسة أو علامات التحديد فإنها ليست مطموسة أو متنقلة كما ادعى بعض الدارسين الأجانب ؛ فالمسالك قارة ومعروفة ومميزة عن غيرها من الأراضي والتنقل عبرها لم ينقطع إلا في الفترات الصعبة مثل فترات الحروب والكوارث الطبيعية.

3 ـ المسالك وغيرها من أصناف الطرق خاضعة لأعراف وقوانين شرعية ووضعية ولم يكن ثمة تسيب أو صدفة.

4 ـ دراسة شبكة الطرق التاريخية ومقارنتها بالشبكة العصرية الحالية تبين أن سلطات الحماية الفرنسية لما أقدمت على بناء شبكة الطرق الحديثة في المغرب لم تنطلق من فراغ، بل اعتمدت على الشبكة التاريخية ولم يتم التخلي عنها جزئيا أو الانحراف عنها إلا للضرورة التقنية والهندسية، فالمحاور الكبرى التي تربط شمال المغرب بجنوبه اقتفت آثار المسالك الكبرى ـ فاس ـ مراكش عبر دير الأطلس المتوسط أو عبر السهول والهضاب الأطلنتيكية.

5 ـ وبخصوص علامات الطريق من ألواح المسافات والاتجاه وغيرها. فملاحظة الدارسين الأجانب في محلها أي أن المسالك في المغرب خلت منها لكن مؤسسة "الرتب" "والنزالة" والدليل كانت كافية لتدليل الصعاب وحل المشكل. أما بخصوص المسافات فالمقاييس المتبعة كان معمولا بها : مثل الميل والفرسخ والمرحلة واليوم وغيرها.

ابن عذاري، *البيان المغرب*، بيروت 1948، تطوان، 1960، الدار البيضاء، 1985 ؛ أبو عبيد البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب*، الجزائر 1911 وباريز 1965 ؛ مجهول، *الاستبصار*...، الاسكندرية، 1958 ؛ الحميري، *الروض العطار*...، بيروت، 1957 ؛ البيدق، *أخبار المهدي*...، الرباط، 1971 ؛ ابن خلدون، *العبر*، دار البيان، بيروت بدون تاريخ ؛ الحسن الوزان، *وصف إفريقيا*، جزءان، الرباط، 1980 ؛ أبو سالم العياشي، *الرحلة الصغرى*، م خ. ع. بالرباط (والمطبوع) ؛ التادلي، *التشوف*، الرباط، 1984 ؛ الونشريسي، *المعيار*، نشر وزارة الأوقاف، بيروت، 1981 ؛ ابن رشد، *فتاوى ابن رشد* ؛ أبو الفداء، *تقويم البلدان*، باريس، 1860 ؛ ابن بطوطة، *الرحلة*، بيروت، بدون تاريخ ؛ ابن الخطيب، *معيار الاختيار*، المحمدية، 1976 ؛ *نفاضة الجراب*، القاهرة بدون تاريخ والبيضاء 1989 ؛ العبدري، *الرحلة*، الرباط، 1968 ؛ ابن الحاج، *فيض العباب*، الرباط، بدون تاريخ ؛ ابن مرزوق، *المسند الصحيح*، الجزائر، 1981 ؛ ابن حمادوش، *لسان المقال*، م. خ. ع. بالرباط ؛ ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة*، بيروت، 1964 ؛ الناصري السلاوي، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954 ـ 1955.

B. Roseberger, *Tamdult, H.-T.*, t. XI, fasc. unique, 1970, p. 103-140 ; J. Meunié, *Le Maroc saharien*, Paris, 1982 ; R. Mauny, *Tableau géographique*, Dakar, 1961 ; Vanaker, *Géographie économique...*, *AES* Mai-JUin, 1973; J. Celerier, *L'Atlas et la circulation...*, *Hesp.*, 1927, t. 7, p. 447-497 ; J. Martin [et al.], *Géographie du Maroc*, Paris, Casablanca, 1967.

محمد حجاج الطويل

الطرنُو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Turmo ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1155 (1742).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية الكثيرة التي ذكرها في الرقم 814.

محمد ابن عزوز حكيم

الطرنباطي، أحمد مرابط ولي صالح، عاش في العصر العلوي الأول، تربى على يد الولي الصالح سيدي قاسم بن رحمون، وكلاهما من أتباع القطب الكبير المولى الطيب صاحب وزان، فيه تمت تربيتهما الصوفية. كان أحمد الطرنباطي من الملازمين للأوراد والأحزاب وذكر الجلالة والاجتماع مع الإخوان. فاقتبس من شيخه الأنوار، وأشرقت عليه الأسرار، واعترته الأحوال، فصاح ونطق بالمغيبات والأخبار وبشر وأنذر وصدقه الله في كل مقال.

توفي في العقد الرابع من القرن الثاني عشر أو ثلاثينيات القرن الثامن عشر بفاس في بداية عهد المولى عبد الله بن إسماعيل، يوم صارت الظرفية السياسية تتأزم بشكل مطرد في المغرب عامة، وفي فاس على وجه الخصوص التي كان سكانها ناقمين على عاملهم أبي علي بن عبد الخالق الروسي. فلما تولّى هذا العامل الإشراف هو بنفسه على تجهيز الولي الراحل، وأقام له جنازة حضرها الخاص والعام، أصبح القبر منبوشا والجثة مجردة من كفنها، فأعيد الدفن بكفن جاء به شيخ الولي الفقيه سيدي قاسم بن رحمون فلم ينبش القبر أحد.

م. القادري، *نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني*، تح. م. حجي وأ. التوفيق، الرباط، مكتبة الطالب، 1407/1986، 4 مجلدات، المجلد الرابع ؛ محمد بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس فيمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس*، فاس، الطبعة الحجرية، 3 مجلدات، المجلد الثاني ؛ محمد بن عبد الكريم الكتاني، *زهرة الآس في بيوتات أهل فاس*، تح. علي بن المنتصر الكتاني، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، مجلدان، المجلد الأول.

الطرنباطي، إدريس هو الفقيه الحسيب الأريب، ولد الشيخ العالم القاضي محمد بن مسعود، كان إمام مسجد الأنوار بحومة سيدي العواد بفاس، توفي يوم خامس عشر رجب عام 1276. ودفن في جوار رمس أبيه، بأعلى مطرح الجلة بالقباب خارج باب فتوح بفاس. خلّف أربعة أولاد من أمّين مختلفتين. فمنهم من عقب ومنهم من لم يعقب فانقطع فرعه. وكان منهم رجال اعتكفوا على العلم والعبادة، وآخرون اشتغلوا بالحرف أو التجارة. وبقي بعض فروعهم بفاس،

وانتقل البعض الآخر إلى مراكش والصويرة وجهات أخرى من البلاد.

م. بن عبد الكبير الكتاني، *زهرة الآس في بيوتات أهل فاس*، تح. علي بن المنتصر الكتاني، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 1422 / 2002، مجلدان ؛ عبد السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع بوفيات القرن الثالث عشر والرابع*، ثم *سل النصال للنضال بالأشياخ وأهل الكمال*، ضمن *موسوعة أعلام المغرب*، تح. م. حجي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1996، 10 مجلدات.

الطرنباطي، محمد بن مسعود بن أحمد الأموي العثماني الأندلسي أصلا الفاسي منشأ ودارا، كان من كبار علماء عصر السلطان سيدي محمد بن عبد الله وولديه بعده المولى يزيد والمولى سليمان، قال عنه صاحب *سلوة الأنفاس* هو "الشيخ الفقيه الأديب اللغوي النحوي الأريب العالم العلامة المشارك المحقق الفهامة البركة النفاع الذي له في سماء المعالي علوّ وارتفاع". مهر في علم النحو، وكان له عناية خاصة بألفية ابن مالك، له تأليف في شرحها في مجلدين، يعتبر من أغرب الشروح، وأقبل عليه الطلبة فانتفعوا به. ومن تآليفه أيضا "بلوغ أقصى المرام في شرف العلم وما يتعلق به من الأحكام"، لعله اقتبسه من قانون أبي علي اليوسي. وله تقييد في نوني التوكيد، وآخر في البسملة، والحمدلة، وآخر في الخنثى المشكل، وشرح على توحيد رسالة ابن أبي زيد. تخرج على يد كبار علماء عصره، أمثال الشيخ محمد جسوس، أخذ عنه الحديث والتصوف، والشيخ محمد بن الحسن بناني محشي الزرقاني، أخذ عنه الفقه والحديث، والشيخ عبد الكريم اليازغي أخذ عنه الفقه وعلوما أخرى، والشيخ عبد الرحمان المنجرة أخذ عنه التفسير وصحيح البخاري، والشيخ عمر الفاسي أخذ عنه علوم النحو، والشيخ محمد ابن إبراهيم الدكالي، أخذ عنه الألفية والرسالة والحديث. وتخرج على يديه علماء جلة وشخصيات فذة، مثل الفقيه العالم الشيخ عبد القادر الكوهن والعالم المشارك العربي بن محمد الدمناتي، ومثل السلطان العالم المولى سليمان بن محمد الذي أخذ عنه العربية والأدب والفقه لما كان الشيخ قاضيا بسجلماسة. وقد قام بأعباء القضاء هنالك وأيضا بثغر الصويرة. وحج سنة 1193 م واجتمع ببعض علماء المشرق، منهم الشيخ مرتضى الحسيني الذي كتب له على شرحه على الألفية. ومن لطيف نظمه هذه الحكمة في بيتين :

اعتقد فيّ جميلا فاعتقاد السوء ظلم
جاء في القرآن يتلى إن بعض الظن إثم

توفي شهيدا بالطاعون يوم الاثنين 6 محرم عام 1214، ودفن بأعلى مطرح الجلة في القباب خارج باب فتوح بفاس.

م. بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس*...، فاس، الطبعة الحجرية، 3 مجلدات، المجلد الثاني ؛ م. بن عبد الكريم الكتاني، *زهرة الآس*...، تح. علي بن المنتصر الكتاني، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، مجلدان، 1422 / 2002 ؛ عبد السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع بوفيات القرن الثالث عشر والرابع*، ثم *سل النصال للنضال بالأشياخ وأهل الكمال*، ضمن *موسوعة أعلام المغرب*، تح. م. حجي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1996، 10 مجلدات.

إبراهيم بوطالب

طرُوخيـُو ماشاكون، فرانشيسكو Trujillo Machacon, Francisco من كبار موظفي إدارة الحماية الإسبانية بشمال المغرب. حل بتطوان برتبة قبطان بالجيش الإسباني وعين مراقباً بقبيلة بني عروس في شهر أكتوبر 1932 وذلك إلى غاية شهر مارس 1935 حيث نقل إلى نيابة الأمور الوطنية بصفته خليفة مكلفا بمراقبة البلديات والجماعات المحلية.

وفي شهر فبراير 1937 ورتبته آنذاك كولونيل أسند إليه المقيم العام الكولونيل بيگبيدير Beigbeder مهمة العلاقات مع الحركة الوطنية.

وقد ظل في منصبه إلى أن استقل المغرب في شهر أبريل 1956 ؛ وتشهد الوثائق الوطنية بأنه كان مستقيما ومعتدلاً حيث كان يعمل على إيجاد الحل المناسب للمشاكل للقائمة بين رجال الحركة وإدارة الحماية على جميع المستويات، الأمر الذي جعله المسؤول الإسباني الوحيد الذي نظمت له حفلة وداع من المغاربة.

أرشيف ابن عزوز حكيم بتطوان ؛ أرشيف مؤسسة عبد الخالق الطريس بتطوان.

الطُّرياني، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، حيث لازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Triana وقد انقرضت بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية الكثيرة التي ذكرها في الرقم 815.

محمد ابن عزوز حكيم

الطرياني، موسى بن علي، من أهل قصر عبد الكريم، وينسب إلى طريانة Triana، وهي المنارة التي أمام إشبيلية. كان شيخا نحويا أديبا شاعرا، ظريفا خفيف الروح. زاره الأديب ابن سعيد المغربي بقصر عبد الكريم وأخذ عنه وأورد في كتبه مقطوعات من شعره. وكان أبو عمران الطرياني يتردد على مراكش لخدمة بعض أرباب الدولة الموحدية، خاصة أحمد بن جرج الذهبي شيخ طلبة الحضر الذي كان يكرمه ويحسن إليه.

توفي سنة 639 / 1241.

ابن سعيد المغربي، *اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى*، تح. إبراهيم الأبياري، القاهرة، دار الكتاب المصري، ط. 2، 1980، ص. 202 ؛ *المغرب في حلى المغرب*، بيروت، دار الكتب العلمية، 1997، ج. 1، ص. 214 ؛ *الغصون اليانعة في شعراء المائة السابعة*، تح. إبراهيم الأبياري، القاهرة، دار المعارف، ط. 3، 1977، ص. 38 ؛ المقري، *نفح الطيب*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1968، ج. 5، ص. 210.

محمد المغراوي

الطريحة، من طرح الشيء ألقاه. ومن مشتقاتها مختلفة الدلالة نجد مثلاً "الطَرْح" ومعناه عند الفلاحين في البوادي المغربية أن "تسقط البقرة حملها ميتا". و"الطرح" عند رواد المقاهي الشعبية، جولة من اللعب بالأوراق "الكارطا" و"الطَرْحة" عند أصحاب المخابز "الوصلات" التي تأتي من الدور، وعليها عجين الخبز، لطهيه في بيت النار.

و"الطَرْحة" طيلسان؛ وهو لباس يلقى على الكتف، ويلبس مع العصامة (*الصبح*، 4 : 42) وقد لبسها الخليفة العباسي المقتدر، عندما بويع بالخلافة سنة 467/ 1074 - 1075) (العبيدي، *الملابس*، 105)، أما الطريحة في اللسان المغربي الدارج فتعني الإلقاء بالشخص وطرحه أرضا، والانهيال عليه بالضرب، بواسطة عصا أو سوط. ثم انتقل معنى الطريحة، للدلالة على حصد الهزيمة النكراء. فيقال "أعطى فريق لفريق أو شخص آخر طريحة" إذا هزمه شر هزيمة.

أما عند الحرفيين التقليديين، فإن مفهوم الطريحة، له معنى آخر. فالمقصود بها، عند اللبّاطين والدبّاغين، والمشتغلين بالصناعة الجلدية، وحدة حسابية، تضم ست جلدات، خاصة من جلود الأغنام والماعز. (*معلمة المغرب*، 12 : 3918)، وتجمع عندهم على "طريحات". ويقومون باقتنائها من أسواق، مخصصة بكل نوع من الجلود، بكبريات المدن، كما هو الشأن في مراكش مثلا. ويعمل الدباغون، على جمع الطريحات من الجلود، على شكل دفعات، إلى أن يتم العدد المطلوب تصنيعه منها. وهو في الغالب، ما بين عشر وعشرين طريحة. وقد يزيد عدد الطريحات، خاصة إذا تعلق الأمر، بدباغة جلود الأغنام، لأن دباغتها أسهل بكثير، من دباغة جلود الماعز. ومجموع الطريحات التي تشكل الدفعة المراد تصنيعها، يسمونها "القصرية". وأما جلود "قصرية" البقر والجمال، فلا يتم اقتناؤها بالطريحات، وإنما بالتقسيط.

والملاحظ أن عدد "القصاري، ج. القصرية" يختلف حسب قوة رأس مال المعلم الدباغ. فإذا كانت له قوة مالية كبيرة فإن العدد يصل إلى خمس أو ست"قصرية" كل واحدة تضم ما بين عشر إلى عشرين طريحة.

وقد جرت العادة، أن كل "قصرية" من الجلود يدفع بها للدباغة تضم طريحتين يخصص ربحهما للصانع، لتحفيزه على إتقان العمل. وعندما تدبغ جلود الماعز تسمى "الزواني،" ويتم بيعها بالتقسيط في سوق خاص بها، في حين أن جلود الأغنام المدبوغة تباع في سوق "لبطانة" إما بالتقسيط أو بالجملة وعلى شكل طريحات.

أحمد القلقشندي، *صبح الأعشى في صناعة الإنشا*، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة؛ محمد قنديل، *التعريف بمصطلحات صبح الأعشى*، مركز تحقيق التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984؛ صلاح حسين العبيدي، *الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي*، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، 1980؛ عبد السلام السعيدي، دار الدبغ، *معلمة المغرب*، ج. 12، نشر مطابع سلا، 1421 - 2000؛ البحث الميداني.

عبد السلام السعيدي

طريدانو، أسرة أندلسية واسمها الحقيقي طوليدانو نسبة إلى مدينة طليطلة (طوليدو أو طوليد) ومازالت أسر في إسبانيا وغيرها تحمل هذا الاسم. ولا يعرف ما إذا كانت أسرة طريدانو من ضمن الأسر التي هاجرت من الأندلس إلى الرباط في بداية القرن السابع عشر أم أنها أتت قبل ذلك إلى المغرب بعد سقوط غرناطة ضمن من هاجر من المسلمين واليهود في العهد الوطاسي وفي العهد السعدي الأول وتوافدوا على بعض المدن المغربية. وهي من أسر الإسلاميين الذين حسن إسلامهم. وربما كانت طريدانو من الأسر التي قطنت البحيرة بالرباط قبل أن يختط السلطان مولاي سليمان ملاحه. واسم طريدانو مرتبط بلقب بن مسعود. ومن أقدم من عرف منها بنعيسى بنمسعود طريدانو الذي كان ناظر أحباس الرباط وتوفي سنة 1335/ 1917.

م. بوجندار، *الاغتباط*، ص. 278.

طريدانو، بنعيسى، فقيه ناسك عاش خلال القرن التاسع عشر، لازم الشيخ إبراهيم التادلي فأخذ عنه كل العلوم المتداولة وكان الشيخ يقدره ويحبه، ولذلك اختاره وصيا على أولاده، شيوخ القاضي محمد بن إبراهيم والفقيه الصوفي عمر عاشور وغيرهم، اشتغل بالتدريس فدرس بالزاوية القاسمية *المرشد المعين* وهمزية *البوصيري* وكان يسرد *الشفاء*. تعاطى للشهادة، وكانت له عناية كبيرة بمطالعة كتب التصوف ومع ذلك كان يتطارح على أعتاب الملوك، وتعاطى للتجارة ورشح عدلا بمنجرة الأحباس الكبرى واستخدم عدلا بمرسى الجديدة وغيرها في عهد كل من السلطان مولاي الحسن ومولاي عبد العزيز ومولاي عبد الحفيظ وحج واعتمر. وفي عهد الحماية ولي نظارة الأحباس الكبرى إلى أن توفي في 8 رمضان 1335/ 1917 ودفن بالزاوية الرحمانية.

م. بوجندار، *الاغتباط*...، ص. 278؛ دينية، *مجالس*...، ص. 317.

طريدانو، المكي بن عبد الحميد الرباطي، كان يدعى أيضاً ابن مسعود. من علماء الشباب بالرباط درس بمسقط رأسه على كثير من شيوخ عصره ذكرهم مؤلف كتاب *من أعلام الفكر المعاصر* وأشهرهم الشيخ محمد المدني ابن الحسني. كما درس بسلا على الشيخ زين العابدين ابن عبود.

كنت أتصل به أيام الطلب في مجالس الشيخ ابن الحسني بالجامع الكبير بالرباط حيث ختمنا عليه في نحو

عامين كتاب *جمع الجوامع* من الأصول لابن السبكي بشرح المحلي وجل حواشيه المطبوعة والمخطوطة. فكان المترجم آية من آيات الله في جودة الفهم وسرعة البديهة والجرأة في إبداء الملاحظات بين يدي الشيخ الوقور الذي لم يكن أحد من الطلبة غيره يجرؤ على مقاطعته أثناء التقرير المحكم. ولم يكن طريدانو السارد بين يديه مع أنه أحق بذلك، فكان السارد الرسمي يتضايق من تدخله لكن سائر الطلبة يستحسنون ذلك مع لثغة خفيفة حلوة في لسانه. وأتصلُ به كذلك في مجالس الشيخ ابن عبود بمدرسته بحي بارمادة بسلا نهاراً في دروس متنوعة وبالمسجد الأعظم ليلاً في مجالس التفسير.

يُذكر للمترجَم *تقييد على نظم ورقات* إمام الحرمين للشيخ المدني ابن الحسني، ومحاورات مع شخصيات علمية ووطنية كانت تزور الرباط فيحرص على الاتصال بها :

"وكان من النشيطين في الحركة القومية يبذل مجهودات جباره في ذلك وقد فتح منزله سنة 1944 لوفود الحركة قصد التوقيع على عريضة المطالبة بالاستقلال" الاشارة إلى عريضة 13 نونبر 1944 التي أكد بها القوميون عريضة 11 نونبر 1944 وأيدوها بإيعاز من محمد الخامس.

تقلب المترجم في منصب إدارية وقضائية سامية، وعزل أيام الازمة المغربة لنشاطه الوطني ثم بعد الاستقلال أعيد إلى منصبه بالمحكمة العليا للجنايات بالقصر الملكي إلى أن وافاه الأجل يوم السبت تاسع صفر عام 1384 .

إثر عملية جراحية أجريت له بالدار البيضاء ودفن بزاوية الشيخ جوار الزاوية الحمدوشية بالرباط.

ع. الجراري، من *أعلام الفكر المعاصر*، الرباط، د. ت. ج 2 : 396. 398 ؛ معرفة شخصية ؛ أ. معنينو، *ذكريات ومذكرات*، طنجة، 1991، ج. 9.

محمد حجي

الطريدة (Tartane)، الطراد والترتانة، من المراكب الدائرية المستعملة في الملاحة المحيطية. وقد تميزت أصلا بشكلها المستطيل وغاطسها المسطح وحمولتها الخفيفة.

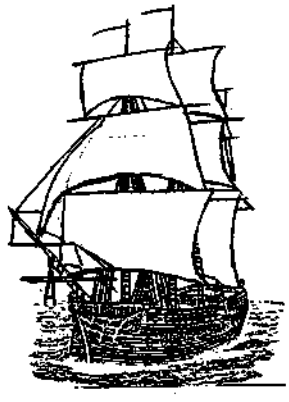

وكانت مؤهلة في البحر الأبيض المتوسط لأشغال الصيد والملاحة الساحلية، وللعمل في المراسي غير العميقة.

لكنها عرفت ابتداء من القرن الحادي عشر (17 م) تعديلات هامة مكنتها من الاستعمال في الملاحة الجهادية الشبجية بفعل تجسير سطحها وتعزيز تصريتها من صار إلى صاريين أو ثلاثة، مع تضاؤل أعداد مجاذيفها، وهذا ما جعلها من الأنواع المنتشرة خلال القرن المذكور. لكنه يبدو أنها قد فقدت أهميتها خلال القرن الموالي.

درويش النخلي، *السفن الإسلامية على حروف المعجم*، كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، 1974، ص. 89 ، 92.

S.I.H.M., 1. série , *Pays-Bas*, T. V, intro., p. XIII ; *France*, T. III, p. 43 ; Brunot, p. 250 ; Coindreau, p. 99 et Corrales, *La flotte*, p. 79 - 80.

حسن أميلي

طريف، معركة تنسب إلى مدينة طريف المطلة على بحر الزقاق بأقصى الجنوب الغربي من الأندلس. تعرف عند المؤرخين المسلمين بوقعة طريف وعند المؤرخين المسيحيين بمعركة سالادو Batalla del Salado وذلك لوقوعها بمحاذاة نهر صغير يحمل نفس الاسم أي Rio de Salado الذي يصب في البحر المحيط شمالي مدينة طريف.

تشكلت الأطراف المشاركة في هذه المعركة من حلفين كبيرين، حلف المسلمين الذي يضم قوات من الأندلسيين والحفصيين ويتزعمه الجيش المريني بقيادة السلطان أبي الحسن وحلف المسيحيين الذي انخرطت فيه جيوش البرتغال وأراغون وجنوة ويتزعمه الجيش القشتالي بقيادة الملك ألفونسو الحادي عشر Alfonso XI المدعم بنفوذ وطموحات الكنيسة في شخص البابا بونوا الثاني عشر (1334 - 1342)، والجدول التالي يقدم صورة واضحة عن تفاصيل مكونات القوتين المتحاربتين كما وردت في المصادر الإسلامية والأوربية :

مكونات الجيوش المتحاربة في معركة طريف

جيش المسلمين بقيادة أبي الحسن		
بنو مرين	بنو الأحمر	الحفصيون
- بنو مرين مغراوة - المرتزقة - المتطوعة - كافة أهل المغرب - أسطول من حوالي 100 قطعة بقيادة محمد بن علي العزفي	- غزاة زناتة - الفرسان - حامية الثغور - رجل البدو	- أسطول من 16 قطعة بقيادة زيد بن فرحون

جيش النصارى بقيادة ألفونسو ١١			
قشتالة	البرتغال	أراغون	من جهات أخرى
. فرسان . نبلاء قساوسة . بعض غزاة الأندلس بزعامة سليمان بن عثمان بن أبي العلاء	. أمراء . فرسان . نبلاء . قساوسة	. أسطول	. متطوعة أوربيون . فرسان من ليون - وغاليسيا وطليطلة . قساوسة . أسطول جنوي

جاءت الاستعدادات المغربية والمسيحية لهذه المعركة في ظروف سياسية وعسكرية متباينة، فقد سبق للسلطان أبي الحسن أن قام بمحاولات عسكرية استهدفت استعادة النفوذ المغربي على الأندلس في وقت خفت فيه روح الجهاد وركدت ريحه عند ملوك بني مرين بعدما كان له بالأندلس من الذكر الجميل والفخر الجزيل أيام السلطان يعقوب بن عبد الحق والجزء الأول من دولة خليفته يوسف، وذلك لانشغالهم بمشاكل المغرب الداخلية وبمناوشات بني عبد الواد ملوك تلمسان.

وقد حاول أبو الحسن التعبير عن هذه الرغبة في مرحلة أولى بسن سياسة التدخل من بعيد من خلال دعم ملوك غرناطة في مقاومة التحركات المسيحية وإمدادهم بالعون المادي والعسكري ثم تعزيز الحاميات المرينية في بعض الثغور الأندلسية. في مقابل ذلك استغل النصارى انشغال ملوك المغرب بمشاكلهم الداخلية وبحروبهم مع بني عبد الواد وتوقف جوازاتهم إلى الأندلس فترة طويلة فاسترجعوا قوتهم وكونوا حلفا بزعامة قشتالة ليدشنوا سلسلة هجومات عسكرية على العديد من المناطق الإسلامية الأندلسية التي تحيط بمملكة بني الأحمر بغرناطة، فأصبحت هذه الأخيرة بدورها مهددة بالخطر المسيحي الذي اقترب كذلك من الثغور المطلة على العدوة المغربية والخاضعة للنفوذ المريني خاصة جبل الفتح والجزيرة الخضراء وطريف.

كان لهذه التهديدات دور كبير في انتقال أبي الحسن إلى مرحلة ثانية من سياسته تجاه الأندلس وتتمثل في التدخل العسكري وإرسال جيوش مرينية بقيادات مغربية تمكنت سنة 733 / 1333 من استعادة جبل الفتح والجزيرة الخضراء، تلتها حملات أخرى هذه المرة بقيادة الأمير أبي مالك عبد الواحد ولي عهد السلطان الذي هزم الأسطول القشتالي في معركة بحرية سنة 740 / 1340 ثم قتل في نفس السنة وهو يحارب النصارى في عقر دارهم.

باستشهاد أبي مالك تنطلق المرحلة الثالثة من سياسة أبي الحسن الأندلسية ليتحول إلى مواجهة خطر النصارى بشكل مباشر حيث أشرف شخصيا على استعدادات المغرب العسكرية واستنفار الجيوش وتجهيز الأساطيل من مختلف المراسي المغربية بالإضافة إلى الأسطول الحفصي بقيادة زيد بن فرحون الذي انضم إلى الأسطول المريني مشكلا أسطولا ضخما تصل عدد قطعه إلى حوالي مائة أو مائة وأربعين تحت القيادة العامة لمحمد بن علي العزفي. ثم ارتحل أبو الحسن إلى سبتة لمعاينة عبور المجاهدين إلى الأندلس فوصلت الأخبار إلى صاحب قشتالة ألفونسو الحادي عشر (1312 - 1350) فأرسل أسطوله إلى بحر الزقاق لمنع الأسطول المغربي من العبور فالتحم الأسطولان في موقعة الملَّند الشهيرة يوم السبت 6 شوال سنة 740 / 15 أبريل 1340 لتنتهي بظهور المسلمين على النصارى. لقد دعم هذا النصر البحري مسير الجيوش المغربية نحو الأندلس ومكن السلطان من إجازة عساكره التي قدر عددها بحوالي 60.000 جندي، بعد ذلك أجاز السلطان في أسطوله مع خاصته وحشمه كعادته في حركاته العسكرية فنزل بطريف وشرع في الهجوم عليها يوم بحضور أبي الحجاج يوسف بن740 محرم من سنة 3 إسماعيل بن الاحمر (733 / 1333 - 755 / 1354) صاحب غرناطة على رأس جيش من الغزاة والفرسان، فنصبوا على طريف المنجنيق وأخذوا بخنقها في هذه الأثناء لجأ ألفونسو إلى دعوة ملوك المسيحية لمساندته في حربه ضد أبي الحسن المريني، وتمكن بالفعل من استقطاب زعماء النصارى والحصول على دعم كل من ملك أراغون بيدرو الرابع (1336 - 1387) Pedro IV وملك البرتغال ألفونسو الرابع (1325 - 1357) Al Fonso IV وجنوة وتجنيد حوالي 13.000، حسب المصادر الأوربية، من فرسان ومتطوعة من مختلف أنحاء شبه الجزيرة الإيبيرية بالإضافة إلى حضور الكنيسة التي باركت هذا التحالف وأعطت للحملة صبغة حملة صليبية.

في الجانب الآخر استمر نزول المسلمين على طريف ستة أشهر متتالية فنيت خلالها أقواتهم ووهنت أجسامهم خاصة بعد أن أحكم الأسطول القشتالي قبضته على بحر الزقاق فقطع بذلك الإمدادات عن جيش المسلمين. ساهم هذا التكتيك الحربي بشكل كبير في تغيير مسار المواجهة على الأرض، وشجع النصارى على الاقتراب أكثر من طريف بل وتمكنوا من تسريب أفراد منهم إلى داخل المدينة ليلا في غفلة من العسس وتهاون منهم واختبأوا في بعض أماكنها ينتظرون الفرصة الملائمة. بعد ذلك زحف ألفونسو الحادي عشر إلى أبي الحسن ودخل الطرفان في مواجهة عنيفة ظهر على إثرها الأفراد المختبئون داخل المدينة فجأة وهاجموا المسلمين على حين غرة من الخلف فاضطرب فسطاط السلطان ودب الذعر بين أهله وانتهب كل ما فيه من متاع وغيره، ودافعت النساء عن أنفسهن فأدرك الجيش حينها أن الخطر

يهدده من الخلف وأنه وقع في الفخ فانكسر المسلمون بعد يوم واحد من المواجهة وحلت الهزيمة في ضحوة يوم الاثنين 7 جمادى الأولى من سنة 741 / 30 أكتوبر 1340 حسب أغلب المؤرخين وإن كان قلة منهم يذكرون تاريخا آخر هو 7 جمادى الثانية 741 / 28 نوفمبر 1340.

عندما تيقن أبو الحسن من حدوث الهزيمة تراجع للاحتماء ببقية الجند ونجا بأعجوبة من الأسر ولحق بالجزيرة الخضراء ثم منها إلى جبل طارق حيث ركب سفينة إلى سبتة. أما ابن الاحمر فقد خلص هو الآخر إلى بلده غرناطة يجر ذيول الهزيمة في حين غادر ألفونسو الحادي عشر أرض المعركة مزهوا بالنصر الذي حققه ومفتخرا بكونه صنع للمسيحية انتصارا كبيرا لم تشهد له مثيلا إلا في معركة العقاب سنة 609 / 1212 ضد الموحدين.

بحث المؤرخون، مغاربة وأندلسيون، في أسباب هذه الواقعة العظمى، فردوا ذلك إلى دور الجيش الكمين الذي زرعه النصارى داخل مدينة طريف والذي انقض على المسلمين من الخلف وقلب كفة الحرب لصالح المسيحيين، ولكن نفس المؤرخين ألمحوا إلى عنصر آخر مفاده أن أبا الحسن لم يحالفه الحظ في اختيار الوقت المناسب لمهاجمة النصارى بالنظر إلى سلسلة الانتكاسات والمحن التي تعرض لها هو نفسه قبيل معركة طريف، بدءا بحصاره الطويل لتلمسان واحتلاله لها سنة 737، ثم تمرد ولديه الأميرين أبي عبد الرحمن وأبي مالك عليه بعد مرضه الذي كاد أن يموت فيه وكذلك ثورة ابن هيدور، وانتهاء باستشهاد ولده أبي مالك بالأندلس والذي أثر كثيرا في نفسيته مما جعله يندفع إلى حرب طريف مكسور النفس وغير مهيئ لخلق شروط الانتصار.

أما المؤرخون الاسبان والبرتغال فقد أرجعوا انتصار التحالف المسيحي إلى أسباب كثيرة منها ما يرتبط بالمعجزات فزعموا أن بركات المسيح حلت عليهم يوم المعركة التي شاركهم فيها أيضا القديسون والقديسات. ومنها كذلك ما يعود إلى اتحاد النصارى وعزمهم على إنهاء خلافاتهم واستئصال المسلمين في إطار ما يسمونه بحروب الاسترداد Reconquista. أسفرت معركة طريف على مقتل وأسر أعداد كبيرة في صفوف المسلمين تقدرها المصادر البرتغالية برقم مبالغ هو 57.300. وكان من بين القتلى بعض حظايا السلطان والوزراء وثلة من قضاة وعلماء وفقهاء المغرب والأندلس، حمل أكثرهم إلى الجزيرة الخضراء ومنها نقلوا في السفن إلى حيث دفنوا بمقبرة بين مرين بشالة. ومن بين الذين أسروا ولد السلطان الأمير أبو عمر تاشفين الذي بقي معتقلا عند ملك قشتالة إلى حدود سنة 748 / 1347 وقد عانى من التعذيب والقسوة حتى قيل أنه أصيب من جراء ذلك بلوثة عقلية اشتهر على إثرها بلقب الموسوس. ونورد فيما يلي قائمة بأسماء بعض القتلى حسب ما جاء في المصادر :

قائمة بأسماء أشهر شهداء معركة طريف من المسلمين

اسم الشهيد	مرتبته
. فاطمة بنت السلطان أبي يحيى الحفصي	زوجة السلطان أبي الحسن
. عائشة بنت أبي يحيى بن يعقوب المريني	ابنة عم السلطان
. أبو ثابت عامر بن فتح الله السدراتي	وزير أبي الحسن
. أبو مجاهد غازي بن الكاس	وزير أبي الحسن
. محمد بن يحيى بن بكر الاشعري المالقي	قاضي الجماعة بغرناطة
. محمد بن عبد الملك	قاضي
. ابن سلمون الكناني	عالم وفقيه
. أبو القاسم محمد بن أحمد الغساني	من أهل العلم بمالقة
. أبو القاسم محمد ابن جزي الكلبي	من علماء غرناطة
. أحمد بن حزب الله الحزرجي	فقيه وخطيب من أهل فاس
. أبو عبد الله محمد بن أبي زرع	من فقهاء فاس
. محمد بن محمد بن عبد الملك	فقيه
. محمد بن سعيد الأنصاري الأوسي	فقيه
. أبو جعفر أحمد بن خال القتوري	خطيب
. عبد الله بن سعيد والد لسان الدين ابن الخطيب	فقيه
. الأخ الأكبر للسان الدين بن الخطيب	فقيه

ومن بين الذخائر التي فقدت في هذه الواقعة وغنمها النصارى نذكر المصحف العثماني الذي كان أبو الحسن يحمله معه في حركاته للتبرك به. فظل يتابع أخباره ويبحث عن قراره إلى أن تمكن من استرجاعه من يد البرتغاليين بفدية ضخمة من الذهب وذلك سنة 745 / 1344. كما فقد السلطان علمان، الأول كان قد صنع له والثاني لوالده السلطان أبي سعيد، ولايزال العلمان يوجدان ضمن محتويات كاتدرائية طليطلة بإسبانيا، وهما الآن معلقان على جدران قاعة الثياب المقدسة. لكن من أبرز نتائج هذه المعركة أولا سقوط كثير من الثغور المرينية بالأندلس بعد عامين في يد القشتاليين كالقلعة Alcala la Real والجزيرة الخضراء وطريف ولم يعد تحت نفوذهم إلا بعض الحصون والحاميات والموانئ الصغيرة، وثانيا وهي النتيجة الأكثر دلالة، أن واقعة طريف شكلت بداية لمرحلة حاسمة بالنسبة للحضور المغربي بالأندلس والتي تميزت بانقطاع العبور المريني ثم المغربي إلى الأندلس نهائيا مع استثناء بعض المحاولات القليلة وغير المؤثرة سواء في أواخر عهد أبي الحسن أو في عهد خلفه أبي عنان وكأن لسان حال ابن الخطيب يقول بكل حسرة وتأثر في الإحاطة : "وبالجملة فهذه الواقعة من الدواهي المعضلة الداء والأرزاء، التي تضعضع لها ركن الدين بالمغرب وقرت بذلك عيون الأعداء". ولذلك ليس بغريب أن يعتبر الاسبان هذه الواقعة واحدة من أكبر حروبهم ضد المسلمين في شبه الجزيرة الإيبيرية ويؤرخون بها لانتصاراتهم في حروب الاسترداد، بل أكثر من ذلك جعلوها حاسمة في تاريخ العالم كله.

ابن الخطيب، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، ج. 2، ص. 180 ؛ ج. 3، ص. 23، 65، 389، 391، 404 ؛ ج. 4 : 320، 321، 322، 331،

332، 442 ؛ *إعمال الأعلام*، تح. ليفي بروفنسال، 1956، القسم الثاني، ص. 305، 335، 337 ؛ *الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة*، طبعة بيروت، 1983، ص. 46، 47، 51 ؛ *اللمحة البدرية في الدولة النصرية*، بيروت، ط. 2، 1978، ص. 102، 105، 106، 108 ؛ النباهي، *المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا*، ط. بيروت، د. ت، ص. 146، 147، 161 ؛ ابن خلدون، *المقدمة*، تح. علي عبد الواحد وافي، ط. 3، القاهرة، ج. 3، 1042 ؛ *العبر*، دار الفكر، بيروت، 1988، ج. 4 ؛ 223 ؛ *العبر*، دار الكتاب اللبناني، 1968، ج. 6 ؛ 732 ؛ *العبر*، دار الكتاب اللبناني، 1978، ج. 7 ؛ 544، 564، 776 ؛ ابن مرزوق، *المسند الصحيح الحسن*، الجزائر، 1981، ص. 225، 307، 361، 362، 461 ؛ ابن الأحمر، *نشير الجمان*، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1976، ص. 166 ؛ ابن مريم، *البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان*، الجزائر، د. ت.، ص. 126، 184، 190، 214، 219 ؛ الزركشي، *تاريخ الدولتين*، تونس، 1966، ص. 76 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1973، ص. 119، 304، 434، 435 ؛ *درة الحجال في أسماء الرجال*، ط. القاهرة - تونس، 1970، ج. 2، ص. 118، 121 ؛ محمد حجي (محقق)، *ألف سنة من الوفيات*، ص. 192، 193 ؛ أحمد باب التنبكتي، *نيل الابتهاج بتطريز الديباج*، بيروت، د. ت، ص. 68، 69، 143، 167، 237، 239، 245، 248، 267، 270 ؛ المقري، *نفح الطيب*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1968، ج. 1، ص. 606 ؛ ج. 5، ص. 385، 387؛ ابن العماد، *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*، بيروت، د. ت، ج. 6، 127، 129 ؛ الناصري، *الاستقصا*، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954، ج. 3، 134، 137 ؛ ج. 4، ص. 41 ؛ محمد المنوني، *ورقات*، الرباط، 1979، ص. 116، 117 ؛ محمد كمال شبانة، *يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة*، القاهرة، 1969، ص. 116، 120، 134، 140 ؛ السياسة الخارجية لمملكة غرناطة في منتصف القرن 8 هـ / 14 م، مجلة البحث العلمي، العدد 14، 15 (مزدوج)، 1969، ص. 183، 186 ؛ محمد العروسي المطوي، *الحروب الصليبية في المشرق والمغرب*، دار الغربي الإسلامي، بيروت، 1982، ص. 245 ؛عبد الحق المريني، *شعر الجهاد في الأدب المغربي*، الرباط، 1996، ج. 1، ص. 370، 374.

Bofarull y Mascaró, *Colección de documentos del archivo General de la corona de Aragon*, t. VII, n° 31, *Batalla del Salado*, Barcelona, 1851 ; A. Gimenez Soler, *La corona de Aragón y Granada*, Barcelona, 1908, p. 269 ; *Crónica de D. Alfonso IV*, éd. Lisbonne, 1936, p. 131 - 138, 168, 170, 172 - 173 ; Diego Catalán, *La oración de Alfonso XI en el Salado*, in *"Boletin de la real academica de la historia"*, 1952, t. 131, p. 247 - 271 ; Luis Seco de Lucena Paredes, *La Fecha de la Batalla del Salado*, in *"Al-Andalus"*, 1954, vol. XIX, fasc. 1, p. 228-231 ; J.A. Robson, *The catalan fleet and moorish sea - power (1337 - 1344)*, in *"The english historical review"*, vol. LXXIV, 1959, (London), p. 386-408 ; R. Ricard, *La relation portugaise de la bataille du Salado (1340)*, *Hesp.*, T. XLIII, 1956, p. 7 - 27 ; José Joaquim Nunes, *Crestomatia arcaica*, Lisboa, p. 45-60 ; Calalán Menéndez Pidal, *Gran crónica de Alfonso XI*, Madrid, 1956, T. II, p. 230 - 231, 320 - 323, 332, 403, 426 - 427 ; Ch. E. Dufourcq, *Les relations de la péninsule ibérique et de l'Afrique du Nord au XIVe s.*, in *"Anuario estudios mediévales"*, 1970 - 1971, V. 7, p. 44 ; R. Thoden, *Abu-l-Hassan Ali, Merinidenpolitik swischen nordafrika und spanien in den jahren 710 - 752 H / 1310 - 1351*, Freiburg, 1973 ; R. Arié, *L'Espagne musulmane aux temps des nasrides*, Paris, 1973, p. 102 - 103 ; Ibid, *Les relations entre Grenade et la Berbérie au XIVe s.*, in *"Etudes sur la civilisation de l'Espagne musulmane"*, Leiden, 1990, p. 22 - 33 ; M. Garcia Fernandez, *Les relaciones internacionales de Alfonso IV de Portugal y Alfonso XI de Castilla en Andalucia : la participación portuguera en la gran Batalla del Estrecho*, 1325 - 1350, in *Actas das II Jordanas Luso - Espanholas de historia medieval, Oporto*, 1987, t. I, p. 201-216 ; Ibid, *Las relaciones castellano - Marinies en andalucia en tiempos de Alfonso XI, la participacion norteafricana en la guerra por el control del Estrecho*, 1312 - 1350, in *"Actos de relaciones de la peninsula iberica con el magreb, siglos XIII - XVI"*, Madrid, 1988, p. 261 - 266 ; Juan Torres Fontes y..., *la expansión peninsular y mediterránea (1212 - 1350)*, Madrid, 1990, vol. I, p. 399 - 406 ; vol. II, p. 589 - 594 ; M.A. Manzano Rodríguez *La intervención de los benimerines en la peninsula ibérica*, Madrid, 1992 ; M. Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du moyen âge*, Paris, 1986, p. 130 ; A. Huici Miranda, *Las grandes Batallas de la reconquista durante las invasiones africanas*, Madrid 1956, p. 342-377.

رشيد السلامي

طريفة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Tarifa نسبة لمدينة طريف الواقعة قرب الجزيرة الخضراء ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1088 / 1677.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 817.

محمد ابن عزوز حكيم

الطريفي، أبو **محمد عبد الله** بن موسى، وأصله علج من نصارى مدينة طريف ثم دخل في خدمة بني مرين وتولى خطة صاحب السقيف ثم وزارة البلد الجديد بفاس، وكان بذلك المنصب مسؤولا على مفاتيح البلد وقائما على فتحها وإغلاقها في أوقات معلومة. وصف عند مترجميه بالوزير الثقة والمخلص الناصح والحسن الوجه، ولذلك كان مزاحما للحاجب أحمد القبايلي الذي تسبب في عزله ومقتله، ثم للحاجب فارح بن مهدي إلى أن عينه السلطان أبي سعيد عثمان الثالث حاجبا له مكانه بعد سنة 806 / 1403 فعد من فضلاء الحجاب وصاحب الرأي والمشورة عند سلطانه. وعندما ساءت العلاقات بين السلطان وصاحب إفريقية أبي فارس عبد العزيز الحفصي، حاول هذا الأخير الانتقام فبعث إلى ابن الأحمر صاحب غرناطة يلح عليه في الإفراج عن أحد أمراء بني مرين المعتقلين والمرشحين للملك وهو الأمير السعيد محمد بن عبد العزيز بن أبي سالم والاسراع في تسريحه إلى المغرب الأقصى للتشغيب على سلطانه ومحاربته. فأجازه البحر حتى نزل فاس في ذي الحجة من سنة 813 / 1410، فخرج الحاجب عبد الله الطريفي لقتاله فكبا به فرسه فقبض عليه الأمير السعيد وأمر به فأحرق في نفس السنة.

ينسب للطريفي بناء مسجد السوق الكبير بفاس الجديد المعروف اليوم بمسجد للا غريبة، الذي حبس عليه كتبا كثيرة نقلت فيما بعد إلى خزانة القرويين، كما ينسب إليه أيضا منزه الطريفي بفاس.

ابن الأحمر، *روضة النسرين*، الرباط، 1962، ص. 41 ؛ *بيوتات فاس الكبرى*، الرباط، 1972، ص. 47 ؛ ابن فركون، *ديوان ابن فركون*، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1987، *مقدمة المحقق*، ص. 93، 94 ؛ *الديوان*، ص. 167، 178 ؛ ابن حجر العسقلاني، *إنباء الغمر بأنباء العمر*، بيروت، 1986، ج. 6، ص. 236، 237 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1973، ص. 125، 126،

4، ج. 1954 ؛ الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 511، 457 ص. 86، 88، 90.

رشيد السلامي

ابن **طريّقة السعيدي**، أسرة تطوانية عالمة مجيدة، أصلها من مدينة تلمسان ومنها انتقلوا قديما إلى قبيلة بني سعيد قرب تطوان، ثم وفد منهم أفراد على تطوان ذكر منهم الفقيه الرهوني في عمدة الراوين خمسة عشر فردا بين عدل وقاض ومفت، واستدرك عليه الأستاذ داود فبلغ بهم أكثر من عشرين نفرا. وهذه أسماؤهم مع حيثياتهم الأقدم فالأقدم.

ـ الفقيه القاضي عبد المجيد بن يوسف ابن طريّقة السعيدي، كان قاضيا بتطوان عام 1053 ـ 1073، وهو أخو عبد الكريم الذي بعده.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، تطوان، ص. 245 ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين في تاريخ تطاوين*، مخطوط خاص، 2 : 112.

ـ الفقيه العدل عبد الكريم بن يوسف ابن طريّقة. كان من عدول تطوان عام 1040. وهو أخو القاضي عبد المجيد المذكور قبله.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 205، طبع تطوان ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 7 : 36، مخطوط.

ـ الفقيه القاضي المفتي الخطيب محمد بن طريّقة، تولى قضاء تطوان عام 1063.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، طبع تطوان، ص. 245.

ـ الفقيه العدل سعيد ابن طريّقة السعيدي، كان من عدول تطوان عام 1093 ـ 1095.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 295 ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 5 : 137، مخطوط خاص و7 : 37.

ـ المفتي الخطيب القاضي محمد ابن طريّقة، كان قاضيا بتطوان عام 1063.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، ص. 245.

ـ المفتي العدل العلامة السيد عبد الكريم بن سعيد ابن طريّقة السعيدي، ذُكر في عدول تطوان من عام 1126 إلى 114 ثم ناب عن القضاة بعد ذلك.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 288 ـ 296.

ـ الفقيه العدل السيد محمد الطاهر بن قاسم ابن طريّقة السعيدي، كان من عدول تطوان عام 1129 ـ 1156.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 296 ـ 327، طبع تطوان.

ـ الفقيه العدل السيد محمد بن سعيد ابن طريّقة السعيدي، كان عدلا بتطوان عام 1130.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 296، طبع تطوان.

ـ الفقيه العلامة نائب القاضي السيد محمد بن أحمد بن عبد المجيد ابن طريّقة السعيدي، كان من عدول تطوان عام 1136 ـ 1150 ثم ناب عن القاضي عام 1152.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 288 ـ 296، طبع تطوان.

ـ الفقيه العدل السيد محمد بن محمد الطاهر ابن طريّقة السعيدي، كان من عدول تطوان عام 1142 ـ 1156.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 297، طبع تطوان.

ـ الفقيه العدل السيد محمد بن عبد الله ابن طريّقة السعيدي، كان عدلا بتطوان عام 1142.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 297، طبع تطوان.

ـ الفقيه العلامة السيد محمد بن أحمد ابن طريّقة السعيدي، ناب عن القضاة بتاريخ 1152.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 288، طبع تطوان ؛ ومختصره، ص. 249، ط. تطوان.

ـ الفقيه العدل السيد سعيد ابن طريّقة السعيدي، كان من عدول تطوان عام 1159 ـ 1164 ويظهر أن هذا غير سعيد سابق الذكر لأنه كان 1095.

م داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 298، ط. تطوان ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 5 : 137، مخطوط خاص.

ـ الفقيه العلامة المدرس القاضي والمفتي السيد محمد العربي بن قاسم ابن طريّقة السعيدي، ناب عن القاضي عام 1156 ـ 1157 ثم استقل قاضيا عام 1161 وكان من العدول عام 1122 إلى 1146 ـ 1175 ووصف بالنزاهة والعدالة وإتقان التوثيق.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 289، طبع تطوان ؛ أ. الرهوني، *مختصر عمدة الراوين*، ص. 104 مخطوط خاص.

ـ الفقيه العلامة السيد أحمد بن قاسم ابن طريّقة السعيدي وهو أخو محمد العربي المذكور قبله. كان من عدول تطوان عام 1161 ـ 1171 ـ 1187 وناب خلال ذلك في القضاء عام 1166.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 290 ـ 298، ط. تطوان ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 5 : 136 مخطوط خاص.

ـ الفقيه العلامة المدرس السيد العربي ابن طريّقة. أفردتُ له ترجمة.

ـ الفقيه العدل السيد محمد بن سعيد ابن طريّقة السعيدي، كان من عدول تطوان عام 1194 ـ 1198 وهذا غير تسميته سابق الذكر لأنه كان عام 1130.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 299، ط. تطوان.

ـ الفقيه العدل السيد محمد بن أحمد ابن طريّقة السعيدي، كان عدلا عام 1198.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 300، ط. تطوان.

الفقيه العدل السيد عبد الله بن محمد بن طاهر ابن طريّقة السعيدي، كان عدلا عام 1197. وقد يكون هو الذي تولى القضاء بعد ذلك عام 1213 ـ 1217.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 300 ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 5 : 136.

ـ الفقيه العدل السيد عبد الرحمن بن قاسم ابن طريّقة السعيدي، كان من عدول تطوان عام 1198.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 300، ط. تطوان.

ـ الفقيه العلامة المدرس القاضي السيد عبد الرحمن بن سعيد ابن طريّقة، أفردتُ له ترجمة.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 6 : 259، ط. تطوان.

ـ الفقيه العدل السيد عبد السلام بن قاسم بن محمد بن طاهر ابن طريّقه السعيدي، كان عدلا عام 120 .

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 5 : 137، مخطوط خاص.

ـ الفقيه العدل السيد محمد بن علي ابن طريّقة السعيدي، كان من عدول تطوان عام 1146.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 5 : 136، مخطوط خاص.

ـ محمد بن يوسف ابن طريّقة، وهو أخو عبد المجيد وعبد الكريم. كان عدلا بتطوان عام 1026.

العمدة، 7 : 36.

وهذه العصبة من هذه العائلة الماجدة كان من أفرادها معمّرون يتعاطى أحدهم العدالة والفتوى والقضاء ويؤخّر ثم يُعاد إلى القضاء أو الشهادة كما يعلم من تتبع نشاطهم في الرسوم والوثائق.

ابن **طريّقة، عبد الرحمن** بن **سعيد** السعيدي التلمساني الأصل، الفقيه العلامة المفتي المدرس المؤلف القاضي، أحد أعلام بني طُريّقة بضم الطاء وفتح الراء وكسر الياء المشددة على صيغة التصغير كما قال شيخنا الرهوني، وقبله الشيخ أبو العباس ابن عجيبة، ولكن يلاحظ أن المنطوق في هذه الصيغة إلى الآن هو (طُريبقة). كان المترجم له إلى قيامه بالقضاء، مدرسا نافعا ودرس كثيرا من المواد في المعقول والمنقول كما وصفه بذلك تلميذه المؤرخ عبد السلام السكيرج وصرح أنه قرأ عليه *تفسير القرآن*، و*رسالة* ابن أبي زيد القيرواني، و*مختصر خليل* و*المرشد المعين*، على الضروري في علوم الدين لعبد الواحد ابن عاشر وهذه المتون كلها في الفقه المالكي. كما قرأ عليه *ألفية ابن مالك* في النحو، وكان له نشاط في التدريس فله إسهام مهم في التأليف، فقد ذكر السكيرج أنه شرح *ألفية ابن مالك* في النحو شرحا حافلا، كما شرح شواهده النحوية معنيا بالتعريف بقائليها معتمدا في ذلك على (معاهد التنصيص، شرح شواهد التلخيص) للعباسي، وشرح الحزب الكبير لأبي الحسن الشاذلي، وشرح *البردة* للبوصيري في المديح النبوي شرحا ممتازا، وله تقاييد وفتاوى وفوائد. وقد فقدت إلا شرح البردة والألفية، وقد كان الأول موضوع أطروحة لأحد طلبة كلية الآداب بتطوان تحت إشراف الدكتور عبد الله الترغي المرابط، وقد اطلعت على هذا الشرح وهو في مجلد كبير، وطريقته فيه جامعة فهو يُعنى بإعراب البيت وشرح مفرداته وتصريفها وإيضاح ما ينطوي عليه البيت من نكت بلاغية ومحسنات بديعية، ثم إيضاح معنى البيت و شرح حوادث السيرة النبوية معتمدا في ذلك على كبار الأئمة كالقاضي أبي بكر ابن العربي والقاضي عياض، وفي النحو والبلاغة على سيبويه وابن مالك والجلال المحلى والسعد التفتازاني. وينقل أحيانا عن شيخه محمد بن الحسن الجنوي، وشيخ تطوان أبي العباس الورزيزي، وصنيعه في النقل صنيع عالم متضلع مشارك واسع الاطلاع ذي اعتدال ونفس عال، ويستطرد أحيانا بأدنى مناسبة لحرصه على الإفادة كما فعل عند شرحه لبيت البوصيري : محمد سيد الكونين والثقلين الخ فذكر أسماء النبي صلى الله عليه وسلم المروية وشرحها شرحا مفيدا، كما فعل في أسماء الله تعالى الحسنى فنقل منظومة أحمد بن عبد العزيز الهلالي برمتها وشرحها كذلك. وفرغ المؤلف من شرحه هذا في 23 شوال عام 1212.

وبالجملة فهذا الشرح من أنفس وأفيد شروح البردة وما أحراه بالنشر.

أما شرح الألفية فهو شرح كامل وحافل في نحو 500 صفحة من القطع الكبير توجد نسخة منه بخط المؤلف لما فيها من إقحام وتشطيب وزيادة وتطرير وتصوير، فرغ منه في 4 رجب عام 1219 وذكر في أوله أن سبب تأليفه أنه رأى في المنام أنه شرع في شرح الألفية على هذا الأسلوب، فاستخار الله تعالى، وشرحها كذلك.

ظل المترجم له على هذه الطريقة المرضية من الانقطاع للتعليم والتأليف مع القضاء لم يرم بريبة ولم يؤثر عنه شين إلى أن توفي رحمه الله بتطوان في عام 1227.

أبي محمد عبد السلام السكيرج، *نزهة الاخوان، وسلوة الأحزان في الأخبار الواردة في بناء تطوان، ومن حكم فيها أو تقرر من الأعيان*، ص. 41 ـ 60 ؛ محمد داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 299، ط تطوان.

ابن **طريّقة، العربي** السعيدي النّجار، التطاوني الدار. وقد علم أن أصل سلف هذا الصالح من تلمسان، ثم استوطنوا قبيلة بني سعيد الجبلية القريبة من تطوان، ومنها قدموا إلى تطوان في القرن الحادي عشر الهجري ومازال

فرعهم بالقبيلة المذكورة، قال شيخنا الرهوني في (العمدة) : ولا يبعد أن يكونوا من مهاجري غرناطة، فنزل بعضهم بتطوان، وبعضهم ببني سعيد.

كان المترجم له مشاراً إليه بالصلاح والعلم، وكان يُدَرّس العلم بزاوية الشرفاء (لعله يريد زاوية مولاي محمد الوزاني قرب باب التوت) وكان حسن الأخلاق، لين الجانب، صابرا على الإقراء، كثير النفع للمبتدئين والغرباء، (وكان إذا عاتب أحدا من طلبته، أو أمره بشيء، يقول : يا حبيبي لا تفعل كذا وكذا إذا فعل، ويوم الخميس كان يجرده لعيادة المرضى، وربما سافر إليهم خارج البلد، وكانت داره بعيدة، فلم ينتقل منها لاحتساب الأجر، مع كبر السن وضعف البدن.

وكان محققا لعلم الحساب والفرائض، يستحضر مسائله ضرورة، فكان المفروغ إليه في ذلك العلم، مع مشاركته في علوم أخرى، وكان يقرأ الحكم لابن عطاء الله ليلة الخميس والجمعة.

توفي سنة ثمان أو سبع وسبعين ومائة وألف.

أزهار البستان في طبقات الأعيان، لأحمد ابن عجيبة، مخطوط خاص، والزيادة الأولى لداود والأخريان من نسخة الكتاني من *أزهار البستان* ؛ *موسوعة أعلام المغرب* نقلا عن *تذكرة الحسنين*، تنسيق د. حجي، طبع دار الغرب، ص. 2380 وقد تصحفت فيه ابن الطريبقة إلى ابن طريفة، *عمدة الراوين في تاريخ تطاوين*، لأحمد الرهوني، 5 : 135 ـ 136، مخطوط خاص، *تاريخ تطوان*، لمحمد داود، 3 : 66، ط. تطوان.

محمد بوخبزة

الطفيبر، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني سعيد الغمارية، كان بعض أفرادها يتعاطون حرفة السمسارة، ولازالت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 826.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **طفيل** أو الطفيل القيسي أبو بكر محمد بن عبد الملك بن محمد بن محمد من أشهر علماء وفلاسفة الإسلام بالأندلس والمغرب في القرن السادس من مواليد أواخر القرن الخامس أو بداية القرن السادس (يرجح تاريخ 494 هـ) بوادي آش، شمال شرق غرناطة.

كان ابن طفيل كما يقول المترجمون له "أحد فلاسفة المسلمين، متحققا بجميع أجزاء الفلسفة ... هذا مع اتساع في العلوم الإسلامية" فهو بهذا المعنى فيلسوف وطبيب وفلكي كما أنه فقيه وأديب وشاعر وربما في سلوكه ومذهبه تطلع إلى مقام عال من التصوف وقد عده عبد الواحد المراكشي "أحد حسنات الدهر في ذاته وأذواته". حريص على الجمع بين الحكمة والشريعة.

يعرّف الأستاذ محمد بن شريفة بثلاثة من مشايخه وهم أبو محمد الرشاطي وعبد الحق بن عطية وأبو الفضل جعفر بن شرف صاحب كتاب في النحو على طريق البرهان.

أما ما نقلته المصادر القديمة والحديثة من أنه أخذ علوم الفلسفة على الفيلسوف أبي بكر بن الصائغ المعروف بابن باجة فلا صحة له حيث يصرح ابن طفيل نفسه في مقدمة رسالته حي بن يقظان أنه له يلق شخص ابن باجة.

نعته ابن أبي زرع في *روض القرطاس* (ص 2) بالوزير الطبيب.

وقد يكون لقب الوزير ليس إلا لقبا شرفيا لا مهنيا يمارس فيه الشخص عملا ما إداريا إذ كانت هذه المهمة موكولة إلى الكتاب.

وقد زاول مهمة الكتابة مع أحمد بن ملحان الطائي بوادي آش بعدما أسس بها هذا الأخير إمارة حوالي سنة 539. ثم استخدم الخليفة عبد المؤمن بن طفيل بعد قدومه إلى مراكش سنة 546 كاتبا لابنه أبي سعيد عثمان مع زميله أبي الحكم بن هرذوس أثناء ولاية أبي سعيد على سبتة وطنجة ثم على غرناطة.

بلغ ابن طفيل حظوة كبيرة عند الخليفة أبي يعقوب يوسف بعد أبيه عبد المؤمن. كان أبو يعقوب شديد الشغف به وكان ابن طفيل يقيم عنده بالقصر أحيانا ليلا ونهارا، لا يظهر حسب عبارة صاحب المعجب. وكان من أطبائه بل أولهم في فترة ما حيث سيُعفَى من هذا المنصب لكبر سنه حوالي 578 ويخلفه أبو الوليد بن رشد.

وكان بن طفيل قد قدم هذا الأخير مع مجموعة من العلماء إلى الخليفة أبي يعقوب يوسف في بداية عهده وذلك حوالي سنة 520.

ويترجح أن ابن طفيل وكل إليه تدبير شؤون نخبة طلبة الحضر التي عني بتكوينها نظام الموحدين موازية لفئة طلبة الموحدين. وعلى هذا يكون نشاط مجالس المذاكرة التي تعرض لها المؤرخون والعلماء أنفسهم ومن بينهم أبو الوليد بن رشد قد استمر لمدّة ما في إطار مؤسسة دولة، القيم عليها أحد المبرزين من حكماء العصر.

اشتغل ابن طفيل بالطب والفلسفة والعلوم الفلكية.

وفي هذا الميدان الأخير، كاد يغير النظرية الفلكية السائدة منذ بطليموس وقبل كوبرنيك وقد ذكر ذلك تلميذه البطروجي حيث قال نصا :

"وقد علمتَ يا أخي أن أبا بكر ابن الطفيل رحمه الله تعالى كان يذكر لنا أنه عثر على هيئة وأصول لتلك الحركات غير ذينيك الأصلين الذين وضعهما بطليموس ودون أن يضع فلكا خارج المركز أصلا ولا فلك تدوير (eccentric or epicyclic spheres) وتصح معه تلك الحركات جميعا ودون أن يلزم عنها شيء من المحال وكان قد وعد أن يكتب فيه ومكانه من العلم بحيث لا يجهل".

لم يحتفظ التاريخ بكثير من أعمال ابن طفيل سوى قصته الشهيرة حيّ بن يقظان، وأرجوزته في الطب وبعض الأشعار.

قصة حي بن يقظان وآسال وسلمان هي عمل من طراز فريد في تاريخ الفلسفة. اتخذه بن طفيل نوعا أدبيا غريبا للشروع في تلقين مبادئه الفلسفية ونظرياته في الطبيعة وما بعد المستمدة من كل متقدميه من الفلاسفة خصوصا الذين يذكرهم في مقدمة قصته، ابن باجة والفارابي وابن سينا والغزالي، وأرسطو. ولاشك أن ميله إلى التصوف حاضر في عبارته. وقد صرّح أنه لم يبن له الحق إلاّ باتباع كلام أبي حامد الغزالي وكلام أبي عليّ بن سينا و"صرف بعضها إلى بعض".

وهذا يؤكد أنه كان إنصار لفلسفة ابن سينا بالأندلس قبل وفي زمان ابن رشد.

أما القصد الأول المصرح به في بداية رسالة حيّ بن يقظان، فهو بث أسرار الحكمة المشرقية لابن سينا.

وأما اتخاذه أسلوب القصة للعبارة عن أحوال قد يشاهدها من هو أهل لها من أهل الولاية فهو ابتكار أدبي وحكمي لتجاوز امتناع أو تعسر البوح بفحوى التجربة الصوفية. يقول ابن طفيل إن الحال التي يصل إليها العارف أو صاحب الولاية والتي شاهدها حسب زعمه هو نفسه "لا يستطيع من وصل إليها وانتهى إلى حد من حدودها أن يكتم أمرها أو يخفي سرها بل يعتريه من الطرب والنشاط والمرح والانبساط ما يحمله على البوح بها مجملة كل فن وخاصة أهل علم النظر وسموهم طلبة الحضر. فهم يكثرون في بعض الأوقات ويقلون وصنف آخر ممن عنى بالعلم من المصامدة يسمون طلبة الموحدين".

دون تفصيل وإن كان ممن لم تحذقه العلوم قال فيها بغير تحصيل حتى إن بعضهم قال في هذه الحال "سبحاني، ما أعظم شأني، وقال غيره أنا الحق ..."

وقد تجنب هو مثل هذه التصريحات باتخاذه القصة كوسيلة للعبارة حتى يبقى القول تابعا لسبيل التمثيل والمجاز لا لسبيل التحقيق.

تتلخص قصة حيّ بن يقظان في حكاية أطوار حياة إنسان نشأ في جزيرة خالية بمعزل تام عن الجنس البشري استطاع بعد ثمانية عقود من عمره وبكل عقد سبعة أعوام أن يدرك بمجرد عقله وبغير مرشد ولا معلم سائر العلوم التي تعاطاها العلماء الطبيعيون والحكماء حتى فهم العالم الطبيعي بعلله ومبادئه ثم ارتقى إلى اليقين بموجود واجب الوجود وانكشفت له أخيراً أمور حسب إدراك ذوقي ليس للعبارة القدرة على الإدلاء بمضمونها. ثم يتحقق من موافاة ما انتهى إليه بمجرد عقله بما أتت به أفضل الشرائع التي تأتى له أن يعرفها بعد لقائه بالجزيرة بأسال وهو شخص قدم من جزيرة مجاورة أهلها على تلك الشريعة.

وتأويل القصة قد يكون كله قائماً على الفصل والربط ما بين ما تسميه الصوفية الحقيقة والشريعة.

أثرت رسالة حي بن يقظان في جانبين أساسيين في الثقافة الفلسفية الأوروبية بعد القرن السابع عشر :

- لم تعرف ترجمة لحي بن يقظان إلى اللاتينية في العصر الذهبي للترجمات العربية اللاتنية ما بين القرنين الثاني والثالث عشر. بل وجدت ترجمة عبرية مع شرح لموسى النابوني سنة 1349.

نشر هذه الرسالة في أصلها العربي في أواخر القرن السابع عشر (1671) المستعرب الإنجليزي إدوارد بوكوك وقام بترجمتها إلى اللاتنية ابنه إدوارد، كما قام بترجمة النص العربي سيمون أوكى في نفس الفترة. وقد اطلع الفيلسوف الألماني الكبير لايبنز على الترجمة اللاتينية التي نعتت القصة بقصة الفيلسوف العصامي (Philosophos autodidactus).

من المؤكد أن رسالة حي بن يقظان كان لها الأثر الملموس في ترويج أفكار الفلاسفة الملقبين بفلاسفة الأنوار. وكان قصد ناشرها إدوارد بوكوك الأب ومترجمها إلى اللاتينية إدوارد بوكوك الابن سنة 1671 هو إعطاء مثل سام لمنهج ديني طبيعي مستقل عن تقليد شرعي خاص حسب ما فُهِمَ عن حي بن يقظان وأنه وصل بمجرد بحثه العقلي الخالص إلى إدراك مبدإ أول يجب أن يعتقد فيه أنه هو المعبود الواحد الأحد.

من الراجح أيضا أن قصة حيّ بن يقظان هي المصدر الأدبي الأساسي وإن كان عن طريق غير مباشرة لقصة روبنسون كروزو *(Robinson Crusoé)* الشهيرة التي نشرها مؤلفها الانجليزي دانيال دوفو (Daniel Defoe) سنة 1719.

توفي ابن طفيل بمراكش سنة 581 وحضر السلطان جنازته لمكانة الرجل عند أبيه وخدمته لدولة الموحدين.

ع. الواحد المراكشي، *المعجب في أخبار المغرب*، نشرة، دوزي، ص. 172، 175 ؛ ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة*، نشرة عبد الهادي التازي، بيروت، 1964 ؛ ابن أبي زرع، *روض القرطاس*، نشرة طورنبيرغ، أوبسالا، 1843 ؛ لسان الدين بن الخطيب، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، نشرة محمد عبد الله عنان، 1973، 1977 ؛ المقري، *نفح الطيب*، نشرة إحسان عباس، 1968، ج 1، 5 ؛ حنا الفاخوري الجر، *تاريخ الفلسفة العربية*، الطبعة الثانية، بيروت، 1982، ص. 354، 38 ؛ محمد بن شريفة، *ابن طفيل، السيرة والمؤلف*، تدريس الفلسفة والبحث الفلسفي في الوطن العربي، دار الغرب الإسلامي، 199، ص. 325، 334.

History of Muslim Philosophy; edited and introduced by M. M. Sharif, Wiesbaden 1963, vol. I, chap. 27, Ibn Tufayl by Bakhtyar Hussain Siddiqi, p. 526 - 540 ; A. Badawi, *Histoire de la philosophie en Islam*, Paris, 1972, t. II, p. 718-735 ; L. Gautier, *Ibn Thofayl, sa vie, ses œuvres*, Paris 1909, Paris, 1983 ; *Hayy Ibn Yaqzan, Roman philosophique* d'Ibn Tufayl, éd. et trad. Beyrouth, 1936 ; M.-A. Goichon, *Avicenne. Le livre des directives et remarques, (Kitab al-'isarat wa-t-tanbihat)*, traduction avec introduction et notes, Beyrouth - Paris, 1951, p. 483 - 526 ; S. Munk, *Mélanges de philosophie juive et arabe*, Paris, 1955, p. 410 - 418 ; Conrad Lawrence, *The world of Ibn Tufayl*, Brill 1995 ; *An andalusian physician at the court of the muwahhids, Some notes on the public carrier of Ibn Tufayl*", *Al-Qantara*, vol. XVI, fasc. 1, Madrid 1995 ; Hillel Fradkin, *"The political thought of Ibn Tufayl"*, in *The Political Aspects of Islamic Philosophy, Essays* in *Honor of Muhsin Mahdi*, Cambridge Massachusettes, 1992, p. 234 - 261 ; Idem, *Ibn Tofayl's Hayy Ibn Yaqzan, on the relationship of mysticism, Prophecy and philosophy*, Ph. D., diss. University of Chicago, 1978 ; Abdelali Elamrani-Jamal, *Expérience de la vision contemplative et*

forme du récit chez Ibn Tufayl, dans Le voyage initiatique en terre d'Islam, ascensions célestes et itinéraires spirituels, sous la direction de Mohammad Ali Amirmoezzi, Louvain-Paris, 1996, p. 159 - 172 ; D. Gutas, *Ibn Tufayl on Ibn Sina's Eastern Philisophy*, *Oriens*, vol. 34, (1994), p. 222 - 241 ; Ahmad Hasnaoui, *Encyclopédie philosophique universelle*, t. III, *les œuvres philosophiques*, Paris, 1992, art Ibn Tufayl, p. 607 ; Sami S. Hawi, *Islamic naturalism and mysticism. A. philosophic study of Ibn Tofayl's Hayy Ibn Yaqzan*, Leiden, 1974 ; P. M. Holt, *An oxford arabist : Edward Pococke (1604 - 91)*, in *Studies in the History of Near East*, London ; G. E. Hourani, *The principal subject of Hayy Ibn Yaqzan*, *Journal od near eastern studies*, 15 (1956), p. 40 - 46 ; Muhsin Mahdi, *The philosophical literature*, in *the Cambridge history of arabic literature. Religion learning and sciences*, London, 1990, p. 76 - 105, (*Abbasid period*, (edt, M. J. L. Young, J. D. Latham and R. Serjeant).

عبد العالي العمراني

الطقس، يعبر الطقس عن الحالة التي يكون عليها الغلاف الجوي فوق منطقة فترة معينة. وحالة الغلاف الجوي هاته إنما هي متغيرة ومتطورة باستمرار، لذلك يقترن الحديث عن الطقس بإمكانية رصد هذه الحالة وترقب تطوراتها المحتملة، فهو بالتالي يعبر عن الحالة الآنية للغلاف الجوي وما ستؤول إليه هذه الحالة في غضون الساعات المقبلة إلى حوالي يومين أو ثلاثة.

ويتولى تحديد خصائص الطقس في منطقة معينة وكذا عملية التكهن بتطوراته المحتملة علم الأرصاد الذي خطا خلال السنوات الأخيرة خطوات جبارة إن على المستوى المعرفي والمنهجي أو على مستوى الأدوات المعتمدة والأساليب المتبعة للزيادة في تدقيق عملية التنبؤ بأحوال الطقس وذلك باعتماد حواسب ذات سرعة فائقة لمعالجة رياضية معقدة للمعطيات وكذا استعمال وتطوير تقنيات النماذج العددية للتنبؤات.

وحالة الغلاف الجوي من جهة ثانية هي التي تحدد الملامح الأساسية الآنية لعناصر المناخ من حرارة ورطوبة جوية وتهطال ورياح... الخ، والحالة المهيمنة على الغلاف الجوي إنما تصوغها ما يسمى بالوضعية الجوية العامة والتي تعني تموضعاً معيناً لمراكز تأثير فعالة أي لخلايا مختلفة لضغوط مرتفعة ومنخفضة تكون هي المسؤولة عن تواتر معين للكتل الهوائية ولنوعية معينة لحركات وتنقل الهواء.

وإبراز الخصائص النوعية للوضعيات الجوية المتعاقبة والمترددة على منطقة معينة يحدد ما يسمى بأنماط الطقس والتي تمكن من التعرف على مختلف تجليات الحالة التي يكون عليها الطقس عندما تسود فوق منطقة ما وضعية جوية معينة حيث إن نزوع خلايا الضغوط الجوية المؤثرة إلى التموضع باستمرار في أمكنة معينة يترتب عنه خلق ظروف جوية خاصة بكل نمط من أنماط الطقس الذي يعبر في نهاية المطاف عن نوعية الظروف الجوية السائدة في تلك المنطقة من حيث الإطار العام الغالب على حركة الهواء عند تلك المنطقة وطبيعة الكتل الهوائية المهيمنة والذي يمكن رصدها من التعرف على مختلف السمات العامة لطقس ومناخ تلك المنطقة.

يبدو أن أول تحديد لأنماط الطقس في المغرب يعود إلى سنة 1925 على يد Dedebant وJury تلتها عدة محاولات لتدقيق خصائصها في عدة مقالات من بينها Queney (1943) وNoin (1963) وDelannoy (1971) وBenarage (1997).

ويميز بشكل عام في المغرب ما بين حوالي 15 نمطا من الطقوس ينتمي 6 منها إلى الأنواع الأكثر ترددا وهي على التوالي :

نمط الشركي
نمط الطقس الصحو الغربي
نمط مؤخرة الجبهات الباردة
نمط الطقس الصحو الشمالي الشرقي البارد
نمط المنخفض الصحراوي غير المستقر
نمط نشوء اضطراب محلي عند سواحل البرتغال

أما الأنماط ذات الترددات الأقل فهي :

نمط الطقس المضطرب الغربي
نمط الطقس المضطرب الشمالي الغربي
نمط الطقس المضطرب الشمالي
نمط الطقس المضطرب الشمالي الشرقي
نمط الطقس المضطرب الجنوبي الغربي
نمط الطقس المضطرب الشمالي الإيبيري
نمط نشوء اضطراب عند خليج أكادير
نمط نشوء اضطراب عند خليج قاديس
نمط نشوء اضطراب عند جزر البليار

وتجدر الإشارة إلى أن سيادة كل نمط من الأنماط في المغرب تصاحبه حالة جوية معينة تتحدد من خلالها في كل مناطقه خصائص نوعية مصاحبة تطبع كل عناصر الطقس من حرارة ورطوبة ورياح وتساقطات. كما أن التعرف على كل هذه الخصائص المرتبطة بكل نمط من هذه الأنماط يساهم بشكل واضح في إبراز الخاصيات الأساسية للمناخ المغربي في كل تجليات تغيراته الفصلية المميزة لطبيعته كمناخ متوسطي.

S. Benaarafa, *Variabilité et impacts climatiques des types de temps sur Rabat*, in *Aspects de la variabilité du climat marocain*, Edit. A. Bellichi, Rabat, 1997 ; A. Jury, G. Dedebant, *Les types de temps au Maroc*, Paris, 1925 ; H. Delannoy, *Aspects du climat de Marrakech*, *RGM*, n° 20, 1971 ; P. Queney, *Types de temps en Afrique du Nord et au Sahara septentrional*, Alger, 1943 ; D. Noin, *Types de temps d'été au Maroc*, *Ann. Géogr.*, n° 389, t. 62, 1963.

علي البليشي

الطقطوقة الجبلية صنف من الغناء ينتشر في الحواضر الشمالية الغربية للمغرب كطنجة وتطوان، وبين أوساط القبائل المتساكنة بالمناطق المجاورة لهما. وأكثر هذه القبائل ممارسة للطقطوقة قبائل بني گرفط، وأهل سريف، وبني زكار، وبني يدر، وبني عروس حيث يوجد ضريح المولى عبد السلام ابن مشيش.

والطقطوقة الجبلية بدوية الطبع راقصة الحركة، وهي تتشكل من مقدمة آلية وثلاثة أقسام غنائية. وتنضوي تحت ما يعرف بأغاني جبالة، وضمنها يدخل العرض الراقص المعروف باسم العرضة، وهي "رقصة الصينية" التي تحمل أكواب الشاي وتُزيّنُ بالشموع، ويقوم بها الرجال وقد ارتدوا زي النساء.

تتناول موضوعات الطقطوقة أغراضا شعرية متنوعة، وخاصة منها المديح والغزل والوصف. ويجري أداء الطقطوقة وفق النسق التالي :

أ ـ مقدمة آلية حادة الايقاع، ذات طابع ارتجالي محض. وتتناوب على عزف فقراتها الكمنجات والكنبري. ووظيفتها تقديم الطبع الموسيقي للمقطوعات الغنائية، وبذلك فهي شبيهة بالبقية التي تمهد لميزان النوبة الأندلسية.

ب ـ القصيدة وهي فقرة غنائية موضوعها المديح النبوي أو مدح المولى عبد السلام ابن مشيش. وتغنى على إيقاع هادئ وصارم.

ج ـ العيطة : هي غير العيطة الحوزية. موضوعها الغزل والوصف. ويجري إنشادها على إيقاع قائم على خمس ضربات : واحدة سريعة (كروش) تتلوها أربع بقيمة ضعف الأولى (سوداء) مما يجعل الميزان تساعيا (8/9)، وخلال ذلك يكون الغناء جماعيا، ثم يتحول الإنشاد إلى إيقاع الگباحي : ثلاث ضربات سريعة من جنس الكروش تسبقها ضربة من جنس السوداء، مما يعطي ميزانا خماسيا (8/5)، يكون الإنشاد خلاله في تحاور بين المجموعة وبين المنشد المنفرد.

د ـ لاّ لاّ يَلاّلي : أغنية سريعة تؤديها المجموعة الصوتية على ألحان رشيقة معززة بالعزف على سائر الآلات، وعبرها يمتد الايقاع لتنتهي على ميزان الدريدكة (8/6).

عبد العزيز بن عبد الجليل

طكولوسيدا، معسكر روماني يوجد في المنطقة الجنوبية لوليلي حيث يبعد عنها بحوالي 4,5 كلم على الطريق الرابطة بين مولاي إدريس زرهون ومكناس وبالضبط في المنطقة المعروفة بتاقورارت.

لقد ورد اسم هذا الموقع عند بعض المؤرخين القدامى نذكر من بينهم الإشارة التي وردت عند مرحلية أنطونان وكذلك تلك التي وردت عند الجغرافي بطوليمي وعند المؤرخ المتأخر الرافيني حيث ورد اسم طوكولوسيدا على الشكل التالي Tocolosion.

لقد تم التعرف على هذا الموقع من شارل تيسو أواخر القرن التاسع عشر، وقد تمت زيارته في سنة 1888 من هنري دولمارتينير.

في سنة 1953 قام جون براديز بصورة جوية للمنطقة مكنته من التعرف بدقة على تصميم هذا الموقع وبعد ذلك قام صحبة موريس أوزينا بحفريات فيه.

يصفه أوزينا على الشكل التالي : يقع معسكر طوكولوسيدا على بعد 4,5 كلم جنوب رليلي في مكان يعرف بتاقورارت فوق هضبة تمكن من مراقبة الأراضي المجاورة بعيدا في اتجاه الشمال الغربي.

ومن بين الذين اشتغلوا على هذا الموقع ريموند توفنو R. Thouvenot حيث قام بحفريات مكنته من اكتشاف سور على عمق مترين من سطح الأرض، يبلغ طول هذا السور 1750 م، ومن خلال اللقى الأثرية التي عثر عليها وخاصة قطعة نقدية عثر عليها تحت عتبة الباب الجنوبي، تم تحديد فترة بنائه تحت حكم الإمبراطور كلود الأول. غير أن فريزول Frezoul يقترح أن يؤرخ سور طوكولوسيدا بـ30 سنة قبل بناء سور وليلي المؤرخ بفترة مارك أوريل.

إن الاستبارات التي قام بها موريس أوزينا M. Euzennat خارج المعسكر، قد مست مستويات أثرية تهم مكونات مدينة غير معروفة كانت توجد بجوار المعسكر. ومكنت أخرى من التعرف على شكله ومساحته ومكوناته والتي يمكن التعرض إليها على الشكل التالي : مساحته تقدر بـ2,5 هكتار، يحيط به سور يتشكل من كتل إهليليجية الشكل غير منتظمة، هذا المعسكر له شكل مربع أو شبه مربع، بالإضافة إلى بابه الجنوبي، تم التعرف بواسطة الصور الجوية على أبوابه الثلاث الأخرى الموجودة في الجهة الشرقية والغربية والشمالية.

ولقد مكنت النقائش المأتمية التي تم العثور عليها بهذا الموقع من التعرف على الفيالق العسكرية التي كانت ترابط بهذا المعسكر وهي على التوالي الجناح الأغسطي الأول الغالي Ala I Augusta Gallurum، وجناح الرماة الحامي السوري Ala I Hamiorum Syrorum. ولا يستبعد موريس أوزينا أن وجود هذه الوحدات هي التي كانت السبب في بناء المعسكر الذي يتسع لحشد 500 فارس. والملاحظ أن الفيلق الأول أي Ala I Augusta Gallurum لم يعرف إلا بمنطقة وليلي حيث كان ثابتا بمعسكر طكولوسيدا.

واعتمادا على الأبحاث الأثرية السابقة الذكر يمكن تصنيف المراحل التاريخية الكبرى التي عرفها المعسكر إلى ثلاث وهي :

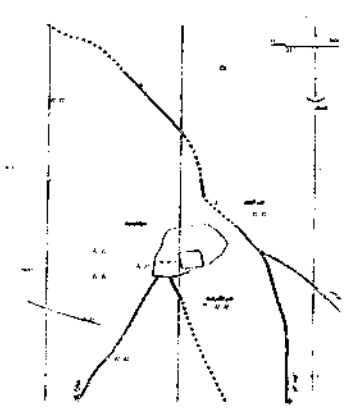

تصميم تقريبي لمعسكر طوكولوسيدا و منطقته.

- المرحلة الأولى : ترجع إلى ما قبل الحكم الكلاودي
- المرحلة الثانية : مرحلة الفلافيين
- المرحلة الثالثة والأخيرة هي التي عرفت استقرار العديد من القبائل المجاورة.

وإلى حدود الثمانينات كان موقع طكولوسيدا يعتبر آخر نقطة استقرار رومانية في اتجاه الجنوب، ومكونا من مكونات الليمس الجنوبي. غير أن التحريات الأثرية التي أقيمت بعد ذلك قد ألغت هذه الفكرة وأصبح هذا المعسكر داخلا ضمن المجال الروماني بحيث إن آخر موقع استقرار روماني يوجد على بعد 2 كلم شمال مدينة مكناس.

Ch. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, Paris, 1877 ; J. Baradez, *Deux missions de recherches sur les limes de Tingitane*, *CRAI*, 1955 ; L. Chatelain, *Le Maroc des romains*, Paris, 1944 ; M. Euzennat, *Les limes de Tingitane, la frontière méridionale*, Paris, 1989.

حسن ليمان

الطلاسم، ظهرت منذ القديم مع ظهور أولى أشكال السحر. وما السحر إلا ما جاءت به الشياطين ضداً على الدين. ولذلك كان السحر منذ بدايته عبارة عن فن قلب قوى الكلمات والحروف والصور والأشكال عن أساسها وأصلها اللذين جاءت عليهما منذ خلقتها الأولى.

إن هذا المفهوم عن السحر في بدايته يجعل السحر مجرّد علم عن قلب قوى الأشياء والظواهر والصور والكلمات، أي تحريفها عن مواضعها الأصلية كما ذكر ذلك كتاب الله عز وجل في سياق وصفه لبعض ممارسات بني اسرائيل (سحرتهم وأحبارهم المتضلعين في علم الكتاب) وهم يحرفون الكلم عن مواضعه من بعد ما علموه في صورته الأصلية ومن بعدما أدركوه من العلم والمعرفة عن قواه النورانية الأولى وتصريفاته في عالميْ القوى والفعل، وبتعبير أبسط، في عالميْ الباطن والظاهر.

غير أن الأسماء والأشياء والظواهر الكونية والطبيعية والإنسانية والحيوانية وغيرها، وكذا الأفعال والمطالب والمطلوبات والأهداف والغايات والأسباب والمسببات والنتائج، كل هذا، يتطلب الإلمام بها قولاً وكتابة وفعلاً تجريد أسفار عديدة وملء مجلدات، وبذل الكثير من الجهد والوقت، ولذلك استنبط الإنسان (والكلام هنا عن السحرة العلماء والكهنة المتضلّعين) رموزاً يسيرة يرمز كل منها إلى اسم أو فعل أو معنى أو إلى مخلوق أو إلى ظاهرة من الظواهر أو إلى سبب من الأسباب أو نتيجة من النتائج، حتى إذا أراد الساحر الفاعل أن يأتي أمراً سحرياً استبدل ما يتصل بهذا الأمر من الأسماء والأفعال والظواهر والأسباب والمسببات المذكورة بالرموز اليسيرة الدالة عليها، وهكذا يسعه أن يختزل أمراً بالغ الكبر والأهمية هائل الحجم والوزن في رسم صغير ضئيل لا يقل وزناً وقوة عن الأمر المذكور في كليته.

ومن هنا جاءت الطلاسم عبارة عن رسوم وحروف وعلامات وأشكال يسيرة دالّة على أمور كثيرة وكبيرة ومعقدة، فكان الطلسم يفعل نفس الفعل الذي يختزله في رسمه وشكله ودلالاته.

ويكتسب الرمز أو الرسم العلامة هذه الدلالة القوية والفعلية والمؤثرة من خلال ممارسة طويلة يأتيها الساحر بواسطة التركيز العقلي، ويتمكّن بفضلها من جعل المعنى المراد يتركّز في الرسم موضوع الطلسم.

وقد قيل قديماً في هذا المعنى : "السرّ ليس في النّون، بل في سحنون" كناية عن وجود السّر المودع في حرف النون، أساساً، في القوى العقلية والسحرية التي يتمتع بها الساحر أو الفقيه سحنون بفضل جهاد عقلي نفسي ومعرفي وتركيز داوم على ممارسته سنين طويلة وهو يعالج ذلك الحرف حتى صار مجرّد رسمه إياه بقلمه أو بريشته أو يراعه بمثابة طلسم قوي وفاعل يشع بالقوى والمعاني والفعاليات التي أودعها الساحر في رسم الحرف ذاته.

إن الطلسم من هذا المنظور، يتكون من رموز أو حروف أو رسوم أو علامات، أو من بعضها أو من جميعها، بحيث يكون راسمها وواضعها قد ركّز فيها بقوى عقله وبما لديه من الصنعة السحرية مجموعة من الدلالات والمعاني والأفعال ممّا يرغب في تنفيذه بمقتضى ذلك الطلسم.

وهكذا سمعنا عن طلاسم يتم بها إيصاد أبواب عملاقة أو كوّات صغيرة يسيرة دون كنوز وأموال أو أمتعة أو أواني أو كتب ووثائق مودعة خلفها، حتى لا يصل إليها أحد، اللهمّ إلا إذا كان هذا الواصل على علم بأسرار الطلسم وبأساليب فتحه، أو مكتسباً لعلم يفوق العلم الذي كان لدى واضع الطلسم، فيؤهله ذلك للتغلب على معوقاته ويسر له بالتالي مهمة فتحه وفك شيفراته وضرب دلالاته بدلالات وقوى ومعانٍ عكسية تتغلب عليها بل على خُدّامها من القوى والعقول الخفية (شيطانية أو غيرها) فيتمّ الفتح وينتهي الأمر إلى الوصول الفعلي إلى المخبّآت.

يُفهم من هذا أن الطلسم في حدّ ذاته لا يعدو أن يكون مجرد خطوط وحروف وعلامات يسيرة وعادية، مهما كانت أشكالها معقدة وملتوية، وإنما القوة الحقيقية للطلسم في صانعه وواضعه الذي تعلم كيف يكتسب قوى طبيعية خفية، هي القوى التي يكتسبها السحرة بممارساتهم المختلفة، وتعلم كيف يوظف تلك القوى ويسكنها في الحروف والرموز والعلامات التي يستعملها في صياغة طلسمه أو طلسم شيخه ومعلمه إن كان يتصرف بالاستمداد من هذا الأخير.

ومرة أخرى، يسع المرء أن يردد وهو على يقين من صحة ذلك : "إن السر ليس في الطلسم، بل في صانعه بكل تأكيد" !!!

م. عزيز الوكيلي، *المدارس الباطنية بين العلم والفلسفة والعقيدة والدين*، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة، 1998، جامعة محمد الخامس، الرباط ؛ م. التهامي الوكيلي، *الإلحاد*، مؤسسة دار الأعماق، الرباط.

Papus. *Docteur Gerard en cause : - ABC, illustré*

d'occultisme (premiers éléments d'études des grandes traditions initiatiques, Paris ; - *La cabbale (Tradition secrète de l'Occident)*, Paris : A. Raymond. *Parapsychologie pratique pour tous*, Paris, 1990 ; *Parapsychologie et l'invisible*, Paris, 1990 ; Mircea Eliade, *Images et symbole*, Paris. Essai sur le symbolisme magico-religieux.

محمد عزيز الوكيلي

ابن الطَّلبّ، مَحمد بن الطلبّ بن محمد الأمين بن محمد بن المختار بن الفغ موسى اليعقوبي، المعروف بمحمد بن الطلب. ولد سنة 1188 / 1775. بضارب قبيلته اذا يعقوب ببلاد تيرس جنوب المغرب. اشتهر بشعره الرصين ومعارضته لفحول شعراء العرب. ويعكس شعره شدة شغفه ببادية تيرس وتحكمه في ناصية اللغة العربية الجزلة. وقد شهد له بالنبوغ الشعري علماء عصره، فمما قاله فيه العلامة محمذ فال ابن مُقَالّ التندغي : وهذا عربي أخره الله"، وقد اعتبره بعض دارسي أدب شنگيط ممثل المدرسة القاموسية وهو حكم فيه كثير من التمحل، كما اعتبره البعض رائد حركة البعث الشعري في الصحراء.

له مؤلفات ضائعة في الفقه والنحو والأدب، منها :

- تسهيل التسهيل، وهو نظم عقّد فيه كتاب التسهيل لمحمد ابن مالك.
- نظم خليل.
- ديوان شعر كبير، ويقال انه اختصر كتاب الأغاني.

أحمد بن الأمين الشنگيطي، *الوسيط من تراجم أدباء شنگيط*، ص. 94، ط 4، مطبعة المدني، القاهرة، 1989 ؛ أحمد ولد الحسن، *أسلوب ابن الطلب اليعقوبي*، كلية الآداب، تونس، 1980، مرقونة ؛ الخليل النحوي، *بلاد شنگيط المنارة والرباط*، ص. 526، تونس، 1987 ؛ عبد الله بن محمد سالم بن السبد، *المعارضة في الشعر الموريتاني*، عبد الله بن محمد سالم بن السبد، ص. 220، المطبعة المدرسية بالمعهد التربوي الوطني، 1990 ؛ سيدي محمد بن محمد عبد الله يزيد، *معجم المؤلفين في القطر الشنگيطي*، ص. 123، منشورات سعيدان، تونس، 1996.

محمد الظريف

ابن طَلْبَانْ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث لازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Montalban وهو اسم مدينة إسبانية ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 261.

محمد ابن عزوز حكيم

الطلبة (في العهد الموحدي) يمثل الطلبة إحدى طبقات النظام الموحدي، بعد أهل العشرة، وأهل الخمسين وأهل السبعين، ويأتي بعدهم الحفاظ وهم أيضاً من أهل العلم والمعرفة، وإن كانت لهم وظائف تختلف عن وظائف الطلبة. وتحيل كلمة طلبة على طلب العلم، واستعملت في بداية أمر الموحدين لتصف حال مجموعة من أتباع محمد ابن تومرت الذين انبهروا بشخصيته ولازموه من أجل الإفادة من علمه، بعد رجوعه من المشرق. ونجد من بين هؤلاء : عبد المؤمن الگومي وأبو محمد البشير وإسماعيل إيگيگ. انخرط هؤلاء الأتباع منذ البداية في مشروع ابن تومرت، فكانوا يتصدون بإشارة منه للمنكرات، ثم بايعوه بهرغة وتينمل حينما باح بالمهدوية، ثم أرسل نجباء تلامذته إلى مختلف القبائل يدعون إلى بيعته، ويزرعون في الناس محبته، لما يذكرونه من فضائله وكراماته. ولقد اضطلع هؤلاء الدعاة بكل مهام الدعوة، فكانوا يجندون الأتباع ويعلمونهم القرآن والتوحيد. ومنهم من قتل أثناء الدعوة كأبي موسى ابن تومرت وأبي محمد عطية، فاعتبرهما ابن تومرت شهيدين واستباح دماء وأموال من قتلهما.

تعددت وظائف الطلبة على امتداد العهد الموحدي، فقد تقلدوا وظائف دينية وإدارية وعسكرية، ولنا في ترجمة أبي الحسن ابن القطان (ت. 628) نموذج للحظوة التي بلغها بعض طلبة الموحدين، فقد كان "رأس طلبة العلم بمراكش ونال بخدمة السلطان دنيا عريضة". وكان الطلبة مسجلين في ديوان الجند، ويتقاضون الرواتب والكسوة ويحملون السلاح كغيرهم من رجالات الدولة الموحدية. وقد جرت العادة أن يسير في موكب الخليفة في ترحاله خمسون من طلبة الموحدين يقرأون القرآن وشيئاً من الحديث وتواليف ابن تومرت في العقائد باللسان المصمودي وباللسان العربي، فإذا فرغوا وقف الخليفة وبسط يديه ودعا. وكانوا يرافقونه عند نزوله وهم مشاة إلى غاية خيمته، وكان هذا دأبهم في كافة حركات الخلفاء.

ويبدو أن طلبة مجلس الخليفة بالحضرة كانوا أكثر حظوة من غيرهم، واستفادوا من كرم وعناية الخليفة عبد المؤمن بن علي الذي اصطفى ثلة من علماء الغرب الإسلامي لمجلسه العلمي، وسماهم طلبة الحضر تمييزاً لهم عن طلبة الموحدين. وقد أشار المراكشي إلى أن عددهم لم يكن منتظماً، فهم يكثرون في بعض الأوقات ويقلون في أخرى. وكان للطلبة بقسميهم ناد يجتمعون فيه للمناظرة وامتحان الواردين من أهل العلم هو "بيت الطلبة". وحينما يدعوهم الخليفة لمجالسه العلمية، فقد كان يبتدئ الحديث بنفسه بإلقاء مسألة من العلم. وقد اشتهر كل من عبد المؤمن ويوسف ويعقوب بالمشاركة في المناظرة ولا ينفصلون عن المجلس إلا بعد الدعاء. وفضلاً عن هذا فقد اضطلع طلبة الحضر بعدد من المهام منها : الكتابة والترسل ونظم الأشعار في المناسبات الجليلة وإلقاؤها بين يدي الخليفة، وحضور مجالسه بمناسبة بيعة أو بروز أو تمييز أو استقبال، وتقديم المشورة والنصح والتطبيب والإشراف على خزانة الكتب بالقصر، وتعليم السادة وأبناء الأشياخ، والقضاء والخطابة والإمامة. ونظراً لأهمية هذه الهيئة، فقد اعتنى بها الخلفاء منذ عهد عبد المؤمن الذي أسعفهم بمال محترم على وجه القراض، بسبب ما رآه من ضعف أحوالهم والإقلال الظاهر عليهم، فاكتسبوا من

تجارتهم الكثير، وكان ذلك أصل غناهم، هذا فضلاً عن البركات التي يتوصل بها طلبة الحضر في كل شهر على التوالي والاستمرار. كما عينوا على رأس طلبة الحضر مزواراً، كان أولهم أبو الحسن الإشبيلي إلى غاية وفاته سنة 567. وكان ابن صاحب الصلاة يسميه "شيخ طلبة الحضر". ثم خلفه أبو محمد المالقي إلى أن توفي بمراكش سنة 547، ثم أبو الحسن ابن القطان في عهد المنصور، وأحمد ابن عتيق البلنسي ت. 607.

ويندرج الحفاظ ضمن الطلبة وإن كان صاحب *الحلل الموشية* يصفهم بصغار الطلبة. ويفهم من كلام ابن القطان وصاحب الحلل أن اختيار عبد المؤمن بن علي للحفاظ يعكس بره بمن انضم إليه وتكريمه للأعيان وأهل البيوتات ؛ ولهذا فقد استدعى الصبيان النجباء الحفاظ من كافة حواضر الدولة الموحدية لحفظ القرآن وكتاب الموطأ وكتاب أعز ما يطلب وغير ذلك من تآليف المهدي، وكان يدخلهم كل يوم جمعة بعد الصلاة داخل القصر، وهم نحو ثلاثة آلاف، وكان يعدهم لشغل مختلف المناصب الإدارية في الأقاليم، ولذلك فقد صاحب تدريسهم بتدريبات عسكرية ورياضية متنوعة. فلما تم له ما أراد، عزل أشياخ الموحدين عن الرئاسة، وجعل دورهم يقتصر على تقديم المشورة لهؤلاء الحفاظ، وهو ما تؤكده عدة رسائل موحدية تبتدئ بذكر الطلبة ثم الأشياخ والأعيان والكافة. وفعلاً فإن الطلبة كانوا يشكلون أعلى هيئة في الجهاز الإداري في الأقاليم، إذ كانوا يساعدون السادة من بني عبد المومن في مختلف المهام الدينية والإدارية والعسكرية. وأبرزت هذه الرسائل طبيعة المهام التي كانت تسند إليهم، كولاية الأقاليم وقيادة الجيوش والأساطيل "طلبة الاسطول" بل والإشراف أحيانا على الجبايات والمصاريف. على أن أخطر أدوارهم إنما يتمثل في التمهيد لانتشار مبادئ عقيدة الموحدين والاحتراز عليها من الخطر الذي يتهددها من الصوفية وغيرهم. وعلى هذا الأساس فهم بمثابة عيون الدولة التي تترصد في كل مكان خصوم الموحدين.

كتاب الحلل الموشية : ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة* ؛ ابن القطان، *نظم الجمان* ؛ عبد الواحد المراكشي، *المعجب* ؛ محمد المنوني، *العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين* ؛ أحمد عزاوي، *مجموعة جديدة من الرسائل الموحدية*، مرقون ؛ أسكان الحسين، *الدولة والمجتمع على عهد الموحدين*، مرقون.

محمد فتحة

الطلح أو السَّنْط أو المِيمُوزَا أسماء لجنس نباتي يسمى علميا أَقَاقْيَا Acacia ويلفظ خطأ أكَاسْيَا وهو من فصيلة السنطيات Mimosaceae التي تنتمي إلى الفصيلة الفوقية للقرنيات Leguminosae.

يشمل جنس أقاقيا أنواعاً شجرية وأخرى شجيرية، بعضها مشوك وبعضها غير مشوك. أوراقها مركبة وريشية ثنائية أو على شكل عنيقات ورقية مفلطحة تشبه الأوراق وتؤدي وظيفتها، ذات أذنتين صغيرتين أو كبيرتين ومستحيلتين إلى شوكتين، أو منعدمتين. ازهاراتها على شكل كبيبات رؤيسية الشكل، كروية أو سنبلية، وحيدة أو مزدوجة أو استثنائيا حُزْمِيَّة في إبط الأوراق، أو متفرقة على شكل عَنَاقِيد وعَثَاكِيل طرفية. أزهارها صغيرة، كثيرة العدد، صفراء، أو بيضاء استثنائيا. كأس الأزهار ذو 5 أسنان حرة. لكل زهرة أكثر من 20 أسدية. ثمارها قرنية ومختلفة الأشكال والأحجام.

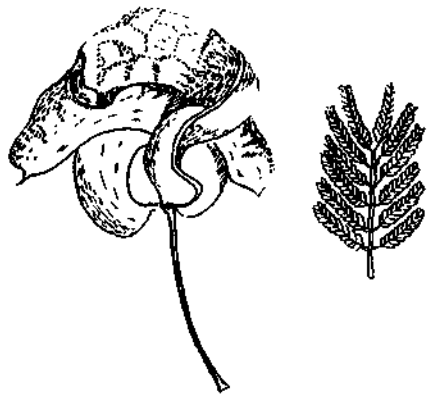

يشمل الجنس أربعة أنواع طبيعية من بينها نوع واحد قبسي خاص بالمغرب، وكذلك عشرات الأنواع المدخلة للتزيين ولاستعمالها في التشجير وفي محاربة التصحر والانجراف والتعرية.

- الأنواع المغربية والإفريقية : تتميز الأنواع الطبيعية بالمغرب وتلك الموجودة في البلدان الافريقية والأمريكية بأوراقها المركبة الريشية الثنائية وبأذناتها الشوكية :

- الطلح، أو الطلحة، أو الخروب بالعربية أو أمْرَادْ بالأمازيغية أو علميا أقَاقْيَا رَدْيَانَا Acacia raddiana : شجرة قد تصل قامتها إلى 15م أو أكثر، ذات هيئة مظلية الشكل. أوراقها متبادلة، ريشية ثنائية. أذَنَاهَا شوكيتان بيضاء ذَوَتَا طول يتراوح ما بين 2 و4 سم. أزهارها مجتمعة في كبيبات، ذات كأس مزغب، وبتلال جرداء، ذات لون أبيض يميل إلى لون القشدة الثمار قرنية الشكل ومجتمعة من 1 إلى 5 لكل كبيبة، مفلطحة ومقوسة عل شكل دائري أو حلزوني.

ينظم النوع منظومات بيئية شبه سهبية في المناطق الصحراوية من المحيط الأطلنطي إلى الخليج العربي. وتصادف منظوماته البيئية المغربية من فكيكْ إلى أدْرَارْ سْطُوت شرق الداخلة والگويرة. حيث تقدر المساحة المغطاة بما يقارب مليون هكتار تقطن منظوماته أتربة طمية أو طمية رملية أو رملية، ولا تخرج عن النطاق الصحراوي ذي الشتاء الدافيء والمعتدل، والطابقين النباتيين لتحت المتوسطي والمتوسطي الدافيء.

يعتبر النوع ذا قيمة رعوية عالية وذلك بفضل أوراقه وثماره، وخاصة من طرف الجمال. كما يعطي خشب الخدمات

والحطب، والصمغ أو تيفيزاً محليا، ويستخدم لعدة أغراض في التطبيب التقليدي باستعمال الصمغ الأحمر اللون على الخصوص، وخشب الجذور المسحوق. كما تدخل الأزهار المجففة في وصفة "رأس الحانوت" الصحراوية.

- الطلح، أو الطلح المغربي بالعربية أو تَادُوتْ أو عَادُول بالأمازيغية، أو علميا أقَاقْيَا كُومِّيفِيرَا Acacia gummifera : شجيرة يتراوح علوها ما بين 5 و6 م. أوراقها ريشية ثنائية مكونة من 6 إلى 10 أزواج من الوريقات. أذنَتَاهَا شوكيتان ذَوَاتَا طول يتراوح ما بين 1 و15 سم، بيضاوتان ضاربتان إلى الاحمرار. الأزهار صفراء. القرون مجتمعة من 1 إلى 3 لكل كبيبة، مستقيمة وتشبه قون اللوبيا، الخضراء، طولها يبلغ ما بين 10 و17 سم، متدلية ومفلطحة ومحززة.

إنه النوع القبسي الخاص بالجنوب الغربي للمغرب حيث كان يشكل في القديم منظوماته البيئية في سهول الحوز والرحامنة والجزء الجنوبي من تادلة والشاوية. فاجتثت تشكيلاته في كامل مجاله الطبيعي لأجل الزراعة، ولم ينج منها إلا بعض التشكيلات المجاورة لبعض الأضرحة والقبور، كما هو الشأن بالنسبة للبطم الأطلسي في المغرب الشرقي. خارج مجال منظوماته البيئية الخاصة به، يساهم الطلح المغربي بأفراد متناثرة في منظومات أخرى للعرعر البربري ولأركان. وفي كل الحالات، يعيش الطلح المغربي في الطابق تحت المتوسطي ذي البيومناخين شبه الجاف والجاف الدافئين والمعتدلين.

بالإضافة إلى كونه نباتاً رعوياً، يستعمل الطلح المغربي في التطبيب التقليدي لعدة أغراض، ويعطي الصمغ الذي كان في الماضي يصدر عن طريق ميناء الصويرة، وله نفس ميزات الصمغ العربي كما يعتبر خشب الطلح المغربي أو تَادُوتْ بعد سقيه في الزيت، من أهم مصادر الأنواع الخشبية المستعملة لترصيع الأدوات والأثاث المصنوعة من جذر العرعر البربري (انظر العرعر). يستعمل خشب الطلح المغربي شديد الصلابة وذي اللون الأسود لتعويض خشب الأبنوس الذي كان يستورد من المناطق المدارية لَمَّا كانت كلفته في متناول نجاري الصويرة. فعلاوة على جمال خشب العرعر البربري ذي اللون الأحمر والمزركش، يزدان الأثاث باللون الأسود لخشب الطلح المغربي، وباللون الأصفر لخشب الليمون. ويستخدم خشب الطلح المغربي أيضاً في صناعة آلة الموسيقية. وتستعمل الثمار كذلك كمادة دباغية.

- الطلح أو تَمَاتْ أو أقَاقْيَا إيهْرَنْبِيرْجْيَانَا Acacia ehrenbergiana : شجيرة يبلغ علوها من 3 إلى 6 م، ذات أوراق ريشية ثنائية مكونة من 8 إلى 20 زوجا من الوريقات. أذنتاها مشوكتان وذاتا طول يتراوح ما بين 2 و7 سم. أزهارها صفراء. قرونها دقيقة، متدلية، متعرجة أو مستقيمة، أو منجلية الشكل.

يصادف النوع في المناطق الصحراوية والمدارية عن افريقيا الشمالية وفي شبه جزيرة العرب. أما في المغرب فهو ينظم تشكيلاته الخاصة به أو مختلطا مع النوع الأول في المناطق الصحراوية جنوب جبل البانى غرب زاگورة، إلى فم الحصن وماسا ثم الساقية الحمراء ووادي الذهب. يقطن الأتربة الطينية الطينية أو الطميةالرملية.

إنه نوع متعدد الفوائد، فهو رعوي ومنتج لخشب الخدمات وللحطب، وللصمغ. ويستعمل في عدة حالات من التطبيب التقليدي. وتجدر الإشارة إلى أن صمغ هذا النوع يستعمل في التجليد التقليدي للكتب.

- الطلح الأبيض عربيا أو أفْرَارْ أمازيغيا هو أقَاقْيَا آلْبِدَا Acacia albida أو فَايْدِيرْبِيَا آلْبِدَا Faidherbia albida.

إنه نوع شجري من الممكن أن يبلغ علوه 25 م. يتميز عن الأنواع الأخرى بجذعه ذي اللون الأبيض، وبأوراقه الريشية الثنائية المكونة من 7 إلى 17 زوجا من الوريقات، وبأذنتيه المشوكتين الصغيرتين إذلا يتعدى طولهما 2 سم، وبأزهاره المُجَمَّعَة على شكل سنبلي، وبثماره المفلطحة.

إنه نوع شائع في النصف الشمالي من إفريقيا المدارية حيث يلعب دوراً مهماً. لكنه بالنسبة للمغرب نوع نادر جداً إذ لا يصادف إلا في جنوب وارقزيز الغربي شرق السيد حيث يمثل ببعض المئات من الأفراد المتناثرة في الوديان والمنخفضات من المنطقة الصحراوية الدافئة.

وفي المناطق التي يكثر فيها، يستعمل النوع في التطبيب التقليدي. وإنه ذو قيمة رعوية عالية بفضل أوراقه وثماره.

- الطلح الشوكي أو شوك النصارى عربيا هو علميا أقَاقْيَا هُورِّيدَا Acacia horrida : إنه نوع شجري يتراوح علوه ما بين 5 و7 م، ذو أوراق ريشية ثنائية مكونة من 3 إلى 6 أزواج من الوريقات، وأذنتين شوكيتين طويلتين إذ من الممكن أن يبلغ طولهما 10 سم، وثمار مقوسة قليلا.

المصدر الأصلي للنوع هو جنوب افريقيا، ومنها أدخل إلى البلدان الحارة والمعتدلة كالمغرب، وذلك لتشكيل أسيجة حية مشوكة من المستحيل اختراقها من طرف الانسان أو الدواب. يستعمل النوع لهذا الغرض بدون ري في البيومناخات شبه الجافة وشبه الرطبة والرطبة. أما في البيومناخات الجافة والصحراوية فإن الري ضروري.

- الأنواع الاسترالية : يشمل الجنس ما يقارب 600 نوع أدخل منها في المغرب أكثر من مائة نوع، لكن عدد الأنواع الأكثر استعمالا في التشجير لا يتجاوز الأربعة وتسمى كلها الميموزا، وتتميز عن المجموعة الأولى بكونها غير مشوكة. تشمل هذه المجموعة الأنواع التي لها أوراق مركبة ريشية، وتلك التي لها أعناق ورقية صلبة تلعب دور الأوراق.

تستعمل الأنواع في عملية التشجير ومحاربة التصحر والانجراف وللزينة، ولأغراض أخرى. كما تستخدم بذورها في التطبيب التقليدي.

ـ الميموزا اللينة الأوراق أو أقاقيا مُولّبسيما Acacia mollissima : شجرة يتراوح علوها ما بين 10 و15 م. لها أوراق ريشية ثنائية تشمل كل واحدة منها من 10 إلى 20 زوجا من الوريقات، ذات لون أخضر، مزغبة على وجهها السفلي. ثمارها ذات طول يتراوح ما بين 5 و10 سم، مستقيمة.

ونظراً لنموه السريع، أدخل النوع للزينة وللتشجير في الأراضي الرملية بغية إنتاج القشرة المحتوية على نسبة عالية من الدباغة. وأكبر المساحات المشجرة من هذا النوع تصادف في غابة المعمورة.

ـ الميموزا الزرقاء أو أقاقيا د آلباتا Acacia dealbata : نوع يُمَيَّز من بعيد عن النوع السابق بلون أوراقه الخضراء الضاربة إلى الزرقة.

يستعمل النوع في الحدائق، ويباع في أسواق الزهور لكي تستعمل أوراقه في الباقات.

ـ ميمُوزا الأعناق الورقية المُزَرَّقة أو أقاقيا سيانُوفيلاّ Acacia cyanophylla : نوع شجري يتراوح علوه ما بين 5 و8 م عديم الأوراق، ويتميز بأعناق ورقية صلبة وذات لون ضارب إلى الزرقة، وطول قد يصل إلى 30 سم. ثماره مفلطحة وذات طول يتراوح ما بين 7 و13 سم وعرض لا يتعدى نصف سم.

يستعمل النوع للتشجير وللزينة ولتحسين المراعي وكذلك لتثبيت الكثبان الرملية الساحلية الموجودة في جل البيومناخات ما عدا الصحراوية منها.

ـ ميمُوزا عُرْف الدِّيك أو أقاقيا سيكْلُوبْسْ Acacia cyclops : نوع شجيري لا يتعدى علوه 3 أو 4م. يتميز بأعناقه الورقية ذات العروق المتوازية وبثماره القرنية الملتوية وببذوره السوداء المحاطة بخيط أحمر.

يستخدم النوع لنفس الأغراض المذكورة بالنسبة للنوع السابق وفي نفس الظروف البيئية، وكذلك في الأراضي الصلصالية.

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*, Paris, 2000 ; J. Bellakhdar, La *pharmacopée marocaine traditionnelle. médecine arabe ancienne et savoirs populaires*. Paris, 1997.

عبد المالك بنعبيد

طلحة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفراد منها بعد سقوط غرناطة وأرغموا علي كتابة اسم العائلة بالحروف اللاتينية هكذا : Talha، ومازالت بإسبانيا أسر تحمل نفس الاسم ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1162 (1749).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 819.

محمد ابن عزوز حكيم

طلحة (الحاج ـ)، ثائر سوسي (ق 13) تشير مختلف مصادر العصر الوسيط (ابن أبي زرع، ابن خلدون) إلى سيطرة عرب معقل على سوس خلال الفترة المرينية (674 / 870 ـ 1275 / 1465)، حيث ملكوا قصوره وفرضوا مختلف الجبايات على السكان، وساد الاضطراب وعدم الاستقرار. وبهدف إعادة الأمن ومد نفوذ المخزن المريني للإقليم، قام المرينيون بعدة حملات عسكرية، بهدف وضع حد لتلك الاضطرابات. وفي هذا الإطار قام السلطان أبو مالك ابن أبي يوسف يعقوب المريني بغزو سوس سنة 668 / 1270. وبعد خمس سنوات من ذلك (1275) ثار عرب السوس، وبعد هزيمتهم، أدوا للمخزن المريني ذعيرة مقدارها 18 ألف جمل.

غير أن كل ذلك لم يحل دون تجدد ثورات أخرى، اضطر معها المخزن إلى إرسال عدة حملات عسكرية سنة 1279 و1284 نحو الإقليم، وفيها تم طرد عرب السوس نحو الساقية الحمراء. وبعد سنتين من ذلك (سنة 1286) عاد سوس نحو الاستقلال عن المخزن بزعامة ثائر مغمور يعرف بطلحة بن علي.

لم تذكر لنا المصادر الشيء الكثير عن هذا الثائر. فقد أشار إليه إشارة مقتضبة كل من ابن خلدون (*تاريخ*، 6 : 70) وابن أبي زرع (*روض القرطاس*، 407). وما يفهم من ذلك أن طلحة ثار بالسوس سنة 682 / 1286. ولا شك أن طلحة ينتمي إلى القبائل العربية التي استقدمها الزكندري لمساعدته ضد الموحدين.

وفي خضم الحملات العسكرية التي قام بها المرينيون ضد إمارة بني إيدير، ظهر طلحة بن علي مستغلاً بعد السلطة المركزية عن سوس، وضعف نفوذها به. وتشير المصادر إلى سيطرته على كل سوس. وللسيطرة على سوس لا بد من توفره على قوة تمكنه من ذلك. وغالب الظن أن ثورته ما هي إلا استمراراً لثورة بني إيدير ومحاولة منه لإنعاشها بعد الحملات العسكرية التي قادها المرينيون بسوس. غير أن المخزن المريني توصل إلى استمالة قسم من قبائل عرب ذوي حسان إلى جانبه، فاستطاع القضاء على هذا الثائر وأرسل رأسه إلى السلطان المريني.

صفوة القول أن ثورة طلحة تعكس الصراع الدائر في سوس بين المخزن المريني والقوى المحلية التي يتزعمها بنو إيدير، ولا شك أن هذه الثورة تدخل ضمنها، حيث بقي سوس رغم مقتل طلحة، شبه مستقل عن المخزن المريني إلى حدود سنة 1334، وهي السنة التي توافق مقتل آخر أمراء بني إيدير. وما قمنا به لا يعدو أن يكون إلا عرض موضوع مازال بكراً، يحتاج إلى من ينفض عنه الغبار، وأثرناه لمن يرغب في البحث عن جوانب غامضة في تاريخ علاقة المخزن المريني بسوس.

ابن أبي زرع الفاسي، *الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس*، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1973.

R. Montagne, *Les berbères et le Makhzen*. Casablanca. 1989.

محمد حنداين

ابن **طلحة، الصباحي عبد السلام** فقيه، كان آية في الحفظ وتحقيق التجويد والقراءات. مارس خطة العدالة بسلا حوالي عام 1283 / 1866، ثم صار نائباً عن القاضي. كان المترجم من أشياخ أحمد الناصري ـ صاحب *الاستقصا* ـ الذي ختم عليه ثلاث ختمات بالقراءات السبع، وعنه تلقى فن التجويد وحفظ المتون.

ابن **طلحة، الصباحي محمد** فقيه، كان كثير الأوراد والصيام وقيام الليل. حضر في الهجوم الفرنسي على مدينة سلا يوم 26 نونبر 1851 وأظهر ثباتا عظيما. قرأ عليه أحمد بن خالد الناصري القرآن بحرفي ابن كثير ونافع، ولازمه إلى أن توفي. وقد أشاء صاحب *الاستقصا* بالمترجم في رسالة بعث بها إلى صديقه الأديب الفاطمي الصقلي الفاسي بتاريخ فاتح ذي الحجة عام 1299.

أ. الناصري، *رسالة إلى الأديب الفاطمي الصقلي الفاسي*، ضمن كناشة : م. الصبيحي، خ. ص، رقم 250، ص 1 ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، 174.

محمد السعديين

الطلَيْط أو **الطلَيْطي**، أسرة فاسية عالمة أصلها من الأندلس من مدينة طُلَيْطلة ـ وقد حرف اسم المدينة عند النسبة إليها ـ وهم من الأنصار ولعل انتقالهم إلى فاس كان بعد سقوط غرناطة لأنهم لم يشتهروا بالحاضرة الادريسية إلا ابتداء من القرن العاشر (16 م) مع الشيخ عبد القادر الطليط آتي الترجمة. وهناك طليطون علماء آخرون تذكرهم كتب التراجم منهم : الطليط عبد القادر الحفيد، كان من عدول فاس الموثقين. والطليط، مسعود بن عبد القادر الجدّ الفقيه الفلكي الميقاتي، تولّى توقيت القرويين وتوفي عام 1104.

الطليط، عبد القادر بن علي الفاسي، حلاه القادري في *نشر المثاني* "بالفقيه المشارك الخطير، الصدر الشهير، الموقت العدل الحسوبي الكبير... أحد عدول فاس الموثقين المشهورين بالضبط والاتقان والتحفظ في الدين".

اشتغل مدة طويلة بالتدريس في القرويين وأخذ عنه جمّ غفير من نجباء طلبة المدينة، ومنهم عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي مؤلف *الأقنوم وابتهاج القلوب* وغيرهما. ولعله الوحيد الذي عرّف في أحد كتبه بشيخه المترجم قائلاً : "ولزمت شيخنا أبا محمد عبد القادر بن علي الطُّليط الأنصاري الأندلسي في الحساب والتوقيت والتعديل وغير ذلك، فسمعت عليه *روضة الأزهار* للجادري، و*رسالة الربع المجيب* للمارديني، و*رسالة الربع المقنطر* له أيضاً، و*رسالة الأزورقالي*، و*منهاج الطالب* لابن البناء، وغير ذلك، كمطمح *ابن أبي الرجال*، وشرحه لابن قنفوذ، وكتب أخرى اختصرنا ذكرها".

تدل هذه الشهادة من الشيخ عبد الرحمن الفاسي وحدها على مكانة المترجم وتمكنه من علوم الحساب والفلك والتوقيت بصفة خاصة. وذكر أيضاً أن للشيخ الطليط *تقييداً* في وفيات أهل زمانه. ولم نر أحداً آخر ذكر هذا التقييد أو نقل عنه.

توفي عبد القادر الطليط بفاس عام 1077 / 66 ـ 1667.

م. القادري، *نشر المثاني / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 4 : 1546 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، ج 2 : 6 ؛ ع. الكبير الكتاني، *زهر الأس*، تح. علي الكتاني، الدار البيضاء، 2002، ج 1، 581.

محمد حجي

الطليطلي أو **الطيلطلي، مسعود** بن عبد القادر الأنصاري الأندلسي الفاسي عالم مشارك ومتضلع في علم التوقيت الذي أخذه عن الشيخ عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي. وسبق لوالده أن برز في هذا الفن وتولى بعده رئاسة التوقيت بمنار جامع القرويين عدة سنوات إلى أن نقله السلطان المولى إسماعيل إلى مكناس وأسند إليه رئاسة توقيت جامع قصبته وظل في هذه الخطة إلى أن أدركته الوفاة بفاس سنة 1104.

م. بن الطيب القادري، *نشر المثاني*، 3 : 60، تح. د. محمد حجي وأحمد التوفيق ؛ م. بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 3 : 291 ؛ ع. الرحمان بن زيدان، *الإتحاف*، 4 : 355.

محمد ماكامان

طليق (عرب ـ) اتحادية قبلية تستوطن اليوم أحواز مدينة القصر الكبير، وتضم عدداً من القبائل والبطون تتعاطى لأنشطة فلاحية تقليدية وعصرية ؛ لا يعرف لهذه الاتحادية بداية صريحة في المصادر التاريخية، فهي غير مذكورة لا ضمن موجة الهجرات الهلالية ولا ضمن القبائل المعقلية التي دخلت إلى المغرب ابتداء من عهد الخليفة الموحدي يعقوب المنصور (*العبر*، 6). ولا يمكن الاهتداء إلى معرفة أصول هذه القبيلة الكبيرة وبداية أمرها إلا بالرجوع إلى قبيلة الخلط الهلالية ذلك أن مصادر التاريخ الحديث والمعاصر لا يَرد فيها ذكر للطليق الا بصحبة الخلط (*الضعيف*، 145 ـ 181 ـ 248 ـ 318 ...)، فالخلط إحدى القبائل الهلالية الثلاث الكبرى : الخلط سفيان ورياح، وهي التي لعبت أدواراً عسكرية وسياسية في عدد من المعارك الداخلية والخارجية سواء في عهد الخليفة يعقوب المنصور أو في عهد ابنه الناصر ؛ ولكن دورها كان أكبر بعد دخول الدولة الموحدية في طور الضعف فقد كانت لها مواقف متذبذبة ومتلاعبة أحياناً دون أن تكون لها القدرة على الزعامة والحسم السياسي لصالحها ؛ فالخلط إذن كانت قبيلة

كبيرة ذات قوة وجاه ولم تذكر طليقاً، مما يجعلنا نعتقد أن طليقا اسم حديث ويمكن تحديد بدايته وهوية القبيلة اعتماداً على السياق التاريخي والنصوص القليلة الواردة في بعض المصادر الحديثة :

ذكرت مصادر التاريخ الحديث، ومنها كتب (الوفراني وابن عسكر والفشتالي) ومن أخذ عنهم، أن قبيلة الخلط استمرت في مواقفها وفي سياستها السابقة فهي خاضعة للمخزن وفي خدمته عندما يكون قوياً وتتمرد أو تتلاعب عندما يضعف. ولم تكن لديها سياسة قارة فهي كانت تخالف غريمتها وعدوتها التقليدية سفيان، وقد جرّت كثيراً من الويلات والهزائم على الخلفاء الموحدين المتأخرين، وساهمت إلى جانب قبائل أخرى في عدم الاستقرار الذي عرفه المغرب في العهد المريني الثاني وفي العهد الوطاسي ؛ وفي العهد السعدي لم تستطع متابعة سياستها المتذبذبة والمتلاعبة بعد فترة خمول طويلة هي التي قال عنها ابن خلدون : "إلا أن الخلط اليوم دثرت كأن لم تكن بما أصابهم من الخصب والترف منذ مائين من السنين بذلك البسيط الأفيح زيادة على العز والدعة فأكلتهم السنون وذهب بهم الترف..." ابن خلدون هنا يتحدث عن نهاية الخلط كقوة عسكرية وسياسية.

حاول الخلط استرجاع أمجادهم ودورهم مع السعديين، فلما ظهر أمر السعديين إبان فترة محمد الشيخ المهدي انحازوا إليه وكانوا في خدمته وتمكن من تحقيق النصر على خصومه الوطاسيين بفتحه فاس وطرد أبي حسون منها، لكن عودة هذا الأخير مدعوماً من أتراك الجزائر الذين جهزوا له حملة عسكرية استطاع بها إلحاق الهزيمة بالشيخ المهدي واسترجاع فاس، ولما استتب للسلطان السعدي محمد الشيخ المهدي الأمر في النهاية انتقم من معارضيه وخصومه من علماء وفقهاء وانتقم من الخلط الذين كانت لهم يد في هزيمته أمام الاتراك فأسقطهم من الجندية ووظف عليهم الخراج ومحا اسمهم من ديوان الخدمة..." (*استقصا*، 2 : 176).

ولما آل أمر الحكم في المغرب إلى دولة السلطان أحمد المنصور السعدي وكانت معركة وادي المخازن وساهم فيها الخلط بشجاعة وبسالة عندئذ اختار "النصف منهم وردهم إلى الجندية وأبقى النصف الآخر في غمار الرعية..." (*استقصا*) من هنا يمكن القول إن طليقاً كانت بدايتها مع العهد السعدي وتحديداً في عهد أحمد المنصور عندما أطلق أو طلّق قسماً كبيراً من الخلط وأعفاهم من الخدمة وجعلهم من عامة الناس واحتفظ بقسم آخر منهم في الجندية ومع توالي الأحداث وضعف الدولة السعدية عاد من طرد من الخلط إلى الغرب بعدما كان المنصور قد طردهم إلى الصحراء.

تميز الخلط منذئذ إلى فريقين : الطليق أي المحررون أو المطرودون من خدمة المخزن والباقون ضمن ديوان الخدمة أو الجند (*Archive Marocaine*). وبتوالي القرون ذاب الجزء في الكل أي أن الطليق كانوا أكثر عدداً من الخلط سواء بالتكاثر الطبيعي أو بالتحالف والولاء فتكونت اتحادية كبرى أخذت اسم الطليق بينما احتفظت الأقلية (المخزنية أو الجيش) بالاسم القديم. وهذه ظاهرة عادية عرفتها الكثير من القبائل في المغرب نذكر منها على سبيل المثال :

(هنتاتة ـ سكسيوة) و (الحارث ـ أولاد مطاع) ومنها أيضاً (الخلط ـ الطليق) : وبعض القبائل الكبرى امحى اسمها، والبعض مثل الخلط مازال مذكوراً وموجودا في أكثر من منطقة.

ابن خلدون، *العبر*، ج 6 و7، دار البيان، بيروت بدون تاريخ ؛ الضعيف، *تاريخ الضعيف*، تح. أحمد العماري ؛ ابن عسكر، *دوحة الناشر*، الرباط، 1976 ؛ الفشتالي، *مناهل الصفا* ؛ الوفراني، *نزهة الحادي*، الرباط ؛ الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954.

Michaux-Bellaire, *Archives marocaines*, 1913, p. 65-74; De Castries, *Sources Inédites de l'histoire du Maroc, La dynastie Saadienne*.

محمد حجاج الطويل

الطليقي، موسى بن **محمد** بن مُعَرّف الشاوي أصلاً. شيخ ركب الحاجّ المغربي. يرفع نسبه إلى الشرفاء الأدارسة. درس بفاس وأخذ عن الشيخ أحمد الشاهد المصباحي، والشيخ أحمد أبي الرواين. وصار عالماً صوفياً جزولي الطريقة من مريدي الشيخ أبي المحاسن الفاسي ومحبيه. ولما أسندت إليه رئاسة ركب الحجيج الفاسي قام بها خير قيام عدة مرات فأحسن السيرة والتدبير وحافظ على سلامة وأمن الحجاج. وقد وصف المؤرخ محمد القادري ركبه بالأبهة والعظمة فقال : "وكان يجتمع له ركب عظيم في شارة حسنة وزي جميل يخرج فيه أهل فاس وغيرهم في الأخبية المنوعة..."

وتقديراً لأهمية ركب الحاج فقد كانت مشيختها من الخطط الدينية المشرفة التي يراعى في اختيارها عدة اعتبارات قد تجتمع كلها أوجلها في شيخ الركب منها الولاء للسلطة ـ النسب ـ الجاه ـ العلم ـ الإقدام ـ المروءة. والمترجم توفرت فيه هذه الصفات فهو شريف وعالم وصوفي ومحسن التدبير وخبير بأحوال طريق الحاج ؛ وهذا مازاده تقديراً ورغبة في التبرك بركبه سواء في الذهاب أو العودة من طرف الفاسيين وعلى رأسهم الشيخ أبو المحاسن الفاسي. وظل موسى الطليقي في مشيخة الركب إلى حين عودته من الحج سنة 1003 ووفاته في مطلع عام 1004 بازاجن بين وزان وشفشاون.

أبو حامد العربي الفاسي، *مرآة المحاسن*، الطبعة الحجرية ؛ م. القادري، *نشر الثاني*، 4 : 59، تح. د. م. حجي وأ. التوفيق ؛ م. القادري، *التقاط الدرر*، 26، تح. هاشم العلوي القاسمي ؛ *متع الأسماع*، محمد المهدي الفاسي، ص. 129، تح. عبد الحي العمري وعبد الكريم مراد.

محمد ماكامان

الطَّماطم عامة أو البَنَدُورَة في الشرق العربي أو مَاطِيشَة أو طُومَاطِيشْ في المغرب أسماء لنوع نباتي

يسمى علميا ليكوبرسيكوم إسكولينتوم Lycopersicum esculentum وينتمي إلى الفصيلة الباذنجانية Solanaceae التي تشمل أهم الأنواع الخضرية كالبطاطس والفلفل والباذنجان بالإضافة إلى التبغ وأنواع أخرى. والموطن الأصلي لهذه الأنواع هو أميركيا الوسطى.

أصناف الطماطم أعشاب حولية أو معمرة في بعض الحالات لكن زراعتها لا تدوم أكثر من فصل واحد. إنها نبات عشبي كبير متفرع وقائم من الممكن أن يتراوح علوه ما بين 30 سم و3 م. أوراقها مفصصة. ازْهِرَاراتها عنقودية الشكل. أزهارها صفراء اللون وصغيرة الحجم. أما ثمارها فإنها تختلف في الحجم والشكل واللون حسب اختلاف الضروب، إذ يتراوح وزن الثمرة الواحدة ما بين غرامين بالنسبة للطماطم البرية ونصف كيلوغرام بالنسبة للطماطم المغروسة ذات الثمار الغليظة. كما يختلف وجه الثمار حسب الضروب فمنها الملساء ومنها المضلعة.

يعتقد أن الموطن الأصلي للطماطم يقتصر على منطقة البيرو والإكوادور، ومنها انتشرت شمالاً قبل عهد كولمبوس حتى المكسيك حيث استأنسها الإنسان للمرة الأولى. ثم أدخلت إلى جنوب أوروبا والمنطقة المتوسطية من طرف المستكشفين الأسبان حيث أكلت ثمارها لمدة طويلة قبل استهلاكها في أوروبا الشمالية وشمال أميركا. وذلك بعد مدة طويلة كان الإنسان يعتبر الثمار سامة كما هو الشأن بالنسبة لأوراق وسيقان وبعض ثمار الأجناس الأخرى لفصيلة الباذنجانيات التي لا يستهلكها الأهالي ولا الحيوانات، لأنها شديدة السمومة. ولهذا انتشرت زراعة الطماطم في البداية كنبات زينة كان يسمى تُومَاتُل وتفاحة الحب.

ونظراً لأهميتها كخضرة ثمرية تستعمل في عدد كبير من المأكولات المحضرة في كل دول العالم فإن ضروب وأصناف الطماطم تكاثرت وانتشرت زراعتها لتشمل جميع المناطق الحارة والمعتدلة من القارات الخمس وحتى الباردة منها بفضل استعمال الدافئات (انظر "الدافئات"). وهكذا أصبحت أهميتها تكاد تقارب أو ربما تتجاوز أهمية البطاطس.

أما في المغرب فإن الطماطم عرفت بعد إدخالها إلى المنطقة المتوسطية الأوروبية قبل أن تنتشر إلى الجانب الافريقي منها ثم إلى الجانب الآسيوي. لكن الزراعة بالمغرب لم تعرف نمواً متزايداً إلا بعد العشرينيات من القرن العشرين الميلادي. مما جعل المساحة المخصصة لها تتزايد سنويا، الشيء الذي مكن المغرب من تصدير جزء من هذا المنتوج إلى أوروبا، ولا سيما بعد الاستقلال. ففي أوائل الثمانينيات من القرن العشرين لم تكن المساحة المخصصة لزراعة الطماطم تتعدى 13 ألف هكتار، فبلغت في أواخر التسعينيات ما يناهز 23 ألف هكتار أي ما يعادل 10٪ من المساحة الإجمالية المخصصة سنوياً لجميع الخضراوات. وكان الانتاج المغربي من الطماطم آنذاك يقدر بحوالي 500 ألف طن سنويا في أوائل الثمانينيات وبلغ مليون طن في أواخر التسعينيات. ولم يتم ذلك إلا بفضل استعمال تقنيات جديدة، وتنويع وتمديد فترة الزراعة على طول السنة، وكذلك اتساع مساحة الزراعة المغطاة أو الدافئات التي بلغت 3.70 ألف هكتار في موسم 1998 ـ 1999 بعد أن كانت من قبل لا تتجاوز 1.68 ألف هكتار في موسم 1988 ـ 1989.

زراعة الطماطم بالمغرب ثلاثة أصناف، فهي مبكرة أو موسمية أو صناعية.

ـ الزراعة المبكرة : تنجز على طول الساحل البحري الممتد ما بين السعيدية وواد لاو، وما بين الرباط وسيدي إيفني. كان هذا الصنف من الزراعة يعتمد على درجات الحرارة المرتفعة نسبيا في فصل الشتاء. والمناخ الأكثر ملاءمة للبواكير بصفة عامة هو الذي يصادف في الجزء الجنوبي من الساحل الأطلنطي أي سوس وماسة لكون الحرارة الدنيا ترتفع في اتجاه الجنوب. وبفضل هذا المناخ الملائم كان المغرب أول المنتجين للبواكير في المنطقة المتوسطية. لكن ظهور الدافئات جعل هذه الزراعة تنتشر في عدة دول متوسطية وغيرها، وتعرف تزايداً في الكمية المنتجة والمردودية. وتجدر الإشارة إلى أن مساحة زراعة الطماطم المغطاة لموسم 1983 ـ 1984 كانت تساوي 646 هـ بمنطقة الدار البيضاء والجديدة و20 هـ بمنطقة سوس وماسة، فتزايدت سنوياً حتى بلغت 3.70 ألف هكتار في موسم 1998 ـ 1999، بينما تقلصت مساحة الزراعة غير المغطاة فأصبحت لا تتجاوز 1.5 ألف هكتار. وللمزيد من الايضاح حول التوزيع الجغرافي لهذه الزراعة والكميات المنتجة نورد الجدول المرافق (انظر جدول 1) المتعلق بموسم 2000 ـ 2001. يلاحظ من خلال هذا الجدول أن مجموع المساحة الإجمالية لزراعة الطماطم المبكرة بلغ 4.7 ألف هكتار وأن الإنتاج وصل 446 ألف طن سنوياً. أي ما يعادل 50٪ من الكمية المنتجة على الصعيد الوطني. وتجدر الإشارة إلى أن الجزء الكبير من الإنتاج المبكر للطماطم المغربية يصدر إلى الخارج وخاصة في اتجاه أوروبا. فإذا كانت الصادرات من هذا المنتوج تبلغ في الثمانينيات حوالي 100 ألف طن فإنها تضاعفت مرتين ما بين 1996 و1999 لتصل إلى 200 ألف طن سنويا، ثم تراجعت في السنوات الأخيرة بعد 1999

بسبب العولمة والمنافسة الإسبانية والبرتغالية ولا سيما بعد رفض المغرب تجديد عقدة الصيد البحري في المياه المغربية مع المجموعة الأوروبية. ونشير أن تراجع الصادرات إضافة إلى الأضرار الناتجة عن الذبابة البيضاء كانا من أهم الأسباب التي أدت إلى انخفاض الإنتاج الوطني من الطماطم المبكرة بنسبة 10٪ ما بين موسم 1998 ـ 1999 إذ كان الإنتاج 560 ألف طن على مساحة تقدر بحوالي 5.2 ألف هكتار، وموسم 2000 ـ 2001 (انظر أعلاه). وتمثل التراجع كذلك في الإنتاجية التي انخفضت من 108 طن في الهكتار في موسم 1998 ـ 1999، إلى 95 طن في الهكتار في موسم 2000 ـ 2001، أي ما يعادل 14٪ من الانخفاض في الإنتاجية.

جدول 1 : مناطق وكميات الطماطم المبكرة
لموسم 2000 ـ 2001 بالمغرب

المنطقة	لزراعة المغطاة		الزراعة الطبيعية العارية	
	المساحة (هـ)	الإنتاج (طن)	المساحة (هـ)	الإنتاج (طن)
سوس وماسة	2720	355000	500	11000
الجديدة	180	11500	240	8100
دكالة	130	8000	225	8000
آسفي	96	9000	120	6000
قلعة السراغنة	30	1000	-	-
الصويرة	20	1400	-	-
وادي الذهب	14	2000	-	-
الرباط وسلا	12	700	90	5000
سطات	10	800	45	2200
مناطق أخرى	28	2600	240	13700
المجموع	3240	392000	1460	54000

ـ الزراعة الموسمية : وهي إما صيفية وإما خريفية. وتنجز الصيفية منها على الخصوص في المناطق القارية من المغرب حيث تتوفر عملية السقي بينما تقتصر الخريفية على الساحل. وتقدر المساحة المخصصة لهذه الزراعة بحوالي 13,64 ألف هكتار في موسم 1999 ـ 2000. أما إنتاج هذا الموسم فكان 371.24 ألف هكتار.

يخصص إنتاج الزراعة الموسمية كله للاستهلاك الداخلي.

ـ الزراعة الصناعية : وهي الزراعة المخصصة لصناعة معلبات الطماطم كالهريسة والعصير والصلصة وغيرها. وقد أقيمت هذه الزراعة على مساحة 6.72 ألف هكتار في موسم 1999 ـ 2000، فأعطت 245 ألف طن. وأهم مناطقها هي لُوكُس (1.24 ألف هكتار) والغرب (5,46 ألف هكتار) وتادلة (20 هكتاراً).

وتستهلك الطماطم نيئة أو مطبوخة مع مواد غذائية أخرى. ففي شهر رمضان الكريم يستعمل معجون الطماطم في تحضير شربة "الحريرة" التي تعتبر أهم طعام وجبة الإفطار بالنسبة للصائم.

يقدر استهلاك الفرد المغربي للطماطم بحوالي 22 كيلو سنوياً دون أخذ استهلاكه لمعجون الطماطم المعلبة بعين الاعتبار.

ـ وزارة الفلاحة والتنمية القروية والمياه والغابات : وثائق تقنية ـ الرباط.

محمد هشمي وعبد المالك بنعبد

طمطم (بير ـ)، على مسافة 40 كم شرق فاس تتوسط منطقة بير طمطم منخفضي واد سبو وواد إيناون. وهي هضبة متموجة كلسية بالجنوب يغلفها الصلصال بالشمال. يتراوح ارتفاعها بين 550 وأزيد من 650 م. يتناقص منها الارتفاع في اتجاه مجرى واد سبو (350 م، 8 كم جنوباً) ويميل أقل حدة في اتجاه واد إيناون الذي تشغله حالياً حقينة سد إدريس الأول (150 م، 30 كم شمالاً). وبذلك تكتسي المنطقة طابع متون وحادورات يمكن وصفها بأراضي بينهرية قليلة المنابع والموارد المائية السطحية.

يتجانس الارتفاع وطبيعة الأشكال الطبغرافية في مجموع الأراضي بين رأس تبودة وعين السبيت غرباً وفي اتجاه سيدي مبارك وأهرمومو جنوباً وكذلك من جهة أولاد عياد شمالاً. نفس الخاصيات المورفلوجية والجيولوجية يتقاسمها محيط هضبة بير طمطم مع منطقة سايس على مستوى الإطار العام :

ـ هضبة تاهلا ويشكل بير طمطم واحداً من زواياها الثلاث إلى جانب أهرمومو وواد أمليل ؛

ـ مقدمة الريف والمجموعة الريفية بالشمال ؛

ـ بوبيلان (3190) وكتلة تازكا (2000 م) في الجنوب والشرق.

تتميز هذه الهضبة بتكوينات الزمن الثاني الممثلة في صخور الكلس والدلومي الجوراسية وتنزل بدءاً من بير طمطم (حيث يبلغ سمكها 115 م) بميل قوي (10٪) في اتجاه الشمال. تخترقها الثنية التي ترافق الحاشية الشمالية للأطلس المتوسط وتتميز بانكسارات جنوبية ـ شمالية شرقية يتسرب عبرها طين وجبس الترياس نحو السطح. ويعتبر الصلصال آخر إرساب تخلف عن غمر بحر الميوسين كما عم مجموع المنطقة جنوب الريف.

وتضاف إلى بير طمطم خاصية أخرى تتمثل في انتشار مواد بليوسينية وكلس بحيري لا تختلف عن مثيلاتها بمنطقة سايس حيث يعتبرها المؤلفون استمراراً لبحيرة كانت تشكل مصبا لأودية سبو وإيناون القديمة تراكمت بها إرسابات سميكة من الإتاوات النهرية القديمة. ويعتبر بير طمطم منطلق تعمق واد إيناون في اتجاه وضعه الحالي وذلك منذ أوائل الفترة الرباعية. ولعل هضبة بير طمطم شاهد على هذا التحول الباليوجغرافي من حيث كونها تشكل المستوى الطبغرافي الأعلى بالمنطقة.

جماعة بير طمطم القروية (376 × 570) وتتوسط

جماعات رأس تبودة، عين تمكناي، عزابة وهي محسوبة على إقليم صفرو وجماعات أولاد عياد، واد الجمعة، الوجلة المحسوبة على إقليم تاونات.

وهو مجال يقرب من حاضرة فاس من جهة الشرق يتألف من آيت سغروشن وبني يازغة وآيت يوسي ثم قبيلة بني سادن التي يعتبر بير طمطم مركزاً لها. كما أنها منطقة ذات كثافة سكانية لا تتجاوز 100 ن / كم2 علماً أن مدينة فاس تمارس عليها استقطاباً كلياً وإفراغاً مستمراً للسكان.

بير طمطم، عند ملتقى طرق أهرمومو وتازة مجال محسوب على دير الأطلس المتوسط يتميز بوضع طبغرافي انتقالي عند قدم الجبل تتوفر فيه شروط مناخ معتدل ذي أمطار سنوية تتركز بين نونبر وأبريل بمعدل 550 مم (500 مم بفاس، 700 مم بتازة، و1500 مم بتازكا) ؛ فيما تتراوح الحرارة بين 24° صيفا و11° شتاءاً.

ولسيادة التربة الحمراء الكلسية أو ذات قطاعات متجددة طينية سوداء غنية بالمواد العضوية وقع إيجابي يسمح بتطور فلاحة بورية ناجحة تستفيد كثيراً من تقنيات المكننة ؛ وتعتمد بالأساس زراعة الحبوب والقطاني وبدرجة أقل مغروسات الزيتون.

وتكتسي بير طمطم أهمية قصوى من حيث الموارد المائية إذ يخترقها نفق مطماطة (قناة تحتأرضية بطول 13.5 كم، وبقطر 3.5 م) بواسطته يتم نقل ما بين 400 و600 مليون م3 / سنة من سد علال الفاسي (آيت يوب، على واد سبو) لتضاف إلى 700 مليون م.م المجمعة في واد إيناون. وبذلك يتضاعف حجم حقينة سد إدريس الأول (ما بين 1100 و1300 مليون م3 / سنة) كما أن المحطة الهيدركهربائية عند عتبة خميس أولاد عياد (أسفل قناة بطول 3.9 كم) تكسب المنطقة بنية تحتية تنموية حقيقية. ورغم ما توفره مصادر المياه من انعكاسات إيجابية يبقى خصاص سكان منطقة بير طمطم من الماء ملحوظاً ولو في أبسط مظاهر استهلاكه.

M. Combe, *Le couloir de Taza, Ressources en eau du Maroc*, t. 2, *plaines et bassins du Maroc atlantique*, Rabat, 1975 ; A. Laouina, *Observations géomorphologiques dans la région du Moyen Sebou*, *RGM*, n° 23-24, 1973.

بوشتى الفلاح

طنطومة، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة غزاوة اشتهر منها المسمى أحمد بن عيسى الذي كان يزاول مهنة الدلالة في المجوهرات بسوق الغرسة الكبيرة في أوائل القرن الماضي ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 820.

ابن **طمّيُو**، ويكتب أيضاً مُنْطَمبُو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث لا زالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Tamayo ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 263.

ابن **طميُّور**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، وقد انقرضت وكان من بين أفرادها فقهاء لم تذكر منهم الوثائق سوى :

- قاسم بن قاسم، فقيه كان يزاول خطة العدالة من سنة 1126 إلى سنة 1131.
- محمد بن أحمد فقيه كان بقيد الحياة سنة 1156.

أرشيف ابن عزوز حكيم بتطوان.

Isidro de las cagigas, *Familias tetuanies de abulango.*

محمد ابن عزوز حكيم

طنجة (تين كا - تين يگي - تينجيس - تينتديا)، لقد ارتبطت نشأة طنجة بأساطير عديدة، تظهر في أدبيات الإغريق والرومان استعرضها أبراهام لاريدو (Abraham Larédo) في كتابه *"طنجة من الأسطورة إلى التاريخ"* الصادر سنة 1966 م، حيث ذكر باختصار ما ورد عنها لدى الإغريق والرومان، فيذكر أن بعض هذه النصوص ربط تأسيس طنجة بقصة الطوفان وما وقع بعد هذا الحدث مباشرة من صراع بين العملاق أطلس رمز القوة البحرية لدى "الإيجيين" والعملاق "أنطي" زعيم الموريين انتهى بمصرع أنطي وزواج أطلس من أرملته طنجة. ويذكر أيضا أن ابن "طنجة" من "أطلس" واسمه سوفاك قتل أطلس وبنى مدينة سماها "طنجة" تخليدا لذكرى أمه.

وفي رواية أخرى لأسطورة مشابهة تذكر أنه حيث توجد مدينة طنجة وحيث يلتقي البحر بالمحيط انتصر "هرقل" على "أنطي" وتزوج من زوجته طنجة التي أنجبت له "سوفاكس" الذي بنى مدينة أطلق عليها اسم أمه طنجة. ويذكر ميشيل بونسيك أن سكان طنجة القدماء كانوا يعتقدون أن نشأتها ترجع للقوة الخارقة التي كان يتمتع بها الرب "هرقل" أو "ملقاط" الذي شق المضيق الذي يفصل بين قارتي أوربا وإفريقيا، والذي يسمى الآن مضيق جبل طارق، وذلك بعد أن اشتكى المور من غزوات جيرانهم في الشمال. وهناك تأويل أسطوري آخر لأصل اسم طنجة راجع إلى اسم أميرة أسست المدينة تخليدا وتذكارا لها. وعلاوة على هذا، فهناك لوحة أسطورية أخرى تضع طنجة في سياق حادث الطوفان المذكور في الكتب المنزلة، ويعزز هذا الطرح أسماء أماكن في محيط طنجة تذكر ببعض الأنبياء، كنوح عليه السلام، وموسى عليه السلام صاحب الخضر عليه السلام، وذي القرنين صاحب السد وياجوج وماجوج.

وملخص الأسطورة المتعلقة بالطوفان أن نوحا عليه السلام رست سفينته فوق جبل طنجة، ومن ذلك المرتفع أطلق حمامة لاختبار مدى انحسار الماء وما لبثت أن عادت وفي

منقارها طين، فصاح النبي فرحا وهو يقول : "الطين جاء" ويقال إن اسم طنجة درج من هذه العبارة.

ومن المعروف أن اسم طنجة ذكره، منذ القديم، بصيغ مختلفة العديد من الرحالة والكتاب القرطاجيين، والإغريق، والرومان، والمسلمين، منهم حانون وبلينوس الشيخ، وبطليموس الجغرافي، وليون الإفريقي، ومارمول، والبكري، إلخ. فيذكر ليون الإفريقي (حسن الوزان) أن المدينة قد أسست في العصور القديمة، واستنادا إلي رأي خاطئ لدى بعض المؤرخين فإن هذه المدينة من بناء ملك اسمه شداد بن عاد (بوزيدون أو بوصيدون) الذي كانت له السيادة على العالم، وأنه أراد أن يبني مدينة شبيهة بالفردوس الأرضي، إلى آخر الأسطورة. ثم يضيف : لكن المؤرخين الثقاة يقولون بأن الرومان هم الذين بنوا طنجة على ساحل المحيط في العصر الذي كانوا يحكمون فيه غرناطة وإسبانيا، على بعد ثلاثين ميلا من أعمدة هرقل".

أما مارمول فيذكر في مؤلفه عن *إفريقيا*، أن طنجة مدينة أسسها الرومان، وإن كانت الخرافات الأهلية تعزو تأسيسها إلى أمير قوي هو شداد بن عاد بينما تذكر مصادر أخرى أن أصل قرية طنجة أمازيغية صغيرة تدعى "تنكة" وذلك قبل أن تصبح مركزا تجاريا فينيقيا. ويبدو أن هذا الافتراض هو الأقرب إلى الصواب وسنتأكد من ذلك عند تحقيق معنى اسم طنجة، وذلك على الرغم من أن معظم الروايات ترجع نشأة المدينة إلى الفينيقيين أو الرومان.

وخلاصة الأمر، أن الأساطير والروايات المتعددة اختلفت حول أصل طنجة وتاريخ نشأتها الأولى، وحول اسمها، ومن وضعه وفي أي عصر أو دولة. كما اختلفت الآراء حول معنى اسم طنجة، وقد اقترحت أصول ومعان لاسمها بناء على ما ورد في النصوص القديمة من الأساطير أو بناء على اجتهادات في فقه لغات الأمم التي ارتبط موقع هذه المدينة بتاريخها.

ومن الممكن أن يساهم المنهج الأثري في اقتراح معنى جديد، متى كان أشمل وأوسع، وقد يكون أكثر إقناعا مما هو مقترح في المصادر السابقة.

والملاحظ أن اسم طنجة كما ورد في النصوص التي تحكي هذه الأساطير، كان متشابها لكنه متعدد الرسم والصيغ كما يذكر أحمد التوفيق إذ ورد على النحو التالي :

Tinga تينكا أو تنكا أو تين كا.

Titga تيتكا أو تتكا.

Tingis تينجيس أو تينكيس أو تنيكي أو تنكي.

Tintdia تنتديا.

وينطق الاسم في العربية "طنجة" و"Tanger" في الفرنسية و"Tangier" في الإنجليزية، ولعل ما يمكن الاهتداء إليه والاعتماد عليه هما صيغتان وردتا في نقود الفينيقيين، الذين وصلوا إلى طنجة قبل الإغريق والرومان وهما Tinga تينكا وTitga تيتكا، مما يوحي بأن الاسم كان محليا وأصيلا في اللغة الأمازيغية لغة أهل البلد وجده الفينيقيون أمامهم عند نزولهم بالسواحل المغربية فنقلوه بشيء من التحريف ليتماشى مع لغتهم. وكان أصله "تي ن تكّي" أي العالية، رددته الأهازيج الشعبية (طنجة يا العالية)..

أما اسم طنجة كما يكتب وينطق اليوم في العربية، فقد دخل إلى أقدم النصوص الإسلامية كما يرسم وينطق بها اليوم، لأن طنجة كانت من أول مرتكزات الفتح الإسلامي في المغرب الأقصى كما كانت مرتكز الجواز إلى الأندلس، لذا جاء الاسم في العربية مكتوبا بشيء من التصحيف ليتماشى مع التعريب. ويبدو أن حرف التاء في آخر الكلمة تاء للتأنيث اقتضتها صياغة التعريب، بينما حرف الطاء في أولها من حرف التاء فلربما جاء تفخيما اقتضاه الحرف الذي بعده وهو النون أما حرف الجيم (معطشة) في طنجة فهو نفس الجيم البدوية (غير المعطشة) كما يقال، فيكون رسم طنجة ونطقها في اللغة العربية هو رسم معرب للاسم الوارد عند الفينيقيين، ومن نقل عنهم من بعد وهو "تينكا" وفيما يتعلق بالصيغة الواردة في النصوص اللاتينية فهي تينجيس.

أما "Tingis" أو تينكيس، فتنطق في العربية طنجيس وهي نفسها الواردة لدى الفينيقيين بزيادة حرف السين، التي تكررت في أواخر أسماء عدد من المدن في إيبيريا، أو في شمال إفريقيا، كما وردت في أوصاف الجغرافيين وغيرهم من كتاب العهد الروماني. ويذكر أن العلماء المختصين يقررون أن المعرفة بلغة الفينيقيين محدودة جدا، ولا يستطيع أحد أن يحسم في طريقة نطقهم لحركات الأسماء، لما يكون فيها من إمالة على غرار إمالة اللبنانيين لفتحه لحرف الأخير في بعض الكلمات نحو الكسر.

ويذكر الأستاذ أحمد التوفيق حول معنى اسم طنجة أن ما ينبغي إبرازه في هذا المقام أن اسم طنجة أو تنكا Tinga قد ورد في نقود الفينيقيين مفصولا إلى شطرين تين "Tin" گا "g". وفي محاولة لتفسير معنى طنجة في لغات مختلفة تناولته، نجد أن مادة ط ن ج في اللغة العربية قليلة وليس في لسان العرب لابن منظور سوى كلمة الطنوج بمعنى الأسفار، وفعل طنّج بتشديد نونه ويعني الغريب بمعنى تفنن في الكلام، وهذا يعني أن الاسم ليس له معنى في اللغة العربية فهو علم أعجمي. ومن الملاحظ أيضا أن المحاولات اللاتينية لشرح معنى اسم طنجة تربطه دائما بالنسق الأسطوري بأعلامه ووقائعه كما حكاه الإغريق ثم الرومان، وهي مصادر أجنبية، وعدم الالتفات إلى الجذور الأصلية والمحلية، كما تتضمن جهلا بالآثار الأمازيغية والفينيقية أو تجاهلا لها، كذلك فعل من أراد أن يجد للاسم تأويلا عربيا في عبارة الطين جاء المرتبطة بالطوفان.

والواقع أن كل من تناولوا اسم طنجة من حيث أصله ومعناه ابتعدوا به عن اللغة المحلية أي اللغة الأمازيغية، مع أنها أقرب اللغات إليه.

وحتى عند الرجوع إلى الأمازيغية في شرح اسم طنجة فإن الباحثين تعاملوا معه باعتباره كلمة واحدة تنكا "Tinga" وارتباط اسم طنجة بقصة الطوفان، ومن ثم ربطوا الاسم بشعب ذي سيلان عن قدم المرتفع الذي تقع فيه طنجة.

ويمثل التداعي بين الدلالات المحتملة والوقائع المذكورة دون التأكد من صحتها في هذه الحالات إغراءات خطيرة للبحث. ومن هذا القبيل أن نجد أقرب الكلمات الأمازيغية في اللغة اليوم إلى اسم طنجة كلمة تاضنكة ومعناها المرجة الكبيرة العالية. ولا تعوز القرائن لترجيح هذا الاسم سواء من جهة وقوع طنجة على مضيق بحري شديد الهيجان، أو من جهة موضعها المشرف عليه، والذي يكاد يشبه في شكله موجة من أمواج البحر المتلاطم، أو طرفا من اليابس يعاند أمواج البحر التي ترتطم عند أقدامه، وهي كسابقتها لا تدل على حقيقة الاسم المقصود. أما صيغة تين كا "Tin" "g" "Tin" وهي الكلمة المفصولة إلى شطرين "تين كا" فقد بحث أحمد التوفيق فيها بقصد القياس بكلمات مماثلة في الصيغة والرسم، ووجد عددا من أسماء الأماكن التي لها معنى أمازيغي، وأشهر تلك الأسماء اسم "تينغير" وهو مركب من "تن" التي تفيد الوصف والنسب في الأمازيغية وتعني هنا صيغة التأنيث، والضمير يعود على المحلة أو العمارة أو المدينة ذات الجندل، أو ذات الصواري، أو تعني "التي في". أما الشطر الثاني وهو "غرة" فمعناه في الأمازيغية عرف الجبل، أو الأكمة أو المرتفع وهو أصلا بهمزة تحتها، وكسر في أوله "إغر" فهي إذن "تن إغر" ولكن الهمزة استثقلت لدواع يدخل فيها نسيان المعنى الأصلي أو تناسيه، فيكون أصل الكلمة طنجة تنكا المركبة بالقياس على ما سبق من أن "تن" تعني ذات أو المنسوبة إلى والشطر الآخر "كا" وأصله "إكا" فحذفت الهمزة ومعناه في الأمازيغية الأعلى أو فوق أي "تين كا" تعني الواقعة في المرتفع أو الأعلى أي ذات الارتفاع أي العالية.

ومن المعروف أن أسماء الأماكن تدل في معظم الأحيان على معان تتصل بالشكل الطبوغرافي للموقع ولا تخفى أهمية التحصين وصفة المنعة التي يوفرها العلو بالنسبة للمدن الواقعة على الممرات البرية أو البحرية. وهذا ما يبرر كثرة ورود أسماء مواقع في جميع أنحاء العالم، وبلغات مختلفة لها معنى الموقع المرتفع أو الحصن العالي. فطنجة إذن هي العالية في لغة الأمازيغ، وهو في حق طنجة حقيقة جغرافية طبوغرافية لها ورود في الفولكلور الشعبي في "طنجة العالية" كما يذكر أحمد التوفيق.

ويكتب شاتلان عن طنجة سنة 1939 ما يلي :

"مدينة تاريخية كبيرة يختلط ماضيها بالأسطورة، بحيث أن بانيها هو الرب أنطي ابن الرب بوصيدون والربة الأرض حسب بومبينيوس ميلا (5، 26) وبلينوس الشيخ (V، 2). وقد تمكن البطل الإغريقي الأسطوري هرقل من صرع أنطي. واعتمادا على نص اقتبسه بلوطارك (Sertorius, 9) عن يوبا الثاني فإن هرقل تزوج من أرملة أنطي تينكي "Tingé" وأنجب منها ولدا اسمه صوفاكس (Sophax) قام بإنشاء مدينة طنجي.

والجدير بالذكر هنا أن كل النصوص الكلاسيكية تقريبا (بومبينيوس ميلا وبلينوس الشيخ وسترابون، وبطليموس وديون كاسيوس إلخ..) تضع طنجي في أقصى شمال غرب المغرب وعلى الجزء الجنوبي الشرقي من مضيق جبل طارق. تعطي طنجي بالظهر لهضبة مرشان التي يفصلها عن الجبل الكبير وادي ليهود. ويبدو أن طنجي القديمة بنيت على الهضبة، وفق ما يذكره بونسيك، في كتابه *"أبحاث أثرية في طنجة ونواحيها"*، وأنه توصل إلى معرفة خطوط تسوية المدينة القديمة وباستعمال التصوير الفوطوكراميتري، وأنه متأكد من أن الطرق القديمة بطنجة، تطابق تقريبا الطرق الحديثة وهذا يعني أن طنجة الحالية مبنية على طنجة القديمة.

ونظرا لتحكمها في الشق الجنوبي لمضيق جبل طارق يبدو أنها قديمة جدا وتعود إلى عهد سابق على اتصال السكان الأصليين بالفينيقيين وأنها بالتالي لم تكن مستوطنة فينيقية.

ويجب التذكير هنا بالدور الذي لعبته طنجة في عهد الملوك المور أمثال إيفطاس واسكاليس وبوگود خلال الحروب الأهلية الرومانية. ويخبرنا ديون كاسيوس بأنه خلال معاهدة السلام سنة 40 قبل الميلاد منح أوكتافيوس سكان مدينة طنجة حق المواطنة الرومانية : ولذلك عندما اعتلى الملك بوخوس عرش موريطانيا لم تكن طنجة تابعة له، مما يؤكد أنها كانت مدينة مستقلة.

ونظرا لوجود طنجة الحالية فوق طنجة القديمة فلم تجر فيها التنقيبات وإنما عرفت بعض الاستبارات أجراها بونسيك في السوق الصغير استخرج منها عددا من الكتابات يبلغ عددها خمسينا (50) منها ما هو متعلق بالوالي بيسيوس بويتوينياس (Besius Betuinianus) في عهد الامبراطور تراجانوس، وكتابات أخرى ذات موضوعات دينية وثنية ومسيحية.

كما تم استخراج مجموعة من المواد الأثرية أشهرها تمثال المرأة الملتحفة ومجموعة من المسكوكات والقناديل وتماثيل صغيرة وكتابات، كل هذه المواد معروضة بمتحف القصبة بطنجة.

والجدير بالذكر أن طنجة الحالية تمدنا بين الفينة والأخرى بمواد أثرية عند حفر أسس عمارة أو بناية من البنايات في طنجة. ففي زنقة الصباغين اكتشف سنة 1935 مجموعة من المواد الأثرية في ظرف زمني متقارب. وخلال وضع أسس عمارة بنك المغرب عثر على أسس بناية يبدو أنها تعود لعهد الاحتلال الروماني، وقبل هذه السنوات وخلال الإعداد للبناء في منطقة الرهبان الفرانسيسكان الإسبان، عثر في عمق عدد من الأمتار على فسيفساء يعرف باسم فسيفساء أورفي (Mosaïque d'orphée).

وعلى ما يبدو، فحتى الأسوار الحالية للمدينة قد تكون استمرارا لأسوار مدينة طنجة في العصر القديم.

وفي سنة 1958 أجرى مونطالبان استبارات في المنبت البلدي واكتشف بقايا بناية اعتقد أنها حمامات. إلا أن بونسيك وبعد إجراء حوالي اثني عشر (12) استبارا في المنطقة تبين له أن حمامات مونطالبان عبارة عن تحصين عسكري صغير أهمل في وقت ما وتحولت بوابته الرئيسية المدعمة ببرجين إلى حمام. وكان الهدف من هذا التحصين هو حماية المدينة وخليج طنجة والمنطقة الشرقية، من القبائل التي تسكن الجبال المجاورة. ويكاد يكون تصميم هذا التحصين مربع الشكل طوله 27 م وعرضه 26 م ويبدو أن هذا التحصين معزول ولا وجود لأبنية مهمة مجاورة له كما تؤكد ذلك الاستبارات.

كما استخرجت مجموعة من المواد تتضمن مصابيح تعود للقرنين الثاني والثالث الميلاديين ونقود من عهد تراجانوس ودقلديانوس وقسطنطين الأكبر. والشيء الذي يجب التأكيد عليه حول ماضي طنجة هو طابع الأصالة وتميزها الخاص، وهذا ما حاول بونسيك أن يؤكده من خلال الأبحاث الأثرية التي أجراها وهو أن طنجة كانت لها علاقات متينة مع عالم البحر المتوسط وإسبانيا. وهذا التميز لا نجده في باقي المدن المغربية القديمة، فطنجة هي التي أطلق اسمها على الولاية الرومانية التي أحدثت بعد مقتل الملك الموريطاني بطليموس سنة 40 م بحيث أصبحت الولاية تحمل اسم موريطانيا الطنجية. ولذلك ليس من المستبعد أنها كانت عاصمة الولاية الرومانية موريطانيا الطنجية وليس وليلي.

م. مصيلحي فتحي، *بحوث في جغرافية مصر*، ستين الكوم، 1993 ؛ أ. التوفيق، *حول معنى طنجة من أعمال ملتقى طنجة في التاريخ المعاصر*، طنجة 1990، ص. 33 - 41، الرباط، 1991 ؛ ليون الإفريقي، *وصف إفريقيا*، ج. 2، ص. 208 - 209. الرباط ؛ أبو عبيد الله البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب*، جزء من *كتاب المسالك والممالك*، بغداد، ص. 108، دون تاريخ ؛ مصطفى أعشي، *العلاقات السياسية والعسكرية ما بين المور والرومان من 144 إلى 285 م*، د. د.ع. مايو 1980، كلية الآداب، الرباط.

Pline l'Ancien, *Histoire naturelle*, V, 2 ; M. Besnier, *Découverte d'une necropole romaine à Tanger*, *R.M.M.*, VI, 1908 ; S. Biarnet et A. Perette, *Les sépultures antiques du plateau du Marshan à Tanger*, *A.M.*, XVIII ; Carcopino, *Le Maroc antique*, Paris 1943 ; L. Chatelain, *Découvertes d'une statue romaine à Tanger*, *CRAI*, 1935 ; Id., *Tingi (Inscriptions)*, *Bulletin de la société de Géo.* de France, 1915 ; Id., *Tngi (Inscriptions)*, *CRAI*, 1935 ; J. Marion, *Peuplement de Tanger à l'époque romaine*, *Hesp.* XXXV, 1948 ; Michaux-Bellaire, *Tanger et sa zone*, Paris 1921 ; M. Ouachi, *Tanger création et mythologie*, *Mémorial du Maroc*, vol. I, 1983 ; D. Ponsich, *Contribution à l'Atlas archéologique du Maroc, région de Tanger*, *BAM*, V, 1964 ; Id., *Recherches archéologiques à Tanger et dans sa région*, Paris, 1970 ; M. Tarradell, *El Beniàn, Castellum romano entre Tetuan y Tanger*, *Tamuda*, I, 1953, p. 302 - 309 ; Ch. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Mauritanie Tingitane*, *Mémoire de l'Académie des Inscriptions et Belles Lettres*, IX, 1878.

مصطفى أعشي

طنجة، توجد في موقع استراتيجي هام يتحكم في الطريق البحرية الرابطة بين المحيط الأطلسي والبحر المتوسط، وهو ما جعلها محط أطماع أجنبية منذ أقدم الأزمنة. فمنذ تأسيسها في القرن السابع قبل الميلاد وقعت طنجة في قبضة العديد من المحتلين، بدءا بالفنيقيين، ومروراً بالقرطاجانيين، والرومان، والوندال، والبرتغاليين والإنجليز. وقد ترك الاحتلال الأجنبي بصماته واضحة على شخصية المدينة، وخاصة الاحتلال الأوربي الحديث من سنة 1471 إلى سنة 1684، الذي جعل منها بعد تحريرها ثغرا ومرسى محصنة، تشكل الحاميات العسكرية العمود الفقري لساكنتها. وهذا الطابع العسكري الذي ميز تاريخ طنجة هو الذي منعها من اكتساب بنيات ومؤسسات حضرية كتلك التي نجدها بالمدن الداخلية.

وبعد الفتح الإسلامي اكتسبت مدينة طنجة أهمية خاصة كنقطة وصل بين المغرب والأندلس. كما جعل منها عمال الخلافة الأموية بالمشرق مقرا لحكمهم. وتفيد الروايات التاريخية أن المولى إدريس بن عبد الله قد قصدها في نهاية القرن الثامن للميلاد، قبل أن يستقر بمدينة وليلي. ومنذ ذلك التاريخ أصبحت المدن الداخلية كوليلي وفاس مركزا للحكم، في حين فقدت طنجة أهميتها، حتى في مجال الربط بين المغرب والأندلس، بعدما تألقت مدينة سبتة كحاضرة وكجسر بين العدوتين.

وبدأت الأطماع الأوربية حول مدينة طنجة تظهر مع بداية القرن الخامس عشر للميلاد. فبعد احتلالهم لمدينة سبتة في سنة 1415 حاول البرتغاليون عدة مرات احتلال طنجة، لكنهم لم يتمكنوا من ذلك إلا في سنة 1471، لتبقى المدينة في يدهم قرنين من الزمن. وفي سنة 1671 انتقلت ملكية المدينة إلى الإنجليز عندما قدمت طنجة كجزء من مهر الأميرة كاترين دي براگانزا، التي زُفت إلى ملك إنجلترا، شارل الثاني. وكان الإنجليز حريصين على أن تُصبح المدينة قاعدة بحرية في خدمة الأسطول الإنجليزي، ومحطة تجارية على

الطريق البحري الرابط بين إنجلترا ومستعمراتها في آسيا. لذلك فإنهم لم يهتموا إلا بالتحصينات، في حين دمروا جل البنايات ذات الطابع الديني. وبطبيعة الحال، فقد ظلت المدينة خلال الاحتلال الإنجليزي مقطوعة عن حوزها، بل إن المدينة كانت خلال جل هذه المرحلة تعيش حصارا شبه دائم من طرف القبائل المجاورة، مع ما كان يتخلل ذلك من هجومات المجاهدين، خاصة في وقت لم تتمكن فيه بعد الدولة العلوية الناشئة من مد سلطتها إلى المناطق الشمالية. وقد احتفظ التاريخ بأسماء مجاهدين استطاعوا أن يحولوا حياة المحتلين إلى جحيم، أمثال الخضر غيلان الذي ضيق بالإنجليز إلى درجة أصبحوا معها يفكرون في إخلاء المدينة. ولم يقبل بعقد هدنة معهم إلا عندما شعر بالتهديد من جهة الجنوب، عندما تقدم العلويون باتجاه المناطق الشمالية.

وإذا كان العلويون قد تمكنوا من القضاء على غيلان فإنهم كانوا مطالبين بمواصلة الجهاد ضد المحتلين الإنجليز وتحرير الثغور الأخرى المحتلة من طرف الإسبان، حتى يعززوا مشروعيتهم السياسية ويُبرروا تصديهم لحركات جهادية محلية، كحركة غيلان بفحص طنجة، أو حركة أولاد النقسيس بمدينة تطاون. وحاول الإنجليز الوصول إلى صيغة تفاهم مع مولاي إسماعيل تُمدد على أساسها الهدنة بين الجانبين، لكن الاعتبارات السياسية التي جعلت من تحرير الثغور المحتلة أولوية بالنسبة للعلويين، والضغوط العثمانية لتحويل نظر المولى إسماعيل بعيدا عن حدوده الشرقية ومطالبته بجهاد النصارى، قللت من حظوظ التوصل إلى "هدنة دائمة" كما كان يأمل الإنجليز. لذلك قررت الحكومة الإنجليزية، أمام اشتداد الحصار المضروب على طنجة، إخلاء المدينة في فبراير من سنة 1684.

وبعد تحريرها عهد المولى إسماعيل بحكمها إلى "الجيش الريفي" بقيادة علي بن عبد الله التمسماني. وكان على هذا القائد أن يُعيد بناء المدينة ويُعمرها بعناصر القبائل الريفية التي اتخذها العلويون حليفا، وجعلوا منها جيشا يحررون به الثغور، ويوظفونه في كبح جماح القوى المحلية بمنطقة جبالة. وفي نفس الوقت كلف المولى إسماعيل قائد طنجة بإدارة الشؤون الخارجية والعلاقات التجارية والسياسية مع الأوربيين. ومنذ ذلك التاريخ تحولت مدينة طنجة إلى "بوابة المغرب الديبلوماسية"، ومقر القنصليات الأوربية. وعقب وفاة هذا القائد خلفه ولده أحمد بن علي الذي استطاع أن يوسع سلطته لتشمل مجموع الشمال المغربي، خاصة خلال فترة الاضطرابات التي تلت وفاة المولى إسماعيل في سنة 1727، إذ تمكن أحمد بن علي الريفي بفضل مداخيل التجارة مع أوربا أن يكسب الأتباع، ويستميل جزءا من جيش العبيد، وأن يمنع مولاي عبد الله بن إسماعيل من مد سلطته إلى القسم الشمالي من المملكة، وذلك إلى حدود سنة 1743 عندما قُتل هذا القائد في مواجهة حاسمة بين الطرفين.

وخلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر استطاع السلطان سيدي محمد بن عبد الله أن يقلص من هيمنة الجيش الريفي عندما أسكن بالمدينة فرقة من جيش العبيد. إلا أن أسرة أحمد بن علي الريفي كانت عبر خدمتها الطويلة للدولة قد أصبحت من الأسر المخزنية التي يصعب الاستغناء عنها. لذلك فإنها توارثت قيادة طنجة ونواحيها لعدة أجيال خلال القرنين الثامن والتاسع عشر.

ومن جهة أخرى يمكن القول إنه خلال القرن التاسع عشر اكتسبت طنجة معالم وسمات لازالت تشكل إلى اليوم جزءا من شخصية هذه المدينة. ومن جملة التطورات التي طبعت المدينة خلال هذا القرن تزايد الحضور الأوربي في المجالين الديبلوماسي والتجاري، بتزامن مع اشتداد الضغوط الاستعمارية. وقد تجلى الحضور الأوربي قبل كل شيء في وجود القنصليات الأوربية، ونمو جالية من الأوربيين تتكون من موظفي القنصليات وأسرهم، وكذلك من التجار الأوربيين الذين استقروا بالمدينة خلال النصف الثاني من القرن. ومن العوامل التي جعلت الدول الأوربية تنقل مقرات قنصلياتها من الرباط إلى طنجة تكليف المخزن لقائد طنجة بالكلام مع ممثلي هذه الدول. كما أن الأوربيين استفادوا من قرب المسافة بين طنجة والقارة الأوربية، ومن وجود مواصلات بحرية أكثر سهولة بين هذه المدينة والعديد من المراسي الأوربية. وابتداء من سنة 1845 تم ترسيم وضعية طنجة كعاصمة ديبلوماسية عندما قرر السلطان أن يعين بها نائبا عنه يمثله لدى الهيئات القنصلية الأوربية. وبهذا الإجراء تم تقليص اختصاصات قائد المدينة الذي أصبح يشرف على إدارة الشؤون المحلية دون غيرها.

وفي المجال التجاري ظلت حصة مرسى طنجة بالنسبة للمعاملات مع الخارج ضعيفة، إذ لم تتجاوز هذه الحصة عند منتصف القرن 20٪ من مجموع التجارة المغربية مع أوربا. وكانت تجارة المدينة تتم أساسا مع جبل طارق ومراسي جنوب إسبانيا، وتمثلت في تصدير الماشية والمواد الفلاحية واستيراد السلع الأوربية كالقطنيات والسكر والشاي. وجاءت الاتفاقية المغربية ـ البريطانية لسنة 1856 لتعطي دفعة قوية للحركة التجارية بالمدينة، إذ شهدت هذه الأخيرة فتح عدة مؤسسات بنكية، وتنشيط حركة المواصلات البحرية مع العديد من المراسي الأوربية.

وبموازاة مع هذا النمو الاقتصادي شهدت طنجة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر نموا ديموغرافيا ملحوظا. وهكذا ارتفع عدد سكان المدينة من 5.000 تقريبا في سنة 1810 إلى 20.000 في سنة 1878، وكانت المجموعة اليهودية تمثل خمس السكان تقريبا. أما الجالية الأوربية فكان عدد أفرادها يقدر بحوالي 700 في سنة 1860، بينما لم يكن هذا العدد يتجاوز المائتين تقريبا في سنة 1832. ومن المؤكد أن توقيع المغرب لسلسلة من الاتفاقيات مع الدول الأوربية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر أدى إلى

تضخم هذه الجالية التي وصل عددها إلى 5.000 فرد عند نهاية القرن. وقد صاحب هذا الارتفاع في نسبة الأوربيين ظهور العديد من المؤسسات الجديدة التي لم يعرفها من قبل المجتمع المغربي التقليدي. ومن هذه المؤسسات ما كان يعرف بالمجلس الصحي المكون من الهيأة القنصلية، والذي كانت مهمته تدور حول الوقاية من الأوبئة ومنع انتشارها. كما ظهرت بالمدينة أولى المدارس الأوربية، وكذلك مدارس الجمعية اليهودية العالمية. كما شهدت طنجة دخول الطباعة الحديثة وصدور عدد من الصحف باللغات الأوربية، في البداية على الأقل.

وعند بداية القرن العشرين استقطبت مدينة طنجة أنظار العالم أجمع، وذلك نتيجة ازدياد حدة التنافس الاستعماري حول المغرب، وانكشاف الأطماع الامبريالية تجاهه، خاصة بعد الاتفاق الانجليزي - الفرنسي لسنة 1904. واتخذت ردود الفعل المغربية على هذه الأطماع شكل اختطاف بعض الشخصيات الغربية بالمدينة. وكان من وراء أشهر عمليات الاختطاف الشريف مولاي أحمد الريسوني. وفي سنة 1905 تصدرت طنجة الأحداث الدولية بزيارة إمبراطور ألمانيا وليام الثاني، الذي جاء ليؤكد "حقوق ألمانيا" في المغرب. إلا أن مصير طنجة كان في النهاية مختلفا عن مصير بقية البلاد. فبينما تم تقسيم المغرب إلى منطقتي الحماية الفرنسية والاسبانية في سنة 1912، اتفقت الدول الغربية على أن تُفرد المدينة بوضع دولي خاص يحول دون إلحاقها بإحدى الدولتين الحاميتين، وهو الأمر الذي كانت بريطانيا تعارضه بشدة. لكن هذا "الوضع الخاص" لم يتحدد إلا في سنة 1925 بعد أن انشغلت أوربا بالحرب العالمية الأولى وما أعقبها من إعادة ترتيب الأوضاع الأوربية.

وكانت مسألة طنجة قد أثيرت دوليا لأول مرة في مؤتمر الجزيرة الخضراء (1906)، لكن المشاركين في هذا المؤتمر فشلوا في حسم المسألة، إذ كانت كل من إسبانيا وفرنسا تطالب بإدراجها ضمن منطقة نفوذها، بينما كانت بريطانيا ترى في ذلك إضعافا لهيمنتها على البوغاز وتهديدا لمصالحها البحرية في البحر المتوسط. ولم تنكب الدول الغربية على مسألة طنجة إلا في سنة 1923 عندما عقد بباريس مؤتمر لتحديد المعالم الرئيسية لوضع طنجة ومنطقتها. والاتفاقية التي تمخضت عن هذا المؤتمر هي التي حددت الوضعية التي عرفتها المدينة حتى استقلال البلاد في سنة 1956، باستثناء فترة الحرب العالمية الثانية عندما استغلت إسبانيا ظروف الحرب لتربط المدينة بمنطقة حمايتها بين سنتي 1940 و1945.

وكان النظام الخاص الذي أحدث للمدينة ينص على حيادها السياسي والعسكري، وبقائها مفتوحة للتجارة الدولية دون قيود : كما نصت اتفاقية باريس على أن يدير شؤون المدينة ومنطقتها مجلس يضم ممثلي الدول الغربية المهتمة بما عرف بالمسألة المغربية. وكما كان الحال في منطقتي الحماية الفرنسية والإسبانية فإن منطقة طنجة بقيت كذلك من الناحية المبدئية على الأقل، تحت سيادة السلطان. لذلك سمح لهذا الأخير بتعيين "مندوب" يكون واسطة بين السلطان ورعاياه بالمنطقة الدولية.

وكانت لهذا النظام الدولي انعكاسات هامة في المجالين الاقتصادي والمالي. ذلك أن مدينة البوغاز أصبحت سوقا مالية نشيطة تضم حوالي 85 وكالة بنكية في سنة 1950 مقابل 4 وكالات فقط عند بداية القرن العشرين. وفي سنة 1950 كذلك كان عدد الشركات التجارية المسجلة بالمدينة يناهز 4.000. لكن الإنجازات الاقتصادية التي شهدتها طنجة ومنطقتها ظلت هشة، ودون مستوى تطلعات الدول الغربية بسبب القطيعة التي ميزت علاقة المدينة بمحيطها المغربي. ومع ذلك فإن الرخاء الاقتصادي النسبي الذي عرفته طنجة خلال الفترة الدولية جعل منها قطبا للهجرة القروية، خاصة من منطقة الحماية الإسبانية بسبب فقرها، وغياب سياسة إسبانية للتنمية. وهكذا ارتفع عدد سكان المدينة خلال هذه الفترة إلى أربعة أضعاف ما كان عليه في البداية. وكان الأوربيون يمثلون حوالي ربع ساكنة طنجة التي وصلت في سنة 1952 إلى ما يناهز 164.000 نسمة : ونسبة الأوربيين هذه كانت، بطبيعة الحال، أعلى نسبة للعنصر الأوربي على مستوى الحواضر المغربية ككل.

إن إخضاع مدينة طنجة ومنطقتها لنظام دولي وعزلها عن بقية البلاد خلال فترة الحماية لم يحل دون مساهمة أهلها في المقاومة والكفاح من أجل الاستقلال. فمدينة طنجة وفرت الملجأ للعديد من الوطنيين الهاربين من بطش السلطات الاستعمارية الفرنسية والإسبانية. ويبقى أهم حدث بارز ارتبط بتاريخ طنجة خلال مرحلة الوصاية الاستعمارية هو خطاب السلطان محمد بن يوسف في أبريل من سنة 1947، والذي أكد فيه ثوابت الكفاح الوطني، أي الحق في الاستقلال، والوحدة والانتماء إلى الأسرة العربية. لكن طنجة لم تستفد كثيرا عندما تحقق الاستقلال. ذلك أن إلغاء النظام الدولي أدى إلى هروب رؤوس الأموال الأجنبية وانهيار الرخاء الاقتصادي الهش الذي ساد قبل 1956. وكان من نتائج إلغاء الحواجز بين منطقة طنجة وبقية البلاد أن تدفقت على المدينة أفواج المهاجرين من القبائل المجاورة بحثا عن ظروف عيش أفضل. وهكذا كان عدد سكان طنجة في سنة 1982 يقترب من 300.000 نسمة يعيش جزء كبير منهم في الأحياء الهامشية مثل بني مكادة، والدرادب، والواني. وفي غياب استراتيجية تنموية متكاملة تهم طنجة ومحيطها المتمثل في منطقة الحماية الاسبانية السابقة تبقى الحياة الاقتصادية بالمدينة معتمدة إلى حد كبير على تجارة التهريب والمخدرات والهجرة إلى أوربا.

Résidence Générale de la République Française au Maroc, *Ville et tribus du Maroc*, VII : *Tanger et sa zone*, Paris, 1921 ; J.L. Miège, *Le Maroc et l'Europe, 1830 - 1894*, Paris, 1961 - 1963, 4 vol. ; *Horizons Maghrébins* (revue), numéro spécial sur *Tanger*, Printemps 1996.

محمد المنصور

طنجة (المدينة)، تقع مدينة طنجة في أقصى الشمال الغربي من المغرب، حيث تشرف على مدخل مضيق جبل طارق. وقد احتلت المدينة في موضعها الأصلي الجزء الشرقي من الهضبة المطلة على خليج واسع، طوله نحو 5 كلم، هو بمثابة مرفأ طبيعي كان من دون شك من أهم العوامل التي حددت نشأة وتطور المدينة.

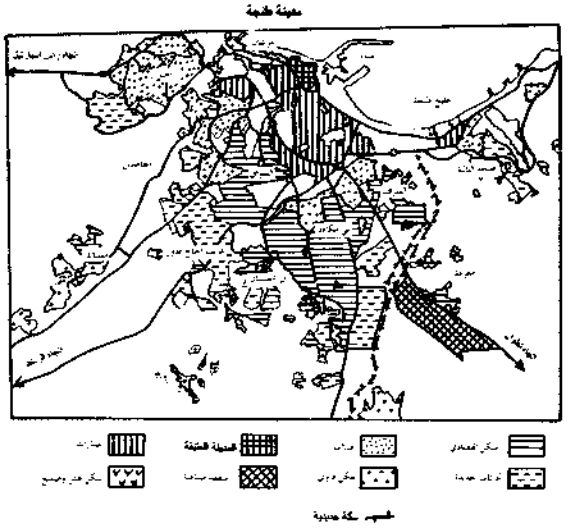

ابتداء من أواخر القرن 18 بدأت طنجة تكتسب تدريجيا دورا بارزا في علاقات المغرب مع القوى الأوربية. فقد اختارها السلاطنة لتكون مقرا للبعثات الدبلوماسية الغربية في محاولة لإبعاد هذه الأخيرة عن العاصمة فاس والتقليل من ضغوطها على المخزن. كما أن تنشيط الملاحة البحرية عبر بوغاز جبل طارق كنتيجة لشق قناة السويس، زاد من الأهمية الاستراتيجية للمدينة. وقد ساعدت المزايا التي يتسم بها مرفأها بالنسبة لدخول السفن المتزايدة الحجم على الحسم في الصراع بينها وبين الموانئ المجاورة وعلى رأسها تطوان والعرائش. وبذلك أصبحت طنجة الميناء الرئيسي للمغرب إلى أن انتزع منها الصدارة ميناء الدار البيضاء في مطلع القرن 20. وقد واكب هذه التحولات تزايد سريع في ساكنة المدينة التي توافد عليها المهاجرون من المدن المغربية الأخرى ومن أرياف شمال البلاد، علاوة على جالية أجنبية كبيرة. وهكذا تضاعف عدد السكان عشر مرات ما بين 1810 و1910، مارا من 5.000 إلى 50.000 نسمة.

وقد أفضى التفتيت الاستعماري للتراب المغربي إلى قيام منطقة دولية تشمل طنجة وضواحيها حدد نظامها بموجب اتفاقية 1923. وإذا كانت هذه الأخيرة قد نصت على مبدأ الوحدة الترابية للبلاد وسيادة سلطان المغرب مع التأكيد على حياد المنطقة الدولية والمساواة الاقتصادية بين الدول، فإنها في الواقع، على غرار نظام الحماية في باقي أجزاء البلاد، أعطت للأجانب السلطة الحقيقية في المجالات السياسية والاقتصادية. فإلى جانب المندوب السلطاني الذي يخضع له الرعايا المغاربة أنشئ مجلس تشريعي دولي ولجنة مراقبة يشرفان على تدبير شؤون المنطقة وعلى الجالية الأجنبية. وبعد فترة توقف خلال الحرب العالمية الثانية، بين 1940 و1945، استولت خلالها إسبانيا على طنجة، أعيد تفعيل النظام الدولي في صورة مجددة وذلك بانضمام الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأمريكية إلى مجموعة الدول المشاركة فيه. وقد عرفت المدينة خلال هذه الفترة ازدهارا اقتصاديا متميزا مستفيدة في ذلك من وضعها كـ"جنة ضريبية" حيث الرسوم الجمركية منخفضة والضرائب جد محدودة، إضافة إلى ضمان حرية الصرف وتجارة الذهب. يشهد على هذا الازدهار ارتفاع عدد السكان الذي وصل في بداية الخمسينيات من القرن العشرين إلى 164.000 نسمة، من بينهم 42.000 من الأجانب، واتساع رقعة المدينة وتوسيع مينائها. غير أن هذا الازدهار كان مبنيا على اقتصاد هش قائم على المضاربة والتهريب وتملص الشركات الأوربية من أداء الضرائب، من خلال إقامة مقرات اجتماعية وهمية بطنجة للاستفادة من امتيازاتها. لذلك ما فتئ أن انهار اقتصاد المدينة بعد الإعلان عن نهاية النظام الدولي (أكتوبر 1956) عقب استقلال المغرب، بالرغم من الإبقاء على حرية التجارة والصرف خلال فترة انتقالية انتهت سنة 1959 بالدمج النهائي للمدينة ووضع حد لنظامها الاقتصادي الخاص. وقد تسبب ذلك في اندلاع أزمة اقتصادية واجتماعية خانقة استوجبت تدخل الدولة. وقد اتسم هذا التدخل بالخصوص، مع مطلع الستينيات، بتدعيم دور المدينة كبوابة رئيسية لدخول المسافرين بحرا إلى المغرب من خلال توسيع وتجهيز الميناء، وتعزيز البنيات السياحية وإعطاء تحفيزات ذات طبيعة ضريبية بالأساس لجلب الاستثمارات. كما أنشئت منطقة تجارية وصناعية حرة بالميناء، وهيئت منطقة صناعية جديدة عند مخرج المدينة في اتجاه تطوان.

جاءت نتائج هذه السياسة متباينة. فعلى المستوى السياحي، كانت النتائج هزيلة بالنظر إلى ما كان منتظرا حيث أن الطاقة الإيوائية للمدينة لا تتجاوز اليوم 8٪ من المجموع الوطني. كما يشهد فشل إنجاز مشروع التهيئة السياسية لخليج طنجة على محدودية النشاط السياحي بالمدينة. وقد بقي هذا الأخير منحصرا بالأساس في سياحة العبور بموازاة مع وظيفة طنجة كأكبر ميناء للمسافرين بالمغرب (2.6 مليون مسافر سنة 2000)، ينافسه في ذلك ميناء سبتة المحتلة. في حين يحتل مطار طنجة المرتبة الرابعة على الصعيد الوطني بحوالي 300.000 مسافر سنة 2000.

أما على المستوى الصناعي فقد استطاعت طنجة أن ترقى إلى المرتبة الثانية وطنيا بعد الدار البيضاء من حيث عدد العاملين في هذا القطاع. وقد تعزز النشاط الصناعي مع مطلع القرن الحالي بفتح منطقة صناعية وسكنية جديدة باكزناية على مساحة 129 هـ، والمنطقة الصناعية الحرة للمطار المتخصصة في الصناعات التصديرية على مساحة إجمالية قدرها 345 هـ. غير أن بنية هذه الصناعة التي وإن

كانت تعرف تنوعا متزايدا مازالت تتسم بسيادة قطاعي النسيج والألبسة اللذين يمثلان حوالي نصف المؤسسات الصناعية وأكثر من ثلثي اليد العاملة التي يطغى عليها الطابع النسائي.

وتعد طنجة قطبا رئيسيا في شمال المغرب من حيث الخدمات (أبناك، تأمين، خدمات طبية...) إلا أن إشعاعها التجاري والخدماتي يعاني من الموقع المتطرف للمدينة بالنسبة لمناطقها الخلفية. وهو المشكل نفسه الذي يحد من رواج البضائع بالميناء الذي سجل أقل من 3 ملايين طن سنة 2000. غير أن الإمكانات التي يتيحها موقع طنجة على إحدى أكبر الممرات البحرية في العالم لم يتم استغلالها لحد الآن بشكل كافي. وهذا بالضبط ما يُتوخى من مشروع إنشاء ميناء طنجة المتوسطي في واد الرمل، على بعد 45 كلم إلى الشمال الشرقي من المدينة، والذي سيختص في إعادة توزيع البضائع على نطاق الجهة الغربية من حوض البحر الأبيض المتوسط. ويعد هذا المشروع نواة لمنطقة حرة صناعية وتجارية وسياحية يراد منها تنشيط اقتصاد المنطقة الشمالية من المغرب.

ولقد شهدت طنجة منذ الاستقلال انفجارا سكانيا وعمرانيا. ارتفع عدد السكان من حوالي 150.000 نسمة سنة 1960 إلى 497.147 سنة 1994. وتشير التقديرات إلى أن هذا العدد تجاوز 600.000 سنة 2000. ويعزى هذا النمو السريع إلى الجاذبية الهجرية التي تمارسها المدينة على نطاق مجمل الأقاليم الشمالية من المغرب، بل وتتجاوزه من خلال استقطابها المتزايد للمرشحين للهجرة السرية نحو الخارج من جهات أخرى مغربية وإفريقية، كما يعزى إلى اتساع الرقعة الحضرية بانضمام عدد من القرى المجاورة إلى المدينة.

وواكب هذا التزايد الديمغرافي انفجار في المجال الحضري. فإلى حدود الربع الأول من القرن 20 شكلت النواة القديمة داخل الأسوار والتي تشرف عليها القصبة، المقر التقديري للسلطة المخزنية، المجال الرئيسي لتوسع المدينة. ثم شرعت المدينة في الامتداد نحو الشرق على هضبة مرشان، ونحو الجنوب على طريق فاس، والجنوب الشرقي في اتجاه شاطئ الخليج. كما شهدت منطقة الجبل، في الضاحية الغربية، انتشار سكن الفئات الاجتماعية الثرية. وقد عرفت فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية طفرة سريعة على المستوى العمراني. لكن احتدام الهجرة القروية ضخم من المشاكل الحضرية والمتمثلة في ظهور وتزايد حجم الدواوير وأحياء السكن غير المنظم المحيطة بالمدينة كدشر بَندبان وطنجة البالية وبني مكادة. وبعد الاستقلال عرفت طنجة فترة وجيزة من الركود استغل خلالها الرصيد السكني الشاغر بعد مغادرة أعداد كبيرة من الأجانب للمدينة. لكن مع نهاية الستينيات احتدت من جديد حركة التوسع المجالي كنتيجة للهجرة. فإلى جانب الجاذبية الناشئة عن تطور الأنشطة الصناعية والخدماتية، شكلت الهجرة الطاردة من الأرياف، خصوصا من جبال الريف، أحد الأسباب الرئيسية لهذا التوسع. كما شكلت الاستثمارات العقارية للمهاجرين المغاربة بالخارج، حتى من خارج طنجة، رافعة مهمة لتنشيط حركة البناء بالمدينة.

غير أنه بالرغم من المجهود المبذول على مستوى التخطيط الحضري، من خلال وضع مخططين توجيهيين للتهيئة الحضرية (وضع الأول سنة 1983 والثاني سنة 1997) وتصاميم التهيئة الحضرية، احتدمت ظاهرة التوسع العشوائي للنسيج الحضري وما يصاحبها من مشاكل سوء التجهيز. وتجلى ذلك في الانتشار الكبير لأحياء السكن العشوائي (حوالي ثلث السكن بالمدينة في أواخر القرن العشرين). ويهدف مخطط توجيه التهيئة الحضرية الحالي إلى إعادة تنظيم المجموعة الحضرية لطنجة من خلال اختيارات كبرى أساسية أهمها :

1 ـ توجيه توسع النسيج الحضري على ثلاثة محاور :

ـ محور شرقي على طول ساحل الخليج مخصص للسكن والأنشطة السياحية والثلاثية (مكاتب وتجارة) مع بناء محطة سككية جديدة على طرفه الشرقي،

ـ محور جنوبي للسكن الكثيف والأنشطة وتقوية المراكز الحضرية لأحياء بني مكادة وكاسابراطا وبنديبان، وفتح مجالات جديدة للتعمير بين طريق الرباط وطريق المطار،

ـ محور جنوبي غربي على طول طريق المطار بتخصيص مجالات لأنشطة القطاع الثالث الأعلى والأنشطة ذات التكنولوجيا العالية إلى جانب منطقة للوظائف الجامعية.

2 ـ تنمية مركز جديد للأنشطة الصناعية والخدماتية باكزناية والذي شرع في إنجازه.

3 ـ الحفاظ على الصبغة الطبيعية والترفيهية للضاحية الغربية بمنطقة رأس اسبارتل.

4 ـ إنشاء طريق دائرية خارجية تسهل الربط بين المداخل الرئيسية للمدينة من الجنوب إلى الشرق.

جهة **طنجة ـ تطوان**، في أقصى الشمال الغربي للمغرب. يحدها غربا المحيط الأطلسي وشرقا البحر الأبيض المتوسط وشمالا مضيق جبل طارق، وهي بالتالي تطابق في مجملها ما اصطلح على تسميته من الجغرافيين المحدثين بشبه الجزيرة الطنجية (نسبة إلى مدينة طُنجس الرومانية) التي تمثل أقرب الأراضي الإفريقية إلى القارة الأوربية.

إداريا تتكون هذه الجهة من عمالتي الفحص ـ بني مكادة وطنجة ـ أصيلا وأقاليم تطوان والعرائش وشفشاون، والتي تضم في المجموع 100 جماعة، منها 13 جماعة بلدية و87 جماعة قروية على حوالي 11.570 كلم2. قدر عدد سكان الجهة بـ2,3 مليون نسمة سنة 2000، 57٪ منهم حضريون.

تتكون التضاريس بالأساس من الطرف الغربي لسلسلة جبال الريف. يتسم جزؤها الغربي بالانفراج وقلة الارتفاع حيث تتعاقب التلال والجبال المنخفضة من جهة والمنخفضات من جهة أخرى. لكنها تأخذ طابعا جبليا كتليا ويتزايد

ارتفاعها في اتجاه الشرق حيث يتراوح علوها ما بين 1.600 و2.100 م (2.170 م بجبل بوهلة جنوب مدينة شفشاون). وتشرف هذه الجبال على الشاطئ المتوسطي بأجراف تتراجع عند مصاب الأودية لتفسح المجال لظهور سهول ساحلية صغيرة تصلها بالبحر شواطئ رملية متقطعة باستثناء الساحل التطواني الذي يمتد على حوالي 20 كلم من سبتة إلى الرأس الأسود.

ويوافق القسم الغربي من الجهة منطقة الهبط التي يشير اسمها إلى انخفاضها مقارنة بالمنطقة الجبلية المحاذية لها شرقا. ويتكون الهبط من هضاب منخفضة تعلوها طبقة من الصخور الرملية. وتنحدر عموما نحو الغرب في اتجاه الشاطئ الأطلسي. بينما يزداد ارتفاعها في اتجاه الجنوب الشرقي لتتصل بتلال مقدمة الريف بمنطقة جبالة حيث يناهز الارتفاع 300 م. وتتخلل هذه الهضاب سهول فيضية ذات طبيعة صلصالية تحمل أتربة ثقيلة، ينفرد من بينها سهل لوكس بحجمه الكبير نسبيا حيث يمتد على حوالي 30 كلم طولا و10 كلم عرضا.

تنتمي الجهة في مجملها إلى المجال المتوسطي شبه الرطب بينما تنتمي حاشيتها الشمالية القصوى والمرتفعات الجبلية إلى النطاق الرطب، في حين يتسم الشريط الساحلي المتوسطي الشرقي بطابع شبه جاف نظرا لوجوده في وضعية محجوبة عن التيارات الجوية الغربية المطرة. وقد عملت رطوبة المناخ من جهة ووعورة التضاريس من جهة ثانية على ترسيخ الطابع الغابوي المتميز للمنطقة، حيث تشمل الغابة أكثر من ثلث مساحة الجهة. وتتسم الغابة بتنوع كبير في الأصناف النباتية مما يعطيها أهمية متميزة على المستويين الإيكولوجي والبيولوجي. وضمن هذا التنوع تبرز بعض الأصناف النباتية كشجر الأرز الذي يظهر ابتداء من ارتفاع 1.300 م جبال الريف الأوسط وشجر البلوط القطني Chêne tauzin والتشنة Chêne zene من ذوي الأوراق النفضية. ويسود البلوط الفليني باقي المناطق الغابوية. كما تنفرد الجهة بوجود الغابة الوحيدة لشجر الشوح Sapin بالمغرب بالقرب من مدينة شفشاون. غير أن الغطاء الغابوي شهد تراجعا كبيرا منذ الفترة الاستعمارية إذ مازال يتهدده الاجتثاث من أجل توسيع المجال الزراعي وبالأخص المجال المخصص لزراعة القنب الهندي المعروف بالكيف والذي ينتشر انطلاقا من الريف الأوسط.

ومن الناحية الزراعية تعتبر التلال والجبال مجالا لزراعة متعددة المحاصيل يمارسها فلاحون تقليديون متجذرون. فحول القرى المعلقة على السفوح ينتشر مشهد زراعي مُسيج بنباتات طبيعية يعد من المظاهر المميزة لجبال الريف الغربي. ويطابق هذا المشهد البساتين أو كما تدعى "الجنانات" حيث تتركز المغارس (التين والزيتون والكروم...) وبعض الزراعات التي تحظى بعناية خاصة من حيث التسميد والري كالشعير العلفي وزراعات الخضر. وفي أسفل السفوح والمنخفضات تنتشر الزراعات الموسمية في تلاؤم مع طبيعة التربة : زراعة شتوية (قمح وشعير) على الأراضي الخفيفة والأراضي التي ينصرف منها الماء، وزراعة ربيعية (ذرة بيضاء وقطانيات وزراعات زيتية، خصوصا الفول السوداني، والتبغ) فوق الأراضي الثقيلة الميهة. كما تستفيد تربة الماشية من

جهة طنجة تطوان

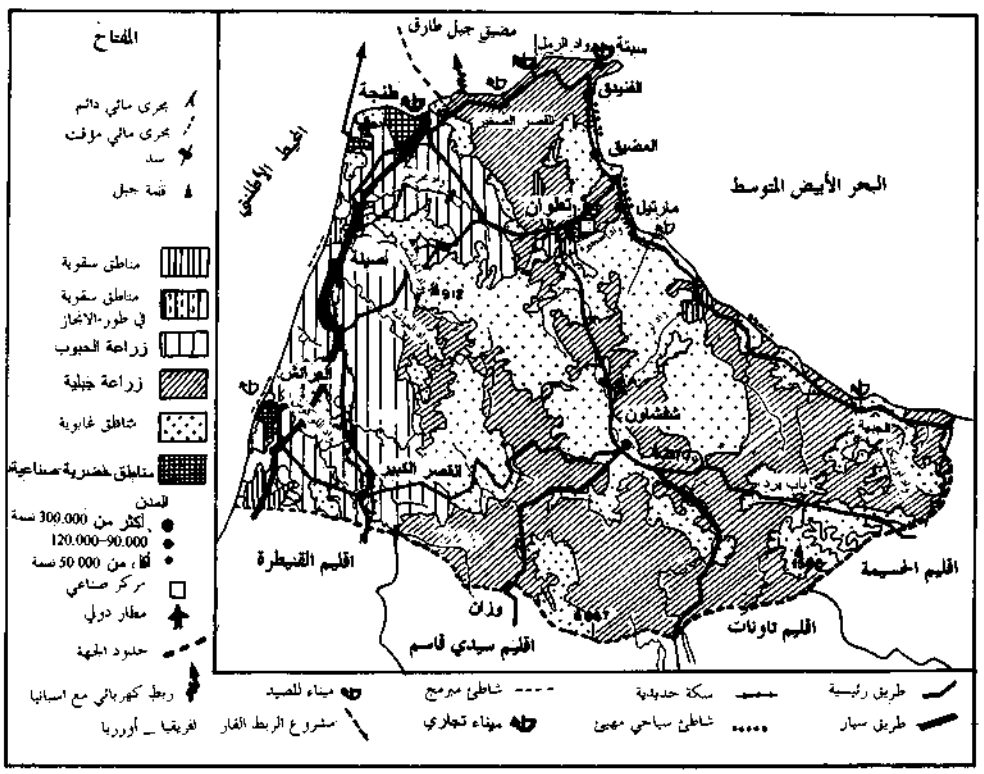

التكامل الموجود بين المراعي الغابوية على المرتفعات والأراضي الراقدة والحصائد في المنخفضات. وفوق الهضاب الغربية تنتشر عموما فلاحة تسود فيها الحبوب (قمح وشعير وقطانيات) مقترنة برعي واسع.

وقد تطور الري في إطار دوائر مسقية انطلاقا من سدود على كل من واد لاو وواد أجراس وواد لوكس. ويعتبر هذا الأخير أهم هذه السدود إذ يغطي حوالي 29.000 هـ من الأراضي المسقية على امتداد وادي لوكس الأسفل وفوق هضبة الرمل بالإضافة إلى 11.000 هـ في قطاع الدرادر ـ المرجة. الواقع خارج الجهة على حدود منطقة الغرب. تحتل الزراعات السكرية المرتبة الأولى من بين الزراعات المنتشرة داخل الدائرة المسقية للوكس (21.000 هـ من قصب السكر و7.000 هـ من الشمندر السكري) وتغذي معملين للسكر بطاقة 80.000 طن في السنة. ويأتي الفول السوداني في المرتبة الثانية ضمن المزروعات الصناعية. كما تغذي زراعة البقليات، خصوصا منها الفلفل الأحمر والطماطم، الصناعة الغذائية التي تحتضنها بالخصوص مدينة العرائش. ومنذ بضع سنوات عرفت الزراعة المبكرة لتوت الأرض الموجه للتصدير نجاحا كبيرا مستفيدة من لطافة المناخ وجودة تربة رملية خفيفة ملائمة وقرب المنطقة من السوق الأوربية. كما يرتبط التطور الحديث لتربية الأبقار باتساع رقعة الزراعات العلفية واستعمال بقايا بعض المنتجات كأعلاف مثل الشمندر وقصب السكر.

وعلى الرغم من توفرها على واجهة بحرية طويلة فإن الجهة لا تنتج سوى كميات محدودة من الأسماك لم تتعد 20.000 طن سنة 2001 بنسبة 4٪ من الإنتاج الوطني، موجهة بالأساس لتغذية جانب من الاستهلاك الجهوي. ويعزى ذلك لمحدودية الثروات السمكية التي يعتمد استغلالها على أسطول يطغى عليه الطابع التقليدي، ينطلق من موانئ طنجة والعرائش والمضيق.

وانطلاقا من بداية الستينيات علقت آمال كبيرة على السياحة، اعتبارا لما تزخر به المنطقة من شواطئ رملية جميلة ووجود أكبر البوابات البحرية لدخول المسافرين إلى المغرب والمتمثلة في ميناءي طنجة وسبتة (عبر مركز الفنيدق بالنسبة لهذا الأخير) والقرب من إسبانيا وما يتيحه ذلك من فرص لاستقطاب السياح الوافدين على هذا البلد. وقد بذلت الدولة مجهودا ملحوظا لتطوير هذا القطاع بالجهة من خلال إعطاء امتيازات للمستثمرين وتعزيز التجهيزات الأساسية (كتوسيع ميناء طنجة الذي أقيمت به محطة للمسافرين وتوسيع المطار...) وتهيئة شاطئي خليج طنجة وساحل تطوان. غير أن الطابع الموسمي للنشاط السياحي بالمنطقة وقلة تنوع المنتوج السياحي كانا من العوامل التي قلصت من أهمية هذا القطاع حيث تراجعت نسبة جهة طنجة ـ تطوان من الطاقة الإيوائية الوطنية من 25٪ في أواخر السبعينيات إلى 16٪ في مطلع القرن الحالي.

وبموازاة مع ذلك بذلت مجهودات لتنمية النشاط الصناعي بإعطاء امتيازات للجهة في إطار قوانين الاستثمار الصناعي، وتجهيز منطقتين صناعيتين في كل من طنجة وتطوان أضافت إليهما مع مطلع القرن الحالي المنطقة الصناعية الحرة للمطار والمنطقة الصناعية لكزناية في ضاحية طنجة.

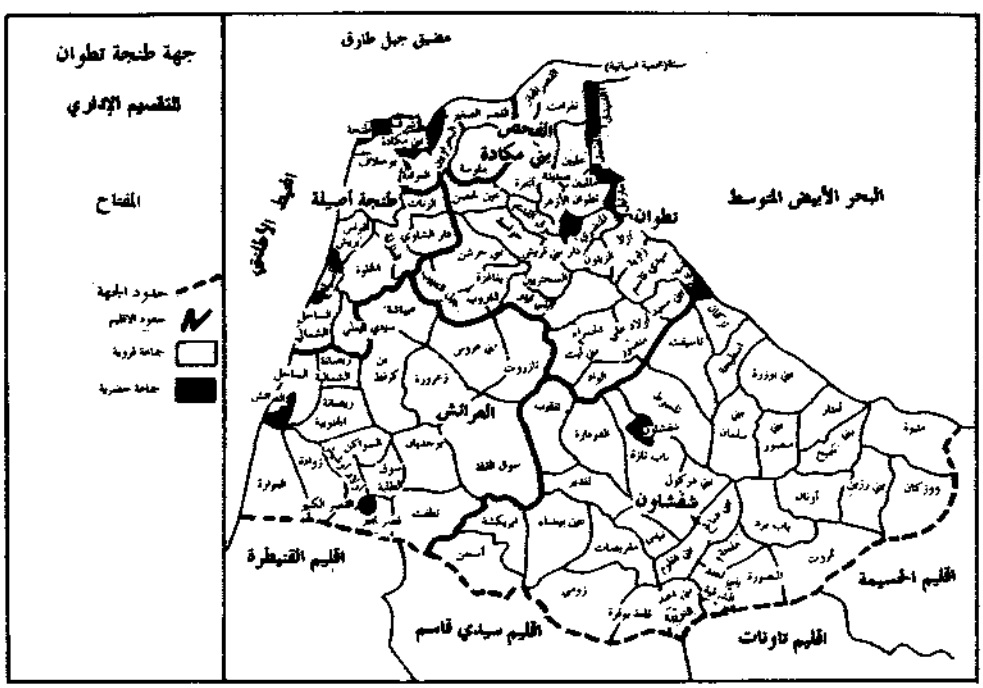

وتشغل الصناعة الجهوية حوالي 10٪ من اليد العاملة الصناعية بالمغرب (1996) وتوفر 5.5٪ من قيمة الإنتاج الصناعي الوطني. تمثل مدينة طنجة أكبر قطب صناعي بالجهة بما يقارب ثلثي عدد المؤسسات الصناعية كما تحتل المرتبة الثانية على الصعيد الوطني من حيث عدد اليد العاملة الصناعية. لكن بالرغم من اتجاهها النسبي نحو التنوع فإن الصناعة الطنجية مازال يهيمن عليها قطاعا النسيج والخياطة اللذان يشغلان أكثر من 75٪ من اليد العاملة الصناعية.

كما توجد مدينة طنجة على رأس شبكة حضرية جهوية مكونة من 8 مدن كبيرة ومتوسطة وما لا يقل عن 12 مركزا حضريا صغيرا. لكن وظيفتها كقطب حضري جهوي تعاني من موقعها المنطرف بالنسبة لتراب الجهة. غير أن هذا الوضع لا يمنعها من مزاولة جاذبية كبيرة إزاء المهاجرين القرويين، شأنها في ذلك شأن مدينة تطوان مما يفسر الوثيرة المرتفعة لنمو ساكناتهما حيث سجلتا معدلا سنويا لنمو الساكنة يقدر بـ4.4٪ بالنسبة للأولى و4.1٪ بالنسبة للثانية مقابل 3,6٪ كمتوسط بالنسبة لمجموع الوسط الحضري وذلك خلال الفترة ما بين 1982 و1994.

ويبقى في النهاية أن الموقع الاستراتيجي للجهة، المطل على مضيق جبل طارق الذي يعتبر من أهم الممرات البحرية في العالم، عند نقطة تقارب بين القارتين الافريقية والأوربية، هو أبرز الامتيازات التي تحظى بها حاليا جهة طنجة ـ تطوان. وهذا ما يجعلها تلعب دور الربط بين القارتين من خلال خطوط العبور البحري عبر المضيق انطلاقا من طنجة وسبتة ومن خلال خطوط الربط الكهربائي وأنابيب الغاز الجزائري بين المغرب وأوربا. ومن المنتظر أن يتقوى هذا الدور بعد إنجاز ميناء طنجة المتوسطي الذي سيتكفل بإعادة توزيع السلع ضمن الحوض الغربي للأبيض المتوسط. ومن دون شك سيزداد هذا الدور متانة في حال إنجاز مشروع الربط القار بين إفريقيا وأوربا. وفي المقابل يجر هذا الموقع بعض المصاعب على المنطقة أبرزها التهريب والهجرة السرية. فالتهريب الذي يمر أساسا عبر مدينة سبتة المحتلة التي تستفيد من وضعيتها المتميزة كمنطقة حرة يغذي أسواقا تتجاوز الإطار الجهوي. وهكذا أصبح التهريب، الذي تم التساهل معه بذريعة إيجاد منافذ للتخفيف من تفشي البطالة، عبارة عن اقتصاد خفي ينخر جهود التنمية الاقتصادية ليس للمنطقة الشمالية فحسب بل للمغرب ككل. كذلك ساهمت الجاذبية التي تمارسها أوربا على المهاجرين من بلاد الجنوب، والصعوبات المتزايدة أمام هؤلاء لاجتياز الحدود الأوربية بصورة قانونية، في تحويل الجهة إلى إحدى أكبر نقط تجمع المهاجرين السريين من المغرب وبلدان إفريقيا جنوب الصحراء في انتظار فرصة للعبور نحو الضفة الشمالية.

ويبقى في النهاية أن موقع الجهة يخول لها أن تصبح قاعدة خلفية للانتاج والتصدير نحو السوق الأوربية القريبة مما يمثل امتيازا مؤكدا بالنسبة للمستثمرين.

محمد الرفاص

ابن **طنجة**، أسرة تطوانية فرع من الأسرة اليعقوبية الشريفة وقد انقرضت بتطوان.

ابن **طنجة، عبد العزيز** فقيه تولى خطة العدالة بالمدينة سنة 1023 (1614).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 264.

محمد ابن عزوز حكيم

طنجي، وتكتب أيضا معرفة وبألف أمام الطاء، هم رحالة صحراويون من بعض إزرگيين ـ إحدى القبائل الصحراوية المحاذية للمحيط الأطلنطي ما بين واد نون والساقية الحمراء ـ أيت سعيد، أولاد امبارك أيت واعزيز، جاؤوا من أدراد موريطانيا حسب بعض الروايات، وحسب رواية أحد أحفاد الأسرة أنهم جاؤوا من الحوض بموريطانيا.

بقيت منهم بعض الأسر بإمارة الترارزة الموريطانية، حل جدهم بأيت باعمران منذ قرنين ونصف تقريبا. خلف الجد محمد ثلاثة ذكور وأنثيين وهم على التوالي لحسن ولد محمد، علي ولد محمد ومحمد ولد محمد أما الأنثيان فهما عيشة بنت محمد ومكبولة بنت محمد.

وقد استقرت هذه الأسرة الحوضية بالقرب من إحدى فخوذ أولاد الدليم التي سبقتها إلى عين المكان، عرفت هذه الفخذة من أولاد الدليم بأهل محمد ولد عمر.

لقبوا بهذا الاسم نسبة إلى قدح نحاسي كانت تملكه هذه الأسرة، حيث كانت تطبخ فيه الطعام وتكرم الضيف خصوصا الرحالة منهم وعابري السبيل عبر الطريق الساحلي الذي يربط واد نون بأيت باعمران ثم عبر تزنيت.

فإذا حلت "أكوابير" القادمة من جهة القبلة، بأرض أيت باعمران يقولون : أين نجد طعامنا، فيقولون عند أهل طنجي أي صاحب الطنجية. فاتخذ الأبناء هذا اللقب اسما للعائلة، كما أن هذا الاسم يحمل بعض الأفراد من قبيلة العروسين والركيبات وأولاد الدليم، بل لازال من يحمل هذا الاسم بموريطانيا.

معلومات حصلنا عليها من أحد أفرادها إضافة إلى أحد الباعمرانيين.

الطنجي، أحمد بن عبد الرحمن، كان يعرف بالحرمل. من أهل طنجة، وسكن مراكش وقتا، كان فقيها صوفيا صاحب كرامات وكشف وأحوال. رحل إلى الحج وطاف في البلاد ووصل إلى بيت المقدس وبلاد العجم، واستقر به المقام

بمصر فسكن الإسكندرية، وتكونت له علاقات متينة بشيوخ التصوف بمصر مثل الشيخ أحمد الرفاعي، والشيخ عبد الرحيم القناوي السبتي الذي زاره بقنا بصعيد مصر. وصار أبو العباس الطنجي أحد شيوخ التصوف المغربة الذين أثروا بعمق في النشاط الصوفي بمصر في القرنين السادس والسابع الهجريين بما كان له من صيت وأصحاب وأتباع.

توفي سنة 612 / 1215 ودفن بالفسطاط.

ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، المطبعة الملكية، ج. 1، ص. 346 ؛ ابن أبي المنصور، *رسالة صفي الدين بن أبي المنصور*، تح. ديني جريل، القاهرة، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، 1986، ص. 20، 63 ـ 68 ؛ ابن الزيات التادلي، *التشوف*، تح. أحمد التوفيق، الرباط، منشورات كلية الآداب، 1984، ص. 432 ؛ ابن الطواح، *سبك المقال*، تح. محمد مسعود جبران، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1995، ص. 56.

محمد المغراوي

الطنجي، سعيدُو، هو المعلم سعيدو الطنجي. كان من كبار شيوخ الطرب الأندلسي في النصف الثاني من القرن الثالث عشر وبداية الرابع عشر (19 ـ 20).

اشتهر ببراعته في عزف الكمان زايد نقط. وإليه ينسب إدخال هذه الآلة عام 1915 إلى حظيرة الجوق الأندلسي.

وقد أخذ عنه عمر الجعايدي والحاج عبد السلام بنيوسف وأحمد بن المحجوب زنيبر، وشكل هؤلاء الثلاثة امتداداً لأسلوبه في عزف الكمان وتغريز دوره في الأجواق الأندلسية بالمغرب.

صالح الشرقي، *أضواء على الموسيقى المغربية*، ص. 112.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الطنجي، علي بن عبد الرحمن بن تميم اليفرني، أبو الحسن : من أهل فاس وعرف بالطنجي، فقيه حافظ أخذ عن أبي الحسن الصغير الزرويلي وغيره. برع في علم الفرائض والحساب، وألف تقييداً على *المدونة*. تتلمذ عليه الفقيه محمد بن سليمان السطي الذي أخذ عنه علم الفرائض.

توفي سنة 734 / 1334.

ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، نشر عبد الوهاب بنمنصور، الرباط، دار المنصور، 1973، ج 1، 228 ؛ أحمد بابا التنبكتي، *نيل الابتهاج*، طرابلس، كلية الدعوة الإسلامية، 1989، ص. 325 ؛ محمد مخلوف، *شجرة النور الزكية*، بيروت، دار الكتاب العربي، ص. 218 ؛ ابن القاضي، *درة الحجال*، تح. محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة، ج 3، ص. 245.

الطنجي، محمد بن موسى، يكنى أبا الفرج، فقيه حافظ صالح ورع، أخذ عن والده الفقيه أبي عبد الله محمد بن موسى الطنجي، وعن خيرة علماء فاس في عصره مثل أبي مهدي عيسى المغراوي وعبد الله العبدوسي، والأستاذ أبي عمران موسى بن عبد المؤمن، وأبي عبد الله النيجي، وصهره الفقيه محمد القوري والفقيه أبي سعيد بن أبي محمد السلوي. ومن الآخذين عنه أحمد المنجور جود على يديه القرآن الكريم.

كان خطيبا بجامع الأندلس بفاس.

توفي بها في حدود سنة 889 / 1484 أو 893 / 1488.

ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، ج. 1، ص. 243 ؛ *درة الحجال*، ج. 2، ص. 140 ؛ أحمد بابا التنبكتي، *نيل الابتهاج*، طبعة طرابلس، ص. 559 ؛ المنجور، *فهرس المنجور*، ص. 59.

محمد المغراوي

الطنجية، لون من الطعام المراكشي، سمّي باسم القدر الذي يُطبخ فيه : الطنجية، مستطيلة الشكل تصنع من الطين بعروتين ويطلى داخلها بالبرنيق. يطهى بها اللحم بطريقة مميزة بواسطة حرارة رماد نار الحمام البلدي المعروف باللسان الدارج "بالفرناطشي". ويطلق اسم الطنجية على لون الطعام المعد في هذا الإناء الطيني ويجمع على "طْنَاجي". وطرق إعداد الطنجية خاصة ومختلفة عن الطريقة المعروفة عند عموم الناس في إعداد وجباتهم، إذ يتطلب إعدادها مواد معلومة وإمكانيات مادية وزمنية مهمة. لذلك فهي تقضي وقتا طويلا في حرارة رماد موقد النار "الفرناطشي". وعليه فإن طهي الطنجية لا يعني توفير الإناء والمواد فحسب، بل يشترط خبرة الشخص ـ الذي يسهر عليها ـ وبدرجة حرارة الرماد التي توضع فيه، لأن المناسبة التي من أجلها تعد الطنجية تكون خاصة، وهي المعروفة عند المراكشيين "بالنْزَاهَة". وكما يمكن أن تكون الطنجية طعام المناسبات، فهي أيضاً كانت ولفترة طويلة وجبة كل يوم عند المَعلمين الصْنَايْعية من الجيل السابق بالأحياء القديمة بمراكش. أما اليوم فقد تغيرت أحوال الجيل الجديد من هؤلاء الحرفيين والصْنَايْعَة وتأثرت حياتهم بضرورات العصر المبنية على السرعة في كل شيء.

وذكر الباحث الفرنسي (Brunot) أن الطنجية بفاس هي خليط من الخضر واللحم والتوابل تطهى في إناء بنفس الاسم يدعى الطنجية، توضع برماد نار الحمام (هسبريس، 1921 : 127).

وقد انفرد ابن الخطيب بمعلومة تشير إلى لون الطعام المطجن الذي يراد به طبخ اللحم بغير مرق. وهذا يتطلب طريقة إعداد خاصة، وهو ما وصفه بالمطجَّنَات حيث قال : "المطجنات ما يطبخ في الفرن من اللحوم والطير في الأوعية بغير مَرَقَة" (*مفردات لسان الدين*، 86). وعليه، فعماد المطجنات حسب وصف ابن الخطيب ـ فضلاً عن عملية الطبيخ في الفرن ـ هي طبخ اللحوم في الأوعية بغير مرق. فضلاً عن ذلك، فهو طعام يعد دون خضخضة (*لسان العرب*، 7 : 144) أو تحريك. وفي آداب الأكل عند المالكية إجازة مسح اليد بعد اللعق فيما لا غمر فيه وما فيه غمر يندب غسلها بعد لعقها لوجود المرق (*الفواكه الدواني*، 2 : 316). فحكم إعداد المطجنات يقتضي الإدام عند التحضير دون غمر بالماء. وهذا

عكس ما إن حضر طعام فيه غمر يعلوه إدام فهو يلطخ اليد عند الأكل لما لهذا الطعام من كثرة المرق. وكما لا يجوز التفاضل في الجنس الواحد من سائر أنواع الإدام كالسمن والزيت، فإنه لا يستقيم اعداد الطنجية إلا بما يكفي من الإدام الذي ينوب عن استعمال الماء (*الفواكه الدواني*، 2 : 75).. ويؤكد هذا عبارة ابن الخطيب "بغير مَرَقَة" وهو عدم استعمال الماء البتة في الإناء. وتعد الطنجية عموماً من لحوم البقر والغنم وخاصة ذيولها حيث يوجد دهن السمن بها، أو الجزء المسمى بالـ"لَحْ" (عند العامة) ويوضع معه نوع خاص من الجمر. كما تعد الطنجية لوجبة الإفطار من كراع (البقر والغنم) بإضافة بعض القطاني كالحمص أو اللوبية.

وتستعمل الطنجية كإناء لحفظ العديد من المواد، كالسمن والعسل والخليع والإدام المذاب.. ويضع بها أهل أنجرة الزيت، كما يقول (Westemarck). لكون هذا الإناء مبرنق - (أي مُجَلَّجْ باللسان الدارج) - يمنع من الرشح ويحفظ المواد الموضوعة به على طبيعتها من غير تلف. ويقول (Brunot) : إن الطنجية بفاس تستعمل للحليب والسمن وصنع الخميرة للعجين. وحين التنابز بالألقاب بالمجتمع الفاسي كان يقال للمتلعثم في كلامه "خلاص يا طنجية الخميرة" (هسبيريس، 1921 : 127).

مفردات لسان الدين بن الخطيب، منشورات عكاظ، الرباط، 1988؛ السقطي، *في أداب الحسبة*، باريس، 1931 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، بيروت، 1983 ؛ ابن سالم النفراوي، *الفواكه الدواني*، بيروت، 1415 ؛ ابن منظور، *لسان العرب*، ج 7، دار صادر، بيروت، د. ت ؛ دوزي، *تكملة المعاجم العربية*، العراق، 1978 ؛ مجلة هسبيريس لسنوات 1921، 1922، 1923، 1925، 1931، 1933، 1938.

Westemarck, *Cérémonies du mariage, dans les Archives berbères*, vol. 2, fasc. 1, p. 13.

عبد الرزاق ازريكم

الطنجيون، من النصوص الجغرافية التي تعرضت للقبائل الموريطانية نص الجغرافي بطليموس الذي ذكر القبائل التي كانت تسكن موريطانيا الطنجية من الشمال إلى الجنوب ومن الغرب والشرق ومع ذلك فلم يتعرض بطليموس للطنجيين إذ اقتصر حديثه على مدينة طنجة فقط. ومن الذين أشاروا إلى الطنجيين فيلوستاط في حياة أبولونيوس تيان (Philostate, *Vie d'Appolonios Tyane*, V, 1) الذي عاش في العهد الفلافي (69 - 96 م). يذكر فيلوستاط أن الطنجيين قبيلة متوحشة تعيش في المنطقة المتصلة مع رأس أبينا الذي قد يقصد رأس شبه جزيرة سبتة أو أبيلا التي تعني أحد أعمدة هرقل الواقع في موريطانيا الطنجية. وليس من المستبعد أن تكون لكلمة الطنجيين علاقة بمدينة طنجة وأن يكون الطنجيون يستوطنون المناطق القريبة من المدينة التي تحمل اسمهم.

مصطفى أعشي، *العلاقات السياسية والعسكرية في موريطانيا الطنجية بين الرومان والرومان من سنة 140 إلى 285 م*، د. د. ع.، كلية الآداب، الرباط، 1980، ص. 97.

J. Desanges, *Catalogue de tribus africaines dans l'antiquité classique à l'Ouest du Nil*, Dakar, 1962 ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; Philostate, *Vie d'Appolonios Tyane*, V, 1.

مصطفى أعشي

الطنطان، إذا انطلقنا من البواعث المرتبطة بطبيعة الموقع، وجدنا أن كلمة الطنطان تعني البئر الرنانة التي كانت معروفة لدى مربي الإبل على مصب وادي درعة بالمحيط الأطلسي شمال الصحراء. ففي بداية القرن العشرين كان مصب وادي درعة من أشهر المواقع المعروفة بأهميتها كمرتع للماشية وكتراب للف الساحلي لقبائل تكنة. كانت قبيلتها آيت لحسن وإزرگيين قد تخصصت في ارتياد هذا الموقع في تربيتها للإبل مما أهلها لتبني صيغة "لف ايت الجمل". وقد يكون هذا الوضع سبباً مباشراً في التجاء هذا اللف إلى البئر الرنان (الطنطان). فهو يفتح أمامها مجالاً واسعاً لاحتكار الموارد النباتية للغطاء الكثيف الذي يميز مصب وادي درعة.

تتحدد إذن أهمية البئر في موقعه الساحلي الذي جعله يثير اهتمام الضباط الإسبان الواردين على المنطقة من جزر كناريا المجاورة. وقد اشتهرت في الرواية المحلية مجموعة من الثنائيات التي تواجه الباحث حين يحاول أن يتبين مراحل ظهور مدينة الطنطان. من بين هذه الثنائيات نجد تربية الإبل ومراقبة المجال، نمط العيش الترحالي وحماية الخيام، نمط العيش وتربية الخيول، الرماية والقنص، التحالف القبلي وحماية الجار، الخ ..

خلال الثلاثينيات من القرن العشرين بدأ الإسبان يعززون مواقعهم بالمنطقة. وكان العامل الذي ساعد على اهتمامهم بموقع الطنطان تحديداً هو ردود الفعل القبلي الرافض. فقد أدى اهتمام الإسبان بالبئر إلى انطلاق المعارضة القبلية عبر رفض الفصائل المحلية لأي اتصال مباشر مع الضباط الإسبان. وغداة الاستقرار الفعلي الاسباني سنة 1932، أخذت الإدارة العسكرية الإسبانية ترتب أمورها لانطلاقة تكون منسجمة مع حاجيات الرحل إلى موارد غذائية وغيرها.

وتدريجيا ظهرت نقطة الطنطان على الخارطة الإسبانية على بعد 21 كلم جنوب مصب وادي درعة. وقد كانت الإمدادات الغذائية تصلها عبر البحر من الطرفاية جنوباً. تبرز أهمية هذا المعطى الغذائي بالنسبة للوسط الترحالي من خلال ندرة المنتوج الكافي محلياً من حيث اقتناء المنتوجات المصنعة أو تزويد الفصائل المحلية بالمواد الأولية. فقد تضافرت عدة عوامل جعلت من مربي الماشية يعيشون أوضاعاً صعبة خلال الثلاثينيات التي عرفت الأزمة الاقتصادية لسنة 1929 والظروف المناخية غير المواتية في مطلع الثلاثينيات بما فيها من غزو للجراد وسنوات فلاحية عجاف إضافة إلى الهيمنة الاقتصادية لاقتصاد الموانئ الغربية.

هكذا ومن هذا المنطلق القاضي بالابتعاد عن سياسة التصلب، جعل الرحل يتنقلون تحت المراقبة الفعلية للإدارتين

الاسبانية والفرنسية بين الحدود المرسومة ابتداءاً من سنة 1934. وقد تمت دشرة الطنطان تحت الحماية الأمنية والسياسية للإدارة الإسبانية إلى أن أصبحت مدينة من الحجم الصغير. هكذا اضطرت الفصائل المحلية أمام ازدواجية الإدارة السياسية الفرنسية والاسبانية إلى تبني سياسة مزدوجة، وجهها الأول هو طلب الإذن بالمرور من المنطقة المراقبة فرنسا إلى منطقة مراقبة إسبانيا، معتمدين على نوع الحوار المباشر، ووجهها الثاني الاندماج في تيار الجهاد ضد المد المسيحي كما كان يراه سكان الصحراء عموما.

وكانت الإدارتان الفرنسية والإسبانية تعتبران خط العرض 27° 40 بمثابة الحد الفاصل بين التراب المغربي والصحراء الغربية. وهو ما لم يكن يدخل بخلد الفصائل المحلية التي كانت ترابها ومجال ترحالها يمتد على جنوب وشمال هذا الخط. وقد حرصوا في مختلف اللقاءات التي كانوا يقومون بها مع الإدارتين معا على توضيح موقفهم الرافض لكل تجزيء ترابي يعارض المقاييس التاريخية القائمة لمراقبة المجال الترحالي. ولكي يكونوا منطقيين مع أهدافهم، حرصوا على تبليغ السلطان محتوى ما وصلت إليه هذه اللقاءات غداة اجتماعاتهم مع مسؤولي الإدارتين الاسبانية والفرنسية.

ومع استقلال المغرب بدأت معالجة قضية الصحراء. فقد أمضى وزير الخارجية أحمد بلافريج اتفاقية Cintra مع الحكومة الإسبانية بتاريخ 7 أبريل 1956 خولت للمغرب استعادة المنطقة الممتدة من وادي درعة إلى الطرفاية. وأصبح من الشروط الأساسية لقيام العمران بمدينة الطنطان الاستقرار والسكن. ولكن الظروف المعيشية القاسية التي تختص بها الفصائل المحلية قد انعكست آثارها على أنماط سلوكهم التي ارتبطت بالهجرة إلى الخارج (أوربا) أو ممارسة التجارة غير المقننة مستفيدين من الطابع الجبائي الخاص الذي يعفي المنطقة من الضرائب. في هذه الملابسات أصبحت مدينة الطنطان مدينة حدودية ذات خصوصية اقتصادية واجتماعية وسياسية.

وفي السياق الرامي إلى حفز الاستثمار وتسهيله، اتجهت الجهود المبذولة إلى تنمية قطاع الصيد البحري. وأصبح ميناء مدينة الطنطان يشد الانتباه بما يوفره من ثروة سمكية. إلا أنه يقع على بعد حوالي 20 كلم من المدينة مما يحد من حركية هذه الأخيرة ومن ظروف نموها. وإذا كانت الدولة قد انتهجت سياسة تسهيل مأمورية البناء بالمدينة، فإن المشكل الذي ظهر جليا خلال الستينيات هو عدم صلاحية الموقع. فاضطرت الوزارات المعنية بقطاع التعمير إلى وضع حد للتوسع العمراني لأن هشاشة الأرض لا تسمح بتجاوز طابق واحد لكل بناية. وهو ما أجهض كثيراً من مشاريع الاستثمار المحلية.

مصطفى ناعمي

الطنك، بوشعيب. ولد بدوار أولاد بوعلال، بني إبراهيم (قبيلة امزاب) ناحية ابن أحمد سنة 1929. وولج الكتاب القرآني "الجامع" فحفظ القرآن الكريم على يد والده.

هاجر إلى مدينة الدار البيضاء حوالي سنة 1936 صغيرا، مع والده الذي شارك بأحد جوامع درب الاسبان "درب الاسباليون". ثم استقر عند أخواله بزنقة القاهرة في درب الشرفاء الطلبة، دون أن يقطع صلته بعائلته وبمسقط رأسه. وظل يتنقل بين أقربائه في الدار البيضاء، وخاصة بالقرب من عرصة ابن مسيك، ولربما اشتغل مع أخواله في بيع المواد الغذائية كالسكر.

وحانت الحرب العالمية الثانية. فكان من أفراد القوات المغربية المجندة ببرشيد للالتحاق بالفيلق الثالث للفرسان المغاربة الموجهين إلى جبهات القتال في أوربا. وقد التزم بالعمل في الجيش الفرنسي مدة أربع سنوات ابتداء من يوم 16 أبريل 1940. لكنه ما لبث أن فر من الجندية وفسخ العقدة وألغيت خدمته العسكرية يوم 7 يونيو 1940، دون أن نعلم سبب ذلك.

لا نعلم شيئا عن حياة الرجل في الأربعينيات ولا عن بداية عمله في الحقل الوطني، غير أنه انخرط في خلية تابعة للمقاومة بكريان ابن مسيك، تعاقب على تسييرها اسعيد بونعيلات ثم بوشعيب ولد السطاتية. وبعد نفي السلطان سيدي محمد بن يوسف، انضم بوشعيب "الطنك" إلى منظمة اليد السوداء في التشكيلة التي كانت تحت مسؤولية الفقيه محمد البصري بابن مسيك من يناير 1954 إلى 2 ماي 1954، وكان معه فيها بوشعيب ولد السطاتية وكراوة والمعطي وسيدي عمرو ولد الصغير (المهذب) وسي محمد بن حمو (صادق) وحسن (محراش) والمكي السفناج والمعلم الطاهر الصياغ. وقد شارك في تصفية إبراهيم ولد الحمرية بكريان الرحامنة التابع لكريان ابن مسيك، حسب ما هو مقيد بملفه في المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير.

ألقي عليه القبض يوم 2 ماي 1954 على يد القائد امحمد بن بوعمرو المستقدم من زعير في إطار "حركة القياد" على الدار البيضاء (أبريل 1954)، فأودع بمعتقل عين الشق

"الفوريان" ونال حظه من التعذيب، إلى جانب باقي أفراد مجموعته، ثم أمر قاضي التحقيق لدى المحكمة العسكرية الدائمة بالدار البيضاء يوم 22 يونيو 1954 بإيداعه في السجن، بعدما وجه إليه ثلاث تهم، وهي "القتل العمد وتكوين عصابة من المجرمين وحيازة السلاح والذخيرة". فاقتيد إلى السجن المدني المعروف في مدينة الدار البيضاء باسم "حبس اغبيلة"، قبل أن ينقل يوم 3 ماي 1955 إلى السجن المركزي في بور ـ ليوطي. وقد ظل قابعا هناك، حتى جرت عملية الهروب الواسعة منه يوم 30 سبتمبر 1955، بفضل الخطة التي رسمها جماعة من المقاومين. وقد تمكن عدد من المعتقلين من الفرار والإفلات، ومنهم على سبيل المثال الفقيه البصري وإدريس الحريزي وعبد الرحمان الصحراوي والعربي بوگلب ورحال المسكيني، في حين سقط منهم عدد آخر قتلى، مثل أحمد الصباغ (وهبي) وبوشعيب "الطنك". إلا أنه يصعب الجزم في الطريقة التي استشهد بها المترجم له، فالوثائق الرسمية تتحدث عن وفاته يوم 30 سبتمبر 1955 تنفيذا لحكم الإعدام فيه بالرصاص داخل السجن، بينما لا تستبعد بعض الشهادات الشفوية أن تكون إدارة السجن قد أطلقت كلابها البوليسية على الفارين وأن تتعرض أجسام بعضهم للنهش حتى الموت، مثل "الطنك". أما رفيقه بوشعيب ولد السطاتية، فيؤكد أن حراس سطح السجن هم الذين قتلوه وأحمد الصباغ، بعدما أنجزا الدور الرئيسي في عملية إيداع باقي الحراس في الزنازن وسمحا لكثير من المقاومين بالفرار.

وثائق حصلنا عليها من السيدة السعدية بحدا بنت المترجم له في لقائنا بها يوم 5 أبريل 2000 وهي : ـ شهادة سجن المعتقل الاحتياطي بوشعيب بن محمد بتاريخ 2 يناير 1967 ؛ رخصة رئيس الحامية العسكرية للدار البيضاء وقاضي التحقيق العسكري لفاطمة بنت بلقاسم وحادة بنت العربي بزيارة بوشعيب بن محمد في السجن المركزي بالقنيطرة بتاريخ 15 يونيو 1955 (تاريخ الرخصة 13 يونيو 1955) ؛ رسالتان من المعتقل بوشعيب بن محمد من سجن القنيطرة إلى خاله بالدار البيضاء ؛ شهداء الاستقلال، المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الرباط، محرم 1409 / غشت 1988، ج. 2، ص. 168 ؛ ملف الشهيد بوشعيب الطنك، رقم 523497، المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الرباط ؛ شهادة بوشعيب مخلص أحد مقاومي ابن مسيك والمعروف بنسب "ولد السطاتية" وشهادة روشدي العياشي أحد المحكومين بالإعدام القابعين مع المترجم له في سجن القنيطرة ؛ شهادة الفقيه محمد البصري عن بوشعيب "الطنك" بصفته رئيس خليته، وردت في محاضرة ألقاها عن تاريخ المقاومة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بابن مسيك ؛ شهادة السيدة السعدية بحدا بنت المترجم له

نجيب تقي

طَنَّان أو الطَّنَّان، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Tena ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 821.

الطنيطن، اللقب الذي اشتهرت به فرقة من أسرة الحايك المنحدرة من قبيلة الحوز التطواني، ولا زالت بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 827.

طنين سبتة، جريدة خطية بالعامية المغربية تعد الأولى من نوعها رأت النور بأرض المغرب حيث كانت تطبع في مطبعة حجرية بمدينة سبتة السليبة، وكانت بمثابة ملحق لجريدة إسبانية تحمل عنوان *El Eco de Ceuta* (صدى سبتة)؛ أسسها القنصل الإسباني الملحق بإدارة الحاكم العام بالمدينة فيليبي ريشو راميريث Felipe Rizzo Ramirez بحكم أنه كان يتقن اللهجة المغربية، وكان يساعده في تحرير الملحق الترجمان ميكيل بوسوطيل Miguel Busutil.

صدر العدد الأول من *طنين سبتة* مع العدد الأول للصحيفة الإسبانية يوم 16 فبراير 1883 ؛ وتوقفت النشرة العربية في العدد 40 بتاريخ 8 دجنبر من نفس السنة، في حين استمرت النشر الإسبانية تصدر إلى يوم 13 يناير 1887.

وكانت تصدر في اليوم الأول والثامن والخامس عشر والأخير من كل شهر ميلادي في أربع صفحات من حجم 40 × 26 سنتيمترا، وكان ثمن العدد 10 سنتيما من البسيطة والاشتراك الشهري بـ25 سنتيما.

Ibn Azzuz Hakim. *La prensa española en el Norte de Marruecos*. Ceuta 1949.

محمد ابن عزوز حكيم

الطوابع البريدية بالمغرب. إن تاريخ الطوابع البريدية واسع وفي غاية التعقيد، فقد تعددت المكاتب البريدية بسبب الظروف السياسية التي مرت بها البلاد في العصر الحديث، ذلك أن أهم ما تميزت به العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر وجود بريد تابع لمكاتب أجنبية، فقد عرف المغرب خلال هذا القرن معاملات مع بعض الدول الأوربية أدت - بسبب احتياجات هذه الدول للتراسل السريع داخل المملكة أو خارجها - إلى إحداث مكاتب بريدية أجنبية تؤمن على الخصوص الخدمات البريدية مع الخارج لأن المغرب آنذاك لم يكن قد صادق بعد على اتفاقية الاتحاد البريدي العالمي... ومن الممكن أن نتناول هذا الموضوع بشيء من الإيجاز في الفقرات التالية :

1) المكاتب الإسبانية :

في الفترة الممتدة من 1860 إلى 1903 استعملت الطوابع الإسبانية في المغرب بدون توشيح. وفي المدة المتراوحة ما بين 1903 و1914 استعملت الطوابع الإسبانية أيضا ولكن وشحت بعبارات *"Correo Español - Marruecos"*.

2) المكاتب الفرنسية :

أول مكتب فرنسي بالمغرب افتتح أعماله بطنجة سنة 1862 واستعمل طوابع فرنسا الموجودة آنذاك. ثم أحدثت فرنسا مكاتب أخرى في بعض المدن المغربية الساحلية. وفي الفترة الممتدة من 1891 إلى 1911 استعملت هذه المكاتب طوابع فرنسية بعد توشيحها بالعملة الإسبانية (السنتيمات والبسيطات)، ولكنها في سنة 1902 أصدرت طوابع طبعت خصيصاً على نمط الطوابع الفرنسية تحمل اسم "Maroc" ووشحت هي الأخرى بالعملة الإسبانية.

3) البريد المحلي :

أُحدث بالمغرب ما بين سنة 1891 و1906 بريد داخلي كانت تديره مؤسسات خاصة (فرنسية، وألمانية، وإسبانية، وقنصلية بريطانية وإيطالية)، وقد أصدرت هذه المؤسسات طوابع خاصة تستعمل بين مدينة وأخرى، وبذلك كان كل طابع يحمل اسم مدينة المصدر ومدينة المورد... وقد عرف من خطوط هذا البريد خمسة عشر خطاً :

1891 مزگان - مراكش
1892 طنجة - فاس
1892 موگادور - مراكش
1894 فاس - صفرو
1895 طنجة - أصيلة
1896 تطوان - الشاون
1896 طنجة - تطوان
1896 القصر الكبير - وزان
1897 تطوان - القصر الكبير
1897 فاس - مكناس
1898 طنجة - القصر الكبير
1898 طنجة - العرائش
1899 أسفي - مراكش
1900 موگادور - أگادير
1906 دمنات - مراكش

ونظرا للظروف التي أنشئت فيها هذه الخطوط فقد كان محكوما عليها بالتوقف في مدة قصيرة، إذ تبين من خلال بعض الوثائق أن بعض الخطوط لم تمكث سوى بضعة أسابيع من تاريخ إحداثها.

4) البريد الحربي لمدينة مليلية :

استعمل البريد بمدينة مليلية المحتلة الطوابع الإسبانية بدون توشيح، ولكنه خلال سنتي 1893 و1894 استعمل طوابع خاصة ذات صبغة عسكرية.

5) المكاتب البريطانية :

افتتحت مكاتب البريد البريطاني أعمالها بإدارة بريد جبل طارق في بادئ الأمر أي من سنة 1898 إلى 1907 واستعملت مجموعات من طوابع جبل طارق بعد أن وشحت بلفظي "Morocco Agencies"، وكانت قيمتها الاسمية بالعملة الإسبانية. ومنذ سنة 1907 أصبحت المكاتب البريطانية تستعمل مجموعات من الطوابع الإنجليزية كانت في معظمها موشحة أيضا بالكلمتين المذكورتين. وبقيت الطوابع الإنجليزية تستعمل في المكتب البريطاني بتطوان إلى أن تم سحبها نهائيا غداة الاستقلال (1956).

6) المكاتب الألمانية :

افتتح المكتب البريدي الألماني أعماله بمدينة طنجة سنة 1899، ثم أحدثت مكاتب ألمانية في مدن مغربية أخرى مثل الدار البيضاء وفاس ومراكش والصويرة والرباط والعرائش وتطوان. وقد استعملت هذه المكاتب طوابع ألمانية موشحة بالسنتيم أو البسيطة مع لفظ "Marocco". وفي سنة 1914 أغلقت المكاتب الألمانية في المنطقة السلطانية، وفي سنة 1919 أغلقت في المنطقة الخليفية.

7) البريد المخزني :

سعى السلطان مولاي الحسن الأول إلى إدخال تنظيمات جديدة شملت عدة قطاعات حيوية من ضمنها قطاع البريد، ذلك أن هذا السلطان أصدر أوامره في سنة 1892 بتنظيم

البريد المخزني بهدف وضع حد لكل تدخل أجنبي يمكن أن يمس بسيادة المغرب. وهكذا أحدث البريد بأمر سلطاني بين المدن الآتية :

الرباط ـ الصويرة (مروراً بالدار البيضاء وأزمور والجديدة وأسفي).

الرباط ـ مراكش (مرورا بالدار البيضاء وأزمور)

الرباط ـ تطوان (عبر العرائش وطنجة)

الرباط ـ فاس

الصويرة ـ مراكش

أسفي ـ مراكش

مكناس ـ فاس

فاس ـ طنجة (عبر القصر الكبير)

القصر الكبير ـ العرائش

والمتتبع لأسماء هذه المدن (ويبلغ عددها ثلاثة عشر) يجدها كلها مدنا ساحلية كانت مفتوحة للتجارة وبها جاليات أجنبية أو مدنا داخلية تمثل حواضر المغرب وعواصمه التاريخية.

واستعملت للبريد المخزني أختام تختم بها المراسلات بعد أن تؤدى عنها قيمة حملها إلى "الأمين" وهو الشخص الذي كان مكلفا بالتحصيل بالجمارك وغيرها وأصبحت من بين مهامه أيضا استلام المراسلات وتوجيهها إلى وجهتها واستقبال الرسائل الواردة وإحالتها على أصحابها.

ووضع لكل مدينة من المدن المذكورة خاتمان، أحدهما مثمن الشكل والآخر مستدير الشكل. وقد كتب داخل الخاتم المثمن اسم المدينة وعبارة المحوط أو المحوطة بالله، بينما كتب على المستدير اسم المدينة وعبارة المحوط / المحوطة بالله أو المصون / المصونة بالله... ويغلب على الظن أن الأختام المثمنة الأضلاع كانت تستعمل لختم الرسائل المتبادلة بين الخواص، في حين احتفظ بالأختام المستديرة للمراسلات التي كانت تجري بين موظفي الحكومة.

وفي سنة 1912 (أي في عهد السلطان المولى عبد الحفيظ) أصدر البريد المخزني أول طابع مغربي وكان بحجم صغير تمثل صورته قوسا بداخله جامع عيساوة بطنجة. وهذا الطابع عبارة عن سلسلة سداسية قيمتها الاسمية بعملة "المزونة" (1، 2، 5، 10، 25، 50 مزونة). وفي سنة 1913 أعيد طبع السلسلة نفسها ولكن على ورق مغاير وبحواشي عريضة.

8) الحماية الإسبانية بالشمال :

باشرت مكاتب البريد بعد فرض الحماية الإسبانية إصداراتها الأولى بمجموعة من الطوابع البريدية في سنة 1914 بعد توشيحها بكلمة Marruecos، ثم أصدرت في سنة 1915 وما بعدها طوابع إسبانية بعد توشيحها بهذه الكلمات Protectorado Español en Marruecos. واعتبارا من سنة 1928 أصبحت مكاتب البريد تصدر مجموعات عادية وتذكارية وبطاقات خصيصا لهذه المنطقة وهي طوابع يمثل كثير منها مناظر البلاد ومظاهر الحياة الشعبية نقلا عن لوحات فنية أنجزها الرسام الإسباني "بيرتوشي".

9) منطقة طرفاية :

احتلت القوات الإسبانية منطقة طرفاية واستعملت هناك في سنة 1916 مجموعة من طوابع وادي الذهب بعد توشيحها بكلميت "Cabo Jubi" واعتبارا من سنة 1919 أصبح مكتب البريد لهذه المنطقة يستعمل طوابع إسبانية أو طوابع منطقة الشمال بعد توشيحها باللفظين المذكورين أي Cabo Jubi. وفي سنة 1950 ضمت المنطقة إلى الصحراء الغربية، ثم أعيدت إلى المغرب سنة 1958.

10) منطقة سيدي إفني :

ابتداء من سنة 1941 استعمل مكتب البريد لهذه المنطقة طوابع إسبانية موشحة بسطرين "Territorio de Ifni". ومنذ سنة 1950 أصبحت السلطات تصدر مجموعات منوعة من الطوابع المخصصة للمنطقة وهي في معظمها طوابع جميلة المظهر تمثل طيورا وأزهارا وأسماكا وحيوانات ورياضات بدنية وغير ذلك. وفي سنة 1969 استرجعت حكومة المغرب هذه المنطقة.

11) الحماية الفرنسية :

في سنة 1914 استعمل البريد في المنطقة التي فرضت عليها الحماية الفرنسية 17 طابعا من المجموعة الخاصة بالمغرب بعد توشيحها بعبارتين Protectorat Français، ثم استعملت بعد ذلك أربع مجموعات منها مجموعتان تذكاريتان للصليب الأحمر ومجموعتان للأجور المستحقة (واجب الحبازة). وفي سنة 1917 صدرت أول مجموعة مخصصة للمغرب إبان الحماية وهي عبارة عن سلسلة مؤلفة من 17 طابعا تمثل مآثر ومنشآت مغربية مثل صومعة حسان والكتبية وباب المنصور بمكناس. ثم تتابعت الإصدارات المختلفة وكلها تحمل اسم المغرب باللغتين الفرنسية والعربية. وآخر طوابع الحماية صدر في سنة 1955.

12) منطقة طنجة :

وأخذت منطقة طنجة وضعا دوليا كما هو معلوم، وفيها باشرت أعمال البريد ثلاثة مكاتب أجنبية :

ـ المكتب الفرنسي (1918 - 42)

ـ المكتب الإسباني (1921 - 57)

ـ المكتب البريطاني (1927 - 57)

وهذه المكاتب كانت تستعمل طوابعها بعد توشيحها بكلمة "طنجة" بالأحرف الأوربية.

13) البريد البحري الفرنسي للدار البيضاء :

فيما بين سنتي 1943 و1945 منحت السلطات الأمريكية في أفريقيا الشمالية للبريد البحري الفرنسي في الدار البيضاء حق استعمال أحد الطوابع الجوية الأمريكية بعد توشيحها بحرفي R. F. (أي الجمهورية الفرنسية) وذلك للتخليص على المراسلات الجوية لبحارة القوات البحرية الفرنسية الموجهة إلى الولايات المتحدة وكندا.

14) الصحراء المغربية :

في الفترة الممتدة من 1905 إلى 1921 استعملت إسبانيا في الصحراء المغربية المحتلة مجموعات من الطوابع كتبت عليها هذه العبارات Colonia de Rio de Oro (أي مستعمرة وادي الذهب)، وجل هذه الطوابع تمثل صورة الملك ألفونسو الثالث عشر. وفي سنة 1924 أصدرت إسبانيا طوابع صغيرة تمثل صورة رجل من بدو الصحراء كتبت في أعلاها هذه العبارات Posesiones Españolas del Sahara Occidental (أي الممتلكات الإسبانية للصحراء الغربية). وخلال الفترة ما بين 1926 و1941 استعملت طوابع إسبانية بعد توشيحها بكلمتي Sahara Español. وفي الفترة الممتدة من 1943 إلى 1975 خصصت سلطات الاحتلال لتلك المنطقة مجموعات عديدة من الطوابع ذات الموضوعات المنوعة كانت في البداية تحمل عبارتي Sahara Español، واعتبارا من سنة 1960 أصبحت تحمل اللفظتين España Sahara.

وتجدر الإشارة إلى أن إسبانيا استعملت في بلدة الگويرة في سنة 1920 مجموعة من طوابع وادي الذهب بعد توشيحها بكلمة La Agüera. وفي سنة 1923 خصصت لهذه البلدة مجموعة أخرى من الإصدارات كتبت عليها هذه العبارات Sahara Occidental La Agüera.

كما أشير إلى أن هناك 26 طابعا صدرت في الفترة ما بين 1949 و1951 باسم Africa Occidental Española.

15) فترة الاستقلال :

عندما أعلن استقلال المغرب أصدر بريد المنطقة الشمالية خلال سنتي 1956 و1957 مجموعة من الطوابع بالعملة الإسبانية. وفي نفس المدة أصدر بريد المنطقة الجنوبية مجموعة أخرى من الطوابع بالعملة الفرنسية. وبعد هذا التاريخ أصبحت وزارة البريد تصدر الطوابع لتستعمل في كل مناطق المملكة الموحدة. وطوابع فترة الاستقلال هذه طوابع متنوعة في موضوعاتها وتعنى بأهم الأحداث الوطنية والعالمية كذكرى المسيرة الخضراء المظفرة، كما أنها طوابع جميلة من حيث ألوانها الزاهية وطباعتها المتقنة لأنها طبعت في مطابع أوربية مشهورة... وتضم مجموعة فترة الاستقلال بعض الإصدارات التي ارتفعت قيمتها الطوابعية بشكل لافت للنظر ونخص بالذكر منها :

- الذكرى الأربعون لميلاد جلالة الملك الحسن الثاني (1969).
- كأس العالم لكرة القدم (1974).
- سباق الزوارق الشراعية / موشح (1984).

أما بخصوص عدد الطوابع البريدية التي صدرت في فترة الاستقلال إلى غاية كتابة هذه السطور (أغسطس 2002) فيتضح ذلك في الإحصاء التالي :

- طوابع تذكارية	848
- طوابع عادية	153
- طوابع للبريد الجوي	21
- بطاقات تذكارية	26
- طوابع أجرة مستحقة (طوابع تغريم)	23
- طوابع المصالح الرسمية	4
المجموع الكلي	1.075

محمد السوسي البهاوي

الطوابق النباتية والسلاسل النباتية التعاقبية. الطوابق النباتية مستويات نباتية تتجلى كأحزمة أفقية تتوالى على السفوح الجبلية ما بين قدمها وقمتها. والأحزمة النباتية الأفقية توافق في الحقيقة مجالات السلاسل النباتية التعاقبية. وذلك بسبب انخفاض الحرارة مع تزايد الارتفاع من القَدَم في اتجاه القمة. فمع انخفاض الحرارة تأفل تدريجيا أنواع نباتية بينما تظهر أخرى بفضل ازدياد كمية الأمطار. وبعبارة أخرى، يظهر كل نوع نباتي عندما تكون كمية الأمطار تساوي على الأقل أدنى ما يتطلبه، ويأفل في الحالات الطبيعية عندما يصير لا يتحمل البرودة. ولا يحدث هذا إلا في إطار عشائر نباتية تتميز بأنواع نباتية تتعايش في ظروف بيئية خاصة بها.

إن لكل سلسلة نباتية تعاقبية مجالا بيئيا يتميز بظروف مناخية وترابية متجانسة من حيث كمية الأمطار ودرجات الحرارة والصخرة الأم... ففي هذا المجال يتم التطور الديناميكي للعشائر النباتية المنتمية لسلسلة تعاقبية واحدة، فيكون إما تقدميا في اتجاه العشيرة الأوجية التي هي أكثر توازنا مع الظروف البيئية، وإما تراجعيا ابتداء من العشيرة الذروية وانتهاء بالعشيرة العشبية الممثلة لآخر مرحلة من التدهور البيئي. وهكذا تتميز السلسلة التعاقبية في بدايتها بالعشائر النباتية الرائدة، وفي نهايتها بالعشيرة الذروية التي تؤشر على بلوغ النضج والاستقرار التام. وخلال هذا التطور تعرف العشائر النباتية تغيرات في التركيبة النباتية من حيث عدد الأنواع وفي الكمية وكذلك في سمك التربة ومستويات الاستهلاك التي تزداد تشعبا في اتجاه الأوج. إن هذا التعاقب التقدمي يؤدي إلى ازدياد تدريجي في الكتلة الإحيائية حتى تبلغ كميتها القصوى في العشيرة الذروية فتصير ثابتة.

وكما أن لكل عشيرة نباتية مميزاتها من الأنواع النباتية الخاصة بها، فإن لكل سلسلة تعاقبية مميزاتها من العشائر النباتية الخاصة بها إذ لا توجد قط في مواطن غيرها من السلاسل النباتية التعاقبية المجاورة لها.

تتوالى السلاسل النباتية التعاقبية إما عموديا حسب الطوابق النباتية أساسا بفعل تغيرات عامل الحرارة وأيضاً، في مرتبة ثانية، بفعل تغيرات كميات الأمطار. وإما أفقيا بسبب تغيرات كميات الأمطار بالدرجة الأولى في حالة بقاء عامل الحرارة قارا (انظر مناخات وبيومناخات المغرب).

وهكذا يتميز كل طابق نباتي بسلاسله النباتية التعاقبية

جدول ١ : الأنواع المنظمة للسلاسل النباتية التعاقبية في المناطق البيومناخية

السلاسل الجبلية مناطق بيومناخية	الريف والمغرب الشرقي	الأطلس المتوسط والهضبة الوسطى	الأطلس الكبير والسهول الغربية	الأطلس الصغير وجبال ساغرو والباني وواد قزيز
شديد الرطوبة	ـ الشوح المغربي ـ الأرز الأطلسي ـ بلوط الزان البلوط الزغبي			
رطب	ـ الشوح المغربي ـ البلوط الأخضر ـ الأرز الأطلسي ـ البلوط القرمزي ـ البلوط الأخضر ـ بلوط الزان ـ البلوط الزغبي ـ الزيتون البري ـ البلوط الفليني	ـ الأرز الأطلسي ـ الزيتون البري ـ بلوط الزان ـ البلوط الأخضر ـ البلوط الفليني		
شبه رطب	ـ البلوط الأخضر ـ الزيتون البري ـ البلوط الفليني ـ البلوط القرمزي ـ العرعر البربري	الأرز الأطلسي ـ الزيتون البري ـ بلوط الزان ـ العرعر الفواح ـ البلوط الأخضر ـ البلوط الفليني ـ العرعر البربري ـ القتنات الشوكية	ـ الأرز الأطلسي ـ العرعر الأحمر ـ البلوط الأخضر ـ العرعر الفواح ـ العرعر البربري	ـ شجرة دم الأخوين ـ العرعر البربري ـ البلوط الأخضر
شبه جاف	ـ العرعر البربري ـ البلوط القرمزي ـ البلوط الأخضر ـ البطم الأطلسي	ـ البلوط الأخضر ـ القتنان الشوكية ـ العرعر البربري ـ العرعري الأحمر ـ العرعر الفواح	ـ البلوط الأخضر ـ الطلح المغربي ـ العرعر البربري ـ القتنات الشوكية ـ العرعر الأحمر ـ أركان ـ العرعر الفراح	ـ أركان ـ العرعر الأحمر ـ العرعر البربري ـ القتنات الشوكية
جاف	ـ البطم الأطلسي ـ الحلفاء	ـ الحلفاء	ـ الطلح المغربي ـ أركان ـ الحلفاء	ـ أركان ـ الطلح الصحراوي ـ الزقوم

التي تختلف من منطقة إلى أخرى حسب الظروف البيومناخية.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن مفهوم الطوابق النباتية التي تتوالى عموديا حسب الارتفاع، يعتمد على الدراسة الفيتوسوسيولوجية أي دراسة اجتماعية التشكيلات النباتية، بينما يرتكز ما كان يسمى بالطوابق البيومناخية حسب مفهوم أومبرجي Emberger وسوفاج Sauvage (انظر مناخات وبيومناخات المغرب)، أساسا على تغيرات كميات الأمطار التي تتزايد تدريجيا من البيومناخ الصحراوي إلى البيومناخ شديد الرطوبة، مروراً بالجاف، وشبه الجاف، وشبه الرطب، والرطب. ومعلوم أن لكل بيومناخ أشكالاً صنفت حسب معدل الحرارة الدنيا لأبرد شهر في السنة، وسميت بالصفات الآتية : الدافئ والمعتدل، والقارس، والبارد، والبارد جداً، وشديد البرودة، وأن البيومناخات تتوالى عموديا وأفقيا (جدول ١).

وتفاديا لأي لبس، واعتمادا على هذا التمييز الواضح

جدول 2 : الأنواع النباتية المنظمة للسلاسل النباتية التعاقبية
في مستويات الطوابق النباتية حسب المناطق الجبلية

الطوابق النباتية / المناطق الجبلية	الريف وبني يزناسن والأطلس الكبير الشرقي	الأطلس المتوسط والهضبة الوسطى	الأطلس الكبير الأوسط وساغرو	الأطلس الصغير الأطلس الكبير الغربي
فوق الجبلي المتوسطي	. الأرز الأطلسي	. القنات الشوكية . العرعر الفواح	. القنات الشوكية . العرعر الفواح	. القنات الشوكية
	2300 م	2500 م	2700 م	2900 م
الجبلي المتوسطي	. الشوح المغربي . الأرز الأطلسي . البلوط الأخضر	. الأرز الأطلسي . البلوط الأخضر . العرعر الفواح	. البلوط الأخضر . العرعر الفواح	. البلوط الأخضر
	1800 م	2000 م	2200 م	2400 م
فوق المتوسطي	. الشوح المغربي . الأرز الأطلسي . البلوط الأخضر . البلوط الفليني . بلوط الزان . البلوط الزغبي	. الأرز الأطلسي . البلوط الأخضر . البلوط الفليني . بلوط الزان العرعر الأحمر	. البلوط الأخضر . العرعر الأحمر	. البلوط الأخضر . العرعر الأحمر
	1400 م	1600 م	1800 م	2000 م
المتوسطي	. البلوط الأخضر . بلوط الزان . البلوط الزغبي . البلوط الفليني	. البلوط الأخضر . البلوط الفليني . بلوط الزان	. البلوط الأخضر . العرعر الأحمر . السرو الأطلسي	. البلوط الأخضر . العرعر الأحمر . السرو الأطلسي
	1000 م	1200 م	1400 م	1600 م
المتوسطي الدافئ:	. العرعر البربري . الزيتون البري . العرعر الأحمر . البلوط القرمزي . البلوط الأخضر . بلوط الزان . البلوط الفليني . البطم الأطلسي	. العرعر البربري . البلوط الأخضر . البلوط الفليني . العرعر الأحمر . الزيتون البري	. العرعر البربري . العرعر الأحمر . البلوط الأخضر . السرو الأطلسي . أرگان	. العرعر البربري . العرعر الأحمر . البلوط الأخضر . أرگان
	سطح البحر	سطح البحر	500 م	700 م
تحت المتوسطي			. الطلح المغربي . أرگان	. أرگان . العرعر الأحمر . العرعر البربري . الطلح الصحراوي . الزقوم

الذي يبين أن المفهومين مكملين لبعضهما البعض، أوصى الباحثون في هذا الميدان بأن يخصص للمفهوم الأول عبارة "الطوابق النباتية" لأنها تتوالى عموديا، ويكتفى للمفهوم الثاني بعبارتي "المناطق البيومناخية" و"البيومناخات" لأنها تتوالى عموديا أو أفقيا، الشيء الذي يبطل استعمال لفظ "الطابق" للمفهوم الأخير.

وقد أثبتت الأبحاث المتعلقة بالطوابق النباتية المتوسطية أن المغرب المتوسطي - أي دون مجاله الصحراوي - بتنوعه التضاريسي والبيومناخي والبيولوجي يظهر كل الأشكال المصادفة بالمنطقة المتوسطية، بل وينفرد بوجود طابق نباتي خاص به وهو الطابق النباتي تحت المتوسطي.

وسنتطرق هنا دون الخوض في التفاصيل إلى الطوابق النباتية المتوسطية والسلاسل النباتية التعاقبية التي تميزها، وذلك ابتداء من مستوى سطح البحر إلى قمم أعلى الجبال المغربية (جدول 2) علما بأن المغرب الصحراوي الموجود جنوب جبل الباني وجبل وارقزيز والمحور الرابط بين اسمارة وبوجدور، لا يشمل جبالا عالية. ونشير كذلك إلى أن أنواع الصنوبر لا تنظم سلاسل نباتية التعاقبية خاصة بها، بل تمثل

مراحل شبه غابوية للسلاسل التعاقبية الغابوية المنظمة من طرف الأنواع المذكورة في الجدول 2 وأسفله :

- الطابق النباتي تحت المتوسطي :

إنه الطابق النباتي الخاص بالجنوب الغربي للساحل الأطلنطي للمغرب، ما بين آسفي شمالاً وبوجدور جنوباً. وهو يشمل كذلك سهول الرحامنة والحوز والشياظمة وحاحا وسوس ودرعة السفلى وساحل الساقية الحمراء. ويرتفع من سطح البحر إلى حدود 500 م على سفوح الأطلس الكبير الغربي و700 م على سفوح الأطلس الصغير. بيومناخاته صحراوية وجافة وشبه جافة. وهو يوافق ما يسمى بالمنطقة البيئية الماكارونيزية المتميزة عن غيرها ببيومناخات ملطفة بفضل تأثير المحيط الأطلنطي وبأنواع نباتية خاصة أهمها النوعان القبسيان من بين الأشجار وهما شجرة أرگان Argania spinosa وشجرة الطلح المغربي Acacia gummifera اللتان تنظمان أهم السلاسل النباتية التعاقبية. كما تصادف سلاسل نباتية تعاقبية منظمة من طرف أنواع أخرى على مساحات محدودة كالعرعار الأحمر Juniperus phoenicea، والعرعار البربري Tetraclinis articulata، وأجگال أو شجرة دم الأخوين Dracaena draco ssp ajgal، والساق الأبيض Rhus albida، والساق الثلاثي Rhus tripartitum، وأنواع الطرفاء Tamarix spp، والطلح الصحراوي Acacia raddiana، والزقوم Balanites aegyptiaca. لكن العشائر النباتية الأوجية أو شبه الأوجية اندثرت كليا بالنسبة لبعض الأنواع كالطلح المغربي (انظر طلح) أو جزئيا بالنسبة للأنواع الأخرى.

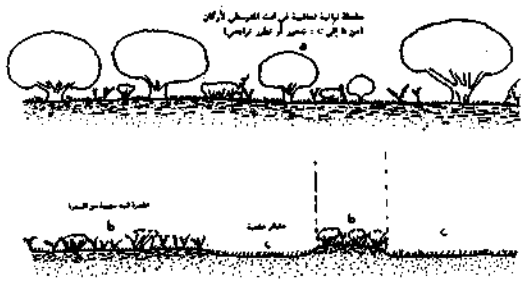

- الطابق النباتي المتوسطي الدافيء :

إذا استثنينا الطابق النباتي تحت المتوسطي الخاص بالجنوب الغربي للمغرب، فإن الطابق المتوسطي الدافيء يُؤوي العشائر النباتية الأكثر تطلبا للحرارة مقارنة مع الطوابق النباتية المتوسطية الأخرى. إنه كذلك الطابق النباتي الأكثر امتدادا والأكثر تنوعاً، إذ أنه يمتد ما بين سطح البحر و1000 م في الريف والمغرب الشرقي، و1200 م في الهضبة الوسطى والأطلس المتوسط والجزء الشرقي من الأطلس الكبير. كما يقع سقفه على ارتفاع 1400 م في الأطلس الكبير الأوسط وصاغرو، و1600 م في الأطلس الكبير الغربي والأطلس الصغير. أما مناطقه البيومناخية فهي إما جافة أو شبه جافة أو شبه رطبة أو رطبة أو محليا شديدة الرطوبة.

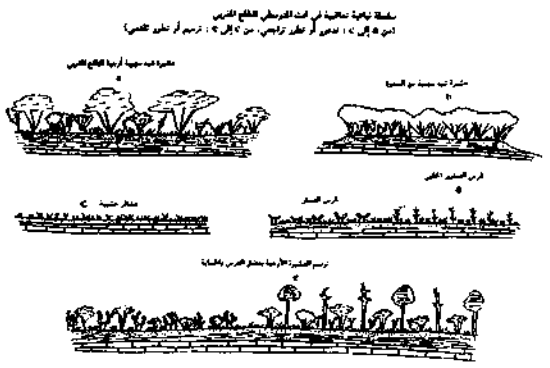

ويُؤوي أيضا عدداً كبيراً من السلاسل النباتية التعاقبية التي تنظمها أنواع أرگان Argania spinosa، والبطم الأطلسي Pistacia atlantica، والزيتون البري Olea oleaster، والخروب Ceratonia siliqua، والعرعر البربري Tetraclinis articulata والعرعر الأحمر Juniperus phoenicea، والبلوط القرمزي Quercus coccifera، والبلوط الفليني Quercus suber، والبلوط الأخضر Quercus rotundifolia، ومحليا بلوط الزان Quercus faginea، والسرو الأطلسي Cupressus atlantica، وغيرها من الأنواع الشجرية.

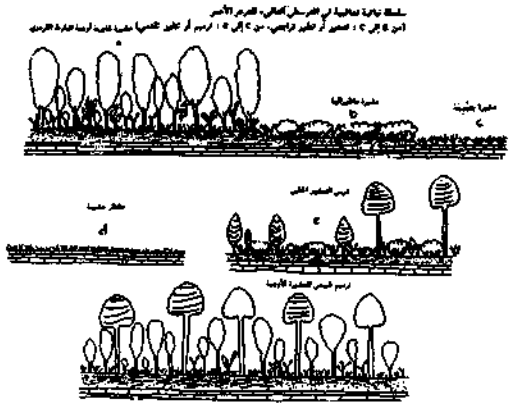

لكن العشائر النباتية الأوجية لهذه السلاسل النباتية التعاقبية انقرضت كليا بالنسبة لبعض الأنواع كالبطم الأطلس (انظر بطم) والزيتون البري (انظر "أزمور" و "زيتون") أو جزئيا بالنسبة للأنواع الأخرى، وذلك بسبب ضغط وأنشطة ساكنة بشرية عالية الكثافة في هذه المستويات.

- الطابق النباتي المتوسطي :

إنه الطابق النباتي الموالي للمتوسطي الدافيء. يتموقع ما بين 1000 و1400 م في الريف وجبال المغرب الشرقي، وما بين 1200 و1600 م بالهضبة الوسطى والأطلس المتوسط والجزء الشرقي من الأطلس الكبير، وما بين 1400 و1800 م بالأطلس الكبير الأوسط وجبل صاغرو، وما بين 1600 و2000 م بالجزء الغربي من الأطلس الكبير والأطلس الصغير. وفي هذه المجالات تكون البيومناخات شديدة الرطوبة أو رطبة أو شبه رطبة أو شبه جافة واستثنائيا جافة.

يتميز الطابق المتوسطي بوجود العشائر النباتية الأوجية للسلاسل النباتية التعاقبية الغابوية وشبه الغابوية وشبه السهبية على مساحات مجالاتها، التي تعرف ضغطا بشريا غير مفرط نسبيا مقارنة مع المتوسطي الدافيء، وتحت المتوسطي. ومن أهم تلك السلاسل النباتية التعاقبية الغابوية، نذكر تلك التي تنظم من طرف أنواع البلوط، كالبلوط الأخضر Quercus rotundifolia والبلوط الفليني Quercus suber وبلوط الزان Quercus faginea والبلوط الزغبي Quercus pyrenaica. أما السلاسل التعاقبية شبه السهبية فهي للعرعر الأحمر Juniperus phoenicea .

وبصفة عامة يُؤوي الطابق المتوسطي والطابق فوق المتوسطي أجمل وأكبر غابات أنواع البلوط في المغرب.

- الطابق النباتي فوق المتوسطي :

يحتل الطابق النباتي فوق المتوسطي المستويات الموجودة ما بين 1400 و1800 م في الريف وجبال المغرب الشرقي، وما بين 1600 و2000 م في الأطلس المتوسط والجزء الشرقي من الأطلس الكبير. وما بين 1800 و2200 م في الجزء الأوسط من الأطلس الكبير وجبل صاغرو، وما بين 2000 و2400م في الجزء الغربي من الأطلس الكبير والأطلس الصغير. وتكون البيومناخات في هذه المستويات شديدة الرطوبة، ورطبة، وشبه رطبة، واستثنائيا شبه جافة.

في هذه المجالات تنظم السلاسل النباتية التعاقبية من طرف أنواع البلوط الأخضر Quercus rotundifolia، والبلوط

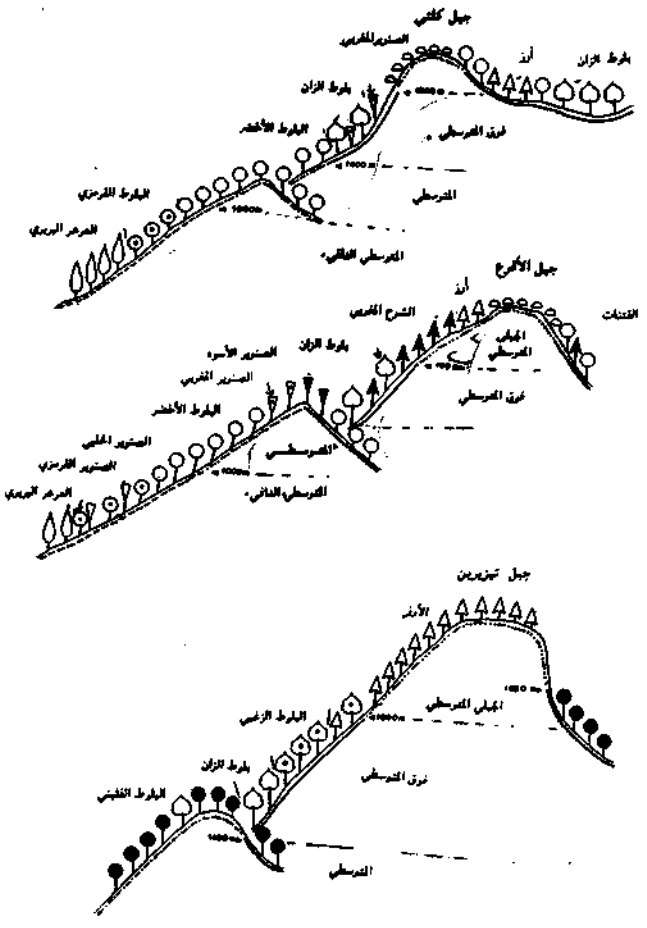

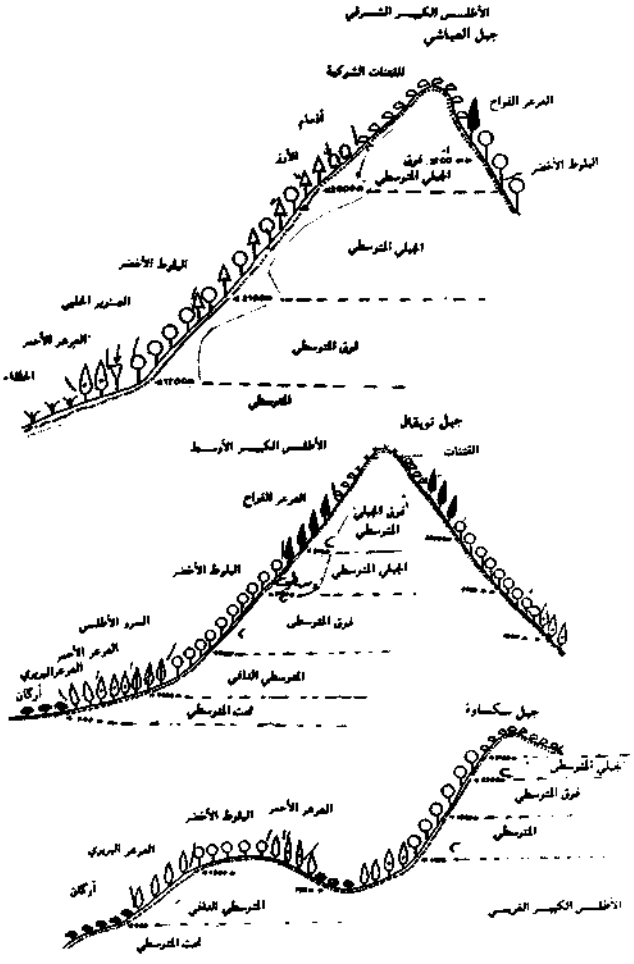

الفلليني Quercus suber، وبلوط الزان Quercus faginea، والبلوط الزغبي Quercus pyrenaica، والشوح المغربي Abies maroccana، والأرز الأطلسي Cedrus atlantica، والعرعر الأحمر Juniperus phoenicea والدردار Fraxinus dimorpha، علما بأن تشكيلات هذين النوعين الأخيرين شبه سهبية، بينما العشائر الأوجية للأنواع الأخرى غابوية.

- الطابق النباتي الجبلي المتوسطي :

إنه أعلى الطوابق المتوسطية الغابوية لأن شدة البرودة في الطابق الموالي في اتجاه الأعلى لا تسمح بتشكيل العشائر الغابوية، بالرغم من وجود بيومناخات شديدة الرطوبة أو رطبة أو شبه رطبة في جل مناطقه. ويتموقع الطابق ما بين 1800 و2300م في الريف، ومسا بين 2000 و2500 م في الأطلس المتوسط والجزء الشرقي من الأطلس الكبير، وما بين 2200 و2700 م في الجزء الأوسط من الأطلس الكبير، وما بين 2400 و2900 م في الجزء الغربي من الأطلس الكبير وفي جبل سيروا من الأطلس الصغير.

وتنظم في هذه المستويات السلاسل النباتية التعاقبية ذات الشكل الغابوي من طرف الشوح المغربي Abies maroccana والأرز الأطلسي Cedrus atlantica، والبلوط الأخضر Quercus rotundifolia، بينما تشكل شبه السهبية من طرف العرعر الفواح Juniperus thurifera، ومحليا من طرف البلوط الأخضر Quercus rotundifolia .

- الطابق النباتي فوق الجبلي المتوسطي :

إنه الطابق النباتي العلوي الذي لا يوجد إلا على قمم الجبال العالية. فهو يكاد لا يظهر في الريف إلا على قمة تبديغين ما بين 2300 و2456 م وفي بيومناخ شديد الرطوبة. أما في السلاسل الجبلية الأخرى فهو يغطي قمم الجبال التي تتجاوز 2500 م في الجزئين الشرقيين من الأطلس المتوسط والأطلس الكبير، و2700 م في الجزء الأوسط من الأطلس الكبير، و2900 م في جزئه الغربي وجبل سيروا. وجل بيومناخات هذه المستويات الأطلسية رطبة في الشمال وشبه رطبة في الجنوب.

يظهر الطابق مستويين. يتميز المستوى السفلي بسلاسل نباتية تعاقبية شبه سهبية منظمة من طرف العرعر الفواح Juniperus thurifera الذي فقد جل عشائره الأوجية بسبب الضغط البشري المفرط. أما المستوى العلوي فهو يُؤوي السلاسل النباتية التعاقبية السهبية المنظمة من طرف القتنات الشوكية المتحملة لأقصى البرودة.

أبحاث شخصية.

A. Benabid, *Bref aperçu sur la zonation altitudinale de la végétation climacique au Maroc. Ecologia Mediterranea*, 8 (1-2) : 301-315, Marseille, 1982 ; *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*, Paris, 2000 ; A. Benabid et M. Fennane, *Connaissances sur la végétation du Maroc : phytogéographie, phytosociologie et séries de végétation*, *Lazaroa* 14 : 21 - 97, 1994 ; L. Emberger, *Remarques critiques sur les étages de végétation dans les montagnes marocaines*, *Bull. soc. bot.* Suisse, vol. Jubil Rübel, 46 : 614-631, 1936 ; P. Ozenda, *Sur les étages de végétation dans les montagnes du bassin méditerranéen*. *Doc. Cartogr. Ecol.*, Grenoble, XVI : 1 - 32, 1975 ; Ch. Sauvage, *Etages bioclimatiques, Atlas du Maroc, Notice explicative*, planche 6b, Rabat, 1963.

عبد المالك بنعبيد

ابن أبي **الطواجين الكتامي، محمد**، ثائر مغامر غريب الأطوار، ينتمي إلى قبيلة كتامة التي كانت بطونها منتشرة في المنطقة الجبلية التي تقع بها اليوم قبائل آل سريف وبني يسف وسوماتة شمال وشرق قصر كتامة. لم تتحدث المصادر المعاصرة عن هذا الثائر ربما لأنه لم يصطدم بالموحدين.

نشأ فيما يبدو بمدينة قصر كتامة التي كانت أسرته تقيم بها. وكان أبوه يشتغل بأمور السحر والشعوذة، فتعلم ابنه هذا عنه ذلك. وتاقت نفسه إلى الزعامة، فاستغل بداية تدهور أمر الموحدين وأعلن العصيان بالمنطقة الجبلية الواقعة شمال القصر الكبير بعد سنة 620 / 1223، وصار له بها أتباع كثيرون من مختلف القبائل الجبلية، خاصة بني يوسف وبني حسان، تمكن بهم من بسط نفوذه على المنطقة. واستغل الاشاعات عن تعاطيه للسحر والشعوذة والإتيان بالخوارق في التأثير على هذه القبائل، وتمادى في هذا السبيل حتى سولت له نفسه إعلان النبوة وتشريع الشعائر، وكان يدعي أيضاً الاتصال بالجن، فأغرى أتباعه بذلك واستسلموا له، إلى حد أنه صار مطلق اليد في التصرف في المنطقة، فأصبح يفرض على القبائل الخاضعة له أن تسلمه بناتها. ومن المثير أن المصادر المعاصرة لم تتحدث عن أبي الطواجين ويعود السبب فيما يبدو إلى أنه لم يصطدم بالموحدين، نظراً لانحسار ثورته في منطقة وعرة ومنعزلة.

ولا نعلم شيئاً عن مضمون دعوة ابن بي الطواجين والشرائع التي شرعها، ولا ندري هل كان هدفه إحياء دور قبيلة كتامة بالمنطقة والذي توقف بمجيء المرابطين، أو أن الأمر كان يتعلق فقط بمغامرة شخصية على شاكلة المغامرات السابقة التي عرفتها منطقة غمارة منذ ظهور المتنبي حاميم الغماري في القرن الرابع الهجري. وعلى كل حال فإن ثورة ابن أبي الطواجين لم تدم طويلا خصوصا بعد تماديه في ارتكاب التجاوزات الأخلاقية واصطدامه بحركة التصوف التي كانت تحظى بتقدير سكان المنطقة، فلا شك أن أبرز أولياء وزهاد المنطقة الجبلية وهو مولاي عبد السلام بن مشيش الحسني قد قام بدور ما في وجه انحرافات هذه الحركة، فأغرى ابن أبي الطواجين بعض أتباعه بقتل هذا الشيخ، فاغتالوه سنة 625 / 1228 بجبل العَلَم الموجود بقبيلة بني عروس على بعد حوالي 70 كلم جنوب غرب تطوان حيث يوجد ضريحه اليوم. ولم يطل الأمر بابن أبي الطواجين فاغتيل أثناء وجوده بوادي لَوْ سنة 626 / 1229 على يد شاب من قبيلة بني سعيد أرغم ابن أبي الطواجين أهله على تقديم بنت لهم إليه، وقد تنكر هذا الشاب في هيئة فتاة وتمكن من طعنه بخنجر فقتله. وبلغ من تعلق قبيلة بني

حسان به أن طالبت بتسليمها جثتة لدفنه عندها، بعد أن قرر بنو سعيد إحراقها. وبموته انتهت فصول حركة قبلية شاذة كانت واحدة من بين عدد آخر من الحركات القبلية المناوئة للموحدين، والتي لقيت مصيراً مماثلاً.

ابن خلدون، العبر، بيروت، دار الفكر، 1981، ج 7، ص. 297 ؛ محمد العربي الفاسي، مرآة المحاسن للفاسي، فاس، طبعة حجرية ؛ الناصري، الاستقصا، الدارالبيضاء، دار الكتاب، ج 2، ص. 223 ـ 234.

محمد المغراوي

الطوب، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Tobo - Tobi .

وقد اشتهر أحد أفراد هذه الأسرة بتطوان كان يبيع اللّبن الجيد فأصبح كل لبّان يعرف بالطوب. ومنهم علي بن مومن الطوب، تاجر تطواني كان يملك عدة عقارات بالمدينة وهو الذي بنى بحومة السويقة حماما كان يعرف بحمام الطوب الذي تحول سنة 1150 (1737) إلى الزاوية التي عرفت بزاوية الحلاجي.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية .

محمد ابن عزوز حكيم

الطوبي، ميلود المقاوم استجاب لنداء ربه بتاريخ 28 أبريل 1995 المقاوم الطوبي ميلود وهو من مواليد سنة 1927 بقلعة السراغنة من والده عمر بن الفاطمي وأمه ايزة بنت المعطي، انخرط في صفوف المقاومة السرية منذ سنة مبكرة حيث شارك في تنفيذ عدة عمليات فدائية جريئة ضد أهداف استعمارية ضمن خلية المنطقة السرية التي كان ينتمي إليها وبسبب نشاطه هذا تم اعتقاله من طرف السلطات الفرنسية حيث قضى بالسجن مدة ولم يتم الإفراج عنه إلا عند بزوغ فجر الاستقلال.

رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جناته.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 523812.

ابن **طوجة** أو **طجة**، أسرة رباطية أصلها من الأندلس. وأول الحاملين لهذا الاسم حسب ما عثرنا عليه من المصادر ينتمي إلى القرن الخامس وأوائل القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) حسب ابن أبي زرع الذي أورد في روض القرطاس شخصا باسم أبي محمد عبد الرحمان بن محمد المعروف بابن الطوج (هكذا) من أصحاب الإمام أبي عمر بن عبد البرّ. وذكر أنه توفي سنة 507 هج وقال : (كانت له جنازة عظيمة لم ير مثلها). وجاء في تقاييد هذه الأسرة أن هذا الجد كان من كبار الفلاسفة المعاصرين لأمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين. ولم يظهر شخص يحمل اسم بن طوجة في المصادر إلا بعد حوالي خمسة قرون بعد حلول الأسر المهاجرة من المدن الأندلسية برباط سلا إثر قرار الطرد الذي أصدره الملك الإسباني فيليب الثاني سنة 1609 في حقها. فكانت هذه الأسرة من ضمن البيوتات التي عدّها محمد بوجندار من أهل الحل والعقد ومن أشياخ الأندلس الذين وصفهم بالجمهوريين إشارة منه إلى ما سمي بجمهوريات أبي رقراق وهي الكيانات الثلاثة التي تأسست مستقلة عن السعديين أواخر دولتهم عند مصب أبي رقراق بالقصبة الأندلسية ـ أو قصبة الاوداية فيما بعد ـ وبالرباط وسلا كما ذكر ذلك مويط ودي كاستري. ولم نعد نجد اسم هذه الأسرة ضمن المترجم لهم من أعيان الرباط سواء عند محمد بوجندار أو عند غيره وسواء في بقية القرن السابع عشر أو خلال القرن الثامن عشر، إلا أنه في عهد المولى إسماعيل الذي أمر قائده أحمد بن يعزى العرائشي (بتحقيق أحساب وأنساب ساكني حضرته المكناسية... وبتدوين ذلك في ديوان خاص) جاء اسم بن طوجّة ضمن الأسر الأندلسية القاطنة بمكناس سنة 1121 / 1710. وفي القرن التاسع عشر ورد اسم الحاج علي بن طوجة الذي كان يدعى علاّل وقد ولد سنة 1830 تقريبا وعاش عمراً طويلاً امتد قرنا وثلاث سنوات حسبما جاء في وثيقة عائلية ذكرت أن تاريخ وفاته هو 6 شوال 1351 الموافق لـ 1 يبراير 1933. كما ورد نبأ وفاته في جريدة *السعادة* في عدد 7 يبراير 1933. وكان الحاج علي هذا حبسوبيا ومنخرطا في الطريقة التجانية. ودفن في مقام الولي الصالح سيدي العربي بن السايح. وقد خلف ابنه محمدا وهو أشهر أفراد هذه الأسرة خلال نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. وقد ورد اسم محمد هذا في وثيقة لأسرة بن طوجة وجاء فيها أنه ولد سنة 1292 / 1875. ومن الغريب أن يذكره المؤرخ عبد الرحمان بن زيدان ضمن الطلاب المتوجهين إلى إيطاليا لتعلم اللغة الإيطالية والفنون العسكرية والملاحة سنة 1295 / 1878، إذ يتضح بجلاء أن ابن زيدان أخطأ في سنة توجيه هذه البعثة التي حصلت في الحقيقة سنة 1888. ومما يزيد في تأكيد خطإ ابن زيدان أنه ذكر اسم الحسين الزعري السلاوي من ضمن الطلبة المبعوثين في الرحلة مع أن مذكرة هذا الأخير تؤرخ الرحلة بسنة 1888. مما يدل على أن ابن زيدان خلط بين سنة 1295 وسنة 1306 / 1888 أي بفارق 11 سنة، ومن المعروف أن الحاج أحمد معنينو سبق أن نشر مذكرة الزعري التي تصف البعثة الطلابية ومراحل الدراسة (انظر مجلة *دعوة الحق* عدد 1 السنة 12، 1968 من ص. 143 إلى ص. 148).

وعرف أبناء ابن طجة بتدوين الأحداث التي كانت تمر بها أسرتهم وكذا بعض الأحداث الأخرى. ومن جملة ذلك أن محمدا هذا ولد سنة 1292 / 1875، وكان عمره إحدى عشر سنة لما أوفد السلطان مولاي الحسن البعثة التي كان هو من أفرادها إلى إيطاليا. وحسب مذكرة الزعري التي تأخرت وفاته إلى 1375 / 1955 والتي أوردها محمد المنوني كذلك

في كتابه *مظاهر يقظة المغرب الحديث* فإن البعثة كانت تضم فتيانا مغاربة تتراوح أعمارهم بين 13 و16 سنة (فكان ابن طجة البالغ 11 سنة استثناء). وقد دون محمد بعض وقائع هذه البعثة المتوجهة إلى مدينة طورينو فمنها ما جاء مطابقا ومنها ما جاء مخالفا لمذكرة زميله الحسين الزعري. وقد تكفل الأستاذ معنينو في مقال له عن هذه الشخصية بهذه المقارنة فلا حاجة إلى تكرار كلامه (ارجع إلى مجلة *دعوة الحق*، عدد 275، يوليوز 1989. ص. 253 إلى ص. 257). وحسب مذكرة ابن طجة حصل السفر سنة 1887 لكن أفراد البعثة نزلوا في طنجة ومكثوا فيها شهرين قبل أن تقلهم باخرة فركاطة الحاملة لاسم أفونداطوري (Affondatore) وقصدوا جنوة. وفي نونبر من السنة نفسها وصلوا إلى طورينو. وفي سنة 1892 التحقوا بالمدرسة البحرية ليفورنو (Livorno) ويقول إن رجوعه من إيطاليا إلى المغرب كان في 4 يونيو 1897 على متن فركاطة لبانتو (Lepanto). واستخدمه السلطان ضابطا في الباخرة الحربية التي حملت اسم *الحسني* ثم باخرة بشير الإسلام. ورعيا لصلاته مع زملائه الطلبة من الأجناس الأخرى أثناء مقامه في إيطاليا فقد زار بلدان بعضهم مثل تركيا واليابان. وبعد أن انتهى أمر البحرية في تاريخ لم تشر إليه مذكرته رجع إلى الرباط في عهد مولاي عبد العزيز. وفي 27 نونبر 1907 اشتغل رئيس طابور رقم 1 بطنجة إلى أن انتهى هذا الطابور سنة 1925. وسافر إلى مسقط رأسه ثم رجع إلى طنجة ليعمل في الطابور الثاني إلى أن انقضى هذا الطابور في فاتح مارس 1929. ومن جملة وثائقه أو سمة ملكية منها واحد من الدرجة الخامسة أنعم به عليه المولى عبد الحفيظ في ربيع 1330 / 1912 وثان من درجة ضابط سجل فيه : (الرتبة الرابعة قائد لطابور المشاة طابور الأمن رقم 1 طنجة). تسلمه من مولاي يوسف.

ولما رجع إلى الرباط تزوج من زينب بنت الحاج الجيلالي المدغري أبا حنيني وكان رئيساً لمرسى الرباط بتاريخ 10 رجب 1319. وفي سنة 1326 رزق بمولوده الوحيد الذي مات في سنته الأولى. وهكذا انقطع عقبه. ولما تقاعد عن العمل في الجيش اشتغل بالتجارة في سوق السباط وكانت تجارة بسيطة. وكان له أخ أصغر منه اسمه عبد الرحمان توفي عن سن باكر (29 عاما) وخلف ولدين أحمد المزداد سنة 1903 وعبد الكريم المولود بعده بسنتين. وتوفي محمد بن الحاج علي بن طجة في 26 ربيع 2 ، 1365 هج 29 ماي 1976 ودفن بالرباط.

وكان محمد قد اختار ابن أخيه أحمد ليكفله ويتخذه ابنا له فلما كبر أدخله المدرسة الحربية بمكناس بتاريخ 15 أكتوبر 1920 وتخرج منها في دجنبر 1923 ورحل إلى فرنسا. وفيها تزوج فتاة فرنسية لم يطب له العيش معها فتزوج من فرنسية أخرى أنجب منها عدة أولاد. وشارك في الحرب العالمية الثانية وأخذ أسيراً لدى الألمان. ولما رجع إلى المغرب جاء برتبة قبطان ومعه بنته الكبرى. وعمل مع المغفور لهما محمد بن يوسف والحسن الثاني كرئيس مكتب التجنيد العسكري برتبة عقيد (كولونيل). وقد توفي يوم الجمعة 28 يبراير 1981 ودفن بالرباط.

أما عن ابن أخيه عبد الكريم الذي ولد سنة 1905 فقد تبناه جده علال وقد ورث تجارة عمه في سوق السباط. وتوفي يوم الجمعة 30 رجب 1403 / 13 ماي 1983 ودفن بالرباط أيضاً.

ابن أبي زرع، *الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس*، حرره وعلق عليه محمد الهاشمي الفيلالي، المطبعة الوطنية، شارع القناصل، الرباط، 1936، ج 2، ص. 99 ؛ محمد بوجندار، *مقدمة الفتح في تاريخ رباط الفتح*، مطبعة المجريدة الرسمية، الرباط، 1345، ص. 218 ؛ عبد الرحمن بن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، الطبعة الثانية، الدار البيضاء، 1990، ج 2، ص. 467 ؛ محمد المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة، بناير، 1973 من ص. 134 إلى ص. 142 ؛ أحمد معنينو، القائد أحمد بن علي بن طوجة الرباطي، *مجلة دعوة الحق*، عدد 275، يوليوز، 1989 من ص. 253 إلى ص. 257، وثائق أسرة بن طوجة، روايات شفوية للأستاذ عبد الحق بن طوجة في 25 / 4 / 2001، محمد وزوق، *الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16 و17*، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1991، ص. 317.

عبد الإله الفاسي

الطود، أسرة الطود الحسني، أسرة شهيرة بمدينة القصر الكبير، وهم حسب محمد بن الخطيب القادري في *نشر المثاني*، ج 3، ص. 171 "من بني عمران الادريسيين الذين ببلاد الهبط". ويضيف أن تسميتهم بالطود نسبة إلى جبل عال ببلاد الهبط استقروا به عند نزوحهم إلى المغرب، وهو "جبل الحبيب".

كما تنص جميع الظهائر التي بين أيدي أفراد الأسرة على أنهم شرفاء حسنيون نسبة إلى الحسن بن علي بن أبي طالب.

أما استقرارهم بالمغرب، فمما تواتر سماعا عن الآباء والأجداد أنه تم عن طريق عبورهم إليهم من الأندلس، إلا أنه لا يُدرى بالضبط متى كان دخولهم الأندلس، ولا متى عبروا منه إلى المغرب.

وقد تكشف وجود أسرة الطود بمدشرين رئيسيين هما مدشر "الجبيلة" ومدشر "دار ابن آصدوق"، ومن هذين المدشرين نزحوا إلى مدينة القصر الكبير أساسا بحيث صار اسم "الطود" مقرونا بهذه المدينة زمناً طويلاً. وكان نزوحهم إليها على مراحل متباعدة عن بعضها. فهناك ظهير سلطاني للمولى عبد الملك بن السلطان المولى إسماعيل مسلم للفقيه المحتسب بمدينة القصر الكبير مولاي مسعود الطود الحسني، مؤرخ بفاتح رمضان عام 1140 هـ وينص على أن مولاي عبد الملك يجدد لمولاي مسعود حكم ما بيده من ظهير والده المقدس وظهائر أسلافه المنعمين، ويقره في وظيف الحسبة التي بيده بالقصر الكبير.

وقد نزح أفراد من آل الطود قبل هذا التاريخ إلى مدينة فاس، ولا يعلم إن كانوا قد قصدوها من القصر الكبير أم من جبل الحبيب. فقد ورد في *النشر*، ج 3، ص. 171 ذكر لأحمد ابن أحمد الطود العمراني المتوفى عام 1118 هـ وأنه كان له حفيد هو محمد بن علي بن أحمد من المصاحبين لصاحب النشر.

وكان آخر من نزح من آل الطود من جبل الحبيب إلى مدينة القصر الكبير عام 1234 هـ هو الفقيه الطاهر بن الطبيب بن عبد السلام بن العربي الطود الادريسي الحسني، وكان بصحبته شقيقه الطيب. وقد نزح بعض أفراد الأسرة أواخر القرن التاسع عشر من القصر الكبير إلى قبيلة "بني زروال" قصد أخذ العلم عن مشاهير علمائها، فاستقروا بمدشر غفساي وخلفوا فيها عقبا من الجنسين، ومازال نسلهم هناك إلى اليوم يعرفون بأبناء الفقيه الطود تارة، وبأبناء الفقيه القصري تارة أخرى، وانتقل بعضهم إلى مدشر "تَزْغَدْرَة" من نفس القبيلة.

ومن آل الطود من نزح من القصر أيضاً إلى دكالة واستقر بها وعقب ما شاء الله أن يعقب من الخلف، واختاروا الاستقرار أولا بـ "بولعوان" حيث اشتهروا هناك ـ مع طول المدة ـ بشرفاء بولعوان، أو بالطود الفاوقي، وبقيت صلتهم قائمة بأبناء عمومتهم بمدينة القصر الكبير، وهم من فرع أولاد ابن التهامي الطود الذين نزحوا إلى القصر الكبير قبل نزوح الطاهر الطود إليه ويسكنون اليوم مدينة سطات ومدينة الدار البيضاء. أما حفدة الطاهر الطود ـ وهم الذين يشكلون الاغلبية، فينتشرون اليوم في مدن القصر الكبير وطنجة والرباط.

وقد عرف أبناء الطود القصريون بسمات ثلاث

1 ـ الحرص على دراسة العلم، فقد كان منهم القضاة والعدول والمفتون والوعاظ والمحتسبون ونظار الأوقاف والأدباء والشعراء.

2 ـ وطنيتهم الصادقة، وكراهية الأجنبي والشجاعة والجهر بالحق، والمواقف النضالية المتصلة مما جر عليهم مشاكل مع المستعمر وترك بصمات نضالية واضحة في الحركة الوطنية بالشمال خاصة في القصر الكبير ومدينة تطوان.

3 ـ اشتغال معظمهم بالفلاحة حتى يكونوا أحراراً في مواقفهم.

كما كان لأغلبهم ولوع بفن السماع وطرب الآلة.

محمد بن الطيب القادري، نشر المثاني، ج 3، ص. 171 ؛ *وثائق وظهائر عائلية، وروايات شفوية.*

الطود، أحمد بن عبد السلام الحسني بن الطاهر، فقيه مشارك متضلع في العلوم الدينية مبرز في الفقه المالكي حتى نعت بـ "مالك القصر الكبير"، وكان له الباع الطويل في علم التفسير والحديث والأصول والفرائض، والفلك وعلم الكلام، والتصوف إلى جانب علوم اللغة بجميع فروعها. كما كان على اطلاع كبير بالسير والأنساب، ومحيطا بشؤون الأوقاف شرعيا وتاريخيا، مما أهله لأن يصبح مرجعا ومستشاراً لوزارة الأوقاف بالحكومة الخليفية بتطوان، فلا تبتّ في أمر من أمور الأوقاف إلا بعد استشارته.

ولد أحمد بن عبد السلام الطود بمدينة القصر الكبير حوالي عام 1241 / 1857، وتلقى تعليمه الأولي بها حيث تعلم القراءة والكتابة، واستظهر القرآن الكريم وحفظ بعض المصنفات والمتون العلمية عن مشايخ بلدته. ثم شد الرحلة إلى العاصمة العلمية فاس، وطالت مدة دراسة وإقامته بها، فأخذ عن فطاحل علمائها في وقته أمثال محمد بن التهامي الوزاني، وعبد الملك العلوي، وأحمد بن الطالب ابن سودة، والعلامة جعفر الكتاني وغيرهم.

وعاد بعد ذلك إلى مدينته القصر الكبير مليء الوفاض علما وتجربة فاستفاد منه رعيل من أبنائها، حيث مارس مهمة التدريس بالجامع الأعظم العتيق بها. كما زاول خطة العدالة، ثم خطة القضاء، ومارس مهمة الإفتاء في النوازل العويصة بمزيد من المهارة. وقضى أزيد من خمسين سنة إماما وخطيبا للجمعة والأعياد الدينية بالمسجد السالف الذكر. كما أسندت إليه نظارة الأوقاف بإلحاح لا مزيد عليه، فقبلها على مضض، ثم استقال منها بعد وقت وجيز.

ومما أثر عنه، أنه كان لا يُرى إلا في إحدى الحالات : إما كاتبا معلقا ومحشيا بقلمه في طرر الكتب التي لا يتوقف عن مطالعتها، وإما قارئا تاليا للقرآن الكريم والاذكار والتسابيح، وإما مصليا للفروض والنوافل. ولم يخلف الفقيه إنتاجا محرراً بخط يده إلا أنه يُروى أنه ألف عدة منظومات منها منظومة في علم الفلك شملها الضياع كما شمل العديد من وثائقه القيمة المختلفة المواضيع خاصة نوازله الفقهية وفتاواه وأحكامه.

توفي سنة 1371 / 1951 عن سن يناهز الرابعة

والتسعين، ودفن بضريح العالم أحمد بن علي بن يوسف الفاسي بحي القطانين بالقصر الكبير.

وثائق عائلية : كناشة السي محمد بن عبد القادر الطود وهي ملكية خاصة.

الطود، عبد السلام بن **أحمد** الحسني بن عبد السلام ابن الطاهر.

ولد بمدينة القصر الكبير أواخر سنة 1916 / 1334 وتلقى دراسته القرءانية بكتاب سيدي علي بن العربي الخيري على يد شيخيه الفقيهين الشقيقين أحمد بن الغالي بن حمان الطود وعبد السلام. وبعدما تلقى دراسته العلمية الأولية على شيوخ بلدته وفي مقدمتهم والده الذي بعثه إلى مدينة فاس للانتهال من حياض شيوخ القرويين، فحضر دروس العلماء : أمثال الشريف الطاهر الكتاني والفقيه محمد بن الطاهر بناني، وعبد الهادي بن عبد الواحد ابن الموازر، والقاضي محمد بن إدريس البدراوي، والفقيه العلامة عبد الحي الكتاني وغيرهم.

وعندما تأسس المعهد الخليفي بتطوان، بدا له أن يلتحق به لإتمام دراسته فيه، وفي سنة 1938 سعى زعيم حزب الوحدة المغربية الشيخ محمد المكي الناصري في إرسال بعثة طلابية كبيرة إلى القاهرة ضمت بعض أبناء مدن الشمال المغربي. فسافر عبد السلام بن أحمد الطود إلى القاهرة ضمن هاته البعثة وتابع دراسته بدار العلوم جامعة القاهرة، حيث تخصص في علوم التاريخ.

لم يشذ عبد السلام بن أحمد عن أفراد عائلته فقد كان مثالا للوطنية الصادقة تجلت في نشاطاته المتعددة. فعندما نجحت عملية إنزال الزعيم محمد بن عبد الكريم الخطابي بمصر سنة 1947 كان عبد السلام اذ ذاك على أهبة مناقشة أطروحته "بنو عباد بإشبيلية". وأثناء الاستعراض الكبير الذي أقيم على شرف المجاهد الخطابي الذي شارك فيه طلبة البعثة المغربية، اقترح عبد السلام على زملائه أن يرددوا - عند مساءلتهم للسرادق الذي يشرف منه المحتفى به على الاستعراض - نشيد الثورة الريفية الذي رددته الجيوش الريفية عند تحريرها لمدينة شفشاون.

وكان عبد السلام متمكنا من النشيد نصا وتلحينا، فدرب طلبة البعثة عليه، فكانت مفاجأة كبرى أثرت في مشاعر بطل الريف الذي التقطت له صورة وهو يذرف دمعتين تأثرا، والصورة نشرتها جريدة مراكش وقتئذ في مدينة طنجة.

ورجع عبد السلام إلى وطنه فانخرط في سلك التعليم لمادة التاريخ بالمعهد الرسمي بتطوان، ثم عين مديراً له، وكان حلو المعاشرة جذابا في شعبيته، وفي تدريسه الأمر الذي شد إليه قلوب تلاميذه.

كما انخرط في حزب "المغرب المحر" الذي أسسه جماعة من الشباب المثقف بمدينة تطوان. فكان عبد السلام الطود العنصر المنشط المحرك في الحزب وتولى إدارة جريدته التي كانت تحمل اسم الحزب. وكان من دعاة حرية المرأة، وشهدت الصحف حواراً ساخنا بينه وبين المعارضين له.

وفي سنة 1956 عاثت بعض العناصر فساداً في شمال المغرب فتعرض لهم عبد السلام الطود بقلمه على أعمدة صحيفة الحزب "المغرب" بمنتهى الصراحة والشجاعة المعهودة فيه، وسماهم بأسمائهم وأطلق عليهم اسم : "جيش التخريب"، فاختُطف وزميله في الكفاح المجاهد إبراهيم الوزاني وهما جالسان يتناولان القهوة بمقهى "كونتينانتل" الواقعة بأكبر شوارع مدينة تطوان في 14 يونيو 1956 في الوقت الذي اختطف ابن عمه عبد السلام بن الهاشمي الطود بالقصر الكبير. وتعرض للتعذيب حتى الموت.

خلف الطود مؤلفا مطبوعا عن بني عباد بإشبيلية، وعدداً من المواضيع المخطوطة عن تاريخ الأندلس، لم يكتب لها بعد أن تطبع. هذا إلى جانب مقالاته الصحيفة العديدة.

وثائق عائلية : المهدي المومني التجكاني، دار بريشة، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، ص. 11، 28، 34، 35، 40، 57، 75، 104، 105، 125، 129 ؛ أحمد معنينو، *ذكريات ومذكرات*، الجزء 5، مطبعة سبارطال، طنجة، ص. 125، 128 ؛ جامع بيضا، *نقاش حول حرية المرأة في الصحافة المغربية. ندوة دور المرأة في المقاومة*، ص. 108، 109 ؛ *جريدة النهار*، 17 رجب 1369 / 5 ماي 1950 ؛ *جريدة الرأي العام*، 9 محرم 1377 / 6 غشت 1957 ؛ *جريدة الديموقراطية*، 30 غشت، 1957.

الطود، عبد السلام بن **الهاشمي** الحسني بن الطاهر علامة مشارك، متضلع في الفقه والأحوال، كان يتحلى بسجايا عالية وفضائل رفيعة، وشخصية قوية كما كان مهاب الجانب ذا شجاعة أدبية وذكاء وقاد.

ولد بمدينة القصر الكبير حوالي عام 1270 / 1887، تلقى دراسته الأولية على يد شيوخ بلدته وأسرته ثم شد الرحال إلى مدينة فاس، حيث أم جامع القرويين وقرأ على شيوخه

أمثال : الفقيه عبد السلام بن عبد النبي غازي، والفقيه القاضي مولاي أحمد بن المامون البلغيثي، والفقيه العلامة الصوفي أحمد بن الخياط الزكاري، والشيخ العلامة أبي شعيب الدكالي، والفقيه محمد بن جعفر الكتاني وغيرهم.

وعندما عاد إلى بلدته مارس خطة الوكالة الشرعية زهداً منه واستنكافا من الوظيف، فكان وكيلا مقتدراً يُعجز أمهر القضاة ويحرجهم متى شعر بانحرافهم، ويبهرهم بخبرته الفقهية.

كان عبد السلام بن الهاشمي الطود من مؤسسي الحركة الوطنية بالقصر الكبير، وعضوا في اللجنة الفرعية لحزب الاصلاح الوطني به، ساهم بتفان وشجاعة في نشر الوعي الوطني والسياسي بين أبناء بلدته قبل تأسيس الحزب المذكور من خلال ما كانت تقوم به جمعية *الطالب المخزنية* في نشاطات سرية تمهيداً لظهور الحركة الوطنية العلنية المتمثلة في الأحزاب فساهم في تأسيس الخلايا السرية بالمدينة، وتطوع بشجاعة منقطعة النظير في جنح الليل لترويج المناشير السرية والصحف والمجلات العربية الشرقية المحظورة آنذاك، ثم يجمعها ممن سلمت له لتوزع من جديد على من لم يتوصل بها، وذلك لقلتها، مستعملا الصرامة مع من تخول له نفسه إفشاء السر، أو التقرب إلى الحكام بدلالتهم على مصدرها، وكان المؤطرون يقدرون تضحيته وإخلاصه، كما يهابونه لما وهبه الله من قوة الشخصية.

وفي الأربعينيات عندما حاول أذناب الاستعمار وبعض ضعاف النفوس الترويج لفكرة الانفصال بين شمال المغرب وجنوبه وقف عبد السلام بن الهاشمي الطود شجى في حلق هؤلاء، فعارض بشدة ووقف هو وأسرته من أبناء عمومته في وجه هاته المحاولة بكل ما أوتي من قوة. فألقى عليه القبض، وجاء في رسالة مؤرخة بـ 27 ربيع 1366 (19 يناير أو 20 مارس 1947) موجهة من ابن عمه الغالي الطود إلى عبد الخالق الطريس بتطوان، أن الباشا (باشا القصر الكبير) محمد بن مصطفى الرميقي (عين في فاتح شوال 1342) قام بجلد الوكيل الشرعي عبد السلام بن الهاشمي خمسمائة جلدة وعمره آنذاك حوالي ستين عاما. ثم طوف به في المدينة. ثم نفي بعد ذلك إلى مدينة العرائش لمدة أربع سنوات. وفي سنة 1952 التقى بابنه الهاشمي الطود الذي أرسل من قبل المناضل محمد بن عبد الكريم الخطابي في مهمة سرية بالمغرب، وذلك في الجامع الكبير بمدينة سلا بحضور المجاهد الحاج أحمد معنينو.

وكان من المعارضين لإدماج حزب الاصلاح الوطني في حزب الاستقلال، لذلك أوقف نشاطه في هذا الحزب وأصبح يميل ويعطف على حزب الشورى والاستقلال.

وفي 14 يونيو 1956 اختطف من بيته ليلا من قبل عصابة من جيش التحرير ولم يعرف مصيره منذئذ، وجاء في كتاب *دار بريشة* أنه عذب حتى الموت.

وثائق عائلية ؛ أحمد معنينو، *ذكريات ومذكرات*، الجزء 5، 1952 ـ 1956، ص. 50 ؛ المهدي المومني التجكاني، *دار بريشة*، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1405 ـ 1987، ص. 10 ؛ محمد بن عزوز حكيم، *وثائق الحركة الوطنية في المغرب*، تطوان، 1980، ص. 24 ؛ *تظاهرة كبرى لحزب الإصلاح الوطني بالقصر الكبير*، جريدة الحرية، 23 يناير، 1940 ؛ *الأساليب الفاشستية*، جريدة الديموقراطية، بالفرنسية، 30 ـ 9 ـ 1957.

الطود، الغالي بن **المختار** بن الغالي بن الطاهر. رائد الوطنية بمدينة القصر الكبير، رجل صنعت طينته من عنصرين اثنين عاشا يتصارعان داخله إلى أن لقي ربه هما : حب الوطن، وبغض الاستعمار فبذل من أجل ذلك كل ما يملك من عزيز وغال.

ولد بمدينة القصر الكبير سنة 1323 / 1905، استظهر القرآن الكريم بكتاب القطانين على شيخه الفقيه الحاج أحمد بن الحاج علي الريسولي، كما أخذ العلوم الأولية وبعض المصنفات عن شيوخ بلدته. ثم رحل إلى فاس فتتلمذ على فطاحل علماء القرويين خلال العشرينيات الميلادية أمثال عبد الهادي الهرار وعبد الرحمن ابن القرشي وأحمد بن الجيلالي الامغاري ومولاي عبد الله الفضيلي ومحمد بن إدريس البدراوي ومحمد بن عبد الرحمن العراقي، وبوشتى الصنهاجي. وفي مدينة فاس التقى بعبد الخالق الطريس ـ قبل سفر هذا الأخير إلى مصر ـ وكان يقاسمه السكن. ونشأت بينهما صداقة متينة زاد من قوتها حبهما للوطن.

كما تشبع بالأفكار السلفية من روادها وتلك الأفكار كانت من العوامل الفكرية الأساسية التي أدت إلى تبلور الحركة الوطنية.

ومن الإرهاصات المنبئة بصدق وطنيته انضمامه ـ وهو بفاس ـ إلى مجموعات الشباب الوطنين التي كانت تنشط في خلايا سرية، وكانوا يطلقون على بعضهم أسماء مستعارة، فأطلقوا على الغالي الطود اسم غاندي وبقي هذا الاسم لصيقا به يطلقه عليه رفاقه ومن هم في سنه من أبناء عمومته.

ولما عاد إلى مدينة القصر الكبير 1347 / 1931 مارس خطة العدالة وانخرط في سلك التدريس. كما واصل عمله بنشاط ملحوظ في صفوف كتلة العمل الوطني بالشمال، حيث شارك في بعض اجتماعاتها السرية التي كانت تعقد غالبا بمنزل الفقيه الصفار بتطوان، وقد نشط أيما نشاط في تطبيق مقرراتها في مسقط رأسه فشرع في تأسيس الخلايا السرية وتهيئتها مذكيا الشعور الوطني في نفوس أفرادها. وفي هذا الإطار سعى إلى تأسيس جمعية *الطالب المغربي* الأولى، قبل ميلاد حزب الإصلاح الوطني بزعامة صديقه عبد الخالق الطريس. كما كان يراسل باستمرار جريدته *الحياة* التي أصدرها في تطوان في فاتح مارس 1934. وعانت جمعية الطالب المغربي الأولى ما عانته من محاربة المستعمرين لها ومضايقتها مما أدى إلى حظرها وإغلاق مقرها. وبعد إعلان قيام حزب الاصلاح الوطني في 11 نونبر 1936 كان الغالي الطود أول رئيس لفرعه بالقصر الكبير، وعضو اللجنة التنفيذية بتطوان. فسعى من جديد 1937 في إحياء جمعية *الطالب المغربية* كفرع لنظيرتها بتطوان. فعرفت هذه الجمعية بالقصر الكبير تحت قيادة الغالي الطود وفي ظل الحزب نشاطا ملحوظا حيث ألقيت في مقرها عدة محاضرات ونظمت عدة ندوات مختلفة المواضيع شارك فيها المترجم كما شارك فيها ابن عمه المهدي الطود وشخصيات سياسية ووطنية من الزائرين لمدينة القصر الكبير والوافدين عليه في مختلف جهات المغرب كالحاج أحمد معنينو، كما أقيمت بمقر الجمعية حفلات تكريمية لعلماء وأدباء ووطنيين أمثال تقي الدين الهيلالي والتهامي الوزاني وغيرهما مما لا يتسع المجال لشرحه.

وكان الغالي الطود يحرص أشد الحرص على إقامة مهرجانات خطابية في المناسبات الدينية والوطنية والقومية، من ذلك على سبيل المثال لا الحصر ذكرى عيد العرش، وذكرى إصدار الظهير البربري ووعد بلفور خاصة وأنه كان رجلاً قوميا مؤمنا بضرورة وحدة العرب والمسلمين. وهكذا كان يأمر أبناء الحزب وأنصاره في ذكرى الظهير البربري ووعد بلفور بحمل الشارات السوداء على أذرعهم اليمنى طيلة اليوم، وبالتجمع في المساجد لقراءة اللطيف وإلقاء الخطب، ثم التظاهر وإرسال عرائض الاحتجاج وإخراج الصدقات.

وكان بيته قبلة الوطنيين الفارين من المنطقة السلطانية قبل التحاقهم بمدينتي طنجة أو تطوان كالحاج أحمد بلا فريج وعبد الوهاب بن منصور والحاج أحمد معنينو وغيرهم.

وكان قلمه بليغا ولاذعا وهو يكتب في الصحف الوطنية منددا بما يفعله الحكام الاسبان وعملاؤهم من قواد وشيوخ فاضحا ممارساتهم وضربهم للمواطنين الجبليين من قبائل بني سريف وبني زكار وغيرهم وجلد أجسادهم بالسياط.

وكثيراً ما استدعاه الحاكم الاسباني بالعرائش آمراً إياه بالتوقف عن نشر مقالاته اللاذعة. لذلك كثيراً ما جلد وزج به في غياهب السجون على يد عملاء الاستعمار، وأتلفت محاصيل أراضيه الزراعية، ونهبت وقتلت مواشيه. ومما زاد حنق الاستعمار الاسباني عليه أنه كان منذ سنة 1945 يدعو إلى الاستقلال والوحدة بين أطراف المغرب المجزأة بين إسبانيا وفرنسا والادارة الدولية، وكان يدعو إلى ذلك في خطبه في المهرجانات وفي محاضراته ومقالاته الصحفية وفي قصائده الشعرية التي كان يخص بها السلطان محمد بن يوسف الذي تلقى منه مراراً - بواسطة عبد السلام الفاسي - رسائل شكر خاصة على قصيدته التي مطلعها :

لك الشعب الكريم أتى يشيد تفضل فأنت فاتحه المجيد

ومما جاء فيها :

غدا يستوهب الشعب اتحادا وفي أكناف دولتكم يعود
فلا تبقى الحواجز والجسرك ولا يبقى الجواز ولا الحدود
غدير الشمال زادك عزا مضت به في عزمكم الوعود
لرفع عماد عرشك قد تبدى ليوثا في الشمال لها ربود

وقد كانت هاته القصيدة سببا في متابعة الاستعمار له ولأسرته فاضطر للهجرة إلى طنجة الدولية وقتئذ، وأرغم على تقديم استقالته كمدير للمدرسة القرآنية، ولبث سبعة أشهر في طنجة ثم أرغمته الادارة الدولية على الخروج منها بعدما استصدرت قراراً من المندوب السلطاني الحاج محمد التازي بتاريخ 16 يونيو 1947 يمنعه من الخروج من المغرب من طريق البر والبحر.

وحددت له السلطات الاسبانية الاقامة الجبرية بمدينة العرائش تحت الرقابة المشددة. وحلت جمعية الطالب المغربية التي كان يرأسها الغالي الطود ونهب مقرها، وسرق أثاثه، ونهبت خزانة كتبه الغنية النادرة، وحول إلى نادي للصيادين الاسبان نكاية بالأسرة الطودية.

كما كان الغالي الطود مؤمنا بالوحدة القومية والقضايا العربية والإسلامية ففي قصيدة له بمناسبة عيد العرش في 18 نونبر 1947 جاء :

يا أيها العرب الخلصاء إنكم إن اتحدتم حباكم بارئ النسم
هذي فلسطين تحت النير صامدة بين الحراب وبين الظلم من أمم
عار علينا بني الإسلام إن نجحت زعينفة من شداد الافق في الحرم

لبث الغالي الطود تحت المراقبة في مدينة العرائش إلى أن مات المقيم العام الاسباني باريلا (1891 ـ 1951) في 24 مارس 1951 الذي كان ألد عدو للحركة الوطنية. فالتحق بالمنطقة الجنوبية وجاب ربوعها. وفي سنة 1952 حل بمدينة فاس وزار ابن عمه إدريس الطود الحسني الذي كان حينئذ مدير مدرسة الفتح الحرة، وكانت فرنسا وقتها تؤلب البربر ضد العرش، وكان الجلاوي والجنرال گيوم وأعوانهم يقومون بجمع العرائض ويجتمعون برؤوس القبائل لإيغار صدورهم على العرش العلوي فانتهز الغالي فرصة وجوده بإتزر واتصل برؤساء القبائل هناك بواسطة ابن عمه المذكور، وأمضوا عرائض أخرى مضادة لما أمضاه گيوم والگلاوي يعلنون فيها تبرأهم من هاته العرائض وتعلقهم بالعرش العلوي المجيد، وقد حمل هاته العرائض إلى فاس محمد ولد الخليفة بوزيان وسلمها إلى الغالي الذي حملها بدوره إلى الرباط وسلمت إلى السلطان محمد بن يوسف شخصيا. ثم عاد الغالي إلى القصر الكبير، وناضل بشدة بعد نفي السلطان في غشت 1953. ونظم عدة مظاهرات ورفع عدة احتجاجات للمحافل الدولية والمنظمات السياسية وللبابا والفاتيكان. كما قام بدور هام جداً حين أحبط وزملاؤه من الوطنيين محاولات فرنسا لكسب تأييد لها في سياستها ضد السلطان ونفيه والاعتراف بابن عرفة ملكا شرعيا وحمل الأئمة على الخطاب له في منابر جوامع شمال المغرب، لكن الوطنيين وعلى رأسهم الغالي تصدوا لذلك وأبلغوا سفراء الدول العربية بمدريد فهدد هؤلاء بقطع العلاقة مع نظام فرانكو فورا إن أيد السياسة الفرنسية أو سار في ركابها.

ونتيجة للتهديدات والمؤامرات والاختطافات التي تعرض لها رجال أسرة الطود بعد عودة السلطان محمد الخامس من المنفى، اضطر الغالي إلى الخروج متسترا في 4 غشت 1956 ولجأ إلى إسبانيا ومنها إلى مصر حيث احتضنه يصدر رحب المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي وظل هناك إلى أن أذن له بالعودة إلى المغرب وكان وصوله إلى القصر الكبير في غشت 1960.

وظل يمارس مهنته كعدل كما كان له نشاط فلاحي يساعده على العيش إلى أن توفي في 16 شتنبر 1985 ودفن بروضة سبعة رجال بمدينة القصر الكبير.

ولم يترك الغالي مؤلفات لكنه كان يكتب في الصحف الوطنية *كالحياة والريف والحرية ومراكش والمغرب الحر والرأي العام* مما لو جمع لكون رصيداً وطنياً سياسياً غزيراً.

وريقات كتبها الغالي الطود عن ذكرياته لكنه لم يتممها ؛ *وثائق عائلية* ؛ م. ابن عزوز، *وثائق تشهد*، الرباط، مطبعة الساحل، 1980، ص. 19 ؛ أعداد كثيرة من الجرائد الوطنية، الحياة والريف والحرية ومراكش والمغرب الحر ؛ أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية بنانت.

الطود، الفضيل الحسني، الفضيل بن محمد بن أحمد بن عبد السلام.

ولد بمدينة القصر الكبير سنة 1933، تعلم القراءة والكتابة بكتاب الفقيه السيد أحمد الريسوني بالقصر الكبير، وتلقى تعليمه الأولي على يد والده الفقيه العلامة محمد بن أحمد الطود في الدين واللغة والآداب، وجده أحمد الطود في الحساب والدين واللغة، ثم التحق بمعهد مولاي المهدي بتطوان وقضى فيه سنتين، ثم عاد إلى القصر الكبير حيث واصل الدراسة على يد أبيه وجده كما أدخل إلى المعهد الديني حيث تابع دراسته مدة من سبع سنين. وتقدم بعد ذلك في سنة 1954 لاختيار مباراة لاختيار المعلمين، فنجح وعين معلما بـ"حد الغربية" نواحي مدينة أصيلة، ثم تقدم لمباراة الدخول للمدرسة الإقليمية للمعلمين بالرباط حيث أمضى نحو سنة عين بعدها معلماً بمدينة طنجة سنة 1957، ثم انتقل بعد عشر سنوات للعمل بمدينة القصر الكبير إلى أن أحيل على المعاش بها سنة 1994.

وتوفي بمدينة القصر الكبير في 4 أبريل 2002.

وثائق عائلية.

الطود، محمد بن عبد القادر بن الطيب، عدل مبرز مرموق، وطني صادق، كريم سخي مضياف. وجيه مقدام، تلقى تعليمه الأول عن مشايخ مدينة القصر الكبير ـ مسقط رأسه ـ حيث تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن والكثير من المتون العلمية. ثم رحل إلى مدينة فاس وأم جامع القرويين فأخذ عن كبار الشيوخ به أمثال : محمد گنون، ومحمد القادري ومحمد بن جعفر الكتاني، وأحمد بن الخياط وأحمد بن الجيلالي، وعبد المالك العلوي الضرير، وأحمد بن سودة وغيرهم. وبعد أن ملأ وطابه من لذة العلوم، عاد إلى مدينة القصر الكبير، فمارس خطة العدالة وتولى خطبة الجمعية والأعياد بالمسجد الأعظم خلفا لابن عمه أحمد بن عبد السلام بعد وفاته، كما شغل مهمة كاتب المجلس البلدي

عندما سمحت السلطات الحامية بتأسيس المجالس البلدية المنتخبة بالشمال في بحر الثلاثينيات. إلا أنه كان يعتمد في عيشه أساساً على فلاحة الأراضي الشاسعة التي ورثها عن والده.

كان المترجم يتمتع بوطنية فياضة ورثها عن أسلافه زادها احتكاكه بشيوخ السلفية بمدينة فاس رسوخا، فكان بيته مقراً للنشاطات الوطنية وقبلة لاستضافة كل الوطنيين القادمين إلى القصر الكبير على اختلاف مشاربهم كما كان صريحا ذا مواقف صارمة في الحق سواء إزاء بعض أعضاء المخزن أو ضد سلطات الحماية مما تسبب له في مشاكل متعددة.

فسجن سنة 1932، والسبب كما حكاه المترجم له في كناشته أن السلطات الإسبانية الاستعمارية بمدينة القصر الكبير، والباشا الرميقي، رخصت لليهود بتاريخ 28 يونيو 1933 بعرض مسرحية من شأنها أن تثير حفيظة المسلمين وغضبهم وتمس كرامتهم بإهانة سلفهم. وفي يوم العرض وبينما المتفرجون اليهود والإسبان يتوافدون على المسرح، إذا بعبد القادر الطود وابن عمه الغالي يعلنانها صرخة مدوية في الجمهور "أن حي على الجهاد في سبيل الله" فاجتمعوا عن بكرة أبيهم وقاموا بمظاهرة عظيمة، ورفعوا احتجاجهم إلى السلطات الاسبانية على هذا الاعتداء على كرامة الاسلام، وفي أثناء المظاهرة تحرش اليهود بالمسلمين، ووقع اصطدام بينهم وكانت معركة و (ثورة) لم تتغلب السلطة الاسبانية عليها إلا بعد جهد كبير استمر من 28 يونيو إلى 2 يوليوز 1933.

وبإيعاز من الباشا الرميقي الذي أصيب المسلمون برزء عظيم على يديه، وكان من خلصاء الباشا البغدادي بفاس، وامتاز عنه بفرط ميله وافتتانه بحب اليهود الذين بذلوا له 5000 بسيطة كي يأذن لهم بعرض مسرحيتهم. ألقى القبض على الوطنيين من بينهم : محمد بن عبد القادر الطود أو ابن عمه الغالي الطود والفقيه التهامي الدغاي، والتاجر التهامي بن أحمد ابن جلون الفاسي القصري، والهادي بن المعلم الحراق والشريف اليعقوبي التطواني، وظل محمد بن عبد القادر الطود وزملاؤه في السجن إلى أن جاء أمر من المقيم العام بتطوان ـ بعد تدخل الزعماء الوطنيين بها ـ يأمر الباشا الرميقي بإطلاق سراحهم في الحين، إلا أنه ظل يتربص الدوائر بالمترجم وأفراد عائلته فعزل الكثير منهم عن مهامه وسجنهم.

ولم يفت كل ذلك من عضده ولم تتغير مواقفه من عملاء سلطات الحماية، وخاصة الباشا الرميقي مما لا يتسع المجال لعرضه هنا. ومازال بعض شيوخ مدينة القصر الكبير يذكرون خطبتيه اللتين ألقاهما يوم عيد الأضحى، ويوم الجمعة التي تلت نفي محمد بن يوسف في 20 غشت 1953. فأبكى بذلك المصلين وألهب حماسهم.

توفي في شهر دجنبر 1956 عن سن يناهز الخامسة والسبعين، ودفن بخلوة سيدي قاسم بن الزبير المصباحي.

وثائق عائلية : كناشة من تأليف المترجم له في ملكية أحد أولاده ؛
م. بن عزوز حكيم، *وثائق الحركة الوطنية في المغرب*، تطوان، 1980.

الطود محمد، المهدي بن الحاج عبد الكبير بن عبد السلام بن الطاهر بن الطيب، فقيه علامة مشارك في كثير من رياض المعارف الاسلامية وضروب الثقافة والعلوم، أديب شاعر، خطيب مصقع، كان يتميز بفهم ثاقب، وذهن وقاد، وذكاء قلب نادر، وسرعة بديهة، وفصاحة لسان. ازداد سنة 1913 / 1331 بمدينة القصر الكبير، ونبغ مبكراً، إذ استظهر كتاب الله استظهارا متقنا قبل إتمام الحادية عشرة من عمره بكُتاب سيدي علي بن العربي الخيري على يد الشيخين أحمد بن الغالي بن حمان الطود وشقيقه عبد السلام، وبعد حذقه في تحصيل القرآن الكريم واستظهاره والإلمام بقواعد تجويده دراية وأداء زانتهما عذوبة صوته، انصرف لحفظ المتون العلمية المختلفة المواضيع، وتلقى دراسته العلمية الاولية على شيوخ بلدته، في طليعتهم عمه الشقيق العلامة المحقق، أحمد بن عبد السلام بن الطاهر الطود الحسني وابن عمه الفقيه العدل المبرز محمد بن عبد القادر الطود والفقيه العلامة السيد أحمد مومن والفقيه الحسن السوسي البوعقيلي، والفقيه العلامة الشريف أحمد المجول. كما أخذ عن قاضي القصر الكبير الفقيه الصوفي الورع العلامة المحقق الشريف الحاج أحمد بن الطاهر الزواق الكَنوني الحسني الذي كان يعرف في الوسط القصري بالزواق الثاني لاستقضاء شقيقه بالقصر قبله، كما عاشر المترجم العلامة الطاهر بن مالك المراكشي طيلة سنوات إقامته بالقصر الكبير.

ثم ألحقه والده بجامعة القرويين بفاس ولما يتم الخامسة عشرة من العمر، الأمر الذي شكل صعوبة وأخذاً أو رداً في شأن إلحاقه بما كان يعرف وقتئذ بـ "النظام" أي التسجيل قانونيا والحصول على حق التمتع بالسكن الطلابي، حيث بقي مدة يتلقى دروسه بكيفية اختيارية وهو يقيم ضيفا مكرما عند أخواله آل برادة بفاس، إلى أن أذعن شيخ الجماعة إذ ذاك أحمد بن الجيلالي لإجراء استفسار واستفتاء لجميع الشيوخ الذين كان المترجم له يواظب على حضور دروسهم، فشهدوا بجديته وبنباهته وسرعة تحصيله، فحل مشكله وأسكن مع ابن عمه الغالي الطود الحسني بمدرسة العطارين بالغرفة 7. وممن أخذ عنهم من أعلام القرويين وأساطينها في وقته، السادة العلماء : العباس المزطاري المكناسي والعباس بناني وعبد العزيز بن الخياط والحسن الزرهوني وبوشتى الصنهاجي ومحمد شقيقه والحسين بن الوليد العراقي ومحمد بن عبد الرحمن العراقي وعبد الهادي بن المواز ومولاي الشريف التكناوتي ومولاي عبد الله الفضيلي وعبد الرحمن بن القرشي ومحمد بن عبد المجيد أقصبي وعبد الرحمن الغريسي والشيخ أبو شعيب الدكالي

الصديقي والشيخ عبد الحي الكتاني. وقد ساعده نبوغه ونباهته على التكوين المستظرف الآخذ من كل فن طرف، دون انشغال بالكماليات عن الاساسيات مما جعل منه الفقيه المحقق واللغوي المدقق والأديب الكاتب المدقق والشاعر المجيد. وإثر عودته إلى مسقط رأسه، ساهم في الميدان الثقافي والأدبي والفني والوطني والسياسي حيث استهل نشاطه العملي بإلقاء دروس في الفقه واللغة بمسجد سيدي علي بن العربي المجاور لبيت أسرته، ومسجد سيدي سعيد الزبيري الذي كان والده الحاج عبد الكبير يتولى الإمامة به، فاستفادت من عطائه نخبة من الطلبة استفادة ملحوظة.

وعين عدلا مبرزاً من الدرجة الأولى بتاريخ 5 ماي 1937 بعد اجتيازه مباراة العدول، وكان التحاقه بسلك العدالة تحت إلحاح وتأثير عمه العلامة سيدي أحمد الطود فقد كان المهدي يوصي دائما ويردد قائلاً :

"من أراد أن يسعد فلا يؤم ولا يشهد، ولا يتقدم على أولاد أحد". وكان يسأل الله أن يغنيه عن رزق العدالة فاستُجيب دعاؤه.

اهتم المترجم منذ وجوده بفاس بكل ما يتصل بالحركة الوطنية ورواداها هناك، فكان من المؤسسين الأوائل للحركة الوطنية - بمسقط رأسه - في حظيرة "حزب الإصلاح الوطني" بزعامة عبد الخالق الطريس، إذ عمل عضوا بارزا في اللجنة الفرعية للحزب بمدينة القصر الكبير التي كان يرأسها ابن عمه المناضل الغالي الطود، الذي كان يركن إليه ويستشيره باستمرار في مهمات الأمور، ويوكل إليه مهمة تحرير الوثائق الهامة والتقارير الموجهة إلى مختلف الجهات، والمقالات والبيانات والاحتجاجات المراد نشرها بالصحف الوطنية الجهوية آنذاك لسيلان قلمه وسلاسة أسلوبه. كما تطوع لتحمل مسؤولية الجانب النقابي والعمالي داخل الحزب، إيمانا منه بجدوى تأطير الطبقة العاملة، ولما كان للصناع والعمال والحرفيين من كبير الثقة به والاطمئنان إليه لتواضعه وحكمته. وساهم قبل ذلك في تأسيس "جمعية الطالب المغربية" الأولى والثانية إلى جنب رئيسها الغالي الطود. وأثرى - كذلك - صحف الحزب وغيرها بمقالاته السياسية والدفاعية والتوجيهية فكتب في كل من : *"الحياة"* و *"الحرية"* و *"الريف"* و *"المغرب الحر"* كما راسل صحيفة *"الميثاق"* لسان رابطة علماء المغرب بصورة مستمرة ومكثفة. وكان في طليعة المؤسسين أيضاً للمدرسة الأهلية الحسنية الحرة بالقصر الكبير ومن ألمع الأساتذة المتطوعين بإلقاء الدروس بها، وابتكر مشروع "حديث الاربعاء" لتدريب تلاميذها على الكتابة والخطابة، إضافة إلى تطوعه بإلقاء الدروس الليلية لفائدة الطبقات الشعبية بمركز الحزب.

وفي أواخر الثلاثينيات (1937 - 1938) استجاب لرغبة زميله في الكفاح الوطني إبراهيم الوزاني فالتحق بمدينة تطوان لمؤازرة في تحمل أعباء المؤسستين التاريخيتين : "مكتب الدفاع الوطني" و"المهجر"، اللتين أعدتا خصيصا لأبواء اللاجئين السياسيين الفارين من الأحكام الصادرة في حقهم من قبل الفرنسيين فيما كان يسمى وقتئذ بالمنطقة السلطانية. فأجاد المهدي الطود في الاشراف على سير المؤسستين وأفاد. فهو بالإضافة إلى مواساة النزلاء وبعث الامال في نفوسهم واظب على إصدار نشرة يومية سياسية باسم "مكتب الدفاع الوطني" يندد فيها بسياسة الادارة الفرنسية. وكانت تلك النشرة تصدر باللغة العربية، وتترجم إلى الفرنسية والاسبانية والانجليزية والالمانية، ويتم توزيعها على أوسع نطاق في المنطقتين الخليفية والسلطانية، ويبعث بها إلى القنصليات والسفارات إلى أن أغلقت المؤسستان من قبل السلطات الاسبانية.

والمترجم له أول من حمل مشعل النهضة المسرحية بمدينة القصر الكبير لدى عودته من فاس، متأثراً بنشاط روادها هنالك وفي طليعتهم عبد الواحد الشاوي ومحمد القري إيمانا منه بأن المسرح وسيلة من أهم وسائل التوعية الوطنية والسياسية والاجتماعية، فكون فرقة تمثيلية بمسقط رأسه من شبيبة جبله، دون أن يطلق عليها اسما ولا صفة، حتى لا تمتد إليها أيدي المستعمر. وأثرى الفرقة بإنتاجه المسرحي الهادف كروايات : "الوصي الظالم" و"حسن الجوار" "والفتاة المتعلمة" و"العجوز الماكرة" و"العامل" وهذه الأخيرة أعدها خصيصا لتلاميذ المدرسة الاهلية الحسنية الحرة، فضلاً عن المحاورات الهزلية القصيرة المستوحاة من صميم المجتمع وواقعه. هذا علاوة على ما اقتبسه وأخرجه من قصص غيره كرواية "في سبيل التاج"، ورواية "أبطال الحرية" ورواية في محبة البلاد، وما حوره أو نثر شعره وبسطه كرواية "بلال بن رباح" الشعرية. وغير ذلك مما يطول ذكره، كما زود فرقته بنشيد وطني من نظمه وتلحينه، يُردّد في بداية تشخيص كل رواية، ومطلعه :

صفا الجو حان السرور نهضنا بملء الصدور
نبيد أماني الغرور لنزري براضي الوهن

ولم يثنه نشاطه الثقافي والسياسي والوطني عن إرضاء نزعته الروحية والاجتماعية فمارس الإمامة في عدد من مساجد القصر الكبير، وناب عن عمه في إلقاء خطب الجمعة، وإحياء سنة التراويح عشاء وفجراً بالمسجد الأعظم خلال شهر رمضان لمدة أربع عشرة سنة إلى أن عين - دون علم منه - شيخا للمعهد الديني بالعرائش في فاتح أكتوبر 1952، فكانت رحاب المسجد الأعظم بالقصر تكتظ بعشاق تلاوته وتجويده، كما واظب على سرد صحيح البخاري بين فترة التراويح وإقامة صلاة الصبح، وصحيح مسلم قبيل صلاة العصر على كرسي الحديث بالمسجد المذكور. وقام بنفس المهام تلبية لرغبات السكان والسلطات الدينية والإدارية بمسجد المصباحية بالعرائش. وكان له إلى جانب ذلك إلمام واسع وموهبة مرموقة بفني السماع والانشاد وموسيقى الآلة حفظاً وأداء وتذوقا. كما كان له أيضاً مبادرات شيقة في شعر الملحون من أروعها قصيدة مطولة على لسان "هواري بومدين". واستدعي بصفة شخصية سنين عديدة للمشاركة في إحياء كل من ليالي المولد النبوي وذكريات وفاة المغفور له محمد الخامس. وكان يتمتع بصوت رخيم مؤثر، وملكة موسيقية وتمكن من الانغام، وتحكم في الطبوع وقدرة فائقة على التخلص من طبع إلى طبع ومن نغم إلى آخر.

وهو إلى جانب كل ذلك، شاعر مفلق، يعتبر من رواد العربي العمودي في عصره، عالج مقاصد الشعر المتعارفة وزاد عليها الا العشق والهيام بالدنيويات، كما نظم في سائر بحوره المتعارفة والمحدثة، وغالب نتاجه ملحمي نضالي ذو طابع إسلامي عربي مغربي صرف. وقد نسخ كثيراً مما تحمله مجموعة "الحايك" في موسيقى الآلة من صنائع وموشحات وبراول وأزجال فحول مقاصدها من الغزل والنسيب إلى مقاصد وطنية. كما نظم عدة أناشيد دينية ووطنية نذكر من بينها نشيد الاكاديمية الملكية العسكرية بمكناس :

يا أخي في السلاح يا أخي في الكفاح
ضع يدك في يدي وافتخر وانشد
نحن ضباط الغد دائما نفتدي
بالدماء الوطن

وقد برزت موهبته الشعرية ولما يزل في بداية التحاقه بالقرويين. إذ كانت أولى مبادرته الملهمة في مناجاة روح المولى إدريس. له ديوان يجمع معظم ما أنتجته قريحته الشعرية لم يطبع بعد. أما إنتاجه النثري فهو أكثر من أن يعد في هذا المجال. فهو إلى جانب شاعريته المرموقة، ناثر مجيد ذو قلم سيال وأسلوب رصين، ونفس طويل، موسوعي الثقافة والتكوين.

انتدبه زميله العلامة عبد الله گنون بإلحاح كبير لتسيير شؤون فرع "رابطة علماء المغرب" بالعرائش فلبى رغبته. كما أقره على ذلك خلفه الشيخ محمد المكي الناصري لسابق معرفته به في ميدان الكفاح الوطني والمجال العلمي والثقافي.

كان رحمه الله حلو المعاشرة، عذب النكتة، سريع الإجابة، مؤنس المجالس، لطيف المعاشرة، وطيء الكنف، لين الجانب، متواضعا تواضع العلماء. فهو على العموم نموذج محرر وصورة معبرة عن الشخصية ذات الطابع المغربي الصرف في جميع مظاهر حياته. وعلى حد تعبير زميله الأستاذ الالمعي عبد القادر الساحلي : "إن المهدي الطود مدرسة إسلامية مغربية وطنية جامعة فذة". فارق الحياة في فجر يوم الأحد 18 ربيع الثاني 1412، الموافق 27 أكتوبر 1991 ودفن بمقبرة الولي الصالح سيدي علال بن أحمد العسري.

وثائق عائلية : ترجمة مطولة للمهدي الطود بقلم ابنه عبد الكبير.
رقبة بلمقدم

طورديسياس، معاهدة Tordesillas المعاهدة المبرمة بمدينة طورديسياس البرتغالية يوم 7 يونيو 1494 بين ملك البرتغال خوان الثاني Juan II والملكة القشتالية ايسابيل الكاثوليكية Isabel la Catolica ؛ وكانت هذه المعاهدة الثانية المبرمة بين المملكتين بخصوص اقتسام المغرب بينهما، وبمقتضاها "تنازلت" البرتغال عن "حقها" في مدينتي مليلية وغساسة لصالح قشتالة ؛ وقد تمكن الإقطاعي القشتالي دوق مدينة سيدونة Duque de Medina Sidonia من احتلال مليلية يوم 17 سبتمبر 1497 ومدينة غساسة يوم 13 سبتمبر 1506.

Rumen de Armas. *España en el Africa Atlantica*. t. I. Madrid 1956.

طورون، خوسي انطونيو Turon José Antonio جنرال إسباني ازداد ببرشلونة يوم 24 فبراير 1804، وبحكم انتماء أفراد أسرته إلى الخدمة العسكرية فقد التحق بالأكاديمية العسكرية وتخرج منها برتبة ضابط الصف سنة

1829، وعندما حصل على رتبة كولونيل سنة 1843 عين رئيساً الحرس الملكي وبهذه الصفة شارك في الحملات العسكرية لقمع المحاولات الانقلابية التي جرت في بلاده من سنة 1844 إلى سنة 1849، كما كان على رأس الفرقة العسكرية التي توجهت إلى إيطاليا لنصرة البابا بيبو التاسع Pio IX سنة 1850.

وحيث إنه كان من أنصار الجنرال اودنيل O'donnell في عملية تصحيح الأوضاع بإسبانيا دفاعاً عن الملكة ايسابيل الثانية Isabel II ؛ فقد أسند إليه الجنرال المذكور رئاسة الفيلق الاحتياطي في الجيش الذي غزا المغرب في شهر نوفمبر 1859.

وعند احتلال تطوان عين حاكماً عسكرياً عاماً بالمدينة يوم 9 يوليوز 1860، ذلك إلى غاية يوم 30 أبريل 1862 حيث سلم مفاتيح المدينة إلى الباشا اشعاش.

م. ابن عزوز حكيم، *معلمة تطاون*، الجزء الأول، تطوان، 2001 ؛ *حرب تطاون في صور* (تحت الطبع).

Evaristo Ventosa, *Historia de la guerra de Africa. 1860*. Barcelona, t. II.

طوري دي لامورا Torre de la Mora البرج الذي كان شاهداً على سقوط مدينة سبتة بيد البرتغاليين الذين اطلقوا عليه اسم طوري دي لامورا Torre de la Mora (برج المرأة المغربية) نسبة للمرأة السبتية التي كانت توجد به عند اقتحام المدينة يوم 21 غشت 1415 وألقت منه بحجارة قتلت أول محارب صليبي وطأ أرض المغرب اسمه ڤاسكو ذي أطايْدي Vasco de Ataide ؛ واحتفظ البرتغاليون وبعدهم الإسبانيون بالحجارة داخل خزانة توجد حالياً ببلدية سبتة السليبة.

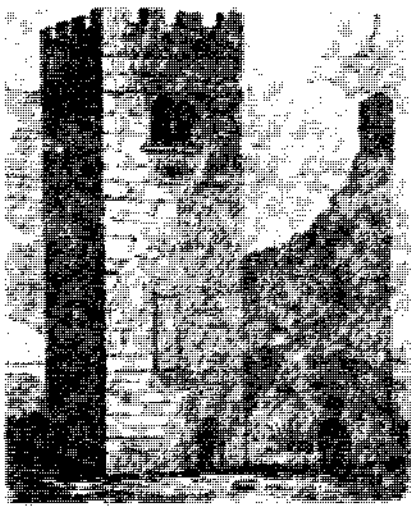

Sureda Blanes, *Abyla Herculana*, Madrid 1925, p. 182.

محمد ابن عزوز حكيم

الطوسي، سيدي إدريس بن بوشعيب من مواليد سنة 1934 بالجديدة من أبويه بوشعيب بن الميلودي وفاطنة بنت محمد، عمل بمناجم الفوسفاط بخريبگة، ونتيجة اتصاله بعدد من الرفاق بدأت تتكون لديه وطنية ووعي بقضية المغرب الكبرى.

شارك في أحداث خريبگة الشهيرة مشاركة فعالة. ومن الأعمال التي قام بها أثناء هذه الانتفاضة تخريب وتحطيم مصالح المستعمر. وأمام اشتداد قوة الانتفاضة وأعمال التخريب لجأت قوات الاحتلال إلى استعمال الرصاص حيث أصيب الطوسي سيدي إدريس فسقط قتيلا وذلك بتاريخ 21 غشت 1955 مضيفا اسمه إلى لائحة شهداء الحرية والكرامة رحمة الله عليه.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 520887.

الطوطسي، الحسن أيت شعيب، والطوطسي نسبة إلى أيت طوطس، وهي إحدى فخذات خمس أهل الواد المنضوي تحت لواء قبيلة أيت عتاب المعروفة بغربي جبال الأطلس المتوسط.

كان المترجم أحد تلاميذ الشيخ أحمد بن ناصر صاحب زاوية تامگروت بوادي درعة، لعله أخذ عنه بواسطة، إذ لم يشر الخليفتي الذي انفرد بترجمته إلى أنه لقيه. على أن قبيلة أيت عتاب التي يوجد ترابها في مجال عبور، لأنه غير بعيد عن الطريق الواصلة بين الشمال والجنوب، كانت من بين القبائل التي انخرط كثير من سكانها في سلك الطريقة الناصرية في عهد الشيخ أحمد الخليفة 1085 / 1129. وبناء على ذلك فقد يكون الطوطسي من بين تلاميذ الناصريين الأوائل الذين انبثوا في الجهات النائية لنشر التصوف بين السكان.

وقد اشتهر المترجم بالتقوى والزهد والاجتهاد في الدين بكثرة الصلاة والصيام وساهم مع سائر تلاميذ تلك الجهة في تأسيس سلسلة من الفروع التابعة للزاوية الناصرية، التي اعتبرت امتداداً لها في نشر العلم والتصوف والتحكيم في النزاعات التي كانت تنشب لأتفه الأسباب بين الناس بسبب

انتشار الجهل والبعد عن مراكز السلطة، ولاسيما في أثناء الأزمات.

وكانت وفاة الطوطسي قبل وفاة والد مؤلف كتاب *الدرة الجليلة* إذ توفي عام 1182 / 1769.

الخليفتي، الدرة الجليلة، ص. 349 ؛ التحري الميداني.

أحمد عمالك

طوطو، الحسن بن أحمد المدعو بـ (طوطو) ولد عام 1342 الموافق لسنة 1923 بتمنار بالصويرة من أسرة متوسطة الحال.

كان عنصرا مهما في منظمة اليد السوداء بالدار البيضاء. ومن العمليات التي قام بها بتصفية بعض الخونة بشركة كوزيمار بالدار البيضاء وإطلاق الرصاص على شرطي بدرب بوشنتوف بالبيضاء، تم اعتقاله يوم 17 ربيع الأول 1373 (24 نونبر 1953) وأصدرت المحكمة العسكرية الدائمة حكما بالإعدام في حقه بتاريخ 26 شعبان 1973 (30 أبريل 1954) من أجل تهمة القتل العمد وتكوين عصابة مخربين وحيازة السلاح والمتفجرات.

أعدم بسجن العاذر بتاريخ 22 ربيع الثاني 1374 (18 دجنبر 1954).

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 26.

طوطو، العريفة بنت بوشتى السقياني، ولا صلة لها بأولاد ابن طوطو الذين ورد ذكرهم في المنزع اللطيف في تقييد ما اشتملت عليه مدينة مكناس من البلديين في عهد مولاي إسماعيل.

كانت طوطو "عريفة" في قصر حريم السلطان مولاي إسماعيل، وتمتعت عنده بمكانة وحظوة كبيرتين. ومن أولادها : القائد قاسم، والحاج سليمان والتومية وهنية المعروفة بالنسيم وهي التي تزوجها زين العابدين بن المولى إسماعيل وخلفت له ولداً هو الشاد بالله وبنتا هي لالة مليكة. استطاعت العريفة طوطو أن تتملك ثروة هامة من العقارات داخل مدينة مكناس وخارجها، من جملتها أراضي شاسعة بمنطقة بني موسى عرفت بجنان العريفة وبها برج يعرف أيضاً - حتى اليوم - ببرج العريفة، وإلى هذه الأراضي جر المولى إسماعيل الماء من وادي بوفكران عبر ساقية مخصصة لري زيادتين منطقة حمرية ثم فوق جدار عميق إلى أن يمر ماؤها فوق أقواس باب ثلاثة فحول.

ويبدو أن مهمتها كعريفة قد طغت على اسمها فأصبحت لا تعرف إلا باسم : "العريفة".

حوالة أحباس صغرى مكناس، رقم 4، ص. 218 ؛ ابن زيدان، *المنزع اللطيف*، ص. 218 ؛ ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 1، ص. 175.

رقية بلمقدم

طوطي (الجنرال) : هو من كبار الضباط الفرنسيين الذين تولوا مهام عسكرية وإدارية بالجزائر وبشرق المغرب، فقد عُيِّن المترجم له حاكما لولاية وهران بغرب الجزائر ومندوبا ساميا لمناطق الحدود منذ 13 يناير 1911 خلفا للجنرال ليوطي الذي استُدعي لتولي مهام أخرى بفرنسا. وتَبيَّنَ من الأحداث التي وقعت بشرق المغرب أثناء سلطته أنه لم يكن على دراية بأوضاع مناطق الحدود بين المغرب والجزائر. وكان من دعاة التدخل العسكري انطلاقا من غرب الجزائر لاحتلال مدينة فاس خلال أحداث سنة 1911، إلا أن محاولته عبور وادي ملوية في شهر أبريل من السنة نفسها مُنيت بالفشل، واضطر إلى التراجع نحو وجدة أمام تكتّل قبائل أحواز تازة بزعامة قبيلة بني وراين. عُرف هذا الضابط أثناء مهمته بوجدة بخلافه مع السلطات المدنية الفرنسية بشرق المغرب، التي اتهمها بممارسة التعسف تجاه المغاربة بهدف انتزاع الأراضي منهم، حيث أقدم على اعتقال المندوب الفرنسي بوجدة وبعض أعوانه. كما اعتقل قاضي وجدة وأربعة عدول بتهمة تورطهم في نزع الملكية بشكل تعسفي من عدد كبير من المغاربة وتفويتها للمستوطنين الفرنسيين. وأثارت هذه القضية ضجة بشرق المغرب، فحاولت الحكومة الفرنسية تدارك الأمر، فأرسلت لجنة برلمانية من أجل التحقيق في النازلة. وخلُصت اللجنة المذكورة إلى تبرئ جل الأظناء الفرنسيين، وتبيَّن أن الجنرال طوطي قد تجاوز الاختصاصات المخولة له بهدف التغطية على محاولة منح بعض الامتيازات لأحد معارفه في شركة فرنسية كبرى متخصصة في تملك الأراضي بشرق المغرب. وقد عكست بعض الكتابات المغربية المعاصرة لهذه الفترة جانبا من هذه النازلة، ونقصد بذلك الفقيه الحجوي في مخطوطه "تقاييد مخزنية"، حيث سجل ما يلي : "في 28 شوال من السنة (1329)، وقعت نادرة بوجدة...، وذلك أن الجنرال طوطي قبض على قاضيها الحاج العربي المشرفي وعدوله ... وسجنهم في سجن المحلة الفرنسوية، وبعده دخل دورهم العسكر وبحث عن الأموال والأوراق وطابع المحكمة الشرعية، وذلك لما ارتكبوه من ظلم المسلمين وسلب أموالهم وأراضيهم وبيعها للمعمّرين ببخس الثمن، مما لا يقدر أحد

أن يصدقه من المظالم الفاحشة التي دام عليها هؤلاء الظلمة مدة خمس سنين".

وقد رفع نائب المندوب السامي المغربي بوجدة (محمد بن عبد الواحد) مذكرة إلى رئيس لجنة التحقيق الفرنسية الموفدة إلى المدينة، حيث ندّد بتوقيف القاضي وإيداعه السجن دون اتفاق مسبق وتشاور مع المخزن كما نص على ذلك اتفاق 14 يناير 1910 الموقع بباريس، واحتج أيضاً على الكيفية المهينة التي عومل بها القاضي الذي اقتيد إلى السجن مكبّل الأيدي أمام العامة، واحتج أخير على تعيين قاض جديد دون الرجوع إلى السلطات المغربية. فاستجابت لجنة التحقيق الفرنسية للمطالب المخزنية وأطلقت سراح القاضي وأربعة عدول.

وبناء على نتيجة التحقيق قررت الحكومة الفرنسية إعفاء الجنرال طوطي من مهامه بوجدة في نهاية شهر دجنبر 1911 ونقله للعمل بفرنسا، وعيّنت موظفا مدنيا خلفا له، اقتصرت مهمته في الإشراف على الإدارة المدنية بمناطق الحدود بين المغرب والجزائر.

الحجوي، *تقاييد مخزنية*، مخطوط، خ . ع. الرباط، رقم ح 128 ؛ عكاشة برحاب، *المجال الحدودي بين المغرب والجزائر في مطلع القرن العشرين*، 1900 ـ 1912، منشورات كلية الآداب، المحمدية، 2002.

Rapport d'ensemble sur l'affaire d'Oujda, Décembre 1911, Carton n° 360 / Tanger - Maroc : Centre des archives diplomatiques de Nantes (France).

عكاشة برحاب

الطويل، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة انجرة حيث كانت تعرف باسم الشاط واتخذت اسم الطويل عندما هاجرت إلى تطوان، وقد أنجبت عدة فقهاء لم نعرف عنهم شيئاً باستثناء :

ـ محمد بن عبد الكريم الذي كان يزاول خطة العدالة بتطوان من سنة 1201 إلى 1208.

ـ عبد الرزاق بن عبد السلام الذي كان يعمل وكيلاً شرعياً سنتي 1240 و1241.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 831.

الطويلب، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة جبل حبيب اشتهر بعض أفرادها بتجويد القرآن الكريم حيث تذكر الوثائق المقرئين :

ـ محمد بن عبد الصمد المقرئ بجامع الرزيني كان بقيد الحياة سنة 1201.

ـ أحمد بن المختار المقرئ بجامع السوق الفوقي كان بقيد الحياة سنة 1214.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 832.

الطُّوَيلبْ، أحمد قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلة الحوز المجاورة لتطوان أنظم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يرأسها الشريف مولاي أحمد الريسوني وقد شارك في مؤتمرات الثورة المنعقدة.

ـ بضريح سيدي يسف التليدي يوم 7 ماي 1913

ـ عين الدالية يوم 11 من نفس الشهر

ـ ضريح مولاي عبد السلام بن مشيش يوم 20 يوليوز 1913 حيث انتخب عضو القيادة المركزية للثورة.

ـ قرية الثورة يوم 11 يناير 1915

وقد شارك في 38 معركة.

م. ابن عزوز، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب*، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **طويّر الجنة، الطالب أحمد** المصطفى التشيتي الوادني الشنقيطي، أصله من أغمات (ناحية مراكش)، ذلك أن جده السابع قدم منها إلى شنقيط، وهو ما يفسر زيارته لرجال أغمات خلال رحلته الحجية مرورا بالمغرب. فقد توجه إلى الحج سابع جمادى الأولى عام 1245 / 1830، وتلاقى بمراكش السلطان عبد الرحمان ابن هشام الذي أكرم وفادته وأنزله بجامع الولي الصالح سيدي ميمون الصحراوي، وأوصى به خيرا قائده على العرائش محمد أشعاش ليركبه من هذا الثغر باتجاه الإسكندرية بعد أن تعذر الذهاب إلى الحج برا عبر الجزائر التي كانت قد دخلتها قبل فترة وجيزة القوات الفرنسية.

أبحر ابن طويّر الجنّة صوب المشرق في فاتح جمادى الثانية 1246 / 17 ـ 11 ـ 1830، وكانت السفينة التي أقلته ملكا لأحد تجار فاس المقيمين في مدينة Livourne الإيطالية، التي عرفت في المصادر المغربية بالگرنة، واضطر إلى المكوث بهذه المدينة أياما بفعل تطبيق الحجر الصحي "الكرنتينة" على الحجاج المسلمين كما جرت العادة بذلك، وهذا ما أزعج كثيرا هذا الحاج الصحراوي، الذي اعتبر الاحتراز الصحي اعتقادا فاسدا مناقضا لمعتقد أهل السنة.

توقف ابن طوير الجنة في الإسكندرية، ومصر (القاهرة) حيث زار عددا من أضرحة الأولياء والعلماء، ثم سافر من السويس إلى ينبع البحر في الحجاز ليبدأ بعد ذلك شعائر الحج، وبعد قضائها ركب البحر إلى الإسكندرية ومنها إلى طرابلس الغرب، ولقي من علمائها قاضيها البنغازي، ومن هنالك توجه بحرا إلى تونس مارا بجزيرة جربة، وبقي ستة أشهر في تونس منتظرا مركبا يحمله إلى جبل طارق أو طنجة، وكان يود الرجوع إلى المغرب بحرا دون المرور عبر الجزائر، لكن حصل تحول مفاجئ في برنامج عودته جعله يدخل الجزائر، وقد اعتبر ابن طوير الجنة، وهو صوفي، هذا التحول من قبيل الكرامات. وبدخوله التراب الجزائري وقف على واقع تقلص أماكن العبادة نتيجة مباشرة للاحتلال

الفرنسي فكتب بأسى في رحلته المنى والمنة قائلا : "وضيّع النصارى جميع ما في الجزائر من المساجد والجوامع إلا جامع وزاوية الولي سيدي عبد الرحمان الثعالبي".

ركب ابن طوير الجنة رفقة عدد من الحجاج من بجاية على متن مركب حربي فرنسي أقله إلى جبل طارق بعد أن خضع للحجر الصحي مرة أخرى لمدة عشرة أيام، ويبدو أن الفرنسيين في الجزائر أدركوا قيمة هذا الحاج الشنقيطي وإمكانية توظيف تعاملهم الإيجابي معه في تقديم صورة مغايرة غير تلك التي رسمها واقع الاحتلال الاستعماري، فتعاملوا معه بكل الإجلال والحفاوة. وأركبوه الدرجة الممتازة من المركب (القامرة)، وقدموا له المؤن الكافية. وهذا التعامل الخاص مع الحاج ابن طوير الجنة، جعل بعض المعاصرين ينظرون إليه بعين الريبة. فقد شكا مجايله حمدان ابن عثمان خوجة الجزائري في كتابه *"المرآة"* المكتوب عام 1249 /1833 من إرغام السلطات الفرنسية للجزائريين على توفير الراحة لهذا الحاج ورفقائه في طريق أوبتهم من الحجاز إلى شنقيط، وربما حاول الفرنسيون الاستفادة منه باطلاعهم على بعض أخبار المغرب والصحراء لاسيما وأنه سبق وقابل السلطان ابن هشام.

وعند نزول أحمد بن طوير الجنة في جبل طارق، لم تكن حفاوة الانجليز به أقل من حفاوة الفرنسيين، والمرجح أن الاستقبال الحار من قبل حكام جبل طارق تم في إطار الدعاية ومعرفتهم بمكانته لدى عبد الرحمان ابن هشام، ولقائه بممثل فرنسا في الجزائر الدوق دي روفيگو. وتمثل حسن الاستقبال الانجليزي له في ضرب عشرين طلقة مدفعية، واستضافته ثلاثة أيام بكل مظاهر الأبهة، وحضوره التمارين والاستعراضات العسكرية. وعند مغادرته لجبل طارق أطلقت طلقات مدفعية بريطانية ردت عليها السفينة الفرنسية التي حملته إلى طنجة، وقد وجدت الحفاوة التي قبول بها من قبل الفرنسيين والإنجليز صداها في رحلة المنى والمنة، إذ سجل بشأنها "فوجدنا منهم من التبجيل والتكريم ما لا يحصيه إلا الله". وفي مرسى طنجة استقبله قائد مولاي عبد الرحمان ابن هشام محمد أو ميمون الكرواني، وقد غطت وقائع رجوع ابن طوير الجنة من الحج صحيفة Gibraltar Chronicle في عددها المؤرخ في 14 / 1 / 1833 ونعتته بـ"ملك شنقيط"، فقد وصل طنجة إذن منتصف يناير 1833.

وبعد ذلك قضى أسابيع في المغرب، فزار ضريح مولاي عبد السلام ابن مشيش، وتوجه إلى فاس حيث نزل في مقصورة القرويين، واشترى كتبا نفيسة ساعده على اقتنائها السلطان عبد الرحمان ابن هشام، الذي أدخله على زوجاته وبناته وجواريه ليتبركن به، ثم توجه إلى الصويرة، ومنها إلى شنقيط، وبذلك تكون رحلته الحجية استغرقت نحو خمسة أعوام ما بين 1245 - 1250 / 1829 - 1834. وقد سجل مشاهداته وانطباعاته ضمن مؤلفه رحلة المنى والمنة، التي حظيت ببعض الاهتمام خارج المغرب، إذ تم التعريف بها لأول مرة في *La Revue Africaine* مجلة الجمعية التاريخية الجزائرية، حيث قدم Destaing عرضا لأبرز محتوياتها في العدد الصادر سنة 1911، ثم كانت موضوع دراسة في انجلترة أنجزها Norris سنة 1977 تحت عنوان *The pilgrinage of Ahmed son of the Little Bird of Paradise*.

سجل ابن طوير الجنة في رحلته *"المنى والمنة"* الحفاوة التي قوبل بها من قبل الإنجليز والفرنسيين، لكنه أبدى الحسرة على ضعف دار الإسلام وتراجعها أمام القوى الأوربية، رابطا هذا التراجع باستيلاء الفرنسيين على الجزائر. وانفعل بوضعية مصر وطرابلس، رغم أنهما لم يخضعا بعد للاحتلال الأوربي، ومرد انفعاله إلى الكثافة العددية للأوربيين في هذين القطرين وحصول التمازج بينهم وبين المسلمين، وتقليد هؤلاء لهم في العادات والهندام، مما منحه الانطباع، وهو الوافد من بيئة صحراوية لا صلة لها بأوربا، بأن الغلبة أضحت للأوربيين. وعقد مقارنة بين وضعية المغرب ووضعية مصر وطرابلس بشأن العلاقة مع الأوربيين ليبرهن على ضعف الإسلام في المشرق ومحافظته على هيبته في المغرب استنادا إلى محدودية عدد الأوربيين (الكفار) في المغرب وحصرهم في مناطق معينة. غير أن نقمة ابن طوير الجنة على الأوربيين ونعتهم بالكفار لم تمنعه من الإطراء على ما يحملونه إلى المراسي المغربية من بضائع "...ففي كل حين تنزل سفن النصارى بكل خير في هذه المراسي". وهذا ما يبين نوعا من التنازع في موقفه بين السخط على الأوربيين بسبب ما يترتب عن الاختلاط بهم من سلبيات وبين الإقرار بفوائد العلاقات التجارية معهم.

من أبرز شيوخ ابن طوير الجنة، عبد الله ابن الحاج إبراهيم العلوي الذي لازمه حوالي عشرين سنة، وأخذ عنه علومه جميعها. ومن مؤلفاته، فضلا عن الرحلة المذكورة، كتاب *"فيض المنان في الرد على مبتدعة الزمان"*، تعرض فيه لبعض حوادث وقته. وقد توفي سنة 1266 / 1849 - 1850.

أ. ابن طوير الجنة، *رحلة المنى والمنة*، مخطوط، الرباط، رقم 380 مكل، ونسخة مصورة ميكروفيلم، الخزانة العامة، الرباط، رقم 1534 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 3، الرباط، 1975 ؛ ع. السلام ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، ط. 2، ج. 2، الدار البيضاء، 1965 ؛ ع. القادر زمامة، *تحليل لرحلة أحمد بن طوير الجنة*، مجلة البحث العلمي، العدد 28 ؛ م. المنصور، *عرض رحلة أحمد بن طوير الجنة*، مجلة المناهل، العدد 17، 1980 ؛ أبو القاسم سعد الله، *تجارب في الأدب والرحلة*، الجزائر، 1983 ؛ الخليل النحوي، *بلاد شنقيط المنارة والرباط*، تونس، 1987 ؛ ع. أفا، *طنجة من خلال رحلة أحمد بن طوير الجنة الشنقيطي*، ضمن أعمال ندوة *طنجة في التاريخ المعاصر : 1800 - 1956*، الرباط، 1991.

La Revue Africaine, 1911, pp. 216 - 231 ; H.T. Norris, *The piligrinage of Ahmed son of the Little Brd of Paradise*, Warminster, England, 1977.

أحمد المكاوي

طير أبابيل، جنس طيور برية طويلة الجناحين قصيرة القائمتين والمنقار مسطحة الرأس سريعة الطيران، تقضي النهار محلقة في الفضاء وتكاد تكون دائمة الطيران. يشبه خطاف الشعر السنونو في هيأته وتشعب ذيله ولكنه من غير رتبته وفصيلته. لا تميز العامة بينه وبين خطاف الشعر وتسمى خطف وصيص في لبنان وأبابيل في الهند وخطاف جبلي وخشاف في العراق ومصر وهوار وعوهق وبلسك في الشرق العربي، وهو طير أبابيل الوارد في القرآن الكريم في سورة الفيل. يعد من أنفع الطيور لما يلتهمه في طيرانه من حشرات مضرة للإنسان ولاسيما البعوض.

يصنف إلى رتبة مشقوقات المناقير Apodiformes وفصيلة السمائم عديمات القوائم Apodidae. لا يقف ولا يمشي على الأرض بتاتا ويستريح أحيانا على قضبان وأسلاك الكهرباء وأغصان الأشجار. الجناحان طويلان جدا منجليتا الشكل ومستدقتا الرأس تساعدان على السرعة حيث تتعدى أحيانا 100 كلم في الساعة. الإناث شبيهة بالذكور.

تتكون فصيلة السمائم Apodidae من 65 نوعا في العالم منها 6 أنواع تقضي فصل الربيع والصيف في المغرب بصفة منتظمة وتشتو في ضواحي إفريقيا الاستوائية والجنوبية. خمسة منها تتوالد في المغرب :

- طير أبابيل الأسود يدعى علميا Apus apus وبالفرنسية Martinet noir وبالإنجليزية Swift وبالإسبانية Vencejo comun وبالإيطالية Rando ويعد من السمائم الشائعة في المغرب، أسود المنقار قصيره، ريشه بني أسود على سائر الجسد وعلى أسفل المنقار بقعة فاتحة. يبلغ طول الجسم 16 - 17 سم ويزن الكبار 30 - 50 كراما وتبلغ بسطة الجناحين 40 سم. الذيل مشعب قليلا وقصير، يعيش في أسراب متعددة الأفراد وأحيانا مزدوجة ويألف الصخور والأجراف وجدران القرى والمدن ويبني العش على حاشية سقوف المنازل وبين

صخور الأجراف. يتوالد بين مارس ويونيو ويبيض مرة في السنة 2 - 3 بيضات ناصعة البياض يبلغ طول قطريها 16 x 25 ملم وتزن 3.2 - 4.2 كرام، يحضنها الزوجان بالتناوب 16 - 21 يوما. تبقى الصغار بداخل العش 5 - 8 أسابيع ويقدم لهم الأبوان الأكل على شكل كرويات صغيرة تتكون من 200 - 300 حشرة صغيرة. يتوالد هذا النوع في شمال المغرب وتونس والجزائر وفي أوربا ويهاجر إلى إفريقيا الوسطى والجنوبية في بداية أكتوبر ليقضي الفصول الباردة.

- طير أبابيل الشاحب يدعى علميا Apus pallidus وبالفرنسية Martinet pâle وبالإنجليزية Pallid Swift وبالإسبانية Vencejo palido وبالإيطالية Rondonne pallido. يتوالد في المغرب بصفة منتظمة وهو نادر جدا في أوربا، أسود المنقار واسعه، ريشه بني أسود على الظهر والجناحين والبطن وأبيض شاحب على العنق. كثير الشبه بطير أبابيل الأسود ويصعب التمييز بينهما. يبلغ طول الجسم 40 كرام، وتبلغ بسطة الجناحين 50 سم وتزن الكبار حوالي 16 سم. يعيش في أسراب متعددة الأفراد ويألف الصخور والأجراف وجدران القرى والمدن ويبني العش على حاشية سقوف المنازل العالية القديمة وبين صخور الأجراف. يتوالد بين مارس ويونيو ويبيض 2 - 3 بيضات ناصعة البياض تحضنها 19 - 21 يوما. يقضي هذا النوع فصلي الربيع والصيف في المغرب والجزائر وتونس وفي الشرق العربي وتركيا ويهاجر بعد التوالد إلى إفريقيا الوسطى والجنوبية في بداية أكتوبر.

- طير أبابيل الألب أو سمامة الصرود كما يسمى في الشرق العربي، يدعى علميا Apus melba وبالفرنسية Martinet alpin وبالإنجليزية Alpine Swift وبالإسبانية Vencejo real وبالإيطالية Rondone alpino. أكبر أنواع السمائم حجما حيث يبلغ طول الجسم 21 سم ويزن الكبار حوالي 80 كرام وبسطة الجناحين 60 سم. يتوالد في المغرب بصفة منتظمة وفي معظم أقطار حوض البحر المتوسط والشرق العربي. الريش بني أسود على الظهر والجناحين وأبيض شاحب على العنق والصدر والبطن. يهاجر بعد التوالد إلى إفريقيا الوسطى والجنوبية في بداية أكتوبر.

- طير أبابيل فلسطين يدعى علميا Apus affinis وبالفرنسية Martinet à croupion blanc وبالإنجليزية Little swift وبالإسبانية House swift وبالإيطالية Vencejo real Rondone alpino. أصغر الأنواع حجما إذ لا يتعدى طول الجسم 12 سم ويتميز بذيل غير متشعب وبقعة كبيرة من الريش الأبيض على الردف. الريش بني شاحب إلى أسود

على الظهر والجناحين. يتوالد في المغرب والجزائر وتونس وفي الشرق العربي وتركيا ويشتو على السواحل الأطلسية المغربية والجنوبية.

ـ طير أبابيل أبيض الردف يدعى علميا Apus cafer وبالفرنسية Martinet de cafrerie وبالإنجليزية White-rumped Swift وبالإسبانية Vencejo cafro وبالإيطالية Rondone cafro. أكبر بقليل من طير أبابيل فلسطين ويختلف عنه في تشعب الذيل وفي صغر حجم البقعة البيضاء على الردف. يبلغ طوله 14 سم ومنه مجموعة كبيرة تتوالد في الأطلس المتوسط والكبير ولا وجود له في أوربا والشرق العربي. يشتو في إفريقيا الجنوبية.

ـ طير أبابيل السهول يدعى علميا Apus unicolor وبالفرنسية Martinet de plaine وبالإنجليزية Plain swift. أصغر من طير أبابيل الأسود وريشه بني داكن موحد على الجسم. يبلغ طوله 15 سم ومنه عدة مجموعات تشتو على السهول الساحلية الأطلسية. لا يتوالد في المغرب ولا وجود له في أوربا وفي الشرق العربي. يشتو أيضا على سواحل إفريقيا الوسطى والجنوبية.

تحظى أنواع طير أبابيل بعطف واحترام من الانسان الذي يعتبرها من الطيور المقدسة كطيور خطاف الشعر فلا يؤذيها ولا يقترب من أعشاشها.

محمد رمضاني، خطاف الشعر، *معلمة المغرب*، الجزء 11 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*, 1979, 320 p. ; C. Harrisson, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleur*, Elsevier, 1977, 430 p.

طير البقر، كما هو شائع عند العامة في المغرب العربي وأبو بقر وأبو غنم في الشرق العربي والبيوضي وابن الماء في اللسان العربي، نوع من الطيور الشائعة في المغرب يسمى علميا Bubulcus ibis وبالفرنسية Héron garde bœuf وبالإنجليزية Cattle egret. قالت الخنساء في وصفه :

وإذا البيض لبسْنَ معا كبنات الماء في الماء الكدر
ريشه أبيض ناصع على سائر الجسد وتتميز الذكور بخصلة من الريش المذهب المصفر على الرأس والعنق تظهر خلال فترة التوالد. يختلف هذا الطائر عن البلشون بساقيه المحمرتين ومنقاره المصفر. يبلغ طول بسطة الجناحين 90 سم وطول الجسم 48 ـ 52 سم. يألف الغابات الصنوبرية والأدغال والمزارع وضفاف الأنهار ويقترب من القرى والمدن، كما أنه يرافق قطيع البقر وغيرها من المواشي ويكثر في المزارع أثناء موسم الحرث ليأكل الديدان والحشرات والخراطين التي يخرجها المحراث والجرار من داخل التراب.

وهو طائر شائع في مختلف المناطق المغربية الشمالية والوسطى لا يصيده الإنسان ويفترسه العقبان والصقور. تم إحصاء أكثر من 20 ملجأ شتويا عبر التراب الوطني يتخذه هذا الطائر مبيتا له ومكانا للتوالد. يضم ملجأ جزيرة أبي رقراق آلاف الوحدات ويعد من أهم المجموعات المغربية إلى جانب ملجأ بوقنادل والصخيرات والمنصورية قرب المحمدية وبوسكورة ومكناس وإيموزار كندر وفاس وضاية أفوركاغ والراشدية وورزازات والعرائش ووجدة. يعيش في مجموعات كثيرة العدد ومعظم أفراده من القواطع يشتون في إفريقيا وآسيا الغربية. يتوالد في المغرب وفي مناطق حوض البحر المتوسط ونادر جدا في أوربا الجنوبية. تبيض الإناث بين فبراير ومارس وتُصنع الأعشاش متقاربة مع بعضها على أغصان الأشجار وتفرش بقطع الأعشاب. يتراوح عدد البيض بين 30 وطول قطرها الكبير 46 ملم. تدوم مدة الحضانة 21 ـ 25 يوما. تغادر الفراخ العش بعد 30 يوما. يتغذى من العناكب والحشرات والديدان يبحث عنها في المناطق الرطبة وفي الضايات وضفاف الأنهار والبحيرات والمزارع.

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*, 1979. ; C. Harrison, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleurs*. Elsevier, 1977. ; M. Thevenot, P. Beaubrun, R. E. Baouab et PE. Bergier, *Compte rendu d'ornithologie marocaine*, Rabat, 1982..

طير الليل، كما ينطق به في شمال أفريقيا وفي الشرق العربي وسحاة الليل في بعض مناطق المغرب، حيوان من طائفة مجنحات الأيدي يمثل رتبة خاصة داخل مجموعة الثدييات، ومن أسمائه خفاش وخشاف وهي واردة في اللغة وشائعة في العراق وسوريا ووطواط في مصر والشام والسودان وسحا وسحاة الليل شائعة في شرق جزيرة العرب ويسمى أيضا في الشرق العربي أشرف وطمروق وطرموق. تسمى في المعاجم الوطاويط للكبيرة منها والخفافيش والأذاني والعماش للصغيرة منها وهي أجناس وأنواع يفوق عددها 900 في العالم وليس لها في الطيور في شيء من صفاتها وتكوينها.

طيور الليل ليلية النشاط شكلها كالفأر تماما، تتميز بقوائمها المتحولة إلى أجنحة حقيقية تطير بها في الأجواء وتلتجئ نهارا إلى سقوف الكهوف والمنازل المهجورة وفجوات

الصخور والأشجار وغيرها من الأماكن المظلمة لتنام وتستريح متعلقة ومتشبثة بمخالبها بكل ما تجده في السقوف ورأسها إلى أسفل. يتكون الجناح من جلد رقيق يربط الذراعين والقائمتين الخلفيتين إلى الطرف الأساسي أو النهائي من الذيل حسب الأنواع. تحتوي القائمتان الأماميتان على خمسة أصابع، أربعة منها طويلة جدا وملتحمة فيما بينها بغشاء مزدوج، الإبهام أو الأصبع الخامس قصير وحر منفصل عن الأصابع الأخرى وينتهي بمخلب يستعمل لإمساك حواشي الصخور والسقوف.

تلد الأنثى صغيرا واحدا كل سنة ونادرا صغيرين، ترضعه وتحنو عليه كما تفعل الثدييات، تثبته على القضبان أو السقوف وتعتني به حوالي 30 يوما ثم يتعلم الطيران بعد ذلك ليصير حرا يبحث عن الحشرات كما يفعل الآباء. يعمر سنة على الأكثر. تقضي معظم الأنواع فصل الشتاء25 بداخل الكهوف والمغارات وتكفّ عن الأكل مدة طويلة. منافعها كثيرة للإنسان بأكلها للحشرات المضرة للنباتات. أنواع الوطاويط المصاصة والنزافة تعيش في المناطق الاستوائية وتحت الاستوائية بأمريكا ولا وجود لها في المغرب.

الخفاش قليل البصر وليس فاقده يكثر نشاطه ليلا فيغادر السقوف بعد غروب الشمس ليلقي بجسمه في الفراغ حتى إذا انتشر الجناحان استطاع أن يرتفع في الجو ويطير بسرعة كبيرة ليلتقط الحشرات الليلية وهي طائرة. ومن خصائصه استخدامه لموجات العودة أو الصدى، أي ما يسمى بالرادار، يتحسس به لتفادي العوائق التي تعترض طريقه ولتحديد مسافة الحواجز وتمييز الحشرات الطائرة التي تشكل قوته اليومي. فهو يحدث أصواتا ذات ذبذبات ترددية عالية تمتد أمامه ثم تنعكس على ما تنعكس عليه أصداء تتحسسها أذناه فترشده الطريق وتكشف له موقع الفريسة. تخرج هذه الأصوات على شكل نبضات متواصلة تأذن للصدى أن يرتد.

تنتمي الأنواع التي تعيش في المغرب إلى رتبة مجنحات الأيدي الصغيرة ميكروكيروبتيرا Microchiroptera تتميز بشعر ناعم وعينين صغيرتين وأذنين كبيرتين. تم جرد 26 نوعا في المغرب، ينتمون إلى 5 فصائل :

- فصيلة الخفاشيات Verspertilionidae وتضم 15 نوعا منها الخفاش الأسمر الصغير الشائع في مختلف المناطق المغربية ومناطق حوض البحر المتوسط. يسمى علميا Myotis blythi أو Myotis myotis وبالفرنسية Petit murin وبالإنجليزية Lesser mouse-eared bat وبالإسبانية Murcielago ratonero. شعره أسمر وفمه مخروطي الشكل، يبلغ طوله 6 ـ 8 سم وطول ذيله 5 سم. صيغة أسنان الأنواع كالتالي : 2 / 3 قواطع، 1 / 1 أنياب، 3 / 3 أضراس أمامية، 3 / 3 أضراس = 38 سنا. الأسماء العلمية للأنواع الأخرى من نفس الفصيلة كالتالي :

Myotis capaccinii ; Myotis mystacinus ; Myotis emarginatus ; Myotis nattereri ; Pipistrellus pipistrellus ; Pipistrellus kuhli ; Pipistrellus savii ; Pipistrellus rueppelli ; Nyctalus lasiopterus ; Eptesicus serotinus ; Otonycteris hemprichi ; Barbastella barbastellus ; Plecotus austriacus ; Miniopterus schreibersi.

يحتمل وجود أنواع من نفس الفصيلة ومن فصائل أخرى في المناطق الصحراوية المغربية التي تحتاج إلى استكشافات علمية ميدانية تتعلق بالتعريف والتوزيع الجغرافي لمجنحات الأيدي.

- فصيلة رينوبوماتيدي Rhinopomatidae وتتكون من نوعين يتميزان بمتك مستقيم تعلوه ورقة أنفية بدائية وبأذنين مثلثتي الشكل، صيغة أسنانهما كالتالي : 1 / 2 قواطع، 1 / 1 أنياب، 1 / 2 أضراس أمامية، 3 / 3 أضراس = 28 سنا، يدعى الصغير منهما Rhinopoma microphyllum وبالفرنسية Petit Rhinopome ويسمى الكبير منهما Rhinopoma hardwickei وبالفرنسية Grand Rhinopome. يعيشان في مغاور الأطلس الصغير وفم الحسن وزاكورا وميدلت.

- فصيلة ورقيات المناخير العماشيات أو الطمروقيات وتتكون من سبعة أنواع تتميز بأذنين كبيرتين وعريضتين وبورقة منخرية معقدة جهتها السفلية شبيهة بحذوة الحصان يعتمد عليها في تصنيف الأنواع. الجناحان واسعان تغطيان الجسد بأكمله. صيغة الأسنان كالتالي : 1 / 2 قواطع، 1 / 1 أنياب، 2 / 3 أضراس أمامية، 3 / 3 أضراس = 32 سنا. من بين الأنواع الشائعة في المغرب عماش حذوة الحصان Rhinolophus ferrumequinus يدعى بالفرنسية Grand Greater horseshoe وبالإنجليزية rhinolophe fer à cheval وبالإسبانية Rinolofo grande herradura . يبلغ طوله 5 ـ 6 سم وطول ذيله 4 سم. يألف المغارات والحظارات وشائع في مختلف المناطق المغربية وفي شمال إفريقيا وأوربا. الأسماء العلمية للأنواع الأخرى من نفس الفصيلة كالتالي :

Rhinolophus hipposideros, Rhinolophus euryale, Rhinolophus mehelyi, Rhinolophus mehelyi, Rhinolophus blasii, Hipposideros caffer, Asellia tridens.

. فصيلة نكتيريدي Nycteridae وتضم نوعا واحدا يدعى علميا Nycteris thebaica وبالفرنسية Nyctère de la thebaïde. يبلغ طوله 5 سم وطول ذيله 5 سم. صيغة أسنانه كالتالي : 2 / 3 قواطع، 1 / 1 أنياب، 1 / 2 أضراس أمامية، 3 / 3 أضراس = 32 سنا. يعيش في مغاور وادي الشراط وسوس وماسة وأكادير ويعيش أيضا في أفريقيا وفي الجزيرة العربية.

. فصيلة مولوسيدي Molossidae وتتكون من نوع واحد يسمى علميا Tadarida teniotis وبالفرنسية Molosse de Cestoni وبالإنجليزية Free-taillet bat وبالإسبانية Murcielago rabudo.

مظهر وجهه شبيه بالكلب لكون أذنيه منتنيتين ومنحنيتين على جانبي الرأس. صيغة أسنانه كالتالي : 1 / 3 قواطع، 1 / 1 أنياب، 2 / 2 أضراس أمامية، 3 / 3 أضراس = 32 سنا. شائع في مختلف المغاور المغربية ويتغذى من الحشرات.

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932 ؛ الموسوعة الحديثة، *عالم النباتات والحيوانات*، سيلكا - سويسرا، 1990.

S. Aulagner & M. Thevenot, *Catalogue des mammifères sauvages du Maroc*, Rabat, 1986.

محمد رمضاني

طيراس هانري (1895-1971)، مؤرخ فرنسي يدين له تاريخ المغرب، وبخاصة منه تاريخ فنون المعمار، بما لا يحصى من الأبحاث، وموظف من كبار موظفي سلك التعليم في عهد الحماية الفرنسية. ولد يوم 8 غشت 1895 في قرية فرينيي Vrigny بمقاطعة اللواري Loiret جنوب باريس. وما أن قطع مراحل التعليم الابتدائي والثانوي حتى اندلعت نيران الحرب العالمية الأولى، فنزل إلى ساحة القتال وأدى الواجب الوطني. ولما وضعت الحرب أوزارها، اجتاز مباراة دخول مدرسة المعلمين الشهيرة في زنقة أولم Ulm بباريس، وذلك سنة 1919، وتخرج منها سنة 1920 حاملا لشهادة التبريز، ليلتحق بالمغرب وينخرط في سلك التعليم بالثانويات الفرنسية. لكن هانري طيراس لم يكن ممن يكتفي بتعليم الأطفال والمراهقين، إذ كان من طينة المشغوفين بالنبش والتنقيب والبحث عن السوابق واللواحق، سيما وقد جاءت به الأقدار إلى بلد كالمغرب كان الماضي فيه لايزال حاضرا والحاضر يوحي من ذات اليمين وذات الشمال بالماضي القريب والبعيد. وقد اعتنى طيراس من توه بتاريخ الفنون الإسلامية، وذلك في سياق ما كان للمقيم العام المارشال ليوطي من العناية بآثار المغرب في الإبداع الفني، وما كان من حرصه على إحيائها وصيانتها وإلزام أهل البلاد والدخلاء عليهم من الأجانب على رعايتها وتذوق جمالها. فما أن التحق هانري طيراس بمعهد الدراسات العليا الإسلامية حتى أسندت إليه سنة 1923 إدارة الدراسات الأركيولوجية والفنون الإسلامية. فاشتغل مع هانري باسي Henri Basset بدراسة المساجد والحصون الموحدية، ونشرت حصيلة أبحاثهما في مجلة هسبريس، وهي يومئذ في طور النشأة الأولى. ثم إنه اتصل بجورج مارسي Georges Marçais، الذي كان قطب البحث التاريخي في حضارة الإسلام الغربي وفي تاريخ فنونه، والأستاذ الذائع الصيت في كلية الآداب في الجزائر المحتلة. وبإشرافه أعد هانري طيراس أطروحته لنيل درجة الدكتورة في موضوع الفن الإسباني المورسكي من الأصول إلى القرن الثالث عشر الميلادي وناقشها سنة 1933. مما أهله ليصبح رئيس مصلحة الآثار التاريخية، وهي وظيفة ظل يمارسها إلى أن غادر المغرب بصفة نهائية سنة 1957. وكان له الفضل في نفض الغبار عن كثير من بدائع الإرث المعماري المغربي. وقد عيّن سنة 1941 مديرا لمعهد الدراسات العليا الإسلامية الذي كان بمثابة نواة جامعية شبه متكاملة. وفي سنة 1945 خلف جورج مارسي على كرسي الأركيولوجيا الإسلامية في كلية الآداب بالجزائر العاصمة، بحيث كان في تلك الحقبة من حياته يدرس في الجزائر ويدرس في الرباط، ويشرف على إدارة معهد الدراسات الإسلامية العليا وعلى مفتشية الآثار التاريخية في المغرب. وذاع صيته وتجاوز الأوساط الجامعية ليمتد إلى عموم من يقرأ باللغة الفرنسية بعد صدور كتابه الجامع عن تاريخ المغرب في مجلدين سنة . فصار قطب البحث التاريخي في المغرب في السنوات1949 الأخيرة من الحماية. واعترف له بذلك داخل المغرب وفرنسا وخارجهما، بدليل ما نال من ألقاب التشريف والتكليف العلمي، إذ كان عضوا مراسلا لأكاديمية الفنون الجميلة في فرنسا منذ 1933. كما صار عضوا مراسلا لأكاديمية التاريخ الإسبانية. وانتخب عضوا في معهد الفنون الأدبية الفرنسي سنة 1953، ونال درجة الدكتورة الشرفية من جامعة أكسفورد الإنجليزية سنة 1954. كما خوّل العديد من الأوسمة الفخرية والنياشين التكريمية، ومنها الوسام العلوي من درجة ضابط كبير.

ولقد غادر هانري طيراس المغرب بصفة نهائية سنة 1957 ، دون أن يبتعد عنه لا في المجال ولا في العمل، إذ أسندت إليه إدارة "دار فيلاسكيث"، المعهد الفرنسي في مدريد الذي يأوي إليه كل من يشتغل من الباحثين الفرنسيين بمكونات الحضارة الإسبانية. وكانت تلك هي آخر مهمة قام بها قبل أن يحال على المعاش سنة 1965، ويعود إلى فرنسا حيث وافاه الأجل المحتوم يوم 11 أكتوبر سنة 1971، مأسوفا عليه من قبل كل من له إلمام بما بذله من الجهد والمثابرة من أجل التأسيس لدراسة الفنون المغربية في تجلياتها بين العدوتين. ويمكن اعتبار هانري طيراس من بناة الحماية الفرنسية في المغرب. ولذلك لم يكن مبرءا من كل نزعة استعمارية، فلم يتقبل، بما كان ينبغي لعالم في مستواه من سعة الصدر، الحركة الوطنية المغربية وحاجة المغاربة إلى استرجاع سيادتهم للزحف خطوة أخرى على درب النهضة والرقي. فامتنع عن

زيارة المغرب بعد هجرته منه. ولكن المغرب، لا يمكن أن ينسى ما أسداه له هذا العالم من الخدمات للتعريف بعبقرية أبنائه ومواهبهم في الإبداع الفني عبر العصور.

Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée. n°12. 2ème semestre, 1972.

إبراهيم بوطالب

الطيطوي (طائر -)، كما في المعاجم وكما ينطق به في بعض المناطق المغربية وفي الشرق العربي، جنس طيور من القواطع موطنه الأصل أوربا وآسيا الغربية ؛ يألف المستنقعات والبحيرات الشاطئية والقارية ومجاري المياه ومصبات الأنهار. يصنف إلى فصيلة دجاجيات الأرض الكركيات Scolopacidae طوال الساق والمناقير، يقتات من الديدان والرخويات والحشرات والقواقع بداخل البحيرات. الريش رمادي بني داكن على الظهر والجناحين وأشقر فاتح على الصدر والبطن. الذيل قصير ومستقيم المؤخرة عليه خطوط بيضاء وبنية داكنة.

منه 8 أنواع تتوارد كل سنة على مختلف المناطق الرطبة والشاطئة المغربية لتقضي فيها فصلي الشتاء والخريف ثم تعود إلى أوربا الوسطى والشمالية لتتوالد.

• الطيطوي الشائع أو زمار الرمل كما هو في الشرق العربي Tringa hypoleucos يدعى بالفرنسية Chevalier guignette وبالإنجليزية Common sandpiper وبالإسبانية Andarrios chico وبالإيطالية Piro-piro piccolo. طول الجسم 19 سم ويزن الكبار حوالي 70 غراما. يعيش في مجموعات متعددة الأفراد ويألف البحيرات الشاطئية والقارية، يقتات من العناكب والحشرات والصدفيات والقواقع. يتوالد في أوربا الوسطى والشمالية وآسيا الغربية بين أبريل ويونيو وينصب العش على ضفاف الأنهار. تبيض الإناث 3 ـ 4 بيضات رمادية مخضرة شاحبة منقطة بالأسود، يبلغ طول قطرها الكبير 36,4 ملم وقطرها الصغير 26,3 ملم. يحضن البيض بالتناوب بين الزوجين حوالي 3 أسابيع وتبقى الصغار أسبوعين بداخل العش. يشتو هذا الطائر في إفريقيا الشمالية وشواطئ البحر المتوسط. منه مجموعات تقدر بآلاف الأفراد تأتي إلى المغرب عبر مضيق جبل طارق لتستقر في مختلف المناطق الرطبة الساحلية والقارية منذ أكتوبر إلى مارس من كل سنة. يكثر عدده بالأخص في بحيرة مولاي بوسلهام والوالدية والناظور. وقد شوهد طائر من هذا النوع في ضواحي سيدي إفني يحمل خاتما وضع على ساقه في إكوسيا وآخر في بني ملال وضع على ساقيه خاتم في السويد.

• طيطوي مقتال Phylomachus pugnas يسمى حجوالة في بحيرة مولاي بوسلهام ويدعى بالفرنسية Chevalier combattant وبالإنجليزية Ruff وبالإسبانية Combatiente وبالإيطالية Combattente. الريش رمادي أسمر فاتح على الظهر والجناحين. طول الجسم 29 سم عند الذكور و23 سم عند الإناث وتزن الكبار 90 غراما. شائع في مختلف المناطق الرطبة المغربية خلال فصل الشتاء وبداية فصل الربيع. يضع عشه بين أعشاب ضفاف المستنقعات والبحيرات وتلد الإناث 4 بيضات زيتونية شاحبة منقطة بالبني الداكن، يبلغ طول قطرها الكبير 44 ملم وقطرها الصغير 31 ملم. تدوم مدة الحضانة 3 أسابيع وتغادر الصغار العش مباشرة بعد التفقيس وتقوم الأم بحراستها وبتغذيتها من الحشرات.

• طيطوي أحمر الساقين Tringa totanus يدعى بالفرنسية Chevalier gambette وبالإنجليزية Redshank وبالإسبانية Archibebe comun وبالإيطالية Pettegelo. الريش رمادي فضي فاتح. أحمر الساقين وأسمر المنقار، يبلغ طول الجسم 28 سم شائع في مختلف المناطق الرطبة الساحلية المغربية خلال فصل الشتاء والربيع. يكثر عدده في مصب نهر سوس وسبو وملوية والبحيرات الساحلية كالناظور ومولاي بوسلهام وسيدي موسى.

• طيطوي أخضر الساقين Tringa nebularia يسمى بالفرنسية Chevalier aboyeur ويبلغ طول الجسم 30 سم، المنقار مسود ومعوج قليلا، شائع على السواحل المتوسطة والأطلنطية وفي البحيرات الساحلية والقارية وفي مصبات الأنهار والسدود المغربية.

• طيطوي البطائح أو طيطوي الغياض في مصر يسمى علميا Tringa stagnatilis وبالفرنسية Chevalier stagnatile، يألف البحيرات ومصبات الأنهار. نادر في المغرب، منه مجموعات صغيرة تعيش في مصب نهر ملوية وماسة خلال فصلي الشتاء والربيع.

• طيطوي الغابات يسمى علميا Tringa glareola وبالفرنسية Chevalier sylvain، أخضر الساقين وأسود المنقار، يتوالد في المستنقعات المحاطة بالأشجار وفي الغابات، منه مجموعات متعددة تعيش في بحيرات الأطلس المتوسط ونهر تانسيفت ونفيس وسوس ماسة ومولاي بوسلهام والوالدية وسيدي موسى وبحيرة الناظور ومصب نهر ملوية.

• طيطوي مزاح يسمى علميا Tringa erythropus وبالفرنسية Chevalier arlequin، أخضر الساقين وأسود المنقار، الإناث شبيهة بالذكور ويبلغ طول الجسم 30 سم، شائع في مختلف المناطق الرطبة القارية والساحلية ويكثر عدده في بحيرة الناظور ومولاي بوسلهام والوالدية وخنيفيس والداخلة وضاية الرومي وضاية عوا.

• طيطوي أبيض الذيل Tringa ochropus يسمى بالفرنسية Chevalier cul-blanc، أخضر الساقين وأسود المنقار، الإناث شبيهة بالذكور ويبلغ طول الجسم 22 سم، يكثر عدده بين شتنبر ومارس في كل البحيرات القارية والساحلية وخاصة منها بحيرة الناظور ومولاي بوسلهام والوالدية وضاية سيدي علي وأكلمان لعيزيزة وضاية عوا.

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*, 1979 ; C. Harrison, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleurs*, Elsevier, 1977 ; M. Thevenot, P. Beaubrun, R. E. Baouab et P. Bergier, *Compte rendu d'ornithologie marocaine*, Rabat, 1982.

محمد رمضاني

الطيفور، أسرة سوسية من الأسر التي تمرست على مشيخة قبيلة العوينة، إلى الجنوب من مدينة تيزنيت. يرجع أصل موطنها إلى قبيلة إيسي بالأطلس الصغير الأوسط، وبالتحديد من قرية أنسيس. ومازال مشهد أحد أجدادها (موسى بن سيار) يزار لها.

نجهل بالتحديد تاريخ استقرار الأسرة بالعوينة، وإن كانت الروايات ترجح فترة قبيل مقتل المتمرد أبي حلايس الذي احتمى بفخذ "أيت بنوح" من نفس القرية. وكان لأسرة آل الطيفور ذكر في سياق الأحداث التي شهدتها العوينة آنذاك. ويبدو أن نفوذ الأسرة الكبيرة داخل فخذ "أيت تلمشت"، أهل بعض أفرادها لتقلد مسؤوليات داخل مجلس "اينفلاس" قبيلة العوينة. وفي هذا الصدد أبان الشيخ إبراهيم بن داوود الطيفور، خلال النصف الثاني من القرن(19)، عن مؤهلات في تدبير شأن القرية، من قبيل الصرامة في تطبيق القوانين العرفية، وتمتين العلاقات بأعيان تيزنيت وأگلو على السواء.

الطيفور، العربي بن إبراهيم من كبار رجالات الأسرة، ذاع صيته واشتهر أمره بعد وفاة والده. تزامنت فترة مشيخته مع التحول الذي طال بلده تيزنيت، التي ارتقت إلى مركز مخزني عقب تسويرها من طرف الحسن الأول 1882، وتعيين خليفة مخزني قاربها. ويبدو أن هذا الأمر أثار حفيظة الشيخ العربي الطيفور، الذي لم يكن إلى جانب أعيان العوينة، مستعداً أو مهيّأ لتقبل الاطار السياسي والاقتصادي الجديد الذي يمكن أن تدشنه الأجهزة المخزنية بتيزنيت. لأن ذلك سيكون إيذاناً بتقلص وتدني سلطات مجلس الأعيان (إينفلاس) في إطار نظام العرف، لصالح قياد تيزنيت. وقد انحاش محمد بن الحسين الإيليغي إلى جانب الشيخ العربي الطيفور، محاولاً التأثير على القرارات المخزنية من خلال التأكيد على مسألة الحسم في "قيادة" العوينة. بحيث لا تخلو رسائله إلى السلطان من مطالبة هذا الأخير بتعيين الشيخ العربي قائداً على إخوانه أهل العوينة، أو التدخل لتطويق الموقف الذي آل إلى صراع مكشوف بين تيزنيت وأگلو. بل صاحب المترجم إلى مراكش سنة 1307 / 89-1890 لمقابلة السلطان، كمحاولة لإقناع المخزن بموقف أهل العوينة المؤيد لتعيين الشيخ العربي الطيفور قائداً قريتهم. إلا أن التزنيتيين كانوا يعارضون هذه الفكرة، يقيناً منهم بأن ذلك يعتبر إيذاناً بتوغل نفوذ إيليغ بالمنطقة، وبالتالي ترجيح كفة حلف "تاگوزولت" المعارض. ويظهر في سياق الأحداث أن السلطان قابل اقتراحات زعيم إيليغ بنوع من المماطلة، وحسم الأمر لصالح قائد تيزنيت.

ومهما يكن فإن الشيخ العربي الطيفور، استطاع أن ينشر نفوذ العوينة بعيداً عنها، إذ كانت بعض قرى أيت براهيم تدين له بالولاء، قبل أن يسقط قتيلا في إحدى المواجهات بقرية "أگادير أو فلا" سنة 1308 / 90-1891.

الطيفور، موسى بن إبراهيم من أبرز شخصيات أزغار تيزنيت على الإطلاق خلال النصف الأول من القرن العشرين. ولد في حدود 1308 / 1890، أبان منذ صغره عن استعداد كبير ومهارة نادرة لتحمل المسؤولية من خلال ملازمة ومصاحبة والده في ترحاله، ومشاركته في مهامه. كما ظهر ولوعه المبكر بالفروسية.

والظاهر أنه كان ما يزال في طور الفتوة عندما اغتيل والده من قبيلة أگلو، وتوالت بذلك الشدائد على العائلة، مما أجبرها على النزوح إلى قبيلة أيت باعمران. وكان خروجها بتواطؤ مع بعض الرؤساء المنافسين والمدعمين من قائد أگلو آنذاك، وخاصة من عائلة إدعلي بن براهيم التمنارتي بقرية "أيت بنوح".

لكن سرعان ماعادت الأسرة إلى العوينة، وكان لها اتصال مبكر بالفعاليات المخزنية بتيزنيت ومراكش. وعندما حل القائد الطيب الكتافي بسوس 1917، بادر دون تردد، لأسباب نجهلها، إلى استقدام المترجم إلى مقر القيادة بتيزنيت، وأسند إليه مشيخة العوينة، بعد إزاحة الشيخ مسعود بن محمد التمنارتي، وكان ذلك إيذاناً برجوع عائلة آل الطيفور إلى دفة التسيير. ورغم صغر سنه، فقد كان في مستوى تحمل أعباء المسؤولية الملقاة على عاتقه، واستطاع باستقامته وذكائه وتدبيره المحكم، أن يفوز بثقة رؤسائه بتيزنيت.

ومما يسجل له، دوره الفعال والحاسم في سياق مجموعة من الأحداث التي ميزت أزغار تيزنيت وأحوازه على عهد الحماية :

- فمن علو شأنه، مشاركته في المفاوضات التي كانت تتم آنذاك بين قادة المقاومة والجهاد بالأطلس الصغير تحت قيادة الأخوين أحمد الهيبة ومربيه ربه، والقائد المدني الاخصاصي من جهة، ومن جهة أخرى سلطات الحماية، لترتيب استسلام القبائل الجبلية.

- كما ارتبط اسمه بما يعرف بـ"طائرة مير اللفت"، فبفضل حنكته وفطنته، استطاع أن ينتقل إلى مير اللفت، وتمكن من تسريح ربابنة الطائرة الفرنسية التي أجبرت على النزول بالمنطقة لعطب تقني أصابها، ونقلهم بأمان إلى مقر القيادة العسكرية بتيزنيت.

- عادة ما يتم الركون إلى خدماته في التوسط بين مركز

القرار بتيزنيت وقادة الجهاد بالأطلس الصغير. وأسندت إليه مهام خطيرة في هذا الشأن. وعادة ما تكلّل جهوده بالنجاح. وكان ميالاً إلى السلم، وله من الحنكة ما يبهر حتى خصومه، فصارت كل مهمة أو تفاوض صعب يقترن دائماً باسمه.

وفي سياق هذه الأدوار يقوم بتوثيق الاتصالات بالزعماء ذوي النفوذ بالمنطقة، وغالباً ما يبادر بشكل انفرادي إلى دعوة البعض منهم إلى العوينة للتشاور. لهذا عرف بكثرة مخالطة الناس، ولا تخلو داره من الزوار والعابرين، ومن شدة ذكائه وسعة تجربته أن كان في سياسته تجاه الفرنسيين أقل حماساً، وكان يخفي عليهم الكثير من الأمور في استشارتهم المعتادة له.

من جانب آخر، وصف الشيخ موسى الطيفور بقوة الذاكرة، وكان مرجعاً ثقة في استحضار الوقائع والأحداث التي ميزت تاريخ سوس منذ بداية القرن العشرين. وله قدم راسخة في معرفة القوانين العرفية المعمول بها داخل القبائل السوسية. امتلك قلوب معاصريه بخصاله المتسمة بالشجاعة والكرم، واعتبر من أكبر المحسنين إلى أرباب العلم والتصوف من فقهاء وطلبة وفقراء من جميع الطرق. وفي مدحه قال الشاعر / المغني الحاج بلعيد :

ⵉⵎⵓⵙⵙⵓ ⵓⵎⵓⵙ ⵏ ⵜⴰⵢⵉⴼⵓⵔ ⵢⵉ ⴱⴷⵔⴽ ⵍⴼⵉⵄⵍⵏⴽ
ⵍⵉⵖ ⵜⵍⴰ ⵜⴰⵙⴰⵙⵜ ⴷⵍⵀⵓⵍ ⴳⵔ ⵍⴼⵉⴰⵢⵍⴰ
ⴽⵔⴰⵎⵓ ⵉⵖⴳⴰ ⵉⵙⵎⵓⵏ ⵓⵔⵙⵓⵍ ⵉⵖⴽⵚⵚ ⵉⵖⵊⵏⵊⵎⵜⵏ
ⵜⵍⴰ ⵍⴽⵍⵎⴰ ⵓⵍⴰ ⵍⵇⵓⵍ ⵉⵔⵉⴽⴰ ⵉⴰⵢⴷⴰⵏⵙ

ونظراً لخدماته ولمواقفه الوطنية، أنعم عليه محمد الخامس بظهير الامتياز بتاريخ 15 رجب 1349 / 6 دجنبر 1930، كما وشحه بوسام علوي في 27 رمضان 1365 / 25 غشت 1946.

توفي الشيخ موسى الطيفور سنة 1411 / 1990. هكذا انتهت حياة شخصية فذة، ذات وزن كبير بين أعيان قبائل سوس، استطاعت لمدة تنيف عن مائة سنة أن تؤسس حولها نوعاً من الهالة والاحترام، حتى عُدت وجهاً مشرفاً ورمزاً للشهامة والأخلاق النبيلة.

عرف قبائل أيت تيزنيت : رسائل سلطانية : وثائق دار إيليغ ؛ م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، ج 4.

P. Pascon et M. Ennaji, *Le Makhzen et le Sous al-Aqsa..., 1821 - 1894*, p. 186.

أحمد بومزگو

طيكشيرا، القارو ذي Texeira, Alvaro de نبيل برتغالي منحه الملك البرتغالي الفونصو الخامس Alfonso V بمرسوم أصدره يوم 7 مارس 1476 حق امتلاك ناحية تطوان من أجل أن يعمل على تعميرها وترميم المدينة الذي كان قد سبق لبرتغالي سبتة أن حطموها في سنة 1437 ؛ وسبب ذلك أن العاهل البرتغالي علم بمشروع الأمير الشفشاوني مولاي علي ابن راشد الرامي إلى إعادة بناء تطوان ؛ غير أن المرسوم البرتغالي ظل حبراً على ورق في حين تمكن الأمير الراشدي من تحقيق مشروعه سنة 888 / 1483.

David Lopes, *Historia de Arzila*, Coimbra 1924.

محمد ابن عزوز حكيم

الطين في أرض المغرب، تعتبر القشرة الأرضية، على مدى سمكها، جهازاً هائلاً لتدوير ورسكلة المادة المعدنية التي يتكون منها الكوكب الأرضي. وتتدخل الأطيان في أحرج منعطف من دورة المواد المعدنية.

تقوم الصهائر النارية، انطلاقا من جوف الأرض، بتزويد الغلاف الصخري من تحته، وخاصة من خلال نطاقات الفتق والتنامي التي تشقه في عمق البحار والمحيطات النازعة إلى التوسع، فينشأ تنوع بديع من الصخور الأندساسية والاختراقية البركانية.

وتتعرض هذه الصخور، بعد ذلك، للتفسخ متى برزت على السطح، تحت تأثير الغلاف المائي والجوي والأحيائي، فتعزل العناصر الذوبية وترسبها في شكل أكلاس وأملاح وغيرها، ويختلف عن عمليات التفسخ كمّ غزير من المواد الفتاتية منها الرمل والطمي، مع تميز خاص وريادة أكيدة لرصيد وفير من الأطيان.

وهكذا يبدو سطح الأرض، الذي يسمى كذلك نطاق التعرية والتفسخ، على هيئة مجال فسيح للتوزيع والتشتيت الشديدين لكل ما اجتمع في صهائر الأغوار الأرضية بعد أن يكون قد تشكل حسب أنماط متعددة في الصخور المتبردة عن الصهير.

ومن ضمن شتات هذا التقسيط السطحي المبسط للمعادن والبنيات، يحتفظ الطين وحده، وخلافا لكل ما عداه، بسر كل الخلق المعدني قاطبة، لكن في صيغة مختزلة، ضعيفة التبلر، تكاد تكون مرموزة، لكنها مكتملة التكوين من الوجهة الكيماوية. فعلى غرار الغلاف الصخري بالذات، الذي تغلب فيه مواد السليس والألومين، نجد الأطيان مهيكلة في مجملها على صيغة سليكات الألومين، وحسب بنيات متنوعة تعطي للطين تعقيدا لا يحل ألغازه المحسوسة إلا التحليل الإلكتروني (Brindley et al., 1980).

ومن البديع أن نتبين أن بنيات الطين تبدو، من جهة أخرى، كما لو كانت مهيأة لوظيفة بعينها، هي ولا شك أغلى ما يوجد على سطح الأرض، ألا وهي استقبال الحياة. إذ أنها، بعيدا عن ضغوط وحرارة الأعماق، قد جاءت هشة منفذة، تسمح بارتكاز جذور النبات وتسرب مقادير متفاوتة من المياه، نشيطة، توظف العناصر الكيماوية الضرورية للحياة، فتخزنها ثم تسلمها للنبات بقدر الاحتياج إليها. ثم بعد أن تكون قد وفرت الرحم الأولي للحياة لمدة من الزمان، تتوارى تحت توافد رواسب من فوقها، فتعتصر وتغور، بفعل البنائية، وتتحول تدريجيا إلى صخور صلبة متبلورة ثم تعود إلى كنف الصهائر من جديد. ويكون هذا الرجوع إلى حمأة الأعماق من خلال نطاقات الرتق غالبا، أي من تصادم الصفائح الذي يوافق غطس الهامش الأكثر كثافة من القشرة تحت السلاسل الجبلية الحديثة والدائبة النمو.

ودورة من هذا القبيل قد تستغرق أدواراً بأكملها من التاريخ الجيولوجي، متعاقبة على الإيقاع السرمدي للكون. والسر في دوامها جامعة مانعة، تسمح ببقاء الأرض على نفس حجمها وكمال مركباتها بدون زيادة ولا نقصان، يكمن في أن المادة التي تصل إلى السطح وتتشتت في كل الآفاق، وتستطيع، بعد أمد وجودها على هذه الحال، أن تلتئم من جديد، مؤسسة من التلاشي التفسخي ـ الرسوبي نفس صخور الأصل بالتمام والكمال. وحلقة الربط الحرجة بين أوصال الدورة الخالدة هي الطين بالذات. فالطين هو الذاكرة التي تحتفظ بالبنيات العدانية راسخة فيه، وبالعناصر الكيماوية وجزيئات الماء مشدودة بمشحونها الكهربي، تتبادلها داخل التربة مع جذور النبات من خلال الهيئة الوظيفية التي تتقمصها والمدعوة بالمركب الماص، الموزع الرئيسي لأدوار الحياة ضمن التربة. ومتى ابتعد عن الغلاف الجوي وعناصر الحياة على السطح، احتكم إلى قوى الضغط والحرارة التي تصمته وتورقه ثم تولد منه البلورات المعدنية تدريجيا على مدى التعمق، من حوالي 200 درجة إلى ما يناهز 800 درجة، قبل تمام الانصهار.

وتعقيد التطورات يجعل الطين يتوزع على سجلات تصنيفية متنوعة.

فهو، في أول عهده بما يشبه إتلاف الصخور على السطح، يدخل في عداد قطاعات التفسخ. ثم لما يتطور قطاع التفسخ وتنتظم بنيته، مع تدخل فعال للمادة العضوية المتدبلة فيه، يصير تربة متفاوتة التوازن. أما عندما يُطمَر بالتراكم فإنه يصبح من الصخور الرسوبية، مهيّئاً البدايات الأولى لمسلسل الصخور المتحولة حسب ممال تطوري ينتهي طبيعيا إلى بؤر الصهير.

أما التعاريف التحديدية للطين فهي نوعان نسيجية وعدانية.

يعتبر طيناً، على القياس النسيجي الفضفاض، كل مادة فتاتية دقيقة لا يزيد حجم الحبات المفردة منها على 2 ميكرومتر (1000 : 2 مم)، الأمر الذي يجعلها محكمة الشحن الكهربي، تتميز بالخاصية الدبقية التي تقضي بتجاذب الحبات وتكوين المجمعات الترابية. وهو مادة معدنية بالأساس، لها بناؤها البلور ـ كيماوي الخاص بها. لكن يحق لنا، من مدخل التعريف النسيجي، اعتبار كل الفُتات الدقيق، من الحجم المذكور، طيناً، أياً كانت طبيعته، بما في ذلك الدُّقاق العضوي، من قبيل الدُّبال، الذي يختلط عادة مع أطيان التربة في بوتقة المركب الماص. هذا الأمر هو الذي يفسر مثلا الامتياز الذي يتفرد به السماد الطبيعي عن كل الأسمدة الاصطناعية، المسماة بالكيماوية. إذ أن النفايات العضوية، المستعملة تقليديا في تسميد الأرض، هي في آن واحد أداة تخصيب كيماوي طبيعي ومادة دبقية، مثل سائر الأطيان، تسهم في مجانسة التربة وتقوية مركبها الماص وتحسين توازنها.

لكن الطين في مفهومه العداني هو المرجع التعريفي القويم، إذ يستحق وحده تسمية الطين الحقيقي. ويقتضي تعريفه، مع توفر الشرط النسيجي دائما، أن يكون سليكات ألومين، حسب بنيات منفتحة تقبل ضمنها الكاتيونات وجزيئات الماء.

وتتوزع الأطيان الحقيقية إلى عائلات وأنواع وضروب، يكون الفصل فيها أساسا بحسب كميات السليس، التي نعرف قوامها من التحليل الكيماوي، وهي شديدة التفاوت، منسوبة إلى كميات الألومين التي تعتبر العنصر الأثبت في الصيغة الكيماوية على الإطلاق. ويكتمل التمييز حسب الهندسة البلورية وتدخل عناصر كيماوية أخرى يمكن أن تصير هي الأغلب في حالات قليلة، كما هو الشأن مع عنصر المغنزيوم.

لذا فإن الأطيان مادة ترابية بامتياز، تتوقف عليها المفاهيم الإجمالية للخصوبة والتوازن، وذلك حسب وضعها من حيث الكمّ والنوع. وقد تمثل الأطيان ثروة منجمية بالنظر إلى استعمالاتها حسب خصوصياتها الآلية والكيماوية، وقد تصل إلى المادة النفيسة نسبيا في حال توافر الكاولنيت الخالص الذي يستعمل في إنتاج الخزف الصينية الرفيعة.

وتستعمل الأطيان، التي تنتجها الأرض المغربية، في جل هذه الأغراض، كمادة أولى للزراعة والصناعة والبناء.

وتتوفر مادة الطين بالمغرب في العديد من الطبقات الرسوبية، التي يمكن حصرها على العموم في قسم التاريخ الجيولوجي الذي يبقى في حدود المائتي مليون سنة الأخيرة من السلم. وقاعدة التمييز هي إغفال المستويات التي عرفت التحولات التي أفقدت الطين خاصياته، بإقصاء الأقسام المنتمية لما قبل الكمبري، وكل الحقب الأول إجمالاً. وقد يختفي الطين من مستويات متأخرة لأنها عرفت ضغوطا بنائية هائلة، كما هو الشأن مع الكتل الجبلية للريف الأوسط، حيث أحالت البنائية الآلبية مواد النظام الكريتاسي الأدنى، ذات الأصل الطيني، إلى تراكمات عظيمة من الفليش ومن الشيست الشديد التورق والدكنة المدعو محليا بالفريش.

على العموم، يختفي الطين من الكتل القديمة، حيث عملت البنيات التحويلية على إحالة الصخور الرسوبية الفتاتية إلى حث وكوارتزيت وشيست. وغالب المستويات الطينية الممكن مصادفتها مع ذلك تحت هذه الظروف ناتجة عن تفسخ متأخر أعاد الشيست إلى طبيعته السالفة.

أما المرجعية التنقيبية التي يمكن الاستئناس بها في تحصيل أهم مكامن الطين فهي الأدوار المنتسبة للترياس والجوراسي الأعلى ثم الكريتاسي والميوسين وأخيرا طبقاتية البليوسين والرباعي الواسعة الانتشار.

ـ يُنتج الترياس، خاصة في أدواره العليا، مقادير كبيرة من الطين، واضحة المعالم بألوانها الحمراء، وانتشارها الملحوظ على هوامش الأطلسين المتوسط والكبير، من تحت

الظلفاء الكاربوناتية الليلسية الضخمة، وبمستوى خط أهم العيون التي تغذي مجاري تحويل المياه من الجبال إلى السهول الزراعية. كما أنه راشم أكيد لأغنى مناجم الملح بمختلف أصنافه. وقد يكون في جيوب واسعة ضمن السهول والهضاب كما هو الشأن قريبا من بوفكران والخميسات والمحمدية.

- في إقليم وجدة، تتميز الأدوار البحرية المنتمية للجوراسي الأعلى بوضع خاص لا نرى له شبيها في بيئات الترسب في الأطلسين إلا في أقصى الأطلس الكبير الغربي، في النهاية المعاكسة للمحور الجبلي. وهي سميكة متنوعة السحنات تغلب فيها الأكلاس والطين. ومن ثوابت استغلالها إمكانية إقامة معامل الإسمنت الاصطناعي. وذلك بسبب توقف إنتاج الإسمنت على احتياطي كبير جدا لمقالع الكلس والطين، يؤمّن المواد الضرورية من جبير وسليس وألومين، بعيدا عن الكاربوناتات المغنيزية السائدة في جل الجوراسي الأطلسي، والتي لا تتلاءم مع هذا النوع من الصناعة. لذا نجد إمكانات التصنيع من هذا القبيل متمركزة بصفة تفضيلية على طرفي الأطلسين (وجدة وأگادير)، وفي الأحواض النيوجينية (الدار البيضاء وتمارة) على سبيل المثال لا الحصر.

- طبقاتية الكريتاسي غنية كذلك بالمستويات الطينية. جزؤها السفلي في جل الجهات الداخلية قاري الترسيب، أحمر، غني بالأملاح، يشبه الترياس الأعلى إلى حد بعيد باستثناء النشر العام للبزالت، العميق المنشأ، الملازم للترياس. أما الجزء الأعلى فيعرف تداخلا وثيقا لمستويات الكلس والطين، وينتهي على مكامن الفوسفات.

لكن في حوض أسفي - أگادير، يكشف كل الكريتاسي على النزعة البحرية، وتُستعمل مواده كذلك في صناعة الخزف.

- من السهل تتبع أهم مواقع ترسب الميوسين الأعلى والبليوسين الأسفل من فوقه ومعيار الضبط هو أن الأخدود الجيولوجي الضخم الرابط طوليا بين محيط الرباط ومنطقة الغرب من جهة ومنطقة وجدة من جهة أخرى، عبر مكناس وفاس، كان حينئذ هو المضيق الفاصل بين أوربا وإفريقيا. وقد عباه البحر بالصلصال الرمادي والأزرق المعبر عن الفترة. ورغم غناه بالمعادن الطينية النفوخة غير المناسبة لصناعة الخزف، فإن حذق الصانع يفسر تقاليد الإنتاج وبراعته على طول المحور.

عند هذا المستوى، يمكن أن نعتبر أن تحولاً من نوع خاص قد حصل في تطور أطيان المغرب.

ففي سياق تشييد الجبال القديمة وإلى حدود الكتل الكاليدونية والهرسينية، هناك تضييق واضح للبنيات التحولية على الصخور الطينية التي استحالت إلى سلسلات متورقة أو إلى سحنات حبيبية التبلر، ذات بنيات شريطية تذكر بأصولها الرسوبية الطينية. وقد استمر الوضع ليشمل كتلة القمم الوسطى من جبال الريف الآلبية.

أما خلال المراحل اللاحقة، وإلى حدود البليوسين الأسفل، فإن جل الرواسب الطينية وافقت الأحواض البحرية فجاءت معادنها بعيدة عن أي دلالة مناخية مباشرة. إذ خلال جل الحقب الثاني، غلب الهدوء البنائي، وعمت الغمور البحرية، خاصة في غضون الجوراسي الأسفل والكريتاسي الأوسط.

وفي ظل مراحل البنائية الأطلسية الثلاثية وتراجع البحار عن الجهة، فباستثناء الأخدود جنوبي الريف وبعض المجالات المجاورة للسواحل، تكاثرت في البقاع المنكشفة توضعات قارية خشنة ليست بها أطيان تذكر.

لكن ابتداء من مطلع البليوسين الأوسط، أي من حوالي أربعة ملايين من السنين، جاءت جل الأطيان قارية وبالتالي فهي النتاج المباشر للوضع البيومناخي الدقيق لكل المراحل الجيومرفولوجية المتعاقبة على البلاد إلى الآن. ومادامت البنيات العدانية الطينية هي الأشد تعقيدا والأكثر حساسية بكل عوامل التفسخ وبالتالي بتتابع الأوضاع النطاقية، فإنها يمكن بحق أن تعتبر "العلبة السوداء" المسجلة للتاريخ الطبيعي للبلاد، تحدد الإطار البيئي وتفسر وتكمل ما أمكن مصادفته من المواد الأحفورية الثمينة.

- تحتاج مرحلة التحول الحاصلة على مدى البليوسين الأوسط إلى وقفة خاصة وتدل القرائن على أن حداً فاصلا ظهر في وسط الدور فأنهى بصفة تامة هيمنة المناخات ذات النزعة المدارية وأذن بتأسيس وتطور مناخات جديدة (Fassi، 1999)، ذات إيقاع متوسطي في غالب الأمر، مع بعض التوجه المعتدل في حالات قليلة، استغرقت كل الرباعي.

وكان توفير الظروف المناسبة لاستقرار الأتربة في البيئات القارية لبداية البليوسين الأوسط فرصة الحظ الأخير الثمينة للتسجيل الطبيعي للمناخات الطويلة الأمد التي طبعت العالم على مدى كل الحقب الثاني وجل الثالث. وقد تم هذا التسجيل من خلال طبع الأتربة بأعلى نسب من الكاولنيت معروفة في فسخات المغرب المدروسة، مع أحمرار قاني نادر المثال عندنا.

وتدل أطيان الكاولنيت، بنسب تزيد على الثمانين بالمائة، عن تصريف هائل للمياه مصحوب بحرارة عالية يسمحان بتبديد قوي للسيلس وتنشئة للكاولنيت في ظروف شبيهة بالمداري الحالي.

لكن عمومية الأطيان الفقيرة، بنفس المستوى مع ظاهرة الاحمرار الشامل بسبب التثبيت المتجانس للحديد المحررة في القطاع، تفيدان معا وجود مناخ مداري متغاير الفصول، بعيدا عن الاستوائي المغالي في الرطوبة والمنتج مبدئيا لمعدن الجبسيت أو الألومين الصرف الدال على نزعة البيومناخ إلى التحطيم الكلي للأطيان.

وتوجد أهم المواقع التي درست فيها الظاهرة من حول سهل الغرب في شبه الجزيرة الطنجية وفي غابة المعمورة،

مشوبة بتطورات لاحقة لأن هذه المواقع بقيت مكشوفة على مدى الفترات المتعاقبة. في حين أنها بقيت محفوظة في أصالتها تقريبا تحت مناضد الأكلاس البحيرية التابعة مباشرة أو الحث البحري المغربي، في السايس أو قريبا من الساحل الأطلنتي.

وغنى الأطيان المحلي بمادة الكاولنيت، لا شك يسهم في تفسير تقاليد الجودة الخزفية الظاهرة مثلا في الطاجين السلاوي.

قبل زهاء 3.5 مليون سنة من الحالي، يبدو أن التحول إلى المناخات المتوسطية قد بدأ بمرحلة رخاء في الماء والظل، قريبة من الاعتدال المناخي المعياري، شهدت انتشار البحيرات الواسعة في جل السهول والأحواض الممتدة على هوامش السلاسل الجبلية المغربية. عقبها تميز كل الأتربة المتوالية على التاريخ الطبيعي اللاحق بتنوع كبير للمعادن الطينية، يغلب عليه السمكتيت على رأس طيف من الأطيان الموروثة من إليت وكلوريت، مع متخلف بسيط من الكاولنيت. وهذه الأوضاع المستجدة هي الشاهد على آخر مراحل التاريخ الطبيعي التي طبعت البليوسين الأعلى والرباعي (الفاسي، 2001).

- آخر نسق متكامل عرفه المغرب حتى الآن، هو تسلسل ما اشتهر بالذبذبات البيومناخية، المطيرة والبيمطيرة، على نمط متسارع قوامه الإجمالي لا يخرج عن المناخ المتوسطي، الذي ظهر لأول مرة على وجه الأرض في سياق تقلبات حاسمة حدثت آنئذ. لكن مع تذبذب دوري واضح الاختلاف من حيث الرطوبة والمعدلات الحرارية. وهو في ذلك يتبع حركية بيومناخية كونية استغرقت البليوسين الأعلى وكل الرباعي.

تجلت عوامل الرطوبة، خلال الفترات المطيرة، في التركات الطينية التي تنتسب إلى الكلوريت والإليت، كمعادن موروثة عن تفسخ مترفق بالقواعد الصخرية، دون إفراط ولا تفريط. وقد وصلت في بعض المراحل إلى إنتاج مقادير من الفرميكوليت. وهو معدن شاهد أكيد على إضافة أقساط من التساقط المطري في أوساط الاعتدال الحراري.

ومعدن الفرميكوليت مادة شديدة الحساسية بالتقلبات، رهيفة، لا تحتمل إلا البيئات التامة التوازن، الأمر الذي يصعب معه الاحتفاظ بها من ضمن التركات القديمة. لكنها مع ذلك مؤكدة كإرث واضح في البليستوسين الحديث، المدعو بالسلطاني في الطبقاتية الرباعية المغربية وهناك قرائن تفيد بأن فترات رخاء مماثلة ولا شك حدثت في الرباعي الأوسط، أو الدور العميري المغربي، وكذا في مستهل التحول البيومناخي على عهد المرحلة الثانية من البليوسين الأوسط.

أما عموم الفترات الرطبة نسبيا، مقارنة مع الوضع الحالي، والمنتجة للأطيان الموروثة بوسائل التفسخ المترفق، فقد تكررت زهاء ست أو سبع مرات على مدى الرباعي الذي استغرق 1.8 مليون سنة. ويبدو أن وثيرة التعاقب بين المناخات الرطبة والجافة آخذة في التسارع. حيث أنها كانت من فئة المائتين إلى المائة ألف سنة في الرباعي القديم، والمائة إلى الخمسين ألف سنة في الرباعي الأوسط، والثلاثين إلى العشرة آلاف سنة في الحديث.

برأيي أن هذا التسارع ظاهري فقط، وأن مرده إلى قدرتنا المتزايدة على تلمس علامات التغيير كلما كانت الفترة المدروسة أقرب إلينا، إذ من المؤكد أن فترات التغيير الكبرى تضم في غضونها تقطيعات أدق من التغيير المناخي الثانوي.

أما الفترات الجافة البينية، أو البيمطيرة، فإنها تشبه إلى حد بعيد فترة الهلوسين التي نعيشها حاليا. تعرضت تركاتها الترابية إلى تطورات حولتها جزئيا إلى أطيان السمكتيت (المونموريونيت أو البيدليت غالبا) وذلك إما بالتحويل العداني التدريجي للرصيد الطيني الموجود أو عن طريق التنشئة.

ويرجع السبب في هذا التطور، بالأساس، إلى الانحباس الكيماوي السائد. ويرتبط الانحباس ذاته بالتردي المناخي الذي يضعف التزويد الماءي الطبيعي فيرتفع تركز المحلولات وترتفع معه قاعدية الأوساط. وقد أظهر التجريب المختبري أن الأوساط القاعديةتيسر احتلال السليس للبنيات الطينية المهيكلة على نمط الميكا، كالإليت والفرميكوليت، الأمر الذي يأذن بالنزوح إلى الأطيان النفوخة (Dixon [et al.], 1982).

في مقابل التدهور المناخي المؤدي إلى التجفيف والذي يعد بالطبع سلبيا، فإن التحول إلى السمكتيت داخل الأتربة يعتبر في الغالب إيجابيا لأن الأطيان الجديدة هي الأفضل على الإطلاق والأكثر خصبا بالنسبة لزراعة الحبوب. أما وضعها النفوخ، الشديد التمدد والتقلص تبعا لأحوال الطقس المتقلب في المناخ المتوسطي، فإنه يجعلها غير مناسبة للغراسة الشجرية بالمرة.

أضف إلى ذلك أن نزعة التجفيف إن هي استفحلت، كما حصل في جل المناطق المغربية الزراعية خلال الفترات البيمطيرة للرباعي القديم والأوسط على الخصوص (اللوياتي والتانسفتي)، فإن تركز المحلولات الزائد من الكاتيونات القاعدية - الترابية يؤدي إلى أشكال من الترسب الصلب في التربة يجعلها تتسلح بأصناف القشرة الكلسية العاسفة في الطين الكاسحة له والمؤدية بالتربة إلى حالات التيبس والعقم القاضية.

وقد عرف الرباعي المغربي نوعا آخر من الانحباس أسهم بدوره في الرفع الكبير من مساحات الأطيان النفوخة. إذ حصل أن مختلف الأدوار الرباعية قد عملت على تقوية الشواطئ بسلاسل من الكثبان الرملية، عكفت المحاليل الكلسية على تحجيرها، ورفعت البنائية من مناعتها، فأصبحت مغاليق تُحكم الطوق على أهم السهول الساحلية. ومعلوم ما أدركته هذه الأحواض المغلقة من جاه اقتصادي،

مبني على ثرواتها الزراعية، خاصة في اللكوس والغرب ودكالة. وحتى وإن كان الانحباس هنا ذا طبيعة جيومرفلوجية وبنيوية، فإن التفاعلات الكيماوية المؤدية لتطوير الأطيان تبقى من نفس القبيل، لكن مع نشاط أكبر وإنتاج أسخى بكثير.

ففي حوض مثل الغرب على سبيل المثال، يؤدي الزخم الذي يتم به توافد الكاتيونات من كل صوب إلى السهل، الموجود هنا في المستوى القاعدي العام، وتعذر التصريف الخارجي، إضافة إلى معطيات المناخ التي ترفع تركيز المحاليل، إلى إغناء الأطيان بطريقة التحويل السالفة الذكر. لكن أسلوب التنشئة المطلقة لطين السمكتيت هو الأعم والأنشط في هذه الظروف، حيث تترتب عليه نتائج بيئية ذات فعالية هائلة. ذلك أن الفرز الآلي الذي تقوم به المجاري المائية، على أساس شبكة سبو، وحركية النظام الفيضي، يربط معظم الرمال والأطماء بمحاور الجريان ويرسب الأطيان معزولة في المنخفضات البينهرية. وأكيد أن التنشئة السمكتيتية تضاعف النسيج الدقيق وتزيد من عرقلة التصريف الخارجي فتفاقم ظروف الإغناء السيليسي الذي يزيد من الأطيان النفوخة حسب وثيرة تصاعدية مستمرة.

ويمكن لأتربة أنشئت على هذا المنوال أن تمتص مقادير ضخمة من المياه دون أن تسمح بنفاذها، مضاعفة حجمها، انتفاخاً عدة مرات، ومستحيلة إلى أثقل الأراضي الموحلة. لذا كان سهل الغرب في الماضي أرض المستنقعات والملاريا، وصار أرض خير وثراء بعد أن توفرت لحرثه الآليات الثقيلة القادرة على تحريك الطين المحتقنة وتأهيلها. ويبقى المرجع إلى أن السمكتيت، المقرون بالجفاف الفصلي المتوسطي، هو أساس بناء أتربة التيرس، أهم خزان للقمح وأساس الأمن الغذائي في بلادنا (الفاسي والبدراوي، 1996).

والغاسول، هو الآخر، ضرب من ضروب السمكتيت، يجمعه معها الانتفاخ في ظروف الميهة، لكنه ينتمي إلى قطب مغنيزي صرف، يكاد يكون خاليا من الألومين، وقدرة التبادل الكاتيوني فيه وبالتالي خصوبته متواضعان. وقد تَمّ إلحاقه بالستيفنسيت بعد التردد، بحكم أنها من فصيلة الموفوريونيت المغنيزية الليتيومية (Agard et al., 1952 ; Michard, 1976 ; Pique, 1994). أما مظلة الانتساب المعدني فهي مادة ماحرارية، ذات أصل اختراقي إذن، في حين يدل الظرف التوضعي للغاسول على أنه سحنة رسوبية، يستحق التميز بل والتفرد باسم علمي نوعي : الغاسوليت (Caillère et al.], 1982).

وتوجد أهم مواقع السمكتيت الرسوبية المتميزة في جيوب مقعرية نيوجينية قارية من مجال ملوية الوسطى، وهي معروفة عند ملقى الويدان، شمال غرب تاوريرت، وفي جبل الغاسول بين القصابي وميسور. يبدو أنها نتاج تراكمات متدرجة بين الهورية والمنقعية والبحيرية. تتوزع موادها بين الجبس والطين المنقعي والكلس البحيري، وقد تضم مستويات من اللغنيت من ضمن المسلسل التفحمي الضعيف.

كذلك الشأن بالنسبة لمنجم الغاسول الذي تكشف مقاطعه عن مستويات جبسية وصوانية من تحت مكمن الغاسول الذي ينتهي بتغطية صلصالية إلى كلسية بحيرية. ولون المعدن أسمر وملمسه شمعي، يميل إلى السواد عند التجفيف. يختص الغاسول بقدرته على امتصاص مقادير كبيرة من الزيوت، من ذلك كفاءته العالية الطبيعية كمادة منظفة.

يمكن أن نجمل استعمالات الأطيان الرسوبية في أنها ملازم حضاري للإنسان المغربي.

فرغم تطور وتنوع المواد المصنعة البديلة، بقي اللجوء إلى الأدوات الطينية راسخا كمادة طبيعية مفضلة. واستعمالها في المعمار أساسي. والتركيز على الآجر والقرميد، بالإضافة إلى بعده الجمالي، سلوك بيئي سليم يسمح بتخفيف الضغط على الغابة والبعد عن المغالاة في توظيف الإسمنت الاصطناعي.

صحيح أن حصر الخزفيات في الاستعمالات الفنية المتروكة للاستهلاك السياحي هو مؤشر غالب على العصر في كل مكان (الفاسي، 2000). لكن هناك ظروف مسحمودة تجعل المغاربة يحتفظون ببعض الاستعمالات النفعية القديمة على أنها موروث حضاري نفيس ومفيد. يأتي في مقدمة الأدوات التي لازالت مستعملة بتفاوت : خابية (الخليع) وقصعة (الكسكس) والطاجين على وجه العموم. ولا شك أن رسوخ هذه الاستعمالات راجع إلى كون الطاجين مثلا هو إناء التحضير والتقديم كما يدل في نفس الوقت على الوصفات الغذائية، بخصوصياتها المطعمية، بدون فصل ولا تمييز. هذا النوع من المرتكزات الحضارية هو ذاته الذي يضع كذلك الطين الغاسول، مع مواد أخرى مثل الكحل والحناء وغيرها من المشتقات الطبيعية، في سياق سلوك كفاية واستغناء، قوامه الشغف المندمج بأهمية وجمالية الصناعة وبكل متطلبات الذوق وكذا بالهاجس الصحي والتوازن البيئي.

على أن الطين يبقى أولا وأخيرا الرحم الأولى للحياة، ومبتدأ القرار المكين، والكتاب الدائم الذي يدون التاريخ الطبيعي للبلاد بلمسات رفيعة لا تكذب ولا تبلى.

إ. الفاسي وم. البدراوي، *التيرس، معلمة المغرب*، الرباط، الجزء 8، 1996 ؛ إ. الفاسي، *الخزف، معلمة المغرب*، الجزء 11، 2000 ؛ *الرباعي المغربي، معلمة المغرب*، الرباط، الجزء 13، 2001.

J. Agard [et al.], *Géologie des gîtes minéraux marocains*, Rabat, 1952 ; A. Michard, *Eléments de géologie marocaine*, Rabat, 1976 ; G. W Brindley and G. Brown, *Crystal structures of clay minerals and their x-ray identification*, 1980 ; S. Caillère [et al.], *Minéralogie des argiles*, *Masson*, Paris, 2 VOL., 1982 ; J.B. Dixon [et al.], *Minerals in soil environments. Soil Sc. Soc. Am.*, Madison, 1982 ; A. Pique, *Géologie du Maroc*, Rabat, 1984 ; D. Fassi, *Les formations superficielles du Saïs de Fès et de Meknès*, Rabat, 1999.

إدريس الفاسي

الطيور، تتميز الطيور ببنية هيكلية عظمية ملائمة للطيران وبقائمتين أماميتين تحولتا إلى جناحين وبجسم يكسوه ريش مختلف الأشكال والألوان حسب الأنواع. يقوم المنقار مقام الفم وهو قرني شديد الصلابة وخال من الأسنان. يعرف تصنيف الطيور تعقيدا متراكبا نظرا لكثرة الأنواع وتشابهها في شتى الحالات. فهي تصنف إلى شعب وفصائل وأجناس وأنواع يفوق عددها 30,000 في العالم منها 350 نوعا تعيش بصفة منتظمة في المغرب وحوالي 100 نوع نادرة جدا.

يعرف ريش الذيل بالأفنيك ويلعب دورا هاما في تثبيت وتوجيه الطيران في الأجواء ويستعمل الريش الضيق والطويل على جانب الجناحين للطيران السريع. تتعرض معظم أنواع الطيور إلى نسول سنوي فيتجدد الريش ويتخذ ألوانا زاهية عند الذكور خلال فصل الإخصاب للجاذبية والإغراء الجنسي. يرجع اللون إلى أصباغ تحت جلدية خاصة. تتوفر معظم الطيور وخاصة منها المائية على الغدة الزمكية تقع على مؤخرة الجسم وتفرز دهونا خاصة بنشر هذه الزيوت على مجموع ريشه بمنقاره ليصير كتيما لا يؤثر عليه الماء. حرارة الدم ثابتة لدى الطيور وتتراوح عند معظم الأنواع بين 40 و42 درجة مئوية. يلعب الريش دورا هاما في مقاومة التغيرات الحرارية الخارجية. وفي حالة شدة الحرارة أو البرودة يقوم عدد كبير من أصناف الطيور بهجرات فصلية طويلة المسافة لتبحث عن الأماكن الملائمة لعيشها ثم تعود إلى أماكنها كل سنة وبهذه الطريقة تحافظ على حرارتها الدموية. معظم أنواع الطيور المهاجرة تأتي من أوربا عبر مضيق جبل طارق لتشتي في المغرب منذ بداية الخريف إلى أواخر فصل الصيف ثم تعود إلى موطنها الأصل للتوالد، أغلب المجموعات طيور مائية كالبط والإوز والتم والطيطوي والملاعقي والزقزاق ويفوق عدد الأنواع المهاجرة في المغرب . وهناك أيضا مجموعات من الطيور تأتي من إفريقيا150 إلى المغرب في فصل الربيع والصيف كاللقالق والسنونو وخطاف الشعر والسماني. تقطع الطيور مسافات الهجرة على عدة مراحل لتستريح ثم تواصل طريقها نحو المكان التي تعودت العيش فيه كل سنة، يبلغ معدل المسافة في كل يوم كلم. يقوم مركز9 كلم ويبلغ ارتفاع طيران الإوز 200.500 وضع الخواتم للطيور المهاجرة بدراسات مستمرة لمشاهدة الأنواع المهاجرة عبر التراب الوطني مع وضع الخواتم لبعض منها لاستنتاج المسافات المقطوعة ونمط العيش. يحمل الخاتم أرقاما تتعلق باسم مركز وضع الخواتم وتاريخ وضعها على قوائم الطائر ويوجد مقر المركز بالمعهد العلمي بالرباط.

يختلف شكل وحجم المنقار حسب العادات الغذائية فهو قصير مخروطي لدى أكلات الحبوب كالدجاج والدريس والجاوش، أو طويل محص لدى الأنواع التي تبحث عن الأكل في الوحل والبحيرات كالزقزاق وبيبيط ومالك الحزين، أو مسطح وعريض لدى الإوز والبط والملاعقي، أو معقوف شديد الصلابة عند الصقور والبزاة والنسور.

تتميز الطيور عادة بحدة وقوة البصر بواسطة التحدب البارز لقرنية العين التي تمكن الطائر من تمييز الأشياء على بعد مسافات كبيرة. صيوان الأذن على شكل ثقب جانبي بسيط مغطى بالريش ومسمع الطيور غاية في الحدة تدرك الأصوات وتغريد الطيور على بعد مسافات كبيرة. تعتبر حاستا الذوق والشم أقل تطورا عند الطيور مقارنة مع حاستي السمع والبصر. الفم بدون أسنان ويليله بلعوم منتفخ على شكل خزان يعرف بالحوصلة يتم فيها إعداد الأكل وتليينه قبل أن يبلغ المعدة المقسمة إلى تجويفتين.

تعد رتبة الجواثيم أكبر رتب الطيور عددا حيث تضم ثلاثة أخماس مجموعة الطيور كلها، مقاييسها متوسطة وصغيرة جدا كالدريس وأبي الحناء والصعوة والخطاف والدوري والسمنة والشحرور. أغلب الأنواع تغرد في فصل الحرارة فقط.

تضم رتبة العوادي في المغرب نوع النعامة فقط يدعى علميا Struthio camelus ورغم توفره على أجنحة فهو لا يستطيع الطيران إلا أن سرعته في العدو تبلغ أحيانا 50 كلم في الساعة.

تتميز رتبة الدجاجيات بأجنحة قصيرة باستثناء السماني. تكيفت قوائمها الخلفية القصيرة مع المشي والركض. المنقار قصير وقوي، طرفه العلوي أطول من الطرف السفلي. تتوفر الذكور على صيصة فوق الأصبع الخلفي تستعمل للدفاع والهجوم. تتميز الديكة بريش زاهي الألوان. منها التدرج والطاووس والحبارة والحجل.

تضم مجموعة الكواسر الطيور الكبيرة الحجم منها رتبة الصقور والبزاة ورتبة البوميات أو الكواسر الليلية. معظم أنواع الكواسر لاحمة نشالة، لها منقار قصير ومعقود وتتكون القوائم من أربعة أصابع تنتهي بمخالب مقوسة متفاوتة الطول. تستعمل للقبض على الفريسة والاحتفاظ بها. والنسور من الكواسر إلا أنها تقتات من الجثث لأن المخالب ضعيفة لا تقوى على الاحتفاظ بالفريسة الحية، تتعدى بسطة الجناحين مترين.

تتميز مجموعة الطيور طويلة الساق بقوائم طويلة لها أصابع ملتحمة فيما بينها بغشاء سباحي متفاوت التطور حسب الأنواع، العنق والمنقار طويلان يساعدان على اصطياد الحيوانات الصغيرة التي تعيش في الأوحال والمستنقعات والبحيرات والشواطئ. من أشهر الأنواع النحام وأبو ملعقة واللقلق والكروان وبوقصيبة والزقزاق والطيطوي.

تتميز كفيات القوائم بمنقار مسطح يتوفر على رقاق جانبية مقرنة يقوم بتصفية الأكل وعلى ذيلها غدد تحت جلدية تفرز مادة زيتية تجعل الريش كتيمة. تنتهي القائمتان بأربعة أصابع، ثلاثة منها ملتحمة بغشاء سباحي والرابع الخلفي حر. تضم هذه المجموعة الإوز والتم والبط والنورس

وهي من القواطع تألف الشواطئ والبحيرات ومصبات الأنهار. ويعتبر الطائر الأطيش الشائع Sula Bassana من الطيور البحرية الغطاسة فهو يغطس عموديا في أعالي البحار إلى أعماق تتعدى أحياناً 6 أمتار ليمسك الأسماك بمنقاره. وهو شائع في الشواطئ الأطلسية المغربية خلال فصل الخريف والصيف ويتوالد في فصل بشمال أوروبا. يستريح ليلا على الصخور الساحلية ويقضي النهار في أعالي البحار بحثا عن الأسماك.

م. رمضاني، *تبسيط، معلمة المغرب*، الجزء، 8، ص. 2655 ؛ م. رمضاني، *البلبل، معلمة المغرب*، الجزء 4 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932 ؛ *الموسوعة الحديثة، عالم النباتات والحيوانات*، سيلكا، سويسرا، 1990.

S. Aulagner & M. Thevenot, *Catalogue des mammifères sauvages du Maroc. Trav. Inst. Sci., série Zoologie n° 41*, Rabat, 1986 ; H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with north Africa and the Middle east*. London, 1979 ; C. Harrisson, *Les nids, les œufs et les poussin d'Europe en couleur*, Paris, 1977.

محمد رمضاني

ابن **الطيّب** (قرية -) قرية تقع بقبيلة تافرسيت ولم يستطع الجيش الاسباني الاستيلاء عليها إلا يوم 25 ذي القعدة 1338 / 10 غشت 1920 حيث جعل منها مركزاً عسكرياً مكنه من احتلال انوال، غير أن الوجود الاسباني بالقرية المذكورة لم يتعد السنة كلها لأن المجاهدين المغاربة استطاعوا اقتحامه غداة سقوط انوال يوم 15 ذي القعدة 1339 / 21 يوليوز 1921 ؛ وفي يوم 28 ذي القعدة 1340 / 23 يوليوز 1922 تمكنت القوات الاسبانية من احتلال القرية مرة ثانية وجعلت بها إدارة المراقبة طيلة مدة الحماية.

والجدير بالذكر أن رئيس الحكومة الاسبانية الجنرال پريمو دي ريفيرا عندما قرر الانسحاب عن بعض المراكز الامامية توجه في شهر يوليوز 1924 إلى قرية ابن الطيب حيث كانت توجد الثكنة الرئيسية لفرقة اللفيف الاجنبي ليخبر رئيس هذه الفرقة الكولونيل فرانكو Franco بقراره، فكان جواب هذا الأخير أن اللفيف غير مستعد لتنفيذ قرار الجلاء، وهذا ما جعل الجنرال دي ريفرا يعدل عن تنفيذ فكرته فيما يخص ناحية الگرت.

Comisión histórica, *Geografía*, p. 482-484.

محمد ابن عزوز حكيم

الطيّب، إدريس من مواليد سنة 1926 ببني زروال. انخرط في صفوف جيش التحرير بمركز جنان ماس تحت إمرة ابّالبقال وقد شارك في عدة هجومات استهدفت ضرب مصالح المستعمر إلى أن جاء الاستقلال فالتحق بصفوف القوات المسلحة الملكية. توفي بتاريخ 17 أكتوبر 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 516448.

ابن **الطيبي، علال بن محمد**، ولد سنة 1935 بمنطقة السراغنة، التحق بصفوف المقاومة بالدار البيضاء، شارك في تنفيذ عدة عمليات، القي عليه القبض بمسجد عين الشق بالدار البيضاء، بتهمة المشاركة في صفوف المقاومة، فسجن، كان يقوم بتوزيع المناشير ونقل الأسلحة. توفي بتاريخ 18 دجنبر 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 405441.

طِيـنْدا أرطيث، خـوليـو Tienda Ortiz, Julio مستعرب، كان من كبار موظفي إدارة الحماية الإسبانية بشمال المغرب حيث لعب أدواراً خطيرة منذ أن عين ترجماناً بالقصر الخليفي يوم 8 ديسمبر 1925 لكي يكون على اطلاع مباشر بما يجري بالقصر الخليفي إبان اعتلاء الأمير مولاي الحسن بن المهدي العلوي كرسي الخلافة بتطوان، وفي يونيو 1927 ثم نقله إلى نيابة الأمور الوطنية حيث شغل منصب رئيس مصلحة الأملاك المخزنية وذلك إلى أن عين مراقبا بناحية تطوان سنة 1932 وبناحية العرائش في السنة التالية ؛ وفي يوليوز 1935 عين خليفة لنائب الأمور الوطنية مكلفا بالعلاقات مع الحركة الوطنية من جهة ومع الصدارة العظمى بالحكومة الخليفية حيث كان يصادق على القرارات الوزيرية للصدر الأعظم.

وكان من مساندي الانقلاب العسكري الذي أطاح بالجمهورية الإسبانية في شهر يوليوز 1936، ورغم ذلك فعندما ثبت عليه أنه كان ينتمي إلى منظمة الماسونية أعفي من منصبه يوم 17 فبراير 1937 فغادر تطوان.

أرشيف ابن عزوز حكيم بتطوان.

Videmecum de 1936.

محمد ابن عزوز حكيم

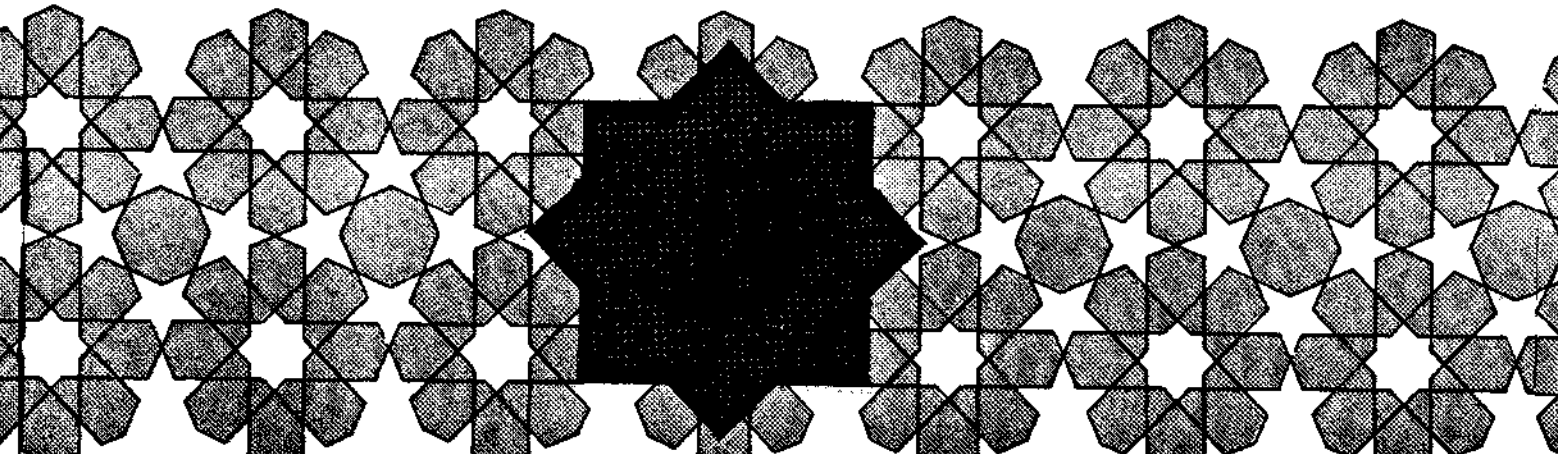

الظربان، والدلدل والدلدول ونيص وشيظم وشيهم كما هو في المعاجم، حيوان ثديي ليلي النشاط من رتبة القوارض Rongeurs وأكبرها حجما ومن فصيلة الشياهم Hystricidae، يحمل على ظهره شوكا كأنه المسال. يسمى علميا Hystrix cristata وبالفرنسية Porc épic à crète وبالإنجليزية Porcupine. يسمى في المغرب ظربان وضربان وعتبرس الرمل في المناطق الصحراوية الجنوبية وتاروشت بالأمازيغية وفي الجزيرة العربية نيص وفي السودان أبو شوك ويقال له أيضا القنفذ في بعض أنحاء سوريا ولبنان إلا أن القنفذ حيوان أصغر منه حجما ومن آكلات الحشرات Insectivore.

يوجد في العالم عشرون نوعا منها الظربان الهندي Hystrix indica وظربان بورنيو Trichys borneo والظربان المقنزع Hystrix cristata الذي يعيش في المغرب وفي مناطق شمال إفريقيا.

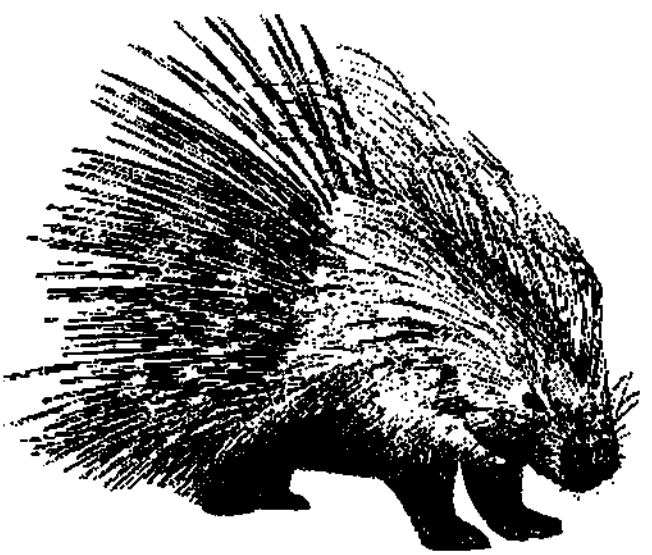

يتميز الظربان المقنزع عن سائر الأنواع بخصلة صغيرة من الشعر الحريري الطويل بيضاء، على رأسه، قوائمه قصيرة تنتهي بأظافر قوية تساعده على حفر الغيران التي يعيش فيها طول النهار. الأذنان قصيرتان لا يتعدى طولها 4 سم، لون الجسم كستنائي. يغطي ظهره شوك طويل، مرن على الرأس وعلى النصف الأمامي من الظهر وقوي ونعوظ موجه إلى الخلف على مؤخرة الجسم والذيل. الشوك كستنائي وأبيض بالتتابع ويحمل غالبا خمس إلى عشر حلقات بيضاء فاتحة. صيغة أسنانه كالتالي :

1/1 أسنان، 0/0 أنياب، 1/1 أضراس أمامية، 3/3 أضراس = 20 سنا.

يتراوح وزن الكبار ما بين 10 و15 كيلوغراما ويبلغ الطول جمعا بين الرأس والجسم 65 ـ 85 سم وطول الذيل 12 ـ 17 سم.

يتكون غذاؤه من العساقيل ومن البصلات المختلفة والنباتات والفواكه والخضر. يفضل العيش في المناطق الجافة المجاورة للحقول المزروعة وخاصة منها خواصر الجبال ذات الكسور. وهو شائع في المناطق الجافة وشبه الجافة المغربية وخاصة منها مناطق هضاب كمكم وحمادة غير ودرعة وغير موجود في المناطق الصحراوية المغربية الجنوبية. يعيش أيضا في إفريقيا وفي الجزيرة العربية.

الظربان حيوان لطيف يسهل الاقتراب منه ؛ يفضل العزلة وغالبا ما يعيش منفردا، يقضي نهاره بداخل غار عميق يحفره بأظافره ويخرج ليلا ليبحث عن الأكل وهذا النشاط الليلي يجعل منه حيوانا مجهولا عند العامة. أسنانه الطويلة والقوية تساعده على قضم مختلف العساقل الصلبة.

تدوم مدة الحمل 63 ـ 65 يوما وتلد الإناث صغارا مفتوحة العينين يتراوح عددها بين 1 ـ 4، تصير بالغة بعد سنة وتعمر حوالي 15 سنة.

من بين الإشاعات المعروفة عن الظربان أنه يلقي بأشواكه على أعدائه للتخلص منهم. والواقع أن بعض أشواكه المسنة تزول بسهولة من جسمه كلما ارتجف أو احتك بحاجز أو عدو له.

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

A. Lakhdar Ghazal, J.P. Fartouat et M. Thevenot, *Faune du Maroc, Les Mammifères, Albums didactiques*, Rabat, 73 p. ; S. Aulanier et M. Thevenot, *Catalogue des mammifères sauvages du Maroc. Trav. Inst. Sci. Série Zoologie, n° 41*, Rabat, 1986.

محمد رمضاني

الظّريف، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Atarfe وهو اسم قرية كانت بأحواز غرناطة المسلمة تعرف بقرية الظرف.

والفرد الوحيد من هذه الأسرة التي تذكر الوثائق هو : الظريف علي الذي كان أسيرا بفرنسا يحمل رقم 7313. ألقي القبض عليه سنة 1104 (1693) وقد وافته المنية بمدينة قادس يوم 27 ربيع الثاني 1114 (20 سبتمبر 1702).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 835.

محمد ابن عزوز حكيم

الظل، ظاهرة طبيعية تنتج عن حجز الأشعة بجسم معتم ما ينتج عنه نقص في الحرارة والضوء، مثل ظل جدار أو شجرة أو جبل. استعمل المغاربة منذ القديم تغير ظل جدار أو عصى كمقياس للزمن في النهار وذلك في غياب ساعة آلية أو رملية أو مائية. واستغلوا هذه الظاهرة في المِزْوَلة وهي ساعة شمسية لقياس الوقت نهارا، تستعمل خاصة لتحديد أوقات الصلاة، إذ تقسم النهار إلى أقسام متناسبة فيما بينها، سواء طال النهار صيفا أو قصر شتاء، وبذلك يحددون خاصة أوقات صلاة الظهر والعصر.

لكن الكلمة الأمازيغية التي تعني الظل وهي "أملو" كانت واسعة الانتشار خاصة في المناطق الجبلية إذ تطلق على السفح الظليل المقابل للشمال أو الغرب، المحمي جزئيا من أشعة الشمس القادمة من جهة الجنوب بالمغرب بناء على موقعه الجغرافي بالنسبة لخطوط العرض. ويكون السفح الظليل عادة أكثر برودة ورطوبة، كما يتأخر به ذوبان الثلوج بالجبال العليا والمتوسطة. ولهذا يبقى مجالا غابويا يستغل في الرعي وجمع الحطب والخشب، وقلما تستقر به القرى لنفور السكان من قساوة برودته شتاء "أصميد". يقابله السفح المشمس أي الشميس المعروف في جبال الأطلس الكبير بـ"أنامر" وبالأطلس الكبير الأوسط والشرقي والأطلس المتوسط بـ"أسامر". وقد استعملت كلمة الظل "أملو" في المصطلحات الجغرافية بالمغرب لتعني السفح الظليل UBAC يقابلها السفح المشمس ADRET. وإلى جانب عشرات القرى الجبلية المعروفة بـ"أسامر" أو "أنامر" فإن كلمة الظل "أملو" تطلق على بعض الأماكن خاصة بالجبال وهوامشها وبعض القرى، وقد ارتبطت كذلك بقبائل مثل أيت أمالو من برابرة الأطلس المتوسط، كما أطلقت على فصائل بربرية مهاجرة من بلاد صنهاجة "إزناكن" بالمنحدرات الشرقية لجبل سيروا وحواشي جبال صاغرو وأوكنات، إلى سفوح الأطلس المشرفة على سهل تادلة، خاصة المجموعة التي استوطنت في القرون الأخيرة حوض "واويزغت". وقد ارتبط الإسم ببعض القبائل دون مراعاة موضع استقرارها هل بالسفوح الظليلة أو الشميسة، كما أطلقت على أماكن عديدة بمناطق الدير والأحواض مثل "أمالو ن إغربين" أي ظل الغرباء بالضواحي الشرقية لمدينة خنيفرة.

كتب جغرافية المغرب، وبحوث متنوعة، واستطلاعات وبحوث ميدانية.

أحمد هوزالي

الظهرة، يطلق هذا الاسم على منطقة شاسعة تمتد في شرق المغرب وغرب الجزائر بين سلسلة جبال جرادة ـ تلمسان شمالا وسلسلة جبال الأطلس الكبير الشرقي ـ الأطلس الصحراوي جنوبا. وفي الواقع قد يتباين امتداد هذه الوحدة الجغرافية اصطلاحا حسب الأفراد إلا أن استقصاء السكان المحليين الذين يرتحلون باستمرار داخلها وحولها يظهر إجماعا على المدلول العام المتداول وهو كل الأرض التي تحدها الحلقة المكونة من المرتفعات الممتدة في هوامش الهضاب العليا في شرق المغرب. وتتداول الحكايات والأساطير حول أصل هذا الاسم، غير أن مدلوله اللغوي يعكس بوضوح طبيعة السطح الذي يطلق عليه، فحتى وإن كانت بالضاد فإن "الضهر هو بقعة في الجبل يخالف لونها سائر لونه" أو "خلقة في الجبل تخالف جبلّته" أما بالظاء، فالظّهر من الأرض "ما غلظ وارتفع" وقد كان العرب يميزون بين قريش البطاح (المنخفضات) وقريش الظواهر (المرتفعات).

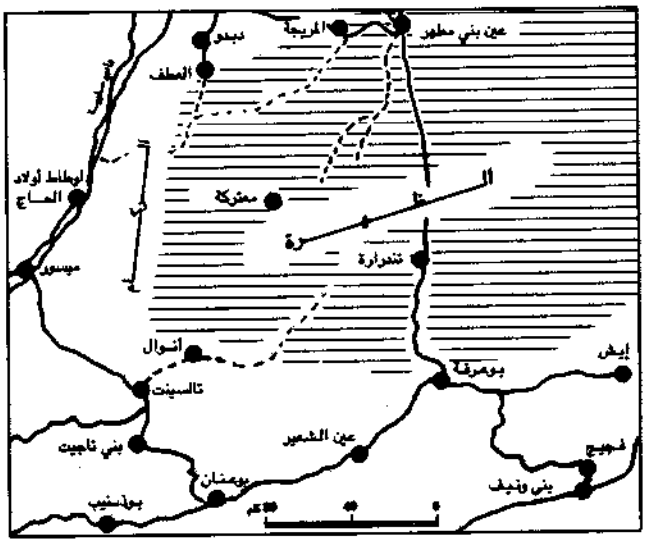

وردت كلمة الظهرة مقرونة بالصحراء في كتابات تاريخية نظرا لقحولة مناخها وندرة السيلان في أوديتها

القليلة وذات التصريف الداخلي نحو الشطوط باستثناء القلة منها مثل وادي زا (الشارف ثم الحي في العالية) الذي يصعب على الكثير من روافده إيصال مياهها إلى السافلة بسبب ضعف انحدارها وهذا ما يميز المنطقة عموما إذ يندُر فيها التضرس أمام الانبساط الشديد الذي يمتد عشرات الكلمترات. ونتيجة لهذه الظروف المناخية والهدرولوجية لا يكسو الظهرة سوى تعاشيب من الحلفاء والشيح وشجيرات سهوبية من السدر لا تنتشر بها سوى بعض أشجار البطم المتبقية في بطون الأودية وقد استقطبت منذ القدم قبائل رعوية أمازيغية قبل أن تلتحق بها أخرى عربية بقطعانها من الغنم والماعز والإبل وقد عُرفت هذه المنطقة ولازالت بجودة لحوم غنمها من سلالة "بني گيل" المسماة محليا "الدغمة" وخيلها العربية الأصيلة الجميلة، وكذلك الكم الوفير خلال السنوات المطيرة.

تتنقل وسط الظهرة بالتراب المغربي قبائل عربية أهمها بنو گيل في الجنوب وبنو مطهر وأولاد سيدي عبد الحاكم وأولاد سيدي علي بوشنافة وأولاد سيدي امحمد بن أحمد في الشمال بينما ترعى في هوامشها قبائل أمازيغية وعربية وهي أيت سغروشن في الجنوب الغربي وأولاد الحاج في الغرب وأولاد عمرو في الشمال الغربي وأولاد بختي وبني يعلا والمهاية في الشمال. وكانت هذه القبائل تتحالف أحيانا وتتصارع أحيانا أخرى فكانت لشرفائها أدوار في المفاوضات وإبرام الصلح والتأطير الديني بفعل نشاط الزوايا المختلفة (القندوسية والكرزازية والدرقاوية والطيبية الوزانية)، وقد لعبت الظهرة التي أفرزت المرينيين دورا في مقاومة الاستعمار وإيواء رموزها أمثال الشيخ بوعمامة.

أما تنقلات هذه القبائل فتحكمها ظروف الأمن ووفرة الكلأ والماء فلم تُفرز تجمعات سكنية تذكر إلا مع أوائل القرن العشرين حيث أقامت السلطات الاستعمارية الفرنسية مراكزها للمراقبة فظهرت تندرارة بسوقها الكبير وبوعرفة بمنجمها ونمت عين بني مطهر حول قصباتها بسوقها على الطريق الرابطة بين وجدة وفجيج وأصبحت المريجة ومعتركة وأنوال مراكز صغيرة بعد أن كانت مجرد نقط ماء للماشية. ومع التحولات المجالية الاجتماعية الحديثة تغيرت ظروف تربية الماشية بتعديد نقط الماء والتنقل بالشاحنات واستعمال الأعلاف المجلوبة فأصبح الرعي جائرا بضغطه الحاد على الموارد الكلئية مما أدى إلى تدهور كبير لمراعي المنطقة مع تنامي تصحرها الذي ساهم فيه الاجتثاث القوي للحلفاء التي كانت تصدر بكثافة لأغراض صناعية، رغم العديد من المحاولات التنموية.

م. غزال، *مظاهر تحول الحياة الرعوية في الهوامش الشمالية من الهضاب العليا الشرقية المغربية (عين بني مطهر)*، د.د.ع الرباط، 1987.

A. Cour, *Notes sur la région de Berguent, B.S.G.A.O.*, 1909 ; J. Despois & R. Raynal, *Géographie de l'Afrique du Nord-Ouest*, Paris, , 1975 ; A. El Harradji, *Aménagement, érosion et désertification sur les Hauts Plateaux du Maroc Oriental, Méditerranée* n° 1-2. 1997 ; M. Hlal, *Elevage et sédentarisation sur les Hauts Plateaux steppiques de l'Est Marocain, étude géographique*, t. 3° cycles, Univ. Tours, 304 p., 1983 ; H.-M.-P. De La Martinière & N. Lacroix, *Documents pour servir à l'étude du Nord Ouest Africain*, Alger ; R. Paskoff, *Les Hautes Plaines du Maroc Oriental : la région de Berguennt. Les Cahiers d'Outre-mer*, Bordeau, XX, n° 37, 1957 ; B. Tag, *Des mutations agro-pastorales à l'urbanisation dans le Maroc Oriental*, T. Etat. Univ. Toulouse, 1987.

عبد الرحمان الحرادجي

ظهر القيطون، فج يقع بقبيلة بني يدر الجبلية، يقول عنه المؤرخ الإسباني كاخيگاس Cagigas بأنه هو الذي يعرف في المصادر المغربية القديمة باسم فج الفرس الذي قتل به السلطان المخلوع الشيخ المامون السعدي على يد المقدم أبي اللف يوم 26 رجب 1022 موافق 10 سبتمبر 1613 انتقاماً منه على تسليمه العرائش للإسبانيين سنة 1610.

وبهذا الفج جرت يوم 14 يناير 1920 معركة كبيرة بين المجاهدين والجيش الإسباني.

Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo*.

محمد ابن عزوز حكيم

ظهير، الظهير في اللغة العربية هو العون، والتظاهر هو التعاون، والاستظهار بالشيء الاستعانة به. من ذلك قول الله عز وجل في سورة البقرة، 85 : "ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان". وفي الإسراء، 88 : "ولو كان بعضكم لبعض ظهيرا". وفي الفرقان، 55 : "وكان الكافر على ربه ظهيرا". وفي القصص، 48 : "قالوا ساحران تظاهرا". وفي الأحزاب، 26 : "وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم". وفي سبأ، 22 : "وما له منهم من ظهير". وفي الممتحنة، 9 : "إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم". ولا غرابة أن يكون الأمراء الموحدون هو الذين تمسكوا بهذا المصطلح المتردد بكل صيغه في القرآن ليشيروا به إلى ما يصدر عنهم من القرارات لأصحابهم وأعوانهم، ولغيرهم من أفراد الرعية على وجه الإنعام جزاء لهم ورضى عنهم، أو على وجه الاستظهار بالكتاب في شؤون الدولة أو الشؤون الخاصة. وكانت تلك القرارات السلطانية تسمى قبل العهد الموحدي "صكا" أو "سجلا"، حتى إذا كانت ثورة المهدي محمد بن تومرت على المرابطين، وخلفه عبد المومن بن علي وأبناؤه، انكب هؤلاء على ترتيب أجهزة الدولة المغربية ترتيبا ملتزما أشد ما يكون الالتزام بمقتضيات الشريعة. ومن ذلك إطلاق لفظة الظهير على ما يصدر من الأوامر والأحكام المخزنية. قال صاحب *صبح الأعشى* : "واعلم أنهم يعبرون عما يكتب في جميع ولاياتهم بالظهائر، جمع ظهير، يفتتحونه بلفظ هذا ظهير..." وقال في مقطع آخر : "وكانوا يعبرون عما يكتب من ذلك بالظهائر والصكوك. فالظهائر

جمع ظهير، وهو المعين، سمي مرسوم الخليفة أو السلطان ظهيرا لما يقع به من المعاونة لمن يكتب له. والصكوك جمع صك وهو الكتاب [...] ثم تحامى المتأخرون منهم لفظ الصك لما جرى به عرف العامة من غلبة استعماله في أحد معنيي الاشتراك فيه، وهو الصفع، واقتصروا على لفظ ظهير". بيد أن معاجم اللغة العربية ظلت تتغافل عن هذا المعنى السياسي للفظ الظهير. لكن المعاجم اللغوية الأوربية سرعان ما وقفت عليه وأثبتته. فقد جعل الراهب القطلاني رايموندو مارتين، في القرن الثالث عشر من الميلاد، في معجمه اللاتيني العربي، لفظ ظهير مرادفا للفظ privilegium. واقتفى أثره في ذلك صاحب القاموس العربي الإسباني بيدرو دي ألكالا، في القرن الخامس عشر، قائلا بأن الظهير هو privilegio. وقد شرح هذا اللفظ المستعرب الهولاندي دوزي Dozy في القرن التاسع عشر، قائلا بأن معناه brevet وprivilège. أما الأمثلة على استعمال لفظ ظهير في العهد الموحدي في مجال نفوذهم على الضفتين، فأكثر من أن تحصى. ويكفي الرجوع إلى بعض الرسائل الموحدية، لنقف مثلا على ظهير صدر لدير من الرهبان سنة 614 هـ جاء فيه : "هذا ظهير كريم أمر به أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين [...] أيدهم الله بنصره وأمدهم بعونه لرهبان بوبلات التي بجهة لاردة وفقهم الله وسددهم وأنار بصائرهم وأرشدهم وجعل ما يقرب من رحمة الله معتملهم ومعتمدهم، أباح به لماشيتهم وللقائمين عليها أن لا يذادوا في بلاد المسلمين في زمن حرب أو سلم عن مكرع ولا مرعى، رعيا لما سعوا له وانتدبوا إليه من المآخذ الذي حبسوا له أنفسهم والمسعى..." وتلك هي الصيغة العامة التي ستسير عليها الدول المتعاقبة على الحكم في المغرب بعد الموحدين في كتابة ظهائر الإنعام والتوقير، أو التولية والإلزام، لا اختلاف فيها إلا بحسب بضاعة الكاتب من الأدب الرفيع ومقام المكتوب له بالأمر السلطاني. ولاغرو أن أرقى ما نقف منه على ذلك هو ما كتب بقلم ابن الخطيب في العهد المريني، أو بقلم الفشتالي في العهد السعدي. وسار العلويون على هذا النهج، إلى أن اشتد الضغط الاستعماري الأوربي في القرن التاسع عشر، وصار الملوك في حاجة إلى إبرام المعاهدات والأوفاق مع الدول الأوربية مثل وفق مدريد سنة 1880 فيصدرون الظهائر التنظيمية بشأنها، كما كانوا يخبرون الرعية بما يتهدد البلاد من الأخطار، فيكتبون بذلك ظهائر تتلى على الجمهور في المساجد، من باب الإشعار والتنبيه والاستشارة، فيكون الظهير عبارة عن صحيفة تخطر الولاة والرعية بما يقوم به السلطان من الأعمال، وأين يوجد في البلاد إذا كان في "حركة" يتفقد جهة من الجهات بمهدها ؛ بحيث كان الظهير هو النطق الرسمي بكل ما يصدر عن الإمام من الأقوال والأفعال في حدود مسؤوليته السلطانية التي هي مسؤولية تنظيمية وليست تشريعية، إذ الشرع منزل ولا يمكن التصرف بمقتضياته إلا بالرجوع إلى أولي الفتيا، مثلما حصل في عهد سيدي محمد بن عبد الله في القرن الثامن عشر، عندما لجأ إلى الاستفتاء لفرض المكوس التي كان بعض العلماء يعتبرونها غير شرعية، ومثلما فعل المولى حسن سنة 1886، حينما استفتى العلماء في تصدير الحبوب والقطاني والدواب التي كان تجار أوربا يلحون في تسريحها لفائدتهم. ويوم جاء الفرنسيون بأول مشروع لفرض حمايتهم على المغرب سنة 1905، دعا السلطان المولى عبد العزيز أولي الحل والعقد للاجتماع في فاس للنظر في الأمر، فكان الجواب بالرفض. مما زاد الفرنسيين المتربصين يومئذ باستقلال المغرب يقينا من أن الضغط على السلطان بمفرده أيسر من الضغط على النخبة السياسية أو على الشعب المغربي قاطبة. ولذلك جاء استعمار البلاد عن طريق الحماية، فإنه دخل من جهة القمة. ولذلك تعمدت السلطات الاستعمارية إضفاء صبغة التشريع المطلق على ما صارت تستصدره من الظهائر السلطانية لتتصرف بإدارة البلاد، مراقبة صدورها فلا تصدر إلا مقرونة بتوقيع المقيم العام. ولما صار السلطان هو مصدر القانون العام، كان لزاما أن تسند السلطة التنظيمية للصدر الأعظم ولمن يعمل تحت إشرافه المبدئي من مغاربة وفرنسيين. وهكذا صدرت الظهائر التشريعية الكبرى طيلة الحماية، وهي التي ألبست البلاد لباس الحداثة وأدخلتها عالم المعاصرة في مختلف الميادين، كما يشهد بذلك صفحات الجريدة الرسمية من سنة 1912 إلى 1956. وسارت إسبانيا على هذا النهج أيضا في منطقة نفوذها، مستصدرة من خليفة السلطان في تطوان ظهائر التشريع التي كانت تنشر في جريدة رسمية خاصة بالمنطقة من 1927 إلى 1956. بحيث كان الظهير عند استرجاع الاستقلال هو الوعاء الذي يستبطن إرادة الدولة سواء في ذلك إرادة عاهل البلاد أو إرادة مختلف الإدارات أو إرادة الأمة التي كانت معركة الاستقلال قد أوصلتها إلى درجة من النضج جعل العرش بلسان محمد الخامس يتعهد لها بإشراكها في تسيير الشأن العام عن طريق الانتخاب. وشرع الملك والأحزاب الوطنية في الحين في بناء نظام ملكية برلمانية قائمة على دستور يتبناه الجميع. ولكن الوعد الملكي لم ينجز إلا بعد تربع الملك الحسن الثاني على العرش. وهو الذي استفتى الشعب عبر التصويت المباشر الشامل في دستور دجنبر 1962. وهذا الدستور هو الذي حدد معالم الملكية البرلمانية المغربية في ما هي عليه إلى يومنا من توزيع السلط بين تشريعية وتنفيذية وقضائية، وإسناد مسؤولية الإشراف على سيرها وتعاملها للملك بصفة كونه أميرا للمؤمنين وحامي حمى الملة والدين، محتفظا له بسابق مسؤولياته في النسق الإسلامي، ومعلنا أن الظهير هو وعاء كل نطق ملكي، سواء في حل البرلمان أو عند ضرورة إعلان حالة الاستثناء، أو في تعيين الوزراء والسفراء وكبار موظفي الدولة، أو بالأحرى في قيادة القوات الملكية المسلحة التي هي من مسؤولياته الدستورية. أما السلطة التشريعية،

فإنها تعبر عن قراراتها بالقوانين، بينما السلطة المكلفة بتنفيذ القوانين تفعل ذلك بواسطة المراسيم والقرارات الوزارية. وقد جرى تعديل الدستور سنة 1972 ثم سنة 1996، وتغيرت فيه بعض المقتضيات دون أن يتغير شيء من سلطة الملك الذي يقول الفصل 29 منه بأن الملك يمارس مسؤوليته بواسط الظهائر، فهي تختزل لفظا ومعنى ما كان للعاهل من النفوذ قبل القرن العشرين وما اكتسبه من ذلك في فترة الحماية التي كانت فترة وضع بنيات الدولة العصرية التحتية، ثم بعد استرجاع الاستقلال يوم صارت البنيات الفوقية للدولة تقام وقواعد النظام النيابي في البلاد ترسى على جميع المستويات.

م. أشركي، *الظهير الشريف في القانون العام المغربي*، الدار البيضاء، دار الثقافة، 1980 ؛ م. ابن شريفة، *من ألفاظ الحضارة في الأندلس والمغرب، كلمة ظهير مثالا*، الأكاديمية، العدد 14، 1998، الرباط، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية.

إبراهيم بوطالب

الظهير البربري، هو الظهير الذي صدر يوم 8 محرم 1349، الموافق ليوم 16 ماي 1930، استصدرته سلطات الحماية الفرنسية لإقامة قضاء عرفي خاص بالقبائل البربرية بقصد عزلها عن باقي سكان البلاد الخاضعين للقضاء الشرعي، فأقامت محاكم عرفية للنظر في قضايا الأحوال الشخصية والمعاملات وفي المجال الجنحي، وأسندت النظر في القضايا الجنائية للمحاكم الفرنسية. وجاء هذا الظهير متمما لظهائر سابقة ولسلسلة من القرارات الرامية كلها إلى العمل بخطة "فرق تسد" بين سكان المغرب الناطقين بالأمازيغية والآخرين الناطقين بالعربية. لكن الجماهير المغربية المتمثلة في الحركة الوطنية الناشئة والمسندة من الرأي العام الإسلامي عبر العالم كله سرعان ما أرغمت سلطات الحماية على التراجع عن أخطر ما ورد في الظهير باستصدار ظهير أبريل 1934 الذي عاد بالقبائل الأمازيغية إلى حظيرة المحاكم الشرعية. فما هي أصول تلك المكيدة التي انقلبت على مدبريها وكيف استطاعت الحركة الوطنية الفتية إبطال مفعولها ؟

كان للمسؤولين عن الاستعمار الفرنسي تجربة طويلة بسياسة التفرقة لإرساء هيمنتهم على مختلف المجتمعات التي ألحقوها بإمبراطوريتهم، سواء في إفريقيا الشمالية أو في إفريقيا جنوب الصحراء، وسواء في الهند الصينية أو في مدغشقر. ففي الجزائر، راموا عزل منطقة القبائل الناطقة بالأمازيغية عن باقي السكان الناطقين بالعربية. وفي السودان الغربي وإفريقيا الاستوائية، ضربوا قبيلة بأخرى وزاوية بزاوية والمسلمين بغير المسلمين. وفي مدغشقر، حرضوا الأقليات على أغلبية قبائل الهوف. وكذلك في المغرب، فإنه لم تمض سنتان على عقد حمايتهم عليه حتى استصدروا من السلطان المولى يوسف ظهير 20 شوال 1332 الموافق ليوم 11 شتنبر 1914 لتمييز القبائل البربرية عن باقي الساكنة الناطقة بالعربية. وذلك أول ظهير بربري، في فصلين فريدين جاء في أولهما : "إن القبائل الموجودة بإيالتنا الشريفة تبقى شؤونها جارية على مقتضى قوانينها وعوائدها الخصوصية تحت مراقبة ولاة الحكومة". وجاء في الثاني : "تصدر قرارات من الصدر الأعظم بعد الموافقة مع الكاتب العام لدى الدولة الشريفة في تعيين القبائل المتبعة للعوائد البربرية كما يقع تعيين ما ينطبق على تلك القبائل والقوانين والضوابط الصادرة بها والسلام". وانكبت سلطات الحماية بعد ذلك على استجلاء أخبار القبائل البربرية وأحوالها، وعلى تدوين أعرافها بقصد إحيائها، فأحدثوا مجلة تحت عنوان *"الأرشيفات البربرية" Archives berbères*، وأقاموا سنة 1914 مدرسة خاصة بتعليم مختلف اللهجات الأمازيغية للضباط والموظفين الفرنسيين المكلفين بإدارة شؤونها. ثم إن هذه المدرسة تحولت إلى معهد للدراسات الإسلامية العليا سنة 1921. وحرص المسؤولون عن الحماية منذ البداية على العمل بأداتي القضاء والتعليم للفصل بين الناطقين بالأمازيغية والناطقين بالعربية في المغرب. ووضعت معالم خطة التفريق بلسان المارشال ليوطي نفسه، وبأقلام ثلة من الضباط وكبار الموظفين لمحاربة اللغة العربية والحيلولة دون تعميق الضمير الإسلامي في صفوف الأمازيغيين، والعناية بالقوانين العرفية على علاتها لتفادي انتشار العمل بأحكام الشريعة. وقد لام ليوطي ضابطا فرنسيا كان قد أشار على قبيلة آيت سغروشن باتخاذ "طالب" يكتب عنها ويؤم الصلوات بها، قائلا : "هذا أمر غير معقول في السياسة البربرية لأننا لسنا ملزمين بتعليم العربية لأناس كانوا في غنى عنها، ذلك بأن العربية هي أداة نشر الإسلام، لأنها تلقن من خلال القرآن. بيد أن المصلحة تلزمنا بالسير بالبربر خارج الإطار الإسلامي. وكذلك علينا من جهة اللغة أن ننتقل مباشرة من البربرية إلى الفرنسية [...] فعلينا أن نحدث مدارس فرنسية بربرية يتعلم فيها الأطفال البربر اللغة الفرنسية. ثم علينا من جهة أخرى أن نتفادى بكل عناية أدنى تدخل في الشؤون الدينية، لأن الإسلام لم يؤثر في البربر، وأعني منهم أولئك الذين احتفظوا باستقلالهم، سوى ببصمات سطحية، فإنهم امتنعوا عن المفاهيم القانونية الواردة في القرآن، ومسطرتهم الوحيدة هي "أزرف"، ولا رغبة لهم في الشرع بأي وجه من الوجوه [...]، فعلى جميع ضباط الاستعلامات أن يتشبعوا بهذه المبادئ، وعليهم بوجه خاص أن يجتنبوا القيام بأدوار دعاة الإسلام في القبائل البربرية". وتجلت هذه الخطة المغرضة بشكل مكشوف في العشرينيات من القرن العشرين، بما كان من شرحها وتعليلها ونشرها في الكتب والمجلات بأقلام أمثال بول مارتي Paul Marty وموريس ليكلي Maurice Leglay وفيكتور بيكي Victor Piquet، وأيضا بما كان من إحداث المدارس الفرنسية البربرية الابتدائية وإحداث ثانوية أزرو، وإطلاق العنان لأعمال التبشير المسيحي بين الأمازيغ

بدعوى أن بعضهم كان في الماضي قد اعتنق النصرانية، وأنهم من أنصار القديس أوغستنوس، وأن لا سبيل للحفاظ بأفريقيا الشمالية في الحظيرة الفرنسية إلا بنشر النصرانية في أبنائها. وتلك وصية من وصايا الأب شارل دي فوكو Charles de Foucauld، كان بعض المستشرقين من أمثال لويس ماسنيون Louis Massignon مقتنعين بها ومستعدين للنضال من أجلها في تلك السنوات.

وكان من مقاصد إحداث المدارس الفرنسية البربرية إعداد الموظفين الأمازيغيين القادرين على تسيير شؤون المحاكم العرفية تحت مراقبة الضباط الفرنسيين، ذلك بأن الهدف المنشود من الأمر كله هو تمكين المعمرين الفرنسيين من الأراضي الجيدة في كل إقليم، مع التحايل على أصحابها من المغاربة بمعارضة الشرع بالأعراف تارة ومعارضة الأعراف بالشرع تارة أخرى، ريثما يتأتى تعميم العمل بالقضاء الفرنسي المقام منذ سنة 1913.

وتجلت أول خطوة نحو إحداث محاكم عرفية في نشرة دورية صدرت يوم 22 شتنبر 1915، وضعها المراقب المدني هنري برونو Henri Bruno بعد أن كشف النقاب عن مجموعة من القوانين العرفية البربرية في الأطلس المتوسط، فتبين منها أن التقاضي بين الأمازيغ ليس من اختصاص الجماعة، وإنما هو بيد حكم يتفق عليه أطراف النزاع. وإذا عجز هذا الحكم عن الحسم في القضية، فإنها تعرض على حكم ثان، ثم على ثالث إن اقتضى الحال. حتى إذا استعصى الأمر نهائيا، فإنه يحال على الجماعة التي تعين قاضيا يفصل فيه. وهذه الطريقة هي التي أقرتها الدورية المذكورة، جاعلة إلى جانب الجماعة كاتبا مكلفا بضبط قرارات الجماعات وأحكام أصحاب التحكيم وما يدور بشأنها من التداول. وكان من المفروض أن ينحصر مفعول هذه النشرة الدورية في ناحية مكناس أول الأمر. لكن انحسار المد الاستعماري بسبب الحرب العالمية الجارية حال دون تطبيق مقتضياتها، لميل المتصرفين بشؤون القبائل البربرية إلى إسناد المهام القضائية إلى الجماعات الإدارية المحدثة بظهير 21 نونبر 1916. وقد جعلت تحت إشراف قواد تعينهم وتراقبهم سلطات الحماية. لكن ما أن وضعت الحرب العالمية أوزارها واستؤنفت الأعمال الاستعمارية في المغرب فاشتدت حاجة المعمرين إلى المزيد من العقار، حتى صار التصرف بالأعراف القبلية من الضرورات، سيما بعد أن تبين أن بعض مقتضياتها تعوق المعاملات. من ذلك مثلا قانون الشفعة الذي كان يقضي بحق كل عضو من أعضاء القبيلة في شفعة ما يتقدم الغريب عن القبيلة لاقتنائه من عقارها وأراضيها. ولم تكن السلطات الاستعمارية لتغض الطرف عن مثل هذه القوانين. فاستصدرت ظهير 19 شوال 1340 / 15 يونيو 1922، وذلك بعد صدور ظهير 5 دجنبر 1921 القاضي بسطرة تفويت الأراضي الجماعية في القبائل العاملة بأعرافها، اقتداءا بما نص عليه في هذا الصدد ظهير 26 رجب 1337 / 27 أبريل 1919 في مجال العمل بأحكام الشرع. والعنوان المطول لظهير يونيو 1922 ناطق في حد ذاته بالغاية منه. فهو "الظهير الخاص بتفويت الأراضي من قبل الأهالي المنتمين للقبائل المعترف لها بأعرافها والتي لا تتوفر على محكمة شرعية كلما كان المفوت له غريبا عن القبيلة". وإن دل هذا العنوان على شيء فإنما يدل على شدة الأخذ والرد بين السلطان المولى يوسف وبين الإقامة العامة بخصوص إدارة شؤون القبائل البربرية. فإن الإقامة العامة كانت في حاجة إلى إضفاء الصبغة الشرعية على الجماعات القضائية العرفية التي كانت أعمالها وأحكامها ترفضها المحاكم الفرنسية، فأحرى أن تلتزم بها المحاكم الشرعية. ولذلك لم يقبل المولى يوسف إمضاء ظهير يونيو 1922 إلا في انتظار إقامة المحاكم الشرعية في جميع أنحاء البلاد. أما الأوساط الاستعمارية، فإنها شنت حملة مسعورة على الإسلام وعلى اللغة العربية وعلى قانون الشرع. وراموا تفادي معارضة السلطان المولى يوسف بسلسلة من المناشير الإدارية تلاحقت طيلة سنة 1923 و1924. ولكن المعاملات القائمة على أحكامها ظلت باطلة المفعول في نظر باقي المحاكم المغربية سواء منها الفرنسية أو الشرعية السلطانية. ثم إن حرب الريف التي امتد لهيبها في تلك الأثناء، حملت السلطات الفرنسية على شيء من التروي فيما كانت تتوهمه من عدم تمسك الأمازيغ بالإسلام، هذا فضلا عن كون ليوطي لم يكن ليمارس الضغط السافر على السلطان المولى يوسف.

لكن ما أن حل محله على كرسي الإقامة العامة تيودور سطيك Théodore Steeg، وما أن انتهت حرب الريف حتى صار أقطاب السياسة البربرية يتحركون من جديد لإلزام المولى يوسف بإصدار ظهير يقنن القضاء العرفي. لكن السلطان امتنع عن ذلك. فمال تيودور سطيك إلى تفادي معارضته باقتراح توحيد القضاء في المغرب بناء على النموذج الفرنسي. وانتظمت سنة 1927 لجنة برئاسة كبير قضاة المحاكم الفرنسية في المغرب كورديه Cordier بغاية تحويل المحاكم العرفية والمحاكم الشرعية إلى نوع من محاكم السداد تعمل بالقوانين العضوية الفرنسية. ثم إن المولى يوسف توفي فجأة يوم 17 نونبر 1927. وتخلى سطيك عن منصب الإقامة العامة في السنة التالية، فأرجئ الفصل في الأمر. حتى إذا أسند منصب المقيم العام إلى لوسيان سان Lucien Saint، تخلى عن فكرة توحيد القضاء في المغرب، خوفا من أن يكون في توحيد المغاربة ولو في ظل القوانين الفرنسية ما يعارض المصالح الاستعمارية. وفضل الاستفادة من شباب السلطان سيدي محمد بن يوسف لاستصدار ظهير بضفي الشرعية على القضاء العرفي. وانتظمت لذلك لجنة جديدة ترأسها كورديه المذكور وشارك فيها الجنرال نوكيس Nogués مدير الديوان العسكري للمقيم العام، وبينازي Bénazet مدير الشؤون الأهلية، ورولان Roland مدير دار المحافظة العقارية، وبيسونيل Peyssonnel المراقب المدني

لناحية الرباط، وبوسيه Poussié المراقب المدني لمقاطعة زمور، ونقيب المحامين في الرباط ونقيب المحامين في الدار البيضاء، وبعض التراجمة. وأسفرت أعمال اللجنة عن ظهير صدر يوم 8 محرم 1349 / 16 ماي 1930، في ثمانية فصول تقنن القضاء العرفي، وهو المعروف بالظهير البربري، ذلك بأنه لم يكرس فقط مبدأ التفرقة بين سكان المغرب، وإنما رام إخراج الأمازيغ من دينهم بإخضاعهم في المجال الجنائي للمحاكم الفرنسية. ومجمل القول في هذا الظهير أنه قضى بإسناد النظر في النزاعات الصغرى في القبائل الأمازيغية إلى قوادها التابعين لضباط الاحتلال (الفصل الأول). وإنه أحدث محاكم عرفية في الابتداء والاستئناف تفصل في القضايا المدنية بناء على الأعراف فأقفلت أبواب اللجوء إلى الشرع والفقه الإسلامي لتفتح أبواب العمل بالقوانين الفرنسية (الفصلان الرابع والخامس). وألحق نصف سكان المغرب المسلمين بالمحاكم الفرنسية بعد أن تقرر أن "جميع الأمور الجنائية" التي "يقع ارتكابها في النواحي البربرية" يعزى النظر فيها إلى المحاكم الفرنسية دون سواها "مهما كان من مرتكب الجناية" (الفصل السادس). وألح الفصل السابع في هذه الغاية بخصوص القضايا العقارية. ولم يكن يتهافت على الأراضي الجماعية يومئذ إلا المعمرون الأجانب أو بعض أذناب الاستعمار من القواد والشيوخ والمقدمين وما إلى ذلك. وقد جاء صدور هذا الظهير مواكبا لإقامة حفل مسيحي استفزازي في تونس تذكيرا بأيام انتشار المسيحية في إفريقيا الشمالية. كما واكبه الاحتفاء بذكرى مرور مائة سنة على احتلال الجزائر. بحيث لم يعد يخفى على أحد أن السلطات الاستعمارية الفرنسية عازمة على إحياء الامبراطورية الرومانية وسلطان البابوية الكاثوليكية على القطر بأكمله.

لكن الحركة الوطنية المغربية التي كانت يومئذ في طور المخاض انتهزت صدور الظهير البربري لتنظم صفوفها وتشرع في تعبئة الجماهير المغربية وتفسد المناورات الاستعمارية الرامية إلى النيل من وحدة الأمة المغربية. وجاء التصدي للظهير البربري والاحتجاج عليه على عدة مستويات، كان أولها قراءة اللطيف في أعقاب الصلوات الجامعة في كبريات المساجد حيث يبتهل المصلون مرددين : "اللهم يا لطيف الطف بما جرت به المقادر ولا تفرق بيننا وبين إخواننا البرابر". ثم خرج الناس بعد ذلك إلى الشوارع متظاهرين صادعين بشعارات الاحتجاج مطالبين بإلغاء الظهير، فسجن من سجن وجلد من جلد في فاس وسلا والرباط ومراكش. وقرئت رسالة سلطانية يوم 11 غشت 1930 في المساجد تذكر بحرمة بيوت الصلاة وبأن الظهير سيء فهمه. واستقبل السلطان سيدي محمد بن يوسف وفدا من شباب فاس ليأخذ بخاطرهم ويؤكد لهم أنه لم يتنازل أبدا عن أدنى حق من حقوق الوطن. وجاء في طليعة خريف تلك السنة رئيس الجمهورية الفرنسية كاسطون دومرك Gaston Doumergue في زيارة رسمية إلى المغرب، وانتهزها المقيم العام لوسيان سان فرصة لمحاولة التخفيف من وقع الصدمة. وكان قد بادر إلى إصدار نشرة دورية لبعض الأوساط المسيحية المهووسة بالتبشير يحثها على شيء من الإمساك والاعتدال.

بيد أن الحركة الوطنية كانت قد انطلقت بزعامة علال الفاسي ومحمد بن الحسن الوزاني وأحمد بلافريج والمكي الناصري في المنطقة الفرنسية، وبزعامة عبد السلام بنونة وعبد الخالق الطريس ومحمد داود في المنطقة الإسبانية، متخذة من الاحتجاج على الظهير البربري أرضية لبناء جهاز حزبي عصري لمقاومة الاستعمار في الوقت الذي كان الاستعمار ينهي أعمال "الباسفيكاسيون". فبعد الاحتجاج الجماهيري في صيف 1930، انتقلت الحركة الوطنية إلى الاحتجاج خارج البلاد، لدى الإخوة في الملة والدين قبل كل شيء، فكانت حملة عارمة من أقصى غرب الأمة إلى أقصى مشارقها تفضح السياسة الفرنسية وتبعث ببرقيات التنديد إلى عصبة الأمم، وتكتب المقالات دفاعا عن الحرمة الإسلامية. وتجندت لذلك مثلا صحيفة "فتح" لصاحبها محيي الدين الخطيب. كما تباحث المؤتمر الإسلامي المنعقد في القدس في دجنبر 1931 في النازلة فناقش التقرير الضافي الذي تقدم به ممثل المغرب المكي الناصري، واتخذت الملتمسات المناسبة. وتجند لمؤازرة المغاربة في نضالهم الزعيم الكبير شكيب أرسلان الذي كان من أول من أدرك ما يحاك في الخفاء من الدسائس ضد الإسلام ووحدة الأمة، فحل بالمغرب، وجمع حول شخصه مؤسسي الحركة الوطنية، وسخر صحيفته "الأمة العربية" الصادرة بالفرنسية في جنيف في سويسرا لفضح مكيدة الظهير البربري.

واستعان زعماء الحركة الوطنية أيضا بأحرار الأحزاب التقدمية في فرنسا وإسبانيا. ففي فرنسا وقف المناضل جان كيران Jean Guérin إلى جانب الوطنيين المغاربة لإصدار كتيّب بالفرنسية يحمل عنوان "مسلم بربري" يشرح الخفايا والنوايا من الظهير ويفند مزاعم الاستعمار. كما وقف روبير ـ جان لونگي Robert-Jean Longuet، حفيد كارل ماركس إلى جانب الوطنيين فأعانهم على إحداث مجلة "مغرب" الشهرية، التي كانت فتحا مغربيا مبينا في مجال الصحافة ومنبرا عجزت الإقامة العامة عن الإطاحة به قبل أن يصدر إثنان وثلاثون عددا منها. وكان من نتائج مؤازرة أحرار اليسار الفرنسي أن اشتد الضغط على الإقامة العامة، فألزم الجنرال نوگيس بالانسحاب من منصبه في نهاية سنة 1932. ثم أحيل المقيم العام لوسيان سان على التقاعد بعد بضعة شهور، وهو يعترف بأن أخطاء قد ارتكبت بإصدار الظهير وأن إصلاحها أمر لا مفر منه. وما أن حل المقيم العام الجديد هانري يونصو Henri Ponso بالرباط في ربيع 1933 حتى انكب على إعادة النظر في الأمر. وصدر ظهير جديد بتاريخ 23 ذي الحجة 1352 الموافق ليوم 8 أبريل 1934 يحتفظ

بالقضاء العرفي في القبائل الأمازيغية في القضايا الجنحية، ويحيل القضايا الجنائية على المحكمة العليا الشريفة القائمة على الشرع.

ع. الفاسي، *الحركات الاستقلالية في المغرب العربي*، طنجة، 1947 ؛ محمد بن الحسن الوزاني، *مذكرات، حياة وجهاد*، الدار البيضاء، بيروت، 1985.1982 ؛ أبو بكر القادري، *مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية*، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 1992.

G. Lafuente, *La politique berbère de la France et le nationalisme marocain*, Paris, 1999.

إبراهيم بوطالب

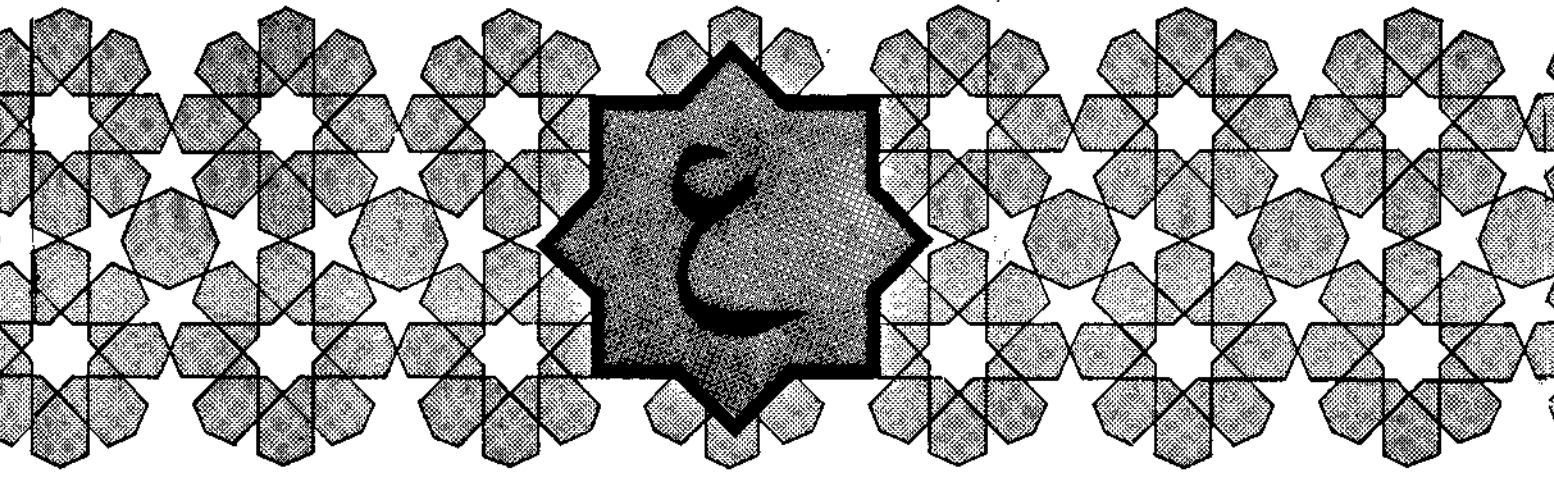
ع

عَابِدٌ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Alavid ؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Abed.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1134.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **عابد، محمد** ولد بدوار اسيف أيت باعمران. انخرط في صفوف جيش التحرير سنة 1956 وعمل ضمن وحداته بكل شجاعة وإقدام من أجل تحرير الوطن إلى أن استشهد بتاريخ 25 أكتوبر 1957 إثر انفجار لغم وضعه الإسبان بالقرب من الكزيرة أثناء معركة بين جيش التحرير والجيش الإسباني.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 501105.

عاتكة بنت **علي** بن **عمر** بن إدريس الأزهر أميرة إدريسية تزوجها يحيى بن يحيى بن محمد بن إدريس الثاني أمير فاس، الذي وصفته المصادر بسوء السيرة. وقد كان لهذه المرأة أثر كبير في تحول الدولة الإدريسية من بني محمد بن إدريس بن عمر بن إدريس. فحينما ثار العامة على زوجها إثر تورطه في قضية أخلاقية أمرته بالفرار إلى عدوة الأندلسيين والاختفاء ريثما تسكن ثائرة الناس. وظلت هي بعدوة القرويين لمراقبة الوضع، لكن الأمير يحيى لم يلبث أن توفي بعد ليلتين حسرة وندما على ما ذكرته المصادر، فاستقل عبد الرحمن بن أبي سهل الجذامي بالمدينة.

وحتى لا تخرج فاس من أيدي الأدارسة راسلت عاتكة أباها الأمير علي بن عمر بن إدريس صاحب صنهاجة وغمارة وبلاد الريف مستنجدة به ومبينة له خطورة الوضع، فزحف إلى فاس بجيوشه واستردها من يدي عبد الرحمن الجذامي وأخمد الانتفاضة القائمة فيها، وتمت مبايعته بها سنة 252 / 866، وبذلك انقرض الحكم في سلالة محمد بن إدريس وانتقل إلى أبناء أخيه عمر بن إدريس.

ابن أبي زرع، *الأنيس المطرب*، الرباط، 1973 ؛ البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب* ؛ الناصري، *الاستقصا*، 2، طبعة، 2001.

محمد المغراوي

العاج، يقترن العاج بالفيل الذي حظي باهتمام خاص لدى علماء الحيوان والجغرافيين والرحالة منذ القديم. فحددوا مواطنه ووصفوا أعضاء جسمه ووظائفها وذكروا نمط حياته وطبائعه. ولا ريب أن هذا الاهتمام لا يخلو من دوافع نفعية متمثلة في ما يوفره الفيل للإنسان من لحم وجلد وعاج، وفي استعماله في الحرب. لذا جد القناصون في ابتكار الطرق والأساليب المساعدة على صيد هذا الحيوان الضخم.

غير أن السبب الرئيسي وراء صيد الفيل هي الرغبة في الحصول على العاج للأغراض الفنية والعلاجية. ولئن كانت بعض المصادر تتحدث عن تجارة عظام الفيل وأوجه استعماله الشبيهة بما يعرف عن العاج، فإن معظم المصادر تحصر العاج في الأنياب. إذ يقول الزهري في وصفه لفيل أفريقيا الشرقية : "يخرج من صدغه نابان في وزن كل واحد منهما قنطار وأكثر. ويقال إنهما قرناه، وهما العاج. وإنما سميا بهذا الاسم لأنهما عاجا عن موضعهما أي خرجا" (كتاب، 123).

وقد استفاض العلماء العرب في العصر الوسيط في استعراض منافع العاج الطبية، مؤكدين فعاليته في علاج أمراض جلدية وهضمية، وفي الشفاء من الجذام والكسور، وفي التئام الجراح. كما أشاروا إلى بعض ما يرتبط به من معتقدات شعبية في مجالات الحمل والفراسة وتربية الماشية، الخ ...

ومن غير المستبعد أن يكون المغاربة قد استغلوا العاج في حياتهم اليومية منذ أن توفرت لهم وسائل وتقنيات

اصطياد الفيل. ومن المؤكد اليوم أن هذا الحيوان كان منتشرا بالمغرب منذ ما قبل التاريخ، وخصوصا بجبال الأطلس والصحراء، حيث تم العثور على نقوش صخرية تصور الفيل وعمليات صيده، وعلى بقايا متحجرة من عظامه.

وتؤكد عدة شهادات واردة عند مؤرخي العصر القديم، استمرار وجود الفيل بكثرة بالمغرب في عهدهم. ويذكرون العاج كسلعة رئيسية ضمن صادرات البلاد إلى الخارج، وخصوصا إلى عالم البحر المتوسط. بيد أن بلنيوس الشيخ يزعم أن استعمال العاج من قبل المغاربة اقتصر على أغراض منحطة. حقيقة أنه من الصعب تأويل هذا التلميح، ولكن يجوز لنا أن نفهم منه إشارة إلى استخدام العاج في صنع الأدوات الضرورية للحياة اليومية للمغاربة، دون أن يتعدى ذلك إلى ما هو فني كما كان الحال عند الرومان. ولكن ينبغي عدم الانسياق وراء مثل هذه المزاعم، باعتبارها شهادة أجنبية قد تكون متحاملة و / أو خاطئة. ويكفي أن نذكر في هذا الصدد أن كتب الجغرافيا والرحلات العربية الوسيطية تحمل مثل هذه الأحكام عن أفريقيا السوداء، غير أنه تبين فيما بعد مجانبتها للصواب. وثبت أن الأفارقة برعوا في استخدام العاج لصنع الحلي والتماثيل والأقنعة ولترصيع الخشب وزخرفته، وغير ذلك من التحف الفنية ذات الحمولات الدينية في أغلب الأحيان. وفي المغرب نفسه كان السكان الأصليون - حسب سكيلاكس - يشربون في كؤوس عاجية، وتزين النساء منهم بقلائد من عاج منذ العصر الفينيقي.

والأكيد أن العاج المغربي كان من أهم عناصر الحركة التجارية في الدول والإمبراطوريات التي أخضعت المغرب أو تاجرت معه في القديم. غير أن المغرب في هذا العصر لم ينفرد بتزويد الحضارات المتوسطية بحاجاتها من العاج، خاصة وأن الفيل كان يعيش آنذاك بكثير من أرجاء القارتين الأفريقية والأسيوية. وربما هذا ما حدا بالبعض إلى الاعتقاد بوجود تيارات تجارية - برية وبحرية - تهم العاج، وتربط بين أسواق البحر المتوسط وأعماق القارة الأفريقية منذ الفينيقيين (*Histoire*, 4 : 99). والواقع أنه لا يمكن الركون إلى هذا الاعتقاد بسبب استناده إلى مصادر ثبت غموض معلوماتها واضطرابها. الشيء الذي دفع بمعظم المؤرخين الأفريقانيين إلى رفضها أو التشكيك في صحتها على الأقل. والثابت اليوم أن المبادلات التجارية عبر الصحراء لم تبدأ بكثافة وانتظام إلا بعد الفتح الإسلامي لبلدان المغرب. بينما كان البرتغال أول من اكتشف واستعمل الطريق البحري بين البحر المتوسط وغرب أفريقيا في منتصف القرن (15 م). وإذا صح وصول عاج أفريقيا الغربية إلى الأسواق المتوسطية في القديم، فلا شك أن ذلك تم عن طريق الصحراء، وبكميات قليلة، وبطريقة غير منتظمة، وفي وقت غير سابق للإمبراطورية الرومانية. وعلى العكس من ذلك لم تكتف هذه الإمبراطورية بالتزود بالعاج من شمال القارة الأفريقية، وإنما أحدثت في شواطئها الشرقية مراكز لقنص الفيلة من أجل عاجها ذي الجودة العالية.

والأكيد أن المغرب كان من أكبر منتجي العاج منذ العصر الفينيقي على الأقل. إذ أورد سكيلاكس في هذا الصدد إشارات معبرة عن مكانة العاج في الوجود التجاري الفينقي بالمغرب الذي يعود إلى القرن 10 ق. م. وهي مكانة قوامها الحصول على هذه البضاعة من المستوطنات الفينيقية المنبثة على الشواطئ إلى حدود قرنة (قد تكون هي الصويرة حيث عثر علماء الآثار على عاج خام)، ثم تسويقها - مصنعة أو خامة - في بلدان البحر المتوسط، ومن بينها جنوب شبه الجزيرة الإيبيرية.

وقد ورثت قرطاج هذه الوظيفة التجارية، لاسيما مع تعد قطعان الفيلة التي ظلت تعيش بمجموع الشمال الأفريقي كما تؤكد رحلة حانون (ق 5 ق. م). وهذا ما أتاح للقرطاجيين تولي دور جمع العاج المحلي وتوزيعه على الأسواق المتوسطية.

ويبدو أن وفرة العاج في المغرب إلى حدود العصر القرطاجي، لم يحل دون استيراد كميات منه، وخصوصا بعد تصنيعه. الشيء الذي يعكس أهمية هذه المادة في المغرب القديم، ليس بوصفها سلعة فقط، وإنما أيضاً كمظهر من مظاهر الحياة الدينية والفنية والحرفية. وبالفعل كشف التنقيب في قبور فينيقية وقرطاجية - بونية عن عدد وفير من التحف الفنية العاجية المختلفة الوظائف. وهي عبارة عن أمشاط ومزهريات وملاعق ودبابيس وأساور وخواتم وتماثيل. والطريف أن بعض هذه اللقى زين بنقوش بشرية وحيوانية نباتية. كما عثر على صناديق خشبية بزخارف من عاج. وهذه الزخارف إما أجزاء دقيقة أو لوحات صورت عليها ورود وسعفيات، وأحيانا حيوانات وشخصيات.

ويرى S. Gsell (*Histoire*, 4 : 100, 163) أن هذه المصنوعات العاجية تعكس - بتنوعها ودقتها وجمالها - جانبا من جوانب التثاقف بين الحضارات المتوسطية. كما يعتقد أن بعض تلك المصنوعات استورد من بلدان أخرى وبالضبط من اليونان.

وقد ظل الفيل المغربي في العصر الروماني هدفا لعمليات صيد واسعة، ليس لعاجه فحسب، وإنما لتلبية حاجات الملاهي الرومانية. وعلى الرغم من كثرة أعداد الفيلة بالمغرب إلى حدود القرن الأول، فإنها لم تصمد أمام الاستنزاف الذي تعرضت له على يد الصيادين.

وإذا كان العصر الروماني شهد انقراض الفيل بشمال أفريقيا، فإن هذا الانقراض لم يكن في واقع الأمر سوى نتيجة لمسلسل من الاستغلال المفرط الموغل فيما قبل التاريخ. والجدير بالذكر أن الفيل المغربي كان أصغر حجما وأقل قوة من الفيل الآسيوي ومن فيل أفريقيا الاستوائية. بيد أن ذلك لم يحل دون تعرضه عبر العصور إلى القنص المكثف للحصول على العاج الذي كان بضاعة شبه ثمينة، ومطلوبة على نطاق واسع في مختلف الأسواق العالمية. وفي

نفس الوقت لم تتردد قرطاج في توظيف الفيل المحلي في حروبها، كما أفرطت روما في استغلاله من أجل ألعابها واحتفالاتها. وكل ذلك أدى إلى القضاء المبرم على الفيل بالشمال الأفريقي.

وعندما فتح المسلمون المغرب في بداية القرن (8 م) كانت البلاد قد تحولت من مصدر إلى مستورد للعاج. ويبدو أن هذا الوضع الجديد لم يؤثر كثيراً على تزود المغرب بهذه البضاعة، لاسيما وقد اقترنت فترة الفتح بظهور مبادلات تجارية نشيطة مع جنوبي الصحراء، حيث توجد "فيلة كثيرة جاوزت العد والحصر" (*آثار*، 26). وفضلا عن ذلك فإن هذه الفيلة تتميز بكبر أنيابها ومواصفات عاجها القابل للتشكيل بسهولة. وهذا ما جعل منه أجود عاج في عالم العصر الوسيط.

حقيقة أن كتب الجغرافيا والرحلات في هذا العصر تشيد بالفيل الهندي وضخامة أنيابه. غير أن عاجه كان هشا ضعيفا وبالتالي غير صالح للأغراض الاحتفالية والصناعية. وهذا ما يفسر كون الهند نفسها كانت من أكبر زبائن العاج الأفريقي.

وبالمناسبة، ينبغي التمييز في أفريقيا السوداء الوسيطية بين منطقتين رئيسيتين لإنتاج العاج، أهمهما شرق أفريقيا حيث بلدان النوبة والحبشة والزنج التي كانت أكبر خزان للعاج في العالم. ويأتي بعدها السودان الغربي الذي يظهر أنه كان أهم مصادر العاج لمغرب العصر الوسيط، بالنظر إلى جوارهما الجغرافي وعلاقاتهما التجارية. والواقع أن مصادرنا تشير تصريحا إلى وفرة الفيلة بالسودان الغربي في هذا العصر، وتطنب في تقنيات قنصها ومجالات استعمال عاجها، غير أنها نادرا ما تعرض إلى تصديره إلى شمال الصحراء، وإلى المغرب الوسيط على وجه التحديد.

ولكن تجارة القوافل مع بلاد السودان، وتوظيف العاج في بعض الحرف الفنية المغربية، قرائن لا تخلو من دلالة وتزكيها بعض المصادر، كجغرافية الزهري (ص. 118) التي تفيد بوصول العاج السوداني إلى سجلماسة. ويظهر أن هذه المدينة القوافلية كانت أهم أسواق العاج المغربية في العصر الوسيط. وبعد الزهري يؤكد ابن الخطيب (*الإحاطة*، 2 : 192) هذه الأهمية في ترجمته لأحد أفراد أسرة المقري التي كانت متخصصة في التجارة الصحراوية. وكان العاج من بين ما يبعثه ممثلها من مدينة ولاته إلى أخيه بسجلماسة. وبعد ذلك ظل العاج السوداني يتدفق على المغرب بانتظام لسد الطلب المحلي وللمبادلات التجارية مع أوربا. وربما أدت الحملة السعدية على إمبراطورية سنغاي في نهاية القرن (16 م)، إلى الزيادة في كميات العاج الوارد من جنوب الصحراء. ولا حظ أحد السفراء إلى البلاط الإسماعيلي في نهاية القرن (17 م) أن السلطان العلوي كان يولي اهتماما خاصا للتجارة مع السودان لتأمين مجموعة من السلع ومن بينها العاج. وخلال القرنين (18 و19 م) كانت فاس سوقا رائجة لهذه البضاعة التي كانت تحمل منها إلى الدول الأوربية.

ولئن كان من المستحيل تتبع تطور تجارة العاج بين المناطق المنتجة والمستهلكة في غياب المعطيات الرقمية، لا يخالجنا شك - بالنظر إلى أهمية الحاجيات في المغرب وأوربا - في أن كميات هذه البضاعة كانت تأتي مباشرة بعد الذهب في الصادرات السودانية إلى شمال الصحراء.

ومثلما أمن الفاتحون المسلمون للمغرب مصدراً غنيا بالعاج، حملوا معهم إليه تقاليد وتقنيات استعماله في الحرف الفنية. فأضيف ذلك إلى الموروث المحلي في هذا المجال. والملاحظ في هذا الشأن أن الإسلام كيف ما أخذه عن الحضارات القديمة مع الواقع الديني الجديد. فجاءت المصنوعات العاجية الإسلامية شبيهة بمثيلاتها السابقة من حيث بعض الزخارف والأدوات والأغراض، بينما اختلفت عنها أحيانا أخرى. والملاحظ أيضاً أن الحرف العاجية الإسلامية بلغت أوجها بكل من مصر الفاطمية والأندلس الأموية. ويمكن القول بأن المغرب كان تابعا للمدرسة الأندلسية في هذا المجال.

ولعل ما يميز الفن الإسلامي المرتبط بالعاج هو طغيان هذه المادة في تطعيم وحشو الخشب الثمين. فكانت الحشوات تستخدم للحصول على أشكال هندسية متنوعة، وخاصة المضلعات المنبثقة من أشكال نجمية كما هو الحال في الأبواب والمنابر مثلا. بينما شمل التطعيم العلب والأبواب والكراسي، وأحيانا نصب الخناجر وقوائم السيوف. وقد وصلتنا جملة من نفائس العاجيات الإسلامية، التي تعد مفخرة لبعض المتاحف العالمية الكبرى. ولكن مع الأسف لم يبق منها سوى القليل مما يهم المغرب. وقد يكون ذلك من نتائج موقف علماء المالكية من العاج. فبينما أباحه بعضهم إذا كان الفيل مذبوحا، حرمه البعض الآخر في كل الأحوال. وربما كان هذا الموقف من الأسباب التي جعلت المغاربة في الجملة يحجمون عن تصنيع العاج وحده، ويقتصرون على تزيين الخشب به. وهذا ما توحي به شهادات مصادرنا المكتوبة والتحف الفنية الباقية. فهذا ابن خلدون يتحدث عن إحدى ربعات القرآن الكريم التي كتبها السلطان المريني أبو الحسن، "وصنع لها وعاء مؤلفا من خشب الأبنوس والعاج والصندل فائق الصنعة". ويشير مارمول(*إفريقيا*، 2 : 52) إلى مدرسة مجاورة للقصر الملكي بمراكش كانت لها أبواب" كلها من خشب الأرز المزخرف بالعاج المحبوك بالذهب، وبألوان زاهية".

ويحتفظ أحد متاحف باريس بسيف مغربي من نهاية القرن (16 م). وهو ذو قائم عاجي مرصع بالذهب والفضة، الشيء الذي يجعل منه تحفة فنية رائعة. ويعتقد أنه لأحد أفراد الأسرة الحاكمة في الدولة السعدية، وقد يكون المعني بالأمر هو أحمد المنصور الذهبي الذي عرف عنه عشقه للأعمال الفنية الجميلة. ومعلوم أن العاج ظل إلى نهاية القرن (19 م) يستخدم في صناعة مقابض الخناجر والسيوف والسكاكين لعلية القوم من أجل الزينة والتباهي.

والثابت أن أكثر الميادين جدة في الحرف العاجية في علاقتها بالإسلام، هو استعمال هذه المادة على نطاق واسع في صناعة المنابر. ويصدق هذا الأمر على المغرب الوسيط، حيث حرص الحكام على تزيين المساجد الكبرى بمنابر من الخشب الممتاز الموشى بالعاج الطبيعي أو المطلي. وهو حرص يترجم ما للمنبر من رموز سياسية. ومن جملتها أنه المكان الذي يتم فيه الدعاء للحاكم في الجمعة والأعياد، مما يضفي الشرعية على سلطته، ويزكي تصرفاته وسياسته. لهذا كثيراً ما يحمل المنبر اسم الحاكم الذي أمر بصنعه. ومن حسن الحظ أن بعض النماذج من هذه المنابر قاوم الزمن إلى الآن، بينما تعرض معظمها للتلف والضياع، ولم يترك من أثر سوى ما تحتفظ به المصادر من إفادات لا ترقى في الغالب إلى ما يأمله الباحث. ويذكر بعض الرحالة في هذا الصدد أن هشام بن الحكم الأموي أمر سنة 388 / 998 ـ إبان نفوذه على المغرب ـ بتزويد جامع القرويين بمنبر موشى بالعاج، بعد أن كانت منابر القرويين السابقة ـ على ما يظهر ـ مصنوعة من الخشب فقط. وقد نذهب إلى حد الزعم بأن منبر الخليفة الأموي كان أول منبر مزخرف بالعاج في المغرب. وظلت الخطبة تقام عليه إلى عهد يوسف بن تاشفين الذي أمر باستبداله بمنبر آخر "صنع من عود الصندل والأبنوس والنارنج والعناب وعظم العاج". وصرف عليه من مال الأحباس أكثر من 3800 دينار فضي. واستمر في العمل إلى صدر الدولة المرينية (جنى، 55 ـ 56).

ويحتوي مسجد علي بن يوسف بمراكش بدوره على منبر رأى فيه أحد الباحثين سمفونية توحد فيها الخشب والعاج بطريقة غاية في التناسق والروعة. وثمة منبر آخر صنع لمسجد الكتبية بمراكش في عهد عبد المومن بن علي وبأمر منه. وهو من أقدم ما بقي من منابر المغرب وأكثرها رونقا وجمالا على الإطلاق، خاصة وقد استغل العاج في زخرفته على نطاق واسع، وبطريقة عالية من الدقة والإتقان. إذ تمت الاستعانة بالمادة المذكورة في إنجاز الشرائط الخشبية المتشابكة، وكتبت بها الآيات القرآنية المحيطة بتلك الشرائط. ويحتوي قوس الأدراج السفلى على تشبيك عاجي واسع معقوف، وتعلوه شرافات قائمة على خلفية من عاج. واستخدام العاج كذلك في المرصعات الهندسية، وهي إما دقيقة عبارة عن تشابيك متعددة الزوايا في المسطحات الخشبية، وإما كبيرة على شكل شرائط واسعة في الواجهات الخارجية للأقواس الجانبية. وفي الزخرفة النباتية يظهر العاج في منبر الكتبية في تيجان الأعمدة وفي السعفيات على وجه الخصوص.

ولا بد من الإشارة إلى أن هذا المنبر يحمل نقيشة تؤكد أنه صنع بقرطبة. ومعلوم أن هذه المدينة كانت أكبر مراكز صناعة العاج في الأندلس الأموية. وهي مكانة حافظت عليها إلى العصر الموحدي. ولا أدل على ذلك من أن المعاصرين اعتبروا منبر الكتبية أجمل منابر الإسلام، ولا يماثله من حيث ضخامة الحجم وكمال النسق وغنى الزخرفة سوى منبر مسجد قرطبة الذي يعود إلى الخلافة الأموية. ومع توالي القرون وغياب الصيانة تعرضت أجزاء كثيرة من منبر الكتبية إلى التلاشي، الشيء الذي فرض ـ قبل بضع سنوات ـ ترميمه بمساعدة أمريكية حفاظا على هذه القطعة الفنية التي لا تقدر بثمن.

ويوجد في مسجد القصبة بمراكش أيضاً منبر شبيه بنظيره في الكتبية من حيث غنى الزخرفة وجمالها. ولكن منبر القصبة يفتقد إلى صفائح العاج الكبيرة، ويقتصر على شرائط عاجية ضيقة. بينما تحتل مرصعات العاج فيه حيزا أكبر. وفي الواجهة الداخلية لقوس أسفل الأدراج استعملت نفس المادة لرسم مربعات نجمية. بيد أننا لا نعلم على وجه التحقيق متى وأين صنع هذا المنبر. قد يكون الخليفة الموحدي أبو يعقوب المنصور هو الذي أمر بإنجازه، بالنظر إلى كونه باني مسجد القصبة سنة 591 / 1195. ويرى بعض الدراسين (*Sanctuaires*, 269) أن التشابه الكبير بين منبري الكتبية والقصبة يحمل على الاعتقاد بأن هذا الأخير صنع في المغرب بأيادي أندلسية أيضاً.

وبالنظر إلى أن جامع القرويين حافظ على المنبر المرابطي إلى عصر بني مرين كما سلف الذكر، خص السلطان أبو عنان المدرسة التي شيد في فاس بمنبر ظل موجوداً بقاعة الصلاة إلى أن نقل إلى متحف البطحاء حوالي سنة 1952. وقد وقفنا عليه بعين المكان، وتبين لنا أن هيكله من خشب الأرز، وأن الزخارف العاجية تتجاور فيه مع منقوشات من خشب الليمون ومع أشكال مذهبة. ويتركز العاج على وجه الخصوص في قوس الأدراج السفلى، حيث استخدم في ترصيع أعلى القوس والجوانب الداخلية لأعمدته، وفي صفيحة عريضة تحتل مجموع واجهة القوس تقريبا وتحمل اسم السلطان أبي عنان. كما حليت جوانب المنبر بترصيعات هندسية دقيقة الصنع من العاج. وعلى الرغم من محاولات الصيانة المحدودة التي عرفها هذا المنبر، فإنه لا يزال ـ بالنظر إلى حالته التي عايناها ـ في حاجة ماسة إلى عملية إنقاذ شاملة شبيهة بتلك التي استفاد منها منبر الكتبية.

والواقع أن الجمع بين الخشب الثمين والعاج في الحرف الفنية بالمغرب ـ ولا سيما في صناعة المنابر ـ يعكس ذوق الصناع الرفيع المتمثل في إيجاد تناغم بين مادتين يؤدي إلى خلق أعمال فنية فائقة الجمال. إلا أن عملية الخلق هذه تستلزم جهدا كبيرا ووقتا طويلا قد يصل إلى عدة سنوات، كما هو حال بعض المنابر المحلاة بالعاج. وقد أدرك المعاصرون قيمة المنابر ـ بالنظر إلى ما كانت تمثله من الناحية المالية والفنية ـ فعملوا على حفظها وصيانتها، كما هو الشأن بالنسبة لمنبر القرويين المرابطي الذي كان له غشاءان يغطى بهما ولا يزولان عنه إلا يوم الجمعة.

ويدل وصفنا لمختلف المنابر السابقة على أن زخرفة الخشب بالعاج في المغرب توارثتها الأجيال المتعاقبة، وحافظت على طرق العمل والتقنيات والأدوات، على الأقل

إلى العصر المريني. هذا مع أننا نجهل كل شيء تقريبا عن خبرات صقل العاج وتقطيعه وتشكيله وتركيبه. والأكيد أن هذه الخبرات كانت تتطلب قدرات حرفية كبيرة وتكوينا علميا راقيا وخصوصا ما له علاقة بالتذوق الفني. دليلنا على ذلك أن أبا يحيى العتاد الذي صنع منبر القرويين في عهد يوسف بن تاشفين كان شيخا أديبا وإماما في اللغة والشعر.

ولكن هل كان أبو يحيى العتاد هذا مغربيا أم أندلسيا ؟ إن ما يبرر طرح هذا السؤال كون بعض المنابر المزخرفة بالعاج التي بقيت إلى الآن بالمغرب صنعت بالأندلس، الشيء الذي جعل بعض الباحثين يميلون إلى الاعتقاد (*Sanctuaire*, 269) بأن المغاربة لم يكن لهم من المهارات ما يسمح لهم بصناعة هذا النوع من المنابر. أكيد أن الأندلس كانت من المراكز الإسلامية الرائدة في صناعة العاجيات، وأن هذه الصناعة في المغرب كانت متأثرة بنظيرتها الأندلسية. بيد أن ذلك لا يعني البتة أن كل التحف العاجية التي وجدت بالمغرب صنعت بأيادي أندلسية. فلا ريب أن الروابط الوثيقة والمتعددة بين المغرب والأندلس أسهمت إيجابيا في نقل مجموعة من الحرف الفنية إلى هذا الأخير، بما في ذلك عمل العاج. وأدى إلى ظهور أجيال من المغاربة العارفين بهذا الفن، لعل أبا يحيى العتاد كان واحداً منهم.

بيد أن هذا الواقع لا ينفي أن منزلة المغرب في صناعة العاجيات كانت متواضعة، مقارنة ببلدان مثل الأندلس ومصر والهند والصين، حيث كانت لها أهمية سياسية واقتصادية خاصة. وفي هذا السياق أورد ابن الخطيب (*نفاضة*، 273) إشارة إلى حريق اندلع في أحد القصور المرينية بفاس، حيث أتى على "ثمين السلع من اللك والنيلج والعاج والأبنوس والصندل". واضح أن هذه الإفادة تهم التجارة الفنية المقترنة بالعاج في البلاط المريني. الشيء الذي يدفع إلى التساؤل عن علاقة السلطة الحاكمة في المغرب بتجارة العاج والصناعة الحرفية المعتمدة عليه. فهل احتكر الحكام البيع والشراء في هذه السلعة، كما كان الأمر في كثير من بلدان أفريقيا السوداء ؟ وهل فرضوا على المتاجرة فيها رسوما كما فعل أباطرة الصين ؟ وهل أشرفوا على إنجاز العاجيات كما كان شأن الخلفاء الأمويين في الأندلس ؟ كل هذه الأسئلة لا تسعفنا المصادر في الإجابة عنها بطريقة شافية وقطعية. ولكن لا بد من لفت الانتباه إلى أن كثيرا من العاجيات المغربية أنجز بإشراف الحكام وبأمر منهم، وإلى أن العاج كان دائما من بين الصادرات المغربية إلى شمال البحر المتوسط.

والحق أن معظم واردات أوربا من العاج كانت تأتي من شرق أفريقيا، وهذا ما يفسر إلى حد كبير سكوت أغلب مصادرنا - عربية وأوربية - عن ذكر هذه السلعة في المبادلات التجارية بين المغرب وأوربا. ومن المرجح أن تكون المدن الأندلسية التي أبدعت في تحويل العاج، اعتمدت - ولو جزئيا - على المادة الأولية القادمة من السودان الغربي عبر المغرب. ونفس الشيء يمكن أن يقال عن الممالك المسيحية - ولا سيما في شبه الجزيرة الإيبيرية - التي أخذت عن مصر والأندلس فن تحويل العاج.

وعندما نجح الأوربيون في الوصول إلى أفريقيا السوداء عن طريق المحيط في منتصف (15 م)، كان العاج - إلى جانب الذهب والعبيد - من ضمن البضائع التي دأبوا على حملها إلى بلدانهم. غير أن ذلك لم يجعل حدا نهائيا للوساطة المغربية في هذا المجال. إذ ظلت فاس مثلا بين القرن (18) ونهاية القرن (19 م) تحصل على العاج السوداني من أجل تجارتها مع أوربا.

م. الزهري، *كتاب الجغرافية*، د. ت. ص. ص. 118 ، 122 ، 123 ؛ زكريا القزويني، *عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات*، 1973، مادة فيل، ص. ص. 432 ، 433 ؛ نفسه، *آثار البلاد وأخبار العباد*، د. ت. 23 ، 24 ، 26 ، 27 ؛ ضياء الدين ابن البيطار، *الجامع لمفردات الأدوية والأغذية*، 1992، ج 3، مادة فيل، ص. 236 ؛ أ. العمري، *مسالك الأبصار في ممالك الأمصار*، في الحيوان والنبات والمعادن، 1996، مادة فيل، ص. ص. 72 ، 75 ؛ علي الجزنائي، *جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس*، 1967، ص. ص. 55 ، 56 ؛ لسان الدين ابن الخطيب، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، 1974، ج 2، ص. 192 ؛ نفسه، *نفاضة الجراب في علالة الاغتراب*، 1985، ص. 273.

H. Basset et H. Terrasse, *Sanctuaires et forteresses almohades*, *Hesp.*, t. 6, 2e-3e tr., 1926 ; V - *La chaire de la Kotobiya* ; VI - *La mosquée de la Qasba* ; E.F. Gautier, *Le Sahara*, 1950 ; Olagnier - Rittol, *Sabre marocain de la fin du 16e siècle*, *H-T.*, vol. 4, fasc. 1 - 2, 1963 ; S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, 1972, Index ; R. Pinder - Wilson, *Adj, E.I.*, n. éd. t. 1, 1991.

عبد العزيز العلوي

العار تقرن كلمة "عار" في العرف المغربي بمفهوم الاستجارة وطلب الحماية. فعندما "يرمي العار" شخص على شخص آخر فإن المستجارَ به يصبح تحت ضغط معنوي، بل وتحت طائلة عقاب سماوي، تجعله يُلبي طلب المُستجير، سواء تعلق الأمر بالحماية أو بتحقيق رغبة ما. وقد لا حظ عالم الأنتربولوجيا الفينلندي، ويسترمارك، عند بداية القرن العشرين، مدى أهمية العار لدى المغاربة، وحاول أن يجد له تعريفاً فقال إنه "لعنة مشروطة بعدم تلبية رغبة المستجير" (Conditional curse)، أي أن الذي يستطيع منح الحماية أو غيرها من الخدمات ويستنكف عن ذلك رغم إلحاح المُستجير، فإنه يُعرض نفسه لعواقب وخيمة، لا بد وأن تصيبه في ذاته أو ماله أو أهله. لذلك جرت العادة بعدم "رد العار" وأخذه مأخذ الجد وعدم التهاون في أمره نظراً لجسامة العقاب المرتقب. وأورد ويسترمارك مقولة مغربية شائعة تقول إن "العار يمثل نصف نار جهنم".

إن الحالات التي يتم فيها اللجوء إلى العار كثيرة ولا يمكن حصرها، لكن أكثر الحالات شيوعاً هي التي يلتمس فيها صاحب العار مساندة مُلحة لدفع عدوان، أو الاقتصاص من معتد، أو كسب حليف لمواجهة خصم. ويُحاط "رمي العار" عادة بطقوس خاصة تُضفي عليه طابع القُدسية والاستعجال، كتقديم ذبيحة أو اللجوء إلى "التعرقيبة" المتمثلة في شل حركة الدابة بقطع أعصاب

رجليها الأماميين. كما قد تكتسي هذه الطقوس شكل تقديم النساء والأطفال لإبلاغ رغبة المستجير. وقد استعمل المستعمرون الفرنسيون والإسبان هذه العادة خلال عمليات الاحتلال فكانوا ينتظرون من القبائل أن تُعبر عن استسلامها بتقديم الذبائح أو "عرقبة" الدواب كإقرار بانهزامها وطمعها في حماية القوة المنتصرة. كما استُعمل العار بعد الاستقلال في العمليات الانتخابية، إذ لجأ بعض المرشحين في البوادي إلى هذه العادة لانتزاع أصوات الناخبين أو كسب تأييد بعض الأعيان الذين لهم تأثر سياسي في أوساطهم. وقد تحفَّظ العلماء من عادة العار، بل منهم من قال بتحريمه لمعارضته للشرع ولارتباطه في نظرهم بممارسات جاهلية ووثنية. ومن أوجه معارضته الشرع أنه كثيراً ما يُستعمل لكسب التأييد للمستجير، ظالماً كان أم مظلوماً. فالكثير من التحالفات القبلية التي كانت تُقام لأغراض عدوانية أنشئت على أساس العار. فيكون وجه التحريم هنا اللجوء إلى الإحراج، بل والإكراه، لاقتراف المحرمات. كما انتقد العلماء الطريقة التي "تُعرقب" أو تذبح بها الدواب، إذ لا يُتلفظ بالبسملة عند الذبح فيحرم بسبب ذلك أكل لحم الذبيحة.

ولعل أهم مظهر انتقده العلماء في عادة العار هو ما يتوجه به الناس إلى الصلحاء. فمحمد بن جعفر الكتاني اعتبر أن الشخص الذي "يرمي العار" على ولي يرتكب سوء أدب تجاه ذلك الولي. واعتبر أن ما يفعله بعض الناس برمي ثوبهم أو عمامتهم على ضريح الولي بقصد العار شيء لا يليق إلا بـ "الجهلة الأغبياء" ... إذ معنى العار لغةً وعُرفاً. يقول الكتاني - ارتكاب ما لا يليق مما فيه معرة أو سبٌّ أوعيب". فكأن المستجير هنا يتهدد الولي بالعار والمعرة إن هو لم يقض له حاجته.

لكن "العار" اكتسب دلالات متعددة، ولم يكن دائماً يعني إلحاق السوء والعيب بالمستجار به. ففي كثير من الحالات استُعمل العار بمعنى الاستشفاع والاستجارة مجرداً عن أي مفهوم للإكراه أو الضغط أو إلحاق الضرر بالمستجار به، فعندما يقول قائل : "عاري عليك يا رسول الله !" فإن المقصود هو طلب الشفاعة لا أقل ولا أكثر. وفي هذه الحالة لا يختلف العار عن مفهوم "الزواك" الذي يُقصد به طلب الحماية، وكلها أعراف لجأت إليها المجتمعات التقليدية للحد من العُنف وضمان توازنات مجتمعية ضرورية، خاصة عندما تغيب القوة السياسية الرادعة.

م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، الجزء 1، ص. 54 - 55.

E. Westermarck, *Ritual and belief in Morocco*, London, 1926, 2 vol. ; K. Brown. *The curse of westermarck*, *Ethnos*, vol. 47 (1982).

محمد المنصور

العاسوق، وعَوسق وعُويْسق وعويسقة وعَيْسُوق كما هو شائع في المغرب العربي وفي معظم المعاجم جنس طائر من الكواسر النهارية متوسط القد أحمر اللون منقط بسواد. يصنف إلى رتبة الجوارح Rapaces falconiformes وفصيلة الصقريات Accipitridae. نوعان منه يعيشان في المغرب يشبهان الباز الصغير في شكله وغالبا ما يصعب التمييز بينها :

- العاسوق Falco tinnunculus يسمى في مصر صقرا بلديا وصقر الجرادي وأبا سرقة. يعد من أخف الطيور وأسرعها نهوضا، يسمى بالفرنسية Faucon crécerelle وبالإنجليزية Kestrel وWindhover وبالإسبانية Cernicalo vulgar وبالإيطالية Gheppio. طائر في حجم الحمام يتميز بريشه الشاحب الموحد على الذيل والأسود الداكن على البطن. المنقار أسود معقوف وقصير، المخالب مقوسة سوداء. الذيل مستقيم عليه خطوط بيضاء وسوداء. يبلغ طول الجسم 33 - 35 سم ويزن 200 - 300 غرام، تبلغ بسطة الجناحين 70 - 80 سم. الإناث أكبر حجما ووزنا من الذكور. يعيش منعزلا أو مزدوجا.

المجموعات المغربية مستقرة وأفرادها موزعة على مختلف المناطق الجافة وشبه الجافة الساحلية وبجبال الريف والأطلس والهضاب العليا والشرقية والحوز وتافلالت وتنغير وورزازات والساقية الحمراء والعيون ورأس درعة ووادي شبيكة وكلتة زمور وشمال موريتانيا. عدة مجموعات تأتي من أوربا عبر مضيق جبل طارق لتنتشر في مختلف المناطق المغربية. يكثر عدده على المناطق الساحلية ونادر في المناطق الغابوية. يتوالد منذ فبراير إلى أبريل وينصب الزوجان العش بين شقوق الصخور والأجراف وفوق المباني العالية بالمدن الكبرى وأحيانا بين جذوع الأشجار العالية. تبيض الإناث 4 - 6 بيضات وأحيانا 9 بيضات مصفرة منقطة بالأحمر المسود، يبلغ طول قطرها الكبير 4 سم. يحضن البيض بالتناوب من الزوجين 29 يوما. تبقى الصغار بداخل العش 27 - 39 يوما قبل أن تأخذ حريتها تدريجيا بين شهر يونيو وشهر يوليوز.

يقتصر التوزيع الجغرافي لهذا الطائر على إفريقيا والشرق الأوسط وآسيا الوسطى وأوربا. يتكون غذاؤه من صغار الطيور الزواحف والضفادع والفئران والحشرات كالجراد والخنافس. صيده ممنوع في المغرب وهو طائر محمي.

- عويسق Falco naumanni يسمى بالفرنسية Faucon crécerellette وبالإنجليزية Lesser krestrel وبالإسبانية Cernicalo primilla وبالإيطالية Grillaio. يختلف هذا الطائر عن العاسوق بحجمه الصغير وبذيله المستدق الرأس، وبريشه الرمادي الأزرق على الجناحين. لون ريش صدره شاحب أبيض منقط بالأسود البني. المنقار معقوف وقصير، المخالب مقوسة سوداء مصفرة. الذيل مستقيم ومحفوف بريش أسود ؛ يبلغ طول الجسم 30 سم ويزن 100 - 200 غرام وتبلغ بسطة الجناحين 60 - 70 سم.

يألف السهول والهضاب والأجراف والصخور الصعبة المنال، ونادر جدا في المناطق الغابوية. شائع في المناطق الساحلية الممتدة من طنجة إلى أگادير وفي المغرب الشرقي

وفي الأطلس المتوسط وسهول الغرب، ونادر في المناطق الصحراوية الجنوبية، يكثر عدده في فصلي الربيع والصيف في الحاجب ومكناس والعرائش وسلا والرباط وبنسليمان والرماني والدار البيضاء والجديدة والصويرة والحسيمة والناظور وبركان وگرسيف. منه عدة مجموعات مستقرة في المغرب تضاف إليها عدة وحدات تأتي من جنوب أوربا لتشتو في المغرب. كما أن عدة أفراد تقطع الصحراء المغربية لتشتو في موريتانيا والسنغال والدول المجاورة.

يتخذ عشه بين شقوق الصخور والأجراف وفوق المباني العالية بالمدن الكبرى ونادرا بين أغصان الأشجار العالية. تبيض الإناث 3 ـ 6 بيضات بيضاء مصفرة منقطة بالأحمر الشاحب، يبلغ طول قطرها الكبير 3,5 سم. يحضن البيض من طرف الأنثى 28 يوما. تبقى الصغار بداخل العش 26 ـ 28 يوما قبل أن تأخذ حريتها تدريجيا بين شهر يونيو وشهر يوليوز. يقتصر توزيعه الجغرافي على حوض البحر المتوسط وآسيا الوسطى والغربية. يتكون قوته من مختلف أنواع الحشرات وخاصة منها الجراد والخنافس.

م. رمضاني، *بولية، معلمة المغرب*، الجزء 6، ص. 1845 ؛ *الرخمة، معلمة المغرب*، الجزء 13 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

P. Bergier, *Les falconiformes marocains. Statut, répartition et écologie, Annales CEEP* (ex. *CROP*), n° 1987 ; H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*, 1979 ; C. Harrisson, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleur*, Paris 1977.

محمد رمضاني

عَاشِرْ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس ظل بعض أفرادها هناك وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Agerreta - Ager - Axer. ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Ager ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

عاشر الحاج محمد بن عبد الرحمن من وجهاء تطوان. تولى خطة أبي الموارث يوم 8 ربيع الأول 1113 (13 غشت 1701). وفي سنة 1179 (1766) عينه السلطان سيدي محمد بن عبد الله حاكماً عاماً بشمال المملكة ومقره بتطوان وأعفي لكبر سنه سنة 1201 (1787). وكانت وفاته في السنة التالية.

وهو الحاكم المغربي الذي ورد اسمه في معاهدة دولية هي المعاهدة المغربية الاسبانية المبرمة بمراكش يوم 2 ذي الحجة 1180 (1 ماي 1767).

ومن آثاره بتطوان "القنا" الموجود بزنقة المقدم والمعروف بـ "قنا عاش" وهو الذي بنى القنطرة التي تحمل اسمه العائلي والواقعة بكيتان في طريق الزرقاء.

عاشر قاسم من أعيان تطوان الذين شهدوا بظلم أولاد النقسيس وطغيانهم في شهر شوال 1078 (أبريل 1668).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1140.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **عاشر، أحمد** بن **محمد** بن عمر السلاوي الصالح الشهير أصله من شمينة من أعمال قادس بالأندلس، وبها خلق ونشأ إلى أن حفظ القرآن وقرأ العلم، واجتهد في الطاعات والعبادات، وانقطع لعمل الخير. انتقل إلى الجزيرة الخضراء وأقام بها زمانا مشتغلا بتعليم القرآن، ولقي بها الشيخ الصالح أبا سرحان مسعود الأبله، صاحب المكاشفات والشأن العظيم، فاستأنس به وآنس، وهو الذي أخبره بقرب سقوط الجزيرة في يد النصارى، ودعاه إلى مغادرتها قبل استحكام الحصار. فانصرف عنها ابن عاشر، ورحل إلى المشرق لقضاء مناسك الحج، ثم عاد إلى المغرب، فقصد في البداية مدينة فاس، ثم أقام بمكناس مدة من الزمن. وكانت إحدى أختيه قد استقرت بها، واستفادت من جراية دائمة متعها بها السلطان أبو عنان المريني. انتقل ابن عاشر بعد ذلك إلى سلا ونزل بزاوية الشيخ عبد الله اليابوري. وكان ذا مقام كبير وأحد شيوخ التربية المشهورين، فلازمه مدة طويلة ووجد لديه العون والمساعدة، فقد أسكنه خلوة في الزاوية المذكورة، ويسر له إمكانية كسب قوته بتعليم الأطفال القرآن الكريم. غير أن وفاة الشيخ اليابوري جعلته ينتقل إلى سلا. فاستقر في أول الأمر بزاوية الشيخ أبي زكرياء يحيى بن عمر غربي جامعها الأعظم. وكان اكتسابه في هذه المدة من نسخ وتفسير وبيع كتاب العمدة في حديث رسول الله (صلعم) للإمام أبي محمد عبد الغني المقدسي، وكان معجبا بهذا الكتاب ولقنه لكثير من أصحابه. وقد وفر له هذا العمل دخلا، سمح له بشراء منزل بالقرب من باب معلقة بسلا، وهنالك اشتهر أمره وقصده الزوار واجتمع حوله عدد من المريدين، لكنه كان يفضل العزلة عن الناس ويقلل من لقائه بهم.

لم يكن الشيخ ابن عاشر يعيش بفضل الفتوح أو الزيارات، ولربما كان ذلك من أسباب اقتنائه لبستان بجهة باب سبتة من سلا، لكن الدخل المترتب عن زراعة هذه الأرض، لم يكن ليغير شيئاً من عوائد الشيخ، فقد كان متقشفا في حياته مقلالا ؛ وباستثناء يوم عيد المولد النبوي ويوم الجمعة اللذين كان يلبس خلالهما أحسن لباسه، وهي جبة خضراء وحزام صوف، فإنه كان يقتصر خلال سائر الأيام على جبة بالية قصيرة الأكمام، وحزام صوفي أسود وينتعل نعلا خشنا في أسفله مسامير. كان الشيخ يضطلع بأعباء حياته بنفسه ويرفض أن يساعده خواص أصحابه إلا في القليل لاعتباره أن ذلك من شأنه أن يحرمه من أجر التعب. أما طعامه خارج أيام صومه، فكان عبارة عن مد قمح في اليوم يصطحب به وجبة من نبات الخبازى وحيوان بحري يسمى السرنبق زيادة على ما يهدى له من سمك في بعض

الأحيان، وشيء من التين اليابس الذي كان يحتفظ به في داره.

لما اشتهر أمره وأصبح له الأصحاب والمريدون، كثر زواره وانحاز لجانبه التائبون ؛ وقد احتفظت المصادر بأسماء عدد من مشاهير زواره ؛ وكان منهم محمد بن أبي بكر الحضرمي مؤلف كتاب *السلسل العذب* الذي خصه فيه بترجمة وافية، وابن قنفذ صاحب كتاب *أنس الفقير* الذي وجده فريداً في الورع، محفوظا من كل شبهة، كثير النفور من الناس، وخصوصا أصحاب الولاية في الأعمال. وقصده ابن الخطيب أيام محنته بالمغرب فلقيه بين القبور في الخلاء "رث الهيئة مطرق اللحظ كثير الصمت مفرط الانقباض والعزلة ... شديد الاشمئزاز من قاصده". وحاول السلطان المريني أبو عنان الاتصال به في 757، لكنه لم يوفق إلى مقابلته، لأنه كان يرفض اللقاء بأهل الدنيا. فاعتذر واكتفى منه السلطان بكتاب نصح ودعاء انفرد أحمد الحافي بإدراجه ضمن مؤلفه *"تحفة الزائر ببعض مناقب سيدي أحمد بن عاشر"*. وهي مراسلات لا نجد لها أثراً عند ابن قنفذ والحضرمي. وكان محمد بن عباد الرندي من بين من لازم الشيخ ابن عاشر، وكان من كبار أصحابه ومن خيار تلامذته، وكان له دور بارز في التعريف بطريقة شيخه، وعبر عن ذلك بنوع من التشدد في إحدى رسائله : "فمن حاد عن طريقته (أحمد بن عاشر) في معاملته الظاهرة والباطنة مع الحق ومع الخلق فهو سقيم الأحوال فاسد الأعمال".

كان أحمد بن عاشر من الأفراد الجامعين بين العلم والعمل، المتمسكين بالكتاب والسنة، الناهجين سنن السلف الصالح في الزهد والورع والانقطاع عن الناس كراهة في الشهرة. وكان على جلالة قدره لا يرى لنفسه على أصحابه شفوفا ولا مزية، ويذكرهم دائماً بأنه واحد منهم وليس بشيخهم ولا معلمهم، وينصحهم بكتب العلماء وعدم اتباع ما لا يوجد له أصل في كتب العلم، لكن العلم وحده لا يكفي للخلاص وكثيراً ما كان يكرر "العلم بلا عمل كالشجر بلا ثمر". وأول ماحض عليه التائبين رد التباعات وقضاء الصلوات والورع في المعاملات والاعتدال في الأحوال والاحتياط في الأمور الشاذة في العبادات. كان يصوم يوما ويفطر يوما ويأمر بذلك، وينهي عن الوصال، ويحذر من الإفراط في الخلوة.

وكان الشيخ ابن عاشر يجالس أصحابه وتلامذته لقراءة كتب التصوف في دار محبسة لغرض التربية والتعليم، وكان المتولي للقراءة والإقراء غيره من أصحابه، وكان لا يتدخل إلا لشرح ما أشكل من المسائل، وإلا فالغالب عليه الحذر والتحرز.

أحدث ابن عاشر مدرسة صوفية خاصة وسلك على يده تلاميذ صلحاء أخيار من أشهرهم ابن عباد الرندي ومحمد الزهري وطائفة ممن احتفظ بذكرهم كتاب السلسل العذب لمحمد بن أبي بكر الحضرمي. والظاهر أن ما ميز طريقة ابن عاشر، إضافة إلى اقتران العلم بالعمل، اعتماد أصحابها في عيشهم على كسبهم من استنساخ وبيع عدد من كتب الحلال والحرام، وبهذا يقول الحضرمي نجح في المغرب الفقه في هذا الباب. لما اشتهر به من حث لأصحابه على استنساخ كتبه وقراءتها وتصحيحها حتى فشت في الناس وتعيش من

نسخها جماعة من تلامذته. وكان هذا التوجه يشمل كتب التصوف أيضاً. ومنها *الرعاية والنصائح* للمحاسبي، *وقوت القلوب* لأبي طالب مكي، *وإحياء علوم الدين* للغزالي.

كان الشيخ ابن عاشر من أولياء الله الصالحين، حريصا على إخفاء أمره وطمس كثير من أخباره وسيره. وعلى الرغم من إيمانه بالكرامة وقوله بعدم انقطاعها بموت صاحبها فسيرة هذا الصالح والكرامات المنسوبة إليه تعكس تصوفا معتدلا غاية الكرامة فيه الاستقامة وتقوى الله. ولهذا فقد كان ينهي تلامذته عن الاهتمام بموضوع الكرامة وحفظها.

مرض الشيخ أحمد بن عاشر أربعة أيام قبل وفاته في رجب عام 764 / 1363، ودفن إلى جوار جملة من أصحابه في المكان الذي يوجد به اليوم ضريحه، وهو من بناء السلطان مولاي عبد الرحمن وفرغ من بنائه في رجب عام 1247 / 1832. والسبب في بناء الضريح والمارستان يرجع إلى ما شاع لدى الناس من كرامات تعزو لهذا الولي الصالح القدرة على شفاء المفلوجين والمصروعين والمقعدين وذوي العمى والرمد.

م. الحضرمي، 1988 ؛ ل. الخطيب، *نفاضة الجراب*، 1986 ؛ م. بن عباد، *الرسالة الكبرى* ؛ ابن قنفذ، *أنس الفقير وعز الحقير*، 1965 ؛ أ. المحافي، *تحفة الزائر ببعض مناقب سيدي أحمد بن عاشر* ؛ بن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*.

محمد فتحة

ابن **عاشر، عبد الواحد بن أحمد** بن علي ابن عاشر الأنصاري نسبا الأندلسي أصلا، ولد بفاس سنة 990 / 1582، ذكر الفضيلي أنه من حفدة الشيخ الشهير أبي العباس سيدي أحمد بن محمد بن عمر ابن عاشر السلاوي المتوفى سنة 765. وكان يسكن بدار أسلافه الكبرى بحومة درب الطويل من فاس القرويين.

حفظ القرآن على يد الشيخ المذرر أحمد بن عثمان اللمطي، والقراءات السبع على يد أبي العباس الكفيف ومحمد التلمساني، وأخذ الفقه عن جماعة من شيوخ العصر كأبي العباس بن القاضي وابن عمه أبي القاسم وابن أبي النعيم الغساني وقاضي الجماعة بفاس علي بن عمران وأبي عبد الله محمد الهواري، والشيخ القصار القيسي، وقرأ الحديث عن سيدي محمد الجنان، وأبي علي الحسن البطيوي، وقد تردد على الزاوية البكرية وأخذ عن علمائها الميرزين. فكان يحضر مجالس مَحمد بن أبي بكر الدلائي في التفسير والحديث، ولما اشتغل أحمد بن القاضي المتوفى عام 1025 في آخر عمره بتدريس صحيح *البخاري* في جامع الأبارين بفاس كان الذي يسرد الحديث بين يديه هو الشيخ عبد الواحد ابن عاشر.

رحل إلى المشرق وأخذ عن سالم السنهوري وعن الإمام المحدث أبي عبد الله محمد بن يحيى العزي الشافعي، والشيخ بركات الخطاب، وغيرهم، وحج سنة 1008. والتقى بالشيخ عبد الله الدنوشري، وأخذ طريق التصوف عن العالم العارف الشيخ سيدي محمد بن أحمد التَجِيبي الشهير بابن عزيز دفين الدرب الطويل من فاس ـ المتوفى عام 1022 ـ وعلى يده فُتح عليه بسعة العلم والعمل، ووهم مخلوف في شجرة النور أن مترجمنا فُتح عليه على يد الشيخ مولاي الطيب الوزاني.

تصدر ابن عاشر للتدريس والمشيخة والخطابة وشارك في جل العلوم، خصوصا علم القراءات والرسم والضبط والنحو والإعراب وعلم الكلام والأصول والفقه والتوقيت والتعديل والحساب والفرائض والمنطق والبيان والعروض والطب، وفاق شيوخه وعصره في جل العلوم، وذكر الشيخ ميارة في شرحه الكبير على *المرشد المعين* أن ابن عاشر "فاق أشياخه في التفنن في التوجيهات والتعليلات"، وأخذ عنه جماعة من العلماء، نذكر منهم : أبو عبد الله محمد بن أحمد ميارة المتوفى عام 1072 وهو شارح *المرشد المعين*، وأحمد بن محمد بن أحمد بن علي الزموري الفاسي، الذي أجازه بإجازة قرآنية بتاريخ أوائل شعبان 1035، وتوجد مصورتها بذيل الحركة الفكرية، ـ الطبعة الفرنسية ـ للدكتور محمد حجي.

ومن تلامذة ابن عاشر نذكر محمد الزوين صاحب شرح منظومة *تحفة الأبصار* في أعمار العقار لأبي الفضل العجلاني، مخطوط زاوية وزان، المتوفى بفاس عام 1040 / 1631. والشيخ عبد القادر الفاسي المتوفى عام 1091، والإمام المعمر محمد بن سعيد المرغيثي، والقاضي محمد بن محمد ابن سودة ابن أخت ابن عاشر، المتوفى عام 1076 وغيرهم.

اشتهر الشيخ ابن عاشر بالورع والزهد والاعتكاف والجهاد والتواضع وحسن الخلق، وكان لا يأكل إلا من عمل يده، مثابرا على التعليم كثير الإنصاف في المباحثة، ومن أقواله المأثورة في شروط الإجازة : "لو لم يجيزوا إلا لمن أتقن ما بَلَغَنا شيء"، وكانت له سلاسة في التعبير وحسن العرض لدروسه في القرويين، ولعل شهرته هاته ازدادت بتأليفه للأرجوزة الشهيرة : *المرشد المعين على الضروري من علوم الدين*، التي تقوم على العقيدة الأشعرية وفقه مالك وتصوف الجنيد، وهي في 314 بيتا، ابتدأ نظمها حين أحرم بالحج، ثم لما انفصل عن حجه كَمَّلَ ما يتعلق بقواعد الإسلام الخمس، ولخص هدفه منها بقوله :

وبعد فالعون من الله المجيد ... في نظم أبيات للأمي تفيد
في عقد الأشعري وفقه مالك ... وفي طريقة الجنيد السالك

وقد كان للمغاربة عناية فائقة في حفظها وشرحها وختمها، كما اشتهرت خارج المغرب، من الجزائر إلى مصر وفي جل أقطار السودان الغربي. وتنافس عدد من العلماء في شرحها، وأشهر شروحها شرح تلميذه ميارة الذي سماه *الدر الثمين والمورد المعين في شرح المرشد المعين على الضروري من علوم الدين*. ومن أطرف الشروح على *المرشد المعين* نذكر شرح أبي العباس سيدي أحمد بن مصطفى المعروف بابن علوية السمتغافي الدرقاوي سماه : *المنح القدوسية في شرح المرشد المعين بطريق الصوفية*، وهو شرح

لطيف يعتمد في شرح أبيات المنظومة على الإشارات الصوفية.

وإلى جانب تأليفه للمرشد المعين، ألف الشيخ ابن عاشر مجموعة من الكتب نذكرها كما يلي :

1 ـ *شرح مورد الظمآن في علم رسم القرآن.*

2 ـ *الإعلان بتكميل مورد الظمآن.*

3 ـ *طرر على شرح الإمام أبي عبد الله محمد التنسي لذيل مورد الظمآن في الضبط.*

4 ـ *طرر على الشرح الصغير للتتائي على مختصر الشيخ خليل*، المسمى *بجواهر الدرر*، قال فيها الشيخ ميارة : "وهي طرر جيدة بعضها يتعلق بكلام الشرح المذكور وبعضها بكلام خليل، حل فيها مشكلات ورفع بها إبهامات"، وقد أمر بتخريج تلك الطرر العلامة سيدي محمد بن أبي بكر، فأخرجت في أكثر من عشرين كراسا من القالب الكبير، وانتفع بها الناس وانتشرت في البلدان، وقيل إنها استخرجت في نحو أربعين كراسة.

5 ـ *رسالة في عمل الربع المُجَيَّب*، في نحو مائة وثلاثين بيتا من الرجز.

6 ـ *تقييد على العقيدة الكبرى* للإمام السنوسي.

7 ـ *حاشية على الجعبري.*

8 ـ *شرح على مختصر خليل من النكاح إلى العلم*، التزم فيه نقل لفظ ابن الحاجب، ثم لفظ التوضيح وأضاف إلى ذلك فوائد عجيبة، ونكتا غريبة جلها من بنات أفكاره.

9 ـ *شفاء القلب الجريح بشرح بردة المديح.*

10 ـ *نظم في النكاح وتوابعه من طلاق وغيره.*

11 ـ *مقطعات في جمع نظائر مهمة من الفقه والنحو.*

12 ـ شعر له يوجد ضمن أقدم كناشة مغربية باقية وهي الكناشة الزجالية لمحمد بن قاسم الزجالي المتوفى عام 1072. والكناشة كانت في ملك محمد الفاسي، ولعلها اليوم بالخزانة الحسنية.

13 ـ تقريض على منظومة علي بن عبد الواحد الأنصاري المسماة : *اليواقيت الثمينة، فيمن انتمى لعالم المدينة*، مخطوط الخزانة الحمزاوية.

ويعتبر الشيخ ابن عاشر من سند المغاربة في سلسلة الفقه المالكي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ومن الذين يروون سنده أبو سالم العياشي في فهرسته عن طريق سيدي عبد القادر الفاسي، وقد احتج بأقواله في الفقه المالكي في 83 موضعا العلامة المحقق أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المصري المتوفى عام 1230 في حاشيته على الدردير في شرح مختصر خليل. وكثيراً ماشهدت المساجد في المغرب ختم نظم ابن عاشر.

توفي الشيخ ابن عاشر ـ رحمه الله ـ بعد مرض مفاجئ قيل بالداء المسمى على لسان العامة بالنقطة، وقيل مات مسموماً بسبب سم وضع له في نوار الياسمين عند اصفرار يوم الخميس 3 ذي الحجة عام 1040 / 3 يوليوز 1631، وهو ابن خمسين سنة، ودفن من الغد في مطرح الجنة المعروف أيضاً بمطرح الجلة قرب مصلى باب فتوح بفاس، وبني عليه قوس معروف غرب روضة سيدي يوسف الفاسي بجوار السادات المنجريين، وهو مزار متبرك به.

م. بن أحمد ميارة، *الدر الثمين والمورد المعين*، مصر، 1380، ص. 3 ـ 5 ؛ أبو سالم العياشي، *اقتفاء الأثر*، ص. 112 ؛ الإفراني، *صفوة من انتشر*، ص. 59 ؛ القادري، *نشر المثاني*، ج 1، ص. 283 ؛ م. الفاسي، *المورد الهني*، مخ خ ع 1234 ك. ص. 185 ؛ ابن علوية المستغاني، *المنح القدوسية في شرح المرشد المعين بطريق الصوفية*، تح. سعود القواص، دار ابن زيدون، بيروت، 1986 ؛ الدسوقي، *حاشية على الدردير*، تح. محمد عليش، بيروت، دون تاريخ ؛ الفضيلي، *الدرر البهية*، ج 2، ص. 344 ؛ الحجوي، *الفكر السامي*، ج 2، ص. 327 ؛ مخلوف، *شجرة النور الزكية*، ص. 299 ؛ بروكلمان، *تاريخ الأدب العربي*، القسم التاسع، ص. 507 ؛ الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ج 2، ص. 274 ؛ الكتاني، *فهرس الفهارس*، ج 1، ص. 408 ؛ القطوني، *معجم المطبوعات*، ص. 224 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ص. 94، وص 102 ـ 104 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، ج 1، ص. 145، ج 2، ص. 370 ؛ المنوني، *المصادر العربية*، ج 1، ص. 150، وقبس من عطاء المخطوط المغربي، 1، ص. 264، وص. 449، وص 536.

أحمد ايشرخان

عاشر، محمد بن **عبد الرحمن** من أسرة أندلسية، نعرف منها في القرن السابع عشر المدعو قاسم عاشر. وأول ما يعرف عن المترجم له أنه كان من المقربين لدى باشا تطوان علي بن عبد الله الريفي حين عينه سنة 1701 نائب بيت المال. وبرز محمد عاشر على عهد السلطان محمد بن عبد الله ما بين 1766 و1787 بصفته حاكم تطوان، حسبما أعلن عنه في اتفاق 28 مايو 1767 بمناسبة تعيينه وكيلا إلى جانب اللجنة الإسبانية المكلفة بتعيين حدود الثغور المحتلة، غير أن مشاركته لم تظهر في تلك المهمة أو التي تلتها سنة 1784 بخصوص تعيين حدود سبتة، إلى أن أعفاه السلطان من مهمته سنة 1787 لكبر سنه.

مراسلات الأرشيف التاريخي الوطني بمدريد، سنة، 1767، ملفات، 4351 ـ 4311 ـ 4308 ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين في تاريخ تطاوين*، م. داود، *تاريخ تطوان* : ح. الفكيكي، *المقاومة المغربية للوجود الإسباني بمليلة*، الدار البيضاء، 1997 ؛ م. بن عزوز حكيم، *الجديد في تاريخ تطاون*، تطوان، 2000.

حسن الفگيگي

عاشور، أسرة الأندلسية رباطية، عرف بعض أفرادها بالجهاد البحري في عهد السلطان محمد بن عبد الله 1757 ـ 1790. فكان هناك شخص يحمل اسم عاشور دون اسم آخر أورده الضعيف (ت. العماري، ص. 196) وكان من رؤساء البحر تكلف سنة 1200 / 1785 بمهمة سفارية لدى إحدى الدول الأوربية صحبة زميله لبُريس.

عاشور، أحمد رايس بحري معاصر للسلطان مولاي

عبد الرحمان بن هشام. ورد اسمه في الوثائق كقائد من رؤساء البحر، إلاّ أنه لم يكن يقود السفن أو يدرب البحرية على غرار الرؤساء البحريين الآخرين، وإنما كان له اطلاع بما سمي بعلم البحر فكان يدرّس علمه للطلبة، ورد اسم الرايس عاشور في رسالة رحمانية موجهة إلى القائد بوسلهام بن علي أزطوط في 5 جمادى الأولى 1257 قال فيها : (وبعد، وصل كتابك مخبرا بأن أهل الرباط عينوا الرايس عاشور للسفر مع من تعين من أهل العدوتين ليتعلم أمور الجهاد صحبة الآسكونة التي أمرنا بسفرها، فتمارض لأن العلم الذي عنده إنما هو بالقول دون الفعل، ولم يتقدم له سفر في البحر فأخروه ووجهوا الحاج أحمد والحاج).

و. الخزانة الملكية محفظة، 7 الموانئ والملاحة، ظهير جمادى الأولى، 1257.

عاشور، أحمد وُلد في 13 أكتوبر من سنة 1919 بمدينة أسفي في عائلة متواضعة كانت تمتهن الحياكة أباً عن جد وتعيش في كفاف وعفاف، نشأ الطفل أحمد بهذه المدينة وبها تلقى تعليمه الابتدائي، ثم التحق بثانوية مولاي يوسف بالرباط لمتابعة دراسته الثانوية، ثم بعد تخرجه من شعبة تكوين المعلمين، عُيّن معلما بإحدى المدارس الابتدائية بمسقط رأسه، وعمل عدّة سنوات برهن أثناءها عن كفاءته وإخلاصه فتَمَّ تعيينه مديراً لمدرسة ابتدائية مختلطة، وهي الوحيدة التي كانت آنذاك توجد بإفران. وبما أن المدير عاشور كان لا يفتر عن المطالعة والبحث، فقد تمكن سنة 1949 من الحصول على دبلوم اللغة العربية الذي كان يمنحه معهد الدراسات العليا بالرباط، فكان من أوائل الشبان القلائل الذين حصلوا على هذا الدبلوم في ذلك العهد، وبذلك تَمَّ التحاقه بالتعليم الثانوي كأستاذ مكلف بالدروس بثانوية أزرُو سنة 1951، وظل يعمل بهذه المؤسسة إلى أن نُقِلَ، بنفس الصفة، إلى ثانوية أخرى بالدار البيضاء ؛ ثم تقدم سنة 1956 إلى مباراة التفتيش، فكان النجاح حليفه وأُسنِدَ إليه وظيف مفتش جهويّ للتعليم الابتدائي بنواحي الدار البيضاء، وبعد أن قضى عدة شهور في التدريب بفرنسا نال في نهايتها شهادتين أخريين، إحداهما من معهد لونشان Lonchan، والاخرى من معهد سان كلو Saint Cloud، عاد إلى المغرب

حيث أسندت إليه مهمة مفتش جهوي بالدار البيضاء سنة 1958.

ثم نظراً للكفاءة التي برهن عنها السيد عاشور خلال السنوات التي قضاها بنجاح في ميدان التربية والتعليم، عينته وزارة التعليم في السنة التالية (1959) مندوباً للسهر على التعليم في شمال المغرب وإصلاح الأوضاع التي خلفها الاستعمار الاسباني في هذه المنطقة.

وبما أن المغرب كان في ذلك الوقت لا يتوفر على عدد المعلمين اللازمين لا كمّاً ولا كَيْفاً، فقد أنشأت الوزارة قسما خاصاً بتكوين هؤلاء الموظفين، فنادى وزير التعليم على السيد عاشور وأسند له تسيير هذا القسم، فعمل على إحداث عدد من مدارس المعلمين بمختلف مدن المغرب ونظم دروساً بالمراسلة لفائدة المعلمين غير الرسميين، كما ساهم في تمثيل المغرب في عدد من المنتديات والمؤتمرات الدولية بصفته ممثلا لبلاده في منظمة التربية والتعليم.

ولما عين الدكتور بنهيمة وزيراً للتعليم سنة 1965، أسند مديرية ديوانه إلى السيد عاشور.

وفي سنة 1966، شاءت الاقدار أن نسافر أنا وإياه إلى مرسيليا بفرنسا على رأس وفد من مفتشي التعليم الثانوي، هو بصفته مديراً لديوان الوزير، وأنا بصفتي رئيساً لقسم البحث والعمل التربوي، وذلك بقصد تنظيم تدريب بيداغوجي لفائدة الأساتذة الفرنسيين الذين كانوا سيفدون على المغرب للتدريس بمختلف الثانويات المغربية. فسافر الوفد على الطائرة، إلا السيد عاشور، لأنه، كما قال لي، كان يشكو من بعض الألم بالقلب، ولما أنهينا مهمتنا بفرنسا، اضطر هو كذلك إلى ركوب الباخرة، ثم في اليوم 13 يوليوز، فوجئنا بخبر وفاته رحمه الله بمدينة مالقا باسبانيا، وكانت سنه لا تتجاوز 46 سنة، ثم نقل جثمانه إلى الرباط وتم دفنه بمقبرة الشهداء. ولقد منح بعد وفاته وسام العرش من درجة ضابط.

معلومات مستقاة من ولده السيد علال عاشور ومن معرفتي الشخصية له.

محمد الشاطمي

عاشور، أحمد بن **العربي** فقيه عالم، متضلع في الحساب والتوقيت، مؤرخ وهو أخو قاضي الجماعة مَحمد عاشور، تفقه عن شيوخ الرباط أمثال ابن العروصي وشارك في عدة فنون، له أنظام في موضوعات علمية وأشعار في أغراض أدبية يوجد بعض الأزجال منها في كنانيش المديح، وكان مولعا بالتقييد، خصوصاً فيما يرجع للهيئة والتعديل والحوادث التاريخية، وله أرجوزة شهيرة في التوقيت أورد المؤلف بوجندار مطلعها.

توفي في أواسط القرن الثالث عشر الهجري.

بوجندار، *الاغتباط*، ص. 49 ؛ م. دينية، *مجالس*.

عاشور، عبد الله بن **محمد** من علماء الرباط الذين اشتغلوا بالعدالة، وكان منخرطا في الطريقة التيجانية وعرف بالأخلاق الفاضلة وكثرة تلاوة القرآن. استخدمه المخزن عدلا في إحدى المراسي.

توفي في 11 ذي الحجة من سنة 1317 ودفن بزاوية مولاي العربي الدرقاوي بالرباط.

م. بن علي دينية، *مجالس الانبساط*.

عبد الإله الفاسي

عاشور، العربي الفقيه العالم السيد العربي بن محمد بن أحمد بن علي الرُشي، المعروف بعاشور، من علماء الرباط ووجوهها، قال صاحب الاغتباط : "كان رحمه الله من علماء الرباط وأعيان عدولها أواخر القرن الثاني وأوائل المائة الثالثة بعد الألف".

م. بن الحاج مصطفى بوجندار، *الاغتباط بتراجم أعلام الرباط*، دراسة وتحقيق، د. عبد الكريم كريم، الرباط، 1987 ؛ تذكرة *المحسنين*، *موسوعة أعلام المغرب*، 7 : 2495.

سليمان القرشي

عاشور، عمر (الحاج -) ابن القاضي مَحمد. الفقيه النوازلي الصوفي الشهير كان جامعا بين علوم الشريعة والتصوف. قرأ على شيوخ الرباط كالطيب بسّير والمكي بن أحمد بوجندار والفقيه أحمد بن محمد بن الغازي وأحمد دينية. رحل إلى فاس فأخذ عن الكثير من شيوخها. تصدر للشهادة والإفتاء أيام القاضي أبي زيد البريبري والقاضي محمد بن إبراهيم. أرسله السلطان المولى الحسن إلى طنجة للفصل في قضية شرعية واعتكف على التدريس والإقراء خصوصاً الفقه والحديث والتصوف. من تلامذته الأديب أحمد جسوس والقاضي محمد الروندة والفقيه محمد بن عمرو والفقيه بنعيسى بنمسعود والشيخ فتح الله بناني ومحمد الرندي وغيرهم. اشتغل بالتصوف فتهجد ولبس المرقعة وأصبح تابعا لشيخه المربي عبد الواحد بن علاّل القصار المعروف بالدبّاغ. ألف عدة تآليف منها شرحه على مختصر خليل سماه *التعظيم والتبجيل*، ومنها شرح كتاب مبادئ التصوف سماه خلاصة التصرف، وله عدة شروح الأول على بردة المديح والثاني لأسماء الله الحسنى سماه *الأذواق العرفانية في الأسماء الإلاهية*، والثالث على المباحث الأصلية في طريق الصوفية. وله ختم على البخاري وختم على *المرشد المعين*. وله كتاب سماه *المقالة المرضية في بعض أحوال الطائفة الدرقوية* وآخر بعنوان *الكشوف الربانية والحقائق العرفانية* وآخر سماه *"الإتحاف بشهود الألطاف"* كما له مصنف في مناسك الحج وله حزب سماه *"حزب التضرع والابتهال"*، وله حكم تشتمل على وصايا ومواعظ ونصائح واشعار. حج في أول أمره واستخدم عدلا بمرسى الدار البيضاء وكذا بدار عديل بفاس.

توفي وعمره يتجاوز السبعين يوم الاثنين آخر ذي الحجة 1314 ودفن بزاوية شيخه مولاي العربي الدرقوي.

بوجندار، *الاغتباط* : م. دينية، *مجالس*.

عبد الإله الفاسي

عاشور، مَحمد بن **العربي** بن مُحمد بن أحمد بن علي الأندلسي مَحتداً الرباطي مَولداً كان من أكابر العلماء المدرسين المفتين ذوي المشاركة في كثير من الفنون العلمية أخذ عن مشايخ الرباط في وقته كصهره العلامة القاضي ابن العروصي والقاضي أبي عبد الله الغربي وغيرهما، ويقول بوجندار : وقفت له على تأليف ينسب إليه في تزييف العوائد التي تقام بمراكش أيام عاشوراء ألّفه للسلطان أبي الربيع قال في طالعته : "هذا وإن هذه رسالة حفيلة بالنصيحة والهداية، نهَج لي طريقتها وكشف لي حقيقتها سيدنا الإمام الأوحد أمير المؤمنين ابن مولانا محمد أبقاه الله عمدة للدين وقامعا لأهل البدع المعتدين وضعتُها في رَدِّ ما اشتهر بمراكش ليلة عاشوراء من أمور أحدثوها وسموها "الافْرَاجَة" تشتمل على مناكر هي لهدم بنائها وقلعها محتاجة، وذلك كتشبه الرجال بالنساء وتشبه الرجال باليهود وكالمحاكاة لأناس معينين من قبيلة أو من بلد وكاتخاذ الصور وضرب الرجال آلات اللهو من أكْوالاَت ومزاهير وغيرها وأخذهم بذلك أموالاً من غير طيب أنفس أهلها، بل يعطونهم حماية للعرض وتوقيا من الضرب والشتم وسائر أنواع الإذايات وكأخذ الكراء على تدوير الصبيان وغيرهم بالنواعير وما ينشأ عن ذلك من الضرر والجراحات" إلى آخر كلامه.

لقد كان القاضي عاشور من العلماء العاملين والقضاة الناسكين متحليا بحلية العلم والفضل متحرياً طريق الإنصاف والعدل. تداول قضاء الرباط ومراكش إلاّ ان ولايته بالرباط لم تكن من قِبَل السلطان على ما نُقل عن الأديب ابن عمرو الرباطي الذي قال إنه في يوم الأحد السابع من ربيع الثاني عام ثمانية وثلاثين ومائتين وألف تعصّب أهل الفوضى بالرباط فأخّروا الفقيه السيد عبد القادر مُرينو عن القضاء ومنعوه الحكم بين الناس وكان والياً عليهم بتولية مولانا أمير المؤمنين أبي الربيع، ثم في عشية الأربعاء بَعْدَه قدّموا محمد عاشور.

ويضيف بوجندار، لكن أخبرني حفيد المترجم الفقيه العدل السيد الحاج محمد عاشور أن ظهير توليته موجود لديهم فلعله بعدما ولي من قبل أهل البلد أخّره السلطان بذلك الظهير، ومع ذلك فلم تدم ولايته بالرباط إلا بضعة أشهر لما كان عليه رحمه الله من الشدّة والصرامة في الأحكام، ومما يحكى في صرامته أنه جاء إليه الوزير ابن إدريس لداره مُتَشفِّعاً في إرجاع عدل عزله عن الشهادة فلم يشفعه وقال له كيف أردّه أنا والشرع عزله ؟ ! قيل وهذه القضية هي التي كانت سبب تأخيره عن قضاء الرباط، لكن بعد ذلك

أُسْنِد إليه قضاء مراكش، فمكث فيه نحو الخمسة عشر عاماً، وكان هو قاضي الجماعة يحكم بمقصورتي المُوَاسِين وابن يوسف كما في كتاب *الإعلام بمن حلّ مراكش وأغمات من الأعلام* لابن إبراهيم. قال وكانت فيه حدةٌ : سَجَن العلامة محمد السليطن حيث كان يفتي بنقْض أحكامه ويعترض عليه فيها ووقع بينهما لجاج ومنعه من الإفتاء ثم سرّحه السلطان مولاي عبد الرحمان في الحين، وكان لا يقبل من العدول إلا المبرّزين واختار منهم جماعة قليلة وعزل غيرهم واقتصر عليهم وصاروا يعرفون بالعدول العاشوريين، ولما خلفه في القضاء السيد الطالب بن الحاج ألزمه السلطان بالاقتصار عليهم لشهرتهم بالعدالة والتبريز.

كانت وفاة القاضي مَحمد عاشور بمراكش في حدود الستين والمائتين والألف، ودفن خارج المدينة بضريح سيدي عمارة قرب دار المخزن.

م. بوجندار، *تعطير البساط بذكر تراجم قضاة الرباط*.

محمد الشباظمي

عاشور، محمد بن **عمر** من علماء الرباط. درس العلم على كبر سنه فتلقاه من أبيه أبي حفص والشيخ فتح الله بناني وأبي حامد البطاوري والجيلاني بن إبراهيم. ولما استقى من العلوم ما أقنعه بإمكان التبليغ، وخصوصا في العربية والدين، تصدر للتدريس للأطوار الأولى فألقى دروسا في *المرشد المعين ورسالة* ابن أبي زيد. ومن تلامذته عبد الله الجراري الذي يذكر أنه حضر ختمه للمرشد في الزاوية المباركية.

اشتغل بالعدالة فكان من أكثر العدول استقامة. ويذكر الجراري أن عاشور كان أميل إلى التهور منه إلى الحزم واليقظة سواء في هيأته أو في عمله. ورشح عضوا بالمجلس الأعلى للجنايات بالمخزن ثم مستشاراً بنفس المحكمة وبقي يمارس هذه الوظيفة إلى وفاته. غير أن صوفيته وورعه كانا يمنعانه من الانغماس في هذا الوظيف الذي لم تطبق فيه مبادئ التشريع الحق وهو الوظيف المزمل بالدماء المحاط بهضم حقوق الناس.

ونظراً لما تمتع به من اعتبار وما كان لخطبه من تأثير مع الاختصار فقد اختير خطيبا للقصر في عهد كل من مولاي يوسف ومحمد الخامس. ولما كان يعتريه من المرض مايحول بينه وبين ممارسة مهنته فقد استأذن في أن ينيب عنه ابنه الحاج عمر ثم ابنه المعطي. وحظي طلبه بالقبول لما التمس من السلطان توظيف ابنيه في المخزن.

من آثاره العلمية شرح على رسالة لوالده في مناسك الحج، وخطب وتقاييد. كما ترك رسالة كفهرست لأشياخه.

توفي صباح الأحد 30 ربيع الثاني 1366 موافق 23 مارس 1947 ودفن بزاوية سيدي العربي بالرباط.

ع. الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين*.

عبد الإله الفاسي

عاشوراء بالمغرب أو اليوم العاشر من المحرم. وقيل التاسع منه (*لسان العرب*، 4 : 469) أصبح هذا اليوم من الأعياد التي سنها الرسول ـ صلع ـ وصامه وأمر بصيامه (*السنن*، 2 : 326). وكان الشيعة وأتباعهم في فاس، قد جعلوا منه ذكرى حزن على مقتل الحسين بن علي (*فاس قبل الحماية*، 2 : 852) لكن هناك الذين اتخذوه يوم أفراح، تقام فيه الاحتفالات، ومنهم الأمويون بالأندلس وعامة المغاربة، بالمغرب الأقصى (*الخطط*، 2 : 389). ويتم الاحتفال بعاشوراء في المغرب على مستويين : مخزني وشعبي، وكان المرينيون من السباقين الذين اشتهروا بالاحتفال بعاشوراء ؛ خاصة في عهد أبي عنان. واقتفى أثرهم في ذلك، السعديون والعلويون (*فيض العباب*، 149).

جرت العادة خلال الاحتفال الرسمي بهذا العيد أن يقوم المخزن بالعناية بأبناء الضعفاء والمساكين، بتوزيع الملابس الجديدة والألعاب عليهم. وبرعاية السلطان السعدي أحمد المنصور، وبرئاسة القاضي سواء في المدينة أو القرية، كانت السلطة الدينية تقوم، بإعذار أطفال المعوزين (*السياسة والمجتمع*، 260). وكان ذلك يتم في حفل بهيج، تطغى فيه أنغام موسقى الآلة، على صراخ الصغار الذين تم إعذارهم. وللتخفيف من آلامهم وصرفهم عن البكاء، وتسليتهم، توزع عليهم هدايا وألعاب، لإدخال السرور على قلوبهم. وتقدم هبات نقدية لذويهم. (*مناهل الصفا*، 2 : 243) وتعميما للفرحة، كانت السلطة المخزنية تسمح لشخص يرتدي بطانة أضحية العيد ؛ أو جلد العجل الصغير ويضع لحية من الشَّعَر وسبحة من صدفات الحلزون وتسميه العامة "هَرْمَا" بأن يجوب القرى وأحياء المدن، ممسكا عصا. ويقوم بحركات تثير الضحك خاصة عند النساء والشباب والأطفال.

ويبدو أن السلاطين العلويين، قد وسعوا من دائرة الاحتفال بهذا العيد. فبالإضافة إلى إعذار أطفال المعوزين والعناية بهم ؛ كانت تقام في هذه المناسبة حفلة، في رحاب المشور سواء في فاس أو مراكش ؛ يحضرها الخاصة والعامة تسمى "لبساط"، وهو لون مسرحي يقوم على أساس الجرأة وترك الحشْمة، واستعمال طُرَف الكلام والمزاح والدعابة. وكان السلطان محمد بن عبد الله (1757 / 1790) يحضر هذا الحفل (*أبحاث في المسرح المغربي*، 14 و 15).

أما على المستوى الشعبي، فإن الاحتفالات بعاشوراء عند سائر المغاربة ؛ تتعدى اليوم العاشر، إلى بعض الأيام التي تليه. ويتم التهيئ لها انطلاقا من فاتح محرم، خاصة في المدن الأصيلة. إذ تصبح أسواقها زاخرة بأنواع ملابس النساء والأطفال ولعبهم ؛ وبالفواكه المجففة. ويبلغ الاحتفال بهذا العيد أوجه ليلة العاشر من هذا الشهر. فبعد تناول طعام الغداء المشتمل على الكسكس والخضر، والباقي من قديد أضحية العيد "الذَّيَّالة" ؛ تقوم الأم وبناتها أو بعض أقربائها بتهييء "لَقْرِشْلاَت" وهي نوع من الحلويات الصلبة بحجم الفول. ولها مذاق شهي. وبعد صلاة العشاء، وبحضور

جميع أفراد الأسرة. وبعد أن تكون البنات والنساء، قد نقشن أيديهن وأرجلهن بالحناء ؛ والكبار والصغار قد ارتدوا، أبهى ملابسهم، يتم خلط هذه الحلويات بأنواع الفواكه المجففة التي اقتناها الأب مثل : اللوز والجوز والتمر والزبيب والحمص والتين ويسمى هذا الخليط "الفاكية" فتبادر الجدة أو الأم بتوزيع "الفاكية" على الحاضرين ودون إغفال الغائبين. وذلك بواسطة قدح، حرصا على قسمة متساوية. وتتم هذه العملية في بهجة وانشراح.

الملاحظ أن مظاهر تخليد هذه الذكرى متشابهة في مدن وقرى المغرب. لكن الاحتفال بها قد يتسع ليشمل أفراد العائلة، التي يكون أحد أبنائها أو إحدى بناتها، في طور الخطوبة ؛ أو أن زواج البنت لا يزال حديث العهد. ففي مرحلة الخطوبة فإن الخطيب هو الذي يعمل على تقديم الهدايا إلى خطيبته حسب إمكانياته المادية وتسمى " التَّفْكِدَة" وتضم بعض الملابس والحلي وبعض رؤوس الدجاج. ويسلمها أبوه وأمه، إلى أسرة الفتاة. وتشكل هذه الهدية رمز محبة واهتمام وعناية الخطيب بخطيبته. أما في المرحلة التي يكون فيها زواج الفتاة في شهوره أو سنته الأولى، فإن أسرة العروسة هي الذي تعمل على تقديم "التَّفْكِدَة" لابنتها. وتسمى في هذه الحالة "عاشوراء". وبهذه المناسبة، يأخذ الاحتفال حجما أكبر، ليشمل جميع الأقرباء وجيران الأسرتين. وتقوم أسرة العروس، من جهتها بتهييء وليمة عشاء، في هذه الليلة ولا يحضرها إلا النساء والفتيات من العائلتين. ويتم جلب جوق طرب نسائي "اللَّعَّابَات" وتشكل المدعوات وأفراد الجوقة حلقة يطربن داخلها ويرقصن فيها على أنغام وأهازيج متعارفة عليها بينهن. وقد لا يكتفي المدعون بالبقاء في منزل العروس، كما هو الحال في مراكش مثلاً. بل يخرجن للقيام، بجولة عبر الأزقة القريبة في الحي، رفقة اللعابات ويضربن على التعرجات والطبل والبندير، غير خائفات من ظلمة الليل، ومتحديات لوم الأزواج والأولاد مرددات :

هَذَا عَاشُورْ مَا عْلِينَا لَحْكَامْ العِيدْ المِيلُودْ يَحْكُمُو الرُّجَّالْ

أما اللواتي لم تستطعن الخروج فتسترقن السمع والنظر من فوق السطوح. وكانت النساء في فاس، يضفن إلى الخروج إلى الشوارع، صعودهن إلى السطوح لإيقاد شعلة من نار والتغني حولها بأغنية "لَلاَّ مَنَّانَة".

ويختم الرجال والشباب في مراكش هذه الاحتفالات الجماعية وما يرافقها من ألعاب وأهازيج شعبية، بلعبة الدُّقَّة المراكشية الشهيرة. وتقام في ساحات أكبر الأحياء، في المدينة القديمة وتطلق من منتصف ليلة العاشر إلى صباحه. ونقرأ تفاصيلها في (*معلمة المغرب*، 12 ـ 4049) ويقوم باشا المدينة، بتكريم فرقة الحي التي تفوقت في هذه اللعبة. بمنحها هبة مالية، تنظم بها نزهة في حدائق أگدال قد تدوم ثلاثة أيام.

وفي صباح اليوم نفسه، ومباشرة بعد انتهاء الدقة، يقوم الشباب بإيقاد شعلة نار يقفزون عليها. ثم يتراشقون بالماء معتقدين أن ماء بئر زمزم، اختلط في هذه المناسبة بماء العيون والسقايات. وأن كل من اغتسل، أو تبلل به في هذا اليوم سوف لن يصاب بأي مرض طيلة السنة (*فاس قبل الحماية*، 2 : 855) وعندما تهدأ دقات التعاريج ونقرات القراقب والبندير، يذهب الناس نساء ورجالا لزيارة قبور أهلهم وذويهم. ولهذا يسمى هذا اليوم أيضاً يوم الزيارة أو يوم البركة. وفيه تؤدى الزكاة ويتم توزيع الهدايا والصدقات على الفقراء والمحتاجين. وكان المتصوف أبو عبد الله البَيْغي الكَمَّاد يطعم الطعام في هذه المناسبة رغم خصاصه المادي (*التشوف*، 271).

وذلك يدل على أن مساعدة الفقراء في هذه المناسبة، ترجع إلى فترة الموحدين إن لم تكن قد بدأت قبلهم. ويبدو أنها عرفت تطوراً انطلاقاً من فترة الحكم المريني (*السياسة والمجتمع*، 261). وكان التجار والحرفيون يشتغلون في عاشوراء معتقدين أن عملهم في هذا اليوم، سيكون مفتاح خير ويُسر وبركات ستعمهم طيلة السنة. بينما كانوا ينقطعون عن العمل في اليومين المواليين. فيسمون اليوم الحادي عشر، من محرم يوم "الربَا" والثاني عشر منه بيوم "قْطِيعْ الصَّبَاعْ" أي أن من يعمل فيه سيصاب بأمراض اليد والأصابع. وهو ما اعتبره الفقهاء بالمغرب ؛ إضافة إلى مظاهر الاحتفالات الأخرى، ضربا من البدع التي أصبحت شائعة في هذا العيد. (*المدخل*، 1 : 289 و*الرحلة*، 2 : 84).

أبو يعقوب يوسف التادلي ابن الزيات. *التشوف إلى رجال التصوف*، تح. أ. التوفيق، جامعة محمد الخامس، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، 1984 ؛ جمال الدين محمد ابن منظور، *لسان العرب*، دار صادر بيروت، بدون تاريخ ؛ محمد بن محمد بن محمد العبدري الشهير ابن الحاج، *المدخل*، دار الفكر، ج 1، بدون تاريخ ؛ برهان الدين إبراهيم بن عبد الله النميري المعروف بابن الحاج، *فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الرحلة السعيدة إلى قسنطينة والزاب*، دراسة واعداد محمد بن شقرون، الرباط، 1984 ؛ تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي المقريزي، *كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية*، مكتبة الثقافة، القاهرة، بدون تاريخ ؛ أبو فارس عبد العزيز الفشتالي، *مناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفا*، تح. عبد الله گنون، ج 2، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط. المهدية، 1964، تطوان ؛ محمد بن محمد بن عبد الله المؤقت، *الرحلة المراكشية*، أو مرآة المساوئ الوقتية، دار المعرفة، الدار البيضاء، بدون تاريخ ؛ روجي لوطورنو، *فاس قبل الحماية*، تر. إلى العربية محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986 ؛ *البحث الميداني*.

عبد السلام السعيدي

العاص، أحمد بن محمد قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلته مزوجة، انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف سيدي أمحمد امزيان ضد التدخل العسكري الإسباني بناحية الناظور ؛ فقد شارك في عدد من المعارك كانت آخرها المعركة التي جرت بقرية غريب

علال وقدور بقبيلة بني سيدال يوم 28 جمادى الأولى 1330 (15 ماي 1912) حيث سقط أسيراً بيد الإسبان وفيها استشهد زعيم المقاومة الشريف سيدي امحمد امزيان.

أعمال ندوة الشريف امزيان والمقاومة المسلحة في الشمال الشرقي (1909 ـ 1912) تطاون، 1996.

محمد ابن عزوز حكيم

العاصمي، أحمد بن **محمد** بن **الحسن**. ولد بمراكش في أواخر القرن (19 م)، وبها نشأ ودرس. حفظ القرآن، وتابع دروساً في العلوم الشرعية والعربية، لكنه تخصص في علوم الرياضيات والفلك والتوقيت، وهي علوم عرفت تجديداً ونهضة كبيرة في القرن (19 م)، خاصة بفضل جهود سيدي محمد بن عبد الرحمان منذ كان خليفة السلطان بمراكش. وقد ضمت هذه المدينة عدداً من كبار علماء هذه التخصصات أمثال أحمد الصويري ت. 1902 ومحمد البخاري ت. 1926 (المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، 1 : 220 ـ 225 ؛ ط. 1985) وقد حرص المترجم له على الأخذ عمن ادركهم من علماء هذا الجيل. ومن أساتذته الشيخ المعمر مولاي الحاج محمد القنوفي البوعناني الذي سبق له أن رحل للمشرق ودرس بمصر.

اجتهد أحمد العاصمي في تحصيل هذه العلوم حتى صار من أمهر أهل عصره في الرياضيات والتوقيت، وقد وضع حصة لعرض مراكش، لكنه لم يتكلف رسميا بتوقيت أحد المساجد.

وقام بتدريس هذه العلوم في جامع ابن يوسف قبل النظام، وبعد إحداثه في سنة 1938، وأخذ عنه طلاب من طبقات متعددة. كما تتلمذ عليه صنف آخر يضم المتخصصين، وهم إما موقتون رسميون أو ممن سيُرشحون، للتوقيت مستقبلا، وإما أناس لهم اهتمام شخصي وولع بهذه العلوم كلها أو ببعضها. ومن هؤلاء : أحمد بن الطبيب، موقت المسجد العباسي، ثم مسجد ابن يوسف، وأحمد بن محمد الحوزي، الذي برع في علم الفلك وألف رسالة *"إيضاح الادلة في مراصد الركلة"*.

ونزولا عند رغبة تلامذته ألف العاصمي "رسالة في تناول الأنساب وما يتعلق بها من جداول اللوغريتمات وكيفية استعمالها".

كما كان مبرزاً في علم الفرائض، إليه يُلجأ في حل مسائل الميراث العويصة، كالمناسخات من ست درجات أو سبع، وعليه يعتمد حتى كبار القضاة أمثال ابن إبراهيم مؤلف *"الإعلام"* والشيخ العبادي القاضي، بآسفي.

كان قد اشتغل لفترة بتجارة الثياب، وذلك بعد وفاة والده، الذي كان تاجر قماش في القيسارية، ثم مارس خطة العدالة. وبعد إنشاء "مدرسة الفضيلة" الحرة للبنات، سنة 1944 أسندت إليه إدارتها. وفي سنة 1953 أغلقت سلطات الحماية مدرستي الحياة والفضيلة، فخرج من مراكش ولحق بابن أخته مبارك الغراس في الدار البيضاء، وبقي هناك إلى سنة 1955. ثم عاد لمراكش واستمر في إدارة مدرسة الفضيلة، بعدما أعاد الفرنسيون المفاتيح إلى الغراس، إلى أن توفي في 2 ـ 4 ـ 1961 بمراكش.

كان أحمد العاصمي صوفياً، عابداً، ذاكراً، متواضعاً. ساند الحركة الوطنية مساندة روحية بليغة الأثر.

ح. الغراس، *الحياة الفكرية بمراكش في أواخر التاسع عشر وبداية العشرين*، مخطوط.

حياة الغراس

العاصمي، أحمد بن **محمد** بن **محمد** بلحسن العاصمي. تنحدر أسرته من قبيلة بني عاصم اليمنية. ولد بمدينة مراكش بحي الرحبة القديمة درب أعرجان عام 1318 / 1900 ونشأ في عائلة متوسطة الحال، تشتغل بالتجارة، وأقبل على التعليم منكبا على تعلم الحساب والرياضيات والتوقيت، والزيارج والتنجيم والزناتي. وقد أخذ هذه العلوم على الموقت الفلكي الحاج محمد البوعناني، والشيخ ابن كبور.

لم يكتف بما أخذه عن شيوخه، بل كان يَبْحَثُ عن الكتب القديمة التي تدور في دائرة اهتماماته الفلكية والروحانية وغيرها.

إلى جانب هذا كان يشارك في اللقاءات الأسبوعية التي تضم مجموعة الفلكيين أمثال : أحمد الحوزي الجديدي، أحمد الكنسوسي، محمد بن عبد الرازق، ابن الطبيب وغيرهم. وقد أجازه الحاج محمد البوعناني، والفقيه السيد محمد بن عبد السلام بوستة المعروف (بالسي أمان) زاوج بين التجارة والتدريس بمراكش، ثم اشتغل بالعدالة بمدينة آسفي، ثم بمدينة تازا، وآخر المطاف بمدينة مراكش. ونظراً لعزوفه عن هذه المهنة وما يرافقها من متاعب، تخلى عنها لتسند له مهمة تسيير مدرسة (الفضيلة) الحرة للبنات.

توفي عام 1381 / 1961. ودفن بمقبرة باب أدباغ وقد رثاه أخاه الشاعر عبد القادر حسن بقصيدة مطلعها :

يا راقدا ملك الأعنة حقبة ... في الخافقين وكان فينا المرجعا

آثاره : ترك رحمه الله *رسالة في تناول الأنساب وما يتعلق بهما من جداول اللوغاريثمات وكيفية استعمالها* بالإضافة إلى تعاليق وترجمات لجداول اللوغاريثمات.

أ. متفكر، *ذيل الإعلام*، مخطوط.

أحمد متفكر

العاصمي، حسن بن **زيد** هو شيخ قبيلة العاصم إحدى القبائل الخمس الهلالية التي أنزلها الخليفة الموحدي يعقوب المنصور بسهل تامسنا وهي : سفيان والخلط وبنو جابر ومقدم والعاصم.

استمرت زعامة حسن بن زيد للقبيلة طيلة عهد يعقوب المنصور 580 ـ 595 / 1184 ـ 1199 وبنيه إلى عهد الخليفة

المامون، ولما كان الضعف قد دب في أوصال الدولة الموحدية منذ هزيمة العقاب 610 / 1209 ـ 1210 وأصبح السادة من بني عبد المومن يتصارعون بينهم من أجل الوصول إلى السلطة ويعمل كل منهم كل الوسائل لتحقيق هدفه بما في ذلك الدسائس واستمالة القبائل العربية واصطناع الأتباع، فقد استغل حسن بن زيد ـ مثله ـ مثل بقية شيوخ القبائل ـ الظرف ولعب دوراً بارزاً في الصراع الذي احترم حول السلطة ما بين المامون وابن أخيه يحيى.

ولما هلك يحي بن الناصر 633 / 1236 أمر الخليفة الموحدي الرشيد بقتل حسن بن زيد الذي كان قد وضعه في السجن بمراكش فانتقلت بعد ذلك مشيخة قبيلة العاصم إلى عائلة أخرى وشخص آخر يعرف بأبي عياد واستمرت في عقبه طيلة عهد بني مرين.

ابن خلدون، *العبر*، ج 6، دار البيان، بيروت، بدون تاريخ ؛ الناصري السلاوي، *الاستقصا*، ج 2 و3، الدار البيضاء، 1954.

محمد حجاج الطويل

العاصمي، عبد القادر حسن مناضل وشاعر. ولد عام 1334 / 1915 تقريباً بمراكش. ونشأ في أسرة متواضعة كانت على شيء من العلم. كان والده يشتغل بتجارة الأثواب. بعد حفظه القرآن الكريم التحق بالجامعة اليوسفية قبل التنظيم. ولم يكتف بما يدرس بالجامعة، بل كان على اتصال مع بعض رفاقه بثقافة الشرق، وما يصل إلى المغرب من كتب وصحف ومجلات، إلى جانب حفظه للشعر العربي في مختلف عصوره. ويعترف الشاعر أن العنترية كان لها الفضل في تكوينه الأدبي، إذ كان يحفظ الكثير من شعرها قبل أن يتعاطى الدراسة في ابن يوسف.

اشتغل في التعليم الحر وبالأخص في المكتب الإسلامي ـ وقد أصبح فيما بعد يسمى مدرسة الحياة ـ الذي كان يديره الأستاذ إبراهيم الإلغي، ثم بعده الأستاذ امبارك الغراس. ثم اشتغل بالمحاماة الشرعية إلى أن نال المغرب استقلاله، فعين في أوائله مفتشاً عاماً لحزب الاستقلال في مراكش ونواحيها لمدة ثلاث سنوات، بعدها عين مستشاراً لوزارة الخارجية بضع سنوات إلى أن عين قائماً للأعمال في المملكة الأردنية الهاشمية، ثم في الخرطوم، ثم مستشاراً لسفارة المغرب في

القاهرة، قائماً لأعمال المندوب الدائم للجمهورية العربية. ثم نقل إلى وزارة الخارجية مرة أخرى حيث قضى نحو السنتين وعين قنصلاً عاماً في بنغازي بليبيا لمدة أربع سنوات. ثم نقل إلى وزارة الخارجية، بعدها عين قنصلاً في الجمهورية التونسية. وفي آخر عام 1393 / 1973 رجع إلى وزارة الخارجية حيث بقي فيها بالديوان إلى غاية 1398 / 1977 حيث أحيل على التقاعد.

حياته السياسية : يعتبر عبد القادر حسن، والأستاذ عبد الله إبراهيم، والمناضل محمد الملاخ من المؤسسين للحركة الوطنية بمراكش. وكانت أول حركة قاموا بها هي تقديم عريضتين سنة 1352 / 1933، ساهم بإمضائها بعض علماء مراكش، وأول من أمضى على العريضتين هو شيخ الجماعة الحاج العربي الرحماني البربوشي وعمره يتجاوز التسعين سنة.

العريضة الأولى تطالب بتنظيم الدروس بالجامعة اليوسفية.

العريضة الثانية تطالب بفتح خزانة ابن يوسف لعموم الطلبة للمطالعة واستعارة الكتب، ولم يستجب لهذه الرغبة إلا سنة 1939 حيث أسس النظام بالجامعة اليوسفية. كما قاموا بتنظيم الخلايا الحزبية، وتأطير الحرف المهنية التي كانت مراكش سباقة لها، فنظموا الصفوف، ووحدوا الهدف للوقوف أمام غطرسة المستعمر الذي حاول من جهة إجهاض هذه الحركة بالاعتقادات والتنكيل والتعذيب، فسجن مرات عديدة مع رفاقه في الكفاح الوطني، وأبعدوا إلى المنافي.

وفي سنة 1364 / 1944 بادر إلى التوقيع على وثيقة المطالبة بالاستقلال مع ثلة من الوطنيين المراكشيين، وتلا هذا التوقيع السجن والتعذيب إلى أن حلت ذكرى الثورة الفرنسية لسنة 1375 / 1955 حيث صدر عفو عام على جميع المعتقلين السياسيين. وقد نتج عن هذا السجن والنفي أن أصيب بأمراض عديدة منها مرض الكلي، واضطراب مزمن في الجهاز الهضمي والكبد.

حياته الأدبية : لما بدأ ينظم الشعر كان يعرضه على بعض أصدقائه ليعرف رأيهم فيه، وكان لا يجرؤ على نشر أي شيء، لانعدام وسائل النشر، ولكن عزيمته وإصراره على الخوض في غمار النشر جعله يبادر سنة 1355 / 1936 بنشر ديوانه (أحلام الفجر)، واتخذت الإدارة الفرنسية موقفا من هذا الديوان حيث أوعزت إلى بعض أذنابها بعد أحداث سنة 1356 / 1937 برفع عريضة تكفير الشاعر بناء على بيت قال فيه الشاعر :

أنا قوة جبارة لا ترى لهـا مقراً ولو قد جازت فلك النجـم

وقد قدمت هذه العريضة إلى جلالة الملك محمد الخامس. وأثارت رداً معاكساً من طرف العلامة محمد الموقت حيث ألف كتابا سماه (*الجيوش الجرارة في كشف الغطاء عن حقائق القوة الجبارة*)، للرد عليهم، وشرح ما يقصد الشاعر بالقوة الجبارة.

كما نشر المترجم له مقالات وقصص بأسماء مستعارة في *جريدة الأطلس*، و*جريدة العلم*، و*جريدة المغرب*، و*جريدة التقدم*.

إنتاجه المطبوع :

1) *أحلام الفجر* : يضم قصائد نظمها في شبابه، وقدم له صديقه الأستاذ عبد الله إبراهيم. طبع عام 1355 / 1936.

2) ديوان *أغاريد للحرية* : قصائد هذا الديوان كتبت كلها في فترة ما بعد الاستقلال.

المخطوط :

3) *مذكراته النضالية والسياسية* : مرقونة على الآلة الكاتبة.

توفي بمدينة الرباط يوم الأربعاء 15 شوال 1416 الموافق 6 مارس 1996 وأقبر بالرباط.

مذكراته، جلسات عقدتها معه ؛ أ. متفكر، *ذيل الاعلام*، مخطوط.

أحمد متفكر

العاصمي، المهدي بن محمد بن الحسن، ولد بمراكش سنة 1912. حفظ القرآن، وحضر بعض دروس مبارك الغراس في العلوم الدينية، كما أخذ مبادئ في علم الحساب عن أخيه الميقاتي أحمد.

عمل في صناعة وتجارة المصنوعات الجلدية في سوق الشكايرية، ثم انتقل إلى "مكتبة الشعب" في القصور، التي ساهمت بدور أساسي في المجهود الوطني بمراكش، تمثل في بيع الصحف الوطنية، والمطبوعات التي تصل من الشرق، بفضل خدمات "البريد الانجليزي".

يعتبر المهدي العاصمي من مناضلي الحركة الوطنية الأوائل، فقد ساهم في تكوين خلايا الحرفيين والتجار سنة 1936، وفي التهييئ لانتفاضة مراكش الكبرى سنة 1937. وقد عاني من الاضطهاد والاعتقال والنفي. حيث نفي في فبراير 1952 إلى تازناقت، ضمن مجموعة من المناضلين، وذلك بعد نجاح الوطنيين بمراكش في إفشال مخطط السلطة الاستعمارية الرامي إلى تضليل وفود أمريكا اللاتينية أثناء زيارتها للمغرب، وإلى إبراز الحماية كنظام يخدم تقدم المغرب. وأطلق سراحه في ماي 1952. وبعد عدة شهور نفي مرة أخرى إلى الصحراء.

ومن المضايقات التي كان يتعرض لها، إغلاق "مكتبة الشعب" مراراً من طرف السلطات الاستعمارية.

كان شديد الغيرة على الدين والوطن، متميزاً بنكران الذات، وبالتواضع والصبر الجميل على المكاره. كما كان، رحمه الله، صاحب نكتة، دَمِث الأخلاق.

توفي يوم 6 ـ 1 ـ 1998 بمراكش.

حياة الغراس

العاطرية (حضارة ـ) وجدت بقايا الحضارة العاطرية بمظهرها الصميم في كثير من المواقع والطبقات الأثرية في كل شمال إفريقيا من المحيط الأطلسي غربا إلى البحر الأحمر شرقاً منها :

كهف الخنزيرة، وكهف دار السلطان، وكهف تمارة، وتيط مليل والعنق ومغارة تافوغانت ومنطقة اسمارة في المغرب ؛ وبئر العاطر، ووادي جوف الجمل، والكهف الأحمر، ووادي سرديس، وجبل عياش في الجزائر ؛ وضواحي بنزرت، ومنطقة قفصة بتونس ؛ وفي وادي ما صودا، ووادي درنه، ومنطقة الجبل الأخضر في ليبيا. وتذهب كاطون طومسون إلى أن الصناعة القاصرية سرعان ما انتقلت إلى الواحات المصرية كسيوة، والداخلة، والخارجة حوالي العصر الحجري القديم الأعلى المبكر، بدليل وجودها في واحة الخارجة فوق طبقة الفالوازية مباشرة ...

ومن خلال المواقع الأثرية المكتشفة الآن، فان أغلب المواقع العاطرية توجد ببلدان المغرب الكبير وخاصة المغرب والجزائر مما يدفع إلى ترجيح أصلها المغاربي. إلا أن هناك من له وجهة نظر أخرى وخاصة الباحثة كاطون طومسون التي ترجع الأصل الأسيوي لصناعة النصال العاطرية باعتبار أن الحضارة السبيلية بمصر تمثل مرحلة انتقالية بين الموستيرية والعاطرية. كما يذكر رشيد الناضوري أن الصناعة العاطرية تشبه صناعة "الحضارة الفالوازية المستيرية الفلسطينية" في الإنتاج الصناعي وفي انتماء كل منهما لفترة زمنية واحدة.

وقد استعمل الكربون C14 في تحديد تاريخ بعض البقايا المتفحمة التي عثر عليها في بعض المواقد في طبقات كهف هو افطيح في منطقة وادي درنة بليبيا أعطت 43000 قبل الميلاد بينما يقدر عمر الحضارة العطارية في المغرب (تمارة ودار السلطان) بحوالي 45000 قبل الميلاد.

ورغم الصعوبة في تحديد المركز الذي نشأت فيه هذه الحضارة لأول مرة ومنه انطلقت إلى باقي المراكز، إلا أن المواقع وتركزها على الساحل الغربي في المغرب، واستمرار انتشارها في ليبيا ومصر، وتوجهها توجها قوياً نحو الجنوب في الصحراء، إلى أن تتوقف بصفة عامة على ضفاف ما تبقى من البحيرات في الصحراء الجنوبية كبحيرة تشاد. يجعل من هذا التركز في المغرب، وتدرج قلة المراكز كلما اتجهنا إلى الشرق إلى غاية مصر، تجعلنا نفترض أن مهد هذه الصناعة كان في المغرب الحالي، ومنه انتشرت في باقي

شمال أفريقيا والصحراء. وهذا يعني أن هذه الصناعة فرضت وجودها في كلا المنطقتين ؛ وأن العلاقات الحضارية هذه المرة، كان اتجاهها غربياً ـ شرقياً وغربياً جنوبياً وشرقياً، أي أن الصناعة العاطرية كانت المحرك الأساسي القوي التأثير في هذه المرحلة، مما يجعلنا نميل إلى القول بأن إرهاصات ما يمكن أن نسميه الوحدة الحضارية بين شمال أفريقيا من جهة والصحراء من جهة أخرى تعود إلى هذه المرحلة.

وقد طرح نقاش حول طريقة وصول هذه الحضارة إلى الصحراء. ويقدم الباحث هوكو افتراضاً ينطلق من أن التعمير العاطري للصحراء بدأ منذ حوالي 30000 سنة ق. م حين اتجهت موجات الإنسان، صاحبة الحضارة العاطرية، من بلدان شمال أفريقيا نحو الصحراء، وانتشرت شمال الصحراء. واستقر أخيراً العاطري في المستوى الثالث على ضفاف البحيرات الجنوبية ووصل إلى المرحلة النهائية السابقة على العصر الحجري الحديث. ويعتمد هوكو في هذا الافتراض على التشابه الكبير بين الأدوات النهائية في موقعي مغارة العالية بطنجة في المغرب ودار السلطان قرب الرباط في المغرب أيضاً، العائدين إلى حوالي 25000 سنة ق. م من جهة وأدوات المستوى الثالث على ضفاف البحيرات الجنوبية بالصحراء وعدم وجود صناعة ما قبل تاريخية أخرى بها بين الحضارة العاطرية والعصر الحجري الحديث من جهة أخرى.

ويبدو من خلال الدراسات والأبحاث الأثرية التي عرفتها مواقع الحضارة العاطرية أن هذه الأخيرة بدأت في الظهور انطلاقا من العصر الحجري القديم الأوسط (50000 ـ 45000 قبل الميلاد) واستمرت إلى العصر الحجري القديم الأعلى (20000 قبل الميلاد) لتخلفها الحضارة الايبيروموروية في شمال إفريقيا.

م. أعشي، *المدخل لتاريخ الحضارة*، الرباط، 1979 ـ 1980 ؛ *نماذج من التوصل بين شمال إفريقيا والصحراء الكبرى*، مجلة العلوم الإنسانية، العدد السابع، 2001، ص. 7 ـ 48 ؛ *جذور بعض مظاهر الحضارة الأمازيغية خلال عصور ما قبل التاريخ*، الرباط، 20 دجنبر، 2002 ؛ ع. الرزاق قراقب وعلي مطيمط، *حضارات ما قبل التاريخ*، تونس والبلدان المغاربية، اليف، ط 2، تونس، 1993 ؛ ر. الناضوري، *المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري*، بيروت، 1977 ؛ م. أبو المحاسن، *عصفور معالم تاريخ الشرق المدني القديم*، بيروت، 1979 ؛ أمين سليم وسوزان عباس عبد اللطيف، *دراسات في تاريخ مصر الفرعونية*، الأسكندرية، 1999 ؛ م. بيرمي مهران، *دراسات في تاريخ الشرق الأدبي القديم مصر*، الأسكندرية، 1982.

Caton Thomson, *The ateran industry, its place and signifiance in the paleolithic word*, *JRAI*, V. 1946 ; S. Chevaillon, *Homme et cultures du paléolithique moyen*, *Science et vie* n° 129 ; Reygasse, *Etudes de paletlnologie maghrébine*, *Recueil de la société archéologique de Constantine*, vol. 3, (1921 - 1922), Asscoiation française pour l'avancement des sciences, 46è congrès (1922), *Etudes de paléonthologie maghrébine* (Nouvelle série, *l'anthropologie* 25, 1919 - 1920) ; R. M. Gramly, *Neolithic flin implement Assemblages from Saudia Arabia*, *JNES*, 30, 1971 ; Mc. Burney, *The stone age of northern Africa*, London, 1960 ; Id., *Haoua fteah (Cyrenaica) and the stone age of the south-east mediterranean*, London, 1967 ; A. Gilman, *Neolithic of north-west Africa*, *Antiquity*, XLVII, n° 192 december 1974 ; J.F. Ade Ajayi et M. Crowder, *Atlas historique de l'Afrique*, Paris, 1988 ; G. Camps, *Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du Nord et du Sahara*, Paris, 1966 ; Alimen, *Préhistoire de l'Afrique*, VII, Paris, 1955 ; A. Balout, *Préhistoire de l'Afrique du Nord*, Paris, 1955 ; H. J. Hugot, *Documents scientifiques des missions Berlier Tenere, Tchad*, Paris, 1922 ; *Limites meridionames dans l'Atérien*, *Actas* N. Coryr, P.P.E.R. 1974 ; Id., *Le Sahara avant le désert*, Paris, 1974 ; Id., *L'Afrique préhistorique*, Paris, 1967 ; Pallary, *Instructions pour les recherches préhistoriques dans le Nord-Ouest, l'Afrique*, 1909.

مصطفى أعشي

ابن أبي **العافية** أبو **القاسم** بن محمد المكناسي الفقيه العلامة النحوي المشارك المقرئ الحيسوبي الفَرَضي.

أخذ الفقه عن أبي زكرياء يحيى السرّاج، وعبد الواحد الحُميدي وغيرهم، والقراآت عن أبي عبد الله محمد بن أحمد مَجبر المستاري، وأبي القاسم المشترائي، وأجاز له ابن جابر المكناسي في القراآت وفي كل ما تجوز له وعنه روايتُه، وأخذ النحو عن أبي العباس أحمد بن علي القَدُّومي الأندلسي وأبي الحسن الحاجي وغيرهم، والفرائضَ والحساب عن أبي راشد يعقوب بن يحيى اليدري، وأخذ عن جماعة يطول ذكرُهم، وكانت له مَلكة جيدة في هذه العلوم وخصوصاً النحو فإنه فيه واحدُ زمانه.

ألّف شرحاً حافلاً على *ألفية ابن مالك* في النحو في مجلدين كبيرين، وشرحاً على *مقدمة ابن آجروم* في مجلد ضخم، وله تعليق على *شراح ابن أم قاسم المرادي* على *الألفية*.

وُلد سنة 960 (وفي نسخة : ست وتسعين) وهي الصواب لأن ابن القاضي قال عنه : وهو حي من أهل العصر ومعلوم أن ابن القاضي ولد سنة 960 وتوفي 1025.

أ. ابن القاضي، *درة الحجال في أسماء الرجال*، 3 : 287، ط. مصر، تح. محمد الأحمدي أبو النور.

ابن **العافية، محمد** بن **أحمد** ابن العافية الزَّجْني المصمودي الفقيه العلامة النسابة المدَرس الفاضل. أصلُه من مجشر (زجّن) أو (ازاجن) كما عند الأستاذ داود نقلاً عن غيره والصواب أنه (أزْجَن) ومازال بهذا الاسم إلى الآن، بقبيلة مصمودة، قرب مدينة وزان.

أخذ عن الشيخ أبي السعود عبد القادر الفاسي وطبقته. وتولى قضاء مصمودة العرب، ثم قضاء تطوان عام 1111. له تآليف منها *(دواعي الطرب، في اختصار انساب العَرب)*. وقفتُ على مختصر منه في أوراق بخط الأستاذ محمد داود، وهو في أشراف المغرب نَقَلَ فيه تحرير نُقباء الأشراف الموجودين يومئذ بالمغرب لطبقات أنسابهم المتواترة والصحيحة والضعيفة والمنكرة، وقَيَّد شهادة أعيان الشرفاء بذلك، وأدّى هو شهادتَهم، ووَجَّه نسخة للسلطان إسماعيل بن الشريف العلّوي، ونسختَين للقائديْن : أحمد بن حَدّو الريفي الحمامي، وعلي بن عبد الله الحمامي الريفي والنسخة الثالثة هي التي أبقاها بيده، وسماها بالاسم المذكور.

توفي رحمه الله بتطوان قاضياً عام 1115.

نشر المثاني، للقادري ضمن موسوعة *أعلام المغرب*، تنسيق، د. محمد حجي، 5 : 1896، دار الغرب ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين في تاريخ تطاوين*، نسخة خاصة مخطوطة مصورة ؛ م. داود، *تاريخ*، 2: 286، ط. تطوان.

العافية، محمد الصُّغَيِّر بن الحاج أحمد الأندلسي ثم الفاسي. ولد سنة 1029، وهو العلامة الفقيه المجوّد المذرّر العدل الموثق، النحوي الماهر، المتقن الدراكة، صحب الشيخ أبا السعود عبد القادر الفاسي الفهري ولازَمه كثيراً في العربية والأصليْن وسائر فنون المعقول والمنقول، مستظهراً الأمهات في ذلك حجة ضابطاً في كل فن.

لم يزل يُعلّم الصبيان بمكتب رأس الجنان، ويؤمُّ الناسَ مدة حياته بمسجد حومة رأس الجنان، ثم بمسجد السمارين قرب الرصيف.

وبَعَثَه أهلُ فاس لقضاء غَرض لهم إلى رئيس الزاوية الدلائية : محمد الحاج الدلائي، فَخَرَج إليها، وأدركته منيتُه بها عشيةَ يوم السبت تاسعَ عشر ـ أو عشرين من محرم الحرام فاتح 1074 وحُمل في تابوت إلى فاس حيث دُفن بروضة سيدي رضوان الجنوي خارج باب الفتوح رحمه الله

الإكليل والتاج، مخطوط ؛ *تذكرة المحسنين*، موسوعة *أعلام المغرب*، 4 : 1525، ط. دار الغرب.

العافية، محمد العربي بن **محمد** الأندلسي ثم الفاسي. ولد سنة 1018. وهو الفقيه المتعبد الصالح الحازم الضابط، كان مذرّراً، وانتفع به خلق كثير، منهم الإمامان : محمد وعبد الرحمن ابني أبي السعود عبد القادر الفاسي الفهري، ولم تُحْفَظ له صبْوة قط، ولذلك كان مُعظماً محترماً في أعين الخاصة والعامة. صَحب الشيخ الشهير أبا عبد الله محمد بن عبد الله مَعْن الأندلسي الفاسي، وبعد وفاته صحب الشيخ عبد القادر الفاسي، وكان هذا يثني عليه.

وتوفي سنة 1115.

م. القادري، *الإكليل والتاج*، مخطوط ؛ *نشر المثاني* ؛ موسوعة *أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 5 : 1896.

محمد بوخبزة

ابن أبي **العافية، موسى** بن أبي **ياسين** بن أبي الضحاك بن مجدول أمير مكناسة بالمغربين الأوسط ثم الأقصى.

اقترنت أخبار موسى بالصراع بين العبيديين والأمويين حول النفوذ بمنطقة المغرب خلال النصف الأول من القرن الرابع (10 م). ويمكن اعتبار هذا القائد نتيجة منطقية لهذا الصراع. فقد لجأت الخلافة الفاطمية بإفريقية والأموية بالأندلس إلى سياسة التدخل غير المباشر في بلاد المغرب من خلال خلق أتباع ينفذون بهم مخططاتهم ويدافعون على مصالحهم. فكان موسى في واقع الأمر صنيعة العبيديين وأداة طيعة وقوية في تحقيق أطماعهم التوسعية بالمغرب وإعاقة المد المرواني به.

ظهر اسم موسى بن أبي العافية لأول مرة على مسرح الأحداث بالمغرب الأقصى سنة 305 / 917 عندما بدأ العبيديون يتطلعون إلى توسيع نفوذهم إلى أبعد نقطة غرب المغرب الأوسط، فأرسلوا قائدهم مصالة بن حبوس في أولى حركاته إلى المغرب الأقصى واستولى على فاس واستنزل صاحبها يحيى بن إدريس ورده إلى طاعة عبيد الله الشيعي وأبقاه أميرا عليهما، ثم عقد لابن عمه موسى على شمال المغرب من الريف إلى وادي أبي رقراق.

ولما عاود مصالة غزو المغرب الأقصى سنة 307 / 919 تأجج النزاع من جديد بين أدارسة فاس وموسى بن أبي العافية الذي أغرى مصالة ببحيى واعتقله ثم طرده ليلتحق ببني عمه بالبصرة وبلاد الريف، فاستبد موسى ثانية بحكم جزء كبير من بلاد المغرب الأقصى بعد عودة مصالة إلى القيروان وأصبح نائب عبيد الله المهدي بالمنطقة ومقيم دعوة الشيعة بها. وبما أن هذا التطور في سياسة العبيديين قد رجح كفة بني أبي العافية على حساب الأدارسة وجعل مصيرهم في يد موسى قام زعيم الأدارسة الحسن بن محمد بن القاسم الملقب بالحجام بإعلان الثورة على ابن أبي العافية سنة 310 / 922 فاستولى على فاس ونواحيها وقتل عاملها للعبيديين ريحان الكتامي، ثم اشتدت الحرب مع موسى عند لقائهما سنة 311 / 923 في فحص الزاد ما بين فاس وتازة وتمكن الحجام من الإيقاع بغريمه وقتل من جنوده عددا كبيرا من بينهم منهل بن موسى. ولم تمض إلا فترة وجيزة حتى تمكن ابن أبي العافية من استعادة نفوذه على فاس بعد ثورة أهلها على الحجام. وبعد إمساكه بزمام أمور المدينة اتجه إلى الانتقام من خصومه ومناوئيه، وعلى رأسهم حامد ابن حمدان الهمذاني الأوربي الذي كان السبب في دخول موسى مدينة فاس، لكنه أدرك الخدعة ففر منه والتحق بمهدية إفريقية. ثم لحق موسى بعدوة الأندلس وقتل عاملها عبد الله بن ثعلبة بن محارب الأزدي وولى مكانه أخاه محمدا. ثم عزله وولى مكانه طوال بن أبي زيد. من جانب آخر جمع موسى أدارسة فاس وأجلاهم إلى قلعة حجر النسر بمحاذاة البصرة وحاصرهم بها مرارا ولم يقلع عنها إلا عندما ارتفعت أصوات رؤساء المغرب وأكابر أهل دولته يستنكرون فعله القبيح بآل البيت.

بعد أن تيقن موسى من إحكام قبضته على فاس وأعمالها استخلف ولده مدين عليها وزحف نحو تلمسان سنة 319 / 931 فملكها وتغلب على أحوازها وأخرج منها أميرها الحسن بن أبي العيش أحد حفدة سليمان بن عبد الله أبي إدريس الأكبر. بعد ذلك رجع إلى نكور واستولى عليها وجميع أحوازها في شهر شعبان من سنة 320 / غشت 932 ثم عاد إلى فاس مقر حكمه.

بعد استيلاء موسى بن أبي العافية على تلمسان نقطة

تحول حاسمة في العلاقات بين العبيديين وحليفهم المكناسي. فهذا التوجه في حملات موسى العسكرية يعلن عن حقيقة طموحاته في توسيع نفوذه على حساب حلفائه ويهدد مصالحهم الحيوية ويؤكد حدوث القطيعة بينه وبين الفاطميين لأن ولاءه لهم كان عن غير ولاء ولا تشيع. ومن الأكيد أن ابن أبي العافية لم يخط هذه الخطوة دون أن يحسب لها ألف حساب وأن يفكر قبل ذلك في حليف جديد لم يكن بالضرورة غير عدو الفاطميين ونظيرهم في القوة العسكرية والطموح السياسي أي أمويي الأندلس. وسواء كان عبد الرحمن الناصر هو الذي فاتح موسى في أمر هذا التحالف حسب ابن خلدون أم أن موسى هو الذي بادر إلى موالاة الناصر لحاجته إليه كما ذهب ابن عذاري، فإن مصالح الطرفين اقتضت التقارب بينهما وخلق تحالف قوي مضاد لعدو مشترك. لقد كان لتحول موسى من الدعوة للعبيديين إلى الدعوة للمروانيين انعكاسات واضحة على طبيعة الصراع بين القوتين وعلى موازين القوى بين حلفائهما بالمنطقة. فقد عززت قرطبة وجودها بالمغرب الأقصى بفضل تحالفاتها مع أمراء زناتة كبني خزرون أمراء سجلماسة وأمراء مكناسة من بني أبي العافية، فأصبح التنافس في الرئاسة والتنازع على الأعمال بين الحيين قويا حتى أنه تسبب في وقوع اصطدامات بين زعيميهما محمد بن خزر وموسى بن أبي العافية حول مجالات نفوذ كل واحد منهما مما كان يضطر الخليفة الأموي إلى التدخل لفك النزاع بينهما. والحقيقة أن الناصر كان لا يثق في موسى لأنه "لم يكن لديه بالموثوق الطاعة، إذ كان والي عبيد الله الشيعي أول نجومه وارتسم بولايته" (*المقتبس*، 5 : 307). ومع ذلك فإن موسى كان يصر على تبعيته المطلقة للناصر وكان يقول عن نفسه : "وأنا عين أمير المؤمنين الكالئة في هذه العدوة" (*المقتبس*، 5 : 371). مع أن الناصر كان يميل لابن خزر ويستمع إليه، ولذلك عاتب موسى على خلافه مع منافسه وصالح بينهما. لكن المعطيات السياسية الجديدة جعلت الناصر يعول كثيرا على ابن أبي العافية في صد الزحف الشيعي على شمال المغرب في الوقت الذي تكلف ابن خزر بحماية مصالح الأمويين في الجنوب. ولذلك لم يتوان خليفة قرطبة في إمداد موسى بكل الوسائل العسكرية والمالية ولتمكينه من القيام بدوره كما كان يدعو البربر إلى مناضلة الخطر العبيدي ومقاومة قوادهم وينصحهم بالتعاون مع حليفه موسى الذي يشير إليه بقوله : "وقائدكم وأمير جماعتهم موسى بن أبي العافية، ولي أمير المؤمنين ومولاه... أن تكون أيديكم مع يده... وجميع أموركم منقادة إليه..." (*المقتبس*، 5 : 327-3287). لكن صاحب إفريقية لم يكن مستعدا لهذا النوع من الاستسلام أو الاكتفاء بالتحسر على خسارة حليف أساسي لذلك كان رده سريعا في إيفاد قوة عسكرية كبيرة بقيادة حميد بن يصل (أو يصلتن) إلى المنطقة سنة 321 / 933 والذي التقى مع جيوش موسى بفحص مسون قرب گرسيف وتطاحن الفريقان فانكسر جيش موسى وفر إلى عين اسحاق من بلاد تسول وتحصن بها. ثم توجه القائد الشيعي إلى فاس وملكها بعد أن فر عنها مدين بن موسى وولى عليها واليها السابق حامد بن حمدان الهمذاني وانصرف إلى إفريقية. وبعد ذلك بفترة قصيرة ثار أحمد بن بكر بن عبد الرحمن بن سهل الجذامي على والي فاس الجديد عقب وفاة عبيد الله الشيعي سنة 322 / 934 وقتله وبعث برأسه وبولده إلى موسى الذي أرسلهما بدوره إلى الناصر الذي أقر ابن بكر عاملا على فاس تحت نظر موسى. وعادت بذلك الدعوة بالمغرب إلى بني مروان. ولما علم الخليفة العبيدي الجديد أبو القاسم بن عبيد الله بهذه الأخبار جهز قائده ميسور الفتى (الخصي أو الصقلبي) بجيش قوي وسيره إلى المغرب الأقصى سنة 323 / 935 فعجز موسى عن لقائه وتحصن بحصن ألكاي ببلاد الريف، وتقدم ميسور إلى فاس وحاصرها أياما واستسلم له عاملها ابن بكر وقيده وبعث به إلى إفريقية. بقيت فاس منيعة على جيوش ميسور مدة سبعة أشهر فاضطر إلى مصالحة أهلها والارتحال عنهم بعد أن أعطوه أموالا وهدايا وكتبوا ببعتهم إلى أبي القاسم الشيعي ونقشوا اسمه في سكتهم وخطبوا له على منابرهم. ثم اتجه ميسور إلى موسى فكانت بينهما حروب طويلة شارك في معظمها بنو إدريس إلى جانب القائد العبيدي الذي تمكن من هزمه وإجلائه إلى نواحي ملوية. وعندما وصل الخبر إلى الناصر بالخطر المحدق بالدعوة المروانية بالمغرب الأقصى بعد هزيمة حليفه عقد العزم على التحدي فأرسل سنة 324 / 936 أسطولا حربيا لنصرة حليفه وتعزيز موقعه أمام ميسور فافتتح مليلة ونكور وأرشقول وجراوة. فاعتز موسى بهذا الدعم وصارت إليه هذه المدائن ورجع إلى بلاده ليعاود حروبه مع ميسور والأدارسة سنة 325 / 937 إلى أن خمد أمر القائد الشيعي بعد أن سخط عليه مولاه أبو القاسم لأمر أنكره منه فقبض عليه ورحل إلى تاهرت وخف بذلك خطر العبيديين عن موسى. غير أن المصادر اختلفت حول مصير موسى بعد سنة 325، فبعضها ذكر أنه بقي طريدا ومشاغبا لميسور في صحراء بلاد ملوية إلى أن قتل وصار ما كان بيده إلى آل إدريس، وبعضها لم يذكر شيئا من ذلك واكتفى بالإشارة إلى أن مدين ولد موسى تولى مكان والده في ولاية أعماله باسم الخليفة الناصر. كما اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ وفاة موسى بين سنوات 326 و328 و341. ومع ذلك يبقى التاريخ الأول 326 / 938 الأقرب إلى الصواب، إذ أورد ابن حيان رسالة موجهة من مدين بن موسى إلى الخليفة الناصر بتاريخ ذي الحجة من سنة 326 يخبره فيها بوفاة والده، فأجابه الخليفة بالتعزية بأن وفاة موسى بن أبي العافية كانت بالضبط في شوال من سنة 326.

خلف موسى من الأولاد ثلاثة : مدين الوالي مكانه وأبا منقذ بعده ثم محمدا آخرهم واستمر هؤلاء على مناصرة الدعوة المروانية ومحاربة الدعوة الشيعية وبقايا الأدارسة، ويحكمون ما تحت إيديهم من بلاد ما بين گرسيف ونكور إلى

حدود سنة 363 / 974 عندما انقرضت دولة بني أبي العافية المكناسيين بالمغرب الأقصى وإن كان بعض المؤرخين يمددون هذه الدولة إلى حين قدوم المرابطين سنة 445 / 1053.

ابن حيان، *المقتبس* ؛ البكري، *المغرب*، باريس، 1965 ؛ ابن عذاري، *البيان*، بيروت، ط. 3، 1983 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1973 ؛ مجهول، *مفاخر البربر*، 1934 ؛ ابن الخطيب، *إعمال الأعمال*، الدار البيضاء، 1964 ؛ ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1988 ؛ يحيى ابن خلدون، *بغية الرواد*، الجزائر، 1903 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط.

E. Levi-Provençal, *Histoire de l'Espagne musulmane*, Leyde - Paris, 1950 - 1953, T. II, p. 82, 93 - 101, 104, 106 ; J. Vallvé Bermejo, *La intervención omeya en el norte de Africa*, *"Cuadernos de la biblioteca española de Tetuán"*, 1967, T. IV, p. 7 - 39 ; Brignon, *Histoire du Maroc*, Casablanca, 1967, p. 72 - 85 ; *Musa B. Abil - Afia*, *E.I.*, Paris, 1993, T. VII, p. 640 - 642 ; F. Dachraoui, *Le califat fatimide au Maghreb*, Tunis, 1981, p. 134, 150 - 151.

رشيد السلامي

العَاقِل، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Aquil.

العاقل، علي بن محمد كان يزاول خطة العدالة سنة 1028 (1619).

العاقل، محمد بن علي، زاول نفس الخطة من سنة 1044 إلى 1074 (1635 ـ 1664).

العاقل، محمد بن أحمد، تعاطى الشهادة سنة 1113 (1701).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1139.

محمد ابن عزوز حكيم

العالم، مَحمد بن السلطان إسماعيل بن الشريف بن علي العلوي السجلماسي الفيلالي. أمه رومية، قيل إنها من أصل جيورجي تم أسرها في إحدى المعارك، فنقلت إلى الجزائر ومنها اشتريت للأمير المولى إسماعيل، حين كان عاملا على مكناس زمن حكم أخيه المولى الرشيد (Fontin, p. 251 ؛ وقيل إن أصلها إسباني (De Léon, p. 19). ورغم سكوت المصادر عن تاريخ ميلاده، فلا ينبغي بحال أن يكون سابقا لدخول عمه المولى الرشيد إلى فاس سنة 1076 / 1666.

وبناء على ما سبق، فقد يكون تاريخ ميلاد المولى مَحمد العالم حوالي عام 1077 / 1667. وبالتالي فإما أنه ولي ذلك المنصب وهو صغير السن، حيث ظهرت عليه مخايل النجابة مبكرا، وهذا غير بعيد في بعض الأنباء، وإما أن تكون السيدة مگالي مورسي واهمة حين جعلت تاريخ تعيينه على فاس عام (*Relation de Thomas Pellow*, p. 1680 / 1090 (132 note 284، بدل عام 1096 / 1686. ومن ثم، لا نستبعد أن يكون له من العمر، حين ولي ذلك المنصب، ما بين ثمانية عشر وعشرين عاما.

يعد مَحمد العالم من أبرز الأمراء العلويين على الإطلاق، حيث وصفه كل من ترجموه بالعلم والدين. قال فيه صاحب *المورد الهني* : "ويقاسون [أي العلماء] معه الشدائد لذكائه وشدة فطنته، مخافة الافتضاح معه في قصور فهم أو نقل" (*الإعلام*، 6 : 8). ومما جاء في *زهر الأكام* : "وهو عالم جليل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويهدي إلى سواء السبيل" (ص. 175). ونوه به محمد بن الطيب القادري قائلا : "كان ماهرا في علوم كالنجوم والبيان والمنطق والكلام والأصول وله مشاركة في علوم أخرى" (*النشر*، 3 : 166). وكان حريصا على مجالسة العلماء مبالغا في تعظيمهم وإكرامهم، فاجتمع حوله جماعة منهم، سواء حين كان خليفة على فاس الجديد أو لما انتقل إلى تارودانت. أخذ العلم عن فحول علماء عصره، كعبد السلام القادري وعبد المالك التاجموعتي وأبي عثمان سعيد العميري ومحمد بن أحمد القسنطيني المدعو الكماد وأحمد بن العربي بن الحاج السلمي ومحمد المسناوي ومحمد بن أحمد الولالي. وقد أجازه معظم هؤلاء.

وبسبب نباهته وعلمه، أسند إليه والده خلافة فاس الجديد ـ مكان أخيه المولى محرز ـ وأضاف إليه الولاية على بني حسن، إذ كان السلطان قد فرض عليهم دفع زكواتهم إليه في كل عيد. لكننا لا ندري سبب عزله عن فاس، وتوجيهه إلى تافيلالت حيث قضى مدة من الزمن. لعل ذلك الإبعاد راجع إلى وشاية بعض مقربي السلطان، ممن كان لا يرضيهم تقريب والده له. يذكر ابن زيدان أن المولى إسماعيل كان "يشاوره ويعمل برأيه في المهمات، ويثني عليه بالصدق والأمانة ورجاحة العقل وينوه بقدره بمحضر ولاته ووزرائه وكتابه، فكرهه غير واحد من الوزراء فمن دونهم، فشمروا على ساق لإفساد ذات البين بينه وبين أبيه والسعي في التفرقة بينهما" (*الإتحاف*، 4 : 62). وفي هذا السياق زينوا له أن يعينه على درعة إبعادا له عنهم، لأنهم ضاقوا ذرعا بما كان يقوم به بجانب والده، حيث كان ينبهه إلى ما يخفونه عنه. فعينه على تلك الجهة، فأظهر من العدل والإنصاف ما جلب له محبة أهلها، فأثنوا عليه وتعلقوا به، وتقرب منه بعض أعيانها وتوثقت الأواصر بينه وبينهم، حتى مدحوه وحلوه بالألقاب السلطانية.

ومن شدة حرصه على العلم، أنه منع على أهل تلك البلاد قراءة البخاري، بسبب ما كان الناس يقعون فيه من الخطأ والتحريف، ومن أصر على القراءة امتحنه في نسخة لا نقط فيها ولا إعجام، فمن أصاب أقره، ومن أخطأ منعه (*الدرر المرصعة*، ص. 252).

إلا أن والده عزله عن درعة ليعينه واليا على مراكش وأعمالها. ويتفق الإخباريون على أنه سار سيرة حميدة في

الرعايا حتى "فرح بولايته العامة والخاصة"، "وزاد اشتهارا وبعد صيت، فدس له بعض خاصة والده ما أوغر صدره عليه" (*الإتحاف*، م. س. ن.)، فعزله من جديد.

ولما فرق السلطان أعمال المغرب على أولاده الكهول، في عام 1111 / 1700، ولاه على جهة سوس وأنزله تارودانت، ورتب معه ثلاثة آلاف من فرسان العبيد. فقام بمأموريته أحسن قيام (الزياني، *الترجمان*، ص. 25). وهنا بلغ ذروة مجده، بحيث لما استقر به المقام في قاعدته تارودانت، أحاط نفسه بجماعة من الفقهاء والأدباء، ذكرهم المختار السوسي (*المعسول*، 18 : 286) ؛ ومعظمهم من أهل الطريقة الناصرية، أخذوها عن الشيخ مَحمد بن ناصر أو عن ابنه أحمد الخليفة. فبالغ الأمير في مجالستهم ومخالطتهم، وكانوا يفدون إليه من كل صوب.

وتؤكد المصادر على ما حصل بين هؤلاء وبين الأمير من وئام لا حد له، فشغفوا به وشغف بهم، فداخلوه بالحديث عن أمر الملك بإيعاز من بعض بطانته (م. س. ن.)، وزينوا له وهونوا عليه أمره، لا سيما وقد توافرت بعض دواعي القيام ضد والده.

وتحفل تلك المصادر بالإشارات إلى ما كان مَحمد العالم ينكره على والده وخاصة تمليك الحراطين، تلك القضية التي أثارت جدلا كبيرا في ذلك العهد. وهنا ننقل ما قاله القادري بذلك الصدد : "ذلك أنه قام على والده منكرا لما هو عليه من تكسيب العبيد والتصرف في بناتهم بغير موجب شرعي" (*النشر*، 3 : 172). وعلل المشرفي تلك الثورة فقال : "وكان مولاي مَحمد ينكر على أبيه أمورا ظن أنها تبيح له القيام عليه فقام وبويع له بالخلافة" (*الحلل البهية*...، مخ. خ. ع. الرباط، رقم 1463 د، ص. 109).

وهكذا ثار مَحمد العالم على والده بعد مضي ثلاث سنين على تعيينه بإقليم سوس. فلاقت ثورته تأييدا لدى كثير من الناس في سوس ومراكش، لا سيما أهل العلم والمتصوفة. فقد ساندوه لما توسموا فيه من صحبة أهل العلم والخير، "واتباع طريق الحق وإظهاره، وإخماد الباطل وسبله، فمن أجل ذلك نقضوا بيعة تولية أمير الغرب" (الزرهوني، *الرحلة*...، ص. 222).

وينقل الضعيف سببا متصلا بالرأي السالف فيشير إلى أن الناس بايعوه لأنه شاع لدى البعض "إنه كسيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بالعدل" (تاريخ، 18). وكان ذلك سنة 1113 / 1702. فقدمت عليه الوفود بتارودانت مبايعة ومهنئة، وتكاثرت جموعه وشمل نفوذه الجهة الجنوبية كلها، من وادي أم الربيع إلى أقاصي البلاد السوسية، إضافة إلى درعة والفايجة (*زهر الآكام*، ص. 177 و193). ولا بد من الإشارة إلى أن أخاه الأمير أبا النصر قد ثار ببلاد درعة، ودخل في طاعة أخيه العالم.

وفي سنة 1114 زحف المولى مَحمد العالم على مراكش، فحاصرها في رمضان. وفي العشرين من شوال اقتحمها عنوة بالسيف. هذا ما درجت عليه المصادر *كالاستقصا والإتحاف والإعلام*. ويبدو أن الإلحاح على استعمال العنف بهذه الصورة فيه بعض التحامل، لأن مصادر أخرى أقرب إلى ذلك العهد تثبت عكس ذلك (*زهر الآكام*، ص. 177 و*نشر الثاني*، 3 : 166).

ومهما يكن من أمر، فإن العالم لما استولى على مراكش وأحوازها، عزل خدام أبيه، بل منهم من انحاز إليه كالقائد مالك، ثم بعث برؤساء الجيش وكبارهم إلى قاعدة ملكه ـ مدينة تارودانت ـ وبقي بمدينة مراكش هو وأخوه أبو النصر، الذي ولي قيادة جيوشه العليا (*زهر الآكام*، ص. 177).

ولما بلغ خبره إلى والده في شوال من العام 1114 وجه إليه ابنه المولى زيدان مع قبائل الغرب وجيوشه، وبعث مولاي مَحمد أخاه المولى أبا النصر لملاقاته، فالتقى الجمعان قرب وادي أم الربيع. وكانت الهزيمة على جيش أبي النصر الذي ولى الأدبار، فاقتفى زيدان أثره ليناجزه بالقرب من مدينة مراكش بموضع يقال له الرميلة، شمال شرقي المدينة المذكورة قبل أن ينزل عليه ويحاصره بها. فوقعت بينهما حروب عظيمة قتل فيها كثير من الناس، وتواصلت هزائم العالم وأخيه أبي النصر طوال السنة، فحاصرهما زيدان (*النشر*، 3 : 167)، ودخل المدينة قهرا في سادس عشر من ذي الحجة. واضطر الثائران إلى الفرار إلى تارودانت للتحصن بها، فاستمرت الحرب بين الطرفين أكثر من سنتين، كان القبض على أحد كبار جيش المولى مَحمد ـ وهو يومئذ القائد مالك ـ نذيرا بهزيمته في معركة تاورا، حيث تم اعتقال عدد من الفقهاء الذين ساروا في ركابه وإرسالهم إلى مكناس. وهناك أمر السلطان بإعدامهم. ودخلت جيوش زيدان بلاد سوس في مستهل سنة 1117، واستمرت الحرب بين الفريقين للسنة الثالثة على التوالي، أي إلى أن دخل عام ثمانية عشر ومائة وألف، فاقتحمت جيوش زيدان مدينة تارودانت عنوة. وقتل عددا كبيرا من أهلها، سواء كانوا من أتباع مَحمد العالم أو من غيرهم.

ويلخص أحمد الناصري تلك الفاجعة قائلا : "[و] هلك فيها أمم وقواد ورؤساء وأعيان يطول ذكرهم" (*الاستقصا*، 7 : 91). ولما قبض زيدان على أخيه بعث به يرسف في قيود الحديد، محمولا على بغلة، إلى والدهما السلطان المولى إسماعيل، الذي قدم لمعاقبته من مكناس. فلقيه بالقرب من وادي بهت، وهو غاضب غضبا شديدا، في رابع ربيع الأول من عام 1118. وكان السلطان قد اصطحب معه العلماء والوزراء والحشم، إذ كان في حاجة إلى استشارة للنظر في تلك النازلة. وبالرغم من اتفاق المؤرخين على أن السلطان سأل الفقهاء عن حكم الله في ابنه الثائر، فإن لصيغة القادري دلالة لها ما بعدها، حيث قال : "فأجابه من كان يبغض مولاي مَحمد من المتطلبة المتعصبين بقطع يده ورجله من خلاف، وتلا قوله تعالى : "إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله... الآية" (*النشر*، 3 : 168).

يظهر أن القادري قد استاء للعقوبة التي أنزلها السلطان بمحمد العالم، لأن من أفتوا - في نظره - بإقامة الحد لم يفعلوا ذلك عن علم، ولكنهم فعلوه بدافع البغض والحنق على صاحب الترجمة.

وأيا ما كان الأمر، فقد أمر السلطان بأن تقطع يد الأمير الثائر ورجله من خلاف بموضع يدعى عقبة بهت، ومنع الأطباء من مداواته. فحمل إلى مكناس حيث لفظ أنفاسه الأخيرة ليلة الأحد خامس عشر الشهر المذكور، 15 ربيع الأول عام 1118 / 18 يوليوز 1704 (*زهر الأكمام*، ص. 179). ودفن بضريح سيدي عمرو الحصيني، خارج القبة عن يسار الخارج منها، وكان قد أوصى أن يدفن بمقبرة عامة المسلمين، وأن لا يبنى عليه. وتولى الصلاة عليه، بوصية منه كذلك، القاضي أبو حامد العربي بردلة (*الإتحاف*، 4 : 82).

وللإشارة فقط، فإن بعض الدراسات الأجنبية تذكر أن المولى إسماعيل تردد في تنفيذ حكم "المحارب" في حق ابنه، فاستشار العلماء ملوحا إلى توظيف "فقه الحيل"، ومستفتيا هكذا : ألا يكفي قطع أصبع من يده وآخر من رجله للاستعاضة بذلك عن قطع اليد والرجل ؟ لكن على الرغم من موافقة العلماء الذين استشيروا في النازلة، فقد أمر بقطع يد ابنه ورجله، تحت تأثير زوجته زيدانة (De La Veronne, p. 20 - 21).

كما تذكر دي لافيرون، استنادا إلى رواية خوصي دي ليون، أن محاولات العلاج كادت تعطي بعض الأكل لولا إقدام زيدانة على تسميم الأمير المحتضر. فتوفي بأثر ذلك، بعد أن طلب أن يكتب على قبره "ابن يتيم الأبوين". ومن خلال *الإتحاف* يتبين أنه لم يعد ينفع مع القطع علاج "لأنه اعتراه إسهال كبدي لانصراف مادة الأعضاء المقطوعة إليه" (م. س. ن.).

وتتفق المصادر العربية والأجنبية على أن المولى إسماعيل ندم على ما فعل بابنه العالم، وأمر ببذل بعض المحاولات لإنقاذه لكن بعد فوات الأوان. ويشير ابن زيدان إلى أن السلطان اغتم لذلك غما شديدا. (*زهر الأكمام*، ص. 179 الهامش 452 وابن زيدان، *الإتحاف*، 4 : 65).

وقد خلف مَحمد العالم بعض الآثار العلمية، منها حاشية على تسهيل ابن مالك، وكثيرا من المقطعات الشعرية والأبيات و المساجلات التي كان يناظر بها مقربيه وأصدقاءه الشعراء. منها ما قاله مرحبا بصديقه الحميم عبد الله بن محمد العلوي الشنگيطي المعروف بابن رازگه، حين قدم على والده بمكناس. ومنها قوله مخاطبا شيخه الكماد أيام خلافته بسوس. وهذه الأخيرة مقطعة من خمسة وعشرين بيتا أثبتها ابن زيدان في إتحافه (4 : 78).

وله بعض الرسائل الإخوانية والإدارية تشف عن ثقافة عالية، ليس على الصعيد الأدبي فحسب حيث جاءت مسجوعة سجعا قويا لا تكلف فيه ولا تحل ينبيء بتضلع صاحبها في سائر أنواع البلاغة، ولكن لأنها تتضمن شواهد متنوعة من القرآن والحديث وكلام العرب والأمثال وغير ذلك.

الشنگيطي ابن رازگه، *الديوان* : الريفي، *زهر الأكمام*، تح. آ. بنعدادة : الدرعي، *الدرر المرصعة* : القادري، نشر ؛ الضعيف، *تاريخ* ؛ الزياني، *الترجمان* ؛ الناصري، *الاستقصا* ؛ المشرفي، *الحلل* ؛ ابن زيدان، *إتحاف* ؛ ابن إبراهيم، *الإعلام* ؛ السوسي، *المعسول*.

Ch De La Veronne, J. de Léon, T. Pellow, *Relation*.

أحمد عمالك

العالية بنت الشيخ محمد الطيب بن كيران، كان والدها من علماء فاس المشهورين، وكان يعقد مجالس علمية يحضر فيه النساء للتفقه في الدين. كانت لها مشاركة في مختلف العلوم، مع تبريز في علم المنطق الذي اختصت في تدريسه في جامع الأندلس بفاس، وكانت تلقي دروسها من وراء حجاب للرجال وقت الظهر. أما النساء فكن يحضرن دروسها بعد العصر.

ع. العزيز بن عبد الله، *مظاهر الحضارة المغربية*، 2 : 19 ؛ ع. الهادي التازي، *المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي*.

محمد المغراوي

عامر، فرقة من فرق قبيلة بني احسن، وهم من ذرية عامر بن زغبة الهلالي، والواحد منهم يدعى العَمْري على غير قياس حتى لا يلتبس بفرقة العامر من قبيلة عبدة إقليم آسفي، ولا بقبيلة بني عامر من إقليم السراغنة ولا حتى ببني عمرو وهم العمراويون القاطنون اليوم بنواحي تيفلت من إقليم الخميسات.

يمتد المجال الجغرافي لعامر من الضفة اليسرى لنهر بهت قرب المگرن إلى مشارف مدينة سلا مروراً بالقنيطرة ومهدية عبر الشريط الشاطئي على المحيط الأطلسي، ويحدون شرقاً بأولاد نعيم والصفافعة شمالا، وبغابة المعمورة وفرقة السهول جنوباً وشرقاً.

وينقسمون قسمين وحتى ثلاثة : عامر السفلى من المقرن إلى القنيطرة، وعامر الوسطى : مهدية وأحوازُها وما جاورها، وعامر الحوزية الواقعة بشمال المدينة السلاوية، وأهم مركز للعمريين الحوزيين هو بوقنادل البعيد عن سلا شمالا باثني عشر كيلو متراً.

في أوائل عهد الحماية أحصيت خيام عامر كلها بقياداتها الأربع فكانت 2434 وحدة : عامر التحتية 643، وأولاد سْلاَمة 481، وعامر الوسطى 494، وعامر الحوزية 816، فهم أغزر سكاناً من جميع فرق القبيلة الحسناوية وأكثرهم بطوناً وأفخاذاً، فلا حاجة للكلام عن جميعها لطولها وتعددها.

وقد جعل التقسيم الإداري والجماعي لسنة 1992 فرق عامر ست جماعات قروية وأربع بلديات ومركزاً مستقلاً واحداً : عامر السفلى وأولاد سلامة والمگرن وسيدي الطيبي

والحدّادة ومركز مهدية وبلدية معمورة وبلدية أولاد وجيه وبلدية الساكنية، والكل بإقليم القنيطرة. أما عمالة سلا الجديدة فاشتملت على العمريين من بلدية العيايدة والجماعة القروية لبوقنادل.

ومنذ القرن الثامن عشر كان يتولى شؤون فرقة عامر قواد كثيرون من مدنيين وعسكريين، منهم من كانت إيالاتهم واسعة، ومنهم من كانوا عبارة عن أشياخ كبار. ولما انتصبت الحماية الفرنسية لم تترك إدارتُها سوى أربع قيادات.

التقي العلوي، *الهلاليون بالمغرب الأدنى والأقصى*، مجلة البحث العلمي، العدد 35 : ص. 423 ؛ م. بوشعراء، التعريف، 2 صفحات مختلفة ؛ علاقة المخزن. 88 . 98 . 99 . 150 إلى 174 . 196 إلى 198 ؛ *تاريخ الضعيف*، 183 . 258 . 270 . 317 ؛ م. بوشعراء، الأصول الاجتماعية لأهل سلا، مخطوط ؛ *الوثائق الملكية*، *الوثائق البنسعيدية*، *الوثائق الصبيحية*.

V.T.M. Rabat, t. II et III passim ; *Répertoire des tribus*. 1955, 19 - 21 - 29.

مصطفى بوشعراء

عَامرٌ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعد أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Amir.

ابن **عَامر**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Benamir، ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Abenamir.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 249.

عامر، الحاج محمد من أعيان تطوان وتجارها الذين بايعوا الأمير مولاي سعيد بن مولاي اليزيد سلطانا بتطوان يوم 12 جمادى الثانية 1236 (17 مارس 1821).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1136.

محمد ابن عزوز حكيم

عامر، عبد السلام ولد بمدينة القصر الكبير حوالي عام 1942، وبها تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي إلى غاية السنة الخامسة، ثم توقف عن متابعة الدراسة.

ظهرت بوادر تعلق الفتى الضرير بالموسيقى والغناء وهو تلميذ في المدرسة الابتدائية، وذلك من خلال ما حفظه من أناشيد على يد معلميها أو في فسحات الترويح بالمخيمات الصيفية. ومن أجل إشباع ميله الفطري نحو الموسيقى فقد أقبل بكثير من الحرص على الاستماع إلى روائع المؤلفات الموسيقية العربية، فلم تمض إلا سنوات قليلة حتى كانت ذاكرته تختزن الكثير من ألحان كبار الملحنين المشارقة سواء منهم القدماء كسيد درويش، وسلامة حجازي، وصالح عبد الحي، وكامل الخلعي، أو المحدثون أمثال رياض السنباطي، ومحمد عبد الوهاب، وفريد الأطرش. وبفضل ما استوعبته ذاكرته من أدوار هؤلاء وموشحاتهم وقصائدهم، فقد نمت ملكته الفنية، كما نمت فيه القدرة على ابتكار الألحان الموسيقية.

ولأنه أحس في نفسه الاستعداد لولوج عالم التلحين فقد شد الرحلة نحو العاصمة، وراح يطرق باب الإذاعة الوطنية حاملا معه مشروع أغنية تتردد أصداء ألحانها في صدره. وبعد محاولات متكررة وفق - بمساعدة الشاعر الغنائي عبد الرفيع جواهري - إلى المثول أمام بعض الفنانين الموسيقيين كان فيهم الملحن عبد الوهاب الدكالي، والعازف عمرو الطنطاوي، والمغني اسماعيل أحمد، فاستمع إليه هؤلاء وهو يغني بعض ألحانه، ولم يخفوا إعجابهم بما سمعوا.

ولما كانت سنة 1961 استشعر عامر الحاجة إلى النهل من المعرفة الموسيقية من أجل تقوية مؤهلاته الفطرية، فالتحق بمعهد الرباط للموسيقى حيث كان يحضر - اختياريا - حصص النظريات الموسيقية، وخاصة منها ما ألم بالمقامات والإيقاعات العربية، فيما لوحظ أنه لم يكلف نفسه عناء الإقبال على تعلم العزف على أية آلة موسيقية.

قدّم عبد السلام عامر أول إنتاج موسيقي له عام 1959. وقد تمثل ذلك في أغنيتي "مابان خيال حبيبي" و"قالت لي روح"، وهما معا من كلماته وألحانه وأدائه.

وقد سجلت سنة 1961 تاريخا حاسما في حياته الفنية عندما بدأ تعامله مع مشهوري المغنين بالمغرب، وكانت انطلاقته الأولى في هذا السياق مع المطرب عبد الوهاب الدكالي الذي غنى له من كلمات الشاعر محمد الخمار الكنوني أغنيتي "آخر آه" و"حبيبتي". وسوف تتوالى ألحان عبد السلام عامر بعد ذلك لتكشف عن موهبة فذة وملكة خصبة وعطاء متميز بالتدفق، وهكذا فعلى امتداد ما يقارب

عقدين من الزمن تهيأ لهذا الفنان أن يبدع زهاء ستين عملاً فنياً ما بين قصيدة وأغنية ومعزوفة، وهو رصيد فني شكل في مجمله مرحلة متميزة في مسار الأغنية المغربية خلال العقدين السادس والسابع من هذا القرن.

تعامل عبد السلام عامر ـ كملحن ـ مع الشعر العربي الفصيح في جل أغانيه، كما تعامل مع الزجل المغربي. وقد نهج في التلحين نهجا وسطا بين الاتجاه التقليدي الذي كان يتزعمه أحمد البيضاوي، وبين الاتجاه التحديثي الذي يعتمد الدراسة العلمية كوسيلة ضرورية لصقل الموهبة الموسيقية والذي كان يتزعمه الفنان عبد الوهاب أكومي.

وفي وسعنا الوقوف على ملامح هذا التوسط من خلال موقفه من تعلم العزف واستخدام الآلات في التلحين، وكذا من خلال أسلوبه في تلحين أعماله الموسيقية : فقد عرف عنه ـ من جهة ـ أنه لم يتعلم العزف على أية آلة موسيقية ؛ ومن ثم فهو لم يستخدم الآلات في التلحين إلا في أواخر حياته. وعلى النقيض من ذلك فقد كان يتخذ من صوته أداته الأساسية في تلحين الأغاني. وقد برر ذات يوم عزوفه عن استخدام الآلات فذكر أن المعرفة التقنية للآلة تتحكم في نوعية اللحن الذي يبتكره الملحن، كما تحد من طبيعته الفطرية وتصبغه بسمات تقنية تحول دون حرية التعبير الوجداني.

ومن جهة أخرى فقد عرف عنه ـ أيضاً ـ أنه كان من الملحنين المغاربة السباقين إلى تدوين أغانيه بالنوتة. كما كان سباقا إلى ابتكار أسلوب جديد في صياغة ألحانه تميز بالتجديد والتدفق، بعيداً عن المماثلة والمحاكاة.

وقد وجه عبد السلام عامر عنايته إلى تلحين القصيدة المطولة مجدداً بذلك صنيع أحمد البيضاوي وعبد الوهاب أكومي، وهو في تعامله مع هذا اللون الشعري أبان عن مهارة فنية خارقة، واستطاع أن يكسر رتابة الأداء باعتماد أسلوب التحاور الصوتي والآلي، وتوظيف الغناء الإلقائي، واستخدام المؤثرات الصوتية الطبيعية من قبيل صخب الموج وخرير الجدول ورجع الصدى، إضافة إلى امتداد النفس في المقدمات الموسيقية وفي الجمل اللحنية التي تتخلل المقاطع، ناهيك عن حسن تعامله مع المقامات الشرقية وتفننه في الانتقال بينها على نحو يكشف عن معرفة دقيقة بطبيعة سلالمها.

تعامل عبد السلام عامر مع نخبة من كتاب الأغنية كان في مقدمتهم عبد الرفيع جواهري ومحمد الخمار الكنوني، ومصطفى عبد الرحمن، وحسن المفتي، وتتوزع نتاجه الفني موضوعات دينية ووطنية وعاطفية :

فمن أغانيه الدينية : تحية رمضان ـ سبحان الإله، ومن أغانيه الوطنية : العيد الأعظم، تحية المجد ـ عاش البطل الحسن ـ مواكب النصر ـ شعلة الوحدة ـ وطني يا طلعة الأسود ـ غنت لك الأوطان. ومن أغانيه العاطفية : القمر الأحمر ـ الشاطئ ـ راحلة ـ الحب الأول ـ آخر آه ـ حبيبتي. أما المغنون الذين لحن لهم فهم كثر، ومنهم : عبد الهادي بلخياط، وعبد الوهاب الدكالي، ومحمد الحياني، وعبد الحي الصقلي، كما غنى له بعض أغانيه إسماعيل أحمد، وعبد المنعم الجامعي، ورداد الوكيلي، والمطربة المصرية سعاد محمد، وقد غنت له آخر ملحمة العرش وهي آخر ما أنتجه عبد السلام عامر.

كان عامر فنانا متميزاً بتدفق ألحانه، وكان إلى ذلك على حظ من الثقافة والشجاعة الأدبية والجرأة في القول أهله للمشاركة في عدة مناظرات وندوات إذاعية وتلفزية.

وقد توفي يوم الإثنين 17 جمادى الثانية 1399 موافق 14 ماي 1979.

م. بنريسول، جريدة الاتحاد الاشتراكي، 5 يناير 1997 ؛ ع. الله رمضون، *جريدة الاتحاد الاشتراكي*، 16 ماي 1999 ؛ ق. النبالي، *جريدة الميثاق*، 14 ماي 1987 ؛ ع. الإله قانية، *جريدة الاتحاد الاشتراكي*، 13 غشت 1998 ؛ ص. الشرقي، *جل تر المعاني*، ص. 194 و198 و204.

عبد العزيز بن عبد الجليل

أبو **عامر، عبد الله** بن السلطان أبي **العباس** أحمد بن السلطان أبي سالم إبراهيم بن السلطان أبي الحسن علي بن السلطان أبي سعيد عثمان بن السلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني. لقب بلقب المستنصر بالله وبويع بعد أخيه أبي فارس عبد العزيز يوم السبت الثامن لصفر عام 799 / 1397. كان التصرف والنقض والإبرام في مدة حكم أبي عامر كلها للوزراء مثل صالح بن حمو ويحيى بن علال وحاجبيه أبي العباس أحمد بن علي القبائلي وفارح بن مهدي العلج. بقيت دولة أبي عامر على هذا الحال من استبداد رجالاته مدة سنة وخمسة أشهر إلى أن توفي بعد صلاة العصر يوم الثلاثاء الموافق لثلاثين من جمادى الأخرى عام 800 الموافق 19 مارس 1398 وله من العمر عشرون سنة.

ابن الاحمر، روضة النسرين ؛ ابن خلدون، *التعريف بابن خلدون* (ضمن *العبر*، ج. 7) ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس* ؛ الناصري، *الاستقصا*، ج 4 ؛ محمد المنوني، *ورقات*، الرباط، 1979، ص. 184 ـ 186.

أبو **عامر، عبد الله** بن السلطان أبي **يعقوب** يوسف المريني. كان من أقرب الأبناء إلى والده وأكثرهم معزة عنده ولذلك قدمه على بقية إخوته وبايعه بولاية العهد ثم عينه نائبا عنه بحاضرة مراكش. وقد كان لهذا التعيين انعكاسات سلبية على علاقة الأمير بوالده السلطان وأصبح بعيدا عن أعينه ومراقبته الشيء الذي دفع ببعض مساعديه خاصة عامل مراكش محمد بن عطو الجاناتي إلى مداخلة الأمير في الانفراد بحكم المنطقة الجنوبية وزين له الثورة على والده. وبعدما علم السلطان بثورة ولده في آخر شوال من سنة 687 / نوفمبر 1288 تحرك إلى مراكش بجيوشه التي اصطدمت بجيوشه الثائرين بظاهر المدينة وأسفر اللقاء عن

انهزام الأمير وصاحبه ولجوئهما إلى مراكش والتحصن داخلها. وتحت ضغط حصار السلطان انقض أبو عامر على بيت المال واستصفى أمواله ثم قتل المشرف على المدينة ابن أبي البركات وفرا بعد ذلك إلى جبال المصامدة ومنها إلى تلمسان في رجب من سنة 688 / 1289 حيث دخلا في حماية صاحبها أبي سعيد عثمان بن يغمراسن. غير أن السلطان يوسف لم يعد قادرا على فراق ابنه ولجوئه إلى عدوه، فتدارك الأمر وبعث إلى صاحب تلمسان في شأن ولده وأخبره بعفوه عنه وطلب منه أن يسلمه إليه مع صاحبه ابن عطو. وأمام رفض أبي سعيد لهذا الطلب ثارت حفيظة السلطان المريني واشتد غضبه قرر الدخول في حرب طويلة مع بني زيان وشن حملات عسكرية على تلمسان ومحاصرتها فترات متتالية امتدت من سنة 689 / 1290 إلى نهاية دولته سنة 706 / 1307 عندما قتل أثناء حصاره لها. بعد عودة الأمير إلى فاس قرر السلطان معاقبته وذلك بإبعاده إلى الأندلس وعقد له على ثغورها الخاضعة لبني مرين وعهد له بالنظر في مصالحها والتصدي للهجومات المسيحية التي ما فتئت تتزايد خطورتها على المواقع الإسلامية منذ احتلال سانشو الرابع ملك قشتالة لمدينة طريف سنة 691 / 1292.

وفي سنة 694 / 1295 استقدم يوسف ابنه من الأندلس وأوعز إليه بالعمل على إقرار الأمن ببلاد الريف والوقوف على أحوالها لانشغاله بحصار تلمسان وحروبه المتكررة مع بني زيان وهو الأمر الذي جعل السلطان يتخلى عن بعض سلطاته في تسيير شؤون جهات أخرى من مملكته لصالح أبنائه. وحتى يتفرغ كليا لحربه مع غريمه الزياني عفى يوسف عن معارضيه من أولاد الأمير أبي يحيى بن عبد الحق الذين كانوا لاجئين بتلمسان وأشار عليهم بالقدوم إلى فاس. فبلغ الخبر أبا عامر وهو حينئذ بمعسكره من بلاد الريف فبادر إلى التعرض لهم واغتيالهم بمكان يعرف بوادي القطف بجهات بلاد ملوية سنة 695 / 1296 ظنا منه أنه بذلك يقدم خدمة ومعروفا لوالده. وعندما انتهى خبر مقتل هؤلاء الأمراء إلى السلطان يوسف تبرأ من فعلة ابنه ونفد صبره وأصر هذه المرة على معاقبته عقابا شديدا. فما كان من أبي عامر إلا الفرار من بطش السلطان إلى جبال غمارة طريدا وتبعه عسكر والده بقيادة ميمون بن ودران الحشمي وزيكن بن المولاة تاميمونت. ودارت معارك كثيرة بين الجانبين حوالي ثلاث سنوات انتهت بمقتل الأمير أبي عامر ببلد بني سعيد من جبال غمارة سنة . ثم نقل جثمانه إلى فاس ليدفن1299 / 698 بالزاوية التي بداخل باب الفتوح وذلك في شهر ذي الحجة من نفس السنة.

خلف أبو عامر ثلاثة من الأولاد كفلهم السلطان يوسف فملك اثنان منهم بعد وفاة جدهم وهما أبو ثابت عام بين 706/ 1307 و708 / 1309 وأخوه أبو الربيع سليمان بين 708 و710 / 1311.

ابن أبي زرع الفاسي، *القرطاس*، ص. 378 ـ 379 ، 382 ؛ يحيى ابن خلدون، *بغية الرواد*، الجزائر، 1903، ج. 1، ص. 118 ـ 119 ؛ ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1978، ج 7 ، ص. 441 ، 442. 448 ، 449 ، 452 ، 453 ؛ التنسي، *نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان*، تح. محمود بوعياد، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 1985، ص. 130 ، 131 ؛ الناصري، *الاستقصا*، ط. 1954، ج. 3، ص. 67 ، 69 ، 74 ، 75.

M. Kably, *Société, pouvoir et religion...*, p. 102, 172, 246.

ابن **عامر، محمد** الأنصاري، من علماء مدينة سبتة وأحد أئمتها في اللغة العربية والأصول وغيرها من الفنون الأدبية والعلوم الشرعية. تصدى للتدريس بالمدرسة الجديدة التي أنشأها السلطان أبو الحسن المريني بمدينة سبتة، وللخطبة أيضا بجامع الربض السفلي. تتلمذ على يديه وانتفع بعلمه عدد كبير من علماء سبتة وطلبتها، فبلغت شهرته ـ كعالم وبارع في الخط ـ آفاق المغرب الأقصى وكسب حظوة كبيرة عند السلطان أبي عنان المريني فقربه وجعله من بين جلسائه. في أواخر أيامه رحل ابن عامر إلى الحجاز وعند عودته توفي بالينبوع عام 765 / 1364.

مجهول، *بلغة الأمنية*.

رشيد السلامي

عامر بن **محمد** بن **سعيد القيسي** عالم من عرب إفريقية، كان من أهل الدين والورع والفقه، له رحلة علمية إلى المشرق سمع فيها الإمام مالك بن أنس وسفيان الثوري وروى عنهما كثيراً، ومع ذلك لم يذكره القاضي عياض في المدارك.

دخل الأندلس برسم المشاركة في الجهاد، ثم دخل إلى المغرب ضمن الوفد المكون من 500 فارس الذين وفدوا على الإمام إدريس الثاني من الإفريقيين والأندلسيين سنة 189، فسر الإمام إدريس بوفادتهم، وأجزل صلاتهم ورفع منازلهم، وقام بتعيين الفقيه عامر بن محمد القيسي قاضياً بفاس، لعلمه وفضله، وهو أول قاض بفاس ذكرت المصادر اسمه. وقد أدخل *موطأ* الإمام مالك إلى المغرب، وسمع منه الإمام إدريس وفقهاء فاس.

السنوسي، *الدرر السنية في السلالة الإدريسية*، بيروت، دار القلم ؛ الجيدي، *محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي*، الرباط، دار عكاظ ؛ م. الكتاني، *الأزهار العاطرة الأنفاس*، ط. حجرية ؛ ابن أبي زرع، *الأنيس المطرب بروض القرطاس*، الرباط، دار المنصور ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، طبعة وزارة الثقافة والاتصال، 2001، ج 2.

محمد المغراوي

ابن **العامْري**، أسرة حسناوية تنتمي إلى فخذة أولاد العامري من بطن أولاد بوجْنُون فرقة أولاد يحيى قبيلة بني حسن، قرب مدينة سيدي سليمان من إقليم القنيطرة. وقد اشتهرت بتولي مقاليد السلطة في القرن الثالث عشر الهجري. وتنسب إلى أحد أفرادها قرية دار بَلْعَامْري التي

هي اسم قيادة وجماعة قروية هناك. وسأتناول الكلام على الولاة منهم :

ابن **العامري، إدريس** بن حمّاني هو آخر الولاة من هاته الأسرة، عين بعد أن كان أفرادها قد أُبعدوا عن مقاليد السلطة نحواً من ستة عقود. كان إدريس قائداً سنة 1327 / 1909، لكنه لم يدم في منصبه إلا قليلاً قبيل انتصاب الحماية.

م. بوشعراء، *علاقة المخزن*، 140.

ابن **العامري**، (إدريس بن الغازي بن العامري -) قائد من قواد مولاي سليمان الذي كان متزوجاً بأخته التي طلقها بعد ذلك وكان يحظى بثقة السلطان حتى قبل إنه ولاه على قبيلة زعير، البعيدة عن تراب أولاد يحيى ولم أقف لهذا على صحة.

توفي مغتالاً سنة 1214 / 1799.

تاريخ الضعيف، 287، 307، 317 ؛ م. بوشعراء، *علاقة المخزن*، 89.

ابن **العامري**، (العامري بن إدريس بن الغازي -) لم أقف على تاريخ بدء ولايته قبل سنة 1261 / 1845 على أولاد يحيى إخوانه وكذا على الصفافعة وأولاد نعيم وأولاد مَحمد ومختار وعامر أي قبيلة بني أحسن في مجملها، ولعل ذلك كان قبل ذلك بقليل.

كان من كبار القواد الحسناويين، ولعله هو الذي زوج بنتيه لولدي السلطان مولاي عبد الرحمان. لكن المصادر تذكر أنه طغى وتجبر وشق عصا الطاعة وتعصب مع زمور وأكل أموال الناس، فقام عليه إخوانه اليحياويون مثل أولاد احْميد، كما قام عليه الصفافعة واسترحموا بالأضرحة بسلا ومراكش فارين من بطشه.

وقد عزل سنة 1262 / 1846 وغضب عليه السلطان فرحل لسكنى مدينة فاس، ولكن نفوذه المعنوي كان شديداً حتى تشكى قائد الصفافعة الميلودي بن الجيلالي (الذي هو جد أولاد بْريك السلاويين الآن) بتدخله في شؤون القبيلة وبأنه أطلق اليد في إخوانه وأكل اللحم وامتص العظم، وخصوصاً النصف الموالي لتلك الناحية مثل الطيسان والنعاعسة ومثل مختار. وكان يهرب من ناحية إلى ناحية مثل زمور كلما شعر أن المخزن يترصده.

لم أقف على تاريخ وفاته، لكن ورثته عزموا على المخارجة فيما بينهم فيما ترك من الأصول التي كان يملكها بفاس وغيرها سنة 1292 / 1875، مما يعني أنه كان قد مات قبل ذلك بزمن طويل.

ابن زيدان، *الإتحاف*، 5 : 79، 80 ؛ م. بوشعراء، *علاقة المخزن*، 93، 96.

ابن **العامري** (الغازي بن العامري بن إدريس -) كان سنة 1280 / 1863 قائداً على إخوانه من أولاد يحيى مثل أولا بوجْنون وأولاد احْميد وأولاد بنحمّادي، ومكث كذلك مدة لا نعرف مداها لكن نعرف شيئاً آخر عنه هو أن أملاكه قد صودرت، فطلب أحد أولاده سنة 1295 / 1878 استرجاع داره التي له بمكناس، لأنهم أصبحوا ذوي فاقة، فرهنوا نصف تلك الدار. وهذا يفيد أن الغازي مات قبل هذا التاريخ. وفي سنة 1302 / 1885 لم يبق من أولاد ابن العامري سوى سبع خيام.

م. بوشعراء، *علاقة المخزن*، 102.

ابن **العامري** (محمد بن العامري بن الغازي بن العامري -) عين سنة 1228 / 1813 قائداً على طرف من بني أحسن، كما أسندت إليه الولاية على مدينة سلا وأذن له السلطان بأن يسكن بدار عمه إدريس بن الغازي. إلا أنه قبض عليه في السنة الموالية مدة شهر إلى أن يؤدي الذعيرة التي فرضت عليه.

وقد تقلب في مناصب سامية فعين عاملاً على وجدة قبل احتلال الفرنسيين للجزائر، فطالبت حكومة فرنسا بعزله سنة 1248 / 1832 لتضايق حكامها منه. وقد ساهمت أسرة ابن العامري في الدفاع عن حوزة الوطن سواء قبل وقعة إيسلي سنة 1844 أو بعدها. وأغلب الظن أنه توفي بعد السنة الأخيرة.

تاريخ الضعيف، 379، 381، 384، 385 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 8 : 159 ؛ ابن زيدان، *الإتحاف*، 5 : 228 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 106، 224 ؛ م. بوشعراء، *علاقة المخزن*، 90، 91.

ابن **العامري** (الحاج محمد بن العامري بن إدريس بن العامري -) ورد ذكره عاملاً على طرف من بني أحسن سنة 1274 / 1858، ولكنه لم يمكث في الولاية إلا بضع سنوات فعزل عنها. وكان سنة 1981 / 1865 مديناً لبيت المال بمبلغ كبير سجن من أجله بمدينتي سلا ومراكش. ولما دفع بعد سنتين ما كان مطالباً به أفرج عنه.

كانت له أملاك عقارية بسلا ونواحيها، منها داره التي كانت له بدرب الشماخ قرب جامع الشهباء مع عرصة مقابلة لها، وأملاك أخرى بفاس وأحوازها. وقد ظهر أن المسؤولين سطوا على بعضها الموجود بسلا خاصة، ثم اشترى الحاج الطيب عواد وجغالف من بنته كنزة حظها.

م. بوشعراء، *علاقة المخزن*، 100، 101.

مصطفى بوشعراء

العامري، محمد بن الحاج منصور العامري التلمساني المراكشي النشأة والتازي الدار، درس بفاس وتخرج فقيها مع مشاركة في الأدب. وشغل كاتبا للشيخ أبي عبد الله محمد بن علي التوزاني، وفي سنة 1152 قام

بأداء فريضة الحج وزيارة القدس الشريف ودون رحلته في منظومة على بحر الخفيف على روي الهمزة في وصف المراحل من فاس إلى الحجاز معرجا فيها على الشام فاشتملت على خمسة وثلاثين وثلاثمائة بيت. استهلها بالاستعداد إلى الحج وما ينبغي حمله من الأواني والزاد والملابس والآلات ثم انتقل إلى وصف المسالك ومزاراتها ومعالمها الأثرية وما يعتريها من مخاوف وصعوبات. وهذه المنظومة متوسطة الجودة ومطلعها :

ازمع السير أن دهت أدواء لشفيع الأنام فهو الدواء

وعندما عرج على الشام قال :

وإذا أردت مثيا إلى الشام ففيها أئمة أنبياء
وهناك صخرة القدس في المسجد الأقصى حازتها البقاء
ومزارات عندها مثل داود النبي ومريم العذراء
أهلها من أجل أناس كرام بهم يتأنس الغرباء

وتم الفراغ من نظمها سنة 1162 حيث يقول :

وبتاريخ نظمها بشفيع وعديد أبياتها جلساء

وتوجد منها نسخة بالخزانة السودية ضمن مجموع وأخرى بالصبيحية بسلا تحت عدد 3902 وأخرى بالخزانة العامة بالرباط تحت عدد 3490 خ. ع. د، وقد أدرجها الباحث محمد المنوني في كتابه ركب الحاج المغربي المطبوع بتطوان سنة 1953. ولعل العامري عاوده الحنين إلى المشرق فأدركه الأجل هناك سنة 1170.

م. المنوني، *ركب الحاج المغربي* من ص. 88 إلى 104 ؛ ع. السلام بنسودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، 2 : 4 ؛ إ. الكتاني، *دعوة الحق* عدد غشت 1981 *بحث حول القدس في رحلات الغابرة* ؛ م. ماگامان، *الرحلات المغربية في القرنين 11 و 12 للهجرة*، مرقونة.

محمد ماگامان

العامل، هو الذي يتولى أمور الرجل في ماله وملكه وعمله. ومنه قيل للذي يستخرج الزكاة عامل أو ساعي أو جاري فيها. قال الله عز وجل : "إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم" (*التوبة*، 60). ومن حديث الرسول (ص) : "ما تركت بعد نفقة عيالي ومؤنتي عاملي صدقة"، يعني أزواجه وخليفته. وعن ابن إسحاق أنه (ص) بعث أمراء وعماله على الصدقات إلى كل ما أوطأ الإسلام من البلدان، ولما كانت وظيفة أمير الناحية الكبرى هي جباية الأموال لفائدة بيت مال الدولة المركزي، فإنه كان يدعى أحيانا بالعامل، بدليل ما نقف عليه من الأمثلة في شرق الدولة الإسلامية وفي غربها. ففي الأندلس مثلا كان رؤساء النواحي عمالا في عهد الخلفاء الأمويين. وفي المغرب في العصر الموحدي كان العامل هو الساعي في الجبايات. ثم صار في الدول التالية هو القيم بجميع الأحكام السلطانية في الأقاليم والنواحي، وإن كان يدعى تارة بالوالي، وتارة أخرى بالقائد وبلقب الباشا منذ الدولة السعدية، دون تواتر في ذلك ولا انتظام، ووقوفا في الغالب على الدلالة اللغوية للفظ. فإن المكلف بالأحكام السلطانية في المدن الكبرى قبل الحماية كان يدعى عاملا في الغالب، بينما صار المكلفون بالوظائف المالية هم الأمناء بعد الترتيبات التي اتخذها السلطانان محمد بن عبد الرحمان وابنه وخلفه المولى حسن. فلقد جاء في ظهير حسني عن ترتيب الجبايات قوله : "وقدرنا للعامل والأمناء والأشياخ المكلفين أجورهم ..." ثم قال : "ولم نخرج العامل والأمناء والأشياخ من ربقة التكليف، بل سويناهم مع إخوانهم فيما يلزم القوي والضعيف". مما يستفاد منه أن العامل كان هو يد السلطان وعينه في الأقاليم، علما بأنه عادة ما كان يسمى قائدا في المجال القروي وباشا في المجال الحضري. وكان عدد القيادات قبل فترة الحماية يفوق ثلاثمائة.

أما بعد فرض الحماية، فإن السلطات الفرنسية جاءت بترتيبات وتقطيعات إدارية جديدة، فاحتفظت بلفظ الباشا في إدارة المدن الكبرى، وبلفظ القائد في إدارة البوادي، متخلية عن لفظ العامل، وإن احتفظت في العمق ببعض وظائفه، مسندة إياها لضباط فرنسيين من ذوي الرتب العليا، فكانوا من الجنرالات في الأقاليم العسكرية، ومن المراقبين المدنيين المتقدمين في الرتبة في الأقاليم المدنية. وكان المغرب مقسما إلى سبعة أقاليم، أربعة عسكرية، هي فاس ومكناس ومراكش وأگادير، وثلاثة مدنية هي الرباط والدار البيضاء ووجدة. ورؤساء هذه الأقاليم كانوا يمثلون المقيم العام في مختلف الجهات، يقومون مقامه في أقاليم شاسعة ويديرون شؤونها العامة على اختلاف تنوعها، ويشرفون على من تحتهم من القواد والباشوات وعلى الضباط ورجال الإدارة الفرنسيين المكلفين بمراقبتهم وبالتبليغ عنهم وتبليغهم الأوامر العليا. والملفت للنظر في رؤساء النواحي في عهد الحماية أنهم كانوا تحت إمرة المقيم العام الفرنسي، دون أن يكون للعاهل المغربي أي نفوذ عليهم، مع أنه احتفظ بسلطته على القواد والباشوات فهو الذي يعينهم بظهير.

ولما استرجعت البلاد استقلالها سنة 1956، فإنها بادرت إلى دمج الجديد في التقليد. فانقسمت الإدارة المحلية إلى عدة أقاليم، جعل على رأس كل واحد منها عامل، وذلك بمقتضى ظهير 7 شعبان 1375 / 3 مارس 1956، الذي جاء في فصله الثاني : "العمال هم القيمون بسلطتنا التنفيذية في الأقاليم وبناء على ذلك فهم المكلفون بتسيير أعمال القواد والباشوات، وبمراقبة إدارة الجماعات الإقليمية، وبربط الصلة عند الاقتضاء بين الإدارات الجهوية ومختلف الوزارات". وأثبت دستور 1962 ذلك بما ورد في الفصل 88 منه بأن العمال ينفذون "في العمالات والأقاليم مقررات مجالس العمالات والأقاليم وينسقون بالإضافة إلى ذلك نشاط الإدارات ويسهرون على تطبيق القانون". فتكاد وظائفهم في ناحيتهم تضاهي وظائف رئيس الحكومة في الرباط. وقد ذكرها بالتفصيل ظهير 25 صفر 1397 / 15 فبراير 1977،

المعدل بظهير 19 ربيع الثاني 1414 / 16 أكتوبر 1993. فالعامل أولا وقبل كل شيء ممثل الملك الذي هو أعلى سلطة في البلاد، فمنه يستمد نفوذه وإليه يرجع في القضايا الكبرى. ثم إنه مندوب الحكومة، والمكلف بتنفيذ القوانين والضوابط والأوامر الصادرة عنها في نطاق الحدود الترابية لعمالته، وله أن يتخذ من الإجراءات ما يراه مناسبا في حدود مهامه، فهو المكلف باستتباب الأمن في الإقليم فيستنفر الشرطة المحلية والقوات المساعدة والدرك والجيش النظامي عند الاقتضاء. ويشرف على أعمال من تحت إمرته من القواد والباشوات المسيرين للدوائر الحضرية والقروية التي ينقسم إليها الأقاليم. والعامل هو المسؤول عن تنفيذ مقررات المجالس المحلية المنتخبة على اختلاف تراتبها، وهو الرقيب على أعمالها بصفة عامة. كما أنه يشرف على أعمال مندوبي الوزارات المختلفة في الإقليم، وممثلي المؤسسات العمومية الكبرى. ويخبر الوزراء بما يجري من ذلك. والوزراء ملزمون أيضا بإطلاعه على ما يخططون من الأعمال الجهوية. وتيسيرا لهذه المراقبة، يقوم إلى جانب العامل لجنة تقنية إقليمية تتكون من الكاتب العام للعمالة ومن رؤساء الدوائر ومندوبي الوزرات والمؤسسات العمومية، تجتمع مرة في الشهر على الأقل، يستشيرها العامل في القضايا العالقة وفي الطوارئ. والعامل أخيرا هو المتصرف المالي في نطاق عمالته، فهو المكلف بصرف الأموال العمومية فيها وبتنفيذ مخططات التنمية. ولقد تكاثرت العمالات نظرا لتزايد السكان ولتشعب الوظائف والمهام المنوطة بالإدارة التي عليها أن تتدخل في الشاذة والفاذة على الصعيدين المركزي والجهوي. وكلما تشعبت الشؤون الإدارية إلا وازدادت الحاجة إلى التنسيق بين المسؤولين. ولهذا السبب أقدم المشرّع على إحداث وظيفة الوالي الذي هو عبارة عن عامل من درجة عليا يشرف على إدارة شؤون الجهات، التي هي أعلى مقاطعة إدارية، فيشرف الوالي فيها على مجموعة من العمالات بحسب مستلزمات التقطيع وكثافة السكان. وعدد الولايات سنة 1424 / 2003 سبع عشرة ولاية، بينما عدد العمالات واحد وسبعون بعد أن كان في فجر الاستقلال اثنتى عشرة عمالة.

ع. الرحمن ابن زيدان، *العز والصولة في معالم نظام الدولة*، المطبعة الملكية، الرباط، 1382 / 1962 ؛ نعيمة التوزاني، *الأمناء بالمغرب في عهد السلطان مولاي الحسن*، مطبعة فضالة، 1979 ؛ م. المعزوزي، *البداية في القيادة والولاية*، الدار البيضاء، 1401 / 1981.

Frédéric Brémard, *L'organisation régionale du Maroc*. Paris, 1949 ; D. Basri, *L'agent d'autorité*, Imprimerie Royale, Rabat, 1975.

إبراهيم بوطالب

العايدي السجيري، الحسن بن عبد الله شيخ صالح، ينتمي إلى قبيلة سجير بالغرب. يرجع نسبه إلى علي بن أبي طالب، وهو من أقارب أبي زيد عبد الرحمان العايدي الذي حشه محمد بن أبي بكر الدلائي على نصرة المجاهد محمد العياشي. توفي المترجم ليلة الأحد 18 محرم 1131 / دجنبر 1718 بمدينة سلا ودفن بحومة السويقة. فرغ من بناء قبة على قبره في رجب 1132 / 1719، وقد تم ترميم ضريحه عام 1403 / 1983 على يد سعيد بن الصغير بن محمد بن اليزيد العايدي. وبباب الضريح رخامة تضمنت نسب المترجم.

أ. بن عاشر الحافي، *تقايد الروض*، مخ. خ. ص. بسلا، رقم 428 ؛ ع. القادر أملاق، *الخبر عن ظهور العياشي، "الحركة العياشية"*، لعبد اللطيف الشاذلي، ط. 1982.

محمد السعدبن

عائشة بنت **الشيخ** المحتسب محمد بن الجيار. من طبيبات مدينة سبتة. أخذت علوم الطب على صهرها الطبيب الشهير محمد الشريشي المعروف عند العامة بحكيم الرعاء المتوفى سنة 771 / 1369. أدركت الطبيبة عائشة شهرة واسعة سواء في مدينتها أو في باقي مدن المغرب الأقصى حتى أن الأمراء من بني مرين وكبار القوم كانوا يتصلون بها ويتقربون منها بالهدايا والتحف لأجل ما عرفوه عنها من نبوغ ودراية في الطب علما وممارسة وكذلك في صناعة العقاقير. ويفهم من كلام صاحب *بلغة الأمنية* أن هذه الطبيبة التي أدركها وقد بلغت من العمر نحوا من السبعين سنة اشتهرت أيضا عند أهل سبتة بوقفها لعقاراتها وأملاكها على أعمال البر والخير. يرجح أن هذه الطبيبة توفيت في النصف الأول من القرن التاسع الهجري (15 م).

مجهول، *بغية الأمنية*، ص. 55 ـ 56.

رشيد السلامي

ابن **عائشة، عبد الرحمان** أخو عبد الله ابن عائشة أمير البحر الشهير، ورفيقه في حملاته الجهادية خلفا للرايس فنيش. وقد برز في ذلك منذ سنة 1106 / 1694، قائداً لسفينة في ملكية مولاي إسماعيل مجهزة بثمانية عشر مدفعا وطاقما مؤلفا من مائة وثلاثين رجلا. وفي نهاية يوليو ساهم مع أخيه في اختراق الحصار المضروب من قبل السفن البرتغالية على الشاطئ المغربي بولوج أحدهما إلى المعمورة والآخر إلى سلا.

وفي الخريف الموالي استأنف نشاطه، حيث حقق بالتعاون مع أخيه في دجنبر غنيمتين، أولاهما إنجليزية من حمولة مائة طنة قرب مساديرة تمكنت الخافرات الإنجليزية من استعادتها، والثانية فرنسية أسرت بين جزر الأصور ومساديرة وهي في طريق العودة من المارتينيك، من حمولة مائتي طنة تدعى *الخطاف* (L'hirondelle) تحت قيادة القبطان ماتيوه كروا (M. Crois)، مجهزة بأربعة مدافع وبطاقم مكون من واحد وعشرين رجلا، قدرت قيمتها بثمانين ألف ليرة، وقدرت فديات طاقمها باثني عشر ألف قرش. كما شارك عبد الرحمان في حملة أخيه في خريف السنة الموالية في مياه

جزر الخالدات، حيث استولى على سفينة عتادية هولندية تقدر قيمتها بأربعين ألف قرش، عاد بها إلى المعمورة في يناير سنة 1696 مضيفا إلى غنيمته هذه قاربي صيد.

وقد حاول عبد الرحمان في موسم 1696 تجريب حظه في البحر الأبيض المتوسط، إلا أنه تعرض لملاحقة سفينتين فرنسيتين أجبرتاه على اللجوء إلى بجاية حيث انقطع عن العمل زهاء سنتين ؛ إذ كان في سنة 1698 يقود سفينة قديمة من غنائمه تدعى *الحصان الأبيض*، لكنه في يونيو تعرض لهجوم من طرف إحدى بوارج الأسطول الفرنسي تحت إمرة كوتلوغون (Cöetlogon) يقودها الفارس شاطو موران (Ch. Morand)، ولم يتمكن من الإفلات إلا بفضل سرعة سفينته. وقد حزن كوتلوغون لعدم النجاح في أسره، وهو نفس الأسى الذي عبر عنه بونكوطران.

ونتيجة الحصار الشديد المضروب على الأسطول الجهادي المغربي، وجهه أخوه عبد الله للالتقاء المركيز شاطو رونو باقتراح الهدنة بين الطرفين، والتي أشاع في ضوئها ابن عائشة خبر قدومه استقبالا إلى فرنسا في سفارة لتلك الغاية. لكنه مع انتهاء سفارة أخيه بالفشل، واصل عبد الرحمان مهنته قانصاً سنة 1700 بتحقيق غنيمتين في نواحي جزيرة مادورة، رغم مطاردة عنيفة من إحدى السفن الخافرة، ولم يتمكن من الإفلات إلا استعانة بظلام الليل ؛ لكنه لدى وصوله إلى مصب نهر أم الربيع جنحت سفينته، ونجح مع ذلك في اصطحاب ستة وعشرين أسيرا إلى سلا. وقد اتخذت سلطات المرسى إجراءاتها لإنشاء سفينة جديدة لعبد الرحمان في غشت من تلك السنة بأمر من السلطان، تعويضا له عن سفينته المفقودة في أزمور.

S.I.H.M., 2e série, *France*, T. IV, p. 293 - 94, 315 ; T. V, p. 19 ; T. VI, p. 148 - 49 et 196 et Coindreau, p. 80 - 82.

حسن أميلي

ابن **عائشة، عبد الله** كل ما نعرفه تقريباً عن هذا الرجل وصلنا عن طريق المصادر الأوربية، إذ لا نكاد نعثر له على أثر عند المؤرخين المغاربة الذين كتبوا حول الفترة التي عاش فيها. وعبد الله ابن عائشة ليس بالشخصية المغربية الوحيدة التي تعاني من هذا الإهمال من مؤرخي الدولة العلوية الذين لم يولوا إلا اهتماماً ضعيفاً بكل ما يتعلق بالشؤون الخارجية وبمن ارتبط اسمه بها. وابن عائشة من الشخصيات التي تدين بشهرتها أساساً للدور الذي لعبه في علاقات المغرب بأوربا، أولا كأمير للبحر، وثانياً كسفير لمولاي إسماعيل لدى لويس الرابع عشر.

ويرجع أول ذكر لعبد الله ابن عائشة إلى سنة 1672 عندما كان قائداً لسفينة جهادية بمرسى مدينة سلا. ولم يكن المترجم البحار الوحيد في عائلته، بحيث كان لكل من أخيه عبد الرحمان وابنه محمد سفينة بنفس المرسى، وبذلك كانت عائلة ابن عائشة تملك نصف الأسطول السلاوي، أي ثلاث سفن من أصل ست سفن كانت مرتبطة بمرسى سلا. وكان الثلاثة يخرجون أحياناً في مهمات جهادية مشتركة لاعتراض سفن الدول التي لم تسالم المغرب. ولم يكن نشاط القرصنة من احتكار المغاربة أو المسلمين وحدهم بل كانت تساهم فيه الدول الأوربية بنصيب وافر، الشيء الذي كان يؤدي إلى وقوع العديد من المسلمين في الأسر فيساقون إلى السجون أو يشغلون كجذافين فوق السفن الحربية في ظروف قاسية جداً. وبحكم نشاطه البحري لم يفلت عبد الله ابن عائشة من آفات البحر فوقع أسيراً في يد الأسطول الانجليزي، مما جعله يقضي ثلاث سنوات في سجون إنجلترا. ويرجع فضل إطلاق سراحه إلى جيمس، شقيق ملك انجلترا، الذي حرره دون ما حاجة إلى فدية، وهو الفضل الذي لم ينسه ابن عائشة لهذا الأمير. فعندما بويع جيمس ملكاً لأنجلترا في سنة 1685، توجه ابن عائشة إلى لندن لتهنئته باسم المولى إسماعيل. وعندما توجه إلى باريس في سفارته المشهورة في سنة 1699 أصر على لقاء جيمس الثاني، وهو آنذاك يعيش منفياً بالعاصمة الفرنسية، ليعبر له عن امتنانه لحسن المعاملة التي لقيها منه خلال فترة أسره.

وكاد عبد الله ابن عائشة أن يسقط أسيراً مرة ثانية في يد الانجليز في سنة 1684 عندما لاحقه قرصان انجليزي قرب الشواطئ المغربية. وإذا كانت السفينة وعدد كبير من بحارتها قد وقعوا في الأسر، فإن عبد الله ابن عائشة قد تمكن من النجاة والوصول سالماً إلى الشاطئ.

واستطاع ابن عائشة بفضل كفاءته وجرأته أن يكسب ثقة المولى إسماعيل الذي عينه قائداً للأسطول مع احتفاظه بملكية سفينته الخاصة التي كانت تعتبر أحسن سفينة سواء من حيث تجهيزها أو من حين نوعية البحارة الذين كانوا يعملون على ظهرها. ولاشك أن الغنائم التي تحصلت لديه كنتيجة لنشاطه البحري مكنته من جمع ثروة هامة، لهذا فإن القنصل الفرنسي بسلا وصفه بكونه "أحد أهم الرجال الأثرياء بهذه البلاد".

وفي مغرب القرن السابع عشر لم يكن هناك تمييز بين شؤون البحر والشؤون الخارجية، خاصة فيما يتعلق بالعلاقة مع الدول الأوربية. فالمشاكل التي كانت تقوم بين المغرب وهذه الدول كانت كلها تدور حول البحر الذي كان يمثل الوسيلة الوحيدة للاتصال آنذاك. وفي طليعة هذه المشاكل

تأتي مسألة القرصنة أو الجهاد البحري، وما يترتب عنهما من وقوع أسرى من الجانبين في يد الطرف الآخر. لذلك كان طبيعياً أن يختار المولى إسماعيل أمير أسطوله ليتوجه في سفارة إلى فرنسا بغية التوصل إلى معاهدة سلم مع هذه الأخيرة وإيجاد حل لمسألة الأسرى المغاربة الموجودين بفرنسا، والأسرى الفرنسيين الموجودين بالمغرب. ولم تكن هذه السفارة الأولى من نوعها التي يقوم بها سفير مغربي إلى فرنسا، فقد سبق للحاج محمد تميم أن ترأس سفارة مغربية مماثلة إلى باريس في سنة 1681، لكن المعاهدة التي تم توقيعها على إثر تلك السفارة بقيت دون تنفيذ بعد ظهور خلافات بشأن تبادل الأسرى. ومن الجانب الفرنسي تم إرسال سفيرين إلى المغرب في كل من سنة 1688 و1693 للتفاوض حول مسألة الأسرى وعقد اتفاقية سلم بين البلدين. إلا أن المبعوثين الفرنسيين ـ ويتعلق الأمر بأوجيي وسانتولون ـ رجعا إلى بلادهما دون إحراز نتيجة ملموسة.

وفي سنة 1698 بدأ الأسطول الفرنسي في تحضير حملة ضد مرسى سلا، فتخوف ابن عائشة من عواقب مواجهة بين الأسطولين واقترح على المولى إسماعيل فتح الحوار مع الفرنسيين حتى تحل المشاكل المعلقة بين البلدين بالطرق السلمية. ولم يكن السلطان ليجد من هو أنسب لهذه المهمة من القبطان عبد الله ابن عائشة الذي توجه إلى فرنسا في نفس السنة وهو يحمل ظهيراً سلطانياً يوكل إليه "النظر والكلام في سائر أمور البحر ... من عقد وإبرام أو سلم أو غير ذلك مع جميع أجناس النصارى لكونه أعرف برياسة البحر وخطته وأكثر ممارسة بأحوال أهله وذويه".

دامت سفارة ابن عائشة بفرنسا ثمانية أشهر (نونبر 1698 ـ مايو 1699)، مما يدل على أن المفاوضات لم تكن سهلة. وعلى هامش اللقاءات الرسمية مع العديد من رجال الدولة الفرنسية، مدنيين وعسكريين، تمكن ابن عائشة من زيارة العديد من المآثر والقصور والكليات الحربية، كما زار المطبعة والمكتبة الملكيتين وعدداً من المنشآت الصناعية كمصانع الأسلحة والزجاج ودار السكة وغيرها. ومن خلال اهتمامه بالصناعات الفرنسية التقى برجل أعمال فرنسي هو "جردان" الذي كانت له مصالح هامة في صناعة الزجاج وتجارته. وقد حاول جردان هذا أن يكسب دعم ابن عائشة لمشروعه الرامي إلى إنشاء دار تجارية بسلا تقوم بجلب المواد الزجاجية وغيرها من المواد الشرقية مقابل تصدير المواد المغربية التقليدية (جلود، شمع، إلخ ...). ولهذا تقرب جردان من السفير المغربي وبالغ في إكرامه خلاله مقامه بباريس، مما أدى إلى توطد أواصر الصداقة بين الرجلين إلى درجة أن التاجر الفرنسي أصبح قناة هامة للاتصال بين ابن عائشة والأوساط السياسية الفرنسية. إلا أن الشركة التجارية التي أنشأها جردان بسلا مع مجموعة من التجار الفرنسيين لم تستمر طويلاً رغم الدعم والحماية اللذين حظيت بهما مصالحها من عبد الله ابن عائشة.

أما على مستوى المهمة السياسية التي كلف بها ابن عائشة فإن سفارته لم تكن أوفر حظاً من السفارات المغربية أو الفرنسية السابقة. فالفرنسيون على ما يظهر لم تكن لهم نية صادقة في حل مشكل الأسرى رغم العروض المتساهلة التي تقدَّم بها الجانب المغربي، والتي لم تُقدم لأية دولة أوربية أخرى. فالمولى إسماعيل نجح في حل مسألة الأسرى مع الإسبان والهولنديين والانجليز في حين فشل مع الفرنسيين الذين ظلوا يتعلقون بجزئيات كان من الممكن تجاوزها. والحقيقة أن هذا الفشل لا يمكن تفسيره إلا بكبرياء لويس الرابع عشر وعجرفته تجاه المغرب من جهة، وبحاجة فرنسا إلى الأسرى المغاربة من جهة ثانية. فهؤلاء الأسرى كانوا يستخدمون كجذافين فوق السفن الحربية الفرنسية، وهو عمل بالغ القساوة لا يقوم به عادة إلا المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة أو الأسرى المسلمون. وخير دليل على هذا أن القائم بأمور البحرية الفرنسية، "بونشرتان"، عارض كل صيغة للتفاهم بين الطرفين لأن تسليم البحارة المغاربة كان من شأنه حسب زعمه "أن يُفرغ السفن الحربية الفرنسية من جذافيها".

وقد أثار فشل سفارة ابن عائشة غضب المولى إسماعيل فكتب إلى لويس الرابع عشر يعاتبه على عدم جديته وتحريفه للحقيقة عندما زَعَمَ أن السفير المغربي لم يخول كل التفويض الذي يسمح له بالوصول إلى حل مُرض للطرفين، وهو ادعاء يكذبه ظهير الاعتماد الذي حمله معه ابن عائشة. وهدد المولى إسماعيل بقطع كل علاقة مع فرنسا وكتب إلى ملكها يقول: "... فما لنا حاجة عندكم ولا حوجنا الله إليها أصلا... فنحن والحمد لله مخازننا المحوطة بعين رعاية الله مملوءة من كل خير مدخر من فضل الله سبحانه من الأموال والعدة وآلات الحرب مالا يعد ولا يُحصى، فما جاءنا شركم ولا صلحكم في شيء".

والواقع أن المرارة التي عبر عنها المولى إسماعيل لم تكن كلها بسبب فشل ابن عائشة في التوصل إلى صيغة لتبادل الأسرى. ذلك أن المولى إسماعيل كان يبتغي من وراء هذه السفارة ما هو أهم بكثير من مسألة الأسرى. فالسلطان كان يطمح إلى الانضمام إلى التحالف الفرنسي ـ العثماني المعادي لأسرة الهابسبورغ الحاكمة في كل من النمسا وإسبانيا. كان هدف المولى إسماعيل يتمثل في إقناع لويس الرابع عشر بأن حلفاً سياسياً يجمع استنبول وباريس ومكناس من شأنه أن يرجح كفة التوازن الأوربي لصالح فرنسا، ويسمح للمغرب باسترجاع ثغوره التي تحتلها إسبانيا. وفي هذا الإطار يمكن أن نُدخل رغبة السلطان في عقد زواج سياسي مع الأسرة الحاكمة في فرنسا عندما طلب يد الأميرة دي كونتي. وكانت مبادرة المولى إسماعيل باقتراح من عبد الله ابن عائشة الذي كان يعتقد أن مثل هذا الزواج من شأنه أن يذلل العراقيل التي كانت تقف في طريق التقارب المغربي ـ الفرنسي.

إلا أن خيبة المولى إسماعيل لم تجعله يقطع كل صلة

بالحكومة الفرنسية، ولم يعتبر ابن عائشة مسؤولاً عن فشل السفارة، فزاده تفويضاً وأمره بمتابعة الحوار مع الفرنسيين بخصوص مسألة الأسرى. وهكذا أصبح ابن عائشة بعد رجوعه من فرنسا المتفاوض الرئيسي مع رجال الكنيسة الفرنسيين الذين كانوا يرغبون في افتداء أسراهم. بل إن الحظوة التي أصبحت له لدى السلطان كنتيجة لسفارته جلعته يلعب دوراً أساسياً في العلاقات المغربية ـ الفرنسية خلال العقد الأول من القرن الثامن عشر. وحتى في مجال الدفاع كُلف ابن عائشة بتفقد المدن الشاطئية، وأعطاه السلطان ستين مدفعاً لتوزيعها على مختلف الثغور، وذلك تحسباً لكل هجوم فرنسي محتمل.

لكن عبدالله ابن عائشة، رغم المهام السياسية المتعددة التي أسندت إليه، ظل أولا وأخيراً مجاهداً مرتبطاً بالبحر، ظهر سفينته أحب إليه من نعيم اليابسة وهدوئها. وهكذا رجع للجهاد البحري مرة أخرى، وقدر له أن يقع في الأسر مرة ثانية، في يد الهولنديين وذلك في سنة 1711. وبقي في الأسر إلى حدود شهر يناير 1713 عندما افتداه السلطان مقابل أحد عشر أسيراً هولندياً. ولاشك أن محنة أسره، وهو في سن متقدمة آنذاك، كانت كافية لتأتي على ما تبقى لدى هذا الرجل من نفس، فلم يعش طويلاً بعد رجوعه إلى وطنه إذ توفي بعد أشهر قليلة، وذلك في يوليوز 1713.

المصادر العمية لتاريخ المغرب (فرنسا)، المجلدات 4، 5 و6.

Sources inédites de l'histoire du Maroc (France), tomes IV, V, VI, Paris, 1931 - 1960 ; C. A. Julien, *Histoire de l'Afrique du Nord*, Paris, 1975, (vol. II) ; R. Coindreau, *Les corsaires de Salé*, Paris, 1948 ; P. G. Rogers, *A History of Anglo-Moroccan Relations*, London, n. d.

محمد المنصور

عائشة العدوية، ولية صالحة، وبهلولة مباركة، ذات ضريح شهير بمدينة مكناس، مقصود للزيارة والتبرك. وصفها القادري في *نشر المثاني*، (2 : 184) بقوله : "بهلولة مستغرقة هائمة غائبة في النبي صلى الله عليه وسلم، شاعت بذلك أخبارها، وسطعت للأنام أنوارها". أما ابن زيدان في *الإتحاف*، 5، ص. 505 ـ 506 فيقول في حقها : "صالحة ... ملاماتية، ذات أحوال ومكاشفات وولهٍ وهيمان واستغراق في ذات الله، وانهماك وغيبة في محبة رسول الله ...".

شاعت أخبارها في الحواضر والبوادي، وأوثرت عنها كرامات شهيرة وعادات خارقة. وأصبح لها أتباع كثيرون.

أخذت عن الشيخ أحمد بن خضراء (1075 / 1665).

توفيت في شهر ربيع الأول حسب القادري في *النشر* وشهر ربيع الثاني حسب ابن زيدان في *الإتحاف* عام 1080 / 1669 / 1970 وقبرها من أشهر المزارات المقصودة للتبرك في مدينة مكناس.

م. القادري، *نشر المثاني*، ج 2 ؛ ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 5.

رقية بلمقدم

عائشة مباركة، وهو اسمها المشهور، وفي بعض المصادر عايشة ومباركة، بإضافة الواو بين الاسمين، وقد تكتب عيشَ مبركة، واسمها الكامل عائشة بنت مبارك الرحماني البربوشي. وتعرف أيضاً بالسلطانة زيدانة، وأصلها من قبيلة البرابيش من الرحامنة، وهي أول من تزوج مولاي إسماعيل وأدركت عنده حظوة ومكانة حتى سميت بمولات الدار، وقد عبر عن مكانتها أحد المجاذيب وهو سيدي عبد الرحمان بن مسعود بقوله : "الرأي عند عيشة مباركا الرحمانية، ومن أراد أن يقضي حاجته عند مولانا إسماعيل عزما فليهادها قبل أن يلتقي به"، وكان السلطان مولاي إسماعيل يعظمها ويقول : إنها أعقل من غالب الرجال. فنافست بذلك خناثة بنت بكار المغفرية، وهي أم السلطان أحمد الذهبي وإخوانه : زيدان والحفيد والمتوكل، والسلطان علي الأعرج بالإضافة إلى أربع بنات. وكان لها دور في تولية أبنائها خلفاء لأبيهم في جهات المغرب، وقد استغلت نفوذها ومكانتها عند السلطان مولاي إسماعيل لتمكين أبنائها من الحكم وإقصاء أبناء السلطان من الزوجات والجواري. وذكر التاسفتي أنها تدخلت لدى السلطان مولاي إسماعيل لزيادة الجيش الذي سيحارب به ابنها مولاي زيدان أخاه الثائر محمداً العالم وفعلا امتثل السلطان لأمرها وزاد الجيش.

توفيت في 6 جمادى الأولى عام 1127 / 1715. وفي بعض المصادر أنها كانت من أولياء الله الصالحين، لها محبة للفقراء والمساكين وتعظيم للعلم والعلماء، وقد رثاها مصباح الزرويلي بقصيدة عدَّد فيها مَحَاسنها ومحبتها للخير والمعروف وأهل الدين. ودفنت بسيدي عبد الرحمان المجذوب خلف الجدار الشرقي وعلى قبرها رخامة بها اسمها وتاريخ وفاتها.

ديوان *مصباح الزرويلي*، مخطوط، خ. ح. رقم 360 ؛ الريفي، *زهر الأكم* ؛ التاسافتي، *رحلة الوافد* ؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أ. العماري ؛ الزياني، *البستان الظريف*، ج 1 ؛ ابن الحاج، *الدر المنتخب*، ج 7 ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 5 ؛ *المنزع اللطيف*.

De La Véronne, *Vie de Moulay Ismaïl*, p. 6, p. 14, p. 19, note 48 ; Le père Busnot, *Histoire du règne de Moulay Ismaïl*, p. 53 - 54.

أحمد ايشرخان

عائشة بنت **محمد** بن الجيار طبيبة سبتية، كان أبوها محتسباً بسبتة، قرأت علم الطب ببلده على صهرها الطبيب الماهر محمد الشريشي المعروف عند العامة بحكيم الرعاء (ت. 771 / 1301). نبغت في الصناعة الطبية وكانت لها معرفة بالأدوية والعقاقير. وكانت امرأة عالية الهمة رفيعة القدر، بليغة الكلام. وبلغت لدى أمراء عصرها مكانة خاصة فكانوا يخصونها بالتكريم لما عرفوا من مهارتها وتقدمها في الطب. وكانت إلى جانب ذلك ذات ثروة حبستها على وجوه الخير.

توفيت بسبتة عن نحو 70 عاماً في أواخر القرن الثامن (14 م).

مؤلف مجهول، بلغة الأمنية ومقصد اللبيب، تح. ع. الوهاب بن منصور، الرباط، 1984.

محمد المغراوي

ابن **عائشة، محمد** بن **عبد الله** نجل الرايس الشهير عبد الله ابن عائشة : شرع في العمل الجهادي تحت إمرة أبيه منذ سنة 1694 بعدما أهداه سفينة فرنسية غنمها في الموسم السابق ؛ وسرعان ما شارك والده في الاستيلاء على سفينة هولندية قرب جزر الأصور، وعلى عتادية هولندية أخرى في خريف نفس السنة رفقة عمه، أرفقوها عند العودة بالسيطرة على قاربي صيد إسبانيين في مياه جزر الخالدات.

وقد ظل محمد يشارك والده وعمه عملياتهما حتى نهاية موسم 1698، حيث يبدو أن خفوت نشاط الأب لم يحل دون استمرارية الابن في العمل الجهادي، وأن يصل إلى الشهرة التي حققها والده، وقد كان في سنة 1707 يقود سفينة مجهزة بستة عشر مدفعا، وطاقما مؤلفا من مائتي رجل، لما استولى على سفينة إنجليزية وهي في طريقها إلى لندن، آسرا بذلك خمسة وخمسين نجليزيا سيقوا إلى سلا أولا ومنها إلى مكناس، وكانت هذه أبرز عملية قام بها.

S.I.H.M., 2e série, *France*, T. IV, p. 327 ; T. V, p. 61 ; Coindreau, p. 81 et 84.

حسن أميلي

ابن **عائشة الفقيه، محمد** بن علي الحداوي نزيل الدار البيضاء المعروف بالفقيه ابن عائشة العلامة المشارك في الفقه والحديث والتصوف مع إتقان علم الآلة انتصب للتدريس بالبيضاء مدة، فكان يشار إليه فيها ثم رحل إلى الحجاز رحلة استيطان حيث استقر بالمدينة المنورة ما يقرب من عشرين سنة ثم رجع إلى الوطن الأم قبل الاستقلال.

أخذ المترجم عن شيوخ أهل فاس مثل الشيخ محمد بن جعفر الكتاني ولما ذهب إلى الحجاز أخذ عن الشيخ بدر الدين الشامي وعن الشيخ يوسف النبهاني وغيرهما، رجوعه إلى المغرب تزامن مع عدة عوامل أدت إلى ضعفه وقعوده (وهي الكبر والضعف والمرض) إلا أنه بقي مجيبا للسائل ومستحضراً للعلم مذاكراً فيه مطيلا في مذاكرته.

توفي يوم الأحد ثالث رمضان عام ثمانين وثلاثمائة وألف بالدار البيضاء وهو من آخر العلماء بها، له رسالة في مناسك الحج مطبوعة في المشرق وله تآليف أخرى.

ع. السلام بن سودة، *سل النصال للنضال بالاشياخ وأهل الكمال* ؛ *موسوعة أعلام المغرب*، 9 : 3362.

عبد القادر سعود

عائشة السيابورية، صاحبة القبة المعروفة بظاهر العلو قيل إنها أخت الولي أبي عبد الله اليابوري. ورأى محمد بن علي دينية رسما عدلياً مؤرخا بعام 1223 ذكر فيه أن هذه المرأة هي بنت الحاج حجي الفاسي الأندلسي الرباطي. لكن تاريخ الرسم يدل على أنها قريبة العهد مع أن المشهور عند الرباطيين أنها قديمة.

توفيت في حدود سنة 1275 / 1858.

م. دينية، *مجالس الانبساط*.

عبد الإله الفاسي

العائلة بالمغرب، إن البحث حول العلاقة السببية أو التطابق القائم بين كل نظام اجتماعي ونمط البنية العائلية فيه غالبا ما يؤدي إلى إهمال أهمية ودلالة الحضور المتزامن لنمط أو عدة أنماط أخرى للتنظيم العائلي. إن التاريخ وحده هو الذي يسمح لنا بفهم البنيات العائلية بالمغرب. ومجمل هذا التاريخ تخترقه أربع ظواهر أساسية : الديموغرافيا، الصعود نحو الشمال، التطور نحو الاستقرار، والخضوع للسلطة المركزية.

انطلاقا من منظور سوسيوتاريخي يمكن أن نلاحظ أن أولوية الرهان المرتبط بنقل الميراث (المادي أو الرمزي) يطابقه نموذج نسبي أبوي في التنظيم العائلي. هذا النموذج سيخضع للتحول بعد نمو الآليات الحديثة للاقتصاد الرأسمالي الذي يميز بين الإنتاج والملكية، ليصبح نموذجا نسبيا ميراثيا منذ نهاية القرن التاسع عشر الميلادي. أما النموذج العائلي النووي فإن تحويله يبقى رهينا بتوسع العلاقات الأجرية وتراجع السخرة أو الكلفة ولم يتأتّ هذا إلا مع نهاية الثلاثينيات من القرن العشرين وذلك بطريقة تدريجية.

لقد ساهمت السلطة المركزية منذ القرن السادس عشر الميلادي في تزكية الدفعة النسبية التي عرفها المجتمع المغربي وذلك عن طريق "ظهير التوقير والاحترام" و"الهبات" على شكل عقار والتي استفادت منها عائلات الزوايا والطرق، وعن طريق "ظهير الخدمة والرئاسة" الذي كان يؤسس لعائلات نسبية تهم القيادة أو الباشوية أو الحسبة أو القضاء أو نظارة الأحباس أو إمامة المسجد...إلخ.

وتدل المعطيات الكيفية المبعثرة في المصادر التاريخية والمؤثرات العديدة الواردة فيها والدراسات الأنثروبولوجية الحديثة والمونوغرافيات التاريخية بالمغرب على أن البنيات الاجتماعية بالمغرب أصبحت تتميز منذ القرن السادس عشر الميلادي إلى حدود بداية القرن العشرين بسيادة نموذجين عائليين.

. عائلة نسبية أبوية ممتدة وهي عائلة الشرفاء والأعيان (الصلحاء والمرابطين وشيوخ الطرق والزوايا والتجار الكبار والقضاة والفقهاء والقواد والباشوات وشيوخ القبائل). هذه العائلة تقيم في القصر أو القصبة أو "الدار الكبيرة" تجمع هذه العائلة النسبية الأبوية الإخوة والأصهار والنساء والأبناء

الذين يعيشون تحت وصاية الزعيم. القصر أو القصبة أو الدار الكبيرة تعج بالنساء والأبناء والخدم والأقارب.

- عائلة نووية بسيطة أو مركبة وهي عائلة العوام. هذا النموذج العائلي يتميز بكونه مسخرا وتابعا اقتصاديا واجتماعيا وأخلاقيا وعرفيا للعائلة النسبية الأبوية للأعيان والأشراف وذلك عبر مجموعة من الالتزامات المتعلقة باقتصاد وأخلاق العرض أو الشرف.

سوف نركز هنا على تاريخ المضمون الاجتماعي لكلمة عائلة، وقد اخترنا التركيز على العائلة النسبية الأبوية للأعيان والأشراف وعلى الفترة الممتدة من القرن السادس عشر الميلادي إلى بداية القرن العشرين، لأن هناك وفرة وثائقية نسبية وكذا تراكما نسبيا لمونوغرافيات تتعلق بالأعيان سواء بالمدن أو البوادي.

إن النمط العائلي النسبي الأبوي قد تميز بوجود تعدد في الزوجات يفوق العدد الشرعي (أربع زوجات) وإماء وجواري وخدام أحرار أو تابعين. وقد عرف هذا الشكل النسبي الأبوي للعائلة تطورا في الفترات الحرجة المتميزة بضعف الدولة المركزية.

لقد بدأ نموذج العائلة النسبية الأبوية في التشكل ابتداء من العصر الموحدي وكان مشايخ الموحدين هم أول من أقر التعدد في الزواج. وقد شمل التغيير في البنيات العائلية بعد الفترة الموحدية نسب الأبناء الذين بدؤوا في الانتساب لآبائهم وليس لأمهاتهم، وكذا الإقامة الزوجية التي أصبحت أبوية كذلك، وكذا احتجاب المرأة الحرة في المدن المهمة كفاس ومراكش، وكذا عدم توريث الإناث التي ستصبح من العادات التي استمرت إلى حدود القرن العشرين.

وعرفت عملية عدم تقسيم الميراث تطورا ملحوظا منذ القرن السادس عشر الميلادي. وقد فرض التوزيع الجديد لسلطات القيادة منذ الفترة السعدية نوعا من تكثيف روابط الدم وذلك من أجل الحماية كما هو الحال مع أنماط العلاقات الاجتماعية والتبعية الأخرى : الولاء للأشراف والمرابطين والصلحاء.

وامتد عدم تقسيم الميراث ليشمل حتى الزوجين في حين كان هذا التقسيم معمولا به في القرن الثاني عشر على الأقل كما يتجلى ذلك من خلال نوازل القاضي عياض. وقد امتدت هذه العادة المتعلقة بعدم التقسيم حتى بعد وفاة الوالدين، وحتى عندما يحدث الانقسام في الميراث فإن العائلة النسبية الأبوية تحتفظ بالحق الجماعي على مجموع الميراث وذلك عن طريق حق الشفعة. وكان حق الشفعة هذا يسري حتى على زوجات أفراد العائلة النسبية الأبوية اللواتي كن يصبحن زوجات لأب أو أخ أو ابن زوجهن.

هذا النموذج العائلي النسبي الأبوي كان له تأثير على المستوى الديموغرافي. وقد خلقت هذه الوضعية الجديدة المتميزة بعدد الزوجات والإماء والجواري انفجارا ديموغرافيا أثر بشكل كبير على موارد المخزن والزوايا والطرق. لقد أصبحت موارد المخزن ومناطق الولاية والزاوية أو الطريقة (منذ القرن 16 م) لا تساير في نموها نسبة التزايد الديموغرافي في عائلة الحكام والأعيان والشرفاء والمرابطين. وأذكى هذا التزايد الديموغرافي التنافس والصراع العنيف في الغالب بين أفراد العائلات النسبية الحاكمة من ذرية السلاطين وشيوخ الطرق والزوايا والقواد حول الخلافة. وحدثت أول أزمة بين الأمراء بعد وفاة عبد المومن الموحدي سنة 558 . واشتدت بعد وفاة يعقوب المنصور الموحدي سنة 620، وسيتكرر الأمر نفسه لاحقا مع الفترة المرينية والفترة السعدية خصوصا بعد وفاة أحمد المنصور الذهبي. وقد عرف الصراع الناتج عن الانفجار الديموغرافي الذي أحدثه هذا النموذج العائلي النسبي أوجه بعد وفاة السلطان المولى إسماعيل الذي خلف حسب المصادر ما يزيد على ألف ولد وبنت. وقد أثر هذا بشكل واضح على موارد الدولة وعلى الاستقرار الاجتماعي والسياسي إلى غاية بداية القرن العشرين.

وتلك الأزمة الديموغرافية الناتجة عن هذا النموذج العائلي النسبي الممتد للأعيان عرفتها كذلك عائلات الطرق والزوايا بالخصوص حسمت فيها في البداية بإمكانية التوسع على امتداد التراب الذي يتجاوز التراب الوطني وبإقامة ملحقات بمناطق ومدن بعيدة عن المقر الرئيسي للطريقة أو الزاوية.

وذلك النمو الديموغرافي لعائلات الطرق والزوايا يمكن أن نستخرجه من المصادر المتعلقة بالنسب لكل طريقة أو زاوية أو وظيفة مخزنية.

- نجد مثلا في *نشر المثاني* للقادري ما يلي : أحمد بن عبد القادر القادري (المتوفى سنة 1113) "تزوج من النساء نحو ثمان، ولم يطلق واحدة منهن إلا أنه إذا ماتت إحداهن تزوج أخرى مكانها، وتزايد عنده من الذكور ثمانية عشر ومن الإناث نحو العشر".

- نجد في نفس المصدر أن مولاي التهامي ابن سيدي محمد (القرن 12 هـ) من الزاوية الوزانية كان له من الأولاد الذكور ستة وعشرون وابنة.

- ونجد في *فهرسة* ابن عجيبة، أحد مشايخ الطريقة الدرقاوية بالشمال الغربي للمغرب، أنه تزوج ست نسوة وأنجب من الأولاد واحدا وثلاثين (1224).

- التهامي الگلاوي باشا مراكش مع بداية القرن العشرين كان له سبع نساء وتسعة أولاد وثلاث بنات.

- المدني الگلاوي كان له ما يزيد على عشر نسوة وخلف 13 ولدا و8 بنات.

- القائد العيادي الرحماني كان له عشرون امرأة وسبعة عشر ولدا وسبع بنات وأخوه امبارك بن الهاشمي الذي كان خليفته خلف ثمانية عشر ولدا وإحدى عشرة بنتا. وأخوه من أمه وخليفته كذلك خلف ثمانية أولاد وثلاث عشرة بنتا.

وفيما يتعلق بالصراع على ولاية زاوية وزان أورد الضعيف الرباطي (تاريخ الضعيف) خبر الصراع بين ولدي

شيخ الزاوية وهما الحاج العربي بن علي بن الطيب والتهامي بن علي بن الطيب ولجوئهما للسلطان مولاي سليمان للفصل بينهما في هذا النزاع.

تلك العائلة النسبية الميراثية الخاصة بالأشراف والأعيان تشكل النموذج المثالي للعائلة منذ القرن السادس عشر الميلادي، وقد اتسمت هذه البنية العائلية بالتركيز على التمييز الواضح بين مكوناتها : التمييز بين الشريف وغير الشريف، بين السيد والمسخر والعبد، الشريفات وغير الشريفات والزوجات الحرائر والإماء والجواري والمسخرات (كن كذلك مرضعات).

لقد كان لزعيم العائلة النسبية الميراثية سلطة كبيرة لأنه رئيس عائلة تجمع الإخوة والأصهار والنساء والأبناء الذين يعيشون تحت وصايته وداخل قصبته أو داره الكبيرة. فهو المسؤول عن علاقات العائلة بالخارج. أما الزوجات الحرائر فكانت تنحصر مهمتهن في الإنجاب وتعتبرن حرمة مثلها مثل ضريح الولي أو الشريف الذي تبجله الجماعة النسبية لهذا فهي محتجبة وخصوصا "الشريفة" منهن وتكون مستهدفة في إطار تبادل العنف المرتبط بقيم العرض أو الشرف المحددة للعلاقات العائلية. ومما كان يسهل هذا الاحتجاب ويجعله ممكنا هو وفرة الإماء والخادمات التابعات أو المستقلات. وكانت هذه الخدمة تشمل أجيالا مختلفة يتناوب عليها الأمهات والبنات اللواتي يتكلفن بكل ما يتعلق بالحياة الداخلية للقصر أو القصبة أو الدار الكبيرة، وبتربية الأطفال وإرضاعهم وضمان حياتهم.

وكان تعدد الزوجات خاصية جميع الأعيان، ولم يكن هذا التعدد ينحصر في أربع نساء بل يتجاوز هذا العدد بكثير لأن الزواج أو المصاهرة ارتبطت عند الأشراف والأعيان بالوظائف السياسية التي تؤدي إلى توسيع السلطة والنفوذ. وكان هذا الزواج يكرس دونية المرأة لأنها تبقى ملكا للجماعة النسبية لزوجها بعد وفاتها، إذ أنها تتزوج إما أب زوجها أو أخاه أو ابن عمه. على سبيل المثال تزوج المدني الگلاوي امرأة أبيه فاطنة نايت حدو وبنت أخيه من أبيه. وتزوج أخوه التهامي الگلاوي من امرأة أبيه بعد وفاة أخيه المدني وهي فاطنة نايت حدو كما تزوج بزوجة أخيه زينب المقربة. كما تزوج القائد العيادي الرحامني زوجة ابن عمه بعد وفاة هذا الأخير.

إن الشرفاء والأعيان هم الذين كانوا يتوفرون موضوعيا إلى حدود بداية القرن العشرين على كل الإمكانيات المتعلقة بالتمييز إلى أقصى درجة بين الذكور والإناث وتعدد الزوجات والإماء والجواري والخدم وتحقيق النموذج المثالي للعائلة النسبية الأبوية الميراثية كما ترسخت منذ القرن السادس عشر الميلادي.

ولم يكن يتعارض مع هذا النموذج العائلي للشرفاء والأعيان إلا خدمتها وخماسوها أو عزابوها ورعاتها وعبيدها.

وإذا كانت الأوبئة لا تستثني أي نموذج من النماذج العائلية فإن عائلات هؤلاء كانت فريسة المجاعات والأوبئة أكثر من غيرها، و غالبا ما كانت في مثل هذه الظروف تضطر إلى بيع نسائها وأطفالها (B. Rosenberger et H. Triki, 1973).

وهكذا فإن التناوب الكبير بين الواقع والنموذج المثالي نجده عند هذه الفئات الاجتماعية المشكلة "للعوام". إن النموذج الأقرب إلى الواقع هو العائلة النووية التي كانت تختلف عن العائلة النووية كما تطورت ابتداء من القرن العشرين. والعائلة النووية "للعوام" هي عائلة الخدمة وبالتالي فإن ما يميزها هو الإقامة والنشاط المشتركان لصالح "الدار الكبيرة"، ولم تكن تشكل وحدة بيولوجية أو جماعة عاطفية كما أصبح عليه الحال مع العائلة النووية المعاصرة.

لقد كان وزن السلطة المركزية يختلف من منطقة إلى أخرى. وكلما ضعفت السلطة المركزية اتجهت الروابط النسبية إلى المزيد من التكتل والقوة، وعلى العكس إذا كانت السلطة المركزية قوية ضعفت الروابط النسبية وأصبحت الدولة هي التي تتحكم في حجم عائلة نسبية وذلك بواسطة ظهائر التعيين أو العزل من الخدمة، وظهائر "التوقير والاحترام" التي انفردت بها العائلات النسبية للأشراف والمرابطين أصحاب الطرق والزوايا منذ القرن السادس عشر إلى غاية نهاية القرن التاسع عشر الميلادي.

وقد كانت العشائر القروية المنظمة حول خدمة سيد أو قائد أو شريف تفرض حياة جماعية حارة وتحد من قيمة روابط العائلة الضيقة سواء أثناء العمل أو أثناء الاحتفال. ونجد نفس الشيء بالمدن، حيث كانت "الحنطة" والطريقة تساندان حياة اجتماعية تشمل الحي بكاملة مما كان يحد كذلك من قيمة روابط العائلة الضيقة (الآباء والأبناء).

روابط التضامن تلك، التي جعل منها حنيننا إلى الحياة الجماعية القديمة نوعا من الأسطورة المؤسسة، لا تهم العائلة كما نفهمها اليوم، أي وحدة بيولوجية ووحدة عاطفية وسكنية، إنها على العكس من ذلك دائرة العلاقات الاجتماعية التي كانت تجمع الأقارب وأبناء العم والأجداد والأحفاد والأقارب المقربين والأقارب بالمصاهرة حول أعراف أو طقوس لم تعد لها نفس الوظائف اليوم.

ذلك هو ما يميز ما كان يسمى "بالدار الكبيرة". أما اليوم فعندما نقول إن السكن كبير فإننا نقصد أنه كبير بالنسبة لساكنيه، والبيت الكبير اليوم هو بيت قليل السكان. وعندما تزداد الكثافة السكانية بالبيت، نقول بأن السكن بدأ يضيق وبالتالي فإن المنزل لم يعد كبيرا.

إلى حدود القرن العشرين، "البيت الكبير" أو "الدار الكبيرة" كانت دائما تعرف كثافة سكانية أكثر من الدور الصغرى، بحيث إن "الدار الكبيرة" (القصبة، القصر،...) كانت تشكل لوحدها فئة اجتماعية قائمة بذاتها. ولم يكن المجال السكني هو المحدد للكثافة ولكن كثرة السكان. لهذا

يقال "الدار كبيرة بأصحابها" وأن "الاتساع في القلب" أي أن الامتلاء يعبر عن القيمة الاجتماعية لذوي الدور أو البيوتات.

وهذه "الدار الكبيرة" كانت تقوم بدور عمومي. لقد كانت هي المكان الذي يجتمع فيه خلق كبير، الأقارب والأصحاب والزبناء والمحميين، بالإضافة إلى الخدم والعبيد المقيمين باستمرار والزوار الذين لا ينقطعون.

وقد كان العيش يمر في غرف صالحة لكل شيء، ولم تكن هناك غرفة خاصة بالنوم. لقد كانت الغرفة مجالا عموميا. ويتم فصل فراشين أو أكثر بالغرفة بمجرد ساتر فقط.

وفيما يتعلق بالتربية العائلية فإنها لم تكن تتحدد في الوالدين وأطفالهما، بل كان الشكل العام للتربية السائد هو الخدمة المنزلية أو "السخرة". إن الواجب الأساسي للطفل الذي كان يوضع رهن إشارة الشيخ أو الحرفي أو غيرهما هو خدمة "هؤلاء". ولا يمكن أن نعتبر أن الطفل كان يوضع كمتعلم (بالمعنى الحديثة للكلمة) ولكن كخادم. وكانت الخدمة المعتادة هي الخدمة المنزلية التي كانت تعتبر طبيعية. لقد كان الأطفال المنتمون "للدار الكبيرة" أو "القصبة" أو "الحرفة" يتعلمون عن طريق الممارسة، ولم تكن هذه الممارسة تتوقف عند حدود مهنة أو شغل أو نشاط محدد ؛ إذ لم يكن هناك فصل بين المهنة أو النشاط والحياة العائلية الخاصة. وقد كانت أسر العوام لا تحتفظ بأطفالها ذكورا وإناثا. كان هؤلاء يوضعون رهن إشارة "الدور الكبرى" ولم يكن هناك مجال للمدرسة. إن "الكتاب" أو "المسيد" الذي كان يتوجه بالأساس للطلبة وللناطقين بالعربية، لم يكن سوى حالة خاصة، يحتفظ بها لفئة خاصة. لهذا فإن "الكتاب" كان في الواقع استثناء وبالتالي فإنه من الخطأ وصف التربية العائلية من خلاله إلى حدود القرن العشرين، لأننا نجعل بهذه الطريقة من الاستثناء قاعدة في حين أن القاعدة العامة كانت هو التعلم عن طريق الخدمة ولم يكن من المستبعد أن تكون هناك حالات يكون فيها التعلم مرفوقا بأشكال بيداغوجية وخصوصا عندما يوضع الطفل في خدمة شيخ من شيوخ الطريقة أو الزاوية.

- معتقدات العائلة ومجالها الحضاري : لقد تزامن تطور نموذج العائلة النسبية الأبوية وخصوصا منذ القرن السادس عشر الميلادي بانتشار ثقافة من الترهيب والخوف ساهمت في تسييرها وترسيخها الزوايا والطرق التي عرفت ازدهارا لا مثيل له بالمجتمع المغربي.

ويجب أن نميز هنا بين الخوف والقلق العفوي الذي كان تحس به فئات عريضة من العائلات، والخوف الفكري الناتج عن التساؤل حول المصائب والآفات والذي كان يقوده الفقهاء والأولياء والمجاذيب من كل نوع، هذا الخوف العفوي يمكن أن نقسمه إلى مجموعتين :

- الخوف المرتبط بالضرورة بالمستوى التقني وبالوسائل الذهنية المطابقة له : الخوف من البحر، من العين، من الجن والعفاريت والظلام، الخ...

- الخوف الدوري الذي يحل ظرفيا مع الأوبئة والمجاعات والقحط والكوارث الطبيعية والزيادة في الجبايات، ومرور رجال الحركة وقطاع الطرق وترحيل مجموعات نسبية من جهة إلى أخرى، الخ...

لقد كانت كل العائلات تقتسم المخاوف من المجموعة الأولى. أما المخاوف الدورية فإنها إما أن تمس كل العائلات مهما كان شكلها (نسبية موسعة أو بسيطة ضيقة) أثناء الوباء أو الغارة أو الحركة، وإما أن تمس فقط العائلات النووية البسيطة للخدام والتابعين خصوصا في حالة المجاعات والقحط.

وقد رسخ تراكم المصائب والآفات التي كانت تصيب العائلات من القرن (16 م) إلى بداية القرن العشرين هلعا ورعبا نجد التعبير عنه في الثقافة العائلية الشفهية منها والمكتوبة والممارسات والطقوس التي كانت تديرها النساء مهما اختلف وضعهن الاجتماعي (حرة أو عبدة أو مسخرة) لأن القاسم المشترك بينهن هو الجهل والأمية.

وقد تشكل "موطن من الخوف" تكونت بداخله حضارة سكنها التضايق. وأدى الخوف والقلق إلى تكريس ظواهر تقهقر الفكر والشعور وانعدام التكيف مع إضافة جرعة زائدة من السلبية واليأس والقدرية (المكتوب) انعكست في التنشئة الاجتماعية إلى يومنا هذا.

هكذا سيترسخ الاعتقاد منذ الطفولة الأولى بأن الكوارث والأمراض والأوبئة والموت ليست بظواهر طبيعية، على الأقل بالمعنى الذي أصبح سائدا في الحضارة التقنية الحديثة. وسيتطور الخوف من البرود الجنسي ومن العقم، وضياع المحصول والقطيع والبهائم وإتلافها ومن الجن، والعين، والجار، ومن المعوقين، الخ... خوف وقلق دائمين، لأن الطبيعة لا تخضع للقوانين، والأمن والأمان غير مضمون، وكل ما هو موجود فهو قابل لتقلبات مفاجئة وخصوصا للتسخير من قبل أولئك الذين لهم علاقة بالكائنات الغريبة السائدة (الجن، الشيطان، الوالي، الطالب، الساحر والساحرة، العين، المعاق، الخ) التي يمكنها أن تحدث مرضا أو وفاة أو عقما أو إعاقة أو كوارث طبيعية.

لهذا وجب "التسليم" والتسامح مع من بيده سلطة التأثير على كل هذه العناصر. وقد كان الاعتقاد السائد هو أن الأولياء أو أصحاب الصلاح (فقهاء، شرفاء، مرابطين، الخ...) يتمتعون بقدرات خارقة تمكنهم من إبعاد الجفاف والأمراض والمصائب كيف ما كان نوعها والتي أولها مشايخ الطرق والزوايا والفقهاء على أنها مظاهر بدهية لغضب الله.

- الأخلاق ونظام القيم للعائلة النسبية الأبوية : لقد كانت ترتكز المنظومة القيمية والأخلاقية المحددة بالدور الكبرى بالمدن والقصبات والقصور على الشرف أو العرض ونقيضه العار أو العيب أو "البهدلة". وقد ترسخت هذه المنظومة منذ القرن (16 م). ويتأسس الشرف أو العرض أو العار أو العيب في الواقع على إمكانية التوفر على مجالات تعتبر محرمة

وممنوعة وهذا لم يكن يتأتى إلا للدور الكبرى أو البيوتات الكبرى ومن ممارسة تضامن قائم على أساس التبادل المتميز سوسيولوجيا بالتحدي والتحدي المضاد.

ويتحدد الشرف أو العرض (العار أو العيب) بوجود مجالات محرمة أو ممنوعة على الغريب عن العائلة النسبية الأبوية، وهذه المجالات هي :

- الأرض والقطيع والبهائم والتابعون لها من فلاحين وعزابة ورعاة.
- تراب الجماعة النسبية وضريح الزاوية أو الطريقة.
- النساء الحرائر (الزوجات والبنات) والبيت.

لقد كان الضامن لهذه الحرمة هم الخدام والمسخرون والعبيد والمحميون لأن عرضهم أو شرفهم هو عرض أو شرف سيدهم.

ولم تكن تكتمل هذه المنظومة القيمية إلا بالتبادل، لأن زعيم العائلة النسبية ملتزم مع أنداده وهو رجل حياة عامة. وكان يتشكل هذا التبادل من تبادل لين وتبادل عنيف. ويتحدد التبادل اللين في الكلام أو الحديث في المجامع التي يشارك فيها زعيم العائلة أو أحد أفراد عائلته البالغين من الرجال. كما يتحدد وبالخصوص بالمصاريف المتباهية على شكل كرم وضيافة وإطعام وعطاء وهبة وصدقة. أما التبادل العنيف أو العنف المادي فيكون عن طريق الضرب أو الجرح أو القتل أو النهب والخطف للمحصول وللمتاع وللبهائم والمواشي وسلب الزوجات والبنات الحرائر لباسهن وحليهن أو خطفهن أو الاعتداء الجنسي عليهن (يراجع في هذا الباب الضعيف الرباطي، *تاريخ الدولة السعيدة*).

- صيرورة التحولات التي عرفتها العائلة النسبية الأبوية :

لقد ساهمت مجموعة من العوامل المباشرة وغير المباشرة في صيرورة التحولات التي ستعرفها العائلة النسبية الأبوية منذ القرن التاسع عشر الميلادي. وقد تميزت هذه التحولات بكونها لم تمس كل النماذج العائلية بنفس الكيفية لا من حيث المدة الزمنية ولا من حيث الامتداد المجالي.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن التحولات ستمس في البداية النموذج المهيمن وهو العائلة النسبية الأبوية الموسعة منذ نهاية القرن (19 م).

من أهم العوامل التي ساهمت في هذه التحولات :

- نظام الحماية القنصلية التي التجأ إليها بعض الأشراف والأعيان. لقد شجع هذا النظام على إقدام بعض الأشراف والأعيان إلى تغيير عوائدهم العائلية في اللباس والتغذية والسكن والترفيه. وقد أشار محمد المنوني إلى وجود تقييد لابن الخياط يرجع تاريخه إلى سنة 1904 (1322) يستنكر فيه هذا الأخير "خروج النساء مع الرجال للنزهة بضواحي مدينة فاس وهن متكشفات متزينات ومتعطرات ويطالب السلطة بجعل حد لهذه الظاهرة ويحث العلماء على تغيير هذا المنكر باللسان والقلم".

- الزواج بالأجنبيات من بعض أفراد عائلات الأشراف والأعيان. مثلا أربعة من أولاد الباشا التهامي الگلاوي تزوجوا من أوروبيات مع بداية القرن العشرين.

- نظام الترتيب لسنة 1901 الذي لم يستثن الأشراف وساوى بين كل العائلات سواء كانت شريفة أم لا، والدخول المتزايد إلى إدارة المخزن والتجارة لأفراد من عائلات الفقهاء والعلماء الحضريين التي لم تكن معروفة سابقا إلا بعلمها، ويتوافر عامل آخر مهم هو المصاهرة واسعة النطاق بين كل الفاسيين مع بداية القرن العشرين. وقد أورد عبد الأحد السبتي مثال عائلة ابن جلون التي كانت تكون أكثر من ثلاث عشرة فرقة. تبدأ الفرقة الأولى بالعالم محمد بن أحمد والثانية بالولي الصالح عبد الجليل والثالثة بالمحتسب علي ابن أحمد الذي مارس التجارة خمسة من أبنائه.

- منع المخزن للبيع العمومي للرقيق بفاس سنة 1905 تحت ضغوط البعثة الأوروبية بطنجة والقضاء على تجارة الرقيق مع دخول الحماية.

- إقامة نظام عقاري يقوم على الملكية الخاصة المسجلة والمحفظة (ظهير 12 غشت 1913) وهذا ما سمح للملكية الفردية بالتطور والتخلص من التبعية وانعدام التحديد والتقدم على حساب الملكية الجماعية للجيش والحبوس والمخزن. وأصبح البناء على هذه الملكية العقارية يعيد هيكلة المجال والمؤسسة العائلية وفق معايير وقيم وطموحات فردية جديدية.

- تحويل المكتنزات من ذهب وفضة إلى الأبناك واستثمارها في النشاطات الاقتصادية الحديثة من عائلات الأشراف والأعيان.

- بداية الفصل بين الملكية والإنتاج مما سيؤدي بالعائلة المالكة لوسائل الإنتاج إلى البحث عن كفاءات غير عائلية لممارسة وتدبير عملية الإنتاج.

- تطور الإقبال على التعليم الحديث من الأشراف والأعيان. وتجدر الإشارة هنا إلى أن التمدرس الحديث سيشكل ثورة عميقة وبطيئة على واقع العائلة النسبية الأبوية. لقد شكل حلول المدرسة الحديثة محل التعلم تعبيرا عن تقارب الأسرة النووية والأطفال وبداية تطابق الشعور الأسري بالشعور بالطفولة اللذين كانا متفرقين في مجال العائلة النسبية الأبوية الموسعة. وقد أصبحت الأسرة بفعل المدرسة تتمركز حول الطفل ذكرا كان أم أنثى. هكذا سيمكن للعائلة أن تصبح حقيقة عاطفية بعد ما كانت مجرد حقيقة أخلاقية واجتماعية. وسيصبح التركيز أكثر على مراعاة المساواة بين الأبناء ذكورا وإناثا، وهذه كلها قيم جديدة مازالت تكتسح كل الفئات الاجتماعية إلى اليوم.

- تطور الإقبال على المراكز الصحية التي أحدثتها سلطات الحماية منذ الثلاثينيات وخصوصا تلك التي تخص الأم والأطفال. ويتعلق الأمر بالأعيان والأشراف الذين أصبحوا من حيث مستوى عيشهم لا يتميزون اجتماعيا عن الأوربيين.

- إحداث نظام الحالة المدنية وتمديده ليشمل المغاربة الراغبين في تسجيل ولاداتهم ووفياتهم (ظهير 1931 المكمل لظهير 4 شتنبر 1915) هذا النظام سيمنح الشفافية أكثر للبنيات العائلية ويعطي الشرعية للانتماء الأسري.

- تطور التعامل النقدي والعلاقات الأجرية التي ستؤدي إلى استقرار الأسرة النووية للعوام وتحررها من التبعية والتسخير للعائلات النسبية الممتدة للشرفاء والأعيان.

- الأمن والاستقرار اللذان أصبحت الدولة تضمنهما وضمان الملكية حتى عندما يتم إعفاء مسؤول عن مهمته، وتطور القانون الوضعي في تحديد الروابط الاجتماعية والعائلية، كل هذا يدل على التحول البطيء نحو التمييز بين السلطة والملكية وهذا لم يكن متوفرا إلى حدود بداية القرن العشرين. هكذا لم يعد أفراد العائلات النسبية مضطرين للتعاضد لحماية أنفسهم وممتلكاتهم حتى يضمنوا أمن الرأسمال وبدأوا في الاستقلال عن بعضهم البعض.

تلك العوامل ستساهم تدريجيا، وذلك حسب المناطق والأوساط الاجتماعية ومع نوع من التفاوت الاجتماعي والجغرافي والزمني، في التراجع المتزايد منذ بداية القرن العشرين لمقومات العائلة الأبوية كالنسب وتعدد الزوجات والجواري وهيمنة القرابة الأبيسية على القرابة الأمبسية واحتجاب المرأة وعدم توريثها وعدم أهليتها. وموازاة مع هذا ستبرز بنيات عائلية جديدة أهمها : نموذج العائلة الميراثية ونموذج العائلة النووية.

ويتمركز نموذج العائلة الميراثية اليوم في المجالات التالية :

- عائلات الوحدات الإنتاجية الصغرى المستقلة سواء كانت منظمة أمر غير منظمة (الفلاحة، الصناعة التقليدية، الحرف الحديثة وتجارة التقسيط).

ومازالت العائلة في أغلب هذه الوحدات تطابق النموذج الميراثي وذلك بالجمع بين الملكية والإنتاج وإعادة الإنتاج، إلا أن التطور في القيام ببعض الوظائف كالأمن والصحة والتكوين... إلخ. من المؤسسات الجماعية قد أثرت على سلطة زعيم العائلة وبدأت تخفف من ثقل التقسيم التراتيبي للمهام داخل العائلة في هذه الأوساط ؛ وخصوصا الشباب عندما يصبحون حاملين لشهادات دراسية فإنهم يقومون بتغيير موقفهم إزاء آبائهم ويصبحون قادرين على التفاوض في بقائهم في الوحدة العائلية شريطة أن تتم إعادة توزيع السلط.

- عائلات المهن الحرة الحديثة (الطب، الصيدلة، المحاماة، المحاسبة، الهندسة، إلخ...) التي تقوم بنشاطات ترتكز حول إعادة إنتاج الميراث أو الموقع الاجتماعي والتي تبقى مرتبطة بالحصول على شهادة عليا متخصصة. لقد أصبحت في السنوات الأخيرة المسالك العائلية لإعادة إنتاج تقوم بنقل الرأسمال الثقافي الذي يمكنه لوحده أن يسمح للأبناء بالحلول محل الآباء في "العيادة" أو "المكتب" أو للاشتراك في بداية الأمر. إن ملكية هذا الرأسمال الثقافي تقوي من استقلالية الأبناء ولكن بكيفية متفاوتة حسب أهمية التجربة عند الأطباء والمحامين والموثقين مثلا، مما يسمح للآباء باحتلال مكان مهم في نقل التقنيات والمعارف المهنية.

- عائلات صاحبة الرساميل (ميراث كبير عقاري، صناعي أو مالي : الأبناك، الفلاحة العصرية، الصناعة الحديثة، التأمين، البورصة، إلخ...) تطابق هذه العائلات المسالك العائلية التي تتميز بصلابة النموذج الميراثي ويتعلق الأمر هنا أولا بإنتاج "ورثة" ذكور لكي يضمنوا الخلافة، وإناث يعتبرن ورقة في الاستراتيجية الزواجية لزعيم العائلة. إن استراتيجيات الإنجاب والتربية والترقية تبقى مشروطة بهذه الأولويات.

أما نموذج العائلة النووية فهو النموذج الذي أصبح مهيمنا على باقي البنيات العائلية. هذا النموذج نجده في الفئات الاجتماعية التالية :

- العائلات العمالية والتي هي منظمة أساسا حسب ضرورة إعادة تكوين وصيانة قوة عمل الرجل. ويمكن للزوج هنا أن يطالب الزوجة بالقيام بكل أشغال ومهام البيت، وعلى العكس بإمكان الزوجة أن تطالب زوجها بأن يضع رهن إشارتها أجره حتى تتمكن من القيام بهذه المهام. وهذا التقسيم الجنسي للأدوار يكون مدعما بالسيادة التراتبية لسلطة الزوج، تراتبا يشتد كلما كانت الأصول قريبة من العالم القروي.

هذا المسلك العائلي المكون بهذا الشكل يعيد إنتاج الثقافة والمركز الاجتماعي والعلاقة بالملكية وكذا المركز الاجتماعي للفتيات.

- عائلات الموظفين والأطر المتوسطة :

لقد عرف هذا النموذج العائلي تطورا ملحوظا منذ الستينيات ولكنه لا يتميز عن العائلات العمالية إلا فيما يتعلق بإعادة إنتاج المظاهر الخارجية للمركز الاجتماعي "لموظف الدولة" : اللباس وأشكال العيش والاستهلاك التي تسمح بتقديم مظهر اجتماعي لائق.

وهذا النوع من العائلات يشكل مسالك عائلية تعيد إنتاج وضعية وموقع اجتماعي متناقض لمن لا يقوم بأشغال يدوية ولكنه مع ذلك يقوم بأعمال تنفيذية. هذا الموقع المتناقض الذي غالبا ما يرتبط بطموح كبير نحو الترقية الفردية هو السبب في انعدام الاستقرار الذي يعرفه أطفال هذه الفئة.

إن المسالك العائلية التي سينشأ وفقها الأطفال ستؤدي بهم في النهاية إلى مستقبل مهني متنوع وأنماط عائلية مختلفة.

- عائلات الأطر العليا :

هذه العائلات المنظمة حسب النموذج النووي تتحدد بضرورة تحقيق المسار المهني للزوج. وهكذا فإن التنظيم العائلي هنا سيكون محددا بأهمية النشاطات الهادفة إلى

ضمان التحسن في الموقع الاجتماعي. ولا يتعلق الأمر هنا فقط بالسكن ولكن أيضا بالتجهيز والشكل الجمالي وشخصنة البيت، أو بالتغذية ولكن أيضا باستقبال الضيوف وتبادل الدعوات والزيارات وبالاعتناء بالمظهر وقضاء العطلة في إقامة سياحية، إلخ...

وإن ضرورة إعادة إنتاج الموقع الاجتماعي تقتضي هنا مسؤوليات إضافية بالنسبة للزوجة، وسيتجلى ذلك غالبا في التمييز الجنسي الكبير بين المهام وذلك حسب مستوى التأهيل والنشاطات المهنية للزوجين أو حسب اندماجهم في الجماعات المهنية والعائلية. وفي الحالات القصوى يجب على "المسؤول" الإداري (القطاع الخاص أو العام) أن يفترق أكثر فأكثر عن عائلته كلما صعد في السلم الإداري ويصبح مساره المهني متوقفا على مدى استعداد زوجته لمساندته، وذلك بأن تتكلف بكل ما يخص البيت والأطفال وأن توفر له إطارا "لائقا" وشريكة حياة يمكن أن تمثله بكيفية لائقة من حيث العناية بنفسها وبمظهرها.

وتجدر الإشارة في الأخير إلى أن هذه التحولات التي عرفتها البنيات العائلية بالمغرب والتي أفرزت هذه النماذج العائلة لم تؤثر على مبدأ البنوة الأبوية ولا على قاعدة السلطة الذكورية ولا على الروابط الدموية التي حافظت على متانتها. وإذا كان النقد يتجه اليوم إلى الروابط العائلية فإن هذا النقد يتعلق بالخصوص بطرق التحالف الزواجي وليس بالبنوة أو الروابط الدموية. وتلعب النساء دورا كبيرا في مجال عمليات التضامن العائلي حتى وإن كان النظام الاجتماعي لا يعترف لهن بهذا الدور.

م. شقرون، العائلة كموضوع : من السوسيولوجية العفوية إلى السوسيولوجية العلمية، السوسيولوجية المغربية المعاصرة : حصيلة وتقييم، منشورات كلية الآداب بالرباط، الدار البيضاء، 1988 ؛ *نظام القرابة والعائلة في المجتمع المغربي*، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، العدد 13 ؛ م. بن عبد السلام الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أحمد العماري، الرباط، 1986 ؛ ن. السلاوي، *الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى*، الدار البيضاء، 1951 ؛ القاضي عياض، *مذاهب الحكام ونوازل الأحكام*، تح. محمد بنشريفة ؛ الونشريسي، *المعيار المغرب من فتاوى إفريقيا والأندلس والمغرب*، منشورات الجمعية المغربية للترجمة والنشر، الرباط، 1980 ؛ المهدي الوزاني، *النوازل* ؛ م. القادري، *نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني*، تح. محمد حجي وأحمد التوفيق، مكتبة الطالب، الرباط، 1986 ؛ ع. الرحمان بن زيدان، *إتحاف أعلام الناس* ؛ ع. الفاسي، *أعيان مدينة الرباط* ؛ ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان* ؛ ع. المحمدي، *السلطة والمجتمع في المغرب : نموذج أيت باعمران*، الدار البيضاء، 1989 ؛ ع. الله نجمي، *التصوف والبدعة بالمغرب*، طائفة العكاكزة (ق. 16.17)، منشورات كلية الآداب بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2000 ؛ م. مزين، *فاس وبادیتها : مساهمة في تاريخ المغرب السعدي (1549.1637)*، منشورات كلية الآداب بالرباط، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1986 ؛ م. البزاز، *تاريخ الأوبئة والمجاعات في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر*، منشورات كلية الآداب بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1992 ؛ أ. التوفيق، *المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر*، إينولتان 1850.1912، منشورات كلية الآداب، الدار البيضاء، 1983.

P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*, Rabat, 1977 ; P. Pascon et al., *La maison d'Iligh et l'histoire sociale de Tazerwalt*, Rabat, 1984 ; G. Lazarev, *Aspects du capitalisme agraire au Maroc avant le protectorat*, A.A.N., XIV, 1975 ; R. Jamous, *Honneur et Baraka*, Paris, 1981 ; P. Bourdieu, *Le sens pratique*, Paris, 1980 ; L. Mezzine, *Contribution à l'histoire du Maroc au XVIIe siècle*, 1987 ; M. Ennaji, *Soldats, domestiques et concubines : l'esclavage au Maroc au XIXe siècle*, 1994 ; M. Kenbib, *Les protégés*, 1996 ; K. Brown, *People of Salé* ; N. Cigar, *Société et vie politique à Fès (1660-1830)*, *H.T.* ; H. Fehrat, *Famille et société à Sabta*, *H.T.*, vol. 30, 1992 ; M. Chabi, *Quelques grandes familles du Makhzen* ; R. Letourneau, *Fès avant le protectorat* ; Rosenberger et H. Triki, *Epidémies et famines au Maroc*, *H.T.*

محمد شقرون

العبابدة واحدهم عبّادي، معروفون بقبيلة الأعراب من أحواز الرباط، عمالة الصخيرات حيث لهم بطن يدعى العبابدة، ولهم بطن آخر في أولاد بوعزيز الشماليين من قبيلة دكالة، هذا زيادة على غيرهم المستوطنين جهات أخرى من المغرب مثل قبيلة بني احسن، فنجد بطن العبابدة ضمن الصف الشرقي من فرقة الصفافعة الذين كان لهم في مطلع القرن العشرين نحو مائتي خيمة.

وقد تولى العبّاديون الحسناويون مناصب القيادة وإلى ذلك سنتعرض فيما يلي من التراجم.

م. بوشعراء، *علاقة المغرب*، 19 ـ 200.

V.T.M., Rabat, Tome III, p. 278 ; *Répertoire des tribus* (1955), p. 21-28.

مصطفى بوشعراء

ابن عبّاد، أبو **عبد الله محمد** بن أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن مالك بن إبراهيم بن يحيى بن عباد النفزي الحميري الرندي، ولد برندة جنوب الأندلس سنة 733 / 1333 ونشأ في أسرة اشتهرت بالصلاح والزهد والاشتغال بالعلوم الدينية. لقي العلماء فأخذ علوم القرآن واللغة والفقه والكلام والأصول والمعقولات عن أساتذة عصره بكل من رندة وتلمسان وفاس من أمثال والده أبي إسحاق إبراهيم وخاله الشيخ الفقيه القاضي عبد الله الفريسي والشيخ الفقيه الخطيب أبي الحسن علي بن أبي الحسن الرندي والإمام العالم أبي عبد الله الآبلي والإمام الشريف أبي عبد الله التلمساني والقاضي أبي عبد الله محمد المقري وقاضي الجماعة أبي عبد الله محمد بن أحمد الفشتالي والفقيه أبي محمد عبد النور العمراني والفقيه أبي الحسن الصرصري والفقيه أبي محمد عبد الله الفشتالي والمقرئ أحمد بن عبد الرحمن المجاصي والفقيه أبي مهدي عيسى المصمودي والفقيه أبي محمد الوانغيلي وغيرهم.

وفي مرحلة ثانية من حياته تحول ابن عباد إلى اتخاذ التصوف سلوكا وعقيدة في حياته الخاصة والعامة ثم نهج "في طريق الصوفية والمباحثة على الأسرار الإلهية حتى أشير إليه، وتكلم في علوم الأحوال والمقامات والعلل والآفات" (*نفح*، 5 : 341). لقي في هذه المرحلة كبار الصوفية وصاحبهم وقصدهم "لوجدان السلامة معهم" فتتلمذ على أبرز

شيوخهم في المغرب كالصوفي الكبير أحمد بن عمر بن محمد بن عاشر السلوي (ت. 764 / 1363) الذي أثر كثيرا في شخصية ابن عباد فأصبح من أبرز مريديه يشيد بذكره ويقدمه على سائر أصحابه ويأمرهم بالأخذ عنه والانتفاع به والتسليم له. فتمكن بفضله من الترقي إلى درجات عالية في طريق السلوك الصوفي. ومن شيوخه أيضا أبو عمران موسى العبدوسي (ت. 776 / 1375) وأبو مروان عبد الملك.

تولى ابن عباد وظيفة الخطابة وإمامة مسجد القرويين بفاس سنة 777 / 1376، وهي الوظيفة التي لم يفارقها مدة خمسة عشر عاما حتى وفاته. وهو بذلك يؤكد أنه لم يكن متجردا ومنقطعا إلى العبادة والزهد وإنما كان ممارسا لحياة اتخذت من مبدأ عدم التعارض بين الاشتغال بالأسباب الدنيوية وسلوك طريق الصوفية منهجا علميا مقتديا في ذلك بالمدرسة الشاذلية. وقد عرف عنه أنه لم يتزوج قط ولم يتخذ لنفسه أمة. وكان يتولى أمر خدمته بنفسه حتى أنه نسب إليه قوله بأن الله قد أكرمه بعدم الرغبة في النساء. ويذكر ابن قنفذ أن ابن عباد كان يلبس في داره المرقعة، فإذا خرج ستر بثوب أخضر أو أبيض، أما تلميذه أحمد زروق فيقول عكس ذلك مشيرا إلى أن شيخه كان يلبس الثياب الرفيعة ويستعمل الطيب.

تقدم حياة ابن عباد وموضوعات مؤلفاته الفقيهة والصوفية صورة معبرة عن التصوف المغربي في عصره، فالرجل شب وترعرع في كنف مدارس بني مرين بفاس التي ركزت في برامج تعليمها على المذهب المالكي ومحاربة البدع، فتأثر بهذا التوجه الرسمي وكذلك بتوجهات العلماء والصوفية الذين تتلمذ عليهم. فالرندي غدا علامة من علامات عصره ليس فقط بالمغرب ولكن بكل الغرب الإسلامي، وعصره تميز بنشاط مدارس صوفية عملت على التقيد بالكتاب والسنة والتزمت بالابتعاد عن تيار التصوف الفلسفي الذي كان يمثله قبل الرندي كل من محيي الدين بن عربي وابن سبعين، كما اهتمت أكثر بالجانب التربوي العملي من التصوف.

ويبدو ابن عباد في رسائله الصوفية والسياسية منشغلا جدا بانتشار البدع في زمانه ويدعو إلى محاربتها. فانتقد الظواهر البدعية التي انتشرت بالمغرب كظاهرة المختصرات الفقهية وظاهرة التقليد في الفقه. فبدأ بنفسه إذ ترك الفقه / علم الظاهر ولجأ إلى التصوف / علم الباطن. ولم يكن ذلك هروبا من مجابهة مشاكل مجتمعه أو تخاذلا عن تقديم حلول لها، بل نجده في بعض رسائله الصوفية يتبنى مواقف معادية من بدع ومستحدثات زمانه ويكاتب سلطان الوقت أبا فارس عبد العزيز بن أبي الحسن (767 / 1366 ـ 774 / 1372) في شأن البلاء الذي عم البلاد كانتشار قطاع الطرق وتعسف الولاة والعمال وإثقال كاهل السكان بالضرائب والمكوس. ويدعوه إلى رفع هذه المظالم ومعاقبة الولاة الظلمة. ويندرج هذا الموقف في إطار مواقف سياسية عامة اتخذها علماء وفقهاء ومتصوفة عصر ابن عباد من الأزمة الأخلاقية والسياسية التي كان المجتمع المغربي يعاني منها فتصاعدت نتيجة لذلك احتجاجات ودعوات توجه الاتهامات إلى السلطة المرينية نفسها كما ساهم ذلك في انتشار التصوف وتزايد شعبية رجالاته في الحواضر والبوادي.

يعد ابن عباد رمزا من رموز المدرسة الشاذلية الصوفية وأحد أهم أعمدتها بالمغرب، ساهم إلى حد كبير في نشر الطريقة الشاذلية بالأندلس والمغرب من خلال تآليفه. فهو أول من ألف شرحا لحكم ابن عطاء الله تلميذ الشاذلي فقرب به حقائق الشاذلية بشكل لم يسبق إليه.

انشغل ابن عباد في مطارحاته الصوفية بملامسة مجموعة من القضايا والأسئلة استعرضها بشكل واضح في رسائله الكبرى وكذلك رسائله الصغرى كقضية الشيخ والسلوك وهل يصح سلوك طريق الصوفية دون شيخ، وغيرها من القضايا التي أثيرت حولها مناقشات ومناظرات بين فقهاء وصوفية الغرب الإسلامي خلال النصف الثاني من القرن الهجري.

وبالرغم من أهمية موقع ابن عباد في هذا النقاش، فإنه يعتبر نفسه ليس أهلا للأخذ في موضوع سلوك طريق الصوفية دون شيخ وأنه لا يستحسنه من نفسه لوجوه : "أحدهما أني أعلم قصور باعي في فن التصوف من قبل أن لم آخذ فيه مع من له ذوق وتحقق فيه من أهله، ولم أعن بتطلبهم والبحث عليهم. وأكثر شأني إنما هو الاشتغال بمطالعة كتب القوم لا غير..." (*الرسائل الصغرى*، 112).

خلف ابن عباد مجموعة من التآليف يصب أكثرها في باب التصوف من أشهرها : *الرسائل الكبرى* التي أهداها إلى تلميذه الشيخ أبي زكرياء يحيى السراج، *الرسائل الصغرى* التي وجهها إلى مريديه وتلامذته يجيبهم فيها على أسئلتهم في آداب التصوف والمتصوفة، كتاب *غيث المواهب العلية بشرح الحكم العطائية* شرح فيه حكم الصوفي المصري ابن عطاء الله المتوفى سنة 709 / 1309، إضافة إلى مؤلفات أخرى بعضها لا يزال مخطوطا والبعض الآخر إما مفقود أو مشكوك في صحة نسبته إلى ابن عباد من بينها نظم الحكم العطائية في ثمانمائة بين من الرجز وتحقيق العلامة في أحكام الإمامة ومجموعة خطب وعظية كان ابن عباد قد ألقاها بمسجد القرويين بفاس عندما كان إماما وخطيبا وظلت بعد قرون من وفاة صاحبها تدرس في جوامع ومدارس بلاد المغرب وتتلى في المناسبات والاحتفالات الدينية كالمولد النبوي والسابع والعشرين من رجب وليلة النصف من شعبان ورمضان وغيرها، ولابن عباد أيضا شرح *أسماء الله الحسنى* و*رسائل على قوت القلوب* وفتح التحفة وإضاءة الشرفة وهو مصنف في علوم الحديث.

توفي ابن عباد بعد صلاة العصر من يوم الجمعة ثالث أو رابع عام 792 / 1390 وحضر جنازته أهل فاس وفي مقدمتهم السلطان أبو العباس أحمد بن أبي سالم المريني

وخاصته في حفل مهيب حتى أن العامة همت بكسر نعشه تبركا به، وليس هذا بغريب لأن ابن عباد كان عند أهل فاس بمثابة الشافعي عند أهل مصر. دفن الرندي بكدية البراطيل من داخل باب الفتوح حسب أحمد زروق أو بالقرب من الباب المسدود المعروف بالحمراء حسب يحيى السراج في حين يشير صاحب *سلوة الأنفاس* إلى أن ضريح ابن عباد موجود في الروضة التي تملكها أسرة تلميذه ابن السكاك وأن هذا الأخير هو الذي دفنه بها. والضريح ظل موجودا إلى زمن صاحب *السلوة* يقصده الناس للزيارة والتبرك.

ابن عباد الرندي، *الرسائل الكبرى*، طبعة حجرية، 1320 ؛ *الرسائل الصغرى*، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1958 ؛ *شرح الحكم العطائية*، ط. القاهرة، 1317 ؛ *مجموعة خطب حول المواسم كعاشوراء والمولد النبوي ورمضان ورجب وشعبان وليلة القدر*، مكتبة الزاوية الحمزاوية رقم 269 والخزانة الحسنية رقم 2688 ؛ *كراسة في المولد النبوي* ؛ *نظم الحكم لابن عطاء الله*، خ. ح. 11609 / 2 ؛ *الدعاء بأسماء الله الحسنى*، خ. ح. 1053 ؛ *نزهة الناظر المتأمل وقيد السائر المستعجل*، خزانة ابن يوسف بمراكش، مجموع رقم 368 / 7 ؛ *فتح التحفة وإضاءة السدفة* (الشرفة)، خ. ع. د. 984 ؛ أبو القاسم الصيرفي، *قصيدة في مدح رسائل ابن عباد النفزي*، خ. ع. د. 891 ؛ أبو زكرياء يحيى السراج، *فهرسة*، خ. ع. ك. 1242 ؛ ابن أبي بكر الحضرمي، *السلسل العذب والمنهل الأحلى*، تح. مصطفى النجار، سلا، 1988 ؛ ابن الخطيب، *الإطاحة*، القاهرة، 1975، 3 ؛ 252، 256 ؛ *الكتيبة الكامنة*، بيروت، 1983، ص. 40، 44 ؛ ابن قنفذ، *أنس الفقير وعز الحقير*، الرباط، 1965، ص. 79، 80 ؛ ابن السكاك، *نصح ملوك الإسلام*، ط. فاس، د. ت. ؛ أ. زروق، *شرح حكم ابن عطاء الله*، تح. عبد الحليم محمود محمد بن الشريف، مكتبة النجاح، 1969، ص. 22، 24 ؛ الونشريسي، *المعيار*، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، 11 ؛ 184، 191، 278، 279 ؛ 12 ؛ 293، 307 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1974، ص. 315، 316 ؛ أ. باب التنبكتي، *نيل الابتهاج*، بيروت، د. ت.، ص. 279، 281 ؛ المقري، *نفح الطيب*، بيروت، 1968، 5 ؛ 341، 350 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ط. حجرية، 1316، 2 ؛ 133، 145 ؛ أ. الحافي، *تحفة الزائر بمناقب الحاج أحمد بن عاشر*، مطابع سلا، 1988، ص. 52، 53 ؛ الزبادي، *إفادة المرتاد بالتعريف بالشيخ ابن عباد*، خ. ع. د. 984 ؛ أبو الوفاء الغنيمي، *ابن عباد الرندي، حياته ومؤلفاته*، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، مجلد 6، العدد 1 و2 (مزدوج)، 1958، ص. 221، 258 ؛ *ابن عطاء الله السكندري وتصوفه*، القاهرة، 1958 ؛ محمد المنوني، *ورقات*، الرباط، 1980، ص. 227، 228، 237، 238، 276 ؛ علي أومليل، *الخطاب التاريخي*، الدار البيضاء، ط. 2، 1984، ص. 176 ؛ بولس نويا، *ابن عطاء الله ونشأة الطريقة الشاذلية*، ترجمة دار المشرق، بيروت، 1986 ؛ ر. السلامي، *رسائل سياسية غير منشورة لابن عباد الرندي*، ضمن متنوعات محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص. 499، 529 ؛ م. فتحة، *البدعة بين سلطتي الفقهاء والمتصوفة أمثلة من المغرب الإسلامي أواخر العصر الوسيط*، دفاتر البحث، المجلد 1، العدد 1، دجنبر 2001، ص. 50، 52.

M. Ben Cheneb, *Etude sur les personnages mentionnées dans l'idjaza du cheikh Abdel Qadir el Fasy*, Paris, 1907 ; L. Massignon, *Recueil de textes inédits concernant l'histoire de la mystique en pays de l'Islam*, Paris, 1929 ; M. Asin Palacios, *Un precursor hispanomusulman de San Juan de la Cruz*, Al-Andalus, 1933, vol. 1 ; P. Nwyia, *Ibn Abbad de Ronda*, Beirouth, 1961 ; Ibid., Ibn Abbad, *Encyclopédie de l'Islam*, nouvelle édition, Leyden - Paris, 1975, t. III ; Ibid., *Ibn Abbad de Ronda et Jean de la Croix, à propos d'une hypothèse d'Asin Palacios*, Al-Andalus, vol. XXII, fasc. 1, 1957 ; M. Kably, *Société, pouvoir et religion*, Paris, 1986 ; J. Renard, *Ibn Abbad ar-Rundi : Lettres on the sufi Path*, Translation and introduction, New-York, 1986 ; K. Honerkamp, *Les rasa-il Al-Kubra de Ibn Abbad de Ronda. Lettres d'un Shadhilite marocain du 14è siècle*, étude, analyse et édition critique (soutenue à Aix-en-Provence 1) ; S. Sqalli Houssini, *Contribution à l'étude du discours politico, religieux sous les dernies mérinides : les lettres d'Ibn Abbad de Ronda au Sultan Abu Faris et le Nush muluk al-islam d'Ibn As-Sakkak* (soutenue à Aix-en-Provence 1).

رشيد السلامي

ابن **عبّاد، عمر محمد**، فقيه ونوازلي ماهر، ومفتي حاذق. ولد بمراكش عام 1320 / 1902 بحومة زاوية لحضر، من أسرة متواضعة، يقال إن أصلها من الأندلس. كان والده محمد بن أحمد قصارا بقصارية ابن يوسف. وهو رابع أخوة أربعة ذكور. أمه شرقاوية.

دخل الكتاب في سن مبكرة عند الشيخ المدرر ابن إيدار برباط سيدي عبد العزيز التباع، فحفظ القرآن الكريم حفظا تاما، وأتقنه رسما إلى جانب تمكنه من بعض المتون. بعدها تاقت نفسه إلى إرواء نهمه وعطشه للعلم، ومجالسة العلماء والمشايخ، فالتحق بالجامعة اليوسفية، ولازم دروس المشايخ وحلقات دروسهم إلى أن بلغ في النحو واللغة والفقه شأنا عظيما، ومبلغا عز نظيره بين أقرانه، وشهد له بهذا التفوق شيوخه. وقد تتلمذ على جماعة من العلماء نذكر منهم :

1) الشيخ أبو شعيب الدكالي
2) العلامة الحاج عبد السلام بن المعطي السرغيني
3) شيخ الجماعة العلامة الحاج العربي البربوشي
4) القاضي العلامة عباس بن إبراهيم التعارجي
5) سيدي أحمد ولد الحاج المحجوب، وغيرهم. وجل هؤلاء الشيوخ أجازوه إجازة كفاءة واستحقاق، ونوهوا بذكائه وحسن خطه واستقامته.

اشتغل أول الأمر عدلا مع القاضي بلحسن بمحكمة أزيرط. ولما عاد الفقيه السيد عباس بن إبراهيم التعارجي من سطات اختاره للعمل معه نظرا لرجاحة عقله، وشدة توثيقه وضبطه. ثم انخرط في سلك العدالة مع ملازمته للتدريس بالجامعة اليوسفية بصفة تطوعية. ولما تم تنظيم الجامعة اليوسفية سنة 1358/ 1939، تفرغ للتدريس، وأقبل الطلبة على دروسه لما لمسوه فيه من التمكن والاستيعاب، إلى جانب التحقيق والتدقيق. وقد قضى زهاء 22 سنة في التدريس، 10 قبل النظام، و12 سنة داخل النظام.

بعد هذه الفترة تولى القضاء، وأبان عن مقدرة، وأقام فيه بنشاط الشباب، وحنكة الشيوخ. ففي عام 1370 / 1950 اختير عضوا بمجلس الاستيناف الشرعي الأعلى بالرباط، ثم عاد بعد ثلاث سنوات إلى مراكش قاضيا للأحكام، ثم مستشارا بمجلس الاستيناف إلى أن بلغ سن التقاعد. وخلال هذه المدة القضائية ما أحصيت عليه زلة تنال من مروءته وشرفه.

ولم يستسلم لهموم التقاعد والفراغ المميت، بل تفرغ للمطالعة ولوازم البيت، والإكثار من الذكر، إلى أن توفاه الله بعد مرض عضال ألزمه الفراش مدة شهر عصر يوم الجمعة 14 ربيع الثاني الموافق 28 يناير 1983، ودفن بمقبرة باب دكالة.

ترك رحمه الله مجموعة فتاوي في مجلد كبير، وكتاب في مناسك الحج، وخطب منبرية.

أ. متفكر، *ذيل الإعلام*، مخطوط ؛ *وثائق عائلية*.

أحمد متفكر

العبّادي، الجيلالي بن الأحسن المدعو بوخْريص كان سنة 1322 / 1904 قائدا على العبابدة حتى عزل، ثم ولي عليهم مرة أخرى سنة 1911 / 1929 بعد أن اشترى منصبه من الصدر الأعظم المدني الگلاوي بمبلغ كبير من المال.

العبّادي، عبد الله بن مَحمد (فتحا)، من القواد العباديين سنة 1324 /1906 بعد عزل القائد الجيلالي المذكور قبله في المرة الأولى. وقد استمر في منصبه سنتين اثنتين.

العبّادي، محمد بن عبد القادر من الفقهاء الأساتذة الذين حمدت سيرتهم، وصفه الكتاني في تحفة الأكياس بصاحب أذكار وتلاوة، وممن يرجع إليه في معرفة ذلك في وقته، وكان مقصوداً لحل بعض الأمور والمشاكل في الفقه، مع ما له من المعرفة في علم الأسماء والمحافظة على ديانته.

وافاه الأجل المحتوم في سادس عشر رمضان المعظم سنة 1327. ودفن بضريح الولي الأشهر سيدي المكتفي داخل درب مولاي عبد المالك بالطالعة.

توفي رحمه عن نحو الثمانين سنة.

م. الكتاني، *تحفة الأكياس ومفاكهة الجلاس فيما غفل عنه صاحب زهر الأس في بيوتات فاس*، فاس، 2 : 421 ؛ *سل النصال / موسوعة أعلام المغرب*، 3 : 3391.

العبّادي، محمد بن قدور استهل حياته العلمية بالأخذ عن شيوخ عصره ؛ كالشيخ إدريس بن أحمد الوزاني، وعن والده الشيخ محمد بن عبد القادر العبادي، المدعو قدور العبادي، كما أخذ عن الشيخ محمد الإيراري وعن الشيخ محمد بن رشيد العراقي والشيخ محمد بن قاسم القادري وغيرهم.

بعد أن تخرج من جامعة القرويين تصدر لتلقي الشهادات والفتوى والتدريس، لينخرط بعد ذلك في سلك القضاء، حيث ولي قضاء صفرو نحوا من عشرة أعوام، كما ولي خطة القضاء بكل من أزمور وطنجة وتازة ووجدة وآسفي وزرهون. وصرف عن القضاء بعد ذلك فاشتغل بالعبادة والذكر والمذاكرة، ثم عين مستشاراً بالمجلس الأعلى وشغل هذا الوظيف نحو السنتين.

خلف المرحوم محمد بن قدور العبادي مجموعة من الآثار العلمية التي نذكر منها :

- محاضرة في موضوع الربا، المطبعة الرسمية 1944.
- *إرشاد الوزير*.

وله كذلك تأليف في الرهان وأنواعها وما جرى به العمل في ذلك.

توفي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد القادر العبادي إلى رحمة الله ليلة السبت ثالث وعشري ربيع الأول عام خمسة وثمانين وثلاثمائة وألف 1385 / 1965، وحمل إلى فاس حيث أقبر بزاوية الشيخ ماء العينين.

أ. النميشي، *تاريخ الشعر والشعراء بفاس*، فاس، 1343 : م. الكتاني، *تحفة الأكياس ومفاكهة الجلاس فيما غفل عنه صاحب زهر الأس في بيوتات فاس*، تع. علي بن المنتصر الكتاني، منشورات مطبعة الصباح الجديدة، 2 : 421، الدار البيضاء، 2002 ؛ ع. الله گنون، *معجم المطبوعات المغربية*، إ. بن الماحي، ت. ع. الله گنون، مطابع سلا، ص. 227 ؛ *من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين*، 2 : 196 ؛ *سل النصال / موسوعة أعلام المغرب*، 3 : 3391، 3392.

سليمان القرشي

العبّادي، مسعود بن عبد الرحمان، عين سنة 1295 / 1878 قائدا على إخوانه، ولم تكد تمر سنتان حتى كان معزولا ومسجونا وتوفي في محبسه بمدينة سلا.

بدأت محنة مسعود عندما تداين بمبلغ من المال لواحد من اليهود سنة 1296، فأمره السلطان بالوفاء بدينه وبيع رؤوس من الماشية بعد أن فرض عليه ذعيرة ألفي ريال تُؤدى لبيت المال.

ومن جهة أخرى كان بنرزوگ الذي كان ولد أخ مسعود قد ضمن عن أناس من إخوانه أداء مبلغ 500 ريال يؤدونها ليعقوب بن سعيد ترجمان القنصلية الفرنسية بالرباط. فأُمر بنرزوگ بتسديد المبلغ وذعر بثلاثة آلاف ريال مثلما ذعر عمه مسعود بألفين.

لكن هذا الأخير عجز عن أداء خمسة آلاف ريال عنه وعن ابن أخيه، لكنهما وعدا بتسديد أربعة آلاف من الريال فقط، لأن مسعود كان يعلم أن الألف الريال الزائدة ستؤول حتما إلى جيب الوزير المرتشي محمد بن العربي الجامعي الذي وعد بالتوسط لتسريح القائد وولده حمو المقبوض معه وكذلك بنرزوگ المذكور أعلاه، وقد ظهر ذلك جليا عندما كتب الوزير بخطه وبلحنه في طرة الرسالة التي وجهها إلى عامل سلا الحاج محمد بنسعيد هاته العبارة : "وما أنعم به (أي مسعود) لجانبنا حزه منه عاجلا ووجهه صحبة من يثاق (كذا) به".

وصدر الأمر لبنسعيد وللأمناء بدفع دار يملكها العبادي بسلا للسمسار، لكنها لما نقصت عن الثمن المعتاد لمثلهما أخر السلطان البيع.

مكث الثلاثة بسجن سلا نحو السنة إلى أن جاءت سنة 1299 / 1882 فوجه حمو بن مسعود وابن عمه بنرزوگ إلى

سجن مراكش في أكبالهما، فمات حمو فيه، كما مات أبوه في سجن سلا قبل ذلك بنحو السنتين، وظل ولد الأخ سجيناً بمراكش إلى ما بعد سنة 1301 / 1885 رغما عن تشفع بنسعيد فيه.

تلك قضية نكبة أصابت ثلاثة أشخاص، فلو أدوا ألف ريال زائد على ما وعدوا به، فلربما سرحوا، ولربما عاد مسعود إلى سالف منصبه كما يقع في مثل هاته الأحوال، ليتمكن إن شاء من استرجاع الخمسة آلاف ريال فصاعدا. والواقع أن مسعود كان لا يملك تلك المبالغ.

م. بوشعراء، *التعريف*، 2 : 170 ؛ *علاقة المخزن*، 110.113 ؛ *وثائق بنسعيد*.

مصطفى بوشعراء

ابن **العباس**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموها على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Abnabez ؛ ومازالت أسر إسبانية تحمل اسم Benavez.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية الكثيرة ذكرها في الرقم 295.

العباس، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Avez - Abez ؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Abbas.

أبو **العباس، أحمد** بن أبي سالم إبراهيم بن أبي الحسن علي بن أبي سعيد عثمان بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق. لقبه المستنصر بالله وهو الخامس عشر من ملوك بني مرين. حكم المغرب الأقصى مرتين، الأولى بين 775 / 1373 و786 / 1384 والثانية بين 789 / 1387 و796/ 1393. أي حوالي سبع عشرة سنة ولذلك اشتهر بذي الدولتين.

ولد أبو العباس بغرناطة عام 756 / 1355 من أم تنتسب إلى أعيان المجاهدين بالأندلس، وهي نزهة بنت أبي العباس خضر ابن أبي عبد الله محمد القباق، ثم عاش حياة المنفى منذ صغره تحت أعين ملوك بني الأحمر، وفي جو من المناورات والدسائس بين غرناطة وفاس خاصة بعد وفاة والده السلطان أبي سالم.

في دولته الأولى بويع البيعة الخاصة بمدينة طنجة في شهر ربيع الثاني من عام 775 ثم بويع البيعة العامة بالمدينة البيضاء من فاس الجديد يوم الأحد السادس أو السابع من محرم سنة 776 / 1374 مباشرة بعد خلع سلفه أبي بكر السعيد الثاني (774 / 1372 ـ 776 / 1374).

تميزت هذه المرحلة بالتدخل السافر لصاحب غرناطة في شؤون المغرب ومحاولاته المتكررة لخلق الفتن والاضطرابات من خلال مناوشته لحكام فاس ملوكا ووزراء والاستئثار بدعم المعارضين لهم من بين الأمراء وتسخيرهم لأغراضه السياسية والتوسعية. وقد شكلت قضية الأديب الشهير لسان الدين بن الخطيب وموقفه المناوئ من سياسة ابن الأحمر ولجوئه إلى صاحب فاس عنصرا مباشرا في تأجيج أحقاد ابن الأحمر الذي قام بمداخلة الأمير المريني أبي العباس اللاجئ بطنجة وشجعه على الثورة ضد صاحب فاس أبي بكر السعيد بعد أن مهد له الأمر بدفع صاحب سبتة محمد بن عثمان بن الكاس ابن عم الوزير المستبد بفاس أبي بكر بن غازي، لدعم الأمير الثائر والدعاء له. وكان ابن الأحمر قد اشترط على الأمير مقابل ذلك أن ينزل له على جبل الفتح ويسلمه غريمه ابن الخطيب. بعد موافقة الأمير على هذه الشروط ومبايعة سبتة وجبل الفتح له بالأمر، سلم الجبل لابن الأحمر الذي أرسل في الحين مساعداته العسكرية والمالية لأبي العباس لينطلق بذلك أحد فصول المواجهة بين الأمير والسلطان المرينيين بتوجيه من حكام غرناطة. عرفت المواجهة بين الطرفين عنفا شديدا خاصة بعد تحالف أبي العباس مع ابن عمه الأمير عبد الرحمن بن أبي يفلوسن وبعض القبائل العربية إلى جانب ابن الأحمر، ثم تمكن الثوار من حصار البلد الجديد والدخول في مفاوضات مطولة انتهت بتنازل السلطان أبي بكر السعيد عن العرش لصالح السلطان الجديد أبي العباس الذي دخل العاصمة في سابع المحرم من عام 776. بعد مبايعته فوض لوزيره القائم بأمره محمد بن عثمان تسيير شؤون البلاد واقتطع لابن عمه الأمير عبد الرحمن أعمال مراكش وسجلماسة وتكون أزمور حدا فاصلا بين مملكتيهما فاس ومراكش. مباشرة بعد ذلك قام السلطان أبو العباس باعتقال ابن الخطيب بطلب من ابن الأحمر ونهب دياره وضيعه بفاس وأودعه السجن حيث قتل ومثل بجسده وأحرق.

لم يهنأ أبو العباس بالاستقرار في حكمه خلال دولته الأولى، إذ سرعان ما تراكمت المشاكل السياسية حوله وتعددت مواقعها : كانت أولاها عودة الوزير المخلوع أبي بكر بن غازي لمعاداة السلطان ومنافسة وزيره محمد بن عثمان مدعما من صاحب غرناطة وكذلك صاحب تلمسان. إلا أن السلطان المريني استطاع مواجهة الموقف بحزم وشدة وتمكن من اعتقال الوزير الثائر وقتله سنة 779 / 1377.

أما المشكلة الثانية فكانت هي الأخطر عندما بدأ صاحب مراكش الأمير عبد الرحمن يقض مضجع السلطان ويعلن عن تطلعاته وطموحاته في حكم المناطق الشمالية وضمها إلى ما كان تحت يده. وقد دشن عبد الرحمن هذه السياسة بقتله حسون بن علي الصبيحي صاحب أزمور التي كانت حدا فاصلا بين الطرفين. فكان هذا الحادث سببا مباشرا في اندلاع حرب بينهما انتهت فصولها الأولى بعقد صلح والالتزام باحترام الحدود السابقة. وبعد فترة عاد الأمير عبد الرحمن إلى سياسته الأولى وابتزاز السلطان بعد أن طلب منه التنازل

له عن عمالة صنهاجة ودكالة وأن تكون الحدود الجديدة بينهما هي وادي أم الربيع. ولم ينتظر عبد الرحمن جواب السلطان إذ بادر إلى احتلال أزمور وأبرم تحالفا مع عامل صنهاجة ودكالة الحسن بن يحيى بهدف مساندته في تمرده مقابل أن يملكه عمالته.

تحت هذه الضغوط اضطر أبو العباس إلى مواجهة الخطر المحدق بدولته فبعث بعساكره إلى مراكش وحاصر أميرها عبد الرحمن، وعندما اشتد الحصار أرغم المؤيدون على الانسحاب من حول الأمير إلى أن أصبح وحيدا في قصبته مع ولديه أبي عامر وسليمان يقاومون حتى قتلوا جميعا في نهاية جمادى الثانية من سنة 784 / 1382، واستعاد أبو العباس بعد ذلك نفوذه على المناطق الجنوبية.

كان على أبي العباس بعد قضائه على تمرد الأمير عبد الرحمن بالجنوب التحول إلى جبهة أخرى هي الجبهة الشرقية لمواجهة خطر بني زيان القائم باستمرار. فقد استغل صاحب تلمسان أبو حمو موسى بن يوسف ابتعاد السلطان المريني عن عاصمة ملكه إلى الجنوب فنظم حملة مع عرب أولاد حسين على مدن تازة وتاوريرت ومكناسة. إلا أن أبا العباس لم يتأخر كثيرا في الرد بعد أن حسم الأمر بالجنوب في أسرع وقت لينقل قواته نحو الجبهة الشرقية ويطرد المهاجمين بل ويرحل إلى تلمسان ويحتلها بعد فرار صاحبها نحو بلاد مغراوة. لكن الظروف شاءت أن تعاكس رغبة السلطان لأنه لن يستطيع الاستمرار في مطاردة أبي حمو وعرشه بفاس مهدد مرة أخرى من بعض المتآمرين عليه من أفراد مخزنه. فقد استغل هؤلاء غياب أبي العباس واتصلوا بابن الأحمر الذي بدأ يعرب عن تضايقه من سياسة حليفه القديم وينزعج من طموحاته السياسية، فاتفقوا معه على أن يقوم بإطلاق سراح الأمير موسى بن السلطان أبي عنان اللاجئ عنده ليجعلوه سلطانا على البلاد بدلا من ابن عمه أبي العباس. وقد وجد هذا الطلب في نفس ابن الأحمر هوى ورغبة ملحة لاستعادة قبضته على الوضع بالمغرب، فما كان منه إلا أن جهز الأمير موسى واستوزر له مسعود بن رجو بن ماساي وسلطهما على أبي العباس. وعندما تمكن الثوار من السيطرة على سبتة غرة صفر من سنة 786 / 1384 ومبايعة رؤساء الشورى وشرفائها له، أدرك أبو العباس خطورة الموقف فتحرك لمواجهته. غير أن المتآمرين بفاس المؤيدين لحركة الأمير موسى كانوا قد حسموا الأمر وتخلوا عن السلطان الشرعي، الشيء الذي ساهم في إضعاف شوكته وتشرذم معسكره وتفرقت جنوده ليقع في قبضة الأمير الثائر ويخلعه عن الحكم يوم الأحد الموفى ثلاثين لشهر ربيع الأول من نفس السنة، ثم يبعث به مقيدا إلى الأندلس مع ولده أبي فارس وبعض أعوانه ويوضع تحت مراقبة ابن الأحمر لتنتهي بذلك أخبار دولته الأولى كما بدأت بتدبير تأثير من غرناطة.

بعد فترة وجيزة من حكم السلطان الجديد موسى بن أبي عنان بدأت الخلافات بينه وبين وزيره مسعود بن ماساي تطفو على السطح ويدخل الوزير في اتصالات مع ابن الأحمر يطلب منه إعادة السلطان أبي العباس المخلوع إلى ملكه. فلما توفي السلطان موسى في ظروف غامضة تراجع الوزير عن طلبه وأسرع في دعوة ابن الأحمر لرد أبي العباس إلى مكانه بغرناطة وأن يبعث إليه عوضا عنه الأمير الواثق محمد بن أبي الفضل ابن السلطان أبي الحسن المعتقل لديه لأنه أليق بالاستبداد والحجر.

تذهب بعض المصادر إلى أن سياسة الوزير مسعود كانت ترمي في واقع الأمر إلى تهييء ظروف ملائمة لاسترجاع ما احتله بنو الأحمر من مدن كانت تابعة للنفوذ المريني خاصة مدينة سبتة. وبالرغم من أن الوزير كان يعلم جيدا خطورة ما سيقدم عليه، وأن المعني المباشر بهذه المواجهة هو حليفه القديم صاحب غرناطة، فإنه بادر إلى احتلال سبتة وراسل ملوك قشتالة في أمر الأمير النصري محمد بن إسماعيل والرئيس الأبكم المعتقلين بإشبيلية وأن يطلقهما على ابن الأحمر. لكن هذا الأخير رد عليه بأن استدعى السلطان المخلوع أبا العباس من معتقله وأركبه السفين إلى سبتة التي استولى على قصبتها في غرة صفر من عام 789 / 1387 ثم على مجموع المدينة ويعيدها إلى حكم بني الأحمر من جديد.

من سبتة انطلقت جهود أبي العباس في استعادة نفوذه على المناطق الشمالية وعندما أشرف على فاس حاصرها مع ولده أبي فارس ومساندة علي بن زكرياء شيخ الهساكرة لأكثر من ثلاثة أشهر، بعدها حصل اتفاق بين أبي العباس والوزير المحاصر مسعود بن ماساي والذي نصت بنوده على الإبقاء على الوزير في منصبه إن تنازل عن الحكم وبايع أبا العباس وأن يبعث ابن ماساي سلطانه الواثق إلى منفاه بالأندلس. على إثر هذا الاتفاق دخل أبو العباس البلد الجديد يوم 5 رمضان من سنة 789 وبويع البيعة العامة يوم 7 رمضان من نفس السنة لتبدأ بذلك دولته الثانية.

وأول عمل قام به أبو العباس بعد استرجاع ملكه ثانية هو التخلص من مناوئيه ومعارضيه من بطانة ابن ماساي، فما كان منه إلا أن ألغى الاتفاق الذي كان بينه وبين ابن ماساي ثم اعتقله وعذبه في سجنه إلى أن قتله مع إخوانه وحاشيته وعين مكانه على الوزارة محمد بن يوسف بن علال.

بعد ذلك قبض على الأمير الواثق وأشخصه إلى طنجة حيث سيقتل لاحقا، ثم نكل بأولياء دولته الأولى الذين تنكروا له بعد خلعه ومنهم محمد بن أبي عمرو وحركات بن حسون النياطي.

تميزت الدولة الثانية من حكم أبي العباس بنوع من الاستقرار والهدوء بعد أن قضى على خصومه وأخذ بزمام أموره بيد من حديد، كما كان لانهماك أمراء تلمسان في الصراع على الحكم وانشغالهم عن التدخل في المغرب الأقصى الأثر الكبير في هذا الاستقرار بل كان ذلك مدعاة لتدخل أبي العباس في مشاكل بني زيان خاصة بعد مقتل عدوه أبي حمو. وقد دعم أبو العباس أحد المتصارعين حول

حكم تلمسان الأمير أبا تاشفين فسده بالمال والجند إلى أن تمكن من الانتصار والاستيلاء على الحكم سنة 791 / 1389 باسم السلطان المريني يقيم الدعوة له ويخطب باسمه على منابر مملكة بني زيان ويبعث إليه بالضريبة على رأس كل سنة. وعندما تغيرت الأحوال وتوترت العلاقات بين أبي تاشفين وأبي العباس بادر هذا الأخير إلى تحريك أمير زياني آخر كان مقيما بفاس هو أبو زيان وجهزه لمحاربة أخيه أبي تاشفين.

حين وصل خبر وفاة هذا الأخير بعد مرضه سنة 795 / 1393 إلى السلطان المريني عجلت في قرار أبي العباس بإرسال ولده أبي فارس إلى تلمسان واحتلالها وإرجاع أبي زيان بن أبي حمو إلى فاس.

عندما كان أبو العباس يشرف على تحركات ولده إلى تلمسان والجهات الشرقية من موقع إقامته بتازى طرقه المرض الذي كان فيه حتفه ليلة الخميس السابع من شهر محرم من سنة 796 / 1394، ومنها حمل إلى فاس ليدفن بالقلة وسنه يومئذ تسع وثلاثون سنة، وعلى إثر ذلك استدعي ابنه أبو فارس من تلمسان ليخلف والده.

ابن الأحمر، *روضة النسرين* ؛ *النفحة النسرينية* ؛ ابن خلدون، *العبر* ؛ *التعريف بابن خلدون*، ضمن العبر ؛ يحيى ابن خلدون، *بغية الرواد*، ط. الجزائر، 1903 ؛ ابن زمرك، *ديوان*، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997 ؛ المقريزي، *السلوك لمعرفة دول الملوك*، بيروت، 1997 ؛ ابن حجر العسقلاني، *الدرر الكامنة*، بيروت، 1 : 93، 94 ؛ الونشريسي، *المعيار* ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس* ؛ المقري، *أزهار الرياض* ؛ *نفح الطيب*، تح. إحسان عباس ؛ الناصري، *الاستقصا* ؛ م. المنوني، *ورقات*، الرباط، 1979 ؛ العباس بن إبراهيم، *الاعلام* ؛ رشيد السلامي، *وثائق مرينية* (مرقون).

Brunschvig, *Grenade et le Maroc mérinide*, "*études d'islamologie*", Paris, 1976, t. 1 ; R. Arié, *L'Espagne musulmane au temps des Nasrides*, Paris, 1973 ; Ch.-E. Dufourcq, *Catalogue chronologique et analytique du registre 1389 de la chancellerie de la couronne d'Aragon*, "*Miscelanea de textos medievales*", t. 2, Barcelona, 1974; M. Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du moyen âge*, Paris, 1986.

رشيد السلامي

العباس (مولاي -)، **أحمد بن محمد** الشيخ الأصغر بن زيدان بن أحمد المنصور السعدي. اسمه الحقيقي أبو العباس، لكن العامة يسقطون لفظ الكنية ويدعونه العباس، فغلب عليه ذلك. أمه شبانية من عرب معقل. لا نعرف شيئا عن تاريخ ميلاده، ولا عن مستواه العلمي، لكننا نستبعد أن يكون حاز نصيبا من العلم وقد رشحه والده للملك.

بويع له بعد وفاة والده محمد الشيخ الأصغر عام 1064 / 1654، فقام مقامه في جميع ما كان إلى نظره، لكن مجال حكمه لم يعد يتجاوز أسوار مدينة مراكش. وبذلك عرفت المملكة في عهده أدنى تقلص لها، وكثرت الدسائس والمؤامرات داخل القصر، وتدخلت النساء في ذلك. وفي السياق ذاته تؤكد المصادر أنه قضى مدة حكمه في الصراع مع أخواله الشبانات الذين استبدوا عليه، وقويت شوكتهم، حتى طمعوا في الملك. فلما "رأت أمه الأمر لا يزيد إلا شدة كلمته في أن يذهب إلى أخواله ويأخذ بقلوبهم ويزيل ما في نفوسهم عليه". فلما ذهب إليهم قتلوه غيلة، واستولوا على الملك، بزعامة عبد الكريم بن أبي بكر الشباني، ومن ثم، لا نستبعد أنهم تآمروا مع أمه ليغتالوه. وقد عبر الإفراني عن استبدادهم بقوله : "إلا أن حي الشبانات... قويت شوكتهم في أيامه، وغلظ أمرهم عليه، ووثبوا على الملك ورامو الاستبداد به، فضايقوه وحاصروه بمراكش أشهرا" (*النزهة*، ص. 374). كان ذلك عام 1069 / 1659. وبوفاته انقرضت الدولة السعدية، وانقطعت دعوتها.

الإفراني، *نزهة الحادي*، تح. ع. الشاذلي ؛ الناصري، *الاستقصا*، 6 ؛ المراكشي، *الإعلام*، 2.

H. De Castries, *Les sources inédites de l'histoire du Maroc*.

أحمد عمالك

العباس (ابن -) **البوعزاوي**، أسرة فاسية نبيلة، كانوا يُعرفون قديماً بآل البوعزاوي نسبة إلى جدهم الشيخ أبي يعزى يلنّور (ت. 572) ثم صاروا يدعون أولاد ابن صابر، وأخيراً استقرت نسبتهم في أولاد ابن العباس. نسبة إلى أحد أجدادهم المدعو العباس. أصلهم من دكالة انتقلوا إلى فاس قديماً.

ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، 2 : 105.

محمد حجي

العباس (ابن -) **البوعزاوي، أحمد** ← **البوعزاوي، أحمد بن محمد** الفاسي

أبو **العباس السبتي** (سيدي بلعباس)، **أحمد** بن جعفر المراكشي، أكبر أولياء مدينة مراكش وأشهر رجالاتها السبعة. عربي الأصل، ولد بمدينة سبتة سنة أربع وعشرين وخمسمائة، وتوفي بمراكش في اليوم الثالث من جمادى الأخيرة سنة إحدى وستمائة (*تعطير الأنفاس*، 6).

مرت حياته بثلاث مراحل هي :

- المرحلة الأولى : مرحلة التعلم.

ينتسب إلى أسرة فقيرة، إذ بوفاة والده اضطرت أمه إلى دفعه لحائك من أجل تعلم الحرفة مقابل أجر. وبالرغم من أن أبا العباس كانت له رغبة في العلم، فكان كما تقول الروايات، يفر من معمل الحائك ليلتحق بكتاب الشيخ أبي عبد الله محمد الفخار (دفين تطوان) فتلتحق به أمه لتعيده إلى الحائك بعد معاقبته. ومع تكرار الحادث تدخل الشيخ مقترحا على الأم أن يعلم الصبي ويدفع لها أجره (*تعطير الأنفاس*، 109). (ويلاحظ أن قصة أبي العباس بسبتة شبيهة بقصة ابن العريف بطنجة، فقد دفعه والده إلى حائك للتعلم فكان يفر إلى المكتب لتعلم القرآن).

ولعل رغبة أبي العباس في العلم، والرعاية الخاصة التي

كان يلقاها من شيخه بسبب ذلك، كانت وراء سرعة تعلمه، فلم تكد تمضي ست سنوات حتى حفظ القرآن والرسالة وفنونا من العربية والأدب. وتسجل له الروايات مواقف وأخبارا مع شيخه.

- منها أنه كان دائم السؤال والاستفسار، فقد سأله ذات يوم عن معنى قوله تعالى (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) فتعجب الشيخ لذلك وقال (ليكونن لهذا الشاب شأن) (*أخبار أبي العباس*، 1 ؛ وأظهار الكمال، 158). وفي هذا تمهيد لما سيكون عليه أبو العباس وتقديم لمذهبه في العدل والإحسان والصدقة.

وأبدى أبو العباس الرغبة في السفر طلبا للعلم ولقاء المشايخ ووقع اختياره على مراكش، لأنها كما قال لشيخه "مدينة العلم والخير والصلاح" (*أخبار أبي العباس*، 6 ؛ *إظهار الكمال*، 160). ولأنها كذلك عاصمة الدولة الجديدة، فقد كان خروج أبي العباس من سبتة سنة أربعين وخمسمائة، (وعمره ست عشرة سنة) وهي السنة التي تأكد فيها انتصار الموحدين على المرابطين، خصوصا بعد مقتل تاشفين سنة تسع وثلاثين وخمسمائة.

وفي طريقه من سبتة إلى مراكش بمعية وصيفه مسعود الحاج (دفين حومة الموقف، *السعادة الأبدية*، 1 : 116). صدرت عنه كرامات وردت في كل تراجم أبي العباس (*أخبار أبي العباس*، 11.18 ؛ *السعادة الأبدية*)، تبرز مشاغل المجتمعات القروية التي مر بها وهمومها، وتعطي صورة عن المتاعب التي لقيها في رحلتهما (*تعطير الأنفاس*، 12.30.31).

- المرحلة الثانية : الخلوة.

وجد أبو العباس مدينة مراكش في حالة حصار (استمر من محرم إلى شوال سنة إحدى وأربعين وخمسمائة). فصعد إلى جبل جيليز مع وصيفه، وفي تعطير الأنفاس (إن الله أنبع عينا من ماء وجعل يتعبد في ذلك الجبل والفقير معه يخدمه) (*تعطير الأنفاس*، 32).

وتكتنف سيرته ثغرات ونقط استفهام، ابتداء من تاريخ حلوله بمراكش فبدل أن تقدم المصادر تفاصيل عن حياته تكتفي بسرد مجموعة من الكرامات المنسوبة إليه. فغلبت بذلك جانب الأسطورة على جانب الواقع فلا يبقى إلا استخلاص ما يمكن استخلاصه منها مما يلقي بعض الأضواء على سيرة الشيخ أبي العباس، مع العلم أنها - سواء صحت نسبتها إليه أم لا - تعبر عن هموم البيئة التي عاش فيها وتطلعاتها وآمالها.

لقد بقي بخلوته أربعين سنة (من سنة أربعين إلى ثمانين وخمسمائة) وهي السنة التي تولى فيها يعقوب المنصور الحكم. ونعرف ميل هذا الأخير إلى مجالسة العلماء واستدعائه لهم.

ومع تسليمنا بوجود بعض الزهاد في جيليز، فإننا لا نعرف نوعية الحياة التي كانوا يحيونها على ظهره ولم تصلنا أسماء الشيوخ والعلماء الذين أخذ عنهم أبو العباس بالجبل، ذلك لأن حضوره إلى مراكش كان بقصد طلب العلم كما أسلفنا. ونفهم من بعض الكرامات أنه كان منقطعا بالجبل لا ينزل إلى المدينة، فرفيقه مسعود الحاج كان ينزل وحده إليها لأداء صلاة الجمعة (*تعطير الأنفاس*، 23 - 24).

وفي هذه المرحلة من حياته كان يزور الشيخ أبا يعقوب ابن أمغار بتنيط، فقد ذكر الزموري نقلا عن صاحب *أنس العارفين*، أن الشيخ المذكور كان جالسا في مسجده الذي بناه على ضفة البحر مع شاب جميل الصورة، بديع الجمال، أبيض اللون، يتحدث معه في فنون العلم. ولما أحضرت الخادم لهما الطعام تعجبت من حسن الشاب وجماله، وأساءت الظن بالشيخ، فجعلا يأكلان وهي جالسة، فلما استوفيا من الأكل، سأل الشاب الشيخ في الدعاء فدعا له وودعه، فجعل الشاب يمشي على ماء البحر والخادم تنظر إليه، فالتفت إليها الشيخ قائلا : لا تسيئي الظن بأولياء الله تعالى يا خبيثة النفس، واعلمي أن ذلك الشاب هو الولي المتبرك به شرقا وغربا، برا وبحرا، أبو العباس السبتي أتى اليوم لزيارتنا على عادته (*بهجة الناظرين* للزموري، 119 أ ب ؛ و*تعطير الأنفاس*، 7 - 8).

فهذه الصفات لا تنطبق إلا على هذه المرحلة من عمره، ويؤكد هذا الخبر ما سلف من ظهور آيات الصلاح على أبي العباس وهو صغير السن.

ويمكننا هذا الخبر كذلك من اعتبار أبي يعقوب بن أمغار من شيوخ السبتي إذ كان يجالسه ويتحدث معه في فنون العلم، ويطلب دعاءه متحملا في سبيل ذلك قطع خلوته بجيليز.

- المرحلة الثالثة : تكوين المريدين وتربيتهم.

ظروف دخول أبي العباس لمراكش، وقطع خلوته الطويلة يكتنفها الغموض. فإذا كنا متأكدين من تمام ذلك على عهد المنصور، فإن الاختلاف واقع في التاريخ والسبب :

- فعند البعض أن وصول أخبار كرامات أبي العباس بعد نزوله على جبل جيليز، جعل المنصور وأعيان المدينة يطلعون إليه للتبرك، ودعاه الخليفة إلى الإقامة بالمدينة وحبس عليه مدرسة للعلم والتدريس ودارا للسكنى (*أخبار أبي العباس*، 3 ؛ *وإظهار الكمال*، 142.143). ولعل ذلك قد تم في بداية حكم المنصور، فيكون السبتي قد قضى - كما في المصادر - أربعين سنة في الخلوة (من أربعين إلى ثمانين وخمسمائة).

وهذه المرحلة من أخصب مراحل حياة أبي العباس ففيها تم نشر مذهبه على نطاق واسع إذ كان يطوف بنفسه في الأسواق ويحث الناس على الصدقة وعلى المتاجرة مع الله (درهم يساوي عشرة) - كما كان يقول -.

وفي هذه الفترة كذلك كون الشيخ أسرته فقد أعطاه المنصور دارا بأحواز جامع الكتبيين (فندق مقبل بحي اكدير) فتزوج وأنجب عددا من الأولاد ذكورا وإناثا (*تعطير*

الأنفاس، 26 و36) ورد ذكرهم في بعض كراماته (*تعطير الأنفاس*، 73.46.45.36.35 و*الإعلام*، 4 :330). وتذكر له المصادر حفيدا هو أبو زكريا، فتقول بأنه كان بجانبه وهو يسلم الروح.

صفاته : حدثنا الزموري بتفصيل ـ في الخبر السابق الذكر ـ عن صفاته الخلقية (بفتح الخاء) في خبر اتصاله بأبي يعقوب بن أمغار.

وتطنب المصادر في الحديث عن صفاته الخلقية (بضم الخاء) أهمها : بسطة اللسان والقدرة على المجادلة والكلام، لا يناظره أحدا إلا غلبه وكان سريع الجواب كأن القرآن ومواقع الحجج على طرف لسانه عتيدة حاضرة يأخذ بمجامع القلوب ويسحر العامة والخاصة يأتيه من يأتيه للإنكار عليه فما ينصرف إلا وقد سلم له وانقاد لقوله (*بادرة الاستعجال*، 39 ؛ *وإظهار الكمال*، 167). وهي صفة يحتاج إليها صاحب مذهب كأبي العباس.

كما كان كثير الدعابة ولكن مع قول الحق، كأن يقول لمن يحب التقدم والزعامة (التيس) ولمن يحرص على الدنيا (ياقطيم)، وغير ذلك من الألفاظ التي تستكره (*تعطير الأنفاس*، 21). ويرفض الغيبة ولو كان ذلك عن طريق المفاضلة بين الشعراء، فقد طلب منه ابن مساعد رأيه في شعر لابن حبوس وأبي العباس الجراوي فاعتذر عن الجواب لأن فيه غيبة إذ سيعز على أحدهما أن يفضل على الآخر (*أخبار أبي العباس*، 9).

وكان كلما انشدت أمامه أبيات غزلية عارضها بأبيات في الحث على الصلاة والعبادة. (*أخبار أبي العباس*، 9 ؛ *وإظهار الكمال*، 129). وكان قائما على الحق يحمل السوط ويمشي في الأسواق يحض الناس على الصدقة والصلاة ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، وقد تحمل في سبيل ذلك كلامهم وإيذاءهم.

مذهبه : يرتفع سند أبي العباس في الطريقة إلى الأقطاب، الغزالي، الجيلاني، أبي يعزى بواسطة سندين :

1 ـ عن أبي عبد الله الفخار شيخه بسبتة.

ـ عن القاضي عياض.

ـ عن أبي بكر بن العربي.

ـ عن الغزالي وأبي يعزى.

2 ـ عن أبي عبد الله الفخار.

ـ عن القاضي عياض.

ـ عن أبي علي الصدفي.

ـ عن عبد القادر الجيلاني (*تعطير الأنفاس*، 13 ؛ *وإظهار الكمال*، 173.157).

ومع أخذه عن هؤلاء الشيوخ يبقى مذهبه القائم على الصدقة متميزا، فأبو يعزى وإن اشتهر بتوزيع تسعة أعشار من زرعه والاكتفاء بالعشر (*إظهار الكمال*، عن المعزى، 173.172) فإن الأمر لم يصبح عنده مذهبا ينظر له، وينذر حياته لتطبيقه.

وترجع الروايات جذور هذا المذهب إلى طفولة أبي العباس، عندما سأل شيخه الفخار عن معنى قوله تعالى : "إن الله يأمر بالعدل والإحسان" (سورة النحل، آية : 90). واكتملت معالمه أثناء خلوته الطويلة في جبل جبليز حيث كان كثير التدبر في القرآن الكريم، والعبادات. وهكذا فإنه يرد أصول الشرع إلى الصدقة :

ـ فالتكبير للصلاة معناه التخلي عن كل شيء وعدم الضن على الله بشيء، والركوع معناه المشاطرة، والسلام من الصلاة الخروج من كل شيء.

ـ والمعنى الحقيقي للصوم الشعور بالجوع للتصدق والعطاء.

ـ والزكاة فرضت كل سنة لتعويد الناس على البذل والعطاء في كافة أيام السنة.

ـ والحج معناه التجرد من كل شيء، والبذل لله وإظهار العبودية.

ـ وسر الجهاد بذل النفس في مرضاة الله، وترك التعلق بأسباب الدنيا (*أخبار أبي العباس*، 2 ـ 7 ؛ *تعطير الأنفاس*، 12. 13 ـ 18 ؛ *إظهار*، 120 ـ 121).

ولاحظ أن كثيرا من الآيات والأحاديث تحض على الصدقة وتدعو إليها :

ـ ففي قوله تعالى : (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى....) سورة الليل، آية : 6. إشارة إلى أن أصل الخير في الدنيا والآخرة الإحسان، وأصل الشر البخل.

ـ ولما أراد الله هلاك آل فرعون دعا عليهم بالبخل (ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا، ربنا ليضلوا عن سبيلك...) سورة يونس، آية : 88.

ومن الأحاديث التي تنص على فضائل العطاء والبذل، قوله صلى الله عليه وسلم : "اتقوا النار ولو بشق تمرة".

والآيات التي كانت تأتي على لسانه، ويوضح بها مذهبه كثيرة تدور كلها حول الصدقة والإحسان والعطاء (*أخبار أبي العباس*، 2 ؛ و*تعطير الأنفاس*، 13 ـ 19. 20 ؛ وإظهار، 134). إلا أن قوله تعالى (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) هي أكثرها ورودا على قلبه ولسانه ـ كما قال ـ يفسرها تفسيرا خاصا يوضح به مذهبه :

فالعدل : عنده هو المشاطرة، وقد علم الرسول المسلمين مفهومها عندما آخى بين المهاجرين والأنصار، وشاطر الأنصار المهاجرين، فعقد السبتي مع الله ألا يأتيه شيء إلا شاطره إخوانه المومنين من الفقراء، فسار على ذلك عشرين سنة، يتصدق بنصف ما يملك (من سنة أربعين إلى ستين وخمسمائة).

ـ بعد ذلك عاد للتدبر في الآية، فوجد أن العدل هو الشطر، وأن الإحسان مازاد عليه، إذن فالإحسان هو المشاطرة والإيثار أي إعطاء النصف مع إيثار المحتاج ومساعدته من النصف الثاني، فعقد مع الله عقدا آخر يمسك بمقتضاه الثلث ويتصدق بالثلثين، فعمل بذلك مدة عشرين سنة أخرى (من ستين إلى ثمانين وخمسمائة) ونتج عن هذا العقد أن مكن

الله أبا العباس بالولاية والعزل في الخلق، ولعل هذا ما قصده ابن عربي عندما قال في *الفتوحات المكية* : (دخلت مراكش فوجدت أبا العباس السبتي يولي ويعزل، ويخفض ويرفع ويعطي ويمنع، فتمنيت هذا المقام) (آخر الباب : 360 . 3 . 386).

- ولم يقف أبو العباس عند هذا القدر فأراد تجاوز مقام الإحسان بشكر النعمة، فقسم ما يأتيه إلى سبعة أقسام : قسم هو حق النفس، وقسم حق الزوجة والأولاد ومن تجب نفقته (كان عددهم اثنين وثلاثين شخصا) ويصرف الباقي لمستحقيه فأقام على ذلك أربع عشرة سنة، فصار بمقتضاه مجاب الدعاء (*أخبار أبي العباس*، 2 . 7 . 17 ؛ *تفاصيل المذهب في إظهار الكمال*، 125 . 127 و136 . 137 ؛ و*تعطير الأنفاس*، 16 . 18 .

وبلغت درجة الاستجابة حدا جعل القدماء يقولون لا يمكن لأي مخلوق أن يساوي عبادة الحسن البصري، وزهد داوود الطائي، ومعارف أبي مدين، وهمة أبي العباس السبتي. أي أنه كانت له همة عالية تنفعل لها الأشياء على مقتضى مراده بقدرة الله تعالى (*تعطير الأنفاس*، 23)، كما أخبر بذلك عن نفسه في مثل قوله "أحكم بالخاطر وكل ما أردته كان" وقوله "أحكم في السماء" (*إظهار الكمال*، 166).

وفي حديث مروي عن أبي الحسن علي بن زكرياء أنه قال: سمعت أبا العباس يقول : أنا هو القطب. (*تعطير الأنفاس*، 22 ؛ *إظهار الكمال*، 130 . 187).

وقد سمع ابن رشد بمذهب أبي العباس فأرسل أبا القاسم عبد الرحمن ابن إبراهيم الخزرجي من قرطبة ليأتيه بخبره، ولما أعلمه بما رآه وسمعه أثناء مقامه مع السبتي قال ابن رشد : (هذا رجل مذهبه أن الوجود ينفعل بالجود) (*أخبار أبي العباس*، 2 ؛ *تعطير الأنفاس*، 18 ؛ *وإظهار الكمال*، 121). أي أن الصدفة تعاقد بين الخالق والمخلوق نتائجه مضمونة.

لهذا كان يدعو الناس إلى المتاجرة مع الله : الدرهم بعشرة إشارة إلى قوله تعالى : (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) (سورة الأنعام، آية : 160).

ويحثهم في الأسواق والمحلات العامة على حل مشاكلهم وتحقيق مطالبهم عن طريق الصدقة والإحسان. وظل مخلصا لمذهبه إلى حين وفاته، إذ أوصى (وهو يحتضر) بالإحسان.

وقد نهض أبو العباس السبتي بأدوار مهمة في حياته :

1 - الدور التربوي والعلمي :

انكب على تدريس الطلبة والمريدين - بعد إنهاء خلوته - في المدرسة التي خصصها له يعقوب المنصور بحي أگدير (قرب الكتبية)، وكان يدرس الحساب ويحضر مجالسه عدد متزايد من الطلبة.

إلا أننا لا نعرف شيئا عن الكتب المدروسة وطريقة التدريس، كل ما وصلنا هو اجتماعهم في الليل وارتفاع أصواتهم بالمذاكرة، الشيء الذي يجر عليهم أحيانا غضب حراس الليل، وتوزيعه أجرته على المحتاجين من الطلبة، وتحضير الطعام لهم. (*أخبار أبي العباس*، 8).

وتدريسه للحساب يطابق ما نعرفه من اشتغاله بالعلوم كعلم السيمياء (أو الحروف والأسماء) وعلم الكيمياء. فقد نظم قصيدة مطولة في هذا الموضوع (الزايرجة) أثبتها ابن خلدون في تاريخه ورسم دائرتها وجداولها، مطلعها :

يقول سبيتي ويحمد ربه مصل على هاد إلى الناس أرسلا

تاريخ ابن خلدون، 1 : 912 . 939، شرحها أبو الفيض المطيع بن سعيد العباسي (*السعادة الأبدية*، 2 : 66) وكان محمد بن أحمد المراكشي من أهل المرية يشتغل بها ويفسرها، بهر الناس بذلك (*الإعلام*، 4 : 353 . 354).

وله منظومة في الكيمياء، مطلعها :

لك الحمد يا مولاي حمدا مكملا لمالك من من علي تفضلا

من أشهر تلامذته : أبو يعقوب يوسف بن محمد بن الحسن الأنصاري المعروف بابن الحكيم (توفي سنة 605 / 1208 قيل إنه كان كثير التأسف والتلهف على شيخه حتى مات بحبه. وأبو بكر بن مساعد ابن محمد اللمطي لازم أبا العباس مدة طويلة، وقد لقيه ابن الزيات وأخذ عنه كثيرا من أخبار السبتي وكراماته. وعيسى بن شعيب الوارد ذكره في *تعطير الأنفاس*، 55.

2 - الدور الاجتماعي :

أهم الأدوار التي نهض بها أبو العباس إذ كان يركز نشاطه على خدمة المجتمع بكافة عناصره، وخاصة منها العناصر المعوقة كالعميان والمقعدين وغيرهم. كان يقدم الطعام للمعوزين والمحتاجين. ومن المصادر أنه كان لا يطيب له طعام ولا يركن إلى نوم إذا بقي أحد سكان حيه دون أكل أو غطاء (*إظهار الكمال*، 130 . 131 ؛ و*تعطير الأنفاس*، 52 . 53).

وكان الناس يلجؤون إليه عند احتباس المطر لطلب الاستسقاء فيتقدمهم لذلك خارج باب أغمات وباب إيلان بعدما يحثهم على الاستغفار والتصدق (*أخبار أبي العباس*، 12).

واشتهر أبو العباس السبتي في حياته بقضاء أغراض كثيرة : إقامة العدل وإنصاف المظلوم، الاستشفاء من الأمراض ومساعدة الفقير واليتيم والمحتاج والعاجز.

وبذلك اشتهر ذكره في المغرب كله ولجأ إليه ذوو الحاجات من جميع الجهات، ومازال ضريحه قبلة لفئة من الناس يعتقدون استمرار قضائه للحاجات حتى بعد وفاته.

ي. التادلي، *أخبار أبي العباس السبتي*، ذيلت بها الطبعة من التشوف، تح. أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1984 ؛ ع. المراكشي، *إظهار الكمال في تنميم مناقب أولياء مراكش سبعة رجال*، مخطوط الخزانة الحسنية رقم 232 ؛ *الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الإعلام*، نشر عبد الوهاب بنمنصور، المطبعة الملكية 1974 . 1983 ؛ م. العالي بن المكي الأندلسي، *بادرة الاستجمال في مناقب السبعة رجال*، مخطوطة خاصة بالرباط ؛ م. بن عبد العظيم الزموري، *بهجة الناظرين وأنس الحاضرين ووسيلة رب العالمين في مناقب آل أمغار الصالحين*، مخطوطة خاصة بمراكش؛ ع. خلدون، *تاريخ ابن خلدون العبر*، ط. دار الكتاب، بيروت 1956 ؛ م. المراكشي، *تعطير الأنفاس في التعريف بالشيخ*

أبي العباس، طبعة حجرية بفاس، 1336 ؛ *السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية*، ط. حجرية 1335.

حسن جلاب

العباس (مولاي -) ابن السلطان **عبد الرحمن** بن هشام نموذج الأمير الذي تأتّى له أن يُزاوج بين العلم والسياسة والقيادة العسكرية. وغني عن البيان أن وضعيته العائلية وحيثياته قد سمحت له بالاستفادة من تربية وتكوين على عدد من مشاهير فقهاء وعلماء الوقت، في مكناسة الزيتون، مسقط رأسه أول الأمر، ثم في مراكش وفاس، كالفقيه العلامة أبي العباس أحمد المرنيسي، والشيخ العباس بن كيران، والقاضي علي بن محمد الهواري، والفقيه ابن عزوز، والقاضي المهدي بن سودة والوزير الفقيه علي المسفيوي ... وقد فقههم هؤلاء جميعا وغيرهم من علماء الوقت في الدراسات القرآنية، والفقهية، واللغوية، وحدثوه عن أمهات كتب الأدب العربي القديم، شعره ونثره.

وبما أن السلطان المولى عبد الرحمن كان يولي عناية خاصة إلى تربية وتعلم الأمراء، ويتابع شخصياً وباستمرار سيرتهم وسلوكهم، آمراً الأعوان المخزنيين المكلفين بشؤونهم بعدم التساهل في تدبير وتصريف شؤونهم والإسراع إلى تلبية رغباتهم وطلباتهم إلاّ بعد استئذانه في ذلك.

وكان العاهل، قبل ذلك، قد أصدر أوامره إلى باشا مكناسة الزيتون وگيش البُخاري بها، بتعيين قائد عسكري ومَخْزنيَّيْن، يكون ثلاثتُهم عند إشارة الفقيه الريفي، ويُنَفِّذُون أوامره، بما في ذلك زجْرُ وإنْزالُ أشَد العقوبات بساحة من يتهاون من الأمراء في عمله أو يسيء التصرف نحو معلميه. ومن علامات استحسان والده لسيرته، وتقديره لمؤهلاته العلمية والشخصية، تكليفُه بقيادة حملات عسكرية في جهات مختلفة من البلاد، فكان رابع الإخوة الذين كان يُشركهم السلطان في تسيير شؤون البلاد، ونعني بهم الخليفة سيدي محمد الذي صار فيما بعد سلطانا للبلاد، والمولى سليمان الذي شغل فيما بعد منصب الخليفة السلطاني بناحية تافيلالت، والمولى أحمد، الخليفة السلطاني برباط الفتح وجد صاحب "إتحاف أعلام الناس ..." الشريف عبد الرحمن بن زيدان من جهة والدته، وثلاثتُهم ما عدا المولى أحمد أكبر منه سنّاً.

على أن الرجل لم يشتهر أمره، ويقوى نفوذه في الجهاز المخزني، إلاّ بعد اعتلاء أخيه سيدي محمد عرش البلاد سنة 1859، على إثر وفاة والدهما. فصار الساعد الأيمن لأخيه، ينوب عنه في المهام الجسام، عسكرياً وسياسياً، ويفاوض الأجانب ويبرم الأوفاق والمعاهدات معهم باسمه، كما حصل ذلك في حرب تطوان المشؤومة سنة 1859 - 1860، حيث تولى قيادة العمليات العسكرية ضد القوات الإسبانية الغازية. ولا يهمنا هنا التطرق إلى قدرات ومؤهلات الأمير العسكرية ومن كان معه من عناصر العسكر، والگيش، ومتطوعة القبائل، ومسؤوليته في الهزيمة التي مُني بها المغاربة، بقدر ما يهمنا الإلحاح على الثقة الكبرى والمكانة المتميزة اللتين كان يتمتع بهما لدى السلطان أخيه.

والمثير للانتباه في نمط عيش هذا الأمير وغيره، أو على الأقل في جانب منه أو مظهر من مظاهره، وبالرغم من وضعيتهم الاجتماعية الرفيعة، أنه كان يغلب عليه طابع البساطة والتقشف، بل أحيانا الخصاصة، على عكس ما قد يتبادر إلى الذهن، أو يتخيله الإنسان.

وفي مصادرنا إشاراته ومعلومات تفيد أن المترجم ظل محترم الجناب، مسموع الكلمة لدى ابن أخيه السلطان المولى الحسن. وقد سُرَّ هذا الأخير وانشرح صدره، بعد أن عَلِمَ بموقفه المؤيد له، عند عقد بيعته بمدينة مراكش، مباشرة بعد الانتهاء من مراسيم دفن السلطان سيدي محمد، المتوفى في 18 رجب 1290، الموافق 11 سبتمبر 1873. وتوطّدت العلاقات أكثر بين الرجلين وازدادت حميميةً، بعد أن اتخذ العاهل زوجا له السيدة زينت، إحدى كريمات عمه العباس والتي أنجبت له المولى مَحمد الذي صار فيما بعد خليفة بمدينة مراكش حتى الشهور الأخيرة من عهد والده، والمولى زين العابدين الذي شغل نفس المهام بمدينة تيزنيت.

وبينما كان مولاي العباس في مهمة بقبيلة المنابهة، في ناحية مدينة مراكش، وافته منيته زوال يوم 8 شعبان 1296، الموافق 28 يوليوز 1879، فنقل جثمانه إلى المدينة المذكورة، حيث وُوريَ التُّرابَ في ضريح يوسف بن علي.

خ. ح. *الوثائق الزيدانية*، مجلد 17، الوثيقة، رقم 214 بتاريخ 2 شعبان، 1278 / 2 يناير 1862 ؛ محفظة حسنية، رقم 78، وثيقة بتاريخ 9 رمضان، 1303 / 11 يونيو 1886 ؛ ع. الرحمن، ابن زيدان، *إتحاف*، الرباط، 1929 - 1933 ج 2، ص. 122 - 279 - 546 - 548، ج 3، ابتداء من ص. 334، ج 5، ص. 412 - 423 ؛ *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 7، ص. 2663 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1977، ج 8، ص. 21 - 23 ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية* : مجلة الوثائق، المطبعة الملكية، الرباط، 1976، ج 3، ص. 341 و497.

مصطفى الشابي

العباس، عبد الرحمن، فقيه زاول خطة العدالة سنة 1226 (1811) وفي السنة التالية عين نائب القاضي بتطوان.

وعبد الكريم بن محمد العباس، كان يقوم بمهمة شيخ النظر سنة 1237 (1822).

العباس، عبد السلام بن أحمد، فقيه كان يزاول خطة العدالة سنة 1211 (1796).

العباس، محمد بن أحمد بن محمد، فقيه كان في عصره أكبر عالم بالنحو فسمي سيبويه تطوان، وكان خطاطا ماهرا له ولع بنسخ الكتب وفي سنة 1190 (1776) كان يزاول خطة العدالة.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة (1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية الكثيرة.

محمد ابن عزوز حكيم

العباسي، أسرة سوسية عالمة من قبيلة سملالة، ينتسبون إلى جدهم عباس الذي قطن في تومانار من بسيط تازروالت. يرفع بعضهم نسبه إلى ابن زرب قاضي قرطبة، قال في *المعسول* وربما كان ذلك صدقاً إن كان آباؤهم هاجروا من الأندلس كما وقع للگراميين أبناء أبي بكر ابن العربي المعافري، وهناك عباسيون آخرون في قبيلة ماسگينة السوسية ينتسبون إلى الشرف.

توارث العباسيون هؤلاء العلم والأدب طوال أربعة قرون وآخر المترجمين منهم في *المعسول* محمد بن الطيب الذي لقيه المختار السوسي قبيل الحرب العالمية الأولى وأعجب بشعره وأثبت قولة بعضهم فيه : "عندليب روض أريض، رخيم الصوت، طيب الغناء".

وقد ترجم في *المعسول* لتسعة عشر من علماء العباسيين وأدبائهم، وفيهم فقهاء وقضاة وأدباء وشعراء وعمل بعضهم في بلاط الأمير أبي حسون بودميعة وولده محمد في إيلغ قبل أن يخربها المولى الرشيد.

محمد حجي

عباسي، أحمد بن **عبد الرحمن**، ولد سنة 1933 بدوار اخندوق منطقة تيزي وسلي ناحية تازة.

انخرط الشهيد في صفوف جيش التحرير ضمن تشكيلة مركز أخندوق تحت رئاسة علال العجوري، وقد كان الشهيد من الوطنيين الذين ضحوا بالنفس والنفيس في سبيل الحرية والاستقلال كما شارك في الثورة التي قامت بمركز تيزي وسلي في أكتوبر 1955 وظل يقاوم إلى أن استشهد في معركة اخندوق بتاريخ 3 أكتوبر 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 513297.

العباسي، سعيد بن **عبد الله** بن إبراهيم قاضي تارودانت، من أشياخ عبد الرحمن التمنارتي مؤلف *الفوائد الجمة* الذي قال في حقه : "شيخنا الفقيه المحصل المحقق الباحث القاضي العدل ... لازمته خمس عشرة سنة في الاعتناء التام والهمة الصادقة وقرأت عليه في جملة الأصحاب، إذ هو وارث الجماعة بعد الشيخين (القاضي الهوزالي ومحمد التلمساني) ثم عدّد الكتب الفقهية التي قرأها عليه وهي كثيرة وكان يرجع في مطالعته وتقريره إلى أمهات الكتب ويقول "أخذ الفقه منها أيسر لسلامتها من آفات الاختصار" والي ذلك كان المترجم عفيفاً زاهداً " لم يأخذ مدة ولايته من بيت المال شيئاً، مكتفياً بغلة أرض يحرثها أهله.

توفي على قضاء تارودانت بالطاعون سنة 1007 / 98. 1599.

ع. الرحمن التمنارتي، *الفوائد الجمة*، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، الدار البيضاء، 1962، ج 8 : 403 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، المحمدية، 1978، ج 2 : 409.

محمد حجي

العباسي، علي بن **محمد**، نسبة إلى قبيلة أيت عباس الأمازيغية التي تمتد مواطنها على السفح الشمالي للأطلس الكبير الأوسط، شرقي ولتانة، وجنوبي أيت مساض. وينتمي العباسي أيضا إلى زاوية المنزل التي تقع وسط فرقة أيت شتاشن من ولتانة، على بعد حوالي ستة عشر كلم من مدينة دمنات.

ترجمه الخليفتي فنعته بالفضل والصلاح والعلم والتواضع والتقوى والسخاء. وعده من بين تلاميذ الشيخ أحمد الخليفة، بل من أبكاره. فقد أخذ عنه الورد الناصري حين زار تامكروت، حيث مكث بها طوال سنتين من أجل الدراسة.

ولما رجع إلى بلده استقر بزاوية مدرسا للعلم ملقنا لورد الناصرين ؛ إذ لا نستبعد أنها أضحت من بين فروع الزاوية الناصرية في تلك الجهة. فكانت تلك الزاوية من بين فروع تامكروت حيث كونت إحدى الحلقات في سلسلة الزوايا الفروع التي أسهمت في ذيوع صيت الناصريين في جبال الأطلس ؛ لترسيخ تعاليم الإسلام واللغة العربية هنالك. ويؤكد المصدر المذكور أن العباسي استمر على ذلك حتى وفاته "قرب الأربعين ومائة وألف"، ودفن بمقبرة الزاوية (*الدرة الجليلة*، ص. 266).

الخليفتي، *الدرة الجليلة* ؛ *التحري الميداني*.

أحمد عمالك

العباسي، محمد بن **سعيد** سابق الترجمة، كان، كأبيه قاضياً، في إلغ حاضرة إمارة أبي حسون السملالي، قال فيه معاصره الحضيكي في *الطبقات* : "الفقيه العالم العامل المحقق المتفنن الجامع بين الحقيقة والشريعة، له تآليف، منها *نظم لابن هشام (المغني)* نظماً عجيباً ؛ *ونخبة الأفكار* لابن حجر في علوم الحديث وشرحها ؛ وله فتاو وغير ذلك. وفتاويه متفرقة في *المجموعة البرجية والمجموعة السميحية*. وله مراسلات وأشعار أهمها مولديات أنشدها في بلاط أبي حسون السملالي الذي كان يتشبه في ذلك بحفلات قصر البديع بمراكش أيام أحمد المنصور السعدي.

توفي بإلغ وقت صلاة الجمعة 18 صفر عام 1074 / 21 شتنبر 3663. ودفن بتربة الشيخ أحمد ابن موسى بتازروالت.

م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، مرقون ؛ ح. اليوسي، *المحاضرات*، ج 2 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، الدار البيضاء، 1962، ج 18 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، المحمدية، 477، ج 2.

محمد حجي

العباسيون والمغرب، يعود تاريخ إقامة العلاقات بين الخلافة العباسية والمغرب إلى بداية ظهور العباسيين على مسرح الأحداث في المشرق. فقد اهتم العباسيون بالمغرب اهتماما كبيراً تجسد في ربط علاقات متينة مع أمرائه في إطار الاهتمام الشامل ببلاد المغرب بالمفهوم الواسع الذي كان يضم إلى جانب المغرب الأقصى المغربين الأوسط والأدنى والأندلس. وإذا كانت موجة الانفصال عن الحكم المركزي ببغداد قد بدأت منذ وقت مبكر بالمشرق، فإنها اجتاحت أيضا الغرب الإسلامي عموما باستثناء إفريقية (دون الفترة التي خضعت فيها للفاطميين) التي ظلت تمثل مركز النفوذ العباسي وقاعدته في المنطقة. وقد لعبت دوراً كبيراً في الصراع والمماحكات التي نشأت بين ملوك المغرب والخلفاء العباسيين.

ففي عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور (136 - 158 / 754 - 775)، قامت دولة بني مدرار الصفرية في منطقة سجلماسة (تافيلالت الحالية) في جنوب المغرب الأقصى سنة 140 / 757 وانفصلت عن سلطان العباسيين. ولم يستطع ولاة الخلافة في إفريقية استرداد هذا الإقليم، فقدر لهذه الدولة الاستمرار حتى أواخر القرن الثالث الهجري.

وقد توترت العلاقات بين بغداد والمغرب بشكل كبير عندما نجح الأدارسة في إقامة دولة مستقلة عن الخلافة العباسية في سنة 172 / 788 ؛ ذلك أن قبائل البربر على اختلافها اجتمعت حول إدريس بن عبد الله العلوي الهارب من وقعة فخ بالحجاز، وبفضلهم تمكن من التوسع شرقا وغربا على حساب النفوذ العباسي بعد أن أخضع أجزاء هامة بالمغرب ودانت له معظم قبائل البربر. ففي أقل من عامين دانت له بلاد تامسنا وتادلا، كما خضعت له قبائل فندلاوة ومديونة وبهلولة وغياتة وبلاد فازاز ؛ فاتجه شرقا واستولى على تلمسان وأخضع مغراوة وبني يفرن وعلى هذا النحو أصبح الأدارسة يشكلون خطرا كبيرا وتهديدا مباشرا لإفريقية مركز النفوذ العباسي ببلاد المغرب. وزادت العلاقات توترا بين الطرفين ما بلغ الخليفة العباسي هارون الرشيد (170 - 193 / 786 - 808) عن طريق مخبريه من أصداء عن تلك الرسالة الخطيرة التي بعث بها إدريس مع وفادة سرية إلى أهل مصر يذكرهم فيها بفضائل أهل البيت ويصف فيها التضحيات الغالية التي بذلوها في سبيل حقهم الشرعي ويطالبهم بتأييده ومساندته. وهكذا اقتنع هارون الرشيد أن الأدارسة لا يفكرون فقط في فصل المغرب عن دار الخلافة الإسلامية والاكتفاء بزعامة إقليمية، وإنما كانوا يخططون لتوحيد الخلافة كلها تحت قيادتهم (عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي، م. 4، ص. 39). وهذا ما حذا به - إدراكا منه لصعوبة اللجوء إلى القوة للاحتفاظ بالمغرب - إلى اعتماد السياسة للقضاء على نفوذ الأدارسة هناك. فعهد إلى إبراهيم بن الأغلب بولاية إفريقية، واعترف بحكم أسرته (الاغالبة) على أساس الاستقلال الذاتي مع التبعية للخلافة العباسية ليجعل منها دولة حاجزة وقوة تحول دون توسع الأدارسة، ودون تسرب النفوذ العلوي صوب الشرق. وقيل إن الرشيد دس إلى إدريس من قتله بمساعدة من إبراهيم بن الأغلب في سنة 177.

وقد استمر خلفه إدريس الثاني في مضايقة الأغالبة حلفاء العباسيين في المغرب خصوصاً بعد أن تعاظم شأنه بعد سلسلة من الانتصارات التي هيأت له إخضاع الخوارج في بلاد المغرب الأوسط، فأصبح خطراً على نفوذ العباسيين. وقد حاول ابن الأغلب إضعافه والتصدي لدعوته، فعمد إلى استمالة أركان دولته وكبار أمرائه، فراسل وزيره البربري بهلول بن عبيد الواحد، واستماله بالهدايا، ففارق إدريس ووفد إلى القيروان، فاضطر هذا الأخير إلى مصالحه ابن الأغلب على أن يكف كل منهما عن الآخر من ناحيته.

وفي عهد الخليفة القائم بأمر الله (422 - 467) الذي يصادف عصر المرابطين عرفت العلاقات بين بغداد والمغرب انفراجا واضحا. لقد اعترف المرابطون بسلطة الخليفة العباسي الروحية، واتخذوا منذ البداية شعار الانضواء تحت لواء الخلافة بحيث تؤكد كتب النقود أنهم دعوا للخليفة العباسي على المنابر قبل فتح الأندلس بوقت طويل. وهكذا نقشوا أسماء الخلفاء على السكة منذ سنة 450 / 1058 زمن حكم الخليفة القائم بأمر الله الذي كان عهده يصادف أيام الأمير المرابطي أبا بكر بن عمر وظل اسم الخلفاء يذكر على المنابر مقرونا باسم أبي بكر بن عمر حتى وفاته في سنة 480 / 1087. وكان هذا الأخير قد عهد إلى يوسف بن تاشفين (453 - 500 / 1061 - 1107) بحكم شمال المغرب عندما توجه هو إلى فتوحاته فيما وراء الصحراء فنقش يوسف اسمه على السكة مع اسم الخليفة العباسي. ولما شعر بقوته، وبإيعاز من رجال دولته، اتخذ لقبا مهما ذا مغزى هو لقب "أمير المسلمين"، وتحاشى لقب "أمير المؤمنين" لأنه كان يرى أن هذا اللقب الأخير من اختصاص الخليفة العباسي. وقد يظن أن المرابطين نزهوا أنفسهم عن لقب الخلافة لشعورهم في قرارة أنفسهم بأنهم بربر أو على الأصح بأنهم ليسوا قرشيين، ولكن الواقع أن سياستهم كانت ترمي إلى المحافظة على الوحدة الإسلامية لا إلى تحطيم هذه الوحدة (إ. حركات، المغرب عبر التاريخ، ج 1، ص. 185)، خصوصا وأن دعوتهم كانت أقرب بكثير، بمبادئها ومثلها، إلى الدعوة العباسية وإلى السنة والجماعة من الدعوة الفاطمية والحركة الشيعية. ولم يكن في نية المرابطين وزعيمهم يوسف بن تاشفين قطع علاقتهم بالعباسيين، على العكس فقد لجأ إلى الخليفة العباسي القائم بأمر الله يطلب منه تقليدا يجعل ولايته على المناطق التي سيطر عليها. وقد كان الخليفة عند حسن ظنه به وأرسل له تقليدا شرعيا يعدد فيها الوصايا ويوجهه الوجهة الشرعية في حكم البلاد والرعايا (م. م. حمادة، الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمالي إفريقية، ص. 68 - 69). وكذلك افتتح علي بن يوسف بن تاشفين عهده بأن

أرسل إلى الخليفة العباسي المستظهر بالله (487 ـ 512) يخبره باستلام إمرة المسلمين ويجدد ولائه له ويطلب تقليدا، وكان الخليفة عند حسن الظن به فبعث له تقليدا مختصرا جعل ولايته شرعية، وقد سلك الأمراء من بعده نفس السياسة.

أما في عهد الموحدين فقد أصاب العلاقات بين بغداد فتورا كبيرا بل قطيعة تامة تمثلت في استقلال المغرب نهائيا سياسيا وروحيا عن الخلافة العباسية عندما اتخذ العاهل الموحدي الأول عبد المومن بن علي الكومي (524 ـ 558 / 1130 ـ 1163) لقب "أمير المؤمنين" وأصدر الأمر بالاكتفاء، عند دعاء المنابر، بذكر الخلافة الموحدية. وقد انتهز الموحدون للاقدام على هذا الإجراء والإعلام عنه ما وصلت إليه خلافة الشرق من ضعف وتضعضع شأنها في ذلك شأن الخلافة الفاطمية بمصر. وكما فعل العباسيون في بداية دولتهم من تسمية رؤسائهم بالأئمة، وكذا الفاطميون في نشأتهم بإفريقية، سلك الموحدون نفس الطريقة في أيام المهدي بن تومرت الذي تلقب بالإمام وترك لقب أمير المؤمنين لخلفه عبد المومن. واستمر ملوك الموحدين يتخذون اللقب نفسه إلى نهاية دولتهم.

ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، بيروت، لبنان، 1987، ج 5 ؛ ابن الطقطقا، *الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية*، بيروت، د.ت ؛ السيوطي، *تاريخ الخلفاء*، تح. م. محيي الدين عبد الحميد، بيروت، 1988 ؛ ع. الدوري، *العصر العباسي الأول : دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي*، دار الطليعة، بيروت، 1988 ؛ م. م. حمادة، *الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمالي إفريقية 64 ـ 897 / 683 ـ 1492 : دراسة ونصوص*، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980 ؛ أ. م. العبادي، *في التاريخ العباسي والأندلسي*، بيروت، 1972 ؛ و. ع. الجميلي، *دراسات في تاريخ الخلافة العباسية*، الرباط، 1984 ؛ إ. حركات، *المغرب عبر التاريخ*، الدار البيضاء، 1965، ج 1 ؛ ع. الهادي التازي، *التاريخ الدبلوماسي للمغرب*، مطابع فضالة، المحمدية، 1987 ؛ م. إسماعيل، *الأغالبة (184 ـ 296) سياستهم الخارجية*، فاس، 1978.

عبد المجيد بهيني

أولاد **عبّو** (المركز)، يقع مركز أولاد عبو في الجنوب الغربي من الشاوية السفلى داخل منطقة يحل فيها محل سهل برشيد مجال الضايات. ويرجع تشكل الضايات في هذا الجزء من السهل لصعوبة تصريف المياه السطحية بسبب انتصاف الكثبان الرملية المتماسكة في اتجاه البحر وبروز كتلة من القاعدة القديمة على مشارف نهر أم الربيع. وبذلك تطور مركز أولاد عبو بين مجالات متباينة طبيعيا ومتنوعة الموارد الفلاحية.

يحمل هذا المركز اسم أحد فروع قبيلة أولاد سعيد المستقرة بالجنوب الغربي للشاوية العليا. وبحكم استقرار هذا الفرع منها بالشاوية السفلى فقد تم ربطها إداريا، منذ عهد الاستعمار بدائرة برشيد، على عكس أغلبية مكونات القبيلة التي ظلت دائما تابعة لمدينة سطات.

وترجع نواة هذا المركز لعهد الاستعمار الذي نشأت بإبعاز منه تحت اسم Foucauld في إطار الاستعمار الفلاحي خلال العقد الثاني من الحماية واشتهر لدى السكان كسوق أسبوعي (جمعة فوكو). وظل طيلة ما تبقى من عهد الاستعمار عبارة عن تجمع تجاري صغير مرتبط بدوره كسوق أسبوعي وكمحطة طرقية في ملتقى محاور طرقية متعددة.

رغم اتخاذه من الاستعمار كمركز للاستعمار الفلاحي بالمنطقة التي جلبت العديد من المعمرين الذين تعاطوا لزراعة الكروم والحبوب وتربية الماشية (الأبقار)، فإنه لم يجلب أعدادا مهمة من السكان بحيث لم يتجاوز عدد سكانه 176 سنة 1931 وذلك لتشتت المعمرين داخل المجالات الفلاحية المحيطة به. ولم يحص كمركز حضري إلا سنة 1971 عندما بلغ حجمه الديموغرافي 3221 نسمة. ولم يعرف تطورا ملحوظا إلا خلال عقد الثمانينيات عندما انتقل عدد سكانه من 3374 نسمة سنة 1982 إلى 10019 نسمة سنة 1994.

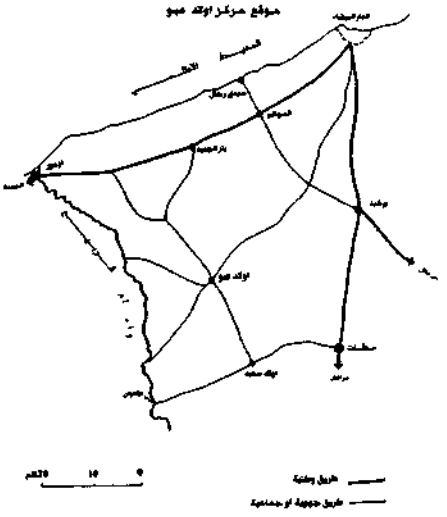

يعتبر مركز أولاد عبو اليوم من بين بلديات إقليم سطات المتميزة بقلة روابطها بباقي مكونات الشبكة الحضرية للإقليم. وتستمد ديناميتها من محيطها الفلاحي كمركز تجاري وكمحطة طرقية. يستمر مركز أولاد عبو في الارتكاز في نشاطه التجاري على وظيفته كسوق أسبوعي يحتل الرتبة الرابعة من بين 35 سوقا بالإقليم (بعدإثنين برشيد، وإنين بن أحمد، واحد البروج) وكتجمع كبيرللتجارة القارة وللخدمات. ويشكل بذلك التجمع التجاري الوحيد بالجزء الجنوبي الغربي للشاوية السفلى. وترجع أهميته كمحطة طرقية إلى تعدد المحاور الطرقية التي تلتقي به : محور الدار البيضاء الذي تتفرع عنه طريقا برشيد والسوالم، ومحور دكالة الذي تتفرع عنه طريق سد سيدي سعيد بن معاشو وطريق سد الدورات وطريق بولعوان، ومحور سطات عبر أولاد سعيد، ومحور البئر الجديد وأزمور.

هكذا يشكل مركز أولاد عبو تجمعا حضريا صاعدا داخل

محيط فلاحي متنوع الموارد، وتجمعا تجاريا فريدا داخل الجزء الجنوبي الغربي من الشاوية السفلى، ومحطة طرقية نشيطة بين الشاوية السفلى والعليا وبينهما وبين دكالة وبين هذين الإقليمين والدار البيضاء. أي أن الأمر يتعلق بمركز عاقته عزلته لمدة طويلة وقد بدأ يستفيد منها اليوم ليفرض نفسه داخل نطاقات فلاحية غنية ومتباينة. لكن هذه الاستفادة لا يمكن الاعتماد عليها كثيرا بحكم عدم اندماج هذا المركز في الحزام الحضري والصناعي الذي يتشكل على طول حدود الدار البيضاء الكبرى.

تحريات ميدانية.

المصطفى شويكي

ابن **العبد، محمد** بن **إبراهيم**، ولد بدوار أهل بكريم بأسكا بأيت باعمران سنة 1920، وكان قبل انخراطه في صفوف جيش التحرير يعمل بالفلاحة بقريته إلى أن سمع بنداء الوطن حيث سارع إلى الانخراط في صفوف جيش التحرير دفاعا عن مقدسات الوطن. وفي سنة 1957 شارك في معركة أسكا بأيت باعمران حيث لبى نداء ربه في نفس السنة. وهو دفين مقبرة سيدي محمد ابن عبد الله بنفس المنطقة.

المدونة السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 51454.

ابن **عبد الجبار، إبراهيم** بن **عبد الجبار** بن أحمد بن موسى البرزوزي الورتدغيري الفجيجي، الابن البكر للإمام العلامة عبد الجبار. ولد في قصر المعيز بالواحة الفجيجية حوالي عام 860، درس على والده، وأخذ عن عدد من علماء فجيج الآخرين في وقته كالعلامة محمد بن محمد الونشريسي وابنه سليمان في الزاوية الونشريسية بقصر الحمام وعن العلامة القاضي عبد الحق بن محمد بالزاوية الكبيرة بقصر بني سكون وعن غيرهم. وسافر بعد ذلك إلى مدينة فاس، فدرس بجامع القرويين على علمائها كابن الحسن الصغير وابن غازي وأحمد الونشريسي، وانتقل إلى تلمسان ولقي بهما شيوخا أجلة كالإمام محمد بن يوسف السنوسي وابن مرزوق والعقباني والتنسي، ثم رحل إلى المشرق للحج وزيارة الحرمين الشريفين، فأخذ في طريقه عن الإمام جلال الدين السيوطي والبساطي وابن النجار الحنفي بمصر، وبالمدينة المنورة عن السخاوي والاشموني وابن إسحاق إبراهيم اللقاني صاحب جوهرة *التوحيد* وله عن الجميع إجازات يشهدون فيها بغزارة علمه وتنوع معارفه.

تولى القضاء بفجيج ونواحيه، علاوة عن مهام التدريس والإفتاء. وكان يشد الرحال في شهر رمضان من كل سنة إلى تلمسان للتدريس بها والاجتماع بعلمائها وقد لقبه بها الوادي آشي وأخذ عنه، حسبما سجله في تبته. وكان مولوعا بالخروج إلى البراري للقنص بواسطة الصقر في وقت فراغه للترويح عن النفس فعيره بعض الغوغاء في ذلك، فنظم فيهم قصيدة عينية من 214 بيتا مطلعها :

يلومونني في الصيد والصيد جامع ... لأشياء للانسان فيها منافع
فأولها كسب الحلال أتت به ... نصوص كتاب الله وهي قواطع
فصحة جسم ثم صحة ناظر ... وأحكام إجراء السوابق رابع
وبعد عن الأرذال مع صون همة ... واغلاق باب القيل والقال سابع

وقد اشتهرت هذه القصيدة شهرة كبيرة ورد ذكرها ضمن العديد من التراجم والتصانيف والكنانيش، سواء لمن عاصر المترجم له أو من جاؤوا بعده، وتتوزع نسخ من مخطوطة السلوانية في عدة خزائن بالمغرب والجزائر وأوربا. وترجمت إلى الفرنسية ونشرت بمعهد الدراسات الشرقية بكلية الآداب بالجزائر عام 1959، بعناية نور الدين عبد القادر وهنري جاهيه.

ولمترجمنا إبراهيم كذلك أرجوزة في العقائد والتربية "ضمنه عيون الفقه ونوادر المسائل" حسب قول ابن القاضي في *الجذوة* سماها : "مفيدة الولدان" مكونة من 817 بيتا أتم نظمها في العاشر من شعبان عام 908 حسبما ورد في خاتمتها.

واضطر العلامة إبراهيم بن عبد الجبار للهجرة إلى السودان والرحيل عن بلاد فجيج بصفة نهائية بعد اغتيال شيخه القاضي عبد الحق بن محمد السكوني من أحد سفهاء البلد لم يتقبل فتوى شرعية أصدرها القاضي المذكور ضده، وقد حزّ هذا العمل الشنيع في صدر إبراهيم فألف قصيدة بليغة يهجو فيها القاتل ويرثي بها شيخه في آن معا ومطلعها :

تغيرت البلاد واحولك الليل ... وشب ضرام الشر وانهمر السيل
وآن الرحيل من بلاد تآمرت ... بها المفسدون واستمر بها الهول
أتسكن أرضا ليس بنهى سفيهها ... ولا يتقي فيها قصاص ولا عدل
فتكتم بعبد الحق لادر دركم ... على قوله للحق وهو لها أهل

هاجر إلى السودان مع بعض أهله حوالي عام 920، ومر بتوات وأقام بها بعض الوقت فعيّر على أهلها تعظيمهم لليهود والتودد إليهم مقابل أغراض مادية، ثم تابع سفره إلى أن استقر به المقام بمدينة جني بمملكة برنو، وبها استأنف نشاطه في نشر العلم ومهام الإفتاء مع العمل على كسب المعاش، لمدة تزيد عن ثلاثين عاما توفي بعدها حوالي عام 954، وأقيم له ضريح يزار بهذه البلدة. ولإبراهيم مؤلفات أخرى عدا المذكورة منها : *قواعد الإسلام*، و*إعراب القرآن* في خمسة أجزاء، وشرح *دلائل الخيرات* و*منظومة* في أنساب الشرفاء الودغيريين القاطنين بفجيج وخارجه في ما يزيد عن 160 بيتا.

م. الودغيري، *حياة الرحالين إبراهيم بن عبد الجبار الفجيجي وابن أخيه بلقاسم بن عبد الجبار*، مجلة دعوة الحق، عدد 2، دجنبر 1967 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين*، منشورات دار المغرب، ج. 2، 1978 ؛ م. الشفشاوني، *دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر*، تح. محمد حجي، دار النشر للتأليف والترجمة، 1976 ؛ أبو القاسم بن محمد بن عبد الجبار، *الفريد في تقييد الشريد وتوصيد البريد*،

مخطوط ضمن مجموع خ. ع. الرباط، رقم 1598 ك ؛ ع. زمامة، *الفجيجيون*، *مجلة البحث العلمي*، عدد 20 ـ 21، يونيو 1973 ؛ بن علي محمد بن بوزيان، *خزانة بني عبد الجبار بفجيج*، دار العدة، *مجلة دعوة الحق*، عدد 248 ماي 1985.

ابن **عبد الجبار**، أبو **القاسم** بن **محمد** بن عبد الجبار بن أحمد بن موسى البرزوزي الفگيگي. تتلمذ على يد والده أبي عبد الله محمد بن عبد الجبار، أخذ عنه علم الحديث ورواياته ورحل إلى فاس ومراكش والزاوية الناصرية بتمكروت وإلى تلمسان والمشرق العربي. وأخذ عن علماء القيروان والاسكندرية والأزهر بالقاهرة والقدس ومكة المكرمة والمدينة المنورة فأجازوه وأجازهم على طريقة التدبيج عند المحدثين، ولذلك اشتهر اسمه بين علماء وقته وورد ذكره في العدي من الفهارس وكتب التراجم.

اشتغل بالتدريس وبخطتي القضاء والفتيا ببلده فجيج وحضر مجالسه العلمية بها أحمد بن أبي محلي الشاعر الشهير على السعديين، حيث ختم على يديه صحيح البخاري وأجازه عنه، كما ورد ذلك في مؤلفات أبي محلي كالإصليت، ومنجنيق الصخور وغيرهما.

بيد أنه لم يقتصر عليها بل سافر إلى فاس وكان له مجلس علمي بالقرويين كلما حل بها. وممن أخذ عنه الإمام القصار والشيخ عبد الواحد بن علي بن عاشر ناظم المرشد حسبما ذكره أحمد ميارة في شرحه الكبير على نظم المرشد عند كلامه على معاني : "لا إله إلا الله" بقوله : "وهذا المعنى هو الذي عقد شيخ شيوخنا الإمام الشهير الحافظ الكبير الولي الصالح الحاج الرحال سيدي أبو القاسم بن الإمام الحافظ الأثير القاضي سيدي عبد الجبار بن أحمد بن موسى البرزوزي الفجيجي رحمه الله".

وكان يرحل من حين لآخر إلى تلمسان للتدريس بها بدعوة من أهلها إلى أن صار في نظر حكام الأتراك بتلمسان آنذاك من عداد العلماء الجزائريين البالغين درجة النبوغ في العلم.

امتاز أبو القاسم بالتواضع والزهد والشجاعة وركوب الخيل ولا أدل على ذلك من مشاركته على رأس المجاهدين الفجيجيين في معركة وادي المخازن.

وللعلامة أبي القاسم عدة مؤلفات منها *الحاوي المنوط بالفتاوي* يعتبر الآن في حكم المفقود، وقد ضم العديد من النوازل الفقهية، و*نظم اللآلئ الحسان لمختصر خليل* في نحو 8500 بيت (خ. الحسنية) و*نظم السنوسية الصغرى*. على أن أهم مؤلفاته هو *الفريد في تقييد الشريد وتوحيد الوريد* وهو شرح لقصيدة السلوانية التي نظمها عمه العلامة إبراهيم بن عبد الجبار، وقد أتم تأليفه ذاك في عشية الإثنين سادس عشر ذي الحجة عام 986، وهو شرح غني باللغة والبيان استهله بالحديث عن عمه إبراهيم وسبب هجرته وبأحوال بلاد فجيج. توفي أبو القاسم عام 1021 بعد عمر مديد يزيد عن المائة سنة ودفن بجوار والده محمد بن عبد الجبار بالضريح الذي أقيم له داخل المسجد الجامع بقصر المعيز بفجيج.

م. الودغيري، *حياة الرحالين إبراهيم بن عبد الجبار الفجيجي وابن أخيه بلقاسم بن عبد الجبار*، مجلة دعوة الحق، عدد 2، دجنبر 1967 ؛ ابن أبي محلي، *الإصليت المخرت*، منجنيق الصخور (مخطوطتان) ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين*، منشورات دار الغرب للتأليف والترجمة والنشر، ج. 2، 1978 ؛ بن علي محمد بن بوزيان، *خزانة بني عبد الجبار بفجيج*، دار العدة، مجلة دعوة الحق، عدد 248، ماي 1985.

ابن **عبد الجبار**، **محمد** بن **عبد الجبار** بن أحمد ابن موسى البرزوزي الفجيجي، ينعته ابن عسكر في الدوحة بالفقيه العارف الأديب والفاضل النزيه، وقد نسب إليه قصيدة *روضة السلونية* خطأ.

درس على والده الإمام عبد الجبار، وأخذ عن علماء فجيج الآخرين في زواياهم العلمية إسوة بأخيه إبراهيم وأخيهما الأصغر أحمد بن عبد الجبار (ت. 970)، وتنقل بين فاس وتلمسان فأخذ عن علمائها المشهورين مثل ابن غازي وابن مرزوق الضرير وأبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي صاحب *المعيار المعرب* كما ورد في ثبت الوادي آشي.

كان عالما زاهدا ورعا شأن العلماء المتصوفين، متضلعا في علوم الحديث وروايته معتنيا بالسند ومسلسلاته، وقد كرس حياته في تدريس هذا العلم بزاويتهم بقصر المعيز بفجيج إلى أن توفي في عام 956 حسبما ذهب إليه اعتقاد بعضهم استنادا على عقد حبسه الأثري، مع أن العقد يثبت زمن تحريره في أواسط رمضان عام 956 وليس تاريخ وفاة مترجمنا. ويبتدئ العقد بما يلي : "حبّس الشيخ العالم العلم الصدر الولي المرحوم سيدي محمد بن عبد الجبار جميع أملاكه..." وعلى هذا يكون العلامة محمد بن عبد الجبار قد فارق الحياة قبل تاريخ كتابة العقد المذكور.

وقد أصبح هذا الحبس الذي وضعه محمد بن عبد الجبار ـ لأجل درء الفتن والنزاعات الثائرة آنذاك بين العصب والعائلات حول توزيع الإرث ـ نموذجا تنسج على منواله عقود الاحباس العائلية الفجيجية والي تسقط حق الإناث من الإرث إن استغنين بزوج أو ولد، حفظا للأملاك العائلية من التشتت والضياع خارج العصبة وذوي الفروض.

م. الشفشاوني، *دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر*، تح. محمد حجي، دار النشر للتأليف والترجمة، 1976 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين*، منشورات دار الغرب للتأليف والترجمة، ج. 2، 1978 ؛ وثيقة الحبس الأثري الفجيجي، وثيقة في ملكية صاحبها ؛ العربي الهلالي، *فجيج تاريخ وثائق ومعالم*، المسجد العتيق والصومعة الحجرية بفجيج، المطابع المغربية والدولية، طنجة، 1981.

أحمد مزيان

ابن **عبد الجليل** بفاس، أسرة شامية أندلسية الأصل

فاسية القرار والدار عربية النجار شامية الأصول، لا تزال لحد الساعة أماكن بسوريا وعلي الأخص بجبال الجولان تعرف بقرى آل عبد الجليل.

واستناداً على ما توفر من نصوص متفرقة في بطون كتب الأنساب والطبقات نستطيع أن نقول إن الأصول الأولى وصلت مع القبائل العربية التي استقرت بالمغرب العربي الكبير على طول الطرق التجارية التي ربطته بالمشرق إذ نجد "آل" ابن عبد الجليل في كل من سوريا ومصر والقاهرة والإسماعيلية على الخصوص كما نجدهم ببرقة وطرابلس الغرب وابن غازي ونجدهم أيضاً بسوسة والقيروان وتونس العاصمة ونجدهم أيضا بالجزائر منتشرين في التخوم الصحراوية أو مستقرين ببعض المدن التي عرفت هجرات متتالية كتلمسان حيث لقبت جماعة منهم بابن عبد الجليل التنسي نسبة إلى قرية تنس من أعمال تلمسان، وقد استقروا بها مدة ومنهم صاحب "البستان".

وتسعفنا شجرات أنساب رجراجة وشجرات السباعيين الأدارسة انطلاقا من موطن أصلهم بالساقية الحمراء حيث عرفت تلك القبيلة بأبناء أبي سباع ليعرفوا فيما بعد عند حلولهم بفاس بالسباعي، تسعفنا هاته الأصول كما تسعفنا المصادر العربية التي اهتمت بتراجم الرجال، ككتب التادلي والكرخي واليوسي وغيرهم بالعثور على إشارات تنم عن استقرار الأسرة بالجنوب على عهد اللمتونيين "المرابطين"، من ذلك ما نقل غير ما مرة صاحب كتاب *"السيف المسلول"* في غير ما موضع عند ترجمته لسيدي مكدول "مجدول بن عبد الجليل" من ذلك : "إن سيدي مكدول فقيه له القدم الراسخ في الجهاد وهو المقدم فيه لدى ملوك لمتونة وقد جاهد في بلاد السودان ..." والدارس لتاريخ المرابطين يدرك أن سياستهم اتسمت بالانتشار تارة نحو الجنوب وتارة نحو الشمال، فاستقر الفوج الأول من أسرة ابن عبد الجليل بمناطق جبالة ونزحوا منها إلى الحواضر كحاضرة الشاون حيث مازالت أسرة ابن عبد الجليل تحظى بالاحترام، وما بين أيديهم من ظهائر سلطانية يعود أقدمها إلى العصر المريني يؤكد ذلك، توجب هاته الظهائر التوقير والاحترام والإعفاء من الخدمات وغيرها "لأن الشريف لا يخدم الشريف". وقد نص كتاب *السيف المسلول* في تراجم رجاله أن بعض أفراد أسرة ابن عبد الجليل كانوا يحظون باحترام وتوقير أبي الحسن المريني بفاس أو بغيرها من الثغور الشمالية.

وأستطيع القول إن بعض هؤلاء هاجروا إلى الأندلس واستقروا مع من استقر بالعدوة سيما بإشبيلية حيث ظلوا هناك في خدمة أمرائها حتى غرب المعتمد بن عباد إلى أغمات فانتقل معه وزيره حمدون بن عبد الجليل، ومن أغمات انتقلوا إلى مراكش حيث استقروا، ومنها تفرقوا بالبلاد فسارت شريحة منهم جنوبا حتى سجلماسة واستقروا بها، وظهر فيهم العلماء ومن جملتهم شارح العمل الفاسي الذي يلقب بابن عبد الجليل السجلماسي.

ويبدو أن هجرات متتالية اتخذت من طريق القوافل مستقراً لها. إذ نجد "آل" ابن عبد الجليل في الراشدية في قصور بني امحمد كما تشير بعض الرسوم إنى أنهم عرفوا وقت ذاك بأبناء الإمام وتشير وثيقة إسماعيلية اهتمت بتقسيم ماء وادي زيز إلى ذلك حيث تقول : "وحضر ضمن المتصالحين أبناء ابن عبد الجليل الذين يعرفون بأولاد الإمام".

ولاشك أن الإمام مقصود به إدريس الثاني. ومن الراشدية انتشر بعضهم ميمنا الشمال حتى وصل إلى مدينة تازة وهم قلة اليوم بها كما وصل بعضهم مدينة فاس وإن كانت المصادر لا تسعفنا بتاريخ دخولهم إلى المدينة واستقرارهم بها. لكن المرجح عند كثير ممن اهتم بالأسر بالمدينة أن وجودهم يضرب في جذور التاريخ بما لا يقل عن خمسة قرون إذ استوطنوا أقدم الحارات الإدريسية وظلوا في خدمة ملوك هذه الحضرة حيث اشتغلوا في خدمة الخطط لاسيما خطط أحباس القرويين (الحوالة السليمانية).

ولقد ذكر غير واحد من النسابين والمؤرخين أن بيت ابن عبد الجليل له اتصال بالنسب الشريف (انظر على سبيل المثال مصابيح البشرية لمولاي أحمد الشباني الإدريسي وانظر كذلك مخطوط : طبقات أشراف فاس لعبد لكريم بن هاشم الكتاني) ولقد نصت شجرة الكتانيين بفرعيها : الحلبي والطيبي على صحة نسب ابن عبد الجليل.

وتوجد بحوزتنا صورة شمسية لشجرة إدريسية قديمة كتبت بخط بدوي مغربي قديم تنص على صحة النسب. ولعل صاحب *"اللسان المعرب"* الأعرب السليماني نص على ذلك صراحة عند ذكره لبيوتات فاس إذ قال : "... ثم بيت الجليليين أبناء سيدي عبد الجليل دفين بلاد بني عاقر بيت رئاسة وجلال وفخامة وكمال نسبهم الطاهر الإدريسي مرجع وعمودهم إليه ثابت صحيح".

وقد تواتر داخل الأسرة ما سمعنا جيلا بعد جيل من أن أحد جدودنا هو سيدي مكدول السابق الذكر دفين الشاطئ بالصويرة "مول سبع درابز" قد اختلف فيه عند عمداء العائلة فمن قائل إنه إنجليزي عرف بماكدولان كانت سفينته قد غرقت قرب شاطئ الصويرة وحرف اسمه إلى ماكدول ونجد إشارات لهذه الواقعة في المصادر الغميسة لتاريخ المغرب لا سيما الجزء الإنجليزي، ولكنها لا تنص على أن مكدولان اعتنق الإسلام وحسنت سيرته حتى استحق من سكان الصويرة والقبائل المجاورة بناء قبة عليه. وبعد التحري في هاته النازلة التاريخية وجدنا أن سيدي مكدول ما هو إلا تحريف بسيط لكلمة مجدول، ومعلوم أن العامة بالمغرب تلقب كل ساع في الخير عامل عليه مساعد فيه "بمجدول الحرير" فلا غرابة إذن أن يلقب هذا الشريف بمجدول وينسى اسمه ولقبه ولم يذكر إلا بمكدول.

ولقد مكنتنا شجرة أنساب أبناء بني سباع الإدريسيين من تتبع نسبه فوجدنا أنه إدريسي النسب كما وجدنا من ينسبه إلى رجراجة. وبالعودة إلى كتب رجراجة استطعنا أن

نتتبع تاريخ الرجل إذ لأبنائه وحفدته امتداد جلي في السوس الأقصى.

ووجود أحد الجدود بالصويرة مكننا من تتبع ذريته فوجدنا أن أحدهم سكن بتايناست على بعد من ورزازات. وقد ترجم له صاحب *العيون اليواقظ* ونص على أن ركراكة يعقدون أعلامهم ويبيتون بزاويته ثلاثة أيام متتالية قبل أن يلتحقوا بزاوية جدهم "أحمد وموسى" وقد أشار ميشو بلير إلى ذلك عند حديثه عن رجال مراكش السبعة "سبعة رجال".

والظاهر أن عائلة ابن عبد الجليل كانت أصولها متفرقة داخل المغرب كله رغم أنهم ينتمون لأصل واحد، ومع ذلك فقد ظهرت في العائلة بعض المظاهر الجينيتيكية من اختلاف في لون البشرة وزرقة العيون وشقرة الشعر إلى غير ذلك، مما يجعلنا نظن أن العائلة تنقسم إلى فرعين وقد اعتمد سكان فاس لا سيما أهالي حومة العيون وزنقة الرطل على التفريق بين العائلتين المتصلتين المتجاورتين فنصوا على أن يلقب سكان الدار الفوقية بأولاد ابن عبد الجليل البويض ومنهم الحاج عمر والحاج محمد الذي تمسح سنة 1936 وطرد من العائلة والحاج قاسم وأبناء عمهم كما نصوا على أن يلقب سكان الدار التحتية بأولاد ابن عبد الجليل السمر وهو حفدة أبناء المرحوم الأمين أحمد بن عبد الجليل، وربما تجعلنا هاته التفرقة نطمئن إلى التقسيم الذي ميز بين أبناء العمومة أي العظمين الأساسيين المكونين لآل ابن عبد الجليل تمييزاً جنيناً محضاً. ومع هذا فإننا نجد لدى كبار عائلة ابن عبد الجليل أصحاب الدار التحتية من لقب عائلة المرحوم الحاج عمر بن عبد الجليل بالتلمسانيين نسبة إلى أصولهم، بينما لقب أهل الدار التحتية "بالمرابطين" نسبة إلى جدهم المرابط سيدي مكدول ومع هذا نجد أبناء عمنا الأشقاء لا سيما الذين استقروا بمكناس تحمل ذريتهم لحد الساعة نفس الجينات.

م. بوزيان، *أعلام الفكر والأدب من العصرين المريني والعلوي*، مط. الجسور - وجدة ؛ *بيوتات العلم والأدب بفجيج*، مط. الجسور، وجدة، 2002، ص. 133، 135 ؛ *واحة فكيك*، مط. دار النجاح الجديدة، ط. 1، 1978 ؛ القادري، ابن الطيب، *الدر السني على من بفاس من النسب الحسني*، ط. ح بفاس، دون تاريخ ؛ إ. الشباني مولاي أحمد، *معالم البشرية في أبناء البرية*، ط. دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1987 ؛ مجهول، *بهجة الأبصار في جميع من وقفت على تحقيق نسبه من آل البيت المختار*، مخ. ضمن مجموع، في خ ع، 12565، الرباط ؛ *الدر النير في شرفاء الوداغير*، مخ خ ع، 12565، الرباط ؛ *العيون اليواقظ*، أبناء بني السباع بساقية العيون الحمراء.

Michaux Bellaire, *Les sept patrons de Marrakech*, Hesp., 1934.

محمد بن عبد الجليل

ابن **عبد الجليل**، ينتمي آل ابن عبد الجليل بمكناس إلى أسرة فاسية عريقة تناسلت بعدوة القرويين، وتفرقت فروعها في أحياء متعددة كحومة سيدي أحمد بن يحيى من عدوة اللمطيين وحومة العيون.

وترجع البدايات الأولى لنزوح هؤلاء إلى مكناس إلى منتصف العشرينيات من القرن العشرين. وتتشكل المجموعة النازحة من فرقتين، رب أولاهما هو محمد بن الحاج المكي بن العربي بن الحاج عبد السلام بن محمد بن إدريس ابن عبد الجليل. وقد توفي بفاس في شعبان 1330 موافق يوليوز 1912.

أما الفرقة الثانية فربها هو عبد القادر الملقب (باقاضي) بن أحمد بن المكي ابن عبد الجليل.

تتكون فرقة السيد محمد بن المكي من ثمانية إخوة أشقاء فيهم من الذكور الحاج حميد والسيد محمد والحاج العربي والسيد العباس. وقد تم انتقال هؤلاء إلى مكناس في ثلاث فترات متقاربة تمتد بين 1927 و1937.

الفترة الأولى : سجلت نزوح الحاج حميد وبرفقته الأخوات الثلاث. وتفيد وثيقة إراثة للدار الكائنة بزنقة القلموني (القرموني) في معرفة تاريخ هذا النزوح وهو 8 صفر 1345 موافق 7 يبراير 1927.

وقد اشتغل الحاج حميد بالتجارة منذ حلوله بمكناس، وأصبح من أثرياء هذه المدينة. وشكلت مصانعه أوراشا لتشغيل عدد كبير من الصناع ومحترفي المهن التقليدية كالنجارة ونقش الخشب وتطريز الجلود. وقد عين رئيسا للغرفة التجارية، وظل يشغل هذه المهمة حتى إعلان الاستقلال.

وقد خلف الحاج حميد أحد عشر شقيقا، فيهم من الذكور محمد وأحمد وعبد الرحيم وعبد الكريم وعبد العلي. سائرهم امتهن التجارة باستثناء عبد الرحيم الذي أحرز الإجازة في الحقوق بفرنسا وزاول مهنة المحاماة بالدار البيضاء، وانتخب نقيبا لهيئة الدفاع لفترة معينة بهذه المدينة، ثم عين وزيراً للوظيفة العمومية في الحكومة الثامنة عشرة برئاسة محمد كريم العمراني من 11 أبريل 1985 إلى 11 غشت 1992، ثم عين سفيراً للمغرب في الصين الشعبية. وهو الآن منقطع للمحاماة بالدار البيضاء.

الفترة الثانية : عرفت هذه الفترة انتقال الأخوين الحاج العربي والعباس إلى مكناس. ونقف ضمن وثائق هذه الفترة على عقد عدلي يقضي باكتراء الحاج العربي منزلا في درب ستي هنو ابتداء من يوم 8 شوال 1348 موافق دجنبر 1929.

وقد اشتغل الأخوان بالتجارة فور إقامتهما بمكناس، وبعد وفاة العباس عام 1943 استمر العربي في التجارة يساعده كبير أبنائه.

خلف العباس سبعة أولاد فيهم من الذكور محمد وفيصل وفؤاد وعز الدين. وقد أنهى محمد دراسته الجامعية بحصوله على الإجازة في الحقوق، ثم التحق بالمدرسة الإدارية المغربية، وعين بعد تخرجه منها موظفا بوزارة المالية وارتقى إلى درجة مفتش قبل إحالته على التقاعد عام 1993.

الفترة الثالثة : سجلت هذه الفترة انتقال محمد بن محمد ابن عبد الجليل إلى مكناس في شعبان 1365 / نونبر 1937.

وكان تاجرا، ففتح دكان بقالة جوار الباب الشمالي للمسجد الأعظم. وقد خلف من الذكور ستة هم الحاج محمد والحاج المكي والحاج عبد الحق والحاج أحمد وعبد الرزاق وعبد المومن الذي أنهى دراسته الجامعية في فرنسا بنيل دبلوم مهندس معماري.

نعود إلى الفرقة الثانية التي كان على رأسها عبد القادر المدعو (بالقاضي)، فنجد أن هذه الأسرة انتقلت إلى مكناس عام 1935 غير أن إقامتها لم تطل بهذه المدينة، إذ سرعان ما تحول أفرادها بعد وفاة والدهم عام 1944 إلى الرباط. وقد خلف عبد القادر ستة أبناء فيهم من الذكور أحمد والوطني المكافح الحاج عبد السلام الذي أدار بالرباط عدة مؤسسات تعليمية كان آخرها ثانوية الأميرة عائشة، والمربي المحنك محمد الذي اشتغل أستاذا، ثم مفتشا بوزارة الشبيبة والرياضة، ثم ناظرا للأحباس بفاس قبل أن يوافيه أجله عام 1985 وعبد اللطيف الذي حاز في فرنسا إجازة في الصيدلة ثم الدكتوراه في العلوم ليلتحق بجامعة محمد الخامس أستاذا ثم عميدا ثم ليعين وزيرا للتعليم العالي في الحكومة الثالثة عشرة من أبريل 1975 إلى أكتوبر 1977 برئاسة أحمد عصمان، إضافة إلى مهام أخرى من بينها عضوية أكاديمية المملكة المغربية.

ومجمل القول فقد سجلت سنوات العقدين الرابع والخامس من القرن العشرين الفترة الحافلة بتوافر أبناء أسرة ابن عبد الجليل بمكناس، وابتداء من أواخر الخمسينيات بدأ عدد هؤلاء في الانحسار والتناقص بفعل انتقال أغلبهم إلى الرباط والدار البيضاء.

ابن **عبد الجليل، إدريس** بن العربي بن عبد السلام الفاسي. يوافينا صاحب *الإتحاف* ببعض الأخبار عنه تدل على مكانته في السلك المخزني على عهد السلطان مولاي عبد العزيز. ويتصدر هذه الأخبار ولايته منصب خليفة لباشا مدينة فاس وتوليته أمينا للمستفاد مكلفا بقبض مكوس الأبواب والأسواق وما أشبهها.

وكان أحد أعضاء الوفد الذي بعثه أحمد بن موسى وزير المولى عبد العزيز إلى طرفاية أواخر عام 1312 / 1894 من أجل التفاوض مع الحامية الإنجليزية بخصوص استرجاع الموقع الذي أحدثه الجيش البريطاني ـ افتياتا ـ في عرض مرسى طرفاية، وذلك مقابل مبلغ مالي كتعويض عن كلفة البناء. وبعد انتهاء هذه المهمة توجه أعضاء الوفد ـ وضمنهم المترجم ـ إلى محلة ذي النبط بالساقية الحمراء بدعوة من الشيخ ماء العينين، وكان وصولهم يوم ثالث صفر 1313 فأكرم وفادتهم، ووقف فيهم أحد تلامذته هو الأديب إبراهيم بن محمد البواري مادحا بقصيدة جاء فيها :

أهلا بهم من خمسة أعلام ... بل خمسة كقواعد الاسلام
رسل الأمير بن الأمير إمامنا ... عبد العزيز بن العزيز الإمام
هم خضر مع بنصر وسطاهم ... سبابة كبراهم الإبهام

وكانت مبارحتهم لمحل الشيخ ماء العينين 17 صفر 1313/ 1895.

ابن زيدان، *الإتحاف*، ج. 1، ص. 380 ـ 386 ؛ *العز والصولة*، ج. 1، ص. 397.

ابن **عبد الجليل، العربي** (الحاج ـ)، ولد الحاج العربي بن محمد بن الحاج المكي بن العربي بن الحاج عبد السلام ابن عبد الجليل بفاس عام 1323 / 1905 بحومة سيدي أحمد ابن يحيى من عدوة اللمطيين.

وقد نشأ في أسرة جمعت بين الاشتغال بالتجارة والعمل بالوظيف المخزني. فقد كان والده تاجرا كما كان أمين الصابر ومفتشا لسجون فاس في العهد العزيزي.

ألحق المترجم بالكتاب صبيا فتلقى مبادئ القراءة والكتابة وحفظ ما تيسر من القرآن الكريم، ثم التحق بإحدى المدارس الحكومية لتعلم اللغة الفرنسية، وكان يرتاد مجالس العلم بالقرويين قبل أن تنتظم به أسلاك التعليم فيرتوي من ينابيع المعارف ويستفيد من دروس اللغة والتفسير والفقه التي كان العلماء يلقونها من أمثال سيدي الحسين العراقي، وسيدي محمد بن عبد الرحمان العراقي والشريف مولاي عبد الله الفضيلي وسيدي العباس بناني، والشريف سيدي محمد بن جعفر الكتاني. ولما تجاوز من العمر العشرين أقبل على تعلم بعض المهن الصناعية فمهر في تسفير الكتب وتوشيتها بالذهب، كما تعلم مبادئ الطباعة الحديثة، ثم فتح معملا صغيرا لنسج الأغطية ومتجرا.

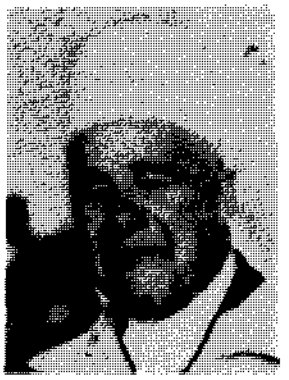

في شوال 1348 / دجنبر 1929 رحل المترجم رفقة أخيه الأصغر العباس إلى مدينة مكناس حيث اشتغلا بالتجارة وأنشآ معملا ضم صناعات النجارة ونقش الخشب والفن الدمشقي والنسيج وتطريز الجلد والتسفير والطرز الفاسي.

وقد جلب المترجم مهرة المعلمين والصناع من فاس وكان ينجز تصاميم المصنوعات الخشبية ورسوم المطروزات الجلدية مجتهدا في ابتكار قوالب وأشكال تتسم بالأصالة والطرافة.

وقد أسهم المعمل الذي أحدثه المترجم في تنشيط قطاع الصناعات التقليدية بمدينة مكناس العتيقة، فتدفقت المصنوعات، وازدهرت حركة تسويقها، وتضاعف الإقبال

على اقتنائها وخاصة في أوساط الأوربيين من ساكنة المدينة الجديدة بحمرية وجنود القاعدة العسكرية المحدثة بها.

وفي مارس 1931 أُوفد المترجم على رأس فريق من الصناع التقليديين إلى باريس للمشاركة في (معرض المستعمرات الفرنسية).

ولم تكن التجارة لتلهي المترجم عن أن ينخرط في العمل الوطني والمغرب يومئذ ما يزال تحت تأثير الظهير البربري، فقد انضم إلى صفوف الحركة القومية، وأصبح بيته ملتقى لرجال هذه الحركة بين الفينة والأخرى كما أنه دفع بأبنائه وأبناء أخويه العباس ومحمد للانخراط في عملية تأسيس (منظمة الكشافة المغربية الإسلامية) في أبريل 1946، فكانوا بذلك من السباقين إلى تحمل مسؤولية قيادة فرقها.

وقد كان للمترجم دور فاعل في أحداث معركة بوفكران في شتنبر 1937، فلقد عبّأ صناعه للمشاركة في المظاهرة التي اكتسحت ساحة الهديم، وكانت تتقدمهم لافتة سهر على إعدادها بنفسه بمعمل النجارة وقد كتب عليها عبارة (الماء ماؤنا تفديه أرواحنا)، وهو الشعار الذي اختاره المكناسيون يومئذ رمزا لاحتجاجهم على تحويل ماء بوفكران عن مجاريه الأولى. وفي ساحة الهديم سقط أول شهيد من شهداء بوفكران فكان أحد صناع المعمل المذكور وأحد حاملي اللافتة الشاب أحمد العمراني.

عندما دبت إلى مكناس حركة التعليم الحر سارع المترجم إلى تحويل أبنائه وبناته الصغار من مدارس التعليم العمومي، فألحق بعضهم بمدرسة النهضة الإسلامية التي افتتحت في نوفمبر من عام 1945، وكان يديرها الوطني الغيور مولاي مصطفى العلوي، وألحق البعض الآخر بالمعهد المحمدي الذي افتتح في نوفمبر 1947، وكان يديره العلامة الوطني سيدي محمد العرائشي المتوفى يوم ثالث رمضان 1421، موافق 30 نوفمبر 2000.

رحل المترجم إلى الديار المقدسة مرتين لأداء العمرة ومناسك الحج أولاهما عام 1365 / 1946، والثانية عام 1387 / 1968. وقد حظي بعد أيام من حجته الأولى بزيارة الزعيمين محمد بن الحسن الوزاني وعلال الفاسي في يوم واحد ببيته. وكان ذلك في نطاق زيارتهما لمدينة مكناس بعد إطلاق سراحهما في متم ماي 1946. وقد كان ذلك اليوم مشهودا في حياة المترجم وظل راسخا في ذاكرة أبنائه.

في بداية الخمسينيات وقع الاختيار على المترجم بين تجار المدينة لشغل منصب خليفة للمحتسب يومئذ الحاج أحمد التراب، غير أن سلطات الحماية عمدت إلى إقصائه من هذه المهمة في صيف عام 1953 على إثر نفي ملك البلاد إلى كورسيكا. وفي هذه الفترة عانى المترجم وأبناؤه من مضايقات السلطة الكثير مما انعكس على نشاطه التجاري وأفضى إلى نزوح بعض أبنائه إلى الدار البيضاء بحثا عن العمل.

وبعد استقلال البلاد ولي الحاج العربي خطة الحسبة بمدينة مكناس تقديرا لجهوده الوطنية وكفاءاته المهنية، وكان ذلك بمقتضى ظهير شريف حرر بالرباط في 23 ربيع الثاني عام 1370 موافق 26 أكتوبر 1959.

لقد كان الحاج العربي دؤوبا على مخالطة العلماء والفقهاء، شديد الاحتفاء بهم، كما كان متفتحا على الحياة العصرية. وهو من السباقين في مكناس إلى الدفع ببناته إلى التعلم في المدارس.

وعلى امتداد سبعة عشر عاما قضاها في الحسبة اشتهر رحمه الله بين التجار والصناع بالأمانة والاستقامة والمعرفة الدقيقة لشؤون الحسبة. وكان لا يفتر عن استشارة أمناء الحرف والأخذ برأيهم في المنازعات وعند مراجعة الأسعار، كما كان يقف بالمرصاد لكل من تسول له نفسه من التجار احتكار المواد الغذائية أو التزيد في أسعارها. وإلى ذلك عرف بالعفة والإباء والرأفة بالضعفاء.

خلف المترجم من الأولاد ثمانية فيهم من الذكور محمد وأحمد وعلال وعبد العزيز وجمال الدين. وسائرهم اشتغل في الحقل التجاري باستثناء عبد العزيز الذي انخرط في سلك التعليم أستاذا، ثم مديرا لإحدى الثانويات بمكناس قبل أن يلتحق بوزارة الثقافة عام 1979 حيث شغل منصب مدير للمعهد الوطني للموسيقى ومندوب جهوي للوزارة إلى غاية إحالته على التقاعد.

وقد توفي الحاج العربي بعد مرض ألزمه الفراش بضعة أسابيع، وكان ذلك يوم 3 رمضان 1396 موافق 26 غشت 1976.

بطاقة خاصة.

عبد العزيز بن عبد الجليل

ابن **عبد الجليل، عمر** من مواليد فاس سنة 1907، وبها تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي. أما الدراسات العليا، فقد فضلت أسرته أن يتابعها ابتداء من 1924 في مونبيليي بفرنسا حيث كللت مثابرته بالحصول على دبلوم جعل منه أحد أوائل المهندسين الفلاحيين المغاربة. ولما رجع إلى وطنه اختبر معارفه النظرية في بعض الضيعات في منطقة الغرب وفي بنسليمان حيث أظهر بالممارسة الميدانية أن الفلاحة المغربية يجب أن تراهن على العلوم الحديثة والتقنيات العصرية للخروج من زمن الوسائل التقليدية العاجزة عن الاستجابة لحاجات الساكنة المتزايدة.

في سنة 1928 أصيبت أسرة عمر بن عبد الجليل بصدمة نفسية عنيفة عندما أقدم أحد أبنائها، وهو محمد شقيق عمر، على الارتداد عن الإسلام واعتناق المسيحية. لكن عمر تحمل الصدمة وأبان عن رزانة كبيرة في ذلك الظرف الحرج ولم يقطع أواصر الأخوة مع "جان محمد عبد الجليل". ولعل ذلك مما جعل هذا الأخير، وإن ارتد عن دينه الأصلي، لم يغض الطرف عن تطلعات الحركة الوطنية التي كان أخوه أحد روادها الأوائل.

انخرط عمر بن عبد الجليل في المعترك السياسي غداة ظهير 16 ماي 1930 وما خلفه من قلاقل في جهات مختلفة من المغرب. وترجم ذلك أول الأمر بالمساهمة في تحرير المجلة الوطنية "المغرب" Maghreb التي كانت تصدر بالفرنسية في باريس. وكانت مقالاته على صفحاتها تتناول مواضيع من قبيل التنديد بتسلط القواد والباشوات (التازي، البغدادي، الگلاوي...)، والتنبيه للأزمة الاقتصادية التي كان يعاني منها السواد الأعظم من المغاربة، والاحتجاج على ما آلت إليه وضعية الأحباس، وفضح السياسة التعليمية الفرنسية في المغرب. وكان يوقع مساهماته باسمه الصريح أحيانا وبأسماء مستعارة أحيانا أخرى، مثل بوعزة الزموري والخبير والنحلة... وشكلت تجربته الصحفية مناسبة لتوثيق العلاقات مع نخبة من الاشتراكيين الفرنسيين والإسبان الذين لعبوا دوراً لا يستهان به في التعريف بالقضية المغربية لدى الرأي العام الفرنسي والدولي. ولما ظهرت بفاس جريدة L'Action du Peuple (عمل الشعب) جند فيها عمر قلمه للدفاع عن مصالح الفلاحين المغاربة والتنديد باغتصاب أراضيهم لفائدة المعمرين الأوروبيين. وفي متم العام 1934، أعدت كتلة العمل الوطني دفتر "مطالب الشعب المغربي" الذي كان عمر بن عبد الجليل أحد موقعيه العشرة، فكلفه رفاقه بتقديمه - بمعية محمد بن الحسن الوزاني - إلى وزارة الخارجية الفرنسية في فاتح دجنبر من السنة ذاتها نظرا لما كان يتمتع به من احترام وتقدير في بعض الأوساط الفرنسية.

كان عمر بن عبد الجليل من الوطنيين الذين شملتهم حملة القمع الاستعماري في خريف 1937. فكان مصيره المنفى ببلدة "بويزاكارن" في الجنوب المغربي حيث ظل حتى سنة 1941. لكن هذه التجربة المريرة لم تثنه عن مواصلة العمل الوطني. وهكذا نجده في يناير 1944 ضمن الشخصيات التي أمضت وثيقة المطالبة بالاستقلال التي ساهم مساهمة فعالة في تحريرها. ومنذ ذلك الحين عرف وطنيا ودليا كواحد من أبرز مناضلي حزب الاستقلال. وفي 1950 تعرض للاعتقال وسجن للمرة الثانية بعد أن أمضى برقية احتجاج شديدة اللهجة وجهت إلى الإدارة الفرنسية للتنديد بما اقترفه الفرنسيون من اضطهاد ضد فلاحي القصيبة بالأطلس المتوسط. ولم يمض إلا زمن يسير على إطلاق سراحه حتى اعتقل للمرة الثالثة ومثل أمام المحكمة العسرية بالدار البيضاء عقب الأحداث الدامية التي شهدتها هذه المدينة في دجنبر 1952 بمناسبة مظاهرات التضامن مع الشعب التونسي إثر اغتيال النقابي فرحات حشاد. ولم يفرج عنه إلا أواخر 1954 عندما لاحت في الأفق بوادر استقلال المغرب. ولما كان الرجل معروفا بحنكته السياسية، فقد لعب دوراً فعالا في المفاوضات التي أدت إلى انفراج الأزمة المغربية - الفرنسية.

وعندما حصل المغرب على الاستقلال، أسندت إلى "الحاج عمر مسؤوليات جسام فتقلد منصب وزير الفلاحة، فوزير التربية الوطنية، ثم كلف بتسيير القرض الشعبي وإنشاء البنك الشعبي الذي أصبح بمرور السنين إحدى أكبر المؤسسات البنكية في المغرب.

وافت المنية عمر بن عبد الجليل في ماي 1982 فووري التراب في مقبرة الشهداء بالدار البيضاء.

أبو بكر القادري، *الحاج عمر بن عبد الجليل*، مطبعة الرسالة، الرباط، 1988 ؛ بعض أعداد مجلة *"المغرب"* التي صدرت بالفرنسية في باريس، 1932 - 1936.

جامع بيضا

ابن **عبد الجليل، قاسم** الوطني الغيور والمناضل المخلص، كان من الموقعين على عريضة 11 يناير 1944 المطالبة بالاستقلال، ازداد بمدينة فاس سنة 1909 وبها تلقى التعليم الابتدائي والثانوي، ثم انتقل إلى الرباط حيث حصل على شهادة الكفاءة في الدراسات القانونية.

وعاد إلى مسقط رأسه ليشتغل بالتعليم في ثانوية المولى إدريس. وكان قد انخرط باكراً في صفوف الحركة الوطنية وتعرض بسبب استماتته في النضال إلى مضايقات السلطات الاستعمارية. فقد ألقى عليه القبض بسبب توقيعه على عريضة المطالبة بالاستقلال وسجن وباقي الموقعين في برج النور بفاس، وفصل عن وظيفة التعليم بعد اطلاق سراحه. ولذلك امتهن في السنوات الأخيرة من فترة الحماية مهنة المدافع أمام المحاكم الشرعية بفاس ثم بالدار البيضاء. وما أن استرجع المغرب استقلاله حتى كان من الأطر الأولى لوزارة العدل فأسند إليه كرسي وكيل الملك بالمحكمة الابتدائية بالدار البيضاء ثم بمحكمة الاستيناف بالرباط، وعيّن أخيراً مديراً للمدرسة الإدارية، وظل يزاول تلك الوظيفة إلى أن اختاره الله إلى جواره يوم 7 ماي 1961 رحمه الله.

إبراهيم بوطالب

ابن **عبد الجليل، محمد البيضاوي** محمد بن أحمد بن المكي ابن عبد الجليل من مواليد فاس أواخر القرن التاسع عشر. اشتغل بالتجارة، وعرف بين شباب المدينة بمواقفه المؤيدة لثورة ابن عبد الكريم الخطابي، وحصل - من أجل صون نفسه - على الحماية الألمانية.

وقد لقي - بعد هزيمة المحور - أتعابا من سلطات الحماية أفضت إلى نفيه من فاس، فنزل بالدار البيضاء، ثم تحول إلى قلعة السراغنة، ومنها إلى مراكش حيث استقر إلى أن وافته المنية عام 1954.

وقد عقّب من الأبناء أربعة من بينهم محمد الذي توفي بمناس، حيث كان يشغل منصب مساعد طبيب مختص.

بطاقة خاصة.

عبد العزيز بن عبد الجليل

عبد الجليل، محمد (الراهب) ولد في فاس سنة 1904 من أسرة مسلمة موسرة منحدرة من الأندلس ومعروفة

في المدينة بتقلد أفرادها مناصب سامية في الجهاز المخزني. وقد رافق والديه سنة 1913 / 1914 ـ وهو مازال في ريعان الشباب ـ إلى الديار المقدسة لأداء فريضة الحج.

تلقى تعليمه في القرويين، كما تابع دراسته في ثانوية فاس باللغتين العربية والفرنسية. وبعدها التحق بثانوية كورو Gouraud بالرباط حيث نال شهادة الباكالوريا سنة 1924. وخلال مدة دراسته بالعاصمة، أقام مدة بمدرسة شارل فوكو الفرانسيسكانية التي كانت تأوي عدداً من الطلبة الوافدين من جهات مختلفة من المغرب. وبعد حصول محمد بن عبد الجليل على الباكالوريا بامتياز، مكنته الإقامة العامة بإشارة خاصة من المارشال ليوطي من منحة دراسية فسافر إلى باريس قصد تحضير الإجازة في اللغة العربية وآدابها. وبموازة ذلك استهوته دراسة علوم الدين والفلسفة، فتردد على المعهد الكاثوليكي. ومن الشخصيات التي تعرف عليها في العاصمة الفرنسية وكان لها عليه تأثير جلي كل من المستشرق لوي ماسينيون Louis Massignon والفيلسوف موريس بلونديل Maurice Blondel. وفي سنة 1928 تمكن الفرانسيسكان من استمالة هذا الطالب المغربي وجعله يرتد عن الإسلام ويعتنق الديانة المسيحية. وبذلك أصبح يعرف باسم "جان محمد عبد الجليل". ولم تمض إلا سنوات معدودة حتى انخرط في السلطة الكنسية (1935) وأصبح أحد رهبانها.

وقد خلف تنصير محمد بن عبد الجليل صدمة نفسية وتذمرا عميقا لدى المسلمين المغاربة، خاصة في حاضرة فاس، مسقط رأسه ومكان إقامة أسرته المعروفة بورعها وبتمسكها بالدين الإسلامي. وشمل الاستياء صفوف الحركة الوطنية التي ما فتئت تندد بحملات التنصير التي كانت تشنها في المغرب أسقفية الرباط دون مراعاة لمقتضيات عقد الحماية لسنة 1912 والتي تلزم الفرنسيين مبدئيا باحترام مشاعر المسلمين ومؤسساتهم الدينية.

وابتداء من 1936 أسندت إلى جان محمد عبد الجليل مهمة التدريس في المعهد الكاثوليكي بباريس. فكانت الدروس التي يلقيها تشمل الدين والفكر الإسلاميين واللغة العربية وآدابها. وقد قام بهذه المهمة حتى العام 1964. وطيلة هذه المدة عمل الأب عبد الجليل، سواء بواسطة التدريس أو بمختلف محاضراته ومقالاته هنا وهناك، على بناء جسور الحوار والتفاهم بين معتنقي الديانتين السماويتين المسيحية والإسلام، وذلك سيراً على نهج أستاذه ماسينيون. وكان يتوفر على قدرة بث أفكاره مباشرة بلغات عديدة كالعربية والفرنسية والألمانية والإسبانية والإنجليزية. وعلى الرغم مما أثاره اعتناقه للمسيحية من امتعاض في المغرب، فإنه لم يول ظهره لبلده الأصلي، بل أبقى على علاقات وطيدة مع بعض الزعماء الوطنيين وفي مقدمتهم أخوه عمر بن عبد الجليل. ومن ثمة دافع من موقعه وبالأسلوب الذي ارتضاه لنفسه على مطالب المغاربة التواقة إلى الإصلاح ثم الاستقلال.

وفي ربيع 1961، بينما كان الأب عبد الجليل مقيما في مدينة نيس جنوبي فرنسا من أجل الراحة، انتابته أزمة نفسية حادة جعلته يستنجد بأخيه عمر الموجود آنئذ في المغرب. وبدون استئذان إدارة طائفة الفرانسيسكان التي ينتمي إليها، شد الرحال صحبة أخيه إلى وطنه الأصلي في زيارة هي الأولى من نوعها بعد غياب دام ما يقرب من أربعة عقود. ولما كان الحدث غير مرتقب، فقد لفت انتباه الصحف المغربية فنشر بعضها أخبارا زائفة مفادها أن "الحاج محمد عبد الجليل" رجع إلى دينه الأصلي الإسلامي، وذهب بعضها الآخر إلى أنه قد يستوزر في الحكومة المغربية ليتكلف بشؤون التعليم نظرا لثقافته الواسعة وتجربته العميقة. وهكذا لم ينعم الأب عبد الجليل في المغرب بما كان ينشده من راحة وهدوء قصد الاستشفاء مما أصابه من إرهاق نفسي. فقد استاء مما نشرته بعض الجرائد في شأنه، كما تعرض لضغوط معنوية من "إخوانه" الفرانسيسكان الذين أحرجهم مغادرته لفرنسا دون سابق إشعار. وبعد أسبوعين من حلوله بالمغرب غادره فجأة عائدا إلى فرنسا، وطنه الثاني الذي أبى أبدا أن يحمل جنسيته.

وفي سنة 1964 أصيب الأب عبد الجليل بسرطان في لسانه. ورغم العلاج المكثف فقد عاني كثيراً من الداء الذي ألم به فاضطر إلى التوقف عن التدريس بالمعهد الكاثوليكي بباريس، كما أجبر على تقليص دائرة أنشطته. ومع ذلك تجدر الإشارة إلى أنه ظل في هذه الفترة من الشخصيات الفكرية المرموقة التي كانت البابوية تستشيرها في كل ما يتعلق بالإسلام في وقت انعقاد مناظرات في إطار المجامع الدينية المعروفة بـ Conciles du Vatican II والتي حددت ضمن أمور أخرى علاقات جديدة للفاتيكان مع أتباع الديانات غير المسيحية.

وفي 24 نونبر 1979 وافت المنية جان محمد عبد الجليل

في إحدى المستشفيات بضواحي باريس مخلفا وراءه كتابات عديدة تنم عن اطلاع واسع ومعرفة عميقة بالتراث الفكري الديني المسيحي والإسلامي على السواء.

Recueil Jean-Mohammed Abd-El-Jalil : n° spécial des *Nouvelles de l'Institut Cathodique de Paris*, n° 3, Join 1980, 223 p. ; Jean-Mohammed Abdeljalil. *L'Islam et nous*, Ed. du Cerf, Paris, 1981, 130 p. ; Alfred-Louis de Premaire. Le retour de Jean-Mohammed Abdeljalil au Maroc. in En *hommage au père Jacques Jomier*, O.P., Etudes réunies et coordonnées par Marie-Thérèse Yrvoy, les Ed. du Cerf, paris, 2002, p. 321 - 341.

جامع بيضا

ابن **عبد الجليل، محمد** بن الحاج **المكي**. ولد محمد بن الحاج المكي بن العربي بن الحاج عبد السلام ابن عبد الجليل بفاس حوالي منتصف القرن الثالث عشر. وقد كان على حظ وافر من العلم. اشتغل بالتجارة، وامتد نشاطه التجاري إلى خارج الوطن، فكان يجلب مواد السكر والشاي والكتان في مقابل وسق المصنوعات التقليدية المحلية.

وقد عهدت إليه في أيام السلطان المولى عبد العزيز وظيفة أمين الصائر. وفي أواخر حياته كلف بمهمة تفتيش السجون بفاس، فعرف بالاستقامة وحسن المعاملة.

وقد توفي بفاس بعد أسابيع من عقد الحماية، وذلك في شهر شعبان 1330 موافق يوليوز 1912.

من رواية الحاج العربي ابن المترجم.

ابن **عبد الجليل، محمد** بن **عبد القادر**، ولد محمد بن عبد القادر بن أحمد بن المكي ابن عبد الجليل بمدينة فاس حوالي عام 1925، وبعد أن تلقى تعليمه الابتدائي انتقل رفقة أسرته إلى مكناس حيث عاش فترة قصيرة رحل بعدها إلى الرباط.

وبعد دراسته الثانوية انخرط في سلك التعليم. وقد عرف بين أقرانه بنشاطه السياسي وبلائه الحسن إلى جانب رجال الحركة الوطنية، فألقي عليه القبض، ثم نفي خارج العاصمة بقرار من المحكمة العسكرية بها.

وبعد استقلال البلاد التحق بوزارة الشبيبة والرياضة، فكان من خيرة أطرها التربوية المعتمدين في مجال التخييم وتكوين مؤطري المنظمات السياسية.

التحق بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الثمانينيات، وعين ناظراً للأحباس الكبرى بفاس، فبرهن عن إخلاصه وأمانته في تأدية واجبه إلى أن وافته المنية عام 1994 بالرباط بعد مرض ألزمه الفراش.

وقد عقب المترجم من الأبناء خمسة من بينهم عبد القادر، وهو مهندس يعمل أستاذاً بالمدرسة المحمدية، وخالد، وهو مهندس يشتغل أستاذاً بمعهد الحسن الثاني للبيطرة.

بطاقة خاصة.

ابن **عبد الجليل، محمد** بن **العربي**، ولد محمد بن العربي بن محمد ابن عبد الجليل بفاس عام 1922. وقد انتقل مع أسرته إلى مكناس أواخر عام 1929، وبها التحق بمدرسة درب السلاوي للبنين، كما التحق في ذات الوقت بكتاب الفقيه مولاي رشيد المنوني وهو دون الثامنة. وقد انقطع عن متابعة دراسته الثانوية حوالي سنة 1945، واشتغل إلى جانب والده بالتجارة.

شب الفتى في أحضان أسرة مشبعة بالروح الوطنية، فقد كان والده الحاج العربي من العناصر الفاعلة في الحركة القومية، كما كان بيته ملتقى لأتباعها قياديين وشبابا. وإلى ذلك فقد انخرط في جمعية (الكشاف المغربي المسلم) التي أسسها شباب من القوميين بمكناس في بداية الأربعينيات، وما عتم أن أصبح من المسؤولين عن قيادتها. وقد حضر إلى جانب ابن عمه المكي ابن عبد الجليل المخيم السري الذي دعا إلى عقده بالدار البيضاء يوم السبت 19 أبريل 1946 الأستاذ محمود العلمي، والذي تحول إلى شبه مؤتمر أفضى إلى توحيد الجمعيات الكشفية التابعة للحركة القومية في مختلف مدن المغرب وانصهارها في جمعية واحدة أطلق عليها يومئذ اسم (منظمة الكشافة المغربية الإسلامية). ومنذ ذاك العهد وجد الفتى نفسه في صلب موقع المواجهة مع ممثلي السلطة الحاكمة التي أصبحت في ظل المناخ السياسي الجديد الذي عم المغرب بعد إعفاء المقيم العام إيريك لابون وتعيين الجنرال جوان بدله أكثر ميلا إلى التشدد وتضييق الخناق على الأحزاب والجمعيات الوطنية. ومع ذلك فقد ظل الفتى متمسكا بمبادئه الوطنية سواء في الحقل الحزبي أو الكشفي.

وعندما حصل المغرب على الاستقلال كان المترجم في مقدمة أعضاء المكتب الجهوي لحزب الشورى والاستقلال بمكناس، وفي 1958 انخرط في مجال العمل الاجتماعي فشارك في جمعيات ذات طابع إحساني، وكان له الفضل في تأسيس الفرع الإقليمي للهلال الأحمر بمكناس. وقد رأسه بنفسه وإلى جانبه ثلة من شباب المدينة كان فيهم المرحوم عبد الواحد الزموري والأستاذ عبد العالي المنوني.

وفي منتصف عام 1963 رحل المترجم بأسرته إلى الدار البيضاء حيث عين موظفا بالمكتب الشريف للفوسفاط، وعهد إليه تمثيل هذه المؤسسة غير ما مرة خارج الوطن.

وقد توفي بالدار البيضاء إثر سكتة قلبية في 6 ذي القعدة 1398 موافق 8 أكتوبر 1978.

معلومات شخصية : وثائق منظمة الكشافة المغربية الإسلامية بمكناس.

ابن **عبد الجليل، المكي** بن **محمد** بن محمد بن الحاج المكي ابن عبد الجليل، من مواليد فاس أواسط ذي القعدة 1345 موافق 15 أبريل 1927.

التحق صبيا بكتاب الفقيه علال عبابو في عقبة الفيران، فحفظ بعض سور القرآن الكريم، وتلقى مبادئ النحو والدين، ثم التحق على التوالي بمدرسة النجاح برحبة القيس ومدرسة سيدي بناني بحي الديوان حيث درس على عبد الهادي الشرايبي والهاشمي الفيلالي وبوشتى الجامعي وعبد الواحد العراقي ومحمد لحلو وآخرين.

رحل رفقة أسرته إلى مكناس عام 1358 / 1938 ، وبها دخل كتاب الفقيه مولاي رشيد المنوني للاستزادة من حفظ القرآن وتلقي بعض المتون في اللغة والدين. ولنبوغه بين التلاميذ فقد رشحه الفقيه للمثول بين يدي جلالة المغفور له محمد الخامس بمناسبة زيارته للكتاب في إطار تفقده لمؤسسات التعليم بمكناس يوم 18 ماي 1941. فقد وقف أمامه - وهو لابس لحلة الكشاف، وألقى من محفوظاته قصيدة رنانة في مدح الجلالة الشريفة مطلعها :

جزى الله عن هذا الأنام خليفة

في عام 1942 ولى وجهه شطر مجالس العلم، فكان يحضر مجالس الفقيه الأديب محمد بن أحمد برادة في مسجد الأنوار بسوق السباط، وعليه درس *الكامل* للمبرد كما درس الألفية والأجرومية والمنطق، واستفاد منه محفوظاته الأدبية وطريقته في الإلقاء التي كان يجري فيها على نهج المصريين، فقد كان المترجم يقلد أستاذه في ذلك، تسعفه موهبة فطرية جعلت صوته جهيرا رنانا وهو ما يزال في ريعان الشباب.

وفي نوفمبر 1943 التحق المترجم بالدروس النظامية التي أحدثت رسميا بالمسجد الأعظم، فقضى عامين تلقى خلالهما دروسا في اللغة والفقه والتاريخ على يد ثلة من الأساتذة كان فيهم مولاي محمد (فتحا) الطاهري، وسيدي محمد المنوني، وسيدي العربي الهلالي، ومولاي الطيب الحريف وسيدي أحمد بن الصديق الديغوسي، وسيدي عبد الله الشبيهي عسيلة، والطاهر البعاج، وعبد العزيز الزريهني، وعبد القادر بنسعيد العلوي.

وقد عرف المترجم خلال فترة دراسته بتفوقه ونبوغه بين زملائه الطلبة كما عرف بشجاعته الأدبية وطلاقة لسانه وقدرته على الارتجال، من ذلك أنه وقف في جنازة أحد زملائه بالمعهد الديني هو عبد الواحد بنعزو، فارتجل كلمة تأبينية مهد لها بأبيات شعرية من محفوظاته، وكان بذلك محط الإعجاب والتنويه.

وتشاء الظروف أن تحول دون متابعته الدراسة في المعهد الديني، فانتقل إلى الرباط حيث قضى سنة 1945 - 1946 طالبا بقسم تكوين المعلمين بثانوية مولاي يوسف، ثم عاد إلى مكناس حيث عين مدرسا للغة العربية بمدرسة أبناء الأعيان بدرب السلاوي.

ولم تكن الوظيفة لتلهيه عن العمل في الحقل الوطني، فقد انضم منذ حلوله بمكناس إلى جمعية (الكشاف المغربي المسلم)، وهي يومئذ تابعة للحركة القومية بمكناس. وقد أوفده مكتب الجمعية إلى الدار البيضاء يوم 19 أبريل 1946 للمشاركة في المؤتمر التأسيسي لمنظمة الكشافة المغربية الإسلامية.

وفي صيف 1949 رأس بعثة الجوالة التي أوفدتها المنظمة المذكورة إلى البلاد الأوربية، حيث أقامت مخيمات متنقلة في إسبانيا وفرنسا وبلجيكا.

لقد كان المترجم على امتداد عمله في حقلي التعليم والكشفية مثالا للحزم والصرامة والإخلاص، كما كان في مجال العمل الوطني مثالا للشجاعة والقدرة على مواجهة الجماهير وتأجيج حماسها غير عابئ بالمراقبين من أتباع السلطة وعيونها. وقد بلغ من جرأته أنه وقف في يوم من أيام صيف 1952 يخطب في جمع من المكناسيين وهم يتأهبون للسفر إلى الديار المقدسة، فأخذ يحضهم على التعريف بمحنة المغرب بين إخوانهم المسلمين ودعوتهم لمساندته في معركته من أجل الاستقلال. وما كاد الفتى ينتهي من خطبته حتى ألقي عليه القبض، وبعد الاستنطاق صدر في حقه قرار بالطرد من مكناس إلى طنجة.

وفي طنجة استمر المترجم - كدأبه من قبل - في أوج النشاط الوطني وبذلك ظل وثيق الصلة بالتزامه السياسي وانتمائه الكشفي.

وبعد الاستقلال ظل الحاج المكي مواكبا لأهم الأحداث الكشفية الوطنية، ثم عمل على تأسيس رابطة لجمعية آباء التلاميذ بمدن الشمال، وتقلد رئاستها وتمثيلها في المؤتمرات الوطنية إلى أن وافاه الأجل المحتوم بطنجة إثر نوبة قلبية في 4 شوال 1390 موافق 13 دجنبر 1970.

جريدة *السعادة* 26 . 5 . 1941 ؛ *وثائق* جمعية الكشاف المسلم بمكناس ؛ *وثائق* منظمة الكشافة المغربية الإسلامية بمكناس.

عبد العزيز بن عبد الجليل

عبد الحفيظ (مولاي -) السلطان بن الحسن الأول، أمه العالية بنت صالح بن الغازي الشاوي العامل الشهير في عهد مولاي سليمان (1792 ـ 1822). وهناك تضارب في تحديد ميلاد مولاي عبد الحفيظ، ولعله عام 1280 / 1864.

تربى مولاي عبد الحفيظ تربية الأمراء، ووجد كل الظروف الملائمة للتربية والتعلم. فالسلطان الحسن (1873 ـ 1894) كان من السلاطين الكبار الذين يحرصون على عظائم الأمور، ولا يتساهلون مع كل انحراف أو إهمال. ولهذا عمل على تربية أبنائه وتهذيبهم وتكوينهم، وكان يختار لهم جلة المربين الأكفاء، ويرسلهم إلى البلاد التي اشتهرت بالعلم والتعليم لاستكمال خبرتهم وتعليمهم.

ولقد أكمل مولاي عبد الحفيظ وبعض إخوته تعليمهم بقبيلة احمر، التي تقع بالقرب من مدينة مراكش، والتي سبق لمولاي الحسن نفسه أن تعلم فيها وتأدب في عهد جده مولاي عبد الرحمان (1822 ـ 1859). كان عبد الحفيظ أبرع أقرانه في علوم القرآن والعربية والفقه، إذ كانت له همة عالية في التحصيل حسبما حكاه عنه إدريس منو، زميله في الدراسة وقرينه ومساعده في الصغر والكبر، الذي تولى باشوية مراكش قبيل فرض الحماية الفرنسية على المغرب سنة 1912، (م. السوسي، *حول مائدة الغذاء*، 1983).

والواقع أن المتأمل في صورة عبد الحفيظ وملامح وجهه، يلاحظ أمامه شخصية تلوح عليها ملامح الذكاء والنباهة. وقد سخر تلك المؤهلات بالفعل في إشباع نهمه ورغبته في تحصيل العلم وحذق المعارف التي كانت منتشرة في عهده. وقد نبه هو نفسه إلى موهبته وميله لتحصيل العلوم وتلقي المعارف فقال : "فإني منذ الشباب وقلبي مشتاق إلى العلم وأهله من ذوي الألباب، حتى جمعني الله مع كثير من العلماء والأوليا، ذوي العقول واللطائف". (*العذب السلسبيل*).

قضى عبد الحفيظ مرحلة التعليم بقبيلة احمر، وأشرف على تعليمه التهامي المكناسي. ويستفاد من المراسلات التي تبادلها التهامي المكناسي مع الحاجب أحمد بن موسى أن مرحلة التعليم بقبيلة احمر بدأت ـ فيما يظهر ـ قبيل سنة 1307 / 1890، ففي هذه السنة أخبر المدرس السلطان بأن ولديه عبد الحفيظ وعبد الرحمان (مولاي الكبير) قد ختما السلكة السادسة من القرآن، ووصلا في *الألفية* إلى النسب، وختما كذلك مورد *الظمآن* حفظ إتقان وتحصيل. كما ختما سلكة في *الجرومية*. فأصدر السلطان أمره بشروعهما في حفظ *الرسالة والسنوسية*.

وبالجملة، فقد تمكن عبد الحفيظ من حفظ عدة متون في مسائل الفقه، *كالمرشد المعين والرسالة والسنوسية*، وفي مسائل اللغة مثل لامية *الأفعال والجرومية ومنظومة الجمل*، ثم درسها دراسة فهم وإتقان في حدود سنة 1309 / 1892. وقد ظهرت نجابته في العلوم الفقهية والحديثية والأدبية، حتى عد عالما متبحراً وشاعراً مقتدراً في حدود 1310 / 1893. وبذلك لما توفي مولاي الحسن سنة 1894، كان عبد الحفيظ مهيئاً ليخوض مجال الحياة العامة وهو مسلح بسلاح المعرفة والثقافة المغايرة لنواقص الجهل والطاردة لمولدات الخمول والتواكل.

على الرغم من تكليف مولاي عبد الحفيظ بمهام إدارية وعسكرية إثر وفاة والده، وبيعة أخيه الأصغر وعبد العزيز، فإن ذلك لم يشغله عن متابعة اهتمامه بالميدان الثقافي تحصيلا ومشاركة وتأليفا. وقد تهيأت له الظروف الملائمة لما تولى الخلافة عن أخيه بمراكش سنة 1901. وهكذا كان يحرص على مجالسة العلماء، والأدباء وعلى مطارحة المعارف معهم وخاصة علماء الصحراء، وعلى رأسهم الشيخ ماء العينين، الذي أجاز عبد الحفيظ إجازة عامة بتاريخ 11 جمادى الأولى عام 1322 الموافق 24 يوليوز 1904.

ومما يبرز اقتدار وامتلاكه لناصية علوم اللغة والفقه في الدين، ما ألفه في الميدانين من تآليف يغلب عليها الطابع التربوي والتعليمي، وجلها مطبوع على الحجر. ولقد خلف ثروة كبيرة من المؤلفات والمنظومات، في ميادين الشعر الذي تعددت أغراضه، كما كتب في السياسة والتاريخ واللغة والفكر والشريعة، فاعتبر بذلك سياسياً وعالماً وشاعراً وأديباً ومفكراً. إن مؤلفات عبد الحفيظ ومنظوماته تعكس انفعاله

وتصف فعله، وتنم عن ذهن يقظ وفكر حي متجاوب مع تطورات العصر، وروح شاعرية حساسة لم تطفئها عواصف السياسة ولا ويلات دسائسها ؛ وأهم هذه المؤلفات :

- في علوم اللغة :

- *العذب السلسبيل في حل ألفاظ خليل*، فاس، 1326.

- *السبك العجيب لمعاني مفردات محيط المحيط ومغني اللبيب* (1500 بيت)، جزءان القاهرة، 1325.

- نيل النجاح والفلاح في علم ما به القرآن لاح، فاس، 1327.

- في علوم الفقه والحديث :

- *ياقوتة الحكام في مسائل القضايا والأحكام*، فاس، 1327.

- *الجواهر اللوامع في نظم جمع الجوامع*، فاس، 1327.

- *نظم مصطلح الحديث*، فاس، 1327.

- في الشعر :

- قصائد في الشعر الملحون، جمعت في ديوان مطبوع على الحجر.

- قصيدة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، مجد فيها العلم وكرم العلماء، وحث على التعلم وتحمل المشاق في سبيل العلم الذي اعتبره نوراً يهدي للحق والفضيلة وللخير والجمال، ويؤدي إلى التقدم والكمال الإنساني، بعكس الجهل الذي يؤدي إلى عكس ما سبق من فضائل (عبد الله العمراني، *سلطان عالم شاعر*).

- قصائد في انتقاد نظام الحماية الفرنسية الذي فرضته القوة على المغرب، وفي انتقاد الحماة الذين تنكروا لعهودهم مع السلطان، وتعسفوا في حقه وحق شعبه. ويظهر أن القصائد المشار لها، هي المجموعة في مطبوع على الحجر نشر سنة 1913، أي السنة التي حج فيها مولاي عبد الحفيظ للديار المقدسة. وعنوان المطبوع : "نفائح الأزهار في أطايب الأشعار".

في الفكر والسياسة والتاريخ :

- *كشف القناع عن اعتقاد طوائف الابتداع*، طبعة حجرية.

- "*داء العطب قديم*"، مخطوط بالخزانة الحسنية، الرباط.

- *إعلام الأفاضل والأكابر بما يقاسيه الفقير الصابر*، ضمن مجموع بالخزانة الحسنية.

وهي رسالة رد فيها على الذين اتهموه بالتطلع للملك سنة 1906، وهاجم فيها بصفة خاصة أخاه مولاي عمر.

ولقد أشار خير الدين الزركلي إلى أن مولاي عبد الحفيظ قد شرع في تأليف كتاب عن الإسلام في منفاه بفرنسا. ويظهر أن للرجل كتابات أخرى مازالت حبيسة عند الذين وقعت خزانته بين أيديهم. ولقد عثرنا على عناوين بعضها مثل :

- "*براءة المتهم*" وفيها بين كيف أن الكثيرين من النخبة المغربية التي يعتمد عليها قد احتمت بالفرنسيين وساعدتهم.

كما أشار إلى دور بوحمارة التخريبي وإلى اقتراضات مولاي عبد العزيز كعوامل أسرعت بالبلاد إلى أيدي الفرنسيين. وبرأ نفسه من توقيع الحماية مبينا بأنه أجبر على وضع خط يده على الوثيقة التي قدمت له.

- *تحفة الألبا في حروب أوربا*، وفيها نوه بالجيوش الألمانية وهاجم الدعاية الفرنسية خلال الحرب العالمية الأولى.

بالإضافة إلى هذه المؤلفات ترك الرجل ثروة كبيرة من المراسلات توضح سياسته وموقفه من كثير من القضايا التي نجمت عن الاحتلال الفرنسي للمغرب.

وتجدر الإشارة إلى أن مولاي عبد الحفيظ قد شجع حركة التأليف بنشره للعديد من المؤلفات وبعقده لجلسات علمية مع العلماء سميت "بالدروس الحفيظية"، حيث كان العلماء من فاس والرباط وغيرها يشاركون بآرائهم ومناقشاتهم في مسائل الحديث والفقه والفكر.

وبالجملة، يمكن القول : إن عبد الحفيظ كان عالماً مشاركاً وأديباً مقتدراً وسياسياً ماهراً قبل توليه الملك، وبعد توليه أصبح بلاطه حافلاً بالعلماء كما كان العهد زمن خلافته. ذلك بأنه كان يغدق على العلماء نواله، ويهتم بمجالستهم، ويتطارح معهم المسائل العلمية والأدبية وخاصة علماء الصحراء.

فعن نشاطه العلمي عندما كان خليفة بمراكش، روى محمد المختار السوسي، على لسان إدريس بن منو فقال :

"ثم كان اهتباله بالعلماء محركا للنشاط العلمي في مراكش، فكان مرة حضر في المواسين ختما للفقيه محمد بن إبراهيم السباعي في مجلس حافل، وكان من أندى الناس للعلماء [..] ولذلك بمجرد ما سمع بورود الشيخ بوشعيب الدكالي إلى مراكش من الحرمين زائراً لأهله بالمغرب حتى أرسل إليه فأقام له حفلة في داره ألقى فيها درسا حافلا [..] فحين خرج مدله صرة فيها مائتا لويز، ثم كانت معاملته له هي التي جذبته إلى المغرب، حتى ذهب فأتى بأهله من الحجاز". وبذلك يعتبر من المشجعين للحركة السلفية بالمغرب إن لم يكن من روادها الأوائل.

كان عبد الحفيظ يحظى باعتبار خاص عند أحمد بن موسى (ابا أحمد). فالوزير الصدر (1894-1900)، كان هو المشرف على تعليمه هو وإخوته لما كان حاجبا لمولاي الحسن. وعندما تولى الصدارة إثر بيعة مولاي عبد العزيز سنة 1894، كان عبد الحفيظ من الأمراء الذين اعتمد عليهم أحمد بن موسى في تكليفهم بمهام إدارية وعسكرية عديدة. ويظهر أن مسارعة مولاي عبد الحفيظ لقبول بيعة أخيه الأصغر، أي لقبول ما فعله أحمد بن موسى، يبدو أن ذلك هو ما ميز مولاي عبد الحفيظ عند أبا أحمد. وقد عرف هذا الأخير فضل الأمير النابه. لذلك كلفه بمأمورية إدارية وعسكرية بتادلة أولا. ثم لما قرر أحمد بن موسى إرسال حركات لسوس لإعادة الأمن فيها وتعيين شيوخ ترضى عنهم قبائلهم، بعث

مولاي عبد الحفيظ خليفة عن المخزن على رأس جيش كبير، لدعم القواد والحركات المرسلة للجنوب يساعده باشا القصبة، الحاج محمد وبدة السوسي. ويظهر أن مولاي عبد الحفيظ استقر بمدينة تزنيت كخليفة عن السلطان بسوس إلى حدود 1900. وعندما قرر مولاي عبد العزيز الانتقال لفاس إثر إعلان الترتيب في خريف 1901، عين مولاي عبد الحفيظ خليفة عنه بمراكش. وقد أبان في إدارته للجنوب عن مهارة واقتدار سياسي كبير، وثبت في كل الظروف والتقلبات إلى أن اعتلى عرش المغرب.

كان بلاط الخليفة في العادة، يتألف من قائد للمشور بمثابة وزير يكون بصيرة على كل أمور الخليفة الإدارية والسياسية، وكانت مهمة الخليفة محددة فيما يلي :

أولاً : فيما يتعلق بالقضايا الإدارية والعلاقات مع المجتمع : يعمر المشور عند كل قضية تستدعي الاستماع لشكاوي الناس ودعاويهم، فإذا كانت القضية من اختصاص الشرع تصرف للقاضي، أما إذا تعلق الأمر بقضايا مخزنية (تابعة للمخزن أي للحكومة) تهم أمور المخزن في علاقاته مع العمال والقبائل، فتقع المراسلة مع العمال أو القبيلة المعنية. والملاحظ أن الخليفة بالرغم من مساعدته للسلطان في مراقبة العمال وما يجري في القبائل، فإنه لم يكن مسموحا له بالتدخل في أمور فرض الضرائب أو جبايتها أو تعيين القواد وعزلهم أو استقبال الأجانب في بلاطه بشكل رسمي، كما لم يكن مسموحا له بالتدخل في أمور الجيش.

ثانياً : كان على الخليفة أن يخرج لصلاة الجمعة ولصلاة العيدين. وكان البروتوكول المتبع هو : عندما يريد الخليفة الخروج لصلاة الجمعة أو لصلاة العيدين أو لأجل تعسير المشور، يقف المشاورية وأصحاب المكاحل من الجيش لتحيته. وعند انتهاء المهمة يصرفون لأماكنهم، إذ لم تكن للخليفة سلطة على الجيش، الذي كانت قيادته من اختصاص باشا القصبة حيث توجد ثكنات الجيش.

وإذا كانت هذه هي الحدود المرسومة لمهام الخليفة فكيف زاول مولاي عبد الحفيظ هذه المهام ؟ وهل تعداها ؟

الواقع أن مولاي عبد الحفيظ قد نجح في مهمته وكان عطاؤه الإداري والسياسي بارزاً ومتميزاً، نظراً لسعة علمه وللظرفية التي كان يمر بها المخزن العزيزي. نحن نعلم المصاعب التي واجهها السلطان مولاي عبد العزيز بعد وفاة أحمد بن موسى، نتيجة للتكالب الاستعماري الذي انتهى بتقييد يديه بعد تحمل المغرب للديون الثقيلة من فرنسا سنة 1904. وإلى هذه الصعوبات الخارجية، كانت الوضعية الداخلية للبلاد أكثر تدهوراً فيما يتعلق بعلاقات السلطة المركزية مع أطراف البلاد، التي شهدت انتفاضات عديدة أخطرها تلك التي تزعمها الجيلالي الزرهوني (بحمارة) الذي أعلن نفسه سلطانا في المغرب الشرقي وضل يحارب الدولة من 1902 إلى سنة 1909.

وفي الحوز، الذي كان محكوما بتوازنات واحتكاكات أطماع القواد الكبار، فقد أظهر الخليفة السلطاني، من الثبات ومخايل الحنكة السياسية ما جعل الأنظار تتجه إليه. وقد بانت هذه المزايا من خلال تحكمه في لعبة التوازنات بين الأطراف الفاعلة بالحوز وتعايشه معها والاستفادة منها وتسخيرها لصالحه. وهكذا ففي الوقت الذي ساءت فيه علاقات المخزن مع بعض القواد الكبار كالمدني الاكلاوي، وعبد المالك المتوكي، نتيجة لتداعيات عواقب انتفاضة القبائل في شرق فاس بقيادة بوحمارة، وفشل المخزن في قمعها، وفي الوقت الذي كان القواد يجدون في بلاط فاس المتواطئين والمزينين للأطماع، كان مولاي عبد الحفيظ بمراكش يفضل المحافظة على الوضع الراهن، وعدم فتح شهية القواد في جيرانهم لأن ذلك يثير الاضطرابات بالقبائل، ونشوب المنافسات بين القواد. وكثيراً ما حذر الوزير الأكبر المفضل غريط، من سياسة فتح شهية القواد الطامعين في جيرانهم" لكون أولئك الراغبين في الولاية لا يرون إلا مصلحتهم قاطعين النظر عن المصلحة العامة حسب قوله لكن تحذيراته ذهبت أدراج الرياح.

ونتيجة لتزايد الضغوط الأجنبية وتفاقم الأزمة المالية للمخزن. وعندما تطورت الأمور إلى ما هو أسوأ، نجد الخليفة الذي كان شاهداً على ما يجري، يعمل لتأمين نفسه ويتخذ خطا في السياسة مغايراً لبلاط فاس، حتى إذا شرع الفرنسيون في احتلال وجدة والدار البيضاء والشاوية وهب الشعب لمقاومة المحتلين قبل عبد الحفيظ أن يتزعم هذه الموجة الجهادية لعل المغاربة يحافظون على استقلال بلادهم.

وقد أدى به هذا الموقف المتميز إلى أن يكون عرضة للانتقاد والاتهام خاصة لما عارض خطط بعض القواد الكبار مثل الگنتافي، وظهر وكأنه متحالف مع منافسي هذا الأخير عبد المالك المتوگي والمدني الاگلاوي. وأخطر هذه التهم هي التي وجهها له المخزن سنة 1906 وهي تهمة الرغبة في الخروج عن الطاعة أي الرغبة في تولي الملك.

وقد استطاع أن يفند الاتهامات الموجهة له وفوت الفرصة على أعدائه الذين لم يتمكنوا من عزله أو قتله بالرغم من تعدد المحاولات (ع. الخديمي، *الحركة الحفيظية*).

والواقع أن عبد الحفيظ قد بدأ يحتاط لنفسه ويهيئ السبل للاستيلاء على الملك بفاس إذا ساعدته الظروف ابتداء من سنة 1906 أي منذ تكاثرت حوله الشكوك والاتهامات. ومن علامات استعداده تقربه من بعض قواد الحوز كالمدني الگلاوي وعبد المالك المتوگي، وتحالفه مع قسم كبير من قبيلة الرحامنة القوية. وتشجيعه ـ خفية ـ لأنصاره بإثارة المتاعب للقواد الموالين لمولاي عبد العزيز. وتقربه من المرابطين وتشجيعه للتيار الشعبي الداعي للجهاد.

فلما احتلت فرنسا مدينة وجدة ربيع 1907، واقدمت على قصف الدار البيضاء والشروع في احتلال الشاوية في غشت 1907، وسارع مولاي عبد الحفيظ إلى عزل أخيه وإعلان بيعته بمراكش في 16 غشت 1907، ثم أعلن الجهاد بهدف

استنفار المغاربة في الوقت الذي خضع فيه مولاي عبد العزيز للتبريرات الفرنسية وأبدى استعداده لإيقاف أعمال المقاومة. وقد استغل سكان فاس موقف مولاي عبد العزيز فأعلنوا بيعتهم لمولاي عبد الحفيظ بمباركة العلماء والأشراف. وانتصر مولاي عبد الحفيظ في الصراع العسكري الذي دار بينه وبين أخيه، وغلبت دعايته ودبلوماسيته. فتخلى مولاي عبد العزيز عن الملك إثر انهزامه في معركة بوعجيبة غشت 1908.

حاول مولاي عبد الحفيظ أن يستمر في دعوته للجهاد إلى إخراج الفرنسيين من الشاوية، لكن ضعف المغرب أمام قوة فرنسا اضطره إلى سلوك سبيل التفاوض لإقناع المحتلين بالجلاء عن المناطق المحتلة بالشاوية والحدود الشرقية بالطرق الدبلوماسية.

ولقد جرت مفاوضات طويلة وشاقة، كان المغرب فيها وحيداً أمام دولة إمبريالية عصرية. واضطر سلطان الجهاد إلى التخلي عن الجهاد مقابل اعتراف الدول الأوربية بسلطته سنة 1909. كما رضخ للتعاون مع الحكومة الفرنسية بهدف النهوض بالبلاد وتجنيبها الفوضى والاحتلال. وأسفرت مفاوضاته مع فرنسا على قبولها الجلاء عن المناطق المحتلة، لكنها اشترطت عدة شروط عسكرية ومالية، مهدت بها إلى الهيمنة على الجيش المغربي وإلى التحجير المالي على المغرب منذ 1910.

ونظراً لعجز السلطان المالي وعدم توفره على قوة عسكرية قادرة على مواجهة الفرنسيين، فإن محاولاته للصمود تكسرت أمام الدسائس الفرنسية. ذلك أن الفرنسيين ضربوا حصاراً دبلوماسياً حول السلطان، وأثاروا ضده كثيراً من الانتفاضات الداخلية، وختموا تلك المناورات بإنذاره بضرورة قبول شروطهم لتعاون مغربي فرنسي بغرض هيمنة فرنسا على المغرب سنة 1910.

وبقبوله للإنذار الفرنسي أضعف السلطان سياسته الداخلية وزاد من اعتماده على تفهم الحكومة الفرنسية وتعاونها. وفي المقابل زاد الفرنسيون من تدخلهم في شؤون البلاد الداخلية ووسعوا نفوذهم داخل المغرب مستغلين الضائقة المالية للبلاد، ومشجعين للمتعاونين معهم. ولم تكن هذه التطورات بخافية على مولاي عبد الحفيظ الذي حاول أن يواجه الضغوط الفرنسية التي كانت تحاصره من كل جانب، والنفوذ الفرنسي الذي تغلغل وسط النخبة المغربية وفي مقدمتها كثير من التجار والحكام والمرابطين. وفي محاولاته للصمود التجأ السلطان للرعية لجمع ما يتعيش به المخزن من المال يوماً بعد يوم. وسلك سياسة جبائية عادت بالمغاربة إلى الممارسات السابقة للتنظيمات العزيزية الأمر الذي أثار قبائل أحواز فاس، التي حاصرت المدينة في بداية 1911 مطالبة بعزل الوزير الأول المدني الأگلاوي وإيقاف التعاون العسكري مع الفرنسيين.

واستغلت الأوساط الاستعمارية الفرنسية انتفاضة القبائل ضد مخزن مولاي عبد الحفيظ سنة 1911، فأقدمت على احتلال عاصمة المغرب بدعوى حماية الجالية الأجنبية فيها. وقد أثار هذا التدخل معارضة ألمانيا وإسبانيا. فأقدمت إسبانيا على احتلال بعض المدن المغربية في حين نزلت قوات ألمانية في أگادير في يوليوز 1911، مما تسبب في نشوب أزمة دولية. وأعرب مولاي عبد الحفيظ عن أمله في انسحاب كل جيوش الاحتلال؛ لكنه استشعر النهاية المحتومة من المفاوضات الفرنسية، ففاتح الحكومة الفرنسية حول الاتفاق على تفاهم بين المغرب وفرنسا. وقدم مطالبه التي اشترطت الحفاظ على الدولة المغربية وسيادتها المستمدة من استمرارها مدة 13 قرناً من الاستقلال الوطني، كما اشترط شروطاً تتعلق بمصالح السلطان وعرشه. ولما قبلت الحكومة الفرنسية شروط السلطان في نونبر 1911 فتح الطريق أمام عقد اتفاقية الحماية في مارس 1912، خاصة بعض تخلي ألمانيا عن المغرب مقابل حصولها على العوض من فرنسا.

وقد أثار توقيع مولاي عبد العزيز الحفيظ لاتفاقية الحماية معارضة المغاربة، وانتفضت طوابير الجيش المغربي بفاس وساندها سكان المدينة، وأعقب ذلك تدخل الجيش الفرنسي الذي مارس قمعاً قاسياً ضد سكان فاس الأمر الذي أزعج السلطان وجعله يصمم على رفض كل تعاون مع نظام الحماية، ويصر على التنازل عن العرش، وهو ما كان قد أدخله في شروط توقيعه لا تفاقية الحماية.

وبالفعل رفض السلطان كل تعاون مع المقيم العام الجنرال ليوطي، وعرقل السير الشَّرْعي للنظام الجديد، وأصر على الانتقال إلى الرباط حيث أضرب عن كل عمل رسمي. إلا أنه قبل تنازله عن العرش في 28 يوليوز 1912. وفي 12 غشت ركب البحر متوجهاً إلى مكان استقراره بطنجة إلى حين.

وبعد فترة قصيرة ذهب إلى الحج سنة 1913، في موكب كبير ضم الكثير من أتباعه ومؤيديه. وقد لقي في طريقه اهتماماً زائداً ومراقبة دائمة من طرف الدبلوماسية الفرنسية، وخاصة ببلاد الشام التي زارَ عَواصِمَهَا مثل بيروت ودمشق والقدس.

وعندما اندلعت الحرب العالمية الأولى انتقل إلى إسبانيا خفية ثم رفض العودة للمغرب. وفي إسبانيا أصبح محل مراقبة الاستخبارات الفرنسية ومحور دعاية مضادة للاحتلال الفرنسي بالمغرب. وحاول التنسيق مع الألمان والأتراك والموجهين لحركة الجامعة الإسلامية، بهدف إثارة ثورة عامة بالمغرب وشمال إفريقيا ضد الاحتلال الفرنسي. لكن هذه المحاولة فشلت بفشل ألمانيا في الحرب. وأصبح مولاي عبد الحفيظ، الذي لم يتنازل عن كبريائه المقاوم للاحتلال، عرضة للتضييق من طرف الحكومة الفرنسية واستخبارات الإقامة العامة بالرباط. ولما رفض العودة للمغرب أمر ليوطي بمصادرة أملاكه وأمواله في 14 أبريل 1922. كما تعرضت

مكتبته إلى المصادرة ونقلت أسرته إلى الرباط، وحيل بينه وبين أبنائه وأهله، ولم تفده المراسلات التي بعثها إلى عدة شخصيات مغربية وعالمية مثل رئيس الولايات المتحدة آنذاك، إلى أن اضطر للخضوع لشروط الدولة الفرنسية، التي أقنعته بواسطة عبد القادر بن غبريط بالسكنى في مدينة باريز مقابل معاش متواضع. وسكن بباريز في منطقة Enghien إلى يوم وفاته في 14 أبريل 1937، فنقل جثمانه إلى بلاده حيث دفن بضريح مولاي عبد الله بفاس. وقد حضَرَ ابن أخيه الملك سيدي محمد بن يوسف مراسم الدفن في جنازة حافلة حضرتها وفود عديدة.

وثائق الخزانة الحسنية : التهامي المكناسي، *غنية الانجاد في مسائل الجهاد*، مخطوط ؛ الحسن بوعشرين، *التنبيه المعرب عما عليه الآن حال المغرب*، تقديم وتصحيح، محمد المنوني، 1994 ؛ م. الحجوي، *تقاييد تاريخية*، مخطوط ؛ عبد الرحمان بن زيدان، *الدرر الفاخرة*، 1937 ؛ الزركلي، *الأعلام*، مجلد 3 ؛ عبد الله العمراني، *سلطان عالم شاعر*، دعوة الحق، عدد 4 السنة الحادية عشرة ؛ عبد الله گنون، *أشتاء وأندا*، 1986 ؛ علال الخديمي، *التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب*، الطبعة الثانية، 1994 ؛ أزمة أگادير سنة 1911 والعلاقات الألمانية الفرنسية المغربية، ندوة أگادير الكبرى، المحور التاريخي، نشر كلية الآداب بأگادير، 1990 ؛ الحركة الحفيظية، 1894 ـ 1912، مرقون، كلية الآداب بالرباط، 2002.

L'illustration, 1907 ; *Archives historiques de l'armée de terre*, Vincennes, Paris ; *Archives diplomatiques de Nantes* (centre des) ; Arnaud Louis, *Au temps des mehallas ou le Maroc de 1860 à 1912*, Casablanca 1952.

علال الخديمي

ابن **عبد الحق**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Bodolach وAbdalaqui ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

وكان من بين أفراد هذه الأسرة التي اشتهرت بتجارتها مع الخارج حوالي سنة 1054 (1644) :

- ابن عبد الحق علي بن محمد.
- ابن عبد الحق محمد بن علي بن محمد.
- ابن عبد الحق عبد العزيز بن علي بن محمد.
- ابن عبد الحق المهدي بن علي بن محمد.
- ابن عبد الحق البشير بن علي بن محمد.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية الكثيرة التي ذكرها في الرقم 298.

محمد ابن عزوز حكيم

عبد الحق ابن أبي **سعيد** (سلطان مريني)، هو آخر سلاطين بني مرين (823 ـ 869 / 1420 ـ 1464) وصف الناصري عصره بأنه أعظم شدة ومحنة، فقد ختم عصر الضعف المريني الذي بدأ منذ أواسط القرن الثامن (14 م)، إلا أن هذا الضعف ازداد منذ العقد الثاني من القرن التاسع، أي منذ النصف الثاني من عهد السلطان أبي سعيد عثمان الثاني (والد المترجم)، وهذا ما سهل على البرتغاليين احتلال مدينة سبتة سنة 818 / 1415، ثم توالى سقوط المراكز الساحلية بيد البرتغاليين والإسبان خلال القرن التاسع ومطلع العاشر، وهذا يعني أن عصر المواجهة المغربية مع الإسبان انتهى شمال المضيق وانتقل إلى الأرض المغربية.

إن الفتن التي توالت خلال العقد الثاني من القرن التاسع تركت نوعا من الغموض فيما يتعلق بكيفية نهاية السلطان أبي سعيد، رغم أن بعض الروايات تتحدث عن وفاته سنة 823 (*الاستقصا*، 4 : 93 ـ 94) ؛ وحسب روايات أخرى فإن بني زيان أمراء تلمسان حاولوا دعم أحد الأمراء المرينيين لتولي السلطنة بعده انتقاما لتوالي السيادة المرينية على تلمسان منذ أكثر من عقدين، إلا أن الوزير يحيى الوطاسي تمكن بعد حوالي أربع سنوات من رفع أحد أبناء أبي سعيد إلى السلطنة طفلا وهو عبد الحق (صاحب الترجمة)، وربما كان هذا الوضع الصعب للسلطنة في فاس سببا في اقتراب الأمير الحفصي أبي فارس عبد العزيز من فاس ثم رجوعه عنها ـ لأسباب غير واضحة ـ بعد إظهار سلطان فاس التبعية له (مؤقتاً) وذلك سنة 827 (حسب الزركشي والوزير السراج)، وتجعل رواية الناصري هذه الحادثة في العقد الثاني زمن من السلطان أبي سعيد انتقاما منه لدعمه بعض المناوئين في بجاية (*الاستقصا*، 4 : 91).

ويمكن تلخيص عصر السلطان عبد الحق في العناصر التالية :

ـ وضعية السلطة المركزية : وصل السلطان عبد الحق إلى العرش طفلا تحت وصاية الوزير أبي زكريا، يحيى بن زيان الوطاسي، أي أن عصره يمثل استمرارا لفترة استبداد الوزراء والحجاب على سلاطينهم، وهذه فترة يشوبها الغموض، وما ذكر عنها من أحوال اجتماعية يتعلق بظهور الأوبئة التي عمّت المغرب ربما نتيجة الفتن التي لم تهدأ إلا نادرا، وقد حدث الوباء الخطير سنة 846 حتى قيل إنه "هلك فيه جملة من العلماء والأعيان"، وعرف هذا العام عند أهل فاس بعام عزونة.

وربما كان سوء الأحوال الاجتماعية من دوافع عودة الاهتمام بالشرفاء الأدارسة الذين أهملهم السلطان أبي سعيد، فكانت مناسبة "اكتشاف" قبر إدريس الثاني بأحد جدران مسجد الشرفاء بفاس حافزا لقيام الوزير المذكور ببناء "زاوية الشرفاء"، وفي هذا الاهتمام محاولة لإعادة اكتساب المشروعية التي فقدتها السلطة نتيجة الفتن، وسوء تدبير أمور الرعية، والعجز عن مواجهة الأجانب خاصة بالنسبة لسبتة.

وإذا صحت الرواية التي أوردها الزركشي والتي تؤخّر وصول الأمير الحفصي إلى قرب فاس حتى سنة 827 وتقديم البيعة له (ص. 126) فإن هذا قد يدخل أيضا في إطار كسب المشروعية خاصة وأن قوة الأمير الحفصي أبا فارس عبد العزيز كان يؤمل منها إخراج البرتغاليين من سبتة.

غير أن الفتن في جهات مختلفة ومحاولة القضاء عليها كانت سببا في مقتله سنة 852 على يد قبائل عربية وفي جهة اختلف في تسميتها فقيل هم عرب أنجاد، وقيل عرب الحجر (وكتبت أحيانا : عرب الحجاز)، وهناك من ذكر أن مقتله كان شمال مدينة سجلماسة.

بعد مقتل الوزير الوطاسي تراجع السلطان عبد الحق عن سياسته فيما يتعلق بالاهتمام بالشرفاء، وعاد إلى سياسة أبيه في الإساءة إليهم حسبما ذكر ؛ أما وزيره الذي عينه بعد المذكور فهو علي بن يوسف الوطاسي الذي وصف بالديانة والصيانة والرفق بالرعية مع حسن إدارة شؤون الدولة، وقد استمر في وزارته إلى وفاته خلال حركته بأرض تامسنا في رمضان سنة 863.

بعد وفاة علي الوطاسي تولى الوزارة يحيى بن يحيى بن زيان الوطاسي الذي ذكر أن ولايته كانت "مبدأ الشر ومنشأ الفتنة... أخذ في تغيير مراسم الملك، وعوائد الدولة، وزاد ونقص في الجند، ونقض جل ما أبرمه قبله الوزراء، وعامل الرعية بالعسف" (*الاستقصا*، 4 : 97)، كما تصرف في عزل قاضي فاس محمد بن محمد بن عيسى بن علال المصمودي وكان موصوفا بالدين والعدل... فأحس السلطان بسلب كثير من اختصاصاته، مما جعله يفتك به وبقرابته (أخويه أبي بكر وأبي شامة وعمهم فارس بن زيان وقريبهم محمد بن علي بن يوسف)، بينما تمكن أخواه محمد الشيخ ومحمد الحلو من النجاة، حدث هذا في أواسط ذي القعدة سنة 863 أي بعد سبعين يوماً من حكم الوزير. لكن يلاحظ أن هناك تناقضا فيما ذكرته بعض المصادر حين تحدثت عن تعسف الوزير على الرعية كما ذكرنا، ثم تحدثت عن غضبها من اغتياله وميلها إلى أخيه محمد الشيخ، مما جعل السلطان عبد الحق يرفع إلى الوزارة اليهوديين الأخوين هارون وشاويل انتقاما منها، فهل كان هناك موقفان متباينان هما موقف عامة الرعية وموقف الأعيان ؟

استمر اليهوديان في الوزارة حوالي ست سنوات مارسا خلالها مع أعوانهما وخاصة صاحب شرطة فاس أنواع العسف على الرعية، حيث لقي أهل هذه المدينة على الخصوص أنواع الإهانة بالضرب والضغط الجبائي حتى قيل إن اليهود "تحكموا في الأشراف والفقهاء فمن دونهم"، وذكر الناصري أن الأعيان من أهل فاس "والرؤساء من أهل دولة السلطان عبد الحق صاروا يكاتبون [محمد الشيخ] ويقدمون إليه الوسائل سرا، وربما دعوه إلى القدوم على أن يبذلوا له من الطاعة والنصرة ما شاء" (*الاستقصا*، 119). فهل كان هذا هو سبب حنق السلطان على أهل المدينة فأطلق يد اليهود فيهم، أم أن هذا التصرف من اليهود هو سبب الاتصالات السرية بمحمد الشيخ ؟ وهكذا كان الاعتداء على امرأة شريفة بالضرب السبب المباشر في ثورة أهل فاس على اليهود والسلطان حيث خلعوا بيعته وقتلوه وحولوا البيعة إلى مزوار الشرفاء أبي محمد عبد الله الإدريسي الجوطي العمراني،

وبذلك انتهت الدولة المرينية (869 / 1464) لتحل محلها تجربة إدريسية استمرت إلى سنة 876 عندما تمكن محمد الشيخ الوطاسي من إفشالها ونقل الحكم إلى أسرته من بني وطاس الذين هم فرع من القبائل المرينية، مما يجعل البعض يعتبر الحكم الجديد استمرارا للعصر المريني إلى أواسط القرن العاشر (السادس عشر الميلادي).

ابتدأت الفتن تشتد منذ العقد الثاني من القرن التاسع أي في عصر أبي سعيد عثمان، حيث ظهرت حركة انفصالية في مراكش استمرت بعد ذلك، حيث تذكر بعض الروايات أن سلطانها تعاون مع سلطان فاس لإفشال الحصار البرتغالي عن طنجة سنة 841 (*الاستقصا*، 96).

وفي الشمال تزعم الفتنة أخذ إخوة السلطان اسمه عبد الله مدعما من أمير غرناطة لمزاحمة أخيه على السلطنة، ويجعل مارمول حدوث فتنته سنة 813 (*إفريقيا*، 1 : 41) ؛ وتذكر رواية أخرى أنه تمكن من السلطنة، غير أن سقوط سبتة سنة 818 / 1415 اعتبر من أعظم النحوس على هذا السلطان، وأن ثورة الرعية عليه كانت بسبب هذا الاحتلال وفشل مواجهته، فكان مقتله سنة 823، "ثم تنازع الملك بعده اثنان من إخوته، وبعد قتال شديد... اتفق أهل الحل والعقد على أن يولوا عبد الحق بن أبي سعيد"، ويعلق الناصري على هذه الرواية بقوله : "ويبعد أن يكون هذا الخبر الذي ساقه منويل [عن سلطنة عبد الله] لا أصل له" (*الاستقصا*، 94)، غير أن رواية ابن القاضي لا تجعل أي سلطان بين أبي سعيد وابنه عبد الحق.

وقد ذكر أن قبائل الشاوية تمردت سنة 846 على سلطان فاس "وأعضل داؤهم"، فتحرك الوزير يحيى الوطاسي إليهم ففل جمعهم، "وخرب منازلهم" (*الاستقصا*، 96). ولم تشر الرواية إلى سبب هذا التمرد، ولكن توقيته مع فترة الوباء العام في المغرب يفرض احتمال وجود حالات جفاف ومجاعات سبقت أو صاحبت هذه الأوبئة، وهذا ما قد ينتج عنه تحركات القبائل بحثا عن المرعى وسبل العيش، ويجعل من الصعب دفع المجابي المفروضة عليها وهو ما تعتبره السلطنة تمردا ؛ لقد أصبحت منطقة تامسنا تضم كما بشريا هاما جعله الوزان على الخصوص من قبائل زناتة وهوارة التي ناصرت المرينيين ضد الموحدين والقبائل العربية الحليفة لهم، فأوطنوهم مكان هذه القبائل، قال الوزان (القرن 10 هـ) ـ وقد تكررت زياراته لتامسنا ـ : "أصبح الزناتيون والهواريون يتصرفون في هذا الإقليم، وتكاثروا فيه، حتى إنهم اليوم ـ وربما كان ذلك منذ مائة سنة [أي القرن 9] ـ يخيفون ملوك فاس ويرعدون فرائصهم، إذ يقدر أن عددهم يصل إلى ستين ألف فارس ومائتي ألف راجل" (*وصف إفريقيا*، 1 : 155)، وهكذا يكونه تمردهم خطيرا على السلطة في فاس ؛ فهذه القوة هي التي شجعتهم على الوصول إلى بلاد "الغرب" أي منطقة فاس ومكناسة ونهبها في عهد أبي عبد الله الجوطي الإدريسي المبايع بعد مقتل السلطان عبد الحق

(*الاستقصا*، 116). هذه القبائل هي التي سميت بالشاوية لتكليف السلاطين لها برعاية مواشيهم.

وهناك تمرد آخر ظهر في الشرق وربما الجنوب الشرقي أيضا حيث توجه الوزير لمواجهته وانتهى الأمر باغتياله سنة 852 / 148 افي أنجاد أو نواحي سجلماسة...؟

هذا الوضع السيئ في الداخل كان ينعكس على المراكز الساحلية التي كانت أنظار العدو البرتغالي تتجه إليها، بينما كان القشتاليون مهتمين بمحاولة القضاء على الإمارة النصرية في غرناطة. ومن المحاولات المرينية ضد البرتغاليين ما حدث - حسبما ذكر - من تعاون مريني نصري (مارمول) أوحفصي مريني من أجل تحرير سبتة انتهى بالفشل سنة 827 أو ما بعدها (برانشفيك)، ثم تمكن البرتغاليون من احتلال قصر المجاز (قصر مصمودة) الواقع بين سبتة وطنجة سنة 862، وإذ كانوا قد فشلوا في حصارهم لطنجة سنة 841 فإنهم تمكنوا من الاستيلاء عليها سنة 869 مستفيدين من التوتر الحاصل بين الرعية من جهة وسلطان فاس ووزرائه اليهود من جهة ثانية. وسيستمر مسلسل سقوط المراكز الساحلية حتى مطلع القرن اللاحق.

والجدير بالذكر أن عجز السلطة المرينية في مواجهة الضغط النصراني على هذه المراكز فرض على القيادات الدينية من علماء وصلحاء تنظيم القبائل في إطار عمل جهادي لمحاولة منع الأجانب من النزول على السواحل أو منع توغلهم داخل البلاد انطلاقا من المراكز المحتلة، فكان لهم دور إيجابي في النيابة عن السلطة إلى أن ظهرت الدولة السعدية متبنية حركة الجهاد.

الوزراء الوطاسيون

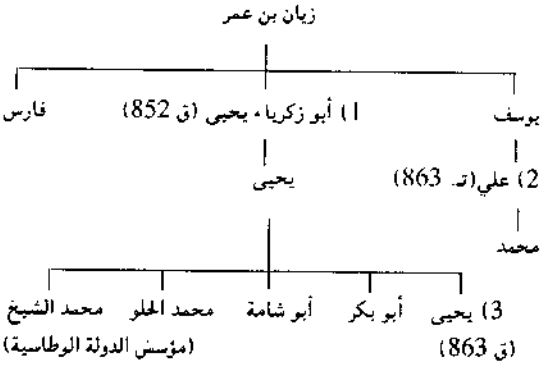

الزركشي، *تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية*، 125 - 126، تونس، 1966 ؛ ابن غازي، *الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون*، الرباط، 1952 ؛ الوزير السراج، *الحلل السندسية في الأخبار التونسية*، 2 : 190، بيروت، 1984 ؛ التنسي، *نظم الدر والقيان في بيان شرف بني زيان*، "المنشور تحت عنوان : تاريخ ملوك بني زيان"، ط. الجزائر، 1985 ؛ ابن القاضي، *درة الحجال*، 2 : 443، القاهرة - تونس، 1970 ؛ *جذوة الاقتباس*، 358، 462، 535، الرباط، 1973 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، 1 : 155، 166، تر. محمد حجي وغيره، الرباط، 1980 ؛ ك. مارمول، *إفريقيا*، 1 : 415، تر. حجي وغيره الرباط 1984 ؛ الناصري، *الاستقصا*، 4 : 96، 100، 116، 119، الدار البيضاء، 1955 ؛ أ. عزاوي، *الغرب الإسلامي من خلال رسائله*، ق. 1 : 201 - 202 ؛ م. القبلي، *مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط*، ص. 63 - 65، المحمدية، 1987 ؛ ح. الفگيگي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور المحتلة*، 1 : 43 - 60، دكتوراه دولة مرقونة ؛ ر. برانشفيك، *تاريخ إفريقية الحفصية*، 1 : 256 - 258 ؛ ش. جوليان، *تاريخ إفريقيا الشمالية*، 2 : 253 - 254، تعريب مزالي - ابن سلامة، تونس، 1978.

M. Arribas Palau, *Cartas de Fernando I de Aragon a Abu Ali de Marrakus : Tanuda* 1956, sem II ; *Manual de Historia de Espana*, t. I, p. 782 (Madrid 1975), Pedro Aguadi Bleye.

ابن **عبد الحليم**، أبو **علي صالح** بن صالح، ذكره صاحب *مفاخر البربر* من جملة علماء البربر فقال : "منهم الشيخ الفقيه الصالح العالم التاريخي أبو علي صالح ابن الشيخ الصالح الولي الزاهد الورع أبي صالح عبد الحليم" وسماه ابن القاضي : صالح بن صالح بن عبد الحليم ووصفه "بالفقيه العالم الصلاح التاريخي الزاهد الورع"، ويظهر أنه ينقل عن صاحب *مفاخر البربر* أو أن مصدرهما واحد، وتحدث صاحب *المفاخر* عن ابن عبد الحليم بكونه "نزيل نفيس، وهو يعيش في وقتنا هذه وهي سنة اثنتي عشرة وسبعمائة، وقد جمع الله له بين العلم والعبادة، وخصه بالفضل والديانة، اشتهر بالعفاف، واقتصر من الدنيا على الكفاف، مع الانقباض عن أهل الدنيا، والحلول من الورع في الدرجة العليا، إلى ما تميز به من الكرم والسخا (؟)، والطهارة والتقى، وتلك أوصاف السلف الصالح رضي الله عنه". وذكر نسبه في إيلان إحدى قبائل مصمودة. وهذه الترجمة في المفاخر هي آخر تراجم مشاهير رجال البربر.

مجهول، *مفاخر البربر* (ضمن مجموع)، مخطوط الخزانة العامة ك / 1275 ؛ ابن القاضي، *درة الحجال*، 3 : 30 (ع 925).

أحمد عزاوي

عبد الحليم بن عمر المريني (أمير)، نشأ بعد وفاة أبيه سنة 734 / 1334 في كنف عمه السلطان أبي الحسن المريني (*العبر*، 7 : 418). وبعد فشل حملة أبي الحسن على إفريقية وثورة ابنه أبي عنان عليه عبر عبد الحليم إلى الأندلس رفقة أخويه الناصر وعبد المؤمن وابن أخيهم عبد الرحمن بن علي المكنى بابن أبي يفلوسن، وحظي جميعهم بعناية السلطان محمد بن يوسف النصري المعروف باسم الغني بالله. ولما ثار السلطان إسماعيل بن يوسف النصري على أخيه الغني بالله وفر هذا الأخير إلى العاصمة المرينية فاس رفقة وزيره ابن الخطيب واستقبلهما السلطان المريني أبو سالم بحفاوة، تحالف السلطان النصري مع نظيره الزياني أبي حمو موسى من أجل التصدي المشترك للمرينيين. وكان أبو حمو غالبا ما يراسل النصريين في شأن أولاد أبي علي عمر ليبعث

بهم للمطالبة بالملك بفاس، ولما كانت الجيوش المرينية تحاصر تلمسان عاصمة الزيانيين سنة 761 / 1360 استجاب السلطان المصري إسماعيل بن يوسف لطلب أبي حمو موسى وبعث إليه بعبد الحليم وبأخيه عبد المؤمن وبابن أخيهما عبد الرحمن (*العبر*، 7 : 419 و*نفاضة الجراب*، 301).

تزامن وصول أبناء أبي علي إلى تلمسان مع اغتيال السلطان المريني أبي سالم إبراهيم من وزيره الحسن بن عمر، وتوليته لتاشفين بن أبي الحسن المعروف بالموسوس سلطانا للمرينيين. وكان المرينيون على استعداد لتقبل طاعة أحد أبناء أبي علي عمر نظرا لما أبداه الوزير حسن بن عمر من استبداد على سلطانه المعتوه. فحاول السلطان الزياني أبو حمو موسى استغلال تلك الفرصة لتنصيب ملك حليف له بفاس، فبعث بأبناء أبي علي رفقة جيش بعد أن رشح منهم عبد الحليم للملك واستوزر له محمد السبيع أحد شيوخ بني مرين وانضم إلى عبد الحليم بدبدو محمد بن زكراز شيخ بني ونكاسن (*العبر*، 7 : 419،420 و*نفاضة الجراب*، 301).

تضاعفت فرص نجاح عبد الحليم في تملك عرش المرينيين بما لقيه من مساندة من شيوخ القبائل المرينية فحاصر فاس في 6 محرم 763 / 29 أكتوبر 1264 وتلقى أثناء الحصار بيعة قبائل المغرب، لكن افتقاره إلى المال حال دون تحقيق مراده، ورجحت مع مرور الأيام كفة منافسه الوزير حسن بن عمر المحاصر بفاس الجديد إلى أن تمكن من إلحاق الهزيمة بعبد الحليم بالاعتماد على المرتزقة النصارى (*اللمحة البدرية*، 118 و*الاستقصا*، 4 : 43) فافترقت جموع عبد الحليم والتحق هو وإخوته بتازة واتخذها قاعدة لتوجيه الغارات إلى فاس وتمكن من السيطرة على مكناسة ووظفها لنفس الغرض "فضاق ذرع فاس للملك بهم" (*العبر*، 7 : 420 و*الإحاطة*، 3 : 532).

عمل الحسن بن عمر على تحسين علاقته بشيوخ بني مرين أثناء ذلك، وكان يدرك أن سبب عزوفهم عنه هو توليته لتاشفين الموسوس بن أبي الحسن. فبدأ يفكر في خلعه وتولية غيره فراسل ملك قشتالة في شأن الأمير أبي زيان محمد بن أبي عبد الرحمان يعقوب بن أبي الحسن، فجهزته قشتالة إليه، ودخل فاس في صفر 763 / دجنبر 1362 بعد أن فشل عبد الحليم بن أبي علي في اعتراض طريقه (*الإحاطة*، 3 : 532 والاستقصا، 4 : 44).

توجه عبد الحليم إثر ذلك إلى سجلماسة "بلد أبيه لكونها مما دخل في طاعته وتبادرت إلى تقبل دعوته" فاتخذها قاعدة لإمارته (*اللمحة البدرية*، 422 و*العبر*، 7 : 119) ووزع خراجها في عرب المعقل شيعة أبيه "واقطعهم جنات المخلص بأسرها واعصوصبوا عليه" (*العبر*، 7 : 422).

حاول محمد بن عبد الحليم معاودة الهجوم على فاس انطلاقا من قاعدة ملكه سجلماسة سنة 763 / 1362 وكان الوزير حسن بن عمر بدوره يعد العدة للحملة على سجلماسة، فكانت بينهما مواجهة "بتاغزوطت عند فرج الجبل المفضي من تلول المغرب إلى الصحراء" (*الإحاطة*، 3 : 532) اتضح تفاكؤ قوتهما فيها فتدخل الملأ من بني مرين لعقد الصلح بينهما وعاد كل منهما إلى قاعدة حكمه (*الإحاطة*، 3 : 335).

ثم حدثت وحشة بين عبد الحليم ووزيره محمد السبيع لأسباب نجهلها، فنزع عنه وزيره إلى الوزير حسن بن عمر فتقبله (*العبر*، 7 : 224) كما احتدم الصراع بسجلماسة بين أولاد حسين والأحلاف من عرب ذوي منصور من المعقل، فقد كان أولاد حسين يحقدون على الأحلاف لأنهم كانوا عماد جيش عبد الحليم، فأعلنوا الحرب عليهم بإيعاز من الوزير المستبد بفاس، وعجز عبد الحليم عن إصلاح ذات البين بينهم، ثم أوكل تلك المهمة لأخيه عبد المؤمن، حتى إذا حل هذا الأخير بينهم أكرهوه على قبول بيعتهم وزحفوا به على سجلماسة فدخلوها على عبد الحليم في صفر 764 / دجنبر 1363 بعد أن ألحقوا الهزيمة به وبشيعته من عرب الأحلاف وأذعن للخلع. ثم خرج عن عاصمته برسم أداء فريضة الحج وتوفي بالإسكندرية في طريق عودته من حجته سنة 766 / 1365 (*العبر*، 7 : 424 و*الإحاطة*، 3 : 362 و532 و*سجلماسة*، 265 ـ 266).

ابن خلدون، *العبر*، ج. 7، دار الفكر، بيروت، 1981 ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة*، ج. 3، تح. عبد الله عنان، القاهرة، 1975 ؛ *نفاضة الجراب*، نشر أحمد مختار العبادي، البيضاء، 1985 ؛ *اللمحة البدرية*، بيروت، 1978 ؛ الناصري، *الاستقصا*، ج. 4، الدار البيضاء، 1955 ؛ حسن حافظي علوي، *سجلماسة وإقليمها في القرن 8 / 14*، فضالة، المحمدية، 1979.

حسن حافظي علوي

ابن **عبد الحي، بوجمعة** ولد سنة 1935 بطانطان انخرط في صفوف جيش التحرير بالصحراء المغربية سنة 1956 بالمقاطعة التاسعة تحت قيادة صالح بن عسو.

وقد كان مثالاً للرجل المجاهد في سبيل الله حيث شارك في عدة معارك أبان فيها عن شجاعة نادرة ووطنية صادقة إلى أن استشهد في معركة أخوى انتيف سنة 1957.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 503168.

ابن **عبد الرحمن، إدريس** ولد سنة 1937 بدوار بوعنقود ملحقة تيزي وسلي إقليم تازة.

نشأ في وسط عائلي متدين، درس كتاب الله على يد والده وتشبع بالأفكار الوطنية منذ صغره مما دفعه إلى الانخراط في صفوف جيش التحرير.

وقد عمل ضمن الفرقة التي كانت قيادة عبد السلام بن عمر شارك في عدة معارك وهجومات ضد المستعمر إلى أن استشهد في شهر أكتوبر 1955 بجبل تورنت ناحية تيزي وسلي من جراء تعرضه لقصف إحدى طائرات العدو في

الوقت الذي كان متجها إلى مركز المجاهدين (جبل لقرع) حملا بعض الأسلحة والذخيرة.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 524180.

عبد الرحمن بن عبد العالي (ت. 1159 / 1746)، دفين المدرسة العلمية العتيقة لقبيلة أيت أمر الحاحية، جاء في مشجر نسبه الموجود تحت يد ورثته ما نصه : (هو عبد الرحمان بن عبد العالي بن أحمد بن محمد ابن علي بن محمد بن عبد الله بن منصور ـ دفين المكان المسمى (تحت النخلة) بتلمسان ـ بن عبد الله بن إسحاق بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن سليمان بن عبد الله الكامل بن الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه). ومما جاء في هذا المشجر أيضا أن السيد عبد الرحمن بن العالي هذا قدم من (عين الحوت) مع ابنيه محمد وصفية فنزلوا أولا بدرعة عند الشيخ بناصر فأخذوا عنه الطريقة الناصرية ثم رحلوا إلى مراكش ومنه انتقلوا إلى حاحة حوالي عام 1079 / 1668، وقد مر المترجم بقبيلة (امتوكة) يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فاستقبلته قبائل حاحة بالقبول والإجلال والتقدير بعد أن شاهدوا له كرامات، وبعد أن حلّ في ربوعها وقع اختياره على حصن قديم يدعى (حصن مرزوك) الواقع فوق ربوة عالية على الضفة الجنوبية لوادي أيت أمر المشهور بفاكهة الموز حاليا، حيث أسس زاويته ومدرسة علمية توحدت حولها قبيلة أيت أمر، فعمرتها بأعشار غللها لتمويل أساتذتها وطلبة القرآن والعلم من أبنائها وغيرهم، فازدهرت فيها الدراسة إلى عهد قريب، ويكفي أن محمد المختار السوسي واحد من طلبتها في منتصف القرن الرابع عشر الهجري المنصرم. ولا شك أن الشيخ عبد الرحمان بن عبد العالي وابنه محمد هما أول من جد في نشر الطريقة الناصرية بحاحة لأنها طريقة جديدة تأسست عام 1060 / 1650 فلقيت إقبالا كبيرا لدى سكان حاحة وإيداوتنان وامتوكة والشياظمة وذلك ما ساعد الشيخ عبد الرحمن وابنه محمد على تأسيس عدة زوايا ناصرية بقبائل حاحة منها :

1 ـ زاوية أيت سرحان ومدرستها العلمية الواقعة بفخذة (أيت سرحان) بقبيلة إيداوبوزيا الجبلية.

2 ـ زاوية أوحسان المشهورة بقبيلة نكنافة، تناسل فيها أحفاد الشيخ ومريدوه حتى عظم شأنهم.

3 ـ زاوية (بوزاما) نسبة إلى اسم القرية التي توجد بها بقبيلة إيداوكرض.

4 ـ الزاوية الناصرية المشهورة بقبيلة إيداكيلول وقد ظلت مليئة بالمريدين الذين حافظوا على الأذكار الناصرية بها إلى الآن.

وهناك زوايا ناصرية أخرى أقل شهرة أسسها الشيخ عبد الرحمن بن العالي وابنه محمد بقبائل حاحة وإيداوتنان، وكان من عادته أنه كلما أسس زاوية أحاطها بأملاك فلاحية محبسة عليها، وشيد بجانبها مدرسة لتلقين القرآن والعلوم الدينية لأبناء تلك القرى، في حين يتولى مقدم الزاوية تلقين أذكار الطريقة للمريدين. إلا أن المدرسة الم هورة باسمه وخلدته في التاريخ هي مدرسة أيت أمر العلمية العتيقة وبجوارها ضريح الشيخ عبد الرحمن وولديه محمد وصفية الذي يتراءى للناظرين يزهو بقبته الشامخة فوق ربوة عالية وسط القبيلة، (انظر صورة الموقع معه) ومما زاد في شهرتها تقاطر الوفود من أحفاد الشيخ ومريدي طريقته المبثوثين بالزوايا المذكورة على مقام جدهم وشيخهم الكبير حاملين الهدايا من كل غال ونفيس إلى إخوانهم المقيمين بجوار هذه المدرسة العلمية، فكان ذلك حافزا مشجعا على ازدهار الحركة التعلمية الدينية بها على مدى ثلاثة قرون مضت، قام بأعبائها علماء أجلاء نذكر من بينهم بعض من وصلتنا أخبارهم أمثال :

1 ـ الفقيه (أو تمشيشت التمري الإمسيوي) والمتوفى عام 1296 / 1878 هو وخمسة عشر عالما حاحيا بسبب مرض الطاعون والوباء الذي اجتاح بلاد المغرب نتيجة القحط والجفاف المتوالي عدة سنوات حسب (الصديقي، *إيقاظ السريرة*، ص. 110).

2 ـ الفقيه النوازلي إبراهيم بن الحاج علي التامري من قرية أفرني، تصدر للتدريس بمدرسة سيدي عبد الرحمن حينا من الدهر إلى إن توفي عام 1306 / 1888.

3 ـ المقرئ الشهير بالسيد إبراخمي أوشيبان الركراكي أصلا التامري إقامة انكب على التدريس بهذه المدرسة حتى اعوجت أصابعه من كثرة مسك قلم التصحيح، توفي رحمة الله عليه عام 1319 / 1901.

4 ـ المقرئ الحمزاوي السيد الحسن بن الحاج محمد الوجناوي التامري، فهو مدرس جاد وأديب بارع جال في أصقاع المغرب طلبا للعلم حتى انتهى إلى فاس ومارس التدريس بمدرسة السيد عبد الرحمن بن العالي هذه عدة سنوات إلى أن توفي بها عام 1334 / 1915.

5 ـ الفقيه الصوفي السيد محمد بن عبد الرحمن الدرقاوي طريقة التغماري أصلا التامري إقامة، كان كاتبا مرموقا عند الرؤساء الكيلوليين ثم التيكزريريين، وأخيراً شارط بمدرسة السيد عبد الرحمن إلى أن توفي عام 1339 / 1920 (*المعلمة*، 12 : 4016).

6 ـ الفقيه عبد الله بن إبراهيم الإلغي السوسي، مارس فيها التدريس فترتين الأولى عام 1339 / 1920 والثانية عام 1365 / 1945 وقد كان مجدا ورافعا راية التدريس بهذه المدرسة وغيرها حتى أنه قد أخذ عنه طلبة متألقون في سماء البعلم والأدب أمثال محمد المختار السوسي وعبد السلام القطيب الحاحي، وسعيد الحلمي التغماوي، والحسين بن الفاضل كذلك حسب (*المعسول*، 2 : 38).

7 ـ العلامة النوازلي الحسن بن الحاج محمد الوويفني التامري المشهورب بـ(سيدي الحسن ن إيمي واسيف) تخرج من

القرويين بفاس عام 1341 / 1922 فتصدر للتدريس بهذه المدرسة بمنتهى الجدية والحماس ثم تفرغ للإفتاء إلى أن توفي عام 1398 / 1977.

وبعد هؤلاء الأساتذة أخذت جذوة التعليم العتيق تخبو وتنطفئ بمدرسة سيدي عبد الرحمن ومثيلاتها بسبب ضعف مردوديته وتهميش خريجيه في نظام التوظيف في الدولة الحديثة. وقد تعاقب على المشارطة فيها خلال النصف الثاني من القرن العشرين : أبو الوقت التزنيتي (1948 ـ 1950) ثم تلاه الفقيه الحاج محمد بن إبراهيم الداودي التيكزيريني التامري (1950 ـ 1961) ثم رابض فيها الفقيه أحمد بن محمد بن سعيد التماسينيني التامري إلى سنة 1985 فخلفه فيها الفقيه التامري الشاب إدبراهيم إبراهيم بن أحمد التبندوتي الذي نالت بفضله مدرسة السيد بن عبد الرحمن بن العالي شهرة واسعة في عهده بفضل جهوده المتواصلة لرفع راية التدريس بها رغم أن الظروف البدوية لا تسعفه، فانصرف إلى البحث والتأليف والإبداع الشعري فصدر له كتاب في جزءين بعنوان *(المتعة والراحة في تراجم أعلام حاحة)* خصص فيه 100 صفحة لأسرة عبد الرحمان السليمانية في ج. 2، ص. 111.

م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، 4 : 77 ؛ *المعسول*، 2 : 335 ؛ 13 : 249 ؛ إ. التامري، *المتعة والراحة في تراجم أعلام حاحة*، 2 : 111 ؛ أيت الحاج محند، *مظاهر الحياة الثقافية بحاحة وإيداوتنان*، أطروحة نوقشت سنة 1994.

محند أيت الحاج

عبد الرحمن بن **محمد** الشيخ **السعدي**. أمير خلفه والده عندما اتجه نحو الشمال سنة 1545 قائدا على تارودانت. وعندما وصل محمد الشيخ إلى مشارف فاس سنة 1547 استدعى ولديه عبد الله وعبد الرحمن لمحاصرة المدينة. وعندما قسم محمد الشيخ المهدي البلاد إلى عمالات في أبريل 1549 كان عبد الرحمن واليا على مراكش.

أمَّرَ محمد الشيخ ابنه محمد الحران على الجيش الموجه نحو تلمسان، أواخر ماي 1550 وكان من بين مرافقيه أخوه عبد الرحمن. وتفرد بقيادة الفرقة الموجهة ضد عمه أحمد الأعرج في تافيلالت، وتمكن من التغلب عليه. ففر الأعرج نحو تكرارين، بينما عاد عبد الرحمن إلى تازة حيث رابط بجيشه في انتظار تعليمات جديدة. وفي فبراير 1551، قاد هو وأخوه عبد القادر حملة ضد تلمسان، انتهت بمقتل الأمير عبد القادر وجرح عبد الرحمن الذي تمكن مع ذلك من الفرار والوصول إلى فاس آخر مارس 1551. غير أنه توفي بعد ذلك بقليل متأثرا بجراحه.

SIHM, Série saâdienne, Espagne, T. 1, *France*, T. 1, *Portugal*, T. 4.

ابن **عبد الرحمن**، **محمد** بن **عبد القادر** ولد سنة 1936 بدوار مغيزارت إقليم وجدة، تشبع بالروح الوطنية منذ صغره الشيء الذي دفعه إلى الانخراط في صفوف جيش التحرير غداة تأسيسه بالمنطقة الشمالية بالفرقة التي كانت تحت قيادة كرماوي أحمد بن صالح.

وداخل هذه الفرقة أبان الشهيد عن روح نضالية وغيرة وطنية صادقة حيث كان مثالا للمجاهد في سبيل تحرير الوطن نشيطا في عمله، مستعداً للتضحية والاستشهاد، إذ كان دائماً في مقدمة المعارك الطاحنة التي دارت رحاها بين جيش التحرير المغربي وقوات الاحتلال الفرنسي. وأثناء قيامه بالحراسة على قنطرة وادي واضح بأكليم إثر الهجوم على مقر الجيش الاستعماري الذي كان يتمركز هناك. استشهد بتاريخ 14 / 12 / 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 504921.

عبد الرحمن (سيدي ـ) **مول القلعة**، ينتسب هذا الولي الصالح إلى الشيخ رحال البدالي دفين زمران، عاش في القرن الثاني عشر (18 م)، كعابد ومدرس ذي جلال ووقار، حيث شيد زاوية له بقلعة السراغنة للتدريس والوعظ الديني، وقد وقع تجديدها في حدود عام 1890 من لدن الحاج محمد الفردي من الرحاليين أيضا، وهو الذي سلم مفاتيحها لما رحل إلى تملالت حوالي عام 1900 للعالم محمد العربي بن البهلول.

يعرف مول القلعة هذا بمبدل الطفلة بالطفل، حيث شكت امرأة له كونها لا تلد إلا البنات بعد أن هددها زوجها بالطلاق لذلك، فوضع الولي يده على طفلة لها فتحولت ولدا ببركته.

يقام على ضريح هذا الولي موسم بفروسية وخيل، صيف كل سنة، تؤمه قبائل السراغنة خاصة أولاد الشرقي من أهل الغابة ثم بعض الرحامنة وتادلة... حيث يتعدى زواره العشرين ألفا، وقد تقلص هذا العدد بسبب جفاف التسعينيات. ومع ذلك فالقلعة تعتبر مدينة مقدسة باحتضانها رفاة هذا الرجل الذي حوى علم الظاهر والباطن بدراسته في تمگروت فبقي أولاده مبجلين خاصة بتملالت والقلعة.

ندوة حول علم النفس الحديث وظاهرة الاستشفا ببويا عمر 27 / 6 / 1990 ؛ ح. شوقي، *قبيلة زمران خلال القرن التاسع عشر*، مرقون، الرباط، ج. 2 ؛ م. العربي ابن البهلول، *منهج الارتحال إلى معرفة الشيخ سيدي رحال*، مطبعة الزمنية، الرباط، 1956.

الحسن شوقي

عبد الرحمن بن **هشام** العلوي السلطان. ولد عام 1204 / 1789. ولد عام 1204 / 1789. أمه هنية أمازيغية. وإذا كنا لا نعرف شيئا عن طفولته ومراحل طلبه، فإننا لا نستبعد أن يكون قد نال حظا من العلم، شأنه في ذلك شأن أبناء الملوك. وقد أثنى عليه كل من ترجموه، فوصفوه بالعفة والمروءة.

كان مقيما في بدء أمره بتافيلالت، ومنها استقدمه عمه المولى سليمان، وأسند إليه بعض المهمات والوظائف. منها أنه وجهه مع أولاده للحرمين الشريفين بقصد أداء فريضة الحج. وولاه أمانة مرسى الصويرة وعمالتها، وهو منصب مهم نظرا لموقعه في التجارة المغربية آنذاك، إذ كان يحتل المرتبة الأولى (L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, T. 2). ومنها نقله إلى فاس ليكون خليفة له بها عام 1237. ففام بما كلف به أحسن قيام. فكانت تلك الوظائف والمهمات محكا له بما أكسبته من تجربة أفاد منها في تسيير دواليب الحكم، حين ولي الملك.

بويع بالخلافة بعد وفاة عمه المولى سليمان، بوصية منه. وكانت بيعته بفاس في منتصف ربيع الأول أو ربيع الثاني عام 1238 / 1822 (*الدرر البهية*، 1 : 228). اتفقت المصادر على ورعه واقتصاده في مأكله وملبسه، حتى كان يلبس المرقع والمخصوف. وقد جلب مؤرخو الدولة العلوية في هذا الموضوع عدة شواهد، من أقوال ورسائل وظهائر أثبت ابن زيدان كثيرا منها، حيث كان يوصي أبناءه وأمناءه وعماله بالاقتصاد وعدم الإسراف في سائر النفقات (*إتحاف : العز والصولة*).

تمت بيعته في ظروف صعبة "بلا مال ولا معين ولا ناصح". ذلك أن برابرة الأطلس المتوسط، بزعامة محمد بن الغازي الزموري، اتفقوا على منابذته. فأجمعوا أمرهم على ذلك، سيما وقد شايعهم عليه عرب بني حسن وزعير وتادلا. إلا أن حدثا بسيطا تسبب في نقض ما أبرموا. فقد كان الشيخ أبو عبد الله الدرقاوي معتقلا عند الأوداية، منذ ثورة الأمير إبراهيم بن يزيد، وحيث إن ابن غازي كان من أصحاب الشيخ المذكور، "وممن له فيه اعتقاد كبير"، وفد عليه أبناء الشيخ ليتوسط لهم في افتكاك والدهم "وألحوا عليه فلم يجد بدا من إظهار الطاعة للسلطان والدخول في الجماعة" (*الاستقصا*، 9 : 7). فوفد على السلطان في جمع من أعيان قومه بهديتهم وبيعتهم، كما هو مألوف في مثل تلك الحال. فلما رأى حلفاؤه من البربر والعرب ما فعل قفوا أثره، وسارعوا إلى بيعة السلطان. و كان من دهاء المولى عبد الرحمن وحسن سياسته، أن قرب ابن غازي "وجعله عمدة رأيه وعبية سره حتى كان لا يقطع أمرا دونه". وليستقطبه أكثر عمد إلى تزويجه بإحدى أيامى عمه، وهي ابنة القائد الشهير عمر بن بوستة (ن. م. س).

ولما فرغ من التراتيبات الداخلية بفاس، وعين عليها ابن عمه محمد بن الطيب واليا، خرج منها لتفقد أحوال البلاد، فكانت أولى مراحل حركته نزوله بالقصر الكبير، حيث قدمت عليه الوفود من مراكش. ومنها قدم إلى الرباط، قبل أن يرجع إلى فاس، ليتوجه إلى مكناس، حيث تفقد ما بقي من عبيد البخاري بها، ليعمل على إنعاشه. فجمع بقيتهم وأمدهم بالخيل والسلاح ورتب لهم الرواتب، حسبما ذكره ابن زيدان ببعض التفصيل (*الإتحاف*، 5 : 18).

ومما تميز به أول عهده كثرة الاضطراب، لذلك لم يكن يستقر في إحدى العواصم حتى يرحل عنها لرتق ما يفتقه المتمردون في مختلف الجهات. في هذا السياق توجه على رأس حركة إلى قبيلة بني زروال سنة 1241، وفي السنة الموالية إلى الصويرة وبلاد حاحة، ليلقي عصا التسيار بمراكش. وقبل أن يستقر به المقام، يرحل من جديد لتأديب قبيلة زمور. وبعد ذلك إلى مكناس حيث حاصرها بالجيوش، ودخلها عنوة بعد معارك طاحنة. فاستصفى أموالها وقلع أشجارها، وصيرها بلاقع، واعتقل من وجد فيها، في الوقت الذي لاذ فيه زعيمها المهدي بن محمد الشرادي بالفرار.

ولم يكد المترجم يستريح من عناء حسم مادة الزاوية الشرادية حتى ثار عليه الودايا في سنة 1246 / 1830 ؛ وهو الوقت ذاته الذي تم فيه احتلال بلاد الجزائر. وللإشارة، فإن السلطان قد انتقل إلى مكناس بمجرد سماع ذلك الحدث المفجع. فعل ذلك ليكون قريبا من مضمار العمليات، لأنه شعر بالتهديد المباشر. وفي تلك الأثناء، توجه بعض أعيان قبائل الغرب الجزائري، سيما أهل تلمسان، إلى المولى عبد الرحمن حاملين إليه بيعتهم، طالبين منه المدد إغاثة لهم لطرد الفرنسيين من بلادهم. وبالرغم عن ميل السلطان إلى قبول طلبهم فقد استشار علماء فاس في تلك النازلة، قبل أن يتخذ موقفا بعينه. فأفتى جلهم برفض بيعة الجزائريين، بحجة أن في أعناقهم بيعة الخليفة العثماني. فألح التلمسانيون على البيعة حتى قبلها. وعقد لابن عمه المولى علي بن سليمان على كتيبة من الجيش، من أعيان الأودايا والبواخر، ليكون خليفة له هناك، وشد أزره بعامل وجدة إدريس بن حمان الجراري ؛ لمعرفته الجيدة بأحوال أهل تلك البلاد، وأمدهما بالوصايا اللازمة ليفلحا في مهمتهما.

ولم يكتف العاهل المغربي بذلك الوفد الرمزي، بل عززه بإرسال "خمسمائة فارس ومائة رام وجماعة وافرة من حذاق الطبجية". وبعث في أثرهم شيخ الزاوية الوزانية الحاج العربي، "يدعوهم [أهل الغرب الجزائري] إلى الطاعة، ويحضهم على الدخول في أمر الجماعة لكونهم كان لهم فيه وفي سلفه اعتقاد كبير". كما عين قاضيا ومحتسبا من لدنه للسهر على تدبير شؤون المنطقة.

وتدل قرائن عدة على أنه كان يسعى إلى السير بعيدا في خطته، لأنه لم يكف عن إمداد الجزائريين بالرجال والمال والعتاد الحربي.

وتتفق المصادر على أن أهل تلمسان فرحوا بتلك المبادرة، فبدأ ممثل السلطان في جمع بيعات الجزائريين. وبما أن تدخل السلطان المغربي لإنجاد الجزائر كان يقلق راحة الفرنسيين، فقد عمدوا إلى البحث عما يمكنهم من نسف المبادرة المغربية، فعقدوا اتصالات مع بعض القبائل العربية، سيما بعد أن احتلوا مدينة وهران. ولما اكتشف القواد المغاربة تلك الاتصالات اعتبروها خيانة، وبدل أن يواجهوها بما يليق من الحكمة، عمدوا إلى الشدة، ووجهوا إلى قبائل الزمالة

والدوائر حملات عسكرية استهدفت معاقبتهم بقسوة. فانتهبت الأموال واستصفيت المواشي، وفسد ما بين الطرفين.

وهكذا استغلت فرنسا موقف تضامن المغرب مع القضية الجزائرية لتعلن عليه الحرب. فبدأت بأول هجوم على وجدة منذ سنة 1943، أسفر عن اشتباكات بين الجيش الفرنسي وحامية وجدة. فاتخذت فرنسا من ذلك ذريعة لتتقدم بجريدة من المطالب المجحفة إلى السلطان. وفي الوقت ذاته اجتازت الجيوش الفرنسية واد تافنا واحتلت قرية مغنية المغربية. فكان من الطبيعي أن يحتج المترجم على ذلك الخرق السافر لسيادة بلاده، وانتهاك حرمة ترابه.

وعلى الرغم من وساطة دولة بريطانيا، فإن الفرنسيين قد تعنتوا واشتطوا في مطالبهم؛ الأمر الذي جعل القضية تصل إلى المأزق. فأصبح الاحتكام إلى السلاح أمرا محتوما. وكانت حرب إسلي (انظرها في *المعلمة*).

وعلى الرغم من التنازلات التي قدمها السلطان لتفادي الحرب، لأنه كان يقدر واقع بلاده، وعلى الرغم من وساطة بريطانيا، فإن إسبانيا قد اشتطت في الطلب حتى أعجزته لكيلا يكون له مفر من اللجوء إلى خيار القوة العسكرية. وفي الوقت الذي كان فيه النائب السلطاني يلتمس كل عذر، ويعد بالمزيد من التنازلات توصل بنبأ وفاة المترجم، في يوم الاثنين 29 محرم عام 1276 / 29 غشت 1859. ودفن بين العشاءين بضريح المولى إسماعيل بمدينة مكناس.

مديرية الوثائق الملكية، *الوثائق*، 1 و2؛ إ. أبو العلاء، *الابتسام*، مخ. خع. الرباط؛ م. أكنسوس، *الجيش العرمرم*؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 9؛ العربي المشرفي، *الحلل البهية*، مخ. خع؛ الحسام؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، 5؛ *العز والصولة*؛ *العلائق السياسية*؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*؛ م. داوود، *تاريخ تطوان*؛ م. المنوني، *يقظة المغرب الحديث*؛ أ. التوفيق، *إينولتان*؛ ع. الحمليشي، *التجارة والتجار*، د.د.ع. مرقون بخزانة كلية الآداب، الرباط؛ ع. أفا، *مسألة النقود*؛ د. شروتر، *تجار الصويرة*، تر. خ. بن الصغير؛ خ. بن الصغير، *المغرب وبريطانيا العظمى*؛ ح. بوعشرين، *التنبيه المعرب*، تح. م. المنوني؛ ابن الأعرج السليماني، *اللسان المعرب*... مجلة *تاريخ المغرب*، الأعداد 1.5؛ *الإصلاح والمجتمع*، الرباط، 1983؛ *العلاقات بين البوادي والمدن في القرن 19*، الرباط.

J. Caille, *La petite histoire du Maroc* ; Ch. Jagerschmidt, *Une mission de Léon Roches... missions diplomatiques françaises à Fès* ; *Abolition du tribut* ; *Relation entre l'Espagne et le Maroc* ; L. Godard, A. Beaumier, H. Terrasse, *Histoire du Maroc*, t. 2 ; J.-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, t. 2 ; A. Laroui, *Histoire du Maghreb* ; *Les origines sociales et culturelles du nationalisme* ; J. Brignon [et al.], *Histoire du Maroc*.

أحمد عمالك

أبو **عبد الرحمن، يعقوب** بن السلطان أبي الحسن المريني، كان يشارك والده إلى جانب أخيه أبي مالك عبد الواحد في تسيير شؤون البلاد وجعل لهما من أول دولته "ألقاب الإمارة وأحوالها، من اتخاذ الوزراء والكتاب ووضع العلامة وتدوين الدواوين وإثبات العطاء واستلحاق الفرسان والانفراد بالمعسكر... وجعل لهما مع ذلك الجلوس بمقعد فصله، والمناوبة لتنفيذ الأوامر السلطانية، فكانا لذلك رديفين له في سلطانه" (*العبر*، 7 : 539). لعب الأمير أبو عبد الرحمن دورا بارزا في حملات السلطان العسكرية على تلمسان خاصة غزوته لها سنة 736 / 1336 وما تلا ذلك من فتح بني مرين العاصمة بني عبد الواد وتمكنه من قتل صاحبها أبي تاشفين وقطع رأسه. غير أن والده غضب من فعلة ابنه ووبخه على ذلك.

عرف عن أبي عبد الرحمن اندفاعه وتسرعه في اتخاذ القرارات دون استشارة والده، بل كانت تبدو عليه أحيانا بعض علامات التمرد والثورة. فبعد استيلاء أبي الحسن على تلمسان سنة 737 / 1337 ثم ارتحاله عنها بعد سنة من هذا التاريخ إلى بسيط متيجة لمقابلة سلطان الحفصيين أبي يحيى، اعتل لأشهر فكثر الكلام بين حاشيته وجنده بمهلكه فانقسم المعسكر المريني إلى فريقين متعارضين بزعامة الأميرين أبي عبد الرحمن وأبي مالك، فاندس بينهما أهل الفتنة، غير أن السلطان تفطن لذلك الأمر فخرج إلى الناس، وانكشف الساعون إلى الفتنة والمفسدين بين السلطان وولديه. وأمام تشدد أبي الحسن في معاقبة رؤوس الفتنة أصيب الأمير أبو عبد الرحمن بالذعر وخاف على نفسه ففر من محلة والده إلى مجال حمزة الذي كان يستوطنه أولاد زغلي أمراء عرب زغبة، غير أن كبيرهم موسى بن أبي الفضل اعتقله ورده إلى أبيه الذي أودعه السجن بوجدة إلى أن قتله بعد ذلك سنة 742 / 1342 في حين عفا عن أخيه أبي مالك وعقد له على ثغور بني مرين بالأندلس.

ومن الحكايات التي تحكى حول موضوع اعتقال أبي عبد الرحمن أن شخصا يسمى بابن هيدور وهو من طباخي القصر المريني، استغل شبهه الكبير لأبي عبد الرحمن وانضم إلى عرب بني عامر أعداء أبي الحسن وادعى أنه الأمير أبو عبد الرحمن ابن السلطان فبايعوه على هذا الأساس وشاع في الناس خبره بمنطقة المدية بالمغرب الأوسط. فنهض جند السلطان لإخماد هذه الفتنة واعتقل ابن هيدور وحمل إلى المغرب الأقصى حيث بقي تحت حراية الدولة المرينية إلى أن قتل سنة 768 / 1367.

ابن خلدون، *العبر*؛ مارمول، *إفريقيا*، الرباط، 1984، 1 : 404، 405؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 3 : 125، 126، 132، 134؛ ر. السلامي، *وثائق مرينية* (مرقون)، ص. 128.

M. Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du moyen âge*, p. 188.

رشيد السلامي

ابن **عبد السلام**، أسرة سلوية عالمة، اشتهر منها الأديب محمد ابن عبد السلام كاتب السلطان محمد بن عبد الله آتي الترجمة. ولا يعرف الجد عبد السلام الذي ينتسبون إليه. وقد انتقل آخر من عرفناه منهم، وهما أخوان في ريعان الشباب بأبنائهما إلى السكنى بعدوة الرباط قبيل أو أثناء الحرب العالمية الثانية. وهناك انقطع خبرهم.

ابن **عبد السلام، علي** ولد سنة 1938 بدوار احموتا دائرة أكنول بإقليم تازة.

تشبع بالروح الوطنية منذ نشأته الأولى ممّا دفع به إلى الالتحاق بصفوف جيش التحرير عند انطلاق شرارته الأولى بشمال المغرب في أكتوبر سنة 1955 بجبال الريف للدفاع عن مقدسات الوطن، فكان مثالا للرجل المجاهد المتحمس في ايمانه والمستعد للتضحية والاستشهاد.

وقد كان مكلفا بتزويد إخوانه في صفوف جيش التحرير بالتموين بالإضافة إلى مشاركته في عدة هجومات على مراكز المستعمر الفرنسي، وواصل عمله هذا بكل جرأة وصمود إلى أن استشهد في معركة بويسلي بتاريخ 6 أكتوبر 1955 وهو مازال في ريعان شبابه.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 507132.

ابن **عبد السلام، الطاهر** السلوي، واسمه الكامل محمد الطاهر بن علي ابن عبد السلام "العلاّمة الفاضل، الكاتب الكامل، البليغ الأديب، ... كان من أماجد أهل عصره، وأعيان علماء ثغره ومصره، ينظم عقوداً، وينسج من سحر البلاغة برودا، مع الإحسان والانسجام، وحسن الافتتاح وبراعة الاختتام" بهذا حلاّه بلديُّه الفقيه ابن علي الدكالي السلوي في *الإتحاف الوجيز*، وحلاّه بأكثر من هذا في *إتحاف أشراف أهل الملا* حيث خصه بـ 32 بيتاً.

لم يكن المترجم مجرد كاتب في بلاط السلطان سيدي محمد بن عبد الله، بل كان معدوداً من الفقهاء الذين يحضرون مجالسه العلمية، وبعثه سفيراً عنه سنة 1179 إلى السلطان العثماني مصطفى الثالث ابن أحمد الرابع، ومعه رفيقه الكاتب الطاهر بناني الرباطي "وأصحبهما هدية نفيسه فيها خيل عتاق بسروج مثقلة بالذهب مرصعة بالجوهر والياقوت ونفيس الأحجار، وفيها أشياء محلاة مرصعة بالياقوت المختلف الألوان، وفيها حلي من عمل المغرب وبنود منسوجة بالذهب من عمل فاس، فابتهج السلطان مصطفى بذلك، وكافأ عليه بمركب موسوق من آلة الحرب مدافع ووهاريس وبارود وإقامة كثيرة للمراكب القرصانية من كل ما تحتاج إليه".

وذكر في *إتحاف أشراف الملا* أن الطاهر ابن عبد السلام، قام بالسفارة إلى تركيا أكثر من مرة، وتوجه عند السلطان عبد الحميد حين خاف أخاه مصطفى الثالث سنة 1186 والمذكور عن المترجم أنه توفي قبل هذا التاريخ، كما ذكر أن ابن عبد السلام كتب رحلة عن سفارته التركية لكنها لا تعرف اليوم :

وكم لهذا الشيخ من سفاره ... عادت بريح القطر والعمارة
حجّ وزار ورأى المعالما ... وقيّد *الرحلة* فيما أبهما

توفي ابن عبد السلام بمدينة مراكش في حدود سنة 1180 وكان قد نقل إليها خزانته العلمية فبقيت كتبه وكنانيشه وغالب أخباره هناك يظهر أثرها مع توالي الأيام إلى عصرنا هذا.

أ. الحافي السلوي، *تحفة الزائر*، تح. م. بوشعراء أ. الناصري، *الاستقصا*، ط 2، الدار البيضاء، 1956، ج 8 : 25، 31 ؛ م. علي الدكالي السلوي، *إتحاف أشراف مخطوط ؛ الاتحاف الوجيز*، ط 2، الرباط، 1996، ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف أعلام*، ج 3 : 116 و298.

محمد حجي

ابن **عبد الصادق، عبد الرحمان** الريفي هو عبد الرحمان (بن محمد) بن عبد الصادق الريفي نسبة إلى أولاد عبد الصادق أحفاد علي بن عبد الله الريفي الذي قاد تحرير الثغور الشمالية خلال الربع الأخير من القرن 17 على عهد السلطان المولى إسماعيل.

يُرجَّح أن يكون والده هو محمد بن عبد الصادق، كما جاء في ظهير سلطاني بتاريخ شتنبر 1888 : "أقررنا [...] ماسكه الطالب عبد الرحمن بن محمد بن عبد الصادق على البلاد التي نفّذها له خديمنا القائد عبد الصادق بن أحمد الريفي [...]، أو محمد بن عبد السلام بن عبد الصادق ؛ حيث يُفترض أن يكون هو نفس الشخص. بينما يُستبعد أن يكون والده هو عبد الصادق بن أحمد. المهم أن المترجَم له عُرف في الوثائق الرسمية باسم عبد الرحمان بن عبد الصادق (الريفي). وكان له أولاد أربعة هم الطالب محمد والطالب أحمد والطالب عبد الله والطالب علي.

برز المترجَم له في تاريخ المغرب الشمالي خلال الفترة المعاصرة كأحد خدام المخزن. واستطاع أن يثبت حضوره في الجهاز المخزني وبشكل رسمي على مدى حوالي عشرين سنة أي من أواخر الثمانينيات من القرن التاسع عشر (ق 19 م) إلى أواخر العقد الأول من القرن 20، وعلى مجال جغرافي ممتد في الشمال من طنجة غربا إلى مدينة وجدة شرقا. لقد تولى عبد الرحمان بن عبد الصادق الريفي قيادة طنجة ما بين عامي 1891 و1902 خلفا لعبد الصادق بن أحمد، أو لابنه الحاج محمد بن عبد الصادق (ابن عمّه) ؛ ويبدو أن هذا الاحتمال الأخير هو الأقرب للصواب. وإذا لم يُذكر هذا الأخير إلا قليلا في الوثائق المخزنية مقارنة مع عبد الصادق بن أحمد، فذلك راجع دون شك إلى قصر المدة التي قضاها هذا الأخير في قيادة طنجة بعد والده.

حاول عبد الرحمان بن عبد الصادق الريفي، أثناء عمالته على طنجة، فرضَ سلطة المخزن بهذا الثغر وحوزه وكذا القبائل التابعة له. وقام بدوره السياسي والعسكري المنوط به لردع بعض القبائل الجبلية العاصية بما فيها قبيلة أنجرة. وبهذا نجده مثلا يقوم بالامتثال للأمر السلطاني بإنزال خمسمائة من الجيش الريفي الحدود الفاصلة بين أنجرة وطنجة في إجراء لمنع ترامي هذه القبيلة على ممتلكات النصارى خلال يونيه 1892، وتؤكد بعض الوثائق المخزنية حضورَ القائد عبد الرحمان بن عبد الصادق ضمن قواد الجيش في هذا التاريخ.

كما قام أيضاً بمواجهة "فُسّاد الفحص" الذين كانوا يعترضون طريق حاملي المال خلال عام 1903. ويمكن أن نورد في هذا الإطار ما جاء في رسالة المولى عبد العزيز إلى القائد الصديق برگاش (فاتح محرم 1321 / 30 مارس 1903) :" [...] وبعد فقد وجهنا حامله الأرضى القائد عبد الرحمن بن عبد الصادق الريفي لتعاهد قبائل تلك النواحي وتحقيق أحوال أهلها واسترشادهم للثبات على الصلاح والخير والإذعان والإرشاد وعليه فنأمرك أن تكون عند إشارته فيما ترجحه المصلحة مما يرجع لإيالتك من قبائل أحواز طنجة والحفص (هكذا) [..]".

لقد مكنه دوره السياسي والعسكري في إطار الخدمة المخزنية من التمتع بحق استغلال بعض الأراضي. وتؤكّد إحدى الوثائق امتلاكه لأرض بحوز طنجة عام 1888، حيث أقرّه السلطان المولى الحسن عليها بعد أن نفّذها له القائد عبد الصادق بن أحمد الريفي. كما امتلك أراضي في فحص طنجة وغيره على وجه الانتفاع له ولأولاده بإقرار السلطان المولى عبدالعزيز وتأكيدا منه للظهائر الشريفة التي بيده وذلك خلال جمادى الثانية 1319 / أكتوبر 1901. وتذكر في هذا الإطار أن الصديق برگاش انتزع منه أرض حرث بحوز مدينة طنجة تسمى بـ "الگنبورية" مما اضطر السلطان المولى عبد العزيز إلى الكتابة لبركاش بضرورة التخلي عن الأرض المذكورة لصاحبها عبد الرحمان بن عبد الصادق.

يبدو أن مجال نفوذ القائد عبد الرحمان بن عبد الصادق لم ينحصر في طنجة والفحص، بل امتد إلى أقصى شرق المغرب كذلك. ويُستَدلّ على ذلك مثلا بما جاء في "بيان الداخل السعيد .." لأوائل دجنبر 1891 من أن القائد عبد الرحمان بن عبد الصادق دفع واجب إيالة وجدة. كما شمل نفوذه مدينة أصيلا التي عيّنه السلطان عاملا عليها خلال نونبر 1895.

وتضمنت مسؤوليته كذلك مراقبة الأحباس والحيلولة دون امتلاك الأجانب لممتلكاتها بثغر طنجة. وذلك في إطار حرص السلطان على قطع الطريق على الأجانب في هذا الأمر، وذلك على اعتبار أن التغلغل الأجنبي الذي طبع تاريخ المغرب خلال تلك الفترة كان يهدد مدينة طنجة وأحوازها أكثر من غيرها.

ولم يلبث السلطان المولى عبد العزيز أن عيّن عبد الرحمان بن عبد الصادق الريفي عاملا على فاس حوالي سنة 1902. واضطلع بدور دبلوماسي عندما كلفه السلطان برئاسة سفارة إلى بريطانيا عام 1320 / 1902 لحضور حفل تتويج وتهنئة إدوارد السابع، ثم سفارة أخرى إلى جبل طارق خلال مارس وأبريل من سنة 1903.

وتطلعنا الوثائق بعد ذلك على عمالة هذا القائد على وجدة وترأسه للمحلة الموجّهة ضد الثائر الروگي المشهور بـ "بوحمارة" والذي تنعته الوثائق المخزنية بـ"الفتّان". وقد بذل جهده في تتبع آثار هذا الثائر الذي استشرى أمره، كما حرص على ضمان مساندة القبائل الريفية له في مهمته، وضمان توصله بالمدد من السلاح والمؤونة والمال. وكثرت مراسلاته مع النائب السلطاني بطنجة خلال تلك الفترة كما تبيّن المراسلات السلطانية.

إن معاصرة المترجَم له للتغلغل الأجنبي الذي اتخذ عدة أشكال والذي أصبح يكتسي طابعاً عسكريا خلال العقد الأول من القرن 20 مهددا المنطقة الشرقية، جعل القائد عبد الرحمان يعيش في قلب تلك الأحداث، ويشكل عنصراً مشاركا فيها. فلم يقتصر دوره على رئاسة المحلة ضد ثورة الروگي، بل تم الاعتماد عليه في ضمان هدوء المنطقة الشرقية خاصة بعد مقتل الطبيب موشان بمراكش (مارس 1907)، والتدخل العسكري الفرنسي في وجدة.

ومع ذلك لم تخلُ مهمة عبد الرحمان بن عبد الصادق من صعوبات. فقد واجه امتناع القبائل عن المساهمة في الحركة ضد بوحمارة بن عبد الصادق من صعوبات. فقد واجه امتناع القبائل عن المساهمة في الحركة ضد بوحمارة مشترطة التوصل بالمؤونة. وكان عليه استمالة قبيلة بني وريا غل لجانب المخزن وحضّهم على الصلاح. ولسد حاجة المحلة من المال والمؤونة، أمام تأخر توصله بها أو اعتذار نائب السلطان بطنجة عن عدم توفر العدة وغيرها أحيانا، لجأ إلى الاقتراض من التجار عن طريق إصدار الاطرات. وبازدياد عددها في أيديهم، لجؤوا إلى بيعها ؛ وتعبّر رسالة محمد الطريس إلى السلطان (دجنبر 1905) عن خطورة هذا الإجراء : [...] فينهى لشريف علم مولانا أسماه الله أن هنا بيد التجار عدداً من الاطرات المخرجة من قبَل خديم سيدنا القائد السيد عبد الرحمن بن عبد الصادق بوجدة مبلغها نحو مائة وستون ألف ريال لازال أصحابها لم يقبضوا من ذلك شيئاً وهذه الاطارى لازالت بيدهم وصاروا يبيعونها لأصحاب البنكات بنقص خمسة في المائة وأن القائد المذكور لازال يخرج الاطرات ولا يخفى على كريم علم سيدنا أن هذه الاطرات إذا صارت بيد أصحاب البنكات فمن الجائز أن يحسبوا على جانب المخزن فايدتها زيادة على ما تضمنته [...]". وبلغ الأمر بالتجار إلى إرغام القائد على المثول أمام القضاء بمليلية ليدفع ما عليه من ديون. وهذا ما جعل الطريس يراسل السلطان بما يلي : "[...] فليكن في علمك أن أرباب الاطارى الذين كانوا أسلفوا الدراهم للقائد السيد عبد الرحمن ابن عبد الصادق للمحلة الشريفة قد قاموا على المذكور وأدخلوه الشرعَ بمليلية وراموا إلزامه الأداء وغير خفي عن سيادتك ما في ذلك من الإهانة وما يتبع حكم التريبنار وكل ذلك أمر لا يرضاه جانب المخزن [...]"، بينما طالب الطريس بضرورة التعجيل بأداء كل ذلك دفعا للضرر.

ويبدو أن عبد الرحمان بن عبد الصادق الريفي لم يعد له حضور سياسي أو عسكري ملحوظ بعد عام 1908. وما نعرفه عنه هو أنه خلال 1910 طولبَ أمين المستفاد بإظهار الحجّة على امتلاكه حق استغلالَ بقعة أرض بمرشان بثغر طنجة تعد من أملاك المخزن. وتفيد إحدى الوثائق بأنه

كان يتلقى راتبا من مستفاد ثغر طنجة إلى حدود رمضان 1328 / شتنبر أكتوبر 1910 تم إسقاطه عنه هو وآخرين. أما عن تاريخ وفاته، فلم نقف عليه وكل ما نعرفه عنه هو أنه كان لا يزال حيا في سنة 1915 / 1916 عندما ذكره محمد سكيرج في كتابه *رياض البهجة*.

م. سكيرج، *رياض البهجة في أخبار طنجة*، جزء 2، مخطوط، خ. ع / مكروفلم، 1452 ؛ *المكاتب السعيدة*، مخطوط، خ ع / ك 2720 و 2721 ؛ كناش رقم 569 / خ ح ؛ ع. الرحمان ابن زيدان، *العلائق السياسية للدولة العلوية*، الرباط، 1999، تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشادلي ؛ *وثائق خ ح*، قوائم حسابية ؛ *وثائق مديرية الوثائق الملكية*، (طنجة، محفظة 7 و8 و9).

Villes et tribus du Maroc. VII, *Tanger et sa zone*, Paris, 1921.

فاطمة بوستة

ابن **عبد الصادق، عبد السلام**، ينتمي لأسرة وفدت من جبال الريف إلى مدينة طنجة واستقرت بها، وتقلد أفرادها مناصب عليها في الدولة المغربية في نهاية القرن الثالث عشر (19 م) ومطلع القرن العشرين. ومنهم على سبيل المثال عبد الرحمان بن عبد الصادق، أما عبد السلام بن عبد الصادق ـ وهو من أبناء عمومته ـ فقد تقلّب في عدة مناصب مخزنية، منها باشوية طنجة ثم أمين الديوانة بها في عهد السلطان عبد العزيز، وعُيّن مندوبا ساميا لمناطق الحدود في عهد السلطان عبد الحفيظ بمقتضى ظهير مؤرخ في 13 صفر 1328 / 24 فبراير 1910. ويعود استحداث منصب المندوب السامي المخزني بمنطقة الحدود إلى سنة 1908، وهو منصب أحدثته السلطات الفرنسية بضغط من الجنرال ليوطي بعد احتلال مدينة وجدة، حيث كان ليوطي هو أول من تولاه من الجانب الفرنسي، وطولب المخزن بتعيين نظير له لتنسيق العمل في كل ما يتعلق بتطبيق اتفاقيات الحدود بين المغرب والسلطات الفرنسية بالجزائر، فأذعن السلطان عبد العزيز للضغوط الفرنسية وعيّن عثمان الجراري مندوبا ساميا لمناطق الحدود في 28 ماي 1908، دون أن تكون لهذا المنصب المستحدث أية مرجعية قانونية تبرره. مما دفع السلطان عبد الحفيظ إلى الامتناع عن تعيين خلف للجراري بعد إعفاء هذه الأخير في شهر أكتوبر 1908. إلا أن تعيين عبد السلام بن

عبد الصادق سنة 1910 جاء بناء على مقتضيات الفصل الثالث من اتفاق باريس (14 يناير 1910). فالتحق المترجم له بمقر عمله في شهر يوليوز 1910 بعد ملاقاة الوالي العام للجزائر، وقد مُنح المندوب السامي المذكور التفويض التام لحل كل القضايا في عين المكان دون الرجوع إلى السلطة المركزية، فأبدى معارضة للمخطط الاستعماري بشرق المغرب، حيث طالب بتطبيق حرفي لاتفاقيات الحدود، بينما كان الجنرال ليوطي يسعى إلى تأويل مقتضيات تلك الاتفاقيات في اتجاه يخدم المصالح الفرنسية، مدّعيا أن جل البنود أصبحت متجاوزة بحكم سياسة الأمر الواقع. وقد ألح عبد السلام بن عبد الصادق على تطبيق مقتضيات اتفاق باريس على وجه الخصوص، التي تستوجب جلاء القوات الفرنسية عن شرق المغرب بعد إنشاء قوات أمن مغربية لحفظ الأمن بمناطق الحدود، مما جعل الجنرال ليوطي يتهم عبد السلام بن عبد الصادق بالعمل على عرقلة تطبيق اتفاقيات الحدود بناء على تعليمات المخزن المركزي. فحاول إقصاءه من ممارسة مهمته في كل ما يتعلق بالإدارة والأمن والمالية، وقد أدرك ابن عبد الصادق أن ليوطي كان يهدف من حضور المندوب السامي المغربي بوجدة إلى إضفاء الشرعية المطلوبة على قرارات السلطات الفرنسية بشرق المغرب، وهو ما حاول المندوب المذكور أن يعارضه في بادئ الأمر، إلا أن السلطات الفرنسية خططت لإبعاده من وجدة، فتحقق لها ذلك في أعقاب فضيحة فساد إداري تفجرت في المدينة في أكتوبر 1911، أي في وقت كان عبد السلام بن عبد الصادق بطنجة لصلة الرحم. فتقرر إعفاؤه من منصبه بإيعاز من المفوضية الفرنسية بطنجة في 6 يناير 1912، لكون نظيره الفرنسي ـ الجنرال طوطي ـ قد أعفي من منصبه بسبب تورطه في قضية وجدة (انظر طوطي). وسعت فرنسا لدى السلطان عبد الحفيظ إلى منح عبد السلام بن عبد الصادق وساما بمناسبة مهمته بالحدود، كما وعده السلطان بوظيف عال يناسب الوظيف الذي كان فيه، حيث عُيّن مرة ثانية باشا بطنجة، فظل يمارس مهامه في هذا المنصب مدة 12 سنة. والتحق بعد ذلك سنة 1925 بأحواز الدار البيضاء بصفته قائداً لمديونة وأولاد زيان. وجدير بالإشارة أن عبد السلام بن عبد الصادق كان من الأوائل الذين تسلموا وساما علويا من درجة ضابط، بعد استحداث هذا النظام في المغرب بتشجيع من المفوضية الفرنسية بطنجة في أواخر حكم السلطان عبد الحفيظ.

ظهير تعيين عبد السلام بن عبد الصادق مندوبا عاليا بالحدود، 13 صفر، 1328 / 24 فبراير 1910. كناش الخزانة الحسنية رقم 606، الرباط ؛ بيان الأوسمة التي أنعم بها السلطان على بعض خدامه سنة 1329، كناش الخزانة الحسنية، رقم 606، الرباط ؛ الحجوي، *تقاييد مخزنية*، مخطوط، خ. ع. الرباط، رقم ح 128 ؛ م. الشابي، *النخبة المخزنية في مغرب القرن التاسع عشر*، منشورات، كلية الآداب، الرباط، 1995 ؛ عكاشة برحاب، *شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي*، منشورات جامعة الحسن الثاني، 1989 ؛ ع. برحاب، *المجال الحدودي بين المغرب والجزائر في مطلع القرن*

العشرين، 1900 - 1912، منشورات كلية الآداب، المحمدية، 2002.
Le livre d'or du Maroc, Paris, 1934 - 1935.
عكاشة برحاب

عبد العزيز (مولاي -) السلطان بن الحسن الأول.

لما توفي والده فجأة ببلاد تادلة في 3 ذي الحجة 1311 الموافق 6 يونيو 1894، عمل الحاجب أحمد بن موسى البخاري على مبايعة ابنه الأصغر مولاي عبد العزيز، وكان سنه لا يتعدى أربع عشرة سنة. كان والده يوليه عناية خاصة ويدلّلُهُ ؛ ربما بتأثير من أمه لالة رقية التركية.

ولد في 18 ربيع الأول 1298 / 18 فبراير 1881. ومن علامات تمييز السلطان لمولاي عبد العزيز، ما كان يحيطه به من عطف وتقريب دون غيره، وكأنه يعده لأمرما، وظهر هذا عندما بعثه أمامه، على رأس قوة من الجيش نحو الرباط، في حين خرج السلطان من مراكش متوجهاً نحو تادلا. وكان السلطان لما رجع لمراكش من حركة تافيلالت أواخر 1893، قد أخّر ولي عهده وأكبر أبنائه مولاي مَحمد، لأمور عابها عليه.

وعلى أية حال، فإن الحاجب أحمد بن موسى كتم خبر موت السلطان بتادلة، ولما وصلت المحلة السلطانية إلى بلاد الشاوية، جمع الهيأة المخزنية المركبة من كبراء الأسرة الحاكمة والوزراء وقواد الجيش، وأطلعهم على الحقيقة، معلناً أن سيده كان قد رشح ابنه مولاي عبد العزيز للملك بعده، فقدمه أمامه على رأس قوة من الجيش. فلم يسع الحاضرين إلا الموافقة على مبايعة مولاي عبد العزيز، الذي أخبر بما وقع، وطُلِبَ مِنْهُ البقاء بالرباط، انتظاراً لوصول جثمان أبيه.

وفي الرباط أعلنت البيعة العامة إثر الانتهاء من دفن السلطان وحضرتها وفود القبائل المصاحبة للمحلة، وكذلك الوفود المهنئة بالعيد التي جاءت من باقي القبائل والمدن المغربية.

وهكذا تم بتدبير من الحاجب استبعاد ولي العهد مولاي امحمد وهو الابن الأكبر، كما تم تجاهل مولاي عبد الرحمان (مولاي الكبير) ومولاي عبد الحفيظ ومولاي عمر. وكان هؤلاء الأمراء الثلاثة - بالخصوص - على درجة عالية من الكفاءة والتعليم. وعلى الرغم مما بدا من إجْماع على مبايعة مولاي عبد العزيز، فالملاحظ أن ذلك الإجماع لم يكن شاملاً لكل أطراف المجتمع وعناصر الأسرة الحاكمة. إذ سرعان ما برزت ردود الفعل التي واجهها أحمد بن موسى بالقمع الشديد. وإذا تمكن من ملاطفة مولاي الكبير حتى قبل بيعة أخيه الأصغر، فإنه أمر بسجن مولاي عمر الذي أظهر معارضته وغضبه. كما سحق معارضة قبائل الرحامنة، الذين حاولوا الانتصار لمولاي محمد ومبايعته بمراكش. أضف إلى كل ذلك، الصراع الخفي الذي نشب بين الحاجب الذي أصبح هو الآمر الناهي من جهة، والوزيرين المعطي الجامعي (الصدر الأعظم) وأخيه محمد الصغير الجامعي (وزير الحربية) من جهة أخرى. وقد انتهى بنكبة الوزيرين الذين سُجنا بتطوان وصودرت أملاكهما.

لم يهتم أحمد بن موسى بتدريب السلطان الشاب على أمور الحكم، بل فرض سيطرته وسطوته على الجميع، وأصبح صدراً أعظم مستبداً بكل أمور الدولة يساعده كتاب لم يصلوا إلى درجة وزراء. لكنه حافظ على ناموس الملك، وظل - بالرغم من هيمنته على كل أمور الدولة - يأمر وينهى باسم سيده مبدياً كل علامات الخضوع والاحترام "لأمير المؤمنين". وقد استمر هذا العهد الانتقالي الذي تميز بالاستقرار الداخلي والصمود في وجه الضغوط الخارجية من 1894 إلى وفاة الصدر الأعظم في 13 ماي سنة 1900.

وبعد وفاة الصدر الأعظم أصبح مولاي عبد العزيز، الذي لم يكن عمره قد تجاوز العشرين سنة، وجها لوجه مع أمور الحكم. كانت ثقافة السلطان الشاب الذي لم يدرب على أمور الحكم ولم يحظ بتعليم كاف - ثقافة ابتدائية في الأمور العامة، ولهذا اضطر للاعتماد على هيئة وزارية تكونت حوله من كتاب ومساعدي الوزير المتوفى، الذين ترقوا إلى رتب وزارية.

وهكذا فبعد فترة انتقالية قصيرة تولى فيها الحاج المختار بن عبد الله البخاري الصدارة مكان ابن عمه، عين فضول غرنيط صدراً أعظم، وعين عبد الكريم بن سليمان وزيراً للخارجية، ومحمد التازي في أمانة الأمناء (وزارة المالية)، في حين تولى المهدي المنابهي، وهو الذي كان وراء التغيير الذي حدث وزارة الحربية. ولقد أبْدى المخزن الجديد، بتأثير من تنافس أجنحته حول سلطان شاب، رغبته في سلوك سياسة جديدة خالية من الفساد الإداري. حتى يتمكن

المغرب من مواجهة الأخطار الداخلية والخارجية. ذلك أن الضغط الأجنبي قد أصبح خطيراً باحتلال واحات الصحراء الشرقية (توات تديكلت گورارة) سنة 1900 الأمر الذي أثار ردود فعل شعبية منددة بالمخزن وبسياسته ومنادية بالجهاد لطرد المحتلين.

ولا شك في أن سنة 1901، كانت سنة فاصلة بين النهج التقليدي الذي ميز سياسة المخزن في العهد الأول لحكم مولاي عبد العزيز، والنهج الجديد الذي شرع مولاي عبد العزيز في سلوكه فيما يتعلق بالإدارة المحلية للقبائل، ومن حيث انفتاح البلاط السلطاني على الأجانب، وبعبارة أشمل من حيث القرارات التي صدرت بضرورة القيام بإصلاح جذري لإدارة الجباية والانفتاح على التقنيات العصرية، كقبول مشاريع بناء الطرق والسكك الحديدية وإصلاح الموانيء وإدخال التلغراف اللاسلكي.

وقبل البدء في تنفيذ ما تقرر، أرسل السلطان وزيريه في الخارجية والحربية إلى فرنسا وروسيا والمانيا وبريطانيا، لطلب عونها ومساعدتها للمخزن، بالكف عن التدخل في شؤونه الداخلية، وعن توسيع الاحتلال الفرنسي للأراضي المغربية في الحدود الشرقية. لكن نتائج السفارتين خيبت آمال المغاربة، إذ أصرت الدولة الفرنسية على المزيد من التدخل وتمكنت من عقد اتفاقي الحدود (1901 ـ 1902) مع المغرب الذين كرسا الاحتلال الفرنسي للواحات ومنحا لفرنسا حق الجوار. فاستطاعت بعد ذلك أن تحصل على تنازل كل من إيطاليا 1902 وابريطانيا 1904 (الاتفاق الودي) عن معارضة سياستها في المغرب. وهكذا ازداد الضغط الخارجي على مخزن مولاي عبد العزيز في الوقت الذي تدهورت فيه سلطته في الداخل نتيجة للإجراءات التي اتخذها فيما يتعلق بإصلاح إدارة الجبايات.

ففي خريف 1901، أعلن السلطان الترتيب، بهدف حفظ مصالح الرعية وعلاج أحوالها ورفع اليد العادية من بعضها على بعض حسبما جاء في ظهير الترتيب؛ أي حسم الخلافات بين الحكام والمحكومين فيما ينسبه الأولون للعامة من انحراف وتقاعد عن حقوق المخزن. وفيما تنسبه العامة للحكام من جور وإضرار بها عند استخراج جباياتها.

وقد ألغى مشروع الترتيب كل تمييز بين الناس وكل امتياز، وأخضع جميع السكان لدفع الضريبة بما في ذلك الأشراف والحكام والمرابطين والأغنياء من التجار. وعين مشروع الترتيب إتاوات محددة على الأملاك كالأراضي الحراثية والمواشي والأشجار المثمرة وعين أمناء وعدولا لتقدير الضرائب وجبايتها. وأمر الحكام بتقديم العون اللازم وحفظ الأمن وعدم العودة للفروض السابقة وقدر لهم أجوراً من بيت المال.

ويبدو أن مولاي عبد العزيز لم يتخذ الاحتياطات اللازمة لتنفيذ قراراته، لذلك تعطلت الجباية رأساً. وجاءت أولى العراقيل من المناورات الأجنبية. فقد عارض الفرنسيون الترتيب وشجعوا تجارهم ومحميهم والمخالطين لهم على رفضه. ولم يتحمس الحكام لتنفيذ أوامر السلطان وبرزت انتقادات رجال الدين وبعض العلماء لتخليه عن الزكاة الشرعية وتبديلها بترتيب من اقتراح النصارى. ونتج عن كل هذه التطورات تدهور خطير في الأمن استغله الحكام للتمول بعد أن حرمهم الترتيب ممَّا كانوا يَجْمَعُونَهُ. وبرزت الفتن هنا وهناك، وتدهورت هيبة السلطان، وبخاصة لما أعلن الجيلاني الزرهوني (بوحمارة) ثورته أواخر 1902 مدعياً أنه الأخ الأكبر للسلطان، الذي كان قد حرم من حقه لما بويع مولاي عبد العزيز. وتعهد بإلغاء الترتيب، متهماً السلطان وحاشيته بالكفر، واستطاع أن يستغل الأوضاع المتدهورة ويصمد أمام جيوش السلطان التي لم تتمكن من هزمه. وإذا ربطنا هذه التطورات الداخلية، بعواقب احتلال وتكريس ذلك الاحتلال في اتفاقيات الحدود بين فرنسا والمغرب سنة 1901 ـ 1902، فهمنا لماذا ارتفعت درجة التحريض ضد السلطان مولاي عبد العزيز وضد وزرائه. فقد اتهموا بالعجز وبالتواطؤ مع الأجانب، وأشيعت الشائعات حول السلطان، وتداولت الألسنة معايبه، حيث نعت "بالمهبول" و"المجنون".

وهكذا نجح أعداء مولاي عبد العزيز ومعارضو سياسته الإصلاحية في تأليب "الرأي العام" ضده، وانتشرت الفتن في كل مكان. ونشطت الدسائس الأجنبية في مدها بالوقود اللازم لاستمرارها، بهدف تخريب المغرب من الداخل ليسهل احتلاله.

وبالفعل فقد أفلست خزينة مولاي عبد العزيز، الذي اضطر إلى الاقتراض من فرنسا التي أن تواطأت مع ابريطانيا سنة 1906. وكان مبلغ الاقتراض 62.500.000 فرنك، فرضت فرنسا بموجبه شروطاً مجحفة على المغرب، وحصلت على حق مراقبة مداخيله الجمركية لأخذ 60٪ منها لرد الدين. وبذلك حرمت البلاد من مداخيل قارة في وقت كان فيه المغرب في أمس الحاجة للمال لمواجهة الفتن والاضطرابات والمصاريف المتعلقة بالتجديدات. إن الغزو المالي الفرنسي كان من أقسى الضربات التي وجهت لحكومة مولاي عبد العزيز. لكنه استطاع الصمود ـ بالرغم من ذلك ـ في وجه المطالب الإمبريالية التي تقدمت بها الحكومة الفرنسية سنة 1905.

فقد رفض السلطان مشروعاً تقدم به الفرنسيون في بداية 1905، يرمي إلى تنفيذ إصلاحات عسكرية وإدارية واقتصادية بتعاون فرنسي مغربي ثنائي. لأن المغاربة تفطنوا إلى أهداف المشروع التي ترمي إلى السيطرة على الجيش، وعلى مراقبة مالية المغرب وإدارته؛ أي إلى فرض حماية فرنسا على البلاد. وقد اهتدى مولاي عبد العزيز إلى استدعاء أول "برلمان" مغربي في شكل مجلس للأعيان، تدارس معه الأهداف الفرنسية، واتفق الجميع على رفض المقترحات التي تقدم بها السفير الفرنسي. وطالب المغرب من الدول المعنية عقد مؤتمر دولي للنظر في قضية الإصلاحات

التي تريد فرنسا إنجازها بمفردها. وقد عارضت فرنسا المطلب المغربي وأيدته ألمانيا، التي زار امبراطورها مدينة طنجة وأعلن تأييده لسياسة مولاي عبد العزيز.

وقد انتهت أزمة العلاقات المغربية الفرنسية الألمانية سنة 1905 بالاتفاق على عقد مؤتمر الجزيرة الخضراء سنة 1906. وخرج المؤتمر بميثاق عام ضمن في ديباجته استقلال المغرب ووحدة المملكة الشريفة. وهي ضمانة ظل المغاربة يستندون إليها في المحافل الدولية لتأييد مطالبهم الوطنية بعد ذلك. بيْد أن المؤتمر اعترف في المقابل لفرنسا وإسبانيا بحق التعاون مع المغرب لتنظيم الشرطة بالمراسي المغربية، وكلفهما بمنع تهريب السلاح في الشواطئ المغربية. وقرر إنشاء بنك مخزني حصلت فيه فرنسا على حصة الأسد. كما منح للأجانب حق شراء الأملاك العقارية بالسواحل المجاورة للمراسي، وفتح المجال للاستغلال الاقتصادي لجميع الدول الحاضرة في المؤتمر، عن طريق إقرار سياسة الباب المفتوح. ومنع السلطان من حق اختيار هذه الدولة أو تلك لإنجاز المشاريع العمومية التي أخضعت لمناقصة دولية.

ورفض المغاربة هذه الشروط، واعتبروها مقدمة للاحتلال واستعدوا للجهاد. ولما وافق مولاي عبد العزيز على ميثاق الجزيرة مضطراً تحت الضغط الدولي، نفر منه المغاربة وبدأوا يتطلعون إلى من ينقذهم من الورطة التي اتهموا السلطان ووزراءه بالتسبب فيها. وفي هذه الأثناء (1906) نشطت الدعاية المضادة للمخزن العزيزي الذي تدهورت سلطته إلى الحضيض.

وقد ساهم الاحتلال الفرنسي لمدينتي وجدة والدار البيضاء سنة 1907 في انهيار هيبة مولاي عبد العزيز، مما أعطى دفعاً قوياً للحركة الحفيظية التي استغلت الغضب الشعبي وانتشار الدعوة للجهاد. وهكذا تم إعلان بيعة مولاي عبد الحفيظ وعزل مولاي عبد العزيز في 16 غشت 1907 بمدينة مراكش.

وقد حاول مولاي عبد العزيز مواجهة الموقف، فاتخذ إجراءات قربته من الأوساط الفرنسية التي عول على عونها في صراعه مع أخيه وباعدت بينه وبين الأوساط الشعبية، التي انضمّت إلى الحركة الحفيظية بهدف تحرير البلاد. وهذا ما ساهم في هزيمته هزيمة ساحقة في معركة بوعجيبة قرب مراكش في 9 غشت 1908. وإثر هذا الانكسار قرر مولاي عبد العزيز التخلي عن العرش واختار مدينة طنجة مستقراً له إلى وفاته بها في 13 يونيو 1943.

وثائق الخزانة الحسنية بالرباط؛ الحسن بوعشرين، *التنبيه المعرب عما عليه الآن حال المغرب*، الدار البيضاء، 1994؛ م. الحجوي، *تقاييد تاريخية*، مخطوط؛ ع. الرحمان بن زيدان، *الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة*، 1937؛ *إتحاف أعلام الناس*، الجزء الأول، 1929؛ الزركلي، *الأعلام*، المجلة، 3؛ الحديمي، *الحركة الحفيظية*، مرقون، كلية الآداب بالرباط، 2002.

علال الحديمي

عبد القادر بن **محمد الشيخ السعدي**، أمير سعدي كان يقود قوات والده منذ سنة 1542 عندما بدأ الخلاف يشب بين محمد الشيخ المهدي وأخيه أحمد الأعرج. وكان يواجه ابن عمه الحران بن أحمد الأعرج.

قاد عملية سعدية في تادلا وتمكن من طرد القائد الوطاسي من قصبة فشتالة وأقام حامية سعدية فيها سنة 1545. كلفه والده بدخول مكناس، بعد تنازل أبي حسون الوطاسي عنها في غشت 1545، وعندما دخلها محمد الشيخ، توسط ابنه عبد القادر في الخلاف الذي قام بين السعديين والشيخ أبي الروابن. وعندما قسم محمد الشيخ المهدي البلاد إلى عمالات في أبريل 1549، كان عبد القادر والياً على المغرب الشرقي، كما عُدَّ من بين وزراء أبيه محمد الشيخ المهدي.

شارك أخاه عبد الرحمن في قيادة حملة تلمسان. وتمكنا من دخولها في يونيه 1550 ثم كانت معركة فبراير 1551 التي انهزم فيها الشرفاء وقتل عبد القادر وبعث برأسه إلى الجزائر.

محمد الصغير الإفراني

عبد القادر بن **محمد الشيخ المهدي** السعدي ثاني أبناء محمد الشيخ المهدي السعدي، استطاع فتح مراكش سنة 1544 لصالح أبيه. استوزره أبوه مدة من الوقت لرجاحة عقله ورزانته. إلا أنه كان يخرج من حين لآخر بنفسه لإخضاع بعض المناطق الثائرة أو يشارك في بعض الحملات لفتح مناطق جديدة وضمها لمملكة أبيه.

وهكذا أخضع تادلا وحاصر فشتالة وشارك أخاه محمد الحران في حرب تأديبية لقبائل الغرب، كما ساهم بجدية في حروب تلمسان سنة 1550، وهي السنة التي عين فيها والياً على مراكش. كانت وفاته في فبراير 1551 إثر ضربة طائشة تلقاها وهو يشجع فرسانه لمواجهة حملة الثأر التي شنها الاتراك آنذاك على تلمسان. وحمل رأسه إلى الجزائر العاصمة حيث وضع في قفص صغير علق على باب عزون.

A. Cour, *L'établissement des dynasties des chérifs au Maroc et leur rivalité avec les Turcs de la d'Alger (1509 - 1830)*, Paris, 1904 ; H. De Castries, *Les sources inédites de l'histoire du Maroc*, 1ère série : *Pays-bas*, Tome I, 1906, planche V ; *Espagne*, Tome I, 1921, p. 416 ; *France, Bibliographie et Index*, 1926 ; R. Ricard, *Les sources inédites de l'histoire du Maroc*, 1ère série : *Portugal*, Tome IV, 1951.

محمد اللبار

عبد الكامل بن **محمد** الرايس من رجالات الدولة في بداية عهد السلطان مولاي سليمان الذي عينه قائداً لقوات الرباط في ظهير قرئ بالجامع الكبير في 15 ربيع الأول 1207 / 1792، و"مضمنه أن محمد بن عبد الكامل يتولى أمر البحرية والطبجية والبونجية"، لكن موقف رياس البحر وغيرهم من أهل الرباط بقيادة الحاج عبد الله برگاش اعترضوا على هذا القرار ورفضوا الانصياع له.

الضعيف، نفسه.

حسن أميلي

ابن **عبد الله**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا - Abdella Abdela ؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Abdalla ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان، ويقول الفقيه الرهوني إنها انتقلت إلى الرباط.

ابن **عبد الله** أو **بنعبد الله** (آل -) أسرة رباطية، وهم مهاجرون غرناطيون انتقلوا إلى المغرب بعد سقوط غرناطة عام (897 / 1481) حيث كانوا يقطنون حسب البعض على ما يظهر (قرية أبي عبد الله) قرب غرناطة وهي لا تزال قائمة تحمل نفس الاسم إلى الآن. ولعل الأقرب إلى الاحتمال أن يكون اسمها (قرية أبي عبد الله) وهو (بوعبديل) الأمير النصري الذي ربما كان يصطاف بها ولعلهم انتقلوا إلى قرية تحمل اسمهم إلى الآن في (دائرة أجدير) (عمالة الحسيمة) وربما كان ذلك في طريق بعضهم إلى الجزائر حيث استوطنوا. وقد سبق لمهاجرين أندلسيين أن استوطنوا المنطقة منذ أوائل القرن الثالث الهجري. فهذه (وهران) قرية في بني قميل بين مشيوة وبني بوفراح بناها محمد بن أبي عون ومحمد بن عبدون وجماعة من الأندلسيين البحريين عام (209 / 824) (*المغرب* للبكري، ص. 70) وقد احتلها الإسبان عام 915 إلى 1120 / 1708 وحررها الأتراك. ولكن المؤكد هو وجودهم منذ قرون بين تطاون والشاون معقل الجهاد ضد الإسبان حيث كان لهم به حي خاص يحمل اسم (بني عبد الله) ولا يزال جانب من هذه الأسرة بفاس والرباط يلقبون بالشاويين. وهنالك رواية مرجوحة لكنها لا تخلو من طرافة وهي أن أصل العائلة من (تافيلالت) ارتحلوا إلى غرناطة للجهاد برفقة مولاي الشريف جد العلويين المتوفى عام (847 / 1443) وكان ذلك قبل النفي العام بأكثر من نصف قرن في عنفوان (محنة غرناطة) من أجل إنجاد الغرناطيين. وقد خاض الشريف المجاهد سبعا وعشرين (27) غزوة (وهو عدد غزوات الرسول عليه السلام) وأجمع الغرناطيون على تنصيبه أميراً عليهم فرفض رغم إلحاح علماء فاس عليه يطلب من الأندلسيين أما بخصوص هجرة بني عبد الله إلى رباط الفتح فلعل ذلك تم في حدود 1267 (إبان حرب تطوان) حيث انتقل والد جدنا محمد بن عبد السلام إلى رباط الفتح بعد تعيينه على ما يقال أمينا وذلك صحبة أولاده الثلاثة وهم جدنا الحاج على بن محمد (وكان عمره آنذاك 18 سنة مع أخويه أحمد (جدى لأمي) والعربي. ويلوح من هذه التواريخ أن العائلة مكثت بتطوان والشاون زهاء ثلاثة قرون وإن كان بعضهم ربما التحق بتطوان من الجزائر بعد ذلك. ويظهر كذلك أن فريقا من الأسرة هاجر إلى فاس وكانت هجرتهم محدودة بخلافها إلى الرباط ووجدة (حيث لا يزال يقطن بعضهم) وقد عرفنا من بني عبد الله بفاس منذ أواخر القرن الثاني عشر الهجري أفراداً أمثال أحمد بنعبد الله المتوفى عام (1263) وهو من أصحاب الشيخ سيدي أحمد التجاني وأخيه العربي وابن عمه المكي بنعبد الله وهما أيضاً من مريدي الشيخ التجاني وخاصة أصحابه ولا يزال فريق من بني عبد الله في مهاجرات شامية مثل (حلب) حيث أورد ابن الحنبلي (971 / 1563) عدداً منهم في كتابه (دار الحبب في تاريخ أعيان حلب) (طبعة دمشق 1972 (أرقام 84 ـ 91) ومعلوم أن غرناطة كانت تسمى "دمشق الأندلس" (*نفح الطيب*، ج 1، ص. 141 و164 / ج 4، ص. 204) وممن عرف باسم (بنعبد الله) من أبناء عمومتنا بالجزائر العلامة زين العابدين بن عبد القادر بنعبد الله وهذا الاسم مركب على قاعدة أهل معسكر والحشم وكان هذا العلامة يحفظ صحيح البخاري متنا وإسناداً وكذلك صحيح مسلم وأعلم أهل عصره بالتاريخ وأنساب العرب وشيوخ المذهب المالكي وقد ورد على السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام آخر إمارة عبد القادر الجزائري وصار يحضر معه مجلس الصحيح ومدح السلطان بقصيدة مطلعها :

إن المليحة فاس لا يقاس بها إيوان كسرى ولا صرح لذى سرح

وقد توفي بمكناس حيث دفن قرب ضريح سيدي محمد بن عيسى (*فهرس الفهارس*، ج 2، ص. 16). والواقع أن من الصعب تحقيق النسبة إلى كل من يحمل اسم (ابن عبد الله) إذ منهم عبد الله بن العربي بن أحمد بن محمد المدعو (ابن عبد الله) من أولاد معن الأندلسيين المتوفى عام 1188 (*جواهر المعاني*، ج 1، ص. 44).

وبنو عبد الله الثلاثة الذين هاجروا إلى الرباط وهم :

ابن **عبد الله، أحمد** تولى الحسبة بالرباط نيابة عن محتسبها الحاج عبد الخالق فرج تولاها بعده أخوه الحاج العربي أوائل هذا القرن الميلادي وفي عام 1328 أعفي عبد الخالق فرج منها لكبر سنه (*مجالس الانبساط*، 203).

عبد العزيز بنعبد الله

عبد الله بن **إسماعيل** بن الشريف، السلطان. ولد بقصر يدعى قصبة الفرخ من واد إفني بتافيلالت في منتصف ذي الحجة عام 1121 / 1709. أمه خناثة بنت بكار المغافرية المشهورة. نقل ابن زيدان وصفه فقال : "أبيض مشرب بحمرة، مليح الوجه قصير القامة، خفيف اللحية جدا، مفلج الأسنان، بخده الأيسر شامة، طويل اليدين والأصابع. إذا تكلم تحرك شارباه الطويلان، صغير الرجلين، دقيق القدمين، إذا ركب حسبته طوالا، وإذا مشى حسبته لخفة مشيته شاباً صغيراً، مهاب لا يكاد أحد يبدأه بالكلام.." (*إتحاف أعلام الناس*، 4 : 390). ووصفه الريفي فقال : "وكان أمير المؤمنين مولاي عبد الله حازما شجاعاً مهاباً، يباشر الأمور بنفسه، ويستبد برأيه دون وزرائه... سفاك الدماء" (*زهر الأكمام*، ص. 236).

وبالرغم عن إهمال المصادر الحديث عن مستواه العلمي، فيمكن أن نستنتج مما جاء لدى الفضيلي أن بضاعته العلمية لم تكن مزجاة، حيث أشار إلى أنه "ينبوع العلوم"، وأنه "كان في العلوم آية باهرة"، "فكم أحيا من علوم" (*الدرر البهية*، ا : 208). وذكر ابن زيدان من شيوخه أبا محمد عبد الله المنجرة، بل جعل ابنه سيدي محمدا من بين الآخذين عنه. ونقل عن أبي عبد الله محمد الزكي السجلماسي أن المترجم كان مولعا بصناعة الملحون، صرف همته إليه، حتى صار كأنه طوع يده (*إتحاف*، م. س، 483، *الإعلام*، 8 : 314).

بويع له بالملك بمكناس، على إثر وفاة صنوه أحمد الذهبي ـ مار الترجمة ـ في رابع شعبان عام 1141 / 1729 ؛ وهو يومئذ بتافيلالت (*زهر الأكام*، ص. 227). بايعه أعيان العبيد والاوداية الذين "وجهوا إليه جريدة من الخيل لإعلامه باجتماع الكلمة على بيعته والإتيان به". وبإثر ذلك قدم إلى فاس، حيث نزل بظهر المهراس. فقصد دار الملك بفاس الجديد ؛ وهنالك وردت عليه الوفود ببيعتهم يوم سابع رمضان العام (*نشر الثاني*، 3 : 322، *الاستقصا*، 7 : 126) فوصلهم "بقنطار ونصف ذهبا اقتسموه أمامه" (*الإتحاف*، 4 : 394). لاشك في أنه فعل ذلك سعيا منه في تأليف قلوبهم، لأن بذل المال يومئذ في سبيل كسب المناصرين أضحى أمراً معتاداً، سيما لدى جيش العبيد الذين استغلوا تعدد المطالبين بالحكم لابتزازهم. وفي المقابل أمده أهل فاس بخمسمائة رام، توجهوا معه إلى مكناس، حيث وجدوا بظاهر المدينة قواد العبيد والعرب والبربر، الذين استقبلوه بحفاوة، وأدخلوه المدينة، يوم خامس عشر رمضان. فاتخذها قاعدة لملكه، وبها بويع البيعة العامة، بعد أن وفد عليه أعيانها حاملين إليه بيعتهم ؛ كما وفدت عليه وفود القبائل ببيعاتها. فعاملهم بما عامل الوفود الأولى، حيث فرق عليهم الصلات. واستمر على تلك الحال، من استقبال الوفود المهنئة ؛ إلى يوم ثاني عيد الفطر، حيث أمر أهل فاس "بتسليم قصبتين وبستيونين لأنهما لجانب السلطنة وليست للرعية"، وهددهم إن هم امتنعوا "بهدم ديارهم عليهم" (*نشر الثاني*، 3 : 322 *إتحاف*.. م. س. ص. 396). فكان ذلك بدء سبب الخلاف بين أهل فاس وبين المولى عبد الله، حيث رفضوا الامتثال لأمره. وحتى لما تراجعوا عن رأيهم واتفقوا على أن يوجهوا إليه هدية، صحبة جماعة من أعيانهم، تعرض إليهم الوداية ونزعوا منهم الهدية وأقدموا على اعتقالهم بسجن فاس الجديد ؛ بدعوى أن المترجم أمرهم بذلك. بل صرحوا لهم بأنه أمرهم بحصار فاس البالي. فكان ذلك الحدث مما وسع الخرق بين الطرفين. ذلك أن عامة أهل فاس الإدريسية لما علموا بذلك صمموا على منابذة السلطان ورفض بيعته. وبالرغم عن محاولة العلماء ثنيهم عن عزمهم، فإنهم لم يتراجعوا. وفي سادس شوال أعلنوا خلع بيعته ورفضوا طاعته، وأقدموا على غلاق أبواب المدينة، تحسبا للهجوم.

ولما اتصل خبرهم بالمترجم، يوم خامس عشر من الشهر، صمم على محاربتهم، لإرغامهم على الرجوع إلى الطاعة. فأعد جيشا قوياً وجهه إلى فاس لمعاقبتهم. وضرب عليهم الحصار بقطع الماء، بينما عاثت جيوشه في زروعهم وبساتينهم، وقطعت عنهم السبل. لكنهم لما جنحوا إلى السلم كبر عليهم تسليم المعاقل والقصبات، فاستأنفوا القتال. ومن ثم، تعددت المعارك بينهم وبين جيش السلطان، طوال أربعة أشهر كانت الحرب فيها سجالا. ولم يذعن أهل فاس البالي إلا بعد أن اشتد عليهم الضيق، بسبب قلة الأقوات وتنازع عامتهم ورؤسائهم. فلم يكن لهم بد من الإذعان والاستسلام. فتم الصلح بين الطرفين على يد القائد محمد السلوي، بالضريح الإدريسي يوم الثلاثاء عاشر ربيع الأول عند صلاة الظهر. ولم يبرح السلطان مدينة فاس، إلا بعد أن عمر جنده القصبات والمعاقل ؛ ليتوجه في العشرين من الشهر إلى مكناس التي كان لهيب الفتنة قد وصلها.

ولما سكنت تلك الجهات ولى وجهته صوب الجنوب، فانتقل إلى جهة تادلا لتمهيد بعض القبائل المتمردة هناك ؛ سيما أيت يمور. وفي أثناء تلك الحركة قبض على يوسف أحنصال، وقبل أن يأمر بإعدامه ـ بقصبة تادلا ـ قال : "أردت أن لا أقتلك لكن خفت أتركك يقال إن جنونك غلبني [كذا]". ونتيجة لسياسة الشدة التي سلكها إزاء الرعايا زادت رهبته في قلوب الناس. بل أضحى ذلك ديدنه حتى إزاء سكان فاس أنفسهم ؛ حتى إنه لم يعد إلى فاس، التي استمرت في بؤرة اهتمامه، بسبب وجود كثير من رؤوس الفتنة بها ؛ إلا ليؤدب ويزجر ويولي ويعزل.

وللإشارة فقط، فإن كل ما أقدم عليه من تغيير في المخزن لم يكن له وجه من الصواب، بل جاء نتيجة دسائس بعض من كان يثق بهم، وهم ليسوا لذلك أهلا. وأبرز مثال على ذلك، تعيينه لمحمد بن علي الزموري على عمالة فاس. فلم تكن ولايته في غير محلها فقط ؛ لكن الأدهى من ذلك أنه أمره باستصفاء أموالهم، لأنه سمع بأن المال هو الذي أطغاهم. ولم يترك أحداً منهم إلا وآذاه، حتى "فر الناس إلى شواهق الجبال والقرى والأمصار .." ممن استطاع الإفلات من القتل أو السجن. كما بعث بالقائد ولد المجاطية إلى فاس، وأمره بنهب زروع أهلها، فعاث فساداً حتى ارتفع سوم القمح، وترتبت عن ذلك المجاعة. وفي الوقت ذاته أقدم على قتل عدد من الأعيان وكبراء الجيش. وهذا قل من كثر مما حكاه القادري في النشر (3 : 377 ـ 357).

ومن ناحية أخرى لم تكن تأخذ المترجم شفقة فيمن خرج عنه، أو ارتاب في ولائه من منفذي أوامره. والأمثلة كثيرة في هذا الباب ؛ نكتفي بالإشارة إلى بعض الباشوات والقواد، كالروسي والحياني والسهلي، الذين أمر بتتريكهم أو قتلهم (*زهرة الأكام*، ص. 237).

لكنه لما أسرف في دماء العبيد، ثأراً لأخيه المولى عبد المالك ؛ لم يتوان هؤلاء في الثورة عليه، وخلع ربقة طاعته، فحملوا أخاه المولى عليا الأعرج إلى سدة العرش. وكان ذلك

في يوم الثلاثاء منسلخ ربيع الثاني عام 1147 / 1735. ولم يتراجعوا عن ذلك بالرغم مما بذله من مال.

وبذلك انتهت دولته الأولى، التي دامت خمسة أعوام وثمانية أشهر ونصفا (م. س. ص. 238، *الضعيف*، ص. 115). فلاذ بالفرار متوجها إلى الجنوب. وبعد أن توقف بقصبة أبي العوان، ليفرق على أهلها المال ليعصوصب بهم، لم يلق عصا التسيار إلا بشيشاوة ـ غربي مراكش ـ حيث طال به المقام، قبل أن يستقر بتارودانت (نشر، م. س. ص. 370 ـ 381).

إلا أن العبيد، بإيعاز من كبيرهم سالم الدكالي، نبذوا طاعة المولى علي ورجعوا لمبايعة المترجم، الذي كان قد وصل إلى تادلا، في طريقه إلى فاس.

ولم تدم دولته الثانية تلك سوى سبعة أشهر، لأن العبيد سرعان ما تراجعوا عن بيعته ليبايعوا أخاه محمدا المدعو ولد عربية (م. س. ن. *زهر الأكام*، ص. 244). وقد ترتب عن ذلك انقسام في الرأي، واكبه اندلاع الحرب بين أنصار كل من عبد الله وولد عربية. ويمكن أن نوجز وضع البلاد فيما جاء عند الريفي حين قال : "وكثر أهل الفساد في الحاضر والباد، وعم جميع المغرب الغلاء وعظم البلاء، وأكل القوي الضعيف ... وكثرت المنكرات واشتد الخوف في الطرقات، وغلت الأسعار في جميع الأمصار، ولا سيما مدينة مكناس وفاس.." (م. س. ص. 246).

لكن العبيد سرعان ما رجعوا إلى بيعة المترجم، الذي كان قد رجع إلى مكناس، حيث عسكر ببوفكران. وهنالك وفد عليه أهل فاس، في محرم عام 1149 / 1737، فأقدم على قتل ستة عشر رجلا منهم ؛ الأمر الذي دفعهم إلى نبذ طاعته، ومبايعة ولد عربية، من جديد. فما كان له بد من الفرار عن مكناس، حيث توجه إلى الحاجب ليختفي عند أيت ادراسن، بمن تبعه من المسخرين والأتباع (الزياني، *الترجمان*، ص. 43).

إلا أن الأمر لم يستقم لابن عربية بسبب إطلاقه أيدي أتباعه في أمتعة الناس ومتلكاتهم، والوقت وقت مجاعة عضت جميع الناس. فكثر النهب والعيث، وقطعت السبل، وساد الخوف. واستمر الحال على ذلك أزيد من سنة. فاعتقل العبيد سلطانهم وكبار رجال مخزنه فأودعوهم السجن، ووجهوا رسلهم إلى تافيلالت ليأتوا بالمستضيء ؛ فنادوا به سلطانا في فاس ومكناس (*الترجمان*، ص. 45).

إلا أن السلطان الجديد أسرف بدوره في القتل، وسلط أعوانه على رقاب الناس بالنهب والسلب. والظاهر أن العبيد لم يفيدوا شيئاً من ذلك فثار بهم الغضب، وأقدم أصحاب مشرع الرمل منهم على خلعه، بعد عام وثمانية أشهر وثلاثة عشر يوما (*زهر الأكام*، ص. 260) وكتبوا إلى أهل فاس والودايا بالرجوع إلى بيعة المترجم الذي كان مخيما آنذاك بالمزمة. فقدموا به، ولما دخل مدينة مكناس نكل بعدد من أعيانها، من بينهم فقهاء المدينة وخطباؤها. وعلى الرغم من تشفعهم، فقد أطلق أيدي العبيد في دورهم ومتلكاتهم. هذا فضلاً عن أن الودايا وأهل الريف لم يبايعوه. وإذا كان الودايا قد تشفعوا بأمه، وتراجعوا عن موقفهم ؛ فإن الباشا أحمد بن علي الريفي اتخذ من القصر الكبير مركزاً للتمرد، سيما بعد أن اتصل بزين العابدين أخي المترجم، وساند دعوته. بل عمد إلى مكاتبة العبيد يستميلهم لمبايعة زين العابدين، مسخراً في سبيل ذلك نفوذه وماله. فما كان جواب هؤلاء إلا أن بيتوا للقبض على المولى عبد الله وقتله. وبما أن المناخ كان مناخ المؤامرات والدسائس، فقد أنذر بعض العبيد السلطان بما وقع عليه الاتفاق بين الريفي والعبيد، فاستطاع أن يلوذ بالفرار تاركا دار الملك التي دخلها منافسه زين العابدين، حيث بويع البيعة العامة. وكان ذلك في ربيع الأول من سنة 1158 / 1745 (*الترجمان*، ص. 49). فسفر المترجم إلى الجبل لدى برابرة الأطلس المتوسط. وفي الوقت ذاته رفض الودايا وأهل فاس مبايعة زين العابدين، فضرب عليهم الحصار بدون جدوى ؛ الأمر الذي ترتب عنه انقسام رأي العبيد. كما وقع الانشقاق في صفوف أنصار السلطان الجديد، وعم الاضطراب والنهب. وكانت هذه الظروف سبباً في جعل أهل فاس ينادون من جديد، بالمولى عبد الله سلطانا. فاهتبلها فرصة ليدخل فاس الجديد، ويسترجع ملكه ـ بدار الدبيبغ ـ. وفي الخامس عشر من رمضان ورد عليه كتاب كبار العبيد من مكناس، أخبروه بعزل زين العابدين ومبايعته هو وبذلك ابتدأت دولة عبد الله الرابعة.

ولم يمض على بيعته سوى أقل من شهرين حتى قام ضده المستضيء، بدعم من الباشا أحمد الريفي. وفي الوقت الذي دخل فيه هذا دار الملك بمكناس، لاذ المترجم بالفرار قاصدا أنصاره القدامى، برابرة أيت دراسن. وهنالك استطاع جمع جموعه لمنازلة خصمه. ولما رأى هذا الأخير أن لا طاقة له بحربهم ارتحل عن دار الملك بغير قتال. لكن ما أن استهل العام الموالي حتى قام المستضيء والريفي من جديد. فلجأ السلطان عبد الله إلى أنصاره من البربر يستحثهم على نصره ومحاربة القائم عليه مع ولي نعمته. فاجتمع له جيش قوي من البربر، كأيت ومالو وبني حكم وزمور وكروان، وعلى رأسهم القائد محمد وعزيز. وبعد أن تناجز الفريقان، وكانت فتنة عظيمة، لحقت الهزيمة بأنصار المستضيء. وفي الوقت ذاته توجه الريفي للم شتاته والبحث عن المدد للكر على عبد الله. فالتقى الجمعان بموقع يدعى دار العباس، بالقرب من وادي اللكوس حيث كانت الهزيمة على جيش المستضيء ؛ في قتل الباشا الريفي ونهبت محلته. كما أمر المترجم باستصفاء أمواله وأملاكه ومعاقبة أتباعه وخدامه. وفرق زروعهم وأموالهم بين أنصاره. وأقام بطنجة أربعين يوما، قبل أن ينقلب إلى حرب أخيه الذي خرج من مكناس لاعتراض سبيله. فالتقيا في نفس الموقع الذي انهزم فيه الريفي، وأسفر اللقاء عن هزيمة المستضيء هزيمة منكرة، اتفقت المصادر على أنها كانت مقتلة شنيعة، لم يسبق مثلها. يقول الزياني

بصددها : "وكانت هذه الوقعة من أعظم الوقائع مات فيها عدد لا يحصيه إلا الله "(*الترجمان*، ص. 55). وبذلك انفسح أمامه المجال لدخول مدينة فاس التي قدم إليها في ربيع الثاني من عام 1157، فاستقر بدار الدبيبغ من جديد. وبها قدمت عليه الوفود، منهم المهني، ومنهم التائب ؛ فجددوا له البيعة، وتعاهد معهم على قطع دابر بني حسن وسائر من ناصر أخاه المستضيء. فكانت تلك بيعته الخامسة. وعوض أن يعاقب بني حسن عفا عنهم، بعد أن كان قد استعد إليهم بالحركة. فلاحق أخاه المستضيء، الذي توجه إلى الجنوب. ولما وصل دكالة عسكر بقصبة بولعوان، فقضى بها سنة كاملة ؛ عملت جيوشه أثناءها على نسف الزرع وقطع الشجر حتى "لم يبق فيها ما يأكله الطير أو يتظلل به "(*الترجمان*، ص. 56) . فعل بها ذلك لأن أهلها سأندوا المستضيء. فواصل طريقه إلى مراكش مارا بالسراغنة، حيث قدم عليه أهل الجبال المجاورين لدمنات. وكان كلما نزل حلة أخلاها أخوه المذكور. فلما ظعن من السراغنة فر أخوه لاجئا إلى قبيلة مسفيوة التي كانت من جملة من بايعه. فنزل زمران التي وفد عليه بها الرحامنة وأهل سوس وأهل الدير، لتقديم طاعتهم وولائهم. ومنها وجه الحركة إلى مسفيوة، حيث جاست جيوشه خلال الديار، بالنهب والسلب وحرق الشجر والزرع. ومازال يضيق عليهم حتى نزلوا رافعين المصاحف مقدمين صبيانهم طالبين الأمان، متبرئين من المستضيء ؛ فعفا عنهم. ولما جاراهم في ذلك أهل دكالة، عاملهم بما عامل به الأوائل، إذ عفا عنهم وأمرهم بالرجوع إلى ديارهم. واستمر مقيما بزمران حتى قدمت عليه وفود أهل مراكش مقدمين بيعتهم.

وفي تلك الأثناء استخلف ابنه محمدا على مدينة مراكش، وتوجه هو إلى مكناس. ولما مر بالرباط عين ابنه أحمد خليفة على الشاوية وبني حسن. وقبل الدخول إلى مكناس خيم ببوفكران. وهنالك قدمت عليه وفود من الريف وبني حسن تائبين، فأمر بقتلهم جميعا ؛ وكاد يفعل بأيت دراسن نفس الشيء لولا وساطة كبيرهم محمد واعزيز، الذي "كان يقول له أبي مرارا". إلا أن البربر اغتاظوا لذلك وعزموا على الانتقام ؛ سيما حين علموا مقالته : "فأردت أن أقابل هذا التيس الأسود مع هذا الكبش الأبيض، فمن تلف منهما أستريح منه ومن عضته وأتمسك بالآخر" (*الترجمان*، ص. 59). ولما رجعوا إلى بلادهم جمعوا القبائل ونظموا الحركة لمحاربة المترجم انطلاقا من الحاجب. ولم يتوقفوا إلا أمام مدينة مكناس. فكانت الدائرة على البربر الذين انقلبوا إلى بلادهم منهزمين.

إلا أن العبيد قد استاءوا بدورهم لما بلغتهم مقالة السلطان "أردت أن أقابل هذا الكبش مع هذا التيس" ؛ فأجمعوا أمرهم على التمرد، وكتبوا لإخوانهم بمشرع الرمل. وفي الوقت ذاته كان كثير من القبائل قد استجابت لدعوة البربر، بمن في ذلك أهل فاس ؛ فلم يبق أمام السلطان إلا الودايا الذين وجه إليهم كلمته التي قال فيها : "إن كانت لكم حاجة بابن أختكم عبد الله فاركبوا إليه الساعة". فاستجابوا لطلبه، وقدموا إلى مكناس لإنقاذه، فرجعوا به إلى فاس الجديد. في ذلك الوقت كان البربر ومن تبعهم قد احتلوا فاس البالي، بل دخلوا دار الدبيبغ عام 1160 (*الترجمان*، ص. 61). واستمر الحال على الاضطراب حوالي سنة ؛ نادى العبيد خلالها باسم المستضيء الذي كان مقيما بطنجة، والبربر لا يزالون يغيرون على فاس، وقبائل الغرب ماضية في النهب وقطع السبل. وأما السلطان عبد الله فإنه صالح أهل فاس، ففتحوا في وجهه أبواب المدينة بعد حصار دام سبعة وعشرين شهرا ؛ وبعد أن قدم عليه البربر، ورجع بنو مالك وسفيان عن طاعة المستضيء. فقدم عليهم من مكناس، ووقع الصلح بضريح المولى إدريس أواخر عام 1161 / 1748 (*نشر الثاني*، 4 : 65 . 66).

وفي محرم من العام الموالي (1162 / 1749)، تآمر العبيد على اعتقال المترجم وعزله. فلما علم بذلك لاذ بالفرار من مكناس، واستقر بدار دبيبغ. وبعد أن رفض محمد ولد عربية وعلي الأعرج بيعتهم، أقدموا على مبايعة سيدي محمد بن عبد الله، خليفة السلطان بمراكش، وبعثوا بوفد يحمل إليه البيعة إلى تلك المدينة. وبالرغم عن رفضه لبيعتهم فقد استمروا على الخطبة به على منابر مكناس وزرهون (م. س. ن). وفي تلك الأثناء ظهر بالمغرب الوباء والمجاعة، فتفاقم الأمر وساد الاضطراب ؛ والعبيد متمادون في نصر الأمير محمد بن عبد الله.

ولما رأى هذا إصرارهم، قدم عليهم بمكناس أواخر صفر من سنة 1163 / 1750 ؛ لكنه بدل أن يماشيهم في ما قصدوا توسط لهم عند والده، بعد أن دعم العلماء رأيه. فحينئذ قبل العبيد عذر المترجم، وأمروا بالنداء بنصره على منابر مكناس، سيما وأنه وزع عليهم المال الذي قدم إليه هدية من قبل ولده. فكانت تلك بيعته السادسة (*نشر*، م. س، ص. 82، *الترجمان*، م. س، ص. 65). وقد تميز هذا العهد بإهمال السلطان للعبيد فتطارحوا على أعتاب ولده سيدي محمد لاسترضاء والده. وفي هذا دليل على خضد شوكتهم، وإدبار نفوذهم. كما يبدو أن مختلف الفرقاء المتناحرين سئموا حال الفتن والاضطراب، وأنهكتهم المعارك المتتالية، وضيق المعيشة، فجنحوا إلى السلم. وفي نفس الآن كان المترجم قد استقر بداره، دار الدبيبغ، وضعفت قواه عن الحركة. ومن ثم، لا نستغرب إذا رأيناه قد أضحى حكما بين مختلف القبائل المتنازعة. فعفا على ذرية أحمد بن علي الريفي، وولى أحد أبنائه على مدينة طنجة (*نشر*، 4 : 93).

لكن لما كاد الوضع يستقيم له، اضطربت أحوال البلاد من جديد، نتيجة حلول الجفاف ووقوع زلازل قوية ومتلاحقة، حيث بدأت الأرض ترتج منذ ضحوة السبت سادس وعشرين من محرم عام 1169 / 21 أكتوبر 1755، واستمرت الزلازل حوالي شهر (*نشر*، 4 : 113 ؛ *إتحاف*، 4 : 465). فانتشرت الفتن، وظهر الثوار في كثير من جهات البلاد. وبما أن المترجم

أضحى منشغلا بنفسه، لأنه أصيب بداء السل الذي ألزمه الفراش ؛ فإن خليفته سيدي محمدا هو الذي نهض بأعباء الدولة، فتصدى لجبر ما انصدع وإخماد ما اتقد. وهكذا لم يبرح المترجم داره بدار الدبيبغ، خارج فاس الجديد، إلى أن عاجلته منيته ليلة الخميس سابع وعشري صفر عام 1171 / 1757. ودفن بمقابر العلويين التي في جوار دار الملك من فاس الجديد (م. س. ن. ص. 123، الضعيف، ص. 162 ؛ الزياني، *البستان*، ص. 347 ؛ *إتحاف*، 4 : 482). وكانت مدة ولايته ثلاثين سنة، بما تخللها من ولاية وعزل.

وأبرز ما ميزها كثرة الفتن والحروب والتولية والعزل، وتعدد المطالبين بالعرش والأدعياء، وتتالي المجاعات والأوبئة. كما استشرت أعمال سفك الدماء، شارك فيها المترجم بنصيب وافر ؛ حتى بلغ عدد من "قتل مدة سلطنته صبرا ما يزيد على سبعين ألف نسمة، قتل منها في يوم واحد خمسمائة وخمسين" (*الإتحاف*، 4 : 479). وبصدد أعماله على الصعيد الخارجي، فقد هاجم مدينة سبتة، وأبرم معاهدة مع الولايات العامة (هولاندة).

وكان له طابع بداخله، عبد الله بن أمير المؤمنين إسماعيل الحسني، الله وليه ومولاه، وبزواياه، اليمن والإقبال وبلوغ الآمال والسعد (*إتحاف*، م. س. ص. 401) وكان يوقع مراسلاته بـ "عبد الله كان الله له".

ولم يخلف المترجم من الآثار، في ميدان البناء، سوى دار الدبيبغ بفاس، وهي مقر سكناه ؛ ودويرة باب الريح خارج مكناس. علاوة على تنميق باب منصو العلج وباب مسجده المعروف بجامع الأنوار، بمكناس أيضاً (م. س. ص. 483).

الريفي، *زهر الأكام* ؛ م. القادري، *نشر المثاني* ؛ *التقاط الدرر* ؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، الزياني، *الترجمان*، *البستان* ؛ م. أكنسوس، *الجيش* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، *العلائق السياسية* ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*.

Th. Pellow, *La relation de Th. P. J. de Léon, Moulay Ismael...* ; B. Boutaleb [et al.], *Histoire du Maroc* ; H. Terrasse, *Histoire du Maroc* ; A. Laroui, *Histoire du Maghreb*.

أحمد عمالك

ابن **عبد الله، عبد الواحد** بن علي بن الحاج محمد بن علي الرباطي ولادة ونشأة وداراً. ولد برباط الفتح (عام 1311 / 1893) واستظهر القرآن والمتون بكتاب قرب حومة البحيرة بدرب الباشا بالرباط.

واشتغل بالدراسة العلمية حوالي عام 1325 فتتلمذ لشيوخ العاصمة منهم الشيخ أبو شعيب الدكالي ودرس عليه التفسير وصحيحي الإمامين البخاري ومسلم وجامع الترمذي وسنن أبي داود السجستاني والنسائي وابن ماجة والمختصر الخليلي و*ألفية ابن مالك* بشرح الأشموني وحاشية الصبان.

كما واصل دراسة مختصر الشيخ خليل على العلامة النظار وزير العدل القاضي سيدي محمد الرندة الأندلسي وواظب على حضور الشروح العلمية الأدبية للعلامة المشارك مولاي أحمد بن المامون البلغيثي بخصوص صحيح الإمام البخاري ومجالس المحدث الحافظ الأديب الشاعر سيدي المدني ابن الحسني لأوائل *موطأ* مالك بن أنس من تخليص المفتاح للخطيب القزويني و"*مرتقى الوصول إلى علم الأصول*" و"*تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام*" ولامية كعب بن زهير *بانت سعاد* وألفية العراقي في السيرة والقوانين الفقهية لابن جزي الكلبي.

وقد تتلمذ أيضاً لثلة من الشيوخ الأفذاذ بحضرة الرباط منهم : الشريف العلامة المحقق سيدي محمد ابن العياشي قرأ عليه جل *المرشد المعين* وأوائل ألفية ابن مالك.

والعلامة الجامع بين المعقول والمنقول الضابط المتقن سيدي محمد السائح والعلامة المحدث سيدي محمد (فتحا) ملين والقاضي شيخ الجماعة علامة الرباط وأديبه أبو حامد المكي البطاوري.

وبعدما حصل جملة من المعارف في مختلف المجالات الأدبية والفقهية والحديثية تصدى للتدريس بمساجد العاصمة فكان يحضر دروسه ثلة من الطلبة بالإضافة إلى جموع غفيرة من العوام نظراً للأسلوب البسيط الذي كان ينهجه في التبليغ.

وقد تقلب في عدة مناصب منها الكتابة بالإدارة الشريفة بالرباط ثم العضوية في مجلس الاستيناف الشرعي الأعلى عام 1355 من حيث استعفى بعد ثلاث سنوات (عام 1358) وبدأ هنالك يتجول في كبريات الحواضر المغربية خاصة منها مدن فاس والدار البيضاء ومراكش وطنجة وتطوان علاوة على موطنه الرباط وتولى الأستاذية بدار الحديث الحسنية بالرباط محتسبا بدون أجرة وساهم في الدوس المولوية الحسنية الرمضانية بالقصر الملكي بالرباط.

عرف بنزاهته الفكرية وغيرته الدينية والوطنية وصلابته في الحق. وقد اضطهده الفرنسيون إبان الحماية وأصدروا حكما بسجنه سنة ونصف، سنة قضى بعضها في سجن العلو بالرباط وذلك لمجرد اتهامه بأنه ضرب مثلا للنضال النسوي ضد الاستعمار بقيام جان دارك الفرنسية بتحرير بلادها من ربقة المغير الأجنبي.

وللمترجم ولوع وشغف بالطرب الأندلسي وقد أخذ نوباته الإحدى عشرة عن الفقيه المطرب الشهير سيدي محمد بن عبد السلام البريهي الفاسي وكان في شبابه من هواة الشطرنج يساهم في ألعابه بالرباط وفاس والدار البيضاء حتى مهرميه.

مصنفاته :

1) ثلاث رسائل الأولى "الفارق بين المصنف والسارق" والثانية "المنهاج المستقيم في الاعتصام بحبل الله العظيم" والثالثة "الحجة الواضحة البرهان في أن العارف التجاني لمن يفضل صلاة الفاتح على القرآن".

طبعت هذه الرسائل عام 1345 بالمطبعة الأهلية لصاحبها مصطفى بنعبد الله بالرباط.

2) "القوانين المختارة للمار بالميقات مقدما الزيارة" (المطبعة الوطنية لصاحبها عباس التناني والعربي القباج سيدي الفاسي بالرباط).

3) "القول الحميد في تعظيم القرآن المجيد" (طبع عام 1350 بالمطبعة الوطنية بالرباط).

4) "الإقناع بالدفاع" (طبع عام 1377 بالمطبعة الوطنية بشارع القناصل بالرباط).

5) "إعلام المسلمين بالحجة والبرهان لنقض ما في كلام الزمزمي ابن الصديق من الزور والبهتان" (طبع بمطبعة فضالة بالمحمدية).

تلاميذه :

أخذ عنه كثير من الطلبة من جملتهم العلامة الشيخ محمد المكي الناصري والفقيه محمد الحسناوي والقاضي محمد حكم والفقيه محمد العويتة. وكانت دروسه ملتقى لنجباء الطلبة من مختلف المستويات لما امتازت به مجالسه العلمية من مظاهر المشاركة والتبحر مع تواضع وزهد.

توفي يوم الأحد رابع عشر رمضان عام 1411 / موافق 31 مارس 1991 ودفن بمقبرة صندل أمام روضة الشهداء بالرباط. وبوفاته فقدت عاصمة الرباط علماً من أعلامها البارزين وعالما ممتازاً وداعية لا يخاف لومة لائم ومرشداً سلفياً صوفياً.

ابن **عبد الله، محمد** من مواليد 1940 بإقليم خريبگة شارك في الانتفاضة الشعبية التاريخية التي عرفتها مدينة وادي زم يوم 20 غشت 1955 والتي خرج فيها المواطنون إلى الشارع للتنديد بالسياسة الاستعمارية والمطالبة باستقلال البلاد .

وقد كان الشهيد من بين هؤلاء المواطنين حيث استشهد على إثر تدخل قوات الاحتلال الفرنسي بقوة السلاح لإخماد الانتفاضة وذلك بتاريخ 21 غشت 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 512723.

ابن **عبد الله، محمد** بن **أحمد** بن الحاج محمد بن علي الرباطي. ولد برباط الفتح أواخر عام 1313 أو 1314 / 95. 1896. وبعد ما استظهر القرآن الكريم والمتون في مكاتب محمد سباطة ومحمد بن عبد الله النصيري ومحمد التادلي، بدأ دراسته الثانوية والعالية على أساتذة كبار من علماء الرباط على رأسهم العلامة المحدث الحافظ محمد المدني ابن الحسني والعلامة محمد بن عبد السلام السائح وشيخ الجماعة العلامة المحدث المقرئ أبي شعيب الدكالي والعالم المحقق وزير العدل، وقاضي الرباط محمد بن عبد السلام الرندي.

وقد حضر دروس محدثين وفقهاء جهابذة كانوا منارا للمعارف في حضرة الرباط منهم :

- العلامة النوازلي قاضي الرباط سيدي عبد السلام بن عمر ابن إبراهيم.
- العلامة سيدي محمد (فتحا) بن عبد الله ملين وزير الأوقاف.
- العلامة الشريف سيدي محمد ابن العياشي.
- الفقيه سيدي محمد التادلي.
- العلامة الأديب سيدي التهامي بن المعطي الغربي.
- العلامة الفهامة الشاعر سيدي أحمد بن قاسم جسوس.
- المحدث الأصولي سيدي أحمد بن المامون البلغيثي.
- الأصولي النوازلي السيد أحمد بن الفقيه الجريري السلاوي.

وأخذ بالمشرق عن شيوخ أفذاذ منهم :

الشيخ محمد بدر الدين الحسني المغربي الأصل شيخ دار الحديث الأشرفية بدمشق (عام 1358).

العلامة شمس الدين محمد بخيت المطيعي حافظ المذهب الحنفي وشيخ الإفتاء بالرباط المصرية.

- العلامة شمس الدين محمد السمالوطي المالكي.
- العلامة الشيخ محمد حسنين بن مخلوف العدوي.

وبعد هذه السلسلة من الدراسات على مشيخة من كبار العلماء انبرى الأستاذ محمد بنعبد الله بما أوتيه من دراية وحنكة ليلقي دروسا في بعض جوامع ومساجد الرباط النحو الحديث والتفسير ومدرسا بمدرسة محمد (فتحا) جسوس بالرباط المعروفة بمدرسة بلافريج. وقد عين بعد ذلك عضواً بمحكمة الاستيناف الشرعي بالعاصمة ثم استقال من منصبه بعد نفي أمير المومنين محمد الخامس ونصب بعد عودة الملك إلى عرشه قاضياً بالعاصمة الإدارية خلال عامين نصب إثرهما رئيس لمحكمة الاستيناف بالرباط ثم عضواً مستشاراً بالمجلس الأعلى للنقض والإبرام إلى أن وافاه الأجل المحتوم خلال حجة عام 1383 حيث دفن بروضة المصلى يوم 22 ذي القعدة.

كان وطنيا غيوراً لا تأخذه في دينه لومة لائم سار على نهج زملائه الأفذاذ من رجال الفكر والمعرفة يصل المشرق بالمغرب ضمن ما حصل عليه من إجازات علمية من شتى جهابذة شقّي العروبة والإسلام. وقد برز اضطلاعه العلمي فيما صنفه من كتب مازال بعضها مخطوطاً مثل "البيان المعرب عن رحلتي إلى الحرمين من المغرب" ورحلتين أخريين عن حجتيه الثالثة والرابعة و"الصارم المسلول على مخالف سنن الرسول" و"نيل السرور والمرح بشرح قصيدة أبي فرح" و"إتحاف ذوي الفضل والظرف بما للنحاة في أبي هريرة من ترك الصرف"، وتقاييد أخرى في التفسير والحديث والأحكام والفقه والنحو.

ولم يطبع من كتبه سوى "الدر المنظم في جواب صاحب القول المحتم" و"نيل الأرب من مسح الجورب".

عبد العزيز بنعبد الله

ابن **عبد الله، محمد** بن **أحمد الرباطي** ، ولد بالرباط سنة 1313 أو 1314 ولما بلغ سن التمييز أدخله والده كتاب الفقيه محمد سباطة، وبعد وفاة والده أدخله عمه الحاج العربي ابن عبد الله أحد الوصيين عليه من قبل والده إلى مكتب الفقيه محمد بن عبد الله النصيري وأقام فيه زمنا غير يسير، ثم نقله إلى مكتب الفقيه محمد التادلي. وبعد توديع الكتاب القرآني صرف وجهته لدراسة العلوم والمعارف على يد نخبة من شيوخ الرباط منهم كما جاء في ترجمته التي حررها بطلب من الفقيه محمد بن الفاطمي السلمي الشهير بابن الحاج الآتية أسماؤهم :

العلاّمة محمد المدني بن الحسني وقد قرأ عليه زمناً طويلاً.

العلاّمة عبد السلام السايح الذي وصفه بأن له اليد الطولى في تقرير القواعد الأصولية وإدراج الجزئيات تحت كلياتها.

الشيخ أبو شعيب الدكالي.

الفقيه النوازلي محمد بن عبد السلام الرندة.

الشيخ النوازلي قاضي الرباط عبد السلام بن عمر بن إبراهيم الرباطي.

العالم النحوي مَحمد بن عبد الله ملين وزير الأوقاف الأسبق.

الفقيه العدل قاسم بن عبد الله الحاجي.

الشيخ محمد ابن العياشي مقدم الزاوية التجانية.

الفقيه محمد التادلي الذي كان له شغف كبير بقراءة الجرائد التي تصدر في بلاد الشرق العربي.

العلامة النحوي الأديب التهامي بن المعطي الغربي.

الشيخ أحمد بن قاسم جسوس.

الشيخ الفقيه أحمد بن المامون البلغيثي.

الشيخ الفقيه عبد الرحمان بن القرشي الإمامي وقد حضر دروسه بالقرويين.

العلامة أحمد الجريري السلاوي وقد حضر دروسه بضريح سيدي أحمد حجي بسلا.

الشيخ المحدث محمد بدر الدين الحسني المغربي الأصل شيخ دار الحديث الأشرفية بدمشق وقد حضر دروسه بالمسجد الأموي في محرم 1352.

العلامة شمس الدين بخيث المطيعي حافظ المذهب الحنفي في وقته وشيخ إفتاء الديار المصرية ورئيس المجلس الشرعي بمحكمة مصر الكبرى سابقا.

العلامة شمس الدين محمد السالوطي المالكي.

العلامة الشيخ محمد حسنين بن مخلوف العدوي.

ويذكر محمد بن عبد الله في ترجمته أنه اتصل بعدد آخر من العلماء واستفاد من مذاكراتهم كالشيخ المكي البطاوري والعلامتين مولاي عبد الرحمان الشفشاوني ومولاي المهدي العلوي الذين استفاد منهم كثيراً عندما كان عضواً في المجلس الشرعي.

للفقيه ابن عبد الله إجازات كتابية وأخرى شفاهية، فقد أجازه كتابة الفقيه عبد القادر بن محمد حواري المدني من ذرية الزبير من العوام - على حد قول المتجر - وذلك في 17 جمادى الثانية 1349، ثم أجازه ثانيا بجميع ما أجازه به شيخه محدث المدينة المنورة الشيخ محمد علي بن ظاهر الوتري من الفنون وكتب الحديث المذكورة في إثبات مشايخه ومشايخهم في 19 ربيع النبوي 1350. وأجازه كتابة أيضاً الشيخ محمد بدر الدين الحسني بجميع ما يرويه عن شيوخه. وأجازه مشافهة الشيخ محمد بن العربي العزوزي الفاسي أمين سر الفتوى بالجمهورية اللبنانية ورئيس العلماء والمجلس الإداري للأوقاف الإسلامية ببيروت بجميع ما يرويه عن شيوخه الذين منهم العلامة محمد بن جعفر الكتاني وذلك في شوال 1378.

وبعد أن نهل من علوم هؤلاء الأساتذة صار يقوم بإلقاء دروس تطوعية بالجامع الأعظم وجامع عطية بالرباط، في النحو بألفية ابن مالك وفي التفسير والحديث بكتاب الموطأ، وكتاب بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام للحافظ ابن حجر العقسلاني.

تقلب ابن عبد الله في عدة وظائف فعمل مدرسا بمدرسة مَحمد جسوس الحرة بالرباط المعروفة بمدرسة بلافريج، ثم اشتغل عضواً بمحكمة الاستيناف الشرعي بالعاصمة ثم استقال من هذا الوظيف فأقيل، وذلك في الظروف العصيبة التي عاشها المغرب عقب نفي الملك محمد الخامس. وبعد رجوع عاهل البلاد نصب قاضياً شرعياً بالعاصمة، وبقي في هذا المنصب قرابة السنتين. إلى أن عين رئيس محكمة الاستيناف بالعاصمة ثم عضواً مستشاراً بالمجلس الأعلى للنقض والإبرام إلى أن وافاه الأجل.

كان متشبعا بالروح الوطنية ولكنه كان يكره الانخراط في حزب من الأحزاب بل يحمل عليها حملة شعواء فقد كان مقتنعا بسريان الشحناء والبغضاء داخلها مما كان يرى فيه انفصام عرى الأخوة والاتحاد.

ارتحل إلى الديار المقدسة عدة مرات فحج وزار. وفي سنة 1379 كان عضواً في الوفد الرسمي المغربي المرشح للحج، وعاود الحج عدة مرات.

خلف الفقيه ابن عبد الله أثراً فكرياً منه ما نشر ومنه ما بقي مخطوطاً. أما المخطوط فهو : البيان المعرب عن رحلتي الحرمين من المغرب، رحلة جمعها في حجته الثالثة، وأخرى في حجته الرابعة. الصارم المسلول على مخالف سنن الرسول. في الرد على من استحسن بدعة الذكر جهراً في تشييع الجنازة. نيل السرور والفرح بشرح قصيدة أبي فرح. اتحاد ذوي الفضل والظرف بما للنحاة في أبي هريرة من ترك الصرف. تقييد في انتقاد رسالة إبرام النقض لما قيل من أرجحية القبض. رسالة مختصرة في العقائد. رفع العتب والملام عمن قال قد قيل بالضحية عنه عليه السلام. تقييد صغير عنوانه بثة مكظوم ونفاثة مصدور على ما آلت إليه

الخطابة بالمغرب. تقييد آخر اشتمل على فوائد تتعلق بحديث النبي صلى الله عليه وسلم وبموطأ الإمام مالك. تقييد صغير في مناسك الحج. آخر في بعض أحكام ألفاظ الشهور العربية. البدر الذي لا يحجبه سحاب في أن ترجيح السنة على رأي الرجال أجدر بالصواب. تقييد أملاه عند ختمه ألفية ابن مالك. تعليق على شرح شيخ شيوخنا سيدي المكي البطاوري على نظم البيقونية في اصطلاح الحديث. تفسير سورة القدر ألقاه بالمسجد الكبير في أواخر رمضان 1380. شرح لحديث إنما الأعمال بالنيات أسماه : مبلغ الأمنية من حديث الأعمال بالنية. تعليق على نور العيون في تلخيص سيرة الأمين المامون، للحافظ أبي الفتح محمد بن سيد الناس. شرح عقيدة رسالة ابن أبي زيد القيرواني. شرح على رجز في تصريف الأعمال لشيخه المدني ابن الحسني. تقييد مضمن مباحث جعلت مقدمة لدروس *الموطأ* التي أقرأها بالجامع الأعظم. آخر الكلام على الحافظ والمحدث والحجة والحاكم والمسند (بكسر النون) والمسندي (بفتحها) وأمير المؤمنين في الحديث. تعاليق على بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام للحافظ ابن حجر حررها حين إقرائه له بجامع عطية. أخرى على كتاب التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح للحسين بن المبارك الزبيدي. أما ما نشر من تآليفه فهو : الدر المنظم في جواب صاحب القول المحتم. نيل الأرب من مسح الجورب.

توفي بمكة وهو محرم بمارس شعائر الحج في حجته الخامسة يوم الاثنين 22 ذي القعدة 1383 ودفن هناك بروضة المصلى.

م. بن الفاطمي السلمي الشهير بابن الحاج، *إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين*، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1992.

عبد الإله الفاسي

عبد الله بن محمد الشيخ المأمون، أمير سعدي. شارك في الأحداث التي عاشها المغرب عقب وفاة السلطان أحمد المنصور الذهبي سنة 1012 / 1603، حين بايعت مدينة فاس زيدان بن أحمد المنصور، وبايعت مراكش أخاه أبا فارس، بينما كان الابن الثالث، محمد الشيخ المأمون، سجينا في مكناس، ثم سلمه أحد القواد إلى أبي فارس الذي اعتقله في مراكش. وقد تم الاتفاق بين أبي فارس والمأمون على محاربة أخيهما المبايع في فاس، وترك المأمون ولده عبد الله رهينة عند أخيه أبي فارس في مراكش. غير أن عبد الله استغل جو الاضطراب الناتج عن ظهور الوباء بمراكش وخروج أبي فارس إلى ظاهرها، ففر مع بعض خدامه إلى فاس.

ومنذئذ أخذ عبد الله يقود جيوش والده في كل المعارك الناشبة بين الإخوة المتنازعين. فقد تمكن من الانتصار على زيدان بتاريخ 9 شعبان 1015 (10 دجنبر 1606) ودخل مراكش. وأخرجه عمه منها شهرين بعد ذلك. وفي آخر هذه السنة تمكن عبد الله من استرجاع مدينة مراكش، لمدة قصيرة قبل أن يخرجه منها زيدان مرة ثانية. وفي 20 دجنبر 1607 (12 رمضان 1017) اتجه عبد الله نحو مراكش لمحاربة عمه زيدان، وهزمه فعلا، ودخل مراكش، وبسط نفوذه على دكالة وحاحا بعد ذلك، تحالف زيدان وأبو فارس وتمكنا من التغلب على جيش يقوده عبد الله قرب أبي رقراق. ففر محمد الشيخ المأمون نحو العرائش، مستعداً للتنازل عنها للإسبان، بينما اتجه عبد الله وأبو فارس إلى شرق المغرب.

تمكن عبد الله وأبو فارس من جمع قوات جديدة واتجهوا نحو فاس، حيث اعترضهم قائد من قواد زيدان. تم الاتفاق بين عبد الله وأبي فارس على أن يملك الثاني مملكة مراكش مدى حياته على أن يوصي بخلافته لعبد الله. وفي هذه الأثناء وجدت قبائل شراكة في عبد الله من يقود عمليات النهب التي كانت تقوم بها في نواحي فاس، وتمكن عبد الله بهذه القوات الجديدة من دخول فاس، ثم تخلص من عمه أبي فارس بالقتل، ونجح في التغلب على الجيش الذي بعثه زيدان لمحاربته، وبعث مبعوثا إلى سوس يطلب من زعمائها عدم إيواء زيدان بعد انهزامه. إلا أن هذه المحاولة لم تفلح ولم يتمكن المبعوث من الوصول إلى سوس.

نتج عن تسليم محمد الشيخ المأمون مدينة العرائش للإسبان رد فعل قوي، كان من بين مظاهره اتفاق أشياخ الفحص على التخلص من هذا الأمير، خصوصا بعد أن ظهرت مفاسده واشتهرت عيوبه، فقتله المقدم أبو الليف (5 رجب سنة 1022 / 21 غشت 1613) فبويع إبنه عبد الله في فاس. وقد حاول عبد الله أن يقيم سلطة قوية، فلم يجد أحسن مما فعله والده، حيث بعث رسالة إلى ملك إسبانيا بتاريخ 3 شعبان 1023 / 8 شتنبر 1614 يؤكد فيها ما كان بين والده محمد الشيخ المأمون والإسبان من عقود وصلح كما بعث إلى إسبانيا سفارة على رأسها منصور بن يحيى وعبد الرحمن الشاوي. ولم تسفر هذه الاتصالات عن أية نتيجة. وساءت أوضاع عبد الله، خصوصاً بعد أن قتل أخاه إدريس خنقا بيده. فثارت عليه مدينة فاس، وعين أهلها أربعة من أعيانهم لتسيير الشؤون، ووضعوا عبد الله في إقامة جبرية في بيته وعينوا له راتبا. وقد تمكن بعد ذلك من مغادرة فاس وحاول تجميع جيش، وصل إلى سلا قاصداً مراكش، لكن جيشه انفض عنه بمجرد أن تسلم راتبه.

كانت فاس تعيش دون سلطان بعد أن رفض أهلها عودة عبد الله. وقد قل مال عبد الله إلى درجة أنه لم يجد ما يؤدي به راتب خدمه، فأعطاهم بعض قطع المدفعية، صهروها وباعوا معدنها للحدادين. وهكذا صار هذا الأمير أقرب إلى رئيس عصابة منه إلى سلطان، وحاول عدة مرات دخول فاس، دون نتيجة. وظهر في نفس الوقت أخوه المدعو محمد واصطدما سنة 1028 / 1618 . 19 عند وادي الطين في منطقة الغرب، وانهزم عبد الله.

توفي عبد الله بن محمد الشيخ المأمون سنة 1033 / 1623.

م. الصغير الإفراني، *نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي* ؛ م. القادري، *نشر المثاني لأهل الحادي عشر والثاني*.

عبد الواحد أكمير

ابن **عبد الله، محمد** بن **محمد** بن المكي الفاسي، يكتب أيضاً "بنعبد الله" من رواد التعليم العربي الحر بفاس. ولد بمدينة فاس في وسط عائلي موسر وتلقى دراسته العالية بجامعة القرويين وتخرج منها بحمل شهادة "العالمية".

عرف بالفقيه ابن عبد الله ولد بفاس عام 1327 وبها نشأ ودرس في جامع القرويين على أشهر شيوخ عصره، وفي مقدمتهم شيخ الجماعة أحمد بن الجيلالي الأمغاري والداعية السلفي محمد بن العربي العلوي. وبعد حصوله على شهادة العالمية من القسم الديني سنة 1352 أخذ يلقي دروساً تطوعية بالقرويين ومدرسة العدوة الحرة.

انضم إلى كتلة العمل الوطني التي انقسمت إلى الحزب الوطني وعلى رأسه علال الفاسي والحركة القومية التي تزعمها محمد بن الحسن الوزاني وعمل مع أعضاء الكتلة مع الأستاذين علال الفاسي ومحمد بن الحسن الوزاني قبل أن يتفرقا.

ارتأى الأستاذ محمد بنعبد الله أن خير وسيلة لخدمة وطنه تكمن في محاربة الجهل ونشر المعرفة وسط شعب كان المستعمر يبذل قصارى جهوده للقضاء على الثقافة المغربية الإسلامية. فبدأ عمله بفتح مدرسة حرة بمسجد كان يقوم بحومة العدوة ويطلق عليه اسم المدرسة الخضراء.

وكان من أول تلامذته أحمد بنسودة وعبد الهادي بوطالب وعبد الوهاب بنمنصور وعبد القادر بنشقرون وأخوه محمد بنشقرون وحماد العراقي وأخوه عبد الواحد العراقي ومحمد العمراوي. ولما كثر الإقبال على هذه المدرسة اضطر الفقيه ابن عبد الله إلى كراء دار برأس الزاوية بحي العدوة لينتقل إليها التلاميذ ولتسير الدراسة فيها بتجهيزات ملائمة.

وما أن ضاقت الدار بالتلاميذ حتى فكر في بناء مدرسة عصرية بمساعدة خمسة عشر مواطنا فخرجت إلى الوجود مدرسة ابن غازي بالباب الحمراء.

وبمجرد ما بدأ يعمل في البناية الجديدة ألقي عليه القبض من قبل السلطات الاستعمارية ونفته إلى الصحراء حيث أذاقته من أنواع العذاب مع ثلة من الوطنيين ما يجسد قساوة الاستعمار وبغضه للأطر الوطنية. وقد كان من المعذبين الفقيه محمد القري الذي وافته المنية ومات شهيد الطغيان والجبروت.

ولقد عذب الفقيه بنعبد الله أشد ما يكون العذاب ليخبر المستعمر بأسماء المشاركين في تمويل بناء المدرسة. ولكنه صمد صمود الأبطال ولم يبح بأي اسم عن الذين ساهموا في بناء المدرسة ولقد صرح الفقيه بنعبد الله لأصحابه أنه لما نقل من الصحراء إلى سجن علي ومومن اعتبر كأنه خرج من الجحيم إلى الجنة. وبمجرد أن أطلق سراحه عاد إلى مدرسة ابن غازي ليواصل جهوده في تعليم النشء وتربيته على حب الوطن وبغض الاستعمار.

وما أن نادى المغفور له محمد الخامس بتعليم الفتاة حتى سار الفقيه إلى فتح مدرسة خاصة بالبنات فتفضل محرر الوطن طيب الله ثراه بأن عهد إلى بنته صاحبة السمو الملكي للاعائشة بتدشين هذه المدرسة فألقت خطابا دونت فيه عبارتها المشهورة حيث صرحت بقولها : "فاس والكل في فاس" الأمر الذي ملأ قلوب سكان مدينة العلم والعرفان عزا وسرورا. ومما زاد هذا الحفل بهجة ورونقا مفاجأة الحضور بإقبال سمو ولي العهد آنذاك مولاي الحسن يشارك في هذا الحفل فغمر الحاضرين حماس منقطع النظير.

ولقد واصل الفقيه بنعبد الله عمله في خدمة التربية والتعليم وخدمة الصالح العام إلى أن لقي ربه.

ونظراً لما كان يمتاز به من حصافة في الرأي ويتحلى به من إخلاص في العمل حظي بعطف وتقدير محرر البلاد جلالة المغفور له محمد الخامس الذي كان يستدعيه من حين لآخر ويستشيره في بعض القضايا وهذا ما جعل الفقيه بنعبد الله يزور القصر الملكي في أي وقت شاء.

ولم يكن يكتفي بدور التسيير الإداري بل كان يتكلف بحصص التدريس بالأقسام العليا بمدرسته. وكان أسلوبه في التدريس منتجا وفعالا فقد وهبه الله موهبة خاصة في إجراء الدروس مستعملا طرقا تدريسية مفيدة وفعالة دون أن يسبق له المرور بمراكز التكوين أو الاستفادة من أي دراسة في المدارس العليا للأساتذة.

وكان بعض الحاقدين ينتقدون استغلاله لمداخيل المدرسة لينعم بعيشة الرفاهية ولكن الواقع والحقيقة أنه رغم قيامه بدوره في تسيير المدرسة وإعطاء الدروس كان يهتم بالبناء ويستغل مدخول مبيعات ما بنى لينفق على عائلته.

لقد قضى حياته مجاهدا في سبيل الله ومربيا من المستوى الرفيع لبني وطنه ولئن ساهم في بناء مسجد تونس في شارع الشفشاوني بفاس فإنه كان يقضي بهذا المسجد ومسجد القرويين أوقاتا غير يسيرة في الوعظ والإرشاد تطوعاً وحرصاً منه على أن يقوم بتوعية المواطنين بمبادئ الدين الحنيف وبدعوتهم إلى التمسك بأخلاق الإسلام الحميدة.

ولم تمنعه مهامه من أن يرأس لجنة القدس بفاس وأن يحث باستمرار على مد الإخوان الفلسطينيين بكل المساعدات الممكنة الأمر الذي أدى إلى قيام ممثل المقاومة الفلسطينية بأن يشيد بجليل أعمال الفقيه يوم وافته المنية.

وفي حفل تأبينه رحمه الله أشاد ثلة من الشخصيات البارزة وممثلي الأحزاب بخصال الفقيه المحمودة وبتضحياته في خدمة الصالح العام وعلى رأسهم عبد الهادي بوطالب والدكتور عز الدين العراقي.

توفي يوم 12 أبريل 1982.

معلومات شفوية عائلية : م. ابن الحاج السلمي، *إسعاف الإخوان الراغبين*، الدار البيضاء، 1992، ص. 220 . 223.

محمد حجي

عبد الله (مولاي -) الأمير بن الملك محمّد بن يوسف، ولد بالرّباط في العاشر من شهر ربيع الأوّل عام 1355 موافق 31 ماي 1935.

امتزجت حياته القصيرة بفترة مؤسّسة في تاريخ المغرب حاول من موقعه كابن لمحمد الخامس وشابّ ذي قدرات أن يؤثّر فيها.

فقد عاش صباه وطفولته في مغرب الحماية وتلقى تعليمه الابتدائي والثانوي في المدرسة المولوية بالقصر الملكي. وهي مدرسة أسّسها الملك محمّد الخامس ليعطي فيها لأبنائه تعليما عصريا يجمع بين كل العناصر التي كوّنت الفكر الحديث من ثقافة إسلامية كالفقه والقرآن والأدب العربي والفلسفة واللّغات الأجنبية، والرّياضيات والمستجدّات الفكرية والعلمية الغربية، مع صيانة هذه المدرسة من تأثيرات المدرسة الفرنسية الاستعمارية في المغرب .. وقد اختار لهذه الغاية أساتذة لم يراع في انتقائهم لا العرق ولا الدين بل فقط الكفاءة العلمية. ومنهم العلامة الحسين بن البشير والعلامة الوزير المدني بن الحسني، والعلامة عبد السلام الفاسي، وزير التعليم في ذلك الوقت، والمؤرّخ الأديب محمّد الفاسي، والأديب محمّد باحنيني، والأديب محمّد بن عبد النّبي، والمقرئ عبد الرّحمان بنموسى. والأستاذ عبد الهادي بوطالب، والأستاذ عبد الرحمان الفاسي، والفقيه خليل الورزازي، والفقيه البرنوصي. وكذلك عدد من الأساتذة الفرنسيين المرموقين كـ Le Bel وHainau وSalfranque وRevel وPariot وGoteland.

كما حرص الملك محمّد الخامس على أن لا تكون هذه المدرسة في عزلة عن المجتمع المغربي. وهكذا درس إلى جانب الأمير مولاي عبد الله ثلّة من أبناء الشعب ينتمون إلى جميع الطبقات الاجتماعية اختيروا من بين نجباء مختلف المدارس المغربية بما فيها المدارس الحرّة التي أسّستها الحركة الوطنية.

وبعد إغلاق المدرسة المولوية في الفترة التي نفي فيها الملك وعائلته، تابع مولاي عبد الله دراسته في منفاه، ثمّ بعد عودته من المنفى في نوفمبر 1955 التحق بمدرسة ليروش L'Ecole des Roches بضاحية باريس حيث حصّل على شهادة الباكالوريا الأولى ثمّ بثانوية Louis Le Grand لتهييئ الباكالوريا الثانية، ولكنّه رجع للمغرب أثناء السنة الدّراسية بسبب الأزمة التي حصلت في العلاقات الفرنسية المغربية بعد اختطاف الطائرة التي كانت تقل زعماء الثورة الجزائرية. واجتاز مولاي عبد الله الامتحان في الرّباط، وكان المهدي بنبركة أستاذه في الرّياضيات في تلك الحقبة. ثمّ تابع دراسته الجامعية في كلّية الحقوق بنفس المدينة، وبعدها في كلية الحقوق بلوزان Lausanne.

ونظرا لاطلاعه على تاريخ المغرب فإنه كان يعرف أهمّية البحر في سيرورته وأنّه شكّل مصدر قوّة سياسية واقتصادية وعسكرية في الفترات التي كانت الدّولة تتحكّم في مياهها، في حين صار البحر مصدراً للخطر الاستعماري والاحتلال سواء في فترة المدّ الإيبيري، أو الاحتلال الفرنسي، عندما لم يعد يتحكّم في سواحله بسبب تقهقره التكنولوجي واضمحلال بحريته. لهذا اهتمّ بدراسة قانون البحار وأعدّ رسالة الدكتوراه في جامعة Aix-en-Provence في موضوع "سيادة الدّولة وحدودها في المياه الإقليمية في إطار القانون الدّولي".

دخل الأمير مولاي عبد الله الحياة السياسية المغربية من بابها الكبير. فقد عاش المعركة الحاسمة بين عهد الاستعمار وعهد الاستقلال والتي تمثّلت في اختبار القوة بين القصر والإقامة العامّة وانتهت بنفي الملك محمّد الخامس وأسرته في غشت سنة 1953 إلى كورسيكا ثمّ إلى دغشقر في يناير 1954 وبرجوع العائلة الملكية في 1955 وباستقلال المغرب في مارس سنة 1956. وفي هذه المرحلة أبان رغم يفاعة سنّه عن حسّ وطني وسياسي وعن تمسّكه بقيم عليا لم يحد عنها رغم الإغراءات والتهديدات الاستعمارية والتقلّبات السياسيّة. ويسجّل له التاريخ أنّه رفض بنخوة ووفاء وبعد نظر، اقتراح فرنسا على محمّد الخامس في 16 أكتوبر سنة 1954 بواسطة الدكتور Dubois-Roquebert بأن يتنازل لابنه الأصغر عن العرش لحلّ الأزمة التي خلقها الاستعمار بعد نفي الملك وأسرته، ورفض المغاربة لمحمّد بنعرفة وثورتهم عليه، وتصاعد المقاومة المسلّحة. وكانت فرنسا ترى في ذلك وسيلة للخروج من المأزق الذي وضعتها فيه الإقامة العامّة وحلاً وسطا بين تعنّت هذه الأخيرة وتمسّكها بضرورة تنازل محمّد الخامس عن العرش، وتمسّك هذا الأخير بالشرعية والنضالية. كما كانت تعتبر اقتراح "ملك ثالث" كفيلا في نفس الوقت بإعادة الاستقرار للبلاد والحفاظ على العرش.

ومنذ وفاة الملك محمّد الخامس في فبراير سنة 1961 وتولّي أخيه الأكبر مولاي الحسن بحكم مقتضيات الدّستور، عرش المغرب، قام الأمير مولاي عبد الله بدور الجنديّ

المجهول. إذ حرص وسط تغيّرات المعطيات السياسية والفكرية والاقتصادية، وتضارب المصالح، على المحافظة على العلاقة التي رسّخها محمّد الخامس بين العرش والشّعب فقد كان بوّابة القصر على هموم الشعب وبوّابة الشّعب على القصر. وساعده على ذلك طبيعته المتفتحة وكرمه واحترامه حقّ الاختلاف وقدرته على الإصغاء واعتناؤه بكلّ من يلجأ إليه. كما ساعده على ذلك شخصية رفيقة حياته وبعد نظرها واتساع ثقافتها السياسية، ممّا جعل من بيته ملتقى لجميع المشارب السياسية والثقافية والاجتماعية ومختبرا للتّيّارات التي تتجاذب البلاد. وقد قام مولاي عبد اللّه بهذا الدّور إلى وفاته مع ما كان يحمله ذلك من صراع بين شخصيتين قويتين تربّتا معا في حضن ملك يتمتّعان معا بإشعاعه ومرجعيته. ولكن الالتزام بالمصلحة العليا للبلاد كان يشكّل الصخرة التي تكسّرت عليها كلّ الخلافات ممّا حال دون إحداث شرخ في هذه العلاقة. فقد بقي الأمير مولاي عبد اللّه عضدا قويا لشقيقه الملك الحسن الثاني، وشاركه كلّ المحن التي عصفت بالمغرب. إذ كان أوّل من جرح في محاولة انقلاب 10 يوليوز 1971 في القصر الملكي بالصخيرات. كما كان من بين ركاب الطائرة العائدة بالملك من فرنسا للمغرب في 16 غشت سنة 1972 حينما حاولت إسقاطها عناصر من الجيش كانت تتمتّع بثقة العاهل المغربي رغم تحذيرات شقيقه كما تعرّض بيته للقصف في نفس اليوم.

وإلى جانب دوره السياسي الدّاخلي، قام بدور سياسي خارجي ساعد على الحفاظ على الاستقرار في المنطقة وبناء علاقات جهوية ودولية متينة لعبت فيها شخصيته المتفتحة ودماثة خلقه وحسّه السياسي المرهف دوراً مهمّا. فقد ترأس أوّل وفد زار الجزائر بعد الاستقلال. وأبرم البلدان خلال هذه الزيارة مجموعة من الاتفاقيات السياسية والاقتصادية والثقافية كانت رصيدا لما تبعها من امتداد في علاقات المغرب مع باقي دول المغرب الكبير. كما ترأس وفد المغرب للقمّة العربية التي انعقدت في الإسكندرية في شهر أغسطس سنة 1964 وفيها أقام علاقات صداقة شخصية لصالح المغرب مع الرّئيس جمال عبد النّاصر، ومع الملك فيصل، ومع ملك المملكة الأردنية الحسين وأخيه ووليّ عهده آنذاك الأمير الحسن. وقام أيضا بزيارة لإيران عام 1969 أقنع خلالها الشاه بإعادة النظر في علاقته مع إسرائيل، ممّا مهّد لمشاركته في أوّل قمّة إسلامية انعقدت في المغرب، بعدما كانت عدّة دول إسلامية تعترض على دعوة الشاه لحضور المؤتمر بسبب العلاقات الاقتصادية والتجارية التي كانت بلاده تقيمها مع إسرائيل .. وترأس كذلك الوفد المغربي في مؤتمر منظمة الوحدة الإفريقية في إثيوبيا. كما قام بزيارات رسمية لعدد من الدّول العربية والأسيوية، من بينها لبنان، والعراق، والباكستان، والصّين، واليابان، وأفغانستان، متنت العلاقات الثنائية ومهّدت لزيارة رؤسائها للمغرب. وقد جاء تعيينه ممثّلا شخصيا للملك الحسن الثاني سنة 1972 كاعتراف بقدراته الدّبلوماسية وبلورة للجهود التي قام بها على الصّعيد الدّاخلي والخارجي.

ثم كانت استقالته سنة 1974 من هذا المنصب دون أن تجعل حداً لهذا التألّق ولتؤكّد التزامه رحمه الله بما كان عليه من المبادئ.

وقد كان لا ستقرار حياة الأمير العائلية ولشخصية المرأة التي اختارها شريكة لحياته أثرهما الكبير في مسيرته السياسية الداخلية والخارجية، وفي صموده أمام عوامل الإحباط التي واجهها في طريقه.

ففي سنة 1960 تعرّف على لمياء الصلح التي كانت طالبة في السوربون Sorbonne وكان هذا اللّقاء تدخّلا من الأقدار للجمع بين ذرّية رجلين عظيمين ناضل أحدهما في المشرق، والآخر في المغرب من أجل قضية واحدة هي استقلال العالم الإسلامي. فقد قاد رياض الصلح ـ الزعيم اللبناني ـ معركة تحرير لبنان وكانت له كذلك مواقف قوية من أجل حرّية المغرب سواء في نطاق جامعة الدّول العربية أو على المستوى الدّولي. ولكنّ يد الإجرام اغتالته في مدينة عمان سنة 1952. وهكذا لم يتح له مشاهدة الملك محمّد الخامس بطل تحرير المغرب وهو يزور لبنان ويصحب معه شيخ الإسلام محمّد بن العربي العلوي ليتولّى بنفسه خطبة كريمته إلى ولده الأمير مولاي عبد اللّه. وإذا كانت الأقدار لم تتح لهما معا حضور حفل الزفاف الذي أقيم في القصر الملكي بالرّباط سنة 1961 والذي ربط المغرب بالمشرق، فقد عمل الزوجان على المحافظة على هذه الرابطة التي تجذّرت بميلاد الأمير مولاي هشام سنة 1964 والأميرة لالة زينب سنة 1972 والأمير مولاي إسماعيل سنة 1981. وبقيت الأميرة لمياء بعد وفاة رفيق عمرها مرتبطة عضويا وعاطفيا بالمغرب ولم تعد لمسقط رأسها حيث ذكريات طفولتها وصباها وعائلتها ذات المكانة العالية في لبنان، مفضّلة البقاء في البلد الذي قضت فيه شبابها، وتبنّته وتبنّاها، مسخّرة وقتها للعمل الاجتماعي وخصوصا لفائدة فئة من أكثر فئات المجتمع حرمانا، وهم المكفوفون.

توفّي الأمير مولاي عبد اللّه بالرّباط يوم الثلاثاء الخامس عشر من شهر ربيع الأوّل عام 1404 موافق 20 دسمبر 1983. وقد كان تشييع جنازته الذي حضرها عفويا ما يفوق مليون مغربي من مختلف نواحي البلاد ومن جميع الطبقات الاجتماعية، دليلا على أنّ الشعب المغربي كان يعترف بالدّور الذي قام به الأمير في الخفاء وفي نكران الذات لتحسين أحوال البلاد. كما أن جنازته كانت دليلا على نجاحه في إنقاذ الأواصر المتينة التي بناها محمّد الخامس مع شعبه، إذ كانت هذه الجنازة المؤثّرة مناسبة عبّر فيها الشعب من جديد عن ولائه وتعلّقه بالملكية.

مصادر شفوية.

Hassan II, *Le défi*, Albin Michel, Paris, 1977.

ثريّا برادة

عبد المالك بن **إسماعيل** بن الشريف، العلوي السلطان كنيته أبو مروان. تسمى أمه معزوزة من قبيلة بني مالك (*زهر الآكام*، ص. 222) يبدو أن نفوذها داخل البلاط كان محدوداً، إذا ما قيس بنفوذ كل من خناثة بنت بكار وعائشة الرحمانية. له أخوان شقيقان هما عبد الرحمان والحسين (*زهر الآكام*، ص. 209).

لا نعرف شيئاً عن طفولته، ولا عن مستواه العلمي. تذكره المصادر لأول مرة، في سياق الحديث عن توزيع السلطان المولى إسماعيل أعمال المغرب على أولاده الكهول سنة 1111 / 1700. فكان من نصيبه ولاية درعة التي نزل قصبتها (أغلان)، و "رتب معه ألف فارس" (*إتحاف*، 5 : 298). واستمرت ولايته عليها حوالي ثلاث سنين، إلى أن ثار عليه أخوه المولى أبو النصر الذي طرده عنها. ففر إلى ضريح مولاي إدريس بزرهون، مستجيراً به (*الاستقصا*، 7 : 90)، خوفا من والده الذي كان ينزل بمن يرتكب مثل تلك الفعلة أشد العقوبة.

وبالرغم عن أن المصادر تلزم الصمت عما جرى بين الابن المخلوع وبين والده، فالظاهر أن لجوءه إلى الضريح المذكور قد نتج عنه عفو السلطان. كما تلزم الصمت عن بقية أخباره إلى حين وفاة والده، سنة 1139 / 1727 ؛ حيث يطفو من جديد على السطح. ذلك أننا نجده واليا على جهة سوس، التي كان يديرها انطلاقا من تارودانت (*زهر الآكام*، ص. 214). وبالرغم عن أننا لا نعرف متى أسند إليه أمر تلك العمالة، فمن الممكن أنه قد وليها بعد القضاء على ثورة محمد العالم. ومن ثم، فإننا لا نستبعد أن المترجم كان يومئذ، لا يزال منتفضا بسوس، لأنه "بويع له قبل موت أبيه بتارودانت وسائر بلاد السوس وانقبضوا عن بيعة أخيه"، حسبما جاء عند القادري (*النشر*، 3 : 299). وهذا ما أكده الريفي حيث انفرد بالإشارة إلى أن أحمد الذهبي وجه أخاه المولى عليا لمحاربة عبد المالك الذي زحف إليه من تارودانت. فالتقى الجمعان بظاهرمراكش، حيث كانت الدائرة على جيش الأمير علي، الذي لاذ بالفرار. فاستولى أبو مروان على محلته ومضاربه وأثقاله، واحتل المدينة المذكورة (*زهر الآكام*، ص. 215). لكن أحمد الذهبي عاود أخاه بالحرب، فكانت المناجزة بين الطرفين على مشرع أحمي، انهزم فيها المترجم، واضطر إلى الرجوع إلى تارودانت. لكنه لم يستسلم، بل عاد لمحاربة أخيه مرة أخرى. فكانت المواجهة بينهما بموضع يدعى بولخراص، من بلاد الشياظمة. وعلى الرغم من أنها كانت مقتلة عظيمة ؛ فلم تنجل عن هزيمة أي منهما (م. س. ص. 216). ومن خلال ما تكرر في المصادر، يظهر أن المترجم كان مخالفا لجل إخوته، من حيث السلوك. ذلك أن كثيراً من الإخباريين يكن له التقدير والاحترام. فقد وصفوه بالحزم والنجدة، والضبط وحسن السيرة والسياسة. بل منهم من نعته بالنسك (م. س. ن).

لذلك لم يتردد العلماء عن مبايعته لما رأوا من استشراء الفساد في عهد أخيه السلطان أحمد الذهبي، ولأنه "كان أنسب حالا بالخلافة" منه (*أعلام المراكشي*، 8 : 376). وهكذا اتفق كبار جيش العبيد، الذين استبدوا بأمر الملك، حتى صاروا يتحكمون في التولية والعزل ؛ على خلع أحمد وبيعة عبد المالك. قيل إنهم فوضوا للعلماء والاوداية في أن ينظروا في ذلك الأمر. وفي ذات الوقت بعثوا برسلهم مع جريدة من الفرسان إلى المترجم، الذي هب لتلبية ندائهم. ولما سمعوا بوصوله إلى وادي بهت ركبوا لملاقاته احتفاء به، بعد أن اعتقلوا السلطان المخلوع بداره، وشددوا في حراسته (*البستان*، القسم الأول، ص. 227، *إتحاف*، 1 : 280). وكانت بيعته بفاس في 8 شعبان عام 1140 / 21 مارس 1728 ـ ونصها من إنشاء أبي مدين الفاسي ـ بينما تأخرت البيعة العامة، التي تمت بضريح مولاي إدريس بزرهون ستة أيام، بعد ذلك (*زهر الآكام*، ص. 221 و*البستان*، م. س. ص. 227 هامش 4 ؛ *إتحاف*، 5 : 306). وخطب به على المنابر أول مرة يوم الجمعة رابع عشر شعبان. وكان دخوله مدينة زرهون يوم تاسع رمضان. وهناك لحق به أعيان فاس والقبائل المجاورة. وفي اليوم الموالي دخل مكناس، حيث تلقاه وجوهها على اختلاف طبقاتهم، وقدموا إليه بيعتهم. وفي 23 رمضان ابتدأ قراءة *صحيح البخاري*. وبعد الانتهاء من مواسيم العيد، شرع في مباشرة دواليب المخزن (*إتحاف*، 1 : 280).

وبما أن عبد المالك كان يميل إلى الحزم، وكان سلوكه مخالفا تماما لسلوك سلفه، سيما في ميدان العطاء ؛ فقد خاب أمل العبيد فيه. تذكر المصادر أن العادة جرت بأن يقدم السلطان راتب البيعة. ولما طلب عبيد البخاري ذلك الراتب أعطاهم المترجم أربعة آلاف مثقال. وكان راتبهم في عهد السلطان إسماعيل مائة ألف. ولما بويع السلطان أحمد، زادهم فيه خمسين ألفا. "فلما رأوا من عبد المالك هذه المسخرة وهذا التقصير، تكلموا بخلعه" ؛ على حد تعبير الزياني (*البستان*، ص. 228). والحقيقة أنه حاول أن يتملص من شطط العبيد وجشعهم، فلم يزدهم في العطاء. كما أن الوضع السياسي، في البلاد عامة، لم يكن قابلا للرتق، بسبب ثقل إرث العهد المنصرم.

ولما علم العبيد بأن المترجم حاول استمالة البربر وغيرهم من القبائل، والتقرب منهم لكسر شوكتهم، قلبوا له ظهر المجن. وحين أستيقن من مكرهم، لم يواجههم مباشرة ؛ لأنه كان يعلم بعدم قدرته عليهم، بل بعث إليهم بنقيب زاوية وزان ليتوسط بينه وبينهم ؛ فما زادهم ذلك إلا نفورا واستعلاء. فانطلقوا من مشرع الرمل قاصدين دار الملك، فنهبوا وجاسوا خلال الديار، ونادوا في المدينة بعزله، ونصر أحمد الذهبي من جديد. وفي ذات الوقت بعثوا بالرسل للإتيان بهذا الأخير من تافيلالت. كان ذلك يوم الإثنين 24 من ذي الحجة 1140 (*معلمة المغرب*، الذهبي، ص. 4159).

ولما بلغ عبد المالك ما فعله العبيد لاذ بالفرار إلى مدينة

فاس، لأن أهلها ظلوا متمسكين ببيعته، باستثناء الاوداية الذين انشقوا عنه. وكان دخوله المدينة المذكورة يوم ثاني محرم عام 1141، حيث استوطن دار القيطون. وفي يوم السبت تاسع محرم ضرب عليهم أحمد حصارا دام حوالي خمسة أشهر ؛ ذاق السكان أثناءه كل ألوان العذاب، حتى كانت تلك الفترة من أحلك الفترات التي عاشها سكان مدينة فاس ؛ سيما حين اقترن الحصار بقطع الماء.

وأخيراً استجار عبد الملك بضريح مولاي إدريس، ظانا أن ذلك قد ينجيه. لكن رؤساء العبيد، بزعامة سالم الدكالي، أوهموه بعهود ومواثيق كاذبة، حتى اطمأن لقولهم وخرج معهم ؛ فسلموه لأخيه أحمد الذهبي الذي كامن في انتظاره بدار الملك بفاس الجديد. يوم الخميس الحادي والعشرين جمادى الأولى عام 1141 (*زهر الآكام*، م. س. ن، *إتحاف*، 1 : 292).

ولما اشتد المرض بأحمد الذهبي أمر أخويه، محمداً ولد اعريب وسليمان ولد الجامعية، وجماعة من العبيد أهل مشورته، بقتل المترجم، "ليلا من غير أن يشعر به أحد". فخنقوه ليلة الثلاثاء رجب، عام 1141 / 2 مارس 1729. ودفن بمقبرة الشيخ مَحمد بن عيسى.

الريفي، *زهر الآكام* ؛ القادري، *نشر الثاني*، 3 ؛ *التقاط الدرر* ؛ الضعيف، *تاريخ* ؛ الزياتي، *البستان* ؛ *الترجمان* ؛ *الروضة السليمانية* ؛ ابن الحاج، *الدر المنتخب*، 7 ؛ أكنسوس، *الجيش* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 7 ؛ المشرفي، *الحلل* ؛ ابن زيدان، *إتحاف*، ج 1 و3 *المنزع اللطيف* ؛ *العلائق السياسية* ؛ ع. بن إبراهيم، *الإعلام*، ج 2 و8، *معلمة*، الذهبي، 4154.

Braithwaite, *Histoire des révolutions* ; J. De Léon, *Vie de M. Ismail* ; Th. Pellow, *Relation* ; A.G.P. Martin, *Quatre siècles* ; M. Morsi, *Les Ahansala* ; G. Drague, *Esquisse*.

أحمد عمالك

عبد المالك بن **زيدان** بن أحمد المنصور السعدي، أبو مروان. تولى الملك من محرم 1037 / شتنبر ـ أكتوبر 1627 إلى 6 شعبان 1040 / 10 مارس 1631.

بويع بعد وفاة والده، وثار عليه أخواه الوليد وأحمد، فحاربهما وهزمهما، فالتجأ أحمد إلى فاس حيث بويع وضرب السكة باسمه، بينما استقل عبد المالك بمراكش وأحوازها. حاول ربط الصلة بأنكلترا فوجه إليها سنة 1628 سفارة على رأسها المقدم أحمد بوعلي. وفي السنة الموالية وفد عليه المبعوث الإنجليزي هاريسون يطلب منه التوسط عند أهل سلا لوقف الهجوم على السفن البريطانية، بعد أن احتدت العلاقة بين سلا وانكلترا بسبب رفض ملك ابريطانيا المصادقة على الهدنة المقترحة من سلا بحجة أنهم خارجون عن طاعة سلطانهم.

وفي سنة 1629 وصل إلى سلا المبعوث الفرنسي رازيلي Razilly ومنها بعث رسالة إلى عبد الملك يدعوه إلى تجديد ما هو معقود بين البلدين من صلح. ثم التحق بأسفي وتوصل من عبد المالك برسالة تؤمنه في الطريق، وكان هدف الزيارة الحصول على عدد من الأسرى الفرنسيين مقابل هدية تقدم للسلطان.

توفي عبد المالك بمراكش 6 شعبان عام 1040 / 10 مارس 1631.

م. الإفراني، *نزهة الحادي*، تح. ع. اللطيف الشاذلي، الدار البيضاء.

S.I.H.M., Biographie de Mouley Abd El Malek, Série Sâadienne, t. III, p. 377.

عبد اللطيف الشاذلي

عبد المالك بن **عبد السلام** بن سيدي محمد بن عبد الله، الملقب بالزيزون، كان والده مولاي عبد السلام الضرير عاملاً بتارودانت وسوس وخليفة لوالده سيدي محمد بهذه المنطقة. وبما أن والده كان ضريراً فقد أصبح عبد الملك الذي كان حسب الضعيف "شهماً فارساً شجاعاً" يزاول شؤون الحكم بحاضرة سوس ويربط علاقات وطيدة مع أعيانها. وبعد وفاة السلطان سيدي محمد في سنة 1790 أصبح عبد الملك الزيزون هو المتصرف الفعلي في شؤون بلاد سوس، خاصة عندما كان عمه مولاي اليزيد منشغلاً بتمهيد المناطق الشمالية. ولم يكن بوسع اليزيد في هذه الظروف إلا أن يقبل بالأمر الواقع ويقره على ما كان بيده من سلطة بناحية سوس، خاصة عندما ورد عليه بهدية هامة على رأس أعيان الناحية.

ولم يكن عبد الملك الزيزون المتصرف الوحيد في منطقة سوس. فقد أدت الاضطرابات التي كانت تعيشها البلاد في الشمال إلى تقلص ظل المخزن جنوب الأطلس وبروز تنافس قوي بين الزيزون وعمه عبد الرحمان للاستحواذ على المنطقة والاستفادة من تجارتها الصحراوية الهامة. وبعد حروب طويلة بينهما استطاع عبد الملك الزيزون أن يُبعد عبد الرحمان عن تارودانت وأگادير ويرغمه على الاستقرار بسوس الأقصى. ولما دخل المولى سليمان مدينة مراكش لأول مرة سنة 1797 وفد عليه عبد الملك الزيزون بهدية كبيرة من العبيد والإماء، فلما شاهد السلطان مظاهر الثروة التي كان يتصرف فيها الزيزون وانحياش أهل سوس إليه تخوف منه ومن أطماعه في الاستقلال فأمره بالتوجه إلى مدينة فاس والاستقرار بدار أبيه هناك. ومع ذلك لم يطمئن المولى سليمان لبقائه بالغرب فألح على رحيله إلى تافيلالت. وعلى الرغم من هذا فان عبد الملك الزيزون حافظ على علاقات جيدة مع عمه الذي استعان به في حركة بني مطير في سنة 1802 عندما رأسه على قبائل الحوز المشاركة في هذه العملية العسكرية، كما نجده يتشفع لأيت عطة في سنة 1816 وهو ما يشير إلى أنه لم يبتعد نهائياً عن الحياة السياسية في ظل دولة المولى سليمان.

م. بن عبد السلام الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أحمد العماري، دار المأثورات، الرباط، 1986.

محمد المنصور

عبد المالك، المعتصم سلطان سعدي، حكم من أواخر ذي الحجة سنة 983 (أواخر مارس 1576) إلى وفاته يوم معركة وادي المخازن، آخر جمادى الأولى سنة 986 (4 غشت 1578).

ولد سنة 947 / 1541. كنيته أبو مروان ولقبه الأتراك بالغازي، وكان لقبه الملوكي إبان حكمه المعتصم، وتسميه العامة سيدي ملوك.

كان له، كباقي إخوته أبناء السلطان محمد الشيخ المهدي، مشاركة في الحروب التي خاضها السعديون لتحرير الثغور التي كانت تحت الاحتلال البرتغالي، كما شارك في الحروب التي واجهوا خلالها الوطاسيين. وعندما استتب الأمر لمحمد الشيخ وَوَلّى أولاده على أقاليم البلاد، عَيَّنَ عبد المالك على سجلماسة ثم ألحق به أخاه أحمد الذي سيعرف فيما بعد بالمنصور الذهبي.

توفي محمد الشيخ قتيلا يوم 29 ذي الحجة 964 (23 أكتوبر 1557) فبويع بعده بالملك إبنه عبد الله (الغالب بالله). ولما بلغ خبر الوفاة والبيعة عبد المالك وأحد إخوته - وهما في مدينة مكناس - خرجا منها فارين إلى أن وصلا إلى تلمسان، حيث أحسن استقبالهما. وقت بين الأميرين والسلطان الغالب بالله مراسلات، أمّن من خلالها اللاذيْن بالترك، فعاد عبد المالك إلى فاس حيث اتصل بأمه وأخته، ثم ترك فاسا إلى تافلالت، حيث أقام مدة، إلى أن وصله أمر السلطان بمغادرتها، فخرج في أهله إلى تلمسان حيث التقى بأخويه عبد المؤمن وأحمد، ومن تلمسان أخذ الإخوة يشنون الغارات على شرق البلاد وتمكنوا من احتلال واحة فگيگ مدة. وخلال ذلك نظم عبد الله الغالب مكيدة تمكنت من اغتيال عبد المؤمن، فترك عبد المالك وأخوه أحمد تلمسان إلى الجزائر.

لم يكن عمر عبد المالك عندما استقر في الجزائر يزيد عن سبع عشرة سنة. ولم تكن إقامته في الجزائر إقامة لاثذ أو لاجئ بقدر ما كانت إقامة مشارك في الأحداث التي تعرفها المنطقة كلها ؛ فقد شارك في معركة ليبانتو سنة 1571 وأسرَ وسُلِّمَ لملك إسبانيا فيليب الثاني، وبعد أشهر قليلة أطلق سراحه ووصل إلى إصطنبول، ومنها التحق بالجزائر سنة 1572. وقد تمكن عبد المالك بفضل هذه التحركات من التعرف على عدد من رجال الحرب والسياسة في الجزائر، بل وفي الامبراطورية العثمانية. فقد ربطته صلات صداقة ورفقة بباشا الجزائر علج علي الذي سيسميه السلطان أميرالا عاما للأسطول العثماني. كما ربطته نفس الصلات بأحد كبار قراصنة الجزار، الرايس مراد، الذي زوجه ابنته، وكان من بين أهم المناصرين له والداعمين لمشروعه بالعودة إلى المغرب. كما تمكن خلال إقامته هاته من تكوين شبكة من الأنصار والمساعدين، أروبيين ومغاربة، كانوا يطلعونه على تفاصيل التطورات التي تعرفها أوروبا في ذلك العهد، ويعدون - بما يجرونه من اتصالات مع المتعاونين معهم في بلاط الغالب بالله والمتوكل من بعد - عودة عبد المالك إلى المغرب.

لم يبد السلطان العثماني سليم الثاني كبير تحمس لمساعدة الأمير المغربي. غير أن المعطيات العامة في حوض البحر الأبيض المتوسط تغيرت، بعد أن تمكن العثمانيون من إعادة بناء أسطولهم الذي دمره الإسبانيون في معركة ليبانتو، واستعدوا لتنفيذ مشاريعهم في شمال إفريقيا، وهكذا، وبعد تولية السلطان الجديد مراد الثالث سنة 1574، انطلقت عملية عودة عبد المالك إلى المغرب بمساعدة من الأتراك.

رافق عبد المالك حملة بحرية تركية تمكنت من تحرير تونس من الاحتلال الإسباني سنة 981 / 1574. وقد بادر عبد المالك بإبلاغ والدته خبر هذا الانتصار - وكانت سحابة الرحمانية مقيمة في اصطنبول - فأبلغت الخبر إلى السلطان العثماني، واستغلت المناسبة لتحصل منه على وعد بمساعدة ابنها للدخول إلى المغرب.

التحق عبد المالك بالجزائر ومعه أمر السلطان العثماني لحاكمها من قبله بمساعدة الأمير المغربي.

توفي السلطان عبد الله الغالب يوم 27 رمضان 981 (10 يناير 1575) وبويع بعده ابنه محمد الملقب بالمتوكل على الله. وقد بدأ استعداد عبد المالك لدخول المغرب أواخر سنة 1575، ورافقه في عودته إلى المغرب قوة يقودها رمضان باشا قوامها ستة آلاف من المشاة المسلحين بالبنادق وألف من قبائل زواوة وثمانمائة فارس واثني عشر مدفعا. والتزم عبد المالك بأداء ما قدره خمسمائة ألف أوقية ذهبا، راتبا للقوة التركية المرافقة له. ووصل عبد المالك إلى ضواحي فاس حيث اصطدم بابن أخيه محمد المتوكل في معركة الركن، والتحق بعض قواد جيش المتوكل بعبد المالك، فانهزم المتوكل ودخل فاسا ومنها إلى مراكش. فدخل عبد المالك مدينة فاس، أواخر ذي الحجة 983 (أواخر مارس 1576) وبويع بها.

تمكن عبد المالك من التخلص من جيش الأتراك الذي رافقه من الجزائر بعد أن أدى له ما تم الاتفاق عليه من مال، واسترضاه بسلاح وتحف ونوادر، واحتفظ بألف وخمسمائة جندي، فرقهم على أنحاء البلاد.

يجب أن توضع الأحداث التي عرفها المغرب في هذه الآونة، ومساعدة الأتراك لعبد المالك، في إطار الصراعات الدولية التي كانت تعيشها الدول العظمى آنذاك. ولم يكن وصول القوات التركية إلى المغرب لمجرد مساعدة المعتصم، حيث يظهر أن عبد المالك وعد الأتراك بمال كثير وبالتنازل لهم عن العرائش، كما أن الإمبراطورية العثمانية كانت تعمل على بسط سيطرتها على باقي إفريقيا الشمالية. ولعل لذلك علاقة باستعداد إسبانيا لاحتلال العرائش، وكذا بداية تفكير البرتغاليين بقيادة الدون سبستيان في الهجوم على المغرب. كما نضع في هذا الإطار توصل عبد المالك برسالة من إسبانيا تنبهه إلى خطر التعامل مع الأتراك وتعرض عليه

التحالف معها ضدهم، وتشترط تسليمها كل مراسي المغرب تجنبا لوقوعها في يد الأتراك.

عمل عبد المالك على تقعيد ملكه والتخلص من ابن أخيه محمد المتوكل، فكان اللقاء عند واد الشراط قرب سلا، وانهزم المتوكل، ولاحقه عمه أحمد إلى أن دخل مراكش نائبا عن أخيه بها، بينما فر المتوكل إلى سوس. وبعد معارك كان النصر فيها حليف الأخوين عبد المالك وأحمد، فر المتوكل إلى بادس ومنها إلى سبتة ثم طنجة مستصرخا بملك البرتغال.

وفي هذا الوقت، كان عبد المالك يجري عدداً من الاتصالات لمواجهة المشروع الذي كان يعد له البرتغاليون. فقد بعث لويس كابريت - وهو رحالة ومغامر من أصل فرنسي، سبق أن تعرف عليه عبد المالك أثناء إقامته في الجزائر واستصحبه معه إلى المغرب، حيث أقام مدة - إلى فرنسا وإسبانيا يخبر بانتصاراته، ووصلت إلى المغرب وفود تهنئة البلدين. كما وفد عليه سنة 1577 مبعوث إنجليزي هو Admon Hogan موفدا من قبل ابريطانيا يعرض عليه عقد تحالف بين الدولتين.

وقد عمل عبد المالك على التعريف بشخصيته ومؤهلاته في الأوساط الأروبية، فاتصل براهب إسباني يدعى خوان بوتيستا Juan Bautista وكلفه بتحرير كتاب - شعرا ونثرا - يخلد فيه انتصاراته. وقد تم ذلك بالفعل وطبع الكتاب في بلنسية.

يبدأ الكتاب بقصيدة شعرية تمجد عبد المالك، ثم يستعرض تاريخ السعديين الأوائل، فيذكر قصة التجاء عبد المالك وأخيه أحمد إلى القسطنطينية واتصاله بالسلطان العثماني، ثم عودته إلى المغرب عبر طرابلس والجزائر، ثم المعارك التي دارت بينه وبين المتوكل إلى أن انتصر ودخل مراكش حيث بويع خليفة. بعد ذلك يورد الكاتب قصيدة من 1410 بيت تصف ما تقدم، ثم قصيدة في شرح اسم عبد المالك ثم ثالثة تبين كيف أعاد هذا السلطان للمغرب عظمته وأمجاده. ويتبين من هذه العملية الحس السياسي الذي ميز السلطان عبد المالك وحرصه على تقديم صورة مثالية عنه وعن طريقة تعامله إلى القراء والمسؤولين في إسبانيا. وبالإضافة إلى ذلك كان عبد المالك يتقن عدداً من اللغات الأجنبية، كالإيطالية والإسبانية والتركية، وقد استفاد خلال إقامته الطويلة في اصطنبول للتعرف على التنظيمات السياسية والعسكرية التي كانت تسير على نهجها الامبراطورية العثمانية، واستغل ذلك في تنظيم الجيش بعد عودته إلى المغرب ومبايعته. فإليه يعود الفضل في ترتيب الجيش وتحديد طريقة لباسه وتقسيمه إلى فرق مختصة. كما اشتهر عنه أنه كان يتزيى بزي الترك ويجري مجراهم في كثير من شؤونه.

توفي عبد المالك زوال يوم معركة وادي المخازن، في التاريخ المذكور. ويظهر ألا أساس للرواية الذاهبة إلى أنه اغتيل بسم وضع له في حلوى على يد أحد الأتراك فقد كان مريضاً منذ دخوله مدينة فاس، وكان مرضه ظاهراً عليه، وقال عنه الراهب الإسباني أنه "منذ دخوله فاس إلى هذا اليوم، انتابته أمراض خطيرة"

م. الإفراني، *نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي*، تح. عبد اللطيف الشاذلي، 1419 / 1998 ؛ ع. الملك المعتصم، *مجلة المناهل*، العدد 13، ص. 7. كتاب الراهب خوان بوتيستا عن مولاي عبد المالك، تقديم وتعليق مرسيديس غرثيا أرنال، تعريب آمنة اللوه، مجلة البحث العلمي، العدد 34، ص. 113.

H. Triki. *Abdelmalek As-Saadi. De l'exil à la royauté (1557 - 1578)*, in *Le Mémorial du Maroc*, vol. 3.

عبد الواحد أكمير

ابن **عبد الملك، محمد** بن **محمد** بن عبد الملك بن محمد بن سعيد الأنصاري الأوسي المراكشي. ينتمي إلى أسرة مراكشية نبيهة، كان والده من أهل العلم، ذكر ولده أنه تلا بالقراءات السبع على أبي الحسن الأخفش نزيل مراكش وروى عن أبي البركات عمر بن مودود الفارسي الذي ورد على مراكش في عهد الرشيد الموحدي وسمع منه الحديث وكتب الرقائق والتصوف، وكان صديقا لأعلام مراكش كأبي عبد الله ابن الطراوة صاحب خطة الإشراف في عهد الرشيد وأبي عبد الله محمد بن أحمد القيسي الرندي الملقب بالمسلهم، وقد وصفه بعضهم بالفقيه المقرئ ووصفه آخر بالشيخ، أما أم ابن عبد الملك فيستفاد من إشارة في الذيل والتكملة أنها بنت أبي عبد الله محمد بن أحمد القيسي المعروف بابن الفاسي الذي كانت له صلة مصاهرة مع الخليفة يوسف بن عبد المومن.

في هذه الأسرة ذات الحظوة في مراكش وفي دار كبيرة بالحومة التي كان يسكنها وجهاء الحضرة ولد ابن عبد الملك ليلة الأحد 10 ذي القعدة سنة 634 وقد خلّد هذا التاريخ في هذا الرجز اللطيف :

إعلم أن مولدي بالحضرة ... مراكش العلياء ذات الإمرة
بُعَيْد هدء قد مضى من ليلة ... في ليل يوم الأحد العاشرة
من شهر ذي القَعدة من أربعة ... تتلو الثلاثين وستّ المائة

كانت دراسة ابن عبد الملك في مدينة مراكش على عدد من الشيوخ الذين كانت تزخر بهم عاصمة الإمبراطورية الموحدية، وقد أحصيت من شيوخه ما ينيف على خمسين شيخا ممن أخذ عنهم في مراكش وغيرها، ولعل أولهم هو أبو زكرياء يحيى بن أحمد بن عتيق تلا عليه القرآن الكريم بالقراءات السبع، وقرأ عليه الجمل للزجاجي وحماسة أبي تمّام، ومن شيوخ ابن عبد الملك أبو القاسم أحمد بن محمد البلوي وهو إشبيلي قدم على مراكش بعد عام 650 أي بعد سقوط إشبيلية عام 646 وابن عبد الملك يذكر ما قرأ على هذا الشيخ فيقول : "وقرأت عليه كثيراً من الحديث والآداب وتلوت عليه بعض القرآن برواية ورش وتدربت بين يديه في علم العروض وصنعة الحساب وعمل الفرائض وأجاز لي إجازة عامة" ويقول عنه أيضا : "ولقد ذاكراني بمسائل وأنا ابن ست عشرة سنة أو نحوها فذكرت له ما عندي فيها ثم حين وقفْت

عليها مقيدة بخطّه وقد ختمها بقوله : أفادينها الطالب الأنجب الأنبل أبو عبد الله ابن عبد الملك حفظه الله". وهذا يدل على نبوغ التلميذ وتواضع هذا الشيخ الذي كان الجار الجنب لشيخ آخر من مدينة إشبيلية أيضا هو أبو الحسن الرعيني صاحب البرنامج المعروف وهو يعتبر أبرز شيوخ ابن عبد الملك صحبه نحو خمسة عشر عاماً وقرأ عليه علوم الحديث والفقه والأصول والكلام والعربية والأدب. وقد تحدث ابن الزبير صاحب الصلة عن تنويه الرعيني بتلميذه ابن عبد الملك فقال : "وكان الكاتب أبو الحسن الرعيني يستحسن أغراضه ويستنبل منازعه وكتب له على بعض كتبه بخطه بصاحبي ومحل ابني وفائقي نباهة خاطره وذكاء ذهنه وكان يفخر بذلك" وتوجد إجازة الرعيني لابن عبد الملك في نسخة خطية من برنامج الرعيني وقد تولّى هذا الشيخ خطة الكتابة الديوانية لمختلف الأمراء والمتأمّرين في قرطبة وإشبيلية وغرناطة وجاء إلى مراكش فولى الكتابة عن الخلفاء الموحدين المتأخرين ويبدو أنّه كان له دور في نمو الحس التاريخي لدى ابن عبد الملك ولاشك أن هذا الحس ازداد بصلته وأخذه عن شيخ آخر هو المؤرّخ أبو محمد حسن ابن القطان مؤلف كتاب نظم الجمان وغيره وقد كان هذا المؤرخ ووالده من رجالات الدولة الموحدية ويمكن القول إجمالاً بأن ابن عبد الملك تثقّف على الطبقة العالية من علماء الحضرة المراكشية وقتئذ كالفقيه القاضي أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد ابن القشاش والفقيه قاضي الجماعة أبي عبد الله محمد بن علي بن يحيى المدعو بالشريف شهرة لانسبا والمؤرخ الأديب الكاتب أبي عبد الله ابن الطراوة والمحدث الأديب أبي عبد الله محمد بن علي ابن هشام والأديب المترسل الشاعر أبي الوليد محمد بن إسماعيل ابن عفير اللبلي والأديب الكاتب أبي الحسن الجياني وأبي الحجاج يوسف بن أحمد بن حكم الذي ولي قضاء الجماعة بفاس للمرينيين وأبي محمد عبد الواحد بن مخلوف المشاط قاضي الجماعة بمراكش في آخر أيام الموحدين وغير هؤلاء ممن ذكرتهم بتفصيل في مقدمة تحقيقي للسفر الثامن من *الذيل والتكملة*.

وقد انتفع ابن عبد الملك ببعض هؤلاء الشيوخ في الطريقة الأدبية ويعنى بها صناعة الشعر والكتابة والنقد واكتسب من آخرين ما يتعلق بالتاريخ ومعرفة الرجال والنقد التاريخي. واستفاد أيضا من العلماء الوافدين على مراكش من المشرق كالفارسي أبي البركات عمر بن مودود والدمشقي أبي عبد الله ابن الحنبلي وابن رشيد البغدادي صاحب الوتريات وغيرهم. كما أنه رحل إلى بعض المدن للقاء علمائها كآسفي وسلا وفاس وسبتة وتلمسان والجزيرة الخضراء وقد تحدثت عن هذه الزيارات بتفصيل في المصدر الذي ذكرته آنفاً.

وقد كان ابن عبد الملك شديد الولع بالكتب في مختلف العلوم ووقف على عدد هائل من المخطوطات وكوّن مكتبة ضخمة وتيسر له ذلك بفضل وفرة المخطوطات التي جلبت إلى مراكش من مختلف الجهات كما أن ظروفه المالية كانت تساعده على اقتنائها وإن القارئ للذيل والتكملة ليرى بوضوح المدى البعيد الذي بلغ إليه في القراءة والاطلاع حتى أصبح مرجعا لا يضاهى في البحث التاريخي والأدبي والضبط الحديثي واللغوي. وقد عاش ابن عبد الملك سبعين سنة تقريبا ثلاثون منها في العهد الموحدي وأربعون سنة في عهد بني مرين أي أنه عاصر نهاية دولة وقيام دولة أخرى، وشهد عدداً من الأحداث في العهدين كان آخرها حصار تلمسان الطويل في عهد السلطان المريني يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني حيث إنه توفي بتلمسان الجديدة ـ وهي التي بنيت خلال الحصار ـ وذلك في أواخر المحرم سنة 703 حين توجّه إلى المحلة الكائنة بها، ويبدو أن توجهه هذا كان بأمر السلطان، ومن المعروف أن ابن عبد الملك شغل منصب القضاء بحضرة مراكش في عهد السلطان المذكور.

لقد اشتهر ابن عبد الملك بإنجاز عمل كبير هو مؤلفه *الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة*. وهو أكبر معجم قديم للأعلام في تاريخ المغرب أنه يتألف من تسعة أسفار ويقول ابن الزبير الغرناطي صاحب ابن عبد الملك عن هذا الكتاب ما يلي : "وعلى هذا الكتاب عكف عمره.. لأنه ألزم نفسه فيه ما يعتاص الوفاء به من استيفاء مالم يلتزمه ابن بشكوال ولا الحميدي ولا ابن الفرضي ومن سلك مسلكهم" وفي هذا الكتاب الذي وصلت إلينا معظم أسفاره تتجلى ثقافة ابن عبد الملك الكبيرة وسعة اطلاعه وقوة نقده وقيمته العلمية والأدبية والتاريخية.

مقدمة السفر الثامن من *الذيل والتكملة* للدكتور محمد بن شريفة. مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية. 1984.

محمد بن شريفة

عبد المؤمن بن **عمر** المريني (أمير) بايعه أولاد حسين من ذوي منصور من المعقل سنة 764 / 1363 ليزاحموا به ملك أخيه عبد الحليم الذي قرب منه أعداءهم الأحلاف، وزحفوا به على سجلماسة، ونصبوه ملكا وخلعوا أخاه. وبقي عبد المؤمن على بره لأخيه عبد الحليم موفيا حقه موجبا تجليته إلى حين انصرافه إلى المشرق برسم الحج (*الإحاطة*. 3 : 533).

ولا تمدنا المصادر بمعلومات كثيرة عن سلطنته بسجلماسة، وإن كنا نعرف أنه لم يستطع مد نفوذه على مناطق بعيدة عنها، وأن فترة حكمه عرفت اضطرابات كثيرة بسبب حروب بطون ذوي منصور من المعقل فيما بينهم.

حاول الوزير عمر بن عبد الله المستبد بفاس القضاء على إمارة عبد المؤمن بسجلماسة، فعمل على إذكاء الصراع بين أولاد حسين والأحلاف لإضعاف جانب عبد المؤمن. كما تحالف مع عامر بن محمد الهنتاتي المستبد بجهات مراكش واتفقا على اتصال اليد ضد عبد المؤمن. ثم جهز حملة على سجلماسة في نفس سنة تولية عبد المؤمن عليها أو كل أمر

قيادتها للوزير مسعود بن عبد الرحمن بن ماسي الذي لم يجد أدنى صعوبة في دخولها، في حين فر عنها عبد المؤمن باحثا عن مكان آمن، فراسله عامر بن محمد الهنتاتي وأمنه ودعاه للحاق به، حتى إذا وصله قبض عليه وثقفه واعتقله بمعقله بالجبل ثم نقله إلى مراكش وأدخل سجن قصبتها حيث بقي في معتقله إلى أن قتله الأمير أبو الفضل بن أبي سالم سنة 769 / 1368 (*الإحاطة*، 3 : 534 و*العبر*، 7 : 425 و*الاستقصا*، 4 : 53 و*سجلماسة*، 270 / 271).

ابن خلدون، *العبر*، ج 7، دار الفكر، بيروت، 1981 ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة*، ج 3، تح. عبد الله عنان، القاهرة، 1975 ؛ الناصري، *الاستقصا*، ج 4، الدار البيضاء، 1955 ؛ ح. حافظي علوي، *سجلماسة وإقليمها في القرن* 8 / 14، فضالة، المحمدية، 1979.

ابن **عبد النبي** أسرة سلوية نبيلة، أصلها من تطوان، جدهم هو علي المنظري زعيم الجالية الأندلسية التي هاجرت من غرناطة إلى مدينة تطوان سنة 888، وجددت هذه المدينة وأعمرتها. ويتصل نسب المنظري بالصحابي سيف الله خالد بن الوليد بن المغيرة من بني مخزوم القرشيين.

ابن **عبد النبي، أحمد** بن **بنعاشر** السلوي. ولد بمدينة سلا عام 1298 وبها نشأ وحفظ القرآن الكريم بروايتي ورش وحمزة، ودرس على شيوخ العلم بمسقط رأسه بالجامع الأعظم والزاوية الناصرية وغيرهما من مساجد المدينة، وأشهر شيوخه بها المفتي الشهير أحمد ابن الفقيه الجريري، وعليه اعتمادة، والفقيه علال الشغراوي. وحوالي سنة 1321 رحل إلى فاس حيث مكث سنين طوالاً يدرس على عدد وافر من علماء القرويين أمهات كتب التفسير والفقه والأصول والحديث ومصطلحه والعقائد والسيرة وغيرذ لك من العلوم الإسلامية. وممن أخذ عنهم بفاس أحمد ابن الخياط الزكاري ومحمد بن قاسم القادري ومحمد بن جعفر الكتاني وأبو شعيب الدكالي والقاضي عبد الله ابن خضراء.

ولما رجع إلى مسقط رأسه أخذ يتطوع بإلقاء دروس متنوعة في مختلف مساجد المدينة، ولازم من جديد دروس شيخه أحمد ابن الفقيه الجريري بضريح سيدي أحمد حجي إلى وفاته. ثم عين مدرساً بمدرسة أبناء الأعيان سلا وأستاذاً بثانوية مولاي يوسف بالرباط نحو 18 سنة. إلى أن عين عضواً بمجلس الاستيناف الشرعي بالرباط ورقي مستشاراً به. وبعد الاستقلال عين مستشاراً بالمجلس الأعلى للنقض والإبرام، فكان فارس الفرسان في هذه المجالس العليا لتمكنه من فروع الفقه وأصوله واستظهاره النصوص الفقهية دونما حاجة إلى مطالعة أو مراجعة. وكان يرأس في نفس الوقت لجنة امتحانات شهادة العالمية بجامع القرويين.

كان المترجم إلى جانب مهامه الرسمية يقوم بالإفتاء تطوعاً على عادة شيخه الجريري، يسأله الناس في الطريق فيفتيهم، ويطرقون بابه فيفتح لهم بالليل والنهار ويفيدون من علمه وخبرته، في بشاشة ودماثة أخلاق. كما خَلَفَ شيخه الجريري في إلقاء دوس بضريح سيدي أحمد حجي، فكانت مجالسه مقصودة من الطلبة والعامة على السواء، لبساطة عبارته وحسن تفهيمه. وقام مدة غير قصيرة بالخطابة في الجامع الأعظم أيام الجمعة، والمصلى بالعيدين. وكان يعدّ شيخ الجماعة بدون منازع.

لم يؤلف كتاباً وإنما جمع طائفة من الأحكام التي حررها أيام عمله في القضاء فكان يدرسها في آخر عمره مع بعض طلبته، كما جمع جملة من فتاوى شيخه أحمد ابن الفقيه الجريري، كتبها محررة مضبوطة بخطه الجميل، منها صورة مخطوطة في خ. ص. وقد طبعت بالدار البيضاء سنة 1994 ضمن منشورات الخزانة العلمية الصبيحية بسلا بتحقيق مصطفى التجار.

حضر المترجم حفلة عيد الشباب بالقصر الملكي بالصخيرات التي هاجم فيه طائفة من الجنود المتمردين القصر وأصيب برضوض في ذراعه، وقتل بجانبه ولده عبد الرحمن آتي الترجمة فتدهور ت صحته إلى أن توفي ليلة الأربعاء 21 محرم 1392 ودفن خارج باب معلقة بعد أن صلى عليه في الجامع الأعظم.

معرفة شخصية ؛ م. ابن الحاج السلمي، *إسعاف الإخوان*، الدار البيضاء، 1992 ؛ م. النجار، *تقديم النوازل الفقهية*، الدار البيضاء، 1991 ؛ أ. معنينو، *ذكريات ومذكرات*، طنجة، د. ت. في عدة أجزاء.

ابن **عبد النبي، أحمد** بن **محمد** بن بنعاشر السلوي ابن أخي المترجم قبله. ويعرف بالفقيه ابن عبد النبي الصغير تمييزاً له عن عمه شيخ الجماعة. ولد يوم 2 ربيع الثاني عام 1338 / 25 دجنبر 1919 بمدينة سلا وبها نشأ وحفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ اللغة والدين قبل أن يرحل لطلب العلم بالقرويين بفاس.

ولما رجع إلى مسقط رأسه عين مدرساً للعربية بمدرسة البنات، وجمع بين التدريس وخطة العدالة، ثم أسندت إليه إدارة عدة مدارس ومجموعات مدرسة بالقنيطرة وسيدي

يحيى الغرب وعين عتيق وسلا. وقام بالخطابة والإمامة بجامع سيدي أحمد حجي وإلقاء دروس فيه ثم بالجامع الأعظم فكان محمود السيرة ميمون النقيبة على سنن أهله. وكان دروسه في السيرة النبوية بضريح سيدي أحمد حجي

توفي بمسقط رأسه فجر يوم السبت سابع ذي الحجة عام 1421 / 3 مارس 2001 وأقيم بمنزله حفل ترحم ليلة عيد الأضحى آبّنه فنه جماعة من أصدقائه : أبو بكر القادري وعلي العلوي، وأحمد السوسي التناني بقصيدة مؤثرة.

معرفة شخصية ؛ أ. السوسي التناني، جريدة *سلا الغد*، عدد 63.

ابن **عبد النبي، عبد الرحمن** بن **أحمد** بن بنعاشر السلوي. ولد بمدينة سلا وبها نشأ ودرس دراسة مزدوجة، عربية أصيلة على يد والده وفقهاء المدينة، وعصرية في مدرسة أبناء الأعيان ثم ثانوية مولاي يوسف. وبعد البكالوريا أقبل على الدراسات القانونية إلى أن حصل على الإجازة ثم دبلوم الدراسات العليا في القانون العام، وكان في دراساته القانونية على اتصال بولي العهد آنذاك الأمير الحسن، إذ كان من مراقبي الدروس بالمدرسة المولوية.

وقد نُفي المترجم أثناء الأزمة المغربية إلى الجنوب، وبعد الاستقلال تبوّأ مناصب ديبلوماسة وإدارية وتعليمية سامية، فعين سفيراً للمغرب بلبنان، ثم نائب عميد كلية الحقوق بالرباط وأستاذاً بها، وفي نفس الوقت عين مستشاراً بالغرفة الإدارية بالمجلس الأعلى، وأخيراً أسندت إليه إدارة المدرسة الإدارية مع التدريس بها وبكلية الحقوق.

كان المترجم نموذجاً حيّاً لوالده في الجد والاجتهاد والتواضع ودماثة الأخلاق، يشارك بفعالية في الحملات الوطنية لمحو الأمية وتأطير الشباب إلى أن توفي قتيلاً في هجوم الجنود المتمردين على قصر الصخيرات يوم عيد الشباب السبت 16 جمادى الأولى عام 1391 عاشر يوليوز سنة 1971.

معرفة شخصية، ع. الله الجواري، *من أعلام الفكر المعاصر*، الرباط، د. ت. ج 2 ؛ 330 ـ 331 ؛ أ. معنينو، *ذكريات ومذكرات*، طنجة، د. ت. في عدة أجزاء ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 9.

محمد حجي

ابن **عبد الواحد، محمد** الفاسي، ولد بفاس سنة 1869، وبعد تخرّجه من القرويين التحق بالبلاط بصفته كاتبا للسلطان مولاي الحسن الأول، ثم كاتبا لخلفه السلطان عبد العزيز، وجدير بالإشارة أن المترجم له كان من المقربين إلى مَحمد الجباص، حيث رافقه إلى الجزائر بصفته كاتبا للوفد المغربي في البعثة المشتركة للحدود (1903 ـ 1904)، وقد أثمرت جهود الجباص عن توقيع اتفاقيتين بالجزائر، 27 أبريل و7 ماي 1902 (انظر مادة الجباص). وبعد اندلاع فتنة الروگي بوحمارة استعجل السلطان عبد العزيز عودة مَحمد الجباص إلى المغرب لتولي وزارة الحربية في نهاية شهر دجنبر 1903، فظل محمد بن عبد الواحد بالجزائر على رأس الوفد المغربي رفقة ولد الجباص إلى أن صدر له الأمر بالعودة إلى المغرب سنة 1904، وقد برز بشكل لافت للنظر أثناء الصراع الذي قام بين السلطان عبد العزيز وأخيه عبد الحفيظ، حيث شغل منصب نائب وزير الحرب، وشارك في مسيرة عبد العزيز نحو مراكش، حيث جرح في المعركة التي انتهت بانهزام الجيش العزيزي (19 غشت 1908)، وسيراً على نهج حاميه مَحمد الجباص أعلن محمد بن عبد الواحد ولاءه للسلطان عبد الحفيظ، بعد أن صفا الجو لهذا الأخير، ونظراً لاطلاعه على قضايا مناطق الحدود بحكم تجربته السابقة، اقترحه الجباص ليكون كاتبا أولّ ومستشاراً للمندوب السامي عبد السلام بن عبد الصادق إبّان تعيين هذا الأخير في هذا المنصب في 24 فبراير 1910 (انظر عبد السلام بن عبد الصادق)، وبهذه الصفة كان ينوب عن المندوب المذكور لما تفجّرت قضية فساد إداري بوجدة في أكتوبر 1911 (انظر مادة طوطي).

وبعد إعفاء عبد السلام بن عبد الصادق من مهمته في 6 يناير 1912، عيّن المخزن محمد بن عبد الواحد مندوبا ساميا لمناطق الحدود بناء على الترشيح الذي اقترحه الجباص وأيّدته المفوضية الفرنسية بطنجة، التي كان مقربا منها باعتراف السلطات الفرنسية نفسها، وظل يشغل هذا المنصب طيلة 9 سنوات (1918)، وبعد ذلك انتقل للعمل بالرباط ثم بالدار البيضاء.

بهيجة سيمو، *الإصلاحات العسكرية بالمغرب*، 1844 / 1912، منشورات اللجنة المغربية للتاريخ العسكري، الرباط، 2000 ؛ عكاشة برحاب، *المجال الحدودي بين المغرب والجزائر في مطلع القرن العشرين* (1900 ـ 1912)، منشورات كلية الآداب، المحمدية، 2002.

Le livre d'or du Maroc, Paris, 1934-1935.

عكاشة برحاب

عبد الواحد بن **يوسف** الموحدي (المخلوع) 620 ـ 621 تعكس هزيمة العقاب 609، ما صار إليه أمر الدولة الموحدية من ضعف وعدم استقرار. فقد تراكمت منذ مدة، عدة مشاكل تتعلق بثورة بني غانية والاضطرابات التي أحدثتها القبائل العربية والزناتية ببلاد المغرب، وتراخي العمال بالأقاليم

وضعف الجبايات، علاوة على تهديدات النصارى لبلاد الأندلس، والتي عرفت أوجها بعد معركة العقاب التي خرج منها الموحدون بعصبية ضعيفة، لما كان من تصفية الناصر لعدد من أشياخ الموحدين. فكان ذلك إيذانا ببداية مرحلة احتضار طويلة عرفت ظهور ونجاح الحركة المرينية، وانقسام الصف الموحدي بفعل أطماع الشيوخ ومنافسات السادة، وتراجع نفوذ الموحدين بالمغرب الإسلامي.

وصل أبو محمد عبد الواحد بن يوسف إلى الحكم في صفر 620 / 1223 في ظل ظروف زادها تولي سنوات الجفاف والمجاعة تعقيداً وشدة. وكان فريق من الأشياخ الراغبين في إصلاح أحوال الموحدين، قد أمالوا الكفة لصالحه لما اشتهر به من صلاح حال وفضل وورع. وإن كان في الأصل زاهداً في الحكم وغير عابئ بإغراءاته.

بقي عبد الواحد مدة يسيرة في الحكم، لم تتجاوز ثمانية أشهر، خطب له في جميع البلاد الموحدية، باستثناء مرسية التي كان ابن أخيه العادل والياً عليها، ومنها انطلقت حركة مناهضة لعبد الواحد بن يوسف، قادها الوزير ابن يرجان وبعض السادة الموحدين بالأندلس، وكتب عبد الله العادل إلى أشياخ الموحدين بمراكش يدعوهم إلى مبايعته وخلع عبد الواحد وأغراهم بالمال والمناصب الرفيعة، فاتفقوا على تنحية عبد الواحد بن يوسف وهددوه بالقتل، فأشهد على نفسه بالخلع وبايع العادل في شعبان من عام 621. ثم عادوا إليه أياما فيما بعد وخنقوه حتى مات، فنهبوا قصره واستولوا على أكثر كتب خزانته.

وكان عبد الواحد أول من خلع وقتل من بني عبد المؤمن، وقد رأى بعض المؤرخين في ذلك سببا لذهاب ملكهم.

ابن عذاري، *البيان المغرب*، 1985 ؛ ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، القسم الأول، 1984 ؛ ابن أبي زرع، *الأنيس المطرب بروض القرطاس*، 1973 ؛ أ. عزاوي، *رسائل موحدية جديدة*، 1995.

محمد فتحة

ابن **عبد الوارث، أحمد** بن محمد بن الشيخ أبي البقاء عبد الوارث اليَلْصوتي، بتقديم اللام على الصاد، وليس العكس، كما هو شائع في كثير من الدراسات. واليلصوتي، نسبة إلى يلصو، بفتح الياء، وسكون اللام، وضم المهملة، وبعده واو ساكنة، وكأنه اسم أعجمي، وهو اسم أحد أحفاد إبان ابن الصحابي الجليل سيدنا عثمان بن عفان.

وكان أبو اليمن يلصو الأموي القرشي جد اليلصوتيين، قدم إلى المغرب، في فترة مبكرة من زمن الفتوحات الإسلامية بالمغرب، صحبة الأمير موسى بن نصير، في خلافة الوليد بن عبد الملك الأموي (86 ـ 96 / 705 ـ 715)، وذلك في حدود سنة 90. بل يذكر أن يصلو كان قائداً من قواد الفتح في جيش ابن نصير. وقد طاب لأبي اليمن المقام في قبيلة الاخماس، واتخذها داره حتى لقي الله، ودفن بها، "... وقبره فيها مزارة كبرى على مرحلة من شفشاون، نفع الله به، فكان معجزة تلك القبيلة، ومظهر المجد فيها، ومطلع أقمار العربية القرشية، حتى صارت تنسب إليه، فيقال القبيلة اليلصوتية ..." (*الروضة المقصودة*، ج ١ : 460، *الحياة السياسية*، ص. 452 ـ 471).

وقد تكاثر اليلصوتيون، على مر السنين، وتفرقوا في القبائل والمدن، وظهرت منهم عائلات كبيرة بأسماء مختلفة، منها أسرة الوارثيين أولاد سيدي عبد الوارث، نسبة إلى الشيخ الشهير أبي البقاء عبد الوارث اليلصوتي المتوفى عام 971 / 1564. وكان هذا الأخير من اليلصوتيين الذين انتقلوا إلى قبيلة بني زروال. وفي هذه القبيلة اشتهر أمره، وكان سبب شهرته علو مقامه في عالم التصوف، وتصدره للمشيخة في الزاوية التي أسسها في مدشر بني دركول، بفرقة أولاد قاسم من قبيلة بني زروال، وبها ضريحه (*دوحة الناشر*، 5، *ممتع*، 117). وقد خلف أبو البقاء عبد الوارث في مدشر بني دركول ذرية اشتهر منها، بعده، حفيده أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي البقاء عبد الوارث اليلصوتي (*التقاط*، 59، *نشر*، ١ : 175). وهذا يعني أن أحمد بن محمد بن عبد الوارث وارثي يلصوتي عثماني قرشي أصلا، زروالي مولدا ونشأة. وقد نسب إلى جده فعرف بأبي العباس أحمد ابن عبد الوارث.

وكان أبو العباس بن عبد الوارث من رجال التصوف، مثل جده، ومن شيوخ الطائفة الجزولية بالذات، باعتباره من أصحاب مولاي بوشتى الخمار (ت. 997 / 1588)، دفين جبل أمركو، بقبيلة فشتالة في أحواز ورغة، شمال غرب فاس (*التقاط*، 59، *نشر*، ١ : 175)، علماً أن هذا الأخير كان قد لقي كبار شيوخ الطريقة الجزولية، وفي مقدمتهم عبد الله الغزواني، وارث حال عبد العزيز التباع خليفة محمد بن سليمان الجزولي. بل يذكر أن مولاي بوشتى الخمار قصد أبا البقاء عبد الوارث اليلصوتي، جد المترجم له، وخدمه في زاويته ببني زروال مدة حتى كان منه ما كان. وهو من أصحاب عبد الله الغزواني. ومما يذكر في هذا الصدد أن أبا البقاء عبد الوارث" ... أعطاه عند مسافطته أثاثا، وهو مقص وإبرة وحلقة خياطة، وقال له هذه أمانة تؤديها لصاحبها"، مشيراً لي ما يكون لحفيده أبي العباس أحمد بن محمد بن عبد الوارث على يد مولاي بوشتى (*ممتع*، 73).

وفضلاً عن انتمائه للجزولية، يعتبر مولاي بوشتى الخمار من "كبار أهل الأحوال الربانية والجذب ودوام الغيبة"، بل يعتبر من الشيوخ في هذا الشأن، وتخرج على يديه كثير من أمثاله من أهل الأحوال والجذب والبهللة، حتى قيل إن أكثر البهاليل في المغرب في زمانه ممتدون منه (*ممتع*، 73).

وقد دخل أبو العباس أحمد بن عبد الوارث هذه المدرسة، وصحب شيخها مولاي بوشتى الخمار، وظل "عنده سنين في سلسلة، وهو في بيت ثم أطلقه"، مشيراً بذلك، من دون شك، إلى كمال حاله. وقد تخرج على شاكلة شيخه ورفاقه، من أهل الأحوال الفياضة. بل لقد ظل مرتبطاً بشيخه ارتباطا

وثيقا حتى بعد رحيله إلى زاوية أهله في بني زروال، حتى قيل إنه "كان غائباً في شيخه يرى كل خير منه، ويجلس في بلاده مستقبلا جهته، ويتغنى به، يقول :

آسيدي برشتا مولى عيني لولا أنت آش يكن أنا مني

وقد اشتهر أمره كثيراً في زاوية جده بقبيلة بني زروال، وقصده الزوار من كل مكان، وصار له التلميذ الكثير، فانتفع به الزوار، وظهرت على كثير ممن صحبه آثار الخصوصية (نشر، 1 : 175 - 176).

ولعل أهم ما اشتهر به هذا الرجل، إلى جانب الحال الفياض، أمران آخران، هما : اهتمامه بالذكر والحضرة، ونهيه عن اتباع الرخص. ومما يؤثر عنه في هذا الصدد أنه أوصى بعض أصحابه فقال : يافلان إن كنت تذكر الله فنعما، وإلا فارقد. كما يؤثر عنه أنه اجتاز يوماً على عين ماء وعليه جوار يسقين، فتقدم رجل ممن معه إلى العين، فصاح به الشيخ أن ارجع من أجل من في العين. فقال له الرجل إنما هن جوار صغار، فقال له الشيخ رضي الله عنه : "إنهن كالعقارب كبارهن تلدغ وصغارهن تلدغ" (نشر، ج 1، ص. 176، *الإكليل والتاج*، 156).

وعلى غرار سمو مكانته الاجتماعية، كان لأحمد بن محمد بن عبد الوارث اليلصوتي اعتبار وشفوف عند ملوك زمانه، المنتمين إلى دولة الأشراف السعديين. وقد وصل هذا التقدير مداه في عهد السلطان زيدان بن أحمد المنصور. ففي أيام هذا الرجل حظيت الزاوية الوارثية، وشيخها بظهير مهم، جاء فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على مولانا محمد وآله عن الأمر العلي المولوي السلطاني الزيداني الهاشمي الحسني، أيده الله تعالى بعزيز نصره، وأمده بمعونته وسره، إلى المرابط الخير الأرضى المرعي الملحوظ السيد أحمد بن عبد الوارث، وصل الله رعيكم وأجمل سعيكم، سلام عليكم، ورحمة الله تعالى وبركاته، أما بعد :

فكتابنا هذا إليكم، وأن خديمنا الأرضى الفقيه منصور بن محمد أنهى لعليّ مقامنا ما كان من وقوفكم مع محلتنا وسعيكم الجميل أمام جيوشنا وقيامكم أحسن قيام في مرضاتنا، فشكرنا ذلك منكم شكراً جميلاً بكم، والمعتقد فيكم، فأنتم من أولياء هذا الجانب العلي وأصفيائه فشدوا أرواحكم فيما يتعلون به المزيد من رضى الله تعالى ورضانا وكونوا عندما هو معهود منكم ومعروف لكم من المساعي التي ترضينا عنكم وما طلبتموه من الخمسة أزواج التي تعودتم أخذها إعانة للزاوية فقد أبقيناها وأبحنا لكم أخذها، وكذلك ما عهد لزاويتكم من التوقير أسدلناه عليها بحيث لا يروم هضم هذا الحرم الذي تعودتموه من الجانب العلي أسماء الله فقد أوجبه إليكم، والسلام، في ربيع الثاني عام اثني عشر وألف (*قبيلة بني زروال*، ص. 56).

ومرد اهتمام السلطان زيدان بشيخ الزاوية الوارثية في بني زروال، من دون شك، إلى المساعدة التي كان يتوخاها منه في خضم الخلاف الذي نشب حول السلطة بين أبناء أحمد المنصور السعدي. ومن ثم، ليس غريبا إذا علمنا أن أبا العباس أحمد بن عبد الوارث توفي مسموما إبان ذلك النزاع. وكان ذلك في 25 ذي الحجة 1020 فبراير 1613، ودفن بزاويتهم المذكورة في بني زروال، إلى جانب جده أبي البقاء عبد الوارث (*التقاط*، ص. 59). ومن مشاهير أحفاده المتأخرين : الشيخ الصوفي أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبي البقاء عبد الوارث اليلصوتي، المتوفى في فاس في أوائل ربيع النبوي عام 1243، وضريحه بزاوية عم جده سيدي عبد الوارث الصغير، الواقعة بزقاق الحجر من فاس القرويين (*سلوة الأنفاس*، 1 . 222 - 223).

م. ابن عسكر، *دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر*، تح. محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والنشر، 1397 / 1977 ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع في ذكر الجزولي والتباع ومالهما من الأتباع*، طبعة حجرية بفاس، 1313 ؛ الفاسي محمد البشير، *قبيلة بني زروال*، مطبوعات إفريقيا الشمالية التقنية، 1962 ؛ محمد بن الطيب القادري، *نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني*، تح. محمد حجي وأحمد التوفيق، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1982، ج 1 ؛ محمد بن الطيب القادري، *التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر*، تح. هاشم العلوي القاسمي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1993 ؛ محمد بن الطيب القادري، *الإكليل والتاج في تذييل كفاية المحتاج*، تح. مارية دادي، نسخة مرقونة بخزانة كلية الآداب بالرباط ؛ سليمان الحوات، *الروضة المقصودة والحلل المسدودة في مآثر بني سودة*، دراسة وتح. عبد العزيز تيلاني، نشر مؤسسة أحمد بن سودة، فاس، 1994 ؛ م. بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس*، طبعة حجرية بفاس، 1318، ج 1 ؛ عبد القادر العافية، *الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية بشفشاون وأحوازها*، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1402 / 1982.

عبد الوارث بن **محمد** بن أحمد بن محمد بن عبد الوارث اليلصوتي، ويدعى المترجم عبد الوارث الصغير تمييزاً له عن جده الأكبر (*سلوة الأنفاس*، 1 : 222).

عاش في فاس، واشتهر بالتصوف، مثل جده أبي العباس أحمد، وجده الأكبر أبي البقاء عبد الوارث، دفيني الزاوية الوارثية في فرقة أولاد قاسم، بقبيلة بني زروال. ولذلك يقال عنه في كتب التراجم بأنه من سلالة الأخيار، ونجل الأولياء الأبرار، كما يحلى بالرجل الصالح، الدين، الأرضى، الخير، وما شاكل ذلك من نعوت أهل الصلاح (*سلوة الأنفاس*، 1 : 222).

وإذ استفاد من أهله في هذا الشأن، فإن للشيخ أبي سرحان مسعود الشراط دفين خارج باب الجيسة في فاس الفضل الأكبر في تربيته، وإليه ينسب في طريق القوم. وكان شيخه هذا من رفاق جد المترجم له، أبي العباس أحمد بن عبد الوارث اليلصوتي، في صحبة مولاي بوشتى الخمار في زاوية

هذا الأخير بقبيلة فشتالة شمال غرب فاس (*سلوة الأنفاس*، 1 : 222). وهذا يعني أنه جزولي السند، وأنه كان من أهل الأحوال والحضرة في التصوف، على غرار رفاقه في نفس الزاوية.

وبعد التخرج، بنى عبد الوارث الصغير زاوية قرب داره بزقاق الحجر من فاس القرويين (*نشر*، 2 : 156 ؛ *سلوة الأنفاس*، 1 : 222) وتصدر فيها للمشيخة، فكان يجمع فيها أصحابه، ويقرأون الأحزاب وغيرها، فكانوا يقرؤون صباحا المعشرات، وحزب الفلاح، وصلاة مولاي عبد السلام بن مشيش، والحزب الكبير للشاذلي، ومساء حزب الفلاح، ولا إله إلا الله مائتين. وكان يعمل الحضرة، ولا تعمل إلا بحضره، ولم يكن يتحرك إلا أنه يهتز عند السماع يميناً وشمالاً، وهو جالس (*الروض*، 419، *نشر*، 2 : 156).

وهذا يعني أن طريقة هذا الرجل اعتمدت على الحضرة، بالفعل، وأنه كان له أصحاب، كما كان له أتباع يهتدون بهديه (*التقاط*، 168). بل يفهم من سيرته أنه كان ذا وجاهة في البلاد (*الروض*، 418-419). وظل كذلك إلى أن توفي يوم الأحد الثالث من ربيع النبوي سنة 1076 / 1665، ودفن بزاويته المذكورة (*نشر*، 2 : 156)، وقبره بها يزار (*سلوة الأنفاس*، 1 : 222). ومن أشهر أبنائه الشيخ الصالح البركة علي بن الوارث الصغير، المتوفى في 7 جمادى الأولى 1090 / 1697، ودفن نفس الزاوية.

م. القادري، *الإكليل والتاج في تذييل كفاية المحتاج*، نسخة مرقونة بخزانة كلية الآداب بالرباط ؛ *التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر*، تح. هاشم العلوي القاسمي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1993 ؛ *نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني*، تح. محمد حجي وأحمد التوفيق، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1982، ج 2 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس*، طبعة حجرية بفاس، 1318، ج 2.

أحمد الوارث

ابن **عبد الوهاب**، أسرة تطوانية شريفة من ذرية مولاي عبد الوهاب بن عبد الكريم بن محمد بن مولاي عبد السلام ابن مشيش.

ابن **عبد الوهاب، أحمد** بن عمر ولي صالح عاش بتطوان فيما بين سنة 1110 وسنة 1130 (1699-1718) ويوجد ضريحه بحومة النيارين يعرف بسيدي بن عمر.

ابن**عبد الوهاب، أحمد** بن محمد فقيه زاول خطة العدالة سنة 1299 (1882).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية.

ابن **عبد الوهاب، الطاهر** بن محمد فقيه بايع الأمير مولاي سعيد بن مولاي اليزيد سلطانا بتطوان يوم 12 جمادى الثانية 1236 (17 مارس 1820).

ابن**عبد الوهاب، محمد** بن الطاهر عالم تولى خطة القضاء بتطوان من سنة 1156 إلى 1160 (1743-1747)، وفي سنة 1217 (1802) .كما كان قاضياً بقبائل بني عروس وبني يدر والغربية سنة 1211 (1796).

ابن **عبد الوهاب، محمد**، عالم تولى خطة القضاء بتطوان سنة 1122 (1710).

ابن **عبد الوهاب، محمد**، فقيه كان ممن شهدوا ضد الباشا السابق عبد الكريم ابن زاكور بأنه تصرف في أموال بيت المال لصالحه في شهر صفر 1180 (يوليوز 1766).

ابن **عبد الوهاب، محمد** بن محمد فقيه تولى خطة العدالة بتطوان من سنة 1217 إلى سنة 1243 (1802-1827) ومات سنة 1251 (1835).

ابن **عبد الوهاب، محمد** بن محمد فقيه تولى الخطبة بمسجد العيون إلى أن وافته المنية عام 1267 (1851).

ابن **عبد الوهاب، محمد** المكي بن المهدي بن أحمد ابن عبد السلام. عالم تولى الامامة والخطبة والتدريس بجامع القصبة، ووقع صك بيعة السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن سنة 1276 (1859) وصك بيعة السلطان مولاي الحسن الأول سنة 1290 (1873).

توفي بتطوان يوم 8 ذي القعدة 1297 (12 أكتوبر 1880) ودفن بجوار ضريح مولاي عبد السلام بن مشيش بجبل العلم.

ابن **عبد الوهاب، المهدي** بن أحمد بن عبد السلام فقيه كان من بين أعيان تطوان الذين بايعوا الأمير مولاي سعيد بن مولاي اليزيد سلطانا يوم 12 جمادى الثانية 1236 (16 مارس 1820).

محمد ابن عزوز حكيم

عبدة هي إحدى القبائل المعقلية التي استقرت في بداية القرن الخامس عشر الميلادي بالجهة الغربية لإقليم أسفي. وكان مصدر هذه الهجرة من الجنوب. ويرجع نسبهم إلى ذوي عبيد الله (الأسعد، 2000).

أصل ذوي عبيد الله (عبدة) المعقلي

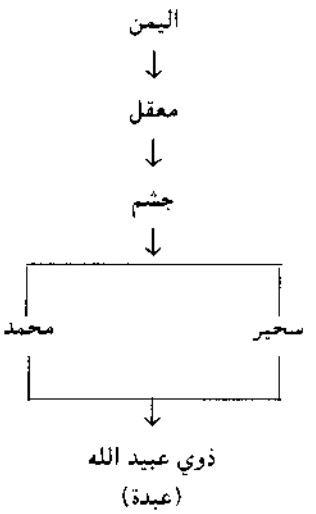

تتكون قبيلة عبدة من خمس فخذات وهي :

- البحاترة الشمالية : توجد بالشمال الغربي لمدينة أسفي بمحاذاة الساحل الأطلنتي غربا وتحدها قبيلة ثمرة شرقا والبحاتر الجنوبية من جهة الجنوب وقبائل دكالة من جهة الشمال الشرقي.

- البحاترة الجنوبية : توجد بالجنوب الغربي لمدينة أسفي بمحاذاة الساحل الأطلنتي غرباً وقبائل شياظمة من الجنوب والجنوب الغربي وفخذة عمر شرقا وفخذة ثمرة من الشمال الغربي.

- ثمرة : توجد بالجهة الشمالية لتراب عبدة : يحدها من الغرب فخذة البحاترة الشمالية ومن الشرق تحدها فخذة الربيعة ومن الجنوب تحدها فخذتا عمر والبحاترة الجنوبية. أما من الشمال فتحدها قبيلة دكالة.

- الربيعة : توجد بالشمال الغربي لتراب عبدة ويحدها من الغرب فخذة ثمرة ومن الشرق والشمال قبيلة دكالة ومن الجنوب الشرقي قبيلة أحمر ومن الجنوب الغربي فخذة عمر.

- عمر : توجد بالجنوب الشرقي لتراب عبدة ويحدها من الجهة الغربية فخذة البحاترة الجنوبية ومن الشمال الغربي فخذة ثمرة ومن الشمال الشرقي فخذة الربيعة أما من الجهة الشرقية فتحدها قبيلة أحمد ومن الجنوب قبيلة الشياظمة.

يبلغ عدد سكان عبدة حسب إحصاء 1994 ما يقارب ست مائة ألف نسمة، يقطن نصفهم (49.87٪) بالحواضر : أهمها مدينة أسفي حاضرة عبدة وإقليم أسفي أيضاً ؛ إذ يفوق عدد سكانها أزيد من 260 ألف نسمة. وبذلك فهي تحتكر لوحدها 92 بالمائة من سكان حواضر عبدة. أما باقي الحواضر فهي مدن صغرى، مثل جمعة اسحيم شرق مدينة أسفي وجزولة الموجودة في جنوبها الشرقي.

يتوفر تراب قبيلة عبدة على مؤهلات طبيعية هامة. تتوزع التضاريس إلى ثلاث وحدات :

- مسطحة ساحلية بالجهات الغربية المحاذية للمحيط الأطلنتي، تشمل معظم تراب فخذات ثمرة والبحاترة الشمالية والبحاترة الجنوبية.

- تلال المويسات بالجنوب وتشمل جزءاً من تراب فخذة عمر.

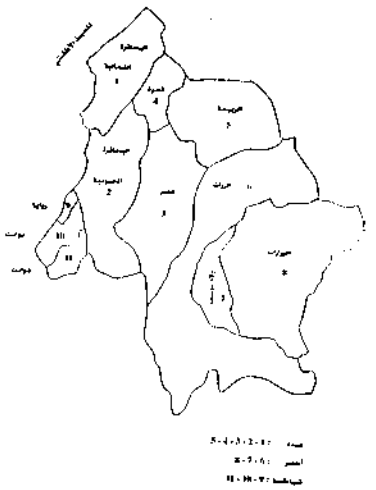

التوزيع الجغرافي لفخذات قبيلة عبدة بإقليم اسفي

- سهل خصب تتكون تربته من التيرس ويشمل تراب فخذة الربيعة ومعظم تراب فخذة عمر. يتميز المناخ بأنه جاف، إذ تقل التساقطات المطرية عن 300 ملمتر في السنة، إذا ما اعتمدنا المعدلات المطرية لمحطة مدينة أسفي. وتعاني قبيلة عبدة من ندرة المياه السطحية وقلة المياه الباطنية ؛ حيث لا يوجد بها أي نهر، باستثناء نهر تانسيفت الذي يحدها من الجهات الجنوبية والجنوبية الغربية، لكنه لا يستغل لمياه الشرب. أما المياه الباطنية فتتركز أساسا بالشمال الغربي بتراب فخذة البحاترة الشمالية.

أثرت المؤهلات سالفة الذكر على النشاط الفلاحي لقبيلة عبدة الذي يعتمد على الزراعة وتربية الماشية. تسود الزراعات الجافة وخاصة منها زراعة الحبوب مع تربية الغنم والبقر بتراب فخذة الربيعة ومعظم تراب فخذة عمر. أما الزراعة المروية فنجدها بجهتين : أولاهما بولجة عبدة بتراب فخذة البحاترة الشمالية والتي تنتج البواكر والخضر على مساحة تناهز 1500 هكتار، وقد كانت منتوجاتها موجهة إلى التصدير، لكنها عرفت تراجعا بفعل تقلبات الظرف الاقتصادي بتوسع السوق الأوروبية المشتركة. أما ثاني الجهات المروية فتوجد بالوسط الشمالي لتراب قبيلة عبدة أو بالشمال الغربي لتراب فخذة الربيعة، والتي تعرف بقطاع الزمامرة ؛ حيث يتم الري الحديث المؤطر من الدولة. تشمل المساحات المروية زهاء 3600 هكتار. يعتمد النشاط الزراعي على دورة ثلاثية تعتمد على زراعة الشمندر السكري - الذي يوجه للتكرير بمعمل خميس الزمامرة - علاوة على زراعة الحبوب والمزروعات العلفية. أما تربية الماشية، وخاصة منها

تربية الغنم فتسود بالمسطحة الساحلية التي تمتد على تراب فخذتي البحاترة وكذا بتلال المويسات جنوب تراب فخذة عمر.

توجد الأنشطة الصناعية بالحواضر مثل مدينة أسفي حاضرة عبدة التي تعتمد على الصناعات الكيماوية كما يوجد بها ميناء هام لترويج المنتجات الفلاحية لعبدة والحوز والمنتجات الصناعية للفوسفاط ومشتقاته. أما الصيد البحري فقد تراجعت أهميته رغم أنه كان يشكل النشاط الاقتصادي الأساسي لسكن عبدة إلى عهد قريب، هذا دون أن ننسى أهمية الصناعة التقليدية وخاصة منها صناعة الخزف التي اشتهرت بها مدينة أسفي حاضرة عبدة.

تكون الشخصية المجالية لإقليم أسفي من الحقبة القديمة إلى الفترة المعاصرة، نشر في "*تاريخ إقليم أسفي من الحقبة القديمة إلى الفترة المعاصرة*" إعداد محمد الأسعد، دفاتر دكالة عبدة رقم 1، سلسلة بحوث ودراسات، منشورات مؤسسة دكالة ـ عبدة للثقافة والتنمية، ص. 17 ـ 33.

A. Antona, *La région des Abda*, Rabat, 1931.

محمد الأسعد

العبدري، محمد بن ببيش، هو الفقيه محمد بن محمد بن محمد بن ببيش العبدري. يكنى أبا عبد الله، يعرف بابن ببيش. أصله من غرناطة وبها ولد في رجب سنة 680 / 1281. انتقل إلى سبتة واستقر بها ردحا من الوقت قبل أن يعود إلى غرناطة بدعوة من وزيرها أبي عبد الله ابن الخطيب عقب لقائه به في سبتة. عرف بالنحوي اللغوي الأديب الشاعر الموثق الحافظ الراوية. اشتغل أيضا بالطب إلا أنه تعيش وأثرى من تجارة الكتب. قرأ على جملة من مشايخ بلده منهم أبي جعفر بن الزبير والخطيب أبي عبد الله بن رشيد والوزير أبي محمد بن المؤذن المرادي والأستاذ عبد الله بن الكماد. كما سمع على الوزير أبي محمد عبد المنعم بن سماك، وقرأ بسبتة عن الأستاذ أبي إسحاق الغافقي (*الإحاطة*، 3 : 28). وفي سنة 752 / 1351 التقى بالقاضي أبي الحسن رضا بن رضا بسبتة وهي السنة التي التقى فيها بابن الخطيب الذي أجازه بدار الإنشاء عندما نزل بسبتة رسولا عن الإيالة الغرناطية لدى السلطان المريني. وكان موضع إقرائه بمسجد زقاق الفضل من سبتة. ومن تلامذته أبو عبد الله بن الأصفر النحوي (*بلغة*، 179) ولسان الدين ابن الخطيب (*نفح*، 5 : 384).

من أشعاره قوله مخاطبا أبا العباس العزفي أمير سبتة، وقد أهدى إليه أقلاما (*الإحاطة*، 3 : 29 ؛ *الكتيبة*، 90) :

أنا ملك الغر التي سيب جودها
يفيض كفيض المُزْن بالصيّب القطر
أتتني منها تحفة مثل عدها إذا
انتُضيت كانت كمُرْهفة السمر
هي الصّفر لكن تعلم البيضُ أنها
مُحكمة فيها على النفع والضر
مُهذبة الأوصال مَشْوقة كما
تُصاغُ سهام الرَّمْي من خالص النَّبر
فقبلتُها عشرا ومثّلتُ أنني
ظفرت بَلثْم في أناملك العشر

كما له قصائد مطولات في مدح ملوك بني نصر.

توفي سنة 753 / 1351، ودفن بباب البيرة من غرناطة (*الإحاطة*، 3 : 31).

بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب، تح. محمد بن تاويت، مجلة تطوان، العدد 9، 1964، ص. 179 ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، تح. محمد بن عبد الله عنان، القاهرة، 1395 / 1975، الجزء الثالث، ص. 31.27 ؛ *الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة*، تح. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ص. 90 ؛ المقري، *نفح الطيب*، تح. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1388 / 1968، الجزء 5، ص. 384.385.

العبدري، محمد بن حريث، الفقيه محمد بن محمد ابن علي بن إبراهيم بن حريث العبدري القرشي. يكنى أبا عبد الله. بلنسي النسبة، سبتي الدار. ولد سنة 641 / 1244. أخذ عن عبد العزيز الحراني، وعبد المؤمن بن خلف التونسي، وأجازا له سنة 684 / 1285 (درة، 2 : 248). وهو مالكي المذهب. روى الموطأ عن ابن أبي الحسين ابن أبي الربيع عن ابن بقي. وأقرأ الفقه. وتفنن في العلوم والقراءات والعربية. يذكر عنه أنه فقيه مشارك، صاحب فنون، جليل القدرة، حسن الخط.. تولى إمامة الفريضة بجامع سبتة. كما ولي الخطابة بنفس المسجد مدة ثلاثين سنة، ثم تزهد، ووفق كتبه بألف دينار وعقاره وحج. ويذكر أنه حين هم بالتوجه إلى المشرق اختار الفقيه علي بن وشاش كخلف له في إمامة جامع سبتة (*بلغة*، 177)، وجاور مدة سبع سنين وتولى إمامة مسجد الحرمين وحدث به. توفي بمكة في جمادى الأخرى سنة 722 / 1322 عن سن تناهز إحدى وثمانين سنة (*الوافي*، 1 : 232 ؛ *الدرر*، 4 : 199 ؛ *شذرات*، 6 : 58).

بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب، تح. محمد بن تاويت، مجلة تطوان، العدد 9، 1964، ص. 177 ؛ أبو الفلاح عبد الحي ابن العماد الحنبلي، *شذرات الذهب في ذكر من ذهب*، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الجزء السادس، ص. 58 ؛ ابن حجر العسقلاني، *الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة*، دار الجيل، بيروت، الجزء الرابع، ص. 199 ؛ ابن القاضي، *درة الحجال في أسماء الرجال*، تح. محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، 1391 / 1971، الجزء الثاني، ص. 248 ؛ الصفدي، *الوافي بالوفيات*، ط. 1371 / 1962، الجزء الأول، ص. 233.

زوليخة بنرمضان

عبدوس (بنو ـ)، ويقال لهم أيضا العبادسة بيت كبير شهير من البيوتات التي كانت تسكن مدائن مكناس القديمة المندثرة، التي كانت تمتد ـ نحو 5 كلم ـ عند الشمال الغربي

لمدينة مكناس الحالية. وهم على حد تعبير ابن غازي في *الروض الهتون*، ص. 34، "وأظن أني وقفت في بعض التواريخ على أن بني عبدوس من جملة قرى مكناسة كبني برنوس، والمفهوم من ذلك أن أهلها من جملة قبائل مكناسة، وإليهم ينسب العبادسة من بني معطي أعقاب الشيخ الفقيه المدرس موسى العبدوسي".

وكانوا بيت علم أقام فيهم العلم ورياسته دهرا امتد من القرن السابع إلى القرن التاسع الهجري، حتى في نسائهم، وآخر علمائهم كما جاء فيه ابن غازي : "أم هاني العبدوسية"

ابن غازي، *الروض الهتون*، المطبعة الملكية، الرباط، 1384 /1964، ص. 35،34 ؛ م. المنوني، *مدائن مكناس القديمة*، مجلة أعمال الحاضرة الإسماعيلية، 1988، ص. 181.

رقية بلمقدم

العبدوسي، عبد الله بن **محمد** بن موسى بن معطي المكناسي، إمام فقيه عالم محدث، حافظ متقن، وصفه ابن القاضي قائلا : "كان أسخى الناس، وإماما في نصح الأمة، أمات كثيرا من البدع الكائنة بالمغرب، وأقام الحدود والحقوق، وكان أكثر عمله فقه الحديث".

نشأ في بيت علم وحكمة، وتلقى تعليمه على يد والده فحفظ مختصر مسلم للقرطبي في كل خميس خمسة أحاديث، وكان أبوه يعطيه عليها درهما، كما أخذ عن فطاحل شيوخ العلم في وقته، فتكون تكوينا متينا في الفقه والحديث والعقائد وسائر العلوم الشرعية. بالإضافة إلى التحلي بأخلاق الصوفية على سنن أبيه.

ولي خطة الفتيا وانتهت إليه الرياسة فيها، ونقل الونشريسي في معياره جملة صالحة من فتاويه. وتولى في آخر عمره خطابة جامع القرويين بفاس، هذا إلى جانب التدريس فكانت أوقاته معمورة بالمجالس العلمية، وتخرج على يده عدة علماء أعلام من أمثال : ابن آملال والفقيه القوري، وأبو محمد الورياغلي ومحمد ابن غازي العثماني.

وكان محبا في الصالحين، معظما لآل البيت وكان يجل الإمام إدريس بن إدريس ويزوره وهو الذي أمر بكتابة ما على شاهدة قبره.

وكان يعمل الخوص ويعطيه رجلا لا يعرف أنه له ليبيعه ليقتات بثمنه في رمضان. وكان لا يدخر شيئا حتى أنه لما توفي لم يوجد عنده في تركته غير برنس ودراعتين.

ألف العديد من الفتاوى إلا أنه لم يجمعها في ديوان.

توفي فجأة وهو يؤم صلاة المغرب في جمادى الثانية وقيل في ذي القعدة سنة 848 أو 849.

أ. التمبكتي، *نيل الابتهاج*، طبعة أولى، مصر، ص. 306 ؛ ابن زيدان، *الإتحاف*، الجزء 4، ص. 502 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1974، ج. 2، ص. 425.

العبدوسي، موسى بن **محمد** بن معطي. أحد أعمدة الفقه المالكي بالمغرب، "علامة محصل ناقد خبير متضلع، مشارك مفت، مدرس، نفاع، انتهت إليه رياسة العلم والفتيا في زمنه، آية في المدونة، وكان الشيوخ يقولون : "فقهاء العصر على ثلاثة أقسام : من أعطي الحفظ فقط، ومن أعطي الفهم فقط، ومن جمعا له وهو سيدي العبدوسي". (*الإتحاف*، 4، ص. 367).

أخذ عن عبد العزيز القوري، وعبد الرحمن الجزولي وغيرهم من أئمة المذهب المالكي، تولى مهمة التدريس بجامع القرويين، وكان يحضر مجلسه عدد من الفقهاء والصلحاء والمدرسون وحفاظ المدونة كما كان له إدلال عجيب في إقراء التهذيب.

أخذ عنه عدد من الأئمة والفقهاء كالإمام ابن عباد، وأبو حفص الرجراجي، وأبوعبد الله الهواري، وابن الخطيب القسمطيني، والحافظ عمران ابن موسى الجناتي.

ومن مؤلفاته : تقييد على المدونة، وآخر على الرسالة، وقيد عنه الحافظ الجناتي التقييد على المدونة في عشرة مجلدات.

توفي بمدينة مكناس عام 776.

أ. التمبكتي، *نيل الابتهاج*، ص. 342 ؛ ابن زيدان، *الإتحاف*، 4، ص. 367 ؛ *الإتحاف*، 3، ص. 190 و202 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الجزء 1، ص. 346.

العبدوسية أم هانئ بنت محمد بن موسى العبدوسي، عالمة تنتمي إلى أسرة علمية شهيرة في العصر المريني، درست الفقه على أخيها عبد الله العبدوسي خطيب جامع القرويين (ت. 848 / 1444). وصفها الشيخ أحمد زروق في *كناشته* بالفقه والعلم والصلاح، وأثنى عليها العلامة ابن غازي المكناسي، واعتبرها آخر فقهاء الأسرة العبدوسية. وكانت أختها فاطمة أيضاً فقيهة متضلعة في فقه القضاء.

توفيت أم هانئ سنة 860 / 1456 بعد أن اقترب سنها من المائة.

أ. التنبكتي، *نيل الابتهاج*، طبعة طرابلس، ص. 617 ؛ ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، 3 : 585 ـ 586 ؛ التازي، *المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي*، ص. 96. 110 ؛ ع. الهادي التازي، *جامع القرويين*، 2 : 443.

محمد المغراوي

عبدون، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الإسم Abdon ؛ وهو اسم قرية عبدون التي كانت بأحواز غرناطة المسلمة وقد حطمها الإسبان سنة 1431. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1146.

محمد ابن عزوز حكيم

عبدون، صالح، مقاوم ولد سنة 1928 بتنانت دائرة أزيلال. انخرط في صفوف جيش التحرير منذ انطلاقته وذلك بعد فراره من صفوف الجيش الفرنسي بدافع حبه لوطنه وغيرته عليه، حيث انضم إلى فرقة تيزي وسلي تحت قيادة عبد السلام الذهبي.

وقد ساهم في العديد من العمليات والاصطدامات مع قوات العدو إلى حين حصول المغرب على استقلاله.

وقد انتقل إلى عفو الله بتاريخ 16 / 5 / 1995 .

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة رقم 504314.

العبدوني، محمد بن **عبد الكريم** الورديغي البجعدي الشهير باسم الفقيه ابن عبد الكريم، لا نعرف تاريخ ولادته ينتسب إلى قبيلة أولاد عبدون أو عيدون - بالياء - ولذلك سماه المستعرب بروفنصال وعبد السلام ابن سودة ومحمد المنوني العيدوني بالياء.

التحق بزاوية أبي الجعد وهو صغير السن وتلقى عن أشياخها وعلمائها، المواد التي كانت تلقن في الزاوية الشرقاوية كالفقه والحديث والتصوف والتفسير والبلاغة والأدب. ثم لازم الشيخ محمد الصالح ومن بعده محمد المعطي. وفي بداية أمره اختار شيخ الزاوية للقيام بمهمة التدريس والوعظ والإرشاد ببلاد زعير بطلب من أعيان هذه القبيلة. شكل محمد العبدوني إلى جانب الحسن المعداني أهم أطر الزاوية الشرقاوية الممارسين للتدريس والإقراء بمدرستها.

لازم المترجم الشيخ محمد المعطي لمدة اثنتين وأربعين سنة. حيث كان لا يفارقه في البدو والحضر، والظعن والسفر. فكان بمثابة كاتبه الخاص وأمين سره ومسجل تاريخ حياته. وقال العبدوني يصف هذه المعاشرة : "وكان رضي الله عنه حين تأليفه لكتاب *الذخيرة* هو المملي علي فيه، وأنا الكاتب وهو المؤلف له وأنا الصاحب... يسر بمرافقتي ويفرح بمعاشرتي...". وكان الشيخ محمد المعطي يثني عليه، ويعترف له بجهده وجلده ويقول إن ما يحضر له معه من الفتح والإلهام لم يكن يحضر له مع غيره. وكل الذين نقلوا عنه من أبناء الزاوية الشرقاوية يلقبونه بالرجل الصالح العالم الناصح.

مارس العبدوني مهنة الوراقة والنساخة وهو مخرج النسخة الأولى من كتاب *ذخيرة المحتاج* في خمسة وخمسين سفرا، وكان يكتب في بيت يسمى بيت الذخيرة أعده مؤلفها بدار سكناه خصيصا لانتساخ هذا الكتاب، على أن الوراق العبدوني انتسخ فضلا عن الذخيرة كتبا غيرها بلا عدد. ومن منتسخاته الأخرى برسم أستاذه جزء في *أحكام السهو في الصلاة* للمالقي (مخطوط خ. ح. 6875). ثم كتاب *المرج النضر والأرج العطر* (مخطوط خ. ح. 519). وبعد وفاة شيخه عزم على إعادة نسخ كتاب *الذخيرة* مرة ثانية وما إن بلغ فيه الجزء السابع حتى كف بصره.

وأشهر تأليف له *يتيمة العقود الوسطى في مناقب الشيخ أبي عبد الله محمد المعطى*، ومناقب أبيه محمد *صالح الطيب الشيم والخطى*، *ومناقب آبائهما وأجدادهما المشهورين بين صلحاء المغرب بالولاية والصلاح وكمال التصرف في الأخذ والعطا*، عرف فيه بالشيخ الجليل صاحب كتاب *ذخيرة المحتاج في الصلاة على صاحب اللواء والتاج* محمد المعطى بن الشيخ محمد الصالح الشرقي.

توفي العبدوني عام 1189 / 1776 ودفن بضريح شيخه محمد المعطى بجنب قبر سيدي محمد بن قاسم السجلماسي بمدينة أبي الجعد.

العبدوني، *يتيمة العقود الوسطى*، مخطوط : سليمان الحوات، *الروضة المقصودة*، ج. 2، ص. 503 ؛ بروفنصال، *مؤرخو الشرفاء*، ص. 236 ولم يترجم له واكتفى بذكر كتابه وسماه *العبدوني* ؛ م. الكانوني، *أسفي وما إليه*، ص. 45 ؛ ع. ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب*، ج. 1، ص. 242 ؛ م. المنوني، *المصادر العربية*، ج. 1، ص. 225 ؛ *تاريخ الوراقة*، ص. 133 ؛ أحمد بوكساري، *الزاوية الشرقاوية*، ج. 1، ص. 198.

أحمد إبشرخان

العبدوني النزاغي العربي، الفقيه الحاج العربي ابن الفقيه الحاج محمد ابن الفقيه سيدي بوعزة بن سيدي عبد السلام المدعو بولنوار، بنسبه إلى مولاي إدريس، حفيد سيدنا الحسن بن علي بن أبي طالب (شجرة نسب العبدوني).

ويفهم من هذه السلسلة أن العربي العبدوني شريف النسب، من الفرع الحسني. لكنه اشتهر بالعبدوني (*نشر المفاخر*، 25 ؛ *الإعلام*، 6 : 319)، نسبة إلى قبيلة أولاد عبدون، الواقعة في تادلا. ومن أشهر آبائه، جده الثاني، سيدي عبد السلام بن عبد الله، المدعو سيدي بولنوار، وضريحه في القرية المعروفة باسمه أي بولنوار، غير بعيد عن مدينة خريبگة (*الزاوية النزاغية*، 15.16).

وفي أولاد عبدون، وربما في بولنوار، ولد العربي العبدوني. وإذا كنا لا نعرف تاريخ ميلاده، فإننا نعلم أنه توفي عام 1309 / 91 1892 (*المدرسة*، 69)، مما يعني أنه عاش معظم أيامه في أواخر القرن (13 هـ / 19 م). وفي أولاد عبدون تربى وتعلم. وكان معلمه الأول هو والده الفقيه الحاج محمد ابن الفقيه سيدي بوعزة العبدوني، إذ كان والده معلما للصبيان في أحد الكتاتيب القرآنية بأولاد عبدون. وقد أقرأه القرآن، وما تيسر من العلوم القرآنية، ثم أرسله إلى المدارس المجاورة لمواصلة تعلمه. وهكذا درس بالزاوية الشرقاوية في أبي الجعد، وفي زاوية الشيخ الحاج أحمد التاغي الحمداوي (ت. بين 1268 و1276)، في بزام بالشاوية، وفي زاوية الفقيه الحاج محمد بن أحمد بن دحو الأزموري (ت. 1284 / 67 1868) بأزمور (*الزاوية النزاغية*، 16).

وفي زاوية ابن دحو أخذ العربي العبدوني علوم التصوف،

وعلى يد شيخها انخرط في طريق القوم (*نشر المفاخر*، 25 ؛ *الإعلام*، 6 : 100)، وإذا علمنا أن الشيخ ابن دحو من شيوخ الطريقة المختارية القادرية، بل من أعمدة هذه الطريقة في المغرب (*الإعلام*، 6 : 317)، فمن تحصيل الحاصل القول بأن العربي العبدوني كان مختاريا ـ قادريا في تصوفه، مثل شيخه (*المدرسة*، 100).

وبعد أن أكمل مولاي الطاهر القاسمي تكوينه، عاد إلى أولاد عبدون بتادلا، ولعله فتح بها زاوية. بيد أن المقام هناك لم يطب له، فرحل من أولاد عبدون. ولعل للزاوية الشرقاوية دورا في هذا الرحيل. أما المكان الذي اختار النزول فيه فهو عين نزاغ، غير بعيد عن سطات سوى بخمس كلم، في اتجاه البروج، بالشاوية (قيادة المزامزة، إقليم سطات حاليا). وفي عين نزاغ أسس العربي العبدوني زاويته، التي سميت بالزاوية النزاغية، نسبة إلى المكان نفسه. وقد قيل إنه إنما أحيى زاوية كان شيخه ابن دحو الأزموري قد أسسها هناك.

والمهم في الأمر أن الحاج العربي العبدوني أسس زاوية في عين نزاغ بالشاوية، ولذلك صار يعرف في كتب التراجم بالحاج العربي العبدوني ثم الشاوي (*نشر المفاخر*، 25 ؛ *الإعلام*، 6 : 319). وتذكر الرواية الشفوية أن تأسيس الزاوية حدث في العقد الأخير من القرن (13 هـ)، في أيام السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن.

وقد غدت الزاوية النزاغية من أكبر الزوايا في المنطقة، كما غدا الحاج العربي العبدوني (ت. 1309) من مشاهير الفقهاء وكبار الصوفية. وكان عنوان هذه الشهرة اهتمامه بالتدريس. وكان أهم ما اهتم بتدريسه علوم القراءات، اقتداء بشيوخه. وفي هذا الصدد كتب الفقيه الكانوني بمناسبة حديثه عن زاوية الحاج العبدوني أنها اشتهرت من عهد مؤسسها، وقصدها الناس للقراءات والعلم (*المدرسة*، 100). وقد بلغ الحاج العبدوني، في هذا المجال، مقاما عاليا، ونافست مدرسته، بفضله، مدارس أخرى كان شيوخها يعدون من كبار الأساتذة في علوم القرآن، مثل الأستاذ المقرئ سيدي محمد الزوين، والأستاذ المقرئ مولاي الطاهر القاسمي الدكالي، وقد توفيا معا في صدر القرن (14 هـ).

كما ترتبط شهرة العربي العبدوني النزاغي بنشاطه الكبير في نشر التصوف، ولاسيما مبادئ الطريقة المختارية. وقد أخذ على يده هذه الطريقة كثيرون، مما ساعد الزاوية النزاغية، ومن خلالها الطريقة المختارية، على اكتساب شعبية واسعة، ونفوذ قوي، ولاسيما في الشاوية (*المدرسة*، 100).

وإلى جانب التربية والتعليم، اشتهر الحاج العربي العبدوني بصلاحه وولايته، واعتقد كثيرون في بركته، وتسابقوا لخدمته. ومما اشتهر به لدى الفئات العامة أنه كان يداوي المصابين بمرض بوزلوم، وبمن أصابه مس من الجن. والأهم من هذا أن الناس يذكرون أن هذا الرجل كان يعتمد في مداواته للمصابين على أعشاب معينة، أو رقي بها آيات قرآنية (*الزاوية النزاغية*، 36). هذا، ومن أكثر القبائل خدمة للشيخ العبدوني : أولاد عبدون، وبني مسكين، وأولاد سعيد، وقبائل أحمر (*الزاوية النزاغية*، 35).

كما حظي الحاج العربي العبدوني بتقدير المخزن العلوي. وكان هذا الشيخ وأهل الزاوية، وكل من يحسب عليهم معفين من التكاليف المخزنية (*نشر المفاخر*، 25).. وفي هذا الصدد يذكر أيضا أن قائد الشاوية في زمانه، الحاج المعطي، كان يستشيره في القضايا الهامة، وخصوصا عندما يكون ذاهبا للقاء السلطان مولاي الحسن. وفي نفس الإطار، مازال أبناء الحاج العبدوني يذكرون باعتزاز كبير أن مولاي عبد الحفيظ زار جدهم في زاويته، قبل توليته العرش.

وقد توفي الحاج العربي العبدوني الشاوي النزاغي عام 1309 / 1892.91، ودفن في زاويته بعين نزاغ، مخلفا عدة أبناء لا يقلون عنه علما وتصوفا. ونعرف منهم :

ـ الفقيه الوارث لحال والده الأستاذ محمد المدعو الحاج، وهو الذي تصدر للمشيخة في الزاوية بعد وفاة والده.

ـ الفقيه المجذوب الصالح محمد المدعو العالم، وهو الذي تولى المشيخة بعد وفاة أخيه محمد الحاج (*نشر المفاخر*، 25 ؛ *الزاوية النزاغية*، 25.24).

ـ الفقيه الأستاذ المقرئ السيد محمد المدعو ابن دحو.

وقد دفن هؤلاء الثلاثة بضريح والدهم الحاج العربي العبدوني النزاغي في عين نزاغ. أما أخوهم الرابع الفقيه الأستاذ الصوفي سيدي عبد القادر فقبره بضريح سيدي عبد الخالق، بمدينة خريبگة، بينما يوجد ضريح أخيهم الخامس الفقيه سيدي خليل بمراكش. (*الزاوية النزاغية*، 25.24).

شجرة نسب الحاج العبدوني ؛ العزوزي العربي، *نشر المفاخر والمآثر لرجال الشاوية المشاهير*، مخطوط خاص ؛ ابن إبراهيم العباس المراكشي، *الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام*، ج. 6، المطبعة الملكية، الرباط، 1977 ؛ محمد المنوني، *المدرسة الكتبية، نموذج للدعوة والإرشاد بإفريقيا والمغرب في العصر الحديث*، حوليات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، العدد الرابع، 1987 ؛ سميرة محال، *الزاوية النزاغية بالشاوية*، بحث لنيل الإجازة في التاريخ، 1993، خزانة كلية الآداب بالجديدة.

أحمد الوارث

العبدي، سالم ولد بدار الحاج العياشي بمنطقة عبدة كان أبوه في جيش عبيد البخاري قضى خدماته على عهد المولى سليمان والمولى عبد الرحمن.

كان عبداً في خدمة القائد العياشي قائد عبدة وفي هذا الإطار كان يرافق سيده في المناسبات الدينية إلى حضرة السلطان.

عمل خليفة في الجيش المخزني أو الحرس الملكي. وقد مكنه وجوده بهذا المنصب في دار المخزن من التعرف على شخصيات مختلفة كان من بينهم الدكتور لوي أرنو Louis Arnand والذي صاحب سالم العبدي طيلة مدة من الزمن وتمكن خلالها من كتابة كتابه *زمن المحلات أو المغرب من*

(Au temps des Mehallas ou le Maroc de 1860 إلى 1952 (1912 à 1860 والذي هو عبارة عن مجموعة ذكريات وملاحظات سالم العبدي خلال فترة اشتغاله في خدمة المخزن. وطبع هذا الكتاب سنة 1952 بالدار البيضاء.

توفي يوم 8 أبريل 1938.

L. Arnand, *Au temps des Mehallas ou le Maroc de 1860 à 1912*, Casablanca, 1952.

العبدي، صالح بن الحاج أحمد بن أحمد بن سعيد (المعروف بـ "الزْواهْري، مَطيشَة). من ألمع شخصيات أسفي المناهضة للاستعمار الفرنسي. ينحدر من عائلة كانت تعرف باسم "مطيشة" من قبيلة الزْواهَر شمال أسفي بالقرب من ضريح لالة فاطنة مَحمد. وكان أبوه الحاج أحمد فلاحاً يتردّد على أسفي قصد التجارة إلى أن اشتدّ طغيان القائد عيسى بن عمر العبدي على قبائل عبدة فاضطر إلى الهجرة إلى مدينة الصويرة التي استقرّ بها.

وُلد صالح بالصويرة في مطلع القرن العشرين وتلقى تعليمه الديني بها وحفظ القرآن الكريم. وكان في نفس الوقت يتردد على قسم دراسي تابع لإحدى القنصليات الأوروبية حيث حصل على تعليم فرنسي متين. رجعت عائلة العبدي إلى أسفي حوالي 1916. التحق صالح هنا بالمدرسة الفرنسية الإسلامية وربط علاقة ودّ وصداقة مع عدد من المعلمين الفرنسيين، ثم فتح مكتباً واشتغل فيه كاتباً عمومياً ومترجماً. وبدأ في هذه الفترة يكتب مقالات على صفحات بعض الجرائد باللغتين العربية والفرنسية، وكان يوقع كتاباته تارة بـ "صالح العبدي" وتارة بـ "صالح مطيشة" وتارة أخرى بـ إزيسْ" (Isis).

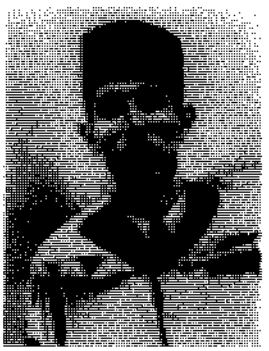

لما اندلعت حرب الريف اتخذ صالح موقفاً لحركة المقاومة بزعامة الأمير عبد الكريم الخطابي وتصدى في عدد من مقالاته الصحفية إلى عملية التجنيد الإجباري للمواطنين الذي لجأت إليه السلطات الاستعمارية وحث الناس على العصيان، فاختطفه الجهاز الأمني ووضعه في مكان مجهول. ولم يُطلق سراحه إلاّ عقب حملة احتجاجية واسعة قام بها عدد من أصدقائه من الفرنسيين الأحرار. وقد دام اختفاء صالح أزيد من ثمانية أشهر. ومباشرة بعد إطلاق سراحه وُضع تحت الإقامة الإجبارية بقرية من ضريح سيدي بوزيد شمال المدينة. بعد ذلك بقليل تم نفيه. فقصد بعض أصدقائه في واد زم وخريبگة حيث قضى أزيد من سنة، ثم عاد إلى أسفي واستأنف نشاطه المهني والسياسي إلى أن جاءت قضية الظهير البربري التي حاربها بكل قواه من خلال عدد من مقالاته الصحفية. ولقد حفظت للتاريخ مذكرته التي نشرها الأستاذان زكي مبارك والخلوفي محمد الصغير مواقفه البطولية من هذه القضية وكذا تصوره للاستراتيجية التي ينبغي على الحركة الوطنية الناشئة اتباعها لمحاربة الاستعمار من جهة وتطوير المجتمع المغربي من جهة أخرى. وكان صالح على موعد مع السجن مرة أخرى بسبب كتاباته هذه، فقد حكم عليه بالحبس لمدة أربعة أشهر قضى جلّها في سجن مدينة الرباط.

انتقلت عائلة المترجم بعد هذه الأحداث إلى الدار البيضاء، فتابع صالح نشاطه المهني والسياسي والصحفي. والجدير بالذكر أن اهتماماته كانت جدّ متنوعة، فقد كان يشغل باله كثير من الموضوعات كالقضية الوطنية والمسائل الاقتصادية وقضية تحرير المرأة، إلى غير ذلك من الموضوعات التي كان يتطرق إليها في مختلف مقالاته التي كان ينشرها على صفحات جريدة *"Le cri marocain"* (الصيحة المغربية) وجريدة "النجاح" الجزائرية وغيرهما من الجرائد.

وفي الدار البيضاء اضطر أفراد عائلة السي صالح الذين كانت تغلق أمامهم جميع الأبواب وتضيع منهم جميع فرص العمل والترقية الاجتماعية إلى استبدال اسمهم "مطيشة" الذي صار يحمل معنى الثائر و"المشاغب" باسم "الزْواهْري" نسبة لقبيلتهم "الزْواهَر".

عاش المترجم في العاصمة الاقتصادية زهاء عشرين سنة قضى جزءاً مهما منها بداخل "الكوميساريات" والسجون لأنه كان على رأس قائمة " المشاغبين" الذين يجب حبسهم كلما عرفت البلاد تحركاً وطنياً. وفي عام 1944 كتب مقالاً حول مؤتمر أنفا ومغزى اجتماع الملك محمد الخامس مع روزفيلت وباقي المشاركين في هذا المؤتمر. فانزعجت السلطات الاستعمارية كثيراً من الأفكار الواردة فيه وألقت عليه القبض بعدما نسبت إليه عدداً من التهم الملفقة. ثم حكمت عليه بالحبس لمدة خمس سنوات قضى منها أزيد من عام في السجن، وأفرج عنه سنة 1946 لما أعلن العفو العام الذي استفاد منه جميع المعتقلين والمنفيين الوطنيين، وذلك بمناسبة انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الثانية.

ولابد من التذكير بأن صالح العبدي كان خلال العشرينيات والثلاثينيات معروفاً في الأوساط الوطنية كصحفي ومثقف متفتح له مواقف شجاعة تجاه القضايا الوطنية. وتلقى في الموضوع رسائل من رواد الحركة الوطنية.

تدهورت حالة صالح الصحية مع حلول الخمسينيات، فرحل إلى مدينة المحمدية واستقر بها إلى أن وافته المنية عام 1951 ودُفن فيها في مقبرة سيدي مَحمد لَمْليح.

روايات شفوية خاصة من أخ المترجَم أحمد الزواهري وعبد الله السلاوي رحمهما الله ؛ زكي مبارك والخلوفي محمد الصغير، *الظهير البربري من خلال مذكرة صالح العبدي*، الرباط، 1993 ؛ ع. الرحيم العطاوي، من هو صالح العبدي صاحب مذكرة حول الظهير البربري، مجلة *المناهل*، عدد 54، 1997، ص. 163 ـ 169.

عبد الرحيم العطاوي

العبدي، عيسى بن عمر، (القائد ـ) ينتمي إلى أسرة عريقة في خدمة المخزن، ويتعلق الأمر بأسرة بنعيسى، التي يعود أصلها إلى منطقة الساقية الحمراء ويبدو أن نزوح هذه الأسرة إلى عبدة قديم نسبيا حيث استقروا بفخذة ثمرة بدوار الكوتات وبه يوجد منزلهم القديم الذي بناه جدهم عيسى بن موسى.

ولعل اهتمام أفراد هذه الأسرة وهم أحمد وامحمد وعمر بالتجارة جعلهم يوطدون علاقاتهم مع الأجانب مما ساهم في تنمية ثرواتهم وتدعيم مركزهم وأهلهم ليتبوؤوا مراكز القيادة داخل القبيلة وينالوا الحظوة لدى رجال المخزن المركزي.

وفي هذا الإطار شغل أحمد بنعيسى منصب مشيخة البحاثرة. تم ما لبث أن ترقى لمنصب القيادة بها وذلك على عهد السلطان المولى عبد الرحمان حوالي 1847. وخلال المدة التي قضاها أحمد بنعيسى في القيادة عمل على توسيع نفوذ أسرته ودعم مركزها وجاهها سواء على الصعيد المحلي أو المركزي، وبعد وفاته سنة 1854 خلفه ابن أخيه محمد بن عمر (1854 ـ 1879).

وقد عملت الظرفية التي تزامت مع ولاية السلطان محمد بن عبد الرحمان والتي تميزت بإطلاق العنان للقواد والعمال حتى يستتب الأمن ويعم الاستقرار أرجاء البلاد، عملت هذه الظرفية على مساعدة القائد محمد بن عمر على توسيع نفوذه والاستبداد بأمور القبائل. وخلال هذه الفترة كسب القائد ثقة الأمير المولى الحسن الذي ولاه والده أمر الحوز وكان سندا له في حل مجموعة من القضايا المحلية وغيرها كالتدخل لإخماد التمردات والاستشارة في تعيين شيوخ القبائل. وفي سنة 1878 قام القائد محمد بن عمر بشراء قيادة أحمد بن العياشي قائد الربيعة.

وخلال فترة القيادة هاته كان القائد محمد بن عمر يعمل بتعاون مع أخيه عيسى الذي كان ينوب عنه في قيادة الحركات والمفاوضات مع الأجانب وبعض قواد القبائل، كما كان دائما على رأس الفرسان الذين يذهبون لخدمة السلطان، وقد تعمقت تجربته الإدارية حينما استخلفه أخوه على قيادة البحاثرة. وخلال تقلده لهذه المهام أبان القائد عيسى على حنكة وخبرة إدارية وعسكرية هائلة جعلته يكون مؤهلا لخلافة أخيه الذي رشحه بعد أن أصيب بالمرض فكاتب السلطان يطلب منه توليه أخيه من بعده وفعلا وافق السلطان الحسن الأول على هذا الترشيح سنة 1879.

ولعل أول ما قام به عيسى بن عمر بعد توليه هو توسيع نفوذ قيادته الذي امتد على قبيلتي العامر والربيعة بل حتى على مدينة آسفي. بحيث أصبحت قيادته تمتد من الواليدية إلى حدود تانسيفت ومن الساحل إلى بن كرير إضافة إلى مناطق دكالة والرحامنة والشياظمة وحاحا.

وعمل القائد على تأسيس جهاز للمراقبة متميز ومتمكن ومتمرس يتكون من الشيوخ والمقدمين والمخازنية الذين كانوا يعملون على جمع الضرائب وجمع المعلومات عن القبائل والأشخاص وينقلون المراسلات إلى فاس ومراكش.

وربط القائد علاقات وطيدة ومحترمة مع السلطان والوزراء. وفي هذا الإطار كان القائد عيسى بن عمر يقوم بتزويد المخزن بالزرع والهدايا ويرعى ماشية السلطان على حساب القيادة ويجهز بعض الحركات لضمان الأمن. وبعد وفاة السلطان كسب القائد صداقة أبا احماد وبعد وفاته مال إلى جانب المهدي المنبهي وزير الحرب ومتزعم التيار المتحرر، مما جعله يتعرض لنقمة محمد غرنيط متزعم الجناح المحافظ والذي قام بتوقيف القائد واعتقاله لكن الوزير المنبهي أطلق سراحه وأعاد إليه نفوذه.

ولما رفع السلطان عبد الحفيظ راية الجهاد ضد أخيه، مال كبار القواد إلى جانبه ومنهم الكلاوي والعيادي والعبدي الذي اتهم الوزراء بأنهم سبب فشل سياسة المولى عبد العزيز.

وتولى القائد عيسى بن عمر منصب وزير الخارجية في حكومة المولى عبد الحفيظ بحكم تعامله مع الأجانب وخاصة القناصل منهم. ولعل هذه المهام الجديدة فرضت عليه الاستقرار بمراكش ومرات أخرى بفاس حيث الديبلوماسية الأجنبية. إلا أن مهامه كانت شبه شكلية لأن مهام وزير الخارجية كان يباشرها نائبه عبد الحفيظ الفاسي. فقد أبعد القائد عن المفاوضات التي كان يجريها السلطان مع فرنسا منذ 1909 وخلفه أحمد المقري.

ونظراً للمؤامرات التي أصبحت تدبر ضده من طرف الگلاوي وغيره من المنافسين، فإن عيسى بن عمر تقرب من قنصل فرنسا بفاس وطلب الحماية الفرنسية وذلك سنة 1910، الأمر الذي جعل الفرنسيين يتدخلون لإرجاعه لمنصب وزير الشكايات بعد أن كان قد عزل من منصب وزير البحر. وإذا كانت علاقة عيسى بن عمر قد تميزت بربط علاقات طيبة مع رجال المخزن على الصعيد المركزي، فان علاقاته على الصعيد المحلي كانت تطبعها تغيرات في المواقف إزاء مختلف المخاطبين. فقد عمل القائد على ربط علاقات طيبة مع الأجانب خصوصا الفرنسيين وكانت له اتصالات متينة مع الشركات الألمانية وغيرها. كما حرص على أن تطبع علاقاته مع القواد جيرانه باللين وبدليل ما كان يربطه الحذر بالقائد الحاجي والقائد المتوكي.

أما علاقاته مع المحميين فقد اتسمت بالشدة نظراً لأن الحماية كانت تحد من سلطات القائد في المطالبة الجبائية كما أنه كان يرى فيهم وسيلة لتفويت الأراضي والعقارات إلى الأجانب. ولهذا كان يتابعهم ويقوم بسجنهم ويطلب مقابلا

ماديا ضخما لاطلاق سراحهم مما حدا بالأوربيين إلى مكاتبة السلطان في موضوع سوء معاملة محميهم من طرف القائد مما يعرض مصالحهم التجارية للتعطيل.

ولعل العلاقة التي كانت تربط القائد بالقبائل هي التي كانت أكثر صرامة وشدة. ويتجلى ذلك من خلال معاملته للقبائل المتمردة على حكمه مثل قبيلة أولاد زيد بساحل آسفي الذين تمردوا وأعلنوا الحرب عليه بدعوى أنه أصبح يحترس من هذه القبيلة وصار يقرب غير فرقته من دكالة واحمر ويمدهم بالخيل والسلاح وهذا الاعتماد على قبائل أخرى كان سببا في توتر العلاقة مع فخذة أولاد زيد.

وبأمر من السلطان قام القائد بملاحقة أفراد القبيلة إلى عقر دارهم في ساحل آسفي مما جعلهم يحتمون بضريح أبي محمد صالح بآسفي. فتدخل باشا المدينة حمزة بنهيمة ودعى زعماء أولاد زيد إلى الصلح مع القائد. لكن هذه العملية انقلبت إلى مؤامرة غدر من طرف عساكر القائد الذين قتلوا زعماء أولاد زيد وخلفوا موجة من الخوف والذعر في المدينة جعلت الناس يفرون عبر الأبواب مما نتج عنه تكدس وتزاحم وقتل العديد من السكان وهذه الواقعة تدعى بعام الرفسة سنة 1895، ثم ألقى القبض على باقي المتمردين الذين تم سجنهم وعددهم 800 رجل في سجون آسفي ومراكش والصويرة والرباط والبردوز أي سجن قصبة القائد. أما بعد الحماية سنة 1912 فإن فرنسا شرعت بمختلف الوسائل في إبعاد القائد عن مقر قيادته لأنه صار عائقا لتنفيذ مخططاتها، وتؤكد التقارير الفرنسية بأن القائد أصبح موضوع شك وحذر فاتخذ الفرنسيون إجراءات لعزله كان منها تقسيم قيادة عبدة إلى خمسة قيادات تركت له فخذة ثمرة التي كانت عبارة عن مشيخة من مشيخات البحاثرة. ولذلك تنازل القائد عن القيادة سنة 1914 فلم يرض الفرنسيون ذلك فاتهموه بالتآمر وأصدروا قراراً بنفيه ووضعه تحت الإقامة الإجبارية في سلا. ثم سمح له بالإقامة في مراكش ليعود من جديد لسلا.

وقد توفي في 6 شتنبر 1924.

ع. رگوگ، *المقاومة وأحداث من التاريخ الاجتماعي في الأدب الشفوي المغربي (1890 - 1956)*، مطبعة بني زناسن، الرباط، 2001.

A. Antona, *La région des Abda, Impr. officielle*, Rabat, 1931 ; P.F. Weisgerber, *Au seuil du Maroc moderne*, éd. La porte, Rabat, 1947.

علال رگوگ

العبدي، محمد بن **الجيلاني** يعتبر من علماء المغرب وفقهائه الكبار، استهل حياته العلمية بالأخذ عن جلة من العلماء والفقهاء؛ كالفقيه المرحوم أحمد بن المبخوت الدكالي، والشيخ الحاج بن الحاج المذكوري، كما أخذ عن الفقيه العدل التهامي الناصري المعروف بابن الطويلة، والفقيه عبد الله بن المكي الناصري.

شد العبدي الرحال إلى مدينة فاس سنة 1340 / 1921 حيث أخذ على طائفة من علمائها الأجلاء؛ كقاضي الجماعة الفقيه محمد بن رشيد العرقي، والحسين بن الوالد العراقي، ومحمد الراضي بن إدريس السناني، كما أخذ عن الفقيه أبي العباس أحمد بن الجيلاني الأمغاري، ومولاي عبدالله الفضيلي، والشيخ أبي شعيب الدكالي وغيرهم من أركان العلم والفقه.

اشتغل كقاضي بالمحكمة الإقليمية بالرباط إلى أن وافاه الأجل المحتوم ليلة الخميس عشري محرم من عام واحد وتسعين وثلاثمائة وألف الموافق ثامن عشر مارس إحدى وسبعين وتسعمائة وألف.

من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين، 2 : 114 - 115.

سليمان القرشي

العبدي، مصطفى قائد شارك في معركة وادي المخازن بجانب السلطان المتوكل ثم فر إلى أصيلا التي كانت آنذاك بيد البرتغال، ومنها التحق بلشبونة حيث انضم إلى حاشية الأمير الشيخ بن المتوكل وظل بجانبه إلى أن اعتنق هذا الأخير دين المسيح.

Archivo General de Simancas (España).

محمد ابن عزوز حكيم

العَبَّرَة وحدة قياس تستعمل لضبط مقدار الحبوب أثناء محلة تجميع "الصّابة" أو أثناء الكيل. في الأسواق الأسبوعية، وفي رحبة الحبوب، يقوم "العَبَّار" بضبط كميات الحبوب المتعامل بها بين البائع والمشتري. قد يتقاضى العبار في عمله مقابلا ماديا، وقد يكتفي بما يتبقى عادة من الحبوب، وهو لا يتعدى في الغالب 1 / 8 أو 1 / 4 العبرة بعد وزن آخر نَصّاصيةٌ. وتقاس العبرة بسطل من حديد، يسمى "النَّصّاصيةَ"، لأن كل سطل يشكل نصف العبرة. بمعنى أن العبرة تتكون من نصاصيتين، كل نصاصية تتجزأ بدورها إلى النصف ويسمى الرُّبْعَة (بتفخيم الراء والباء) أي 1 / 4 العبرة، وإلى الثامنة أي 1 / 8 العبرة.

	الوزن في المحصول الأقل جودة	القنطار
الشعير	من 13 إلى 14 كلغ	من 7 إلى 8
القمح	من 16 إلى 17 كلغ	من 5 إلى 6 عبرات

	الوزن في المحصول الجيد	القنطار
الشعير	حوالي 16 كلغ	من 5 إلى 6 عبرات
القمح	حوالي 18 كلغ	من 6 إلى 7 عبرات

تحريات ميدانية.

صالح شگاگ

العبرية في المغرب. عرف المغرب الوجود اليهودي منذ القدم، إذ كانت بعض القبائل الأمازيغية اختارت التوحيد بدل الوثنية في عصور ما قبل المسيحية، ثم توالت الوفود اليهودية على المغرب، فوصلت منهم أعداد في ركائب الفينيقيين وأخرى أيام الحكم الروماني البيزنطي وغيرها استهواها مناخ المغرب بعد الإسلام، وخصوصاً في عهد المولى إدريس الثاني حيث توافدت مجموعات كبيرة فراراً من أحداث رآها الشرق وبعض بلدان شمال إفريقيا في تلك الفترة. ومنذئذ لم تتوقف هجرة اليهود إلى المغرب في يوم من الأيام حتى الفترة الأخيرة من عهد الحماية واستقلال المغرب. وقد جرت عادة المشتغلين بتاريخ اليهودية في المغرب، بأن يقسموا يهود هذا البلد إلى فصيلين، أحدهما فصيل اليهود، أو البلديين، وهم جماع أحفاد اليهود الأصلاء المغاربة، أو ممن وفد على المغرب حتى قبيل سنة 1492، والثاني هم المهجرون، وهم الذين وفدوا على المغرب بعد هذا التاريخ.

يهود المغرب والعبرية : اللغة العبرية هي اللغة التي كتبت بها التوراة الموجودة بين أيدي الناس اليوم، ويعود تاريخها إلى حوالي القرن الحادي عشر قبل الميلاد. وهي واحدة من أسرة اللغات العروبية (السامية) التي تنتسب إليها اللغة الأكادية والفينيقية والآرامية والسريانية والحبشية والعربية. وتتشابه العبرية والعربية في كثير من الوجوه، بل لم تكونا إلا فرعين لأصل واحد مشترك. والجدير بالذكر أن الحرف الذي كتبت به التوراة أو غيرها من الكتب اليهودية، لا يمثل الحرف العبري القديم في شيء، وإنما هو الحرف الآرامي أو الخط المربع، كما سماه علماء اليهود القدامى.

ارتبطت اللغة العبرية لغة وخطا، بالنص التوراتي والتلمودي، ولأن الفرد والجماعة يرتبطان بهذين المصدرين الدينيين دوما في طقوسهما الدينية ومعاملاتهما الاجتماعية، كان فرضا على كل يهودي ذكر، أن يلم إلماما باللغة العبرية، وحتى الآرامية، إذا كان من ذوي العلم والطلب. ومن هذا المنطلق المنطقي يستوجب العقل أن تكون العبرية في نصوصها الدينية أمراً معروفاً إلى حد ما في المغرب، في عهود اليهودية القديمة فيما قبل الإسلام، وإن كانت هناك دراسات تشكك في معرفة يهود المغرب بنصوص كتابهم المقدس كما يجب، أو على الأقل لم يكن لهم علم بما كان يجري في الأكاديميات اليهودية البابلية والفلسطينية، وبالأحرى أن يكون لهم علم بالتلمود وتوابعه. غير أن الثابت هو أنهم كانوا على الأقل يستعملون الحرف العبري في كتاباتهم منذ القديم، ذاك أن شواهد قبورهم في أقدم مقابرهم بالمغرب، كانت مكتوبة بهذا الحرف. ومن الأكيد أن حالهم تغير بعد الإسلام، إذ من المفروض أن يكونوا قد عقدوا الصلات بيهود بابل وفلسطين بعدها، أو وصلت إليهم من هناك وفود المشتغلين بعلوم التوراة والتلمود، ومن الأكيد أن عندها المغرب عندما عرف معاهد علمية، ذاك أن كثيراً من أعلام العصر العبري الذهبي الأندلسي (ق 8 ـ 12) هم مغاربة أصلا وكانوا قد برزوا في اللغة والشعر والفتوى وعلوم التوراة والتلمود، بل العلوم العقلية على اختلاف أنواعها.

وعليه فإن اللغة العبرية في المغرب كانت لغة دين وطقوس وتعبد، وبهذه الصفة ارتبطت بالتعليم والمعرفة، ولم تكن لغة كلام دارج إلا في حدود ضيقة جداً انحصرت بين الأحبار ومريديهم في سياق الدرس والتحصيل، أو في التواصل مع يهودي أجنبي عن المغرب واللغة العربية.

العبرية والتعليم :

ارتبط استعمال اللغة العبرية في المغرب بالعقيدة والدين كما رأينا، ولذلك كان لزاما على الأب أو الجد أن يبدأ تلقين الطفل اللغة العبرية بواسطة حفظ بعض نصوص التوراة والصلوات والأشعار الدينية، سماعاً وعن ظهر قلب، قبل أن يلتحق بمكان الدرس، وتمثل هذا المكان في :

ا ـ أ ـ "اصْلا" أو "الحدَرْ"، وقد أطلق اليهود لفظ "اصْلا" على مكان تعليم الأطفال، لأن الأصل في التعليم أن يكون في البيعة، وكانت البيعة تسمى عندهم أيضاً "اصلا" أي مكان الصلاة. وظل هذا الاسم يطلق على مكان الدرس، سواء كان التعليم يجري في البيعة أو في دكان أو غرفة أو غير ذلك. ويشبه استعمالهم هذا استعمال مواطنيهم المسلمين الذين سمو مكان الدرس "مْسِيدْ"، وهو تدريج للفظ مسجد الذي هو أيضاً مكان الصلاة.

أما لفظ "حدرْ"، ومعناه بالعبرية غرفة، فهو استعمال استعاره يهود المَغرب من إخوانهم "الأشكناز" أو يهود أوربا الشرقية، الذين كانوا يطلقونه على مكان الدرس، ولا نعتقد أن له علاقة بلفظ "حْضَارْ" الذي استعمله أهل جنوب المغرب بدل استعمال لفظ "مسيد".

ب ـ "تلْمودْ تُوراهْ"، وتعني حرفيا دراسة الشريعة. والمؤسسة بناء عام تسهر عليه الطائفة، ويضم مجموع غرف، ويسهر على كل غرفة معلم يتقاضى أجرته من مال الطائفة العام، وتلاميذ هذه المؤسسة هم عادة من أبناء الفقراء والأيتام. والفرق بين "اصلا" أو "الحدر" و"تلمود توراة"، أن الطائفة هي التي تؤدي أجرة معلمي هذه الأخيرة بينما الآباء هم الذين يؤدون عن أبنائهم في المؤسسة الأولى. واستعمل الاسمان فيما بعد دون تفرقة، خصوصاً بعد الحماية وبعد أن أصبحت المؤسسة التعليمية اليهودية مؤسسة عصرية.

وهدف هاتين المؤسستين تعليم الطفل الحروف كتابة وقراءة، فالحركات فبعض القواعد النحوية الأساسية ومعرفة النطق السليم ومخارج الحروف والنبر. ويعتمد في ذلك النص التوراتي، الذي يرسخه المعلم في ذهن التلميذ بالتكرار والاستظهار حفظا، مما يسهل عليه قراءة لفائف التوراة التي غالبا ما تكون بدون حركات أو نقط. ويرفق المعلم كل ذلك بتفسير توراتي مقسم حسب القراءة التوراتية الأسبوعية. ويقتصر الشرح اللغوي على ترجمة النص التوراتي إلى اللغة

المحلية التي هي العربية الدارجة أو الأمازيغية أو إحدى اللهجات اليهودية الأخرى المستعملة لدى يهود المغرب كل في منطقته. وقد يستعين بعض المعلمين النابهين بتفسير الربي شلمه بن إسحاق المعروف براشي (1010 ـ 1105) وببعض فقرات التلمود. ولا يتعلم الطفل الكتابة إلا في مرحلة متأخرة. ومعلوم أن الخط اليدوي متنوع ولا يتبع أي قواعد في معظم الأحيان في هذا المستوى، اللهم إلا في كتابة الوثائق، وعندها يستعمل الخط المعروف براشي. وكان التلميذ ينسخ نصوصاً من "المشنا" (التلمود) وكتاب "شلحان عروخ" (المائدة المنضدة)، وهو من أمهات الفقه اليهودي في المستوى الأعلى من الدراسة الذي سنتحدث عنه فيما بعد. وقد جرت عادة اليهود المغاربة، في جماعة وادي تدغى بالأطلس الكبير، ليلة "شفعوت" (عيد الأسابيع)، الذي يحيون فيه ذكرى نزول الوحي على جبل سيناء، بأن يكتب الربي الحروف بالعسل على لوح، ويطلب من الطفل لعقه حتى تثبت هذه الحروف في ذهنه وعقله، كما كانوا يعتقدون. وجرت العادة عند يهود التخوم الصحراوية الجزائرية المغربية، أن تكتب الحروف على بيضة تقدم للطفل ليأكلها.

ولم يتوقف تعليم الطفل على المعلم وحده في المدرسة، بل كان يمتد في البيت، حيث كان الأب أو الجد يكمل هذا التعليم بمتون أخرى مثل "الزوهار" وبعض الشروح الصوفية التوراتية.

ويبدأ الطفل تعليمه الأولي هذا في العادة، بدءاً من الثالثة من عمره وحتى بلوغ سن البلوغ الديني الذي يصادف السن الثالثة عشرة. وعندها يُحتفى به في حفل ديني يسمى "بَرْمِصْفَة"، ويعني حرفيا ابن الوصايا، أي القدرة على أداء الواجبات الدينية. وتعتبر هذه المناسبة أيضاً فرصة يبرهن فيها التلميذ على ما حصله من معرفة، إذ هو الذي يقود القداس الديني، وهو الذي يلقي الخطبة التي تفتتح بمقدمة نثرية مسجوعة، تدور حول مبحث هو عبارة عن تراكيب لفقرات توراتية تنبثّ فيها فقرات تلمودية وأقاصيص تنتقى من الموروث اليهودي. والجدير بالذكر أن طقوس هذا الاحتفال تشبه بوجه من الوجوه "التخريجة"، وهي الحفل الذي يكرم فيه الطفل المسلم عندما يحفظ جزءاً من القرآن أو القرآن كله.

2 ـ "الْيِشفَه"، وتعني لغة المجلس، وهذا هو اللفظ الذي يطلق على مَكان التعليم بعد الدرس الابتدائي. وفي "الْيِشفَه" تلقن الدراسات العبرية العليا في مجالات التفسير والفقه والتلمود والعلوم الربية على اختلاف أنواعها، من قضاء وإمامة وقواعد عامة، تشمل كل الطقوس الدينية، من الصلاة إلى قواعد المحرم والمحلل من الطعام، ومهام العدول، من زواج وطلاق وإرث ونساخة.

والأساس في تعليم "الْيِشفَه" هو الدراسات التوراتية والتلمودية والتراث اليهودي من أقدم عهوده، في أعلى المستويات، من اللغة إلى التأويل إلى استنباط الشرائع، والنظر في التاريخ والأخلاق اليهوديين، وكتاب "الزوهار" في (علم الباطن)، وأمهات الكتب الفقهية كـ "شلحان عروخ" (المائدة المنضدة).

وتستغرق دراسة النص المختار فصلين من السنة أو السنة كلها، وتتوج نهاية دراسة الفقرة بحفل يسمى(سيُّوم) أو الختم. وفي هذه المناسبة يلقي الطالب النابه درسا مستنبطا من التوراة يتوخى فيه الجدة ألا (الْحِدُّوشْ) أو الاجتهاد، أمام الوجهاء وكبار الأحبار وأقرانه المَجتهدين. وكان تعليم "اليشفا" يتقيد في غالب الأحيان بتقاليد المدرسة القديمة التي تعتمد حفظ التوراة وفقرات من التلمود وبعض المتون القديمة مشفوعة بتعليقات وآليات تمكن الطالب من أدوات الجدل والبرهنة والنقاش فيما يسمى (سوكْيَه)، أو الموضوع المحلل، كما يسمى بالآرامية. وباختصار تتمثل الدراسة في "اليشفا"، في مجملها، في مجموع ضخم من المعارف الفقهية :(هَلَخَا بيسوقا) أو شرائع وأحكام الفقه الربي، بالإضافة إلى العلوم الأخرى المشار إليها، لذلك كثيراً ما كان يتعين الطالب بأراجيز ينظمها له أستاذه أو ينظمها هو بنفسه، أو في مختصرات هي عبارة عن مقطعات حروف وتراكيب لفظية تنظم من رؤوس الكلمات أو القواعد، على طريقة أراجيز العلم ومختصراته في الثقافة الإسلامية. ويسمى طلاب هذه المؤسسة (تلميديم حخميم) أي طلاب العلم. ولم يكن الالتحاق بها محدداً في سن، كما لم تكن عدد سنوات الدراسة محددة حتى عهودها الأخيرة. وكان الطالب إذا أتم دراسته يحرز على (سميخة لربنوت) وتعني حرفيا إجازة الحبرانية، وتقابل الإجازة أو العالمية في التعليم العالي الإسلامي. وهذه المؤسسة هي التي كانت ترفد الطائفة بعلمائها وأحبارها وقادتها الروحيين، فمنها كان يتخرج الأحبار والقضاة والأئمة والمعلمون والنساخ وخدام الطائفة إجمالا.

وكانت "اصلا" و"الحدر" منتشرة في كل مكان يوجد به يهود، مدنا وقرى وجبالا وتخوم صحراء، وكان الفقيه المسلم يشترك والربي اليهودي في نفس المكان في بعض جبال المغرب، أحدهما يحفظ القرآن لتلاميذه والآخر يحفظهم التوراة. كما عرفت المدن الكبرى "يشفات" عددت شهرتها المغرب، كـ "يشفا" مراكش، وهي المدينة التي كانت تعرف عند اليهود بـ "يروشليم" (قدس) المغرب، ولقبت مدن أخرى عندهم، بنفس اللقب لسلطان التعليم فيها ومكانتها الروحية.

لم ينحصر التعليم اليهودي في "الحدرْ"، و"الْيِشفَه"، بل كان هناك تعليم مستمر عن طريق (هدَرشه) أو الإرشاد والوعظ الذي يحضره المهتمون أيام السبوت والأعياد. وفي هذه الحلقات كان الواعظ يلقي درسا في التوراة أو التلمود أو الزوهار أو الموسار (الأخلاق). وتجري وقائع هذه الدروس إما في البيعة أو في "الزاوية" أو في نوادي طوائف الصناع والحرفيين والتجار. وقد يكون المتحدث ربيا قاضيا أو معلما

أو تاجرا، ممن تمثلوا العلم وبرعوا فيها، وقد يكون زائراً غريباً عن الطائفة. وعرف يهود المغرب تقليداً آخر تعليميا تمثل في السهرات الليلية التي كانوا يحيونها للنظر في أسفار الأنبياء من كتاب العهد العتيق، ويتدارسون فيها كتاب "شلحان عروخ" (الطاولة المنضدة) في الفقه والتلمود، خصوصا في الهزيع الأخير من الليل. وعرف المغرب كثيراً من مريدي الزوايا الذين يقضون الليل في الدرس وقراءة آداب الصوفية وإنشاد الأشعار والأمداح الدينية، مثل الجماعة المسماة "حبروت [مريدي] الربي شمعون بر يوحاي". وعرفت جل مدن المغرب زوايا من هذا القبيل، اشتهرت بكبار منشديها، مثل داود بروخ إفلاح وداود القايم وحاييم أفرياط بالصويرة، وداود بوزكلو بالدار البيضاء، ونسيم نقاب بفاس.

وتجدر الإشارة إلى أن البنت في التقاليد اليهودية كانت معفاة من عناء الدرس، ولم يكن مطلوبا منها أن تعرف القراءة أو الكتابة، وكان ذلك حتى ظهور المدرسة اليهودية الحديثة بالمغرب.

لقد ظل التعليم العبري على هذه الحال حتى منتصف القرن التاسع عشر، حيث ظهرت حركة إصلاحية لم تكن أصولها من داخل المغرب، ولم تكن أيضاً لترضي جماعة كبيرة من اليهود التقليديين، وكانت هدفا لهجوم الأحبار. تلك هي حركة مدارس الاتحاد الإسرائيلي العالمي *L'alliance israelite universelle* الذي كان مقره بباريس.

لقد اهتم الاتحاد بيهود الشرق وإفريقيا، وكان هدفه، كما جاء في محاضره، تحسين حال يهود هذه المناطق. ومن أهم وسائل تحسين وضعهم، خلق مدرسة حديثة تنقل إليهم التهذيب والتحضر كما جاء في أهداف الاتحاد. فأسس هذا أول مدرسة للأطفال بتطوان سنة 1862 ثم في طنجة 1865 فالصويرة 1868 ففاس 1881 ومراكش 1901 فالرباط 1903 فالجديدة 1906 فآسفي 1907 فمكناس وسطات 1910 فصفرو وزمور 1911. أما بالنسبة للبنات فقد أسس الاتحاد أول مدرسة بتطوان 1868 فطنجة 1874 ففاس 1899 فالبيضاء 1900 فالصويرة والعرائش ومراكش 1901 فالجديدة 1906 فآسفي 1907 فمكناس والرباط 1910.

وخلق الاتحاد مدارس مهنية يؤمها التلاميذ الفقراء، فأسس أولاها بطنجة 1873 وثانيتها في تطوان 1874، وهما خاصتان بالأطفال، ثم أسس للبنات مدرسة في تطوان 1892 وأخرى بالبيضاء 1909.

وكانت البرامج التعليمية محلية حتى سنة 1882 بعدها فرضت اللجنة المركزية للاتحاد التي كان مركزها في باريس، مقرراً عاماً يطبق في كل مدارسها. ويحتوي هذا البرنامج اللغة الفرنسية لغة تعليم، واللغة الانجليزية والإسبانية والإيطالية، تبعا للمدارس المحلية، والحساب والهندسة والفيزياء والكيمياء والتاريخ العام والجغرافيا واللغة العربية، بالإضافة إلى اللغة العبرية، نحوا وتوراتا وتاريخا مقدسا، زيادة على مواد قد يضيفها المدرسون المحليون. وظلت هذه المدارس تشتغل حتى العقد السابع من القرن العشرين وبعدها تقلصت ولم يبق منها اليوم إلا بضع مدارس أهمها مدرسة السماش وثانوية ابن ميمون في مدينة الدا البيضاء. وتدرس هذه اليوم برامج تابعة للبعثة الفرنسية، اللهم إلا اللغة العبرية، باعتبارها مادة لغوية أو بعض المواد الدينية المتصلة بالطقوس والتاريخ العبري، فهذه باللغة العبرية.

الإرث الفكري العبري المغربي :

لم تصلنا كتابات عبرية مما هو من نتاج يهود المغرب قبل الإسلام، وموروث تلك العهود كان شفوياً على العموم. ويعتقد أن يهود المغرب (موريتانيا كما جاء في الوثائق اليهودية)، ما كانوا على علم بما كان يجري في بابل وفلسطين، ولم يكن لهم علم بالمشنا والتلمود، ولم يبدأ اتصالهم الديني والعلمي مع علماء بابل وفلسطين إلا أيام إدريس الثاني الذي تولى الملك سنة 793 ميلادية. وبقي من هذه الفترة بعض الفتاوى التي أجاب بها علماء بابل وكذا بعض فتاوى سعديه كؤون الفيومي (882 ـ 942)، وهو مازال في مصر. كما وصل من تلك العهود فتاوى الربي هيا كؤون، وهي أجوبة أجاب بها يهود تلمسان ـ وكانت مغربية إذ ذاك ـ وأخرى أجاب بها يهود سجلماسة سألوه فيها هل يجوز لهم أكل الجراد الميت. وإذا كنا قد استشهدنا بهذه النماذج، فإنما لنبين أن المكتوب العبري في اللغة العبرية أصبح شائعاً معروفاً منذ هذه الفترة الإدريسية. ويؤكد ذلك ما بلغته المعارف اليهودية منذئذ، خصوصاً وقد أصبح المغرب الذي عبر منه طارق بن زياد إلى الأندلس، مصدراً ورافداً للثقافة العبرية في الأندلس. فبالإضافة إلى العلاقات العلمية الوثيقة التي كانت بين الضفتين، كما تدل على ذلك مكاتبات يهود المغرب إلى الوزيرين اليهوديين الأندلسيين حسداي بن شبروط وشموئل هالنكيد، أيام الحكم الأموي وملوك الطوائف، فإن المغرب كان موطنا لأكبر علماء اليهود الذين رحلوا إلى الأندلس، إذ كان المغرب موطن يهودا بن قريش (ق 9)، وهو من أوائل واضعي منهج المقارنة في اللغة والنحو العبريين. ودوناش بت لبراط، وهو أول من أدخل أوزان الشعر العبري في القصيدة العبرية. ويهودا حيوج رأس النحاة في قرطبة وهو أول من وضع تصانيف في نظريات الفعل العبري. وداود بن أبراهام الفاسي وهو أول من وضع معجما منبنيا على أسس فلسفية عقدية. ودوناش بن تميم الفيلسوف اللغوي، يعقوب بن دوناش وأدونيم بن نسيم اللاوي وهما شاعران. ويهودا بن شموئل بن عباس المغربي وهو عالم شاعر. الربي إسحق الفاسي وكان من كبار التلموديين والمفتين ويوسف بن يهودا بن عقنين وكان مشتغلا بالفلسفة ونسيم بن مالك وكان مشتغلا بالقابالا أو التصوف (ق 14). وعاش هؤلاء في المغرب والأندلس بين القرنين التاسع والرابع عشر الميلاديين.

وقد أوردنا هذه الأسماء التي عاشت حياتها إما كلا أو جزءاً في المغرب، وخصوصاً في فاس ـ التي ألفت ونظمت بل

أبدعت علوماً لم تكن معروفة من قبل في التراث العبري، كتقعيد النحو ووضع المعجم بأسلوب علمي واضح، والتنظير في أبنية الفعل، والتعرض لمشكل عدد أحرف الجذر، بل كتب بعض من أعلامها مناهج في التربية والتعليم، مثل الكتاب الذي وضعه الربي يهودا بن اشموئل بن عباس سنة 1250، بعنوان (يثير نتيف) أو منير المسالك، وذاك الذي وضعه الربي يوسف بن عقنين معاصر ابن ميمون، بالعربية وبحرف عبري، بعنوان طب النفوس ـ لنبين أن اللغة العبرية وعلومها، كانت قد وجدت في المغرب ثم في الأندلس، التربة الخصبة والمناخ الملائم لتحافظ على العلم وأسبابه.

ولعل أكثر الإنتاج العبري في هذه الفترة، أي ما بين القرنين 8 و14 الميلاديين تمثل في كتب التشريع والفتوى، وجاءت هذه المؤلفات في عناوين مختلفة مثل : (دينيم) تشريعات، أو (بِسْقي دينيم) قرارات قضائية، أو (تْشوفوت) فتاوى فردية، أو (تَقَنوتْ) (فتاوى جماعية) أو (حدُّشْ خَلخوتْ) اجتهادات فقهية، أو (نمُّوقيم وشطُّوتْ) حواشي وتعاليق أو (بِرُّوشيم) شروح، أو (قُنْطُرسيم) مجامع وكراسات أو (لِقُّطيم) منتخبات أو (قِنْصوريم) مختصرات أو (مِفْتَحيم) فهارس.

غير أن الكتابة العبرية منذ ذاك وحتى استقلال المغرب، عرفت أنواعا أخرى من الكتابات نجملها فيما يأتي :

I ـ (بُنْقسي وسفْري هَقَهَلْ)

سجلات ومذكرات الطائفة، وتسجل في هذه كل أنشطة الطائفة من تسجيل المواليد إلى تدبير الطائفة. وتتضمن كذلك المراسيم والأحكام.

II ـ أ ـ (بِسْقي دينيم) الأحكام القضائية، مثل مجموع حييم طوليدانو السلاوي، وإلياهو حزان المراكشي، وداود كوهن من دبدو. وهذا عنوان عام.

وهناك مجامع أخرى في هذا الباب عنونها أصحابها بعناوين خاصة مثل :

(إسف هَمَزْخيرْ) مجموع الكاتب و(تِفْتَ عَنِيم) مقصد المحتاجين، وكلاهما ليديدا مونسونيكو،

(مِشْبَطيم يَشَريم) أحكام سوية، لرفائيل بردوكو.

(تربص هحصر) حديقة الفناء، لفائيل موسى الباز الصفريوي.

ب ـ (تَقَنوتْ) فتاوى جماعية، منها (كرمْ حمر) كرمة النبيذ الذي جمعه أبراهام أنقاوا المولود في سلا (ق 19). وهناك أكثر من واحد وثمانين مجموعا من هذا النوع، كما جاء ذلك في كتاب ملوك الأحبار ليوسف بن نئيم.

III ـ (شئلوتْ وتْشوفوت) فتاوى

وجاءت هذه الفتاوى في مجاميع تحت هذا العنوان العام أو معنونة بعناوين خاصة. ومن نماذج الفتاوى التي عنونها أصحابها، المجموع :

(سفرْ هَبَتيم) كتاب البيوتات، لحاييم ابن حبيب (أواخر القرن 15 وبداية 16 فاس).

(يِشْ مِئَينْ) الخلق من عدم، لإلياهو يلوز (ق 19) تافلالت.

(كفُولْ بنيمين) حدود بنيمين، لابنيمين الخرييف (ق 19) مكناس.

(حَيِّي عَسْرَمْ) حياة عمرم، لعمره الباز (ق 18) صفرو.

(قرِيْستْ حَنَّه دود) قرية حنا داود، لداود هكوهن الصقلي (ق 19 ـ 20) دبدو.

(رَحَميم بِّشوطيم)، الرحمة الحق، لرفائيل حييم موسى بن نئيم (ت. 1920، تطوان).

IV ـ (دفْري هَيِّميم) الكتابات التاريخية

ذكر ابن نئيم في كتابه المشار إليه، عدداً كبيراً من كتب التاريخ، وبعض هذه، كتبه أصحابه بالدارجة المغربية، وهناك عديد من الكتابات التاريخية المطبوعة والمخطوطة. ونورد نماذج من الكتابة التاريخية كالآتي :

(مَأمَرْسِدرْ هَدُّروتْ) مقالة في توالي الأجيال، لسعديه بن ميمون بن دنان المولود في فاس (ق 15).

(دفْري هَيِّميم) التواريخ، لشؤول سريرو المولود حوالي 1566.

(زخرون لبني يسرائيل) تذكار لبني إسرائيل، ليهودا بن عطار، ت. 1812.

V ـ (شيريم) المجامع الشعرية :

كان يهود المغرب كثيري النظم والقول، وقد خص حييم الزعفراني الفصل الثامن من كتابه *Poesie juive en occident musulman*, Paris 1977 بقوائم هذه المجامع الشعرية المطبوع منها والمخطوط، فذكر من المطبوع سبعة وأربعين مجموعا ومن المخطوط تسعة وثلاثين، وكلها استخرجها من كتاب ابن نئيم. وذكر منها أيضا ما يوجد في المكتبات المعروفة، من ذلك ثلاثة عشر مجموعا مصوراً، وثلاثين مجموعا مخطوطا، في المكتبة الوطنية والجامعية بالقدس. وستة مجامع في معهد ابن تصفي في القدس، وخمس عشرة مجموعة خاصة، في القدس، وخمس عشرة مجموعة في المكتبة الوطنية في باريس، قسم المخطوطات الشرقية، وسبع مخطوطات في خزانة أمستردام، وثمانية في مجموع V. Klagsbald - Paris.

ونذكر من هذه المجاميع والدواوين العناوين الآتية، مراعين في ذلك الامتداد الزماني والجغرافي :

(دروشيم) ابتهالات، لشؤول سريرو بن داود.

(قِنَتْ رَفيم) مراثي الجموع، ليعقوب بريانتي، بداية القرن 16.

(عتْ لكُلْ حفتْصْ) لكل أمر زمانه، ليعقوب أبنصور، (1673 ـ 1752)، فاس.

(شيريم وقِنوتْ) أشعار ومراثي، لابراهام بن سوسان، ق 17، تطوان.

(نُعَمْ شَماييم) نغم السماء، لشموئل بن يهودا الباز، ت 1844، صفرو.

(قسنطريس قنوت) كراس المرائي، لحاييم يهودا طوليدانو، ث 19، سلا.

وذكر يوسف بن نئيم في كتابه (ملخي ربنان) أمراء الأحبار، الذي أشرنا إلى صاحبه مراراً، وهو كتاب فهرسة من النوع الجديد، 883 عنوانا مما خطه يهود المغرب، منذ عرفوا الكتابة، منها 222 فتاوى وأحكام، و104 في التوراة والتفسير، و72 حول التلمود، و60 في الخطب والوعظ، و33 في نظم الشعر، و33 قبالا وتصوف، و14 حول كتاب الفصول لابن ميمون (تلمود)، و13 حول كتاب المائدة المنضدة ليوسف قارو (تشريع)، و10 تاريخ، و9 فلك وتوقيت، و5 فلسفة، بالإضافة إلى عناوين في القراءة والنقط والنحو واللغة والأخلاق والرحلة والنساخة والتوثيق والأوزان والقياسات والعملة والطب والنبات والاستسقاء والفهرسة والسياسة.

وأحصى الأستاذ حاييم الزعفراني، في تقرير حول التراث اليهودي المغربي المخطوط، أعده لوزارة الثقافة المغربية، مؤرخ في 15 دجنبر 1992، 244 مخطوطاً في العلوم الشرعية والفقهية والفتاوى والنوازل والأحكام الربية. و133 مخطوطا في المجاميع الشعرية، و133 في المواعيظ والأدعية والابتهالات، 200 وفي القبالا أو التصوف اليهودي والزهد والسحر.

غير أن المهم من كل هذه الآثار هو معرفة محتوياتها وقيمة ما تضمنته، وهذه مهمة أخرى على الباحثين أن يخصصوا لها الوقت والجهد والصبر.

يعقوب طوليدانو، *نور المغرب، تاريخ اليهود في المغرب*، القدس، 1911 ؛ يوسف بن نئيم، *أمراء الأحبار*، القدس، 1930 / 1975 ؛ صبي شرفشطاين، تاريخ التربية في إسرائيل، القدس، 1930 / 1975، خمسة أجزاء ؛ داود سيطون، *الطوائف اليهودية السفردية اليوم*، القدس، 1974 ؛ *الموسوعة العبرية*، تل أبيب، القدس، 1972، مادة : تربية، حدر (مسيد)، يشفه، مغرب ؛ حاييم الزعفراني، *تقرير عن التراث اليهودي المغربي*، في 15 / 11 / 1992، وزارة الثقافة، الرباط، السنوات من 1863 إلى 1913.

Bulletin de l'alliance israélite universelle, Paris, de 1863 à 1913 ; L. Brunot et E. Malka, *Textes judéo-arabes de Fès*, Rabat, 1936 ; *Glossaire judéo-arabes de Fès*, Rabat, 1940 ; A. Choraqui, *L'alliance israélite universelle et la renaissance juive contemporaine*, Paris, 1965 ; D. Bensimon-Donath, *L'éducation en Israël*, Paris, 1970 ; *Immigration d'Afrique du Nord en Israël*, Paris, 1967 ; P. Flamand, *Les communautés israélites du Sud-Marocain*, Casablanca (s.d.) ; *Un Mellah en pays berbère : Demmate*, Paris, 1952 ; *Quelques manifestations de l'esprit populaire dans les juiveries de Sud Marocain*, Casablanca, 1958 ; E. Malka, *Essai sur la condition juridique de la femme juive au Maroc*, Paris, 1952 ; H. Zafrani, *Pédagogie juive en terre d'Islam*, Paris, 1969 ; *Les juifs du Maroc, vie sociale et économique et religieuse. Etude de Taqqanot et Responsa*, Paris, 1972 ; *Mille ans de vie juive au Maroc*, Paris, 1983 ; *Poésie juive en occident musulman*, Paris, 1977 ; *Juifs d'Andalousie et du Maghreb*, Paris, 1996 ; *Les relations entre juifs et musulmans en Afrique du Nord, XIXè siècle, acte du colloque international de l'Institut d'Histoire des pays d'outre-mer, Abbaye de Sénanque-Octobre 1978*, Paris, 1980 ; *Juifs du Maroc, identité et dialogue, acte du colloque international sur la communauté juive marocaine*, 1980 ; S.D. Goiten, *Mediterranean society*, USA, 1967-1988.

أحمد شحلان

ابن **عبلا، محمد** بن **الحسين** ولد سنة 1930 بايتوسي آسا التحق بصفوف جيش التحرير سنة 1956 تحت قيادة صالح بن عسو الجزائري بالصحراء. وقد عمل بكل استماتة وصلابة خلال كفاحه الوطني حتى استشهد بمعركة تفودارت بالساقية الحمراء بتاريخ 25 فبراير 1958.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 503619.

ابن **عبلا، مولود** سنة 1930 بأيت باعمران انخرط في صفوف جيش التحرير بالصحراء المغربية سنة 1956 بمركز كوكين تحت مسؤولية مولود الخميسي، وقد عمل في صفوف جيش التحرير بكل شجاعة وإخلاص إلى أن استشهد بمعركة أيت باعمان رميا بالرصاص بالمكان المسمى اصدر أيت باعمران بتاريخ 30 أكتوبر 1957.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 500488.

ابن **عبُود**، أسرة مكناسية أصلها من البربر، استوطن فريق منهم مدينة فاس منذ مطلع القرن العاشر (16 م) إذ وقف صاحب *إزالة الالتباس* على حوالة مؤرخة بعام 905 تذكر أنهم كانوا آنذاك بفاس. وانتقل بعضهم إلى تطوان، وآخرون إلى سلا في أوائل القرن الرابع عشر (20 م).

ع. السلام، ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، ج 2.

ابن **عبُود، أحمد** بن **محمد** بن عبد السلام السلاوي المقاوم، أصغر أبناء الشيخ محمد بن عبد السلام ابن عبود آتي الترجمة تركه والده صغيراً فكفله أخوه الشيخ زين العابدين ابن عبود وعلّمه في مدرسته الحرة بحي بارمادة مع أبنائه. فلم يكن له اهتمام بالدراسة رغم توفر كل الوسائل.

اندفع المترجم بقوة في أحضان حزب الاستقلال الذي كان ينتمي إليه أخوه المهدي ابن عبود وشارك في مظاهرات يوم 29 يناير 1944، بسلا التي أسفرت عن قتلى وجرحى، واعترف بأنه قتل شرطياً فحكم عليه بالإعدام ونفذ فيه الحكم في الأسبوع الأول من فبراير 1944 / صفر 1364.

معرفة شخصية.

ابن **عبُود، زين العابدين** بن محمد بن عبد السلام السلوي. ولد بسلا حوالي عام 1312 / 1895 وبها نشأ ودرس على شيوخ العدوتين، أمثال الشيخ حجي ابن محمد زنيبر والشيخ محمد بن الحسن الحجوي. أسند إليه القضاء أولاً بقبيلة الرحامنة نحو ثلاثة أعوام ثم نقل إلى تازا إلى أن تخلى عن القضاء وأقبل على التدريس.

شيخي ومعتمدي لا زمت دروسه نحو خمس سنوات ليل نهار، فكنت أدرس عليه نهاراً في مدرسته الحرة ببارمادة كتب الفقه والحديث واللغة والأدب والأصول والمنطق، ومساءً تفسير القرآن الكريم في المسجد الأعظم بسلا أو جامع مولاي سليمان بالرباط. كان آية من آيات الله في الفهم والتفهيم، يقلب وجوه النظر في المسائل العويصة فلا يلبث أن يهتدي إلى الصواب.

من الكتب التي ختمنا ها عليه في المدرسة الأجرومية *والألفية ولامية الأفعال والجمل ورسالة القيرواني* أكثر من مرة، كما ختمنا عليه كتاب خزانة الأدب لابن حجة للحموي، وقارينا ختم *المختصر الخليلي*، *والفروق* للقرافي. وختم تفسير القرآن أكثر من مرة في عدة مساجد.

وقبل الحرب العالمية الثانية انتقل إلى الدار البيضاء، وكان بعض تجارها يحسنون إليه كثيراً فأخذ يفسر القرآن في المسجد المحمدي بين العشاءين، فكنت أزوره هناك الفنية بعد الأخرى وأستمتع بإملاءاته ومواهبه التي تتجلى أثناء هذه الدروس.

توفي بالدار البيضاء صبيحة يوم الاثنين سادس صفر عام 1390 / 11 أبريل 1970.

معرفة شخصية : ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / سل النصال / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 9 : 3419 - 3421.

محمد حجي

ابن **عبُود، مَحمد** بن **أحمد** التطواني. ولد في تطوان يوم الجمعة 16 ربيع النبوي عام 1329 موافق 17 مارس 1911، ودرس بتطوان والدار البيضاء وفاس (القرويين) والقاهرة (الأزهر) وحصل من جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة) على الإجازة سنة 1943. وبعد رجوعه إلى وطنه عينه خليفة السلطان في شمال المغرب الحسن بن المهدي في سنة 1946 رئيسا لوفد المغرب في اللجان الثقافية بجامعة الدول العربية. وشمل هذا الوفد زيادة على رئيسه محمد الفاسي الحلفاوي ومَحمد عبد السلام بن عبود. وكان من مؤسسي مكتب المغرب العربي بالقاهرة. كما عمل به مديراً من سنة 1948 إلى وفاته. وقد كان وطيد الصلة بالأوساط السياسية المصرية واندمج فيها اندماجا كليا. نشر عدداً من المقالات في أبرز الصحف القاهرية منها جريدة "الأهرام" موضحا ومدافعا فيها عن القضية المغربية. ولم يكتف بالكتابة في الصحف بل كانت تذاع له كذلك أحاديث في الإذاعة المصرية.

مثل المغرب في عدة مؤتمرات دولية منها مؤتمر المغرب العربي الذي عقد بالقاهرة سنة 1947 والمؤتمر الثقافي العربي الأول الذي عقد في لبنان في 1947 ، وأول مؤتمر اقتصادي للدول الإسلامية الذي عقد بكراتشي في 1949.

ومن أهم أنشطته المشاركة والإشراف على عملية إنقاذ الزعيم محمد بن عبد الكريم الخطابي من باخرة كاتومبا (Katoomba) وهي في طريقها نحو مارسيليا بعد أن قرر الفرنسيون نقل منفاه من جزيرة لايبونيون إلى جنوب فرنسا في 1947.

وقد ختم مَحمد بن عبود حياته بتمثيله المغرب في أول مؤتمر اقتصادي للدول الإسلامية بباكستان. وكان حضوره في المؤتمر الاقتصادي الإسلامي بصفته ممثلا للمغرب موضع خلاف بين الفرنسيين والإسبان من جهة والباكستانيين من جهة أخرى. وأخذ الشهيد ابن عبود موقفا حازما أدى إلى قبوله من طرف المؤتمر.

وربما برز مركز الشهيد محمد بن عبود كوطني ضحّى بحياته من أجل تحرير وطنه بعد وفاته أكثر مما كان عليه وهو على قيد الحياة. فبعد حادثة الطائرة في كراتشي التي ذهب ضحيتها وبعد صلاة الجنازة على شهداء الحادثة يوم 10 دجنبر أعلنت الحكومة الباكستانية يوم حداد على وفاتهم ثم نقلت جثته من كراتشي إلى القاهرة حيث استقبلت استقبالاً رسمياً من السلطات المصرية والوفود الدبلوماسية الإسلامية. وتلقى أعضاء مكتب المغرب العربي وعلى رأسهم شقيقه الدكتور أحمد بن عبود والمجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي تعازي هذه الوفود بالمكتب. ثم نقل جثمانه إلى طنجة حيث استقبلته وفود تمثل مختلف الأحزاب الوطنية في منطقتي الحماية في شمال المغرب وجنوبه ووفد يمثل الخليفة، فشيعت الجنازة في تجمع شعبي عظيم قدرت الصحف عدده بخمسة وثلاثين ألفا وألقى زعماء الأحزاب خطباً تأبينية في الإشادة بجهاد الفقيد الراحل، عند مدخل المقبرة قبل دفن الجثمان.

استشهد مَحمد ابن عبود يوم الثلاثاء 20 صفر 1369 موافق 12 دجنبر 1949. في حادثة الطائرة التي سقطت بباكستان والتي كانت تقل من بين ركابها وفد المغرب العربي في أول مؤتمر اقتصادي للدول الإسلامية المتكون من الشهيد امحمد أحمد بن عبود والشهيد علي الحمامي من الجزائر والشهيد الحبيب ثامر من تونس.

وثائق عائلية وروايات شفوية.

امحمد بن عبود

ابن **عبُود، محمد** بن **عبد السلام** السلوي، علامة مشارك وشيخ صوفي جليل، حلاه تليمذه ابن سودة "بالإمام الصوفي الصالح، الخير الذاكر المرشد الناصح، بقية السلف الصالح، الفصيح المذاكرة، الكثير الحجة، الواسع المعرفة والاطلاع، الغواص عن الحقيقة كثير الأتباع".

ولد بمكناس حوالي عام 1272 / 1855 وبها نشأ ودرس على علمائها ثم أخذ الطريقة الدرقاوية عن الشيخ العياشي بن المكي بوشمع، والعربي بن الهاشمي العلوي المدغري. انتقل أولاً إلى فاس فلم يُقم بها طويلا إذ أخرجه قاضيها الصقلي، فحط رحاله بسلا واستوطنها ولقي ترحاباً كبيراً من باشاها الطيب الصبيحي وأعيانها، وأقبل عليه عليةُ القوم في حكومة المخزن، ومنهم الوزير الثري الحاج عمر التازي، والوزير الفقيه محمد بن الحسن الحجوي فكانوا يلازمون زيارته ورعايته. واشترى له السلويون داراً واسعة بحي بارمادة سكن بعضها وجعل من بعضها زاوية دفن في أحد بيوتها. ثم صارت مدرسة حرة لولده زين العابدين آتي الترجمة.

له *رسائل صوفية* وأخرى *قرآنية* كان يبعث بها إلى مريديه العلماء. وكان من أخصهم وأحظاهم لديه عمي الشيخ أحمد بن عبد السلام حجي، إذ لازمه سنين عديدة وألف فيه كتاباً ضخماً سماه *مواهب الملك المعبود بتعديل مرائي أحمد حجي والتعريف بشيخه ابن عبود*. عندي صورة منه بخط المؤلف النسخي الدقيق المليح.

توفي الشيخ محمد ابن عبود بسلا في رابع ربيع الأول عام 1344 / 22 شتنبر 1925، ودفن بزاويته في حي برمادة بين الداخل.

أ. حجي، *مواهب الملك المعبود*، مخطوط ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع / سل النصال / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 8 : 2948. 2949.

محمد حجي

تـــم طبـــع الجـــزء 17 مـــن معـــلمـــة المـغـــرب
بـمطابـع ســـلا وبـمـطبـعـة النجـاح الجـديـدة
في شعبان عـــام 1424 / أكتوبر 2003

مـــطـــــــابـــع ســـــــلا
قـسـمـة 14، زنـقـة عـثـمان بـن عـفـان
الحي الصـنـاعـي لـتـابـريـكـت
ص.ب. 596 ســـلا

Directeur de publication : Feu Mohamed **Hajji**

Comité de rédaction : Ahmed **Toufiq**
Mohamed **Hajji**

Comités scientifiques :

Pour les sciences humaines

Mohamed **BENCHERIFA**, Faculté des Lettres, Rabat.
Brahim **BOUTALEB**, Faculté des Lettres, Rabat.
Salem **YAFOUT**, Faculté des Lettres, Rabat.
Mustapha **NAIMI**, Institut Universitaire pour la Recherche Scientifique, Rabat.

Pour la géographie et les sciences de la nature

Abdellah **LAOUINA**, Faculté des Lettres, Rabat.
Dris **EL-FASSI**, Institut Agronomique et Vétérinaire Hassan II, Rabat.
Mustapha **AYAD**, Faculté des Lettres, Rabat.
Abdelmalek **BENABID**, Ecole Nationale Fôrestière, Salé.
Mohamed **RAMDANI**, Institut Scientifique, Rabat.

Tous droits réservés, y compris le droit de traduction ou de reproduction

même partielles sous quelque forme que ce soit.

IMPRIMERIE DE SALÉ

Lot 14, Rue Othman Ibnou Affane
Zone Industrielle de Tabriquet
B.P. 596 SALÉ

Encyclopédie du Maroc

Dictionnaire alphabétique des connaissances sur le passé et le présent du Maroc.

Publiée par

L'Association des Auteurs Marocains pour la Publication

Editée par

L'Imprimerie de Salé

"SALA"

2003 - 1424

Copyright © IMPRIMERIE DE SALÉ "SALA" 2003
ISBN 9981 - 03 - 000 - 7 (Ensemble)
ISBN 9981 - 03 - 024 - 2 (Tome 17)

Encyclopédie du Maroc

معلمة المغرب

قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف
الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى

من إنتاج
الجمعية المغربية
للتأليف والترجمة والنشر

نشر
مطابع سلا

2003 - 1424

المغرب الأقصى

رقم الإيداع القانوني
بالخزانة العامة للكتب والوثائق ـ الرباط
1984 / 0629

جميع حقوق النقل والترجمة ـ جزئيا أو كلياً بأي شكل كان ـ محفوظة
للجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر ولمطابع سلا

رد مك 7 - 000 - 03 - 9981 (المجموعة)
رد مك 2 - 025 - 03 - 9981 (الجزء 18)

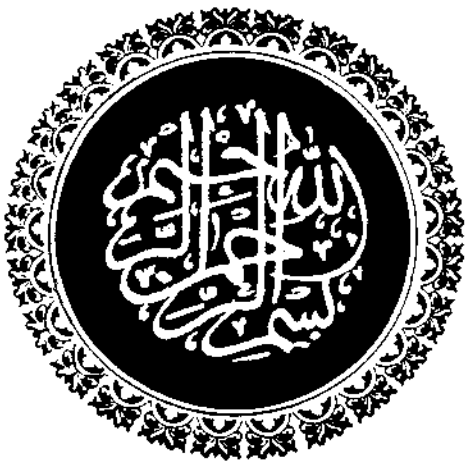
بسم الله الرحمن الرحيم

أعد هذا الجزء من معلمة المغرب بدعم من وزارة الثقافة ويسعد الهيئة العلمية للمعلمة أن تتقدم للسيد الوزير بأصدق عبارات الشكر والامتنان.

المدير المشرف : **محمد حجي** رحمه الله

لجنة التحرير : **أحمد التوفيق**، أستاذ التاريخ بكلية الآداب. الرباط

المرحوم **محمد حجي**

لجنة العلوم الإنسانية : **محمد بنشريفة**، أستاذ الأدب العربي والأندلسي بكلية الآداب وعضو أكاديمية المملكة المغربية، الرباط

إبراهيم بوطالب، أستاذ التاريخ بكلية الآداب. الرباط

سالم يفوت، أستاذ الفلسفة بكلية الآداب، الرباط

مصطفى ناعمي، باحث في التاريخ الاقتصادي بالمعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط

لجنة العلوم الطبيعية والجغرافية : **عبد الله العوينة**، أستاذ الجيمورفولوجيا بكلية الآداب، الرباط

مصطفى عياد، أستاذ الجغرافية البشرية بكلية الآداب، الرباط

إدريس الفاسي، أستاذ علم التربة والبيئة بكلية الآداب ومعهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة، الرباط

عبد المالك بنعبيد، أستاذ بالمدرسة الوطنية الغابوية، سلا ومعهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة، الرباط

محمد رمضاني، باحث في البيولوجيا الحيوانية بالمعهد الوطني وأستاذ بكلية العلوم، الرباط

اختصارات

ت .	= توفي
تح.	= تحقيق
تر.	= ترجمة
خ. ت	= خزانة تطوان
خ. ح.	= الخزانة الحسنية (الملكية) بالرباط
خ. ص.	= الخزانة الصبيحية بسلا
خ. ع.	= الخزانة العامة بالرباط
خ. ق.	= خزانة القرويين بفاس
خ. ي.	= خزانة ابن يوسف بمراكش
د. ت	= دون تاريخ
د. د. ع.	= دبلوم الدراسات العليا
د. م.	= دون مكان
ط.	= طبعة
←	= انظر

* عندما يكون للكاتب مادتان أو مواد متتابعة لا يذكر اسمه إلا في آخرها.

المشاركون في هذا الجزء

محمد **الأخضر**، باحث ـ الرباط

الفقيه **الإدريسي**، كلية الآداب ـ بني ملال

محمد **أديوان**، كلية الآداب ـ الرباط

عبد الرزاق **ازريكم**، كلية الآداب ـ مراكش

محمد **أزهار**، كلية الآداب ـ المحمدية

سعيد أحمد **أعراب**، باحث ـ تطوان

مصطفى **أعشي**، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية ـ الرباط

عمر **أفا**، كلية الآداب ـ الرباط

إبراهيم **أقديم**، كلية الآداب ـ فاس

محمد **الأكلع**، كلية الآداب ـ مراكش

العربي **اكنينح**، المدرسة العليا للإساتذة ـ فاس

محمد **الأمراني**، كلية الآداب ـ فاس

حسن **أميلي**، كلية الآداب ـ المحمدية

محند **أيت الحاج**، وزارة التربية الوطنية ـ الدار البيضاء

محمد **الأيوبي**، وزارة العدل ـ الرباط

محمد **البخاري**، باحث ـ

ثريا **برادة**، كلية الآداب ـ القنيطرة

عكاشة **برحاب**، كلية الآداب ـ المحمدية

محمد الأمين **البزاز**، كلية الآداب ـ الرباط

عبد العزيز **بل الفايدة**، كلية الآداب ـ القنيطرة

محمد **بلعتيق**، باحث

محمد **بلعربي**، باحث ـ الرباط

عائشة **البلغيثي** العلوي، كلية الآداب ـ الرباط

رقية **بلمقدم**، كلية الآداب ـ القنيطرة

عبد الإله **بلمليح**، باحث ـ فاس

أحمد **بنجلون**، باحث ـ الرباط

زوليخة **بنرمضان**، كلية الآداب ـ المحمدية

محمد **بنشريفة**، كلية الآداب ـ الرباط

عبد المالك **بنعبيد**، المدرسة الغابوية للمهندسين ـ سلا

حليمة **بنگرعي**، كلية الآداب ـ القنيطرة

محمد **بوخبزة**، باحث ـ تطوان

أحمد **البوزيدي**، كلية الآداب ـ فاس

محمد **بوسلام**، وزارة التربية الوطنية ـ الرباط

عمر **بوسليهم**، باحث

مصطفى **بوشعراء**، باحث ـ سلا

إبراهيم **بوطالب**، كلية الآداب ـ الرباط

مصطفى **بوعناني**، كلية الآداب ـ القنيطرة

عبد المجيد **بوكاري**، باحث ـ مراكش

أحمد **بومزگو**، وزارة التربية الوطنية ـ تيزنيت

نجيب **تقي**، باحث

عبد العزيز **توري**، وزارة الثقافة ـ الرباط

عبد العزيز **تيلاني**، مديرية الوثائق الملكية ـ الرباط

حسن **جلاب**، كلية اللغة العربية ـ مراكش

الحسين **جهادي**، وزارة التربية الوطنية ـ الدار البيضاء

محمد **حجاج الطويل**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء

محمد **حجي**، كلية الآداب ـ الرباط

عبد الرحمان **الحرادجي**، كلية الآداب ـ وجدة

فاطمة **الحراق**، معهد الدراسات الافريقية ـ الرباط

مريم **حكم**، كلية الآداب ـ الرباط

يحيى **الخالقي**، كلية الآداب ـ بني ملال

محمد **خربوعة**، معهد العلمي ـ الرباط

نفيسة **الذهبي**، كلية الآداب ـ القنيطرة

علال **رگوگ**، كلية الآداب ـ بني ملال

محمد **رمضاني**، المعهد العلمي ـ الرباط

مليكة **الزاهدي**، باحثة ـ الرباط

أحمد **زروال**، كلية الآداب ـ مراكش

قاسم **الزهيري**، باحث ـ الرباط

عبد النبي **زين العابدين**، المدرسة الغابوية للمهندسين ـ سلا

محمد **السعديين**، وزارة التربية ـ سلا

عبد القادر **سعود**، باحث

رشيد **السلامي**، كلية الآداب ـ مراكش

عبد المالك **سلوي**، كلية الآداب ـ المحمدية

مصطفى **الشابي**، كلية الآداب ـ الرباط

عبد اللطيف **الشاذلي**، مديرية الوثائق الملكية ـ الرباط

الميلود **شاكر**، كلية الآداب ـ الرباط

إدريس **شحو**، كلية الآداب ـ الرباط

محمد **الشريف**، باحث ـ تطوان

عبد الله **شقرون**، كلية الآداب ـ الرباط

صالح **شكاگ**، وزارة التربية الوطنية ـ الرباط

الحسن **شوقي**، وزارة التربية الوطنية ـ القلعة

محمد **الشياظمي**، باحث ـ الرباط

عبد العزيز **الضعيفي**، كلية الآداب ـ بني ملال

أحمد صالح **الطاهري**، معهد الآثار ـ الرباط

محمد **الطيلسان**، كلية الآداب ـ الرباط

محمد **الظريف**، كلية الآداب ـ المحمدية

عبد العزيز **بن عبد الجليل**، باحث ـ مكناس

عبد العلي بن محمد **العبودي**، وزارة العدل ـ الرباط

سعد الدين **العثماني**، باحث ـ الرباط

عبد الصمد **العشاب**، باحث

أحمد **عزاوي**، كلية الآداب ـ القنيطرة

محمد **ابن عزوز** حكيم، باحث ـ تطوان

عبد الرحيم **العطاوي**، كلية الآداب ـ الرباط

نزهة **عقيلي**، باحثة ـ الرباط

عبد العزيز **العلوي**، باحث ـ فاس

أحمد **عمالك**، كلية الآداب ـ مراكش

عبد الله **العمراني**، باحث ـ تطوان

محمد **عمراني**، كلية الآداب ـ القنيطرة

عبد الله **العوينة**، كلية الآداب ـ الرباط

عبد الإله **الفاسي**، كلية الآداب ـ القنيطرة

محمد **فتحة**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء

حسن **الفگيگي**، كلية الآداب ـ القنيطرة

بوشتى **الفلاح**، المعهد العلمي

محمد **القبلي**، أستاذ باحث

محمد **اللبار**، كلية الآداب ـ وجدة

محمد **ماگامان**، المركز التربوي الجهوي ـ مراكش

الصغير **مبروك**، باحث

أحمد **متفكر**، باحث ـ مراكش

الحسن **المحداد**، كلية الآداب ـ أگادير

محمد **مداد**، باحث

نجاة **المريني**، كلية الآداب ـ الرباط

محمد **مزين**، كلية الآداب ـ فاس

محمد **المغراوي**، كلية الآداب ـ الرباط

أحمد **المكاوي**، كلية الآداب ـ الجديدة

عبد الرحمن **الملحوني**، باحث ـ مراكش

محمد **المنصور**، كلية الآداب ـ الرباط

محمد **المنوني**، كلية الآداب ـ الرباط

محمد **ياسر الهلالي**، كلية الآداب ـ مكناس

أحمد **هوزالي**، كلية الآداب ـ مراكش

أحمد **الوارث**، كلية الآداب ـ الجديدة

محمد عزيز **الوكيلي**، وزارة التربية الوطنية ـ الرباط

مصطفى **ناعمي**، معهد البحث العلمي ـ الرباط

عبد الله **نجمي**، كلية الآداب ـ الرباط

زهراء **النظام**، كلية الآداب ـ المحمدية

Liste des principales abréviations des périodiques

A.A : *L'Afrique et l'Asie.*
A.A.N : *Annuaire de l'Afrique du Nord.*
Acad. Sc. Col. : *Académie des Sciences Coloniales.*
A.E.S.C : *Annales : Economie, Sociétés, Cultures.*
A.F : *Afrique Française.*
A.F : R.C : *Afrique Française : Renseignements Coloniaux.*
A.I.E.A : *Archivos del Instituto de Estudios Africanos.*
A.I.E.O : *Annales de l'Institut d'Etudes Orientales.*
A.M : *Archives Marocaines.*
A.M.S : *Archives Marocaines de Sociologie.*
And. : *Al-Andalus*
Ann. Rech. Forest. Maroc : *Annales de la Recherche Forestière au Maroc.*
Ant. Afr. : *Antiquités Africaines.*
B.A.M : *Bulletin d'Archéologie Marocaine.*
B.A.R : *British Archeological Reports.*
B.C.T.H : *Bulletin du Comité des Travaux Historiques.*
B.E.P.M : *Bulletin de l'Enseignement Public au Maroc.*
B.E.S.M : *Bulletin Economique et Social du Maroc.*
B.G.M : *Bulletin de Géographie du Maroc.*
B.I.D.M : *Bulletin de l'Information et de la Documentation Marocaine.*
B.I.F.A.N : *Bulletin de l'Institut Français d'Afrique Noire.*
B.M.S.A.P : *Bulletin et Mémoires de la Société d'Anthropologie de Paris.*
B.L.O.A.B : *Bulletin de Littérature Orale Arabo-Berbère.*
B.L.S : *Bulletin de Liaison Saharienne.*
B.S.G : *Bulletin de la Société Géographique (Paris).*
B.S.G.A : *Bulletin de la Société de Géographie d'Alger.*
B.S.G.A.O : *Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran.*
B.S.H.M : *Bulletin de la Société d'Histoire du Maroc.*
B.S.O.A.S : *Bulletin of the School of Oriental and African Studies.*
B.S.P.M : *Bulletin de la Société de Prehistoire du Maroc.*
Bull. Archéol. : *Bulletin Archéologique.*
C.A.A : *Cahiers de l'Afrique et de l'Asie.*
Cah. Rech. Agron. : *Cahiers de la Recherche Agronomique.*
C.A.T.A.N : *Cahiers des Arts et Techniques d'Afrique du Nord.*
C.B.E.T : *Cuadernos de la Biblioteca Española de Tetuan.*
C.C.E.J : *Collection des Centres d'Etudes Juridiques.*
C.E.A : *Cuadernos de Estudios Africanos.*
C.H.I : *Cuadernos de Historia del Islam.*
C. Méd. : *Cahiers de la Méditerranée.*
C.R.A.I.B.L : *Compte-Rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
C.R.A.S : *Compte-Rendus des Séances de l'Académie des Sciences de Paris.*
C.T : *Cahiers de Tunisie.*
E.B : *Encyclopédie Berbère.*

E.I.1 : *Encyclopédie de l'Islam. (1ère édition).*
E.I.2 : *Encyclopédie de l'Islam (2ème édition).*
E.T.A.M : *Etudes et Travaux d'Archéologie Marocaine.*
Et. Medit. : *Etudes Méditerranéennes.*
F.M : *France - Maroc.*
F.S.S.A.N : *Fédération des Sociétés Savantes d'Afrique du Nord.*
G.E.M : *Grande Encyclopédie du Maroc.*
Hesp : *Hespéris.*
H-T : *Hespéris-Tamuda.*
H.T.E : *Hommes, Terre et Eaux.*
I.G : *Information Géographique.*
I.H.E.M : *Institut des Hautes Etudes Marocaines.*
I.H.E.M : N-D : *Institut des Hautes Etudes Marocaines : Notes et Documents.*
Inst. Gen. Franco de Est. e Invest. Hisp. Ar. : *Instituto General Franco de Estudios e Investigaciones Hispano Arabe.*
I.S.C : *Institut Scientifique Chérifien.*
Isl. Cult. : *Islamic Culture.*
I.S.P.M : *Institut Scientifique des Pêches Maritimes.*
J.H.S.N : *Journal of the Historical Society of Nigeria.*
M.A.I.B.L : *Mémoires de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
Medit : *Méditerranée.*
M.E.F.R : *Mélanges de l'Ecole Française de Rome.*
N.A.M.S.L : *Nouvelles Archives des Missions Scientifiques et Littéraires.*
P.I.H.E.M : *Publications de l'Institut des Hautes Etudes Marocaines.*
P.S.A.M : *Publications du Service des Antiquités du Maroc.*
P.S.H.M : *Publications de la Section Historique du Maroc.*
R.A : *Revue Africaine.*
R.A.P : *Revue de l'Action Populaire.*
R.C.C : *Revue de la Chambre de Commerce.*
R.D.M : *Revue des Deux Mondes.*
R.E.A : *Revue des Etudes Anciennes.*
R.E.I : *Revue des Etudes Islamiques.*
R.E.L : *Revue des Etudes Latines.*
R.G.L : *Revue de Géographie de Lyon.*
Rev. Geo. Phys. Géol. Dyn. : *Revue de Géographie Physique et de Géologie Dynamique (Paris).*
R.G.M : *Revue de Géographie du Maroc.*
R.H.C.M : *Revue d'Histoire et de Civilisation du Maghreb.*
R.H.E : *Revue d'Histoire Economique.*
R.H.M.C : *Revue d'Histoire Moderne et Contemporaine.*
R.M.D.E.D : *Revue Marocaine de Droit et d'Economie du Développement.*
R.M.E : *Revue Maroc-Europe.*
R.M.F : *Revue Militaire Française.*
R.M.F.P.E : *Revue Marocaine des Finances Publiques et d'Economie.*
R.M.M : *Revue du Monde Musulman.*
R.P.P : *Revue Politique et Parlementaire.*
Rev. Inst. Hist. Mil. : *Revue Internationale d'Histoire Militaire.*
S.G.L : *Sociedade de Geografia de Lisboa.*
S.I : *Studia Islamica.*
S.I.H.M : *Sources Inédites de l'Histoire du Maroc.*
Soc. Sc. Nat. Phys. Mar. : *Société des Sciences Naturelles et Physiques du Maroc.*

ابن **عبود، المعطي** بن **محمد** المعطي بن محمد بن الهادي ابن عبود المكناسي، عالم خاشع وواعظ ناسك ورع، ذو عفة ووقار كان محباً في الرسول صلى الله عليه وسلم وآله وسائر المتعلقين بأهذابه، من الفضلاء المتبتلين الخطباء، كان مدرساً وعدلاً موثقاً عارفاً بالتوثيق وإماماً بالمسجد الأعظم وخطيباً بمسجد البراذعيين وحافظاً مكثراً، كان يسرد الذخيرة المعطوية وتفسير الثعلبي والسيرة النبوية للكلاعي وصحيح مسلم تقرباً لله خاصة في شهر رجب وشعبان ورمضان. تولى نيابة القضاء بالحضرة المكناسية وزار القبر الشريف زيارة حج في عام ستة وعشرين وثلاثمائة وألف.

من شيوخ المترجم الذين أخذ عنهم وأصبحوا عمدته في مروياته وأسانيده، والده الشيخ محمد بن المهدي، والشيخ فضول السوسي، وشيخ الجماعة الشيخ مبارك، والسيد العباس بن كيران، والسيد المهدي بن سودة والشيخ المختار بن الحبيب الجراوي. ومن تلاميذه الذين أصبح هو أيضاً عمدتهم فيما أخذوه عنه، سيدي محمد بن إدريس الشبيهي والسيد عبد القادر العرائشي والسيد الغالي السنتيسي والسيد عبد الرحمن ابن زيدان، والفقيه الكاتب السيد أحمد بن محمد بن فقيرة والنقيب سيدي مشيش بن المختار الشبيهي وجماعة من أعيان أهل العلم.

من شعره قصيدة في تقريظ عبد الرحمن بن زيدان الموسومة بـ*كفاية المحتاج في مدح صاحب اللواء والتاج*.

توفي يوم الثلاثاء آخر ذي الحجة سنة 1330.

ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، 4 : 316 ؛ *موسوعة أعلام المغرب*، 8 : 2867.

عبد القادر سعود

ابن **عبُود، المهدي** (الدكتور -) بن محمد بن عبد السلام السلوي. علم من أعلام المغرب المعاصر ورائد من رواد الدعوة الإسلامية ومفكر من جهابذة المفكرين الأتقياء.

انحدر من سلالة الصالح سيدي عبد السلام بن مشيش. نشأ والده بمدينة مكناس ورزق تسعة أبناء منهم الشهيد سيدي أحمد الذي أعدمه الاستعمار في حوادث 1944 للمطالبة بالاستقلال والشيخ العلامة المرحوم زين العابدين.

رحل والد المهدي في مقتبل عمره بعائلته إلى مدينة سلا حيث أكرمه أهلها لما اشتهر به من فضل وورع ودعوة للإسلام وتفسير للقرآن الكريم على الطريقة الصوفية، فكان يقصده الطلبة والفقهاء والقاصي والداني في زاويته الشهيرة بسلا. وكان يغشى الأسواق والتجمعات الشعبية ليعلم الناس فرائض الدين وحلاوة الإيمان مسترشداً بكتاب الله يغوص في أسرار معانيه ويزود محدثيه بالأذكار. كان كثير الاستبصار، لا ينام وفي جيبه مال يفرق ما تجمع له على الفقراء.

في هذه البيئة تربى المهدي. فلما مات والده وهو صغير كفلته أمه وتولى تربيته الدينية أخوه زين العابدين، فكان لما كان يرى ويسمع ويعي تأثير في تكوين شخصيته. احترف مهنة الحصارة لمدة قصيرة، ثم دخل المدارس العصرية فساعده نبوغه وقوة فطنته وذاكرته على تخطي مراحل التعليم بسرعة وأتقن ثلاث لغات : العربية والفرنسية والانجليزية. وما إن دخل قسم الفلسفة حتى دهمته المستحدثة والفكر الغربي مقارنة لما استوعبه فأخذ يبحث عن ذاته ويجد في طلب الحقيقة يلتمسها في تدبر آيات الذكر الحكيم وأحاديث الرسول الأكرم والرجوع إلى أكبر المجتهدين والتراث الإسلامي، تابع بحثه وهو يدرس الطب فتخصص في أمراض الجلد بقدر ما تضلع في الفلسفة وعلوم الدين.

ساهم بعد ذلك بأوفى نصيب في النضال من أجل الاستقلال وفي صفوف المقاومة وجيش التحرير تارة ثم في أروقة هيئة الأمم المتحدة تارة أخرى، إلى أن أصبح أول سفير لبلاده في الولايات المتحدة الأمريكية. ثم ما لبث أن اعتزل الوظيف للعمل الحر ففتح عيادة لطب الجلد بالرباط. كان يعالج المساكين بالمجان ويسعفهم أحياناً بالدواء. وكان إلى جانب ذلك يدرس بجامعة محمد الخامس كأستاذ للفلسفة وعلم النفس والدراسات الإسلامية. طبقت شهرته الآفاق

فكان يطلب في أغلب العواصم الغربية بأوربا وأمريكا وعواصم العالم العربي والإسلامي فأصبح داعية تتخطفه المنابر والإذاعات فكانت "أحاديثه تمتاز بتجلي البيان وفيض الحكمة والجنان وإشراق البيان". حسب ما قال عنه أحد علماء مكة المكرمة. كان حقا عميق التفكير، كثير التأمل، بليغ اللسان، سريع البديهة، سليم الطوية.

كان يتصدى من محاضراته وأحاديثه من محطات الإذاعة والتلفزة ومما كتب للرد على الإيديولوجيات المنحرفة ومواقف الإسلام في القضايا المطروحة ومجادلة المفكرين والمجاهدين. وهو القائل : "إن ما يثير الدهشة هذا البحر المتلاطم الأمواج من الفلسفات والإيديولوجيات والمعتقدات والمذاهب العلمية والآراء السياسية والتربوية والاجتماعية والأخلاقية عن الصراعات الفكرية... بحيث يتساءل العاقل عن قيمة المعارف الإنسانية وحدودها قائلا مع أبي العلاء المعري :

فوا عجبا من مقالاتهم أيعمى عن الحق كل البشر ؟"

كما كان المهدي يتصدى إلى هذه الأفكار بما كان يقوم به من محاضرات وأحاديث في المنتديات ووسائل الإعلام العالمية حيث كان له إقبال كبير. وقد امتد عمله هذا أزيد من ثلاثة عقود. ولم يقدر لكثير من إنتاجه الصدور مع الأسف.

ولكنه ترك إصدارات نذكر منها كراسات : العلم والمعرفة، صراع العقائد ومستقبل الإنسان، الإنسان وطاقته الروحية. ثم نشر كتاباً جامعاً أسماه "رصد الخاطر" ضمنه آراءه وخواطره عن صراع العقائد وأتبعه بجزأين من سلسلة "شراع" من كتاب "عودة حي بن يقظان" حذا فيه حذو ابن طفيل أحد أعلام الفكر الإسلامي بالأندلس الذي أفرغ فلسفة عصره في قصة خيالية ورد عليها، فقلده الدكتور المهدي بالرد هو كذلك على فلسفات عصره.

وكان آخر آثار المهدي الفلسفية والإيمانية قصيدته التي نافت عن أزيد من ألف بيت والتي اختار لها عنوان : "صورة عصر وشكوى نفس" كتبها تباعاً وهو طريح الفراش مدة تزيد عن ثلاث سنوات. وقد أودعها معانيه الإيمانية الروحية ونجواه وشكواه إلى ربه من الجاهلية التي تتخبط فيها الإنسانية وتشوقه إلى لقاء ربه قائلاً :

سلاماً ملاك الموت ما جئت شاكيا أيشكو جوار الحق من كان راجيا
أيشكو فراق العصر والعصر منذر بتدمير ما كان بالأمس بانيا
أيشكو فراق الأرض والأرض مرتع لم تباع للأهواء قلباً مرابياً

توفي يوم 27 شعبان 1420 الموافق 6 ديسمبر 1999 في الرباط عن سن تناهز الخامسة والثمانين، فكان لوفاته صدى حزن عميق في عموم المغرب.

قاسم الزهيري

العَبُودي، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Abudi.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1149.

محمد ابن عزوز حكيم

العبودي أو العبوديون أسرة مغربية عريقة، تنتسب للشرفاء العمرانيين وتنتشر بمختلف قبائل جبال الزيبب الجبلية، كقبيلة الأخماس، واغصاوة، وبني زووال وغيرها. وبعضهم يعرف بأولاد بنعبود. اشتهر الكثير من أفرادها بحفظ القرآن الكريم وتعلمه وتعليمه بمختلف رواياته. أنجبت كثيراً من المفتين والفقهاء والعلماء، بينهم قضاة وعدون. ساهم بعضهم في الجهاد والدفاع عن الوطن في العديد من المعارك قديماً وحديثاً.

العبودي الأغصاوي، أحمد بن **محمد** من علماء القرويين. ولد بمسقط رأس عائلته باغصاوة (اغزاوة) في بداية العقد الثاني من القرن العشرين. حفظ القرآن الكريم وهو دون سن العاشرة من عمره على المقرئ الفقيه السيد عبد السلام الشعري، كما تلقى مبادئ العلوم اللغوية والفقهية على والده الفقيه القاضي محمد العبودي، وعمه الحاج علي بن محمد العبودي بمسجد القرية مع ثلة من أبنائها وغيرهم. بعدما حفظ مجموعة من المتون وأمهات المصنفات اللغوية والفقهية، كالمرشد المُعين، والأجرومية، والألفية، وتحفة ابن عاصم، ومختصر الشيخ خليل، الذي كان من حفاظه، ثم التحق بجامع القرويين وذلك في منتصف الثلاثينيات للاستزادة من المعرفة والعلوم، لينهي دراسته بحصوله على شهادة العالمية سنة 1946.

وكان من شيوخه بها سيدي العباس بناني، و سيدي مَحمد العلمي، وسيدي محمد بن عبد الرحمان العراقي، ومولاي العباس الأمراني، وسيدي عمر بنسودة المري، وسيدي محمد بن عبد القادر بنسودة، وسيدي الجواد الصقلي.

ساهم وهو طالب بفاس بنشاط وطني ضمن أقرانه من طلبة القرويين والأساتذة بها، مما جعله يتعرض لكثير من المضايقات الاستعمارية، في مرحلة طلبه، وعدد من المصاعب الاجتماعية حتى بعد تخرجه، أثَّرَ ذلك عليه في مستقبل حياته من حيث البحث عن العمل والاشتغال بما فيه خير له وللوطن، لما حاول تأسيس مدرسة حرة بمدينة وزان فمنع من الحصول على رخصة لإنشائها، الأمر الذي اضطر معه لأن يحول وجهته للعيش بالدار البيضاء، فعين عدلا بمحاكمها، ولم يمنعه ذلك من أن يبقي مستمراً في نشاطه الوطني بشكل بارز، جعل ممثل الحماية، المندوب الفرنسي بمحكمة باشا الدار البيضاء وقتها، يعارض على ترشيحه، ويحْرمه من حق المشاركة في المباراة المنظّمة لاختيار القضاة الشرعيين، والمفتوحة أساسا في وجه الحاملين لشهادة العالمية، حيث لم

يتولى القضاء إلا بعد أن استقل المغرب، فعين قاضيا على مدينة برشيد وقبيلة أولاد حريز، تلك الخطة التي تركها بعد فترة ليصبح مدرسا بمعهد القرويين (1958 ـ 1959)، ثم بالمعهد الديني بمدينة العرائش (1959 ـ 1963)، وبعدهما عين أستاذا للسلك الثاني بثانوية المولى إسماعيل بمدينة مكناس (1963 ـ 1971) ليقع الاختيار عليه ليصبح مديراً لثانوية النهضة بنفس المدينة، وبقي بمنصبه هذا إلى أن أحيل إلى المعاش آخر سنة 1984.

العبودي الأغصاوي، علي بن محمد بن مَحمد بن الهاشمي بن الطاهر بن أحمد بن عيسى بن عمر العبودي العمراني، ولد بدوار دار الوادي من قبيلة اغصاوة السفلى التي كانت تحت الحماية الفرنسية، وبه نشأ وتربى وحفظ القرآن الكريم وبعض المتون المتداولة في وقته، ثم انتقل إلى بعض القرى التي كانت تشكل مراكز تعليمية مهمة بالمنطقة، فأخذ عن شيوخها علوم اللغة والفقه وماله صلة بهما من منطق وبلاغة.

ومن شيوخه البارزين الذين استفاد منهم كثيراً الفقيه الجليل محمد المجلاوي، تلميذ الشيخ المقرئ المشهور أحمد ابن المكي بن يرمق.

ثم بعد ذلك التحق بجامع القرويين ومكث بإحدى مدارس الطلبة رفقة ولد أخيه القاضي محمد الآتية ترجمته بعده. فتلقيا عن شيوخه العلامة الشريف سيدي الحسن العمراني الزرهوني، والعلامة سيدي محمد الصنهاجي، وأخيه الفقيه المدرس سيدي أبي الشتاء.

وبعد أن غادر القرويين اخْتيرَ لمهمة الإمامة والخطابة والتدريس لمدة تقارب ثلاثة عقود في العديد من القرى الكبيرة التي كانت تتوق إلى أمثاله وتفرح بمكثوهم في مساجدها للتعليم والإرشاد والإفتاء، معزّزين مكرمين وذلك في قبائل اغصاوة، وسطة، وعوف، بدائرة وزان.

وقد تتلمذ عليه بها كثير من الطلبة المحليين وغيرهم، أصبح منهم من احتل مناصب عليا في البلاد، بعدما أتم دراسته العليا ببعض جامعات المغرب وخارجه.

انتهى بمترجمنا المطاف بالاستقرار والسكنى بمدينة وزان التي أسس بها حلقة دراسية هامة كان مقرها في البداية مسجد حي الرمل. وكان لدروسه بهذا المسجد نتائج لافتة مرضية تُذكَر له فيُشكر عليها، ثم لما تقرر في بداية الستينيات إحياء الدراسة بالمدرسة الحسنية الدينية، بهذه المدينة نفسها بمسجد زاوية مولى عبد الله الشريف، بمساعدة وإشراف وزارة الأوقاف، كُلفَ بإدارتها ومراقبة دروسها والنظر في شؤون طلبتها، بالإضافة إلى ممارسته شخصياً التدريس بها لعدة فنون كان يقوم بها واستمر على ذلك إلى آخر حياته كما أخبر بذلك عنه تلميذه الملازم له نكيز الحسن الغرياوي الذي درس عليه في هذه المدرسة ورافقه وساعده في بعض شؤون الدراسة بها، يقول عنه مؤلف كتاب *مصابيح ولاية القنيطرة*. ومما يوصف به أنه من أوائل أعضاء رابطة المغرب وأنه منذ أنشئ فرعها في القنيطرة وهو عضو في مكتبه، وبه عرفتُه عن كثب، وأشْهَدُ أنني وجدتُ فيه كل الصفات التي يجب أن يتحلى بها العالم الفاضل، من تواضع وحلم ووقار ومروءة وغير ذلك من الأوصاف المحمودة، وكتب الله لي أن زرته بداره في وزان عام 1990، طالبا منه معلومات عن بعض علماء الجبال فأفادني كثيرا وزودني بما لم أظفر به عند غيره. توفي رحمه الله بمدينة وزان، مقرّ سكناه في اليوم الثاني عشر من ذي القعدة عام اثني عشر وأربعمائة وألف هجرية الموافق (14 / 6 / 1992).

ودفن مع والده بمسقط رأسه بدار الوادي من قبيلة اغصاوة، وقد ترك وَلَدَه محمداً الذي يعمل قاضيا بمدينة أبي ظبي بدولة الإمارات العربية المتحدة، وعبد الوهاب الأستاذ بثانوية ابن زهر بمدينة وزان. (من كتاب *مصابيح ولاية القنيطرة* بتصرف الصفحة (147 ـ 148) للعلامة محمد الهبطي المواهبي.

العبودي الأغصاوي، محمد بن محمد بن امَحمد من قضاة العدل المبرزين، لعب دوراً لا يستهان به في هذا المجال. ولد بقبيلة اغصاوة (اغزاوة) يوم 18 شوال عام ستة وثمانين ومائتين وألف. حيث تلقى تعليمه في صباه بقراءة القرآن على والده وغيره عند الدخول إلى الكتاب القرآني، وأقرأه الأمهات المتداولة من المتون كالمرشد المعين، والأجرومية والألفية، وتحفة ابن عاصم، ومختصر الشيخ خليل وبعض مبادئ المنطق وعلوم البلاغة وأصول الفقه. وكان لوالده عناية به وبإخوانه لتربيتهم وتثقيفهم.

ففي عام أربعة وثلاثمائة وألف (1304) أثناء الزيارة للقطب الأشهر المولى عبد السلام بن مشيش بجبل العلم، صحبة سيدي الحاج محمد الترغي البقال الحرائقي، التقيا بجماعة من كبار علماء فاس من بينهم الشيخ الفقيه العلامة سيدي محمد بن التهامي الشريف الوزاني الذي يرافقه تلميذه الطالب العباس بن العربي بن المختار الجامعي حيث عبر والده للفقيه الوزاني المذكور عن نيته في إلحاق ولده المتحدث عنه بجامع القرويين، للاستزادة من تحصيل مختلف العلوم والفنون على جلة علمائها. ثم انتقل به إلى فاس للغاية المذكورة حيث لازم القراءة على كبار فقهائها، وأشْهَر من انتصب للتدريس بها في هذا الوقت، كشيخ الجماعة سيدي أحمد بن الخياط الزكاري وشيخ الجماعة سيدي أحمد بن الجيلالي الأمغاري والشيخ الفقيه محمد بن التهامي الوزاني المذكور، والفقيه العلامة المحقق أبي عبد الله سيدي محمد المهدي الوزاني العمراني صاحب *النوازل الصغرى والكبرى*.

وبعد قضائه فترة من الدراسة بجامعة القرويين وارتوائه من معين مختلف المعارف بها، اشتغل بالتدريس والخطابة والفتوى، فتخرج على يده جماعة من الطلبة تولى البعض

منهم خطة العدالة والقضاء، كما ساهموا معه بعد ذلك في الحركة الجهادية عند ظهور الأطماع الاستعمارية لاحتلال المغرب نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين الميلادي، ضد الحملات الإسبانية والفرنسية التي شُنَّتْ على القبائل الجبلية والريف بشمال المغرب، وبعد اندلاع حرب الريف التحريرية شارك في المسعى الحميد لتوحيد الخطة بين المجاهدين بقبائل المنطقة وانضمامها لحركة التحرير التي قادها الأمير عبد الكريم الخطابي لغاية إفشال جهود الغزاة وقطع الطريق على الجيوش الاستعمارية في عملياتها العسكرية.

وهكذا جعل من مجاهدي قبيلته اغصاوة سدا منيعا وحصنا حصينا على العدو بتنظيم المجاهدين الذين يعملون على خط أعالي وادي اللكوس بقبيلة اغصاوة مع غيرهم (بجبل أسوال) من مجاهدي قبيلة بني مستارة، وقبيلة بني مزگلدة وقبيلة بني زروال. ولقد نظم هذا القاضي ورفقاؤه أثناء تلك الفترة حصارا محكما لقشلة فتراس حتّى استسلم من كان بها من الجيش الفرنسي المحاصر. ونفس الأمر وقع في معركة أخرى ضد الجيش الإسباني عرفت بمعركة (مغزيز) المعركة التي غنم فيها المجاهدون ما تقووا به من الغنائم، كالمدفع الرشاش الذي أسقطوا به طائرة كانت تقوم بقنبلة مداشر مختلف التجمعات السكنية بالمنطقة، بقيادة الطيار المدعو : سرجان ساگرلا الذي وقع في الأسر ثم استعمله المجاهدون والفقيه العبودي على رأسهم وسيلة ناجحة لافتكاك أسرى القبيلة الأغصاوية بعد مفاوضات بشأن ذلك مع الجيش الفرنسي المحتل لوزان وبعض نواحيه.

وتصميم الفقيه العبودي وجماعته على الدفاع عن مراكز وجودهم جعل الجيشين الفرنسي والإسباني يتخوفان من المواجهة مكتفيين بالعمليات الهجومية بواسطة الطائرات التابعة لفرنسا والتي كانت تقلع من مطار : اغنيوة قرب مدينة وزان أو بواسطة الطائرات الإسبانية التي كانت تقلع من مطار : سيد الماء بالعوامرة قرب مدينة العرائش.

ولما تم الاحتلال الكامل لمنطقة جبالة وكانت اغصاوة آخر ما تم احتلاله بها، ونظراً لثقة الناس في الفقيه العبودي واطمئنانهم إليه في سلوكه المتزن وسيرته النقية أُقرَّ قاضياً بظهير ملكي سنة 1928، ليصير مجاهدا بالنصح والإرشاد يحاول دائما إنهاء الكثير من نزاعات الخصوم، بدعوتهم إلى الصلح، يميل في فتاويه وأحكامه إلى التيسير، ويبتعد عن التعسير، يؤيد من أفتى قبله إن رآى أنه الصواب معتذراً بلطف عن إعطاء رأيه أحيانا. قال في بعض اعتذاراته : "وصلَنا شَريفُ خطابكم مع الرسوم بقصد التأمل فيها فإذا به لم نتمكن من التأمل والفتوى عليها على التمام".

للفقيه العبودي مجموعة من الفتاوى نشر البعض منها أخيراً ومازال الباقي بيد من أفتى لهم أو عند ورثتهم. كان القاضي العبودي لا يُسْكِت أحدا عند عرض خصومته مهما أطال فيها، ولايمل من سماع الرد على الدعوى ممن يدافع عن نفسه فيها.

توفي فجر يوم الجمعة سابع ربيع الأول عام 1370 الموافق 7 دجنبر 1950 بعد ما ترك أولاداً علماء : قضاة، وعدولا، وأساتذة معلمين.

العبودي الأغصاوي، محمد بن محمد بن محمد

ولد سنة (1329 / 1909) بمسقط رأس عائلته باغصاوة، وبكتاب مسجد القرية حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة وتلقى تعليمه الأولي به على والده، والعديد من الشيوخ القراء والعلماء، كما حفظ مختلف المتون وأمهات المصنفات في قواعد النحو، واللغة، والفقه، والعلوم المرتبطة بها.

ثم التحق بجامع القرويين كتلميذ مُجدٍّ في الطلب، للاستزادة من المعارف على جلة العلماء والشيوخ بفاس : كالفقيه العلامة سيدي الحسن العمراني (الزرهوني)، والعلامة الأصولي سيدي العباس بناني، والنحوي الأديب سيدي محمد بن عبد الرحمان العراقي، والعلامة سيدي محمد الصنهاجي، وأخيه الفقيه العلامة المدرس سيدي أبي الشتاء، وشيخ الفلكيين بالمغرب في وقته الحيسوبي سيدي محمد العلمي.

وفي مادة التوقيت هذه برز مترجَمنا أكثر، مما جعل أستاذه الفقيه العلمي المذكور يأمره بأن يقوم كل سنة تحت إشرافه أوبمعيته، خاصة بعدما قل نظره، على رصد حركات النجوم والكواكب التي تدعو حاجة الطلبة إلى معرفة حركاتها في حساباتهم التوقيتية.

وبعدما حقق رغبته في التحصيل، تولى خطة العدالة بمحكمة قاضي زومي ببني مستارة، ثم شارك في المباراة المنظّمة لاختيار القضاة الشرعيين، وكان النجاح حليفه، حيث أُلحِقَ أول الأمر بوزارة العدل قبل أن يعين قاضياً على أحواز الرباط، وابن سليمان بالشاوية، وكان مثالَ القاضي المعتز بمهمته لا يخضع فيها لأي تهديد من حكام الحماية. ولا يقبل المس باستقلال القاضي الكفء في عمله، ولو اعترضته صعوبات أو تحمل في سبيل ذلك مشقات.

وبعد الاستقلال عين قاضيا على قبيلة أولاد الحاج بالصويرة، ثم قاضيا بالعرائش ثم مستشاراً بالمحكمة الإقليمية بمكناس، وبمحكمة الاستئناف بالرباط، والدار البيضاء؛ لينهي مسيرته مستشارا بالمجلس الأعلى.

توفي يوم الجمعة تاسع عشر ربيع الثاني عام سبعة وتسعين وثلاثمائة وألف موافق 8 أبريل 1977. وشيعت جنازته بحضور جل رجال القضاء بالرباط، والبعض من رجال التعليم بها، وعدد كبير من الأقارب والأصدقاء، ودفن بمقبرة الشهداء بالرباط.

كانت له رحمه الله في مهامه القضائية منذ البداية مواقف تُظهر أنه لا يخشى في الله لومة لائم سجل فيها بشرف، ما يجب أن يتحلى به الاكفاء من القضاة.

العبودي الأغصاوي، محمد بن **مَحمد** بن **الهاشمي** بن الطاهر الفقيه القاضي (1319)، ولد في العقد الثالث من القرن الثاني عشر الهجري بالقرية المعروفة بمدشر دار الوادي مقر العائلة المذكورة، هذا الوادي الذي عرف عند أهله بوادي التفاح في الفترة التي تقارب وفاة الشيخ محمد بن علي الحاج الرهوني، صاحب الحاشية على شرح الشيخ الزرقاني على مختصر الشيخ خليل.

تعلم القراءة وحَفِظَ القرآن بكتّاب القرية برواياته التي تلقاها عن شيوخ القراءات المشهورين بقبيلته، وبالقبائل المجاورة وبالخصوص قرّاء قبيلة الأخماس بناحية شفشاون. حيث اشتهر بحذقه لمختلف قواعد القراءات ونصوص ضبط القرآن.

ثم التحق بالقرويين بفاس بعد تحصيله وتمكنه من الفهم الجيد لأمهات المصنفات المتداولة في وقته، التي درسها بشروحها على أشهر فقهاء ومدرسي المنطقة بينهم الفقيه المقرئ عبد السلام المرابط (1251).

وكانت له بعد ذلك علاقة متينة بالمشهورين من الشرفاء البقاليين بمدشر الريحان من قبيلة بني مزگلدة. ولهؤلاء اتصال بالدوائر السلطانية بفاس البعض منهم يسير في ركب السلطان أثناء مختلف رحلاته التي اشتهر المولى الحسن الأول بها، حتى قيل في حقه : "إن عرشه كان فوق صهوة جواده" لكثرة تنقلاته لتفقد شؤون رعيته والاطلاع بنفسه على أحوالها ولو في المناطق النائية من مملكته.

وفي مدينة فاس حضر دروس جلّة علمائها، فازدادت معارفه، وتفتحت مداركه، حتى حصل على مبتغاه من سماع دروسهم، وتزود بمختلف العلوم الفقهية، والقواعد اللغوية، والفنون البلاغية، والمبادئ الأصولية على يدهم. وبعد ذلك اختير إماماً وخطيبا للجمعة، ومدرّسا ينشر العلم بين الطلبة الملازمين والواردين على زاوية جد البقاليين الشيخ الفقيه، الأديب الفصيح النافذ الإرادة عند ملك فاس، المنزل منزلة الأمراء في الأمر والنهي في وقته، أبي الحسن سيدي علي الحاج البقالي من أهل القرن العاشر، مما أهله لأن يتولى خطة القضاء على قبيلة اغصاوة.

ومع ذلك لم تشغله مهامه المذكورة عن أن يكون سالكا في حياته الخاصة مسالك الباحثين عن الشيوخ المتمكنين الواصلين درجة الإخلاص لله وحده في عبادتهم.

صاحب في هذه المرحلة شيخ الزاوية الدرقاوية بمدشر بني نُعيم من قبيلة اغصاوة العليا، سيدي الراضي الزرْغيلي، فتواصلا في الله واستمرت زيارات بينهما متبادلة ومدارسة تفاسير القرآن الكريم ودواوين الحديث متصلة غير منقطعة خاصة *تفسير روح البيان* لمؤلفه الشيخ اسماعيل حقي البروسوي المتوفى عام 1137 للبحث عن الموارد العذبة لمعاني العبادة السامية الحقة، التي تمكن من خلوص النية في العبادة لله سراً وعلانية.

وعند اختتام كل سَلكة لهذا الكتاب، تُعقد بالمناسبة مجالس خاصة، يحضرها معاصروه من العلماء بمنزله بدار الوادي، كما يشارك فيها قراء القرآن وحفّاظه، في احتفال ديني، صوفي، روحاني، جل محاور الكلام فيه تدور على الالتزام والتقيد بالأوامر الإلاهية والنواهي الربانية في معاملات المسلمين الدينية والدنيوية مع أنفسهم وربهم.

تلك المعاني الصافية الواردة في كتاب الله تعالى وأحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم التي تُربّي النفوس المومنة على الخوف من رب العباد وخالقهم، وتقوي الرجاء في رحمته بالاعتماد على حوله تعالى وقوته، حتّى صارت تلك المناسبة عبارة عن موسم قرآني للواردين وكافة الحاضرين، مُساهمة في زيادة نشر الروايات المتواترة، ومختلف القراءات التي اشتهر أهل الجهة بالحفظ والإتقان لها، فلا يشاهد عندهم إلا القليل ممن لا يحفظ القرآن عن ظهر قلب بينهم.

توفي رحمه الله عام 1319 بعدما ترك ذرية ساهمت بدورها في نشر العلم وإعطاء الفتاوى وتدريس مختلف العلوم المتداولة، وعلى رأسهم ولده البكر : الفقيه القاضي محمد، وولده الأصغر، الفقيه المدرس الحاج علي، الذي توفي عن سن تناهز التسعين عاما وهو مدير للمدرسة العتيقة الملحقة بالمسجد الأعظم بزاوية المولى عبد الله الشريف بمدينة وزان.

وثائق خاصة : رواية شفوية.

عبد العلي بن محمد العبودي

العُبُودي، محمد بن **أحمد** شيخ الجماعة بقبيلة غزاوة كان برأس المجاهدين الذين انضموا إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني ؛ وقد حضر جميع المؤتمرات التي عقدتها الثورة وعين عضوا بالمجلس الاستشاري للمقاومة من المؤتمر المنعقد بقرية عين الدالية يوم 11 ماي 1913 ؛ وقد شارك في 51 معركة.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب*، الرباط، 1981.

F. Capas. *Cabecillas de Corona* 1949.

محمد ابن عزوز حكيم

العبيد (واد -) من الروافد الكبرى والمهمة لوادي أم الربيع بحيث يجمع كمية كبرى من مياه السفح الشمالي للأطلس الكبير الأوسط.

وينحصر حوض تغذية "واد العبيد" طبغرافيا بين خطي طول 7 درجات و7 دقائق و5 درجات و15 دقيقة غرب خط كرينوتش، وبين خطي عرض 31 درجة و43 دقيقة و32 دقيقة شمال خط الاستواء.

وبهذا تقدر مساحة هذا الحوض الإجمالية بحوالي 7840 كلم^2.

1 ـ المعطيات الطبغرافية :

ـ يمكن تلخيص الحدود بالنسبة لحوض تغذية "واد العبيد" كالتالي.

ـ من الشمال والشمال الغربي : أطلس القصيبة (جزء من أطلس بني ملال) وسهل تادلة.

ـ من الشرق والشمال الشرقي : الأطلس الكبير الشرقي وحوض ملوية.

ـ من الغرب والجنوب الغربي : سهل الحوز وأطلس دمنات.

ـ من الجنوب : الهوامش الجنوبية للأطلس الكبير.

ولهذا فإن "واد العبيد" يجري داخل سلسلة جبلية والتي تتخللها مجموعة من الأشكال خاصة الهضبية وهذه السلسلة لها نفس الاتجاه العام للسلسلة الأطلسية أي من الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي (نفس اتجاه جريان العبيد).

على أن أهم هذه الهضاب من الناحية الهيدرولوجية هي الهضاب الكارستية وهي هضاب تشكلت داخل بنيات كلسية جوراسية وليأسية (الزمن الثاني).

2 ـ المعطيات الجيولوجية :

أهم ما يمكن استنتاجه من خلال الدراسة الجيولوجية لحوض "واد العبيد" هو سيادة التكوينات الكلسية وكذا بداية التطور الجيولوجي منذ "البرموترياس" (نهاية الزمن الأول وبداية الزمن الثاني). هذه الحقبة تتكون من مجموعة من طبقات غير نافذة خاصة عند المركب "الصلصالي ـ البازلتي" الذي يمثل قاعدة الخزان الذي يحجز المياه. الليأس الأسفل والأوسط والأعلى يتميز بوجود تكوينات كلسية ودولوميتية مع ظهور كتل كلسية تكون أهم القمم العليا.

وعلى العموم فإن الزمن الثاني يتميز بوجود كلس داكن مع انتشار طبقات حمراء قارية حثية طينية مع توضعات رصراصية تكون قعور المقعرات.

وأخيراً الزمن الرابع ويتمثل في توضعات رصراصية نتجت عن عمليات التحليل الكيماوي الذي شمل الصخور الكاربوناتية الكلسية ونقل هذه المحلولات بواسطة العيون التي تظهر عادة في البنيات الكارستية.

ويمكن القول إن النشاط المائي أفرز تنوعا في الأشكال الكارستية داخل حوض "واد العبيد" انطلاقا من التفاعل بين الصخور الكربوناتية (الكلس والدولومي) المتماسكة والقابلة للذوبان مع الشبكة المائية. من بين هذه الأشكال نجد مغارات، تجاويف كلسية، جوبات وبالوعات كلسية منتشرة داخل هذا الحوض.

3 ـ المعطيات المناخية والنباتية :

من بين المشاكل المطروحة لدراسة حوض "واد العبيد" عدم توفر معطيات كافية عن التساقطات والحرارة.

لكن يمكن إعطاء فكرة عن المناخ السائد داخل الحوض انطلاقا من دراسة المعطيات المتوفرة في بعض المحطات القريبة من الحوض كما أن موقع الحوض في السفح الشمالي للأطلس الكبير الأوسط وتدرج الارتفاعات يجعله يتلقى تساقطات مهمة (أمطار وثلوج).

هذه المحطات هي : أزيلال (1420م وتتلقى 630 ملم تقريبا)، دمنات (1000م و600 ملم)، وأفورار (1420م و480 ملم من التساقطات).

ومن خلال دراسة مختلف المعطيات والعناصر المناخية خاصة التساقطات والحرارة، يمكن أن نستخلص بعض الملاحظات المهمة :

ـ بالنسبة للميزانية المائية وبما أن معظم المجال كلسي (أي التسرب هو السائد)، فإن فترة التسرب يمكن حصرها بين شهري نونبر حتى ماي، أما مؤشرات العجز المائي فتلاحظ ابتداء من شهر يونيو.

ـ تعرف المنطقة بين 5 شهور (ازيلال ودمنات) و6 شهور (افورار) يمكن اعتبارها شهوراً جافة.

ـ فيما يخص التصنيف المناخي (L. Emberger)، فإنه يختلف حسب موضع النطاقات داخل الحوض. لذلك فإن الجبال العليا والوسطى (المنخفضات الداخلية كذلك) تقع في النطاق شبه الجاف ذو الشتاء البارد، المنطقة الواقعة عند السلسلة الجبلية تدخل في النطاق شبه الجاف ذو الشتاء المعتدل، أما سفوح الأعراف فيمكن تصنيفها داخل النطاق شبه الرطب ذو الشتاء البارد.

والملاحظ كذلك داخل حوض "واد العبيد" هو أن التدرج الارتفاعي أعطى تنوعا مناخيا كما أدى إلى تنوع في الغطاء النباتي.

لذلك فإن الجبال العليا تحتوي على تشكيلات قزمية متأقلمة مع البرودة، والجبال الوسطى يكسوها غطاء نباتي متفرق مع غابة العرعر أما السفوح ذات المناخ الشبه رطب فيكسوها غطاء نباتي كثيف مكون أساسا من البلوط الأخضر إلى جانب أنواع أخرى كالعفصية، الصنوبر الحلبي، الخروب، الزيتون البري والدوم.

وعلى ذكر الغطاء النباتي وباعتباره ثروة وطنية هامة، فإن السمة الأساسية هي التدهور المستمر الذي يتعرض له هذا الغطاء النباتي لأسباب مختلفة ومتداخلة.

4 ـ الشبكة الهيدروغرافية لحوض "واد العبيد" :

ـ واد العبيد : يعتبر هذا الواد من أهم المصادر المائية التي تزود بحيرة "بين الويدان"، ويجد منابعه انطلاقا من مناطق ذات طبغرافية عالية تتدرج ما بين 2200 و2400 متر تقريبا، ويتم تزويده انطلاقا من عدة روافد تنزل من العالية أهمها "أسيف أورين"، أسيف أغندو" و"أسيف اكاسن" الذي يعتبر أطول هذه الروافد، كما نجد على الضفة اليسرى "واد عطاش" الذي يبلغ طوله 30 كلم تقريبا إلى جانب العديد من الروافد الصغرى.

ـ واد احنصال : يعتبر من أهم روافد "واد العبيد" إلى جانب "أسيف" "أملول" يجد منبعه في أعالي "أسيف بوكماز" على علو يصل تقريبا إلى 3000 متر كما يسير بصفة عمودية اتجاه الشمال على أزيد من 40 كلم بحيث

يخترق "جبل تالمست" لكي يلتقي "بأسيف ملول" عند منطقة "تلوكيت" التي توجد بها محطة لقياس الصبيب.

- أسيف ملول : توجد منابعه داخل الهضاب الكارستية على السفح الشمالي "لتيزي - ن - تيغور غزين" وهي عبارة عن التواء على علو يصل ما بين 2700 و2800 متر، كما يصبح المجرى دائماً على ارتفاع حوالي 2300 متر، ليلتقي بأسيف أحنصال" عند ارتفاع 1100 متر تقريبا.

- بعد استقبال العديد من الروافد الصغرى الآتية من الأعالي، يخترق "واد العبيد" مقعر "تاگلفت" ليصل إلى بحيرة بين الويدان. وانطلاقا من الجبل نحو السهل وابتداء من خروجه من منخفض "واويزغت" إلى أن ينتهي مجراه على طول الأطلس، يقطع "مقعر أيت عتاب" على طول حوالي 60 كلم، ثم يخرج من المنطقة الجبلية ليتصل بنهر "أم الربيع" عند سهل "بني موسى" على بعد 10 كلمترات تقريبا من عرف "تازركونت".

- بالإضافة إلى هذه الروافد التي تغذي واد العبيد، يمكن أن ندرج "بحيرة بين الويدان" التي تتخذ شكلا طوليا وتساهم في تغذية صبيب "واد العبيد" انطلاقا من السد.

5 - الدراسة الهيدرولوجية لواد العبيد :

- توجد عدة محطات هيدرولوجية داخل حوض "واد العبيد" تشرف عليها "وكالة حوض أم الربيع" ببني ملال، لكنها تقوم بقياس الصبيب عند السافلة.

وقصد إعطاء فكرة عن طبيعة الجريان، اعتمدنا على معطيات محطتين صبيبيتين :

- محطة "أيت أوشن" في أسافل "واد العبيد" عند ارتفاع يصل إلى 1200 متر تقريبا (مساحة الحوض عند هذه المحطة تصل إلى 2635 كلم^2).

- محطة "تلوگيت" عند أسافل "أسيف ملول" على ارتفاع 1100 متر وحوض تصل مساحته إلى حوالي 1690 كلم^2).

- يمكن اعتبار كمية هامة من التساقطات التي يعرفها الحوض لا تتعرض للتبخر وذلك ناتج عن عمليات الكرستة وعامل الارتفاع، ولهذا يمكن أن نستنتج أن نظام "واد العبيد" هو نظام تساقطي ثلجي متوسطي (Régime Pluvio-nival Méditerranéen).

- ومن خلال دراستنا للأرقام المتوفرة، يلاحظ أن هناك تباينا في المعدلات السنوية للصبيب يمكن تفسيره بتباين معدلات التساقطات بحيث أن ارتفاع الصبيب يتم بشكل متوازي مع زيادة التساقطات مع بعض الاستثناءات.

المحطة	متوسط الصبيب السنوي م^3/ث	أقصى الصبيب	أدنى الصبيب
أيت أوشن	7,68 م^3/ث	17,97 م^3/ث	1,86 م^3/ث
تلوگيت	10,24 م^3/ث	29,62 م^3/ث	4,66 م^3/ث

جدول رقم 1 : تباين الصبيب بين المحطات

كما أن هناك تباينا في التوزيع الفصلي للصبيب مع التساقطات وهذا يؤكد أهمية نشاط الدينامية الكارستية التي تعمل على تخزين المياه.

ولهذا فإن الصبيب يزداد قوة خلال فصل الربيع أي بعد فترة التساقطات التي تهم فصل الشتاء الذي يعرف بدوره ارتفاعا ملحوظا للصبيب.

الفصل	الخريف		الشتاء		الربيع		الصيف	
	الكمية م^3/ث	٪	الكمية م^3/ث	٪	الكمية م^3/ث	٪	الكمية م^3/ث	٪
	17	17,40	26,8	27.4	39,5	40.4	14,6	14.9

جدول 2 : تباين الصبيب حسب الفصول بمحطة "أيت أوشن" (1977-1999)

من الملاحظات كذلك أن الصبيب الشهري خلال الشهور الممتدة من يونيو حتى دجنبر لا يتأثر بالعجز في التساقطات، وهو ما يفسر الدور الكبير الذي تلعبه الدينامية الكارستية التي تعمل على تخفيف هذا النقص، ذلك أن العيون الكارستية تعمل على تفريغ خزاناتها خلال الفترات الجافة.

بالإضافة إلى هذا، فإن الثلوج التي تذوب خلال فصل الربيع تعمل على تغذية الفرشات الباطنية وبالتالي فإنها تؤثر على نظام الجريان بعد فصل الشتاء (الصبيب يبلغ أقصاه خلال شهري مارس - أبريل).

وفيما يخص استغلال المياه، يتم استغلال مياه "واد العبيد" وبالتالي مياه "بحيرة بين الويدان" في إنتاج الطاقة الكهربائية عبر شلال "أفورار" (450م كيلوواط / ساعة) وشلال "بين الويدان (200 م كيلوواط / ساعة سنويا)، وتستفيد عدة مناطق من المغرب من الطاقة المستخرجة.

كما يتم الاستغلال بتحويل مياه "واد العبيد" المجتمعة في "سد بين الويدان" عبر نفق باطني (عبر جبل تازركونت) إلى "أفورار" حيث يتكون حوض كبير تتوزع منه القنوات لسقي قطاع "بني موسى".

بالإضافة إلى كمية مهمة تستعمل لسقي قطاع خارج المنطقة وهو قطاع "تساوت السفلى" عبر قناة تربط بين سهل تادلا وسهل الحوز (طول هذه القناة يصل إلى 93 كلم وصبيب يصل إلى 13 م^3 / ث).

خلاصة :

من خلال هذه الدراسة البسيطة لحوض تغذية "واد العبيد" ورغم أهميته المحلية والجهوية وحتى الوطنية، يتضح أنه يعرف تدهوراً مستمراً نتيجة قساوة المناخ خصوصاً خلال السنوات الأخيرة، تدهور الغطاء النباتي بشكل خطي، الضغط السكاني المتزايد على المجال، وزيادة الطلب على أراضي فلاحية ورعوية جديدة على حساب الغابة كل هذا

سبب في تعميم التعرية بكل أشكالها كما أثر بشكل خطير على الموارد المائية خاصة على مستوى بحيرة "بين الويدان" التي أصبحت تعرف توحلا خطيراً يؤثر بشكل واضح على مستوى "مخزون السد" بكل نتائجه الخطيرة (560 طن / كلم^2 / السنة).

J. Loup, *L'Oum - Er - Rebia, Contribution à l'étude hydrologique d'un fleuve marocaine*, Rabat, 1960.

أحمد زروال

ابن **عبيد، لفقير محمد** (قائد زمن الحماية) ينتسب إلى جماعة الطوال إحدى البطون القبلية المنتمية إلى اتحادية أولاد الحاج الظعن التي كانت جموعها تنتشر على نطاق أوسع في بلاد الظهرة إلى غاية مطلع القرن الرابع عشر متعاطية للرعي والترحال وفق ضوابط وأعراف جماعية منظمة. وقد كان محمد لفقير، وهو المنحدر من بيت عريق المحتد والتجلة، يحظى بتقدير وإجلال مشهودين في وسط عصبته، نظراً لما كان يحوزه من قطعان وافرة العدد من الغنم والإبل وأيضاً لما كان يتميز به نبل معشر وكرم ضيافة وقوة شكيمة، وهي خلال وقيم مكنته ليس فقط من أن يكون صاحب وجاهة وسلطة رمزية بين بني جلدته، وإنما صاحب شخصية مهابة الجانب، مسموعة الكلمة في جل أوساط قبائل أولاد الحاج الرحل وكذا تجمعات القصور الممتدة على جنبات وادي ملوية الأوسط من منطقة القصابي إلى حدود وادي عمار. وحسبنا أن نشير إلى أن الشيخ محمد لفقير قد تدخل غير ما مرة لفض النزاعات التي كانت تنفجر بين الفينة والأخرى بين الجماعات القبلية إما حول مصادر المياه أو حول المراعي الجماعية، كما شارك في مناسبات عدة عن طريق الاستشارة أو التحكيم في حل بعض الخلافات المستعصية الناجمة عن اقتراف بعض الجنح والمخالفات من قبل بعض الأفراد أو الجماعات.

ومما يؤثر عن الشيخ محمد لفقير ؛ قبل أن تسند إليه سلطات الحماية الفرنسية منصب القيادة، أنه كان أبرز من تزعم محلياً حركة ملاحقة أحد أدعياء الحكم كان قد حل بمنطقة أوطاط الحاج في أواخر القرن الثالث عشر زاعماً أنه أحد أبناء السلطان الحسن الأول. فاستقر أول الأمر عند أهل تكور ثم انتقل بعد ذلك إلى قصر أولاد عبد الكريم ليحط رحاله أخيراً في قصبة أهل أوطاط. ولم يتردد الشيخ محمد لفقير حينئذ في مراسلة هذا الدعي الذي كان يطلق على نفسه اسم "الروكي" وذلك حتى يعرف مقصده ويستكشف حقيقة أمره. فكان أن تبين له أخيراً أن هذا الشخص المتلبس إنما هو شخص يهودي مخادع ليس إلا. فبادر الشيخ عندئذ مباشرة إلى جمع قوات محلية من مختلف قبائل ملوية فتم الإجهاز على حركة هذا الفتان واحتز رأسه وبعث به إلى دار المخزن.

على أن أهم حدث طبع مسار حياة هذا الشيخ بطابع مميز ومخصوص ـ حسب ما ترويه الذاكرة الشفاهية المحلية ـ هو استقدامه للقوات الفرنسية من عين الحمراء بعد أن تمكنت من احتلال مدينة وجدة والمناطق المجاورة لها في خطوة أولى على طريق تنفيذ مخطط غزو التراب المغربي ككل. حيث وقع في هذا السياق مع إدارة الاحتلال اتفاقاً تعهد فيه ـ فيما يرجح ـ بعدم تعرض جحافل قواتها لأي شكل من أشكال المقاومة من طرف قبائل أولاد الحاج مقابل التزامها بإقرار "التهدئة" والأمن بين الجماعات المحلية التي لم تعد تحتكم إلا إلى لغة السيف والرصاص في ظل غياب أي تمثيل مخزني للسلطة الشرعية على النطاق المحلي. وتبعاً لمقتضيات ذلك الاتفاق، حلت القوات الفرنسية أول ما حلت بمنطقة تساف ثم انتقلت بعد ذلك للاستقرار "بالكرطي" بمركز أوطاط الحاج حيث أقامت هنالك إدارتها الاستعمارية التي ستلعب فيما بعد دوراً رئيسياً وعضوياً في إخضاع الساكنة المحلية ومطاردة جيوب المقاومة التي كانت تتخذ من مرتفعات الأطلس المتوسط منطلقاً لعملياتها المسلحة. ومكافأة له على هذا الصنيع عينت إدارة الاحتلال الفرنسي الشيخ محمد لفقير قائداً على أولاد الحاج جريا على نهجها السياسي المعروف في مثل هذه الحالات داخل مناطق أخرى عديدة. وبقي يزاول مهامه وفق ما تمليه عليه إرادته في توافق تام مع منطق الإدارة الاستعمارية إلى أن وافته المنية فعين خلفا له ابنه محمد بن عبيد المدعو بالكريط.

مراسلات من الأرشيف الفرنسي بدائرة أوطاط الحاج ؛ وثائق خاصة؛ رواية شفوية ؛ تحريات ميدانية.

ابن **عبيد، محمد لكريط** (قائد في فترة الحماية). ولد بمنطقة أوطاط الحاج 1880 وهو سليل أسرة معروفة بوجاهتها الاجتماعية في وسط جماعات أولاد الحاج الرحل منهم أو المستقرين على السواء. تولى منصب الشياخة منذ أن أسندت إدارة الاحتلال الفرنسي لأبيه محمد الفقير منصب قائد على قبيلته ثم عين بعد ذلك خلفاً له فور وفاته مباشرة عام 1922.

وقد تميزت طريقة إدارته لشؤون الأهالي على وجه العموم باللين تارة والمناورة تارة أخرى وذلك بحسب طبيعة الظروف والقضايا المعروضة على أنظاره. وقد مكنه هذا النهج في واقع الأمر ليس فقط من إقرار الأمن بين الناس أفراداً أو جماعات، ولكن أيضاً من الاستجابة في هدوء لأوامر ومطالب الإدارة الاستعمارية المحلية. ونظراً لما كان يحظى به الشرفاء أولاد سيدي عيسى من مكانة اعتبارية في الوسط القبلي المحلي بفعل ما كانوا ينعمون به من ظهائر التوقير والاحترام، فإن القائد لكريط لم يكن يقرب ساحتهم إلا بما يناسب مقامهم الاجتماعي والرمزي من تقدير ومواددة.

وبحكم ما كان يتمتع به من دراية واسعة ومعرفة دقيقة بمجالات حدود الأراضي والمراعي الجماعية التابعة لنفوذ قيادته قام بإيعاز من الإدارة الفرنسية بتقسيم الأراضي بين المشيخات الواقعة تحت إشرافه وتحفيظها بصفة قانونية، كما

اضطلع، من جهة أخرى، بدور أساسي في وضع تقسيم إداري محدد بإحداثيات مجالية لا تزال بعض معالمها قائمة إلى اليوم بين أراضي قيادته وقبائل : أيت بوشاون وبني گيل وأولاد جرار وأولاد علي وأولاد دخاوة وتكور ... الخ.

وقد استمر القائد لكريط في ممارسة مهامه في ظل نظام الحماية الفرنسية إلى أن حصل المغرب على استقلاله السياسي الوطني حيث تخلى عن منصبه إسوة بما فعل قواد آخرون في عدة قرى وبوادي مغربية مخلفا وراءه رصيداً غنياً ومتعدداً من الأعمال والممارسات لا تزال الذاكرة الجماعية المحلية تتداول تفاصيلها وتروي أطوارها إلى اليوم بصيغ وأشكال متفاوتة تمثلاً وتأويلاً من سياق إلى آخر ومن شخص إلى آخر.

وثائق محلية، روايات شفوية، مقابلات ميدانية.

الفقيه الإدريسي

عبيدات الرما، طوائف شعبية تمارس أنماطا من الفنون الاستعراضية. وقد كانت حتى مطالع القرن العشرين منتشرة في أنحاء عدة بمدن المغرب وقراه ثم تقلص عددها في العقود الأخيرة ولم يعد لها وجود إلا في بعض المناطق كمنطقة زعير.

ويقال بأن أتباع هذه الطائفة ينتسبون إلى زاوية الشيخ سيدي علي بن ناصر الذي أسس زاوية الرماية بمراكش في القرن الحادي عشر.

وفي دراسة أنجزها الأستاذ علال الخديمي ذهب إلى القول بأن تسمية "اعبيدات الرما" ضاربة في أعماق التاريخ المغربي وفي الثقافة الشعبية، وأنها تحيل مباشرة على معاني الرماية والجهاد والفروسية والانتظام في جماعة متعاونة ترتبط ممارساتها بسلوكات أخلاقية معينة مازالت بعض معالمها حية وباقية إلى اليوم لدى جماعات الرمي المنظمة لغرض الصيد والقنص".

تتخذ طائفة اعبيدات الرما مظهراً عسكرياً يتجلى في حمل أعضائها للبنادق، ولعل ذلك ما يفسر نسبتهم إلى (الرما) وأنهم كانوا في الأصل رماة يتدربون على الرماية بالبنادق استعدادا للمقاومة، وهي تجمع إلى مظهر العسكري مظهر الفرجة الاستعراضية التي يشترك جمهور المتفرجين في تنشيطها من خلال اقامتهم لحفلة (المعروف) التي يحتفون فيها بأعضاء الطائفة.

ويبدو أن المواضيع التي واكبت نشاط هذه الطائفة كانت في البدء تتمحور حول الإشادة بأعمال الجهاد والفروسية والقنص، ثم تحولت بفعل انقطاع أسباب الجهاد إلى ما يتصل بالترويح عن النفس وأمور الهزل وحكايات العجائز والاحتفال بمحاصيل الصابة واقتسامها، إضافة إلى موضوعات أخرى تتناول النقد الاجتماعي اللاذع من قبيل التعريض بالكسول، وبذلك تحولت فرجات اعبيدات الرما إلى مشاهد تشخيصية تبرز فيها المواهب ويتدفق عبرها الكلام ما بين خطاب مستفز وحوار أخاذ.

ومن خلال متابعة أطوار العرض الفني لعبيدات الرما يلاحظ أنه يتوخى إثارة فضول الجماهير واستقطاب اهتمام الحاضرين وتحريك إعجابهم وانبهارهم، ومن أجل ذلك فهم "يزينون رؤوسهم بقلنسوات مزخرفة بأصداف الحلزون زخرفة مضحكة، ومن ورائهم يتدلى ذنب الثعلب، وقد يرتدي الواحد منهم كسوة نسوية". والمشاهد بصفة عامة تتوالى فيها الأدوار التمثيلية والموسيقية على نحو متكامل بحيث يتخلل الأدوار الهزلية ضرب المقص والنقر على الطار والتعريجة والنفخ في الناي فإذا انتهى العرض وانفض الجمهور عاد مقدمو الطائفة إلى زواياهم ليقضوا ليلتهم في التسبيح والتهليل والصلاة على النبي صلعم.

وقد أورد المستشرق اميل لاووست في مجموعة (قصص المغرب البربرية) وصفا حيا لفرجات "اعبيدات الرما" فأشار إلى أنهم يختمون حفلاتهم يوم الجمعة بقراءة الفاتحة في محفل كبير، يؤدونها أمام بساط مفروش عليه برنس، وحوله يقف المقدمون والشرفاء ثم يلقون بهداياهم وعطاياهم. وبعد نهاية الفرجة يحمل اعبيدات الرما بنادقهم ويؤمون شط النهر حيث نصبت أهداف الرماية، فيشرعون في تصويب بنادقهم نحوها، ثم يوشحون الرامي المتفوق على عمامته.

ع. الله بنشقرون، *فجر المسرح العربي بالمغرب*، تونس، 1988، ص. 41 ـ 46 ؛ ع. الخديمي، *أصول الرماية والرمي في التراث الشعبي*، مج. *المناهل*، س. 25، ع 64 و65، شعبان 1422 ماي 2001، ص. 470 ـ 480 ؛ ع. الله، شقرون، مج. *الفنون*، س. 1 ع 7 و8 مايو ـ يونيو، 1974، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية.

عبد العزيز بن عبد الجليل

ابن عبيدة، أبو بكر محمد هو محمد بن عبيدة الله الأنصاري الاشبيلي السبتي. يكنى أبا بكر وأبا عبد الله. ولد بإشبيلية يوم عيد الفطر سنة 627 / 1230. يشير إليه ابن رشيد في رحلته بالأستاذ المقرئ الأديب النحوي البارع. (*بغية الوعاة*، 1 : 170). استقر بسبتة. أخذ عن جملة من الأساتذة منهم أبي الحسن علي ابن الدبّاج، وأبي محمد فضيل المقرئ، وأبي محمد بن ستاري، وأبي عبد الله ابن المحلي السبتي، وأبي الحسن الزيات، وابن أبي الربيع (*درة الحجال*، 2 : 259). وتتلمذ عليه جملة من الفقهاء من بينهم محمد بن عبد الله بن عبد العظيم بن أرقم النميري (*الإحاطة*، 3 : 89). له نظم. توفي بسبتة في رابع عشر القعدة سنة 706 / 1307، ودفن بالمقبرة الكبرى في سفح جبل الميناء منها (*درة الحجال*، 2 : 259 ؛ *اختصار*، 17).

الأنصاري، *اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار*، تح. عبد الوهاب بن منصور، الرباط، 1403 / 1983، ص. 17 ؛ ابن القاضي، *درة الحجال في أسماء الرجال*، تح. محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، 1391 / 1971، الجزء الثاني، ص. 27 و259 ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، تح. عبد الله عنان، القاهرة، 1395 / 1975، الجزء الثالث، ص. 89 ؛ ابن القنفذ، *شرف الطالب في أسنى المطالب*، محمد حجي، *ألف سنة من الوفيات*، الرباط، 1396 / 1976، ص. 15 ؛ السيوطي، *بغية*

الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت، الجزء الأول، ص. .

زليخة بنرمضان

أيت **عتاب**، يتضح من خلال الإشارات الواردة في تضاعيف مصادر التاريخ والأدب أن مجال أيت عتاب كان مأهولا منذ عصور سحيقة. فلما غزا عقبة بن نافع بلاد المغرب أواسط القرن الهجري الأول كان مجالهم من ضمن تراب قبيل هسكورة البربري. على أن عتاب كعلم لم يكن أبدا بربريا، ليس فقط لأن صيغته عربية، ولكن أيضا لأنه من بين أسماء الأعلام العربية التي اشتهر بعضها في مختلف المصادر. فمتى بدأ إطلاق هذا الاسم على سكان ذلك المجال ؟

لا شك في أن هذا التساؤل يفضي إلى تساؤل آخر، وهو من يكون عتاب هذا ـ إذا افترضنا أنه شخص ـ الذي انتسبت إليه هذه القبيلة ؟ فهل يكون ذلك الشخص من بين العرب الذين دخلوا المغرب في عهد يعقوب المنصور الموحدي ؟

لا نستطيع أن نتمادى في التساؤل، لأن معظم أسماء القبائل التي درجت المصادر على إلحاقها بأعلام بشرية لاتزال مثار أخذ ورد ؛ وكل ما تحصل إلى حد الآن لا يتعدى نطاق اجتهادات محتملة، في أغلبها. وإذا سلكنا مسلك من اعتقد أن عتاب ينتمي إلى بني جابر، من بني هلال العربية المعروفة (عيسى العربي، *قبيلة أيت عتاب*، ص. 23)، فكيف انتقلوا إلى ذلك المجال واستوطنوه، وأخذوا لسانه ؟

هذا السؤال وغيره من الأسئلة المهمة لا تزال المصادر المعروفة، إلى حد الآن عاجزة عن أن تجد لها أجوبة شافية.

والغالب على الظن أن اسم أيت عتاب لم يتردد في المصادر العربية المعروفة إلا انطلاقا من القرن العاشر (16 م)، حيث تحدث عنها الحسن الوزان كمدينة أسسها الأفارقة (*وصف إفريقيا*، 1 : 145). وتكاد الأوصاف التي أسبغها على سكانها ومجالهم تطابق ما هم عليه الآن. وهي الأوصاف نفسها التي تكررت لدى مارمول فيما بعد (*إفريقيا*، 2 : 119). لكن أي واحد منهما لم يتحدث عن أيت عتاب القبيلة. فهل ظهر أيت عتاب كاتحادية قبلية، في سياق الاتحاديات التي تكونت في ذلك العصر ؟ نطرح هذا السؤال ونحن ننطلق مما شهده المغرب من "شغور في الأحكام"، على إثر انحلال عرى الدولة المغربية، في أواخر العهد المريني والعهد الوطاسي ؛ وظهور الأحلاف القبلية الكبرى ـ كأيت عطا ـ في الأطراف والجهات النائية، إما بهدف الدفاع عن مجالاتها (من أراض ومراع)، أو من أجل غزو مجالات جديدة، في سياق التدافع مع القبائل الأخرى.

وأيا ما كان الأمر، فإن ذكر أيت عتاب ما فتئ يتردد في المصادر المعروفة منذئذ، لأن موقعها غير بعيد عن الطريق التجارية الواصلة، عبر التاريخ، بين العواصم المغربية، وبين المغرب وبلاد السودان. أي أنها تقع ضمن المجال الذي يكون صلة الوصل بين الشمال والجنوب.

ومن ثم لا نستغرب إذا علمنا أنه بالقرب من ذلك المجال وقعت أكبر المعارك الحاسمة بين جيوش الدول الآيلة إلى السقوط والدول الصاعدة. وبناء على ذلك، ورد ذكر أيت عتاب في سياق معظم الأحداث التي عرفتها تلك الجهة، عند الإفراني والريفي والضعيف والزياني والناصري وابن زيدان وغيرهم. وأشار عيسى العربي إلى أن حفدة مولاي عيسى بن إدريس وحفدة عبد القادر الفاسي يتوفرون على مجموعة من الظهائر المنعم عليهم بها من لدن سلاطين السعديين والعلويين (*قبيلة أيت عتاب*، ص. 26).

ومن تلك الإشارات والمعلومات الواردة في المصادر والوثائق يتضح أن أيت عتاب قبيلة بربرية، ينتمي لسانها إلى مجال الاتصال بين مصمودة وصنهاجة. وتقع مواطنها في هضاب الأطلس المتوسط الغربي، على الضفة اليمنى لوادي العبيد. وتتوسط قبائل هنتيفة وأيت مساض، في الجنوب والجنوب الشرقي، وأيت بوزيد، في الشرق، وبني عياط، في الشمال.

تتكون قبيلة أيت عتاب من أحد عشر فخذا وهي :

ـ أسمسيل، ويضم هذا الفخذ عدة فرق، من أشهرها أولاد معمر تزروالت وأيت دحان وبوكوت وبوزرگان وبوگنفو وأيت بنداوة.

ـ تسقي، وينضوي تحته أولاد سعيد وأيت حموحقي وأيت عبو وإحلوان وفم الزاوية وإغير وأيت بومليك وأيت بويحيى وتاوريرت.

ـ أيت عيسى، ومن بين فرقه أولاد غنام وأيت يحيى وأيت عياش. وهذه الأفخاذ الثلاثة كلها في الناحية الغربية من أيت عتاب.

ـ أيت يحيى، وأشهر بطونه، أيت حدو

ـ أيت إغص، ومن أشهر فرقه، أيت وابيت

ـ أيت طوطس، ومن أشهر فرقه، أيت عبد السلام

ـ أيت يعزم، ويشتهر به فرقتان، أيت يشو وأيت عبد الوافي

ـ أيت أومعلا، وبه فرقة تسگدلت

ـ أيت وقدير، وبه إنغماس وتاونزة وتامريغت

ـ أيت وزگان، وأشهر فرقه، أيت وشاد. وتقع الأفخاذ السبعة سالفة الذكر في الجهة الوسطى.

ـ إخرخوضن، وبه فرقتان، حنضور وأخداش. وتمتد مواطن هذين الفخذين في الناحية الشرقية من أرض قبيلة أيت عتاب. والجدير بالملاحظة أن السلطات الفرنسية في أثناء أعمال الإحصاء التي قامت بها، لم تثبت إلا عشرة أفخاذ، مستثنية فخذ أيت عيسى (*Répertoire alphabétique*).

ومن بين أهم مميزات قبيلة أيت عتاب، أنها من القبائل التي شهدت اختلاطا كبيرا في العناصر المكونة لسكانها. ففضلا عن العنصر البربري، المصمودي ـ الصنهاجي، بما انضاف إليهم من مختلف القبائل المجاورة، فهي تضم عددا لا يستهان به ممن يتكلمون اللسان العربي ؛ حتى إن المرء، في بعض الفرق، لا يكاد يميز هل هو موجود في جهة بربرية

أو عربية. كما اشتهرت أيت عتاب من بين أقدم المناطق التي استوطنها العنصر اليهودي.

ولعل شدة الاختلاط التي ميزت أيت عتاب راجعة بالدرجة الأولى إلى وقوعها في مجال عبور، طوال فترات تاريخية مديدة. أشرنا قبل إلى أن تراب القبيلة العتابية لا يبعد عن الطريق الواصلة بين الشمال والجنوب، وهي الطريق التي كانت مطروقة بكثافة منذ العهد المرابطي على الأقل. كما أنها غير بعيدة عن الطرق الجبلية الأخرى، ولاسيما طريق دادس ـ أحنصال. إلى جانب ذلك، بينا في دراسة سابقة أن أراضي أيت عتاب تقع في مجال عبور اتحادية أيت عطا، التي لا نشك في أن اكتساحها لذلك المجال، ولاسيما في أثناء فتور السلطة المركزية، كان يترتب عنه تحريك عناصر من القبائل الواقعة في طريقها، وقد ينتهي بها الأمر إلى الاستقرار حيث تجد بعض وسائل العيش، كما هو الحال في أيت عتاب الذين يتوافر في أراضيهم ماء وخصب (مقدمة تحقيق الدرة الجليلة). ومما ترتب عن هذا الموقع الوسط، أن عدة قبائل عبرت مجال أيت عتاب في أثناء الأزمات الدورية التي كانت تنزل بالبلاد، فتؤدي إلى هجرات كبيرة بين شمال البلاد وجنوبها.

ونتيجة لما ذكر، حافظت قبيلة أيت عتاب على تماسكها وكثافتها السكانية منذ ظهورها، في القرن العاشر (16 م). فقد شهد مختلف الرحالين والكتاب الذين زاروا تلك الجهة أو تحدثوا عنها، بكثرة سكانها. وإذا استندنا إلى تقديرات هؤلاء، نستنتج أن عدد السكان عند الحسن الوزان حوالي 5000، ومارمول 10000، ودوفوكو وكيدنفيلد 6000.

وبعد فرض الحماية على المغرب، قامت السلطات الاستعمارية بثلاثة إحصاءات كانت نتائجها كالآتي : 17.522 : 1931 ؛ 21.766 : 1936 ؛ 22.831 : 1952 ؛ ليرتفع هذا الرقم، بعد الاستقلال، إلى 31.212 سنة 1971 و33.199 سنة 1982.

بقي أن نشير إلى أن قبيلة أيت عتاب شاركت في جل الأحداث التاريخية التي عرفها المغرب منذ العصور السحيقة، واستأثرت بعناية كل الدول المتعاقبة على الحكم في بلاد المغرب منذ القرن العاشر (16 م).

في هذا السياق نذكر أن قبيلة أيت عتاب أنجبت عددا من الأعلام تركوا بصماتهم، وبرزوا في الميادين العلمية والصوفية والسياسية والعسكرية والاقتصادية. منهم محمد بن سعيد العتابي السلاوي، المتوفى عام 1033 / 1622، من أصحاب الشيخ عبد الله بن حسون السلاسي (*الإتحاف الوجيز*، ص. 97). ومنهم الباشا أحمد العتابي، أحد أشهر قواد السلطان المولى إسماعيل. ومنهم محمد العتابي، الرحالة أحد علماء القرويين ؛ وهو غير محمد بلحاج العتابي، المقاوم المتوفى سنة 1972 (ع. العربي، ص. 174). ومنهم المعمر الفقيه المجوجكي، محمد بن علي بن الرامي (المتوفى سنة 1977) ؛ الفاضل العالم الذي بلغ درجة الإفتاء.

هذا، علاوة عن عدد من الأعلام العتابيين من أهل القرن الثاني عشر (18 م) ـ من أيت وزگان وأيت طوطس وتزملت ـ الذين انخرطوا في سلك الطريقة الناصرية ؛ وكانوا من الفقهاء وحفظة القرآن الكريم. وإلى هؤلاء يرجع الفضل في الحفاظ على التوازن في تلك الجهة، بما قدموا إلى السكان من خدمات، كنشر التعليم والدعوة إلى الله والوساطة في النزاعات.

ولما فقد المغرب استقلاله، كانت أيت عتاب من القبائل التي تم احتلالها في أواخر سنة 1916 ؛ حيث زحفت عليها القوات الفرنسية، انطلاقا من قصبة تادلا ومن مراكش، بأمر من الجنرال دولاموث (*قبيلة أيت عتاب*، ص. 178). فاعتبرت منطقة عسكرية، وكل أمرها إلى ضابط للشؤون الأهلية.

البيدق، *المقتبس* ؛ ابن الزيات، *التشوف* ؛ ابن خلدون، *العبر* ؛ الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ مارمول، *أفريقيا* ؛ الإفراني، *نزهة الحادي* ؛ القادري، *نشر المثاني* ؛ الخليفتي، *الدرة الجليلة* ؛ الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة* ؛ الزياني، *الترجمانة* ؛ *البستان الظريف* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس* ؛ أ. التوفيق، إبشولتان ؛ م. بوسلام، *قبيلة بني ملال* ؛ عيسى العربي، *قبيلة أيت عتاب*.

Répertoire alphabétique.

أحمد عمالك

عتاب، ثائر ارتبط اسمه بثورة الموحدين أدت إلى تخريب مدينة داي، ورغم ذلك فلم يرد ذكره إلا عند ابن الزيات التادلي في إشارات عرضية، لذلك لا نستطيع تحديد اسمه الكامل ولا ملامح شخصيته على وجه الدقة. قام عتاب بانتفاضة ضد الدولة الموحدية في بداية عهد يوسف بن عبد المؤمن، وبالضبط سنة 559 / 1164، انطلاقاً من مدينة داي التي كانت مركزاً صوفياً نشيطاً. وأدت هذه الانتفاضة إلى قيام الموحدين بمطاردة "أشياخ المريدين بسبب ما نسب إلى عتاب، حين قيل إنه يطلب الملك، فقتل وطلب أصحابه" (*التشوف*، 394)، وقمعت حركته بقسوة تسببت في خراب المدينة وجلاء أهلها وافتراقهم في البلاد، ربما لتضامنهم مع الانتفاضة، أو فقط كإجراء تخويفي من إجراءات الموحدين.

اتسمت الظرفية التي ثار فيها عتاب بقدر كبير من الارتباك، فبعد وفاة عبد المؤمن سنة 558 / 1163 توقف عن بيعة ابنه يوسف "قوم من أشياخ الموحدين، وامتنع من بيعته أخواه السيد عبد الله صاحب بجاية والسيد محمد صاحب قرطبة، فكف عنهما ولم يطلبهما بالبيعة وتسمى بالأمير، ولم يتسم بأمير المؤمنين حتى اجتمع الناس عليه" (*روض القرطاس*، 208)، ولم تتم له البيعة النهائية إلا سنة 561 / 1166. وقد عرفت سنة 559 / 1164 التي وقعت فيها أحداث داي اندلاع ثورة كانت أكبر وأشد تنظيماً هي ثورة مرزوغ الغماري الصنهاجي، الذي تبعته قبائل صنهاجة وغمارة

وأوربة، وزحف في اتجاه فاس فدخل مدينة بني تاودة. كما عرفت نفس السنة اندلاع ثورة تادلا بزعامة قبائل صنهاجية أخرى. ويبدو أن عتاب قد أدرك خصوصية الظرف وأراد اقتناص فرصة مواتية للاستفادة من ثورة تادلا، ليقود انتفاضة مدينته ضد أمير متفق على بيعته حتى بين إخوته وأشياخ دولته، لكن قرب المنطقة من مراكش عاصمة الموحدين جعل القضاء على هذه الانتفاضة سهلاً إلى حد ما.

وباستثناء السياق الذي وقعت فيه الحادثة فإن المصادر لا تسعف بشيء يمكن من إزاحة الغموض عنها. وقد رجح الأستاذ أحمد التوفيق أن يكون لحركة عتاب "سند من العصبية، وقبائل تادلا مرشحة لها لأكثر من سبب ... وقبائل المنطقة كلها صنهاجية وليست من المصامدة الذين أيدوا الموحدين" (*التشوف*، مقدمة التحقيق، 20)، وافترض أن قبيلة أيت عتاب المجاورة لمنطقة داي تنسب إليه.

من المؤكد أن مثل هذه الانتفاضات والثورات كانت الرسائل الموحدية والمصادر التاريخية المعاصرة تحرص على ذكرها ولو بإشارات مقتضبة من منطلق تسجيل انتصارات الخلافة على المخالفين، لكن إذا أخذنا بعين الاعتبار أن تحرك عتاب تزامن مع تحركات أخرى، فلا يبعد أن تكون المصادر قد اعتبرته جزءاً من انتفاضة تادلا، فلم تفرده بالحديث لهذا السبب.

لقد جاءت هذه الحادثة الغامضة في مرحلة تحول خطير بالنسبة للدولة الموحدية هي مرحلة وفاة عبد المؤمن وانتقال الحكم إلى ابنه يوسف، وعادة ما كانت هذه الفترات الانتقالية تعرف نشوب ثورات هنا وهناك. ويظهر أن الموحدين ربما استغلوا مشاركة بعض المريدين في ثورة أهل داي ليوسعوا دائرة مطاردة أهل التصوف من أبناء المنطقة، فطوردوا مع من طورد من أصحاب عتاب وفر بعضهم إلى المشرق، ولا شك أن مصير عدد منهم كان هو القتل، كما حصل لعتاب الذي قتل في ظروف غامضة في نفس السنة.

ابن أبي زرع، *الأنيس المطرب*، الرباط، 1972، ص. 208 ـ 210 ؛ ابن الزيات، *التشوف*، تح. أحمد التوفيق، 1984، ص. 20 ـ 168 ـ 394 ـ 395 ـ 402 ؛ *أخبار أبي العباس السبتي*، ص. 466 ؛ البيدق، *أخبار المهدي*، الرباط، دار المنصور، 1971، ص. 86 ؛ م. العمراني، *الفتن والسرديات بالمغرب الأقصى والأندلس خلال القرن السادس الهجري (12 م)*، رسالة د. د. ع، تاريخ، كلية الآداب بالرباط، 1996، ص. 188 ـ 196.

E. R. Gauthier, *Madinat - Oudai. Hesp.*, 1926, t. IV, 1er trim..

محمد المغراوي

العتابي، أحمد بن **يشو**، الملالي ثم العتابي، نسبة إلى أيت عتاب القبيلة المعروفة الواقعة مواطنها غربي الأطلس المتوسط، جنوبي بني ملال. ينحدر العتابي من أيت ابن يشو، المنضوين اليوم تحت لواء مشيخة تسقي. أخذ المترجم الطريقة الناصرية عن الشيخ الحسن بن مسعود اليوسي، الذي كان قد ندب نفسه لتلقين الورد الناصري لمن لم يستطع الوصول إلى تامگروت.

ولعل العتابي رحل إلى درعة حيث أخذ الورد، مرة أخرى، عن الشيخ أحمد ابن ناصر، كدأب سائر مريدي ذلك العصر. كان هذا الرجل من بين تلاميذ الناصريين الذين عملوا على ترسيخ التعاليم الإسلامية واللغة العربية لدى سكان الجهات النائية ؛ في عهد كان قد عرا السلطة فتور كبير، واستشرت الانحرافات التي لم ينج منها الميدان الديني نفسه.

وكما لا نعرف شيئا عن ميلاده ونشأته، لا نعرف تاريخ وفاته ؛ على أننا نرجح أنه توفي فيما بين 1182 و1204 / 1768 و1790.

م. الخليفتي، *الدرة الجليلة ؛ التحري الميداني*.

العتابي، الباشا أحمد، أحد قواد السلطانين المولى إسماعيل والمولى عبد الله. اشتهر بالحركة التي قادها ضد زاوية أحنصال بأيت مضريف، حيث أضرم النار فيها، وطارد أتباعها من أيت عطا ـ نُ ـ مالو، وأخلى قصبة ووزغت. وهذا هو المتداول إلى حد الآن ؛ في غياب المصادر الكفيلة بكشف حقيقة هذه القضية. ويظهر أن نفوذ الباشا العتابي كان ممتدا على مجال واسع، يتجاوز أيت عتاب ليصل إلى أيت مساض وأيت بوزيد، وقسم من هنتيفة الجبل ؛ من القبائل المجاورة في الشرق والجنوب. ويصدد تاريخ وفاته نرجح أن يكون في صدر دولة المولى عبد الله الثالثة ؛ أي فيما بين 1145 و1151.

وثائق من زاوية كرول، بالقرب من دمنات ؛ م. الخليفتي، *الدرة الجليلة ؛ التحري الميداني*.

أحمد عسالك

العتابي بلحاج، ابن زاهر محمد، مقاوم ولد حوالي 1914، بدوار أولاد معمر بمشيخة اسميل بأيت اعتاب. حفظ ما تيسر من القرآن الكريم في كتاب قريته، ثم التحق بزاوية سيدي إبراهيم البصير في بني عياط من أجل متابعة دراسته.

وعندما حلت المجاعة بالمنطقة انتقل مع أمه إلى بلاد زيان، وبعد مدة من الزمن، غادرها متوجهاً نحو سطات، فالدار البيضاء، التي حل بها في سنة 1930، حيث تعلم هناك مهنة ميكانيك كهرباء السيارات. وفتح محلا خاصا به في "گراج علال". وفي هذه المدينة احتك بلحاج العتابي بالحركة الوطنية فانخرط في صفوفها، إذ انضم إلى الحزب الوطني عام 1934. ثم بعد تأسيس حزب الاستقلال أسندت إليه مسؤولية مكتبه بالحي الصناعي في الدار البيضاء سنة 1944.

وفي عام 1953 ـ وبعد نفي جلالة الملك محمد الخامس ـ أصبح من بين المنظمين الرئيسيين لحركة المقاومة السرية إلى

جانب مقاومين كبار أمثال محمد الزرقطوني، الذي كانت تربطه به علاقات طيبة للغاية. ولذلك كان عضوا في إحدى المنظمات السرية تسمى "منظمة الهلال الأسود". ولهذا صنفه محمد الفرقاني ضمن القيادات البارزة للحركة الوطنية (*الثورة الخامسة*، ج. 1، ص. 352).

ومن الخدمات الجليلة التي قدمها بلحاج العتابي لهذه الحركة، أنه جعل من محل عمله ورشة لصناعة القنابل التي يقوم الفدائيون بتفجيرها في مختلف الأماكن، حيث تحدث رعبا قويا وارتباكا كبيرا في صفوف المحتلين الفرنسيين ومن في خدمتهم من خونة ومتعاونين مغاربة (الفرقاني، م. س. 287).

وكنتيجة لتحركاته المكثفة ونشاطاته الواسعة في أكثر من مدينة في ميدان المقاومة والنضال، تعرض لاستنطاقات متعددة من قبل المسؤولين الفرنسيين، الذين أصدروا في حقه عدة أحكام بالسجن والنفي.

ولما تبين لبلحاج العتابي أن أمر الوطنيين المنخرطين في خليته قد اكتشف من قبل سلطات الاحتلال سنة 1954، وهي السنة التي استشهد فيها محمد الزرقطوني، فر مع مجموعة من المقاومين إلى المنطقة الشمالية للمغرب الخاضعة للاحتلال الإسباني، وهناك تابع نضاله الوطني، حيث قام بعدة مهام تناسب ما تميز به من شجاعة وإقدام وغيرة وطنية، ومن تلك المهام المهمة التي أسندت إليه والمتمثلة في الإشراف على شؤون اللاجئين المغاربة الذين فروا من منطقة الحماية الفرنسية. كما قام بربط الاتصال ببعض قادة الحركة الوطنية، وعلى رأسهم علال الفاسي الذي كان مقيما في القاهرة بمصر، إذ كان يوجه إليه تقارير دورية وفي مختلف المناسبات يخبره فيها بالأحداث المستجدة في ظل الاحتلال الفرنسي على وجه الخصوص.

وعندما تم تشكيل هيئة لأركان الحرب بتطوان، أصبح بلحاج العتابي أحد أعضائها النشيطين، وقد لعبت هذه الهيئة دورا طلائعيا في إدارة شؤون جيش التحرير. وأسهم أيضا بفعالية في تزويد المقاومين بالسلاح عن طريق تهريبه، وذلك قصد تنفيذ عملياتهم البطولية وتوجيه ضربات موجعة لجيش الاحتلال وعملائه.

وعندما حصل المغرب على استقلاله، وأدمج جيش التحرير في القوات المسلحة الملكية، تم تعيين بلحاج العتابي ضابط احتياط برتبة قبطان. كما عينه جلالة الملك محمد الخامس عاملا على إقليم الشاون، ثم على إقليم الناضور. وكان المواطنون يقدرونه ويحترمونه لما اتسم به من استقامة وتواضع، ومما كان يقوله حسب ما صرح به صديقه المقاوم إبراهيم النصر "دار العامل ما هي إلا دار للشعب، ونحن لا شغل لنا سوى خدمة مواطنينا بكل صدق وتجرد".

وبعد ذلك تقلد مسؤوليات أخرى في المجلس البلدي ومجلس عمالة الدار البيضاء، وانتخب عضوا في مجلس المستشارين ومجلس النواب.

وبذلك كله يمكن القول بأن المجاهد بلحاج العتابي نجح إلى حد بعيد في جهاديه الأصغر والأكبر على السواء.

توفي رحمه الله تعالى في شهر شعبان 1392 الموافق لشهر أكتوبر 1972.

م. الحبيب الفرقاني، *الثورة الخامسة*، *صفحات من تاريخ المقاومة وجيش التحرير*، طبعة 1990، ج. 1، ص. 17، 287، 352، 353 ؛ الحسن العرائشي، *انطلاق المقاومة المغربية وتطورها*، الرباط 1982، ص. 17، 35، 92 ؛ م. التجكاني، *دار بريشة أو قضية مختطف*، مراجعة وتقديم الحاج أحمد معنينو، طبعة 1987، ص. 55، 56، 58، 62، 86 ؛ ع. الله الصنهاجي، مذكرات في تاريخ حركة المقاومة وجيش التحرير المغربي من 1947 إلى 1986، طبعة 1987 ؛ عز الرحيم الورديغي، *المقاومة المغربية ضد الحماية الفرنسية 1952. 1956*، طبعة 1982، ص. 139 ؛ ع. الحفيظ الهلالي، *عمليات فدائية لمنظمة الهلال الأسود*، مجلة المقاومة وجيش التحرير، عدد 3 دجنبر 1981، ص. 19 ؛ م. س. لقدماء المقاومين وأ. ج. التحرير ؛ سلسلة أحداث ملحمة الاستقلال، الوثائق 2 ص. 140، الوثيقة 3 ص. 77 ؛ عيسى العربي، *مقاومة سكان قبيلة أيت عتاب ضد الاحتلال الفرنسي 1908. 1956*، مطبعة الرباط، ط. 1 يونيو 1995، ص. 180. 193.

عبد العزيز الضعيفي

العتّابي، محمد من رواد الحركة الوطنية المغربية، درس بفاس وكان على صلة وثيقة بالشيخ السلفي أبي شعيب الدكالي منذ كان يدرس عليه بالقرويين، ثم عمل معه كاتباً حين أصبح الشيخ وزيراً للعدل على عهد السلطان عبد الحفيظ. ولما عمل الفرنسيون على إقصائه بعد فرض الحماية، ثارت ثائرة العتابي فتوجه إلى المشرق سنة 1332 / 1913 وحج، وبعد سنين دخل إلى عاصمة الخلافة العثمانية الآستانة وانضم إلى الشخصيات الشرقية والمغربية النازلة بها والساعية إلى تحرير الأوطان والشعوب تحت ظل الجامعة الإسلامية، وفي مقدمتهم الوطني التونسي الكبير عليّ باش حامبة الذي أصبحت له حظوة وكلمة مسموعة لدى رجال الدولة، فقد سهّل على العتابي مأموريته النبيلة حتى حضر لدى الخليفة محمد رشاد الخامس وأحاطه علماً بأخبار المغرب وأحداثه، وما يقاسيه السكان تحت السيطرة الأجنبية وأحوال المقاومة المسلحة المنتشرة آنذاك في أكثر الأقاليم سهلاً وجبلاً.

بعد ذلك سافر العتابي إلى ألمانيا التي كانت تخوض الحرب ضد فرنسا وحلفائها. وقد استضافته الدولة في برلين وحاولت أن تسخره لخدمة أغراض سياستها الرامية إلى فتح واجهة سياسية وحربية في المغرب، لكنه رفض كل مالا يتفق وخطته الوطنية التحريرية الهادفة إلى الاستعانة بألمانيا

لصالح المعارضة والمقاومة بالمغرب، فعاد إلى تركيا. ولما اعترف المؤتمر الإسلامي المنعقد بالأستانة باستقلال المغرب - يسعى من محمد العتابي - حرص على ألا يحتفظ بقراراته كحبر على ورق فسعى إلى الدعوة لقراراته حينما عهد المؤتمر إلى فريق من أعضائه بالسفر للخارج قصد التجول في مختلف الدول الملتزمة للحياد في الحرب العالمية الأولى كالدانمارك والسويد والترويج للتعريف بمقررات المؤتمر وتنوير الرأي العام بخصوص قضايا العالم الإسلامي عامة، وخاصة المغرب والجزائر وتونس وليبيا ومصر. لقي وفد المؤتمر كل مساعدة وأفسح له المجال للدعوة بوسائل الاتصال والنشر، وكان من أعضائه محمد العتابي وعلي باش حامية وشكيب أرسلان، فضح العتابي خطة فرنسا وإسبانيا في المغرب وساعده رفاقه في ترجمة بياناته وكتاباته إلى اللغات الأجنبية، ورددت الصحافة حتى في باريس أصداءها، لذلك أدانته السلطة الفرنسية بواسطة المحكمة العسكرية وأصدرت ضده حكماً غيابياً بتحريم عودته إلى المغرب وبالاستيلاء على ممتلكاته .. تابع العتابي نشاطه ونجح في استصدار قرارات هامة من المؤتمر المنعقد في اسطوكهولم عاصمة السويد سنة 1917 بإعلان استقلال المغرب التام وضم إقليم شنگيط إلى المغرب ومناشدة دول الحياد للعمل حتى يصبح الاستقلال المغرب مطلباً نافذاً. وكان العتابي يعمل في نفس الوقت للاتصال بمن في داخل المغرب من المهتمين مثله بقضية الحرية، كرجال المقاومة المسلحة، وكاد أن يظفر من دولة الخلافة بما طلبه للثورة الداخلية من إسناد بالرجال والأسلحة حيث وقع الاتصال بالسلطان السابق عبد الحفيظ بمدريد ليتولى زعامة الحركة الجهادية لكنه لم يقبل لأسباب خاصة به. وبعد ذلك طرأت أحداث في الشرق العربي وأوربا الشرقية : ثورة الملك حسين بالحجاز بإيعاز من الأنجليز والتحاق لبنان وسوريا به، وانفصال رومانيا وبلغاريا عن الدولة العثمانية بتدبير من الحلفاء لإلحاق الهزيمة بها كحليفة لألمانيا في الحرب وكدولة تتزعم العالم الإسلامي وتحكم أقطاراً مسيحية في أوربا، فتضعضعت الدولة العثمانية وتعرضت هي نفسها للاحتلال في أطرافها.

هكذا ضاع الأمل في إعانة تركيا للمجاهدين المغاربة واضطر محمد العتابي في نهاية الحرب إلى مغادرة الآستانه والنزول بمصر لدى ملكها فؤاد الأول. وقد قال عنه الزعيم محمد حسن الوزاني في نهاية هذه الترجمة الحافلة التي خصه بها ومنها أخذنا هذا المختصر :

"أسهم العتابي باسم المغرب والنخبة الواعية المخلصة من رجاله في جميع حركات النهضة الإسلامية والسياسية في المشرق خاصة لعالج قضية الحرية ... وبهذا خلّد ذكره في سجل التاريخ واستحق تقدير وطنه والأجيال المغربية التي عاصرته أوجاءت من بعده ... أوذي في سبيل الله والواجب الأقدس، فحكم عليه قضاء الاستعمار بالتغريب والمصادرة عقاباً واقتصاصاً".

انقطعت أخبار محمد العتابي في مصر فمات غريباً مغموراً في تاريخ غير محدد.

م. حسن الوزاني، *مذكرات حياة وجهاد*، بيروت، دار الغرب الإسلامي / مؤسسة محمد حسن الوزاني، د. ت. الجزء الأول، ص. 226 - 232.

محمد حجي

العتابي، مَحمد بن **سعيد**، عالم مشارك، يعتبر من أبرز تلامذة الشيخ عبد الله بن حسون السلاسي السلاوي - صاحب المزارة الشهيرة قرب المسجد الأعظم بسلا - لذلك تولى أمر الخلافة بعد وفاته في محرم 1013 / ماي - يونيو 1604. تصدى المترجم للتدريس بمدينة سلا، وكانت له اليد الطولى في التصوف، والفقه، وعلوم القرآن. فذاع صيته، وقصده الناس من المدن النائية للأخذ عنه. ومن أبرز تلامذته سيدي أحمد ابن مَحمد الطالب الذي حل إليه من القصر الكبير بإذن الشيخ سيدي محمد المُجَوّل القصري. وإذا غلب على محمد بن سعيد العتابي التصوف، فإنه كان - على غرار شيخه ابن حسون - يتتبع عن كثب الأحداث السياسية التي كانت تمر منها البلاد. ومما لاشك فيه أنه تأثر بعد أن وجه شيخه هذا المجاهد مَحمد العياشي للمرابطة في سبيل الله بناحية البريجة لمناوشة البرتغاليين عن العاصمة مراكش التي كانت مهددة بالخروب بعد وفاة السلطان أحمد المنصور السعدي 1012 / 1603. إلى جانب ذلك، كان المترجم من أبرز الشخصيات العلمية بسلا التي كانت تدرك كل الإدراك الأضرار التي لحقت السلاويين من جراء احتلال المعمورة من الإسبان 1023 / 1615. ونستشف من إشارة وردت عند الإفراني في *النزهة* أن المترجم كان ممن قدم مَحمد العياشي - بعد رجوعه من البريجة سنة 1024 / 1615 - للقيام بأمور الجهاد، ودرء كل الأخطار المحدقة بمدينة سلا، لا سيما وأن الأمر يتعلق بثغر قريب جداً من هذه الأخيرة.

توفي مَحمد بن سعيد العتابي عام 1032 / 1623، ودفن بجوار شيخه ابن حسون، وعليهما - اليوم - دربوز واحد.

م. الإفراني، *نزهة*، ط 2، ص. 265 ؛ م. بلحسن السلاوي، *قصيدة السلوانية*، تعليق، أ. معنينو، ضمن مجلة البحث العلمي، ع 39، 1985، ص. 214 ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، تح. م. بوشعراء، ط 2، 1996، ص ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، ط. 1978، 2 : 445 ؛ ع. اللطيف الشاذلي، *الحركة العياشية*، منشورات كلية الآداب بالرباط، 1982، ص. 89 - 90.

محمد السعدين

ابن **عتّو، محمد** بن عبد الرحيم شيخ الجماعة بقبيلته بني يسّف الهبطية كان برأس مجاهدي القبيلة الذين انضموا معه إلى الحركة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني ؛ وقد شارك في جميع المؤتمرات التي عقدتها الثورة. وفي المؤتمر المنعقد بقرية عين الدالية بالفحص يوم 11 ماي 1913 انتخب عضواً بالمجلس الاستشاري للمقاومة ؛

كما شارك في عدة معارك إلى أن استشهد في المعركة التي جرت باشروطة يوم 17 نوفمبر 1914.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب*، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

العتيقي، عبد الله، كنيته أبومحمد. ينتسب إلى أيت عتيق، أحد أفخاذ قبيلة فطواكة (إنفضواك) التي تقع أراضيها غربي مدينة دمنات.

لا نعرف شيئا يذكر عن طفولته ولا نشأته. وكل ما وصلنا عنه نستقيه من الترجمة الطويلة التي أفرده بها مَحمد بن عبد الله الخليفتي (*الدرة الجليلة*، ص. 252). وقد ذكر في هذه الترجمة أن العتيقي كان فقيها أستاذا، إماما عالما عاملا. أخذ طريق القوم عن الشيخ أحمد ابن ناصر (ت. سنة 1129 / 1717). وأشار إلى أنه اشتهر بكثرة الرؤيا للنبي صلى الله عليه وسلم. وأثبت له واحدة من تلك الرؤى، وهي التي رآها ليلة السبع والعشرين من رمضان عام 1155. والخلاصة، أنها كانت بمثابة محاكمة وقع فيها تداول بعض القضايا الكبرى التي شغلت بال أهل ذلك العصر ؛ أبرزها تصنيف الزوايا القريبة من المحيط الذي كان يعيش فيه. وفي الوقت الذي لم يتردد فيه عن وضع المعيار الشرعي للتمييز بينها ؛ فإنه اكتفى بالتلويح إلى موقف المخزن منها.

في هذا السياق، نوه بالناصريين، الذين قبل الرسول ـ حسب الرؤيا ـ ملاقاة شيخهم مَحمد ابن ناصر فرحب به وقبله ضمن وفده. ومعلوم أن طريقة تلك الزاوية كانت تتبنى التمسك بالسنة وتحارب البدع. وكان ذلك حذو مختلف فروعها التي انتشرت في سائر بلاد المغرب، ولا سيما زوايا المناطق الجبلية.

وعلى العكس من ذلك، كان صنف آخر من الزوايا ؛ يظهر من خلال الرؤيا مرفوضا من لدن الرسول صلى الله عليه وسلم. وعلى رأسها إيحنصالن وتنسلا.. وهي من ضمن الزوايا التي نعتها المعاصرون بالانحراف عن الشرع ؛ فضلا عن التناقض بينها وبين المخزن.

كما أن تلك الرؤيا لم تن عن نقد المخزن الذي قام ببعض التجاوزات في مجال الشرع. والقصد هنا إلى السلطان المولى إسماعيل ؛ في مسألتين :

ـ المسألة الأولى، وهي الإفراط في تعدد النساء. وبالرغم من أن هذا الأمر مخالف للشرع، فقد تجنب المعاصرون الحديث فيه. ولعل السبب معروف.

ـ المسألة الثانية، وهي قضية تملك الحراطين التي تواجه بصددها العلماء والمخزن، وتخلفت عنها أدبيات كثيرة ؛ تدد أغلبها بالتجاوزات التي صحبتها.

هذا فضلا عن بعض القضايا التي وقع التلويح إليها، كقضية السماع الذي كانت بعض الطرق الصوفية تتعاطاه ؛ أو القضايا التي اكتفى بالتعريض بأصحابها، وهي لا تزال في حاجة إلى بحث وتنقيب للكشف عنها.

توفي عبد الله العتيقي بالوباء، فيما بين 1156 و1160 / 1743 و1747 (*الدرة الجليلة*، ص. 263).

محمد بن عبد الله الخليفتي، *الدرة الجليلة* ؛ م. بن الطيب القادري، *نشر المثاني*.

أحمد عمالك

العثامنة، يغطي مجال قبيلة العثامنة القسم الشرقي من سهل تريفة بأقصى شمال المغرب، وهي في الأصل قبيلة تابعة لاتحادية قبائل أنكاد المحيطة بمدينة وجدة. وقد نزحت بمعية قبيلتي هوارة وأولاد الصغير إلى سهل تريفة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ميلادي إثر نزاعات قبلية، فصارت فصائل هذه القبائل تشكل ما يعرف في المصادر التاريخية بأهل تريفة تارة وعرب تريفة تارة أخرى، وهي قبائل ذات أصول عربية كما هو شأن اتحادية أنكاد. ومعلوم أن اسم العثامنة ينتشر في جهات أخرى من المغرب وفي القطر الجزائري على وجه الخصوص، كما هو شأن اسم هوارة وغيرهما من الأسماء القبلية. وقد احتمت قبيلة العثامنة بقبيلة بني خالد المنتمية لاتحادية قبائل بني إزناسن، واستأذنتها في الاستقرار بشرق سهل تريفة، الذي كان في الأصل يُعدّ مجالاً لقبائل بني إزناسن. وكانت قبيلة العثامنة تتركب من الفصائل التالية :

ـ أولاد مسعود ـ الخُضْران ـ المعاريف ـ المخاليف ـ أولاد ناجي ـ الحداشات ـ العبادة. وفي مطلع القرن العشرين تقلصت فصائل قبيلة العثامنة إلى خمسة وهي : الخضران وأولاد ناجي والعبادة والمعاريف والحداشات. ويفسر ذلك بفعل النزوح نحو مدينة أبركان والهجرة إلى الخارج خصوصاً قبل تجهيز قرى هذه القبيلة بالماء الشروب والكهرباء.

لم تبرز شخصيات مخزنية من هذه القبيلة مثلما كان الأمر بأنكاد أو ببني إزناسن خلال القرن التاسع عشر، فهي في غالب الأحيان كانت تابعة لإحدى قبائل بني إزناسن، وقد تولى أحد أعيانها المشيخة ـ وهو معروف باسم مَحمد برحاب في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، حيث كان مكلفا من قبل المخزن بزجر المهربين الذين كانوا يمارسون نشاطهم بالأسواق الحدودية بجوار مصب وادي كيس في البحر الأبيض المتوسط. وقد انحازت قبيلة العثامنة أثناء ثورة الروگي بوحمارة إلى قبيلتي بني عتيق وبني خالد الذين ناصروا الثائر. وبعد الاحتلال الفرنسي لشرق المغرب سنة 1907، تولى كبار أعيان قبيلة بني ازناسن بيع الأراضي التي كانت تستغلها قبيلة العثامنة إلى المعمرين الفرنسيين بصفتهم ملاك أرض تريفة الفعليين، فتكونت ضيعات عصرية بمجال قبيلة العثامنة اشتهرت بأغراس الليمون والكروم، وفي وقتنا الحاضر (2002) تشكّل قبيلة العثامنة جماعة قروية تابعة لدائرة مدينة السعيدية ضمن إقليم أبركان، حسب التقسيم الإداري المعمول به منذ العقد الأخير

من القرن العشرين، ويوجد مقر الجماعة بالموقع المعروف باسم المقهى المغربي بتراب فرقة الخُضران. وتحتضن هذه الجماعة الفصائل التي لم تندثر، وهي الخُضران والعبادة وأولاد ناجي والحداشات والمعاريف.

ع. برحاب، *شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي : المجال الحدودي بين المغرب والجزائر في مطلع القرن العشرين*، 1900 ـ 1912، منشورات كلية الآداب، المحمدية، 2002 ؛ ملف وجدة بمديرية الوثائق الملكية بالرباط.

Mhmmad Ben Rahhal, *A travers les Beni Snassen*, *B.S.G.A.O.*, 1889 ; Voinot, *Oujda et l'Amalat*.

عكاشة برحاب

عُثمان، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Hozmen.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1151.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **عثمان**، أسرة علمية عريقة في مكناس، يرجع نسبها إلى قبيلة مسطاسة، وهذه من فروع زناتة. وقد اشتهر هذا البيت بمن برز فيه من المشتغلين بالعلوم الشرعية والأدبية، فضلاً عن مجموعة من الخطباء والوعاظ والموثقين المنتصبين لخطة العدالة، حيث امتد هذا النشاط ـ متنوع الاتجاهات ـ عبر دولتي الشرفاء حتى أواسط ق 19.

1 ـ ومن أوائل المعروفين منهم : عبد الواحد بن أحمد بن محمد بن عثمان المسطاسي ثم المكناسي، حسب تعبير آخر منتسخ بخطه، فرغ من كتابته زوال يوم الأربعاء أوائل ربيع الثاني 999، مخطوط، خ. س 8457.

2 ـ واشتهر مع هذا اسم أخيه عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن عثمان المسطاسي، كما يسمي نفسه، آخر منتسخين ـ بخطه ـ عامي 989 و990.

ويعتبر هذا بين علماء الأسرة المرموقين، انظر ترجمته بالملحق رقم 1.

3 ـ 4 ـ 5 ـ وخلف ابنه أبا العباس أحمد، والد الأخوين عبد الرحمن ومحمد، حيث جاءت الإشارة للثلاثة في وثيقة بتاريخ 8 شعبان 1048.

6 ـ ومن علماء هذه الأسرة علي بن محمد بن محمد ابن عثمان، ورد ذكره ـ عرضاً ـ عند أبي زيد عبد الرحمن الفاسي، محلياً له بصاحبنا الفقيه القاضي : سيدي علي ابن عثمان.

وجاء اسمه في وثيقة موصوفا بالفقيه الأجل، العالم الأفضل، المدرس : أواخر رجب 1086.

وفي وثيقة أخرى (رجب 1108) خطط بوصف النائب عن السلطان.

وورد عدلاً شاهداً في وثيقتين : الأولى : بتاريخ أواخر رجب 1108.

والثانية : بتاريخ أوائل رمضان 1117.

7 ـ ولعلي أخ شقيق هو الفقيه العدل السيد محمد.

8 ـ وعلي ـ أيضاً ـ هو والد الفقيه العدل أحمد اليماني.

9 ـ وهذا ـ بدوره ـ والد الفقيه محمد المدني.

10 ـ ومن المرموقين بهذه الأسرة عبد الواحد بن أحمد ابن عثمان : أستاذ القراءات السبع، حيث نوه بالأخذ عنه تلميذه عبد الرحمن بن علي بن عبد الله بن كريم الصنهاجي.

وكان عبد الواحد ابن عثمان يتعاطى خطة التوثيق، فيأتي اسمه عدلاً أول في وثيقة بتاريخ 23 ربيع الأول 1149.

11 ـ وله ولد يحمل اسم عبد الوهاب : عدل في وثيقة مؤرخة في 7 قعدة 1169 ثم في وثيقة أخرى بتاريخ 28 جمادى الأولى 169.

12 ـ 13 ـ ونشير ـ الآن ـ إلى الفقيه العدل عبد الوهاب بن الفقيه العدل محمد العربي ابن عثمان.

14 ـ ثم أحمد بن عبد الوهاب السفير، وكان ـ أيضاً ـ من صدور عدول مكناس، وقد حافظت إحدى حوالات مكناس على وثيقة مذيلة بإمضائه على شكل توقيعات العدول، مع التعريف به وتاريخ وفاة صاحبه في وباء عام 1214.

15 ـ وبعد السفير ابن عثمان يأتي اسم محمد الطاهر بن أحمد ابن عثمان، ويظهر أن هذا هو ناظر الأحباس الكبرى بمكناس، المتوفى عام 1270، وهناك رسالة من السلطان أبي زيد ابن هشام خطابا لهذا الناظر، حيث لا يستبعد أن يكون هو ابن السفير ابن عثمان، ويكون هذا ابن عبد الوهاب بن العربي.

16 ـ غير أن الناظر المنوه به لم يعقب، وكان عاصبه هو ابن عمه الطالب أحمد، حسب وثيقة مؤرخة في أوائل شعبان 1270.

17 ـ وينبغي أن لا يلتبس اسم ابن عثمان السفير باسم قريبه ومعاصره أحمد بن الرضي العالم الأديب الطائر الصيت.

18 ـ ووالده الرضي محلى بالفقيه، في الوثيقة التي ذكر فيها هو وابنه.

19 ـ وهذه طائفة أخرى تكمل أسماء النابهين المعروفين من نفس الأسرة، بدءاً من محمد بن محمد ابن عثمان : عدل مذكور في عدة وثائق.

20 ـ عبد الوهاب ابن عثمان.

21 ـ أحمد بن محمد ابن عثمان.

22 ـ الصغير بن الحاج محمد ابن عثمان.

23 ـ عبد الله بن أحمد بن عثمان.

24 ـ عبد القادر بن أحمد ابن عثمان.

25 ـ محمد بن محمد ابن عثمان.

26 ـ محمد ابن عثمان.

27 ـ المجذوب بن محمد ابن عثمان

28 ـ الطاهر ابن عثمان : واعظ في المسجد الأعظم بكتاب المنذري، يقرأ منه بعد العصر على كرسي العنزة، وقد يكون هو المذكور سابقاً.

28 ـ الفقيه السيد عبد العزيز ابن عثمان.

29 ـ أحمد ابن عثمان : كتب بخطه أكثر النصف الثاني من حاشية الفيشي على المختصر الخليلي، وفرغ من انتساخه عقب صلاة العصر من يوم عيد المولد النبوي عام 1174، وخطه حسن سريع.

ب ـ الربع الأخير من حاشية بناني على شرح الزرقاني للمختصر الخليلي، فرغ منه بعد زوال الأربعاء 2 شعبان 1213، حيث يسمي نفسه أحمد بن محمد بن أحمد ابن عثمان.

30 ـ محمد ابن عثمان : ورد ذكره ضمن لائحة علماء مكناس عام 1149 وقد يكون أحد المحمدين سابقي الذكر.

محمد المنوني

ابن **عثمان، الطاهر** من أحفاد السفير ابن عثمان المكناسي كان من أتباع الزاوية العلمية في مطلع القرن العشرين. وكان له باع طويل في فن "العمارة" وتنشيط حلقات الذكر الصوفية.

وقد كان يشكل مع رفيقه ومعاصره الفقيه المسمع محمد الزهراوي ثنائيا فنيا متكاملا، فإذا التقيا يوما في الزاوية العلمية أقبل عليهما الأتباع من الراغبين في التعلم، فكانوا يأخذون عن الزهراوي البردة وإنشاد البيتينات وما يندرج عادة في فن السماع، ثم يتحولون إلى ابن عثمان فيأخذون عنه الحلل والأذكار والبراول وما يندرج عادة في فن المديح.

عبد العزيز بن عبد الجليل

عثمان بن **مالك** من أهل مدينة فاس، واعتبر "فقيه فاس وزعيم فقهاء المغرب في وقته" *المدارك*، أخذ بفاس عن الفقيه ابن مروان الأزدي. وأخذ عنه فقهاء مدينته منهم ابنه أبو بكر وأبو بكر بن الخياط وغيرهما. له *تعليق على المدونة* لسحنون يعتبر أقدم ما كتبه المغاربة حولها، نقله عنه تلاميذه، ورغم شهرة هذا العالم في زمنه فإن الإشارة الوحيدة عنه هي التي وردت في مختصر *ترتيب المدارك* لابن حمادة ونقلتها عنه المصادر المتأخرة.

توفي سنة 444 / 1052.

القاضي عياض، *ترتيب المدارك*، تح. سعيد أعراب، الرباط، منشورات وزارة الأوقاف، ج 8، ص. 78 ؛ ابن القاضي، جذوة *الاقتباس*، نشر عبد الوهاب بنمنصور، الرباط، دار المنصور، 1974، ج 2، ص. 457 ؛ أ. بابا التنبكتي، *نيل الابتهاج*، طرابلس، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، 1989، ص. 308.

محمد المغراوي

ابن **عثمان، محمد** بن أبي **بكر** بن إبراهيم يعتبر العلامة الرئيس محمد بن عثمان الأب الروحي للجامعة اليوسفية. ينحدر من أسرة سوسية استوطنت زاوية ابن ياسين بمسفيوة.

ولد مع مستهل القرن العشرين بمدينة مراكش بحي المواسين. بعد حفظه للقرآن الكريم، التحق بالجامعة اليوسفية ودرس على شيوخها. ثم شد الرحال إلى مدينة الرباط ودرس على :

ـ الشيخ أبي شعيب الدكالي

ـ المحدث محمد المدني بن الحسني

ـ العلامة محمد بن عبد السلام السائح

وقد التقى بالأستاذ عبد الله الجراري الذي يقول عنه : (وكنا في هذه الأثناء نعقد ندوات تدور فيها مذكرات ومطارحات في مختلف القضايا العلمية). وبقي يدرس بالرباط نحو ثلاث سنوات، ثم عن له أن يتوجه إلى مصر لإتمام دراسته ـ وهنا التقى بالأستاذ عبد الرحمن بن الشيخ أبي شعيب الدكالي ـ فاحتك بشيوخ الأزهر، وحظي عندهم بالتقدير لنباهته، وحسن سيرته. وبعدما قضى بضع سنوات في مصر عاد إلى مسقط رأسه، وأقيم له حفل ترحيب ألقيت فيه كلمات وقصائد شعرية. وأخذ يؤدي رسالته العلمية بمسجد المواسين، وبالجامعة اليوسفية. ثم تدرج من الأستاذية إلى رئاسة جامعة ابن يوسف خلفا للرئيس مولاي أمبارك الأسراني، واستمر يديرها بجد وحزم، تدفعه غيرته وطموحه لأن يبوئها مكانة عالية، ويحدث فيها تغييراً في مناهجها، ونظام تسييرها، وإليه يعود الفضل في إحداث النهائي بالجامعة اليوسفية بعد معركة طويلة مع الأستاذ الفاسي رئيس جامعة القرويين الذي كان يحاول أن تبقى الجامعة اليوسفية تابعة للقرويين، وتحت إمرتها ومسؤوليتها، إذ على طلبة نهائي الجامعة اليوسفية أن يذهبوا إلى فاس لاجتياز الامتحانات الكتابية والشفوية، لكنه رحمه الله لم يرض هذه التبعية، مما دفع به إلى تأليف كتاب عن الجامعة اليوسفية، محاولاً فيه إبراز مكانة الجامعة اليوسفية، والدور الريادي الذي لعبته في نشر الثقافة العربية والإسلامية عبر العصور.

وبعد معاناة كلامية بينه وبين المتعصبين لإحداث النهائي بمراكش، تم له مراده، وأصبح امتحان النهائي بمراكش. وقد أورد الشاعر مولاي الصديق العلوي هذا الحدث العظيم في تاريخ الجامعة اليوسفية بقطعة شعرية جاء فيها :

وفللت شوكة من يهـ ـدمه كما كسرت فاسه

وقطعت آمال الـذي يبغي اذاه وزدت ياسه

ولم تشغله أعباء الإدارة عن الاهتمام بمشاكل الطلبة والوقوف بجانبهم ماديا ومعنويا مما حببه للجميع : أساتذة وطلبة.

توفي رحمه الله فجأة وهو على مأدبة عشاء في بيته أقامها لبعض الضيوف عام 1365 /1945 ودفن بضريح الإمام السهيلي، وترك كتابه الشهير (الجامعة اليوسفية في

تسعمئة سنة). صدر منه الجزء الأول، والثاني ضاع. وقد رثاه شاعر الحمراء، محمد بن إبراهيم ببيتين هما :

رئيس المجلس العلمي توفي ... وداهم بدره ليل التخفي

فقل للشامتين به جزيتم ... جزاء ذوي الشماتة والتشفي

أ. متفكر، *ذيل الإعلام*، مخطوط ؛ *التأليف ونهضته بالمغرب*، ص. 169 ؛ *موسوعة أعلام المغرب*، 9 : 3188 ؛ *أعلام الزركلي*، 6 : 264 ؛ *العسول*، 16 : 99.

أحمد متفكر

عثمان (مولاي -) بن **محمد** بن **عبد الرحمن**، دأب سلاطين القرن التاسع عشر، سيراً على عادة وتقليد مألوفين لدى سلفهم من الملوك، على الاستعانة بثلة من أبنائهم وإخوتهم وبني عمومتهم في تدبير وتسيير شؤون البلاد، وهو الأمر الذي ينطبق تماما على مترجمنا وإخوته الثلاثة إسماعيل وعرفة، والحسن الذي صار، فيما بعد، سلطانا للمغرب، وهم في السن على هذا الترتيب.

وهؤلاء الأمراء الأربعة هم الذين كان يعهد إليهم والدهم السلطان محمد بن عبد الرحمن (1276 - 1290 / 1859 - 1873)، وكذلك من جاء بعده من السلاطين، بالاضطلاع بمهام الخليفة السلطاني بإحدى الحاضرتين فاس أو مراكش، وقيادة الجيوش المخزنية وحُراك القبائل في جهات مختلفة من البلاد، ما عدا الأمير إسماعيل الذي لم نعثر له، وفي وثائقنا، على ما يُفيد تحمله مسؤوليات عسكرية، على رأس الكتائب والتجريدات المخزنية.

فإذن، نحن أمام شخصية بارزة في الأسرة العلوية الحاكمة. استفادت ولا شك، أيام الطفولة والشباب، من العناية الفائقة والاهتمام المتواصل اللذين كان جده السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام (1238 - 1276 / 1822 - 1859)، ومن جاء بعده من السلاطين، وبالخصوص ابنه وخلفه سيدي محمد، وابن هذا الأخير المولى الحسن (1290 - 1311 / 1873 - 1894)، يولونهما لتعلم وتربية الأمراء.

وقد تجلى ذلك، على الخصوص، في إلحاحهم الدؤوب وحث المشرفين والقيمين على تعليم وتربية ورعاية شؤون الأمراء، على عدم التساهل والتسامح معهم، والتعامل معهم بكل صرامة وجدية، ولا سيما فيما يرجع إلى حصص الدراسة والمواظبة عليها، ومسألة الملبس والغذاء.

وأيّا كان الأمر، فإن صاحبنا لم يرد ذكره لا عند مؤرخ مكناس النقيب عبد الرحمن بن زيدان في مصنفه "*إتحاف أعلام الناس*" ولا في مؤلفاته الأخرى، لا المطبوعة منها ولا المخطوطة، كما أن العباس بن إبراهيم السملالي لم يشر إليه قط في مصنفه "*الإعلام بمن حل*"، مما قد يعني أنه ليس لا من مواليد العاصمة الإسماعيلية، ولا من حاضرة المرابطين.

وحتى من ذكره من الإخباريين والمؤرخين المغاربة، كصاحب "*الدرة السنية في ذكر الدولة الحسنية*"، ابن داني، مَحمد بن أحمد بن محمد المدرومي (ت. 1331 / 1913)، أو مؤلف "*الدرر البهية والجواهر النبوية*"، الشريف إدريس بن أحمد الفضيلي (ت. 1316 / 1898)، لم يفردوه إلا ببضعة سطور، حيث قال عنه هذا الأخير ما يلي :

"... أما الفرع الأول (من ذرية السلطان محمد بن عبد الرحمن) وهو السيد عثمان، ففقيه أستاذ، مفضال جواد، حليم كريم، ذو قدر خطير وجاه فخيم، حاز من المجد عنانه، ففاق أقرانه...".

ومن حسن حظنا أننا نتوفر على مجموعة من الوثائق، صادرة عن المخزن الحسني أو العزيزي، لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالمترجم، وتسمح بتلمس جوانب من شخصيته وأوجه من المهام التي كانت تُناط به. وحسب صاحب "*الدرر البهية*" سالف الذكر، فإن والده السلطان محمد بن عبد الرحمن، كان قد عينه خليفة له، أواخر عهده، في فاس، وهي المهام التي أقره فيها صنوه المولى الحسن، ولكن هذه المرة في مراكش، أسابيع معدودات بعد الانتهاء من مراسيم دفن والدهما، وعقد البيعة للعاهل الجديد، أواخر شهر رجب 1292، الموافق لأواخر سبتمبر 1873.

ومعلوم أن مهام الخليفة السلطاني كانت تكتسي، في مغرب القرن التاسع عشر، صبغة رمزية وروحية أكثر منها مادية وتقريرية، إذ لم يكن بيده أدنى سلطة على أعوان المخزن المحليين، كالعامل، والقاضي، والمحتسب، والأمين والناظر...، كما كان لا يتخذ أدنى قرار قبل التوصل بتعليمات وأوامر السلطان، سواء تعلق الأمر بما كان يعرض عليه من قضايا في عين المكان، أو بما كان يكلف بالسهر على إنجازه من أغراض مخزنية.

وكان من عوائد المخزن وتقاليده، أن يكون للخليفة السلطاني حاشية من الأشراف والفقهاء والكتاب والظرفاء والأعوان، يستعين بجميعهم ويستأنس برأي بعضهم للقيام بمهامه المخزنية من جهة، وقضاء أغراضه الشخصية من جهة أخرى. وهذا ما نستشفه مما تضمنته ثلاث وثائق ارتأينا استغلال مضمونها هنا، على سبيل الاستئناس.

فقد جاء في أولاها، وهي بتاريخ 5 جمادى الأولى 1296، الموافق 27 أبريل 1879، أن السلطان يأمر خليفته بمدينة مراكش "باستخدام الشريف مولانا إدريس بن الطيب بن مولاي سليمان معه، وبالاحتفاظ له بمئونته التي قدرها 9 أواقي في اليوم...". وأما الثانية، وهي بتاريخ 22 ذي القعدة 1291، الموافق 31 دجنبر 1874، فنعلم مما ورد فيها، أن السلطان، بعد أن أقال من منصبه القائد العسكري عبد الله بن أحمد الشرادي، فقد قرر توجيهه إلى الخليفة المذكور، للانضمام إلى مخزنه والعمل إلى جانب "عمال أزغار المعزولين الذين يخدمون معك ليريح ويستريح، ولا تجعل له مؤونه...". وفي الثالثة والأخيرة من هذه الوثائق، وهي بتاريخ 13 رمضان 1290، الموافق 4 نونبر 1873، فتفيد، على لسان الحاجب موسى بن أحمد، أن السلطان أصدر أمره بإطلاق سراح القائد الراضي الصفاعي من سجن مصباح.

ويبدو أن صاحبنا لم يعد قط خليفة للسلطان بمدينة مراكش، وذلك بحلول سنة 1308 / 1890 ـ 1891، أو على أكثر تقدير في مطلع السنة الموالية لها، أي الثلاثة أشهر الأخيرة من سنة 1891، حيث نجده يتأهب لمغادرة مدينة فاس، أواسط شهر شوال 1309، الموافق لأواسط مايو 1892، على رأس جيش مخزني، قرر السلطان توجيهه إلى ناحية الريف.

ونستشف من مصادرنا حول هذا الموضوع، أن الأمير ومن كان في رفقته من "كبراء المحلة"، كان يتعين عليهم، قبل كل شيء، إخراج ما تخلد بذمم قواد المنطقة من ديون لفائدة المخزن، إما برسم الواجب الشرعي، أو برسم الفروض والتوظيفات والذعائر... وقد نصت وثيقة مخزنية، وهي بتاريخ 26 شوال 1309، الموافق 24 مايو 1892 على قدر المبلغ المالي المستحق عليهم جميعا والذي وصل إلى 173.593 ريال، في حين لم يستخلص الأمين محمد الحريشي الذي رافق الحركة، إلا بما قدره 53.518.50 ريال، كما يتبين لنا ذلك من وثيقة بتاريخ 4 رجب 1310 الموافق 22 يناير 1893، أي أسابيع معدودات بعد عودة الأمير عثمان في مصادرنا، تفيد مآل المترجم في الجهاز المخزني، هل ظل مستقرا بالحاضرة الإدريسية، أم رحل عنها إلى مدينة مراكش التي نجده بها في مطلع سنة 1896، وهو يتأهب للانضمام إلى الجيش السلطاني الذي تقرر توجيهه إلى منطقة سوس، بإيعاز من الوزير الصدر أحمد بن موسى، تمشيا مع خطته في تدبير دفة الحكم بالبلاد والرامية إلى تهميش وإبعاد أبرز الشخصيات المخزنية، بمن فيهم أقرب الناس وأوفاهم للعاهل الجديد السلطان المولى عبد العزيز (1311 ـ 1326 / 1894 ـ 1908)، كالمترجم نفسه، وباشا مكناس الشهير حم بن الجيلاني، وقائد سلاح المدفعية الشريف أحمد بن عبد الله أمهرير الصويري والقائد سعيد الگلولي، والقائد الباشا محمد ويدة السوسي الذي كان أبلى البلاء الحسن في الدفاع عن مدينة مراكش، أيام انتفاضة قبيلة الرحامنة، على إثر وفاة السلطان المولى الحسن في السنة 1894. وقد ظل المترجم وبمعيته الباشا حم بن الجيلاني السابق الذكر، في هذه الربوع السوسية، وبالضبط في مدينة ردانة، إلى أواسط شهر مايو 1897، إذ كان على الرجلين وعلى من كان في رفقتهما من الجنود والأصحاب، استخراج ما أمكنهم استخراجه من الأموال من قبيلة هوارة.

ومرة أخرى، يعود صمت تام لاكتناف مسار ومشوار صاحبنا في الجهاز المخزني العزيزي. فلا ندري مثلا، هل استقر به المطاف بمدينة مراكش، بعد عودته من الديار السوسية، أم رحل عنها مباشرة إلى فاس، وهل عُهد إليه بمهام جديدة أم لا ؟ فالإشارة الوحيدة التي ظفرنا بها في هذا الصدد، وتُفيد بأن الرجل رجع فعلا إلى فاس وبها توفي بعد سنة 1898، عن غير عقب، استقيناها من عند صاحب *"الدرر البهية والجواهر النبوية"* للفضيلي سابق الذكر، نصّت على ما يلي : ".. واستخلفه أخوه مولانا الحسن بمراكش مدة مديدة، وسنين عديدة، فسار سيرة مرضية، انتقل لفاس، منشرح الصدر، طيب الأنفاس، ولم يزل بها بداره بحومة زقاق الرواح، فاس القرويين، أبقى الله مهجته".

الخزانة الحسنية، محفظة مولاي الحسن سنة 1290 / 1873 ـ 1874 ؛ رقم 378 ؛ رقم 422 ؛ رقم 481 ؛ كناش رقم 199 ؛ رقم 409 ؛ رقم 776 ؛ مديرية الوثائق الوطنية بالرباط، محفظة مراكش ؛ ابن زيدان، *إتحاف*، الرباط، 1929 ـ 1933، 5 أجزاء. انظر الأجزاء 1، و2، و3 ؛ ابن دانى المدرومي، *الدرة السنية*، مخ. خ. س. رقم 481 ؛ م. بوشعراء، *علاقة المخزن بأحواز سلا*، الدار البيضاء، 1996 ؛ إدريس الفضيلي، *الدرر البهية*، 1999.

A.G.V., 3h9, Rapp. n° 93, année 1895 ; n° 77 du 1er mai 1896 ; n° 80 de juin 1896 ; n° 91 du 1er novembre 1896.

مصطفى الشابي

ابن **عثمان، محمد بن عبد الوهاب** المكناسي هو أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب بن عثمان المكناسي المسطاسي (ت. 1213 / مارس 1799)، ولد ونشأ بمدينة مكناس في بيت علم، حيث كان والده ورّاقاً وواعظاً بأحد مساجد المدينة، لا نعرف شيئاً عن المراحل الأولى من حياة ابن عثمان، ولكن مما لاشك فيه، كان لبيئته الأسرية وكذلك لظروف مدينة مكناس التي أصبحت منذ العهد الإسماعيلي العاصمة السياسية للمغرب، دوراً هاماً دفعه نحو تحصيل العلوم منذ سن مبكرة حتى أصبح ـ وهو في ريعان الشباب ـ وراقاً وواعظاً مثل أبيه.

عاصر ابن عثمان ثلاثة سلاطين علويين هم : المولى محمد بن عبد الله (1757 ـ 1790)، المولى اليزيد (1790 ـ 1792) والمولى سليمان (1792 ـ 1822)، وتقلّد على عهدهم مَهامَّ مخزنية منها الكتابة والسفارة ثم الوزارة. بدأ المترجم له نشاطه المخزني مع المولى محمد بن عبد الله عندماعينه هذا السلطان سارداً للكتب بالقصر السلطاني، ثم رقاه كاتباً لحضرته حتى صار ملازماً للأمراء أبناء السلطان المذكور وخاصة الأميران المولى علي والمولى عبد السلام الذي كتب في حق ابن عثمان يقول : "وكان الفقيه محمد بن عثمان حسن البديهة، قوي العارضة، وله قصائد في أخينا مولاي علي ... وهو الذي جذب بطبعه، ورفع من قدره، وكان منقطعاً إليه، غمره إحساناً وإنعاماً وامتناناً" (*اقتطاف الأزهار*، ج 3، ص. 490). ونظراً للاهتمام الذي أولاه المولى محمد بن عبد الله للعلاقات الدبلوماسية للمغرب، كان يختار من رجالاته من يليق للسفارة وهكذا عين ابن عثمان سفيراً إلى أوروبا مرّتين، ثم إلى المشرق مرة واحدة.

ـ سفارة ابن عثمان إلى إسبانيا عام (1193 / 1779 ـ 1780) لدى الملك كارلوس الثالث، قصد التفاوض بشأن مجموعة من الأسرى الجزائريين، وكذلك قصد إبرام الصلح بين المغرب وهذه الدولة، وقد وُفق في عقد اتفاقية أرنخويس (Aranjues) (26 جمادى الأولى 1194 / 30 ماي 1780).

ـ سفارة ابن عثمان إلى جزيرة مالطة ومملكة نابولي عام (1195 ـ 1196 / 1781 ـ 1782)، توجه أولاً إلى مالطة

وافتدى عدداً مهماً من الأسرى المسلمين، ثم رحل إلى مملكة نابولي حيث حرر عدداً آخر من الأسرى ووقع على اتفاقية صلح وتجارة بين المغرب وهذه المملكة، بتاريخ (11 ذي القعدة 1196 / 19 أكتوبر 1782).

- سفارة ابن عثمان إلى القسطنطينية والديار المقدسة عام (1200 / 1785) تندرج هذه السفارة في إطار العلاقات المغربية بالمشرق الإسلامي، أيام المولى محمد بن عبد الله والسلطان العثماني عبد الحميد الأول، وقد حققت هذه الرحلة إلى المشرق رغبة طالما راودت ابن عثمان، وهي أداء فريضة الحج، وكذلك مكنته من توسيع رصيده المعرفي بلقاء العديد من العلماء والشيوخ واطلع على بعض مؤلفاتهم، في كل من القسطنطينية، ودمشق.

وقد واصل المترجم له نشاطه المخزني، مع المولى اليزيد هذا الأخير الذي أعلن الحرب ضد الإسبان في سبتة، مباشرة بعد بيعته وعندما بلغت العلاقات بين المغرب وإسبانيا أقصى درجات التوتر، عين المولى اليزيد ابن عثمان سفيراً إلى إسبانيا، باقتراح من هذه الأخيرة، عام (1205 / 1790)، فحمل رسالة إلى كارلوس الرابع يعرض فيها شروط المغرب من أجل الصلح، فأخفق في مهمته الدبلوماسية ولذلك أعفاه المولى اليزيد من مهامه، فآثر ابن عثمان الإقامة بالديار الإسبانية ما يناهز السنتين حتى مات المولى اليزيد، وعاد المترجم له إلى المغرب بطلب من المولى سليمان، الذي عينه مكلفاً بجميع أمور أجْناس النصارى في رسالة وجهها إلى قناصل الدول الأوروبية بتاريخ (16 ربيع الأول 1207 / 1 نونبر 1792). وقد انتهت حياة ابن عثمان المخزنية والدبلوماسية بتوقيعه على اتفاقية مكناس بين المولى سليمان وإسبانيا عام (1213 / فاتح مارس 1799)، توفي بعدها بأيام في مدينة مراكش، وكلّف الوزير الزياني بنقل متخلفه منها إلى مكناس. وقد نعاه الزياني في فهرسته ببيت شعر يقول فيه :

ثم محمد بن عثمان الوزير أخذ من وفر ودرّ كثير

والخلاصة أن اسم ابن عثمان المكناسي اقترن كثيراً بالسياسة الخارجية المغربية خلال الربع الأخير من القرن الثامن عشر، لكن هذا الدبلوماسي كان على قدر هام من ثقافة عصره مكنته من خوض غمار التأليف فترك لنا في الخزانة المغربية ثلاث رحلات سفارية، ومجموعة من الرسائل الدبلوماسية، كما طرق باب المقامة والشعر أيضاً، ولذلك يصح أن يقال في حقه إنه كان أديباً من أدباء عصره.

م. بن عثمان المكناسي، *الإكسير في فكاك الأسير*، تـ. تح، م. الفاسي، الرباط، 1965 ؛ م. بن عثمان المكناسي، *البدر السافر لهداية المسافر إلى فكاك الأسارى من يد العدو الكافر*، دراسة وتحقيق، مليكة الزاهدي، د. د. ع في التاريخ، الرباط، 1995 ؛ محمد بن عثمان المكناسي، *إحراز المعلى والرقيب*، مخطوط، رقم 2564، الخزانة الملكية، الرباط ؛ ع. السلام العلوي، *اقتطاف الأزهار من حدائق الأفكار*، تح. كحلي زهراء، د. د. ع في التاريخ، الرباط، 1992، ج 1 ؛ ع. الرحمان بن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، الرباط، 1990، ج 4، ص. 159 - 160 - 161 ؛ م. الفاسي، محمد بن عثمان المكناسي، صفحات من تاريخ المغرب الدبلوماسي في القرن الثامن عشر، *دفاتر شواطئ البحر الأبيض المتوسط*، الرباط، 1992.

M. Avidas Palau, *Cartas Arabes de Marruecos en tiempo de Maulay Al Yazid (1790 - 1792)*, Tetuan, 1961.

مليكة الزاهدي

عثمان بن أبي **يوسف يعقوب** بن عبد الحق المريني، ولد سنة 675 / 1276 وبويع بالخلافة في جمادى الثانية أو شهر رجب من سنة 710 / 1311 برباط تازة بفضل تدخل أخته عَريبة ومساعدة بعض الوزراء والأشياخ. كان في سياسته العامة "شديداً في حدود الله تعالى، شفيقاً رقيقاً جواداً كريماً، ذا أناة ودهاء وسياسة وعقل. وهو أحد السواس من الملوك" (*الأنيس*، 395 - 396). لذلك قضى عثمان أكثر من واحد وعشرين عاماً من الحكم في تهدئة البلاد وخلق وضعية مناسبة لأزهى فترة في تاريخ بني مرين خلال حكم أبي الحسن وأبي عنان.

اهتم عثمان خلال فترة حكمه بمواجهة مشاكل مختلفة داخلياً وخارجياً، فعلى المستوى الداخلي انشغل بمحاربة الثائرين والمتمردين عليه خاصة :

- عدّي بن همو الهسكوري الثائر ببلاد هسكورة سنة 713 / 1314.

- الأمير المريني وأخ السلطان يعيش بن يعقوب المتمرد بأحواز وجدة سنة 714 / 1315.

- الأمير أبو علي عمر، ولد السلطان أبي سعيد وولي عهده الذي استغل شغف والده به وتفضيله إياه عن بقية إخوته وشدة حبه لزوجته جيلة الرومية أم أبي علي، فثار عليه عدة مرات، كانت الأولى سنة 714 / 1315 عند عودة السلطان من حربه لبني عبد الواد ليجد ولي عهده قد عزم على الثورة ضد والده بدعم من والدته وخاله قائد الفرقة المسيحية القشتالية. وقد استطاع الأمير تحقيق مبتغاه والاستبداد بحكم المغرب الأقصى في حين انزوى السلطان بمدينة تازة.

لكنه بعد فترة وجيزة تمكن من استعادة سيطرته على الحكم وعفا عن ولده وأقطعه بلاد القبلة ولم يتوقف أبو علي عن محاولات الافتراء إلى سنة 734 / 1334 حيث كانت نهايته على يد أخيه أبي الحسن.

- أبو زكرياء يحيى بن الفقيه أبي طالب العزفي الذي انتفض على أبي سعيد بسبتة سنة 716 / 1317 واستطاع مقاومة الحصار المريني حتى سنة 719 / 1320 اضطر العزفي بعدها الدخول في طاعة السلطان ودفع الجزية والهدية كل سنة.

- محمد بن أبي زكرياء العزفي الذي ثار على السلطان بتواطؤ مع ابن عمه وقائد أسطول سبتة أبي القاسم محمد بن

علي بن الفقيه، لكن أبا سعيد قرر القضاء نهائياً على تمرد العزفيين وأرسل حملة عسكرية سنة 728 / 1329 لمهاجمة سبتة واحتلالها واعتقال أصحابها واستعادة نفوذ المخزن المريني عليها.

أما على المستوى الخارجي فقد اضطر أبو سعيد للتعامل مع ما يجري وراء حدود بلاده سواء في الشرق أو في الشمال ووضع ذلك في اعتباراته السياسية ونهج سياسة الانفتاح الحذر على محيطه.

ففي الجبهة الشرقية استمر بنو عبد الواد في عدائهم لبني مرين وتهديد استقرار المغرب الأقصى وذلك إما بالهجوم على حدوده الشرقية أو بدعم واحتضان المعارضين للسلطان المريني الذي لم يتردد في توجيه حملة عسكرية إلى تلمسان سنة 714 بقيادة ولديه الأميرين أبي علي عمر وأبي الحسن علي استطاع الجيش المريني خلالها محاصرة العاصمة الزيانية وصاحبها أبي حمو موسى بن عثمان (707 / 1308 - 718 / 1318) مدة طويلة، بعدها عاد بنو مرين إلى تازة تاركين وراءهم الخوف والدمار. وفي سنة 730 / 1330، وعلى إثر استغاثة السلطان أبي يحيى أبي بكر الحفصي (718 / 1318 - 747 / 1346) بالسلطان المغربي من تمادي صاحب تلمسان أبي تاشفين عبد الرحمن بن أبي حمو (718 / 1318 - 737 / 1337) في الهجوم على إفريقية واحتلال مواقع كثيرة منها، قام أبو سعيد بتنظيم حملة عسكرية لمواجهة الخطر الزياني وتلبية نداء حليفه الحفصي، لكن هذه الحملة لم تتم وتم الاستغناء عنها بفضل تمكن السلطان الحفصي من صد الهجوم الزياني واستعادة نفوذه على حضرته تونس.

أما الجبهة الأندلسية فكانت تعيش منذ سنة 709 / 1309 على إيقاع حروب لم تهدأ بعد أن استغل النصارى عزوف ملوك المغرب عن الاهتمام بمشاكل الأندلس، فتوالت على السلطان أبي سعيد استصراخات أهل الأندلس ودعواتهم له بالمجواز وذلك سنوات 718 / 1318 و719 / 1319 و727 / 1327، لكن كل هذه المحاولات فشلت في تليين موقف السلطان المغربي الذي اشترط مقابل ذلك تسليمه غريمه الأمير عثمان بن أبي العلاء إدريس بن عبد الحق شيخ الغزاة بالأندلس واللاجئ عند ابن الأحمر.

تميزت العلاقات بين أبي سعيد وملوك إسبانيا المسيحية بنوع من الترقب والحذر تبعا للظرفية التي كانت تخيم على منطقة غرب البحر الأبيض المتوسط. فمملكة قشتالة كانت لا تخفي عدائها المتزايد لبني مرين وللأندلسيين على السواء، فالصراع بين غرناطة وقشتالة ودور هذه الأخيرة في دعم الفرقة العسكرية القشتالية العاملة في الجيش المغربي وانحيازها إلى جانب الأمير أبي علي في ثورته على والده كلها عوامل زادت من حدة التوتر بين إشبيلية وفاس مما دفع بالسلطان المغربي إلى نهج سياسة منفتحة على مملكة أرغون غريمة قشتالة وربط علاقات ودية معها. وتؤكد المراسلات المتبادلة بين أبي سعيد وخايمي الثاني (Jaime II) (1291 - 1327) رغبة الطرفين في حل المشاكل العالقة بينهما وربط البلدين باتفاقية سلام وهدنة لتعزيز العلاقات بينهما ومن تجليات ذلك أن طلب ملك أرغون من السلطان المغربي إمداده ومساعدته بالفرقة الأرغونية العاملة في جيشه للاستعانة بها في حملته على جزيرة سردينية. وهي الفرقة التي وقفت إلى جانب أبي سعيد في حربه ضد ولده الثائر عليه. لكن مسار هذه العلاقات سيتغير بعد وفاة خايمي الثاني وخلافة ولي عهده الفونسو الرابع Alfonso IV (1327 - 1336) التي تزامنت مع عودة بني مرين إلى الاهتمام بمشاكل الأندلس مما أثار شكوك برشلونة وجعلها بين اختيارين صعبين، إما الاستمرار في التحضير لاحتلال جزيرة سردينية البعيدة وضمها إلى عرش أرغون أو التفرغ "للخطر المريني" القريب والذي بدأ يطل على الأندلس من جديد ويهدد مصالح القوى الأرغونية والقشتالية معا.

وعلى الرغم من هذه المشاكل فإن ذلك لم يمنع أبا سعيد من البحث عن حلفاء آخرين لخلق نوع من التوازن في علاقات المغرب الخارجية فلم يجد أفضل من الحفصيين للتحالف معهم ضد بني عبد الواد وتعزيزه بواسطة المصاهرة بتزويج ابنه أبي الحسن بابنة السلطان الحفصي. كما نشطت في عهد العلاقات الودية مع شرفاء مكة وممالك مصر وحكام بلاد الشام والعراق، وازدهرت حركة الحجاج المغاربة إلى الديار المقدسة والاعتناء بهم.

عانى المغرب الأقصى في عهد أبي سعيد إلى جانب المشاكل السياسية أزمات طبيعية تمثلت في توالي ظاهرة الجفاف والقحط أدت إلى استفحال المجاعات وغلاء الأسعار سنوات 722 و723 و724 و725. وكان لذلك عواقب وخيمة على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية اضطرت السلطان لنهج سياسة اجتماعية توفق بين حاجيات الدولة ومخلفات الأزمة، ومن أهم ملامح هذه السياسة لجوء أبي سعيد إلى محاولة الاكتفاء بالضرائب الشرعية وإزالة المغارم والمكوس، والتخفيف من حدة مخلفات المجاعات والأزمات الطبيعية عن طريق تأمين الغذاء للناس وفتح أهراء الزرع وإخراجه للبيع بأسعار تقل بكثير عن الأسعار الحقيقية، كما أمر بالصدقات والجياب والأكسية للمحتاجين والفقراء. وحسب المؤرخين فقد كانت سيرة السلطان هاته حتى في أيامه العادية إذ لم يقتصر عطاؤه على المستضعفين فقط بل كان يهتم أيضاً بالعلماء والفقهاء ويبذل الأموال لفك الأسرى المغاربة في كل سنة وبالغ في إعطاء الشرفاء وإكرامهم خاصة بعد اكتشاف قبر المولى إدريس الأول سنة 718 / 1318. ويمكن القول إن هذه السياسة تندرج في إطار توجه عام يُدشن لسيادة المخزن المريني الرسمية واهتمامه بقضايا المجتمع المختلفة مثل قضايا التعليم وبناء المدارس التي شهدت في عهد أبي سعيد ازدهاراً كبيراً خاصة بفاس كمدرسة فاس الجديد (720 / 1320) ومدرسة الصهريج (721 / 1321) ومدرسة العطارين (723 / 1323 - 725 /

1325) وكذلك بنى مدارس أخرى بمدن مراكش وتازة. كما شيد العديد من المنشآت الدينية كالجوامع (جامع جزاء ابن برقوقة وجامع السمارين) والمنشآت السكنية كالأحياء ومنها ربض اليهود والقناطر بفاس كقنطرة أبي طوبة وقنطرة باب السلسلة. وحظي العلم والعلماء بأوفر من رعاية السلطان "لأنه كان له نظر في العلوم، واتصاف يدخل به في ذوي الفهوم" (*أعيان*، 3 : 232)، وكان علم التاريخ عنده من أجل العلوم وأشرفها وبرأه مكانة مرموقة أثارت إعجاب الجميع وليس بغريب أن يزدهر هذا العلم في عهده ويدشن مرحلة التدوين التاريخي المريني من خلال تشجيعه للمؤرخين على الكتابة في تاريخ الدولة المرينية خاصة وتاريخ المغرب عامة فظهرت في أيامه مصادر مشهورة ومتميزة ككتاب *الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية* وكتاب *الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس* لابن أبي زرع *والبيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب* لابن عذاري *ومفاخر البربر* لمؤرخ مجهول.

توفي خارج مدينة فاس بعلة النقرس في الخامس والعشرين من ذي القعدة عام 731 / 1331.

ع. التازي، *التاريخ الدبلوماسي*، المحمدية، 1988 ؛ ع. التعارجي، *الاعلام*، الرباط، ط 2، 1997 ؛ الجزنائي، *جنى زهرة الآس*، الرباط، ط. 2، 1991 ؛ ح. حافظي، *سجلماسة وإقليمها في القرن 8 / 14*، الرباط، 1997 ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة*، القاهرة، 1975 ؛ ابن خلدون، *العبر*، المقدمة، بيروت، 1988 ؛ ر. السلامي، وثائق مرينة، دراسة وتحقيق، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا، مرقون، الرباط، 1989 ؛ ع. العروي، *مجمل تاريخ المغرب*، بيروت، 1994 ؛ سايا شاترمبلر، *المؤرخون والسلطة في المغرب*، الرباط، 1993 ؛ مجهول، *الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية*، الرباط، 1972 ؛ م. المنوني، *ورقات*، الرباط، 1979 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954 ؛ الونشريسي، *جذوة*، الرباط، 1974.

Mas-Latrie, *Traités de paix et de commerce et documents divers concernant les relations des chrétiens avec les arabes de l'Afrique septentrionale du moyen âge*, Paris, 1866 ; S. M. Alarcón, L. R. García, *Los documentos arabes diplomáticos del archivo de la corona de Aragón*, Madrid - Grenade, 1940 ; Ch.-E. Dufourq, *L'Espagne catalane et le Maghrib aux 13è et 14è siècles*, Paris, 1966 ; M. Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du moyen âge*, Paris, 1986 ; A. Khaneboubi, *Les premiers sultans mérinides, histoire politique et sociale*, Paris, 1987.

رشيد السلامي

العثماني، أسرة سوسيّة عريقة يوجد فروع لها في أماكن متفرقة من الإقليمي السوسي. أنجبت العديد من العلماء والصلحاء. وقد خصص لها محمد المختار السوسي أكثر من مئة وستين صفحة في الجزء السابع عشر من كتابه التاريخي (*المعسول*). وفي بداية ذلك التعريف قال الأستاذ المختار (ص 43) : "وبهذه المناسبة يجب علينا أن نؤدي الحق لهذه الأسرة المباركة العثمانية بجميع فروعها على حسب ما نعلم". إلى أن قال : "والله يوفقنا ويسدد خطانا حتى نؤدي ما علينا من حق أكيد لهذه الأسرة التي تسلسل فيها العلم والصلاح في (سوس) منذ القرن السادس إلى الآن. ولم أعرف الآن في المغرب أسرة تسلسل فيها العلم أبا عن جد في زهاء ألف سنة إلا هذه، والأسرة الفاسية بفاس التي عرفت أول عالم منها في أواخر القرن الخامس وهي ميزة انفردت بها الأسرتان وحدهما". ووصفها في (*سوس العالمة*) ص. 121) بأنها "أعظم أسرة علمية سوسية"، وأنها "لم تزل في جميع أجيالها منذ ذلك القرن (أي القرن السابع) تطفح بالعلماء، بل وبالأدباء إلى الآن". وقد ذكر المختار السوسي من رجالاتها المعروفين بالعلم والتدريس أو بالصلاح قريبا من مئتي شخصية.

العثماني، عبد الله بن **محمد** بن أحمد بن الحسين السوسي، الجرسيفي أصلا (1302 / 1388 / 1968) من رجالات الأسرة العثمانية السوسية، ومن الفخذ الذي استقر بأكرسيف ثم بأسكاور من أملن بناحية تافراوت بإقليم تزنيت. ولد بقرية أسكاور. كان فقيها معروفا بالصلاح. حفظ القرآن عن والده، وافتتح مبادئ العلوم على يد أبي العباس أحمد الجشتيمي الشهير بالعلم والأدب، إمام السلطان المولى الحسن الأول. وقد أمضى العثماني عبد الله حياته في الإمامة والتدريس، لكن المختار السوسي ينوه أساسا بمعرفته بتاريخ المنطقة، ويقول عنه في *المعسول* (17 : 159) : "هذا هو مؤرخ الأسرة، وأنبه رجالاتها اليوم، وهو الذي يفيدنا بجميع ما نكتبه عن رجالات أسرته، وعن غيرهم في تلك الجهات، بل هو المؤرخ الوحيد الذي يقدر هذا الفن حق قدره، ولم نره نظيراً في جزولة، مع تثبت وتبصر وصدق في النقل، وسداد في الرأي". ويقول عنه أيضاً : "وهذا السيد آية الآيات في الاستحضار لكل ما كان طالعه، مع حرصه الشديد على الازدياد كل حين بكل جديد (...) وهو من أحبائنا نفعنا الله به في ما نحن بصدده". وكانت له صداقة خاصة مع الأستاذ المختار السوسي. كما كان ضمن الوفد من علماء سوس الذي استقبله جلالة الملك محمد الخامس في دجنبر 1955، ورفع إلى جلالته ملتمسا بإحداث عدد من الإصلاحات.

العثماني، محمد بن **عبد الله** بن **محمد السوسي** (1338 / 1919 - 1417 / 1996) هو الابن الأكبر للمتقدم الترجمة. شاعر وأديب ومفكر. ولد بقرية أسكاور (دائرة تافراوت). حفظ القرآن وعدداً من متون العلم ومبادئ الفقه والنحو وأصول الدين على يد والده. وذهب به والده بعد ذلك إلى الشيخ مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين، فأخذ عنه أول درس في ألفية ابن مالك. وأخذ على عدد من شيوخ العلم بسوس منهم العلامة سيدي محمد الحبيب البوشواري الذي قضى متعلما بمدرسته في تنالت بآيت صواب (عمالة شتوكة آيت باها) ست سنوات من عام 1351 / 1932 إلى بداية عام 1356 / 1937. ودرس عليه العديد من المتون، وبالأخص في

اللغة والنحو والبلاغة والأدب والفقه والتفسير والحديث. وقد حصل منه على إجازة مطلقة في جميع مروياته عنه، وخاصة صحيح البخاري. وقد تأثر شاعرنا كذلك بصوفية شيخه وورعه، وهو ما أدى إلى شدة إعجابه به فقال عنه في تعريف خصه به حتى قبل وفاته : "لا يوجد نظيره إلا في بطون التاريخ وتحت صفائح القبور". ثم رحل إلى فاس فأخذ عن علمائها بعض الفنون التي تدرس في القرويين آنذاك، من عام 1356 / 1937 إلى عام 1359 / 1940، وبالأخص أصول الفقه عن الشيخ الطائع بن الحاج، والمنطق عن الشيخ عباس بناني، والمعاني والبيان بالجوهرة المكنونة عن الشيخ رشيد الدرقاوي، وبعض أبواب الفقه والنحو عن الشيخ عبد الله الفضيلي، وبعض أبواب سنن أبي داود عن الشيخ القاضي محمد السايح، والأدب واللغة عن طريق دراسة المعلقات عن الشيخ عبد الواحد العلوي، وأصول الدين عن الشيخ الطاهري. واتصل بالمؤرخ العلامة مولاي عبد الرحمان بن زيدان نقيب الأشراف العلويين بفاس فاستفاد منه كثيراً، وكان من أهم مساعديه على البروز في مجال الإبداع الأدبي. لكن أهم ما استفاده الشاعر في فاس هو الجو الوطني العام الذي كان سائداً بها في تلك الفترة. فاندمج فيه وشارك فيه بفاعلية، عاملا مع طلبة جامعة القرويين على بث روح الوطنية ومقاومة الاستعمار، وهو الذي وضع في بيته ووسطه معاني المقاومة مع الجو الذي تركته ثورة الهيبة ضد الاستعمار في المنطقة، ومع العلاقة القوية لوالده مع ابن الشيخ الهيبة ووارثه الشيخ مربيه ربه، ومع تتلمذه على الشيخ محمد الحبيب التانالتي. وهكذا أسهم العثماني في الأنشطة الوطنية والثقافية بفاس أديباً وشاعراً. وكانت قصائده تنشر على أعمدة بعض الصحف الوطنية، وقد تذاع أحيانا. وأبلى في ذلك بلاء جعله يعرف بين طلبة القرويين بلقب "جرير العصر". واغتنمت سلطات الحماية فرصة إضراب الطلبة بالقرويين، فكان ممن نفتهم وجعلتهم تحت الإقامة الإجبارية. لكن على عكس باقي الطلبة الآفاقيين المبعَدين، والذين سمح لهم - بعد قرار المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه - بالرجوع إلى دراستهم بفاس بعد شهرين فقط من إبعادهم، أصرت السلطات المحلية العسكرية بتافراوت على إبقاء الشاعر تحت نفوذها ومراقبتها. ودامت مدة النفي سبع سنوات، من 1940 إلى 1948. وسمح له بعد السنتين الأوليين بخروج محدود، فالتحق بمدرسة تنالت ليقرأ على شيخها العلامة محمد الحبيب صحيح البخاري. وبعد إتمامه أجازه إجازة مطلقة في جميع مروياته. ومن منفاه واصل نظم شعره المقاوم. وكان يراسل بعض الصحف الوطنية وبالأخص جريدة *العلم* منذ بدايتها، حيث نشر فيها سلسلة مقالات وقصائد باسمه الحقيقي تارة وباسم رمزي تارة أخرى.

وفي فاتح يناير سنة 1948 أفرج عنه نهائيا فتقلب مدرسا ببعض المدارس العتيقة بسوس، ثم انخرط في التعليم الثانوي الحر الذي تشرف عليه الحركة الوطنية، فعين بالأقسام التكميلية التابعة للمدرسة العبلاوية. وفي فاتح أكتوبر 1952 انخرط في سلك التعليم الابتدائي الرسمي بالدار البيضاء بشهادة الكفاءة التربوية. وكان له بعد الاستقلال دور رائد في محاولات علماء سوس الإسهام في نهضة المنطقة ومحو آثار الاستعمار. وتولى باسم وفدهم إلقاء كلمة التهنئة بين يدي جلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه، بعد رجوعه من المنفى في شهر دجنبر من سنة 1955. وفي سنة 1956 يقوم الشاعر بتسيير مكتب فرع حزب الشورى والاستقلال بأگادير. وفي أكتوبر 1958 عين في التعليم الثانوي بتارودانت ثم انتقل سنة 1964 للتدريس بثانوية يوسف بن تاشفين بمدينة أگادير. وسنة 05 / 08 / 1968 تفرغ للشؤون الثقافية لجمعية علماء سوس بقرار من وزارة التعليم. ثم عين بظهير شريف بتاريخ 12 يوليوز 1981 عضواً بالمجلس العلمي لأقاليم تيزنيت - كلميم - طاطا. ألقى بين يدي جلالة الملك الحسن الثاني في رمضان 1408 / 1987 ضمن الدروس محاضرة بعنوان : "السلام في مفهوم الإسلام وفي منظور العصر".

اشتهر الأستاذ العثماني منذ شبابه بكونه شاعراً مرموقاً، أشاد بشعره العديد من العلماء والأدباء في سوس وخارجها. والأستاذ المختار السوسي معجب به شديد الإعجاب. يقول عنه في كتابه *(سوس العالمة)* وهو يتحدث عن الأسرة الجرسيفية : "وفيها اليوم الشاعر العثماني المفوه الذي يقل نظيره في الجنوب"، ويصفه بأنه "النابغة العثماني"، وبأنه "أديب "سوس حقا على الإطلاق" (ص. 10). وفي كتابه *(المعسول)* يقول أثناء التعريف به : "هذا أديب سوس، وشاعره المفوه وهزاره الصداح، وأول من انفتق لسانه بالشعر العالي الذي يرضى عنه الذوق العالي (...)". وفي آخر التعريف يقول : "وبعد، فالرجل إن راجع الشعر وزاد فسيكون شاعر العروبة لا شاعر المغرب فقط". وشعر الأستاذ العثماني شعر عمودي ذو قافية موحدة، ويتميز بمتانة اللغة، وقوة الخيال، وحدة الانفعال. ويجعل العثماني مثله الأعلى في ذلك في الطائيين : أبي تمام والبحتري، وفي الأحمدين : المتنبي وأحمد شوقي. وعلى الرغم من أن أكثر شعره في الوطنيات والرثائيات، إلا أن النفحة الدينية فيه قوية، مع اهتمام كبير بالقضايا الإسلامية. كما اهتم في مرحلة الحماية بتأجيج الحماس الوطني بقصائده التي ينشر بعضها في الجرائد الوطنية حديثة الظهور، ويُتناقل بعضها الآخر في الصدور وفي الكراريس. وبقي يشارك بشعره في مختلف الأحداث السياسية الوطنية والإسلامية إلى سنة 1995. وكان إنتاجه الإبداعي موضوع رسالة جامعية لنيل دبلوم الدراسات العليا ناقشها الأستاذ إبراهيم إد منصور بكلية الآداب بالرباط تحت إشراف الدكتور عباس الجراري بعنوان : "شعر محمد العثماني : جمع ودراسة".

لكن ما يميز أيضاً هذا العالم الشاعر، فكره المجدد. ففي

محاضراته المتعددة، ومقالاته المنشورة، وفتاواه الشرعية، كان دائماً يرنو إلى التجديد المؤصل. يدافع عن الإسلام، عاملاً على محاربة التقليد والبدعة والجمود، لا يتساهل في ذلك قيد أنملة. وكان شديد التأثر بشيخي الإسلام تقي الدين ابن تيمية وابن قيم الجوزية وكان ينصح الشباب بقراءة كتاباتهما.

وكانت له أحاديث وبرامج إذاعية متعددة بث فيها جزءاً من فكره في مواضيع الأدب والتاريخ والاجتماع، منها برنامجا "علماء مجاهدون" و"مجال الفكر" بالإذاعة الجهوية بأكادير وبالإذاعة الوطنية.

ومن كتاباته : *"نظام الزكاة تاريخا ومقترحا وقضايا مطروحة"* وهو غير مطبوع. ومصطلحات أبواب الإجارة والجعالة واللقطة والضوال في الفقه المالكي، وما يقابله من المذاهب الأخرى، ساهم بها في موسوعة المصطلحات الفقهية التي يشرف على إنجازها بمدينة وجدة مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي. أسس سنة 1971 مجلة *"الكلمة"*، وهي ثقافية جامعة باسم جمعية علماء سوس، فكان رئيس تحريرها حتى توقفت عن أربعة أعداد. حصل على وسام الرضى من الدرجة الأولى سنة 1969. وحصل على وسام العرش من درجة ضابط سنة 1972.

توفي الشاعر العشماني يوم الاثنين 14 صفر 1417 / فاتح يوليوز 1996 بمدينة الدار البيضاء رحمه الله وغفر له، وأجزل له الرضوان وألحقنا به صالحين.

العشماني، مَحمد بن **عبد الله** بن **محمد** الفقيه (1340 / 1922 - 1404 / 1984) أخ العشماني محمد الشاعر المتقدم. أخذ القرآن الكريم والمبادئ العربية وهو بعد صغير عن والده الفقيه عبد الله بن محمد الجرسيفي العشماني الذي سبقت ترجمته. ودرس عليه وعلى علماء المنطقة بعض مبادئ العلوم الشرعية قبل أن يلتحق بمدرسة "تانالت" بآيت صواب (إقليم شتوكة آيت بها) عند الشيخ العلامة الحبيب بن إبراهيم البوشواري المعروف بالحاج الحبيب التانالتي، والمشهور بعلمه وصلاحه. فلازمه أزيد من ست عشرة سنة، من حوالي 1356 إلى 1372. ودرس عليه مختلف الفنون مما كان متداولا في المدارس العلمية السوسية آنذاك. ولم يكن العلامة الحاج الحبيب مجرد أستاذ لتلاميذه، بل كان لهم أيضاً شيخاً مربياً، وكان ذا نفحة صوفية، كثير العبادة والتهجد، جم التواضع، زاهداً، متفرغا للتعليم والتربية والتوجيه. وكان المثال الأعلى في سوس كلها في الصلاح والعلم والجهاد ما يقرب من نصف قرن من الزمان، وتخرج على يده أفواج من العلماء تميزوا بما نفخ فيهم من حيوية الإيمان، وقوة العلم، وتحرر الفكر...

وكان أستاذنا أحظى تلاميذ الشيخ عنده، ومن أكثرهم تأثرا به. وقد كتب له، بعد مغادرته لمدرسة (تانالت)، رسائل تعكس إعجابه به وعرفانه بجميله عليه. ووجه إليه قصائد تعرض فضائله وتثني عليه. وقد انخرط الأستاذ العشماني في فترة تتلمذه بتانالت في العمل الوطني، والتعبئة ضد الحماية الفرنسية. وكان هذا طبيعيا لأن الشيخ محمد الحبيب كان من كبار المقاومين للاستعمار عند محاولاته دخول منطقة سوس. وكان الأستاذ العشماني رأس خلية من خلايا المقاومة الوطنية في آيت صواب. ونفته سلطات الحماية الفرنسية إلى مسقط رأسه بتافراوت حوالي 1950. ولما سمح له بالعودة إلى مدرسة تانالت التي يدرس بها، بقي مدة تحت الحراسة والمراقبة حتى لا يتصل بأحد.

وابتداء من سنة 1953 عمل إماما وأستاذاً بعدد من الجوامع والمدارس العتيقة بسوس. ثم حصل على شهادة العالمية من جامعة القرويين في مارس 1958. وفي فاتح أكتوبر 1962 انتقل للتدريس بالمعهد الإسلامي بتارودانت. وهو المعهد الذي أسسته "جمعية علماء سوس" منذ سنة 1956، في إطار مشروع نهضة علمية طموحة بالمنطقة. وعلى الرغم من هذا الالتحاق المتأخر للأستاذ امحمد العشماني بالمعهد، إلا أنه ما لبث أن قام بدور رائد في استمرار المعهد في أداء رسالته. ولما تأسست دار الحديث الحسنية بالرباط كان ضمن أول فوج التحق بها سنة 1964. ونال منها دبلوم الدراسات العليا سنة 1971 ببحثه *"ألواح جزولة والتشريع الإسلامي"* تحت إشراف الأستاذ علال الفاسي.

وقد تقلب بعدها في عدة مهام نذكر منها بالخصوص أنه كان : ملحقا برئاسة جامعة القرويين بفاس في دجنبر 1966 لمدة سنتين، فمرشدا للطلبة الأفارقة في معاهد تارودانت وفاس ومكناس ابتداء من فاتح دجنبر 1969، فمكلفا بمراقبة المدارس العتيقة بسوس وحاحة وإحصائها ابتداء من سنة 1971، فأستاذا مساعدا بكلية اللغة العربية بمراكش ابتداء من 1973، ثم استاذا محاضرا ابتداء من 1975. ثم أستاذا محاضرا بكلية الشريعة بأكادير ابتداء من فاتح 1982 إلى حين وفاته.

ولقد كان للجو العام السائد في منطقة سوس والتحديات التي عاشتها قبيل الاستقلال وبعده دوراً أساساً في توجيه اهتمامات الأستاذ العشماني ونشاطه وإنتاجه. فالمعروف عن سوس تشبث أهله الشديد بالدين، وعنايتهم بالعلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية وآدابها وتدريسها ونشرها والتأليف فيها، وقد أقام السوسيون لذلك حوالي مئتي مدرسة علمية، اصطلح على تسميتها بالمدارس العتيقة، وكثير منها لا يزال يؤدي دوره إلى اليوم على الرغم من هزال الإمكانات وقلة الاهتمام المعنوي والمادي.

ولقد ركزت الحماية الفرنسية منذ دخلت المغرب على فصل "البربر" - ومن بينهم سكان سوس - عن العرب، إثارة للتفرقة بين المغاربة، وتسهيلا لإبقاء سيطرتها، ومحاولة لإبطال مفعول أي مقاومة ضدها. كما كانت تهدف بوضوح إلى سلخ المنطقة عن الإسلام، لأنه ضمان وحدة المغاربة، وموقد جذوة المقاومة ضد الاستعمار.

ولقد كانت هذه السياسة الاستعمارية وخصوصاً ما اصطلح عليه بـ "الظهير البربري"، المشعل الأساس لمقاومة شعبية متصاعدة شملت القبائل الأمازيغية كما شملت مختلف مدن وقرى المغرب. وكان لكل ذلك صداه في ربوع سوس، فتعبأ علماؤها وفقهاؤها لمواجهة مؤامرات سلطات الحماية بكل وسيلة. وقد كان من بين أوجه تلك المقاومة تأسيس "جمعية علماء سوس" بمدينة مراكش في خامس أبريل 1953. وجعل المؤسسون رئاستهم الشرفية للأستاذ محمد المختار السوسي وهو آنذاك في معتقله بتنجداد في صحراء تافيلالت. وبقيت الجمعية تعمل في الخفاء بسبب الضغط الاستعماري إلى أن أعلن استقلال المغرب. وقد عملت الجمعية بعد ذلك وفق برنامج إصلاحي واسع ومتكامل ركز على تعليم المبادئ والأحكام الشرعية في المساجد والإسهام في عملية التوعية الشعبية، والعمل على إصلاح نظام المدارس العلمية العتيقة وتطويرها، وإنشاء المعاهد التعليمية، والتي كان المعهد الإسلامي بتارودانت المذكور آنفا أهمها. كما رفعت الجمعية ملتمسات متتالية إلى الجهات المسؤولة مطالبة بالعمل على صيانة الأخلاق والقضاء على الفساد وإصلاح العدالة والتعليم، وتعميم اللغة العربية ...وغيرها. وكانت أسرة الأستاذ مَحمد العثماني معبأة بقوة في مشروع جمعية علماء سوس. ونذكر مثالا على ذلك الوفد من علماء سوس الذي استقبله جلالة الملك محمد الخامس في دجنبر 1955. وكان يضم 130 شخصية، كان من بينهم فقيهنا مَحمد العثماني، ووالده عبد الله، وشقيقه الأكبر الأديب الشاعر محمد العثماني. وهذا الأخير هو الذي تلا كلمة الجمعية أمام جلالة الملك.

لقد كان لهذا الجو ولهذه المعركة أثر بعيد المدى على تكوين الأستاذ مَحمد العثماني واهتماماته. ويمكن أن نختصر المحاور الكبرى لإسهاماته في مواجهة تأثيرات السياسة الاستعمارية المذكورة في أربعة محاور هي :

1 ـ إصلاح المدارس العتيقة بسوس.
2 ـ الدفاع عن التعليم الأصيل.
3 ـ بعث تراث سوس الإسلامي.
4 ـ بعث الوعي الديني .

وعلى الرغم من أهمية الإنتاج العلمي والتاريخي الذي تركه إلا أنه لا يزال مخطوطاً ينتظر العزائم لطبعه. توفي الأستاذ مَحمد العثماني بالدار البيضاء يوم 27 جمادى الثانية 1404 موافق 30 مارس 1984.

م. المختار السوسي، *المعسول*، الدار البيضاء، 1963، ج 17 ؛ *سوس العالمة*، المحمدية، 1960 ؛ م. العثماني، *نظام الزكاة*، مرقون ؛ *وثائق خاصة* ؛ امحمد العثماني، *ألواح جزولة*، د.د.ع. بدار الحديث الحسنية، 1971، مرقون ؛ *معالم من تاريخ سوس*، حلقات إذاعية، مخطوط ؛ *تقرير عام عن المدارس العلمية القرآنية العتيقة* سنة 1972 ؛ *وثائق ورسائل خاصة* ؛ أيت بومهاوت امحمد الوسخيني، *منار السعود عن تفراوت الملود ومدرستها العتيقة*، تصدير محمد العثماني، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 1414 / 1994 ؛ *مجلة الكلمة*، أصدرتها الجمعية الإسلامية للثقافة والإرشاد (جمعية علماء سوس) 1971 إلى مايو 1972 ؛ عمر الساحلي، *المعهد الإسلامي بتارودانت والمدارس العلمية العتيقة بسوس*، الدار البيضاء، 1990 ؛ ع. الجراري، *الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه*، الجزء الأول، الطبعة الثانية، الرباط ؛ جمعية علماء سوس، *منجزات جمعية علماء سوس في عهد محمد الخامس*، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء، 1980 ؛ سعد الدين العثماني، *الشخصيات التي ساهمت في تكوين الأستاذ محمد العثماني*، ضمن : منجزات جمعية علماء سوس، 2000 ؛ إبراهيم إد منصور، شعر محمد العثماني، جمع ودراسة، د.د.ع. كلية الآداب بالرباط.

سعد الدين العثماني

عجرود (واد – قصبة) كان البكري أول من أشار إلى عجرود باعتباره مرسى من مراسي غرب البحر الأبيض المتوسط، وحدّد موقعه شرق جزر ملوية التي تنعت أيضاً بجزر كبدانة في بعض الأحيان أو الجزر الجعفرية (البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب*، ص. 89). إلا أن الاهتمام بهذا الموقع الجغرافي وتحديده بدقة تزامن من الاحتلال الفرنسي للجزائر، إذ صار محط نزاع بين المخزن والسلطات الفرنسية المحتلة للجزائر آنذاك، وانتهى أمر الحدود باعتبار عجرود معلمة حدودية بين الأراضي المغربية والجزائرية في أقصى شمال خط الحدود بين البلدين، ونصّت عليه اتفاقية مغنية حول الحدود سنة 1845 في البند الثالث باعتباره وادا يصب في البحر الأبيض المتوسط، ولمزيد من الدقة وقع التنصيص عليه بكونه امتدادا لواد كيس في مجراه الأسفل. وبناء على ذلك يمكن تعريف واد عجرود باعتباره يشكل القسم الأسفل من مجرى واد كيس قبيل مصبه في البحر، حيث لا يتعدى مجرى الواد الذي يسمى عجرود حوالي ثلاثة كلم من مصبه في البحر إلى خانق مشهور باسم "بين الاجراف"، ويحدّ واد عجرود المجال الترابي لقبيلة أولاد منصور من جهة الشرق، وهي القبيلة التي تستوطن الأراضي الممتدة من خط الحدود شرقا إلى مصب وادي ملوية غربا.

وفي العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر كثر تداول اسم قصبة عجرود في الوثائق، ويُقصد بذلك قصبة السعيدية التي كانت تعرف إبّان تأسيسها باسم القصبة السعيدة (انظر مادة قصبة السعيدية في المجلد الخامس عشر)، حيث كثيراً ما كانت تنسب القصبة المذكورة إلى عجرود باعتباره المجال الذي شيدت عليه، وعلى نفس النسق نصادف في الوثائق اسم شاطئ عجرود، ويقصد بذلك الساحل الممتد على ضفتي واد عجرود. وفي مطلع القرن العشرين استُحدثت سوق عند مصب الواد، وصارت تُنسب إليه، بعد أن ألغت سلطات الاحتلال سوق عجرود الشرقي التي كانت تنعقد كل يوم أربعاء، وكان موقعها على الضفة اليمنى لواد كيس على بعد 4 كلم من البحر، وكان ينعتها أهالي المنطقة بسوق الحِيمر، وقد ورد ذكرها بهذا المعنى في اتفاق 20 أبريل

1902 الخاص بتنظيم التجارة بالحدود المغربية ـ الجزائرية: وبعد احتلال المنطقة سنة 1907، قررت السلطات الفرنسية نقل سوق الحيمر إلى جوار قصبة عجرود (السعيدية)، حيث صار يُعقد كل يوم أحد ليتناسب مع عطلة نهاية الأسبوع عند المستوطنين الفرنسيين، ومازال الأمر كذلك إلى وقتنا الحاضر (2003)، فاشتهر السوق باسم عجرود، وصار هو الاسم السائد بين الأهالي، بينما طغى اسم سوق السعيدية بين المستوطنين الفرنسيين، لكن هذه التسمية الأخيرة هي التي ترسخت في الأذهان بعد استقلال البلاد. ويجب التنبيه إلى أن مرسى صاي المعروف حاليا باسم بلّمهيدي كان هو أيضاً في بداية القرن العشرين ينعت باسم مرسى عجرود كيس (انظر مادة صاي، المجلد الخامس عشر).

البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب*، ص. 89 ؛ ملف وجدة بمديرية الوثائق الملكية، الرباط ؛ ع. برحاب، *شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي : المجال الحدودي بين المغرب والجزائر في مطلع القرن العشرين*، 1900 ـ 1912، منشورات كلية الآداب، المحمدية، 2002.

L. J.-B. Say, *La frontière du Maroc*, in *Bulletin de la Société de géographie commerciale de Paris*, 1888 ; L. Voinot, *Les entraves au commerce algéro-marocaines et la conclusion d'accords spéciaux (1898 - 1902)*, *B.S.G.A.O.*, 1933 ; F. Llabador, *Port Say et son fondateur*, Oran, 1955 ; J. Rouch, *Saïdia, port méditerranéen du Maroc français*, La Géographie, TLX, 1933.

عكاشة برحاب

العجلة عرف المغاربة القدامى العجلة ونقشوها على الصخور وجدران الكهوف لكننا لا نعرف بالضبط متى استعملوها ولأية أغراض، خاصة وأن النوع المرسوم نوع متطور (عجلات ذات عرائش) "أشعة Rayons". مما يجعلنا نفترض أن الإنسان في التاريخ القديم كان يسجل ما يراه ويبهره فينقشه أو يرسمه قصد تقليده أو جلبه عن طريق الحظ كما كان يعتقد، وفي تقديري أن المغاربة شاهدوا العربات أول ما شاهدوها عندما تعرض شرق إفريقيا وشمالها الشرقي لهجمات الفراعنة عند توسعهم غرباً مما اضطر شعوب هذه المناطق إلى النزوح باتجاه الجنوب والغرب مسجلين في المواطن التي حلوا بها ما لاحظوه من بطش عددهم وجبروته وما بهرهم من أسلحته وآلاته ومنها العربات، وإذا قفزنا على المرحلة الرومانية في المغرب والتي كانت فيها العربة ولاشك من وسائل تنقلاتهم السريعة.

وأثبتت المصادر التاريخية والأثرية هذا الاختفاء البطيء للعربات، لكن الملاحظ ومن خلال الإشارات النادرة أن البطء نفسه مسجل في عودة ظهور العجلات بالمغرب، ففي العهد المريني ـ الوطاسي سجل أول ظهور للعجلات ـ كما يفيدنا صاحب كتاب (*جنى زهرة الآس*، ص. 36) فقد تحدث بتفصيل عن البيلة الرخامية التي استوردت في عهد السلطان أبي الحسن من مدينة المرية بالأندلس إلى مدينة فاس نقلت بحراً من الأندلس إلى ميناء العرائش ومنها إلى نهر سفدد (الكوس) ومنه نقلت براً إلى وادي سبو على العجلات تجرها القبائل، وتعود إشارة أخرى إلى العهد الوطاسي أوردها الحسن الوزان في (*وصف إفريقيا*، 1 : 192) ففي معرض حديثه المفصل عن مدينة فاس جرد الدكاكين والصنائع ولما وقف عند صناعة النجارة ذكر أن من مصنوعاتها : "عرائش العجلات" دون أن يحدد استعمالها، لكن مارمول كربخال الذي زار المغرب وعاش في الفترة القريبة جداً من عهد الوزان تحدث عن عجلات العربات.

لم يظهر النقل على العربات في المغرب إلا أواخر القرن 19، ولعل هذا التأخر في ظهوره راجع بالأساس إلى ما سبق وأن عرضنا له من توالي الاضطرابات السياسية والحروب والصراعات القبلية وتحرك السكان الدائم، إضافة إلى الكوارث الطبيعية والغزو الأجنبي، كل ذلك حال دون استمرار وتيرة التطور، أما العجلة فقد وجدت كما لاحظنا منذ القديم وفي كل العصور التاريخية ومنها العهد السعدي، إذا استعملت فيه العجلات على نطاق واسع لكنها اقتصرت على الميدان العسكري، فكانت المدافع المختلفة الأحجام والأوزان توضع على حامل أو سرير من خشب أو حديد له أربع عجلات إما من خشب أو من حديد، لكن ظروف استعمال العجلات في النقل لم تتوفر مثلما توفرت للأوربيين في الفترة نفسها وما عرفه النقل من تطور في القرون الثلاثة اللاحقة، فقد تطورت عندهم العربات والنقل على العربات بشكل كبير من عربات ثقيلة وبسيطة تجرها الأبقار إلى عربات كبيرة سريعة تجرها عدة خيول، ومن نقل محلي محدود إلى نقل عمومي يربط بين البلدان بل وتكوين خطوط قارة ربطت بين كبريات الحواضر، فكانت من أنجح الوسائل للتبادل التجاري والحضاري، وهذه الوسيلة نفسها لعبت دوراً كبيراً في اكتساح الأوربيين للعالم الجديد وسهلت استغلاله، وفي المغرب استمر التطور بطيئاً إلى أن جاء الغزو الامبريالي ومعه أدواته ووسائله وآليات لاستغلال الشعوب الجامدة.

البكري، *المغرب*، الجزائر، 1911 ؛ ابن عذاري، *البيان*، بيروت، 1948، 1 : 39، الجزناني، *زهرة الآس*، الرباط، 1967، ص. 36 ؛ الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954، 1 : 99 ؛ الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1980، 1 : 192 ؛ مارمول، *إفريقيا*، 2 : 151 و154 ؛ الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ مجهول، *الاستبصار*، الإسكندرية، 1998، ص. 155 و455 ـ 435 ؛ ابن مرزوق، *المسند الصحيح*، الجزائر، 1981، ص. 417 ؛ ابن الحاج، *فيض العباب*، الرباط.

محمد حجاج الطويل

العجميسي، أبو **الربيع** سليمان فقيه سبتي. اسمه الكامل يعرفنا به صاحب *اختصار الأخبار* هو سليمان بن سبع العجميسي. يكنى أبا الربيع (الملاحظ أن الأستاذ عبد الوهاب بنمنصور لم يعتمد على ما يبدو على مخطوطة الخزانة الحسنية والمصنفة تحت رقم 5570 حيث يرد لقبه). يصفه الأنصاري بالفقيه الخطيب المحدث الحافظ. وربما اعتبر

أحد أسلاف أسرة العجميسي أو العجيسي التي أنجبت العديد من العلماء المالكيين، توفي بسبتة، ودفن في الربض الأسفل بصحن جامع الشابين حيث تقام صلاة الجمعة، حسب المخطوطة المذكورة، وليس بصحن جامع التبانين كما ورد في النص المحقق. ويذكر من مؤلفاته كتاب *شفاء الصدور*. من الملاحظ أن مؤلفا بنفس العنوان يحفظ الجزء الثاني منه مخطوطاً في الخزانة الحسنية تحت رقم 5733، وقد نقله ناسخه تحت عنوان *شفاء الصدور لابن سبع في فضل الأمة والصحابة وآل البيت* ... إلا أن اسم المؤلف ورد في الكتاب على هذا النحو : الشيخ الإمام العالم العلامة الحافظ أبي مهدي عيسى بن سبع. وقد فرغ ناسخه من نسخه بكرة يوم الخميس 8 من ربيع الأول النبوي عام 1260.

الأنصاري، *اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار*، مخطوطة خ. ح ، رقم 5570، ص. 4، تح. ع. الوهاب بن منصور، الرباط، 1403 / 1983، ص. 22.

زليخة بنرمضان

العجوري، عبد النبي من مواليد سنة 1916 بدوار تاسيبيب ملحقة تيزي وسلي ناحية تازة. التحق بصفوف جيش التحرير تحت رئاسة السيد العجوري محمد، حيث شارك في الهجوم على مركز تيزي وسلي والهجوم على مركز سيدي علي بورقبة وذلك بمركز تيزي انتيدا.

توفي في 7 / 6 / 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 504256.

العجوري، محمد ولد 1934 بدوار بغلاست جزناية إقليم تازة وعند اندلاع الشرارة الأولى لجيش التحرير التحق بصفوفه، بمركز تيزي وسلي تحت قيادة الغابوشي. شارك في عدة هجومات من بينها هجوم بين الصفوف، سيدي عيسى، جبل لقرع حيث أبلى البلاء الحسن وبعد الاستقلال التحق بصفوف الجيش الملكي.

توفي يوم 20 شتنبر 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 504292.

ابن **العجوز، أحمد** بن **عبد الله** بن موسى الكتامي، من أهل أصيلا، وإليه ينسب بيت بني العجوز الشهير في العلم بسبتة لعدة أجيال. كان من أهل الفقه والشعر، ودخل الأندلس وسمع بها من وهب ابن مسرة الحجاري (ت. 346 / 957) وغيره. وكان ولده عبد الرحيم (ت. 420 / 1029 من علماء المغرب المشهورين.

توفي في حدود أواخر القرن الرابع الهجري.

ابن بشكوال، *الصلة*، القاهرة، 1955، ج 1، ص. 87 ـ 366، رقم 184 ـ 824.

ابن **العجوز، عبد الرحمن** بن عبد الرحيم بن أحمد، من أهل الفقه والصلاح. أشهر بني العجوز في العلم وأعلاهم قدراً وجلالة. انتقل من أصيلا إلى سبتة وبها اشتهر ذكره وعرف بباقي مدن المغرب، وكان حسن الأخلاق، ذا علم وفضل ونباهة. لقي العالم أبا إسحاق التونسي في منصرفه من الحج، وأخذ معه في المسائل. وأخذ عنه جماعة من السبتيين.

توفي سنة 449 / 1057.

ابن بشكوال، *الصلة*، طبعة القاهرة، ج 1، ص. 338 ؛ القاضي عياض، *ترتيب المدارك*، طبعة وزارة الأوقاف، ج 7، ص. 280، وج 8، ص. 84 ؛ ابن حمادة، *اختصار المدارك*، ملحق *ترتيب المدارك*، ج 8، ص. 204 ؛ القاضي عياض، *الغنية*، طبعة بيروت، ص. 196 ؛ ابن فرحون، *الديباج المذهب*، ج 1، ص. 476 ؛ م. مخلوف، شجرة *النور الزكية*، ص. 115.

محمد المغراوي

ابن **العجوز، عبد الرحيم** بن **أحمد** بن عبد الله بن موسى الكتامي. كان أبوه أحمد يسكن أصيلا واستوطن هو سبتة، جال في طلب العلم في الأندلس وارتحل إلى إفريقية حوالي سنة 380 حيث تتلمذ على فقيه القيروان عبد الله بن أبي زيد صاحب كتابي *النوادر والمختصر*. كان عبد الرحيم من حفاظ الفقه المالكي والقائمين به، فتفقه عليه كثير من الناس بسبتة ورووا عنه، منهم جماعة من فقهاء سبتة وفاس، وممن روى عنه أبناؤه عبد العزيز وعبد الرحمن وعبد الكريم ؛ وصف في *"بيوتات فاس"* بالمفتي والعالم المدرس بفاس أيام مغراوة، ورد ذكره ضمن *"بيت بني العجوز"* (41 : 68). ووصفه القاضي عياض بقوله "كان ذا شهرة في بلاد المغرب ... وإليه كانت الرحلة في جهة المغرب في وقته وعليه مدار الفتوى" (*المدارك*، 7 : 278 ـ 280) ؛ ولد سنة 340، وتوفي سنة 413.

وقد تسلسل الفقه والقضاء في سلالة عبد الرحيم، فمن أبنائه الفقهاء : عبد العزيز المتوفى حوالي سنة 430 (تر. في *المدارك*، 8 : 83)، وأخوه أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الرحيم الذي اشتهر ذكره بعد أبيه في العلم بسبتة، ووصف "بالفقيه الكامل العالم الصالح الزكي الفاضل" وممن أخذ عنهم أبوه وأبو إسحاق التونسي بالقيروان ؛ وممن أخذ عنه ابنه محمد الآتي ذكره ؛ توفي عبد الرحمن سنة 449 (*المدارك*، 8 : 84، 88 ؛ *الديباج*، 149 ؛ *شجرة النور الزكية*، ص. 115). ومحمد بن عبد الرحمن المعروف "بأحد رؤوس فقهاء سبتة ومفتيهم"، أو بعبارة أخرى "من جلة فقهاء سبتة مقدما في المفتين" وهو من أهل التدريس بها أيضاً، وقد ترجم له بشيء من التفصيل القاضي أبو الفضل عياض السبتي في المدارك ؛ تولى محمد قضاء فاس في أوائل عهد يوسف بن تاشفين ثم صرف عنه وتوفي بفاس سنة 474 (*المدارك*، 8 : 174).

أما ابنه أبو القاسم عبد الرحمن الذي كان مستوطنا

سبتة، أخذ عن والده أبي عبد الله محمد، وأخذ عنه القاضي عياض وغيره ؛ فكان عالماً فاضلاً فقيهاً ثقة كاملاً، وصف بكونه أشهر أهل بيته في العلم والجلالة، ذكر ابن الزبير أنه "كان يميل إلى النظر والاجتهاد" ؛ تولى قضاء الجزيرة الخضراء ثم سلا ثم خطة خليفة قاضي الحضرة (مراكش) ؛ توفي بفاس مصروفا عن هذه الخطة سنة 515 (وقيل توفي سنة 510).

عياض، *المدارك*، 7 : 278، 280 و 8 : 83، 84، 88، 174 ؛ *الغنية*، 168، 169 ؛ ابن شكوال، *الصلة*، 1 : 85، 2 : 354، 355 ؛ ابن الزبير، *صلة الصلة*، ق 3 : 218، ع 370 ؛ ابن فرحون، *الديباج*، 149، ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، 2 : 408 ؛ ابن الأحمر وغيره، *بيوتات فاس*، 41 ؛ ابن أبي زرع، *روض القرطاس*، 118 ؛ ابن مخلوف، *شجرة النور الزكية*، ص. 115، 124، بيروت، 1349.

أحمد عزاوي

ابن **العجوز، عبد الكريم** بن **عبد الرحيم** بن أحمد الكتامي أخذ العلم عن أبيه ثم رحل في طلبه، لكنه لم يتفرغ له كإخوته الأربعة، بل فضل الانصراف إلى تدبير شؤون قبيلته كتامة فصار رئيساً لها، وكانت هذه القبيلة تنتشر على المنطقة الجبلية التي تشمل اليوم تراب قبائل بني يوسف وسوماتة إلى منطقة قصر كتامة، وكانت قاعدتها دمنة عشيرة أو الدمنة الواقعة شمال شرق القصر الكبير في تراب قبيلة بني گرفط.

ظهر عبد الكريم بن العجوز على مسرح الأحداث السياسية كشيخ لقبيلة كتامة في أواسط القرن الخامس الهجري (11 م)، ويبدو أنه سعى إلى نقل قاعدة قبيلته جنوباً إلى مدينة سوق كتامة بعد الفراغ والتدهور الذي أعقب سقوط إمارات الأدارسة بالشمال، لذلك اهتم بمدينة سوق كتامة وزاد في عمرانها "فبنى داراً سميت قصراً لعدم القصور بتلك الجهات" (*الاستبصار*، 189)، ولهذا السبب صارت المدينة تعرف بقصر كتامة وقصر عبد الكريم. ومن غير المستبعد أن هذا العمل كان خطوة في سبيل تأسيس إمارة جديدة تنضاف للإمارات المدينية التي كانت تتقاسم المغرب قبل توحيد المرابطين له، مثل الإمارات التي كانت قائمة بسبتة وسلا وفاس وسجلماسة وأغمات وتارودانت، فضلاً عن إمارة برغواطة. لكن مشروع عبد الكريم الكتامي أجهض في بداياته لأنه تزامن مع الزحف المرابطي إلى الشمال، فبعد فتح المرابطين لمدينة فاس سنة 462 / 1069، اضطر أصحابها أمراء مغراوة الزناتيون إلى الفرار واللجوء إلى حليفهم عبد الكريم بن العجوز الذي تراجع شمالاً إلى قلعة الدمنة الجبلية، فتعقبهم المرابطون خوفاً من استجماع قوتهم، وتدخلوا بعنف في قلعة الدمنة فخربوها وقتلوا رئيس كتامة عبد الكريم بن العجوز سنة 465 / 1073.

ابن بسام، *الذخيرة*، تح. إحسان عباس، بيروت، ج 2 ـ 2، ص. 660؛ ابن خلدون، *العبر*، طبعة بيروت، 1981، ج 6، ص. 296 ؛ القاضي عياض، *ترتيب المدارك*، طبعة وزارة الأوقاف، ج 7، ص. 230 ـ 280 ؛ محمد العربي الفاسي، *مرآة المحاسن*، فاس، طبعة حجرية، 1324، ص. 145 ؛ مجهول، *الاستبصار*، تح. سعد زغلون عبد الحميد، الإسكندرية، 1958، ص. 189 ؛ مجهول، *مفاخر البربر*، تح. محمد يعلى، مدريد، 1996، ص. 194.

محمد المغراوي

ابن **عجيبة، أحمد** بن **محمد** الحسني (1164 ـ 1224 / 1748 ـ 1809) ولد بقرية بقبيلة الحوز (بإقليم تطوان) تعرف باسم "اعجيبش". تعلم القرآن في قريته، وحفظه على جدّه المهدي، كما أقرأه إياه : أحمد الطالب، عبد الرحمن الكتامي الصنهاجي، العربي الزوادي، محمد أشمل. وإلى جانب القرآن كان يشتغل في حفظ المصنّفات كالآجرومية وألفية ابن مالك، والمرشد المعين لابن عاشر، ونظم الخرّاز، وحرز الأماني للشاطبي. وحينما كان يقرأ القرآن ويحفظ المتون على الفقيه أشمل بدار الشاوي من قبيلة بني مصوّر، تعرّف على محمد السوسي السملالي الذي كان يدرّس بمدينة القصر الكبير، فأخذه معه، وهناك تفرغ لدارسة العلم وللعبادة.

وفي سنة ثمانين ومائة وألف (1767)، انتقل إلى مدينة تطوان، فدرس على الفقيهين أحمد الرشتي، وعبد الكريم ابن قرّيش، درس على الأول : *الألفية*، ومختصر *خليل*، *والسلم*، ومختصر *السنوسي* في المنطق والصغرى والبكرى له، ودرس معه *المقنع والخزرجية* ؛ ودرس على الثاني، *التفسير*، وصحيح *البخاري* مراراً، وصحيح *مسلم*، ومختصر *خليل* مراراً *والرسالة* لابن أبي زيد القيروان وتحفة *الحكام* لابن عاصم، ولاميّة *الزقاق*، وألفية *ابن مالك* مراراً، *والمغني* لابن هشام، ولامية *الأفعال*، ومختصر *السنوسي*، *والعقيدتين* الصغرى والكبرى له، *والسلم في المنطق*، وتخليص *المفتاح في البيان*، ومختصر *السبكي* في الأصول، *والشفا* للقاضي عياض، وهمزية *الإمام البوصيري* ... ودرس على غيرهما أيضاً : مثل النحوي محمد العباس، والقاضي عبد السلام ابن قريش ومحمد غيلان وعلي شطير. ولما قدم الشيخ محمد الجنوي الحسني إلى مدينة تطوان، درس عليه ابن عطاء الله في التصوف، وأصول الطريقة للشيخ زروق في التصوف كذلك وغيرهما.

ولما توفي شيخه هذا رحل إلى مدينة فاس، بغية التزود بالعلم، فدرس على العلامة محمد التاودي ابن سودة صحيح البخاري، وأجازه إجازة عامة ؛ ودرس علم الفرائض على فَرَضِيّ وقته محمد بَنّيس، كما درس جزءاً من "التسهيل" لابن مالك، ودرس التفسير أيضاً على الفقيه أحمد الزعري، وأخذ "التلخيص" عن الطيب ابن كيران ... ومن فاس رجع إلى تطوان فزاول التدريس بها، واشتغل بذكر الله تعالى فرداً وجماعة إلى أن تعرف على شيخه الروحي العارف بالله محمد البوزيدي الحسني فأخذ عنه أصول الطريقة الدرقاوية ولازمه مدة وتأثر به في سلوكه، وأطاع أوامره في الزهد والتقشف والورع والتقوى.

مؤلفاته : ولم يكتف الشيخ أحمد ابن عجيبة بالتدريس والعبادة والذكر، بل ترك لنا عدة مؤلفات ندعه يتحدث عنها بنفسه. قال تحت عنوان : *"ذكرما جمعناه من التصانيف"* ما يلي :

فمن ذلك شرح الهمزية والبردة للبوصيري. وشرح (الوظيفة) الزروقية ؛ وشرح الحزب الكبير للشاذلي ؛ وشرح أسماء الله الحسنى، أفردت لكل اسم باباً ؛ وشرح المنفرجه لابن النحوي ؛ وتأليف في علم النيّة، فيه نحو خمسين بابا ؛ وتأليف في ذم الغَيْبة ومدْح العزلة والصمت ؛ وتأليف في الأذكار النبوية ؛ وتأليف في أربعين حديثاً في الأصول والفروع والدقائق ؛ وتأليف في القراءات العشر، مشتملا على آداب القراءة والتعريف بالشيوخ العشرة ورُواتهم وتوجيه قراءة كل واحد منهم ؛ وتأليف في طبقات الفقهاء وذكر أرباب المذاهب والتعريف بهم وبمشاهير أصحاب مالك من زمانه إلى زماننا هذا على ترتيب وجودهم كل قرن وحدهُ إلى وقتنا هذا ؛ ثم أتبعته بذكر النحويين والمحدثين والصوفية غير أن الصوفية لم أستكمل ذكرهم.

ثم شرحتُ ـ بعد ملاقاتنا بشيخنا البوزيدي ـ حِكَمَ ابن عطاء الله ؛ والمباحث الأصلية ؛ وتصلية القطب (مولاي عبد السلام) بن مشيش ؛ وشرحت فاتحة الكتاب ثلاثة شروح :

أحدهما صغير (نحو كراسين) ؛ والآخر كبير فيه نيف وعشرون كراساً صغيراً، وآخر صغير جداً (نحو ورقتين). ثم فسرت كتاب الله العزيز من أوله إلى آخره في أربعة مجلدات كبيرة، جمعت فيه بين عبارة أهل الظاهر وإشارة أهل الباطن، سميته (البحر المديد في تفسير القرآن المجيد) ؛ ثم شرحت خمرية ابن الفارض التي قال في أولها : (شَرِبْنا على ذِكْرِ الحبيب مُدَامَةً) ؛ وبعضَ مقتطعات الششتري ؛ ثم شرحت قصيدة شيخنا الرائية في طريق السلوك ؛ وألّفت كتاباً في القضاء والقدر، ألفته في زمن الوباء ؛ ثم شرحت أبيات الجنيد :

توضّأ بماء الغيب إنْ كُنتَ ذا سرّ وإلا تيمّمْ بالصَّعيد أو الصَّخر
وقدّمْ إماماً كنتَ أنتَ إمامَه وصلِّ صلاة الفجر في أوّل العَصْر
فهذي صلاةُ العارفين بربِّهم فإنْ كنتَ منهم فانضَح البَرَّ بالبَحْر

ثم شرحت تصلية ابن عربي الحاتمي ؛ وشرحت نُونية الششتري في أربعة كراريس صغار، ثم ألفت كتابا في حقائق التصوف ؛ كما شرحت تائية شيخنا في الخمريات الأزلية (ثمانية كراريس) ؛ وأعددت عليها شرحاً آخر (12 كراساً ونصْف كراس) ثم شرحت "الآجرومية" جمعت فيه بين النحو والتصوف وعبارة وإشارة كصناعة التفسير ... الخ

ولم يطبع من هذه المؤلفات غير : شرح الحكم المسمى *(إيقاظ الهمم في شرح الحكم)*، وشرح الآجرومية مجردةً عن النحو، وخمسة عشرَ حزبا فقط من تفسير (البحر المديد) والباقي مازال مخطوطاً.

وتوفي في سابع شوال من عام 1224 (15 نوفمبر 1809) في دار شيخه الصوفي سيدي محمد البوزيدي الحسني بقرية بوسلامة، بفرقة بني سلمان من قبائل غمارة. وبقي مدفوناً بالقرية مدة اختلف فيها : فمن قائل إنها كانت ثلاثة أيام، ومن قائل، إنها كانت أربعين يوماً ومن قائل إنها كانت ثلاثة أشهر ؛ ولكن مريديه (الفقراء) اغتنموا فرصة فنبشوا قبره، وأتوا بجثته إلى موطنه بقرية الزُّمّيح من قبيلة أنجرة حيث مازال ضريحه هناك يتبرك به.

عبد الله العمراني

ابن عَجيبة، محمد بن تاج الدين، عالم كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلته أنجرة انظم إلى صفوف المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني ؛ وقد كان يشهد له الجميع بشجاعته البالغة حيث يكون دائماً في مقدمة رجاله دون أن يصاب بجروح، فكان الجميع يعتقدون أنه كان له حجاب "التبريد" (أي تبريد الرصاص) كما جاء في أحد تقارير قيادة الجيش الإسباني بتاريخ 14 فبراير 1920.

وكان قد عين عضواً بالمجلس الاستشاري للمقاومة في المؤتمر المنعقد بقرية عين الدالية يوم 11 ماي 1913، كما انتخب عضواً بالقيادة المركزية للثورة في المؤتمر الذي انعقد بضريح مولاي عبد السلام بن مشيش يوم 20 يوليوز من نفس السنة.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب*، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

العدالة والتنمية (حزب -) شارك حزب العدالة والتنمية في استحقاقات 14 نوفمبر 1997 على مستوى الانتخابات التشريعية، لكن بنسبة محدودة، حوالي 140 مرشح من مجموع 325 عدد أعضاء مجلس النواب. ولم يعلن رسميا إلا عن نجاح 9 أعضاء. ورغم سلبيات العملية الانتخابية، ثمن الحزب هذه المرحلة لأنها أفرزت ما سمي بحكومة التناوب سنة 1998 من المعارضة السابقة، بالإضافة إلى حزبين هما الأحرار والحركة الوطنية الشعبية. وكان اسم الحزب وقتها (الحركة الشعبية الدستورية الديموقراطية). وفي يوم الأحد 6 دجنبر 1998 بالرباط عقد مهرجان لتغيير الاسم والتعريف بالاسم الجديد الذي اختير له وهو اسم (حزب العدالة والتنمية) حضره العديد من ممثلي الأحزاب والهيئات السياسية. وقد حسم في مسألة تغيير الاسم بالقرار الذي اتخذه المجلس الوطني في دورته المنعقدة بأكتوبر 1998. ومن دلالات اختيار اسم العدالة والتنمية ما يلي : العدالة يقصد بها العدالة الشاملة بين الأفراد والجماعات، والمؤسسات والهيئات والمناطق والجهات. ويتوخى من خلالها الحزب بناء مجتمع تتكافأ فيه الفرص أمام جميع المواطنين في الاستفادة من خيرات البلاد وثرواتها وخدمات الدولة، وتتوزع فيه الثروات توزيعا عادلا وتحفظ فيه حقوق الفرد والمجتمع على

حد سواء وبشكل متوازن. أما التنمية فهي تتعدى المفهوم المادي التقليدي إلى مفهوم أعمق مدى ودلالة ذلك أن الإنسان هو أساس كل إصلاح منشود. وبذلك تكون التنمية ذات محتوى إنساني بالمدلول العلمي الواقعي الذي ينصرف إلى الإصلاح الذاتي للإنسان حتى يصير طاقة خلاقة تبني المجتمع وتدافع عن مصالحه وتحرس قيمه وتذود عن مقوماته وتعمل من أجل الأمن والاستقرار وتضمن الرخاء والنماء والازدهار. وهذا يحتاج إلى أن يكون الإنسان محور التنمية، وهذا الكلام يعرفه الجميع، ولكنه في المغرب مازال بعيداً أن يصبح واقعا ملموسا ومازال للتنمية مفهوم تقني مادي ميكانيكي ضيق. ومازالت فاشلة لأنها تستبعد الإنسان المغربي وخصوصياته ومستوياته وإيجابياته ونقائصه. وهذه التنمية تعنى بالإنسان المغربي المسلم الموجود على هذه الأرض والمتمتع بحقوق المواطنة. وإنه إنسان لا ينتمي إلى عرق بل ينتمي إلى عقيدة. ينتمي انتماء اختياريا، ولا ينتمي الانتماء القهري الذي يورده موارد أخرى. هكذا إذن يختفي اسم (الحركة الشعبية الدستورية الديموقراطية) من الساحة السياسية بعد أن عمر عشرين سنة واستعيض عنه باسم (العدالة والتنمية). لكن كيف سرى الدم من جديد في عروق هذا الحزب ؟ وكيف ظهر (حزب العدالة والتنمية) ؟

في بداية التسعينيات أرادت بعض فعاليات (حركة الإصلاح والتجديد) إنشاء هيئة سياسية تمارس من خلالها نشاطها السياسي فاتفقوا على إنشاء (حزب التجديد) لكن السلطات رفضت الترخيص له. فأصدرت الحركة (حاتم) ورقة سياسية تقترح فيها العديد من المشاريع لممارسة العمل السياسي. فاختار المكتب التنفيذي (لحاتم) بعد موافقة مجلس الشورى لديها بالسماح لمن أراد من أعضاء الحركة (حاتم) الانضمام إلى حزب الحركة الشعبية الدستورية الديموقراطية الذي تأسس منذ 1967 من أجل الدفاع عن التعددية والحركات العامة. والأمور الثلاثة التي اشترطها الخطيب للدخول للحزب هي الإسلام، واحترام الملكية الدستورية، ونبذ العنف (*الشرق الأوسط*، عدد 12 / 12 / 1997). وكان الدكتور عبد الكريم الخطيب والسيد عبد الله الوكوتي قد اقتنعا بجهود حركة الإصلاح والتوحيد (حاتم) وما تدعو له. وهي تؤكد شمولية الأزمة التي تعاني منها الأمة الإسلامية، ولا يمكن تجاوز هذه الأزمة إلا بالعمل على الإصلاح والتجديد. وذلك بالدعوة إلى تجديد التزام الأمة، فرديا وجماعيا، وتدشين عملية بناء شامل يحيي روح الجهاد والاجتهاد في إطار التدرج والرفق (*التنظيم*، 115). وذلك عبر أسلوب الحوار المقنع، والمشاركة الفعالة مع جميع مكونات المجتمع. وهي تعمل في إطار القوانين الجاري بها العمل وفي إطار الثوابت المجمع عليها وطنيا. وتلتزم النهج الديموقراطي بكل تجلياته وتؤمن بالتعددية السياسية والخصوصيات الثقافية في إطار المقومات الإسلامية للمجتمع المغربي (ميثاق، حاتم). وفي يوم الأحد 2 يونيه 1996 عقد المؤتمر الاستثنائي للحركة الشعبية الدستورية الديموقراطية الذي توج ببيان ختامي جاء فيه "الحركة ملتزمة بقيم الحرية والديموقراطية وحقوق الإنسان وسيادة القانون في إطار المقومات الإسلامية (...) لاصلح مع العدو الصهيوني الغاصب لأرض فلسطين. وتعتبر الحركة أن مشكل المغرب بالأساس مشكل خيارات وكفاءات وأساليب في التسيير وتدعو إلى إرجاع جو الثقة والتوافق والتعاون (*الراية*، ع 199). وكان لهذه المشاركة أثر وردود فعل متباينة في العديد من الصحف الوطنية دفعت بالمكتب التنفيذي ل (حاتم) لأن ينشر توضيحا وقعه محمد يتيم رئيس الحركة بتاريخ 22 يونيه 1996 جاء فيه : أن العلاقة بين (حركة الإصلاح والتجديد) و(حزب الحركة الشعبية الدستورية الديموقراطية) ليست انضماما من الأولى إلى الثانية ولا هي تحالف بين الهيئتين. وكل ما هنالك أن الأعضاء المهتمين بالعمل السياسي في (حاتم) سيمارسونه في إطار الحزب، بينما ستستمر الحركة إسلامية شاملة قائمة بذاتها تقوم بمهامها كما كانت من قبل (*الراية*، ع 202). ومن جهة أخرى كان الحوار الذي بدأت أطواره منذ مدة بين (رابطة المستقبل الإسلامي) و(حركة الإصلاح والتجديد) (حاتم) حول مشروع التوحيد بينهما. قد طويت فصوله الأخيرة بميلاد حركة جديدة وهي (حركة التوحيد والإصلاح) نهاية شهر غشت. ونشر بيان عن توحيد الحركتين وقعه الدكتور أحمد الريسوني كرئيس للحركة الجديدة بتاريخ 31 غشت 1996 محرر بالرباط (*الراية*، ع 212). وكان لهذا الحدث وقع بارز في الساحة السياسية الوطنية لكونه خلف ردود فعل متباينة. لكن جهل الكثيرين بواقع الحركة الإسلامية بالمغرب وقدرات روادها على تجاوز خلافات المرحلة الانتقالية بين ثلاث حركات مستقلة جلعهم يتوقعون حدوث نزاع حول زعامه الحركة الجديدة من جهة بين أعضاء (حركة الإصلاح والتجديد) وأعضاء (رابطة المستقبل الإسلامي) وقد توحدوا في إطار حركة واحدة وهي (حركة التوحيد والإصلاح). ومن جهة أخرى توقعوا انشقاقاً داخل حزب الحركة الشعبية الدستورية الديموقراطية لوجود عناصر في الحزب تخشى فقدان مصالح شخصية أو مكتسبات داخل الإطار النقابي التابع للحزب (الاتحاد الوطني للشغل بالمغرب) والعناصر الجديدة المنضمة للحزب خصوصاً بعد أن فاز الأستاذ جامع المعتصم كمستشار في الغرفة الثانية وهو عضو في (حركة التوحيد والإصلاح). فأضحى لأعضاء حركة التوحيد والإصلاح النشطاء سياسيا إطار قانوني يمارسون من خلاله نشاطهم السياسي من داخل حزب الحركة الشعبية الدستورية الديموقراطية، حيث تقدم العديد منهم كمرشحين لاقتراع 14 نونبر 1997. عملت (حركة التوحيد والإصلاح) على مساندة مرشحي الحزب. وسخرت إعلامها ومتعاطفيها لخدمة الحملة الانتخابية لمساندة المرشحين للانتخابات وكأن (الحركة الشعبية الدستورية الديموقراطية) جناحها السياسي.

وكان البرنامج الانتخابي تحت شعار "من أجل نهضة شاملة : أصالة ـ عدالة ـ تنمية" (*الراية*، ع 272). وبالرغم من أن الحزب لم يتمكن من تغطية كل الدوائر الانتخابية، إلا أنه فاز بتسعة مقاعد في البرلمان وكان الكل متفائلا بالمستقبل رغم الخروقات المسجلة. وقبل ظهور هذه النتائج قال عبد الرحمان اليوسفي عن (ح. ش. د، د) "يظهر أن هذا الحزب يتموقع في صف المعارضة ونعتبره كحليف موضوعي، ونتمنى أن النتائج التي سيحصل عليها ستصب في اتجاه التغيير المنشود في بلادنا" (*المستقل الأسبوعي*، ع 201). فكان كذلك، وقد ساند الحكومة مساندة نقدية فيما يراه الحزب منافيا للمرجعية الإسلامية. وقد اتضح موقف الحزب المساند في تعامله الإيجابي مع مجموعة المشاريع والمقترحات القانونية سواء المقدمة من قبل الأغلبية أو الحكومة، وكذلك معارضته الشديدة لقانون السلفات الصغرى والخطة الوطنية لإدماج المرأة في التنمية (*من المساندة النقدية ... 15*).

بعيداً عن الانتخابات ونتائجها، بدأت تلوح في الأفق طبيعة العلاقة المستقبلية بين (حزب الحركة الشعبية الدستورية الديموقراطية) و (حركة التوحيد والإصلاح). ومن خلال تصريح لعبد الإله بن كيران عضو الأمانة العامة لحزب الحركة الشعبية الدستورية الديموقراطية ونائب الأمين العام، وعضو المكتب التنفيذي لحركة التوحيد والإصلاح الذي حاول توضيح طبيعة هذه العلاقة بقوله : "كون أعضاء الحركة الشعبية الدستورية الديموقراطية الذين فازوا في الانتخابات التشريعية هم أعضاء في حركة التوحيد والإصلاح لا يفيد أبدا أي تغيير أو تعديل في السياسة التي خططنا لأنفسنا، وهي أننا سنمارس العمل السياسي من خلال حزب الزعيم الدكتور الخطيب (ح. ش. د. د). وانتماؤنا لهذا الحزب ليس قرارا تكتيكيا، إنما قرار عادي وطبيعي، باعتبار أننا وجدنا حزبا ينسجم مع أفكارنا واختياراتنا وقناعاتنا ونظرتنا للأمور انسجاما تاما. وهذا لا يعني نفي الاختلاف الذي يمكن أن يقع أو واقع حول قضايا معينة ذات صبغة مرحلية (*الراية*، ع 276). توالت الأحداث بعد هذا كله وبدأت الحركة والحزب يتغلبان على المشاكل التنظيمية بالتدريج. فوضع الحزب مخططا وطنيا مكونا من أهداف كبرى وهي : أولا، إرساء البناء التنظيمي للحزب ويشمل : 1. تقوية الهيكلة والتنظيم 2. تحديد التصورات والرؤى. ثانيا، تطوير الأداء والتسيير ويشمل :1 ـ الرفع من أداء الأمانة العامة 2 ـ تفعيل العمل الحزبي 3 ـ الاهتمام بالتربية والتكوين. ثالثا، تقوية إعلام الحزب. رابعا، تقوية الانفتاح الخارجي. خامسا، تطوير الإمكانات المادية. وقد حددت البرمجة الزمنية للهدف الأول ليتحقق قبل المؤتمر الوطني الذي هو تتويج لإتمام الهيكلة المحلية. فتم تشكيل 52 مكتبا إقليميا جديداً استطاع من خلالها تغطية حوالي 78٪ من مجموع أقاليم المملكة. ولتأكيد مغربية الصحراء وإبراز الاهتمام بالقضايا الوطنية التي حولها الإجماع الوطني عقد المؤتمر الإقليمي لمدينة العيون الذي حضره الأمين العام وبعض أعضاء الأمانة العامة وقد ترك صدى طيبا لدى عموم المواطنين هناك. أما باقي الأهداف الأخرى ومقترحات أولويات الفترة ما بعد المؤتمر الرابع فقد حددت في : 1 ـ استكمال إعداد الأوراق التصورية وبالأساس تلك المرتبطة بالمنظمات الموازية للحزب، الشبيبة والنقابة بالخصوص. 2 ـ الاهتمام بالتربية والتكوين من خلال وضع البرامج المناسبة لحفظ التوجه الإسلامي للحزب، ورفع مستوى التربية الأخلاقية والسياسية والإدارية داخله. 3 ـ تطوير إعلام الحزب ليكون قويا ومنافسا. 4 ـ تقوية الانفتاح على المكونات السياسية وعلى الشعب وتنشيط العلاقات الخارجية. 5 ـ تطوير إمكانات الحزب المادية. ولتفعيل كل هذه الإجراءات أحدثت وظيفة مدير الحزب لتغيير آليات الاشتغال ووتيرة اللقاءات. وأسندت للدكتور سعد الدين العثماني (تقرير عن أداء الحزب، 96 / 99).

تمكن حزب العدالة والتنمية من عقد مؤتمره الوطني الرابع في نونبر 1999 بالرباط، تحت شعار "معا.. من أجل البناء" وحضرته مختلف الهيئات السياسية والنقابات الفاعلة في المجتمع. وكان ذلك في بداية العهد الجديد واعتبرت خطوة جريئة بالنسبة لسرعة توالي الأحداث. فكانت فرصة لتثبيت المكتسبات وتوسيع هامش الحريات، والتعبير عن مواقف الحزب تجاه قرار الملك الراحل الحسن الثاني إسناد الوزارة الأولى إلى عبد الرحمان اليوسفي. وقد أعرب الحزب عن أمله في نجاح التجربة. رغم اعتذاره عن المشاركة في الحكومة لأسباب ذاتية وموضوعية. إلا أنه اعتمد موقف المساندة النقدية التي تعني ممارسة واجب المناصحة وإبداء الرأي في إطار المبادئ الإسلامية والمصلحة العليا للبلاد. ومن تلك المنطلقات قرر الحزب مواصلة مسيرته السياسية لدعم الاختيار الديموقراطية داخل الحزب وخارجه والإسهام في تنقية الممارسة السياسية من كل أنواع الفساد، ودعم خيار المشاركة والاستمرار في نهج سياسة الحوار والانفتاح على جميع مكونات المجتمع السياسي والمدني، وتأكيد دعوة المجلس الوطني هيئات الحزب إلى إعادة تقييم موقف المساندة النقدية للخروج بالخلاصات المناسبة التي ستوجه مواقف الحزب من الأداء الحكومي وكذا عمل الفريق البرلماني للحزب الذي تمكن من تشكيله قبل انعقاد المؤتمر، الذي تلي فيه مشروع التقرير السياسي المكون من 20 صفحة ومتضمنا للمحاور التالية : 1 ـ تجديد الانطلاقة وترسيخ الهوية انطلاقا من الورقة المذهبية التي صادق عليها المؤتمر الاستثنائي. 2 ـ النهوض بالوضعية الدينية والأخلاقية للمجتمع المغربي. 3 ـ استكمال وصيانة وحدتنا الترابية. 4 ـ تعزيز الحريات العامة وحقوق الإنسان. 5 ـ النهوض بالوضعية الاقتصادية والاجتماعية. 6 ـ إصلاح نظام التربية والتكوين. 7 ـ النهوض بالثقافة الإسلامية والعربية والأمازيغية، والحد من هيمنة الثقافة

الفرنكفونية. 8 ـ تدارك التخلف في قطاع الإعلام. 9 ـ الأسرة والمرأة والارتقاء بهما ضمن منظور تنموي شمولي حقيقي يراعي خصوصيات المجتمع المغربي ويقوم على أسس متعددة ومتكاملة. 10 ـ تفعيل السياسة الخارجية المغربية وتعزيز حضور بلادنا مغاربيا وأفريقيا وعربيا وإسلاميا ودوليا (التقرير السياسي للحزب 1999). فما الذي تغير بعد انعقاد المؤتمر الرابع للحزب ؟ من خلال المحطات النضالية للحزب، كانت مشاركته فاعلة وحضوره وازنا في المشهد النيابي بعد تشكيل الفريق. إذ ما فتئ يؤكد تشبثه بالدفاع عن عدد من القضايا وعلى رأسها التأكيد على وجوب اعتبار الشريعة الإسلامية ومرجعيتها في كافة شؤون الأمة. فكان له موقف من قانون السلفات الصغرى بفائدة وتقدم الفريق بتعديلات للإقراض وفق أسس شرعية. كما ناهض مشروع خطة إدماج العمل الوطنية لإدماج المرأة، لأنها طرحت بطريقة أثارت خلافا حادا داخل المجتمع المغربي وجند كل طاقاته لشرح موقفه الذي توج بمسيرة شعبية بالبيضاء يوم 12 مارس 1999، مزامنة لمسيرة أخرى حول نفس القضية بالرباط. كما طالب بإصلاح المنظومة التربوية من منظور إسلامي. التصريح بالممتلكات وقانون معاشات النواب وكان رد الفريق على التصريح الحكومي برفض كل مقترح من شأنه أن يزيد في تحميل خزينة الدولة أعباء جديدة لفائدة النواب. كما قرر الفريق أمام أية مراقبة لحضور النواب. مراسلة رئيس مجلس النواب بعد كل جلسة بلائحة حضور أعضائه وغيابهم لكل غاية مفيدة. منها تطبيق القانون الداخلي لمجلس النواب عليهم بما في ذلك الاقتطاع من تعويضاتهم لتغيب دون عذر والرقابة على الحكومة من خلال الأسئلة الشفوية والكتابية وكذا المطالبة بتشكيل لجان تقصي الحقائق حول وضعية بعض المؤسسات المالية الوطنية. وكانت مكاتب استقبال المواطنين في دوائر نواب الحزب نقط تواصل دائمة مع المواطنين ومشاكلهم الفردية والجماعية. وعمل الفريق الكثير من الجهد لحذف كل الفقرات التي تشير إلى اعتماد مفهوم المقاربة حسب النوع الواردة في مشروع الخطة الوطنية لإدماج المرأة في التنمية. قدمها الفريق كأرضية خلال اجتماع فرق الأغلبية وأثمر الجهد إذ حذفت هذا المفهوم من مشروع المخطط (الخطة، 197.194) في 1 غشت 2000، قدمت الأمانة العامة للحزب مذكرة حول الأداء الحكومي وفق ما اصطلح على تسميته بالمساندة النقدية. وكان أول انتقاد وجه للحكومة هو كثرة أعضائها مما ينبئ عن منطق الترضيات أثناء تشكيلها. واتصف العمل الحكومي بضعف في المبادرة ونقص في الفاعلية وارتباك في الأداء وهذا بعد مضي سنتين من تشكيلها. وتم رصد مظاهر القصور في مجال تخليق الحياة العامة. فاعتبر الفساد السياسي والقضائي والإداري من أخطر عوامل الأزمة التي تعيشها بلادنا، بالنظر لكون الإصلاحات الضرورية في هذا الملف لا تثقل كاهل الميزانية العامة للدولة بقدرما ستوفر لها من مبالغ هامة. وبما أن الحكومة لم تواكب من حيث الإيقاع الخطوات الملكية من أجل إرساء دولة الحق والقانون والتضامن مع الطبقات الفقيرة ومقاومة التبذير. دعا الحزب إلى تفعيل مقتضيات التصريح الحكومي وإعادة هيكلة الحكومة وتحسين طرق أدائها بما يضمن لها الفعالية والمبادرة ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا من خلال تشكيل حكومة مقلصة من حيث عدد أعضائها والأحزاب المشكلة لها. باختيار أفراد أكفاء أقوياء أمناء، بعيداً عن الحسابات الضيقة بين الأحزاب وداخلها. ووضع برامج واضحة المعالم ومضبوطة، مثبتة زمنيا وقابلة للمتابعة والتقييم حسب معايير موضوعية. ملتزمين في ذلك بمبادئنا الإسلامية (مذكرة حول الأداء الحكومي غشت 2000).

بعد المؤتمر الرابع للحزب أعيد انتخاب الدكتور عبد الكريم الخطيب أمينا عاماً للحزب والدكتور سعد الدين العثماني نائبا له ومديراً للحزب. أما القانون الأساسي الجديد لحزب العدالة والتنمية فشكل من 15 بابا وقرابة 40 فصلاً، موزعة بين أهداف الحزب وشروط العضوية وتنظيم الحزب، كالمؤتمر الوطني والأمانة العامة والمجلس الوطني واللجنة المركزية ومجلس المنسقين الجهويين والإجراءات الانضباطية والجانب المالي.

1 ـ يهدف الحزب إلى : الإسهام في تأطير الشعب المغربي والعمل على توعيته من أجل مجتمع أفضل تسوده المساواة والعدالة وتتحقق فيه كرامة الإنسان وتتاح فيه الفرص للجميع، للمشاركة الفعالة في التنمية. تحقيق ديموقراطية منبثقة من تعاليم الإسلام، ومتلائمة مع تقاليدنا الوطنية السليمة في نطاق ملكية دستورية، تمكن الشعب من ممارسة حقوقه ومظاهر سيادته.

2 ـ العضوية : يمكن الانتماء للحزب وفقا للشروط الأساسية التالية : 1 ـ طلب الانخراط في الحزب بعد الاقتناع بمبادئه وأهدافه وقوانينه الأساسية. 2 ـ تأدية واجب الانخراط. وتتخذ العضوية فيه شكلين : 3 ـ عضو مشارك، وهو الذي ينخرط في الحزب لأول مرة ويمنحه المكتب الإقليمي هذه الصفة. 4 ـ عضو عامل، وهو الذي قضى سنة على الأقل في الحزب كعضو مشارك، وتمنحه الأمانة العامة هذه الصفة.

3 ـ هيئات الحزب : يقوم كيان الحزب ابتداءً من القاعدة على الخلايا ثم الهيئات التالية :

1 ـ المكتب المحلي ويحدث على صعيد الجماعة المحلية ويشرف على اللجان المحلية وينبثق عن المؤتمر المحلي.

2 ـ المكتب الإقليمي : ويحدث على صعيد الإقليم أو العمالة، ويشرف على المكاتب المحلية، وينبثق عن المؤتمر الإقليمي.

3 ـ مجلس التنسيق الجهوي : ويحدث على صعيد الجهة، ويقوم بالتنسيق بين المكاتب الإقليمية على صعيد الجهة.

4 ـ المؤتمر الوطني : وهو أعلى هيئة تقريرية داخل الحزب.

5 ـ المجلس الوطني : يسهر على تقويم أداء الأمانة العامة واللجنة المركزية وجميع الهيئات واللجان التابعة له.

ويصادق على تعديلات القانون الأساسي باقتراح من الأمانة العامة ويناقش جدول أعمال المؤتمر الوطني المقترح من قبل الأمانة العامة.

6 ـ الأمانة العامة : تسهر على تسيير الشؤون العادية وتنظيم المسائل الإدارية، وتعيين المنسقين الجهويين، وتراقب سير المكاتب المحلية. ينتخب الأمين العام مباشرة في المؤتمر الوطني، وينتخب باقي أعضاء الأمانة العامة من قبل أعضاء المجلس الوطني أثناء انعقاد المؤتمر الذي يصادق عليهم.

7 ـ اللجنة المركزية : هي هيئة استشارية للتواصل والتنسيق. تتكون من الكتاب الإقليميين والمنسقين الجهويين، ويترأسها الأمين العام أو من ينوب عنه. وتجتمع بدعوة من الأمانة العامة مرتين في السنة على الأقل.

8 ـ مجلس المنسقين الجهويين : يتكون من المنسقين الجهويين ويرأسه الأمين العام أو من ينوب عنه وينعقد مرة كل شهرين على الأقل. يقوم بمهام التواصل والتنسيق بين الأمانة العامة والمكاتب الإقليمية.

ـ الإجراءات الانضباطية : وتتخذ في حق كل عضو انتهك السياسة التي أقرها المؤتمر بالتنبيه، أو الإنذار، أو التجريد من المسؤولية أو بتجميد العضوية، أو الفصل. ويتخذ القرار بأغلبية ثلثي الأعضاء الحاضرين في الهيئة التي ينتمي إليها، وهو قابل للاستئناف أمام الهيئات العليا حسب المسطرة التي يحددها القانون الداخلي.

ـ للحزب حق التملك وحق الشراء والبيع وتقبل التبرعات، والأمين العام أو من ينوب عنه هو الذي يمثل الحزب في جميع القضايا.

م. نجيب بولف، *التنظيم بين النظرية والتطبيق*، الدار البيضاء، 1998 ؛ نور الدين قربال، *حزب العدالة والتنمية من المساندة النقدية إلى المعارضة الناصحة*، الدار البيضاء، 2000 ؛ أبو زيد المقرئ الإدريسي، *في المساندة النقدية لحكومة التناوب*، الدار البيضاء، 1999 ؛ مصطفى عنترة، *المساندة النقدية بين حزب العدالة والتنمية ومنظمة العمل*، جريدة *المستقل*، عدد 29 ـ 05 ـ 2000 ؛ مصطفى أعشي، *الحركة الشعبية*، *المعلمة*، عدد 10، سلا، 1998 ؛ ميثاق *حركة الإصلاح والتجديد*، الرباط، 1996 ؛ *حركة التوحيد والإصلاح، موقفنا مما سمي خطة العمل الوطنية لإدماج المرأة في التنمية*، الرباط، 2000 ؛ *مشروع خطة العمل الوطنية لإدماج المرأة في التنمية*، الرباط، 99 ؛ جريدة *الشرق الأوسط*، عدد 12، دجنبر، 1997 ؛ جريدة *المستقل الأسبوعي*، عدد، 201 ؛ جريدة *الراية*، العدد 199 ـ 202 ـ 212 ـ 272 ـ 276 ؛ *برنامج حزب العدالة والتنمية*، 1997 ؛ حزب العدالة والتنمية، الأمانة العامة، التقرير السياسي للمؤتمر الوطني الرابع، الرباط، 1999 ؛ حزب العدالة والتنمية، الأمانة العامة، تقرير عن أداء الحزب ما بين 96 / 99، الرباط، 1999 ؛ حزب العدالة والتنمية، الأمانة العامة، مذكرة حول الأداء الحكومي، الرباط، 2000.

عبد الرزاق ازريكم

ابن **عُدّة، محمد الأندلسي** الفاسي شيخ القراء وإمامهم. ويدعى أيضاً العُدّي، ولد بغرناطة قبل سقوطها بيد الإسبان بنحو اثنتي عشرة سنة، وبها نشأ وبدأ تعلمه قبل أن ينتقل مع أهله إلى فاس حيث تم تكوينه على يد الأئمة محمد ابن غازي المكناسي ومحمد الهبطي السماتي صاحب *وقف القرآن* وبلديه الفقيه أحمد الدقون، وعُمَر العُدّي فأصبح بعد وفاة أشياخه مضرب المثل في حفظ القراءات السبع والمنظومات المتعلقة بعلوم القرآن، مع الضبط والإتقان، وجودة الخط. ومن أشهر الآخذين عنه المؤلف المشهور أحمد المنجور الذي ترجم له في فهرسه وقال عنه : "جوّد عليه القرآن من الطلبة من لايحصى".

توفي بفاس سنة 975 / 1567.

أ. المنجور، *فهرس*، تح. م. حجي، الرباط، 1977 ؛ أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، 2 : 213 ؛ *لقط الفرائد / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 2 : 918 ؛ ع. الرحمن الفاسي، *ابتهاج القلوب*، مخطوط ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، المحمدية، 1978، ج 2 : 353، 354.

محمد حجي

عدّي (سيدي ـ) مركز حضري من المراكز التي نشأت ونمت في القرن الماضي على طول المحاور الطرقية الكبرى الحديثة، مراكز استمدت حيويتها ونشاطها الاقتصادي من انفتاحها وسهولة الاتصال بها. غير أن ما يميز هذا المركز عن غيره، كونه يستفيد من موقع جغرافي هام، حيث إضافة إلى مرور الطريق الرئيسية فاس ـ مراكش به، نجده يتوسط منخفض تيكريكرة، وهو السهل الفلاحي الغني الوحيد بالمنطقة، اشتهر على مستوى وطني، خاصة في العقود الأخيرة بمغارس التفاح والإجاص والخوخ، وزراعة المشاتل.

ترجع النواة الأصلية لهذا المركز إلى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، حيث استقرت عناصر مهاجرة من منطقتي تافيلالت وسوس بجانب ساكنة محلية مكونة من أيت واحي الأحرار وأيت إشن وغيرها (المنحدرة من قبيلة بني مگيلد الشهيرة) وأقامت تجمعا سكنيا مبنيا بالتراب على النمط الصحراوي الأصيل بالواجهة الشمالية للطريق الرئيسية ومنتظما حول ما كان يسمى "بتيگمي"، وهو تجمع مكون من أسرتين أو ثلاث تربط بينها وحدة القرابة (تيگمي ـ ن ـ إزوضن..). وقد استقر من بين هؤلاء الصحراويين شرفاء صلحاء، يمثل ضريح أحدهم وهو الولي سيدي المخفي، محج سكان المنطقة الذين مازالوا يولونه الاحترام والتقدير.

ويرجع أصل اسم هذا المركز إلى استيطان تاجر صغير به، يدعى عدي. فتح دكانا لبيع السكر والشاي والتوابل والعطور التقليدية والتبغ وغيرها من البضائع، واكتسب شهرة كبيرة لدى سكان المنطقة الذين أصبحوا يتوافدون عليه من كل مكان وشاع اسمه إلى أن أخذ محل اسم "أيت واحي" الذي كان يعرف به هذا التجمع السكني من قبل.

لقد سجل هذا المركز القروي توسعاً حضرياً مهماً خلال العقدين الأخيرين من القرن الماضي حيث وصلت ساكنته حسب إحصاء 1994 إلى 2.196 نسمة وتعززت بنياته الإدارية

والخدماتية العمومية بتأسيس إدارة محلية (مركز القيادة، مركز الجماعة، مركز البريد، ومستوصف) كما أن تجهيزات التعليم تعززت هي الأخرى ببناء مدرستين ابتدائيتين استقبلتا في أكتوبر 2001، 620 تلميذ وإعدادية فتحت أبوابها في نفس الموسم في وجه 346 تلميذ.

تتجمع معظم الأنشطة الاقتصادية على طول المحور الطرقي الذي يعبر المركز حيث تصطف على الواجهتين دكاكين ومقاهي ومطاعم صغيرة شعبية على مستوى الطابق السفلي يعلوها طابق أو طابقين خاصين بالسكن. أزيد من نصف هذه الدكاكين أبوابها مغلقة ومازالت شاغرة (أي ما يقارب 80 دكانا). يزاول الباقي تجارة المواد الغذائية والعقاقير والأدوات الفلاحية والأسمدة والمبيدات. تبقى هذه التجارة محدودة وغير متنوعة بسبب عدم استقرار المداخيل وضعف السوق المحلية، هذا على الرغم من التطور الذي تسجله يوما عن يوم هذه الأنشطة، إذ يلاحظ ظهور خدمات جديدة مثل الصيدلة وغسل الملابس إضافة إلى الخياطة وإصلاح الآلات الفلاحية والشاحنات... ويلجأ السكان إلى السوق الأسبوعي الذي يقام كل يوم السبت لقضاء حاجاتهم أو يقصدون مدينة أزرو التي تمثل أكبر سوق تجاري وأهم مركز بالمنطقة والتي لا تفصلها عن سيدي عدّي إلى 10 كلم.

غير أن التطور السريع الذي سجلته الأنشطة الاقتصادية غير الفلاحية وهو الأمر الذي نلمسه بوضوح من خلال تكاثر الأماكن التجارية لم يضف على مركز سيدي عدي طابعا حضريا.

إن حركة البناء المكثفة منذ ما يقرب من عقدين من الزمن، أدت إلى ظهور أحياء جديدة بهذا المركز انتظمت حول الطريق الرئيسية، غير أنها أحياء، مكونة من بنايات بسيطة وغير جاهزة، حيطانها أجورية وغير مبلطة، أبوابها حديدية وتنفتح على أزقة غير معبدة. يمتد البناء أساسا على طول المحور الطرقي رابطاً بذلك التجمعين القرويين العتيقين، أيت بوهو وإخرمازن (الجنوب الغربي) ومتسلقا في الجنوب المنحدرات الأولى لكدية سيدي المخفي (شلواط 1257 م). يظهر الكل في مشهد ورشة بناء مستمرة. أما على الواجهة الشمالية لم تستطع المضاربة العقارية بمركز سيدي عدي إلى حد الساعة أن تجلب بأرباحها المغرية منتجي التفاح والإجاص والخوخ وتدفع بهم إلى التخلي عن هذه الزراعات التي لم تعد مربحة كما كانت من ذي قبل بسبب الندرة المتزايدة للماء والتكلفة العالية للأسمدة والمبيدات واليد العاملة.

إن هذا المركز الطرقي الذي استمد نشأته ونموه من المؤهلات الفلاحية الهامة لمحيطه ومن سهولة ربطه بمختلف أنحاء المغرب بقيت مقوماته الاقتصادية هشة وغير سليمة. فمعظم النشطين يشتغلون رجالا ونساءً في المزارع والمغارس المجاورة حيث الأشغال موسمية والأجور غير منتظمة والبطالة متفشية خاصة في أيام فصل الشتاء والأنشطة التجارية والخدماتية الموجودة تبدو قادرة على امتصاصها.

فكما يلاحظ فإن مركز سيدي عدي لم يستفد بصفة إيجابية من هذه المؤهلات، الأمر الذي جعل منه معقل الوسطاء من كل نوع، من سماسرة الفواكه الذين يبسطون نفوذهم على المنتجين الشيء الذي جعلهم يستثمرون أرباحهم في مجال بناء السكن والمتاجر والمقاهي.

A. El Belghiti Alaoui. *Urbanisation et domination du monde rural I : l'exemple d'Azrou*. Thèse de doctorat, de spécialité. Université de Toulouse le Mirail, déc. 1978 ; *Population légale du Maroc. 1994*. Direction de la Statistique. L'Enquête sur le terrain, juin 2001.

عائشة البلغيتي العلوي

عدّي وبيهي، هو القائد عدّي وبيهي الزدگي من قبيلة آيت يزدگ المنتشرة شرقي الأطلس المتوسط بين مرتفعاته ومرتفعات الأطلس الكبير الشرقية، ازداد بكرّ أندو، قرية جنوب الريش. كان قائدا على قبيلته في فترة الحماية. لكنه فصل عن الوظيفة في الأربعينيات. وهل كان ذلك لاستبداده بالسلطة وتجاوزه كل الحدود حتى بالمقاييس الاستعمارية التي كانت ترخي العنان للقواد شريطة أن يخلصوا للسلطات الفرنسية، يوم كان بيد القائد أدوات التنفيذ الإدارية والقضائية، فضلا عما يستند إليه من قوة الجيوش الاستعمارية بعد أن انتزع من القبائل المغربية سلاحها الذي كان يحميها قديما من شطط قوادها ؟ أم كان ذلك لشعور وطني يستبطنه المترجم له الذي شهد له شيخ الإسلام الفقيه محمد بن العربي العلوي بأنه كان يزوره سرا عندما كان هو في الإقامة الإجبارية في تافلالت غداة أحداث 1944، فلما أحسّ الفرنسيون بذلك، فإنهم قرروا فصله عن القيادة سنة 1948، علما بأن الصحفي الفرنسي جان لاكوتور Jean Lacouture يقول بأن القصر الملكي لم يعترض على القرار. وكانت العلاقات بين القصر والإقامة العامة الفرنسية قد صارت يومئذ إلى التوتر. ولم يخف عدّي وبيهي ولاءه للسلطان، فهو من القواد الذين امتنعوا عن المشاركة في المؤامرة المدبرة من قبل السلطات الاستعمارية لعزل الملك الشرعي بدعوى أنه صار ملكا لحزب الاستقلال ولسكان الحواضر الكبرى، وأن سكان البوادي والقبائل البربرية على وجه التخصيص نفروا منه. ولذلك ما أن عاد محمد الخامس من المنفى واسترجعت البلاد استقلالها حتى كان عدّي وبيهي من أول من يعيّن من العمال على الأقاليم المغربية الكبرى، فأسندت إليه عمالة تافلالت الممتدة من الصحراء جنوب الأطلس الكبير الشرقي إلى مشارف الأطلس المتوسط المطلة على السهول الغربية. وصار من وجوه المغرب المستقل، لا سيما وأنه كان من المقربين من الحسن اليوسي، الذي لم يشارك هو كذلك في المؤامرة الاستعمارة ضد محمد الخامس فكان أول وزير للشؤون الداخلية في عهد الاستقلال. وكلاهما كانا ممن أقاما يوم 11 يوليوز 1956 المهرجان الشعبي الكبير على هضبة أجدير قرب خنيفرة، الذي ترأسه

الملك تزييفا للدعاية الاستعمارية التي كانت تلعب بحبال التفرقة بين البربر والعرب في البلاد. بيد أنه لم تمض على ذلك الملتقى الوطني إلا بضعة أسابيع حتى شنّ عدّي وبيهي والحسن اليوسي حملة دعائية ضد حزب الاستقلال متهمين أياه بالرغبة في الانفراد بالحكم. وتلك الحملة هي التي جعلت عدّي وبيهي يعلن العصيان على الحكومة كفاحا، ابتداء من 17 يناير 1957، وقت كان محمد الخامس في رحلة رسمية في إيطاليا تاركا زمام الأمور بيد ولي عهده الأمير مولاي الحسن. وكان هذا التمرد اختبارا للمغرب المستقل، واختبارا لملكه المتغيب ولمسؤولية ولي العهد ولحكومة حديثة الخبرة بممارسة السلطة العمومية، وذلك قبل انتظام صفوف القوات الملكية المسلحة ببضعة أشهر، وقت كان الجيش الفرنسي لايزال مرابطا في مختلف أنحاء المملكة، يتتبع ما يجرى فيها بقلق يزداد تفاقما بما كان يشتد من ضراوة حرب التحرير في القطر الجزائري المجاور. ثم إن الصراع على الحكم صار يحتدم في المغرب بين أقطاب المخزن التقليدي الذين كانوا يرغبون في العودة إلى ما كان لهم من النفوذ قبل الحماية، وبين مناضلي الأحزاب الوطنية وفي طليعتهم حزب الاستقلال الذي كان أنصاره في منتهى النشاط والحماس في جميع الجهات، متطلعين إلى تعويض ما قدموه من التضحيات من أجل التحرير بما ينالون من شرف المساهمة في تجديد صرح الدولة. وظل هذا الصراع يجري بشكل خفي على الصعيد المركزي في الرباط في الشهور الأولى من الاستقلال، إلى أن افتضح بشكل مفاجئ في إقليم تافلالت النائي على يد القائد عدّي وبيهي الذي أزعجه أول الأمر عزل صديقه الحسن اليوسي عن وزارة الداخلية في شتنبر 1956 وإسنادها إلى إدريس المحمدي وهو من وجوه حزب الاستقلال، فصار عامل تافلالت ينتقد كل القرارات الوزارية ويرفض الامتثال إلى الأوامر والنواهي، ولا يرضى عمن يعينه الوزير من القواد في الإقليم بدعوى أنهم تابعون لحزب الاستقلال، كما أبدى تمام الامتعاض للنظام القضائي الجديد الذي أقيم على مبدأ فصل السلطتين الإدارية والقضائية وجعل شؤون العدل من اختصاص قضاة لا نفوذ للعامل ولا للقواد عليهم. ولم يكن عدّي وبيهي ممن يمكن أن يستسيغ تلك الإصلاحات التي تنال من حرمته. فسولت له نفسه أن يتمرد على الحكومة بدعوى أنها تحت سيطرة حزب الاستقلال، مستفيدا من وجود الملك خارج البلاد، ومستعينا بما تسلمه من السلاح من بعض الضباط الفرنسيين الذين حملهم اليقين بعجز المغاربة عن حكم أنفسهم بأنفسهم على اصطناع من يأتي بالبرهان على ذلك. ولكن السلطات المغربية، وفي طليعتها الأمير مولاي الحسن، سرعان ما تصدت بحزم إلى القائد المتمرد، مطوقة إياه سياسيا أول الأمر، إذ أوفد إليه الأمير من يحاول رده عن غيه وثنيه عن عزمه، ومن الموفدين الشيخ بلعربي العلوي الذي عاد من المهمة مقتنعا بخيانة عدّي وبيهي. فكان التطويق العسكري بقوات حاصرت المتمردين من جهة الشمال ومن جهة الجنوب. وبعد أيام قليلة، ألقى القبض على العامل وعلى ابنه وأنصاره، وسيق الجميع إلى السجن. وأجرى البحث القضائي، وأقيمت المحاكمة في شهر دجنبر 1958، وصدر الحكم بالإعدام في حق عدّي وبيهي وفي حق قائد ميدلت موحا أوهرّوا العياشي، وبأحكام حبسية على باقي المتمردين تتفاوت بحسب درجة ضلوعهم في العصيان. ومجمل القول أن كل ذلك كان مؤامرة يدها عدّي وبيهي، ورأسها الحسن اليوسي الذي صار وزيرا للتاج بعد عزله من وزارة الداخلية، إذ تبين في المحاكمة أن عامل تافلالت كان لا يحرك ساكنا دون استشارته، فأمرت المحكمة بمتابعته لكنه فرّ لاجئا إلى إسبانيا ولم يعد منها إلا سنة 1962. أما سلاح المؤامرة، فما جاد به بعض الضباط الفرنسيين على المتمردين بإذن أو بغير إذن من رؤسائهم. ولذلك كتب الملك الحسن الثاني رحمه الله قائلا: "لقد كان عدّي وبيهي شجاعا ومقاتلا قديما، كما كان حاذقا ومراوغا، وسبق للفرنسيين أن اعتقلوه وأبعدوه، وقد أثارته مطامع النزعة المتطرفة في حزب الاستقلال والتعديات التي اقترفتها فاستثار، وأكد لي فيما بعد أن مبعث ثورته هذه هو أنه كان يريد "أن يجعل السلطة الملكية محترمة". وسعدت بهذا الحادث طائفة من الجيش الفرنسي كانت لا تزال في المنطقة فأمدت عدّي وبيهي بالأسلحة والذخيرة. لقد كانوا يأملون أن يلتهب إقليم تافلالت كله، وأن تسقط الأمة المغربية الجديدة في هاوية الحرب الأهلية. وهذا ما دعاني إلى القيام برد فعل سريع". ولم ينفذ حكم الإعدام إلا في محا أوهرًا العياشي. أما عدّي وبيهي فقد ظل أسيرا في جناح خاص من مستشفى ابن سينا بستقبل الأقرباء والأصدقاء، إلى أن توفي حتف أنفه يوم 30 يناير 1961، ونقل جثمانه إلى كرّ أندو ليوارى التراب في مسقط رأسه.

الحسن الثاني، *التحدي*، المطبعة الملكية، الرباط، 1403 / 1983؛
ع. اللطيف جبرو، عدي وبيهي، *حكاية عصيان تافلالت*، الرباط، 2001.

Lacouture, Jean, Le Maroc à l'épreuve, Paris, Seuil, 1958.

إبراهيم بوطالب

العُدَيْدُ لون من ألوان الشّعر الشعبي النّسوي. يقوم مقام الرثاء في الشعر العربي القديم. ينظم للتعبير عن الحزن البالغ في حالات الموت وتشييع جثمان الفقيد ويقال أيضاً في ندب الحظ العاثر والتنفيس عن هموم الحياة وما يكتنفها من تعاسة ونكد.

تختص به نساء محترفات عادة ما تستقدم العدّادة إلى بيت الجنازة، فتقوم بسرد وتعداد خصال المتوفى على شكل قصيدة فلكلورية بأسلوب أقل جودة من الأسلوب الكلاسيكي العربي ولكن بمستوى أعلى من اللهجة العامية.

ومن مميزاته الأساسية أنه أدب خاص بالنساء فقط، يقُلْنه في رثاء عزيز مات، وذلك إما تعبيراً عن حزن حقيقي لفقدان من هلك، أو مجاملة للأخريات من أهل الفقيد عند العزاء. وتقوله النِّسْوة كذلك تعبيراً عن همومهن وأشجانهن الدفينة حينما يلم بالواحدة منهن ابتلاء أو مصيبة. ويضم العدّيد نفس المكونات كما في القصيدة العربية الكلاسيكية. يجسد المعاني الرفيعة والعواطف الإنسانية في صورة حية مؤثرة، يجعل أكثرها تبدو وكأنها صادرة عن شخص الميت نفسه كلاماً ووصفاً وشكوى. كما أنه يرتكز على شكل وإيقاع موسيقي معين، إذ تحرص قائلته على إلقائه وفق تلحين معين، إلا أن طابع الحزن والتراتيل الجنائزية توحد بين كل الألحان، وفي صياغته الموسيقية يلتزم هذا التراث بالقافية مما يقرّبه كثيراً من قوالب الشعر العربي، كما ينهل من التصوير والمبالغة ...

تلقي العدادة المقاطع من شطرين أو أكثر بينما تقوم النساء المتحلقات حولها بترديد اللازمة بين المقطع والآخر وفق إيقاع تصنعه سرعة الإلقاء وتصفيقات الأيدي أو الأرجل، يتم ذلك بمنزل الفقيد أو في المقبرة. قد تشكل النساء دائرة محيطة بالعدّادة، يخدشن الوجوه والصدور على طبيعة الإيقاع وما يستلزمه التحبيب. وبالنظر إلى أصول العديد، ينتشر في أوساط القبائل العربية كما هو الحال بالنسبة لقبائل وسط المغرب كورديغة والسماعلة وبني خيران ... وفيه تقول الأغنية الشعبية بالمنطقة :

طاحَتْ الطّبارَة من السّمَـــا(ء) كانْنْش عدّادَة لْلكْـــرا(ء)

وتقول إحدى العدّادات في وصف فقدان ابن لها على إثر سقوطه في بئر :

أيْلي ومَالكْ عْلـــيَّ، أيْلـي ومَـــالكْ عْليَّ
الرْعْـدة فْ البْـــرُوجْ وانَا طاحْـــتْ عْلـــيَّ
أيْلـي ومَالـــكْ عْليَّ، أيْلـــي ومَـالكْ عْليَّ
حَابْطْ بْرَدْ فيَّ لْحَابْطْ حْتى الگاعْ مَارْتْ ليَّ
أيْلي ومَالكْ عْلـــيَّ، أيْلـي ومَالـكْ عْلـيَّ
مَلْ طاحْ "مْكيكَّي" لْغَطْ كي الوَحْتْيَـــهْ
أيْلي ومَالكْ عْليَّ، أيْلـي ومَالـكْ عْلـــيَّ
إلى عْيَاتْ الخَيْلْ رَا العْوْدَاتْ كي لْحْدْبَـــهْ

ونشير إلى أن هذا الأدب الشعبي المتميز في طريقة للانْقراض، كما أن تسجيله يطرح صعوبات تتعلق أولا بالمقام الذي يقال فيه، إضافة إلى كون العدّادة ترتبط في إبداعها بالحالة، لذلك يتعذر في الكثير من الأحيان إعادة ما نظم ساعة النواح.

تحريات ميدانية ؛ شوقي عبد الحكيم، *موسوعة الفلكلور والأساطير العربية*، بيروت، 1982 ؛ *المأثورات الشعبية*، العدد العاشر، أبريل، 1977.

صالح شكاگ

العدس، ينتسب إلى فصيلة الفوليات (Fabaceae) التي تنتمي بدورها إلى فصيلة القرنيات (Leguminoseae)، إسمه العلمي هو "لينس كولينياريس" (Lens culinaris).

تختلف أصنافه حسب خصائص الحبوب. ومن أشهر ضروبه : العدس ذو الحبات العريضة (var. macropaea)، والعدس ذو الحبات الصغيرة (var. microsperma)، وضرب كريكس أوروبيا (var. grex europaea)، وضرب كريكس أزياتيكا (var. grex asiatica). إلا أن أسماء أصنافه تختلف محليا بحسب المناطق.

إن العدس نبات حولي عشبي، كثيف السيقان، سيقانه مضلعة، يصل ارتفاعها إلى 50 سنتمترا، مائلة، أوراقه مركبة، تتكون من 1 إلى 8 وريقات متقابلة أو متناوبة، شبه جالسة، مزغبة. الأزهار صغيرة، بيضاء، ومخططة بالبنفسجي، منفردة أو مجتمعة على طرف الأغصان. الثمار قرنية مسطحة، مستديرة، أو منحرفة، تحتوي غالبا على حبة واحدة أو حبتين، لون الحبوب يتباين حسب الأصناف، وزن مائة حبة يصل إلى 9 غرامات. تمتد فترة النمو والتطور من 150 إلى 200 يوم.

العدس من أشهر القطاني الزراعية، وتنتشر زراعته في بقاع كثيرة من المعمورة حيث المناخ معتدل. إن بذور العدس تنبت عندما تكون الحرارة أعلى من 5 درجات، أما الحرارة الملائمة للنمو فهي تقع ما بين 15 و25 درجة. وهو من ضمن الأنواع النباتية ذات التأقت الضوئي الطويل (Une plante de jour long)، وكذلك من ضمن الأنواع المقاومة للجفاف والجليد القليل، ولكنه يخشى الرطوبة الكثيرة في الهواء بحيث يصبح عرضة لبعض الأمراض الفطرية.

تصلح جميع أنواع التربة لزراعة العدس، غير أن التربة الطينية تلائمه أكثر، ويتحمل العدس حموضة التربة (pH) ما بين 6 و9 درجة. أما احتياجاته من الأسمدة فهي تتغير حسب نوع التربة ومخزونها من المواد العضوية والأملاح المعدنية. وعموما لإنتاج 20 قنطاراً للهكتار يحتاج العدس إلى 100 كلغ من الأزوت و28 كلغ من الفوسفور و78 كلغ من البوتاس.

يزرع العدس عموما في أرض البور ولا يحتاج إلى السقي إلا حين تقل التساقطات المطرية عن 350 ملمتر، أما الاحتياجات الضرورية للنمو والتطور فهي تقدر بحوالي 400 ملمتر. وعلى هذا الأساس يمكن زراعة العدس في المناطق الجافة، وشبه الجافة، وشبه الرطبة، والرطبة.

يزرع العدس في مختلف المناطق المغربية، إلا أن المساحات المزروعة تتغير من سنة لأخرى ومن منطقة لأخرى وذلك حسب أهمية التساقطات المطرية، وكذلك تبعا للدورات الفلاحية. إن الإحصائيات المتوفرة لدى وزارة الفلاحة ما بين 1960 و2000 تبين أن المساحات تتباين بين 13 ألف هكتار سنة 1967 و89.6 ألف هكتار سنة 1987 التي تعتبر سنة قياسية لإنتاج العدس بالمغرب. وعموما تعتبر فترة الثمانينيات أكثر إنتاجاً من التسعينيات. أما الإنتاج فهو يتغير كذلك بحسب أهمية المساحات المزروعة وبالأخص حسب أهمية وتوزيع التساقطات المطرية. ويلاحظ أن قلة

التساقطات المطرية، وبالأخص الربيعية منها تؤثر سلبا على إنتاج العدس بشكل حاد. إن الاحصائيات المشار إليها تبين أن أقل إنتاج سجل هو 27 ألف قنطار سنة 2000 حيث زرعت 41.4 ألف هكتار، وأن أعلى إنتاج مسجل هو 695.5 ألف قنطار سنة 1986 حيث زرعت 85.6 ألف هكتار. أما المناطق المهمة لزراعة العدس بالمغرب فهي نواحي الخميسات، وتازة، وسطات، والحسيمة، وأزلال، وإفران، وبنسليمان، وكذلك نواحي فاس، ومكناس، وتاونات، والغرب، وآسفي.

عمل المعهد الوطني للبحث الزراعي بالمغرب على إنتاج أصناف جيدة من العدس تتكيف مع الظروف المناخية المغربية، ومن أهم هذه الأصناف "L 24" ذات الحبات الصغيرة، و"L 56" ذات الحبات الكبيرة، و"L 1" ذات الحبات الصغيرة الخضراء.

يعتبر العدس من أهم وأكثر القطاني استهلاكا بالمغرب، خصوصا في المناطق الجبلية بشمال المغرب (جبالة)، وبالبوادي عموما. ويكون بالنسبة للأسر الفقيرة وجبة مهمة، حتى أنه يعتبر بمثابة وجبة "لحم الفقير"، والأسر ذات الدخل المحدود. أما أشكال تحضير وجباته فهي متنوعة حسب المناطق والعادات الأسرية، فهو يحضر كوجبة مستقلة، أو يستعمل كعنصر مكون لبعض الوجبات كالحساء مثلا، أو حتى مع اللحم. أما خصائص طهي العدس فهي مرتبطة أساسا بالتركيز الكيميائي للتربة التي يزرع فيها، وبالأخص مستوى الكالسيوم، والمانيزيوم، والبوتاس.

العدس، منشور تقني للمعهد الوطني للبحث الزراعي بالمغرب ؛ إحصائيات مديرية الإنتاج الفلاحي، وزارة الفلاحة والتنمية القروية، والمياه والغابات لسنة 2001 ؛ *أبحاث شخصية*.

عبد النبي زين العابدين

أبو **عندس** - مهاة - لمهي Addax nasomaculatus (blainville) حيوان من الثدييات المنتمية إلى فصيلة الظباء ومن المجترات الكبيرة المتميزة بالقرون : ترجع تسميته باللاتينية إلى أنفه المرقط ويطلق عليه أيضاً اسم ظبي ماندس (Mendes) وظبي نوبي (Nubie) وذلك لأن قرونه كانت تزين رؤوس الآلهة والكهنة والملوك في الآثار المصرية.

إنه ظبي كبير القامة، علوه عند الغارب يتراوح بين 105 و115 سم، طول ذيله 32 سم، طوله جمعا بين الرأس والجسم 160 سم، ويزن ما بين 80 و125 كلغ. شعره كث، قصير وخشن يميل إلى البياض المصفر إلا أنه يصير بنيا جهة الرأس والعنق والعرف. لفافة عريضة بيضاء فوق عينيه تزين رأسه. شفته العليا مزركشة بالبياض، ينتهي ذيله بباقة شعر أبيض وبني. يصبح لونه خلال فصل الصيف رماديا. ظلفه عريض، إسفنجي، دائر من الأمام وطويل من الخلف. قرنه حلقي وملولب في معظمه ويبلغ 80 سم تقريبا. الأنثى أقل حجما من الذكر وتتميز بقرون ضعيفة وغير منتظمة.

يعيش وسط قطيع صغير في المناطق الصحراوية القوية الجفاف : ويستنتج من أقوال سكان جنوب المغرب أنه يستطيع الاستغناء عن شرب الماء بضعة أشهر كاملة ويُحتمل أن له تكييفا فيزيولوجيا يساعده على اقتصاد الماء.

يقوم بهجرات فصولية كبيرة يتوغل فيها داخل الصحراء وذلك وسط قطيع يشمل مائة فرد.

خلال القرن المنصرم كان توزيعُه الجغرافي يشمل الصحراء بأكملها ابتداء من المحيط الأطلسي إلى البحر الأحمر. نذكر خلال الأربعينيات من هذا القرن أن قطيعاً بأكمله ذهب ضحية صيد في وادي الذهب.

ويبدو أن توزيعه الجغرافي الحالي يقتصر على الصحراء الوسطى وتنقلاته الفصولية تصل به نادراً إلى الصحراء المغربية.

محمد رمضاني

العدل (وزارة -) بالمغرب، أنشئت لأول مرة عند تأسيس الحكومة الوطنية الأولى بعد الاستقلال سنة 1955. وكانت مهمة الإشراف على شؤون القضاء طوال العهد الإسلامي موكولة إلى قاضي الجماعة المقيم بالحاضرة السلطانية يعين القضاة في الأقاليم ويرعى أعمالهم. تحت نظر أمير المومنين. ولما فرضت الحماية على المغرب سنة 1912 وضع الفرنسيون والإسبانيون وزارة مصطنعة سموا إحداها وزارة العدلية، كانت مجرد مصلحة تهتم بالمحاكم الشرعية وأطرها على مستوى القضاء والتوثيق، ولم تسند إليها سلطة أو نفوذ على جميع اختصاصات هذه المحاكم، لتعارض نفوذ سلطات الحماية، فالقضاء المخزني كانت تمارسه في أغلب الأحيان السلطة الإدارية، وقد توسع على حساب القضاء الشرعي. وفي سنة 1930 أنشأت سلطات الحماية المحاكم العرفية. أما المغاربة اليهود فقد كانت لهم محاكمهم الخاصة.

إلى جانب هذه المحاكم الخاصة بالمغاربة، عرف المغرب وجود محاكم أجنبية، كالمحاكم الفرنسية في الجنوب، والإسبانية في منطقة الشمال. وفي منطقة طنجة أنشئت محاكم مختلطة تحولت لاحقا إلى قضاء دولي. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل كانت توجد خلال هذه الفترة، إلى جانب الأصناف المذكورة. محاكم عسكرية فرنسية وأخرى إسبانية، وقضاء خاص بالبنك المخزني المغربي بالإضافة إلى القضاء القنصلي، حيث احتفظت كل من الولايات المتحدة الأمريكية وأنجلترا بامتيازاتهما القضائية، الأولى في مجموع التراب المغربي، والثانية في منطقة الشمال وطنجة.

وقد حددت الدولة منذ اللحظة الأولى لإنشاء وزارة العدل، ضمن أول حكومة وطنية، وأقرتها كميثاق لوزارة العدل، الأهداف التالية :

تنظيم وزارة العدل تنظيما عصريا ينسجم مع السيادة

الوطنية، وذلك بالإشراف على جميع المحاكم الموجودة فوق التراب الوطني، وعلى كل المصالح المكملة للعمل القضائي.

- توفير قضاء عادل للمواطنين ؛
- استقلال السلطة القضائية ؛
- جعل الأحكام مستمدة من نصوص تشريعية مدونة، تسهيلا لمهمة القاضي والمتقاضي ؛
- تقريب القضاء من المتقاضين ؛
- إدماج القضاء الأجنبي (المحاكم العصرية) في القضاء المغربي وتوحيدهما في قضاء منفرد ؛
- تكوين الأطر اللازمة لمغربة القضاء ؛
- تعريب لغة القضاء في المداولات والمرافعات والأحكام والمستندات.

وقد بادر أول وزير عدل في عهد الاستقلال (عبد الكريم بنجلون) إلى هيكلة وتنظيم المصالح المركزية للوزارة وتنصيب محاكم منظمة في مجموع التراب الوطني على الشكل التالي :

أ - التنظيم الهيكلي للوزارة : بمقتضى ظهير 16 أكتوبر 1956 تم إحداث خمس مديريات :

1 - مديرية القضاء الديني (الشرعي والعبري)

2 - مديرية القضاء العصري (المحاكم الفرنسية والإسبانية المؤسسة بمقتضى ظهير 12 غشت 1913 والظهير الخليفي المؤرخ في فاتح يونيو 1914).

3 - مديرية إدارة السجون (وكانت خاضعة فيما قبل لإدارة الأمن العام)

4 - مديرية القضاء العادي (القضاء المخزني سابقا)

5 - مديرية الموظفين والميزانية

ب - التنظيم القضائي : بتاريخ 19 مارس 1956 صدر ظهير شريف ألغى كل مراقبة عامة أو خاصة، على تدبير شؤون القضاء المغربي، وقد تجلى ذلك في إنشاء محاكم للحاكم المفوضين فوق كامل التراب المغربي، ووضع النيابة العامة تحت السلطة المباشرة لوزير العدل ومنعها من تسيير المداولات والتدخل في إصدار الأحكام.

أما توحيد المحاكم فقد مر بعدة مراحل :

1 - تنظيم المحاكم العادية على غرار المحاكم العصرية (ظهير 14 أبريل 1956) ؛

2 - إلغاء المحاكم العرفية وإنشاء محاكم عادية ومحاكم القضاة (ظهيران شريفان مؤرخ كل منهما في 25 غشت 1956) ؛

3 - تنظيم محاكم القضاة على شاكلة المحاكم العادية (ظهير 8 . 12 . 1956)، وبنفس المنهجية تمت إعادة تنظيم المحاكم العبرية (ظهيران شريفان صدرا بتاريخ 23 فبراير 1957 ؛

4 - إلغاء المحكمة المختلطة بمنطقة طنجة، وإنشاء محكمة استئناف ومحكمة إقليمية ومحكمة الحاكم المفوض، للقيام بمهام تطبيق القانون الخاص الذي كان العمل جاريا به من الإدارة الدولية على مجموع السكان بدون تمييز (ظهير 11 أبريل 1951) ؛

5 - إحداث محاكم الشغل بمجموع التراب الوطني (ظهير 29 أبريل 1957) ؛

وبذلك أصبح القضاء المغربي في هذه المرحلة يشتمل فقط على ثلاثة أنواع من المحاكم، الدينية والعادية والعصرية بكل درجات التقاضي مع وجود المجلس الأعلى على قمة هرمه.

التوحيد : بمقتضى قانون 26 يناير 1965 تم توحيد القضاء على مستوى ما كان يعرف بالمحاكم العادية، فتم إحداث محاكم سدد، ومحاكم إقليمية، ثم محاكم استئنافية إلى جانب المجلس الأعلى وذلك وفق ما نصت عليه المادة الأولى من القانون المذكور.

التعريب : وقد صدر تطبيقا للمادة الخامسة من نفس القانون، القرار الوزيري رقم 65.414 بتاريخ 18 غشت 1965 عربت بمقتضاه جميع المحاكم، وكان إلزاما من أجل بلوغ هذا الهدف أن يتم التركيز على تعريب القوانين. فانطلقت قبل ذلك أشغال اللجنة المكلفة بمراجعة وتعريب قانون الالتزامات والعقود وباقي التشريعات الصادرة سنة 1913 بتاريخ 19 أكتوبر 1964. ثم كونت لجن أخرى قامت بنفس العمل على مستوى القانون التجاري وقانون التحفيظ العقاري وقانون المسطرة المدنية. كما تم تعريب حوالي 9000 نموذج مطبوع وعشرات السجلات على مستوى الإدارة المركزية بالوزارة.

بعد إرساء آليات تنفيذ قانون توحيد المحاكم ووضعه حيز التنفيذ انطلقت بموازاة ذلك عملية الإصلاح التشريعي، وفي ضوء القانون المذكور شرع في مراجعة النصوص التشريعية الموروثة عن عهد الحماية، من أجل ملاءمتها مع الظرفية الاقتصادية والاجتماعية لمغرب ما بعد الاستقلال، أو من أجل ملاءمة تلك النصوص فيما بينها مما أسفر عن إصدار نصوص جديدة بالنسبة لقوانين المساعدة القضائية، المصاريف القضائية، تنظيم مهنة المحاماة، القانون العقاري، مدونة الأحوال الشخصية، الوضعية المدنية للأجانب، التوثيق، التكوين القضائي، تفتيش المحاكم، التعويض الخاص بضحايا حوادث السير. وذلك خلال الفترة ما بين سنة 1967 و1971 مما ساعد على تحسين أداء العدالة في كل هذه المجالات.

وقد ورد في المادة الرابعة من قانون 26 يناير 1965 إذ نصت على وجوب أن يكون القضاة من جنسية مغربية، وبذلت جهود خلال هذه الفترة لتعويض القضاة الأجانب بأطر وكفاءات مغربية صالحة للقيام بالبت في المنازعات، وإصدار الأحكام وتسيير المحاكم، في وقت بلغ فيه عدد الملفات المعروضة على القضاء 100.000 في حين لم يكن عدد القضاة المغاربة يتعدى 800 منهم 100 قاض مجاز فقط، قدم منهم 70٪ استقالتهم للالتحاق بمجالات أخرى تضمن لهم وضعية

أفضل، بينما كان نصف العدد الباقي وهو 700 قاض شرعي. ونصفهم الآخر من قدماء كتاب ضبط المحاكم العرفية والمخزنية، وبعض تراجمة سابقين أدمجوا في السلك القضائي غداة الاستقلال. وهذا يعني أنه عند صدور القانون المذكور كان القضاة الأجانب وعلى الخصوص الفرنسيين والإسبان يشكلون نسبة مهمة في السلك القضائي.

ومن أجل الاحتفاظ ببعض هؤلاء وتحديد مهمتهم في تقديم المساعدة التقنية للمسؤولين الجدد بالمحاكم الموحدة، تمت إعادة النظر في الاتفاقيتين المبرمتين مع كل من الحكومة الفرنسية والحكومة الإسبانية سنة 1957 حول وضعية القضاة المنتمين لهاتين الدولتين لتحل محلهما اتفاقيتان جديدتان، الأولى في 20 فبراير 1965 مع الحكومة الفرنسية، والثانية بتاريخ 6 أكتوبر من نفس السنة مع الحكومة الإسبانية، تخولت بمقتضاهما مهام هؤلاء القضاة من الوظيفة القضائية إلى عمل ذي طابع تقني.

عرف الجهاز القضائي خلال سنة 1974 تغييرات مهمة شملت التنظيم القضائي، القانون الأساسي لرجال القضاء ثم بعض القوانين كقانوني المسطرة المدنية والمسطرة الجنائية. فبمقتضى الظهير الشريف بمثابة قانون رقم 1.74.338 لـ 15 يوليوز 1974 المتعلق بالتنظيم القضائي، تم إحداث محاكم ذات ولاية عامة تبت ابتدائيا أو ابتدائيا وانتهائيا مع حق الاستئناف، حسب الشروط المحددة قانونا، سميت ـ المحاكم الابتدائية ـ . كما تم إحداث محاكم الجماعات والمقاطعات إلى جانب محاكم الاستئناف والمجلس الأعلى.

وقد عرف هذا القانون تعديلات متعددة همت على الخصوص التراجع عن نظام القضاء الفردي ثم إحداث محاكم متخصصة.

وبمقتضى الظهير الشريف بمثابة قانون رقم 1.74.467 الصادر في 26 شوال 1374 الموافق لـ 11 يوليوز 1974 يكون النظام الأساسي لرجال القضاء، أصبح القضاة مصنفين في درجات تبتدئ بالدرجة الثالثة وتنتهي بالدرجة الاستثنائية مروراً بالدرجة الأولى مع ترتيب الرئيس الأول والوكيل العام للمجلس الأعلى خارج الدرجة، وقد عرف هذا القانون خلال السنوات الأخيرة عدة تعديلات.

التنظيم القضائي الحالي : بمقتضى الفصل الأول من الظهير الشريف بمثابة قانون 1.74.338 لـ 15 يوليوز 1974 كما وقع تتميمه وتعديله المتعلق بالتنظيم القضائي، تحدد أنواع المحاكم الموجودة بالمملكة في :

1 ـ المحاكم العادية
2 ـ المحاكم المتخصصة
3 ـ المحاكم الاستثنائية

كلمة محكمة تعني المحاكم الدنيا كالمحاكم الابتدائية والتجارية والإدارية كما تعني محاكم الاستئناف والمجلس الأعلى.

ويحدد الفصل المذكور هذه المحاكم فيما يلي :

1 ـ المجلس الأعلى
2 ـ محاكم الاستئناف وعددها حاليا 21
3 ـ المحاكم الابتدائية وعددها اليوم 67 تشمل 183 مركز قاض مقيم
4 ـ محاكم الجماعات وعددها 706 والمقاطعات وعددها 131.

2 ـ المحاكم المتخصصة تتكون من :

أ ـ المحاكم الإدارية : ويبلغ عددها سبعة موزعة على مختلف جهات المملكة، وقد أنشئت بمقتضى الظهير الشريف رقم 91.225 بتاريخ 22 ربيع الأول 1414 / 10 شتنبر 1993 والقاضي بالمصادقة على القانون رقم 90.91 بإحداث المحاكم الإدارية.

ب ـ المحاكم التجارية : وقد أحدثت بالقانون رقم 43.95 بتاريخ 6 يناير 1997 المصادر بالظهير الشريف رقم 1.97.65 بتاريخ 2 فبراير 1997 وقد باشرت عملها منذ سنة 1998، ويبلغ عدد المحاكم الابتدائية منها ثماني والاستئنافية ثلاثا.

3 ـ المحاكم الاستئنافية :

أ ـ محكمة العدل الخاصة : أحدثت بمقتضى الظهير الشريف بمثابة قانون قم 157 ـ 72 بتاريخ 27 شعبان 1392 (6 أكتوبر 1972).

ب ـ المحكمة العسكرية الدائمة للقوات المسلحة الملكية : أحدثت بظهير 10 نونبر 1956 بمثابة القانون العسكري للعدل بقانون 26 يوليوز 1971 وبمقتضاه يجب التمييز بين : المحكمة العسكرية الدائمة للقوات الملكية المسلحة في وقت السلم والمحاكم العسكرية في وقت الحرب.

ينظم الإدارة المركزية للوزارة العدل مرسوم 23 يونيو 1998 المتعلق باختصاصات وتنظيم وزارة العدل انطلاقا من ثلاثة أقطاب أساسية :

1 ـ القطب القضائي : يمارس اختصاصات الوزارة في المجال القضائي والمجال المتعلق بالسجون ويتكون من :

ـ مديرية الشؤون المدنية
ـ مديرية الشؤون الجنائية والعفو
ـ مديرية إدارة السجون وإعادة الإدماج
ـ قسم محاكم الجماعات والمقاطعات

2 ـ القطب التنظيمي : ويهتم بتدبير الموارد البشرية والمادية للوزارة ويتألف من :

ـ مديرية الموارد البشرية
ـ مديرية الميزانية والتجهيز

3 ـ القطب التوجيهي : ويشكل نظاماً للتقييم الذاتي وللتواصل والتحدث، يتركب من وحدتين :

ـ مديريةالدراسات والتعاون والتحديث
ـ مركز تحليل وتتبع الشكايات

الإدارة المركزية تقع تحت سلطة الوزير والكاتب العام، والهياكل المرتبطة مباشرة بالوزير هي :

- الديوان
- المفتشية العامة وأحدثت بمقتضى ...
- المعهد الوطني للدراسات القضائية
- كتابة المجلس الأعلى للقضاء

م. الفاسي الفهري، *L'itinéraire de la justice marocaine*. Ed. Association pour la promotion de la recherche et des études judiciaires ؛ *الجريدة الرسمية*، عدد 3237، 31 نونبر، 1974، ص. 3315 ؛ *مجلة القضاء والقانون*، عدد شتنبر، 1957 ؛ *مجلة القضاء والقانون*، عدد خاص بمنجزات الاستقلال، 1956. 1966 ؛ دليل وزارة العدل، نشر وزارة العدل، 2001.

محمد الأيوبي

العدلوني، أسرة تستوطن صفرو، طفحت شهرتها على هذه المدينة الصغيرة وما حولها خلال العصر العلوي، لفضل ما نَبُه منها من الرجال في المجالات العلمية والاقتصادية والسياسية. وتفيدنا وثيقة محلية (شهادة لفيفية) بأن أعيان صفرو يشهدون بأنهم "يعرفون الفقيه الأجل السيد علي عَدلُون وأولاده الفقيه السيد محمد، والعدل الأرضى السيد عبد الرحمان والسيد عمر .. معرفة تامة، ويشهدون أنهم يعرفونهم ينتسبون إلى النسب العلي .. ويسمعون ذلك سماعا فاشيا مستفيضا على ألسنة أهل العدل وغيرهم وأنهم من بني عدلون ... الكائنين بملوية من ناحية زاوية الدلاء" ..

ويتضح من خلال إشارات هذه الشهادة، التي يرجع تاريخ تحرير أصلها إلى جمادى الثانية عام 1098 / أبريل 1687. أن أسلاف العدلونيين كانوا يستوطنون قبل نزوحهم إلى "قرية صفرو" بلاد ملوية من ناحية الزاوية الدلائية. فهل كان الجد الأعلى للعدلونيين الصفرويين واحداً من عموم طلبة الزاوية الدلائية ؟ فلما لحق هذه الزاوية ما لحقها من السلطان مولاي رشيد العلوي سنة 1079 / 1668. هاجر الطالب "العدلوني" ضمن عامة الطلبة فانتهى به المطاف إلى قرية صفرو ! وسواء صح هذا الافتراض أم لا، فإن الشيء الأكيد أن علي عَدلُونْ، الذي ينتسب إليه العدلونيون بصفرو، يُقر بأن أسْلافه كانوا من أجلة العلماء، ونذكر من هؤلاء :

العدلوني، عبد السلام بن عبد الرحمان بن علي، فهو كما يظهر حفيد علي عدلون، لا نعرف شيئا عن ميلاده ونشأته العلمية، ونرجح أن يكون قد تلقى مبادئ القراءة والكتابة على يد أبيه وبني قومه بصفرو، ثم انتقل بعد ذلك إلى رحاب القرويين على عادة طلبة العلم من مجموع أنحاء المغرب، لإتمام تعليمه.

وبعد تخرجه عاد إلى صفرو، فانكب على التدريس. وكان يمارس نسخ الكتب، حيث لا تزال بعض الكتب بخطه الجميل موجودة إلى اليوم في بعض الخزانات (*تاريخ الوراقة المغربية*، 120).

كان عبد السلام بن عبد الرحمان العدلوني ناصري الطريقة لذلك نلاحظ أن الطابع الصوفي حاضر في بعض ما خلفه من مؤلفات مثل *شرح الغنيمة الناصرية والفتح المبين في شرح عدة الحصن الحصين وطبقات في التراجم* ؛ وذكر له ابن سودة كتاباً في *تاريخ وأحداث المغرب*.

ومن المناصب التي تولاها في حياته منصب القضاء بصفرو خلال النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري (18 م) حيث كان لا يزال على قيد الحياة سنة 1152 / 1739.

توفي عبد السلام بن عبد الرحمان العدلوني في زمن غير معروف خلال النصف الثاني من القرن (12 هـ - 18 م).

العدلوني، عبد السلام بن العربي. وُلد بصفرو في أواسط العشرية الأولى من القرن الرابع عشر الميلادي / 1887 أو 1889. تلقى مبادئ القراءة والكتابة بمسقط رأسه ولم يتجاوز في تكوينه حفظ بعض السور من القرآن الكريم وإتقان القراءة والكتابة. إلا أنه استفاد من مخالطة أهل فاس من رجال المخزن حيث كانت هذه المخالطة تسمح له بمجالسة أهل العلم، فالتقطت ذاكرته الكثير من الفوائد العلمية.

كان عبد السلام العدلوني، باعتباره ابن خليفة القائد عمر اليوسي، آخر ركيزة مخزنية قبل وصول الفرنسيين إلى المنطقة، ولما ورثه من أبيه من ثروة ضخمة، يرى نفسه أكثر استعداداً للتعاون مع سلطة الحماية.

كانت بوابة التعاون مع سلطة الحماية بالنسبة لعبد السلام العدلوني، هي اللجنة البلدية لمدينة صفرو، التي أحدثتها فرنسا سنة 1913، وتتشكل هذه اللجنة من أعيان ووجهاء المدينة. ولم يتمكن عبد السلام العدلوني، ليكون ممثلا لحي "ناس أعَدلُون" في أول لجنة بلدية في إطار التنظيمات الجديدة لتدبير الشأن العام، ولم يفز بعضوية اللجنة إلا في دورتها الخامسة لعام 1921 (*تطور أدوات السياسة المحلية*، 192).

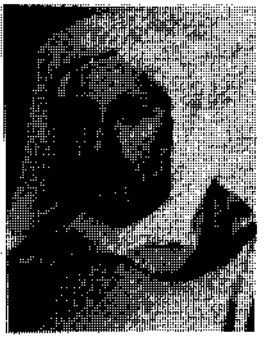

ما كاد عبد السلام العدلوني يأخذ مكانه بين أعضاء اللجنة البلدية حتى أثار انتباه المسؤولين الفرنسيين بتدخلاته الموافقة أحيانا والمعارضة أحيانا أخرى، وكان لا يجد غضاضة في قول كل ما يختلج في نفسه حول قضايا المدينة

حتى ولو كان الأمر يتعارض مع المراقب الفرنسي أو مع رئيس المصالح البلدية أو الباشا. وبقدر ما كان المسؤولون المحليون يتحرجون من مواقف وتدخلات عبد السلام العدلوني بقدر ما كانوا يرون فيه الرجل الذي يمكن الاعتماد عليه لتنفيذ مخططاتهم، ليس فقط داخل صفرو وإنما أيضاً في المناطق المجاورة. ولعل ما يؤكد ماذهبنا إليه أن عبد السلام العدلوني، قد استمر كعضو في اللجنة البلدية في كل دوراتها منذ 1921 إلى غاية نهاية عهد الحماية، باستثناء دورتين أو ثلاث دحضته القرعة وأبعدته عن كرسي العضوية في اللجنة البلدية. نجح عبد السلام العدلوني، منذ أن أضحى عضواً فاعلاً في اللجنة البلدية، بذكائه ودهائه في نسج علاقات واسعة مع كبار المسؤولين الفرنسيين من مستوى المقيم العام فمادونه، فكانت موائده وصلاته السَّنية تفتح له أبواب مكاتب الإقامة العامة بالرباط، وتقطع ألسنة الانتقاد على المستوى المحلي، وهكذا أصبح يتمتع بتأثير كبير على مختلف أعضاء اللجنة البلدية، فاكتسب نفوذاً قوياً، فكلمته مسموعة وشفاعته لا ترد، ولا يرفض له اقتراح. ونستشف مما يروى عنه شفويا، أنه كان قد بلغ مبلغا من النفوذ عند سلطة الإقامة، أضحى معه يعترض على تعيين بعض المراقبين الفرنسيين على رأس دائرة صفرو.

وبعدما انفض النزاع بين رئيس المصالح البلدية سنة 1930 رولان مارشال (Roland Marchal) والباشا العموري عن عزل هذا الأخير، كان عبد السلام العدلوني ثالث ثلاثة، رشحوا لباشوية المدينة (*Naissance et développement*).

واعترافا من فرنسا بالدور الكبير الذي بات عبد السلام العدلوني يقوم به ليس بمدينة صفرو فحسب، وإنما في كل ناحية فاس قلدته بعض الأوسمة منها الوسام العلوي من درجة فارس سنة 1944 ووسام جوقة الشرف سنة 1953، وقد انتخب ممثلاً للغرفة الفلاحية بجهة فاس وصفرو في القسم المغربي لمجلس الشورى الذي أقامته سلطة الحماية سنة 1954 في محاولة لتجاوز مطالب الحركة الوطنية التي كانت تلح على إشراك المغاربة في تدبير أمور بلادهم (*جريدة السعادة*، ع 9244 ـ 12 / 1954). وبعد الاستقلال تمكن عبد السلام بن العربي العدلوني من الخروج سالماً من العواصف السياسية التي واجهت أمثاله بعد نهاية عهد الحماية بل إنه نجح في استرجاع موقعه جزئياً في الحياة العامة بصفرو، حيث تم انتخابه عضواً ممثلا للغرفة الفلاحية بالبرلمان المغربي سنة 1962. وقد توفي عبد السلام بن العربي العدلوني بعد مسيرة اجتماعية وسياسية حافلة يوم 17 نونبر سنة 1972.

ع. إبراهيم، *الإعلام* ؛ ع. السلام بن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*؛ م. المنوني، *تاريخ الوراقة المغربية* ؛ م. الزهوني، *تهيئة وتدبير المجال الحضري بالمغرب على عهد الحماية*، حالة مدينة صفرو، فاس، 2001 ؛ م. بخلف، *تطور أدوات السياسة المحلية بصفرو أواخر ق 19 ـ 1956*، د. د. ع. الرباط، 1986 ؛ *جريدة السعادة*، العدد، 9244، دجنبر، 1954 ؛ مجموعة وثائق العدلونيين بحوزة الأستاذ الوالي العدلوني ؛ *رواية شفوية*.

Chafai El Alaoui El Hassane, *Naissance et développement d'une municipalite marocaine sous le protectorat français, Sefrou (1912 - 1956)*, D.E.S., Paris, 1983.

أحمد البوريدي

العدلوني، عبد السلام بن محمد تذهب الرواية الشفوية الرائجة بين العدلونيين بصفرو أنه من ذرية عمر بن علي عدلون. كانت ولادته بصفرو في زمن غير معروف من القرن (19 م)، وقد تكون في بداية النصف الثاني من نفس القرن. وإذا كنا لا نعرف شيئا عن مراحل تكوينه، فإنه قد يكون أخذ مبادئ القراءة والكتابة على يد بني قومه بمساجد صفرو، ثم رحل إلى فاس فانخرط في سلك المتعلمين بجامع القرويين فأخذ من العلم والفقه ما أهله ليفوز بسمة الفقيه بين أهل صفرو.

كانت أسرة عبد السلام بن محمد العدلوني في نهاية القرن (19 م) ومطلع القرن (20 م)، تتمتع بوضعية اجتماعية واقتصادية متميزة لما تملكه من عقار داخل صفرو، وأراض شاسعة في مزارع المدينة والضواحي، ناهيك عما تتمتع به من جاه وسلطة، فقد كان العربي العدلوني ابن عم عبد السلام العدلوني خليفة مخزنياً إلى جانب القائد عمر اليوسي. ورغم أننا لا نعلم شيئاً عن نشاط عبد السلام العدلوني بعد عودته من رحلته العلمية بفاس، فإننا نعتقد أنه كان يشتغل بممارسة العدالة والتدريس ولو على نطاق محدود.

ويستشف من ظهير سلطاني على عهد مولاي عبد الحفيظ بتاريخ 19 جمادى الثانية عام 1326 / يوليوز 1908، أن الفقيه عبد السلام بن محمد العدلوني كان يمارس القضاء قبل الانقلاب الحفيظي على مولاي عبد العزيز، فقد جاء في هذا الظهير ما يلي "يعلم من كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره أننا أقررنا ما سكه الفقيه القاضي السيد عبد السلام العدلوني على التكليف بخطة القضاء بصفرو، وأبقيناه مكلفا بذلك كما كان قبل ... ونأمر عامل صفرو بشد عضده على خطته والسلام، صدر به أمرنا الشريف في 19 جمادى الثانية عام 1326" ويظهر أن ثورات القبائل التي عرفتها صفرو والأطلس المتوسط ما بين 1908 و1912، قد أرغمت عبد السلام العدلوني على التخلي عن القضاء حيث لزم بيته إلى أن تنفرج الأزمة.

ولما طما عباب سلطة الحماية على صفرو، عملت فرنسا على تغيير الأساليب التقليدية لتدبير شؤون السكان، باستحداث اللجنة البلدية المحلية، وتتشكل هذه اللجنة من الأعيان الممثلين لأحياء المدينة، وقد شكلت أول لجنة سنة 1913، فكان أن اقترحت على المخزن الشريف وسلطة الحماية إعادة الفقيه عبد السلام بن محمد العدلوني إلى منصب القضاء. وقد قوبل الاقتراح بتزكية الباشا محمد بن علال العموري، وهكذا توصل بظهير تعيينه من جديد قاضيا

لصفرو ونواحيها ابتداء من شهر رجب الفرد 1332 / مارس 1913. وقد ظل يهذا المنصب إلى سنة 1922 حيث تخلى عنه لصالح ابنه محمد الوالي عبد السلام (*Naissance d'une municipalité*, 448).

توفي عبد السلام العدلوني فيما يبدو بصفرو قبل سنة 1930.

العدلوني، عبد القادر بن **عبد الرحمان**. نجهل كل شيء عن ميلاده ونشأته العلمية، ولا شك أنه تلقى تعليمه الأولي على يد بني قومه بصفرو، ثم التحق بجامع القرويين، وبعد عودته إلى صفرو، ظل يعيش وراء أخيه عبد السلام، وكل ما نعرف له من نشاط علمي هو نسخه للكتب. وقد حلاه أخوه عبد السلام بالعالم الناسك (*الوراقة*، 120) ونستشف من هذه الإشارة أن عبد القادر العدلوني من أهل القرن الثاني عشر الهجري (18 م).

أحمد البوزيدي

العدلوني، علي (مولاي -) بن **محمد** فقيه، نوازلي، مفتي. تنسب الأسرة العدلونية إلى الجد الأعلى (على عدلون) الصفريوي، انتقل جده الثالث من صفرو إلى دمنات وبها كون الأسرة العدلونية.

ولد المترجم له بدمنات يوم 28 رجب عام 1280 / 1863. قرأ القرآن الكريم على والده، وعلى بعض المقرئين، ثم بالروايات الرسم والتجويد عن الشيخ الهاشمي بن عبد الكريم الفيلالي إلى جانب بعض المتون. ثم تفرغ لدراسة العلوم اللغوية والدينية، فدرس على :

- والده المرشد المعين، والرسالة، والشيخ خليل، ثم على العلامة محمد بن حسو كرداس، والشيخ علي بن سليمان الدمناتي. ثم رحل إلى مدينة مراكش فدرس على : العلامة محمد أزنيط، والعلامة سعيد جيمي. ثم رحل إلى مدينة فاس عام 1300 / 1882 فدرس على يد :

العلامة محمد بن المدني كنون، والعلامة أحمد بلخياط، والعلامة المهدي الوزاني، والشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني، وغيرهم.

وعندما رجع إلى مسقط رأسه اقترح عليه شيخه كرداس أن يتولى العدالة رغم صغر سنه، وجعله يتلقى الشهادات مع والده. ولما توفي والده عام 1306 / 1888 أسندت إليه مناصب والده : من وعظ، وتدريس، وخطبة جمعة بالجامع العتيق بدمنات.

وفي سنة 1314 / 1896 انتقل إلى مراكش، وتولى العدالة والإفتاء. وفي سنة 1321 / 1903 رافق الشيخ عبد الكبير الكتاني في رحلته إلى الديار المقدسة مروراً بفرنسا، وإيطاليا، والإسكندرية، والقاهرة، ومنها إلى الحجاز لأداء مناسك الحج. ثم ذهب مرة ثانية إلى الحج عام 1354 / 1935، وكان له لقاء مع علماء هذه الأقطار التي زارها، وتبادل معهم الإجازات.

عين قاضيا بالمجلس الأعلى للاستيناف عام 1344 / 1925. ثم قاضيا بأحواز مراكش، وقبائل الجيش عام 1348 / 1929 إلى أن أعفي منه سنة 1362 / 1943 لكبر سنه.

توفي في 20 شعبان عام 1366 الموافق 20 يونيو 1947 ودفن بالضريح العباسي. وقد خلف مؤلفات وتقاييد منها :

1) *روض الأنس في اجتماع الإنسان بالروح والنفس*
2) *أوامر القرآن بإصلاح الأرض، وتشييد العمران*
3) *شرح الصلاة الأنموذجية*
4) *شرح نظم السلطان مولاي عبد الحفيظ للشمائل المحمدية للترمذي*
5) *شرح الحكم العطائية*
6) *السيف المسلول على هامة أهل الفضول*
7) *ديوان شعر*
8) *فهرسة شيوخه*
9) *فلسفة الأخلاق* وغيرها

الوارد الحسن في التعريف بأبي الحسن، تأليف ابنه مولاي أحمد العدلوني ؛ جريدة الميثاق لرابطة علماء المغرب، عدد 47، سنة 1964.

أحمد متفكر

العدلوني، محمد بن **عبد القادر** بن عبدالرحمان : كان حياً سنة 1178 / 1764. لا نعرف شيئاً عن ميلاده ونشأته سار على نهج آله في الإقبال على العلم والتصوف، فانتهى به المطاف إلى زاوية عبد الله بن حُسَين الناصري بفطواكة ناحية مراكش، وبهذه الزاوية نسخ بخطه عدداً من الكتب مثل تبصرة الحكام لابن فرحون، وكتاب *في حل ألفاظ الأجرومية بالإضافة إلى نوازل مجهولة* (*تاريخ الوراقة*، 122).

ومن محمد بن عبد القادر العدلوني تفرعت الأسر العدلونية التي كان لها ذكر خلال القرن الثالث عشر الهجري (19 م) بمدينتي دمنات ومراكش.

العدلوني، محمد بن **علي** بن محمد بن عبد القادر، من ذرية علي عدلون الصفريوي، من فرع عبد الرحمان بن علي، ولد بدمنات سنة 1230 / 1814. تلقى مبادئ القراءة والكتابة على يد والده فلما شب عوده، انطلق في رحلة طلب العلم، فانتهى به المطاف إلى مصر، حيث جاور بالأزهر الشريف، فأقبل بهمة عالية على أخذ العلم، وكان عمدته الشيخان عِلّيش والبُولاقي (*الإعلام*، 7 : 66) كان في نية الفقيه العدلوني وهو في مصر، البحث عن شيخ صوفي يقيد الحياة، يأخذ بيده إلى الله ويُنْفحه نفحة تطيب لها نفسه. فكان يكثر من زيارة المشايخ، وبعد ثماني سنوات كان الفقيه العدلوني قد أركاً خلالها على فقه كثير، جاءته البشارة من بعض أهل الكشف الذي أشار عليه بأن طُلبته من الشيخ

الصوفي ستأتيه إلى باب بيته بالمغرب، وهكذا انتقل إلى الحجاز فأدى فريضة الحج ثم يَمَّم أرض الوطن، فنزل بفاس حيث التقى بالشيخ علي التسولي، ومنها انتقل إلى مدينة أسفي فتصدر للتدريس بها مدة، ثم أزعجته الأقدار إلى مدينة مراكش، فأقبل بهمته المعتادة على التدريس وحسه الباطني منشغل بترقب الشيخ الصوفي الذي سيزوره في بيته.

ويذكر العباس بن إبراهيم أن أهل دمنات، جاءوا إلى مراكش فراودوا الفقيه العدلوني بالعودة إلى مسقط رأسه دمنات لنشر العلم بها (*الإعلام*، 7 : 83). وبدمنات تأهل الفقيه العدلوني وأقبل على التدريس بمسجد القصبة الدمناتية، فأحيى الله به ما اندرس من العلم بهذه الجهات.

ساقت الأقدار الشيخ محمد بن العربي المدغري، في إحدى سياحاته إلى دمنات، فأخذ عنه الفقيه العدلوني الورد الدرقاوي، وتحققت له البشارة المصرية، ففسح الله له في صدور الناس، فنال شهرة واسعة بين قبائل دمنات، فطواكة، السراغنة ونتيفة وجل قبائل الأطلس الكبير، فكان يُفتي ويصلح بين الناس وجعل الله له قبولا في قلوب العامة والخاصة.

ومن مؤلفاته المعروفة شرح على منظومة البردة للبصيري، وكتاب عن السنوسية.

توفي العلامة العدلوني بعد حياة حافلة بالتدريس سنة 1306 / 1888. ولا يزال أحفاده بمراكش، وفيهم بعض الفقهاء ومن أشهرهم الفقيه مولاي أحمد العدلوني الذي انتقل إلى الرفيق الأعلى في أواسط 2001. وللعدلونيين المراكشيين مصاهرة إلى اليوم مع بني عمومتهم بصفرو.

العدلوني، محمد الوالي بن عبد السلام بن محمد. وُلد بصفرو حوالي 1298 / 1880. درج في أول مدارج العلم تحت نظر والده القاضي عبد السلام العدلوني، فلما شب رحل إلى فاس لإتمام تعليمه، فالتحق بالقرويين، وجال في ما كان يروج إبانه من علوم فقهية ولغوية، فتخرج فقيهاً مشاركاً، وأديباً يقرض الشعر ويهتزله، نسخ بخطه الجميل عدة قصائد أدبية لاتزال عند حفدته إلى اليوم، ويظهر من بعض تعاليقه أنه سليم الأسلوب نقي العبارة، ولن نبالغ في شيء إذا قلنا إنه آخر فقهاء بني عدلون بصفرو.

تزامن تاريخ عودة محمد الوالي العدلوني من رحلته العلمية إلى صفرو، مع وصول طلائع القوات الفرنسية إلى المدينة واستحداث التنظيمات الجديدة لتدبير شؤون السكان من خلال اللجنة البلدية ابتداء من سنة 1913.

وبالرغم من أن الفقيه محمد الوالي العدلوني، لم يتمكن من الحصول على العضوية في اللجنة البلدية الأولى سنة 1913، فإن وضعه الاجتماعي كفقيه وابن لقاضي المدينة، وعلاقاته الخاصة بمحمد بن علال العموري، باشا صفرو في وقته، قد سمحت له بالحصول على عضوية اللجنة في دورتها الثانية سنة 1917 وقد كان يتمتع بنفوذ كبير داخل اللجنة البلدية. وبعد خمس سنوات من وجوده في اللجنة البلدية، رشح محمد الوالي العدلوني لوظيفة قضاء صفرو ونواحيها خلفا لأبيه الذي عزل سنة 1922 ومما جاء في ظهير التعيين "يعلم من كتابنا هذا أسماه الله وأعزه وجعل في الصالحات طيه ونشره، أننا بحول الله وقوته وشامل ... ومنته ولينا ما سكه الفقيه السيد محمد بن عبد السلام العدلوني خطة القضاء بمدينة صفرو وما يضاف إليها .. فنأمر الواقف عليه من خدامنا وولاة أمرنا أن يعلمه ويعمل بمقتضاه ولا يحيد عن كريم مذهبه ولا يتعداه .. صدر به أمرنا الشريف بالله تعالى في ثامن وعشرين ربيع الثاني عام 1340 / يناير 1922.

وإذا كنا نجهل الأسباب التي جعلت المخزن اليوسفي يعزل الفقيه عبد السلام العدلوني عن القضاء ويولي مكانه ابنه محمد الوالي بن عبد السلام، فإننا نعتقد أن للباشا العموري يدا في هذا التعيين، حيث كان القاضي الجديد لا يتردد في التأشير على رسوم الأملاك العقارية التي أثلها العموري بعد الاستحواذ عليها من أصحابها بأبخس الأثمان. وهكذا أصبح محمد الوالي العدلوني يتمتع بنفوذ واسع بين سكان صفرو والقبائل المجاورة، فأثل أملاكا عريضة وبات يتصرف في ثروات ضخمة جعلت منه واحداً من أغنياء المدينة.

وفي سنة 1923، تخلى محمد الوالي العدلوني عن عضوية اللجنة البلدية لأن القانون يمنع الجمع بين وظيفتين، ومع ذلك فقد ظل يؤثر من وراء ستار في قرارات اللجنة بواسطة صديقه الباشا محمد بن علال العموري. وبعدما قررت سلطة الحماية عزل الباشا العموري سنة 1930، طالت مسطرة العزل أيضا القاضي محمد الوالي العدلوني.

وقد ظل الوالي العدلوني في أخريات أيامه يتنقل بين فاس وصفرو لعلاقاته الوطيدة ببعض العائلات الفاسية، وحسب ما يرويه حفيده فإن كتب ووثائق القاضي العدلوني قد استولى عليها عبد الحي الكتاني، وبضياع هذه الوثائق ضاع الكثير من أخبار فقهاء وقضاة العدلونيين بصفرو.

توفي محمد الوالي العدلوني سنة 1948 ودفن بمقابر أهله بصفرو.

أحمد البوزيدي

عدوتا المغرب والأندلس، العدوة في اللغة المكان المتباعد والمكان المرتفع وشاطئ الوادي. ورد المصطلح في القرآن الكريم (*الأنفال*، 42) "إذ انتم بالعدوة الدنيا وهو بالعدوة القصوى" بمعنى ما يلي المدينة وما يلي مكة.

انتقل مصطلح العدوة إلى بلاد المغرب، عبر الكتاب المشارقة، على الأرجح، فأطلق على ضفتي كل مجال يفصله مجرى مائي. فوجدت في البداية العدوة المغربية

والعدوةالأندلسية، لوجود فاصل مائي بينهما هو البحر المتوسط، الذي عرف في القديم بالبحر الشامي أو بحر الروم أو البحر الأعظم.

وإذا كانت الأندلس لا تطرح مشكلة على هذا المستوى، باعتبارها وحدة جغرافية مستقلة، لذلك سميت بالعدوة الأندلسية، منذ فترة مبكرة من الوجود الإسلامي بها، فإن العدوة المغربية طرحت مشكلة، تتمثل في اختلاف الجغرافيين العرب القدامى حول امتداداتها الجغرافية، بين قائلين بضم العدوة المغربية للمغربين الأوسط والأقصى مع استثناء إفريقية (المغرب الأدنى)، وبين قائلين بكون العدوة المغربية شاملة للوحدات الجغرافية الثلاث.

وتكرس مفهوم العدوتين المغربية والأندلسية، بظهور ما يعرف "بالمنافرات" أو "المفاخرات" بينهما، التي لم تبدأ فعليا إلا في عهد الموحدين، وإن كان الفخر بالأعلام في نطاق المفاضلة بين العدوتين قد بدأ منذ العهد المرابطي حين أصبحت الأندلس تابعة للمغرب.

وهكذا فإن أولى المفاخرات المدونة التي وصلتنا هي تلك التي جرت بين أبي الوليد الشقندي وأبي يحيى ابن المعلم الطنجي، التي تعود إلى العهد الموحدي. وظهرت في العصر المريني مراشقات قلمية بين مغاربة وأندلسيين، مثل "طرفة الظريف في أهل الجزيرة وطريف" و"مفاخر البربر" و"المفاخرة بين مالقة وسلا" لابن الخطيب.

واقتبس مصطلح العدوة من الدلالة على مجالين جغرافيين كبيرين هما المغرب والأندلس، إلى الدلالة على مجالين أصغر منها. فأطلق على سلا والرباط، بعد شيوع عبارة "مدينة سلا وعدوتها شالة"، ثم تطور الاستعمال إلى أن ضاق فأصبح يهم شطري المدينة الواحدة التي يفصل بينهما نهر، مثل مدينة فاس ذات العدوتين : الأندلسيين والقرويين. بل إن الأمر طال جهات أخرى في بلاد المغرب، مثل بلاد درعة، فقد تحدث ابن الزيات التادلي (*التشوف*، 410) عن عدوتي درعة باعتبارها ضفتين لوادي درعة.

عدوتا سلا والرباط :

أشهر مدينتين عرفتا في المغرب بالعدوتين، أسست عدوة سلا (أو العدوة الشمالية) في زمن قديم، يرجع أنه العهد الروماني، أما عدوة الرباط (أو العدوة الجنوبية) فقد ظهرت في العهد الموحدي، ودعيت في البداية برباط الفتح.

ومهما اختلف زمان تأسيس العدوتين سلا والرباط، واختلاف الهدف من وجود كل واحدة منهما، فقد جمع بينهما وادي أبي رقراق (الذي عرف في المصادر القديمة بعدة أسماء، مثل وادي سلا ووادي وانسيفن ووادي اسمير ووادي الرمان ...)، ومن هنا جاءت تسمية كل واحد منهما بالعدوة. ورغم اختلاف تطور المدينتين، فقد تدهورت الرباط بعد الموحدين، ونشطت الحياة التجارية في سلا، فإن العلاقة بين العدوتين ظلت قائمة عبر العصور، وسهل هذا الارتباط وجود جسر - يعود إلى العهد الموحدي - بني من ألواح وحجارة يعبر عليها الناس عند الجزر، ويستعملون القوارب عند المد. غير أن ذلك استدعى بناء قنطرة خشبية ضخمة وصلبة، لا يؤثر فيها عبور العساكر والمسافرين، بحيث يمكن رفعها عند المد، مما عزز وحدة الحاضرتين وسهل عملية التبادل بين الشمال والجنوب.

عدوتا الأندلسيين والقرويين :

يرجع تاريخ تأسيس العدوتين إلى الفترة الإدريسية، فقد أسست عدوة الأندلسيين في ربيع الأول من سنة 192 / يناير 808، وعدوة القرويين في مستهل ربيع الأول من سنة 193 / دجنبر 808، وذلك حسب معظم الروايات التاريخية القديمة.

ابتدأ تعمير عدوة الأندلسيين منذ تأسيسها، فقد سورها إدريس الثاني وفتح بها أبوابا، منها باب القبلة وباب الفوارة وباب المخفية وباب الشيبوبة وباب أبي سفيان وباب الكنيسة (باب الخوخة حاليا)، كما بنى بها جامعا للخطبة هو جامع الأشياخ (جامع الأنوار حاليا). أما تعمير عدوة القرويين فقد بدأ أيضاً مع تأسيسها، فقد سورها إدريس الثاني وفتح بها أبوابا مثل باب إفريقية وباب القوس وباب الفصيل (باب النقبة) وباب الفرج (باب السلسلة) وباب الحديد وباب القلعة، وبنى بها جامعا للخطبة هو مسجد الشرفاء.

وأنزل إدريس الثاني الوافدين عليه من الأندلس - الربضيون - بالعدوة الشرقية فسميت عدوة الأندلسيين، وأنزل الوافدين عليه من القيروان بالعدوة الغربية فسميت عدوة القرويين.

يفصل بين العدوتين وادي بوخراريب، الذي أنشئت عليه قناطر تربط بينهما، ويلتقي هذا الوادي بوادي مبو على بعد أربعة كيلو مترات إلى الشرق منها.

ومنذ تأسيس العدوتين استقطبتا القبائل والأسر فاستقروا بهما. وشاع في الأدبيات التاريخية منافرات بين العدوتين، مصدرها الاحتكاك اليومي بين أهليهما، ونموذج ذلك المقارنة التي يقيمها الكتاب بينهما، سواء من حيث نوعية بعض المغروسات التي تجود بها تربتهما، أو غزارة المياه أو العادات أو الشجاعة أو الجمال.

وخلال حكم مغراوة لمدينة فاس، وبالضبط أيام دوناس بن حمامة أصبحت العدوتان مدينة واحدة، حيث أدار بهما وبأراضيهما الأسوار، غير أن فترة حكم ابنيه الفتوح وعجيسة أعادت الفصل الذي كان قائما من قبل بينهما، فقد اختص الأول بعدوة الأندلسيين واختص الثاني بعدوة القرويين. ونشأت عداوة بين الأخوين، تطورت إلى مواجهات، لم يجعل حدا لها سوى وصول المرابطين، الذين قاموا بهدم بعض الأسوار الفاصلة بين العدوتين، وتم ترميم قناطر قديمة وإحداث أخرى جديدة، تربط بينهما، مثل قنطرة أبي طوبة وقنطرة أبي برقوقة وقنطرة باب السلسلة وقنطرة الصباغين وقنطرة كهف الوقادين وقنطرة الرملية.

وهكذا تحولت العدوتان مرة أخرى إلى مدينة واحدة، مع الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين وابنه علي. وتأكدت هذه

الوحدة مع دخول الموحدين مدينة فاس، حيث أمر الخليفة عبد المومن بن علي الكومي بهدم ما بقي قائما من أسوار بين العدوتين، وقال قولته الشهيرة : "إنا لا نحتاج إلى سور، إنما أسوارنا سيوفنا وعدلنا". (جني زهرة *الآس*، 42 . 43).

القرآن الكريم. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، *كتاب البلدان*، 1988 ؛ قدامة بن جعفر البغدادي، *نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة*، 1988 ؛ ابن الفقيه، أبو بكر الهمذاني، *مختصر كتاب البلدان*، 1988 ؛ ابن القوطية القرطبي، *تاريخ افتتاح الأندلس*، 1957 ؛ المقدسي البشاري، محمد بن أحمد بن البناء، *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم*، 1987 ؛ ابن الزيات التادلي، *التشوف إلى رجال التصوف*، 1984 ؛ عبد الواحد المراكشي، *المعجب في تلخيص أخبار المغرب*، 1978 ؛ أحمد القلقشندي، *صبح الأعشى في صناعة الإنشا*، ج 5، د. ت ؛ ابن منظور، *لسان العرب*، م 4، 1997 ؛ محمد ابن شريفة، *من منافرات العدوتين*، 1977 ؛ ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي، *صورة الأرض*، 1979 ؛ الشريف الادريسي، *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق*، ج 1، د. ت ؛ مؤلف مجهول، *الاستبصار في عجائب الأمصار*، 1985 ؛ عبد الواحد المراكشي، *المعجب في تلخيص أخبار المغرب*، 1978 ؛ أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل، *تقويم البلدان*، د. ت ؛ محمد بن عبد المنعم الحميري، *الروض المعطار في خبر الأقطار*، 1975 ؛ أحمد القلقشندي، *صبح الأعشى في صناعة الإنشا*، ج 5، د. ت ؛ الحسن بن محمد الوزان الفاسي، *وصف إفريقيا*، ج 1، 1983 ؛ محمد بن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، تاريخ العدوتين، 1986 ؛ عبد العزيز بن عبد الله، *سلا أولى حاضرتي أبي رقراق*، 1989 ؛ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح، *كتاب البلدان*، 1988 ؛ أبو عبيد البكري، *المسالك والممالك*، ج 2، 1992 ؛ مؤلف مجهول، *الاستبصار في عجائب الأمصار*، 1985 ؛ ابن سعيد المغربي، أبو الحسن علي، *كتاب الجغرافيا*، 1970 ؛ ابن أبي زرع الفاسي، *الأنيس المطرب بروض القرطاس*، 1973 ؛ علي الجزنائي، *جنى زهر الآس في بناء مدينة فاس*، 1991 ؛ أحمد القلقشندي، *صبح الأعشى في صناعة الإنشا*، ج 5، د. ت ؛ الحسن بن محمد الوزان الفاسي، *وصف افريقيا*، ج 1، 1983 ؛ إ. ليفي بروفنسال، *الإسلام في المغرب والأندلس*، مقال بعنوان : تأسيس مدينة فاس، 1956 ؛ روجي لوطورنو، *فاس قبل الحماية*، ج 1، 1992.

عبد الإله بلمليح

العدول في الاصطلاح المغربي هم الموثقون المنتصبون لتلقي الشهادات وتوثيق العقود في المعاملات المختلفة. ويعرفون في الاصطلاح الأندلسي بكتاب الشروط. وتستند خطة العدالة على مقتضى الآية الكريمة التي أمرت بتقييد الدين بين الناس "وليكتب بينكم كاتب بالعدل" (*البقرة*، آية 281)، والإشهاد في قوله تعالى "واستشهدوا شهيدين من رجالكم" (*البقرة*، آية 281)، وقوله تعالى "وأشهدوا ذوي عدل منكم" (*الطلاق*، آية 2) وفي آيات وأحاديث أخرى.

لقد أدى استخدام الكتابة في الإشهاد والتوثيق بالمغرب الإسلامي إلى ظهور فئة الموثقين أو العدول أو كتاب الشروط أو الشهود المؤهلين، ثم ظهر علم الشروط أو علم الوثائق. وقد ازدهرت صياغة الوثائق القانونية بكل من الأندلس والمغرب على خلاف المشرق الذي لم تعرف فيه نفس المسار، ويعتبر التراث المغربي الأندلسي غنيا في هذا المجال بعدد المؤلفات التي وضعت فيه. وظلت كتب الشروط أو العقود بمثابة مراجع قانونية لصياغة الوثائق في ضوئها. وأقدم النماذج الأصلية التي وصلتنا هي وثائق أندلسية، أما النماذج المغربية فقد وصلتنا منقولة في بطون الكتب. ولاحتواء الأعراف والممارسات المحلية وإدماجها في الفقه المالكي عن طريق الوثائق ظهرت بعض النماذج التوثيقية مثل شهادة اللفيف.

اعتبر ابن خلدون في *المقدمة* العدالة من الخطط الشرعية وجعلها بعد القضاء، وهي من الخطط الضرورية والخطيرة في نفس الوقت في المجتمع الإسلامي نظراً لما يترتب عليها من نتائج قانونية تخص أوضاع الأشخاص ومعاملاتهم المختلفة، لذلك كان القاضي على مدى تاريخ المغرب هو صاحب الصلاحية في توثيق العدول أو منعهم من الجلوس للشهادة، استناداً على معيارين أساسين هما الأهلية العلمية والسمعة الأخلاقية. وفي المدن المغربية الكبرى كان يخصص لهم مكان تصطف فيه حوانيتهم يعرف بسماط العدول، غالباً ما يقع بالقرب من دار القاضي. ومن خلال تراجم العديد من العدول الذين احتفظت بها كتب التراجم نلاحظ أنه كان من بينهم علماء كبار وفقهاء مشهورون، خاصة خلال العصرين المرابطي والموحدي.

وفي العصر المريني كتب ابن الخطيب رسالة سماها مثلى *الطريقة في ذم الوثيقة* نبه فيها إلى الأزمة التي أخذت هذه الخطة تشهدها، ووصف ما وصلت إليه العدالة على يد بعضهم من انحطاط لتصدر كثير ممن ليسوا أهلا للشهادة، لذلك تندر ببعض عدول عصره، وأورد نماذج من ضعفهم في الإنشاء وتعابيرهم المضحكة، واعتبر أن من عيوب هذه المهنة تعريض صاحبها للاحتكاك بالعامة في قضاياهم وخصوماتهم بينما هو داخل في عداد العلماء والفقهاء. ومما يدل على أن بعض العدول لم يكونوا من ذوي الكفاءة الفقهية، إثباتهم لشروط غير شرعية، فكان القضاة يرفضونها إذ نشبت بشأنها خصومات، لكن على العموم فإن العدالة استمرت إلى جانب القضاء في القيام بدورها الفقهي والتوثيقي وظل العدول في المجتمع المغربي من بين الشخصيات التي تحظى بالاحترام والتوقير.

ولضبط الوثائق والرسوم المختلفة كان العدول يضعون عليها أسماءهم إلى جانب اسم القاضي الذي أجاز الوثيقة ؛ ثم ظهرت الحاجة فيما بعد إلى وضع توقيعات معقدة يصعب تقليدها عرفت لدى المغاربة باسم "البخوشة"، وقد أصبح من الصعب جداً قراءتها إلا من طرف خبير مختص، وكان كل عدل يختص ببخوشته، ومع ذلك فقد كان بعض العدول غير الأمناء يقلدون توقيعات غيرهم ويزورون وثائق بأسمائهم. وهذا التوقيع المعقد هو تقليد لتوقيع السلاطين السعديين الذي استوحى الطغراء العثمانية لكن بشيء من الأصالة والخصوصية المغربية.

العدول في عهد الحماية : تم في عهد الحماية دمج

العدول في نظام قانوني جديد وضعته فرنسا، فأدمج قانون العقود لسنة 1913 في قانون الالتزامات والعقود، وأصبحت المادة 418 منه تنص على قبول الوثائق المحررة من قبل العدول طبقاً للإجراء القديم القائم على إجازة القاضي للوثيقة كسند قانوني. وفي سنة 1925 أدخل نظام الموثق العمومي Notaire publique الفرنسي ليأخذ محله إلى جانب العدول كما عرفوا في تاريخ المغرب.

من الإجراءات الجديدة التي لجأت إليها وزارة العدل في عهد الحماية فرض استخدام الورق المدموغ في الكتابات العدلية. كما دخل الرقن إلى عالم العدول وبدأ التخلي عن تحرير العقود بخط اليد كما كان سابقا.

استحدث نظام الحماية سلسلة من القوانين جعلت استخدام السجلات فيما يحرره العدول من وثائق أمراً إجبارياً، وتم توحيد مواصفات هذه السجلات بحيث تتكون من دفاتر تقسم صفحاتها إلى أعمدة مطبوعة يقوم العدول بملء البيانات المطلوبة في خاناتها، وكانت محتويات هذه السجلات تنقل في سجل كبير بمحكمة التوثيق، ثم يحرر العدل نسخة العقد التي يقوم القاضي باستقلالها. فأصبحت مراقبة الدولة لعمل العدول أمراً سهلاً.

وعلى ضوء هذه الإجراءات أصبحت العقود هي الأخرى منمطة من ناحية بعض الشكليات على الأقل، فبجانب الاستخدام الإلزامي للورق المدموغ، ظهرت في هوامش الوثائق الأرقام الدالة على تقييدها في السجلات، وفي بعض الحالات أختام تشير إلى تسجيل إضافي يفيد نقل ملكية عقارية، كما أن القضاة أصبحوا يوقعون على العقود إضافة إلى وضع أختام المحكمة.

ومع مرور الزمن أصبح تعيين العدول من صلاحيات وزارة العدل، وليس القضاة المحليين كما كان آنفا.

العدول في عهد الاستقلال : استمر العمل خلال مرحلة الاستقلال بما كان قبلها من التقاليد المغربية في كيفية صياغة العقود والأساليب المستعملة مراعاة المذهب المالكي والعمل الجاري، وبما ورثته العدالة عن عهد الحماية من المستحدثات الشكلية. كما نصت مدونة الأحوال الشخصية لسنة 1957 على ضرورة الشاهدين العدلين في بعض المعاملات كالزواج طبقاً للمذهب المالكي، وغير ذلك.

تخضع خطة العدالة لمراقبة وزارة العدل مباشرة، ويشرف عليها قاضي التوثيق بكل مدينة ؛ وقد تم تنظيمها بمجموعة من النصوص القانونية أهمها القانون المنظم لخطة العدالة رقم 11.81، الذي أصبح تعاطي هذه المهنة الحرة بموجبه خاضعاً لمقاييس مضبوطة تعتمد على المؤهل العلمي والخبرة المطلوبة في المجال الفقهي، مع تحديد معايير مباراة ولوج المهنة والتداريب المطلوبة للترسيم فيها. كما أن هناك مسطرة محددة ودقيقة لتسجيل العقود بدفاتر العدول (دفتر الجيب) أو بسجل محكمة التوثيق تحت نظر القاضي، حتى تكون العقود التي تسلم لأصحابها مستوفية لجميع الشروط القانونية. وبما أن أجرة تحرير العقود تقع على كاهل صاحب العقد فإن القانون حدد الأجور التي يتقاضاها العدول عن تحرير كل نوع من الرسوم العدلية. كما نص على العقوبات التي يواجهها المخلون بأخلاقيات المهنة.

وتم في السنوات الأخيرة نقل نظام التوثيق الشرعي إلى الخارج لتقريبه من المهاجرين المغاربة، فألحق بعدد من القنصليات المغربية بالدول الأوربية قضاة شرعيون إلى جانب عدول يسهرون على إجراء المعاملات وفقاً للشريعة الإسلامية، وكانت هذه الخطوة إيجابية باعتبارها الأولى من نوعها التي تقوم بها دولة إسلامية.

وقد أدى الدمج التدريجي لنظام العدول في التنظيم القانوني بالمغرب إلى تغيرات هامة في الوضع القانوني للعدول في ظروف أدائهم لمهامهم. ومن ذلك تزايد الإشراف والتنظيم القانوني من قبل الدولة، وهو ما أدى إلى أن تصبح إشهادات العدول في المجال العقاري أساساً قانونياً لفرض الضرائب، كما أن للرسوم العدلية قيمة قانونية كاملة في المعاملات التي تمس عدداً من المصالح العمومية كقطاع التحفيظ العقاري ومصلحة التسجيل والتنبر ومختلف أنواع المحاكم.

أبو إسحاق الغرناطي (ت. 579 / 1183)، *الوثائق المختصرة*، الرباط، مركز إحياء التراث المغربي، 1988 ؛ ع. بن يحيى الجزيري، *المقصد المحمود في تلخيص العقود*، دراسة وتحقيق أونشيون فريرس، مدريد، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، 1988 ؛ ابن فتوح، *وثائق المرابطين والموحدين*، طبع منسوباً لعبد الواحد المراكشي، بعناية حسين مؤنس، القاهرة ؛ ابن الخطيب، *مثلى الطريقة في ذم الوثيقة*، تح. عبد المجيد تركي، ضمن كتابه قضايا ثقافية من تاريخ الغرب الإسلامي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1988، ص. 249 ـ 287 ؛ الجريدة الرسمية، عدد 3678، 27 أبريل، 1983.

محمد المغراوي

عْدَيّل، بيت فاسي أصله من الأندلس، واشتهر ذكر أفراده في المصادر المغربية "بأولاد عديل". وكان هذا البيت من بيوتات التجارة والثروة في فاس في القرن الثاني عشر (18 م). كما كان "أولاد عديّل" من أعيان المدينة ووجهائها. ولعل فخامة الدار التي تنسب إليهم في فاس، والمعروفة "بدار عديّل"، خير دليل على أهمية الثراء والجاه الذي كانوا يتمتعون به.

ونذكر من بين شخصيات أسرة عديّل الأولى التي تحدثت عنها المصادر، محمد عدّيل. وكان محمد هذا من أعيان التجار بفاس، وقد خصه المولى إسماعيل بمكانة متميزة حيث جعله أمينا وأسند إليه مهمة الإشراف على بيت المال والتصرف في المراسي، ثم ولاّه بعد ذلك إمارة ركب الحج الفاسي. وقد خرج مرة أو مرتين على رأس الركب، ثم تولى بدله أبناؤه وأبناء أخيه وهم : عبد العزيز، والخياط، وعبد القادر، والشاوي ثم عبد الخالق.

وتداول أولاد عديّل لمدة طويلة أمانة بيت المال بفاس، وإمارة ركب الحج لمدة تزيد عن الأربعين سنة، لم يترأس خلالها الركب أحد من خارج بيتهم سوى من أنابوه عنهم. كما أسندت، كذلك، للبعض منهم مهام مخزنية مختلفة كالسفارة، وقيادة فاس.

وورد في *زهر الآس* أن بيت عديّل استمر وجوده بفاس إلى القرن الثالث عشر (19 م). لكن مع ذلك تجب الإشارة إلى أن وضعه المادي والاجتماعي قد تدهور منذ العقود الثلاثة الأخيرة من القرن الثامن عشر الميلادي، حيث تمت مصادرة أموال أفراده ودارهم لفائدة المخزن. ومن الإشارات التاريخية التي تعبر عن ذلك ما جاء في *سلوة الأنفاس* بخصوص أحد أولياء فاس : "...ومن كراماته أنه نادى مرة على أولاد عديّل وهم في صولتهم من الدنيا والجاه وإمارة الحج فكان يقول : يا عديّل ! تُقطع الحُبيّل، وطاح الحُميّل ومشى السُويّل ! فوقع لأولاد عديّل ما قال".

م. الشرقي، *رحلة الإسحاقي*، م. خ. ح. رقم 11869، الرباط، ص. 28، 29 ؛ ع. الكبير الكتاني، *زهر الآس*، الدار البيضاء ؛ م. بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس*، فاس، 1316، ج. 3، ص. 113.

عْديّل، الطيب بن الخياط بن محمد، كان حيا سنة 1162 / 1749، تذكره المصادر المغربية تحت اسم "الطيب عديّل" و"الخياط عديّل" ـ وهو اسم ولقب والده المتوفى سنة 1141 / 1728، ثم "عديّل" فقط. كما تفعل مع أعلام آخرين من نفس البيت. وتشير إليه الوثائق المصرية باسم "الطيب بن المرحوم الخياط عديّل".

ينتمي الطيب بن الخياط عديّل إلى بيت عديّل الفاسي الأندلسي الأصل، وهو ابن أخ عبد الخالق عديّل أمير ركب الحج المعروف. والطيب هذا اشتهر كذلك كأحد أعيان المدينة وأثريائها.

ويجب التنبيه إلى أنه كثيرا ما يقع الخلط بين صاحب الترجمة ـ الذي أسلفنا القول أن المصادر تذكره، كذلك، بالخياط عديّل ـ وولده عبد الله الخياط الذي تشير إليه نفس المصادر في سياق الأحداث الواقعة في عهد سيدي محمد بن عبد الله بنفس الاسم، أي "الخياط عديّل". وقد أدى هذا إلى الخلط بينهما، فتنسب المعلومات الخاصة بالإبن للأب. وقد انفرد *زهر الآس* من بين هذه المصادر بإيراد الأسماء الشخصية لكليهما مقرونة بذكر اسم الوالد واللقب، غير أنه لم يورد الاسم الشخصي الكامل للابن مكتفيا "بالخياط" بدل "عبد الله الخياط".

ومما يزيد من صعوبة التمييز بين هذين العلمين، كون المعطيات المقتضبة التي جاءت في المصادر لا تسعف في تتبع حياتهما بما يكفي من الوضوح. كما أن مزاولتهما لنفس المهام، وتعني بذلك أمانة بيت المال بفاس وإمارة ركب الحج، جعلت الإشارات القليلة المتعلقة بهما تتشابه.

إن كل ما يعرف عن صاحب الترجمة أنه تداول إمارة ركب الحج مع شخصيات تنتمي لنفس البيت. ومعلوم أن هذا المنصب كان من المناصب البالغة الأهمية، ولم يكن يرشح له، في الغالب، في القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر الميلادي سوى أصحاب الجاه والثروة. كما كانت مشيخة ركب الحج ـ في حد ذاتها ـ مصدرا للاغتناء واكتساب المزيد من الثروة والجاه.

وتفيد المعطيات المتوفرة أن الطيب عديّل خرج على رأس الركب مرات عديدة نذكر منها سنوات 1146 ـ 1147 / 1733 ـ 1734، و1148 ـ 1149 / 1735 ـ 1736، ثم 1151 ـ 1152 / 1738 ـ 1739 . ويمكن القول، بناء على رئاسته المتكررة للحجاج، أنه كان يتوفر، إلى جانب الثروة، على مؤهلات خولته الاستمرار في قيادة الوفد الحجي، كالمهارة والخبرة في التسيير، ودماثة الأخلاق، إذ غالبا ما كان يعزل عن إمارة الركب كل من كان يسيء معاملة الحجاج، أو يطمع في أموالهم وفي تركات المتوفين منهم.

ومما يعرف عنه كذلك، أن أسندت إليه أمانة بيت المال بفاس بعد وفاة عمه عبد الخالق عديّل (ت. 1158 / 1745. وقد ألزمه المولى عبد الله بدفع مائتي مثقال كل شهر من المال الذي كان مؤمنا عند عمه. ففر بسبب ذلك إلى المشرق في رجب من سنة 1162 / ماي 1749. لكن المصادر لا تسعفنا، بعد هذا التاريخ، في تتبع حياته.

إلا أنه، واستنادا إلى متابعة سيدي محمد عام 1174 / 1760 لأبنائه في المال الذي كان مؤمنا عنده، يبقى أمامنا احتمالان إما أنه رجع إلى المغرب وتوفي قبل هذه السنة، وإما أنه استقر بصفة دائمة بالبلد الذي فر إليه في سنة 1162 / 1749.

سجل رقم 138، أرشيف محكمة قسمة عسكرية، دار الوثائق، القاهرة ؛ سجل رقم 148، أرشيف محكمة قسمة عسكرية، القاهرة ؛ المنزلاوي، *التقاييد التاريخية*، مخطوط مكتبة بودليان، رقم س. 79، أكسفورد ؛ القادري، *نشر الثاني*، الرباط، 1976 ـ 1986، ج. 3 ؛ ع. الكريم الكتاني، *زهر الآس*، الدار البيضاء، 2002، ج. 2.

نزهة عقيلي

عْديّلْ، عبد الخالق الفاسي الذي تنسب إليه دار عديل بفاس، ناسك (18م)، كان شيخ الركب الحجازي بفاس في منتصف القرن الثاني عشر ويأتي ذكر اعديل هذا في سياق الأحداث التي عرفتها مدينة فاس أثناء النزاع الذي كان قائما بين السلطان محمد بن إسماعيل المعروف بابن عربية وأخيه المولى عبد الله عام 1150، فقد كان من بين الذين قبض عليهم أعوان ابن عربية وصادروا جميع أمواله.

وسيعودُ اعديل إلى سطح الأحداث عام 1154 عندما ولاّه السلطان المولى عبد الله عاملاً على فاس، وقد كانت له عند السلطان حظوة ومكانة، فلما قضى على عامل طنجة أحمد بن علي الريفي كلفه في جماعة من تجار فاس بحيازة ممتلكاته، وكان ذلك عام 1156.

وفي عام 1158 انتهى إلى علم المولى عبد الله نبأ تصرف عـدّيل في قدر لا يستهان من مال الريفي المودع لديه، فأحضره وأخذ عليه ميثاقا بإرجاع ما أخذ تحت ضمانة بعض أعيان فاس.

وتوفي بفاس يوم 23 أو 27 من ذي القعدة عام 1158، ودفن بزاوية سيدى عبد القادر الفاسي.

تقع دار اعديل في زقاق لبغل بعدوة القرويين. وتحتوي على صحن تتوسطه نافورة ماء، تقابلها في إحدى الزوايا سقاية حائطية، وتقوم في زواياه الأخرى قاعات فسيحة ذات أبواب ضخمة نقش على واجهة إحداها هذا البيت الشعري :

انظر إلى سري فلا تلقى له مثـــل وكيف لا ونشأتي بلوغ الأمـــل

احتضنت هذه المعلمة في بداية عهد الحماية دار السكة، ثم توالت عليها وظائف أخرى، فأصبحت متحفا للفنون الشعبية، ثم مدرسة للبنات، وانتهى بها المطاف إلى احتضان تعليم "الآلة الأندلسية" بعدما كان ذلك في دار الجامعي ثم في دار السلام بالبطحاء.

وقد تقاطر على تعليم الآلة بدار اعديل شيوخ هذا الفن بفاس وأصبحت مقراً للمعهد الموسيقي التابع لوزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، يديره الحاج عبد الكريم الرايس، وإلى جانبه من المعلمين شيوخ من طبقته اضطلعوا بالتدريس منهم محمد دادي، وعزوز بناني، ومولاي امحمد اشاواش ومولاي أحمد الوكيلي والحاج محمد مصانو الشرشي التازي، والحاج محمد بوزوبع ... وعلى يد هؤلاء تخرجت فئة من الشباب يمارس بعضهم اليوم تدريس الموسيقى، ومنهم بريول، ومحمد اطراشن، وعبد الفتاح بنموسى وآخرون.

وقد عمدت مصالح وزارة الثقافة إلى إيقاف التعليم بدار عدّيل عام 1978 بسبب تعرض مرافقها للتلاشي وتداعيها للسقوط. وفي إطار العناية التي أولتها منظمة اليونسكو لمدينة فاس التي صنفت ضمن التراث الإنساني، عهدت الحكومة الإيطالية لهذه المنطقة في سنة 1993 بإنجاز دراسة حول ترميم دار اعديل بغرض تحويلها إلى مركز للأبحاث في تراث الموسيقى الأندلسية والملحون.

وقد رصدت الحكومة الإيطالية لهذا المشروع اعتمادات مالية هامة، ثم انطلقت أعمال الترميم سنة 1995 من شركة مغربية وتحت الإشراف التقني لوزارة الشؤون الثقافية التي حرصت على احترام الطابع المعماري الأصلي للدار كما حرصت على استخدام مواد البناء والنجارة بما ينسجم مع الطبيعة المعمارية للدار.

وقد انتهت أشغال الترميم في متم سنة 1998، وجرى حفل افتتاح الدار يوم 18 يناير 1999 وأطلق عليها اسم "مركز الحاج عبد الكريم الرايس للأبحاث في تراث الموسيقى الأندلسية والملحون"، تكريما لهذا الرجل الذي اضطلع بإدارتها والتعليم ونشاط بالمركز المهام التالية :

- جمع وتصنيف التراث الموسيقي الأندلسي
- جمع المستندات والدراسات والمدونات المختصة
- إنجاز دراسات وأبحاث علمية حول الموسيقى الأندلسية والتعريف بالبحوث الهادفة إلى إبراز خصائصها.
- تنظيم حلقات دراسية وندوات ومحاضرات ومعارض حول الموسيقى الأندلسية.
- تشجيع ممارسة الإنشاد والعزف الفرديين

ع. الرحمن ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 3، ص. 145، ج 4، ص. 424، 433 ـ 438 ؛ *جريدة الاتحاد الاشتراكي*، عدد 16 ـ 24 يناير 1999 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 7، ص. 145 ـ 152 ـ 158، 170؛ محمد الضعيف، *تاريخ الضعيف*، ص. 134 ـ 147 ـ 150، تع. العماري ؛ محمد بن الطيب القادري، *نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني*، ج 4، ص. 52.

عبد العزيز بن عبد الجليل

عديّل، عبد الله الخياط بن الطيب، (كان حيا سنة 1175 / 1762). هو أحد أبناء الطيب بن الخياط عديّل. جاء ذكره في المصادر باسم "الخياط عديّل"، وأشارت إليه إحدى الوثائق العثمانية باسم "عبد الله الخياط". كان عبد الله الخياط هذا من أعيان فاس، ومن خدام الدولة المرموقين.

ويستفاد من المعطيات المقتضبة الواردة في المصادر، أن أمانة بيت المال بفاس انتقلت إليه بعد والده في عهد سيدي محمد بن عبد الله. وأن هذا الأخير أدخله مع أخيه عزوز السجن بسبب ما ترتب في ذمتهما من ديون المخزن سواء فيما يتعلق بالمال الذي أمنه بنفسه عندهما أو الذي كان مؤمنا من قبل المولى عبد الله عند والدهما، وذلك في ربيع الثاني عام 1174 / نونبر 1760.

وعلى الرغم من توتر علاقة المترجم بسلطان وقته، إلا أن هذا الأخير أسند إليه مسؤوليات هامة، إذ بعثه عقب تسريحه من السجن سفيرا مع الفقيه الطاهر بناني الرباطي في صفر 1175 / شتنبر 1761 إلى السلطان العثماني مصطفى الثالث (1757 ـ 1774)، وأصحبهما هدية اشتملت على نفائس المصنوعات المغربية، وذلك رغبة من سيدي محمد بن عبد الله في تعزيز الصلات الودية بين المغرب والدولة العثمانية. وأرسل مصطفى الثالث رفقة السفيرين، عند رجوعهما من اسطنبول، هدية فخمة إلى سلطان المغرب.

وإلى جانب تولّي السفارة وأمانة بيت المال، تقلد عبد الله الخياط إمارة ركب الحج. غير أن المصادر لا تفيد في تحديد السنوات التي خرج فيها على رأس الحجاج المغاربة. وتجمع العديد من الإشارات على أنه كان خبيرا في تدبير الأمور، وحازما في تصريف الشؤون المالية على الخصوص.

ومن بين ما نجهله عن صاحب الترجمة تاريخ وفاته. وكل ما أشار إليه الإخباريون، وبالضبط محمد بن الطيب القادري، أنه توجه إثر عودته من إسطنبول سنة 1181 / 1767 إلى تونس حيث كان أخوه، ومكث بها.

لكن، الواضح أن القادري التبس عليه تاريخ رجوع الطاهر بناني وعبد الله الخياط إلى المغرب. والذي يتضح،

من خلال التاريخ الذي تحمله الرسالة التي بعثها السلطان العثماني رفقة السفيرين، أن مغادرة الوفد المغربي لإسطنبول قد تمت في حدود أواخر شعبان 1175 / أواخر مارس 1762. كما تؤكد معطيات أخرى ذهاب الفقيه الطاهر بناني سفيرا مرة أخرى إلى الدولة العثمانية سنة 1179 / 1765. ولعل هذه السفارة الثانية لرفيق عبد الله الخياط هي التي تفسر الخلط الذي وقع فيه صاحب *نشر المثاني*.

ابن إبراهيم الدكالي. *التقاييد التاريخية* ؛ القادري، *نشر المثاني*، ج. 4 : آ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، دار الكتاب، 1956، ج. 8.

Nâme - i Hümâyûn de Fierleri, Istanbul Basbakanlik Devlet Arsivi, Istanbul, Def., n° 8, S./ 445 - 448.

نزهة عقيلي

ابن **عَذاري**، مؤرخ جليل نسيه التاريخ وغفل عن ذكره المؤرّخون ومؤلفو كتب التراجم أو لم يصل إليها ما كتبوه عنه، ولهذا لا يعرف عنه شيء ولا يستدلّ على وجوده إلا بكتابه الحافل المسمى *بالبيان المعرب في أخبار الأندلس والمغرب*، وقد كانت المخطوطات التي وجدت منه أول مرة خلوا من اسم المؤلف وهي التي نشرها دوزي ثم بروفنسال وكولان ولم يكن يعرف منه إلا شهرته بابن عذاري التي وردت في بعض المصادر التي نقلت عنه مثل *الإحاطة* لابن الخطيب، وبعد مرور نحو قرن ونصف على طبعة دوزي كشف عن نسخ خطية جديدة في الخزانة الملكية بالرباط فإذا بعضها يبدأ بما يلي : "قال الشيخ الأجل الأثير الأكمل الراوية المطلع الحسيب الأفضل أبو العباس أحمد بن محمد بن عذاري" وبهذا انتهى الجهل والاضطراب في إسم هذا المؤرخ الذي وقع فيه الإفراني في نزهة الحادي إذا التبس عليه بابن عذاري آخر وكذلك العباس بن إبراهيم الذي ذكره في الأحمدين ثم عاد فذكره في المحمدين وقد كان بروفنسال حصل على البداية المذكورة من شخص كان جلّد المخطوطة المذكورة فأوردها في تقديمه القصير لما سمّاه الجزء الثالث من *البيان المعرب*.

ومن قبيل الاضطراب في اسم هذا المؤرخ الاختلاف في ضبط عذاري فقد قرأها المستعربون بكسر العين والصواب فتحها لأنها جمع عذراء.

وقد شكلت بالفتحه في ترجمة علم له فيما نظن علاقة بمؤرّخنا وهو أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد البلنسي يعرف بابن عذاري، وهو مشكول في نسخ التكملة لابن الأبار بفتح العين، وقد عاش هذا إلى نهاية القرن السادس الهجري، ولعل المؤرّخ ابن عذاري من قرابة هذا أو ذريته وربما تكون هذه الأسرة لجأت إلى مراكش بعد إخراج المسلمين من بلنسية عام 636.

ويستفاد من *البيان المعرب* أن مؤلفه ابن عَذاري عاش في مراكش وهذا ما يبدو من الأخبار الأخيرة في كتابه وقد كانت له صلات بالمؤرّخ ابن عبد الملك المراكشي قاضي الجماعة في مراكش، وهو يروي عنه مباشرة ونجد ذلك في الفصل المتعلق بنكبة الوزير الكاتب أبي جعفر ابن عطية الذي يفتتحه بقوله : "أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الملك" كما نجده في خبر يتعلق بعبد المومن أوله : "ومن جده وظهور سعده ما أخبرني أبو عبد الله ابن عبد الملك قال : حدثني أحد أشياخ الموحدين بحضرة مراكش" وقد نقل أكثر من مرة عن *الذيل والتكملة* لابن عبد الملك ولكنه لم يعده في المصادر التي سردها كما أنه سمّاه : *التكملة والذيل*.

وثمة تاريخي آخر سمع منه ابن عذاري بعض الأخبار وهو أبو علي صالح بن أبي صالح الايلاني الذي وصف في كتاب *مفاخر البربر* وكتاب *درة الحجال* بالفقيه الصالح العالم التاريخي الزاهد الورع. كان حيا سنة 712. ويمكن عده ـ كابن عبد الملك ـ من شيوخ ابن عذاري.

وقد كان صاحب البيان ـ فيما يبدو ـ على صلة كذلك ببعض رجالات الدولة فهو ينقل أخباراً تتعلق بالمرتضى الموحدي عن أبي عمران بن تيجا الذي كان والده أبو سعيد بن تيجا وزيراً للمرتضى، ويمكن القول بأن الأخبار المتعلقة بالسنين الأخيرة لدولة الموحدين رواها عمن عاصرها وهي تنتهي بمقتل أبي دبوس عام 668 وبها يختتم كتاب البيان ولكن ابن عذاري فيما يبدو عاش حتى مطلع القرن الثامن الهجري. وإذا كان القدر ضنّ علينا بترجمته فقد جاد بوصول كتابه الذي يعتبر أهم مصدر لتاريخ الغرب الإسلامي من الفتح إلى نهاية القرن السابع الهجري.

وهو كما يذكر مؤلفه في بدايته يقع في ثلاثة أجزاء الجزء الأول في الامارات والدول التي قامت في المغرب الأدنى والأوسط والأقصى من الفتح الإسلامي إلى قيام المرابطين. والجزء الثاني في تاريخ الأندلس من حين الفتح الأول إلى حين دخول المرابطين سنة 478.

والجزء الثالث في أخبار المرابطين والموحدين والحفصيين والنصريين ويقف عند استيلاء بني مرين على مراكش عام 667.

هذه هي التجزئة التي ذكرها ابن عذاري في فاتحة كتابه لكنه طبع على أساس مغاير بعض الشيء لأنه ظهر على مراحل وعرف أول مرة من خلال ما نشره منه دوزي ثم عشر على جزء جديد نشره كولان وبروفنسال مع ما نشره دوزي قبل ذلك ثم ظهر الجزء الأخير من الكتاب الذي أعدّه ميراندا ونشر في تطوان وأعيد نشره بتحقيق مجموعة من الأساتذة، وما أحوج هذا الكتاب الجليل إلى أن يعاد إخراجه كله بتحقيق حقيقي بمعارضته على جميع نسخه الخطية التي ظهر عدد منها في السنين الأخيره وفي ضوء بعض مصادره الموجودة.

الأجزاء المطبوعة من *البيان المغرب*. أطروحة Emile FRICAUD.

محمد بنشريفة

ابن **عذراء الجزولي، سليمان** فقيه من أهل السوس

الأقصى، ومن أصحاب وجاج بن زلو اللمطي، التحق بالمرابطين وانخرط في جهادهم. وبعد استشهاد شيخهم عبد الله بن ياسين بكريفلة في حربه ضد البرغواطيين سنة 451 / 1059 اختار المرابطون سليمان بن عذراء زعيماً روحياً لهم، لكنه توفي بعده بسنة واحدة فقط سنة 452 / 1060، فبقي منصب القائد الروحي شاغرا. وكان له أخ يدعى أبا القاسم من أصحاب وجاج بن زلو ومن الفقهاء المتحمسين للدعوة المرابطية أيضاً.

القاضي عياض، *ترتيب المدارك*، ج 8، ص. 78-80.

محمد المغراوي

عراصي مراكش، العرصة البقعة الواسعة بين الدور ليس فيها بناء، وقد عرفت المدن المغربية على العموم عراصي وجنات عديدة اشتهر بعضها على الصعيد الوطني، وأحيانا على الصعيد الدولي، واعتبر متنفسا مهما للمدينة وفضاء لإقامة الأفراح والتنزه.

وقد ساعد على ظهور هذه العراصي توفر المياه بغزارة في كثير من مناطق المغرب.

فالاهتمام بالعيون التي تتفجر هنا وهناك وتعهدها بالتنظيف وتسهيل سيلانها وابتكار أسلوب الخطارات في مناطق أخرى وشق السواقي التي تجلب المياه من الجبال والأودية إلى المدن وحفر الآبار في المناطق التي تحتاج إلى الماء وبناء الصهاريج والبركات والفسقيات لتجميع المياه والحفاظ عليها ثم إعادة توزيعها على امتداد السنة حسب الحاجة إليها.

هذه المجهودات كانت وراء انتشار الخضرة وظهور العراصي وتوسعها قبل أن تمتد إليها يد العمران وبناء المدن.

ـ ان لكثرة العراصي بمراكش أثراً واضحاً في حياة السكان وثقافتهم، بل لقد أدى ذلك إلى ظهور اسم آخر نافس اسم المدينة الأصلي وهو "البهجة" وإنما لقبت بها لكونها ذات منظر حسن، تنشرح بها الصدور، ولاشتمالها على حدائق ذات بهجة بالنظر إليها يكمل السرور (*الإعلام*، 1 : 138).

وقد نهضت العراصي بوظائف عديدة ومهمة منها :

ـ إنتاج الخضر والفواكه في العراصي المحيطة بالمدينة للاستهلاك المحلي.

ـ النزهة والاستجمام في فصل الربيع وبعد عاشوراء مباشرة.

وكانت تقام بمنتزه الحارثي الواقع خارج باب الجديد وبين اغصانه وسواقيه احتفالات سلطان الطلبة أثناء عطلة فصل الربيع خلال عقدي الثلاثينيات والأربعينيات، يحضرها طلبة ابن يوسف والسلطان وتتبادل بها الخطب. وتقدم فيها أنواع المأكولات، في جو من المرح والترفيه والاستجمام.

ـ ولم تكن بعض العراصي تقوم بهذه الأدوار فقط، وإنما أنيطت بها أدوار مهمة على الصعيدين الاقتصادي والعسكري، فعرصة أگدال التي تعني المرعى الخاص بخيول السلطان، غرست من طرف عبد المومن بن علي في ظاهر عرصة الصالحة المرابطية جنوب سور مراكش، طولها ثلاثة أميال وعرضها قريب من ذلك.

ـ معمل للسكر : تأسس في مؤخرة أگدال (مكينة سيدي عمارة)، جلبت آلاته من أوروبا كذلك وبذل فيه محمد بن عبد الرحمن أموالاً طائلة، وكلف به أوربيين فعجزوا عن تنفيذه، ثم كلف به مصريين فشغلوه مدة ثم توقف (*الجيش العرمرم*، 2 : 80).

وكان المشرف على بنائه محمد الدكالي العارف باللغات الأجنبية، وتعاقب على ادارته كل من عبد الله المعلم، وعبد القادر العلج (*الإتحاف*، 3 : 556).

ـ معمل صنع القرطوش : أسسه الحسن الأول، وهناك خمس رسائل تتعلق ببنائه، تتضمن الأولى تكليف محتسب المدينة مولاي عبد الله بن إبراهيم البوكيلي بالإشراف على البناء، وذلك في 12 شعبان 1304 ويستفاد من الملحق الأخير أن المصنع قد كمل بناؤه في آخر سنة 1310 / 1892. أما ادوات استخدامه فقد استجلبت من فرنسا بمبلغ 83900 فرنك وهي مفصلة في لائحة مطولة، وكان المصنع يستخدم بالبخار (*الإتحاف*، 2 : 499).

كما كان ينظم بين أشجار جنان الحارثي المعرض الكبير للجنوب تعرض فيه المنتوجات الفلاحية، والصناعية للمغرب عامة ولجنوبه خاصة. وقد أعيد تنظيمه منذ بضع سنوات بعد توقف طويل.

ـ وكانت للعراصي مكانة كبيرة في الحياة العامة والخاصة يعيش فيها الملوك والأمراء والوزراء ومختلف الطبقات الشعبية وتشيد بها قصور على قدر متفاوت من العظمة والضخامة بحسب مكانة صاحبها ومستواه.

ـ ومن الأمثلة على ذلك قصور ومنتزهات أگدال : ومنها المسرة الذي يعود إلى العصر الموحدي عند بعض المؤرخين، والراجح أن المسرة والمشتهى قصران سعديان، وهما اللذان سميا فيما بعد بقصري الهناء والدار البيضاء.

ـ وفي عهد سيدي محمد بن عبد الله العلوي أعيد غرس أگدال وجدد بها قصر الدار البيضاء، وفي عهد سيدي محمد ابن عبد الرحمن شيد جنان الرضوان مع قصره ومنزهه وذلك سنة 1862 / 1863 وغرست به عراصي النيل.

ولا تقل عراصي المنارة أهمية عن سابقتها فمع أن إحداثها كان لهدف عسكري أساساً : تعليم الجنود السباحة وأساليب التجذيف في صهريجه الكبير، فإن ملوك الدولة العلوية قد بنوا على ضفة الصهريج منزها هو قبة المنارة على عهد سيدي محمد بن عبد الرحمن، وأعيد غرس زيتونه ومجموع أشجاره خلال سنتي 1869 و1870 (Deverdun, 534).

ـ وتعتبر عرصة النهر من مكملات حدائق قصر البديع وملحقاته بعدما أشرف المنصور السعدي على تشييده وزخرفته.

- أما عرصة الرشيدية فتقع داخل باب أيلان وفي الحومة التي تحمل اسم هذا الباب، كان المولى الرشيد يخرج إليها أثناء إقامته بمراكش.

- إن إصلاحات المولى محمد بن عبد الله بمراكش كثيرة منها قصر القصبة وتجديده لكثير من الأضرحة والمساجد، وقد أحدث جنان العافية وغرس أشجار وأغلبها من أشجار الزيتون، وكانت تسقيه عين جراوة عبر الساقية المعروفة بهذا الاسم، وكذا ساقية الباشا، وساقية تاسلطانت الشهيرة.

- ومن العراصي التي شيدت بها قصور سلطانية كذلك الجنان الكبير الذي يقع خارج باب الخميس على الضفة اليسرى من وادي إيسيل يمين طريق الويدان.

وبمراكش عراص مشهورة كانت في ملكية بعض الأمراء وهي :

- عرصة المامونية غرسها مولاي المامون بن سيدي محمد بن عبد الله وإليه تنسب وبنى بها قصراً كان ينزل به عندما يحل بمراكش إذ كان خليفة لأبيه بفاس.

توفي مولاي المامون سنة 1200 / 1786.

وتقع عرصة المامونية داخل السور وبمحاذاته على طول المسافة بين الباب الجديد وباب الرب، وبها شيد فندق المامونية ومستشفى المامونية (ابن زهر حاليا) وتحيط بها غابة من أشجار الزيتون والنخيل والليمون.

- عرصة مولاي الحسن بن محمد بن عبد الله العلوي تقع شمال باب المخزن، وحولت إلى ما سمي بـ Parc Lyanbey، تقع أمام قصر البلدية بين باب النقب وباب المخزن، وكانت تسقى من عين العرفاوي.

وكان يسكن بهذه العرصة الواقعة داخل باب الرب بين السور وحي سيدي ميمون وأمام باب أگناو، وقد صارت فيما بعد ملكا لشاعر المولى عبد الرحمن ووزيره محمد بن إدريس العمراوي (1209 / 1794 - 1264 / 1847) فحملت اسمه وقد نزل بها بعض الضيوف الأجانب من أشهرهم :

Sir Moses Montefiore president du London committee of british jews

عندما جاء ليتدارس مع محمد بن عبد الرحمن قضايا اليهود بالمغرب سنة 1281 / 1864 وانتهى اللقاء بصدور ظهير ملكي بتوقيرهم مؤرخ في 5 - 2 - 1864 (Deverdun, 571).

- عرصة مولاي موسى بن محمد بن عبد الله العلوي، تقع بين روض الزيتون وعرصة المعاش، حل بها الولي الصالح ابن داوود بن العربي الشرقي سنة 1295 / 1878. وقد بني الجزء الجنوبي من العرصة خلال القرن التاسع عشر وهو الحي المسمى بدرب العهد الجديد أو درب العفو وبني بها كذلك قصر موحا التازي أمين الأمناء في العهد الحسني والعزيزي، وقصر القايد إبراهيم الگلاوي.

وتنتسب بعض العراصي لشخصيات ذات نفوذ وسلطة في البلاد، مثل باحماد (أحمد بن موسى) حاجب مولاي الحسن ووزير المولى عبد العزيز، كانت له عرصة تسمى أگدال باحماد وبها قصر الباهية حفر فيها صهريجا على غرار أگدال الكبير.

- وجنان بنشقرا الذي كان ملكا لابن شقرا، أحد قواد السعديين وخليفة مراكش على عهد محمد بن عبد الله السعدي يقع بين روض الزيتون الجديد والباهية (*الاستقصا*، 5 : 57).

ولم يكن الملوك والأمراء والوزراء هم وحدهم الذين يملكون العراصي الفيحاء بمراكش، بل كان لعدد من الصوفية والفقهاء عراصيهم لا تقل أهمية عن سابقتها، مثل :

- جنان أولاد سيدي عبد العزيز التباع أحد رجالات مراكش السبعة المتوفى سنة 914 / 1508 يقع خارج باب الخميس.

- وجنان توايز سيدي بوعمرو القسطلي المراكشي دفين روض العروس، كانت له أملاك كثيرة بمراكش واغواطيم واكفى، وهذا الجنان يقع خارج باب الخميس، بجانب جنان بلحداد (انظر عن أملاكه كتاب *أضواء على الزاوية البوعمرية بمراكش*).

- وعرصة الفقيه العالم السباعي قرب جبل گيليز.

وقد كانت كثير من العراصي محبسة على بعض الزوايا والأولياء ترصد مداخيلها للعمل الخيري والإنساني.

فجزء كبير من الداوديات وجزء من جنان العافية كان محبسا على أبي العباس السبتي صاحب مذهب مشهور في الصدقة (*حوالة أحباس الزاوية العباسية*) وأخرى محبسة على محمد بن سليمان الجزولي : القبة والضريح وقراء دلائل الخيرات (*حوالة أوقاف الجزولي*).

وهناك محبسات أخرى من العراصي على باقي مساجد المدينة كبيرة وصغيرة، وكذا دور العلم والمدارس، وكراسي العلماء ومناصب القضاء والفتيا، وحتى الحيوانات (*حوالة أحباس مراكش*). وتناول بول باسكون موضوع الأراضي المحبسة بمراكش ونواحيها وعدد مواقعها ومساحاتها في كتاب حوز مراكش (*Le Haouz de Marrekech*, 390 - 391).

الملاحظ أن أغلبية أسماء العراصي لها صيغة أمازيغية، وتفسير ذلك أن أرض مراكش كانت أصلا ملكا لمصمودة فاحتفظوا عبر التاريخ بملكية الأرض، أو بقيت العراصي تحمل الاسم القديم مع ما يطرأ عليها من تغيير من حيث الملكية.

فمن الصيغ الأمازيغية على سبيل المثال : أگدال، ازدو، أدرازن، اتكريانت، أككمار، أدراق، ازدوا، أسليم، اگوش، تاصاغت، تارگينت، تالعينت ...

أما العنصر الأجنبي الذي ملك الأرض في فترة الاستعمار فقد تسمت بعض العراصي باسمه مثل عرصة إيگرى، سينكو، قاسيمو ...

وفرضت العرصة حيزاً كبيراً في تراثنا الشعبي، إذ كانت من أسباب ظهور بعض الفنون الشعبية كفن الكف، وازدهار أخرى كالدقة والملحون والنكت والحكايات الشعبية التي

كانت متداولة في العراصي، فهنالك رجز شعبي حول جنان الصالحة رواه صاحب (*الاستقصا* ، 2 : 258) وآخر عن عرصة احريلي :

النزاها وقت النوار فاحريلي واحريلي
سيدي ربي نرحاك بالعالي يزيان حوزنا نرخاص كل امسالي

وقيلت قصائد شعرية في عراصي أخرى كعرصة السهب والمامونية والمسرة.

ونظراً لكبر عراصي بيدة، وتفرطا وبلحداد ... صدرت أمثال شعبية متداولة في شأنها منها :

(واش كيسلك بيدا) و (واش عندو تفرطا أو بلحداد).

ولكثرة مياه بلحداد البالغة مساحته حوالي عشرين هكتارا خارج باب الخميس، وتعدد بركه وصهاريجه نسبت إليه قصة التقاء الشاعر الشعبي الجيلالي امتيرد، ومشاركته لهم بالغناء لملا، فسلموا له تعريجة، وكان ذلك سبب موهبته وبروزه في ميدان الملحون ونظم القصائد، (*القصيدة*، ص. 612).

يمكن اعتبار العراصي بالمدن المغربية عموما، وعراصي مدينة مراكش خصوصاً من التراث الحضاري الذي يجب المحافظة عليه نظراً لما شهدته من أحداث، وما تحتفظ به الذاكرة الشعبية عنها من مرددات ثقافية متنوعة.

وقد نهضت بدور ريادي في مجال المحافظة على البيئة الطبيعية، موفرة فضاء شائقا يستفيد منه سكان المدينة في النزهة والاستجمام وممارسة الرياضة وفي الدراسة والمطالعة، وإقامة الندوات والمطارحات الأدبية، وتعاطي هواية الغناء والعزف وخاصة في مجال التراث الشعبي الملحون.

إلا أن زحف التمدن، وقطع الأشجار لبناء العمارات والمجمعات السكنية، كان له الأثر على عرصات المدينة إذ أصبح مجرد ذكريات جميلة في أذهان الناس، في حين مازال الكثير منها صامدا، نتمنى أن تلتفت الجهات المختصة بالمدينة إليها لإنقاذها وتجهيزها تجهيزاً يمكنها من الاستمرار في أداء هذه الرسالة الاجتماعية والثقافية النبيلة، في وقت كثر فيه الحديث عن مكافحة كل أنواع التلوث والحفاظ على البيئة الطبيعية التي هي ضمان لاستمرارنا ووجودنا وعيشنا عيشة آمنة كريمة على وجه الأرض.

ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، الرباط، 1347 / 1929 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدا البيضا، 1954 ؛ ع. إبراهيم، *الاعلام* ؛ الكسوسي، *الحشى العرمرم* ؛ *حوالة أحباس الزاوية العباسية*، ميكروفيلم الخزانة العامة بالرباط، رقم 118 ـ 120 ؛ *حوالة أوقاف الجزولي* ؛ ع. الجاري، *الزجل في المغرب*، ط. الرباط، 1970 ؛ ابن منظور، *لسان الدين* ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث* ؛ ح. جلاب، *معجم عراصي مدينة مراكش* ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*.

P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*, Rabat, 1977 ; G. Deverdun, *Marrakech dès origines à 1912*, Rabat, 1956.

حسن جلاب

العرائش (مدينة ومحيط) يتبنى سكان العرائش الفكرة القائلة باشتقاق اسم مدينتهم من "العريشة" أي البيت من النبات وحطام الأشجار. ذلك أن أسلافهم أقاموا عرائش على ضفاف اللوكوس كانوا يضعون بها أدواتهم وقت تنقلهم عبر منعطفات الواد والمرجات المحاذية له، يلجأون إليها أثناء فترات الراحة : تقيهم حرارة الشمس كما توفر لهم الأمن والمساعدة. وهي تسمية يرى المؤرخون أنها مستمدة من عرائش العنب التي كانت تزين نقود "لكش".

تقع مدينة العرائش ببلاد الهبط على الجانب الأيسر لمصب واد اللوكوس في أقصى شمال أولاد عكبان، عند الإحداثيات الجغرافية '08 °06 طولا و'12 °35 عرضاً. تخترقها طريق الدار البيضاء ـ طنجة ويتفاداها الطريق السيار ؛ تطل على المحيط الأطلنتي بواسطة حافة صخرية يبلغ مداها أزيد من 10 أمتار. تبعد العرائش عن ليكسوس الأثرية (تشمس أو توشمس) بحوالي أربع كيلومترات، يفصلهما واد اللوكوس المعروف بكثرة المنعطفات عند السافلة حيث يتسع السهل ليشكل مجالا مفضلا تستريح به الطيور المهاجرة بين أوربا وإفريقيا.

يرتكز اقتصاد المدينة أساسا على الفلاحة والصيد البحري والصناعات الغذائية المرتبطة بهما. وكغيرها من التجمعات السكانية، تسجل المدينة نمواً ديمغرافيا سريعا بسبب الزيادة الطبيعية والهجرة الداخلية. وقد أدت هذه الزيادة السريعة إلى تغيير المعالم العمرانية للمدينة على حساب فن العمارة الإسباني الذي ساد خلال معظم القرن العشرين.

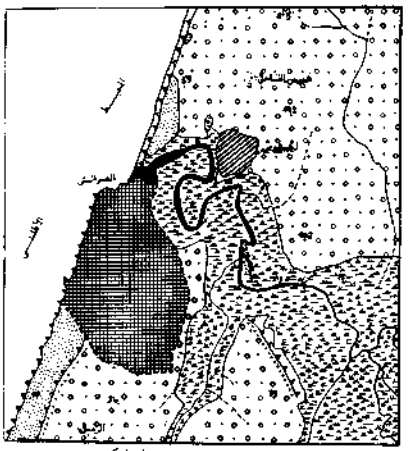

مدينة العرائش عند مصب واد لوكوس
مجال خلفي يغلب عليه الانبساط

موقع متميز وإطار طبيعي وتاريخي ملائم :

يتميز محيط المدينة بخصوصيات طبيعية جيدة ومناسبة للتنمية الاقتصادية. فطابع التدرج من الجبل نحو البحر يتم على عدة مستويات يغلب على طبغرافية المنطقة بدءاً من قمم الريف الغربي ونزولا نحو هضبة أولاد عكبان وسهل القصر الكبير جنوبا، أو بمحاذاة المحيط الأطلنتي غربا.

المستوى الأول أو الظهر الكلسي

يتألف الظهر الكلسي من مجموعة من الجبال عادة ما تفصل السفوح المطلة على المتوسط عن سفوح الواجهة الأطلنتية. يمتاز هذا الحزام الكاربوناتي بارتفاعات تقارب 2000م وباستقرار كثيف للمداشر على جوانبه. واعتباراً لشروط مناخية رطبة تتجذر شبكة التصريف المائي هنا لتضمن تغذية مستمرة للسافلة إن بالمياه السطحية أو الجوفية.

المستوى الثاني أو النطاق النوميدي

يغلب على كل المجالات التي تلي الظهر الكلسي إلى الغرب والجنوب، يمتد ضمنها حوض اللوكوس الأعلى بعرض لا يقل عن 40 كم. وتتميز عن باقي المجالات الريفية بفرشات الصلصال (وحدة طنجة ـ الهبط) وبسمك المواد الحتية ـ السليسية (مئات الأمتار)، يرجعها البعض إلى مخلفات فرشة كبيرة كانت تغلف السواحل المغاربية والأندلسية، لم يتبق منها حاليا إلا أحجام منعزلة طولية، تشرف بانحدارات قوية على فرشة طنجة وأحيانا ترتبط بها بواسطة تغليفات وتراكمات سفحية من الرباعي القديم كما تستقر فوقها غابة البلوط الفليني (جبل حبيب، جبل علم 1338م).

المستوى الثالث أو مقدمة الريف

هي منطقة أنسب من سابقاتها للأنشطة الزراعية، وهي الأحدث نشأة وتأثرا بتنقل وتراكب إرسابات الزمن الثالث. لذلك يعمل الجيلوجيون على التمييز بكثير من التعميم بين أراض نقلية ومواد دخيلة على المنطقة ثم قاعدة صلصالية محلية (ميوسين).

المستوى الرابع أو الهضاب الساحلية

تمتد الهضاب عن جانبي المجرى السفلي لمحور اللوكوس، تتناقص ارتفاعاتها من 200م في أقصى الشمال لتصل أقل من 100م جنوبا. تمتاز بغطاءات حصوية ورملية سميكة تدل على قدر هائل من المواد المقتلعة من قمم الريف الغربي، توضعت عند قدم الجبال، تغلفها غابة السنديان الفليني. فخميس الساحل بالشمال هضبة متقطعة بفعل الجريان، أكثر انحسارا نتيجة تقدم جبهة الزحف الريفي شمال مجرى اللوكوس كما أنها أكثر علوا من نظيرتها هضبة الرمل بالجنوب.

المستوى الخامس أو الشريط الساحلي

على شكل زاوية مغلقة في الشمال، ينحصر هذا المستوى بين مقدمة الريف خط الساحل يتراوح بين ساحل رملي ضيق شمال المصب، وأجراف حتية نشيطة تطل مباشرة على المحيط من علو قد يصل عشرات الأمتار.

تصنف مدينة العرائش وضاحيتها ضمن النطاق المناخي الرطب بسبب وفرة تساقطاتها (656,5مم / سنة)، وبسبب وفرة مواردها المائية، خصوصا عند حافة الهضبة سواء منها المطلة على البحر (عيون شاطئ أشقار وسيدي عبد الرحيم) أو على نهر اللوكوس (عين خماسة). وتكثر بالمنطقة كذلك المرجات الدائمة والضايات الموسمية : الغديرة، البكارة، سافلة واد اللوكوس حيث يقدر متوسط الموارد المائية السطحية القابلة للتعبئة بحوض اللوكوس ـ جنوب العرائش بـ 1237 مليون م^3.

يظهر أن المعطيات ملائمة للأنشطة الفلاحية : وفرة التساقطات، اعتدال حراري (17 كمتوسط سنوي) وأتربة خصبة.

تم بناء سد وادي المخازن (772.7 مليون م3) سنة 1979، وهو تاريخ انطلاق عملية السقي الكبير بالمنطقة. إضافة إلى الري تستعمل مياهه في أغراض الشرب وإنتاج الطاقة والصناعة والحماية من الفيضان. كما تم تشييد سد آخر على نفس المجرى (سد المنع لفصل المياه العذبة عن المالحة) سنة 1981، عند سافلة السد الأول، سعته 4 مليون م3، تستعمل مياهه للري فقط.

ساعدت هذه الخصوصيات الطبيعية على نمو غابة مهمة ومتنوعة نسبيا بمحيط المدينة تقدر مساحتها بحوالي 70000 هكتار، كما تتشكل من عدة أصناف شجرية : بلوط أخضر، بلوط فليني، صنوبر حلب، صنوبريات أخرى، سرو، أيك ... تتميز هذه الغابة كذلك بإمكانيات رعوية وقنصية هائلة، وخصوصا فيما يتعلق بالأيل، الرت، القواع، الأرنب الوحشي، الحجل ...

ليكسوس واحدة من أقدم مدن المغرب

ورد ذكر مدينة ليكسوس في جل النصوص الإغريقية واللاتينية المتعلقة بالمغرب القديم. غير أن هذه النصوص لا تفيد إلا بمعلومات هزيلة يطبعها التكرار والغموض. وترتبط أساسا باسم المدينة وبموقعها الجغرافي أو بنهر لكسوس.

وأهم شهادة أدبية حول ليكسوس هي التي وردت عند بلينيوس الأكبر (سنة 79م) الذي يشير إلى جزيرة قريبة من مصب نهر ليكسوس كان بها مذبح أو معبد هرقل (وهو ملقارت الفينيقي)، ويبدو أن هذا المعبد قد أسس في القرن

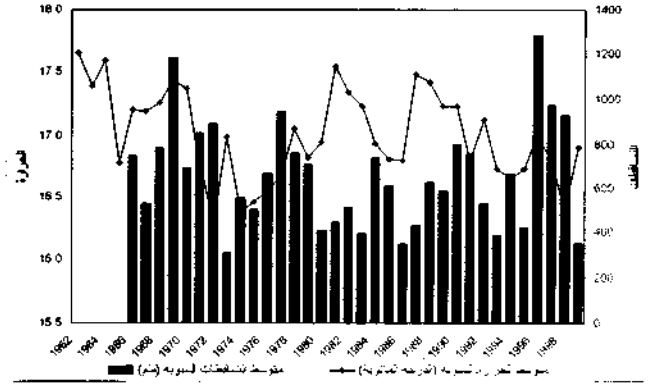

الثاني عشر قبل الميلاد، أي قبل بناء معبد قادس بإسبانيا. كما يورد بلينيوس كذلك، ولو بلهجة تشكيكية، أقوال المؤلفين القدامى الذين وطنوا بليكسوس قصر أنتيوس ومعركته ضد هرقل، وكذلك حديقة الهسبريسات ذات التفاح الذهبي، التي كان يحرسها تنين رهيب. وليس هذا التنين في نظر بلينيوس إلا تمثيلا رمزيا لنهر اللوكوس الذي يرسم انعراجات كثيرة وملتوية قبل التحامه بالبحر.

وتمكن المعطيات الأثرية اليوم من تقديم الخطوط العريضة لتاريخ الاستيطان على امتداد أزيد من 2000 سنة. وقد تم ذلك على خمس مراحل كبرى من البداية إلى الهجر النهائي للموقع.

1 ـ المرحلة الفينيقية : تعود أقدم البقايا الفينيقية بالموقع إلى القرن الثامن قبل الميلاد، كما هو الشأن بالنسبة للمستوطنات الفينيقية على الضفة الشمالية لمضيق جبل طارق. وتدفع وفرة البقايا الخزفية التي تم العثورعليها بالموقع إلى الاعتقاد بأن الفينيقيين سكنوا جزءاً مهما من الهضبة ومن منحدراتها الشرقية، وكذلك إلى العلاقات الوطيدة التي كانت تربط ليكسوس بالمستوطنات الموجودة بإسبانيا حيث صدر ميناء المدينة مواد كجلود الحيوان والخشب، والعاج، وريش وبيض النعام ...

2 ـ المرحلة البونية : رغم قلة المعلومات عن هذه المرحلة، يبدو أن المدينة ساهمت وقتئذ في التجارة المتوسطية بتصدير جزء من فائض منتجاتها السمكية، الشيء الذي يستدل عليه من وفرة بقايا الأنفورات التي صنعت خلال هذه الفترة والتي كانت مخصصة لحمل المنتجات البحرية في إطار شبكات بحرية متوسطية.

3 ـ المرحلة المورية : تميزت الفترة سياسيا بتشكيل المملكة المورية، وعرفت نشاطا معماريا مهما ومتواصلا تشهد عليه مجموعة من البنايات وخزان الماء...

4 ـ الرومنة : بدأ هذا العهد منذ القرن الأول قبل الميلاد مع استعمال اللاتينية على النقود المضروبة بالمدينة. وفي 42 ـ 43، رقيت ليكسوس إلى مرتبة مستوطنة رومانية تحت ظل حكم الإمبراطور كلاوديوس، وبذلك دخلت المدينة عهداً جديداً. خلال هذه الفترة، ارتكز اقتصاد ليكوس على استغلال الثروات السمكية، وهو ما تشهد عليه آثار المركب الصناعي المهم الذي كان مخصصا لتمليح الأسماك وصناعة الكاروم (نقيع السمك). وتعد هذه المعلمة أكبر وأهم معمل في البحر الأبيض المتوسط. وقد كان المنتوج اللكسي يصدر في أنفورات تحمل اسم ليكسوس إلى جهات عدة، ضمنها روما.

صاحب هذا الازدهار تطور عمراني تجلى في تعدد المباني والمسارح والمدرجات والحمامات العمومية والمرافق الإدارية ؛ زينت جميعها بزخارف مصبوغة وفسيفساء تمثل الإله أفيانوس، مارس وهيليوس، الحسناوات الثلاث، موكب باكوس، ... (وكلها لوحات محفوظة بمتحف تطوان الأثري).

ولعل مساحة لكسوس (60 هكتارا) كفيلة بأن تجعل منها أكبر مدينة في موريطانيا الطنجية. غير أن هذا الازدهار لم يدم طويلا، إذ توقف في النصف الثاني من القرن الثالث بسبب تخريب وحريق لحقا بالمدينة فانكمشت في القرن الرابع، واستمرت الحياة بها حتى إفراغها النهائي خلال القرن السادس الميلادي.

5 ـ الفترة الإسلامية : عادت الحياة للموقع، بعد "فترة غامضة"، وذلك خلال الفترة الوسيطية حيث قامت مدينة إسلامية فوق أنقاض وخرائب ليكسوس. وحملت هذه المرة اسم "توشمش" المذكور في النصوص العربية الإسلامية ابتداء من القرن الحادي عشر.

موضع مدينة العرائش، زاوية يحاصرها المحيط والنهر

يتألف إقليم العرائش من قبائل العوامرا، ريصانا، بني عروس وبني جرفط. ومما أورده ابن خلدون (ت 14) أن المنطقة كانت تسكنها قبائل غمارة ومنهم بنو حسان. وقد شكل استقرار عرب الخلط (بنو هلال) منذ القرن 16 بعدما جاؤوا للمغرب في القرن 13، محطة أساسية في تاريخ المنطقة. فطوال القرنين 16 و17 تعرضت العرائش لغزو متواصل من البرتغال والإسبان والإنجليز. ولصد الغزاة أنشئت جيوش الجهاد من عرب الخلط وسكان الريف فحصل مزج عرقي بين العرائش وظهيرها يختزل الاندماج الحاصل بمجموع السهول الأطلنتية. وكباقي المناطق الشمالية خضعت العرائش للاستعمار الإسباني ما بين 1912 و1956.

يمكن اعتبار موضع مدينة العرائش زاوية مغلقة محصورة بين مخطط الأجراف البحرية غربا ونطاق المرجات والمستنقعات من جهة الشرق. فبعدما كانت مقتصرة على المحيط المباشر لمينائها، امتد مجالها لعدة كلمترات على حساب هضبة الرمل جنوبا وذلك بواسطة تجزئات وأحياء سكنية أخطبوطية ترامى بعضها فوق المجالات الغابوية أو أراضي الحبوس أو الأراضي الجماعية. فضفاف اللوكوس غير مؤهلة لاستقبال المباني كما أن الأجزاء المحاذية لحافة البحر تتعرض لانزلاقات عنيفة جراء وضع استرتيغرافي مائل وديناميكية هيدروجيولوجية خاصة تتمثل في دكات حتية تعلو قاعدة صلصالية تستقبل فرشة مائية غنية. وقد تسبب هذا الوضع في متاعب تعرضت لها المدينة منذ القدم حيث ظلت كل الأبراج والمنشآت عرضة للهدم والبتر جراء الحركات السفحية.

يتكون إقليم العرائش من دائرتين (العرائش والقصر الكبير)، ومن جماعتين حضريتين و17 جماعة قروية (تقطيع 1992). يعمر المدينة نسبة مهمة من الوافدين من الريف الأوسط وغمارة وفحص طنجة، وسهل الغرب... كما تتجاوز نسبة التعمير 56٪. بينما يتوزع سكان الإقليم (471000 ن) إلى 231000 ن بالوسط الحضري و240000 ن بالوسط القروي (تقديرات 1999)، أي بكثافة تتجاوز خمس مرات المتوسط الوطني (174 ن / كم2، مقابل 37 ن / كم2). نسبة النمو الحضري بـ 3.2٪ / السنة / أعمار حوالي 40٪ من

ساكنة العرائش تقل عن 15 سنة، وهي نسبة مرتفعة مقارنة بالمستوى الوطني (35٪). وتمثل نسبة النشيطين (بين 15 و59 سنة) 53.5٪. وهي نسبة دون المتوسط الوطني (58٪).

أنشطة اقتصادية تعتمد الفلاحة والصيد

مدينة العرائش تستحوذ على معظم المصالح الإدارية والاجتماعية وبعض المصالح الخارجية كالقنصلية الإسبانية والفروع الممثلة للشركات الأجنبية ؛ فيما تنفرد القصر الكبير بالمكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي. يشغل القطاع الأول حوالي 44٪ من السكان النشيطين المشتغلين. ويشغل القطاعان الثاني والثالث نسبا تقدر على التوالي بـ 22 و33٪.

فلاحة أراضي البور ومنتوج سقوي كثيف

تتقاسم مجال المنطقة الأراضي الغابوية والمجالات المخصصة للرعي ثم الزراعة البورية والمسقية. فإلى جانب الفلاحة ذات الطابع التقليدي تتكون الزراعات البورية من الحبوب الشتوية (10 ق / هك) والقطاني والزيتيات. كما تتميز بادية العرائش بقطاع سقوي تغطي مساحته 40000 هكتارا. بينما تتكون الزراعات المسقية من الحبوب (= 15 ق / هك) والزراعات البقلية والعلفية، والقطاني والزراعات الصناعية (شمندر وقصب السكر) والزيتية (عباد الشمس، فول سوداني وصوجا). يمثل إنتاج الشمندر بالمنطقة 10٪ من المنتوج الوطني وبمردودية متوسطها 357 قنطار / هك، ويمثل قصب السكر 25٪ بمردودية متوسطها 632 قنطار / هك.

مع التسعينيات، بدأت تتكاثر زراعة التسويق والمضاربة : كرز، بطيخ، مغارس المشمش والأفوكا والكيوي كما انتشرت البستنة على مساحة تقدر بحوالي 7800 هك. وهو يوحي بالحاجة الملحة إلى خطة تنموية دقيقة وواضحة تستوعب تحولات فلاحة التسويق والمضاربة بالأساس وتأخذ بالاعتبار أصناف النبات، وحدات التصنيع، وحدات التبريد والتثليج... وهي عناصر وثيقة الصلة بتنوع المنتوج وتعدد آفاق التسويق محليا ووطنيا ونحو البلاد الأوربية.

تربية الماشية :

تمكن مؤهلات الإقليم الطبيعية ووفرة المراعي من تربية الأغنام والماعز. وقد عرفت تربية الأبقار في النطاق السقوي نموا مهماً (91 رأسا / 100 نسمة)، وذلك نتيجة للإنتاج الهائل للعلف ولحصيدة هذه المنطقة المسقية والمستعملة بشكل ملائم.

جدول 1 : عدد رؤوس الماشية سنة 1999 (1000)

الأبقار	الغنم	الماعز
84.6	179,3	109.3

وكذلك لاستيراد سلالات خالصة بغرض الرفع من إنتاج الحليب. إلا أن النشاط الفلاحي بمنطقة العرائش يواجه عدداً من المعيقات يمكن إجمالها في استمرار التعامل السلبي مع المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي من جهة وفيما يرتبط بفاتورة مياه الري ومحدودية دور التعاونيات والعزوف عن التعامل مع القرض الفلاحي ومخلفات هجرة الشباب إلى الخارج من جهة أخرى.

جدول 2 : عدد رؤوس الأبقار حسب النوع سنة 1994 (1000)

محلي	محسن	المجموع
46,9	37,7	84.6

مصايد العرائش، الأهم بشمال المغرب

يعتبر نشاط الصيد البحري الساحلي حيويا واستراتيجيا لساكنة المدينة. يساهم بشكل فعال في التشغيل كما يساهم بنسب مداخيل أكبر، مقارنة بمجموع المصيدات على المستوى الوطني كما يتضح من تطور منتوجات الصيد البحري الساحلي خلال السنوات الأخيرة :

جدول 3 : تطور منتوج الصيد البحري الساحلي (بالطن)

سنوات	1995	1996	1997	1998	1999
منتوج	41168	23036	25648	26419	30537

وبنفس الوتيرة تطور الصيد البحري الساحلي فأصبح المنتوج السمكي يستعمل في مجالات اقتصادية متعددة مثل الاستهلاك المباشر، التصبير، التثليج، مشتقات السمك، التمليح، التطعيم... تستهلك منه العرائش كمية 8613 طن في السنة، ويصدر الباقي إلى مناطق أخرى أو إلى الخارج (سمك أبيض وقشريات).

جدول 4 : تطور الصيد حسب الأصناف (بالطن) وحسب القيمة (1000 درهم) سنة 199

	الصنف	سيرلان	روبيو	باجو	أخر	المجموع	قشريات	رخويات
سمك أبيض	كم بالطن	100	14	**	557	671	207	63
	قيمة/در	1971	114	4	4075	6164	2181	703

	الصنف	أنشوبة	إسفمري	شرن	سردين	أن	أخرة	المجموع
سمك سطحي	كم بالطن	6155	169	150	284	**	914	7672
	قيمة/در	15403	599	465	1024	**	3998	21489

تعبر الأرقام الواردة (جدول 4) عن سجلات رواج سوق الجملة بميناء المدينة علما أن كمية أخرى من السمك تروج بموازاة السوق الرسمي. ويختلف حجم هذا الرواج السري حسب الصرامة في تطبيق القانون لدى المسؤولين عن تسيير

الميناء ؛ والواقع أن استغلال هذه الموارد يتأثر أيضاً لتقادم وضعف التجهيزات والبنيات التحتية.

العرائش جزء من القطب الصناعي طنجة ـ تطوان

يساهم القطاع الصناعي في التشغيل وفي الاستثمار والتصدير، فيما تمثل الوحدات الصناعية بالعرائش 7.6٪ مقارنة مع مجموع وحدات جهة طنجة ـ تطوان. وتتميز البنية الصناعية خصوصا بمؤسسات صناعية ـ غذائية، ونسيجية أنشئت من أجل الرفع من مردودية المنتجات الفلاحية والموارد البحرية. ومن أهم مؤسسات العرائش الصناعية وحدات تكرير السكر، وتصبير الطماطم، وتعبئة الغاز، ووحدات تصبير ومعالجة السمك وبعض معامل النسيج ومعمل الآجر.

جدول 5 : أهم المؤشرات الصناعية بعمالة العرائش سنة 1998
(مليون درهم)

عدد المؤسسات	مستخدمون دائمون	قيمة المبيعات	إنتاج	صادرات	نفقات	استثمارات
44	2391	737	767	273	140	29

الصناعة التقليدية :

تعتبر الصناعة التقليدية في الإقليم إحدى القطاعات الرئيسية للنشاط الاقتصادي علاوة على كونها تشكل تراثا ثقافيا وفنيا تمت المحافظة على أصالته وقيمته جيلا بعد جيل. وقد أكسبته السياحة طابعاً استهلاكيا يعتمد الرواج أساسا على مواد أولية محلية أو مستوردة مثل الجبس والطين والفضة والنحاس والصوف والجلد والخشب والحرير والنباتات المائية مثل البردي.

السياحة :

يواجه الوضع السياحي بالمدينة مفارقات كبيرة تنعكس سلبا على أدائه حيث يظل ضعيفا على الرغم من الاستعداد وعلى الرغم من تعدد المؤهلات :

موقع ليكسوس الأثري، يشكل قطبا كبيراً يؤمه السياح كما يفسر جاذبية الموقع أهميته التاريخية الكبيرة ضمن حوض الأبيض المتوسط الغربي.

رغم أن مرور الطريق السيار قلل من عدد زوار المدينة، فمليونا مسافر يمرون سنويا عبر الطريق الرئيسية التي تخترق مدينة العرائش ؛ وهو معطى يبقى محدوداً في غياب خط للسكك الحديدية.

ـ مؤهلات طبيعية عالية مرتبطة بمناخ متوسطي، حار وجاف صيفا، رطب ومعتدل شتاءً. كما أن المدينة تطل على ساحل بحري صخري يمتد على عشرات الكلمترات في اتجاه الجنوب، وآخر رملي يمتد شمالا حتى مدينة أصيلة تقريبا.

ـ نظراً للطابع الفلاحي المميز لاقتصاد المنطقة، تعتبر مداخيل السكان محدودة وضئيلة وهو ما يفسر تكلفة معيشية في متناول الزوار متوسطي الدخل، ويشجع على السياحة الداخلية.

جدول 6 : الوحدات التجارية والخدماتية بالعرائش

مقاهي	مطاعم	متاجر	تجارة جملة	محطة بنزين
91	40	22	15	8

أدى هذا الوضع إلى ضعف ومحدودية مساهمة القطاع السياحي في النشاط الاقتصادي للمدينة، ويستدل على هذا من خلال الجدول التالي :

جدول 7 : توزيع الفنادق المصنفة بالإقليم (31 . 12 . 1999)*

فنادق	نجمة واحدة	نجمتان	3 نجوم	4 نجوم	5 نجوم	قرى العطل السياحة	إقامة مساحة مراكز الاستجمام	مجموع
عدد الفنادق	2	1	**	**	**	**	**	3
عدد الأسر	122	54	**	**	**	**	**	176

* لم يدرج الجدول الفنادق غير المصنفة والمخيمات والمنازل الخاصة القابلة للاستئجار

إكراهات التنمية : رغم المؤهلات المتوفرة، تعاني العرائش من عدة إشكالات :

ـ محدودية الاستثمار عامة، وفي المجال السياحي خاصة ؛

ـ غياب الاستثمار للموقع السياحي ليكسوس، ونفس الشيء بالنسبة للسواحل ولمصب النهر ؛

ـ الطابع الموسمي للنشاط السياحي الذي يمتد بالخصوص إبان الفترة الصيفية ؛

ـ التركيز على الاستجمام كمنتوج سياحي أحادي وإهمال باقي المؤهلات الثقافية والإيكولوجية للمنطقة ؛

ـ تدني جودة الخدمات ؛

ـ غياب المراقبة الصارمة والفعالة للجودة ولأسعار المنتوجات المباعة بالبزارات والمؤسسات ؛

ـ نقص وسوء تنظيم التأطير بالنسبة للمرشدين السياحيين.

خاتمة :

يتوفر إقليم العرائش على مؤهلات اقتصادية كفيلة بتحقيق إقلاع اقتصادي واجتماعي منشودين. وتتضح هذه المؤهلات في فلاحة حديثة ذات إمكانات هائلة بواسطة السقي وتربية المواشي المنتقاة. أما القطاع الصناعي فبمقدوره إبراز قيمة وتنوع المنتوجات الفلاحية، وخلق مناصب الشغل وتوسيع السوق وطنيا ودوليا.

غير أن المدينة تعاني من بعض الإكراهات كتكاثر السكن غير اللائق والضعيف التجهيز، وتراجع الأراضي الفلاحية بسبب السيرورة المستمرة للبناء. كما تعاني من

ضعف الاستثمارات في الصناعة الغذائية ومن محدودية وسائل النقل كغياب السكة الحديدية وتوقف النقل البحري التجاري.

فهل يمكن للقطاع السياحي أن يساهم في دعم الاقتصاد بنسب أكبر إذا تمت الاستفادة أكثر من الثروة الطبيعية عبر البدائل المقترحة، مثل الحدائق الطبيعية، وتشجيع القنص والسياحة الغابوية وتصميم وتجهيز المخيمات بالغابات الثلاث المحيطة بالمدينة...

الواقع أن انعدام بنية سياحية وانعدام بنية ثقافية وفي غياب استراتيجية تنموية بالإقليم ؛ يتوجب تركيز العناية وفق محاور هادفة منها :

- حماية المجال والموارد الطبيعية من الاستنزاف وذلك بوضع استراتيجية تنموية تعمل بالتخصص في الإنتاج وتقنينه بما يضمن الشغل والمردود وتطور مستوى عيش السكان.

- تدبير وتنظيم الموارد البشرية في قطاع الخدمات خاصة على مستوى السياحة البيئية مع إنشاء متحف للبحر قرب مصب نهر اللوكوس وآخر للتنمية البيئية ومنتزه طبيعي في سافلة اللوكوس.

مديرية الإحصاء، 2000، *النشرة الإحصائية السنوية للمغرب*، 2000، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط ؛ أكراز، ع. و 1999، *لكسوس ؛ حدائق التفاح الذهبي*، مخطوط برنامج مندمج في المواقع الأثرية ممول من "ميدا" للاتحاد الأوربي، وثيقة داخلية.

A. El Gharbaoui, *La terre et l'homme et le Habt de Larach, H.T.E.*, vol. 5, n° 21 ; *Aspects de la morphologie littorale de la péninsule de Tanger, R.G.M.*, n° 23 / 24, 1973 ; *L'homme et la terre dans le péninsule tingitane*, Rabat, 1981, 2 vol. ; M.A.D.R.R.M., *Stratégie 2020 de développement rural. Conseil Général du Développement Agricole*, Casablanca, 1999 ; A. Slaoui, *Contribution à l'étude de la variabilité des précipitations et des bilans hydriques dans le Nord-ouest du Maroc*, D.E.S.? Univ. des Sciences et Techniques de Lille, France, 1986 ; PISA (Programme Intégré des Sites Archéologiques), Espace culturel LI-LA(Lixus-Larache), projet pilote, Fév. 2002 (inédit).

بوشتى الفلاح وعبد المالك سلوي

تميز تاريخ العرائش كمدينة بحرية بدورها الكبير في مكافحة الاختراق الإيبيري للمغرب، خاصة وأن ميناءها كانت له أهمية خاصة لأنه كان محميا حماية طبيعية، إضافة إلى قربه من مضيق جبل طارق، وبسبب ذلك تعرضت المدينة لمهاجمة الإيبيريين عدة مرات، فقد هاجمتها سفنهم منذ أوائل العصر المريني في حملة خاطفة ودخلوها سنة 668 / 1270، وقتلوا عدداً من سكانها في الوقت التي كان فيه المرينيون منشغلين بفتح مدينة مراكش. وقد أعاد المرينيون بناء المدينة وجعلوا بها رباطا.

وابتداء من احتلال سبتة سنة 1415 بدأ تهديد البرتغاليين للعرائش يزداد، حتى تمكنوا من مهاجمتها سنة 876 / 1471، فهجرها سكانها لمدة لا بأس بها خوفاً من العدوان. وفي عهد الوطاسيين قام مولاي الناصر بن السلطان محمد الشيخ الوطاسي بإصلاح المدينة وإعادة الحياة لها، بل أصبحت المركز البحري المتقدم للوطاسيين إلى الشمال بعد طنجة وأصيلا وأهم ميناء مغربي للتجارة. وهذا ما جعلها تتعرض للهجوم من جديد من البرتغاليين سنة 910 / 1504.

وبعد سقوط الأندلس ازدادت أهمية مدينة العرائش خاصة وأن العديد من الأسر الأندلسية قد استوطنتها، وأصبح لها دور في حركة الجهاد البحري الذي نظمه الأندلسيون، ثم سرعان ما أحس الأتراك العثمانيين بالدور الهام لمرسى العرائش في حركة الجهاد البحري فقصدها أسطولهم سنة 1517 ليتخذها منطلقاً لعملياته في المحيط، الشيء الذي دعا الإسبان إلى مهاجمتها من جديد عدة مرات بعد ذلك كان أعنفها هجوم سنة 953 / 1546 الذي انطلق من قادس، لكنه لقي فشلا ذريعاً. وحاول الإسبانيون والبرتغاليون بعد ذلك أن يعرقلوا حركة الملاحة بمرسى العرائش سنة 1566 بإغلاق فم المرسى عن طريق إغراق سفينة محملة بالحجارة، لكن مدفعية المدينة منعتهم من ذلك.

وبفضل مقاومتها العنيدة للغزاة ظلت العرائش لمدة لا بأس بها الميناء الوحيد في الشمال الذي أفلت من السيطرة البرتغالية، فازدادت أهميتها في حركة الجهاد البحري بعد إخلاء البرتغال لأصيلا سنة 957 / 1550. وكان السعديون قد شجعوا الدور الجهادي للعرائش خاصة في عهد السلطان عبد الملك المعتصم الذي دعم النشاط الجهادي للمغاربة والأندلسيين حيث "أمر بإنشاء السفن بالعرائش، وصار أهل الأندلس يسافرون في البحر مع أهل المغرب، وضيقوا بالنصارى أشد تضييق، وكثرت الغنائم" (*تاريخ الدولة السعدية*، 53). الأمر الذي دعا الملك الإسباني فليب الثاني إلى التفاوض بشأن تسليمه العرائش مع السلطان عبد الملك السعدي سنة 1571 مقابل مساعدته ضد أخيه المتوكل في النزاع الذي كان بينهما. وإحساسا من الأتراك بنفس الأهمية والخطورة فإنهم عرضوا على نفس السلطان عرضا مماثلا مقابل المساعدة في نفس النزاع ؛ لكن السلطان السعدي كان واضحاً في رفض تلك المساومات التي تمس سيادة البلاد. وعندما عزم البرتغاليون على مهاجمة المغرب اشترط ملكهم دون سبستيان على محمد المتوكل التنازل له عن العرائش. ولا شك أن دور مجاهدي العرائش كان بالغ الأهمية في الانتصار الساحق الذي حققه المغاربة على الجيش البرتغالي في معركة وادي المخازن سنة 986 / 1578، وكدليل على أهمية المدينة خلال هذه الفترة كلها فإن اسمها تردد كثيراً في الوثائق الرسمية الإسبانية والبرتغالية.

وظلت مكانة العرائش الجهادية قوية أيضاً في عهد المنصور الذهبي الذي اهتم بها فأسس بها حصنين دفاعيين عرف أحدهما بحصن الفتح وهو مطل على البحر. وعين على رأس أسطولها البحري القائد أبا سالم إبراهيم الشاط.

وإحساسا من الإسبان بخطورتها جعلوها على رأس مطالبهم في تفاوضهم مع السلاطين السعديين، حتى رضخ محمد الشيخ المأمون وسلمها لهم سنة 1019 / 1610 مقابل

20.000 دوكة، ومقابل مساعدته ضد أخيه زيدان، الشيء الذي أثار سخط العلماء فأفتوا ضده، وعم الحزن المغرب بأسرة إثر هذه الواقعة، فأصبح المغاربة يلبسون نعالاً سوداً تعبيراً عن الحداد على العرائش، لكن هذا السلطان الخائن لم يفتأ أن اغتيل سنة 1022 / 1613. وعندما دخل الإسبان المدينة بنوا بها برجا دفاعيا يعرف ببرج اللقالق.

ومنذ ذلك التاريخ ظلت مدينة العرائش على رأس اهتمامات المجاهدين المغاربة وعلى رأسهم المجاهد العياشي والمجاهد الخضر غيلان والزاوية الدلائية في الفترة التي أعقبت سقوط دولة السعديين، لكنها مع ذلك استعصت على التحرير وظلت مستعمرة إسبانية لمدة 82 سنة إلى أن حررها القائد أحمد بن حدو بعد حصار دام ثلاثة أشهر في عهد السلطان مولاي إسماعيل سنة 1100 / 1689 في ملحمة جهادية يطول الحديث عنها، وعم الفرح بفتح العرائش سائر أهل المغرب، وتذكر بعض المصادر أن السلطان مولاي إسماعيل أمر بعد فتح العرائش بخلع النعال السود ولبس النعال الصفر تعبيراً على فك الحداد. وقتل من النصارى في الفتح حوالي 1200 وتم أسر 2000 ؛ ووقع نقاش علمي بين فقهاء المغرب عن حكم غنائم تحرير المدينة، فألف قاضي مكناسة أبو مدين السوسي كتاباً سماه السهم الطائش في حكم غنيمة العرائش. وكان فتح العرائش منطلقا لفتح مدينة أصيلا بعد سنتين فقط.

ومنذ تحرير العرائش إلى إعادة احتلال الإسبان لها من جديد يوم 8 يونيو 1911 لم تتوقف تهديدات السفن الأوربية للعرائش، فقد هاجمها أسطول فرنسي من 14 قطعة بقيادة الأميرال الفرنسي دوشوفو وقنبلها سنة 1765، وضربها أسطول النابريال (النمسا) سنة 1829، وقنبلتها السفن الإسبانية خلال حرب تطوان سنة 1860.

ومع ذلك فقد عرفت خلال القرنين (18 و19) استمراراً للنشاط التجاري البحري، كما أن بعض السلاطين العلويين قد أولوها بعض العناية مثل المولى سليمان والحسن الأول.

كانت العرائش من بين المراسي الأولى التي أعيد فتحها في وجه التجارة الأوربية في بداية القرن التاسع عشر وظلت مرسى نشيطاً منفتحاً على المراسي المغربية الأخرى والمراسي الأجنبية، لكن حركتها التجارية ما لبثت أن تراجعت في أوائل القرن العشرين.

ومن الناحية العمرانية كانت العرائش القديمة محاطة بسور تتخلله خمسة أبواب هي باب البحر وباب المرسى وباب القصبة وباب المنجرة وباب بارة.

وعندما احتلها الإسبان سنة 1911 اتخذوها نقطة عسكرية هامة بالنسبة لاستراتيجيتهم العسكرية في التحكم في منطقة الاحتلال الإسباني في شمال المغرب، وأصبحت قاعدة إقليمية في منطقة الهبط، وأسسوا بها حياً بني على طراز هندسي حديث خارج المدينة العتيقة، فاستوطنتها جالية إسبانية مهمة، وتطور عدد سكانها من 5000 نسمة، منهم 2000 من اليهود و150 أوربيا في نهاية القرن الماضي، إلى 10.000 نسمة في بداية عهد الحماية. وقفز العدد في إحصاء سنة 1955 إلى 43.000 نسمة منهم 27.000 مسلمون و13.000 إسبان، و1300 من اليهود. واستمر نشاطها البحري في عهد الحماية بالخصوص في مجال الصيد، فقد كان بها سنة 1953 حوالي 230 قارباً صغيراً ومتوسطاً للصيد.

ابن أبي زرع، *الذخيرة السنية*، الرباط : مجهول، *تاريخ الدولة السعدية الشكمادارتية*، الرباط، 1934 ؛ الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954 ؛ الوفراني، *نزهة الحادي*، تصحيح هوداس، الرباط ؛ عدة أبحاث بمجلة *الليكسوس*، إصدار مجموعة البحث حول بلاد الهبط، العرائش، ع 1، يوليوز، 1997.

محمد المغراوي

العرائشي، أحمد بن الحاج **عبد القادر** بن علال المكناسي، من أسرة العرائشيين الذين وفدوا مع الولي الصالح سيدي عبد الله بن حَمّد، واستوطنوا بالعرائش من أرض "تلاجدوت" أحد أحواز مكناس القديمة ـ بأمر من الولي المذكور وذلك حوالي أوائل القرن التاسع للهجرة، ثم انتقلوا للسكنى بداخل مكناس في تاريخ غير مضبوط. وهم أهل علم منهم القضاة والنظار والمحتسبون والفقهاء المدرسون.

كان أحمد بن عبد القادر العرائشي معدوداً من كبار علماء مكناس عارفا بالفقه والنحو والفرائض، بارعا في الحساب والتوقيت والتعديل ومعرفة الطوالع وأحكام النجوم والأوفاق.

أخذ عن شيوخ مدينة مكناس في وقته أمثال العلامة الحاج المختار الذي درسه مختصر خليل والألفية، وموقت مكناس الجيلالي الرحالي وميقاتي فاس إدريس الحبابي اللذين أخذ عنهما التعديل والحساب.

تولى إثر عودته من فاس خطة الكتابة مع شيخه العلامة الحاج المختار، ثم الأمراس السلطانية المخصصة لخزن الحبوب والزيوت التي تجبى من أعشار الإيالة، ثم الكتابة مع محتسب مكناس الحاج محمد أجانا. ثم انسلخ عن ذلك كله وأقبل على تدريس الحساب والتوقيت والتعديل، كما درس القلصاوي ومنية ابن غازي وروضة الأزهار، والرسالة الستينية في الضرب والقسمة وغير ذلك فانتفع من تدريسه خلق كثير، وممن أخذوا عنه الفقيه المعدل عبد القادر بن المعطي والوجيه الميقاتي الطالب العلمي بن رحال والعدل الفقيه الحسن المنوني وغيرهم.

توفي في ذي الحجة عام 1318 ودفن بالزاوية الناصرية بمدينة مكناس.

ابن زيدان، *الإتحاف*، ا، ص. 455 ؛ *والإتحاف*، 5، ص. 355 ؛ محمد المنوني، *محمد بن الحسين العرائشي*، مجلة دعوة الحق، ع 9 و10، 1968، ص. 108 ـ 109.

العرائشي، عبد الوهاب قاضي الحضرة الاسماعيلية

وخطيب منبر جامعها الأعظم، عبد الوهاب بن الحاج محمد الشهير بـ "حم العرائشي المكناسي". علامة مشارك فقيه متفنن، نحوي ماهر، خطيب بليغ مصقع. جاء في ظهير تعيينه ناظرا على أحباس المساكين : "الفقيه النحوي الخطيب البليغ الناظر الاسعد ... طاهر النشأة وقورها، محمود السجية مشكورها متحليا بالسكينة، خطبته الخطط العلية واغتبطت به المجادة الأولية، واستعملته الدولة المنيفة التي ترتاد أهل الفضائل للرتب، وتستظهر على المناصب بأبناء التقى والحسب، فسار معدوداً من أعيان خطبائها وصدور نبهائها".

قربه المولى إسماعيل وعهد إليه بنظارة أحباس المساكين بعد وفاة والده، تم بخطة القضاء، كما تصدر للتدريس بجامع النجارين واعتنى بتدوين ما يرجع إلى ماموريته. هذا إلى جانب الخطابة بالجامع الأعظم.

توفي في 10 جمادى الثانية عام 1127 ودفن بضريح الولي الشهير عبد الله بن حَمَد.

حوالة أحباس الأحمدية بمكناس، رقم 3، ص. 2 ؛ ابن زيدان. *الإتحاف*، 5، ص. 398 ـ 399 ؛ ابن زيدان، *المنزع اللطيف*، ص. 36.

العرائشي، محمد الحاج الشهير بـ "حم" بن أحمد العرائش، "فقيه جليل، صوفي نبيل" كان ناظراً في العهد الاسماعيلي على أوقاف الولي عبد الله بن حمَد، وهو الذي تولى بناء ذلك الضريح بأمر من السلطان. وظل متوليا منصب نظارة تلك الأوقاف حتى وفاته في 18 جمادى الأولى عام 1089 / أبريل 1686، فتولى نفس المنصب بعد ابنه عبد الوهاب. وقد توارثت عائلة العرائشي هذا المنصب أجيالا متعددة.

ابن زيدان، *الإتحاف*، 4، ص. 43 ؛ *حوالة أحباس الأحمدية* بمكناس، رقم 3، ص. 127 ؛ محمد المنوني، *محمد بن الحسين العرائشي*، مجلة *دعوة الحق*، ع 9، 10، 1968، ص. 108.

رفيقة بلمقدم

العرائشي، مَحمد بن عبد القادر العلمي المكناسي. ولد عام 1344 / 1926 في مدينة مكناس. وقرأ على عمه الفقيه المؤدب سيدي عبد السلام العرائشي، وعنه تعلم مبادئ الكتابة والقراءة. ثم على شيوخ مكناس أمثال محمد بن الحسين العرائشي والشيخ محمد بن إدريس الشبيهي والقاضي محمد بن أحمد العلوي والشيخ محمد العربي المنوني وغيرهم. ثم انتقل إلى فاس ودرس في التعليم النظامي بالقرويين إلى أن حصل على شهادة العالمية تخصص العلوم الشرعية سنة 1366 / 1947.

وفي خضم مزاولته لعمله كمحافظ للخزانة المذكورة طلب منه رئيس المجلس العلمي الإقليمي لمدينة مكناس مولاي المصطفى العلوي المساهمة في دروس الكراسي العلمية التي أمر الملك الحسن الثاني بإحداثها بأهم المدن المغربية لتكون بمثابة جامعة شعبية، على غرار الدروس التي كانت تلقن للعموم بالمعاهد الإسلامية، فأسندت إليه مهمة تدريس علمي الفرائض والتوقيت بالمسجد الأعظم بمكناس بمقتضى قرار من وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري مؤرخ بـ 21 محرم 1407 الموافق لـ 26 شتنبر 1986. وفي السنة نفسها عين مستشاراً لأكاديمية التعليم الجهوية بمكناس بقرار من وزير التربية الوطنية الدكتور محمد الهلالي. وفي 13 رجب 1408 الموافق لـ 02 مارس 1988 عين عضواً بالمجلس العلمي الإقليمي بقرار من وزير الأوقاف سابق الذكر بناء على ظهير ملكي. وقد ظل يشغل هذه العضوية وأستاذية الفرائض والتوقيت إلى حين وفاته يوم الخميس 03 رمضان 1421 الموافق لـ 30 نونبر 2000 بمدينة الرباط في فندق حسان بالغرفة رقم : 101 حيث كان وقتها يستعد لحضور الدروس الحسنية الرمضانية. ونقل جثمانه يوم الجمعة إلى مسقط رأسه بمدينة مكناس، فووري الثرى في صحن ضريح مولاي عبد الله بن حَمَدْ على يمين الداخل، خارج باب البرادعيين أحد أبواب مدينة مكناس.

وعلى الرغم من اختلاف انتماء سيدي مَحَمَّدْ العرائشي السياسي مع العديد من زملاء الدراسة والعمل المكناسيين سواء بمكناس أو بفاس فقد استمرت علاقته بهم طيبة ـ بشهادة الأستاذ عبد اللطيف الصايغ والسيد علال العيساوي ـ مادامت أفكارهم وطموحاتهم كانت تلتقي عند هدف واحد هو تحرير البلاد.

واعترافا بخدمات سيدي مَحَمَّدْ العرائشي فقد حصل على مجموعة من الامتيازات حيث عين عضوا في وفد الحج الرسمي سنة 1391 موافق 1972 برئاسة وزير الأوقاف آنذاك الحاج أحمد برگاش، وأحرز على وسام الرضى من الدرجة الأولى في 7 ربيع الأول سنة 1390 موافق 13 ماي 1971، ثم وسام الاستحقاق من الدرجة الممتازة بتاريخ 21 جمادى الثانية 1406 موافق 03 مارس 1986.

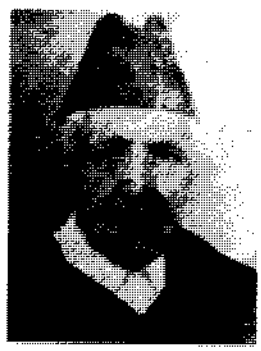

واعتباراً لهذه الإسهامات العلمية المتعددة والمتنوعة وغيرها التي لم يتم الإشارة إليها الصادرة بمجلات : دعوة الحق والإرشاد والإيمان والسفير واللواء الثقافي، وبجرائد : المرشد والرأي العام والمعركة. وكذا لمكانة الرجل الوطنية، أقامت جمعية البعث الثقافي بمكناس بتاريخ 11 شوال 1421

الموافق 06 يناير 2001 حفلا تأبينيا للفقيد مَحَمَّدْ العرائشي بمناسبة الذكرى الأربعينية لوفاته، شارك فيه العديد من أصدقائه وتلامذته، وتليت خلاله قصائد في رثائه وكلمات بينت مناقب وخصال الرجل الوطنية والعلمية والخلقية.

محمد العرائشي، *فهرس شيوخي المسمى "الفهرس الجامع لشيوخ والمدرسة والجامع"*، مخطوط، انتهى من تحريره ليلة الجمعة 11 شوال عام 1411 موافق 26 أبريل 1991 ؛ *حوار* أجراه محمد العرائشي مع الإذاعة الوطنية بتاريخ السبت 16 جمادى 1410 موافق 16 دجنبر 1989 بمنزله في حمرية. وقد أجرى معه الحوار محمد الرمال من قسم البرامج بالإذاعة الوطنية بالرباط، وأذيع ببرنامج ضيف الزوال ؛ محمد العرائشي، *ترجمة الشاعر أبي محمد عبد القادر العرائشي المكناسي*، مطبعة كريماديس، تطوان، 1972 ؛ محمد العياشي المطاسي، *التعليم الحر والأصيل وتأطير الطلبة والشباب*، مقال منشور ضمن كتاب لمحات من تاريخ كفاح مدينة مكناس، منشورات الجمعية الإسماعيلية الكبرى، ص. 19 ـ 47 ؛ جون جيمس دِيس، *المدارس الحرة بالمغرب*، 1919 ـ 1970، تر. السعيد المعتصم، منشورات تانسيفت، 1991 ؛ روايات شفوية.

محمد ياسر الهلالي

العراق والمغرب، احتل العراق حيزاً متميزاً على المسرح الدولي، على مدى الثلاثة عشرة سنة الأخيرة من القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين (1990 ـ 2003)، وذلك في ظل أزمة غزوه للكويت (غشت 1990) وما ترتب عن ذلك من تداعيات متسلسلة، ابتداء بحرب الخليج الثانية (يناير 1991)، وانتهاء بالاحتلال الامريكي ـ البريطاني له (أبريل 2003). مروراً بمحنة الحظر الشامل الذي فرض عليه (1991 ـ 2003). وبانعكاسات الحرب الاستنزافية التي جاربها عليه سلاح الطيران الأمريكي ـ البريطاني، في إطار ما سمي بـ " مناطق الحظر العسكري" في الشمال والجنوب، والعواقب الاقتصادية الناجمة عن تدمير منشآته المدنية والعسكرية وعملية "ثعلب الصحراء" (دجنبر 1998).

وعلى مدى الثلاثة عشر سنة الأخيرة من التوترات والمجابهات والمنازلات السياسية والعسكرية والدبلوماسية، ظل العراق موضوع انشغال كبير من قبل المجتمع الدولي ومجلس الأمن، تجلى في صدور العديد من القرارات الاممية، طالت مختلف مراحل التوترات والمواجهات، من جهة، وأطرت، من جهة أخرى، إقامة وتدبير حالة الحظر الذي فرض عليه.

بل أن هذا الانشغال المركز، بما انطوى عليه من رؤى ومصالح متباينة لمختلف الفاعلية الدولية قد أدى إلى إحداث انقسام حاد في حظيرة مجلس الأمن، ما بين دعاة خيار الحل العسكري المباشر ودعاة الحل السياسي المشروط، مما كاد أن يفضي إلى أزمة دولية مؤسساتية عميقة.

كما أسس العراق، من جانب آخر، موضوع اهتمام واستقطاب للرأي العام العالمي، عكستهما، بصفة خاصة، المسيرات الشعبية الحاشدة التي عرفتها الساحة العالمية، من إسبانيا إلى اليابان، ومن المغرب إلى اندونيسيا، في إطار حملة لمناهضة الحرب، ورفض العدوان الامريكي ـ البريطاني عليه (شاء 2003).

ومما لا ريب فيه، أن هذا المعطى السياسي المعاصر، بما اتسم به من دينامية وكثافة، ينم عن رهانات حيوية تنصب على مقومات المكان والإمكان والمكانة، وهي العناصر التي كيفت على الدوام تاريخ بلاد الرافدين، منذ العهد السومري ـ الاتحادي التليد، في الربع الأول من الألفية الثالثة قبل الميلاد (2700 ق. م) إلى العصر الجمهوري النهضوي المعاصر، في النصف الثاني من القرن العشرين (1958 ـ 2003).

فمن حيث المكان، إن العراق الذي تمتد أراضيه في آسيا العربية، في أقصى الجانب الشرقي لـ "الهلال الخصيب"، احتل على الدوام موقعاً جغرافيا حيويا : فهو ملتقى المحاور الكبرى للتيارات التجارية بين البحر الأبيض المتوسط وآسيا الغربية والمحيط الهندي، قديماً، وهو يمثل حاليا مركزاً حساسا لشريان نفطي يمتد من بحر قزوين إلى خليج غينيا في إفريقيا، كما يشكل بؤرة استقطاب سياسي واقتصادي وثقافي في الخليج العربي والشرق الأوسط.

ومن حيث الإمكان، فإن توفر العراق على ثروات اقتصادية هائلة، لم تجتمع لأي بلد من بلدان منطقة الشرق الأوسط والخليج : الثروة النفطية (أزيد من 10٪ من المخزون الاحتياطي العالمي للنفط) والثروة المائية (مياه الرافدين : دجلة والفرات)، والثروة البشرية، بفضل انتشار التعليم والتكوين ـ باتت تؤهله أن يكون قطباً اقتصادياً وانتاجياً وثقافياً فاعلاً ومؤثراً في مستقبل المنطقة.

ومن حيث المكانة، فإن العراق، بحكم دوره التاريخي وميراثه الحضاري ومقدراته الاقتصادي ومؤهلاته البشرية، بات يحتل مكانة متميزة في محيطه العربي ـ الإسلامي، بل في محيطه الاقليمي والدولي.

فعلى مدى خمسة آلاف سنة، ظلت بلاد الرافدين مركز إشعاع حضاري وثقافي أسهم أيما إسهام في بناء الحضارة الانسانية وفي دفع عجلة التطور البشري. وهكذا فقد أسهمت "ميزوبوتاميا" القديمة، في ظل الحضارة الأكادية ـ البابلية ـ الاشورية في إحداث طفرة بشرية جبارة في مجالات فن الري والعمران وفي ابتكار فن الكتابة وغيرها.. كما اسهمت "بلاد الرافدين"، في ظل الدولة الإسلامية العباسية في تحقيق ثورة معرفية وثقافية وفنية وعمرانية وتنظيمية وتشريعية هائلة، امتدت أمواجها الحضارية إلى كل أرجاء العالم القديم، من آسيا إلى إفريقيا وأوربا، ومن المتوسط والمحيط الأطلسي إلى المحيط الهندي والمحيط الهادي. ولقد استهل المقدسي حديثه عن العراق بقوله : "هذا إقليم الظرفاء، ومنبع العلماء، لطيف الماء، عجيب الهواء ومختار الخلفاء.." (*أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم*، 1906، ط. 2، ص. 113).

2 ـ معالم من العلاقات المغربية العراقية : بالرغم من

امتداد المسافة الجغرافية التي تفصل بين العراق في أقصى المشرق العربي، والمغرب، في أقصى المغرب العربي، فإن أواصر العلاقات بين البلدين، بمستوياتها السياسية والثقافية والاقتصادية، لم تنقطع تماماً، منذ القرن السابع الميلادي، بالرغم من تقلبات الأحوال وتبدلات الظروف ..

ولئن اتسمت، في البدء، حركية العلاقات المغربية ـ العراقية بكثافة التبادل المعرفي، وديناميةالتفاعل الثقافي، في ظل سيادة الجفاء السياسي، على امتداد الفترة الإسلامية ـ العباسية، فإن دينامية هذه العلاقات سرعان ما اعتراها تراجع بل جمود خلال الحقبات اللاحقة من تاريخ العراق، الحقبة المغولية (1258 ـ 1534) والحقبة العثمانية (1934 ـ 1917) والحقبة الاستعمارية (1917 ـ 1958)، قبل أن تعرف من جديد انتعاشاً وتطوراً، ابتداء من منتصف القرن العشرين...

ويمكن إجمال معطيات هذا التطور من العلاقات الثنائية بين البلدين، خلال الحقبة المعاصرة، في ثلاثة مستويات حيوية : سياسية وثقافية واقتصادية.

فعلى المستوى السياسي، عرفت العلاقات الثنائية تطوراً إيجابياً ومطرداً على امتداد عدة عقود، كان الموقف العراقي خلالها حاضراً بقوة في كفاح المغرب من أجل الاستقلال ثم في نضاله من أجل وحدته الترابية.

وفي هذا المضمار، لم يعد سراً اليوم أن أول دعم مادي ومعنوي خارجي، تلقته الحركة الوطنية المغربية، والحركة المسلحة بالذات، كان مصدره العراق الملكي في بداية الخمسينيات، وذلك بشهادة قادة المقاومة المغربية الذين لا يزال بعضهم على قيد الحياة (شهادة حسن صفي الدين، المدعو حسن الأعرج). كما كان دعم العراق لقضية استقلال المغرب في أروقة الأمم المتحدة، إلى جانب دعم باكستان ودول إسلامية أخرى، دعماً قوياً وفعالاً في ذلك الظرف العصيب الذي كانت تجتازه "القضية المغربية" آنئذ.

ومن منتصف السبعينيات، غداة استرجاع المغرب لأقاليمه الصحراوية، في إطار من التعبئة الشعبية حول الملك الحسن الثاني، تغمده الله برحمته، كان العراق البلد العربي الوحيد الذي عبر عن موقف مبدئي صريح وواضح من تأييده للوحدة الترابية المغربية ورفضه لأطروحة قيام "كيان صحراوي مستقل"، وهي الأطروحة التي كان يروج لها خصوم الوحدة الترابية للمغرب، وانساقت معها دول وحكومات ومنظمات عربية وغير عربية ..

وقد تحمل العراق، بشجاعة وصلابة تبعات موقفه المبدئي هذا، حيث تزامنت لفترة علاقاته الثنائية مع حكومة الجزائر، في وقت كانت فيه الأخيرة تمارس دور الوساطة في معالجة النزاع العراقي ـ الإيراني.

وعلى قاعدة هذه الأرضية الصلبة التي تسند تضامن وتفاعل البلدين مع القضايا التحررية والمصيرية، سادت بين القيادتين السياسيتين للبلدين علاقات تفاهم وتواصل وتعاون تحدت بمتانتها كل الملمات واخترقت بصلابتها كل الملابسات.

وانطلاقاً من مواقف المغرب المبدئية وتقاليده العريقة من التضامن مع اشقائه في العراق، فقد استمر المغرب في تأكيد انشغاله بتطورات الشأن العراقي خلال التسعينيات وضرورة إيجاد حل دبلوماسي وسياسي للمسألة العراقية. وفي مجال التعاون الثقافي، فقد كان العراق سباقاً إلى فتح مركز لتكوين المعلمين بالدار البيضاء (1957) عقب حصول المغرب على استقلاله، تخرج منه عدد من مدرسي التعليم الإعدادي في المدارس المغربية، كما زودوا وزارة التربية الوطنية بعدد من المدرسين العراقيين لسد حاجة المغرب آنئذ إلى الأطر التدريسية، في إطار الحملة الوطنية من أجل تعميم التعليم ... كما ظل العراق يستقبل عدداً من الطلبة المغاربة للدراسة بالعراق بمنح عراقية فتزايد عددهم، سنة بعد أخرى، ليبلغوا المئات عند نهاية الثمانينيات.

ومن جهة أخرى، فتح المغرب مؤسساته الجامعية لاحتضان عدد من أساتذة التعليم العالي العراقيين الذين ساهموا إلى جانب مدرسين عرب آخرين، في إرساء بنيان الجامعة المغربية الفتية...

وقد وقع البلدان في إطار الدورة السابعة للجنة المغربية ـ العراقية المشتركة، المنعقدة في شتاء 1998 (9 ـ 11 نونبر 1998) على بروتوكول تنفيذي للتعاون الثقافي والعلمي والفني يغطي السنوات 1999 ـ 2001.

أما فيما يتعلق بمستوى التعاون الاقتصادي، فقد عرفت علاقات التبادل التجاري والتعاون الاقتصادي نمواً مطرداً منذ منتصف السبعينيات، وذلك عملاً بمقتضيات الاتفاق التجاري الموقع ببغداد بتاريخ 24 أبريل 1976، والبروتوكول الملحق به في 15 يوليوز 1980، والذي أصبح بموجبه تبادل السلع بين البلدين بدون رسوم جمركية. ولقد غدا العراق، قبل الحظر الاقتصادي الذي فرض عليه، المستورد العربي الأول للمنتجات المغربية.

وللرفع من حجم المبادلات التجارية وقع البلدان على بروتوكول التجارة والتعاون الاقتصادي بتاريخ 27 يونيه 1988 يتم بمقتضاه زيادة مشتريات المغرب من النفط مقابل تخصيص جزء من قيمة هذه المشتريات لتسديد قيمة سلع مغربية مصدرة إلى العراق ..

كما استقبل العراق عدداً من العاملات والعمال المغاربة بقصد الاستيطان والعمل في المجال الفلاحي، تمتعوا بشروط مشجعة من مجال الإقامة والاستثمار..

وقد عقدت الدورة السابعة للجنة المغربية ـ العراقية المشتركة ببغداد في نونبر 1998، لإعطاء دفعة جديدة للتعاون بين البلدين، تمت خلالها الدعوة إلى تكثيف مشاركة الشركات المغربية في المناقصات الدولية التي تطرح لتزويد العراق بالمواد الغذائية والأدوية، في إطار "مذكرة التفاهم" بين العراق والأمم المتحدة، كما تم تأكيد التزام العراق

بتسديد ديون الشركات المغربية بعد رفع الحصار الاقتصادي عنه، إضافة إلى تأكيد عزم البلدين على توثيق التعاون بينهما في مختلف المبادين الاقتصادية والفنية ..

كما عقدت بالرباط، في الفترة من 3 إلى 5 أبريل 2000، الدورة الثامنة للجنة المشتركة المغربية ـ العراقية، وخلالها تم تحديد عدد من مجالات التعاون بين البلدين..

وفي سياق علاقات التضامن والتعاون التي تدعمت بين البلدين، وعلى كافة المستويات، خصوصاً خلال العقود الثلاثة الأخيرة، أمضى البلدان سلسلة من الاتفاقات والبروتوكولات طالت مختلف مجالات الأنشطة الاقتصادية والتجارية والفنية (اتفاق تجاري : أكتوبر 1976 / بروتوكول ملحق بالاتفاق التجاري : يوليوز 1980 / اتفاق للتعاون البحري والتجاري : أكتوبر 1981 / اتفاقية للتعاون الاقتصادي والفني : أكتوبر 1981 / بروتوكول للتجارة والتعاون الاقتصادي : يونيه 1988) والجوية (اتفاقه جرى في يونيه 1974) والسياحية (اتفاق سياحي في أبريل 1976) والفلاحية (بروتوكول اتفاق في شأن العائلات المغربية الموفدة إلى العراق، بقصد الاستيطان والعمل في الميدان الفلاحي : أكتوبر 1980) والاعلامية (اتفاق للتعاون الاعلامي : يونيه 1979) والشبابية (بروتوكول اتفاق للتعاون في مجال الشباب والرياضة : دجنبر 1976) والعلمية والثقافية (اتفاق علمي وثقافي : أبريل 1976 / برنامج تنفيذي للتعاون الثقافي والعلمي للسنوات 1999 ـ 2001).

محمد الاخصاصي

العراقي، أحمد بن **محمد المهدي** الحسيني من أعيان العلماء المحدثين في القرن (13 هـ)، أستاذ مشارك، فقيه علامة "ذا جد وانقباض وصلابة في الدين وهدي حسن وصلاح متين وآمر بمعروف ونهي عن منكر غير مألوف" (*سلوة*)، وكان إماماً خطيباً ومدرساً بالضريح الإدريسي، ويأمر به وينه ﻷولو في حال الخطبة .. وكان يطول في الصلاة كثيراً حتى ترك كثير من الناس الصلاة وراءه من أجل ذلك (*سلوة*).

أخذ عن جماعة من العلماء كسيدي الوليد العراقي (صاحب *الدر النفيس فيمن بفاس من بني محمد بن نفيس*) وغيره، وانتفع به غير واحد من نجباء الطلبة.

والعراقي هذا هو صاحب الفتوى حول مساهمة الرعية في أعباء المالية التي اقتضاها صلح تطوان مع إسبانيا عام 276 / 1860، إذ كانت المبالغ المالية الثقيلة التي يطالب بها الإسبان كغرامة حربية (المادة التاسعة من نص المعاهدة 16 أبريل 1860)، لم يتيسر لحكومة المغرب أن تجمعها بسهولة، وبدأ من خلال رسائل المخزن إلى المدن والقبائل المغربية مدى القلق والحيرة التي استبدت بالمغاربة. فكان أن فكر المخزن في استفتاء أهل العلم ورجال الرأي في شأن هذه النازلة، فجاءت أجوبة العلماء عن استفتاء السلطان، وأثارت، في مجملها، مسألة المعونة، وفيها دعوة إلى الاستكانة والصبر وإلى عدم الشقة في الأعداء وعدم الركون إليهم. وربط العراقي ـ كباقي العلماء ـ وجوب الطاعة بالتروي في مواجهة الشدة وصلابة العزم. ولا يمكن فصل نص فتوى العراقي عن الأجوبة التي أوردها الوزاني في *نوازله الصغرى* ومحمد داوود في *تاريخ تطوان* فبينهما صلات وعرى وثيقة، فمضمونها متشابه، كما يلاحظ أن لأصحابها نفس الصياغة الفقهية، ونفس الأسلوب في طرح مسألة المعونة، ونفس الطريقة في معالجتها بالتماس الشرعية الدينية لها.

توفي أحمد العراقي في منسلخ جمادى الآخرة سنة ست وثمانين ومائتين وألف.

م. المهدي الوزاني، *النوازل الصغرى*، 1 : 340، 345 ؛ الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ج 3 : 37 ؛ الأزهري، *اليواقيت الثمينة*، 1 : 88 ؛ م. داوود، *تاريخ*، 5 : 102 ـ 118 ؛ م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، ج 2، 139 ؛ ع. النازي، *جامع القرويين*، ج 3 : 813، ط 1 : 972، بيروت، ع. العزيز الشناوي خلوق، *حرب تطوان من خلال الأجوبة الفقهية*، ضمن ندوة، *التاريخ وأدب النوازل*، دراسات تاريخية مهداة للفقيد محمد زنيبر، منشورات كلية الآداب الرباط، المحمدية، ط 1 : 1995، ص. 238.

العراقي، إدريس بن **محمد** بن إدريس من الشرفاء الحسنيين بفاس، فقيه عمدة، محدث ومتفنن مطلع. كان ـ رحمه الله ـ أحد أئمة الدين وأكابر العلماء المتبحرين "سلطان الحفاظ في الآثار النبوية ورئيسهم وأعلمهم بالصناعة الحديثية" (*الدر النفيس*، ص. 254). وكان آية في الحفظ والرواية والإتقان والضبط وما يتعلق بذلك، ومن المعول عليهم في الحديث والإسناد والرواية والضبط والتخريج والأنساب وما يتبع ذلك، مرجوع إليه في علم الحديث من أهل عصره من غير مدافع، فقل ما تفرغ باب دارد من الفقهاء الذين يسألونه عن علم الحديث كالشيخ أبي محمد عبد الكريم اليازغي (*الدر النفيس*، ص. 257)، حتى أنه ـ فيما يذكر معاصروه "استدرك أحاديث كثيرة على الجامع الكبير للجلال السيوطي". أخذ ـ رحمه الله ـ الحديث وغيره عن شيوخ فاس كوالده وأبي العباس بن المبارك والشيخ ميارة الأصغر والشيخ محمد جسوس وغيره، وأسانيده من أعلى الأسانيد كما في (*الدر النفيس*، ص. 257). وقد أخذ عنه أقوام وانتفعوا به منهم ابن عمه العلامة سيدي زيان وولداه أبو محمد وأبو زيد عبد الرحمان وغيرهم، ومن أخذ عن المترجَم علم الحديث العارف أبو عبد الله محمد الصقلي الحسيني.

وله تآليف منها شرح على الشمائل، وشرح على إحياء الميت في فضائل أهل البيت وشرح الثلث الأخير من الصغاني وغير ذلك وأغلبه شروح في علوم شتى.

توفي سيدي إدريس سنة اثنتين أو ثلاث وثمانين ومائة وألف (1182 / 1183) ودفن بمحراب زاوية مولاي أحمد الصقلي الحسَّني.

ع. الفاسي، *غاية الأمنية*، ص. 38، خ. ع، الرباط، 97 ج ؛ الوليد الفاسي، *الدر النفيس*، ص. 254 ـ 257، خ. ع، الرباط، 97 ج، فهرسة ؛ ابن الصادق، م. مخلوف، *شجرة النور الزكية*، ص. 351.

العراقي، الحسن بن عبد الرحمان بن العباس الحسَّني، العلامة المطلع المشارك العدل الموثق "كان يكتب الوثيقة عن فهم ومعرفة ما يراد بها مع خط حسن" (*إتحاف أعلام الناس*) له شهرة في ذلك مع خيارة ودين.

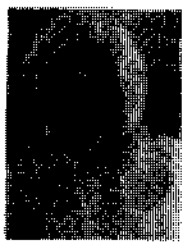

أخذ عن الشيخ التهامي بن المدني كنون، وعن الشيخ محمد بن محمد زويتن، وعن الشيخ علال بن الفاطمي البرابلي الحسني، وعن الشيخ محمد ـ فتحا ـ بن قاسم القادري، وعن الشيخ عبد السلام بن عمر العلوي الحسني، وعن الشيخ أحمد بن الخياط وعن الشيخ محمد بن جعفر الكتاني وغيرهم من الأشياخ.

وذكر في *سل النصال* أنه اتصل به واستفاد من علمه خصوصاً علم التوقيت والفرائض والحساب.

توفي في صباح يوم الأحد سابع وعشري رجب الفرد الحرام عام ثمانين وثلاثمائة وألف ودفن بروضتهم بالقباب (ابن سودة، *سل النصال*).

ع. ابن سودة، *سل النصال*، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، ج 9 : 3301.

العراقي، عبد الرحمان بن العباس الحسني، من الشرفاء بفاس خير فاضل، كان علامة مشاركاً.

قرأ على أخيه محمد بن العباس العراقي وعلى الفقيه الحاج محمد كنون وغيرهما من أشياخ الحاضرة الإدريسية فشأنها عال في المدائن العلمية. وتصدر بعد ذلك للتدريس في القرويين وامتاز بتدريس الفقه والنحو وغيرها من العلوم التي كانت يومئذ تلقى بحلقات الدرس بالجامع السعيد. ولسيدي عبد الرحمان بن العباس عارضة قوية في نظم الشعر، ومن نظمه همزية عارض بها همزية الإمام البوصيري، ومنظومة في آداب الدعاء وأخرى في شمائل المصطفى صلى الله عليه وسلم، وله "منظومة في النكرة والمعرفة وعلم الجنس والمطلق" (خ ع الرباط 2572 د ضمن مجموع) وغير ذلك من الأنظام والاشعار.

توفي في عنفوان شبابه (*إتحاف المطالع*) عام أربعة عشر وثلاثمائة وألف، ودفن بروضة الصقلبين داخل باب عجيسة.

ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، ج 8 : 2809 ؛ الأزهري، *البواقيت الثمينة*، ص. 200 ؛ مخلوف، *شجرة النور الزكية*، ص. 432، 433 ؛ كحالة، *معجم المؤلفين*، 5 : 142 ؛ الزركلي، *الاعلام*، ج 3 : 309، قدور الورطاسي، *ذكريات الدراسة في فاس*، ص. 171.

العراقي، عبد العزيز بن محمد رشيد الحسَّني، كان مدرساً علامة مشاركاً، أدخل إلى النظام القروي (*الدرة الفاخرة*) في الطبقة الثانية في بيان العلماء الذين عينوا بالقرويين للتدريس.

وممن أخذ عنه قدور الورطاسي، أخذ عنه قواعد اللغة العربية وعلوما أخرى كانت مقررة في برنامج الدروس بالقرويين.

توفي عام تسعة وخمسين وثلاثمائة وألف ودفن بروضة والده معه.

إتحاف ذوي العلم والروح، ص. 70 ؛ *دليل مؤرخ الأقصى*، 1 : 95 ؛ *الدرر الفاخرة*، 51 ؛ *سل النصال / موسوعة أعلام المغرب*، 8 : 3075 ؛ ع. الله الجراري، *شعراء المغرب وأدباؤه المعاصرين*، تح. سعيد الفاضلي، مرقونة، ص. 127 ؛ قدورالورطاسي، *ذكريات الدراسة في فاس*، ص. 65، 66.

العراقي، عبد القادر بن أبي القاسم الحسيني، الفقيه العلامة، الواعظ المحدث. نشأ في حفظ وصون، وحفظ القرآن والمتون المعتادة، وأخذ عن أشهر علماء بلاده، وفاس يومئذ من أزهر بلاد العلم بالمغرب، واحتضنت أعلاما أجلاء كعبد السلام القادري وعبد القادر الفاسي وولده محمد، وعبد الهادي العراقي وعبد الله المسناوي. من مؤلفاته "*رفع الخفاء عن منظومة الفناء*" (طبع على الحجر مرتين).

ع. الفاسي، *غاية الأمنية*؛ الوليد العراقي، *الدر النفيس*، خ. ع، الرباط، 97 ج، ضمن مجموع، ص. 218 ؛ الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، ص. 237.

عبد المجيد بوكاري

العراقي، عبد الله بن أبي القاسم الأنصاري العراقي، عالم أديب شاعر من أهل مدينة فاس، لا نعلم عنه كثيراً سوى أنه كان متضلعاً بعلم الكلام وأقرأه بإشبيلية مدة. وكان من خاصة الخليفة الموحدي السعيد ومن جلسائه، فعينه مزواراً لطلبة الحضر سنة 643 / 1245، ونظراً لتوتر الظروف السياسية في عصر هذا الخليفة الذي يقع في مرحلة ضعف الدولة الموحدية وقيام الصعوبات في وجهها، فإنه كان يبعث

شيخ الطلبة العراقي في بعض المهام ذات الطابع السياسي لدى الثوار والقبائل.

توفي بمراكش في حدود سنة 646 / 1248.

ابن الزبير، *صلة الصلة*، ج. 8، الرباط، 1984 ؛ ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*، تج. إ. عباس، بيروت ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، الدار البيضاء، 1985.

محمد المغراوي

العراقي، عبد المجيد بن المهدي بن عبد المجيد العراقي الحسَيْني "الشيخ الجليل والعلامة المشارك، المطلع المؤرخ المعتني النسابة" (*سل النصال*). كانت ولادته عام خمسين ومائتين وألف. نشأ في بيت صلاح وتقوى وعلم .. وفي فاس أخذ عن الشيخ عبد السلام بن الطائع بوغالب الحسَني، والشيخ محمد ـ ضما ـ بن المدني كنون، والشيخ المهدي بن الطالب بن سودة، وشقيقه الشيخ أحمد بن سودة، والشيخ المدني بن علي بن جلون، والشيخ أحمد بن أحمد بناني كلا، وأضرابهم.

ذكر ابن سودة في *سل النصال*، أنه كان له اتصال بالمترجم لقرب محل سكناه منهم، إذ كان في آخر عمره سكن "بدار برأس الزاوية من حومة المخفية" وتبرك به، وكان يسأله عن الحوادث.

وكان له ولع "بعلم الآلة وحفظ أشعارها وموشحاتها"، وأظهر معرفة كبيرة حتى أنه يجلس وسط الجوق ويطلبون منه "أن يقترح عليهم النوبة التي يرتضيها" فيلاحظ عليهم الأوقات، إن وقت الصبح يصلح له كذا ووقت المساء يصلح له كذا .. "فإنه كان يحفظ هذه المناسبات ويعللها بعلل حلوة مستطابة ويذكر في ذلك حكايات مناسبة كلها مضحكة لا تمل مجالسته" (*سل النصال*).

وللمترجم اعتناء بالتقييد والتأليف، وكان به ميل لتقييد الحوادث مما شاهده أو أُخْبِر به منها، ذيل على نشر المثاني للشيخ محمد بن الطيب القادري الحسني، وله ذيل على تأليف قريبه الوليد العراقي في الشعبة العراقية المسمى *الدر النفيس فيمن بفاس من بني محمد بن نفيس* إلى غير ذلك...

توفي عام ثمانية وثلاثين وثلاثمائة وألف.

ع. السلام بن سودة، *سل النصال* / *موسوعة أعلام المغرب*، ج 8 : 2910.

العراقي، علي زين العابدين المدعو زيان بن هاشم ابن عبد الرحمان بن محمد بن حمدون، من الأشراف العراقيين وهم حسَيْنيون بالياء بعد السين. والمترجم من مشاهير الفقهاء العلماء، كان مشاركاً في عدة فنون لا سيما النحو "فقد كان فيه لا يجارى ولا يُدرك شأوه ولا يبارى، بل كان أنحى أهل فاس على الإطلاق" (*سلوة*، 1 : 114)، مع ملكة في التدريس وفصاحة في اللسان وضبط وإتقان.

أخذ عن أبي العباس بن مبارك وأبي عبد الله جسوس، والكبير السرغيني وعبد المجيد الزبادي وابن عمه الهادي العراقي وغيرهم، وعمدته الإمام أبو حفص الفاسي. وأخذ عنه خلق كثير من أهل فاس وغيرهم منهم أولاده والعلامة عبد الواحد الفاسي (صاحب *غاية الأمنية*)، والفقيه محمد بن إبراهيم مفتي فاس سنة 1241 وأبو عبد الله الطيب بن كيران وأبو الفيض حمدون بن الحاج وأبو الربيع سليمان الحوات، ذكر في *ثمرة أنسي في التعريف بنفسي* وانتفعت به العلوم الأدبية نحواً وبياناً وتصريفاً وعروضاً ولغة وأنسابا وإفادات وإنشادات وغير ذلك مما تمس ضرورة الأدب إليه، وكذلك أخذت عنه جملة صالحة من الفقه والحديث والمنطق" (*ثمرة أنسي*، 251).

توفي يوم السبت 29 جمادى الأولى سنة 1194 وهو في سن الخمسين، ودفن داخل قبة أبي عبد الله التاودي (خارج باب الجيسة).

الحوات، *السر الظاهر*، خ. ع، الرباط، 2619 د ؛ *ثمرة أنسي في التعريف بنفسي*، ص. 215، مرقونة ؛ م. الزبادي، *سلوك الطريق الوارية في الشيخ والمريد والزاوية*، خ. ع، الرباط، 247 ك ؛ الوليد العراقي، *الدر النفيس فيمن بفاس من بني محمد بن نفيس*، خ. ع، الرباط ؛ ع. الفاسي، *غاية الأمنية*، خ. ع، الرباط، 97.

العراقي، عمر بن **عبد القادر** بن قاسم بن عبد الرحمن بن إدريس بن عبد الرحمان بن إدريس الحسَيْني، "العلامة المطلع، المشارك الخير الصالح العامل المتواضع" .. أخذ عن الشيخ أحمد بن الخياط، وعن الشيخ محمد ـ فتحا ـ بن قاسم القادري الحسَني، وعن الشيخ عبد السلام الهواري، وعن الشيخ أحمد بن الطالب بن سودة، وأخذ علم الهيأة عن الشيخ صالح التادلي، وتبرك بالشيخ أحمد بن أحمد بناني كلا، وغيرهم من الأشياخ.

ذكر ابن سودة (*سل النصال*) أنه طلب منه قراءة المقنع فلبى طلبه بشرط أن يكون ذلك في جامع صغير، فكان يقرأه بجامع الشيخ إسحاق بحومة مصمودة. وكان قليل التدريس إلا في بعض الجوامع "قليل المخالطة مع الناس، ملازماً عبادة ربه".

توفي في جمادى الأولى عام ثمانية وخمسين وثلاثمائة وألف، ودفن بروضتهم الكائنة قرب السويقة داخل باب فتوح.

ع. السلام بن سودة، *سل النصال* / *موسوعة أعلام المغرب*، ج 8 : 3067.

العراقي، عمر بن **محمد** بن رشيد الحسَيْني، القاضي بن القاضي، فأسرتهم مشهورة بالقضاء والفتيا، أجلة علماء فضلاء.

وزاوج سيدي عمر بين القضاء والتدريس، فدرس بالقرويين الحساب، ثم تولى القضاء بقبيلة شراكة بمكناس،

وأخيراً عضوية مجلس الاستيناف الأعلى بالرباط، ثم أحيل على التقاعد، وسكن الدار البيضاء.

توفي ونقل إلى فاس ودفن بروضة والده بحوانيت عبد الله قرب رأس القليعة داخل البيت مع والده، عام ثمانية وتسعين وثلاثمائة وألف.

ع. بن سودة، *سل النصال* / *موسوعة أعلام المغرب*، ج 8 : 4374؛ م. الفاطمي، *إتحاف ذوي الرسوخ والتمكين*، ص. 104 ؛ ع. الله الجراري، *شعراء المغرب الأقصى وأدبائه*، تح. سعيد الفاضلي، مرقونة، كلية الآداب، الرباط، 1991 . 1992.

العراقي، محمد بن **إدريس** بن حمدون العراقي الحسيني، من بيت مشهور بالنسب إلى سيدنا الحسين بن علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ نحوي علامة، عالم مشهور بالنباهة والتحصيل. أخذ عن جماعة منهم عبد السلام القادري وعبد القادر الفاسي وولده محمد وهو عمدته. وعنه أخذ أبو محمد بن أحمد الفاسي وعبد الهادي العراقي ومؤلف *الأنيس المطرب*، وأبو حفص عمر الفاسي. وبينه وبين عبد الله المسناوي خلة وأسئلة.

والمترجم هو أحد أئمة النحو والعروض بفاس، لغوي بياني، محقق مشارك نفاع. وولي تدريس النحو بالكرسي الذي عن يمين الداخل للقرويين من باب الكتبيين زمناً مديداً. وذكر له مترجموه تقاييد كثيرة في النحو (*سلوة*، 2 : 28). وله من المؤلفات شرح على أرجوزة عبد السلام القادري في السيرة، وسمى شرحه "*جمع ما انتشر من أخبار خير البشر*" ولم يصلنا كاملاً، وقسم منه بالخزانة العامة بالرباط رقم 43 ك.

توفي في 20 ربيع الثاني سنة 1142، قال في *المورد الهني* "ودفن بروضة ابن عبد الرزاق قرب ولي الله سيدي أبي غالب".

العلمي، *الأنيس المطرب*، ص. 292 ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، 2 : 219 ؛ *التقاط الدرر*، 2 : 353، *الإكليل والتاج*، الرباط ؛ الوليد العراقي، *الدر النفيس*، خ. ع، الرباط، 97 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 2 : 28، م. مخلوف، *شجرة النور الزكي*.

العراقي، محمد بن **رشيد** بن محمد الحسيني، كانت ولادته عام 1275 / 1858، العلامة المشارك، المطلع النوازلي، المحقق المدقق، من بيت علم وشرف، مما هيأ له الجو المناسب للتبحر في العلم والنبوغ فيه، وهذا الجو بالذات هو الذي خلق منه عالماً بارعاً، وساعد على تكوين شخصيته العلمية والفكرية وفاس يومئذ معقل رجال العلم والأدب والفكر وموطن تفاعل ثقافي وحوار ومناظرة.

أخذ عن الشيخ محمد بن المدني كنون، وعن الشيخ محمد ـ فتحا ـ بن عبد الرحمان العلوي الحسني (قاضي فاس)، وعن الشيخ أحمد بن أحمد بناني كلا، وعن الشيخ محمد بن عبد الواحد بن سودة ... وعن الشيخ جعفر بن إدريس الكتاني، وعن الشيخ عبد الهادي بن أحمد الصقلي الحسيني (قاضي الجماعة بفاس)، وعن الشيخ المدني بن علي جلون، وعن الشيخ عبد المالك بن محمد العلوي الحسني الضرير، وعن الشيخ محمد بن العباس العراقي الحسيني(1295) وغيرهم من الأشياخ.

ذكر ابن سودة أنه قرأ عليه المختصر صباحا، وحضر عليه صحيح البخاري في رمضان بضريح أحمد الصقلي الكائن بباب النقبة (*سل النصال*)، وممن أخذ عنه الجيلاني بن الباشا حمو بن الجيلاني البخاري المكناسي (*إتحاف*، 2 : 155)، وأخذ عنه محمد بن عبد الرحمان العراقي (*سل النصال*).

تولى العراقي القضاء بطنجة عام 1303، ثم تولى النيابة عن شيخه عبد الهادي الصقلي بقصورة البساط، ثم عين قاضياً بفاس الجديد إلى أن نقل لقضاء مقصورة السماط في عام 1326، واستمر عليها إلى أن أخر عنها في شعبان عام 1346، وله معرفة واطلاع واسع على النوازل والقضايا.

وتعرف للمترجم مؤلفات عديدة في فنون مختلفة من تاريخ وأنساب وتراجم وفقه وتفسير وفتوى وتقاييد مختلفة. ويذكر مترجموه بعض هذه المؤلفات مثل شرح على الهمزية، ورسالة في الإمامة، وتأليف في السدل، وتأليف في رؤية الهلال، وآخر في المقاصد الدينية، وتأليف في أضحية فاس القديم قبل فاس الجديد التي أفتى فيها الإمام القصار، وختمتان للمختصر : ختمه صغرى (طبع على الحجر وختمه كبرى (طبع على الحجر بفاس، 6 : 13)، وأحكام صدرت منه أيام قضائه، قال ابن سودة : "لو جمعت لكانت في عدة أسفار" (*سل النصال*) وله كذلك تأليف في المولى عبد العزيز سماه "*الذهب الإبريز في محاسن السلطان المولى عبد العزيز*" وتأليف في العائلة المقربة، هذا عدا تقاييد وفتاوى في بعض القضايا التي كانت تطرح في زمانه، سياسية واجتماعية واقتصادية ..

وقد عرف الرجل بمواقفه الوطنية وغيرته، كما ثبت من خلال تقاييده ومدوناته وفتاويه ورسائله، كغيره من العلماء والوجهاء في فاس وغيرها من بلاد المغرب، الذين كانوا يتفاعلون مع قضايا عصرهم، وقد أثمرت هذه المواقف النبيلة كتابات كثيرة، شعراً ونثراً، وأثرت الخزانة المغربية في هذا العهد، وعكست النقاش الفكري حول بعض القضايا والنوازل. ونذكر مثالاً واحد من هذه المواقف التي حركت

ضمير الأمة وألهبت حماس الوطنيين الغيورين على بلادهم.. وأقصد بذلك النبأ الذي نشرته جريدة "كوكب إفريقية" التي كانت ترتبط بالولاية العامة بالجزائر، فقد نشرت في عدد المؤرخ بـ 10 ذي القعدة 1327 / 1907، خبراً مفاده أن السلطان مولاي عبد العزيز استفتى علماء فاس في الاستعانة بدولة أجنبية على تنظيم البلاد وتهدئتها، فزعمت هذه الصحيفة أن هؤلاء أجمعوا على إفتاء السلطان بجواز هذه الاستعانة، فكتب العلماء تكذيباً قاطعاً لما اختلقته الجريدة المذكورة مؤيدين ردهم بالحُجَج، ودونوا ذلك في شكل أجوبة متتابعة حررها زمرة من فقهاء فاس وقضاتها، كان من بينهم القاضي محمد بن رشيد العراقي، ومن بين الذين كتبوا هذه النازلة العباس التازي، أحمد بن الخياط، وعبد السلام الهواري، ومحمد المهدي بن رشيد العراقي، وغيرهم.

وقد ألف في ترجمة محمد بن رشيد العراقي الفقيه محمد بن إدريس بن فرتون السلمي (1346 / 1927) تأليفا سماه *الجواهر اللؤلؤية في التعريف بواسطة الشعبة العراقية الحسنية*". كما الف فيه محمد بن أحمد أحمد بن الحاج السلمي (1364 / 1944) *المواقيت السنية المهداة للحضرة العراقية*".

توفي المترجم عام 1348 / 1929، ودفن بروضته التي أحدثها بحوانيت السيد عبد الله بن أحمد السوسي قرب باب الحمراء.

ع. ابن سودة، *سل النصال / موسوعة أعلام المغرب*، ج 8 : 299 ؛ *إتحاف المطالع* : ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، ج 2 : 115، 391؛ الاعلام، 6 : 361 ؛ *الدرر البهية*، 2 : 244 ؛ *الدر المكنون*، 70 ، فهرس محمد بن إدريس القادري، *معجم الشيوخ*، 1 : 90 ؛ *معجم المؤلفين*، 9 : 312، *مختصر العروة الوثقى*، 5 ؛ التيطوني، *معجم المطبوعات المغربية*، ص. 237 ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، ج 2 : 337، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، ج 2 : 141 ؛ ع. الله الجراري، *التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين*، ص. 153، مكتبة المعارف، ط 1 : 1406، 1985 ؛ ع. الهادي التازي، *جامع القرويين*، 3 : 820.

العراقي، محمد بن **عبد الرحمان** بن العباس الحسيني، عالم من كبار علماء القرويين، وشيخ لطائفة من الشيوخ، ومجاهد صلب في عهد الاستعمار حيث وقف مواقف خالدة لنصرة دين الله والوطن.

أخذ عن الشيخ الشريف ـ اسما ـ بن علي التكناوي الحسني، وعن الشيخ علال بن الفاطمي الهرابلي، وعن الشيخ حماد الصنهاجي، وعن الشيخ عبد السلام بن محمد بناني الطبيب، وعن الشيخ محمد ـ فتحا ـ بن الشيخ قاسم القادري الحسني، وعن الشيخ عبد السلام بن عمر العلوي الحسني، وعن الشيخ خليل بن خالد الخالدي، وعن الشيخ محمد بن رشيد العراقي.. وعن الشيخ أبي شعيب الدكالي، وعن الشيخ محمد بن جعفر الكتاني، وعن الشيخ أحمد بن الجيلاني الامغاري، وعن الشيخ عباس بن أحمد التَّازي، وعن الشيخ عبد الله بن الهاشمي ابن خضرا السلاوي (قاضي فاس) .. وغيرهم من الأشياخ.

ولما دخل النظام إلى كلية القرويين كان من أول من أدرج به، وكانت له مشاركة في حلقات التدريس بها، وامتاز بتخصصه في علم قواعد اللغة العربية وما إليها من الات "على ما كانت له من مشاركة عميقة في مختلف العلوم التي كانت تدرس في عهده بالقرويين" (بين ظلال الأصالة). وصفه الورطاسي بقوله "أشقر طويل القامة مهاباً على ما به من دعابة ونكت، يمشي في عزة وهو يمد بصره نحو الآفاق، يزور الطلبة في حجراتهم وفي أقاليمهم ويزورونه، لا يمل جليسه من أحاديثه الممتعة، علماً وأدباً وفكاهات ونوادر" (بين *ظلال الأصالة*).

وأثبت بعلو همته وإخلاصه عزماً وصلابة ووطنية خالصة، وهي خصال كانت مطلوبة في أيامه لما كانت تجتازه البلاد من تحولات وتشوف إلى الرفع من قدر هذه المؤسسة كمنار للعلم ومعلمة للحفاظ على الهوية الوطنية .. والأمة يومئذ تمور وتغلي، فكانت القرويين معقل رجال الحركة الوطنية وخزانا هائلاً للطاقة الخلاقة المبدعة.

وفي حوادث 1944 / 1363، كان المترجم من الرجال الذين أظهروا تحمساً وشجاعة حول القضية الوطنية، فامتحن ـ رغم شيخوخته ـ ونفي إلى الصحراء وبقي في منفاه ما يزيد عن عام ونصف لم تؤثر على ثباته وقوة عزيمته، ووقع سراحه في شعبان 1364، ولما خلع السلطان محمد الخامس امتنع من التوقيع على عزله، فنهبت داره وأخذ ما بها من المتاع، واستمر في التدريس بالقرويين وأظهر الإخلاص والتفاني في خدمة وطنه.

توفي محمد بن عبد الرحمان العراقي في سابع صفر عام ثمانية وتسعين وثلاثمائة وألف ودفن بروضتهم بالقباب، وفي أربعينيته أقيم حفل تأبيني بمعرض فاس حضره جمع من العلماء بالقرويين وأعيان البلد، وألقيت فيه كلمات مؤثرة، وفيها ألقى قدور الورطاسي قصيدة في شيخه ضمنها آهاته وعدد فيها صفات الفقيد.

ع. ابن سودة، *سل النصال بالأشياخ وأهل الاكمال* / *موسوعة أعلام المغرب*، ج 9 : 3471 ؛ ابن زيدان، *الدرر الفاخرة* ؛ م. الفاطمي، *إتحاف ذوي العلم والرسوخ*، 145 ـ 157، الدار البيضاء، 1978 ؛ ع. الله الجراري، *شعراء المغرب الأقصى وأدباؤه المعاصرين*، تح. ع. الفاضلي، مرفونة، كلية الآداب، الرباط، 1991، 1192 ؛ قدور الورطاسي، *بين ظلال الأصالة*، 190 ـ 192 ؛ الأمنة 1409، 1989 ؛ قدور الورطاسي، *فضيلة العلامة سيدي محمد بن عبد الرحمان العراقي الحسني في ذكراه الأربعينية*، جريدة العلم، 108 / 10 / 25 ربيع الأول عام، 1398، الموافق 26 / 2 / 1978.

العراقي، محمد بن **محمد** بن رشيد بن محمد الحسْني، دعي سيدْهُم، علامة مشارك مطلع، يدرس مبادئ النحو، وينتزل مع المبتدئين حتى يعرفوا درسه جيداً، مستظلا بشهرة والده وجاهه.

أخذ عن والده وهو عمدته، وعن عمه الشيخ المهدي العراقي، وعن عمه الشيخ المامون العراقي، وعن الشيخ علي بن عبد القادر بن سودة، وعن الشيخ أحمد بن الخياط، وعن الشيخ محمد ـ فتحا ـ القادري وغيرهم.

تخرج من جامع القرويين، واشتغل بالشهادة والإفتاء والتدريس ذكر ابن سودة أنه أخذ عنه بالقرويين خطبة الألفية. ولي العراقي قضاء قبائل سلاس وفشتالة والحياينة ناحية فاس ثم قضاء مزكلدة ناحية فاس أيضا.

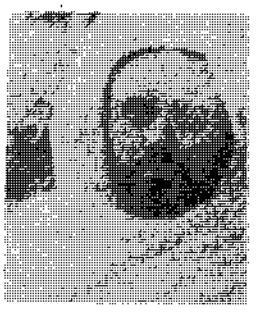

للمترجم مجال في التأليف نذكر منها : *"السعادة الأبدية في أحوال الأبوين وفروعها المرضية"* (طبع على الحجر بفاس) وله شرح على قصيدة بانت سعاد سماه *"حديقة أزهار زهير في قصيدة كعب بن زهير* (طبع على الحجر)، وله *"الصوارخ المنزلة في أحوال البسملة"* تكلم فيه مع عبد الحي الكتاني في كتابه *"الرحمة المنزلة"* حيث تعرض فيه للشيخ عبد الحافظ إدريس بن محمد العراقي (1183)، أطال فيه، وله ختمة على الألفية، وله *"إلهام المنزلة في طرق حديث البسملة"* وتقييد في ذم الحسد، والمورد الهني الأسعد في حديث كشف نبينا وآدم بين الروح والجسد". هذا عدا الأحكام النهائية التي صدرت عن والده القاضي محمد بن رشيد العراقي زمن قضائه في طنجة وفاس العليا الإسلامية، سماه *"التحفة المنشية في الأحكام العراقية النهائية"* الطنجية والفاسية" وصدره بترجمة للمنوه به، ذكر العلامة محمد المنوني أنه عند أسرة المؤلف بفاس ثلاثة أجزاء، حسب المزرخ بن سودة (*المصادر العربية*، 2 : 141).

توفي المترجم منتصف ليلة الأربعاء، فاتح شعبان 1359 ودفن بزاوية والده بسوق عبد الله حومة وادي الزيتون بفاس.

ع. ابن سودة، *سل النصال* / *موسوعة أعلام المغرب*، ج 8 : 3077 ؛ القيطوني، *معجم المطبوعات المغربية* ؛ م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، ج 2 : 141.

العراقي، محمد الهادي ويدعى بسيدي عبد الهادي بن محمد بن عبد الرحمان بن حمدون، من العراقيين الحسنيين، شهير في رجال العلم والعرفان بفاس، ومن بيت علم وجود، كثير الإحسان والرفق بالمساكين يبذل لهم المجهود ويميل بهم إلى التيسير، وهو بالصلاح والزهد والتقوى والعفاف مشهور، وليس بذي حرص على متاع الدنيا، وله محبة في الصالحين، زوار لأولياء الله تعالى. قرأ عل شيوخ فاس كأبي العباس الوجاري، وأبي عبد الله محمد بن قاسم جسوس وولد عم أبيه سيدي محمد العراقي وأبي عبد الله الجندوز وأبي العباس بن المبارك.

والمترجم من علماء القرويين البارزين في عصره "يقوم على مختصر خليل ويجيد تدريسه تحقيقا وفهما .. وقد طالت ممارسته له قراءة وإقراء، وله اعتناء بتدريس ألفية بن مالك" (*نشر الثاني*، 2 : 254)، وكان حسن التقييد في النحو، وله قلم بارع في النوازل وحل المشكلات، وهذا ليس بدعا فيهم. وكان له ـ رحمه الله ـ ثلاثة مجالس للتدريس : من الصباح للضحى ومن الزوال إلى صلاة الظهر وبعد صلاة العصر إلى غروب الشمس (*سلوك الطريق الوارية*، 185). وإلى جانب ذلك تقلد إمامة مسجد أبي الثنا من حارة قيس وفاس القرويين ثم ولي الإمامة والخطبة بمسجد باب الجيسة كما شغل الإمامة في جامع الأباربن من حارة قيس.

حج عام 1157 وكان ضمن ركب الحجاج الذي عاد في قعدة 1159 والذي تدخل مستشفعا للسلطان مولاي عبد الله أثناء حصار فاس للتوسط في شأن العفو والصفح.

ونجد تفاصيل كثيرة في رحلة عبد المجيد الزبادي الموسومة بـ *"بلوغ المرام في الرحلة إلى بيت الله الحرام"* عن أهمية هذه الشخصية في ركب الحجاج، وتلقي كثيراً من الضوء عن علاقة الرجلين : الزبادي والعراقي، فلا ينعته إلا بأجل الصفات. وخلال هذه الرحلة ـ كما هي العادة عند المغاربة ـ زار طائفة من العلماء والصالحين وأجازه بعضهم مثل الشيخ حجاري البيومي (*بلوغ المرام*، 582)، وعبد الدائم الأشموني الأحمدي والشيخ أحمد بن مصطفى بن أحمد الإسكندري (*بلوغ المرام*، 470) وآخرون مثل الشيخ علي بن أحمد الصنهاجي.

توفي المترجم هو وزوجه في ساعة واحدة بالوبا، وأقبرا متجاورين في شهر ربيع الثاني عام 1163 عدوة الأندلس

بروضة بمسجد الأنوار وبباب المسافرين قرب الشيخ سيدي علي الحجام. وصلى عليه الشيخ سيدي عبد الكبير بن محمد السرغيني.

الحوات، *السر الظاهر*، 122، خ. ع. الرباط، 2619 د. ع. الزيادي، *بلوغ المرام في الرحلة إلى بيت الله الحرام* (في مواضيع متفرقة)، مرقونة ؛ القادري، *التقاط الدرر*، 2 : 411 / 414، نشر الثاني، 2 : 254، الوليد العراقي، *الدر النفيس فيمن بفاس من بني محمد بن نفيس*، خ. ع. الرباط، 97 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 3 : 17.

عبد المجيد بوكاري

العراقي الوليد، عبد الله بن العربي بن الوليد الحسني الفاسي، الشهير بسيدي الوليد العراقي، ولد بفاس سنة 1209، أخذ عن الشيخ محمد بن أبي بكر اليازغي وأحمد بن الشيخ التاودي ابن سودة والطيب بنكيران، وحمدون ابن الحاج، وسيدي محمد بن عمرو الزروالي، وسيدي التهامي بن حمادي المكناسي، وغيرهم، وتلقى الورد والمصافحة من الولي العارف أبي عبد الله سيدي الحاج محمد المختار بن علي البقالي، وهو الذي لقبه بمولاي الوليد، كما لقي العارف بالله سيدي محمد بن القطب مولاي أحمد الصقلي الحسني وتبرك به وأخذ عنه.

ومن الذين أخذوا عن سيدي الوليد العراقي، جعفر بن إدريس الكتاني، وقاسم القادري، وأحمد بن أحمد البناني، ومحمد بن المدني گنون، وأحمد ابن الحاج مؤلف الدر المنتخب، وأحمد الخياط وعلي بن أحمد بن عبد الصادق الرجراجي الصويري، المتوفى عام 1308، وغيرهم. وصفه مترجموه بنادرة وقته في الحديث وعلم المعقول والمنقول، وكان متميزاً بالحفظ والضبط، مشاركاً في الإقراء، شديد الزهد والورع، كثير العبادة والصمت لا يتكلم إلا فيما يعنيه، تولى الإمامة والخطابة بجامع ضريح مولاي إدريس، وكان في الوقت نفسه يدرس به فنونا من العلوم، وله عارضة قوية في التأليف والتدريس، وكانت له مجالس بالقرويين وغيرها من مساجد فاس التي يحضرها الجم الغفير من العلماء والطلبة، ومن جملة ما كان يدرس علوم الحديث والسنة إلى جانب البيان والأصول، وله مجالس مشهورة في شرح همزية البوصيري. ألف حواشي وتآليف نذكر منها :

ـ *الدر النفيس فيمن بفاس من بني محمد بن نفيس*، عرف فيه بالنسب العراقي الحسيني، وترجم فيه لزمرة من علماء وصلحاء أسرته، ثم ختم بترجمة ذاتية، وهو يشير خلال حديث نسبه إلى مصادر كانت في عصره، يعتبر بعضها الآن من أندر النوادر، مخطوط الخزانة العامة رقم 1283 ك / 2. و2277 ك. والخزانة الحسنية رقم 1119.

ـ *التذييل المنتخب، فيما لفضلاء الشعبية العراقية من المآثر وجب*، مخطوط الخزانة العامة رقم 1283 / 3 ؛ وهو ذيل على الدر النفيس.

ـ *تأليف في التعريف* بالمحدث سيدي إدريس العراقي.

توفي في ليلة الأحد 8 ربيع الثاني عام 1265 / 3 مارس 1849، ودفن بروضة سيدي الهادي بنزيان خارج باب الفتوح.

الفضيلي، *الدرر البهية*، ج 2 ؛ الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ج 3 ؛ مخلوف، *شجرة النور الزكية*، ص. 399 ؛ بروفنصال، *مؤرخو الشرفاء* ؛ الكتاني، *فهرس الفهارس*، ج 2 ؛ الحجوي، *الفكر السامي*، ج 2 ؛ المنوني، *المصادر العربية*، ج 2، ص. 23.

أحمد اشرخان

العرب، يرمز لفظ العرب حالياً بالمغرب الأقصى ـ ومنذ القرن الثامن (14 م) ـ إلى العنصر البشري الناطق سليقة بما يعرف باللغة العربية "العامية" أو الدارجة مع إضمار نوع من المقابلة الضمنية بين هذا العنصر نفسه وبين العنصر البشري الناطق فطريا بإحدى الفصائل اللسانية المتفرعة عن اللغة الأمازيغية. وبغض النظر عما يعكسه المعطى اللغوي قبل غيره من تداخل فعلي وامتزاج مؤكد بين العنصرين المعنيين، فالواقع أن ثنائية المرجع تحيل بالدرجة الأولى على الظاهرة التاريخية المتمثلة في قدوم العرب إلى المجال المغربي واستقرارهم به. ومعلوم أن هذا القدوم قد تقمص عدة أشكال تندرج كلها ضمن ظرفيات متميزة خاصة يتحتم استحضارها عند المقاربة والتصنيف.

تتقدم هذه الظرفيات إجمالا في شكل ثلاث صيغ كبرى. أما الظرفية المؤسسة الأولى فتعد امتداداً لظرفية دولية عامة مترتبة عن خروج الإسلام من موطنه الأصلي واتجاهه صوب الشمال ثم نحو الغرب وصوب الأراضي المصرية وما وراءها مع منتصف القرن الأول للهجرة أو السابع للميلاد. وانطلاقا من مصر كقاعدة جهوية، تم توجيه الحملات العسكرية تباعا في اتجاه إفريقية ثم نحو المغرب الأوسط إلى أن تقدمت نحو أقاصي المغرب على يد عقبة بن نافع فيما بين سنة 62 وسنة 64 للهجرة في محاولة أولى قبل أن تظهر محاولة ثانية أخرى على يد موسى بن نصير ابتداء من سنة 86 هجرية على الأرجح. ومعروف أن هذا التوجه قد أفضى إلى الجواز إلى الأندلس بقيادة طارق بن زياد و"من كان معه من العرب والبربر" سنة 92 هجرية. ومعروف من جهة أخرى أن الوحدات العربية القادمة من مصر وما وراءها لم تكن كثيرة العدد بحكم البعد وتنوع الجبهات بالمشرق وارتباط الخروج بمعطيات النسب والقرابة ولحمة الولاء. وعلاوة على هذا فإن امتداد الرقعة الإسلامية إلى ما وراء البوغاز قد حكم على أقصى المغرب وربما على مجمل الشمال الإفريقي بأن أضحى مَعْبَرا قبل أن يُتَّخذ مجالا للإقامة والاستيطان. والظاهر من جهة أخرى أن إقامة العرب في هذه الفترة بالمغرب الأقصى ـ ومنذ مقدم عقبة بن نافع ـ قد جاءت مرتبطة في جملتها بدافع الرغبة في تلقين القرآن ونشر الشرائع عبر نقط معدودة بشمال المغرب أساسا وبعض النقط المتباعدة بجنوبه.

وإذا كانت هذه الأفواج العربية الأولى قد توجهت صوب المغرب الأقصى ضمن إطار يختزل عادة فيما يعرف

بالفتوحات. فمما لاشك فيه أن أفواجا متناثرة أخرى قد التحقت بسابقتها عند انفجار أزمة الخلافة بالمشرق وظهور الفرق وانتشار الدعاة بغرب الرقعة الإسلامية فيما بين بداية القرن الثاني للهجرة ومنتصف القرن الثالث. والظاهر أن قيام كيانات عربية بهذه الرقعة خلال نفس هذه الحقبة قد مثل عامل استقطاب بالنسبة لبعض مكونات النخب العربية عند التحاقها بأمويي الأندلس وأدارسة المغرب الأقصى ثم بالأئمة الفاطميين بالمغرب الأوسط وإفريقية. وإذا كانت وتيرة القدوم إلى المغرب قد ظلت محدودة إجمالا حسبما يبدو، فالراجح أنها قد أصبحت الآن مرتبطة بمجموعة من الوظائف المتنوعة كالتجارة والتعمير والخدمة في الدواوين بالإضافة إلى الدعوة والتفقيه والتعليم. بمعنى أن الأمر يتعلق حتى الآن بساكنة نخبوية تميل إلى الدعة والاستقرار والكسب في الغالب. واعتباراً لمجدودية الكم بالنسبة لهذه الساكنة من حيث هي، فالأعداد المقدرة عادة بالنسبة إليها تقف عند مستوى الآلاف وإن تجاوزته فلا تعدو بضعة عشرات الآلاف على الأكثر، وذلك إلى أن انتهت هذه المرحلة الثانية لتفسح المجال لخريطة أخرى بعد استتباب الأمر للخلافة الموحدية في منتصف القرن السادس للهجرة أو الثاني عشر للميلاد.

ما هي الخريطة التي ترتبت عن مجموع المكونات الملتصقة بنزول هذه القبائل العربية بالمغرب الأقصى ؟ لنسجل في البداية أن الرقعة المجالية المعنية بهذه الخريطة قبل غيرها إنما هي أراضي السهول الأطلسية بالدرجة الأولى ثم بعدها المجال الخارجي المحيط بها كمنطلق لمجموع التحركات البشرية التواقة إلى التحكم في الأراضي الواطئة جريا وراء الخصب والرخاء وسعة النفوذ. واعتباراً لهذا الوضع الثابت الذي يميز السهول الغربية كمجال مستهدف من لدن القبائل المتطلعة النازلة بالهوامش، ربما كان من المفيد أن يتم التركيز هنا على القبائل العربية التي توزعت عبر الشريط الشرقي الواصل بين التل وبلاد ملوية شمالا وبين واحات كَرارة والتوات وما جاورها من بلاد درعة وبلاد السوس بالجنوب. يتعلق الأمر هنا بقبائل المعقل التي صنفت آنئذ "من عداد هلال" على حد تعبير ابن خلدون وإن كانت بمنية الأصل على الأرجح وهلال من نجد بالحجاز. والغالب أن "عدها" هذا إنما هو إشارة إلى دخول المعقل في ركاب القبائل الهلالية بحكم الغلبة واعتبار التبعية إبان فترة العبور. وإذا كانت القبائل المعقلية قد اكتفت بالرحلة عبر الشريط الشرقي الآنف الذكر إلى أن ظهر الوهن في جسم الدولة الموحدية مع بداية القرن السابع الهجري، فالملاحظ أنها سوف تحاول مزاحمة القبائل الزناتية المجاورة من بني عسكر وبني مرين طوال فترة التسرب الأولى نحو الغرب لولا أن تقدم بني مرين قد دفع بالرشيد الموحدي إلى استخدامهم فكلفوا بمدافعة بقية الغزاة عن التل وما جاوره من الأراضي الغربية الواطئة خلال العقد الرابع من نفس القرن. وبذلك تمّ إقصاء المعقل عن السهول الأطلسية فاكتفت باعتماد القفر لتنتهي جولاتها الأولى بالهيمنة على الواحات الشرقية ثم باعتناق حركة الثوار من بني يدّر ببلاد السوس قبل أن ينتهي المطاف بجملة منها إلى الصحراء المغربية في منتصف القرن المذكور. وهكذا تكون القبائل المعقلية قد انتشرت عبر مجموع المجال الخارجي الممتد في شكل هلال مكتمل محيط برقعة المغرب المريني خلال القرنين الثامن والتاسع للهجرة وحتى أواخر القرن الخامس عشر للميلاد. ولقد استقر توزيع هذا المجال بين بطونها الثلاثة المكونة من ذوي عبيد الله وذوي منصور وذوي حسان في منتصف هذه الحقبة بالذات حسبما أثبت ذلك ابن خلدون كمعاصر وشاهد عيان. أما ذوي عبيد الله "فمواطنهم ما بين تلمسان إلى وجدة إلى مصب وادي ملوية في البحر ومنبعث وادي صا من القبلة" أي من جهة الجنوب (*العبر*، ج 6، ص. 123) ؛ وأما ذوو منصور" فهم معظم هؤلاء المعقل وجمهورهم، ومواطنهم تخوم المغرب الأقصى من قبلته ما بين ملوية ودرعة (*العبر*، 6، ص. 131)، مما يعني تحكمهم في محطات تجارية أساسية بالتوات وتافيلالت كتمنطيط وسجلماسة على الأخص، وذلك بزعامة كل من قبيل أولاد حصين ومجموعة الأحلاف التي كانت تشمل قبائل العمارنة والمنبات ؛ وأما ذوو حسان وبنو عمومتهم من الشبانات والرقيطات ـ ويعرفون جميعا ببني مختار ـ، فيبدو أنهم بادروا إلى الالتحاق بثورة بني يدّر بالجنوب ضد الخليفة المرتضى في منتصف القرن السابع "وحمدوا مواطن السوس لعدم المزاحم من الظواعن فأوطنوها وصارت مجالاتهم بقفرها وغلبوا كزولة وأصاروهم في جملتهم ... وغلبوا على القصور التي بتلك المواطن في سوس ونول ..." (*العبر*، ج 6، ص. 138 ـ 137).

وهكذا فإن حصيلة المسار الذي سارت عليه القبائل الهلالية في جملتها قد أفضت إلى نوع من استنزاف المقومات العسكرية التي دعت إلى استقدامها أول الأمر فلم تلبث أن لبست لبوس بقية القبائل المغلّبة الغارمة المحيطة بها. ومن أهم ما نتج عن هذا الوضع أن تقوت وتيرة الامتزاج بين مختلف هذه العناصر المتجاورة فترتب عن ذلك تعريب ساكنة السهل وبداية تعريب أهل التل مع تأثر عربية الجميع بلسان الأمازيغ نطقا وصياغة وقاموسا. وبما أن التفاعل اللغوي يقتضي الاستناد إلى تفاعل حضاري أوسع، فلقد كانت النتيجة النهائية أن تميز سكان السهول الغربية أساسا عن بقية الأهالي كعرب (أو عُرَبْ، عْروبيَّة) متميزين لغة وسلوكا عن ساكنة الجبل بالدرجة الأولى.

وموازاة مع هذا التطور، يلاحظ أن ذوي حسان بأقصى الجنوب قد استغلوا مهادنة الدولة المرينية وضعفها ابتداء من منتصف القرن الثامن فاكتسحوا السوس رغم صمود قبائل جزولة طوال القرن التاسع للهجرة وحتى أوائل القرن الموالي. ومن أبرز تجليات هذا الاكتساح أن بعض فصائل هذا القبيل قد أسهمت في الصراع القائم بين البرتغاليين والأهالي حول مرفإ "سانتا كروز" بموقع مدينة أكادير الحالية فلم تتردد في التعامل مع الغزاة والوقوف في وجه المقاومة المحلية إلى أن

حُسم الأمر بقيام الحركة الجهادية والتفافها حول الأشراف السعديين. ولعل من بين نتائج هذا الوضع أن لجأت الدولة السعدية بعد قيامها إلى استخدام هذه الفصائل بزعامة "الشبانات" على الخصوص ضمن قبائل "الگيش" "مع ترسيم وضعها كما سبق أن رُسِّم وضع القبائل الهلالية على يد الموحدين من قبل. ومعلوم أن قبائل معقلية أخرى قد انطلقت من بلاد الواحات بالجنوب الشرقي لتتسلل نحو الشمال عبر ممرات الأطلس المتوسط مع نهاية القرن التاسع فلم يفلح في الاستقرار من بينها إلا قبيلة زعير بأكملها على الأرجح. ومعلوم من جهة أخرى أن معظم هذه القبائل من ذوي منصور كغيرها من القبائل النازلة بالتخوم الشمالية ـ الشرقية من ذوي عبيد الله لم يكن لها أن تنفذ نحو الجهات الغربية وتستقر بها إلا عندما دخلت في ركاب الدولة العلوية الناشئة كقبائل خادمة من قبائل "الگيش" كالأوداية على الأخص. مما أدى إلى نوع من إعادة تجربة القبائل الهلالية عبر العلاقة الهيكلية القائمة بين كل من التجربتين وبين مختلف الأطراف المكوِّنة من الدولة والمجال وساكنة المجال. خصوصا وأن هذه الموجة المعقلية قد عرفت نفس مآل الموجة الهلالية الأولى على المستوى الحضاري العام كما يتبين من خلال ما هو قائم من اندماجها في المحيط المستقبل على مستوى اللغة والتقاليد بينما ظلت القبائل المعقلية المقيمة بالصحراء محتفظة بلهجتها الخاصة وأعرافها المتميزة العريقة إلى اليوم.

ابن عذاري، *البيان المغرب*، ليدن، 1948، ج 1، 23 ـ 28 و42 ـ 44 ؛ القسم الثالث، تطوان، 1960 ؛ ابن خلدون، *كتاب العبر*، بيروت، 1959، ج 6، 23، 141 ـ 572 ـ 577 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الترجمة العربية، الرباط، 1400 / 1980، ج 1، 34 ـ 47 ؛ م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، تطوان، د. ت. ج 2، 167 ـ 168 ؛ ج 3، 167 ـ 168 أيضا، ج 4، 98 ـ 105 ؛ *المعسول*، الدار البيضاء، 1960 ـ 1961، ج 49، 148 ؛ م. القبلي، "*حول التحركات البشرية بمجال المغرب الأقصى ...*"، ضمن الدولة والولاية والمجال بالمغرب الوسيط، تويقال، الدار البيضاء، 1997.

Encyclopédie de l'Islam (2ème édition), I, 548 - 550 ; III, 398 - 399 ; VI, 138 - 141 ; G. Marçais, *Les arabes en berbérie du XIe au XIVe siècle*, Constantine - Paris, 1913 ; Id., *La berbérie et l'Orient au Moyen-Age*, Paris 1946, 2ème partie ; R. Montagne, *Les berbères et le makhzen dans le sud du Maroc*, Paris 1930 ; Id., *La civilisation du désert*, Paris 1947 ; J. Le Coz, *Les tribus Guich au Maroc*, *R.G.M.*, 7, 1965 ; A. Laroui, *L'histoire du Maghreb*, Paris 1970 ; G. Camps, *Comment la berbérie est devenue le Maghreb arabe*, *R.O.M.M.*, 35, 1er semestre 1983 ; M. Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du Moyen-Age*, Paris, 1986.

محمد القبلي

ابن **العَرْبي**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا : Arabe - Arabi - Alarbi - Arbe - Arbi.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 311.

العَرْبي، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا : Arbi - Alarvi - Arabe - Arbe.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **العَرْبي** ـ بسكون الراء ـ أسرة سلوية، أهل دين ومروءة وحرفة الحصارة، أنجبت كثيراً من الناسكين والصالحين، وآخر من عرفناه منهم الشيخ مَحمد ابن العربي من أصحاب أبي المواهب سيدي العربي ابن السائح، كان ملازما له وملحوظاً لديه كثيراً. وقد مات السيد ابن السائح وهو متكئ على صدر ابن العربي. عرفته وأنا طفل صغير شيخاً طاعناً في السن معتكفاً بركن في مؤخر قبة الزاوية التجانية بسلا، ابيضّ شعره وعليه نورانية وهيبة، نظيف الثياب، كنت أزوره صحبة والدي كلما ذهبنا إلى الزاوية وكنا كثيري التردد عليها، فأصبح يعرفنا ويدعو لي بخير.

كان بعض التجانيين يلتفون حوله أو يستدعونه إلى بيوتهم مع فقراء الزاوية لإكرامهم، فكان كثير الانصات وإذا أراد أن يعلق على مجرى الحديث لا يتحدث إلاّ بما سمع من سيدي العربي ابن السائح، يبدأ كلامه هكذا : "سمعت مولانا السيد يقول ..." وربما ذكر الظروف والملابسات التي أحاطت بهذا الكلام. ولا أتحقق بتاريخ وفاة هذا الرجل الصالح إلاّ أنه أقدّره تقديراً حوالي سنة 1369 / 1950 بعد انتقالي إلى أزرو.

ابن **العربي**، **إبراهيم** بن أحمد السلوي، فقيه فلكي مشارك، أديب شاعر، جميل الصورة، رخيم الصوت، بارع الخط، أريحيّ كريم، درس بمسقط رأسه على شيوخ سلا أمثال أحمد بن خالد الناصري، وعبد الله ابن خضراء، وعلي بن محمد عواد، ونسخ عدة كتب بخطه الجميل.

عمل في العهد العزيزي كاتباً بمرسى الدار البيضاء، وفي العهد اليوسفي عدلاً لنظارة الأحباس بالدار البيضاء أيضاً، وأسند إليه في نفس الوقت التوقيت بمسجدها الأعظم، وكان على صلة بالأدباء الفاسيين في هذه المدينة، وله معهم مساجلات شعرية، مثل *القصيدة الدالية* التي ذيل بها همزية الأديب يحيى الصقلي المسماة : *الخريدة الغيداء في وصف الدار البيضاء*. وهي مطبوعة.

أصبح المترجم بعد أن رجع إلى مسقط رأسه قيماً على الأمداح النبوية بالزاوية التجانية، وكان ماهراً في طبوعها الموسيقية، مقدماً في تصريفها بدون منازع.

له *كناشة الأمداح النبوية* مشتملة على *البردة والهمزية* وبانت سعاد، وعلى مجموعة كبيرة من الصنائع والبراول وكلام القوم أمثال رباعيات عبد الرحمن المجذوب وغيره من شعراء الملحون، كل ذلك منظم حسب مقتضيات الطبوع

الموسيقية. وعند والدي نسخة من هذا الكناش كتبها ملونة بعناية بخطة الجميل إلا أني لا أدري إن كانت كاملة أو مختصرة فقد حفظ والدي المديح النبوي وأتقن صنعته على يد الشيخ إبراهيم ابن العربي لمدة سنين طويلة كان يحضر معه في حلقات الإنشاد بالزاوية وفي حفلات خاصة، بل وبباب دكانه المجاور له في القيسارية، إذ كانا معا تاجرين في القماش. وبعد وفاة المترجم خلفه والدي في تسيير حلقات الأمداح بالزاوية لنحو أربعين سنة.

يذكر له أيضاً *ديوان شعر*، لكن لم نطلع عليه. توفي بسلا يوم الأربعاء 14 ربيع الأول عام 1345 / 22 شتنبر 1926.

ع. الله الجراري، *من أعلام الفكر*، الرباط، 1971، ج 2، 262 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 8 : 2960 ؛ م. المنوني، *تاريخ الوراقة*، الدار البيضاء، ص. 306 ؛ م. بوشعراء، *ذيل الإتحاف الوجيز*، ط 2، الرباط، 1996، ص. 191.

محمد حجي

ابن **العربي**، أبو **بكر** محمد بن عبد الله بن محمد بن العربي المعافري ـ نسبة إلى معافر بن يعفو بن مالك، ينتهي نسبه إلى قحطان.

ولد بإشبيلية وبها نشأ وتعلم، حذق القرآن وهو ابن تسع سنين، ولم يبلغ 12 من عمره حتى أتقن القراءات العشر، وجمع فنونا من العربية، وتمرن على الأدب والشعر.

ومن شيوخه في هذه المرحلة أبو عبد الله السرقسطي، وخاله أبو القاسم الهوزني.

وزر والده للمعتمد بن عباد الذي ثل عرشه المرابطون عام (484 ـ 1091)، وفي السنة بعدها (485 ـ 1092) ـ رحل إلى المشرق هو وولده أبو بكر ـ وكان طريقهما على القيروان، فأبحرا من المهدية إلى الأسكندرية، ودخلا القاهرة وهي تحت حكم العبيديين، فلم تطل إقامتهما بها، وتابعا سيرهما إلى القدس، فوصلاها والحكم فيها للسلجوقيين، وكانت هناك مدارس لمختلف المذاهب، فكان أبو بكر يتردد عليها جميعا حيث أخذ عن الرميلي، والزوزني، والصافي، وابن مرزوق، والزنجاني، وابن الكازروني. ولازم أبا بكر الطرطوشي طويلا، فقرأ عليه الجدل، وعلم الكلام، ومسائل الخلاف ـ وهي علوم لم تكن تعرفها بلاد الأندلس. وتجول في ربوع القدس، وشرق الأردن، وزار عدة قرى، ودخل مدينتي نابلس وعسقلان، ومكث بهما بضعة أشهر.

وفي إطلالة سنة (489 ـ 1095)، ركبا البحر إلى عكا، ومنها إلى دمشق وهي بلد علم وأدب وحضارة، اتخذها السلجوقيون عاصمة لهم، نافسوا بها بغداد وخراسان ؛ وقد سمع بها أبو بكر من أبي الفتح المقدسي، وأبي محمد الاكفاني، وأبي الفضل بن الفرات، وأبي سعيد الهروي ؛ لكنه سرعان ما انتقل عنها إلى بغداد ـ صحبة والده ـ وهي أملهما المنشود، وكان وصولهما إليها في رمضان من نفس السنة (489).

وما إن استقر بهما المقام، حتى تحرك ركب الحجاج إلى البقاع المقدسة، فحرك فيهما كوامن الشوق لأداء فريضة الحج، فالتحقا بالركب، وبعد أداء مناسك الحج، زارا المدينة ؛ وقد سمع أبو بكر بالحرم الشريف من طراد الزينبي، والحسين الطبري، وثابت بن بندار الحمامي، وأبي محمد الياربي ـ شيخ الزمخشري.

ثم عادا إلى بغداد، وواصل أبو بكر مسيرته العلمية، فأخذ عن كبار المشايخ، كالشاشي، وأبي القاسم الطوسي، والمبارك بن عبد الجبار، وابن طرخان التركي، والتبريزي، وأبي الحسين بن القراء، وأبي المطهر الاصبهاني ؛ واختص بأبي حامد الغزالي، وقرأ عليه مختلف كتبه، وتوثقت الصلة بينهما حتى صار من مريده السالكين. ولم يقتصر نشاط ابن العربي على الجانب العلمي، بل تجاوز ذلك إلى الميدان السياسي، فقد قام هو ووالده باتصالات مع الوزير عميد الدولة بن جهير، وقدما إلى الخليفة العباسي المستظهر بالله ـ خطابا مطولا ـ يذكرون فيه ما يقوم به الأمير يوسف بن تاشفين من الدعوة للخلافة العباسية، وإشاعة العدل بين الرعية، وجهاد في أعداء الإسلام ـ وهو في معرض طلب التقليد له بذلك.

فاستقبلهما الخليفة، وبالغ في إكرامهما ؛ ثم أصدر مرسوما بالتقليد الرسمي للأمير ابن تاشفين منوها بأعماله الجليلة، ويوصيه بحاملي الخطاب : ابن العربي، وولده أبي بكر.

فغادر أبو بكر بن العربي ووالده عاصمة بغداد إلى الإسكندرية ـ في حدود أواخر سنة (492 ـ 1098)، وما إن نزلا بها، حتى ألم المرض بوالد أبي بكر في ضيافة أستاذه الطرطوشي، ولم يلبث أن توفي في محرم عام (493 ـ 1099) ؛ وكان لذلك أثره في حياة أبي بكر، فاعتزل الناس، وعاش حياة الزهاد في المحارس والربط، وربما ألقى بعض الدروس في أحد المحارس.

وفي سنة (495 ـ 1101)، عاد إلى المغرب، فالتحق بمراكش ـ عاصمة المرابطين، وقدم إلى الأمير يوسف بن تاشفين مراسيم التقليد من الخليفة العباسي، فنال أبو بكر حظوة كبرى لدى اللمتونيين ؛ فولوه الشورى، ثم قاضي القضاة ؛ لكن صرامته في الحق، وتشدده في تطبيق نواميس الشريعة ؛ مما ألب عليه كثيراً من خصومه، وأثار الغوغاء في وجهه ؛ فاستقال من كل وظيف، وتفرغ للتدريس والتأليف ؛ فأقرأ بقرطبة، وإشبيلية، وسبتة، وفاس، وتلمسان، وسواها.

ومن أولاده : أبو محمد عبد الله، وكان من أهل النباهة، معنيا بالرواية وسماع العلم ؛ قتل خطأ يوم أن دخلت إشبيلية على المرابطين، فثكله أبوه، واحتسب أجره. وأبو

الحسن عبد الرحمان، يروي عن جماعة من شيوخ الحديث. وفي مقدمتهم والده، توفي قبل أن يبلغ مبلغ التحديث.

وقد أخذ عن أبي بكر جمهرة كبيرة من تلاميذه، من أشهرهم :

أبو نصر الفتح بن خاقان، وأبو الفضل عياض السبتي، وأبو بكر بن خير صاحب *الفهرست*، وأبو زيد السهيلي، وأبو القاسم بن بشكوال، وأبو القاسم بن حبيش، وأبو بكر بن الجد، وأبو العباس بن مضاء، وآخر من حدث عنه بالسماع أبو بكر بن حسنون ؛ وقد استوفاهم ابن الأبار في كتابه *(معجم أصحاب ابن العربي)* لكن هذا الكتاب يعتبر مفقوداً الآن.

عاش أبو بكر أيام المرابطين وصدراً من دولة الموحدين، توفي منصرفه من بيعة عبد المومن بن علي، ودفن بفاس خارج باب المحروق.

خلف ابن العربي آثاراً علمية قيمة، من أهمها في علوم القرآن :

- *الأحكام (الكبرى)* ط.
- *الصغرى*، مخطوطة، الخزانة العامة بالرباط، خع (274 - د).
- *أحكام الآخرة، والكشف عن أسرارها الباهرة*، خع (928 - ك).
- *أنوار الفجر* في ثمانين مجلداً، أقام في تأليفه عشرين سنة، ظل موجودا إلى حدود القرن الثامن الهجري *(الديباج، ص. 283)*.
- *خامس الفنون* (جزء وسط)، فسر فيه الآيات التي تحدثت عن أمم سالفة أعرضت عن آيات الله، وقردت على شرائعه، فحقت عليها كلمة العذاب، مخطوط انفردت به، فيما نعلم الخزانة الحمزاوية، وتوجد صورة منه بـ (خع) على شريط ميكوفيلم رقم (142).
- *سراج المريدين*، ذكر العباس بن إبراهيم أنه وقف على نسخة منه عليها خط المؤلف *(الإعلام، 4 / 96)*. وبدار الكتب المصرية صورة عن نسخة أخرى (2348 ب).
- *سراج المهتدين*، حذا فيه حذو (الشهاب) للقضاعي، مخطوطة خاصة.
- *القانون في التفسير*، توجد أجزاء منه مخطوطة، الأول بالاسكوريال مبتور الورقة الأخيرة، صفحاته (140)، والرابع بالقرويين (926)، وبدار الكتب المصرية جزآن (مجلة معهد المخطوطات العربية، م 5، ج. 1 ص. 166).
- *صنوة قانون التاويل*، مخطوطة تامة بخزانة أحمد بن منصور، (بزو)، المغرب. وبخع نسخة أخرى مبتورة الأخير (251 - ك).

ومعلوم أن هناك فرقا بين التفسير والتأويل، فحاول ابن العربي أن يضع قوانين وأصولا لكل.

- *الناسخ والمنسوخ في القرآن*، خع (2024 - ك).

وفي الحديث :

- *ترتيب المسالك في شرح موطأ مالك*.
- *عارضة الأحوذي*، في شرح جامع الترمذي. 13 جزءاً ط.
- *رسالة في حديث عقبة بن عامر*.
- *رسالة في أحاديث المصافحة*.

وفي التوحيد وعلم الكلام :

- *الأمد الأقصى*.
- *العواصم من القواصم*.
- *المتوسط في صحة الاعتقاد والرد على من خالف من ذوي الإلحاد* - خع (2963 - ك).
- وله عليه شرح أسماه (المقسط، في شرح المتوسط) لم أقف عليه.
- *الوصول، إلى معرفة الأصول*.

وفي الفقه :

- *الإنصاف، في مسائل الخلاف*.
- *التقريب والتبيين في شرح التلقين*.
- *الرسالة الحاكمة*.
- *المحصول في علم الأصول*.
- *كتاب النكاح : فرائضه، وسننه، وآدابه*، دار الكتب المصرية (97 - مجاميع).

وفي الأدب :

- *حواش على شرح ابن السيد البطليوسي*.

وفي السير والرحلات :

- *ترتيب الرحلة*.
- وجرد منه أوراقا اسماها *(شواهد الجلة والأعيان، في مشاهير الإسلام والبلدان)* - خع - ضمن مجموع (1000 د).

فابن العربي عالم موسوعي، فهو : مفسر، ومقرئ، ومحدث، وفقيه، وأصولي، ولغوي، وأديب، ورحالة ؛ وقد ألف في هذه المعارف جميعها - كما نجد ذلك في مصادر ترجمته.

ابن الأبار، *التكملة*، ط مجريط، 1887 ؛ ابن بشكوال، نشر *العطار*، 1955 ؛ ابن حزم، *جمهرة أنساب العرب*، ط. دار المعارف، 1962 ؛ ابن خاقان، *الفتح مطمح الأنفس*، مصر، 1908 ؛ ع الرحمان ابن خلدون، *المقدمة* ؛ *العبر*، بيروت، 1956 ؛ ابن خلكان، *الوفيات*، مصر، 1948 ؛ ابن العربي، *الأحكام الكبرى*، القاهرة، 1967 ؛ *قانون التأويل*، مخطوطة خاصة ؛ أعراب سعيد، مقالات نشرت بمجلة، دعوة الحق، 1979 ؛ م. الذهبي، *تذكرة الحفاظ*، بيروت، 1954 ؛ م. صغيري، *تحقيق قانون التأويل*، رسالة دبلوم، مرقونة ؛ عامر طالبي، *آراء أبي بكر بن العربي الكلامية*، بيروت، 1976 ؛ ي. عياض الغنية، *فهرسة شيوخه*، ليبيا - تونس، 1978 ؛ ح. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ط. حجرية بفاس، 1898 ؛ كراتشكو فسكي، *تاريخ الأدب الجغرافي العربي*، *النص العربي*، 1963 ؛ أ. المقري، *أزهار الرياض في أخبار عياض*، مصر، 1939 ؛ *نفح الطيب*، بيروت، 1968.

سعيد أحمد أعراب

ابن **عربي الحاتمي** محيي الدين، أبو بكر أو أبو عبد الله ويدعى عادة ابن عربي الحاتمي - بحذف أداة التعريف تمييزا له عن القاضي محمد بن عبد الله ابن العربي المعافري الإشبيلي. ولد سنة 560 / 1165 بمرسية بالأندلس من أسرة عربية من قبيلة حاتم الطائي.

وقد عرفت أسرته بالمجد العتيد والمكانة المرموقة، مع التدين ووفرة التقوى، مما أهل ابن عربي لتكوين روحي متميز اشتهر به وهو غلام ما بقل وجهه، وقد سمع ابن رشد الفيلسوف بشهرته تلك وهو بقرطبة فطلب من والد ابن عربي - وكان صديقه - أن يلتقي بابنه. وقد وصف لنا ابن عربي هذا اللقاء بتفصيل (*الفتوحات*، 1 : 153 . 154).

لقد كان ابن عربي مهتما غاية الاهتمام بتربيته الروحية ومجاهدة نفسه منذ طفولته المتأخرة ومرحلة شبابه، فعمل على الاجتماع بشيوخ التصوف رجالا ونساء والأخذ عنهم وقراءة كتبهم، فأخذ بإشبيلية عن أبي عمران موسى بن عمران الميرتلي وأبي الحجاج الشبريلي، وأبي يعقوب يوسف بن يخلف الكومي (تلميذ أبي مدين) وعبد الله المغاوري وأبي العباس العريني وفاطمة بنت ابن المثنى القرطبي وغيرهم. هذا إلى جانب شيوخه في القراءات كمحمد بن خلف اللخمي وأبي بكر محمد بن أحمد بن حمزة، وفي الحديث كابن زرقون الأنصاري، ودرس كتب ابن حزم على تلميذه أبي محمد عبد الحق الإشبيلي. وبعدما تمكن حاله واستوى في العلم نصابه، اتجه ابن عربي إلى حياة السياحة والتجوال باحثا ومستفسراً وملقنا ومناقشا ومؤلفا، وكانت قرى الأندلس ومدنه بداية تلك السياحة، وقد ألف خلالها بمدينة مورور كتابه *"التدبيرات الإلهية"*، إلا أن روحه التواقة دفعته لركوب البحر والتوجه إلى إفريقية سنة 590 / 1193 وكان هدفه الالتقاء بالشيخ الإشبيلي الكبير أبي مدين الغوث الذي أسس مدرسة صوفية بمدينة بجاية، وكثيراً ما ذكره ابن عربي على أنه من شيوخه. وفي تلك السنة التقى في تونس بولد الشيخ ابن قسي (ت. 546 / 1151) الذي روى عنه كتاب أبيه *"خلع النعلين"* (قمنا بدراسة وتحقيق ونشر هذا الكتاب، ط 1، 1997، المغرب)، وفي نفس السنة يعود ابن عربي إلى الأندلس بعدما زار تلمسان. وفي سنة 591 / 1194 اجتاز العدوة للمرة الثانية متجها إلى فاس وكان حينها يعقوب المنصور الموحدي قد جهز الجيوش واتجه للأندلس لخوض غمار معركة "الأرك" التي انتصر فيها الموحدون بقيادة المنصور انتصاراً باهراً على ألفونسو الثامن، وكان ابن عربي مهتماً بمصير الجيوش الإسلامية ولعل انتصارها بالأندلس جعله يعود مرة أخرى إلى إشبيلية سنة 592 / 1195 ولم يطل به المقام هناك، حيث عاد سنة 593 / 1195 إلى فاس وسمع عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن قاسم التميمي الفاسي بقراءته كتابه : *"المستفاد في ذكر الصالحين من العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد"*، وبفاس كان يعتكف على العبادة والدراسة بجامع الأزهر ويختلي بنفسه مجاهدة في بستان ابن حيون، وفي هذا البستان كان يقصده المريدون للأخذ عنه وسلوك الطريق على يديه، ومن الذين كانوا يحضرون مجلسه الشيخ أبو عبد الله الدقاق وأبو العباس الحصار. وبفاس عانى ابن عربي بعض مواجده الصوفية من حالات التجلي.

ويبدو أن السلطات الموحدية كانت تتخوف من الحركات الصوفية فتنظر إليها بشيء من الحيطة والحذر لما صاحب تلك الحركات من انتفاضات سياسية في التاريخ الإسلامية، وربما كان هذا الأمر من بين الأسباب التي جعلت ابن عربي لم ينل حظوة عند الخليفة الموحدي خاصة وأنه يشير إلى ما كان له من موقف إزاء المعونات الغذائية التي قدمها أبو يعقوب المنصور الموحدي بسبتة لأتباع الشيخ أبي محمد عبد الله إبراهيم المالقي، وهو موقف أوقع الشيخ وأتباعه في حرج وترتب عنه كلام جرى بين يعقوب المنصور وابن عربي أفضى إلى كلام "يوجب وغر الصدور ويضع من القدر" (*الفتوحات*، مج 4 : 540، وقارن : ابن عربي : *الدرة الفاخرة عند حديثه عن الشيخ عبد الله بن إبراهيم المالقي*)، ولعل موقف يعقوب المنصور من أبي مدين الغوث وخوفه من أن يكون له مع الموحدين ما كان للمهدي مع المرابطين فعمل على حمل أبي مدين إليه ليمتحنه ولكنه توفي في الطريق بتلمسان سنة 594 / 1197، لعل هذا الموقف للسلطة من الصوفية عامة كان عاملا في ما نشأ من نفور بين ابن عربي والخليفة يعقوب المنصور، وكان ختامها أن جرح ابن عربي في كرامته. ويعود ابن عربي في أواخر سنة 594 / 1197 إلى الأندلس فيدخل غرناطة في أوائل 595 / 1198، ويدخل مرسية ثم ألمرية وكانت مركزاً صوفياً كبيراً يرأسه أبو عبد الله الغزال تلميذ ابن العريف (536 / 1141)، وفي ألمرية ألف ابن عربي كتاب *"مواقع النجوم"* وهي محاولة رمزية فلكية لمقاربة مراحل الطريق الصوفي، وفي نفس السنة حضر بقرطبة مراسيم دفن ابن رشد الفيلسوف (*الفتوحات*، مج 1 : 154) وفي سنة 597 / 1200 يركب ابن عربي البحر ويتوجه لمراكش عاصمة دولة الموحدين ويلتقي فيها بالصوفي الكبير أبي العباس السبتي، وبمراكش تظهر له تجليات صوفية يؤمر خلالها بالتوجه إلى فاس للالتقاء بمحمد الحصار والذهاب معا للشرق، وفي طريقه إلى الشرق ظهرت له مواهب روحانية فدخل بجاية سنة 597 / 1200 وفي سنة 598 / 1201 دخل تونس وأقام بها تسعة شهور حيث بدأ تأليف كتابه : *"إنشاء الدوائر والجداول"* ببيت الشيخ أبي محمد عبد العزيز والكتاب شرح لنظرية ابن عربي الكونية بأشكال هندسية، وفي نفس السنة بلغ مكة وهناك ذاع صيته، وألف ديوانه الشعري *"ترجمان الأشواق"*، ومن مكة زار ابن عربي بلاد العراق ثم عاد لمصر وكاد الفقهاء أن ينكلوا به ولكنه سلم من كيدهم وقصد مكة سنة 604 / 1207، ثم توجه نحو قونية في آسيا الصغرى فخرج الملك كيكاوس الأول لاستقباله بحفاوة ومنحه دارا فخمة ما لبث ابن عربي أن وهبها لفقير. وهنا بلغ ابن عربي أوجه الصوفي ومجده واشتهر بتجلياته

الصوفية، وبدأ المريدون يقصدونه. فكان من أشهرهم صدر الدين القونوي، ثم ساح في آسيا الوسطى وتوجه في سنة 608 / 1211 إلى التعرف على صوفي مشهور هو شهاب الدين عمر السهروردي (ت. 632 / 1234) صاحب كتاب *"عوارف المعارف"* الذي قال عن ابن عربي "إنه بحر الحقائق"، وفي سنة 611 / 1214 شرح ابن عربي ديوانه *"ترجمان الأشواق"* بكتاب سماه *"الذخائر والأعلاق"* دفعا للشبهات التي أثارها بعض الفقهاء حول الديوان. ولقي ابن عربي حفاوة وتقديراً منقطعي النظير من سلاطين بني أيوب كالسلطان الظاهر صاحب حلب (ت. 613 / 1216) وسلطان حمص أسد الدين شيراكوه (ت. 637 / 1239) الذي أغدق مالا كثيراً على ابن عربي الذي كان يزهد فيه ويتصدق به جميعا. واستقر بابن عربي المقام في دمشق ابتداء من سنة 620 / 1223 وكان الحاكم آنذاك هو الملك المعظم ابن الملك العادل (ت. 625 / 1227) وكانت صلته بابن عربي صلة المريد بشيخه. وفي تلك المرحلة الأخيرة من حياة ابن عربي اغتنت تجلياته الصوفية وكثرت خواطره في الطريق وفاض عليه الفتح بالإلقاء السبوحي والنفث الروحي فظهر له النبي (ص) في نهاية محرم سنة 627 / 1229 بدمشق وسلمه كتاب *"فصوص الحكم"* وأمره بنشره بين الناس : وهو أهم كتاب لابن عربي في الكشف الصوفي، وفي سنة 636 / 1238 أنهى ابن عربي كتابة النسخة الثانية من كتابه الضخم *"الفتوحات المكية"*.

وسواء اعتبر ابن عربي فيلسوفا أو صوفياً أو حكيماً إلهيا أو وارثا محمدياً أو ولياً، فمما لاخلاف فيه أنه بمؤلفاته التي تفوق أربعمائة كتاب يعد من بين مفكري الإسلام الأكثر عطاءً ونتاجاً.

ولاشك أن الطابع الاصطلاحي لمؤلفات ابن عربي يمكن المتتبع لها من الارتواء من نبع روح دقيقة فياضة غنية باللوينات والإيحاءات المؤثرة، ولكنها في نظر معارضيه لا تعدو أن تكون مفاهيم غامضة وباطنية وهي بذلك علامات عشوائية.

لقد أثار مذهب ابن عربي الصوفي ردود أفعال متباينة مازالت أصداؤها تتردد إلى اليوم. فمن الرافضين له رفضا باتا شيخ الإسلام ابن تيمية (ت. 728 / 1328) الذي رغم إعجابه به لم يجد حرجا في نقده وحشره في زمرة أهل الحلول والاتحاد (را : ابن تيمية *الرد الأقوم على ما في كتاب فصوص الحكم*. والقسم 1 و4 من رسائل ابن تيمية)، ويذهب ابن القيم الجوزية (ت. 751 / 1350) إلى اتهام ابن عربي بالإلحاد لأن مذهبه يدعو إلى الاتحاد بين العبد والرب، ومن الصوفية المنتقدين لابن عربي المتهمين إياه بالقول "بوحدة الوجود" التفتزاني (ت. 791 / 1389) والقاري الهروي (ت. 1014 / 1605) ونضيف لهؤلاء ابن خلدون (ت. 828 / 1406) (*المقدمة*). على أن مذهب ابن عربي أثار لدى آخرين إعجابا وتفهما واعتبروا أن المنتقدين أخذوا الآراء مأخذا خاطئا ولم يحسنوا فهمها. ومن هنا، نرى هذا الاتجاه يقوم مدافعا عن ابن عربي شارحا دلالة "مذهب وحدة الوجود". هذا المصطلح الذي استعمله أول مرة صدر الدين القونوي (ت. 672 / 1273) في كتابه *"مفتاح الغيب"* وتابعه في الدفاع عنه الشيخ عبد الغني النابلسي (ت. 1143 / 1730) ووجيه الدين العيدروس (ت. 677 / 1278) في رسالته *"لطائف الجود في مسألة وحدة الوجود"* والشيخ أحمد بن عجيبة (ت. 1225 / 1810)، يضاف لهؤلاء شراح *فصوص الحكم* وهم كثيرون استمروا منذ صدر الدين القونوي حتى بداية القرن السابع عشر الميلادي (الحادي عشر الهجري)، وكلهم ينزلون ابن عربي منزلة الولاية الكبرى ومقام الشيخ الأكبر ويفسرون أقواله ويوضحون الدلالات الخفية في مذهب "وحدة الوجود" من حيث إنه مذهب يقرر على لسان ابن عربي أن "الحق خلق وما الخلق حق" وليس في هذا اتحاد ولا حلول ولا نفي للذات العلية وصفاتها، وإنما هو معرفة ذوقية لا تفصل الخلق عن الخالق، كما لا توحد بين الخالق والمخلوق.

والحقيقة أن ابن عربي ترك آثاراً عميقة جداً في كثير من مدارس الحكمة الإلهية والطرق الصوفية، وشمل أثره الأدباء المسلمين من عرب وفرس وأتراك وغيرهم.

ويمكننا بهذا الصدد إلحاق آراء الشيخ عبد الكريم الجيلي (ت. 820 / 1417) وأمثاله بالمدرسة الأكبرية (الشيخ الأكبر = ابن عربي)، ولا ننسى أثر الأكبرية في الفلاسفة الإشراقيين أمثال شهاب الدين السهروردي (ت. 586 / 1190) وجميع شراحه وأتباعه، وكذا في مختلف فروع طريقة نعمة الله، وبوجه عام في التصوف الشيعي. كما أن الأكبرية استلهمتها الحركات الباطنية (العلوية والبكتاشية وأهل الحق). ومن المتأثرين بابن عربي والحاملين راية الأكبرية في القرن العشرين نذكر الأمير عبد القادر الجزائري في كتابه *"المواقف"*. هذا عن أثره في العالم الإسلامي، أما في العالم المسيحي الأوروبي فيؤكد أسين بلاثيوس تأثير ابن عربي في كل من ريموندو لوليو ودانته (*ابن عربي حياته ومذهبه* : ترجمه عبد الرحمن بدوي، ص. 99).

توفي في سنة 638 / 1240. وافته المنية بدمشق في منزل ابن الزكي يحيط به أهله ومريدوه فدفن خارج دمشق في قرية الصالحية على سفح جبل قاسيون، وقد عظم مقامه العثمانيون فأمر سليم الثاني بن سليمان الكبير (986 / 1578) ببناء مسجد باسمه ومدرسة كبيرة على ضريحه ورتب الأوقاف عليهما.

ابن عربي الحاتمي، *فصوص الحكم*، تح. د. أبو العلا عفيفي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 2، 1980 ؛ *الفتوحات المكية*، دار الفكر، بيروت، د. ت ؛ ابن قسي، *خلع النعلين واقتباس النور من موضع القدمين*، تح. د. محمد الأمراني، ط 1، المغرب، 1997 ؛ أسين بلاثيوس، *ابن عربي حياته ومذهبه*، تر. د. عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات الكويت، 1979 ؛ علي شودكيفيتش، *الولاية والنبوة عند محيي الدين بن العربي*، تر. د. أحمد الطيب، ط 1، دار القبة الزرقاء للنشر، مراكش، 1999.

C. Addas, *Ibn Arabi et le voyage sans retour*. Paris. 1996.

محمد الأمراني

ابن **العربي، الصديق** إنسان نبيل، وعالم جليل، ووطني صادق، همه من الحياة :

كفاف عيش كفاني ذل مسألة وخدمة العلم حتى ينقضي أجلي

إنه الأستاذ الصديق بن إبراهيم بن أحمد بن العربي السلاوي. ولد عام (1329 / 1911) من أب سلاوي يرجع أصله إلى منطقة الشاوية ومن المهتمين بالأدب وقرض الشعر. لما بلغ الطفل سن التلقي أدخله والده إلى كتاب قرآني بمدينة الدار البيضاء التي كان يعمل بها الأب موظفا بميناء المدينة أيام السلطان مولاي عبد العزيز وعدلا أيام السلطان مولاي يوسف، ومعدلا بالمسجد الأعظم. بعد حفظه القرآن الكريم التحق بمدرسة النجاح فدرس بعض المتون على يد الفقيه أبي بكر الزيراوي، وعلى يد محمد الزيراوي، والأديب محمد بليماني الناصري. كما حضر المجالس العلمية التي كانت تعقد بمساجد البيضاء.

وبعد وفاة والده سنة (1345 / 1926) رجع إلى مسقط رأسه سلا حيث واصل دراسته العلمية بمساجدها، فدرس على ثلة من علمائها مثل :

عبد النبي، وزين العابدين بنعبود، والشدادي، وغيرهم.

وفي سنة (1346 / 1927) التحق بالمدرسة الابتدائية، ومنها إلى الثانوي، وفي هذه الأثناء عكف مع زميله المرحوم سعيد حجي على التثقيف الذاتي من قراءة ومطالعة في المنزل، والمكتبات. وانهمكا معا على تعلم مبادئ اللغة الفرنسية والانجليزية.

لما أسس سعيد حجي جريدة *(الوداد)* التي كانت تصدر بخط اليد، اشتغل معه مدة طويلة إلى أن سافر حجي للمشرق لإتمام دراسته، فاشتغل كاتبا مع أحد التجار ثم موظفا بالمطبعة الرسمية مدة سنتين، وفي هذه الأثناء تعرف على بعض الوطنيين من سلا والرباط.

وفي سنة (1352 / 1933) اشتغل موظفاً بمصلحة المالية قسم الترتيب بالرباط أولا، ثم الدار البيضاء، ومراكش، وآسفي، والقنيطرة. ولما لا حظت السلطات الاستعمارية اتصالاته بالمنظمات الوطنية فصل من عمله.

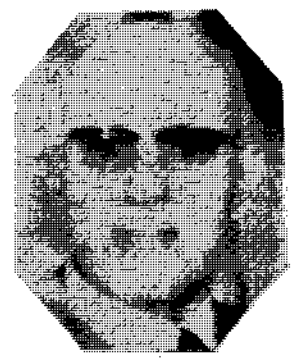

ولما عاد سعيد حجي من الشرق أسس مطبعة الأمنية بالرباط عام (1359 / 1940) اشتغل معه مشرفا على المطبعة إلى جانب إدارة جريدة *(المغرب)*، إلى جانب مساهمته في التصحيح والتحرير.

وفي سنة (1361 / 1942) انخرط في الحزب الوطني، وكان من السباقين للتوقيع على وثيقة الاستقلال يوم 11 يناير 1944، فأدى ضريبة هذا التوقيع بين السجن، والتعذيب، والتشريد.

وعندما صدرت مجلة *(رسالة المغرب)* برئاسة الفقيه محمد غازي عمل بجانبه في الإشراف والكتابة. وتأتي سنة (1366 / 1946) لتحمل ميلاد جريدة (العلم) التي عمل فيها من أول عدد لها إلى أن أوقفها المستعمر سنة (1372 / 1952). كان عمله في هذه الجريدة موزعا بين المطبعة والتصحيح والإدارة والكتابة، كما أضيفت له مهام أخرى كقيم وأمين على الشؤون المالية للجريدة.

وفي أعقاب الأحداث الخطيرة التي وقعت سنة (1373 / 1953) اتجه إلى ميدان التعليم، فاشتغل أستاذاً لمادة التاريخ بمدرسة النهضة السلاوية إلى أن نال المغرب استقلاله، فانتقل إلى مدارس محمد الخامس بالرباط، ومنها عين في حكومة الاستقلال الأولى كاتبا في أول سفارة مغربية بتونس. وبعد مضي سنة على هذا التعيين قرر العودة إلى المغرب، فعمل بوزارة الخارجية، ثم استقال من عمله، ورجع إلى الصحافة والتعليم، فاشتغل مدة في جريدة *(العلم)*، ثم أستاذاً في مدارس محمد الخامس لعدة شهور.

وفي سنة (1378 / 1958) عين محافظا لخزانة ابن يوسف العتيقة فأعطى لهذه الخزانة من صحته ووقته وعلمه ما لم يعطه أي محافظ آخر. ووضع فهارس مختلفة، للمخطوطات والمطبوعات، وأنشأ قسما خاصا بالفتيات، وقسما خاصا بالأطفال، كما سعى إلى استرداد ما ضاع من الكتب المعارة.

أما إنتاجه فمتنوع، فالمطبوع منه هو :

1) *كتاب المغرب* : طبع ثلاث مرات : 1952 ـ 1956 ـ 1984.

2) *فهرس مخطوطات خزانة ابن يوسف* عام 1994.

3) *نصوص*

أما مقالاته فكثيرة ومتنوعة بين التاريخ والترجمة، وتاريخ المكتبات والأدب ... وقد قمت بجمعها وستصدر في كتاب من 280 صفحة.

توفي رحمه الله يوم الثلاثاء 15 جمادى الأولى 1416 الموافق 10 أكتوبر 1995 بعد مرض ألزمه الفراش مدة (14) سنة. وأقبر بمقبرة أبي العباس السبتي. وفي ذكراه الأربعينية أقيم له حفل تأبيني برياض الثقافة (دار الباشا) شارك فيه نخبة من الأساتذة من مراكش والرباط وسلا، وجمعت هذه الكلمات والقصائد الشعرية في كتاب صدر عام (1417 / 1996).

أ. متفكر، *ذيل الاعلام*، مخطوط.

أحمد متفكر

ابن **العربي، عمر** ولد سنة 1929 بدوار الرباط أدا اموزك فرقة متوكة قبيلة اشمارن بمراكش.

انخرط في صفوف المنظمة السرية للمقاومة، تشكيلة علي بركاتو التي كان يرأسها الشهيد حمان الفطواكي.

وقد عرف الشهيد منذ شبابه بالاستقامة ونقاوة الضمير ورباطة الجأش، حيث قام أيام كفاحه بعدة أعمال كحمل السلاح ونقله، كما كان يقوم بتوزيع المناشير على الفرقة ويقوم بجمع الإعانات النقدية من لدن المواطنين وبقي يواصل عمله بكل نشاط إلى أن وشي به فألقي عليه القبض في غشت 1955 حيث استشهد في أكتوبر 1955 من جراء التعذيب الذي تعرض له في زنزانة المستعمر.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 512915.

بنت **العربي، فاطنة** ولدت سنة 1929 بدوار البراهمة إقليم خريبگة.

عندما مدت يد الطغيان والظلم يدها على بطل الحرية والاستقلال محمد الخامس قدس الله روحه، هو وأسرته المالكة ونفته إلى جزيرة كورسيكا ثم إلى جزيرة مدغشقر، خرجت الشهيدة فاطنة بنت العربي إلى الشارع وهي تحمل العلم الوطني منددة بالعمل الوحشي اللامسؤول الذي قامت به سلطات الظلم والاستبداد محرضة جماهير مدينة وادي زم للجهاد، من أجل الخلاص من أغلال الحجر والاستعمار البغيض والضغط بكل الوسائل المتاحة لإرجاع الأسرة المالكة وعلى رأسها رائد الوحدة والاستقلال محمد بن يوسف إلى عرشها الشرعي واستمرت في عملها البطولي تزغرد وترشق بالحجارة عناصر الاحتلال وتوقد النار إلى أن استشهدت تحت رصاص رشاشات اللفيف الأجنبي وكان ذلك يوم 20 غشت 1955 في مدينة وادي زم.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاومة رقم 524149.

ابن **العربي، محمد** بن محمد ولد سنة 1931 بوادي زم شارك في الانتفاضة الشعبية التي شهدتها مدينة وادي زم يوم 20 غشت 1955 والتي خرج فيها المواطنون للتعبير عن استيائهم من الأعمال القمعية التي تنهجها الإدارة الاستعمارية.

وفي هذه الانتفاضة قام ابن العربي بأعمال فدائية استهدفت منشآت المستعمر، واستمر في كفاحه إلى أن استشهد برصاص العدو في نفس اليوم.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 520840.

ابن **العربي، الهاشمي** ولد بناحية أبي الجعد إقليم خريبگة سنة 1907 وعندما اشتد عود التحق بصفوف المقاومة السرية حيث عمل تحت مسؤولية الزين عبد السلام باسم مستعار وهو "العبار" طيلة فترة كفاحه أي منذ سنة 53 إلى غاية 1955. ومن أبرز أعماله نذكر، أنه قام برفقة إخوانه ـ المجاهدين بإضرام النار في مزرعة القائد دحو وكذا مزرعة ابنه، كما شاركوا في الهجوم على العميل المدعو ولد الحاج العربي وأحرقوا منزله كذلك تمكنوا من إضرام النار في متجر هو في ملكية أحد اليهود، وعند مشاركته الفعلية في مظاهرة 20 غشت 1955 سقط متأثراً بالإصابة التي نتجت عن طلقة نارية من سلاح العدو. وقد توفي على إثرها في نفس اليوم.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 523711.

ابن **عِرْس** أو السرعوب كما هو في المعاجم وتازلدمان وتازگاگة وتازگطا في المناطق الجنوبية المغربية وفأرة الحيل في المغرب العربي، حيوان من أصغر الثدييات الوحشية اللاحمة، يكثر نشاطه ليلا وفي مطلع النهار وعند الغروب. يصنف إلى فصيلة السرعوبيات أو السموريات (العرسيات) Mustelidae ويسمى علميا Mustela nivalis 1855 numidica Pucheran، وبالفرنسية Numidie وبالإنجليزية Numidian weasel وبالإسبانية Comadreja، وهو ضرب موطنه أفريقيا الشمالية (المغرب والجزائر) ويعيش نظيره السرعوب الأوروبي Mustela nivalis (Belette d'Europe) في أوروبا وآسيا الشمالية باستثناء المناطق الشديدة البرودة.

قوائمه قصيرة تنتهي بمخالب قوية تساعده على حفر الجحور جسمه ممدد ونحيل، مسطح الرأس طويل العنق، ذيله أسمر ينتهي بخصلة من الشعر الطويل. شعره قصير، أسمر داكن على الظهر وأبيض مصفر على البطن وأسفل العنق وعلى الواجهة الداخلية للقوائم. صيغة أسنانه كالتالي : 3 / 3 أسنان، 1 / 1 أنياب، 3 / 3 أضراس أمامية، 2 / 1 أضراس = 34 سنا.

يتراوح وزن الكبار بين 75 و130 غرام ويبلغ الطول جمعا بين الرأس والجسم 20 ـ 27 سم وطول الذيل 3 ـ 6.5 سم ؛ علوه عند الغارب 3.5 ـ 5 سم. الذكور أكبر حجما من الإناث.

يعيش مزدوجا أو في مجموعات عائلية تشمل الصغار والأبوين ويتكون غذاؤه من الضفادع وفراخ الدجاج وصغار الأرانب والحشرات والقواضم وبالأخص منها فئران الحقول يبحث عنها ليلا وخلال الأيام الغائمة. تساعده نحالة جسمه وصغرها على اقتحام الجحور ليزعج طريدته ويفترسها. يحسن السباحة ويصعب عليه تسلق الأشجار. يفضل العيش في المناطق الغابوية وخواصر الجبال ذات الكسور والحقول المزروعة والمنازل المهجورة في الأرياف. شائع في سهول وهضاب وجبال معظم المناطق المغربية والجزائرية باستثناء الأوساط الصحراوية الحارة. يخشى الكواسر الليلية والإنسان.

يتوالد مرتين في السنة : في مارس ـ أبريل وفي يوليوز ـ غشت ؛ تدوم مدة الحمل حوالي 35 يوما وتلد الإناث 4 ـ 7 صغار تفتح عيونها بعد 21 ـ 25 يوما وتدوم مدة الرضاعة 4 ـ 5 أسابيع. تصير بالغة بعد سنة وتعمر حوالي 7 سنوات.

محمد رمضاني، باقع، *معلمة المغرب*، جزء، 3 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان ـ الطبعة الثالثة، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

A. Lakhdar Ghazal, J.P. Fartouat et M. Thevenot, *Faune du Maroc*, les mammifères, Albums didactiques, Rabat, 73 p. ; S. Aulanier et M. Thevenot, *Catalogue des mammifères sauvages du Maroc*, *Trav. Inst. Sci. Série Zoologie*, n° 41, Rabat, 1986.

محمد رمضاني

العرش (عيد ـ) لم يشرع في المغرب إلا في سنة 1934 على عهد جلالة المغفور له محمد الخامس. لم يكن معروفاً لا في نشأة الدولة العلوية (1050 / 1640) ولا في ما سبقها منذ عهد الدولة الإدريسية (172 / 788) وإنما كانت تعقد البيعة عند وفاة سلطان من سلاطين المغرب للابن البكر من أنجاله من لدن كبار العلماء ونقباء الأشراف ويشارك في عقد البيعة كبار أعيان الدولة.

عند تنازل السلطان عبد الحفيظ بن الحسن عن العرش سنة 1912 بعد بسط الحماية على المغرب تولى شقيقه مولاي يوسف، فلما توفي سنة 1927 خلّف ثلاثة أبناء : إدريس النجل الأكبر، والحسن يليه، والأصغر محمد. كان من المتوقع أن يلي العرش إدريس خصوصاً وقد كان مرشحاً من لدن الحاجب السلطاني آنذاك التهامي عبابو الذي كان له نفوذ كبير على المولى يوسف. لكن أصحاب الحل والعقد اجتمعوا وعقدوا البيعة لسيدي محمد (محمد الخامس). تمت البيعة أيام المقيم العام الفرنسي طيودور سطيگ بالمغرب. وشاع أن إدارة الحماية الفرنسية كان لها ضلع في هذه البيعة، وفند هذا الزعم الفقيه محمد المعمري مؤدب محمد الخامس ورئيس تشريفاته فيما بعد مؤكداً أن ما كان يتصف به المغفور له من فطنة وحيوية وخلق متميز هو الذي أهله لتبوإ الأمانة الكبرى.

وفعلاً منذ اعتلائه العرش وخاصة بعد تحرره من الوصاية، ومحمد الخامس يبرهن عن كريم الأفضال وسمو الشمائل زيادة عما كان يتحلى به من عناية بالصالح العام. اقترن عهده بنشوء الحركة الوطنية في أعقاب استصدار الحماية للظهير البربري الذي أرادت الحماية من ورائه كسر الوحدة المغربية. وبعد نهاية المقاومة المسلحة منذ الاحتلال الفرنسي ونهاية حرب الريف بقيادة ابن عبد الكريم ضد الحماية الاسبانية، حمي وطيس المقاومة السياسية على يد فئة من الشباب انتظموا في "كتلة العمل الوطني" فأيقظوا الوعي في الداخل وشهّروا بالاستعمار في الخارج، هذه الفئة هي التي قادت الكفاح تحت اسم "الحزب الوطني" ثم "حزب الاستقلال" بعد ذلك إلى أن تحرر المغرب سنة 1956 بعد نضال طويل التحم فيه العرش ممثلاً بمحمد الخامس والشعب مؤطراً من لدن حزب الاستقلال.

هذا الالتحام تم منذ نشأة الحركة الوطنية التي قررت تعزيز مركزها بالانضواء تحت المشروعية المتجلية في صاحب العرش ضد السيطرة الأجنبية للنضال في سبيل استرجاع السيادة المغتصبة. وهو ما جعلها تقيم عيد العرش ابتداءً من سنة 1933. احتفلت به لأول مرة يوم 18 نونبر ذكرى اعتلاء محمد الخامس العرش. أول من فكر في ذلك أحد أبناء سلا المناضلين المرحوم محمد حصار، وكان من ألمع شباب جيله تفكيراً وثقافة وتحريراً باللغتين العربية والفرنسية : دعا إلى الاحتفال بعيد تتويج محمد الخامس في مقال نشر بمجلة "*المغرب*" لصاحبها محمد صالح ميسة، وكان عنوان المقال : "الأعياد الإسلامية". تلقف الدعوة أبناء سلا والرباط وفاس، فأقاموا أول عيد للعرش سنة 1933 بعد ما تألفت لجان لهذا الغرض ونشطت في تنظيم الحفلات والدعوة لإقفال الإدارات والمدارس والمتاجر وتزيين الشوارع والتحلي بأحسن الملبوس وتبادل الزيارات والتهاني وتوجيه برقيات التهاني لجلالة محمد الخامس.

تنبهت إدارة الحماية الفرنسية لمغزى هذا العيد وما يرمي إليها من صحوة وتشبث بالمشروعية وما يستهدفه من استرجاع السيادة الوطنية فوقفت ضده محاولة أن تقضي عليه في المهد باعتقال بعض دعاته. لكن الشعب احتضنه فلم تمر سنة حتى عم الاحتفال به المغرب بأسره، فاضطرت الإدارة أمام الأمر الواقع لأن تعترف به وما لبث أن صدر قرار وزاري فأصبح عيداً وطنياً رسمياً إلى يومنا هذا.

بالإضافة إلى ما أصبح يتسم به هذا العيد من أفراح، فقد اغتنمه جلالة المغفور له محمد الخامس مناسبة لإلقاء خطاب جامع يستعرض فيه إنجازاته السنوية في جل المجالات ويبين برنامج أعماله في المستقبل. منذ 1944 أي منذ إعلان وثيقة المطالبة بالاستقلال أصبح خطاب العرش خطابا سياسياً يوضح فيه العاهل آراءه في القضايا الوطنية المطروحة والحلول التي يرتئيها : ما انجز منها، وما فاتح به الدوائر الفرنسية سواء في رحلاته إلى فرنسا أو في مذكراته لحكومة

باريس وينتظر الإجابة عنها. هذه الخطب اكتسبت أهمية كبرى فأصبحت بمثابة ميزان الحرارة يقاس بها تطور العلاقات المغربية ـ الفرنسية خاصة بعد رحلة محمد الخامس إلى طنجة سنة 1947، وآخر خطاب له في عهد الحماية سنة 1951 طرح فيه الحالة بكل صراحة قبل أن يتم خلعه ونفيه.

وبعد الاستقلال استأنف الشعب المغربي الاحتفال بعيد العرش في عهد محمد الخامس وخلفه جلالة المغفور له الحسن الثاني ونجله من بعده جلالة محمد السادس نصره الله.

قاسم الزهيري

ابن **عرضون الزجلي أحمد** بن الحسن بن يوسف، من أسرة عربية قرشية الأصول، أقامت بقبيلة بني زجل الغمارية. ولد بمدشر أدلدال شرقي مدينة شفشاون سنة 948 / 1541، ونشأ في وسط علمي، بقرية تلنبوط من نفس القبيلة، حيث كان أبوه خطيباً ومدرساً بمسجدها، ومن أعيان القبيلة.

حفظ المترجم القرآن الكريم، وكثيراً من الشعر، وكان له اهتمام بالأخبار وهو مازال حدثا، كما أخذ عن عمه عمر بن عرضون؛ ثم تابع مسيرته التعليمية فتلقى مبادئ العلم على يد بعض فقهاء منطقته التي كانت في القرن العاشر (16 م) تعرف نهضة علمية ملموسة، فدرس على أبي محمد عبد الله الهبطي وسليمان بن أبي هلال الملولي الزجلي وابنه أبي الحسن علي الملولي ومحمد بن عيسى بن عبد الوهاب ومحمد بن عبد الجبار وأبي حفص عمر بن عبد الوهاب الحسني.

ورحل بعد ذلك إلى فاس لإتمام مشواره العلمي بجامع القرويين، وسكن بمدرسة الحلفاويين بها، فأخذ عن المحدث النسابة محمد بن قاسم القصار وأبي زكريا يحيى بن محمد السراج الرندي خطيب القرويين، ومحمد ابن مجبر المساري أحمد بن قاسم القدومي والفقيه الورع رضوان بن عبد الله الجنوي وأبي راشد يعقوب بن يحيى اليدري وحامل لواء المذهب المالكي العلامة الحميدي وأبي العباس المنجور. وعدد آخر ممن ذكرهم أو أشار إليهم في كتبه حتى بلغ شيوخه بفاس عشرين شيخاً. وظل بعد تخرجه يتردد على فاس بين الحين والآخر، كما ظل على اتصال مع عدد من علمائها كتابة، وكان بعضهم شديد الإعجاب به، مما يدل على تميزه العلمي ونباهته.

تولى ابن عرضون مهام مختلفة ومجتمعة في آن واحد، منها القضاء بمدينة شفشاون، وزاول الخطابة في جامعها الكبير، وتقلد إلى جانب ذلك مهمة التدريس والإفتاء. وعرف أيضاً بالفضل والصلاح والاهتمام بمصالح الناس وقضاء حوائجهم، مستغلاً منصبه وجاهه.

وكانت له معرفة جيدة بالتفسير والحديث واللغة والمنطق، واشتهر بنبوغه في علم الفرائض والحساب، وبرع في التوثيق وعلم الأنساب، وتميز عن باقي فقهاء عصره بعدم التقليد في الفتاوى المعروضة عليه، التي سلك فيها مسلك الاجتهاد بحسب ما بلغه من الدرجة العلمية والفطنة والنباهة، كما هو الشأن بالنسبة لاستنكاره لبعض بدع عصره، ودعوته إلى ضرورة تعليم المرأة، وفتواه في قضية المرأة البدوية التي تشتغل مع زوجها، وهي الفتوى التي اشتهر بها وعرف من خلالها بدفاعه عن المرأة عن طريق إقرار حق الكد والسعاية، والتي لاقت معارضة من الفقهاء المقلدة.

خلف المترجم كتباً متنوعة، لم يعرف منها إلا القليل، وقد أحصى له الأستاذ عمر الجيدي حوالي 29 عنواناً ما بين كتاب وتقييد ومنظومة وشرح، في الفقه والنبويات وآداب السلوك والتاريخ وغير ذلك، وما هو معروف منها: كتاب *اللائق لمعلم الوثائق*، وهو أشهر تآليفه، وقد طبع مراراً على الحجر، ثم صدر في طبعة عصرية بتطوان سنة 1355 / 1936، *وشرح أسماء الله الحسنى*، وكتاب *حدائق الأنوار وجلاء القلوب والأبصار في الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الأخيار* (مخطوط)، *ومسائل ملقوطة من نوازل مازونة* (مخطوط)، وأجوبة في الفقه (مخطوط)، وكتاب *فيما لابد للعبادة من اعتقاده* (مخطوط)، *ومقنع المحتاج في آداب الأزواج* (مخطوط)، *ورسالة التودد والتحابب*، وهي في آداب الصحبة (مخطوط)، وله *منظومة في آداب الجماع* (مخطوط). كما كان له اهتمام بالتاريخ، ولا ندري هل ألف فيه أم لا.

توفي بفاس أو ببلده يوم 10 رجب سنة 992 / 1584.

أ. بن القاضي المكناسي، *جذوة الاقتباس*، نشر عبد الوهاب بنمنصور، الرباط، دار المنصور، 1973، ص. 160؛ ع. الوهاب بنمنصور، *أعلام المغرب العربي*، الرباط، المطبعة الملكية، 1990، ج 5، ص. 196؛ ع. الجيدي، *ابن عرضون الكبير حياته وآثاره وفقهه*، الرباط، منشورات عكاظ، ط 1، 1987.

محمد المغراوي

ابن **عرضون، محمد** بن **الحسن** بن يوسف ابن عرضون الزجلي الصالحي، ولد على الأرجح سنة 945 بمدشر أدلدال قرب قرية تلمبوط في بني زجل الغمارية على ضفاف وادي لاو جنوبي بني زيات.

وأخذ عن والده العلامة النوازلي الحسن ابن عرضون ـ المتوفى بعد عام 950 ـ المبادئ الأولى للنحو والفقه، ونشأ في أسرة تشتغل بالعلم ولها شهرة في الفقه والوثائق والأدب والتاريخ والشعر، فأخذ عن عمه عمر بن يوسف ابن عرضون اللغة والأدب والعروض، وعن الشيخ أبي محمد عبد الله الهبطي العقائد والأصول والتصوف، وكانت له شهرة مع أخيه القاضي أحمد المتوفى عام 992 في جبال غمارة ومدينة شفشاون، ثم انتقل إلى فاس وأخذ عن شيوخها، منهم شيخ الجماعة أبي العباس أحمد المنجور، والعلامة النوازلي أبي راشد يعقوب بن يحيى اليدري، والعلامة أبي عبد الله بن أحمد بن مجبر المستاري، وفي طريق القوم لزم صحبة الشيخ الورع الصالح أبو النعيم سيدي رضوان الجنوي لمدة تربو عن عشرين سنة. وكان قبله ملازما لسيدي موسى بن علي بزرهون، ثم لصحبة الشيخ سيدي محمد بن علي بن ريسون.

وفي مدينة فاس ظهرت نجابته وتصدر بعض مجالس التدريس فكان كما وصفه معاصروه فقيها نحويا يقوم على ألفية ابن مالك أحسن قيام، وله معرفة بالعروض والأصلين والمنطق والبيان، ثم رجع لشفشاون وتصدر للتدريس والإفتاء، وبرز في عدة علوم وبخاصة الفقه والأصول والمنطق والبيان والفرائض والحساب.

ومن أشهر الذين أخذوا عنه ولده أحمد شارح التحفة، والقاضي محمد بن أخيه أحمد ابن عرضون، والشيخ قاسم ابن القاضي، وإبراهيم الكلالي الورياكلي مؤلف تنبيه الولدان، والقاضي أحمد بن علي الشفشاوني، والقاضي محشان الشفشاوني، والعربي الفاسي مؤلف مرآة المحاسن، والقاضي الحسن الخالدي، وغيرهم ...

تولى قضاء شفشاون بعد وفاة أخيه أحمد عام 992، واستمر قاضياً عشرين سنة إلى وفاته، ووصف في بعض المصادر بقاضي القضاة.

اشتهر محمد بن الحسن ابن عرضون بمجالسه العلمية التي كان يعقدها في مدينة شفشاون، وكانت مقصداً لطلاب العلم من جميع أنحاء المغرب، كما اشتهر بوثائقه كقاض من قضاة العدل والإنصاف التي نقف على نماذج منها في نوازله وحواشيه وشروحه، ومن أبرز مؤلفاته :

1) شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني

2) شرح عقيدة السنوسي المسماة بالحفيدة، مخطوط الخزانة العامة رقم 1002.

3) شرح مثلث قطرب، مخطوط الخزانة العامة بتطوان، رقم 830.

4) ممتع المحتاج في آداب الأزواج، طبع على الحجر بفاس سنة 1319 في 120 صفحة.

5) منظومة في التصوف في 137 بيتا، توجد في فتح التأييد في مناقب الجد وأخيه والوالد للحسن ابن محمد بن ريسون.

6) مجموعة من الفتاوي والنوازل، مبثوثة في كتب الفقه والنوازل، كفتواه في إحراق التبغ وإهراق الخمر التي أصدرها في مجلس السلطان أحمد المنصور الذهبي، بالإضافة إلى العديد من المقطعات، نقف على نماذج منها عند ابن القاضي في درة الحجال.

انتقل في آخر حياته إلى مدينة فاس، وتوفي بها ـ رحمه الله ـ عصر يوم الثلاثاء 11 شعبان عام 1012 / 11 يناير 1604، ودفن بروضة الأنوار بأرض أولاد بن بكار خارج باب الفتوح.

ابن القاضي، *درة الحجال*، ج 2، ص. 137 ؛ علي بن عيسى العلمي، *نوازل العلمي*، صفحات متفرقة ؛ الفاسي، *مرآة المحاسن*، ص. 169 ؛ الإفراني، *صفوة من انتشر*، ص. 136 ؛ القادري، *نشر الثاني*، ج 1، ص. 94 ؛ ابن ريسون، *فتح التأييد في مناقب الجدوانية والوالد*، تطوان، 1405 ـ 1985، ص. 85 ـ 93 ؛ الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ج 2، ص. 267 ؛ الحجوي، *الفكر السامي*، ج 2، ص. 325 ؛ مخلوف، *شجرة النور*، ص. 295 ؛ حجي، *الحركة الفكرية*، ج 2، ص. 424 ؛ الجيدي، *ابن عرضون الكبير*، ص. 76 ؛ عبد القادر العافية، *الحياة السياسية*، ص. 426.

أحمد ايشرخان

العرعر أو العرعار، اسم يطلق في المغرب على العديد من الأنواع الشجرية، أهمها : العرعر المغاربي والعرعر الأحمر والعرعر الفواح والعرعر الكادي وسورو الأطلس ... غير أن هذه الأنواع تتوزع، على مستوى الحقيقة العلمية، بين جنسين نباتيين اثنين، هما Juniperus وTetraclinis ؛ لكنها تنتمي في مجموعها لفصيلة السرويات Cupressaceae. للتذكير، فإن الأنواع الأربعة الأولى هي التي سيشملها المقال ؛ أما النوع الأخير ـ سرو الأطلس ـ فالأجدر أن يفرد له باب خاص، بالنظر إلى الأهمية التي يكتسيها من حيث ندرته وقيمته الإيكولوجية.

1 ـ العرعر المغاربي Tetraclinis articulata : يعرف كذلك بالعرعر المفصلي أو المفصية، ويحمل أسماء محلية أخرى، منها أزوكا (تشلحيت) وأملزي (تريفيت) .. يعتبر من أهم الأنواع الشجرية بالمغرب، ليس على مستوى المساحة التي يحتلها فحسب، بل ومن حيث صلابته ومقاومته لقساوة الظروف البيئية كذلك. ثم لكونه ذا فائدة اقتصادية جمة، إذ يغطي نوعا من الأخشاب عالية الجودة، تستخدم في أغراض شتى.

نشير هنا، إلى أننا آثرنا تبني اسم العرعر المغاربي، عوضا عن تسميات أخرى سائدة، لاعتبارين اثنين : يتعلق أولهما، بأصالة هذا النوع واتساع رقعته في البلدان المغاربية. وثانيهما، لرفع اللبس الحاصل بفعل تداول المصطلح الفرنسي الذي أطلق على هذا النوع، عن قصد أو غير قصد، اسم العرعر البربري Thuya de bérbérie وأحيانا ... (Boudy, 1950)

يدخل العرعر المغاربي ضمن الأنواع الصمغية Résineux؛ ويتميز، من حيث مرفولوجيته، بقامة متوسطة

تتأرجح بين 10 و12 مترا، وبجذع يتراوح قطره بين 40 و 50 سنتم. في بعض الظروف الإكولوجية الاستثنائية قد يصل علوه إلى 20 م، وقطره إلى متر واحد، وهي حالات نادرة لا تتأتى إلا في مواضع منيعة، لم تصل إليها يد الإنسان ؛ أو في مقابر مازالت تأوي نماذج من هذه الأشجار، لا يجرؤ السكان على استئصالها، بالنظر لطابع التقديس والاحترام الذي تحظى به هذه الأماكن. في فتوته، يتخذ أوراقا إبرية الشكل، يصل طولها إلى 1 سنتم ؛ أما عند بلوغه سن الرشد، فتبدو هذه الأوراق على شكل حراشف متعارضة ومتراكبة، محمولة فوق أغصان ذات مفاصل ... يتوفر العرعر المغاربي على شبكة من الجذور الكثيفة والمتشعبة، التي تشده إلى الأرض بقوة، سواء في المنحدرات أو المجالات المستوية ... يصل مرحلة الإثمار مبكرا، وبداية من سنه الخامسة عشر، والثمرة عبارة عن مخروط صغير ذي شكل مكعب. كما يعمر طويلا، ليبلغ سنه أحيانا 500 سنة.

من خصائصه الأساسية، أيضاً، قدرته على مواصلة التوالد والتكاثر إلى سن متقدمة جدا. علاوة على أنه يبدو أكثر صمودا وتجلدا حيال الاستغلال الجائر الذي قد يتعرض إليه. إذ يفلح، وبوتيرة سريعة، في استعادة عافيته وحيويته، من خلال ترميم الأضرار التي قمسه، خاصة عندما تبتر فروعه وأغصانه أو يخدش لحائه ..

2 ـ العرعر الأحمر Juniperus phoenicea : يطلق عليه أيضاً العرعر الحر، كما يسمى آيفس بالأطلس الكبير وتاكا بالأطلس المتوسط ... وهو عبارة عن شجيرة شديدة التفرع ذات أوراق إبرية ؛ يصل طوله إلى 8 أمتار وقطر جذعه إلى 60 سنتم. يتسم بحيوية كبيرة مكنته من تكوين تشكيلات شبه غابوية شاسعة، خاصة في المجالات الهشة، التي يستعصي على غيره من الأنواع الأخرى الإستيطان بها. مما ينم عن طاقة فائقة على تحمل أقسى الظروف الإكولوجية.

ويعد من أكثر الأنواع تكيفا مع الجفاف، ويرتبط توزيعه الجغرافي أساسا بعامل المناخ. لا يبالي بنوعية التربة، ويتكيف مع معظمها باستثناء التربات المحتقنة. يبدأ بالظهور انطلاقا من مستوى سطح البحر، ليصل إلى حده العلوي عند 2000 متر، ويمثل ضمن أصناف المستوى النباتي المتوسطي الحار بامتياز، مع حضوره الملحوظ إلى حدود المتوسطي الجبلي.

يشغل العرعر الأحمر مساحات شاسعة بالمغرب، وتصنف تشكيلاته إلى نوعين مختلفين (Emberger, 1939) :

ـ التكشيلات الساحلية : تنتشر عند مستوى الشواطئ أو فوق الكثبان ذات التربات الرملية المثبتة أو الضعيفة الاستقرار. حيث يفلح العرعر الأحمر في إنشاء تكوينات نامية ومتطورة، تارة بمفرده وتارة بمعية العرعر الكادي، تماما كما هو الشأن بالساحل الطنجي أو في السعيدية .. على البحر المتوسط، أو في المهدية والصويرة .. على المحيط الأطلنتي. تتعايش التشكيلات الساحلية مع عديد من البيومناخات، خاصة منها شبه الجاف وشبه الرطب والرطب، ذات الشتاء الحار Chaud والمعتدل Tempéré والبارد Frais.

ـ التشكيلات الجبلية : تغطي مساحات أكبر من سابقتها، وتنتشر بخاصة في الجبال الأطلسية ... تخضع لنفس المستويات البيومناخية الثلاثة الآنفة الذكر : شبه الجاف وشبه الرطب والرطب، ولكن بمتغيرين اثنين فحسب، البارد Frais والقارس Froid (G.E.M., 1987)، وتنمو فوق التربات الكلسية أو الصلصالية الحمراء المالحة العائدة لحقبة الترياس، كما هو الحال في واد سرو بالأطلس المتوسط مثلا...

ينتشر العرعر الأحمر، عموما، على هيئة تكوينات وطيئة Formations basses، غالبا ما تتبدى في شكل سحنات منسغية Faciès de taillis منشورة هنا وهناك عبر التراب المغربي. وتعكس هذه المنسغات الدينامية الكبيرة للعرعر الأحمر، التي تتجلى أساسا في قدرته على الإفتسال السريع كلما تعرض للقطع الجائر أو الاستغلال العشوائي، خاصة في فتوته. حيث يتمكن وبسرعة ملحوظة من إرسال بتائل Rejets جديدة ووفيرة، ما تفتأ أن تتحول إلى منسغات أجمية كثيفة، ضامنة تخليفه وتجدده.

تتميز الطبقة التحت ـ شجرية للعرعر الأحمر بكونها في الغالب هزيلة، خاصة عندما يكون مستقراً فوق نوع من التربات الصلصالية الحمراء الفقيرة. ومع ذلك يلاحظ في تشكيلاته حضور دائم لأنواع شجرية أخرى كالعرعر الكادي والعرعر المغاربي والبلوط الأخضر والأركان ...

وفي هذا الإطار، ينبغي تسجيل ملاحظة هامة، تتمثل في أن التدهور الشديد الذي مس تشكيلات العرعر الأحمر في كل أرجاء المغرب، قد حال دون التوصل لرصد تجمع نباتي متماسك مرتبط به، من شأنه أن يساعد على استخلاص رؤية دقيقة حول التركيبة النبيتية الأصلية لهذا النوع. إذ على مستوى تشكيلاته الساحلية، تبدو الحاشية النبيتية مماثلة لتلك التي ترافق العرعر المغاربي عادة ؛ بخلاف تشكيلات السفوح الجنوبية الجافة للأطالس، التي تسللت إليها أعداد لا يستهان بها من النباتات المتوطنة، مما جعل إمكانية الضبط العلمي المتكامل لنوع العرعر الأحمر وإكولوجيته أمراً عسيراً.

إن السفوح الجنوبية لسلاسل الأطلس التي تبدو عارية من أي غطاء نباتي في الوقت الحاضر، قد كانت فيما مضى موطنا للعرعر الأحمر. وقد اختفى نتيجة للتدخل البشري المفرط الذي لم يسبب في تدميره وانقراضه فحسب، بل وأدى كذلك إلى تدهور خطير للأتربة، سيما في هذه المجالات الهامشية الهشة. ولعل هذا المثال وحده كاف لإلقاء الضوء على الأهمية الإيكولوجية التي يكتسيها هذا النوع من حيث جانبه الوقائي Forêt de protection، لا الإنتاجي. إذ أن أهميته الاقتصادية تبقى محدودة نسبيا، باعتبار كونه لا يوفر سوى أنواع رديئة من خشب الوقود والتفحيم ... ولا

ينتج الأنواع الأخرى المرتبطة بخشب الإستعمال والصناعة ..

3 ـ العرعار الكادي : يطلق عليه كذلك العرعر المجنح، ويعرف في الأوساط الشعبية باسم تاقا أو تيقي. لا يكتسي سوى أهمية ثانوية، مقارنة بأنواع العرعر الأخرى السالفة الذكر. يصادف في المغرب انطلاقا من مستوى سطح البحر وإلى حدود غابات الأرز ... في بيئات شديدة التفاوت والتنوع، إن على مستوى المناخات التي يحتملها أو التربات التي يستقر فوقها ... مما يطرح إشكالا حقيقيا فيما يتعلق بتحديد حاجياته الضرورية، وكذا طبيعة تفاعله مع الأوساط الطبيعية التي يعيش فيها. وفي الحقيقة، فإن العرعر الكادي مازال لم ينل نصيبه من الأبحاث الكافية والدراسات الشافية، التي من شأنها أن تستجلي كوامن طبيعته وتعرف بأسلوب عيشه وديناميته، فثمة جوانب عديدة من إكولوجيته ما يزال يكتنفها الغموض على المستوى العلمي.

يعرف العرعر الكادي توزيعا جغرافيا شاسعا على مستوى التراب المغربي. ويكون إما في حالة شتيتة أو على شكل أشجار منفردة ومتناثرة، حيث يشترك في تنظيم بنية التشكيلات التي يرافقها، سواء كانت غابوية أو شبه غابوية أو شبه سهوبية :

ـ في التشكيلات الغابوية، يلاحظ حضوره بقوة في الجبال الوسطى بخاصة ؛ حيث يميز المستويين النباتيين : المتوسطي العلوي والجبلي المتوسطي. يتعايش هناك مع عديد من الأصناف الرئيسية، غالبا ما يمثل في حاشيتها النبيتية بكثافة. إذ نجده يلازم البلوط الأخضر، كما يرافق العرعر المغاربي والعرعر الأحمر وبعض أنواع الصنوبر، وكذا الأرز أحيانا ... وبالتالي، يمكن القول بأن هذا النوع ما فتئ يلعب دوراً متميزاً، من حيث إسهامه، بصورة عامة، في ملء الفراغات والهوامش الغابوية (Lemoine S.C., 1965).

ـ أما في المجالات شبه الغابوية، التي تهيمن في الجبال السفلى، على الخصوص، فنجد العرعر الكادي يتأقلم مع بيومناخ شبه رطب ذي شتاء معتدل أو بارد. كما يشغل المستوى النباتي المتوسطي الأوسط، حيث يمتزج بإيقاع شبه دائم مع البلوط الأخضر .. وقد يقترب في تلك المواطن من الظهور في صورة تشكيلة صرفة، ذات كثافة متوسطة إلى خفيفة.

ـ فيما يتعلق بالمناطق شبه السهوبية، المرتبطة أساسا بالمجالات الوطيئة، فإن العرعر الكادي يبدو فيها ماثلا ضمن المستوى النباتي المتوسطي الحار، مؤديا نفس الدور الذي يلعبه العرعر الأحمر في مثل هذه الأوساط، كما تمت الإشارة لذلك آنفا. غير أن ثمة تبايناً ملحوظاً في سلوك النوعين يجدر التلميح إليه، ويتمثل في أنه إذا كان العرعار الأحمر يشغل هوامش السهوب المحكومة بمؤشر يجنح نحو الجفاف، فإن العرعار الكادي يبقى مرتبطا بمؤشر حراري ينزع نحو البرودة. ويقع، عموما، ضمن المستوى البيومناخي شبه الجاف العلوي البارد أو القارس.

إن العرعار الكادي، بالرغم من سعة انتشاره ومرونته الإكولوجية، فإنه لم يبلغ قط حالة الذروة، كما لم يفلح البتة في إنشاء تشكيلات خالصة قائمة الذات. وإن بدا مهيمنا في بعض المحطات، فذلك ليس سوى تعبير عن تدهور مرحلي، شمل النوع الرئيسي : بلوط أخضر، صنوبر، أرز... واستثنى العرعر الكادي. ومن تم فإن سيطرته في مثل تلك الظروف تكون ظاهرية ليس إلا ؛ ولا تعني بحال من الأحوال، تكوين تشكيلات أصيلة. وتلك ملاحظة تكتسي طابع الشمول ليس على صعيد المغرب فحسب، بل وتشمل باقي البلدان المغاربية ... حيث تمتد رقعة النوع.

قصارى القول أن أنواع العرعر الثلاثة : المغربي والأحمر والفواح هي التي تتمكن من إنشاء تشكيلات شبه غابوية Peuplements préforestiers أو شبه سهوبية Présteppiques حقيقية. أما العرعار الكادي، الذي يعرف انتشارا واسعا في الجبال المغربية فيعتبر نوعا ثانويا ؛ ولا يوجد إلا بشكل متناثر هنا وهناك، أو مختلطا بأنواع أخرى رئيسية تمثل نظما بيئية قائمة الذات، كالبلوط الأخضر والأرز والعرعر المغربي ...

A Achhal [et al.], *A propos de la valeur bioclimatique et dynamique de quelques essences forestières au Maroc*, Ecol. mediter. 5, 219 - 249, 1980, Marseille ; A. Benabid et M. Fennane, *Connaissance sur la végétation du Maroc. Phytogéographie, phytosociologie et série de végétation*, Lazaroa, 14, p. 21 - 27, 1994 ; P. Boudy, *Economie nord-africaine*, t. I, II et III, Larose, Paris, 686, 678 et 363 p., 1958 ; L. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Larose, Paris, 1938 ; *Aperçu général sur la végétation au Maroc*, Varoff. Geob. Inst. Rübel Zurich, 14, 40 - 157, 1939 ; *Grande Encyclopédie du Maroc*, G.E.M., 1987 ; C. Lemoine Sébastien, *Ecologie des genévriers au Maroc*, Bull. Soc. Sci. Nat. Phys. Maroc, t. 45, 49 - 111 ; C. Sébastian et F. Bagnouls, *Conditions climatiques du genévrier de Phénicie et du genévrier thurifère au Maroc*, Bull. Soc. Sci. Nat. Phys. du Maroc, t. 39, 2ème trimestre.

إدريس شحو

عرفة بن **محمد** بن السلطان محمد بن السلطان عبد الرحمان بن السلطان هشام، أمه السيدة غزالة أم ولد، تحمل المسؤوليات الكبرى في عهد أخيه السلطان المولى حسن الأول، إذ كان خليفة عنه على مدينة فاس خاصة وعلى الأقاليم الشمالية والشرقية بوجه أعم، فكان ينوب عنه في البعثات النائية وفي الحركات التي لا يتأتى للسلطان القيام بها بنفسه في تلك الجهات. وهكذا قاد سنة 1301 / 1884 البعثة التي تنقلت على طول الحدود مع الجزائر المحتلة لضبط خطوطها ومحاولة إيقاف العسكريين الفرنسيين عند منطوق معاهدة لالة مغنية المبرمة بين المغرب وفرنسا سنة 1261 / 1845، والتي كان أولئك الضباط يؤولونها ويتصرفون بمقتضياتها بحسب مصالح الاستعمار، مستفيدين من عجز الجهاز المخزني عن فرض وجوده وسلطته في كل وقت وفي كل مكان هنالك، ومن مقاومة القبائل التي صارت أراضيها تضم ظلما وعدوانا إلى التراب الجزائري. ومع أن البعثة لم تفلح في إيقاف الزحف الاستعماري الفرنسي، إلا أن كاتبها

الفقيه علي السوسي قد سجل وقائعها على شكل ما كانت تدون الرحلات. وقد ذكر الأمير عرفة بكل خير، قائلا في مطلع تقييده : "ثم صرف (يعني السلطان المولى الحسن) عنان عنايته لتحويط مملكته وتحديدها من مجاورة لفرنصيص - كذا - في ناحية الصحراء. وبعث نصره الله صنوه الخير الدين الفاضل الناسك مولاي عرفة وبعثني معه معينا ورد ا ومشورة". وكان من مهام البعثة أيضا تمهيد قبائل بني يزناسن وجاراتها من قبائل الأعراب، فقال السوسي : "فبعثنا لقضايا في بني يزناسن وسائر أعراب تلك الناحية لشقاق وقع بين كل قبيلة وجارتها شقاقا لا يرجى له زوال، كما بعثنا للحدادة بين فرنصيص وإيالته هناك من مبدأ الحدادة وهي عجرود إلى ثنية الساسي. وكما بعثنا لفجيج للحدادة بين الروم أيضا من فجيج إلى درميل، إلى أم الكرار الفوقانية والتحتية وتيوت، ونشرف على وادي الناموس وهو واد كبير ليس فيه ماء، صار كذلك إلى توات، والحدادة معه كما ذكرنا ونصل إلى البش - كذا -". وقد أفلح المولى عرفة في رتق الصدع بين قبائل الشمال الشرقي، ويمكن الوقوف على ما أبرم من أوفاق التصالح والتآزر بينها بفضل وثيقة نقلها مؤرخ الدولة عبد الرحمان بن زيدان، جاء فيها : "الحمد لله عن إذن الشريف أخي سيدنا نصره الله الفقيه العلامة سيدي مولاي عرفة، حضر لدى شهيديه وعمال سيدنا الواضعين طوابعهم أسفله..." ولقد أوفد السلطان أخاه المولى عرفة سنة 1311 / 1893 للأخذ بخاطر قبائل قلعية وكبدانة عندما لم يعد أبناؤها يطيقون صبرا على تجاوزات الإسبان وتحرشاتهم ولينصح لهم بالاعتماد على المخزن المركزي في الدفاع عن حقوقهم بالوسائل السياسية، فإن المولى حسن، كما قال على السوسي في رحلته، صار "يلعب مع الرومي الشطرنج ببيادق الخيل". ولم يفلح الأمير المولى عرفة في مهمته. ومع ذلك ظل محتفظا بوظائفه الخلافية حتى بعد وفاة أخيه السلطان، إذ أورد ابن زيدان رسالة من السلطان المولى عبد العزيز إلى عمه المترجم مخاطبا إياه بعمنا الأرضى مولاي عرفة سددك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد..." وذلك بتاريخ 2 جمادى الأولى 1313 / 1895. وقد لبى داعي ربه سنة 1324 / 1906، مخلفا من الأولاد ولده محمد الذي سيلعب به الاستعمار الفرنسي لعبته الفاشلة في نهاية الحماية.

م. العماري، مشكلة الحدود الشرقية بين المغرب والجزائر واستغلالها في المخطط الفرنسي للسيطرة على المغرب من حوالي 1830 إلى حوالي 1902، من خلال رحلة علي السوسي، منتهى السؤل، القسم الخاص بالحدود، موقون.

إبراهيم بوطالب

عرق السوس أو عرق سوس أو السوس بالعربية، أو علميا كليسيريزا فيستيدا Glycyrrhiza foetida وكليسيريزا كلابرا Glycyrrhiza glabra نوعان نباتيان من فصيلة الفراشيات أو الفوليات Fabaceae.

إنهما نوعان عشبيان محشوشبان ومُعَمِّران، يعرفان بعروقهما الطويلة. وهما يريان أصلا لكنهما يزرعان في كثير من بقاع آسيا وأوروبا الجنوبية. يصادف النوع الأول بريا في المنطقة المتوسطية، والثاني في أواسط وغرب آسيا.

وقد عرف عرق السوس منذ أقدم العصور. وسمي بهذا الاسم لأن كميات كبيرة من عروق هذين النوعين كانت في الماضي تنتج في سهل سوس بالإضافة إلى سهل الغرب. لكن المغرب يستورد حاليا هذه المادة من تركيا التي تنتج النوع الثاني الذي هو أحلى من النوع الأول المزروع في غرب المنطقة المتوسطية.

تهيّأ جذور عرق السوس على هيئة قطع اسطوانية بعد تجفيفها لاستعمالها في التطبيب التقليدي وفي صناعة الأدوية وكمليّنة للجلد، وكمادة مطيبة في تهييئ الأطباق والحلويات وكذلك في صناعة دهان الأحذية وبعض المشروبات، لكن مضغ عرق السوس يعتبر من العادات السائدة عند بعض الناس.

- ألبرت هيل، *النبات الاقتصادي*، ترجمة زاهر عبد المجيد وآخرين، القاهرة، 1962.

J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle. médecine arabe ancienne et savoirs populaires*. Ibis Press. Paris. 1997. 764 p.

عبد المالك بنعبيد

عروس (آيت -) من فروع قبيلة إيداوسملال بالأطلس الصغير الغربي، تستوطن الجزء الأوسط من القبيلة، في مجال جبلي متدرج الارتفاع، حيث يمر واد توغزيفت.

فحسب تقديرات Le Chatelier، فإن آيت عروس تتوفر على تكتل بشري مهم، ضمن وحدات إيداوسملال بـ 700 كانون و1500 بندقية. ويبدو في سياق الأحداث التي ميزت جبال جزولة، أنها كانت تتبوأ مكانة مهمة. ويذكر أن قرية "آيت مولاي" العروسية تعتبر مسقط رأس الشيخ محمد بن سليمان الجزولي. كما كانت أراضيها بمثابة النواة الأولى لنشأة الشيخ أحمد بن موسى قبل انتقاله إلى تازروالت.

وتفيد الإشارات الواردة بوثائق دار إيليغ، أن آيت عروس تشكل الدعامة الرئيسية لإيليغ داخل تراب إيداوسملال، وأن للعروسيين اتصالا مستمرا بزعمائها. وغالباً ما يكون تدخلها لفض النزاعات التي تنتاب علاقة أيت عروس مع جيرانها آيت أوليلي. كما أضحت جبالها ملجأ تتحصن فيها الأسرة الايليغية، عندما تكون إيليغ مستهدفة من قبل القوات المخزنية أو القبائل المعادية ... توجد بالقبيلة عدة مزارات ومشاهد أهمها مشهدا سيدي بوبكر بن سليمان وإبراهيم بن عبد الرحمان المعروف بـ "جندوز"، ويقال إنه أول من نزل من الأشراف بإيداوسملال. وقد أسهمت في تأمين الاستقرار والتعايش بين السكان، وبحرمها تعقد التحالفات وتعتبر مدرسة "بومروان" أبرز مركز علمي وروحي بالقبيلة منذ القرن العاشر الهجري، ومازالت تؤدي دورها الإشعاعي.

الاحسن البعقيلي، *تبيين الاشراف*، ص. 100 ؛ المختار السوسي، *المعسول*، 18 : 402.

L. Justinard, *Notes sur l'histoire du Sous au XVI siècle*, A.M., 1933, p. 109 - 146 ; A. Le Chatelier, *Tribus du sud-ouest marocaines...*, Paris, 1891, p. 46 ; Cap. Meheut, Les Ida ou Semlal, Arch. S. H.A. 1948.

أحمد بومزگو

ابن **العَرُوسي**، أسرة من فرقة عامر الحوزية ومن قبيلة بني حسن تنتمي إلى العبايدة الهلاليين الذين يبدأ مجالهم الترابي ببلدية العبايدة التابعة لعمالة سلا الجديدة. كان منها قواد، منهم : ابن العروسي، أحمد بن محمد العبادي الهلالي العَسْري أحد ولاة عامر الحوزية بعد وفاة أبيه سنة 1285 / 1867، وكان مدة قصيرة قائداً لفرقتي السهول وحصين.

ومامرت سنتان على تنصيبه حتى انهالت على المخزن شكايات من العمامرة وأولاد عامر تذكر تعسفه عليهم حتى اضطروا إلى الالتجاء منه بضريح الشيخ الحاج أحمد بن عاشر بسلا. لكن القضية التي كانت سبباً في عزله هي مخالطته للأجانب وتبايعه معهم، منذ سنة 1288 / 1872 مع أن ذلك كان ممنوعاً عليه وعلى غيره من المسؤولين.

وفي سنة 1290 / 1873 وضعت به مواجب عدلية تنتقده وتذكر مساوئه. فلم يلبث مولاي الحسن أن عزله سنة 1291 وثقف الدار التي له بسلا غرسة بخمسة آلاف ريال وذعَّره وفرض على عمه الحاج العربي ألف ريال. ثم أمر السلطان بتوجيهه إلى مراكش ليريح ويستريح، ولما تبين أن بظهره ألماً يمنعه من الركوب أعفاه. لكن في سنة 1294 / 1877 صدر أمر سلطاني لعامل الرباط عبد السلام السوسي بالقبض على ابن العروسي وإرساله مكبلا إلى سجن مراكش.

ولم أقف على تاريخ وفاته التي يحتمل أنها كانت قبل سنة 1302 / 1885.

م. بوشعراء، *علاقة المخزن*، 151، 153 ؛ والعريف، ج 2 : 162.

Villes et tribus, Rabat, Tome III, p. 68.

مصطفى بوشعراء

ابن **العروسي، إبراهيم** ولد سنة 1927 بأيت باعمران إقليم تزنيت، التحق بصفوف المقاومة المسلحة وانضم إلى تشكيلة نجاجي بلال.

وقد شارك في عدة عمليات فدائية إلى جانب تزويد الفرقة بمجموعة من المسدسات والبنادق والرصاص.

وأثناء عمليات التمشيط التي قامت بها السلطات الاستعمارية وخشية تفشي أسرار الفرقة قام المسؤولون بنفيه إلى مدينة سيدي إفني حيث اتصل بمجموعة من الفدائيين المنفيين في انتظار صفاء جو العمل. وظل هناك إلى غاية انطلاق عمليات جيش التحرير فانخرط في صفوفه تحت قيادة أبكا الحسن وبقي يعمل ضمن صفوفه بكل نزاهة وإخلاص إلى أن قتلته قوات الاستعمار الإسباني بسيدي إفني سنة 1957

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 514325.

العروسي، أحمد دفين الساقية الحمراء هو أحمد بن عمر العروسي، دفين الساقية الحمراء قرب مدينة السمارة، في "... بادية تسمى عريب" (*ملتقط الرحلة*، ص. 49)، وإليه يرجع نسب الشرفاء العروسيين، الذين يعيشون جنوب مدينة العيون في المكان الفاصل بين منطقة الساقية الحمراء ووادي الذهب، غير بعيد من ساحل المحيط الأطلسي في أرض السبخات الكبرى (*الساقية الحمراء*، 1 : 127).

ومرد شهرة هذا الرجل إلى أمرين اثنين : أولهما نسبه الرفيع، باعتباره من آل البيت، وثانيهما ولايته وصلاحه، باعتباره من رجال التصوف.

وبينما ينسب هذا الرجل إلى الفرع الحسيني في شجرة الأشراف (*الفواكه*، 2 أ)، تتعدد الآراء حول موقعه في المنظومة الصوفية. ومن الروايات المتداولة كثيراً في هذا الباب حكاية نقلها الشيخ ماء العينين عن السلف في شأن انتقال سيدي أحمد العروسي إلى الصحراء، مؤداها : "وسبب إتيانه إلى الصحاري، أنه كان صاحبا لعبد الرحمان المجذوب، دفين مكناس، وخرج من أول نشأته في العبادة، ولما كتب له معلمه (إذا زلزلت الأرض زلزالها) الآية وهو صبي، وبلغ : (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره)، قال لمعلمة : والأمر هكذا ؟ قال : نعم، قال : ففيم القراءة. فترك القراءة من ذلك اليوم، واشتغل بالعبادة، فظهر على يده من خوارق العادة ما لايوصف، فنمت به الوشاة عند أمير دهره، فحبسه، وكان إذ ذاك في مراكش في جمع "لَفْنَ" فحبس فيه، وكان في يديه حصيات يقلبها ويقول : ما طارت هذه ولانزلت هذه، حتى فرج الله، فضرب عبد الرحمان المجذوب بيده حائط الجامع، حتى انفرجت منه فرجة، ودخل عليه ونزع عنه الأغلال ... ونقله إلى الصحراء" (*الحركة الصوفية*، 189).

ويفهم من هذه الأخبار الشفوية أن أحمد بن عمر العروسي كان يطلب العلم شمال المغرب الأقصى، وأنه انخرط في سلك الصوفية برعاية الشيخ الشهير عبد الرحمن المجذوب (ت. 976 / 1569) دفين مكناس. كما تشير روايات شفوية أخرى شهيرة إلى اتصاله بالشيخ رحال الكوش البدالي (ت. 949 / 1543) في مراكش. وهذا يعني أن أحمد العروسي كان في بداية القرن العاشر الهجري (16 م) طالب علم ومريداً من مريدي التصوف.

وفضلاً عن أتباعه ومريديه، يفهم من الأخبار التي أوردها صاحب : *ملتقط الرحلة*، نفسه أن سيدي أحمد بن عمر العروسي كان يحظى بشعبية كبيرة في أوساط أهل التصوف في المغرب. وأشار في هذا الصدد إلى الشيخ محمد بن علي بن ريسون، دفين تازروت بجبل العلم، وذكر أنه نصحه بل حثه على زيارته في الصحراء، مخاطباً إياه

بقوله : "لا بد لك تلقاه، ولو بقي من عمرك إلا يوم واحد، لا بد لك تصافحه بيدك"، وكتب رسالة بعث بها إليه صحبته. بل لقد اعتبر بعض الفقراء سيدي أحمد العروسي صاحب الوقت في عهده. وكان الناس، وفيهم المشايخ، يزورونه فرادى وجماعات، رغم بعد المسافة وصعوبة الطريق، للأخذ عنه أو التبرك به. وكان الفقيه يوسف بن عابد الإدريسي، صاحب *ملتقط الرحلة*، ممن زاره وأقام عنده في زاويته سنة 990 / 1583، ومما كتبه في مؤلفه بمناسبة حديثه عن هذه الزيارة : "دخلت على الشيخ أحمد المذكور آخر النهار، وفرح بوصولي إليه كثيراً، وأردت أن أقبل قدمه فأبى، وقال : لو تركنا قدمنا يقبلها مثلك ما جاءت إلينا الأقدام، يشير بذلك إلى التواضع مع الله تعالى. وينزل الناس منازلهم، ولكل مقابلة من المشايخ الوافدين عليه على قدر أحوالهم وما تقتضيه المراتب، لقوله عليه السلام : أنزلوا الناس منازلهم. فأقمت عنده نحو خمسة عشر يوما في أطيب حال وأنعم بال. وناولته ورقة الشيخ محمد بن علي المذكور (ابن ريسون)، وكان ذكر له فيها كلاماً رجزاً، على صفة الخفر ... وكانت بيني وبينه منازلات ومطارحات، ومكاشفات منه على ما في ضميري، وأخذت اليد منه، كما أخذها عن مشائخه، وقال لي : حين استخلفت منه وسار معي ينفذني مع خطار : افتح فاك ففتحته، فقرأ : ونفخت فيه من روحي، ثم نفخ في فمي ثلاث نفخات، وقال لي : لا تفتح فاك إلا في المكان الفلاني، ودعا لي بالبركة".

وعلى كل حال، فقد كان سيدي أحمد العروسي من أنصار الإبداع والانفتاح في تاريخ الفكر الصوفي المغربي. كما كان من أنصار الحرية في إبداء الرأي. لكنه كان حريصا على أن يكون ذلك الانفتاح، وهذه الحرية في مغرب مستقل وموحد. إذ لا ننسى أنه ظهر في فترة كان المسيحيون الإيبيريون يطوقون سواحل المغرب، والعثمانيون في الجزائر ما انفكوا يكيدون ويتربصون بالبلاد الدوائر. كما لا ننسى أن سيدي أحمد العروسي كان من المجاهدين (*الحركة الصوفية*، ص. 188).

ولا شك أن جهاده للخصوم والغزاة جاء منسجما مع جهاده ضد الانغلاق الفكري، وضد التمزق السياسي، ومن ثم لا نشك في انخراطه ضمن المشروع السياسي الذي تزعمه شيوخ الزوايا، والذي انبثق من جنوب البلاد، وتوج بوصول الأشراف السعديين إلى الحكم، وإعلان بداية عهد الأشراف في تاريخ المغرب. وكانت وفاة سيدي أحمد العروسي عام 1002، ودفن بزاويته في الساقية الحمراء، وقبره بها شهير مزار متبرك به.

م. الغربي، *الساقية الحمراء ووادي الذهب*، دار الكتاب، الدار البيضاء، دون تاريخ، ج 1 ؛ م. الظريف، *الحركة الصوفية وأثرها في أدب الصحراء المغربية*، 1800 ـ 1956، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية، 2000 ؛ ف. يوسف بن عابد الإدريسي الحسني، *ملتقط الرحلة من المغرب إلى حضر موت*، تح. أمين توفيق الطيبي، نشر المدارس، الدار البيضاء، 1988.

أحمد الوارث

العروسي، أحمد بن طلحة، تسلم القيادة من والده طلحة العروسي وذلك يوم 28 يونيه 1510. وقد أصهر أحمد العروسي إلى مولاي إبراهيم بن علي بن راشد العلمي بأخته بط بنت طلحة، وهو الذي أعطى صورة أكثر استقرارا وقوة لشؤون مقاومة الوجود البرتغالي بأصيلا. ونظم بمعية المولى إبراهيم العلمي وقواد الهبط العديد من غزواته ضد أصيلا خاصة.

والمعروف أنه شارك المولى إبراهيم العلمي بالهبط تدبير عزل بوحسون عن العرش الوطاسي وتولية ابن أخيه أحمد الوطاسي، فلم يبق سوى مرحلة التنفيذ، وهي التي ستتم بنجاح إثر العودة إلى فاس خلال الأسبوع الأول من يونيه 1526، مما جعله يستحق منصب الوزارة. واستمر أحمد العروسي في قيادة القصر الكبير ووزارة أحمد الوطاسي إلى غاية الإعلان عن مقتله بتازا يوم 12 رمضان 936 / 10 مايو 1530، بعد أن كلفه أحمد الوطاسي بالتوجه إليها لتسوية مناعب ثورة قائد المدينة مولاي محمد.

ح. الفگيگي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المغربية المحتلة*، أطروحة مرقونة، الرباط، 1991.

Bernardo Rodrigues, *Anaes de Arzila*.

العروسي، حدو بن أحمد. أقدم العروسيين الذين عرفهم ميدان سبتة وهو مقدم المشاركين من بني عروس أثناء حصار سبتة الأول، حين ظهر بالميدان يوم 11 رجب 821 / 14 غشت 1418 وحاول برجاله اقتحام سور قصر أفراك المريني بما أعدوه من السلالم، إلى أن استشهد في المكان.

ح. الفگيگي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المغربية المحتلة*، أطروحة مرقونة، الرباط، 1991.

Gomez Eanes de Azurara, *Cronica do D. Pedro de Meneses*.

حسن الفگيگي

العروسي، زيان شيخ بني زكار وحاكمها، من شخصيات الهبط المجاهدة، وابن عم حاكم القصر الكبير أحمد العروسي سابق الترجمة. التجأ في شتاء سنة 919 / 1514 إلى جبل حبيب بستين محاربا بنية الانصراف لشؤون الجهاد بعد أن حدث خلاف بينه وبين الناصر بن محمد الشيخ الوطاسي، أخي محمد البرتغالي. أغار الشيخ زيان على طنجة مرتين، ربما كان ذلك خلال شهر يناير السنة. وفي الوقت الذي كان مستعدا للزحف نحو أصيلا فضل حاكم المدينة الهجوم عليه بجبل حبيب فتمكنوا من أسره جريحا، غير أنه صدر الأمر بقتله وترك جثته غرب الجبل بالمكان المعروف بواد المسوس، يوم 22 فبراير 1514 / 29 حجة 919.

ح. الفگيگي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المغربية المحتلة*، أطروحة مرقونة، الرباط، 1991.

Bernardo Rodrigues, *Anaes de Arzila*.

ابن **العروسي، سعيد** بن محمد، أسندت إليه القيادة على عامر الحوزية سنة 1302 / 1885 وكذلك على السَّاكْنية والعَبُّوبيين. وما كاد يبدأ عمله حتى وردت على السلطان شكاية طويلة تتهمه بالحيف والظلم. ولما عرضها مولاي الحسن على عامل سلا الحاج محمد بن سعيد تبين أنها غير صحيحة. ومكث في منصبه حتى توفي سنة 1325 / 1907 بعد ولاية استمرت اثنين وعشرين عاماً ولعل التجمع السكني المعروف بابن العروسي بضاحية سلا ينسب إليه.

م. بوشعراء، *علاقة المخزن*، 164 ـ 166.

العروسي طلحة، قائد القصر الكبير من قبل الوطاسيين. من أسرة بني عبد الحميد العروسيين. تسلم المنصب في بداية عهد محمد الشيخ الوطاسي، وإليه يعود فضل وضع أسس المقاومة ضد أصيلا المحتلة سنة 1471، إذ أنه قام بترتيب شؤون القبائل الهبطية وتعيين مقدميها الجهاديين.

وعلى الرغم من أنه تخلى عن الزحف ضد أصيلا منذ وقوعه في الأسر سنة 1488، مفضلا سيادة الهدنة بين القصر الكبير وأصيلا، إلا أن انتقاض الهدنة سنة 1500 وتوالي حدة الغارات البرتغالية كان مما أثار عودته إلى الميدان، ولذلك وجدناه يغير على أصيلا لصد البرتغاليين عن حوز القصر الكبير وإبعادهم إلى وراء واد المخازن، الذي كان يمثل حدود شمال القصر وجنوب حوز أصيلا. كانت لطلحة العروسي غزوات في نطاق التضامن مع باقي قواد الهبط وأثناء حملات محمد البرتغالي على كل من أصيلا وطنجة. واستمر في منصبه إلى أن أعلن عن تنازله لابنه أحمد بعد أن أثقلته عوارض الشيوخة، وذلك في يوم 28 يونيه 1510.

ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المغربية المحتلة*، أطروحة مرقونة، الرباط، 1991.

Damiao Gois, *Chronica do D. Manuel* ; Bernardo Rodrigues, *Anaes de Arzila*.

العروسي، عبد الله شيخ قبيلة بني عروس في آخر عهد بني مرين. كان في منتصف القرن التاسع الهجري (15 م). من أشهر قواد المنطقة الهبطية. ففي سنة 863 / 1458 شارك في الحصار الأول للقصر الصغير إلى جانب قائد القصر الكبير بيد المسمى إبراهيم بن عمر. وأصبح إثر ذلك بإمكان شيخ بني عروس التمرد على السلطان عبد الحق المريني وعدم الاستجابة لدعوة الحصار الثاني سنة 1459 بسبب عدم اهتمام السلطان عبد الحق المريني بافتداء ابنه الأسير بالقصر الصغير بعد أن فقد آخر بالميدان. ويبدو أن هذا التنافر استمر إلى انتزاء محمد الشيخ الوطاسي بأصيلا سنة 868 / 1463.

ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المغربية المحتلة*، أطروحة مرقونة، الرباط، 1991.

Gomez Eanes de Azuerara, *Cronica do D. Duarte de Meneses*.

العروسي، عبد الواحد بن طلحة، شارك في الحملات الجهادية المنظمة ضد أصيلا وطنجة. وحكم القصر الكبير بالنيابة عن أحمد الوزير سابق الترجمة ما بين 1527 و1530 ثم استقل بحكمها إثر وفاته ما بين 1530 و1557. وأضيفت إليه مدينة أصيلا سنة 1550 إثر الجلاء البرتغالي عنها. إلى أن ولي عليها خلفه عبد الرحمن (رحو) بن تودة العمراني، سابق الترجمة قائداً على المدينة وعلى أختها العرائش. وربما كان ذلك سنة 1554، ونعلم أن عبد الواحد العروسي بقي بالقصر الكبير إلى سنة 1557، حيث تم تعيين موسى بن مخلوف الجزولي.

ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المغربية المحتلة*، أطروحة مرقونة، الرباط، 1991.

S.I.H.M., France, I / 528 ; Angleterre, I / 392 ; Bernardo Rodrigues, *Annaes de Arzila*.

حسن الفكيكي

العروسي، عمر بن الحاج محمد بن العروسي الهلالي المصباحي الدكالي ثم الرباطي ذكره سليمان الحوات في فهرسته التي ألفها في التعريف بشيخه بناني محشي الرزقاني وعدّه من تلامذة الشيخ المذكور. ويقول بوجندار إنه وقف بخط حفيده العلامة الصوفي الحاج عمر عاشور على ما كتبه في التعريف به، ومُلخص ذلك أن المترجم أصله من دكالة انتقل منها بعد وفاة والديه إلى الرباط فاستوطنها وتزوج بها، قال وكان عالماً متفنناً مفتياً فريد عصره ووحيد دهره، انتهت إليه الرياسة في وقته، قرأ على شيوخ فاس مدة عشر سنين كاملة وارتحل إلى طنجة فأخذ عن شيوخها ثم على مشايخ الرباط كالعلامة الغربي ومعاصريه وتصدر للتدريس، فكان من جملة تلاميذه القاضي بَسَّيرْ والقاضي صالح الحكموي والقاضي عاشور وأخوه أبو العباس والفقيه الرفاعي والمفتي المكي أبو عبد الله بناني وغيرهم.

كانت وفاته في رجب الفرد عام خمسة عشر ومائتين وألف ودُفن بظاهر العلويين قصْبة الرشيد المعروفة بالقشلة وبين ضريح سيدي إدريس.

م. بوجندار، *تعطير البساط بذكر تراجم قضاة الرباط*.

محمد الشاطمي

العروسي محمد بن العربي ولد سنة 1930 بإقليم سطات دفعته غيرته الوطنية إلى الانضمام إلى صفوف المقاومة المسلحة بمجرد انتقاله إلى مدينة الدار البيضاء حيث التحق بفرقة فدائية سرية يتزعمها عبد الرحمن الازهاري وذلك سنة 1954.

وقد كان مثالا للمواطن المجاهد في سبيل الله والوطن حيث قام بإيصال رسائل تهديد لبعض المتعاونين مع الاستعمار كما شارك في محاولات اغتيالهم وقد استشهد سنة 1955 في إحدى المواجهات مع الشرطة الاستعمارية.

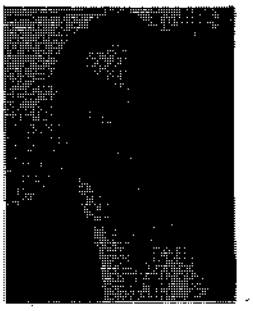

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 522822.

ابن العروسي، محمد العيادي العمْري، أسندت إليه قيادة عامر سنة 1283 / 1865 بعد عزل عبد الرحمان بن المعطي الهلالي. غير أنه مات سنة 1285 / 1867 مغتالا، وتقدم ذكر ولديه أحمد وسعيد.

م. بوشعراء، *التعريف*، 2 : 117 ؛ *وعلاقة المخزن*.

مصطفى بوشعراء

العروسي، الناصر بن طلحة سابق الترجمة، قائد القصر الكبير والعرائش بعد وفاة أخيه أحمد العروسي سابق الترجمة أيضا، وذلك في ربيع سنة 1530. نظم غزواته ضد أصيلا وطنجة بمعية القائد بنخديجة حاكم إزاجن وعلي بنشقرون، قائد العرائش السابق، وبمعيته أيضا الشيخ قرواش الخلطي. فمن ذلك غزوة يوم الجمعة 12 شتمبر 1532. وغزوة يوم 30 نوفمبر 1532. وكانت الغارة الأخيرة التي نظمها سنة 1534.

ح. الفگيگي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المغربية المحتلة*، أطروحة مرقونة، الرباط، 1991.

Bernardo Rodrigues, *Anaes de Arzila*.

حسن الفگيگي

عروض البلد صنف من أصناف الشعر العربي غير المعرب، اشتغل بنظمه بعض شعراء المغرب منذ العهد الموحدي مثلما اشتغلوا بنظم التوشيح والزجل، وكان في طليعتهم مبتكره بالمغرب، وهو ابن عمير.

وقد نوه بذكره المؤرخ ابن خلدون في المقدمة فقال : استحدث أهل الأمصار بالمغرب فنا آخر من الشعر في أعاريض مزدوجة كالموشح، نظموا فيه بلغتهم الحضرية وسموه "عروض البلد". وكان أول من استحدثه فيهم رجل من أهل الأندلس نزل بفاس يعرف بابن عمير، فنظم قطعة على طريقة الموشح لم يخرج فيها عن مذاهب الإعراب إلا قليلا، فاستحسنه أهل فاس وولعوا به ونظموا على طريقته وتركوا الإعراب الذي ليس من شأنهم، وكثر سماعه بينهم، واستفحل فيه كثير منهم، ونوعوه أصنافا إلى المزدوج والكاوي والمُلَعَّبة والغزل، واختلفت اسماؤه باختلاف ازدواجها وملاحظاتهم فيها.

وقد ساق ابن خلدون نموذجين من عروض البلد في صنف المزدوج من نظم ابن شجاع، كما ساق قطعة على نمط الموشح نظمها ابن عمير أولها :

ابكاني بشاطئ النهر نوح الحمـــام
على الغصن في البستان قريب الصباح
وكف السحر تمحو مداد الظـــلام
وماء الندى يجري بثغر الأقـــاح
باكرت الرياض والظل فيه افتـــراق
سر الجواهر في نحور الجـــوار
ودمع النواعـــر ينهـرق انهـــراق
يحاكي ثعابين حلقت بالثمـــار
لوّوا بالغصون خلخـال كـل ســاق
ودار الجميع بالـــروض دور الســـوار

وقد أورد في ثنايا الفصل الثالث والخمسين من الباب الثالث عند الكلام على الملاحم بيتين من مُلَعَّبة منسوبة إلى الهَوْتنى على لغة العامة في عروض البلد، وعقب عليهما بقوله : هي طويلة ومحفوظة بين عامة المغرب الأقصى. والغالب عليها الوضعُ لأنه لم يصح منها قول إلا على تأويل تحرفه العامة أو الحارف فيه من ينتحلها من الخاصة. أما البيتان فهما :

دعني بدمعي الهتـــان فترت الأمطار ولم تفتـر
واستقت كلها الوبـدان وانى قلبي وتنغـــــدر

وقد أقل المؤرخون في نقل هذا الشعر وأعرضوا عن ذكره في كتبهم على نحو ما فعل المراكشي في *المعجب* والمقري في *النفح*، وكانوا يسمونه هزلا في مقابل الجاد من الشعر وهو الفصيح، ولذلك ضاع جل ما نظم فيه. ومن القلائل الذين نسب إليهم عروض البلد ابن عمير، وابن شجاع، وابن خبازة.

ويبدو أن هذا الشعر ارتبط بالغناء مثلما ارتبط به الموشح والزجل. ومما يدل على ذلك أن ابن عبد الملك ذكر في كتابة في ترجمة محمد بن حسن الفهري السبتي المتوفى عام 583 أن والده كان قوالاً يغني في المحافل والأسواق.

ع. الرحمن ابن خلدون، *المقدمة*، ط. بولاق، ص. 553 - 555 و529 - 530، المكتبة التجارية، ص. 340 ؛ ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*.

عبد العزيز بن عبد الجليل

غُريبْ، تطلق في عرف سكان وادي درعة عامة، وسكان واحتي محاميد الغزلان ولكتاوة خاصة، على مجموعة من قبائل الرحل من رعاة الإبل والمعز التي طرأت على الواحات الجنوبية بدرعة خلال نهاية القرن 19 ومطلع القرن 20 م.

وتختص هذه الكلمة في مدلولها المحلي، بكل العناصر الأعرابية من شذاذ الآفاق، وشذاذ القبائل الصحراوية المنحلة. وقد طوحت الأحداث السياسية التي عرفتها مناطق الأطراف الجنوبية والشرقية ـ الجنوبية بعد الاحتلال الفرنسي لهذه الجهات في نهاية القرن 19 م ومطلع القرن 20 م، بهذه البقايا الأعرابية إلى واحات درعة. وقد ظلت قبائل عْريبْ بعد وصولها إلى درعة تزاوج ما بين الترحل والانتجاع وراء القطيع وممارسة حراسة المنتوجات الزراعية لسكان القصور، وتعرف هذه العملية محليا باسم "الرَعْية".

وبالرغم من أن عددا من الباحثين في تاريخ القبائل بالجنوب المغربي، يعتقدون أن قبائل عريب تنحدر من أصول معقلية، على اعتبار أنهم لا يختلفون عن القبائل الصحراوية من الحسانيين المعاقلة وغيرها في نمط العيش وأسلوب الحياة اليومية ناهيك عن اللهجة ونوعية اللباس التي تصنفهم ضمن لابسي الخنث (لباس من القطن الملون بالنيلج)، فإن هذه القبائل تتكون في الواقع من عناصر متباينة الأعراق والأصول لا شيء يجمع بينها إلا المصالح المشتركة المرتبطة أساسا بالتكتل والتحالف لتحقيق نوع من الحماية من القبائل الصحراوية الأخرى.

إذن فلا غرو والحالة هذه أن نجد من بين قبائل عريب بعض العناصر الزناتية أو الصنهاجية، وبعض المرابطين من أمثال حفدة مولاي عمر من ذرية أبي بكر بن عمر اللمتوني حسب ما يزعمون، أو فرقة النواجي، التي تنتسب إلى سيدي أحمد الناجي الوافد من تونس.

ويرى جورج سبلمان أن قبائل عريب، قبل نزوحها إلى وادي درعة، كانت تعيش في الصحراء المغربية، وينحصر مجال تحركهم ما بين تينبكتو جنوبا وهوامش بلاد درعة شمالا بل إنهم كانوا في زمن ما يهيمنون على الساورة وتيندوف وقد أدرك الفرنسيون بعض البقايا لقبائل عريب بعد احتلالهم لهذه الجهات. وكانت منطقة إيگيدي جنوب غرب محاميد الغزلان هي مركز التجمع لهذه القبائل قبل أن يتحركوا نحو بلاد درعة في نهاية القرن 19، وفي العقدين الأولين من القرن 20 م، كانت قبائل عريب تنتجع المناطق الممتدة ما بين الداورة السفلى شرقا وفم زگيد بإقليم طاطا الحالية غربا مروراً بواحة محاميد الغزلان.

وبعدما أحكمت قوات الاحتلال الفرنسي والإسباني قبضتها على الصحاري الجنوبية (بلاد أدرار، والصحراء المغربية) تدفقت أمواج بشرية من قبائل أولاد دليم، أولاد بوسبع والركيبات على الواحات الجنوبية بدرعة، ونظراً للتشابه الكبير بين سلوك ونمط عيش هذه الأمواج البشرية الطارئة وقبائل عريب، فإن الطارئين لم يجدوا أدنى صعوبة في الاندماج والانصهار في القبائل العربية، فتضخمت أعدادها، وأصبحت أكثر استعدادا، لتدخل حلبة المنافسة والصراع من أجل الهيمنة والسيطرة مع بعض القبائل العلوانية التي كانت لها الكلمة العليا على سكان قصور دراوة بواحة المحاميد، وهكذا نجحت قبائل عريب بقيادة شيخها في حينه، سيدي محمد ولد سيدي خليل، من انتزاع قصر أولاد محيا من هيمنة قبائل آيت علوان، وحتى يتمكن ولد سيدي خليل من البقاء بالقوة في قصر أولاد محيا فقد استنجد بقبائل آيت خباش. إلا أن العلاقة قد توترت لأسباب غيرمعروفة بين آيت خباش والشيخ ولد سيدي خليل فقتلوه سنة 1349 / 1929 ولو لا تدخل القوات الفرنسية بعد احتلالها لوادي درعة مع بداية سنة 1350 / 1930، لاستولت قبائل آيت خباش على كل القصور التي هيمنت عليها قبائل عريب بواحة المحاميد.

تتشكل قبائل عريب من فرقتين كبيرتين هما النعامنة، وتتكون من النواجي والگواسم وأولاد رزگ ثم البْوادين.

وفرقة الكرادبة وتتكون من أولاد بوودن والزيود وأولاد رزوگ والدوابات وأولاد يوسف والورات ثم أولاد رحو. وبعد الاستقلال، انتقلت بعض القبائل العربية بشكل جماعي إلى أهم المراكز الحضرية بواحات درعة خاصة تاگونيت وزاگورة.

م. بن لحبيب التمنوگالي، العقود الجوهرية، مخطوط، خاص ؛ وثائق محلية في حوزة السيد بقاس صالح من محاميد الغزلان.

Spillmann, *Les Ait Atta du Sahara et la pacification du Dra* ; *Districts et tribus de la haute vallée du Dra* ; P. Azam, *Structure politique et sociale de l'oued Dra* ; *Sédentaires et nomades dans le sud marocain le coude de Dra*. (C.H.E.A.M.), Paris ; Dj. J. Meunier, *Les oasis des Lektaoua et des M'hamid*, *Hespéris*, n° 27, 1947 ; Inconnu, *Monographie de oued Dra*.

أحمد البوزيدي

عريضة 11 يناير 1944 جاءت كنقطة تحول هامة في تاريخ الحركة الوطنية المغربية لأنها مثلت القطيعة مع مرحلة الإصلاحات ودخول مرحلة جديدة تميزت بالنضال من أجل إلغاء نظام الحماية المفروض على البلاد في سنة 1912. وخلقت الحرب العالمية الثانية ظروفاً جديدة ساعدت الوطنيين على الانتقال بمطالبهم من مستوى ترميم نظام الحماية إلى القطيعة النهائية مع هذا النظام. فهزيمة فرنسا على يد الجيوش الألمانية في سنة 1940 بعثت الأمل في نفوس المغاربة بعدما أظهرت لهم أن فرنسا ليست بالقوة التي لا تُقهر. كما أن اعتماد ميثاق الأطلسي من دول الحلف المناهض لألمانيا في سنة 1941 جعل الوطنيين يتطلعون إلى مبادرات عملية من أجل ترجمة مبادئ هذا الميثاق إلى واقع ملموس يتجلى في تمتيع الشعوب المستعمرة (بفتح الميم) بحقها في تقرير مصيرها.

ثم جاء إنزال القوات الأمريكية في نونبر 1942 ومؤتمر أنفا بالدار البيضاء في سنة 1943، وخاصة ما جرى على هامشه من لقاء بين السلطان محمد بن يوسف والرئيس الأمريكي فرانكلن روزفيلت ؛ وهذه تطورات أكدت أهمية الدور الذي أصبحت أمريكا تلعبه على المستوى الدولي بعد تراجع القوى الاستعمارية التقليدية كبريطانيا وفرنسا. ولا يمكن كذلك إغفال التطورات التي شهدها المشرق العربي

والتي تمخضت في سنة 1943 عن استقلال كل من سوريا ولبنان، وهي أحداث كان لها وقع عميق في المغرب وفي سائر البلدان العربية. فهذه العوامل المرتبطة بالحرب العالمية الثانية أو الناتجة عنها فتحت آفاقاً جديدة أمام الحركة الوطنية المغربية وأذكت حماس الوطنيين للانتقال إلى مرحلة جديدة من النضال.

إن العريضة التي حررت بمنزل أحمد مكوار بفاس وقُدمت صبيحة يوم 11 يناير 1944 إلى السلطان والمقيم العام تستدعي بعض الملاحظات بخصوص محتواها وطبيعتها. فهي، أولا، لا تعكس التوجه السلمي الذي حاول علال الفاسي ومن ماثله من خريجي القرويين إضفاءه على الحركة الوطنية.

وقد يُفسر ذلك بالدور القيادي الذي لعبه خريجو المدارس العصرية، كأحمد بلافريج، في تحضير الوثيقة. كما قد يُفسر برغبة حزب الاستقلال في استدراج قيادة "الحركة القومية" وكسب تأييدها للعريضة. ثم إن الوطنيين من خلال هذه العريضة كانوا يتوجهون بالدرجة الأولى إلى القوى الغربية، وخاصة الحلفاء، لاقناعهم بحقوق المغرب المشروعة، فخاطبوهم بلغة "تقرير المصير" و"الديموقراطية" متحاشين إضفاء الطابع الديني على مطالبهم، وهو ما قد تستعمله فرنسا لتُظهر الوطنيين بمظهر المتعصبين للدين والمناهضين لقيم التقدم والتحرر بمعناها الليبرالي الغربي. والواقع أن المرجعية الدينية للوثيقة ضعيفة جداً إذ انحصرت في الإشارة إلى انتماء المغرب إلى مجموعة الدول الإسلامية، وفي أن الحريات الديموقراطية التي يطالب بها المغاربة لا تتعارض مع "مبادئ ديننا الحنيف".

ثانياً، إن الوطنيين بتقديمهم لعريضة الاستقلال لم يقطعوا الصلة تماماً مع النهج الإصلاحي. فالاصلاحات التي طالب بها الوطنيون من قبل مازالت موجودة في صلب الوثيقة، لكن الوطنيين أصبحوا يعتقدون الآن أن هذه الاصلاحات لن تتحقق إلا عبر الاستقلال وليس تحت رعاية الدولة الحامية. ثالثاً، لقد اختار الوطنيون للوصول إلى هدفهم، الذي هو الاستقلال، طريق الحوار والإقناع، متجنبين نهج التطرف أو الدعوة إلى العُنف. فالعريضة مثلا تُطالب بالاستقلال ولم تُعلن الاستقلال كأمر واقع. وهكذا صرحت الوثيقة بأن الحزب "يطالب باستقلال المغرب" ويلتمس من السلطان أن يدخل في حوار مع المجموعة الدولية كي تعترف بهذا الاستقلال. رابعاً، لقد أعلنت العريضة بوضوح عن طبيعة النظام السياسي الذي يطمح الوطنيون إلى تحقيقه، وهو نظام ملكي وديموقراطي، ولكنها تركت للملك رعاية الاصلاحات الداخلية وتحديد مضمونها.

موقف السلطان من عريضة الاستقلال وردود الفعل

عندما قدم الوطنيون عريضة الاستقلال يوم 11 يناير 1944 إلى السلطان سيدي محمد بن يوسف قرر هذا أن يُعين لجنة مخزنية لمتابعة الحوار مع الوطنيين وفوض لوزيرين من وزرائه مهمة الإشراف على هذه اللجنة. ويظهر أن الضغوط القوية التي تعرض لها السلطان من الإقامة العامة قد أدت إلى ظهور تباين في المواقف بين سيدي محمد بن يوسف وقيادة حزب الاستقلال. وهكذا فشلت لقاءات الوطنيين باللجنة الملكية يومي 15 و18 يناير من الوصول إلى نتيجة ملموسة، وهو ما جعل حزب الاستقلال يوضح موقفه في مذكرة رفعها إلى السلطان يوم 18 يناير 1944. ويظهر من هذه المذكرة أن سيدي محمد بن يوسف كان لا يزال يُعلّق الأمل على أسلوب الإصلاحات في إطار سيادة مشتركة مع فرنسا، بدل اختيار الاستقلال الذي كان الوطنيون يُلحون عليه. وتقول المذكرة بهذا الخصوص : "لقد درسنا بإمعان مجموع الإصلاحات التي تم التطرق إليها خلال اجتماعاتنا، إصلاح جوهري ودائم على أساس سيادة مقتسمة بين المغرب وفرنسا ... وبالإضافة إلى ذلك فنحن لا نتوفر على أية ضمانات لتحقيق الإصلاحات المقترحة ... وفي الواقع، تقول المذكرة، فإن أي إصلاح حقيقي لا يمكن أن يتم إلا في إطار سيادة واحدة، ولايمكن أن تكون هذه السيادة إلا في يد جلالة السلطان الذي هو منبع السلطتين التشريعية والتنفيذية".

كما حرص الوطنيون في هذه المذكرة أن يُطمئنوا الفرنسيين وأن يؤكدوا لهم أن المغاربة لن يقطعوا حبل التعاون مع فرنسا، وأن مصالح الفرنسيين والأجانب بالمغرب سوف تبقى محفوظة، وأن الاستقلال المنشود لا يتنافى مع هذه المصالح.

لكن هذه التطمينات لم تمنع سلطات الإقامة العامة من اللجوء إلى أسلوب الاستفزاز والقمع لإخماد صوت الحركة الوطنية. وهكذا عمدت الشرطة العسكرية يوم 29 يناير إلى اعتقال أحمد بلافريج ومحمد اليزيدي وأعضاء آخرين من حزب الاستقلال، متهمة البعض منهم بالتواطؤ مع العدو وربط اتصالات مع ألمانيا النازية. وقد أسفرت هذه الاعتقالات عن موجة من المظاهرات الشعبية في كل من الرباط وسلا ومراكش وفاس حيث استمرت المواجهات مع قوات الاحتلال أكثر من عشرة أيام. وخلال هذه الأحداث الدامية سقط العشرات من الضحايا. ثم بعد ذلك عمدت سلطات الحماية إلى إبعاد أحمد بلافريج إلى جزيرة كورسيكا بينما منعت أحمد مكوار من الإقامة بفاس واعتقلت عشرات الوطنيين.

عريضة الاستقلال وعريضة ما بعد الاستقلال

بين عريضة 11 يناير 1944 كما قدمها الوطنيون إلى السلطان والمقيم العام وممثلي الدول الحليفة والعريضة التي أصبحت متداولة بعد استقلال المغرب في سنة 1956 توجد اختلافات واضحة، خاصة فيما يتعلق بقائمة الموقعين على الوثيقة. فالنسخة التي تحتفظ بها الأرشيفات الفرنسية والبريطانية والأمريكية تحتوي على ثمانية وخمسين موقعاً (58)، وليس على خمسة وستين (65) كما نجد في العريضة "المنقحة" التي تنشرها الصحف كل سنة عند حلول ذكرى 11

يناير. وبوسعنا أن نطمئن إلى العدد الأول لأنه هو العدد الذي أكده الحسن الثاني في كتابه التحدي (ص. 35)، والمؤرخون الذين عاشوا الأحداث عن قرب مثل شارل أندري جوليان. ويظهر إذن أن الوثيقة التي تُنعت بالأصلية، والتي تحتفظ بها الوثائق الملكية بالرباط، قد أدخلت عليها زيادات (وانتقاصات) ربما لتلبية رغبات وطنيين لم يتمكنوا من توقيع الوثيقة في حينها. ومن الغريب أن حتى حزب لاستقلال، الذي كان وراء العريضة تفكيراً وإنجازاً، قد تبنى هذه الصيغة "المنقحة" فأصدر في سنة 1988 "قائمة شرف" تتضمن ستة وستين موقعاً (66) بدل الثمانية والخمسين المثبتة أسماؤهم في عريضة 11 يناير 1944. ومما يسترعي الانتباه بخصوص قائمة الموقعين أن "عريضة ما بعد الاستقلال" لم تلحقها الزيادة فقط، بل انتقص منها أحد الموقعين وهو محمد الفرسيوي، عالم من وزان، والذي كان من جملة من وقع عريضة 11 يناير 1944.

أما نص الوثيقة فلم يطله تغيير، لكن المتمعن في النص الذي أثبته علال الفاسي في الحركات الاستقلالية يلاحظ غياب الجملة الأخيرة من العريضة والتي تتعلق بتصور النظام السياسي الداخلي. وتقول هذه الجملة : "ويكل [حزب الاستقلال] لنظره [السلطان] السديد إحداث نظام سياسي شوري شبيه بنظام الحكم في البلاد العربية الإسلامية في الشرق، تُحفظ فيه حقوق سائر عناصر الشعب المغربي وسائر طبقاته، وتحدد فيه واجبات الجميع".

ونشير في الختام إلى أن هذه العريضة همت منطقة الحماية الفرنسية فقط، أما الوطنيون بالمنطقة الخليفية بالشمال فقد سبق لهم أن اعتمدوا "ميثاقاً وطنياً" في دجنبر من سنة 1942 يطالبون فيه باستقلال المغرب واستعادة وحدته الترابية في ظل النظام الملكي. وقد أبلغوا محتوى هذا الميثاق إلى خليفة السلطان وبتطوان وكذلك إلى ممثلي بريطانيا والولايات المتحدة بطنجة. ومما لاشك فيه أن أحمد بلافريج الذي كان على صلة وثيقة بالوطنيين بالمنطقة الشمالية قد استلهم من هؤلاء الكثير من الأفكار التي يظهر أثرها واضحاً سواء في مضمون عريضة الاستقلال أو في الاستراتيجية المتبعة لتقديم المطالب الوطنية.

الموقعون (58)

(حسب الترتيب الوارد في النسخ المسلمة إلى الإقامة العامة وممثلي الحلفاء)

محمد البزيدي ـ الحاج أحمد الشرقاوي ـ الحاج أحمد بلافريج ـ محمد غازي ـ عبد الكريم بن جلون التويمي ـ عبد الكبير بن عبد الحفيظ القاسي الفهري ـ عبد الجليل القباج ـ عبد الله الركراكي ـ مسعود الشيكر ـ المهدي بن بركة ـ محمد الجزولي ـ الحاج محمد الرفاعي ـ أبو بكر القادري ـ محمد البقالي ـ الصديق بن العربي ـ عبد الرحيم بوعبيد ـ أبو بكر الصبيحي ـ الطاهر زنيبر ـ محمد الديوري ـ محمد الفرسيوي ـ إدريس المحمدي ـ أحمد بن شقرون ـ محمد بن عزو ـ محمد العيساوي المسطاسي ـ عمر بن شمسي ـ عبد الهادي الصقلي ـ أحمد مكوار ـ الحاج عمر بن عبد الجليل ـ الهاشمي الفيلالي ـ عبد العزيز بن إدريس العمراني ـ الحاج الحسن بوعياد ـ مَحمد الزغاري ـ أحمد باحنيني ـ أحمد خنات الحمياني ـ أحمد بن بوشتى ـ محمد السودي ـ عبد الكبير بن المهدي الفاسي ـ عبد الوهاب الفاسي ـ محمد عبد الرحمان السعداني ـ قاسم بن عبد الجليل ـ الفاطمي الفاسي ـ بناصر بن الحاج العربي ـ عبد الحميد بن مولاي أحمد ـ عبد الله بن عمر ـ عمرو بناصر ـ بوشتى الجامعي ـ مَحمد بن الجيلالي بناني ـ أحمد بن عثمان بن دلة ـ الحسن بن جلون ـ محمد الحمداوي ـ محمد العربي العلمي ـ محمد بن الخضير ـ عبد السلام المسناوي ـ عبد الله بن إبراهيم ـ عبد القادر حسن ـ الحسين بن عبد الله الورزازي ـ امبارك بن أحمد ـ أحمد المنجرة.

لجنة الإعلام لحزب الاستقلال، *قائمة الشرف*، 1988 ؛ مذكرة إلى جلالة الملك بشأن محادثات لجنة حزب الاستقلال مع اللجنة المخزنية (الترجمة الفرنسية) ؛ عريضة حزب الاستقلال (الترجمة الفرنسية)، *وثائق وزارة الخارجية البريطانية*، *F0371 / 42170*. نفس العريضة أثبتها جون هولستيد (John Halstead) في كتابه المذكور أسفله.

Hassan II, *Le Défi*, Albin Michel, Paris, 1976 ; Charles-André Julien, *L'Afrique du Nord en Marche*, René Julliard, Paris, 1972 ; *Le Maroc face aux impérialismes, 1415 - 1956*, Editions Jeune Afrique, Paris, 1978 ; John Halstead, *Rebirth of a Nation*, Center for Middle Eastern Studies of Harvard University, Cambridge, Mass., 1969 ; Robert Rezette, *Les partis politiques marocains*.

محمد المنصور

عريضة 13 يناير 1944 (للمطالبة بالاستقلال والديموقراطية). ظلت عريضة 11 يناير 1944 تُذكر وحدها في مجال المطالبة بالاستقلال وتدرج عريضة 13 يناير المعززة لها المقدَّمة من طرف الحركة القومية من ضمن رسائل التأييد العديدة التي كانت تحملها الوفود إلى القصر الملكي من مختلف الجهات طوال أسبوع التضامن والتأييد لمطلب الاستقلال.

وقد قدم المرحوم محمد حسن الوزاني بعد رجوعه من المنفى بيانات عن ظروف تأخر أنصاره القوميين عن توقيع عريضة 11 يناير، ودواعي قيامهم بتحرير عريضة 13 يناير 1944، فأدرك الناس حينئذ أهمية مذكرة 13 يناير وتغيرت نظرة المنصفين إليها، ومنهم الحاج بوبكر الصبيحي العضو البارز في حزب الاستقلال الذي كان يؤلّف كتاباً في تراجم الموقعين على عريضة 11 يناير، فراسل محمد حسن الوزاني وتلقى منه جواباً مفصلاً ونسخة من عريضة 13 يناير، فأعاد الصبيحي النظر في تصميم كتابه ليضم تراجم الموقعين على عريضتي 11 و13 يناير 1944 معاً. وكان من بين الذين اتصل بهم من الموقعين على عريضة 13 يناير وطلب منهم عناصر ترجمتهم محمد بن عبد الهادي المنوني وتوجد صورة من مسودة هذا الكتاب وضمنها عريضة 13 يناير في

الخزانة الحسنية بالرباط، كما توجد المسودة الأصلية للكتاب في الخزانة العلمية الصبيحية بسلا.

وقد نشرت جريدة الاتحاد الاشتراكي بمناسبة الذكرى الخمسينية للمطالبة بالاستقلال يوم 11 يناير 1994 نص عريضة الحركة القومية مع تقديم تناول ظروف انقسام الحركة الوطنية سنة 1937 إلى فرعين، أحدهما الحركة القومية التي أصبحت تدعى حزب الشورى والاستقلال سنة 1946 بعد أن استعاد الزعيم الوزاني حريته.

ثم تحدث محمد حسن الوزاني بإسهاب في الجزء السادس من *مذكرات حياة وجهاد* عن أسباب تأخر القوميين في توقيع عريضة 11 يناير. ذلك أنها عُرضت عليهم في المرحلة الأخيرة قبيل تقديمها للجهات الرسمية، ولم تُعطَ لهم الإيضاحات التي طلبوها ليكونوا على بصيرة منها. بالإضافة إلى أن العرض الذي قُدم إليهم اشتمل على شقين، الأول الدخول في الحزب الجديد (الاستقلال) الذي كان الاعلان عنه وشيكاً لتحقيق الوحدة الوطنية مثلما فعل قدماء التلاميذ، والثاني التوقيع على عريضة المطالبة بالاستقلال التي قُدمت يوم 11 يناير.

رفض القوميون الشق الأول من العرض لأنهم لا يؤمنون بالحزب الوحيد، ويرون إمكانية تحقيق الوحدة الوطنية عن طريق تأليف "جبهة وطنية، وكتلة سياسية ووحدة ائتلافية". ورحَّبوا بالشق الثاني الذي هو المطالبة بالاستقلال ورغبوا في مهلة قصيرة لأخذ رأي فروع الحركة في مختلف أنحاء البلاد عملاً بمبدئهم الديموقراطي. فأعطوا المهلة وشرعوا في اتصالاتهم، لكنهم فوجؤوا بعد قليل بتقديم العريضة دون مشاركتهم. وقد زاد عبد الهادي بوطالب مسألة تأخر القوميين في توقيع عريضة 11 يناير 1944 توضيحاً وتدقيقاً في كتابه *نصف قرن في السياسة* المنشور سنة 2001، إذ كان هو المخاطب الرئيسي لأصحاب العريضة بسبب وجود الزعيم الوزاني في المنفى وغياب قيادة الحركة القومية كلها. جاء أولاً مَحمد ابا حنيني ومحمد الزغاري في 21 أو 22 دجنبر 1943 من جمعية قدماء تلاميذ مولاي إدريس فأخبراه بأن هناك اتجاهاً إلى تأسيس حزب وطني جديد يخرج بالمغرب من مرحلة المطالبة بالإصلاحات في إطار الحماية إلى المطالبة بالاستقلال ويرغبان في أن تكون الحركة القومية من بين الفصائل التي يتألف منها الحزب الجديد، ثم اتصل به المهدي ابن بركة في الموضوع، وبعد اتصالات عديدة برديف القيادة القومية بفاس لم يجرؤا على اتخاذ موقف حاسم لا سيما حل الحركة القومية واندماجها في الحزب الجديد، وظلوا ينتظرون جواب الوزاني الذي بعث إليه بلافريج وابن عبد الجليل مبعوثاً سرياً يحمل نسخة من العريضة لاستشارته، لكن تأخر الاتصال بالوزاني بسبب الحراسة المشددة حوله، وأخيراً تم الاتصال به فرفض فكرة الحزب الوحيد وأيد المطالبة بالاستقلال مبدياً ملاحظات حول تحرير الوثيقة وحيثياتها. واعتبر بلافريج ومن معه ملاحظات الوزاني حول العريضة رفضاً وتخلوا عن محاولة جلب الحركة القومية إلى جانبهم.

ظل بوطالب على اتصال بابن بركة آملاً أن يشارك القوميون في توقيع العريضة بطريقة مّا حتى صباح الجمعة 10 يناير حين تهامس الناس في الرباط بأن العريضة تم التوقيع عليها وستقدم قريباً إلى السلطان والاقامة العامة. حاول بوطالب دون جدوى أن يوقع هو والأستاذ الجناتي المحامي بالرباط هذه العريضة باسم الحركة القومية.

وعن اهتمام محمد الخامس بموقف القوميين في المطالبة بالاستقلال يقول بوطالب : "وفي نفس اليوم - 11 يناير 44 - نودي عليَّ للتوجه من المعهد المولوي إلى القصر فاستقبلني السلطان وقد بدا على محياه الاهتمام بالموضوع الخطير. وبادرني بسؤاله : "لماذا لم توقع "الحركة القومية" على العريضة ؟" وأضاف : "عندما قدمتُ عريضة حزب الاستقلال إلى المقيم العام اعترض عليَّ قائلاً : هذه العريضة لا تمثل إلا فصيلة من فصائل الرأي العام المغربي، ولم يُمض عليها حزب وطني آخر هو الحركة القومية فلا يوجد عليها إجماع". فرويت للسلطان قصة عدم توقيعنا عليها. وقال : "وماذا ستفعلون الآن ؟" قلت : سأتصل حالا بأصدقائي بفاس ليُعدّوا عريضة خاصة بنا، فأعطنا بعض الوقت". سألني : "كم يلزم من الوقت ؟" فكان جوابي : "العريضة ستكون جاهزة في أقرب وقت ممكن، سأتصل برفقائي وآمل أن تصل عريضتنا إلى جلالتكم قريبا".

وفي صباح يوم 13 يناير حضر وفد من حزب "الحركة القومية إلى القصر حاملا عريضة موقعة من فروع الحركة بالمغرب، وهي تواقيع تم جمعها في أقل من 48 ساعة، وتقدمنا بها إلى جلالة السلطان الذي قال لنا : "هذه العريضة لها أهمية كبيرة عندي. سأستدعي المقيم العام الفرنسي لأقول له : ها هي عريضة الجماعة الوطنية التي قلت لي إنها غير موافقة على المطالبة بالاستقلال. وما أن اطلع المقيم العام على عريضة 13 يناير 1944 حتى سُقط في يده، وفي نفس اليوم انعقد المجلس الوزاري الموسع وحضره كبار القواد والباشوات والقضاة والأعيان وأفراد الأسرة المالكة، وبعد أن عرض عليهم جلالة الملك مضمون العريضتين أيدوه بالإجماع.

تتجلى أهمية عريضة 13 يناير، علاوة على أنها حققت الإجماع السياسي، في أنها صيغت بكيفية متقنة لا تترك للعدوّ أيّ ثغرة للطعن فيها. فهي تعلن في الطليعة موقف أصحابها إجمالاً بالتضامن التام مع حزب الاستقلال، وتستعمل في التفصيل عبارات عريضة 11 يناير المتعلقة بالسياسة العامة والسياسة الداخلية حتى يكون مطلب العريضتين واحداً موحداً. وتحمل عريضة القوميين توقيعات شخصيات بارزة، إن نقص عددها عن توقيعات العريضة الأولى، فإنها لاتقل عنها أهمية وتمثيلية ونضالاً. إذ فيهم علماء وكتاب وأساتذة في القرويين وفي الثانويات العصرية الكبرى، وقدماء تلاميذ وعدد وافر من علماء الشباب خريجي جامعة القرويين بالإضافة إلى تجار وفلاحين وملاكين عرفوا المنافي والسجون.

لقد كانت بحق عريضة 11 يناير 44 فتحاً مبيناً في التفكير الوطني وتوجيهاً سليماً للكفاح السياسي نحو الطريق اللاحب الأقوم للتحرر من نير الاستعمار، كما برهنت عريضة 13 يناير 44 عن وطنية مثالية صادقة وعزيمة ثابتة لأصحابها على متابعة العمل المشترك من أجل تحقيق الاستقلال والديموقراطية.

وهذه أسماء الموقعين كما أثبتها محمد بن الحسن الوزاني :

عبد الهادي الشرايبي ـ عمر بن محمد العراقي ـ علي العراقي ـ عبد القادر بن شقرون ـ محمد بردلة ـ محمد بن الغالي الكتاني ـ حماد العراقي ـ عبد الهادي بن المأمون العراقي ـ إدريس بن الماحي الإدريسي ـ عبد العزيز بوطالب ـ الحاج عبد القادر العلج ـ محمد بوطالب ـ محمد بن المكي بن زاكور ـ محمد الصيلي ـ محمد بن عبد الله ـ العابد الخرشفي ـ عبد الرحمان بن محمد الوزاني ـ الحبيب بن عمور ـ إدريس بن محمد الوزاني ـ محمد بن عبد السلام المنوني ـ محمد الطاهري ـ محمد بن عبد الهادي المنوني ـ إبراهيم الهلالي ـ محمد بن أحمد برادة ـ عبد القادر بن جعفر العلوي ـ العلمي بن محمد الزهراوي.

نص عريضة 13 يناير 1944 : م. حسن الوزاني، *مذكرات حياة وجهاد*، مؤسسة م حسن الوزاني، بيروت، ج 6 ؛ ع. الهادي بوطالب، *نصف قرن في السياسة*، الدار البيضاء، 2001 ؛ م. حجي، *جولات تاريخية*، الدار البيضاء، 198، ج 2.

محمد حجي

العريف يعني لفظ العريف والعريفة في اللغة العربية العالم بالشيء، والخبير بأمره. ويطلق مصطلح العريف أيضاً على الشخص القيم على أمر كعريف المطبخ والفراش واللباس والزينة وتربية الأطفال. كما أن لفظ العريف في الميدان العسكري يدل على أقل رتبة في التسلسل الهرمي للجندية وهو قائد عشرة جنود وهي مجموعة أصغر عدد من القوة العسكرية. وقد كان هذا المصطلح بالضبط ومازال مستعملاً بشكل قليل في اللسان الدارج المغربي على نفس الطريقة التي كان يتداوله بها الجنود الفرنسيون الذين كانوا يطلقون على العريف "الكابران" وهي في أصلها كابورال Caporal. كما كان نفس اللفظ سائداً في ميدان التربية والتعليم في عهد الاستعمار وفي بداية الاستقلال حيث كان العريف رتبة إدارية تربوية تطلق على المدرس المبتدئ الذي كان يفوض إليه أمر رعاية الأطفال وحراستهم وتلقينهم المبادئ الأولية والكتابة، فكان المعلمون إلى أجل قريب يتحدثون عن العريف والعرضي والمتدرب والرسمي.

إلا أن الاستعمال السائد لكلمة العريف والعريفة في اللسان الدارج المغربي يرتبط أساسا بجهاز القضاء. فقد كان الشخص المكلف بالبحث والاستقصاء وتتبع تنفيذ الأحكام الشرعية ـ والإشراف على عمليات التفتيش داخل البيوت عن المسروقات أو غيرها والسهر على الحجز الكلي أو الجزئي للأمتعة والممتلكات والوقوف على العيوب الجنسية وعلاقات التوتر والإخلال بالقيام بالواجبات الزوجية وإلحاق الأضرار بالأطفال يسمى عريفاً. وبما أن هذه المهمة كانت ترتبط بالأسرار الداخلية للأسر وتنظر في أمور يصعب على الذكور ممارستها. فقد كان شأنها يوكل بأمر من القاضي نفسه إلى الإناث فكان الناس لذلك في المحاكم الشرعية المغربية يعرفون العريفة أكثر من العريف.

وكانت العريفات من النساء تتوفرن على سلطة معترف بها لدى الخاص والعام، وكان القاضي ومازال إلى اليوم، يستعين بهن قبل إصدار أحكامه أو بعدها أو الإشراف على تنفيذها. من أجل ذلك كانت العريفات تختارن من بين أكثر النساء خبرة ومعرفة واتزانا وكفاءة وعدلا وصرامة، فكان يؤخذ برأيها ويعتد بتقويمها للأمور ويستنار باقتراحاتها واستقصاءاتها في النوازل والدعاوي والشكاوي.

Joseph Bourilly, *Eléments d'éthnographie marocaine*, Paris, 1932 ; Louis Brunot, *Textes en arabe du dialecte de Rabat*, Fès 1918 ; R. Dozy, *Supplément aux dictionnaires arabes*, tome 2, s. d. ni lieu ; Joseph Chelhod, *Introduction à la sociologie de l'Islam*, Paris, 1958 ; G. S. Colin, *La vie marocaine*, Paris, 1953 ; Un document sur l'arabe dialectal, in *Hespéris*, tome 12, fasc. unique, 1931 ; Albert Depreaux, *Les uniformes des troupes de la marine et des troupes coloniales et nord-africaines*, Paris, 1931 ; A. Dialmy, *Sexualité et discours au Maroc*, Casablanca, 1988 ; Tarik Faizi, *La situation de la femme en Islam*, in *La Pensée* n° 1, novembre 1962.

محمد بوسلام

عريف، علي بن حسن من مواليد الدار البيضاء سنة 1935 عرف منذ شبابه بالوطنية والاستقامة ونقاوة الضمير والشجاعة فانضم إلى الحركة الوطنية وشارك في الكفاح المسلح بروح حماسية منذ التحاقه سنة 1954 بمنطقة الهلال الأسود وشبان الفداء بالدار البيضاء تحت اسم عليوات المستعار.

وأعماله في المقاومة كثيرة ومتنوعة حيث كان يقوم بكل ما من شأنه أن يقلق راحة المستعمر، كإحراق أحد الأوربيين داخل سيارته بطريق مديونة واغتيال أحد المتعاونين مع المستعمر بمشاركة عبد الرحمن الغويري، كما قام بوضع قنبلة في إحدى الحافلات وأخرى بمركز للشرطة بالإضافة إلى إحراق حافلة نقل بابن مسيك ومحل للدخان بدرب الإسبان ومتجر لبيع الراديو بنفس الحي، وبقي نشيطا في عمله هذا دون خوف أو تعب مؤمنا بأن السلاح هو طريق الخلاص إلى أن لقي حتفه سنة 1956.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 525669.

العزابة، ويقصد بهم من جهة، الرعاة الظعن الذين ينتقلون رفقة قطعان الماشية بحثاً عن الماء والكلأ في رحلات رعوية دورية دائمة أحيانا وظرفية محدودة لا تتجاوز سوى

أشهر معدودة أحيانا أخرى. إذ يقيمون، في هذه الحالة، عزائب في مواضع محصنة طبيعيا يأوون إليها ليلا رفقة ماشيتهم ولا يبرحونها إلا مع إشراقة الصبح. وغالبا ما تبنى هذه العزائب على مقربة من الكهوف والأجراف على هيئة سياجات دائرية بواسطة قطع مصفوفة من الحجارة مدعمة بالحلفاء والنباتات الشوكية. وتلعب هذه العزائب في المجال الطبيعي دورا لا يستهان به سواء في حماية القطيع من قساوة أحوال الطبيعة وتقلباتها الجوية أو في حراسته من أي اعتداء من الاعتداءات المحتملة (اللصوصية أو هجومات الحيوانات). وكلما غادر العزابة مجالات رعوية معينة ـ بعد استنفاذ ما بها من إمكانات عشبية ونباتية وحلوا بمجالات جديدة أكثر خصبا ووفرة ماء ـ إلا وأقاموا فيها عزائب بديلة. وتستمر هذه الحركة وفق هذا النسق في تساوق تام مع تقاليد وأعراف رعوية مرعية، تستجيب، من جهة لخصوصية التنظيمات القبلية للمراعي الجماعية، وتتوافق، من جهة أخرى، مع المؤهلات الرعوية التي توفرها الأوساط الطبيعية المتفاوتة جدباً وخصوبة من منطقة إلى أخرى.

ومن جهة أخرى، يقصد بهم العزاب غير المتزوجين الذين كانوا يتولون، أول الأمر، عملية الإشراف على استغلال وتسيير العزائب التي كانت في حوزة إما بعض وجهاء المخزن وأعيان المدن أو بعض الشرفاء وشيوخ الزوايا. غير أن هذا المعنى اتسع فيما بعد، حيث أصبح يدل في مغرب القرن الثالث عشر (19 م) على كل سكان القرى والمستغلات الزراعية والأراضي الرعوية التابعة لسادة العزائب إما بموجب علاقات الاستغلال الخاضعة حصرا لاقتسام المنتجات وتوزيع أعبائها، وإما بموجب صلات التبعية الإقطاعية التامة سواء من جهة التصرف القانوني في الأرض أو من جهة التحكم الفعلي والكامل في رقاب العزابة ذاتهم وحرياتهم وحقوقهم الاجتماعية. والملاحظ في هذا السياق، أن الأوضاع العامة التي عاشتها فئات العزابة في مختلف المناطق المغربية لم تكن على قدر واحد من حيث درجة الاستغلال أو هامش الحرية، بل اختلفت اختلافا متفاوتا من عزيب إلى آخر. ويرجع ذلك، كما هو معلوم، إلى أن ظهائر إقطاعات العزائب لم تكن تخول للحائزين عليها من الشرفاء وأرباب الزوايا، في آن واحد، الحاصلات الزراعية وموارد الجباية الشرعية فضلا عن حرية التصرف في سكان القرى والأراضي المقطعة، بل كانت تمنح لهم أحيانا كل هذه الامتيازات مجتمعة وأحيانا أخرى منقوصة بهذا القدر أو ذاك.

وقد اتسمت علاقات العزابة بمتبوعيهم من الشرفاء ومشايخ الزوايا، في بنيتها العامة، بالقهر والإكراه على أكثر من مستوى، حيث لم يكن بإمكانهم التحرك أو الانتقال بحرية من عزيب إلى آخر إلا إذا حصلوا على موافقة سادتهم لأنهم هم الذين كانوا يملكون وحدهم دون سواهم حق التصرف في رقابهم إلى حين انقطاع ذريتهم، كما كانوا ملزمين بتقديم مختلف أصناف الخدمات والتسخيرات التي تقتضيها روابط التبعية والحماية الواجبة، علاوة على الأعشار والزكوات والهبات الموسمية. وفي مقابل هذا وذاك، كان الشرفاء وأقطاب الزوايا يوفرون للعزابة الأمن والإعفاء من أي تكليف أو مطلب جبائي فضلا عن حمايتهم من الخضوع للقضاء المخزني. وإذا كانت مؤسسات العزائب قد انتشرت بدرجات متفاوتة تنظيما ومساحة في جهات مختلفة من المغرب خلال القرن الثالث عشر (19 م)، فإن أكبر العزائب شساعة وأقواها نفوذا وتمكنا قد تركزت على وجه الخصوص في جهتي الغرب وجبالة. ويكفي للدلالة على خصوصية هذا الواقع الإشارة هنا، تمثيلا لا حصرا، إلى أن الشريفين الوزانيين مولاي علي ومولاي ابنا الشيخ الحاج عبد السلام الوزاني كان بحوزتهما في مطلع القرن العشرين 18 عزيبا في منطقة الغرب تحتوي على 130 خيمة تسع 2.255 فردا من السكان وتتوفر على 204 من البنادق و22 من الخيالة و194 زوجة حرث و5650 رأس من الأبقار و200 فرسا.

م. الهراس، *القبيلة والسلطة*، 95 ـ 96 ؛ د. إيلكمان، *الإسلام في المغرب*، 66 ـ 70 ؛ هـ. الهروي، *مسألة الإقطاع بالمغرب من خلال البنيات القبلية*، رسالة مرقونة، كلية الآداب، الرباط، 1996، 1997، 142 ـ 145.

A. Halim, *L'iqta et l'appropriation de la terre au Maroc* (le cas du Gharb), mémoire de 3ème cycle en sociologie, Université Mohammed V, Rabat, 1977, p. 160 - 166.

الفقيه الإدريسي

العزّ، أسرة تطوانية أصلها من قرية العز الواقعة بمقاطعة ألمريا Almeria بجنوب الأندلس حيث مازالت القرية المذكورة تعرف بـCariatiz (قرية العز) ؛ ويتعلق الأمر بالأسرة التي غادرت قريتها وانتقلت إلى غرناطة أمام الزحف المسيحي على مقاطعة المريا سنة 895 (1490).

وعند سقوط غرناطة سنة 897 (1492) نزحت إلى قبيلة بقوية الريفية حيث استقرت بقرية بوغمبوب وأصبحت تعرف باسم ابن عزوز (انظر ابن عزوز).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية.

محمد ابن عزوز حكيم

العزّ ضياء الدولة البرغواطي هو ضياء الدولة يحيى بن سكوت بن محمد البرغواطي. ثاني وآخر أمير برغواطي يتولى السلطة في سبتة بعد موت سكوت 471 / 1079 (*المعلمة*، 1170). وقد رشحه أبوه للسلطة عندما اختاره حاجبا لدولته، وعينه خليفة له في ولاية العرش. جسد ذلك في العملة التي ضربها والتي حملت بالإضافة إلى اسم سكوت ولقبه واسم الخليفة العباسي عبد الله القائم بالله، اسم ولقب ابنه الحاجب بهاء الدولة العز. كما انتدب لحكم طنجة باسم أبيه. وتفيد المصادر أنه كان للعز ضياء الدولة تأثير مباشر على والده في إبعاده عن المرابطين وعدم

الاستجابة لهم عندما عرضوا عليه التحالف ضد الزناتيين المغراويين الفارين من وجه المرابطين والمعتصمين بحصن الدمنة بالقرب من طنجة. إلا أن سقوط الحصن بيد المرابطين والقضاء على الامارة المغاوية وضعت الإمارة البرغواطية وجها إلى وجه مع الزعماء المرابطين. فكانت المعركة التي وقعت بالقرب من وادي منى بضواحي طنجة سنة 70 ـ 471 / 78 ـ 1079 والتي انتهت بمقتل سكوت ودخول المرابطين طنجة. فأفضى الملك إلى العز ضياء الدولة الذي تحصن بسبتة التي أقام بها دولة امتدت زهاء خمسة سنوات، ذاع خلالها صيته، وجاءه الشعراء من كل صوب. فوجدوا في رحابه الجود والكرم. "فأعرض به الشعراء وأطالوا ووجدوا به السبيل إلى المقال فقالوا". فكان من أهم الشعراء الذين نالهم الحظ الجسيم من دنياه، الشاعر الحصري الضرير الذي نظم فيه "ما أذهل الناظر عن الرقاد وأغنى المسافر عن الزاد". ويبدو أن العز ضياء الدولة انشغل باللهو وزينة الدنيا عما يجري حوله وما يدبر في شأنه. فكان التحالف والتعاون العسكري الذي حصل بين المعتمد ابن عباد حاكم إشبيلية ويوسف بن تاشفين زعيم المرابطين الذي كان قد استتب له الأمر في المغربين الأقصى والأوسط. وفي يوم خميس من صفر سنة 476 / 83 ـ 1084 اقتحم أسطول كبير مياه سبتة، وخرج العز بأسطوله للدفاع عن ملكه. وكادت الدائرة ان تدور على المرابطين لولا تدخل سفينة محاربة قوية حديثة الصنع لابن عباد. فحاول العز الفرار بحرا ثم بعد ذلك برا في نفر من جاله، لكنه فشل عندما كشف العز بن يوسف بن تاشفين أمره. فكانت بذلك نهايته في فجر اليوم الثاني من دخول المرابطين سبتة. وقد عثر من بين ما عثر عليه من مجموع الذخائر التي كان قد عهد بها لدى أحد الأوفياء له، جوهر كثير ونشب وخاتم يقال إنها خاتم يحيى بن علي بن حمود.

ابن بسام، *الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة*، تح. إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا ـ تونس، 1398 / 1978، القسم الثاني المجلد الثاني، ص. 657 ـ 664 ؛ *معلمة المغرب*، المجلد الرابع، ص. 1170 ـ 1171.

زليخة بنرمضان

عزّة (أولاد ابن ـ) أو العزاويون طائفة مشهورة بشمال شرق المغرب من وجدة إلي تاوريرت غربا وإلى السعيدية شمالا مع وجود فرق منهم في جهات أخرى من المغرب، كما توجد فرق منهم في غرب الجزائر ؛ وذكر أنّ ضريح جد إحدى هذه الفرق المعروفة بالسنوسية يوجد بمقبرة الولي أبي مدين الغوث بتلمسان وهو سيدي مَحمد السنوسي ابن سيدي عبد الله بن عزة. ينتسب العزاويون إلى جدهم الولي الصالح سيدي عبد الله بن عزة دفين جبل بني يزناسن في الجهة الجنوبية المقابلة لسهل أنكاد ومدينة وجدة، وينتهي نسب هذا الولي إلى أحمد بن إدريس بن إدريس مؤسس الدولة الإدريسية بالمغرب.

تمتّع هؤلاء الشرفاء كغيرهم بالاحترام والتوقير من عامة الناس ومن السلطة المخزنية حيث توصلوا بظهائر التكريم والتوقير منذ عهد السلطان العلوي مولاي رشيد على الأقل ـ حسب ما بيدنا من ظهائر لحد الآن ـ فمن المحتمل أنهم توصلوا بمثل ذلك من السلاطين السعديين.

يمثل الشرفاء عادة نقيب منهم ينظر في مشاكلهم ويكون واسطة بينهم وبين السلطة المخزنية، ومن المؤسف أننا لا نملك رسائل تتعلق بالنقباء قبل أواخر القرن التاسع عشر، وأشهر من تولّوا النقابة منذ هذه الفترة : محمد بن الحاج عبد المومن ومحمد بن عبد الله.

اشتهرت كرامات الولي الصالح سيدي عبد الله بن عزة بمقره الجديد بجبل بني يزناسن بعد رحلة علمية صوفية بدأها من قبيلة بني زروال ـ التي لجأ إليها أبوه أو جدّه من فاس بسبب الضغط على الشرفاء بها في بعض فترات الفتن ربما في نهاية العصر المريني ـ فوصل الولي المذكور إلى فجيج حيث تتلمذ على بعض علمائها وصوفيتها، ثم غادرها بعد أن آنس منه شيخه المقدرة على التربية الصوفية فاتجه إلى جبل بني يزناسن. وبعدما اشتهرت كراماته بين الناس أسس زاوية للتربية الدينية والصوفية (ومقرّها لا يبعد الآن كثيراً عن ضريحه)، وأهدت إليه القبائل المجاورة مجموعة من الأراضي بالجبل وبسهل أنجاد. غير أننا لا نعلم تطوّر هذه الزاوية خلال الفترات اللاحقة حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر حيث اشتهرت هذه الزاوية في عهد الشيخ سيدي محمد الحاج الهبري (راجع في *المعلمة* مادة : *الزاوية الهبرية*). ومن الضروري التأكيد على اختلاف دور كل من الشيخ والنقيب، فهذا كما رأينا وسيط بين السلطة والشرفاء ويعالج مشاكلهم، أما الشيخ فهو المربّي للشرفاء من المريدين. ومن أشهر الشيوخ الذين نعرف أسماءهم الشيخ سيدي محمد الهبري المتوفى حوالي سنة 1900 وابنه الشيخ سيدي محمد الهبري المتوفى آخر سنة 1939 (وهو دفين الزاوية التي أنشأها قرب السعيدية في حياة أبيه وبتفويض منه).

أهم فروع أولاد سيدي عبد الله بن عزة تعود إلى ولديه محمد السنوسي وأبي عزة، فمن ذرية السنوسي : فرقة الجلايلة (ومنهم الهبارة من أحفاد الفضيل بن الجيلالي الذين منهم شيوخ الزاوية منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر ـ على الأقل ـ حتى الآن، ومنهم القادريون نسبة إلى جدهم عبد القادربن الجيلالي المذكور، وعبد القادر هو جد جد كاتب هذه المادة)، ومن ذرية السنوسي أيضاً فرقة العزايزة (نسبة إلى عزة بن محمد السنوسي) ... ومن ذرية أبي عزة ابن سيدي عبد الله المذكور فرقة أولاد بن دحمان، وفرقة أولاد العابد، وفرقة أولاد يوسف الحاج، وفرقة أولاد الحسين ... أما الابن الثالث للولي المذكور واسمه أحمد المجيديب فقد قيل إن من ذريته فرقة المجادبة بأنكاد وتاوريرت وزايو

(إقليم الناظور)، وفي رواية أخرى أن المجادبة المذكورين هم من ذرية أبي عزة وأن المجيديب لم يخلف ولدا.

ومن الملاحظ أن أكثرية العزاويين اتخذوا أسماء أجدادهم المتأخرين لقباً لهم مثل الهبري، الدحماني، السليماني، التاج، المومني ...

وثائق وظهائر خاصة : روايات شفوية.

أحمد عزاوي

ابن **عزّة** الرايس علي من بين الرياس الأندلسيين العاملين في أسطول الجهاد في سلا الجديدة في مطلع فترة الديوان، ويبدو أنه كان فضلا عن ذلك من بين كبار شخصيات المدينة ومن ذوي النفوذ، إذ ذكر اسمه من بين الموقعين على الشكاية المبعوثة إلى الملك الانجليزي شارل الأول في غشت 1628 بخصوص تعسف القبطان نيستون على الرايس بيرم.

S.I.H.M. - les - Angleterre - T. III. p. 77 note.

حسن أميلي

عَزُّوز، عائلة جَبَلية غُمارية من قبيلة (بني زِيَّات) إحدى قبائل غُمارة التِّسع، مازالت موجودةً بتطوان، وبعضهم ينتسبُ إلى الأندلس. ولا ينبغي المصير إلى هذا دون توثيق بل لمجرد تشابُه في بعض الأسماء كما يقال عن أولاد (غُطَّيس) بتطوان، بأن اسمَهم مُحرف عن (كُرطيسْ) وعن اسم عائلة (الرَّبَّاجْ) بأنه محرف عن (الرَّيَّاسْ) مع أنهم ينتسبون إلى الشَّرَف !

أجَلُّ مَن عَرفنا من هذه العائلة بتطوان : الفقيه المذَرِّر الصالح الحاج محمد عَزُّور (بدون ابن) مقدِّم الطريقة التجانية وإمام زاويتها. وكان يقرئ القرآن بالمدرسة الخيرية بتطوان عقوداً من السنين وبها توفي. كما نَعرف من أفراد هذه العائلة : الطالب عبد الله المأمور بالمكتبة العامة بتطوان أيامَ الحماية، وكان تزوجَ بنت (حَكَّام) الغماري وأنجب منها أولاداً على رأسهم الأستاذ الباحث محمد بن عبد الله عَزوز.

معلومات شخصية.

محمد بوخبزة

ابن **عزوز**، أسرة مكناسية عريقة في الاشتغال بالثقافة الإسلامية، وقد جاءت التكنية بابن عزوز من اسم الجد الأعلى : عبد العزيز الذي يدعى بعزوز، ويضيف المصدر ذاته إلى نسب الأسرة : فقرة "الرگلاوي ثم الصنهاجي"، وواضح أن نسبة الرگلاوي تشير إلى رگلاوة، وهذه معدودة بين فروع قبيلة بني مْگيلد، حيث لايزال اسمها معروفا ضمن قيادة أزْرو جنوب مكناس.

على أن النسبة إلى رگلاوة قديمة بهذه المدينة. فكان بين أعلامها - خلال العصر الموحدي - محمد بن عبدالله بن مصالة الفازازي ثم الرگلاوي، المعروف بابن عبَّو، وكان حيا عام 611، وهو اسم تعدد ذكره في كتب التراجم.

وقد تنوسي في القبيل نسب الرگلاوي، واشتهر - بدله - بالتكنية بابن عزوز، وأقدم اسم معروف بهذه الحلية هو الذي يقدمه عبد الله الفاسي عند وفيات 1066 هكذا :

محمد بن عمر بن أحمد ابن عزوز المكناسي، شديد الطلب، بارع في الأدب، من أصحاب الشيخ أبي محمد عبد القادر الفاسي، حضر مجالسه المختلفة الفنون، واقتنى من مقتناها العيون، وكانت وفاته بتونس رحمه الله.

على عزوز، قال عنه القادري : أصله من أولاد ابن عزوز، وهم رهط بفاس، وعند حسين خوجة : أنه تزايد بمدينة فاس، على أن أحمد الفاسي يقول عنه : أصله من المغرب من مكناسة الزيتون، واستوطن الحضرة الإدريسية.

فحسب هذا المصدر يرجع أصل المترجم إلى مكناس، بينما ينسبه المصدران الأولان إلى فاس، فيمكن أن استيطان المترجم بفاس، جعل القادري يلحقه برهط ابن عزوز الفاسيين.

ومما يقرب مكناسية المنوه به أن أحد علماء الأسرة : محمد المفضل ابن عزوز آتي الذكر عند رقم 18 يرفع عمود نسبه إلى علي عزوز هذا، ويحيل على الأفراني قائلاً : وقد عرف به في الصفوة (صفوة من انتشر).

وهذا المصدر - بدوره - يؤكد انتسابه لمكناس ويذكره هكذا : أبو الحسن علي بن عزوز المكناسي نزيل زيوان (زعوان) ... ص. 224 ط. ف.

ونشير - الآن - إلى قولة القادري في التعريف به : ومنهم السيد المبارك، الولي الصالح : سيدي علي أعزوز ... رحل عن فاس بإخراج عاملها، واستقر بجبل زغوان من أعمال تونس، فاتخذ هنالك زاوية ودفن بها بعد وفاته، وله هناك صيت وأصحاب وأتباع، وظهرت له كرامات ومكاشفات وخوارق.

نلتقي - الآن - مع عالم من الأسرة أغفله المترجمون، ولولا أنه بقي من آثاره أحد مؤلفاته لكانت درجته العلمية تضيع ضحية الهمال، والقصد إلى الذي يسمي نفسه ويسلسل آباءه كالتالي : عبد السلام بن عبد الواحد بن محمد بن الحاج أحمد بن محمد بن أحمد بن عمر بن عبد العزيز المدعو عزوز به يكنى، المكناسي دارا ومنشأ.

هكذا يذكر اسمه وآباءه آخر شرحه الذي وضعه على المقدمة التي رجز فيها "الورقات" لإمام الحرفين مع زيادات وترتيب : ورقة 144 / 1. فضلا عن إشارته لستة من مؤلفاته الأخرى : أ - شرح تحفة (المنافع في مقرإ الامام نافع) نظم (ميمون) مولى الفخار : ورقة 69 / 1.

ب - الشرح الكبير على الحفيدة للسنوسي باسم الفوائد المجيدة : ورقة 110 / 1 مع 140 / 1.

ج - ووصف هذا الشرح بالكبير، يسير إلى شرح صغير للمؤلف على الحفيدة.

د ـ شرح منظومة تاريخية للمؤلف تسمى بالتيسير : ورقة 116 / 1.

هـ ـ شرح السراج للشتوكي : ورقة 140 / 1.

و ـ شرح الجواهر المنطقية للقادري : 140 / 1.

وفي الشرح إشارة إلى ثلاثة من شيوخ المترجم : ففي مكناس أ ـ محمد البوعصامي : ورقة 118 / 1، واثنان من فاس : ب ـ الحريشي، ج ـ ومحمد بن حمدون بناني : ورقة 131 / 2.

هذا إلى نقل المترجم عن خط بعض أشياخ والده، مما يعني أن والده ـ بدوره كان من أهل العلم، وقد تبينا في صدر هذه الترجمة أن اسم والده عبد الواحد، فهل يكون هذا هو نفس الاسم الذي سبق ذكره عند رقم 5.

وبعد هذا : فإن صاحب الترجمة هو ناسخ المخطوط الذي استند إليه التعليق رقم 1.

وعن المخطوط المنوه به أولاً : تبينا ـ وشيكا ـ أن المؤلف شرح به منظومة التي رجز فيها الورقات لإمام الحرمين، وقد فرغ من المنظومة، يوم الأربعاء 15 رجب 1138 وهو مشغول البال وصغير السن وضيق الحال.

ثم فرغ من الشرح بين الظهرين من يوم الاثنين 13 ربيع النبوي 1141، وأكمله ناسخه ـ الذي لم يسم ـ يوم 25 من الشهر والعام : من خط مؤلفه، وخطه مغربي مجوهر مليح مختلف، ويتخلل مواضع منه خط المؤلف بالتشطيب والإلحاق.

يقع الشرح ثاني مجموع من ورقة 60 / 2 إلى ورقة 145 / 2، مسطرة 22، مقاس صغير.

تحتفظ به خزانة خاصة.

يوجد ضمن الجواب عن فصوله باسم حل الرموز بإيضاح سؤال العلامة ابن عزوز، تأليف المفتي المغربي الطائر الصيت، الشيخ مَحمد بن المبارك بن علي الهلالي المكناسي، المتوفى عام 1372 / 1953، حيث فرغ من تأليفه يوم 12 رمضان 1349.

خزانة خاصة : ضمن مجموع ص. 1 ـ 51، بخط مؤلفه.

ملاحظة : هذه المؤلفات العشر كلها غير منشورة، وباستثناء التأليف رقم ط، فباقيها في حجم متوسط.

أ ـ شرح الخلاصة لابن مالك، لم يكمل

ب ـ شرح أرجوزة الذكاة نظم أبي حامد العربي الفاسي، اختصر فيه من شرحها للزياتي.

ج ـ شرح منظومة أبي العباس الهلالي في الدعاء باسم اللطيف.

هذه المؤلفات الثلاثة ذكرها ابن زيدان، ولا يعرف الآن مكان وجودها.

د ـ شرح السلم المرونق للأخضري، ذكره القاضي عبد الحفيظ الفاسي في أحد كناشاته.

هـ ـ مجموعة خطب جمعية غير تامة، ورد ذكرها في تقييد متخلف بعض فقهاء مكناس، وهذه ـ أيضاً ـ مع سابقها لا يعرف ـ الآن ـ مكان وجودهما.

توفي المترجم عن زوجه هنية بنت الفقيه العدل سيدي صالح الشرقاوي، وعصبه أشقاؤه : الطالب السيد عبد الوهاب، والسيدة طاهرة، والسيدة السعدية، والهاشمية، لا غير، ومن هنا يتبين أن المنوه به لم يعقب.

ودار سكناه هي التي صارت على ملك أسرة بوطريقة في حي زقاق القرموني من مكناس.

نذيل بالإشارة إلى أن المترجم يسوق سلسلة آبائه كالتالي : محمد الفضل، بن الهادي، بن أحمد، بن المجذوب صنو العارف بالله سيدي الطيب، ابني علي، بن عبد الرحمن، بن علي بن عزوز دفين زغوان، حسب افتتاحية *كشف الران* ... غير أنه يؤخذ عليه إدراج علي بن عزوز ـ دفين زغوان ـ بين أجداده، اعتبارا بأن هذا لم يعقب، وذلك ما يصرح به أحمد الفاسي قائلا عنه : ولم يعقب، وله أقارب من أولاد عمه، وهذا هو المعروف بين فريق عزوز المشهورين بتونس على أنهم من أقاربه، وليسوا من ذريته.

إتحاف أعلام الناس، 4 : 303 ؛ *نزهة الأبصار*، خ. ع، ك 579 ؛ *عنوان السعادة والإسعاد لطالب الرواية بالإسناد*، خ. س ؛ *المصدر*، 4 : 327.

محمد المنوني

ابن **عزوز الحسن**، عرفت سنة 1955 تصعيدا كبيرا في أعمال المقاومة كما عرفت اندلاع ثورة 20 غشت بخنيفرة تظيرتها بخريبگة (وادي زم) ومظاهرات أخرى كانت جميع أنحاء المغرب مسرحا لها حيث سقط في ساحة الشرف العديد من المقاومين الذين استرخصوا دماءهم فداء للحرية والوطن.

والشهيد الحسن بن عزوز المولود سنة 1914 بدوار السيالغة إقليم خريبگة من والديه غزوز بالعربي وعائشة، وهو من الذين أسدوا لهذا الوطن خدمات جليلة.

حمل السلاح يوم المظاهرة من نوع "بوحبة" الذي كان يرمي به جنود الاستعمار ويدافع باستماتة عن مقدسات وطنه إلى يوم 21 غشت 1955 حيث استشهد إثر اصابته برصاص العدو رحمة الله عليه.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 520890.

عزوز، بن **رحال** (سيدي ـ)، أحد الأولياء الصالحين بعبدة، وهو أخو الولي الصالح المشهور مولى البرگي. يقول عنه الفقيه الكانوني : "(هو) الولي البركة من مشاهير الرجال وأحد الفرسان. كان ممن ورد مع أخيه على هذه البلاد لقتال البرتغال في القرن العاشر الهجري، وعليه قبة مشهورة بالساحل قرب زاوية أخيه".

محمد بن أحمد الكانوني، *جواهر الكمال في تراجم الرجال*، ج. 2 (مخطوط).

عبد الرحيم العطاوي

ابن **عزوز، عبد الله** المراكشي المعروف ببلة عزوز وعند العامة بسيدي بلّة. هو أبو محمد عبد الله بن عزوز القرشي العباسي نسباً الشاذلي طريقة المراكشي داراً السوسي أصلاً، و"بلة" تصغير لعبد الله عند البرابرة. وهو ولي صالح شهيد فتح الله عليه في علمي الظاهر والباطن كما تشهد له بذلك مؤلفاته الغزيرة. اختلف المؤرخون في التعريف به ما بين واصف له بالولاية والصلاح وبين واسم له بالحكمة وبين ناعت له بالبدعة والزندقة، حتى اختلط الأمر على العباس بن إبراهيم فقدم لنا ترجمتين مختلفتين ومستقلتين لبلة عزوز، إحداهما للولي البركة والطبيب الحكيم والثانية للبدعيّ الضال.

كان بلة عزوز فقيها زاهدا في الدنيا وشيخا متصوفا ورأسا من رؤوس علم الطب وسر الحرف في وقته رغم كونه لم يُعرف باجتهاد في طلب العلم أو بكثرة قراءة ومشايخ. ترك مؤلفات عديدة في كل هذه الميادين وهي متوفرة في الخزانات المغربية، منها في الفقه والتصوف :

1 ـ *الأسئلة والأجوبة* في الفقه والأصول والطب
2 ـ *رسالة الصوفي إلى الصوفي*
3 ـ *تنبيه التلميذ المحتاج*
4 ـ *إتمد البصائر*
5 ـ *المختصر الأزهر*
6 ـ *الأجوبة النورانية*

أما في الطب فله مؤلفان انتشرا في المغرب انتشاراً كبيرا هما :

1 ـ *ذهاب الكسوف* (في الطب)
2 ـ *وكشف الرموز* (في الأعشاب)

وفي علم الحرف ذكر له ابن المؤقت أربعة كتب وجد منها واحداً فقط هو *لباب الحكماء في علم الحروف والأسماء*. ولا غرو فإن كتب هذا الفن لا تنتشر عادة في الخزانات. وقد عرّف ابن المؤقت بمحتوى بعض هذه الكتب كما أورد عباس بن إبراهيم ومحمد الأخضر مقاطع منها في ترجمة هذا الشيخ.

أخذ بلة عزوز الطريقة الشاذلية ـ وكذا علوم الظاهر ـ عن أحمد بن محمد الحبيب البكري اللمطي (ت. 1765)، وهو خال وشيخ الشيخ أحمد بن مبارك اللمطي مجدد الطريقة ومؤلف الإبريز. وكان بلة عزوز ملازما لخدمة الشيخ أحمد الحبيب كما شهد له بذلك السلطان سيدي محمد ابن عبد الله. جاء في *الدر المنتخب* عن سيدي محمد أنه قال : "إني كنت صغيراً وكانت أمي ترسلني مع أخي مولاي أحمد لزيارة الولي الصالح سيدي أحمد الحبيب ... وكنت أجد سيدي بلة ابن عزوز جالسا مع سيدي الحبيب على هُويدرته، فلولا أنه كان من الصالحين ما أجلسه الشيخ معه".

كان سيدي بلة زاهداً في الدنيا متقشفاً يعيش من حرفته كخرّاز (صانع نعال) ويقصده مريدوه في حانوته فيبعثهم للخلوة في جبل گليز. اتهم بلة عزوز بالزندقة، ورغم مدافعة السلطان عنه والوقوف إلى جانبه فإنه مات مقتولا. ومن بين من شهد عليه بالزندقة الفقيه السوسي محمد الحضيكي الذي كتب تأليفاً في الموضوع. وقد وقف المختار السوسي وكذا عباس بن إبراهيم على هذا المؤلف وأورد مؤلف *الإعلام* مقاطع منه في الترجمة المخصصة "لبلة بن عزوز الرحماني" المبتدع.

وتمكننا الانتقادات الموجهة لبلة عزوز من لدن الحضيكي من التعرف على مدرسة المترجم الصوفية التي تعتمد التقشف والزهد والابتعاد عن الخلق ومجاهدة النفس من أجل تطهيرها. ولهذا يكون بلة عزوز شهيد الحركة التجديدية في التصوف التي تبلورت بعده في الطريقة الدرقاوية على الخصوص.

ومن الطبيعي أن يقف فقيه بدوي مثل محمد الحضيكي موقف المعادي لممارسات بلة عزوز وأتباعه الصوفية، وهو الذي كرّس حياته للدعوة الإسلامية البسيطة : الدعوة إلى التوحيد وإلى فرض الشريعة الإسلامية في وسط تغلب فيه العادات والاعتقادات ما قبل إسلامية.

تاريخ وفاة بلة عزوز مختلف فيه كذلك، والغالب أنه كان في أواخر القرن الثاني عشر (18 م). ودفن في حصن داره كما هي العادة في المغرب بالنسبة للصلحاء في درب الحمام من باب إيلاّن بمراكش، وقبره لازال مزارة كبيرة وكراماته مازالت متداولة إلى اليوم.

م. الأخضر، *الحياة الأدبية في المغرب*، الدار البيضاء، 1977، ص. 316 ـ 321 ؛ ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1977، ج 3، ص. 74 ـ 77، ج. 73، ص. 317 ـ 319 ؛ أ. ابن الحاج، *الدر المنتخب*، ج 10، مخطوط، خ. ح، عدد 1920، ص. 97 ـ 98 ؛ ع. السلام ابن سودة، *دليل*، 1960، ج 2، ص. 446 ـ 449 ؛ ابن المؤقت، *السعادة الأبدية*، الطبعة الحجرية، فاس، 1918، ج 1، ص. 92 ـ 96 ؛ م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، المحمدية، 1960، ص. 193 ؛ ع. الله گنون، *النبوغ المغربي*، بيروت، 1961، ج 1، 304 ـ 305.

فاطمة الحراق

عزوز، الغياثي، الفقيه السيد محمد بن الحاج عبد الرحمن، أصله من غياث بعبدة، وهو أحد مشاهير فقهاء مدينة أسفي التي تولى عمالتها في الربع الثالث من القرن الثالث عشر الهجري، وتُعرف ذريته الآن بأسرة ابن عزوز. ومعلوم أن هذه الأسرة أنجبت العديد من الأعيان والعلماء، وهي دون عائلة ابن عزوز الأندلسية الأسفية التي ربما تنحدر من أسرة العلامة سيدي مَحمد بن عبد العزيز الأندلسي البلنسي الأسفي المعروف بكَرْضيلو.

توفي الفقيه سيدي محمد بن الحاج عبد الرحمن عزوز الغياثي عام 1272.

م. بن أحمد الكانوني، *أسفي وما إليه قديما وحديثا*.

عبد الرحيم العطاوي

ابن **عزوز، محمد بن أحمد** السوسي، محمد (فتحا)

بن أحمد بن المكيس ابن عزوز السوسي المكناسي، العلامة المشارك والنحوي الأصولي والمدرس النفاعة، كانت ولادته عام 1285، أخذ العلم عن أخيه الشيخ محمد بن عزوز المتوفى سنة 1316، وعن عمه الشيخ فضول بن المكي ابن عزوز المتوفى سنة 1320 وعن التهامي بن عبد القادر الحداد المراكشي المتوفى سنة 1336 وعن الشيخ التهامي بن الطالب ابن سودة وعن الشيخ عبد الله البدراوي وعن الشيخ محمد (فتحا) القادري وغيرهم من الأشياخ. وتخرج على يده علماء أجلة منهم الشيخ عبد الرحمن بن زيدان وكان عبد السلام ابن سودة يتصل به ليملي عليه من حفظه كما في *سل النصال*، إذ يقول : "اتصلت به مراراً وأملى علي من حفظه رحمه الله"

توفي المترجم سنة 1369.

ابن سودة، *سل النصال للنضال بالأشياخ وأهل الكمال*، موسوعة *أعلام المغرب*، 9 : 3250.

عبد القادر سعود

ابن **عزوز، محمد المفضل** بن عبد الهادي بن أحمد بن محمد المجذوب المكناسي، يرتفع إلى الولي الصالح سيدي الطيب ابن عزوز دفين زغوان بلاد قرب تونس. ولد بمكناس وتلقى عن شيوخها نذكر منهم الفقيه مبارك بن عبد الله الفيضي، والفقيه العربي بصري، والفقيه المهدي بادو والعالمين العباس بن كيران والمهدي بن سودة، أخذ عنهما لما توليا قضاء مكناس، ثم تصدر للتدريس بالمدينة نفسها خصوصاً علم التفسير والحديث والسير والفقه والأصول وعلوم البلاغة، تولى نيابة القضاء بمكناس وانتهت إليه رياسة النوازل والأحكام فيها.

1 ـ فتاوى اشتهرت بفتاوي ابن عزوز مخطوط في الخزانة الحسنية 10926 ومصورة على الورق عن شريط جائزة الحسن الثاني رقم 66 س. سنة 1975. جمعها تلميذه محمد بن الحسين بن عبد القادر العرائشي المكناسي، وأضاف لها فتاويه وفتاوي شيخه قاضي مكناس محمد بن أحمد بن الشريف العلوي الإسماعيلي الزرهوني نزيل مكناس ودفينها.

2 ـ قمع القامعة بالمقمعة، ذوي الجحد والبدع المبتدعة. ألفه عام 1292. تحدث فيه عن الخلافة وأصلها وحكمتها وعن حكم الشرع في الإختيار وعن مكانة ولاية القضاء، وحكم الحاكم الذي يرفع الخلاف. مخطوط بالخزانة الحسنية 12375 ضمن مجموع.

3 ـ كشف الران عن فؤاد مانع الزيارة ومدعي تفضيل الوظيفة على القرآن وإقامة الدليل والبرهان.

4 ـ وله النصيحة الشافية النافعة للطريقة الدرقاوية 515 د في كراستين اختصرها أبو مدين بن أحمد بن محمد بن عبد القادر الفاسي.

5 ـ الموارد الصافية طبع على الحجر بفاس

6 ـ شرح خاتمة الشمائل المصطفوية للترمذي. مخ خع رقم 515 د ضمن مجموع صص 33 ـ 62 وبآخره قصائد تقريضية على شرح ابن عزوز وهي لعدة شعراء من تلامذة الشارح.

المنوني، *المصادر العربية*، ج 2، ص. 137 ـ 156.

أحمد ايشرخان

ابن **عزُّوز، محمد** بن **محمد** ابن عزُّوز المراكشي، الوزير الصدر في الحكومة الخليفية بمنطقة الحماية الإسبانية بتطوان بشمال المغرب سابقا.

الفقيه النبيه المطّلع الحازم المحنّك. كان والدُه من علماء الرباط، فاتخذه السلطان الحسن الأول إماماً له وأستاذاً لبعض أولاده، وأحد صُدور كُتابه، وكان ملازماً لركابه. وفي مراكش تزوج وَوُلد له المترجَم عام 1281 ثم أدخله الكُتاب فحفظ القرآن وبعضَ المتون العلمية ومنها مختصر خليل، ثم تَعاطى الأدب وعَمل كاتباً بدار المخزن، ولما توفي السلطان بقي بمراكش واشتغل بالفلاحة واتّصل بالأمير يومئذ عبد الحفيظ أيام خلافته عن أخيه السلطان عبد العزيز، فكان من أكبر أنصاره وأعوانه حتى بعثه سفيراً عنه لبَرلين عاصمة ألمانيا لإقناع الملك غليوم بالاعتراف بسَلْطنة مَخدومه عبد الحفيظ، فَنَجَح في مُهمته، وبعد تعيين عبد الحفيظ ملكاً على المغرب ظلَّ ملازماً له ومُؤنِسه ووزيرَه الخاص في الحقيقة، ثم عَمل حاجباً له إلى أن تنازل عن الملك لأخيه السلطان يوسف فَقدم طنجة مع مخدومه عبد الحفيظ، ودَعتْه الدولةُ الإسبانية بعد فرض الحماية على المغرب لمشاورته فيمن يستحق الخلافة عن السلطان بمنطقة حمايتها، وبعد مفاوضات واستشارات وقع الاختيارُ على الأمير المهدي بن إسماعيل بن محمد بن عبد الرحمن خليفةً، فذَهَب المترجم له إلى فاس، وأقنع الأمير بقَبول الخلافة، وقَدم معه تطوان ودَخَلها في احتفال كبير، وبعد استقراره، أسَّس أولَ وزارة له وعَيّن أعضاءها وعلى رأسهم صدرهم المترجَم، وشَمر الوزيرُ عن ساق الجد، وقام بأعباء الوزارة إلى أن وقع بينه وبين الخليفة سوءُ تَفاهُم أفضَى إلى عزله بمساعدة الإسبان، ونُقل إلى شفشاون ليلةَ السبت فاتح محرم عام 1341 وبقي بها شبهَ مسجون إلى أن أُعيد إلى تطوان في ربيع الأول عام 1342. وبعد وفاة الوزير أحمد الركّينَة عام 1343 أعيد المترجم إلى الصدارة، وفَوضَّ إليه الخليفة جميعَ المهام، وَصَف الفقيه الرهوني الذي كان وزيرا للعدل في وزارة المترجم الصدر ابن عزوز خَلْقَه وخُلُقَه، ولم يُشر إلى أنه كان (مراكشياجْوابُو في فمو) صاحب نكت وجُرأة يُجابهُ بالمكروه، ويتدخل في كل شيء. وحكاياته في هذا مشهورة بتطوان، منهما محنة الفقيه المدرس العدل السيد محمد بن عبد النبي بناني على يده، فقد صدرت من الفقيه أبيات في الغَزل نظمها تظَرُّفاً في بعض من يغشى مجلسَه، فشاعت تلك الأبيات إلى أن بلغت مسامعَ القاضي السيد التهامي أفيلال، وكان من الحزم والصرامة بمكان، فاستدعاه وأنّبه

على ما صَدَر منه مما ينافي العدالة، فاعتذر الفقيهُ وتاب، فَعَفَا عنه القاضي ولَم يعزل، ولما علم الوزير المترجم له بالأمر، أمَر بالقَبض على الفقيه وأودَعه السجنَ بعد توبيخ وتهديد، ولولا شفاعات وتدخلات لَلَبث الفقيه في السجن مُدة. وحدثني الوزير الصدر الفقيه السيد أحمد بن عبد الكريم الحداد ـ وكان وقتَه كاتبا ثانيا للمترجم له ـ أن الشريف الشيخ إدريس بن الحُسين الحراق حفيد الشيخ محمد الحراق الصوفي الشهير اتصل بالمترجم له بمكتبه بالمشْوَر شافعاً في أحد مُريديه، وكان الوقتُ شهرَ رمضان. فَرد شفاعتَه بعُنف، وبالَغ في لَومة وتأنيبه، بل وشَتَمه بما لم يسمَع مثلَه في حياته ـ وهو الشيخ المحترم والوقت وقت صيام ـ فلم يزد على الصمت، وانفجر باكياً بشكل يُثير الحزْن والإشفاقَ، وخَرج كذلك. قال السيد أحمد الحداد رحمه الله : فَوقَع في قلبي ساعتَه أن الرجل لَن يَسلَم من جزاء ما فَعل، ولم يلبث بعدَها إلا قليلاً حتى نُكب وسجن.

وهكذا ظل الوزيرُ الصدر إلى أن اخترمته المنية بمنزله بروض الخطيب بحي الجنوي من تطوان يوم الاثنين محرم فاتح 1350 (5 ماي 1931) ودُفن ببيت (المواگين) بالزاوية الريسونية. ولم يُخلف رحمه الله.

ابن سودة، *إتحاف المطالع*، ضمن موسوعة أعلام المغرب، تنسيق، د. محمد حجي، 8 : 3011، ط دار الغرب ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين في تاريخ تطاوين*، 2 : 135، من منشورات جمعية تطاون أسْمير بتطوان، ت د جعفر ابن الحاج السلَّمي ؛ *مجلة الاتحاد التطاونية* سنة 5 عدد 48. وبها عدة صُور للمترجم وَحده، ومع أعضاء حكومته ؛ *معلومات شفوية*.

محمد بوخبزة

العزّوزي، محمد بن **أحمد**، قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلته بني وريَاغل، انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يرأسها الشريف سيدي امحمد أمزيان ضد التدخل العسكري الاسباني بناحية الناظور. وقد شارك في عدة معارك من بينها المعركة التي قتل فيها الجنرال سالفادور ديباث اوردونييث Salvador Diaz Ordonez والتي جرت بتيشكرا بقبيلة بني سيدال يوم 14 أكتوبر 1911.

أعمال ندوة الشريف امزيان والمقاومة المسلحة في الشمال الشرقي، 1909 . 1912)، تطاون، 1996.

محمد ابن عزوز حكيم

العَزُّوزي، محمد بن **المكي** السلوي، ولد بمدينة بسلا عام 1336 / 1917، شاب متعلم متفتح، التحق بصفوف الحركة الوطنية منذ نعومة أظفاره، وقاد بعض المظاهرات على صغر سنه ضد السياسة الاستعمارية. ودخل السجن لذلك. عمل في التعليم الحر مدة طويلة لا سيما تعليم البنات لمروءته وعفته.

طلبت منه أن يعمل معي معلماً في مدرسة الفتاة السلوية، فقبل وقدمت ملفه على الطريق الإداري المعتاد إلى مندوبية المعارف بالقصر الملكي المشرفة آنذاك على التعليم الحر. فلم تمض أيام حتى جاء الرد من المراقبة المدنية بسلا بأن طلب العزوزي غير مقبول لأنه سبق أن حكم عليه بالسجن. فأطلعته عليه وأنا في غاية الامتعاض، فلم يتأثر وقال لي ضاحكاً : "هذا السجن شرف !"

بقي محمد العزوزي يزاول عملية التدريس بدون رخصة إلى أن جاء الاستقلال فتابع عمله في هذا الميدان وظل على صدقه ووطنيته إلى أن توفي بسلا في 4 ذي القعدة عام 1397 / 17 أكتوبر 1977.

معرفة شخصية ؛ أ. معنينو، *ذكريات ومذكرات*، طنجة، د. ت، ج 3 : 37 . 38.

محمد حجي

العزوزي، المعطي بن **إبراهيم** كان عدلا ومفتيا بالرباط ثم استدعاه المخزن للانخراط في سلك كتبته. وكان السلطان محمد بن عبد الرحمان يقدره لما كان له من المصاهرة معه. وفي كثير من الأحيان كان يسند إليه قضاء أمور سياسية ومهمات مخزنية. لما تولى السلطان مولاي الحسن الحكم أخره عن خطته.

توفي بمراكش في إحدى حركات السلطان، ودفن في ضريح أبي العباس.

بوجندار، *الاغتباط*، ص. 354.

عبد الإله الفاسي

العزوزي، المعطي بن **محمد** المفتي، المعطي بن محمد بن قاسم الشريف العزوزي، من جملة مشايخ الرباط ومفتي العدوتين بأمر السلطان مولاي عبد الرحمن، وصف بالشرف وحسن السيرة والسمت وكثرة الإنفاق والكرم، والمشاركة في العلوم، والباع في التدريس وامتلاء مجلسه بالتلامذة، وانتفاع الكل بتقريراته لسلاسة عبارته، إلى غير ذلك من صفاته.

وقد ذكر أبو عبد الله الأوراوي في مقالته المنشورة في *السعادة*، أن المترجم بعدما أسند له المخزن خطة الإفتاء بالعدوتين استدعاه للخدمة بحضرته، ثم عينه قائدا على عدد من قبيلة الزيايدة سنة 1254 / 1838، ثم عينه قاضيا على تارودانت وأحوازها سنة 1260 / 1844. وقد كانت له مصاهرة مع السلطان مولاي سليمان والسلطان مولاي عبد الرحمن. وكانت وفاته بالطاعون في حدود سنة 1273 / 1856 . 1857 تقريبا.

الاغتباط، ص. 353 . 54 ؛ *ومجالس الانبساط*، ص. 167.

حسن أميلي

ابن **عزّون** (أولاد -) أسرة مكناسية. في الديوان الاسماعيلي : "أولاد ابن عزون من جزناية منهم الفقيه أبو

عبد الله محمد بن أحمد ابن عزون المكناسي الجزنائي : هكذا أورده القادري في وفيات 1058 حسب المخطوطة السودية من *نشر المثاني*، ونقله في *إتحاف أعلام الناس*، 4 : 41.

الفقيه المشارك الهين اللين المبارك أبو زيد عبد الرحمن ابن أحمد بن عبد الرحمن ابن عزون المكناسي، صحب الشيخ أبا محمد عبد القادر الفاسي، ولازمه، كأخيه، واستفاد منه في كل فن ... هكذا ذكره عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ابن عبد القادر الفاسي في "*الإعلام بمن غبر*" مخطوط خ. س. 3637 ز.

محمد بن محمد ابن عزون : يوجد بخطه نسخه "خاصة" من المختصر الخليلي مبتورة الأول، وتبتدي أثناء باب التيمّم، في حجم صغير، بخط مغربي مليح مشكول مجدول ملون، وفي آخره : "وكان الفراغ منه يوم الجمعة في آخر جمادى الثاني عام أربعة وثلاثين ومائة وألف، على يد ... محمد بن محمد ابن عزون ـ بخط يده الفانية ـ بمكناسة الزيتون".

عبد العزيز بن عبد الرحمن ابن عزون : يوجد اسمه أول العدلين الشاهدين في وثيقة مثبتة في "*حوالة الأحباس الصغرى*" بمكناس رقم 4 من قسم الحوالات بالخزانة العامة، ص. 79.

محمد بن عبد العزيز ابن عزون : يوجد اسمه ثاني العدلين الشاهدين في وثيقة عام 1137، حسب الحوالة الأحمدية بمكناس، ص. 253.

عبد العزيز بن أحمد ابن عزون : عدل ثان في وثيقة مؤرخة في 3 ذي القعدة عام 1152.

وفي وثيقة مؤرخة في 11 شوال 1154 جاء ذكر نائب المحاجير الفقيه العدل السيد عبد العزيز.

الفقيه الأجل، العدل الأرضي المرحوم سيدي بلقاسم ابن عزون، هكذا ورد اسمه في وثيقة عتيقة.

والآن انقرضت هذه العائلة من مكناس.

محمد المنوني

عزّونة بنت أبي بكر بن أبي زكريا الحفصي سلطان تونس : كان السلطان أبو الحسن المريني قد تزوج فاطمة ابنة السلطان أبي بكر بن أبي زكريا الحفصي، وبعد استشهادها في وقعة طريف سنة 741 / 1340، رغب في طلب يد إحدى أخواتها، فوجه سنة 746 / 1345 وفدا لخطبة أختها عزونة، مكونا من أمير عرب سويد أبي زيان عريف بن يحيى السويدي، وأبي الفضل بن محمد بن أبي مدين العثماني كاتب الجباية والعسكر، والفقيه المفتي أبي عبد الله محمد بن سليمان السطي، ومولاه عنبر الحصي. وتولى حاجب الحفصيين عبد الله بن تافراجين إقناع السلطان أبي بكر بإتمام المصاهرة تأكيداً للعهود والمواثيق بين الدولتين. وزفت الأميرة إلى السلطان أبي الحسن سنة 747 / 1346 في وفد من كبراء مشيخة الموحدين بتونس على رأسه الأمير أبو العباس الفضل بن أبي بكر الذي عينه السلطان أبو الحسن على بونة فيما بعد عند رحلته إلى إفريقية.

لم تهنأ الأميرة الحفصية بحياة ملكية هادئة، فقبل أن تصل إلى فاس بلغ الخبر بوفاة أبيها أبي بكر، وحصول تطورات سياسية خطيرة بتونس اضطرت السلطان أبا الحسن للتدخل فيها سنة 748 / 1347. ولم يلبث السلطان إلا سنوات قليلة وتوفي سنة 752 / 1351، فبقيت أرملة بعده 11 سنة، ثم تزوجها سنة 763 / 1361 أبو ثابت عامر بن محمد الهنتاتي كبير جبل درن والبلاد المراكشية الذي كان نفوذه قد تقوى بالمنطقة زمن استبداد الوزير عمر بن عبد الله الفودودي بعد وفاة السلطان أبي سالم المريني.

ابن مرزق، *المسند الصحيح الحسن*، باريز، لاروز، 1925، ص. 38. 39 ؛ الناصري، *الاستقصا*، الرباط، وزارة الثقافة، 2001، 4 : 146 ؛ ع. الهادي التازي، *المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي*، الدار البيضاء، 1992، ص. 240.

محمد المغراوي

عزّيمان، أسرة كريمة قديمة بتطوان أصلها من الريف من فرقة بني تعبان من قبيلة بني تُوزين الريفية من مجشر يُسمى حتى الآن آيت عَزيمان وفي عمدة الراوين للرهوني، 6 : 118 أن أصلهم من ربع أجْدير من قبيلة بني وَرْياغل انتقلوا لتطاون عام 1020 كما حدثني الأستاذ علال بن علال بن الفقيه القاضي محمد بن علي عزيمان نقلا عن كُنَّاش والده الذي بحوزته. وفي حوالة مسجد الرزيني بحومة الجنوي رسم كتب بتطاون عام 1091 وَرَدَ فيه اسم علي بن عبد الله عزيمان به عُرف الريفي الساكن بمجشر (القَلاَّلين) من قبيلة الحوز الآن و(مجكُسَة) قديماً التي بُنيت تطاون على ترابها، قال الأستاذ داود : ثم يظهر أنه سكن تطوان من هذه العائلة فرعان أو فروع ثلاثة، أشهرها فرعُ الفقيه القاضي محمد بن علي. وقد ذكر من أفراد هذا الفرع تجار وحرفيون، ومتصوفون وعدول وأبو المواريث خلال سنوات 1174 / 1212 ـ 1234 وهَلُم جرا إلى الآن، ومن أشهر هذا الفرع : القاضي المشار إليه وابناه الفقيهان العدلان : مَحمد فتحاً وعلال، ونجل هذا الأخير الأستاذ الكبير مَحمد وابنُه الدكتور عمر وزير العدل بالمغرب سابقا.

عائلات تطوان للأستاذ محمد داود (حرف العين) نسخة بخط المؤلف بخزانته الداودية بتطاون.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين في تاريخ تطاوين*، 6 : 118، نسخة خاصة مصورة ؛ معلومات شفوية.

محمد بوخبزة

عَزّيمان، مَحمد بن علال بن مُحمد بن علي التطواني، وُلد بتطوان بدرب عَزيمان (باسم جَده القاضي) بحي الطَّرْنْكات عام 1330 / 1912 وأدخل كُتاب الفقيه

المدرر الشهير محمد بن عمر ابن تاويت، وظلّ به إلى أن حفظ القرآن وبعضَ المتون على العادة الجارية يومئذ وأخذ عن بعض علماء المدينة دروساً في النحو والفقه بالمساجد، ولما أسست المدرسة الأهلية بتطوان عام 1344 / 1925 دَخَلها وتلقى عن أساتذتها المختارين وعلى رأسهم مؤسسها الأستاذ الكبير محمد داود.

وفي سنة 1928 سافر إلى مدينة فاس والتحق بجامع القرويين، ومَكث به سنتين، تلقّى خلالَها عن علمائها العلومَ المعهودة بها، واتصل بالشباب الوطني لأول عَهد نضاله. وبعد عودته إلى مسقط رأسه أحسّ بتعطشه إلى المزيدَ من العلم فَسَافَر إلى مصر سنة 1931 ضمن البعثة الطلابية الثانية. ودخَل دار العلوم بالقاهرة، ووَاصَل دراسته بها إلى سنة 1935 حيث حصل على الإجازة، وكان أولَ مغربي يحصل عليها هناك، ولم يكن خلال إقامته بمصر منطوياً على نفسه، بل حركةً دائمة، وشُعلةَ نشاط ويقظ وذكاء، يتردد على أهل العلم والرأي، وزعماء السياسة والتحرير في العالم العربي، وكانت مصرُ حينئذ مثابةً لهم، فاكتسب من توجيهاتهم وآرائهم استنارةَ فكر، وفلسفةً بناءة أنالته قدرةً على حل مشاكل التربية والتعليم والاجتماع. ولعلو همته توجه إلى سْويسْرا سنة 1938 والتحق بمعهد جَانْ جَاكْ رُوسُو لعلوم التربية، واتصل هناك بالأمير شكيب أرسلان وانتفع بصحبته، وفي السنة التالية اندلعت الحرب العالمية الثانية، فَرَجَعَ إلى المغرب، ثم عُين مديراً للمدرسة الحسنية الابتدائية بتطوان التي جمع منها جهابذة التعليم الديني الإسلامي والعصري، وبعدها تقلّب في عدة وظائف، فكان عضواً بالمجلس الأعلى للتعليم الإسلامي الذي كان يرأسه الفقيه الرهوني، ثم عُين سكرتيراً له، وقام - مع الأستاذ داود - بوضع مناهج التعليم الديني التي سارت عليه المعاهد الدينية بمُدن شمال المغرب، كما وَضَعَا معاً منهجَ التعليم المغربي العصري، وأشرفا على فتح المدارس الابتدائية والمعاهد الدينية، بمختلف جهات المنطقة الخليفية، واشتغل إلى جانب ذلك بالتدريس والتعليم الحر، فكان أستاذا بمعهد مولاي المهدي والمعهد الحُر. ولما عُين الأستاذ داود مديراً للتعليم العربي عَيَّن تلميذَه المترجم له مفتشاً عاماً له، وفي هذه الأثناء أسهم في تأسيس المعهد الديني العالي الذي كان بمثابة جامعة، واشتغل بالتدريس فيه، كما قام بنفس المهمة في مدرسة المعلمات الأولى بالمغرب.

وعندما أسس المعهد الرسمي للتعليم الثانوي بظهير خليفي سنة 1944 عُين المترجم له مديراً له سنة 1946 وبَذَلَ جهوداً عظيمة للحصول على معادلة للشهادة الثانوية به، فأثمرت جهودُه اعترافَ إسبانيا بها ومعادلتَها بشهادة (البْروبي) الأولى بلبنان، والثانوية العامة بمصر في عهد تولي الدكتور طه حسين وزارة المعارف المصرية، وفي سنة 1953 عُين كاتبا عاماً لوزارة المعارف بالمنطقة الخليفية، وفي فجر استقلال المغرب عُين عضواً في لجنة تسلّم السُّلط من الإسبانيين، كما عُين نائبا عن وزارة التعليم في الشمال فقام بعملية الإدماج بين منطقتي المغرب في ميادين التعليم والثقافة والشبيبة والرياضة والسياحة والأنباء، وفي سنة 1959 عُين مفتشا أول بقسم التعليم العالي، ثم عُين رئيساً لديوان وزير التعليم، وشارك في عهد الاستقلال في اللجنة الملكية لإصلاح التعليم. وأرسلته منظمة اليونسكو سنة 1965 بصفة خبير لدَى وزارة التعليم إلى أمريكا الوسطى، كما شَارَكَ في مؤتمر التعليم الإلزامي الذي نظمته اليونسكو في القاهرة سنة 1955.

عرفتُ المترجَم له قديماً، وزرتُه ببيته مراراً، واستفدتُ منه فوائد أذكر منها ما كنتُ سمعتُه من بعض علماء المغرب الذين أقاموا بمصر سنوات عن الشيخ طنطاوي جوهري صاحب تفسير (الجواهر) الشهير وغيره من المؤلفات الكثيرة في العلوم الكونية والروحية الحديثة، أنه كان يترجم عن دوائر المعارف الأنجليزية ما يُودعُه تفسيره من معارف علمية، لأنه يُحظر ترجمتُها مباشرة. وقد أكد لي المترجم له أن هذا غير صحيح، وان الشيخ طنطاوي لم يكن يعرف لغة أجنبية، وأنه كان على اتصال دائم به لأنه من أساتذته في دار العلوم، وأنهما كانا يتباحثان ويتزاوران، وأن الذي كان يترجم له ما يكتب في العلوم الحديثة هو ابنُه، وربما ضَجر الإبن من كثرة الترجمة، فيرجُو الشيخ من المترجم له أن يُقنعَه بالعمل. ومن غريب ماسمعتُه منه عن الشيخ طنطاوي هذا أنه كان يصومُ الدهر، قال: وشكوتُ إليه مرةً ما يرتكبه الاستعمار الانجليزي من مظالم بمصر، وكان يومئذ في أوج طغيانه - فأخبرني أنه سينتهي قريباً، تتحرر مصر ويجلو الاستعمار، ولما رأى الشيخ استغرابي من كلامه واستبعادي لما يقول، قال لي: يابني، أنا لا أقول هذا من عندي وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخبرني بقُرب ذلك وبشرني بالتحرير الوشيك مناما.

ومن إنصاف المترجم له أنه وقف على نسخة مصورة من كتاب *عمدة الراوين في تاريخ تطاوين* لشيخنا معاً الفقيه أحمد بن محمد الرهوني، كتبتها بخطي نقلاً عن أصلها الذي هو بخط المؤلف بخزانة تطوان العمومية، وكنتُ يومها محافظا للمخطوطات والوثائق، وعلّقتُ عليها تصحيحات وانتقادات فقرأها واستطرف تلك التعليقات، وأملى عليّ بعضَها من حفظه ضاحكاً مستطرفا، وهو من عائلة صوفية أباً عن جد.

وقبل وفاته بمدة أجريت له عملية جراحية، وبعدها سقط وأصيب بكسر تأذى منه غايةً، وهو الرجل القصير القامة، الضعيف البنية. ثم وافاه الأجل المحتوم بعد عُمر حافل بالنفع والعطاء بمنزله بتطوان يوم الأحد 25 شعبان 1422 موافق 3 نوفمبر 2001 ودفن عصر ذلك اليوم بزاوية سيدي السعيدي، رحمه الله تعالى.

كتب في تأبينه وترجمته أصدره تلاميذه، وطبع بتطوان، سنة 2002 ؛ معلومات شخصية.

محمد بوخبزة

عزّيمان، محمد بن **علي** التطواني، وُلد بتطوان عام 1225 ـ 1226. وحفظ القرآن والمتون العلمية ولاسيما الفقهية، فكان يستظهر مختصر خليل وتحفة الحكام وغيرهما ويستحضر غالبَ نصوص شُراحها وغالبَ نصوص أرباب النوازل والأحكام، قال الوزير أحمد الغنمية التطواني : أملى عليَّ فتوى من حفظه وأملى على الفقيه العمراني فتوى أطول منها دون الرجوع إلى كتاب، وأخبرني الفقيه أعْجُولُو الأندلسي ثم التطواني أنه كان يراه يكتب الفتاوى في صكوك الرعاوي واقفا أمام نافذة بمنزله، ولكثرة استحضاره وحفظه ما كان يحتاج إلى مراجعة في الغالب، وكانت فتاويه مُركَّزة محقَّقة قلما تَقبل معارضة حتى من فقهاء فاس ومفتيه.

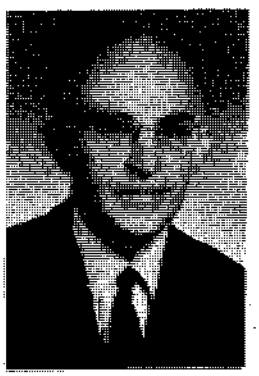

أخذ العلم بتطوان عن الفقيه النحوي علي بوخبزة، والفقيه عبد الكريم غَيلان، والشيخ محمد الحراق الصوفي الشهير والقاضي عبد الرحمن الحايك وغيرهم وبفاس عن الفقهاء : ابن عبد الرحمن الحجرتي والحاج الداودي والمرنيسي وقصارة وإدريس البدراوي وطبقتهم، ثم رحل إلى فاس ورَجَع لتطوان عام 1252 أو اشتغل بالتدريس والعدالة والإفتاء والإمامة بجامع العيون والخطابة به من عام 1267 ـ إلى أن أقعد عام 1310 ودَرَّس به صحيحَ البخاري، ومُوَطأ مالك، والشمائل، وهمزية البوصيري بردتَه، ومختصر خليل ورسالة ابن أبي زيد والمرشد المُعين لابن عاشر، وألفيَّة ابن مالك وغيرها مراراً، قال الرهوني وهو من تلاميذه : كان يأتي جامعَ العيون قبل الفجر فيتهجد، ثم يقرأ حزباً من مختصر خليل، قلما يتخلف عن هذا صيْفاً وشتاءً عقوداً من السنين، لازمتُ الحزبَ معه نحو عشر سنوات.

أخذ عنه عامةُ فقهاء تطوان من الفقيه أحمد السلاوي، والفقيه محمد النجّار الكبير، والقاضي بَعدَه التهامي أفيلال، وأهرار، وابن الأبار، إلى الأخوين أحمد ومحمد الزواقيْين والرهوني وغيرهم كثير.

كان كثير الاعتناء بالتقييد والمطالعة والتحصيل ولا سيما للفقه والنوازل فكان فيهما لا يجارى، وأعلَن الرهوني أسفَه على عدم اطلاعه على شيء من أوضاعه وإن أورد له في (العمدة) خطبتين من إنشائه، كما لم يُتَح ذلك لخَلَفه الأستاذ داود، وقد علمتُ أن له رسالةً في أسماء الأعشاب والأدوية المفردة في تذكرة الأنطاكي وجامع ابن البيطار بلهجة أهل تطوان، وشرحاً على همزية البوصيري وآخر على بردته، وقد أطلعني عليها حفيدُه الأستاذ الكبير مَحمد المأسوف على وفاته أخيرا، وهي بخطه.

وبعد وفاة السلطان المولى عبد الرحمن بمكناس في 29 محرم 276 بويع ولَدُه وخليفتُه سيدي محمد وبَلَغَ الخبر أهل تطوان يوم 12 صفر عامه فَبَايَعوا الخليفة المذكور. وكتب الفقيه الأديب المفضل أفيلال الحسني العلَمي بَيعتَهم بماء الذَّهَب (أورد نصها الأستاذ داود في تاريخه، 3 : 368) وشهد فيها الفقهاء السلاوي واليعقوبي والرايس، وأدَّى شهادتَهم القاضي المترجَم، وأرسلوا بَيعتَهم وشكَّلوا وفداً للتهنئة برئاسة القاضي عزيمان من علماء وأشراف وأعيان البلَد، وعددُهم ستة عَشَر، وهم : القاضي محمد بن علي عزيمان، والحاج أحمد السلاوي، والمفضل أفيلال، والمكي بن عبد الوهاب، وأحمد بن التهامي الوزاني وعبد السلام ابن ريسون الخراط، والحاج أحمد اليعقوبي، وعبد الله الدليرو، وعبد الله عزيمان، والمهدي الشَّرقي، ومحمد كرِّيش، والحاج محمد الطريس، والحاج محمد اللبادي، والعربي الشْوْدري، والحاج محمد الشُّربي، وأحمد أبري، ومحمد أجْناو وأربعة من الطبْجية وأربعة من البحرية، وخمسة من صُناع العُدَّة، وعشرة من المخزنية.

وفي يوم الأربعاء فاتح رجب الفرد الحرام عام 1313 توفي بمنزله بالدرب المسمى باسمه إلى الآن (درب عزيمان) بحي (الطرنكات) من تطوان، ودفن بزاوية العلامة الصالح سيدي علي بركة الأندلسي بالسوق الفوقي، وخلف ولَديْن فقيهين عدلين هما مَحمد (فتحا) وعلال رحم الله الجميع.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين في تاريخ تطاوين*، 6 : 117، نسخة خاصة مصورة ؛ م. داود، تاريخ تطوان، 7 : 238، ط. تطوان، والمجلد الثاني عَشَر صفحة 152 من نفس التاريخ، بخط مؤلفه بخزانته بتطوان ؛ م. ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، تنسيق، د. محمد حجي، 8، ص. 2804، ط. دار الغرب ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *العز والصولة في نظم الدولة*، 2 : 55، ط. الملكية بالرباط.

محمد بوخبزة

عزّياني، بن **محمد** الطيب، ولد سنة 1914 ببني عتيق إقليم وجدة من أبويه محمد بن عبد الكريم وحليمة بنت الحاج محمد.

كان من الوطنيين المخلصين الذين دفعتهم غيرتهم الوطنية واستكمال الوحدة الترابية إلى الانخراط في صفوف جيش التحرير غداة تأسيسه في المنطقة الشمالية بمركز بني يزناسن ضمن الفرقة التي كانت تحت قيادة بلحاج بويو.

وقد عرف الشهيد بين أفراد فرقته بالإخلاص والتفاني في العمل حيث شارك مشاركة فعالة في جميع المواجهات التي خاضها جيش التحرير ضد قوات الاحتلال إلى أن

استشهد رحمة الله عليه سنة 1956 واهبا روحه للحرية والاستقلال.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 520927.

العزفي، أحمد بن **أبي طالب** عبد الله، أحد أقطاب الشعر المغربي خلال العصر المريني، وأحد أمراء الأسرة العزفية التي حكمت مدينة سبتة ما يقارب القرن. اسمه الكامل هو : أحمد بن أبي طالب عبد الله بن أبي القاسم محمد بن أبي العباس أحمد العزفي. يكنى أبا العباس. ولد بسبتة وترعرع في أكناف احدى كبريات البيوتات السبتية رياسة ونبلا وكياسة وعلما. كان أبوه أبو طالب رئيسا لسبتة ورثها عن أخيه أبي حاتم، ثم عن الجد أبي القاسم، ثم عن الجد الأعلى أبي العباس محدث الاحتفال بالمولد النبوي في المغرب. وهو أخ ابني أبيه أبي القاسم صاحب (*كتاب الإشادة*) ويحيى أبي عمرو (أو أبي زكريا) الذي تولى إمارة سبتة بعد محنة التغريب ورحلة العودة إلى الوطن. ففي بيت الحسب والرياسة تربى شاعرنا وتشبع من علوم عصره التي كانت تعج بها المجالس العلمية في سبتة. يصفه ابن الخطيب بأنه كان "فذا في الأدب، طرفا في الإدراك، مهذب الشمائل، ذلق اللسان، ممتع المجالسة والمحاضرة، حلو الفكاهة، يرمي كل غرض بسهم". وقد قال في حقه أخوه القاسم في كتابه *الإشادة* : "هو أخي، الذي بإخائه أزهو وأنتخي، وكبيري، المعتمد بإجلالي وتقديري، ولولا خوفي من أن يلزمني ما لزم مادح نفسه، لأطنبت في وصف ماله من المحاسن التي فاق بها أبناء جنسه، مع أنها لم تزل على منصة البيان مجلوة، وبألسنة الأيام متلوة" (*جذوة*، 2 : 398). لم يكن أبو العباس رجل سياسة فلم يتول رئاسة سبتة، وما نعت ابن الخطيب له بالرئيس إلا من باب التشريف. عاش ظروف المحنة والتغريب التي مرت بها الأسرة العزفية في عهد أميرها والده أبي طالب وذلك عندما انتفض محمد الثالث ابن الأحمر على السلطان يوسف بن يعقوب المريني، وانتزع منه سبتة بعد أن غدر بأهلها، ونقل أسرة بني العزفي إلى الأندلس وذلك في شوال سنة 705 / 1306. فنزلوا أولا في مالقة لدى أميرها فرج بن إسماعيل ابن الأحمر ابن عم الملك محمد الثالث منفذ عملية احتلال سبتة. ثم نقلوا بعد ذلك إلى حضرة ملك ابن الأحمر صاحب غرناطة حيث وصلوا إليها في محرم 706 / 1307. وهناك نسجت وشائج الصداقة بين ذي الوزارتين أبي عبد الله بن الحكيم وأديبنا ساهمت في الحفاظ على كرامة أسرة بني العزفي التي عاشت في كنف ورعاية الوزير ابن الحكيم. يقول ابن الخطيب : "ودخلوهم على السلطان، [أن] الذي تنخل بمثله السخائم، وتذهب الإحن ؛ وخطب لنفسه، فاستمر حاله لطيف المنزلة، معروف المكانة، ملازما مجلس مدبر الدولة، مرسوما بصداقته مشتملا عليه ببره".

يؤكد الإنتاج الأدبي الذي خلفه أبو العباس والذي مازال مستناثرا بين بطون بعض المؤلفات مثل كتب ابن الخطيب والمقري والشريف السبتي في شرحه مقصورة حازم وغيره على تنوع الانتاج الفكري المغربي خلال العصر الوسيط، ويمثل الشخص أحد الأعلام الأدبية بل من خواص أدباء المغرب وشعرائه المبدعين. تتميز قصائده بمواصفات قلما وجدت في انتاجات أدباء عصره من المحسنات اللفظية والبديعية، مع الحفاظ على المعنى وتناسق الأغراض والمعاني إضافة إلى الفصاحة وحسن السبك وسرعة البديهة والدقة في التعبير حتى في أكثر المواضيع حساسية كشعر الوجدان، مما يدل على اتساع مخيلة الرجل وحضور ملكته الأدبية.

ابن الخطيب، *اللمحة البدرية في الدولة النصرية*، بيروت، 1400 / 1980، ص. 66 ـ 67 ؛ المقري، *أزهار الرياض في أخبار عياض*، الرباط، 1978، الجزء الثاني، ص. 356 ـ 357 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1974، القسم الثاني، 398 ؛ ابن القاضي، *درة الحجال*، تح. م. الأحمدي أبو النور، تونس ـ القاهرة، الجزء الأول، ص. 11.

العزفي، أحمد بن **أبي القاسم** محمد بن أبي العباس العزفي اللخمي، ويعرف بأبي حاتم. من الأمراء العزفيين. تولى إمارة سبتة بعد وفاة أبيه أبي القاسم العزفي سنة 677 / 78 ـ 1279 إلا أنه لم يمكث فيها إلا سنة واحدة بحيث خلع عنها (*أزهار*، 2 : 377). ويفسر ابن الخطيب أسباب الخلع بقوله : "بحكم الاستقلال في ذلك، والاستبداد التام، من غير مطالعة لأخيه ولا رجوع إليه في شيء من الأمور، ولا تشوف من أخيه إلى ذلك، لخروجه البتة عنه، وإيثاره العزلة، واشتغاله بنفسه" (*الإحاطة*، 3 : 384). وقد حدث ذلك في سنة 678 / 1280. ويبدو من خلال احدى الرسائل التي كانت من تدوين كاتب ديوانهم خلف بن عبد العزيز القبتوري والمؤرخة في سنة 682 / 1283 والتي صدرت باسم أبي حاتم إلى أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني، أن أبا طالب الذي كان يمارس السلطة الفعلية، احتفظ لأخيه بشرف السلطة الاسمية بحيث ظلت الوثائق الرسمية تصدر باسمه (*رسائل*، 65). كما أن مما يدل على الأهمية التي ظلت للرجل حتى بعد عزله عن امارة سبتة القصيدة الشعرية التي

أنشدتها في حقه شاعرة وأديبة الأندلس سارة بنت أحمد بن عثمان ابن الصلاح الحلبية عند قدومها على سبتة في أواخر المائة السابعة، مطلعها (*جذوة*، 2 : 525) :

بشراك يا نفس نلت السؤل والأملا
وعاد دهرك بعد الجور قد عـــدلا
ونلت ما كنت طول الدهر تأملـــه
وعنك أضحى العنا والبؤس مرتحلا
فروض بشراك لا تذوي أزاهـــره
وورد نشرك طيب قد صفا وحـــلا
وقد وصلت إلى بحر الندى علم الهد
ـدى أبي حاتم ابن السادة الفضلا

يصفه ابن الخطيب بالأمير الصالح. حدث بسبتة وقرأ على يديه جلة من العلماء نذكر من بينهم محمد بن أحمد بن إبراهيم بن محمد التلمساني الأنصاري السبتي (*الإحاطة*، 3 : 201) وعبد المهيمن الحضرمي (*الإحاطة*، 4 : 12) توفي بسبتة في سنة 716 / 1317 (*وفيات الونشريسي*، 102 ؛ *لقط الفرائد*، 174).

القبنوري، *رسائل ديوانية من سبتة في العهد العزفي*، تح. م. الحبيب الهيلة، المطبعة الملكية، الرباط، 1399 / 1979 ؛ المقري، *أزهار الرياض في أخبار عياض*، الرباط، 1978، الجزء الثاني ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، تح. م. عبد الله عنان، القاهرة، 1395 / 1975، الجزءان الثاني، والثالث ؛ الونشريسي، *وفيات الونشريسي*، تح. م. حجي، *ألف سنة من الوفيات*، الرباط، 1396 / 1976 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1974، القسم الثاني.

زوليخة بنرمضان

العزفي، أحمد بن **محمد** بن الحسين السبتي، ولد في 17 رمضان 557 / 16 ماي 1162 وتتلمذ على أبيه القاضي أبي عبد الله العزفي وعلى أشهر فقهاء ومحدثي الغرب الإسلامي أمثال الزاهد أبي محمد بن عبيد الله الحجري والقاضي أبي عبد الله ابن زرقون والخطيب أبي القاسم عبد الرحمان ابن حبيش وابن بشكوال وأبي بكر ابن خير وأبي القاسم السهيلي وأبي محمد بن الفرس وغيرهم، كما أجاز له جماعة من المشارقة. وقد عدد تلميذه الرعيني في برنامجه أهم المصنفات التي قرأها ورواها عن شيوخه.

تولى أبو العباس أحمد العزفي قضاء مدينة سبتة بعد أبيه، كما لزم التدريس بجامعها وتتلمذ عليه جمّ غفير من علماء الغرب الإسلامي. وقد أبرز مترجموه سعة ثقافته الفقهية واطلاعه الواسع على التيارات المذهبية وتبحُّره في علم الحديث خاصة. يقول الرعيني إنه كان "من خاتمة أهل العلم بالسنة والانتصار لها، نفعه الله، برز علماً وعملاً، ودراية، ورواية، وجمع خصالاً من الفضل جمة ولزم التدريس بجامع سبتة مدة عمره، ورحل الناس إلى الأخذ عنه والاستفادة منه، وكان على طريقة شريفة من التسنن واقتفاء السلف، والاكباب على سبل الخير كلها". بينما حلاه ابن أبي الربيع بـ "الشيخ الفقيه العالم العامل الأوحد الورع الفاضل الضابط الناقد المسند، بقية المحدثين". إن مؤلفات أحمد العزفي التي وصلتنا عاكسة ثقافته الواسعة هي التالية :

"*منهاج الرسوخ إلى علم الناسخ والمنسوخ*" (مخطوط) و"*دعامة اليقين في زعامة المتقين*" و"*الدر المنظم في مولد النبي المعظم*" (مخطوط) و"*إثبات مالا منه بُدَّ لمريد الوقوف على حقيقة الدينار والدرهم والصاع والمدّ*". أما تلك التي لم تصلنا فمنها برنامج مشيخته وكتابه "*الجمع بين معاني القرآن للفراء والزجاج*".

توفي بسبتة في 7 رمضان عام 633 / 30 غشت 1236.

أ. العزفي، *دعامة اليقين في زعامة المتقين*، تح. أحمد التوفيق، الرباط، 1989 ؛ أحمد العزفي (وولده أبو القاسم)، *الدر المنظم في مولد النبي المعظم*، تح. فاطمة البازدي، د. د. ع. كلية الآداب، الرباط، 1987 ؛ *إثبات مالا منه بُدَّ لمريد الوقوف على حقيقة الدينار والدرهم والصاع والمدّ*، تح. محمد الشريف، ضمن منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1999 ؛ أ. المقري، *أزهار الرياض*، تح. مصطفى السقا وأخرين، القاهرة، 1949، ج 2، ص. 37 ؛ *نفح الطيب*، تح. احسان عباس، بيروت، 1988، ج 2، ص. 375 ؛ أ. بابا، *نيل الابتهاج*، تح. عبد الحميد عبد الله الهرامة، طرابلس، 1989، ص. 77، (حرف اسم عزفة إلى عرفة) ؛ ابن الشاط، *برنامج ابن أبي الربيع*، تح. عبد العزيز الأهواني، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الأول، 1955، ص. 252 ـ 270 ؛ ليشام، (دبريرك)، *بنو العزفي أصحاب سبتة*، تر. أمين توفيق الطيبي، في كتاب، *دراسات في تاريخ مدينة سبتة الإسلامية*، طرابلس، 1989، ص. 64 ـ 66 ؛ ابن رشيد السبتي، *إفادة النصيح في التعريف بسند الجامع الصحيح*، تح. محمد الحبيب بلخوجة، تونس، 1974، ص. 105.

M. Cherif, *Ceuta aux époques almohade et mérinide*, L'Harmattan, Paris, 1996 ; J. D. Latham, al-Azafi, *Encyclpédie de l'Islam*, 2ème éd., Supplément, Livraison 1 - 2, p. 110 - 112.

محمد الشريف

العزفي، أبو طالب عبد الله بن محمد أبو القاسم بن أحمد أبو العباس العزفي، ويلقب بأبي طالب. تولى إمارة سبتة خلفا لأخيه المخلوع أحمد أبي حاتم وذلك في سنة 687 / 1280، وقد حكم سبتة مدة 27 سنة. وخلع عنها ليلة الأربعاء 27 من شوال سنة 705 / 1306 على إثر المؤامرة التي دبرها محمد الثالث من بني الأحمر بتواطؤ مع أحد قادة البحر في المدينة، وكلف بتنفيذها ابن عمه فرج بن إسماعيل بن يوسف بن الأحمر حاكم مالقة الذي اقتحم ميناء المدينة في أسطول مكون من 520 مركبا (*الجذوة*، 2 : 433). فاستسلم دون أن يبدي أية مقاومة حقنا للدماء. فنقل مع جل أفراد أسرته إلى غرناطة حيث مكثوا في كنف ذي الوزارتين ابن الحكيم، وذلك إلى حدود قيام الثورة في غرناطة والتي كان من نتائجها عزل الملك محمد الثالث ومقتل وزيره ابن الحكيم. فسمح لأبي طالب وأسرته بالعودة إلى المغرب. فنزلوا في فاس، وبها كانت وفاته في شعبان من سنة 713 / 1341 (*أزهار*، 2 : 377 ؛ *الإحاطة*، 3 : 385 ؛ *جذوة*، 2 : 433).

خصه ابن الخطيب بمجموعة من الأوصاف توحي بالتربية الأرستقراطية التي تلقاها في أحضان أسرته العزفية العالمة. يقول : "كان من أهل الجلالة والصيانة وطهارة النشأة، عظيم الهيبة، كبير القدر والصيت، عالي الهمة، شديد البأو، معظما عند الملوك، جميل الشارة، ممتثل الاشارة لديهم". تفنن في الحديث وتلاوة القرآن والتاريخ. من أساتذته أبو الحسن بن أبي الربيع (*الإحاطة*، 3 : 384 ؛ *جذوة*، 2 : 433).

المقري، *أزهار الرياض في أخبار عياض*، الرباط، 1978، الجزء الثاني، ابن الخطب، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، تح. محمد عبد الله عنان، القاهرة، 1395 / 1975، الجزء الثالث ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1974، القسم الثاني.

العزفي، عبد الرحمان بن عبد الله بن أبي طالب عبد الله بن أبي القاسم محمد بن أبي العباس أحمد العزفي. يكنى أبا القاسم. ولد سنة 685 / 1286 في بيت جمع بين شرف العلم والجاه والنبل والسياسة. سمع مع أبي جعفر بن الزبير، والقاضي ابن عبد الملك، وابن خميس وغيرهم وهو صاحب كتاب *"الإشادة، بذكر المشتهرين من المتأخرين بالافادة"* أو *"الإشادة بذكر المشهورين من المتأخرين بالإجادة"* (كما ورد عند المنوني في *المصادر*، 82). ألفه الفقيه عبد الرحمان خصيصا لدى الوزارتين أبي عبد الله بن الحكيم صاحب ديوان الإنشاء في دولة بني نصر في غرناطة. وكان قد أهداه إليه من باب المن بالفضل والاعتراف باليد الطولى التي مدت إلى أسرة بني العزفي بعد أن سلب منهم ملكهم وسيقوا غربا، إلى غرناطة أيام حكم محمد بن نصر الثالث منفذ عملية احتلال سبتة. يصنف الكتاب حاليا ضمن الكتب المفقودة. والملاحظ أن المقري اعتمده كمرجعية أساسية في كتابه *أزهار الرياض* الذي يحوي بين طياته قطعا مهمة من هذا المؤلف، من بينها أشعار أخيه أبي العباس العزفي في مدح ابن الحكيم المذكور (*أزهار*، 2 : 357). كما خلف قصائد شعرية مطولة تناولت مواضيع مختلفة احتفظت بعض أمهات الكتب بقطع منها.

توفي قرب زوال يوم الأربعاء 13 من رجب الفرد من عام 717 / 17 ـ 1318 بالدرب الطويل من فاس (*أزهار*، 2 : 357؛ *جذوة*، 2 : 398).

م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، الرباط، 1404 / 1983، الجزء الأول ؛ المقري، *أزهار الرياض في أخبار عياض*، الرباط، 1978، الجزء الثاني، ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1974، القسم الثاني.

العزفي، أبو **القاسم محمد** بن أحمد أبو العباس العزفي. يكنى أبا القاسم. ولد بسبتة في منتصف شوال عام 607 / 1211 (*أزهار*، 2 : 374). تربى ونشأ في أحضان بيت علم وحسب. وقد تشبع من علوم عصره، فكان أبوه أول أحادثه، وجل قراءاته كانت عليه. لقد جمع بين الزعامة الروحية والسياسية، فقد كان يترأس مجلس شيوخ أهل سبتة، المجلس الذي لعب أدواراً مهمة على مستوى الأحداث التي عرفتها المدينة منذ بداية تاريخها الإسلامي. ويعتبر الزعيم الروحي للثورة التي قام بها أهالي سبتة بتحريض من قائد البحر أبي العباس حجبون الرنداحي بعدما ذاق أهالي المدينة درعا بالحكم الحفصي. فكان قيامه بسبتة ليلة 27 من رمضان عام 647 / 49 ـ 1250، انتهت بمقتل والي سبتة أبي عثمان بن خالد وكبار جنده وطرد الآخرين. اعترف بالسيادة الموحدية في شخص الخليفة المرتضى (*البيان*، 398 ؛ *العبر*، 7 : 383). وقد ظل يتبادل الرسائل مع الخليفة الموحدية على الأقل إلى حدود ذي القعدة من سنة 658 / أكتوبر 1260. كما حافظ في نفس الوقت على علاقات جيدة مع المرينيين الذين بدأوا يوسعون نفوذهم في اتجاه الشمال. وفي سنة 660 / 1262 استطاع أن يرد على محاولة محمد الأول النصري لاحتلال سبتة. كما استولى على بعض القطع من أسطوله. إلا أن تدهور الأمن في المضيق وغياب سلطة قادرة على حماية المنطقة، دفعت أبا القاسم إلى اتخاذ سياسة عسكرية حمائية أكثر صرامة، تمثلت في ضم طنجة إلى ملكه بعد مقتل حاكمها ابن الأمين، كما استولى على أصيلة التي كانت مهجورة، وهدم أسوارها (*العبر*، 7 : 384).

لقد نهج أبو القاسم العزفي سياسة المعادلة في علاقاته مع القوى الإسلامية المتنازعة في أقصى الغرب الإسلامي موحدين ومرينيين ونصريين. كما أبدى اهتماما كبراً بقضية الجهاد في الأندلس، لذلك عمل على دعم الحركة الجهادية، وتيسير عملية مرور الغزاة من بني مرين عبر سبتة إلى الأندلس قصد الجهاد وإغاثة بني جلدتهم (*الذخيرة*، 68). كما أنه في عهده حدث تقارب من جديد بين سبتة وجنوة، وذلك في سنة 665 / 1267 بحيث عينت قنصلا عاما لها يقيم في سبتة، ويتولى مهمة الإشراف على جميع قناصلتها في بلاد البربر والأندلس. كما وقعت سبتة في عهده معاهدة صلح مع مملكة الأرغون في 4 أبريل 1269. وتعد أول معاهدة توقع بين سلطة مغربية ومملكة الأراغون (*L'Espagne*, 163).

إن الاستقرار الذي شهدته سبتة في عهد أبي القاسم العزفي، أفرز الازدهار الفكري الكبير الذي شهدته المدينة خلال هذه الفترة، كل ذلك برعاية من صاحبها وأميرها أبي القاسم. من أهم انجازاته بناؤه لمسجد مقبرة زجلو الذي يعتبر ثاني مسجد في سبتة بعد المسجد الأعظم من حيث الكبر وجمالية البناء (*اختصار*، 33) وقد اتخذه مكانا للاقراء والتحديث به. كما درس بجامع سبتة الأعظم. يشير إليه المقري بالفقيه الاصولي النحوي اللغوي المحدث العارف بالرواية، الشاعر المجيد (*أزهار*، 2 377). تتلمذ عليه جملة من خيرة علماء بلده والأندلس من بينهم محمد بن علي بن يوسف بن قطران الأنصاري (*الإحاطة*، 3 203)، وأحمد بن عبد الله الأنصاري الرصافي (*درة*، 1 : 33)، ومحمد بن يوسف بن علي أثير الدين أبو حيان الغرناطي (*الإحاطة*، 2 :

43)، ومحمد بن محمد بن عبد الله بن عيسى الكتامي، وأبي عبد الله بن مدراس الأشيري (*الذيل*، 1 : 356 ـ 357)، والخطيب أبي علي بن الخطيب أبي فارس بن غالب الجمحي (*أزهار*، 2 : 376). من الآثار الفكرية التي خلفها أبو القاسم العزفي أنه أكمل ما بدأه أبوه في تأليف "الدر المنظم، في مولد النبي المعظم". كما أنه خلف مجموعة من المراسلات كانت من تدوين كاتب ديوانه خلف بن عبد العزيز بن محمد الغافقي القبتوري (*رسائل*، 53). وبعد ما وصلنا منها قليل بالنظر إلى المدة الطويلة التي قضاها أبو القاسم في السلطة، وبالنظر أيضا إلى ما كانت تقتضيه علاقاته المعقدة مع القوى الإسلامية، بني زيان وبني نصر والموحدين والمرينيين والحركة الجهادية التي كان يعتبر أحد كبار دعاتها والمحرضين للقبائل عليها، من مراسلات وخطب وغيرها.

المقري، *أزهار الرياض في أخبار عياض*، الرباط، 1978، الجزء الثاني ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، تح. محمد عبد الله عنان، القاهرة، 1395 / 1975، الجزءان الثاني والثالث ؛ الأنصاري، *اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار*، تح. عبد الوهاب بن منصور، الرباط، 1403 / 1983 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب*، قسم الموحدين، تح. محمد إبراهيم الكتاني، محمد زنيبر، محمد بن تاويت، عبد القادر زمامة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1406 / 1985 ؛ القبتوري، *رسائل ديوانية من سبتة في العهد العزفي*، تح. محمد الحبيب الهيلة، المطبعة الملكية، الرباط، 1399 / 1979 ؛ ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، تح. محمد بن شريفة، الرباط، 1984، القسم الأول ؛ ابن القاضي، *درة الحجال في أسماء الرجال*، تح. محمد الأحمدي أبو النور، تونس ـ القاهرة، 1391 / 1971، الجزء الأول.

Z. Benramdane, *Ceuta aux XIIIème et XIVème siècles*. T. D de 3ème cycle, Aix -Marseille I, 1987 ; Ch. E. Dufourcq, *L'Espagne catalane et le Maghrib aux XIIIème et XIVème siècles*, Paris, 1966.

العزفي، محمد بن **محمد** بن **أبي القاسم**، محمد ابن أبي زكريا (أو أبي عمرو) يحيى بن أبي طالب عبد الله ابن أبي القاسم محمد بن أبي العباس أحمد بن القاضي الخطيب محمد اللخمي العزفي. يكنى أبا يحيى. أحد الأدباء من أسرة بني العزفي السبتية وشعرائهم البارزين. التقى به أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر بفاس في حضرة بني مرين وكان من بين ما أنشده في مدح سلطان بني مرين أبي فارس عبد العزيز بن أبي الحسن علي عند فتحه لتلمسان ودخولها وما نجم عن ذلك من فرار سلطانها من أسرة بني زيان المتوكل على الله أبي حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمان بن يحيى بن يغمراسن إلى الصحراء قصيدة مطلعها (نثير *الجمان*، 122 ؛ *جذوة*، 1 : 306).

أبو الوليد اسماعيل بن الأحمر، *نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان*، تح. محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1976 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1973، القسم الأول.

العزفي، محمد بن **يحيى** بن أبي طالب عبد الله بن أبي القاسم محمد بن أبي العباس أحمد بن القاضي الخطيب محمد اللخمي العزفي. يكنى أبا القاسم. ولد وترعرع أيام عنفوان الإمارة العزفية بسبتة في شوال من عام 699 / 1300. أمه عائشة بنت إبراهيم بنت عم أبيه. تولى حكم سبتة بعد موت أبيه أبي عمرو يحي في شعبان من عام 719/ 19 ـ 1320. وخلع في صفر عام 720 / 1321 عند قيام ابن عمه عليه. فكانت مدة رئاسته ستة أشهر (*أزهار*، 2 : 378 ؛ 2 : 242). وبعد آخر أمراء سبتة من أسرة بني العزفي التي حكمت المدينة انطلاقا من سنة 647 / 49 ـ 1250. فانتقل إلى غرناطة، وهناك عاش في كنف صاحبها الأمير النصري إسماعيل بن فرج الذي حكم غرناطة ما بين 713 / 1314 و725 / 1325. فجرت عليه جراية واسعة، ونال رعاية ذوي الأمر نظرا لنباهة مكانته وعلو مقداره. ثم عاد إلى فاس وتولى بها الكتابة لملوك بني مرين. كما اشتغل بها في الخطط الفقهية (*جذوة*، 300). ويذكر أن أبا عنان المريني رشحه لتولية حكم قسطنطينة عند فتحه لها، إلا أن محمدا رفض الابتعاد عن الولد والبلد، فتركه السلطان لحاله (المقري، 2 : 378).

يصفه العسقلاني بأهل البراعة والذكاء. وقد اشتهر بأدبه، وقام له سوق نافقة ؛ بحيث كانت له قدرة كبيرة على النظم مع قوة نفس في استخراج معميات الأدب، إضافة إلى معرفته بالتاريخ ومشاركته في فنون شتى مثل الطب الذي دون فيه كما يقول ابن الخطيب (*الإحاطة*، 3 : 11 ؛ *نثير الجمان*، 120 ؛ *الدرر*، 4 : 281).

استقر في حضرة ملوك بني مرين بفاس كاتبا لإيالتهم إلى أن توفي بها ليلة السبت 11 صفر عام 768 / 1367 (*لقط*، 213 ؛ *جذوة*، 300 ؛ *درة*، 2 : 242).

المقري، *أزهار الرياض في أخبار عياض*، الرباط، 1978، الجزء الثاني ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، تح. محمد عبد الله عنان، القاهرة، 1395 / 1975، الجزء الثالث ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973 ؛ ابن القاضي، *درة الحجال في أسماء الرجال*، تح. محمد الأحمدي أبو النور، تونس ـ القاهرة، 1391 / 1971، الجزء الثاني.

العزفي، يحيى بن **أبي طالب** عبد الله بن محمد أبي القاسم بن أحمد أبي العباس العزفي اللخمي. يكنى أبا عمرو (وأبا زكرية). ولد بسبتة في رمضان من سنة 677 / 78 ـ 1279. عاش محنة التغريب مع أبيه الأمير أبي طالب وباقي أسرته عندما غدر بهم الأمير فرج بن إسماعيل النصري. بعد خلع محمد الثالث النصري على إثر ثورة غرناطة، وعودة سبتة إلى الحكم المريني، سرح لهم بالعودة إلى الوطن فاستقروا بفاس، وهناك ارتبطت وشائج الصداقة بين الأمير العزفي أبي عمرو يحيى والأمير المريني أبي سعيد فارس بن عبد الحق (*العبر*، 7 : 515). وعندما اعتلى هذا

الأخير عرش بني مرين، ابتسم الحظ من جديد لبني العزفي، فعين أبا عمرو حاكما على سبتة، بينما عين أخويه أبا زيد عبد الرحمان قائداً للاسطول وأبا الحسن رئيسا على دار الصناعة، وذلك في سنة 710 / 1311. الا أن ثورة الأمير أبي علي على أبيه أبي سعيد كان من نتائجها نزع السلطة من يد يحيى بن أبي طالب وترحيله من جديد مع باقي أفراد أسرته إلى فاس. إلا أن الإسراع بالقضاء على ثورة الأمير المتمرد، واستتباب الأمر مجدداً لأبي سعيد، عجل من عودة أبي عمرو إلى سبتة وذلك في سنة 714 / 1315. إلا أن هذه العودة كانت مشروطة بترك رهينة من أبناء الأمير أبي عمرو يحيى في بلاط السلطان المريني، الشيء الذي سيؤدي إلى تعكر الجو بين الطرفين، وبالتالي ستتولد نزعة التمرد لدى الأمير العزفي يحيى، بحيث تملص من أداء المستحقات عليه من الإتاوات اتجاه السلطان المريني، وأعلن استقلاله مستعينا بمجلس الشيوخ في تسيير أمور المدينة. كما أحضر عبد الحق بن عثمان أحد أمراء بني عبد الحق، وشيخ الغزاة المتمردين عن السلطة المرينية واللاجئين بالأندلس، وعينه قائداً للجند (*Ceuta*, 109). والملاحظ أنه اعتبر أول من ركب بالرمح والسيف من بني العزفي، وجند الجنود (*أزهار*، 2 : 378). وقد برهن عن تفوقه في حماية المضيق بأن بث بحارته ضد القراصنة المسيحيين (*L'Espagne*, 466). كما واجه المرينيين عند حصارهم للمدينة، وكبدهم الهزيمة وسبب الارتباك في صفوف جيوشهم، الشيء الذي ساهم في انجاح المكيدة التي كانت من تدبير القائد عبد الحق بن عثمان، من فك سراح الرهينة ابن الأمير يحيى العزفي (*الإحاطة*، 3 : 537). إلا أن يحيى بن أبي طالب بعد أن استرجع ابنه اختار المصالحة، فاعترف من جديد بالسلطة المرينية مقابل دفع الإتاوات المترتبة عليه، وبعث هدية ثمينة إلى السلطان على رأس كل سنة (*الإحاطة*، 4 : 341 ؛ *Ceuta*, 109).

الرعيني، *برنامج شيوخ الرعيني*، تح. إبراهيم شبوح، دمشق، 1381 / 1962، المقدمة ؛ المقري، *أزهار الرياض في أخبار عياض*، الرباط، 1978، الجزء الثاني ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، تح. محمد عبد الله عنان، القاهرة، 1395 / 1975، الجزء الثالث ؛ الونشريسي، *وفيات الونشريسي*، تح. محمد حجي، *ألف سنة من الوفيات*، الرباط، 1396 / 1976 ؛ ابن خلدون. *تاريخ العلامة ابن خلدون أو كتاب العبر*، دار الكتاب اللبناني، بيروت، المجلدان السادس والسابع.

Z. Benramdane, *Ceuta aux XIIIème et XIVème siècles*, T. D. de 3ème cycle, Aix-Marseille I, 1987 ; Ch. E. Dufourcq, *L'Espagne catalane et le Maghrib aux XIIIème et XIVème siècles*, Paris, 1966.

زولبخة بنرمضان

العزفيون من الأسر العربية الشهيرة التي استقرّت بسبتة، ينتمون على أشهر الروايات إلى المناذرة اللخميين من عرب اليمن. عُرفت هذه الأسرة بالعلم أولاً حتى منتصف القرن السابع الهجري ثم بالعلم والسياسة معاً حتى أواخر العقد الثالث من القرن الثامن، ويظهر أن هذا المجال الأخير هو المقصود فيما ذكر عن العزفيين من أنّهم "كانت لهم الرئاسة بسبتة".

من أقدم من وصف منهم بالعلم ـ حسبما وقع بين أيدينا من مصادر ـ "الفقيه الإمام علي" بن محمد بن سليمان بن محمد (المعروف بابن أبي عزفة)، وهو من رجال القرن الرابع حيث ذُكر أنّه كان من معاصري الفقيه أبي زيد القيرواني (*أزهار الرياض*، 2 : 374 ؛ *ترتيب المدارك*، 6 : 215 ـ 222). ويختلف التجيبي عن المقّري وابن الخطيب في نسب المذكور فيجعله "علياً بن حسين بن سليمان اللخمي ثم العزفي"، كما يختلف معهما حول ذرية المذكور.

وورد عالم آخر هو أبو عبد الله محمد والد أبي العبّاس أشهر علماء الأسرة الآتي ذكره، وهو ممّن أخذوا عن القاضي عياض ؛ وقد وصف "بالشيخ الفقيه القاضي العالم المحدّث". ويظهر أنه اشتغل بالقضاء في بلده سبتة أيام المرابطين.

أما أشهر رجال الأسرة العزفية علماً فهو أبو العبّاس أحمد بن أبي عبد الله محمد المذكور قبله، وقد عاش في أواسط العصر الموحدي حيث توفّي سنة 633 ؛ وقد وصفه المقّري "بالشيخ الفقيه، الإمام، العارف، العالم، علم العلماء العاملين المتقنين، ونخبة الفضلاء الصالحين المتّقين".

ومن مؤلفاته :

ـ *منهاج الرسوخ إلى علم الناسخ والمنسوخ*.

ـ *إثبات ما لا منه بدّ، لمريد الوقوف على حقيقة الدّينار والدّرهم والصّاع والمدّ* (وهذا ما يدلّ على درايته بأمور الحسبة).

ـ *دعامة اليقين في زعامة المتّقين*.

ـ *الدّرّ المنظّم في مواد النّبيّ المعظّم*، بدأه أبو العبّاس وأكمله ابنه أبو القاسم ؛ وكان الغرض من تأليفه حثّ النّاس على إقامة عيد المولد النّبوي وترك ما كانوا يهتمّون به من أعياد النّصارى وعوائدهم.

أمّا أبو القاسم محمد ابن أبي العبّاس المذكور فقد اشتهر أيضاً في ميدان العلم، فوصف "بالشيخ الفقيه الفاضل، العلم الأوحد، السّنيّ، المبارك الأكمل". وما عُرف به من مؤلفات هو إكماله لكتاب أبيه (*الدّرّ المنظّم*). ونظراً لانشغاله بشؤون الإمارة التي أنشأها سنة 647 فقد غلب على تراجمه منذئذ الجانب السياسي على الجانب العلمي رغم اتّصال صفة الفقيه باسمه.

إن وضعية الإمارة العزفية اضطربت مع مطلع القرن الثامن (14 م) في ظلّ توتّر العلاقة بين المرينيين وأمراء تلمسان حلفاء النصريين ضد المرينيين. وتتحدّث إحدى رسائل السلطان يوسف عن تلكّؤ أمير سبتة في دفع ما تراكم عليه من خراج سنوي "إنّ الحنّاق صاحب سبتة ترتّب لنا عنده مائة ألف دينار من الذّهب في هذه السّنين السّالفة وهي الواجبة عليه المعتادة، فلمّا طُلب منه صار يعاملنا بالتّسويف ..."، وقال ابن أبي زرع "وكان قد فسد حال أهلها عند أمير

المسلمين يوسف وقطع عنهم جميع المرافق" ؛ واتّفق هذا مع أطماع النّصريين في سبتة وتهييئ الجو لاحتلالها، وهذا ما يظهر من عقد صلح بين غرناطة وأركون، ومما ورد فيه "وإن اتّفق أن يرجع إلى طاعتنا بلد من بلاد العدوة [المغرب] أو ناس من أهلها فيكون حكمهم في ذلك [العقد] كحكم سائر بلادنا الأندلسية" ؛ وعندما عزم النصريون سنة 705 على احتلال سبتة تمّ التنسيق بين صاحب مالقة وابن مخلص قائد قصبة سبتة الذي كانت علاقته ـ فيما ذُكر ـ متوتّرة مع الأمير العزفي، فتمّ احتلال المدينة ونفي العزفيون إلى غرناطة. كانت هذه السياسة النصرية المعادية للمرينيين تدخل أيضاً في إطار الضغط عليهم لفك حصارهم الطويل على تلمسان الحليفة التقليدية، وهو حصار ابتدأ منذ سنة 698 ولم ينته إلا باغتيال السلطان يوسف سنة 706. وأضاف النصريون إلى احتلال سبتة إنزالهم بشمال المغرب أحد المنافسين على العرش من العائلة المرينية الحاكمة وهو عثمان ابن أبي العلاء فانتشرت عملياته في الريف من تازة إلى منطقة القصر الكبير إلى أن هزم سنة 608 فعاد أدراجه إلى الأندلس لينصب شيخاً "للغزاة" المغاربة بالأندلس ؛ وفكّن المرينيون في السنة اللاحقة من استرجاع مدينة سبتة إلى نفوذهم المباشر.

أمّا بنو العزفي المنفيون بالأندلس فقد عادوا إلى فاس، ثم منحهم السلطان أبو سعيد إمارة سبتة مرّة أخرى سنة 714 في شخص الأمير أبي عمر يحيى، ذكر ابن أبي زرع أنّ السلطان أبا سعيد : "ولّى القائد يحيى بن الفقيه أبي طالب العزفي مدينة سبتة، وفوّض إليه في جميع أمورها، وعقد له على أسطولها". ثم خلفه ابنه أبو القاسم محمد عند وفاته سنة 719، قال ابن الخطيب "انتهت إليه رئاسة سلفه ... ثم كلح له الدّهر بعدما تبسّم ... [وذلك بسبب] ما كان من تغلّب ابن عمّه، واستقرّ بهذه البلاد [الأندلس] نائي الدّار.. وإن كان نبيه المكانة والمقدار..".

ويظهر ابن عمّه الذي خلعه من الإمارة هو أحمد بن أبي طالب الذي وردت ترجمته عند ابن الخطيب حيث أورد ضمنها عبارة "وخطب لنفسه"، فلا نجد في هذه الترجمة غير هذه العبارة الدّالة على نشاط سياسي معيّن، فقد يكون هذا آخر أمراء سبتة من العزفيين حيث ألغى السلطان أبو سعيد نظام الإمارة فيها سنة 728، وعيّن عليها ولاة من قبله كسائر ولايات المدن الأخرى.

وهكذا يمكن القول إن مكانة سبتة الجغرافية والاستراتيجية وأهميتها الاقتصادية ووجود طبقة هامّة من رجال العلم بها وبعض الأسر الشهيرة أعطتها مكانة متميّزة من بين المدن المغربية، فتمتّعت بنوع خاصّ من الحكم في ظل العزفيين استقرّ بشكل عام خلال النصف الثاني من القرن السابع خاصة في ظلّ أبي القاسم، ثم اضطربت أحوالها في العقود الثلاثة الأولى من القرن الثامن فانتهت بذلك تجربة للحكم "الذاتي". غير أن أهميّة المدينة استراتيجياً وتجارياً كما ذكرنا جعلتها عند تدهور السلطة المركزية المغربية وتزايد نفوذ القوى الأيبيرية عرضة للاحتلال ابتداء من سنة 818 / 1415 ومازالت تنتظر خلاصها من هذا الاحتلال.

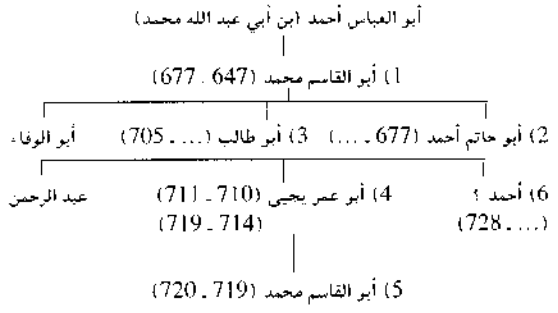

شجرة نسب الأمراء العزفيين

ابن أبي زرع، *القرطاس*، 311 ـ 312، 330 ـ 334، ط. 1973 ؛ ابن خلدون، *العبر*، 7 : 383 ـ 385، 389 ـ 418، 419 ـ 473، 474، ط. بيروت، 1968 ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة*، 1 : 278 ـ 284، 2 : 11 ـ 17، ط. القاهرة، 1973 ـ 1974 ؛ المقري، *أزهار الرياض*، 2 : 374 ـ 378، ط. 1978 ؛ أ. عزاوي، *الغرب الإسلامي من خلال رسائله* ؛ أحمد التوفيق، مقدمة كتاب، *دعامة اليقين في زعامة المتّقين*، لأبي العباس العزفي، ط. الرباط، 1989 ؛ م. الحبيب الهيلة، مقدمة كتاب، *رسائل ديوانية من سبتة في العهد العزفي*، الرباط، 1979.

أحمد عزاوي

العزيب كلمة تعني السكنى الثانوية التي تُخصص لرعاة الدشور سواء بالمناطق المنخفضة المجاورة (الازغار) أو بالمناطق الجبلية المرتفعة، أي بالمراعي العليا أو المنتجعات الجبلية (ألْمُو ـ تيشكا). ذلك أنه يحدث أن عناصر أو أفراداً من الدوار أو الدشر "يعزبون" بقطعان مواشيهم أو لحراسة مزروعاتهم وتكوين عزبان، في حين يبقى كبار العائلات بالدواوير أو الدشور حيث توجد السكنى الرئيسية. ونجد عند سكان الدير بالمغرب نوعين من العزيب أحدهما بالجبل (أدرار) والآخر بالسهل (أزغار). وتكمن مهمة العزيبين في إيواء الرعاة والماشية خلال فترات الانتجاع الفصلي، بحيث تكون هناك في فصل الشتاء حركة نُجعة نازلة نحو العزيب السهلي، وخلال فصل الصيف تكون هناك حركة نجعة صاعدة نحو العزيب الجبلي. ويكون العزيب بالجبل كما هو الحال بالأطلس الكبير الأوسط أحياناً عبارة عن مغارة أو كهف طبيعيين أو يتم حفرهما تحت طبقة صخرية صلبة (انظر الصور). ويكون الحفر في الطبقات الصخرية الهشة السفلى وفي عدة مواضع لتكوين مجالات كافية لإيواء قطعان الماشية. ويتم إغلاق هذه المغارات والكهوف بجدران من الحجارة. وعند المخارج تُشيَّد أكواخ من حصائر القصب. أحسن مثال على ذلك عزيب إمَرْغَانْ ببلاد الحلا حيث يقضي الرعاة فصل الشتاء (انظر الصور).

وأحياناً أخرى يكون العزيب عبارة عن خيام كبيرة، حيث تُرسل الماشية إلى المراتع مصحوبة بالعَزّابة إما نحو الجبل أو نحو السهل. لكن هذه الحركات الأخيرة توقفت مع الربع الثاني من القرن (20 م) لظروف اجتماعية واقتصادية جديدة، في حين استمرت عمليات التعزيب بالمجالات الجبلية العليا وفي مناطق مُحددة وتحت مراقبة الدولة (تملك الغابة من طرف الدولة والتكلف بحمايتها).

العزيب المعزل أو العزيب المنحى

هنا نميز بين العزيب من حيث شكله ووظيفته : فالعزيب في شكله ومدلوله المولوي قريب جدا من مفهوم القُصَيْر الريفي الذي كان سائداً في أوربا بالقرون الوسطى. وهو عبارة عن مبنى يُقام بالضيعات ويُخَصَّصُ للسكن. وهو يعكس التمايز الاجتماعي إذا ما قارنا بين سكنى السيد والمساكن التي يتجمع فيها المخابرون من خماسة وخدم وبيازرة. ونجد بالارياف المغربية أنواعاً كثيرة من العزيان - القصور التي يُمكن ارجاعها إلى ثلاثة أنواع رئيسية هي :

العزيب الدادسي، العزيب الشاوي ثم العزيب الحوزي ويعتبر كل من العزيب الحوزي والعزيب الشاوي أنموذجاً للعزيب المعزل.

العزيب الشاوي

كان هذا النوع من العزيان كثير الانتشار بالخصوص بالشاوية العليا إذ كان يشكل العنصر الرئيسي في المشهد الريفي. وكان يتكون من مبنى صلب من الحجارة يُطلق عليه اسم الدار التي تخصص لسكنى الملاك العقاري. وتتميز الدار من حيث شكلها وغناها عن مساكن البيازرة المزارعين الهزيلة المكونة من "توالات" أو من أكواخ من القصب مُغطاة بالقش والطين ومتكدسة بالقرب من سكنى السيد.

العزيب الحوزي

هنا أيضاً نجد تناقضاً تاماً بين عزيب (سكنى) السيد الملاك ودوار البيازرة والخدم، بحيث سكنى الملاك عبارة عن قلعة مُحصنة بجوارها ثكنة للحراس. ثم هناك جناح مُخصص للترفيه يُدعى "المنزه". وسكنى السيد عبارة عن دارة أو قُصير ريفي، في حين سكنى البيازرة والخدم عبارة عن "توالات" وبذلك يبدو العزيب عبارة عن مَنْحى شبيه بقيلات القرون الوسطى بأوربا. وهو سكن مدروس حسب أسلوب مُسبق. والعلاقة بين السيد والمزارعين والخماسة هي علاقة تبعية اقتصادية وليست علاقة دموية. ذلك أن عملية اقتناء الملاك للأرض غالباً ما كانت موضوع اعتراض ومنازعة لأنه يتم الاستحواذ عليها باستغلال النفوذ. وأحسن مثال على ذلك عزيب بويدة للقائد الگلاوي ببلاد زمران بالحوز الشرقي. لذلك يقوم الملاك بجلب اليد العاملة الأجنبية عن المنطقة التي تم الاستحواذ على أراضيها. وذلك بهدف التقليل من مخاطر الاصطدام والنزاع مع السكان المحليين.

ومن المحتمل أن أولى العزيان مُنحتْ مع السعديين، ثم تطورت عمليات منحها مع السلاطين العلويين الأوائل، حيث وُزِّع العديد منها على الغلايين وعلى الشرفاء الأدارسة وغيرهم كالوزانيين بمقدمة تلال الريف والمصلوحيين بحوز مراكش. وقد مُنحَتْ عزيان زاوية تامصلوحت على شكل اقطاعات تمليك، حيث استغل المصلوحيون نفوذهم كزعماء دينيين فاستولوا على أراضي شاسعة بسهل الحوز، وكوّنوا عزائب جلبوا إليها مياه الري بحفر الخطارات وشق السواقي، وحظيت برعاية السلاطين (انظر الوثيقتين 1 و2). وما زالت أسماء العزيان والجنان والعزابة تمثل شاهداً. أما بمقدمة الريف فإن الوزانيين أصبح لهم في عهد المولى إسماعيل تأثير قوي بمدينة فاس ونواحيها خاصة ببلاد الحياينة شمال المدينة. وقد شكلت العزيان الممنوحة لهم بتلك المناطق حزاماً مقوماً ممتداً بين مدينتي وزان غرباً وفاس شرقاً، لكنها كانت أكثر تركزاً بالقرب من المدينتين. وكانت هذه العزائب تحتل مجالات مهمة بسهل العزب الأعلى (Le Coz, 1964). ويتوقف امتدادها المجالي جنوباً بسبب توسع الملكية الحضرية الفاسية ووجود أراضي الجيش وزاوية زرهون. كما لم تتمكن من التوسع شمالاً في بلاد جبالة أو شرقاً ببلاد زناتة.

وقد كشف Michaux-Bellaire عن خمسة أشكال من العزيان ببلاد الحياينة شمال مدينة فاس :

- يمنح السلطان الأرض ومن يستقر بها.
- يمنح السلطان الإنتاج دون الأرض.
- يمنح السلطان الضرائب دون الأرض.
- يمنح السلطان سكان الأرض التي هي مُسبقا في حوزة شريف.
- يشتري الشريف الأرض ويُسْكِنُ فيها مزارعين مأجورين.

والشكل الأول هو الأكثر مصادفة وشيوعاً، بحيث يُشير الظهير الذي يُعْطي العزيب بمقتضاه إلى الأرض، والسكان، والمنتوجات والضرائب. ويُسمى سكان العزيب عَزّابة ويُقال لهم المسلمون أو الأصحاب النازلون كما هو الحال بعزيان الشريف السيد الحاج محمد بن سعيد المصلوحي بحوز مراكش والسابقة الذكر. وعندما يموت أحد العزّابة ترجع ممتلكاته للشريف ماعدا إذا كانت له ذرية وارثون مباشرون والذين يلزمهم العمل لصالح الشريف.

وقد عرفت عزائب الشرفاء هذه تحولات تمثلت في المرور من العزيان التقليدية إلى القرى الأبعدية ثم الانتقال من نظام العزّابة المسلمين إلى نظام العزّابة المأجورين. ذلك أن الظهائر التي مُنحت بموجبها العزائب لا تتضمن عقداً فردية مع الأشخاص المسلمين مع الأرض. لذا فضل الشرفاء تأجير الأجانب عن المنطقة والذين تقل متطلباتهم بالمقارنة مع العزابة المسلمين المحليين. وفي نفس الوقت الذي أدّت فيه هذه التحولات إلى تغيير المفهوم الأول الأصلي للعزيب، فإن الشرفاء أنفسهم تدهور نفوذهم الديني. وقد أدى هذا التطور، وبكيفية واسعة، إلى تحويل العزيب إلى ملكية خاصة شبيهة بالملكية الحضرية، لأن الشرفاء يستقرون بالمدن ولا يشرفون مباشرة على استغلال أراضيهم، بل يعينون واحداً منهم لمراقبة البيازرة يُدعى "النائب".

ففي النصف الأول من القرن الرابع عشر (20 م)، تمكن التجار الحضريون بفاس من اقتناء أراضي شاسعة عديدة بمنطقة الحيانية شمال المدينة مستغلين فترات الجفاف والمجاعات من 1936 إلى 1946، ممّا أدى إلى تكوين ملكيات كبيرة جديدة شبيهة بعزائب الشرفاء العلويين والوزانيين من حيث تنظيم البيزرة، حيث طُبِّقَ مفهوم العزيب توسعاً عليها وعلى العزبان التقليدية "التاريخية". وهكذا أصبحت عدة عزبان تحمل أسماء عائلات فاسية غنية كعُزبان الحجوي، الطاهر والسلماني ... ومن الدوافع التي دفعت الحضريين الفاسيين لاقتناء هذه العزائب، الترفيه والنزهة والتسلية بالبادية. ثم إن الأرض هي أحسن مجال لإيداع المال، لأن التجارة غير محمية من التأثيرات السياسية الحربية، ومن الأزمات السلطوية والنزاعات الأهلية. لهذه الأسباب أخذت الأرض مثل تلك الأهمية في الحياة الاقتصادية للمدينة.

يعطي الملاك صاحبُ العزيب الأرض ونصف البذور وتكاليف الانتاج، في حين يعطي العزّابُ "الزوجة" والنصف الثاني من البذور وتكاليف الإنتاج. أما العمل يحسب وحده، بحيث يأخذ العزّاب خمس الانتاج قبل قسمة هذا الأخير مناصفة. هذا إذا قام العزّاب بالعمل بنفسه. أما إذا استعان بالخماس أو الخماسة، فإن الخمس يعود إليهم. هذه الشراكة حسب الخدمات المنجزة لم تكن سوى أنموذج نظري، لأنه في معظم الحالات، كانت العقد الحقيقية تُثْقِلُ العزّابة بدل أن يتم تقسيم الأعمال. ذلك أن تكاليف الانتاج والضريبة كل ذلك كان يتحمله العزابة وحدهم، لأنه في الحقيقة كانت لعُقَد العزابَة بعض الخصوصيات التي لا تظهر في شكلها القانوني، والتي تميزها عن عقد الشركات الفلاحية العادية. فهي أولا عقد قارة تميز العزابة البيازرة، وتربط هؤلاء باستمرار بالملاكين، بحيث يظل العزّابة مستقرين بنفس العزبان عند نفس الملاكين. وهم عزّابة أبناء عزّابة ظلوا يخضعون لنفس تعاقدات العزابة. فالعزابة بالنصف هم أبناء عزّابة بالنصف، والعزّابة بالثلث هم أبناء أو حفدة عزّابة بالثلث. وبذلك كانت تعاقدات العزابة تعاقدات تبعية وخضوع لا ترتكز على المساواة بين الأسياد أصحاب العزائب والعزّابة. ذلك أن عناصر التعاقد تُشير إلى امتيازات المالك ثم إلى الارتباط الفردي بينه وبين العزّاب المرتبط بالملاك ارتباطاً شبيهاً بارتباط الخماس بسيده.

وكانت العزائب بهذه المنطقة تختلف من حيث الأهمية حسب المساحة ومن حيث كتلة العمل.

وكان نظام الاستغلال بالعزبان الحوزية أكمل ما يكون، وبدون منازع، بالعزائب المولوية أو بعزائب الأسياد مثل عزيبي "بويدة" و "مرس البغال" ببلاد زمران بالحوز الشرقي واللذين كانا في حوزة باشا مراكش الگلاوي كما سبق الذكر. وذلك على الأقل على مستوى المساحة التي تميزت بالشساعة (حوالي 1200 هكتار). ونأخذ كأنموذج عزيب "بويدة". ذلك أن النظام الزراعي الذي كان معتمداً به وقتذاك هو الأسلوب الذي كان غالباً وسائداً بالعزبان الكبرى بسهل الحوز وحتى السبعينيات : مغارس زيتون على شكل صفوف متباعدة فيما بينها بعشرين متراً، زراعة حبوب أو قطاني متداخلة معها، ثم زراعات بقيلة أحيانا. كما تُمارس زراعة الحبوب حول المغروسات. وبتخوم العزيب تبقى الأرض بائرة وتُستعمل المراعي لقطعان الأغنام. وكان هذا النظام متلائما مع السلوك الاقتصادي للملاكين الأبعديين الذين كانوا يُفضلون توجيه الانتاج للاستهلاك الذاتي، لكن مستوى الرفاهية والترف المحتاج للنقود أدّى بهم إلى تغطيته عن طريق تسويق المنتوجات بالعربان (زيُوت، أغنام، وعن طريق "الفريدة" والضريبة.

لكن هذا النظام تحول إلى نظام التأجير والمخابرة بالنصف بدل السخرة والخماسة سنة 1956. وابتداء من هذا التاريخ عرفت العزبان بصفة عامة تحولات عميقة، وأحياناً عنيفة أدت إلى تعثرها وضعفها. ومن أسباب ذلك : الصعوبات الاقتصادية الناتجة عن توسع الاقتصاد النقدي، وارتفاع تكاليف الحياة، والضغط الضريبي، والنمو الديمغرافي، مما أدى إلى تقسيم وتفتيت العزائب بفعل الإرث ماعدا العزبان التي تم حبسها مثل عزيب عرفة بضواحي فاس. أضف إلى ذلك مصادرة الدولة لبعض العزفان مثل عزفان القواد. وفي هذا الصدد نذكر عزيبي بويدة ومرس البغال اللذين اسْتُرْجِعَا إلى ملك الدولة وتم توزيعهما على صغار الفلاحين.

G. Couvreur, *La vie pastorale dans le Haut Atlas central. R.G.M., N° 13*, Rabat, 1968 ; G. Lazarev, *Structures agraires et grandes propriétés en pays Hayaïna (Prérif). R.G.M., N° 9*, Rabat, 1966 ; *Les concessions foncières au Maroc* ; J. Berque, *Etude d'histoire rurale maghrébine*, Edit. internationale, Tanger - Fès, 1938 ; J. Flouriot, *L'oléiculture dans la région de Marrakech. R.G.M., N° 9*, Rabat, 1966 ; J. Le Coz, *Fallahs et colons*, T. 1, 1964 ; N. Bouderbala, M. Chraïbi et P. Pascon, *La question agraire au Maroc. Bul. écon. et soci. du Maroc* ; M. Bellaire, *Les tribus arabes de la vallée de Lokkos. Arch. Maroc*, T.V., 1905 ; P. Pascon, *Types d'habitat et problèmes d'aménagement du territoire au Maroc, R.G.M., N° 13*, Rabat, 1968 ; *Théorie générale de la distribution des eaux et de l'occupation des terres dans le Haouz de Marrakech. R.G.M., N° 18*, Rabat, 1970 ; *Le Haouz de Marrakech*, Tome 1 et 2, CURS, CNRS et INAV, Rabat, 1983.

أحمد زروال

عزيب علال وقدور، قرية تقع بفرقة أجراوا من قبيلة بني سيدال إقليم الناظور جرت به يوم 28 جمادى الأولى 1330 (15 ماي 1912) آخر معركة ضد الجيش الاسباني الغازي خاضها البطل رئيس المقاومة المسلحة بالشمال الشرقي الشريف سيدي امحمد امزيان حيث استشهد رحمه الله بعد أن خاض 275 معركة ضد الجيش الغازي، كما استشهد في نفس المعركة 250 من المجاهدين ظلت جثثهم الطاهرة بيد الإسبان.

وجاء في البرقية التي وجهها الحاكم العام الاسباني بمدينة

مليلية السليبة الجنرال كارثيا الدافي إلى وزير دفاع بلاده في نفس اليوم : "في هذه اللحظة قدموا علي إلى هذا المركز (بتوريرت حامد) مصحوبين بجثة مغربي يشهد الجميع أنها جثة أمزيان وقد أمرت بنقلها إلى ازغانغان للتأكد من ذلك".

أعمال ندوة الشريف أمزيان في الشمال الشرقي (1919 - 1912) تطاون، 1996.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **عزيزة**، الشيخ أبو علي منصور، عُرف بابْن عَزِيزَةَ. أحد صلحاء مدينة فاس ـ أو نواحيها ـ خلال القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلاد. لم نعثر له على ذكر فيما رجعنا إليه من مصادر، باستثناء ترجمة مقتضبة أوردها له محمد التميمي (المتوفى سنة 603 أو 604 / 1207 - 1208) في كتابه *المستفاد*، ويقول عنه إنه "كان شيخاً منزوياً في بيته لا يخرج منه ولا يتصرف، مشتغلاً بحاله، مقبلاً على ما يعنيه، غافلاً عما فيه الناس". إلا أن سكان فاس كانوا مختلفين حول حقيقته، فمنهم من كان يعتبره "ولياً" ومنهم من كان يقول إنه "أحمق". وعلى الرغم من غموض مكانته داخل الوسط الصوفي بفاس فإن الشيخ ابن عزيزة كان يُزار ويجتمع به الأصحاب في منزله، مما يؤشر على أهميته داخل ذلك الوسط.

وقد طرز التميمي ترجمة هذا الشيخ ببعض الحكايات التي تدل على أن الرجل كان "صاحب مكاشفات وفراسة حادة".

م. التميمي، *المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد*، مخطوط خاص، ورقه 44 - 45.

محمد الشريف

العزيزي، أحمد بن علال قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلة بني گرفط انظر إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يرأسها الشريف مولاي أحمد الريسوني وقد شارك في مؤتمرات الثورة المنعقدة.

- بسبدي يسف التليدي يوم 7 ماي 1913
- عين الدالية يوم 11 من نفس الشهر
- ضريح مولاي عبد السلام بن مشيش يوم 20 يوليوز 1913
- قرية الزوة بقبيلة جبل حبيب يوم 11 يناير 1915 وشارك في 17 معركة.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب*، الرباط، 1981.

العَسْري، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Alaçari، ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Lasry. منهم : محمد بن عبد الله فقيه زاول خطة العدالة سنة 1293 (1876).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1202.

محمد ابن عزوز حكيم

العسري، أحمد قائد حدود سبتة المقيم بقلعة الدار البيضاء، أو سيرايو Serrallo مثلما يسميها الإسبان وقد عرفنا بها بهذه العلمة. تم تعيينه بتلك المهمة قبل سنة 1844، عاصر القائد أحمد الضغوط الإسبانية على مخزن السلطان المولى عبد الرحمن الرامية إلى توسيع حدود سبتة. فكان من ذلك حضور عملية رسم الحدود في مرحلتها قبل النهائية، بدءا من المعاينة الأولى ووضع العلامات إلى التوثيق ورسم الحدود.

توصل أحمد العسري بخبر تنفيذ قرار تعيين الحدود على يد عامل طنجة بوسلهام بن علي في 9 شعبان 1260 / 24 غشت 1844. فكان من ذلك أن توجه الوفد للمعاينة ورسم الحدود بحضور قنصل بريطانيا دريموند هي (الصغير) وقنصل إسبانيا أنطونيو بيراميندي وحاكم سبتة ومتولي قبيلة أنجرة الشيخ محمد بن الطيب قنجاع وقائد الحدود أحمد العسري.

وقد حرص الإسبان هذه المرة على إثبات الحدود بالعلامات القارة، وتعيينها بالسوتري والأعمدة بحضور قنصل بريطانيا دريموند هي (الصغير) وقنصل إسبانيا أنطونيو بيراميندي وحاكم سبتة ومتولي قبيلة أنجرة الشيخ محمد بن الطيب قنجاع وقائد عسة سبتة المقيم بها أحمد العسري. وقد بين لنا صاحب العلائق السياسية أهم نقط الحدود التي وضعت بها العلامات المذكورة. ويلخص مضمون الاتفاق على الشكل التالي :

- لسبتة كل ما كان يعرف بالجزيرة المعرف بها سابقا. ويرسم الحدود امتداد واد فاس واتصاله بخندق العرائش المعروف عند الإسبان باسم تالانكيرا Talanquera.
- وللمغاربة كل ما في الجهة الغربية التي تبتدئ من الضفة اليسرى من مجرى واد فاس وخندق العرائش في اتجاه ظهر غمارة أو جبل بنيونش.

وقد وضع الوسيط الإنجليزي دريموند هاي مؤقتا علامات بين الحدين من النوع الذي وضع بين الخندقين من الحجر عند منبع عين علي. وقد وجد الحل المناسب لاستغلال ماء عين علي الواقعة على خط الحد بين الإسبان والمغاربة في إطلاق حرية انتفاع الطرفين المغربي والإسباني. ويتركز الانتفاع أساسا على توفير الماء للماشية.

وقد تابع أحمد العسري ما تلا ذلك من توثيق عملية التحديد بتاريخ 3 رمضان 1260 / 7 أكتوبر 1844، ويمكن الاطلاع على قائمة الحاضرين في رسم الحدود المسجل بقلم أربعة موثقين مغاربة وحضور كل من قام بالمعاينة.

وقد شارك أحمد العسري أيضاً حسب مراسلة 22 رمضان عام 1260 / 26 أكتوبر 1844 في اختيار موضع الحراسة الجديد المحول من موضعها بغرب قصبة أفراك بوضعها على طرفي الحدود الفاصلة بين الجانبين، الفاصل بينهما واد فاس. وبذلك وقع الاختيار على المكان المعروف سابقا برباط الجويع المعرف به في هذه المعلمة. وتم هذا التحديد بحضور عبد القادر برناط مع عدل آخر.

ع. الرحمن بن زيدان، أرشيف مديرية الوثائق الملكية، *العلاقات السياسية*، الرباط، 2002 ؛ ح. الفكيكي، *سبتة المحتلة*، ذروة وعينا الوطني، المطبعة الملكية، الرباط، 2003 ؛ خ. بنصغير، *المغرب في الأرشيف البريطاني*، الدار البيضاء، 1992.

حسن الفگيگي

العسري، حمّو بن يحيى (الوزير ـ القائد المريني) كنيته أبو معرّف وسمي أحيانا محمد بن يحياتي العسري وأضاف صاحب *روضة النسرين* "الأوْربي" وجعله من وزراء أبي الحسن متفقا في ذلك مع ابن مرزوق. خدم السلطان أبا سعيد عثمان ثم أبا الحسن، وصفه أبو مرزوق بالوزير الأشهر الشهم، استعمل في الولاية فبان ظلمه وجوره، فأعيد إلى خدمة السلطان بالقصر، وسماه أبو الحسن وزيراً بعد نجاحه في القبض على الأمير الحفص أبي حفص وقتله عند فراره من تونس إلى نواحي قابس وذلك سنة 748 عندما كان أبو الحسن في طريقه من بجاية إلى مدينة تونس. وعندما حلت الكارثة البحرية بأسطول أبي الحسن كان الوزير القائد حمّو بمدينة الجزائر فلجأ إليه أبو الحسن ليدعمه ضد مناوئيه وهذا فيما بين أواخر سنة 750 وأواسط سنة 751. ويبدو أن هذا القائد ظل متمسكا بطاعة أبي الحسن ضد ابنه أبي عنان وهذا ما يفسر موته في عهده فقيراً مهملاً.

ابن مرزوق، *المسند الصحيح الحسن*، ص. 365 ـ 306 ؛ ابن خلدون، *العبر*، 7 - 248، 559، 561 ؛ ابن الأحمر، *روضة النسرين*، ص. 26.

العسري، عبد الله بن يعقوب، من شخصيات سلا المرموقة، ومن كبار رياس أسطول سيدي محمد بن عبد الله، ولقب بأمير البحر، والقائد العام لجميع الثغور منذ سنة 1177 / 1763 قبل إسناد المنصب إلى الرايس الهاشمي عواد السلاوي. وقد انخرط في سلك البحرية تأثرا بوالده العياشي العسري، وكان في سنة 1185 / 1771 يقود سفينة جهادية مجهزة بثمانية عشر مدفعا وتحت إمرته طاقم مؤلف من ثمانين رجلا.

وقد كان في سنة 1198 / 1784، مكلفا بمهمة توزيع إنعام السلطان على الرياس السلاويين. وقد داوم على العمل في الأسطول المحمدي، قائما في شوال 1203 / 1789 بالتوجه إلى العرائش بأمر من السلطان، قصد حمل "القراريط" إلى الصويرة، قبل انتقاله في مهمة إلى جزر الخالدات. ويبدو أن مهمته هاته كانت قصيرة، حيث شارك بعد ذلك في الوفد الموجه إلى السلطان العثماني تحت إشراف السفير الحاج المكي برگاش، والذي عاد إلى سلا في ذي القعدة من السنة الموالية على متن إحدى السفن الأوروبية. واستمر في نشاطه البحري خلال عهد مولاي سليمان، الأمر الذي جعله يمتلك ثروة واسعة، ويدرج ضمن كبار أعيان سلا، حيث يذكره الضعيف ضمن وفدها الذي رافق القائد محمد بن العربي البخاري أواخر سنة 1210 / 1796 لزيارة مولاي سليمان بمكناس.

الضعيف، ص. 195، 96، 218، 272 ؛ العسري، *كناش*، ص. 38 ؛ مجهول، *الرئاسة*، ص. 3 : 18، 47 ؛ وابن زيدان، *إتحاف*، ج 3، ص. 306.

Chenier, Journal, p. 117 - 118.

حسن أميلي

العسري، علي بن أحمد، ولد الشهيد العسري علي ابن أحمد سنة 1909 بدوار سيدي عبد الرحمان، آفناسة، ظهر السوق، إقليم تاونات.

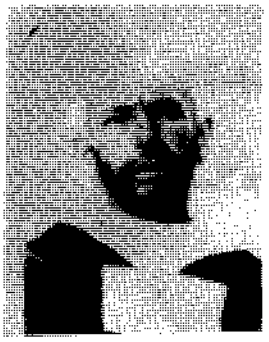

انخرط في صفوف جيش التحرير، وحمل السلاح ضمن الوحدة التي كانت تحت مسؤولية حمادي اغمير والعثماني. كان عنصراً نشيطاً في عمله الفدائي حيث ساعد أبناء الوطن للالتحاق بمراكز جيش التحرير ودعم صفوف المجاهدين، كما كان أيضاً ينفذ الأعمال التخريبية ضد مصالح المعمر بالمنطقة، كقطع الأسلاك الهاتفية، وتدمير القناطر بين ظهر السوق وبني وليد، بالإضافة إلى توزيع المناشير لتوعية الجماهير.

وظل في نضاله إلى أن ألقي عليه القبض ثم اعدم من سلطات الاستعمار يوم 14 دجنبر 1955 بسيدي عبد الرحمان.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 524837.

العسري، العياشي بن الحاج محمد بن عباد، ينتمي إلى قرية أمكادي بقبيلة آل سريف شمال القصر الكبير حوالي عام 1290 / 1873. حفظ القرآن ثم أخذ مبادئ العلوم بالقبائل الجبلية، وتتلمذ لأشهر شيوخ المنطقة الفقيه ابن يرمق بقبيلة سماتة. ثم توجه نحو فاس لاستكمال دراسته فأخذ

عن عدد من جلة علمائها. وبعد عودته من فاس سكن بمدينة العرائش متعاطيا للعدالة والتدريس، وكان بجانب ذلك يفتي في المسائل الشرعية وعرف في كل ذلك بالإتقان والضبط، لذلك لم يلبث أن رشحته الحكومة الخليفية لمنصب القضاء بالعرائش فتولاه مدة، ثم انتقل إلى قضاء مدينة القصر الكبير لمدة أخرى، وعلى إثر تعيين الحاج محمد أفيلال التطواني وزيراً للعدل بالحكومة الخليفية استدعي الفقيه العياشي العسري إلى مدينة تطوان حيث عين مستشاراً أولاً بمجلس الاستئناف.

كان المترجم متضلعا في الفقه المالكي خاصة فقه المعاملات والقضاء، مع التدين والورع وحسن السمت ومراعاة جانب الشريعة وآدابها.

توفي عام 1361 / 1942.

أ. المرتجي السوسي، *تقييد حول أعلام القصر الكبير*، مخطوط خاص.

محمد المغراوي

العسري، محمد بن أحمد، ابن قائد عسة حدود سبتة سابق الترجمة. أمين بديوانة مليلة التي أنشئت حسب اتفاق 31 يوليو 1866، وعين بها محمد الغسال وعبد الكريم الرزيني أمينين بتاريخ 5 صفر 1284 / 8 يونيو 1867، ثم استبدلا بتاريخ 23 رمضان 1295 / 20 شتمبر 1878 بتعيين عبد السلام أحمد البنيئو التطواني وعبد السلام بن عبد الكريم أحرضان. وفي هذه السنة ظهر محمد بن أحمد العسري لأول مرة بصفته أمينا بمرسى مليلة الذي يعني الديوانة، دون أن نعلم بمصير السابقين له.

ومنذ ذلك توالت المراسلات المتبادلة بينه وبين محمد بركاش بطنجة على عهد السلطانين محمد بن عبد الرحمن والمولى الحسن بعده تخص المهام المنوطة بالأمين، فيما يتعلق بمراقبة مراسي الريف لمكافحة التهريب، والإخبار بمشاكل الحدود مع مليلة، وإرسال تقارير عن وفر الديوانة، مثلما كان مكلفا بتلقي وإرسال التموين لعسكر قصبة جنادة بفرخانة. كما أن السلطان المولى الحسن أمره بفسخ عقدة استغلال حديد جبل الحمام المبرمة بين بعض أهل الريف الغربي وتاجر فرنسي. بقي محمد بن أحمد العسري بنفس المهمة إلى أن أعلن عن وفاته يوم 3 ربيع الأول عام 1304 / 30 نوفمبر 1886.

أرشيف مديرية الوثائق الملكية والخزانة الحسنية، *كناش الخزانة الحسنية*، *معلمة المغرب*.

حسن الفگيگي

بن عَسُّو، المولودي من مواليد قبيلة السماعلة إقليم خريبگة سنة 1932 من أبويه عبد السلام بن المعطي وزهرة بنت بوعزة السليماني، عرف منذ شبابه بالاستقامة ونقاوة الضمير ورباطة الجأش، ولما قامت قوات الاستعمار الغاشم بالاعتداء على السيادة المغربية اختار الشهيد الكفاح المسلح صحبة مجموعة من المقاومين الشباب بعزيمة وإرادة ووطنية.

شارك في ثورة 20 غشت 1955 وأبلى البلاء الحسن أثناء هذه الانتفاضة التي استشهد خلالها برصاص المستعمر بأولاد فنان أسكنه الله فسيح جناته.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 524502.

العسّولي (القائد الجيلالي بن عمر) (1874 ـ 1886)، من شرفاء أولاد سيدي رحال دفين زمران، أصبح قائدا على إخوانه هؤلاء في صدر عهد السلطان المولى الحسن الذي ضاعف عدد العمالات في البلاد لزيارة تكثيف الحضور المخزني بها، وهذا بعد أن كانت أمور هؤلاء موكولة إلى مزوار فقط ثم إلى نظر القائد عمر المصباحي الزمراني الذي استعصى عليه أمرهم لجسارتهم التي استغلوا فيها شرفهم وتوفير المخزن لهم ؛ مما جعل السلطان يعين عليهم قائدا منهم هو العسولي هذا، الذي رفضه أعيان إيالته في مطلع تنصيبه، متبعين في ذلك إغراءات أحدهم وتحريضه هو العربي التباعي، لكن الجو ما لبث أن صفا لهذا القائد، فبنى لنفسه قصبة فخمة وسط إخوانه العساسلة جنوب القلعة، وهم ساكنو زرائب ونوالات أصلا، فجعل مرافقها متعددة من سكنى عيال وخدم، إضافة إلى مسجد ومدرسة ثم صلاح اليهود وفجر عينا مائية حملت اسمه، سقى منها جناته ومحارثه. واتسعت بذلك ثروة هذا القائد في الحرث والنسل، وعظم جاهه لدى المخزن بحسن الخدمة في توجيه عسكر الإيالة وضبط أمن الطريق بين مراكش وفاس، والإشراف على مزارع المخزن بالقلعة وقلالت ثم المشاركة في الحركات المخزنية، إلا أن استقامة الأحوال التي لم تدم طويلا حيث قام على هذا القائد أحد الناكثين يدعى عامر الرحالي، وذلك بتحريض من بعض قواد الجوار كأحمد بن الطيب بالقلعة، سنة 1301 / 1883 ولم تهدأ الأحوال إلا بشد أزر هذا القائد من طرف المخزن الذي بادر إلى تقسيم إيالته بينه وبين آل بن فائدة، وذلك بقصد التخفيف من أعبائه، وهو المعروف بصلاحه وثناء المخزن عليه، فلما توفي عام 1886، خلفه ابنه محمد في منصبه.

ح. شوقي، *قبيلة زمران خلال القرن التاسع عشر*، (1822 ـ 1912)، ج. 1، الرباط، 2001، ص. 271 ؛ كناش الخزانة الحسنية رقم 348.

J.L. Miège, *Le Maroc et l'Europe (1830 - 1894)*, Paris, 1961, t. IV, p. 132.

الحسن شوقي

عسكر، إذا بحثنا في المعاجم والقواميس عن تعريف مصطلح عسكر، فإننا نقف على شروح وبيانات مفيدة ومفصلة لمعانيه المختلفة. فصاحب لسان العرب، مثلا، يعتبر أن اللفظة فارسية الأصل، استُعملت للدلالة على الجمع والمفرد معا، كما تُجْمَع على عساكر. ثم يُضيف، مستشهداً بابن الأعرابي، أن العسكر هو الكثير من كل شيء، إذ يُقال عسكر من الرجال، كما يُقال عسكر من الخيل أو الكلاب مثلا. وبعد ذلك، يخلص إلى المعنى الذي يهمنا هنا وهو العسكر، فَيُقال عَسْكَر الرَّجل فهو معسكر، والموضع مُعَسْكَر ...

وبما أن اللفظة فارسية الأصل، فلاشك أنها دخلت القاموس العربي مُنْذُ وقت مُبَكِّر، بعد أن اكتملت معالم الدولة العربية الإسلامية ونُظُمُها، أيّام دولة بني أُمَيّة، علماً بأن مؤسسة الجيش كانت تُعَدُّ من الدعائم الأساسية في نَشْأة وتطور ومآل الدول بصفة عامة، وضمنها طبعا، الدولة العربية الإسلامية، والمغرب بصفة خاصة. ونَقْصِدُ بهذا الدور الحاسم الذي كانت تضطلع به هذه القوات العسكرية في شان الدول التي تعاقبت على الحكم في المغرب، وضمان استمراريتها، واتساع رُقعة نُفوذها أو ضمورها واندراس معالمها. على أن طبيعة تكوين هذه القُوات، وأُصُولها، ومَشَارِبَها الاجتماعية والثقافية، وكذا مُستوى تكوين وتدريب رجالها وتسليحهم، ونظام ضبط أمورهم والتحكم فيها، سَواءٌ وَقْتَ السِّلم، أو في ميادين الوَغَى، كُلُّها عناصر ومُؤشِّرات كانت تختلف، طبعا، من قُطر إلى آخر، وتَعْكِسُ المُستوى الحربي والتقني والمادّي والثقافي للمُجتمع والكيّان السياسي اللَّذَيْن تَنْتَمي إليهما وتُؤْتَمَرُ بأوامرهما.

وفي هذا الصدد، كَتب الباحث البولوني دزيوبنسي، سياق الحديث عن بُنَى وخصائص الجيش في عهد الدولة السعدية، وبالخصوص عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي (980 ـ 1012 / 1578 ـ 1603)، ما يلي :

"... إن جميع الدول المتعاقبة على الحكم (بالمغرب)، قد ظفرت بالسلطة عن طريق الغزو والاحتلال، وهو الأمر الذي بَوَّأَ المؤسسة العسكرية مكانة متميزة في جهاز الدولة، إلى حدّ صارت معه عنصراً أساسيا في تسيير شؤون البلاد. ثم إن التنظيمات الداخلية للبلاد، كانت لا تميّز الإدارة العسكرية والإدارة المدنية...".

وكانت هذه القُوات، في مرحلة النشأة والتأسيس على الخصوص، تتكون من زبناء عصبيتها ومجالها الجغرافي، ومن أبناء القبائل المُوالية لها أو التي تغلبت بالسيف والقوة، وأجبرتها على الخضوع والإذعان والسير في ركبها. وفي مرحلة موالية، أي في مرحلة المَدّ والتوسع، يَتمُّ تجنيد أبناء البلاد المفتوحة، وإدماجُهم في تنظيمات الجيش المختلفة، وبخاصة التنظيمات العسكرية المسؤولة عن أمن وخدمة العاهل وحاشيته. فكان منهم الصقالبة، والعلوج، والعبيد السود، والأغزاز... وهذا ما نستشف جانبا منه في كلام صاحب "الأنيس المُطرب بروض القرطاس..."، حول انتشار دعوة المرابطين بالمغرب، وهو يقول :

"... ولما كان في سنة سبعين وأربعمائة، شرع في تجديد العساكر ووفورها، وبعث إلى الصحراء : للمتونة، ومسّوفة، وجدالة وغيرهم، يعلمهم بما فتح الله عليه من ملك المغرب وطاعة أهله، ويؤكد عليهم في القدوم إليه، فوفد عليه منهم جموعٌ كثيرة... وضمَّ من جزولة، ولمطة، ومصمودة، وقبائل زنّاتة جموعاً كثيرة، وسماهم بالحشم، وضم طائفة أخرى من أعلاجه، وأهل داخلته وحاشيته، فصاروا جموعاً كثيرة، وسمّاهم الدّاخليين...".

على أنّنا نعتقد أن القصد من استعمال لفظة عسكر، على الأقل في عدد من الحالات، هو هذه القوات الأكثر ضبطا وتنظيما وتكوينا من غيرها والتي كانت تختص بحماية وخدمة العاهل الحاكم، كما نلمس ذلك ممّا كتبه صاحب "المعجب في تلخيص أخبار المغرب"، في سياق حديثه عن العناية الفائقة التي كان يوليها الخليفة الموحدي عبد المومن بن علي (524 ـ 558 / 1130 ـ 1163) للجيش بصفة عامة، حيث قال :

"... فلما كان بعد يومين أو ثلاثة، أمر بعرض العسكر آخذي أسلحتهم، وجلس في مكان مطلّ، وجعلت العسكر تمر عليه قبيلةً بعد قبيلة، وكتيبة إثر كتيبة، لا تمر كتيبة إلاّ والتي بعدها أحسن منها، جودة سلاح، وفراهة خيل، وظهور قوة...".

ونقرأ في أحد السجلات المحفوظة في الخزانة الحسنية ما يلي :

"... الدول المغربية السعيدة كانت في القديم تسمّي القائمين بشؤونهم (هكذا) حضراً وسفراً بالجنود العسكرية، ذات القوة والعصبية، إلى أن ظهرت الدولة الحالية العلوية الحسنية ...".

وأشار إلى هذا الجانب السلطان العلوي مولاي الحسن (1290 ـ 1311 / 1873 ـ 1894)، في رسالة دورية ضمّنها أوامره إلى شيوخ وقواد القبائل بتعيين عدد من إخوانهم الصحاح للعمل في الجندية، مذكراً إياهم بأنه قد "بلغ العسكر البخاري على عهد الجد الأقعد مولانا إسماعيل طيّب الله ثراه مائة وخمسين ألفا، ثمانون ألفا مفرقة في قلع المغرب لأنها ست وسبعون قلعة، وسبعون ألفا بالمحلة، والعساكر كلها سوادها الأعظم ومتفرقها مُدونة في دفتره. وبلغ عسكر لمتونة إثنا عشر ألفا من الرجال، ولقوتهم على ذلك العهد، أوقع بهم اللمتوني وقعة الزلاّقة. وبلغ عسكر

الموحدين الذين دخلوا الأندلس خمسين ألفا من الخيل والرجال، أوقع بهم الموحدي وقعة الأرك...".

سيراً على مفهوم وتصور العسكريين بالمغرب للعملية الحربية برمّتها، كما كان الأمر عليه أيام العرب ومن شابههم من الأمم والشعوب، بمعنى أن طريقة المغاربة الحربية قد ظلت تعتمد على تاكتيك الكرّ والفرّ، وبالتالي ترجيح كفة سلاح الفروسية على باقي التنظيمات القتالية الأخرى. ولابن خلدون، كما هو معلوم، في هذا الشأن، آراء وملاحظات ساقها في عدّة مواضع من "مُقدمته". على أن ظهور السلاح الناري بالمغرب، في الربُع الأخير من القرن الثالث عشر الميلادي، وبالضبط أيام السلطان المريني يعقوب المنصور (656 ـ 685 / 1258 ـ 1286)، قد أدّى إلى تغيير نسبي في المعادلة التي ظلت تنبني عليها تركيبة الجيش المغربي وفرقه. وهكذا، صارت "جيوش النار"، و"عساكر النار"، و"عساكر الأسنة"، تتبوّأ مكانة خاصة ومتميّزة في مؤسسة الجيش، ويُعَوَّل عليها في اقتحام مواقع الخصم وجبره على الاستسلام.

بيد أن انتشار وتنوع استعمال السلاح الناري، من أنفاض، و"بوازات"، ومهاريس، وبنادق قصيرة ( )، إلى غيرها من أفواه النار، لم يتم على نطاق واسع في صفوف الجيش ومن كان ينضمُّ إليه من حُراك ومُتطوعة القبائل على عهد السعديين، وبالخصوص أيام السلطانيين عبد المالك السعدي (984 ـ 986 / 1576 ـ 1578) وأخيه وخلفه أحمد المنصور الذهبي. وذلك لأسباب متعددة ومختلفة، منها ما هو راجع إلى الجمود والشلل اللذين أصابا بُنى البلاد السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية، بعد بارقة وادي المخازن سنة 1578، ومنها ما هو مرتبط بالتطورات والإنجازات التقنية والمادية التي عرفتها المجتمعات في أوربا الغربية على الخصوص.

ثم ماذا عن العناصر البشرية والتنظيمات العسكرية التي كان يتشكل منها الجيش المغربي في القرن التاسع عشر على الخصوص ؟

للإجابة عن هذا السؤال، لابُد من الإشارة، أولا، إلى أن لجوء المخزن إلى قبائل معينة، وإعفاءها من أداء الضرائب غير الشرعية، وماشابهها من الكلف والمغارم، ومنح رجالها أراضي فلاحية يستغلونها لحسابهم مقابل الخدمة في الجُندية مدى الحياة، لتعدُّ ظاهرة متميّزة وعريقة في تاريخ المغرب، ترجع على الأقل إلى عهد الخليفة الموحدي يعقوب المنصور (580 ـ 599 / 1184 ـ 1199)، حين أقدم على ترحيل قبائل بني هلال العربية، وأسكنهم في منطقة الغرب، متخذاً منهم جيشا في خدمة الدولة.

بيد أن هذه المجموعات القبلية، وهي التي دُعيت فيما بعد بـ "قبائل الگيش"، لم تندمج نهائيا في مؤسسة الجيش، ولم تحتل مكانة مرموقة في دواليبها إلا مع السعديين، بالرغم من كون هؤلاء لم يعتمدوا عليها وحدها، حيث عملوا على تأسيس جيش نظامي تطعّم صفوفه بعناصر محلية وأجنبية.

ومع تولي الدولة العلوية مقاليد الحكم بالبلاد، ازدادت أهمية هذه المجموعات القبلية في قطاع الجيش وفي المجتمع، واستكملت عدد من فُرقه تشكيلتها التقليدية والنهائية، وذلك بعد أن تمّ إدماج أشراگة وأولاد جامع، والأوداية، والشّراردة في صفوفها، على امتداد قرنين من الزمن بالتقريب، بدءاً من عهد مولاي الرشيد (1075 ـ 1083 / 1664 ـ 1672)، وانتهاءً بعهد مولاي عبد الرحمن بن هشام (1238 ـ 1276 / 1866 ـ 1859).

إلى جانب قبائل الگيش هذه، تأسيس نواة عسكرية جديدة، على إثر وقعة إيسلي سنة 1844، دُعيَت بـ "جيش النظام"، أو "عسكر النظام"، يمتهن أفراده بكيفية دائمة الجندية ويتكون معظمهم في سلاَخي المدفعية (تاطبجيت) أو الرّماية. ويبدو، أنه منذ هذا التاريخ، صارت لفضة عسكر تطلقَ على أفراد هذا التنظيم الجديد دون غيره من فُرق الجيش المغربي الأخرى.

وهذا ما نتبيّنُهُ مما كتبه المؤرخ عبد الرحمن بن زيدان، مستعرضاً منجزات السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام السابق الذكر، حيث قال :

"... وفيها (أي سنة 1261 / 1845) اخترع العسكر على الهيئة المنظمة، وضمّه إلى جيوشه، وكلف بتنظيمه على نسق التنظيم التركي عامليه أشعاش وأزطوط، ولكن لم يتم بذلك أمر لأنفة الناس ممّا لم يألفوه..."

بيد أنَّ أحوال هذا التنظيم لم تتحسن قط، وظل هدف انتظام وانضباط عناصره أمراً بعيد المنال وأمراً عسيراً، لأسباب اجتماعية و تنظيمية ومادية، بالرغم من مُحاولات ومجهودات خلَف مولاي عبد الرحمن بن هشام السلطان سيدي مُحمد (1276 ـ 1290 / 1859 ـ 1873)، وما كان يحذوه من رغبة أكيدة وعزم قوي، في النهوض بقطاع الجيش، وهُو الخبير بأموره والمطلع على عيوبه ونقائصه، إذ في عهده تم تعيين وزير خاص بالشؤون العسكرية دُعي بالعلاف الكبير، في شخص الفقيه عبد الله بن أحمد، صنو الحاجب موسى بن أحمد.

وحاول السلطان مولاي الحسن بدوره تدارك الموقف، في بداية عهده، بعد أن "وجد القوة العسكرية المحمدية غير كافية، إذ كانت مجموعة من طوابير مختلطة ..."، على حَدِّ قول عبد الرحمن بن زيدان السابق الذكر. وهكذا، ألزم المدن والقبائل بإعطاء عدد معلوم من أبنائها للخدمة في العسكر النظامي.

وسواءٌ تعلق الأمر بالوسائل المادية والتقنية التي كان يسخرها الجنود في أداء مهامهم وإنجاز أعمالهم، أو نظرنا إلى المؤهلات العسكرية والثقافية لهؤلاء الجنود أنفسهم، فإننا ندرك، أننا أمام جيش بلد تقليدي، ذي بنيات اقتصادية، واجتماعية، وثقافية عتيقة. وهذا يعني أن جيشا

من هذا القبيل، ربّما يكون ذا فاعلية وفائدة عندما يكون خصمه في مستواه التقني والمادي والتنظيمي، أو عندما يكون رجاله يُؤمرون بالزحف ضد الأهالي الأعْزال، وقمع تمردات القبائل. وأما إذا اضطرته الظروف إلى منازلة جيش حديث، مُدَجَّج بالعتاد الحربي المُتطور، ومُدرب على فنون الحرب الحديثة، ومؤطّر بذوي الخبرة في التخطيط المحكم للمعارك والعمليات الحربية، وفي قيادة الرجال في ميادين القتال، فإنه لن يستطيعَ الصّمودَ في وجهه، ولو لبضع ساعات، وهو الأمر الذي حدث فعلا في وقعة إيسلي سنة 1844، أمام الجيش الفرنسي، وخلال حرب تطوان سنة 1859 ـ 1860، على يد الإسبانيين.

والحقُّ أن الجيش المغربي، كمؤسسة للدولة عبر العصور، قد ظل على حاله، لم تتغير قط صيغُ وأسس تنظيمه، ولا أساليب تجنيد، وتكوين، وتدريب عناصره، ولا طُرق قتالهم ومُحاربتهم للعدو، اللهم ما كان قد تحقق من تطور وتحول في هذه الميادين، ولا سيما إلا في بعضها، كالسلاح النّاري، والتّاكتيك الحربي على عهد دولة السعديين، أيام عزّها وامتداد نفوذها في النصف الثاني من القرن السادس عشر على الخصوص.

ومن المُلفت للانتباه في هذا الصدد أنّ ما ذكره الباحث البولوني دزيوبنسكي السابق الذكر، في مقالته حول "الجيش والأسطول الحربي المغربيان على عهد سلاطين الدولة السعدية"، في شأن ترتيب الجنود وحُراك القبائل في ميادين القتال، وبالخصوص حين كانت تجري وقائع المعركة في منطقة سهلية، والذي كان يتم حسب الطريقة المتبعة وقتئذ من طرف الأتراك العثمانيين، على الطريقة التركية..."، نجد أن الجيش المغربي كان يُطبق نفس الخُطة التّاكْتيكية، على الأقل في بعض معاركه، في حدود العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر.

وهذا ما نفهمه ممّا ورد في رسالة الأمير مولاي مَحمد إلى والده السلطان مولاي الحسن الذي كان قد عَهدَ إليه بقيادة حركة جُهّزَت لتأديب فرقة بني عمرو من قبيلة زمور، بعد أن كان قد انَضمَّ إلى ركابه قُواد كل من قبيلة عامر، وحُصين، والسهول، على أن يكون كبيرها القائد عبد الكبير الثوري، حيث نقرأ ما يلي :

"... نزول السهول من الناحية الجنوبية بالنسبة للمحلة السعيدة، ثم حصين برمتهم، ثم التزوطي، والقائد بوعزة السلامي في قبلة المحلة، ويليهما لناحية الشمال بالنسبة المذكورة ابن الشيحني، والقائد لحسن بن بوعزة معاً في محل واحد، ثم بن العروسي على حدته، ثم الثوري، فجاء تخْييمُهُم على نصف دائرة، وبينهم وبين المحلة قدر ما يمشي الراكب ثلث ساعة ...".

وإذا كان المخزن قد استطاع التحكم نسبيا في جهاز الجيش، وتدبير أموره، وتطويع فرقه ورجاله، واستعماله في تنفيذ أوامره وقضاء أغراضه، على الأقل حتى وفاة الوزير الصدر أحمد بن موسى في شهر مايو من سنة 1900، فإن الفترة المتراوحة ما بين سنة 1900 وسنة 1912، أي ما تبقى من عهد السلطان مولاي عبد العزيز (1311 ـ 1326 / 1894 ـ 1908)، وعهد أخيه المولى عبد الحفيظ (1326 ـ 1330 / 1903 ـ 1912)، أصبحت تختلف كل الاختلاف عن الفترة السابقة، لا من حيث السياق الداخلي، ولامن حيث تعامل، ونظرة، وأهداف الدول الأوربية، من أجل وضع اليد نهائيا على البلاد واستغلال خيراتها.

فمن جهة، لم يَعُد المخزن قادراً علي القبض على ناصيَّة الأمور وأزمّتها في البلاد، ولم يعد قادراً على التحكم في أمور الجيش، ومن جهة أخرى، استغلت بعض الدول الأوربية، وفي مقدمتها فرنسا وإسبانيا، ضعف وشَلَلَ المخزن، لإثارة العديد من القلاقل والمشاكل المفتعلة، حيث كانت لا تتردد البتة في التدخل المباشر في شؤون البلاد بعرض اقتراحاتها، والتظاهر بإسداء النُّصح، في حين كانت في نفس الوقت تعمل جاهدة، بمُختلف الوسائل والحِيَل، من أجل إشعال الفتن، وإثارة الحزازات هنا وهناكَ، قصد إعجاز المخزن وإحراجه، ونسف سلطته، وإثقال كاهله بالمبيعات والقروض. ومن المُؤكّد أنه لو لم تكن لهذه الدول يد خفية في تمرد وفتنة الجيلالي الزرهوني، المدعو الروكي بوحمارة، وكذا في عصيان وطيش أحمد الريسوني، لما أمكن لهذين المُغامرين الخطيرين الاستمرار في الاستهانة بالمخزن، والعبث بمؤسساته، وفي مقدمتها، طبعا، مؤسسة الجيش، سنين طويلة.

وأمّا في الفترة المُوالية، أي بعد أن تمكنت كل من فرنسا وإسبانيا من فرض وصايتهما على المغرب سنة 1912، وحَلَّ جميع أجهزة وهياكل النظام العسكري القديم، بما في ذلك تسريح الجنود ورؤسائهم، اتخاذ الإجراءات والترتيبات الأولى بهدف تأسيس نظام عسكري جديد في البلاد، سُرعان ما سُخّر رجاله لخدمة أغراض الدولتين المُستعمرتين، والدفاع عن مصالحهما، في الداخل كما في الخارج. فتلك مسألة تختلف كلّ الاختلاف عمّا حاولنا معالجته في مقالتنا هذه، إذ تقتضي أن تُفرد ببحث خاص.

ابن أبي زرع، *الأنيس المُطرب*، الرباط، 1973 ؛ ع. ابن خلدون، *المقدمة*، الدار البيضاء، 1978 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 1929 ـ 1933 ؛ ع. الواحد، *المُعجب*، الدار البيضاء، 1978 ؛ م. بن محمد بن مصطفى المشرفي، *الحُلل البهية*، مخطوط الخزانة العامة بالرباط، رقم د 1463 ورقم ك 320.

(Cap. Fort) Delmas, Etudes sur les guichs marocains, B.G.R., 1948, dossier n° 1409 ; (Andzyej) Dziubinski, L'armée et la flotte de guerre à l'époque des sultans sa'adiens, Hesp.-Tam., vol. XIII, Fasc. unique, 1972, p. 61 et suiv.

مصطفى الشابي

عسكر (بنو ـ) المرينيون. تنقسم قبائل بني مرين إلى عدة مجموعات من أهمها : بنو حمامة الذين توارثوا السلطنة، وبنو عسكر نسبة إلى جدهم عسكر بن محمد الذي

كانت له رئاسة بني مرين قديما وورثها عنه ابنه المخضب "فتملك على جميع بوادي زناتة وبلاد الزاب" وفرض وجوده على كثير من جيوش صنهاجة المغرب الأوسط (بني حماد) والمرابطين في منطقة تلمسان ووهران إلى أن تغلب الموحدون على المنطقة، ثم قتل المخضب على يد حلفائهم بني عبد الوادي في جمادى الآخرة سنة 450.

في بداية العقد الثاني من القرن السابع بعد وصول المرينيين إلى نواحي فاس وقع خلاف بين بني حمامة وبني عسكر، فانحاز هؤلاء ضد بني عمهم إلى عرب رياح أنصار الموحدين وجرت المعركة بين الطرفين في قرية تافرطاست انتصرت فيها القبائل المرينية على رياح وبني عسكر رغم موت الأمير عبد الحق بن محيو في جمادى الثانية 614، وعلل ابن مرزوق سبب هذا الاصطدام بحسد بني عسكر على الانتصارات التي حققها عبد الحق.

وتجد دور بني عسكر في خدمة الدولة أيام السلطان يوسف بن يعقوب، كما حدث سنة 685 عندما ثار بقلعة فندلاوة بجبال بني يازغة الأمير عمر بن عثمان بن يوسف العسكري حيث أمر السلطان يوسف قبائل بني عسكر وقبائل البربر بالمنطقة بالخروج إليه لحصاره وقتاله فحاصوه، ثم خرج إليه الخليفة يوسف بنفسه بالجنود والآلات، فطلب الأمان فأمنه على شرط الخروج إلى تلمسان، فبايعه. كذلك عندما خطط السلطان يوسف لتنظيم حملات على تلمسان اهتم بتحصين الثغور الشرقية، فقام سنة 694 بطرد بني زيان من القسم الذي كانوا يحتلونه بتاوريرت، وبنى بها حصنا أسكن فيه بني عسكر تحت قيادة أخيه أبي يحيى ؛ وفي حركته المشرقية خلال سنتي 697 ـ 698 حصن مدينة وجدة وبنى بها قصبة نقل إليها بني عسكر مع أخيه الأمير أبي يحيى "كما كانوا بتاوريرت" وأمره بتكرار الغارات على تلمسان.

وعين على قيادة الجبل ومنطقة الثغر المريني بعد أبي مهدي ابن قبلته سليمان بن داوود العسكري الذي كان على رأس المعارضين لحركة التمرد المذكورة.

ابن أبي زرع، *روض القرطاس*، 350 ـ 353 ـ 370 ـ 371 ـ 373 ـ 377 ـ 385 ؛ مؤلف مجهول، *الذخيرة السنية* (منسوب لابن أبي زرع) ص. 12 ـ 20 ـ 33 ـ 34 ؛ ابن خلدون، *العبر*، 7 : 437 ـ 454 ـ 456 ـ 501 ـ 502 ـ 612 ـ 615 ؛ ابن مرزوق، *المسند*، 111 ـ 371.

أحمد عزاوي

ابن **عسكر، محمد** بن علي الشفشاوني، الشريف الحسني، فقيه متصوف، وأديب مؤلف. ولد بشفشاون سنة 936 / 1529، ودرس بها وبالقصر الكبير وبادية جبال غمارة وبلاد الهبط. تكون تكويناً متيناً في الفقه والتصوف وبقيت بضاعته في اللغة وقواعدها مزجاة. ومع ذلك فإنه يمتلك قدرة فائقة على التعبير عن دقائق الاشياء.

نال ابن عسكر حظوة كبرى لدى الملوك السعديين فولوه قضاء شفشاون ثم القصر الكبير وما جاورهما فكان يعد كبير قضاة الشمال وإليه المرجع في القضايا الشرعية والتوثيقية. وأصبحت له شهرة واسعة بسبب زياراته المتكررة للبلاط السعدي في فاس ومراكش، وحيث أمكنه الاتصال بفطاحل العلماء ومناظراتهم فازدادت معارفه.

تأثر ابن عسكر كثيراً بشيخه الصوفي الصالح عبد الله الهبطي بعد أن أقام عنده مدة في زاوية بالجبل الأشهب وأخذ عنه الطريقة الشاذلية التي يرويها مباشرة عن الشيخ عبد الله العزواني أشهر مريدي الشيخ الجزولي. كما كان للأسرة الصالحة التي نشأ فيها أثرٌ بيّن في مسيرته الصوفية. إذ كان أبوه علي بن عمر مجاهداً تقياً، وأمه عائشة بنت أحمد الإدريسية قانته عابدة على صلة وثيقة بالشيخ الهبطي والغزواني وغيرهما من صالحي الشمال. تخدم الفقراء وتكرم المريدين في زاويتها التي تحث عنها المترجم في كتابه *دوحة الناشر*. وهو عبارة عن فهرس ضمنه تراجم عدد وافر من شيوخه وما قرأ عليه من فنون أو سلك على يدهم طريق القوم. وتوسع في هذا الكتاب فذكر كل من عرف من شيوخ القرن العاشر الهجري لقيهم أو لم يلقهم بل حتى الذين لم يعاصرهم.

ويعد كتاب *دوحة الناشر* مرجعاً أساسياً لأعلام شمال المغرب وقرى الريف من الفقهاء وشيوخ التصوف على عهد السعديين.

أدرك ابنَ عسكر شؤمُ السياسية حين انحاز إلى محمد المتوكل (المخلوع) عند انقسام الدولة السعدية على نفسها للمرة الثانية، فهلك معه في معركة وادي المخازن يوم الاثنين 30 جمادى الأولى عام 986 / 4 غشت 1978

م. ابن عسكر نفسه، *دوحة*، تح. م. حجي، الرباط، 1978 ؛ م. الهبطي، *المعرب الفصيح*، الأبيات، 1099 ـ 1103 ؛ م. الافراني، *نزهة*، تح. ع اللطيف التادلي، الدار البيضاء، 1998 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ط 2، الدار البيضا، 1956، ج 5 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ط 2، الرباط، 1983 ؛ ع. الحي الكتاني، *فهرس الفهارس بعناية إحسان عباس*، بيروت، 1982 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، المحمدية، 1977، ج. 2.

محمد حجي

العسل نوعان، عسل ناتج عن نحل مربى وعسل ملتقط من أجباح نحل مصطادة تعيش في الطبيعة في جذوع الأشجار والجحور وشقوق الصخور وغيرها، ويعتبر هذا النوع الأخير الأجود، فغالباً ما تكون أجباحه في مناطق وعرة كونه النحل عبر سنين طويلة من رحيق الأعشاب البرية، وقد كان هذا النوع أكثر انتشاراً في المغرب خلال العصور الوسطى وما بعدها خاصة في فترات الأمطار والخصب ؛ أما العسل الناتج عن النحل المربى فقد كان محدوداً في بعض المناطق خاصة في الجنوب المغربي لكن انتشاره ارتبط أساساً بالتبادل التجاري ما بين المغرب وأوربا وارتفاع الطلب على مادة الشمع المستخلصة من الشهد بعد عصره وتقطيره لاستخراج العسل، وبقدر ما كان هذا الحافز إيجابياً بقدرما عاكس

إنتاج العسل في بعض الأحيان إذ عمد بعض الفلاحين وبعض صيادي النحل إلى قطف الشهد وجنيه حتى ولو كان خالياً من العسل قصد الحصول على الشمع مما أدى إلى إتلاف العديد من الخلايا والأجباح والحد من تفريخ النحل وتكاثره وبالتالي تراجع انتاج العسل.

تحدثت المصادر على اختلاف أصنافها عن العسل حتى إنه لا يكاد يخلو واحد منها من إشارة إليه. لكن كتب الرحلات والجغرافية اهتمت بالعسل أكثر من غيرها. ويمكننا بتتبعها أن نضع خارطة للتوزيع الجغرافي لمراكز إنتاج العسل ومناطق تربية النحل وحتى عن التقدير الكمي للإنتاج وتقلب أسعاره وتصديره وما إلى ذلك ؛ وتحدثت بعض المصادر عن أنواع العسل اعتماداً على لونه فأشارت إلى العسل الأبيض والعسل الأخضر (*بسط الأرض*، 70 ؛ *الاستبصار*، 213).

كما يصنف العسل حسب النباتات التي تربى عليها النحل واستخرج رحيقها. عسل أزهار الليمون، عسل السعتر، عسل الشيح، عسل تيكيوت (الفارابيون)، وعسل الأوكاليبتوس (حالياً)، وتعتبر الأنواع الأخيرة من أجود أنواع العسل. والعسل عرف منذ التاريخ القديم كمادة غذائية وكمادة استشفائية ومادة واقية ومادة للتصبير عند الحضارات القديمة تحظى بنوع من الاهتمام لدرجة التقديس عند بعض الشعوب، وقد أضيف إلى هذا التراكم المعرفي الحضاري عند المسلمين ما جاء به القرآن الكريم من أخبار عن النحل ومنافع العسل الغذائية والدوائية حتى سميت سورة من سور القرآن باسمه "سورة النحل" :

"وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون، ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذلك يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس" (آية 19).

تعتبر مادة العسل مادة ثمينة عند المغاربة يكرمون بها أعز ضيوفهم ولا يكاد يخلو منها منزل أو دار في البادية والمدينة، وقد كانت العادة في الولائم أن يُقدم للمدعوين السمن والعسل قبل الوجبات الرئيسية، ولتلازم المادتين السمن والعسل ضرب بها أكثر من مثل أشهرها المثل القائل عن التلاؤم بين شخصين أو أكثر "كالسمن مع العسل"، والعسل اليوم مادة استراتيجية اشتقت منه عدة مواد غذائية وتجميلية وطبية باهظة الثمن ولعل أغلاها ما يعرف بعسل ملكة النحل، ووجدت اليوم أنواع من العسل الاصطناعي والمربى بطريقة عصرية، وتعتبر منطقة الغرب من أهم مناطق إنتاجه على الصعيد الوطني. لكن العسل المذكور في المصادر والوارد في القرآن الكريم أصبح مادة نادرة من الصعب الحصول عليها.

ابن الفقيه، ضمن ملخصات حاج صادق، الجزائر، 1949 ؛ الاصطخري، *مسالك الممالك*، ليدن، 1927 ؛ البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب*، الجزائر، 1911 ؛ الادريسي، *نزهة المشتاق*، الطبعة الايطالية نابولي ؛ مجهول، *الاستبصار*، الإسكندرية، 1958 ؛ التادلي، *التشوف*، الرباط، 1958 و1984 ؛ ابن القطان، *نظم الجمان*، تطوان، بدون تاريخ ؛ ابن سعيد، *بسط الأرض*، تطوان، 1958 ؛ ابن أبي زرع، *روض القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ العمري، *مسالك الأبصار*، مقتطفات فنانيان، الجزائر، 1924، ورقات، محمد المنوني ؛ ابن بطوطة، *الرحلة*، السبتي، *اختصار الأخبار*، الوزان، *وصف إفريقيا*.

محمد حجاج الطويل

ابن **عسل**، (الحاج -) **قاسم** الرباطي، من الفنانين الموسيقيين الذين اشتهروا بالرباط في أواخر القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر.

ذكره العالم الرباطي إبراهيم التادلي إلى جانب من عرفهم من الماهرين في العزف على آلات الطرب بالرباط فقال : "وفي ضرب القانون برع الحاج قاسم بنعسل الرباطي". ويبدو أن المترجم كان من ممارسي الطرب الغرناطي بالرباط لما نعلمه من أن آلة القانون تأخر استخدامها في الموسيقى الأندلسية المغربية إلى القرن العشرين.

إ. التادلي، *أغاني السقا ومغاني الموسيقى*، الفصل الخامس من الباب السابع، ص. 76 - 77، ط. حجرية. خ. ع ؛ ص. الشرقي، *أضواء على الموسيقى المغربية*، ص. 122.

عبد العزيز بن عبد الجليل

العسلة، الحسين بن باري، مقاوم، ولد سنة 1907 ببومكاي إقليم طانطان من والديه باري بن العسلة ومحجوبة بنت سعيد.

انخرط في صفوف جيش التحرير سنة 1956 ضمن الفرقة السابعة بمركز أسا تحت مسؤولية امبارك منار وايدا ولد التامك. وقد كان الفقيد مثالا للرجل المجاهد في سبيل الله نشيطا في عمله متحمسا في ايمانه معروفا بغيرته الوطنية. شارك في عدة معارك ضد الجيش الفرنسي وأخرى ضد الجيش الاسباني وقد أبلى البلاء الحسن في صحراء المغرب وآيت باعمران. إلى أن تحقق النصر وتم طرد المستعمر الغاشم.

التحق بالرفيق الأعلى رحمة الله عليه يوم 10 فبراير 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 501831.

العسلوج عَسْلُوج أو كرْنِيَة بالغربية أو غَدُّو أو تَغَدُّوتْ بالأمازيغية أسماء لنوع نباتي شكوي يسمى علميا سْكُولِيمُوسْ هِيسْبَانِيكُومْ Scolymus hispanicum الذي ينتمي إلى فصيلة المركبات أو النحميات Asteraceae.

إنه نبات ثنائي الحول، من الممكن أن يتجاوز علوه 1م. سيقانه مجنحة على طولها. أوراقه مموجة ومفصصة ومشوكة. أزهاره رؤيسي الشكل ويحمل أزهارا صفراء اللون.

يصادف النوع في كل المناطق البيومناخية والطوابق النباتية :

تؤكل ساق العسلوج نيئا بعد تقشيرها أو تطبخ في تهييئ بعض الأطباق، كما تستعمل في التطبيب التقليدي.

يحتوي الجنس على نوع ثان يتميز بسيقانه وأوراقه ذات البقع البيضاء. وله نفس الاستعمالات المذكورة أعلاه.

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc. évaluation et préservation de la biodiversité*, Ibis Press, Paris, 2000, 360 p.

عبد المالك بنعبيد

العشارية، الجمع : عشاريات ؛ وهي من القوارب الكبيرة الملحقة بالسفن، أو المخصصة للشحن والتفريغ وللربط بين أحواض المراسي وعرض البحر، وهي عبارة عن زورق واسع مسطح خال من المقاعد يبحر بواسطة المجاذيف (اثنا عشر مجذافا)، يصل طوله إلى حوالي عشرة أمتار، ويصل عرضه مترين ونصف تقريبا، ويتسم بغاطسه شبه المسطح، وبارتفاع جؤجؤه نسبيا وكوثله شبه المربع، وقد كان يستعمل بالخصوص لنقل الدواب والبضائع.

Brunot, *La mer dans les traditions*.... p. 249.

حسن أميلي

عشاش، بلقاسم بن العربي من أصل جزائري، وكان كغيره من المواطنين الجزائريين الذين عملوا في الإدارة المغربية في عهد الحماية، فعمل ترجمانا للمراقب المدني الفرنسي جون كوستي Jean Coustè ببلدية مدينة سلا في فترة العشرينيات، 1920 / 1930، وقد ذكر بعض معاصريه من معمري مدينة سلا، ممن عاشوا في الفترة المذكورة أنه توفي بمدينة سلا في الأربعينيات.

قال عنه ابن سودة في دليل مؤرخ المغرب الأقصى : من *أهل العصر*، ويقصد النصف الأول من القرن العشرين.

وذكره الأستاذ محمد حجي في *فهرس مخطوطات الخزانة العلمية الصبيحية* الصادر ضمن منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الكويت، سنة 1985، ص. 425 : "كان ترجمانا ببلدية سلا أيام الحماية، عندما تحدث عن تعريبه كتاب جون كوستي الفرنسي : عائلات أهل سلا".

اشتهر عشاش بلقاسم بن العربي بتعريب كتاب المراقب المدني الفرنسي جون كوستي Jean Coustè وعنوانه : Les grandes familles indigènes de Salé وذلك سنة 1925، وقد صدر عن المطبعة الرسمية بالرباط سنة 1931.

وقد ذكر بعض معمري مدينة سلا هذا المراقب المدني بأنه كان ذا فكر ثاقب، وثقافة موسوعية، مجتهدا في الدرس والتحصيل، متقصيا الأخبار الاجتماعية والتاريخية والأدبية للمدينة في ماضيها وحاضرها.

ويظهر من خلال قراءة النص الفرنسي وتتبع مروياته أن الكتاب كان تقريرا سياسيا واجتماعيا وأدبيا عن حياة أبناء مدينة سلا، أنجزه للإدارة الفرنسية فترة مزاولته مهمته بالمدينة.

ولعل ملازمة عشاش بلقاسم للمراقب المدني الفرنسي دعته إلى نقله إلى اللغة العربية دون إشارة إلى ذلك، وإهدائه إلى مجادة باشا مدينة سلا السيد محمد الصبيحي، كما أنه لم يضع لهذه الترجمة عنوانا.

وقد عرَّب الدكتور محمد حجي عنوانه : بـ "عائلات أهل سلا" غير أني لم ألتزم بهذا العنوان عندما عملت على تحقيقه والتعليق عليه، وقامت مشكورة الخزانة العلمية الصبيحية بنشره سنة 1989 بسلا، وهو "*بيوتات مدينة سلا*".

ومن خلال قراءة الكتاب والعمل على تحقيقه وتوثيق معلوماته اتضح أن ثقافة الترجمان عشاش ثقافة متوسطة، فإلمامه بتاريخ المغرب ومؤلفات المغاربة والأندلسيين التي اعتمدها المؤلف الفرنسي في التعريف بالرجال العلماء أو الملوك والأمراء في المغرب والأندلس لا ترقى إلى المستوى الأكاديمي الذي يمكن أن يطمئن إليه الباحث، ولعل ذلك راجع إلى عمله الإداري ببلدية سلا، مما لا يمكن معه التضلع في التقاط الأخبار أو تتبع الإصدارات.

نجاة المريني

العشرة من العربية الفصحى عاشر يعاشر معاشرة وعشرة وعشيرة ... والعَشْرة في الدارجة المغربية تنطق مخففة العين والشين، ولا تختلف في مضمونها عن المعنى العربي العام، وتعني نوعاً من العلاقات البشرية بين صحبة أو جماعة محددة العدد من الناس يتقاسمون أسباب العيش من أكل وشرب ومبيت، وهموم مشتركة لفترة محددة.

والعشرة أشكال عديدة : منها الدائمة والطويلة والقصيرة... أما الدائمة فهي عشرة الأهل والأقارب وعشرة الأزواج التي لا تنتهي إلا بوفاة أحد أطرافها أو بالطلاق بالنسبة للزوجين (وتعني عشرة فاشلة)، أما الطويلة فهي التي كانت سائدة قبل زمننا هذا في الأسفار البعيدة المدى عن طريق القوافل والرفاق والركبان (*التشوف* ؛ *أنس*) تجمع بينهم مصلحة مشتركة هي التنقل في أمان والوصول إلى المكان المقصود بسلام، وأطول شكل للعشرة هو عشرة ركب الحج فقد كان الذهاب والإياب لأداء فريضة الحج يستغرق سنة فأكثر حسب فصل حلول موسم الحج (*التشوف*، *المنهاج*).

أما العشرة القصيرة فقد تجمع أطرافاً متعارفة أو أغراباً سواء في رحلة أو سفر قصير أو في مخيم أو محلة أو في منزل من المنازل (النزالة) أو بمناسبة زيارة للأولياء والصالحين أو في زاوية أو رباط أو للقيام بعمل معين (مثل الحصاد وأوراش البناء وغيرها من الأشغال) وهذا الشكل من أشكال العشرة هو المقصود في الدارجة المغربية ونجد عنه إشارات وحكايات متعددة في بعض المصادر وفي الأدب الشعبي والموروث الشفوي (أمثال العوام).

تعتبر العشرة بجميع أشكالها محكاً قوياً وامتحاناً حاسماً في اختبار العلاقات بين الناس، فيها تظهر الحقائق

والعيوب التي لم تكن بارزة في علاقات الصداقة أو الزمالة أو الجوار أو القرابة العائلية وما إلى ذلك من العلاقات والروابط ؛ ففي العشرة تطفو المحاسن والمساوئ وتظهر أخلاق وسلوكات إيجابية أو سلبية من قبيل الأنانية أو الإيثار ونكران الذات، القناعة أو الجشع والطمع، الكرم أو البخل، الطيبوبة أو الخبث، المروءة أو الوقاحة ...

ولأهمية العشرة عند المغاربة بصفة خاصة وعند العرب بصفة عامة فإنها حظيت باهتمام وتقدير خاص لدرجة القدسية، وارتبطت بها مجموعة من العادات والتقاليد والأحكام والسلوكات، فالاشتراك في تناول الطعام (الملح) وتقاسم الأفرشة والأغطية (المبيت) والهموم المشتركة والمساهمة في الأفراح والأتراح وتقاسم المنافع وتداول الخدمات كل ذلك جعل لهذه العلاقة (العشرة) حرمة وقدسية (طابو) يعتبر المتنكر لها خائنا للعشرة لا تحمد عاقبته في الدارين.

ويكمن الوجه الآخر للعشرة في تمتين الروابط ما بين المتعاشرين لدرجة أنها في بعض المناطق والفترات تفوق روابط الدم والعائلة ونتج عنها أخوة وتزاور فاق صلة الرحم، والعكس صحيح، فكم من علاقة صداقة أو زمالة أو جوار بل وحتى علاقة قرابة عائلية تتفكك عندما تتعرض لمحك "العشرة".

وأحسن عشرة ما كان خالصاً لوجه الله تعالى خالياً من طمع أو حاجة خاصة (عشرة الحج أو ركب زيارة الأولياء) (أبو سالم العياشي)، وأقبح عشرة أشارت إليها المصادر وما تزال واردة على السنة أهل البادية اليوم هي عشرة "الحصادة" ولذلك قيل في الأمثال العامية : "ما تعرف صاحبك حتى تعاشرو".

التادلي، *التشوف*، الرباط، 1984 ؛ الزبيدي، *تاج العروس*، بيروت، بدون ؛ الزجالي، *أمثال العوام*، تح. بن شريفة ؛ أبو سالم العياشي، *الرحلة الصغرى*، مخطوط ؛ *ماء الموائد*، تح. م. حجي ؛ ابن قنفذ، *أنس الفقير*، الرباط، 1965 ؛ الماجري، *المنهاج الواضح* ؛ م. حجاج الطويل، *النقل والتنقل*، مرقون، الرباط، 1998 ؛ الونشريسي، *المعيار*.

محمد حجاج الطويل

العشّاب، أسرة أندلسية أخذت اسمها من مهنة العشابة التي كانت تزاولها، كما يعرف المكان الذي تعرض فيه الأعشاب وتباع بالعشابين، وهي أسواق معروفة في فاس وغيرها، وانتشر العشابون الأندلسيون في كل من درعة وفاس والقصر الكبير وشفشاون وطنجة وأحواز طنجة بجبل حبيب من قبيلة بني منصور، بل إنه يوجد في جبل حبيب بحوز طنجة مدشر يسمى العشاشبة.

ويرجع الأستاذ محمد الفاسي أصل أولاد العشاب بالمغرب إلى مدينة ألقنت الواقعة في شرق إسبانيا. وذكر الشيخ عبد الكبير بن هاشم الكتاني في كتابه *زهر الآس* أن بيت أولاد العشوبي بيت قديم بفاس كانت لهم ثروة ووجاهة ولهم أصول معروفة بهم إلى الآن.

ومن مدينة فاس انتقل الفقيهان محمد العشاب وأخوه عبد السلام. زمن السلطان مولاي سليمان 1206 / 1794، وكان مشهودا لهما بالفضل والعلم والصلاح فاستقر الأول بالقصر الكبير قاضيا عليها. والثاني بأصيلة قاضيا عليها كذلك. لم يترك الفقيه محمد خلفا من الذكور فانقطع نسله. والثاني الفقيه عبد السلام استوطن أصيلة وصار لأسرة العشاب بها قوة تعتمد على الجاه والمال وكثرة الرجال، وصارت هذه الأسرة بأصيلة من الأسر المعروفة، ولهم نسبة إلى آل البيت فهم أدارسة جدهم الأعلى محمد بن إدريس الثاني وبيدهم شجرة نسب وظهائر يرجع تاريخها إلى سنة 1245 / 1829 زمن السلطان مولاي عبد الرحمن ابن هشام. وفي نهاية القرن الثالث عشر (19 م) على عهد السلطان الحسن الأول انتقل فرع من هذه الأسرة من أصيلة إلى طنجة واستوطنوها وما يزال آل العشاب اليوم بكل من شفشاون وجبل حبيب وأصيلة وطنجة.

ومن أعلام أسرة العشاب :

العشاب، عبد الله بن أحمد بن محمد بن يوسف العشاب الغساني الأندلسي : نزيل درعة. ذكره أحمد بابا السوداني، وقال كان من أهل العلم. له عناية بجمع الكتب ونسخ منها بخطه الجميل بعضها. وفي رحلته للحج لقي أعلاما وأجازوه كابن عرفة وابن خلدون والعز بن جماعة. له تأليف :

- *تحفة الناسك في علم المناسك. والمقنع في مناسك المتمتع.*

العشاب، إبرهيم بن إبرهيم الأنصاري يكنى بأبي إسحاق المعروف بالعشاب : المتوفى عام 583 / 1187. أندلسي من بلدة أشونة سكن مدينة فاس. كان بارعا في النحو، وفي الأدب، وأتقن فن القراءات أخذه عن الشيخ أبي القاسم بن رضا. حدث وأقرأ وأخذ عنه وأجاز له أبو الحسن القطان جميع رواياته سنة 582 / 1196 ولعله مات بفاس في التاريخ أعلاه. قال عنه ابن فرتون : "كان يعلم ويقرئ النحو ويبيع العشب".

ابن الأبار، *التكملة لكتاب الصلة*، نشر، عزت العطار الحسني، القاهرة، 1375 / 1955، ج ١، 158 ؛ عبد الوهاب بنمنصور، *أعلام المغرب العربي*، ج ١، المطبعة الملكية بالرباط، 1399 / 1979.

عبد الصمد العشاب

العشاب، اسم أسرة علمية، طار لها صيت الاشتهار بوادي درعة، خلال القرنين التاسع والعاشر (15 ـ 16 م) وذلك بفضل ثلة من العلماء النابغين فيها، تجاوزت شهرتهم بلاد درعة إلى جهات أخرى من المغرب.

العشّاب، عبد الله بن محمد بن يوسف الدرعي مؤسس هذه الأسرة المجيدة، هاجر من الأندلس، ونزل ببلاد

درعة في زمن غير معروف من القرن التاسع الهجري (15 م)، استوطن فيما يبدو، قصر تيدسي القديم وسط واحة ترناتة. وقد كان هذا القصر يشرف على براح من الأرض تقام فيه سوق جهوية كبرى تلتقي فيه القوافل من كل الجهات (*المعلمة*، 8 : 2661) كان عبد الله العشاب واسع الاطلاع، وهذا ما جعل عدداً من العلماء يحلونه بالشيخ الأجل والعالم والعَلَم وله عناية خاصة بتجميع الكتب ونسخها وله خط حسن اشتهر به بين علماء عصره.

لا نكاد نعْرف أي شيء عن ممارسة عبد الله العشاب للتدريس إلا أننا لا نستبعد أن يكون قد قام بإلقاء دروس في الفقه واللغة على غرار ما كان سائدا في ذلك الوقت، ولولا حافز التدريس ما كان لعبد الله العشاب اهتمام بجلب الكتب واستنساخها.

رحل عبد الله العشاب إلى المشرق، فأدى فريضة الحج وأثناء عودته التقى بعدد من العلماء، فأخذ عنهم وأجازوه إجازات عامة، ولو لم يكن مبرزاً ما فاز بإجازات كل من ابن عرفة، وابن خلدون، وسعيد العقباني، والعز بن جماعة. وبعد عودة العشاب من الحج أصبح يعرف بين العامة والخاصة بالحاج عبد الله، وقد لزمته هذه الصفة حتى بعد وفاته إلى اليوم عند عامة الناس، الذين يقصدون ضريحه للزيارة وطلب الاستشفاء.

ومن مؤلفات الحاج عبد الله الفقهية التي خلد اسمه بين علماء درعة *المقنع في مناسك الممتع*، و*تحفة الناسك في علم المناسك*، و*تعاليق عن المختصر الفقهي لابن الحاجب*.

توفي عبد الله بن محمد العشاب بوادي درعة، بعد حياة علمية سنة 852 / 1448، ودفن خارج قصر تيدسي القديم بالمكان الذي يعرف محليا بِحْدَبْ الحاج عبد الله، وقد أقامت فرقة أولاد بوزيد من قبائل الرُّوحا، ضريحا بسيطا على قبره. وكانت قبائل الرُّوحَا بواحة ترناتة بفرقها الثلاث تجتمع عند ضريح الحاج عبد الله العشاب، لا تحاذ القرارات الكبرى التي تخصها، وتلح في ذكر اسم الحاج عبد الله في اتفاقياتها التحالفية والتنظيمية، ويعتبر اسم الحاج عبد الله ضامنا لنجاح كل القضايا التي نوقشت عند ضريحه، ولم تختف عادة الاجتماع عند ضريح العشاب إلا بعد الإعلان عن الاستقلال وتلاشي الأنظمة القبلية.

وما تزال عادة الاستقسام عند ضريح العشاب سائدة إلى اليوم عند بعض عامة الناس، الذين يعتقدون أن الحلف بالباطل عند قبره يسبب للحالف في مصيبة مستعجلة غير مؤجلة.

وبعد وفاة الحاج عبد الله وتخريب قصر تيدسي القديم أقام حفدة الحاج عبد الله العشاب، قصرا بالقرب من الضريح ما يزال يعرف إلى اليوم بقصر أولاد العشاب وليس هناك ما يفيد في الوقت الحالي بأن سكان هذا القصر هم من حفدة وذرية الحاج عبد الله العشاب، بل إن جل سكان القصر لا يعرفون عن الحاج عبد الله أكثر من اسمه، وأنه وليٌّ من أولياء الله.

العشاب، محمد بن محمد بن عبد الوهاب

الدرعي ثاني اثنين من حفدة الحاج عبد الله العشاب من الفرع الوهابي، لا نعرف شيئا عن ميلاده ولا تعليمه، حلاه الشنوگالي بالفقيه الجليل والعالم المحقق (*العقود الجوهرية*، 65). ونعتقد أنه كان معاصراً لابن عمه السابق الذكر، وأن الشهرة العلمية للأول قد غطت على الثاني وجعلت أخباره تضيع تماما، بل إن الأمر التبس على بعض المتتبعين لأخبار آل العشاب فجعلوا من المحمدين من الفرع اليوسفي والفرع الوهابي شخصاً واحداً (*حضارة وادي درعة*، 136) ويظهر أن العلم قد تراجع عند آل العشاب بعد وفاة المحمدين ولم نصادف من بعض أسماء هذه الأسرة خلال النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري (17 م) إلا اسمين : حمادي بن محمد العشاب وأحمد بن علي العشاب، ويظهر من خطيهما وعباراتهما في رسوم الأملاك العقارية أنهما يتمتعان بقدر لا بأس به من المعرفة. وقد انقرض اسم آل العشاب في وثائق وادي درعة منذ هذا التاريخ رغم أن اسم قصر أولاد العشاب ما يزال يذكرنا بما كان لهذه الأسرة من مكانة بين أهل العلم خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين (15 - 16 م).

العشاب، مُحمد بن محمد بن يوسف الدرعي واحد من اثنين كان لهم ذكر من بين أهل العلم، من حفدة الحاج عبد الله العشاب من ابنه يوسف، ولد على الأرجح سنة 930 / 1523، أخذ مبادئ القراءة والكتابة على يد بني قومه بقصر أولاد العشاب، فلما شب عوده، التحق بزاوية سيدي الناس بواحة فزواطة فلزم دروس الأستاذ أبي القاسم الشيخ (*الحركة الفكرية*، 2 : 535) فلما توفي الأستاذ سنة 953 / 1546، جال محمد العشاب في مدار تاگمادارت وزاوية الحنا وأغلان حتى اتم تعليمه فتخرج فقيهاً مشاركاً وعالماً جليلاً (*العقود الجوهرية*، 65) له باع طويل في علوم اللغة والفقه والحساب والنحو والفرائض. وقد توفي العلامة محمد العشاب سنة 999 / 1591 ودفن بمقبرة أهله خارج قصر أولاد العشاب.

محمد المكي بن موسى الناصري، *الدرر المرصعة*، مخطوط ؛ محمد بن لحبيب الشنوگالي، *العقود الجوهرية في أنباء الدرعية*، مخطوط ؛ محمد حجي، *الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين*، ج 2 ؛ محمد المنوني، *تاريخ الوراقة المغربية*، الرباط، 1991 ؛ الوراقة المغربية، مجلة البحث العلمي، ع 18 - 1971 ؛ حضارة وادي درعة من خلال النصوص والآثار ؛ *دعوة الحق*، ع 2، السنة 18 - 1973 ؛ أحمد البوزيدي، مادة تيدسي، *معلمة المغرب*، مجلد 8 ؛ *وثائق محلية*، زيارة ميدانية لضريح الحاج الحاج عبد الله العشاب.

أحمد البوزيدي

العُشّي، أسرة تطاونية أصلها من الأندلس حيث

مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Aluchi ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1205.

محمد ابن عزوز حكيم

العشور، كانت زكاة العشر من مداخيل بيت مال المسلمين، وقد استمر العمل بذلك في المغرب طيلة عهد الإمارات المستقلة عن المشرق : الأدارسة وبنو مدرار ومغراوة وبنو يفرن وغيرهم ؛ وفي عهد يوسف بن تاشفين ـ من دولة المرابطين ـ ألغيت كل الضرائب والمغارم والمكوس المستحدثة واكتفى المخزن المرابطي بما هو شرعي منها. الزكاة والأعشار وجزية أهل الذمة ؛ إلا أن مسألة تجاوز الشرعي كانت واردة طيلة التاريخ الإسلامي، فكلما كانت حاجة المخزن إلى الأموال متزايدة إلا واضطر إلى إحداث ضرائب ومغارم جديدة غير شرعية تحت أسماء وذرائع مختلفة كانت وبالا على الرعية، فأحدث ذلك خللا في التوازن وعدم الثقة ما بين الحاكم والمحكومين، كان مناسبة استغلها الخصوم والمعارضون للمخزن ؛ أما الرعية فكانت تضطر لتقليص أنشطتها الفلاحية والتجارية وأحيانا تغادر مساكنها وتهجر أراضيها مكرهة.

كانت الدولة الموحدية أكثر من غيرها تشددا في جمع الزكاة سواء زكاة الفطر أو زكاة العشر حتى إن بعض خلفائها أصدروا ظهائر ورسائل تحث المكلفين بجمع الزكاة والعمل على معاقبة الممتنع عن دفعها للمخزن إلى حد الإعدام : "وخذوا بأنباء الزكاة وبالكشف عن مانعيها وتشخيص ممسكيها أو النزر اليسير منها فالزكاة حق المال والجهاد واجب على من منع منها قدر العقال فمن ثبت منعه للزكاة فهو لاحق بمن ثبت تركه للصلاة يقتل..." *(رسائل موحدية)*.

هذه زكاة العشر وقد أحاطت بها كتب الفقه والنوازل والدراسات التي تناولتها بالشرح والتفسير والتعليق، أما "العشور" في الدارجة المغربية فرغم منطلقاته الشرعية والفقهية إلا أنه حاد عنها عبر التاريخ ليصبح ظاهرة اجتماعية تكافلية، فمنذ تحرير الزكاة (زكاة الفطر ثم زكاة العشر) أي أنها لم تعد من مستحقات المخزن على الرعية، خضعت لتطبيقات واجتهادات اختلفت في الزمان والمكان، ففي البادية المغربية مثلا :

يتم إخراج "العشور" بحسب ما تنتجه الأرض من محاصيل وغلال. ويختلف وقت أداء العشور باختلاف مواسم جني الغلال والمحاصيل فجنى محاصيل الزيتون والتمور والخضر والفواكه يختلف أوانها طيلة السنة ولذلك تدب حركة غير عادية في مناطق إنتاج هذه المواد إذ تقصدها جحافل الفقراء وغيرهم من طالبي "العشور" ؛ أما الحبوب والقطاني فموعد حصادها وجمعها هو فصل الصيف حيث تكثر حركة طالبي العشور من :فقراء وشرفاء وفقهاء ومتصوفة وغيرهم" يطوفون بالقبائل والدواوير جماعات وفرادى راجلين وعلى ظهور الدواب. ومنهم من ينزل بخيامه وقياطينه على قبيلة أو دوار معين حتى إذا أكمل تجواله هز رحاله إلى قبيلة أخرى وهكذا...، وبعد نهاية الموسم وأحيانا خلاله يبيع هؤلاء ما تحصل لديهم من حبوب في عين المكان أو في الأسواق الأسبوعية ؛ ومنه من يرسل أحمال الزرع إلى بلده الأصلي. ويتحصل لهؤلاء "العشارة" أحيانا ما لا يحصل عليه الفلاح الصغير والمتوسط من حبوب وقطاني بعد عمل شاق طيلة السنة.

ويتحدث بعض الفلاحين المسنين عن "العشور" قديما فيقولون أن تطبيقه كان أمرا عاديا عند جميع الفلاحين باعتبار الزكاة ركنا من أركان الإسلام الخمسة وكان إخراجها يتم فورا قبل إدخال المحاصيل إلى الدار وتشمل جميع المنتجات كيفما كانت قيمتها (بهائم وزيت وسمن وعسل وصوف وما إلى ذلك...). أما اليوم فلا يخرج الفلاحون في أحسن الأحوال إلا "عشور" الحبوب، وأحيانا يتحايلون فيخرجون نصيبا قليلا منها في البيدر والنصيب الأوفر يتم إرساله للمعوزين من ذويهم سواء في المنطقة أو خارجها، ومنهم من يرسلها إلى الزوايا والأضرحة والمدارس العتيقة. ومن الفلاحين من يؤدي منها أجرة فقيه الدوار "الشرط" وهكذا...

ما قلناه عن البادية ينطبق على المدينة خاصة عند فئة التجار الصغار والمتوسطين وبعض التجار الكبار، والاختلاف مع البادية يتجلى في زمن إخراج زكاة العشر فبداية السنة الهجرية "شهر محرم" في الغالب يكون موسم العشارة الذين يمرون على أبواب الدكاكين والمحلات التجارية يجمعون ما تيسر من نقود، وبما أن معظم التجار من منطقة سوس فإن مجمل أموال زكاة العشر ترسل إلى مستحقيها من مؤسسات خيرية ومدارس عتيقة وفقهاء وصلحاء ومعوزين ولا يوزع محليا أمام دكانه إلا القليل.

ابن حوقل، *صورة الأرض*، ليدن، 1938 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، بيروت، 1948، الدار البيضاء، 1985 ؛ ابن أبي زرع، *روض القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ الوتشريسي، *المعيار المعرب*، طبعة وزارة الأوقاف ؛ التادلي، *التشوف*، الرباط، 1984 ؛ ليفي بروفنصال، *مجموعة رسائل موحدية*، الرباط، 1941 ؛ محمد الطويل، *الفلاحة المغربية في العصر الوسيط*، مرقون كلية الآداب بالرباط.

محمد حجاج الطويل

العصافير، مجموعة من أنواع الطيور المغردة تصنف إلى رتبة الجواثيم Passeriformes ومنها فصائل عديدة وتعتبر من أكبر رتب الطيور وأكثرها تعقيدا حيث تتكون من ثلاثة أخماس مجموعة الطيور كلها في العالم. تضم 130 نوعا من بين 370 من مجموع الطيور التي تشاهد بصفة منتظمة في المغرب. مقاييس الأنواع مختلفة : صغيرة جدا

كالصعو أو متوسطة كالدريس والجحموم ـ الشحرور ـ وأبي الحناء والسمنة والخطاف والجاوش والقويع أو كبيرة كالغراب حيث يبلغ طول الجسم 60 سم. تتميز أنواع العصافير بقصر رسغ القدم الذي ينتهي بأربعة أصابع حرة، الرابع منها متوجه إلى الخلف. بعض الأنواع تعرف من خلال أصوات تغريدها. نذكر من بين الأنواع الشائعة والغريبة في المغرب :

ـ الصعو للذكر والصعوة للأنثى كما في المعاجم تجمع على صعاء وهو طائر بري من القواطع يعتبر من أصغر الطيور حجما إذ لا يزيد طوله على 9 سم ويزن 20 ـ 30 غراماً. يقال له في المغرب الدسيس لكثرة اختفائه وفي الشرق العربي وصع يجمع على وصعان في سوريا والعراق ولبنان سكسوكة ونمنمة ودعويقة وذكر في بعض المؤلفات العربية باسم سكسكة وأطرغلودس وأطرغلوس وصفراغون. يتميز بحركات دائمة وبقلة الطيران. يصنف إلى فصيلة سيتيدي Sittidae ويدعى علميا Troglodytes troglodytes وبالفرنسية Troglodyte mignon وبالإنجليزية Wren وبالإسبانية Chorchin وبالإيطالية Scricciolo. موطنه إفريقيا الشمالية وأوربا والشرق الأوسط. طائر مستقر في المغرب ويألف المناطق الغابوية والصخرية والحقول والبساتين. الذكور شبيهة بالإناث، لونه متوسط بين الرمادي والصفرة وعلى جناحيه ريش ذهبي أشقر بخطوط من الريش الأبيض على الجانبين والذيل، القوائم بنية حمراء داكنة، الذيل قصير ومتوجه إلى الأعلى في أغلب الأوقات منقاره دقيق وعلى ذيله نقط بيض. يتغذى من الحبوب والحشرات والديدان والعناكب. يتوالد في مختلف المناطق المغربية الغابوية والساحلية ابتداء من شهر أبريل وينصب العش على الأشجار وبين الصخور وفي المغاوير وهو كروي الشكل يقوم الذكر بإنشائه وتفرشه الأنثى بالريش لتضع فيه 5 ـ 8 بيضات ملساء بيضاء مزركشة بنقط حمراء وسوداء، يبلغ طول قطرها الكبير 17,5 ملم. تحضن الإناث البيض 14 ـ 17 يوما. تغادر الصغار العش بعد 18 يوما.

م. رمضاني، *السلوي، معلمة المغرب*، الجزء 15 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*, 1979, 320 p. ; C. Harrison, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleurs*, Elsevier, 1977, 430 p. ; M. Thevenot, P. Beaubrun, R.E. Baouab, & P. Bergier, *Compte rendu d'ornithologie marocaine*, Documents Inst. Sci., Rabat, 1982, 118 p.

محمد رمضاني

عصور ما قبل التاريخ في المغرب، تنقسم عصور ما قبل التاريخ في المغرب إلى قسمين رئيسيين :

ـ العصر الحجري القديم القديم (Paléotique)

ـ العصر الحجري الحديث (Néolithique)

العصر الحجري القديم يقسم بدوره إلى ثلاثة أقسام :

1 ـ العصر الحجري القديم الأسفل أو الأدنى

2 ـ العصر الحجري القديم الأوسط

3 ـ العصر الحجري القديم الأعلى

1 ـ العصر الحجري القديم الأسفل بالمغرب : من الأصول إلى 120000 ق. م. يمثل هذا العصر أطول وأقدم مرحلة تطورية في حياة البشر. وقد قام العلماء بالبحث عن بقايا هذا البشر ومخلفاته في المواقع التي يظن أنه كان يقطنها أو يسكن بجوارها أو يلتجئ إليها كالعيون، والأودية، والمنخفضات، والكهوف القريبة من الينابيع والأنهار، لأن إنسان هذه المرحلة كان يبحث عن طعامه بوسائله المختلفة، في هذه المناطق التي تتجمع فيها المياه والنباتات البرية والحيوانات والطيور والأسماك التي يستطيع فيها تحقيق غرضه الأول وهو الصيد والقنص والالتقاط. وقد ترك بعض آثاره في الطبقات الأولى المطلة على هذه العيون والأودية والمنخفضات. ومن المواقع الأثرية المنتمية لهذه المرحلة في مغرب ما قبل التاريخ محجر سيدي عبد الرحمن، ومحجر مارتان، ومحجر طوما بالدار البيضاء وموقع تيط مليل قرب الدار البيضاء وموقع وادي الخميس بالخميسات، وموقع عين لفريطيسة في شمال المغرب. كما عثر على نماذج من أقدم الأدوات الحجرية التي يبدو أن إنسان هذه المرحلة استعملها والتي تعرف بثقافة النواة أو ثقافة الحصاة (Pebble - culture) في مواقع متعددة بالمغرب في الشمال والوسط والجنوب والصحراء كعرباوة والدار البيضاء والخميسات والرباط إلخ. وتعتبر هذه الثقافة أقدم تعبير لبداية مغامرة الذكاء لدى الإنسان. ويعيد العلماء تاريخ ظهور هذه الثقافة إلى حوالي 2.5 مليون حيث تم اكتشافها لأول مرة بشرق إفريقيا بجانب الاسترالوبيثيك (الإنسان القردي الجنوبي)، إلا أنه في المغرب لم يعثر لحد الآن على بقايا هذا النوع البشري، ولكن الأدوات الحجرية التي يبدو أنه كان يستعملها موجودة مما يوحي بأن هذا النوع البشري العتيق كان بدوره موجوداً إلا أن معاول المنقبين لم تصل إليه بعد.

وفي مرحلة تطورية ثانية ومع ظهور ما يسمى بالإنسان المنتصب القامة (Homo erectus) الذي وجدت بقاياه في المغرب في مواقع متعددة كالدار البيضاء وسلا والرباط ومن أهم هذه المواقع كهف ومحجر سيدي عبد الرحمن بالدار البيضاء، الذي ساهمت الأبحاث التي عرفها في دراسة الزمن الجيولوجي الرابع والتعريف بحضارات وصناعات ما قبل التاريخ، وبالإنسان الذي عاش خلاله، وكذا الحيوانات والنباتات التي كانت تعيش في نفس المجال. وتنتمي البقايا البشرية المستخرجة من هذا الموقع سواء التي استخرجت في بداية منتصف القرن العشرين أو التي عثر عليها سنة 1998 إلى نموذج الإنسان المنتصب القامة الذي يتراوح تاريخ وجوده بالمغرب ما بين مليون و165000 سنة ق. م. وقد عثر على أنواع منه كذلك بالرباط وسلا. ويطلق العلماء على هذا الإنسان المغربي العتيق اسم أطلانثروب أي إنسان الأطلس. كما عثر على بقايا عظمية لحيوانات متحجرة منها

الفيل ووحيد القرن وفرس النهر والزرافة والحصان. وقد استعمل هذا الإنسان أدوات حجرية تسمى بالأشولية وهي فؤوس يدوية ذات وجهين وكانت منتشرة ومتوفرة في كل مناطق المغرب والصحراء. وقد استغرق العصر الحجري القديم الأسفل مرحلة طويلة من الزمن واجه فيها الإنسان البيئة وتفاعل معها. وهذا التفاعل أكسبه خبرة استعملها في تطوير أدواته الحجرية التي ساعدته على الانتقال إلى المرحلة التطورية التالية حوالي 120000 سنة قبل الميلاد وهو العصر الحجري القديم الأوسط.

2 ـ العصر الحجري القديم الأوسط : 120000 ـ 35000 ق.م.

اتجه الإنسان خلال هذه المرحلة إلى تطوير الأدوات الحجرية وصناعة آلات حجرية أكثر دقة تعرف بالشظايا. تتميز هذه الشظايا بصغر حجمها وتنوع أشكالها كالأزاميل والمكاشط ورؤوس الحراب والسهام ـ تصنع هذه الشظايا عن طريق فصلها عن النواة الأصلية لكي تؤدي وظيفة القطع التي يحتاج إليها. وتعرف هذه الصناعة عالمياً بالصناعة الموستيرية بينما في شمال إفريقيا والصحراء الكبرى فتسمى بالصناعة العاطرية نسبة إلى موقع بئر العاطر بالجزائر. وتتميز الادوات العاطرية عن باقي الصناعات بأنها أدوات مذنبة. ويعتبر ابتكار الذنب تقدماً كبيراً لأنه يعبر على وجود التصور والإمكانيات الفكرية لدى هؤلاء المبتكرين. فرأس الحربة المربوط بعصى مثلاً يصبح سلاحاً فعّالا بالإضافة إلى أنه يزيد من قوة مستعمليه. وقد عثر على الصناعة العاطرية في عدد من المواقع تمتد من المغرب الأقصى غرباً إلى مصر شرقاً بما فيها الصحراء الكبرى، وقد وجدت آثار هذه الصناعة في مواقع بالمغرب كمغارة العالية بطنجة، وكهف دار السلطان قرب الرباط، وكهف المهريين بتمارة وكهف الخنزيرة جنوب غرب الجديدة بالإضافة إلى مغارة الحمام بتافوغالت المستوى 16 و17 الخ ...

ومن البقايا البشرية المنتمية لهذا العصر إنسان جبل إيغود الذي عثر عليه في موقع يبعد بحوالي 30 كلم جنوب شرق مدينة آسفي، والذي عاش منذ حوالي 130000 سنة ق. م. في نفس الفترة التي عاش فيا إنسان نياندرطال بأوربا والشرق الأدنى القديم. وكان زمن اكتشاف إنسان جبل ايغود يعتقد أنه ينتمي إلى فصيلة إنسان ميأندرطال، إلا أنه بعد الدراسات التي اجريت عليه، اتضح أنه يختلف عنه اختلافا كليا بعدد من السمات منها أن مظهر وجهه أقرب للإنسان العاقل منه للنياندرطال هذا فضلاً على أن أنفه أكثر اتساعا. كما يتميز بأن جمجمته لا تزال تتضمن بعض السمات القديمة التي تشير إلى وجود علاقة بينه وبين الانسان المنتصب القامة.

ويعتبر انسان جبل ايغود الشهادة الوحيدة على وجود مجموعة بشرية قديمة تجمع بين صفات الإنسان السابق، الإنسان المنتصب القامة، والإنسان اللاحق، الإنسان العاقل العاقل مما يعني أنه يمثل حلقة تطور بينهما. وهذه الظاهرة لا نجدها إلا في هذه المنطقة مما جعل العلماء المهتمين بالتطور البشري يميلون إلى القول بأن المغرب هو البلد الوحيد في العالم الذي يتوفر على هذه الخاصية الفريدة من نوعها، بعكس باقي المناطق. ويبدو أن إنسان جبل إيغود هو جد الإنسان العاطري المنتمي إلى الإنسان العاقل. وفي عهده تطورت حياة الإنسان المغربي في العصر الحجري القديم الأوسط بشقيها المادي والفكري مما دفعه نحو الانتقال إلى المرحلة الحضارية التالية المتمثلة في العصر الحجري القديم الأعلى.

3 ـ العصر الحجري القديم الأعلى : (Paléolithique supérieur)

تعتبر هذه المرحلة من مراحل العصر الحجري القديم أهم مرحلة في مجال التطور الحضاري لأنها تمثل خلاصة التجارب السابقة التي واجهت الإنسان خلال المراحل الطويلة من حياته، مما جعلها تمهد لمرحلة حاسمة أخرى في الحياة البشرية وهي مرحلة العصر الحجري الحديث أو مرحلة الثورة الإنتاجية الأولى.

وعلى الرغم من أن حدود العصر الحجري القديم الأعلى غير دقيقة وواضحة عما سبقها، إلا أن الملاحظ أنه كلما اقتربنا من الأزمنة الحالية إلا ووجدنا أن الحدود الزمنية بين مرحلة وأخرى تصبح أكثر دقة ووضوحا، هذا بالإضافة إلى أن التحقيق بواسطة الكربون المشع (14 C) أمدنا بسلم تاريخي ثمين وبالفعل فإنه ما بين 40000 و30000 قبل زمننا هذا، بدأت التقاليد المميزة للعصر الحجري القديم الأوسط تعرف تغيراً عميقاً في الشرق الأدنى القديم وغرب أوربا، مما يدل على الانتقال إلى العصر الحجري القديم الأعلى، الذي يتميز بتطور بنيات السكنى وازدياد أهمية المواد والأدوات والأسلحة المصنوعة من العظام، بجانب الأسلحة والأدوات الدقيقة المصنوعة من الحجر والمعروفة، بالميكروليثية، هذا فضلاً على استعمال المواد الملونة وظهور البدايات الأولى للتعبير الفني.

وتميز هذا العصر في المغرب بطغيان الصناعة العاطرية التي تحتل المكانة التي تحتلها الصناعة الموستيرية خارج شمال إفريقيا والصحراء الكبرى. وفيما يتعلق بالتسلسل الزمني للصناعة العاطرية فقد أثبتت التنقيبات الأثرية أنها تحتل مكانة الموستيرية وتتداخل معها وأحيانا تأتي بعدها مباشرة هذا علاوة على أن العاطرية بدأت في العصر الحجري القديم الأوسط واستمر وجودها في العصر الحجري القديم الأعلى.

ورغم الصعوبة في تحديد المركز الذي نشأت فيه هذه الحضارة لأول مرة ومنه انطلقت إلى باقي المراكز، إلا أن انتشار المواقع وتركزها على الساحل المغربي في المغرب، واستمرار انتشارها في ليبيا ومصر، وتوجهها توجها قويا نحو الجنوب في الصحراء إلى أن تتوقف بصفة عامة على

ضفاف ما تبقى من البحيرات في الصحراء الجنوبية كبحيرة تشاد، يجعل من هذا التركز في المغرب، وتدرج قلة المراكز كلما اتجهنا إلى الشرق إلى غاية مصر، تجعلنا نفترض أن مهد هذه الصناعة كان في المغرب الحالي، ومنه انتشرت في باقي شمال إفريقيا والصحراء. وهذا يعني أن هذه الصناعة فرضت وجودها في كل هذا المجال وأن العلاقات الحضارية هذه المرة كان اتجاهها غربياً ـ شرقياً جنوبياً وشرقياً، أي أن الصناعة العاطرية كانت المحرك الأساسي القوي التأثير في هذه المرحلة، مما يجعلنا نميل إلى القول بأن إرهاصات ما يمكن أن نسميه الوحدة الحضارية بين شمال إفريقيا من جهة والصحراء من جهة أخرى تعود إلى هذه المرحلة.

وقد عثر على إنسان صانع هذه الحضارة في مواقع متعددة في المغرب منها كهف دار السلطان سنة 1975 وكهف قارة في نفس السنة كذلك ومغارة العالية بطنجة .. الخ ... ويبدو من خلال الدراسات الأثرية أن الحضارة العاطرية، بدأت منذ حوالي 45000 سنة ق. م. واستمر وجودها إلى حوالي 20000 سنة ق. م لتخلفها الحضارة الإيبيروموروسية.

هذه الحضارة التي غطت مرحلة زمنية من العصر الحجري القديم الأعلى تتراوح ما بين 20000 سنة و8000 سنة ق. م. ولقد كان إلى وقت قريب يعتقد أن هناك فراغاً حضارياً وهوة اركيولوجية تفصل بين الحضارة العاطرية والحضارة الايبيروموروسية. ولكن التنقيبات الأثرية التي أجراها الباحث الفرنسي القس روش (L'Abbé Roche) في مغارة الحمام بتافوغالت بشرق المغرب، أثبتت أن المستويين الأثريين 17 و18، من مستويات المغارة والواقعين في أسفل الطبقات الأثرية يمثلان الحضارة العاطرية وبداية الحضارة الايبيروموروسية في المستويات العليا انطلاقا من المستوى 16. وهذا ما يعني عدم وجود أية هوة بين الحضارتين. وليس من المستبعد أن يكون للحضارة العاطرية أثر في الحضارة الايبيروموروسية.

كانت الحضارة الايبيروموروسية تتميز بأنها حضارة ساحلية، تنتشر في شمال إفريقيا من المغرب غرباً إلى ليبيا شرقا، عكس الحضارة القفصية التي هي حضارة داخلية أي قارية. وأول من سماها بالاري (Pallary) الذي أطلق عليها اسم الحضارة الايبيروموروسية معتقداً أنها صناعة قادمة من شبه جزيرة ايبيريا. ولكن اتضح فيما بعد أن هذه الحضارة لا علاقة لها إطلاقا بإيبيريا، وإنها حضارة محلية صرفة. وأعقب ذلك تحريات ودراسات وحفريات قام بها الباحث الفرنسي فوفري سنة 1932 في مواقع بالجزائر على الخصوص، جعله يطلق عليها اسم الحضارة الوهرانية.

وأهم سمات الحضارة الوهرانية صغر أدواتها الحجرية، ولا سيما النصال الصغيرة ذات الشكل الهلالي، والمكاشط المستديرة وبعض الأدوات المستعملة لسحق الألوان، بجانب أدوات من العظام المصقولة المهندمة.

ويحدد الباحث الفرنسي القس روش تاريخ هذه الحضارة باستعمال الكربون C14 ما بين 21900 + - 400 و10 800 + - 400 من الآن. بينما يحدد تاريخها ماكبرني في ليبيا ما بين 14000 ق. م و10000 ق. م. وهذا يعني أن الحضارة الوهرانية في غرب شمال إفريقيا أقدم منها في شرقها. فهل هذه التقديرات المقارنة تسمح لنا بافتراض الأصل في المغرب، ومنها اتجهت بالتدريج إلى الشرق، حتى وصلت إلى ليبيا ؟ هذا مع العلم أنه لحد الآن، تم العثور على أدوات هذه الصناعة في الصحراء ـ المغربية فقط قرب اسمارة. فهل هي حضارة مغربية صرفة ولا وجود لها في الصحراء الكبرى، أم أنها توجد بها ولكن معول المنقبين لم تصل إليها بعد ؟ على كل، وحسب التحريات والتنقيبات التي أجريت لحد الآن في الصحراء فإنها تشير إلى وجود هذه الحضارة في الصحراء المغربية فقط عكس الحضارة السابقة العاطرية. فهل هي بداية انتقال العلاقات بين الصحراء وشمال أفريقيا، من علاقات عمومية إلى علاقات أفقية، أي من علاقات شمال ـ جنوب وجنوب ـ شمال إلى علاقات غرب ـ شرق وغرب جنوب شرق ؟ أي أن العلاقات التي كانت صحراوية شمال إفريقية في البداية انتقلت في عهد الحضارة العاطرية إلى علاقات شمال أفريقية صحراوية ثم أصبحت في عهد الحضارة الوهرانية علاقة بين مناطق شمال إفريقية فقط.

العصر الحجري الحديث Néolithique في المغرب.

أشرنا في التمهيد إلى أن العصور الحجرية تقسم عادة إلى ثلاثة عصور العصر الحجري القديم والعصر الحجري الأوسط والعصر الحجري الحديث. وأن العصر الحجري الأوسط لا يوجد في كل المناطق لكونه عصر قصير جداً، هذا فضلاً على أنه عبارة عن فترة انتقالية. واعتباراً لذلك فإنه غير موجود في المغرب الذي تنتقل فيه من العصر الحجري القديم الأعلى إلى العصر الحجري الحديث مروراً بعصر أطلق عليه القس روش الايبيبالويتسك (Epipaléolithique) أو العصر الحجري القديم الفوقاني الذي يتميز حسب رأيه بكونه عصراً يجمع بين سمات العصر الحجري القديم وسمات العصر الحجري الحديث.

ومن سمات هذا العصر ظهور الثورة الانتاجية الأولى المتمثلة في انتقال الإنسان من مجرد إنسان باحث عن الطعام ومستهلك له إلى إنسان منتج، إذ أنه توصل إلى استئناس الحيوان والزراعة.

وقد عرف إنسان شمال إفريقيا خلال هذه المرحلة الحضارة القفصية، من الناحية الكرونولوجية تلي الحضارة الوهرانية، الحضارة القفصية وهذه الحضارة بدورها كان قد أطلق عليها في بداية اكتشافها سنة 1909 الحضارة والصناعة الجيتولية (Industrie gétule) لكون التشابه بين أدوات هذه الصناعة وأدوات الأدوار الأولى من العصر الحجري القديم الأعلى في أوروبا وخاصة الحضارة الأوريگنسية (Aurignacien)، دفع الباحثين إلى المزيد من التحري والتقصي، وإعادة النظر في المكتشفات الأثرية التي قام بها گوبير (Gobert) وفوفوي

(Vaufrey). وقد ألقيا أضواء جديدة على الموضوع، وخاصة بعد استخراجهم للأدوات الدقيقة باستعمال الغربال، مما يوضح أن الإنسان القفصي كان يستعمل أدوات دقيقة شبيهة بالأدوات الميكروليثية التي تميز العصر الحجري الوسيط (Mésolithique). مما دفع بكوربير وڤوفري إلى إرجاع هذه الصناعة إلى العصر الحجري الوسيط. ونضيف إلى هذا أن مواقعها سطحية، والكثير منها على هيئة تلال مكونة من تكديس الرماد وبقايا الطعام التي تركها الإنسان القفصي، والمتكونة أساساً من الحلزون، مما جعل الباحثين يطلقون عليها الرماديات أو الحلزونيات (Les escargotières).

ومن ميزات الحضارة القفصية أنها أقل انتشاراً في المكان والزمان، إذ لم تتجاوز المناطق الداخلية بتونس، وخاصة جهتي قفصة وتبسة، كما تمتد إلى شرق الجزائر وخاصة جهة سطيف وقسنطينة، ولا تتعدى في الغرب جهة تيارت. ولم يعثر على أي أثر لهذه الحضارة لحد الآن في المغرب والصحراء، وجنوب مصر وشمال السودان. أما من الناحية الزمنية، فقد أثبتت التحاليل المخبرية باستعمال الكربون C14 أن الحضارة القفصية ظهرت بعد الحضارة الوهرانية، ولم تعمر إلا مدة قصيرة نسبيا تتراوح ما بين منتصف الألف السابع والألف الرابع قبل الميلاد (6450 ق. م + - 400 و3050 ق. م + - 100).

ومن خصائص العصر الحجري الحديث توصل الإنسان إلى تربية الماشية والزراعة فهل وصل سكان المغرب الأقدمين إليهما ؟

- تربية الماشية والزراعة :

كان قدوم الفينيقيين إلى وقت قريب يربط اكتشاف الزراعة ودخول المغرب العصور التاريخية ؛ إلا أن الأبحاث الأثرية الأخيرة والدراسات المنصبة على هذين الموضوعين أكدت أن ممارسة تربية الماشية والزراعة كان معروفا لدى سكان شمال إفريقيا، وربما لدى أبناء الصحراء كذلك، منذ فترات قديمة.

فهل يمكن تحديد تاريخ ظهور الزراعة في بلدان شمال إفريقيا والصحراء، وما هي الدلائل أو المؤشرات التي تدل على وجودها ؟

إن أول صعوبة تعترضنا تتمثل في عدم توفرنا على مادة علمية كافية لمعالجة أصول الزراعة، هذا فضلاً عن أن أغلب ما هو متوفر كتبه أجانب انطلاقا من أفكار مسبقة، ترتكز على أن كل الإبداعات الحضارية التي عرفتها شمال إفريقيا جاءتها من الخارج ؛ بل وهناك من هؤلاء الباحثين من يرى أنه بما أن الزراعة مرتبطة بالعصر الحجري الحديث، وبما أننا لا نعرف جيداً متى بدأ هذا العصر ومتى انتهى، فإن هذا يطرح صعوبات كبيرة في التعرف على أصول الزراعة فيها ؟ ويذهب كامس (Camps) بعيداً إلى حد أنه يذكر بما أن ممارسة الزراعة تعتبر من أهم سمات العصر الحجري الحديث، التي عمت الشرق الأدنى وأوروبا، فإنه لا يمكن الأخذ بنفس الحكم كلية في أفريقيا. هذه بعض الأمثلة من مواقف الباحثين الأجانب من معرفة منطقة شمال إفريقيا بالزراعة، فهل يمكن اعتبارها أحكاما نهائية ؟ وكيف يعقل أن تعرف جهة في شمال إفريقيا، وهي مصر الزراعة ولا تعرفها جهات قريبة من نفس المنطقة ؟

لذلك ولفتح المزيد من الآفاق حول هذا الموضوع، يبدو أنه من الأفضل العودة إلى دراسة بعض المستخرجات الأثرية التي تم العثور عليها في بعض المواقع التي يبدو أن لها علاقة بالعصر الحجري الحديث وبإرهاصات الزراعة. ومن هذه المؤشرات مستخرجات مواقع الحضارة الوهرانية والحضارة القفصية والريف الشرقي.

ففيما يتعلق بالحضارة الوهرانية فقد تم العثور على الكرات الحجرية المثقوبة (Les boules de pierre perforées) الصغيرة الحجم التي تستعمل كثقالة (poids) للعصا الحفارة (Le baton à fouir) في موقعين وهرانيين بالجزائر تمراحت ورأس سيكيلي ويتحدث كامبس عن هذه الأداة قائلاً : "إن هذه الأداة جد معروفة بإفريقيا وخصوصاً عند شعب البوشمن وأيضاً بإثيوبيا، وأنها تستعمل لغرض تهيئة الأرض وتنعيمها لدى مزاولي الزراعة الفقيرة".

أما بالنسبة للحضارة القفصية، فقد عثر في بعض طبقاتها الأثرية على نوع من المناجل والكرات الحجرية المثقوبة، (Les boules de pierre perforées) والمدقات (Les molettes) وأداة الحصاد (Le lustre des moissons). ومع كل هذا، فإن كامبس يتحفظ بخصوص الأدوات القفصية التي يبدو أن لها علاقة بالزراعة ويؤكد على عدم وجود زراعة لدى القفصيين، مشيراً في نفس الوقت إلى أن أول أداة ربطها بالزراعة هي الشفرة، التي عادة ما تعرف بأداة الحصاد (Le lustre des moissons)، والتي استخرجت من بعض الطبقات الأثرية القفصية. ومع ذلك فان كامبس، ورغم تأكيده بارتباط أداة الحصاد هذه بالزراعة، إلا أنه يقول بأنه لا يجب الاعتقاد بأن أداة الحصاد هذه قد استعملت في الزراعة. بل يمكن أن تكون قد استخدمت في قطع سيقان نباتات غير صالحة للأكل، ولكن لها منافع كثيرة، كالقصب الذي كان يستعمل كثيراً في صنع الفخاخ.

وكأني بكامبس يعمل ما في وسعه من أجل نفي وجود أي إسهام حضاري لأبناء هذه المنطقة، رغم وجود بعض المؤشرات الموحية بذلك. فوجود الأدوات الزراعية في بعض المواقع الأثرية ليس دليلا كافيا في نظر كامبس، بل يمكن اعتبار ذلك محاولة للتوجه نحو زراعة فعلية. وبما أن التحديد الزمني لرماديات الحضارة القفصية يتزامن والعصر الحجري الحديث في البحر الأبيض المتوسط، فإن كامبس، يرجح أن القفصيين يمكن أن يكونوا قد مارسوا القطف بطريقة انتقائية، مكنتهم من حفظ ما جمعوه ويمكن اعتبار هذه العملية، حسب كامبس دائما، أول خطوة نحو زراعة حقيقية.

والجدير بالإشارة هنا، أن الباحث ريگاس تحدث عن نوع

من المعاول (Pics) عثر عليها جنوب قسنطينة بالجزائر، أطلق عليها اسم المحروقاتي الذي يظهر أن لها ارتباطا وثيقا بالزراعة، هو نوع من المعاول الصوانية المنحوتة وغير المصقولة. ويفترض ريگاس أن هذه الصناعة ذات أصول إفريقية، وأن تأثيرها وصل إلى أوربا بطرق يجهلها. وقد وجدت هذه الأداة الزراعية أيضاً في جهة الحوز مما جعل الباحث رودريك (Rodrique) يرجع أن هذه الأداة استعملت كأداة للحرث ؛ وهذا يعني قيام الزراعة بالمغرب قبل ظهور المحراث.

ومن المؤشرات الأخرى التي ترجع كفة معرفة إنسان العصر الحجري الحديث في شمال إفريقيا للزراعة وممارسته لها، ما استخرجته البعثة الأثرية العلمية المغربية الألمانية، التي نقبت في شرق جبال الريف بالمغرب، وأقامت معرضا لمستخرجاتها الأثرية بالمتحف الأثري بالرباط ما بين 16 مايو ويونيو 1998، أثبتت من خلاله ظهور الفلاحين الأوائل بهذه الجهة منذ حوالي 9000 سنة بجانب مربي الماشية والصناع الأوائل للفخار. وفي حوار مع الباحثين المغاربة المشاركين في هذه البعثة العلمية أشار أحدهم إلى عثوره على حيوان يبدو أنه مستأنس في موقع إيفري ن الباورد قرب قرية صاكة بإقليم الناظور.

وإذا أضفنا إلى هذه المؤشرات الواضحة، النقوش والرسوم الصخرية الموجودة في جبال الأطلس وجنوب المغرب والجزائر وليبيا، وفي الصحراء الكبرى ؛ التي تجسد مشاهد من أنشطة سكان هذه المناطق، ومن ضمنها نقوش خاصة بعملية الحرث أشهرها نقش عزيب نائكيس الذي درسه مالوم (Malhomme) ونشره في مجلة "ليبيكا" سنة 1953. فكل هذه المؤشرات تؤكد معرفة إنسان شمال إفريقيا للزراعة انطلاقا من الألف التاسع قبل اليوم.

ويبدو أن الصحراء عرفت الزراعة منذ فترات قديمة، ومما يؤكد ذلك العثور على غبار الطلع في موقع منيات وأمكني بالصحراء الجزائرية. وقد تم التحديد التاريخي لزمن بعض الأدوات الحجرية بغبار الطلع لبعض المزروعات في موقع منيات بـ 3450 ق. م. أما موقع أمكني فقد تم العثور فيه على الفخار وقطعتي رحى وعشر مدقات (Molettes) بجانب غبار الطلع. وهذا ما جعل كامبس يغير موقفه ويؤيد إمكانية ممارسة الزراعة في أمكني بالألف الثامن ق. م.

وعليه، يبدو من خلال ما تقدم، أن الزراعة عرفتها المناطق الصحراوية ومناطق شمال إفريقيا في وقت متقارب، نظراً لعثور الباحثين على بعض أدوات الزراعة في هذه المناطق كلها، مما يؤكد تشابه التطور في كل من الصحراء وشمال إفريقيا مما يؤيد وجود عناصر ثقافية مشتركة بينهما.

ومع ذلك، فإن هذه الافتراضات ليست نهائية ؛ ونأمل أن تسمح الدراسات والأبحاث الأثرية الجارية حول هذا الموضوع في عدد من الجهات في شمال افريقيا والصحراء بكشف النقاب عن حقبة مهمة من حقب العلاقات بين شمال افريقيا والصحراء الكبرى ودورهما في التطور الحضاري للبشرية خلال عصور ما قبل التاريخ.

وبوصول الإنسان إلى اكتشاف تربية الماشية والزراعة انتقل إلى مرحلة الاستقرار التي صاحبتها تغيرات على مستوى المجتمع والعلاقات بين أفراده وظهور نوع من التخصص في بعض الحرف، كالفخار وصناعة الأدوات الزراعية والحجرية والمعدنية وتنظيم ديني معين.

وختم العصر الحجري الحديث تطوره بابتكار الإنسان الكتابة التي ظهرت لأول مرة في بلاد سومر ثم تلتها مصر.

وبابتكار الإنسان الكتابة انتقل من عصور ما قبل التاريخ إلى عصور التاريخ.

وفيما يتعلق بدخول المغرب للعصور التاريخية فقد قبل إنه دخلها في القرن الثاني عشر قبل الميلاد عن طريق اتصاله بالفينيقيين على أساس أنه لم يعرف الكتابة قبل هذا إلا أن الدراسات والأبحاث التي أجريت حول الكتابة الأمازيغية توحي بأنها ابتكرت قبل نزول الفينيقيين بسواحل المغرب. وهذا يعني أن المغرب دخل العصور التاريخية اعتمادا على ابتكاره الكتابة وليس انطلاقا من الاتصال بشعب يعرف الكتابة.

م. أعشي، *المدخل لتاريخ الحضارة*، الرباط، 1979-1980 ؛ *ما قبل التاريخ في المتحف الأثري المغربي*، مجلة الفنون، عدد 7-8، 1975 ؛ *إسهام النقوش الصخرية بالجنوب المغربي في التعريف ببداية استئناس الحيوانات*، المناهل، عدد 58، ص. 28-45 ؛ *نماذج من التأثيرات المتبادلة بين شمال إفريقيا والصحراء الكبرى خلال عصور ما قبل التاريخ*، عدد 7، سنة 2001، ص. 7-48 ؛ *جذور بعض مظاهر وحدة أرض المغارب خلال عصور ما قبل التاريخ أعمال الجامعة الشتوية في بناء المغربي العربي*، الكتاب الأول، *المحور التاريخي*، مكناس، 1988، ص. 69-81 ؛ م. عبد الجليل الجهراوي، *الحضارة الأشولية*، *معلمة المغرب*، ج 2، 1989، ص. 472-473 ؛ *الأيبيروموروزية*، *معلمة المغرب*، ج 3، 1991، ص. 917-919 ؛ موقع تارديگت الراحلة، *معلمة المغرب*، ج 6، 1992، ص. 2014 ؛ ع. الرزاق قراقب وعلي مطيهط، *حضارات ما قبل التاريخ تونس والبلاد المغاربية*، تونس، دار البف منشورات البحر الأبيض المتوسط، 1993.

L. Balout, *Préhistoire de l'Afrique du Nord*, Paris, 1955 ; Biberson, *Le paléolithique inférieur du Maroc atlantique*, Rabat, 1961, *(PSAM. 17)* ; Id., *Le cadre paléogéographique de la préhistoire du Maroc atlantique*, *P.S.A.M.*, n° 16, Rabat, 1960 ; G. Camps, *Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du Nord et du Sahara*, éd. Doin, Paris, 1976 ; J. Roche, *L'épipaléolithique marocain*, Lisbonne, 1958 ; A. Ruhlmann, *Le paléolithique marocain*, Nouvelle esquisse d'une étude d'ensemble, P.S.A.M., n° 7, 1947, Rabat ; R. Vaufrey, *Préhistoire de l'Afrique*, t. I, Le Maghreb, Librairie Masson et Cie, Paris, 1955 ; F. Z. Sbihi Alaoui, *La vie préhistorique*, *Mémorial du Maroc*, vol. n° 1, Nord Organisation, 1983 ; G. Souville, *Atlas préhistoire du Maroc* I, le Maroc atlantique, CNRS, Paris, 1973 ; M. Ouachi, *Origines des nord africains* in *Mémorial du Maroc*, vol. n° 1, Nord organisation, 1983, 83-103 ; Id., *La vie préhistorique au Maroc* in *Civilisation marocaine*, éditions Oum-actes Sud/sindbad, Casablanca 1996, p. 16-21 ; A. Le Roi-Gourhan [et al.], *La préhistoire*, Nouvelle Clio, P.U.F., 3e édition ; *Le geste et la parole*, 2 volumes, Paris, 1964-1965 ; G. Childe, *What happened in history*, harmondsworth, 1952, Penguin Books ; H. Alimen, *Atlas de préhistoire*, 1965 ; D. de Sonneville Bordes, *L'âge de la pierre*, Paris, 1961, collection Que sais-je ? n° 948 ; M. R. Sauter, *Préhistoire de la Méditerranée paléolithique*,

Mésolithique, Paris, 1958 ; L.C. Briggs, *The stone age reces of North-Africa*, Americain School of préhitoric nesearch Harvard university, Bull. 8. 1955 ; O. Bates, *The Easterne Libyans*, an essay, Londers Cass, 1914 ; C.B.M. McBurney, *The stone age of northern Africa*, Harmondsworth 1960 (Penguin, Books) ; G. Beaudet, *Le quaternaire marocain : Etat des études*, *Revue de Géographie du Maroc*, 20, 1971, p. 3 - 56 ; M. Brezillon, *Dictionnaire de la préhistoire*, *Dictionnaire de l'homme du XXe siècle*, Librairie Larousse, 1969 ; L. Cotrell (sous la direction), *Dictionnaire encyclopédique d'archéologie*, Gouda Hallande, 1962 ; *L'encyclopédie berbère*.
مصطفى أعشي

العصيدة أو "تگلا" بالأمازيغية، وهو طعام خشن كما وصفه الوزان يهيأ بالطريقة التالية : "يغلى الماء في قدر ثم يوضع فيها دقيق الشعير ويحرك بقضيب حتى ينضج. تصب هذه في طبق مجوف، وتجعل في وسطه حفرة تملأ بزيت الهرجان. وتجتمع الأسرة كلها حول هذا الطبق، فيأخذ كل واحد منه بيده دون ملعقة ما يستطيع حتى لا يبقى شيء في الطبق. وفي خلال الربيع والصيف كله يطبخ هذا الدقيق في اللبن ويدهن بالزبدة، ذلك هو العشاء العادي" (*وصف إفريقيا*، 1 : 96). وذكر ابن تجلات بأن أهل أغمات عرفوا هذه الوجبة الغذائية باسم "التلبينة" "وهو خليط عصيدة الشعير أو الذرة باللبن". وهي من الوجبات التي مازال أهل المنطقة يعدونها إلى اليوم. من ناحية أخرى نجد عند فئة عريضة من سكان البادية والمناطق الجبلية، عادة الاحتفاء بـ " الحكوز" الذي هو رأس السنة الشمسية الذي يوافق الحادي عشر من يناير الفلاحي. وظل المغاربة يحتفلون بهذه المناسبة في بيوتهم ويعدون العصيدة إلى عهد قريب. وقد كادت هذه العادة عند الأسرة القروية تنسى وتنقرض. إلا أن بعض الجمعيات المغربية المهتمة بالتراث الأمازيغي قد عملت على إحياء هذه العادة. فأقامت لها مهرجانا خاصا لأول مرة بأگادير مطلع سنة 2001. والمهرجان الثاني بداية سنة 2002. وبهذه المناسبة أعدت أطباق من العصيدة قدمت للمشاركين. وعند بعض الأسر المغربية التي لها ارتباط بهذه العادة غالبا ما تعد العصيدة من دقيق الذرة وتصب فوقها الزيت وتؤكل بالأيدي دون ملاعق. وتسمى عند البعض "ملاسة" والاسم مشتق من فعل تقوم به الأم في تلك الليلة بأن تأخذ لقمة كبيرة من العصيدة وتقوم بتمليسها على أحد جدران البيت. ومنهن من تضعها على إحدى أثافي الكانون بعد الانتهاء من استعماله في تلك الليلة. وحين ينتهي الآكلون من أكلهم ينظر إلى الإناء هل بقي به شيء من العصيدة أم لا ؟. ولهم في ذلك فأل حسن واعتقاد له صلة بالتفاؤل بموسم فلاحي جيد إن شبع أفراد الأسرة وفضل من العصيدة شيء. وإن حصل العكس ظنوا الظنون واعتقدوا بأن السنة ستكون غير ممطرة ويعني ذلك قلة وضعف في المحصول. ومن العادات غير المنسجمة مع الشرع في حال انحباس المطر، قيام سكان بعض المناطق في العديد من القبائل المغربية، كقبيلة كدموية - وغيرها من المناطق الجبلية بالأطلس - بعادة معلومة لديهم تدعى "تاغنجا". ومن جملة ما يرد في طقوسها طبخ العصيدة بغير ملح وتوزيعها على أكبر عدد ممكن من الحجارة بالواد القريب من القبيلة، آملين جريانه بعد أن تجف وتأكل منها الطير. وللعصيدة حضور قوي في طقوس الموسم السنوي الذي يقام للشيخ عبد الله بن حساين أمغار نزيل تامصلوحت. ذلك، أن خدام الزاوية يعملون على تقديم العصيدة للوافدين إلى الموسم ثلاثة أيام على التوالي. والعرف عندهم أن يأخذ الآكل من الإناء ثلاث لقيمات لا يتجاوزها، وفي ذلك استحضار لبركة الولي الصالح عبد الله بن احساين أمغار. وللعصيدة معانٍ أخرى نذكر منها الذي أورده صاحب الحلية "سمعت شعبة يقول كم من عصيدة فاتتني قال : أبو عبد الرحمن سلمة يعني كم من حديث قد فاتني". ولما مات السلطان أبو حفص استقر في الملك بعده أبو عصيدة سنة أربع وتسعين وستمائة وجاء في سبب تسميته أن الشيخ محمد المجاني سماه محمدا وأطعم الفقراء يوم ولادته عصيدة فلقب الولد بأبي عصيدة. وفي عام الرمادة مر عمر بن الخطاب على امرأة وهي تعصد عصيدة لها فقال ليس هكذا تعصدين ثم أخذ المسوط فقال : هكذا فأراها. وتذكر بعض المصادر أن طبخ العصيدة كان يتم في الطنجير كما يقول الخطيب البغدادي : "إذا برجل يبيع حلوا، وبين يديه طنجير فيه عصيدة تغلي، فأخذ رقاقة وأدخل يده في الطنجير والعصيدة تغلي فأخذ منها بكفه وطرحها على الرقاقة". وكان الأقدمون يميزون بين الحريرة والعصيدة بالمواد التي تضاف لكل منهما. يقول ياقوت الحموي : "والحريرة أن تنصب القدر بلحم يقطع صغارا على ماء كثير فإذا نضج ذر عليه الدقيق فإن لم يكن لحم فهو عصيدة وقيل غير ذلك". قال الجوهري : والعصيدة التي تعصدها بالمسواط فتمرها به فتنقلب ولا يبقى في الإناء منها شيء إلا انقلب. والعصيدة دقيق بلت بالسمن وبطبخ. يقال : عصدت العصيدة وأعصدتها أي اتخذتها. واعتبرت العصيدة في كثير من المناطق مغذية ولها أثر حميد في الذات. رؤي عن ابن طولون أنه "كان يقوم بإصلاحها ويأتي منها بجام واسع فيأكل أكثره ويطيب نفساً ببلوغ شهوته منها". ومن جلسائه من كان يعتبرها ثقيلة على الأعضاء ويحتاج الأمير إلى التخفيف منها.

ومن وجهة نظر أخرى فالحريرة تؤخذ من اللحم الغاب الذي يقطع قطعا صغيرة فيلقى في القدر ثم يطبخ بالماء الكثير والملح. فإذا أميت طبخا ذر عليه الدقيق فعصد به ثم أدم بأي أدام. "ولا تكون الحريرة إلا وفيها لحم، فإذا لم يكن فيها لحم فهي عصيدة". والسخينة دقيق يلقى على ماء أو على لبن فيطبخ ثم يؤكل بتمر أو بحساً وهو الحساء. والهبيد هو أن ينقع الحنظل أياما ثم يغسل ويطرح قشره الأعلى فيطبخ ويجعل فيه دقيق وربما جعل منه عصيدة والسخينة يقال لها أيضا "النفيتة والحدرقة والحريرة أرق منها". وعليه، فإن اسم العصيدة يطلق على طبخ الدقيق بالماء حتى

يتماسك. ويعدها البعض اليوم من السميدة بإضافة الزبدة لها. كما تعد أيضا من "البلبولة" التي أصلها من الشعير. وتعد أيضا من الذرة وغير ذلك، في مناطق أخرى من دقيق الفول أو الحمص إن انعدمت أنواع الدقيق الأخرى حين الأزمة. إلا أن ابن بطوطة سمى هذه الأطعمة بالعصيدة تشبيها بالذي عندنا في المغرب والدليل على ذلك ما ذكره في التحفة حول حب الشاماخ "وحب الشاماخ صغير جدا، وإذا جمع جعل في الشمس ثم يدق في مهارس الخشب فيطير قشره ويبقى لبه أبيض ويصنعون منه عصيدة يطبخونها بحليب الجواميس وهي أطيب من خبزه وكنت آكلها كثيرا ببلاد الهند وتعجبني. ونوع آخر يعد مما أسماه بـ "القافي" "وأكلنا بعد وصولنا عصيدة تصنع من شيء يشبه القلقاس يسمى القافي وهي عندهم مفضلة على سائر الطعام. وقد تحدثت المعاجم العربية عن معاني كثيرة مشتقة من فعل عصد يراد بها التدليل على أشياء أخرى من مثل : الذي "يعصد العصيدة" أي يديرها ويقلبها بالمعصدة. والطعام الذي يعده يسمى عصيدة. ومنها "عصد فلان عصودا إذا مات". وكذا "عصد البعير عنقه لواه نحو حاركه للموت حين الذبح". ومنها أيضا "العصد وهو اللي". و"العصد والعزد النكاح". ومن معانيها الإكراه "عصدته على الأمر عصدا إذا أكرهته عليه". وإذا قيل "للرجل عصيد" فهو نعت سوء. و"رجل عصواد" أي عسير شديد.

ابن منيع الهاشمي، *الطبقات الكبرى*، المدينة المنورة، 1408 / 1888 ؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت ؛ أبو نعيم الأصبهاني، *حلية الأولياء*، بيروت، 1405 / 1985 ؛ موفق الدين بن القاسم، *عيون الأنباء*، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د. ت) ؛ ياقوت الحموي، *معجم البلدان*، دار الفكر، بيروت، (د. ت) ؛ ابن منظور، *لسان العرب*، دار صادر، بيروت (د. ت) ؛ ابن تجلات، *إتمد العينين*، تح. م. رابطة الدين، (د. د. ع) الرباط، 1986 / 1406 ؛ أ. بن عبد الله القلقشندي، *مآثر الإنافة*، الكويت، 1985 ؛ ابن بطوطة، *تحفة النظار*، بيروت، 1979 / 1399 ؛ ح. بن محمد الوزان، *وصف إفريقيا*، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983 ؛ ع. الرزاق ازريكم، *أغمات وما إليها...*، (د. د. ع)، الرباط، 1993.

عبد الرزاق ازريكم

عطا (آيت -)، يطلق هذا الاسم على اتحادية كبرى مكونة من مجموعة من القبائل الصنهاجية، أهل الطبقة الثانية والثالثة حسب ترتيب ابن خلدون. تقع مواطنها بالجنوب المغربي، بين مرتفعات الأطلس شمالا، والنخوم الصحراوية ـ إيگيدي ـ جنوبا، وواحات تافيلالت والداورة شرقا، ووادي درعة الأعلى والأوسط غربا (Spillmann, 36). ويقع مركز هذا المجال الشاسع في سلاسل وُگْنَاتْ وجبل صَاغْرُو (التقى العلوي، 117).

ظل اسم آيت عطا مجهولا في الحوليات وكتب التاريخ حتى بداية العصر الحديث (حسب التحقيب الأوربي). فابن خلدون الذي يعتبر موسوعة للقبائل لم يشر إليهم بالرغم من أنه يذكر أن قبائل صنهاجة : "أوفر عددا وشدة وبأسا ومنعة، وأعزهم جانبا أهل الجبال المطلة على تادلا ... ولهم اعتزاز على الدولة ومنعة عن الهضيمة والانقياد للمعزم ... منهم ظواعن يسكنون الخص وينتجعون مواقع القطر في نواحي بلادهم ... ينطبق هذا التعريف ـ في جانب كبير منه ـ على آيت عطا. أما الحسن الوزان الذي تميز بقوة تحريه، وشدة فضوله، فإنه لم يشر إليهم بالرغم من أنه زار منطقة تافيلالت، المجاورة لمجال تنقلهم سنة 916 / 1511. ومكث بها طيلة شهور (*وصف إفريقيا*، 2 : 128).

إن أقدم مصدر تحدث عن آيت عطا، هو إفريقيا للكاتب الاسباني مارمول، حيث وردت على شكل "Yatata". ألف مارمول كتابه حوالي سنة 979 / 1571 ؛ وأشار إلى آيت عطا كإقليم شاسع يمتد على مشارف تافيلالت (Marmol, 3 : 23).

وترتبط الرواية الشفوية تكوين حلف آيت عطا بالحاجة التي أبدتها بعض قبائل صاغرو ـ مثل آيت وَحْلِيمْ وآيت إسْفُولْ ـ إلى تشييد مستودع لخزن الحبوب، حمل منذئذ اسم إغْرَمْ أمَرْدَارْ. وتشير إلى أن معظم قبائل الأطلس الكبير الشرقي قد انضوت تحت لواء هذا الحلف. فبالإضافة إلى أيْت مَرْغَادْ وأيْتْ ازْدَگْ، انضمت إليه بقايا القبائل الصحراوية المتفككة بسبب الغزو المعقلي للجنوب المغربي. ونشير في هذا السياق إلى أن أحمد بن يعقوب الولالي قد ادعى أن آيت عطا هم من أخص العرب ـ وهم قريش ـ ؛ ويستند في ذلك إلى ما تقرر في شجرة أنساب القبائل الموجودة بأيدي الفقراء أهل الصومعة (*مباحث الأنوار*، 122)، كما تشتمل الاتحادية على عناصر من الجنس الأسود ؛ ترجع أصولهم إلى العبيد الذين استقدموا إلى المغرب في عهد المرابطين، أو إلى الحراطين المنتشرين بواحات تافيلالت ودرعة منذ القديم. وقد بارك الشيخ عبد الله بن حسين مؤسس زاوية تصلوحت، هذا الحلف، حوالي 957 / 1550 (*التقى العلوي*، 115). وتدعي الرواية الشفوية المحلية أن أحد مريديه، ولعله أحد أقربائه، ويدعى داداً عطا ؛ هو الذي صار أبا رمزيا لهذا الحلف. بل لقد استعار اسمه من اسم هذا الشخص تيمنا به.

وهكذا انصرف آيت عطا يتوسعون نحو الشمال، فتطلبوا دعماً معنوياً، تجلى في اتصالهم بمولاي عبد الله بن حسين ومرابطي زاوية أحنصال. وإذا لم يكن بالإمكان تحديد تواريخ هذه الاتصالات بالضبط، فإنه لا ينبغي إنكار حدوثها ؛ خاصة وأن لأولئك المرابطين نفوذاً قوياً على القبائل المستوطنة بالممرات الجبلية. كما أن دور الصلحاء والمرابطين لم يقتصر على التحكيم في النزاعات التي تنشب بين القبائل، بل تعداه إلى تسهيل انتجاع آيت عطا في المراعي الجبلية، وربما الإشراف على إبرام عقود التعزيب بين هؤلاء الرعاة والمستقرين. ولعل النفوذ الذي اكتسبه مرابطو أحنصال داخل هذه الاتحادية راجع إلى هذه الوظائف. كما

يمكن أن تدل تلك الاتصالات على أن آيت عطا كانوا يريدون المحافظة على خصوصيتهم الاجتماعية والثقافية من أجل ضمان مشروعيتهم إزاء المخزن الذي أصبحت تتداوله أيدي أسر شريفة منذ القرن 10 (16 م).

وعلى الرغم مما بذلته السلطات الفرنسية في سبيل إخضاع آيت عطا، فإن مجهوداتها كانت تذهب سدى. فحتى سنة 1930 لم تخضع إلا بعض الفرق المنعزلة الموجودة في الأطراف.

وستظل أعمال المقاومة الباسلة التي خاضتها إلْمُشَانْ (إحدى قبائل آيت عطا) بقيادة حَسُّو أوبَاسْلاَمْ، في جبل صاغرو من بين ألمع صور المقاومة المغربية الخالدة (Spillmann, 110).

وفي النهاية نختم هذا التعريف بآيت عطا برأي واحد ممن شاركوا في عمليات إخضاع هذه الاتحادية ؛ يمكننا من خلاله أن نستشف تقييما لبسالة مقاومتها : "لقد أوضحت لنا المقاومة الضارية التي لاقيناها بجبل صاغرو، من طرف أواخر الأنوية الخارجة عن طاعتنا، الخطر الذي قد يشكله العمل العسكري الكثيف الذي قامت به اتحادية آيت عطا". وتعليقا على الكيفية التي تم بها إخضاع آيت عطا يضيف : "تحققت هذه النتيجة بالتدريج، وبفضل عمليات عسكرية متوالية، وجهناها بحذر على جهات متنوعة، غالباً ما كانت بعيدة بعضها عن بعض. وكان العمل العسكري مسبوقاً بالعمل السياسي الذي مهّد له" (Spillmann, 110).

مجموعة وثائق زاوية كرول ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، أ. الولالي، *مباحث الأنوار*، التقى العلوي، *أصول المغاربة*، القسم البربري، دور الاتحاديات الأطلسية، مجلة البحث العلمي، العدد 23، الرباط، 1394 ـ 1974، ص. 115 ـ 134.

M. Morsy, *La relation de Thomas Pellow* ; Ch. De Foucauld, *Reconnaissance au Maroc* ; G. Spillmann, *Les Aït Atta du Sahara* ; G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc* ; J. Brignon [at al.], *L'histoire du Maroc* ; L. Mezzine, *Le Tafilalet*.

أحمد عمالك

العطار، أحمد قائد غرناطي بقلعية، ربما إبن علي بن إبراهيم الغرناطي آتي الترجمة. حل بقلعية يوم 14 جمادى الثانية عام 939 / 11 يناير 1533 بعد ثلاثة أيام من استرجاع مدينة غساسة المحتلة من طرف الإسبان منذ سنة 1506. تفقد أحمد العطار المدينة المسترجعة خلال أسبوع واحد وعاد إلى فاس بعد أن ترك بها حامية مؤلفة من ثمانين فارساً وخمسين من الرماة الأندلسيين.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ مارمول كاربخال، *إفريقيا* ؛ ح. الفگيگي، *مقاومة الوجود الإسباني بمليلة المحتلة*، الدار البيضاء، 1997.

S.I.H.M., España, t. I

حسن الفگيگي

العطار الشامي، محمد صادق بن العلامة سليم بن الولي ياسين بن القطب الشهير حامد العطار، الشامي أصلا، الدمشقي وطنا، المغربي هجرة. هكذا عرّف الشامي نفسه في رسالته التي طبعت في طنجة سنة 1901. لا يعلم على وجه الدقة تاريخ حلوله بالمغرب، ولكنه كان موجوداً على أرضه أواخر سنة 1311 / 1896 حسبما يظهر من خطاب بعثه في 11 ديسمبر من هذه السنة إلى محمد الطريس، النائب السلطاني، واصفا فيه مظاهر الحفاوة التي استقبل بها الشيخ ماء العينين في مدينة مراكش. ولم يوضح في رسالته المطبوعة تاريخ هجرته إلى المغرب ولا الظروف المحيطة بها، غير أنه سجل فيها أنه استوطن مراكش وكسب فيها مالاً وعقاراً، كما ربط صلات وطيدة مع أعيان مغاربة أبرزهم إبراهيم بن بوشعيب الهنتاتي من مدينة أزمور.

يبدو أن الشامي وفد إلى المغرب لتعقب نشاط بعض المناهضين للسلطان العثماني عبد الحميد الثاني، خاصة أعضاء من جمعية "تركيا الفتاة"، فحرر سنة 1319 / 1901 منشوراً، باعتباره وكيلا للسلطان العثماني ومديراً للطباعة العثمانية، وقد خاطب فيه المسؤولين في المخزن العزيزي وحذرهم من بعض العثمانيين الذين شقوا عصا الطاعة على الدولة وفروا إلى أوربا ومنها إلى المغرب، حاضا إياهم على طرد هؤلاء بل قتلهم. وطالب أعضاء المخزن وسماهم : المهدي المنبهي، ع. الكريم بن سليمان، محمد الطريس، فضول غزنيط، محمد التازي وعبد الله بن سعيد، بتنبيه السلطان مولاي عبد العزيز والرعايا المغاربة لشأن هؤلاء اللاجئين "حتى تجري المخابرات الرسمية في حقهم".

وفي السنة ذاتها، وبالضبط بتاريخ 17 ـ 8 ـ 1901 ورد في أحد خطاباته إلى المخزن أن حياته معرضة للخطر على يد علي بوطالب، وهو شخص كانت له صلات واتصالات بالأتراك، دون أن يبين علّة هذا الاتهام. ولعل ذلك حصل في إطار صراع مصالح بين رجلين لهما نفس الارتباطات بالسلطنة العثمانية.

ويظهر أن محمد العطار الشامي لم يلتزم بالمهمة التي جاء من أجلها إلى المغرب، أي مراقبة الأعضاء الهاربين إلى المغرب من المنتسبين إلى جمعية "تركيا الفتاة" فخاض في أمور جرّتْ عليه نقمة السلطان مولاي عبد العزيز، الذي صادر أملاكه وبهائمه وأمواله، وذلك قبيل وفاة الصدر الأعظم أحمد بن موسى (باحماد) سنة 1318 / 1900، وحينما فشل في استرجاع أملاكه والمحافظة على صلاته مع كبار المسؤولين بعد وفاة باحماد، فرّ إلى جبل طارق وأخذ يتهجم بشدة على السلطان وكبار رجال المخزن، مما جعل المخزن يترصده للإيقاع به، وهو ما أفصحت عنه رسالة من وزير الخارجية آنذاك عبد الكريم بن سليمان إلى النائب السلطاني محمد الطريس مؤرخة في 20 أكتوبر 1904، إذ طلب منه الاجتماع مع بناصر غنان ومحمد المقري لأجل اتخاذ التدابير الضرورية لإسكات صوته أو القبض عليه بمساعدة ممثلي فرنسا وألمانيا وانجلترة، أو توظيف الحيلة

لاستقدامه إلى طنجة وإعلان العفو عنه إذا ما أشهر توبته وتخلى عن ادعاءاته في حق المخزن.

خلف الشامي "رسالة"، تدخل في باب الرسائل النصحية، وقد فرغ من تأليفها سنة 1901 حسبما تدل على ذلك التواريخ المثبتة في الصفحتين الأولى والخامسة منها. وتمتزج في أسلوبها العامية بالفصحى. وقد تعمد كتابتها بهذه الكيفية حتى يتمكن من تبليغ أفكاره إلى أكبر عدد من المتلقين حسب قوله.

عالج في هذا الكتيب أوضاع العالم السلامي ناقداً وناصحاً، ساعياً إلى ائتلاف الجامعة الإسلامية، مركزاً على أحوال الدولة العثمانية والمغرب في عهد السلطانين عبد الحميد الثاني ومولاي عبد العزيز، ومن بين ما تناوله في هذه الرسالة خط سكة الحديد الرابط بين الشام والحجاز، مثنيا على سياسة عبد الحميد بعبارات فيها الكثير من المداهنة والتملق. وتأرجح بين تمجيد مولاي عبد العزيز وانتقاده وإلقاء اللوم عليه، ولعل ذلك بسبب المصادر المذكورة سابقا. وقد خلّف ما كتبه بشأن السلطان مولاي عبد العزيز ردود فعل سلبية في أوساط المخزن المغربي، وهو ما يدل عليه خطاب منه إلى الطريس بتاريخ 17 ـ 8 ـ 1901، حاول فيه تبرئة نفسه من التهم الموجهة إليه، معتبراً أنه قام بدور الناصح.

ومن الأمور التي تناولها في رسالته "النصيحة" ظروف تولي مولاي عبد العزيز العرش وتمرد الرحامنة بزعامة مبارك بن الطاهر بن سليمان، وتقاطر مبعوثي الدول الأوربية على البلاط العزيزي للضغط والحصول على الامتيازات.

توجد في رسالته هاته، الكثير من صيغ التملق لأسرة آل موسى، وخاصة الحاجب باحماد الذي قارنه ببسمارك واللورد سالسبوري واللورد غلادستون، معتبراً موته "كرفد الفاتحة من القرآن" (*رسالة*، 98). وما يبرر ذلك أن هذه الأسرة أحاطته بالرعاية والعطاد. وأثنى على الوزراء فضول غرنيط، المهدي المنبهي، عبد لكريم بن سليمان، محمد التازي والنائب السلطاني محمد الطريس، وبناصر غنان وعبد الله بن سعيد، ناعتا إياهم بالحكمة والدهاء وحسن التدبير والخصال الحميدة ونعوت أخرى مليئة بالغلو والتملق. وقد ذكر أنه بصدد طبع كتاب في مصر لإظهار فضائلهم، وبالفعل تجسد ذلك في مؤلفه "الثغر البسام في مآثر الوزير سيدي أحمد بن موسى الهمام" حيث عرّف فيه بهذا الحاجب معدداً مزاياه، مترجما لعدد من أعضاء المخزن وبعض العلماء من فاس والرباط.

م. العطار الشامي، *رسالة*، مطبعة الآباء الفرنسيسكانيين، طنجة، 1901 ؛ ع. الرحمان ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 1، ص. 455 ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، ج 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985 ؛ م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، منشورات كلية الآداب، الرباط، ج 2، 1987 ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية بالمغرب*، ج 4، الرباط، 1989 ؛ أ. المكاوي، *أضواء على رسالة محمد العطار الشامي الصادرة في طنجة*، مجلة دار النيابة، العدد 26، 27، 1990.

أحمد المكاوي

ابن العطار، عبود بن سعيد التنوخي، أخذ عن جملة من علماء سبتة أمثال أبي عبد الله المسيلي وابن جماح ومروان بن عبد الملك، وسمع من ابن الأصبغ وحضر مجلسه.

كان من كبار علماء سبتة في عصر المرابطين، وكان يشتغل بالقراءة والتجارة. وعينه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين قاضياً على بلده سبتة فأحسن القيام بأمر القضاء، وكان جريئاً في قول الحق لا يهاب أحداً من الأمراء، وبقي قاضياً إلى أن توفي سنة 480 / 1087. وتولى ولده محمد خطة القضاء بسبتة أيضاً بإشارة الفقيه أبي عبد الله الأموي. وكان مثل أبيه ورعا وجرأة في الصدع بالحق، لكنه كان دونه علماً.

القاضي عياض، *مذاهب الحكام*، ص. 109 ؛ ابن حمادة، *اختصار المدارك*، ملحق *ترتيب المدارك*، ج 8، ص. 197، 198، 203 ؛ الأنصاري، *اختصار الأخبار*، ص. 38.

محمد المغراوي

العطار، علي بن إبراهيم الأندلسي من مدينة لوشة. رافق والده في أثناء هجرة السلطان المخلوع ابن الأحمر في 3 أكتوبر 1493 ونزل بغساسة في طريقه إلى فاس الوطاسية. اختاره محمد البرتغالي الوطاسي قائد قلعية لتنظيم ما اختل من شؤون مقاومة الوجود الإسباني بمليلة المحتلة منذ سنة 1497، وذلك ما بين سنة احتلال مليلة وقبل سقوط غساسة سنة 1506، مما يفهم أن دوره كان مقتصراً على تنظيم هيكل المقاومة.

اتخذ علي العطار مركز إقامته بقلعة تازوطا الجبلية ومدينة غساسة الساحلية، فاشتغل أولاً بإعادة بناء القلعة ثم بتنظيم أسس المقاومة. وتجسمت تلك الأسس في :

إحداث طريقة النوبة لتوزيع واجب مواجهة خطر الوجود الإسباني بمليلة، وبذلك وزعت الحراسة المرابطة بنقطة الحد الأمني على الأقسام القلعية الخمسة إلى أربعة أقساط، وهي : بني شكر ومزوجة وبني بويفرور وأخيراً الكعدة وبني بوكافر.

إحداث رباط مليلة للحراسة بكدية واقعة على آخر المنحدرات المتصلة بمنعرج واد المدور وانحرافه نحو الشرق. وقد سبق أن عرفنا بالرباط في هذه *المعلمة*.

وضبط إطار الحراسة ومهامها الحربية باختيار المقدم، وهو رئيس المجاهدين بالرباط خلال نوبة الخمس القلعي المشارك. ووجد تحت نظر المقدم عدد من الغزاة المختارين من نفس الخمس الذي ينتمي إليه.

والمهمة الأساسية المنوطة بهذا التنظيم هي الحيلولة بين الإسبان دون الخروج إلى فحص المدينة بحثا عن المياه

والأعشاب والحطب والاشتغال بالعمل الزراعي ورعي الأغنام. كان لهذا التنظيم دوره الفعال في محاصرة الإسبان داخل محيط الصخرة المحتلة إلى غاية منتصف القرن التاسع عشر.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، مارمول كاربخال، *إفريقيا* ؛ ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإسباني بمليلة المحتلة*.

Lorenzo de Padia, *Cronica de D. Felipe I* ; Jerónimo de Zorita, *Anales de la Corona de Aragon*.

حسن الفكيكي

ابن **العطّار، محمد** بن عبود التنوخي، كان أبوه عبود بن سعيد قاضياً بسبتة إلى حدود وفاته سنة 480. وقد نشأ أبو عبد الله في مناخ علمي فقهي بمدينته، فأخذ عن بعض علمائها أمثال أبي عبد الله بن عيسى التميمي، وأبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن يربوع، واختص بالفقيه أبي عبد الله بن عبد الله صاحب والده، وشيوخه هؤلاء كلهم قد تقلدوا القضاء بمدينتهم.

وقد غلب على شخصية ابن عبود الورع والنزاهة والانقباض عن الناس، مع حرص على تتبع آثار السلف الصالح، الشيء الذي دفع بشيخ سبتة في التدريس والفتيا القاضي أبي عبد الله الأموي لتقديمه لتولي القضاء. فعرف ابن عبود في قضائه بالغلظة على أهل الباطل وعدم الهيبة من الأمراء. وقد طلب إعفاءه من القضاء فتم له ذلك، ويؤكد ابن حمادة في مختصر المدارك أن حزمه وورعه كانا أكثر من علمه.

لا يشير مصدر ترجمة التنوخي إلى تاريخ ولايته للقضاء وتركه له، إلا أن بعض الشواهد من تراجم قضاء سبتة في العصر المرابطي ترجح أن تكون ولايته قد تمت بعد وفاة قاضيها ابن منصور اللخمي سنة 513، واستعفاؤه سنة 515، وهو تاريخ ولاية القاضي عياض.

ابن حمادة البرنسي، *مختصر ترتيب المدارك* ؛ ملحق بالجزء 8 من *ترتيب المدارك*، تح. س. أحمد أعراب، المحمدية، مطبعة فضالة، نشر، وزارة الأوقاف، 1983، ص. 203.

محمد المغراوي

العطارين (مدرسة -) بفاس، إزاء جامع القرويين، قبالة مدخل حومة العطارين. وتشرف أيضاً على الزقاق التجاري الهام المعروف باسم رحبة القيس، نسبة إلى قبيلة قيس العربية التي نزلت مع إدريس الثاني أيام تأسيسه لعدوة القيروانيين في نهاية القرن الثاني للهجرة الثامن الميلادي وتتكون من طابقين يتألفان من 34 غرفة أعدت خصيصا لإيواء الطلبة الأفاقيين الذين كانوا يقصدون مدينة فاس لطلب العلم، منذ أيام حكم بني مرين. وقد تم بناء هذه المدرسة تحت رعاية وإشراف السلطان المريني أبي سعيد عثمان سنة 723 / 1323، في إطار السياسة الدينية العامة التي نهجها ملوك بني جنسه لنشر وتثبيت تعاليم المذهب المالكي. وقد شرع في إنجاز أشغالها في مستهل شهر شعبان من نفس السنة، وتولى أمر تشييدها وزخرفتها الشيخ المبارك عبد الله بن قاسم المزوار، فجاءت آية في الدهر لم يبن مثلها ملك من قبل على حق تعبير صاحب روض القرطاس. وعندما أصبحت جاهزة، رتب فيها السلطان المذكور، الفقهاء لتدريس العلم، وأسكنها بالطلبة وقدم فيها إماماً ومؤذنين وخدمة يقومون بأمرها، وأجرى على الكل منهم المرتبات والمؤن. واشترى عدداً من الأملاك وأوقفها عليها. وكانت هذه الأوقاف تشمل حوانيت بباب السلسلة، وعين علّون، والجوطية القديمة وغيرها. كما حبست أملاك أخرى على ستة طلبة كانوا يتولون قراءة الحزب في الصباح والمساء في نفس المدرسة. وقد تحولت هذه المؤسسة التعليمية فيما بعد إلى حُرْمٍ يحيث لا يدخلها إلا المطهرون التقاة، وتوصف أبوابها في وجه المشركين والكفار.

ابن أبي زرع علي الفاسي، *الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار الطرب وتاريخ مدينة فاس*، دار المنصور للطباعة، والوراقة، الرباط، 1972 ؛ الحوالة الجديدة لأحباس فاس، ميكروفيلم الخزانة العامة بالرباط، رقم 157.

Larbi Kninah, *L'évolution des structures économiques, sociales et politiques de la ville de Fès au XIXème siècle (1820 - 1912) : L'ouverture au marché mondial et ses conséquences*, (Thèse de doctorat, Université Libre de Bruxelles, décembre 1998, 2 t.) ; H. Reretier, *Les medrasas de Fès. Archives Marocaines*, Tome XVIII, Paris, 1912, p. 257 - 372.

العربي اكنينع

العطاوي، إبراهيم بن علي الحطوشي، أصله من تافيلالت من قبيلة آيت عطا حيث ولد حوالي عام 1256 / 1840. صحب الشيخ محمد العربي بن عبد الرحمان المدغري من أتباع الشيخ أحمد بن أحمد البدوي زُوِيتن "وارث سر مولاي العربي الدرقاوي وخليفته من بعده". وهو صاحب طريقة صوفية حملت اسم "الطريقة البدوية" المقتبسة من الطريقة الدرقاوية وتعتبر فرعاً منها. وقد كلف أصحاب الطريقة الجديدة السيد إبراهيم العطاوي بتأسيس عدد من الزوايا الفرعية في بلاد عبدة. فانتقل إليها حوالي عام 1297/ 1880 صحبة أبيه علي واستقر بقبيلة أولاد سلمان حيث صارت له وجاهة كبيرة. وعن حاله يقول الفقيه الكانوني : "... كان رجلاً فاضلاً ذاكراً حيياً تالياً لكتاب الله، من خير عباد الله، ذا حشمة ووقار، مطبوعاً على الجود والكرم والإيثار، من الذاكرين الله كثيراً ..." وتصدى بعد ذلك لمظالم القائد عيسى ابن عمر علي القبائل العبدية وأصبح من أشدّ معارضيه. ولما تضرر نفسه من ظلم القائد المذكور اضطر إلى الاستيطان في مدينة أسفي بعد ما حصل على كتاب من السلطان المولى الحسن موجه إلى عامل أسفي عبد الخالق بن هيمة يستوصيه به خيراً. ومما جاء في هذا الكتاب المؤرخ بـ 27 رجب عام 1305 : "...وبعد، فحاملة الطالب إبراهيم بن علي الحطوشي (العطاوي) قد أخبر أنه نازل ببلاد عبده ويلزمونه الكلفة في وسطهم وتضرر من أجل

ذلك وطلب الإضافة إلى أهل أسفي، فساعدناه، فنامرك أن تكون منه على بال وتستوصي به خيراً وتدفع عنه كل يد عادية حتى لا يلحقه أحد بمكروه ..." ورغم هذا فإن القائد عيسى بن عمر ظل يتربص به الدوائر إلى أن انقضّ عليه رجاله وأودعوه السجن الذي بقي به إلى أن توفي عام 1314، ودفن بمقبرة أمام دار القائد المذكور شمال مدينة أسفي.

معلومات ووثائق عائلية : م. الكانوني، *جواهر الكمال في تراجم الرجال* : م. حجي، *أحمد بن أحمد البدوي*، معلمة المغرب، ج 4 ؛ الملكي المالكي، *مادة البدوية*، معلمة المغرب، ج 4.

عبد الرحيم العطاوي

العطاوية، مركز يقع بالنهاية الشرقية للحوز على الضفة اليسرى لمخروط تساوت الشاسع على ارتفاع يتراوح ما بين 565 و623.

ينحصر ما بين الحاشية الشمالية للأطلس الكبير من الجنوب وسلسلة الجبيلات من الشمال.

يقع عند محور طرقي مهم يتمثل في الطريق الثانوية 508 بين مراكش دمنات وأزيلال، يبعد عن مراكش بـ 75 كلم في اتجاه الشرق. ثم الطريق الثلاثية رقم 6202 ينتمي إدارياً إلى إقليم قلعة السراغنة حيث يبتعد عن مدينة القلعة بـ 28 كلم في اتجاه الشمال.

أصل التسمية :

تضاربت الآراء حول أصل تسمية العطاوية فهناك من يرجعها إلى ساقية تحمل هذا الاسم وهناك من يرى أنه كانت تستقر في المنطقة امرأة من دوار أولاد عطية، القريب من المركز ونظراً لشهرة هذه السيدة وعلاقتها سميت بها القرية وكل الدوار الذي أصبح مدينة.

ارتبطت مدينة العطاوية بضريح الولي الصالح سيدي أحمد بن عيد العزيز إذ حملت اسمه لمدة طويلة وأيضا اسم الخميس (خميس بويا أحمد) نسبة إلى السوق الأسبوعي.

من النقط التي تمركز فيها الاستعمار الفلاحي بكثافة. غير بعيد عن الولي الصالح سيدي أحمد بن عبد العزيز، مركز يتولى إدارة وتسير مصالح المعمرين في عين المكان دون اللجوء إلى القلعة أو سيدي رحال.

تعرف العطاوية ديناميكية ديمغرافية مهمة جداً، حيث ارتفع عدد سكانها من 79 نسمة سنة 1936 منهم 29 أوروبياً و50 مسلما، إلى 1486 سنة 1960 ثم 2098 سنة 1971 إلى 3200 سنة 1994.

ووصل إلى 11919 سنة 1994.

وتتميز في السنوات الأخيرة بسرعة نموها الديمغرافي والعمراني مستفيدة في ذلك من موقعها وسط القطاع السقوي لتساوت الوسطى" 52 ألف هكتار" ومن كونها محوراً طرقياً نشيطاً، إضافة إلى احتضانها لأكبر الأسواق الأسبوعية على صعيد الإقليم "خميس العطاوية" وهو ما قوى ديناميكيتها التجارية.

السنوات / السكان	عدد السكان	٪ النمو السنوي
1960	1486	
1971	2098	3,18
1982	3200	3,91
1994	11219	11,01

ف. العمراني، *الأنشطة الاقتصادية الدائمة ودورها في توسيع المراكز الحضرية الصغرى نموذج العطاوية*، بحث لنيل الإجازة، مراكش، 98. 1999 ؛ ع. الله المعطش، *الإشعاع الاقتصادي والاستقطاب المجالي للمراكز الحضرية الصغرى نموذج العطاوية*، بحث لنيل الإجازة، مراكش، 98. 1999 ؛ ع. الكريم حفار، *قلعة السراغنة مدينة متوسطة وقطب تنمية محلي غير مكتمل*، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا، مراكش، 2000 ؛ م. الأكلع، *دراسة جيومورفولوجية للنهاية الشرقية للحوز*، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا، مراكش، 1989.

محمد الأكلع

عطوش (بنو -) فرع من قبيلة گومية التي ينتمي إليها بنو عبد المومن خلفاء الدولة الموحدية فأصبح بنو عطوش من أعوانها، وممن ورد ذكرهم :

أبو محمد بن عطوش الذي نجد له ذكرا في البيان المغرب بعد استيلاء بني غانية القادمين من ميورقة على مدينة بجاية وما حولها منافسين للسلطة الموحدية، حيث أرسل الخليفة يعقوب المنصور سنة 581 حملة برية بقيادة أبي زيد ابن أبي حفص بن عبد المومن وأخرى بحرية بقيادة أبي محمد ابن أبي إسحاق ابن جامع ومعه القائد أبو العباس الصقلي وأبو محمد بن عطوش، وتمكنت الحملة من استرجاع المدن التي وقعت بيد بني غانية.

ومنهم أيضاً : أبو موسى بن عطوش الذي ذكر من بين أصحاب شرطة الخليفة الرشيد الذي امتدت خلافته بين سنتي 630 و640، ومنها انتقل بعد وفاة أخيه إلى مهمة "الأشغال" (أي الشؤون المالية) لدى الخليفة الرشيد كما ذكر صاحب البيان المغرب دون أن يذكر اسمه، وهو بالتأكيد غير أخيه أبي زكرياء يحيى الآتي ذكره والذي خدم الرشيد ثم الخليفة السعيد. كما تكرر ذكر أبي موسى من جملة أعوان الرشيد دون تحديد وظيفته التي يبدو أنها كانت عسكرية، فقد وردت الإشارة إليه بمناسبة تدبير الرشيد لعملية استدراج مسعود بن حميدان شيخ الخلط وقتله داخل القصر بعد قتل أحد المتآمرين معه وهو أحد رجال الرشيد من هسكورة، وقد أمكن التخلص من هذا الأخير بواسطة الفرقة الگومية وعلى رأسها أبو موسى بن عطوش وذلك سنة 632. وتكرر ذكر أبي موسى ابن عطوش بعد استقرار الرشيد بفاس وتوجيه حملة عسكرية لجباية غمارة بقيادة الوزير السيد أبي محمد فاستخلف على الوزارة أثناء غيابه الشيخ أبا موسى ابن عطوش بينما رافقه في الحركة أبو زكرياء يحيى بن عطوش "مشتغلا" له أي مسؤولا ماليا، فتمت جباية المناطق الغمارية

وكذا الفازازية في هذه الفترة أي سنة 633 خاصة بعد مقتل منافسه المعتصم بن الناصر في هذه المدة.

ومنهم أبو زكريا، يحيى ابن عطوش أخو أبي موسى السابق الذكر، يشير ابن عذاري إلى وجوده بالقصر الكبير مسؤولا عند تولي الرشيد الخلافة وربما كان يتولى مهمة أشغال القصر الكبير، وقد ترك عنده أبو محمد سعد بن أبي سعيد بن المنصور عياله خوفاً من الرشيد، إلا أن هذا رحب به واستوزره. وفي سنة 633 كلفه الرشيد بقيادة حملة إلى غمارة لجبايتها ورافقه في الحملة يحيى بن عطوش مشتغلا له أي مسؤولا ماليا. ثم عينه الرشيد "مشتغلا" على أزمور وهو الذي استقبل عمر بن وقاريط الهسكوري المرسل مكبلا من إشبيلية في زورق إلى أزمور. وكان ابن وقاريط هذا غدر بمدينة سلا فيها لابن هود، ثم فر إلى الأندلس فقبض عليه في إشبيلية بعد أن دخلت في بيعة الرشيد سنة 636 وأرسل مكبلا إلى أزمور ثم أرسله "المشتغل" بها ابن عطوش كذلك إلى مراكش حيث قتل؛ وذكر ابن عذاري وجود ابن عطوش في مهمته هذه بأزمور في أوائل عهد الخليفة السعيد (640. 646) وذلك عند حديثه عن قبض هذا الخليفة على أحد كبار رجال الدولة وهو ابن وانودين الهنتاتي واعتقاله بأزمور سنة 642، فدبر الحيلة في الفرار إلى جبال هنتاتة بين عصبيته مما أدى إلى اعتقال ابن عطوش مدة، ثم ظهرت للرشيد براءتهم فسرحه واستوزره.

خلال هذه المدة كان قاضي رباط الفتح هو أبو المطرّف ابن عميرة البلنسي منذ أواخر عهد الرشيد، فأقرّه السعيد (الملقّب أيضاً بالمعتضد) في مهمّته قبل نقله إلى مكناسة، وكان لابن عميرة اتّصالات بالوزير ابن عطّوش، فنجد له رسالة يمدح فيها الوزير تبدأ بقطعة نثرية أولها: "إلى الوزارة المعظّمة أنجدها الله ..." تتلوها قصيدة.

وخلال حركة السعيد إلى تامسنا والغرب سنة 643 كان وزيراه يومئذ أبا إسحاق بن الأمير أبي إبراهيم المعروف بالطاهر وأبا زكرياء يحيى بن عطوش، وقد فشل السعيد في مواجهته آنذاك مع المرينيين؛ ثم حضر معه حركته إلى تلمسان سنة 646 وقتل معه هناك وكان قد نصح السعيد بعدم اقتحام جبل تلمسان خوف كمائن بني عبد الوادي فلم يعمل بنصيحته.

ومن بني عطوش أيضا من سماه صاحب الذخيرة السنية بابن عطوش دون توضيح وذلك بمناسبة توجيهه من عناصر مؤيدة لأبي دبوس فاستغلّ هذا الغياب واقتحم العاصمة بأنصاره مدعوماً بالهساكرة وفرقة مرينية أول سنة 665، فاضطر المرتضى للفرار عنها. ويظهر أن المقصود هو غير عبد العزيز والي أزمور الآتي ذكره.

ومن بني عطوش أبو فارس عبد العزيز الذي كان والياً على أزمور في عهد المرتضى وكان زوج ابنة هذا الخليفة، وقد افتكّه من الأسر لدى المرينيين قبل أن يولّيه أزمّور؛ وعندما وقع انقلاب الواثق على المرتضى وهرب هذا إلى صهره والي أزمور أول سنة 665 قبض عليه وبعثه إلى الواثق الذي أمر بقتله في الطريق. وتكرر ذكر عبد العزيز ابن عطوش بمناسبة حركة الواثق إلى هسكورة لجبايتها فوجّهه الواثق إلى شيخها مسعود بن جلداسن الهسكوري "في مصالح ومهمات"! فقنع الخليفة منه بالطاعة وارتحل بجيشه عن قبيلته، كان هذا في شعبان من نفس السنة التي تولّى فيها الخلافة وهي سنة 665؛ ويظهر أنه هو نفسه ابن عطّوش الذي أشار ابن خلدون إلى محاولة فاشلة لاستمرار الدولة الموحدية في مركزها الروحي بجبل تينملل؛ حيث بويع أحد إخوة الخليفة المرتضى واسمه إسحاق "وكان المتولّي لكبر ذلك وزير دولتهم ابن عطّوش"، غير أنّ الجيش المريني تمكّن من القضاء على هذه المحاولة سنة 674 فقتل ابن عطّوش والخليفة المبايع مع جملة من الأعوان.

ابن عذاري، *البيان المغرب*، ط. 1985، ص. 177. 299. 300. 302. 346. 359. 312. 336. 369. 370. 436. 441. 442. 450. 451؛ مؤلف مجهول، *الذخيرة السنية*، 81. 82. 110، نسب الناشر الكتاب لابن أبي زرع؛ ابن خلدون، *العبر*، 7: 400؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، ص. 163؛ أ. عزاوي، *الغرب الإسلامي من خلال رسائله*، ق 2، الرسالة رقم 62، أطروحة مرقونة.

أحمد عزاوي

عطيّة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Atia - Atea - Atia؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1175.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **عطيّة**، أسرة سلاوية أصلها من إشبيلية أواخر القرن التاسع الهجري (15 م) وسكنوا مدينة الرباط، وكان لهم بها صيت حسن وأسسوا مسجداً بحومة أبي القرون عام 1093 / 82. 1683 ثم انتقلوا إلى مدينة سلا واستقروا بها، وكان لهم شفوف وحظوة بها خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر (18 و19 م) وقد أنجبت عدداً من الفقهاء والمدرسين، وانتقل بعض علمائهم إلى مدينة فاس في النصف الثاني من القرن الحادي عشر (17 م).

ابن **عطيّة، أحمد** بن **جعفر** بن محمد بن عطية القضاعي المراكشي، يكنى أبو جعفر وينتسب لأسرة عربية حميرية دخلت إلى الأندلس أيام الفتح الإسلامي للأندلس وبعده واستقرت في الشرق ناحية طرطوشة لاندري متى انتقلت أسرته إلى مراكش التي ولد بها سنة سبع عشرة وخمسمائة حسب ابن الابار وعند ابن الخطيب أنه ولد سنة 527 ولا يتناسب هذا التاريخ مع ما قبل من تصدره

للكتابة في بلاط علي ابن يوسف. كان والده جعفر بن محمد بن عطية من أهل الحفظ للحديث والمعرفة بالتوثيق قبل أنه كان من كتاب علي وابنه تاشفين وأنه بقي مخلصا لهذه الدولة فتصحل في قبضة الموحدين وعفوا عنه إلا أنه عزم على الفرار أثناء محاصرتهم لفاس سنة 540 فالقى عليه القبض من جديد وقتله عبد المومن بعد ذلك. إلا أن اسمه لم يرد ضمن مجموعة كتاب الدولة المرابطية اللهم إلا إذا كان من كتابهم المغمورين الذين قال صاحب المعجب في حقهم بعد ذكر المشاهير "في جماعة يكثر ذكرهم".

نشأته ودراسته :

لم تتحدث المصادر عن هذه الفترة من حياة أبي جعفر واكتفى ابن الخطيب بالقول بأنه "أخذ عن أبيه وعن طائفة من أهل مراكش" دون ذكر أسمائهم.

وكانت حركة التعليم والتدريس نشيطة في مراكش خلال حكم علي بن يوسف إلا أن الفترة التي كان فيها، أبو جعفر في سن الدراسة (بعد سنة 530 على وجه التقريب) بدأت تتأثر بدعوة المهدي بن تومرت وقد دق أبوابها بخيوله قبل هذا التاريخ، واستمر خليفته عبد المومن في تهديد الاستقرار والهدوء ويحدث الخلل والاضطراب في سير الدروس ونشاط حلقات العلم.

وعلى كل حال فيمكن اعتبار هذا الوالد الفقيه الأديب أهم معلمي أبي جعفر فقد لقن ابنه أسرار صنعة الكتابة، وافاده بتجربته في هذا المجال فاختصر بذلك المراحل، وكان عاملا من عوامل نبوغه المبكر. ولايبعد أن يكون قد سعى له عند مخدوميه ليكون من زمرة كتابهم. وأعده لذلك أعداداً كاملا إذ عمله الفروسية والرماية، فكان من أحسن الرماة في شبابه وسلك نفس النهج مع ابنه الاصغر أبي عقيل.

اتصاله بالمرابطين :

تتفق المصادر على أن أبا جعفر كتب عن علي بن يوسف في آخر دولته، وعن تاشفين وابنه أبي إسحاق، وهذا يعني أنه تصدر للكتابة وعمره لم يبلغ بعد العشرين سنة، وفي بلاط كان يجمع مشاهير كتاب الأندلس كابن القبطرنة وأبي عبد الله بن أبي الخصال وأخيه أبي مروان وأبي محمد عبد المجيد بن عبدون ولا يمكن أن يصمد بين هؤلاء إلا من توفرت له موهبة خاصة بالكتابة وأساليبها. ورعاية خاصة تحميه من دسائس البلاطات واحقاد الكتاب. وقد تم له ذلك بفضل علاقة والده بالمرابطين مما مكنه من اكتساب مكانة بين جمهور الكتاب عبر عنها ابن الخطيب بقوله (وكان احظى كتابهم).

وزادت هذه المكانة على عهد تاشفين إذا أنه كان من رفقائه خلال مطاردته لجيش عبد المومن في المغرب الأوسط. ووجهه تاشفين قبل شهر من مقتله بوهران - ودون باقي أفراد حاشيته - مع ابنه الصبي وولى عهده أبي إسحاق إبراهيم إلى مراكش خوفا عليه.

وتمكن من النجاة بنفسه بعد إلقاء الموحدين القبض على الأمير المرابطي. فلم يجد أبو جعفر سبيلا للخلاص مما هو فيه إلا بالتنكر والانخراط في سلك الجندية وهو الذي شب على الرماية والفروسية وقد كان الموحدون - لكثرة حروبهم وما عرف عندهم بوقائع التمييز - بحاجة مستمرة للمحاربين يجندون الأفراد والقبائل. وقد تم ذلك في أواخر سنة واحد وأربعين وخمسمائة. والظاهر أن هذا الانخراط لم يكن لأجل المعاش، وإنما كان يعد نفسه للظهور من جديد وخدمة الدولة المنتصرة.

في البلاط الموحدي :

لم تطل فترة الانتظار إذ أن الفرجة قد سنَحت في السنة الموالية 542 وفيها عظم أمر محمد بن هود المسمى بالماسي الذي تشبه بالمهدي بن تومرت وادعى أنه الهادي فتبعه الناس. وتمكن من هزم الجيش الأول الذي رماه به عبد المومن بقيادة يحي بن الصحراوية القائد المرابطي السابق. فلم يجد الخليفة بدا من تعيين ساعده الأيمن القائد المحنك أبي حفص عمر الهنتاتي على رأسه جيش ثان لاخماد هذه الثورة بسوس وكان أبو جعفر من رماة هذا الجيش.

وبعدما هزم الماسي طلب أبو حفص كاتبا يكتب خبر النصر للخليفة فدل على أبي جعفر. فكتب الرسالة التي أثارت انتباه عبد المومن، فاستدعاه للالتحاق بركب كتاب دولته.

وكلف ابن عطية بمهام جليلة أثناء السلم والحرب، في المغرب والأندلس فقام بها أحسن قيام، وكان لا يفارق عبد المومن في حله وترحاله فالرسائل التي كتبها له صادرة من مدن ومناطق عديدة.

وتحدثت المصادر عن ابن عطية وسيرته في الناس فقالت، (واسند إليه الوزارة فنهض باعبائها، وتحبب إلى الناس باجمال السعي والاحسان فعمت صنائعه وفشا معروفه وكان محمود السيرة، ناجح المساعي، سعيد المآخذ ميسر ..).

فازدحم أصحاب الحاجات على بابه وحملت إليه قصائد المدح. ومن مشاهير الشعراء الذين مدحوه أبو حبوس الفاسي شاعر الخلافة.

اختلفت الآراء حول أسباب قتل عبد المومن لكاتبه ووزيره أبي جعفر بن عطية ذكر صاحب المعجب أن السبب الأكبر في ذلك عائد إلى افشائه لسر من أسرار الدولة. وقيل بل يعود السبب إلى تحيزه إلى شخصيات مرابطية، وسعيه إلى الرفع من شأنها واعلاء ذكرها. ولا يجب أن نغفل دور الوشاية والمنافسة التي كانت محتدة بين كتاب البلاط الموحدي عموما وبين المغاربة والأندلسيين منهم خاصة. وكان لنجاح ابن عطية ونبوغه، وعلو مقامه في وقت وجيز، مع صغر سنه، دور في تكاثر حساده وتالبهم ضدّه.

وقد استغلوا مناسبة خروجه إلى الأندلس مع أبي سعيد بن عبد المومن لاخماد ثورة على الوهيبي بالمرية واشبيلية فسعوا إلى الوشاية به وألقوا بين يدي الخليفة أبياتا تحرضه.

وتصف المصادر هذه النكبة بتفصيل : فقد انتهى الخبر

إلى ابن عطية وهو بالأندلس فقلق وعجل الانصراف إلى مراكش، إلا أنه حجب عند قدومه وقيد إلى المسجد خاسر الرأس. وتمت محاكمته أمام الملك وأدلى اعداؤه ووشاته برأيهم فيه فأمر بسجنه ولف معه أخوه أبو عقيل.

واعتذر ابن عطية للخليفة عما صدر عنه طالبا عطفه وصفحه وأرسل إليه رسالة نثرية بليغة اردفها بقصيدة.

إلا أن عبد المومن لم يزد على أن علق على الأبيات بقوله تعالى (الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) وأمر بقتله هو وأخوه يوم 29 صفر سنة 553.

لم يصلنا كل ما كتبه ابن عطية من شعر ورسائل، بالنسبة للشعر : تنسب له النونية التي قالها في الاعتذار لعبد المومن واستعطافه. أما المساجلة الشعرية الغزلية التي يقال بأنها دارت بينه وبين الخليفة عبد المومن فالظاهر أنها منتحلة مصنوعة :

أ ـ كل الذين أوردوا خبرها لم يجزموا بذلك : فصاحب الأنيس المطرب أوردها بلفظ "قيل". وصاحب نفح الطيب أوردها بلفظ "وقد حكى". وصاحب الاستقصا صدرها بقوله "يروى".

ب ـ تسير هذه المساجلة الغزلية في اتجاه معاكس تماما للعقيدة الموحدية ومبادئها، خاصة في هذه الفترة التأسيسية. وقد كانت لعبد المومن مواقف واضحة وحاسمة من كل أنواع المجون والاستهتار.

رسائله :

وصلتنا عشرون رسالة لابن عطية :

ـ سبع عشرة منها ورذت في مجموع بروفنصال، نسبت له احداهما خطا وهي الموجهة إلى الطلبة والموحدين بغرناطة في موضوع بناء مدينة جبل طارق لأنها مؤرخة في ذي القعدة سنة 554 أي بعد وفاة أبي جعفر.

ـ والثامنة عشرة في نظم الجمان. كتبها كلها لعبد المومن وأغلبها من مراكش (بعضها من بجاية وتلمسان)، موجهة إلى الطلبة والأشياخ والأعيان في مختلف مدن الامبراطورية الموحدية.

وابن عطية هو واضع خصائص الترسل الموحدي. وتشتمل رسائله على أربعة أقسام :

1) الافتتاح : يذكر فيه اسم المرسل إليه، كقوله :

(من أمير المومنين أيده الله بنصره، وأمده بمعونته، إلى الطلبة الذين بتلمسان، ادام الله كرامتهم بتقواه، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...).

2) المقدمة : وتشتمل على :

ـ البعدية

ـ التحميد

ـ الصلاة على الرسول : وقد تطول عباراتها أو تقصر.

ـ الترضية على الصحابة، وتقع الترضية أحيانا على الخلفاء الراشدين.

ـ الرضا على الإمام المعصوم المهدي المعلوم .. بعبارات متشابهة تسير على هذا المنوال (... والرضا عن الإمام المعصوم المهدي المعلوم وليه الذي تقبل سبل الهداية واقتفاها، واقام رسول الشريعة على رغم من جحدها ونفاها).

ـ تحميد الخليفة الحاكم.

وسار كتاب الدولة الموحدية على هذا النهج إلى أن وقع التنكر للمهدوية على عهد المامون.

3) العرض : وفيه يتناول الكاتب موضوع الرسالة، والغرض من كتابتها ويذكر الحادثة بتفصيل مع التعليق عليها بالاعتبار والنصح. لهذا جاءت أغلب رسائله طويلة.

ولا تخلو رسائل ابن عطية من السجع الذي يعد، من مستلزمات الكتابة الديوانية، إلا أنه لا يبلغ حد الزخرفة والتضع. وتاتي الاقتباسات والاستمدادات القرآنية للاستدلال وتدعم الموضوعات الدينية الأمر بالمعروف، النصيحة والاعتبار، أو الحربية (الآيات المندة بالكفر، عقاب المرتدين، جزاء المجاهدين ...) التي تحمدها، الرسائل، مما يكون له تأثير على المرسل إليهم.

أما الاستشهادات الشعرية فقليلة بالرغم من أن ابن عطية كان شاعرا.

4) الخاتمة : بعد انتهاء العرض يختم الكاتب الرسالة بعبارة "السلام عليكم". مع ذكر التاريخ في بعض الأحيان. وقد ذكره في عشر رسائل فقط. بينما جاءت باقي الرسائل خالية من التاريخ. ولا تخفى أهمية ذكر تاريخ الرسائل في توثيقها وفهم كثير من اشاراتها والملاحظ أن الكتاب الذين جاءوا بعد ابن عطية كانوا احرص على تحديد تواريخ كتابة رسائلهم ..

مع ذلك يبقى ابن عطية نموذجا يقتدى به في كتابة الرسائل من طرف كتاب هذه الدولة. ولعل عبد المومن قد اعترف بتقدمه صراحة في العبارة التي صدرت عنه في حقه (ذهب ابن عطية وذهب الأدب معه).

نفح الطيب ؛ *الإحاطة* ؛ الحلة السيراء ؛ *الإحاطة* ؛ ابن القاضي، *الجذوة*، 175 ط، دار المنصور، 1973 ؛ المعجب، ط 173، ط العربان ؛ العبر، 6 : 480 ؛ *الاستقصا*، 2 : 100 ؛ *القدمة*، 1 : 190، دار العلم ؛ *العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين*، ص. 139 والدولة الموحدية، (أثر العقيدة في الأدب) 49 ـ 52، طبعة ثانية.

حسن جلاب

ابن **عطيَّة، أحمد** بن **محمد**، عالم تتلمذ على يد الشيخ عبد الله بن حسون بمدينة سلا، ثم رحل إلى فاس للأخذ عن علمائها. كان يتردد صحبة أخيه مَحمد (فتحا) ـ آتي الذكر ـ لزيارة أبي المحاسن يوسف الفاسي في كل جمعة واستفاد منه. تصدى المترجم للتدريس بمسقط رأسه، وأكثر ما أخذ عنه الطلبة الفقه والعقائد. توفي أحمد بن محمد ابن عطية عام 1016 / 1607.

ابن **عطيّة، أحمد بن مَحمد الحارثي** بن محمد، فقيه متصوف، تتلمذ على يد جده محمد بن عطية واستفاد من علي بن عبد الرحمان الدرعي التادلي. حلاه مترجموه بصفات تبرز ملاحه ومعرفة بطريق التصوف. ألف المترجم التفكير والاعتبار، في تاريخ المصطفى وبعض أصحابه الأخيار، ومن اتبعهم من العلماء السادات الصوفية الأبرار، فرغ منه عشية يوم الجمعة 18 ربيع الثاني 1111. كما ألف سلسلة الأنوار، في ذكر طريقة السادات الصوفية الأخيار".

توفي يوم الجمعة 18 ربيع الثاني عام 1129 / 1717.

ابن **عطيّة، التهامي**، فقيه، من عدول سلا كان خطيباً بمدينة سلا. توفي في 26 شعبان 1234 / 1819.

وكان بعض أبناء هذه الأسرة انتقلوا من طرطوشة إلى مراكش في القرن السادس (12 م) وأدركوا حظوة عظيمة عند الموحدين.

ابن **عطيّة، محمد بن علي**، فقيه معاصر للشيخ عبد الله بن حسون، كان مقرئا مجوداً يلقن علوم القرآن. حرص على تكوين ولديه أحمد ومَحمد ـ المذكورين آنفا ـ سكت مترجموه عن سنة وفاته، ويبدو أنها كانت في العقد الأول من القرن السابع عشر.

ابن **عطيّة، مَحمد بن محمد**، بن علي، شيخ متصوف، وعالم مشارك. قرأ في سلا على الشيخ عبد الله بن حسون وعلى أبيه وأخيه أحمد. رحل إلى مدينة فاس قصد تعميق معارفه فاستفاد من علماء بارزين أمثال الإمام القصار، وأحمد المقري والشيخ ابن عاشر. تصدى المترجم بتدريس العلم والقراءات بمدينة فاس فانتفع به كثير من الطلبة أمثال مولاي عبد الله بن إبراهيم دفين وزان، وعبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي. أخذ مَحمد ابن عطية الطريقة عن الشيخ أبي الحسن علي الحارثي، عن أحمد بن موسى عن الشيخ التباع. ذكر مترجموه أنواعاً من كراماته ورووا عنه أقوالاً في الطريقة، وأشاروا إلى أنه كان مواظبا على زيارة الصالحين الأحياء والأموات. ألف المترجم فهرسا، واختصر كتاب "مفتاح الجنة، بشرط العمل بالكتاب والسنة" للشطيبي. ظل مَحمد ابن عطية يدرس بفاس إلى أن توفي عن سن عالية يوم الجمعة 18 ذي القعدة عام 1052 / فاتح فبراير 1643، ودفن بالرميلة بزاويته الشهيرة بفاس.

م. الإفراني، صفوة، 80 ؛ م. القادري، نشر، 1 : 184 ؛ م. الكتاني، سلوة، 1 : 371 ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، تح م. بوشعرا، ط 2، 192 ؛ م. بن أبي بكر التطواني، *كناشة*، مخطوط، خ ص. رقم 454، ص. 36 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 445، 446.

محمد السعدين

العظاءة كما في اللغة والمعاجم وزرمومية وزرزومية كما هو شائع عند العامة في المغرب العربي وسقاية في الشام وسحلية في مصر وتازرسوميت بالأمازيغية وبالفرنسية Lézard وبالإنجليزية Lizard، حيوانات من الزواحف رباعيات القوائم Reptilia ومن رتبة متفوقات الألسن وفصيلة العظائيات Lacertidae. تم إحصاء 26 نوعا في المغرب يألف المناطق الجافة وشبه الجافة الإفريقية والآسيوية وأوروبا الجنوبية وتتحمل حرارة مرتفعة، نذكر من بينها :

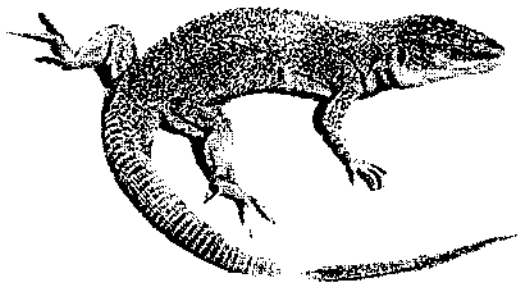

عظاءة غربية Ophisops occidentalis.

عظاءة ذات نظارات Lacerta perspicillata تسمى بالفرنسية Lézard à lunettes.

العظاءة العينية أو رضاعة البقر Lézard ocellé تسمى بالفرنسية Lacerta lepida pater.

عظاءة الجدران Lacerta hispanica vaucheri تسمى بالفرنسية Lézard des murailles.

عظاءة الأطلس Lacerta andreanskyi تسمى بالفرنسية Lézard de l'Atlas.

عظاءة ذهبية Acanthodactylus scutellatus aureus تسمى بالفرنسية Acanthodactyle doré.

عظاءة مدنوة Acanthodactylus scutellatus تسمى بالفرنسية Acanthodactyle pommelé.

عظاءة خشنة Acanthodactylus boskianus asper تسمى بالفرنسية Acanthodactyle rugeux.

عظاءة شائكة الذيل Acanthodactylus spinicauda تسمى بالفرنسية Acanthodactyle à queue épineuse.

العظاءة الفهد Acanthodactylus pardalis تسمى بالفرنسية Acanthodactyle panthère.

عظاءة العامية Acanthodactylus erythrurus تسمى بالفرنسية Acanthodactyle vulgaire.

عظاءة مخططة Psammodromus algirus تسمى بالفرنسية Psammodrome à six raies.

عظاءة صغيرة الأصابع Psammodromus microdactylus تسمى بالفرنسية Psammodrome de petits doigts.

عظاءة الجزائر Psammodromus d'Algérie تسمى بالفرنسية Psammodromus blanci.

عظاءة منقطة Eremias rubropunctata تسمى بالفرنسية Eremias à points rouges.

عظاءة صغيرة الفم Eremias guttulata تسمى بالفرنسية Eremias à goulettes.

عظاءة الصحراء Eremias pasteuri تسمى بالفرنسية Eremias du Sahara.

عظاءة ذات قطرات Eremias olivieri تسمى بالفرنسية Eremias à gouttelettes.

تتميز أنواع العظاءة بجسم رشيق وبقوائم أربع تنتهي بخمسة أصابع رقيقة وطويلة ذات مخالب وبرأس دائري ومسطح شيئا ما، كبيرة لدى الذكور وصغيرة عند الإناث، شديدة الحركة، الذيل طويل مستدق الرأس. اللسان طويل لزج يستعمل للذوق واللمس ولاصطياد الحشرات والديدان والحلزونات وغيرها من الحيوانات الصغيرة. تقع أعضاء الشم على المنخرين الموجودين بين العينين. الأذنان باطنيتان مسمعهما ضعيف وغير متطور بما فيه الكفاية. العينان مغلفتان بغشاءين يضاف إليهما غشاء مختلج. يبلغ الطول الأقصى للكبيرة جمعا بين الجذع والذنب 30 ـ 60 سم. الحراشف البطنية صغيرة مرتبة على صفوف طولية. المنطقة الشرجية محاطة بحراشف شبه دائرية.

من خصائص العظائيات أيضا القدرة على استعادة نمو الذيل بعد بتر جزء منه وهي ظاهرة دفاعية يستعملها الحيوان ليفلت من الخطر في حالة القبض عليه. يتغير الجلد دوريا عن طريق الانسلاخ لتتخلص العظاءة من جلد القحف المتقادم. تتوفر عدة أنواع على كمية كبيرة من الخلايا الصبغية أو الملونة تستعمل لتغيير اللون وفق البيئة المحاطة بها. تعيش العظاءة منعزلة أو مزدوجة ويكثر نشاطها في فصلي الربيع والصيف وهي فترة التناسل ووضع البيض وتختفي في فصل الشتاء في الجحور وبين شقوق الصخور والجدران لتشتي طيلة أيام البرودة.

أنواع العظائيات في المغرب بيوضة تتغذى من الخنافس والعناكب والعقارب وأم الأربع والأربعين والحشرات والديدان والحلزونات وغيرها من الحيوانات الصغيرة. شائعة في مختلف المناطق الوسطى والجنوبية والشرقية والشمالية بالمغرب. تضع الإناث بداخل الجحور 6 ـ 20 بيضة وتظهر الصغيرة في غشت ـ شتنبر وتتغذى من النمل والحشرات الصغيرة.

م. رمضاني، بوبريص، *معلمة المغرب*، الجزء 5، ص. 1627 ـ 1628 ؛ م. رمضاني، *الزواحف*، *معلمة المغرب*، الجزء 14، ص. 4743 ـ 4744 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ المعلوف أمين، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

Salvador, *Guia de los anfibios y reptiles españoles*, Inst. Nacion. Conserv. Natur. Madrid, 1974. 274 p. ; J. Bons, *Les Lacertiens du sud-ouest marocain : systématique, répartition géographique, ethologie, écologie*, Trav. Inst. Sci. Chérif., Zoologie, 18, 130 p., 1959.

محمد غربوعة ومحمد رمضاني

عفيف، أحمد بن علي الباعمراني، "هو الأستاذ الكبير. القليل النظير. في الجد والعزوف وعلو الهمة". وهو من أساتذتي اللامعين تنطبق عليه شهادة المختار السوسي هذه تمام الانطباق، بما له من علم وافر وسعة في الأخلاق، ونشاط دائب في سلوك حضاري حازه.

ولد سنة 1922 في إحدى قبائل آيت باعمران، وحفظ القرآن هناك وأخذ العلم في مدارسها ويذكر بالخصوص أستاذه الشهير أبا العباس أحمد اليزيدي الذي أخذ عنه الكثير، وعلى عادة أهل سوس انتقل إلى إحدى الحواضر ليستكمل تكوينه العلمي فحط بمدينة مراكش ولازم العلامة محمد المختار السوسي في مدرسة الرميلة بباب دكالة بمراكش في الأربعينيات من القرن العشرين كما لازمه عندما انتقل إلى الدار البيضاء في بداية الخمسينيات فاستفاد من حلقات دروسه حتى نال شفوفا في تكوينه، خاصة في اللغة العربية والمواد الإسلامية، ثم التحق بالتدريس سنة 1952 في مدرسة حرة تدعى المحمدية بالرباط إلى أن جاء الاستقلال سنة 1956. فقتدم في زمرة من أقرانه إلى امتحان شهادة العالمية النهائية بالقرويين، التي فتحت في وجه العلماء قصد قبولهم في الوظائف الرسمية، فنجحوا جميعا، وكان من ضمن المجموعة الأولى من الأساتذة الذين أقبلوا للعمل في معهد محمد الخامس بتارودانت في أكتوبر سنة 1956 وقد كان له إشعاع هناك بين الطلبة لوفرة علمه وطهارة سريرته، فتخرج على يده الكثيرون. وفي سنة 1962 عين مراقبا عاما لطلبة المعهد وكان عددهم يناهز ألف طالب داخلي فظهر تأثيره في سيرتهم المثلى، وكان قد تزوج في الرباط وله أربعة أبناء. وكان في فجر حياته العلمية لما أصيب في حادثة سير كانت وفاته بعدها بزمن يسير في 12 يناير 1969، وقد برت جمعية علماء سوس بأبنائه فمنهم اليوم أساتذة جامعيون وهم ثمرة يانعة من سيرته.

م. المختار السوسي، *المعسول*، مطبعة النجاح، 1962، ج. 12، ص. 174 ؛ ع. الساحلي المتوكل، *المعهد الإسلامي بتارودانت والمدارس العلمية العتيقة بسوس*، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1986، ج. 1، ص. 151، 168، 441 ؛ *مذكرات شخصية* ؛ ملف الإداري بمعهد محمد الخامس بتارودانت.

عمر أفا

العقاب للذكر والأنثى كما هو شائع عند العامة في كل الأقطار العربية وكما في اللسان العربي وفي المعاجم، تجمع على أعقب وعقبان وعقابين، جنس طير من الكواسر النهارية الضخمة آكلات الصيد الحي، كبيرة القد تسمى أيضا في البوادي العگاب. لها منسر أي منقار قصير أعقف يعرف بالشعواء واللقواء لتعقفه ولزيادة أعلاه على أسفله. تعد أنواع العقبان من أنبل الجوارح وأشدها بأسا تصيد فرائسها بدقة وتحملها بمخالبها المقوسة السوداء ؛ تأكل الجيف من الماعز والغنم في حالة الجوع الشديد. الإناث أكبر حجما ووزنا من الذكور عند كل الأنواع. تصنف العقبان إلى رتبة الجوارح Rapaces falconiformes وفصيلة الصقريات Accipitridae. منها سبعة أنواع تعيش في المغرب يصعب التمييز بينها لدى الإنسان العادي وهي طيور محمية صيدها محرم في المغرب طبقا للقانون الصادر في حقها من إدارة المياه والغابات.

ـ عقاب بونيلي Hieraaetus fasciatus يسمى بالفرنسية Aigle de Bonelli وبالإنجليزية Bonelli's eagle وبالإسبانية Aguila perdicera وبالإيطالية Aquila del Bonelli. ريشه أسود داكن على الظهر وفاتح على الصدر والبطن. يبلغ طول الجسم 65 ـ 75 سم ويزن 1500 ـ 2500 غرام. يتميز بذيل طويل جدا وبجناحين كبيرين تبلغ بسطتهما 150 ـ 180 سم.

المجموعات المغربية مستقرة وأفرادها موزعة على مختلف المناطق الجبلية الريفية والأطلسية وسهول الغرب والشاوية وبني يزناسن والهضاب العليا الوسطى والشرقية والحوز وتنغير وورزازات وسوس ووادي درعة وفگيگ. عرف عدد هذا العقاب تقلصا ملحوظا خلال العقود الأخيرة على الصعيد العالمي ويتراوح في المغرب بين 500 ـ 1000 زوجة. يألف الأجراف والصخور الصعبة المنال والغابات. يتوالد في مختلف المناطق المغربية الوسطى والشمالية والشرقية منذ فبراير إلى أبريل وينصب الزوجان العش على أشجار الأرز والصنوبر وهو عش ضخم يتعدى قطره أحيانا مترين. تبيض الإناث عادة 3 ـ 4 بيضات عليها نقط بنية بنفسجية، يبلغ طول قطرها الكبير 7 سم. يحضن البيض بالتناوب من الزوجين مدة 42 ـ 44 يوما وتبقى الصغار بداخل العش حوالي 65 يوما قبل أن تأخذ حريتها تدريجيا بين شهر يونيو وشهر يوليوز. يقتصر التوزيع الجغرافي لهذا الضرب من عقاب بونيلي على المناطق الجبلية المحاطة بحوض البحر المتوسط وأسيا الجنوبية، وهناك ضرب آخر من نفس النوع يعيش في إفريقيا الوسطى والجنوبية. أغلبية المجموعات المغربية مستقرة وتتنقل أحيانا دون أن تبتعد من أماكن التوالد. يفترس بمهارة شديدة الأرانب والقنية والسناجب والفئران والحمام واليمام والحجل والبط والنورس وطائر البقر والمالك الحزين وغيرها من الطيور المتوسطة الحجم.

ـ العقاب المسرول Hieraaetus pennatus يسمى بالفرنسية Aigle botté وبالإنجليزية Booted eagle وبالإسبانية Aguila colgada وبالإيطالية Aguila minore. عقاب صغير الحجم لون ريشه شاحب بني إلى بني داكن ويختلف من فرد لآخر. يبلغ طول الجسم 45 ـ 55 سم ويزن 500 ـ 1000 غرام. ذيله طويل نسبيا وجناحاه طويلان تبلغ بسطتهما 100 ـ 120 سم. يعيش في أوربا الجنوبية وآسيا الوسطى والغربية ومعظم مجموعات أوربا الغربية من القواطع تهاجر شتاء إلى جنوب إفريقيا الشمالية. ويتراوح عدد هذا العقاب في المغرب بين 500 ـ 1000 زوجة. يألف الأجراف والغابات ويتوالد في مختلف المناطق الأطلسية والريفية بين مارس وأبريل وينصب الزوجان العش على أشجار العرعار والأرز على الصخور. تبيض الإناث بيضتين عليهما نقط بنية رمادية، يبلغ طول قطرها الكبير 5.5 سم. يحضن الزوجان البيض بالتناوب وتغادر الصغار العش بعد 8 أسابيع.

ـ عقاب الحيات أو عقاب الأفاعي Circaetus gallicus تسمى بالفرنسية Circaète Jean-le-Blanc وبالإنجليزية Short toed eagle وSerpent eagle وبالإسبانية Aguila culebrara وبالإيطالية Biancone. يسمى في المعاجم الصرارة وأبو صواي في الشام وفي الشرق العربي ويسمى في المغرب عقاب لحناش. طائر ضخم في حجم السقاوة والسرنوف. ريشه أسمر داكن على الرأس والعنق وكدر شاحب موحد على الظهر والجناحين. أسفله أبيض ناصع ضارب إلى التوشيم ببقع مسودة غير واضحة والأخيرة منها عريضة جدا. المنقار رمادي مسود معقوف وقصير، المخالب مقوسة رمادية سوداء ؛ يبلغ طول الجسم 60 ـ 70 سم ويزن الذكور 1200 ـ 2000 غرام والإناث 1300 ـ 2300 غرام تبلغ بسطة الجناحين 125 ـ 150 سم.

معظم المجموعات المغربية من القواطع منها حوالي 1000 زوجة تتوالد في الغابات القليلة الكثافة. يكثر عدده في المناطق الجافة وشبه الجافة والرطبة بجبال الأطلس المتوسط والكبير والريف والهضاب العليا الوسطى وغابة المعمورة وبنسليمان وشائع أيضا في ضواحي دبدو وجرادة وفگيگ وتافيلالت وعلى الساحل الصخري المتوسطي منذ السعيدية إلى طنجة.

يتوالد ابتداء من أبريل وينصب العش على أشجار الأرز

والبطم والعرعار الحر والفلين، وهو عش ضخم يتجاوز قطره مترا، يتكون من الأغصان اليابسة ومن الطين ويفرش بقطع الأعشاب. تبيض الإناث بيضة واحدة كل سنة، بيضاء ملساء، يبلغ قطرها الكبير 74 ملم تحضنها الأنثى 47 يوما ويبقى الصغير تحت الحضانة بداخل العش مدة شهرين ونصف قبل أن يأخذ حريته تدريجيا. يعيش أيضا في إفريقيا الشمالية والشرق الأوسط وآسيا الوسطى وأوربا. يقتات من الثعابين والضب والأفاعي والعظاء وبويريص والعصافير والخنافس والجراد والطيور الداجنة.

- عقاب ذهبية أو عقاب لماعة Aquila chrysaetos يلقب في المغرب بالعقاب الحر وبالفرنسية Aigle royal وبالإنجليزية Golden eagle وبالإسبانية Aguila real وبالإيطالية Aquila reale. ريش العنق مذهب شاحب وبني على الرأس والظهر الجناحين وفاتح على الصدر والبطن. الذيل طويل ومحفوف بريش أسمر داكن ؛ يبلغ طول الجسم 75 . 90 سم ويزن الذكور 1300 . 4500 غرام وتزن الإناث 3800 . 6500 غرام وتبلغ بسطة الجناحين 205 . 220 سم.

طائر شائع في المناطق الجبلية الغابوية بحوض البحر المتوسط وأوربا الشمالية وآسيا الوسطى والشرق الأوسط وأمريكا الشمالية. المجموعات المغربية مستقرة تتوالد في المناطق الأطلسية والريفية والصحراوية وأفرادها موزعة على مختلف المناطق الجبلية الريفية والأطلسية وسهول الغرب والشاوية وبني يزناسن والهضاب العليا الوسطى والشرقية والحوز والمناطق الصحراوية الجنوبية. يتراوح عدد هذا العقاب في المغرب بين 200 . 500 زوجة. يتوالد في مختلف المناطق المغربية منذ فبراير إلى أبريل. ينصب الزوجان العش عادة على صخور الأجراف الصعبة المنال وهو عش ضخم يفرش بأوراق الأشجار وقطع الأعشاب ومن الأغصان اليابسة يصنعه الزوجان كل سنة. تبيض الإناث 1 . 3 بيضات عليها بقع بنية رمادية، يبلغ طول قطرها الكبير 7,7 سم. يحضن الزوجان البيض بالتناوب مدة 43 . 45 يوما وتغادر الصغار العش بعد 80 يوما.

- ملك العقاب Aquila heliaca adalberti يسمى بالفرنسية Aigle impérial وبالإنجليزية Imperial eagle وبالإسبانية Aguila imperial وبالإيطالية Aquila imperiale. ريشه شاحب بني فاتح، جناحاه طويلان تبلغ بسطتهما 180 . 210 سم. الذيل طويل ومحفوف بريش أسمر ؛ يبلغ طول الجسم 78 . 85 سم ويزن 2400 . 4500 غرام. لم يعد يتوالد في المغرب منذ أزيد من ثلاثين سنة نظرا لتقلص عدده بصفة ملحوظة في جنوب أوربا الغربية ومعظم المجموعات الأوربية مستقرة في جنوب إسبانيا ويأتي بعض أفرادها شتاء إلى ضواحي شفشاون وطنجة والعرائش. يتوالد منذ فبراير إلى أبريل وينصب الزوجان العش على الأشجار العالية وهو عش ضخم يصنع كل سنة ويفرش بأوراق الأشجار وبقطع الأعشاب. تبيض الإناث 2 . 3 بيضات عليها نقط بنية رمادية محمرة، يبلغ طول قطرها الكبير 7.4 سم. يحضن البيض من الزوجين مدة 43 يوما وتغادر الصغار العش بعد 60 يوما.

- عقاب سقعاء الكبرى أو صقر الأرنب Aquila clanga يسمى بالفرنسية Aigle criard وبالإنجليزية Spotted eagle وبالإسبانية Aguila maculada وبالإيطالية Aquila anatraia maggiore. ريشه أسود داكن موشوم بالبياض. الذيل طويل تتوسطه بقعة بيضاء على شكل حرف V ؛ يبلغ طول الجسم 66 . 74 سم وتبلغ بسطة الجناحين 140 . 180 سم.

يتوالد في أوربا الوسطى وآسيا وكل مجموعات أوربا الغربية من القواطع تهاجر شتاء إلى الجنوب ويقطع عدد قليل جدا منها مضيق جبل طارق ليشتو في غابات جبال الريف بضواحي شفشاون وطنجة. يعد هذا الطائر من الأنواع النادرة جدا في المغرب.

- عقاب الصحاري Aquila rapax belisarius يسمى بالفرنسية Aigle ravisseur وبالإنجليزية Tawny eagle وبالإسبانية Aguila rapaz وبالإيطالية Aquila rapace. يختلف هذا الضرب الإفريقي عن نظيره الآسيوي Aquila rapax orientalis الذي يعيش في آسيا الوسطى والشرق الأوسط بلون ريشه الشاحب المكدر الضارب إلى البياض ؛ الجناحان كبيران ودائريان تبلغ بسطتهما 110 . 130 سم. الذيل طويل ومحفوف بريش أسمر داكن ؛ يبلغ طول الجسم 66 . 79 سم ويزن 500 . 1400 غرام. تقلص عدد هذا النوع بشكل ملحوظ خلال العقود الأخيرة حيث كان شائعا في معظم المناطق الغابوية المغربية بجبال الريف والأطلس المتوسط والكبير والهضاب العليا بالمغرب الشرقي. منه مجموعات ضعيفة العدد مستقرة في المناطق الجبلية بالأطلس الكبير الغربي والأطلس الصغير ومناطق حوض سوس ماسة. يتوالد منذ فبراير إلى أبريل وينصب الزوجان العش على أشجار الأرز والصنوبر والأركان وهو عش ضخم يتكون من الأغصان اليابسة يصنعه الزوجان كل سنة ويفرشانه بأوراق الأشجار وبقطع الأعشاب. تبيض الإناث بيضتين منقطتين بالأسمر الأشقر، يبلغ طول القطر الكبير 7 سم. تحضن الأم البيض 45 يوما. تبقى الصغار بداخل العش حوالي 55 يوما. يألف لأجراف والصخور العالية ويعيش منعزلا أو مزدوجا. تسهل مشاهدته في ضواحي تارودانت والصويرة وماسة وكوليمين. يفترس الطيور المائية والحبارى والحجل ويأكل أحيانا الجيف من الماعز والغنم والأرانب.

م. رمضاني، بولحية، *معلمة المغرب*، الجزء 6، ص. 1845 . 1998 ؛ *الرخمة*، *معلمة المغرب*، الجزء 13 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988.

P. Bergier, *Les falconiformes marocains. Statut, Répartition et écologie. Annales CEEP (ex. CROP) n° 3. 1987*, 160 p. ; H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*, 1979, 320 p. ; C. Harrisson, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleur*, Elsevier, 1977, 430 p.

محمد رمضاني

العقاب، اسم لمعركة جرت ما بين الجيوش الإسلامية بقيادة الموحدين والجيوش المسيحية بقيادة مملكة قشتالة، وذلك في 15 صفر 609 / 14 يونيو 1212 محص الله فيها المسلمين، والعقاب مكان جرت فيه المعركة في جبل الشارات (سيبرامورينا) بالأندلس.

وتعود الأسباب غير المباشرة للمعركة إلى أن المسيحيين لما استفاقوا من هزيمة معركة الأرك التي جرت في عهد يعقوب المنصور أدركوا مدى التغيير الذي حصل في هرم السلطة الموحدية بعد وفاته وتوقعوا الضعف والهوان بعده، فقاموا مستبقين الأحداث بالدعوة لحرب صليبية جديدة في الغرب الإسلامي تستهدف إخراج المسلمين من شبه الجزيرة الإيبيرية. وقد تزعم هذه الدعوة أسقف مدينة طليطلة، فأرسل إلى بلاد فرنسا وإيطاليا وإسبانيا حاشدين، وعمل على توحيد الممالك الإيبيرية المسيحية وحصل على دعم البابا إينوصان الثاني ومباركته، فعبأ نبلاء أوربا الغربية وعامتها وأعلنها حربا "مقدسة" ضد المسلمين.

في الجانب الإسلامي لم يكن الخليفة الناصر 595 - 613 / 1199 - 1213 على علم بما كان يجري في العالم المسيحي الغربي من استعداد، حتى إنه اعتبر هجمات ملك قشتالة وأرگون على الثغور الإسلامية الشمالية في الأندلس مجرد خرق لمعاهدة الصلح والهدنة التي أبرمها والده مع المسيحيين إثر هزيمة الأرك، في حين أنها كانت تدخل ضمن تاكتيك ألفونسو الثامن ملك قشتالة والرامي إلى التحرش بالمسلمين وجس نبض الموحدين واختبار ردود أفعال قيادتهم الجديدة وعلى المستوى الداخلي سواء داخل المغرب أوفي الأندلس. فالجبهة الإسلامية كانت متضعضعة، وذلك بسبب تلاعب كبار الموظفين، وسياسة الإهمال التي اتبعوها عقب وفاة يعقوب المنصور، وقد لعب الوزير ابن جامع دورا كبيرا في فقد الثقة والتباعد ما بين الأندلسيين والمغاربة بسبب دسائسه وهيمنته.

تفاوتت أسباب الهزيمة في المصادر العربية والأجنبية واختلفت حول بعض التفاصيل والجزئيات، لكن الأسباب القوية تبقى في التفاوت الكبير في العدة والعدد وفي التعبئة والاستعداد ما بين المسيحيين الصليبيين والمسلمين (مغاربة وأندلسيين) ؛ تمت المواجهة بين طرفين غير متكافئين (التفوق للمسيحيين) على أرض متضرسة احتل فيها المعسكر المسيحي المرتفعات بينما خيم المسلمون على المنحدرات والسفوح، وتقدم المسلمون نحو المواجهة على عادتهم في المعارك السابقة كالآتي : في المقدمة المصامدة بقيادة الخليفة في القلب والأندلسيون في الميمنة والعرب والأغزاز في الميسرة والبرابرة والحشود في الخلف، لكن هذا التاكتيك لم ينفع هذه المرة إذ اندفع المسيحيون نحو المسلمين في ثلاث دفعات ردت الأولى بقوة ثم أخذت مقاومة الموحدين تضعف في الثانية لتنهار في الثالثة وكانت جيوش الأندلس أول المنسحبين ثم تبعتها جيوش القبائل العربية.

ابن عذاري، *البيان المغرب*، بيروت 1948، تطوان 1960، الدار البيضاء 1985 ؛ ابن خلدون، *العبر*، دار البيان، بيروت، بدون تاريخ ؛ الحميري، *الروض المعطار*، بيروت، 1957 ؛ ابن أبي زرع، *روض القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ ابن بسام، *الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة*، بيروت، 1980 ؛ ليفي بروفنصال، الإسلام في المغرب والأندلس، تر. عبد العزيز سالم ومحمد حلمي، القاهرة، بدون تاريخ ؛ م. عنان، *عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس*، القاهرة، 1962 ؛ خالد الناصري، *الاستقصا*، الجزء الثاني، الدار البيضاء، 1954.

J. Brignon [et *al.*], *Histoire du Maroc*, Paris, 1967 ; J. Descola, *Histoire d'Espagne*, Paris, 1959 ; Huici Miranda, *Historia politica del imperio Almohad*, 2 tomes, Tetouan, 1956 - 1957.

محمد حجاج الطويل

عقبة بن نافع، هو عقبة بن نافع بن عبد القيس بن لقيط القرشي الفهري. ولد على عهد الرسول (ص). ويعتبر من رواد الفاتحين المسلمين ببلاد المغرب، وأول من دخل منهم المغرب الأقصى. إذ قدم برقة منذ حداثة سنه، ومنها شارك في عدة حملات عسكرية على إفريقية، أبدى خلالها ضروبا من الإقدام الحربي والحماسة الدينية. وهي مزايا عبر عنها بجلاء إبان تعيينه من قبل عمرو بن العاص سنة 46 / 666 على رأس جيش لمتابعة فتح إفريقية. فقد اغتنم عقبة هذه المناسبة ليقود فرقة من الفرسان نحو الجنوب، حيث فتح مجموعة من الواحات والقصور إلى أن وصل إلى شمال شرقي دولة النيجر اليوم.

ولاشك أن خصال عقبة الشخصية لعبت لصالحه عندما عينه معاوية بن أبي سفيان واليا على أفريقيا سنة 50 / 670. وهي ولاية استغرقت خمس سنوات تفرغ عقبة خلالها إلى متابعة القضاء على الوجود البيزنطي بإفريقية، وإلى بناء القيروان لاتخاذها قاعدة عسكرية وسياسية. وسرعان ما أصبحت القيروان أول مدينة إسلامية ببلاد المغرب، ومركزاً للإشعاع الديني والفكري بالمنطقة.

ولكن في سنة 55 / 675 عزل معاوية عقبة من منصبه لأسباب مجهولة وعوضه بأبي المهاجر دينار. وخلافا لعقبة، سلك أبو المهاجر سياسة في الفتح قوامها ترغيب البربر في الإسلام واستمالتهم للتحالف مع العرب ضد البيزنطيين. وتسجل المصادر أن سياسة اللين هذه أدت إلى إسلام كسيلة ـ زعيم أوربة وصنهاجة ـ وانضمامه وقومه إلى جيش أبي المهاجر. وهذا ما سهل على الفاتحين اجتياح المغرب الأوسط.

وعندما تولى يزيد بن معاوية الخلافة أعاد الاعتبار لعقبة، فرده إلى ولاية أفريقيا سنة 62 / 682. فخرج على التو على رأس حوالي خمسة آلاف رجل لغزو المغرب الأقصى. ولئن كانت هذه الحملة هي أبرز حدث ميز ولاية عقبة الثانية (62 / 682 - 63 / 683)، فإن ما يتوفر لدينا من معلومات عنها لا يرقى إلى أهمية الحدث من حيث الامتداد والظروف والعواقب. ذلك أن أقدم وأحسن رواية وصلتنا عن الموضوع هي التي وردت عند ابن عبد الحكم، مع أنه لم

يدونها إلا في منتصف القرن الثالث أي بعد الحملة بما يقرب من قرنين. وبما أن هذه الرواية من صنف المغازي، فإن ابن عبد الحكم لم يقتصر على مصدر واحد في جمعها، فجاءت متنافرة ومتناقضة في كثير من الأحيان، هذا فضلا عن إفراطها في التلخيص.

ورغم عيوب رواية ابن عبد الحكم، انتشرت بالمشرق والمغرب بين الإخباريين اللاحقين الذين أغنوا ما نقلوه عنه بتفاصيل ربما اعتمدت على مصادر مفقودة، الشيء الذي زاد في تشويش صورة حملة عقبة على المغرب الأقصى. وانعكس هذا الأمر على كتابات المؤرخين المحدثين الذين تضاربت آراؤهم حول خط سير الحملة والمدى الذي وصلت إليه والنتائج التي أسفرت عنها. ومن هنا صعوبة الوصول إلى تصور واضح حول هذه القضايا الغامضة التي لا يمكن مقاربتها بما يكفي من الوضوح إلا بالعثور على ما فقد من مصادر عربية أصلية، وبالاستعانة بالنصوص البيزنطية. غير أن مصادرنا - على علاتها - تسمح بتقصي السير لحملة عقبة على المغرب الأقصى وبتقدير ظروفها وانعكاساتها.

وفي هذا الإطار تشير المصنفات التاريخية إلى أن عقبة سار سنة 62 / 682 على رأس جيش كثيف من القيروان إلى شمال الأوراس حيث اصطدم مع جموع من البربر والبيزنطيين في بغاية - وكانت معقلا مسيحيا كبيرا - فانتصر عليهم. ثم اتجه الفاتحون المسلمون بقيادة عقبة إلى حصن بليش الروماني. وبعد مدة من الحصار والمعارك، غادره إلى تيهرت. وفيها خاض المسلمون معركة طاحنة ضد جيش من البربر والبيزنطيين الذين لم ينجحوا في مقاومة عقبة وأصحابه.

تابع المسلمون زحفهم نحو المغرب الأقصى - ربما عبر تلمسان وملوية وممر تازة - إلى أن أدركوا طنجة. وكانت هذه المدينة خاضعة لحاكم يعرف باسم يليان. ويبدو أنه كان يسيطر أيضاً على الجهات المطلة على المضيق بما في ذلك سبتة. غير أن المصادر تختلف حول حقيقة هويته. والراجح أنه كان زعيما بربريا نصرانيا يحكم المنطقة باسم قوط إسبانيا. ومصداق هذا الطرح أن يليان لم يألُ جهدا لثني عقبة عن العبور إلى إسبانيا. ولتحقيق هذا الهدف قبل الخضوع لحكم المسلمين دون مقاومة، وفي نفس الوقت أقنع عقبة بالبقاء في المغرب الأقصى وبتوجيه حملته نحو الجنوب.

وبالفعل فإن ابن عذاري يذكر أن عقبة قصد السوس الأدنى - أي بلاد تامسنا والمصامدة - حيث تصدى للمقاومة المحلية وقضى عليها. وكذلك فعل في سهل الحوز واستولى فيه على نفيس وأغمات. بعد ذلك "أجاز إلى بلاد السوس" - يقول ابن خلدون - لقتال من بها من صنهاجة أهل اللثام. وهو يومئذ على دين المجوسية. ولم يدينوا بالنصرانية. فأثخن فيهم، وانتهى إلى تارودانت وهزم جموع البربر. وقاتل مسوفة من وراء السوس، وسبى منهم وقفل راجعا" (تاريخ ابن خلدون، 6 : 127).

هذا إذن هو المسار العام لحملة عقبة على المغرب الأقصى، كما تقدمه المصادر. ولئن كان المؤرخون - قدامى ومحدثون - لا يجمعون على محطات الحملة ومراحلها، فإن معظمهم يقبلون بوصولها إلى مشارف الصحراء الأطلسية. بيد أن أحد الباحثين يرى أن عقبة غزا بالفعل تلمسان، وبما نظم حملات على شمال المغرب الأقصى دون أن يتعداه (*Histoire du Maghreb*, I : 75). حقيقة أن مثل هذه الشكوك تنبني على نص ابن عبد الحكم الذي اقتصر على استعمال لفظة "السوس" بدون تحديد، للدلالة على النقطة القصوى التي بلغها عقبة. ولكن تفحص النص يثير الانتباه إلى تسمية لها دلالة تاريخية معبرة. إذ يقول ابن عبد الحكم "وأهل السوس بطن من البربر يقال لهم أنبية" (فتوح، 58). وتجزم المصادر المعاصرة لابن عبد الحكم أن أنبية فرع من صنهاجة اللثام الذين كانوا يحيون بالصحراء الأطلسية. وإلى هذا الطرح تذهب المصادر المتأخرة التي تؤكد بوضوح أن عقبة توغل جنوبا حتى السوس الأقصى.

ولم يلبث عقبة أن قرر العودة إلى القيروان. غير أن المصادر لا تحدد تصريحا طريق العودة. ولكن قد يكون اتبع سلسلة واحات سفوح الأطلس الجنوبية، وإن كانت الكتابات الحديثة - في مجملها - تميل إلى القول بأنه عاد عبر ممر تازة. ومما يزكي وجهة النظر الثانية أن ابن عبد الحكم علل في إحدى رواياته مقتل عقبة بكون كسيلة كان يتعقبه أثناء غزواته بالمغرب الأقصى، ويعمد إلى هدم الآبار - وكان الموسم صيفا - بعد مرور جيش المسلمين ليقطع عليهم طريق العودة؛ الشيء الذي يعني أن خط سير حملة عقبة كان واحدا في الذهاب والإياب.

وعندما وصل إلى تهوذة - جنوب شرقي بسكرة غير بعيد من جبال الأوراس - فاجأه كسيلة على رأس جيش من البربر والروم. وبالنظر إلى أن عقبة كان في قلة من جنده (زهاء ثلاثمائة من كبار الصحابة) وبعيداً عن مراكز إمداده، لم يكن أمامه وصحبه سوى مواجهة الوضع بمحاولة التصدي لحصار العدو. وبالفعل "قاتلوا قتالا شديداً، حتى بلغ منهم الجهد وكثر فيهم الجراح. وتكاثر عليهم العدو، فقتل عقبة وأبو المهاجر ومن كان معهما من المسلمين. ولم يفلت منهم أحد إلا بعض وجوههم أسروا" (*البيان*، 6 : 29).

ويعرف اليوم المكان الذي لقي فيه عقبة حتفه باسم سيدي عقبة. وهو عبارة عن واحة على بعد خمسة كلم جنوبي تهوذة، حيث يوجد مسجد وضريح متواضع، أضحى مزارا لأحفاد الذين قتلوا الفاتح العربي.

لم يتردد المؤرخون العرب المحدثون في اعتبار هزيمة تهوذة (ذو الحجة 63 / غشت 683) كارثة ومأساة لا نظير لهما في تاريخ الفتوحات الإسلامية. إذ أنها أدت إلى تخلي المسلمين عما استولوا عليه ببلاد المغرب كلها، وإلى ظهور مقاومة بربرية عنيفة استمرت زهاء ربع قرن. وهذا ما جعل البحث التاريخي الحديث يحاول استقصاء أسباب هذه

الانتكاسة. ولعل أكثر ما سجل من مآخذ على عقبة سياسته القائمة على العنف والاندفاع، خلافا لمن سبقوه على ولاية إفريقيا ولا سيما أبي المهاجر دينار. وظهرت هذه السياسة بجلاء فيما كان يلحقه من أذى معنوي وجسدي بسكان الجهات المفتوحة، وخصوصا بالزعماء والحكام. وخير مثال على ذلك أن عقبة بدأ ولايته الثانية بأسر أبي المهاجر دينار وكسيلة وأخذهما معه ـ وهما في حديد ـ في حملته على المغرب الأقصى. وتستفيض المصادر في ذكر ما ألحقه عقبة بالزعيم البربري من ذلال وإهانة، مع أنه كان قد أسلم وتحالف مع الفاتحين. وزاد عقبة على ذلك بأن غزا منطقة تلمسان معقل أوربة وزعيمها كسيلة. فكان من الطبيعي أن يغير هذا الأخير موقفه من المسلمين. إذ فر من معسكر عقبة في ظروف غامضة، وعقد التحالف مع البيزنطيين للوقوف في وجه عقبة ولإجهاض سياسته.

ومما زاد في خطورة هذا التحالف أن كسيلة كان عارفا بعورات جيش عقبة. ولعل أكبرها إقدام عقبة ـ لأسباب نجهلها ـ على الاحتفاظ بقلة من الجند وصرف معظمهم إلى القيروان وهو في طريقه إليها، متجاهلا بذلك تأمين خط رجعته. وهذا الخطأ العسكري هو الذي سهل على كسيلة نصب كمين لعقبة، ودفع ببعض الباحثين إلى اعتبار هذا الأخير مجرد مسلم متحمس لنشر عقيدته وولي من أولياء الله الصالحين. والحق أن الخطأ المذكور لا ينفي عن عقبة كونه رجل حرب بارع ومقدام، نجح في مدة وجيزة في اجتياح المغرب الأقصى من الشمال إلى الجنوب. مع العلم أنه كان أول فاتح وصل إلى هذه البلاد، مع ما يعنيه ذلك من صعوبات ومخاطر كان عقبة نفسه أول ضحاياه.

أدرك كسيلة في تهوذة ثقل الفاجعة التي حلت بالمسلمين، وتفطن إلى ضرورة استغلالها للزيادة في تأزيم وضعهم. لهذا زحف إلى القيروان، بينما اضطر من كان بها من الفاتحين إلى الانكفاء إلى برقة ومصر، ولم يبق سوى من عجز عن الرحيل.

وباستيلاء كسيلة على القيروان (64 ـ 683) أمن من تخلف فيها من المسلمين، وسيطر على معظم بلاد المغرب لمدة خمس سنوات. وكان يتعين انتظار خلافة عبد الملك بن مروان لمعاودة الفتوح بقيادة زهير بن قيس البلوي ابتداء من سنة 69 / 688.

وإذا كانت حملة عقبة على المغرب الأقصى قد آلت إلى فشل عسكري مؤقت، فلا ينبغي غض الطرف عن انعكاساتها الإيجابية، وخصوصا في المجال الديني. فقد نبهت السكان المحليين إلى عقيدة الفاتحين، وهيأتهم لقبولها فيما بعد، لا سيما وأن عقبة عمد إلى بناء المساجد ببعض جهات البلاد (درعة والسوس الأقصى والجوز). بل إن بعض المصادر تدفع إلى الاعتقاد بوجود جماعات بربرية أخلصت للإسلام منذ هذا الوقت ـ وبالأخص بين مصمودة وزناتة ـ وقاتلت بجانب عقبة في بعض المناسبات. كما مهد عقبة الطريق لأسلافه من الفاتحين، وسهل عليهم مأمورية إدخال المغرب الأقصى إلى "دار الإسلام".

ع. الرحمان، ابن عبد الحكم، *فتوح إفريقيا والأندلس*، 1964، ص. 58 ـ 61 ؛ م. ابن عذاري، *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب*، 1980، ج 1، ص. 23 ـ 31 ؛ أ. النويري، *تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب*، 1984، ص. 190 ـ 194 ؛ ع. الرحمان، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، 1992، م. 6، ص. 127 ـ 128 ؛ ابن عبد الحليم، *كتاب الأنساب*، 1996، ص. 87 ـ 90 ؛ مجهول، *كتاب مفاخر البربر*، 1996، ص. 252 ـ 254 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى*، 1954، ج 1، ص. 81 ـ 84 ؛ أ. العبادي، *في تاريخ المغرب والأندلس*، 1978، ص. 38 ـ 42 ؛ ش. فيصل، *حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول*، 1980، ص. 167 ـ 170 ؛ ح. مؤنس، *فتح العرب للمغرب*، د. ت. ص. 178 ـ 207.

H. Terrasse, *Histoire du Maroc des origines à l'établissement du protectorat français*, s.d., p. 80 - 82 ; Ch. A. Julien, *Histoire de l'Afrique du Nord des origines à 1830*, 1994, p. 347 - 350 ; A. Laroui, *L'histoire de Maghreb*, 1976, t. 1, p. 74 - 75.

عبد العزيز العلوي

ابن **العقدة، موسى** الأغصاوي من أبرز علماء المغرب خلال الفترة التي عاشتها البلاد خلال الهجمة المسيحية (ما بين سقوط سبتة 1415 وسقوط طنجة 1471 في يد البرتغاليين). أخذ عن القوري (المتوفى عام 872 / 1467) والعبدوسي (المتوفى عام 849 / 1445) والمواسي (المتوفى عام 896 / 1491) أشهر أعلام عصره. تابع دراسته بفاس والتقى فيها بالشيخ الورياجلي وبالشيخ ابن برطال. وعاصر ابن غازي (المتوفى عام 919 / 1514) وأحمد زروق البرنسي (المتوفى عام 899 / 1494).

كان يدعى بفحل المدونة، واشتهر بتدريس علم الكلام، وكان معتمده هو محمد بن يوسف السنوسي.

ينتمي أبو عمران إلى أسرة مشهورة بجبال غمارة سيشتهر أبناؤها بالعلم والولاية.

ذكر ابن عسكر أنه توفي "في أوائل المائة" أي العاشرة، (911 للهجرة)، لا تذكر المصادر أين، لكننا نعرف أن بفاس درباً يحمل اسمه "درب بوعقدة" بعدوة القرويين، ومن أشهر تلامذته الشيخ أبي القاسم ابن حجو.

ابن عسكر الشفشاوني، *دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر*، تح. د. حجي، الرباط، 1976 ؛ العلمي، *نوازل العلمي*، ج 2، طبعة حجر ؛ الكتاني، *سلوة الأنفاس، ومحادثة الأكياس، بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس*. طبعة حجر، فاس، 1318 / 1900، في ثلاثة أجزاء.

محمد مزين

عقرب جنس حيوانات برية مضرة من المفصليات ورتبة العقربيات لها أربعة أزواج من الأرجل وزوجة من المجسات المفصلية الفوهية تحولت إلى ملاقط قوية ومخيفة. الجسم مفصص ويشتمل على سبع سيات في البطن وستة في الجهة الخلفية التي تنتهي بتحدب متميز يحمل الغدد السامة.

يرتبط بهذه الغدد منخس مستدق الرأس يحقن السم عند اللدغ. يستعمل العقرب الملاقط لاصطياد الحشرات يفتك بها ويطحنها بفكيه القويين. والعقارب من الحيوانات الولودة، يتوالد في فصل الربيع وبداية الصيف بعد رقصات متميزة يقوم بها الزوجان وتنمو الأجنة بداخل جسم الإناث، وبعد انتهاء مرحلة النمو الأولى تخرج وتلتصق بظهر الأم التي تحملها خلال الأسابيع الأولى وتحيطها بالرعاية والصيانة. الصغيرة شبيهة بالكبيرة منذ الولادة وتبقى في هذه الحضانة حوالي أسبوعين أو ثلاثة تتعرض أثناءها إلى الانسلاخ الأول وبعد ذلك تأخذ حريتها لمواجهة حياة مستقلة. يتحمل العقرب تغيرات حرارية قوية ولا يخشى الإشعاعات النووية. يختفي في فصل الشتاء بين شقوق الصخور وتحت الأحجار ويقل نشاطه طيلة الأيام الباردة.

تعيش العقارب في المناطق الحارة والجافة مثل الصحاري وتختفي نهارا في المغاور وتحت الأحجار وبين شقوق الصخور ثم تستأنف نشاطها بعد الغروب إلى غاية غسق الليل. يبلغ عدد أنواع العقارب 700 في العالم منهم 18 نوعا و21 صنفا يعيش في المغرب. تتكون فصيلة بوثيدي Buthidae من 5 أجناس ومن 28 ضربا موزعة على مختلف المناطق المغربية منذ السواحل إلى أماكن جبلية يفوق ارتفاعها 3500 متر. وتضم فصيلة العقربيات Scorpionidae جنس Scorpio الذي يشتمل على 9 ضروب من نوع maurus. يمكن تمييز مجموعتين من العقارب في المغرب من خلال اللون : العقارب الصفر والعقارب السود. ليست كل الأنواع قاتلة بالنسبة للإنسان فبعض أنواع العقارب الصفر تحدث بلسعاتها آلاما تُعالج دون مضاعفات خطيرة بينما يمثل بعض أنواع العقارب السود خطورة على الإنسان ما لم يعجل بإنقاذه. من بين العقارب الخطيرة على الإنسان والحيوانات الداجنة في المغرب :

العقرب المغربي باثوس ماروكانوس Bathus maroccanus لونه أسمر داكن ويبلغ طوله 5 ـ 6 سم ويعيش في ضواحي الرباط، وعقرب ليوفيلي Androctonus aeneas liouvillei أسود داكن يبلغ طوله 7 ـ 9 سم ويعد من أخطر الأنواع ؛ شائع في ضواحي أگادير وبوذنيب وورزازات وطاطا وزاگورة وفگيگ ووجدة. وعقرب موريتانيا A. mauritanicus وورزازات بوردوني Androctonus mauretanicus bourdoni اللذان تسببا في عدة ضحايا من الأطفال في ناحية الصويرة وفي مناطق أخرى : يعيشان بجوار المنازل ولا يحفران المغاوير ؛ شائعان في المناطق الساحلية من طنجة إلى تيزنيت وفي حوض سوس.

نوعان يعيشان في المناطق الصحراوية والمناطق الجافة وشبه الجافة المجاورة : Buthacus leptochelys ونوع Microbuthus fagei وهو أصغر العقارب في المغرب إذ لا يتعدى طوله 3 سم.

تؤثر سموم العقارب على الجهاز العصبي وتودي في أغلب الأحيان إلى سكتة قلبية وهناك مصل خاص لعلاج سموم العقارب بالمراكز الصحية.

A. Charnot et L. Faure, *Les scorpions du Maroc, leur venin, leur danger pour l'homme et les animaux*. Bull. Inst. Hygiène Maroc. IV. 1 - 72 p., 1934.

محمد رمضاني

عقرب البحر والعگرب وأرينيا كسما في الأسواق السمكية المغربية وبلم في تونس، سمك بحري من فصيلة تراكينيدي Trachinidae. منه أربعة أنواع تعيش في البحار المحيطة بالمغرب .يصعب التمييز بينها لكثرة الشبه وتعرف عند الصيادين وبائعي الأسماك بالعقرب لوجود أشواك سامة على غشاء الخياشيم والزعانف الظهرية تستعمل للدفاع عن النفس كما هو الشأن عند العقارب. سمك موجود بانتظام في كل أسواق الأسماك المغربية ويستهلك طريا ومبردا. صيده تقليدي ورياضي على طول السواحل المغربية ويصاد بالشباك الحلقية الشاطئية والجيبيات والشباك المستقيمة العمقية وحبال الصنانير العمقية وصنارة اليد.

. العقرب العنكبوتي Trachinus areneus يسمى بالفرنسية Vive araignée وبالإنجليزية Spotted weever وبالإسبانية Arania. يبلغ الطول الأقصى للكبيرة 50 سم وشائع في الأسواق السمكية بين 20 ـ 30 سم، يتعدى الوزن أحيانا 1000 غرام. جسمه طويل ومضغوط جانبيا. العينان صغيرتان ؛ الفم كبير ومائل، الأسنان مصففة على أشرطة بالفكين وعلى سقف الفم كلها قصيرة ومائلة ؛ الظهر رمادي أسمر مخضر مع بقع داكنة على الرأس ؛ الجوانب بيضاء مصفرة عليها خطوط سمراء وزرقاء وصفراء حسب صفوف الحراشف المائلة. الظهرية الثانية مصفرة والشرجية بنفسجية. يحمل الرأس شوكة سامة قوية على غشاء الخياشيم وشوكتين على الجانب الأمامي الظهري لمحجر العين وشوكة أخرى فوق الشفة العلوية أمام العين. يحمل الظهر زعنفتين، الأولى قصيرة، لها 5. 7 أشواك والثانية طويلة، لها 29. 32 شعاعا لينا ؛ للشرجية شوكتان و29. 32 شعاعا لينا. الحراشف صغيرة ودانرية منها 80 ـ 83 على الخط الجانبي.

يألف الأعماق الرملية والوحلية حيث يختفي الأفراد بداخلها في أغلب الحالات ليتربصوا فريستهم من القشريات

واللافقريات والأسماك الصغيرة. شائع في المناطق الساحلية الأطلسية والمتوسطية في أعماق لا تتعدى 300 م. تقترب الأفراد من الشواطئ في الصيف فتكثر كثافتها بين 5 ـ 10 م من العمق وتهاجر إلى المياه العميقة في الشتاء. يتوالد في الربيع والصيف ويصير بالغا بعد ثلاث سنوات.

ـ العقرب الكبير Trachinus draco يسمى بالفرنسية Grande vive وبالإنجليزية Weever وبالإسبانية Arania. الطول الأقصى 45 سم وشائع بين 10 ـ 30 سم ولا يتعدى وزن الكبيرة 600 غرام.

ـ العقرب الصغير Trachinus vipera يسمى بالفرنسية Petite vive وبالإنجليزية Lesser weever وبالإسبانية Salvariego. الطول الأقصى 15 سم وشائع بين 8 ـ 10 سم ولا يتعدى وزن الكبيرة 200 غرام. يحمل غشاء الخياشيم شوكة واحدة.

ـ العقرب نجمية الرأس Trachinus radiatus يسمى بالفرنسية Vive à tête rayonnante وبالإنجليزية Starry weever وبالإسبانية Vibora. يبلغ الطول الأقصى للكبار 50 سم وشائع في الأسواق بين 15 ـ 30 سم. الوزن 900 غرام. الجانبان منقطان ببقع بنية دائرية أو خيطية. يعيش في السواحل الإفريقية وفي البحر المتوسط باستثناء البحر الأسود. يألف الأعماق الرملية والوحلية الممتدة بين 30 ـ 60. تخلف لدغات شوكات غشاء الخياشيم وشوكات الزعانف الظهرية جروحا خطيرة وألما شديدا.

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ المعلوف أمين، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932 ؛ *دليل تعريف الموارد البحرية الحية في المغرب*، المنظمة العالمية للتغذية، روما، 1998.

محمد رمضاني

العُقْلي، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث لازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Acula وهو الاسم الذي أطلقه الإسبان على قرية عقلة التي كانت بأحواز غرناطة المسلمة ؛ وإلى هذه الأسرة التي انقرضت بتطوان سنة 1198 (1784) تنسب احدى أبواب تطوان وهي باب العقلة.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1200.

محمد ابن عزوز حكيم

العقوبات في العصر الوسيط عرف المجتمع المغربي نوعين من العقوبات : عقوبات شرعية وعقوبات مخزنية. فالشرعية منصوص علينا في الشريعة الإسلامية، وهي عبارة عن عقوبات توقيفية رادعة، تخص جرائم القتل والسرقة والحرابة والقذف وشرب الخمر والزنا ؛ وينص الفقه على تنفيذها علينا بحضور عامة المسلمين لأخذ العبرة. وإلى جانب ذلك كان القضاة يحكمون في بعض المواد بما يعرف عند الفقهاء بالتعزير، وهو نوع من العقوبات أخف في المخالفات التي لم يرد بشأنها نص محدد، ويترك تقديرها للقاضي الذي قد يكتفي في بعض الحالات بالتوبيخ الشفوي، وقد يتجاوزه إلى الضرب والسجن والتغريم.

أما العقوبات المخزنية، فهي عقوبات بدنية ومالية لا تستند إلى إطار قانوني، تمارسه السلطة الحاكمة بطريقة غير شرعية مستندة في ذلك إلى قوتها فقط، وتهدف من وراء ذلك إلى زرع الخوف في المجتمع لتأمين جانبها، وكانت تصدر عن جميع ممثلي السلطة، سواء تعلق الأمر بالسلاطين أو بمن هم دونهم كالولاة والعمال والقواد وجباة الضرائب، وتنفذ تلك العقوبات دون محاكمة، وغالباً ما تختلط في إنزالها عواطف الانتقام باللامبالاة، كما قد تتحكم فيها مجرد أهواء ممثلي السلطة. وكانت العقوبات المخزنية في كثير من الأحيان ما تخرج عن إطارها المرتبط بالمخالفات إلى نوع من العدوان. ولمحاصرة هذا السلوك غير القانوني وجدت في الدول الغربية خطة قضاء المظالم لكنها لم تكن فعالة إلا في حدود معينة.

وبالنسبة للدول التي تعاقبت على حكم المغرب في العصر الوسيط، يلاحظ مثلاً أن المرابطين كانوا أكثر التزاماً بالعقوبات والضرائب الشرعية. فكانت سلطة القضاء أقوى، وفي هذا العصر حكم القاضي بجلد الأديب المؤلف الفتح بن خاقان على شرب الخمر، ونفذ فيه.

أما في العصر الموحدي فرغم أن الدولة حملت شعار العودة إلى أصول الإسلام فقد ظهرت تجاوزات كثيرة في مجال العقوبات منذ عهد محمد المهدي ابن تومرت الذي وضع نظاماً خاصاً للعقوبات لتنظيم شؤون حركة الموحدين تجاوز به كثيراً العقوبات الشرعية. فبعد أن قسم الموحدين إلى طبقات محددة بتسمياتها ووظائفها، جعل "لكل صنف من هذه الأصناف رتبة لا يتعداها إلى غيرها لا في السفر ولا في الحضر" (ابن القطان، *نظم*، 83)، وألزمهم بمجموعة من العقوبات الصارمة إذا صدر عنهم تجاوز للنظم والقواعد الموضوعة، وتتدرج هذه العقوبات من التأديب، أي الضرب بالسياط، إلى القتل. ولسحب رداء الشرعية على هذه الممارسات أخذ مبايعة أتباعه على ذلك، وتنص العقوبات حسب ابن القطان على ما يلي :

ـ جعل القتل على ثمان عشرة مخالفة أخلاقية كالكذب والمداهنة وأمور أخرى كثيرة.

ـ يقتل أيضاً كل من تساهل أو تهاون في أمر الطاعة، سواء للمهدي أو لأي مسؤول آخر.

ـ من لم يلتزم الحضور في مواعظ ابن تومرت وحصص تذكيره يؤدب، فإن تمادى في التغيب قتل.

ـ يعزر بالسياط المتهاونون في حفظ الحزب.

ـ و"من داهن على أخيه أو أبيه أو ابنه أو من يكرم عليه قتل".

ـ يضرب بالسوط المرة والمرتين من لم يلتزم هذه الآداب،

"فإن ظهر منه عناد وترك امتثال الأوامر قتل" (*نظم*، 81-83).

وبناء على هذه التجاوزات اتهم الإمام الشاطبي في *الاعتصام* ابن تومرت بأنه "وضع القتل شرعاً معمولاً به على غير سنة الله وسنة رسوله". وبجانب ذلك كان يضرب شاربي الخمر بالنعال وسعف النخل تشبها بالصحابة.

ويبدو أن توجه ابن تومرت نحو شرعنة العنف جعل الموحدين بعده يتجاوزون أيضاً في مجال العقوبات، وبشكل مبالغ فيه. وأسسوا نظاماً عقابياً يميل أكثر إلى القتل هدفوا منه بهدف تحقيق قدر أعلى من الردع. ومن هذه التجاوزات أن الخليفة المؤمن كان يقتل على السرقة. ويبدو أن التمادي في عقوبة القتل جعل هذا الخليفة يراجع الأمر، فأرسل رسالة رسمية إلى قضاة دولته يأمرهم فيها بالتوقف عن تنفيذ حدود القتل والقطع، وكل ما يترتب عليه نتائج حاسمة، حتى تحال عليهم ملفاتها مشفوعة بجميع الحجج والبينات على الخليفة، ولاشك أنه كان يكلف قاضي الجماعة بإعادة النظر فيها.

واستمر التجاوز في عهود الخلفاء اللاحقين، ونلاحظ أن المنصور أمر بقتل شاربي الخمر في بعض الأحيان. ولكنه اكتفى بنصف العقوبة الشرعية أحيانا، ويتعلق بإقامة الحد على أحد جلسائه وهو العالم الأندلسي يحيى بن سعود العبدري معلم أبنائه، لما تأكد من تناوله للنبيذ، ثم عزله عن تعليم أبنائه وصرفه عن مجلسه.

وظل الموحدون لمدة لا بأس بها يقتلون على ترك الصلاة، وكانت تشريعات الموحدين تنص على أن من يرفع صوته بالليل بمراكش يقتل حفاظاً على هدوء المدينة. وفي سنة 607 / 1210 قتل مجموعة من اللصوص قاموا بعمليات نهب في حريق مراكش أيضاً. أما العمال الذين تشكو الرعايا منهم، أو الذين كانوا يتهاونون في القيام بواجباتهم، أو يستغلون منصبهم للاغتناء فكانوا يلقون نفس المصير في مرحلة قوة الدولة. وكان الخلفاء والأمراء أنفسهم ينفذون القتل لهذا السبب أو لذاك.

وكان جزاء الاغتصاب أو الاعتداء على النساء هو القتل أيضاً، فقد نفذ يعقوب المنصور القتل في ابن أخته عقاباً له على اختطاف امرأة أحد التجار بمراكش، ولم تنفع توسلات أخته في إنقاذ ابنها. وكان لفئة الحفاظ أيضاً سلطة يستطيعون بموجبها قتل من يرون بتقديرهم أنه يستحق ذلك، إلى جانب إنزال العقوبات الأخرى. فقد قتل حافظ فاس أبو موسى بن رمانة شاباً رمى يده في امرأة وغصبها على الدخول لمنزله، وكان هذا الشاب ابن أخ قاضي فاس حينئذ أبي حفص عمر بن عبد الله السلمي الذي لم يتحرك لتلافي قتل ابن أخيه.

وكان الموحدون قد وضعوا بعض الطرق في معاملة الجناة كالتطويف والتشهير، وقد تبنت الدولة المرينية هذه العقوبات واستمرت إلى عصر الونشريسي الذي عاينها واستنكرها في *المعيار* من خلفية شرعية قائلاً : "الشائع الذائع من فعل أمراء المغرب أيدهم الله، جعل السلاسل في أعناق الجناة في المحلة، وحالة سوقهم للنظر في جرائمهم بين يدي الأمراء والفقهاء. وهو منكر عظيم ويجب تغييره. وقد أشرت بذلك مرة فاحتج علي باتصال العمل بذلك، مع شهادة العلماء الأكابر الجلة لذلك ولا نكير فأمسكت. فأنت ترى هذا الاحتجاج الركيك الساقط". ويؤكد هذا النص بوضوح أن هذه المعاملة أصبحت عرفاً بطول الممارسة لا سبيل إلى تغييره. واستمر وضع السلاسل في أعناق الجناة وتطويفهم إلى عصر الحسن الوزان.

ابن خلكان، *وفيات الأعيان* ؛ ابن الزيات، *التشوف* ؛ ابن سعيد المغربي، *الغصون اليانعة* ؛ ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة* ؛ ابن صعد التلمساني، *النجم الثاقب*، مخطوط، خ. ع، ص. 239، الرباط، رقم ك 1292 ؛ ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*، ج 4 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب* ؛ ابن القطان، *نظم الجمان* ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، تر. م. حجي وم. الأخضر، 1، 1983 ؛ التاطي، الاعتصام ؛ الونشريسي، *المعيار*.

محمد المغراوي

العقوبات، يمكن تقسيم نظام العقوبات في المغرب الأقصى خلال العصر الوسيط وبداية الحديث إلى ثلاثة أصناف : عقوبات السلطة أو ما يمكن أن نطلق عليه العقوبات الشرعية مع نوع من التحفظ، وعقوبات المجتمع التي يمكن نعتها بالعقوبات العرفية وإن كان بعضها ينهل من الشرع. ثم عقوبات متخيلة "فرضها" الأولياء على اللصوص.

أولاً :

المقصود بالعقوبات الشرعية تلك العقوبات التي نص عليها الفقهاء في فتاويهم وأحكامهم استناداً إلى الشرع. فمن غير الخفي أن المشرع أقر عقوبة قطع يد السارق بنص الآية 38 من سورة المائدة (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله، والله عزيز حكيم). غير أن النصوص التي كتبت في مغرب أواخر العصر الوسيط وبداية العصر الحديث ـ والتي تم الاطلاع عليها ـ لم تشر بشكل مباشر إلى تطبيق هذه العقوبات على السارق. فقد ذكر ابن يوسف الحكيم (من أهل القرن الثامن، 14 م) أن نصاب قطع يد السارق من الدراهم الصغار اليعقوبية "ثمانية عشر درهما وستة أعشار عشر درهم". غير أنه لم يشر أبداً إلى واقعة تاريخية في هذا الموضوع، وإن كان ذلك التحديد الدقيق لوجوب القطع يوحي بتطبيقه فعلاً. وبعده أفتى ابن أبي البركات (من أهل القرن التاسع (15 م) بالقطع لمن "سرق بيت المال أو من الغنيمة بعد حوزها (...) ويقطع من سرق من المظامير في أي وقت". ثم رأى ابن غازي (من أهل النصف الثاني من القرن التاسع 15 م وبداية القرن العاشر 16 م) أن "كل جماعة سرقت من حرز فلا قطع على كل واحد منهم حتى تبلغ قيمة ما أخرج المخرج منهم ربع دينار أو ثلاثة

دراهم ولو كان مجموع المخرج ألف دينار إلا أن يكون شيئاً حملوه بأجمعهم فيقطعون ولو كانوا عبيداً ومن أهل الذمة أو سرقوا لمثلهم".

وإذا كانت النصوص المشار إليها تبدو أقرب إلى الصيغة الفقهية ـ النظرية منهما إلى الواقع التاريخي، فإن العلامة محمد المنوني أشار في إطار حديثه عن خطط السلطة المرينية إلى صاحب الشرطة الذي يعرف بالقائد، "وظيفته النهمة على الجرائم وإقامة حدودها، ومباشرة القطع والقصاص حيث يتعين، وهو يحكم في هذه بموجب السياسة دون مراجعة الأحكام الشرعية".

والظاهر أن عقوبة قطع يد السارق لن تطبق في مغرب أواخر العصر الوسيط على نطاق واسع اعتبارا للفاقة والحاجة التي رافقت غالبية أفعال السرقة، وكذا توالي القحوط والمجاعات التي كانت تضاعف من عوز الكثيرين. ولعل الفقهاء غضوا الطرف عن إصدار أحكام خاصة بالقطع استناداً إلى اجتهاد فقهي سابق أعفي خلاله المضطر من تنفيذ عقوبة القطع إذا تزامن فعل السرقة مع المجاعة، بل إن اجتهاداً فقهياً آخر أجاز للجائع عموماً أخذ ما يسد به رمقه من لبن الماشية وثمار البساتين وزرع الحقول. وفي مثل هذه الحالات أفتى بعض فقهاء ذلك العصر بعقوبة الضمان فقط فـ "كل سارق سرق شيئا فلا يضمن المسروق حتى يكون موسرا يوم السرقة ويتمادى به اليسر إلى يوم القطع إلا أن يكون المسروق طعاما وأكله السارق قبل خروجه من بيت ربه فلا يقطع وإنما عليه القيمة خاصة". ومن الفقهاء من عمم، عقوبة الضمان على اللصوص الذين كانوا يسرقون أموالا أو سلعا، أما إذا قتلوا للمسروق له "دابة أو أحرقوا له ثوبا أو نحوه لا يسعه أن يضمنهم قيمة ذلك".

وفيما يخص عقوبة السجن، فقد اختلف الفقهاء فيما بينهم حولها. فمنهم من رأى أنه يجب على القاضي التشديد على السارق المعروف عليه تكرار أفعال السرقة بالسجن لعله "يظهر ما اتهم به" خاصة في البلاد التي لا يطبق فيها حكم قطع يد السارق. وأفتى فقهاء آخرون بسجن اللص إلى حين إعلان توبته. بينما لم يكتف فريق آخر منهم بعقوبة سجن السارق ولو لمدة طويلة، بل أفتوا بسجنه "أبدا حتى يموت في السجن" إذا ما اشتهر بالسرقة وعرف بها. إلا أن الإشارات التاريخية تتحدث عن مدة السجن الفعلية التي كان اللصوص يعاقبون بها كل العقوبات "الشرعية" السابق ذكرها، التي طبقت على أفعال السرقة واللصوصية يمكن وضعها في كفة، وعقوبة القتل التي نفذت على قطع الطريق المُصاحب بالقتل في كفة أخرى لشدة هذه العقوبة التي تنتهي بموت الجاني. إذ لم تتوان السلطة المركزية التي كان يحركها هاجس ضبط الأمن باعتباره أولى أولويات السلطة، عن الضرب بقوة على يد قطاع الطرق الذين كانوا يغيرون على المسافرين والقوافل فينهبون ويقتلون. وعد هذا الشكل من أشكال اللصوصية بحق الأخطر والأكثر عنفا لأنه مورس من قبل مجموعات كبيرة.

ولم يكن حال السلطة المرينية أقل من حال سابقتها الموحدية في تنفيذ عقوبة القتل على اللصوص. ففي الوقت الذي كانت هذه السلطة لا تزال في بداية توطيد حكمها في المغرب الأقصى، قام السلطان أبو سعيد عثمان بن عبد الحق (614 ـ 638 / 1217 ـ 1239) بقتل العديد من قطاع الطرق، فأمنت فاس ومكناسة، وارتفع الخوف والالتباس، وعم الأمان، فتيسرت للناس أمورهم. وحاول أبو ثابت عامر (706 ـ 707 / 1307 ـ 1308) من جهته الحد من ظاهرة قطع الطريق، وهكذا توجه إلى مدينة أنفا عام 707 / 1307) وثقف بها ستين شيخا من أشياخ العرب من الخلط والعاصم وبني جابر وغيرهم بسجن المدينة، ثم "ضرب أعناق عشرين رجلا من أشرارهم الذين كانوا يقطعون الطريق بتلك الجهات وصلبهم على أسوار أنفا". ثم رحل إلى رباط الفتح "وقتل به ثلاثين رجلا من أشرار العرب وفتاكهم وصلبهم على أسوار العدوتين".

وعلى عهد أبي عنان فارس (749 ـ 759 / 1348 ـ 1358) شهد ابن بطوطة أوائل عام 757 / 1356 أن هذا السلطان كان ينفذ عقوبة القتل الشرعية ضد عمل الحرابة. وبعده قام أبو فارس عبد العزيز بن أحمد بن أبي القاسم (796 / 1393 ـ 1396) بقتل "رجلين وجب عليهما القتل بالحكم الشرعي لفسادهما، وقطع السبل وهما : علي بن زكرياء المصمودي ويوسف بن عمر العربي الجابري".

لم تقف السلطة المرينية عند عقوبة القتل في حق اللصوص وقطاع الطرق، بل لجأت إلى العقاب الجماعي في حقه سكان "مدينة" الجمعة الواقعة بين فاس ومكناسة الذين اشتهروا بممارسة اللصوصية حتى اعتبروا من قطاع الطريق الكبار، حيث أمر السلطان أبو سعيد عثمان بن أحمد بن أبي سالم (800 ـ 823 / 1398 ـ 1420) بتدمير هذه "المدينة" عن آخرها.

ثانياً :

إلى جانب العقوبات الشرعية التي سلطت على فعل اللصوصية والحرابة، سن المجتمع من جهته عقوبات أخرى، وهي عقوبات عديدة ومتنوعة وتصنف غالباً في باب الأعراف. فخلال القرن الخامس (11 م) كان أهل الصحراء في المغرب يعاقبون المتهمين بالسرقة بما يمكن أن نطلق عليه "طريقة العود".

وخلال أواخر القرن التاسع (15 م) وبداية القرن العاشر (16 م) كان سكان جبل الحديد في إقليم حاحا يعاقبون اللصوص بنفيهم لمدة معينة يقومون بتحديدها فيما بينهم للحفاظ على ما اتصفوا به من أمانة، وعلى حياة السلم التي كانوا يعيشون فيها.

وبالانتقال إلى النصف الأول من القرن الحادي عشر أواخر (16 م)، يلاحظ أن العقوبات التي سلطت على اللصوص من

قبل المجتمع تجاوزت الحدود السابقة، حيث وصلت إلى حد القتل حرقا. فقد قام أهل فاس بإحراق أحد اليهود عام 1001 / 1593 بعد أن ضبطوه متلبسا بالسرقة. أما المشاركون في السوق الذي كان يقام في إقليم جزولة، لمدة شهرين في السنة، فإنهم كانوا إذا ما ضبطوا لصا متلبسا بجريمة السرقة يقتله على الفور بواسطة طعنه برمح قصير، وترك أشلائه للكلاب.

وكان بديهيا أن يثير تطبيق مثل هذه العقوبات العرفية على اللصوص اشمئزاز واستنكار العديد من الفقها، لا سيما أن المذهب المالكي لا يبيح العقوبة بالمال. لهذا ألف التنبكتي في صفر 1012 / 11 يوليوز 1603، إبان إقامته في المغرب، مؤلفه "جواب عن القوانين العرفية التي تعارف عليها بعض سكان الجبال"، الذي هو عبارة عن فتوى مطولة نددت بالعقوبات الصارمة التي كان يعاقب بها بعض سكان الجبال المغربية أهل الحرابة واللصوص، والتي لا تستند إلى أي نص من نصوص الشريعة. وقد عرضت القضية على الفقهاء ليقولوا رأيهم في تلك الوسائل الزجرية، وأفتى في هذا الشأن طائفة من علماء المغرب بالإضافة إلى أحمد بابا التنبكتي كالفقيه عيسى السكتاني (ت. 1062 / 1652).

ابن أبي البركات عبيد الله يحيى بن عبد الله، *كتاب بشائر الفتوحات في أحكام التعزيرات والحدود*، خ ح، الرباط، رقم 103 ؛ ابن غازي محمد العثماني المكناسي، *الكليات في المسائل الجارية عليها الأحكام*، خ ع، الرباط، رقم 1729 د ضمن مجموع، ص. 107 . 148 ؛ التنبكتي أحمد بابا السوداني، *أجوبة في شأن القوانين العرفية*، خ ح، رقم 5813 ؛ الربفي، محمد بن عبد الله، *جواهر السماط في ذكر مناقب الشريف الرفاعي سيدنا ومولانا الخياط*، مخطوط، خ ع، الرباط، رقم 1185 د ؛ مجهول، *مناقب الشيخ الولي الصالح الإمام الغوث سيدي أحمد بن جعفر السبتي*، خ ع، الرباط، رقم 896 د ؛ زروق، أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي، *كناشة*، خ ع، الرباط، رقم 1385 د، ضمن مجموع، ص. 57 . 103.

محمد ياسر الهلالي

ابن **العقول**، صالح بن محمد ولد سنة 1913 بأولاد احريز ناحية الدار البيضاء عرف منذ شبابه بالاستقامة ونقاوة الضمير انضم إلى الحركة الوطنية بالمقاومة السرية عند تأسيسها وبدأ عمله بها بكل نشاط وجدية وغيرة وطنية.

ومن أعماله إبان فترة كفاحه مشاركته في إطلاق الرصاص على متعاونين مع الاستعمار، كما قام بوضع قنبلة بملعب الاسبان وأخرى بمقهى على مقربة من المسبح البلدي وأخرى بسيارة عامل بالجمارك، وكان يوزع السلاح على الخلايا السرية والأقراص السامة على المقاومين. وقد اغتيل من مجهولين يوم 5 يونيو 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 524097.

العقيدة، كانت العقائد المنتشرة في المغرب قبل الإسلام هي الوثنية واليهودية والنصرانية بشيء من الاختلاف المجالي وفي درجة التعايش. وتعتبر الوثنية عقيدة أمازيغية محلية تعود إلى أصول قديمة ارتبطت طقوسها بالخصوص بالكهانة وبتعاطي السحر الذي أخذه الأمازيغ فيما بعد عن اليهود، فكان للكهان والكاهنات في المجتمع الأمازيغي بشمال إفريقيا مكانة اجتماعية متميزة.

- اليهودية : أما اليهودية فلم تكن ديانة أمازيغية بل كانت ديانة وافدة حافظت على تميزها وانحسارها العرقي، وكان انتشارها محدوداً بين بعض القبائل الأمازيغية. وقد اعتبرت الدول الإسلامية المتعاقبة على حكم المغرب اليهود أهل ذمة فعاملتهم بمقتضى عهد الذمة الذي منحهم وضعية قانونية واضحة وحافظ عليهم كأقلية احتفظت بعقيدتها وشرائعها.

- النصرانية : كانت النصرانية أقل انتشارا وتأثير في البربر قبل الإسلام، رغم أن بعض الأخبار تؤكد توغلها إلى داخل البلاد، مثل أغمات التي ذكر أن بعض حواريي النبي عيسى عليه السلام قد بنوا بها كنيسة. ولازال اندثار النصرانية ببلاد المغرب كلها أمراً غامضا. وفي العصر الإسلامي لم يبد المغاربة أي تأثر بالنصرانية رغم احتكاكهم الطويل بها سواء بالأندلس أو بالمغرب عندما أصبحت البلاد تتعرض لهجمات الإيبيريين، ولا في المرحلة الاستعمارية وما سبقها وحصل خلالها من حملات تبشيرية قوية ومنظمة.

- العقيدة الإسلامية : كان الفتح الإسلامي للمغرب سنة 62 / 682 بداية تحول عقدي عميق للمجتمع الأمازيغي لم يتوقف خلال المراحل الأساسية التي عرفها انتشار الإسلام بالمغرب والتي استمرت إلى عصر المرابطين. وشكلت العقيدة الإسلامية بوضوحها وبساطتها حافزا قويا للبربر للدخول في الإسلام. وقد أدت استجابتهم القوية للإسلام إلى انقراض كل من الوثنية والنصرانية.

ترسخت عند المغاربة في البداية عقيدة بسيطة قائمة على مذهب التفويض الذي كان عليه الصحابة وجمهور السلف. ثم توالت على المغرب تأثيرات عقدية مشرقية ارتبطت سواء بظهور الفرق والنحل المختلفة في المشرق أو بتطور البحث الكلامي. وكان المغرب باعتباره من مناطق الأطراف في الدولة الإسلامية في العصرين الأموي والعباسي مستهدفا لمخططات فرق الخوارج والشيعة لنشر دعواتها. وفي هذا السياق دخلت إلى المغرب عقائد إسلامية متعددة، مثل الخارجية والشيعية والاعتزال والحشوية والأشعرية والسلفية. واستطاع بعضها أن يرسخ قدمه مثل الأشعرية، بينما مرت الأخرى مروراً سريعاً.

- آثار الوثنية : خلال العصر الوسيط كانت النزوعات الوثنية، أو المجوسية كما تسميها المصادر العربية، تظهر من حين لآخر في بعض مناطق المغرب، فعندما انحسر مشروع الأدارسة لاستكمال نشر الإسلام بتفتت الدولة وإنهاكها، لم تتمكن الإمارات الزناتية التي خلفتها من متابعة المشروع،

واكتفت بالوقوف في وجه البرغواطيين، لذلك ظلت عند بعض قبائل الجنوب المنعزلة بقايا وثنية تمثلت في استمرار عبادة الكبش إلى القرن الرابع (10م) حيث أشار ابن حوقل إلى وجودها عند قبائل الجنوب. وفي غمارة ظهر رجل يدعى حاميم بن منّ الله من أسرة كان فيها عدد من الكهان فادعى النبوة وأظهر نحلة وثنية تبعتها بعض القبائل، إلى أن تم القضاء عليه سنة 315 / 927. وبعد حاميم ادعى النبوة صالح بن طريف البرغواطي الذي زعم أنه أنزل عليه كتاب باللغة الأمازيغية ودعا إلى نحلته البرغواطية التي جمعت بين مؤثرات وثنية ويهودية وخارجية، وظلت معزولة في المجتمع المغربي لم تتجاوز المجال الجغرافي لتامسنا، وبسبب عقائدها التلفيقية الغريبة لم يكن فقهاء المغرب آنئذ يرون جدوى في استخدام الحجج العقلية لمواجهتها، وفضلوا عزلها ومواجهتها بالتعبئة والجهاد، حتى تمكن المرابطون من القضاء عليها في أول عهدهم. وادعى النبوة أيضا ابن أبي الطواجين الكتامي الذي تعاطى للسحر والكيمياء وادعى النبوة وشرع الشرائع بمنطقة سبتة وتم قتله سنة 625 / 1228. وكانت قبائل صنهاجة الشمال تعرف مظاهر وثنية أخرى مثل ظاهرة الرقادة التي كانت معروفة بمنطقة غمارة حيث كان بعض السحرة ينامون يومين أو ثلاثة متتابعة، ثم يستيقظون بعدها فيخبرون بما يكون خلال ذلك العام من خصب أو جدب أو حرب، وكان السكان يؤمنون بتلك التوقعات وينتظرون وقوعها.

- العقائد الخارجية : دخل المذهب الخارجي إلى المغرب ممثلا في عدد من التأثيرات، وكان أول ظهور لتأثير خارجي قوي هو في ثورة البربر العارمة التي حصلت سنة 122 / 740 في كافة أنحاء بلاد المغرب، والتي فجر فيها خوارج الأمازيغ غضبهم من تجاوزات ولاة الأمويين انطلاقا مما كانت تدعو إليه عقائد الخوارج من عدل ومساواة. ثم استطاعت فرقة الصفرية التي كان من زعمائها الأول سمكو ابن واسول المكناسي أن تنتشر في زناتة إلى أن تمكن أحفاده من إقامة إمارة بني مدرار بسجلماسة، لكن بعد تدهور الإمارة المدرارية أخذت العقيدة الخارجية في التراجع إلى أن اختفت تماما.

- الاعتزال : تسربت إلى المغرب أيضا تأثيرات اعتزالية، حيث أشار البكري إلى وجود فرقة الواصلية أتباع واصل بن عطاء (80 - 141) بين أمازيغ قبيلة أوربة في القرن الثاني الهجري (8 م)، دخلت هذه التأثيرات عن طريق رحلات المغاربة إلى المشرق، ومن بين من مثلوا هذا الاتجاه زعيم قبيلة أوربة إسحاق بن عبد الحميد الأوربي الذي تلقى مبادئ المعتزلة والولاء لآل البيت في رحلته المشرقية. ولا شك أن الاعتزال كان منتشرا في قبيلة أوربة وأنه استمر مدة من الزمن خلال الدولة الإدريسية قبل أن يختفي في ظروف غامضة بغلبة العقيدة السنية.

- العقائد الشيعية : لم تترك الدعوة الفاطمية بالمغرب الأقصى أثرا يذكر بسبب المدة القصيرة التي قضاها عبيد الله المهدي بسجلماسة، لكن التأثير الفاطمي فيما بعد كان تأثيرا سياسيا بالأساس. في حين أن العقيدة الشيعية التي ظلت بالمغرب إلى حدود أواسط القرن الخامس هي عقيدة الشيعة البجلية التي تعود إلى علي بن ورصند البجلي (ت. 296 / 909) الذي جاء من نقطة بجنوب إفريقية واستقر بالسوس الأقصى في رعاية الأمير الإدريسي أبي القاسم بن محمد بن جعفر بن عبد الله بن إدريس الثاني صاحب إيجلي، وأشاع بنواحي تارودانت مذهبه الخاص الذي كان يختلف عن التشيع الإسماعيلي، وسمت المصادر فرقة البجليين بالموسوية لاعتقادهم في إمامة موسى الكاظم (ت. 183 / 799)، وامتد وجود هذه الفرقة إلى منطقة درعة، لكن تأثيرها العقدي ظل ضعيفا بسبب محاصرة مالكية السوس لها. وقد قضى المرابطون عليها بقسوة سنة 451 / 1059.

- الحشوية : وصف ابن حوقل المالكيين من أهل السوس الأقصى في القرن الرابع الهجري (10 م) بأنهم من فظاظ الحشوية ؛ وأصحاب هذا الاتجاه هم الذين يطلق عليهم أيضا اسم المشبهة أو المجسمة، لأنهم يأخذون نصوص العقيدة على وجهها الظاهر دون تأويل، ورأى ابن رشد الحفيد أن الحشوية يعتقدون "أن طريق معرفة وجود الله تعالى هو السمع لا العقل"، ولا شك أن أغلب فقهاء المرابطين كانوا من الحشوية لأنهم كانوا يأخذون الآيات المتعلقة بالعقيدة على ظاهرها دون تأويل، لذلك وصفهم ابن تومرت بالتجسيم.

- الأشعرية : يعود اتصال علماء المغرب بالأشعرية إلى مرحلة مبكرة حيث تنسب إلى العالم أبي ميمونة دراس بن إسماعيل الجراوي الفاسي (ت. 357 / 968) رسالة في الدفاع عن الأشعرية، وكان قد رحل إلى المشرق واتصل هناك بأئمة الأشعرية. وفي بداية القرن الخامس كتب عالم إفريقي هو أبو الطيب الصفاقصي (ت. 501 / 1107) نزيل أغمات عقيدة أشعرية سماها العقيدة السنجة البرهانية وأهداها للشيخ إسحاق بن إسماعيل أمغار حوالي سنة 412 / 1020. وعبر هذه المسالك المختلفة بدأت مؤثرات المذهب الأشعري تصل إلى المغرب الأقصى. ومن علماء الأشاعرة الذين ظهروا بالمغرب في عصر المرابطين أبو الحجاج يوسف بن موسى الكلبي الضرير (ت. 520 / 1126)، سكن بفاس وبمراكش وألف منظومة في 1345 بيت سماها التنبيه والإرشاد في علم الاعتقاد.

كانت ملامح المذهب الأشعري واضحة في العصر المرابطي، لكن رفض الحكم المرابطي لهذا المذهب جعله يظل رهين حلقات الدرس، ولم يجرؤ العلماء على نشره في أوساط العامة، رغم أن بعض العلماء المقربين من المرابطين كانوا من علماء الكلام المعروفين مثل الإمام أبي بكر المرادي الحضرمي صاحب كتاب التجريد في علم الكلام، كان "له نهوض في علم الاعتقادات والأصول"، وبسبب تبريزه فيها اعتبره ابن الزيات التادلي "أول من أدخل علوم الاعتقادات إلى المغرب الأقصى". لكن المرابطين تعاملوا في الجانب المذهبي بمحافظة

شديدة وكانوا رافضين لأي تطور يمس ما ورثوه عن أسلافهم سواء في الجانب الفقهي أو العقدي، حتى "دان أهل ذلك الزمان بتكفير من ظهر منه الخوض في شيء من علوم الكلام، وقرر الفقهاء عند أمير المسلمين تقبيح علم الكلام وكراهة السلف له، وهجرهم من ظهر منه، وأنه بدعة في الدين، وربما أدى أكثره إلى اختلاف في العقائد، في أشباه لهذه الأقوال، حتى استحكم في نفسه بغض النظر في علم الكلام وأهله، فكان يُكتب عنه في كل وقت إلى البلاد بالتشديد في نبذ الخوض في شيء منه، وتوعد من وجد عنده شيء من كتبه".

في هذا الوقت كان العالم الإسلامي يشهد تحولات كبيرة على المستوى العقدي، حيث ظهرت حاجة ماسة لدى المذاهب السنية للمذهب الأشعري لمواجهة عقيدة الاعتزال التي كانت هي المذهب الرسمي للدولة الفاطمية. وقد أحس علماء بغداد وعلماء الغرب الإسلامي بهذه الحاجة، فبدأت الأشعرية تزحف شيئا فشيئا على الأوساط العلمية وأثيرت نقاشات في أوساط عديدة حولها، بما فيها أوساط السلطة المرابطية نفسها، وذلك ما تظهره بعض الفتاوى التي وجهها بعض الأمراء المرابطين إلى قاضي الجماعة بقرطبة أبي الوليد بن رشد الجد يسألونه فيها عن حقيقة المذهب الأشعري، وعن علاقته بالمذهب المالكي وبفقهائه.

وفي هذه الظروف أحس محمد بن تومرت بأهمية توظيف المذهب الأشعري في حركته الإصلاحية فاستطاع أن يحاصر المرابطين ببعض التهم مثل المجسمين والمشبهة، بل إنه تمادى إلى حد تكفيرهم واستحلال دمائهم لانحرافهم العقدي بزعمه. وبذلك جعل المسألة العقدية في صلب صراعه ضد المرابطين، فكتب بعض الرسائل في العقيدة باللسانين العربي والأمازيغي بطريقة مبسطة، جعلها في سبعة أحزاب بعدد أيام الأسبوع، ليسهل تعلمها، ووضع عقيدة مختصرة سماها المرشدة خلقت استجابة قوية للأشعرية رغم أنها تلائم كل من الأشعرية والسلفية.

وقام تلميذه عبد المؤمن بن علي الكومي بدور هام في نشر تراثه العقدي المشبع بالأشعرية، فكان يدرس رسائل ابن تومرت بنفسه ويلقيها في مجالسه. وحرص على نشر عقيدة المرشدة باللغتين العربية والأمازيغية لتعميمها، فساهمت هذه الجهود في انتشار تراث المهدي العقدي بين المصامدة على نطاق واسع على عهد عبد المؤمن وابنه يوسف الذي كان هو الآخر يعقد مجالس لدراسة عقائد ابن تومرت، وأمر بجمع رسائله وخطبه في كتاب *"أعز ما يطلب"* حتى صار المذهب مذهبا رسميا لدولة الموحدين.

من بين الوسائل التي اعتمدها الموحدون لنشر عقائد المهدي تحفيظها للطلبة وترديدها في المناسبات المختلفة ترديدا جماعيا جهريا بالعربية والأمازيغية، فكان من رسوم الخلفاء "إذا ركبوا وقف [الخليفة] وبسط يديه ودعا، فإذا فرغ الدعاء افتتح القراءة طلبة الموحدين خلفه، فيقرأون حزبا من القرآن في نهاية الترتيل، وهم سائرون سيرا رقيقا، ثم شيئا من الحديث، ثم يقرأون تآليف ابن تومرت في العقائد بلسانهم وباللسان العربي".

وفي سبيل التقرب للموحدين تكونت مدرسة كلامية انكبت على تراث ابن تومرت كان على رأسها علماء مغاربة وأندلسيون مثل أبي العباس أحمد بن عبد الرحمان بن الصقر الأنصاري الخزرجي (ت. 559 / 1163)، وأبي الحسن علي بن محمد بن حُلَيْد اللخمي المعروف بابن الإشبيلي (ت. 567 / 1171)، وفي المقابل أحس علماء المغرب من جهتهم بأهمية نشر العقيدة الأشعرية في صيغتها الأصلية فاجتهدوا في ذلك اعتمادا على مصادر أخرى خاصة كتاب *الإرشاد* لإمام الحرمين الجويني الذي تناول أهم القضايا العقدية التي تناقشها الأشعرية، ونال اهتماما كبيرا من لدن علماء المغرب، بينما حال طول كتابه الآخر الشامل في أصول الدين وتفصيلاته دون الاهتمام الموسع به. ويظهر أن الإقبال الواسع الذي لقيه كتاب الإرشاد قد جاء كبديل لتوحيد ابن تومرت الذي تم تجاهله بشكل واضح. وحظي كتاب الإرشاد بشروح عدة منها شرح أبي بكر ابن ميمون العبدري أحد طلبة الحضر بمراكش.

ساعد التطور العام للمذاهب السنية بعمق في انتشار الأشعرية، وأدى إلى انخراط فقهاء المذهب المالكي بالمغرب فيها بشكل تلقائي بعد تفهمهم لمضمونها ومنهجها، لذلك فإن الانتماء لها قد حسم بشكل شبه نهائي بعد العصر المرابطي، واستجاب فقاء المذهب المالكي للمنهجية التأويلية للأشعرية بشكل متحرر من انغلاق العصر السابق.

أصبحت مدينة فاس خلال العصر الموحدي من أنشط المراكز العلمية بالمغرب والأندلس اهتماما بعلم الكلام، بفضل جهود أبي الحسن بن الإشبيلي، وبفضل من جاء بعده كتلميذه أبي عمرو عثمان بن عبد الله السلاجي القيسي الأصولي (ت. 574 / 1178)، درس عليه كتاب *الإرشاد* للجويني بمراكش، بعد أن كان قرأه بفاس على أبي الحسن بن حرزهم، ونبغ في المذهب الأشعري حتى اعتبره ابن الزيات "إمام أهل المغرب في علم الاعتقاد"، وكان يحضر مجالس عبد المؤمن، ثم رجع إلى مدينة فاس وانقطع لتعليم أصول الفقه والدين خاصة كتاب *الإرشاد*، حتى غلب عليه لقب الأصولي. ولكثرة من أخذ عنه الأشعرية لقب "بمنقذ أهل فاس من التجسيم". وكان طلبة العلم يرحلون إليه بفاس لأخذ الأصلين عنه، وألف عقيدة مختصرة سماها العقيدة البرهانية وهي اختصار للإرشادو عرفت انتشاراً واسعاً.

وكان شيخ المتكلمين بفاس بعد السلاجي تلميذه أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الكريم الفندلاوي المعروف بابن الكتاني (ت. 597 / 1201)، وقد اعتبره ابن الزيات آخر أئمة المغرب في علوم الاعتقاد، وضع شرحا للبرهانية. وكان الموحديون يحترمونه رغم أنه لم يكن له بهم اتصال. واشتهر

أيضا بالتضلع في العقيدة عدد من علماء فاس أشهرهم يوسف بن محمد المكلاتي.

إضافة إلى من سبق الإشارة إليهم تصدى للتأليف في علم الكلام عدد من علماء المغرب، فشرح البرهانية محمد بن أحمد الخفاف الرعيني الإشبيلي كان مقيما بمراكش. وشرح أبو بكر بن ميمون العبدري كتاب *الإرشاد* لأبي المعالي الجويني، ونظم أبو الحسن علي بن عتيق بن مؤمن (ت. بفاس، 598 / 1202) "في العقائد قصيدة جامعة كبيرة". وألف علي بن محمد الحصار الخزرجي الفاسي (ت. 610 / 1213) كتاب *البيان في تنقيح البرهان* للجويني إلى جانب عقيدة في أصول الدين شرحها في أربعة أسفار. وألف يوسف بن محمد بن مصامد الصنهاجي كتابي *المنتقى مما هو المرتضى للمتكلمين في أصول الدين*، و*المقام الأعلى بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى*. ووضع عالم في الأصلين هو محمد بن يوسف المزدغي الفاسي (ت. 655 / 1257) أرجوزة في أصول الدين. أما أبو عبد الله محمد بن علي بن العابد الأنصاري الفاسي (ت. 662 / 1264) فقد اختصر الكشاف للزمخشري، وحذف منه ما يتعلق بمسائل الاعتزال.

وبجانب المتحمسين للأشعرية ظهر تيار معارض كان على رأسه الفيلسوف أبو الوليد بن رشد الذي انبرى للرد عليها في كتابه الكشف عن مناهج الأدلة مبينا "أن الطرق المشهورة للأشعرية في السلوك إلى معرفة الله سبحانه ليست طرقا نظرية يقينية". وحكم عليها بالإفلاس المنهجي والنظري، وانتهى به التحليل أن حشرها ضمن الفرق الضالة إلى جانب المعتزلة والباطنية والحشوية، معتبرا أن منهجها في الاستدلال ضعيف، لأن طريقها "ليست برهانية صناعية، ولا شرعية".

وفيما يتعلق بمواقف الصوفية من الأشعرية في العصر الموحدي يظهر عليها تنوع ملحوظ، فكان ميل أغلبهم إلى المذهب الأشعري واضحا تماما، بل إن أئمة هذا العلم كانوا من أهل الزهد والتصوف كأبي الحسن ابن الإشبيلي وأبي عمرو السلالجي وأبي عبد الله بن الكتاني. وقد ساير المتصوفة التوجه العام القوي نحو المذهب الأشعري خلال هذا العصر بمستويات مختلفة، فالشيخ أبو الحسن بن حرزهم لم يكن يرى بأسا بدراسة *الإرشاد* للجويني، وقد درس عليه بفاس أبو عمرو عثمان السلالجي شيئا منه. وكان أبو العباس أحمد بن عبد الرحمان بن الجباب الصنهاجي (ت. 592 / 1196) من أهل مراكش كبير الشأن في التصوف و "من أهل المعرفة بعلوم الاعتقادات". ومن أهل التصوف ذوي الكرامات أبو علي عمر بن النجار الفاسي (ت. 620 / 1223) كان عالماً بعلم الكلام وأصول الفقه.

وكان من الصوفية أيضا من يكره النظر في كتب الكلام، فقد منع أحد صوفية فاس أحد طلبة العلم من دراسة *الإرشاد* للجويني، ووجهه إلى قراءة الفقه والحديث دون أن يحدد سببا لذلك.

وعلى العموم كان من نتائج هذه التطورات أن وقع تحول شامل نحو الأشعرية وأصبح التلازم بينها وبين الفقه المالكي سمة من سمات الهوية الدينية للمغاربة منذ العصر الموحدي، والملاحظ أنه قد غلب على الممارسة الدينية طابع البساطة والرتابة، فظلت تدور في فلك الفقه مبتعدة ما أمكن عن المناقشات النظرية والجدل العقدي. وقد عبر عن ذلك بوضوح الفقيه المالكي عبد الواحد بن عاشر منظومته الشهيرة المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، بقوله :

في عقد الأشعري وفقه مالك وفي طريقة الجنيد السالك

تابع المذهب الأشعري انتشاره بصورة طبيعية في المغرب بعد عصر الموحدين، وظلت البرهانية للسلالجي هي المتن العقدي الأساس في تدريس العقيدة، ومن شراحها في القرن التاسع الهجري (15 م) عبد الرحمن الكرامي السملالي السوسي. كما استمر تداول النص الأمازيغي لعقائد ابن تومرت إلى جانب نصها العربي خلال عصر المرينيين. ولقيت عقيدة المرشدة لابن تومرت إقبالا واسعا عليها لوضوحها وتركيزها وسلامتها، فحظيت بشروح كثيرة ابتداء من العصر المريني، وممن شرحها عالم فاسي أقام بالمشرق مدة طويلة هو شرف الدين الكركي الفاسي (ق 7 : 13)، وخصص لها ابن عباد النفزي الرندي شرحا بعنوان الدرة المشيدة في شرح المرشدة، وشرحها أيضا محمد بن يوسف السنوسي وغيرهم. وعرفت المرشدة بالمشرق على نطاق واسع، ودرست بالمسجد الأقصى بالقدس لسنين عديدة.

وفي أواخر القرن التاسع الهجري ألف العلامة محمد بن يوسف السنوسي دفين تلمسان (895 / 1490) عدة نصوص في العقيدة منها أم البراهين (العقيدة الصغرى)، ومختصرها المعروف بصغرى الصغرى، وشرح المرشدة لابن تومرت وغيرها، لكن كتب لأم البراهين أن تصبح الأكثر انتشارا حتى غطت على ما سواها، وحظيت بشروح عديدة، وصارت تدرس بحلقات العلم في أنحاء المغرب. وهي عقيدة مختصرة في ثمان صفحات تتضمن المحاور الآتية :

- أقسام الحكم العقلي : الوجوب، الاستحالة، الجواز
- ما يجب في حق الخالق سبحانه من صفات، وما يستحيل وما يجوز
- ما يجب في حق الرسل من صفات، وما يستحيل وما يجوز
- معاني العقائد المذكورة تجتمع في الشهادتين (لا إله إلا الله، محمد رسول الله)

شاعت هذه العقيدة بسبب أسلوبها المختصر، واقتصار مؤلفها على أهم مباحث علم التوحيد، وميله نحو التبسيط. ومع السنوسي لم يعد علم التوحيد يكرر جزئيات علم الكلام وتفاصيله بنفس الطريقة التي غلبت على المؤلفات الأولى. وظلت صغرى السنوسي وشروحها معتمدة في علم التوحيد في جميع معاهد العلم بما فيها القرويين إلى القرون الأخيرة.

وقد ظهرت عند علماء سوس بالخصوص تآليف عديدة في العقيدة باللسان الأمازيغي منها عقيدة للشيخ سعيد بن

عبد المنعم الحاحي (ت. 953 / 1546) ظلت هي أساس التكوين العقدي والأخلاقي في زاويته بإيداوزداغ. ولغيره منظومات في العقيدة بالأمازيغية أيضا مثل الفقيه محمد ابن سعيد السيلي والفقيه أحمد بن محمد الأودشتي من فقهاء القرن الثالث عشر الهجري (19 م).

أما الجدل الكلامي فإن المغرب الأقصى لم يعرفه كما عرفته إفريقية والأندلس اللذان ظهرت فيهما كتب كثيرة في هذا الصدد منذ القرنين الثالث والرابع الهجريين (9 ـ 10 م)، ولا نعلم من كتب المغاربة في هذا الشأن سوى كتاب المناظرة والمعارضة في الرد على الرافضة لعبد الله بن فارس البرنوسي التازي (ت. 894 / 1489).

ـ السلفية : حصلت منذ القرن السادس الهجري (12 م) وحدة عقدية بالمغرب على أساس المذهب الأشعري، ومع ذلك كان بعض العلماء يعتنقون العقيدة السلفية في شكلها الحنبلي لكن على نطاق محدود جدا. إلى أن جاءت رسالة محمد بن عبد الوهاب إلى أهل المغرب في القرن (18 م) والتي أثارت نقاشا واسعا بين الفقهاء حول محتواها، وانبرى للرد عليها عدد منهم مثل الشيخ الطيب بنكيران وغيره. ومع ذلك فقد تبنى السلفية انسلطان مولاي سليمان واكتفى باستعمالها لمحاربة التصوف الطرقي، ووجد نفس التأثير لدى السلطان سيدي محمد بن عبد الله الذي كان يصف نفسه "بالمالكي مذهبا الحنبلي اعتقادا".

وقد ظل تأثير هذه العقيدة محصوراً جداً في أوساط العلماء إلى أن كان عهد الحماية فظهر تأثير سلفي جديد، يرجع إلى السلفية المصرية التي مثلها رواد النهضة خاصة جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا، وقد التف زعماء الحركة الوطنية بالمغرب حول هذه العقيدة لمناهضة فكر بعض الطرق الصوفية، سواء منها التي كانت تروج لبعض الخرافات أو التي لم تتحمس لمقاومة الاستعمار، وأبرز رموز الفكر السلفي في هذه المرحلة أبو شعيب الدكالي ومحمد بن العربي العلوي وعلال الفاسي. الذين راهنوا بالأساس في هذه المرحلة على توظيف أفكار السلفية توظيفا سياسيا في مقاومة المشروع الاستعماري.

وبعد الاستقلال بدأت موجة جديدة من التأثير السلفي، تمثل في استيراد أفكار الوهابية عن طرق متعددة : منها بعض الشيوخ الذين درّسوا بالجامعات السعودية مثل تقي الدين الهلالي أو بعض تلاميذ هذه الجامعات، وكان اعتمادهم في نشرها على التلقين المباشر أو عن طريق أدبيات وهابية معاصرة ؛ أما الطريق الثاني فهو جماعة التبليغ والدعوة، التي وإن كانت في الأصل جماعة صوفية حنفية المذهب إلا أن فروعها في العالم العربي تبنت العقيدة السلفية الوهابية. ثم هناك وسائل أخرى متنوعة كالتأثير عن طريق الحج والكتب وغيرها. ومنذ السبعينيات أصبحت السلفية الوهابية تتخذ بالمغرب شكل مد شعبي، وأصبحت مظاهرها أكثر بروزاً في المجتمع المغربي، بل إنها طرحت نقاشات عقدية عقيمة في هذه الأوساط تذكر بالنقاشات التي كان الحنابلة يخوضونها ضد الجهمية والمعطلة والرافضة وغيرها. وتمحورت نقاشات السلفيين حول ما يعتبرونه من البدع وهو ما جرى عليه العمل في المغرب مثل قراءة الحزب جماعة، وتعدد الأذان يوم الجمعة والدعاء عقب الصلوات والاحتفال بالمولد النبوي الشريف. كما أن هذه العقيدة تدعو إلى عدم التقيد بمذهب فقهي معين، وتعادي التصوف ومظاهره المختلفة عداء مطلقا.

ورغم أن السلفية في صيغتها الوهابية تزعم أنها على منهج السلف فإن طريقتها في الدرس العقدي تؤكد أنها فرقة كلامية تجمع بين مؤثرات المذاهب العقدية القديمة، مثل المذهب الخارجي، لكن أساسها هو الحشوية، وتستعمل التأويل بطريقة انتقائية، لذلك فإنها لا تخلو من تناقض، ومن ذلك أنها تعتبر أن معرفة دقائق العقيدة فرض عيني على كل مسلم.

أبو صالح الأيلاني، *كتاب القبلة*، مخطوط خاص ؛ ابن حزم، *الفصل في الملل والأهواء والنحل*، بيروت، ج 2، ص. 113 ؛ ابن حوقل، *صورة الأرض*، تح. كرامرز وآخرون، ليدن، 1939 ؛ ابن رشد الحفيد أبو الوليد، *الكشف عن مناهج الأدلة*، بيروت، 1998 ؛ البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب*، باريز، ص. 118 ؛ م. الطالبي، البرغواطيون في المغرب، الدار البيضاء، 1999 ؛ القاضي وداد، الشيعة البجلية في المغرب الأقصى، *أعمال المؤتمر الأول لتاريخ المغرب العربي وحضارته*، تونس، ج 1، ص. 167 ـ 194 ؛ ع. كنون، عقيدة المرشدة للمهدي بن تومرت، *البحث العلمي*، العدد 9 : 1966، ص. 175 ـ 185 ؛ ع. الواحد المراكشي، *المعجب في تلخيص أخبار المغرب*، الدار البيضاء، ص. 485 ؛ م. المغراوي، *تطور المذهب الأشعري بالمغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي*، التاريخ والفقه، الرباط، تنسيق محمد حجي، 2002 ؛ س. بفوت، الأشعرية، *معلمة المغرب*، ج 3، ص. 465.

Wilfred Madelung, Some notes on non-isma'ili shiism in th Maghrib, Studia Islamica, Vol. XLIII, 1976, p. 87-97.

محمد المغراوي

العقيق : في القاموس، نوع من الحجر الكريم من مركبات المرو الممزوج ببعض أكسيد الحديد الذي يصبغها بألوانها القائمة بين الأصفر والأحمر.

وتوفرت مناجم الحجر الكريم المنتج للعقيق بالهند واليمن، كما لا يستبعد وجود المناجم ذاتها بالمغرب، لوجود قرائن دالة على ذلك تشير إلى تصديره من ميناءي أسفي وأزمور في اتجاه مركزي أركين ولامينا. وقدرت صفقة واحدة منه بقنطار. والعقيق المغربي نوعان : رقيق وخشن : (*S.I.H.M., Portugal* 1, p. 146, 147, 653).

ويصنع العقيق بعد وضع الحجر المعدني المنتج له في النار لفترة محددة، يراقب خلالها بدقة فائقة، وبعد إخراجه من النار، يوضع على قطعة حديدية مثبتة في الأرض ثم يطرق بلطف إلى أن ينكسر القدر المراد منه، ولا يعاد الحجر الذي تم تسخينه مرة أخرى إلى النار حتى لا يفسد. ويحبذ في العقيق، البراق الخالي من العيوب. والعقيق أنواع فهناك :

- الامع كالبلور والموشي بالسواد والبياض ويسمى : عسيم.

- والمذهب وهو العقيق اليمني المتميز بصفائه وصفرته الذهبية المشرقة.

- والأحمر ويتميز بصلابته وغلاء ثمنه.

والجزع البقراني وأصله من معادن الهند وفيه سواد وبياض.

والرومي وهو ما تشوب صفرته حمرة. كما يتميز بسلاسته ورطوبته وسمي بالرومي، لاستحسان الروم له.

- المشمشي وهو المفضل لدى أهل العراق.

- والتمري والكبدي وهما المستحسنان عند أهل خراسان.

ولقد دخل العقيق منذ العصور القديمة في حركة تجارية عالمية انطلقت من الهند واليمن والمغرب - باعتبارها بلداننا تنتج هذا المعدن - ومتجها نحو أسواق البحر الأبيض المتوسط أولا ثم من بعده إلى أسواق المحيط الأطلنطي والهادي.

واستعمل العقيق لأغراض عدة لطبع الخواتم وقلائد للنساء، كما استعمل في الزخرفة الدقيقة الراقية، كما هو الحال في محراب جامع دمشق.

ودخل العقيق الميدان الطبي، حيث عولجت به آلام الأسنان كما استعمل لإيقاف النزيف.

واعتقد الناس أن للعقيق قدرات خارقة بحيث يجعل من الرجل المحارب فارسا مغوارا، كما أن وجوده في البيوت يبعد عنها آفة الفقر.

وفي تطوره التاريخي أخذ العقيق منحى أبعده عن أصله النبيل، فلقد أصبح جزء كبير منه يصنع من الزجاج. وفي شكله هذا انتشر عند عامة الناس خاصة منهم نساء البادية المغربية اللواتي اتخذنه كحلي وكذا لتزيين جل ما يلبسنه، فلقد رصعت به الخلاخل والكتفيات والسفيفة والفستان الوجدي.

كتاب الجماهر في معرفة الجواهر. البيروني، المتوفى في القرن الخامس الهجري. ص. 172 - 174.

Encyclopédie du Maroc, nouvelle édition. t. 1, troisième impression, p. 346 - 347 ; *S.I.H.M., Portugal* 1, p. 146, 147, 653.

حليمة بنگرعي

العكاكزة، طائفة صوفية نشأت بالمغرب خلال الربع الأول من القرن (10 - 16) في إطار التيار الزروقي - الراشدي الذي تدفق على البلاد من المغرب الأوسط، وتفرع إلى اتجاهات متعددة، وعرف انتشاراً واسعاً، وصادف متعاطفين ومنتصرين، وواجه منكرين ومعترضين، وهذا في حياة الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي (ت. 931 / 1524) صدر الطبقة الزروقية الأولى، ومؤسس الطريقة الراشدية. وقد تزعم الطائفة التي تهمنا الاتجاه الذي عمل على نشر طريقة هذا الشيخ، والمتأثر بالبسطامية، والقائل بالإحسان بلا علل، والمحبة الخالصة، والتساهل في تحقيق الخشية والرجاء. وقد بالغ في التأسي بها إلى درجة القناعة بإحدى تسمياتها وهي "اليوسفية"، والتعفف عن اتخاذ اسم يخصها ويميزها عنها. فاليوسفية هي التسمية التاريخية التي عرفت بها هذه الطائفة غداة تأسيسها، وبها اشتهرت طوال هذا القرن، ولم تعرف بأية تسمية أخرى خلاله.

واتخذ اليوسفيون لأنفسهم اسماً آخر هو "الأحمدية"، وسموا أنفسهم أصحاب أحمد وسموا غيرهم أصحاب محمد (ص). ولاشك في تأخر هذه التسمية لورودها في المصادر المصنفة خلال القرن (11 - 17). وقد استخدموها استخداماً محدوداً، واستعملوها في ظروف خاصة، فكان إذا غشيهم أحد ممن لا يعرفونه يسألونه ويقولون أحمدي أم محمدي ؟ وكان ولدانهم وقت العراك مع أقرانهم من المجاورين، إذا قال هؤلاء يا آل محمد (ص) قالوا يا آل أحمد. وتسميتا اليوسفية والأحمدية مشتقتان من اسم أحمد بن يوسف، ومتعلقتان به، وتعبران عن تأكيد الانتساب إليه.

وهناك تسمية ثالثة لا تظهر إلا بمصادر القرن (13 - 19)، وهي "الملاينة" نسبة إلى مدينة مليانة حيث يقوم ضريح الشيخ الراشدي. وتتصل بالمرحلة الأخيرة من تاريخ الطريقة الراشدية بصفة عامة وتاريخ الطائفة اليوسفية بصفة خاصة، والتي خبا فيها الجانب الفكري خبواً يكاد يكون تاماً، وطغت شهرة ضريح مليانة على الشخصية التاريخية والمذهبية لدفينه، والذي سلخ من نسبه الزناتي الصريح وألبس جلدة الشرفاء الأدارسة. فارتبطت هذه التسمية بالجانب الاجتماعي المتعلق بالنسب الشريف المنتحل، أكثر من ارتباطها بالجانب التاريخي والمذهبي الذي تعبر عنه التسميتان السابقتان.

واشتهر اليوسفيون بتسميات أطلقها خصومهم عليهم، وهي "البضاضوة" نسبة إلى إباضية مزاب، و"الشراقة" نسبة إلى القبائل التي طرأت على البلاد من جهة الشرق في مطلع المائة العاشرة الهجرية. وتؤكد هاتان التسميتان انتماء اليوسفية، في أصولها المذهبية وعناصرها البشرية، إلى تاريخ ومجتمع المغرب الأوسط المجاور.

وتبقى تسمية العكاكزة التسمية الوحيدة التي تقطع عرى هذه الطائفة بالطريقة الراشدية، وتخرجها من سلك التصوف بالمرة، وتنحو إلى إيجاد سبب لها بتاريخ ومجتمع المغرب الأقصى. وتحتمل أن تكون من ابتداع اليوسفيين، وأن لها صلة بالعكاز الذي اتخذوه شعاراً. وتحتمل أن تكون من ابتكار خصومهم، وأن وراءها محاولة إيصال حبلهم بالعكازين أتباع المهدي بن تومرت (524 / 1129).

وقد اشتهرت الطائفة اليوسفية بتسمية العكاكزة أواخر الدولة السعدية وصدر الدولة العلوية، وطغت هذه التسمية على كافة تسمياتها السابقة، سواء تلك التي ارتضاها أتباعها لأنفسهم، أو التي ميزهم بها خصومهم. وتتصل هذه التسمية بتعلق بعض أهل التصوف باتخاذ الشعارات وإيثار الزي من المرقعات والسبحات والسجادات والعكاكيز وغير ذلك.

وقد ذكر العكاز مرة واحدة في السيرة المفردة في الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي، والمصنفة من قبل محمد الصباغ القلعي، والمؤلفة ما بين 952 و962 / 1545 و1555، والموسومة "*بستان العارفين الأزهار*"، وكان صاحب هذا العكاز أحد صحب الراشدي من أهل المغرب الأقصى بالذات ! كما تردد العكاز بكثرة في سيرة أحد أعلام الطبقة الراشدية الأولى، وهو الشيخ عبد الله الخياط (ت. 939 / 1532)، واتصلت به العديد من كراماته، مثلما اتصلت معجزة النبي موسى بعصاه. فكان أن نبع الماء من ضرب الشيخ الخياط الأرض بعكازه في تساوت من بلاد تادلا، وفي زرهون حيث لازالت إحدى العيون به، والتي توعز سيرة الخياط انبجاس مائها إلى كراماته، تسمى "عين العكاز". واشتهر عن اليوسفيين تعبيرهم عن بعض طقوسهم بالجعبة وهي كالعكاز، واحتفظت فرقة منهم، وهم بنو محسن من قبيلة غياثة، إلى مطلع القرن (14 ـ 20)، بعكاز يعتقدون فيه خرق العادة، ويقولون إنهم توارثوه عن مؤسس الطائفة اليوسفية، ويسمونه "الزرواطة".

وتسوغ هذه المعطيات القول باتخاذ الراشديين المغاربة العكاز شعاراً، وغلو اليوسفيين في الاعتناء والظهور به، وبالأخص خلال الثلث الأخير من القرن (11 ـ 17)، حتى اشتهروا ولقبوا به. فأصبحوا بلقب العكاكزة يسمون، وإليه ينتمون، وبه يدعون فيجيبون. ودعوا في المصادر بهذه النسبة العامية لروجانها بين عامة وخاصة مغاربة هذا العهد، ودعوا فيها أحيانا بالنسبة الفصيحة العكازية والعكازين. وقد بربرت احدى فرقهم، وهم أهل زمور، هذا الاسم ولقبوا أنفسهم إعكازين.

ويواطئ هذا اللقب لقب طائفة بدعية مغربية جانبت السنة على عهد بني مرين، وهي طائفة العكازين أتباع المهدي بن تومرت. وأوقعت هذه المواطأة في اللقب أرباب الإفتاء في مشكل تعدد الطائفتين أو عدم تعددهما، ووجود أو خلو الجامع الذي أوجب إطلاق لقب أولئك على هؤلاء، واتفاق أو اختلاف الحكم في نازلتهم.

وترتب عن النكبة التي حلت بالطائفة اليوسفية، على يد المولى إسماعيل عام 1102 / 1691، والتي لم تنهض من عثرتها أبد الدهر، أن عفا الزمان على معظم التسميات التي عرفت بها طوال القرنين (10 و11 / 16 و17)، وامحت حتى من ذاكرة القبائل التي حافظت على هذه النحلة إلى مطلع القرن (14 / 20). وهذه القبائل هم الزكراويون القاطنون في جبال الزكارة الواقعة في ناحية وجدة، والمحسانيون المنتمون إلى قبيلة غياثة في ناحية تازة، والغنامين النازلون في الطريق بين مراكش وتامصلوحت، والمليانيون المستقرون بسهل الغرب.

وأوقع هذا التعدد في تسميات الطائفة اليوسفية بعض الباحثين في وهم قوامه تعدد فرقها واستقلال بعضها عن بعض، الأمر الذي ضخم صورة هذه البدعة، وحرف تاريخ الطريقة الراشدية التي تسللت منها، وكان لاختفاء تسميات القرنين (10 و 11 / 16 ـ 17) عاقبة عند بعض الباحثين الذين أرخوا بعام 1102 / 1691 لنهاية هذه الطائفة وانقراضها. أما الباحثون الذين لم يقفوا إلا على المجموعات القبلية الأربع المذكورة في مطلع القرن (14 / 20)، فقد تجاوزوا القرن (10 ـ 16) كإطار تاريخي لنشأة هذه الطائفة، وعادوا بمنطلقها إلى عهود سحيقة.

وينتمي مؤسس الطائفة اليوسفية إلى الطبقة الراشدية الأولى، وتذكره المصادر باسمين مختلفين هما أحمد بن عبد الله المنزول أو المنزولي وعمر بن سليمان العلوفي. ونرجح أن اسمه الحقيقي هو الثاني، وأنه الاسم الأول منتحل، وأن هذا الانتحال له صلة بالمهدوية التي ادعاها. وله في دعواه هاته مناجاة سطرت في كتاب تذكره المصادر باسم ابن رباش وابن نحاس. وقد يكون موضع تغاسروت المسمى اليوم تزغين من بني عتيق الزناتيين اليزناسيين مسقط رأسه، وموطن عشيرته، وموقع تأسيس الزاوية اليوسفية الأم.

وإذا كانت طريقته الصوفية شاذلية زروقية راشدية، ووافقت في نظرتها إلى الله والوجود والإنسان رؤية طيفورية بسطامية، وقصدت إلى علاج أدواء الألفية العصيبة. وجاءت كرد فعل ضد الخوف من النار، والذي أصبح سمة التعبد الذي دعت إليه غالبية الطوائف الصوفية في بداية المائة العاشرة الهجرية. فإن الدراسات التي اهتمت بها حارت في تحديد منطلقها ومصدرها، وقدرت عمرها بنحو ثلاثين قرناً، وأوصلت حبلها بنحل شتى ممتدة من الوثنية المتوسطية القديمة إلى الماسونية الحديثة. فأوصلت النحلة اليوسفية بمذهب عبد الله بن إباض (ت. 86 / 705)، وأوجدت لها أوصولاً في فرق التشيع الغالية، وبالأخص الإسماعيلية والقرمطية والدرزية. ونسبتها إلى طائف مغربية معلومة كالعكازين أتباع المهدي بن تومرت أو إلى طوائف غير معروفة كالسليماني. وذهبت بعض الأبحاث إلى كون شيخ اليوسفيين من أصحاب الإباحة الخاصة من غلاة الصوفية، أو أصحاب الإباحة العامة من الزنادقة. وقطعت أخرى كل صلة لطائفته بالمذاهب الإسلامية والطوائف المغربية، وأوجدت لها أصلا في عهود الوثنية القديمة أو الماسونية الحديثة، مروراً بالفلسفة الوضعية والأفكار الفولتيرية، وغير ذلك من الأصول.

والواقع أن تاريخ هذه الطائفة يتلخص في تعلق طائفة من المغاربة من أهل القرنين (10 و11 / 16 و17) بمذهب الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي، والمتصل بمذهب أبي يزيد البسطامي (ت. 261 / 874). وهو مذهب شكل أحد الاتجاهات الفكرية المتميزة في تاريخ التصوف المغربي خلال هذا العصر، واتسم بقدر من الجرأة في تناول المشكلات والقضايا المتعلقة برسم أبعاد العلاقة بين الله والوجود والإنسان. ووافق في ظهوره فجر القرن العاشر الهجري، الذي اعتقد خاصة وعامة أهله عدم مجاوزة عامه الألف، فأقبلوا عليه يزفون.

وذاعت أخبار اليوسفيين منذ أولية ظهورهم بالمغرب على عهد الدولة الوطاسية في مختلف أصقاع البلاد، وتمكنت محبتهم من القلوب، واعتقدالناس في مذهبهم، في البوادي والحواضر. ومن مواضعهم المشهورة خلال القرن (11 / 17) بني يعلى من بني يزناسن، وقبيلة بني عمير من بسيط تادلا وتسمت بعض فرقهم بالبضاضوة والشراقة، وقبيلة زمور بفزاز الذين بربروا اسم العكاكزة ولقبوا أنفسهم إعكازين، وفي جبل تازة، وفي فاس، وفي زعير، وفي الغنانة بصحاري سجلماسة وتوات وما قرب إليهما.

ومن الحق أن التصوف الذي دعا اليوسفيون إلى الكروع من حياضه يعد من المشارب الصوفية غير المرغوب فيها من قبل غالبية مشاريخ التصوف المغربي على هذا العهد، والذين كانوا يرون فيه أصل شبوب الفتن، والطريق المباشر إلى الانحراف. فكانوا يحذرون الناس من مشايخه، ويصرفونهم عن مصنفاته، ويقولون إنها تسد باب الفتح. فاتهمت الطائفة اليوسفية منذ نشوئها بالبدعة، وصنفت خارج دائرة السنة. وبادر العلماء المصلحون إلى معارضتها، وحذروا الناس من انطلاء ناموسها عليهم، وأغروا ولاة الأمر بمكافحتها.

وامتحن الجيل اليوسفي الأول من قبل السلطان محمد بن محمد الشيخ الوطاسي المعروف بالبرتغالي، والذي تسنم عرش مملكة فاس ما بين 911 - 931 / 1505 - 1524. وأشار الفقهاء على السلطان عبد الله الغالب بالله السعدي (965 - 982 / 1557 - 1574) بحسم مادة الطائفة اليوسفية، فقاد جماعة منهم إلى السجن وقتل آخرين. وأفاد اليوسفيون من زمان الفترة الذي امتد من وفاة السلطان أحمد المنصور (ت. 1012 / 1603) إلى قيام الدولة العلوية، وجرأهم تهاون الحكام في شأنهم على استحكام بدعتهم، وظهورهم ظهوراً خطيراً. وبادر السلطان المولى رشيد عام 1080 / 9 - 1670 إلى استفتاء العلماء في قضيتهم. فأفتاه ثلاثة من أعيان علماء العصر، وهم قاضي الجماعة بالحضرة الفاسية محمد بن الحسن المجاصي (ت. 1103 / 1691) الذي حرر ثلاثة أجوبة في نازلتهم، والفقيه عبد المالك التجموعتي (ت. 1118 / 6 - 1707)، والإمام الحسن بن مسعود اليوسي (ت. 1102 / 1690) الذي صنف فيهم فتواه الشهيرة *"برسالة العكاكزة"*.

وأدى اختلاف هؤلاء العلماء في نازلة العكاكزة إلى تشعب مسألتهم، وطول مرحلة التفاوض والتشاور في شأنهم. وعلى الرغم من اتفاق اليوسي والتجموعتي في القول بزندقتهم، فقد عمل السلطان برأي المجاصي قاضي الجماعة، ونفذ فيهم حكم الردة والاستتابة، وسجن جماعة من مشايخهم في فاس شهوراً، ثم أطلقهم بعد تحقق توبتهم. ثم نكبهم المولى إسماعيل بعد مضي عقدين من حكمه عام 1102 / 1691، فخرب أنشط مراكزهم الواقعة في تادلا وزمور، ونفذ حكم الزندقة في مشايخهم ولم يستتبهم، وقتل ثلاثة وستين منهم. وبدد تراثهم، وفرق شمل عوامهم، وأجلاهم عن مظاعنهم إلى حيث لاشيعة لهم، ونفاهم خلال القبائل التي لا تدين بنحلتهم.

وخبا ذكر اليوسفيين في المصادر المغربية خبوا يكاد يكون تاما، بعد خضد شوكتهم في مطلع القرن (12 / 18)، وظلت بعض المجموعات الناجية من فرقهم تحافظ على ذبالة نحلتهم. واهتدى إليهم الرعيل الأول من الإتنوغرافيين الفرنسيين في مطلع القرن (14 / 20)، ولم يعرفوهم إلا بأسمائهم من زكراويين ومحسانيين وغنائميين وملينيين. ولم يأبهوا بصلتهم بضريح مليانة، ومحبتهم في دفينه، وأركابهم التي تشد إلى مواسمه، وخدمتهم لحفدته، وانتظام "أولاد سيدي أحمد بن يوسف" في المجموعات المشكلة لبعض قبائلهم. فلم يخلصوا من ذلك إلى انتسابهم إلى الطريقة الراشدية، أو اتصال أمرهم بتاريخ التصوف المغربي. وعدوا ذلك من ضمن عناصر الحياة الدينية لهذه القبائل، وهو عنصر تبجيل الصلحاء. بل إن معظمهم كان يشك في تغلغل الإسلام خلال هذه القبائل، ولا يخامره ريب في قدم نحلتهم، واتصالها بالمعتقدات البدائية والشعائر الوثنية الطبيعية.

م. الصباغ القلعي، *بستان العارفين الأزهار*، مخ. خ. ع، 234 ك، 113 ؛ م. بن عسكر، *دوحة الناشر*، تح. م. حجي، 125 ؛ أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، تح. م. أ. أبي النور، 2 : 35 ؛ م. العربي الفاسي، *مرآة المحاسن*، ط. حجرية، 224 ؛ م. القادري، *نشر المثاني الكبير*، مخ. خ. ع، 2253 ك، و33 ظ ؛ م. الريفي، *جواهر السماط*، و26 و - و29 ظ ؛ ع. الكبير بن هاشم الكتاني، *زهر الأس في بيوتات فاس*، مخ. خ. ع، 1281 ك، 328 ؛ م. المجاصي، *نوازل*، ط. حجرية، 89 - 95 - 105 - 124 ؛ ح. اليوسي، *رسالة العكاكزة*، مخ. خ. ع، 1224 ك، 167 - 187 ؛ أ. بن محمد الهشتوكي، *هداية الملك العلام إلى حج بيت الله الحرام والوقوف بالمشاعر العظام وزيارة النبي عليه الصلاة والسلام*، مخ. خ. ع، 190 ق، 71 - 75 - 82 - 86 ؛ ع. الوارث الياصلوتي، *المسلك القريب الموصل إلى حضرة الحبيب*، مخ. خ. ع، 5723 ؛ مجهول، *تبصرة الرئيس الأمين في ذكر شروط أمام المسلمين*، مخ. خاص ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية*، معلمة المدن والقبائل، ملحق 2 - 8 - 100 - 108 - 316 ؛ ع. الجراري، *وحدة المغرب المذهبية عبر التاريخ*، دار الثقافة، الدر البيضاء، 1976، 27 ؛ المؤلف نفسه، *أسباب انتشار المذهب المالكي في المغرب*، سلسلة الدروس الحسنية، 53 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 237 - 240 ؛ ع. نجمي، *التصوف والبدعة بالمغرب طائفة العكاكزة*، 281 - 423.

F. Benoit, Survivances des civilisations méditerranéennes chez les berbères, *Revue anthropologique, juillet-sept., 1930*, 1 - 16 ; J. Berque, *L'intérieur du Maghreb*, 100 n 1, 101 n 2 ; *Ulémas, fondateurs, insurgés du Maghreb*, 60, 64, 92, 276 n 28, 279 n 25 ; E. Doutté, *Marrakech*, 365 - 368 ; *Missions au Maroc*, 330 - 335 ; Id., *Magie et religion*, 43 - 48 ; L. Gognalons, *Une fraction des Ghenânema de la banlieue de Fès : les Ouled Aïssa, Bull. soc.* Oran, t. 27, 1906, 354 - 359 ; Mensempes, *Contribution à la connaissance d'une tribu : les Zkara* ; A. Moulieras, *Une tribu zénète anti-musulmane : les Zkara* ; Georges Salmon, *Les Bdadoua, Archives Marocaines*, vol. 2, n 2, 1904, 358 - 363 ; M. De Segonzac, *Voyages au Maroc (1899 - 1901)*, Paris, 1903, 215 ; L. Voinot, *Taza et les Riata, Bull. soc. géo. archéo.*, d'Oran, t. XL, 1920, 47 - 53.

عبد الله نجمي

عكراش (واد وسوق ومقالع). يطلق عكراش على

مجرى آخر رافد يتلقاه نهر أبي رقراق من الجنوب الغربي، قبل وصوله إلى مصبه بالمحيط الأطلنتي. كما يطلق على سوق أسبوعي، يقع عند منطقة اقترانه بأبي رقراق، يعرف بسوق أحد عكراش، سمح بنشأة دوار القهاوي. يطلق هذا الاسم أيضاً على مقالع الحجارة المنتشرة بالمنطقة، بالإضافة إلى أكبر مزبلة بضاحية ولاية الرباط، تشغل المقالع المهجورة.

وهو عبارة عن وادي بسيط. يعبره آخر مجرى موسمي، يرفد نهر أبي رقراق من الجنوب، على بعد 13 كلم من مصبه بالمحيط الأطلنتي.

تشكل هذا الوادي في صخور سفلى متحولة. بنيتها التوانية. تنتمي للقاعدة الباليوزوية. قوامها طبقات شيستية تتخللها دكات كوارتزيتية، إلى جانب دكات سميكة مكونة من الكلس المتحول لعكراش. يتوضع فوق هذه القاعدة غلاف رسوبي ميو ـ بليوسيني. يبدأ بدكة حثية مرجانية تعرف بالمولاص القاعدي. يتم المرور منها إلى طبقة صلصالية رملية، تنتمي للميسيني (البليوسين الأسفل). ليتوج الكل بدكتين حثيتين تنتميان للمغربي (البليوسين الأوسط) والفواراتي (البليوسين الأعلى). يشكل هذا الغلاف الرسوبي، سطوح الهضاب المشرفة على الوادي.

سمحت نتائج هذه الأبحاث، بتدقيق انتساب السحنات الصخرية المكونة لتلك المتوالية الرسوبية، وضبط ظروف ترسيبها، والتي تبين أن عمرها يتراوح ما بين 12 و2 مليون سنة قبل الآن، بحيث تمتد من الميوسين الأعلى حتى البليوسين الأعلى.

وسوق عكراش ضعيفة الرواج. لكونها تعقد في منطقة منخفضة وخلفية، محجوبة عن مدينة الرباط، إذ كان ممكنا أن تكون سوقا ضخمة لساكنتها. لذلك ينحصر دورها في تزويد السكان المحليين بحاجياتهم التي بدأت تصلهم يوميا بعد ربط هذه المنطقة بأحياء الرباط الشرقية بالحافلات العمومية والخاصة وسيارات الأجرة.

ويقع دوار القهاوي عند منطقة المقرن، ببلدية الحوزية، بالقرب من مقر السوق. بدأت انطلاقته مع تجديد استغلال مقالع عكراش في بداية القرن العشرين عبارة عن قرية سكنها متخلف من الصفيح. يضم ساكنة ضعيفة، تعيش الآن على عائدات، مقتنياتهم من المزبلة المجاورة لدوارهم. توجد به مدرسة ابتدائية، ومستوصف إلى جانب بعض الحوانيت.

أما مقالع عكراش فتقع ببلاد الحوزية المجاورة للمجرى. وهي مقالع قديمة يرجع تاريخ استغلالها منذ الدولة الموحدية. إذ تم الاعتماد على صخورها الكلسية والكرانيتية في بناء مسجد حسان. وقد تجدد نشاط هذه المقلع خلال مرحلة الحماية الفرنسية، عندما شرع في بناء ميناء الرباط، الذي انطلق تشييده ابتداء من 16 يونيو 1913، ولاسيما بين سنتي 1921 ـ 1925. حيث تقرر بناء الأرصفة، التي مازالت تحمي مصب وادي أبي رقراق لحد الآن (R. Chastel, 1997).

تستغل المقالع هنا على الخصوص، بروزات الكلس المتحول المنتمي للديفوني (حقب ما قبل الأخير للزمن الجيولوجي الأول).

وفي عكراش مزبلة على الضفة اليسرى لمجرى أبي رقراق، على بعد 12 كلم جنوب شرق مدينة الرباط، تشرف مباشرة على دوار القهاوي. حيث تم استغلال المقالع المهجورة بمنطقة عكراش، التي لم يتم استصلاحها كما ينص عليه ظهير 5 ماي 1914 الموافق لـ 9 جمادى 1372، المتعلق باستغلال المقالع ومراقبتها، والملزم بدفتر التحملات.

بدأ استغلال هذه المقالع كمزبلة سنة 1985 للتخلص من معظم أزبال ولاية الرباط، والتي تقدر بـ 257 ألف طن سنويا. تساهم فيها الأزبال بـ 175.000 طن، والنفايات الخضراء بـ 15٪. إضافة إلى 3240 م3 في اليوم من النفايات الصناعية. أزبال تزيد يوميا بنسبة 3٪. تصرف من 65 وحدة صناعية، إلى جانب النفايات المرتبطة بالسيارات وآليات ومستهلكاتها التي تعادل 25.000 طن سنويا. كما تصل إلى مزبلة عكراش نفايات المجازر، التي يتم فيها ذبح 200.000 رأس من الماشية سنويا. إضافة إلى نفايات المستشفيات، خصوصا مستشفى ابن سينا، الذي يبلغ نصيبه 20٪ مما تستوعبه هذه المزبلة.

أشير في الأخير إلى أن هذه المزبلة، تنتج تبعا لنتائج أبحاث المختبر العمومي للأبحاث والدراسات ومركز الأبحاث والدراسات البيئية والتلوث عصارة سائلة، تحمل معها إلى المياه الجوفية في الصخور الراشحة بالمنطقة، وللمياه السطحية لمجرى سافلة أبي رقراق، 25 مليارا من المكروبات في الغرام الواحد.

G. Beaudet, *Le plateau central marocain et ses bordures, étude géomorphologique*, Thèse de doctorat es-lettres, 478 p., 28 fig., 4 cartes, 1969.

محمد الطيلسان

عكرمة، محمد وهو من مواليد سنة 1925 بالرباط من والده عبد الله بن البشير وفضيلة بنت محمد.

انخرط في صفوف المقاومة المسلحة السرية منذ انطلاقتها ضمن تشكيلة العكاري والتي كان مسؤولا عنها حيث عمل على تنفيذ مجموعة من العمليات الفدائية مع أفراد التشكيلة التي كان يرأسها ومن ضمن هذه الأعمال اغتال شرطي فرنسي كما نظم مجموعة من المظاهرات التي كانت تندد بالاستعمار الغاشم وتطالب بجلائه على الوطن إلى أن عاد رمز الوحدة والاستقلال جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه حاملا وثيقة الاستقلال.

التحق بالرفيق الأعلى بمدينة الرباط يوم فاتح محرم 1416 الموافق لـ 31 ماي 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 511492.

العكّار العَكَر بفتح العين والكاف في اللغة العربية هو الراسب من كل شيء وخاثره كعكر الزيت مثلا. ويطلق العَكَر على مرهم دهني كانت المرأة المغربية تستعمله كأداة من أدوات الزينة والتجميل من عدة قرون إلى جانب الكحل والسواك فالكحل لإبراز رموش العينين وتنصيحها والسواك لتنظيف اللثة وتبيض الأسنان والعَكَر لتسطير الشفاه وإبراز ملامحها وتوريد الخدود. ويسمى العَكَر في فاس وتطوان وطنجة وسائر مدن الشمال "العَكّار" وفي باقي مدن المغرب وبواديه "لعْكر" بتسكين العين وفتح الكاف لونه أحمر أرجواني يميل إلى البنفسجي، ولفصل هذا اللون عن الأحمر كان المغاربة يسمونه "العكري". وبما أنه كان يستخرج من المغرب ويصنع بداخله فقد دعاه السكان "العكر البلدي".

وينقسم العكر البلدي المغربي إلى نوعين : العكر الفاسي والعكر الفيلالي فالعكر الفاسي من أصل حيواني يستخرج من سحق بيض حشرة تدعى القشينية تعيش على شجر السنديان (البلوط الأخضر). وبعد تجفيفه ومعالجته يعطي دقيقاً قرمزي اللون يستعمل لأغراض التجميل والتزيين. وهو يهيأ على يد عطارين متخصصين ويباع إما على شكل مسحوق أو طلاء. وإذا كان طلاء فإنه يوضع في وعاء من خزف صغير مبلج مستدير الشكل لا يتعدى حجمه كف اليد يسمى "العكار" في فاس ومدن الشمال و"المطلية" في حواضر وبوادي السهول الأطلنتيكية و"المعيكرة" في المناطق الصحراوية والرحامنة والسراغنة والسهول الداخلية بشكل عام. ويعتبر العكر الفاسي في نظر الحرفيين من العطارين أكثر وفرة في الأسواق وأقل ثمنا وجود من العكر الفيلالي.

ويختلف العكر الفيلالي عن الفاسي في أنه يستخرج من باطن الأرض. فهو معدن رخو لزج شديد اللمعان يستنبط طبقات الأرض على شكل حبيبات ذات لون بني تميل إلى الأحمر من الصحراء من منطقة تافيلالت خاصة التي يسمى باسمها. ويتم الحصول عليه من خلال عمليات حفر على مسافات عميقة فبعد استخراج الكحل من طبقة أولى يعمق الحفر بحوالي ثلاثين مترا للوصول إلى طبقة ثانية تحتضن العكر وبعد هذه الطبقة يستمر الحفر إلى أن يتم الوصول إلى طبقة الزئبق (الزّواق).

ويستعمل العكر بنوعيه الفاسي والفيلالي للتزيين وعلاج الشعر وصيانته ولتصفية بشرة الوجه وتلميعها. وهو يندرج كسادة من المواد الأساسية التي تتكون منها مختلف المراهم والأدهان واللطوخات المتداولة في التطبيب والعلاج وتمديد التشنجات العضلية.

وكانت النساء تقتنيه للتزيين من أسواق البوادي من عطارين متنقلين. وكان العكر يعتبر أداة تجميل رئيسية لا يكاد يخلو منها شوار فتاة ولا خزين امرأة. وكانت النساء التقليديات فيما مضى تحتفظ به في صندوق خاص بها يحتوي على الأمشاط والمكاحل والمراود وقشور السواك والمناديل والسبنيات والاقراط والأساور والدمالج وغيرها.

إلا أن استعمال العكر البلدي تراجع اليوم بشكل منقطع النظير في سائر أرجاء البلاد ولم يستطع الوقوف أمام قوة منافسة مستحضرات التجميل الكيماوية من مساحيق ودهون ومراهم وأقلام تسطير شفاه وتوريد خدود وإبراز حواجب ورموش وغيرها، وبذلك نسيت بنات اليوم عكر أمهات الأمس.

م. العجلاني، *تأليف في الأشربة والمعاجين والأدهان والسفوفات والمراهم والأكحال والمربيات واللطوخات*، مخ خع رقم د. 761 : ج. الكتاني، *كتاب في الخضاب*، مخ خع رقم ك، 3208 : م. بن الخوجة، *اللباب في أحكام الزينة واللباس*، الجزائر، 1907 : م. جسوس، *النصيحة*، مخ خع رقم د 7 : 1755 : م. حنيني، *نزعة إلى التطور*، المرأة المغربية، *مجلة أمل*، العدد 9، السنة الثالثة، 1997 : مهدية الزمبلي، *لباس المرأة وزينتها في الفقه الإسلامي*، عمان، 1982 مؤلف مجهول، *كتاب في التدابير والأغسال واستخراج الأدهان*، مخ خع رقم 7204 : نادية بلحاج، *التطبيب والسحر في المغرب*، الرباط، 1986.

M. Alahyane [et al.], *Portraits de femmes*, Casablanca, 1987 ; F. Bonjeon, *Esquisse d'un portrait de la marocaine*, Casablanca s. date ; A. Lens, *Pratiques des harems marocains*, in *Hespéris*, tome 5, 1er trim., 1925 ; Jean Muzi, *Le corps orné, le corps marqué*, Paris, 1978.

محمد بوسلام

العكّاري، أسرة مراكشية كانت على صلة مظاهرة بآل الشيخ التركي صاحب التربة (المقبرة) المعروفة هناك ولعل آل التركي هم المعروفون كذلك بالتريكي الموجودين حتى اليوم بمراكش وأسفي. وقد توارثوا العلم أجيالاً متعاقبة، وهم ينتسبون إلى الشرف الحسني. واشتهر هؤلاء العكاريون بعد أن هاجر طالبان منهم إلى الزاوية الدلائية لطلب العلم وقد أنجح الله مسعاهما وأصبحا من العلماء المرموقين في عصرهما حسبما ياتي في ترجمتهما.

وذكر مؤلف *إزالة الالتباس* أن العكاريين كانوا مستوطنين مدينة فاس في أواخر القرن الثاني عشر (18 م) ووقف على رسم مؤرخ في عام 1198 فيه أن دوراً ثلاثة أسفل عقبة برج الذهب من حُومة القلقليين كانت على ملك الحاج التاودي العكاري الذي توفي بفاس وترك زوجة وثلاث بنات وعصَّبه بيت مال المسلمين. وكانت إحدى البنات زوجاً لأحد الفاسيين الفهريين، ثم اطلع نفس المؤلف في رسم مكتوب على رق الغزال مؤرخ بعام 1087 ذكر أحد العكاريين وان له نصيبا في جنان بالزريقة في فاس. وسنرى كيف انتقلوا إلى الرباط وأصبحوا يكونون أسرة نبيلة توارث أبناؤها العلم والثورة. حتى أصبح ينسب إليهم حي العكاري من أكبر أحياء الرباط.

ع. ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، ج 2 : 121 : م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط 2، الدار البيضاء، 1987.

العكّاري، علي بن **محمد** بن **علي الجد**، المراكشي ثم الرباطي. أكبر شخصية علمية أنجبتها هذه

الأسرة في القرن الحادي عشر (17 م). وكان من أسباب شهرته تعرفه على عدد من العلماء المؤلفين في مختلف مراحل حياته، أعجبوا بجده واجتهاده وزهده واستقامته فتحدثوا عنه في كتبهم بما شهدوا وعلموا. أولهم أحمد ابن يعقوب الولالي رفيقه في الطلب بالزاوية الدلائية نكتب عنه في *مباحث الأنوار* (ورقة 7) : "فكان على العكاري مع أخيه في البيت فإذا هو بحالة أخرى من التحري ومجاهدة النفس والوقوف على الحدود. فكان لايعتاب أحد بين يديه، ومع ذلك فهو يشاركنا في أخذ العلوم الآلية عن الشيخ ابن مسعود (يعني اليوسي) مثل البيان والمنطق وأصول الفقه وغيرها كالفقه وأصول الدين".

وكان ذكيا حسن الإدراك لا يحفظ القرآن الكريم ولا المتون. خلافاً لما كان شائعاً من تغلب الحفظ على الفهم، فكان رفاقه الطلبة يتعجبون من تحصيله بالرغم عن عدم إمعانه النظر في الشروح والحواشي، وقد كان يدرس معهم كتباً صعبة كـ*جمع الجوامع* في الأصول للسبكي، فيطالع شرح الجلال المحلي مرة واحدة قبل حضور المجلس ويكفيه ذلك لفهم الموضوع. وقد أجازه مع أخيه محمد آتي الترجمة الامام الحسن اليوسي إجازة عامة، كما أجازهما بعد ذلك شيخ الجماعة عبد القادر بن يوسف الفاسي.

وبعد تخريب الزاوية الدلائية قصد المترجم مدينة فاس مع معظم الدلائيين وهناك لقي مؤلفاً آخر هو القاضي سعيد العميري الذي خصه بفقرة طويلة في أحد كتبه، وبتر العلماء إذاك متوافرون بها عامة، وكتب حينئذ بالحضرة المذكورة بصدد مما جاء فيها : "لما تحصيل العلم شرع يدرس كبرى *الإمام السوسي* بجامع مع القرويين، فسمع بذلك فقهاء الحضرة، وكان هذا الكتاب من أجل مايتنافس فيه المتنافسون، فاجتمعنا جماعة من الفقهاء وجئنا قاصدين مجلسه لننظر قراءته ونختبر حاله ... فألفيناه جالساً وقد غص عليه المجلس بالطلبه وضربوا عليه حلقة عظيمة وهو يدرس بصوت فصيح جهير ... ".

بعد ذلك توجه علي العكاري إلى مدينة سلا، فلقي حفاوة من أعلامها وصلحائها ، وأخذ يعقد حلقات التدريس بالجامع الأعظم، ووقع عليه إقبال كبير من طلبة العدوتين وفقهائهما حتى القضاة والعدول. وهنا لقي مؤلفاً آخر هو أحمد ابن عاشر الحافي الذي كان من جملة الآخذين عنه فنوه به كثيراً في *فهرسه*. وكان الأمير عبد الواحد ابن السلطان المولى إسماعيل مقيماً بالرباط فلما سمع بالشيخ العكاري قصده بسلا للأخذ عنه، ثم طلب منه الأمير أن ينتقل إلى الرباط فلبى الشيخ طلبه ونزل معه بداوه وأخذ يلقي دروسه في ضريح الشيخ أحمد العايدي بالسويقة تارة وفي المسجد الأعظم تارة. وحضر المولى إسماعيل يوماً لسماع درس الشيخ العكاري. وتختلف الرويات في مكان اللقاء، يذكر ابن زيدان أن ذلك تم بالمسجد الأعظم بالرباط، ويذكر غيره أن ذلك في مكناس بالقرب من مسجد الأنوار، ومهما يكن فإن السلطان كرّم الشيخ وعظّمه وأغدق عليه أموالاً كثيرة اشترى له بها بعض طلبته داراً كبرى بدرب البروزي من حومة السويقة بالرباط بجوار الدار الصغرى التي كان يسكنها ودفن بها بعد موته.

ولما استرجع السلطان إسماعيل ثغر المهدية من يد الاسبان عام 1092 / 1681 وكان قد شارك في هذا الفتح عدد من المجاهدين السلويين، منهم الشيخ أحمد حجي رفيق المترجم، طلب السلويون من السلطان أن يأذن برجوع الشيخ العكاري إلى مدينتهم فوافقهم على ذلك وعاد العكاري من جديد إلى سلا يدرس بمسجدها الأعظم إلا أن مقامه لم يطل إذ كانت له تعلقات بالعدوة الأخرى فرجع إلى الرباط حيث توفي عام 1118 / 1706 ودفن بداره الصغرى بالسويقة.

أ. الولالي، *مباحث الأنوار*، مخطوط ؛ أ. ابن عاشر الحافي، *الفهرس*، تح. م. السعديين ؛ ع. العكاري الحفيد، *البدور الضاوية*، مخطوط ؛ أبو يعزى المسطاسي، *رسالة في مناقب الشيخ علي العكاري*، مخطوط ؛ مجهول، *مطلع الدراري في أخبار سيدي علي العكاري*، مخطوط ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، الرباط، 1929، ج 4 ؛ م. دينية، *مجالس الانبساط*، الرباط، 1986 ؛ م. بوجندار، *الاغتباط*، مصور بالأوفسيط، الرباط، 1987 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط 2، الدار البيضاء، 1988.

السعكّاري، علي بن محمد بن علي الحفيد. قال في حقه بلديه بوجندار "كان من العلماء الأفاضل، والجهابذة الأماثل" اشتهر بفهرسه *البدور الضاوية* في ترجمة جده علي العكاري سابق الترجمة وسيرته ومناقبه وكراماته، وشيوخه وتلامذته. وقد احتفظ الفهرس بعدد وافر من أسماء هؤلاء التلاميذ من العدوتين، وكذلك العلماء الذين كانوا شادين ويحضرون مع ذلك مجالسه العالية وفيهم قضاة وعمال وشخصيات سامية. وبالرغم عن كون النسخ الخطية الموجودة من هذا *الفهرس* كلها مبتورة من الأول والأخير والأثناء، فقد وقع عليها إقبال عظيم، وقعت في يد الفقيه الخطيب محمد ابن الغازي الرباطي فلفقها ووضع لها خطبة وخرجها بعد التنبيه على ما فيها من بتر. وللمترجم مؤلفات أخرى إذ كان مشاركاً في كثير من العلوم لا سيما العقائد والتصوف. منها *الدرر المفصلة في شرح البسملة والحمدلة* ؛ *والمقصد الأسنى في الدعاء بالأسماء الحسنى* ؛ *وأرجوزة سماها جوهر القلائد في ذكر نبذة من العقائد*، وغير ذلك.

كان شاعراً دقيق الاحساس سليم الطبع، قال الأديب بوجندار : له "موشحات وأزجال على القانون الموسيقي في الملحون، وقصائد ومقطعات على القانون الشعري في الموزون" وأورد نماذج جيدة من شعره.

توفي بالرباط عام 1159 / 1748.

م. بوجندار، *الاغتباط*، مصور بالأوسيط، الرباط، 1987 ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *الإتحاف*، الرباط، 1929، ج 1 و4 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط 2، الدار البيضاء، 1988.

العكّاري، محمد بن علي الرباطي، درس على والده الشيخ علي العكاري الجد سابق الترجمة ولم يدرس على غيره. ترجم له ولده علي العكاري الحفيد في *البدور الضاوية* وقال إنه "قيد عن والده تقاييد وطرراً على *المختصر الخليلي* و*الخلاصة*، و*الكبرى*، و*السلّم*، وغير ذلك. وتصدى بعد وفاة والده الشيخ للتدريس والفتيا، وتمهّر وبرع في كل فن، وارتفع ذكره وعظم صيته".

وقد كان متصوفاً خليفة مأذوناً به بتلقين أوراد الشيخ علي بن عبد الرحمن الدرعي. ثم استخلفه الحسن الشرحبيلي ليلقن الأذكار على الطريقة الناصرية، قال : "فقام بالأمرين وحاز شرف الخلافتين، ولم يزل كذلك إلى أن توفي ولم يذكر تاريخ وفاته، كما لم يبين سبب هذه الازدواجية في التلقين، وهي لاشك ذات صلة بالخصومة الطارئة بين الناصريين والحسن ابن شرحبيل (انظر هذا الأخير في *المعلمة*).

ع. العكاري الحفيد، *البدور الضاوية*، مخطوط ؛ م. بوجندار، *الاغتباط*، مصور بالأوسيط، الرباط، 1987.

العكّاري، محمد بن محمد بن علي المراكشي، أول من خرج من العكاريين من مراكش إلى زاوية الدلاء لطلب العلم، ثم التحق به أخوه علي سابق الترجمة. استقر بالزاوية الدلائية طالباً للعلم مدة طويلة ساكناً مع رفيقه محمد بن عبد الرحمن الصومعي في بيت واحد من بيوت مدارسها، ولما لحق به أخوه علي العكاري أقام معهما في نفس البيت كما رأينا.

حضر محمد العكاري مجالس الدلائيين في مختلف العلوم اللغوية والشرعية، ولازم دروس الشيخ الحسن اليوسي آخذاً عنه النحو والبيان والمنطق والفقه والأصول والتوحيد إلى أن نال منه إجازة عامة. ولما حصل على ملكة علمية كافية أخذ يدرّس بدوره للمبتدئين في الزاوية الدلائية، وكان من بين الآخذين عنه رفيقه محمد بن عبد الرحمن الصومعي.

وبعد تخريب الزاوية الدلائية سنة 1079 / 1669 توجه المترجم إلى فاس - في جملة علماء الدلاء - وأقام بها مدة يحضر مجالس كبار العلماء، أمثال شيخ الجماعة عبد القادر بن يوسف الفاسي الذي أجازه إجازة عامة قبل أن يرجع إلى مسقط رأسه مراكش، لكن لم يطل به المقام حتى استقدمه السلطان المولى إسماعيل إلى حاضرته مكناس ليكون إمامه في الصلوات وخطيب الجمعة والأعياد في مسجد القصبة السلطانية، فكان محمد العكاري علاوة على ذلك يلقي دروساً على الطلبة فانتفعوا به كثيراً. وقد ابتلي في آخر حياته بمرض "الضيقة" فطلب من السلطان أن يأذن له في الرجوع إلى مراكش "فأعفاه وتركه بعد أن كتب له عهداً كبيراً بليغاً باحترام جميع من هو في جواره، وتوقيرهم ومحاشاتهم" (*البدور الضاوية*)

توفي محمد العكاري بمراكش عام 1092 / 81-1682 ودفن بتربة جده الإمام الشيخ التركي. وقد اختلطت ترجمة محمد العكاري مع ترجمة أخيه علي العكاري الجد عند ابن زيدان في الإتحاف (انظر كتابنا *الزاوية الدلائية*).

أ. الولالي، *مباحث الأنوار*، مخطوط ؛ ع. العكاري الحفيد، *البدور الضاوية*، مخطوط ؛ م. اليحمدي، *كناشة اليحمدي*، مخطوطة ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، الرباط، 1929، ج 1 و4 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ط 2، الرباط ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط 2، الدار البيضاء، 1988.

محمد حجي

العُكّاز مضموم مشدد عصا ذات زُجٍّ والجمع عكاكيز قال الأصمعي : المِحْجَنُ : العصا المعوجة، كما جاء في باب العصا عند الجاحظ. والعُكّازة إذا لم يكن في أسفلها زُجٌّ فهي عصاً، والعكاز مثل الخرقة من شعارات الصوفية بالمغرب يطالع الزائر لضريح مولاي إبراهيم بن أحمد بن عبد الله بن حسون، المعروف عند العامة بطير الجبال، ظاهرة بيع "العكاكيز" المأخوذة من شجيرة "الدفلة" لسهولة لي أغصانها. فيقوم معدو هذه العكاكيز بصباغتها بالأصفر ووضع دوائر حول المقبض بالأخضر والأحمر. وحين تسأل لماذا هذه الألوان ؟ لا تجد إجابة عند الباعة. وحين تسأل أيضاً عن الغاية من بيع هذه "العكاكيز" ؟ فإنك لا تسمع إلا عبارة واحدة متفق عليها بين الباعة وهي : "ليأخذها الزائر عربونا على سند الولي الصالح مولاي إبراهيم طير الجبال لزواره". وهذا محض افتراء وكلام غير مقنع فمن الناس من يقنعه هذا الكلام ومنهم من لا يعيره أي اهتمام. وقد لخص بعض الباعة الإجابة عن سؤال بيع هذه "العكاكيز" في موسم مولاي إبراهيم بشيء من الواقعية بقولهم : إن الناس يعتمدون عليها أثناء صعودهم إلى "الخلوة". وهو مكان في مرتفع معروف عند الزوار "بالخلوة" التي كان يختلي فيها "مولاي إبراهيم" لتصفو نفسه وتزكو. فهي عندهم "عكاكيز" وانتهى الأمر، من غير أن يوضع في أسفلها زجٌّ لتصير عكازا. والعامة يسمونها هكذا "عكاز"، على الرغم من أن "العكاز" له زُجٌّ كما في المعاجم العربية، نذكر منها على سبيل المثال ما جاء في لسان العرب. والجانب المهم في المسألة، هو سكوت بائعي هذه "العكاكيز" دون التصريح للناس بالدافع الحقيقي من وراء بيعها. والراجح لدينا في ذلك هو التكسب فقط، ولا وجود لشيء من ورائه أية غاية أخرى مرتبطة بطقوس وأدب الزيارة للضريح. وعليه، يتأكد إلى حد بعيد غياب أي صلة لهذا الذي ذكرنا بـ "طائفة العكاكزة" المشار إليهم من قبل الونشريسي. ولا بمن أشار إليهم ابن القاضي. ولا بمن تكلم عنهم ابن عسكر بأنهم الطائفة اليوسفية. ولا بمن أدرجهم الفقيه محمد المنوني ضمن الجماعات المتطرفة، حين الحديث عن التيارات الفكرية في المغرب المريني. فهل وجود هذه الظاهرة بهذه المنطقة من جبل درن قد يشير إلى صلة بما كان يحمله ابن تومرت معه من متاع الدنيا المتمثل في "عكاز وركوة" في سياحته الكبرى، واعتقد قومه وأتباعه عصمته ؟

ومن الصعب نفي أو إثبات أي إشارة لها صلة أو علاقة بهذه الطائفة وظاهره بيع "العكاكيز" بضريح مولاي إبراهيم. لهذا كان من الضروري فتح واجهة أخرى ومناقشة الموضوع بما تختزنه الذاكرة الشعبية التي يتداخل فيها الحدث بالخرافة، وتنسج حوله هالة ضخمة تضفي عليه نوعا من القدسية لكي لا يبحث عن السبب ويقبلوا بالنتيجة ويسلموا بها تسليما. ومن جملة ما سجلته من خلال الرواية الشفوية بعد الاتصال ببعض من ينتسبون للزاوية أو هم معتكفون بها، أن "العكاز" يميز حامله عن باقي الناس بباب الضريح أو بفنائه ليستقبل الزوار ويرشدهم إلى ما يفعلون من طقوس أدب الزيارة وتقديم القرابين، وتعيين من يساعدهم على ذلك وخصوصا أيام الموسم السنوي، حيث يكثر الازدحام بفناء الضريح. والرجل الذي كان يقوم بهذا، عذره أن كان الداعي إلى ذلك الكبر والعجز في الخلقة وقلة الفاعلية. وفي *تحفة النظار* إشارة لطيفة لها معنى مشابه لما تضمنته بعض معطيات الرواية الشفوية - رغم ما يعاب عليها من عدم الضبط والخلط في المعلومات أن ابن بطوطة يحكي ما رآه عند بعض الطرق الصوفية بمصر لما في ذلك من تشابه في مغزى استعمال العكاز في التميز والإرشاد لمعرفة المريدين وأتباع الطريقة. من الزوار العابرين (ومن عوائدهم مع القادم، أنه يأتي باب الزاوية فيقف به مشدود الوسط وعلى كاهله سجادة وبيمناه العكاز وبيسراه الإبريق. فيعلم البواب خديم الزاوية بمكانه فيخرج إليه ويسأله من أي البلاد أتى وبأي زاوية نزل في طريقه ومن شيخه. فإذا عرف صحة قوله أدخله الزاوية وفرش له سجادته في موضع يليق به وأراه موضع الطهارة فيجدد الوضوء ويأتي إلى سجادته فيحل وسطه ويصلي ركعتين ويصافح الشيخ ومن حضر ويقعد معهم. جاء في هذه الإشارة الإبريق، وما كان يحمله ابن تومرت أثناء سياحته الكبرى هو "الركوة" وفي الحالتين حضور عنصر الماء رمز الطهارة وفي ذلك تشابه بين الروايتين. وللزيادة في التحري، ذهبت إلى تامصلوحت حيث يوجد ضريح عبد الله بن حسون أمغار الذي هو جد مولاي إبراهيم بن أحمد بن عبد الله بن حسون. لعلي أجد شيئا أستنير به في الموضوع. فكان لقائي برجل يدعى مولاي أحمد بالضريح فأكد ما يلي :

- يحكى لنا أن عكاز عبد الله بن حسون أمغار يوجد بإحدى الزوايا بالربصاني دون أن يحدد الاسم، لأنه اعترف بأنه أمّي "ما قريش وما فاهم والو". وظاهرة بيع العكاز في مولاي إبراهيم ما هي إلا وسيلة من وسائل "سدّ الْمَخْفي" - وهي عبارة دالة على التدليس والاحتيال - أي وسيلة للتكسب والعيش ليس إلا.

- ما يقال عن بيع العكاز هناك، (يقصد مولاي إبراهيم) يقال على بيع التراب به وكذا الملح والتمر والحناء، والناس يعتقدون في ذلك ما يشاؤون. كما ينطبق هذا على الذي نقوم به هنا، (ويقصد ضريح عبد الله بن حسون) حيث نبيع الناس الخميرة والملح والتمر، ونرغب الناس في شراء ما نعرض وهم أحرار في ما يعتقدون بعد ذلك.

- ويضيف : "إنني أصنع الخميرة "البَلَدِيَة" وأبيعها مقابل ثمن غير محدد"، يرمز له "بالفتوح" من أجل حلول البركة، ليعم الخير صاحبها أو صاحبتها ويفيض كما تفيض العجين عن الإناء الذي تجعل فيه إن أصابته الخميرة. كما يباع التمر والملح، وفي ذلك دلالة رمزية إلى تحقيق القبول. أي أن يكون كلام الشخص وفعله مقبولا عند الناس.

وختاما نقول، بأن ظاهرة بيع العكاز بمولاي إبراهيم - وخصوصا أيام موسمه السنوي - ما هي إلا وسيلة للتكسب والعيش. وليس لها علاقة بطائفة العكاكزة. وقد تكون لهذا صلة بما خلفه ابن تومرت "صاحب العكاز" من أثر في قبيل المصامدة بجبل درن. وقد لا تكون له به صلة البتة. كما أن الطواف بالناقة التي تنسب إلى مولاي إبراهيم يتم تجهيزها بمدينة مراكش قبل أن تستقر بمولاي إبراهيم ويصحبها الضرب بالطبول والمزامير. وهي وسيلة لجلب الصدقات من الناس، والعامة يعتقدون في ذلك ما يعتقدون. وهذا تقليد تخلد به بعض الطرق الصوفية مواسمها السنوية، أو حين الدخول في غمرة الأذكار أو الحضرة. كما كان العكاكزة يخللون أذكارهم بالضرب على الدفوف والبكاء والرقص مجتمعين رجالا ونساء. وقد تظهر معطيات أخرى جديدة مستقبلا قد تفيد وتغير ما تم تسجيله حتى الآن. وإلا فاجتهاد الناس في تطوير أسلوب بيع الأشياء التي لها علاقة بزيارة الأضرحة، تبقى هي المسيطرة على واقع الاهتمام بثقافة الاعتقاد في الضريح وصاحبه، وتوليد سلوكات للفت انتباه الزوار ونسج هالة من القدسية حولها يرجى احترامها لتحقيق الغايات وما ترجوه الأنفس، أمام ما يعانيه الناس من أزمة وضيق في الأفق.

ابن بطوطة، *تحفة النظار*، مطبعة الرسالة ؛ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، *البيان والتبيين*، تح. عبد السلام هارون، القاهرة، 1975 ؛ محمد حجي، *الحياة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين*، مطبعة فضالة ؛ محمد بن أبي بكر الرازي، *مختار الصحاح*، بيروت، 1995 ؛ محمد بن عسكر، *دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر*، تح. محمد حجي، الرباط، 1976 ؛ أحمد ابن القاضي، *درة الحجال في أسماء الرجال*، تح. محمد الأحمدي أبي النور، القاهرة، 1971 ؛ ابن منظور، *لسان العرب*، دار صادر، بيروت، د. ت ؛ محمد المنوني، *ورقات عن حضارة المرينيين*، الدار البيضاء، 1996 ؛ عبد الله نجمي، *العكاكزة*، مجلة كلية الآداب، الرباط، العدد 5 - 6، مزدوج، 1979 ؛ أحمد الونشريسي، *المعيار المعرب عن فتاوى أهل أفريقية والأندلس والمغرب*، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981.

عبد الرزاق ازريكم

العكّازون شيعة المهدي بن تومرت (ت. 524 / 1129) على عهد المرينيين، وسموا بذلك نسبة إلى العكاز الذي اتخذه مؤسس دولة الموحدين في سياحته الكبرى. وتؤرخ لطائفتهم جملة من الفتاوى أصدرها كل من الفقيه يوسف بن

موسى المحساني السبتي (كان حيّاً عام 686 / 1287)، والفقيه عبد الرحمان بن عنان الجزولي (ت. 741 / 1340)، والفقيه يوسف بن عمر الأنفاسي الفاسي (ت. 761 / 1359)، والفقيه محمد بن عبد المومن وهو من أهل القرن (8 ـ 14) أيضاً، والفقيه محمد بن إبراهيم التنائي (ت. 942 / 1535).

وقد سجل الفقيهان أبو يعقوب المحساني ومحمد بن الحاج العبدري (ت. 737 / 1336)، في كتابه "المدخل" قلة ظهور الطوائف البدعية بالمغرب المريني، وردا ذلك إلى وجود العلماء العاملين وتصرفهم بالسنة، وفضلهم في ارتداع كثير من أهل البدع. ولم يذكرا من هذه الطوائف الموجودة على عهدهما سوى الفاطمية والعكازين والسليمانيين. وذكر المحساني نحلة العكازين في شرحه على رسالة ابن أبي زيد القيرواني والموسوم "بالإفادة"، وفسر بدعتهم بأنهم "الذين يكفرون من لا يؤمن بالمهدي الذي تقدم في زعمهم، وهو محمد بن تومرت"، وأفتى فيهم بأن يتقدم إليهم فإن تابوا وإلا قتلوا.

وقال باستتابتهم أيضاً، وأنهم في حكم المرتدين، شيخ "الرسالة" في وقته الفقيه عبد الرحمان الجزولي، وذلك في شرحه على الرسالة، ونصه : "وكذلك الحكم في الطوائف البدعية الخارجين عن السنة بغير تأويل مثل العكازين وأشباههم، أنهم يستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا". وأيد حكمه تلميذه يوسف الأنفاسي، إمام جامع القرويين، وذلك في تقييده على الرسالة. ونقل نازلتهم عن المحساني قاضي قضاة مصر الفقيه محمد التنائي، وذلك في شرحه على الرسالة والموسوم "بتنوير المقالة".

واشتمل جمع العكازين خلال القرن (8 / 14) على طائفة متنطعة وموغلة في بدعتهم، وهي طائفة جزنانية من أخماس تازة. وقد رفع سؤال في شأنهم إلى فقيه تازة ومفتيها محمد ابن عبد المومن، وفيه جملة مسائل ينبني عليها مذهبهم، وهي : أنهم قوم فارقوا الجماعة، ويكفرون المسلمين، ولا يأكلون ذبائحهم، ولا يصلون خلفهم، ويقلبون الأحاديث الواردة في المهدي حتى تنطبق على محمد بن تومرت، ويقولون من لم يؤمن به فهو كافر، ويفضلونه على أبي بكر وعمر، ويقولون من لم يعلم اثني عشر بابا من التوحيد فهو كافر، وينكرون الصفات، وينقضون الوضوء بلمس ذوات المحارم، ويقولون من حلق ما تحت اللحية فهو مجوسي.

ولم يكن أهل جزنانية كلهم على نحلة العكازين، ووجد بينهم رجل يقال له داوود بن الحسن اشتهر بمناهضتهم، وتزعم حركة إصلاحية ضاق بها غيرهم. ورفع أمره إلى مفتي فاس أحمد بن قاسم القباب (ت. 778 / 1376)، فأجاب بنصره وأنه على المحجة البيضاء. وأيد حكمه في هذا المصلح الجزنائي النسب الفقيهان محمد بن عبد المومن وموسى بن محمد العبدوسي (ت. 776 / 1374).

ولم تقف مكافحة العكازين عند حدود العلماء المصلحين والمجاورين لهم ممن لهم تهمم بالدين، بل اهتم بأمرهم أرباب الدولة أيضاً، فورد فيهم سؤال من السلطان المريني في مدة القاضي محمد بن فتح القيسي الترجالي التازي (ت. 720 / 1320) للبحث عن أمرهم. وحضر الفقيه المفتي محمد بن عبد المومن محاكمتهم بمسجد السيتاني. واجتمع الناس عليهم به، وبحثوا فلم يوجد عندهم شيء من العلم. فاتفق الناس حينئذ على أنهم قوم جهلة، وأنهم يستتابون فإن تابوا والإقتلوا. فتابوا على يد الفقيه محمد بن عبد الرحمان بن عطية التنوخي (ولد عام 650 / 1252)، وأفلتوا من القتل.

ولم يكن جمع العكازين مشتملاً على غوغاء مكثرين السواد مثل هؤلاء الذين حشروا واختبرت عقائدهم، بل وجد بينهم علماء ورؤساء متبوعون دعاة، وكان منهم الشيخ عبد الرحمان بن سليمان اللجائي (ت. 773 / 1371) الذي احتج لدعواهم في كتابه *المقصد الأسنى في المهدي الأقنى*.

ولاشك أن محاكمة العكازين التي وقعت في مدة القاضي الترجالي لم تضع نهاية لبدعتهم، وأنها إنما أفضت بهم إلى التقية والمبالغة في كتمان أمرهم، حتى لا يظهر حالهم ويظهر أنهم لا يزالون على نحلتهم، ويصيرون بمنزلة الزنديق الذي لا تقبل له توبة، ويقتلون من غير استتابة. وهذا ما قصده الفقيه محمد بن عبد المومن في فتواه، حيث أكد على من والاهم في النصيحة أن ينصحهم في الرجوع عما هم عليه، لأنهم إن ظهر عليهم رجوع إلى حالهم يخاف أن يؤمر عليهم بالقتل.

ولم يختص العكازون وحدهم بالظهور بالعقيدة المهدوية خلال المائة الثامنة للهجرة، إذا شاركهم فيها المنتحلون للفاطمية الذين تفرعوا بالمغرب إلى أكثر من فرقة. وذكرهم العلامة عبد الرحمان بن خلدون (ت. 808 / 1405) في *المقدمة والعبر*. ومنهم المتصوفة الذين يشيرون إلى ظهور المهدي، ويتحينون ذلك وبعضهم يقول من ولد فاطمة وبعضهم يطلق القول فيه. ومنهم قبيل تينمل القائمون على قبر المهدي بن تومرت، مع التصميم مع كافة المصامدة على أن الأمر سيعود، وأن الدولة ستظهر على أهل المشرق والمغرب، وتملأ الأرض كما وعدهم المهدي، لا يشكون في ذلك ولا يستريبون منه.

وروجت الطائفة الجزولية للفاطمية بين أهل القرن (9 / 15) الذين فشا بينهم التعلق برجال الغيب، وحفلت مناجاة وأقوال الشيخ محمد بن سليمان الجزولي (ت. 870 / 5 ـ 1466) بالتعزز بالشرفية والسبطية والفاطمية. وتحدث الشيخ أحمد زروق (ت. 899 / 1493) عن مهدويين ظهرا في وقته، ونعت أحدهم بأهل الخير، وسجل وفاته التي حدثت عام 883 / 8 ـ 1479.

واستعمل السعديون المهدوية في بداية أمرهم مع محمد الشيخ المهدي (ت. 965 / 1557)، وتفاقمت دعواها بعد وفاة السلطان أحمد المنصور (ت. 1012 / 1603) واختلال نظام المغرب. واشتهر من المتمهدين خلال المائة الحادية عشر للهجرة الفقيه الثائر أحمد بن أبي محلي (ت. 1022 /

1613)، ومحمد بن عبد القادر التاهرتي الذي ظهر أمره قريباً من رباط ماسة ما بين سنتي 1035 و1039 / 1626 - 1630، ومحمد بن إسماعيل المسناوي الكوراري (ت. 1064 / 1654).

وقبل وفاة السلطان المنصور عدد المؤرخ أحمد بن القاضي (ت. 1025 / 1616) الطوائف البدعية بالمغرب السعدي، وذلك في الترجمة التي عقدها للفقيه محمد الأندلسي (ت. 984 / 1576) من كتابه *درة الحجال* الذي فرغ منه عام 999 / 1591، وهذا نصه :

"وزيدت هذه الطائفة (الأندلسية) على من كان به (المغرب) من اليوسفية والعكازية، فليحذرهم المسلم ولا يغتر بخز عيلاتهم وما أحدثوه في الدين، أخلى الله منهم الأرض". وهذه الطوائف البدعية ثلاث : الأندلسية أتباع الفقيه محمد الأندلسي الذي انتحل مذهب الظاهرية في الفقه، وقد تلقبوا بالمحمدية نسبة إليه، وسموا من خالفهم بالمالكية نسبة إلى الإمام مالك. واليوسفية أشياع الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي (ت. 931 / 1524)، وهم دعاة المحبة الخالصة بالمغرب خلال القرن (10 / 16). وذكرهم ابن القاضي بنفس الاسم في كتابه *لقط الفرائد* الذي ألفه بعد *درة الحجال* بمدة، وعدهم من الطوائف المعدودة بالمغرب التي خرجت من الحق إلى الزيغ. والعكازية هم شيعة المهدي بن تومرت قطعاً.

وإذ يفيد قول ابن القاضي تعدد الطائفتين اليوسفية والعكازية، واختلافهما في التسمية والنحلة ؛ فإن الطائفة اليوسفية ستشتهر في المصادر المصنفة أواخر الدولة السعدية وصدر الدولة العلوية بتسمية العكاكزة والعكازين والعكازية. وستطرح هذه المواطأة في التسمية مشكل تعدد الطائفتين أو عدم تعددهما، وذلك بالنسبة للفقهاء الذين أفتوا في نازلة العكاكزة عام 1080 / 1669 ؛ وقد ذهب قاضي الجماعة بفاس محمد بن الحسن المجاصي (ت. 1103 / 1691) إلى القول بعدم التعدد، ولم يسلم بالخلو من جامع أوجب إطلاق لقب أولئك على هؤلاء. ونقل الفتاوى التي صدرت خلال القرن (8 - 14) في العكازين شيعة المهدي بن تومرت من قبل كل من المحساني والجزولي والأنفاسي ومحمد بن عبد المومن والتنائي، وساقها من جملة الشواهد الفقهية للدلالة على صحة حكمه على العكاكزة بالردة والاستتابة. وخالفه الإمام الحسن بن مسعود اليوسي (ت. 1102 / 1690)، ولم يعتمد على وجود اللقب على الطائفتين، وقال بالمباينة الصرفة بينهما، وأن حال هؤلاء غير حال أولئك. وقرر اختلاف الفتاوى باختلاف الأحوال، ونقض فتاوى طائفة العكازين، وأفتى في نازلة العكاكزة بالزندقة وعدم الاستتابة.

ولعل قول اليوسي بتعدد الطائفتين هو الذي دفعه إلى ابتداع اسم جديد لشيعة المهدي بن تومرت وتسميتهم "بالطائفة التومرتية"، وهذا بعد مرور ما ينيف عن العقد عن محاكمة العكاكزة. ذلك أنه أثناء تجواله بشمال البلاد يمم إلى جبل لجاية تشوقاً إلى زيارة ضريح الشيخ عبد الرحمان اللجائي مؤلف *قطب العارفين وشمائل الخصوص*، ونجل الشيخ أبي الربيع سليمان اللجائي أول من أدخل مختصر ابن الحاجب الأصلي إلى المغرب وعنه أخذ. فأطلعه حفدته على كتابه *الأسنى في المهدي الآتي*، فتصفحه وحصل له العلم بأن جدهم هذا من العكازين، فأنف من أكل طعامهم، وفر منهم فراراً.

أ. الونشريسي، *المعيار*، تح. م. حجي وجماعة من العلماء، 2 : 453، 461، 511، 513، 535، 540 ؛ أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، تح. م. أبي النور، 2 : 35 ؛ أ. بابا التنبكتي، *كفاية المحتاج*، تح. م. مطيع، التراجم رقم 35، 243، 441، 486، 632، 675، 676 ؛ م. المجاطي، *نوازل*، ط. حجرية، 91، 93، 95، 107، 110، 112، 114، 125 ؛ ح. اليوسي، *المحاضرات*، تح. م. حجي وأ. بن. إقبال، 267، 269 ؛ م. المنوني، *ورقات*، 245، 247 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 227، 245 ؛ ع. النجار، *المهدي بن تومرت*، 401، 430 ؛ ع. نجمي، *التعسف والبدعة*، 314، 319، 381، 383.

عبد الله نجمي

عكّي بن **حمو** بن علي ولد سنة 1904 بدوار أمهروق بإقليم خنيفرة وسط عائلة محافظة على التقاليد الإسلامية العريقة، وبعد قيام السلطات الاستعمارية بفعلتها الشنعاء ضد رمز الأمة المغربية ثارت ثائرته فقام بعدة عمليات تخريبية وإتلافات ضد المصالح الاستعمارية، كما شارك في المظاهرة الشعبية التي نظمت بمدينة خنيفرة يوم 20 غشت 1955 حيث أصيب برصاص المستعمر وهو يحمل قطعة خشبية وينادي بأعلى صوته من أجل مواصلة الجهاد.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 511212.

العُكَّيْزْ من "التَّعْجِيزْ" الفصيح، ويعرف كذلك بالأحاجي، فكثيراً ما يتخذ العكيز من "حَاجَيْتَكْ وْمَا جَيْتَكْ" مقدمة له. وهو شكل من أشكال الأدب الشعبي المرتبط بالأرياف وبالليل وبالمسنين وخصوصاً الجدّات. ويتخذ العگيز من الرموز والألغاز عوالم له. يقدم على شكل تساؤل موزون ومقفى. قد يبدأ بالحرف الأول من الكلمة المقصودة. فيقال : "حَاجَيْتَكْ وْمَا جَيْتَكْ" عْلَى الرَّا والرَّا ..." أو ينسج ضاربا في الرمزية ومنفتحا على أشكال مختلفة من التأويل. قد يتوصل إليها المجيب بسرعة إذا كان على علم مسبق بالموضوع لانتشاره، وقد يتوصل إليها بعد اقتراح أكثر من جواب وبعد أن يكون قد حاول التقرب من الجواب. أما في حالة العجز، فعليه إن أراد الحل أن يصرح للسائل بـ : "أَعْطِيتْ حْمَارِي".

ويمس العگيز أو الحُجَّاي مختلف مناحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية ...

وتجدر الإشارة إلى أن هذا النوع من الأدب الشعبي في

طريقه للانقراض شكلاً، أما مضموناً فمازالت الألغاز والتعجيز تطرح في مواضيع عدة وبصيغ مختلفة.

تحريات ميدانية.

Colin, Georges. *La vie marocaine*. Paris, 1953 ; Loubignac Victorien. *Textes arabes des Zaër*, Paris, 1952.

صالح شكّاك

العلاء (بنو -) المرينيون بنو أبي العلاء إدريس بن عبد الله بن عبد الحق بن محيو هم أقرباء السلاطين المرينيين، فكانوا منافسين لهم على العرش، وكان انتقالهم أو نفيُهم إلى الأندلس يخفف من المنافسة على السلطة داخل المغرب منذ تولّي يعقوب الإمارة سنة 656 وخصوصاً بعد تحويله نظام الحكم القبلي القائم على الشورى إلى حكم وراثي في سلالته سنة 669 بعد فتحه مراكش الموحدية وتسميّه بالسلطان وأمير المسلمين ؛ وكان انتقال المعارضين إلى الأندلس يخدم مصلحة الجهاد ضدّ الإسبان ضمن فرق من المغربين خاصة الأقصى وبالأخص من زناتة تحت توجيه السلطة النصرية، وأصبحت العادة أن يرأس هذه الفرق شيوخ مرينيون من قرابة سلطان المغرب سمّوا بشيوخ الغزاة.

ابتدأت مشيخة الغزاة ببني رحّو بن عبد الله بن عبد الحق الذين دخلوا الأندلس في عهد السلطان المريني يعقوب المنصور، ثم تولاّها بعدهم عبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد الحق لفترة قصيرة (خلال العقد الثاني من القرن 7)، ثم انتقلت إلى بني أبي العلاء إدريس بن عبد الله بن عبد الحق فيما بين سنتي 714 و741 وأولهم عثمان (714 ـ 724)، وكان قبل هذا شيخاً لغزاة منطقة مالقة والثغور الغربية، غير أنه كان من أهم أسباب التوتر بين سلاطين غرناطة والمرينيين إضافة إلى تذمّر غرناطة من الحصار المريني الطويل لتلمسان "الحليفة" بين 698 و706 فساعدت على تمرد سبتة ثم استولت عليها سنة 705 ودعّمت عثمان بن أبي العلاء للانتقال إلى شمال المغرب منافساً على العرش خلال الفترة الأخيرة من عصر السلطان يوسف (685 ـ 706) ثم أيام السلطان أبي ثابت عامر (706 ـ 708) إلى أن انهزم سنة 708 وتراجع إلى الأندلس. وكان المباشر لهذه الأعمال ضد المغرب هو أبو الوليد إسماعيل قريب الأمير النصري الذي كان مسؤولاً عن جنوب الأندلس.

بعد عودة ابن أبي العلاء وجماعته إلى الأندلس تواجه مع القشتاليين الذين احتلّوا جبل الفتح وحاصروا مدينة إصطبونة فأبعدهم عنها، وكلّفه أمير غرناطة بدعم حامية مالقة في وجه الحصار الأركوني لها في نفس السنة ؛ وقد أورد ابن القاضي وصفاً مفصلاً للمواجهات بين المسلمين والنصارى خارج المدينة، فذكر هزيمة الشيخ أبي سعيد عثمان ابن أبي العلاء للنصارى المحاصرين في ربيع الأول سنة 709، قال ابن خلدون "وعقد ابن الأحمر لعثمان ابن أبي العلاء زعيم الأعياص [أي العصبية المرينية] على عسكر بعثه مدداً لأهل ألمرية، فلقيهم جمع من النصارى كان الطاغية [الأركوني] بعثهم لحصار مرشانة فهزمهم عثمان، ونزل قريباً من معسكر الطاغية، وألحّ بمغاداتهم ومراوحتهم إلى أن رغبوا إليه في السلم".

وفي الوقت الذي ظهرت بوادر التصالح بين السلطان الجديد في المغرب أبي سعيد عثمان وأمير غرناطة الجديد أبي الجيوش نصر قاد الرئيس أبو الوليد المذكور حركة انفصالية في جنوب الإمارة انتهت باستيلائه على منصب الإمارة في غرناطة بدعم عثمان بن أبي العلاء، فجعله في منصب مشيخة الغزاة منذ سنة 714. واستمر عنصراً من عناصر التوتر بين الضفتين وسبباً من أسباب ضعف الدعم المريني الرسمي للأندلس خلال فترة مشيخته، وإن كان قد أبلى البلاء الحسن في الدفاع عن الإمارة بل ومهاجمة الثغور القشتالية بواسطة المجاهدين المغاربة من زناتة المرينية خاصة، إضافة (إلى مجموعة من بني عبد الوادي). إلا أن نفوذ الشيخ كان يتجاوز مهمته بل إنه منهم بتدبير اغتيال أميره أبي الوليد سنة 725 أثناء عودته من بعض الغزوات. وكاد يتسبب في فتنة داخلية في عهد الأمير الجديد محمد بن أبي الوليد لولا أن هذا لبّى رغبته في قتل وزيره المنافس للشيخ عثمان.

وعندما مات عثمان سنة 729 خلفه في المشيخة ابنه أبو ثابت عامر مستعيناً بإخوته خاصة منهم سلطان وإبراهيم إلى أن نُكبوا سنة 741، ويبدو أن هناك عاملين أساسين في نكبتهم مرتبطيْن ببعضهما : الأول، ضلوعهم في مقتل الأمير محمد بن أبي الوليد سنة 733، والتخوف مما يمكن أن يفعلوه بالسلطان الجديد أبي الحجاج يوسف ؛ والثاني، سوء علاقة بني أبي العلاء بسلاطين المغرب وسعي السلطان أبي الحسن في إبعاد هؤلاء من المشيخة حتى يمكن استمرار التنسيق مع السلطان النصري ضد الإسبان، وصادفت هذه الرغبة المرينية من ابن الأحمر "إسعافاً وقبولاً وحرصاً على ذلك ... حيث كان حذراً منهم لفعلتهم التي فعلوا" مع زبيه أبي الوليد وأخيه محمد (*العبر*، 7 : 774 ـ 775). ومما يدل على تخوّف بني أبي العلاء من تحسن العلاقة بين غرناطة وفاس وجود اتصالات بين بعضهم وملك أركون تتضمن الرغبة في الانتقال إليه وخدمته، هذه المراسلات ـ التي بين أيدينا ـ وقعت بين سنتي 734 و737 وربما استمرت بعد ذلك ؛ وعندما تمكن أمير غرناطة يوسف من القبض على أبي ثابت وإخوته أفلت منهم سليمان من الاعتقال، ولجأ إلى ملك قشتالة، ثم قاتل معه ضد الجيشين المريني والنصري في معركة طريف سنة 741 ؛ أما بقية الإخوة فقد تم نفيهم إلى إفريقية إلى أن شفع فيهم أميرها لدى السلطان أبي الحسن فعادوا إلى المغرب، ثم ظهر منهم ما يريب فاعتقلوا بمكناسة، ولما ظهر أبو عنان مستبدا على أبيه أبي الحسن أطلق سراحهم للاستعانة بهم، فجعل كبيرهم أبا ثابت في مجلس شوراه، ثم ولاه سبتة وبلاد الريف، ثم هلك بالطاعون في نفس العام أي سنة 749 بينما بقي إخوانه مدة في كنف أبي عنان (*العبر*، 7 : 776 ـ 777).

عاد إدريس أحد أبناء عثمان إلى الأندلس ثم لجأ إلى برشلونة، وبعد الانقلاب على ابن الأحمر محمد الغني بالله (الذي سبق لأبيه أن نكبهم) تولى مشيخة الغزاة سنة 760. وأصبح وجوده في هذه المشيخة من أسباب التوتر مع المغرب مرة أخرى بل واستفزاز قشتالة، مما دفع الطرفين إلى دعم الغني بالله لاستعادة عرشه سنة 763 وإعادة المشيخة إلى يحيى بن عمر بن رحو (763 ـ 764) الذي كان يتولاها منذ نكبة بني أبي العلاء إلى الانقلاب على الغني بالله (741 ـ 761).

نخلص من هذا إلى أن دور بني أبي العلاء كان في أغلب الحالات سلبيا تجاه الدولة المرينية خاصة عندما كانوا شيوخا للغزاة في الأندلس حيث ساهموا في توتر العلاقات النصرية المرينية، وظهر الدور السلبي لهم على المستوى الداخلي لإمارة غرناطة في بعض الأحيان. غير أن دورهم الإيجابي تجلى في العمل الجهادي في الأندلس لرد الهجمات الإسبانية خاصة عندما لا تسمح الظروف بجواز الجيوش المغربية النظامية، هذه الرسالة ظل المغاربة يقومون بأدائها طيلة قرون، وعندما أصبحت الظروف معاكسة للدور المغربي في الأندلس أسرعت نحو النهاية.

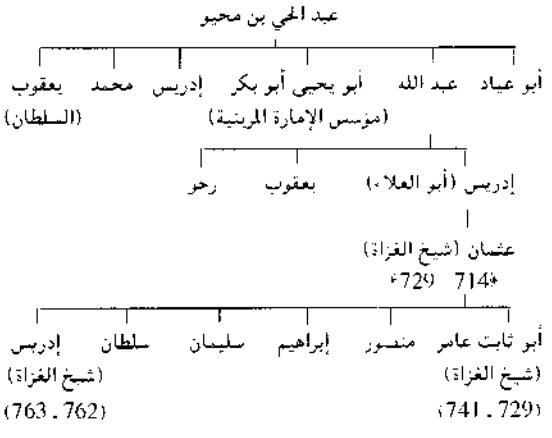

ابن أبي زرع، *القرطاس*، 308 ـ 309 ـ 393 ؛ *الذخيرة السنية*، 125 ؛ ابن خلدون، *العبر*، 7 : 497 ـ 494 ـ 766 ـ 777 ؛ ابن الخطيب، *اللمحة البدرية في تاريخ الدولة النصرية*، 80 ـ 105 ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة*، 4: 365 ـ 371، تح. عنان ؛ *الإحاطة*، 202، نصوص لم تنشر، تح. ع السلام شقور ؛ ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، 3 : 122 ؛ المقري، *نفح الطيب*، 6 : 386 ـ 387، دار صادر، 1968 ؛ ابن القاضي، *درة الحجال*، 1 : 138 ـ 148، ضمن تر. أحمد الجذامي الإسكندراني ؛ مارمول، *إفريقيا*، 1 : 398، تر. حجي ؛ أ. عزاوي، *الغرب الإسلامي من خلال رسائله*، رقم 173 ـ 174 ـ 251 ـ 258 ـ 261 ـ 262 ـ 265 ـ 266 ـ 272 ـ 273 ـ 367 ـ 441 ـ 442 ـ 464، والدراسة التاريخية لهذه الرسالة في الصفحات، 157 ـ 159، أطروحة مرقونة بكلية الآداب بالرباط والقنيطرة.

أحمد عزاوي

العلالي (إيقاع) يرتبط إيقاع العلالي بفرقة العلاليين التابعة لطائفة احمادشة المنتسبين إلى سيدي أحمد بن حمدوش دفين الجهة الجنوبية من جبل زرهون.

تحيي هذه الفرقة فرجاتها بمناسبة موسم سيدي علي بن حمدوش في موازاة الفرجات التي يقيمها الدغوغيون في الموقع المعروف اليوم بـ "سيدي علي"، وكثيراً ما تلتقي الفرقتان في مشاهد احتفالية متلاحقة تتعاقبان فيها بالتناوب على الساحة ومن حولهما جمهور عريض من المشاهدين قبل أن يتوجه الجميع في موكب كبير يخترق أحياء وأزقة مدينة مولاي إدريس نحو ضريحي بني راشد وبني وراد.

وتتميز الممارسات الفنية لفرقة العلاليين بارتكازها المفرط على إيقاعات معقدة الاوزان، حتى أصبح لفظ "العلالي" بمثابة المصطلح الموسيقي الذي يعني إيقاعات معينة أكثر مما يعني الفرجة الاحتفالية ذاتها.

وتشترك في تشكيل الايقاع "العلالي" مجموعة من آلات النقر هي : التعريجة، والطبل، والهراز، وهو عبارة عن أكوال كبير الحجم مصنوع من الفخار شدت إلى طرفة قطعة من الجلد، يُحمل على الكتف ويضرب باليد، إضافة إلى الغيطة التي يساهم النفخ العنيف فيها على النغمات الحادة في إذكاء المشاعر وتأجيج العرض.

وتخضع إيقاعات العلالي لأوزان متعددة تتنقل بين الوزن خماسي الضربات (5 / 4) بما يشبه نسق "الگباحي" في سرابة الملحون، وبين ثماني الضربات (8 / 4)، وثلاثيها (3 / 8) بما يحاكي انصراف القائم ونصف، وانصراف القدام من أوزان الموسيقى الأندلسية.

يشرف على تسيير الرقصة قائد مبتدئا بتحية الجمهور. ويشارك في أحيائها ـ إلى جانب الراقصين ـ نافخ الغيطة، وضارب البندير.

أما الأول ـ ويدعى الگصاب ـ فهو ينفخ في آلته على الطريقة المألوفة بين "الغياطة"، فيحدث صوتا ممتدا بدفع الهواء المخزون في فمه مع التنفس خلال ذلك عبر خياشيمه.

وأما الثاني فهو يستخدم بنديراً ضخماً عليه جلد ماعز.

وتسهم نقرات البندير، وهزات الاكتاف، وضربات الأقدام على الأرض في خلق منظومة إيقاعية متكاملة يضبطها "حساب" دقيق.

ويعتبر "الحساب" العنصر المتحكم في الرقصة فبواسطة تحدد الايقاعات ويضبط الانتقال بين صنوفها المتنوعة. وأهم هذه الايقاعات في رقصة "لعلاوي" :

ـ الخَوْية : نقرة قوية تعلن عن بداية الرقصة.

ـ السبايسية : ثلاث دقات (نقرات قوية) تحدث وسط البندير في حركة سريعة.

ـ لعرايشية : دقة بطيئة تتلوها تَكْتَان بطيئتان (نقرتان خافتتان)، وتتخللها هزات الأكتاف وضربات الأقدام على الأرض.

ـ الجدة : تكة خفيفة تُنقر على جانب البندير تتلوها دقة في وسطه.

- الصّقلة : تكة خفيفة متكررة على جانب الآلة وللقائد الذي يجهر بالحساب أن يتصرف في أنواعه بما يرضي الجمهور.

ص. الترقي، *أضواء على الموسيقى المغربية*، المحمدية، 1977.

عبد العزيز بن عبد الجليل

العلامة السلطانية عرفت بأسماء متعددة، منها العلامة والخاتم والتوقيع، على خلاف في الاصطلاحات بين المشارقة والمغاربة. وهي عبارة عن تأشيرة أو ختم كان الخلفاء والسلاطين يضعونها بأيديهم أو ينقشونها على الرسائل والظهائر.

يعتبر وضع العلامة تقليداً إسلامياً قديماً يعود إلى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد نقل ابن خلدون عن الصحيحين "أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يكتب إلى قيصر، فقيل له إن العجم لا يقبلون كتاباً إلا أن يكون مختوماً، فاتخذ خاتماً من فضة ونقش فيه محمد رسول الله. قال البخاري : "جعل ثلاث كلمات في ثلاثة أسطر وختم به، وقال : لا ينقش أحد مثله". وقد اختلفت نصوص العلامة ومواضعها على الرسائل وطريقة كتابتها حسب تقاليد ومراسيم كل دولة إسلامية أو كل سلطان أحياناً. وأنشأت بعض الدول إدارة خاصة بها عرفت بديوان الخاتم أو ديوان العلامة.

وقد عرفت المراسيم السلطانية بالمغرب استعمال العلامة في المراسلات الرسمية منذ القديم لكن المعلومات عن ذلك غير متوفرة بدقة، ويعتبر ابن الأحمر أهم من أرخ للعلامة السلطانية لملوك المغرب وغيرهم في كتابه *مستودع العلامة ومستبدع العلامة*. وأشار إلى أن "العلامة تكتب بقلم غليظ القطة، وهي شارة في الكتب كالشهادة الشرعية في العقود، وقد اختلفت آراء الملوك فيها : فبعضهم يضعها بيده في الصك بحبر ولم يتخذ لها كاتباً كملوك الموحدين من بني عبد المؤمن بن علي، فإنهم كانوا يكتبون العلامة بأيديهم، ولم يكتبها لهم سواهم، وذلك من أولهم أمير المؤمنين عبد المؤمن إلى آخرهم أبي دبوس". وكان بنو الأحمر بالأندلس يضعون العلامة بأيديهم أيضاً، أما المرينيون فمنهم من كان يضعها بيده، ومنهم من كان يسند وضعها إلى رئيس كتبته أو كاتب علامته، لذلك اتخذ المرينيون منصب كاتب علامة السلطان أو صاحب العلامة، وقد ترجم ابن الأحمر في *مستودع العلامة* لبعض من تولى هذا المنصب.

لقد اختلفت نصوص العلامات كثيراً في الدول المغربية، ورغم عدم وجود أية رسالة أصلية من العصر المرابطي والعصور السابقة له تسمح بالتعرف على طبيعة علامات أمراء تلك الدول، فقد ذُكر أن علامة يوسف بن تاشفين كانت هي "صح ذلك بحول الله". وذكر مؤلف *الحلل الموشية* أن علامته كانت أيضاً هي "الملك والعظمة لله". أما بنو غانية خلفاء المرابطين بالأندلس فكانت علامة محمد بن إسحاق بن غانية منهم هي "وثقت بالله".

تبنى الموحدون من بداية دولتهم إلى نهايتها علامتهم المشهورة والتي نصها "والحمد لله وحده"، ومستندهم في ذلك حديث نبوي وردت فيه هذه الصيغة، أما أول استعمال للحمدلة في العلامة فكان على يد الفاطميين الذين كانت علامة الخليفة الظاهر منهم "الحمد لله شكراً لنعمته". وقد خلد بعض الشعراء علامة الموحدين في أشعارهم، مثل الشاعرة الأندلسية حفصة بنت الحاج الركوني التي خاطبت الخليفة يعقوب المنصور الموحدي بقولها :

يا سيد الناس يا من يؤمل الناس رفده
امنن علي بصك يكون للدهر عدة
تخط يمناك فيه والحمد لله وحده

وخاطب الكاتب الشاعر محمد بن مرج كحل الخليفة محمد الناصر بن يعقوب المنصور عند قفوله من فتح إفريقية بقوله :

ولما توالى الفتح من كل وجهة ولم تبلغ الأوهام في الوصف حده
تركنا أمير المؤمنين لشكره بما أودع السر الإلهي عنده
فلا نعمة إلا بؤدي حقوقها علامته والحمد لله وحده

ظهرت صيغ متعددة للعلامات لدى الدول التي أعقبت الموحدين، فالحفصيون الذين شكلوا استمراراً للموحدين في جميع تقاليدهم ورسومهم أصبحت علامتهم "الحمد لله والشكر لله". أما محمد ابن يوسف بن هود الثائر على الموحدين بالأندلس فكتب في علامته "توكلت على الله".

وبالنسبة للمرينيين ميز ابن الأحمر بين العلامة التي كان السلاطين المرينيون يكتبونها بأيديهم ونصها "وكتب في التاريخ المؤرخ به"، وبين العلامة التي بخط يد صاحب العلامة ونصها "وكتب في التاريخ". واتخذ ملوك بني الأحمر أيضاً جملة "ولا غالب إلا الله" علامة لهم، ثم استعملوا علامة "وكتب في التاريخ" تقليداً للمرينيين، وأيضاً علامة "صح هذا".

وكما اختلفت نصوص العلامة، اختلفت التقاليد السلطانية في مكان وضعها، فبالنسبة للختم النبوي فكان يوضع بأسفل الرسائل النبوية جهة اليسار، كما توضح ذلك الرسائل التي وصلتنا، لكن الدول السلطانية المغربية المتتابعة لم تحافظ كلها على هذا التقليد، ففي بعض الوثائق كانت تكتب في الأعلى بعد البسملة كما فعل الموحدون الذين خالفوا التقاليد السلطانية في كثير من رسومهم وقلدهم المرينيون في ذلك مدة، لكنهم رجعوا إلى كتابة علاماتهم أسفل الرسائل بعد الفراغ من الكتابة كما فعل المرابطون من قبل.

ومنذ العصر السعدي عرفت المراسيم السلطانية ظهور نوع جديد من العلامات هي عبارة عن توقيعات بأسماء السلاطين بطريقة مستوحاة من الطغراء التركية لكن بخصوصيات مغربية واضحة، ووجد في بعض الرسائل توقيع السلطان عبد الملك السعدي بالخط اللاتيني، ثم ما فتئ أن نقشت توقيعات السلاطين على أختام بيضاوية الشكل شديدة الزخرفة، أصبحت توضع بأعلى الرسائل بعد البسملة.

ومنذ العصر العلوي اختفى التوقيع من الطابع وحل محله اسم السلطان مع بعض الشعارات الدينية، وكان يوضع دائماً بأعلى الرسائل بعد الحمدلة.

وظلت العلامة في التقاليد المغربية إلى اليوم في توقيعات العدول أو الموثقين، وتعرف في بعض المناطق بالبخوشة، وهي عبارة عن توقيع معقد يختص به كل عدل يوقع به الوثائق التي شهد عليها، تلافيا لتزويره من طرف عدل آخر.

ابن خلدون، *المقدمة*، بيروت، دار الفكر، 1981 ؛ أبو الوليد بن الأحمر، *مستودع العلامة ومستبدع العلامة*، تح. م. بن تاويت التطواني و. الركي التونسي، تطوان، د. ت. ؛ مجهول، *الحلل الموشية*، تح. زمامة وزكار، الدار البيضاء، 1979.

محمد المغراوي

العلج، أسرة فاسية عريقة ولو أنه لا يعرف أصل تسميتها إن كان جدهم من علوج المغرب أو الأندلس ممن اعتنقوا الإسلام في فترة معينة. وهم أهل مروءة وديانة وحرفة وثروة وفي القرن الثالث عشر (19 م) سُمي بعضهم "العلج" لكونه كان رومياً مسيحياً فهداه الله إلى الإسلام. منهم :

العلج، البشير محمّد العلج المعروف اختصاراً باسم "البشير العلج"، فنّان ممثّل مسرحيّ، وإذاعيّ وسينمائيّ، وتلفزيونيّ، ذاعت شهرتُه بالخصوص في مدينة الدار البيضاء بالمغرب قُبَيْلَ اندلاع الحرب العالميّة الثانية، وارتفع صيته طيلة الأربعينات والخمسينات من القرن العشرين الميلاديّ. كان ممثّلاً مقتدراً ومسيّراً موفقاً لأفراد مجموعته التي تجلّى نشاطها في تمثيليّات ترفيهيّة عبر المحطات الجهويّة للإذاعة المغربيّة بالدار البيضاء اسبوعيّاً رفقة الكفاءات المسرحيّة الشعبيّة التي كان على رأسها الثّنائيّ المغربيّ المتع : بوشعيب البيضاويّ والحبيب القدميري، وكان هذا النشاط الذي استمرّ أعواماً قبل استقلال المغرب وذلك بعد نشاطه الفنيّ الآخر للمسرح والموسيقى والغناء ضمْنَ فرقة "كواكب المغرب" مشاركة مع الملحّن المغني المميّز المعطي المرجاني البيضاوي. وللبشير العلج فضلٌ كبير في ترسيخ فنّان الكمان وزعيم فن موسيقى العيطة محمّد قيبّو ـ المعروف باسم "الماريشال قيبّو" ـ فكثيراً ما يُشْركه في هزليّاته المسرحيّة على خشبة المسارح وفي الإذاعة عازفاً مبدعاً إلى جانب الفنّان المبدع البارز بوشعيب البيضاوي المذكور.

وأوّل ما عُرفَ البشير العلج ممثّلاً ماهراً كان في فرقة مسرحيّة تحمل اسم : "فرقة الهلال التمثيليّة" التي أنشأها محمّد الهرابلي في مدينة فاس وسرعان ما انتقل باسمها إلى الدار البيضاء، التي ظلّت من أواخر العشرينات حتّى مطلع الأربعينيات تستقبل في أبّهة وترحاب الفرقَ المسرحيّة المتعدّدة القادمة إليها من مدن فاس والرباط وسَلا. وسواها، وكذا من البلاد المصريّة.

وكان البشير العلج، في مطلع تعاطيه المسرح، متخصّصاً في الأدوار النسوية نظرا إلى خلوّ المسرح المغربيّ عند قيامه من العناصر النسويّة.

ولعلّ أوّلَ "تصوير" كتابيّ عن الفنّان الصاعد البشير العلج هو الذي سَجّله عنه عمر برّادة ـ أحد مؤيّدي الحركة المسرحيّة قديماً فقد كَتَبَ في جريدة كانت تصدر في مدينة سلا باسم "الوداد" في عددها 121 المؤرخ بيوم الثلاثاء 28 شوال 1360 موافق 18 نوفمبر 1941 (عيد العرش) فقال :

"وما قولنا في صاحب علبة السجاير ؟ ـ ذلك هو البشير العلج، الذي أُوتيَ الموهبة من بابي درب "الجبّاص" وهو شابّ يتوقّد حماساً، وما سبق له أن درس في مسجد أو قَبَضَ على كرّاس، ومع ذلك نجده يحسن الكتابة ويتوفّق في وضع أسلوبها، إلاّ أنّه مولع بمشاهدة الأفلام، ولذا تراه يعرف أسماء الممثلين والممثّلات ورجال المسرح في الشرق والغرب، وميزته الوحيدة أنه يحسن كلّ دور عهد به إليه. يجيد تقليد المرأة في الحركات والسكنات. وإن فاتكم شيءٌ فلا يفوتكم أنّ البشير، أو صوت البشير، كم سَبَّبَ من السهرات".

واستطراداً نقول إنّ مصطلح "التمثيل" هو الذي كان منذ العشرينيات وحتّى أواسط الخمسينيات يطلق على فنّ "المسرح" في المغرب اقتداءً بما كان رائجاً بالمشرق فيما قبل. وكان هذا الفنّان متواضعاً بالرغم من الشهرة التي أدركها. وعندما فُتحَ مركز التمثيل العربيّ في الدار البيضاء خلال شهر يناير 1952 كمدرسة لتلقين قواعد الإلقاء العربيّ والتشخيص المسرحيّ كان البشير العلج مبادراً إلى الالتحاق به إلى جانب العديد من التلاميذ والتلميذات. وكان لحضوره لبضعة أسابيع صدى التقدير والإعجاب. وعندما أنشأت مصلحة الشبيبة والرياضة فرقة مسرحيّة سنة 1954 التحق بها فنّاناً في الرباط مُقَابلَ أجرة شهريّة بالقطعة وكُلّف بتدوين مجموعة من الحكايات والخرافات الصالحة لأنْ تُحَوّلَ سكيتشات، وكان في الوقت نفسه قد أمْسَى مُقدّماً لسهرات تمثيليّة في بعض القاعات السينمائيّة بالدار البيضاء مع مجموعته الشعبية ويحصل مقابلها على مداخيل ماليّة جيّدة، وهذا ما حمله، بعد بضعة شهور، على الانقطاع عن العمل مع الشبيبة والرياضة.

وفي سنة 1955 اختير، إلى جانب عدد من الفنّانين المصريّين والجزائريّين والتونسيّين والمغاربة للمشاركة في تصوير الفيلم المغربيّ المصريّ المُمَوّل فرنسيّاً "طبيب بالعافية"، وذلك بعد ما سبق له ـ قديماً ـ الإسهام في أفلام سينمائيّة بين مطوّلة وقصيرة.

وعند قيام التلفزة المغربيّة التجاريّة "لا طلما" في الدار البيضاء خلال موسم سنتي 1954 ـ 1955 كان البشير العلج من بين الفنّانيم المغاربة المشاركين في إحياء البرامج المسرحيّة لهذه التلفزة مع مجموعته التمثيليّة، كما أنّه، من جهة أخرى، شارك على مدى شهور متوالية من سنتي 1957 و1958 في سلسلة الجولات التمثيليّة الموسيقيّة الغنائيّة

المتنوّعة التي نَظّمتها الإذاعة المغربيّة احتفاءً بزمن الحريّة والاستقلال للمغرب، في برنامجين عموميّين : "اضحك وغنّ" "وسهرة معكم" وكان نجاحه كمنشّط نجاحاً كبيراً.

وكما كان البشير العلج ممثّلاً ومسيّراً ومنشّطاً، كان مؤلّفاً لتمثيليات مجموعته الفنيّة، وكان ينظم كلمات الأغاني لبعض الملحّنين والمغنين.

والبشير العلج متأصّل عن عائلة العلج الفاسيّة، وكان والده قدْ هاجر إلى بلاد السينغال تاجراً، وعندما انتهت حركته التجاريّة هناك، عاد إلى المغرب حيث استقرّ بالدار البيضاء.

توفي الفنّان البشير العلج فجأة، خلال شهر يونيو 1962، وقد أبّنه كاتب هذه السطور في ذكراه الأربعين التي أقيمت بإحدى القاعات السينمائية في الدار البيضاء، ونشرت صحيفة "صوت المغرب" الصادرة عن دار الإذاعة والتلفزيون للمملكة المغربيّة نصّ ذلك التأبين في عددها ليوم 27 يوليوز 1962، كما أبّنه آخرون في نفس تلك المناسبة.

ع. شقرون، *فجر المسرح العربيّ بالمغرب*، تونس، 1988 ؛ *حياة في المسرح*، الدار البيضاء، 1997.

عبد الله شقرون

العلج، الحسين قائد من العلوج يقول الناصري إن أصله من جنوة، ويقول اوخيدا Ojeda أنه كان من مقدونة، في حين يقول فرانشي Franchi إنه من رغوسة ؛ كان قائد خيالة الشراگة وقد قاد الجناح الايمن في معركة وادي المخازن بجانب السلطان، مولاي عبد الملك.

أ. بن خالد الناصري، *الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى*، الطبعة الثانية، الدار البيضاء، 1954، ج 5، ص. 83.

Luis de Ojeda, *Comentario que trata de la infelice jornada del Rey Don Sebastian* (*S.I.H.M. France* I, p. 575-627), p. 548 ; J. Franchi Consetaggio, *L'union du royaume de Portugal a la couronne de Castille*, (*S.I.H.M.) France* t, p. 506-574) ; José Marie de Murga, *Recuerdos marroquies del moro vizcaino, Bilbao 1868*, Madrid 1906, Barcelona, 1907

العلج، رضوان من العلوج البرتغاليين كان مع السلطان مولاي عبد الملك قائداً مكلفاً بتموين الجيش حسب فرانشي Franchi أو بصفته حاجباً كما يؤكد كل من الافراني والناصري ؛ في حين يقول كروث Cruz إنه كان يقوم مقام السلطان مولاي عبد الملك بمراكش بدليل أنه هو الذي دافع عن قصبة المدينة المذكورة وحال دون احتلالها من طرف المتوكل عندما سقطت المدينة بيده في شهر ذي الحجة 984 / مارس 1577 ؛ وفي هذا العدد نتوفر على الرسالة التي وجهها القائد المذكور من مراكش إلى گارتيا گاثپارو Garcia Gazparo يوم 18 جمادى الثانية 985 / 2 سبتمبر 1577.

وقد شارك هذا القائد في معركة وادي المخازن حيث يقول كل من الافراني والناصري أنه هو الذي كان يصدر الأوامر وكأنها صادرة عن الملك عبد الملك بعد وفاته.

ومما يدل على شهرته الكبيرة أن الكاتب الروائي الاسباني لوپي ذي فيگا Lope de Vega يذكره في روايته التي تحمل عنوان : Tragedia del Rey Don Sebastian (مأساة الملك ضوت سيباسطيان).

م. الصغير بن محمد الإفراني، *نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي*، الطبعة الثانية، الرباط، بدون تاريخ ؛ أ. بن خالد الناصري، *الاستقصا لأخبار دول الأقصى الأقصى*، الطبعة الثانية، الدار البيضاء، 1954، ج 5، ص. 80 - 87.

Luis de Ojeda, *Comentario que trata de la infelice jornada del Rey Don Sebastian*, (*S.I.H.M.* France I, p. 575-627), p. 590 ; J. Franchi Consetaggio, *L'union du royaume de Portugal a la couronne de Castille*, (*S.I.H.M.) France* t, p. 506-574), p. 535 ; Cruz (Fr. Bernandro da), *Chronica de El Rei don Sebastian*, Lisboa 1837 y 1903 ; Queiroz Velloso, I. M. de, *Don Sebastian* (Traduccion Española por Ramon de Garcia sol), Madrid 1943, p. 289.

محمد ابن عزوز حكيم

العلج، السلاوي علج هولندي الأصل اسمه الحقيقي (Salay Mijner)، التحق بصفوف الأسطول الجهادي السلاوي خلال العهد الدلائي. وقد تعرض في سنة 1064 / 1654 لهجوم مفاجئ من السفن الهولندية أثناء عودته من موسمه بمحتويات غنائمه ؛ ورغم العلاقات الجيدة الهولندية ـ الدلائية استولت إحدى القطع على خمسة أسرى مسيحيين من سفينته، قدرت قيمتهم بخمسمائة ريال.

S.I.H.M., Ie s. Pays-Bas, t. v, p. 501.

حسن أميلي

العلج، سليمان اسم اتخذه الإسباني القرطبي فيرناندو ذيل پُوثُو Fernando del Pozo. الذي سقط اسيرا بيد قراصنة مغاربة فاعتنق الإسلام وأصبح من القواد العلوج الذين كانوا يحرسون باب السلطان عبد الملك السعدي، وقد رافقه في معركة وادي المخازن.

Luis de Ojeda, *Comentario que trata de la infelice jornada del Rey Don Sebastian*, (*S.I.H.M. France* I, p. 575-627) ; José de la Torre, El *renegado Cordobes SOliman del Pozo y la batalla de Alca zarquivir*, *Bol. Real Academia Ciencias de Cordoba*, Año XVI, n 52, Enero / Marzo 1945, p. 47 - 65.

العلج، شعبان قائد شارك في معركة وادي المخازن بجانب السلطان المتوكل ثم فر إلى مدينة أصيلا التي كانت آنذاك بيد البرتغال، ومنها التحق بالأمير مولاي الشيخ ابن السلطان المذكور بلشبونة. ظل بجانبه إلى أن اعتنق هذا الأخير دين الضلال.

Archivo General de Simancas (España) ; *Colección de documentos inéditos para la historia de España* (Codoin), Madrid 1842 - 1895.

العلج، الطّبيبي، قائد من العلوج البرتغاليين كان بجيش السلطان عبد الملك السعدي يقوم بمهمة الترجمة وشارك في معركة وادي المخازن.

Luis de Ojeda, *Comentario que trata de la infelice*

jornada del Rey Don Sebastian, (S.I.H.M. France I. p. 575-627), p. 619.

محمد ابن عزوز حكيم

العلج، عبد الرحمن، فرنسي الأصل، من أسرة نبيلة تدعى دوستلي، كان سنة 1849 ضابطاً مهندساً بالجزائر، ففشل في مغامرة غرامية اضطر بعدها إلى الخروج إلى تونس ثم إلى المغرب، أسلم وحسن إسلامه وسمى نفسه عبد الرحمن، نزل بمدينة العرائش وعاش بها خفي الحال، وفتح معملاً لصنع الصابون ومواد أخرى وكان يذهب إلى طنجة للتجارة، فأُخبر به السلطان المولى عبد الرحمن فاستدعاه إلى مكناس وعهد إليه بترصيف طريق فاس وأغدق عليه العطايا وألزمه بمصاحبة، ثم ازدادت مكانة المترجم وحظوته عند السلطان محمد بن عبد الرحمن، فكان يطلعه على دواخله، وزوجه بامرأة من دار المخزن فولدت له ولدين.

كان المترجم ماهراً في الرياضيات فانتفع به فيها المهتمون بذلك ومنهم الرياضي إدريس بن الطايع العلوي (ت. 1322).

قام المترجم بخدمات جلّى، منها بناء مشور فاس، وباب بوجات، وحوّل مجرى وادي فاس الذي كان يمر تحت حيطان المنزه السلطاني، وبني قناطر الطريق الموصلة من فاس إلى مكناس، وقنطرة واد مكّس. وكان أيضاً خبيراً بصنع الساعات الشمسية، يسطر الرخامات ـ حسب القوانين الفلكية، لمعرفة الأوقات بظل الشاخص فيها، وهي من أقدم الآلات التي استخدمت في تقسيم الوقت، من اختراع البابليين أو اليونانيين، فصنع وركب عدداً من هذه الساعات داخل القصور الملكية.

وفي عهد الحسن الأول أسندت إلى المترجم أمور المدفعية، وكلفه السلطان بمراقبة حساباته، وأنعم عليه بسكنى المامونية بمراكش.

توفي بفاس سنة 1296 / 1879 ودفن بمقبرة باب المحروق بين المسلمين.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 7 : 2665 ؛ ع. ابن إبراهيم، الإعلام، ط 2، الرباط، 1977، ج 8 : 144 ـ 146 ؛ نقلا عن *رحلة الوزير* المفوض الفرنسي بالمغرب هـ. دولامارتنيير.

محمد حجي

العلج، عبد القادر (الحاج ـ) بن **محمد** الفاسي، من آل العلج المعروفين بفاس، ومن رواد الحركة الوطنية، عمل في صفوف كتلة العمل الوطني، وبعد انشقاق الكتلة انحاز إلى فريق الأستاذ محمد حسن الوزاني، فكان في طليعة السياسيين القوميين الذين لا تلين قناتهم، صديقاً حميماً للزعيم الوزاني لا يكاد يفارقه وشارك في الأحداث الوطنية الكبرى فدخل السجن أكثر من مرة، وعذب على كبر سنه لصلابته في الحق.

توفي بفاس صباح الخميس 22 رجب عام 1379 / 21 يناير 1960.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 9 : 3346 ؛ آ. معنينو. *ذكريات ومذكرات*. طنجة، د. ن، ج 4 : 119.

محمد حجي

العلج، عبد القادر المدعو قدور. ايطالي الأصل، هداه الله للإسلام فدخل مدينة فاس "وأخذ يبيع شراب القهوة بأحد حوانيت السبيطريين، ثم أراد الانتقال من فاس لطلب المعاش لكنه رجع عن فكرته بأمر من بعض الأولياء في وقته، فاشتهر أمره في الطب ووقع عليه إقبال عظيم.

أصابه العمى فعالج نفسه نحو ستة أشهر، وازداد الإقبال عليه فكان المريض لا يمكنه الاتصال به إلا بعد مدة لكثرة الازدحام عليه.

توفي بفاس عام 1280 / 63 ـ 1864.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 7 : 2624.

محمد ابن عزوز حكيم

العلج، عبد الله الألماني، اسمه الأصلي شنايتمادل (ريشارد ـ) R. Schneitmadel . كان سنة 1871 مستخدماً بالقصر السلطاني بعد هروبه من اللفيف الأجنبي والتحاقه بالمغرب واعتناقه أو تظاهره باعتناق الدين الإسلامي. وكان قبلها سنة 1868 مكلفاً بعصر السكر بمراكش وكذلك بعمل القطن. وكان عميلا لدولته التي لم ترد الدخول في مذاكرات معه سنة 1877 لأنه كان مأموراً بتتبع نشاط الأوربيين ولاسيما الفرنسيين. ويروى أنه اخترع كبراً كبيراً "عجيب الصنع، غريب الشكل" وكان يدعى "معلم الفابريكة" الذي أراد قبل سنة 1871 مغادرة مراكش حتى "عيل صبره، واستبطأ الجواب وطلب الإذن للتوجه لثغر الصويرة بقصد المقام بها"، ولم يتأن ففر في السنة المذكورة تاركاً المعمل و "كل مسألة يخصها حاجة قد أخفاها العلج المذكور لما تشاجر مع القائد إبراهيم الگراوي عامل القصبة بمراكش على المؤونة التي انقطعت عنه حتى وقع في الفابريكة تفريط" فأمر مولاي الحسن بالاحتيال عليه حتى يظفر به ويؤمر برد ما أخفاه".

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 4 : 1458 ـ 1458 ؛ ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، 3 : 556 ـ 560.

Pierre Guillen, *L'Allemagne et le Maroc, 1870 - 1905*, p. 26, Paris, 1967.

مصطفى بوشعراء

العلج، علي قائد بجيش السلطان المتوكل كان بجانبه عند ما لجأ إلى قصبة أسنادة بقبيلة بني يطفت الريفية في شهر رمضان 985 / نوفمبر 1577، وقد شارك بجانب السلطان المذكور في معركة وادي المخازن.

San Roma, Fr. Antonio de, *Jornada y muerte del Rey Don Sebastian*, Valladolid, 1603 ; Fr. Bernardo da Cruz, *Chronica de El Rei Don Sebastian*, Lisboa 1837 y 1903.

محمد ابن عزوز حكيم

العلج، عمر من رياس البحر الأوائل البارزين في عهد سيدي محمد بن عبد الله، وهو علج برتغالي الأصل سافر قبل إسلامه إلى البرازيل وهو ما جعله خبيراً في الميدان الملاحي حيث نال الحظوة لدى السلطان بفضل ذلك. وكان متصفا بالشجاعة والإقدام، وإتقانه للغات متعددة.

كان في سنة 1180 / 1766 يقود سنبكا مجهزا ببطارية من ستة عشر مدفعا وبطاقم مؤلف من مائة وأربعة وعشرين رجلا. وقد تمكن في أبريل من السنة اللاحقة من السيطرة على السفينة الفرنسية "La Thérése" وقادها إلى تطوان، وأردف ذلك باستيلائه في أقل من أسبوع على سفينتين فرنسيتين أخريين "La Mutine" و"L'Ulysse"، وقاد غنائمه إلى المعمورة.

وقد أدت هذه التجاوزات إلى تدخل السفير الفرنسي الكونت دو برونيون (C. de Breugnon) الذي كان آنذاك بالمغرب للتوقيع على معاهدة السلم، دافعا السلطان سيدي محمد بن عبد الله إلى التبرؤ من سلوك الرايس عمر، وإلى إيفاد أمير البحر المغربي الرايس صالح والقائد علي رفقة الدبلوماسي الفرنسي بوطونييه (Pothonier) إلى المعمورة من أجل إيقاف الرايس عمر العلج ومعاقبته وإقالته من منصبه. ويشير القنصل شونييه إلى أن الرايس عمر قد أسر له حين التقائه به في الصويرة أن ضيعه إنما كان تنفيذاً لما أمر به ؛ ورغم ذلك اختفى اسم هذا الرايس من لائحة الرياس منذ سنة 1182 / 1768.

الرئاسة، ص. 1 ـ 2 ؛ ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 3، ص. 259 ـ 260.

Chenier, *Journal*, op. cit., p. 58 - 60, 96-97 ; Jacques Caillé, *Les prises du Raïs Omar*, *Hespéris-Tamuda*, vol. I, 1960, p. 273 - 274, 276 - 277, 283.

حسن أميلي

العلج، مامي قائد من العلوج الاسبانيين كان بجيش السلطان مولاي عبد الملك وقد فر من معسكره إلى معسكر الملك البرتغالي ضون سيباسطيان Don Sebastian ليلة معركة وادي المخازن صحبة الأمير مولاي الناصر بن عبد الله الغالب والقائد الرپوسو El Rapozo.

Bautista Morales, *Jornada de Africa del Rey Don Sebastian de Portugal*, Sevilla 1622 y Madrid 1889.

محمد ابن عزوز حكيم

العلج، محمد بن عبد الرحمان المراكشي، (سولتي الابن) لأنه ولد بمراكش سنة 1862، وكان ممن اختيروا للتعلم بالخارج، فكان عضواً في البعثة الثانية إلى فرنسا، بمدرسة الهندسة بمونبوليي من سنة 1885 إلى سنة 1888. ولما تخرج منها رجع مدة إلى المغرب، وكان من أنجب الطلاب.

غير أنه أصبح مخبراً للسفوضية الفرنسية، وكانت مراسلاته معها موجودة بقصر ڤانسين حتى اختفت منه فجأة.

ولما كان يتعلم هنالك سنة 1888 طلب اكتساب الجنسية الفرنسية التي أباها عليه شارل فيرو Ch. Feraud وزير فرنسا بطنجة، لأن ذلك كان مضراً بالبعثة كلها وتنشأ عنه تحرشات وأقاويل. ولكنه مع ذلك نالها بالفعل قبل سنة 1896، حسب رسالة سلطانية إلى الطريس ففي فقرة لا نجد أبلغ منها تعبيراً عن حالته : فهو قد تفرنس، وبدنُه تعرض للتهديد بالقتل ورفيقه قُتِل، فنتج عن ذلك قبض تعويض مالي.

قالت الرسالة إن نائب فرنسا "أجيب عن دعوى رعيتهم محمد دو سلطي (بما وقع له من التهديد بالقتل بوادي سالم من بلاد الغربية، إيالة عامل طنجة، ونجا بنفسه بعد قتل رفيقه سلام بالبارود) بتنفيذ العدة التي قيدوها في معارضة ذلك، وقدرها خمسة آلاف ريال (16 جمادى الأولى 1314 / 23 أكتوبر 1896، تطوان 20 / 30) ومن هذا يظهر أنه كان منغمراً في خدمة المصالح الفرنسية، فكان قبل ذلك مقيماً بمدينة مغنية بالجزائر بوصفه تاجراً وبها ولد له طفل أسماه جوزيف هنري بن محمد بن عبد الرحمان العلج المراكشي J. Henri de Saulty. ولم تنقطع صلته بالمغرب الذي رجع إليه سنة 1912، ولما وصل إلى مراكش أسره أحمد الهبة وأسر معه جماعة من الفرنسيين.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 4 : 1376 و1456 ؛ العباس بن إبراهيم، *الإعلام*، 2 : 454، حيث تر. عبد الرحمن العلج بقلم هنري دي لا مارتنيير ؛ *وثائق مخزنية*.

H. de La Martinière, *Souvenirs du Maroc*, 196 ; J.L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, I : 26, 4 : 96 ; Jacques Caille, *Les marocains à l'école du génie de Montpellier : 1885 - 1888*, in *Hespéris*, vol. XLI, 1954, p. 131 et suivantes.

مصطفى بوشعراء

علاّ (آيت -) عمر ولد سنة 1920 بقصر كوان ملحقة ميدلت إقليم خنيفرة.

انضم لصفوف المقاومة السرية عندما تم إبعاد محمد الخامس وأسرته المالكة إلى جزيرة مدغشقر حيث شارك في عدة عمليات تخريبية لمصالح المستعمر وذلك بحكم عمله بمناجم أحولي ميبلادن، حيث تخصص مع مجموعة من رفاقه في صنع المتفجرات إلا أنه تعرض للاعتقال وحكم عليه بالسجن لمدة سنتين إلى أن جاء عهد الاستقلال.

توفي يوم 15 ـ 11 ـ 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 520441.

العَلاّف، ترد لفظة عَلاّف، في المعاجم والقواميس العربية التي رجعنا إليها، قديمها وحديثها، بمعنى بائع أو صاحب العَلَف، أي كل ما تطعم به البهائم والدواب من نبات وحبوب. وعند ابن منظور أن جمع عَلَف هو عِلاّف،

مثل جَبَل وجبال. والكلمة طبعا مُشتقه من عَلَف يَعْلفُ، ولها ارتباط وثيق بالدواب، وبخاصة تلك التي تستعمل في الحروب، إما في خلال العمليات القتالية والمعارك كالأفراس والجياد، أو في نقل المؤن والعتادُ الحربي والذخيرة كالإبل والبغال ... وقد اتسع مدلولها ليعني الشخص الذي يَتَولَّى توزيع الرواتب والمؤن، ومن ضمنها قيمة مقادير علف دواب الفرسان اليومية، على فرقة أو أكثر من فرق الجيش. ثم فيما بعد، صارت تُطلق على وزير الحرب، إذ تسميه الوثائق المخزنية بالعلاف الكبير.

ويبدو أن هذه التسمية حديثة العهد في الاصطلاح العسكري المغربي، إذ لا أثر لها في عدد من مصادرنا العربية كالمعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي، أو البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي، أو مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء لعبد العزيز بن محمد الفشتالي، أو نزهة الحادي في أخبار ملوك القرن الحدي لمحمد الصغير الإفراني ... فكل ما هناك، أن صاحب "البيان المغرب ..." قد أورد لفظة علف، في سياق حديثه عن الحملة العسكرية التي قادها الخليفة الموحدي يعقوب المنصور (580 ـ 595 / 1184 ـ 1199)، في مستهل شهر ربيع الأول من سنة 588 لمنتصف شهر مارس من سنة 1193 ضد مدينة شَنْتَرين الأندلسية، حيث قال :

"... وحدث في هذا اليوم (21 ربيع الأول 558)، على عسكر أهل مرسية حدث مُروعٌ، وذلك أنهم خرجوا للإغارة في بسائط النصارى، فخرجوا عليهم وهزموهم بعد حروب شديدة، ووصلوا للمحلة مهزومين مفلولين. وأخذت من دواب المسلمين خمسون ذابة خرجت برسم العَلَف ..."

وأورد الإفراني، من جهته، في مُؤَلَّفه "نزهة الحادي ..." فقرة من رسالة للسلطان عبد المالك السعدي (984 ـ 986 / 1576 ـ 1578) إلى صنوه أبي العباس أحمد، يأمره فيها بفرض مئونة المحلة التي كانت معه على قبائل المنطقة التي حطت الرِّحَالَ بها، نَصَّت على ما يلي : "... وهذا وأنه ساعة وصوله إليكم، تُخْرِجوا (هكذا) من الخُدَّام لعمالة مكْنَاسَة وزَمُور وأولاد جَلُّول، مَن يفرض عليهم علف مَحلتنا المنصورة ومئونتها، وتأمرهم برفعه وإبلاغه لمدينة سلا..."

وأيّاً كان الأمر، فإن اهتمام المخزن بقطاع الجيش قد ازداد وتوطَّد العزم على ضبط وترتيب أموره، بعد أن عاين الخليفةُ سيدي محمد بن عبد الرحمن الذي كان حاضراً في وقعة إيسلي في صيف سنة 1844 بضاحية مدينة وجدة، الحالة المزرية التي بَرَزت بها مختلف فصائل وتنظيمات الجيش المغربي في ميادين الوغى والقتال، إذ لا نظام ولا انضباط في القتال. ولهذا، اتجهت عناية المخزن، منذ هذا التاريخ، إلى تأسيس نواة جيش نظامي، يكون معظم عناصره من الرماة ويُكَوَّنون ويُدَربوه على طرق الحرب الحديثة. فكان من جملة الترتيبات والتدابير التي اتخذت في هذا الصدد، إسناد مهام توزيع الرواتب والمؤن على عناصر كل طابور من طوابير الگيش والعسكر إلى شخص أو شخصين، اصطلح على تسميتهما بالعَلاَّفَين، في حين ظلّ رؤساؤهم العسكريون يختصون فقط بمهام تكوينهم وتدريبهم وتأطيرهم في ميادين الحرب والقتال. وهذا كله بهدف عدم إتاحة الفرصة لهؤلاء الرؤساء للتدليس على المخزن أو التلاعب والعبث بحقوق ومصالح جنودهم على حَدٍّ سواء، وذلك إمّا باللجوء إلى حيلة "المنفوخ"، أي استئجار خدمات أشخاص لا علاقة لهم البَتَّةَ بالجندية، وإظهارهم يوم الاستعراض، ثم الاحتفاظ برواتبهم ولوازمهم العسكرية، بعد الانتهاء من عملية العَدِّ والمُراقبة، أو باقتراف بعضهم العسف والتجاوز ضد الجنود بشَتَّى وجوهه، كالاقتطاع من رواتبهم، أو الاحتفاظ بقسطٍ من المئونة أو العلف الخاص بالدواب. واتَّضَحَ جَلِيّاً توجُّه المخزن هذا وتَرَسَّخَت حَتْمِيَّتُه في الأذهان، بعد هزيمة تطوان سنة 1859 ـ 1860، أمام الجيش الإسباني، وذلك بإعادة النظر في تركيبة الجيش وطُرق تنظيمه وأساليب تكوين عناصره وتدريبهم. ووصولا إلى هذه الغاية، أحدث السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن (1276 ـ 1290 / 1859 ـ 1873) وزارة خاصة بقطاع الجيش دُعِي المكلف بها "العلاف الكبير".

ونظراً لحساسية المنصب وخطورته، فقد تولاه، أول الأمر، الفقيه عبد الله بن أحمد، أخوا الحاجب موسى بن أحمد ولمُدة فاقت العشر سنوات. ثم تعاقب على رأسه، في عهد السلطان مولاي الحسن (1290 ـ 1311 / 1873 ـ 1894)، الوزير الصدر وصهر العاهل محمد بن العربي الجامعي، وبعده أخوه محمد الصغير. وأسندت مهام "العلاف الكبير" أو وزير الحرب، أيام السلطان مولاي عبد العزيز (1311 ـ 1326 / 1894 ـ 1908) إلى كل من سعيد بن موسى، صِنْو الوزير الصدر أحمد بن موسى، ثم إلى رجل المخزن الجديد في وقته المهدي بن العربي المنبهي، وبعده إلى مَحمد بن مُحمد الجَبَّاص. وأما في العهد الحفيظي، فقد أسندت هذه المهام، على الخصوص، إلى القائد المدني بن مُحمد الگلاوي.

غَنِيٌّ عن البيان أنَّ واحداً فقط من بين هؤلاء المسؤولين المخزنيين الكبار، ونَعني به الطالب مَحمد بن مُحمد الجَبَّاص هو وحده الذي تلقى تكوينا وتعليماً خَارج المغرب وله علاقة بالمهام التي أسندت إليه وأمّا بَاقي المذْكُورين، وبالخصوص الفقيه عبد الله بن أحمد والجامعيين، فلا صِلَة لهم البتة بقطاع الجيش وشؤونه.

وإليك نماذج من الكتابات المخزنية التي يرد فيها ذكر لبعض علاقة الگيش والعسكر، أو للعلاف الكبير والتي نَستشف منها المكانة المرموقة التي كان يتمتع بها هؤلاء الأعوان المخزنيون لدى السلطان وكذلك في الجهاز المخزني بصفة عامة. ومن ذلك مثلا، حضور علاَّفة تنظيم گيش عبيد البُخاري بمكناس، وهم بوعزة بن العربي القشار البُهاري، ومحمد بناصر، ومحمد بن عبد الله، وصالح بن يوسف،

وقاسم الشَّبّار، في مراسيم عقد بيعة أهل المدينة المذكورة للسلطان مولاي الحسن، وذلك أواخر شهر رجب 1290، الموافق للعشر الأواخر من شهر سبتمبر 1873. وأمّا المثال الثاني، فنستقيه مما خاطب به الحاجب موسى بن أحمد أخاه الفقيه عبد الله السالف الذكر، ولكن هذه المرة بصفته باشا فاس العتيق، إذ كتب ما يلي :

"... فقد اقتضى نظر مولانا أيده الله (السلطان مولاي الحسن)، أن يُوَجَّهَ على العَلاَّفَيْنِ العَسْكَرِيَّيْنِ من طبور الحاج مُبارك الحاحي، وهما المصطفى الجزيري وعبد القادر العَمّالي، وأخْبَرَنا بأنهما بفاس، فإن كانا به، فَوَجِّهْهُما عن الأمر الشريف عزماً، وإن لم يكونا به، فإن خال مولانا السيد محمد بن العربي (وزير الحرب) كتب لقائدهما بتوجيههما ...".

وكما هو الشأن بالنسبة لعدد من المهام والوظائف في الجهاز المخزني، وكذلك في باقي القطاعات الاجتماعية والثقافية الأخرى، فإن مصادرنا تفيد أن مجموعة من الأسر، ظل أبناؤها يتوارثون، على مدى جيلين أو أكثر، منصب علاف الگيش والعسكر. فعلاوة على آل الفشار الذي أومأنا أعلاه إلى واحد منهم، هناك آل ابن هَطّال الفاسيين والذين كانت تربطهم وآل المقرى أواصر المصاهرة، وآل إگيدر...

ابن عذاري، *البيان المعرب*، بيروت، 1985 ؛ ع. العزيز الفشتالي، *مناهل الصفا*، تطوان، 1964 ؛ الإفراني، *نزهة الحادي*، الدار البيضاء، 1998 ؛ ابن منظور، *لسان العرب*، بيروت، 1994.

مصطفى الشابي

ابن **علاّل، الحسن** بن العربي قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلته بني توزين انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف سيدي امحمد أمزيان ضد التدخل العسكري الاسباني بناحية الناظور ؛ وقد شارك في عدة معارك إلى أن لقي الشهادة في المعركة التي جرت بقرية عزيب علال وقدور يوم 28 جمادى الأولى 1330 (15 ماي 1912) والتي استشهد فيها زعيم المقاومة الشريف سيدي امحمد أمزيان.

أعمال ندوة الشريف أمزيان والمقاومة المسلحة في الشمال الشرقي (1909 . 1912)، تطاون، 1996.

ابن **علاّل، عبد السلام** بن العربي قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلته تافرسيت انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي تزعمها الشريف سيدي امحمد أمزيان ضد التدخل العسكري الاسباني بناحية الناظور ؛ وقد شارك في كثير من المعارك إلى أن كتبت له الشهادة مع زعيم المقاومة سيدي امحمد أمزيان في المعركة عزيب علال وقدور التي جرت يوم 28 جمادى الأولى 1330 (15 ماي 1912).

أعمال ندوة الشريف أمزيان والمقاومة المسلحة في الشمال الشرقي (1909 . 1912)، تطاون، 1996.

محمد ابن عزوز حكيم

علال بن **عبد الله** ولد سنة 1916 في بيت متواضع الحال تشبع منذ صباه بروح العزة والكرامة فرغم فقره المادي كان من ذوي النفس الأبية والحمية الوطنية. لم يكن منخرطا في أية منظمة أو هيأة من الهيئات السياسية الموجودة بالمغرب آنذاك.

احترف مهنه الصباغة التي استهوته كعمل قار في ورشة صغيرة بحي الكعاري بمدينة الرباط حيث كان يقيم مع أسرته الصغيرة المتكونة من زوجته وولديه يعيش معهم عيشة بسيطة.

وفي خضم الأحداث التي عرفها المغرب عقب نفي محمد الخامس تحرك إيمانه القوي وحبه لوطنه وشعبه وملكه. فأقدم يوم فاتح محرم 1373 على عمل بطولي إذ هاجم السلطان محمد بن عرفة عندما كان خارجا لأداء صلاة الجمعة في مسجد أهل فاس بحي توارگة بالرباط، مخترقا الصفوف بسيارته البسيطة ومحاولا طعن ابن عرفة فتصدى له الحرس الفرنسي وأردوه قتيلا رميا بالرصاص، وكان سنه سبعا وثلاثين سنة ودفن في مقبرة الشهداء بحي لعلو بالرباط.

ابن **العلاّم، إدريس** بن محمد، خادم سامي، أصله عبد معتوق من عبيد البخاري. تولى قيادة المشور في عهد السلطان مولاي الحسن بعد وفاة رئيس المشور القائد محمد بن يعيش أواخر رجب 1298 / 1881، واستقر يمارس مهمته تلك في عهد مولاي عبد العزيز وكان ضليعا في المؤامرة التي حاكها الصدر الأعظم الحاجب "بااحماد" ضد الجامعيين الذين كانوا مقربين من مولاي الحسن. فهو الذي قام بإبلاغ المعطي بن العربي الجامعي الصدر الأعظم إعفاءه وأخيه محمد الصغير وزير الحربية من مهامهما، وأمرهما بلزوم دارهما لأنهما طغيا في البلاد وشقا عصا الطاعة. كما وجه ابن العلام الأمر بعد ذلك لباشا مكناس حم بن الجيلالي البخاري لإلقاء القبض عليهما وصهرهما العربي الزيدي، واستئصال أموالهم ومخلفاتهم من الأثاث وبيعها.

وتقديراً لخدماته أضاف إليه باحماد عمالة مدينة فاس سنة 1318 / 1895.

وعند وفاته سنة 1317 / 1899، صودرت أملاكه وصفيت في ظروف الضائقة المالية التي انتهى إليها المخزن العزيزي،

وعومل كما لو كانت أمواله من حق سيده باعتباره كان عبدا معتوقا.

ابن زيدان، *الإتحاف*، 1، ص. 378 ؛ *الإتحاف*، 2، ص. 125 ـ 196 ؛ *العز والصولة*، ج 1، ص. 32 ؛ م. الشابي، *النخبة المخزنية في مغرب القرن التاسع عشر*، منشورات كلية الآداب بالرباط، 1995، ص. 66، 116 ـ 132.

رقية بلمقدم

العلاوي، محمد ولد سنة 1910 بدوار أولاد أليو بتافو غالت.

يعتبر الفقيد من الرعيل الأول لرواد الحركة الوطنية الذين شاركوا في الكفاح الوطني ضد الاحتلال حيث انخرط في حزب الاستقلال واكتسب وطنية صادقة أهلته لتحمل عدة مسؤوليات داخل الخلايا التي انخرط فيها كما شارك في انتفاضة 17 غشت 1953 التي شهدتها مدينة تافوغالت حيث تم اعتقاله من طرف السلطات الاستعمارية ليقضي مدة سنتين بالسجن.

توفي يوم 13 دجنبر 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 523227.

عَلُوشْ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Alux.

علوش، (الحاج) أحمد بن أحمد كان من بين أعيان تطوان وتجارها الذين بايعوا الأمير مولاي سعيد بن مولاي اليزيد سلطانا بتطوان يوم 12 جمادى الثانية 1236 (17 مارس 1821).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1181.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **علوش، أحمد** ولد سنة 1925 بتالمست اهروشن إقليم تازة وكان يسكن قبل الوفاة بدوار تالمست.

انضم إلى صفوف جيش التحرير في أكتوبر 1955 وعمل ضمن التشكيلة التي كان يرأسها محمد بن علال بمركز بوزينب إلى أن استشهد رحمه الله يوم 15 أكتوبر 1955 بعدما اصيب بطلقات مدفعية من العدو الاستعماري ببوزينب بتازة رحمة الله عليه.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 504546.

علوش، محمد عيسى، ولد سنة 1925 بأسفين نواحي الحسيمة انضم لصفوف جيش التحرير بالشمال سنة 1955 وشارك في عدة عمليات فدائية إلى جانب رفاقه في تشكيلة الكفاح في سبيل الوطن إلى سنة 1956، وقد عرف الشهيد بقوة عزيمته وصموده في وجه المستعمر إلى أن ظفر بالشهادة في بني ونجل وذلك سنة 1956.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 406134.

علوش، محوش بن عبد القادر، ولد سنة 1920 بدوار تيناست فرقة أولاد احساين قيادة بني عمارت إقليم الحسيمة، كان متزوجا وأبا لثلاثة أبناء، عاش في مسقط رأسه، وكان فلاحا متواضعا لينضم بعدها إلى الجيش الاسباني ثم تخلى عنه بعدما اكتسب خبرة واسعة في صفوفه وتدرب على ألوان الحرب والنزال وعلم بنوايا الاعداء ثم عاد إلى مسقط رأسه وإلى مهنته الأولى.

انضم إلى صفوف جيش التحرير بمركز "الماعلي" يوم 2 أكتوبر من سنة 1955 وعمل بالوحدة التي كان يرأسها العباس ضمن تشكيلة الغرب تحت قيادة محمادي امعيز، وبحكم عمله في صفوف الجيش الاسباني اطلع على تقنية استعمال السلاح الحديث مما سمح له بأن يدرب رفاقه في جيش التحرير على حرب العصابات وأفادتهم من الخبرة التي اكتسبها.

خاض الشهيد معارك متعددة في صفوف تشكيلته مسلحا برشاشة وعرف بالبسالة والشجاعة إلى أن استشهد بمعركة البرير يوم 17 أكتوبر من سنة 1955 واهباً روحه في سبيل الحرية والاستقلال رحمة الله عليه.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 520845.

ابن **علوش، مسعود** ولد سنة 1900 بدوار الماعلي.

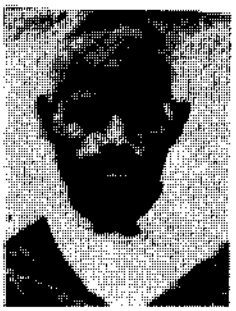

انضم الشهيد يوم فاتح أكتوبر 1955 إلى صفوف جيش التحرير ضمن التشكيلة التي كان يرأسها محمد بن علال بمركز بوزنيب حيث شارك في عدة هجومات إلى أن استشهد يوم 17 أكتوبر من نفس السنة التي التحق فيها بجيش التحرير وذلك إثر اصابته برصاص جنود العدو في معركة وقعت بجبل عونا بإقليم تازة رحمة الله عليه.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 504519.

علوش، مفتوح ولد سنة 1912 بجزناية إقليم تازة.

انخرط في صفوف جيش التحرير منذ انطلاقته سنة 1955 ضمن فرقة مركز اسويل وبورد تحت قيادة عبد القادر اقوضاض شارك في عدة هجومات إلى جانب المجاهدين منها هجوم بورد يوم ثاني أكتوبر 1955 وهجوم اهرا شن.

وقد وافته المنية رحمه الله بتاريخ 14 / 3 / 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 504652.

العلوفي، عمر بن سليمان مؤسس الطائفة اليوسفية بالمغرب خلال الربع الأول من القرن 10 / 16، وهي طائفة صوفية تسللت من الطريقة الراشدية، واشتهرت فيما بعد بطائفة العكاكزة. تذكره السيرة المفردة في الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي (ت. 931 / 1524)، والمصنفة من قبل محمد الصباغ القلعي ما بين 952 و962 / 1545 و1555، والموسومة "*بستان العارفين الأزهار*". وتقرن ذكره بوالد المؤلف الشيخ محمد بن معزة، وتجعله من أعيان الطبقة الراشدية الأولى، ومن المقربين من الشيخ الراشدي، ومن صحبه الذين كانوا يقضون الليل في بيته، وذلك في قرية مصراتة المجاورة للقلعة من البلاد الراشدية بالمغرب الأوسط.

وتتفق هذه الإشارة الواردة بهذه السيرة المبكرة مع الروايات الشفوية المتأخرة والمتواترة بالقبائل المغربية التي ظلت على النحلة اليوسفية إلى مطلع القرن 14 / 20، والتي يجمع أهلها على تباعد ديارهم على أن اسم متبوعهم هو عمر بن سليمان، ويتعارفون فيما بينهم بكونهم خدامه، ويجعلون اسمه كلمة السر التي بها يتعارفون، للتقية التي دأبوا عليها منذ نكبتهم في مطلع القرن 12 / 18. ويتفرد فريق منهم بتلقيبه بالعلوفي، وهو اللقب الذي يذكره به المؤلف المجهول لكتاب "تبصرة الرئيس الأمين في ذكر شروط إمام المسلمين"، والذي عاش في المغرب أواخر دولة السعديين.

وباستثناء كتاب "التبصرة" فإن بقية المصادر المغربية التي اهتمت بالطائفة اليوسفية خلال القرنين 10 و 11/ 16 و17 تذهب إلى القول إن اسم شيخها هو أحمد بن عبد الله، وتلقبه بالمنزول أو المنزولي. فهل نحن بصدد اسمين لشخصين مختلفين، أم نحن بصدد شخص واحد أضاف اسما منتحلا إلى اسمه الحقيقي ؟

تعرف الطوائف المغربية في الغالب بأسماء مشايخها ومؤسسيها، ولو سلك شيخ اليوسفية نفس المسلك، ونسب شيعته إلى اسمه، لأفادنا في ترجيح كفة أحد الاسمين. لكنه لم يرض لطائفته باسم غير اسم الطريقة الراشدية التي ينتسب إليها، والتي تعرف أيضاً باسم الطريقة اليوسفية نسبة إلى سلف شيخه أحمد بن يوسف الراشدي. ومادام استبدال الأسماء والألقاب الحقيقية، والانسلاخ عن الأنساب الأصلية، مسألة مشهورة في سير منتحلي المهدوية. ومادام شيخ اليوسفية قد ظهر في معاصريه بهاته الدعوى، فيمكننا الافتراض بأنه قد انتحل اسم أحمد بن عبد الله ليصدق عليه الحديث "لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي". كما أن لقب المنزول أو المنزولي الذي اتخذه ليس غريباً عن المهدوية القائمة على فكرة الظهور بعد ترقب وانتظار، ذلك أن هذا اللقب يقصد به النزول الذي له معنى قريب من الظهور.

وتعد قبيلة الزكارة القاطنة بنجود المغرب الشرقي، وهي أكبر المراكز اليوسفية المتأخرة، مصدر الروايات الشفوية المتعلقة بسيرة عمر بن سليمان. وتتوارث هذه الروايات طائفتان متنافستان على الرئاسة الروحية بهذا القبيل، وهما طائفة "أولاد سيدي أحمد بن يوسف" حفدة مؤسس الطريقة الراشدية، وطائفة "الرسمة" أحفاد مؤسس الطائفة اليوسفية. وتتباين هذه الروايات وتتناقض تبعا لتنازعهما وتنافرهما : وينسب حفدة الشيخ الراشدي تلميذه عمر بن سليمان إلى وطن بني راشد من المغرب الأوسط، ويقولون بنشأته على دين اليهودية، ويفخرون بإسلامه على يد جدهم، ويحملونه مسؤولية الانحراف الذي حاق بالطريقة الراشدية، والمتمثل في البدعة اليوسفية التي جاء بها. أما الرسميون فيقولون إنه جدهم الأعلى، وأنه من شرفاء المغرب الأقصى، ويحرصون على رق غزال يرفع نسبه إلى إدريس الأكبر، ويذكرون بأنه قد بنى بإحدى بنات أو حفيدات شيخه أحمد بن يوسف، ويجعلون ضريحه بقصبة شراعة من قبيلة تريفة.

وقبيلة زكارة ليست الوطن الأصلي لعشيرة الرسميين، الذين يزعمون أنهم خلف طائفة صوفية أندلسية. ولا يعلم متى طرأوا على بني عتيق في بني يزناسن، واستقروا بالموضع المسمى تغاسروت، وهو المحل المسمى اليوم تزغين قرب ابركان. وبنو عتيق لم ينظروا بعين الرضى إلى هؤلاء الطارئين المنتحلين لعقائد أنكروها، وقد كافحوهم ورامو استئصال شأفتهم. ولم تنج منهم إلا فئة قليلة فرت إلى فرقة أولاد محمد من قبيلة الزكارة، الذين ينتسبون إلى الطائفة اليوسفية، فاستضافوهم وأكرموهم واتخذوهم متبوعين، لاتصال نسبهم بمؤسس الطائفة اليوسفية الشيخ عمر بن سليمان. وقد تم هذا النزوح إما في القرن 12 / 18، وإما في مطلع القرن 13 / 19.

وتفيد رواية الرسميين في بناء جملة من الفرضيات المتعلقة بسيرة جدهم صاحب الترجمة : فإذا سلمنا بكونهم حفدته وخلفه، وهو الأمر المقطوع به من لدن بعض خدام الشيخ عمر بن سليمان، وهم الغنائميون القاطنون بين مراكش وتامصلوحت، فهذا يساعدنا على تحديد موطن استقراره بعد خروجه عن الشيخ أحمد بن يوسف، ويدفعنا إلى التساؤل إذا

ما كان هذا الموطن مسقط رأسه ووطن عشيرته ؟ وهل شكل المجال الجغرافي الممتد من قصبة شراعة من قبيلة تريفة شمالا إلى فرقة أولاد محمد من قبيلة الزكارة جنوبا ، مرورا بموضع تزغين من بني عتيق، موقع تأسيس الزاوية اليوسفية الأم، ومجال نفوذها في حياة مؤسسها الشيخ عمر بن سليمان.

وينازع بعض أتباع الشيخ عمر بن سليمان طائفة الرسميين في اختصاصهم وامتيازهم بصلة الدم له، ويقولون بانتهاء نسبهم إليه أيضاً، وبانحدارهم من صلبه، وهؤلاء هم قبيلة بني مسحن الواقعة ببلاد غياثة. وتؤكد روايتهم المكانة الرفيعة والخطوة الكبرى التي كانت لجدهم عمر بن سليمان لدى شيخ الطريقة الراشدية، وتذهب إلى القول بملازمته له طيلة حياته، وانه لم يغادر المغرب الأوسط إلا بعد وفاته، وتنسب إليه فكرة شد نعش شيخه الراشدي إلى ظهر بغلة، ودفنه حيثما تقف.

م. الصباغ، *بستان العارفين الأزهار*، 59 ؛ مجهول، *تبصرة الرئيس الأمين*، مخ خاص ؛ ق. الورطاسي، *بن يزناسن*، 93 ؛ ع. نجمي، *التصوف والبدعة بالمغرب*، 285 - 299.

A. Mouliéras, *Le Maroc inconnu*, t. I, 174 ; Monsempes, *Contribution à la connaissance d'une tribu*, 27 - 28 ; E. Doutté, *Merrâkech*, 368, n 1 ; *Magie et religion*, 46 - 48 ; Id, En tribu, 331 ; E. Dermenghem, *Le culte des saints*, 238 ; L. Voinot, *Oujda et l'Amalat*, 187.

عبد الله نجمي

العُلّيق، يطلق اسم العلّيق بالعربية أو سَرْمُو بالأمازيغية على عدة أنواع من النباتات المتسلقة كالتوت الشوكي أو السَّتِّيف (انظر سَتِّيف) واللبلاب أو اللواية (انظر لواية).

أما في هذه المادة فسنتطرق إلى سْميلاكْسْ أسْبيرا Smilax aspera الذي ينتمي إلى فصيلة الزنبقيات Liliaceae.

إنه نبات متسلق شوكي ذو سيقان متعرجة ومضلعة وحاملة لأشواك. أوراقه صلبة، لامعة، جرداء. قلبية الشكل، ذات أعناق تحمل في قاعدتها محْلاقا واحداً أو محلاقين يمكنان النبات من التسلق. ازهاراته عنقودية. أزهاره ضاربة إلى الاخضرار. ثماره عنبية حمراء.

يصادف النوع في كل المناطق المغربية ذات البيومناخات شبه الرطبة والرطبة وشديدة الرطوبة، الموجودة في الطابق المتوسطي الدافئ. وهو يحبذ الأتربة الغنية والسميكة.

من حيث الاستعمال لا تعرف للعليق استخدامات غير تلك التي تخص التطبيب التقليدي.

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*, Ibis Press, Paris, 2000, 360 p. ; A. Metro et Ch. Sauvage, *Flore des végétaux ligneux de la Mamora*, Soc. Sci. Nat. Phys. Mar., 1955.

عبد المالك بنعبيد

العلم (جبل -) في الناحية الشمالية الغربية وسط قبيلة بني عروس، بين مدينتي تطوان وشفشاون. وهو أحد جبال الريف الغربي، يبلغ ارتفاعه 1368 م. كان في القديم يعد من جبال غمارة، ضمن تراب قبيلة بني ليث قبل تكوين قبيلة بني عروس. أصل سكانه بربر مصامدة، ينتمون إلى الحلف القبلي الغماري الكبير بالشمال، انضافت إليهم عناصر عربية، تصدرها الشرفاء الأدارسة الذين استوطنوا الجبل بعد سقوط قلعة حجر النسر بسماتة على يد المروانيين سنة 375 / 985).

وأقدم ما بلغنا عن تداول اسم العلم في المصادر ما أورده أبو الحسن الشاذلي في أواخر العهد الموحدي في سرد مناقب شيخه عبد السلام بن مشيش، وبعد هذا التاريخ عثرنا في الجرد المريني للأشراف الأدارسة على يد أبي سعيد سنة 709 - 1310 على اسم "العلام" الواقع في بلاد غمارة، وأشار إليه ابن خلدون في سياق تناول مقتل الشيخ عبد السلام بن مشيش على يد محمد بن أبي الطواجن الكتامي. وأطلق عليه الوزان في مطلع القرن السادس عشر اسم جبل بني عروس وعده من جبال الهبط الثمانية في إطار التقسيم الإداري الوطاسي، ووضع له الوزان قياسا، يمتد على مسافة ثمانية أميال شمالا، وعشرين ميلا غربا، وعرضة ستة أميال، وأطلعنا مارمول على اسمه القديم وهو أبطا ـ ديلفي.

كان الجبل خلال الفترة الوطاسية تابعا لدائرة قائد القصر الكبير، وكانت به قصبة تعرف بقصبة بني محرز بمثابة عاصمة حسب مارمول، وكان كثيف السكان كثير الإنتاج الفلاحي، غير أنه تراجع بسبب الصراع بين السكان الأصليين وفئة الشرفاء واحتلال البرتغاليين لأصيلا سنة 876 / 1471، ومنه ينحدر العروسيون قواد القصر الكبير وإزاجن والقصر الكبير الذين ساعدوا الشرفاء السعديين على فتح مملكة فاس.

إن شهرة جبل العلم بين جبال الهبط بدأت مع بداية القرن العاشر الهجري (16 م)، واقترنت بوجود ضريح الشيخ عبد السلام بن مشيش ت. حوالي 622 / 1225 وتمت في إطار حركة تجديد الشرف الإدريسي في الشمال، إثر المد الصوفي الشاذلي الجزولي في المنطقة، حينما تم التأكيد على قطبانية الشيخ عبد السلام بن مشيش صاحب الجبل، ونجح الشيخ عبد الله الغزواني في الكشف عن قبره في قمة جبل العلم انبنت عليه باقي الرموز المتصلة بالولي المعلومة في قمة الجبل وهي الضريح المشيشي ومغارة الخلوة وجامع الملائكة وعين البركة والحجارة المباركة، كما عمل الشيخ الغزواني على ترسيم زيارة التبرك بالشيخ ورموزه في جبل العلم وتشكيل هالة المقدس بالجبل.

وسيتوسع مجال القداسة في الجبل بعد صدور ظهير السلطان أحمد المنصور الذهبي الذي تم بمقتضاه ترسيم حدود الحرم العلمي. وتعززت رموز ابن مشيش في الجبل باستشار فتوى العلماء حول زيارة أضرحة الصالحين، وكذا تردد كبار علماء فاس على الضريح المشيشي كما هو حال علماء البيت الفاسي والقادري وشيخ الجماعة التاودي بن سودة، مما أدى

العلماء بالمغرب ← المجالس العلمية

إلى ترسيخ ما اصطلح عليه في باب الزيارة بطريقة العلما، ومن أركانها التمسك بالطهارة.

وأصبحت الزيارة في الذاكرة الجماعية الشعبية تعرف بحج المساكين، يبدو فيها التماثل بين العلم ومكة في توقيت الزيارة ومشهد طقوسها، وأصبح جبل العلم بفعل الإشعاع الكبير الذي تحقق للشيخ عبد السلام بن مشيش في مماته وتزايد سلطة ضريحه، باعثا على تشكيل هوية نسبية ضمت كل المنحدرين من سلالة الجد الجامع أبي بكر بن علي بن أبي حرمة بن عيسى بن سلام بن أحمد المزوار، ومركزاً للشرف العلمي.

ظل جبل العلم وما أحاط به من مداشر الشرفاء العلميين مركزاً نشيطا للتصوف والعلم، وكان له حضور متميز على الصعيد السياسي حيث كان مسرحا لأحداث بالغة الأهمية في تاريخ الدولتين السعدية والعلوية بحكم المكانة الاجتماعية التي احتلها الشرفاء العلميون في قبائل ومدن الشمال الغربي وحرمة الجبل، نذكر هنا بالبيعات التي تمت في جبل العلم الضريح المشيشي كبيعة محمد بن الشيخ السعدي المعروف بزغودة سنة 1619 وبيعة مولاي اليزيد سنة 1790 ومولاي مسلمة 1792 ابني سيدي محمد بن عبد الله على يد أعيان الشرفاء العلميين.

المجد المريني، مخطوط، خ. ع، ص. 36، 39، الرباط، 36، 39؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، الجزء الأول، تح. م. حجي وآخرون، ص. 249، الرباط، 1980؛ مارمول كربخال، *إفريقيا*، الجزء 2، تح. م. حجي، ص. 256، الرباط، 1984؛ م. عمراني، *الشرف والمجتمع والسلطة السياسية، الشمال الغربي نموذجا*، من القرن 10 إلى 13 / 16، 19، ص. 247، 251، مرقونة، أطروحة د. د كلية الآداب، الرباط، 2000، 2001.

محمد عمراني

عَلَمُ الجِهَاد (المعروف بعلم سيدي يسّف التليدي). من المعلوم أن حَلّ الزّوايا والأضرحةَ وبعض الطرق الصوفية بالمغرب لها "علم" خاص يكون أحيانا أخرى مكتوب عليه شهادة "لا إله إلا الله محمد رسول الله" أو كلمة "الله أكبر".

وكانت هذه الأعلام ومازالت تستعرض في مقدمة المهرجانات والتظاهرات الدينية أو عند زيارة بعض الأضرحة مثل ضريح مولاي عبد السلام بن مشيش.

إلا أنه كان هناك علم يمتاز على غيره ويعرف بـ "علم سيدي يسف التليدي" وهو العلم الخاص بضريح المولى الصالح سيدي يوسف بن الحسن التليدي الكائن بالمدشر الذي يحمل اسمه بفرقة بني تليد، من قبيلة الأخماس السفلى.

يتعلق الأمر بما كان يعرف عند المجاهدين بـ "علم الجهاد" الذي كان يوضع بالزاوية المذكورة ولا يخرج منها إلا عندما تتفق القبائل على تنظيم حملة جهادية ضد الغزاة الأجانب لنواحي الهبط وجبالة وغمارة انطلاقا من أحد الجيوب المحتلة من البرتغال أو إسبانيا مثل مدينة سبتة والقصر الصغير وطنجة وأصيلا والعرائش.

وكانت العادة تقضي عند إخراجه من الزاوية إقامة حفل ديني تشترك فيه الوفود من جميع القبائل وتقرأ فيه "سلكة" القرآن الكريم، ثم تكون حفلة شعبية يشترك فيها الغياطة والطبالة والبواردية بباب الزاوية وبعد ذلك تنتظم قافلة المجاهدين يتقدمها العلم الذي يحمله مقدم الزاوية طيلة المدة التي يظل فيها العلم خارج الزاوية.

وعند الانتهاء من أمر الجهاد يعاد العلم إلى مكانه بعد إقامة حفلة شعبية مماثلة لحفلة إخراجه.

والجدير بالذكر أن عادة التبرك بعلم سيدي يسف بدأ العمل بها بعد وفاة صاحب الضريح الولي الصالح سيدي يوسف التليد الذي وافته المنية سنة 950 موافق عام 1543.

وقد أشارت المصادر البرتغالية والإسبانية إلى وجود العلم المذكور بأنه كان يحمله المجاهدون في عدة هجومات أو حصارات يقوم بها المغاربة على الجيوب المحتلة خلال القرن السادس عشر والسابع عشر.

ويقول الكولونيل كتاص عن هذا العلم في تقرير له بتاريخ 16 يناير 1929 ما يلي: "كان الثوار يتبركون بصفة خاصة بعلم زاوية سيدي يسف التليدي الكائنة بقبيلة الأخماس السفلى نظراً للمكانة التي يتمتع بها ولهم المدفون هناك حيث ينسبون إليه عدة كرامات خارقة للعادة، وهذا ما جعلهم يعقدون في الزاوية المذكورة أول مؤتمر تمهيدي للثورة ضدنا يوم 7 ماي 1913 وكان ذلك بإيعاز من الريسوني.

"ومن أجل القضاء على خرافتهم هذه قامت طائراتنا بقصف الزاوية المذكورة يوم 4 أكتوبر 1920 ثم تمكنت قواتنا من احتلالها يوم 19 يونيو 1922 وكانت قد أعطيت للكولونيل ليناريس التعليمات لكي يستولي على العلم "المقدس" وقد حصل عليه وبعثه إلى تطاون فأمر المقيم العام بإرساله إلى المتحف العسكري بمدريد حيث يوجد الآن كما توجد في ملفات نيابة الأمور الوطنية صورته".

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب*، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

العلمي، أسرة شريفة تنحدر من ذرية الشيخ عبد السلام بن مشيش ومن ذرية أخويه موسى ويلح وأعمامه يونس وعلي وأحمد ومحمد الملهى. ويتبين من أنساب العلميين أن أبا بكر بن علي بن يوحرمة بن عيسى بن سلام بن أحمد المزوار هو الجد الجامع للشرفاء العلميين والمؤسس الفعلي للأسرة العلمية الواسعة. والظاهر أنه عاصر فترة الصراع على السلطة بين الحمودين والمرابطين وفترة حكم يوسف بن تاشفين. وهو يعد في ذاكرة الشرفاء العلميين أول من استوطن من الشرفاء الأدارسة جبل العلم بقرية الحصن. غير أننا لم نقف على ما يؤشر لشهرته في زمانه. ويوجد قبره في قرية عين الحديد شمال وادي المخازن، وهو مزارة مشهورة في هذه البلدة.

وما من شك في أن الأدارسة أسلاف العلميين، حافظوا رغم انغمارهم وضياع ملكهم على نفوذهم الروحي في قبائل غمارة. فقد تجمع هؤلاء إلى نهاية العهد الموحدي على ما يبدو في قرية الحصن، أسفل قمة جبل العلم مهد الأسرة المشيشية وسقط رأس الشيخ عبد السلام بن مشيش، وظلوا في طي النسيان إلى غاية أواخر العهد الموحدي، حينما ظهر علم بارز من أعلام الأدارسة في جبل العلم الشيخ عبد السلام بن مشيش، الذي مهد لظهور الشرف الإدريسي على الصعيد الديني، وعوض الشرف الإدريسي عن الملك بما هو أفضل حسب تقدير كتاب *المناقب والأنساب* ألا وهو الخلافة القطبانية.

والواقع أن دور الشيخ عبد السلام بن مشيش في تجديد الشرف الإدريسي في الشمال الغربي يتجاوز حدود حياته، فالولي لم تكتب له الشهرة كقطب صوفي إلا بعد وفاته. ولعل أهم ما أنتجه هو تلميذه أبو الحسن الشاذلي الذي ضمن له الاستمرار في سنده الصوفي الشاذلي الجزولي، وعرف به في بلاد المشرق قبل أن يعرف في المغرب.

وأقدم خبر رسمي مدون بلغنا عن الشرفاء العلميين في جبل العلم يندرج ضمن الجرد الذي قام به السلطان أبو الربيع سنة 709 / 1310 (وثيقة ضمن مجموع، خ. ع، الرباط. د. 723، ص. 36. 39). والملاحظ أن هذا الجرد اقتصر على فرع الجوطيين بفاس وفرع غمارة من أولاد الشيخ عبد السلام بن مشيش، وهو محمد وأحمد وعبد الصمد دون ذكر علال الذي كان استوطن قرية غيروزيم في الأخماس، مما يدل على أن شهرة العلميين في النسب في ذلك الوقت اقتصرت على البيت المشيشي ممثلاً في أبناء الشيخ عبد السلام الثلاثة، دون باقي الفروع المنحدرة من أخويه موسى وبلاح وأعمامه يونس وعلي وأحمد ومحمد الملهى.

ويظهر أن الشرفاء العلميين بعد وفاة الشيخ عبد السلام ابن مشيش في الربيع الأول من القرن السابع الهجري (13 م)، انصهروا في الهياكل القبلية، وبرزت في صفوفهم قوة محاربة، تألفت من فرسان تزعمهم علي بن راشد، دخلوا في صراع مع سكان بني عروس وبني حسان، وتفرقوا عليهم عسكرياً وهيمنوا على جبل العلم وعلى طرف من بني حسان كما جاء في شهادة الوزان، ثم آلت الغلبة إلى العروسيين والحسانيين، مما أدى إلى هجرة جماعية للشرفاء العلميين إلى غيروزيم بالأخماس السفلى وغيرها من القبائل المجاورة لجبل العلم.

ويقترن ظهور الشرفاء العلميين في جبال الهبط على الصعيد الديني في بداية القرن الخامس عشر بعاملين رئيسيين متكاملين هما : التصوف والجهاد. وساعد على هذا الظهور الأوضاع العامة في المغرب أواخر العهد المريني، تجملها في توفر أسباب الغزو في شبه الجزيرة الإيبيرية وأسباب الهزيمة في المغرب، وعجز الدولة المرينية عن القيام بواجب فريضة الجهاد، مما أحدث هزة عنيفة في نفوس المغاربة وسمح لقيام حركة جهادية شعبية بقيادة شيوخ الطريقة الشاذلية الجزولية انطلاقاً من جنوب المغرب.

وما من شك في أن تأثير الطريقة الشاذلية الجزولية بلغ جبال غمارة والهبط من جراء الاحتكاك الإيجابي بين المجاهدين المحليين والوافدين من مختلف أنحاء المغرب، أثناء محاولات استرجاع سبتة المحتلة سنة 1415، دون أن يؤدي ذلك إلى تأسيس زوايا في المنطقة، فلا علم لنا بتأسيس زاوية شاذلية جزولية في جبال الهبط قبل قدوم الشيخ عبد الله الغزواني إلى هذه الناحية واستقراره في بني زگار زمن السلطان الوطاسي محمد الشيخ 1471. 1504، وتأسيسه لزاويته بقرية تزروت.

ومن الطبيعي أن تترقب النتائج الإيجابية لهذا الحضور الصوفي في المنطقة على الشرف العلمي، فالملاحظ أن الشرفاء العلميين انخرطوا في الطائفة الغزوانية، ونكتفي بالإشارة إلى من تخرج على يده من أولياء الأسرة العلمية والريسونية، بتصدرهم الولي عمر بن عبد الوهاب ت. 956. 1549 وعبد الرحمان الشريف وأخوه علي بن ريسون ت. 963. 1556. غير أن دور الشيخ لم يتوقف عند تنظيم الزوايا في الهبط وإنتاج الأولياء، بل علينا أن نعطي الأهمية أيضاً للتعاليم الجديدة التي أصبحت قاعدة لترسيخ الاتجاه الصوفي السني في المنطقة وممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

لقد أدرك الشرفاء العلميون دور استرجاع الولاية إلى جبل العلم، وأسهموا بدورهم في نشر الفكر الصوفي السني داخل أسرهم على النهج الذي رسمه شيخهم، لكن دون أن يتمكنوا من تأسيس زاوية خاصة بهم ينتظمون فيها، ويتخذونها وسيلة في تحقيق إشعاعهم الصوفي، بينما نجح تلاميذ آخرون في ذلك، كالشيخ يوسف التليدي ومحمد الهبطي وعائشة الإدريسية.

ويمكن اعتبار الفترة الممتدة من رحيل الشيخ الغزواني عن الهبط سنة 919. 1513 إلى مستهل عهد عبد الله الغالب السعدي (1557. 1574) فترة هامة في تاريخ الشرف العلمي، حيث انضافت إليه قيمة تجلت في انتشار الصلاح في جبال الهبط وتكوين رصيد صوفي داخل الأسرة العلمية والريسونية. وتميزت الفترة اللاحقة بتأسس زاويتين كان لهما الصدى العميق في الشمال الغربي هما الريسونية بقرية تازروت جنوب غرب جبل العلم والوزانية في قبيلة مصمودة بقرية وزان خارج مركز الشرف العلمي، وستلعب هاتين الزاويتان بشكل متفاوت أدواراً دينية واجتماعية وسياسية طلائعية وفي تاريخ المغرب الحديث، وساهمتا في بروز الأسرتين الريسونية والوزانية.

وإذا كنا لا حظنا في تتبع مسار الشرف العلمي اقترانه بالتصوف، فإننا نؤكد على قوة الترابط بين الشرف العلمي والجهاد، وهو حتمة تاريخية بحكم الموقع الجغرافي المتقدم في خط المواجهة مع شبه الجزيرة الإيبيرية، ولكونه كذلك يعد من أعلى مراتب التمسك الديني، والشرفاء العلميون بالنظر

إلى مكانتهم الاجتماعية والدينية في المنطقة كانوا مؤهلين أكثر من غيرهم لقيادة الحركة الجهادية على الصعيد المحلي.

ويتجلى دور الشرفاء العلميين في الجهاد على مستويات التأطير الديني والتعبئة والقيادة. ومثال كل من بني راشد العلميين بشفشاون والريسونيين بتازروت يجمع هذه الخصائص، ويؤكدان على ترأس الشرفاء الأولين للحركة الجهادية في الهبط منذ نهاية الدولة المرينية وقيام الدولة الوطاسية، واستمروا كذلك إلى غاية سقوط إمارتهم على يد عبد الله الغالب السعدي سنة 1562، ثم انتقلت القيادة إلى أبناء عمهم الريسونيين في تازروت، وبذلك استمرت رئاسة الشرفاء للجهاد في بلاد الهبط من 1471 إلى 1578، أي ما يزيد عن قرن من الزمن.

وترتب عن قيادة بني راشد للحركة الجهادية، تأسيس أول حاضرة في قلب جبال الهبط هي شفشاون، وانتقال الشرفاء العلميين من طور البداوة إلى التمدن، وتحولهم إلى فئة أرستقراطية حققت تراكماً مادياً عظيماً من احتكارها لخيرات جبال الهبط والغنائم والتجارة إلى أن قرر السلطان عبد الله الغالب القضاء على إمارة بني راشد. ونتج عن مساهمة الزاوية الريسونية في معركة وادي المخازن تعزيز الشرف العلمي بصفة عامة، بترسيم حدود الحرم العلمي وحرم المزوار بسماتة والاعتراف بالعلميين رسمياً من طرف لسان أحمد المنصور الذهبي وبروز الأسرة الريسونية على الصعيد الجهوي.

ورغم هيمنة الشرفاء العلميين على الحياة الدينية في الناحية الشمالية الغربية ظل النسب الشريف أقوى عنصر في حياتهم الاجتماعية، وظلت ظاهرة الاعتزاز بالأنساب إلى العلم والدفاع على شهرة النسب العلمي السمة الغالبة في أوساط الشرفاء العلميين بمختلف فروعهم. وتعود أولى خطوات إشهار النسب العلمي والدفاع على المرتبة الأولى ضمن شرفاء الحاضرة الإدريسية إلى الرعيل الأول من علمائهم الشفشاونيين.

فالمبادرة الأولى قام بها الشريف أحمد بن يحيى ت. 1001 / 1593 بفاس، إذ أنه نسخ شجرة العلميين الموسويين قبل سنة 980 / 1573، وحظيت بمصادقة شيخه عبد الواحد الحميدي قاضي فاس سنة 986 / 1578. وهذا كان كافياً لإشهار العلمي في حاضرة فاس، بعد الدعم الذي تلقاه من طرف شيخين نافذي الكلمة في الحاضرة الإدريسية هما محمد القصار ويوسف الفاسي.

غير أن طريق العلميين إلى الشهرة كان ما يزال صعباً أمام الشريف أحمد العلمي، إذ كان عليه التصدي لمصنف ابن السكاك الذي حصر المرتبة الأولى في وضوح النسب في البيت الجوطي والصقلي، وكانت نتيجة حركته إدراج العلميين ضمن أهل المرتبة الأولى من شرفاء فاس، ليتقاسموا الشهرة مع الجوطيين والصقليين. وأسفرت المحاولة عن اعتراف نقيب الشرفاء الجوطيين بشهرة شرفاء جبل العلم وبنصيبهم في فتوحات مولاي إدريس الثاني.

ولاريب أن لهذا الاعتراف الجوطي بشرفاء جبل العلم عواقبه الإيجابية على الشرف العلمي بفاس، فقد توجت العلاقة الجديدة بين الشرفاء الجوطيين والعلميين بزيارة نقيب أشراف الأدارسة إدريس بن أحمد العمراني الجوطي لضريح الشيخ عبد السلام بن مشيش رفقة الشريف العلمي المذكور، ولم يلبث أن تعزز ذلك الاعتراف بالمصاهرة بين الشريفين، حيث زف النقيب بنته للشريف العلمي، مكسراً بذلك الحاجز الاجتماعي بين البيت الجوطي بفاس والبيت العلمي بجبل العلم.

وكان من نتائج هذا التحول في موقف الجوطيين من العلميين وفود شرفاء جبل العلم على فاس برسم زيارة جدهم إدريس الأزهر في كل موسم، أو لأجل طلب العلم، كما شجع بعضهم على الاستقرار في المدينة بصفة نهائية. وقد كان الاعتراف الرسمي بالعلميين من طرف السلطة السعدية بعد الدور التاريخي البارز الذي لعبه الريسونيون في معركة وادي المخازن، سبباً قوياً في حمل الجوطيين على ذلك، ولا نستبعد أن تكون السلطة السعدية ضغطت على أعيان الجوطيين العائدين من تونس في قبول أبناء عمهم الجبليين في الحاضرة الإدريسية.

وتمثلت المحاولة الثانية في توثيق النسب العلمي على يد عالم آخر هو الفقيه أحمد بن علي العلمي ت. 1027 / 1618 قاضي شفشاون، الذي استفاد من رصيد ابن عمه بفاس، ووضع شجر نسب خاصة بفرع عبد السلام بن مشيش، نسخها على رق الغزال في حدود سنة 1000 / 1592. وهي شجرة غير تامة علق عليها ونشرها العربي الفاسي في *مرآة المحاسن*. ونتيجة لذلك أصبح جبل العلم المعزز برمزية دينية قوية، مصدر اعتزاز الشرفاء العلميين بمختلف فروعهم بهويتهم النسبية الجديدة، مع إقصاء لباقي الفروع الإدريسية، وإن تقاسمت معهم نفس الموطن منذ القديم كالشرفاء العمرانيين مثلاً.

ولم يتوقف الأمر عند هذا التاريخ، بل واصل الشرفاء العلميون حركة تأكيد تفوقهم خارج جبل العلم خلال العهد العلوي الأول، وحظوا باهتمام النسابين المغاربة كمحمد المسناوي الدلائي وعبد السلام القادري وعبد القادر الشبيهي، وبرز في صفوفهم نسابون انكبوا على تدوين النسب العلمي والدفاع على شهرته، كالتهامي بن رحمون والنقيب أحمد بن عبد الوهاب.

وكان من نتائج حركة تدوين الأنساب في صفوف العلميين أن برزوا من منظور النسابين كأرستقراطية سلالية متفوقة على البيوتات الإدريسية الشهيرة القديمة، وتقاسموا المرتبة الأولى في وضوح النسب مع الأسرة العلوية الحاكمة، كما ورد عند صاحب *الدر السني*. ومن المؤكد أن تفوق النسب العلمي كان مستمداً من السلطة الرمزية للشيخ عبد السلام بن مشيش التي لم يزدها الزمان إلا رسوخاً وتجذراً في المجتمع الجبلي. ويمكن اعتبار الشريف العلمي سليمان

الحوات ت. 1231 / 1816 خير معبر عن نزعة تفوق الشرف العلمي على غيره خارج حدود دائرة جبل العلم، إذ سار على نهج أسلافه في إعلاء شأن أبناء جلدته.

وإذا نظرنا بكيفية مجهرية إلى تطور كل أسرة علمية على حدة، نلاحظ تباينا في الأدوار التاريخية والوظائف الدينية والاجتماعية وطبيعة علاقاتها مع المخزن. وقد تحكم في علاقات الشرفاء العلميين الداخلية عاملان رئيسيان هما : التراتب الخاضع لتسلسل هرم السلطة والرمزية الأبوية من جهة، والقرابة من الشيخ المؤسس عبد السلام بن مشيش من جهة ثانية، فقد اختص نسب أولاد مولاي عبد السلام من بين شرفاء جبل العلم برأي النسابين بكونه الأكثر وضوحاً، بناء على شهرة نسب جدهم في المغرب والمشرق، فهم ليسوا في حاجة إلى البحث في أصولهم كما يرى صاحب *مرآة المحاسن*، ويؤكد هذا الاتجاه فيما بعد سليمان الحوات. وإذا كان أدب الأنساب لا يعبر عن حقيقة قوة تشبث العلميين بهويتهم النسبية والدفاع على شرفهم ضد الدخلاء، فيمكن تفسير ذلك بحماية المصالح المشتركة المتمثلة في الامتيازات المادية المنعم بها عليهم من طرف المخزن وصيانة الحرم العلمي، وإضفاء صبغة المشروعية على تمييزهم عن فئة العامة في محيطهم الاجتماعي.

والملاحظ أن معظم الشرفاء أولاد عبد السلام بن مشيش تشبثوا بموطنهم الأصلي داخل مساحة الحرم العلمي في قبيلة بني عروس قرب الضريح المشيشي في قرية الحصن وأفرنو وأدياز ودار الحيط وتاجزة وتاجزرت وطاردان وتازروت، حيث شكلوا أقوى تجمع بشري شريفي في القبيلة، ومعظم الذين غادروا القبيلة الأم، استوطنوا قبائل مجاورة كالأخماس وسماتة وبني يدر وآل سريف وجبل حبيب وبني مصور وبني حسان. ويتبين من مدونات الأنساب أن السمة الغالبة عليهم إلى غاية النصف الثاني من القرن الثامن عشر هي البداوة، وأن جل الشرفاء العلميين الذي استقروا في المدن اختاروا مدن الشمال الغربي القريبة من جبل العلم.

وقد مثل الضريح المشيشي رباطاً أزلياً ولحمة ظاهرية بين الشرفاء المنحدرين من الشيخ عبد السلام بن مشيش، بدافع الاستفادة من الرصيد الرمزي والحصول على نصيب في الفتوحات، وظل معظم هؤلاء خارج التنظيم الصوفي رغم أهمية دور التصوف في نمو الشرف، ويمكن اعتبار هذا العنصر نقطة ضعف في مسار الشرف العلمي. وإذا كان الاعتزاز بالانتماء إلى العلم قد لازم مختلف الفروع العلمية، فإن بعض الأسر شكلت لنفسها هوية خاصة، وبنت كيانها المستقل خارج دائرة مركز الشرف العلمي، كما هو حال الريسونيون بتازروت بعد تأسيس زاويتهم وحصولهم على الدعم السعدي نتيجة لدورهم البارز في معركة وادي المخازن، إذ نجح هؤلاء على عكس أبناء عمهم العلميين في الملائمة بين النسب الشريف والتصوف والجهاد، وأصبحوا بعد رحيل الشيخ المؤسس محمد بن ريسون يعرفون بأولاد ابن ريسون، ويحملون لقب ريسوني نسبة إلى الجدة ريسون. لكن رغم مكانة الشيخ محمد بن ريسون في ميدان الصلاح والجهاد وشخصيته المؤثرة وفضله على الشرف العلمي بصفة عامة، ظل إشعاع الشيخ عبد السلام بن مشيش المتزايد في قبائل جبالة يغمر شهرة الشرفاء الريسونيين، ومثلت تازروت على الدوام محطة رئيسية في زيارة الضريح المشيشي.

وكذلك شأن الشرفاء العلميين المنحدرين من يملاح أخ الشيخ عبد السلام بن مشيش الذين أصبحوا يعرفون بالوزانيين، نسبة إلى مكان تأسيس زاويتهم على يد الشيخ عبد الله بن إبراهيم العلمي، وبها اشتهروا وزالت عنهم نسبة شريف علمي، وكونوا أكبر قوة في الشمال الغربي استفادت من الدعم المخزني المتواصل. وهذا لا يعني أن الانتماء إلى الأسرة العلمية الواسعة كان منعدماً في تجربة الوزانيين، فقد كانت الزاوية الوزانية في طور نشأتها محطة رئيسية في طريق الزائرين من أهل فاس للضريح المشيشي، كما استعمل هؤلاء النسب العلمي في دعم نسبهم الطيني، وإلى غاية حدود تاريخ تشكيل الهويات النسبية المستقلة داخل الأسرة العلمية الواسعة وجب التمييز التاريخي بين الفروع العلمية، فالعلميون في الوثائق الرسمية هم ذرية الشيخ عبد السلام بن مشيش.

ظل هؤلاء زمن المرينيين بعيدين عن الأجواء السياسية في العاصمة فاس، ورغم بروز بني راشد العلميين في عهد الوطاسيين ومحاولة انفصال الأمير علي بن راشد عن السلطة الوطاسية في أمر الجهاد، فإن ذلك لم يكن تعبيراً عن طموح سياسي واضح، إذ سرعان ما سيطر السلطان الوطاسي على إمارة بني راشد، ليستأنف الأسير على الجهاد في إطار رسمي باسم السلطان. وشكل بنو راشد بعد ذلك سنداً قوياً للسلطة الوطاسية، وشغل الأمير إبراهيم بن راشد منصب الوزير الأعظم في الدولة، وسخر قوة إمارة شفشاون الجهادية للدفاع عن السلطة الوطاسية ضد زحف السعديين، وشارك بجنوده من جبال الهبط في معركة أبي عقبة سنة 1516.

وحينما غير خلفه محمد بن راشد موقفه من السعديين وبارك انتصاراتهم في سانتا كروز وآسفي وآزمور سنة 1471، بادر السلطان أحمد الوساطي سنة 1542 إلى تنظيم زيارة إلى الشمال الغربي توجت بزواجه من أخته الست الحرة اعتبره البعض بمثابة صفقة سياسية. ورغم ذلك أسر الشريف العلمي على تأييده السلطة السعدية. وذهب على رأس وفد من الشرفاء وأعيان القبائل لتهنئة محمد الشيخ حينما دخل إلى فاس سنة 1547، فتوطدت العلاقة بين الطرفين وتوجت بتعيين الشريف العلمي قائداً على فاس، فذابت إمارة بني راشد الجهادية في نظام الدولة السعدية الجديدة. غير أن عبد الله الغالب السعدي في إطار مواصلة امتحان الزوايا الشاذلية الجزولية قرر القضاء على إمارة بني راشد سنة 1562، وأدى تنفيذ القرار على يد وزيره محمد بن عبد القادر السعدي إلى نزوح محمد بن راشد مع أفراد أسرته إلى بلاد

المشرق، وتم ترحيل ما تبقى من آل بني راشد إلى مدينة مراكش حيث انغمروا وزالت عنهم شهرة النسب والإمارة.

وفرض دور شيوخ الزوايا الشاذلية الجزولية وشرفاء جبل العلم في التعبئة للجهاد خلال فترة الاستعداد لمعركة وادي المخازن على السلطان السعدي عبد الملك (1576 ـ 1578) تغيير موقفه من شيوخ الزوايا الشاذلية الجزولية وشرفاء جبل العلم، ووقع تلاحم بين القيادة الرسمية وهؤلاء في المعركة الحاسمة في 4 غشت 1578، وكان الشرفاء العلميون من جملة المستفيدين من إنعامات السلطان أحمد المنصور الذهبي المنابع بوادي المخازن.

ويمكن اعتبار الظهير الصادر عن نفس السلطان مباشرة بعد وقوع هذا الحدث، الذي رسم بموجبه حدود الحرم العلمي وحرم أحمد المزوار بسماتة، من أجلى مظاهر الروابط الودية التي توثقت بين شرفاء جبل العلم والسلطة السعدية، وبالمقابل قدم الشرفاء العلميون خدمات للسلطان، نذكر منها على سبيل المثال أن شريفاً علمياً يدعى عبد الله بن عبد الرحمان ألقى القبض على المتنبئ الثائر ابن الحاج قرقوش سنة 969 ـ 1588 بعد أن استعصى أمره على القائد محمد بن إبراهيم بجة (الفشتالي، *مناهل*، 94 ـ 95).

لقد تجنب العلميون خلال فترة ضعف السلطة السعدية الدخول في أية مغامرة سياسية على غرار باقي الكيانات المستقلة التي ظهرت في الجنوب والوسط، وظلوا متشبثين بالمشروعية رغم وهن الدولة السعدية، بدليل أن بيعة محمد الشيخ المعروف بزغودة تمت على يد أعيان العلميين في الضريح المشيشي سنة 1028 / 1619. وإذا كنا لاحظنا غياب أي طموح سياسي واضح لدى العلميين أواخر العهد السعدي، فإن العلويين الأوائل تعاملوا مع الشرفاء العلميين بحذر، لعدة أسباب منها الإشعاع المتزايد للزاوية الوزانية في الشمال الغربي، وبروزها كقوة جهوية كبرى، واستفحال ظاهرة المتشرفة في جبل العلم كوسيلة للارتقاء الاجتماعي، مما أدى إلى ارتفاع عدد المنتسبين للشرف العلمي والعمراني، ترتبت عنه انعكاسات سلبية على بيت المال بسبب الإعفاءات الضريبية المرتبطة بالوقار والاحترام.

ولأجل ذلك، فرض السلطان المولى إسماعيل رقابة صارمة على الشرف العلمي من خلال تجديد هيكلة نقابة الأشراف، وتنظيم حملة تنقيب واسعة النطاق في منطقة جبالة لضبط أنساب الشرفاء. كلف بهذه المهمة في بداية الأمر الفقيه التهامي بن رحمون الذي أسفر مجهوده عن وضع أول ديوان شامل في النسب الإدريسي بالشمال الغربي سنة 1105 / 1693، والنسب العلمي على وجه الخصوص. ونظم السلطان حملة أخرى في حدود عام 1121 / 1709 في جبال غمارة والهبط ومنطقة الفحص، وكلف بعملية التنقيب في الأنساب الشريفان العلميان إدريس بن عبد الوهاب وأحمد بن عمر بن الوهاب، بمساعدة الكاتب عبد السلام بن زاكور، ودعم القائد عمر بن حدو الريفي، كان من أهم نتائجها جمع الديوان الإسماعيلي. غير أن الإجراء الإسماعيلي كان حلا مؤقتا لمعضلة الأنساب، فسرعان ما عادت ظاهرة المتشرفة إلى البروز برحيل السلطان سنة 1727، ولسحب الزعامة من شيوخ الزوايا وتقليص نفوذ الشرفاء أسند السلطان قيادة الجهاد للجيش الريفي المؤلف من أولاد حمامة، مما تسبب من جهة في تقليص نفوذ العلميين الديني، وساهم من جهة أخرى في بروز فئة أرستقراطية عسكرية حققت تراكماً مادياً ووجاهة، وظهرت كقوة منافسة للشرفاء العلميين، وهذا ما أدى إلى خلق نوع من التوازن بين القوى المتحكمة داخل المنظومة القبيلة.

ويبدو من الوثائق المخزنية أن نجم شرفاء جبل العلم المنحدرين من نسل الشيخ عبد السلام بن مشيش مال إلى الأفول خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر لفائدة الريسونيين والوزانيين بسبب ضعف التنظيم وتوظيف الحرم المشيشي سياسياً ضد السلطان الشرعي. وتجدر الإشارة هنا إلى مثال مولاي اليزيد الذي استحرم قرب الضريح المشيشي بقرية الحصن إثر تمرده على والده السلطان سيدي محمد بن عبد الله وتمنعه داخل الحرم العلمي إلى وفاة والده سنة 1790، وانطلاقه من جبل العلم في الصعود إلى الحكم، وكان هذا الحدث الذي احتضنه جبل العلم سبباً في فتح باب اقتحام الشرف العلمي من جديد، حيث تقاطر المتشرفة على الجبل من كل حدب وصوب، وتمكنوا من تجديد عقود الشرف، كما استخدم الأمير المولى مسلمة الحرم العلمي في التمنع ضد أخيه مولاي سليمان وخلق أمامه متاعب.

وتم توظيف الحرم العلمي كذلك من طرف القبيلة الأم بني عروس في تجاوز الأحكام المخزنية، وتحول الضريح المشيشي إلى معطى سلبي، كدر على ما يبدو صفو علاقات الشرفاء العلميين بالمخزن. والملاحظ أن الأحداث المتصلة بعلاقات الشرفاء العلميين بالسلطة المركزية تركزت حول هذا الضريح الذي ظل يمثل رباطاً آسياسياً بين الشرفاء المنتسبين إلى الشيخ عبد السلام بن مشيش، ومصدر رزق لغالبيتهم عن طريق تلقي الصلات المخزنية والفترحات.

م. عمراني، *الشرف والمجتمع والسلطة السياسية، الشمال الغربي المغربي نموذجا، من القرن 10 إلى 13 هـ / 16 ـ 19 م*، د. د. كلية الآداب، الرباط، 2000 ـ 2001، مرقونة.

محمد عمراني

العلمي، إبراهيم ولد المطرب المغربي إبراهيم العلمي بمدينة الدار البيضاء وعام 1930. وكان من رعيل الفنانين الأوائل الذين أسهموا في تأسيس وضع الأغنية المغربية العصرية.

بدأ خطواته الأولى في مجال الموسيقى، والأغنية الشرقيةُ يومئذ في أوج انتشارها وذيوعها بالمغرب، فأشربت نفسه مقاماتها وإيقاعاتها. ثم أقبل على التعلم، مستفيداً من معاشرة بعض الفنانين أمثال عازف القانون ومؤسس جوق

"أحلام الشباب" الحاج بوبكر الطالبي، وعازف الكمال مصطفى الحريري، وعازف العود الفنان عمرو الطنطاوي، والملحن المطرب المعطي البيضاوي، والفنان عبد السلام الحداوي.

مارس العلمي في بدء حياته الفنية النفخ في الناي، ثم تحول إلى العود، فاتخذه آلته المفضلة، تسعفه في استلهام الألحان، وترافقه في أداء أغانيه، وكان من وراء هذا التحول رئيس جوق الميتم البيضاوي المرحوم محمد زنيبر.

التحق العلمي بجوق الإذاعة الجهوية لمدينة الدار البيضاء وعمره دون الثلاثين، فاشتغل عازفا على العود، ثم تصدى للتلحين والغناء. وفي سنة 1966 أسندت إليه رئاسة جوق الاذاعة، فكان ثالث شخص يضطلع بهذه المهمة بعد المرحومين محمد زنيبر والمعطي البيضاوي. وقد استمر علي رأس الجوق إلى أن أحيل على المعاش في نهاية عام 1990.

وعلى امتداد أكثر من ثلاثين عاما استطاع العلمي أن يلحن عشرات الأغاني، أغلبها مما نظم كلماتها بنفسه، وقليل منها مما نظمه غيره، كأغنية "ما أحلى إفران وما أحلى جماله" التي وضع كلماتها الإذاعي والصحفي أحمد زكي بوخريص، وأغنية "المسيرة امشات" التي نظمها الزجال عمر التلباني بمناسبة انطلاقة المسيرة الخضراء عام 1975. ومطلعها :

كتبنا اسمك يا الحسن على رمال الصحر الذهبية
على نسايم سلم وحرية على النصر وأجيال ثورة
على مبادئ بلادنا الحرة

غنى العلمي معظم أغانيه بنفسه، ومما غنى له غيره : أغنية "ياشاغل بالي" من أداء المرحوم المعطي البيضاوي، وأغنية "ديما نخمم فيك" من أداء المطربة سعاد محمد، وأغنية "الأسمر" من أداء المطرب إسماعيل أحمد، كما غنت من ألحانه نعيمة سميح، وعتيقة عمار.

تتوزع أغاني العلمي موضوعات عاطفية ووطنية. فمن أغانيه العاطفية الناجحة : هذا الشمال ماسولت فيا ـ امساك امساك ياللي عقلي ما ينساك ـ الليل والليالي وأنا سهران ـ ياللي صورتك بين عينيا ـ ياالساخي بيا ـ يا البيضا حرام عليك ـ يا خالي الباب وناسيني ـ خليني بعيد ـ يا الناسي العاهد.

ومن أغانيه في المناسبات الوطنية : عودة الناصرين ـ أنشودة ولي العهد نشيد العرش ـ في كل بيت فرقة كبيرة ـ فرحة الشباب ـ تحية الملك حسين ـ شموع الفرح ـ نشيد الجلاء ـ ملك القلوب ـ بشرى وانهار سعيد راند الجيل ـ المسيرة امشات ...

ومن أغانيه الدينية : أغنية رمضان ـ هذي ليلة عظيمة ـ ليالي العيد. وللعلمي معزوفان نادرة أهمها : تقسيم على العود، وموسيقى كريمة.

يعتبر إبراهيم العلمي من رواد الأغنية الشعبية بالمغرب، فهو بالرغم من معايشة لظروف كاتب فيها الأغنية المغربية مرتبطة بالدفق القادم من المشرق العربي ـ لم ينقطع أبدا عن البحث في مشروع الهوية الوطنية للاغنية المغربية، ومن ثم تحاشى تقليدَ الأغنية المصرية، وتجَنّبَ مُحاكاتها سَواء على مستوى الأداء، أو ركوب القوالب، أو استهلال الأغاني بالتقاسيم والمواويل، أو شحنها بالفواصل الآلية المطوّلة. وهو في صياغته لألحانه الموسيقية يساوق الكلمات دونما تقيّد بأيّ قالب لحني كالمُوشّح أو القصيدة، ودونما إفراط في التطريب وتوليد الأنغام.

وفيما يأتي أسلوبه في التلحين بعيداً عن أسلوب أقطاب الأغنية العصرية كأحمد البيضاوي، والمعطي البيضاوي، وعبد الوهاب أگومي، فإنه يبدو وأقرب إلى نهج المطرب محمد فويتح، وهو نهج متميز يمتح من ألوان التراث الغنائية الشعبية ويجعل أغانيهما أحق بأن تحمل صفة الأغاني الشعبية.

وإمعانا من العلمي في ركوب هذا النهج فقد حصر تعامله مع النصوص الشعرية الزجلية، وبذلك نظم جلها بنفسه، فجاءت عباراتها بسيطة، تستدعي ألحانا بسيطة التركيب، بعيدة عن الصناعة الموسيقية المعقدة، كما جاءت متسمة بالصدق، تحمل في كثير من الأحيان سمات بينة من الحزن، تتجلى على مستوى الصياغة، ثم على مستوى إدائه لها بصوته الهادئ، بعيداً عن التشنج والانفعال.

أجريت مع العلمي عدةُ حوارات إذاعية وصحافية، كانت مناسبة للوقوف على بعض آرائه حول الأغنية المغربية وسبل النهوض بها. وفي هذا الصدد فهو يرى أن من أهم عوامل الحفاظ على أصالة الأغنية المغربية واستمرار تجددها أن تكون نابعة من حب الفنان لفنه وتعلقه به، وأن تستفيد من التقنيات التي توفرها الوسائل الحديثة في مجالات التسجيل والإنتاج.

أما الفنان الأصيل فهو ـ في رأي العلمي ـ ذلك الذي يملك الشجاعة لمواجهة الجماهير، ويملك القدرة على تحويل هذه المواجهة إلى لحظات لتحقيق التواصل الروحي معها.

مثل المرحومُ العلمي بلاده في عدة تظاهرات فنية، ومن ذلك مشاركته في ربيع 1981 ـ وهو على رأس جوق موسيقى من الدار البيضاء ـ في الأسبوع الثقافي الذي نظمته وزارة الشؤون الثقافية في الكويت.

وقد وافاه الأجل المحتوم بالدار البيضاء عصر يوم الأربعاء، 11 صفر 1423 / 24 أبريل 2002.

أبراه بادية، *أعاني العلمي رسل حب*، جريدة *العلم*، الصفحة الفنية، ع 18974 الأحد 15 صفر 1423 / 28 أبريل 2002 ؛ م. بلفتوح، أبراهيم العلمي، *لم لن يطفئ شدوه من سماء الذاكرة*، جريدة *العلم*، الصفحة الفنية، ع 18974، الأحد 15 صفر 1423 / 28 أبريل 2002 ؛ م. بهجاجي، حوار مع الفنان إبراهيم العلمي، جريدة *الاتحاد الاشتراكي*، 3 ـ 12 ـ 1995، ص. 9 ؛ مجلة *الفنون*، ع 1 ربيع الثاني، 1401 ـ مارس 1981، ص. 25 ؛ مجهول بتوقيع م ب ؛ *الراحل إبراهيم العلمي سيرة النغم بامتياز*، *الاتحاد الأسبوعي*، ع 4 ـ 5 ـ 11 ـ مايو 2002، ص. فنون، عبد الله، *الاتحاد الأسبوعي*، ع 07 ـ 26 مايو ـ 1 يونيو ـ 2002 ؛ صالح الشرقي، *أضواء الموسيقى المغربية*، مط فضالة، المغرب، 1997، ص. 196 ؛ جل تر المعاني، مط. النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1418 / 1997، ص. 199، 201.

العلمي، أحمد بن **الحسن** ولد بفاس عام 1296 / 1876 وكان من مشهوري فني السماع والمديح بهذه المدينة، أخذ تقاليد الفنين عن محمد بوقاع وعبد السلام الدمناتي.

اشتهر بين أقرانه بحفظ كلام القوم وجودة الإنشاد، وكان إلى ذلك واسع الإلمام بميازين الموسيقى الأندلسية.

عبد اللطيف بنصور، *مجموع أزجال وتواشيح وأشعار الموسيقى الأندلسية المغربية بالحانك*، 1397 / 1977، ص. 460.

عبد العزيز بن عبد الجليل

العلمي، أحمد بن **عبد السلام** بن طاهر السريفي الصفصافي، أبو العباس علامة أهل السريف بالمغرب الأقصى، أستاذ مشارك ومقرئ مجيد، له "*تحفة الأبرار في التعريف بالشرح والسادات الأخيار*" في نحو أربعة كراريس ذكرها له الكتاني في فهرس الفهارس، وابن سودة في دليل مؤرخ المغرب الأقصى، وأضاف له صاحب *معجم المؤلفين* رسالة فقال "له رسالة تشتمل على أسانيده في القراءات" (ج 1 ـ 274).

في وفاة المترجم اختلاف في الزمان والمكان، حيث أشار الزركلي إلى أنه قتل في الحرب الريفية نحو 1344 وفي موسوعة *أعلام المغرب*.

توفي في طريقه إلى الحج سنة 1343، مما يدل على عدم التأكد من خبر وفاته وهو ما جعل مترجميه لم يضبطوا التاريخ.

الكتاني، *فهرس الفهارس*، 1 : 285، 286، بيروت، 1986 ؛ ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، 2 : 294، الدار البيضاء، 1965 ؛ الزركلي، *الأعلام*، 1 ـ 150 ؛ كحالة، *معجم المؤلفين*، 1 ـ 274، دمشق، 1957 ؛ *موسوعة أعلام المغرب*، 9 : 2945 ؛ ع. الجاري *التأليف وتهفته بالمغرب*، 41، الرباط، 1985.

العلمي، أحمد بن **عبد الله** الحسني، كان فقيهاً عالماً، وخطيباً بليغاً تولى النيابة عن قاضي مدينة الصويرة وخطب في جامع البراخر بعد وفاة سيدي مولود الشريف أحمد بن عبد الله العلمي وبقي على ذلك.

توفي رحمه الله في رجب عام سبعة وعشرين وثلاثمائة وألف.

م. بن سعيد الصديقي، *إيقاظ السريه لتاريخ الصويره*، 1 : 129 ؛ *موسوعة أعلام المغرب*، 8 : 2857.

عبد القادر سعود

العلمي، أحمد بن **عبد الوهاب** بن أحمد بن عمر بن عبد الوهاب، كان من أعيان الشرفاء العلميين المنحدرين من سلالة الشيخ عبد السلام بن مشيش، وهو فضلاً عن ذلك فقيه ونسابة مرموق، عينه السلطان مولاي إسماعيل نقيباً عاماً على الشرفاء، وكلفه بمهمة تحقيق أنساب الشرفاء في الناحية الشمالية الغربية وخصوصاً أنساب الشرفاء العلميين والعمرانيين في إطار حملة محاربة ظاهرة المتشرفة سنة 1112 / 1709، وقد تقاسم هذه المهمة مع ابن عمه إدريس بن عبد الوهاب، وتلقيا دعماً مخزنياً من طرف حاكم الناحية القائد عمر بن حدو الريفي.

وأسفرت مهمة النقيب في تحقيق الأنساب عن جمع ديوان عرف بالديوان الإسماعيلي، اشتمل على اثنين وأربعين عقداً مزوراً، خمسة غير مقروءة. وتبين من هذه العقود أن جل المتشرفة انتحلوا الشرف العلمي والعمراني، وأن ظاهرة المتشرفة كادت أن تكون بدوية صرفة. ولتأكيد مصداقية نتيجة التحقيق ألغى النقيبان الرسوم المزورة، وبعثا بسجلين إلى العاصمة مكناس واحد تضمن قائمة أسماء الشرف، وآخر قائمة أصحاب الدعاوي الباطلة، وحينما فداء انتشر اختلاط الأنساب في قبائل الشمال الغربي بإحراق الرسوم المزورة، أعاد السلطان هيكلة نقابة الأشراف وجدد النقابة العامة والخاصة للشريف العلمي أحمد بن عبد الوهاب سنة 1127 / 1715، ومن ضمن الأعمال المنسوبة إليه رسم حدد فيه مجال الحرم العلمي ووطن فراء، نسخه ابن زاكور الفاسي في الاستئناف، من الألم في التلذذ بصاحب جبل العلم.

ع. السلاوي بن زاكور، *الاستئناف من الألم في التلذذ بصاحب العلم*، ص. 19، مخطوط ؛ ع. الرحمان بن زيدان، *العز والعمولة* ؛ مجهول، كناش النسب الاسماعيلي، نسخة من محمد الأمين بوخبزة.

العلمي، أحمد بن **علي** ينتسب إلى الشرفاء العلميين

بشفشاون، ويعد من علماء القرن الحادي الهجري السابع عشر الميلادي، وهو من بين الشرفاء العلميين الذين شدوا الرحال إلى فاس طلباً للعلم واعتكفوا على الدراسة والتحصيل، فأخذ عن كبار علمائها من طبقة الشيخ محمد القصار الذي كان ملازماً له.

وحينما عاد إلى مسقط رأسه مارس التدريس والخطابة مدة في الجامع الأعظم بشفشاون، ثم تولى خطة القضاء بعد الفقيه محمد بن الحسن بن عرضون، لكنه سرعان ما تنصل منها، وتفرغ للتدريس والتأليف في الفقه والأصول والتاريخ والطب واللغة، وبرع في علم الوثائق والأحكام.

ظل أحمد العلمي على صلة بالوسط العلمي بفاس، وخاصة بشيخه القصار، وهو واضع أول مشجر العلميين العبد السلاميين في حدود سنة 1000 ـ 1592، ولعب دوراً مهماً في زيادة التعريف بهذا الفرع في الحاضرة الإدريسية.

توفي سنة 1027 / 1618.

ع. الفاسي، *مراة المحاسن*، ص. 167 ـ 178، طبعة حجرية، فاس، 1314

العلمي، أحمد بن **يحيى** الموسوي جد الشرفاء الشفشاونيين بفاس، وهو من علماء الشرفاء العلميين. درس بشفشاون ثم شد الرحال إلى فاس طلبا للعلم، فأخذ عن كبار علمائها أمثال يحيى الراج والقاضي عبد الواحد الحميدي. وبعد تخرجه عالما، استقر بفاس وانقطع لمطالعة الكتب والتدريس، وهو أيضاً فقيه ومؤرخ وأديب، وكان أول من شهر النسب العلمي بالحاضرة الإدريسية فاس، وناسخ أقدم شجرة للعلميين قبل سنة 980 / 1573 التي صادق عليها القاضي عبد الواحد الحميدي.

وأسفرت حركته بفاس بفضل المساندة المعنوية من قبل شيخه القصار والشيخ يوسف الفاسي أن أصبح الشرفاء العلميون من أهل المرتبة الأولى في وضوح النسب إسوة بالجوطيين والصنهليين، والاعتراف بهم من طرف الجوطيين وإقرار نصيبهم في فتوحات الضريح الإدريسي. وما من شك في أن الدعم السياسي القوي الذي تلقاه العلميون من طرف السلطان السعدي أحمد المنصور والاعتراف بشهرتهم رسمياً قد دعم حركة الشرف العلمي.

توفي العلمي أحمد سنة 1001 / 1593.

ع. السلاوي الصادري، *الدرر السنية*، ص. 40 ـ 44، طبعة حجرية، فاس، 1308

محمد عمراني

العلمي، التغزوتي أحمد بن اليزيد من مواليد سنة 1619 بدوار بني بخلف من أبويه ابن اليزيد واحليمة.

ولما قامت قوات المستعمر الغاشم بالاعتداء على السيادة الغريبية اختار الشهيد العمل المسلح صحبة مجموعة من المكافحين، فانضم إلى المقاومة السرية بفاس حيث جعل منزله مخبأ للفدائيين. وفي سنة 1954 ألقي عليه القبض من قبل السلطة الفرنسية. وبعد مرور أربعة أيام استشهد من جراء التعذيب بمقر شرطة الاستعمار الفرنسي، تغمده الله برحمته الواسعة.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 512758.

العلمي الشريف، عبد السلام بن محمد فقيه من رؤساء البحر السلاويين العاملين في عهد مولاي سليمان إلى حين وفاته في مطلع سنة 1249 / 1833 في عهد مولاي عبد الرحمان. وقد كان السلطان أسند إليه الإشراف على رباس وبحارة الرباط وسلا، وأنعم عليه بوسام الباشاغان المخصص لكبار رجال البحر. وأوكل إليه رفقة الرايس عبد الرحمان بريطل الرباطي مهمة حماية المياه الإقليمية، وملاحقة السفن الألمانية في سنة 1825، وكلفه أيضاً بقيادة السفينة السلطانية "أزيلة" للاتجار بها، مانحا إياه ترخيصا خاص، جاء فيه :

".. كتابنا هذا .. بيد خديمنا الرايس عبد السلام بن محمد بن الفقيه الشريف السلوي، يعلم منه بحول الله وقوته .. أذنا له بالسفر قصد التجارة في مركبنا السعيدة البارز كان المشتملة على صاري واحد، المسماة أزيلة، عدد بحريتها عشرة بالرايس المذكور، ويخوض إن شاء الله في البحر الصغير والكبير، مشترطا عليه أن يشتغل في جميع أموره كلها بما يعينه، منحريا للأمور الذميمة المخلة بالدين، وأن لا يتعدى القانون المتعارف بيننا وبين أجناس النصارى، وأن لا يحمل في مركبه مثل الخمر والخنزير، فإن حام حول ذلك فقد تعرض لغضب الله ونكالنا بحول الله. وبعد قضاء إربه من المحل الذي حل به يأوب إلى أي مرسى من مراسينا السعيدة بالله .. كما نؤكد على من يقف عليه من حكام المدن من مدائن النصارى والقراصين .. وخدامنا وكمانضاضس مراكب الحرب المصالحين معنا أن يوقره ويحترمه، وأن لا يحدوا عما أبرمه أمنا الشريف ولا يتعداه. وعلى الرايس وبحريته بتقوى الله سرا وعلانية، والصلاة في أوقاتها .. بهذا صدر أمرنا المعتز بالله في 14 ربيع النبوي الأنور 1241.

ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 4، ص. 133، 134، 151 ـ 152 ؛ وابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، وملحقه، ص. 47 ـ 178.

حسن أصلي

العلمي الشفشاوني، عبد السلام الأمين من مشهوري شيوخ الموسيقى الأندلسية. ولد بمدينة شفشاون في منتصف القرن التاسع عشر، وبها أخذ عن شيوخ الفن. وفي بداية الثلاثينيات انتقل إلى مدينة تطوان حيث عين مديراً للقسم العربي بالمعهد الموسيقي ؛ وكانت هيئة التعليم يومئذ مكونة في معظمها من عناصر شفشاونية منهم : عازف الكمان أحمد البردعي، وعازف العود محمد بن عياد، والعياشي الورياغلي رئيس الجوق العربي بالمعهد وعازف الرباب في نفس الوقت، والمنشد أحمد احرازم.

وقد كان عبد السلام العلمي وإلى جانبه البردعي والورياغلي المذكوران - من بين الفنانين الذين ساعدوا المستشرق الاسباني أركاديو دي لاريا بالاثين على تدوين نوبة الإصبهان.

توفي عام 1956.

Arcadio De Larréa Palacin, *Nauba Isbahan Introduccion*, p. XXIII - XLI. Editora Marroqui. Tetuan 1956.

العلمي، عبد السلام بن الأمين ولد في أواسط القرن التاسع عشر. وقد تعلم أصول الموسيقى الأندلسية وحفظ مستعملاتها على شيوخ شفشاون. وبعد تمكنه من قواعد هذا الفن استقدم إلى تطوان حيث تقلد إدارة القسم العربي بالمعهد الموسيقي في بداية الثلاثينيات، وكانت هيئة التعليم يومئذ تتكون في معظمها من عناصر شاونية كأحمد البردعي عازف الكمان، ومحمد بن عياد عازف العود، والعياشي الورياغلي رئيس الجوق الأندلسي وعازف الرباب، والمنشد أحمد احرازم.

وقد كان العلمي - وإلى جانبه الورياغلي والبردعي - من بين الذين ساعدوا المستشرق الإسباني أركاديودي لاريا بالاثين على تدوين نوبة الأصبهان.

توفي العلمي بتطوان عام 1959. ويعتبر مؤسس الجوق التطواني الحديث.

دي لاريا اركاديو بالاثين، *مدونة الاصبهان*، المقدمة بقلم الفريد البستاني ؛ ع. العزيز ابن عبد الجليل، *مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية*، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2000، ص. 277.

عبد العزيز ابن عبد الجليل

العلمي، عبد السلام بن محمد بن أحمد بن العربي العلمي الوهابي نسبة إلى الجد عبد الوهاب الأصغر جد الشرفاء العلميين الوهابيين أهل أفرنو بقبيلة بني عروس، المنحدرين من سلالة الشيخ عبد السلام بن مشيش. رحل والده إلى فاس قصد استكمال الدراسة بجامع القرويين وتخرج منها عالماً واستوطن المدينة. وهكذا نشأ عبد السلام العلمي المزداد بفاس حوالي 1250 / 1834، في بيت جمع بين الشرف والعلم. حفظ القرآن الكريم وأخذ مبادئ العلوم على والده ثم التحق بالقرويين وتخرج منها عالماً على الطريقة التقليدية، غير أن تكوينه لم يقتصر على ما كان متداولاً في رحاب هذه المؤسسة من علوم، بل درس علوماً أخرى كالفلك والرياضيات والطب في فضاءات علمية أخرى. ومال إلى التخصص في علم الفلك الذي برع فيه، بشكل أثار انتباه السلطان محمد الرابع، فانتدبه لتدريسه بالقرويين. وقام باختراع آلتين شمسيتين الأولى سماها جعبة العالم واسطوانة العالم، أما الثانية فسماها ربع الشعاع والظل، سنة 1283 - 1866، وأهداهما لنفس السلطان سنة 1284 - 1867، وبذلك احتل مكانة متميزة في الوسط العلمي بفاس ونال إعجاب السلطان محمد الرابع. بعثه السلطان مولاي الحسن إلى مصر في حدود عام 1291 - 1874 لدراسة الطب والتوقيت والتعديل والتنجيم والإرصاد وتخطيط الساعات الشمسية بأحدث الطرق العلمية، فالتحق بالمدرسة الطبية بالقصر العيني بالقاهرة التي كان يديرها الدكتور علي باشا على عهد الخديوي إسماعيل، وبدأ رحلته الدراسية التي لا نعرف مدتها بالضبط. حصل العلمي في نفس السنة على إجازة في الطب من شيخه حسين بن مصطفى عودة الدمشقي السوري أحد أساتذة المدرسة المذكورة، شهد فيها على مواظبته واجتهاده وتفوقه على زملائه. وقد ألصق العلمي على يمينها رسم ربع الشعاع والظل الذي ابتكره بفاس قبل رحيله إلى مصر على سبيل التحلية والشغف بنبوغه في هذا الميدان.

دون العلمي في كتابه النبراس في حل مفردات الأنطاكي بلغة فاس ما تلقاه في مصر من علوم، وذيله بلائحة لأشياخه من عرب وعجم، وما أخذ عن هؤلاء من علوم بحثة، يستفاد منها مقاربة نوع التكوين الذي تلقاه في مصر على المستوى النظري والتجريبي، وكفاءته كطبيب متعدد التخصص، وذلك بالمدرسة الطبية المذكورة والمستشفيات والمعمل الكيماوي، وهي كما يلي :

العلم	الأستاذ	المكان
الجراحة	محمد علي باشا البقلي	الاسبطار
العملية الجراحية	محمد به البقلي	
الجراحة باليد	محمد هورزي	
الأمراض الباطنية	سالم به سالم	
الأمراض الباطنية	الحكيم القطاري	
الأمراض الباطنية	إبراهيم أفندي	
الأمراض الباطنية	موسى عيسى	
الأمراض الباطنية	محمد أفندي شكري	
التشريح الهيكلي العظمي والمفصلي	محمود أفندي مصطفى	
التشريح العظمي والعروق	محمد أفندي درى	
التاريخ الطبيعي	محمد أفندي ندا المصرى	
علم الكيماء الطبية	كنستيل الفرنسي بواسطة الطبيب المترجم محمود أفندى ندا	المعمل الكيماوي
علم الأقرباذيني	علي أفندي رياض	

العلم	الأستاذ	المكان
علم الرمد	حسين بك عوف	الاسباطلية المذكورة
أمراض الجلد	علي أفندي رياض	
الزهري	عبد الرحمان الهراوي	
مشاهدة الحيوان وأحجار المعادن	زهران أفندي	
أمراض النساء والأطفال	الحكيم الجرائحي	اسبطالية أمراض النساء

عاد عبد السلام العلمي بعد انتهاء مدة البعثة إلى فاس، وعينه السلطان مولاي الحسن طبيبه الخاص وطبيب أسرته، بدل الطبيب لينياريس، وربما أراد السلطان بهذا الاختيار تقديم الدليل للأجانب على نجاح البعثات العلمية. لازم العلمي السلطان مولاي الحسن لمدة تجاوزت خمس سنوات، وصار معدوداً من خاصة حاشيته. وبعد انتهاء مهمته الرسمية، فتح دكانا بحي النجارين بفاس، كان في ذلك الوقت بمثابة عيادة طبية لعلاج مختلف الأمراض. غير أن تجربة العلمي في الواقع كانت فريدة من نوعها، ولم تسفر عن تأسيس نواة طبية عصرية. ولعل أهم ما أنتجه في هذا الميدان الطبي كتابه البدر المنير في علاج البواسير، ومفتاح التشريح.

تجدر الإشارة إلى أن العلمي كان عالماً موسوعياً جمع بين الثقافة العربية الإسلامية التقليدية التي تلقاها في القرويين والثقافة الحديثة في مجال العلوم الحقة، كما ساهم في نشر الأفكار والمعارف الجديدة في أوساط المثقفين بفاس عن طريق الكتاب التي جلبها معه من مصر في شتى أصناف المعرفة، وأنجب فضلاً عن ذلك عدداً من التلاميذ، وخصوصاً في الرياضيات التوقيتية أمثال محمد بن علي الغزاوي عبد الكريم بنيس. أصيب عبد السلام العلمي بفالج في نصفه الأسفل، ومع ذلك ظل يزاول مهنته كطبيب يقدم الوصفات العلاجية للمرضى.

توفي سنة 1322 / 1904 ودفن بمقبرة الشرفاء العلميين بفاس.

ع. السلام العلمي، *ضياء النبراس في حل مفردات الأنطاكي بلغة فاس*، فاس، 1318، ص. 123، 126 ؛ ع. بن إبراهيم، *الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام*، ج 8، ص. 490، 491، الرباط، 1977 ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، الجزء الأول، ص. 117، 123، الرباط، 1973 ؛ م. الأخضر، *الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية*، ص. 421، 426، الدار البيضاء، 1977.

محمد عمراني

العلمي، عبد القادر (سيدي قدور) بن محمد بن أحمد بن بلقاسم الإدريسي العلمي الحمدوني، أشهر شعراء الملحون بمكناس وشيخ متصوفة هذا الفن بمغرب القرنين (12 و13 م / 18 و19 م). ولد بمكناسة الزيتون سنة 1154 / 1741.

اختفى المؤرخون والإخباريون بذكره فنعته الناصري بولي الله البركة الشهير صاحب الأزجال الملحونة، وعني بأخباره الكتاني في السلوة، وابن زيدان في *الإتحاف*، كما نوه بذكره تلميذه امحمد بن عبد الهادي غريط في أرجوزة له بعنوان *رياض أنس الفكر والقلب*، ومحمد التاودي السقاط في رسالة له بعنوان *خرق العوائد واستجلاب الفوائد*. استعرض ابن زيدان أسماء شيوخه في التصوف، فذكر منهم سيدي علي بن عبد الرحمن المعروف بالجمل الفاسي المتوفى عام 1194، ومولاي الطيب الوزاني المتوفى عام 1181، كما أشار إلى بعض من كانوا يترددون عليه بزاويته لأخذ الأسرار والمعارف مثل سيدي العربي بن السايح الشرقي دفين الرباط عام 1309، وسيدي منصور حفيد سعيد بن أبي بكر المنشتزائي المتوفى بمكناس عام 1344، وغيرهما.

وقد غادر العلمي مسقط رأسه بعد أن استكمل رجولته، وقصد مدينة مراكش، فكانت محطته الأثيرة، مكث فيها بضعا وعشرين سنة، يؤم فيها مجالس العارفين، ويطلع على أحوال الناس، فخبر النفوس، حتى إذا رجع إلى مكناس وجد شهرته قد سبقته، فاحتفل به خواصها وعامتها، ورحبت له مجالس السلطان العلوي المولى عبد الرحمن، ونال فيها من الحظوة والتقدير ما عز على كثير من شعراء العربية الفصيحة بله شعراء الملحون.

وبالرغم من أميته، فقد أسعفته قريحته وسعة خبرته بأحوال الناس وأسرار الحياة ليكون غزير الإنتاج حتى إنه لم يترك غرضا من أغراض الشعر إلا طرقه، فنظم في التغزل والخمريات، وأفاض في وصف مباهج الحياة ومجالس الأنس وزينة الدنيا، كما نظم في القصص والحكم، وأخبار الأولياء والأنبياء، وفي الموعظة والتوسل إلى الخالق والتصلية على النبي الكريم والتشوف إلى زيارة قبره الشريف حتى لكأن ديوانه رحلةٌ في عالم اللذة والمتعة، أو سجل للتاريخ واستلهام العبر والذكرى.

وقد تضافرت عدة عوامل لتستقطب اهتمام الناس منذ القديم بالعلمي وبأشعاره حتى أوشكت شهرته أن تغطي على سائر الذين سبقوه إلى نظم الملحون في الحاضرة الإسماعيلية، ومن هذه العوامل أن أشعاره أصبحت تشكل مصدراً لاستلهام النصيحة. وفي ذلك يقول محمد عريط مخاطبا أتباع العلمي :

واقبلوا النصح من أهل الخير واستيْقظوا من ورطات الضّير
كالقاضي الحجة في موزونه والعلمي القدوة في ملحونة

ومنها أيضاً أن العلمي كان يُملي بنفسه قصائده على ثلة من الكتبة والرواة، وهو أمر ساعد على حفظها وذيوع نُسخها بين الناس وتشجيع الأشياخ على إنشادها بالنغمات.

وإلى هذين العاملين يضاف صنيع بعض تلامذته وملازميه، خاصة منهم الشيخ العربي المكناسي الذي نقل أشعاره إلى الحضرة التلمسانية بالجزائر مما زاد في سعة انتشارها والإقبال عليها.

وأمام غزارة إنتاجه فقد اتجهت عناية الناس إلى جمعه في كنانيش خاصة ما يزال بعضها مما تحتفي بامتلاكه بعض الأسر المكناسية، كما اتجه بعض المستشرقين إلى نقل بعض قصائده إلى لغات أجنبية. ومن هؤلاء المستعرب بوريت (Bwret) الذي أنجز عن العلمي بحثا بيوغرافيا، وسونيك (Sonnech) الذي نقل إلى الفرنسية إحدى قصائده، وفيشير (Fischer) الذي نقل إلى الألمانية بعض قصائده.

وقد أحصى المهتمون ما حفظ من شعر العلمي فبلغ ذلك سبعين قصيدة وعشرين سرابة، وهذا أمر حمل على الاعتقاد بأن يد الضياع لم تصب إلا النادر من منظوماته. ولعل من هذا النادر القصائد التي أثر عنه أنه أحرقها بنفسه في أخريات حياته.

ومن روائع ما نظمه العلمي قصيدة الدار، والتوسلية، والجمهور، وذابل لعيان، وطالت سيدي هذا الغيبة، وطامويا بهيج الحدادة، وظل نهاري سعيد، وما ازين أو صولك، والمحبوب، والمزيان، والساقي، وورقة مول الحب، وكلها مما يتنافس في إنشاده أشياخ الگريحة، وأكثرها مما سجلته الإذاعة الوطنية بأصوات كبار هؤلاء كالحاج محمد بنعائم، والحاج الحسين التولالي، وعبد الكريم گنون.

ويبدو أن الإقبال على إنشاد قصائد العلمي على الطبوع والنغمات كان مما ولع به الناس حتى في حياته. ويدل على ذلك ما ذكره المشرفي في "الحسام" وهو بصدد الحديث عن زاوية العلمي إذ قال : "له قصائد عديدة في محلون الشعر تلقى في حضرة الملوك وتنشد في مجالس السرور، وتشرق بها الأسماع، ويطيب بذكرها وإنشادها السماع". كما يدل على ذلك ما حكاه المستعرب (بوريت) نقلا عن شخص بفاس الجديد في موضوع رغبة بعض المدعوين إلى أحد الأعراس في الاستماع إلى قصيدة العلمي "طامويا بهيج الحدادا".

وقد وقف النقاد والدارسون من خمريات وغزليات العلمي مواقف متباينة، فرأى البعض أنها تعكس المرحلة الأولى من حياته، وهي مرحلة مارس فيها سلوك الإنسان العادي من حب وإقبال على متع الحياة، فيما ذهب آخرون إلى تأويل أقواله وحمل مضامينها على غير ما يبوح به منطوقها وتعلن عنه كلماتها.

أما أشعاره الحكمية ففيها نفحات من التصوف، غير أنه تصوف "وظيفي"، يتجافى الإغراق في التجريد، ويتجاوز الوقوف عند خلجات النفس وخطرات الفلسفة وشطحات الفكر، ليحرك في المرء دواعي التأمل في الحياة، أو ليثير التساؤل عن المسلّمات التي اطمأن إليها الناس، أو ليفضح ما جبل عليه بعض هؤلاء من نفاق وتحايل وخداع، أو ليدلهم على نهج السعادة في الحياة.

توفي العلمي عام 1266 / 1850 عن مائة واثني عشر عاماً ودفن بزاويته بمكناس.

ع. الجراري، *القصيدة*، ص. 629 . 639 ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 5، ص. 336 . 352 ؛ الناصري، *الاستقصا*، ج 9، ص. 61 ؛ ع. العزيز ابن عبد الجليل، *سيدي عبد القادر العلمي شيخ متصوفة المحلون : ندوة المحلون والتصوف*، ملتقى سجلماسة الثالث لفن المحلون، 8 . 10 يونيو، 1990، ص. 43 . 48 ؛ محمد بن عبد الهادي غريط، *أرجوزة، رياض أنس الفكر والقلب*، مخطوط، الخزانة العامة، الرباط، رقم د 512 ؛ م. الساوري السقاط، *خرق العوائد واستجلاب الفوائد*، مخ. خ. ع. الرباط، رقم 524.

Sonnech, *Chants arabes du Maghreb*.

عبد العزيز ابن عبد الجليل

العلمي، علال ولد المقاوم العلمي علال سنة 1923 بدوار حضرية ملحقة تيزي وسلي دائرة اكنول إقليم تازة من والديه عمر بن علي ورقية بنت عمر.

انخرط الفقيد في صفوف جيش التحرير بدافع الغيرة الوطنية والتشبث بمبدأ استقلال المغرب حيث انضم إلى وحدات الجيش بالشمال تحت قيادة محمد العجوري شارك في عدة معارك وهجومات مع اخوانه في الجهاد إلى أن تحقق الاستقلال على يد بطل العروبة والإسلام جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه.

وقد وافته المنية رحمة الله عليه يوم 6 / 2 / 1996.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 503989.

العلمي، علي بن عيسى، لا تسعفنا المصادر في الإلمام بسيرته، وكل ما نعرفه عنه أنه ينتسب إلى فئة الشرفاء العلميين الذين استوطنوا شفشاون منذ تأسيسها على يد بني راشد سنة 1471، وقد عرفوا تارة بشرفاء القوس وأخرى بأولاد الشريف. اشتهرت أسرته بالعلم، وتسلسلت فيها خطة القضاء منذ جده الثاني علي بن أحمد العلمي المتوفى. ولد علي بن عيسى العلمي بشفشاون وتلقى بها المعارف الأساسية في العلوم الشرعية واللغة العربية، وانتقل إلى تطوان حيث تتلمذ على علمائها أمثال القاضي عبد الرحمان الزلال ومحمد قريش كما يستفاد من نوازله، ثم شد الرحال إلى مدينة فاس لاستكمال تكوينه العلمي، وتلقى مختلف علوم العصر على يد كبار العلماء أمثال عبد القادر الفاسي ومحمد العربي بردلة.

ولعل أسلاف علي بن عيسى العلمي لعبوا دوراً في تحديد مساره العلمي من خلال بروزهم في ميدان الفقه والتوثيق، مما أهلهم لاحتكار خطة القضاء والفتوى في مدينة شفشاون لفترة زمنية طويلة. وهكذا عين بعد تخرجه من القرويين قاضياً لشفشاون من عامل تطوان ونواحيها علي بن عبد الله الريفي في تاريخ غير معلوم، ويظهر من خلال رسالة الاستقالة التي قدمها إلى نفس العامل، أن الفقيه عاش محنة حقيقية إثر نازلة تمليك الحراطين على يد السلطان المولى إسماعيل والتي امتد تأثيرها إلى قبائل ومدن الشمال الغربي، إذ كان ثمن امتناعه عن المصادقة على عقود التمليك على ما يبدو من نص نفس الوثيقة، اعتزال القضاء والهروب إلى مكان مجهول.

توفي عام 1127 / 1715، تاركا عمله الهام في النوازل مصدر شهرته، جمع فيها فتاوى متنوعة في بابي العبادات والمعاملات.

ع. بن عيسى العلمي، *كتاب النوازل*، ثلاثة أجزاء، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، تح. المجلس العلمي بفاس، 1983.

العلمي، عمر بن عبد الوهاب ت 956. 1459 ينتسب عمر بن عبد الوهاب إلى الشرفاء العمليين المنحدرين من نسل الشيخ عبد السلام بن مشيش من فرع بني عبد الوهاب، سكان قرية أفرنوا في قبيلة بني عروس. وهو يعتبر من أوائل الشرفاء العلميين الذين انخرطوا في الطريقة الشاذلية الجزولية على يد الشيخ عبد الله الغزواني وحققوا شهرة في ميدان الصلاح، وهو فضلاً عن ذلك فقيه سني مشارك، اشتهر بمناظرته للفقيه محمد بن علي الشطيبي التزغردي في مسألة "من زعم أن النبي محمد (ص) قد مات فقد كفر"، وله أيضاً إلمام بالأنساب، فهو واضع أول شجرة للشرفاء العلميين الموسويين، ولا نستبعد أن يكون مارس نقابة الشرفاء العلميين.

م. بن عسكر، *دوحة الناشر*، تح. م. حجي، ص. 17، الرباط، 1977؛ ع. السلام القادري، *الدرر السني*، ص. 42. 43، طبعة حجرية، فاس، 1308.

العلمي، محمد بن الحسن أبو جمعة لم يرد في المصادر الغربية ما يكفي لكتابة سيرة هذا العلم، وكل ما نعرفه عنه من خلال الإشارات الواردة في المصادر نسبه ومشاركته في الجهاد وشروعه في اختطاط رباط شفشاون، فهو بدون شك من مشاهير رجال جبال الهبط في القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي. وأقدم ما بلغنا عنه، ما ذكره صاحب مرآة المحاسن في سياق حديثه عن اختطاط مدينة شفشاون في العدوة الأخرى لوادي شفشاون في حدود سنة 876. 1471، بجوار قرية غير وزيم في قبيلة الأخماس السفلى، وهو حسب عمود نسب أورده العربي الفاسي في نفس المصدر ينحدر من سلالة الشيخ عبد السلام بن مشيش من نسل ولده علال.

والمؤكد أن الشريف اكتسب شهرته وتبوء مكانة دينية واجتماعية من خلال بروزه في ميدان الصلاح والجهاد، حيث شارك في الجهاد الشعبي لتحرير مدينة سبتة ابتداء من سنة 1415 بقيادة شيوخ الطريقة الشاذلية الجزولية، إلى جانب عب بن محمد المجكسي وصالح بن صالح الياباني حاكم طنجة الذي عينه مقدما للمجاهدين في رباط جبل حبيب ابتداء من سنة 1418.

وإذا كانت المصادر لا تضفي على هذا الشخص صفات القيادة في ميدان الجهاد إلى غاية شروعه في اختطاط شفشاون، وتقتصر على ذكر خبر وفاته في نفس السنة في مركز الحروب في جبل حبيب بتدبير من البرتغاليين، فإننا لا نشك في أن هذا الشريف أبلى البلاء الحسن في خلال ما زاد على نصف قرن من الزمن من الممارسة الجهادية في ظرف عصيب، وعزم على بناء رباط جديد بقلب قبيلة الأخماس. ومن جملة الصفات التي حملها أبو جمعة العلمي فضلاً عن الجهاد حسب صاحب *مرآة المحاسن*، الصلاح والتفقه في الدين، مما جعله مؤهلا لقيادة الحركة الجهادية على المستوى الإقليمي.

ع. الفاسي، *مرآة المحاسن*، ص. 168، فاس، 1324؛ أ. بن القاضي، *لقط الفرائد*، تح. م. حجي، ضمن *ألف سنة من الوفيات*، ص. 265، الرباط، 1976؛ ح. الفكيكي، *سبتة المغربية*، ع 14، ص. 136، أبريل، 2000.

محمد عمراني

العلمي، محمد بن الطيب المتوفى سنة 1134 هو محمد بن الطيب بن أحمد العلمي، كنيته أبو العباس أحد الشعراء المجيدين، والوشاحين المتألقين في العصر العلوي الأول.

لم تشر المصادر إلى تاريخ ميلاده بالتحديد، وإنما يستخلص ذلك من بعض الإشارات، فهي سنة 1082، بناء على قولة الأديب مصباح الزرويلي في كتابه *سنا المهتدي إلى مفاخر الوزير اليحمدي* : "وكان أسن مني وأعلم بالأدب، وكنت أراعي منزلته"، والزرويلي من مواليد سنة 1098، كما يؤكد هذا الافتراض ابن الحاج في *الدر المنتخب*)، عندما ذكر أن للعلمي قصيدة في مدح المولى إسماعيل وتهنئته بفتح مدينة العرائش سنة 1101، كما أورد العلمي لنفسه قصيدة في *الأنيس المطرب* في مدح المولى إسماعيل بعد فتح مدينة طنجة سنة 1095، قدم لها بقوله : "وقلت في أولية اشتغالي بهذا الفن قصيدة، رأيت أن أثبت منها شيئا على ما فيه من المسامحة"، مطلعها :

لك العز والتأييد والفتح والنصر أيا ملكا يصبو له البر والبحر

التحق العلمي بالكتاب القرآني ثم بجامع القرويين، حيث شغفه علما التاريخ والأدب، ومن شيوخه بفاس أحمد المسناوي وعبد الرحمن الفشتالي والشاعر محمد بن زاكور وغيرهم، وقد حلاهم أثناء الترجمة لهم في كتابه *الأنيس المطرب* بنعوت وأوصاف منها : "الفقيه المشارك، الفقيه النزيه الورع، من أهل الفضل وأحد قضاة العدل" إلى غيرها.

وبعد مرحلة التلقي والدرس، تصدر العلمي للإقراء، فكانت له حلقات دروس في النحو والبلاغة والأدب.

ورحل إلى المشرق بقصد الحج، فمات بالقاهرة عام 1134، وقيل سنة 1135، بعد أن طال تشوقه للحرمين، لكن لم يقدر له الوصول إليهما.

مؤلفاته :

- *الأنيس المطرب فيمن لقيه مؤلفه من أدباء المغرب*، انتهى من تأليفه سنة 1121، وطبع على الحجر بفاس مرتين، الأولى سنة 1305 والثانية سنة 1315، وهو يتضمن مختارات

أدبية لاثني عشر شاعراً مع نوادر وحكايات، "ومسائل علمية اقتضتها الصنعة القلمية" كما ذكر في مقدمة الأنيس المطرب.

- كناشة مخطوطة تحتوي على أشعاره توجد بالخزانة العامة بالرباط.

- مجموعة رسائل أدبية وإخوانية أرسلها الشاعر إلى عدد من كتاب الدولة وأدباء العصر، وتوجد ضمن مجموع بالخزانة العامة بالرباط.

- *رسالة في معرفة النغمات الثمان*، وهي في فن الموسيقى، أوردها في الأنيس المطرب.

- رسائل في فضائل الخيل، وهي في *الأنيس المطرب*.

- *القصائد العشرة في التشوق إلى البقاع المطهرة*، منظومة رتب رويها على حروف المعجم، كل قصيدة بعشرة أبيات، وهي مجهولة المظان.

شعره :

يقول الأستاذ محمد الأخضر : "العلمي من أكبر رجال الأدب والشعر في المغرب، وكثيراً ما يضرب المثل بشعره، ونثره غني وملىء بالصور، شيق القراءة على ما فيه من تكلف، موفق التصوير".

تناول العلمي في شعره جميع الأغراض الشعرية من مدح ووصف وغزل ورثاء وحكم، كما برع في فن التوشيح.

غزله موزع بين الجنسين، فكما تغزل في فاطمة وليلى وسعاد تغزل في ابن عباد ومسعود وأحمد وغيرهم في موشحات رقيقة شيقة، وله خمريات أبدع في وصف مجالسها وذكر ندمائه وسقاته وعذاله، وقد تميز في قصائده الوصفية للطبيعة الحية والجامدة، فوصف الرياض والأزهار والوديان، والأبهاء والقصور، متمثلا ما يراه بوجدانه ومشاعره في صور أنيقة رشيقة.

أما المدح، فلا يخلو ديوان شعره من قصائد في مدح السلطان المولى إسماعيل وفي مدح بعض الرؤساء والأعيان ممن كانوا يعينونه على غوائل الدهر وذل السؤال.

وله قصائد في مدح الرسول عليه السلام، وفي التشوق إلى زيارة قبره، والتماس شفاعته في نفس صوفي صادق.

يتميز أسلوب ابن الطيب العلمي بالسلاسة والوضوح، مع ما كان يتسم به أحيانا من زخرفة لفظية ومعنوية في غير تكلف، كما كان يتميز بحسن تصويره ودقة تخييله مع عناية بموسيقى شعره، إذ كان يختار البحور ذات الجرس الموسيقي النافذ، معتمداً تارة على نهج القصيدة العمودية وأخرى على فن الموشحات.

وقد اهتم بشعره فجمعه وحققه الباحث عبد الرحيم الراجي في رسالة جامعية غير منشورة. حلاه القادري في نشر المثاني بقوله : "الأديب النجيب أبو عبد الله سيد محمد بن الطيب العلمي، فاسي الدار والمنشأ والقرار، وكانت له ملكة في نظم الشعر، فنظم كثيراً منه"، وقال عنه اليفرني في المسلك السهل : تاج الأدباء، وسراج البلغاء، وصاحب القلم الرفيع" كما يشبهه بعض معاصريه في فصاحته وبلاغته بسحبان وائل وقس بن ساعدة، أما الأستاذ عبد الله كنون فقال عنه : "له الشعر طبع متدفق رقيق، وفي الكتابة أسلوب راق منسجم، وألفاظه فصيحة، ومعانيه واضحة".

وقد قرظ كتاب *الأنيس المطرب* ناسخه ومصححه السيد محمد بن محمد الرئيس سنة 1305 ص. 360، فقال : "جاء اسمه يغني عن الجليس، ويلهو عن محاسن بلقيس، فكم فيه من ياقيت وجواهر، لا يقدر على الإتيان بها شاعر ولا مرصع ماهر، ومع غاية الإيجاز فقد بلغ فيه حد الإعجاز، ولم يغادر من الأدب صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، واستجلب دانيها وأقصاها، فلله دره من أديب ومجتهد في فن البلاغة مصيب".

ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، ج 5 : 283، 220، *البدائع* (معجم أدبي خصص للعلمي) : ع. الوهاب بن منصور، *الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية*، لمحمد الأخضر، ص. 177، 198، ع. الله كنون، *سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب*، الحلقة 14 ؛ كنون، *النبوغ المغربي*، ج 1 : 314 ؛ القادري، *نشر المثاني*، ج 3 : 263 ؛ ع. الرحيم الراجي، *شعر ابن الطيب العلمي*، رسالة جامعية في جزأين ؛ زركلي، *الأعلام*، ج 6 : 171، ط 4، *شجرة النور الزكية*، ص. 336.

نجاة المريني

العلمي، محمد بن **عبد الله** الرباطي تلميذ الشيخ أبي بكر البناني. تعلم بفاس على الفقيه المرنيسي الذي لازمه مدة إلى أن صاهره. انتدبه الجيلالي بن حمو كاتبا معه. سافر معه إلى طنجة عندما كان والياً عليها ثم انتدبه السلطان مولاي الحسن كاتبا معه أيام الوزير السي موسى.

توفي بالرباط مسقط رأسه سنة 1318 / 1900 ودفن بجوار شيخه بالزاوية البنانية.

بوجندار، *الاغتباط*، ص. 200، 221.

عبد الإله الفاسي

العلمي، محمد بن **العربي** ولد يوم 22 غشت 1914 بمدينة فاس، وتلقى تعليمه بمدرسة السلام (مدرسة لالة تاجة حاليا) التي أسسها أحمد مكوار وأدارها محمد اليمني الناصري.

انخرط في الحركة الوطنية على يد الفقيه محمد غازي في سن مبكرة من عمره، حيث حكم عليه بالسجن مدة شهر واحد بعد صدور ظهير 16 ماي 1930. وقد تحدثت وثيقة رسمية عن "ماضيه الوطني الثقيل" وعن "دسائسه الوطنية" التي أدت إلى اعتقاله وسجنه مدة شهر واحد وإبعاده إلى مدينة خريبكة إثر احتجاجه على السياسة الفرنسية. التحق بجامع القرويين سنة 1933، ثم رحل، على نفقة أسرته الموسرة، إلى القاهرة سنة 1935 ليتابع الدراسة بجامعة الأزهر ويحصل على شهادة العالمية منها في السنة الموالية. ثم التحق بكلية دار العلوم المعروفة بقيمتها العلمية ووزن أساتذتها المتخصصين في العلوم العربية، فتخرج منها سنة 1940.

وأثناء إقامته في مصر، عمل على التعريف بالحركة الوطنية المغربية، حيث ساهم في تأسيس لجنة الدفاع عن المغرب الأقصى بالقاهرة سنة 1936، ونشر عدداً من المقالات في الصحف الجزائرية والمجلات المصرية (الجهاد والبلاغ والأهرام)، وخص مجلة النذير لسان حال جمعية الإخوان المسلمين بملف عن المغرب، يحتوي على وثيقة تاريخية لعبد العزيز بن إدريس العمراوي عن أساليب القمع في منافي كلميمة وسجونها.

وبعد عودته إلى المغرب في سنة 1941، أسس مدرسة الأمير مولاي الحسن المشهورة في مدينة الدار البيضاء باسم المدرسة العلمية، وكانت أول مدرسة وطنية دشنها الأمير مولاي الحسن يوم 16 أكتوبر 1944، قبل أن يفتتح السلطان سيدي محمد بن يوسف قسمها الداخلي. وقد ساهم في تمويل مشروع هذه المدرسة آل العلمي وآل بنجلون.

وقع محمد العلمي على وثيقة المطالبة بالاستقلال، بصفته "شخصية حرة"، إلى جانب الأعضاء الذين كانوا منتمين إلى الحزب الوطني. يكشف أبو بكر القادري عن سياق مشاركة العلمي في التوقيع على الوثيقة، فيقول: "وعندما كنا نتهيأ لتحضير وثيقة المطالبة بالاستقلال، كان السيد محمد العلمي حسب ما يبلغني من أعضاء الحركة القومية التابعة للسيد محمد بن الحسن الوزاني، وأنه في بعض الفترات كان موضع ثقته الأولى، ولربما كان يكلفه ببعض المهام. ونظرا لعلاقة الحاج عمر بن عبد الجليل مع السيد عبد العزيز العلمي (شقيق صاحب الترجمة) الذي كان اتجاهه مع الحزب الوطني ثم مع حزب الاستقلال، فإن الحاج عمر كان يلتقي مع سي محمد العلمي في بيت سي عبد العزيز، وهكذا حصل كثير من التجاوب بينه وبين الحاج عمر لدرجة كبيرة الأمر الذي جعله يطمئن إليه كثير الاطمئنان، ولربما كان هذا هو الدافع الأساسي ليقترحه على الحزب من أجل التوقيع على وثيقة المطالبة بالاستقلال وهو ما جعل اسم السيد محمد بن العربي العلمي من الموقعين الأولين على الوثيقة. ولست أدري أنه لدى توقيعه على الوثيقة استأذن أصحابه في الحركة القومية أم لا ؟"

نعتقد أن صلة العلمي بحزب الاستقلال لم تدم طويلا، إن نقل إنها لم تتعد المشاركة في وثيقة 11 يناير 1944، وقد أشارت إحدى الوثائق الرسمية إلى أنه كان مسؤولا عن قطاع التعليم داخل الحزب سنة 1946. والمؤكد أنه شارك في تأسيس حزب الشورى والاستقلال الذي حل محل الحركة القومية، بل وكان حاضرا في مكتبه السياسي المؤلف في المؤتمر التأسيسي المنعقد أيام 27 و29 يوليوز 1946. وهناك تطرح تساؤلات عن أسباب هذا الانتقال، منها : هل يتعلق الأمر بعدم تلبية طموحه السياسي الشخصي وعدم حضوره في الأجهزة القيادية لحزب الاستقلال ؟ أم هل وراء ذلك اختلاف مبدئي مع أفكار هذا الحزب واقتناع برؤى محمد حسن الوزاني، حسب ما ذهبت إليه إحدى الوثائق الرسمية ؟ لم يطل ارتباطه بحزبه الجديد، إذ تم طرده وآخرين منه في المؤتمر الثاني سنة 1950، بعد اتهامهم بعدم الانضباط وباستعمال الحرية بشكل يتنافى مع النظام. ويظهر أن نشاطه الحزبي انتهى بعد ذلك، دون أن يقطع علاقاته الشخصية والتجارية مع رفاقه الشوريين السابقين، وذلك من خلال مؤسستين اثنتين محسوبتين على الحزب على الأقل، وهما شركة "دار الكتاب" التي كان العلمي من بين المساهمين فيها والمدرسة العلمية التي توصف بأنها "مدرسة شورية الاتجاه" ويعمل فيها عدد من وجوه الحزب المعروفة من أمثال أحمد بنجلون ومصطفى القصري.

تقلب محمد العلمي في عدة مناصب دبلوماسية بعد الاستقلال، فقد عين سفيرا بتونس (1956 ـ 1960) ثم بلبنان فكاتبا للدولة في الخارجية ثم سفيرا بإيران وأفغانستان ومصر والسعودية واليمن. وأخيراً، تعاطى للتجارة الكبرى فكان مع أخيه من التجار اللامعين إلى أن وافته المنية يوم 23 يناير سنة 1990.

تراجم الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال 11 يناير 1944 / 1996، نشر، *المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير*، ط. 2، 1996، ص. 99 ؛ محمد معروف الدفالي، *حزب الشورى والاستقلال من التأسيس إلى الانهيار*، أمل، عدد مزدوج، 10 ـ 11، ص. 65 ـ 94 ؛ جون جيس ديس، *حركة المدارس الحرة بالمغرب*، 1919 ـ 1970، تر. السعيد المعتصم عن الإنجليزية، نشر تانسفت، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط. 1، 1991، وخاصة ص. 62 و65 و94 ؛ عبد الهادي الشرايبي، *ثمن الحرية*، مطبعة دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الدار البيضاء، 1398 / 1978، ص. 183 ـ 188 و208 ـ 209 ؛ أبو بكر القادري، *رجال عرفتهم الموقعون على وثيقة المطالبة بالاستقلال في 11 يناير 1944*، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ج 12، ط. 1422 / 2001، مطبعة دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الدار البيضاء، 1398 / 1978، ص. 101 ـ 103 ؛ *الزيارة الميدانية*.

نجيب تقي

العلمي، مَحمد بن محمد بن إبراهيم الحسني الفاسي. كبير الفلكيين والموقتين المغاربة المعاصرين. ولد بفاس عام 1292 / 1875 حلاه تلميذه ابن سودة في *سل*

النصال بقوله : "العلامة المشارك المطلع المدرس النفاعة، شيخ الجماعة في علم التوقيت والتنجيم والحساب والهيئة وغير ذلك من علوم الرياضيات. آخر من أتقن هذه العلوم اتقاناً نظرياً وعلمياً."

درس بمسقط رأسه على كبار شيوخ القرويين المتوافرين، منهم أحمد بن الطالب ابن سودة، وعبد الله الكامل الأمراني، وعبد السلام الهواري، وعبد السلام بناني الطبيب، وشيخ الفلكيين محمد بن علي الأغزاوي وغيرهم كثير.

اشتغل بالتدريس والتأليف طوال حياته وانتفع به من الطلبة الفاسيين والطارئين على المدينة من لايحصى عدداً. ويذكر طلبته أنه كان عند شرح المواقع الجغرافية والخطوط الفلكية يرسم لهم بأصبعه في الهواء أو على الحصير لعدم وجود سبورات في القرويين، وكان كثير التقييد، حريصاً على نفع الآخرين بتحقيقاته واكتشافاته. لذلك كثرت تآليفه الكبرى والصغرى التي تُعدُّ بالعشرات، طبع الكثير منها على الحجر، وقام بتدريسها وتلقينها، وكانت مرجع هذه العلوم العقلية في التعليم الأصيل خلال النصف الأول من القرن الرابع عشر (20 م).

درستُ بسلا على الشيخ الباشا الحاج محمد الصبيحي. وكان من أخص أحبائه المترجم وأصفيائه. كثيراً من هذه التآليف المتعلقة بالتوقيت والتعديل كتقريب *البعيد من الجامع المفيد عن أصول الراصد الجديد* ؛ و*حاشية على شرح الفشتالي على رسالة الماريني في العمل بالربع المجيب*، و*جداول الظل الأثني عشر*، و*جدول النسبة الستينية* إلى غير ذلك من تآليفه المطبوعة. ولما انتقلت إلى الجامعة استفدت كثيراً من كتابه القيم *إنهاض الهمم العالية، في التوقيت والتعديل والهيئة والجغرافية*، ترجم فيه لأعلام هذه العلوم من بدايتها إلى الوقت الحاضر، وهو ما يزال مخطوطاً عندي نسخة مصورة منه بتقديم المؤلف بخطه للشيخ الحاج محمد الصبيحي.

فقد المترجم بصره في آخر عمره، وظل مع ذلك يدرس كعادته، بل ويرسم في الهواء لتحديد المواقع وشرح المطالع الفلكية. إلى أن لقي ربه بعد زوال يوم الثلاثاء 29 مضان عام 1373 / فاتح يونيه 1954. ودفن بروضة العبدلاويين بالقباب خارج باب الفتوح.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع* / سل النصال / موسوعة *أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 9 : 3289 ـ 3290.

محمد حجي

العلمي، محمود ولد محمد بن محمد بن إدريس العلمي بفاس عام 1923. وفيها نشأ ببيت علم وتدين، فتلقى عن والده أولى معارفه في اللغة والدين، ثم التحق بالكتاب حيث حفظ القرآن واستظهره. ولما بلغ سن التدريس التحق بالتعليم الابتدائي، فحصل على الشهادة الابتدائية عام 1937، ثم التحق بكوليج مولاي إدريس لمتابعة دراسة الثانوية.

ومنذ يفاعته أحس الفتى بالحاجة إلى العمل الجماعي فانخرط في أوراش التمثيل التي شكلها تلاميذ الثانوية، وكان يشارك في العروض المسرحية التي ينظمونها. وما عتم أن أقبل ـ وبمعيته بعض زملائه التلاميذ ـ على تأسيس فرقة كشفية، وبذلك تحقق أمل ظل يراوده منذ أن كان طفلا يشاهد "الفتيان ... يسيرون مثنى مثنى في أزقة المدينة، وامتلأت نفسه إعجابا بمشهدهم... تؤلف بينهم وحدة كسوتهم ويقولون النشيد".

وقد زاد من حماسه وتعلقه بالنشاط الكشفي حظوة فرقته بزيارة جلالة المغفور له محمد الخامس عام 1940 في المخيم الذي أقامته بمدرسة عين قادوس الفلاحية التجريبية، وبرفقته الأمير مولاي الحسن.

وفي غمرة الأحداث السياسية التي عرفتها مدينة فاس في هذه الظروف والتي لم يكن تلاميذ ثانوية مولاي إدريس ليقفوا بمعزل عنها، وجد الفتى نفسه ذات يوم يتصدر إضرابا لهؤلاء، أسفر عن قرار الإدارة بطرده من المؤسسة وحرمانه من متابعة الدراسة بها، ولم يكن قد مضى على نيله شهادة البروفيه الثانوية سنة 1941 غير عامين.

وأمام المضايقات التي أصبح الفتى عرضة لها بعد توقيفه عن الدراسة من جهة، وصدور قرار بمنع أي نشاط كشفي من جهة أخرى، لم يجد مناصا من مغادرة فاس، فانتقل إلى الرباط عام 1942، وفيها التحق بمدرسة محمد جسوس معلما للغة الفرنسية ومقيما بقسمها الداخلي.

ولما كانت أحداث يناير 1944 أقدمت السلطات الاستعمارية على إغلاق مدرسة جسوس يوم 29 من ذات الشهر، فوجد العلمي نفسه سجينا إلى جانب التلاميذ الداخليين وبقي معهم أسبوعا كاملا يعانون من الحصار والجوع.

لم يطق الفتى البقاء بالرباط، فرحل إلى الدار البيضاء حيث التحق بمدرسة الأمير مولاي الحسن بصفته معلما، وكان على رأسها مؤسسها السيد محمد بن العربي العلمي.

في هذه الفترة ترسخت في نفسه قناعة التنظيم الكشفي على المستوى الوطني كوسيلة فاعلة لتربية الشباب وخلق طاقات تطوعية تكون مؤهلة لخدمة البلاد. فلما كان ربيع 1946 نظم مخيما سريا لفرقته من أبناء المدرسة ليرميطاج استمر يومي 19 و20 أبريل، ودعاله واحداً وعشرين من مسؤولي الحركة الكشفية بمدن وجدة وفاس ومكناس والرباط وسلا والدار البيضاء وسطات ومراكش، وبذلك تحول المخيم إلى مؤتمر سري انبثق عنه تأسيس هيئة كشفية وطنية تحت اسم "منظمة الكشافة المغربية الإسلامية" تضم سائر الفرق والجمعيات الكشفية المحلية التي حضر ممثلوها في المؤتمر.

إثر ذلك دخلت الهيئة في معركة مع السلطات الاستعمارية يقول عنها مؤسسها محمود العلمي : "انطلق العمل، فكانت مرحلة العمل السري ما بين اصطدامات وحرب القوانين مع السلطات الاستعمارية". وعلى امتداد خمس سنوات عقدت المنظمة أربعة مؤتمرات وطنية تحقق بعدها انتزاع الاعتراف الرسمي عام 1951.

وقد توفي محمود العلمي إثر مرض مفاجئ يوم 16 شتنبر 1983، ودفن في مقبرة الشهداء بالدار البيضاء في محفل كبير. وبمناسبة الذكرى الأربعينية لوفاته أحيت الجامعة الوطنية يوما مشهوداً بالدار البيضاء ألقيت فيه كلمات وقصائد تنوه بإنجازاته وتشيد بخصاله. ومما جاء في قصيدة رثاه بها الأستاذ عبد العزيز بن عبد الجليل :

محمود كنت حبيبنا وصديقنا تجلو الهمومَ عن الفؤاد السادر
قد كنت نبراساً يُضيء سبيلنا للحق، للخير المبين النيّر

ع. أفا، *نبذة عن حياة القائد الكشفي محمود العلمي بمناسبة الذكرى الأربعينية لوفاته*. 1029 ـ 1983 : م. حجي، *رواية شفوية*.

عبد العزيز بن عبد الجليل

العلمي العريصي، إبراهيم (مولاي ـ) بن قاسم الشريف الحسني. يُعرف بمولاي إبراهيم الشريف، ومولاي إبراهيم البهالي صالح الرباط الشهير صاحب الضريح القريب من الجامع الأعظم في حي يحمل اسمه (حي مولاي إبراهيم) بين الزاويتين الاحديين التلمسانية والغربية.

أصله من مدينة سلا انتقل منها في آخر عمره إلى الرباط. كان مجذوبا ساقط التكليف. عاصر الشيخ علي العكاري وغيره من العلماء، فلم يكن أحد منهم يعترض عليه أو ينتقد سلوكه الذي كان يخالف ظاهر الشرع أحياناً كدخوله على النساء بدون استئذان. قال في *الاغتباط* : "فقد تناقلت الألسنة عنه ما هو في الغرابة بمكان، زيادة عن كونه كان يكاشف بالأمور المستقبلة، ... وكثيراً ما كان يحدّث بالعجائب والغرائب فتقع مطابقة لما حدّث به. والتحقيق أنه لم يتزوج قط ولم يعقب، وإنما عصّبه أبناء أخيه سيدي محمد" ويقول عنه العامة إنه "مولى البلد".

توفي أواخر المائة الحادية عشرة (حوالي عام 1098 / 1687 ودفن أولاً بمقبرة العلو عند شاطئ البحر المحيط الغربي قرب سيدي التركي في موقع أشبار الذي بناه السلطان مولاي عبد الرحمن، ومازال يعرف إلى الآن بمقبرة مولاي إبراهيم. وبعد مرور نحو ثلاثين عاماً نُقل إلى ضريحه الحالي قرب المسجد الأعظم. ويذكرون لهذا النقل حكاية تعد من كراماته. ويوجد ظهير للسلطان المولى إسماعيل مؤرخ في عام 1128 / 1716 إلى بعض الولاة يأمره بالوقوف في حمل جنازة المترجم من قبره بالعلو إلى مدفنه الآن. ويقال إنه وُجد كما دفن حين نقل من غير تغيير، وليست بأول كرامة له. وأصل ضريحه الحالي بيت من دار مجاورة لبعض أقاربه، زيد فيه من المحجّ قبلة وشرقاً، فدفن في النصف الشرقي، وجُعل النصف الغربي مسجداً تقام فيه الصلوات الخمس ويقرأ فيه الحزب.

ظهائر ورسوم عدلية أصليه لآل مولاي إبراهيم ؛ م. بوجندار، *الاغتباط*، مصور بالأوفسط، الرباط، 1987.

محمد حجي

علوان (آيت ـ)، يطلق هذا الاسم اليوم على مجموعة من قبائل القصور بواحتي محامد الغزلان ولكناوة، وقد كانت وما تزال تعتبر نفسها من آيت عطا. ويتفق كل الباحثين في تاريخ قبائل آيت عطا، أن قبائل آيت علوان قبائل صحراوية بالأصالة والمحتد، وقد تشكلت من فلول وشتات القبائل المعقلية المنحلة التي كانت تجوب بقطعانها هوامش بلاد درعة، قبل تشكيل اتحادية آيت عطا في العقود الأخيرة من القرن 10 (16 م) وقد كانت هذه القبائل في بداية أمرها تعرف بين القبائل باسم علوانة. أما سيلمان فيعتقد بأن هذه القبائل قد اقتبست إسمها من فعل العون الذي تحول في صيغته الأمازيغية إلى "لعْوان"، مدعيا بأن دَادّا عطا مؤسس اتحادية آيت عطا هو الذي أطلق عليهم هذه الصفة عندما استدعاهم للاستعانة بهم في بعض أغراضه، وقد تحول هذا النعت مع مرور الأيام إلى آيت علوان الحالية.

تعتبر قبائل آيت علوان أوعلوانة من أقدم القبائل التي ساهمت إلى جانب قبائل آيت أونير وآيت وللاّلْ ثم آيت واحليم في وضع الأسس الأولى لاتحادية آيت عطا، والجدير بالملاحظة أن عددا من قبائل آيت عطا، ينحدرون من أصول معقلية كما هو الحال مع آيت علوان وآيت بويكنيفس وغيرها من قبائل آيت عطا.

وتشكل قبائل آيت علوان، في هيئة أخماس اتحادية آيت

عطا، الخمس الثالث في هرمية الأخماس، إلى جانب قبائل آيت اسغول.

كانت مجالات قبائل آيت علوان، قبل أن تتحول إلى الاستقرار والارتباط بالأرض، ما بين الدورة السفلى شرقا، وفم زگيد غربا مرورا بالهوامش الجنوبية لبلاد درعة، وقد أضاعت القبائل العلوانية لسانها المعقلي، و"تخلقت بأخلاق وعادات" قبائل آيت عطا بعد ما اندمجت كلية في هذه الاتحادية.

ورغم أن قبائل آيت عطا تعترف لآيت علوان بأنهم من المؤسسين الأوائل لهذه الاتحادية القبلية، فإنه يمنع عليهم أن يتولوا منصب الشيخ الأعلى (أمغار نوفلا) في الاتحادية على غرار القبائل الأخرى من أصول صنهاجية في اتحادية آيت عطا.

وعلى غرار قبائل آيت عطا التي كانت تضطر إلى مغادرة مجالات انتشارها الأولى في الهوامش الصحراوية، بحثا عن أماكن أفضل لرعي قطعانها في الأودية وشمال الأطلس، اندفعت قبائل آيت علوان إلى دادس وبلاد نتيفة وانتشرت في عدة مناطق بالأطلس المتوسط فاندمجت في بعض قبائل آيت عطا نومالو بناحيتي وارزغت وأزيلال، وقد وصلت بعض العناصر منهم إلى أحواز مكناس حيث اندمجوا في قبائل گروا.

إلا أن الأغلبية العظمى من قبائل آيت علوان ظلت مرتبطة بمناطق تجمعاتها الأولى بهوامش بلاد درعة، حيث تمكنت في نهاية القرن 19 م ومطلع القرن 20 م إلى السيطرة على بعض قصور واحة محاميد الغزلان، وبدأت تتحول تدريجيا من الترحل والانتجاع إلى الاستقرار والارتباط بالأرض.

وفي غمرة الصراعات القبلية التي طرأت على وادي درعة عامة وواحتي محاميد الغزلان ولكتاوة بصفة خاصة خلال العقدين الأولين من القرن 20 م، حاولت قبائل آيت علوان من تقوية مجال نفوذها بواحة محاميد الغزلان على حساب قبائل الجوار خاصة قبائل عْريبْ التي استنجدت بقبائل آيت خباش لمواجهة التفوق العددي لآيت علوان.

وأمام وطأة آيت خباش استنجدت قبائل آيت علوان بحلفائها من آيت اسغول، فامتدت مظاهر الفتنة بين هذه القبائل إلى كل أطراف محاميد الغزلان ولكتاوة. وقد حاولت فرنسا أن تسطر على المنطقة بواسطة آل الگلاوي في أواسط العقد الثالث من القرن 20 م، فنزل حَمّو الگلاوي على رأس حركة قوية إلى وادي درعة، فلما وصل إلى رباط تيزولين في بداية سنة 1924 م، وجه جماعة من المخازنية إلى محاميد الغزلان، لجس نبض القبائل ومحاولة التعرف على مدى قواتها واستعدادها للمواجهة، فقامت قبائل آيت علوان باعتقال مخازنية حمو الگلاوي وترحيلهم إلى تيزولين في تحد صارخ للقائد حمو الگلاوي. وقد ظلت قبائل آيت علوان تصارع القبائل القوية من آيت عطا، تقاوم مرة وتسلم أخرى إلى أن تمكن الفرنسيون من السيطرة على المنطقة في نهاية سنة 1932 حيث نجح الفرنسيون في التمركز بمركز المحاميد الحالي.

ومن القصور التي تستوطنها قبائل آيت علوان بواحة لكتاوة تيراف، وأولاد عْلي والركبة وقصبة آيت علوان. وبواحة محاميد الغزلان، قصر أولاد محيا، وقصبة ولد سيدي خليل وقصبة مولاي مبارك، وبُونَو، وزاوية لَهْنا، حيث تشاركهم السكن بعض قبائل عْريبْ.

وتتشكل قبائل آيت علوان من الفرق الآتية : آيت غْنيمة، آيت بومَسْعود، آيت سيدي ثم أيت أونْزار وكل فرقة من هذه الفرق الأربع تتكون من عدة بطون أو قبائل صغرى.

محمد بن لحبيب التمنوكالي، *العقود الجوهرية*، مخطوط ؛ التقي العلوي، *الاتحاديات الأطلسية*، البحث العلمي، ع. 24، 1974.

G. Spillmann, *Les Aït Atta du Sahara et la pacification du Haut Dra : Districts et tribus de la haute vallée du Dra : Souvenirs d'un colonialiste* ; P. Azam, *Sédentaires et nomades du sud marocain*, C.H.E.A.M., 1947 ; F. de Lachapelle, *Le sultan My Ismail et les berbères sanhaja du Maroc central*, A.M., n° 28 ; Inconnu, *Monographie de l'oued Dra*.

أحمد البوزيدي

علوان ، الغماري ثائر قام بجبال غمارة في أيام الخليفة الناصر الموحدي الذي خرج إليه في حملة عسكرية سنة 595 / 1199 وتمكن من القضاء على ثورته.

ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1974، ص. 206 ؛ الناصري، *الاستقصا*، ط. 1954، ج 2، ص. 214.

رشيد سلامي

علوج البحرية المغربية، العلوج والأعلاج : جمع عِلْجٌ. وفي اللغة هو الفرد من كفار العجم، والقصد به في المَغرب الأفراد المسيحيون واليهود الذين ارتدوا عن ديانتهم الأصلية لمعانقة العقيدة الإسلامية، وهم في غالبيتهم مُن في بؤس الأسر. وقد دأبت الأسر الحاكمة منذ العهد المرابطي على إدماج جموع من المرتدين من مسيحيي الأندلس ممن يتصفون بالكفاءة العسكرية والهندسية والتقنية في قواتها البرية والبحرية للاستفادة من مداركهم المتقدمة المطلوبة في هذا الصدد، وأيضا من ضعف عصبيتهم وسط الأهالي وارتباطهم بشخص السلطان والأمراء وكبار القادة.

وقد كانت عملية تحول الأسير المسيحي إلى علج مسلم تتم بناء على رغبته طوعا أو ترغيبا، يتقدم إلى القائد أو القاضي الذي يشرف شخصيا على ذلك، طالبا من المعني بالأمر ترديد الشهادتين قبل إخضاعه لطقوس الاطهار بتنفيذ عملية الختان، ثم بتكليف أحد الفقهاء بتلقينه قواعد وفروض العقيدة. وكانت نظرة المجتمع إلى هذا التحول من باب الأعمال الحميدة والحسنات الكبرى التي تعود على صاحب الأسير السابق بالثناء والمديح. ومع ذلك لا يؤدي اعتناق العلج للإسلام إلى انعتاقه مباشرة، ولكنه كان مرحلة

أولى في أفق تحرره النهائي. وحدث التحرر هذا كان يتمثل في تحول الأسير إلى مولى تابع لسيده بتأسيس شبه قرابة بينهما يلتزم فيها كل منهما ضمنيا بتعهدات إزاء الآخر. وبمجرد تحول الأسير إلى علج حر، ونجاحه في اكتساب ثقة المجتمع من خلال سيرته الدينية والاجتماعية وكفاءته العلمية والميدانية، ينعم بنفس الامتيازات التي يحظى بها المسلمون الأصليون، ويصبح معدوداً دون تمييز من عناصر البلد، له ما لهم، وعليه ما عليهم، بشكل يفسح المجال أمامه لبلوغ كافة المناصب حسب قدراته ومؤهلاته. الأمر الذي مكن المجتمع الجهادي من الاستفادة من تجارب مجموعة بشرية متنوعة في عدد من الميادين، وخاصة تلك التي لها طابع تقني : كما مكن العلوج من تحسين وضعيتهم وإبراز كفاءاتهم، وتبوإ أسمى المراتب.

وإذا كانت نسبة من العلوج يتم استقطابها من بين مغامري البحر والجنود المسيحيين الفارين من الخدمة العسكرية من مراكز الاحتلال، فإن انتشالهم العام كان أولا من أسرى الإسبان في المعارك البرية بالأندلس إلى حين تضعضع النفوذ المغربي بها عقب معركة العقاب (1212)، ثم من أسرى المعارك الدائرة حول مراكز الاحتلال بالسواحل المغربية في مرحلة لاحقة امتدت من فترة سقوط سبتة حتى تحرير مركز البريجة (ق 18 م). وتخلل هذه الفترة انتشال مطرد للعلوج خارج المجال القاري من أسرى العمليات البحرية الجهادية التي بدأت في عهد محمد الشيخ السعدي، وعرفت أوجهها طيلة القرن (17 م) على يد رياس الجهاد السلاوي ثم على يد الأسطول الإسماعيلي، دون أن يعرف نفس الازدهار في عهد حفيده سيدي محمد بن عبد الله، تعبيراً عن بداية توقف الأسطول، وتآكله التدريجي بفعل افتقاره إلى طاقته الفعالة، وزيادة استفحال ذلك بتراجع انتشال العلوج من بين الأسرى.

لقد كان استقطاب العلوج ينبني على التحفيز المادي والمعنوي، ويتشكل غالبا في الإلزام القسري الممارس على جملة من بحارة أوربا المتعرضين للأسر، مع اضطرار هؤلاء إلى التكيف مع واقعهم، واختيارهم الاندماج الطوعي في محيطهم الجديد، منخرطين بصورة شبه تلقائية في دعم المجهود الملاحي، لما يوفره لهم ذلك من مكانة مادية واجتماعية تعادل أو تفوق مكانتهم في مجتمعاتهم الأصلية ؛ فشكل هؤلاء العلوج منذ القرن (17 م) القوة الرئيسية للملاحة المغربية، متمثلا في عموم إفريقيا الشمالية، باعتبارهم بحارة منذ نعومة أظافرهم متميزين بمداركهم الملاحية المجهولة لدى المغاربة، وبدورهم الكبير في إدخالها إلى البلد كعناصر ناقلة للتطور التقني الأوربي، ومسيرين أساسيين لاستمرارية العمليات الضامنة لاستقطاب المزيد من أقرانهم الأوربيين، ولمواكبة الإطلاع على أحدث التقنيات المستجدة.

إن رغبة المغرب في تفعيل أسطوله واستمراره قد دفعته إلى تدبير الاحتياج وتقليص الخصاص بتعدد استقطاباته للعناصر المؤهلة من بين الأسرى، وبكل الوسائل المتاحة طوعا أو كرها، قصد خلق نواة أساسية للأسطول يتحلق من حولها من تمكنت المناطق الساحلية من إعداده من رجال ؛ إذ كانت احتياجاته إلى الكفاءات الملاحية مطروحة بشدة على المستويين النوعي والكمي، في وقت كانت فيه مراكزه الملاحية ـ وأساسا المركزان الأندلسيان : الرباط وتطوان ـ لا تنتج إلا ندرة ملموسة منها. وبما أن نوعية الأسطول كانت عسكرية تماشيا مع دوره الجهادي، فإن حاجياته الحقيقية كانت تتطلب تغذية كثيفة بالرجال بنسبة تبلغ رجلا واحدا عن كل طنة، أي مائة رجل لكل سفينة حمولتها مائة طنة (100 / 100)، بمقابل رجل واحد لكل أربع إلى ثمان طنات للسفن التجارية الأوربية (12 ـ 25 / 100)، الشيء الذي كان يفرض على أسطول الجهاد لمصب أبي رقراق مثلا، خلال فترة 1627 ـ 1640 التي بلغ فيها متوسطه أربعين سفينة بمعدل 150 طنة للواحدة، التوفر على ستة آلاف (6000) بحار أثناء الموسم الواحد، يشكل الجذافون نصفه (1/2)، والعلوج خمسه (1/5) ونخبته بحكم تشكيلهم لنسبة مهمة من طواقم قيادة السفن وتقنييها، فمنهم الرياس، وكبار البحرية (الكونطرا مشترو)، والديماجية، واليكانجية، ورؤساء القلفطة، ومعلمو البناء، والباش طبجية، والجراح، والكتاب، والرؤساء التقنيون (مشترو دلماكينة)، بما لهم من خبرة كبيرة في هذا المضمار باعتبارهم بحارة أسروا من على متن السفن.

ومن ثم تحققت على يدهم القفزة النوعية ملاحيا في تطوان ومصب أبي رقراق وأسفي، لا من حيث الكفاءة المهنية والصناعية، ولا من حيث إدخال أحدث التقنيات ومأسسة الفعل الملاحي في شقه العسكري على الأقل. وبرز في هذا الصدد الهولنديون الذين كانت حماستهم في الإضرار بالسفن والسواحل الإسبانية لا تقل حدة عن نظرائهم الأندلسيين اللاجئين إلى المغرب. وهذا النجاح الذي حققه التعاون الهولندي ـ الأندلسي منذ العقد الأول لانطلاقه الجهاد البحري السلاوي، شكل حافزا كبيرا لغيرهم من رجال البحر للسعي إلى الثراء، وإلى تحقيق الشهرة المعنوية في مجال الأطلنتيكي الشاسع، جعلت تقارير المبعوثين الأوربيين عامة، والإنجليز خاصة، يتخوفون من أن يشكل ذلك إغراء لقباطنة وربابنة بلدانهم بالالتحاق بأسطول سلا الجديد. فصار تطور وتيرة الأسطول الجهادي واستمراريته رهين حجم العلوج العاملين فيه، ورأى فيهم الأب دان في القرن 17 النواة الفعلية للعمل الجهادي البحري، وأساس قوته البشرية والتقنية، بما بذلوه من مجهودات محمودة في هذا الصدد، ومن دور كبير في استقطاب المزيد من رجال البحر الأوربيين عن طريق الإكراه وعن طريق التحفيز المتجسد في ما قدموه "من نموذج يحتذى به في أوساط الأسرى" حسب القائد الفرنسي دي رازيلي (Du Razilly)، حتى عدوا هم من مارس العمل الملاحي في أعالي البحار باسم المغاربة.

ولقد نهج السلاطين السعديون خلال النصف الأول من القرن (17 م) سياسة استقطاب مغامري البحر من المسلمين ومن لصوص البحر الأوربيين، باذلين ما في وسعهم لجعلهم عناصر مرتبطة بخدمة النظام على الصعيد الاقتصادي (مغانم / أعشار)، بتحفيزهم على التحول إلى رياس علوج دون التدخل في طريقة تسييرهم لمواسمهم ولقيادتهم للسفن، ودون إسناد دور الدفاع العسكري المباشر عن المياه المغربية لهم اعتبارا لخصوصيات مهنتهم، حيث كان هذا الدور يسند إلى سفن الدول الخليفة، وخاصة سفن الأقاليم المتحدة.

وجعل تنوع المواسم الجهادية وتنوع الأسرى الأسطول يتسم بتعدد جنسيات العلوج العاملين فيه، ما بين إنجليز وهولنديين وإسبان وبرتغاليين وفرنسيين وغيرهم، منضمين إلى العنصر الأندلسي المترئس للنشاط، وجعل ذلك من مصب أبي رقراق ملتقى عالميا للتجارب والخبرات الملاحية المختلفة، وبلغ عدد المنخرطين في الجهاد السلاوي سنة 1635 ثلاثمائة علج (300).

ولذلك، كانت النظرة إليهم في الأوساط الأوربية مشوبة بالحذر والريبة الممزجتين بالرغبة في الاقتصاص منهم، خصوصا وأنه على أيديهم وسع الأسطول المغربي مجال عمله، لينتقل في ظرف وجيز من مراقبة مياهه الإقليمية إلى تهديد خطوط الاتصال البحرية الرئيسية، واعتبرت مساهمتهم في هذا الصدد في نظر الكثير من المؤرخين سبب شهرة الجهاد السلاوي، ومنشطه الحقيقي بالتقنيات كما بالرجال، إلى درجة القول بأن المغرب لم يكن يملك إلا أجسام السفن وبيارقها، في حين كان توجيه العمليات وعائداتها من اختصاص طواقم العلوج المشاركة فيها، خصوصا وأن وصول السفن السلاوية خلال العقد الثالث من القرن (17 م) إلى مجالات كانت مجهولة لدى المغاربة لم يكن - حسب الأميرال الإنجليزي فرانسيس ستيوارت (F. Steawart) ليتم لولا الدور الذي قامت به العناصر الهولندية من العلوج، ولا سيما في بحر المانش وحوالي الجزر البريطانية، تحت القيادة الجريئة للعلج الهولندي الأصل موراطورايس (1622 - 1631).

وبالفعل كان العلوج بمداركهم الملاحية والتنظيمية يوفرون للمغرب الاحتياجات التي لم يفلح في تغطيتها بشريا إلا بشكل نادر، وعلى رأس هؤلاء كان العلوج الهولنديون يشكلون نخبة رائدة، تمكن المغرب بفضلها من إحراز تقدم ملاحي تقني واضح ممارسة وتلقينا. وبعدما لم يكن بمستطاعه إنجاز حتى قادس واحد، أصبح بدعمهم ومساهمتهم على عتبة التقدم التقني، وقادرا على التقليص من حدة الفوارق التقنية مع الأساطيل الأوربية، إن على مستوى الأدوات، أو على مستوى الكفاءات. وكان العلوج يشكلون بذلك فريقا أساسيا لا غنى للسفانة السلاوية عنه، سواء في جانب السباكة أو النجارة أو التقطير، وبصورة أسمى في مجال هندسة المراكب وبنائها، ويمكن القول أنه مقابل الوضعية المتازة التي كانت المنطقة تمنحهم فإنهم قدموا خدمة جليلة بإنشائهم أوراش عصرية على الضفة اليسرى لنهر أبي رقراق، مكنتها من تغطية الجزء المهم من حاجيات رياس الجهاد على مستوى السفن، أو من استنساخ سفن محلية عن الغنائم المتطورة خلال النصف الأول من القرن.

وعلى يد الرياس والتقنيين العلوج خضع توجيه الأسطول المغربي للتقانة الملاحية الحديثة الضرورية لضبط المسارات البحرية واتجاهات الرياح، متمكنين من التحكم في توجيه السفن بالبوصلة والبركار وبيت الإبرة، وفي معرفة الاتجاهات بالنجوم وبمراقبة بروزها وأفولها بواسطة الوسائل المعتمدة في ذلك مثل المقراب والأصطرلاب ؛ ولتحديد المسافات كان الاعتماد على مسجلات السرعة (Loch). وحتى يتم التمكن من استغلال الرياح المواتية بصورة قصوى، قام العلوج حركة الأشرعة الكبرى بحركة الأشرعة الأمامية المتعددة وأشرعة الدعم ؛ وأضافوا إلى ذلك تجديدا مهما أدخلوه على الشراع اللاتيني السائد آنذاك، حيث استلهموا ذلك من التفكير في التقليص من المساحة الكبيرة للشراع باستعمال الشراع العربي الذي يوفر إمكانية التحكم في القدات من الأسفل بيسر وبسرعة أفضل من وضعيتها التقليدية على شكل مروحة في الشراع اللاتيني.

وإذا كانت سلطات الجهاد تخصص الجوائز السنية عن أسر أي مسيحي متخصص في العمل الملاحي أو العسكري في أفق تحويله إلى علج، لما لذلك من انعكاس على قوة الأسطول وفعاليته، وعلى مساعدته على اكتساح حتى المغمور من العوالم الملاحية، فإن القوات الأوربية في مقابل ذلك سعت إلى اختطافهم من أيدي المغاربة، مثلما شجعت الوسطاء والإرساليات الدينية على بذل الفديات الكفيلة بافتكاك أكبر عدد منهم، حتى أصبحت تطوان سوقا تحفيزية لأوربا لاستعادة كفاءاتها المفتقدة. وشكلت هذه الأساليب - إلى جانب الاتفاقيات الرسمية - عوامل أساسية في التقليص المطرد لأعدادهم لا سيما خلال القرن (18 م)، نجم عنها فقدان المغرب لأهم مصدر لإمداداته من اليد العاملة الملاحية والتقنية، مع ما في ذلك من انعكاس كبير على العمل الجهادي خاصة، وعلى النشاط الملاحي عموما أواخر القرن المذكور.

وإلى جانب ذلك أصدرت الدول الأوربية تعليماتها إلى قواد أساطيلها بالتشدد في ملاحقة البحارة والعلوج المغاربة وبنقلهم إلى موانئها وفق تدابير احترازية تامة، هادفة بالأساس إلى إنهاء استمرارهم في النشاط الملاحي حتى بالنسبة للدول الخليفة، بما في ذلك السلطات الهولندية إبان علاقاتها المتميزة مع الدولة الزيدانية، التي كان موقفها من الاملاحين العلوج ينحو إلى تعريضهم للإعدام اقتداء بموقف المسلمين من العناصر المرتدة، بدل الاكتفاء بطردهم وحظر قدومهم استقبالا إلى مراسيها. ومن جهتها، لم تكن إنجلترة لتتورع عن إنزال العقوبة ذاتها بمن سقط في أيدي سفنها من البحارة والعلوج المغاربة.

ح. أملي، *المغاربة والمجال البحري في القرنين 17 و18 م*، أطروحة دكتوراة الدولة، إشراف، د. أحمد بوشرب، مرقونة، كلية الآداب المحمدية، 2002 ؛ مويط، جيرمان، *رحلة الأسير مويط*، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، الرباطي، 1989.

Bennassar Bartolomé et Lucile, *Les chrétiens d'Allah : l'histoire extraordinaire des renégats 16° - 17° s.*, Perrin, Paris, 1989 ; Braudel Fernand, la *Mediterranee et le monde mediterranéen au temps de Philippe II*, 7° éd., Colin, Paris, 1987 ; Bono Salvatore, *Les corsaires en Méditerranée*, Trad. A. Somaï, La porte, Rabat, 1998 (1° éd. 1993) ; De Castries, Henri et autres, *Les sources inédites de l'histoire du Maroc*, 1° série, Archives Français (1905), Pays-Bas (1906-23), Anglais (1918-35), Espagnols (1921 et 1956), Portugais (1934-51) et 2° série, Archives français, Paris, 1922-60 ; Chenier Louis, *Recherches historiques sur les maures et histoire du Maroc*, T. III, Paris, 1787 ; Coindreau Roger, *Les corsaires de Salé*, éd. La croisée des chemins, Rabat 1993 (1° éd. 1948) ; Dan Pierre, *Histoire de barbarie et de ses corsaires*, (2° éd.), Paris, 1649 ; Lane-Poole Stanley, *The barbary corsairs*, Darf publishers, London 1984 (1e éd. 1890) ; Savine Albert, *Dans les fers du Moghreb*, éd. L. Michaud, Paris, 1912.

حسن أملي

علودان (جبل -) حصن بقبيلة بني زروال من بلاد غمارة بالشمال المغربي. ارتبط ذكره في مصادر العصر الوسيط كقلعة منيعة كان بعض الثوار يتحصنون فيها. ولعل أول إشارة ترد في هذا الصدد هي التي تتعلق بالغزوة العسكرية التي نظمها يوسف بن تاشفين إلى هذا الحصن سنة 465 / 1073 أثناء حملته الكبرى على بلاد الريف. لكن لا نعرف سبب تسمية هذا الحصن باسم علودان وإن كان الأمر يبدو عاديا في منطقة ألفت تداول مثل هذه الأسماء حتى بالنسبة للأشخاص. ومن الأمثلة على ذلك رجل ثار على الخليفة الناصر الموحدي في بلاد غمارة سنة 595 / 1199 كان يحمل اسم علودان الغماري.

شهد حصن علودان في العهد المريني ثورات عديدة ضد المخزن المركزي تزعمها بعض الأمراء في إطار النزاع حول الحكم. ففي سنة 660 / 1262 ثار الأمير يعقوب بن عبد الله على السلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني واتخذ من الحصن ملجأ له. وفي سنة 669 / 1271 ثار بعض قرابة السلطان أبي يوسف يعقوب من ولد أخويه عبد الله وإدريس أكابر ولد عبد الحق جد بني مرين لأنهم اعتبروا أنفسهم أحق بالأمر من ولي عهد أبي مالك عبد الواحد. فلجأوا إلى حصن علودان واتخذوه مركزاً لانطلاق دعوتهم وإعلان ثورتهم بقيادة محمد بن إدريس وموسى بن رحو بن عبد الله. في مقابل هذا التحرك جهز السلطان جيشا من خمسة آلاف جندي وولي قيادته لولده الأمير يوسف الذي تمكن من القضاء على الثورة واستولى على الحصن ومن خلاله أحكم قبضته على بلاد غمارة. وفي الأيام الأخيرة من حكم السلطان أبي يعقوب يوسف (685 / 1286 - 706 / 1307) تمكن أحد القرابة من البيت المريني وهو عثمان بن أبي العلاء إدريس من السيطرة على حصن علودان واتخذه معقلا لدعوته وثورته ضد السلطة المركزية بفاس، واستطاع أن يستقطب عدداً كبيراً من قبائل بلاد غمارة المجاورة للحصن ودشن حملته العسكرية باحتلال مدن أصيلا والعرائش فاستغل أمره بعد أن عجزت جيوش السلطان في وقف هذا الخطر الداهم. وبعد وفاة أبي يعقوب يوسف ولي مكانه أبو ثابت عامر سنة 707 فكانت أولى أعماله توجيه حملة عسكرية كبيرة إلى بلاد غمارة لمحاربة عثمان في قلعته. وبعد مواجهات عنيفة بين الطرفين اقتحم السلطان الحصن على عثمان الذي تمكن من الفرار إلى سبتة التي كانت تحت نفوذ بني الأحمر.

وفي عهد السلطان أبي الربيع سليمان (707 / 1308 - 709 / 1310) عاد عثمان إلى سيرته الأولى في منازعة حكام فاس انطلاقا من قاعدته بحصن علودان، فقرر السلطان هذه المرة التحرك شخصيا بجيوشه لقمع ثورة عثمان وحسم دائه، فهاجم الحصن ودخل ساحته وحاول إلقاء القبض على غريمه عثمان، لكنه فشل في ذلك وتمكن عثمان مرة أخرى من الفرار إلى غرناطة والاستقرار بها. ومنذ هذا التاريخ لم تعد تذكر المصادر المرينية هذا الحصن مما يعني أن المخزن المريني قد تمكن من فرض رقابة صارمة ومتشددة عليه، وإن لم يكن ذلك يعني توقف الثورات ضد المخزن المريني في عموم بلاد غمارة.

مجهول، *الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية*، الرباط، 1972، ص. 97 ؛ ابن أبي زرع، *روض القرطاس*، الرباط، 1972، ص. 142 - 392، 411 ؛ ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1968، ج 6، ص 380 - 457 ؛ الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954 ؛ ابن إبراهيم التعارجي، *الأعلام بمن حل مراكش وأغمات من الاعلام*، الرباط، 1977، ج 8، ص. 10.

رشيد سلامي

العلوي، أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن عبد الكريم بن علي بن طاهر، شريف أصيل من فرع الحسن بن يوسف بن مولاي علي الشريف كان من أهل الفضل والدين المتين كما كان عالماً، وخطيباً مصقعاً وإماماً عادلاً، صلبا في أحكامه كما كان محدثا مسنداً وراوية ممتازاً بين أئمة التحرير.

تصدر لحظة الشهادة بساط عدول مدينة مكناس. ثم تولى خطة القضاء به ومما جاء في ظهير تعيينه : "الفقيه الأجل العلامة الافضل، الحافظ الحجة الأكمل المدرس القدوة ..." فأحكم الخطة غاية الإحكام، وله وقائع في القضاء والأحكام مشهورة، كان لا يراقب إلا الله ولا يخشى سواه.

توفي ليلة الأربعاء 3 ربيع الأول عام 1294 / 1877.

ع. الرحمن، ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 1، ص. 365 ؛ *الإتحاف*، ج 3، ص. 81 ؛ ف. إدريس بن أحمد العلوي، *الدرر البهية*، مخطوط، ص. 270 - 276.

رقية بلمقدم

العلوي، أحمد (مولاي -) الوطني الغيور والصحافي المبرز والوزير الذي تقلب على كراسي الوزارات، كان لا يذكر

ولا يخاطب إلا بمولاي أحمد، عند الخاصة والعامة، ولد في فاس سنة 1918، وفيها نشأ وفيها مرّ من مراحل التعليم الابتدائي والثانوي، ليرحل إلى الديار الفرنسية سنة 1936 ضمن الفوج الأول من أقرانه من الشباب المغربي، لمتابعة الدراسة العليا في الطب، فالتحق بجامعة مونبيليي جنوب فرنسا أول الأمر، ثم انتقل إلى باريز، حيث أقام إلى أن استرجع المغرب استقلاله، مشتغلا بالنضال السياسي وبالعمل في صفوف خلية حزب الاستقلال في فرنسا التي كان من روادها وأنشط أفرادها، يتصل بالمسؤولين وبالصحفيين وبكل ذي سلطة ونفوذ وصوت مسموع في العاصمة الفرنسية، معرفا بالمطالب الوطنية المغربية ومفندا مزاعم سلطات الحماية في الرباط وما كانت تفتريه للتمويه على الحكومة الفرنسية في باريس. سمعته يقول ذات مرة بأنه بحث عن العنوان الشخصي لرئيس الجمهورية الفرنسية، وهو يومئذ فانسان أوريول، وأنه كان يطرق بابه، فإذا وجده بالدار واستقبله، قال له ما كان يريد أن يقول، وإلا فمن يبالي بطالب مغربي استقبله أو لم يستقبله رئيس الجمهورية في منزله الخاص ؟ وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على ما كان مولاي أحمد يتحلى به من خصال السياسي الماهر التي قوامها الصبر والتغاضي والعمل الدؤوب في السر والعلن. ولشدة ما انهمك في النضال السياسي، فإنه لم يتجاوز السنة الثالثة من الدراسة في الطب. حتى إذا استرجع المغرب استقلاله، وعاد محمد الخامس إلى وطنه وعرشه من المنفى، عاد مولاي أحمد في ركابه من ديار المهجر ليشتغل ناطقا رسميا لدى القصر الملكي، وليصبح وزيرا للأنباء في آخر حكومة شكلها محمد الخامس. ثم إنه كان من خدام الحسن الثاني بعد تربعه على العرش ومن أقرب المقربين منه، متقلبا على الحقائب الوزارية، إذ كان وزيرا للأنباء وللصناعة وللتجارة وللسياحة ثم وزيرا للدولة بدون حقيبة. وكان يقال بأنه خاطب المرحوم الحسن الثاني في بداية عهده قائلا له : "الله يبارك في عمر سيدي، إن محمد الخامس ترك العرش لك، ووصى لي أنا بالوزارة". ولقد وفّى له الحسن الثاني بذلك، فلم ينزل مولاي أحمد عن الكرسي الوزاري إلا سنة 1998 بعد أن أقعده المرض. وإنه اعتنى أثناء عمله الحكومي بمصير مدينة فاس وطنه الصغير أشد العناية فكان نائبا في البرلمان عنها ومستشارا في مجلسها البلدي من 1977 إلى 1990. وله أيادي بيضاء فيما أقيم هنالك من المشاريع الصناعية والسياحية. وفضلا عن كل ذلك، فقد ظل مولاي أحمد مخلصا لمهنة الصحافة التي كانت لا تصلح إلا له ولا يصلح إلا لها. وكان من الطبيعي أن تسند إليه رئاسة مجموعة صحافة ماس عندما تقررت مغربتها في السبعينات. فإنه جعلها لسانا ناطقا باسم الدولة، يخبر فيها بتوجهاتها وبانشغالاتها ويجادل الأصدقاء والخصوم من أعلى منبرها، مذكرا بإلحاح اليقين بأن الحركة الوطنية المغربية نشأت حول العرش ولا يمكن أن تعيش إلا في ظل العرش، مما كان البعض نسيه أو تناساه، فيمسك مولاي أحمد القلم ويعيد الوقائع إلى الأذهان دون تحامل ولا حقد ولا ضغينة. ولم يثبت في حقه، على ما كان عليه من الإقدام والجرأة وعلى ما مارس من السلطات، أنه نال أحدا بالإذاية. توفي يوم السبت 2 شوال 1423 الموافق ليوم 7 دجنبر 2002، مأسوفا عليه، مذكورا بلسان الخير لدى الجميع، ووري مثواه الأخير، رحمه الله، في محفل كبير ترأسه الأمير المولى رشيد، نيابة عن صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله.

إبراهيم بوطالب

العلوي إدريس الشاكري بن عبد الهادي بن مولاي التهامي العلوي، ورد عنه في *المجد الطارف* : "وهذا الشريف مولاي إدريس من أعيان علماء حضرة فاس ومن أنفس أشرافها الأكياس، وبيتهم من فيلالة بيت علم قديم"، صاهره خاله السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان فزوجه بنته عاتكه، وبعد وفاتها تزوج أختها حليمة التي ماتت بدورها. كان معروفا عن إدريس العلوي الشاكري اعتناؤه بمظاهر الأبهة والإكرام، ولهذه الغاية شيّد قصراً قرب جامع الأندلس، ملأه بالحياض والأغراس والأزهار، فكان من أبدع قصور فاس.

خرج إدريس العلوي من فاس قصد الحج أول مرة يوم 13 رمضان 1283 / 1866 ولم يكن حاجّاً عادياً بدليل العناية الفائقة التي حظي بها في القبائل والمدن التي عبرها من فاس إلى طنجة، فقد استقبله قواد أزغار وبلاد الهبط والأمناء وكبار موظفي المخزن في طنجة بكل مظاهر الحفاوة والإجلال. ثم انتقل من طنجة إلى جبل طارق، ونال حظوة وحفاوة لا تقلان عن السابق، إذ حرص المسؤولون الإنجليز على استضافته بكل مظاهر الإجلال، فأعدوا له بابورا (مركبا) أقله إلى جبل طارق، وجعلوه يطلّع على عدد من المرافق والتنظيمات هنالك : أنابيب الغاز، تيلغراف، مستودعات الذخيرة والأسلحة، المنار، تمارين عسكرية وغيرها. وقد رافقه في جولاته قنصل المغرب في جبل طارق سعيد جسوس وعدد من المسؤولين الإنجليز في جبل طارق. وقد حرص العلوي الشاكري على وصف هذه المرافق والتنظيمات وصفا مفصلا، معربا عن انبهاره ودهشته مما شاهده. ثم غادر جبل طارق باتجاه مصر على متن بابور إنجليزي حامل للحجاج، محاطا بنفس الرعاية، إذ تم إركابه في القامرة (الدرجة الممتازة)، وكعادته تحدث بإسهاب عن مختلف مرافق هذا المركب ومحتوياته.

كان توقفه بمصر مناسبة لزيارة أضرحة الأولياء والعلماء والالتقاء بعدد من الشيوخ والفقهاء، كما زار عدداً من المرافق، أبرزها مطبعة بولاق التي أبهرته كثيراً. لكن الرغد تحول إلى نكد خلال النزول بأرض الحجاز، حيث تعرضت قافلة الحجاج، التي كان من ضمنها للاعتداء . وبعد قضائه

مناسك الحج، انتقل إلى السويس، ومنها إلى القاهرة، فركب بابور البر (القطار) متوجها إلى الإسكندرية ليستقل مركبا إنجليزيا توجه به إلى جبل طارق، وتوقف في مالطة وأعجب بها، على عكس جل مدوني الرحلات الحجازية في القرن 19 الميلادي، وخضعت له السلطات البريطانية في جبل طارق، مرة أخرى، استقبالا يليق بمقامه وأعدت له مركبا خاصا "سعدا لأمورها الخاصة" لنقله إلى طنجة، التي وصلها يوم 25 محرم 1284 / 1867 وزار هنالك المنار الذي أبهره كثيراً.

ذكر في رحلته المدونة الشيوخ والعلماء الذين لقيهم وأخذ عنهم في مصر والحجاز، منهم إبراهيم السقا، الشيخ عليّش، إبراهيم السنوسي، أحمد دحلان، وقد لازم هذا الأخير نحو ثلاثة أشهر وأجازه بالإجازة العامة، ولم يذكر أنه استجاز أحدا في هذه الرحلة. وكان العلوي الشاكري قد قرأ على والده فتح الباري مدة ثماني سنين وتفسير أبي السعود ثلاث مرات، وبعضا من تفسير النسفي لأن والده توفي قبل تمامه.

كان العلوي الشاكري على علاقة وطيدة بالسلطان مولاي الحسن، وقد وفد عليه مرات كثيرة لمراكش لقراءة *صحيح البخاري*، ورافقه في بعض جولاته مثلما حصل خلال الحركة الحسنية الثانية إلى بلاد سوس.

وشكل العلوي الشاكري مصدراً للإخبار عن بعض علماء وقته، فقد نقل عنه العباس بن إبراهيم المراكشي الذي استضافه أكثر من مدة، ماوقع بين السلطان مولاي الحسن والفقيه محمد جنون، الذي اختفى عند مبايعة السلطان المذكور إلى أن بحث عنه وأدخله لذلك المحل الذي أدخلني به وأمره بذلك (البيعة) وعرّفه عاقبة المخالفة"، وأخبره أن الفقيه المؤرخ العربي المشرفي هجا عبد الله بن أحمد باشا فاس واحترم بضريح مولاي إدريس، وأنه دار في بعض الأوقات على كبار العمال بالمغرب مثل الشرقي وغيره ولمّا لم يحصل منهم على طائل هجاهم.

كان إدريس العلوي الشاكري من جملة علماء فاس الذين وقعوا "تذكرة نافعة ونصيحة جامعة مضمونها أن الإمام الشرعي بالمغرب الأقصى هو السلطان الحالي والتحذير من الاغترار بأباطيل الثائر الخارج عليه"، وذلك بتاريخ غرة صفر 1321 / 1903، وهي تتعلق بتمرد الجيلالي الزرهوني "بوحمارة" ضد السلطان مولاي عبد العزيز، وقد وجهت هذه التذكرة أساسا إلى طلبة الجبال الذين يدرسون في القرويين، قصد التأثير على آبائهم وذويهم في المناطق التي انحاشت للدعي بوحمارة.

ولا يعلم لإدريس العلوي الشاكري تآليف غير ما ذكر سابقا، أما هو فكان حاضراً في عدد من المؤلفات والدواوين، فقد مدحه عدد من معاصريه منهم الشاعر والأديب إدريس السناني المعروف بالحنش، إذ بلغت قصائده في مدح العلوي الشاكري حوالي 20 قصيدة، كما مدحه صاحب المجد الطارف بقصيدة دالية أورد نصها صاحب الاعلام (48 ـ 49)، وكتب عنه إدريس بن أحمد العلوي الشهير بالفضيلي باحتفالية كبيرة في كتابه *الدرر البهية*.

حج إدريس العلوي الشاكري مرة ثانية، وتوفي في حجته هاته بالمدينة المنورة يوم الثلاثاء 7 محرم 1331 / 1913 حسبما أخبر بذلك رفيقه في رحلته الحجية محمد الصديق الأمراني.

إدريس العلوي الشاكري، *رحلة حجية*، مخطوط، خ. ح رقم 11509 ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، طبعة حجرية، فاس، 1314 / 1896، إ. السناني، *ديوان الروض الفائح بأزهار النسيب والمدائح*، مخطوط، خ. ع رقم ك، 1678 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الاعلام*، ج 3، الرباط، 1975 ؛ م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، ج 2، الرباط، 1989.

أحمد المكاوي

العلوي (مولاي ـ) **الحسن** بن **المهدي** بن إسماعيل خليفة السلطان المفوض في منطقتي الحماية الاسبانية في شمال المغرب والصحراء ؛ هذه الخلافة التي أحدثت بمقتضى الفصل الأول من المعاهدة الفرنسية الاسبانية المبرمة بمدريد يوم 27 نوفمبر 1912 والتي وافق عليها السلطان مولاي يوسف بظهير مؤرخ في 6 جمادى الثانية 1331 موافق 14 ماي 1913.

وكان والده الأمير مولاي المهدي قد حل بتطاون بصفته أول خليفة للسلطان يوم 13 أبريل 1913 وزاول سلطته إلى أن وافته المنية بمدنية سبتة يوم 24 أكتوبر 1923.

وظل كرسي الخلافة شاغرا إلى أن تم تعيين الأمير مولاي الحسن بن المهدي بن إسماعيل بن السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن يوم 25 يونيو 1925، غير أن تنصيبه لم يتم إلا يوم 8 نوفمبر من نفس السنة.

وقد أطلق عليه الاسبان لقب الخليفة الامبراطوري الملكي ؛ وعينوا له حكومة كانت تعرف بالمخزن الخليفي ويرأسها الصدر الأعظم ؛ وكان يستعمل المظل في الحفلات الرسمية، وله حرس خاص وتقدم له "الهدية" كل سنة.

وكان يستعمل الطابع الكبير لإصدار النصوص التشريعية والطابع الصغير لتنفيذ النصوص التطبيقية ؛ كما كان للصدر الأعظم طابع لإصدار القوانين التنفيذية.

وابتداء من سنة 1934 كان يحتفل بعيد جلوسه يوم 8 نوفمبر من كل سنة. وكان الدعاء لجلالة الملك في خطب الجمعة يُشفع بالدعاء للخليفة السلطاني.

وفي شهر أبريل 1947 تقابل لأول مرة مع الملك محمد الخامس بمدينة أصيلا ورافقه في زيارته التاريخية لطنجة.

وفي سنة 1949 تزوج الأمير للا فاطمة الزهراء بنت السلطان مولاي عبد العزيز.

وعندما اعترفت إسبانيا باستقلال المغرب يوم 7 أبريل 1956 أعفي مولاي الحسن من منصبه ليعين سنة 1957 سفيراً بلندن وذلك إلى سنة 1965 ثم سفيراً بروما إلى غاية سنة 1967. بعدها عين مديراً للبنك الوطني للتنمية الاقتصادية، وذلك إلى أن أسند له منصب والي بنك المغرب الذي زاوله إلى أن وافته المنية بالرباط يوم فاتح نوفمبر 1984.

م. ابن عزوز حكيم، *الحماية الاسبانية بالمغرب*، (1912 ـ 1956)، مطبعة المهدية، تطوان، سنة 1958.

محمد ابن عزوز حكيم

العلوي الدرعي، أحمد (مولاي -) بن سعيد من ذرية عبد الواحد أبو الغيث الذي رتبه الفضيلي كفرع خامس من أبناء يوسف بن علي الشريف.

رحل أحمد بن سعيد من تافيلالت إلى درعة طلباً للعلم وذلك على الأرجح في القعود الأخيرة من القرن الحادي عشر (17 م) فنزل بالزاوية الصالحية بواحة اكناوة وصاحب الشيخ صالح بن إبراهيم حتى تخرج عليه (*العقود الجوهرية*، 9) وعلى يديه سلك طريق القوم.

ويظهر أن مولاي أحمد بن سعيد، استمرأ البقاء في درعة، كغيره من الأشراف الذين طرأوا على الوادي في عهد مولاي إسماعيل. فاستوطن منطقة لكنازطة التي تقع على بعد بضع كيلومترات شمال الزاوية الصالحية، حيث أسس قصبة خاصة به ما تزال تعرف إلى اليوم بقصبة مولاي أحمد ابن سعيد. كان يشتغل بتعليم القرآن والمتون الفقهية لأبنائه ولمن رغب في ذلك من أبناء القبائل المجاورة، كما يشتغل ببعض الأعمال التجارية المحدودة، وقد حرص على عدم التدخل في الصراعات القبلية إلا إذا كان الأمر يتطلب عقد صلح بين المتخاصمين، كان لا يبخل بماله وطعامه لإصلاح ذات البين وإطفاء نار الفتن. وقد أكسبته هذه الصفات احترام الجميع، وأصبح أعيان القبائل لا يردون له شفاعة، ولا ينقضون له اتفاقا عقده، ويرضون بكل ما يقترحه من حلول للمشاكل القبلية.

توفي مولاي أحمد بن سعيد العلوي في زمن غير معروف خلال العقود الأولى من القرن الثاني عشر الهجري (18 م). ودفن خارج قصبته حيث أقامت القبائل المجاورة قبة فخمة على قبره. وقد كان قبره وإلى وقت قريب مقصداً للزوار من قبائل آهل لكناوة وبعض قبائل آيت عطّا.

العلوي الدرعي، عبد الله بن الفاطمي أبرز أبناء مولاي الفاطمي بن محمد ولد بقصبة جده في زمن غير مضبوط خلال العقود الأخيرة من القرن الثالث عشر الهجري (19 م)، تعلم على يد والده وبني قومه بمسقط رأسه، فحفظ القرآن الكريم وبعض المتون الفقهية الرائجة إبانه بالجنوب المغربي، تفتح وعيه مبكراً من خلال ما كان يروج في ذلك الوقت بواحة لكناوة من أخبار عن الجهاد وعمليات التصدي لزحف القوات الفرنسية بالصحاري الجنوبية والشرقية.

وباعتبار والده، واحداً من وجهاء أشراف لكناوة، ونقيب العلويين بها، فإن مولاي عبدالله كان من الملازمين لأبيه في حله وترحاله فكان يقتبس منه طرق الاتصال والمعاملة مع الناس، فاكتسب نوعاً من الذكاء الاجتماعي، ونخوة الانتساب إلى الأشراف العلويين ولعل هذا هو الذي جعل محمد بن الحبيب التنوگالي يصفه بالذكاء والألمعية. فلما اختارت قبائل لكناوة ومحاميد الغزلان، مولاي الفاطمي بن محمد شيخاً أعلى لها حل، مولاي عبد الله بن الفاطمي العلوي محل والده في مشيخة قبائل لكنازطة وما حولها من قبائل دراوة وأدوافيل فلما توفي والده اختاره المخزن ليتولى وظيفة نقيب الأشراف العلويين بواحتي لكناوة ومحاميد الغزلان.

كان مولاي عبد الله بن الفاطمي العلوي كثير التنقل إلى مدن الشمال خاصة مراكش، البيضاء، والرباط، وقد أهله منصبه كنقيب للاشراف العلويين وسفرياته المتكررة من الاتصال ببعض رجال الحركة الوطنية وبشكل خاص العلامة السلفي محمد بن العربي العلوي، فاكتسب مولاي عبد الله بن الفاطمي من هذا الاتصال ملكة إدارة الكلام مع ذلاقة في اللسان وجرأة في الجنان فكان مسموع الكلمة بين آله مقبول الرأي بين أعيان القبائل الذين يرون فيه خير خلف لوالده. ولن نبالغ في شيء إذا قلنا أنه كان من الرجال القلائل بوادي درعة، الذين كانوا يتتبعون تطور الأحداث السياسية بين سلطة الحماية والسلطان محمد بن يوسف خلال نهاية الأربعينيات ومطلع الخمسينات من القرن (20 م). فلما تأزم الوضع بين الحانيين كان صوت مولاي عبد الله بن الفاطمي من الأصوات التي تردد في جنبات واحات درعة تحض العامة والخاصة من سكان الوادي بالتشبث ببيعة السلطان محمد بن يوسف. ورغم أن سلطة الحماية على المستوى المحلي، وخلفاء التهامي الگلاوي، قد انزعجوا من نشاط مولاي عبد الله بن الفاطمي العلوي، فإنهم لم يزيدوا عن عزله من مشيخة لكنازطة وتحريك بعض بني عمومته لمضايقته ومنافسته بالمنطقة ثم بدأ الكل يتربص به، فكان يغادر الوادي إلى آن تهدء الخواطر.

ولما أقدمت سلطة الحماية على نفي محمد بن يوسف في صيف 1953 وتنصيب محمد بن عرفة سلطانا على المغرب، كشف مولاي عبد الله بن الفاطمي من نشاطه المناهض للاستعمار الفرنسي ولمحمد بن عرفة، فقرر هذا الأخير التوقيع على ظهير عزل مولاي عبد الله بن الفاطمي من "وظيفة النقابة على أبناء عمه الشرفاء العلويين بلكناوة والمحاميد .. لسوء سلوكه في وظيفه فنأمره أن يتخلى عن النقابة المذكورة لمن كلفناه بها (من ظهير العزل) ثم قامت السلطة المحلية بإبعاد مولاي عبد الله عن درعة ونفيه إلى مركز تازارين حيث ظل تحت مراقبة الحاكم الفرنسي بالمنطقة.

وبعد عودة السلطان محمد بن يوسف من منفاه سنة 1955 كان مولاي عبد الله بن الفاطمي العلوي من أبرز رجال وفد الأشراف العلويين بدرعة،الذين توجهوا إلى الرباط، لتهنئة السلطان محمد بن يوسف بالعودة المظفرة وتجديد البيعة له. وقد أعاده السلطان إلى وظيفة النقابة على بني عمه من الشرفاء العلويين بواحتي لكناوة ومحاميد الغزلان.

توفي مولاي عبد الله بن الفاطمي العلوي في تاريخ لم نتمكن من ضبطه خلال عقد الستينيات من القرن (20 م)، بعد حياة حافلة ومشاركة فعالة في بث الأفكار الوطنية ليس بواحة لكناوة فحسب وإنما في كل واحات درعة.

أحمد البوزيدي

العلوي، عبد الحفيظ بن الحبيب. ولد بفاس عام 1907، وبعدما تلقى التعليم القرآني ثم الابتدائي بنفس المدينة، اندرج في سلك التعليم الإعدادي في ما كان يُسمّى وقتئذ "كوليج مولاي إدريس" وهو أول إعدادية عصرية أنشئت في عهد الحماية.

وفي أواخر العقد الثالث من القرن الماضي، تَمّ قبوله في المدرسة العسكرية بمكناس "الدار البيضاء"، فتخرّج فيها برتبة ملازم إذ لم يكن أي مغربي يحصل في ختام تكوينه هناك على رتبة أعلى.

وبعد وقت قصير، منحوه رتبة نقيب (قبطان) متخطيا رتبة ملازم أول التي كانت ومازالت تشكل مرحلة تراتبية في حياة الضباط حسب المقاييس الفرنسية.

بقي عبد الحفيظ في صفوف الجيش إلى أن اندلعت الحرب العالمية الثانية، فكان من الذين تطوعوا لمحاربة الألمان فوق التراب الفرنسي.

وعلى إثر معاهدة وقف إطلاق النار بين ألمانيا وفرنسا، عرفت ميادين الوغى شبه هدوء شمل كثيراً من المناطق الفرنسية. فكان عبد الحفيظ من بين الذين عادوا إلى المغرب.

وعلى إثر انتهاء الحرب العالمية عام 1945 وبعد أن أسندت فرنسا إلى إبريك لابون مهمة الاقامة العامة بالرباط عام 1946، فكّرت سلطات الحماية في توظيف بعض الضبّاط المغاربة، حسب رتبهم، في مناصب مخزنية، تابعة مباشرة للقيادات الأهلية والباشويات. فكان من نصيب عبد الحفيظ أن تقلّد مهام خليفة باشا الدار البيضاء الطيب المقري، وبعد بضع سنوات، خليفة لحمّاد المقري، أخ المذكور. ثم حظي بعناية ملكية فعيّنه محمد الخامس عضوا بالديوان العسكري لسمو الأمير ولي العهد الحسن، عام 1949. وفي صيف نفس السنة، عينه عضواً في هيئة تأطير ولي العهد أثناء تدريبه العسكري على متن السفينة الحربية الفرنسية "جان دآرك" في عرض بحر المياه الإقليمية الفرنسية.

وبعد ذلك تقلّد مهام باشا مدينة سطات، فتميّز في هذه المسؤولية بالانضباط والصرامة التي كانت إحدى شيمه التي اكتسبها من خلال تكوينه العسكري.

في عام 1956، عيّنه محمد الخامس عاملا على مراكش خلفا للباشا التهامي الأگلاوي ـ وبعد أشهر قليلة، أنيطت به مهام مدير الديوان العسكري لولي العهد، ثم عيّن ضابطا ساميا منسّقا لأنشطة القوات المسلحة الملكية.

وفي عام 1961، عيّنه الملك الراحل الحسن الثاني مديراً للتشريفات والأوْسمة ثم رقّاه بعض أعوام قلائل إلى درجة وزير للقصور الملكية والتشريفات برتبة جنرال وهو المنصب الذي ظل يشغله إلى حين وفاته، يوم 16 جمادى الأولى عام 1410 / 15 دجنبر 1989، وعمره 82 سنة.

أ. العلوي، جريدة *Le Matin*، عدد 16 دجنبر، 1989.

أحمد بنجلون

العلوي، عبد الحميد بن الطيب السلوي، شخصية إدارية مرموقة. ولد بمدينة سلا في شهر شعبان من عام 1318 / دجنبر 1900.

أول مهمة إدارية أسندت إليه هي الحسبة في سلا سنة 1940، فاضطلع بها وأدى المهمة على أحسن وجه بالرغم على ظروف الحرب الصعبة، واستمر يزاول هذه الخطة إلى سنة 1955 حيث عينه محمد الخامس باشا بمدينة القنيطرة، وقد جدّ في تطوير هذه المدينة التي كانت ما تزال تحمل طابعاً بدوياً، ونظم أحياءها وأسواقها وجعل من شارعها الرئيسي الممتد على نحو عشرة كيلو ميترات فيما بين المدخل من جهة سلا ـ الرباط إلى الخروج صوب مراكز الغرب والشمال أطول شوارع محمد الخامس في سائر الحواضر الغربية، وعلى جانبيه العديد من المتاجر ومحطات الوقود والمقاهي والمصالح الإدارية والاجتماعية.

وفي نهاية سنة 1964 عينه الحسن الثاني باشا بمدينة فاس الإدريسية، فلم يقل مجهوده في تحسين أو ضاعها وتوسيع مرافقها وتنظيم المنشآت الصناعية والفنية بها عما قام به قبل في القنيطرة، إلى أن أدركته الوفاة وهو على باشوية الحاضرة العلمية.

توفي بالرباط في شهر محرم عام 1385 / ماي 1965، ودفن بأمر من الحسن الثاني بضريح الحسن الأول (ضريح محمد الثالث) بالقصر الملكي.

وثائق عائلية ومعلومات من ولده الأستاذ إسماعيل العلوي.

محمد حجي

العلوي، عبد السلام الضرير بن محمد، هو الأمير أبو محمد عبد السلام الضرير بن السلطان محمد بن مولاي عبد الله العلوي الحسني، هو الابن الثالث ضمن الأبناء الخمسة عشر للسلطان سيدي محمد بن عبد الله. وأمه فاطمة بنت سليمان بن مولاي إسماعيل، تحدث في كتابه اقتطاف الأزهار الذي فرغ منه في 27 محرم عام 1198 / 22 دجنبر 1783 عن جملة من أشياخه وذكر منهم الشيخ عمر الفاسي ومحمد التاودي ابن سودة، وبعد مسيرته العلمية اشتغل بالتاريخ وبعلم الأنساب والسير والأدب والحديث النبوي، ثم ذهب إلى الحج صحبة أخيه الأمير مولاي علي 1185، ولما قفل منه ولاه أبوه على فاس سنة 1187. ثم حج مرة ثانية وذلك سنة 1188، حيث بعث معه والده السلطان سيدي محمد بن عبد الله مائة ألف دينار برسم التوسعة على أهل الحرمين الشريفين. وفيها التقى بمجموعة من شيوخ مصر فمدحوه بقصائد وأجازوه بإجازات، نذكر منهم الشريف المرتضى شارح القاموس. كما التقى مع الشيخ عمر الطلحاوي، وإمام المالكية بالديار المصرية الشيخ علي الصعيدي، والمؤرخ عبد الرحمان الجبرتي، وفي المدينة المنورة التقى بشيخ الطريقة الإمام أبو عبد الله محمد السمان

الشافعي. حث كتب رحلته التي اهتم فيها كثيرا بتاريخ مصر، ولما عاد ولاه أبوه على سوس الأقصى ودرعة عام 1195 فاستقر بتارودانت. ونظرا لمؤهلاته الفكرية وتجربته الشخصية، فقد شارك في جل الأحداث التي وقعت بعد وفاة والده السلطان سيدي محمد عام 1204. وكان منحازا إلى جانب أخيه السلطان مولاي سليمان الذي اتخذه للمشورة فكان لا يبرم أمرا إلا به حتى كان تدبيره به في غالب الأمور رغم كونه فاقدا لبصره قبل وفاة والده بقليل. ويذكر الضعيف أنه كان مقبلا على الدنيا وقد بنى دارا عجيبة بعقبة السبع بفاس فيها منارة عجيبة، وكانت له أكثر من مائتي جارية.

صنف الأمير مولاي عبد السلام مجموعة من التصانيف نذكر منها :

1) مورد الصفا في سيرة النبي عليه السلام والخلفا، كانت منه في خزانة الزركلي نسخة ناقصة.

2) اقتطاف الأزهار من حدائق الأفكار، توجد منه أربع نسخ بالخزانة الحسنية منها مسودة بخط المؤلف تحت رقم 106. وأخرى تحت رقم 11527.

3) درة السلوك وريحانة العلماء والملوك، توجد منه 5 نسخ بخ. س. واحدة تحت رقم 237. ونسخة أخرى بخ. ع. 3728د. ونسخة بمؤسسة علال الفاسي تحت رقم 443 ع.

4) رحلة الأمير العلوي عبد السلام، مخ. خ. س. 12392.

5) مناهل الصفا في مناقب سيدي مصطفى، الرباط المتوفى عام 1220.

توفي الأمير عبد السلام بعد مرض طويل عام 1228 / 1813. وخلف أبناء نعرف منهم مولاي عبد المالك الذي شارك في أحداث تاريخية ترد بعض تفاصيلها عند الضعيف الرباطي.

الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. العماري، ص. 304 ؛ الناصري، *الاستقصا*، ج. 8، ص. 24، 51، 58، 100 ؛ ابن زيدان، *الإتحاف*، ج. 3، ص. 357 ؛ ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 8، ص. 482 ؛ الفضيلي، *الدرر البهية*، ج. 1، ص. 211 ؛ المنوني، *المصادر العربية*، ج. 2، ص. 50، 78.

أحمد إبشرخان

العلوي، عبد السلام بن **محمد** المعروف بالمحب الرباطي الفاسي، شريف من الأدباء المجيدين، وعروضي حسيبي حسيب، من الذين اشتهروا بابتكار المعاني وافتضاضها، يقول فيه محمد بوجندار في *الاغتباط* : "إذا نظم نظم جواهر الأسلاك وإذا نثر نثر زواهر الأفلاك ... وكان في الكتابة مدداً معدوداً من كتاب الصدارة العظمى والوزارة الكبرى، ساجلته وساجلني دون أن نعرفه ويعرفني ... " وفيه يقول محمد غريط في *فواصل الجمان* : "كاتب أديب شاعر لبيب جر ذيول الفخر على البحتري وحبيب، ذو همة راقية فوق الكواكب وآثار باقية في صحف المناقب وذكاء يستمد منه ذكاء وخبرة صادقة في فن التصوير وفطنة سابقة لا تقبل التزوير".

ولد المترجم في بيت السلطنة والجاه ونشأ بين أحواله نشأة حسنة فتعلم وعلم وأينعت دوحة شبابه وزهت ثمرة آدابه وتقلد منصب الكتابة بالداخلية أيام المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ فأتقن وأجاد ومدح وأفاد.

كان من الشعراء الذين يقولون الشعر ارتجالا يقول غريط : ... وعارضة معسولة لم تكن عن الارتجال منقولة، أسفر صبح أفكاره عن الشعر الوسيم وما سجى ليل عذاره ولا قضى حكم التعليم بتلومه واعتذاره ..".

توفي سنة 1331.

بوجندار، *الاغتباط بتراجم أعلام الرباط*، 412، الرباط، 1987 ؛ غريط، *فواصل الجمان*، 224 ؛ ع. الله الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر*، 2 : 348.

عبد القادر سعود

العلوي، عبد الكبير بن **عبد الله** المدغري الصفريوي. وُلد بمدغرة حوالي عام 1275 / 1858. حفظ القرآن الكريم ورسمه وتجويده برواية ورش وهو لم يبلغ بعد سن الحلم.

وقد جعلته نباهته يستوعب بسرعة ما كان يروج بتافيلالت من علوم في عصره ثم يَمَّم شطر العاصمة العلمية في السنوات الأخيرة من عهد السلطان مولاي الحسن. فانخرط في سلك المتعلمين في حلقات العلم بجامع القرويين، فأخذ عن الشيخ محمد القادري، والفقيه عبد السلام ابن محمد الهواري، والعلامة مولاي عبد الملك الضرير، والفقيه عبد الله البدراوي والشيخ مَحمد گنون وغيرهم من كبار العلماء بالقرويين أقبل مولاي عبد الكبير العلوي بجده على حلقات العلم، فكان يلازم دروس كبار العلماء فجال بهمته العالية في علوم الفقه والحديث والتفسير وعلوم اللغة العربية والسيرة النبوية، والفرائض وغيرها، فتخرج فقيها مبرزاً، وعالماً مشاركاً، له كلمته المسموعة بين علماء عصره، إلا أن طبْعهُ البَدَوي الحَسَبيْ جعله يميل إلى الخمول، ويتجنب الخوض فيما خاض فيه أقرانه من نبغاء العلماء من التقرب لرجال المخزن والحصول على المناصب الدنيوية.

أمّا سبب استيطانه بصفرو، فيذكر ابنه الفقيه سيدي محمد بن عبد الكبير العلوي، أن القائد عمر اليوسي (توفي سنة 1904) قد طلب من المخزن العزيزي إرسال فقيهين إلى صفرو، فوقع الاختيار على مولاي عبد الكبير العلوي، الذي عُيّن إماما للخطبة والصلوات الخمس بالجامع الكبير بالمدينة.

استغل قائد صفرو عمر اليوسي هدوء طبع الفقيه مولاي عبد الكبير العلوي، فسعى إلى الحصول على ظهير تعيينه قاضياً بالمدينة، لكن الفقيه سعى إلى القصر السلطاني بفاس فحصل على الإعفاء. وبعد هذا التحدي الصارخ للقائد عمر اليوسي، الذي كان يحكم صفرو وما إليها بيد من حديد، كبرت مكانة الفقيه مولاي عبد الكبير عند أهل المدينة، فكانوا يرجعون إليه يستفتونه في أمورهم الشرعية، وقد عرف كيف يحافظ على الحياد بينهم، فكان العامة والخاصة يجلونه ويحترمونه. ما كاد الفقيه مولاي عبد الكبير العلوي، يتخلص من ورطة القضاء، حتى جمع همته وعزيمته لرفع منار الدين، وإحياء ما اندرس من العلم والشريعة بمدينة صفرو، وهكذا كان يشتغل اليوم كله فيخصص الحصة الأولى من نهاره لتحفيظ القرآن الكريم لكل من رغب في ذلك من أبناء المدينة، فتخرج عليه عدد كبير من حفظة القرآن الكريم، وبعد صلاة العصر يجلس لما كان يسمى آنذاك بالتوريق، وهي عملية تقوم على سرد الحديث النبوي من الكتب المعروفة خاصة صحيح البخاري وصحيح مسلم وكان مولاي عبد الكبير يكتفي بشرح المنغلق من الألفاظ والمعاني شرحاً خفيفاً لتعم الفائدة ويستفيد الحاضرون.

أما الدرس الرئيسي، فهو الذي يبدأ مباشرة بعد صلاة المغرب فكان يلقي فيه دروساً في الفقه بالمتون المعروفة مثل المرشد المعين ورسالة ابن أبي زيد القيرواني والمختصر الخليلي أحياناً وتفسير القرآن الكريم بابن كثير والنسفي والجلالين. أما الحديث النبوي فكان يركز في غالب أوقاته على كتب الصحاح وبشكل خاص صحيح الإمامين البخاري ومسلم. ويتميز أسلوب دروسه بالبراعة في التحليل وتبسيط المسائل حتى تكون في متناول العامة الذين كانوا يحرصون على الحضور في مجالسه العلمية إلى جانب الطلبة للتفقه في أمور دينهم، وكان يستغل حضور أكبر عدد ممكن من المستمعين للإجابة على ما يطرح عليه من أسئلة حول القضايا العامة التي تهم حياة الناس وطرق تعاملهم.

وإذا كان من الصعب علينا تتبع أسماء كل المتخرجين من الفقيه مولاي عبد الكبير العلوي خلال ستين سنة قضاها كإمام بالجامع الكبير، فإننا نكتفي بذكر المتخرجين عنه من المتأخرين، كابنه الفقيه سيدي محمد بن عبد الكبير، فخطيب مسجد الحسن الثاني فحتسب مدينة صفرو حالياً، والفقيه المرحوم سيدي محمد بن إبراهيم والفقيه مولاي الحبيب بن علي العلوي، والفقيه سيدي محمد بن أحمد والفقيه عبد الوافي بن محمد العدلوني وغيرهم.

اكتسب الفقيه مولاي عبد الكبير العلوي هالة كبيرة عند سكان صفرو لاستقامته وسلوكه الذي اتسم بالزهد عما في أيدي الناس، وعفة اللسان، ولعلمه الذي وظفه فيما يرضى الله وقد كان مضرب الأمثال في الحياء فكان تأثيره في عامة الناس بالأفعال أكثر من تأثيره بالأقوال.

كان الفقيه مولاي عبد الكبير مواظبا على قراءة القران أناء الليل وأطراف النهار، ويستحضر آياته وكأنه يقرأها في كتاب وكان أعجوبة زمانه في ذلك منة من الله. كان كثير الصلاة على النبي (ص)، كثيرالتجهد والتبتل لربه في جوف الليل على سن السلف الصالح.

كان له اختلاط بعلماء وقته خاصة بالشيخ العلامة سيدي أحمد بن الجيلالي المغاري، وبالشيخ سيدي محمد بن العربي العلوي، الذي كان يقدر كثيراً مولاي عبد الكبير، ويحترمه احتراماً خاصاً لعلمه وعفته وسلامة صدره وحسن طويته.

وقد مارس مولاي عبد الكبير العدالة بصفرو، كما كان ينوب عن القاضي في بعض الأحيان، فلم يثبت عنه إطلاقا أنه حاد عن الشريعة أو مالأ أحداً من الأعيان وأهل الجاه والسلطان في حق من حقوق الله سواء في عهد الحماية أو في عهد الاستقلال.

توفي رحمه الله عن مائة وخمس سنوات في العشر الأواخر رمضان المعظم سنة 1380.

م. حجي، *موسوعة أعلام المغرب*، ج 9 ؛ أ. عبدلاوي علوي، مدغرة وادي زيز، ج 2 ؛ م. المختار السوسي، *العسول*، ج 16 ؛ م. يخلف، *تطورات أدوات السياسة المحلية بصفرو*، أواخر ق 19 ـ 1956، د. د. ع. الرباط، 1986 ؛ *روايات شفوية* نقلا عن بعض المسنين الذين عاشروا الفقيه مولاي عبد الكبير، خاصة رواية ابنه الفقيه سيدي محمد بن عبد الكبير العلوي.

آحمد البوزيدي

العلوي، عبد الله بن **إبراهيم** من وجوه الثقافة العربية الإسلامية البارزين في بلاد شنگيط ازداد سنة 1152. بدأ دراسته في الخامسة من عمره، وقضى ستا وثلاثين سنة ينتقل داخل بلاد شنگيط وخارجها طلبا للعلم والمعرفة، فدرس في البداية في تگانت ـ مسقط رأسه ـ ثم رحل ناحية الغرب لأخذ العلم عن مشاهير الشيوخ مثل المختار بن بون الجكني وسيدي عبد الله بن الفاضل المباركي وغيرهما، ثم أقام في فاس مدة طويلة للنظر والتحرير تلقى خلالها بعض العلوم الأصولية على الشيخ محمد البناني، ثم رحل إلى تونس ومصر والشام والحجاز واتصل بأشهر علمائها وزعمائها السياسيين، كما حظي باهتمام كبير من السلطان سيدي محمد بن عبد الله، ويقال إنه شارك في الجهاد ضد البرتغاليين شمال المغرب.

بعد هذه الرحلة الطويلة عاد إلى بلده سنة 1190 يحمل في ذهنه ثقافة موسوعية أساسها الآثار والأصول ووسيلتها اللغة والأدب، وغاية صاحبها الإصلاح والتجديد ومحاربة

البدع، وقد جلب معه مكتبة ضخمة تناهز الخمسمائة كتاب، ثم تفرغ للتدريس والتربية والتأليف، وقد استمر عطاؤه حوالي أربعين سنة، قضى بعضاً منها في مدينة تجكجة، ثم رحل إلى البادية لأسباب منها احتجاج بعض الناس في المدينة على تشدده في التربية والإصلاح. خلف عدة مؤلفات منها :

- *مراقي السعود وشرحه نشر البنود في الأصول*، وقد طبع مرتين في المغرب.
- *بسر الناظرين على روضة النسرين*، وقد طبع في تونس.
- *نوْر الآقاح في علم البيان، وشرحه فيض الفتاح*.
- *طلعة الأنوار، في مصطلح الحديث، وشرحه*، وغيرها.

توفي سنة 1152 / 1233.

أ. الشنگيطي، *الوسيط في تراجم أدباء شنگيط*، ص. 37، ط 4، القاهرة، 1989 ؛ الخليل النحوي، *بلاد شنگيط المنارة والرباط*، ص. 513، تونس، 1987 ؛ سيد محمد بن محمد عبد الله ولد بزيد، *معجم المؤلفين في القطر الشنگيطي*، ص. 36، منشورات سعيدان، سوسة، تونس، 1996.

محمد الظريف

العلوي، الفاطمي بن **محمد** لا نعرف شيئاً عن ميلاده، تعلم مبادئ القراءة والكتابة بقصبة جده على يد بني قومه، فلما شب عوده رحل في طلب العلم، رحل مع بعض طلبة درعة إلى بلاد تودغة، ولم يعد منها حتى اتقن حفظ القرآن الكريم وبعض المتون الفقهية التي تعينه على الضروري من علوم الدين.

عاش مولاي الفاطمي بن محمد خلال العقود الأخيرة من القرن الثالث عشر الهجري وردحا من القرن الرابع عشر الهجري (19 ـ 20 م). وكان يحب الفخار، لذلك يذكر عنه أنه كان يمتطي فرسا مطهمة ويلبس سلاهم من الملف. ويتمنطق دائماً بدليل الخيرات، اهتم مولاي الفاطمي بن محمد العلوي بعد عودته من تودغة بتعليم كتاب الله، والإقبال كغيره من شرفاء لكتاوة ببعض الأعمال التجارية، فأقبل عليه السعد، فارتاش وتوسع في تأثيل الأملاك، أرضا ونخيلا، فكانت له وجاهة عند رجال المخزن في السنوات الأخيرة من العهد الحسني وبعده، وقد اختاره المخزن نقيبا للأشراف العلويين بواحتي لكتاوة ومحاميد الغزلان، فبات الشيوخ والقواد المحليون بدرعة وأعيان القبائل ينظرون إليه بعين التجلة والتقدير، فكان بيته بالكنازطة مفتوحا أمام الضيوف وأصحاب الحاجات سواء من أهل لكتاوة أو من بعض قبائل آيت عطا.

ولما بدأت رياح الاستعمار الفرنسي تهب على وادي درعة بعد ظهور طلائع القوات الفرنسية في الجهات الجنوبية (شنقيط، أدرار) وخاصة بناحية تافيلالت، وما صاحب ذلك من دعوات للجهاد ضد الفرنسيين، عقدت قبائل لكتاوة ومحاميد الغزلان، اجتماعاً عاماً حضرة أعيان القبائل، فاتفقوا على تقديم مولاي الفاطمي بن محمد العلوي، وعينوه شيخاً عاماً على قبائل القصور قبائل آيت عطا وذلك سنة 1340 / 1921، ويتضح من خلال بنود الاتفاق المكتوب بين أعيان القبائل أن هؤلاء الأعيان قد فوضوا لمولاي الفاطمي بن محمد العلوي في أمور نذكر منها على الخصوص أن يعمل جهده على إنهاء مظاهر الخلاف والفتن بين القبائل، وأن يمنع سكان واحتي لكتاوة ومحاميد العزلان من أن يبيعوا شيئاً من الشعير أو الجمال والخيل والشياه، للتجار الذين يتوجهون بها إلى ناحية النصراني، وحيث يكون التبريح على أمر الجهاد في الأسواق فيجب على مولاي الفاطمي أن يعاقب المعارضين للجهاد. وقد حدد الأعيان ذعائر مالية ثقيلة تتراوح ما بين ألف ريال ومائة ريال لكل من ثبت في حقه خرق شروط هذه الاتفاقية (الورقة الثانية من الاتفاقية) وخصصت بعض الملاحق للأعيان الذين لم تسعفهم ظروفهم للحضور في الاجتماع العام، حيث التزموا لمولاي الفاطمي بن محمد العلوي بما اتفق عليه أعيان القبائل (محلق المشاحين، ملحق قبائل آيت اسفول).

ومن سوء حظنا أن أخبار هذه الحركة الجهادية، التي شاءت إرادة القبائل، أن يكون مولاي الفاطمي بن محمد العلوي شيخا أعلى لها، قد ضاعت في غمرة الأحداث التي عرفتها واحتي اكتاوة والمحاميد في بداية العقد السادس من القرن الرابع عشر الهجري ؛ العقد الرابع من القرن 20.

توفي مولاي الفاطمي بن محمد العلوي، قبيل وصول القوات الفرنسية إلى واحة لكتاوة في شهر رجب 1351 / نونبر 1932، ودفن بمقبرة الشرفاء العلويين خارج قصبة مولاي أحمد بن سعيد.

م. بن لحبيب التمنوگالي، *العقود الجوهرية في الأخبار الدرعية*، مخطوط ؛ المهدي الصالحي، *أعلام درعة*، الدار البيضاء، 1974 ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية والجواهر النبوية*، 1999 ؛ *وثائق محلية بحوزة الكاتب*.

G. Spillmann, *Districts et tribus de la Haute vallée du Dra : Souvenirs d'un colonialiste*, Paris, 1968.

أحمد البوزيدي

العلوي، محمد بن **عبد القادر** عالم كبير، ومحاضر قدير، ومتكلم مفوه. ولد عام 1318 / 1900 تقريباً بمدينة مراكش، من أب شريف يعمل في التجارة. أصله صوصي من تافيلالت. درس القرآن مع بعض المتون اللغوية والدينية، بعدها التحق بالجامعة اليوسفية، ودرس على مجموعة من الشيوخ الكبار نذكر منهم :

- العلامة مولاي امبارك الامراني، وهو عمدته - العلامة مولاي أحمد العلمي - العلامة شيخ الجماعة الحاج العربي الرحماني - العلامة بوشعيب الشاوي - العلامة مولاي إدريس السرغيني - العلامة شيخ الجماعة محمد بن إبراهيم السباعي - العلامة البركة سيدي أحمد ولد الحاج المحجوب

كان يعقد مجالسه العلمية والوعظية بالمساجد التالية :

جامع حي درب طباشي : يدرس فيه التفسير والسيرة النبوية ؛ جامع المواسين : يدرس فيه التفسير والسيرة النبوية ؛ جامع الطّيبْ : يدرس فيه التفسير ؛ جامع سيدي أيوب : يدرس فيه الهمزية ؛ مسجد تاسفسارت، والزاوية الكتانية بسوق الجلد، والزاوية الدرقاوية بأزبزط، يدرس فيهم التفسير والسيرة النبوية، والبردة، والمنطق.

وقد اختار لصحبته طبقة التجار والصناع، والحرفيين، يعلمهم أمور دينهم، ويوسع مداركهم حتى يشاركوا في الحياة العلمية ولو مشاركة خفيفة. كانت في كلامه نبرة شرقية، مع فصاحة لسان، وتعبير جميل، ولفظ رشيق، وقوة عارضة مما مكن له في قلوب الناس، وجعلهم يتزاحمون على دروسه، ويحرصون عليها. كان يستميل بحديثه قلوب سامعيه.

كان متميزاً بين أقرانه : رجاحة عقل، وبعد نظر، وسعة خيال، وإتقان لعلوم الآلة. وهذا ما دفع الشيخ أبا شعيب الدكالي إلى أن يقول في حقه : (إن تكن شعلة في الحضرة المراكشية فهو محمد بن عبد القادر العلوي).

وتعتبر دروسه نموذجا حيا للعالم الذي يعتبر العلم فوق كل الاعتبارات، وأنه أمانة يجب أن تبلغ إلى جميع المستويات، لافرق بين حاكم ومحكوم، لأن أبرز سمة تتسم بها حياته هي تجرده عن المطالع التي قد يتلوث بها بعض أهل صناعته ـ العلم ـ.

كانت دروسه تجمع بين التعليم والتثقيف، وبين التأنيب والتقريع لحكام الوقت. كما كانت له آراء واجتهادات في كثير من النصوص.

توفي رحمه الله يوم الأحد رجب 1376 / الموافق 24 فبراير 1957 ودفن بمقبرة باب أغمات.

أ. متفكر، *ذيل الاعلام*، مخطوط.

أحمد متفكر

العلوي، محمد بن العربي المعروف بالفقيه ولد بالقصر الجديد بمدغرة الرشيديّة حوالي سنة 1880 من والده مولاي العربي العلوي وأمّه لالة الهاشمية العلوية الذين خلّفا إلى جانب سيدي محمد ابنا آخر : مولاي الصديق وبنتا : صفيّة.

بدأ مسيرته العلمية في تافيلالت حيث تلقّى مبادئ العلوم التقليدية التي لم تكن تخرج عن حفظ القرآن

وتجويده، والحديث، وبعض المتون والشعر الجاهلي. ولعلّ النبوغ الذي أظهره في هذه المرحلة، وملكة التحصيل والنقد دفع أباه إلى الخروج من تافيلالت التي أصبح مجالها المعرفي يضيق عن طموح ابنه ومقدراته. فرحل به إلى مدينة فاس للدّراسة في جامعة القرويين. حوالي سنة 1898 وأقام في المدرسة المصباحية. ثمّ شرع في التدريس في القرويين، وفي مزاولة وضيفة عدل.

بعد عقد معاهدة الحماية سنة 1912 وإرغام الفرنسيين مولاي حفيظ على التنازل عن العرش واستقراره بطنجة انتقل الفقيه محمد بلعربي من فاس إلى طنجة كأستاذ لأبناء مولاي حفيظ. ثمّ عاد إلى مدينة فاس سنة 1915 وبعدها عيّن قاضيا بفاس الجديد والأحواز. وكان قضاء فاس مقسّما بين ثلاث قضاة : فاس الجديد والأحواز، وقاضي الرّصيف، وقاضي السماط.

وعند وفاة السّلطان مولاي يوسف عيّن الفقيه بصفته قاضيا ومدرّسا في جامعة القرويين، وأحد أفراد الأسرة العلويّة، من بين أعضاء المجلس الذي جمعته الإقامة العامّة لمبايعة سيدي محمد الإبن الأصغر لمولاي يوسف الذي اختاره الفرنسيون لصغر سنّه معتقدين أنّه سيكون طوع يدهم. بعد ذلك رحل الفقيه ابن العربي إلى الرباط عندما عيّن رئيسا لمجلس الاستئناف الشرعي الأعلا ثم وزيراً للعدل إلى أن استقال منه سنة 1944. وغداة الاستقلال عيّنه محمد الخامس وزيرا للتاج. وظلّ في منصبه هذا إلى سنة 1959.

ومن الصعب إعطاء معلومات مدقّقة ومسلسلة عن مسيرة الفقيه الفكرية والسياسية. لتعقّد الفترة التي عاشها وتسارع الأحداث فيها، وتعدّد المؤثرات والتيارات والضغوط الفكرية والسياسية. وقد عاش الفقيه كل هذه التناقضات بحكم عمره المديد ووجوده داخل الهيأة المخزنية التي تعرّضت لمؤثرات وضغوطات داخلية وخارجية متناقضة وتحولات سريعة ومتعددة في فترة زمنية قصيرة نسبيا وخصوصا منها الضغوط والمؤثرات الاستعمارية والضغوط والمؤثرات الشعبية النابعة من حركات المقاومة المسلّحة ثم مؤثرات وضغوط الحركة الوطنية، ثم مرحلة عهد الاستقلال وصراعاتها وانقساماتها وكذلك بحكم وجوده داخل جامعة القرويين التي زاول نشاطه الفكري والسياسي والديني داخلها والتي كانت مسرحا لتغيّرات فكرية ومجالا تتلاطم فيه تيّارات فكرية متصارعة، تعتمد كلّها على مرجعية دينية، فإما الرجعية المحبطة للعزائم، وإما الإصلاحية التي تدعو للنضال والتغيير.

ومما يزيد من صعوبة الإحاطة بالمسار الفكري والسياسي للفقيه أنه لم يترك أيّ مؤلف أو أثر مكتوب يمكن أن يلقي الضوء على انطباعاته وموقفه كفقيه قاضي وعالم من الأحداث المصيرية التي عاشها : كتوقيع معاهدة الحماية وعمليات ما سمّي ب "باسيفيكاسيون" والتي صار فيها الجهاد "عصيانا" ومن حرب الريف وبطلها الذي كان في

حاجة لمن يسانده في جهاده، ومن الظهير البربري الذي قسّم القوانين التي تحكم بين المسلمين حسب العرق والتضاريس، ومن الحركة الوطنية والقمع الذي مورس عليها، وعن دوره في إصلاح التعليم في جامعة القرويين الذي اعتبر من أول الأعمال المهمة في عهد الملك محمد الخامس، وعن الدور الذي لعبه في التطوّر السياسي للملك محمد الخامس الذي كان يحترمه ويقدّره. وممّا يزيد في هذه الصعوبة أن أبناء الفقيه كذلك لم يكتبوا شيئا عن أبيهم. فالفقيه خلّف أحد عشر من الأبناء والبنات بقي منهم على قيد الحياة ثلاثة رجال وثلاث نساء. ولم يكتب أحد من أبنائه الثلاثة الباقين شيئا عنه. رغم قدرتهم الثقافية على ذلك.

ذلك بأن الفقيه الذي كان من عباد الله الذين يمشون هونا ولا يريدون في الأرض علوا كما يدلّ على ذلك قبره في المذاغرة، الذي هو عبارة عن ركمة حجر وتراب، أوصى أبناءه أن لا يكتبوا شيئا عنه.

إلا أن هناك صفات واكبته في جميع مراحل حياته الفكرية والسياسية بقيت عالقة بذاكرة الأجيال التي عرفته سواء مشايخه أو أقرانه أو تلامذته، أو أبناؤه، أو الذين تعرفوا عليه في شبخوخته وهم لا زالوا أطفالا والذين كانوا ينادونه بابّا سيدي الفقيه. وكلّها صفات تسمح باعتباره شخصية متميّزة في تاريخ المغرب.

فإنه كان يعرف بالفقيه ثمّ بشيخ الإسلام منذ 1962 وهو لقب لم يكن متداولا في المغرب. حيث لم يكن يعرف إلاّ لقب الشيخ الذي يطلق على رؤساء الزوايا والطرقية والقبائل. ولم يعرف بهذا اللّقب أحد لا من العلماء ولا من غيرهم لا قبل الفقيه ولا بعده ـ اشتهر بالاستقامة والنزاهة وهما خصلتان لم يحد عنهما رغم إغراءات المناصب التي مرّ بها في فترات كان الارتشاء والمحسوبية أمرا عاديا. ولعلّ المقولة الأمزيغية التي كانت معروفة في أحواز فاس والتي كان يردّدها بعض أشياخ القبائل حينما يتعقّد عليهم الإنصاف في قضية من القضايا دليل على هذه النزاهة ومعناها "هذا ما توصلّت إليه من حكم وليس في استطاعتي مع الأسف أن أحضر القاضي بن العربي للحكم في قضيتك".

كما اشتهر بالنباهة وسرعة البديهة فقد سمّي قاضيا على إثر جوابه على سؤال ألقاه عليه ترجمان فرنسي في بلدية فاس في موضوع قانون "الفضاء" أو "الهواء" وهي مادة لم يكن قد درسها وجاء جوابه مطابقا للقانون. فاقترح لمنصب القاضي.

واشتهر كذلك بأجوبته الساخرة واللاذعة في بعض الأحيان. ففي إحدى زيارات السلطان مولاي يوسف لفاس رفض أن يخرج لاستقباله رادّا على العالم مولاي أحمد الشبيهي الذي عاب عليه ذلك بـ "اللّي دارني دارو" كما يحكي أنّه قال على سبيل البسط لشيخه سيدي المهدي الوزاني الذي كان قد ألّف رسالة في الانتصار للتوسّل برسول الله ردا على المصلح محمد عبده الذي كان قد أصدر فتوى تمنع ذلك : "إنّ سبب دخولي في الإسلام قراءتي لكتيّب صغير لشيخ الإسلام ابن تيمية عنوانه الفرقان بين أولياء الرحمان وأولياء الشيطان، وأقسم لك يا سيدي أنك لو قرأته لأصبحت أنت كذلك مسلما". ولم يغضب أستاذه بل ابتسم للنكتة والجرأة.

وعرف أيضا بثورته على الجمود والتقوقع والتقاليد والخرافات التي التصقت بالدين. والتي تجعل من العقل المغربي كما كان يقول "مزبلة في حاجة إلى شاحنات لتنظيفه" لهذا كانت كل مواقفه منذ حداثة سنّه إلى وفاته، سواء في حياته الخاصة أو العامة، منبعثة من الإيمان بضرورة حرية التفكير وبناموس التغيير والتطور، والتفتح على العالم الخارجي، رغم ما تسبّبت له مواقفه المعارضة والتي كثيرا ما اعتبرت "شاذة" من طرف أنصار "إبقاء ما كان على ما كان" والمتطرفين، من متاعب طوال حياته.

فقد تحدّى العادة التي كانت تقتضي أن لا يتزوّج شريف إلا من شريفة. فتزوّج سنة 1916 من عامية هي خديجة الخنكي. وكانت أما لطفلة. من زواج سابق. وتم زواجه دون موافقة "المزوار" نقيب الشرفاء العلويين الذي أمر بسجنه .. وكان موقفه هذا بداية زعزعة تقليد راسخ منذ قرون. كما انتقد استعمال كلمة مولاي التي كانت جزءا لا يتجزّء من أسماء الشرفاء، وكان يرفض أن ينادى بها أبناؤه.

كما كان يرفض اتباع التقليد الذي يقتضي من الأعيان والهيأة المخزنية لباس الكسا والسلهام وظل حتى بعد أن أصبح قاضيا يلبس الجلباب فقط والرّزّة. ولم يرتد الكسا والسلهام إلا في بعض المناسبات الرسمية حينما صار وزيرا.

وظهر فكره المتفتح على التجديد حينما سمح لا بنته الصغرى بارتداء الزيّ العصري ونبذ "الشام". وهذا في وقت كان فيه علماء موالون سياسيا للحماية الفرنسية وعملاء للإقامة العامة ومن بينهم الزيتوني وعبد الحي الكتاني، يحرّمون كل تغيير يمسّ ميدان المرأة على الخصوص سواء على مستوى الحياة العامّة كخروج النساء وتعليمهن، ومسألة تعدّد الزوجات والطلاق، أو على المستوى الشخصي الخاص كالهندام، إذ أن الكثير كان يعتبر لباس الجلبات الذي صار يعوّض الحايك عند بعض العائلات بفاس من المحرّمات و"الكبائر" التي يجب محاربتها.

وظهر هذا التفتح في حثه طلبته في القرويين على تعلّم اللغات الأجنبية وخصوصا الفرنسية منذ سنة 1926. وقد حضر في عهد الاستقلال في عدة مناظرات في توميلين حيث كانت له علاقات صداقة واحترام مع رهبانها كالأب عبد الله مثلا.

ولعل فكره الحرّ هذا هو الذي جعله ينهل من كل المشارب الفكرية، دون أن يشكل ذلك بالنسبة له أيّ تناقض مادام لا يمسّ بمبدإ الإيمان وبتعاليم القرآن. فقد نهل من الفكر الصوفي التجاني حيث كان من أتباع الطريقة التجانية. ثم من الفكر السلفي التقليدي و"السلفي الجديد". وهذا التيار بدأ يعرف

نوعا من الانتشار بين بعض المثقّفين والعلماء الذي كانت بينهم وبين المصلح محمد عبده مراسلات. ومن بين هؤلاء الشيخ المهدي الوزاني الذي كان من مشايخ الفقيه. وزاد من هذا الانتشار رجوع أبي شعيب الدكالي (1878 ـ 1937) من مصر متأثرا بالفكر السلفي الجديد بعد دراسته في جامعة الأزهر، ووصول بعض الكتب التي كان بعض دعاة السلفية يرسلونها لتوزّع مجّانا. ومن بينها كتب ابن تيمية (1263 / 1328) وكتب محمد بن عبد الوهاب بن سليمان النجدي (1703 ـ 1798). زيادة على عدد من المطبوعات المصرية المختلفة والمجلات التي كان فريق المنار ينشرها بين المثقفين، وكتب يبيعها بعض تجّار فاس، ككتب المنفلوطي. فمن خلال النظرات تعرّف الفقيه لأول مرة على محمد عبده وأفكاره وقد أقبل الفقيه الذي كان مغرما بالقراءة منذ نعومة أظافره إلى وفاته على هذه الكتب، وعمل على نشر أفكارها في اجتماعات خاصة في منزله ومن خلال دروسه في ثانوية مولاي إدريس وفي القرويين حيث كانت دروسه فرصة لتنمية ملكة النقد لدى طلبته، وفضح عيوب المجتمع بمنهجية جديدة لمواد تقليدية، كتحفة بن عاصم وجمع الجوامع والكامل. فقد كان "يمزج تدريسه للفقه المالكي بفقه الحديث وبتدريس مذاهب خارجة عن المذهب المالكي معتمدا على عدّة كتب من أهمها نيل الأوطار للشوكاني". كما كان يختم مختصر خليل في ستة بينما كان يُدرّس فيما قبل في ستة وعشرين سنة. وكانت دروسه، تلقى إقبالا كبيراً في أوساط الشباب، سواء من الطلبة أو الصّناع التقليديين أو التجار مما لم يحظ بمثله إلا دروس علال الفاسي الذي كان يعتبر الفقيه أستاذه في السلفية.

وكان تدريسه في ثانوية مولاي إدريس يسير في اتجاه تحبيب اللغة العربية وآدابها للتلاميذ. ومن النصوص الأدبية التي كان يفضلها ديوان الحماسة لأبي تمام لما "يبثه في نفوس قارئه من الشعور بالعزة والكرامة والرفعة، إلى جانب ما فيه من الأدب العربي الرفيع". كما كان يبسط الدين الإسلامي لتقريبه وترسيخه في عقولهم وقلوبهم.

ويعتبر بعض المؤرخين والوطنيون أن الفقيه بلعربي العلوي قد شكل جسرا بين الدين والحركة الوطنية، لأن كثيرا من رواد الحركة الوطنية كانوا من بين من حضر دروسه إما في القرويين أو في ثانوية مولاي إدريس كالزعيم والعالم علال الفاسي والعالم الوطني المختار السوسي وكثير ممن وقعوا عريضة الاستقلال كمحمد إبراهيم الكتّاني ومحمد غازي ومحمد الزغاري. وكان الفقيه بلعربي، رغم وظيفته داخل نظام الحماية، وعدم عمله مباشرة ورسميا أو بتنسيق مع الحركة الوطنية يحسّس الشباب من خلال دروسه، بمشاكل الساعة التي كانت محور نضال الوطنيين فكان مثلا يتكلم عن حرب الريف وعن "انتصاراتها وما يعلّق عليها المؤمنون من آمال". كما كان يقاوم الطرقية من منطق سلفي ومن منطق وطني بحكم موالات عدد من الزوايا للفرنسيين وهذا اللقاء بين السلفية والوطنية التي كانت "لا تعني الرجوع إلى الوراء بل تخليص الدين مما علق به من خرافات وتقاليد وجمود وتعصّب، من أجل التقدّم والتطوّر"، أثر في نفس الوقت على السلفية المغربية وعلى الوطنية". فقد جعلت الحركة الوطنية من السلفية برنامجا متكاملا بعد الحرب العالمية الأولى، وقد عبّر عن هذا مدير الشؤون الأهلية بمراكش سنة 1939، في تقرير أرسله إلي مجلس البحر الأبيض المتوسط، وكان يترأسه بلوم قائلا : "العبقرية التي أظهرها الحزب الوطني هي أنه استطاع الجمع بين السلفية الجديدة وأحدث الأفكار الثورية".

وإذا كان الوطنيون قد أخذوا على الفقيه، بعض المواقف التي اعتبروها غير موافقة للفكر السلفي الوطني كما يؤمنون به، فإنهم ظلوا يعتبرونه "أستاذ وداعية ومرشدا" ويعترفون له "بالجرأة والثبات الإقدام". ومن بين الأشياء التي أخذوها عليه : قبوله رئاسة مجلس الاستئناف الشرعي الأعلى الذي "انتقده عليه علال الفاسي في مقال لم ينشر" وهذا التعيين الذي اعتبره آخرون "كمناورة فرنسية لإبعاد الفقيه من التدريس في القرويين للتأثير الذي كان له على عقول الشباب"، لم يمنع الفقيه من مزاولة نشاطه الفكري بكلّ حرية. فقد صار ـ زيادة على تنقّله بانتظام إلى فاس لإلقاء دروسه في جامعة القرويين ـ يلقي الدروس في مساجد الرباط وسلا، وكان يثير فيها عدة مشاكل اجتماعية ودينية وسياسية. كما كان يحضر الدروس التي كان أبو شعيب الدكالي يقيمها بين يدي الملك محمد الخامس وكثيرا ما كان يدخل في مناقشات عنيفة يتردّد صداها داخل الأوساط في الرباط وفاس. كما عيب عليه مشاركته في سبتمبر 1939 في سلسلة المحاضرات التي جنّدت لها الإقامة العامة بعض كبار العلماء للدعوة إلى مساندة فرنسا أثناء محنتها في الحرب العالمية الثانية واحتلالها من طرف ألمانيا النازية. وقد دشّن الفقيه، بعد أن وجه الملك محمد الخامس نداءا للشعب المغربي لمساندة فرنسا والتطوع للتجنيد لتعزيز الجيش الفرنسي، سلسلة المحاضرات الإذاعية التي نظمت لهذا الغرض، بمحاضرة عنوانها "الوفاء بالعهد"، ذكر فيها الشعب المغربي بأن بينه وبين فرنسا عهداً ومن باب الوفاء بهذا العهد أن لا يسلّم في فرنسا في محنتها. بينما كانت المحاضرات التي ألقاها علماء آخرون بنفس المناسبة على خلاف محاضرة الفقيه تزخر بتمجيد فرنسا وتنعتها بأنها دولة متديّنة وتنعت ألمانيا بالإلحاد والإباحية، وتذكر بأيادي الاستعمار البيضاء على المغرب. ومن بين العلماء من هاجم الحركة الوطنية وصرّح أن الوقت غير موات للمطالبة بالاستقلال. ومنهم من "خصص محاضرته لسبّ محمد بن عبد الكريم الخطابي". وعلى إثر هذه المحاضرة سمّي الفقيه وزيرا للعدل. وهو منصب احتلّه قبله عدة علماء كالفقيه العلامة بلقرشي. ولم يمنعهم ذلك من مقاومة الفرنسيين فيما بعد إذ أن بلقرشي كان من بين المحتجين على الظهير

البربري، وخطب بذلك أمام السلطان محمد الخامس "الذي دمعت عيناه من التأثر". ولكن هذه الانتقادات لم تأخذ في أي وقت من الأوقات شكل صراع حول المبادئ. فقد بقي التقدير والتجاوب بين الفقيه والحركة الوطنية من التوابث لدى الطرفين إلى استقلال المغرب.

وهناك أمثلة متعدّة على هذا التجاوب بين طرفين عمل كل بالوسائل المتاحة له لبلوغ نفس الغاية.

فقد جاء الفقيه محمد بلعربي في إحدى محاضراته بالقرويين وهو يحمل مجلة "الشهاب" الإصلاحية التي كان الإمام عبد الحميد بن باديّس يصدرها في القسطنطينة بالجزائر "وعوضا أن يلقي الدرس الذي كان مقرراً قرأ على الطلبة مقالا لعلال الفاسي صادر في المجلة وكان هذا الأخير من بين الطلبة الحاضرين.

وبعد 16 مايو 1930 والموقف الرافض والعلني التي اتخذته الحركة الوطنية من الظهير البربري، والمظاهرات التي نظمتها في جميع أنحاء المغرب، حاول بعض علماء القرويين باتفاق مع الإقامة العامة والإدارة السياسية، أن يوقفوا المحاضرات التي كان علال الفاسي يلقيها في القرويين والتي كانت تستقطب الاهتمام وتثير الحماس ضد الاستعمار. فجمعوا المجلس الأعلى للقرويين لهذا الغرض أكثر من 24 مرة، ولكن "موقف الدفاع الصادق الذي قام به الفقيه حال دون ذلك". كما أن علال الفاسي ومحمد إبراهيم الكتاني كثيرا ما كانا يشيدان بالدور الإصلاحي الذي يقوم به الفقيه، ففي الذكرى الأربعينية لوفاة أبي شعيب الدكالي التي أقيمت بسينما الملكي أشادا كلاهما بالفقيه كعالم سلفي. وهذا الثناء تسبّب للفقيه الذي كان قد خلف أبا شعيب في إلقاء الدروس. بين يدي محمد الخامس، في مضايقات من طرف الصدر الأعظم المقري الذي أثار الموضوع في مجلس الوزراء قائلا "إننا لا نقبل بحال من الأحوال أن يكون بعض الذين هم معنا هنا هم في نفس الوقت معنا ومع أعدائنا. فإما معنا أو مع أعدائنا". ويحكي أن الفقيه ردّ عليه بأنه لو "كان له حق الاختيار لاختار" وفي 11 يناير 1944 حينما تقدم الوطنيون بعريضة الاستقلال لمحمد الخامس وللإقامة العامة وسفارات الدول العظمى آنذاك، أسّس محمد الخامس في 13 يناير لجنة مهمتها التباحث مع الإقامة العامة من جهة ومع الموقعين على عريضة الاستقلال من جهة أخرى للتوفيق بين الطرفين. وكان الفقيه الذي كان وزيرا للعدل آنذاك من بين أفراد اللجنة، إلى جانب أحمد بركاش وزير الأوقاف، و"الترجمان" محمد المعمري، وبعض الباشوات وعلى إثر مشاركته في هذه المفاوضات امتعض من موقف فرنسا المتعنّت من قضية استقلال المغرب، وقمعها للحركة الوطنية وزجّها بالوطنيين في السجون بتهمة التآمر مع النازية، وإقفال المدارس الحرة، وإقفال حتى مدرسة أزرو التي كان الفرنسيون يعتبرونها في حمى من تأثير الحركة الوطنية، وسجن عدد من طلبتها، والحكم بالإعدام على 14 متهمين في الأحداث الدامية التي نشبت في كل أنحاء المغرب، رتنفيذ ذلك في عيد المولد النبوي، فقدم الفقيه استقالته للملك لمحمد الخامس من وزارة العدل، معلنا أنه سئم من لعب دور "الوزيرالقرد". فقرّرت الإقامة العامة إبعاده عن الرباط، ونفيه إلى القصابي ثم إلى مدغرة وقد أجاب الملكف بالقبض عليه حينما طلب منه تهييئ ملابسه للذهاب للمنفى "أنا طالب فراشي لبدتي، وغطاءي برنسي، ووسادتي بلغتي "وأضاف" رحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية الذي قال إن كان الموت فشهادة، أو يكن السجن فعبادة، أو يكن النفي فسياحة".

وبعد رجوعه من تافيلالت سنة 1946، لم يتوقف عن إلقاء المحاضرات في المساجد ونشر الأفكار السلفية، وعن التدريس في القرويين، وساند صراحة الحركة الوطنية وصار يختار المواضيع الدينية التي تلتقي مع القضية الورطنية. كما صار "يخطب في المهرجانات الوطنية، ويحضر تدشين المدارس الحرة التي ينشئها الوطنيون" وتمتنت العلاقة بينه وبين زعماء الحركة. ففي سنة 1948، كتب علال الفاسي في جريدة "الإخوان المسلمون" بالقاهرة مقالا بعنوان : "علم من أعلام النهضة الإسلامية" عرّف فيه بالفقيه كقطب من أقطاب السلفية والإصلاح. وقام محمد إبراهيم الكتاني بإرسال المقال إلى العلامة محمد البشير الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر فنشره في جريدة "البصائر" التي كانت جريدة الجمعية. ومما جاء في تقديمه للمقال : "والأستاذ الأكبر الشيخ محمد بن العربي العلوي إمام سلفي وعالم مستقل، واجتماعي جامع وهو في نظرنا أحق برتبة الإمامة من غيره ممن خلع عليهم المؤرخون هذا اللقب ونحن في اخصّ الصفات التي تربطنا به وهي السلفية والإصلاح تجاوز درجة الإعجاب به إلى الفخر والتعاظم". ثم ختم تقديمه قائلا "ولو أن هذه النهضة وصلت في أطوارها إلى كتابة معلمة لرجالها لكان تمامها أن لا يكتب ترجمة بلعربي إلا علال الفاسي".

وبعد تنبيهات متعددة من طرف الدوائر الحكومية والاستعمارية التي كانت تعتبر دروسه في القرويين كلمات من نار"، وتدعوه للتخلّى عن خلط المواضيع الدينية بالحركة الوطنية، قامت السلطات الاستعمارية بإخضاعه للإقامة الإجبارية في إيموزار كندر، ثم في بيته بفاس. كما أن موقفه الشجاع والواضح طيلة ما عرف بالأزمة المغربية وثورة الملك والشعب، التي زعزعت العلاقة بين الإقامة العامة والقصر وخلقت جوا ثوريا في المغرب، أعطاه شعبية في جميع الأوساط المغربية. فقد كان موقفه صارما في قضية العريضة المسماة عريضة 27 التي هيّأها المقيم العام الجنرال جوان بعد فشله في مهمته الرامية إلى "وضع الملك في حالة نوم"، ورفض محمد الخامس التوقيع على تنظيمات سياسية واقتصادية جديدة.

وكان محمد بلعربي من بين العلماء الذين كاتبوا الملك

يستنكرون ما جاء في العريضة كما أرسلوا برقية لرئيس الحكومة الفرنسية يفضحون فيها ما تقوم به الإقامة العامة وما جاء في العريضة المزيفة. وفي غشت سنة 1953 حينما نفت فرنسا محمد الخامس وعائلته إلى كرسيكا ثم مدغشقر، كان الفقيه العالم الوحيد الذي لم يوقع على بيعة بن عرفة. ويحكى أنه حينما طلب منه التوقيع نزع عمامته من فوق رأسه قائلا " هل بعد أن شاب شعري أقوم بتوقيع ما أعتبره غير الحق. وأخون ملكي وبلدي. لن أوقع حتى ولو قطعتهم يدي. "ونادي بالجهاد في سبيل الله. وأفتى بعدم شرعية مبايعة ابن عرفة انطلاقا من المذهب المالكي الذي يقضي بأنه إذا بويع إمامان يقتل الثاني. كما رفض أن يشارك في فتوى وقعها عدة علماء تدين المقاومين بالسلاح، وتبيح الحكم عليهم بالإعدام. فقامت السلطات الاستعمارية بنفيه من جديد إلى تزنيت.

وفي عهد الاستقلال حينما تولي الفقيه منصب وزير التاج إلى جانب لحسن ليوسي والمختار السوسي، قام بدور مستشار للملك. وكان يكلف أحيانا بمهام سياسية لنفوذه المعنوي. ففي سنة 1957 عند ثورة عدي اوبيهي عامل تافيلالت ضد حكومة أحمد بلافريج، أرسل صحبة الحسن اليوسي والجنرال بلعربي للمفاوضات معه. وكان اختيار وليّ العهد الذي تكلف بالقضية آنذاك لوجود الملك في الخارج، للفقيه بسبب الاحترام الذي كان يتمتع به في هذه الناحية وتعرّفه حينما كان منفيا في تافيلالت سنة 1944 على عدي أوبيهي الذي كان قائدا في الريش، والذي كان يقدر الفقيه، ويقطع الخمسين كيلو متر التي تفصله عن مكان نفيه ليزوره خفية ليلا. وحاول الفقيه أثناء القيام بمهمّته أن يرجع عدّي أوبيهي إلى الصواب. ولكن هذا الأخير أظهر القوة والتعنت مما دفع الفقيه والوفد المرافق له إلى الخروج من اللقاء دون فائدة. وصرّح الفقيه أمام المسلّحين المتجمعين حول عدّي أوبيهي بأن هذا الأخير يخون بلده وملكه. وقام بنفس التصريح في الإذاعة بعد رجوعه. وبعد اشتداد المعارك بين الجيش وعدّي أوبيهي أرسل الفقيه من جديد صحبة اليوسي والجنرال الكتاني الذي كان مكلفا بالعمليات العسكرية لنفس المهمة ووقع الاتفاق على وقف التمرّد. كما أن الملك يكلفه بمام عائلية. فقد اصطحبه معه مثلا إلى بيروت لخطبة لمياء كريمة الزعيم اللبناني رياض الصلح لابنه الأمير مولاي عبد الله.

وفي سنة 1959 استقال الفقيه من منصبه، وفسّرت استقالته هذه بميوله إلى الحركة اليسارية الناشئة التي انفصلت عن حزب الاستقلال. وقد يكون هذا العطف على المعارضة منبعثا من خلافات الفقيه مع حزب الاستقلال، أو مساندة لفئة من الحركة الوطنية كانت تمرّ من فترة صعبة بسبب تبنيها لأفكار جديدة في مفهوم الحكم. وقد تكون استقالته ناتجة عن ترمه من وضعيته" كمستشار لا يستشار" كما كان يقول. وبعد استقالته رجع إلى بيته البسيط في فاس في طريق إيزار.

وعند وفاة محمد الخامس سنة 1961 كان هو إمام جنازة الملك الراحل وممن أذى البيعة للحسن الثاني.

ويظهر أن الفقيه لم يعتزل الحياة السياسية بعد تحرره من القيود المخزنية. بل بالعكس. وتدلّ الرسالة التي أرسلها له المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي في أكتوبر 1960 على أنه كان يتتبع نشاط الفقيه، ويؤمن بأنه لازال قادرا على التأثير في الساحة، "كمرشد ومعارض". ولعلّ الرجلين الذين جمع بينهما في شيخوختهما مراراة الشعور بالخيبة مما آلت إليه الأمور كانت لهما رغبة أخيرة في التغيير "ونحن وإن كنّا لم نتعرف عليهم شخصيا نظرا للعوائق التي صنعها المستعمرون إلا أننا قرأنا عنكم كثيراً وعرفنا عنكم الشي الكفيل بمعرفتكم معرفة تتفق ومواقفكم فيما تسدونه من النصائح والإرشادات والتوجيهات لأبناء الأمة المغربية الأبية.

وتتخلّل الرسالة دعوة الفقيه إلى العمل على تغيير الأمور "نؤكّد تأييدنا لكم فيما تقومون به من محاربة الظلم والفساد والطغيان ومجابهة الاستعمار وأذنابه وأبواقه". و"المهم هو أن تلهبوا العواطف الكامنة في أبناء الأمة المغربية حتى يجنّدوا أنفسهم بكل ما يملكون لطرد العدوّ الظالم من بلادنا". "فاعلموا ولنعمل جميعا عسى أن ننتشل البلاد من الهاوية" "فالمغرب في حاجة ماسة إلى من ينقده. في حاجة إلى مرشدين إلى موجهين وليس أجدر بكم من هذا الواجب المقدس. فسيروا على بركة الله".

وإذا لم يكن للمؤرخ ما يعتمد عليه لمعرفة مدى تجاوب الفقيه مع الرسالة، فقد أبان في سنة 1962 عن سلوكه طريق المعارضة الواضحة، حينما دعا إلى مقاطعة التصويت على الدستور منطلقا من مبدإ عدم أحقية الحاكم في التشريع، منتقدا الملكية الوراثية ومحللا آراءه في عدة مهرجانات خطابية أقامها الاتحاد الوطني للقوات الشعبية والاتحاد الوطني لطلبة المغرب لمقاطعة الاستفتاء، على عكس حزب الاستقلال الذي نادى بالتصويت بنعم.

ومنذ 1962 ابتعد عن الساحة السياسية ولازم منزله. وكان يقضي وقته في العبادة والقراءة. ويستقبل بعض الأصدقاء المخلصين كمحمد الزغاري وإدريس المحمّدي والمحجوبي أحرضان. ومن حين لآخر يلعب "التّوتي" الذي كام مولعا به فيما قبل حيث كان كلما اجتمع أربعة أشخاص يطلب إحضار "الكارطة" قائلا إن التوتي يشغل عن النميمة والكلام في الناس".

وقد لبى داعي ربه يوم 4 يونيو 1964 ودفن بسفط رأسه في المداغرة.

ع. الفاسي، *الحركات الاستقلالية في المغرب العربي*، مؤسسة علال الفاسي ؛ ع. الكريم غلاب، *تاريخ الحركة الوطنية*، مطبعة الرسالة، 1987 ؛ م. إبراهيم الكتاني، محمد بن العربي العلوي كما عرفته، استجواب في العلم قام به نجيب الخداري ؛ *روايات شفوية*.

Abdellah Laroui, *Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain 1830 - 1912*, Maspéro, 1977 ; Charles-André Julien, *Le Maroc face aux impérialismes*, éditions J.a., 1978 ; Mohamed Chafik, *Préface de Cheikh al islam*

Mohamed Bel Arbi. Dar Al Kalam. 2003 ; Moha Kettouch, *Cheikh Al islam Mohamed Belarbi Alaoui*. Dar Al Qalam. Rabat. 2003.

ثريا برادة

العا حمد بن محمد (مقا سنة 1927 بزاوية سيدي ختار دائرة شيشاوة إقليم مراكش، دفعته غيرته الوطنية إلى الانضمام إلى صفوف المقاومة السرية بالدار البيضاء.

شارك في عدة مواجهات واشتباكات مع القوات الفرنسية إلى أن أصيب خلال إحداها برصاص العدو ونقل على إثرها إلى المستشفى ليلفظ أنفاسه الأخيرة وذلك بتاريخ 30 / 5 / 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة معلوم رقم 107.

العلوي (مولاي -) **المهدي** بن **إسماعيل** حفيد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن اقترحته الحكومة الاسبانية ليتولى منصب خليفة السلطان المفوض في منطقتي الحماية الإسبانية في شمال المغرب وصحرائه تنفيذاً للفصل الأول من المعاهدة الفرنسية الاسبانية المبرمة بمدريد يوم 27 نوفمبر 1912 والتي وافق عليها السلطان مولاي يوسف بظهير 6 جمادى الثانية 1331 موافق 14 ماي 1913.

وقد حل مولاي المهدي بتطاون يوم 13 أبريل من السنة المذكورة ليتقلد مراسيم السلطة.

وكانت له حكومة تعرف بالمخزن الخليفي يرأسها الصدر الأعظم محمد ابن عزوز ؛ وكان يستعمل المظل في الحفلات الرسمية وله حرس خاص وتقدم له "الهدية" التقليدية كل سنة.

وكانت النصوص التشريعية تحمل طابعه الكبير كما كانت النصوص التطبيقية تحمل طابعه الصغير، في حين كانت القوانين التنفيذية تحمل طابع الصدر الأعظم.

وكان الدعاء لجلالة السلطان في خطب الجمعة يشفع بالدعاء للخليفة مولاي المهدي.

وفي عهد المترجم له عرف شمال المملكة المقاومة المسلحة التي قادها الشريف مولاي أحمد الريسوني والتي تلتها المقاومة التي قادها الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي، الأمر الذي جعل الخليفة مولاي المهدي يتعامل مع خمسة من المقيمين الاسبانيين العامين هم الجنرالات ألفاو Alfau ومارينا Marina وخوردانا Jordana وبيرينگير Berenguer وبورگيطي Burguete.

توفي بمدينة سبتة يوم 24 أكتوبر 1923.

م. ابن عزوز حكيم، *الحماية الاسبانية بالمغرب*، (1912 ـ 1956)، مطبعة المهدية، تطوان، سنة 1958.

محمد ابن عزوز حكيم

العلويون الأسرة الحاكمة في المغرب منذ أزيد من ثلاثمائة وستين سنة، نسبها شريف من أصرح الأنساب، وسببها متصل برسول الله (ص) بأمتن الأسباب، بشهادة كل المؤرخين. أول الداخل منهم إلى المغرب هو الحسن بن قاسم بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أبي محمد بن عرفة بن الحسن بن أبي بكر بن علي بن الحسن بن أحمد بن إسماعيل بن قاسم بن محمد النفس الزكية بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة بنت الرسول محمد عليه السلام. جاء الحسن هذا، المدعو بالداخل، من الينبوع بطلب من حجاج إقليم تافلالت الذين أرادوا أن يتبركوا بسكناه بين ظهرانيهم في رواية، أو استقدموه ليصلح لهم ما كان قد فسد من نخيلهم في رواية أخرى. وكان دخوله سنة 665 / 1266، في العصر الأول من دولة بني مرين الذين اعتنوا عناية متميزة بآل البيت الشريف في المغرب. ولم يلبث الشريف الحسن بن قاسم أن أقام لبيته في تافلالت أمجادا تأثلت جيلا بعد جيل. فإن بركة أولاده وأحفاده ذاعت في الأفاق ولهجت بذكرها ألسن الرفاق حتى صار يتشوف إليهم الخاصة والعامة في كل مكان، ويريد اللواذ بهم أهل الأندلس بعد أن مسك النصارى بمخنقهم فتوسلوا للمولى علي الشريف بأن يهب إلى نجدتهم في القرن التاسع (هـ) / الخامس عشر (م)، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على مدى ما صار للعلويين من الصيت البعيد ومن الذكر الحسن في المغرب، حتى حصل لهم شبه اليقين بأن أمر البلاد سوف يوكل بهم طال الزمان أو قصر. وازدادوا يقينا بذلك عندما تسربت أسباب الضعف إلى الدولة السعدية خلال العقود الأولى من القرن الحادي عشر (هـ) السابع عشر (م). وكان قطب الأسرة يومئذ هو المولى الشريف بن علي المراكشي بن محمد بن علي بن يوسف بن علي الشريف السجلماسي بن الحسن بن محمد بن الحسن الداخل. ولقد رزق المولى الشريف هذا بثلاثة أولاد كانوا من الأفذاذ وممن تقام على كواهلهم الأطواد، وهم المولى محمد (فتحا) والمولى الرشيد والمولى إسماعيل. ومن المولى إسماعيل تنسل باقي ملوك الدولة العلوية إلى يومنا، بناء على الجدول التالي :

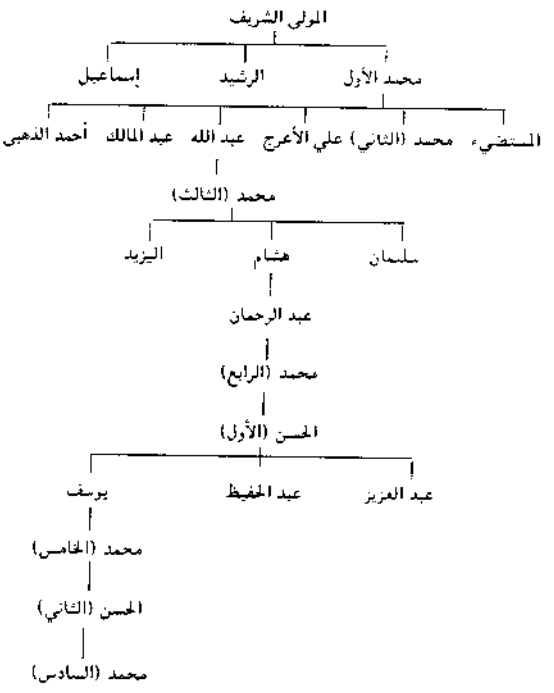

وحيث إن سير هؤلاء الملوك مفصلة في مكانها من هذه المعلمة، باستثناء ملك هذا العصر صاحب الجلالة محمد السادس، فإننا نكتفي بإجمال القول فيما تتميز به الدولة العلوية في تاريخ المغرب منذ أن تربعت على إريكة الملك. فهي الدولة التي أجمع المغاربة على نصرتها وتمسكوا بأهداب عرشها منذ قيامها سنة 1050 / 1640 إلى يومنا، مفندة بذلك حكم ابن خلدون على تداول الحكم في المغرب بأنه لا يتجاوز أربعة أو خمسة أجيال، من جراء البنية القبلية وما يترتب عليها من العصبيات التي يأكل بعضها البعض. لكن الدولة العلوية تخلصت من هذه الدوامة، ووحدت البلاد والعباد بشكل حال دون أن ينازعها أحد السلطان ما لم يكن من البيت العلوي بالذات. وسبب ذلك أن العوامل الفاعلة في تاريخ المغرب تغيرت منذ القرن العاشر (هـ) / السادس عشر (م) بعد أن صارت التجارة مع السودان بالقوافل عبر الصحراء تميل إلى النضوب بسبب هيمنة الأوربيين عليها بالملاحة عبر المحيط. وكانت تلك التجارة تغذي فيما سبق طموح الراغبين في الملك من أبناء القبائل الصحراوية أو المتاخمة للصحراء. والعلويون آخر من اعتمد ذلك، علما بإن خروجهم من تافلالت جاء دليلا على الحاجة إلى الاستعاضة عن التجارة الصحراوية بفتح باب التجارة عبر الموانئ الأطلسية على مصاريعها. فكأن المغرب مال من شرقه نحو غربه ومن صحرائه إلى شواطئه الأطلسية التي صارت تباشير التغيير منها تلوح ورياح الأخطار الاستعمارية منها تفوح. وقد تعاملت الدولة العلوية مع هذه المتغيرات بتمام الحزم والمرونة، آخذة من التجارة مع الأوربيين ما تحتاج إليه البلاد والدولة، ساهرة في آن واحد على حماية الحمى والذود عن دار الإسلام. ووفقت في تحمل تلك الرسالة، فأخلص الشعب لها والتف حول عرشها. وساعدها على أداء مهامها التاريخية توالي ملوك عظام نافذي البصيرة كرام، يمكن تقسيم عملهم إلى خمس مراحل.

فالمرحلة الأولى هي مرحلة التأسيس الذي قام به أبناء المولى الشريف الثلاثة الأفذاذ. فالمولى محمد (فتحا) هو الذي وضع اللبنات الأولى للدولة في تافلالت وفيما إليها من التخوم الصحراوية الشرقية، وذلك فيما بين 1050 و 1074/ 1640 و 1664. ثم قام عليه أخوه المولى الرشيد وتناول المشعل من يده وطاف به على باقي أنحاء المغرب الذي كانت تتقاسمه العصبيات الدينية والدنيوية، فقضى عليها ومهد البلاد وجدد للدولة سلطانها المركزي، وذلك في أقل من ثمان سنوات من 1074 إلى 1082 / 1664 ـ 1672. ولما توفي فجأة في حادثة فروسية، بويع لأخيه المولى إسماعيل الذي امتد حكمه أزيد من خمس وخمسين سنة، من 1082 إلى 1139 / 1672 ـ 1727، أقام خلالها الدعائم الكبرى للدولة الجديدة مثل جيش عبيد البخاري وجيش قبائل الودايا والنظام الجبائي، فطاعت له جميع أطراف البلاد، وخاطبت الدول الأوربية وده بعد أن جعل حدا لفوضى الجهاد في البحر بأن جعله من اختصاص السلطان.

وتعتبر المرحلة الثانية مرحلة إقرار للدولة وتثبيتا لأركانها، وذلك بشكل سلبي في شوط أول بما جرى من التناحر على العرش بين المتصدرين من أبناء المولى إسماعيل الذين صار يقدمهم ويؤخرهم قواد الجيش الذين تنفسوا الصعداء غداة وفاة المولى إسماعيل فصار الأمر فوضى بينهم. وتداول الحكم خمسة أمراء هم المولى أحمد الذهبي 1139 ـ 1141 / 1727 ـ 1729، والمولى عبد المالك 1140 ـ 1141 ـ 1728 ـ 1729، والمولى عبد الله الذي امتد حكمه من 1141 إلى 1171 / 1729 ـ 1757، علما بأنه أبعد عن العرش أربع مرات على يد المولى علي الأعرج الذي تولى الملك سنة 1147 / 1735 ـ 1736، ثم على يد سيدي محمد بن عريب سنة 1147 / 1736، ثم على يد المولى المستضيء فيما بين 1150 و1152 / 1738 ـ 1740، إلى أن أتى الاقتتال بين قواد الجيش على رؤوس الفتنة، وعم الوهن وتوالت فترات القحط والوباء على الجميع، فاجتمعت الكلمة من جديد على المولى عبد الله إلى أن وافاه أجله. فخلفه ولده سيدي محمد الذي أثبت عهده استقرار الدولة بشكل إيجابي. فإنه أدرك ما كانت البلاد في حاجة إليه من الإصلاح فاتخذ الإجراءات اللازمة، مثلما أدرك أن لا مناص من التعامل مع الدول الأوربية فأبرم اتفاقيات ودّ وتجارة مع كبيرها وصغيرها بناء على مبدأ المصالح المتبادلة. ولما توفي خلفه ولد المولى يزيد الذي كان نزاعا إلى التهور والاتكال على العنف، فلم يتجاوز عهده سنتين، من 1204 إلى 1206 / 1790 ـ 1792. وبويع في الجنوب للمولى هشام، وفي الشمال للمولى سليمان. لكن المولى هشام ما لبث أن تنازل عن الملك للمولى سليمان الذي كان من علماء عصره

فسار في حكمه بسيرة السلف الصالح، ممتنعا عن التعامل مع اللاوربيين الذين علا شأنهم يومئذ علوا منكرا حتى استطاعوا احتلال مصر على يد نابليون بونبارت الذي فكر في احتلال المغرب بعد أن صار إمبراطور فرنسا ودخلت جيوشه البلاد الإسبانية.

ولذلك كانت المرحلة الثالثة هي مرحلة الصمود في وجه الأوربيين الذين صاروا يفكرون في اقتسام ديار الإسلام فيما بينهم، وكانت فرنسا أول من انتزع جزءا منها في الجزائر فأصبحت مجاورة للمغرب من جهته الشرقية. ولم يكن من ملوك هذه الحقبة، وهم المولى عبد الرحمان بن هشام 1238 ـ 1276 / 1822 ـ 1859، وسيدي محمد 1276ـ 1290 / 1859 ـ 1873 وولده المولى الحسن 1290 ـ 1311 / 1873 ـ 1894 إلا أن يتصدوا للغزو الإستعماري بالوسائل العسكرية مثلما جرى في إسلي أمام الجيوش الفرنسية (1259 / 1844) وفي تطوان أمام الجيوش الإسبانية مرة أولى (1276 / 1859) وفي مليلية مرة ثانية (1310 / 1893)، وبالوسائل الديبلوماسية في غالب الأوقات وبالتضريب بين الطامعين، ساعين في آن واحد في ترتيب شؤون المغرب بناء على ما تفاقم من المبادلات مع تجار أوربا.

ولكن تخلف البلاد عن الركب الصناعي وعجز خلفاء المولى حسن عن السير في نهج الصمود حال دون الاحتفاظ بالاستقلال، ففرضت مقررات مؤتمر الخزيرات على المولى عبد العزيز (1311 ـ 1326 / 1894 1907)، وعقدت الحماية الأجنبية في عهد أخيه المولى عبد الحفيظ (1327 ـ 1331)، الذي رفض أن يكون سلطانا تحت الحجر، فانتقلت البيعة لأخيه المولى يوسف الذي امتد عهده من سنة 1331 إلى سنة 1346 / 1912 ـ 1927 وانحصرت مهمته في الحرص على العقيدة الإسلامية وعلى لغة القرآن إلى أن وافاة الأجل المحتوم.

وانطلقت بذلك المرحلة الخامسة التي ما زلنا نعيش لحظاتها المباركة، وهي مرحلة ثلاثة ملوك يعتبرون رموزا للدولة العلوية فهم من كبارها، محمد الخامس (1347 ـ 1381 / 1927 ـ 1961)، والحسن الثاني (1381 ـ 1420 / 1961 ـ 1999) ومحمد السادس ملك هذا العصر مدّ الله في عمره. فمحمد الخامس هو الذي حرر الأرض المغربية من ربقة الاستعمار وهو الذي وضع اللبنات الأساسية للدولة المغربية العصرية المجددة. والحسن الثاني هو الذي ذهب بهذا الجهاد الأكبر إلى أبعد ما استطاع من البناء والإصلاح وفتح آفاق التعليم والتحصيل أمام كافة المغاربة، وهو الذي استرجع الصحراء المغربية، ساعيا في إسماع كلمة المغرب في كل المحافل الدولية وفي توحيد صفوف الشعوب العربية والأمة الإسلامية، مادا يد المساعدة لكل من يحتاج إلى أن يؤخذ بيده عبر المعمور. وقد تقلد هذه الأمانة الكبرى بعد وفاته ولي عهده ووارث سره الملك المنصور محمد السادس حفظه الله، فهو يسير على درب أسلافه الكرام، يبدي من العناية بالإنسان المغربي ويشؤونه المادية والمعنوية ما يبشر بطلائع اليمن والخير والبركات.

إبراهيم بوطالب

ابن **علي**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك آسر إسبانية تحمل اسم Benahali.
وبتطوان أسر أخرى تحمل نفس الاسم وهي ليست أندلسية.

ابن **علي، إبراهيم** بن بهي محمد من مواليد 1918 بدوار الركن ايت الخمس أيت باعمران إقليم تيزنيت.
انخرط في صفوف جيش التحرير سنة 1957 بعد خروجه من السجن حيث إنه كان قد سجنه الاستعمار الاسباني بالداخلة من يوم 18 ـ 11 ـ 1955 إلى ماي 1956 بسبب سياسي كان من جملة الذين قاموا بعدة عمليات في سبيل تحرير البلاد واسترجاع سيادتها، كما خاض عدة معارك قاسية ضد قواعد الجيوش الاسبانية بأيت باعمران. وقام بدور هام مع الجماعة التي يترأسها حيث حمل رتبة قائد المائة بمقاطعة 10. عرف بتضحيته وإخلاصه لله والوطن والملك. اشترك في عدة معارك إلى أن فاز بشرف الشهادة في معركة املو وذلك بتاريخ 8 ـ 12 ـ 1957.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 503163.

ابن **علي، إدريس** من مواليد 1912 بأولاد جلال ارفود. كان وطنيا غيورا شارك في مظاهرة 20 غشت 1955 بوادي زم حيث فر بعدها على متن شاحنة مع مجموعة من المقاومين ليعتصموا بمنزل القائد الضاوي الكائن بدوار أولاد بوغادي بني خيران إلى أن هوجموا من الجيش الفرنسي.
وكان الشهيد رحمه الله من بين من قتلوا رميا برصاص المستعمر يوم 22 غشت 1955 انتقاما لما خلفته حوادث 20 غشت 1955 وقد بقيت جثته إلى جانب جثث الشهداء الآخرين لم تدفن إلا بعد يومين نظراً للحراسة التي ضربت على المكان من السلطات الاستعمارية الفرنسية.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 514518.

علي بن **إسماعيل** الأعرج (السلطان)، هو أحد أبناء المولى إسماعيل الذين وصلوا إلى الحكم لمدة قصيرة في خضم الصراعات التي شهدتها البلاد بين 1727 و1757، والتي لعب فيها جيش العبيد دورا بارزا.
بايعه العبيد باتفاق مع أهل فاس بعد أن سئم الناس سياسة البطش والتقتيل التي سلكها مولاي عبد الله بن

إسماعيل في حق الجيش وغيرهم. وتمت مبايعته يوم 28 ربيع الثاني من عام 1147 (شتنبر 1734)، بعد أن فر مولاي عبد الله باتجاه الجنوب. وقد لعب قائد العبيد سالم الدكالي دورا أساسيا في حمل مولاي علي إلى الحكم، وظل طوال عهده الآمر والناهي الحقيقي. وكان مولاي علي بسجلماسة وقت فرار أخيه عبد الله باتجاه مراكش، فبعث إليه العبيد ليأتي إلى الغرب، وتلقوه صحبة أهل فاس بمدينة صفرو حيث بايعوه. وعندما استقر بمكناس وفرق على الجيش ما وجده ببيت المال احتاج إلى ما يقوم به أمور الدولة، فلم يجد إلا أم السلطان مولاي عبد الله خناثة بنت بكار، فاستولى على أموالها وأودعها السجن هي وحفيدها سيدي محمد لكي تُقر بما اتّهمت بإخفائه. وكان مولاي علي قد وعد بعدم قبض المكوس والاكتفاء بالزكاة والعشر، لكن سنة 1148 (1735 ـ 1736) كانت سنة جفاف وقحط وغلاء في الأسعار فقلت مداخيل بيت المال، خاصة وأن حكمه لم يكن يتعدى المناطق المحيطة بمكناس.

ويذكر أبو القاسم الزياني أن مولاي علي الأعرج جهّز في أواخر سنة 1148 / ربيع 1736 حملة ضد آيت أومالو وبرابرة الأطلس إذ كانوا شيعة أخيه مولاي عبد الله. إلا أن هذه الحملة اتخذت شكل مغامرة خاسرة، إذ تربص آيت أومالو حتى توغل جيش العبيد داخل الجبال فأحاطوا بهم من كل جهة وجردوهم من الخيل والسلاح وردوهم على أعقابهم. ولما دخل مولاي علي عاصمته طالبه العبيد بالراتب والكسوة والسلاح فلم يجد ما يعطيهم.

وأمام هذه الوضعية العسيرة التي عجر فيها مولاي علي عن تحمل أعباء الدولة تحسنت في المقابل حظوظ أخيه مولاي عبد الله الذي رجع من الجنوب واستطاع أن يعود مرة أخرى إلى عاصمة الحكم، بعد أن خلع العبيد مولاي علي في آخر ذي الحجة 1148 / 11 مايو 1736. ولم يكن بوسع مولاي علي إلا الفرار بنفسه شرقا ليستقر عند عرب الأحلاف الذين استضافوه وآووه لعدة سنين. ولما تبين إعراضه عن الملك سمح له مولاي عبد الله بالرجوع إلى الغرب والاستقرار بمكناس عام 1169 / 1755ـ1756. ولم يلبث بها طويلا حتى ضيّق عليه العبيد وشكوه إلى السلطان الذي بعثه إلى تافيلالت حيث بقي إلى أن توفي.

الزياني، *الرحلة السليمانية*، مخطوط 1275، خ. ع، الرباط ؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، الرباط، 1986 ؛ م. الطيب القادري، *نشر المثاني*، الجزء الثالث، الرباط، 1986.

محمد المنصور

علي (الحاج ـ) من الرياس الأوائل العاملين في مرسى سلا الجديد قبل فترة الديوان، استولى في أكتوبر 1624 / 1034 في أنحاء رأس فينيستير على بعد خمسة عشر فرسخا من الساحل الفرنسي على سفينة هولندية قادمة من إيطاليا ببضائع مقدرة بحوالي ثمانية ألف فلورين يقودها القبطان أوونت هنريبز (E. Henriexz)، وأجبره هو وأحد بحارته بالتعذيب والتهديد على الإقرار بعودة ملكية الشحنة للفرنسيين، قصد إضفاء المشروعية على الغنيمة.

S.I.H.M., Ie série, Pays-Bas, T. IV, p. 74.

حسن أميلي

علي، رايس من الرياس العاملين تحت إمرة أمير البحر موراطو رايس خلال المرحلة الأولى من الجهاد البحري الأندلسي. وقد اضطرته ظروف الطقس في نونبر 1625 / 1034 إلى اللجوء بسفينته إلى أحد موانئ الأقاليم المتحدة، حيث قدم الفرنسي نافيو (Navio) اعتراضا بخصوص ملكيته الأصلية للسفينة، مما أجبر السلطات الهولندية على مصادرتها، إلى حين إدلاء الرايس المذكور بما يثبت شراءه لها في سلا، وأثناء ذلك كان طاقمه من العلوج قد تعرضوا لمضايقات من السلطات الهولندية، اضطر معها السفير المغربي يوسف بسكاينو إلى التدخل من أجل تسريح الطاقم والسفينة في مارس الموالي ؛ ولربما واصل نشاطه الجهادي بعد ذلك التاريخ، حيث تشير الوثائق الفرنسية لسنة 1041 / 1631 إلى وقوف علي رايس خلف المحنة التي تعرض لها شاب فرنسي في مدينة سلا.

S.I.H.M., Ie serie, France, T. III, p. 371 ; T. IV, p. 98 - 118 - 119.

حسن أميلي

ابن **علي، الرباطي** أحد الوجوه البارزة في فضاء التشكيل المغربي، حيث يعتبر الرائد الأول في هذا المجال. وقد اهتم النقاد المغاربة والأجانب بأعماله واعتبروها نقطة انطلاق الفن التشكيلي بالمغرب فضلا عما تكتسيه من أصالة وأهمية تاريخية.

ولد محمد بن علي الرباطي بمدينة الرباط سنة 1861 وعاش بها فترة الصبا والشباب ثم رحل إلى مدينة طنجة بحثا عن عمل، وقد تأتى له ذلك فاشتغل لأول مرة كطباخ عند الرسام البريطاني الشهير جون لوثري الذي تعلم على يده فن الرسم وسر الصباغة الحديثة.

بدأ محمد بن علي الرباطي محاولاته الأولى المحتشمة يرسم مظاهر الحياة اليومية المغربية بأسلوب مجرد بسيط وألوان شفافة تنم عن عفويته الفطرية إلا أنه استطاع أن يجسد أحاسيسه وانطباعاته بصدق وتلقائية.

نظم أول معرض له بلندن سنة 1916، وفي سنة 1919 أقام معرضا آخر بمرسيليا ضم عددا من اللوحات التي تعبر عن عادات وتقاليد أهالي طنجة.

وفي سنة 1922 نظم معرضا بقصر المامونية بالرباط تحت إشراف المدير العام الفرنسي للفنون الجميلة الأهلية (ريكاد) وبعد أن أخذت أعماله تجد صداها خارج حدود المغرب عملت سلطات الحماية الاسبانية على الحد من نفوذه الفني وألحقته سنة 1922 بالطابور الاسباني الثاني كجندي بسيط، وفي نفس الوقت بعمل كجندي الإطفاء. وإثر تسريحه من الخدمة العسكرية التحق ببنك (بلباو بطنجة) كموظف وعاد بعد ذلك ليمارس هوايته الفنية.

وفي سنة 1933 خصصت له قاعة دائمة بقصر رياض السلطان بطنجة يرسم فيها ويعرض لوحاته الزيتية وفي هذه الفترة استطاع أن يلحق عددا من لوحاته بمتاحف باريس ولندن وستوكهولم.

ومن الشخصيات التي اقتنت لوحاته : (السلطان المولى عبد العزيز ـ الدوق تيمور وسفير انجلترا بطنجة ـ وسفير الولايات المتحدة الامريكية والمليونيرة (باربارا هاملطن) وعدد كبير من الشخصيات الوطنية والدولية.

توفي محمد بن علي الرباطي بطنجة يوم 13 غشت 1939 عن سن يناهز 78 سنة.

محمد بلعربي

علي بن **عبد الرحمان** بن هشام العلوي (الأمير) كان له ذكر بين أهل العلم بمراكش خلال العقود الأخيرة من القرن الثالث عشر الهجري (19 م). لا نكاد نعرف شيئا عن تاريخ ومكان ولادته. نشأ في كنف والده وتحت رعايته.

ما كاد الأمير علي بن عبد الرحمن ينهي المراحل الأولى من التلقين والتعليم حتى بدأت مخايل النجابة والميل إلى التعليم تلوح عليه، فكان يعرض عما يشتغل به أقرانه من اللعب واللهو ويميل إلى قراءة ما يقع بيده من كتب، فكان يحفظ بعض المقطعات الأدبية والنصوص الفقهية. وقد تنبه السلطان مولاي عبد الرحمان إلى رغبة ابنه وعدد من إخوانه في التعلم والاستفادة فحشد إليهم عددا من نبهاء الفقهاء والعلماء الذين يساعدونهم على تنمية مواهبهم وصقل قرائحهم من أمثال أحمد بن الكبير العمراني، وأحمد بن مبارك الرحماني وغيرهم. وقد تخرج علي بن عبد الرحمان فقيها مشاركا وعالما يجول في شتى الفنون والعلوم، وعلى هذا حلاه الفضيلي بالفقيه العلامة وصنفه من الجهابذة الأمجاد والسراة الأنجاد. استوطن الأمير علي بن عبد الرحمان العلوي مدينة مراكش بحي الكتبيين، فتحول بيته إلى قبلة لشيوخ العلم من أهل مراكش من أمثال الفقيه مولاي أحمد بوغربال والأديب محمد الكنسوسي، والعلامة السباعي بالإضافة إلى الفقهين أحمد العمراني وأحمد بن مبارك الرحماني، فكان النقاش لا يكاد يهدأ في المسائل الفقهية، حتى يمتد للقضايا اللغوية والأدبية، ناهيك عن المطارحات الأدبية التي كانت ترتج بها جنبات المجلس، فاكتسب الأمير علي بن عبد الرحمان ملكة عالية في إدارة الكلام في العلم والمذاكرة. ولم تكن هذه المجالس العلمية الخاصة، تمنعه من الاستزادة في طلب العلم، فكان يحضر بين العشاءين صحبة أخويه العباس والرشيد دروس الطالب بن الحاج في *صحيح البخاري* بجامع بن يوسف. ويظهر أن الأمير علي بن عبد الرحمان العلوي كان يتذوق الشعر فقد كان يهتز طربا لقصائد المدح التي كان يلقيها بين يديه الأديب محمد الكنسوسي وغيره من شعراء مراكش.

وفي سنة 1274 هجرية، وجه السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام بعض أبنائه إلى الحج من بينهم الأمير مولاي علي، وبعد عودتهم سنة 1275، خرج أهل مراكش لاستقبالهم وكان "يوم لقائهم يوماً مشهوداً ...

كان الأمير مولاي علي يهتم بتجميع الكتب، ويبذل النفيس في اقتنائها، ويبعث إلى الآفاق بجلبها واستنساخها فكون "خزانة قيمة وحيدة في نفائسها وتعدد مجلداتها في شتى الفنون".

ونستفيد من بعض الوثائق المحلية بوادي درعة، أن الأمير مولاي علي بن عبدالرحمان، كانت تربطه علاقات طيبة ببعض فقهاء وأعيان الوادي، فقد ورد في إحدى رسائله إلى الفقيه يوسف ابن لحبيب حاجي ما يلي : "وبعد فقد وصلنا كتابك وفهمنا مضمنه وصارمنا على بال، ووصل ما بعثت به من المعدن وإلي الآن لم يحصل تجريبه وإن قدمت إن شاء الله لحضرتنا واصحب معك منه رطلا أو ما تيسر ليقع فيه الاختبار بارك الله فيك .. وقد وصلت السلة من التمر هدية أخلف الله عليك خليفة الخير .. وفي سابع ربيع الثاني عام 1288".

ويظهر مما ورد في هذه الرسالة أن الأمير مولاي علي بن عبد الرحمان كان يهتم، فيما يهتم به باستخلاص المعادن والبحث عن مكامنها. أما الرسالة الثانية، فقد وجهها الأمير إلى نفس الفقيه يستعجله بإرسال كتاب أساس البلاغة للزمخشري لاستنساخه وإعادته إلى صاحبه وهو قاضي درعة في وقته محمد بن محمد العربي حاجي.

توفي علي بن عبد الرحمان العلوي في زمن غير معروف في نهاية القرن الثالث عشر الهجري أو في مطلع القرن الرابع عشر.

ع. المراكشي، *الإعلام*، ج 2 ـ 9 ؛ ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 5 ؛ الفضيلي، *الدرر البهية*، ج 1، ط 1999 ؛ *وثائق محلية من درعة في حوزة الكاتب*.

أحمد البوزيدي

ابن **علي، عبد السلام** بن الحاج محمد، ولد سنة 1920 بدوار امسيتا ملحقة بني عمارت إقليم الحسيمة من أبويه الحاج محمد بن علي وياسنة.

نشأ وسط عائلة متواضعة الحال، كان يمتهن الفلاحة بمسقط رأسه وما إن سمع بنداء الوطن حتى بادر إلى الانخراط في صفوف جيش التحرير غداة تأسيسه بشمال المغرب وذلك سنة 1955.

عمل ضمن الوحدة التي كانت تحت قيادة الحسن الزكريتي. وقد عرف بين رفاقه بالإخلاص والتفاني في العمل من أجل الدفاع عن مقدسات الوطن، إذ شارك في عدة معارك أبلى فيها البلاء الحسن إلى أن استشهد رحمه الله بعد إصابته برصاص المستعمر سنة 1955 بمركز بوزينب.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 520836.

ابن **علي، عبد الله** ولد سنة 1906 باداي اديباكو قبيلة صبوية دائرة افني إقليم تيزنيت.

شارك الشهيد في صفوف جيش التحرير ضمن التشكيلة التي كانت تحت إمرة الملالي وكافح بإخلاص من أجل تحرير البلاد واشترك في معركة أصدر التي استشهد فيها وذلك بتاريخ 14 / 11 / 1957.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 503176.

ابن **علي، علي** من أبرز رياس الجهاد البحري بسلا الجديد وأولهم شهرة، كان في سنة 1622 يعمل لحساب قائد القصبة فاضل الزعروري، حيث تمكن في شهر أكتوبر من تحقيق غنيمة هولندية ثمينة متمثلة في سفينة القبطان غريث فارنيرز (G. Warnaersz) قادمة من موسكوفيا ببضائع قدرت قيمتها بحوالي مائة وستين ألف فلورين.

S.I.H.M., Ie série, Pays-Bas, t. III, p. 269.

حسن أميلي

ابن **علي، علي** فقيه كان يزاول خطة العدالة من سنة 1116 إلى سنة 1154 (1704 - 1741). وقد برز منهم : **ابن علي أحمد** تطواني سقط أسيرا بيد الفرنسيين سنة 1667 حيث كان يحمل رقم 102 وقد توفي بمستشفى مدينة طولون الفرنسية يوم (28 أكتوبر 1706). **ابن علي أحمد بن محمد** فقيه زاول خطة العدالة سنة 1275 إلى سنة 1279 (1859 - 1863). **ابن علي قاسم** تطواني كان أسيراً بفرنسا منذ سنة 1119 (1707) وكان يحمل رقم 7390 وكان لايزال بفرنسا عام 1139 (1727). **ابن علي محمد العربي** فقيه كان يتعاطى خطة العدالة سنة 1134 (1721).

م. ابن عزوز حكيم. *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

علي بن **عمر** بن إدريس الأزهر بعد وفاة إدريس الأزهر وزع الأمير محمد بن إدريس مناطق المغرب على إخوته، وكانت قبائل صنهاجة وغمارة والساحل من نصيب أخيه عمر الذي وسع نفوذه على حساب أخويه عيسى والقاسم فملك من سبتة إلى إقليم تامسنا، وتوفي سنة 220 / 835 في حياة أخيه محمد الذي عين مكانه ابنه علي. وظل علي يقوم بمهام إمارته إلى أن حصلت حادثة صهره أمير فاس يحيى بن يحيى بن محمد بن إدريس، فاستدعته ابنته عاتكة زوجة يحيى عندما ثار العامة على زوجها وتوفي حسرة على ما فعله، واستقل عبد الرحمن بن أبي سهل الجذامي بالمدينة. وحتى لا تخرج فاس من أيدي الأدارسة زحف علي بن عمر بن إدريس إلى فاس بجيوشه وأخمد الثورة القائمة فيها، وبويع بها سنة 252 / 866، وبذلك انتقل حكم الأدارسة بفاس إلى أبناء عمر بن إدريس.

بعد بيعة أهل فاس لعلي بن عمر ودخولهم في طاعته، أطاعه أهل المغرب قاطبة فخطب له على جميع منابره، واستقر الوضع لصالحه مدة إلى قامت ثورة بزعامة عبد الرزاق الفهري، الذي كان خارجياً صفرياً، بجبال مديونة من أعمال فاس، فتبعه أهل قبائل مديونة وغياثة وغيرهم. وبنى قلعة منيعة ببعض جبال مديونة وسماها وشقة باسم بلده بالأندلس. ثم بدأ في تهديد ممتلكات الإمارة الإدريسية فزحف إلى صفرو ودخلها وبايعه أهلها توجه نحو فاس بمن تبعه، وخرج إليه الأمير علي بن عمر بن إدريس بعسكر ضخم، وبعد مواجهات عنيفة انهزم جيش الأدارسة، وفر أميرهم علي بن عمر إلى بلاد أوربة، ودخل عبد الرزاق الفهري إلى فاس واستقر بعدوة الأندلسيين حيث خطب له بها، لكن أهل عدوة القرويين امتنعوا عن الدخول في طاعته، وبعثوا إلى أمير إدريسي آخر هو يحيى بن القاسم بن محمد بن إدريس، المعروف بالعدام. ولم تذكر المصادر شيئاً عن مصير علي بن عمر بن إدريس.

ابن أبي زرع، *الأنيس المطرب*، الرباط، الرباط، 1973 ؛ ابن الخطيب، *إعلام الأعلام*، ؛ البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب* ؛ الناصري، *الاستقصا*، 2، طبعة، 2001.

محمد المغراوي

ابن **علي، عيسى**، ولد سنة 1934 ببوعرفة من أبويه علي بن عيسى ومباركة بنت بورحلة.

من أجل تحرير البلاد واستكمال وحدتها الترابية انخرط الشهيد عيسى ابن علي في صفوف جيش التحرير ضمن فرقة فهمي بلعيد بمركز واد الكحل تحت قيادة أحمد لعور سنة 1957.

وقد كان الشهيد مثالا للرجل المناضل في سبيل تحرير وطنه نشيطا في عمله معروفا بغيرته الوطنية مستعدا للتضحية والاستشهاد، حيث شارك في عدة عمليات هجومية ضد العدو أبان فيها عن شجاعة بطولية. وواصل

عمله هذا بكل إخلاص وتفان إلى أن استشهد رحمه الله في إحدى الاشتباكات مع العدو بجبل الكروز وذلك سنة 1958 واهبا روحه في سبيل الحرية والكرامة.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 511121.

ابن **علي، محمد**، ولد سنة 1938 بالرباط. التحق بصفوف المقاومة السرية المغربية منذ مارس 1954، وعمل ضمن منظمة "الهلال الأسود" تحت مسؤولية محمد بن إدريس ـ وقد شارك في عدة عمليات منها :

الاشتباك مع دورية من الحرس المتنقل بكريان كرلوطي بمشاركة محمد بن إدريس ـ ثم شارك في عملية اغتيال بوشعيب النجار بالبلدية، ثم الهجوم على حراس المقدم خربوش بدرب كرلوطي، ووضع قنبلة في محل للخمر، وإحراق دكان لبيع الدخان.

استشهد في اشتباك مع قوات الأمن الفرنسية يوم 14 نوفمبر 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 524217.

علي بن **محمد** بن **إدريس** الأزهر يلقب بحيدرة، عهد إليه أبوه بالإمارة في حياته، وبويع يوم وفاته سنة 221 / 836 وسنه قد تجاوز تسعة أعوام بقليل، ولا ندري من الذي تولى شؤون الدولة في انتظار رشده، لكن يظهر أن الدولة كانت في إقبال مما سهل مهمة أوصيائه من العرب والبربر حتى كبر. أثنى المؤرخون على مدة إمارته التي سار فيها على خطى "أبيه وجده في العدل والفضل والدين والحزم وإقامة الحق وتأمين البلاد وقمع العداء وضبط البلاد والثغور" (*الأنيس*، 53)، وإلى علي هذا ينتسب الشرفاء العلميون والوزانيون.

توفي سنة 234 / 849، وقد تجاوز العشرين من عمره بقليل بعد حكم دام 13 سنة. وخلفه أخوه يحيى بن محمد بن إدريس.

ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، 2 : 459 ؛ ابن أبي زرع، *الأنيس المطرب*، 53 ؛ ابن الخطيب، *إعلام الأعلام*، ص. 207 ؛ الناصري، *الاستقصا*، 2 : 47، طبعة، 2001.

محمد المغراوي

ابن **علي، محمد** بن **عبد المجيد**، ولد سنة 1916 بدوار تزركان دائرة غفساي إقليم تاونات. كان يشتغل بالفلاحة لكن ما ان وصل جيش التحرير إلى المنطقة حتى بادر إلى الانخراط في صفوفه بدافع الغيرة على الوطن بتأثر من الممارسات العدوانية التي كان يمارسها المستعمر ضد المغاربة.

وقد خاض المرحوم عدة معارك ضد العدو تحت قيادة محمد ولد علي المكناسي كمعركة سبدي المخفي والقلعة ومعركة أغدير الزرقاء، وأخيراً معركة اغدوسة التي استشهد خلالها حيث أصابه رصاص العدو، وكان ذلك سنة 1956.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 520874.

ابن **علي، محمد** بن **محمد** بن **محمد** (ثلاثاً) الدكالي السلوي، المؤرخ الشهير، والمؤلف الكبير. ينسب إلى جده الثاني علي بن أحمد. من قبيل دكالة الهلاليين الذين أخرجوا من ديارهم منذ مطلع القرن العاشر (16 م) حين داهمتهم جيوش الاحتلال البرتغالي، فخرجوا إلى سلا وفاس ومكناس وغيرها من حواضر الشمال.

ولد سنة 1285 / 1868 بمدينة سلا وبها نشأ وتعلم وحفظ القرآن الكريم ثم درس أمهات كتب الفقه والأصول والحديث واللغة والأدب على شيوخ المدينة أمثال إبراهيم ابن الفقيه الجريري، وعبد الله ابن خضرا، وأحمد بن خالد الناصري الذي حبّب إليه التاريخ، وفي سنة 1303 رحل إلى فاس في طلب العلم حيث مكث خمس سنوات للتوسع في الدراسات العليا، وكان من أبرز شيوخه هناك أحمد بن الخياط الزكاري، والتهامي گنون ومحمد بن جعفر الكتاني. ولما رجع إلى مسقط رأسه اشتغل بالتدريس والعدالة والكتابة لعامل المدينة، ويرجع اتصاله بحكومة المخزن إلى كتابه *السراج الوهاج والكوكب المنير، من سنا صاحب التاج، مولانا الحسن الأمير*، في موضوع الفيل الذي أهدته الحكومة البريطانية إلى الحسن الأول عام 1309 / 1891، وهو من أول مؤلفاته. فاستُدعي للكتابة بمصالح المخزن المركزية، وكذلك كتابه *الإتحاف الوجيز* في أصول سكان العدوتين سلا والرباط الذي ألفه سنة 1313 / 1896 وأهداه للسلطان عبد العزيز وكتابه *إتحاف أشراف الملا ببعض أخبار الرباط وسلا* الذي ألفه سنة 1329 / 1911 وأهداه للسلطان عبد الحفيظ. نال المترجم عن هذه المؤلفات مكافآت مالية سخية وظهائر الاحترام والتوقير، وتمتنت صلته بالمخزن، واشتهر ذكره في الأوساط العلمية والتاريخية لدى المغاربة والأجانب، وأصبح بيته القريب من الجامع الأعظم مقصد كبار المستشرقين من أمثال ماسينيون وميشوبليير، وليفي برفنصال، يستفيدون من تحقيقاته وينوهون به في كتبهم وبحوثهم.

عُرف عن المترجم شغفه بالبحث والتنقيب والتأليف، لا يكتفي بما يقرأ في الكتب والرحلات وإنما يطلع أيضاً على ما بيد بلديّيه من ظهائر ورسوم وتقاييد، ويقضي أوقاتاً بين أطلال المواقع الأثرية والمقابر يقرأ ما كتب على شواهدها ويستخرج من ذلك كله مادة جديدة مفيدة موثقة عن ماضي سلا وسكانها وأصولهم وعلاقاتهم بالبوادي المجاورة والحواضر الأخرى خاصة الأندلس. وقد ناهزت مؤلفاته الثلاثين، إلا أن كثيراً منها ضاع بعد وفاته ولم يبق معروفاً إلا أسماؤها أو نُقولٌ عنها أثبتها في كتبه الأخرى، من مؤلفاته :

ـ *أدواح البستان في أخبار العدوتين ومن درج بهما من الأعيان*، في أربعة أجزاء، وهو أهم مؤلفاته وأوسعها قال عنه : ! "وهو كتاب كبير جمع فأوعى وجمع الغث والسمين، والأجاج والمعين، به من أسماء رجال العدوتين ومن له تعلق بهما من الأفاقيين الذين زاروهما واستوطنوهما في وقت من الأوقات ما ينيف على ألفي ترجمة لعلمائها وصلحائها وأدبائها وملوكها ورجال الأسطول البحري الأندلسي السلوي والعلوي السلوي، ودعت الضرورة إلى البحث عن أول ما يعرف من تاريخ عمارتها القديمة من عهد الفنيقيين والقرطاجيين والرومانيين في الدولة الأولى الغربية والثانية البيزنطية الشرقية، إلى أن دخل الإسلام افريقية والمغرب الأقصى، وتطرق البحث في آثارها إلى الكلام على الحياة بها قبل عصر التاريخ للعثور على ما يدل على ذلك من آثارها الفطرية الساذجة، وجاء جرمه في أربعة أجزاء ضخمة ... والعمل فيه مستمر إلى الآن عام تسعة وخمسين وثلاثمائة وألف". الشائع أنه بعد وفاة المؤلف طلب محمد الخامس من ولده عمر ابن علي أن ياتيه بمؤلفات والده، فحمل إليه في جملة ما حمل هذا الكتاب بخط المؤلف وقدمه إليه وهو يومئذ في قصر دار السلام بضاحية الرباط، ومن يومئذ انقطع خبره، ولم يقع العثور عليه ضمن كتب الخزانة الملكية المجموعة بجوار القصر الملكي بتوارگة.

ـ *ضوء النبراس في مجالس فاس، أوفي محاسن مدينة فاس*، كتبه حين كان طالباً بفاس فيما بين سنة 1303 و1308 وفيه إنشادات لبعض شيوخه الفاسيين وتعليقاته. ولعله أول مؤلفاته.

ـ *انساب سكان العدوتين*، جعله ستة أقسام : 1) أنساب لم تبق معروفة إلا في الرسوم والتآليف. 2) أنساب مشرفة على الانقراض. 3) نسبة إلى المدن والقبائل والحرف والصنائع. 4) نسبة إلى المصغّر ومادخله النحت والحذف. 5) الأنساب الأندلسية الباقية على أصلها. 6) الأنساب إلى التحريف الإسباني الطارئ في عهد فيليب الثاني. وقد تُرجم الكتاب إلى الفرنسية من طرف المجمع العلمي بطنجة برآسة ميشوبليز.

ـ *الدرة اليتيمة في أخبار شالة الحديثة والقديمة*، ألفه بطلب من المستشرق الفرنسي دوزي.

ـ *تاليف في أحوال السكك الإسلامية* التي كان التعامل بها قديماً بالمغرب إلى العهد الحاضر، ألفه حين كان موظفاً بالبنك المخزني مع الأمين محمد بن عبد الهادي زنيبر.

ـ *رسالة في أخبار بناء جامع حسان* بالرباط، وصفه وصفاً دقيقاً بالمساحة والتقدير وعدد أبوابه وأعمدته وحالته الأولى وما طرأ عليه من خراب وأسبابه.

ـ *رسالة في تاريخ المغرب في القديم والحديث* من زمان الفنيقيين والقرطاجيين والرومان ثم الفندال والغوط والإسلام.

ـ *تأليف في الحسبة في الإسلام*، مشتمل على أحكام الحسبة وأحوال المحتسب مع أهل الحرف والأعمال والصنائع والتجار والباعة، ألفه باقتراح من الوزير الصدر.

ـ *تآليف في أحوال اليهود قديماً وحديثاً بالمغرب*.

ـ *ضوء النبراس لدولة بني وطاس*، إلى غير ذلك من الرسائل والمنظومات في موضوعات شتى غير تاريخية.

توفي بسلا يوم الجمعة 6 جمادى الثانية عام 1364 / 18 ماي 1945. ودفن بالزاوية القادرية.

م. ابن علي الدكالي نفسه، *الإتحاف الوجيز*، ط 2، الرباط، 1996 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / سل النصال / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 9 : 3188 ـ 3197 ؛ ع الله الجراري، *من أعلام الفكر*، الرباط، 1971، ج 2 : 177 ـ 182.

محمد حجي

علي بن **مسعود** من الرياس المشارقة الذين وفدوا إلى المغرب للعمل في صفوف أسطول سيدي محمد بن عبد الله، وقد كان قبل سنة 1186 / 1772 على الأقل لم يصل بعد إلى مرتبة متميزة ضمن الطائفة، حيث لم تسند إليه قيادة السفن حتى حدود ذلك التاريخ. وقد حصل بعد ذلك على وضعية متميزة ضمن طائفة الرياس، وكان من بين المنعم عليهم بوسام الياتاغان.

ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 3، ص. 261.

حسن أميلي

ابن **علي، مولاي صالح** من مواليد سنة 1920 بآيت بوحماد إقليم خنيفرة. في الذكرى الثانية لنفي رمز الأمة جلالة المغفور له محمد الخامس عرفت مختلف أقاليم المملكة انتفاضات عارمة كانت مدينة خنيفرة إحداها.

وقد كان الشهيد مولاي صالح بن علي من بين الذين خرجوا إلى الشارع للتعبير عن سخطهم ورفضهم للاستعمار وأساليبه القمعية.

وخلال هذه الانتفاضة أبان الشهيد عن روح نضالية صادقة حيث كان يقوم بإحراق وإتلاف مصالح المستعمر مستعملا بعض المواد المتفجرة، واستمر في كفاحه هذا إلى أن استشهد رحمة الله عليه برصاص قوات الاحتلال التي تدخلت بالسلاح لتفريق المتظاهرين، وذلك بتاريخ 20 غشت 1955 مضحيا بروحه في سبيل الحرية والكرامة.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 512823.

ابن **عليات، محمد**، ولد سنة 1928 بالشبيكة. وهو من أولئك المواطنين الافذاذ الذين اختاروا الكفاح المسلح ضمن جيش التحرير، حيث التحق به في فاتح مارس 1957 بالمقاطعة التاسعة بمركز تافودارت تحت قيادة صالح بن عسو الجزائري. وقد برهن هذا البطل الشجاع عن قدرة كبيرة في النزال بميدان الشرف من أجل تحرير الوطن واسترجاع الحرية

والكرامة، فخاض الجهاد بروح وطنية يقودها الإخلاص والإيمان الصادق.

ومن المعارك التي شارك فيها الشهيد البطل معركة الدشيرة الشهيرة التي خاضها جيش التحرير المغربي ضد المستعمر الغازي بعيون الساقية الحمراء، هذه المعركة التي كتبها جيش التحرير بمداد من الفخر والاعتزاز والتي حشدت لها قوتان كبيرتان فرنسية وإسبانية فيما عرف بعملية التمشيط الكبرى المتعارف عليها بعملية ايكوفيون، والتي لقن فيها المجاهدون للعدو درسا في الحرب لن ينساه وإبان هذه المعركة استشهد بطلنا وذلك سنة 1958.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*. بطاقة مقاوم رقم 501114.

عليلش، محمد بن قاسم المراكشي، وهذا هو اسمه الصحيح كما نجد في توقيعه لرسالة بعثها إلى العلامة الوزير اليحمدي مؤرخة بعام 1114، وفي بعض رسائل السلطان المولى إسماعيل. وهو ما عند معاصره مصباح الزرويلي، خلافا لما سماه به الناصري في الاستقصا، ولا ندري من أين وقع هذا الخلاف في تسميته حيث ذكر غالب من ترجم له تسميته بأبي حفص عمرو.

ينتسب إلى بيت شهير بمراكش حيث كان والده كاتبا عند السلطان أحمد المنصور الذهبي ومع من جاء من بعده من أبنائه. لا نعرف تاريخ ولادته ولا شيئا عن دراسته والمهن التي زاولاها قبل التقائه بالسلطان مولاي إسماعيل، لكن يظهر أنه كان يعرف القراءة والكتابة مع أصول الخدمة المخزنية، فقد اتصل بالسلطان مولاي إسماعيل في قصة مشهورة عند دخوله لمراكش عام 1084 / 1673. وأطلعه على دفتر فيه جرد لأسماء العبيد الذين كانوا في عسكر السلطان المنصور الذهبي، ويظهر من خلال الفارق الزمني بين وفاة أحمد المنصور عام 1012 والسنة التي عرض فيه هذا الدفتر عام 1084 هو ما يفوق 70 سنة بأن الأمر لا يتعلق بأفراد وإنما بأسر كانت في الجيش السعدي، لذلك سأله السلطان مولاي إسماعيل هل بقي أحد منهم ؟ فأجابه عليلش : نعم كثير منهم ومن أولادهم وهم متفرقون بمراكش وأحوازها وبقبائل الدير، فكلفه السلطان بجمع العبيد وكتب له كتابا إلى القواد لإعانته وشد عضده. وقد تمكن في سنة واحدة من جمع ثلاثة آلاف من العبيد والحراطين. بل تجاوز مهمته وجمع حتى الأحرار من السود وكتبهم في دفتر جيش العبيد، ففي آخر عام 1108 خرج محمد عليلش بناحية القصر لتمليك الأحمر والأسود من القبائل. وفي عام 1109 جاء من ناحية القصر بديوان تمليك ماعدا الأبيض. وفي عام 1114 خرج عليلش من فاس ولم يكتب له أحد من الفقهاء. وقد تسبب عليلش في قتل عبد السلام جسوس عام 1121 عند امتناع علماء فاس من التوقيع على ديوان جيش العبيد ويظهر أن الصراع احتدم بين العلامة جسوس وعليلش الذي هجاه وهجا مدينة فاس لما امتنع من الشهادة على ديوان الحراطين، فأجاب عنه تلميذه الزرويلي بقصيدة في 18 بيتا. ومن خلال القصة التي انفرد بذكر تفاصيلها ابن الحاج في الدر المنتخب نستشف أن عليلش كان يحضر مجالس السلطان مولاي إسماعيل. ويشير عليه بمعاقبة العلماء المعارضين لقضية إنشاء جيش العبيد. ولما اشتد أمره وكثرت معارضته بالمدن الداخلية للمغرب بعثه السلطان في سنة 1121 إلى تطوان فنزل بها وشدد الخناق على أهلها حتى قال عنه الزرويلي : فتنهم فتنة يشيب فيها الوليد ويذوب لها الحديد. ولما ارتحل عن تطوان هنأ الزرويلي أهلها بقصيدة أثبتها في ديوانه. ويذكر ابن الحاج أن السلطان مولاي إسماعيل تخلى عن خدمة عليلش وصيره في حيز الإهمال إلى أن توفي عام 1123 / 1711.

الزرويلي، *ديوان علي مصباح الزرويلي*، كلية الآداب، الرباط، ص. 237 ؛ القادري، *نشر المثاني*، ص. 21، 79 ؛ الضعيف، *الدولة السعيدة*، ص. 80 ؛ ابن الحاج، *الدر المنتخب*، مخ خ س 12184، ج. 6، ص. 1112، وج. 7، ص. 184 ؛ الناصري، *الاستقصا*، ج. 7، ص. 56، 57، 94 ؛ ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 9، ص. 298 ؛ داود، *تاريخ تطوان*، ج. 2، ص. 35 ؛ م. الفاسي، *رسائل إسماعيلية*، مجلة تطوان، 1962، ص. 63.

أحمد إبترخان

عُليوات، عبد الكبير بن عبد المجيد الكثيري الزجلي فقيه متكلم وصوفي صالح، صحب الشيخ مولاي عبد الله الشريف صاحب وزان وخدمه مدة طويلة وتخرج به. وبعد وفاة الشيخ بقي عليوات يقوم بالتدريس في زاوية وزان، ولا يعرف عنه شيء إلا ما ذكره عن نفسه في كتابه *سراج الغيوب في أعمال القلوب*، ألفه على إثر ليلة قضاها مع الإمام الحسن اليوسي في زاوية وزان يتناظران حول أبيات أبي القاسم الجنيد الرمزية.

تظهر بماء الغيب إن كنت ذا سرّ وإلاّ تبيّم بالصعيد وبالصخر ...

وفي الكتاب علاوة على المعلومات المتعلقة به في زاوية وزان مناظرة مسهمة جرت بينه وبين أحد دعاة الطائفة الأندلسية الضالة تبين نظريات هؤلاء المبتدعة وطرق احتيالهم في نشر مذهبهم الباطل. وقد ذكر في هذا الكتاب أيضاً أن له مؤلفاً آخر بعنوان : *السيف المتين في الرد على من كفّر عوام المسلمين*، وهي مسألة أخرى شائكة تحدث عنها ورد على قائليها الحسن اليوسي في بعض كتبه.

توفي عليوات في تاريخ غير محدد، لكنه يقارب 1103 / 1692.

ع. الكبير عليوات نفسه، *سراج القلوب*، مخطوط، خ. ع. رقم 455 ك ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، المحمدية، 1978، ج 1 : 244، 245 ؛ ج 2 : 474.

محمد حجي

عليوات، هلال من مواليد سنة 1924 بمدينة مكناس. التحق بصفوف المقاومة السرية ضمن منظمة الهلال الأسود

تحت مسؤولية المهدي زتوتي. وشارك في عدة عمليات فدائية. ونتيجة نشاطه هذا تم اعتقاله وحكم عليه بثلاثة أشهر سجنا.

توفي بتاريخ 2 نوفمبر 1995.

المندوبية السامة لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 524249.

عماد، عبد الكبير، ولد الفنان المطرب عماد عبد الكبير بمدينة القنيطرة سنة 1944. وقد بدأ حياته الفنية بعد التحاقه بجوق الكواكب بهذه المدينة في الستينيات ؛ وفي عام 1979 انتقل إلى الرباط حيث التحق بالجوق الوطني لدار الإذاعة عازفا على العود.

وقد تحول عماد عبد الكبير إلى صف المغنين منذ أن قدم أول أغنية له بعنوان "الأرض" في بحر عام 1979.

تميز عماد عبد الكبير بصوت يجمع بين الصفاء والقوة والعذوبة، وتحتفظ الإذاعة الوطنية بأكثر من ستين أغنية غناها من ألحان ملحنين مغاربة، ومن أنجحها أغنية "يا احبابنا اصحابنا" وأغنية "راجع لي ثاني بالأفراح"، وكلاهما من تأليف الفنان محمد بلخياط، وهما من الأغاني الناجحة بفعل توظيف بعض معطيات فن العيطة في الأولى واستخدام الآلات التراثية في توزيع مقاطع الثانية كالكنبري والسنيتر.

وقد توفي عماد عبد الكبير عن عمر بلغ 52 سنة بعد مرض ألزمه الفراش طويلا، وكان ذلك يوم 3 دجنبر 1996.

عبد العزيز بن عبد الجليل

العمارة المغربية، تعتبر عمارة الدور المغربية من أغنى العمارات السكنية، خاصة في الوسط الحضري. على أن هذا الغنى له تجليات عدة في الأرياف، تجعل من عمارة هذه الأخيرة عمارة متنوعة ومتميزة.

وإذ يبدو من البديهي أن تختلف العمارة باختلاف المجال الذي يحويها (مدينة، قرية أو بادية) وذلك بحكم أهمية عنصر التمدن المتشبع دوما بالتأثيرات والتداخلات الحضارية التي تتولد عنها الابتكارات وتهذيب الأذواق، فإن الأرياف والقرى لا تفتقر إلى عمارة "راقية"، شبيهة بالتي داخل أمهات المدن، بل وحتى منافسة لها في كثير من الحالات. ولقد أبانت بعض الحفريات الأثرية (بليونش، عين قرواش، القصر الصغير على سبيل المثال) عن أحقية هذه الملاحظة.

استعمل المغاربة الحجارة والآجور والتراب المدكوك في تشييد دورهم، وذلك إما متفرقة، أو في جمع مادتين معا (حجارة ـ آجور، أو حجارة ـ تراب) أو حتى المواد الثلاثة مجتمعة، ومن هذا التنوع تتنوع طرق البناء وتقنياته، دون أن تختلف كثيرا في تطبيقاتها باختلاف المجال لأن حل الإشكاليات المعمارية تتطلب في غالب الأحيان نفس الحلول التقنية.

ولقد ذهب بعض الدارسين للعمارة المغربية في محاولة منهم لتبسيط مقاربتها إلى جعلها تتوزع كالآتي :

ـ العمارة الحجرية أي التي أساس تشييدها الحجارة وجعلوا لها موطنا الشاطئ الساحل الغربي ؛

ـ عمارة الآجور واستوطنوها بالمناطق الداخلية التي بها كبريات المدن العتيقة كمكناس وفاس ومراكش ؛

ـ العمارة الترابية وحددوا مجالها في المناطق الجنوبية الصحراوية وشبه الصحراوية.

على أن هذا التقسيم لا يمكنه أن يكون مطلقا بحكم وجود بعض هذه الأنواع في غير منطقتها المحددة كالعمارة الترابية مثلا التي كانت منتشرة ـ وإن بتفاوت واختلاف ـ في الأطلس المتوسط، وبالسهول والهضاب الداخلية والشرق وحتى الشمال بمنطقة غمارة مثلا.

تتميز الدار المغربية التقليدية خارجيا بانغلاقها داخل جدرانها السميكة القوية، لا يفتحها على الزقاق سوى باب المدخل ونوافذ قليلة وضيقة. والدور المغربية متلاصقة ببعضها على طول الأزقة النافذة، أو حول الأزقة غير النافذة والتي تحمل اسم "الدريبة" أو "الصابة" عندما يعلو مدخلها "ساباط".

أما داخليا فتتميز بأهمية الساحة الداخلية كعنصر محوري ورئيسي، وبتوزيع الزخرفة وعناصر التزيين في المنازل الغنية حسب نظام مدروس متوازن ومتكامل.

يفتح المدخل الرئيسي على دهليز يسمى "السطوان" ويتكون عادة من قسمين (وفي بعض الحالات من ثلاثة أقسام) يلتقيان عند زاوية قائمة. ومن العناصر الأساسية في "السطوان"، داخل المنازل الراقية، "الدكانات"، وهي مقاعد مبنية على طول جداري للقسم الأول من السطوان، كانت تستعمل إما لجلوس الحراس وبعض الخدم، وإما لاستقبال صاحب الدار لبعض من يتعامل معهم في نطاق عمله.

وفي الدور الغنية تكسو جدران "السطوان" زخارف من الزليج والجبص، وتزين السقوف إما بزخارف منقوشة أو برسوم ملونة، أنجزت بطريقة "الزواق" المعروفة.

يمر من السطوان إلى داخل الدار، أي إلى وسطها، وفي بعض الأحيان، يؤدي "السطوان" كذلك إلى "المصرية".

و"وسط الدار" (وينطق عموما "أ'وسط الدار" وعند بعض العامة "بوسّ الدار") هو النواة الأساسية في عمارة المنازل العتيقة : حوله وعليه تفتح الغرف، وهو مصدر التهوئة والإنارة، ومحور النظام الزخرفي.

ويكون "وسط الدار" إما صحنا مكشوفا عاديا ليس به أي عنصر تزيين، اللهم ما تعلق بأرضيته التي عادة ما تكون مكسوة بقطع الزليج أو بالرخام الأبيض، وإما ساحة تتوسطها نافورة أو بركة ماء، وإما مساحة خضراء تحيط بها وتتقاطعها ممرات مكسوة أرضيتها كذلك إما بالبجماط (وهي قطع مربعة أو مستطيلة الشكل من الآجر المشوي الأحمر اللون) أو الزليج.

وفي المنازل الفقيرة أو الريفية، تنعدم عناصر الزينة والترفيه أعلاه، وتتكون أرضية "وسط الدار" من "الجَصّ" وهي أرضية سميكة ملساء، مكونة من رمل وجير بكميات مضبوطة لضمان السماكة. وقد كانت هذه الأرضية التي عرفتها العمارة المغربية في جل غرفها وساحاتها ومداخلها، قبل منتصف الفترة الموحدية حيث ظهر الزليج وتطور ثم الفترة المرينية حيث اشتهرت وانتشرت موضة تغطية الأرض بهذا الأخير وبعده بالبجماط. وفي القصور والمنازل الكبيرة، كان يضاف للرمل والجير خليط من مَحَى البيض للزيادة في سمك "الضص" ولازالت إلى اليوم ببعض المنازل العتيقة نماذج من هذه الأرضيات، كما كشفت حفريات شتى على أرضيات وصل سمك بعضها إلى 6 سنتم من "الضص" تعود بالأساس إلى الفترتين المرابطية والموحدية (حفريات الكتبية بمراكش).

وفي النصف الأول من هذا القرن، لما دخلت المغرب مواد بناء جديدة وخاصة الإسمنت الحديث، اتجه البناؤون خاصة في المدن الصغرى والأرياف إلى استبدال "الضّص" التقليدي "بضصّ" يخلط فيه الرمل بالإسمنت عوض الجير ومحى البيض. لكن سرعان ما عدل الناس عن هذا النوع من تغطية الأرضيات، ليعودوا إما للزليج التقليدي أو للزليج الحديث.

وتتوزع الغرف في الدور المغربية التقليدية حول الساحة وذلك حسب مبدئ المقابلة، فهي إما أربعة متقابلة أو اثنان متقابلتان وواحدة يقابلها إما فتحة في أحد الجدران تسمى "البهو" وإما نافورة ماء جدارية تسمى "سقاية". ويعتقد مؤرخو العمارة الإسلامية ودارسو فنونها أن "البهو: آت من الإيوان الإيراني، الذي أخذه المسلمون من بلاد فارس ووزعوه في كثير من الجهات التي فتحوها. وحيث ما وجد هذا العنصر في الدار المغربية، نجده على ثلاثة أشكال :

- داخل غرف الاستقبال الرئيسية يكون إما فتحة قليلة العمق في الجدار المقابل للمدخل، أو فتحة عميقة في ذات الجدار وفي هذه الحال، يكون كثيف الزخرفة ؛

- في "وسط الدار" مقابلا للغرفة الرئيسية وعليه نفس كثافة الزخرفة ؛

- في الحدائق الداخلية، بنفس الأهمية التي وصفناها به في النوع الثاني.

على أن هذا العنصر كثر إقحامه في عمارة المدن التقليدية خصوصا في القرن 19 م. وقد وصل ذروة حضوره في القصور المخزنية أو الدور الكبيرة التي شيدت خاصة بمدينة مراكش في نهاية القرن الماضي وبداية هذا القرن.

ومن العناصر التي تضمها الغرف، "الحناية"، وهو الجزء الممتد على طول أحد الجدارين الصغيرين أو على طول كل واحد منهما، بعمق 1.50 م إلى مترين، أرضيته تعلو أرضية باقي الغرفة ببضع سنتيمات، ويحده من جهة الغرفة قوس يختلف شكله حسب ذوق صاحب الدار. و"الحناية" عنصر قديم في الدار المغربية ازدهر مع تلاقح المغرب بالأندلس بعدما أخذ كثير من العناصر الإسلامية من بلاد الشام والعراق ومصر.

ومن أجل ما تضمه الدار المغربية كذلك "السقاية" (الحنفية) الجدارية، وهي وإن عرفت في كثير من بلدان دار الإسلام، لم تصل في نظرنا ما وصلت إليه من زينة ودقة عمل ببلاد المغرب الأقصى.

تضم بعض الدور التقليدية ملحقات أو عناصر معمارية إضافية للمسكن الرئيسي أهمها :

- "الدويرية" وهو الجانب من الدار الذي يخص الحرم والخدم وفي هذا الجزء يوجد عادة المطبخ والمخازن التي أهمها "بيت العولة" أي الغرفة التي تخزن بها المؤن وكل ما تحتاجه العائلة من مواد غذائية أساسية كالزيت والقمح والقطاني :

- "المصرية" وهي غرفة علوية يصعد إليها من السطوان مباشرة أو حتى من الزقاق دونما حاجة إلى المرور من داخل الدار. وكانت "المصرية" مخصصة للإبن الأكبر يجتمع فيها بأصحابه ويقضي بها جل وقته الفارغ :

- "المنزه" وهو عنصر لا نجده إلا في كبريات المنازل والقصور، مكانه في أعلى الدار أو في جانب من الحديقة، يختلي به صاحب الدار للراحة والترفيه، والتفرج على ما بالمدينة من حركة أو سكون (إن كان في مستوى السطح). وقد عرف المغرب هذا الطراز منذ القرون الوسطى، وازدهر في القصور الريفية على شكل برج جميل، يتحول، كما هو الشأن بموقع بليونش، إلى برج للمراقبة وربما الدفاع في حالة الحرب أو انعدام الأمن والاستقرار ؛

- "الروى" وهو الإسطبل الذي يأوي دواب صاحب الدار. وكان لهذا العنصر أهميته القصوى إلى حدود منتصف هذا القرن ؛

- الحمام ووجوده ضروري كلما توفرت لصاحب الدار إمكانيات بنائه، ويكون في هذه الحال نموذجا مصغرا للحمام التقليدي العمومي بغرفة استراحة ("الجلسة" بجيم مصرية) وثلاث غرف للاستحمام : "اللّولي" وهي الغرفة الأولى أو الباردة، و"الوسطى" وهي الغرفة الدافئة و"السّخون" وهي الغرفة الساخنة التي بها "البَرمة" أي صهريج الماء الساخن.

G. Marçais, art. Dar, *E. I., reimp. anastas.* 1977, p. 116 - 118 ; Gallotti, *Le jardin et la maison arabe au Maroc*, 2 vol., 1926 ; G. Marçais, *Salle, unsalle*, *AIEO*, Alger, 1952 ; A. de la SIERRA, *Vivienda Marroqui, Notas para una teoria*, Ceuta, 1960 ; J. Hassar, Benslimane, *Salé, Etude architecturale de trois maisons de Salé*, Rabat, *ETAM* VII, 1979 ; A. Touri, *L'architecture domestique de Marrakech*, Th. D'état, 1987 ; A. Bazzana, *Maison d'al-Andalus*, Madrid, 1992.

عبد العزيز توري

العمارة على العهد المريني بعد قضاء المرينيين على الدولة الموحدية والسيطرة على السلطة، استعادت مدينة فاس دورها السياسي، إذ اتخذها السلاطين الجدد عاصمة لملكهم، نظراً لما كان لها من الشهرة الدينية والإشعاع العلمي والحضاري الكبير، مفضلينها على مدينة مراكش، عاصمة أسلافهم المرابطين ثم الموحدين. وما كاد المرينيون ينزلون بها، حتى شرعوا في توسعتها، حيث وصلها أبو يوسف يعقوب

(656 ـ 658 / 1256 ـ 1286) بمدينة جديدة ـ المدينة البيضاء ـ أنشئت وفقا لمخطط أشرف على تهييئه بنفسه. وفي سنة 676 / 1276، أحيطت المدينة بسور يصل عرضه إلى مترين وعلوه إلى ثمانية أمتار، حصن بأبراج لحماية القصر ومساكن أعيان الأسرة المرينية، وضم الإدارة وثكنات الجيش وبساتين المسارة الباذخة.

توالى البناء والإعمار على أيدي السلاطين المرينيين، فأنشأ أبو يوسف يعقوب وأبو سعيد وأبو الحسن من حول مسجد القرويين مجموعة من المدارس هي مدرسة الصفارين 671 / 1271 ـ 1275، ومدرسة العطارين 723 ـ 725 / 1323 ـ 1325، والمدرسة المصباحية 734 / 1342 ـ 1343، وبنيت مدارس أخرى في الحي القائم على الجانب الآخر من الوادي، بجوار مسجد الأندلس هي : مدرسة الصهريج ومدرسة السبعيين 721 ـ 723 / 1321 ـ 1323، ومدرسة الوادي التي استبدلها العلويون مسجداً، ظل يعرف لحد الآن بالاسم نفسه. وأنشأ أبو عنان، على مقربة من باب الجنود، المدرسة البوعنانية وجعلها مسجداً جامعاً.

أما بالحواضر الأخرى، فقد سهر بنو مرين على إنجاز مشروع متميز وشيدوا معالم عديدة تبرز رغبتهم في تجميل مدنهم وكسب عطف رعيتهم. ففي مدينة سلا قام أبو يوسف يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق بتحصين المدينة من الجهة المقابلة لأبي رقراق وبناء دار الصناعة. ويذكر ابن خلدون أن أبا يعقوب يوسف أمر بتوسيع المسجد الكبير بتازة وأعاد بناء تحصينات مدينة وجدة وأضاف إليها، خشية تعرضها لهجوم من طرف خصومه بني عبد الواد، قصبة وقصراً ومسجداً (696 / 1296). ولتشديد الخناق على تلمسان، قام السلطان أبو يعقوب ببناء المنصورة (699 / 1299) التي أقامها السلطان أبو الحسن سنة 734 ـ 1334 وبني مسجدها سنة 739 / 1339. وقد شيد هذا الأخير، مدرسة الطالعة والمدرسة العجيبة (فندق آسكور الحالي) قرب المسجد الأعظم الموحدي بسلا، وروضة شالة والمسجد الأكبر برباط الفتح. ويروي ابن مرزوق أن أبا الحسن بنى سنة 721 / 1321 مسجد ابن صالح بمراكش، ومسجد الحمراء بفاس الجديد ومسجد الشرابليين بفاس البالي. وسار ابنه أبو عنان على نفس النهج، فأمر ببناء زاوية النساك خارج أسوار سلا للمحتاجين والتجار والمارستان العزيزي والحمام الجديد وحمام شالة على الضفة اليسرى للنهر. وبمدينة فاس، أسس مسجد لالة الزهراء (758 / 1358) وقام بجبل طارق بتقوية أسواره وتحصينه من أجل وقف زحف جيوش قشتالة.

وخلافا للعمارة الموحدية التي انحصرت جماليتها في المحاريب والصوامع، ونادراً ما تعدتها إلى الأروقة المحورية، فإن الفن المعماري المريني يقوم على زخرف مالئ، يشف عما يمكن الاصطلاح عليه "بالخوف من الفراغ". فالمعماري المريني يعتمد تناسبا مزدوجاً، أفقياً وعمودياً، يتيح له أن يتحرر ويبتكر التكوينات، مسهبا فيها ومقيماً بينها المقابلات والتماثلات. لذلك جاءت الأشكال متداخلة ومتنوعة ومتراتبة، واجتمعت المأطورات البسيطة المتكونة من عناصر نباتية أو هندسية، مع تكوينات أكثر تعقيداً وتنوعاً في الأشكال، وانتهى ما كان من التفوق لنمط معين من الزخرفة، مما نتج عنه ظهور معمار مكتسح بزخرف يغطي الواجهات وحائط القبلة والأقواس، ويتعداها إلى الأكتاف والسقوف.

من جهة أخرى، ظل الفن المعماري المريني في معظمه، فنا انتقائيا، يأخذ بالإرث المرابطي والموحدي، ويطور الأشكال النباتية، والخطية والهندسية، التي طورت خلال القرنين السابقين، إذ أخذت السعيفة الصقيلة في الابتعاد، تدريجيا، عن الأنماط القديمة، وأصبحت السعيفة المرابطية المزدوجة وغير المتناسقة النموذج الغالب الذي يتحكم في زخرفة الركينات والمأطورات، ويتجاوزها إلى الإطارات الخطية. وتلتف قويساتها وتتلاقى أو تتقابل تقابلاً حراً، لتؤثث الفراغات. وآل التشبيك المعماري نفس المآل، إذ استعير مباشرة من الصوامع الموحدية، واستعمل في الواجهات المطلة على الفناء وفي واجهات الصوامع، ليزين أفاريزها ومأطوراتها.

لكن، إذا كانت العمارة المرينية تراعي التقاليد السابقة عليها، وتستمر في السير عليها، فإنها حرصت شديد الحرص على مدها بدينامية تجديدية خاصة بها. فقد أشاعت التوريق وجددت الأشكال وتحكمت في تقنياته، فأصبحت النماذج أكثر تهذبا، واكتسبت، بفضل الحفر والخطوط المائلة والتشققات، قوة أخاذة واستقلالية فريدة. فما عادت تشكيلات النبات والرسوم الهندسية تنحد بحدود، بل تتفاعل في تقابل وتماثل، وتبرز في ألواح أو في إطارات، في انسجام وائتلاف مع الأرضية الزخرفية، مما جعل تعبيراتها تأتي فريدة في الزخرفة والطلاوة.

ومن مميزات عمارة بني مرين احتفاؤها بالواجهات. فسواء منها الواجهات التي تطل على الصحن، مكان الاجتماع والتهوية، أو تلك التي تقابل المؤمنين في قاعات الصلاة (حائط القبلة) كلها تمتاز بفرادة في التنظيم وغنى في النقش. وقد نحا المهندسون المرينيون في الزخرفة أسلوباً أثبت جدارته في نفس الوقت بالمساجد المرينية والمدارس على السواء، فأفلحوا بذلك في جعل الواجهات تبدو في مظهر فريد وتوازن متناغم. واعتمدوا في زخرفتها وفي إنجاز التنظيم الهيكلي للبنايات، تناسباً محكماً، اتبعوه بدقة محكمة، وألموا بكافة أبعاده، فبعد الانحرافات التي شابت مدرسة الصفارين ومسجد بوجلود، صارت الواجهات تخضع بالإضافة لمحورين متقاطعين يضخم التقاءهما صهريج أو ناقورة ماء، لمحور أفقي. وللحد من رتابتها تم اللجوء إلى بوابة معمارية مقوسة، مزخرفة الحواشي، على غرار الأبواب التي تؤدي إلى صحن مدرسة الصهريج وصحن مدرسة العطارين وصحن زاوية النساك، وفتحة متوسطة على هيئة قوس، شبيهة بالفتحة التي تزين المدرسة البوعنانية. وبذلك

اجتمعت تراتبية مختلف أنماط مواد الزخرفة، المكونة من التراب المطلي (الزليج) والجبص والخشب، وامتزجت باعتناء دقيق ومحدد بكل شكل وبكل تكوين، مع التركيز على مقابلة هذين الأخيرين (الشكل والتكوين) بما يناظرهما في الواجهة المقابلة.

إن هذا الأسلوب الهيكلي في واجهات البنايات المرينية وخاصة في المدارس، ليس حكراً على منشآت القرن الرابع عشر. فقد ساد بشكل محتشم، على عهد الموحدين، في تكوين زخارف محراب مسجد تينمل وواجهات صومعة الخيرالدة في إشبيلية. لكنه استطاع أن يدرك مع المرينيين أكبر اتساع، حتى غلب على هندسة بيوت الخاصة، ومنها المنزل المسمى سويقة الذبان وفي دار الصفايرية في فاس، وكذلك في بيوت مراكش، وتحصل من ذلك زخرف مالئ، قائم على التكرار، مختلف عن سابقية، يشف على انشغال إبداعي كبير.

ولم يكن إدخال البنائين المرينيين الأعمدة في منشآتهم، لينال من تغليبهم استعمال الأكتاف وتفضيلها. فقد أدخلوا الكتف في البناء، على هيئة سارية لحمل رقاب الأقواس، وكثيراً ما يكون هذا الدعام مربع الشكل، مبنيا من الآجر المشوي، المشدود بعضه إلى بعض بطبقات من ملاط من الرمل والجير، وبذلك يظل الدعام وفياً في بنائه للتقاليد القديمة التي نتبينها في المدن الساحلية، كتلك التي نجدها في زوايا صحن مدرسة شالة وفي المدن الداخلية.

أما الأعمدة، فظلت محدودة الاستعمال في البناء المريني. وإذا كانت أعمدة مدرسة أبي الحسن في سلا، قد شيدت من الآجر المشوي المغطى بالخزف المطلي، فإن أعمدة مدارس فاس ومدرسة شالة قد بنيت جميعها من الرخام الأبيض والأسود. وتقوم جذوع الأعمدة الأسطوانية، في صحن مدرسة العطارين، وفي قاعة الصلاة في المدرسة البوعنانية، أو المثمنة الزوايا، كما في محراب هاتين المدرستين، فوق قواعد مربعة منغرسة في الأرضية، ذات تيجان منقوشة متعرجة، صقيلة ومسطحة، محرفة تحريفاً يظهر ارتباطها بورقة الأقنثة، وسعيفات حلزونية وكتابات تاريخية أو شعرية، تشهد عن النضج الكبير الذي تيسر للفن الإسباني ـ المغربي على أيدي المزخرفين الموحدين، كما نتبينه، على سبيل المثال، في تيجان أعمدة مسجدي تينمل والكتبية.

وتكلل جذوع الأعمدة كعيبات، تشتمل على صف من تعرجات أقنثة صقلية ومسطحة ومزينة بظفائر من سعيفات أو بجذع منها. أما كؤوس التيجان، فجاءت على اتساع نسبي، تحمل نقوشا من نماذج نباتية، وسعيفات صقيلة على هيئة أصابع، وصنوبريات، يذكر تشابكها بورقة الأقنثة، وهي تدمج كتابة أو سعيفة مزدوجة وترسم زهيرات. كل ذلك في إحكام صنع، لاتشذ عنه جزيئات الزخرف، أو توزيع النماذج ؛ التي عولجت بصرامة وإحكام، وخضعت في مجملها لتوازن يضمن لها وحدتها ورشاقتها، وتحمل كتف عقد أو أسكفة، يزيدانها توثبا، ويتلقيان رقاب الأقواس، أو رقاب السواكف الخشبية.

لكن هذه التيجان، رغم رشاقتها وجمالها، تنم على فقر في الابتكار وعجز عن التجديد، إذ نلمس فيها الجمود والتحجر، ونتبين فيها آثار فترة طويلة من التقليد، ترسخت مع مطلع القرن الرابع عشر. فما عادت تيجان الأعمدة، سواء منها التي في فاس أو التي في تلمسان وشالة ومراكش، يلحقها شيء من التطور، أو لا يلحقها منه إلا النزر اليسير. ولم يقف الأمر عند هذا الحد، وإنما فقدت الكثير مما كان يميز تكوينها من حيوية ومن قوة، حتى لم تعد تيجان الأعمدة التي تزين المدرسة البوعنانية بفاس أو ضريح سيدي بومدين أو المنصورة في تلمسان لا تدور إلا على نمط واحد جامد، إلا من بعض الاختلافات اليسيرة، لا يلبث أن يشيع، بعد قرنين من الزمان، في تيجان الأعمدة في مدرسة بن يوسف في مراكش.

ورغم خاصيتي الثبات والجمود اللتين تميزان الأقواس، فإنه يبدو أن العمارة المرينية قد آثرت السواكف الخشبية. فباستثناء صحن مدرسة العطارين التي يجتمع فيها العنصران ـ الأقواس والسواكف ـ، تقوم أروقة غيرها من المدارس على سواكف مزدوجة، ومعززة بطُنُف لصيقة مغروزة في البناء، ،منحوتة بعناية. وتظهر مختلف أشكال الأقواس في أبواب الدخول، وفي فتحات بيوت الطلبة، وفي الأجزاء العليا للواجهات المطلة على الصحن، وقاعات الصلاة، وتتوزع أشكالها في فئتين متمايزتين : الأقواس ـ الدعامات أو الحاملة والأقواس الزخرفية.

فالفئة الأولى، والتي تضم الأقواس ـ الدعامات، تغلب عليها القوس المنكسرة المتعدية والقوس ذات العقد الكامل، بشكليها المتعدي أو غير المتعدي، التي استمرت قائمة طيلة عهد الموحدين بفضل المحاريب. أما القوس المقطعة إلى قويسات صغيرة، الغالبة في المساجد المرابطية والموحدية، فما عادت تلقى اهتماماً إلا في الرسم التزييني، بينما أضحت القوس المنكسرة المتجاورة، التي ترسم من مركزين، تحتل مكانة مميزة، إذ صارت توظف في الأروقة أو في المحاريب، وتستند إلى تاج على هيئة منحنى محدب، عُرف شكله "منذ النصف الأول من القرن الحادي عشر بالمقبريات القيروانية" أو في "فسقية بقلعة بني حماد". أما باطن العقد الصقيل في أقواس الأروقة، فيحمل نقوشا في أفاريز الأقواس المطلة على الفناء، ويقوم فوق زخارف ثعبانية، تذكر بتلك النماذج المتداولة على عهد الموحدين ؛ ومنها، على سبيل التمثيل، النماذج التي تطالعنا فوق بوابة الأوداية في مدينة الرباط. وتحظى الأبواب الفخمة، القائمة على الجنبات الصغرى للصحون، والتي تبرز المحور الطولاني بمعالجة محكمة، وتشرف عليها أقواس منكسرة ومتجاوزة، وتذكر بطون العقود المقربصة، المرسومة على هيئة إكليليات في الوسط

وتموجات في الأطراف، بالأقواس الموحدية في مسجد تينمل. أما المجموعة الثانية، فهي أشد اختلاطا، وتضم أقواسا متعرجة، وأقواسا مفصصة، وأقواسا منحنية الأضلاع وهي أشكال من مخلفات الفن الموحدي، ولا تزال مجموعة كبيرة منها تطالعنا في أجنحة مسجد تينمل الكبير. ورغم فقدانها لبعض من أهميتها، فإنها ازدادت مرونة وليونة، وأصبحت جزءاً لا يتجزأ من الذخيرة التزيينية المرينية ؛ فهي تحف بالمأطورات الزخرفية، أو تشكل أرضية خلفية لها. ففي الواجهات المطلة على الصحن، أو فوق جوانب صومعتي مدرسة الصفارين والمدرسة البوعنانية في فاس، ترسم هذه الأقواس مشاكي وتوظف كمرتكزات للتشبيك الهندسي ذي الشكل المعين.

من ناحية أخرى، بقيت أكثر أنواع السقوف استعمالا في العمارة المرينية تجمع بين سقوف مسطحة، ذات هياكل ظاهرة أو ملبسة، تغطي سائر الفضاء الضيق ذي الأبعاد البسيطة، كما في الأروقة وغرف الطلبة والصحون. تقوم هذه السقوف على مبدإ بسيط ؛ فالحيطان مطعمة بعارضات قوية، أما الرافدات الخشبية الموضوعة عمودياً للحيطان، والمتخللة بفراغات متساوية، فتحمل مؤردزات عرضانية، توضع فوقها طبقة من الرمل والجير بينما يرتب السقف من الداخل ويحمل زخرفاً يغطي هيكله، يعتمد على تشبيكات هندسية، تزينها أخاديد، نادراً ما تشتمل على رسوم مصبوغة.

قوام السقوف التي تعلو قاعات الصلاة هيكل هرمي. أما سقف مدرسة الصهريج فيتكون من لجفات تتخلل زوايا وشدادات، فيما سقوف المدارس الأخرى، قوامها هيكل ذو تلبيس بسيط، وتأخذ التصاميم في التدرج، لتتلاقى حول تصميم أوسط أفقي. ويغطي هذه الهياكل زخرف مقعر، من تشبيك مضلعات، جريا على التقليد الإسباني المغاربي، الذي لا زالت نماذجه الجميلة توجد في مدرسة غرناطة الوحيدة وفي قاعة كومارس. إن المسنمات المضلعة المرينية التي تنحدر من المسنمات المضلعة الأموية، تعلو قاعات الدرس في مدرسة أبي عنان، وتتلاقى أقواس هيكلها وتتقاطع حول مسنمة صغيرة. ويغطي الهيكل تلبيس قوامه عصيات مجمعة على هيئة مضلعات مكوكبة، تتخللها أخاديد وحزوز، تبدو من الخارج على هيئة غماءات بأربعة غطاءات مكسوة بالقرميد الأخضر.

ولتنميق وزخرفة هذه المكونات المعمارية، اعتمد المرينيون زخرفة تحتل فيها الأشكال النباتية مكانة راجحة. وهي تشتمل على سيقان وجذوع وسعيفات وصنوبريات، اعتمدتها العمارة المرينية لمضاعفة الأشكال والتحكم في معالجتها. وقد اكتسبت الساق، خلال هذا النصف الأول من القرن الرابع عشر، مزيداً من التهذيب، لكنها لم تتعرض للتمدد طولاً، ونقص طولها، لتزول إلى خيط رقيق مكور، نادراً ما يكون مسطحاً وذا شكل هندسي. وقد تطورت تشابكاتها، لتشكل لوالب تزينها عقديات، ونماذج هلالية، أو براعم. وتنجدل هذه الساق في الركنيات وفي المساحات الكبيرة، في أشكال لولبية لامتناهية، مكونة الأرضية الخلفية للزخرفة. وتحتفظ مدرسة الصهريج على تمثيل فريد تظهر فيه الساق المزدوجة المتناسقة متموجة، في شكل أشبه بتشبيك معينات، وتتراكب وسيقانا أخرى أرق منها، تنتهي إلى سعيفات مزدوجة متصعبة وغير متناسقة. وإجمالاً، فإن الساق ما "عادت سوى تمثيل هندسي، لتشكيل نباتي يزداد بعدا عن الواقع، شبيه بما حدث لها في القرن الثاني عشر.

هذه السعيفات تملأ التكوينات بأشكال متنوعة، وتدخل عليها تنويعاً إلى حد لا يصير لأية مأطورة شبه بسابقتها. لكن إذا كانت هذه السعيفة قد حافظت على الحظوة نفسها التي كانت تلقاها من فن المرابطين والموحدين، فإن أشكالها أضحت تتخذ أبعاداً جديدة. فالسعيفة الموحدية التي تمتد انطلاقا من سويقة وتتفرع إلى قويسين منجدلين، تقطعهما حزوز متعاكسة، أو السعيفة المخرمة، حلت محلها سعيفة صقيلة ومنمنمة، ترفض التصبعات الحرشفية والسويقات المستطيلة ـ ما عدا في الزليج المحزز. إنها تنبثق مباشرة من ساق رشيقة، ثم تصير مثلها، إلى انحناءات وتكورات مألوفة.

ومع مطلع القرن الرابع عشر أصبحت السعيفة الصقيلة أكثر حضوراً من السعيفة المتصبعة، التي ارتدت إلى مجرد شكل حشوي، ازدادت أشكاله كثافة وسماكة. وبالمقابل، عادت السعيفة الصقيلة، الأشد حيوية والأشد مرونة، تنجدل إلى سقيفات غير متساوية، تتواجه على هيئة زخارف زهرية، أو تمتد، لتلتفت في أنصال مسننة وتشكل حلقات. تجمع السعف، بين بسيطة ومزدوجة ومثلثة، وتتراكب أو تتكرر إلى ما لا نهاية، لبناء لوحة من التكوينات، ونادراً ما تقبل بالانتظام من حول محور بارز، ما عدا حول أركان العقيدات ؛ حيث تتكدس على هيئة زخرف زهري، يزين منصفات الزوايا المستقيمة للإطارات المستطيلة.

لكن إذا كان الحرفي المريني قد غلب استعمال السعيفة الصقيلة المنمنمة، فإنه استمر على دمج بعض التنويعات الموحدية، وأدخلها في تكويناته. فقد وظف بمدرسة العطارين سعيفات محززة وأخرى ذات حشو مألوف. وأما بمدرسة أبي عنان، فجميع تكويناتها مؤلفة من سعيفات مزدوجة ذات قويسات التفافية ومقرنة، تطعمها حزوز عميقة، توجد نماذج منها بواجهة باب الأوداية وأخرى على باب الرواح في الرباط وباب أكناو في مراكش.

وفي مقابل الطغيان الذي صار للتكوينات المعتمدة على السعيفة الصقيلة المفردة، والمزدوجة والمثلثة، بقيت الصنوبريات نموذجا تكميليا باستياز. فقد أبعد كليا من زخرف مدرسة الصفارين ومدرسة الصهريج، ثم عاد إلى الظهور في المدرسة المصباحية، في هيئة قصيرة وغليظة، قليلة الإتقان. ومنذئذ، أصبح يرافق السعيفة في إبداعات مختلفة : صنوبريات مقرونة، وأخرى بسيطة مستقيمة أو

مقوسة، تملأ تشابكات السعيفات، وتدخل فيها عبر تقنية الخفاء والتجلي، كثيراً من القوة، وتحد من رتابتها.

ومن أجل خلق ديناميكية زخرفية، قابل الحرفيون المرينيون التكوينات النباتية على الخشب أو على الجبص بتشبيك هندسي، يعبر في مختلف أشكاله المنجزة عن تطور ملحوظ. فبعد ظهوره في المعالم الموحدية، في مسجد تينمل وفي الصومعتين الشامختين لمسجدي الكتبية والقصبة في مدينة مراكش، يدمج هذا التشبيك رسوما أكثر توازناً وأكثر تعقيداً. فأما الشكل الأول فينقش على جبص أو تراب مطلي، بالحفر في الحقل المسطح، وينجز الشكل الثاني بعصيات مستقيمة، ينطلق فيها النقاش ويقوم بظفر بنيته عن طريق التقريب والتجميع، لتغطية الأفاريز الكبيرة لأسس الجدران، وعضادات الأبواب، والأفاريز التي تعلو الواجهات المطلة على الصحن، وتغطية الدعامات أو الأعمدة على غرار ما هو موجود في مدرسة أبي الحسن في مدينة سلا.

H. Basset & H. Terrasse, *Sanctuaires et forteresses almohades*, collection Hespéris, Larose éditeur, Paris, 1932 ; H. Basset & E. Lévi-Provençal, *Chella, une nécropole mérinide*, Larose éditeur, Paris, 1929 ; A.S. Ettahiri, *Les madrasas marinide : étude d'histoire et d'archéologie monumentales*, thèse de Doctorat, Paris-Sorbonne, Paris IV, 1996.

أحمد صالح الطاهري

العمالي، بوجمعة ولد بالجزائر سنة 1890 وتخرج من مدرسة الفنون الجميلة بالجزائر، وبعدها درس في المدرسة الوطنية في سيفر ما بين 1913 ـ 1914، ثم جاء إلى المغرب سنة 1918 بطلب قدمه مفتش الفنون الجميلة بالمغرب إلى رئيس المتحف الوطني بباريس ، فدله على طالب جزائري من مدرسة الفنون الجميلة. وبهذا دخل العمالي في خدمة مصلحة الفنون الجميلة بالمغرب وتم تعيينه بمدينة آسفي.

أخذ في إعطاء دروس تكوينية في الديكور وصنع الفخار. وازدهرت هذه الحرفة من جديد وكان من منتوجاتها الزليج الذي كان يلقى إقبالا. نجح العمالي نجاحاً كبيراً حيث عمل على صنع أدوات فخارية ذات ذوق فني رفيع جعلته لا يكتفي بالمعارض والمكافآت التي كانت تمنحها له فرنسا.

حصل على وسام من رتبة ضابط بعد تقديمه خدمات وقت الحرب. شارك في معرض مرسيليا حيث حصل على الجائزة الكبرى وميدالية ذهبية. وعين كتقني في مصلحة الفنون الأهلية حيث كلف بمهمة الإشراف على صناع الخزف وبهذا لاحظ ضرورة إحداث مدرسة أو سلك تكوين لهؤلاء المعلمين.

علال رگوگ

العمامة بكسر العين شريط مستطيل من الثوب يتراوح طوله بين متر وأربعة أمتار وعرضه لا يتعدى خمسين سنتمترا يتخذ إما من صوف أو قطن أو كتان أو حرير أو غيره ليلف رأس الشخص الذكر ويغطيه إما بكيفية كلية أو جزئية. والعمامة في الحضارة العربية الإسلامية تعتبر جزءا أساسا من أجزاء اللباس لا يكتمل الهندام أبداً بدونها. أما لدى السكان الأمازيغ من أهل شمال إفريقيا، من حدود التخوم المصرية إلى أقصى المحيط الأطلسي في المغرب فلم يكن غطاء الرأس هذا معروفا لديهم ولا كانوا يلفون رؤوسهم بالعمائم حيث أنهم اشتهروا منذ التاريخ القديم، من بين ما اشتهروا به بين الشعوب الأخرى، "بحلق الرؤوس (وتركها حاسرة) وارتداء البرنوس وأكل الكسكوس".

وقد كانت العمائم في المغرب إلى حدود الأربعينيات من القرن 20 هي أكثر أغطية الرؤوس تداولا عند السواد الأعظم من سكان المدن والبوادي على حد سواء خارج البيوت، وإذا أرادوا عقوبة شخص أو إهانته خلعوا العمامة عن رأسه وحلقوا لحيته. فلما ألقى السلطان عبد الله بن إسماعيل القبض في مكناس سنة 1740 على قاضيها أبي القاسم العميري ومن معه بسبب تعسفات قضائية اقترفوها في حق الرعية، فإنه أزال العمائم عن رؤوسهم وفضحهم أمام الملإ، كما نكل السلطان مولاي الحسن في نهاية القرن 19 بباشا وجدة فأزال عمامته وحلق لحيته جزاء له على سوء تدبيره لشؤون المنطقة. ولما حل الاستعمار الفرنسي بالبلاد حافظ على نفس الممارسات الجارية فكان يُخرج المقاومين والوطنيين من السجون عنوة إلى الأزقة ويأمرهم بتنظيف الممرات العمومية تحت الحراسة ورؤوسهم عارية ولحاهم محلوقة تنكيلا بهم، في حين كان يُسمح للمغاربة الملتحقين بالجيش الفرنسي للاشتغال ضمن قوات الگوم بالاحتفاظ بعمائمهم أثناء ارتدائهم الزي العسكري، كما كان المسلمون من جهة أخرى يعتبرون كل من يرتدي العمامة من الأجانب كأنه اعتنق الإسلام وينظرون إلى كل من تخلى عن ارتداء العمامة من المسلمين كأنه قد ارتد عن دينه وخاصة إذا كان خارج دار الإسلام.

وكانت عمائم أهل الحواضر أجود نسجا وشكلا ومظهرا من عمائم أهل البوادي، كما كانت عمائم الأثرياء ورجال المخزن والقضاة والعلماء والفقهاء والوزراء أرفع من عمائم عامة الناس من صناع وحرفيين وتجار وبحرية وغيرهم. أما المخصصة منها للحضريين من علية القوم فكانت تتخذ "على العادة والقاعدة" من لون أبيض وتلف لفاً حلزونيا حول الرأس حتى تغطيه عن آخره. وكان كبار أهل المخزن من الوجهاء والعلماء وسامي الموظفين ومن إليهم من الأعيان والموسرين يحرصون على ارتداء عمائم كبيرة تثير الإعجاب. وقد لاحظ الأوربيون الوافدون على المغرب بأن البعض من هذه العمائم كانت ضخمة للغاية وهي بجوانبها الناتئة تكاد تتعدى جوانب أكبر القبعات الأجنبية وكانت تبدو فوق الرؤوس كأنها "نصب تذكاري".

هذا وقد كانت العمائم الحضرية السائدة تتخذ من أشكال وأحجام متوسطة لأن الصغيرة منها لا تكفي لتغطية كل الرأس والمفرطة في الكبر يصعب لفها وصيانتها واستعمالها وتفقدها فكان أهل الحرف من الصناع والتجار وغيرهم

يفضلون المتوسط منها لأنه يجمع بين تغطية الرأس وصغر الحجم وسهولة اللف والاستعمال والتفقد.

لكن العمائم التي صمدت لعدة قرون لم تستطع أن تقف في وجه التطور اللباسي السريع الذي عرفه الهندام المغربي بشكل خاص فيما بين سنتي 1912 و1956. فخلال هذه الفترة بدأ الطربوش يحل تدريجيا محل العمامة عند شباب الحواضر وخاصة ابتداء من الأربعينيات من القرن الماضي.

إ. حركات، *البداية والمجتمع في العصر الأموي*، الدار البيضاء، 1990 ؛ ابن سيرين والنابلسي، *تفسير الأحلام*، تونس، 1984 ؛ أ. المقري، *زهر الكمامة في العمامة*، مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 984 ؛ محمد فهد بدري، *العمامة*، 1968 ؛ أبو الوليد ابن رشد، *البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل*، الجزء الأول، بيروت، 1988، تع. محمد حجي وسعيد أعراب ؛ شهاب الدين الهيثمي، *در العمامة في در الطيلسان والعذبة والعمامة*، مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 911 ؛ محمد رضا شرف الدين، *لباس الرأس في المغرب*، د. ت. ود. م.

Malek Chebel, *Le corps dans la tradition au Maghreb*, Paris, 1984, PUF ; Paul Azan, *Souvenirs de Casablanca*, Paris 1911, Librairie Hachette et Cie.

محمد بوسلام

عَمَر (سيدي -) القسطلي المراكشي، قرشي الأصل، أموي يرجع نسبه إلى الخليفة عثمان بن عفان وفي *ممتع الاسماع* أنه من ذرية الشاعر ابن دراج القسطلي.

وفي *جمهرة الأنساب* ان بني دراج من صنهاجة.

وترفع وثيقة خاصة نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، وتذكر أنساب شرفاء آخرين، يلتقي معهم في النسب، وهم :

- شرفاء بني راشد بن أحمد : يلتقي معهم عند جدهم موسى بن عمران.
- شرفاء بني زيان بن منصور : يلتقي معهم عند جدهم منصور بن عمران.
- شرفاء تونس أولاد أحمد بن أحمد بن محمد : يلتقي معهم عند جدهم محمد ابن موسى بن عمران.
- شرفاء تلمسان، أولاد عمران المذكور.

وتحكي الوثيقة سبب انتشار الشرفاء في الأرض لما خرج موسى بن أبي العافية على الادارسة وتعقبهم بالقتل، فخرجوا من فاس إلى غمارة، وتادلة، وفجيج، وسجلماسة، ودرعة، وسوس، ودكالة، وتامسنا، والساقية الحمراء، والأندلس وتنتهي الوثيقة بأحاديث في حب الرسول للسبطين ودعوته إلى حبهما، وفي جزاء الكاذب عليه صلى الله عليه وسلم.

وإذا كان المجال لا يسمح بتشريح هذا النسب وتتبع رجالاته، فلابد من الإشارة إلى أن المقدمين كانوا يتناقلون وصية أبي عمرو بعدم التباهي بالنسب الشريف. وكان الحلفاوي لا يذكر مترجمه وشيخه الكامل إلا بلفظ "مولاي الكامل" بخلاف الزروالي في ترجمته لأبي عمرو.

ولد أبو عمرو سنة 912 / 1506 بحي قاعة بناهض. وكان والده "حرارا" من أعيان المدينة وأحد مريدي عبد العزيز التباع. وفي المصادر ان ميلاده قد صادف زيارة التباع لمنزل أحمد الأمين، فحمل بعد ولادته إلى الشيخ لمباركته، فسأل عن اسمه، وقيل له : "أبو عمرو" فقال : "تعمره وتنشره" ثلاث مرات.

ولسنا ندري لماذا لم تستمر هذه العناية، فقد كبر سن أبي عمرو دون أن يتعلم القراءة والكتابة، فيقوم ذلك على التحدي لديه : فقد نعت له صبي حرفي الراء والزاي فلم يعرفهما. قال : (وحقرت نفسي وصرت مجتهداً في القراءة نحوا من خمسة أعوام في تعمير الأوقات بالقراءة والأوراد، حتى استفدت وأفدت، وجمعه بين القراءة والأوراد دليل على كبر سنه. ويؤكد هذا ما كان يقوله عنه شيخه الفلاح في المجالس : "أترك لكم الخلافة في رجل أمي لا يفرق بين الراء والزاي".

- الأوراد : يقوم ورده على تلاوة حزب الفلاح، وحزب البحر، وقراءة القرآن.

- العلم : من الكتب التي كانت تدرس في زاويته : الشفا لعياض، وشرح محمد بن عباد على الحكم. وكان الشيخ يحللها ويعلق عليها بما يذهل العقول.

- الإطعام : سلك أبو عمرو مسلك شيوخ الزوايا الجزولية في الإطعام، وكلف أحمد بن عبد الله المراكشي بالإشراف على اقتصاد الزاوية، وكان يطعم كل وارد عليها بحسب مستواه ومقامه وما تعود أكله. وهي عادة سيشتهر بها تلميذه أبو بكر الدلائي، مؤسس زاوية الدلاء بالأطلس المتوسط.

وترد الروايات ذلك إلى دعاء شيخه الفلاح الذي قال به "أعطاك الله حالة أهل الجنة، ثياب لا تبلى، وطعام لا ينقطع". ومع ذلك فقد اعتمد على عراصيه وأراضيه وما تدره من حبوب وغلل وفواكه. وفي شمس *المعرفة* إشارات إلى كثير من هذه الممتلكات التي آلت بعده إلى أولاده في مراكش والحوز. وكانت هذه المنتجات تحمل إلى الزاوية لتقدم للزوار والمريدين والفقراء.

كانت الزاوية القسطلية بمراكش تعج بالمريدين والزوار اعتباراً لمستواها العلمي، ولما كان يقدم بها من صنوف الطعام. وبلغ عدد المتخرجين على يد الشيخ أبي عمرو حوالي سبعة عشر ألف مريد. أنشأ بعضهم زوايا كبرى في المغرب، نذكر من مشاهيرهم :

- أبو بكر المجاطي الدلائي المتوفى سنة 1021 / 1616 مؤسس الزاوية الدلائية بأمر منه.
- أبو عبد الله محمد بن مبارك الزعري التناوتي المتوفى سنة 1006 / 1579 كان منقطعا بزاوية أبي عمرو بمراكش، وعاد إلى بلاده لتأسيس زاوية بها.
- الحسن المداح الزعري لازم الشيخ أزيد من ثلاثين سنة حتى صار من أخص مريديه وعنه روى الزروالي كثيراً من أخباره في شمس *القلوب*.

وفي *تحفة أهل الصديقية*، 53 ـ 55 ذكر لمجموعة من مريدي أبي عمرو وأتباعه.

توفي بمراكش سنة 974 / 1566.

ح. جلاب، *أضواء على الزاوية البوعمرية بمراكش*، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، 1996 ؛ عباس بن إبراهيم المراكشي، *الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام*، المطبعة الملكية، 1974 ـ 1983 ؛ محمد المهدي الفاسي، *تحفة أهل الصديقية بأسانيد الطائفة الجزولية الزروقية*، مخطوطة الخزانة العامة بالرباط، رقم 76 ج ؛ ابن حزم الأندلسي، *جمهرة الأنساب*، تح. ليفي بروفنصال، ط. دار المعارف، مصر ؛ الحلفاوي أبو محمد قاسم بن أحمد، *شمس المعرفة في سيرة غوث المنصرفة*، مخطوطة، خزانة ابن يوسف رقم 171 ؛ محمد الصغير الدفرني، *صفوة ما انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر*، ط. حجرية بفاس ؛ محمد المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع في ذكر الجزولي وأتباعه ومالهما من الأتباع والإتباع*، ط. فاس، 1313، تح. عبد الحي العمراوي وعبد الكريم مراد، ط. 1994.

حسن جلاب

عِمْران، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Amran وتوجد بتطوان أسرة أخرى شريفة النسب منهم : عبد السلام عمران من أعيان تطوان الذين بايعوا الأمير مولاي سعيد بن مولاي اليزيد سلطانا يوم 12 جمادى الثانية 1236 (16 مارس 1820). محمد بن أحمد عمران، فقيه كان يزاول خطة العدالة سنة 1252 (1836).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **عمران، عبد الكريم** أبو القاسم من أهل قصر كتامة ويرجع أصله إلى الأندلس. لازم أبا الحسن الغافقي الشاري السبتي وروى عنه وكان أخص أصحابه. سكن مدة بإشبيلية وغيرها من مدن الأندلس، ثم رجع إلى بلده قصر كتامة وولي القضاء به. وبسبب نزاهته وسمعته الطيبة في ممارسة القضاء استدعي لتولي قضاء المناكح وقضاء الجماعة بمراكش.

كان مهتما بالعلم ومتحققا بالآداب، مع الزهد والفضل. أثنى عليه ابن عبد الملك وسماه القاضي الأديب الأبرع. كما حلاه أبو الحسن الرعيني في برنامجه بالفقيه، وكان قد صحبه بمراكش.

وبجانب علومه الشرعية كان شاعراً مجيداً، أورد له ابن عبد الملك المراكشي بعض القصائد، ومنها قصيدة جيدة في ثنايا رسالة يهنئ فيها أبا الحسن الشاري على المدرسة التي أحدثها بسبتة بجوار باب القصر، وحبس عليها مجموعة قيمة من الكتب والأملاك.

توفي المترجم وهو يتولى قضاء المناكح بمراكش سنة 643 / 1245.

ابن الأبار، *التكملة لكتاب الصلة*، نشر عبد السلام الهراس، الدار البيضاء، دار المعرفة، ج 3، ص. 134 ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة*، تح. محمد عبد الله عنان، القاهرة، 1975، ج 4، ص. 189 ؛ ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، ج 8، ص. 197 ـ 333، 334 ـ 385، 439 ؛ الرعيني، *البرنامج*، تح. إبراهيم، تح. إبراهيم شبوح، دمشق، 1966، ص. 76.

محمد المغراوي

أبو **عمران، موسى** بن عيسى بن أبي حاج القرشي المعروف بأبي عمران الفاسي، ينتمي إلى أحد بيوتات فاس العريقة هو بيت بني أبي الحاج، إذ مازال بطالعة فاس درب يحمل اسمهم هو "درب بوحاج". وأصله بنو غفجوم، أحد بطون قبيلة جراوة الزناتية.

ولد بمدينة فاس عام 365 / 975 ـ 976، وتلقى تعليمه الأول بها، غير أن ما عرف عنه من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، جعله يصطدم بحكام المدينة المغراويين، مما اضطره إلى مغادرتها ؛ فرحل إلى الأندلس، ودخل قرطبة حيث تتلمذ بها على أبي محمد عبد الله الأصيلي وسعيد بن مريم وعبد الوارث بن سفيان وأبي الفضل أحمد بن قاسم وغيرهم.

ثم قصد القيروان فتفقه بها على أبي الحسن علي القابسي، ثم رحل إلى المشرق، فحج ودخل بغداد، التي حضر بها مجلس القاضي أبي بكر الباقلاني في الأصول، وسمع من أبي الفتح بن أبي الفوارس وأبي الحسن المستملي، وبمكة سمع من أبي ذر الهروي.

عاد إلى القيروان واستقر بها، حيث آلت إليه بها رئاسة العلم فرحل إليه الطلبة من المغرب والأندلس : من فاس وأغمات وسوس وسرقسطة وأشبيلية ووشقة وبجانة وألمرية وطليطلة وقرطبة وصقلية .. واشتهر بفقهه وإفتائه وتدريسه وخطابته. وحصل على إجازته أعلام مشهورون ـ لم يلقوه ـ كابن محرز وعتيق السوسي وأبي القاسم السبوري. وأشاد بفضله وعلمه وإمامته العديد من علماء عصره، والمشارقة منهم على وجه الخصوص.

ولأبي عمران الفاسي كتاب *التعاليق على المدونة وفهرسة*، كما أنه خرج نحو مائة حديث، وبرع على الخصوص في علم الأصول وعلم الكلام والمناظرة.

وارتبط اسم أبي عمران الفاسي برحلة الزعيم الصنهاجي يحيى بن إبراهيم الجدالي، ولقائه به في القيروان، حيث التمس منه أن يرسل معه فقيها عالما يتولى تلقين أبناء صنهاجة الصحراء الملثمين أصول المذهب المالكي ويرسخ لديهم تعاليم الإسلام. وتنفرد إحدى الروايات التاريخية بالقول إن أبا عمران اقترح لهذه المهمة ابن أخيه عمر، مما يظهر استجابته الكبيرة للمساهمة في إخراج المشروع الصنهاجي (المرابطي) إلى الوجود. غير أن تراجع عمر في آخر لحظة، دفع أبا عمران إلى اقتراح اسم فقيه نفيس بالمغرب الأقصى وجاج بن زلو اللمطي، الذي رشح بدوره لهذا الأمر عبد الله بن ياسين.

توفي أبو عمران بالقيروان ليلة 13 رمضان 430 / 7 يونيه 1039، وقد بلغ من العمر 65 سنة.

ابن الزيات التادلي، *التشوف إلى رجال التصوف*، 1984 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب*، ج 1، 1983 ؛ ابن أبي زرع الفاسي، *الأنيس المطرب بروض القرطاس*، 1973 ؛ أحمد بن عبد الوهاب النويري، *نهاية الأرب في فنون الأدب*، 1985 ؛ إسماعيل بن الأحمر وآخرون، *بيوتات فاس الكبرى*، 1972 ؛ ابن القاضي المكناسي، *جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس*، ج 1 ، 1973 ؛ حسن أحمد محمود، *قيام دولة المرابطين*، 1956 ؛ عبد الوهاب بن منصور، *أعلام المغرب العربي*، ج 2، 1979.

عبد الإله بلمليح

العمراني، أسرة ينحدر الشرفاء العمرانيون من شمال المغرب حسب عمود متداول في كتب الأنساب من الجد الجامع عمران الأكبر بن يزيد بن صفوان بن خالد بن يزيد بن عبد الله بن إدريس الثاني. ويعتبر البعض أن جد العمرانيين كان من بين الأدارسة الذين استوطنوا قلعة حجر النسر بسماتة وأنه كان من أنصار الحسن بن كنون ومن أمهر فرسانه، ولا يستبعد استناداً إلى نفس الرواية أنه كان من ضمن الأدارسة الذي نقلوا إلى قرطبة إثر هزيمة الأدارسة على يد المروانيين سنة 364 / 975. وحينما سقطت حجر النسر في يد هؤلاء سنة 375 / 986 لقي عمران الأكبر حتفه في بني يوسف.

ويذكر النسابون أنه كان كثير النسل، حيث خلف ستة وعشرين ولداً عقب منهم واحد وعشرون، هم أصل الفروع العمرانية التي انتشرت في جبال غمارة والهبط. والملاحظ أن اسم عمران تكرر في أعمدة أنساب العمرانيين التي تكرر فيها اسم عمران الأصغر الذي يحكى أنه كان مؤذنا للشيخ عبد السلام بن مشيش بجامع قرية الحصن، وهو حسب تسلسل النسب، عمران بن علي بن عتيق بن يحيى بن سعيد بن مسعود بن عامر بن محمد بن موسى بن عمران الأكبر، وورد في عمود الشرفاء العمرانيين في قبيلة بني مسارة عمران الكبير والصغير.

شكل العمرانيون من الناحية الديموغرافية استناداً على مدونات الأنساب أكثر الفروع الإدريسية عدداً في الشمال، وينحدر معظمهم من فرع حنين، مما طرح أمام النسابين والمؤرخين صعوبة في محاولة ضبطها. وأقدم ما بلغنا من أخبار العمرانيين في الشمال الجرد المريني الذي تم على يد السلطان المريني أبي سعيد سنة 709 / 1310، ساعدنا على تحقيق عمود نسبهم وتوطينهم الجغرافي، حيث ذكر أربعة أعلام من مشاهير الأسرة العمرانية هم علال ومحمد وأبو بكر وعمر أبناء حنين بن يحيى بن سعيد بن مسعود بن عامر بن عمر بن صفوان بن خالد بن زيد بن عبد الرحمان بن عبد الله بن إدريس الثاني.

كان هؤلاء يقطنون في بلدة بني بوشداد إحدى الفرق الغمارية الواقعة حالياً شمال شفشاون على مرتفع صخري، التي كانت قديماً خاضعة لنفوذ عمر بن إدريس الثاني إثر تقسيم المملكة الإدريسية من طرف محمد الخليفة بن إدريس الثاني بين إخوته وسادت فيها ذريته. وبعد تشكيل قبيلة بني زجل أصبحت فرقة بني بوشداد إحدى فرقها الكبرى. وتعتبر قرية تلمبوط حيث يوجد ضريح وحرم سيد حنين بن يحيى مركزاً للشرف العمراني. وثاني مصدر بلغنا عن العمرانيين بعد الجرد المريني شهادة قاضي شفشاون ابن خجو سنة 952 / 1545 أثبت فيه صحة نسب شرفاء بني بوشداد بقبيلة العمرانيين، وذكر أسماء فروعهم وهم بنو عرمان وأولاد الخشين وأولاد مخشان بقرية تلمبوط وأولاد اجلامط وأولاد بوغدوا بقرية أكومي وأولاد اثول ازرافن وأولاد حسن وأولاد أجيلان بالقلعة.

وبعد ذلك تنقطع عنا أخبار العمرانيين إلى أواخر العهد السعدي سنة 1027 / 1618، وهو تاريخ تعيين النقيب أحمد بن إدريس العمراني الجوطي من طرف السلطان السعدي عبد الله الشيخ. وتنتشر الفرق العمرانية حسب هذا الظهير في كل من سماتة وبني خالد وبني حسان وبني حزمار وبني يدر وبني جرفط وبني يسف وصنهاجة وحوز تطوان وبني مسارة وورغة والحصن بجبل العلم وبني جبارة وبني ومراس وبني سعيد وبني مزكلدة والقصر الكبير وشفشاون ومكناس وفاس.

ويظهر أن شرفاء بني زجل مثلوا من الناحية الديموغرافية أكبر تجمع في القرى المجاورة لضريح جدهم حنين بتلمبوط، كما استوطنوا مع العلميين قرى الحرم العلمي في بني عروس وبني حسان كما يدل على ذلك الجرد الذي تم على يد السلطان المولى إسماعيل عام 1105 / 1694 الذي يتطابق مع التنبيهات الواردة عند ابن زاكور الفاسي ت. 1115 / 1704 في وصف قرى الحرم العلمي نقلاً عن النقيب أحمد بن عبد الوهاب، مضيفاً إلى ما سبق، شرفاء تازجلوت إحدى بني يوسف المعدودة من قرى الحرم المذكور، وهم أولاد بوقلينة والجعباق والهواري، كما ذكر أولاد العبودي في تازروت العروسية وأولاد الحاج وشرفاء الماء الحائل في أفرنو وأولاد حسون ببني عروس أيضاً.

ومن الملاحظ أن الجرد الرسمي الذي تم على يد السلطان سيدي محمد بن عبد الله لقبائل الشرفاء الأدارسة بفاس عام 1201 / 1789 أشار إلى أشراف الفحص وبني بوشداد وتلمبوط وخص منهم بالذكر أولاد النجار وأولاد التبر والمنصوريين وأولاد بن سعدنت وأولاد الغريب والمشامريين والمغاربيين وأولاد بوقشابة.

وكلما ابتعدنا زمنياً في رصدنا لأصول العمرانيين إلا وازدادت أنسابهم ومواطنهم تشعباً مما جعل أشهر النسابين المعاصرين المشهود لهم بالضلوع في هذا الميدان مثل إدريس الفضيلي الذي أبدى تحفظه في حصر فروع ومواطن العمرانيين في الشمال واقتصر في ديوانه على ذكر أشهر فروع العمرانيين القاطنين في بين زجل بقرية تلمبوط مضيفاً إلى من سبقه من النسابين أولاد الرفاس في بني عروس وبني جرفط وبني سعيد وبني جبارة وبني ومراس وغزاوة. وعلى

المستوى الاجتماعي يمكن اعتبار العمرانيين أكثر الشرفاء الأدارسة انصاراً وذوباناً في القبائل الأصلية، هم أقل تماسكاً مقارنة مع العلميين وأكثر اختلاطاً بالعامة. كما أننا لم نسجل في رصدنا لمسار الشرف العمراني في الناحية الشمالية الغربية ما توفر لدينا من وثائق مخزنية وغيرها غياب الطموح إلى السلطة في صفوف أعيانهم على غرار العمرانيين الجوطيين بفاس، ويتمثل دورهم بوضوح في ميدان الصلاح والجهاد والعلم.

أ. بن عرحمون، *الكتب اللائق في معلم الوثائق*، تطوان، 1936، ص. 201 ـ 205 ؛ أ. بن عبد الوهاب، *الكتاش الإسماعيلي*، مخ خاص، ص. 56 ؛ م. بن زاكور، *الاستشفاء من الألم في التلذذ بصاحب العلم* ؛ ت. بن رحمون، *شذور الذهب*، ضمن مجموع رقم د 1484 مخ. خ. ع الرباط، ص. 146 ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، الجزء 2، فاس د. ت، ص. 170 ـ 172 ؛ مجموعة وثائق مخزنية من القرن التاسع عشر؛ ع. السلام البكاري، *الأشراف العمرانيين بالمغرب*، ص. 57، القنيطرة، 1996.

محمد عمراني

العمراني، الغالي بن محمد الحسني اللجائي، نزيل مدينة فاس. ينحدر من سلالة المولى إدريس، انتقل من قبيلة الجاية (بلاد الزيبب) إلى فاس، وبها تتلمذ على عدة شيوخ منهم الشيخ الحراق وبدر الدين الحمومي، ثم أصبح مدرساً ومفتياً في المدينة ذاتها، كما تقلد خطة القضاء في وجدة، ويبدو أنه لم يعقب.

كان العمراني اللجائي من العلماء الذين ساهموا بالإجابة عن استفتاء السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان بشأن مشروعية تنظيم الجيش المغربي على النمط الحديث بعيد انكسار تطوان (59 ـ 1860)، فألّف لهذا الغرض كتابه : *مقمع الكفرة بالسنان والحسام في بيان إيجاب الاستعداد وحرب النظام*، وهو مكون من 15 باباً، دافع فيه عن ضرورة إقامة "النظام" أي الجيش المبني على أساس جديد واقتباس تقنيات النظام العسكري الأوربي، اعتماداً على قاعدة "المقابلة بالمثل"، وأورد في هذا الكتاب الكثير من الاقتباسات عن علي التسولي ومحمد الكردودي بخصوص حرب الصف لتدعيم دعوته.

وحرض العمراني اللجائي على الاستشهاد ببعض ما ورد في كتب عربية إسلامية لها نفس انفتاحي، فقد قرأ مؤلف رافع رفاعة الطهطاوي *تخليص الإبريز بتلخيص باريز*، ونقل عنه نصاً مطولاً بشأن تنصر المسلمين الذين خرجوا مع نابليون من مصر وندرة وجود المسلمين في فرنسا، وقد أرقت مشكلة التنصير العمراني اللجائي وانزعج بقوة من تخريب الفرنسيين للشريعة الإسلامية في مصر ثم الجزائر وقبل ذلك تحطيم الإسبان للإسلام في الأندلس، وتخوف من أن يتكرر هذا الأمر في المغرب إذا لم يتم الاستعداد لمواجهة المد النصراني وأوّله اتخاذ النظام. وحاول العمراني اللجائي تبرير شرعيته النظام ومن ثم جواز الأخذ عن غير المسلم في أمور الحرب باستحضار حفر الرسول "صلعم" للخندق على غرار الفرس لدرء هجوم الكفار بإيعاز من سلمان الفارسي.

ألف العمراني اللجائي في قضايا مختلفة، ومن مؤلفاته :

- *دوحة المجد والتمكين في وزارة ونسب العالمين ابني عشرين*، عرّف فيه بأسرة بني عشرين الأنصاريين، وترجم فيه للوزير محمد الطيب بوعشرين ووالده اليماني بن المفضل ترجمة واسعة، وضمّنه استطرادات في مواضيع متنوعة.

- *الروض الزاهر الوريف في نسب العارف بالله عبد الرحمان الشريف وشعبته المستغنية بشهرتها السامية عن التعريف*، عرّف فيه بجده عبد الرحمان ابن محمد ابن الحسين دفين بلاد الجاية المتوفى عام 1048 / 1638.

- *إبطال الشبه ورفع الالتباس*، ردّ فيه على أصحاب البدع والمحدثات في وقته وفقا للمذهب المالكي.

- *الفجر الصادق الزاهر المتلألئ في بطلان مهدية الساحر الشاعر الجيلالي*، عالج فيه تمرد الجيلالي الغرياوي على السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان، الذي ادعى المهدوية سنة 1278 / 1861.

- *مضض السياط في قضية ناظر المساكين الطالب محمد المشاط*، تناول فيه تصرفات محتسب فاس المشاط (1279 / 1862)، وقد أدرج مضمّنه في كتابه *السالف الذكر دوحة المجد والتمكين*.

وله كذلك تأليف في *الجهاد* وما يجب أن يعدّ له، وشروح على لامية الزقاق. وكان العمراني اللجائي محور تأليف للمؤرخ العربي المشرفي سمّاه *عجيب الذاهب والجاني في فضيحة الغالي اللجائي*، وهو عبارة عن ردٍّ على العمراني الذي تنطّع على الأمير عبد القادر الجزائري فيما انتصر المشرفي له. وانتقد المشرفي العمراني في مؤلّف آخر هو *الحسام المشرفي في الرد على أكنسوس المراكشي لأنه أنكر حال العلامة المبروم السني المشهور السيد الحاج حسن قنبور*، وكان العمراني قد سَفّه هذا الصوفي في كتابه المذكور آنفا *أبطال الشبه ورفع الالتباس*. لم يمتد العمر طويلا بالعمراني.

توفي بفاس سنة 1289 / 1872.

الغالي العمراني اللجائي، *مقمع الكفرة بالسنان والحسام في بيان إيجاب الاستعداد وحرب النظام*، مخطوط، خ ح، رقم 1030 ؛ العربي المشرفي، *نزهة الأبصار لذوي المعرفة والاستبصار*، مخطوط، خ ح، رقم ك، 579 ؛ ع. السلام بن سودة، تر. الغالي اللجائي اللعمراني، مجلة البحث العلمي، العدد، 19 ـ 1979 ؛ خير الدين الزركلي، *الأعلام*، ج 6، ط 7، بيروت، 1986 ؛ ع. الرحمان ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 1، ط 1، الرباط، 1929 ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، ج 1، بيروت، 1985.

أحمد المكاوي

العمراني، محمد بن إدريس بن محمد بن عبد الرحمن العمراني المراكشي المعروف بالدرقاوي درس بفاس، وكان عالماً فاضلاً.

ركز المترجمون له على علاقته بشيخه في التصوف محمد

العربي الدرقاوي، وأخذه عنه في زاويته ببوبريح (بني زروال)، وخدمته له على عادة المريدين مع شيوخهم. وذكروا أنه أبدى في ذلك خضوعا وطاعة تجعله يُنفِّذ أصعب المهام وأقساها دون تردد.

وأذن له بالذهاب إلى مراكش بعد مدة طويلة من الخدمة. فأسس فرعا للزاوية الدرقاوية بالقصور (حومة أعيان المدينة) بفحل الزفريتي منها. وقد عرفت الطريقة الدرقاوية انتشاراً واسعاً بالمدينة وتأسست بها زوايا عديدة من طرف تلامذة الشيخ، هي : العمرية بباب الخميس (وهي الزاوية الأم) والفتحية بثلاثة فحول، والبدوية بسيدي بولعبادة من حومة بنصالح، وزوايا باب ايلان، روض الزيتون القديم، ازيزط، باب دكالة، والقصبة. وتعتبر زاوية ابن إدريس بالقصور أكثرها نشاطاً في الوقت الراهن.

وقع اختلاف في تاريخ وفاته، فعند ابن إبراهيم أنه توفي في حياة شيخه. والمعروف أن العربي الدرقاوي توفي سنة 1239 / 1823. بينما جعل ابن المؤقت وفاة ابن إديس في أواسط القرن الثالث عشر الهجري (19 م) في العشرة السادسة من القرن (13 هـ).

ودفن بقبة زاوية القصور يساراً. وقد حاولنا حل الإشكال في عين المكان، إلا أنه لا توجد شاهدة عند قبر ابن إدريس المحاط بدربوز خشبي.

وقد نسبت له ـ كغيره من أشياخ الطريقة ـ كرامات في حياته وبعد مماته، كانت سبباً في إصلاح السلطان ـ ولعله محمد بن عبد الرحمن ـ لزاويته، وإجراء الماء لها.

م. ابن المؤقت، *السعادة*، 2 : 85 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 6 : 218 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية*، 1 : 40.

حسن جلاب

العمراني، محمد بن **محمد** الحسني الإدريسي، أصل أسرته من فاس ولكن أحد أفرادها (سيدي الحاج عمران بن موسى) خرج لأداء فريضة الحج، ولما رجع إلى المغرب حالت بعض قبائل الشمال دون رجوعه إلى فاس، وفضّلت أن يستقر بين ظهرانَيْها. وفعلاً استوطن تيفَرْنين (الزيتونة الحالية) قريباً من جزيرة باديس. وهناك توفي. وأصيبت تيفرنين بما تصاب به المدن المجاهدة من التدمير والخراب، فهاجر النّسل إلى بلدة قويع الفوْقى من قبيلة بني بوفرح. وشاء البعض منهم (والد المترجم وإخوته) أن يزدادوا قرباً من ضريح جدهم، فاستوطنوا "الجنانات" القريبة من مرسى "أبراج القلعة". هذا، وفي متناول أيدي الأسرة بعض الوثائق والظهائر السلطانية التي تفيد أنهم كانوا أيضاً يستوطنون مدينة تطوان.

ولد أبو عبد الله في منزل قويع يوم 11 من جمادى الأولى من عام 294 / 24 مايو 1877، وتوفي بمنزل "الجنانات" يوم الجمعة الثاني والعشرين من شهر شعبان 1350 (فاتح يناير 1932). ودفن يوم السبت التالي في مقبرة "المجاهدين".

وحضر جنازته أعيان القبيلة ورؤساؤها، وشيخ زاوية بني بوفرح الشيخ محمد الناصري وقد كانت بين الإثنين صداقة صحيحة وعلاقة روحية متينة.

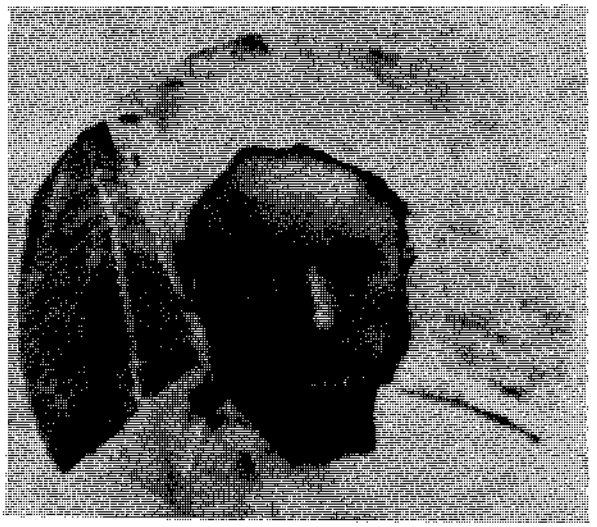

حفظ مترْجَمُنا كتاب الله المجيد وتعلّم العلوم الشرعية واللسانية بعد ذلك على الطريقة المغربية. وكان أهم شيوخه جدّه ووالده، فقد ربّياهُ فأحسنا تربيته، وأصبح مثلهما في اتجاههما الروحي والكفريّ والعلميّ. أجل لقد تخرج على يديهما، فنهج نهجَهما في شؤون الحياة. كان يُكْثر من تلاوة القرآن الكريم أثناء الليل وأطراف النهار، ويكثر من مطالعة الكتب وتحرير الوثائق العدلية، والفتاوى الشرعية، كما كانت داره مقصد طوى الحاجات. وبالجملة، يمكن أن نقول فيه، ما قاله هو في حقّ والده :

"قد كان ـ رحمه الله ـ فاق أهل قُطره في علم الفرائض والحساب، وفي علم الجدول، وكذلك في التوقيت، وعلم الوثيقة. وله خبرة بالطبّ، وتركيب الأدوية. وله من معرفة التوحيد ما يخرجُه من ربقة التقليد". استمر أوَارُ حرب التحرير الريفية بقيادة أمير الجهاد محمد بن عبد الكريم الخطابي وأخيه البطل المجاهد مَحمد (فتحا)، فخاض غمارها مترجَمُنا أبو عبد الله، لكن بالقلم لا بالسيف، فقد كان كاتباً (سكرتيراً) للأمير. ومنذ مدة خلتْ، كنت ضيفاً في دار أحد قواد الساحة الغربية من تلك الحرب، وأعني السيد اليزيد ابن صالح باشا تطوان الأسبق، فأطْلعني على عدّة رسائل حربية كانت محررةً بقلم مترجمنا أبو عبد الله محمد العمراني، وممضاةً باسم أمير الجيش مَحمد بن عبد الكريم الخطابي، وهي ترينا مدى التقدّم الذي كان المجاهدون يحرزونه يوماً بعد آخروهم في طريقهم لتحرير مدينة شفشاون من يد السلطات الإسبانية.

شجرة نسب الكاتب السطور، كتاب مخطوط مائل للطبع.

S. David Woolman, *Rebels in the Rif*, p. 131, Oxford University Press, London, 1969.

عبد الله العمراني

العمْراني، محمد المعطي بن أحمد قاضي قبيلة الأخماس كان يرأس جماعة من مجاهدي قبيلته انضم إلى صفوف المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني وقد حضر جميع المؤتمرات التي كانت تعقدها الثورة حيث انتخب عضواً بالمجلس الاستشاري للمقاومة في المؤتمر المنعقد بقرية عين الدالية بقبيلة الفحص يوم 11 ماي 1913 ؛ وقد شارك في عدد كبير من المعارك إلى غاية سنة 1924.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب*، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

العمراوي، أسرة فاسية أصلها من قبيلة بني حسن، ويعرفون بأولاد ابن إدريس، قال في *إزالة الالتباس* : "ينتمون إلى الشرف، أهل تجارة ومال ومعاش وحرفة وطلب". وذكر أحمد العمراوي آتي الترجمة أن العمراويين من ذرية عيسى ابن إدريس وأنهم هم المعروفون بالشتويين، سموا بذلك لأن جدهم أخذ عن الشيخ الشنوي بمصر.

عمراوي، إبراهيم من مواليد 1928 بزاكورة إقليم ورزازات. وعند اندلاع شرارة الثورة العظمى التي عرفها المغرب خلال فترة الاحتلال قام الشباب التواق إلى الحرية والانعتاق بالانضمام إلى صفوف المقاومة السرية للتعبير عن تضامنهم اللامشروط مع حركة الاحتجاج التي بدأتها الجماهير في جميع المدن والضواحي ضد سياسة الظهير البربري وأحسن مثال لهذه الفئة الشابة في النضال نجد الشهيد عمراوى إبراهيم الذي كان منخرطا ضمن منظمة "جيش الأطلس" التي كان شعارها : "حماية الوطن والعرش والذود عن كرامة الشعب". هذه المنظمة التي كان المسؤول عنها هو السيد بوشتى، اطرت هذا الشاب الذي أنجز معها عدة عمليات بطولية منذ أن التحق بها سنة 1954 إلى آخر عملية وهي عملية تفجير مقهى فيفال حيث أصيب عمراوي إبراهيم برصاص الاستعمار فسقط شهيداً وهو في عنفوان شبابه وذلك بتاريخ 13 نوفمبر 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 520911.

العمراوي، أحمد بن عبد السلام من ذرية الوزير الشهير محمد بن إدريس. ولد بمدينة فاس عام 1326 / 1908 وبها نشأ وتعلم وحفظ القرآن الكريم، ثم التحق بالقرويين فدرس حراً وداخل النظام إلى أن تخرج بشهادة العالمية. وحصل على إجازات كثيرة من الشيوخ.

تزوج بمدينة سلا واستوطنها. وعمل كاتباً لصهره الباشا الحاج محمد الصبيحي ثم انتقل للكتابة بالحكمة العليا بالرباط، وبعد ذلك التحق بوزارة العدل ككاتب ثم كقاض مكلف بدراسة ملفات العدول والموثقين إلى أن أحيل على المعاش.

وكان خلال ذلك يلقي دوساً بمسجد سيدي أحمد حجي بين العشاءين، ويحضر المجالس الحديثية بالقصر المكي، ويفتتحها بسرد النصوص التي تدرس بصوته الجهوري الرخيم.

توفي بسلا ليلة الاثنين 23 جمادي الأولى عام 1409 / 2 يناير 1988.

ع. ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، ج 2 ؛ م. ابن الحاج السلمي، *إسعاف الإخوان الراغبين*، الدار البيضاء، 1992، ص. 42 - 61.

محمد حجي

العمراوي، العربي أحد الإخوة الستة من شرفاء الأسرة العمراوية بفاس ممن اشتهروا بممارسة فن المديح والسماع وإنشاد بردة الإمام البوصيري ولواحقها من المقطعات وفق الطريقة الفاسية المتوارثة. وهؤلاء الإخوة هم : السيد الطاهر، والسيد قاسم، وسيدي حميد، وسيدي العربي، ومولاي أحمد، وسيدي محمد (فتحا) الذي تولى رئاسة حلقات السماع بالضريح الإدريسي بعد وفاة الشيخ سيدي علال بلفقيه.

وقد تميز العربي من بين إخوته بجمال صوته وقوة عارضته وقدرته على طرق النغمات الحادة، فضلاً عن حفظه للستينيات وإجادة إنشادها. وكان له - إلى ذلك - إلمام بالموسيقى الأندلسية، يحفظ ميازينها ويتقن طبوعها.

وقد أهلته معرفته بالفنين معا للعمل في حضرة جوق المرحوم البريهي برئاسة المرحوم الحاج عبد الكريم الرايس، فضلاً عن ملازمته لحلقات المسمعين فقد شارك بانتظام - إلى جانب إخوته الطاهر وحميد - وفي مهرجانات السماع التي دأبت على تنظيمها جمعية أبي رقراق بسلا منذ عام 1986. وقد تولى المترجم تنسيق الحصص الفنية التي شارك بها مسمعو فاس في الملتقيات الثلاثة الأولى (1986 - 1987 - 1988) قبل أن تُعهد إلى الفنان الرباطي الأستاذ عبد اللطيف بنمنصور مهمة التنسيق العام لمساهمات الفرق المشاركة في المهرجان.

وفي إطار الأنشطة الفنية التي كانت تقوم بها "جمعية البحث الموسيقي" بفاس لفائدة أعضائها في بحر الثمانينيات

عهدت إليه مهمة تلقين أصول السماع وإنشاد الستينيات في حلقات أسبوعية منتظمة. وقد كان من النتائج الإيجابية لهذه الحلقات انبثاق "جمعية الإمام البوصيري" التي أسسها بعض تلامذته بفاس يوم 20 دجنبر 1994.

بطاقة شخصية.

عبد العزيز بن عبد الجليل

ابن **عَمْرو** . بفتح الميم وسكون العين والراء ، وينطق بها عُمَرْ . أسرتان نبيلتان بفاس والرباط. فأما أولاد ابن عمرو الفاسيون فهم على ثلاث فرق، أما الأولى والثانية حسب مؤلف *بيوتات فاس الكبرى* : "بيتهم بيت ثروة وحسب رفيع، يقال إنهم من ولد عكاشة بن محصن الفزاري، ولهم قصبة ودار متصلة بها خارج باب الفتوح من فاس الأندلس يقال لها دار بن عمرو. وقد انقرضوا منذ مدة ومازالت أطلال القصبة معروفة حتى اليوم خارج باب الفتوح، وهي الآن على ملك أولاد الأزرق. وتوجد بالطالعة أيضاً عرصة تعرف بعرصة ابن عمرو. وأما الفرقة الثانية فيوجدون بفاس حتى اليوم، وهم من شرفاء جبل العلم جاؤوا أوائل المائة العاشرة، وأول قادم ومنهم إلى فاس عمرو بن محمد بن إبراهيم، أهل طلب ومعاش وحرفة. ومنهم نائب قاضي الجماعة بفاس الغالي بن العربي ابن عمرو الحسني (ت. 1363).

وأما أولاد ابن عمرو الرباطيون، فمن أصل أندلسي، وهم من الأنصار من قبيلة الأوس، نبغ فيهم عدد من الفقهاء والأدباء، وتوارثوا العلم والمجد إلى أيامنا هذه.

ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، 2 : 126.

ابن **عمرو، الغالي** بن العربي الحسني الفاسي، حلاه في *سل النصال* بـ "بالفقيه العلامة المدرس المفتي المطلع المشارك". درس على كبار شيوخ عصره أمثال مَحمد بن قاسم الشادري، وأحمد بن الخياط، والتهامي گنون، اشتغل بالتدريس والإمامية بجامع القرويين مدة طويلة، نيابة عن امامها الشيخ محمد بن الطالب الفاسي وتاب عن قاضي مقصورة.

توفي بفاس يوم الجمعة 26 قعدة عام 1364.

إتحاف سل النصال / موسوعة أعلام المغرب، ج 9 : 3201.

محمد حجي

ابن **عمرو، محمد** بن **محمد** من مواليد سنة 1935 بتافوغالت إقليم وجدة.

منذ شبابه عرف بالاستقامة ونقاوة الضمير والوطنية الصادقة الشيء الذي دفعه إلى المشاركة في الانتفاضة العارمة التي عرفتها مدينة وجدة يوم 16 غشت 1953 ضد السياسة الاستعمارية. وخلالها أبان الشهيد عن روح نضالية صادقة في الدفاع عن حوزة البلاد، فقام بعدة أعمال فدائية استهدفت مصالح المستعمر، كما قام باغتيال معمر فرنسي. ونظراً لناشطه الفدائي هذا تمت مطاردته من طرف الشرطة الاستعمارية التي أطلقت عليه الرصاص، نقل على إثره إلى المستشفى ليلفظ أنفاسه الأخيرة في نفس اليوم، تغمده الله برحمته الواسعة.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 514703.

العمروي، محمد بن **إدريس** (ثلاث مرات) بن محمد بن عبد الله الفاسي الوزير الكاتب الشاعر. يزيد ابن زيدان، بعد أن رفع نسبه إلى الخليفة الراشدي علي بن أبي طالب وزوجته فاطمة، الزموري البويحياوي. لكنه اشتهر بالعمروي، نسبة إلى بني عمرو من قبيلة زمور، كان سلفه من الأدارسة، قد استقروا فيهم حين قيام مغراوة على هؤلاء، مختفين "في أغمار القبائل فنسبوا إليهم".

لم يقف جميع من ترجموه على تاريخ ولادته. ويرجح ع. گنون أنه من مواليد مستهل القرن الثالث عشر (نهاية القرن 18 م)، بناء على زمالة العمروي لأكنسوس في الطلب، ورفقته له زمن الشباب. ومعلوم أن الأديب المؤرخ قدم فاسا عام 1229 / 1814، وهو إذاك في الثامنة عشرة. وبذلك فهو - بحسب گنون - إما تربه أو قريب من ذلك ؛ بناء على قول أكنسوس : "فتمكن من يومئذ بيننا وبينه حب روحاني.. فقضينا زمن الشبيبة في تحصيل ما كتب من علوم الرسوم، في اشتراك المشايخ والمجالس، واقتناء الفضائل والنفائس...

لكن محمد الأخضر يجزم بأنه ولد سنة 1209 / 1794، ومرجعه في ذلك ترجيح الناصر الفاسي الذي اعتمد على قرينة زواج ابن إدريس حوالي عام 1230 / 1815، وهي قرينة لا نشاطره الاستناد إليها لضبط تاريخ ميلاده (البحث العلمي...، 1 : 159).

وأيا ما كان، فإن العمروي ولد بدار تقع بدرب اللمطي بعدوة الأندلس من فاس القديم، من أسرة عرفت بالخير والصلاح. فقد كان والده يعلم الصبيان القرآن الكريم، في المكتب، حتى انتفع به عدد من الناس، وتخرج على يده كثير من الطلبة. وكان كثيرا ما ينوب عن الإمام الراتب في الصلاة، بجامع الأندلس...

في حجر هذا الوالد المعلم الإمام، نشأ المترجم نشأة مرضية على العلم والبر والتقوى. وما أن صلب عوده حتى تصدر، بدوره، إلى التعليم في مكتب والده، صادرا في جميع أموره عن إشارته. قال أبو عبد الله أكنسوس، منوها بسلوك صاحبه : "ولا يسقط في يده درهم فأعلى [كذا] إلا ألقاه في يد أبيه".

ولم يكن المكتب ليلهيه عن حضور دروس العلم بجامع القرويين، إذ كان ينيب عنه عمه، أحمد بن محمد العمروي، في تعليم الصبيان. ويذكر الأستاذ گنون أن العمروي "رزق على ذلك القوة الباهرة"، حتى إنه كان - إلى جانب ذلك - ينسخ الكتب "للبيع ويستعين بها على المعاش".

أخذ العمروي العلم عن مشاهير شيوخ عصره. وكان عمدته ثلاثة هم، محمد بن طاهر الحبابي، رئيس الموقتين بمنار القرويين. أخذ عنه الحساب والتعديل. وأخذ عن الشيخ حمدون ابن الحاج النحو واللغة والعروض والأدب. ومن شيوخه أيضا، الفقيه الأزمي والطيب الكتاني وعبد القادر العلمي. علاوة على ذلك، كان مترجمنا كثير التردد على كل من اشتهر بالصلاح. من ذلك أنه كان يأوي إلى مولاي عمرو العمراني، المتوفى عام 1230، ليطلب منه الدعاء الصالح، وهو الذي لقبه بالسلطان الصغير. ويضيف ابن زيدان أن العمروي كان "يحب السماع ويستنعش به ويرتاح له".

ومما ذكر أن المؤرخ أبا القاسم الزياني كان له أثر بيّن في تكوينه وتوجيهه إلى السياسة. فقد لزمه، وكان ينسخ له مؤلفاته التاريخية. نقل صاحب الإعلام ما قاله الزياني في آخر كتابه البستان : "كان [أي ابن إدريس] في ابتداء أمره يستخرج لنا ما كنا نقيده في تأليف الترجمان والبستان والألفية والجمهرة والفهرسة والحادي والبغية والسهام الراشقة وشرح الكورة والرحلة وغيرهم".

وبفضل تلك الملازمة قدمه الزياني إلى السلطان عبد الرحمن بن هشام، أيام كان خليفة على فاس، فقربه واستكتبه. وكان ذلك سنة 1237 / 1821. لكن حدث ما أوقع الجفوة بين الزياني وابن إدريس. ذلك أن حمدون ابن الحاج استمال الشاعر الشاب الذي هجر الزياني، حتى كان يمر ببابه ولا يسلم عليه. وهذا ما جعل المؤرخ لا يتردد في المن على ملازمه السابق، ويعدد عليه ما كان ينعم به عليه، ثم يستبدله بناسخ آخر. وقد امتدت القطيعة بينهما حتى وفاة الشيخ ابن الحاج، حيث عمد ابن إدريس إلى استرضاء الزياني وطلب مصالحته. فكان أبو بكر المنجرة هو الذي توسط بينهما، ولا سيما حين نظم ابن إدريس قصيدة يتودد فيها إلى ولي نعمته ويمدحه.

ولم يزل من الخليفة مولاي عبد الرحمن بالمكان الأمكن، حتى توفي المولى سليمان، وبويع له بالملك. فولاه العاهل الجديد رئاسة الكتبة. ولما رأى حسن عقله وديانته استوزره، فـ"ارتفع من دكة المكتب وتعليم الصبيان، إلى أريكة الوزارة وتدبير الدولة" على حد تعبير الأستاذ گنون.

ولعل سبب نجاحه راجع إلى ما اتصف به من استقامة، حيث "كان لا يرى في غالب أوقاته غير كاتب أو مطالع أو مصل، وكان محافظا على الطهارة كلما أحدث توضأ". هذا علاوة على قدرة عديمة النظير على تحمل مشاق العمل. يقول ابن زيدان، في هذا السياق : "وكان ذا ملكة واقتدار على الأشغال، يسد مسد أربعة إذا اجتهدوا". كما كان مخلصا في عمله، محبا له. وهذا ما يفهم مما قاله صاحب الإتحاف : "وكان ينبسط إلى الكتاب ويمازحهم قصدا لإدخال السرور عليهم".

لكن مترجمنا تعرض للمحنة، حيث غضب عليه ولي نعمته، بسبب اتهامه بالإفساد بينه وبين جيش الودايا، الذين اشترطوا عزله عند مراجعتهم لطاعة السلطان. فعزل عن الرئاسة والكتابة في شوال من سنة 1246 / 1830، وأمر بلزوم داره. ثم سجن ونهب متاعه، وظل يرسف في قيود الحديد إلى أن أطلق سراحه، فاستحرم بضريح ابن مشيش محاولا الابتعاد عن الجميع. إلا أن السلطان أمر بإشخاصه، هو وزمرة من أصحابه، بسبب وشاية بعض الحسدة الذين أوغروا صدره عليه، حيث "قرروا له أن مقصوده بهذه الوجهة هو الهرب بمال كان دسه". فرد من جديد إلى المحنة التي كانت أشد من الأولى. فبقي بفاس مدة حتى أشار عليه البعض بالتوجه إلى مكناس، والسلطان إذ ذاك بها، ليحترم بالضريح الإسماعيلي. ولما طرق خبره أذن المولى عبد الرحمن، أمنه وأمره بالحضور بين يديه، ليستكتبه من جديد، إلى جانب الوزير المختار الجامعي، قبل أن يرده إلى منصبه. بل رقاه، حيث أعطاه الطابع وعزز له الوزارة بالحجابة. كان ذلك سنة 1251 / 1835. ويذهب الناصري إلى أن السلطان اضطر إلى ذلك، لأنه لم يجد من يسد مسده أو يغنيه عن خدمته. ومازال يسدي الخدمة للدولة حتى وافاه الأجل المحتوم، ضحى يوم الإثنين رابع محرم عام 1264 / 1847. وبالرغم عن أن الفترة التي عاش فيها ابن إدريس قد تميزت بالضعف والانحطاط في المعارف عامة واللغة خاصة، فإنه ترك من بعده ثروة أدبية متنوعة، من قصائد ومقطعات وأبيات شعرية، في شتى الأغراض. هذا فضلا عن عدد وافر من الرسائل السلطانية والإخوانية، يقول عنها الأستاذ گنون : "لو قدر لها أن تجمع لخرجت في مجلدات".

فأما في الشعر، فكان ابن إدريس من المكثرين. وفضلا عن تنوع أغراضه، "بين مديح ورثاء ونسيب وغزل ووعظ وتصوف، فإن ملكته فيه قوية ونفسه طويل، قد تتخلف عنه الإجادة في بعض الأحيان، شأن المكثرين".

على أن القصيدة التي نظمها على إثر احتلال فرنسا لبلاد الجزائر، تعد من غرر قصائده، في نظري. وفضلا عن نفسها القوي وبنائها المتين، من حيث اللغة والبيان، فإنها وثيقة حية تعبر عن موقف المغاربة، حكومة وشعبا، من ذلك الاحتلال، إذ تخلد صفحة مشرقة من التضامن المغربي مع الأشقاء الذين نزل بهم ذلك الرزء العظيم.

بل إن السلطان قد أمر أن تتلى عقب الصلوات، في المساجد وكراسي الوعظ، في أدنى البلاد وأقصاها (ن. الفاسي، م ابن إدريس، البحث العلمي، عدد 1، ص. 165). ومما قال فيها :

يا ساكني الغرب الجهاد الجهاد فالكفر قد شاركم في البلاد
والشرك قد نصب أشراكه مستعبدا بكيده للعباد
وبا حماة الدين ما صبركم والمشركون يطلبون البداد...

وقال في ذات السياق، على روي صعب :

يا أهل مغربنا حق النفير لكم
إلى الجهاد فما في الحق من غلط
فالشرك من جنبات الشرق جاوركم
من بعد ما سام أهل الدين بالشطط..
من جاور الشر لا بعدم بوائقه
كيف الحياة مع الحيات في سقط

أ. الزياني، *البستان* ؛ أ. ابن خالد الناصري، *الاستقصا* ؛ غريط، *فواصل الجمان* ؛ الفاسي، *سلوة الأنفاس* ؛ ابن زيدان، *الإتحاف* ؛ ابن سودة، *دليل* ؛ الكانوني، *أسفي* ؛ ابن إبراهيم، *الإعلام* ؛ ل. بروفنصال، *مؤرخو الشرفاء* ؛ گنون، *ذكريات مشاهير* ؛ *النبوغ المغربي* ؛ الزركلي، *الأعلام* ؛ البحث العلمي، *ديوان محمد بن إدريس*، تح. شهيد التهامي، 1985 ؛ ع. الرزاق أمجنح، *ديوان أبي عبد الله محمد بن إدريس*، دراسة وتحقيق. د. د. ع. في شعبة ل. ع. أ. كلية الاداب، جامعة القاضي عياض، مراكش، 1997.

أحمد عمالك

العمري علوي، محمد بن لحسن، من مواليد سنة 1918 بإقليم الرشيدية.

كان من المقاومين البارزين بإقليم الرشيدية حيث انخرط في إحدى المنظمات السرية سنة 1954 وذلك على إثر الأحداث التي كان يعيشها المغرب بعد نفي محمد الخامس.

ونتيجة أعماله الفدائية تم اعتقاله من طرف السلطات الاستعمارية حيث زج به في غياهب السجون، وقد تحمل كل أنواع التعذيب الجسدي والنفسي في سبيل استقلال وطنه. وقد نقل الفقيد من سجن قصر السوق إلى سجن لعلو بالرباط حيث مكث به إلى أن أنعم الله على المغرب بالاستقلال.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 522136.

العمري، عمران بن عبد الله، يكنى أبا هارون، من أهل بصرة المغرب، ذكره عياض في الطبقة الأولى من فقهائها. ينتسب إلى سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. قام برحلة إلى الشرق وفي زيارته للمدينة المنورة "قصد دار جده عمر بن الخطاب واجتمع بأهله وانتسب لهم فقبلوه وصححوا نسبه، وأخرجوا إليه درع عمر وسيفه، فلبس الدرع وتقلد السيف".

يعتبر من بين أقدم الفقهاء المغاربة الذين احتفظت المصادر بأسمائهم. وقد انفرد القاضي عياض بالترجمة له في *ترتيب المدارك*، ونقل بعض أخباره من تقييد بخط الخليفة الأموي الحكم المستنصر.

لا يعلم شيء عن أوليته، ولا يبعد أن يكون درس بمدينته أو بمدينة فاس. تبتدئ أخباره بسفره إلى الحج قبل سنة 309 / 921، وهو يومذاك فقيه متضلع. صحبه في رحلته جماعة من فقهاء بلده منهم أحمد ابن حذافة وبشار بن بركانة، وكان العمري متقدما عليهم، فسمعوا جميعا من كبار مالكية العصر، حيث أخذوا بالإسكندرية عن أحمد بن ميسر (ت. 309 / 921)، وابن أبي مطر، وبالقيروان عند عودتهم من أبي بكر ابن اللباد (ت. 333 / 944).

وقام الفقيه أبو هارون العمري وصاحباه أيضاً برحلة إلى الأندلس سمعوا فيها من أحد كبار حفاظ المذهب المالكي بالأندلس هو فضل بن سلمة الجهني (ت. 319 / 931) ببجانة، وسمع فضل بدوره كتاب *ابن المواز من أبي هارون العمري* الذي رواه بالإجازة عن ابن ميسر عن مؤلفه، وبذلك يعتبر أبو هارون أول من أدخل هذا الكتاب إلى المغرب والأندلس.

نسبت لأبي هارون مسائل مستحسنة في الفقه من سؤالاته وسؤالات لصاحب له يعرف بعبد الله ابن يعيش وجهاها لأحمد بن ميسر بالأسكندرية، وقف عليها القاضي عياض وضاعت بعده.

توفي أبو هارون بالبصرة في حدود سنة 331 / 943.

القاضي عياض، *ترتيب المدارك*، ج 5، ص. 148 - 149.

محمد المغراوي

العمل عند الفقهاء هو العدول عن القول المشهور أو الراجح في بعض المسائل إلى القول الضعيف فيها رعياً لمصلحة الأمة وما تقتضيه حالتها الاجتماعية. ومستندهم في ذلك قول عمر بن عبد العزيز : "تحدث للناس أقضية بقدرما أحدثوا من الفجور" فاتحاً بذلك باب التطور في الأحكام وصبغها بصبغة المجتمع.

ابتدأ العمل في الأندلس منذ القرن الرابع (10 م) حيث ورد في كتاب الفقيه أحمد بن سعيد الهمداني القرطبي (ت. 399 / 1009) أن العمل جرى في الأندلس بإعطاء الخصم نسخة من حجج خصمه ولو كانت غير مشكلة خلافاً للمشهور في مذهب مالك. وفي أوائل القرن السادس (12 م) بلغت مسائل العمل في الأندلس حسب كتاب *المفيد في الأحكام* لأحمد بن هشام الغرناطي (ت. 530 / 1136) اثنتين وعشرين مسألة خالفوا في أربع منها مذهب مالك، وفي ثماني عشرة مسألة مذهب ابن القاسم كالحكم بالشاهد واليمين وغرس الأشجار في المساجد.

دخل العمل الأندلسي إلى المغرب بسبب الامتزاج السياسي والثقافي على عهد المرابطين والموحدين، وأخذ يتبلور العمل المغربي في القرن التاسع (15 م) بظهور فقهاء مجتهدين بفاس، فبلغت مسائل العمل حسب *لامية الزقاق*

18 مسألة، ثم توالت اجتهادات الفقهاء المغاربة انطلاقاً من عهد السعديين وتكاثرت في كتب النوازل حتى جمع عبد الرحمن الفاسي في نهاية هذا العصر عدداً وافراً من تلك الاجتهادات في كتابه المشهور *العمل الفاسي*، وهي أرجوزة من 453 بيتاً شرحها الناظم وغيره.

ومن بين المسائل التي جرى فيها العمل بالمغرب على خلاف المشهور : شهادة اللفيف، أي عدد كثير من الناس لا تتوفر فيهم شروط العدالة المقررة. وقد أخذ القضاة يتساهلون في قبول شهادة اللفيف حين تتعذر شهادة العدول كما هو الشأن بالبادية وبعض الحالات الخاصة في الحاضرة. وقد حضر محمد العربي الفاسي في أوائل القرن الحادي عشر (17 م) مناظرة حول شهادة اللفيف بمجلس قاضي الجماعة بفاس علي ابن عمران، وكان حاضراً بالمجلس الفقهاء المؤلفون المشهورون أحمد المقري، وإبراهيم الگلالي وعبد الواحد ابن عاشر، وانفصلوا على قول لقاضي ابن عمران : إن اللفيف .. لامستندله، وانما هو شيء اصطلح عليه المتأخرون لتعذر وجود العدول. وألف بعد ذلك العربي الفاسي *رسالة في شهادة اللفيف* جعلها في ثلاثة أقسام، ودافع عن قبول شهادة العامة باعتبارها ضرورة اجتماعية لا مندوحة عنها في البادية وحتى الحاضرة أحياناً.

وكذلك بيع الصفقة الذي يدخل في إطار ما تحدثت عنه *المدونة* وغيرها من رفع ضرر الشركة بإجبار من لم يقبل القسمة من الشركاء عليها إذا طلبها الشريك متى اتحد مدخل الشركاء في الملك بإرث أو غيره، وكانت القسمة تفسد المشترك. لكنّ فقهاء المغرب توسعوا كثيراً في مسألة الشركاء المتحدي المدخل فقالوا (بإجمال البيع وضم الصفقة) أي إعطاء الشّريك حق بيع الملك المشترك كله دفعاً لضرر الشركة، ولشريكه حق ضم حظ البائع بالشفعة.

ألف في الصفقة أحمد الونشريسي صاحب *المعيار* كتاباً بعنوان *حلّ الربقة عن أسير الصفقة*، إلا أنه مات قبل إتمامه، وأكدت لامية *الزقاق* أن الصفقة من المسائل التي جرى بها العمل في فاس تبعاً للأندلس، ثم جاء محمد ميارة مفتي فاس في النصف الثاني من القرن الحادي عشر (17 م) فجمع كل ما يتعلق بالموضوع وفصله في كتابه *تحفة الأصحاب والرفقة ببعض مسائل بيع الصفقة*، ذكر فيه استناداً إلى اجتهادات الفقهاء المتأخرين أن بيع الصفقة لا يختص بالعقار، بل هو جار في كل ما لا يقبل القسم من عقار وعروض وحيوان، وحتى في بيع المنافع، وتتبّعَ ضوابط الصفقة التي جرى بها العمل، وتفرعت عنها فروع كثيرة وضوابط مثل قولهم : "يجبر الداخل للأصيل ولا يجبر الأصيل للداخل" ونبه إلى التطور الذي حصل في مسألة بيع الصفقة حيث كان أولاً بيد القاضي، ثم أصبح بيد الشريك يوقعه متى شاء دونما حاجة إلى أخذ رأي القاضي، وأورد نموذجاً لعقد بيع الصفقة كما كان يكتبه العدول في ذلك العهد. واتسعت اجتهادات الفقهاء المغاربة فيما جرى به العمل خلال القرون الأخيرة في الحواضر والبوادي والجبال، وأبرز ما نشر في الموضوع العمل المطلق وشروحه.

أبو بكر زنيبر، (المفتي السلوي)، *العمل عند الفقهاء*، سلسلة مقالات في ملحق جريدة المغرب، ابتداء من ع ١، أبريل، 1938 : أ. الونشريسي، *حل الربقة عن أسير الصفقة*، مخطوط : علي الزقاق، *لامية الزقاق*، ط. حجر فاس ؛ ع. الرحمن الفاسي، *العمل الفاسي*، وشرحه، ط. حجر فاس ؛ م. العربي الفاسي، *رسالة في شهادة اللفيف*، مخطوط ؛ م ميارة، *تحفة الأصحاب والرفقة ببعض مسائل بيع الصفقة*، مخطوط ؛ م. السجلماسي الرباطي، *العمل المطلق* ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، المحمدية، 1977، ج ١ : 304، 307.

محمد حجي

عمّار (آيت -)، منطقة تقع شمال غرب وادي زم، على بعد حوالي 30 كلم. وتمتد على مساحة حوالي 1166 كلم^2، محتلة بذلك مجالا يفصل بين قبائل بني خيران والسماعلة ووردیغة. ولهذا الموقع تعبرها الطريق الرئيسة رقم 22، الرابطة بين الرباط وبني ملال عبر وادي زم والفقيه بن صالح. ومنها تتفرع طريق ثلاثية رقم 1528 تصل آيت عمار المركز على مسافة حوالي 6 كلم.

يقطنها فرع من الشرفاء الأدارسة، ينقسمون إلى فخذتين : أولاد مُحمد بن عيسى ويحتلون الشمال الشرقي، وأولاد إبراهيم يقطنون الجنوب الغربي. وتتكون كل فخذة من عدة دواوير :

أولاد مُحمد بن عيسى	أولاد إبراهيم
آيت الشرقي	آيت العثمانية
آيت الساهل	آيت الصالح بن علي
آيت امحمد	آيت الغزوانية
آيت علي وعمر	أولاد رابحة
القواسم	أولاد بوي حسو
الورارقة	
الفضالة	

ويشير Raymond Peyronnet "Zafan" إلى أن هؤلاء الشرفاء أقاموا "في جنوب شرق بني خيران، وتفرعوا إلى ثلاثة دواوير، وتشيعوا لجيرانهم أولاد بوغادي وبني منصور حتى بدون الاستناد إلى أصل مشترك".

وظل هؤلاء السكان يرتكزون على نشاط اقتصادي تقليدي اعتمد أساسا زراعة بعلية، إنتاجها متذبذب بسبب فقر التربة وضعف الوسائل وعدم انتظام سقوط الأمطار...، وعلى تربية الماشية، وخاصة الغنم، في إطار الرعي الجماعي. وأهم تحول عرفته المنطقة كان في فترة الحماية، فقد سيطر المعمرون على أخصب الأراضي في "بلاد الرباط" وشرع في تقسيم المنطقة بين الدواوير منذ سنة 1924، وبدأ إنتاج منجم الحديد سنة 1937، وكان أهم منجم للحديد في منطقة الحماية الفرنسية، فقد تعدت نسبة مساهمته 80٪ سواء تعلق الأمر بالإنتاج أو بنسبة التشغيل في مناجم الحديد عامة، حيث استقطب يدا عاملة تجاوزت 1650 عاملا سنة 1952.

ونظرا لأهميته أصبحت المنطقة مرتبطة بخط للسكة الحديدية بمحطة "الگفاف" على الخط الرابط بين الدار البيضاء ووادي زم.

ومنذ الشروع في استغلال هذا المنجم، أصبحت منطقة "الحايط لحمر" نسبة إلى تل كبير ذي مرفولوجية حمراء بارزة مقارنة مع باقي التلال وتعرف بـ"آيت عمار". ولتفسير هذا التغيير الحاصل في الاسم، نورد الفرضيات التالية :

- والكثير من سكان المنطقة يفسر هذا الاسم الجديد بالاعتماد على الانتماء إلى الشرفاء الأدارسة العمرانيين، أو بأن المنطقة أصبحت عامرة بعد الشروع في استغلال المنجم.

- ويرجع البعض الآخر أصل السكان إلى قبيلة "آيت باعمران"، وقد حملوا نفس الاسم بعد تحريف.

- وهناك من يرى - وهذا الرأي راجح - أن هذا التغيير جاء على يد الأجانب أنفسهم، فعوض قول : - "El-Heït Lahmar" وقع تحريف صوتي نظرا لصعوبة نطق بحرف "الحاء" من طرف الأجانب، فأصبحت تعرف "L'Aït L'Amar" ثم "Aït Amar" فيما بعد.

واشتهرت المنطقة كذلك بمشاركتها الفعالة إلى جانب جارتها وادي زم في ثورة غشت 1955. وأصبحت جماعة قروية منذ سنة 1959، تابعة لقيادة "بني خيران" دائرة وادي زم. إلا أن إغلاق المنجم سنة 1968 وإزالة السكة الحديدية شكل نكسة اقتصادية للمنطقة، فأصبحت عامل طرد للسكان، وتراجعت فيها عدة أنشطة. وفي سنة 1990، كان مجالها الفلاحي يمتد على مساحة 6.470 ha، ووصل عدد رؤوس المواشي بها إلى 29.000 رأس.

B.E.S.M. ; M. et E. Couvion, *Kitab Aayne Al Maghreb l'Aaksa : Guide des communes 1991* ; Cap. R. Peyronnet, *Tadla, pays Zaïan, Moyen Atlas ; Répertoire alphabatique des confédératrions de tribus... de la zone française de l'empire chérifien* au 1er Nov. 1939 ; J.F. Robert, *Dictionnaire des villes et localités du Maroc*.

صالح شكاك

عَمُّور، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Amor ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

وكانت بتطوان أسرة أخرى تحمل نفس الاسم وأصلها من فاس وقد اتخذت تطوان قاعدة لتجارتها مع جبل طارق عبر ميناء مرتين، وأشهر فرد منها هو :

عَمُّور، حمو الذي حصل على إذن الاتجار مع جبل طارق عبر ميناء مرتين أصدره السلطان مولاي سليمان يوم 28 شوال 1221 (8 يناير 1807).

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1188.

محمد ابن عزوز حكيم

العمُّوري، محمد بن **علال** ينحدر من قبيلة الشراردة التي تنتشر بضواحي فاس، لا نعرف شيئاً عن تاريخ ميلاده، ومن الراجح أن يكون شاهد النور في أواخر العقد السابع أو بداية العقد الثامن من القرن (19 م)، انخرط في الجيش المخزني وهو لا يزال غضا طريا، فأثار انتباه كبار القواد بشجاعته وإقدامه، فرقي سنة 1905 إلى رتبة قائد المائة. شارك إلى جانب الباشا محمد بن بوشتى البغدادي في عدد من الحركات العسكرية التي كان بن البغدادي يقودها لردع القبائل المشاغبة في المناطق الشمالية والأطلس المتوسط، وقد كان محمد بن علال العموري نموذجا للعسكري المنضبط، ويتفانى في خدمة المخزن، فانصقلت مواهبه القيادية والعسكرية الأمر الذي جعل المخزن ينتدبه في بعثة إلى مدينة صفرو سنة 1908 للحفاظ على الأمن.

سمحت هذه البعثة إلى صفرو لمحمد بن علال العموري، بالتمرس بمشاكل القبائل المحيطة بصفرو، فوقع الاختيار عليه من باشا فاس الجديد بريك الشرادي، سنة 1911 ليكون خليفته على صفرو بوابة الأطلس المتوسط، وقد سمحت له هذه المهمة بتعميق معرفته بمشاكل مدينة صفرو، وربط اتصالات واسعه بأعيان القبائل المجاورة، خاصة قبيلة آيت يوسي القوية.

وعلى أثر أحداث فاس في شهر أفريل سنة 1912، كان محمد بن علال العموري من القواد المخزنين القلائل، الذين ظلوا إلى جانب القوات الفرنسية، بل إنه تمكن من انقاذ حياة خمسة من الضباط الفرنسيين وقد اعترفت له سلطة الحماية بهذه المزية، ففصلت مدينة صفرو عن باشوية فاس الجديد، وعينت محمد بن علال العموري باشا لمدينة صفرو في شهر يوليوز سنة 1912. وبعد استحداث بلدية صفرو سنة 1913، امتد مجال نفوذ الباشوية يحد شمالاً بعيون السمار (طريق فاس) وشرقاً بنهر سبو (طريق المنزل) وجنوبا بمزدو (طريق بولمان) وغرباً إلى جبل كندر، وأصبح نفوذ الباشا العموري يشمل زاوية كندر، وصنهاجة، وزاوية سيدي لحسن اليوسي، ومزدغة الجرف وعزابة، وشادكة ثم أولاد جراد.

ورغم أن سلطة الحماية قد أصدرت قوانين جديدة تحدد اختصاصات القواد والباشوات المخزنيين، وطرق تدبير شؤون السكان في مجالات نفوذهم، فإن العموري محمد بن علال، ظل يتصرف تصرفاً مطلقاً في باشوية صفرو، ولم يحاول إطلاقاً محاولة تطبيق القوانين الجديدة، إما عن عمد وإما عن جهل لأنه أمي لا يحسن القراءة والكتابة، وكان شغله الشاغل على غرار القواد المخزنيين التقليديين هو تأثيل الأملاك وجمع الأموال. وقد ظلت فرنسا تتغاضى عن سلوكه، مادام يحافظ على الأمن في مجال نفوذه.

وابتداء، من سنة 1927، قررت سلطة الحماية أن تتدخل بشكل قوي في تدبير شؤون سكان صفرو، فعينت في بحر هذه السنة الضابط المتقاعد "جيطن" (Getten) رئيساً للمصالح البلدية وقد استغرب هذا الضابط للطريقة التي ظل

يتصرف بها الباشا العموري في شؤون سكان صفرو رغم وجود القوانين، فعول على تغيير هذا الواقع، إلا أن تجاهل سلطة الحماية لكل التقارير التي كان يعدها، جعله يكتفي بدور المتفرج العاجز. وفي سنة 1929، استبدل "جيطي" بالمسيو رولان مارشال (Rouland Marshal) فعزم على تقليص نفوذ الباشا العموري مهما كلفه ذلك من ثمن انطلاقا من تطبيق قوانين سلطة الحماية.

ومع رولان مارشال بدأت المشاكل تتفجر في وجه العموري وفي صيف سنة 1929 توصلت سلطة الحماية بملف كامل من رئيس المصالح البلدية عن تجاوزات العموري، وبعد ما أكد المفتش العام للمصالح البلدية كل ماورد في تقرير مارشال، قررت سلطة الحماية عزل الباشا العموري ابتداء من أبريل سنة 1930 فظل الباشا العموري يزجي الأيام بين فاس وصفرو إلى وافته المنية سنة 1938 حيث دفن بصفرو.

ح. العلوي الشافعي ؛ محمد بخلف، *تطور أدوات السياسة المحلية بصفرو*، (أواخر 19 ـ 1956)، د. د. ع. الرباط، 1986.

Bouchata & Zrouh El Baghdadi, *La vie de Mohammed El Baghdadi*.

أحمد البوزيدي

ابن **عَميرة، أحمد** بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن عَميرة المخزومي الشقري.

وُلد بجزيرة شقر التي كان يقال لها على سبيل الاختصار : الجزيرة، وهذا الاسم هو الذي تعرف به اليوم ALCINA وهي المدينة التي أنجبت ابن خفاجة أشهر شعراء الطبيعة.

وقد كان مولد ابن عميرة في شهر رمضان عام 582 / 1186 والظاهر أنه بدأ تعلمه في بلده شقر حيث حفظ القرآن الكريم ولَقن مبادئ العربية، ثم انتقل إلى مدينة بلنسية كبرى مدن شرق الأندلس حيث تتلمذ على أبي الربيع الكلاعي وأبي الحسن أحمد بن واجب القيسي وأبي عبد الله محمد بن نوح الغافقي وأبي الخطاب أحمد بن واجب وقصد مدينة دانية حيث درس على أبي محمد عبد الله ابن حوط الله، قال : "وقرأت عليه وسمعت جملة من الكتب والمصنفات" وذهب إلى مدينة شاطبة للأخذ عن شيخها الفقيه الجليل أبي عمر أحمد بن عات الشاطبي وقد عرض عليه موطأ مالك وقرأ عليه وسمع منه كتب الحديث المشهورة، ثم انتقل من شرق الأندلس إلى غربها وحل بإشبيلية عاصمة الأندلس يومئذ فحضر مجالس أبي علي عمر بن محمد الأزدي الشلوبيني كبير نحاة الأندلس فحضر مجالسه وحصل على إجازته، ومن شيوخ ابن عميرة أيضا أبو بكر عزيز بن خطاب المرسي الذي تأمّر بمرسية لما انتهى وجود الموحدين فيها، يقول ابن عميرة :

"وكتب صحبته أيام نسكه مدة طويلة مستندا لرأيه ورعيه مقتبسا من علمه وهديه، وقرأت عليه كتاب المستصفى وتلقيحات السهروردي، وهو الذي أوضح منهجها، وفتح مرتجها وكذلك قرأت عليه بعض كتب الطب وبطول مجالستي له من الليل والنهار لم أكن أخلو ساعة من مذاكرته في مسائل النحو وغيرها".

لقد اكتسب ابن عميرة من هؤلاء الشيوخ وغيرهم ثقافة واسعة جمعت بين النقليات والعقليات وبرز في الأدب شعراً ونثراً وهو أشهر مترسل في عصره، وقد ظلت رسائله الديوانية والإخوانية مثالاً يحتذى، ولشهرته العلمية وسمعته الأدبية وعلو كعبه في الكتابة والإنشاء عيّن في عدد من دواوين الأمراء والملوك في الأندلس والمغرب، وولي القضاء في مدن الأندلس والمغرب وتونس، منها شاطبة والرباط وسلا ومكناس وقابس، وعاش حياة حافلة بالعمل والتنقل بين بلدان الأندلس والمغرب وذلك في فترة اضطراب وفتن ومحن حلّت بالمسلمين في الأندلس، إذ أخرجوا من ديارهم وبلدانهم في شرق الأندلس وغربها كبلنسية وقرطبة وإشبيلية وغيرها ولجأ أهلها إلى بلدان المغرب، ونجد صدى هذا في شعر ابن عميرة ونثره لأنه كان ممن أصابتهم تلك الفتن والمحن فظل يضطرب في الأرجاء، إلى أن توفي بمدينة تونس ليلة الجمعة لعشرين من ذي الحجة سنة 658 بعد أن بلغ الخامسة والسبعين من العمر.

وقد ترك آثاراً أدبية وتاريخية ضاع بعضها ووصل إلينا بعضها ومن أشهرها رسائله التي جمعها بعد وفاته بعض المعجمين بترسّله.

أبو المُطرّف أحمد بن عميرة المخزومي، حياته وآثاره تأليف محمد بن شريفة، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1966.

ابن **عَميرة، أبو القاسم**. هو ولد الكاتب الشاعر الفقيه القاضي أبي المطرف أحمد بن عبد الله المعروف بابن عميرة المخزومي الشُّقْري. نشأ أبو القاسم بالمغرب في حضن والده عندما كان والده كاتباً في البلاط الموحدي ثم قاضياً بالعدوتين : الرباط وسلا ثم قاضياً بمكناسة الزيتون وذلك من سنة 637 إلى سنة 646 وفي هذه السنة انتقل والد أبي القاسم من خدمة الموحدين إلى خدمة الحفصيين في إفريقية ومعه أهله وأولاده ومنهم ولده أبو القاسم.

كانت السنوات التي عاشها أبو القاسم في المغرب هي سنوات الصبا وفترة التعلُّم. وقد ذكر والده في رسالة له أن أبا القاسم كرّر خلال هذه السنوات القرآن وتمرّن على اللغة العربية حتى تمكن فيها، ثم إنه أكمل تعليمه وتكوينه في بجاية وتونس على والده وغيره، وحذا حذو أبيه في الكتابة والشعر فأصبح كاتباً بليغاً وشاعراً مجيداً مع مشاركة في العلوم، وقد نفعته سمعة والده ونهض به زميله في عهد الطلب أبو القاسم ابن الشيخ حاجب الحفصيين، فعاش مكرماً لدى الحفصيين.

ولد بجزيرة شقر في الأندلس سنة 629 وقد هنّأ الكاتب والمؤلف المشهور ابن الأبار شيخه ابن عميرة بميلاد ابنه هذا فقال :

مرحبا مرحبا بأسنى وليد زيد من آل خالد بن الوليد

وتوفي في الخامس لربيع الآخر من سنة 709.

ابن المرابط، *زواهر الفكر وجواهر الفقر*، مخطوط، الاسكوريال، رقم 520 ؛ ابن الطواح، *سبك اللآل لفك العقال*، نشر دار الغرب الإسلامي ؛ إ. ع. الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، السفر الأول ؛ عنوان الدراية للغبريني ؛ تاريخ الدولتين للزركشي ؛ ابن القاضي، *درة الحجال* ؛ أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي، حياته وآثاره، تأليف محمد بن شريفة.

محمد بنشريفة

العميري، علي بن سعيد أستاذ علامة مشارك، من أبرز علماء الدولة العلوية في عهد المولى إسماعيل ومن المقربين عنده. كان يجلس للتدريس بالمسجد الأعظم بمدينة مكناس، وكرسيه به مشهور. تحليه الوثائق الحبسية بالفقيه الأجل والعالم العلامة الأفضل، كما يصفه معاصره العلامة أبو الحسن علي بن محمد العكاري. يقوله : "ذو اللسان الصحيح الفقيه الأديب الحاذق اللبيب... سمعته يقرئ *الشفا* للقاضي عياض بعد صلاة المغرب وبعد الصبح، وهو ذو لسان وذو عبارة مرونقة بالبيان، مولع بالأدب والتاريخ والسير ذو تثبت على ما يطالعه ... وهو من جملة من لقيت من أعلام مكناسة الزيتون لما قدمت إليها في أوائل جمادى الثانية سبعة وأربعين ومائة وألف".

وكان من أعيان الأعلام الذين شهدوا على مولاي إسماعيل في عقد المواخاة بين نجليه مولاي أحمد الذهبي ومولاي زيدان. كما ولاه السلطان المذكور نظارة الأوقاف الحبسية في سائر بلاد المغرب، وهو المنصب الذي استحدثه في عهده ولم يكن يتولاه إلا العلماء ممن يثق فيهم المخزن أمثال محمد الكاتب الأندلسي ومسعود المنقوشي والطيب بن الفقيه غازي وغيرهم ... فقد كان من مهامه : محاسبة النظار والتصرف التام في سائر أحباس البلاد.

كما تولى علي بن سعيد الوزارة في عهد المستضيء بن المولى إسماعيل فسار على حد قول ابن زيدان "سيرة حسنة حمده عليها الأصدقاء والأعادي".

أخذ العلم عن والده الفقيه العلامة، وعن أبي علي الحسن بن رحال المعداني الإمام الكبير وغيرهما. وأخذ عنه عدد من علماء مدينة مكناس وغيرها.

توفي في 9 رمضان عام 1150.

ابن زيدان، *الإتحاف*، 5، ص. 475 ـ 476 ؛ *المنزع اللطيف*، ص. 232 ؛ سعيد بن أبي القاسم العميري، *التنبيه والإعلام بفضل العلم والاعلام*، مخطوط، خ. ع. ورقة (44 ـ 49) ؛ العكاري علي بن محمد، *الدرر الغاوية*، مخطوط، خ. ع. د. 88، ص. 7.

رقية بلمقدم

العميري، أبو **القاسم** بن سعيد العميري الجابري التادلي أصلا، والفاسي ولادة والمكناسي النشأة والوفاة. وهو من بيت علم، أنجب الفقهاء والقضاة خلال القرن الثاني عشر الهجري. فأبوه سعيد بن أبي القاسم اشتغل بالتدريس والقضاء بالحضرة الإسماعيلية. وأبناؤه أبو القاسم وأحمد وعلي من نخبة الفقهاء الذين تولوا الخطط الشرعية. ويعتبر المترجم واسطة عقدهم. وهو من مواليد مدينة فاس عام 1103 هجرية وتلقى بها دراسته على عدة شيوخ، وعلى رأسهم والده وعدد من العلماء منهم محمد بن عبد الرحمان البهلول البوعصامي وأحمد الشدادي وأحمد الولالي وحسن بن رحال المعداني ومحمد المسناوي وعلي التدغي ومحمد بن عبد القادر بن شقرون. وأهم الفنون التي تلقاها على هؤلاء العلماء هي التفسير والبيان وصحيح البخاري والشفا للقاضي عياض وأجزاء من مسلم وشمائل بهرام ومختصر خليل ومختصر ابن عرفة التونسي وكبرى السنوسي وألفية ابن مالك وشرح المقصور والممدود لابن مالك والسلم المرونق للأخضري. فمهر في هذه الفنون وأجازه علامة الرباط الشيخ أحمد الغربي في مروياته عامة كما أجازه الشيخ عبد الكبير السرغيني بالصحيح والمرشد المعين. ولما تقدمت به السن ندم على عدم اهتمامه بالرواية وطلب الإجازة فيها من شيوخ وقته : فقال : "فاتني كثير من الأشياخ بالمغرب ومن لقيته بالمشرق فلم يجزني أحد منهم. ولقد ندمت على ذلك. ومع ذلك فلم احرم في الجملة من الاتصال..."

وعلاوة على شغفه بتحصيل العلوم فقد أخذ نصيبه من التربية الروحية حيث تلقى الورد الناصري عن طريق الشيخ المعطي بن صالح الشرقي سنة 1154 وهو بدوره أجاز العلامة محمد المكي الناصري الدرعي بفهرسته التي هي إحدى مؤلفاته المسماة بالتنبيه والإعلام بفضل العلم والأعلام. وتضم إفادات أدبية وتاريخية علاوة على تراجم شيوخه وذكر نصوص بعض الإجازات فغلب عليه الطابع الأدبي وتوجد مخطوطة في عدة نسخ خ ع ك 1631 ـ خ م 560 ـ خ م ز 1610.

وقد اعتمد المؤرخ عبد الرحمان بن زيدان هذه الفهرسة في كتابه الإتحاف الجزء الخامس في ترجمة أبي القاسم العميري.

المؤلف الثاني شرح على نظم العمل الفاسي.

المؤلف الثالث وهو تلخيصه لكتاب في السيرة النبوية نادر الوجود طالعه بطرابلس بليبيا وهو عائد من الحج ويعرف بالورد الندي في ترتيب ما تضمنه شرح التسميط المحمدي للحافظ محمد بن علي التوزري، فانتهى من اختصاره في أواخر شعبان عام 1144 هـ ومن خلال أعماله الأدبية سواء منها المجموعة أو المتفرقة نلاحظ أن المترجم أديب ناثر وناظم في مختلف الموضوعات وقد أورد ابن زيدان جملة من قصائده في آخر الجزء الخامس من الإتحاف وحلاه بأفضل تحلية ووصفه بأنه آخر أدباء وقضاة العدل بمكناس وأنه صدر من صدور المشايخ في العلوم النقلية والعقلية.

تقلباته في الوظيفة المخزنية :

فتح أبو القاسم العميري عينيه على ارتباط والده بالخطط المخزنية فسار على نهجه. فكان من جملة العدول والفقهاء والقضاة الذين كتبوا عقد التآخي بين الأميرين

زيدان وأحمد الذهبي بأمر من الملك مولاي إسماعيل سنة 1137.

وفي سنة 1143 رافق الأميرة خناثة بنت بكار مع حفيدها الأمير محمد بن عبد الله لأداء فريضة الحج وكان هو قاضي الركب الذي رأسه عبد الخالق عديل، وبعد عودته واجه المحن والانقلابات السياسية وما تلاها من عزل القضاة وتوبيخ العلماء المكرهين على بيعة الأمراء المتقاتلين. فكم من مرة عزله الأمير وأرجعه الآخر إلى منصب القضاء. وبلغت به الأزمة ذروتها أن احتمى بضريح الشيخ سعيد المشترائي خوفا من الملك المولى عبد الله فأخرجه العبيد وأحضروه مع بعض العلماء وفي طليعتهم الشيخ أحمد الشدادي وأحمد بن الحسين بن رحال المعداني وأحمد المليتي فوبخهم الملك على رؤوس الاشهاد وقال لهم : "كيف تزوجون أخي بنسائي وهن لم يخرجن من عصمتي بوجه من الوجوه الشرعية" وبعد ما ألقي عليه القبض في 11 رجب عام 1153 عفا عنه. وأمام هذه الظروف الحرجة اعتزل الحواضر وعاش فترة من حياته وحيدا في الريف. ووصف حاله في هذا المنفى الاختياري في قصيدة احتوت على 24 بيتا منها قوله :

دعيني فوصل الغيد ليس من العدل ولا تعذلي فالاذن صما عن العدل
بمكناسة الزيتون خلف أهلـــه وحل بقرب الريف فردا بلا أهـــل

واستغل خصومه القضاة من بني عنان عزله ومحنته فأطلقوا عليه الإشاعات المغرضة للنيل من مروؤته وذهبوا إلى حد الإفتاء بقتله فأشار إليها في فهرسته.

ولما تولى محمد بن عبد الله الملك أسند خطة القضاء من جديد إلى أبي القاسم العسيري وبقي فيها إلى أن توفي بمكناس سنة 1178.

فهذه الحالات عرفها المترجم طوال حياته.

ع. الرحمان بن زيدان *الاتحاف*، 3 : 79 و3 : 101 و102 و143 و337 ؛ 5 : 541 إلى 563 ؛ ع. السلام الضعيف، *تاريخ الضعيف*، ص. 164 و173 ؛ عمر رضى كحالة، *معجم المؤلفين*، 8 : 101 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 7 : 47 و142،176 ؛ ع. السلام بنسودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، 2 : 319 ؛ ع. الحي الكتاني، *فهرس الفهارس*، 2 : 381.

محمد ماكامان

عناق وعناق الأرض في الدارج واللغة، وأم ريشات وبوريشة وبوسبولة وقط الخلا وصاحب الإبل كما يسمى في المناطق الجافة المغربية والدول المجاورة وفي السودان، حيوان ثديي لاحم من الضواري ومن فصيلة السنوريات Felidae. أصغر من الفهد وأكبر من القط، يسمى علميا Felis caracal Schreber 1776 المستورد من الاسم التركي قره قولق أي أسود الأذنين ويسمى بالأمازيغية إزلدمان وأورزان ويسمى تميلدة في الجزائر وأم اللحم في الصحراء وموريتانيا وبالفرنسية Lynx caracal وبالإنجليزية Caracal. من أسمائه الواردة في اللغة الفنجل والقنجل والغنجل والعنجل والحنجل والعنفط والفرانق أي النذير والتفة. يتميز بقصر ذيله وبخصلة من الشعر الطويل الأسود على أذنيه ولهذا سمي بوريشة وبوسبولة. قامته كبيرة وقوائمه طويلة نسبيا، الأماميتان أقصر من الخلفيتين مما أدى إلى انحناء الظهر وامتداده نحو الأمام. هيأته شبيهة بالكلاب، رأسه مسطح وعنقه ضخم ؛ لون شعره رمادي أمغر إلى صحراوي موحد على الظهر والجانبين والقوائم وأصحر فاتح ضارب إلى البياض على البطن. الفكان قويان يحملان أسنانا صيغتها على نصف الفكين كالآتي : 3/3 قواطع ؛ 1/1 أنياب ؛ 2/ 2 أضراس أمامية ؛ 1/1 أضراس = 28 سنا.

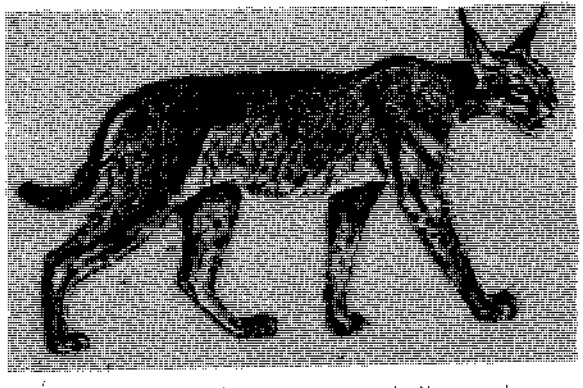

علوه عند الغارب 40 ـ 50 سم وطوله جمعا بين الرأس والجسد 65 ـ 90 سم وطول الذيل 30 ـ 20 سم كبار ويزن ال 8 ـ 18 كيلو غرام ويعمرون 18 ـ 20 سنة. يعيش منعزلا أو مزدوجا ويختفي نهارا في المغاور وبين شقوق الصخور ليستأنف نشاطه ليلا باحثا عن مختلف الحيوانات الصغيرة. يتوالد في فصل الربيع وتدوم مدة الحمل 69 ـ 78 يوما ويبلغ عدد الصغار 2 ـ 5 تفتح عينها بعد 6 ـ 10 أيام، توضع بين الصخور وشقوقها وترافق الأم مدة ستة أسابيع.

يألف الفيافي والمناطق الجافة الغنية بالحلفا والغابات غير الكثيفة. يكثر نشاطه ليلا ويتسلق الأشجار بسهولة ويتغذى من الفئران والزواحف والأرانب والغزلان والطيور. موطنه الأصل إفريقيا الاستوائية والجنوبية والشمالية والمناطق الصحراوية بشبه الجزيرة العربية والشرق الأوسط والهند. أصبح نادرا في المناطق المغاربية ابتداء من منتصف القرن العشرين ويضم المغرب عدة وحدات في شرق البلاد والهضبة الوسطى والمنتهى الغربي من الأطلس الكبير والمناطق الصحراوية جنوب الأطلس الصغير ومنخفضات وادي درعة وتافلالت.

يعد من الحيوانات المهددة بالانقراض في المغرب ويحتاج إلى دراسة دقيقة تهدف إلى حمايته في أماكن آمنة كالمنتزهات الوطنية والمحميات البيولوجية. تعيش عدة أفراد في الحدائق الحيوانية العمومية الوطنية والأجنبية.

J. Dorst et P. Dandelot, *Guide des grands mammifères d'Afrique. Les guides du naturaliste*, Delachaux et Niestlé, éditeurs, Neuchatel, Paris, 1973, 286 p. ; S. Aulagnier et M. Thevenot, *Catalogue des mammifères sauvages du Maroc*, Trav. Inst. Scient., Zool., n° 41, Rabat, 1986, 163p.

محمد رمضاني

أبو **عنان المريني**، المتوكل على الله فارس بن أبي الحسن، علي بن عثمان. ولد بفاس الجديد عام 729 / 1329 وكانت مدة حكمه تسعة أعوام وتسعة أشهر. بويع في تلمسان حينما وصلته أخبار تفيد بغرق والده بالغرب من ساحل بجاية. وعلى الرغم من نجاة أبي الحسن ورجوعه إلى المغرب، فإن أبا عنان رفض التنازل له عن الحكم، وخاض ضده حروبا كان آخرها بتامدغوست سنة 751. فانهزم أبو الحسن ولجأ إلى جبل هنتاتة حيث أجاره عبد العزيز الهنتاتي. وبقي هنالك محاصرا وساءت حاله. فقبل التنازل عن الحكم لابنه، وكتب إليه بولاية العهد. ولما تم الأمر لأبي عنان أسعف أباه ببعض المال، لكن المرض استفحل به فتوفي من جراءه سنة 752 / 1352، وحمل نعشه ليدفن بشالة. وكان ذلك فاتحة عهد لعب فيه أبو عنان دورا رياديا بالغرب الإسلامي، وقام فيه بإنجازات كبرى خلدت اسمه ضمن كبار سلاطين المغرب الوسيط.

تتفق المصادر على توفر أبي عنان على ثقافة واسعة، فقد كانت له مجالس علمية وأدبية جمعت أشهر علماء وقته كابن خلدون وابن جزي وابن رضوان ومحمد بن أحمد المقري. وكانت له مشاركة في العلوم الدينية كالحديث والقرآن، وله تدخلات تدل على علو كعب في هذا المضمار، ومن ذلك امتحانه للفقيه علي الصرصري الذي كان عينه لتدريس الفقه بالمدرسة المتوكلية، فأرسل إليه من يناظره في مسائل التهذيب التي انفرد بإتقانها وحفظها فعجز وانسحب كئيبا من المجلس، فبعث إليه أبو عنان ورد له اعتباره بعد أن نصحه باكتساب ملكة المناظرة ولقاء العلماء الذين يردون على المغرب بدل الاكتفاء بالحفظ. وفي نفس الإطار يدخل اعتناء أبي عنان بالعلماء فقد ثبت عنه حرصه على التنويه بأهل العلم وإهداء القضاة والخطباء اللباس المميز بأهل الخطط، والمطايا. ومن ذلك الكسوة التي أرسلها إلى الخطيب الزاهد يوسف بن عمر الأنفاسي (ت. 761) كان لأبي عنان اهتمام ورعاية بالشرفاء، فعين لهم مزوارا ينظر في أحوالهم ويوزع عليهم صلات السلطان. لقد قرب أبو عنان الشرفاء إلى قصره خصوصا خلال المناسبات الكبرى كعيد المولد النبوي، وخلال مراسيم البيعة، ونراه يفرد الشريف أبا العباس السبتي بالرعاية والإجلال ويهديه بمناسبة زيارته له بفاس دينارا زنته مائة دينار ذهبي، ويقضي كل حاجاته. وبغض النظر عن الاستعدادات الخاصة بكل سلطان في تعامله مع الشرفاء والصلحاء وأهل العلم، فإنه يجب ألا يغرب عن أذهاننا أن الاعتناء بالشرفاء وإظهار محبتهم يرتبط أيضا بمصالح الدولة المرينية وبإمكاناتها المادية.

كان أبو عنان كسلفه يهتم كثيرا برجال التصوف ويحرص على الاتصال بهم وقضاء حاجاتهم. ولربما فاقهم في هذا المجال لما ينسب إليه من سمو إلى العلم الصوفي وفهم لإشارات القوم وتخلق بأخلاقهم. فقد زار العالم أبا العباس أحمد بن عاشر بخلوته بسلا. فامتنع هذا الأخير عن ملاقاته وبعد إلحاح من أبي عنان، كتب إليه أحمد بنعاشر رسالة فيها نصح ودعاء. ونراه في سياق آخر يحرص على أن يكون العالم أبو عبد الله الصفار في رفقته خلال تهييئه للحملة المشهورة على بلاد الزاب وقسنطينة، لكن هذا الصالح اعتذر فتركه السلطان لحاله. وفي نفس الحركة زار السلطان ضريح أبي مدين شعيب بالعباد وضريح الشيخ الصالح أبي إسحاق الطيار، كما قصد ضريح الشيخ أبي زكرياء الزواوي.

وتندرج علاقة أبي عنان بالصلحاء في إطار معطيات روحية وسياسية، فالمناخ الروحي السائد آنذاك كان يتميز بالاعتقاد الراسخ في كرامات الصلحاء، لكن تدبير أمور البلاد كان يقتضي أحيانا الظهور بمظهر مختلف تمليه اعتبارات مصلحية، لاسيما حينما يبدو في سلوك ومواقف الصلحاء ما يتعارض مع اختيارات الحكام، ذلك أن ممارسة الحكم تؤدي بهؤلاء إلى بعض التجاوزات في معاملة الرعية، خصوصا في مجال الجبايات ونظرا لقيام كثير من العلماء والصلحاء بواجب النصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن السلطان أبا عنان سلك سياسة البر بالصلحاء وتلبية مطالبهم في الغالب، لكنه انخرط أيضا في سياسة سلفه تجاه الصلحاء، بالقول بصلاح الأسرة المرينية من جهة، وبتأسيس زوايا كالزاوية المتوكلية بفاس، وزاوية النساك بسلا، ورعاية الفقراء الذين يقيمون بها من جهة ثانية، وهذا يدل على وعي السلاطين بأهمية هذا القطاع وعملهم على بعث تصوف معتدل وغير معاد للدولة بالضرورة.

وعلى الرغم من قصر مدة حكمه فقد طبع أبو عنان التاريخ المريني ببصمات قوية جعلت منه آخر السلاطين الأقوياء. ففيما يخص تدبيره لأمور البلاد نراه يتدخل في كل القطاعات، ويسهر على سير العدالة بنفسه، فينظم المظالم ويحرص على تقبل الشكايات بنفسه، وكان يحرص على صفاء ذمة قضاته، ولا يتردد في عزلهم، إذا بدا له ما يوجب ذلك في حقهم كما حصل مع القاضي محمد بن عبد الرزاق والقاضي أبي عبد الله المقري بفاس. وتدخل أبو عنان أيضا لتنظيم حرفة الشهود العدول، فاقتصر على عشرة من شهود مكناس وآخر الباقين، وعين بكل بلد من بلاده عددا قليلا أمر بعدم تجاوزه. ومن إصلاحاته إحداثه لخطة صاحب الصلاة بعدما كانت مندرجة ضمن صلاحيات القاضي. وكان المتولي لها يعين بظهير ويحدد له مرتب، وكان يساعد المتولين لها أعوان بحسب حجم البلاد، وكان هؤلاء يشتدون على الناس لحملهم على الصلاة.

وتصدى أبو عنان كغيره من السلاطين لبعض التجاوزات التي كانت تحصل في مجال الجبايات، فقد ألغى ضريبة الرتب الموظفة على المسافرين في الطرقات، وصار يتصدق بالأمكاس يوم سبع وعشرين من رمضان، ورفع التضييق الذي كان عمال الأعشار وولاة البلاد يفرضونه على الرعايا.

كانت تجارة الذهب الصحراوية تدر على المغرب زمان أبي عنان كميات هائلة من هذه المادة الحيوية، ولهذا نرى السلطان ينفرد بسك دنانير متميزة كالدينار الذهبي الذي يزن

مائة دينار ذهبا عاديا. ويقدمه لبعض زواره بمناسبة عيد المولد النبوي. وكان يمنح أيضا دنانير ذهبية من وزن دينارين تصنع بدورها من أجل الإهداء، وإلا فإن الدينار المريني كان لا يتجاوز 4.56 غ من الذهب. وقد ظهر الغش على النقود المرينية في عهد أبي عنان فتصدى لذلك بشدة، حتى لا تفسد المعاملات وتتلف رؤوس الأموال. فمنع رواج الزائف والمقروض والخارجي. وإن حرص أبي عنان على جودة المعاملات قد أدى به إلى ضبط المقاييس المعمول بها في وقته، بحيث الصق سنة 755، نموذجين من الذراع المستعمل لدى باعة الأثواب، بمكتب المحتسب بفاس. والذراعان المذكوران هما المعروفات "بالقالة الدرازية" وطولها 0,46 م، والقالة الكتانية وطولها 0,55 م.

كان لأبي عنان تدخل لا يستهان به في الميدان الاقتصادي، فقد تزايدت في عهده العناية بالري بالنواعير، وقد أحدث منها عددا كبيرا حبسما يذكر ابن الحاج النميري، وقد وزع بدوره أزواج الحرث على فقراء الفلاحين يقيمون بها أودهم.

عرف أبوعنان من بين بقية السلاطين المرينيين بكثرة إنشاءاته العمرانية التي لا يزال أغلبها قائما، ويدل على عظمة ملكه. ونذكر منها المدرسة البوعنانية بفاس، والزاوية المتوكلية وجامع الغريبة وجامع الزهر وجامع الحمراء بفاس الجديد، إضافة إلى الزاوية الكبرى بسبتة وزاوية النساك بسلا وزاوية سيدي الحلوي بتلمسان والمدرسة العجيبة بسلا والتي تحولت إلى محكمة شرعية فيما بعد، وعددا من المارستانات في كل بلد. مع تعيين الأوقاف الكثيرة التي وفرت لكل هذه المنشآت مداخيل قارة سمحت باستمرارها في أداء وظائفها، إلى أن دخل الخلل الدولة المرينية بعد عهد هذا السلطان الكبير.

لم يتردد أبو عنان في العمل على إبراز إمكاناته في إخضاع المجال المغاربي لسلطان واحد. وإذا كان قد تذرع في حملاته بالمغرب الأوسط وإفريقية سنة 758 بضرورة توفير الأمن للمسافرين والحجاج والقضاء على أهل الحرابة، فإن حملته تلك تجاوزت ذلك إلى إعلان السلطة المرينية على تلمسان بعد مقتل أميرها أبي سعيد الزياني باعتباره خارجا عن الطاعة. ولربما كانت هذه التوسعات تهدف إلى كف أيدي البدو عن الناس وعن القوافل التجارية. وفي هذا المعنى يكون أبو عنان قد سار على سيرة والده أبي الحسن، فرغب بدوره في مراقبة مسالك التجارة الصحراوية ومنافذها في الصحراء وعلى السواحل المتوسطية، وهذا ما يفسر كثافة العلاقات التجارية والدبلوماسية للمغرب في عهد أبي عنان مع البلاد الأوربية ومصر المملوكية. فقد عقد معاهدات سلم وتجارة في سنوات (751، 752، 755، 757، 759) مع دول البرتغال وإسبانيا المسيحية وصقلية وجنوة إضافة إلى بيزا التي تحتفظ لنا المصادر بالنسخة العربية للاتفاقية المبرمة معها بتاريخ 759 / 1358. هذا علاوة على العلاقات الطيبة الدائمة مع مصر وبلاد السودان. وهو ما كان يسمح للمغرب بلعب دور هام في المبادلات التجارية المتوسطية إلى غاية عهد أبي عنان المريني الذي وفرت علاقاته الطيبة مع مصر وجيران الشمال والجنوب إطارا ممتازا للمبادلات التجارية التي همت كثيرا من البضائع المغربية والأجنبية التي لا يتسع المقام لذكرها. وجدير بالذكر أن أبا عنان كان بحكم موقعه كسلطان يحتكر تجارة بعض البضائع كالحبوب وبعض البضائع الخاصة بالقصر كالأثواب والمجوهرات وأنه كان تاجرا ممارسا وشريكا لتاجر ميورقي بنسبة النصف في حدود سنة 755.

إن هذا النشاط التجاري المتوسطي كان يتم أيضا بواسطة السفن التجارية المغربية التي يرجع الفضل في إنشائها إلى أبي عنان، بعد أن تحطم الأسطول المريني برمته أواخر عهد السلطان أبي الحسن.

توفي السلطان أبو عنان قتيلا سنة 759 وعمره ثلاثون سنة.

ابن خلدون، *تاريخ العبر* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ ابن الحاج النميري، *فيض العباب* ؛ م. المنوني، *ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين* ؛ م. فتحة، *التوازل الفقهية والمجتمع*.

De Mas Latrie, *Traités de paix et de commerce*, Paris, 1866 ; Ch. E. Dufourcq, *Le commerce du Maghrib avec l'Europe chrétienne*, Tunis, 1979.

محمد فتحة

ابن **العنابة، الطاهر** بن الحاج الهادي بن محمد بن أحمد بن الحاج العنابة بن عَبْدو بفتح العين وسكون الباء. يرقى نسبه إلى الولي الصالح سيدي عبد الله الجزار دفين مكناس. وهو من أولاد بوحدو الذين انتقلوا من سلا إلى فاس ومكناس.

أخذ علوم اللغة والدين عن جلة علماء عصره، منهم المهدي بن سودة مقرئ البخاري المتوفى عام 1294 / 1877، والعباس ابن كيران المتوفى عام 1271 ـ وكلاهما تولى القضاء بمكناس من قبل السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن ـ والعربي السائح المتوفى بالرباط عام 1309.

وقد تصدر للتدريس، ثم تعاطى خطة الإشهاد فترة قصيرة رحل بعدها إلى مراكش حيث مكث نحو عشرة أعوام في خدمة العلم، ليعود بعد ذلك إلى مكناس حيث زاول العدالة من جديد.

كان زاهدا في الدنيا، يختم في كل يوم ختمة من دلائل الخيرات، طريقته عيساوية جزولية. وقد مارس نظم الشعر، فأنشأ قصائد في مدح آل البيت وبعض شيوخه، كما نظم في الرثاء، وإلى ذلك وضع منظومات في الصرف على نهج لامية الأفعال لابن مالك.

وكان يهوى الطرب ويجيد النقر على آلة العود، له إلمام بالموسيقى الأندلسية وطبوعها.

وقد بث في بعض شعره خطرات من معارفه في الموسيقى، فقال من قصيدة أجاب بها صديقه العلامة أبا العباس بن قاسم جسوس الرباطي :

وتمت بألحان تربح الشجيّ من شجاه، ورنّت إذ رنت بيننا الرصد

وتوفي بمكناس في 13 من ذي الحجة 1306.

ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، ج. 3، ص. 103 و118 و345 ؛ ج. 5، ص. 408 و429 ؛ ع. بن عبد الله، *الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية*، ج. 2، ص. 16.

عبد العزيز بن عبد الجليل

العنبر، أو العَنْبر حوت كبير من الثدييات البحرية السطحية، رأسه ضخم ثابت لا يتميز عن الجذع. يصنف علميا إلى طائفة الحوتيات Cetacea وإلى مجموعة الأسنانيات Odontoceta وفصيلة فيسيتيريدي Physeteridae. يسمى علميا Physeter macrocephalus (catodon) Linnaeus, 1758 وبالفرنسية Cachalot وبالإسبانية Cachalote وبالإنجليزية Sperm whale. يعرف عند البحارة العرب بالعنبر والكشالو المعربة من الفرنسية. يخرج منه الطيب المعروف بالعنبر ambre gris المتكون في أمعائه والدهن المعروف بمني القاطوس الموجود في رأسه.

يعتبر العنبر من بين المخلوقات البحرية الحية العملاقة ويتميز برأس ضخم كبير جدا يمثل ربع طول الجسم وأحيانا ثلثه، ويشتمل على أزيد من طن من العنبر الأبيض - مني القاطوس Spermaceti - وهو شحم سائل يستعمله كرادار مجاوز حد الصوت وللتوازن فهو يضبط الغطس والطفو حسب درجة التجميد أو السيلان لهذه المادة بواسطة حرارته الجسمية الذي يتحكم في تغييرها في حدود 33 إلى 39 C°.

للعنبر جلد أسود رمادي داكن يميل إلى الأزرق على الظهر والجانبين، البطن رمادي فاتح. يصل طول الذكور المسنين 20 - 21 مترا ويفوق وزنه 60 طنا، والإناث 12 مترا بوزن لا يتعدى 15 طنا. يحمل الفك السفلي للذكور 15 - 30 سنا غنية بمادة العاج يصل ارتفاعها إلى 10 سم، وللإناث 7 - 30 سنا. الفك العلوي بدون أسنان بارزة ويحمل فجوات تدخل فيها أسنان الفك السفلي. الفم الكبير جدا يساعد على ابتلاع حيوانات كبيرة كالحبار العملاق. يحمل العنق 10 - 40 شقا قصيرا وعميقا، ويبدو مظهر الجانبين متجعدا خلف الصدريتين. تحولت الزعنفة الظهرية إلى قنزعة مثلثة الشكل متبوعة بخمس أو ست حديبات صغيرة. الصدريتان أسفل الجانبين، قصيرتان نسبيا وعريضتان. يبلغ عرض الزعنفة الذيلية 3.5 - 4.5 مترا وجانبها الخلفي شبه مستقيم تتوسطه فجوة.

يسبح العنبر عادة غير بعيد عن سطح البحر ويطفو على وجه الماء باستمرار خلال كل 2 - 10 دقائق ليتنفس ويختزن كمية كبيرة من الهواء. يتمثل قوته في الرخويات (80٪ من الحبار) والأسماك والقشريات، وفي حالة عدم الهضم لسبب ما، تفرز الأمعاء سائلا عضويا يحيط بالفريسة فيتجمد ويتصلب تدريجيا مكونا بذلك مادة العنبر الرمادي ambre gris الذي يتعدى وزنها أحيانا 240 كيلوغراما.

يحسن الغوص ويدخل أعماقا تفوق ألف متر مع البقاء بداخل الماء أكثر من ساعة دون تنفس، ثم يطفو ليلقي زفيرا قويا بمنخره الظهري فيرتفع الماء مقدار ما ينيف عن ثلاثة أمثار من العلو. يتنقل بسرعة تتراوح بين 5 - 10 كلم / ساعة ولا تتعدى 20 كلم / ساعة كسرعة قصوى.

يعيش عموما في مجموعات عائلية لا تتعدى 4 - 6 أفراد، أغلبها من الإناث والصغار يقودها ذكر مسن واحد ؛ قد يبلغ عدد أفراد المجموعات أحيانا 50 ويعيش بعض الذكور المسنين منعزلين. يألف جميع بحار المناطق المعتدلة والحارة ويقوم بهجرات طويلة المسافة خلال فصل الربيع، وخاصة الذكور المسنين. عدة مجموعات تقترب من السواحل الأطلسية المغربية أثناء تنقلاتها ويحتمل دخول البعض منها في السواحل المتوسطية خلال الربيع والخريف. تصير الذكور بالغة بعد خمس سنوات (9 - 10 أمتار من الطول) والإناث بعد أربع سنوات (8 - 9 أمتار من الطول). يتوالد عموما في الصيف بالمياه الحارة وتدوم فترة الحمل 11 - 15 شهرا وتضع الإناث صغيرا واحدا يبلغ طوله 3.5 - 5 مترا ووزنه حوالي ألف كلغ ويعمر 40 - 70 سنة. تعتني الأم بصغيرها سنة كاملة وترضعه حليبا غنيا بالدهنيات (حوالي 20 لترا في اليوم).

تقلص العدد الإجمالي لنوع العنبر على الصعيد الدولي لكثرة استعمال زيوته في الإنارة قبل ظهور البترول ويعد من الأنواع المحمية في الوقت الحاضر. يصادف نادرا في شباك الصيد المستقيمة وجنحت منه عدة أفراد ألقى بها البحر على الشواطئ المغربية الجنوبية.

العنبر (عطر) والعمبر كما ينطق به كافة العرب، اسم عربي الأصل يستعمل في عدة لغات أجنبية Ambre gris، amber, ambergris - يطلق على مادة عضوية طيبة العطر وقوية الرائحة تستخرج من الحيتان البحرية المسماة بالعنبر أيضا، منها صنفان شائعان عند بائعي الأعشاب :

- العنبر الرمادي مادة عضوية تتصلب وتتحجر في أمعاء حيتان العنبر لما تبتلع حيوانا يهيج جهازها الهضمي فلا ينهضم فيفرز الجسم مادة سائلة تحيط بالفريسة للوقاية من شر السم. يتصلب السائل تدريجيا بداخل جزء من الأمعاء ثم يقيئه آخر الأمر في البحر أو يحتفظ به في بطنه فيستخرجه الإنسان لينتفع به في مبدان العطر. ومادة العنبر موجودة عند معظم بائعي الأعشاب (العطارة) في المدن المغربية ؛ لها قوام الشمع، رمادية وبيضاء وصفراء وسوداء، وكثيرا ما تجمع أكثر من لون. الأصل العطري للعنبر من الأصول القليلة الحيوانية التي تزيد الروائح ثباتا وتعطيها أمدا. ثمنه مرتفع جدا لقلته في الأسواق ولجودته الممتازة - 100 - 150 درهما للغرام الواحد - وقد يصل وزن القطعة الواحدة في بطن حيتان العنبر إلى حوالي 240 كيلوغراما. كثيرا ما يستخرج البحارة العنبر مباشرة من أمعاء الحوت بعد صيده، يطلق عليه اسم

"العنبر الحر" ويعرف بغشاء الأمعاء المحاطة به على شكل فصيد يتراوح قطره بين 5 . 15 سنتمترا.

- دهن العنبر (العنبر الأبيض) أو مني القاطوس Blanc de baleine = Spermaceti مادة دهنية تستخرج من رأس العنبر وقد استعملها الإنسان كمادة للإنارة لمدة طويلة قبل ظهور البترول نتج عنها تقليص عدد حوت العنبر في البحار والمحيطات. يحتوي رأس العنبر على 1 . 5 أطنان من هذه المادة الشحمية المعروفة عند بائعي الأعشاب بالزهم أو العنبر العادي.

الأمير مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ أمين المعروف، معجم الحيوان، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

D. Lloris et J. Rucabado. *Guide d'identification des ressources marines vivantes du Maroc.*

محمد رمضاني

عنبري، محمد يعد من أبرز الشخصيات العلمية التي برزت في مجال النضال الوطني والسياسي، بالإضافة إلى نشاطه المتميز في ميدان التعليم بجامعة القرويين منذ أواسط الأربعينات ومن أول المؤسسين لجمعية علماء القرويين التي كان يترأسها الزعيم الراحل الأستاذ علال الفاسي، وكان عنصرا فعالا وإيجابيا في مختلف أنشطتها الثقافية، والدينة والتربوية... بالإضافة إلى ما كان يمدها به من مساعدات مادية... فكان بيته شبه مكتب مركزي لهذه الجمعية، ففيه كانت تعقد الاجتماعات السرية.

ومن جهة أخرى، كان للأستاذ عنبري - وهو ابن بيت علم، حيث كان كل من أبيه القائد إدريس وأخيه الأكبر القائد بوعزة يعزان العلم والعلماء أمثال سيدي عبد الرحمان الغريسي - الد الفضلى في بث الوعي الوطني والعلمي في العديد من القبائل المجاورة لمدينة فاس كأولاد عيسى وشراكة، وظل يكافح دون كلل أو ملل، وفي صمت ونكران ذات... وتحمل في جمعية العلماء فكرة إيقاظ الوعي الديني، فكانت له كتابات عديدة ذات اتجاه سلفي، نشر الكثير منه في مجلة "دعوة الحق" أو أذيع على أمواج الإذاعة الوطنية خصوصا إبان شهر رمضان المعظم في الستينيات.

وإلى جانب كل ذلك كان سلفيا متفتحا طالما ذكرنا في محاضراته ومقالاته بأن الإسلام مادة وروح.

وقد شيعت جنازته في موكب رهيب التقى فيه، بالإضافة لأفراد عائلته الكبيرة، العديد من تلامذته وثلة من رفاقه العلماء والأساتذة.

وقد ابنه الأساتذة محمد بن علي الكتاني ومحمد بن حماد الصقلي وعبد الكريم التواتي.

توفي يوم الأربعاء فاتح يونيو 1994.

العلم عدد 16136، الأحد 23 محرم 1415 / 3 . 7 . 94.

محمد حجي

العنترية، سيرة عنترة بن عمرو وقيل بن معاوية بن شداد العبسي نسبة إلى قبيلة عبس الشهيرة، كان أسود اللون وأمه أمة حبشية تدعى زبيبة، وكان من عادة العرب أن لا يلحق ابن الأمة بنسبها بل تجعله في عداد العبيد، ولعل ما سيثير إعجاب جيش العبيد في سيرة عنترة هو نضاله من أجل التحرر من العبودية، فقد كان يكره استعباد أبيه له وعدم إلحاقه به، ولكن عنترة محا عن نفسه عار مولده بما أظهر في حرب داحس والغبراء حيث اعترف به أبوه وألحقه بنسبه، فشب كريم الأخلاق، واشتهر ببطولته في الغزوات وطمح إلى الزواج ببنت عمه عبلة التي أنشد فيها جملة من الأشعار، حتى صار من مشاهير شعراء الجاهلية وفرسانها. ولعل شهرته مرتبطة أيضا بالاستشهاد بشعره في تفاسير القرآن الكريم فضلا عن معاجم اللغة والقواميس وهكذا نجد ابن جرير الطبري يستشهد بأشعار عنترة في عدة مواضع من تفسيره وهو ما فعله القرطبي وابن كثير ونقف عليه في لسان العرب والقاموس، وهو من أصحاب المعلقات، في شعره كثير من الفخر والحماسة. عاش عنترة حوالي تسعين سنة حيث ضعف جسمه وعجز عن الغارة وتوفي قبل البعثة النبوية عام 615 م. وقيل قتل في الغارة على قبيلة بني النبهان بعد أن صار من أشهر أبطال العرب وأصبح مضرب المثل بقولهم : الجود حاتم والشجاعة عنترة. فنسجت حوله أساطير وكتبت سيرته المعروفة بالعنترية وهي سيرته الحجازية، وهي رواية خيالية فيها ذكر أشعار وأحوال كثيرة من زمن العصر الجاهلي بل لا يتم التعرض لذكر سيرة عنترة إلا بعد الحديث عن إبراهيم الخليل وما جرى له مع النمرود. وذكر كل قبيلة وعربها وفرسانها وما قالوا من الأشعار. ومجمل القول فيها هو أن عنترة قمع الله به الجبابرة في زمن الجاهلية حتى مهد الأرض قبل ظهور محمد خير البرية. ولهذه الأسباب كانت من أشهر السير الشعبية الكثيرة التداول. ولا يعلم واضعها على التحقيق ولا تاريخ وضعها. ومن المرجح أن ذلك كان قبل عام 545 / 1150. وغالب الظن أنها كانت من طرف شخص واحد كتب القصة الإطار، وزاد فيها الرواة بحسب هواه حتى اتخذت شكليا البطولي أثناء المعارك ضد الصليبيين، وقد كان للقصاص المحترفين دور كبير في تعديل سيرة عنترة والإضافة إليها جيلا بعد جيل إلى أن وصلت إلينا بشكلها الحالي في العصر الحديث. الشيء نفسه ينطبق على سيرة سيف بن ذي يزن وسيرة أبي زيد وبني هلال وسيرة ذات الهمة والظاهر بيبرس وقصة لقمان الحكيم. وقد تبين ذلك عند تحقيق مجموعة الحكايات الشعبية المعروفة بألف ليلة وليلة من طرف الباحث المقتدر محسن مهدي.

لا نعرف تاريخ دخول العنترية إلى المغرب ولا من أدخلها، لكننا نرجح أن ذلك كان في العصر المريني أو قبله بقليل من طرف الحجاج المغاربة ؛ علما أن الونشريسي ذكر

في المعيار موقفه من رواية العنترية خلال العصر المريني باعتبارها كذبا، وأن مستحل الكذب كذاب. واعتبرها من كتب السخفاء والتواريخ المعلوم كذبها كتاريخ داة الهمة والهجر والشعر، بل لا يجوز بيعها ولا النظر فيها، وكل من يسمع حديث عنترة لا تجوز إمامته ولا شهادته. وقد جاهد الشيخ تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي في كتابه معيد النعم في محاربة مطالعة سيرة عنترة، واعتبر المقري في نفح الطيب ألف ليلة وليلة وما يشابهها ضمن حكايات الخرافات التي يكثر الناس في حديثها.

أما في العصر العلوي فقد أمر السلطان مولاي إسماعيل النساخ بنسخ كتب الشجعان وضمنها العنترية، وتوزيع نسخها على جيش العبيد قصد تحميسهم، وبث روح البطولة والشجاعة والإقدام في نفوسهم معتقدا أن أخبار الشجعان تعلم الشجاعة. وقد نبه القادري إلى أن السلطان مولاي إسماعيل سأل عن حكم الشرع فيها فأجيب بنص المعيار وهو عدم الجواز. ولعله لم يقتنع بنص الفتوى فضمن أحداث عام 1099 / 1688 أمر السلطان مولاي إسماعيل بنقل النساخين من فاس لمكناسة، بقصد نسخ أربعة وعشرين سفرا فيها أخبار الأبطال والفرسان وأهل الشجاعة السليقية، فذهب نحو الأربعين من النساخ وعمدوا إلى التفنن في كتاباتها بالألوان العديدة والذهب المحلول والخطوط المغربية الجميلة كالمبسوط والمجوهر. ولا تعتبر اليوم في الخزائن المغربية على نسخ العنترية التي كتبت في العصر الإسماعيلي ولعل عدم وجود نسخ منها بالخزانات الملكية هو تفريقها على العبيد في القصبات الإسماعيلية.

إن سرد العنترية كان يتم في مختلف المدن المغربية العتيقة ما بين صلاة العصر وآذان صلاة المغرب، في أماكن مخصصة للمحكي والفرجة الشعبية، نذكر منها على سبيل المثال باب الجيسة بفاس، وجامع الفناء بمراكش وقرب جامع الكتبية، وساحة الشيخ الكامل سيدي محمد بن عيسى بمكناس، وسوق الخميس بوزان، وساحة الأوداية بالرباط، وباب المريسة بسلا، وبجانب مقبرة سيدي بوعراقية البقالي بطنجة، وبحي القريعة بالدار البيضاء وساحة درب البلدية...

وقد اشتهر مجموعة من الرواة بطريقتهم المشوقة الساحرة في رواية العنترية مازالت الذاكرة الشعبية تحتفظ بأسمائهم. ففي مدينة مراكش مازالت الألسن تردد اسم باحسن فتحي. أما أشهر رواتها اليوم بهذه المدينة فهو محمد باريس الملقب بالتمعيشة، وهو راوية بامتياز يسرد العنترية بطريقة تذهل السامع. على أن من أهم الأشياء هو طريقة إلقاء رواية العنترية في الأوساط الشعبية التي تتكون غالبا من الحرفيين، الذين ينتهون عادة من أعمالهم قبل أذان العصر، وبعد الصلاة يلتحقون بالحلقة التي يتوسطها الراوي جالسا على كرسي غالبا ما يكون مرتفعا، حتى يتمكن الجميع من مشاهدته، ممسكا بيده سيرة عنترة بن شداد برواية المعمر عبد الملك بن قريب الأصمعي، وبعد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بأصوات مرتفعة من طرف المتحلقين، يشرع الراوي في سرد السيرة العنترية بأسلوب دارج بعد أن يكون قرأ ما في النص باللغة العربية، تصحبه حركات تنسجم وتتلاءم مع مضمون النص المحكي وما فيه من مواقف من حرب وهجوم ونزال وحوار، مجتهدا في تصوير المشاهد المؤثرة في النص... وغالبا ما يتوقف الراوي عند أحد هذه المشاهد لأخذ الهبات من طرف الحاضرين، أو ليعدهم إلى الغد... وهكذا إلى أن يتم ختم العنترية في يوم يكون مشهودا وفيه كثير من الحزن والتأسف على وفاة العنترة. ومن أطرف ما حكاه لي شيخنا العلامة أحمد الشرقاوي إقبال ـ رحمه الله ـ أن أحد الطلبة الآفاقيين امتنع عن الأكل، وكان السبب هو وفاة دادا عنترة حسب تعبيره. وقد أذيعت العنترية على أمواج الإذاعة المغربية بعد الاعتداء الإسرائيلي على مصر وهزيمة 1967 حيث كان الهدف منها رفع معنويات الأمة العربية، بذكر أبطالها والبحث عن ماضي قوي واستلهام التراث للدلالة على قوة هذه الأمة. ولقيت هذه السلسلة نجاحا واستحسانا لدى الجمهور المغربي، وهي من إخراج الكاتب والممثل الشهير محمد حسن الجندي. كما مثلت العنترية مرات متعددة في المسرح المغربي. وتصادف في بعض قصائد الملحون مرددات تشيد بصبر عنترة وشجاعته. كما هو الحال في قصيدة حب السعدية للحاج التهامي المدغري. ومازال كثير من تلامذة الأمس يتذكرون ذلك الكناش الذي يحمل صورة عنترة شاهرا سيفه ممتطيا صهوة جواده الأبحر بن النعامة. توجد سيرة عنترة مخطوطة بعدة خزائن في العالم منها خزانة برلين. وقد طبعت في 32 جزءا بمطبعة محمد شاهين بالقاهرة عام 1286 هـ. وتكرر طبعها في المطبعة الشرقية في 11 جزءا عام 1306 هـ، وطبعت في بيروت سنة 1869 ونسبت إلى يوسف بن إسماعيل المصري. وترجم مختصر سيرة عنترة إلى اللغة الفرنسية من طرف الأستاذ مارسيل دوفيك وطبعت في باريس عام 1864.

أ. الونشريسي، *المعيار المعرب*، تح. م. حجي ومجموعة من الفقهاء، 1983، ج. 6، ص. 70 ؛ السبكي، *معيد النعم ومبيد النقم*، ج. 5 ؛ 186، 2 ؛ 205 ؛ المقري، *نفح الطيب*، ج. 2، ص. 290 ؛ القادري، *نشر المثاني*، ضمن موسوعة *أعلام المغرب*، ج. 4، ص. 1696 ؛ الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. العماري، ص. 69 ؛ ابن الحاج، *الدر المنتخب*، مخ. خ. س، رقم 12184، ج. 6، ص. 246 ؛ بروكلمان، *تاريخ الأدب العربي*، القسم 1، ص. 148، القسم 6، ص. 328 ؛ حركات، *التيارات السياسية والفكرية بالمغرب*، دار الرشاد، الدار البيضاء، 1991، ص. 42 ؛ سركيس، *معجم المطبوعات العربية*، ص. 1387 ؛ فاروق خورسيد، *أدب الأسطورة عند العرب*، سلسلة عالم المعرفة، ع 284، غشت 2002 ؛ *سيرة أبي الفوارس الجواد حية بطن الواد*، الأسد الضرغام الأمير عنترة بن شداد، المطبعة الأدبية، بيروت، 1882 ؛ محمد حجي، *الحلقة... والتسلية الشعبية*، ضمن جولات تاريخية، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1995، ص. 713.

أحمد إبشرخان

عندليب وهزار كما في المعاجم جنس من الطيور البرية الغريدة، متوسط القد وحسن الصوت. يسمى في الشرق العربي مزقة ومسهر وأبو هرون. يصنف إلى رتبة الجواثم مخروطيات المناقير أو العصفوريات Passeriformes وإلى فصيلة الدخليات. نوع واحد يشتو ويتوالد في المغرب يسمى علميا Lucinia megarhynchos وبالفرنسية Rossignol وبالإنجليزية Nightingale philomèle. طائر من القواطع سريع الحركة كثير الألحان يسكن البساتين والحدائق والأدغال والغابات، يكثر في بلادنا في بداية الربيع والصيف.

وصف العندليب والبلبل مضطرب في كتب اللغة، فالبلبل والعندليب عند بعض العرب كل طائر حسن الصوت وأغلب المعاجم تترجم Rossignol إلى البلبل وهو غير جائز إذ أريد بالبلبل طائر Pycnonotus (انظر مادة البلبل في هذه المعلمة). شائع في مختلف المناطق المغربية ومنه عدد كبير يتوالد في المغرب ثم يهاجر إلى إفريقيا في بداية الخريف ليشتو.

يألف الغابات والأدغال وأشجار البساتين والحدائق. الإناث شبيهة بالذكور، الريش أسمر أشقر على الظهر ورمادي أسمر على الصدر والبطن. تبلغ بسطة الجناحين 28 سم وطول الجسم 16 سم. المنقار أسمر والذيل طويل أسمر محمر. يعيش مزدوجا ويتغذى من الثمار العنابية والحشرات والديدان والعناكب.

شائع في المناطق الجبلية وفي الهضاب والسهول الوسطى والساحلية. يتوالد منذ ماي إلى يونيو وينصب العش على الأرض بين الأعشاب الكثيفة بداخل الأدغال والغابات، تصنعه الأم بدقة بالغة وتفرشه بقطع الأعشاب الرقيقة. تبيض الإناث 3 . 6 بيضات ملساء زرقاء مخضرة إلى بنية ومزركشة بنقط شقراء، يبلغ طول قطرها 21 ملم. تحضن الإناث البيض 13 . 14 يوما ويقوم الزوج بالحراسة والبحث عن الأكل. تتغذى الصغار من الديدان والحشرات يأتي بها الآباء وتبقى بداخل العش حوالي أسبوعين.

م. رمضاني، *البلبل*، *معلمة المغرب*، الجزء 4، ص. 1328 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*, 1979, 320 p. ; C. Harrison, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleurs*, Elsevier, 1977, 430 p.

محمد رمضاني

العنصرة، يهتم المغاربة منذ القديم ببعض المناسبات المرتبطة بالمناخ وفصول السنة الأربعة وهي مناسبات مرتبطة بالفلاحة أساساً منها على وجه الخصوص الحاجوز وهي اليوم الأول من السنة الفلاحية الجديدة ويوافق في الغالب 13 يناير الشمسي وتتخذ هذه المناسبة أسماء تختلف من منطقة إلى أخرى ومن قبيلة إلى أخرى مثل حاجوزة، حيدوزة، عجوزة، حيدروزة وهكذا... ويتم الاحتفال بها بطرق وطقوس مختلفة بحسب المنطقة وإنتاجها على أن المبدأ الذي يحتلها هو أن على أفراد العائلة المحتفلة أن يقيموا عشاءاً يشبع فيه الجميع ومن لم يشبع في ذلك اليوم فلن يشبع طيلة العام لذلك كانت بعض القبائل تعمد عائلاتها إلى تحضير وجبة عشاء يخصص فيها لكل فرد دجاجة وبيضة وتتفق الحاجوزة ومنتصف "الليالي" وهي فترة الشتاء والبرد القارس وتستغرق أربعين يوماً.

في مقابل هذه المناسبة تأتي العنصرة ويومها هو 24 يونيو من كل سنة وهو منتصف "السمايم" ومدتها 40 يوما. وهي الفترة التي تشتد فيها الحرارة والقيض وفيها تجمع المحاصيل الزراعية وتنضج فيها الثمار وللفلاحين وسكان البادية علامات يعرفون بها حلول العنصرة. تختلف من مكان إلى مكان منها على سبيل المثال في جهة الشاوية ورديغة "بداية طيران صغار اللقالق".

ويختلف الاحتفال بهذا اليوم عن الحاجوزة، ففي هذه الأخيرة يتم أكل الدسم واللحوم أما في العنصرة فيتم تذوق ما نضج من المحاصيل، ويختلف ذلك من مكان إلى آخر حتى داخل القبيلة الواحدة، ففي جمعة الشاوية ورديغة يتم طبخ خليط من الحبوب والقطاني في الماء مع إضافة قليل من الملح فقط ويتم تناول الطبيخ بشكل جماعي في إناء واحد ويسمونه أي الطبيخ "شرشم"، وفي مناطق إنتاج الذرة يستعاض عن الحبوب والقطاني "بالكبال" أي بالذرة الطرية قبل درسها وهكذا... وفي هذه المناسبة "العنصرة" يتم خزن ما يحتاج إليه من نباتات وأعشاب طبية بعد أن يكون قد اكتمل نضجها وتجفيفها "يبسها" مثل السعتر وفليو والمانتا والسالمية والشيح وغيرها كثير، وفي المناسبة يؤكل الحلزون المطبوخ بالأعشاب المشار إليها.

يقول الفلاحون في البادية إن أكل المنتجات والمحاصيل الجديدة يجب أن يكون بعد العنصرة ففي الحبوب مثلا وخاصة القمح ينصحون بعدم أكل خبزه إلا بعد العنصرة ويقولون أن أكله قبل ذلك مضر. وينصح الفلاحون بعضهم بعدم حصد الحبوب التي يراد اتخاذ البذور منها للموسم الفلاحي القادم إلا بعد العنصرة وكذا الحبوب المراد خزنها، فالعملية هنا طبيعية وعادية بالنظر إلى العنصرة وهي منتصف فترة اشتداد الحرارة أي أن المنتجات الفلاحية من حبوب وقطاني يكتمل جفافها ويبسها وتصبح عندها مناعة ضد التسوس أو التعفن.

ابن البنا، *رسالة في الأنواء*، تحقيق Renaud، باريز، 1948 ؛ أبو خير، *كتاب الفلاحة*، فاس، 1357 ؛ ابن وحش، *كتاب الفلاحة النبطية*، مخطوطة مصورة، جامعة فراتكفور بألمانيا ؛ الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. العماري ؛ الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954 و1955 ؛ *تحريات ميدانية*.

محمد حجاج الطريل

العنصري، محمد بن بولفضل، من مواليد سنة 1928 بأبي الجعد إقليم خريبكة.

كان من المواطنين المخلصين الذين خرجوا إلى الشارع يوم 20 غشت 1955 بمدينة وادي زم للتعبير عن سخطهم واستنكارهم للأعمال القمعية التي تنهجها الإدارة الاستعمارية.

ولما اشتدت الأزمة ووقعت الاشتباكات بين المتظاهرين والسلطة الفرنسية تدخل الجنود الفرنسيون بقوة السلاح لتفريقهم، فسقط على إثر ذلك عدد من المواطنين من بينهم الشهيد المذكور.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقارم رقم 520851.

العنقاء محمد الرباطي من الرياس الأتراك الأصل الذين التحقوا بأسطول سيدي محمد بن عبد الله، والذين استقروا بالرباط. أمر في سنة 1788 بالانتقال بسفينته من العرائش إلى سلا هو وأربعة رياس آخرين، قصد المشاركة في سفارة صهر السلطان القائد محمد الزوين ابن القائد عبد الله الرحماني والحاج المكي برگاش إلى السلطان عبد الحميد العثماني، لنقل بعض الأسرى الأتراك المفتكين ولإهداء أربع سفن.

وبعد أداء المهمة، عاد الرايس المذكور رفقة البعثة في السنة الموالية إلى المغرب على متن سفينة إسبانية. وقد أهلته حنكته في البروز كأحد أعيان الرباط ذوي النفوذ، حيث شارك في منتصف ذي الحجة من سنة 1210 / 1796 ضمن وفد الرباط وسلا المرافق للقائد محمد بن العربي البخاري لزيارة السلطان مولاي سليمان بمكناس بمناسبة عيد الأضحى، واستغل ذلك لمطالبة هذا الأخير بجعل سفينة من الغنيمتين اللتين حققهما زميله إبراهيم لوباريس قبل أسبوع تحت تصرفه.

الضعيف، ص. 195، 196، و218، و272 ؛ ابن زيدان، 3، ص. 306 ؛ عبد الهادي التازي، *التاريخ الدبلوماسي للمغرب*، فضالة، 1987، 1989، ج. 9، ص. 40.

حسن أميلي

العنكبوت، والعنكباء والعنكباة والعنكب والعنكبة كما في المعاجم تجمع على العناكب والعنكوبات والعكب والعكاب والاعكب، تسمى العامة الكبيرة منها "رتيلا" في بعض مناطق المغرب العربي، تجمع على الرتيلات والرتيلاوات وتسمى بالأمازيغية تسي تجمع على تسوان وأزيز ـ ثزيزن وتاكالت ـ تاكالين وتباخا وأوليلي وتباغاينوزت وتيجدمني. والعنكبوت من الحيوانات اللافقريات ذوات الأرجل المفصلية Arthropodes. تعيش في مختلف الأنظمة البيئية وتكثر في الربيع والصيف والخريف وتختفي في الشتاء. تصنف إلى طائفة أشباه العناكب أو الرتيلاوات Arachnides ورتبة العناكب الناسجة للعكاش أو الشع المعروفة بالفرنسية Araignées وبالإنجليزية Spiders.

والعناكب من نظائر الحشرات يتكون جسمها من رأس وصدر وبطن وأطراف، بينها اختلاف كبير من حيث الشكل والمقاييس والعادات. تتميز عن طائفة الحشرات بالتحام الرأس بالصدر وبأربعة أزواج من الأرجل بدل ثلاثة أزواج. تخرج كلها من الصدر. للعناكب عادة أربعة أزواج من الأعين بها عدسات وشبكيات تقع عليها صور الأشياء المرئية. تتكون القناة الهضمية من فم يتصل ببلعوم ومريء ومعدة وأشباه الأمعاء ثم الإست.

تم إحصاء 105.000 نوع في العالم من العناكب يعرف من بينها 473 نوعا في المغرب ينتمون إلى 37 فصيلة. ويحتمل أن يفوق عدد الأنواع 500 نظرا لتنوع الأنظمة البيئية على صعيد التراب الوطني ولقلة الأبحاث العلمية على العناكب في المغرب. معظم الأنواع التي تعيش في المغرب لا تشكل خطرا على الإنسان لأن سمومها ضعيفة جدا وقد ينتج التهاب خفيف على إثر لدغات عنكبوتية Mygale أو أنواع من فصيلتي Thomisidae وLycosidae. من بين الأنواع الخطيرة : العنكبوت Latrodectus mactans المشهورة بلدغاتها السامة في أمريكا الجنوبية. تتميز ببطن ضخم وبأقدام طويلة وبلون بني داكن وتعيش في المناطق الحارة.

تشتهر بعض أصناف العناكب بنسيجها العجيب الصنع الذي يختلف شكله حسب الأنواع ومن هذه الأشكال ما هو كالقمع عند أنواع فصيلة أجيليدي وفصيلة ديسديريدي ومنه ما هو كالملاءة ومنه الهندسي الدائري عند عنكبوت الأحراج أو السك Epeire التي تستعمله كوسيلة لاصطياد فريستها. تُنسج البيوت بمهارة بين أغصان الأشجار والأعشاب وبين الجواجز وشقوق الصخور وعلى جدران المباني وعلى الأرض وفي جميع الحقول والمزارع والبساتين التي توجد بها دعامات لربط الخيوط. في حالة وجود العنكبوت على السقف أو على الشجرة تبصم بحريرها السائل على الخشب ثم تصنع خيطا واحدا تتدلى به إلى الأرض، وتزيد في صنعه كلما زادت هبوطا حتى تصل إلى الأرض فإذا شاءت صعودا احتفظت بالخيط لتصعد عليه. تتخذ العنكبوت الشبكة مسكنا لها ووسيلة لاصطياد الحشرات التي تكون غذاءها اليومي ولوضع بيضها وصغارها بداخله. والشبكة مكونة من دوائر متراكزة تدعمها أشعة وخيوط ثانوية مفتولة وهذه البيوت في منتهى الهشاشة حيث قال تعالى في سورة العنكبوت : "مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون" (الآية 41 من سورة العنكبوت).

تفرز مادة النسيج بواسطة 4 ـ 6 حليمات تعرف بعيون النسيج تلج في مؤخرة البطن. والخيوط مادة سائلة لعابية شفافة تتصلب عند اتصالها بالهواء. ويعتبر حرير العنكبوت أدق وأخف وأمتن من حرير القز وقد حاول منتجو الحرير تربية العنكبوت إلا أن ذلك باء بالفشل لأن هذا الحيوان يفضل العيش والأكل وحده. يستخدم حرير العناكب في صنع الأجهزة البصرية لأنه أدق خيط معروف إلى اليوم.

ترتقب العنكبوت فريستها وما إن تصطدم الحشرة بالشبكة حتى تشل حركتها أو تفتك بها عن طريق تلقيحها بسم قاتل يفرز بواسطة غدة تقع عند الصدر الرأسي. تمتص كل المواد الضرورية للتغذية من الحشرات.

ليست كل أنواع العنكبوت ناسجة الشباك فمنها التي تطارد فريستها أو تتربص بها للفتك بها على بغتة ومنها أنواع فصيلة الواثبات Salticidés وScaridés وHersilidés.

ومن العناكب أيضا عنكبوت الحقول Opilion التي يعطف عليها الإنسان، منها عشرة أنواع في المغرب تعيش في مجموعات مكثفة في البيوت وفي المغاوير وبين شقوق الجدران وتحت الجسور وعلى جانب الوديان. أقدامها طوال جدا وجسمها نحيل ولا تؤذي الإنسان. تتغذى من القرادة ومن الحشرات الصغيرات.

S. Benhalima, *Ecologie des araignés des subéraies de la Mamora, de Larache et d'Ouhmès*. Doctorat de spécialité, Rabat, 163 p., 1992 ; J. Denis, *Note d'aranéologie marocaine. VI. bibliographie des araignées du Maroc et addition d'espèces nouvelles*, Bull. Inst. Sc. Nat. Phys. Maroc, 35 : 179 - 209, 1955 ; Y. Guy, *Contribution à l'étude des araignées de la famille des lycosidae et de la sous famille des lycosinae avec étude spéciale des espèces du Maroc*, Trav. Inst. Chérif., Rabat, 33 : 174 p., 1966.

محمد خربوشة ومحمد رمضاني

العنّابي، من الأسر العلمية التي كان لها ذكر بوادي درعة خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين (15 و16 م) وموطنها بقصر تازروت بجهة تامگروت وسط واحة فزواطة وقد تألق من آل العنابي في علياء فزواطة ثلة من العلماء، الذين تميزوا بسعة الإطلاع، والاتقان والمشاركة في أنواع من المعارف والفنون.

العنّابي، عبد الرحمان بن محمد. لا نعرف شيئا عن ميلاده وتكوينه، ولاشك أنه ولد في قصر تازروت، حيث موطن أهله من آل العنابي، وبين أيديهم درج في أول مراقي العلم، فلما أتقن المبادئ تنقل عبر مدارس واحة فزواطة مثل مدرسة زاوية سيدي الناس ومدرسة سيدي علي بن محمد الشيخ، ومدرسة تاگمادارت ليحط الرحال بمدرسة الشيخ مَحمد بن مهدي الجراري بزاوية الحنا، حيث كان في زمالة عبد الواحد السجلماسي وسعيد الهوزالي وغيرهم من أبرز المتخرجين عن ابن مهدي.

ورغم أن عبد الرحمان العنابي، قد أخذ من العلم والفقه ما جعله يحظى بالتقدير والاحترام بين علماء عصره، فإنه ارتوى من الأدب مثل جده فحظي "بشغوف خاص بين كتاب البلاط السعدي على عهد أحمد المنصور" وكان محل ثقة السلطان أحمد المنصور فقد ورد في المنتقى المقصور، أن عبد الرحمان العنابي كان يوقع الرسائل السلطان بعبارة "ثبت في تاريخه"، خوفا من التزوير ومحافظة على العلامة السلطانية وذلك في غاية الإتقان والضبط. وقد طارت شهرة عبد الرحمان العنابي، بعد قصة إهدائه كبشا ثمينا للقاضي الحميدي، حيث تبارى كتاب البلاط السعدي في تخليد هذه القصة بمقطعات شعرية رائعة. وقد توفي عبد الرحمان بن محمد العنابي سنة 989 / 1581. وبوفاته غابت عنا أخبار هذه الأسرة العلمية المجيدة، حيث ضاع تراثها العلمي والأدبي في غمرة الأحداث التي عرفتها بلاد درعة خلال النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري (17 م).

العنّابي، عبد الله بن محمد واسطة العقد في هذه الأسرة تصفه المصادر بأنه عالم جليل، وفقيه متمكن. لا نعرف شيئا عن ميلاده وأطوار تعليمه، وكيف تقلب في الحياة إلى أن بلغ ما بلغ من الشهرة بين رجالات عصره.

لاشك أن عبد الله العناني، قد أخذ مبادئ القراءة والكتابة على يد بني قومه بمسقط رأسه بقصر تازْرُوت، ثم جال ببعض مدارس درعة المعروفة إبانه بتامگروت وتاگمادارت ثم أغلان، حيث كانت جناتها تتزاحم بأهل العلم ورجال التصوف من أهل الوادي والطارئين من سوس والصحراء وغيرها. وقد تخرج عبد الله العنابي عالماً متضلعاً مشاركاً في علوم شتى. وقد حباه الله بعارضة قوية وذلاقة في اللسان يفحم بهما من ناظره، ولم يمض وقت طويل حتى أصبح قطب الرَّحَا بين علماء وادي درعة الذين اعترفوا له بالفضل والأولوية، وحسبه أن علامة سجلماسة إبراهيم بن هلال قد وصفه "بالفقيه الإمام، علم الأعلام، حائز فنون العلوم المنقولة والمعقولة، وحيد عصره وزمانه وفريد دهره وأوانه

كان عبد الله العنابي مشاركاً في علوم كثيرة اتقانا وفهما، وقد أشار بنفسه إلى هذه العلوم ضمنها خمسة أبيات في قصيدته التي وجهها إلى إبراهيم بن هلال لاستجلاب مودته، وهذه العلوم هي علوم العربية، إعراباً وتصريفاً وبلاغة وخطابة وبيانا، وعلوم المنطق والموسيقى والطب والتشريح والهندسة، وعلوم الفلك والأرصاد والحساب والكيميا، وأسرار الحروف والزيرجة، وعلم الكلام وما يتطلبه ذلك من جدال ومناظرة ناهيك عن براعة تامة في العلوم الفقهية دراية ورواية أما الأدب والشعر، فإن عبد الله العنابي الباشق الذي لا يطار تحت جناحه، وهكذا، إذا قرض الشعر فكأنما ينحت من صخر أو يغرف من بحر كما يقول الأولون، فإذا ترَسَّل، أطاعته العبارات، فتنساب الالفاظ من أبلمة قلمه كأنها الرحيق المختوم، تسحر مجامع العقول وتأسر النفوس بهديل حمائم فصاحته".

لم يكن عبد الله العنابي من ذلك الصنف من العلماء، الذين ينغلقون على أنفسهم، بل منفتحا على المجتمع، فقد كان كل ما حل بمدرسة من مدارس درعة تحلق العلماء حوله للإفادة والاستفادة، فقد عرفته مدرسة تاگمادارت إلى جانب محمد بن عبد الرحمان الزيداني، وعبد الله بن عمرو المضغري أستاذاً وشيخاً يلقى دروساً عليا في الفقه والحديث،

وكانت سرعة بديهته وقوة حفظه، تجعل لدروسه ميزة خاصة لا تقل عن مكانة عبد الله بن عمرو المضغري.

ويظهر أن عبد الله العنابي، قد فاتته فرصة الاجتماع بالشيخ إبراهيم بن هلال، في إحدى زيارته لواحة لكتاوة فتحسر لفوات الفرصة، فنظم قصيدة من حوالي مائة وتسعين بيتا في مدح ابن هلال، وعنونها "بنظم جواهر الجلال في استجلاب مودة إبراهيم بن هلال" ويفهم من بعض إشارات ابن عسكر، أن بين الرجلين "مكاتبات ومخاطبات ينبغي أن تكتب بماء الذهب لحسن توقيع كل منهما وبلاغته".

وبعد سقوط غرناطة سنة 897 / 1492، تطوع عبد الله العنابي، لفك الأسرى من المسلمين بإسبانيا، فسافر إلى فاس حيث التقى بمحمد الشيخ الوطاسي، "فصادف منه استجابة وتشجيعا وساهم الحريم الملكي بتقديم العون من الثياب والذهب". وأثناء الرحلة إلى الأندلس غرق المركب الذي كان يحمل عبد الله العنابي في هذه المهمة النبيلة، فتوفي غريقا في زمن غير محدد، قد يكون نهاية القرن التاسع أو بداية القرن العاشر (15 ـ 16 م).

العنّابي، محمد بن **عبد الله**، علامة جليل ورث عن أبيه الكثير من العلوم. ورغم أننا نجهل كل شيء عن نشأته وتكوينه، فإننا نعتقد أن عمدته هو والده عبد الله العنابي وعليه تخرج. ولا شك أنه صادف عندما بلغ أشده، وصول طائفة من علماء سوس وأتباع الطريقة الجزولية إلى واحة فزواطة، خلال العقدين الأخيرين من القرن التاسع الهجري (15 م)، فانخرط بكليته في الحركة العلمية والصوفية التي طما عبابها على فزواطة، وهي تعرف مخاض ميلاد حركة الأشراف السعديين بقيادة محمد بن عبد الرحمان الزيداني، ولم يتوان محمد العنابي في الانضمام إلى صف الأشراف ومدهم بقدر كبير من المال "ساعدهم على إرساء قواعد دولتهم والإنفاق على حركات الجهاد التي قادوها بسوس".

ويظهر من قصيدة سلسلة الأنوار (حوالي 68 بيتا) التي نظمها لتخليد أسماء شيوخ التصوف والتوسل بجاههم من أبي محمد صالح إلى آخر السلسلة (*الدرر المرصعة*، 257 ـ 260) أن محمد العنابي، قد ارتوى من كأس التصوف، الأمر الذي جعل ابن عسكر يصفه بأنه ولي الله (*الدوحة*، 91) مع الإشارة إلى الخلط البين عند ابن عسكر في المعلومات عن محمد العنابي ووالده عبد الله. وقد توفي محمد العنابي سنة 922 / 1516.

م. الناصري، *الدرر المرصعة*، مخطوط؛ م. حجي، *الحركة الفكرية بالمغرب من مشائخ القرن العاشر*؛ بابا التنبكتي، *نيل الابتهاج بتطريز الديباج*، الفاهرة، 1351؛ ع. بن إبراهيم، *الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام*، ج. 8؛ أ. ابن القاضي، *المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور*، الرباط، 1986؛ م. الصغير البفرني، *نزهة الحادي*، ط. 1، 1888؛ م. المنوني، *حضارة وادي درعة من خلال النصوص والآثار*، *دعوة الحق*، ع. 2، السنة 18 ـ 1973.

أحمد البوزيدي

العواشر، يرتبط مفهوم العواشر في اليومي المغربي بشهور معينة وأيام معدودات، تحمل دلالات دينية مقدسة، وتشمل هذه المواقيت أيام الجمعة والأيام القبلية والبعدية للأعياد الدينية الثلاث: عيد الفطر، عيد الأضحى، عيد المولد النبوي، إضافة إلى شهري شعبان ورمضان وعاشوراء ورأس السنة الهجرية... وأجمعت بعضها في الأحجية التالية:

حاجيتك على العين والعين عندو طناش علام، ستين فقيرة وثلاث سلاطين ووزيرة وهي: العام ـ الشهور ـ أيام الجمعة ـ الأعياد الثلاث ـ عاشورة.

ويتعامل المغاربة مع هذه المناسبات الدينية بكل ما تستحق من إجلال وتعظيم، فيسمونها بـ"العواشر". فيباركون لبعضهم البعض بعبارة على كل الألسن "مبروك عواشرك"، ويدعون لبعضهم بعضا بالصحة والسعادة وطول العمر... سائلين الله أن يتقبل منهم ما يقدمون خلال هذه الأيام من أعمال يتقربون بها من الله، من صدقات وصوم وصلة رحم الأرحام... فيتبادلون الزيارات، ويجتمعون ببعضهم البعض "التعوشيرة"، فيذكرون الله ويمدحون النبي... فرادى وجماعات. ويعبرون عن سرورهم بهذه الأيام بإقامة المأدبات من حلويات ومشروبات، إضافة إلى بعض الوجبات الخاصة التي تدخل في عاداتهم كالفتات بالدجاج، والكسكس بسبع أنواع من الخضر... وتختلف طقوس الاحتفاء بالعواشر من جهة لأخرى، ففي بعض المناطق تتزين النساء بالحناء والسواك والكحل، وفي مناطق أخرى يلبس الرجال أجمل ما يتوفرون عليه، ومنهم من يبيض الحيطان ويطلق البخور والطيب، ومنهم من يقيم ليالي الذكر، ومنهم من يوسع على عياله ـ كما هو الحال في عاشوراء.

رواية شفوية.

Georges S. Colin, *La vie marocaine*, Paris, 1953 ; Doctoresse Legey, *Essai de folklore marocain*, Paris, 1926 ; Victorien Loubignac, *Textes arabes des Zaërs*, Paris, 1952.

صالح شگاگ

العود، آلة موسيقية من ذوات الأوتار، جاء ذكرها في عدة مصادر بأسماء تعددت بتعدد أنواعها، منها البربط، والكران، والمزهر، والقرطبة، والأبج، والمثاني، والمعزف، وسيد الملاهي. وقد كانت هذه الآلة في مقدمة الآلات الموسيقية التي شقت طريقها من المشرق إلى المغرب والأندلس في رفقة العرب الفاتحين، ومنذئذ حفلت المصادر بذكرها والحفاوة بدورها.

تناقل القدماء خبر أول من اتخذ العود للغناء، فزعموا أن لملك بن متوشلح كان له ابن يحبه حبا شديدا، فمات، فعلقه بشجرة، فتقطعت أوصاله حتى بقي منه فخذه والساق والقدم والأصابع، فأخذ خشبا ورققه وألصقه، فجعل صدر العود كالفخذ، وعنقه كالساق، ورأسه كالقدم، والملاوي كالأصابع، والأوتار كالعروق، ثم ضرب به وناح عليه فنطق العود.

وقد أورد ابن سيده في *المخصص* أن العيدان كانت على عهد بني العباس تصنع من خشب الوعس، وهو - حسب الفيروزابادي - شجر تعمل منه البوابط والأعواد، كما ذكر التنوخي في *نشوار المحاضرة* أن العود العباسي كان يصنع من العود الهندي المعطر المستورد من بلاد الشرق الأقصى.

ويتبين من تركيب العود أنه يضم زهاء ثلاثين قطعة تتصل صناعتها بحرف متعددة منها النجارة والخراطة والنقش والترصيع، والنسيج والحدادة. وقد اشترط إخوان الصفا في صناعة هذه الآلة أن تكون من الألواح رقاق متخذة من خشب خفيف، وأن يكون الوجه رقيقا من خشب صلب يطن إذا نقر، كما حددوا مقاييس طول الآلة وعرضها وعمقها وعنقها.

وقد اشتهرت بالمغرب في العهود المتأخرة أوراش لصناعة العيدان كان من بينها ورشة المعلم الفاسي محمد ابن حريبط بفاس المتوفى عام 1994، وورشة المعلم المكناسي الأصل محمد بن أحمد بناني (ت. 1984) بمكناس ثم في حدائق الأوداية بالرباط.

ويتحكم وضع أوتار العود في طريقة تسويته. ولعل أقدم ما وصلنا في هذا الصدد وصف أحمد التيفاشي المتوفى عام 651 لطريقة ابن باجة (ت. 529) في تسوية هذه الآلة. وسوف ننتظر مطالع القرن الثامن عشر ليوافينا الأديب الموسيقي محمد البوعصامي المتوفى حوالي عام 1150 بوصف لتسوية العود بالمغرب، وهي التسوية القائمة على أربعة أوتار هي الذيل والحسين والماية والرمل والتي أصبحت تقليدا متوارثا وخاصة بين أرباب موسيقى الآلة في تسوية العود الذي اصطلح عليه اسم العود الرباعي، أو العود الصويري، أو عود الرمل، وهو صدر صغير وعنق طويل، تسوى أوتاره وفق نظام "الخامسات المتعانقة Quintes embrassées".

ومع تسرب الموسيقى الشرقية الحديثة إلى المغرب في مطالع القرن العشرين دخل العود المصري بأوتاره الستة، وأخذ شيئا فشيئا يستبد بالمجموعات الموسيقية وحتى التراثية منها، وانحسر ظل العود المغربي لينقطع تداوله في نهاية المطاف.

المسعودي، *مروج الذهب*، ج. 4، ص. 220 - 221 ؛ ج. 1، ص. 196 ؛ ج. 7، ص. 20 ؛ *متعة السماع في علم السماع بواسطة* محمد بن تاويت الطنجي، مجلة الأبحاث البيروتية، م. 21 أعداد 2 - 3 - 4، دجنبر 1968، ص. 115 ؛ م. البوعصامي، *إيقاد الشمرع للذة المسموع بنغمات الطبوع*، تح. ع. العزيز بن عبد الجليل، منشورات أكاديمية المملكة المغربية، 1995.

A. Chotin, *Tableau de la musique marocaine*, p. 139.

عبد العزيز بن عبد الجليل

عودة واسمها هو تخفيف على الطريقة الأمازيغية لاسمها الأصلي مسعودة، وهي بنت الشيخ أحمد بن عبد الله الوزكيتي الورزازاتي، تزوجها محمد الشيخ السعدي، وولدت ابنه أحمد المنصور الذهبي. كانت امرأة صالحة عرفت بمشاريعها الإحسانية، فبنت المسجد الجامع بحومة باب دكالة داخل مدينة مراكش سنة 995 / 1586، وأوقفت عليه أوقافا كثيرة، وتردد الرواية الشفوية إلى اليوم هذه المسجوعة "عودة أكلت رمضان بالخوخ والرمان، يا رب تغفر لها"، كتذكير بقصتها في أكل يوم من رمضان بعدما دخلت أحد أجنة مراكش، وغالبتها نفسها لأنها كانت في حالة الوحم. ثم ندمت على ذلك وأمرت ببناء الجامع المذكور تكفيراً عما صدر منها. وأمرت أيضاً ببناء مرافق اجتماعية أخرى، منها قنطرتان إحداهما هي قنطرة حواتة على نهر أم الربيع التي تمت سنة 1000، وبإصلاح الطرق، وحبست عشرات الحوانيت على مشاريعها، وكانت تساعد على تزويج النساء الفقيرات. وينسب لها مسجد لالة عودة بمكناس.

وكانت قد ذهبت إلى القسطنطينية العظمى صحبة ابنها أحمد المنصور وأخيه مولاي عبد الملك. وذكرت بعض المصادر أن التي صحبتهما هي الرحمانية أم عبد الملك. وكانت هذه الرحلة بهدف إقناع السلطان العثماني سليم بن سليمان بمساعدة الأميرين على الحصول على السلطة بالمغرب ضد محمد المتوكل ابن أخيهما محمد الغالب.

توفيت سنة 1000 / 1591.

الناصري، *الاستقصا*، طبعة 2001، 68 . 95 . 122 . 131 ؛ م. حجي، *موسوعة أعلام المغرب*، ص. 949 ؛ ع. الهادي التازي، *المرأة في تاريخ المغرب الإسلامي*، ص. 230 ؛ ابن القاضي المكناسي، *المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور*، تح. محمد رزوق، الرباط، دار المعارف، 1986، 1 : 256 . 257 ؛ *درة الحجال*، ص. 405 . 406.

محمد المغراوي

عَوْسَج أو غَرْدَق بالعربية أو إينْزيركي، أو ماموزا أو عَاتْليلْ أو أزاكو بالأمازيغية أسماء تطلق على ثلاث أنواع نباتية برية أو شبه طبيعية تنتمي لجنس ليسْيومْ Lycium الذي هو من فصيلة الباذنجانيات Solanaceae.

- ليسْبُرم أنْتْريكاتوم Lycium intricatum : جنيبة شوكية، ذات أوراق بسيطة كاملة خضراء لكن ضاربة إلى اللون الفضي، لحمية. أزهارها أنبوبية الشكل وذات لون ججري. ثمارها عنبية الشكل وحمراء.

يصادف النوع في أحراج السهول والجبال المنخفضة الجافة والسهوب السبخية، وعلى أراضي فقيرة، ويوجد في البيومناخيات الصحراوية والجافة وشبه الجافة.

نظرا لكونه نبات سام كما هو الشأن بالنسبة لجل أنواع الفصيلة، يستعمل النوع لعدة أغراض في التطبيب التقليدي.

- ليسيوم أوروبيُوم Lycium europaeum : شجيرة كثيرة الأشواك يتراوح علوها ما بين 2 و4 م، ذات أزهار بيضاء أو وردية أو بنفسجية اللون وأنبوبية الشكل. ثمارها كروية الشكل وحمراء عند نضجها.

يعيش النوع في الأحراج والسهول والهضاب الساحلية، حيث يستعمل لتشكيل أسيجة حية، أو لتثبيت الكثبان الرملية وكذلك في التطبيب التقليدي.

- ليسيوم حَاليميفُولْيُوم Lycium haimifolium : شجيرة قليلة أو عديمة الأشواك، ذات أوراق رمحية وأزهار بنفسجية ضاربة إلى الحمرة.

يعيش النوع في الأحراج والأسيجة في عدة مناطق من المغرب، بصفة شبه طبيعية. لكن موطنه الأصلي غير معروف.

A. Benabid, *Flore et écocytèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*. Ibis Press, Paris, 2000, 360 p. : L. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les connaître*. Ed. Larose, Paris, 1938.

عبد المالك بنعبيد

عوض، حسان، أستاذ جغرافي من الأفذاذ الذين أنجبتهم مصر العربية. وقد ولد من أسرة قبطية في الصعيد المصري سنة 1910 ودرس في مدارسها، وأرسل ضمن البعثة المصرية التي أرسلها الملك فاروق إلى فرنسا لمتابعة الدراسة العليا هناك.

وقد حل بفرنسا لتحضير الدكتوراه إبان الحرب العالمية الثانية وقاسى الأمرين من الغربة والفاقة التي كانت تصاحب عادة الطلبة العرب والأفارقة آنذاك في أوربا وهم قلة.

استطاع هذا الأستاذ العالم الجليل أن يرجع إلى وطنه بعد حصوله على الدكتوراه في الآداب من جامعة باريس في شهر يوليو 1950. والتحق بجامعة عين شمس بمصر، وعمل أستاذا بها. مترددا على فرنسا عدة مرات قبل التحاقه بالمغرب كأستاذ زائر وكباحث.

يعتبر من بين أعلام الجغرافيين المعاصرين، ومن بين رجال جامعة محمد الخامس ومفكريها إبان نشأتها الأولى، فقد التحق مع الأفواج الأولى التي حضرت من المشرق العربي إلى المغرب في السنوات الأولى من الاستقلال للمساهمة في تعريب أسلاك التعلم الثانوي وجامعة محمد الخامس. وقد سألته مرة ضمن حديث ودي عن أسباب اختياره اللجوء إلى المغرب، خصوصا وأنه استقر به قرابة العشرين سنة، فأخبرني أن هناك سببين رئيسيين، الأول معرفته الجيدة بجغرافية هذه المنطقة ويقصد بها منطقة المغرب العربي بما في ذلك الصحراء الكبرى الإفريقية، والسبب الثاني ميله ليعيش ضمن دولة يضللها النظام الملكي (فقد كان ملكيا بطبعه).

الفكر الجغرافي عند الأستاذ عوض حسان :

كان مفكرا موسوعيا على عكس عصره الذي تتسم فيه سبل العلم ومصادر المعرفة بطابع التخصص الدقيق. فهو متخصص في الجغرافية الطبيعية وبارع في الجغرافية البشرية من حضرية وأرياف، وهو إلى ذلك له معرفة بالتاريخ والسوسيولوجيا والإحصاء، بالإضافة إلى إتقانه عدة لغات، لغته الأم العربية بالإضافة إلى الإنجليزية والفرنسية مع إلمامه باللغة الألمانية.

عزز حضور الجغرافية في مختلف المحافل العلمية، فلا تخلو قاعة مؤتمر من المؤتمرات الدولية أو الإقليمية أو المحلية من حضوره وذلك منذ تخرجه، وهكذا قرب الجغرافية الحديثة من الأجيال الجديدة، بواسطة إشرافه على أطروحات في الجغرافية الطبيعية والبشرية، ودروسه التي يصح أن يطلق عليها بأنها السهل الممتنع ومهد للجغرافية الحديثة السبيل إلى الحياة العامة والحركة المتفاعلة مع المجتمع بواسطة مؤلفاته، وأذكر أنه كان من المناصرين لتكوين لجنة تحمل اسم الجغرافية التطبيقية في المؤتمر الجغرافي الأول الذي انعقد بالعاصمة البريطانية سنة 1964. إذ يرى أنه يجب الاستفادة من الجغرافية في مشروعات التنمية الاقتصادية إذ أن الجغرافية لم تعد علما تربويا بحتا. فهو يقول بأنه غدا من الطبيعي ألا يقف الجغرافي موقف المتفرج إزاء المشكلات الاقتصادية والاجتماعية التي ترافق التقدم والنمو الاقتصادي. فالبحث الجغرافي سجل تقدما في مناهجه وطرائقه، جعلته يتوصل إلى نتائج علمية تتوفر على درجة كبيرة من التثبت والدقة، مما دفع بالجغرافيين إلى الإدلاء بآرائهم في مشكلات الحياة العلمية على أساس المعارف المكتسبة من واقع دراستهم.

ويقول، أن علمنا هذا تجاوز مرحلة الوصف المعقولي أو التفسيرات لظاهرات سطح الأرض، إلى مرحلة الكشف عن الوسائل المختلفة التي قد تعين على حل الكثير من المشكلات التي يصادفها من يعهد إليهم بأمور الدولة والمتصلة بالتنمية الاقتصادية والتخطيط القومي والإقليمي. ويرى أن الجغرافية علم تركيبي مرتبط بمختلف العلوم، يمسك بأطراف المعارف الطبيعية والبشرية على السواء، ويجمعها على صعيد واحد. ومن ثم كانت نتائجها أدعى إلى الصحة وأقرب للشمول من أي دراسة أخرى، وعلى ذلك فلا غرو أن تجد الجغرافية مجالات متعددة للتطبيق العلمي في مختلف مشروعات التجهيز والتنمية. ويرى أن الدراسة الخالصة البحتة ضرورية لأغراض التطبيق حتى لا يتحول رجال البحث العلمي إلى مجرد فنيين في خدمة الإدارات والشركات، لا يفتئون يكررون على مدار الزمن، وبصورة آلية عمليات قد صبت في قوالب معينة، وفي هذا ما يفقدهم بعد حين روح التجديد، وما ينتهي إلى الانحدار بالعلم. ذلك أن البحث العلمي، يجب أن لا يرصد لخدمة غرض محدود، بل يتعين عليه أن ينطلق باحثا في الحقائق التي يكون التوصل إليها سبيلا إلى خدمة البشرية، ومن غير أن تكون هذه النتيجة مضمونة لذاتها، فالصلة إذن وثيقة بين النظرية والتطبيق، ولا يستقيم التطبيق دون ممارسة مستمرة للدراسات البحثية الأكاديمية، ومن الخطر، كل الخطر، القول بوجود نمطين جغرافيين متباينين أحدهما نظري والثاني تطبيقي، ويرى أن الجغرافية التطبيقية امتداد طبيعي للدراسات الجغرافية الأصلية، ولئن أفاد الغير من هذه الدراسات فإن في احتكاك الجغرافيين بغيرهم من أصحاب العلوم الأخرى، وتدخلهم في المسائل الحيوية مصلحة لا تنكر. فلا بد أن يعود ذلك بالفائدة على الدراسات الجغرافية التي ستجد في مجالات التطبيق أبعادها الحقيقية. (انتهى كلام الأستاذ حسان عوض).

وهكذا استطاع بنمط أبحاثه وكتاباته أن يتجاوز حدود وطنه ويخترقها ليصل إلى آفاق عربية وعالمية أوسع وأرحب، فكان موسوعة من موسوعات الجغرافية المتعددة التخصصات، مما يشهد عليه مؤلفاته المتعددة.

توفي ببازيز في شتنبر 1996.

مريم حكم

العوفي، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Ofra - Ofre - Ofri ؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Ofir وهو اسم مدينة إسبانية.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها ف الرقم 1207.

محمد ابن عزوز حكيم

العوفي، أسرة من الأسر العلمية بقرية "أكال ملولن" بتراب قبيلة إبداوبعقيل، إلى الجنوب الشرقي من مدينة تيزنيت. يتصل نسبها بعمرو بن عوف بن مالك السلاوي، ويبدو أن أحد أجداد الأسرة قد نزح من سلا إلى سوس في تاريخ مجهول.

نبغ منها علماء وفقهاء أفذاذ كما يظهر ذلك من خلال وثائق خزانة آل العوفي.

العوفي، أحمد بن عبد الرحمان، الأستاذ القاضي، ولد في ضحى يوم الاثنين 12 صفر 1332 / 1913. تخرج بمدينة بونعمان لدى العلامة أحمد بن مسعود المعدري. وكان من نجباء المدرسة، حيث أظهر نبوغا وذكاءا فائقا، مما أهله للالتحاق بجامع ابن يوسف بمراكش، وبه قضى نحو ثلاث سنوات. ورغم قصر مدة تحصيله بالحمراء، فقد تخرج متمكنا في عدة معارف. ويبدو أن والده استعجله للرجوع إلى بلده، فانخرط في سلك العدالة بتيزنيت. وقد تفطن شيخه أحمد ابن مسعود لهذا الأمر، لهذا نصحه بضرورة الاستزادة من العلم، وأن ما هو بصدده لا يتناسب ومكانة أسرته العلمية. بيد أن المترجم قنع بخطة العدالة، التي قضى بها وقتاً طويلاً، إلى أن استقال منها ثم صار من أطر الأحباس بتيزنيت. وفي بداية الاستقلال تولى القضاء بزاگورة ثم تاليوين، ثم رجع ثانية إلى خطة العدالة حتى وفاته يوم السبت 24 صفر 1414 / 14 غشت 1993.

ع. الرحمان العوفي، *كناشته*، مخطوط ؛ م. السوسي، *المعسول*، 13 : 96 ؛ 14 : 71 . 82 ؛ *خلال جزولة*، 2 : 160 ؛ *رجالات العلم العربي بسوس*، 241 . 373 ؛ م. بن عبد الرحمان التدارتي، *قلائد المرجان في تعيين بعض أعلام وجان*، مخطوط، ص. 82 . 83.

العوفي، عبد الرحمان بن محمد، علامة فرضي، ولد في 15 جمادى الثانية 1284 / 1863. تلقى مبادئه العلمية بقرية بونعمان، وفيها لازم العلماء المسعوديين وخاصة العلامة مسعود (1301 / 83 . 1884) ومن بعده ابنه محمد "حتى تفوق على يده، وصدر عنه بعلوم جمة". وقد أجازه هذا الأخير عام 1312 بإجازة قيمة، اعتبرها المختار السوسي من آثار ابن مسعود الكبرى لما أودع فيها من الأسانيد. ومشاركته واسعة في الأدب والفقه والحديث والتفسير، إلا أن منزعه يميل إلى الفرائض والحساب والنوازل.

تصدر للتدريس في عدة مدارس منها : موزايت، وجان، آيت رخا، المسجد الكبير بـ"وانيضا"، وأمسرا بإيفران. ومن حين لآخر كان المسعودين يستخلفونه عوضا منهم بمدرسة بونعمان، فاتسعت مداركه. وكان يشارك في المذاكرات العلمية على غرار أستاذه بتحقيقاته وتدقيقاته، لاسيما في النوازل وعلم التركات، وهو القائل مباسطة "سيموت هذا العلم (الفرائض) بموتي" وعد بذلك المرجع والمستشار الوحيد في المحكمة الشرعية بتيزنيت على عهد القاضي محمد أوعمو، فكان "لا يبرم ولا ينقض في قضية تحتاج إلى نظر إلا بواسطة" وعلى هذا الأساس صار قبلة المتقاضين من جميع الآفاق. ونظرا لقيمة وغزارة فتاويه، قام ابنه القاضي الأستاذ أحمد بجمعها في مجلدين كبيرين.

وكان لاتصال المترجم بالمسعوديين أكبر الأثر حتى اعتنق الطريقة الإلغية / الدرقاوية أواخر سنة 1320 فأصبح منذ ذلك التاريخ يفد على زاوية إلغ في المواسم. كما كان الشيخ الإلغي يزوره بداره في ذهابه أو إيابه إلى الزاوية عند قدومه من أزغار تيزنيت. حاز العوفي مكانة علمية مرموقة، أهلته لتوطيد علاقات بعلماء وقته وكذا شيوخ وقياد القبائل.

عرف المترجم بشغفه الكبير في اقتناء الكتب واستنساخها، حتى تحصلت لديه خزانة تعد من أكبر الخزانات الخاصة بسوس.

أحمد بومزگو

العوفي، محمد بن إبراهيم، نوازلي، أخذ جل معارفه عن الأدوزيين. وصف بأنه كان ذا همة كبرى في مجال النوازل. وإليه يرجع الفضل في تقسيم الأراضي المنبسطة بأزغار تيزنيت بين قبيلة إيداوبعقيل وجيرانها خاصة آيت تيزنيت وآيت جرار والمعدر. توفي عام 1311 / 1894 . 93.

العوفير، أسرة أندلسية من الرباط عرف أفرادها بالإحسان والصدقات. وقد بنوا زاوية على أرض كانت في ملك آل بلگناوي وهي زاوية الشيخ لزارو. وتعدد فروع هذه الأسرة فقطنوا مختلف أحياء المدينة القديمة مثل البحيرة التي ربما كانت موطنهم الأصلي قبل أن يتفرقوا في الأحياء

الأخرى مثل فران الزناقي وقرب الزاوية القادرية وحي سيدي الضاوي ودرب الحساني بسقاية البربيري قرب سيدي عبد القادر بن أحمد وعلى مقربة من سقاية بلمكي وتحت الصابة جوار فران الساباط. وتصاهر آل العوفير مع آل طريدانو وآل ابن مسعود وآل بن إبراهيم وآل الباشا ولهم قرابة مع أولاد ابن يوسف.

وعرف منهم عدة شخصيات في التجارة، وكان منهم بعض كبار الملاك العقاريين بالرباط. فأثناء دخول الفرنسيين سنة 1912 كانت هناك أرض العوفير التي تبلغ 122 هـ في طريق زعير ومازال جزء منها يحمل هذا الاسم إلى حد الآن. وأراد الفرنسيون شراء بعض الهكتارات منها لإنجاز المطار هناك فيما عرف فيما بعد بحي المناطيد أو الطيارات ولكنهم عوض أن يشتروا تلك الهكتارات المحدودة استولوا على مساحة شاسعة منها دون مقابل، بالرغم من أن للأسرة رسومها التي تثبت ملكيتها للعقار المذكور.

ومن بين المعروفين من هذه الأسرة المختار ومحمد بن الجيلالي الآتي ذكرهما.

معلومات شخصية وروايات شفوية من بعض العارفين بأخبار الأسرة. ومعلومات من السيد محمد الأمين بلكناوي.

عبد الإله الفاسي

العوفير، الحسن بن محمد، قائد كان يترأس جماعة من مجاهدي قبيلة الفحص انظم إلي المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني، وقد شارك في المؤتمرات التي عقدتها الثورة بضريح سيدي يسف التليدي يوم 7 ماي 1913، بقرية عين الدالية يوم 11 من نفس الشهر وبضريح مولاي عبد السلام بن مشيش يوم 20 يوليوز من نفس السنة حيث عين عضوا في القيادة المركزية للمقاومة ؛ وقد شارك في عدة معارك.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب*، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

العوفير، الصديق بن الجيلالي، من علماء الرباط وعدوله. تتلمذ على يد المكي البطاوري والفقيه محمد الروندة والجيلاني بن إبراهيم. انخرط في سلك عدول مرسى الرباط طوال حياته. درس عليه جماعة من الطلبة وكان يعطي دروسه - بمسجد البحيرة قبالة منزله - في رسالة أبي زيد القيرواني وغيرها من العلوم كالفقه والنحو. توفي في 15 دجنبر 1963.

الجراري، *من أعلام الفكر*، ج. 2، ص. 306.

العوفير، محمد بن الجيلالي، ولد بالرباط سنة 1878 اشتغل بالتجارة التي درت عليه أرباحا مهمة، له تعليم متواضع، رشح لعضوية اللجنة البلدية سنة 1931 بمدينته. اتجر في وهران ورغب في تقلب وظيفة محتسب، ولم تسند إليه.

و. خ. ع. ملف 620، تجديد أعضاء اللجن البلدية، 1930 - 1931.

العوفير، المختار كان أيام السلطان مولاي الحسن أمينا لمستفاد مراكش، وتعين في هذه الوظيفة سنة 1296 / 1873 ثم انتقل إلى فاس حيث استدعاه السلطان للقيام بوظيفة أمين دار عديّل سنة 1301 / 1883.

الفاسي، *مدينة الرباط وأعيانها*، ص. 224 - 226.

عبد الإله الفاسي

العولة، من فعل أعال يعول أي يتكفل بمؤونة شخص أو جماعة من الناس والعولة منها التلقائي ومنها المتفق عليه ومنها المفروضة. فالعولة التلقائية تدخل في نطاق التكافل الاجتماعي إما داخل العائلة أو القبيلة، إذ يتكلف الميسورون أو "الجماعة" بعولة الأسر المحتاجة من أيتام وأرامل ومرضى وغيرهم، وتدخل في هذا الإطار الجمعيات الخيرية وجمعيات رعاية المكفوفين والمعاقين وما شابهها ؛ أما العولة المتفق عليها فتكون عادة ما بين المشغل وطالب الشغل في البادية مثل الخماس والرباع والراعي فيتفق الطرفان على الأجرة أو النصيب السنوي وفق العرف السائد ويتفقان على العولة أي أن يقوم المشغل بتقديم المؤونة السنوية إلى المشتغل عنده إلى حين نضج المحاصيل أو الإنتاج وتوزيعه. ويدخل في هذا الإطار الفقيه في مسجد الدوار أو القبيلة فيتم الاتفاق بعد قبول "شرطه" أن تقدم له العولة السنوية إلى حين بلوغ فصل الصيف وتحصيل "الشرط" أي ما تم الاتفاق عليه من حصته كأجرة على كل "كانون" أو "خيمة"، وأحيانا يتم قبول الفقيه "فقيه الشرط" وفق أجرة نقدية محددة في الأسبوع أو الشهر بالإضافة إلى العولة السنوية أي تزويده بالمؤونة السنوية.

تتكون العولة في الغالب من المواد الغذائية الاستراتيجية الأساسية : حبوب (قمح، شعير، قمح طري، ذرة) وسمن أو زيت ولبن وغيرها وتختلف بحسب المناطق والإنتاج الفلاحي السائد وفي بعد المناطق يدخل فيها العلف والكسوة أو الصوف لصناعتها، وفي مناطق أخرى تدخل فيها الإنارة أو حصة من ماء السقي والحطب أو الفحم للطبخ وهكذا...

العولة لا تطلق فقط على ما يتم التعاقد عليه ما بين طرفي الإنتاج أو الخدمة، بل تشمل ما يخصصه الفلاح لمؤونته السنوية ومؤونة ضيوفه المحتملين فغالبا ما تتحدث المصادر عن كميات ومحاصيل يتم إزالة العولة منها والباقي يباع في الأسواق فيقولون "فلان رفد لعولته كذا، وباع كذا وترك للبذر كذا...".

أما العولة المفروضة فغالبا ما كان يفرضها المخزن على القبائل خاصة أثناء الحركات والحروب فيفرض على كل قبيلة كمية أو نصيب من العولة لصالح المحلة الفلانية، وكل قبيلة

بحسب ما تشتهر بإنتاجه وقد شكلت العولة إلى جانب الخراج والزكاة وغيرها من الضرائب التي تتعدد كلما اشتدت حاجة المخزن إلى الأموال النقدية والعينية. وقد شكلت عبئا كبيرا أثقل كاهل الناس طيلة العصر الوسيط والحديث وإلى بداية القرن العشرين.

التادلي، *التشوف*، الرباط، 1958 و1984 ؛ البادسي، *المقصد الشريف*، الرباط، 1982 ؛ الونشريسي، *المعيار المعرب*، بيروت، 1981 ؛ الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة* (تاريخ الضعيف الرباطي)، الرباط، 1986 ؛ الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954 و1955 ؛ الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1980.

R. Montagne, *Les berbères et le makhzen dans le sud du Maroc*, Paris, 1930 ; P. Pascon, *La maison d'Iligh et histoire sociale du Tazroualt*, Rabat, 1984 ; G. Marcy, *Le droit coutumier Zemmour*, Alger, Paris, 1949.

محمد حجاج الطويل

العولي، محمود، ولد سنة 1939 بأسا ناحية طرفاية إقليم طانطان.

لما اندلعت شرارة الكفاح التحرري بجنوب المملكة وبالخصوص في أقاليمنا الصحراوية لتعلن بهاية الوجود الاستعماري كان العولي محمود من الوطنيين الذين أهدوا أرواحهم لهذا في سبيل الوطن حيث شارك مع الفرقة السابعة لجيش التحرير بالجنوب والتي كانت تحت قيادة كل من رام فضيلي والتامك إيدي في عدة معارك وهجومات ضد قوات الاحتلال الاسباني وذلك منذ تاريخ انخراطه في صفوفها أي منذ سنة 1958 إلى أن استشهد في معركة أم العشار الثانية سنة 1959 بعد أن شارك بفعالية كبيرة في معركة أم العشار الأولى التي دارت رحاها بالصحراء.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة رقم 501196.

عون، محمد من مواليد سنة 1912 بمركز أربعاء العونات بإقليم الجديدة.

انخرط في صفوف المقاومة المسلحة منذ انطلاق الشرارة الأولى حيث انضم إلى إحدى المنظمات السرية تحت مسؤولية السيد المعتصم التيجاني إلى جانب سالك الجيلالي والمكاوي إدريس وزيوان أحمد، ونتيجة لنشاطه الفدائي فقد تعرض للاعتقال والتعذيب. ثم تم الافراج عنه. بعد استقلال المغرب.

توفي في شهر يناير من سنة 1996.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة رقم 519930.

العونات إحدى القبائل العربية الهلالية الكبرى بدكالة، يحدها شمالاً أولاد فرج، وجنوباً القصيبة وشرقاً الرحامنة وغرباً مطران والمشرك وتتوسطها الزاوية التونسية على الطريق المؤدية إلى صخور الرحامنة. وتعتبر هذه الزاوية من المراكز الثقافية بالمنطقة، تأسست في عهد السلطان المولى إسماعيل على يد الفقيه الصالح التونسي بن مبارك العوني وتقع على تل صغير يدعى "كدية العرعار" وصفها كولفان عام 1917 بأنها "عبارة عن مجموعة من الدور العتيقة المحاطة بالقباب البيضاء وبغابة من أشجار الزيتون. تشتمل إحدى هذه الدور على فناء رحب مفتوح تحف به أعمدة عالية تحمل إفريزات من الخشب المنقوش ..." ومن مرافق الزاوية : المقصورة وهي مكان إلقاء الدروس وإقامة الصلوات، ومجموعة من الغرف المخصصة لسكنى الطلبة الذين يتجاوز عددهم مائة أحياناً بالإضافة إلى مكتبة غنية بالمخطوطات مفتوحة في وجه الطلبة والمدرسين.

وقد دعي المؤسس "التونسي"، وليس اسمه الحقيقي، وإنما لطول إقامته بالبلاد التونسية نحو سبع سنين عند رجوعه من الحج. وسميت زاويته "تونسية" وعقبه كذلك، وإنما هم من العونات لذلك تجد في كتب التراجم ازدواجية نسبهم : فلان التونسي العوني.

م. الكانوني، *جواهر الكمال*، الدار البيضاء، 1356، ج 1 ؛ م. الشياظمي، *حسن الدلالة على ما انقرض من حواضر دكالة*، مخطوط ؛ *مدن وقبائل المغرب، ناحية دكالة*، تر. م. الشياظمي ؛ وزارة التربية، *أعلام ومآثر دكالة*، 1981.

العوني، أسرة سلوية عريقة أصلها من قبيلة العونات الدكالية الهلالية، انتقلت أوائل القرن العاشر (16 م) إلى سلا عقب اكتساح الاستعمار البرتغالي لبلادهم، وأقدم من يعرف له ضريح من العونيين بسلا هو الأستاذ المقرئ سيدي عبد الله العوني من رجال القرن الحادي عشر آتي الترجمة.

كانت دار الحاج أحمد العوني بدرب حمام الطالعة أكبر دور العونيين بسلا، ومازالت معروفة لهم حتى اليوم اقتطعوا جناحاً منها جعلوه زاوية يقرأ فيها *دلائل الخيرات*، وقد جددت أخيراً وأصبحت تقام بها الصلوات الخمس ويقرأ بها أحزاب القرآن مغرباً وصبحاً.

تميز العونيون السلويون بالمشاركة في حركات الجهاد النشيطة بالمدينة في البر والبحر، وفي وثائقهم القديمة إشارات إلى صفة الجهاد لدى بعض جدودهم، لكن الوثائق الرسمية التي تنظمهم في عقد المجاهدين متأخرة لا يعدو تاريخها أواخر القرن الثالث عشر (19 م) نشرت ضمن ما نشر من وثائق ولاة سلا المتأخرين من أولاد ابن سعيد والصبيحيين باعتبار أن الولاة كانوا مكلفين بتوزيع الصلات الملكية على المجاهدين بالمدينة وهكذا فإن القائمة رقم 85 من وثائق بني سعيد المتعلقة بالصلات التي أنعم بها الحسن الأول على البحريين الواقفين على وظائف الجهاد بتاريخ 16 قعدة عام 1292 (14 دجنبر 1875) تشتمل على أسماء ثلاثة من هؤلاء العونيين إبراهيم بن أحمد العوني، وسي محمد العوني، وسي محمد بن الحاج عبد الله العوني. ويتكرر اسم محمد العوني في القائمة 171 من نفس وثائق بني سعيد المتعلقة بالصلات المنعم بها على المجاهدين البحريين بتاريخ 28 ذي الحجة عام 1311 (2 يوليوز 1894).

كما أن القائمة 84 من نفس الوثائق المتعلقة بالصلات المنعم بها على المجاهدين الطبجية بتاريخ 16 قعدة عام 1292 (14 دجنبر 1875) تشتمل على اسم أحمد بن الفقيه العوني، وفي القائمة 170 المتعلقة بالصلات المنعم بها على الطبجية الواقفين على باب الجهاد بمحروسة سلا بتاريخ 28 ذي الحجة عام 1311 (2 يوليوز 1894) نجد اسم عبد القادر العوني.

أ. الناصري، *الاستقصا*، ط 3، الدا البيضاء، 2001، ج 6 : 134 ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، ط 2، الرباط، 1996، ص. 124 ؛ م. بوشعراء، *التعريف بني سعيد السلاويين*، ج 2، الرباط، 1991.

العوني، عبد الجبار بن محمد، ولد سنة 1930 بالعونات، إقليم الجديدة. انضم إلى صفوف المقاومة السرية المغربية، وعمل بها من سنة 1953 إلى تاريخ 13 نونبر 1955.

شارك مشاركة فعالة ضمن تشكيلة "جيش الأطلس" التي كانت تحت مسؤولية السيد سيف الحق محمد القادري. وكان نشاطه موزعا بين مدينة الجديدة والدار البيضاء. وكان يعمل بإيمان وإخلاص في سبيل تحرير البلاد. ومن أهم أعماله الفدائية : اغتيال أحد رجال البوليس ونزع سلاحه، اغتيال خائن بدرب عمار، وضع قنبلة بمنزل أحد الخونة، ثم رمي مفرقعتين على مقهى أفيفال بشارع لاجيراند. وأثناء قيامه بهذه العملية الأخيرة، سقط شهيدا على إثر إصابته برصاص العدو. كان ذلك بتاريخ 18 نونبر 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة رقم 518418.

العوني، عبد الله العلامة الولي الصالح، من أصحاب الشيخ سيدي مَحمد مفضل الشرقي (مولى الگمري) (ت. 1071 / 1661) وإذا كانت كتب التراجم لم تتحدث بتفصيل عن العلاقات بين الشيخ والتلميذ فالغالب الذي تعززه الروايات الشفوية أن أخذ المترجم عن شيخه الشرقي كان مزدوجاً : علوم القرآن والقراءات من جهة، وسلوك طريق القوم المتصلة بالشيخ سيدي بوعبيد الشرقي.

توفي عبد الله العوني بسلا عام 1095 / 1683 وقبره مزارة شهيرة خارج باب معلقة.

أ. الناصري، *الاستقصا*، ط 3، الدا البيضاء، 2001، ج 6 : 134 ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، ط 2، الرباط، 1996، ص. 124.

العوني، محمد بن محمد بن عبد الله السلوي، جدي لأمي، حافظ كتاب الله المداوم على تلاوته حتى آخر عمره رجل طوال قوي البنية، آتاه الله بسطة في العزم والجسم ولد بمدينة سلا ليلة الجمعة 29 رمضان 1292 / 1875 وهو ما يعرف عند المغاربة بالعيد والعويّد. (*الاستقصا*، ج 8 : 165).

اشتغل في شبابه بتجارة البز في بادية الغرب، وبالفلاحة في كهولته وشيخوخته، وكان مولعاً ـ كخاله الشيخ العربي معنينو ـ بإنشاد الشعر الملحون ونظمه. ولمادنا أجله أعرض عن الدنيا وأقبل على ما ينفعه في آخرته منقطعاً للصلاة وتلاوة القرآن، يقرأ بالتوالي مائة سلكة فمائة، ويسجل تاريخ بداية السلكة ونهايتها في كناشته العلمية.

تتكون هذه الكناشة من 221 صفحة من القطع المستطيل ـ وهي مصورة بقسم الوثائق من الخزانة العامة، مشتملة على قسمين متميزين، الأول مختارات من قصص تاريخية وأدبية ودينية وأحاديث وأشعار حتى صفحة 59 بخط مغربي جميل ملون لا أدري إن كان لصاحب الكناشة في مقتبل عمره أم لغيره، والثاني بخط المترجم النسخي المدمج المليح، عبارة عن مقيدات فلكية وميقاتية متنوعة. وقصائد من الملحون لشيوخ سلا ومكناس وفاس ولصاحب الكناشة نفسه. وأطول قصيدة له فيها رحلة حجازية على طبع (الأگناوي) قام بها عام 1373 / 1954 واصفاً خروجه مع ركب الحجيج من باب فاس فالمراحل التالية إلى الوصول إلى الحرمين الشريفين، حريتها :

شفْ من حالي وْحالتي يالامت لاتتاح
رغبُو مولانا خالقي يكمّل مرادي
انمتّعْ نظري فامقام النّبي الهادي لبْشير

وتشتمل الكناشة أيضاً على فوائد تاريخية واجتماعية منها وفيات بعض الشخصيات السلوية المرموقة في النصف الأول من القرن الرابع عشر (20 م).

توفي بمدينة مكناس سنة 1375 / 1956 ودفن بمقبرة الشيخ الكامل خارج ضريحه.

أ. الناصري، *الاستقصا*، ط 3، الدا البيضاء، 2001، ج 8 : 165 ؛ م. العوني نفسه، *كناشته العلمية*، مخطوطة.

العوني، مَحمد بن محمد المترجم قبله. خالي وشيخي. ولد بمدينة سلا في فاتح رجب عام 1330 / 16 يونيه 1912، وبها نشأ وحفظ القرآن وجوّده على يد شيخ القراء الأستاذ مَحمد بوشعراء، ودرس على فقهاء المدينة أمثال شيخ الجماعة أحمد ابن بنعاشر ابن عبد النبي والميقاتي الباشا الحاج محمد الصبيحي، والنحوي الطيب ابن الشليح. وحضر مجالس حافظ العدوتين سيدي المدني ابن الحسني الرباطي في التفسير والحديث والأصول.

كان آية من آيات الله في الفهم والتفهيم والإيضاح والتشويق والمثابرة على التدريس قرأت عليه في المرحلة الأولى لطلبي للعلم مبادئ العربية والعقائد والتجويد والفقه وأصوله والمنطق والجدل، منفرداً أو مع جماعة من الطلبة بمنزله أو بضريح سيدي عبد الله ابن حسون ومسجد الصابونجي برأس الشجرة. وختمنا عليه أكثر من مرة *الآجرومية* و*لامية الأفعال* و*جمل المجراد* السلوي و*ألفية ابن مالك* و*المرشد المعين* و*رسالة ابن أبي زيد* وسلّم الأخضري، فنقيم نزهة شيقة لبضعة أيام عند كل ختم حسب الفصول على القلك بوادي أبي رقراق أو بضريح سيدي أبي موسى

الدكالي أو بأحد البساتين في ضاحية المدينة، وكان لجمالية طبعه يُعد لها أطايب الطعام والشراب ويحضر جماعة من المنشدين العارفين مثله بالطبوع الموسيقية.

درّس مدة بمؤسسة مَحمد جسوس الحرة بالرباط قبل أن يعينه محمد الخامس كاتباً بدار المخزن، وكان من المقربين إليه، ثم قاضياً بمجلس الاستيناف الشرعي، وبعد الاستقلال أصبح قاضياً مستشاراً أو نائب رئيس أو رئيساً لبعض المحاكم الإقليمية بالرباط ومكناس والجديدة. وحرر بخطه الجميل أحكاماً تحتوي على اجتهادات شخصية نالت استحسان عدد من القضاة والرؤساء. لم يؤلف كتاباً إلا تعليقات وطرراً كثيرة مفيدة بهوامش الكتب التي كان يدرسها للطلبة بخزانتي كثير منها.

نكب في آخر عمره جسمياً ومعنوياً عندما هاجمه بالسلاح الأبيض طالب عاق من قدماء طلبته، وتوفي بمدينة الجديدة، وهو قاض بها، يوم 27 جمادى الأولى 1392 / 9 يوليوز 1972.

معرفة شخصية ؛ وثائق عائلية ؛ مقيدات المترجم بخطه.

محمد حجي

عوا (ضاية -)، تحتل منخفضا كارستيا يقع على بعد خمسة عشر كلم شمال مدينة إفران وثمانية كلمترات جنوب المركز الحضري لإيموزار كندر بالأطلس المتوسط الهضبي وعلى الطريق الرئيسية رقم 24.

يطل عليها شمالا جبل ليما اوكوالي بارتفاع 1608 م وجنوبا جبل عوا بارتفاع 1730 م، ويرتفع سطح البحيرة بـ1462.7 م على مستوى سطح البحر وهي محاطة بسفوح غابوية تسود بها شجرة الفلين الأخضر.

وإذا كان تعريف البحيرة عبارة عن وسط مائي ممتد وذو عمق مختلف محاط بمرتفعات تحول دون تصريف مياهه في كل الاتجاهات فإن لكل بحيرة خصوصياتها التي تتعلق بعمقها، وطبيعة جوانبها، ومحيطها البنيوي وطبيعة صخارتها، مما يسمح بتفسير نشأتها وتطورها قديما وحديثا. وإذا كانت عموما تصنف تبعا لتلك الخصوصيات إلى بحيرات بنيوية، جليدية بركانية أو كارستية، فإن ضاية عوا تجمع في آن واحد صفات البحيرة الكارستية، والبحيرة المرتبطة إلى حد كبير بوقع ظروف البيئة والبنائية للوسط المحيط.

ويورد بحث الأستاذ *Martin* 1981 تفاصيل دقيقة عن ظروف المحيط المباشر للضاية مثل سيادة صخور كلسية دولومية تنتمي للحقبة الجيولوجية اللياسية ووجود شبكة انكسارات كثيرة توجه إلى حد كبير التصريف الجوفي للمياه ونشأة المنخفض الكارستي لضاية عوا. كما أن الثقوب المنجزة في المنطقة من طرف مديرية هندسة المياه 1991 تكشف بشكل دقيق التطابق والتراتب الصخاري للوسط المحتضن لضاية عوا. كما أن الفحص المرفلوجي لمؤشرات التشكيل المحلي يوحي بتأويلات متداخلة، منها ما هو بنيوي، مناخي، هدرلوجي، صخاري، وبنيومناخي. وقد تعرض المنسوب المائي للضاية لضغط الجفاف في السنوات الأخيرة فتواصل تراجع مستوى سطحها باستمرار رغم التصاعد الظرفي وقد سجلت الضاية فترات جفاف مطلق في السنوات الأخيرة، لا سيما خلال سنة 1994 / 95 وأيضا في سنة 2001 حيث جفت البحيرة كل مرة لأكثر من فصل كامل.

ولقد تتبعت مديرية هندسة المياه لحوض سبو متوسط المنسوب السنوي للضاية {بالسنتمتر} فاتضح تراجع عمقها بشكل متواصل من 644 سم سنة 1992 إلى 278 سم سنة 1995.

ورغم انتشار فلاحة الورديات في محيط الضاية، فإنه يستبعد أن يكون للعامل البشري وقع مباشر في جفاف الضاية المتواصل، لأن عدد الضيعات المسقية بناء على ضخ المياه الجوفية ما يزال محدودا في الوقت الحاضر. كما أن العيون المتفجرة في محيط الضاية بعين سيدي ميمون تلبي حاجيات الساكنة من الماء في كثير من الحالات إذا أضفنا لذلك الطبيعة السياحية للضاية، وضآلة تأثير سقي الماشية يمكن القول أن تراجع المنسوب المائي للضاية يبقى طبعيا بالأساس، مرده نفادية الصخورة، البنائية وقوة التبخر.

أمام إشكالية جفاف البحيرة وتكراره المتزايد، ظهرت منذ الثمانينات ضرورة التفكير في حلول وقائية. كان أولها إنجاز ثقب بطلب من سلطات إفران، تفجرت مياهه يوم 21 يناير 1986 بصبيب يصل 100 لتر / ث، لكنه لم يدم سيله أكثر من ثلاثة أشهر.

كما تم التفكير في تخصيص جزء من صبيب عين سيدي ميمون {المطل شرقا على الضاية} من أجل تعويض البحيرة من فاقدها المائي، لكن هذا الحل فجر صراعا بين السلطات المحلية والمستعملين للماء من قبيلة آيت إدير.

عموما فإن موقعا ترفيهيا ذو قيمة طبيعية عالية مثل ضاية عوا يطرح إشكالا كبيرا يستوجب تعميق الرؤى في معالجته من أجل اتخاذ الحماية ودعم المؤهلات البيئية والسياحية للضاية، أو بالنقيض دعم التنمية الفلاحية المتعصرنة باستمرار لضخ واستهلاك الموارد المائية المحدودة لسقي الورديات المتكاثرة مع الزمن في محيط البحيرة.

إبراهيم أقديم

عوّاد، أحمد السلوي، من أوائل رباس مطلع عهد سيدي محمد بن عبد الله، حيث تمت الإشارة إلى حضوره بهذه الصفة منذ سنة 1175، واعتبر كأحد الرياس الفاعلين إلى جانب الرايس قنديل السلاوي. وقد ظل معتمدا ضمن الرياس في سنة 1182 / 1768 دون أن تشير الوثائق إلى قيادته للسفن آنذاك، ودون أن يتجدد حضوره في لوائح الرياس للسنوات اللاحقة.

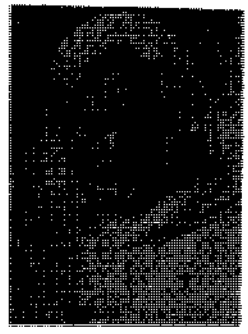

الضعيف، ص. 70 ـ 169.
Chenier. *Journal*. p. 96 - 97.

عوّاد، بنحسون (الحاج -) السلوي، من كبار رياس عهد سيدي محمد بن عبد الله. كان في سنة 1760 إلى 1766 م من بين الرياس الأساسيين المعتمدين، قبطانا لموكب جهادي مجهز بأربعة وعشرين مدفعا، ومائة وخمسين من رجال البحرية.

وقد واصل مهمته في سنة 1182 / 1768 مشرفا على سفينة دعومة مجهزة بأربعة عشر مدفعا، ورفع كفاءته الهجومية في السنة التالية إلى ستة عشر مدفعا، قبل أن يستبدلها في سنة 1770 بفرقاطة أكثر قوة مجهزة بثمانية وعشرين مدفعا وبطاقم مؤلف من مائتي رجلا. ويبدو أن الرايس المذكور قد أسندت إليه مهمة خفر السواحل قبالة ثغر الصويرة رفقة الرايس أحد الكوار، كما يتضح في الظهير السلطاني الموجه إلى الرايس يوسف الطرابلسي. وقد استمر نشاطه الملاحي حتى ما بعد سنة 1784، حيث كان من الرياس السلاويين المنعم عليهم بإنعام السلطان.

العسري، ص. 34 ؛ ابن زيدان، 3، ص. 260، 262 ـ 263 ؛ *الرئاسة*، ص. 1 ـ 2.
Chenier. *Journal*. pp. 97, 103-104 et 111.

عوّاد، الطاهر بن الهاشمي السلوي، من رياس الأسطول المغربي العاملي انطلاقا من مصب أبي رقراق خلال عهدي سيدي محمد بن عبد الله وابنه مولاي سليمان. وقد حصل في سنة 1799 على أمر السلطان مولاي سليمان بإنشاء سفينة جديدة تحت إشراف أبي القاسم الزياني، وهي السفينة التي حضر المؤرخ الضعيف وعدد من الأشراف والطلبة لحظة تعويمها في ذي الحجة 1216 / 1801، وتعرضت لمصاعب في ذلك نتيجة انزلاقها عن دعائمها، بشكل اضطر معه أهل سلا العمل طوال الليل رفقة الطلبة والأشراف لإعادة تثبيتها فوق الدعائم تمهيداً لتعويمها في اليوم الموالي.

وكان نشاطه البحري خلال الفترة التي بدأ فيه تأزم العلاقات المغربية ـ الأمريكية، حيث كان القناصل يترصدون حركته وحركة باقي الرياس المغاربة، ورغم ذلك تمكن من الإبقاء على نشاطه، حيث كان في سنة 1219 / 1803 يتنقل بين العرائش والرباط، قبل أن يصدر أمر السلطان إليه بالسفر إلى لشبونة، لولا أن الرياح المعاكسة منعته هو وغيره من الرياس من مغادرة مرسى الرباط.

الضعيف، ص. 318، و324، و327، و334 ؛ العسري، ص. 3 و47.

عوّاد، علي بن محمد من رجال البحرية المرموقين في سلا خلال منتصف القرن 12 (18 م)؛ كان في مطلع حياته المهنية من الرياس العاملين انطلاقا من مرسى العرائش وطنجة لحساب القائد الريفي أثناء معارضته للسلطان مولاي عبد الله بن إسماعيل، وقد تميز في أواخر سنة 1155 / 1742 بإقدامه رفقة قريبه الرايس عواد قنديل باعتراض سفينة للحجاج من أهل مراكش وأهل سوس بأمر من القائد الريفي المذكور.

وبعد استتباب الأمر للسلطان سيدي محمد بن عبد الله، ونظرا لسمعته وشجاعته ولاه السلطان المذكور سنة 1180 / 1767 على عمالة سلا بعد مقتل عبد الحق فنيش. وقد ذكره القنصل الفرنسي شونييه ضمن الرياس العاملين في سنة 1183 / 1769، مشرفا على سفينة سنبك مجهزة بأربعة عشر مدفعا، واستمر في نشاطه المهني إلى ما بعد سنة 1198 / 1784، حيث ورد ضمن لائحة رياس سلا الذين حظوا بإنعام السلطان.

الضعيف، ص. 144 ؛ وعشاش، ص. 38 ؛ العسري، ص. 34.
Chenier. *Journal*. p. 103.

عوّاد قنديل، محمد السلوي، كان ضمن الرياس الفاعلين خلال فترة الأزمة المغربية في النصف الثاني للقرن 18، والتحق بدوره بمراسي الشمال للعمل تحت إمرة القائد الريفي الخارج عن سلطة مولاي عبد الله، مشاركا في سنة 1155 / 1742 في اعتراض سفينة الحجاج المراكشيين والسوسيين.

ومع بداية استقرار الأوضاع في الرباط وسلا، كان الرايس المذكور سنة 1756 يترأس سفينة جديدة أنشئت في أوراش الرباط، وقد شارك في سنة 1172 / 1759 في الاستيلاء على سفينة سويدية، دفعت السلطان سيدي محمد أثناء قدومه إلى الرباط في تلك الفترة إلى مجازاته هو والرياس الآخرين بسلاح من الذهب (الياتاغان) "مثل السيف والخنجر، ومكحلة، وكسوة، وأعطى للبحرية أيضا". وقد داوم الرايس عواد قنديل في مهنته، ضمن كبار رياس بداية عهد السلطان المذكور إلى ما بعد سنة 1174 / 1761.

الضعيف، ص. 144، و157، و166، و170 ؛ التازي، التاريخ الدبلوماسي، ج. 9، ص. 256.

عوّاد مانيطة، محمد السلوي، رايس بحري. كان في مطلع حياته الملاحية قبل استتباب الأمر للسلطان سيدي محمد بن عبد الله يباشر مهنته الجهادية لفائدة أعيان سلا،

ولذلك بادر سيدي محمد لحظة وروده على سلا في سنة 1756، إلى مصادرة سفينته الجديدة واستصفائها لسلطته.

وقد واصل الرايس المذكور حياته البحرية تحت إشراف السلطان، حيث نجح في سنة 1172 / 1759 بمشاركة جماعة من الرياس منهم عواد قنديل والعربي المستيري الرباطي في الاستيلاء على مركب سويدي، مما جعل السلطان سيدي محمد بن عبد الله يجازيه بسلاح من الذهب (الياتاغان). وظل عواد مائطة ضمن كبار الرياس إلى ما بعد سنة 1174 / 1761.

الضعيف، ص. 157، و166، و170 ؛ ابن زيدان، *الإتحاف*، ج. 3، ص. 159 ؛ ج. 4، ص. 461 ؛ التازي، *التاريخ الدبلوماسي*، ج. 9، ص. 256.

عوّاد، الهاشمي بن إحمد، قبطان ورايس بحري من أهل القرن 12 (18 م) ابن الرايس أحمد عواد، ومن أبرز رجالات الجهاد خلال عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله، الشيء الذي جعل هذا الأخير يبادر في سنة 1179 / 1765 إلى تعيينه على رأس بحرية العدوتين وسفنهما، وفق ما جاء في ظهير السلطان :

"...يعلم منه أن حامله المجاهد الأرضى القبطان النبيه المرتضى، الحاج الهاشمي بن المنعم الرايس أحمد عواد، لما كان ممن مارس أمور البحر وراضها، واقتحم لججها وخاضها، وظهرت في الرياسة نجدته، وحمدت فيه بدؤه وعودته، وزادت على الغير نجابته ومعرفته، رأينا أن نعمر به منصبا يبقى مرتبطا بولايته، مقصورا على مكانته ومنزلته، فجعلناه قبطانا على جميع البحرية أهل العدوتين سلا والرباط وعلى سفنهما القرصانية الجهادية، ظفرها الله بالعدو الكافر، وقضى لها من الغنائم بالحظ الوافر، وأيد سلامته في الموارد والمصادر، وعلى سائر القوارب وجميع أمور البحر كيف ما كانت، وعلى أي حال ظهرت وبانت. فقد أسندنا جميع ذلك كله إليه، وجعلناه إلى نظره وقدمناه عليه، وقصرنا عليه الكلام وحده، وأنفذنا في كل ما يرجع إلى البحر أقواله، وأمضينا في سائر أمورها أفعاله من غير تعقب ولا انتقاض، فنأمر جميع البحرية أن يقدروا قدره، ويمتثلوا أمره... ومن خالفه منهم في شطر كلمة فقد أذنا له أن يؤديه بما ظهر له من العقوبة والحد، وليكن من عقوبتنا على وعد ؛ ونعهد إلى القبطان المذكور أن يكون حازما ضابطا، متعهدا أحوال البحريين، غير غافل عن شيء من الأمور، وأن يؤسس على الجد مسائله، ويشد في هذا الوظيف الجهادي عراه ووسائله.. صدر منا الأمر بكتابه بحاضرة فاس في 2 ربيع الثاني 1179.

ابن زيدان، *الإتحاف*، ج. 3، ص. 264-265 ؛ *الرئاسة*، ص. 30 ؛ *ملحق الإتحاف الوجيز*، ص. 179.

حسن أميلي

العَوّادة أو العوّاد، مزمار يستخدم في بعض أصناف الموسيقى الشعبية المغربية.

وتطلق على هذه الآلة ـ أيضا ـ أسماء أخرى تختلف بحسب المناطق، فهو في نواحي زمور بالأطلس المتوسط "تاعواديت"، وفي منطقة الريف بالشمال "تامجا" بثاء مثلثة، وفي مرتفعات الأطلس الكبير "تلغوات" أو "تاعواديت" ويجمع على "لعواويد".

تصنع العوادة في الغالب من القصب، وعلى ندرة من نحاس، وينتشر استخدامها بين الرعاة في الحقول أو في مصاحبة رقصات أحواش في حاحا وماسا.

والآلة عبارة عن أنبوبة من قصب أو نحاس، طولها نحو 27 سم، تقسم إلى جزأين مستاوين، في الجزء الأسفل منهما تبثت ستة ثقوب تفصل بينها أبعاد متساوية، ويقابل أعلاها ثقب واحد من الجانب الآخر للآلة.

تستخدم الآلة في وضع أفقي اعتراضي، وهي تحدث أصواتا حادة تشكل منها المقام الخماسي. وتشبه في حدة صوتها آلة البيكولو أو الناي الياباني المعروف باسم شاكوزاتشي.

أ. بوزيد الكنساني، أحواش الرقص والغناء الجماعي بسوس، ص. 70 و118 ؛ عبد الله زاران، مجلة التراث الشعبي، ع. 2، السنة 12، 1981.

Chotin Alexis, *Corpus de musique marocaine*. Fasc. II, *Musique et danses berbères du pays chleuh*, p. 51 ; *Tableau de la musique marocaine*, pp. 36 - 46 ; Rouanet Jules, *Encyclopédie de la musique arabe*, p. 2744.

عبد العزيز بن عبد الجليل

عوام، اسم مدينة وجبل (والأصح تل مرتفع) ومعدن فضة شهير بالمغرب. ويعتبر الزهري (النصف الأول من القرن 12 م) أول من أورد عنه إشارة صريحة، وبعده تواترت المعلومات وخصوصا في المصادر الجغرافية. بيد أنها كثيرا ما يعتريها الغموض والتناقض والأخطاء، فيما يتعلق باسم المنجم وموقعه، وتلتزم الصمت المطبق عن تقنيات الاستغلال وأهمية الإنتاج. وجاءت الدراسات الميدانية ـ ولا سيما تلك التي قام بها بيرنارونيبرجي ـ لمحاولة ملء هذه الفجوات، والجواب على بعض الأسئلة التي يثيرها الرصيد البيبليوغرافي عن عوام.

ويقع منجم عوام شرق الهضبة الوسطى على أطراف الأطلس المتوسط على بعد 10 كلم غربي مريرت و25 كلم شمال خنيفرة. وموضع المنجم عبارة عن تلال مرتفعة بين هضبتي مريرت وتندرة. وكانت هذه المنطقة تعرف في العصر الوسيط باسم قازاز، وكان يسكنها بربر زناتة الذين دأبوا على الانتجاع بهذه الجهات. ولازال نمط العيش هذا سائدا بين قبائل زيان في هذه المنطقة. وكان عوام بفضل موقعه نقطة عبور أساسية بين الشمال حيث مكناسة وفاس، وبين الجنوب حيث تادلة وتافيلالت، الشيء الذي أثر إيجابيا ـ بلا شك ـ على عمليات الاستغلال والتسويق.

وينفرد الوزان ومارمول بين مصادرنا بالحديث عن عوام كمنجم للحديد، غير أن البحث الأثري أثبت أن هذا المعدن لا يوجد سوى في الطبقة السطحية، ولا يمثل - من حيث الكم - شيئا ذا قيمة مقارنة بالفضة. وبالفعل فإن منجم عوام عبارة عن خمسة عروق من الفضة تمتد على مساحة عشرين كلم. وهي غنية جدا بهذا المعدن النفيس وخصوصا في جزئها العلوي، إذ يبلغ معدل الفضة حوالي 1500 غ في الطن الواحد. وعلى الرغم من شدة ميلان هذه العروق فإن العمل فيها سهل نسبيا. وهذا ما يفسر استغلالها على نطاق واسع في الماضي.

واللافت للانتباه اليوم ضخامة المخلفات التعدينية من ردم وخنادق ودهاليز وآبار. وقد تبين من خلال التنقيب في هذه المخلفات أن المنجميين كانوا يستخدمون الفؤوس والمطارق، وربما استعانوا بالنار لتكسير الصخور الصلبة. ولا تعرف وسائل الرفع إلى خارج المنجم، وربما كان من بينها القفاف التي وجدت بقاياها بعين المكان. وخلافا لباقي مناجم الشمال الإفريقي، استعملت في عوام الدعائم الخشبية لتفادي الانهيارات الترابية، الشيء الذي كان يسمح بالعمل المنهجي وبالابتعاد عن العروق المعدنية.

والملاحظ أن منطقة عوام غنية بالعيون، الأمر الذي كان يؤدي إلى تسرب الماء بكثرة إلى الدهاليز والأنفاق، ويصبح العمل بالتالي محفوفا بالصعوبات والمخاطر. ولمواجهة هذه المشكلة تمت الاستعانة بالسواني والنواعير التي كانت تتولى إفراغ المنجم من المياه. وقد كشفت أعمال الحفر الحديثة عن قنوات طينية وقطع خشبية، قد تكون من بقايا هذه الآلات التي جمعت بين البساطة والفاعلية. ولكن الأكيد أن مشكل الماء كان من العراقيل الكبرى التي واجهت العمل بمنجم عوام. ولا أدل على ذلك من أن استعمال المضخات العصرية حاليا في هذا المنجم لم يؤد على حل جذري للوضع. ونظرا للظلام الدامس ببطن المنجم، عمل المنجميون على نور القناديل الزيتية التي وصلتنا نماذج كثيرة منها.

ورغم هذه الإجراءات والتقنيات، فإن المنجميين كانوا يعملون بلا شك في ظروف مضنية وخطيرة، لقلة التهوية وشدة الحرارة وكثرة الغبار والدخان واحتمال الانهيارات. ومعلوم أن العمليات التعدينية - وخاصة الفرز والتصفية - كانت تستلزم كميات كبيرة من الفحم الخشبي. وهذا ما وفرته منطقة عوام التي كانت عبارة عن غابة من أشجار الأرز. كما كانت مصدرا لأخشاب الدعم ولمتطلبات الحياة اليومية للمنجميين.

ولا ريب أن المنجم كان عاملا رئيسيا في اختفاء هذه الغابة وتحولها اليوم إلى منطقة جرداء. والراجح أن المعدن كان يحول - كلا أو جزءا - بعين المكان. وهذا ما يمكن أن يفهم من بقايا الأفرنة والمصاقي الموجودة بجوار عوام، وخصوصا داخل قصبة تمتد على حوالي 26 هكتارا، وربما كانت تضم كذلك بيوت المنجميين. ولضمان الحماية لهذه الثروة المعدنية حصنت القصبة بسور يبلغ سمكه حوالي مترين وارتفاعه ثلاثة أمتار تقريبا، وتتخلل السور أبراج للحراسة والمراقبة. وتدل الخرائب الباقية من القصبة ووصف الوزان ومارمول أنها كانت مدينة منجمية بكل مرافقها ووظائفها. وقد تكون المصادر تعنيها حينما تشير إلى وركناس ومدينة معدن عوام.

وتبرهن الفضلات المعدنية على دقة الفرز والتصفية. كما يجوز اعتبار غنى المنجم وضخامة مخلفاته وتقنيات استغلاله قرائن على أهمية الإنتاج. وهي أهمية يزكيها عمق الحفر الذي وصل أحيانا إلى مائتي متر، ولم يكن يتوقف إلا عندما تعجز التقنيات المتوفرة عن متابعة الاستغلال. ويعتبر هذا العمق حالة فريدة من نوعها في تاريخ التعدين بالشمال الإفريقي، حيث لم يتجاوز في الحالات العادية خمسين مترا. وتقدر الدراسات الحديثة من جهتها أن الإنتاج الكلي بعوام كان كبيرا بالفعل، إذ وصل إلى 230.000 طن من الرصاص.

ومن المعروف أن سك العملة هو أهم مجالات استعمال الفضة. لكنها كانت تستخدم أيضا في صناعة الحلي والأواني وزخرفة الأسلحة وفي المبادلات التجارية مع الخارج. ومثل هذه الأنشطة الاقتصادية تدخل في صميم اهتمامات اليهود التقليدية، الأمر الذي يدفع إلى التساؤل عن علاقتهم بمنجم عوام. وهو تساؤل يستمد وجاهته من إشارة وردت عند صاحب "الاستبصار" تفيد أن اليهود كانوا يمثلون معظم سكان قلعة المهدي بن توالي غير بعيد عن عوام، وأنهم "سوقة فيلجؤون للحصن حيطة على سلعهم".

ونظرا لأهمية هذا المنجم من حيث نوع معدنه ووفرة إنتاجه، ووقوعه بممر استراتيجي، عملت الدول المغربية الوسيطية منذ نشأتها من أجل السيطرة على فازاز حيث يوجد عوام. كما كانت المنطقة مجالا للتنافس الشديد بين مختلف القوى السياسية سواء تلك التي اقتصرت على حكم يهودي أو شملت مجموع المغرب الأقصى.

ولعل أصعب القضايا التي يطرحها منجم عوام هي فترة استغلاله ومدتها. وهنا يتعين مرة أخرى استنطاق المصادر المكتوبة والأثرية التي تدفع إلى الاعتقاد بأن الأعمال التعدينية بعوام تعود إلى ما قبل القرن الثامن (14 م)، وأنها عرفت الأوج خلال القرنين السادس والسابع (12 و13م).

ولئن كان من شبه المؤكد أن منجم عوام لم يستغل في العصر القديم، فإننا نجهل بداية العمل فيه، ويفترض B. Roseriberger أن يكون ذلك تم منذ القرن الثاني (8 م)، وبالضبط في عهد الأدارسة الذين قد يكونون ضربوا عملتهم بفضة عوام. ودليله على ذلك تعدد دور السكة في عصرهم بالمدن والبلدات المجاورة لعوام.

ولاحظت بعض الدراسات التشابه القائم بين تقنيات استخراج وتصفية معدن عوام، وبين مثيلاتها بأوربا في القرنين التاسع والعاشر (15-16 م)، لتستنتج بأن استغلال عوام امتد إلى هذه الفترة. بل إنها نسبت مخلفاته المعدنية -

اعتمادا على الرواية الشفوية - إلى البرتغاليين. والواقع أنه لا ينبغي الركون إلى هذه الرواية لما يعتريها من تشويش، ويكفي الإشارة إلى أنها تزعم في مناسبة أخرى أن العمل بعوام استمر إلى العصر الإسماعيلي.

وفي كل الأحوال تميل مختلف مصادرنا إلى نفي أي نشاط تعديني بعوام بعد القرن العاشر (16 م)، وربما قبل ذلك. وفي هذا الإطار يخبرنا الوزان أن بني مرين هم الذين خربوا مدينة معدن عوام إبان حروبهم مع الموحدين منتصف القرن السابع (13 م). وقد تكون التقنيات المتوفرة عجزت أيضا عن متابعة عمليات الاستغلال، مما أدى إلى التخلي النهائي عن عوام.

وظل المنجم مهجورا منذ ذلك الحين. وخلال العقد السادس من القرن الماضي دلت التحريات على احتفاظ عوام باحتياطات كافية وقابلة للاستغلال، بفضل التطور الحاصل في التقنيات التعدينية الحديثة. فجهز المنجم واستؤنفت الأعمال فيه. وبلغ إنتاجه 12.600 طن سنة 1963، أي أنه كان رابع أهم منجم للرصاص بالمغرب. ولكن مع توالي السنوات تكاثرت أزمات معدن عوام، الشيء الذي انعكس سلبا على العلاقات بين العمال والشركة المستغلة.

م. الزهري، *كتابة الجغرافية*، د. ت. ص. 115 ؛ مجهول، *الاستبصار في عجائب الأمصار*، 1985، ص. 187 ؛ ع. الواحد المراكشي، *المعجب في تلخيص أخبار المغرب*، 1963، ص. 448 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، 1983، ج. 1، ص. 203، 240 ؛ مارمول كربخال، *إفريقيا*، 1984، ج. 2، ص. 132، 133.

B. Rosenberger, *Une mine d'argent au Moyen Atlas marocain, Hespéris-Tamuda*, 1964, vol. 5, p. 15-77 ; *Les vieilles exploitations minières et les centres métallurgiques du Maroc. Essai de carte historique, Revue de géographie du Maroc*, n° 17, 1970, p. 97-98.

عبد العزيز العلوي

العوينة، محمد بن المحجوب، من رجال التعليم الذين خدموا هذا القطاع بكل تفاني، وعالم فقيه، من علماء الرباط البارزين. ولد بالرباط سنة 1903 وأقام بها طيلة حياته، لكنه احتفظ في شبابه بعلاقة وطيدة بالبادية، وذلك بقيامه برحلات عديدة على ظهر الدواب في مناطق زعير ووردیغة وبني خيران ودكالة. وهو ينتمي إلى قبيلة بوزرارة بدكالة وينتسب إلى أحفاد سيدي رحال.

بدأ محمد العوينة تعليمه متأخرا إذ زاول، بعد تحصيله القرآن الكريم في سن مبكر، الكثير من الحرف، نذكر منها حرفة السراجة والتسوق في الأغنام، التي كان يسافر إلى الأسواق النائية من أجل جلبها إلى الرباط، على غرار ما كان يفعله والده. ثم ارتبط بطائفة من الطلبة الذين جمعته وإياهم حلقات دروس مساجد الحضرة الرباطية والسلاوية. وقد رافقه في هذه الطائفة أساتذة مثل مصطفى بن المبارك، إبراهيم الإلغي، إبراهيم الطاطي، عبد الكريم بن الحسني، عثمان جوريو وآخرون تتلمذوا على علماء مدينة الرباط. ومن بين أساتذته قاسم الحاجي، محمد الرغاي، الصديق الشدادي المدني بن الحسني، الشيخ أبو شعيب الدكالي، محمد بنعبود وعبد الله الجراري.

وقد كانت له مكانة عظيمة في نفوس أصدقائه لما آتاه الله من بسطة في العلم والجسم، فلقد كان سريع التحصيل مثابرا وملازما لشيوخه وأساتذته. كما كان يعتمد عليه في المهمات الصعبة لما كان يعرف فيه من أوصاف الرجولة الكاملة والشجاعة والسلامة الصحية.

وقد امتازت فترة التعلم هاته بتنوع أنشطتها، من دروس علمية في المساجد منذ صلاة الفجر، وحلقات علمية يومية في بيوت الطلبة، وندوات في بيوت الطلبة المتقدمين، تهم قضايا متنوعة من بينها قضايا تطور المجتمع الإسلامي. ونزهات للتسلية والمتعة، تجمع الأساتذة والطلبة، في ضيعات بجوار الرباط، يتم خلالها الالتفاف حول الشيوخ وحلقات مذاكرة وقراءة للشعر والطرب.

وقد خلد عميد علماء الرباط سيدي المدني بن الحسني اسم محمد العوينة وأسماء طلبة آخرين، كانوا يحضرون حلقات دروسه في قوله :

إن الكريم مدني الطبع والعين تغزو بلطيف النبع

ولما قرر الأستاذ أحمد بلافريج إنشاء معهد جسوس، كان محمد العوينة من بين المتخرجين من الدروس العلمية الرباطية، الذين وقع الاختيار عليهم للتعليم في هذه المؤسسة. وهناك برزت مؤهلاته التربوية والعلمية، فكان مثال المعلم المخلص في أداء رسالته التربوية وتوجيه تلاميذه. فتخرج على يده العديد من شباب الرباط، احتل بعضهم مواقع عالية.

وخلال أحداث المطالبة بالاستقلال سنة 1944، أظهر وطنيته الصادقة، عندما أقدم أساتذة جسوس على تحرير عريضة تؤيد الوثيقة التاريخية المطالبة بالاستقلال. فكان أحد من طافوا بهذه العريضة على الأساتذة، ورجال العلم والآداب من أجل الحصول على توقيعاتهم، قبل تبليغها للسلطات العليا. كما كان من بين الأساتذة الذين أخرجوا بقوة البنادق من معهد جسوس يوم أقدمت سلطات الحماية على إغلاقه.

عندئذ أخذ يعمل في نشر العلم في المساجد، قبل أن يتفق مع بعض زملائه على فتح مدارس عصرية مغربية،

درس بها، خاصة منها المدرسة القاسمية، قبل فتح مدارس محمد الخامس.

ولما نادى المغفور له محمد الخامس بتعليم الفتاة، كان محمد العوينة من الذين انتدبوا للقيام بهذه المهمة، فعمل بتفاني وإخلاص في هذا المجال، قبل أن ينتقل إلى مدرسة أبناء الأعيان، ثم ثانوية مولاي يوسف. وخلال مدة تعليمه، كان يساهم في الإشراف التربوي على الأساتذة الجدد.

يذكر أهل الرباط فيه الرجل المتواضع والصدر المفتوح لبذل النصح والتوجيه والافتاء في القضايا الفقهية، والعلم الواسع والاطلاع على ميادين التفسير والحديث والفقه والنحو والبيان والعروض والتاريخ والحساب والجغرافيا والفلك، والحرص على التفوق في مهنة التعليم من أجل الحصول على إقرار الأساتذة والمديرين الأجانب بتميز رجال التعليم المغاربة. ومن غرائب مواقفه الوطنية رفضه التام لكل لباس أو ثوب مستورد إلى حين حصول المغرب على الاستقلال. كما كان معروفا بمهارته في رياضة السباحة والمشي وبعدم انقطاع شفتيه عن ذكر الله. كان يقضي جل وقته في البحث في خزانته الخاصة الغنية بأمهات الكتب ونفائس المخطوطات والمطبوعات. وقد استمر في التردد على كتبه وتحرير تعاليق علمية أصيلة على طرتها إلى آخر أسبوع من حياته. وتوجد هذه الخزانة الغنية الآن برمتها، وبما فيها من تقارير وتعاليق بخط يده بمركز جمعية الماجد بمدينة دبي بالإمارات العربية المتحدة. وقد وافته المنية رحمه الله يوم 14 يونيو سنة 1985 بمدينة الرباط ودفن بمقابر لعلو.

محمد البخاري وعبد الله التوري العوينة

العيدي، رضوان مقاوم من مواليد مدينة الدار البيضاء سنة 1930، من والده عبد الله بن بورحيم وأمه حليمة بنت محمد.

كان الفقيد من المقاومين الأوائل الذين انخرطوا في منظمة أسود التحرير، وقد قام بعدة عمليات فدائية رفقة أفراد خلية درب كلوطي بالبيضاء قبل أن يلتجئ إلى المنطقة الخليفية بتطوان أواخر سنة 1955 حيث التحق بصفوف جيش التحرير وبعد حصول المغرب على استقلاله انضم إلى صفوف الأمن الوطني إلى أن واقاه أجله المحتوم يوم 5 أكتوبر سنة 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة رقم 517409.

عيساوة، طريقة صوفية هم أتباع الشيخ مَحمد بن عيسى المدعو الشيخ الكامل دفين مكناس.

كانت هذه الطريقة في البدء تقتبس أصولها - كغيرها من الطرق الحادثة بالمغرب في القرن السادس عشر - من الطريقة الجزولية التي تستمد بدورها من تعاليم أبي الحسن الشاذلي (ت. 658 / 1258) تلميذ القطب الصوفي المولى عبد السلام بن مشيش العلمي دفين جبل العلم بالقرب من مدينة تطوان، كما كانت تضطلع بدور التربية الروحية، فيجتمع مريدوها على العبادة وتلاوة القرآن الكريم وقراءة حزب "سبحان الدايم" الذي وضعه الشيخ الكامل وضمنه كثيرا من قواعد التوحيد.

ثم حدث أن اتسع نشاط أصحابها، فأصبحوا يزجون بن قراءة الأوراد والأدعية والاشفارات والهيللة والتصلية على النبي (ص) وبين أنواع الشطح والجذب، إضافة إلى ممارسات أخرى ابتدعوها كالتعرض للسموم والنيران ورفع الأعلام والبارق وضرب الطبول ونفخ المزامير.

وللطائفة العيساوية داخل المغرب أتباع كثيرون، ولها زوايا بمختلف المدن المغربية، وخاصة زاوية مكناس التي تستقطب الوافدين عليها من مدن المغرب وبعض مدن دول الشمال الإفريقي بمناسبة المولد النبوي. ويقام موسم الشيخ الكامل حول ضريح أسسه السلطان محمد بن عبد الله في ساحة تقع خارج باب المسيبة، وكان ذلك عام 1190.

وقد أصبح للطائفة العيساوية شيوع واسع تجاوز حدود المغرب إلى دول الشمال الإفريقي، وامتد إلى بلاد مصر، فقامت لها بهذه الأقطار زوايا خاصة يلتقي فيها الأتباع والمريدون.

وعن انتشار هذه الطائفة في مصر يقول المؤرخ المصري عبد الرحمن الجبرتي في وصف احتفالهم : إنهم يجلسون قبالة بعضهم صفين، ويقولون كلاما بلغتهم بنغم وطريقة مشوا عليها وبين أيديهم طبول ودفوف يضربون عليها على قدر النغم ضربا شديدا مع ارتفاع أصواتهم، وتقف جماعة أخرى قبالة الذين يضربون بالدفوف فيضعون أكتافهم في أكتاف بعض لايخرج واحد عن الآخر ويلتوون ويتنصبون.

أما في تونس فمازال الطائفة العيساوية حتى اليوم من أكثر الطوائف الدينية شيوعا وانتشارا، ولها أتباع يفوق عددهم الحصر، يحملون الأعلام، وتسمى جماعاتها بالفقرة. وهم يتغنون بالأمداح العيساوية التي يسمونها "براول"، كهذه التي جاء فيها :

سيدي امحمد بن عيسى — قالو حلف يمين
اللي خدمني بالنيه — مضمون في الدارين
الشيخ بن عيسى الغربي — علاه في الدرجه ربي
مغموس في بحر النبي — مضمون في الدارين

وعلى غرار أغلب الطوائف الصوفية القائمة بالمغرب ترتبط باحتفالات الطائفة العيساوية ظاهرة تقديس الولي الصالح الشيخ الكامل وتلتقي جملة من الطقوس التي تضرب في أعماق التقاليد الشعبية المتوارثة التي دخلتها صنوف من الممارسات هي حصيلة تعايش صعب وتناقض بين الدين وبين الخرافة.

وينطلق الممارسون من اعتبار التقديس للولي الصالح ذا وظائف سياسية وعلاجية ورمزية، تساعد على تخليصهم من همومهم اليومية، وما تراكم في نفوسهم من مكبوتات، كما

تُتيح لهم الانغمار في أجواء إيروتيكية يمتزج فيها الرقص والجذب بنشوة الاحتماء في أحضان الولي.

وقد تسربت عادة التغني إلى الطائفة العيساوية كما تسربت إلى غيرها من الطوائف نتيجة تأثرها بطرق المشارقة كالرفاعية المصرية، فأصبحت مراسيم أتباعها عبارة عن تظاهرات موسيقية تلتقي فيها فئات شعبية تتباين مستوياتها الثقافية والاقتصادية والاجتماعية.

وقد أفضت الممارسة والتداول إلى نشوء مجموعات ينحصر نشاطها في ترديد الأذكار والأدعية على الأنغام والإيقاعات بعيدا عن الممارسات الطقوسية الأخرى، وبذلك تحولت هذه المجموعات إلى فرق فنية موسيقية صرفة تمارس نوعا خاصا من أنواع الغناء الشعبي الصوفي له مقوماته التي تميزه عن الفنون الغنائية الأخرى.

يصطلح أصحاب الطريقة العيساوية على تسمية عرضهم الفني الكامل بـ"العمارة". وتستوعب العمارة سائر العناصر الفنية التي تشاد عليها الأغنية الصوفية من إنشاد وترجيع، وعزف، ونقر، ورقص وجذب.

وتتكون العمارة العيساوية من ست حلقات متتالية تستقل كل حلقة منها بمستعملات خاصة تؤدى على نحو خاص. وهي على النحو التالي :

- قراءة حزب سبحان الدايم لشيخ الطريقة على نغمات رتيبة مع التركيز على مخارج الحروف. وتكون في البدء بطيئة، ثم تتحول بالتدريج نحو السرعة.

- الأذكار : كلام منثور يسرد على نغمات موسيقية متنوعة في تحاور بين الذكار والفقرا. وفي هذه المرحلة تتدخل آلات النقر بأنواعها التالية : الطبيلة، والطاسة، والتعارج، والطارة، والبندير.

- أمداح الشبيه (الدرقاوية : أزجال وبراول مختارة من نوبات الآلة الأندلسية، تتخللها دعوات تسمى "الفاتحة"). وفي هذه المرحلة يدخل عنصر الشطح وهز الأكتاف على إيقاع آلات النقر.

- حادون : عبارات مسجوعة من قبيل : باسم الله أبدينا يا أحد بالرحماني - على النبي صلينا يا أحد يا لرحماني.

ويكون إنشاد هذه العبارات من طرف الفقرا على طبوع متنوعة بمصاحبة النفخ على الغيطة والنقر على آلات الإيقاع. وبتوسط المجموعة فرد يقوم بالشطح.

- الحضرة : تعلن عن الدخول في المرحلة الخامسة من العمارة. وخلالها يردد الفقرا أمداحا نبوية وأخرى في مدح بعض الأولياء، مع الشطح والجذب على إيقاع الطبول والبنادير ونفخ الغيطة والنفير.

- المجرد : ترديد بعض التصليات بمصاحبة الغيطة وسائر آلات النقر على إيقاع شبيه بالحضاري.

وتختم العمارة العيساوية بقراءة الفاتحة.

عبد الرحيم الجيرتي، *عجائب الأسفار* ؛ محمد داود، *تاريخ تطوان*، ج. 1، ص. 308 ؛ الصادق الرزقي، *الأغاني التونسية*، ص. 117 و125 ؛ عبد الرحمن ابن زيدان، *الاتحاف*، ج. 1، ص. 194 ؛ حوار خاص مع مقدم الطائفة العيساوية للركب الفلالي بمكناس السيد إدريس المرابط.

عبد العزيز بن عبد الجليل

العيساوي، أحمد مقاوم من مواليد سنة 1922 بتندرارة.

انخرط في صفوف جيش التحرير سنة 1955 تحت رئاسة بالحاج بويو الفگيگي، شارك في عدة معارك من أهمها معركة بني ونيف، عين يعلو، الخوابي، تندرارة. وبعد أن أحرز المغرب على استقلاله عمل بصفوف القوات المسلحة الملكية.

انتقل إلى عفو الله يوم 13 / 01 / 1995

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة رقم 520348.

العيسوك، علي مقاوم من مواليد سنة 1921 بدوار أكورورته بإقليم تزنيت.

كان المرحوم من الرعيل الأول الذي انخرط في صفوف جيش التحرير بمنطقة آيت باعمران وبصفوف المنطقة السرية تحت مسؤولية بن الطالب محمد حيث كافح وعمل بكل اخلاص وتفان في الهجومات التي خاضها جنود جيش التحرير ضد مراكز وقوات الاستعمار الإسباني بالمنطقة منذ سنة 1957 حتى سنة 1960 وبفضل ذلك تمكن الباعمرانيون من تحرير بعض المناطق حيث اضطر الإسبان إلى اللجوء إلى مدينة سيدي إفني إلى أن عادت إلى حظيرة الوطن الأم يوم 30 / 06 / 1969.

رحل إلى دار البقاء يوم 19 / 03 / 1995 بسيدي إفني.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة رقم 507996.

ابن عيسى، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغمو على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Ayza - Eça.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاوين 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 324.

محمد ابن عزوز حكيم

عيسى (آيت -)، قبيلة حاحية تقع في الصف الشرقي الجبلي ضمن القبائل الأثنتي عشرة التي تكون إتحادية قبائل حاحة. وموطن آيت عيسى يحده من جهتي الشمال والشرق موطن قبيلة إيداوبوزيا، ومن الغرب قبيلة إيداوكازو. وتحده جبال قبيلة آيت واعزون الثنانية من الجنوب، وبذلك تقع بلاد آيت عيسى في السفح الشمالي للأطلس الكبير، وتتميز

بتضاريسها المتنوعة من جبال مثل جبل (تاسكا أو كرض) البالغ علوه حوالي 1300 متر، وسهل آيت عيسى الذي يخترقه منحدر نهر (أسيف واعزيز) النابع من قبيلة امتوكة ليلتقي بوادي تامسولت ـ النابع بدوره من قبيلة إيداوبوزيا ـ عند نقطة (تاكاديرت ـ ن ـ آيت عيسى) حيث تنبع أربعة منابع غزيرة لا تجف أبدا لتكون مجرى نهر آيت عيسى المتدفق شتاء وصيفا، فتنشأ عنه واحات نخيل جميلة على طول خمسة عشر كيلومترا، كانت مصدر ثروة وغنى آيت عيسى، وتبلغ مساحة أراضي قبيلة آيت عيسى حوالي 260 كلم^2، وتعداد سكانها أقل من عشرة آلاف نسمة ـ حسب الإحصاء الأخير ـ وهي أصغر قبيلة حاحية بعد آيت واضيل، لذلك كان القائد امبارك أنفلوس (ت. 1299 / 1881) ـ عند تعداده لقبائل حاحة ـ يضم قبيلة آيت واضيل إلى قبيلة آيت عيسى رغم تباعدهما. قبل أنه يتعمد ذلك نظرا لضيق رقعتيهما وقلة سكانهما، وقيل لأنه أدرك أن تينك القبيلتين ظلتا منعزلتين حتى ذهبت عصبيتهما ولم تنشأ فيهما رياسة خاصة ولم ينضما إلى جاراتهما كما انضمت إداوكرض إلى نكنافة، وكما انضمت إداوكازو إلى إداوتغما. ورغم خصوبة أراضي قبيلة آيت عيسى المكسوة بأشجار الأركان واللوز والزيتون والخروب والنخيل، مما شجع السكان على تربية المعز والأبقار وتربية النحل ـ إلا أنهم مع ذلك ظلوا دائما تابعين لغيرهم في الرئاسة.

وبعد عهد المولى إسماعيل (ت. 1139 / 1727). كان القائد علي يعيش الزلطني يحكمهم وضمهم إلى قبيلته (آيت زلطن) رغم بعدهم عنها، وبني بجبل آيت عيسى قصبته المشهورة باسم (قصبة يعيش) كما بنى نظيرتها بآيت زلطن. وتعد قصبته من المآثر التاريخ التي لاتزال ماثلة للعيون بآيت عيسى، وهي عبارة عن سور من الحجر الجاف وأبراج دائرية وأخرى مربعة يتراوح سمك جدرانها ما بين مترين إلى ثلاثة أمتار، وتشكل مساحة أرض القصبة صورة مربعة واسعة من 250 م^2 وتضم أطلال مسجد عتيق وعدد من المنازل المخربة.

وفي عهد القائد الحاحي الكبير الحاج عبد الله أوبيهي (ت. 1284 / 1867) ثارت قبيلة آيت عيسى ضد حكمه الجائر حينما أثقل كاهلها بالضرائب، فوجه إليهم جيشا مخزنيا لتأديبهم فهرب أمامه خصومه المناوئون لسياسته الضريبية ملتجئين إلى حرم مبنى مدرستهم العلمية العتيقة المشهورة بـ(إيكي مهند) وتحصنوا بجدرانها، فأمر القائد بإحراقها وتخريبها عليهم. وبعد زوال قيادة آيت بيهي أومولود أعلنت قبيلة آيت عيسى ولاءها لقيادة إينفلاس النكنافيين إلى حين زوالها بدخول الحماية سنة 1912.

وفي مطلع عهد الحماية كانوا تابعين للقائد المختار الزلطني الذي أرسل إليهم خليفته أحمد عام (1340 / 1921)، ولم تمض عليه سنة حتى ثاروا ضده ورموه بالبارود عازمين على قتله لكنه نجا منهم.

وعلى إثر هذه الحادثة قرر القائد المختار أن يفرض على أفراد القبيلة بناء حصنه المشهور بإيكي مهند وذلك بإلزام كل فرد بالخدمة الإجبارية ودفع قسط من المال، ولازال رباطه هناك محتفظا بجودة معمارييه ومتانة بنيانه. وفي عام 1354 / 1935 تنازل القائد المختار لأسباب عائلية عن حكم قبيلة آيت عيسى للقائد قبيلة إيداكسلول الحاج سعيد أوتكزيرين (ت. 1374 / 1954).

ومن المآثر التاريخية والثقافية المشهورة بقبيلة آيت عيسى زيادة على ما ذكر :

1 ـ حصن قديم فوق جبل آيت عيسى يدعى بالأمازيغية (تين سْگْسوصْ) يقال أنها قلعة منسوبة إلى ملكة تسمى (سگْسُوصْ) في الزمن الأسطوري، ويروى أن جيشا غازيا كان قد حاصرها وقطع عنها الماء كي تستسلم، فحفرت خندقا داخل حصنها الواقع فوق قمة الجبل المذكور حتى بلغت به أسفل النهر عند سفح الجبل، وجعلت تستقي من النهر ما شاءت من الماء، والعدو لا يعرف من أين تحصل على الماء حتى يئس منها فرفع الحصار عنها وانجلى.

2 ـ مدرسة (إيكّي مهند) العتيقة : توحدت القبيلة واجتمعت على بنائها بإشارة من الولي الصالح السيد إبراهيم بن محند الألباصي السوسي عام 1151 / 1738 حينما مر بالقبيلة في إحدى سياحاته الصوفية إذ استبشاره بعض أتباعه في أين يبنون مدرسة علمية تنسب إلى آيت عيسى، فعين لهم موضعين هما (إيكّي مهند) و(إيدّقي) وأخبرهم بأنه رأى النبي (صلعم) في كلى الموضعين المذكورين، ثم وضع الحجر الأساسي للمدرسة في إيكي مهند فاتخذتها القبيلة مدرستها العلمية الوحيدة إلى الآن ثم أنشئت بجوارها منشآت اقتصادية وإدارية كالسوق الأسبوعي يوم الخميس ورباط القائد المختار المذكور، ومقر الجماعة القروية، ومرافق أخرى. ومن مشاهير أساتذة هذه المدرسة :

1 ـ الفقيه الثائر المشهور بـ(بوحليس) قام بالتدريس فيها عام 1206 / 1791 كما ذكر صاحب كتاب لب الوقائع في أخبار حاحة في قصة طويلة.

2 ـ الفقيه محمد بن المؤذن العيسي من قرية إيكي مهند نفسها، بلغنا أنه كان نساخا ماهرا، انتسخ كل خزانته بخط يده، وهذا مما يدل على مكانته العلمية، وعلو همته.

3 ـ ومن أساتذتها المشهورين بالتدريس والعلم والأدب الفقيه الشاعر السيد محند بن عبد الله التناني التافكاختي (ت. 1349 / 1930) قضى فيها زهاء 27 عاما من الجد في التعليم فتخرج عليه عشرات ممن يمثلون زينة العلم والأدب والتصوف في هذه الناحية إلى الآن.

4 ـ وآخر من تصدر للتدريس بها الفقيه الأديب أوالعسري محمد بن أحمد العيسي قضى بها فترة ما بعد الاستقلال إلى اليوم وتخرج عليه عشرات من طلبة القبيلة وغيرهم من القبائل المجاورة وقد تجاوز الثمانين من عمره وله تآليف مفيدة في الفقه نظما ونثرا تدل على المكانة العلمية لقبيلة آيت عيسى.

مجهول، *لب الرقائع على تولية حاحة والبدائع*، مخطوط بخزانة ورثة محمد المختار السوسي ؛ محمد بن الطيب الصوري، *الكتاب المتنقل*، مخطوط متداول ؛ أيت الحاج محند، *مظاهر الحياة الثقافية بحاحة وإيداوتنان*، أطروحة نوقشت سنة 1994 ؛ *تحريات ميدانية*.
محند آيت الحاج

العيسي، الحاج **عابد** السوسي، فمن باب التنويه : ذكر الباحث الأمريكي جان واتربوري John Waterbury في كتابه : "أن الحاج عابد أصبح شخصية شبه أسطورية في عالم التجارة والمال" ويسود الاعتقاد عند الجميع بأنه أغنى رجل في المغرب في عهد الحماية وبداية الاستقلال، وكان يصفه الفرنسيون يومئذ بـ"المليادير". وقد عبر العلامة المختار السوسي ـ في شموخ العلم وتواضع العلماء ـ عن عرفانه بالجميل للحاج عابد حينما رعاه مادياً في جملة من الطلبة أثناء دراستهم في فاس قائلاً : "إنه هو الذي قام بي في فاس حتى تعلمت، ولولاه ما قدرت أن أبيت في فاس ولا في الرباط ليلة واحدة، وأمثالي في ذلك كثيرٌ، و"من أسدى إليكم معروفاً فكافئوه" والمؤرخ ـ يضيف المختار السوسي ـ "ليس في يده من المكافأة إلا أن يخلد الشكر في طيات التاريخ الخالدة".

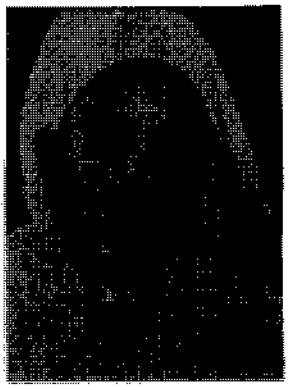

كانت ولادةُ الحاج عابد السوسي بقبيلة تافراوت سنة 1894 بالأطلس الصغير وكان والده الحاج الحسن بن محمد التِّملي، وهو الصوفي المشهور، كافح من أجل نشر الطريقة الصوفية في تافراوت. ثم في جهات درعة وتافيلالت وتوات لمدة طويلة استمرت ما بين 1304 / 1887 إلى 1317 / 1899 تعرض خلالها للسجن من قبل الفرنسيين وهو ينشر الطريقة الصوفية الدرقاوية في تلك الجهات، وقد انشأ زاويتين في تافراوت لنفس الغرض، وكان له ولدان : علي وعابد تشبعا من معين التصوف هذه، فكان أن لازم عليٌّ والده وخلَفه في تصرفه، بينما تميز الحاج عابد بميزتين : الأولى مهارته في التجارة والثانية الالتزام بالسنة النبوية في جميع أعماله وممارساته اليومية، وبالإضافة إلى أنه كان تَلاَّءً لكتاب الله محافظاً على الصلاة وسريعاً إلى أعمال الخير فقد لازم أحد العلماء المشهورين العلامة المحدث عبد الرحمان التنيفي لمدة ثلاثين سنة فاستفاد من علمه وورعه.

كل هذا مضافاً إلى اقتحام الميدان التجاري، ففي معرض الظروف الصعبة التي واجهها في بداية مسيرته التجارية، وما كان يتحمله بصبر في سبيل مساعدة الآخرين ووفاء لعلمه، ذكر واتربوري أن أهل آمّلن الموجودين في طنجة يرسلون مع الحاج عابد أموالاً إلى ذويهم في تافراوت لأنه كان يسافر راجلاً مسافة 800 كلم عبر طرق صعبة مليئة بالأخطار فهو بمثابة ساعي البريد، وقد انتقل يافعاً إلى الدار البيضاء، وفتح دكانا بسيطاً طوّره في سنة 1910 وبسرعة أصبح يدير سلسلة من الدكاكين تبلغ المئتين واتخذ له شركاء عديدين، وكان يساعد القادمين إليه من التجار الجدد ويقدّم لهم السلف أو يزودهم بدكاكين جاهزة، بما يطور المجال التجاري في هذه المدينة إذ تعامل في تجارته في التصدير والاستيراد مع العديد من المسلمين واليهود والنصارى داخل المغرب وخارجه.

وتوسع نشاطه سنة 1951 فأصبح رئيساً للغرفة التجارية والصناعية بالدار البيضاء، ثم اقتحم ميدان الصناعات الخفيفة، كما أنه اشترى الأراضي لمزاولة الفلاحة بسوس وضواحي الدار البيضاء ومن أعماله الخيرية أنه تولى رئاسة الجمعية الخيرية الإسلامية بالدار البيضاء منذ الأربعينيات والإشراف المادي على الميتم الإسلامي بعين الشق وطريق مديونة كعمل اجتماعي رائد أنقذ الكثير من الشباب والفتيات وأهّلهم أعضاء عاملين في المجتمع وقد زوج كثيراً من بنات الميتم وجهزهن وأعلن أنه "ولي أمرهن الشرعي".

ومن مواقفه الوطنية أن الفرنسيين كانوا يعلقون آمالهم على الحاج عابد ليحققوا استراتيجيتهم الاستعمارية بعد نجاحه في الغرفة التجارية بجدارة واستحقاق، لكنه خيب آمالهم عند ما جعلوه سنة 1954 على رأس بعثة وطنية إلى باريس وفي ندوة صحفية (انظر الوثيقة) : طالب برجوع السلطان محمد الخامس إلى المغرب من منفاه، فكان ذلك مؤلماً بالنسبة للمقيم العام وللفرنسيين، وفي فرنسا ساهم بمساعدة مالية لرجال المقاومة على يد الدكتور الخطيب، وكانت مواقفه مع الحركة الوطنية على جانب كبير من السرية. وبعد الاستقلال وفي شهر غشت سنة 1956 عندما استقبل السلطان محمد الخامس جمعية علماء سوس، قصد تأسيس المعهد الإسلامي بتارودانت، عين الحاج عابد رئيساً للجنة المالية بحضور وزير الأوقاف محمد المختار السوسي، ووزير التعليم محمد الفاسي، وَوَفد الجمعية وقد بذل الحاج عابد من ماله وتفانى بنفسه في تأسيس وتحقيق مشروع المعهد الإسلامي (معهد محمد الخامس الآن) إذ كثيراً ما يترك تجارته ليقيم بين الطلبة في تارودانت ليشرف بنفسه على سير الأعمال ضارباً في ذلك المثل الأعلى في خدمة العلم والدين.

وكانت مساهمة الحاج عابد رائدة في بناء الاقتصاد المغربي على المستوى التجاري وفي مجال بعض الصناعات، كما أنه سعى وراء فكرة التنقيب على البترول وسعى

للحصول على رخصة بذلك، وقام بحفر العديد من الآبار استغلت كمصدر للمياه، وتوقف عن الفكرة.

ولكن مساهمته الكبرى كانت في المجال الاجتماعي والثقافي نتيجة ميله إلى الأعمال الإحسانية والإسهام في المؤسسات الاجتماعية في المياتم ودور العجزة وبناء المعاهد والمدارس وبناء المساجد وحفر الآبار والبحث عن المياه في المناطق البدوية ومساعدة الطلبة على متابعة دراستهم في القرويين وجامع ابن يوسف وفي المدارس العتيقة والعصرية وفي بعض الجامعات بالخارج. وإعانة ذوي الخصاصة من الفقراء، وكان يحرص أن تتم هذه الأعمال في سرية تامة ودأب على ذلك حتى وافاه أجله عصر يوم الخميس 28 مارس 1996 بالدار البيضاء بعد مائة واثنين من السنين.

م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 17، ص. 42، الدار البيضاء : *من أفواه الرجال*، ج 3، ص. 13 ـ 16، تطوان : جمعية علماء سوس، *منجزات جمعية علماء سوس في عهد محمد الخامس*، ج. 1، ص. 19، 45، 1980، ج. 4، ص. 304، 363، 1994 ؛ ع. الساحلي، *المعهد الإسلامي والمدارس العتيقة بسوس*، ج 1، ص. 76، الدار البيضاء، 1985 ؛ أرشيف الجمعية الخيرية الإسلامية، الدار البيضاء ؛ أرشيف الغرفة التجارية والصناعية بالدار البيضاء.

John Waterbury, *North For the Trade Life and Times of Berber Merchant*, 1972.

عمر أنا

عيشة قنديشة، شخصية أسطورية أو واقعية ترمز إلى المقاومة المغربية للاحتلال الأجنبي. يروي التاريخ أخباراً ترُدُّ أصل هذه الشخصية إلى الواقع التاريخي المغربي. فخلال استعمار البرتغال للمغرب ظهرت هذه المرأة في صورة مناضلة محاربة اقتحمت جيوش العدو قريتها فدمرتها عن آخرها ولم تغادرها إلا بعد أن قتلت سائر الأهالي ما عادا تلك المرأة التي لم تكن حاضرة وقت حدوث المجزرة الوحشية، بل كانت بعيدة عن القرية تنظر لوقائع الجريمة البشعة (القتل الجماعي) (Génocide) وقلبها يعتصره الأسى. وبعد ذهاب العدو رجعت المرأة إلى ديار أهلها تبكي وتولول وتتمرغ في الدماء. وأقسمت بأغلظ الأيمان أن تنتقم لأهلها المقتولين ظلماً وعُدواناً. فدبرت لهذه الغاية تدبيراً قدّرت أنه قمين بأن يحقق ما تصبو إليه من انتقام مبيّت، فكانت كلما جَنّ الليل وضعت عليها أحسن لباس وأبهى حلية وازّيّنت أتم ما يكون التزيّن، فخرجت لإغراء ضباط الأعداء. فكانت إذا مُثلتْ أمام أحدهم، لم تَدخر جهداً في إبداء محاسنها وجمالها الأخاذ لإغوائه ولفت اهتمامه. وإذا تحقق لها ذلك، عزلته عن الجماعة وانفردت به لترديه قتيلاً إذ لا تتركه إلا وهو مجَدّل مضرّج بدمائه.

إن هذا الاعتبار التاريخي لا يحصرُ دلالات هذه الشخصية الأسطورية داخل نفق الحيثيات الاقتصادية والاجتماعية التاريخية الضيق، وإنما يمنحُها صفة الشخصية الأسطورية التي تعدّت حدود التاريخ وحفرت في اللاشعور الجمعي للمجتمع المغربي لا سيما الفئات الشعبية مجرى عميقاً رفع عائشة قنديشة من مستوى الواقع التاريخي لمناضلة ممتازة إلى رمز كبير تحيطه بهالة عجائبيّة (Fantastique) وخرافيّة من الصور البطولية التي تحولت بعد انتهاء محاربة العدُو إلى أفعال عدوانية خارقة لا تأويل لها إلا حضور هذا الشبح المهدِّد للرجال في كل لحظة وآونة بالشر والدّمار.

وإذا كانت رمزية النضال ومثالية الفعل البطولي هي التي رسخت عائشة قنديشة كشخصية أسطورية في المتخيل الشعبي المغربي، فإن وصفها بالخيرية أو الشريّة في الحكايات التي تُرْوى عنها يظل أمراً ثانوياً تطغى عليه الصفة البطولية الأولى وهي التي ترفع هذه الشخصية إلى مستوى الرمز الخالد الذي لا يموت ويمنحها صفة الحضور الدائم في المتخيل الشعبي في سائر العصور.

ولعل خارقية (L'extra-ordinarité) الفعل البطولي الذي قامت به هذه الشخصية الرمز، هي التي جعلتها تتبوأ مكانة القوة الفاعلة في المتخيل الشعبي والتي أدت إلى إنتاج عدد هائل من الحكايات والروايات الشعبية التي تدور حولها من جهة وحول خصوصياتها الخارقة من جهة أخرى.

فمن خلال مجموعة من الحكايات التي رويت لنا عن عائشة قنديشة، فإننا نكاد نجزم بأن هذا الرمز يشكل مجالا خصبا لتأويلات مجالية ذات بعد انتربولوجي وتأويلات نفسية ذات أبعاد پاتولوجية (مرضية) وذات انعكاسات اجتماعية واقتصادية على أوضاع المرضى العقليين الذين تسكنهم هواجس هذه الشخصية العفريتية أو لدى الفئات الشعبية التي تظن فعلاً أنها مسكونة بهذه الجنية، بعد أن أصابهم مس أو حدثت لهم نوبات صرع.

إن تنوّع ضحايا هذا المخلوق الأسطوري في البيئة المغربية منذ القديم يحوجُنا إلى مقاربة هذه المشكلة في السرد الشعبي المغربي من زوايا نظر مختلفة نكتفي منها بالزاوية الانتربولوجية المجالية.

إن شخصية عائشة قنديشة ترتبط في الحكي الشعبي بمجال الغرب، أي السهل، وما يشمله من مجالات مائية وساحل وغابات تتخللها مواقع الماء. فمن خلال المتن السردي الذي جمعناه من خلال شهادات حيّة لدى أصحاب المنطقة ممن لهم سابق علاقة مع هذا المخلوق سواء في الواقع والخيال أو في الحلم، فإننا نلاحظ ارتباط هذا السرد بمكونين لازمين لجُلّه وهما :

أ ـ المكوّن المائي أو المجال الذي يتحرك فيه الماء كضفاف نهر سَبُو أو غيره من الأنهار وساحل البحر وبالقرب من الآبار أو الضايات وفي مجال ملتف الأشجار أو كثير الخضرة والنبات كالمروج والسهول والمراعي والغابات الصغيرة والكبيرة والتلال المخضرّة.

ب ـ المكوّن الزماني : وهو الليل إذ أغلب الشهادات إن لم نقل كلها على اعتبار ما قد يتخلّلُها من تحريف، تؤطّرُ فعل ظهور عائشة قنديشة في زمن الليل الحالك والظلام

الدامس، الذي تظهر فيه هذه الأخيرة كمصدر للنور المادي نظراً لجمالها الباهر، والنور المعنوي لإنزالها العقاب بمن يستحقه ممّن يتخذون الليل قناعاً يخفُون به تحركاتهم المشبوهة ديناً وأخلاقياً.

إن تعقبنا للظهورات المختلفة لهذه الشخصية الأسطورية جلعنا ننتهي إلى نتائج أهمها ما يأتي :

أ ـ إن عائشة قنديشة شخصية تاريخية ارتبطت بالمجال المائي للمغرب، وفي زمن الاستعمار كانت واقعاً ملموساً في صورة عائشة المناضلة التي أودت بالحيلة الذكية والمكر الخفي بعدد كبير من جنود الاحتلال وضباطه صرعى مجدلين في دمائهم بعد أن أغوتهم وانتقمت منهم أشد الانتقام.

وتطور هذا الزمن البطولي واتسعت دلالاته في أذهان الطوائف الشعبية، فصار ملازما للخيال الشعبي، باعتباره رمزاً لكل خلاص، وكل هداية في كل حال من الأحوال في تاريخ هذه الفئات الشعبية الساذجة.

ب ـ إن هناك خلطا واضحا بين شخصيتين جنيتين في السرد الشعبي في المتخيل المغربي، وهما شخصية عائشة قنديشة وشخصية عائشة البحرية، والتي تختصُّ لها نوبات موسيقية وإيقاعية في الطقس الگناوي، فعندما تتغير الخرق التي تختلف ألوانها، يأتي دور لُبس الخرقة الزرقاء وهي بلون الماء الذي تنعكس عليه فضاءات السحاب والسماء الزرقاء، وهذه الخرقة مرتبطة بحضور عائشة البحرية، وتدعى أيضاً بـ (مولات الماء) أي صاحبة الماء.

ولقد سألنا لأجل التثبت من هذه المسألة ممارسي الطقس الگناوي فتبيّن أن الشخصيتين عائشة قنديشة وعائشة مولات الماء قد تعنيان الشيء ذاته لدى غير المميّزين وعديمي الخبرة بمجالات الجن وتنوعات أفعاله وحضوره في الخيال الشعبي.

أسطورة عائشة قنديشة والأبعاد الاجتماعية :

إن هذه الأسطورة المنبعثة من رماد واقع تاريخي مطبوع بنضال ضد المستعمر البرتغالي، استطاعت أن تعبر عن وحدة المجتمع المغربي على مستوى الشرائح الشعبية التي صنعت الانتصارات بمساهمتها في الحروب وعملها الدؤوب من أجل الحفاظ على مقومات اللغة والدين والمجال. وقد طور الخيال الشعبي في السرد الحكائي عدداً كبيراً من الرموز التي خلّدت فعله في المجال وإسهامه في الحضارة. ورمز عائشة قنديشة، استطاع أن يوحد الرؤى حول تجربة الحرب والمواجهة التي أعلنتها فئات الشعب في هذه المناطق المغربية في وجه الاستعمار. كما سمحت هذه الأسطورة باتفاق هذه القبائل على طول المجال البحري والنهري في منطقة الغرب، وتشكيلها حلفاً متماسكا على المستوى الواقعي أيام الحرب الاستعمارية، وعلى المستوى اللاشعوري فيما بعد من خلال توحيد المخيل الشعبي حول زمز من رموز النضال وهو عيشة قنديشة.

ع. الملك ابن عبيد، *كتاب جوانب من تاريخ المجال والسكان بالمغرب*، الدار البيضاء، 1998، ص. 28.

Roverton Smith, *Religion of the Semits*, Edinbourg (2eme édition), 1894 ; J.P. Vermant, *"Religion grecque"*, *Religions antiques* in *Religions. Histoire. raison*, Paris, 1979, p. 5-53

محمد أديوان

ابن **عيشون**، أسرة من فاس لا يعرف أصلها ولا متى استقرت بهذه المدينة. لكن من خلال تتبع آثارها في كتب التراجم والمناقب تبين أن إسم عيشون قد ارتبط بالأندلس حيث تردد هذا الاسم كثيرا في المؤلفات التي اهتم أصحابها بتراجم الأندلسيين، وكان فيهم علماء ومدرسون وفقهاء وأدباء وصلحاء عاش معظمهم بين القرن الرابع والسابع (10 و13 م) وفيهم من حمل لقب الأنصاري، ولعل لأسرة ابن عيشون صلة بالأنصار، وربما يكون أحد أفرادها قد انتقل فيما بعد مع المهاجرين الأندلسيين إلى المغرب واستقر في مدينة فاس.

ابن **عيشون، محمد** بن **محمد** بن **طاهر**، ينتمي إلى أسرة ابن عيشون التي عاشت في فاس، ولم يعرف قبله من أفراد هذه الأسرة غيره، وقد ترجم له ابنه محمد بن عيشون في كتابه حول صلحاء فاس ووصفه بالصالح المجاهد، وذكر أن شيخه في الطريق مسعود بن محمد الشراط (ت. 1031) دفين خارج باب الجيسة وهو ممن انتسب في الطريق لأبي الحسن الشاذلي عن طريق شيخه محمد بن موسى المعروف بأبي شتاء دفين أمركو بمنطقة فشتالة (ت. 997). توفي صاحب الترجمة سنة 1040 / 1631 بحلق سبو، في غزوة قام بها مجاهدو فاس بتحريض من المجاهد العياشي ضد الإسبان أثناء احتلالهم للمهدية، ودفن خارج باب الجيسة بروضة شيخه مسعود الشراط.

ابن **عيشون، محمد** بن **محمد** بن **محمد** (ثالثة) بن طاهر، أبي عبد الله الملقب بالشراط، وصفه محمد ابن الطيب القادري بالمرابط والمجذوب، ووصفه بعضهم بالفقير، ولد سنة 1035 / 1625 . 1626، كان محبا للعلماء ولأولياء الله، كثير التردد عليهم، وكانت حرفته حرارا، ولعل للقبه (الشراط) صلة بحرفة الشراطين التي هي من الحرف التقليدية المعروفة بمدينة فاس، وربما يكون والد المؤلف قد احترفها أو تلقب بها اعتبارا لشيخه في الطريق مسعود الشراط. وينتسب ابن عيشون في الطريق إلى مسعود الشراط عن طريق والده وشيخه أحمد المدعو حمدون بن عبد الرحمان اللاحقي (ت. 1072) دفين زاويته بدرب الحرة بفاس.

ولابن عيشون مؤلفات في مواضيع مختلفة من أشهرها كتاب *الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس* الذي اهتم فيه بتراجم ومناقب مجموعة من الصلحاء والعلماء ممن عاشوا ودفنوا بمدينة فاس فيما بين القرنين الثاني (8 م) والحادي عشر (17 م)، وهو الكتاب الذي

اتهمه كثير من المؤلفين بأنه نسبه إلى نفسه بناء على ما ذكره محمد العربي بن الطيب القادري في كناشته من أنه هو الذي ألف الكتاب بطلب من صاحبه محمد ابن عيشون وجمع فيه تراجم ثمانين إلا واحدا من صالحي فاس ثم قام بنسخه لابن عيشون، مقابل أجر معين، في بضع وثلاثين كراسة، وأن ابن عيشون قد تصرف في الكتاب بالزيادة والحذف وأضاف له بضع تراجم بلغ عددها في القسم الأول خمسة، كما أضاف إليها، باتفاق، قسما ثانيا وهو المعنون بالتنبيه على من لم يقع به من فضلاء فاس تنويه ونسبه إلى نفسه، وعن القادري تناقل هذا الاعتراض عدد من المؤلفين.

ولابن عيشون مؤلفات أخرى نسبها له عدد ممن ترجموا له وهي تأليف في الأذكار نسبه له محمد العربي القادري في كناشته ؛ وتأليفان أحدهما في أشياخه ويسمى سلسلة الأنوار (أو *حديقة الأنوار في سلسلة السادات الأخيار* كما جاء في هامش إحدى نسخ الروض) ونسبه له محمد بن الطيب القادري في كتابيه *نشر المثاني والتقاط الدرر*. والآخر في الأذان نسبه له القادري أيضا في كتابه التقاط الدرر ؛ ثم له أيضا تأليف في الأدب نسبة له إسماعيل باشا البغدادي في كتابه هدية العارفين. لكن هذه المؤلفات تبقى غير معروفة ولا تعرف خزائنها وبذلك ظل كتاب الروض بالرغم من الشكوك التي أحيطت بنسبته كتابه المعروف.

توفي ابن عيشون بفاس سنة 1109 / 1697.

م. ابن عيشون، *مقدمة كتاب الروض العطر الأنفاس*، ص. 22 ـ 24 ؛ القادري، *نشر المثاني*، ج. 3، ص. 84 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ج. 2، ص. 35 ؛ لفى بروفنصال، *مؤرخو الشرفاء*، ص. 198 ؛ ك. بروكلمان، *تاريخ الشعوب الإسلامية*، ج. 2، ص. 683 ؛ إسماعيل باشا البغدادي، *هدية العارفين*، ج. 2، ص. 305 ؛ ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، ج. 1، ص. 51.

زهراء النظام

العيشي، محمد جدو، مقاوم من مواليد سنة 1909 بأسا. انخرط في صفوف جيش التحرير بالصحراء المغربية منذ سنة 1959 ضمن المقاطعة السابعة بمركز آسا تحت قيادة سيدي أحمد بن أمان، حيث شارك في عدة معارك وهجومات ضد المستعمر الغاشم أبان خلالها عن وطنيته الصادقة وإخلاصه في سبيل الذود عن حوزة البلاد وتحقيق الاستقلال.

انتقل إلى جوار ربه بتاريخ 24 دجنبر 1995.

الندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهادة الاستقلال، بطاقة رقم 503121.

العيطة، لون من الغناء ظهر في البوادي وتوسع في الحواضر، وهو عبارة عن أهزوجة شعبية مركبة تتكون من مقدمة بطيئة في الإيقاع ثم مجموعة من الفصول أو القاطبات تربط بينها أبيات انتقالية تدعى حطات (مفردها حطة أو قنطرة عند أصحاب الآلة) وتختم العيطة بقفل من بيت شعري في إيقاع سريع.

وكلمة عيطة مشتقة من عيط أو نادى، والنداء هنا قد يراد به النداء للجهاد كما قد يراد به إثارة الانتباه إلى حدث أو نازلة. وأسلوب النداء هذا نجده في مقدمة كل العيوط تقريبا مثلا : آه شريفي بورحال، والحمرا خربوشة زروالة وآه يا وين آه ربي وتانا تانا. وتعتبر العيطة من جهة أخرى وسيلة أو خطاباً يعكس بيئة وتطلعات الإنسان المغربي ومعاناته. والعيطة حاضرة في تاريخنا وفي ثقافتنا الشعبية بمفهومها الواسع، وهي بالتالي تمثل ذاكرة المجتمع وجزءاً من مكونات بنيته الفوقية التي سادت عبر مراحل مختلفة.

نشأت العيطة نتيجة الالتقاء والتداخل والتمازج الذي حصل بين مكونات ثقافتين مختلفتين الأولى أمازيغية والثانية عربية تعززت بالهجرات العربية خلال القرن السادس الهجري. وفي هذا الإطار نتج عن اختلاط إنتاجات الأحواشات والأحيدوسات مع الأهازيج والرقصات الآتية من الشرق إفراز هذا اللون من الغناء الذي نسميه اليوم العيطة. نشأ هذا في السهول خصوصا الأطلسية منها مع فرق تسمى لهوير، وانطلاقا من هنا بدأت تتكون بعض المقاطع عبارة عن عيطة بسيطة أي لم ترق إلى مستوى التركيب. هذه المرحلة الأولى غامضة بالنسبة للبحث. بعدها دخلت الأدوات النفخية العيطة وهذا يعتبر التطور الأول الذي طرأ عليها، ثم جاءت المرحلة الأخيرة التي أدخلت فيها الأدوات الوترية للعيطة كالرباب والسويسدي أي الكنبري الصغير. ومن المرجح أنها شهدت فترة تركيب أو هيكلة العيطة أي أن تلك المقاطع التي كانت تغنى وسميناها عيطة بسيطة أو بروال تم الربط بينها وأصبحت عبارة عن عيوط مركبة. ومن المؤكد أن هذا التركيب لم يتم في فترة واحدة بل جاء عبر مراحل مختلفة، وهذا ما يفسر افتقار جسد العيطة إلى وحدة الموضوع حيث نجد أن فصلا تكون في فترة بداية القرن 15 ثم أضيف فصل ثالث أو رابع في القرن 20 وهكذا.

والملاحظ أن فترة القرن 19 تعتبر منعطفا في مسيرة هذا الفن، نظرا لما شهدته هذه الفترة من تحول وتصدع في بنى ونظم ومؤسسات المجتمع المغربي ما قبل الرأسمالي في إطار ذلك الاصطدام اللامتكافئ مع المجتمعات الأوربية. ونظرا لما صاحب هذه الفترة من تحولات وآثار على قيم وسلوك وواقع الإنسان المغربي تشكلت من جديد لحظات البوح الجماعي لتجسد الصراع بين الأنا والآخر عبر قنطرة هذا الفن أي العيطة. وانطلق الصوت الشعبي من جديد معبرا ومصورا تلك اللحظات بكل ملابساتها ومعطياتها.

ينحصر مجال العيطة جغرافيا في المناطق السهلية الساحلية التي تمتد من الغرب إلى الشياظمة ثم المناطق الداخلية كالحوز وتادلة وازعير إلى حدود منطقة الدير أي سفح جبال الأطلس. وهذه المناطق ناطقة بالعامية ولا ننسى مناطق زموز وزيان حيث ينتشر فن العيطة بالأمازيغية. يمكن حصر فن العيطة في مجموعة أنماط تختلف باختلاف مناطق وجودها وخصوصياتها الشعرية والموسيقية واللحنية والآلاتية الخ. هذه الأنماط هي :

- الحصبة أو الحصباوي وهي منطقة بعبدة إقليم أسفي حيث ظهر هذا النوع من العيطة الذي يعتبر من أقدم الأنماط وأصعبها منالا. ومن أهم العيوط التي تنتسب لهذا النمط عيطة ارجنا فلعلي، عيطة حاجتي في كريني، عيطة خربوشة، عيطة رادوني، عيطة العمالة، عيطة كبت الخيل، عيطة بين الجمعة وبين الثلاثاء، عيطة اعلى قبلك بايت عساسة، عيطة سيدي حسن وغيرها كثير إضافة إلى ما نسميه بالعيوط الميتة أي التي لم تعد تتداول. والتي نذكر منها عيطة كاسي فريد وعيطة واليني واليني وعيطة سيدي راكب على اجوادو.

تمتاز عيوط هذا النمط بصعوبة أدائها وتنوع إيقاعاتها وغنى مضامينها وتعدد موضوعاتها. داع فن الحصبة وانتشر صحبة رواد أوائل من رجال ونساء أمثال الشيخ المصطفى ولد الضو توفي سنة 1958، والشيخة البوكدراوية والشيخ الدعباجي الذي توفي سنة 1998. وهو لازال متداولا بشكل واسع عند عدد من الفرق العبدية كفرقة الشيخة عيدة والشيخة الحامونية والشيخة فاطنة بنت الحسين والشيخ الدامو وعبد الرحمان لبصير وغيرهم من الفرق.

- المرساوي أو البيضاوي وهو لون العيطة الموجود في مختلف مناطق الشاوية كسطات والكارة وابن احمد، وأولاد زيان ومعظمه يتركز حاليا في الدار البيضاء.

والعيطة المرساوية عذبة رقيقة تخاطب الوجدان وتدعو إلى التأمل والركون للبوح ترافقها ألحان رنانة ونبرات صوتية دافئة.

إن بيئة الشاوية الغنية وهي موطن المرساوي كان لها أثر بليغ على حمولات عيطاته سواء على مستوى الصيغة اللحنية أو الشعرية.

من أهم عيوط المرساوي نجد عيطة دامي، عيطة لبغاحيبو، عيطة ركوب الخيل، عيطة ماشتو لغزال، عيطة خربوشة منانة وعبطة شالييني.

والملاحظ أن عيوط المرساوي هذه كثيرا ما تغنى على شكل مقاطع منعزلة عن عيوطها الأصلية.

تطورت العيطة المرساوية وانتشرت مع الشيخة العرجونية وأخذت أبعادا جديدة مع الفنان بوشعيب البيضاوي وقيبو وبوشعيب زنيكة هذا الطاقم الذي عمل على بعث هذا اللون من جديد وفي قوالب غير معتادة ساهمت في تقريبه إلى الجماهير بشكل أوسع. هذا إضافة إلى رواد آخرين كالصحيب بلمعطي وصالح السماعلي والمرينية والزروقية وغيرهم.

- الحوزي أو العيطة الحوزية مجال انتشارها هو حوز مراكش والرحامنة وبنگرير والسراغنة واليوسفية هذا النمط له مجموعة خصوصيات كاعتماد المقام الموسيقي المرتفع والأصوات الحادة بحيث تصبح العيطة عبارة عن موال في بدايتها مما يجعله قد يعتمد مجموعة عازفين للكمان ومجموعة أخرى للنقر على الطعارج، وتعتمد مؤخرات عيوط الحوزي على ميزان سريع جدا أصبح يرافق حاليا بالنقر على الأرض بواسطة الأرجل أي الدرديك.

وقد اختلفت مواضيع الحوزي كذلك من حيث التقاطاتها حول ظاهرة التضاد الثنائي كما مر معنا القبيلة / السلطة، السكان / المعمر... ونسجل اهتمامها بالأضرحة والمزارات المقدسة عموما.

من أعم عيوط الحوزي الشجعان، عيطة بوبا رحال، عيطة سيد الزوين، عيطة خالي ياخويلي، وقد شهد هذا النمط نوعا من الرواد الذين حاولوا تطويره ونشره بشكل واسع من أمثال الشيخ بن احمامة والشيخة الرويضة وآخرين.

- الزعري أو العيطة الزعرية، وهو لون آخر موجود بمنطقة ازعير وهو أكثر انتشارا في ربوع المغرب. والزعري هو قريب نوعا ما من الحوزي وخاصة في مجال اللحن والمضامين.

ومن أهشر عيوط الزعري اجعيدان، الشجعان...

ونذكر من بين رواد هذا الفن الشيخة خربوعة وتعينيعة وولد العواك وغيرهم.

ونظرا لتجاور مناطق وجود العيطة وقع تلاقح وتداخل بين هذه الأنماط فنتج عن ذلك ظهور أنماط جديدة متقاربة في الألحان والمضامين وتنقل في بعض الأحيان عيوط من نمط معين وتغنى في قالب نمط جديد مثل التلاقح الذي وقع بين المرساوي والحصباوي والتلاقح الذي وقع بين المرساوي والحوزي والزعري وأعطى نمط الخريبكي.

وبخصوص الآفاق المستقبلية لهذا الفن الأصيل نقول أنه عموما ورغم هذا التشتت والنحل الذي لحق مئون النصوص العيطية نتفائل لتجربة المجموعات الشبابية الجديدة أي الأوركسترات التي شرعت في غناء هذه العيوط الأصلية ولا يلاحظ التغيير إلا على مستوى إدخال أو تطبيع بعض الآلات العصرية مما يساهم لا محالة في إعادة إنتاج هذا الفن ونشره في أوساط الشباب.

تلك أهم أنماط العيطة الموجودة حاليا، غير أنه توجد أنماط أخرى نذكر من بينها على الخصوص: الغرباوي والشيظمي والعيطة الزيانية وغير ذلك.

Allal Regoug. *Laïta chant du Maroc entre musique et histoire*. *Horizon Maghribin*. n° 43. 2000. Toulouse. France.

علال رگوگ

العيلال، الحسين بن أحمد، ولد سنة 1927 بدوار لبيار إقليم گلميم.

اختار العمل المسلح، فانضم إلى جيش التحرير بالصحراء المغربية بمركز تافودارت تحت قيادة الفطيح السالك وذلك سنة 1956.

شارك في عدة معارك أظهر فيها شجاعة كبيرة، إلى أن استشهد في معركة الساقية الحمراء بالمسيد بتاريخ ١ / ١ / 1957.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة رقم 514283.

عين إسحاق (مدينة)، تقع هذه المدينة الأثرية الدفينة قرب دوار دار الغول الواقع بمشيخة الربع الفوقي التابعة لجماعة بني فراسن (إقليم تازة) وتنتشر أطلالها على علو 1160 م على ثلاث هضاب تشكل امتدادا لسلسلة قصبة بني فراسن ويخترقها مجرى واد صغير يعرف بوادي السلال. تحتل هذه المدينة موقعا استراتيجيا وممتنعا يصعب الوصول إليه، لا يعرف بالتحديد تاريخ بناء هذه المدينة، لكن المصادر التاريخية تتفق منذ البكري حتى الناصري على أن بناءها تم على يد الأمير المكناسي موسى ابن أبي العافية، ويبدو أن نواتها الأصلية تعود إلى فترة ما قبل قدوم مصالة بن حبوس في حملته الأولى على المغرب سنة 928. وقد شهدت هذه المدينة طوال تاريخها عدة مراحل :

1 ـ خلال حكم موسى ابن أبي العافية لعبت عين إسحاق دورا أساسيا كقاعدة عسكرية وكعاصمة سياسية. وقد بلغ مدى أهميتها وإشعاعها حتى قرطبة والمهدية. ومنها قاد الأمير المكناسي حملته العنيفة ضد الأدارسة من أجل السيطرة على الحكم بالمغرب.

2 ـ بعد فترة الأوج هاته التي تميزت بالاستقرار والرخاء عرفت المدينة فترة عصيبة حيث يذكر المؤرخون أن أبا عبيد الله الفاطمي سير سنة 933، ضد عامله الأسبق الذي نكث عهده، قائده المكناسي حميد بن يصليطن، هذا الأخير هاجم جيوش موسى ابن أبي العافية ليلا واضطره للتراجع والاحتماء بقلعته الحصينة بعين إسحاق.

3 ـ بعد عودة القائد الفاطمي إلى الشرق استعاد موسى ابن أبي العافية سلطته على البلاد وأصبح حسب ما يذكر المؤرخون ملكا على المغرب الأقصى وجزء من المغرب الأوسط. ومن المؤكد أن المدينة عرفت فترة ازدهار خصوصا عندما أعلن موسى ولاءه للأمويين بالأندلس، ويخبرنا ابن حيان بهذا الخصوص أنه جزاء للأمير المكناسي على وفائه لعهده، أرسل له الناصر هدايا ثمينة عدة مرات.

4 ـ ولم تفتأ فترة الرخاء التي عاشتها المدينة أن تحولت إلى انحطاط وخراب، وبالفعل ففي سنة 935 هاجم القائد الشيعي ميسور الخصي موسى بن أبي العافية وهزمه. ثم حاصر عاصمته وهدمها بعد أن طرده إلى بلاد ملوية.

يشير البكري في وصفه لمدينة عين إسحاق إلى أنها تتوفر على جامع وأسواق وحمام وقبة تعلو العين.

يبدو من الصعوبة بمكان تحديد أمكنة لهذه المعالم التي ورد ذكرها عند البكري على اعتبار أن المدينة الأثرية كلها الآن مخربة ودفينة. وسطح أرضية الموقع يتم استغلالها منذ مدة من طرف سكان الدواوير المجاورة في الفلاحة وهو ما أدى إلى طمس هوية المدينة. وبقاياها مغطاة حاليا بركامات من الأتربة الناتجة عن التعرية وتعاقب السنين وكذلك كتل من الحجارة في البناء إضافة إلى نسبة مهمة من البقايا الخزفية. إلا أن آثار وقواعد بعض البنايات لازالت بادية للعيان وهي ذات علو لا يتجاوز في أفضل الأحوال المتر الواحد. ويلاحظ أن أغلب هذه البقايا الأثرية تتمركز حول العين الحالية في حين تقل آثار البنايات كلما اتجهنا نحو الجنبات.

أ. أسوار المدينة

مكنت المعاينة الميدانية من تتبع بقايا سور ضخم وذي تصميم متعدد الأضلاع. يحيط بالمدينة من الجهات الجنوبية والغربية والشرقية على طول أزيد من 1000 متر. وهو إما بارز ذو علو لا يتجاوز 70 سنتمترا وإما مهدم ومغطى بخرابه في حين يظل أزيد من نصف الموقع معتمدا من الجهة الشمالية والشمالية الغربية على تحصينات طبيعية مشكلة من مرتفعات وحافات يصعب اختراقها على أمهر الجيوش.

هذا الجدار الدفاعي تتخلله بعض الأبراج المستطيلة وهو سميك إذ يصل عرضه في بعض الأحيان إلى 2.34 متر. وهو مبني من الحجارة المقطوعة ذات الحجم الكبير التي تشكل الواجهتين الداخلية والخارجية، ويتوسطهما خليط من الحجارة الصغيرة والتراب المدكوك.

ب ـ القلعة المحصنة

بقمة الهضبة التي تعرف باسم "كدية الطبالة" تنتشر بقايا أثرية مهمة. وهي على شكل قلعة صغيرة محصنة ومحاطة بسور مبني من الحجر عرضه 18 متر، وتتوسطها آثار بنايات يصعب تحديد تصميمها ولا الدور الذي كانت تلعبه وإن كان أغلب الظن أنها بنايات عسكرية على شكل حصن عسكري أو برج للمراقبة.

ج ـ المجال الداخلي للأسوار

في المجال الداخلي للأسوار تتناثر بنايات أثرية من الصعوبة التعرف على طبيعتها وتصميمها. فنص البكري يتحدث عن جامع وأسواق وحمام وعين مغطاة بقبة لم يبق لها اليوم أثر باستثناء العين التي لازالت مياهها جارية، إلا أنه اعتمادا على الرواية الشفوية يمكننا تحديد أماكن بعض البنايات وخاصة المسجد الذي يوجد بالقرب من العين الحالية في الجهة الشمالية. وفي الجنوب الشرقي تتم الإشارة إلى بنايات مخربة على أنها حمام المدينة. وتتعدد آثار البنايات داخل المدينة والتي توحي من خلال هندستها بتصاميم المنازل المغربية التقليدية التي تتميز بانتظام مجموعة من الغرف حول صحن أوسط.

توضح دراسة البنايات والبقايا الأثرية والمنتشرة داخل الموقع على أن الحجر والتراب والجير هي المواد الأساسية التي استعملت في البناء كما أن السقوف كانت منحنية ومغطاة بالقرميد.

البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب*، نشر دوسلان، الجزائر، 1857 ؛ ع. ابن خلدون، *كتاب العبر*، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1959 ؛ ابن حيان القرطبي، *المقتبس*، نشر شالميطا كورنطي، محمد صبح، مدريد، 1979.

محمد بلعتيق

عين بلال، إذا كانت لفظة عين لا تستوجب وقوفا ؛ فإن لفظة بلال تتطلب وقفة صغيرة. من خلال البحث الميداني، يبدو أن بلال تدل على العلمية. لكن هذه العلمية ليست بشرية، إذ أن أهل البلد يطلقون ـ شأنهم في ذلك شأن القبائل المجاورة ـ اسم البلال (ومفردها بلالة) على نوع من الجراد، ليس من النوع المعروف الذي ينتظم في هجرات جماعية ؛ ولكنه من بين الحشرات العاشبة الكثيرة التي تسبح في البرية. فلعل المنطقة التي اشتهرت قديما بعدد كبير من العيون، ولاسيما في الأودية التي تتخلل أراضيها الهضبية ؛ قد كانت من بينها عين يجتمع حولها عدد لافت للانتباه من تلك الحشرة ؛ فدعيت بالاسم الذي غلب عليها بعد ذلك، بسبب جريانه على الألسنة.

وأياما كان الأمر، فإن عين بلال قبيلة عربية تنتمي إلى مجال قبائل بني مسكين الغربية. وتمتد أراضيها شمالي الرحامنة، على الضفة اليمنى لوادي أم الربيع ؛ على بعد حوالي عشرين كلم شرقي مشرع ابن عبو. وهي أولى قبائل بني مسكين من حيث التصنيف الإداري.

وتنقسم قبيلة عين بلال إلى ست فخذات (أو دواوير حسبما هو رائج)، وهي من الشرق إلى الغرب : درقاوة، أولاد سيدي عبد الحميد، أولاد سيدي مَحمد، أولاد سيدي أحمد، أولاد بابا علي، أولاد سيدي عبد العزيز، المغارات، أولاد واحي. وكل فخذة (دوار) تنقسم بدورها إلى عدة فروع. وينتمي كل فرع إلى جد معين. من ذلك مثلا، أن فخذة أولاد سيدي أحمد تتفرع إلى الحواسنة والعوامرة والبكاكرة والزراولة ... وكل فرع ينقسم إلى عشائر معينة، تقطن حيزاً خاصاً بها. كل ذلك لحفظ الأنساب والشعب ؛ مما يذكرنا بالتقسيمات المعروفة لدى قبائل الجزيرة العربية.

وعلى الرغم من اشتراك عين بلال مع بني مسكين في المجال والعرق ؛ فإن جل سكانها ينتسبون إلى المولى إدريس بن إدريس، حسبما يشتهر عندهم منذ سالف العصور. فقد درج الناس هناك على أن جدهم، ويدعى سيدي عبدالله بن عبد الغني، الذي فر من المذابح التي أقامها بنو أبي العافية المكناسيون لاستئصال شأفة الأدارسة، في القرن الهجري الرابع (10 م). فانتهى المطاف بالشيخ المذكور إلى تلك الجهة، حيث ألقى عصا التسيار. وحسب الرواية نفسها، يذكر أنها كانت مأهولة منذ القديم، وأن سكانها القليلين كانوا في صراعات مستمرة.

يفهم من هذه الرواية، أن الرجل جاء إلى تلك المنطقة النائية لاجئا، لأنه كان يتوجس عاقبة ما تعرض إليه كثير من الأدارسة في مكناس وما حولها. وللإشارة فقط، فقد كانت أعمال بني أبي العافية سببا في فرار عدد من الأدارسة إلى الجبال للاختفاء بها. ولعل هذا ما كان سببا في وجود بعض الشرفاء في المناطق الجبلية. فهل يتميز عين بلال عن قبائل بني مسكين العربية التي قررنا في مادة سابقة أنها من ضمن القبائل العربية التي استقدمها يعقوب المنصور الموحدي إلى المغرب في القرن السادس (12 م) ؟

ومهما يكن من أمر، فإن هذه القبيلة تضم عناصر أخرى، وفدت عليها من القبائل المجاورة كالسراغنة والرحامنة، أو من قبائل بعيدة. وإلى جانب العنصر العربي المتميز بقرب لسانه إلى الفصحى، فإن الباحث يدرك من خلال بعض أسماء الأماكن والأعلام، أن مجال عين بلال لا يخلو من آثار بربرية. من ذلك مثلا أسماء أعلام كطاطة وكنيس وعيطونة؛ وأسماء أدوات كتزاكلوت، وأسماء مواقع، كترهلة وتاسوكا الخ ..

وعلى الرغم من حرص أهل عين بلال على نسبهم، وتمييزهم للشرفاء من غيرهم، فإن مختلف العناصر انصهرت في بوتقة واحدة ؛ ناسين أو متناسين الأعراف والأصول، في سبيل مواجهة قسوة طبيعة أراضيهم التي يغلب عليها طابع الهضاب الصخرية الفقيرة التربة، القليلة الأمطار.

وقد اطلعنا على شجرة أنساب يملكها رجل من فخذة أولاد سيدي أحمد، تصل والده بإدريس بن عبد الله، فاتح المغرب سنة 172.

لم تتحدث المصادر عن عين بلال ـ حسبما نعلم ـ إلا في غضون القرن الثالث عشر (19 م) ؛ حيث ذكرت حين "ثار على القائد الشافعي إخوانه"، فلاذ بزاوية عين بلاد الكائنة بفخذة درقاوة. وفي سياق ذكر هذه الزاوية، نشير إلى أننا وقفنا على بعض ظهائر التوقير والاحترام التي توصل بها أحد شيوخها، في عهد السلطان عبد العزيز. ولا شك في أن ذلك الظهير لم يكن إلا استمرارا لظهائر سابقة ؛ باعتبار أن كل سلطان يقر من سبقه على نفس الامتيازات التي خولها لبعض الجهات، ومنها الزوايا. ومما يذكر عن هذه القبيلة، أن المختار السوسي، الذي مر بها في أواسط العقد الرابع من القرن الماضي (14 هـ)، فعبر عن إعجابه بحفظ الناس لكتاب الله ؛ حتى قال : "كل بني مسكين يحفظون القرآن". وعلى الرغم من أنه جعل سبب الحفظ متصلا بالإفلات "مما يكلف به العوام من الوظائف المخزنية"، فإن الظاهرة في حد ذاتها إيجابية. وفي هذا السياق برّز عدد من الأعلام، يلقب معظمهم بالمسكيني، قليل منهم ورد ذكره في المصادر.

وخضعت هذه القبيلة، شأنها شأن باقي بلاد المغرب إلى الاحتلال الفرنسي ؛ حيث تم إخضاعها منذ سنة 1914، وسخرت السلطات الاستعمارية عليها القائد بوحافة، الذي سام الناس مختلف ألوان الضغط، سواء على صعيد الجباية أو السخرة. ولعل ما لحق سكانها من جور كان سببا في انكماشها وتراجع أحوالها، ولاسيما في الميدان العلمي. وبذلك رجعت إلى الهامش، حيث استمرت هامشية حتى في عهد الاستقلال، إلى أن يسر الله بدء أشغال سد المسيرة. فدعت الحاجة إلى بناء الطريق المعبد الذي ترتب عنه فك العزلة عنها، وانفتاح السبل أمام سكانها للاتصال بباقي جهات المملكة.

وثائق الخزانة الحسنية : وثائق خاصة : الاستقصا ، 1 : العسول، 6 : التحري الميداني.

Répertoire alphabétique...
أحمد عمالك

عين بني مطهر أو ريباي نيكراي (Ripae Nigrae)، مدينة عتيقة من مدن موريطانيا (المغرب القديم) ذكرها عرضا جغرافي رافنا في مؤلفه الذي يعود إلى سنة 700 م، دون سائر المؤرخين الجغرافيين والمؤلفين القدامى من الإغريق واللاتين على حد سواء. وتجاهلها أو جهلها المؤلفون العرب، مؤرخون وجغرافيون، فلم يرد لها أي أثر ولم يورد عنها أي خبر طيلة العصور الوسطى والحديثة.

اسمها اللاتيني Ripae Nigrae اسم مركب من لفظتين في صيغة الجمع تدل أولاهما Ripa في معناها الحقيقي على الضفة وفي معانيها المجازية على مرتفع أو منحدر أو حافة أو جرف. ويدل اللفظ الثاني Niger. Nigra, Nigrum على السواد والظلام.

وعليه يكون المعنى الحرفي لهذا الاسم هو الضفاف السوداء، أو المرتفعات السوداء، أو الحافات السوداء أو الأجراف السوداء.

هذا وذكر بلينيوس الشيخ في خضم حديثه عن حملة القائد الروماني القنصل كايوس سويطونيوس بولينوس Caius Suetonius Paulinus، في سنة 40 - 41 م، أن هذا القائد كان "أول قائد روماني تجاوز الأطلس ببضعة أميال... (إذ) وصل في ظرف عشرة أيام - حسب قوله - إلى الأطلس، ثم إلى نهر يدعى گير Ger، مخترقا صحاري ذات رمل أسود تتخللها من مكان لآخر أكمات صخرية (سوداء) كأنها محروقة".

ولما كان هذا النص يذكر بصريح العبارة الأطلس ونهرا باسم گير Ger، فإن الأقرب إلى الصواب هو أن تنطلق التحريات من هذه المعالم الجغرافية في شكل ثلاث ملاحظات :

أولها : أن القائد سيوطونيوس بولينوس قد تجاوز الأطلس ووصل إلى نهر يدعى گير Ger رأى فيه الباحثون النهر المعروف بنفس هذا الاسم - إلى يومنا هذا - والذي يجري إلى الشرق من تافيلالت، منطلقين من أن هذه التسمية في حد ذاتها جذر أمازيغي يعني وادا أو نهرا.

ثانيها : أن الأوصاف التي أوردها بلينوس الشيخ عن هذه المنطقة التي عبرها هذا القائد في ظرف عشرة أيام قبيل وصوله إلى الأطلس تنطبق إلى حد كبير على جغرافية النجود العليا الشرقية بما فيها من صحاري ذات رمل أسود تتخللها من مكان لآخر أكمات صخرية سوداء، كأنها محروقة، تعرف اليوم باسم الگارات في المنطقة.

ثالثها : أن الأطلس الذي ذكره بلينوس، وانطلاقا من الملاحظتين السالفتين لا يمكن أن يكون إلا شرق الأطلس الكبير الفاصل بين النجود العليا الشرقية شمالا ووادي گير وتافيلالت جنوبا.

وبناء على هذه الملاحظات نرجح أن تكون مدينة عين بني مطهر - اليوم - باسمها العتيق بركم / بركنت هي تلك المدينة التي أشار إليها جغرافي رافنا بالاسم اللاتيني المركب بصيغة (Ripae Nigrae) بمعنى الضفاف السوداء، أو الأجراف السوداء أو المرتفعات السوداء. ونستدل على ذلك بأن لفظة برگم أو بركنت تختزل جانبا مهما من الطبوغرافيا السوداء اللون في المغرب الشرقي، علما أن اللفظة "بركم / بركنت" نفسها مجرد نطق مخفف للفظة "تبركنت" التي تعني "السوداء" في بعض اللهجات المحلية المعروفة بالمنطقة.

م. اللبار، *حول مقاومة شرق المغرب للأهداف الترسعية الرومانية خلال منتصف القرن الأول للميلاد*، ضمن وقفات في تاريخ المغرب، دراسات مهداة للأستاذ إبراهيم بوطالب، سلسلة بحوث ودراسات رقم 27، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2001، ص. 275 - 303.

F. De la Chapelle, *L'expédition de Suetonius Paulinus dans le sud-est du Maroc*, *Hespéris*, T. XIX, 1934, p. 107-124 ; *Le géographe de Ravenne*, III, 9 ; H. Lhote, *L'expédition de Cornelius Balbus au Sahara en 19 av. J.C.*, *Revue Africaine*, T. XCVIII, 1954, p. 41-83 ; Pline l'Ancien, *Histoire naturelle*, V, 14-15, *Traduction et commentaire de Jehan Desanges*, Les Belles-Lettres, Paris, 1980 ; R. Raymond, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924.

محمد اللبار

عين بيضاء، قرية ومركز علمي بقبيلة سماتة الهبطية. تعد القرية السماتية أصغر مداشر فرقة سيدي مزوار، واقعة على السفح الشمالي من جبل الخلوة، ويقابلها من جهة الشمال السفح الجنوبي من جبل الصريخ. كان المدشر في مستهل القرن العشرين صغيراً لم يتجاوز عدد دوره الثمانية والعشرين داراً أو أسرة، وهو ما يعادل مائة وأربعين نفر. غير أن شهرة عالمها أحمد بن يرمق سابق الترجمة جعل من القرية مركز علم لامع في جميع المنطقة الشمالية.

كان الشيخ أحمد بن يرمق قد أسس معهد عين بيضا في آخر العقد الأول من القرن العشرين ودرس فيه العلوم الدينية الوقتية، ومنه تخرج العديد من طلبة الهبط وجبالة والريف، كما كانت إجازة التخرج من المعهد معترفا بها لمتابعة الدراسة بجامع القرويين.

ويعهد عين بيضا يقي بدرس إلى وفاته في تاريخ لم يتحقق بعد، مكتفين الآن بالإشارة إلى مستهل العقد الثاني من القرن العشرين، مع الترجيح أن يكون التاريخ المحدد هو سنة 1921. ولا يزال أهل القرية وطلبة جبالة والريف يذكرون في تقليدهم مناقب الشيخ ومعهده عين بيضا.

ع. الحي الكتاني، *فهرس الفهارس والإثبات*، لبنان، 1982 ؛ المريني العياشي، *صورة من التاريخ البطولي لمنطقة جبالة* ؛ م. الهبطي المواهبي، *مفتون متسيون بغمارة وشفشاون*، الرباط، 2000 ؛ محمد بن عبد الرحمن بن خليفة، *أعلام القصر الكبير*، طنجة، 1994 ؛ ع. الصمد العشاب، *أحمد بن المكي يرماق : حمو الشكري، تقييد* :

محمد بن حمو البنحياتي، *مذكرات مرقونة* ؛ ع. عاصم، العلامة محمد التوزاني، الرباط، 1999 ؛ *معلمة المغرب*، عدد 16 ؛ ضابط الأمور الوطنيه بالمنطقة الخليفية، تطوان، 1252.

حسن الفگيگي

عين تساف، تقع ضمن تراب جماعة تساف التابعة إداريا إلى دائرة أوطاط الحاج، يحدها شرقا واد تساف وغربا مزارع لمسيدرة وشمالا دوار أولاد امحمد وجنوبا كارت فجان. يتشكل المجال الذي تنتمي إليه العين من الناحية الجيومرفولوجية من تكوينات مستنقعية مرتبطة بمواد نشر تمثل مخروط انصباب في اتجاه واد ملوية. وتتغذى الفرشة المائية الموجودة داخل هذه التوضعات من عين تساف. وعلى الهوامش السفلى للمخروط تنبثق 26 عينا تتراوح درجة حرارة مياهها ما بين 19°C و27°C.

تعد عين تساف المورد المائي الأساسي والأوحد لسكان الجماعة، يصل صبيبها إلى 250 ل / ث، مسجلة بهذا المعدل أكبر صبيب بالقياس مع باقي المنابع الأخرى المنتشرة على الواجهة اليمنى لواد ملوية الأوسط. تبلغ درجة حرارة مياهها 27°C لعمق الفرشة المائية التي تغذيها، وتتأرجح درجة حموضتها ما بين 7 و7.3 (وحدة pH). كما تتميز مياهها بسحنات كيماوية كبريتية وكلسية ومنغنيزية بتعدن إجمالي يتراوح ما بين 1 و1.5 غ / ل. ونظرا لغلبة الطابع الدوري للجفاف مع انتشار غطاء رسابي غير نافذ فوق توضعات الدوليمي الممتدة على الجهة اليمنى لواد ملوية والركام، فإن مياه التساقطات التي تتلقاها المنطقة بمعدل لا يتجاوز سنويا 160 ملم، لا تساهم عمليا في تغذية مخزون الفرشة المائية الباطنية، مما يؤكد، من دون شك، أن مصادر تزويدها تتصل أساسا بمجالات بعيدة نسبيا عن الوسط المحلي.

وباستثناء هذه العين التي تعتبر مصدر كل مظاهر الحياة بالنسبة للساكنة المحلية، فإن وجود واد تساف الذي يتوسط مجراه أراضي الجماعة، لا يمثل موردا مائيا موازيا للعين، لأن جريانه موسمي يرتبط بوجه أساسي بالتساقطات المطرية الفجائية التي تشهدها في بعض الأحيان عالية الواد. وبالنسبة للعيون الأخرى المنتشرة داخل تراب الجماعة كعين سيدي عيسى وعين المخينزة وعين الحلوف بالطوال، فإن أهميتها على مستوى الموارد المائية محدودة للغاية، إذ لا يتجاوز صبيبها 7 ل / ث. وتتناقص مياهها بكيفية ملحوظة في فصل الصيف، بل يجف بعضها أحيانا إذا توالت فترات الشح لسنوات متعاقبة.

وعلى مستوى الملكية القانونية، تعتبر عين تساف ملكا جماعيا للسكان المحليين، إذ تعاقبت على وراثة قساتها المائية عبر حقب التاريخ البعيد، خلفا عن سلف، مختلف الأفخاذ والعشائر التي تنتسب مجتمعة إلى الولي الصالح سيدي عيسى. على أن الكميات المائية المتدفقة من العين لم تكن حسب ما تتداوله الذاكرة الجماعية المحلية تتجاوز قبل القرن الماضي عشرات اللترات فقط. إلا أنه مع تزايد وتيرة النمو الديمغرافي في وسط وحدات قصور القبيلة مع ما كان يرافق ذلك من تزايد الحاجة الملحة إلى الماء، كان يفرض على السكان التدخل بين الفينة والأخرى لاستصلاح العين وتنقيتها من الأوحال الطينية وتوسيع حجم منابع المياه. بيد أن هذا النوع من العمليات الاستصلاحية ظل عبر تدرج الزمن التاريخي تقليديا إلى غاية تدخل السلطة الاستعمارية في المنطقة، حيث قامت الإدارة الفرنسية في هذا السياق، بخطوتين إصلاحيتين للعين، كانت الأولى سنة 1920 وشملت تحديدا تسوير العين بسور اسمنتي عال نسبيا لحمايتها من تسربات الرمال ونفايات الزوابع والحيوان، ثم إنشاء قنوات تصريف محورية تتناسب مع أنظمة توزيع كميات الماء الإجمالية بحسب عدد "النوبات" وأنماطها القسموية بين الدواوير. بينما تمت الخطوة الثانية سنة 1952 وتضمنت أساسا استصلاح منابع المياه وتوسيع حوض تجمعها الخارجي وتقوية دائرة السور بزيادة أعمدة ولبنات جديدة وشق قنوات تصريف إضافية. وقد أسفرت حصيلة الأعمال التي تخللت هذه المبادرة الإصلاحية الأخيرة عن المشهد الذي توجد عليه العين إلى حدود اللحظة الراهنة.

وفيما يتعلق بأنظمة توزيع مياه العين، فهي مقسمة حسب العرف الجاري إلى نصفين متقاطبين على مدار كل 24 ساعة. وتقاس حصص الماء في إطار دورات التناوب بين تجمعات القصور على أساس وحدة "الخروبة" وهي وحدة تعادل زمنيا ساعة ونصف. وحيث كان من الصعوبة بمكان منذ القدم، ضبط الحصص المستحقة من الماء بالنسبة للأفراد والجماعات ومعرفة نسق توزيعها بدقة بين الدواوير والعشائر والأسر وتتبع سيرورة التناوب الدوري على أساس مستويات حقوق التملك والحيازة وفق شبكة من المعادلات الزمنية التناسبية، انتدبت القبيلة لهذه الأغراض كاملة، شخصا يدعى محليا "بالمزوار" تتوفر فيه شروط الخبرة والنزاهة والحزم والضبط الزمني للإشراف في عين المكان على مسارات التناوب اليومي على ماء العين بين الناس رعيا لحقوقهم الشرعية ودرءا لكل تطاول أو تنازع محتمل بينهم. وتجدر الإشارة في هذا الإطار، إلى أن حلقات الدورة التناوبية الكاملة على الماء بين كافة مكونات القبيلة تستغرق في المجموع 17 يوما، وهي حلقات تتدرج تباعا بحسب عدد الدواوير ومقدار ما يملكه كل دوار على حدة من الحصيلة الاجمالية لمياه العين.

وعلى صعيد إمكانيات الري، تسمح عين تساف بمعدل صبيبها الحالي بسقي مجال زراعي تبلغ دائرته السقوية 950 هكتار، وهي مساحة إجمالية، تبقى بلا شك، دون السقف المفترض في مثل حالة هذا الصبيب داخل مجالات جغرافية أخرى. ويعزى ذلك إلى عدة عوامل بنيوية، نذكر من بينها :

- شدة الجفاف ونسقيته الدورية.
- وجود شبكة من السواقي التقليدية تؤدي إلى ضياع

نسبة 30٪ من مجموع المياه المستعملة إما عن طريق عامل النفاذية أو عن طريق آلية التبخر.

- انقسام الحصص المائية المملوكة للأفراد والجماعات إلى وحدات ومجزوءات صغيرة بسبب عامل الإرث.

- تجزؤ ملكيات الأراضي الزراعية الخاصة وتشتتها في مواضع متفرقة من المجال بأشكال يصعب معها ترشيد المياه واستغلالها الاستغلال الأنجع.

- غياب تدبير زراعي معقلن في وسط السكان يساعد على الموازنة والمواءمة في نفس الآن، بين إمكانات الماء المتاحة والخيارات الممكنة على مستوى الأنماط الزراعية البديلة.

وتبرز تأثيرات هذه العوامل المتداخلة فيما بينها بصورة أوضح على مستوى بنيات المشهد الزراعي، إذ تشكل ظاهرة الملكيات الصغيرة والمجهرية الخاصية الأساس لهذا المشهد. فاستقرار حصيلة الموارد المائية للعين في ظل تزايد عدد سكان الجماعة بوتيرة متصاعدة يؤدي باستمرار إلى تعميق اختلال التوازن المحلي بين حاجات المحيط الاجتماعي وإنتاجية المجال المستغل، وهو الاختلال الذي تعكسه سيرورة التفتيت المتواصل للملكيات الزراعية خصوصا مع تعذر إمكانيات توسيع مساحات المجال المزروع أو خلق مجالات جديدة موازية.

ونتيجة لهذه المعضلة البنيوية واستجابة لإكراهاتها الميدانية يجنح التسافيون إلى تقسيم استغلالياتهم الزراعية وفق نظام استغلالي يعطي الأولوية لأصناف محددة من الزراعات تستجيب عضويا للحاجيات المعاشية الأساسية وتتوافق من جهة أخرى، مع خصوصيات وآليات الوسط الطبيعي وتتمثل بوجه خاص في زراعة الحبوب والفصة وغراسة الزياتين.

أصناف الزراعات وتوزيعها داخل المجال المسقي لجماعة تساف

نوع الزراعة	المساحة	نسبتها المائوية
المغروسات الشجرية	355	28
الحبوب	500	40
الكلأ	300	25
البقول	20	2
القطاني	30	3
الأراضي الراقدة	20	2
المجموع	1225	٪100

المصدر : Direction Provinciale de l'Agriculture de Boulmane

وباعتبار أن مشكلة الماء هي التحدي الاستراتيجي الأكبر الذي يعيق كل إمكانية لتنمية وتطوير الأنشطة الزراعية المحلية وتوسيع نطاق ممارستها أفقيا في المجال، فإن جماعة تساف تعرف حركة هجروية نشيطة لطاقاتها الشابة إما إلى مدينة فاس حيث تزاول الجماعات المهاجرة بعض الأنشطة الحرة (التجارة) أو مهنة الحمالة (تزرزايت) وإما تتوجه إلى مدينة الدار البيضاء حيث يتم التعاطي لحرفة الخبازة في الأغلب الأعم. وقد ازدادت دينامية هذه الهجرة الاضطرارية بوتيرة متسارعة في العقدين الأخيرين مع تفاقم آفة الجفاف وارتفاع الطاقة السكانية للجماعة وغياب مشاريع تنموية لإعادة تهيئة المجال الزراعي سواء من خلال تعميم شبكة قنوات الري الاسمنتية والبحث عن موارد مائية إضافية (إقامة سدود تلية، حفر آبار... إلخ) أو من خلال استصلاح الأراضي وإدخال أنماط زراعية جديدة تضمن إنتاجية أكبر وبتكلفة أنسب.

المركز الفلاحي لأوطاط الحاج : مقابلات خاصة ؛ معاينات ميدانية.

Ressources en eau du Maroc. Editions du service géologique du Maroc. Rabat, 1971. T. I : *Direction provinciale de l'agriculture de Boulmane.* service de la production agricole.

الفقيه الإدريسي

عين الخيل، عين ماء بنيت في عهد الاستعمار، تقع في تراب عمالة ابن سليمان في الحدود الشرقية لقبيلة الشاوية والحدود الغربية لقبيلة زعير.

تبعد بحوالي 1,5 كلم يميناً عن الطريق المؤدية إلى بئر النصر انطلاقاً من مدينة ابن سليمان مروراً بسوق الأحد (فريد) الذي تبعد عنه بحوالي 17 كلم.

أهميتها تتجلى في اعتماد سكان المنطقة عليها في السقي والمورد فهي تقع وسط الغابة بجانب مركز للمياه والغابات، مما جعلها مورداً مقصوداً من طرف الحيوانات الأليفة والوحشية، وهذا ما جعل سكان المنطقة يعظمون شأنها وينتسبون إليها باعتزاز، كأن تقول لأحدهم : من أي مكان أنت ؟ فيقول : أنا من عين الخيل.

أحيانا يقل ماؤها كغيرها من العيون خاصة في السنوات الأخيرة التي عرفت بالجفاف وقلة الماء.

بحث شخصي.

عبد القادر سعود

عين الركّادة، مركز قروي شرق مدينة بركان بالمغرب الشرقي، يبلغ عدد سكانها حوالي 2374 نسمة، وهي تابعة إداريا لإقليم بركان وإلى قبيلة بني منقوش إحدى أقسام بني إزنا سن الأربعة التي تستوطن القسم الأوسط من جبالهم، وعين الركّادة قرية فلاحية تتميز بخصوبة أراضيها وتدفق مياهها من العيون الطبيعية التي نعتت بها (عين الركّادة) هذه العيون التي عرفت عبر التاريخ بخاصية فرشتها المائية إذ أن ماءها تارة يغور وتارة يفور، وقد ينزل المطر وهي جافة وقد تشتد الحرارة فتتدفق تدفقا غزيرا.

وعرفت الركّادة بقصبتها المشهورة التي بناها المولى إسماعيل عام 1090 / 1679 وأمر عليها القائد العياشي بني الزويعر الزراري وعززها بـ500 فارس، إلى جانب قلعة السعيدية وقلعة بوغريبة، وقلعة العيون سيدي ملوك.

وقد بنيت هذه القصبة على موقع استراتيجي كحصن حصين لتهدئة قبائل بني إزناسن ومنعها من النزول إلى السهول المجاورة، إلا أنه لم يبق من هذه القصبة إلا الأطلال، كما أن هندستها المعمارية وشكلها ومواد بنائها لا يختلف عما عرفت به القصبات الإسماعيلية بالمنطقة الشرقية.

دراسة ميدانية.

الصغير مبروك

العين (الروحية)، يراد بالعين "الروحية" تلك الظاهرة الفيزيائية المتولّدة عن إصابة الشخص بأذىً من جراء النظر إليه بعين خبيثة من لدن شخص آخر. وقد سميت كذلك لأن ما يبدو من هذه الظاهرة ليس إلا فعل النظر لا أقل ولا أكثر، وقد استطاع بعض الأشخاص أن يجعلوا آخرين يتلعثمون في القول أو يتعثرون في المشي أو يصابورن بالدوار أو بالقلق إلى حد الهوس بمجرد تركيز النظر إليهم، بل بلغ بعضهم إلى درجة القتل بحد العين.

والحال أن "العين" ليست مجرد نظرة وكفى، بل هي نتاج فعل عقلي (باطني) مركّز ومعقّد لا بد أن تشترك في صنعه عناصر وعوامل غير قليلة يمكن أن نُذكر منها : التركيبة العقلية والنفسية للفاعل، والبنية الخُلُقية لهذا الأخير، وقوة شخصيته، أو ما يسمى بمغناطيسيته الذاتية، ثم قابلية الشخص المستهدَف (بالفتح) لتلقي "الطعنات البصرية".

وقد أجمع العلماء (في مجالات الطبيعة، وعلم النفس، والأحياء، ثم في حقل الباراسيكولوجيا والعلوم الباطنية) على أن "العين" أمر لا يمكن إنكاره وإثبات ذلك علميا، مثل ما يتعذر تقديم الدليل العلمي على وجوده في أرض الواقع الموضوعي. وذهب معظم الباحثين في هذا الاتجاه إلى القول باقتران البصر بالعمليات العقلية، وأرجعوا هذه الأفعال العقلية إلى أفكار وعواطف وانفعالات بعضها غريزي وبعضها الآخر يدرك بالاكتساب، ويأتي في مقدمتها عنصران اثنان على الخصوص هما الكبْر والحسد. ويتدرج من هذين الأخيرين عنصران آخران هما الغضب والحقد. وقد اقترنت العين بسبب ذلك، وعلى الدوام، بأحد هذه العناصر أو ببعضها أو بها جميعا، فقيل "عين الحسود" "وعين الحقود"... إلخ.

وبالبحث انطلاقا من رافدي الكبر والحسد [أي الغضب والحقد] ومنها إلى الأولَيْن، يتسنى الوقوف أوّلاً بأوّل على التفاعلات التي تنتج ما يطلق عليه مصطلح "العين" أو "عين الحسود"، ويتسنى بالتالي إثبات أن "العين" أو "النظرة" ليست إلا وعاءً ظاهرياً لمواد عقلية روحانية جوانية سامة وأحيانا قاتلة :

- الغضب :

يعتبر هذا العنصر بمثابة القوة الضاربة أو الطاقة القابلة للانفجار، وبالتالي، لإطلاق "قذيفة" العين باتجاه الشخص الضحية، سواء تعلّق الأمر بالشخص ذاته مباشرة، أي ببدنه وعقله وسلوكاته، أو بصورة غير مباشرة بأحواله وأمواله ومتاعه ومختلف علائقه.

إن الفاعل في هذه الظاهرة، الباطنية الظاهرية في آن واحد، لا يكون قطعا في حالة من الرضى والسكينة والدعة، بل يجد نفسه يستشيط غضبا ويراكم في داخله وقرارته طاقة متفجّرة تغذيها "النفس الأمارة بالسوء" والتي ما هي إلا حالة من التتلمذ على إبليس، أول الغاضبين المتكبّرين الحاقدين الحاسدين في تاريخ الوجود الإنساني، كما سيتبين أدناه.

إن العقل تحت تأثير حالة الغضب النفسي (لأن الغضب فعل نفسي وجداني وليس عقليا) يتحول إلى محرك للقوى المتفاعلة وموجه إياها صوب الهدف أو الأهداف المملاة تحت تأثير الغضب ذاته، والذي يكون مغذى بالأحقاد والضغائن وبما يتفرع عنها من العواطف الهدامة والانفعالات المدمرة.

والحال أن الغضب يفعل فعل البارود بإزاء الطلقة أو القذيفة كما سبق القول، ولذلك فهو يحتاج إلى سهام الحقد وقذائفه حتى تكمل الترويكة الضارة والقاتلة.

- الحقد :

يعتبر الحقد بمثابة حجر الأساس في ظاهرة العين. فالشخص الحاسد المتكبّر لا يسعه - وإنْ أراد ذلك - أن ينظر إلى ضحايا حسده وغضبه بعين المحبة والمودة. وإنه يجد في قرارة نفسه كراهية عظمى تجاه الآخر، وربما تجاه نفسه أحيانا، لعلمه بعجزه عن مجاراة الآخرين في نجاحاتهم، فيكون الحقد والحالة هذه بمثابة "القذيفة ذاتها"، حيث تتشكل هذه - كما ترى الباراسيكولوجيا الحديثة - من موجات كهرومغناطيسية تطرد على التوالي زخماً من الفوطونات الضوئية المركزة بفعل العقل والفكر، فينتج عن كل ذلك ما يشبه السهام غير المرئية تصيب بالأذى كل شخص أو شيء مستهدَف (بالفتح) في قرار الباطنية ثم يظهر ذلك على صعيد جسده وحاله.

ولو أننا رجعنا إلى كتاب الله عز وجل لوجدنا النموذج الأول لهاتين الخصلتين المذمومتين يعبّر عن نفسه منذ بدء الخليقة على لسان إبليس اللعين، الذي كان أول الغاضبين الحاقدين الحاسدين في تاريخ الوجود الإنساني، مصورا ذلك في قوله "خلقتني من نار وخلقته من طين". وبذلك يكون الشيطان أول أستاذ للحسد ولفرعيه أو رافديه، الغضب والحقد، ويكون في ذلك مهلكة لأناس وأقوام وأمم ممتنعة على العد والحصر.

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى خصلتَيْ الغضب والحقد في مواطن غير قليلة من كتابه العزيز، كقوله تعالى في وصف أحوال الكفار بإزاء رسوله الكريم (ص) : "إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين" مبينا بذلك، وبمطلق الوضوح، التعارض الكلي بين حال الكافر من الحمية (الغضب والحقد والحسد والكراهية...) وحال المؤمن اقتداء برسول الله صلى

الله عليه وسلم، من السكينة والدعة ومن السلامين الداخلي (في أغوار القلب والنفس) والخارجي (في حركات الجوارح وظاهر القول والفعل).

إن أساس الغضب والحقد والحسد مشترك وهو الكبر والعجرفة والتطاول على الخلق، وحب النفس إلى درجة عالية من النرجسية، ولا غرو في ذلك، فمن لم يعبد نفسه لا يجد غضاضة في أن يكون غيره أحسن منه حالا وأكثر مالا وأفضل مآلا.

إن الكِبْر يثمر الغضب، والغضب يغذي الحقد، والحقد يولّد الحسد. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحسد إنه "يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب"، وفي حديث قدسي مروي عن زكريا عليه السلام "قال الله تعالى: الحاسد عدو لنعمتي، متسخّط لقضائي، غير راض بقسمتي التي قسّمت بين عبادي".

وكما أن للحاسد القدرة الطبيعية على إلحاق الضرر المادي الملموس بالمحسود، كأن يتدخل بقوله وفعله أو بأحدهما في إيذائه في نفسه أو ماله ومتاعه، فإن له في بعض الأحيان قدرة أخرى مستترة على إلحاق الأذى بالمحسود دون الوصول إليه بالبدن ونحوه من الأدوات والآلات والأفعال، إذ يكفيه بحسب الطاقة "الحقدية" و"الغضبية" المضغوطة في قرارة نفسه، بقوة الفكر، أن يوجه إلى المحسود نظرة ضارة أو قاتلة "بعين الفكر والتركيز الذهني"، فيؤدي ذلك إلى انطلاق موجات شبه مغناطيسية وتيارات شبه ضوئية تنال من الجسم الباطني للمحسود، أو ما يطلق عليه بالجسم الأثيري أو الكوكبي أو الإيكتوبلازمي، فيتضرر هذا الأخير في مرحلة أولى، ثم ينتقل الضرر في مرحلة لاحقة أكيدة إلى فكر الضحية ثم إلى توازنه النفسي والعقلي، وبالتالي، إلى أقواله وأفعاله وردود فعله فتتصير الإصابة ظاهرة ملموسة ومضبوطة بمعايير الظاهر والواقع الملموس، وتصير مشاهدة بالعيان.

أخرج الشيخان والحاكم وأبو نعيم، واستدركه النووي على البخاري لعلة فيه، أن أم سلمة رضي الله عنها حدثت أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى في بيتها جارية في وجهها "سعفة" فقال "استرقوا لها فإن بها النظرة". أي أن النظر المليّ إلى عينيها قد نتج عنه ضرر لأن لها قوة تستطيع أن توجهها بواسطة بصرها، لذلك يحسن النظر إليها باسترقاق فحسب. وقيل إن "السعفة" في هذا الحديث الشريف تشير إلى أن الجارية المذكورة أصيبت من نظر الجن بعين فجعلت نظراتها أنفذ من أسنة الرماح. وقد ثبت في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم "كان يتعوذ من الجان ومن عين الإنسان".

ولعل أصدق دليل على حقيقة الضررين المادي والروحاني (العقلي) الناتجين عن حسد الحاسدين، نزول المعوذتين عموما، وأولاهما على الخصوص، متطرقة بصريح العبارة إلى شر الحاسد عندما يتحول حسده إلى قوى وإلى فعل صار ظاهريا وباطنيا على السواء، وذلكم في قوله تعالى "ومن شر حاسد إذا حسد" أي إذ خرج حسده إلى الفعل.

وبرغم إنكار طائفة من الجاحدين بأسرار النفوس وطبائعها، ومن العاجزين عن الإنصات إلى حديث الأرواح والنظر إلى حركات العقول، لوجود قوى "العين" وآثارها، فإن عقلاء الناس على اختلاف أجناسهم ومذاهبهم وعقائدهم فضلوا عدم إنكار تأثير العين حتى وإن لم يقولوا بصحته وثبوته، بل رأى جلّهم فائدة في تشبيه عين الحاسد بنظرات نوع من الأفاعي اشتهر عنه نقل السم بواسطة تركيز البصر فحسب، وبذلك يتسنّى لهذا النوع أن يصطاد فرائسه عن بُعد، كأن سمه ينتقل بالذبذبات وليس بالإبر واللدغات!

إن تأثير "قوى العقول" أو ما يصطلح عليه بالأرواح أمر وارد وتدل على صحته شواهد كثيرة يبدو أبسطها: في الحمرة والاصفرار يتناوبان على مُحيّا الشخص وهو يتلقى نظرة شخص آخر تصدر عنه هيبة ووقار وقوة مغناطيسية نفاذة، وينتهي أكثرها تعقيدا: إلى السكتة يصاب بها المنظور إليه من لدن شخص بلغت قوة التركيز العقلي والفكري لديه درجة صارت معها نظراته أكثر نفاذاً من السهام القاتلة، وأشد فتكاً من السم الزعاف.

إنّ "العين"، أيضا، سلاح غريزي حبا الله سبحانه به بعض الحيوانات الضارية، فصار في وسع هذا البعض أن يشلّ حركة فريسته بنظرته الحادة فيصيبها بما يشبه النوم المغناطيسي، فتعجز عن تمثل الخطر المحدق بها فيسهل عليه ذلك أن ينقض عليها من حيث لا تحتسب!

يعالج بعض أطباء النفس والمحللون النفسانيون بعض مرضاهم بالإيحاء، حيث تنطلق من الطبيب المعالج نظرات بالغة التركيز يضمنها زخات غير مرئية من قواه المغناطيسية الذاتية فتصيب المريض بما يتفق وكلمات الإيحاء المنطوقة، ولولا مصاحبة هذه الأخيرة بالتركيز البصري لما كان لها الوقع المطلوب على نفس المريض عقله.

وخلاصة القول، إن "العين" أمر يصعب إنكاره من الوجهة العلمية بمثل ما يصعب إثباته علميا، ولذلك درج الجمهور عموما على الاحتراز والاحتياط مخافة الإصابة بها، تارة بالكتمان انطلاقا من الحديث الشريف "استعينوا على قضاء حاجتكم بالكتمان، فإن كل ذي نعمة محسود"، وتارة أخرى باللجوء إلى المعوذتين، أو إلى ترتيبات متعددة ومختلفة بحسب تعدد العقائد والمفاهيم واختلافها، كتعليق الرّقى والتمائم، أو اغتسال المصاب بالعين بماء يكون قد وضع فيه المعتدي أصبع قدمه اليمنى الأكبر (كما ورد في الآثار) أو نحو ذلك من العلاجات "شبه المادية / شبه الروحانية".

محمد عزيز الوكيلي

عين زورا، قرية وقصبة بالريف الشرقي إقليم الناظور. تقع ضمن أراضي دوار أولاد عبد الله وفرقة أولاد داود، من

قبيلة المطالسة. اشتهرت بقصبتها وهي أقدم المواقع المعروفة لدينا بالمطالسة، وأولى الإشارات التي عثرنا عليها هي التي أدلي بها أثناء حركة المولى سليمان إلى الريف الشرقي. وربما كانت مناسبة إحداث التعمير بها عائد إلى عهد المولى الحسن حينما أمر ببناء قصبة عين زورا بناء على طلب السكان سنة 1292 / 1876.

ارتبط التجمع السكاني المستقر بوصول الإسبان إلى المطالسة وإخضاعها واتخاذ القصبة الحسنية مركزاً لقواتهم، بدأ الزحف الأول يوم 24 أكتوبر 1919 لينتهي في بداية سنة 1920.

بدأ لهم التشوف لغزو مجال عين زورا خطوة حاسمة لربط الاتصال بنقطة الحدود الفرنسية المتوقفة عند الضفة اليمنى من واد ملوية. ولتحقيق تلك الخطة بدأت العمليات من منخفضي أكرواو وكرط. حيث كانت حركة القائد المجاهد الحاج عمر المطالسي القلوشي عقبة في وجه كل تقدم.

وتعد اليوم عين زورا جماعة، تتألف من مشيختي أولاد إبراهيم وأولاد داوود.

ح. الفكيكي، مع *الفقيه الحاج حمو الشكري، سلسلة من أعلام إقليم الناظور*، القنطرة، 2003 ؛ ضابط الأمور الوطنية، ص. 98 ؛ خريطة طبوغرافية سنة 1935 ؛ *استطلاع ميداني* يوم الأحد 3 غشت 1975، م. الكنسوسي، *الجيش العرمرم*، مراكش، 1994، ص. 286، *وثائق الخزانة الحسنية ومديرية الوثائق الملكية*.

D. Berenguer, *Campañas en el Rif y Yebala*, Madrid. 1948.

حسن الفكيكي

عين الشعير، واحة صغيرة تقع جنوب شرق المغرب بالقرب من التخوم المغربية الجزائرية على مسافة حوالي 60 كلم جنوب غرب مدينة بوعرفة بإقليم فجيج، وكانت تسمى قديما "العين البيضاء" ثم ذكرت باسم "عين بني مغيت" في بعض وثائق بداية القرن التاسع عشر. وتعتبر هذه الواحة المعزولة من أهم المراكز القروية بالإقليم وأقدمها رغم بطء نموها، بل ركودها، وموطنها بمحاذاة الطريق الوطنية رقم 10 التي لا تفصلها عنها سوى مسافة حوالي كيلومتر واحد، مما يعكس وضعها الهامشي.

بلغ عدد سكان مركز عين الشعير 1330 نسمة سنة 1971 بمجموع 232 أسرة، بينما تقلص إلى 1233 نسمة سنة 1982 بمجموع 200 أسرة ثم استمر في التقلص إلى 1185 نسمة و182 أسرة في إحصاء سنة 1994. وكان مستكشفو الاستعمار الفرنسي قبل 1894 قد أوردوا أن عين الشعير بإمكانها تجنيد 700 من المشاة و100 فارس، وقد لا تكون في ذلك مبالغة مع اعتباره "المركز الحقيقي للعمليات بوادي گير وسهل تاماللت بسكانه البرابرة (الأمازيغيين) المتسمين بالحزم والاهتياج..."، وفي سنة 1911 قدّر أحد الجغرافيين عدد سكان هذا المركز بنحو 3500 نسمة.

كانت واحة عين الشعير مكونة من قصر واحد بنواتين هما ويحلان (مهجورة) والقصر الكبير الذي يتوسطه مسجد، يحميه سور تعلوه عدة قلاع وتخترقه بضعة أبواب وتحف به من الجنوب جنان من النخيل والأشجار المثمرة تسقيها عيون متفاوتة الملوحة، تنتج بعض البقول والتمر والشعير والفصة التي كان جزء منها يباع ببوعرفة. وتمتد داخل هذا القصر الحصين ساحة كبيرة كان لها دور إيواء الأعراب الوافدين للتبضع وتسويق الماشية وقد كان هذا التحصين يفرضه الموضع المتميز بالانبساط وسط سهل ممتد بين مجموعة من التلال على ارتفاع حوالي 980 متر فوق مصطبة الضفة اليمنى لوادي تضرضورت الذي يخترق معدر عين الشعير قبل اقترانه بوادي زلمو.

كانت القوات الاستعمارية الفرنسية بالجزائر قد اقتربت أول مرة من عين الشعير "مسالمة" سنة 1857 أثناء قيامها بمهمة عسكرية "تأديبية" ضد بعض الجماعات المغربية المنضوية تحت لواء قبيلة زگدو حسب زعمها، غير أنها لم تعد لمهاجمتها إلا سنة 1870 رغبة منها في استكمال فوز حققته ضد قبائل بني گيل، إثر لجوء بعض فلولها إلى الواحة التي كانت قد دعمت عملها ضد الغزاة ؛ وأمام الفشل في اقتحام القصر المنيع وشدة مقاومة أهله أفضى الحصار إلى مفاوضات سلمية مع سلطة الجماعة التي "تكرّمت" على الجنود الفرنسيين بمؤونة ثقيلة لم تُثن المقاومة من مناوشة المستعمرين المتعقبين لبوعمامة وأتباعه سنة 1982 على مقربة من الواحة.

يتكلم سكان عين الشعير الأمازيغية بلهجة أقرب إلى فجيج التي كانت تشكل في القديم أحد مراكز التموين والتزود إضافة إلى مركز دبدو البعيد، في غياب أسواق أقرب، وهم مستقرون خلافا لسكان محيطها من أعراب بني گيل ودوي منيع وأولاد الناصر وآيت سغروشن وأولاد جرير. سادت في هذه الواحة سلطة دينية على يد شيوخ بعض الزوايا وأتباعهم وخاصة منها الدرقاوية والقندوسية إلى جانب تأثيرات الزوايا الأخرى مثل الناصرية والطيبية ولازالت تشهد على ذلك الأضرحة الكثيرة التي تحيط بالقصر وهي سيدي مغيت وسيدي امحمد أورحّو ومولاي بوعبد الله (المدغري التلمساني) وسيدي امساعد وسيدي علي بن يوسف وسيدي علي مول الكاف (التونسي)...

رغم الركود الذي يميز الجانب الديمغرافي لهذه الواحة، فإنها لم تسلم من التوسع السكني بسبب مغادرة السكان لمنازل الطوب التقليدية القديمة ذات المستويين والتي تتقاسمها عادة مع المواشي، من أجل الإقامة في منازل حديثة أنشئ معظمها ضمن إحدى تجزئات الدولة في أواسط السبعينات. وتحتوي عين الشعير على بريد ومستوصف ومسجد ومدرسة، وتتوفر على شبكة للماء الشروب كما أنها متصلة بالشبكات الوطنية للكهرباء والهاتف، وتعقد فيها سوق أسبوعية أيام السبت.

دأب سكان عين الشعير كسائر سكان الواحات القديمة على الهجرة منذ القديم إلى بعض المدن والمناطق المغربية

وخاصة منها وجدة حاليا وتازة قديما حيث لازال حي "بني عيون" يرمز إلى جالية منهم، كما هاجر بعضهم إلى فرنسا منذ فترة مبكرة.

استطلاعات ميدانية وروايات شفوية.

H.M.P. De La Martinière & N. Lacroix, *Documents pour servir à l'étude du Nord Ouest Africain*, Gouvernement Générale de l'Algérie, p. 390-397, 1896 ; A. Bernard, *Confins algéro-marocains*, Paris, Larose, 1911, 420 p.

عبد الرحمان الحرادجي

عين الشقور، معسكر قديم وردت أولى الإشارات إليه عند تيسو (Tissot) ودولامارتنيير الذي قدم وصفا جاء فيه ما يلي "تشغل الخرائب مجالا واسعا ويحتل المعسكر مكانا يفوق مساحة معسكر "Castrum" وهو موقع غني وجميل.." أجريت بهذا الموقع حفريات جزئية واكتشفت نقائش لاتينية أغنت معرفتنا بهذا الموقع لكنها لم تحمل عناصر تمكن من معرفة هذا الموقع بدقة.

إنه معسكر مربع الشكل تبلغ مساحته (90 x 90 م) كان مدعما بأبراج مستطيلة ومهمته تتجلى في مراقبة مفترق الطرق المتجهة نحو طنجة وبناصا.

ويعتبر من بين المعسكرات التي يعود فيها الاستيطان لفترة بعيدة حيث تم اكتشاف نقائش تشير إلى الكتيبة I من الاشتوريين والغاليين قبل سنة 57 م.

وقد زود هذا المعسكر في شكله الأخير بأبراج زاوية الشيء الذي مكن من مقارنتها بما يسمى بـ"Quadriburgia" المعروفة في باقي ولايات العالم الروماني.

ويبدو أنه قد خضع لعملية توسيع ليكون مقر إقامة الكتيبة العسكرية التونگرية "IV. Coh. Tungrorum" بين نهاية فترة أنطونينوس وماركوس أورليوس لكن لا شيء يدل على أنه تحول إلى "Quadriburgium"، أو حصن حدودي، ولا شك أن مساحة 90 م الجانبية لم تكن كافية لاستيعاب وحدة عسكرية وبالتالي قد يكون بني لأغراض أخرى في نهاية القرن الثالث الميلادي، هذه السنة التي شهدت إنهاء الأشغال في معسكر تمودا شمال المغرب.

M. Euzennat, *BCTH, 1963-64*, p. 140-141 ; R. Rebuffat, *Inscriptions militaires du génie du lieu d'Aïn Schkour et de Sidi Moussa Bou Fri*, *BAM*, 10, 1976, p. 151-160 ; *L'histoire de l'identification des sites urbains antiques du Maroc*, *Africa Romana*, Atti del XIII, Convegno di Studio, Djerba, 1998, p. 888-889 ; *L'implantation militaire romaine en Maurétanie Tingitane*, *Africa Romana*, Atti del IV, Convegno di Studio, Sassari, Décembre 1986, p. 38 ; J. Napoli, *A propos des quadriburgia, les espaces frontaliers dans l'histoire du Maroc*, Publications de l'Université de Mohammedia, n° 6, 1999, p. 27-65.

عبد العزيز بل الفايدة

عين عتيق، شكلت عين عتيق وقناتها ابتداء من القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي المصدر الثاني للماء الشروب لمدينة رباط الفتح، إذ بقي صبيبها منتظما حتى سنة 1936. وفي بداية القرن العشرين، كانت بقايا القناة التي يصل طولها إلى حوالي 19 كلم ماثلة بمناطق متعددة بين السورين الموحدي والعلوي للجهة الجنوبية الغربية لمدينة الرباط، وخاصة بالمنطقة المحاذية لباب القبيبات. ويذكر جاك كايي خلال الأربعينيات من القرن نفسه أن القناة المذكورة، التي مازالت أجزاء هامة منها قائمة بحي الأقواس وبمحاذاة المقبرة الأوربية بحي العكاري، كانت تنشكل انطلاقا من هذا الموضع - باب القبيبات - من سور تعلوه قناة مائية، مبني بالطابية وبعض الأحجار غير المنجورة، ويتجاوز ارتفاعه مترين ونصف، ثم يمتد على مسافة تزيد عن 800 متر قبل أن يتفرع عند حدود باب العلو على عدة فروع، يزود بعضها السقايات والحمامات والمساجد، في حين تختص ثلاث منها لتزويد دار الباشا ودار شرفاء وزان ودار مولاي الرشيد (جاك كايي، *مدينة الرباط*، ص. 541).

بنيت قناة عين عتيق والتي توجد بمنطقة تمارة من طرف السلطان سيدي محمد ابن عبد الله (1171 - 1194 / 1757 - 1780) حيث يروي الضعيف الرباطي أن من منجزاته إيصال الماء الجاري "لرباط الفتح من عين عتيك". وفي رواية أخرى، يؤكد الضعيف أنه "في سنة ثمانية وثمانين ومائة وألف وصل الزرع سبعة أواق للمد وهو ابتداء الغلاء في الزرع والأسعار، وفيها أمر السلطان بإيصال الماء الجاري من عين أعتيك للرباط". وقد استغرقت الأشغال أربع سنوات إذ لم يدخل الماء إلى المدينة إلا في سنة 1192 / 1778. في حين ذهب خالد الناصري، وعلى الرغم من كل التأكيدات التي وردت عند الضعيف، إلى أن تهيء العين وبناء القناة من أعمال السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان (1276 - 1290 / 1859 - 1873) مؤكدا أن هذا الأخير بنى "داره الكبرى بأجدال رباط الفتح، والسور الكبير المحيط ببسيطها، وجلب الماء بعد أن صير عليها أموالا كثيرة". ومهما يكن، فإن بناء القناة قد تم على الأرجح قبل هذا التاريخ، على عهد سيدي محمد ابن عبد الله، خاصة وأن هذا الأخير قد دشن منذ توليه الحكم عدة أوراش بالرباط وأمر في سنة 1182 / 1768 بقطع أشجار أجدال وبناء المنازل والمسجد والحمام والمدرسة والسوق وأنزل جيوشه بها. وقد أضحت عين عتيق المزود الرئيسي لأحياء المدينة في حين خصصت مياه عين غبولة لدار المخزن وملحقاته. وفي سنة 1330 / 1911 قامت السلطات بتعميم هذه الأخيرة قصد توفير الماء الصالح للشرب بينما تم الاعتماد على الأولى في الري والسقي وما والاهما.

الضعيف الرباطي، *تاريخ الضعيف الرباطي، تاريخ الدولة العلوية السعيدة*، الدار البيضاء، 1988 ؛ أحمد خالد الناصري، *الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى*، الجزء الثامن، منشورات وزارة الثقافة والاتصال، الرباط، 2001.

J. Caillé, *La ville de Rabat jusqu'au protectorat français, Histoire et archéologie*, Tome I, éditions Vanoest, Paris, 1949.

أحمد صالح الطاهري

عين علي مومن، تتحكم في أسماء الأماكن بالمغرب قاعدة معروفة وهي أن معظمها من أصل أمازيغي، وتشدد على كلمة أصل لأن الكثير من هذه الأسماء طوع ليتلاءم مع النطق العربي الفصيح والدارج، ونجد اليوم بعض هذه الأسماء مركباً من كلمتين عربية وأمازيغية مثل "عين عبولة" و"وادي زم" و"قاع اسراس" وغيرها كثير، وبعضها الآخر عربي الأصل مثل المدن التي تحمل أسماء أشخاص كسيدي سليمان وعلال التازي وابن أحمد وبرشيد وغيرها ومنها ما يحمل أسماء النباتات والحيوانات مثل النخيلة، وعين الخلوف، ووطات الحاج... ومن شأن علم الطوبونيميا أن يغني التاريخ ويكشف عن مراحل التعمير والهجرة، ومن الأماكن المنسوبة إلى الأشخاص ينابيع المياه والآبار مثل عين علون وعيسون اللقصادي في فاس وعين بندغل في إقليم ابن سليمان وغيرها كثير.

أطنبت المصادر في ذكر أسباب تسمية بعض الينابيع والبحيرات واختلط في ذلك الواقع والأساطير لينسج حكايات شيقة أحياناً يمكن من خلال تتبعها الخروج بتصور عن الحياة الثقافية والاجتماعية للفترات التاريخية التي ظهرت فيها مثال ذلك "عين أسردون" و"بحيرة إميلشيل".

من الينابيع المنسوبة إلى أشخاص عين علي مومن، وهواسم مكان ارتبط بنبع ماء وشخصية تاريخية، يقع المكان جنوب شرق مدينة سطات، وتعود شهرته إلى عهد الحماية الفرنسية على المغرب، فقد حول المستعمر هذا المكان المتوفر على تربة خصبة (التيرس) وماء دافق، إلى سجن فلاحي خدمة للسياسة الاستعمارية الهادفة إلى استغلال ثروات البلاد وجهد أبنائها. ومن مرامي هذه السياسة توفير يد عاملة مجانا مكونة من السجناء ومدربة للعمل في ضيعات المعمرين ومزارعهم، وقد عملت فرنسا على تغطية سائر التراب الوطني بهذا النوع من السجون نذكر منها على سبيل المثال فقط سجن العدير بدكالة وسجن جير قاسم بالرباط وسجن تيغط مليل بالدار البيضاء (وقد حول السجنان الأخيران إلى مركبات ترفيهية تابعة لوزارة العدل).

أما سجن عين علي مومن فأصبح سجنا إقليميا وذاع صيته حتى خارج إقليم سطات لما يلقاه السجناء من معاملة سيئة ولما يكابده ذووهم من معاناة لزيارتهم، أما العين فلم يبق لها وجود بعد توالي سنوات الجفاف وكانت مياهها تستغل في ري الحقول والمزارع التي كان السجناء يجبرون على العمل فيها، فبقي الاسم يذكر بها وبالشخص المنسوبة إليه علي مومن.

كان علي مومن من أكبر شيوخ الشاوية وزعمائها في التاريخ الحديث خاصة خلال الاحتلال البرتغالي لساحل دكالة ومحاولاته المتكررة لإخضاع القبائل المجاورة للمدينة الجديدة وأزمور ومنها كذلك غاراته المتكررة على قبائل الشاوية؛ وقد برز علي مومن كزعيم ومقاوم للأطماع البرتغالية في الشاوية بل ومجاهد ضد الوجود البرتغالي في المغرب، لقد شارك بأتباعه وعائلته في عدة معارك وبلي البلاء الحسن في إحداها، وكانت بضواحي مدينة سلا في شهر نونبر 1522؛ أما العلاقة ما بين علي مومن والعين فلاشك أنها تعود إلى الفترة المؤرخة، فالعين كانت ضمن مجال قبيلة أولاد سعيد. ومازالت - وهي من أكبر قبائل الشاوية وكان مجالها أوسع مما هو الآن إذ ضم في العصر الحديث معظم الشاوية الجنوبية على امتداد الضفة اليمنى لنهر أم الربيع وجاور في حدوده الشمالية قبيلة زناتة البربرية والشخص كان شيخا للقبيلة وزعيمها، وقد يكون المكان مقراً له ومضرباً لخيامه ومركز نشاطه الفلاحي. ولما ذهب الرجل وعقبه في الذاهبين وأكلتهم السنون بقي اسم المكان يذكر بتلك الأمجاد والبطولات. ولنا أن نتساءل عن التحول الذي عرفه المكان، إذ أصبح سجنا للمغاربة في عهد الاستعمار الفرنسي للمغرب بعد أن كان مركز قيادة ومقاومة للاستعمار البرتغالي الذي أفشلت محاولاته للتوسع ليس في بلاد الشاوية فحسب ولكن في كل المناطق الساحلية الواقعة شمال نهر أم الربيع. هل اختيار المستعمر الفرنسي للمكان كان بمحض الصدفة؟ أم أن الاستعمار هو الاستعمار وإن اختلفت أساليبه وتباعد زمانه؟ فأول ما قام به بعد إخضاع البلاد لسلطته العسكرية والمدنية هو ضرب الرموز والإشارات التي تذكر بالهوية قصد طمسها وإذلال الشعب ليصبح سهل الانقياد.

ابن أبي زرع، *روض القرطاس*، الرباط، 1972؛ الجزناني، جنى زهرة *الآس*، الرباط، 1967؛ الخارطة الطبوغرافية: ورقة سطات، نشر وزارة الفلاحة؛ مجلة البحث العلمي، العدد 27: "في أن أسماء" شفيق؛ أحمد بوشرب، *دكالة والاستعمار البرتغالي*، الدار البيضاء، 1984؛ جليسة بنگرعي، *العنصر العربي والمجال في مغرب*، الرباط، 2000؛ عبد الوهاب بن منصور، *قبائل المغرب*، ج. 1، المطبعة الملكية، الرباط.

De Sousa, *Les Portugais et l'Afrique du Nord*, traduc. Ricard, Paris, 1940.

محمد حجاج الطويل

عين العودة، يقع مركز بلدية عين العودة عند الهوامش الشمالية لهضاب زعير السفلى الغربية أو المسيطا الساحلية، حيث يشكل مركزا ضاحويا جنوبيا لعاصمة المغرب الرباط على بعد 29 كلم، وهو بذلك ينتمي إلى جهة الرباط - سلا - زمور - زعير. تحد هذا المركز شمالا الجماعة القروية ألمتزه وغربا جماعة سيدي يحيى زعير وشرقا وجنوبا جماعة أم عزة. وحيث يحتل مساحة تبلغ 20 كلم² مجالا هضبيا يغلب على سطحه التجانس، بارتفاع لا يزيد عن 250م. مرفلوجيا، يحتل مركز عين العودة مجالا انتقاليا، إذ يوجد عند النهاية الشمالية لسطح تحاتي متعدد الأصول والمراحل، يتقطع التضاريس المتشكلة في صخور متحولة؛ شيستية فليشية في معظمها، وذلك في بنيات التوائية هرسينية مبتورة ضمن مجال الدرج الأسفل من الهضبة الوسطى، ارتبط بناؤها بحركيات بنائية انطلقت خلال الديفوني وانتهت في العصر البيرمي. كما يمثل موقع عين

العودة أيضا البداية الجنوبية لحوض سهل الغرب التهدلي، المتمثل في الهضاب الساحلية، المتشكلة في الصخور اللوماشيلية البحرية والحتية الكثيبية المنتمية للحقبة البليورباعية. الشيء الذي نجم عنه التعمق الكبير لوديان الأنهار المجاورة، ومن ثم تشكيل تضاريس هضبية، تصبح أكثر تقطعا جنوب المركز.

يتميز مناخ هذا المركز بالجفاف والاعتدال صيفا، إذ يتراوح معدل حرارته ما بين 26°و35°، مقابل فصل شتاء دافئ، تتأرجح حرارته ما بين 7° و22° وممطر، مع تساقطات يبلغ معدلها في السنوات العادية 500 مم.

يرتبط المركز إداريا منذ أن كان يشكل جماعة قروية بعمالة الصخيرات ـ تمارة التي أنشئت سنة 1983، والتي تضم إلى جانبه بلدية الصخيرات الساحلية وبلدية تمارة المكونة من أربع دوائر وخمس جماعات قروية ممثلة في : عين عتيق، مرس الخير، المنزه، أم عزة، إلى جانب جماعة عين العودة.

وعلى الرغم من ارتباط هذه الجماعة ببلدية تمارة وعمالة تمارة ـ الصخيرات، فإنها ترتبط قبائليا ببلاد زعير، التي تضم ثاني جماعات قروية هي : سيدي يحيى زعير، حد الرباشوة، مولاي إدريس أغبال، مرشوش، عين السبيت، لغوالم وازحيليكة إضافة إلى عين العودة. إلا أن التقسيم الإداري الذي طبق قبيل الانتخابات الجماعية لسنة 1992، جعل مركز عين العودة يرقى إلى جماعة حضرية، تدخل ضمن نطاقها الإداري جماعتان قرويتان هما : المنزه وأم عزة، وذلك ضمن مجال قبيلتي أولاد ميمون وأولاد كثير.

اقترنت نشأة هذا المركز بدخول الاستعمار الفرنسي، خصوصا الفلاحي إلى هضاب زعير سنة (1928)، حيث بادر إلى الاستحواذ على الأراضي الفلاحية وتقنين استغلال المجال الغابوي المجاور للرباط، التي كان الجينرال ليوطي قد اختارها لتكون مركزا للقيادة العسكرية الاستعمارية وعاصمة سياسية وإدارية جديدة للمغرب عوض فاس، وذلك على إثر تحول محور النشاط الاقتصادي للبلاد نحو الساحل الأطلنتي، موضع تقع فيه مدينة الرباط عند ملتقى شبكة الطرق، التي شرع في تشييدها منذ ذلك الوقت والمؤدية منها صوب شمال وشرق وجنوب المغرب. الشيء الذي دفع بالقبائل الهامشية المقيمة جنوب الرباط، خصوصا قبائل زعير السفلى إلى الاستقرار والارتباط بالأراضي الزراعية بدل حياة الرعي والترحال، التي اقترنت بصراعهم الدائم مع المخزن والاستعمار الفرنسي، مما أدى إلى تكسير النظام الرعوي القديم، وبالتالي تفكيك أسس النظام القبلي.

ولتأمين استقرار الاستعمار بالمجال والاستيلاء على الأراضي الزراعية لقبائل زعير، عمدت سلطته إلى خلق مركز عين العودة لتسهيل عملية الاحتواء، وقد ضمنته مجموعة من التجهيزات والمرافق الخدماتية من طرق وسوق أسبوعي ومدرسة ومستوصف إلى جانب ثكنات عسكرية، بهدف تأمين المركز من هجمات القبائل المتمردة واستقطاب المزيد من المطرودين منهم، لاستخدامهم كيد عاملة في ضيعات المعمرين الفلاحية المستحدثة. وتلك عوامل جعلت المركز يستقبل دفعات هجروية قوية ومتتالية من سكان تلك القبائل، للاستقرار به والاستفادة من خدماته، التي لم يعتدها السكان المحليون من قبل. وقد ترتب عن ذلك حدوث تزايد في ديمغرافية المركز، ابتدأ بـ 176 معمرا فرنسيا و105 قروي أي بما مجموعه 281 نسمة سنة 1936، لينتقل سنة 1960 إلى 3.247 نسمة. وقد تمخض عن ذلك إرغام السكان المحليين على الاستقرار، ضمن أشكال سكنية عوضت الخيمة بالتدريج، لكنها ظلت قروية، تمثلت في النوالة والأكواخ المبنية بالطين والحجارة.

بحلول فجر الاستقلال، وبعد حدوث تراجع في ساكنة مركز عين العودة خلال الفترة الإحصائية لسنتي 1960 ـ 1971، نشطت حركات الهجرة من المجالات الريفية المجاورة على الخصوص، ليعرف مركز عين العودة استقطابا متزايدا لسكان المهاجرين، الذين اتخذوه محطة انتقالية، تؤهلهم لدخول العاصمة بصفة نهائية ولا سيما قبل ارتقاء عين العودة إلى مرتبة بلدية، استقطاب قفزت بفضله ساكنة المركز بنسبة 60٪ فيما بين الفترات الإحصائية الثلاث (انظر الجدول أسفله).

تطور عدد سكان عين العودة

إحصائيات	1971	1982	1994
عين العودة	8.229	12.284	13.708

وذلك بوتيرة تزايد سنوي فاق 5٪، مما أدى إلى ارتفاع كثافة سكان عين العودة بأكثر من 300 ن / هـ. وقد ترتب عن هذه الطفرة الديموغرافية، تطور ظاهرة أحياء السكن غير اللائق، الذي عم في البداية معظم أرجاء المركز. ساهمت في هذه الظاهرة، الهجرة القروية إلى مركز عين العودة، التي اتسمت بالتزايد من 55.72٪ سنة 1982 إلى 70,75٪ سنة 1994. بل إن عين العودة تمكنت من جذب ما بين 44,27٪ و30٪ من السكان الحضريين خلال نفس الفترة، وذلك راجع لعدة أسباب نجملها في ترقية عين العودة إلى درجة بلدية، وقربها من العاصمة، وتوفرها على الخدمات الأساسية العامة للسكان، وابتعادها عن ضوضاء ومشاكل العاصمة المرتبطة بارتفاع تكلفة المعيشة، وغلاء اقتناء بقع التجزئات السكنية بعكس بلدية عين العودة الشيء الذي يفسر توافد 56٪ من السكان المهاجرين ما بين 1994 و2002، في حين لم تتجاوز نسبتهم 1٪ خلال سنة 1960.

هذا، وبتطبيق مشروع التقسيم الإداري لسنة 1992، عرفت بلدية عين العودة تغيرات شبه جذرية في نسيجها العمراني، على إثر ارتقائها من جماعة قروية إلى جماعة حضرية، أهلتها لتسيير جماعتي المنزه وأم عزة القرويتين،

ولتضم بذلك منذ سنة 1994، 12٪ من مجموع سكان عمالة تمارة ـ الصخيرات.

تتميز جماعة عين العودة بأهمية فئة الشباب على ساكنتها، التي بلغت نسبتها 56٪ سنة 1994، مقابل تطور سكني يتسم بوجود نوع من التساوي بين الجنسين.

ترجع نزعة ارتفاء نسبة الإناث ابتداء من سنة 1982 إلى هجرة الذكور بحثا عن العمل خارج عين العودة، لكن ارتفاع معدل الذكور منذ سنة 1994 يفسر بتوافد عدد من الموظفين إلى الجماعة التي تمت ترقيتها إلى بلدية، مقابل انجذاب الفتيات نحو العاصمة من أجل العمل في أحيائها الصناعية أو العمل كخادمات في البيوت.

التحول الوظيفي لبلدية عين العودة

السكان المشتغلون بالفلاحة	6,66
عمال غير فلاحيين	35,33
التجار والباعة المتجولون	11,33
الخدمات والحرف التقليدية	21,33
الموظفون	24,66

بحث ميداني 2002

تضم بلدية عين العودة حاليا، باشوية ومركزا صحيا، ومركزا للمساعدة، إلى جانب مدرسة وإعدادية، وقيسارية تضم 14 متجرا. بل إن هذه البلدية، أضحت تشكل بفضل بنيتها السوسيو ـ اقتصادية المتطورة، مركزا حضريا تابعا للعاصمة، مؤهلا للخدمات الطرقية، التي يقدمها 84 محلا، تتركز على جنبات الطريق الرئيسية رقم 22، التي تربط مدينتي الرباط وبني ملال، وكذا بالقرب من السوق الأسبوعية التي تعقد صبح كل يوم إثنين وسط البلدية. سيتم دعم هذا النشاط في السنوات المقبلة تبعا لتصميم تهيئة مازال ينتظر المصادقة عليه، ليتم بفضله إنشاء حي صناعي من الدرجة الثالثة، بهدف خلق شروط الاستقرار بالبلدية وتخفيف الضغط على العاصمة في الشمال. وهذا ما يتبين من خلال التحول الوظيفي لعين العودة بعدما أصبحت بلدية، والذي يكشف عنه بالملموس، الجدول أعلاه.

لذلك أخذ النسيج العمراني لمدينة عين العودة يتغير نحو الأفضل، من خلال انتشار السكن الاقتصادي، المكون من منازل من طابق إلى ثلاث طوابق، تتراوح مساحاتها ما بين 80 م^2 و140 م^2، والذي يحتل 80٪ من مجموع المجال المبني. يليه السكن العشوائي أو السكن غير اللائق المتركز بحي النصر، يضاف إليه سكن الصفيح الذي بدأ يتراجع بوضوح في السنوات الأخيرة، والمتمثل في دوار العوامر. كما بدأت تعرف بلدية عين العودة ظهور سكن الدارات (الفيلات)، الذي استقر بداخل النواة القديمة للبلدية، ولاسيما قرب مقرن الطريقين الرئيسية والثانوية، إضافة إلى مجموعة فيلات دكالة وفيلات حي الشراكة التي عوضت مواقع سكن الصفيح، وهذا ما يعني في النهاية تحول بلدية عين العودة حاليا إلى مركز جاذب لسكان مدينة الرباط على الخصوص، لتصبح بذلك حاضرة ضاحوية تابعة لها. الشيء الذي يعززه ارتباطها اليومي بواسطة حافلات النقل الحضري الجماعي بمركز عاصمة المغرب الرباط.

ألبير عياش، *المغرب والاستعمار حصيلة السيطرة الفرنسية*. سلسلة المعارف الممارسة، الطبعة الأولى، 1985 ؛ محمد الطيلسان، *هضاب زعير السفلى وساحلها. التكوينات السطحية وتطور الوسط الطبيعي منذ النيوجين*. أطروحة دكتوراه الدولة في الجغرافيا الطبيعية، جامعة محمد الخامس، 1999 ؛ محمد بن عمر بن سودة المري، *قبيلة زعير قديما وحديثا*، الجزء الأول، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1977 ؛ *منوغرافية بلدية عين العودة الاقتصادية والاجتماعية لسنة 1999*.

P. Aubert. *Le pays des Zaers. Bulletin économique et social du Maroc*, 1960 - 1961 ; M. Belfquih et A. Fadloullah, *Mécanismes et formes de croissance urbaine au Maroc "cas de l'agglomération de Rabat - Salé"*, 1994 ; A. Fadloullah et M. Belfquih, *Colonisation rurale et espace agricole dans l'arrière-pays de Rabat-Salé. R.G.M.*, n° 2, p. 95 - 116, 1978 ; J. F. Troin. *Maroc : région, pays, territoire*. Maisonneuve & Larose, Tarik, Urbama, UMr 6592 CNRS-Université de Tours, 2002.

محمد الطيلسان وعائشة الخميري

عين غبولة، تقع عين غبولة على بعد 17 كلم جنوب ـ غرب مدينة الرباط، قرب سوق الأربعاء، وشكلت بفضل قناتها ـ لما يزيد عن ثمانية قرون ـ المصدر الأساسي للماء الصالح للشرب لساكنة قصبة الأوداية ورباط الفتح، بسبب افتقار هاتين الأخيرتين إلى "الماء الجيد" وملوحة آبارهما ودخول مياه البحر إلى نهر أبي رقراق "إلى مسافة اثني عشر ميلا فيه". وفي شهر فبراير من سنة 1922، تم خلال عمليات للحفر والتجهيز الكشف عن بعض بقايا هذه القناة المائية قرب باب شالة في اتجاه المسجد الكبير وقصبة الأوداية عبر السويقة. وقد خلص البحث الذي أجراه هنري باسي إلى أن هذه البنيات هي جزء من قناة عين غبولة التي تخترق أحياء الرياض والسويسي وأگدال، وتصل إلى باب زعير عبر باب المصلى لتوفر الماء لمختلف أحياء المدينة والقصبة. ومن خلال معاينة الأجزاء المتبقية بالجهة الجنوبية الغربية لمدينة الرباط وخاصة تلك الموجودة بحي الرياض، يتبين أن القناة، رغم كل الترميمات التي خضعت لها، مازالت تحتفظ بطابعها الأصيل، حيث يلاحظ أنها بنيت بالتراب المدكوك الغني بالجير فوق سور متين تقويه بعض الدعامات ويصل ارتفاع بعض أجزائه المكشوفة إلى 1,30 م وعرضه إلى 0.59 م. وخلال حفريات تجهيز ثانية سنة 1999، تم الكشف عن بقايا قناة متوسطة المقاييس بمحاذاة قاعدة السور الموحدي، بين باب المصلى وباب زعير، مبنية على الطريقة التقليدية بواسطة "قواديس خزفية"، لكن أشغال الحفر والتجهيز التي دمرت أغلب أجزائها وأدت إلى اندراس معالمها حالت دون تحديد خاصياتها وتتبع مسار تفرعاتها.

أوردت المصادر التاريخية روايات عديدة حول ظروف تهيىء عين غبولة وإنشاء قناتها. فمباشرة بعد "الاعتراف"، خرج الخليفة عبد المومن إلى مدينة سلا وأمر "ببناء قصبة حصينة في ذلك الموضع على فم البحر الداخل إلى سلا، وأقام بمحلاته المؤدية إلى عين غبسولة، والفعلة معه والمهندسون، فأجروا لها الماء من عين غبولة المذكورة في سرب تحت الأرض حتى قصبة المهدية المذكورة. ودام اشتغال الأمر بذلك شهورا وهو مقيم بعسكره حتى وصل الماء المذكور إليها، فصنع له سقاية لشرب الناس والخيل وسقي الأرض حواليها، فصارت فيها البحائر والجنات والمغروسات". ويؤكد البيدق أن الخليفة مكث واقفا على المشروع "خمسة أشهر" قبل أن يقلع من مدينة سلا في اتجاه بجاية ويترك أمر إتمامه إلى عبد الحق بن إبراهيم بن جامع. ويظهر من خلال روايته أن ماء عين غبولة أجري في نفس الوقت إلى مدينة سلا، وهو الأمر نفسه الذي ذهب إليه ابن أبي زرع الذي يروي أن أمير المؤمنين عبد المومن قد "دخل إلى حاضرة سلا وأمر بالأشغال اللازمة لجلب مياه عين غبولة إليها عبر رباط الفتح". من جهة أخرى، يقول صاحب كتاب *الاستبصار* إن أبا يعقوب يوسف أمر، أثناء وقوفه على بناء أسوار مدينة رباط الفتح، بجمع المياه في صهريج داخل القصبة وتوزيعها على السقايات والقصر - قصر عبد المومن - والمسجد - المسجد العتيق - والحمامات. ولحماية العين ودفع أي هجوم عنها أمر الموحدون ببناء قلعة محصنة مازالت أطلالها تعرف بالدشيرة، وهي عبارة عن مركب معماري عسكري يصل طوله إلى 268,50 متر وعرضه إلى 145 متر، يضم مسجدا وبنايات ومطامير وأفران....

لكن يبدو أن القناة تعرضت للخراب ودمرت بعض أقواسها بسبب الحروب والصراعات التي دارت بين الموحدين وبني مرين خلال النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادي / النصف الأول من القرن السابع الهجري، فانعكس ذلك على مدينة الرباط وقصبتها وربما كان ذلك سببا في هجرهما إذ لم يجر ماء عين غبولة من جديد إلى على عهد السلطان أبي يوسف يعقوب الذي أوكل سنة 683 / 1283 - 1284 إلى المهندس بلحاج بإصلاح القناة وإعادة ربط فروعها بمختلف مكونات المدينة . ورغم بناء قناة ثانية على عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله لتربط عين عتيق بالمدينة، فإن عين غبولة بقيت، بفضل انتظام صبيبها وعذوبة مياهها، المزود الرئيسي للرباط بالماء الشروب حتى بداية القرن العشرين حيث بدأ، نظرا لارتفاع عدد القاطنين بحاضرتي مصب النهر، التفكير في بناء سد سيدي محمد بن عبد الله على وادي أبي رقراق واستغلال الفرشات المائية للفوارات، لتوفير الحاجيات المتزايدة من الماء الشروب لساكنة العدوتين وضواحيهما.

ع. الملك ابن صاحب الصلاة، *تاريخ المن بالإمامة*، تح. ع. الهادي التازي، بيروت، 1964 ؛ ابن أبي زرع، *روض القرطاس*، تح. أ. بومبي، مطبعة الباب، الرباط، 1999 ؛ البيدق، *أخبار المهدي ابن تومرت وبداية دولة الموحدين*، دار المنصور، الرباط، 1971 ؛ مجهول، *كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار*، تح. سعد زغلول، الرباط، 1985 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الجز. الأول، تح. محمد حجي ومحمد الأخضر، الرباط، 1980 ؛ مارمول كاربخال، *إفريقيا*، الجمعية المغربية للنشر، دار نشر المعرفة، الرباط، 1984.

J. Caillé, *La ville de Rabat jusqu'au protectorat français. Histoire et archéologie*, Tome I, éditions Vanoest, Paris, 1949 ; H. Basset, *Un aqueduc almohade à Rabat*, *Revue africaine*, vol. 64, 1923, p. 523 - 528 ; R. Thouvenot, Une *forteresse almohade près de Dchîra*, *Hespéris*, T. XVII, 1933, p. 59 - 88.

عين قرواش، موقع أثري على الضفة اليمنى لوادي ورغة (قيادة خنيشات، دائرة حد كرت)، على بعد حوالي 50 كلم جنوب - شرق مدينة وزان وبعض كلمترات شمال مدينة جرف الملحة و60 كلم شمال شرق مدينة فاس. اكتشف الموقع سنة 1976 أثناء عمليات حفر وبناء قنوات مائية من سكان دوار المعاريف ودوار عين قرواش، حيث كشفت الأشغال عن بعض البنيات المعمارية والزخرفية، تبرز في غالبيتها تميز الموقع وتوفره على بنيات أثرية وجمالية تذكر بتلك التي توجد بالمدن العتيقة مثل فاس ومراكش ومكناس وسلا وغيرها.

وفي نفس السنة، أجرت بعثة أثرية مسحا سطحيا للموقع شمل قريتي المعاريف وعين قرواش وحفريات إنقاذ، قبل أن تعود بعثة ثانية، سنة 1977، للقيام بمسح مغناطيسي وكهربائي، أظهرت نتائجه الأولوية مكانة الموقع ومؤهلاته الأثرية، وسمحت في نفس الوقت بتوطين ثلاثة أفران لصناعة الفخار. وفي سنتي 1981 و1991 نظمت حفريات أثرية تكميلية قصد التأكد من معطيات المسح الجوفيزيائي، فكان من أبرز نتائجها الكشف عن مركب معماري متناسق البنيات، مكون من بناية مستطيلة الشكل (15,35 x 4,90)، تغطي أرضيتها زخارف من الزليج متعدد الألوان، ويتوسطها صحن تزينه نافورة مستديرة الشكل. وقد سمحت كل هذه اللقى من خلال ترتيبها وعمارتها وجماليتها، بفضل دراسة مقارنة، من وضعها في إطار كرونولوجي تقريبي يعود إلى العصر الوسيط وبالتحديد إلى الفترة المرينية.

ويبدو من خلال المصادر التاريخية أن عين قرواش تحتل موقع أول روضة مرينية، حيث ورد عند ابن أبي زرع وابن خلدون والناصري أن قبائل رياح العربية التي استوطنت ناحية الغرب قد ساندت أبا دبوس الموحدي وثارت ضد بني مرين، فالتقى الجيشان سنة 614 / 1215 في معركة "قرب وادي سبو، على بعد بضعة أميال من تافرطاست" انتهت بمقتل عبد الحق بن محيو بن أبي حمامة، وابنه إدريس. وفي سنة 684 / 1284 - 1285 قام أبو يعقوب ببناء زاوية تافرطاست فوق قبر الأمير أبي محمد عبد الحق ووقف عليها أربعين زوجا من البقر. ويؤكد ابن خلدون أن أبا يوسف

يعقوب أوعز لابنه أبي يعقوب يوسف "بالبناء على قبر أبيه عبد الحق وابنه إدريس بتافرطاست، فاختط هنالك رباطا، وبنى على قبورهم أسنمة من الرخام، ونقشها بالكتاب، ورتب عليها قراء لتلاوة القرآن...". ومن المحتمل أن هذه الروضة قد بدأت تفقد أهميتها خلال العهد المريني بسبب الحروب التي شهدتها المنطقة بين القبائل العربية وبني مرين، والتي لم تنته إلا على عهد السلطان أبي ثابت الذي أغار سنة 707 / 1308 على قبائل رياح فقتل منهم خلقا، وكذا بناء النواة الأولى لمقبرة شالة سنة 684 / 1284 - 1285 وجعلها روضة خاصة بالأسرة المرينية وأعيانها، بعيدا عن الغرب، بؤرة الصراعات والفوضى السياسية والاجتماعية.

وذكر الحسن الوزان في بداية القرن السادس عشر أن يوسف ثاني ملوك بني مرين قد بنى "الزاوية [وهي] بلدة صغيرة على بعد أربعة وعشرين ميلا من فاس، وأسس بها زاوية كبرى أوصى أن يدفن فيها، لكن القدر لم يشأ ذلك، فقد قتل أمام أسوار تلمسان أثناء حصاره لها، وانهارت الزاوية منذ ذلك الحين وتهدمت، ولم يبق قائما بها غير جدران الزاوية، ويحرث أرضها أعراب تكاد زراعتهم تصل إلى أرض فاس". أما مارمول كاربخال فقد سماها جمعة القرواش ووصفها بأنها مدينة صغيرة أسسها يعقوب المريني (657 - 685 / 1258 - 1286) على ضفة واد (وادي الركلة)، في سهل على الطريق الكبير المؤدي من فاس إلى العرائش، كانت غنية آهلة بالسكان في حياة هذا الأمير ومن خلفه، دمرت أثناء حروب سعيد، ثم لم يعد تعميرها منذ ذلك العهد".

ع. الرحمان ابن خلدون، *كتاب العبر*، دار الكتب العلمية، بيروت، المجلد السابع، 1992 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الجزء الأول، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، الرباط، 1980 ؛ م. القادري، نشر *المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني*، الجزء الأول، الرباط، 1977 ؛ مارمول كربخال، *إفريقيا*، الجزء الثاني، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1984 ؛ خ. الناصري، كتاب *الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى*، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1959.

P. Cressier, *Prospection géophysique sur le site médiéval d'Aïn Kerouach*, dans *BAM*, 1981 - 82, p. 246 - 255 ; M. De Cardinal - Breton, *Ramassage de surface à Ayn Karuash : méthodes, résultats et perspectives*, dans *BAM*, 1985 - 1986, p. 339 - 343 ; J. Hassar-Benslimane, *Ayn Karuash : un nouveau site islamique dans le Gharb*, *BAM*, XII, 1979 - 80, p. 364 - 376 ; H. Terrasse, *Histoire du Maroc des origines à l'établissement du protectorat*, éd. Atlantide, Casablanca, 1954.

أحمد صالح الطاهري

عين الگطارة (محمية -) أنشئت سنة 1954 من طرف ما كان يدعى بالمجلس أو الهيأة المسؤولة عن الأغنام (Comité Bovin) على مساحة تقدر بـ 5520 هكتار، واقتطعت من أجود الأراضي الجماعية الرعوية لقبيلة أولاد خاوة، الواقعة على الضفة اليمنى لوادي ملوية، أي حوالي 20 كلم جنوب غرب مدينة ميسور، يحدها شرقاً واد حروش، وغرباً واد عش الغراب، وشمالاً الطريق المؤدية من ميسور إلى ويزغت، وجنوباً محمية عش الغراب. تحتوي هذه المحمية على نباتات مهمة تتألف من صنفين : الأصناف العطرية Aromatiques مثل الشيح والزعتر والنگد واخزامة وشندگورة، والتي تعد من النباتات الطبية أيضاً والأصناف الشجرية مثل الرتم والسدرة والعريش، إلى جانب أصناف أخرى كالجل والگريش، والگزاح، وگرن الكبش، والسحمة ...

تقسم المحمية إلى 4 أقسام : 1500 - 1400 - 1320 - 1300 وهي متخصصة في انتقاء وتحسين سلالة الأغنام، حيث بدأت هذه العملية الانتقائية منذ سنة 1974، أي بعد 16 سنة من الفترة المحروسة، وهكذا ففي الفترة الأولى أي ما بين 1974 - 1975 تم اقتناء 507 رأس من الإناث، و14 رأس من الذكور، وذلك من أجل دراسة وتتبع الخاصيات الأساسية لسلالة بني گيل المعروفة بهذه المناطق، وتتلخص هذه المواصفات في منا يلي :

- الرأس والجوانب منقطة بلون أسمر إلى أصفر . - صوفها غالباً أبيض. - قرونها من سلالة الميرينوس. - فخذها أكثر تطوراً. - ذيلها قصير نسبياً.

التحري الميداني.

محمد ازهار

عين لفريطسة، تقع ضمن المجال الترابي لجماعة لفريسطة، يحدها شرقا الطريق الوطنية رقم 15 الرابطة بين مدينتي جرسيف وأوطاط الحاج، وغربا كدية جلال العقاب، وشمالا واد سهيب علال، وجنوبا كراكير بوغردة. تتغذى هذه العين من فرشة مائية طليقة توجد في رصيص الميوسين الأعلى، كما تتغذى بكيفية باطنية من فرشة الحت الكالوفي. ويؤثر نظام هذه التغذية المزدوجة على التركيبة الكيماوية لمياه العين، إذ تغلب عليها سحنة كبريتية كلسية، بحكم آلية ذوبان مواد الكبريت الموجودة داخل الصخور الصلصالية الكالوفية. يتراوح معدل تعدن مياه العين ما بين 0.5 و3 غ / ل، في حين تتأرجح درجة حرارة مياهها ما بين 17°C و20°C، أما فيما يخص درجة حموضتها فهي قاعدية وتتراوح في المجمل ما بين 7.5 و8 (وحدة pH).

على مستوى نظام الملكية، تعد عين لفريطسة ملكا جماعيا، إذ تندرج مجاليا ضمن أراضي الجموع التابعة لدواري الشوارب وبنعيدات. يصل صبيبها إلى 6 ل / ث، وتقدر مساحة الأراضي المسقية التي يغطيها هذا الصبيب 4 هكتارات على وجه التقريب، موزعة على شكل أشرطة زراعية متفاوتة السعة والامتداد. وبحكم تعذر إمكانية توسيع المجال الزراعي المستغل في ظل غياب موارد مائية للعين، يكرس السكان المحليون المساحات المسقية، على محدوديتها، لأصناف محددة من الزراعات تتوزع حصرا بين زراعة الحبوب والفصة وغراسة أشجار الزيتون.

ونظرا لخصائصها الكيماوية والمعدنية من جهة، وارتفاع درجة حرارة مياهها على امتداد دورات فصول السنة من جهة ثانية، غدت عين لفربطسة منذ أن تم استصلاحها وبناء صهريج لتجميع المياه المتدفقة منها في العقود الماضية، عبارة عن "حامة" محلية يقصدها سكان القرى والدواوير المجاورة بهدف الاستحمام أو العلاج من بعض الأمراض سيما الجلدية منها على وجه الخصوص.

المركز الفلاحي لدائرة أوطاط الحاج : تحريات ميدانية.

Ressources en eaux du Maroc, Editions du service géologique du Maroc, Rabat, 1971 ; Direction provincial de l'agriculture de Boulmane, service de production agricole.

الفقيه الإدريسي

عين اللوح مركز حضري جبلي صغير يقع في منطقة إتصال بين مرتفعات الأطلس المتوسط والهضبي الغربي في الجنوب ومنخفض الهضبة الوسطى الواقع في الشمال عبر انبساط تيليوين، وهو موقع متميز بمؤهلات طبيعية متباينة ومتنوعة، تتمثل في غابات الفلين الأخضر والأرز الفسيحة والمسارح الرعوية فوق الأعالي ووفرة المياه والأراضي الصالحة للزراعة في المنخفضات. وقد شكل هذا الإطار الطبيعي المتباين في الماضي موطنا ملائما لنمط عيش قبيلة آيت عبدي المنحدرة من قبائل بني مگليد نصف الترحالية، والتي تقيم في المنطقة منذ القرن التاسع عشر بعد ما رحلت من بلاد ملوية العليا. ومثلت عين اللوح بالنسبة لهذه القبائل نقطة عبور، إثر تنقلاتها الفصلية عند صعودها نحو المراعي الجبلية الخضراء في الصيف أو الهبوط نحو منخفضات أداروش الدافئة في فصل الشتاء. ونتيجة لهذا الموقع الاستراتيجي الهام الذي يشغله مركز عين اللوح فقد كان له في الماضي دور عسكري أساسي بالمنطقة.

فبحكم كونه إحدى البوابات الرئيسية التي تربط مرتفعات الأطلس المتوسط بالمناطق الغربية للبلاد، فقد جعل منه السلطان المولى إسماعيل الذي حكم المغرب من 1672 إلى 1727 قصبة أقام بها جيوشه على غرار القصبات التي أقامها في الأطلس المتوسط مثل أزرو والحاجب وأگورای وإتزر، قصد بسط نفوذ المخزن على هذه المناطق وإقرار السلم بها.

ومما يزيد من أهمية هذا الموضع، كونه يتمتع بغزارة مياه عذبة صافية حيث تكثر العيون المغذية لواد عين اللوح الذي يمر بوسط المدينة (عين أجعبو). وقد مكنت وفرة هذا المورد الثمين ومنذ الماضي البعيد، في جلب ساكنة متنوعة الأصول (شرفاء، آيت غريس وحراطين) واستقرارها به منذ ما قبل الاستعمار. فبالإضافة إلى هجرة العنصر الأمازيغي المتمثل في قبائل آيت عبدي السالفة الذكر، عرف مركز عين اللوح تقاطرا لعناصر صحراوية قادمة من تافيلالت، مكونة من زراعيين وحرفيين (في البناء أساسا) كانوا في الماضي البعيد يتوافدون على هذه المناطق كل موسم الصيف، قصد مد هذه القبائل الرعوية المتعودة على تربية الماشية والعيش تحت الخيام بمهارتهم في ميدان السقي والزراعة والبناء. ونذكر أن هذه الهجرة الفصلية غالبا ما كانت تنتهي باستقرارهم التام، وهو ما كان له الوقع العميق والآثار الواسعة في رسم وتشكيل المعالم العمرانية والثقافية لعين اللوح.

إن استقراء مشهد هذه المدينة الجبلية الصغيرة ليوحي للزائر على مدى التأثيرات الصحراوية المتمثلة في أنماط البيوتات وأساليب البناء وهي أنماط وأساليب دخيلة وغير موافقة للطابع الجبلي لمناخ المنطقة المتميز بتساقطات غزيرة قد تصل إلى 1600 مم في السنوات العادية، تكون مرتين على الأقل في الفترات الباردة على شكل ثلوج.

وعلى الرغم من أن المنطقة كانت تزخر بمؤهلات غابوية وفلاحية وسياحية هامة، بقي مركز عين اللوح على هامش التطور الذي عرفته جارتها أزرو خلال القرن العشرين والتي لا تبعد عنها إلا بما يقرب 20 كلم. ولعل السبب في ذلك يرجع إلى كون عين اللوح لم تحتل وظيفيا المكانة المتميزة التي شغلتها أزرو داخل السلم الإداري الجهوي في فترة الاستعمار والتي جعل منها المركز الإداري والخدمي الرئيسي لتدعيم سياسته البربرية التقسيمية التي تجسد بتأسيسه للثانوية الفرانكو ـ بربرية بها سنة 1926.

فخصوصية هذا الموضع المعلق على مستوى 1500 . 1600 من العلو ووعورة شكله الطبغرافي حيث تطل عليه شرقا وغربا سفوح وعرة صعبة الاستيطان (جبل دادة حمو 1808 م) وكذا وقوعه على هامش الطريق الرئيسية فاس ـ مراكش يمكن اعتبارهما من الأسباب التي أدت إلى عزلة عين اللوح وجعلها تخطو خطوات نمو بطيئة.

انكمشت عين اللوح على نفسها بالمقارنة مع جارتيها أزرو وإفران فالأرقام التي يحملها الجدول توضح أن مركز عين اللوح لم يسجل طيلة هذه العقود إلا تزايدا ضئيلا من حيث عدد ساكنته ومقارنة مع باقي المراكز يلاحظ أن مركز عين اللوح سجل أقل نسبة من التكاثر الدمغرافي سواء تعلق الأمر بمرحلة الاستعمار أو بمرحلة الإستقلال.

المراكز	1926	1936	1960	1971	1994
عين اللوح	1531	1261	3123	3403	5055
أزرو	1593	6729	14143	20756	40508
إفران	629	941	3260	6016	11209

فالبنيات الاقتصادية بقيت معتمدة على أنشطة ضعيفة وهشة. ولا زال جزء مهم من النشطين يشتغلون كعمال بالقطاع الأول المتمثل في الاستغلال الغابوي كقطع الخشب وصنع الفحم وجمع الأعشاب الطبية.

كما أن الزراعة وتربية الماشية تشكلان قطاع نشاط مازالت تعيش منه عدد من الأسر. فالزراعات الشجرية مثل

مغارس الخوخ والتفاح وأساسا الكوز (حب الملوك) بدأت تأخذ مكان زراعة الحبوب فوق منخفض توفست ألت وركادة، وهي زراعات سقوية وكثيفة تتطلب يداً عاملة وافرة استطاعت أن تفرض وجودها بعد عمليات استصلاح هذه الأراضي التي كانت مغطاة بأفرشة من حجر البزالت الذي استعمل بعد إقلاعه في تشييد سياجات الاستغلاليات.

أما داخل المدينة، فتوفر الحرف فرص شغل للرجال في البناء والنجارة والحدادة والخياطة وغيرها. وتشتغل بعض النساء في بيوتهن أو في إطار التعاونية الصغيرة الوحيدة الموجودة بالمركز في نسج القطيفات والحنابيل لبيعها في الأسواق الأسبوعية. وتمثل التجارة الغذائية وخدمات المطاعم أهم نشاط اقتصادي بارز بالمدينة تمركز بالأساس في ساحة علال الفاسي وشارع الحسن الثاني. غير أن ضعف المداخيل عامة وعدم استقرارها، لم يساعد على ازدهارها وإنعاش قطاعات تجارية أخرى مثل تجارة الملابس والتجهيزات المنزلية التي تبدو شبه منعدمة. ولقضاء حوائجهم يتوجه السكان إلى السوق الأسبوعي الذي يقام كل يوم الأربعاء بشمال المدينة أو إلى سوق أزرو (الدائم أو الأسبوعي).

تبقى الخدمات التعليمية التي تعززت بفتح، أول ثانوية بعين اللوح (أبو بكر الصديق) منذ أكتوبر 2001، إضافة إلى وجود إعدادية وخمسة مدارس ابتدائية وكذا الخدمات الصحية والإدارية العمومية المصدر الوحيد لتوفير مداخيل مستقرة ومنتظمة محلية لدى السكان. ولولا موارد الهجرة الداخلية والخارجية لعرف هذا المركز ركودا تاما.

تبدو الآفاق الاقتصادية والاجتماعية غير مطمئنة. فغابات الفلين الأخضر والأرز التي شكلت مواردها المصدر المالي الرئيسي لمداخيل المدينة ولمدة عقود طويلة إذ جعلت منها أغنى الجماعات بالمغرب أصبحت اليوم مهددة بالانقراض بسبب الاستغلال الفاحش الذي تعرضت له في غياب أي اعتبار للبعد الاقتصادي والاجتماعي والبيئي لهذه الثروة الطبيعية الثمينة. كما أن المغارس الفاكهية المتزايدة وهي التي توفر فرص شغل مهمة تبدو هي الأخرى مهددة على المدى البعيد إذا لم نقل المدى المتوسط بنفاد المياه الجوفية نظراً للجفاف المستمر الناتج عن التغيرات المناخية الحديثة.

وتبقى المؤهلات السياحية أملا في تنشيط هذا المركز شريطة أن تكون إيكولوجية وأن لا تسرع بالتدهور البيئي للمنطقة.

أما الأشكال العمرانية فتتميز بمزيج من الأنماط والأساليب في الهندسة والبناء فالبيوتات التقليدية صحراوية الأصل. نجدها من حيث الأشكال واضحة المعالم. فالحيطان ترابية وسميكة، قليلة العلو، منفتحة على أبواب صغيرة مصنوعة من خشب الأرز، غالبا ما غرست على خلفها كرمة مظللة، تحدوها على الواجهتين نافذتان صغيرتان تحمل شبابيك حديدية. السطوح أفقية، تتوسطها "زنونة" صغيرة منبع الضوء والهواء الوحيد لوسط الدار، الذي غالبا ما يكون مظلما. تغطي هذه السطوح أفرشة من الشست المدكوك (أسكين). معظم البيوتات سفلية ولا تحمل طابقا علويا إلا إذا كانت ملكا لأعيان. وطابعها القروي لا يخلو من مرجعية فنية حضرية من حيث أساليب تزيين النوافذ والأبواب. وهذا النمط من السكن المبنى على طريقة "الركز" قد سار في طريق التدهور والتراجع بسبب تعميم استعمال مواد البناء المصنعة من إسمنت مسلح وآجر وقرميد وغيرها من المواد الدخيلة الأمر الذي أدخل تغييرات عميقة على الأشكال العمرانية. ففي حي بوفلا، وإغبولة، وتيزي وغيرها تراجع السكن التقليدي بما يقرب من أربعين في المائة، أما في الأحياء المجاورة لشارع الحسن الثاني فقد تقلص بما يقارب أزيد من ستين في المائة. ويبدو أن هذا السكن القديم تقطنه الفئات الاجتماعية الضعيفة من الساكنة والتي لا قدرة لها على تغيير وضعها السكني، باعتبار أن هذا النوع من السكن أصبح لدى شرائح الساكنة لا يلائم خصوصية المناخ الجبلي للمنطقة وغير ساير لشروط حياة العصر. غير أن نظرة سلبية تجاه كل ما هو عتيق وتقليدي قد شاعت في جميع أوساط المجتمع المغربي ولم تستثن سكان عين اللوح. وانطلاقا من هذا المنظور فإن رمز الارتقاء اجتماعيا يبقى رهينا بتغيير نمط السكن. وليس الإرث الاستعماري غريبا عن هذه الرؤية. فمنشآته العمرانية الإدارية والسكنية ذات الأسلوب الأوربي المحض مازالت قائمة. فالبنايات ضخمة، نوافذها واسعة وشرفاتها مطلة على الواجهات وسطوحها مائلة مغطاة بالقرميد الأحمر، تبدو بارزة في المشاهد الحضرية لمدن الأطلس المتوسط وتأثيرها متواصل وعميق على المنجزات العمرانية لفترة الاستقلال.

إن عين اللوح الغارقة في الخضرة والظلال، والمنكمشة على نفسها قد أخرجتها الفضائيات التي غزت سطوحها وفضاءات الأنترنيت التي بدأت تكتسح دكاكينها من عزلتها ورمت بها في مهب كل التأثيرات. فلا مفر لشباب هذه المدينة الهادئة المعرض للفراغ والبطالة من الاستلاب الثقافي والفكري والحلم بالهجرة نحو جنة الثراء: أوربا.

A. Alaoui El Belghiti, *Urbanisation et domination du monde rural : l'exemple d'Azrou*, Thèse de doctorat du spécialité, Université de Toulouse le Mirail, déc. 1978 ; Gaston Beaudet, *Les Beni M'guild du nord, Revue de géographie du Maroc*, n° 15, 1968 ; *Population légale du Maroc, recensements : 1960, 1971, 1982, 1994*, Direction de la Statistique : *Enquête* sur le terrain, juin 2002.

عائشة البلغيتي العلوي

عين مازة، تقع عين مازة بتراب بني خيران، قرب الطريق الرئيسية رقم 22 الرابطة بين الرباط وبني ملال، عبر الرماني ووادزم. شكلت محطة أساسية لتوقف السلاطين في طريقهم بين فاس والرباط ومراكش، وخاصة عبر طريق زعير. فإليها تشد الرحال من خيمة بوخلالة أو المرس البيض من زعير ومنها تشد الرحال إلى صخرة الدجاجة أو سيدي محمد

لبصير ببلاد السماعلة. وأورد الضعيف الرباطي بأن السلطان "نهض من خيمة بوخلالة وسلك على طريق صعبة لم يمر عليها أحد من الملوك قبله، خرج على عين العتارس لأنه بات في مازة في الحجر المثقوب" وأورد مؤلف "مراحل رحلات السلطان مولاي الحسن" أثناء حديثه عن إحدى رحلات السلطان نحو مراكش، أنه رحل يوم الأربعاء 24 محرم 1308 / 1890 "من المرس البيض إلى مزا ومن مزا إلى صخرة الدجاجة". وأثناء توجهه من مراكش نحو فاس، اختار المولى عبد الحفيظ، الساعي إلى الإطاحة بأخيه المولى عبد العزيز، عين مازة كموقع استراتيجي، حيث رست حركته بها منذ أواخر 1908. ومنها شرع في إعطاء بعض الإشارة السياسية بالمنطقة، فعين قوادا جددا، وأمن لحركته الطريق نحو مكناس.

تحتل عين مازة موقعا حيويا في منخفض محمي بعدة تلال. واعتبرتها إدارة الحماية من النقط المائية المعول عليها بمنطقة بني خيران، فكانت مصدر سقي خمسة هكتارات وتروية ألف رأس من الماشية وتزويد أربعين خيمة بالماء الشروب. وبحكم قربها من منجم الحديد بآيت عمار، سعت الشركة المستغلة إلى الاستفادة من مائها، وخاصة في فترات الجفاف، وذلك بجر قناة باطنية نحو القرى المنجمية. وتطلب هذا الأمر صدور قرارين وزارين بتاريخ 13 دجنبر 1929، و18 أبريل 1939، متعلقين بشأن معاينة حقوق الماء في هذه العين. وتم الاتفاق بين إدارة الشركة والمستفيدين من مياه العين على كراء شهري، تستفيد بموجبه الشركة من 50٪ من صبيب العين، على أساس سبعين فرنكا للخدام الواحد، أي 750 ف للهكتار الواحد، أي بما مجموعه 1.750 ف لكل المستفيدين.

الجريدة الرسمية، عدد 894، 13 دجنبر 1929 ؛ عدد 1383، 28 أبريل 1939 ؛ أحمد المنصوري، *كبار العنبر من عظماء زيان وأطلس البربر*، تح. محمد بن الحسن، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بني ملال، 1997 ؛ م. الضعيف، *تاريخ الضعيف*، تحقيق وتعليق أحمد العماري، الرباط، 1986 ؛ مؤلف مجهول، *مراحل رحلات السلطان مولاي الحسن*، مخ.

صالح شكاگ

العيني، سعيد بن بهي الحمزاوي من أعيان قراء قبيلة آيت إخلف إلى جانب الحمزاوي سيدي مبارك إجبوي الخلفي، ينتسب سعيد هذا إلى موضع العين بتاگراگرا، كان صهر للقائد أحمد بن الشيخ همّو الخلفي، الذي سهر مدة حياته على تعمير مدرسة آيت بوبكر العتيقة، حيث قضى هذا المقرئ الصوفي حياته، وكان يشتغل على الدوام بتعليم الروايات والنوافل، فصار بعناية الله محترما لدى الجميع.

ولذلك اجتمع أعيان (إنفلاس) قبيلة آيت بوبكر الباعمرانية فحرروا هذا الفقيه المقرئ من جميع الكلف القبلية، وأنذرت بشدة كل من مسه بضر ولو من بعيد، وأن من خالف هذا التحرير، يعد ـ أرنبا = أوتيل ـ بهذا اللفظ، يتخطفه أهل الله والجميع. ولدى نسخة من نفس التحرير القبلي.

وفي سنة 1303 نال هذا الفقيه ظهير السلطان الحسن الأول عندما نزل بتيغزا عند القائد أحمد الخلفي، وورد فيه تزكية وتثبيت ما بيد مترجمنا هذا من التوقير والاحترام لانشغاله بالتعليم والتدريس والمشارطة في مدرسة آيت بوبكر الباعمرانية.

توفي سنة 1320.

الحسين الباعمراني جهادي

عيون أزفاط، اقتضت علاقات الجوار على امتداد الصحراء الأطلسية أن تنظم إقامة الفصائل المتحالفة إلى جوار بعضها البعض. تقيم أفراك هذه الفصائل على صغر حجمها بمجاورة بعضها البعض في إطار نظام للتحالفات تضبطه قوانين مراقبة المجال. في هذا الإطار يمكن تعريف المجموعات السكنية بالصحراء كوحدات منتظمة داخل نظام تعاقدي لمراقبة المجال. من هنا تندرج إقامة بعض فصائل قبيلة أزوافيط التكنية خلال فترة كانت تندمج فيها بأهم فصائل قبيلة إزركيين. فقد كان الأصل الزفاطي المشترك للقبيلتين داعيا لتمتين علاقات الترحال المشترك والحماية الدافعة لمفهوم الدفاع المشترك. كان مجال ترحال أزركيين هو المحور الساحلي للساقية الحمراء غير بعيد عن مصب الوادي. أما حجم الحضور الفعلي لأزوافيط، فتعتبر تسمية عيون أزفاط في حد ذاتها دليلا على الامتداد الفعلي لأهل أزفاط بعين المكان. وهو بالضبط ما سجله العقيد الإسباني Del Oro لدى مقدمه إلى هاته العيون سنة 1940. فقد استقر رأيه على اعتبار المكان مؤهلا لكي يصبح مقرا للبناء ولتشييد عاصمة إدارية للصحراء تحت المراقبة الفعلية للقوة الإسبانية بالساقية الحمراء. كتب في هذا الشأن تقريرا رفعه إلى الإدارة الإسبانية فنال من العناية ماجعل هذه النقطة تتحول تدريجيا إلى عاصمة إدارية هي مدينة العيون العاصمة الحالية لمنطقة الساقية الحمراء.

Angel Flores, *El Sahara español, ensayo de geografica fisica, humana*, Ediciones de la Alta Comisarie de España en Marruecos, 1946, 104-105.

مصطفى ناعمي

عيون أم الربيع، تقع عيون أم الربيع في الأطلس المتوسط الهضبي، تحد شمالا بمنخفض ويوان التوراسي وهضبة الحمام، وجنوبا بهضبتي أغبال وأجدير ومنخفض بوغيز (واد بوإدجي)، وشرقا بمقعر بكريت ـ ثمحضيت وغربا بنهر أم الربيع. وهي عبارة عن مجموعة من العيون، كان عددها يناهز في بداية القرن العشرين أربعين عينا، وتعتبر من أهم العيون الكارستية بالمغرب بصبيب يصل إلى حوالي 10م^3 / ث. وتنبثق عبر صخور دلوميتية لياسية عند جبل كدود، وهي عيون طافحة توافق انكسارا مهما شماليا

شرقيا جنوبيا غربيا، يفصل بين وحدتين هيدرجيولوجيتين مختلفتين :

- وحدة غربية، وهي وحدة أجدير وتصرفها عيون مالحة توجد عند مستوى ارتفاعي أعلى من مستوى عيون أم الربيع العذبة، الشيء الذي يزيد من أملاح عيون الضفة اليسرى لعيون أم الربيع (تسرب مياه مالحة عبر جلاميد دلوميتية وسفحيات)، في حين تبقى عيون الضفة اليمنى محتفظة بسحنتها البيكاربوناتية الكلسية.

- وحدة هيدرجيولوجية شرقية وهي وحدة عيون أم الربيع، وتعتبر أكثر الوحدات تعقيدا نظرا لوضعيتها الجيولوجية التي توافق عموما مقعر بكريت - تمحضيت الذي يحتوي فرشة مائية حبيسة عميقة جدا عند المحور وطليقة عند الهوامش، قاعدتها طينية ملحية ترياسية وسقفها صلصالي طيني ينتمي لما بعد الدوميري (الشكل رقم 1). تتطور هذه الفرشة ضمن الصخور الكاربوناتية (دلومي الليلاس الأسفل وكلس الليلاس الأوسط) المتشققة ذات نظام جريان باطني كارستي.

تحد وحدة عيون أم الربيع :

- من الشمال بوحدتي أمكلا وإفران.

- من الشرق والجنوب الشرقي بالإنكسار الشمالي الأطلسي أو ما يسمى بانكسار تيسدادين الذي يمتد من جبل إغود في الجنوب الشرقي (هضبة أجدير) إلى جبل مكسيس في الشمال الشرقي (جنوب شرق هضبة أمكلا).

- من الغرب والشمال الغربي بوحدة عين اللوح - الحمام.

- وأخيرا من الجنوب بوحدة أجدير.

واعتمادا على هذه الحدود فإن حوض عيون أم الربيع يمتد على مساحة تصل إلى 1563,6 كلم^2 تجمع بين حوضين نهريين هما : حوض نهر سبو (واد كيكو) في الشمال الشرقي وحوض نهر أم الربيع في الجنوب الغربي. لكن المعطيات الجيولوجية تبين أن هذا الحوض بأكمله لا يساهم في تغذية عيون أم الربيع بحيث يجب حذف المجال الذي تغطيه إرسابات ما بعد الدوميري وهو مجال تصل مساحته إلى 636 كلم^2 وتم تحديده اعتمادا على الأثقاب الموجودة داخل الحوض. فالحوض الفعلي لعيون أم الربيع إذن لا يشغل سوى 928 كلم^2، ويتميز بالخصائص التالية :

- على مستوى الارتفاع (الشكل رقم 2) : تشكل الفئة الارتفاعية التي تتعدى 1600 م 87,2٪ من المساحة الإجمالية للحوض، بينما لا تشغل الفئة التي تقل عن 1600 م سوى 12,8٪، ويساوي متوسط الارتفاع 1781,4 م في حين يساوي الوسيط 1780 م.

- على مستوى الغطاء النباتي : تغطي السهوب مساحة تصل إلى 61٪ من مجموع مساحة الحوض، بينما لا تمثل غابة البلوط الأخضر والأرز سوى 37,4٪.

- على مستوى الصخارة : تمتد الصخور النافذة على مجمل مساحة الحوض إذ تغطي 783 كلم^2 أي بنسبة 84,4٪ في حين لا تمثل الصخور شبه النافذة سوى 15,6٪ من مساحة الحوض الإجمالية.

أما المجالات الحبيسة فتشغل مساحة تصل إلى 349,8 كلم^2 أي بنسبة 37,7٪ من مساحة الحوض، وهي مساحة مهمة تساهم في تغذية الفرشة المائية الباطنية الحبيسة.

تتغذى هذه العيون من مياه الأمطار والثلوج التي تتساقط على حوض تغذيتها الذي يتلقى أكثر من 700 ملم في السنة، تتسرب منها كمية تناهز 254 ملم سنويا، بمعامل تسرب يصل إلى 33,6٪، الشيء الذي يجعلها تتوفر على موارد مائية مهمة ذات جودة كيماوية عالية، تصل إلى 235,6 مليون م^3 أي ما يعادل 7,5 م^3 / ث أو 8,05 ل / ث / كلم^2 كصبيب نوعي.

تتميز وحدة عيون أم الربيع من الناحية الهيدروديناميكية بنظام معقد وبمخزون مائي مهم إذ لا يتعدى معامل الشح بها 3-10 x 1,8. وهي خصائص تجعل عيون أم الربيع تلعب دورا أساسيا في تغذية نهر أم الربيع وفي دوام صبيبه بحيث لا يعرف نظامه الهيدرلوجي فترات شح طويلة كالتي تعيشها أودية المجال المتوسطي، خاصة منها تلك التي لا تستفيد من الخزانات الكارستية. فصبيب الشح الأدنى لهذا النهر لا ينزل عن 6 م^3 / ث عند المحطة الهيدرلوجية لثغاط بخنيفرة (6,7 م^3 / ث في غشت وشتنبر 1995).

يحيى الخالقي، *الأنظمة الهيدرلوجية الكارستية للهضاب الجنوبية الغربية للأطلس المتوسط : دراسة هيدرلوجية وهيدروكيماوية (عين اللوح - الحمام - أجدير - عيون أم الربيع)*، بحث لنيل دكتوراه الدولة، بني ملال : المعطيات الهيدرلوجية : وكالة الحوض المائي لأم الربيع، بني ملال.

A. Bentayeb et C. Leclerc, *Le causse moyen - atlastique. Ressources en eau du Maroc*, Tome 3, Domaines atlastique et sud - atlastique, Notes Serv. Géol. Maroc, n° 231, p. 37 - 66, Rabat, 1977 ; Y. El Khalki, *Etude hydrogéomorphologique du Haut Sebou : cas du synclinal de Skoura et de ses bordures*, Thèse de Doctorat Univ. Aix-Marseille II, 2 t., 239 p., Aix-en-Provence, 1990 ; J. Loup, *L'Oum-er-Rbia : contribution à l'etude hydrologique d'un fleuve marocain*, Série Géol. Géog. Phys., 9, Rabat, 1960.

يحيى الخالقي

العيون - بوجدور - الساقية الحمراء (جهة).

تشكل جهة العيون - بوجدور القلب النابض للجهات الصحراوية المغربية، وذلك بسبب احتضانها لأنشطة اقتصادية مهمة تجمع بين الاستغلال المنجمي والبحري، وأيضا بسبب احتضانها لمدينة العيون التي تعتبر بحق أكبر تجمع بشري واقتصادي داخل التراب الصحراوي المغربي.

أحدثت جهة العيون - بوجدور على إثر التقسيم الجهوي الذي عرفه تراب المملكة المغربية سنة 1997، لتصبح أهم الجهات الثلاث التي تغطي المناطق الصحراوية المغربية. تحدها من الشمال - الشرقي جهة گلميم - اسمارة، ومن

الجنوب جهة واد الذهب ـ لگويرة، ومن الشرق الجمهورية الإسلامية الموريطانية، ومن الغرب والشمال ـ الغربي المحيط الأطلنتي. تشغل مساحتها حوالي 81.413 كلم^2، وتمثل هذه المساحة حوالي 11.5٪ من مجموع التراب الوطني، وحوالي 23٪ من مجموع مساحة الجهات المغربية الصحراوية الواقعة جنوب الأطلس الصغير.

تتكون من إقليمين هما إقليم العيون وإقليم بوجدور ويشغلان على التوالي 46.3٪ و53.7٪ من مجموع مساحة الجهة، ويتشكل هذان الإقليمان من 3 دوائر، و10 جماعات قروية، و4 جماعات حضرية.

التقسيم الإداري لجهة العيون ـ بوجدور

الإقليم	الدائرة	الجماعة	المساحة (كلم2)
العيون	العيون	بوكراع الدشيرة فم الواد	14.900 3.270 3.982
	طرفاية	أخفير الداورة الطاح المحكونية	3.700 2.850 3.883 5.000
	الجماعات الحضرية	العيون طرفاية المرسى	40 17 18
بوجدور	الجريفية	كلتة زمور جريفية لمسيد	20.350 17.500 5.858
	الجماعات الحضرية	بوجدور	45

يغلب على تضاريس جهة العيون ـ بوجدور الطابع الهضبي، ويعود ذلك إلى كون القاعدة القديمة المتمثلة في كتلة الركيبات وغطائها الأولي قد تعرضت للتهدل على نطاق واسع، مما سمح بنشأة حوض رسوبي شاسع انطلق مع الطباشيري وتعرض لتطورات بنيوية هادئة خلال الزمنين الثالث والرابع جعلت تضاريس جهة العيون ـ بوجدور تنتظم على شكل أربع وحدات متباينة.

ـ هضبة كلتة زمور تمتد على مساحة محدودة، وتتخذ شكل مثلث يستقر عند أقصى الجنوب الشرقي من جهة العيون ـ بوجدور. تتشكل من نواة أصلية عبارة عن صخور من الگرانيت الهرسيني وهي جزء من كتلة الركيبات، تغطيها تكوينات الزمن الأول على شكل شريط يتكون من منخفضات شستية طولية تفصل بينها أعراف كوارتزيتية وحثية ذات اتجاه شمالي ـ شرقي / جنوبي ـ غربي.

ـ حمادة الساقية الحمراء، عبارة عن شريط هضبي واسع يمتد بين الساحل وكتلة الركيبات، يتراوح عرضه بين 80 و160 كلم، ينطلق شمالا من ساحل الطرفاية ـ طانطان ويمتد في اتجاه الجنوب نحو جهة العيون ـ بوجدور عند حمادة بير أنزران. وحسب مظاهر السطح يمكن تقسيم حمادة الساقية الحمراء إلى وحدتين متباينتين هما : حمادة واد الخط وحمادة لغرنات ـ الگعدة. تمثل الوحدة الأولى القسم الجنوبي من الشريط الهضبي المذكور، يتوافق سطحها مع صخور كاربوناتية تنتمي إلى الحوض الرسوبي الطباشيري ـ الإيوسيني. ويتميز هذا السطح بعدم التجانس بسبب تعمق نظام واد الخط الهيدروغرافي، أحد روافد واد الساقية الحمراء الرئيسية. وإذا كانت هذه الحمادة تنسحي وتختفي بشكل تدريجي في اتجاه الغرب تحت التكوينات الساحلية الحديثة، فإنها في اتجاه الشرق تنتهي بأجراف صخرية واضحة تشرف بواسطتها على هضبة گلتة زمور ؛ أما حمادة لغرنات ـ الگعدة فإنها تشغل حوالي ثلثي حمادة الساقية الحمراء، تتميز بتقطع شديد ألحقه واد الساقية الحمراء الأسفل وروافده بالمواد الرسوبية الميبلوسينية القارية التي تغطي تكوينات الحوض الطباشير ـ الإيوسيني.

ـ ساحل الساقية الحمراء، في اتجاه الغرب يختفي مظهر تضاريس الحمادات ليحل محله شريط ساحلي شديد التنوع من حيث تكويناته الصخرية وأشكاله التضاريسية.

عند القطاع الشمالي الواقع على الضفة اليسرى من واد الساقية الحمراء، تتكون التضاريس من هضبة ضيقة تطورت بداخلها سبخة الطاح المشهورة، ويغطيها عند هامشها الغربي شريط من الكثبان الرملية المتحركة. وتشرف هذه الهضبة بجرف بحري ميت جيد التشخيص على ولجة ساحلية حديثة ضيقة.

وانطلاقا من مصب واد الساقية الحمراء عند فم الواد يتوسع هذا المظهر التضاريسي أكثر من اتجاه الجنوب. وهكذا يتوسع المظهر الهضبي المتموج، وتتطور السبخات بشكل أوسع عند القطاع المعروف بالحسيان، ويستمر الشريط الكثيبي المتحرك ليفصل بين حمادة واد الخط والساحل. والتغير الذي يحصل هو غياب الولجة وظهور جرف بحري حي مستمر.

أما بالنسبة للمناخ فإنه نظرا لانتمائها للمجال الصحراوي المغربي وبسبب موقعها عند عروض مدارية، فإن جهة العيون ـ بوجدور تنتمي لوحدة المجال القاحل الذي تمثله الصحراء الإفريقية الكبرى المعروفة بجفافها المفرط. غير أن محاذاتها للمحيط الأطلنتي يجعل مناخها يتميز بنوع من الاعتدال تتضح معالمه أكثر في اتجاه خط الساحل. لذلك فإن هذه الجهة تقدم، على غرار باقي المناطق الصحراوية المغربية الساحلية، نموذجا جيدا لنوع الصحاري الساحلية الضبابية، التي تتميز برطوبة نسبية عالية وبنظام حراري معتدل.

يتميز الإطار المناخي العام للجهة باستقرار نظام خلايا الضغط المرتفع المدارية الذي يتسبب في جفاف المنطقة،

وتترتب عنه التيارات الهوائية شمال = شمال ـ شرقية المعروفة بالرياح التجارية. وإذا كانت هذه الرياح معروفة بجفافها وبارتفاع نسبة ترددها بالمنطقة، فإن الرسم الذي يتخذه خط الساحل الأطلنتي محليا يجعلها تساهم في تحريك المياه البحرية وفي نشأة تيارات عمودية ترفع المياه العميقة الباردة إلى السطح، كما تؤدي إلى نقل الرمال وتشكيل أشرطة كثيبية متحركة. ومن حين لآخر ينقلب هذا الوضع حيث تستقر عند الساحل أنوية ضغط منخفض ينتج عنها هبوب رياح الشرقي التي ترفع درجات الحرارة وتؤدي إلى اندلاع زوابع غبارية قد تستمر على مدى عدة أيام.

يعتبر شهر يناير أبرد الشهور ويدور متوسط الدرجات الدنيا حول 8°، مع التمييز بين الشريط الساحلي الذي يتراوح عنده هذا المعدل بين 8° و12° والمناطق الداخلية التي قد تنزل عندها معدل الدرجات الدنيا إلى حدود 4° تحت تأثير القارية. أما معدل الحرارات العليا فإنه يتراوح بشكل عام بين 20° و40°، أضعف المعدلات يتم تسجيلها عند الشريط الساحلي بسبب التلطيف الحراري المرتبط بالمحيط الأطلنتي، ويعتبر غشت أكثر الشهور حرارة.

ككل المناطق الصحراوية، لا تتلقى جهة العيون ـ بوجدور سوى كميات مطرية محدودة لا يتجاوز معدلها السنوي 50 مم، وتتخذ هذه التساقطات طابعا إعصاريا مركزا في المجال وفي الزمن.

ولا يتعدى الأيام الممطرة في أحسن الحالات 30 يوما كما هو الحال عند ساحل طرفاية. وتهطل هذه الأمطار، حسب معطيات محطة العيون، بشكل أساسي خلال شهري دجنبر ويناير، ويدل ذلك على تأثر هذه الجهة المنتمية لمجال الصحراء الإفريقية الكبرى الشمالي بنظام الأمطار المتوسطي. وإن كان ذلك لا يتم إلا بشكل محدود.

وهكذا وفي غياب الواردات المطرية الكافية، فإن ارتفاع معدلات الرطوبة النسبية عند الشريط الساحلي يشكل موردا مهما للرطوبة بالنسبة للحياة بشكل عام وعلى الخصوص بالنسبة للغطاء النباتي الذي يعرف كثافة ونسبة تغطية غير معهودة عند المجالات الجافة القريبة. وإذا كان هذا الغطاء النباتي الطبيعي ليست له مردودية اقتصادية مباشرة على قطاع الماشية، فإن له دوراً حيوياً على صعيد تثبيت التربة وصيانتها من عوامل التعرية المائية والريحية.

ونظرا لضعف الوارد المائي المطري، فإن إمكانيات الحصول على موارد مائية متجددة بجهة العيون ـ بوجدور تبقى محدودة. وفي غياب مياه سطحية ذات مواصفات كمية وكيفية مقبولة فإن الجهة تتوفر على مكامن مائية جوفية ترتبط بشكل أساسي بالفرشات العميقة، وإن كانت لا تتمتع بالجودة المطلوبة في جل الأحيان.

وبالنسبة للمياه السطحية، تتميز جهة العيون ـ بوجدور بشبكة هيدروغرافية ونافذة بشكل إجمالي، وتشكل هذه الشبكة نظاما هيدرلوجيا واسعا يتوافق مع الحوض الأسفل لواد الساقية الحمراء الذي يتكفل بتصريف مياه حمادة واد الخط وأيضا جزء من مياه حمادة الگعدة في اتجاه المحيط الأطلنتي. وبالطبع، وترابطا مع نظام التساقطات المطرية، فإن الجريان لا يتم إلا بشكل لحظي على شكل فيضانات مركزة في المجال وفي الزمن.

عند الساحل تتعرض الشبكة الهيدرغرافية لنوع من الاضطراب تحت تأثير التكوينات السطحية، فتصبح متقطعة وغير نافذة. بعض قطاعات هذه الشبكة تنتهي عند منخفضات مغلقة من نوع الگرارات ومن نوع السبخات كما هو الحال عند سبخة الطاح وسبخات قطاع الحسيان، وتتمكن هذه المنخفضات المغلقة المالحة من جمع المياه والاحتفاظ بها لفترات تختلف حسب حجم الواردات وحسب حدة التبخر.

وفي غياب الموارد المائية السطحية ارتباطا مع طبيعة نظام التساقطات المطرية المحلي، فإن جوف أرض جهة العيون ـ بوجدور بحكم طبيعته الرسوبية يحتضن مكامن مائية جوفية متعددة يمكن أن تلعب عنصرا مساعدا ومدعما لعملية تنميتها في حالة التحكم في تدبيرها.

وتختلف هذا المكامن من حيث حجمها وجودتها ووضعها وذلك بالارتباط مع تنوع طبيعة البنية الجيولوجية. ويمكن التفريق بين مجموعة من الوحدات المائية الجوفية :

ـ خزانات الكتلة البلورية القديمة، لا تكون فرشات مائية مستمرة وإنما جيوبا متفرقة ترتبط بارتفاع نسبة تشقق الصخور محليا، تتشكل عندها من حين إلى آخر مكامن مائية يمكن استغلالها لتزويد السكان الرحل وإرواء ماشيتهم كما هو الحال عند گلتة زمور.

ـ الفرشات المائية السطحية، وترتبط بالتكوينات السطحية الحديثة الممتدة على طول المجاري المائية أو المركزة داخل المنخفضات المغلقة. وهذا النوع من الفرشات يبقى محدود الأهمية من حيث الحجم والجودة، فالجيوب المائية تتكون في الغالب من خزانات صغيرة، ترتبط في تغذيتها بالتساقطات المطرية، وتتأثر بشكل كبير بالتبخر الذي يقلص حجم المخزون ويرفع نسبة ملوحته. أهم الفرشات من هذا النوع يستقر على طول المجرى الأسفل من واد الساقية الحمراء وكذلك رافده الرئيسي واد الخط، ويتم استغلالها حول مدينتي العيون وبوجدور وأيضا عند فم الواد على نطاق واسع.

ـ يحتضن الحوض الرسوبي الثنائي ـ الثلاثي الذي يغطي مساحة شاسعة من جهة العيون ـ بوجدور أهم المكامن المائية الجوفية داخل الجهة. وتقدم خزانين عميقين رئيسيين على مستوى طبقات الطباشيري والباليوسيني.

فيما يخص الموارد الطاقية والمعدنية، فإن طبيعة البنية الجيولوجية تقدم مؤشرات واعدة حول إمكانيات توفر جهة العيون ـ بوجدور على مكامن للمحروقات داخل الحوض الرسوبي الثنائي ـ الثلاثي الواسع والمستمر تحت المياه

البحرية. وقد تم القيام بحفر مجموعة من الأثقاب الاستكشافية العميقة داخل هذا الحوض لكنها لم تمكن من التوصل إلى نتائج جيدة. وفي غياب الطاقة البترولية، فإن الجهة تتوفر على إمكانيات مهمة على مستوى مصادر الطاقة المتجددة من نوع الطاقة الريحية والطاقة الشمسية، إضافة إلى مخزون مهم من الصخور الشستية ـ النفطية عند طرفاية. وجدير بالذكر أن هذا المكمن النفطي يتوفر على مخطط إنتاجي يمكن تنفيذه في حالة ارتفاع أسعار النفط في السوق الدولية بشكل يسمح بتغطية تكاليف الإنتاج المرتفعة.

إن الامتداد الواسع للحوض الرسوبي الثنائي ـ الثلاثي يجعل الجهة تتوفر على احتياطي مهم من معدن الفوسفاط الذي يتم استغلاله عند مناجم بوكراع، كما تتوفر على احتياطي من الأورانيوم المرتبط بهذا المعدن. وبالإضافة إلى ذلك فإن الجهة تتوفر على الرمال السليسية وأنواع متعددة من الرخام، وعلى إمكانيات مهمة لاستخراج الملح انطلاقا من السبخات المنتشرة داخل حدودها الترابية.

إن جهة العيون ـ بوجدور تسجل، على غرار باقي الجهات المغربية الصحراوية، وتيرة نمو ديموغرافي سريعة بلغت 3,12٪ في السنة خلال الفترة الفاصلة بين إحصائي 1982 و1994، ولم يتعد المعدل الوطني خلال نفس الفترة 2,06٪. وقد جعل هذا النمو حجم السكان ينتقل من حوالي 121.000 إلى حوالي 176.000 نسمة، وإذا تم اعتماد نفس نسبة النمو السنوي فمن المرجح أن تكون ساكنة الجهة قد تجاوزت عتبة 200.000 نسمة بكثير عند نهاية القرن العشرين. مقارنة مع جهتي واد الذهب ـ الگويرة وگلميم ـ اسمارة، تتميز جهة العيون ـ بوجدور بكثافة سكانية متوسطة تبلغ 2,2 نسمة / كلم^2، لكنها تبقى بعيدة جدا عن معدل الكثافة الوطني الذي يبلغ 36,7 نسمة / كلم^2. وقد عرفت هذه النسبة ارتفاعا ملحوظا بسبب تزايد عدد السكان خلال العقدين الأخيرين.

إن التزايد السكاني الحاصل بالجهة يتم بشكل غير متجانس بين الوسطين الحضري والريفي، ففي الوقت الذي نسجل فيه نموا سكانيا داخل مدن الجهة بنسبة متساوية مع ما يجري على الصعيد الوطني، أي 3,7 مقابل 3,6٪، فإن الأرياف تعرف عملية نزوح متواصلة جعلت ساكنتها تتراجع بنسبة 1,2-٪ في السنة خلال نفس الفترة المذكورة. ومعنى ذلك أن ظاهرة اختلال توزيع السكان بين الوسطين الحضري والريفي وتزايد عدد السكان المستقرين تعززتا أكثر خلال العقدين الأخيرين، وجعلتا نسبة التمدين تتجاوز 91٪. وحدها مدينة العيون أضحت تحتضن أكثر من 85٪ من مجموع السكان الحضريين المقيمين بالجهة.

وقد بلغ عدد السكان الحضريين تبعا لنتائج إحصاء 1994 داخل الجهة حوالي 160.000 نسمة، وذلك في الوقت الذي لم يكن يشكل هؤلاء سوى قرابة 105.000 سنة 1982. وقد ارتبط هذا التزايد بالدينامية الديموغرافية التي تعرفها مختلف المراكز الحضرية داخل الجهة، فكل المدن سجلت نسب نمو عالية تتعدى المعدل الوطني بكثير خاصة بالمراكز الحضرية الصغرى. فقد عرفت مدن العيون وطرفاية نسب نمو تتراوح بين 3,2٪، وسجلت مدينة بوجدور نسبة 7,7٪ وبلدية المرسى 9,3٪ في السنة.

ومهما اختلفت أهمية نسبة النمو، فإن مدينة العيون بساكنة تناهز حاليا 150.000 نسمة تبقى هي أكبر مدن الجهات المغربية الصحراوية الواقعة جنوب الأطلس الصغير على الإطلاق. وبذلك فهي تمثل 85,1٪ من مجموع جهة العيون ـ بوجدور، وحوالي 1/3 مجموع السكان الحضريين بالجهات الصحراوية المغربية الثلاث.

إن مدينة العيون تشكل اليوم القطب الحضري الرئيسي داخل جهتها وداخل مجموع المناطق المغربية الصحراوية، لقد نشأت وتطورت كمركز إداري وتجاري عند واد الساقية الحمراء على مقربة من الساحل الأطلنتي، حيث تم خلق وتوسيع أحد الموانئ الوطنية الرئيسية التي تلعب دورا طلائعيا في ميدان تصدير معدن الفوسفاط وفي ميدان نشاط الصيد البحري وأيضا تموين المناطق الصحراوية. وقد عرف هذا المركز، على غرار باقي المناطق الصحراوية التي ظلت تعاني لفترة طويلة من الاستعمار ومن التهميش بسبب بعدها وموقعها الجغرافي، نموا متواصلا خلال العقود الأخيرة جعل منه القطب الإداري والتجاري والصناعي الأول بهذه المناطق.

والعيون تشكل حاليا عاصمة جهة العيون ـ بوجدور وإقليم العيون وفي نفس الوقت مقر جماعة حضرية، الأمر الذي جعلها تعزز مكانتها كمركز حضري مغربي يحتل مركز الريادة داخل الجهات الصحراوية. وقد عرفت تنوعا مهما لقاعدتها الاقتصادية وتوسعا واضحا لنسيجها الحضري وتطورا ملموسا في بنياتها التحتية، بحيث تم تجهيزها بمطار عصري وبحي صناعي، كما تم ربطها بشبكة النقل الجوي الداخلي وبشبكة الطرق البرية الوطنية وكذلك بشبكات المواصلات اللاسلكية والبريد.

وقد سمحت الدينامية الاقتصادية التي تعرفها مدينة العيون بتطور مركز المرسى حول الميناء التجاري على الساحل الأطلنتي إلى الشمال من ميناء الفوسفاط، الذي أخذ يستحوذ على حيز هام من الوظيفة التجارية والصناعية داخل الجهة. ويتوفر مركز المرسى حاليا على مجال صناعي يمتد على مساحة 54 هكتار، وقد تم وضع برنامج لتجهيز حي صناعي جديد على مساحة 95 هكتار إضافية.

كانت طرفاية تشكل عاصمة إقليم حدودي، لكن مباشرة بعد استرجاع المناطق الصحراوية إلى الوطن الأم تم دمجها في إقليم العيون فأصبحت تمثل عاصمة جماعة قروية ودائرة، وقت ترقيتها على إثر التقسيم الإداري الأخير إلى بلدية. ويعتمد اقتصاد هذه المدينة الصغيرة بالدرجة الأولى على النشاط البحري، وقد استفادت من خلق ميناء حديث لتنشيط هذه الوظيفة، غير أن ظروف الوسط الصعبة المرتبطة

بالتعرية الريحية والساحلية النشيطة جعلت هذا المرفق يعاني من طمر أحواضه بالرمال وعرقلة نشاط سفن الصيد الذي يتوقف خلال فترات طويلة خلال السنة. لذلك فإن نسبة نمو عدد سكانها بقي محدودا ولم يتجاوز بين سنتي 1982 و1994 نسبة 3.7٪ في السنة، هذا النمو المحدود جعل من طرفاية مركزا صغيرا لم تتجاوز ساكنته 4.500 نسمة إلى حدود سنة 1994.

وعلى العكس من ذلك فإن مدينة بوجدور الواقعة بين مدينتي العيون والداخلة، وبعد ترقيتها إلى درجة عاصمة إقليم، أصبحت لها وظيفة إدارية وتجارية بالدرجة الأولى مما سمح لها بتسجيل نسبة نمو ديموغرافي عالية خلال الفترة الإحصائية المذكورة تتعدى 7٪ في السنة، فانتقلت ساكنتها من حوالي 6.250 نسمة سنة 1982 إلى أكثر من 15.000 نسمة سنة 1994. ومن المتوقع أن يتاهز هذا العدد 20.000 نسمة حاليا.

وقد واكب هذا التوسع الديموغرافي لمدينة بوجدور توسع في التجهيزات الأساسية الحضرية، والمتمثلة في تجهيزات إنتاج وتوزيع الماء، والكهربة والإنارة، وشبكة الطرق والمسالك، وغير ذلك من المرافق اللازمة لتدبير الحياة الجماعية مثل المدارس والمراكز الصحية ومختلف الإدارات والفضاءات التجارية.

ويتميز اقتصاد جهة العيون - بوجدور عن باقي الجهات المغربية الصحراوية بكونه أكثر تنوعا، فهو يجمع بين ثلاثة ركائز رئيسية تتمثل في استغلال الأحياء البحرية واستغلال معدن الفوسفاط بمنجم بوكراع المكشوف والزراعة المرتكزة على النشاط الرعوي بالدرجة الأولى، وكل ما يترتب عن هذا الاقتصاد من أنشطة حرفية وتجارية وخدماتية وإدارية، إضافة إلى كون جهة العيون - بوجدور بحكم موقعها تبقى مرشحة للعب دور تجاري دولي موجه نحو دول الصحراء الإفريقية الكبرى وباقي دول العالم.

وعلى غرار باقي الجهات الصحراوية، يتم النشاط الفلاحي بجهة العيون - بوجدور في إطار نظام زراعي رعوي مبني على الترحال، لا تمثل داخله زراعة الأرض إلا نشاطا تكميليا وعابرا يتوسع نسبيا خلال السنوات المطيرة ويتراجع ويتوقف خلال السنوات الجافة التي تدوم لفترات طويلة.

تتمثل الأراضي القابلة للزراعة في المجاري المائية وفي الگرارات التي تمثل منخفضات مغلقة تنتهي عندها الأودية التي تحمل إليها المواد الغرينية لتشكل قاعدة غطاء ترابي غني نسبيا. ويبقى المحصول الوحيد القابل للنجاح عند هذه الأوساط هو الشعير الذي يدخل في نظام تغذية السكان وكذلك كعلف تكميلي للماشية في بعض الحالات.

إضافة إلى هذا النشاط الزراعي، تتوفر الجهة على محيط سقوي صغير هو محيط فم الواد الممتد عند سافلة واد الساقية الحمراء حيث تسمح الظروف المحلية بتكوين فرشة مائية عذبة توجه مياهها لتزويد مدينة العيون ومركز المرسى بالماء الشروب، وأيضا لسقي حوالي 200 هكتار التي تشكل مساحة محيط فم الواد. ومن الظاهر أن هذه المساحة تتعرض لتراجع واضح أمام تقدم ظاهرة غزو الرمال لهذا القطاع من حوض وادي الساقية الحمراء.

وعلى رأس قائمة الأنواع النباتية المتداولة داخل هذا المحيط السقوي نجد الزراعات العلفية وعلى الخصوص نبتة الفصة التي تشكل أساس تغذية الأبقار، إضافة إلى البقليات والموز والشعير. ومهما تنوعت وتعددت هذه المزروعات فإن حجم إنتاجها يبقى محدودا ولا يمكن أن يغطي حاجيات السوق المحلية المتزايدة.

إن النشاط الفلاحي المسقي والبوري يبقى محدود الأهمية، ووقعه على الحياة الريفية يبقى محدود جدا بالقياس إلى النشاط الرعوي الذي يظل أساسيا لدى فئات عريضة من السكان، وذلك على الرغم من التحولات التي عرفه المجتمع خلال العقود الأخيرة، والتي جعلت عددا كبيرا من مربي الماشية يستقرون داخل المراكز الحضرية.

بحكم طابع الجهة الصحراوي ونمط عيش الترحال وتوفر مراعٍ شاسعة تتعدى 8 ملايين من الهكتارات، تعتبر تربية الماشية هي النشاط الرئيسي لدى سكان الأرياف وأيضا حتى لدى شريحة عريضة من سكان المدن.

تطور قطاع تربية الماشية بإقليم العيون

النوع	1992	1993	1994	1995
الماعز	98.105	95.045	90.142	100.000
الأغنام	84.632	57.431	55.914	57.000
الإبل	26.293	27.555	27.021	30.000
الأبقار	349	24	217	250
المجموع	290.379	180.055	173.294	187.250

وإذا كان من الصعب ضبط حجم القطيع بسبب نمط الترحال الذي يفرض التحرك المستمر للماشية، وبسبب التغيرات الصارخة التي تعرفها التساقطات المطرية، فإن المعطيات والتقديرات المتوفرة والمتعلقة فقط بإقليم العيون وحده تبين أن عدد رؤوس الماشية بكل أنواعها تجاوز 187.000 سنة 1995، منها 90.142 رأسا من الماعز و55.914 من الغنم و27.021 من الإبل. ومقارنة هذه التقديرات مع تقديرات السنوات الفارطة تظهر أن القطاع آخذ في التوسع، وأن التأطير الذي تقوم به مصالح الفلاحة على مستوى تنمية النقط المائية، والمراقبة والعناية الصحية بالقطيع، وتنفيذ وتنظيم برامج دعم الأعلاف، وغير ذلك من التدخلات بدأت تعطي أكلها وأنها لاتزال في حاجة للدعم وبشكل متواصل.

إضافة إلى هذا القطيع، تجب إضافة حوالي 250 رأسا من الأبقار التي تتم تربيتها داخل إسطبلات مرتبطة بمحيط

فم الواد السقوي حيث يتم تخصيص مساحة مهمة للمزروعات العلفية، وعلى الخصوص زراعة الفصة.

وتتوفر جهة العيون - بوجدور على وسط ساحلي وبحري متميز على الصعيد الوطني، تطورت وانتظمت عناصره بشكل جعل منه أحد أغنى الأوساط الإحيائية البحرية المغربية، التي تبحث عنها مراكب الصيد الوطنية والدولية بإلحاح، ولا بضاهيه في ذلك إلا القطاع البحري المقابل لسواحل جهة واد الذهب - الكويرة الذي يشكل امتدادا طبيعيا له.

تستفيد الجهة من هذه الموارد البحرية بشكل محدود انطلاقا من ميناء طرفاية وميناء العيون، فالميناء الأول يعاني من صعوبات كبيرة بسبب غزو الرمال البحرية والقارية لحوضه الصغير، والميناء الثاني لا يشكل داخله الصيد البحري إلا نشاطا ثانويا. وعلى الرغم من ذلك فإن هذا النشاط سمح بظهور مجموعة من الوحدات الصناعية بالحي الصناعي المجاور للميناء عند مركز المرسى، وحدات متخصصة في إنتاج الثلج، وتصبير السمك، وإنتاج بعض مشتقات السمك مثل زيت ودقيق السمك، ومعالجة الطحالب.

وقد بلغ عدد وحدات الصيد العاملة بميناء العيون سنة 1994 أكثر 400 وحدة، أكثر من 60٪ منها عبارة عن قوارب صغيرة متخصصة في الصيد الساحلي. وبلغ حجم الإنتاج في نفس السنة حوالي 121.000 طن، أكثر من 90٪ منها عبارة عن سمك صناعي.

وبالنسبة للنشاط المعدني، فإن طبيعة البنية الجيلوجية بجهة العيون - بوجدور لا تمكن في الظروف الاقتصادية الحالية إلا من استغلال مكامن الفوسفاط، وجمع محدود لملح بعض السبخات، إضافة إلى أخذ الرمال واستخراج بعض مواد البناء الأخرى.

وتتوفر هذه الجهة على أحد مناجم الفوسفاط الأربعة المغربية الرئيسية وهو منجم بوكراع الذي يوجد جنوب - شرق مدينة العيون على مسافة حوالي 100 كلم. وترتبط هذه المناجم بنفس الحوض الرسوبي الثنائي - الثلاثي الممتد شمال الأطلس الكبير بهضاب أولاد عبدون والكنتور الفوسفاطية، والمستمر نحو الجنوب في اتجاه دول إفريقيا الغربية.

وتختزن مكامن منجم بوكراع حوالي 3 ملايير طن من معدن الفوسفاط، وهو ما يمثل حوالي 3٪ فقط من مجموع المدخرات الوطنية، وتبلغ نسبة تركز الفوسفاط به 75٪. وتتم عمليات الاستغلال بشكل مكشوف، وتتلخص في حفر وجمع الفوسفاط، وغربلته محليا، ثم نقله عبر بساط نقال آلي على مسافة 95 كلم حتى ميناء فوس - بوكراع الواقع على بعد 4 كلم جنوب ميناء العيون (المرسى)، وعند هذا الميناء يخضع المعدن للمعالجة داخل وحدة خاصة قبل شحنه من أجل التصدير.

ويتراوح معدل حجم الإنتاج بين 700 ألف طن ومليون ونصف طن في السنة، وقد مثل خلال النصف الأول من العقد الماضي حوالي 6.5٪ من مجموع الإنتاج الوطني من معدن الفوسفاط. وبذلك فإن هذا النشاط المعدني يساهم في تنمية الميزان التجاري الخارجي الوطني، وفي تنشيط الاقتصاد المحلي بسبب فرص الشغل المباشرة وغير المباشرة المترتبة عنه.

خارج قطاع الفوسفاط فإن جهة العيون - بوجدور تعرف نشاطا معدنيا آخر لا يخلو من أهمية وهو استخراج ملح الأوساط المائية المالحة المتمثلة في السبخات. ويمكن هذا النشاط من تغطية الحاجيات المحلية ومن تصريف حجم مهم من الإنتاج في اتجاه الأقاليم المغربية الأخرى. ويتم أيضا استخراج مواد البناء المختلفة التي يتطلبها توسع المجال الحضري ومختلف التجهيزات الأساسية داخل الجهة، وفي هذا الصدد لا بد من الإشارة إلى أهمية نشاط أخذ الرمال التي يتم تصدير حجم مهم منها نحو الجزر الخالدات عبر ميناء المرسى.

إضافة إلى هذه المقومات الاقتصادية، تزخر جهة العيون - بوجدور بإمكانيات سياحية غنية وشديدة التنوع تجمع بين المشاهد الجافة الصحراوية، والفضاءات الطبيعية الفسيحة، والمناظر الساحلية المتغيرة المغرية بالقيام بأنشطة رياضية واستجمامية متعددة، وتقدم هذه المنطقة كإحدى الجهات المغربية الصحراوية إرثا حضاريا نوعيا يبرز أحد الأوجه المضيئة للشخصية الثقافية المغربية. لكن رغم كل هذه الإمكانيات فإن النشاط السياحي المسجل يبقى محدودا، ويرتبط بالدرجة الأولى بسياحة رجال الأعمال وبتنقلات الموظفين، ويتركز بشكل أساسي داخل مدينة العيون. وتعتبر مدينة العيون القطب السياحي الأول داخل الجهات المغربية الصحراوية، وذلك على صعيد حجم الطاقة الإيوائية، وعلى صعيد عدد الوافدين. فالطاقة الإيوائية تناهز حاليا 1.200 سرير، 51.1٪ منها توفرها الفنادق المصنفة. وبلغ عدد الليالي السياحية المسجلة سنة 1994 حوالي 124.600 ليلة، 70٪ منها سجلت بهذه الفنادق المصنفة، أي بمردودية 38.7٪.

حاليا، وعلى الرغم من المجهودات المبذولة على صعيد البنيات التحتية مثل ربط الجهة بشبكة الطرق البرية الوطنية وأيضا شبكة النقل الجوي الداخلي، فإن عدد السياح الوافدين يبقى محدودا. ذلك بأن الجهة لا تستقطب إلا قسطا ضئيلا من مجموع الليالي السياحية المسجلة على الصعيد الوطني (0.7٪ من ليالي الفنادق المصنفة، و1.3٪ من ليالي الفنادق غير المصنفة)، مما يدعو إلى المزيد من العمل من أجل مجال سياحي قادر على استثمار الموارد الطبيعية والثقافية المتوفرة والقادرة على إبراز منتوج سياحي جديد يمكنه أن يوسع وينوع منتجات الوجهة السياحية المغربية.

إن جهة العيون - بوجدور، كباقي الأقاليم الصحراوية مباشرة بعد عودتها إلى الوطن الأم شكلت، في إطار عملية تضامن واسعة النطاق بين الأقاليم الشمالية والجنوبية، ورشا كبيرا استهدف إدماج هذه المناطق في النسيج الاقتصادي

الوطني. وبفضل المجهودات المبذولة تمكنت هذه الجهة من خلق بنية تحتية صلبة وتجهيزات عمومية كبرى، جعلتها تحقق نهضة اقتصادية واجتماعية لا تقل مستوياتها عن باقي أجزاء التراب الوطني.

وقد رافق هذه المجهودات التنموية تحولات عميقة شملت المجتمع والمجال تجسدت في نمو عدد السكان، وفي نزعة عامة نحو الاستقرار البشري نتج عنها تضخم كبير للظاهرة الحضرية بشكل لا مثيل له عند باقي التراب المغربي. وإذا كانت جهة العيون ـ بوجدور تطرح في السابق تحدي إدماجها في النسيج الاقتصادي الوطني، فإن التحدي الذي أصبحت تطرحه اليوم يتجسد في دعم الاستثمار الرامي لخلق فرص الشغل ومواصلة تحسين مستوى عيش السكان، وأيضا في اختيار عمليات التنمية المتكيفة مع هذا الوسط البيئي الصحراوي الجاف المحدود الموارد وسريع التدهور.

مونوغرافيه جهة العيون ـ بوجدور، ولاية العيون، 1999 ؛ الحسن المحداد وآخرون، *جهة العيون ـ بوجدور. مجلة جغرافية المغرب*، مجلد 19، السلسلة الجديدة، عدد 1 ـ 2، ص. 19 ـ 32، 2001.

E. El Mahdad et L. Ouhajou. *Le patrimoine hydrique face aux dangers de l'explosion urbaine dans les milieux arides et semi-arides. Cas du Maroc sud-atlasique : Atlas des ressources naturelles*, Rabat, 1984 ; Direction de la Statistique, *Résultats des différents recensements de la population et de l'habitat*, Rabat ; Direction de la Statistique, *Annuaire statistique du Maroc 1999*, Rabat, 2000.

الحسن المحداد

عيون (سبع)، تقع مدينة سبع عيون بجهة مكناس ـ تافيلالت. وتتبوأ موضعا مركزيا ضمن هضبة سايس، جعلها تحظى بأهمية استراتيجية، في إطار ربط ثلاثة مراكز حضرية لها أهميتها المتميزة على المستويين المحلي والوطني. ونعني بذلك مكناس التي توجد إلى الغرب منها، بمسافة 17 كلم فقط ؛ فاس الواقعة شرقها على بعد 40 كلم ؛ وكذا عمالة الحاجب التي تتبع لها إداريا، وتقع إلى الجنوب منها بحوالي 30 كلم (خريطة 1).

1 ـ نشأة المدينة : يرجع اسم سبع عيون إلى وجود سبعة ينابيع مائية في الجنوب الشرقي منها، على بعد كيلومترين من المركز الحالي للمدينة. ومما لا شك فيه، أن لهذه العيون دوراً فعّالاً في نشوء البلدة ونموها وتوسعها فيما بعد. وهذا التطور، يمكن إجماله في مراحل ثلاث :

ـ المرحلة الجنينية : يعود تاريخ ظهور المعالم الأولى لسبع عيون إلى نهاية القرن 17 م. حيث كان المولى إسماعيل قد أقام قلعة بمنطقة الحاجب، لأجل الحيلولة دون زحف القبائل البربرية نحو السهول الداخلية، بحثا عن المرعى. هذه القبائل المكونة، أساسا من أنصاف الرحل كانت تجد في موقع سبع عيون مكانا ملائما للتوقف، وهي في طريقها نحو المراعي السهلية بسايس شتاء، أو أثناء عودتها إلى المراعي الجبلية بالأطلس المتوسط صيفا : أزرو، إفران، گيگو... وقد كان لهذا التوقف أبعاد صحية واقتصادية، تتيح لأنصاف الرحل إمكانية ترك قطعانهم للإنتجاع والاستراحة، في الوقت الذي يمارسون فيه المقايضة مع السكان المحليين. إلا أنه بعد انتهاء حكمه وضعف سلطة المخزن، تمكنت بعض تلك القبائل من الوصول إلى حدود بوفكران، وخصوصا منها "بني مطير"، التي زحفت باتجاه سبع عيون. حيث استقرت بها مشكلة النواة لنشأة أول تجمع بشري ؛ ما لبث أن تقوى واتسع على يد الاستعمار الفرنسي منذ مستهل القرن الماضي.

ـ سبع عيون إبان الاستعمار : هذا الوضع سرعان ما تغير مع دخول الاستعمار، الذي سن حدودا جغرافية وإدارية بين الأراضي، مكنته من فرض سيطرته على القبائل، وإجبارها على التنقل في مجال محدود. تلك الإجراءات أدت، كذلك، إلى إرباك نمط العلاقات التجارية التقليدية السائدة بعين المكان، والتي كانت قائمة في إطار سوق غير مهيكل، يلتقي فيه الأهالي لتبادل المنتوجات. حيث عمل الاستعمار على جعل هذا السوق غير القار، ينعقد مرة واحدة في الأسبوع، وهو يوم الأحد الذي يوافق عطلة المعمرين المستقرين بالمنطقة. وأنشئت محطة للقطار، لجلب خيرات المنطقة وتحويلها نحو المدن ؛ ثم محلات تجارية وترفيهية أطلق عليها اسم "الكانتينا". كما أقيمت دورا لهم لتميز بشكلها الطولي، وسقفها الهرمية المبنية بالقرميد، ومواد بنائها الصلبة على غير عادة الأهالي. هذا، علاوة على أنهم أقاموا معمل "نورا" لتصبير الفواكه والخضراوات سنة 1933، الذي شكل إلى جانب النشاط الزراعي العصري المبكر، أحد عوامل تحريك عجلة النمو الاقتصادي بالمنطقة، مما جعلها موضع جذب للهجرة الريفية. وقد كانت النتيجة ظهور حي صفيحي عرف بدوار بوقبر، امتد على جانبي خط السكة الحديدية العابر لسبع عيون ؛ حيث بلغ عدد أفراده حوالي 600 نسمة. لقد مثلت الفترة المواكبة للاستعمار، مرحلة النشأة الفعلية للبلدة.

ـ مرحلة ما بعد الاستقلال : دخلت سبع عيون في فترة ركود غداة الاستقلال وإلى حدود منتصف السبعينيات ؛ حيث شهدت انطلاقة جديدة في نموها، وتطورا متزايدا في عمرانها وساكنتها. وقد ساهم في هذه القفزة النوعية، العديد من العوامل التي ترتبت عنها تحولات شاملة، لا سيما في العقود الثلاثة الأخيرة.

2 ـ النهضة الحديثة لسبع عيون : تعد سبع عيون حاليا، من بين المدن الحديثة الأكثر ديناميكية بإقليم الحاجب. وقد كانت تمتد في الماضي على رقعة شاسعة تصل إلى 28.400 هكتار ؛ إلا أنه، وبموجب التقطيع الذي خضعت له الجماعات المحلية سنة 1992، انبثقت عنها جماعتين قرويتين، إضافة إلى مدينة سبع عيون التي ارتقت إلى مستوى جماعة حضرية. في إطار هذا التقسيم، ألحقت قروية آيت حرز الله بالحاجب ؛ في حين، ظلت الجماعة القروية لآيت بوبيدمان، بمساحة 8.130 هـ، تابعة لبلدية سبع عيون التي تقلصت حدودها إلى 4.070 هـ فقط. من هنا يتضح أن منطقة سبع

عيون عرفت تحولات مستمرة، منذ نشأتها وإلى الوقت الراهن، شأنها في ذلك كباقي المراكز المنتشرة في هضبة سايس - مكناس. غير أنه، إذا كانت بعض تلك المراكز قد استفادت من وقوعها على محور طرقي، فتحولت تدريجيا إلى مراكز طرقية، مثل : بوفكران، ولهاية، وواد الجديدة... فإن سبع عيون استفادت من عوامل أخرى متنوعة، ساهمت في صيرورة نموها وتحديد وظيفتها، نذكر من بينها :

- المؤهلات الطبيعية : تحظى منطقة سبع عيون بمؤهلات طبيعية متعددة، إذ تتميز بانبساط سطحها وخصوبة تربتها وغنى مياهها، خاصة الجوفية منها. كما تتسم بجودة مناخها الذي يصنف ضمن النمط القاري المعتدل ؛ باعتبار أن درجات الحرارة القصوى التي تسجل بها في شهري يوليوز وغشت، ترتفع إلى 39° ؛ بينما تنخفض الحرارة الدنيا خلال شهري دجنبر ويناير، إلى حدود 2°. وهكذا يكون متوسط الحرارة السنوي 20°. أما التساقطات، فتبدو مهمة على مستوى الكم، إذ يبلغ معدلها حوالي 500 مم سنويا. ومرد ذلك يعود، إلى انفتاح المنطقة على المؤثرات الأطلنتية الغربية، التي تساهم في اعتدال مناخها، بالرغم من وقوعها على بعد 157 كلم من المحيط. أما ما يتعلق بالشبكة الهيدروغرافية، فباستثناء واد الجديدة الذي تغذيه كل من عين خادم وعين السلطان، ثم المجرى المائي لواد المهدومة.. فإن العيون والآبار والثقوب المجهزة، أساس الموارد المائية بالمنطقة ؛ مما ينم عن وجود سديمة باطنية غنية. ولا أدل على ذلك من أن عدد الآبار في تزايد مستمر، إذ بلغ سنة 1995 حوالي 486 بئرا ؛ 200 منها مجهزة للسقي، والباقي مخصص للاستعمال المنزلي كمياه الشرب والغسل...

- تحديث القطاع الزراعي : عرف المجال الريفي بالمنطقة تطورا وإعدادا عصريين متواصلين. وقد تم التحديث ابتداء، على يد المعمرين الفرنسيين الذين استحوذوا على أجود الأراضي الزراعية، مكونين مزارع شاسعة على حساب أراضي السكان المحليين. ثم تواصلت العصرنة بعد الاستقلال، لتضخ رؤوس أموال كبيرة تابعة للخواص أو للدولة، في هذا النشاط الزراعي وتتحكم في نمط استغلاله.

إن النظام العقاري بالمنطقة يتوزع بين أراضي الملك الخاص، وهي المهيمنة ؛ ثم أراضي الدولة المستغلة، إما عن طريق شركة تسيير الأراضي الفلاحية SOGETA، أو شركة التنمية الفلاحية SODEA. الأولى تختص بإنتاج الحبوب بمختلف أصنافه على مساحة 1267 هـ ؛ بينما تختص الثانية بإنتاج الفواكه والكروم والخضر وبعض المزروعات الأخرى، ضمن رقعة محدودة لا تتجاوز 367 هـ. وتأتي أخيرا تعاونيات الإصلاح الزراعي، بنسبة لا تعدو 5,85٪، من مجموع الأراضي التي تدخل في نطاق المجال الجغرافي التابع لسبع عيون.

- موقع البلدة وموضعها : تمتد المدينة فوق هضبة سايس - مكناس، التي تتميز بانبساط سطحها وسهولة التنقل فوقها. إذ لا تتخللها سوى موانع طبيعية بسيطة، كبعض الأودية غير المتعمقة : واد المهدومة، واد الجديدة... وبالتالي فالموضع المنبسط، ساعد على امتداد السكن وتوسعه بشكل مطرد.

وتتعزز هذه المكانة، أيضا، بوقوع سبع عيون على مفترق العديد من خطوط المواصلات الهامة منها محور البيضاء - فاس باتجاه الشمال والشمال الشرقي، الذي يعد منفذا حيويا على المناطق الأخرى... فمنه تأتي الشاحنات المحملة بالسلع الضرورية، وعبره يتم تصريف المنتجات المحلية. خاصة نحو مكناس التي تعتبر المزود الرئيسي لهذا المركز الناشئ بكل ما يحتاج إليه ؛ وإليها يتجه السكان لقضاء مآربهم التجارية : تسويق المحاصيل الزراعية بسوق الجملة وبالتقسيط، أو اقتناء الآلات الفلاحية والبذور المنتقاة والأسمدة الكيماوية والمبيدات، أو قضاء الحاجيات الإدارية... وقد ظل الأمر على هذه الحال إلى حدود سنة 1992، حيث ألحقت المدينة بعمالة الحاجب. وتستفيد سبع عيون كذلك، من وجودها بمحاذاة الطريق الرئيسية الرابطة بين مكناس وأزرو، مرور إلى الصحراء. علاوة على أنها تعتبر بمثابة نقطة إشعاع لشبكة كثيفة من الطرق الثانوية، كتلك التي تصلها بالحاج قدور وبوفكران ثم إفران، أو الطريق المؤدية إلى تاوجطات والحاجب... وقد أنشئت هذه الطرق الثانوية إبان الحقبة الاستعمارية، إما بهدف ربط الاستغلاليات الزراعية بين بعضها، أو لتسهيل نقل المنتجات نحو مراكز الشحن، ثم تصديرها إلى المتروبول : الورود، توت الأرض، الخمور...

- خط السكة الحديدية : إذا كانت شبكة الطرق المعبدة قد ساهمت وتساهم في توسع مجال المدينة، فإن خط السكة الحديدية يعتبر عنصرا أساسيا في ظهورها وتطورها. وقد أنشأه الاستعمار لغرض اقتصادي وعسكري، مساهما بذلك في استقرار الأجانب، استقدموا كتقنيين وإداريين، أو مغاربة جاءوا بحثا عن فرص للشغل بالمنطقة. ولعل أهمية الخط الحديدي في نمو وتوسع هذا المركز تبرز واضحة، عندما نقارنه ببعض المراكز المجاورة المحرومة من هذه الخدمة، مثل بوفكران والحاج قدور ولهاية... فالقطار سهل عملية الانفتاح على باقي المناطق، كما ساعد على تنقل السكان لأغراض تجارية أو إدارية من وإلى المركز. ولذلك ظل بمثابة وسيلة النقل الأكثر استعمالا إلى نهاية عقد الثمانينيات وبداية التسعينيات، بعد الظهور المكثف للحافلات وسيارات الأجرة.

- محطة تقوية الإرسال الإذاعي والتلفزي : أسست مع بداية الاستقلال ؛ وقد ساهمت في استقطاب عدد من الإداريين والتقنيين العاملين بها، والذين استقروا في منازل تابعة للدولة.

- الهجرة نحو الخارج : إن التوسع العمراني للمدينة الناتج عن تنامي حركة البناء، يبدو مرتبطا في جزء منه

بأهمية الموارد المالية المحولة من المهجر. لدرجة أن أكثر من 50٪ من البقع الأرضية بالتجزئات السكنية الحديثة، تعد مملوكة لأفراد عاملين بالخارج. مما يؤدي إلى خلوها من أي ساكن لمدة 11 شهرا في السنة، وهي المدة التي يغيب فيها المهاجر خارج الوطن. وإن عامل الهجرة نحو الخارج ليعد، بحق، عنصرا ديناميكيا في تطور سبع عيون وتوسعها وتمدنها.

- تمركز المرافق الإدارية بسبع عيون : إذا كانت سبع عيون، وإلى حدود الثمانينيات، تفتقر لمؤسسات إدارية واجتماعية... باستثناء المستوصف القروي ومحطة الإرسال الإذاعي : فإنها تعززت، بعد هذه الفترة بمجموعة من المرافق الإدارية والاجتماعية، في إطار تقريب المصالح من المواطنين. ومن بين هذه الإدارات :

- مقر القيادة، الذي برز لأول مرة كملحقة سنة 1974، ثم ما لبث أن تطور إلى قيادة فباشوية.

- مقر البلدية، ظهر إلى الوجود بعد ارتقاء سبع عيون من جماعة قروية إلى جماعة حضرية سنة 1992.

- مكتب البريد، أنشئ سنة 1983.

- المركز الصحي، الذي تأسس سنة 1957 كمستوصف قروي، ثم ارتقى إلى مستوى مركز صحي في بداية التسعينيات. يضاف إلى ذلك وجود أربع صيدليات وطبيبان يشتغلان في القطاع الخاص، وكذا طبيب بيطري.

- المؤسسات التعليمية، تعد المؤسسات التعليمية أهم المرافق الاجتماعية بالمدينة. وتتمثل في ثلاث مدارس واستقطاب عدد كبير من الأساتذة والموظفين، وكذا التلاميذ الذين كانوا مجبرين، سابقا، على التوجه إلى مكناس بهدف استكمال تعليمهم.

- النادي النسوي، أسس سنة 1973 من قبل المندوبية الإقليمية للشبيبة والرياضة بمكناس.

3 - الخصائص البشرية للمدينة : تولدت عن مجموع التحولات، التي أسلفنا الحديث بشأنها، تطورات هائلة شملت الجانب البشري الذي كان وراء تكثيف آليات تعمير المدينة وتوسع مدارها. وهكذا فقد تميز النمو الديموغرافي بإيقاع سريع، خاصة في الفترة الممتدة بين 1982 و1994.

فبعد أن لم يتجاوز عدد السكان 833 نسمة في حدود 1960، انتقل ليصبح 1122 نسمة سنة 1971، ثم ارتفع بوتيرة سريعة، ليسجل حوالي 15575 نسمة سنة 1994. ويعزى هذا التطور السريع إلى أهمية الهجرة الداخلية المكثفة نحو سبع عيون، خاصة الريفية منها. مما أدى إلى تحولات عميقة في التركيبة البشرية للمدينة، التي بات الاختلاط أحد أبرز سماتها. فإلى جانب السكان الأصليين من برابرة بني مطير، توجد مجموعة من العائلات الشمالية، التي وفدت على المنطقة من الريف الشرقي. وقد جاءت إما للاستثمار الزراعي، أو للعمل في القطاع الفلاحي أو الغابوي... بالنسبة للعنصر العربي، فإنه حاضر بنسبة أقل ؛ ويمثل على وجه الخصوص، فئة من الموظفين والتقنيين الذين قدموا من المدن المجاورة... إما للعمل بالإدارات أو في قطاع التعليم، أو في بعض الشركات الموجودة بعين المكان. وعلى وجه الإجمال، فإن الأصول الجغرافية للسكان تبدو متنوعة، بالنظر إلى مكان الازدياد. إذ يلاحظ أن أكثر من ثلثهم مولود خارج المدينة.

مديرية الإحصاء، *الإحصاء الوطني للسكان والسكنى*، 1994 ؛ تقرير ملحقة المديرية الإقليمية للفلاحة، 1996 ؛ تقرير ملحقة المديرية الإقليمية للفلاحة، 2000 ؛ تقرير تصميم التهيئة لسبع عيون.

إدريس شحو

العيون الشرقية (أو عيون سيدي ملوك)، مركز حضري يقع على الطريق الرئيسية رقم 1 والسكة الحديدية بمر توريرت ـ وجدة. موضعه عبارة عن سطح خفيف التضرس، يتعمق به واد أرسان جنوبا، وواد بورديم شمالا. كما يتميز الموضع بوجود عين تنسب لسيدي ملوك، وهو الاسم الذي لايزال يطلقه الكثير من السكان على المدينة. لكن حالبا، تفاديا للخلط الذي كثيرا ما يحصل بالنسبة للطرود البريدية بعيون الأقاليم الصحراوية، أصبحت المدينة تعرف بشكل شبه رسمي، بالعيون الشرقية.

وعلى خلاف الواجهة الغربية من المغرب التي عرفت نواة عمرانية منذ العهد الروماني، فإن المغرب الشرقي لم تزدهر به الحركة العمرانية إلا بعد الفتوحات الإسلامية، حيث أصبحت المنطقة تشكل الممر الطبيعي للقطر الإسلامي. وهكذا بنيت مجموعة من القصبات بمر تازة ـ وجدة، أغلبها في عهد المولى إسماعيل، منها قصبة العيون المبنية في سنة 1679، قصبة بمسون، سلوان، بوعرق، الركادة... وهكذا أصبح للمنطقة دور استراتيجي هام، نتيجة اشتداد الصراع مع الأتراك في الواجهة الشرقية، ومع الإسبان على الواجهة الشمالية حيث تزايدت أطماعهم في الثغور الواقعة على البحر المتوسط.

أصبحت قصبة العيون ذات موقع استراتيجي متميز داخل الممر، مما دفع المخزن إلى إنزال عدد من جنود عبيد البخاري بها، وذلك لحماية الممر، وضمان البريد، وجمع الضرائب ومراقبة القبائل البربرية. لكن ظلت القصبة شبه جامدة، ضعيفة التوسع، خاصة بعد انهزام الجيش المغربي في معركة دارت ضد الأتراك على مشارف نهر ملوية في نهاية القرن السابع عشر، وانهزامهم، في معركة إسلي في 1844، ضد القوات الفرنسية، التي أنزلت جنودها بمركز العيون سنة 1859، مما جعل الأمن يهتز بهذا الممر ويحد من استقرار سكانه ونمو عمرانه. لكن سرعان ما أخلت القوات الفرنسية هذا المركز بعد أن انتشر فيه وباء الكوليرا الذي حصد 2500 من جنودها. و ظلت قصبة العيون ذات اهتمام بالغ لدى السلطة المركزية لما كان لها من دور في تأمين طريق السلطان

ونشاط تجاري مع ملبلية، مما أدى إلى ترميمها من طرف السلطان الحسن الأول، أثناء حركته إلى وجدة سنة 1876. ورغم ما كان للقائد حمادة البوزگاوي من شأن لدى المخزن، في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، حيث أنعم عليه السلطان بظهير شريف للتوقير والاحترام وإسقاط الغرائم والتكاليف المخزنية، فإن ذلك لم يخوله مدّ سلطته على القصبة المجاورة له، حيث كان السلطان يعين بها قائدا مخزنيا، ليس له أي عصبية من بين القبائل المجاورة. وهكذا وصل عدد الجنود المغاربة بالقصبة في أواخر القرن التاسع عشر، إلى ما يزيد على 450 جندي و35 فارس. لكن سرعان ما تم احتلال مركز العيون من جديد من طرف القوات الفرنسية، وذلك مباشرة بعد اجتياحها لمدينة وجدة سنة 1907. وعلى غرار استسلام عامل وجدة، أحمد بن كروم، صارت باقي المراكز الحضرية والقبائل على نفس المنوال، بل بادر أغلب القياد ورؤساء القبائل، من بينهم بوعمامة المعروف بشراسة مقاومته سالفا، إلى التبريك للجنرال اليوطي والكولونيل Reibell. وساعد هذا الوضع المستقر على توسيع الرقعة الحضرية لمركز العيون، حيث وضع لها تصميم بشكل مبكر، من توقيع المعماري الفرنسي Ecochard، والذي لاتزال نسخة منه ببلدية العيون. لكن لم يتم في الواقع احترام هذا التخطيط، إلا خلال فترة الاستعمار، حيث عرفت المدينة بعد ذلك فترة البناء العشوائي، الذي نتج عنها نسيج حضري ممزق، صعب الهيكلة والتجهيز.

واعتمادا على الصور الجوية لسنة 1950، تبين على أن مساحة الرقعة الحضرية كانت لا تتجاوز بعض عشرات الهكتارات، ليصل حاليا المدار الحضري إلى 336 هكتار، كما ارتفع عدد السكان بسرعة، حيث انتقل من حوالي 1800 نسمة، سنة 1951، إلى ما يزيد عن 35.000 نسمة حاليا. يرجع سبب هذا الانفجار الديمغرافي إلى عوامل عدة، أهمها: عائدات الهجرة التي أصبحت توظف على الخصوص في البناء والمضاربة العقارية. كما يرجع هذا التوسع الحضري إلى الهجرة القروية المتزايدة خلال النصف الثاني من القرن العشرين لأسباب متعددة. حاليا أصبحت بلدية العيون، الفتية، حيث لم تنشأ إلا في بداية التسعينيات، تعاني من مشكل عويص، يتمثل في انتشار السكن العشوائي غير المهيكل، إذ بلغ عدد الأحياء غير القانونية ستة عشر حيا، يقطنها حوالي 70٪ من مجموع سكان المدينة. فباستثناء حيي المركز وحي الثكنة، اللذين تم إنشاؤهما منذ سنة 1950، فباقي الأحياء، لم تظهر إلا ابتداء من 1970. وقد أدت المضاربة العقارية والإبهام الذي يشوب أراضي الجموع الواسعة الامتداد، إلى تمزق النسيج الحضري وإلى صعوبة تمديد شبكة التطهير والمواصلات والكهرباء وماء الشرب، مما جعل هذه الأحياء تعاني، جزئيا أو كليا، من انعدام التجهيزات الضرورية. ومن المشاكل الأساسية والمستعصية، وجود فراغات متعددة، تعوق الاستصلاح والتجهيز، حيث 48٪ من البقع المتوفرة داخل المجال الحضري لاتزال غير مبنية. كما أظهرت بعض الدراسات الميدانية على أن ثلاثة أحياء لاتزال تفتقد إلى كل التجهيزات الضرورية، يتعلق الأمر بحي التقدم وحي الأمل واليعقوبيات والتي يسكنها 1050 نسمة، حسب إحصاء 1991. أما الأحياء الأخرى غير القانونية، والمتمثلة في (النخلة وبوكديم والكريان وعين لحجر والحرية والمطار والمركز والملعب والمسيرة وحرشت مومنة والفتح والثكنة والخميس) فهي مجهزة أو في إطار التجهيز، لكنها في حاجة إلى تصاميم إعادة الهيكلة. وأصبحت بذلك مدينة العيون تعرف احتدام حركة البناء العشوائي على أراض غير محفظة، وبالتالي يصعب إنجاز مشاريع عمرانية لائقة، تتوفر على مواصفات مركز حضري جذاب، قادر على تلبية متطلبات سكانه، داخل بيئة متزنة. لكن تجدر الإشارة إلى عزم البلدية بتعاون مع السلطة المحلية والمجتمع المدني، على الحد من انتشار العمران العشوائي والعمل على توفير سكن لائق. كما تسجل دور وداديات الأحياء والجمعيات المحلية التي تسهم في رفع العديد من العراقيل لتجهيز الأحياء والحفاظ على التراث المعماري، حيث شرعت جمعية قدماء مدارس العيون في ترميم القصبة التي أصبحت تتعرض لإتلاف خطير.

أما الوظائف الرئيسية الحالية للمدينة، فهي تتمثل على الخصوص في المبادلات التجارية، وذلك نظرا لموقعها بمركز شبكة المواصلات الرابطة بمختلف الاتجاهات، المحلية منها والوطنية. فالمدينة تعتمد في مبادلاتها على المحاصيل الزراعية بالأراضي المجاورة من جهة، وعلى التجارة المحظورة والتهريب، اللذين يعرفان تعاقب فترات الانكماش والانفراج، من جهة ثانية. كما أن مدينة العيون تحظى بوجود منشأة صناعية كبيرة تتمثل في معمل إسمنت المغرب الشرقي (سيور) المجاور لها، والتي قد يمكن أن ترتبط بها صناعات أخرى في قطاع البناء.

لكن في الواقع لاتزال مدينة العيون تعتمد في نشاطها وحياتها على عائدات الهجرة المدمجة لجل الأسر، مما أحدث تغيرات ثقافية واجتماعية عميقة وعادات استهلاك جديدة، تتطلب خلق قاعدة اقتصادية قائمة على أسس متينة ومستدامة.

عكاشة برحاب، *شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي 1873، 1907*، الرباط.

A. Guironi, *Le nord-est marocain, réalités, potentialités, d'une région excentrée*, Oujda, 1955 ; M.A.T.U.E., *Schéma de développement et d'aménagement régional de l'Oriental*, 2000 ; *Illustration*, Journal universel, tome 1904 - 1908.

الميلود شاكر

عيّاد (أولاد -)، مركز يمثل المدن الموجودة بين الجبل والسهل بمنطقة تادلة، يحتل من جهة تادلة موقعا حيويا نظرا

لوجوده على الطريق الوطنية 24 الرابطة بين مراكش وفاس مرورا ببني ملال. مساحته 6 كلمتر مربع، ويعود تاريخ إحداثه إلى سنة 1992، تحده شرقا جماعة أولاد ناصر وغربا جماعة حد بوموسى وشمالا أولاد ناصر (كلها بإقليم بني ملال) وجنوبا ارفالة (إقليم أزيلال).

ظهر مركز خميس أولاد عياد، الذي ينتمي سكانه إلى قبائل بني موسى، في سياق التطورات المجالية التي عاشها القطاع المسقي لتادلة، إذ بالموازاة مع انتشار السقي الحديث والمنتوجات الفلاحية العصرية عرف سهل تادلا عموما، ومراكزه الناشئة بشكل خاص، استقرار وحدات صناعية كبرى لمعالجة المنتوجات الفلاحية المحلية ورفع قيمتها بالتصنيع. وفي هذا السياق تقرر سنة 1971 إنشاء معمل السكر في هذا المركز. تبلغ طاقة هذه الوحدة الإنتاجية 42 ألف طن في السنة، ويشغل 200 عامل، أما طاقته الاستهلاكية خلال اليوم فتصل إلى 6000 طن من الشمندر السكري.

ومن دون شك فقد زاد هذا القرار من انتعاش المركز، حيث شكل بداية استقرار التجهيزات اللازمة للساكنة والضرورية للمدينة في هذه المرحلة (إدارات، خدمات، تجهيزات اجتماعية...). وقد تزامنت هذه الفترة مع نمو سكاني مهم رفع حجم الساكنة بالمركز من 3997 نسمة سنة 1960 إلى 11687 سنة 1982، فيما أصبح العدد سنة 1994 ما يناهز 18958 نسمة.

ظروف نشأة المركز :

إن الظروف الطبيعية الجيدة (ماء، تربة، انبساط...) منحت منطقة تادلة حظوظا كبيرة للاستثمار الفلاحي، وشدت إليها اهتمام السلطات من فترة الحماية إلى اليوم. وتفتق عن هذا الاهتمام تصور ووضع برامج استثمارية ضخمة بقطاعي بني عمير (الضفة اليمنى لواد أم الربيع) وبني موسى (الضفة اليسرى لواد أم الربيع) بتادلة.

لقد حركت هذه التدخلات دينامية عميقة غير معهودة في تفاصيل الوسطين الريفي والحضري. وحملت بذلك اقتصاد المنطقة المعاشي البسيط، الذي ساد قرونا، إلى اقتصاد فلاحي حديث يعتمد وسائل إنتاج متطورة، وينتج محاصيل متنوعة وعالية المردودية، جزء منها يستهلك والجزء الآخر يصنع محليا ودوليا.

تولدت عن هذه التحولات حركة ديموغرافية متزايدة نظرا لإمكانيات الشغل التي تعددت، ونظرا لفرص تحسين مستوى العيش بالدائرة السقوية. لقد تنوعت إمكانيات العمل في الحقول والوحدات الصناعية التي تقوم بتحويل المنتوجات الفلاحية المحلية، ومن بينها معامل السكر التي استقرت ببعض المدن المهمة ومنها المركز الحضري أولاد عياد.

يمكن ربط تنامي ظاهرة التمدين بالتحولات التي تعرفها منطقة تادلة فيما يخص القطاع الفلاحي، حيث تحولت جهة تادلة أزيلال، التي كانت إلى عهد قريب ضعيفة الكثافة السكانية، إلى حوض تجميع للسكان وللعمران. ومن شأن هذا التطور أن يساهم بشكل كبير في تأسيس ودعم الشبكة الحضرية المحلية والجهوية. وبشكل في هذا الإطار مركز أولاد عياد مكونا أساسيا داخل البنية الحضرية للجهة، والتي تتكون من 12 مركزا بإقليم بني ملال و6 بإقليم أزيلال.

حركة البناء والتجهيز :

يتكون المجال الحضري من بناء وأحياء في مجملها غير منظمة وغير مخططة. لقد كان التطور العفوي هو السمة الغالبة على طبيعة البناء، لذلك يعكس السكن بالمركز نفس الخصائص التي يتميز بها على المستوى الجهوي والوطني، حيث ينتشر السكن الاقتصادي (بشكل واسع) (86٪ سنة 1994) والتقليدي (7٪ في نفس السنة). أما السكن والأحياء التاريخية فليس لها دلالة بهذا المركز.

في مجال التجهيزات التقنية فإن المركز يفتقد إلى الشوارع والأزقة المنظمة والمعبدة على نطاق واسع. ويعاني أيضا من ضعف انتشار شبكة الماء الصالح للشرب، فمن حجم السكان الإجمالي لا يستفيد من هذه الخدمة سوى العشر حسب إحصاء 1994.

ونظرا لتوسع المركز زاد استهلاكه للأرض الفلاحية. ففي بحث أجراه المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي سنة 1993، لتقويم ما تم استعماله في البناء من أراضٍ فلاحية جيدة، تبين أن مركز أولاد عياد، إلى جانب مدن الدائرة السقوية المتوسطة والكبيرة، قد وسعت مرات مداراتها الحضرية من خلال تصاميم التهيئة والتقسيم الجماعي والإداري، مما كان له انعكاسات واضحة على الأرض الفلاحية. فالمدن الأربع المهمة بالقطاع السقوي (بني ملال، الفقيه بن صالح، سوق السبت، أولاد عياد) احتاجت كلها إلى 5430 هكتار، وهي مساحة قدر المكتب الجهوي قيمة منتوجها الفلاحي بما يناهز 42 مليون درهم، وكلف تجهيزها 56 مليون درهم، كان نصيب أولاد عياد من المساحة في حدود 217 هكتار.

تطور بناء المدينة بدون تخطيط جيد، وترك للمتدخلين حرية المبادرة بدون توجيه، وهذا ما يفسر وجود تجزئتين قانونيتين فقط (مساحتهما 11 هكتارا). وقد صارت المساحة الحضرية التي بلغت في 1994 حوالي 238 هكتار تنقسم على النحو التالي :

- 55٪ للسكنى.
- 10٪ للتجهيزات.
- 25٪ للأنشطة.
- 10٪ للطرقات.

يعتبر المركز أفقر مدينة من حيث التجهيزات الأساسية قياسا مع مدن الفقيه بن صالح وسوق السبت مثلا، إذ أن 25٪ من الساكنة فقط هي التي تستفيد من شبكة التطهير، ولا تتعدى نسبة المستفيدين من شبكة الماء الشروب 15٪ حسب دراسة أجريت سنة 1994.

محمد مداد

ابن **عيّادْ**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Benayyad ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان مع الإشارة إلى أنه إلى غاية سنة 1257 (1841)، كانت بحومة الطرانكات ثلاث دور تنسب إلى هذه الأسرة.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 323.

عيّادْ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Ayad.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1208.

محمد ابن عزوز حكيم

عياد، محمد سالم بن محمد بن حمادي ولد سنة 1928 بالعيون. عرف بغيرته وإخلاصه للوطن الشيء الذي دفعه إلى الانخراط في صفوف جيش التحرير سنة 1956 بالمقاطعة التاسعة فرقة تافودارت تحت قيادة صالح بن عمو.

وقد كان مكلفا بتزويد جيش التحرير بالمؤونة كما شارك في عدة معارك حيث أظهر شجاعة نادرة إلى أن استشهد رحمه الله في معركة تافودارت بتاريخ 8 / 2 / 1958.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة رقم 50341.

ابن **عياد، محمد بن علي** الهبطي، عالم من قبيلة سماتة الهبطية كان يرأس جماعة من المجاهدين وقد انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني وقد شارك في مؤتمر الثورة المنعقد بقرية عين الدالية بقبيلة الفحص حيث انتخب عضوا بالمجلس الاستشاري للمقاومة بتاريخ 11 ماي 1913، كما شارك في المؤتمر المنعقد بضريح مولاي عبد السلام بن مشيش يوم 20 يوليوز 1913 وفي المؤتمر المنعقد بقرية الزوة بقبيلة جبل حبيب يوم 11 يناير 1915.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب*، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

العيادي الرحماني. هو القايد العيادي بن الهاشمي بن مبارك الرحماني من مواليد عام 1300 / 1880 بقبيلة الرحامنة وبالضبط بدوار الشلالكة فخذة أهل الله الواقعة شمال غرب الرحامنة وغرب مركز صخور الرحامنة الذي كان يمثل أهم النزالات داخل مجال قبيلة الرحامنة على الطريق الرابط بين الشاوية ومراكش. تربى القايد العيادي بلهاشمي في أحضان أمه المصونة الشريفة للافاطمة بنت الشريف العلمي. توفي والده السيد الهاشمي بن مبارك الرحماني الشلبكي في شهر رمضان من سنة 1311 / 1894 وقد كان محل إعجاب عند معاصريه نظرا لقيادته الحازمة وتطلعاته العالية. جاد بأمواله أثناء تفشي مرض الطاعون بالمغرب الذي قضى على سكان الحوز وتادلة ودكالة سنة 1285 / 1867 حيث كان يقوم بعدة زيارات ويقدم المساعدات للمتضررين من هذا الوباء.

أما سبب تسميته بالعيادي فقد اعتمدت روايتين شفويتين :

- تقول الرواية الأولى إنه سمي بالعيادي لأنه ولد يوم عيد المولد النبوي.

- أما الرواية الثانية فقد استقيتها من أحد خدامه يدعى بوعلي وكان بوابا بدار القايد بالبويبة بقاع المشرع بمراكش والذي فسر هذه التسمية بكون القايد كان حراكا ماهرا وقد غلب عليه استعمال كلمة "أعايد... عايد..." في حركاته أو في لعب "التبوردة" ولذلك لقب بالعيادي.

ومما يؤكد هذا الرأي أن القايد كان يتميز بشجاعة نادرة، وإقدام قل نظيره، حيث كانت له دراية واسعة بفن الفروسية ذلك أنه كان يقيم مهارة الفارس بمجرد النظر إليه راكبا صهوة جواده. إن القايد العيادي تدرب على حمل السلاح منذ نعومة أظافره على يد ابن عمه أحمد الكراوي الذي كان من أمهر المحاربين. يقول دوكوفيون، في كتابه أعيان المغرب الأقصى : "كما يزداد الإنسان شاعرا يمكن القول أن القايد العيادي ولد محاربا ماهرا فمنذ صغر سنه أطلق تار بندقيته قرب مرشده الروحي ابن عمه الكراوي، فهو فارس كامل ورجل بارود يافع، كسرت مشط يده اليمنى بالبارود وهو في ربيعان شبابه. لقد من الله عليه بذكاء خارق وكانت له نظرة غير مألوفة وحد ثاقبة للأشياء".

بعض خصوصيات شخصية القايد العيادي :

- اللباس :

كان القايد العيادي بلهاشمي يفضل اللباس "البلدي" الوطني الذي كان يتكون من "الكساء والفرجية والقفطان والمضمة سكرية مطروزة باللون الأبيض والبلغة صفراء والجلباب والرزة من الكتان الأبيض والسلهام وكان اللون المفضل عنده هو الأبيض الذي لازمه طول حياته.

- اهتمامه بالعلماء :

كان للقايد العيادي مجلس للعلماء يتكون من خيرة العلماء نذكر منهم : الفقيه بلحسن الدباغ، والفقيه العاقب الشنكيطي، والفقيه مولاي أحمد بن اليزيد البدراوي، وغيرهم بالإضافة إلى نخبة من الأعيان أمثال أحمد بن الأشهب، والحاج عبد القادر برادة، والشريف مولاي مبارك السباعي.

- كان القايد العيادي يرفض التعليم الفرنسي بدليل أن معظم أبنائه تلقوا تعليما عربيا أصيلا بمدرسة جامع ابن يوسف بمراكش، أو بجامع القرويين بفاس. وبهذا الخصوص عمل القايد العيادي على بناء مدارس حرة كمدرسة بحي قاع المشرع بمدينة مراكش والتي ما زالت تحمل اسمه إلى الآن (مدرسة القايد العيادي) بالإضافة إلى جامع ومدرسة بن جرير وهي المعروفة اليوم بمركز ابن جرير "بمدرسة بن گرير للتعليم الأصيل" وقد حبس على هذه المدرسة مجموعة من الأملاك.

- قضية تمليك الأراضي بقبيلة الرحامنة :

كان القايد العيادي يتميز ببعد نظر كبير حيث فكر منذ البداية في قطع الطريق على المعمرين الأجانب للسيطرة على أراضي قبيلته، فبادر إلى تشجيع أهل قبيلة الرحامنة للتعجيل بتمليك أراضيهم حتى لا تبقى أرضهم في ملك "الجماعة" لأن الاستعمار يستطيع الاستحواذ على هذا النوع من الملكية بسهولة. بهذا الإجراء سلمت أراضي قبائل الرحامنة من سيطرة المعمرين وهذه إحدى حسنات القايد العيادي بل يمكن اعتبار هذا العمل الوطني أحسن هدية قدمها القايد لقبيلة الرحامنة.

- مواقفه السياسية

إن فترة الخمسينات تمثل مرحلة جديدة في المسار السياسي للقايد العيادي الرحماني حيث راجع مواقفه السياسية المساندة للحماية الفرنسية، وانضم إلى التيار الوطني المناهض للقوى التي يمثلها القواد الكبار فبعد أن كان حليفا للكلاوي وفرنسا تحول إلى خصم عنيد رفض المشاركة في الخطة الاستعمارية التي اقتضت تنصيب سلطان جديد لا شرعية له. لم يقف العيادي عند هذا الحد بل ترأس غداة تنصيب محمد بن عرفة حركة انضم إليها بعض المقاومين، ودخل مراكش وواجه رجال الكلاوي. نتيجة لهذا الموقف وبعد نفي بطل التحرير جلالة المغفور له محمد الخامس، تعرض القايد العيادي للاعتقال من طرف الإقامة العامة، وتم نفيه إلى فرنسا وبعد أشهر عاد إلى المغرب. وبما أنه لم يعترف بشخصية الملك المزعوم "ابن عرفة" فقد خضع القايد للإقامة الجبرية بمدينة الدار البيضاء مدة سنتين، وتم تقسيم قبيلة الرحامنة أثناء غيابه إلى ثلاث قيادات.

ومباشرة بعد العودة الميمونة لجلالة المغفور له محمد الخامس من المنفى، رجع القايد العيادي إلى قبيلته التي ترأسها في تقديم فروض الطاعة والولاء إلى السلطان الشرعي، عاد بعدها إلى قيادته. لكن التحول الذي عرفه المجتمع المغربي في أجهزته الإدارية حتم تقاعد القواد الكبار وهكذا تقاعد القايد العيادي تقاعدا تاريخيا تفرغ من خلاله إلى التعبد ومجالسة العلماء بعد أن قضى مدة تزيد عن نصف قرن قائدا كبيرا على قبيلة الرحامنة. وقد لبى القايد العيادي الرحماني داعي ربه في العاشرة ليلا من يوم الأحد 26 شعبان 1383 / 12 يناير 1964 أقبر في أسفل صومعة مسجد ابن جرير بوصية منه.

وثائق خاصة : ابن إبراهيم، *الاعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام*، تح. عبد الوهاب بنمنصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1975 ؛ ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس* ؛ ع. الوهاب بنمنصور، *قبائل المغرب*، المطبعة الملكية، الرباط، 1968 ؛ ع. العزيز بنعبد الله، *الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية*، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

Dr. Louis Arnaud, *Au temps des Mehellas, ou le Maroc de 1860 à 1912*, Edition atlantides Casablanca, 1952.

عبد العزيز تلاني

العيادي بن **قصو** بن عمر ولد سنة 1911 بإيموزار مرموشة. انخرط في صفوف جيش التحرير برتبة جندي ضمن فرقة مرموشة التي كان يرأسها السيد إلياس ميمون أوعتي.

وقد شارك إلى جانب رفاقه في الكفاح خلال انتفاضة مرموشة يوم 2 أكتوبر 1955 في الهجوم الذي تم على ثكنة الفرقة 22 للكوم بمركز إيموزار مرموشة.

انتقل إلى رحمة الله يوم 6 / 8 / 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *تهدا*، *الاستقلال*، بطاقة رقم 516299.

عياش (آيت -)، قبيلة بربرية من أكبر وأشهر قبائل المغرب، لعبت دورا هاما في الميدان السياسي والثقافي، وأنجبت شخصيات بارزة أمثال أبي سالم العياشي صاحب *الرحلة* الشهيرة، وولده حمزة الذي تولى شؤون الزاوية الحمزوية المنسوبة إليه.

وتمتد بلاد آيت عياش جنوبي ميدلت، على بعد نحو 25 كيلومترا من هذه المدينة، إلى الأطلس الكبير، يحدها شمالا الجبل العياشي (أو عاري أو عياش)، وشرقا آيت إزديگ أو آيت وافلا، وغربا آيت يحيى، وهو فرع آخر لآيت وافلمان، وجنوبا بني مجيلد.

وكانت هذه القبيلة مؤلفة من أربع فرى (قصور) وخباء

موزعة في وادي نهر آيت عياش، على نهر وطاط آيت إزديگ وأحيانا على نهر ملوية، وهذه القصور الأربعة هي : تفراجين وتُراسْتْ في الضفة اليمنى، وبنعلي وأنزگمير المقابلان لهما في الضفة اليسرى لنهر آيت عياش الذي ينبع في الجبل العياشي.

هذه هي القبيلة الأم. وقد نُقل منها، في عهد مولاي عبد الرحمن، فخذ هام أقيم جنوبي فاس، على بعد نحو خمسة عشر كيلومترا من هذه المدينة، واتخذ جيشا لحماية العرش العلوي (جيش)، كالأوداية وغيرها من القبائل.

وتحد هذه القبيلة جنوبا الشجع، وشرقا آيت والال، وشمالا آيت السبع، (وهو فرع من آيت سغروشن إيموزار كندر)، وشرقا آيت يوسي. والبلاد على شكل مستطيل مساحتها ما يقرب من 200 كيلومتر مربع، وارتفاعها نحو 600 ميتر بالنسبة لمستوى البحر. وكلها هضاب، ما عدا الجنوب، حيث تقع بعض التلال المكسوة بالأدغال وتسمى "بوحاجة". مناخها قاري، يكون فيها الصيف شديد الحرارة والبرد قارسا في فصل الشتاء. ترابها صالح جدا لزراعة الحبوب والقطنيات وغرس الأشجار المثمرة، لا سيما منها التين والزيتون.

والأرض بورية في نصفها الجنوبي، وسقوية جزئيا في نصفها الشمالي. ذلك لأن عينين من الماء تنبعان في وسطها، هما عين الشگاگ وعين أفحام. الأولى مكونة من عدة عيون تتدفق بغزارة وتنحدر نحو الشمال في وادي نهر يسيل إلى فاس، والثانية تكوّن فرعاً يلتقي بها على مسافة غير بعيدة من هناك. بحيث إن هذين النهرين يرويان الحقول والبساتين التي يمران بها، بينما يبقى الجزء الآخر الجنوبي رهينة تقلبات الطقس. حقا أن جدول ماء (ساقية) يشقه، منحدرا من إيموزار كندر، إلا أنه لا يكفي لسقي جميع المزروعات الموجودة في طريقه، لاسيما في الصيف، الأمر الذي يتسبب في نزاعات ومشاجرات تكون دامية أحيانا بين الفلاحين.

تشتمل البلاد على عدد من القرى والدواوير (مجموعة الخيام) تعرف بأسماء الفروع والعائلات التي تسكنها، منها : آيت الحاج، وآيت بوفتين، وآيت حمّي، وآيت عمرو كوّ، آيت داوود أو سعيد وغيرهم. كما تشتمل على مواقع وأماكن كبوحاجة المذكور،وأعمود، وترابكة، ودندون، وتاعروست، وسيدي بوفطّوز، وسيدي مسعود، وسيدي بومعيز، والگريعة، والرمل وسيدي خيار والزاوية وما إلى ذلك.

أصل آيت عياش فاس هذه من قصر واد أنزگمير المذكور، جنوبي مدلت. وأول من نزح إلى هذه الناحية، مع عشيرته وبعض الفروع من القبيلة، هو الحاج محمد بن أبي مدين، في أوائل القرن الثالث عشر (التاسع عشر للميلاد) وهو الذي بنى الدار الحالية بعين الشگاگ. ومات وعمره 65 سنة تقريبا. وبه عرفت العائلة الحاكمة للقبيلة (أولاد الحاج) وخلف عدة أولاد منهم :عبد الوهاب، وأبو مدين، وحماد. وكان هذا الأخير خليفة للأول عندما كان قائدا على بني مچيلد.

ولد القائد عبد الوهاب سنة 1225 / 1847، وقرأ في المنزل العائلي على الشيخ مولاي الحبيب إبْربْوهم، إلا أنه سرعان ما تبين أنه رجل معد للحرب وركوب الخيل، فأصبح أحد القواد الرئيسيين لبني مطير وآيت عياش. شارك في عدة غارات، إقليمية كانت أم مخزنية، جرح خلالها ثماني مرات، إحداهما بجبل زرهون، حيث لمست رصاصة شغاف قلبه، وتطلب علاجه قطع ضلعين، وقام بالعملية الطبيب الجراحي للملك سيدي محمد بن عبد الرحمن. وبعد القيام بحملات حربية في تافيلالت والسوس، ذهب لمحاربة بوحمارة وكاد يلقى حتفه قرب مدينة تازة. إن جميع هذه الصدمات المتكررة أصابت جسمه كثيرا، ولكن دون أن ترغمه على الراحة. وفي 23 ربيع الأول 1327 / 4 أبريل 1909، قتل وهو يحارب بني مچيلد الذين كانوا قد تحالفوا مع بعض الثوار من بني مطير، وكان ذلك بالحاجب. فحمل جثمانه فورا إلى سيدي مسعود، بقبيلة آيت عياش، ودفن هناك قرب أحد أبنائه، وهو رحّو، الذي كان خليفته على القبيلة. ورحّو هذا كانت شهرته الحربية وشجاعته يرتجف العدو منهما. وقتله أيضا بنو مطير سنة 1314 / 1906، قبل أبيه بثلاث سنوات.

وخلف القائد عبد الوهاب ابنه علي، بظهير من السلطان مولاي حفيظ سنة 1287 / 1909، الذي عيّنه مكافأة لما أنجزه أبوه من خدمات للمخزن "ولو ترك الراحل إلا امرأة لسلّمت لها خاتم القبيلة". وكان علي أصغر إخوته، من بينهم بوگرين الذي كان خليفته على آيت عياش. وهما الابنان الوحيدان اللذان كانا على قيد الحياة بعد وفاة أبيهما.

ولد القائد علي بعين الشگاگ سنة 1318 / 1890، وتلقى المبادئ الأولية في الدين واللغة في المنزل العائلي. إلا أن مهامه الجديدة ـ كمسؤول عن قبيلته ـ جعلته يخوض باكراً ميدان السياسة والحرب. إذ لم يتعد عمره إذ ذاك 19 سنة. وهكذا، فلم يلبث أن حشد 200 فارس و500 راجل وقاتل الأعداء بني مطير، آخذا بالثأر لأبيه عبد الوهاب وأخيه رحو.

ولما تعرض المغرب لهجوم الجيش الفرنسي، عام 1912، دافع القائد علي وأخوه بوگرين عن نفسهما على رأس قبيلتهما. ولم يكتفيا بذلك، نظرا لانعدام الوسائل الكافية للصمود أمام أقوى جيش عصري في ذلك العهد فتحالفا مع أعدائهما السابقين، عاملين بالمثل القائل : "إذا أوشك الغريق على الهلاك، تعلق ولو بحية". فتصديا للعدو والمهاجم، مع حلفائهما بني مچيلد وبني مطير مرة أولى براس الماء، ومرة ثانية بعيون السمار. فانهزما شر هزيمة وارتأيا أن يلتجئا في الجبل القريب، ثم بعين الجراح غربي إيموزار كندر.

توفي القائد علي العياشي بفاس في شهر يونيو 1940.

أبو سالم العياشي، رحلة، طبعت على الحجر بفاس عام 1316 /

1898 في حزنين : محمد العياشي، *الثغر الباسم (أو النور أو الزهر)* من كلام أبي سالم، مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 5304 ك ؛ عبد الله العياشي، *الاحياء والانتعاش في تراجم سادات زاوية أبت عياش*، مكروفيم، الخزانة العامة بالرباط رقم 1433 د ؛ *كتاب أعيان المغرب الأقصى*.

Marthe et Edmond Gouvion, *Kitab Ayane al-Maghrib al-Aqsa*, Librairie orientaliste Paul Geuthner, 12 rue Vavin, Paris (VI°), 1939, p. 781-785.

محمد الأخضر

عياش، جرمان الأستاذ الجليل والعالم النحرير والمربي المقتدر، من أقطاب المدرسة التاريخية المغربية المعاصرة. ولد بمدينة بركان على ملة اليهود سنة 1915. وكان والده يتردد على الجزائر المحتلة بقصد التجارة. فنال من ذلك الجنسية الفرنسية فانتقلت إلى ولده جرمان الذي التحق بالتعليم الفرنسي. وسرعان ما تبدى فيه نبوغه، فقطع مراحلة بسرعة أثارت الانتباه إليه باكرا، إذ حصل على شهادة التبريز في الآداب الكلاسيكية، وهي دراسة اللغة الفرنسية بالاعتماد على اللغتين اليونانية واللاتينية، ولما يتجاوز عمره عشرين عاما. ثم التحق بسلك التدريس في ثانوية ليوطي (وهي اليوم ثانوية محمد الخامس). وما أن اندلعت الحرب العالمية الثانية، حتى لبى نداء الواجب العسكري دفاعا عن وطنه الثاني ودفاعا عن معسكر الحرية ضدا على معسكر العنصرية والاستبداد. وكان قد تشبع بفلسفة ماركس وبالمبادئ الشيوعية فكان عضوا في فرع الحزب الشيوعي الفرنسي في المغرب. ويوم تأسس الحزب الشيوعي المغربي بقيادة ليون سلطان وعلي يعته، انضم جرمان عياش إليه فصار من وجوهه البارزة. ولذلك تعرض للمضايقات وللزج من قبل سلطات الحماية التي لم تطق صبرا على نضالة من أجل القضايا الوطنية المغربية غداة الحرب الكبرى، ودفاعه عن حقوق الشعب المغربي في الحرية والكرامة وهو متدرع بالجنسية الفرنسية. فصدر الأمر بنقله إلى سلك التعليم بفرنسا في طليعة الخمسينات من القرن العشرين. ولم يعد من منفاه إلا غداة الاستقلال. واشتغل عندئذ بالبحث التاريخي فكان ممن انكب على ترتيب جانب من الوثائق المخزنية تحت إشراف الأستاذ عبد الوهاب ابن منصور مؤرخ المملكة. ثم التحق بالطاقم الأول لأساتذة التاريخ في كلية الآداب والعلوم الإنسانية فور إنشاء جامعة محمد الخامس سنة 1957. وفي سنة 1960، أسندت إليه إدارة تحرير مجلة هسبريس ـ تمودا، وظل يشرف على إصدارها إلى وفاته سنة 1990. وكان جرمان عياش ممن اعتمدت عليه كلية الآداب يوم تقرر إلغاء الشعب المفرنسة فيها وتعميم التعليم بها باللغة العربية. فكان شهادة حية على أن حسن التعبير بحسن الإراك. فهو الذي كانت عربيته لا تتجاوز في الأصل عربية الجاليات اليهودية المغربية، قد استطاع أن يبلغ الرسالة العلمية لجيل كامل من الشباب الباحث الذي هو اليوم يؤطر للدراسات التاريخية في مختلف جامعات المغرب. وقد خلف جرمان عياش فضلاً عن دروسه في الجامعة كتابات تعتبر نموذجية في البحث التاريخي انطلاقا من مقاله عن "مظاهر الأزمة المالية في المغرب بإثر الهجوم الإسباني سنة 1960"، الصادر في مجلة Revue historique، عدد أكتوبر ـ دجنبر سنة 1958، وتتويجا بكتابه عن *"أصول حرب الريف"* الصادر سنة 1979، وهو أطروحة دكتورة ناقشها في جامعة باريز. وكان يعد لكتاب عن ماجريات حرب الريف. لكن المرض أقعده، ثم استعجلته المنية قبل أن ينتهي منه. وأصدر ورثته فصول الكتاب على ما وجدوها عليه، وذلك سنة 1996 تحت عنوان *حرب الريف* عن دار لارمطان L'Harmattan. وقد توفي جرمان عياش في شهر غشت سنة 1990 في الديار الفرنسية حيث وري جثمانه في مدينة نيس، مأسوفا عليه من قبل زملائه وطلابه وأصدقائه لما كان عليه من الخصال الحميدة ومن اللباقة و السكينة والوقار، ولما أسداه للبحث العلمي في وطنه الأصلي.

إبراهيم بوطالب

العياشي، حمزة بن عبد الله، أكبر أبناء ابن سالم، لمعت شخصيته في إطار الاهتمام البالغ بتطوير الزاوية والمحافظة على استمرار دورها الديني والتعليمي حتى اشتهرت باسمه.

ولد الشيخ حمزة سنة 1068 / 57 ـ 1658، ونشأ في رعاية والده فأفاد من علمه، وتجاربه، وإجازاته المتنوعة، كما حظي بإجازة عامة نظمية منه، واستجاز له عددا من شيوخه المغاربة والمشارقة. وانطلاقا من زاويتهم كمركز بدوي نشيط يتلقى الشيخ حمزة العلم على يد عدد من أفراد الأسرة الأكفاء وبخاصة عن الشيخ محمد بن محمد بن عبد الجبار الذي لازمه أعواما قرأ عليه خلالها غير ما كتاب كما حضر دروس الدين، والحساب، والعروض، والمنطق. وعلم القراءات وغير ذلك. وأجازه إجازة عامة موسعة ناظمية ركز فيها على سلسلة الإسناد في كل فن من الفنون المدروسة. ويظهر أن الميول العلمية دفعت الشيخ حمزة منذ وقت مبكر إلى الانكباب على تثقيف نفسه بالدرس، والمطالعة، والمشاركة في مجالس العلماء. وقد وجد في مكتبة الزاوية إرثا ثقافيا، وفي علاقاتها العامة مجالا واسعا لإثراء، تلك الميول وإغنائها بالزيارات والمراسلات المتبادلة. وبذلك وقف على أصداء الحركة الفكرية في عاصمة المغرب العلمية ـ فاس ـ أو في باقي المراكز البدوية. كما أنه استغل رحلته الشرقية إلى الديار المقدسة سنة 1099 / 1688 في السماع والمذاكرة، وطلب عددا من الإجازات منها إجازة الشيخ محمد الخرشي باسمه واسم أبنائه، وأخيه أحمد، وعدد من أصدقائه من أبناء الزاوية الفاسية ومن غيرهم.

ويبدو أن هذه الرحلة كانت موفقة اتضحت نتائجها في اتساع المعرفة واتصال الأسانيد والمحافظة على صدى الحركة التربوية التي قادها أبو سالم.

وإذا حاولنا تتبع النشاط الذي أسهم فيه الشيخ حمزة اعتمادا على المصادر المقربة من الأسرة أو الأقرب تاريخيا نجده يشمل الاعتناء بتوسيع أملاك الزاوية وموارداها ومداخيلها وهذا الجانب المادي يعبر عنه الشيخ محمد بن الطيب القادري (في نشر المثاني) في الترجمة القصيرة التي عقدها للشيخ حمزة بقوله : "من أهل الوجاهة والثروة"، ويقدم مؤلف الاحياء والانتعاش في نفس السياق وصفا لمكانة الزاوية ومستوى ثرائها في أيامه بقوله : "...وطلعت سعودها، وغابت نحوسها، وفاضت بركاتها، وكثرت خيراتها، وبلغ صيته المشارق والمغرب... ورجعت الزاوية قاعدة من قواعد المغرب العظام". ويقترن هذا الصيت والغنى - حسب ما يستنبط من نفس المؤلف - بسلوك الشيخ حمزة ومكانته العلمية والخلقية فهو يصفه بالعلم والعمل، والتواضع والصبر، وعدم المبالاة بمظاهر الترف. وبذلك نخرج بملاحظة عامة مفادها أن هناك إجماعا حول اتساع ثروة الزاوية وهو شيء لم تعرفه من قبل. فالنصوص المذكورة تشير بشكل صريح أو ضمني إلى كثرة عدد الزوار الذين يحضرون لرؤية الشيخ والتبرك به أو الذين يرسلون رسلهم. وكلهم يقدمون أحسن ما لديهم من الهبات والمنح اعترافا بمحبتهم للشيخ وتعلقهم بتعاليم الزاوية الشاذلية المبنية على محبة الرسول (ص) غير أن صورة الالتزام بتقديم المنح، واهتمام الشيخ حمزة بثروة الزاوية لا يخرج عن إطار الأهداف التي كانت تسعى لتحقيقها خدمة للصالح العام. لذلك سوف نحاول التعرف على خلق الشيخ حمزة ومجهوداته في سبيل نشر العلم. برغم الثراء - المشار إليه - لم يبتعد الشيخ عن السلوك البسيط والعمل بالمبادئ التي يدعو إليها. ولن نجد لدى مترجميه اختلافا حول زهده وورعه. فالشيخ لا يرتدي الملابس الرفيعة، ولا الملابس التي تنكرها النفس، بل كان لباسه غالبا متوسطا وثيابه من منسوجات الدار مما يتناسب مع الحال. كما أنه يقضي يومه في العمل والوعظ، يكثر من الأذكار، وله ورد معلوم من تلاوة القرآن والصلاة على النبي (ص) وهو يقضي نصف الليل الأول تاليا ذاكرا. أما مجهوداته في سبيل تشجيع الحركة التعليمية واستمرارها فيتجلى في الإقبال الكبير على اقتناء الكتب، وبذلك كان له الفضل في جمع نصيب هام من محتويات المكتبة كما تدل الملكية المسجلة على قسم من المخطوطات سواء المنقولة من الشرق أو مما تملكه من المغرب من مدينة فاس أو من غيرها، وكان يشتري أحيانا مكتبة بكاملها كما تثبت الملكيتان على المخطوط رقم 290.

وهنالك قسم من الكتب ساهم في نسخه شخصيا أواستنسخه داخل الزاوية وأحيانا خارجها. وكانت النساخة من أقوى موارد المكتبة وهي حركة نشطت في أيامه بشكل ملحوظ ونشير إلى مورد آخر أقل أهمية ولكنه ساهم في مكونات المكتبة وهو إهداء الكتب، ومن أمثلة ما توصلت به المكتبة أيام سيدي حمزة المخطوط رقم 311 الذي قام بتحبيسه على زاوية ابن سالم الأمير عبد الملك بن السلطان إسماعيل العلوي بتاريخ جمادى الأخيرة سنة 1128 / ماي يونيه 1716 وهو شرح فريدة السيوطي لابن زكري. وكان دور الشيخ حمزة أساسياً في إنجاح هذه الحركة بالإسهام المادي أو في المقابلة ومقارنة النسخ، وتصحيح منتسخاتها، بالإضافة إلى ما تستلزمه مهمة المحافظة على ثروة المكتبة من الضياع وتعاهدها بالصيانة والعناية. وقد استمر في أداء هذا الدور التعليمي الصوفي إلى وفاته في 10 صفر 1130 / 13 يناير 1718.

ع. عبد الله بن عبد الكريم، *الإحياء والإنتعاش في تراجم سادات زاوية آيت عياش*، مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 1433د، ورقة 173 - 194 ؛ محمد بن الطيب الحسني القادري، *نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني*، نشر وتوزيع مكتبة الطالب، 1986، ج. 3، ص. 237 ؛ *التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار أعيان المائة الحادية والثانية عشر*، تح. هاشم العلوي القاسمي، منشورات دار الآفاق، بيروت، 1983، رقم الترجمة 475، ص. 313 ؛ محمد حسنين بن محمد مخلوف، *شجرة النور الزكية في طبقات المالكية*، دار الكتاب العربي، بيروت، طبعة مصورة بالأوفسيط، ص. 336 ؛ محمد المنوني، *مكتبة الزاوية الحمزية صفحة من تاريخها*، مجلة تطوان، العدد 8 سنة 1963.

نفيسة الذهبي

العياشي، أبو **سالم**، الرحالة الكبير والعلامة الشهير أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن يوسف بن موسى بن محمد بن يوسف. وكان يعرف بعفيف الدين المالكي المغربي. وينتمي نسبه إلى الأدارسة.

ولد لليلة بقيت من شعبان 1037، موافق 4 ماي 1628، في قبيلة آيت عياش البربرية، المتاخمة لبلاد الصحراء من أحواز سجلماسة والواقعة في جبل الأطلس الكبير، جنوبي مدينة ميدلت الحالية، على بعد 60 كلم منها. فنشأ هناك وقرأ على أبيه الذي أسس زاوية في سنة 1044 / 1634، قرب قرية تازروفت، على ضفة أحد روافد نهر زيز، بإشارة من شيخه محمد بن أبي بكر الدلائي.

ثم رحل إلى وادي درعة، حيث لازم الشيخ محمد ابن ناصر وأخذ عنه الفقه والحديث والتفسير والتصوف. وبعد ذلك توجه إلى مدينة مراكش، ولقي بها الشيخ أبا بكر بن يوسف السجلماسي المراكشي الذي لقنه الذكر وأجازه إجازة عامة مشتملة على الإذن له في لبس الخرقة والجلوس على السجادة لموعظة المريد.

وفي سنة 1063 / 1652، أُجلي مع عشيرته إلى مدينة فاس لكونه رفض خطة القضاء بمراكش التي عرضها عليه السلطان محمد الشيخ السعدي. فأقام بها سنة كاملة قرأ فيها على أجل أساتذة ذلك العصر أمثال الشيخ عبد القادر بن يوسف الفاسي، أخذ عنه علوما جمة كالتفسير والحديث والفقه والنحو والبيان والأصلين والتصوف، وأجازه في منتصف شعبان 1063 / 11 يوليوز 1653. ونص هذه الإجازة

هو الذي ترجمه محمد بن شنب ؛ وحمدون الأباز : قرأ عليه المختصر وفرائضه بالعمل وجملة من القلصادي، وصحيح البخاري والفاتحة لابن مالك ؛ ومحمد بن أحمد ميارة : قرأ عليه جملة من الفقه المالكي فأجازه ؛ وعبد الرحمن بن القاضي ؛ والقاضي محمد بن سودة : قرأ عليه الفقه المالكي ؛ وعبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي : قرأ عليه الروضة وقصيدة في الأسطرلاب وضعها من أجله ؛ وأحمد بن علي بن مواشي الزرهوني ؛ وميمون الرتبي ؛ وحمدون المزوار ؛ ومحمد بن أبي القاسم الدادسي.

حج أبو سالم العياشي ثلاث مرات، أقام خلالها في القاهرة ومكة والمدينة وبيت القدس والرملة : الأولى عام 1059 / 1649، والثانية عام 1064 / 1654، والثالثة عام 1072 / 1661. وإثر سفره الأخير ألف رحلته المشهورة "ماء الموائد"، المطبوعة على الحجر في مجلدين بفاس عام 1316 / 1898.

وخرج، في حجته هذه، من سجلماسة يوم السبت 10 ربيع الثاني 1072 / 3 دجنبر 1661، ودخل مكة المكرمة عشية يوم السبت 5 ذي الحجة من السنة المذكورة / 22 يوليوز، بعدما قطع المراحل الآتية : وادي جير، ضاية الحمام، توات، وارگلا، طرابلس، اليهودية، برقة، درنة، انبابة، القاهرة، درب الحجاز، الدار الحمراء، السويس، البندر، الينبع، بدر، رابغ والظهران.

ولقي بمصر أبا اللطف الوقائي، الذي ألبسه الخرقة وكنّاه أبا سالم بقوله : "سالم إن شاء الله في الدنيا والآخرة !" سمع عليه بلفظه جملة صالحة من مناسك الحطاب وخطبة القاموس وخطبة نفح الطيب.

وبعد تأديته مناسك الحج، توجه إلى المدينة المنورة لزيارة الأماكن المقدسة، وذلك يوم الخميس 2 محرم الحرام 1073 / 17 غشت 1662. وأثناء إقامته التي دامت ثمانية أشهر، تمكن من التعرف على عدد كبير من المشايخ، منهم : علي الأجهوري : قرأ عليه البخاري وابن ماجة وابن الجوزي ؛ إبراهيم الميموني : أخذ عنه الترمذي والبخاري ومسلم والشفاء ؛ شهاب الدين الخفاجي، إمام الحنفية بمصر ؛ أبو الحسن علي بن عبد الرحمن الربيع اليمني الزبيدي، الذي كان قد لقيه بمكة عام 1064 / 1654 : أخذ عنه القراءات السبع وأجازه ؛ الملا إبراهيم بن حسن الكوراني الشهرزوري الشهراني : أخذ عنه الحديث المسلسل بالأولية وشرح الهداية في الحكمة لولد الجرجاني والتحفة المرسلة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في علم الحقائق للشيخ محمد بن فضل الله المهدي ؛ القشاشي : لقنه الذكر وحضه على لزوم طريقة السادات الشاذلية ؛ ياسين بن محمد بن غرس الدين الخليلي : قرأ عليه صحيح البخاري وإحياء علوم الدين وبعض كتاب المواهب وبعض كتاب الشفا وغير ذلك، وأجازه إجازة عامة ؛ إبراهيم بن الشيخ خير الدين ؛ بدر الدين الهنري : أخذ عنه مختصر السعد التفتازاني على تلخيص المفتاح وأول شرح المواقف للسيد وأول شرح القطب على الشمسية ؛ جمال الدين الهنري النقشبندي ؛ شهاب الدين أحمد بن التاج ؛ محمد القزاري ؛ يحيى بن الباشا الأحسائي الحنفي ؛ علي الضرير المالكي الأحسائي : قرأعليه الرسالة وتفسير البغوي والدر المنثور للسيوطي ؛ محمد السوداني : قرأ عليه المختصر ؛ محمد بن رسول الشهرزوري : أخذ عنه فقه الشافعية ؛ السيد مصطفى ولقي بها محمد بن محمد بن سليمان الروداني.

ولقي بالرملة السيد محمد بن أبي الوفاء الأشقر الحسني وعقد معه الأخوة عند قبر سيدنا الفضل بن العباس.

عاد إلى مكة المكرمة أول رمضان 1073 / 9 أبريل 1663، ولقي بها بعض الأفاضل والاخوان، منهم : زين العابدين الطبري الحسيني، الذي أجازه ؛ أبو محمد عيسى بن محمد الثعالبي الجعفري ؛ عبد الرحمن الثعالبي الجزائري ؛ سعيد المقري : أخذ عنه جميع معجم الطبراني الصغير بلفظه وأربعين حديثا عن أربعين شيخا لتقي الدين الفاسي والربع من الشمائل والفوائد المنتخبات الحسان من الصحاح والغرائب، تخريج أبي نصر الشيرازي من أصول سماعات القاضي أبي الحسن الخلفي (20 جزءا).

وكان رجوعه إلى بلاده يوم الأربعاء ظهرا 17 شوال 1074 / 13 ماي 1664، سالكا تقريبا نفس الطريق التي مر بها في ذهابه. وكانت مدة غيابه ثمانية عشر شهرا وسبعة أيام.

وتوفي بالطاعون في 17 ذي القعدة 1090 / 20 دجنبر 1679 (في 18 منه / 21 دجنبر حسب القادري، وفي 10 منه / 13 دجنبر حسب مصادر أخرى). والأرجح هو الأول المذكور في "الثغر الباسم" (ص. 20).

خلف العياشي، بالإضافة إلى رحلته المذكورة : في النحو كراسة في لو الشرطية ؛ في الفقه : أ ـ شرح المحلي (لم يكمل) ؛ ب ـ أرجوزة في البيوع لابن جماعة "معونة المكتسب وبغية التاجر المحتسب" ؛ جـ ـ شرح هذه الأرجوزة "إرشاد المنتسب إلى فهم معرفة المكتسب" ؛ د ـ "أجوبة الخليل عما استشكل من كلام خليل" ؛ هـ ـ "القول المحكم في عقود الأصم الأبكم" ؛ و ـ "العلاوة فيما ركع في محل سجود التلاوة" ؛ ز ـ "المغربات في إصطلاح الوتريات" ؛ حـ ـ "تحرير الكلام في أمر النبي صلى الله عليه وسلم في المنام" ؛ في علم الكلام : "الكشف والبيان في مسألة الكسب والإيقان" ؛ في الحديث : أ ـ "المسلسلات العشرة المنتخبة" ؛ ب ـ "الحكم بالعدل والإنصاف الدافع للخلاف فيما وقع بين فقهاء سجلماسة من الاختلاف في تفكير من أقر بوحدانية الله وجهل بعض ما له من أوصاف" ؛ الفهارس : أ ـ "اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر" (أو "مسالك الهداية إلى معالم الرواية" أو "العجالة المرقية بأسانيد الفقهاء والمرشدين والصوفية") ؛ ب ـ "تحفة (أو "إتحاف") الأخلاء بأسانيد الأجلاء" ؛ جـ ـ "وسيلة العبد الغريق بإثمه في الطريق" ؛ في التصوف : أ ـ نظم أصول الطريقة لزروق ؛ ب ـ "إظهار المنة

على المبشرين بالجنة" ؛ جـ ـ "تنبيه ذوي الهمم العالية على الزهد في الدنيا الفانية" ؛ د ـ "سوق العروس وأنس النفوس" ؛ في مدح النبي صلى الله عليه وسلم : مجموعة تشتمل على اثنتين وأربعين قصيدة ؛ قصيدة في صناعة الجدول ؛ رسالة إلى أبي العباس أحمد بن سعيد المجيلدي في الحج. وهذه الرسالة هي التي ترجمها إلى الفرنسية، مع مقدمة، كاتب هذه السطور.

م. ابن ناويت وم. الصادق عفيفي، الأدب المغربي، بيروت، 1960 ؛ ابن الحاج أحمد بن محمد بن حمدون، الدر المنتخب المستحسن في مآثر مولانا الحسن، مخطوط ؛ م. ابن زاكور، نشر أزاهر البستان، ص. 29، 179، 216، 233 و362 ؛ م. الأخضر، الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية (1075 ـ 1311 / 1664 ـ 1894)، الدار البيضاء، 1977.

J. M. Abdeljalil, *Brève histoire de la littérature arabe* ; A. Berbrugger, *Voyages dans le Sud de l'Algérie et des états barbaresques de l'Ouest et l'Est, par el-'Aïachi et Moulay Ahmed* dans Exploration scientifique de l'Algérie (Sciences historiques et géographiques), IX, Paris, 1856 ; J. Berque, *Al-Yousi. Problèmes de la culture marocaine au XVII^e siècle*, Ecole pratique des Hautes Etues, VI^e section, Paris.

محمد لخضر

العياشي، عبد الله بن عمر بن عبد الكريم، من أسرة بني عياش المشهور أفرادها بالعلم والتصوف والرحلة، القاطنين بالزاوية العياشية التي تقع على سفح جبل العياشي، على ضفة أحد روافد واد زيز، بقرية تدعى تزرفتو، جنوبي مدينة ميدلت بنحو ستين كلم (ع. العياشي، فهرس، ص. 28).

لا نعرف شيئا عن طفولته ولا عن مستواه المعرفي والاجتماعي. لكن بالرجوع إلى مؤلفه *الإحياء والانتعاش في تراجم سادات أيت عياش*، نستطيع أن نقول إنه كان من بين فقهاء البادية الذين استطاعوا أن يكسروا طوق العزلة التي يفرضها المحيط الذي نشؤوا فيه ؛ فحصلوا ثقافة لا بأس بها ؛ لا سيما وأن زاويتهم كانت يومئذ إحدى منارات العلم. فمن خلال المصدر المذكور يبدو أن المترجم كان حافظا لكتاب الله الكريم، وأنه كان ملما بما هو معلوم من الدين بالضرورة، لا سيما ما يتعلق بالعبادات والمعاملات. لكن لا يخالجنا شك في أنه كان من بين أدباء ذلك الوقت. فقد تخللت أسلوبه سجعات جميلة لا تكلف فيها ولا تمحل. وشحن تراجمه بالشواهد الأدبية التي تدل على أن ثقافته لم تكن متواضعة.

وإذا كانت معرفتنا به ترتبط أساسا بالكتاب الذي ترك ؛ فلأنه يتضمن معلومات تعز في نظرائه، وبخاصة في منطقة كانت تسودها الثقافة الشفهية ويندر فيها التدوين. ومن ثم، يعد وثيقة فريدة، ولاسيما حين ترجم محمدا بن عبد الجبار العياشي ـ أب الترجمة ـ وضمنها الرسالة التي بعث بها إلى أحد أقربائه، ليخبره بحال المغرب الذي نزلت به مجاعة عظمى عامي 1071 ـ 1072.

توفي عبد الله بن عمر العياشي عام 1169 ـ 1756.

ع. العياشي، فهرس، تح. ن. الدهبي ؛ ع. بن عمر العياشي، *الإحياء والانتعاش في تراجم سادات أيت عياش*، مخطوط مصور، الخزانة العامة بالرباط، 1433 د ؛ م. المنوني، المصادر العربية، ١ : 163.

أحمد عمالك

العياشي، عبد الله ابن المجاهد مَحمد السلاوي، فقيه عامل أديب ناظم ناثر. درس بسلا وفاس على عدد من علمائها، أمثال محمد العربي بن محمد البوعناني الذي أجازه سنة 1048 / 1638 ثلاث إجازات في الحديث والقراءات والمصافحة، وأبي القاسم بن أبي النعيم وعبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي. كما أجازه من علماء المشرق عالم الحرمين الشريفين عيسى الثعالبي. وكانت له مجالس علمية في مدينة سلا يتردد عليها كبار علماء الوقت، مثل محمد بن أحمد ميّارة الفاسي الذي أطلعه على تأليفه المعنون بالمرشد المعين على الضروري من علوم الدين، وهو شرح لنظم الفقيه عبد الواحد بن عاشر الأكبر، فأشار عليه باختصاره، فألف ميارة الشرح الأصغر المعروف بمختصر الدر الثمين. وقد مدح عبد الله العياشي كتاب المرشد بقوله :

عليك إذا رُمْتَ الهدى وطريقه ... وبالدين للسرلى الكريم تدين
بحفظ لنظم كالجمان فُصُولـه ... وما هو إلا مرشد ومعيـن

إلى جانب نشاط عبد الله العلمي والأدبي، كان يشارك والده في عملياته الجهادية، ويساعده في مهمته وينوب عنه في بعض العمليات. وقد حاول الثأر لوالده بعد مقتله، فجمع أنصاره واصطدم بجيش الدلائيين سنة 1053 / 1643، في معركة انتهت بتفوق الدلائيين وتشتت أنصار عبد الله العياشي.

ويظهر أن عبد الله استقر بمدينة فاس، حيث كان من بين أعيان المدينة وعلمائها الذي حضروا لاستقبال مولاي مَحمد بن الشريف عند دخوله هاته المدينة آخر جمادى الأولى 1060 (29 يونيه 1650) وقد خاطبه بقصيدة منها :

لمّا حللتَ حلولَ بدر التمّ في ... أوطاننا والوابل المتوكف
ورأيتُ وجهَك ذا المهابة بعدما ... كاد الإياس يصدني عن موقفي
وعلمتُ أن الدهرَ أسعد بالمنى ... ولطالما عهدي به لم يسعف

ومن نماذج شعره قصيدة في رثاء والده منها :

أحمّل نفسي ما استطعتُ على الرضى ... بأحكام مَنْ المسلمين بصير
وأصبرُ صبرَ المقتفين سبيل مَنْ ... يرى أنه للصابرين نصير

توفي عبد الله العياشي عشاء ليلة عرفة عام 1073 (15 يوليوز 1663) ودفن جوار سيدي بوسلهام من بلاد الغرب.

لا نعرف من عقب المجاهد العياشي إلا ابنه عبد الله هذا. ويظهر أن بعض أحفاده انتقل إلى مصر واستقر بها مدة طويلة، وبلغ مرتبة اجتماعية تؤهله للتوسط بين الحجاج المغاربة وحكام مصر.

أبو أملاق، عبد القاهر بن محمد، *الخبر عن ظهور الفقيه العياشي بهذه البلاد وذكر سبب قيامه بوظيفة الجهاد* ؛ محمد حجي، *الحركة*

الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، 2 - 447 ؛ *الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي*، طبعة ثانية، 1409 / 1988 ؛ *موسوعة أعلام المغرب*، 4 : 1515.

عبد اللطيف الشاذلي

العياشي، عيوش مقاوم ولد سنة 1915 بمرنيسة إقليم فاس من والده عبد الله بن محمد وأمه فاطمة بنت محمد.

كان الفقيد من المقاومين وأعضاء جيش التحرير المخلصين والمدافعين عن عزة الوطن وكرامته لذلك اختار العمل المسلح ضمن صفوف جيش التحرير بمركز بورد تحت قيادة محمد علال وقد شارك في العديد من المعارك والهجومات التي شهدتها مناطق تازة إلى أن تم طرد المستعمر الغاشم وتحقق الاستقلال.

وقد استجاب لنداء ربه 30 / 11 / 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة رقم 529154.

العياشي، مَحمد بن **أحمد**، المجاهد السلاوي، من رجال السياسة في مغرب النصف الأول من القرن 11 (17 م). ظهر في وقت عرف فيه المغرب ظروفا سياسية خاصة تتمثل في تنازع أبناء أحمد المنصور السعدي على الملك بعد وفاة والدهم سنة 1603، واقتصار سلطتهم على بعض المدن كفاس ومراكش، وقيام زعامات محلية في مختلف جهات المغرب، واستغلال إسبانيا لهذه الوضعية لاحتلال العرائش سنة 1610، ثم المعمورة (المهدية حاليا) سنة 1614.

ولد مَحمد بن أحمد المالكي الزياني سنة 980 / 1573، في بيت خير وصلاح منذ القديم، وكانت لآل العياشي الرئاسة المتوارثة على بني مالك في الغرب.

تلقى العياشي مبادئ القراءة والكتابة في مسقط رأسه، ثم انتقل إلى سلا حيث لازم الشيخ عبد الله بن حسون، ووقف نفسه على خدمته. وكان أسرع التلاميذ إلى خدمة الشيخ وأكثرهم طاعة له. وكان تلقيه منه على وجهين : وجه التتلمذ العلمي، ووجه المصاحبة في الطريقة، ورغم أن ابن حسون لم يجز أحدا، فإن كل الذين تحدثوا عن العياشي أطنبوا في تحليته بألقاب العلم والمعرفة.

حوالي سنة 1012 / 1604 أهدى بعض أشياخ القبائل إلى عبد الله ابن حسون فرسا، فأمر الشيخ بإسراجه وقال : أين محمد العياشي. فقال له : ها أنذا يا سيدي، فقال له : اركب فرسك ودنياك وآخرتك، فتقهقر متأدبا، فحلف له وحبس له الركاب بيده وقال : ارتحل عني إلى أزمور، وانزل على أولاد أبي عزيز وجاهد في سبيل الله. وهكذا نزل العياشي عند أولاد أبي عزيز وطال به المقام عندهم حوالي سنوات، نظم العياشي خلالها عددا من العمليات الجهادية ضد البرتغال الذين كانوا يحتلون البريجة (الجديدة حاليا). وبذلك نمت شهرة العياشي وشعبيته، إلى أن ولاد السلطان زيدان بن أحمد المنصور على ثغر أزمور.

واصل العياشي عمله الجهادي. فازدادت شهرته وتناقل الناس حديثه، وأبلغ أعداؤه السلطان زيدان بأنه يخشى منه على الملك، فانتقل العياشي إلى سلا، ناجيا بنفسه أو بأمر من زيدان، حسب روايات متضاربة.

استقر محمد العياشي بسلا، منشغلا بنفسه مبتعدا عن الخوض في ما كانت تعرفه منطقة سلا والرباط من اضطرابات وفتن، بعد أن ثار أهل سلا على قائد السلطان زيدان، عبد العزيز الزعروري، وحبسوه، ثم طردوا القائد عجيب الذي بعثه إليهم نفس السلطان. وقد اتخذ أهل الرباط نظاما سياسيا خاصا قوامه ديوان مكون من عدد من الرؤساء، بينما ظلت سلا "فوضى لا ولي بها، فكثر بها وبأحوازها العيث والنهب ومد اللصوص أيديهم للمال والحريم، وكثرت الشكاية من التجار المسافرين من إخافة السبيل وقطع الطرقات". فاتصل عدد من أهل سلا وأشياخ منطقة الغرب بمحمد العياشي وطلبوا منه القيام بوظيفة الجهاد والسعي في مصالح العباد "فأمر أشياخ القبائل وأعيانها من عرب وبربر ورؤساء بأن ينزلوا خطوطهم في ظهير بأنهم رضوه وقلدوه وقدموه على أنفسهم والتزموا طاعته... فكتبوا بذلك خطوطهم ووافق عليه قضاة الوقت وفقهاؤها من تامسنا إلى تازى". وبذلك غدا محمد العياشي أميرا للجهاد في السهول الأطلسية من طنجة إلى أزمور.

بدأ محمد العياشي نشاطه السياسي بمحاولة ضبط أمور بعض القبائل التي استغلت ظروف الفترة للتضييق على جيرانها. ومن تلك القبائل سگير والحياينة وشراگة. وزاد من حدة شوكتها قيادة بعض الأمراء السعديين لها واستغلالها لترسيخ نوع من النفوذ السياسي المحدود. واستعان محمد العياشي في هذه العمليات بمحمد بن أبي بكر الدلائي الذي أنجده بقوة يقودها ابنه محمد الحاج. وتمكن محمد العياشي من إقرار نوع من الاستقرار في المناطق التابعة له، مستعدا لإنجاز عمله الجهادي. حاصر المعمورة مرتين وأوقع بالإسبان المحتلين للعرائش في عدد من المعارك، وهاجم الحصون المحتلة في العرائش وطنجة والبريجة، وضيق على الإسبان والبرتغاليين تضييقاً كبيراً.

لقيت الانتصارات التي حققها المجاهدون بزعامة محمد العياشي صدى واسعا في مختلف أرجاء البلاد. وراسله عدد من العلماء والصلحاء من فاس وغيرها يهنئونه بما حقق من انتصارات ويدعون له بالنصر. وكاتبه شيوخ الوقت مثل الشيخ أحمد بناصر الدرعي، وحلاه في رسالته بأمير المؤمنين وسيد المسلمين، ومدحه الإمام الشهير عبد الواحد بن عاشر بقصيدة، كما كاتبه العلامة محمد بن العربي الفاسي، والشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي، وعبد الرحمن العايدي ومحمد المكلاتي ومحمد بن أحمد ميارة ومحمد بن أحمد الشريف البوعناني، وغيرهم من علماء ومشايخ الفترة.

حدد المجاهد محمد العياشي لعملياته هدفا كبيرا هو تحرير المراكز التي يحتلها الأجانب. غير أنه ما كان ليصل إلى تحقيق هذا الهدف إلا عبر المشاركة في الحياة السياسية التي تعيشها البلاد، مما أدى به إلى الخوض في النزاعات والخلافات التي عاشها المغرب في هذا الإبان. فقد حاول في البداية استغلال العلاقة الطيبة التي كانت تربطه بالسلطان الوليد ابن زيدان، وكان المجاهد قد آواه في سلا وأحسن استقباله عندما وفد عليها بها منهزما أمام أخويه. فكتب إليه بعد أن اقتعد أريكة الملك في مراكش يوجهه وينصحه. لكن السلطان السعدي المنشغل بمشاكله الخاصة لم يعر نصائح المجاهد أي اهتمام. وفي نفس الوقت، بعد أن تبين للناس فضل المجاهد واستقامته وسعيه في مصالح العباد، سنة 1631، وصلته بيعة أهل فاس. ثم انضمت إليه مدينة مكناس وقبائل الشاوية، بينما ثار على عبد الله النقسيس في تطوان المقدمان أحمد بوعلي وسليمان بن يوسف، وأعلنا تبعية المدينة للعياشي. وقد ربط المقدم سليمان بن يوسف علاقات ببعض تجار لندن وبريستول، باسم العياشي، فأخذوا يترددون على مرسى تطوان ويزودون المجاهد بالسلاح. كما جرت بين محمد العياشي وأبي حسون السملالي في إليغ مراسلات كانت تدور كلها حول الحالة في البلاد وضرورة تنظيم عمليات الجهاد. وربطته بالزاوية الدلائية علاقات متينة؛ فقد كان محمد الحاج الدلائي يساعد المجاهد في محاربة القبائل المتنطعة ويسانده معنويا وماديا. ومن جهة أخرى ربطت بين العياشي والسلطان محمد الشيخ الأصغر، الذي خلف أخاه الوليد بعد وفاته سنة 1045 / 1636 علاقات ودية.

وعمل المجاهد محمد العياشي على ربط صلات بعدد من الدول الأوربية، بغاية الحصول على السلاح اللازم لإنجاز مهمته الجهادية. وساعده على ذلك اهتمام بعض الدول الأوربية بربط الصلة بالمغرب الذي كان يعد في هذه المرحلة من المناطق التي استقر بها نشاط القرصنة والجهاد البحري؛ فكانت الدول المشار إليها تسعى لربط الصلة بكل القوى السياسية في المغرب، للحصول على اتفاقيات مهادنة وصلح تؤمن بها حركة سفنها، وتمكنها من تحرير رعاياها الواقعين في الأسر في المغرب.

وفي هذا الإطار أوفدت بريطانيا عددا من المبعوثين لهاته الغاية. كان من أشهرهم المدعو جن هارسون John Harrison الذي زار في مهمته العاشرة تطوان سنة 1625 وانتقل منها إلى سلا رفقة المجاهد العياشي الذي استغل المناسبة فعرض على الإنجليز مشروع تحالف ضد الإسبان، وحمل المبعوث رسالة في هذا المعنى إلى ملك إنجلترا. وبعد مفاوضات واتصالات، توصل الطرفان إلى إبرام اتفاقية بتاريخ 13 ماي 1637، نصت على تجديد عهود المهادنة والسلم الواردة فيما سبق بين البلدين من اتفاقيات، والعمل على تأمين التجارة وعدم مهاجمة السفن التابعة للمتعاقدين. كما نصت على ألا تتعامل بريطانيا مع أعداء العياشي من أهل الرباط وأن تساعده بمحاصرة هاته المدينة وأن تزود بريطانيا العياشي بالسلاح وأن تسهل له الحصول على ما يريده من مواد تجارية.

ومن جهة ثانية، حاول العياشي استغلال الحرب المعلنة بين إسبانيا وهولندة، وهكذا رحب بقنصل هولندة المدعو بسترفلت Juriaem Van Bystervelt الذي أقام بمدينة سلا مدة. استغل العياشي عداوة هولندة لإسبانيا للتزود بالذخيرة وحصل منها سنة 1639 على عشرين ألف رطل من البارود.

لم تقف إسبانيا مكتوفة الأيدي أمام ما يقوم به العياشي، فتدخلت في الصراعات القائمة عند مصب أبي رقراق، وأجرت اتصالات مع بعض سكان القصبة الهورناشيين. ويظهر أن بعض هؤلاء أبدى استعدادا للعودة إلى مدينتهم الأصلية هورناتشو بالأندلس، مقابل عدد من الوعود لإسبانيا من بينها اغتيال العياشي.

ويطغى على هذه المرحلة من تاريخ المغرب كثير من التشابك في المعطيات والتعقيد في الحياة السياسية؛ فإلى جانب تعدد مراكز القوى السياسية، واستقرار عدد من المهاجرين الأندلسيين عند مصب واد بورقراق، مع ما جر ذلك من صراعات داخلية وهجومات أجنبية، كان التأثير الأوربي يلعب دورا في تأليب تلك القوى على بعضها. لذلك عمل المجاهد العياشي على المحافظة على نوع من التوازن بين تلك القوى السياسية عن طريق الاعتراف الدائم بسلطة السعديين - على وهنهم وضعفهم - وعدم خلع طاعتهم، ثم المحافظة على علاقات ودية مع باقي القوى السياسية، واعتبار تقديم الناس له وسيلة للقيام بما اعتبره مهمته الأساسية، وهي تنظيم عمليات الجهاد لتحرير الثغور المحتلة. لكن المحافظة على هذه السياسة في الجو العام الذي أشرنا إليه ما كانت لتدوم، وبدأت حركة المجاهد العياشي تعرف، ابتداء من سنة 1638 اصطدامات بين القوى السياسية المتعايشة في هذه المرحلة.

وبدأت الحرب بين العياشي ومحمد الحاج الدلائي سنة حيث جرت بين القوتين ثلاث معارك انهزم بعدها 1641 العياشي ولاذ بقبيلة الخلط بالغرب.

اغتيل المجاهد محمد العياشي في 9 محرم يوم الخميس 21 أبريل 1641.

عبد اللطيف الشاذلي

العياشي، محمد بن أبي بكر، أحد المرابطين المشهورين بالصلاح من قبيلة آيت عياش البربرية (الأطلس الكبير الشرقي جنوبي مدينة ميدلت)، ومؤسس زاويتها سنة 1044 / 34 . 1635.

ولد محمد بن أبي بكر (بن يوسف بن موسى بن محمد ابن يوسف بن عبدالله) - حسب مؤرخي الأسرة - سنة 981 / 73 . 1574، وتوفي في 20 شعبان 1067 / 3 يونيه

1657. أتيحت له فرصة الرحلة والتعلم نظرا لاهتمامات أسرته بهذا الجانب. رغم إمكانياتها المحدودة واستيطانها في منطقة جبلية نائية. وبذلك أخذ عن كثير من شيوخ العلم والتصوف، وبخاصة الشيخ أحمد أذفال الدرعي السوساني، وجماعة من الصلحاء أمثال: عبد الله بن أبي بكر الفيلالي من أصحاب أبي الطيب الميسوري، ومحمد بن محمد الملواني ومحمد بن يوسف الملواني، أما شيوخ الزاوية الدلائية فقد لازمهم مدة طويلة، وتتلمذ للإمامين أبي بكر وابنه محمد، وهذا الأخير هو الذي أشار عليه بتأسيس زاوية له بغاية إرشاد قومه، وتعليمهم القراءة ومبادئ الدين، وكانت الزاوية العياشية على صورة زاوية الدلاء يطعم فيها الطعام، وتلقن أوراد الشاذلية وتشرح كتب القوم وخاصة وظيفة الشيخ أحمد زروق، وأحزاب أبي الحسن الشاذلي.

وقد أحسن الشيخ محمد بن أبي بكر استغلال قدراته العلمية والتربوية مما أعطى لزاوية سيدي حمزة. كما تسمى اليوم. نوعا من النفوذ الروحي والمعنوي تجلى في كثرة المريدين، وإقبال الطلبة وكذلك في العلاقات الطيبة والواسعة مع سائر قبائل المنطقة التي التزمت في كثير من الأحيان بتقديم الهبات والعطايا للزاوية بشكل منتظم. ويظهر أن هذه العلاقات ازدادت متانة بعد تأسيس الزاوية كما تشير رواية مؤلف الإحياء والانتعاش لكون الشيخ محمد بن أبي بكر ارتبط مع عدد من قرى المنطقة وأهلها منذ وقت سابق لتأسيس الزاوية بعد تنقل بين سبعة مواضع، وجمعته بسكانها علاقات النسب، والمصاهرة، وشراء العقارات، إلى جانب إمامة الصلوات وخدمة العلم، وكان الموضع السابع هو موطن آبائه في ترزفت، وهو مقر الزاوية. أما عن اهتمامات محمد بن أبي بكر ونشاط زاويته فيظهر من إشارات مترجميه أن الزاوية العياشية كانت بسيطة في أيامه، ولكنها لعبت دورا لا بأس به في تلقين المريدين وتعليم الطلبة، وإيواء المحتاجين. كما أنها طبعت بطابع السلوك الصوفي السني وكان محمد بن أبي بكر متمسكا بالصلاح عاملا بالكتاب والسنة، ورعا، زاهدا، وصفه شيخه محمد بن أبي بكر الدلائي بأنه من عدول الوقت، وعده ابنه أبو سالم في طليعة أئمته في التصوف، واعترف بفضله في تكوينه وتوجيهه. وفي إطار النشاط الصوفي التعليمي قرب الشيخ مريديه وطلبته حتى أصبح بعضهم من أقرب المقربين إلى الأسرة، ومن بينهم الشيخ عثمان بن علي اليوسي الذي شهد لشيخه بالاستقامة بقوله: "وقد شاهدت من استقامته، وظهر من كرامته ما لا يتزلزل معه يقيني.

وفي هذه المرحلة الأولية والبسيطة من حياة الزاوية نهج الشيخ نهجا صحيحا لترسيخ الدور التربوي عندما أنجز مخططا متكاملا لوظائف الزاوية. فقد اهتم بتوسيع مسجدها سنة 1066 / 55 . 1656 لاستقبال أكبر عدد من المصلين وفسح مجال الاستفادة والمذاكرة في أمور الدين، كما أنه وضع مع أخيه عبد الجبار القواعد الأولى لخزانة الزاوية إذ أوقفا جميع كتبهما على بينهما الذكور، وسجلا هذا الوقف في وثيقة لاتزال موجودة ضمن أحد مخطوطات المكتبة.

العباشي أبو سالم عبدالله، *اقتفاء الاثر بعد ذهاب أهل الأثر*، دراسة وتحقيق نفيسة الذهبي، رسالة جامعية مرقونة، كلية الآداب الرباط (شعبة التاريخ)؛ العياشي عبد الله بن عمر بن عبد الكريم، *الاحياء والانتعاش في تراجم سادات زاوية أبت عياش*؛ الإفراني محمد بن محمد المراكشي، *صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر*، المطبعة الحجري بفاس، دون تاريخ، ص. 134؛ القادري محمد بن الطيب الحسن، *نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني*، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، 1982، ج. 2، ص. 183؛ *التقاط الدرر ومستفاد الواعظ والعبر من أخبار أعيان المائة الحادية والثانية عشر*، تح. الاستاذ هاشم العلوي القاسمي، منشورات دار الآفاق، بيروت، 1983، رقم 232، ص. 139؛ *الإكليل والتاج في تذييل كفاية المحتاج*، مخطوط الخزانة الحسنية بالرباط، رقم 1897، ص. 190؛ الحضيكي محمد بن أحمد السوسي، *طبقات*، مخطوط الخزانة العامة بالرباط، رقم 1124 د، ورقة 106؛ محمد المنوني، *مكتبة الزاوية الحمزية صفحة من تاريخها*، مجلة تطوان، العدد 8 سنة 1963. (إشارات في مواضع متفرقة من المقدمة)؛ محمد حجي، *الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين*، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطبعة فضالة، 1978.

نفيسة الذهبي

العياشي، محمد بن عبد الجبار. لا نعرف له ترجمة إلا في كتاب الإحياء والانتعاش. تجمعه قرابة العمومة مع العياشي سابق الترجمة. ومن خلال إشارة وردت في ذلك المصدر نفيد أنه ولد عام 1056، حيث جزم بأنه توفي عام 1090 وهو ابن أربع وثلاثين سنة.

وقد ذكر أنه "كان.. هضبة توقير لا ترجف ولا تزلزل، وذروة علم دونها السماك الأعزل..". أي أنه اكتسب حظوة في المجتمع الصغير الذي كان يعيش بين ظهرانيه. ولعل تبوأه لتلك المكانة كان نتيجة لما توافر له من فضل وعلم. فقد اشتغل بالتعليم، وتصدر للإفتاء؛ حتى كانت النوازل ترد عليه من الآفاق البعيدة. من شيوخه الرحالة أبو سالم عبد الله العياشي، الذي يبدو أنه ابن عمه. ويشير المصدر نفسه إلى أن صاحب الترجمة توفي بالوباء، صبيحة يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من شوال عام 1090 / 1679، بعدما "قرأ وألف". لكننا لا نعرف له إلا الرسالة التي بعث بها إلى شيخه المذكور حين كان الأخير بالمشرق؛ وهي بعنوان "*نزهة المشتاق لبعض ما وقع في المغرب عام اثنين سبعين من الجوع والشقاق*". وهي تويلف يقع في ثمان وعشرين صحيفة من القطع الكبير، أثبتها صاحب *الإحياء والانتعاش* في كتابه من صحيفة 248 إلى صحيفة 275. وتعد وثيقة فريدة فيما يختص بوصف مجاعة 1071 ـ 1072؛ من حيث انتشارها في المكان والزمان، وهولها بما ترتب عنها من آثار ديموغرافية واقتصادية وسياسية ونفسية؛ حتى إننا لم نقف لها على مثيل في الأزمات السابقة واللاحقة.

ع. العياشي، اقتفاء الأثر؛ ع. ع. العياشي، *الإحياء والانتعاش*.

أحمد عمالك

ابن **عياض** هو أبو عبد الله محمد ولد القاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي.

لم تذكر المصادر تاريخ ولادته، ونقدّر أنها كانت حوالي سنة 520 وكان والده في هذا التاريخ قاضي سبتة وزعيم الجماعة بها في عهد المرابطين، وذلك من عام 515 إلى عام 531 وفي هذا العام عين قاضياً بغرناطة وقد ترك أهله في سبتة التي رجع إليها بعد إعفائه من القضاء بغرناطة عام 532 ثم أعيد إلى خطة القضاء بسبتة عام 539 وخلال هذه السنوات كان أبو عبد الله محمد ولد القاضي عياض الوحيد مقبلاً على الدّراسة والرواية في سبتة عن والده الذي اعتنى بتثقيفه بنفسه وتخريجه على يده، ولعلّه ألّف من أجله كتاب *الإعلام بحدود قواعد الإسلام*. عندما كان في بداية التعلّم، وتأثر ولد القاضي عياض بأبيه واضح في الكتاب الذي ألّفه في التعريف به وكذلك في كتاب مذاهب الحكام الذي جمع فيه نوازل وفتاوي والده.

وقد روى ولد القاضي عياض أيضاً عن شيخين من شيوخ العلم في سبتة هما أبو علي الحسن بن سهل الخشني، وقد أشار إليه وأبو عبد الله مراراً في مذاهب الحكام، ومن هذه الاشارات قوله : "وأخبرني الفقيه الحافظ أبو علي بن سهل شيخنا حفظه الله"

توفي هذا الشيخ الفقيه المحدث الذي كان من أنبغ أصحاب الحافظ الصدفي في حدود 560 والشيخ الثاني الذي روي عنه ولد القاضي عياض كذلك هو أبو بكر يحيى بن محمد ابن رزق من جلّة المحدثين وهو من أهل المرية خرج منها عندما سقطت في يد المسيحيين سنة 542 وأقام بسبتة يسمع منه أهلها كتب الحديث ومنهم ولد القاضي عياض الذي قرأ عليه كتاب السنن للحافظ النسائي، وقد توفي هذا الشيخ بقرية بنيونش من قرى سبتة سنة 560.

وقد روى أبو عبد الله أيضاً عن الشيخين الشهيرين أبي بكر ابن العربي وأبي القاسم ابن بشكوال في إشبيلية كما روى عن غيرهم، وهو في كتاب التعريف يروي بالإجازة والإذن عن أحمد بن بقي ويونس بن مغيث والحافظ السّلفي، وهؤلاء من شيوخ القاضي عياض ولعله هو الذي استجازهم لولده.

وبفضل هذا التكوين الجيد الذي تم في ظروف عائلية قلقة وأوقات صعبة بسبب الحروب بين المرابطين والموحدين أصبح أبو عبد الله "فقيها محدّثاً مشهور العفاف والطهاره عالي الهمة متواضعاً ذا حظ من الأدب ومعرفة الأخبار" ولهذا عين في عهد يوسف بن عبد المومن قاضياً في مدينة دانية قبل سنة 570 ولسنا ندري هل كان هذا التّعيين ضربا من "رد الاعتبار" بعد محنة القاضي عياض ووفاته مغربا عن بلده أم أنه كان نفياً وإبعاداً عن مدينة سبتة على أنه ولي بعد ذلك قضاء غرناطة وبها توفي حميد الذكر نزيه السيرة سنة 575.

وقد خلف ولداً يحمل اسم جده كان له ولولده مكانة كبيرة في غرناطة النصريين كما خلف عدداً من المؤلفات عنى فيها بالتعريف بوالده وجمع تراثه وهي :

1 ـ التعريف بالقاضي عياض 2 ـ مذاهب الحكام في نوازل الأحكام 3 ـ ديوان رسائل القاضي عياض 4 ـ رسائل الكتاب إلى القاضي عياض 5 ـ شعر القاضي عياض 6 ـ ما قيل من شعر في القاضي عياض وقد وصل إلينا من هذه المؤلفات كتاب التعريف بالقاضي عياض الذي حققته ونشرته وزاره الأوقاف في أكثر من طبعة وكتاب مذاهب الحكام الذي حققته أيضاً وطبعته دار الغرب الإسلامي مرتين، وقد ترجم إلى اللغة الإسبانية.

مقدمة التعريف بالقاضي عياض ؛ مقدمة مذاهب الحكام.

عياض (القاضي -) هو أبو الفضل عياض بن موسى ابن عياض بن عمرون بن موسى بن عياض بن محمد بن عبد الله بن موسى بن عياض اليحصبي. هكذا ساق نسبه ولده أبو عبد الله محمد في كتابه : *التعريف بالقاضي عياض*.

وقد تكرّر اسم عياض ـ بكسر العين ـ في أجداد القاضي وفي عقبه، ويبدو أن الجد الأعلى المسمى بهذا الاسم الذي قدم من المشرق إلى المغرب واستقر بالقيروان وعاش فيها هو وبعض ولده، ثم انتقل بعضهم إلى جهة بسطة بالأندلس، ومنها انتقلوا إلى مدينة فاس حيث اشتهر منهم عمرون والد جد القاضي عياض، ولما دخل المنصور بن أبي عامر ـ أو ولده المظفر ـ أخذ معه إلى قرطبة بعض أولاد أعيان فاس كرهائن وكان فيهم أخوان لعمرون المذكور، فترك مدينة فاس وسكن مدينة سبتة ليكون قريباً منهما، وقد اشترى بها أرضاً بنى فيها مسجداً وديراً ومقبرة وعرف هذا الحي بالمنارة وكانت وفاة عمرون هذا سنة 397 مخلفا ولده عِياض الذي سينجب موسى والد القاضي.

ولد عياض في النصف من شعبان عام 476 في حضن أسرة تعتز بما كان لها من ذكر في القيروان وبسطة وفاس وما أنشأته في سبتة، وقد عني والده بتربيته "فنشأ على عفة وصيانة، مرضي الخلال، محمود الأقوال والأفعال موصوفا بالنبل والفهم والحذق، طالبا للعلم حريصا عليه مجتهدا فيه، معظّما عند الأشياخ من أهل العلم، كثير المجالسة لهم والاختلاف إلى مجالسهم، إلى أن برع أهل زمانه وساد جملة أقرانه".

وكانت مدينة سبتة وقتئذ قد أصبحت مركزاً علميا وظهر فيها عدد من شيوخ العلم الذين درس عليهم ومنهم القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى. والقاضي أبو محمد عبد الله بن محمد بن منصور اللخمي والقاضي أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد البصري والخطيب أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد المعافري والفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر اللواتي المعروف بابن الفاسي وغيرهم.

وقد أراد أن يتوج مسيرته العلمية فعزم على الرحلة إلى الأندلس للأخذ عن كبار مشايخها ؛ ولمكانة أسرته في خدمة

المرابطين كتب أمير المسلمين علي بن يوسف إلى ابن حمدين قاضي الجماعة بقرطبة يدعوه إلى الاعتناء به، وكان خروج عياض من سبتة متوجها إلى قرطبة في يوم الثلاثاء منتصف جمادى الأولى سنة 507 ووصل إليها يوم الثلاثاء مستهل جمادى الآخرة بعده، وقد أخذ بها عن قاضي الجماعة المذكور أبي عبد الله محمد بن علي بن حمدين وأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن عتاب وأبي عبد الله محمد بن أحمد التجيبي المعروف بابن الحاج وأبي عبد الله محمد بن أحمد بن رشد وغيرهم، ثم انتقل منها إلى مدينة مرسية للقاء المحدث الكبير الحافظ أبي علي الحسين بن محمد الصدفي فسمع منه وقابل كتبه بأصوله ؛ ولم يكتف عياض بالأخذ والسماع من شيوخ العلم في سبتة والأندلس وإنما طلب الإجازة من غيرهم في إفريقية ومصر والحجاز كالمازري والطرطوشي والسلفي وبلغ عدد من أخذ عنهم بالسماع أو الإجازة مائة عرف بهم في فهرسته المعروفة بالغنية.

ولما رجع عياض من رحلة الدراسة في الأندلس إلى بلده سبتة أجلسه أهلها للمناظرة عليه في المدونة وهو ابن اثنين وثلاثين عاما، وتعدّ المناظرة في المدونة أسمى درجات العلم ؛ وبعد ذلك ولي خطة القضاء في سبتة عام 515 ونُقل إلى غرناطة قاضيا بها سنة 531 ثم أعيد إلى قضاء سبتة عام 539 ولما قامت دولة الموحدين امتنع أهل سبتة من الدخول في طاعتهم ومعهم قاضيهم يدبر أمر البلد ويسوس أهله إلى أن اشتد الحصار على سبتة واستولى عليها الموحّدون عام 543 فحمل القاضي عياض إلى مراكش "فوصلها والحال متغيرة عليه" كما يقول ولده لكنه عرف كيف يستعطف عبد المومن فعفا عنه، ويقال إنه ولاه القضاء في مدينة داي بتادلا لكن ولد القاضي عياض لم يذكر شيئاً من هذا وإنما ذكر أن عبد المومن أمره بلزوم مجلسه، ولما خرج إلى غزو دُكّالة خرج صحبته لكنه مرض في الطريق فأذن له في الرجوع إلى مراكش حيث مات في 9 جمادى الآخرة من عام 544.

كان القاضي عياض إماما في الحديث وعلومه والتفسير وأدواته والفقه ورجاله وفروعه وأحكامه ونوازله مع معرفة بعلمي الأصول والكلام وتوسع في علوم اللغة وآدابها يجيد قول الشعر ويحبّر الرسائل الفنية ويبهر في الخطابة ويتفوق في التأليف وقد ترك أزيد من 30 مؤلفا وصل إلينا عدد منها وأشهرها كتاب *الشفا*، بتعريف حقوق المصطفى وكتاب *مشارق الأنوار* وكتاب *ترتيب المدارك* وكتاب *الالماع* وكتاب *الغنية* وكتاب *الإلماع* وكتاب *بغية الرائد* وكتاب *الإعلام* بحدود قواعد الإسلام وهي كلها مطبوعة ومتداولة.

لقد أدرك القاضي عياض شهرة واسعة في المغرب والمشرق ومن العبارات الشائعة : "لولا عياض لما ذكر المغرب".

التعريف بالقاضي عياض لولده أبي عبد الله محمد، مذاهب الحكام في نوازل الاحكام ؛ ت. تح محمد بن شريفة ؛ المقري، *أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض*، تر. القاضي عياض بقلم محمد بن شريفة ؛ في مذكرات من التراث المغربي، 2 : 271 ـ 274.

محمد بنشريفة

العيّاط، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس وقد ظل هناك بعض أفرادها أرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Ayat وAyet ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان، وليس هناك ما يثبت بأنها تنتمي إلى أسرة القاضي عياض كما يزعم البعض.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1209.

محمد ابن عزوز حكيم

عيّاط (بنو-)، وتدعى أيضا أبا عياض ؛ قبيلة بربرية تتكون من بقايا عناصر هسكورة وصنهاجة، لأن مواطنها تمتد على إحدى جبهات الاحتكاك والاتصال بين هذين القبيلين الكبيرين. كما تضم بعض التجمعات العربية، بسبب موقعها بين السهل والجبل. ومن ثم، فكما يتحدث البربر لسانا يندرج في سياق مزيج بين تاشلحيت وتامزيغت، على اعتبار أن بني عياط ينتمون إلى منطقة الاتصال بين مصمودة وصنهاجة ؛ يتحدث العرب لسانا عاميا لا يختلف عن لسان أهل السهل المجاور.

تقع مواطن هذه القبيلة في غربي دير بني ملال، الممتد على سفوح الأطلس المتوسط ؛ وعلى بعد حوالي خمسة وعشرين كلم من المدينة المذكورة. تحد هذه القبيلة من الغرب قبيلة أولاد عياد، ومن الجنوب قبيلة آيت عتاب، ومن الشمال قبيلة أولاد موسى، ومن الشرق قبيلة آيت بوزيد.

وقبيلة بني عياط ليست قبيلة كبيرة، ومع ذلك فهي تتكون من قبيلتين هما : أهل الشعبة وإسفاون.

- ينقسم أهل الشعبة إلى ثلاث فخذات وهي : آيت وايو، وفيها يوجد أهل تزكي، وآيت يحيى، وآيت فارس التي ينضوي تحتها عظما آيت صالح وآيت وعتيق.

- وينقسم إسفاون إلى خمس فخذات وهي : أهل الدير، وآيت العوينة، وآيت إملول، وآيت مگونة، وآيت سيدي علي بن إبراهيم. ويوجد أيضا دوار إملول ؛ وعظم آيت حمزة وعظم تگموت إربان، ضمن إسفاون.

وإلى جانب القبيلتين المذكورتين، بمختلف فروعهما ينضوي تحت لوائهما أربع زوايا تنتمي ترابيا، إلى زاوية سيدي علي بن إبراهيم. وهي عبارة عن أربعة مداشر تصنف كالآتي : أگرض والكنيز والكديات والزرايب ؛ في حين انسلخت عنها تاخسيت التي أصبحت ضمن تراب قبيلة أولاد عياد المجاورة.

من خلال القرائن العديدة التي تزخر بها المصادر تبدو هاته المنطقة من المناطق القديمة التعمير. وهذا راجع بالدرجة الأولى إلى ما توافر لها من أسباب أهمها :

- موقع ترابها في دير جبال غنية بالمياه.

- وقربها من طريق طالما عدت صلة وصل بين شمال البلاد وجنوبها.

ـ وكونها أحد مجالات عبور لكثير من الهجرات التي عرفها المغرب، منذ العصور السحيقة.

لهذه الأسباب مجتمعة، استقطبت قبيلة أيت عتاب اهتمام كثير من المتصوفة. فقد قصدها الشيخ سيدي علي بن إبراهيم البوزيدي، واستقر بأگرض حيث بنى زاوية صارت مقصودة من مختلف الآفاق ؛ ونشأت حولها قرية استبحر عمرانها. كما أضحت في القرن الثاني عشر (18 م) منطقة ناصرية، بسبب إقبال كثير من سكانها على الانخراط في طريقة الشيخ أحمد الخليفة. ومن أمثلة مقدميه الذين ترجمهم الخليفتي، نذكر أحمد بن البكري، وهو أحد حفدة علي بن إبراهيم البوزيدي ؛ وأحمد بن عبد العزيز التاخسيتي. وقد أسس هذان التلميذان وغيرهما، في هذه الجهة مدارس لتعليم القرآن الكريم ومبادئ الدين، إلى جانب التصوف الذي كان بمثابة علم السلوك الذي لم ينفك الناس في ذلك الزمان عن الانخراط في سلكه.

ابن عسكر، دوحة ؛ الخليفتي، *الدرة الجليلة* ؛ م. السوسي، *المعسول* ؛ *التحري الميداني*.

Répertoire alphabétique des tribus.

أحمد عمالك

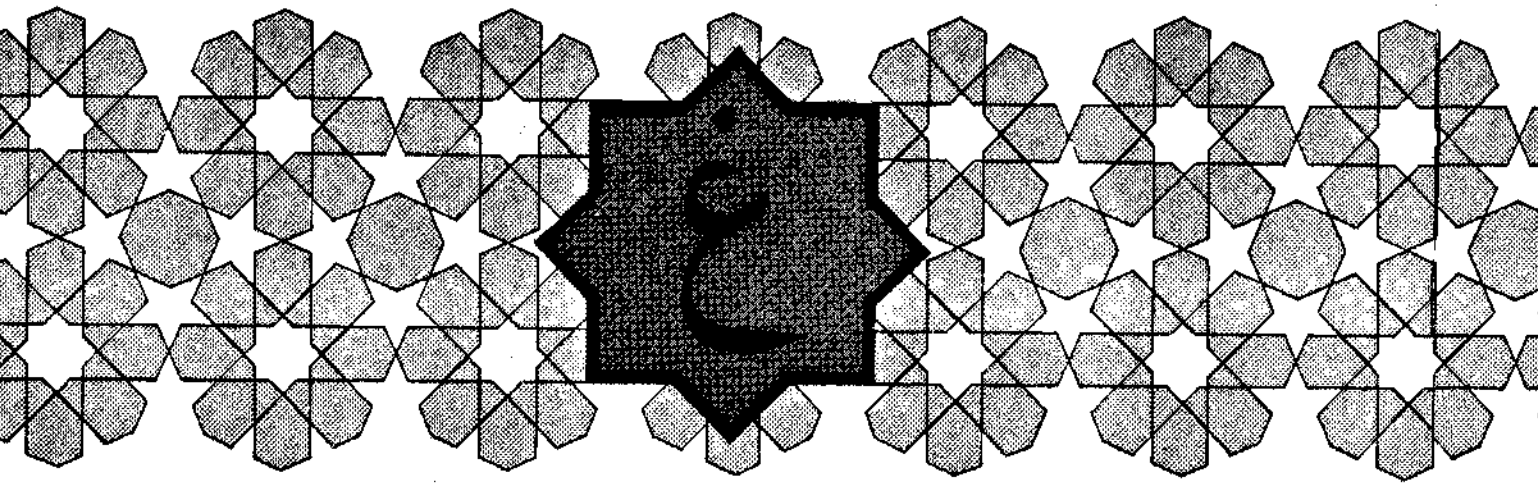

الغابة (في المغرب القديم) لعبت الغابة دوراً متميزاً في الاقتصاد الزراعي للمغرب القديم سواء خلال الفترة البونية أو الرومانية، ويبدو أن غابات الريف والأطلس المتوسط اثارت انتباه البحارة البونيين ثم الفينيقيين الذين وصلوا إلى سواحل الأطلنتي منذ القرن 7 ق م. أن هؤلاء القادمين من الساحل اللبناني يعرفون جيدا قيمة هذه الأشجار، وخاصة أشجار الأرز والعرعر (Tuya) مع العلم أن الأطلس المغربي يحتوي على أشجار جيدة من الأرز في شمال إفريقيا والتي امتدت ربما على مساحات شاسعة في الفترة القديمة.

ولقد تحدثت النصوص القديمة سواء الإغريقية أو الرومانية عن أهمة ليبيا الغربية على مستوى الأشجار وخاصة الأنواع النادرة منها ،سطرابون في حديثه عن أعمدة هرقل يصور جبل أبيلا "كمجال آهل بالحيوانات ومغطى بأشجار ضخمة" ويشير في فقرة أخرى إلى أن بوصيدونيوس في اتجاهه نحو إيطاليا لاحظ وجود غابة من الفلين على ساحل ليبيا".

ويصف هيرودوت وبعده رحلة حانون راس اسبارطيل بأنه "مجال غابة كثيفة" ومعلوم أن الكتلة الجبلية الممتدة على مساحة 8 كلم من طنجة إلى رأس سبارطيل أي "الجبل الكبير" تعرف انتشار رقعة غابوية كبيرة توجد بها أصناف لا نجدها على الساحل الأطلنتي.

ولاحظ بومبنيوس ميلا عند وصفه للساحل الأطلنتي "أن بعض ساكنته تعيش داخل الغابات وهي أقل ترحالا من غيرها". ولابد من الإشارة كذلك إلى أن إحدى محطات سوريطانية الطنجية الواردة في مسلك انطونان تحمل إسماً ذا دلالة هو "Tremulis"، وحسب شاتلان فان لهذا الاسم علاقة ببعض الأشجار النادرة في هذه المنطقة والتي تحتاج لكميات من الرطوبة . أما فيما يتعلق بالكتلة الأطلسية، فيفيدنا بلنيوس بمعلومات دقيقة بشأنها إذ يقول" من وسط الرمال، يعلو نحو السماء جبل أطلس .. المغطى بغابة ذات ظلال وارفة ..." ويخبرنا في فقرة أخرى بوجود غابة تمتد من الأطلس إلى الغروب حيث تعيش حيوانات ضارية.."

ومن بين الأشجار التي تنتجها هذه الغابات، أشجار الكتروس (Citrus) التي يتفق الباحثون بأنها هي أشجار العرعر التي مازالت منتشرة إلى يومنا هذا.

وخلال فترة حكم كلاوديوس، يخبرنا بلنيوس بأن القائد الروماني سويطونيوس أثناء مروره بالمغرب ترك وصفا لبعض الغابات التي كانت تمتد عند قدم الأطلس، "إنها غابات كثيفة وعميقة وذات أشجار من أصناف نادرة، وتذكرنا أوراقها، بأوراق السرو وهي ذات رائحة زكية ومغطاة بزغب خفيف يتحول إلى مادة تستعمل في صنع بعض الأثواب":

ونجد كذلك إشارة لهذه الغابات التي تغطي الأطلس المغربي عند كل من فرجليوس وسيلوس إيطاليكوس وبوزنياس إليانوس (Elien) فلم يغفل هؤلاء المؤرخون الحديث عن صنوبر نوميديا الذي استعمل في بناء هيكل أبولون بمدينة اوتيكا والذي يعود للقرن XII ق. م.

فهل هذه الإشارات النصية تتماشى مع المخلفات الأثرية ؟ وما هي الشهادات المادية التي خلفتها الآثار المتعلقة بالاستغلال الغابوي ؟

ان الطبقات الرمادية في مغارة تافوغالت، خلفت بقايا من الخشب المحروق وهي في الغالب من الصنوبر الحلبي (Pinus Helpensis) وبما أن تاريخ هذه المغارة يعود إلى الفترة الممتدة ما بين القرن الثاني عشر والثامن (ق م) يجب الاعتقاد بأن هذه الأنواع ذات جدور محلية.

ويشهد القبر التلي الذي اكتشفه كل من A. Ruhlman وA. Luquet سنة 1938 بسيدي سليمان، عن استعمال شجر التويا من طرف الليبيين والفينيقيين، فهو يضم قاعة جنائزية حيث الأسوار الحجرية يُدعمها سقف من الخشب. ولاحظ A. Luquet أثناء حفرياته في السور الشمالي بوليلي، وجود دعائم من الخشب مستعملة في واجهات الجدران، وهذه

الطريقة كانت موجودة عند الإغريق والغاليين. وبالرغم من صعوبة تحديد أشكال هذه الأخشاب يبدو أن هذه الدعائم كانت من العرعر.

وإن امتداد الغابات المغربية حاليا يجعلنا نعتقد بأهميتها في الفترة القديمة، وقد بينت دراسات علماء الجيولوجيا والنبات، والمؤرخين على أنها قلت بنسبة النصف أو أكثر.

وحسب كاركوبينو، فإن زوالها لا يعود لفترة قريبة، بل يعود لاستغلال على مدى آلاف السنين. يقول "لقد استغل الرومان، الغابات بشراهة كبيرة" كما تحدث أيضاً عن حفلات تجارية لتجار التويا "Negotiatores citruarii" وأشار گزيل كذلك إلى نفس الحفلة التي ظلت موجودة في روما على عهد الامبراطور أدريانوس.

وكان خشب التويا يستعمل في روما مع بداية العهد الامبراطوري، في صنع طاولات ذات قيمة كبرى "Tabulae Tigrinae" كما أشار إلى ذلك بلنيوس، وكانت أكبر هذه الطاولات والتي وصل قطرها إلى 4 اقدام ونصف، في ملكية الملك الموريطاني بطليموسي.

وإذا كان استغلال الخشب كثيفا في كل الفترات، فإن الغابة المغربية رغم محدوديتها، لم تختف نهائيا. لقد كان الأطلس الذي كان معروفا عند الفينقيين والإغريق والرومان عبارة عن خزان لا ينضب، فقد كان يضم أشجار الأرز ممتدة على ملايين الهكتارات، وكانت قممه تضم أشجار التويا والفلين. لقد شكل استغلال الغابة الأطلسية أهم الثروات الاقتصادية للمغرب القديم مما يمكن من فتح طريق دائم في اتجاه الجنوب انطلاقا من أعمدة هرقل إلى حدود الصحراء، وهي الطريق الملكية التي ظلت إلى عهد قريب، محور البلاد المغربية.

Pline, *Histoire naturelle*, Livre V, éd. J. Desanges, Coll. Belles-Lettres, Paris, 1980 ; J. Carcopino, *Le Maroc antique*, Paris, 1943 ; A. Jodin, *L'exploitation forestière du Maroc antique*, Actes du 93e Congrès National des Sociétés Savantes, Tours, 1968, p. 413 - 422

عبد العزيز بل الفايدة

الغابة المغربية تغطي مساحة تقدر بأقل من 9 ملايين من الهكتارات أي ما يوافق حوالي 8 في المائة من مساحة التراب الوطني انظر أيضاً : 1) الطوابق النباتية والسلسلات البيئية التعاقبية 2) النظم البيئية.

أ ـ مكونات ونبات الغابة المغربية :

تشمل هذه المساحة غابات بمعناها الصحيح وتشكيلات شبه غابوية وأخرى شبه سهبية وكذلك سهوب الحلفاء وسافانات صحراوية. أما السهوب الأخرى فهي لا تدخل ضمن هذه المساحة.

إن الغابة عشيرة نباتية منظمة من أشجار سائدة ترافقها جنبات وجنيبات وجُنَيْبَات وأعشاب وأشنات وفطور وغيرها من الكائنات الحية النباتية والحيوانية. فالغابة إذن نظام بيئي مؤلف من كائنات حية منتجة وهي النباتات وكائنات مستهلكة وهي الحيوانات، وكائنات مُفكِّكة تعيش في حالة تفاعل مع بعضها البعض ويوجد بينها تكافل وتبادل في المواد بشكل مستمر. ولا يمكن لهذه الغابة أن تتشكل إلا في المناطق شبه الرطبة والرطبة والرطبة جداً واستثنائيا في المستوى العلوي للمناطق شبه الجافة.

وفي المناطق الجافة وشبه الجافة تتكون عشائر نباتية شبه غابوية أو شبه سهبية أو سهبية. وتتميز العشائر شبه الغابوية وشبه السهبية بقلة الأشجار التي تكون ممثلة بأفراد متناثرة في تشكيلات مكونة من الجنبات والجُنَيْبات المتوسطية بالنسبة للصنف الأول أو من النباتات القزمية السهبية بالنسبة للصنف الثاني. أما العشائر السهبية فهي خالية تماما من الأشجار ولا تتشكل إلا بجُنَيْبَات أو حشائش جفافية تتحمل أقصى الجفاف في المناطق الجافة أو الصحراوية أو أقصى البرودة المصادفة في قمم الجبال العالية جداً.

أما عشائر السافانا فإنها تتكون من أشجار وشجيرات متناثرة في تشكيلات من الحشائش النجيلية والجُنَيْبات والجُنَيْبات الصحراوية.

إضافة إلى هذه التشكيلات النباتية المناخية الواسعة الانتشار نسبياً، تصادف محليا عشائر إلْفَائية تعيش على ضفاف الأنهار والبحيرات أو الفملحية تقطن الأراضي المالحة.

ـ التشكيلات الغابوية : تكسو الغابات مساحة تقدر بما يقارب المليونين من الهكتارات. وتتشكل من الأرز والشوح وأنواع البلوط وأنواع الصنوبر والعرعر البربري والخروب والزيتون البري.

ـ التشكيلات شبه الغابوية وشبه السهبية : تغطي هذه التشكيلات أكثر من المليونين ونصف المليون من الهكتارات. ويتعلق الأمر بتشكيلات العرعر البربري والعرعر الأحمر والعرعر الفواح والبطم الأطلسي وأركان والسرو وغير ذلك.

ـ التشكيلات السهبية (انظر "سهوب" و"حلفاء") : تمتد تشكيلات السهوب بمختلف مكوناتها على مساحات شاسعة جداً من المناطق الصحراوية والجافة واستثنائياً شبه الجافة وشبه الرطبة على قمم الجبال الشاهقة.

تكسو سهوب الحلفاء لوحدها أكثر من 3 ملايين من الهكتارات معظمها متواجد بالمنطقة الشرقية من المغرب شبه الجاف والجاف.

ـ السافانا الصحراوية : تُنَظَّم السافانا الصحراوية من طرف أنواع شجرية وشجيرية تنتمي إلى أجناس الطلح (انظر طلح) والرَّتْم أو تَيْشَط (انظر الرَّتْم) وأتيل (انظر أتيل) وغيرها.

تلاحظ السافانا الصحراوية المغربية في كل المناطق الموجودة ما بين فيگيگ والگويرة مروراً بتافيلالت ودرعة والساقية الحمراء ووادي الذهب.

تقدر مساحة السافانا المغربية بما يفوق مليون هكتار

معظمها مكوّن بأنواع الطلح وخاصة النوع السائد في المناطق الصحراوية وهو Acacia raddiana.

ب ـ التوزيع الجغرافي لغابات المغرب :

تنتشر التشكيلات الغابوية وشبه الغابوية وشبه السهبية والسهبية والصحراوية كالآتي :

. الريف والشمال الشرقي وتازكا :

. بيومناخات شبه رطبة ورطبة، وشديدة الرطوبة ومحلياً شبه جافة.

ـ تشكيلات غابوية وشبه غابوية ومحلياً شبه سهبية منظمة من طرف البلوط الفليني والبلوط الأخضر، والبلوط القرمزي، وبلوط الزان، والبلوط الزغبي، والعرعر البربري، والزيتون البري، والصنوبر البحري، والصنوبر الحلبي، ومحليا الشوح المغربي.

. تشكيلات سهبية منظمة من طرف الحلفاء.

ـ الأطلس المتوسط والجهة الشرقية من الأطلس الكبير :

. بيومناخات شبه رطبة ورطبة ومحلياً شبه جافة.

. تشكيلات غابوية وشبه غابوية منظمة من طرف البلوط الأخضر وبلوط الزان، والأرز ومحلياً العرعر البربري.

. تشكيلات شبه سهبية منظمة من طرف العرعر الأحمر والعرعر الفواح.

. تشكيلات سهبية منظمة من طرف القتنات الشوكية أو الجنيّبات الشوكية على قمم الجبال العالية ومن طرف الحلفاء على الواجهة الشرقية.

ـ سهول الغرب والمعمورة ودكالة والشاوية وعبدة وتادلة :

. بيومناخات شبه رطبة وشبه جافة.

. تشكيلات غابوية منظمة من طرف البلوط الفليني والعرعر البربري ومحلياً الزيتون البري.

ـ الهضبة الوسطى :

. بيومناخات شبه جافة وشبه رطبة

. تشكيلات غابوية منظمة من طرف البلوط الفليني والبلوط الأخضر والعرعر البربري ومحلياً الزيتون البري.

ـ الهضاب العليا للمغرب الشرقي :

. بيومناخات شبه جافة وجافة

. تشكيلات غابوية وشبه غابوية منظمة من طرف البلوط الأخضر والصنوبر الحلبي والعرعر البربري.

ـ تشكيلات شبه سهبية منظمة من طرف العرعر الأحمر والبطم الأطلسي.

ـ تشكيلات سهبية منظمة من طرف الحلفاء.

ـ المنطقة الوسطى من الأطلس الكبير :

ـ بيومناخات شبه جافة ومحلياً شبه رطبة

ـ تشكيلات غابوية وشبه غابوية منظمة من طرف البلوط الأخضر والعرعر البربري والصنوبر الحلبي.

. تشكيلات شبه سهبية منظمة من طرف العرعر الأحمر والعرعر الفواح.

. تشكيلات سهبية باردة فوق قمم الجبال العالية منظمة من طرف الجُنَيّبات الجفافية الشوكية.ـ الحوز والرحامنة :

. بيومناخات جافة ومحليا شبه جافة.

. باقات على مساحات جد محدودة منظمة من طرف الطلح المغربي.

ـ الجهة الغربية من الأطلس الكبير، والشياظمة، وحاحا وسوس، والأطلس الصغير :

. بيومناخات شبه جافة وجافة.

. تشكيلات غابوية وشبه غابوية منظمة من طرف البلوط الأخضر والعرعر البربري.

. تشكيلات شبه سهبية منظمة من أرگان والعرعر الأحمر والعرعر الفواح ومحلياً السرو الأطلسي.

. تشكيلات سهبية باردة منظمة من طرف الجُنَيّبات الجفافية على قمم الجبال العالية.

ـ المناطق الصحراوية :

. بيومناخات صحراوية.

. تشكيلات من السافانا منظمة من طرف أنواع الطلح الصحراوية والزقوم.

. تشكيلات سهبية منظمة من الجُنَيّبات الجفافية الصحراوية.

ج ـ أدوار الغطاء الغابوية وفوائده :

إن للغابة أدوار وفوائد عديدة من الصعب ذكرها كلها. ومن هذه الأدوار والفوائد نذكر :

ـ إنتاج مواد جد هامة لفائدة البشر كالخشب والحطب والفواكه والأعشاب الطبية والعطرية والرعوية ... (انظر الاقتصاد الغابوي في المادة التالية).

ـ المحافظة على التربة والتوازن للدورة المائية.

ـ المحافظة على التنوع البيولوجي.

ـ المحافظة على التوازن الطبيعي وتنقية الهواء من التلوث ...

فمن الملاحظ أن المناطق المغطاة بغابات كثيفة ومتسعة الأرجاء كالمنطقة الوسطى من الأطلس المتوسط. تتميز بينابيع أهم الأنهار المغربية، وبأهم الثروات والموارد الغابوية في المغرب.

فالغابة تساعد على التقليل كثيراً من نسبة المياه التي تنسال على سطح الأرض، بحيث تكون بمثابة حاجز بين الأمطار والأرض، وتقوم بهذا الدور حتى ولوكانت تكسو أراض شديدة الانحدار. وهكذا فمهما بلغت غزارة المطر فإن القطرات تسيل أولاً على أوراق الأشجار وأغصانها وجذوعها قبل أن تسقط على الأرض، وبذلك تخف حدة سقوطها. مما يساعدها على التسرب داخل الأرض.

وعلاوة على هذا تؤدي الغابة دور تحسين التربة من حيث نفوذيتها للماء والهواء وقدرتها على الاحتفاظ بالماء. وذلك نظراً لكون تربة الغابة غنية بالمواد العضوية، وبالتالي تكون ذات مسامية عالية مما يجعلها قادرة على امتصاص أكبر قدر من الماء والاحتفاظ به.

د. الغابة وعوامل التدهور :

إن أهم أسباب تدهور أو اندثار الغطاء الغابوي تكمن في الاستغلال المفرط أو في الإدارة اللاعقلانية. ويتجلى ذلك في ممارسة عمليات قطع الأشجار أو الاجتثاث لفائدة الأراضي الزراعية أو لاستبدال الغابة الأصلية بتشكيلات اصطناعية من الصنوبريات أو الأوكالبتوس أو السنط الاسترالي. كما يعتبر الرعي الجائر في بعض المناطق أهم أسباب التدهور.

أما من حيث إدارة الغابة فإن تمزق الغطاء الحراجي واندثاره ينتج عن التقنيات غير المتلائمة مع الأنظمة الغابوية. فبالقطع الكلي أو المنسغة المبسطة أو الغابة العالية المنتظمة المكونة من أشجار لاتتفاوت في الأعمار. التي هي تقنيات غير ملائمة للغابة المغربية، تدمر بنيات هذه الأخيرة وتفقد تنوعها البيولوجي ومؤهلاتها التي تمكنها من الاشتغال المتوازن مع الظروف البيئية. وفي هذه الحالات تحدث تغيرات محلية للظروف البيئية الموقعية تتجلى في تزايد في الحرارة القصوى وانخفاض الحرارة الدنيا وفي التعطيل الوظيفي للدورة المائية ...

ومن أهم تداعيات تمزق واندثار الغطاء الغابوي نذكر :

- اتساع ظاهرة انجراف التربة، والانخفاض الخطير في خصوبتها. تجدر الإشارة في هذا الشأن إلى أن نسبة انجراف التربة على السفوح الجنوبية والشرقية من الريف ومقدمته تعتبر من أعلى النسب في العالم، نظراً للانقراض التام للغطاء الغابوي بهذه المنطقة.
- التدهور لبنيات ومكونات واشتغال الأنظمة البيئية الطبيعية.
- التراجع الخطير للتنوع البيولوجي
- التعطيل الوظيفي للدورة المائية وما ينتج عنه من فيضانات وانجراف التربة ونضوب الينابيع ...
- انهيار المناطق من الناحية البيئية بفعل ظاهرة التصحر الذي يحول أراضي خصبة منتجة إلى أشباه صحار عقيمة.

أبحاث شخصية.

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc. évaluation et préservation de la biodiversité*, Ibis Press, Paris, 2000, 360 p.

عبد المالك بنعبيد

الغابة والاقتصاد تعتبر الغابة منذ أقدم العصور مجالا حيويا بالنسبة للإنسان الذي وجد فيها كل ما احتاجه من خشب وحطب ومواد تغذية أو عطرية أو طبية وغيرها. وكان هذا الاستغلال لا يخل بالتوازن الطبيعي للغابة التي كانت انتاجيتها تفوق بكثير متطلبات الإنسان الذي كان يعيش في مجتمعات قليلة العدد. لكن تكاثر عدد السكان أدى إلى الخلل الكبير في التوازنات الطبيعية للمنظومات الغابوية.

تصنف أدوار الغابة إلى صنفين رئيسيين. فيه إنتاج لمواد غابوية تكون موضع مبادلات تجارية وتحويلات صناعية وغير ذلك، أو حماية التربة والتنوع البيولوجي والبنيات التحتية للاقتصاد كالطرق والسدود ...

- الانتاج الغابوي : تنتج الغابة أنواعا مختلفة من الأخشاب والحطب والعلف والمواد الأخرى منها الطبية ومنها العطرية ومنها الغذائية وغيرها :

- خشب النجارة : أهم الإنتاج الوطني من خشب النجارة مصدره غابات الأرز الأطلسي Cedrus atlantica (انظر أرز) التي توفر سنويا أكثر من خمسين ألف متر مكعب. وهذه الكمية لا تغطي إلا نسبة ضعيفة من متطلبات الوطن من هذه المادة، مما يجعل المغرب يستورد كميات كبيرة لسد عجزه في هذا الإطار.

- خشب الصناعة يتعلق الأمر هنا بخشب الأوكاليبتوس المستعمل في إنتاج عجين الورق (انظر سليلوز المغرب).

- الحطب أو خشب الوقود : تساهم الغابة بحوالي 30٪ في الاستهلاك الوطني للطاقة. وتقدر كمية الحطب المستهلك في المغرب بما يقارب عشرة ملايين متر مكعب تستخرج كلها من الغابة، ويستهلك أكبر قدر من هذه الكمية في القرى والمناطق النائية عن المصادر الطاقوية الأخرى، وكذلك في عملية تحضير الخبز وتسخين الحمامات.

- خشب الصناعة التقليدية : تعتبر الصويرة أهم مراكز الصناعة التقليدية للخشب ولا سيما خشب العرعر (انظر "خشب" و"عرعر").

- الفلين : تنتج غابات البلوط الفليني المغربية حوالي 4٪ من الانتاج العالمي للفلين، بالرغم من أن المساحة الوطنية لهذه الغابات تقدر 350 000 هكتار أي ما يعادل 15٪ من المساحة العالمية (انظر "فلين").

- مواد أخرى : يتعلق الأمر بمواد مختلفة منها النباتات الطبية والنباتات العطرية. والقنص. وقد بلغت مبيعات جزء من هذه المواد 315 مليون درهم سنة 1994 و258 مليون درهم سنة 1995، أي ما يعادل ثلاث مرات عائدات تصدير الفلين. وكانت المداخيل الغابوية عن طريق القنص 10 ملايين درهم سنة 1997.

- العلف الغابوي : تنتج المراعي الغابوية حوالي مليار ونصف المليار من الوحدات العلفية في السنة أي ما يعادل 16٪ من مجموع الانتاج الوطني لهذه المادة.

- الصناعة الغابوية : تتشكل الصناعة الغابوية المغربية من وحدات عصرية منظمة وأخرى تقليدية. والمجموع الحالي لعدد هذه الوحدات يبلغ 300، منها ما يكمل هذه الصناعة : مقاولة عجين الورق، مقاولات تحويل الفلين، مقاولات الورق والكارطون، مقاولات الخشب. تمثل صناعة الخشب وحدها 5٪ من الوحدات الصناعية وتشغل 2٪ من اليد العاملة في هذا المجال.

إضافة إلى هذه المقاولات الكبيرة تُوجد بالمغرب أكثر من 1000 مقاولة صغيرة لها أنشطة تتعلق بالتشجير أو بالاستغلال الغابوي أو بالقيام بالأعمال الغابوية وغير ذلك.

وإن هذه المقاولات تلعب دوراً مهما في التنمية الاقتصادية والتشغيل والرفع من القيمة المضافة.

ـ التجارة الغابوية : تنتج الغابة المغربية أقل من خمس مجمل الاحتياجات الوطنية.

مثلت الواردات من الخشب ومشتقاته سنة 1993 حوالي 2.5٪ من القيمة الاجمالية للواردات العامة، أو ما يعادل 47.2٪ من مبلغ مشتريات القمح أو 17,3٪ من مشتريات الطاقة. وفي نفس السنة احتل الخشب المستورد المركز السابع من بين الواردات الاجمالية، والمركز الثاني من بين المواد الفلاحية. وقد بلغت قيمة الخشب المستورد سنة 1998 ما يقارب 4 ملايير من الدرهم.

تتشكل الصادرات من عجين الورق، والفلين ومشتقاته، والورق والكارطون، وبعض أنواع الخشب. بلغ معدل الصادرات في التسعينيات من القرن العشرين أقل من مليار واحد من الدراهم.

ـ الغابة والشغل : تساهم النشاطات الغابوية أو المرتبطة بها بحوالي 10 ملايين يوم عمل في السنة. هذا بالإضافة إلى أقل من 50 000 منصب شغل قار سنويا.

ـ الغابة والتنمية المحلية : هدف ظهير 20 شتنبر 1976 إلى إشراك الجماعات المحلية القروية في الاقتصاد الغابوي وتنمية مواردها المالية.

أبحاث شخصية.

A. Bouslihim, *Contribution à l'étude socio-économique des composantes de la filière du liège au Maroc*, DES, Fac. Sc. Jur. Econom. et Soc., Agdal, Rabat, 1996 ; Ministère Chargé des Eaux et Forêts, Colloque National sur la forêt. *Ifrane*, Mars 1996 ; Ministède de l'Industrie et du Commerce, *L'industrie de transformation*, décembre 1998.

عمر بوسليهم

الغابوش، علي بن ميمون من مواليد سنة 1905 بآيت أفلمان إقليم بولمان، لما قامت قوات الاستعمار الفرنسي الغاشم بالاعتداء على السيادة المغربية انضم الشهيد إلى العمل المسلح السري فحمل السلاح وقام بعدة عمليات جريئة. إلا أن افتضاح أمره أدى برجال الأمن الاستعماري إلى إلقاء القبض عليه والزج به في المعتقل وبقي فيه إلى يوم الهجوم على مرموشة، حيث حاول الفرار من السجن بعدما استولى على سلاح هاجم به حارس السجن لكن هذا الأخير كان أسرع في استعمال سلاحه فأطلق طلقات نارية عليه اسقطته شهيدا وذلك سنة 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 521982.

الغاز الطبيعي نوع من المحروقات الغازية، تكون مع البترول من تحلل أجسام كائنات بحرية دقيقة في باطن الأرض، عاشت في بحار دافئة منذ مئات الملايين من السنين، طمرت في أعماق القشرة الأرضية بفعل التقلبات الجيولوجية، فتحولت تحت الضغط والحرارة الأرضية الكبيرة إلى زيوت وغازات. ويكتشف الغاز اليوم في مخازن باطنية ضمن صخور مسامية مع البترول أو منعزلا عنه، بسبب تنقله في باطن الأرض. يتكون من غاز الميتان CH بنسبة 90 ـ 99٪ ومن الأزوت بنسبة 1 ـ 3٪ ومن مواد أخرى بنسب وشوائب مثل الكبريت والفوسفور، وتوجد مكامنه غالبا على أعماق تصل إلى 5000 متر، بينما توجد مخازن البترول على عمق معدله 3000 م. فالحرارة والضغوط التي ترتفع مع زيادة العمق هي التي تعمل على تحويل جزء من المحروقات إلى غاز. ترتبط مكامنه بصخور ترجع إلى أقدم الأزمنة الجيولوجية، فصخرته الأم غالبا ما ترجع إلى الزمن الجيولوجي الأول، بينما توجد "مصايده" في صخور الزمن الثاني أو الثالث الجيولوجي. ويتميز بقدرة حرارية عالية : 9000 ـ 12000 سعر لكل متر مكعب، لكنه لا يستعمل خاما إذ لابد من تنقيته من الشوائب وتصفيته وتصنيفه إلى عينات متجانسة أهمها : غاز البوتان الذي يستعمل في الطبخ المنزلي، وغاز البروبان الذي يستعمل في المنشآت الكبرى حيث يخزن في قارورات ضخمة في ظروف أمنية أقوى لأنه غاز قوي سهل الانفجار. والغاز المصفى لا لون له ولا رائحة، لكنه يخلط بمركبات كبريتية لإعطائه رائحة كريهة لإنذار مستعمليه بتسربه، لتجنب أخطار حرائقه وانفجاراته المدمرة بالمنازل. ويتميز الغاز الطبيعي بسهولة احتراقه وقلة تلويثه للبيئة، وانعدام الفضلات، لذا عم استعماله في المنازل بسرعة كبيرة في جميع أرجاء العالم.

ابتدأت عمليات التنقيب عن المحروقات الهيدروكربونية : البترول والغاز، بجوانب سهل الغرب، خاصة بواد بهت منذ بداية عهد الحماية سنة 1914. وتم حفر أول بئر منتجة للبترول بجبل تسلفات بجوار سيدي قاسم سنة 1919، كان عمقها 90 م، تعطي بضعة أمتار مكعبة من البترول يوميا، وتوالت الاكتشافات لكنها تتعلق دائما بآبار ضعيفة سرعان ما ينفذ احتياطها الهزيل بعد عدة سنوات. وفي 8 مارس 1934 تم حفر بئر بجبل تسلفات أعطى تدفقا للبترول والغاز، أنعش الآمال من جديد في اكتشاف ثروة حقيقية للبترول والغاز، لكن سرعان ما خابت الآمال بعد التأكد من ضعف احتياطه الذي بدأ ينفذ بسرعة مع توالي الأسابيع. وبتوالي عمليات التنقيب تم حفر بئر للغاز الطبيعي بمكمن المنزه بين سيدي يحيى والقنيطرة تم استغلاله بين 1953 و 1958، حيث نفذ احتياطه وتوقف عن الإنتاج، وربط بأنبوب طوله 14 كلم فزود لمدة أربع سنوات معملا للشركة المغربية للورق والكارطون بالقنيطرة بحوالي 23 مليون م3 من الغاز. ثم اكتشفت آبار أخرى للغاز ضعيفة في بودراع في منتصف الخمسينات، وجه إنتاجها إلى مصفات سيدي قاسم، لكن سرعان ما نفذ احتياطها بعد بضع سنوات. وبعد الاستقلال توجه الاهتمام إلى حوض الصويرة حيث اكتشفت بنيات جيولوجية واعدة من طرف الشركة الإيطالية للمحروقات فتم

حفر بئر منتجة للغاز في "كشولة" على بعد 50 كلم من الصويرة سنة 1957. ولم يتقاعس المسؤولون المغاربة عن استمرار في البحث والتنقيب عن المحروقات سواء بإمكانياتهم الخاصة أو بالتعاقد مع شركات دولية مختصة إيطالية وأمريكية وفرنسية وإنجليزية من أجل اكتشاف البترول والغاز في البر والبحر. وهكذا حفرت آبار عديدة بحوض الصويرة أعطى بعضها مؤشرات عن احتياطي بسيط من البترول والغاز خاصة، مما شجع على المزيد من التنقيب. وتوج ذلك باكتشاف عدة آبار منتجة للغاز فوق مكامن صغيرة وعميقة عددها أربعة هي : توگيمت ومسكالة وزلتن اندارك، يستخرج من الثلاثة الأوائل غاز مع نفط مكثف، أما مكمن اندارك فيستخرج منه غاز جاف مصحوب بكمية من الأزوت ومركبات كبريتية وهو أغناها يقدر مخزونه القابل للاستخراج بـ 1.26 مليار م^3. ويتم استخراج الغاز حاليا من مكمن مسكالة وتوگيمت، ويوجه إلى وحدات تجفيف الفوسفاط للمكتب الشريف للفوسفاط باليوسفية عن طريق شبكة من الأنابيب الصغيرة ويتوفر المكتب على وحدتين للمعالجة لفصل النفط المكثف عن الغاز، تبلغ طاقتهما الإجمالية 250.000 م^3 يوميا من النفط والغاز المكثف. وما زال المكتب الشريف للبترول يعمل على إيجاد زبناء آخرين لغاز حوض الصويرة، كمعمل الإسمنت بأگادير ونواحي مراكش. لكنهما مترددان لأن عملية التحول إلى الغاز ستكلف نفقات إضافية لتغيير الأفران والتجهيزات.

وأنتج المكتب الشريف للبترول كميات من الغاز من آبار جديدة صغيرة تم حفرها بهوامش سهل الغرب وجهت غالبيتها إلى معمل الكارطون بالقنيطرة ومصفات سيدي قاسم.

ورغم تطوير أحواض الصويرة والغرب فإن إنتاج المغرب من البترول والغاز ظل متواضعا إذ بلغ خلال الفترة الممتدة من 1980 إلى 1985 حوالي 75.000 طن، واستمر في الانخفاض بسبب ضعف احتياطي الآبار التي تنضب بعد سنوات قليلة من الإنتاج، ولسبب آخر هو انعدام الأجهزة والخبرة لمعالجتها لكي تعطي مزيدا من البترول والغاز. وقد بلغ معدل الإنتاج السنوي خلال الفترة الممتدة من 1995 إلى 1999 : 45.000 طن معادل بترول. أي ما يعادل 1٪ من مجموع الحاجيات الوطنية. وقد كانت سنة 1987 قياسية واستثنائية في الإنتاج الذي بلغ 18.000 طن معادل بترول موزعا كالآتي :

النفط والغاز المكثف : 40.000 طن معادل بترول.

غاز الغرب : 50.000 طن معادل بترول.

غاز حوض الصويرة : 90.000 طن معادل بترول.

وانتج المغرب سنة 1999 من الغاز الطبيعي 43.8 مليون م^3، و11.300 طن من البترول. وإنتاجه في تناقص مستمر، فقد بلغ 75 مليون م^3 من الغاز سنة 1980، ذلك أن ثروته سواء النفطية أو الغازية في طريق الاستنزاف السريع. لكن معلقة الآمال على اكتشافات جديدة للبترول والغاز بشرق المغرب (تالسينت) وبالرصيف القاري البحري خاصة بالسواحل الجنوبية.

وبلغ استهلاك المغرب 8.18 مليون طن من البترول سنة 1999، تم تكريره بمصفاتي المحمدية وسيدي قاسم استخرجتا منه 184.000 طن من غاز البوتان و671.000 طن من غاز البروبان وذلك سنة 198 حيث عالجتا 6.112 مليون طن من البترول الخام، بالإضافة إلى استيراد 839.000 طن من الغازات النفطية ومحروقات أخرى و372.000 طن من الغازوال والفيول.

المغرب، *البترول والتنمية*، العدد 19، منشورات الزمن.

أحمد هوزالي

الغازي (سيدي -) بن **أحمد**، درعي الأصل، وسجلماسي الدار والقرار. توفي في شعبان عام 981 / 1570 أخذ عن الشيخ أبي الحسن علي بن عبد الله السجلماسي دفين سجلماسة وعن الشيخ أبي العباس أحمد بن يوسف الراشدي المليانى، ثم الشيخ أبي العباس أحمد زروق والشيخ البونسي الفاسي. وأخذ عنه هو الشيخ أبو العباس أحمد بن علي الدرعي وغيره.

دفن الشيخ سيدي الغازي بتبُوبكرت بسجلماسة. ولازال قبره هناك يتردد عليه الزوار. أسس هو وأتباعه زوايا متعددة في الحواضر والبوادي المغربية. وكان له عدد غفير من الأتباع والمريدين، أشهرهم تلميذه المجدوب أبو حامد سيدي الحاج العربي الروندي الأندلسي المتوفى سنة 1077 / 1664 والمدفون بدار برأس الشراطين بفاس. وهي التي يصعد إليها الآن بالأدراج قبالة وجه الداخل للزنقة المقابلة لباب مدرسة الشراطين. وقد تحولت تلك الدار فيما بعد، إلى زاوية معدة لإيواء أتباع ومريدي الشيخ سيدي الغازي جيلا بعد جيل. وصارت أيضا مقبرة دفن بها عدد من صلحاء مدينة فاس. وكانت تقام بها أيضا الصلاة. وتم تحبيس عدد من الأوقاف عليها، منها كان الإمام المؤذن والمكلف بمهمة التدريس يأخذ أجرته.

م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، الجزء الأول، فاس سنة 1899 ؛ ع. الكتاني، *روض الأنفاس*، ميكروفيلم، خ. ع بالرباط رقم 62.

العربي اكنيح

غازي، الباشا أحد أركان ديوان الشرطة في دولة السلطان العلوي المولى إسماعيل. اضطلع إلى جانب عدد من القادة والعمال ممن كانوا أعمدة الجهاز المخزني الجهوي في جنوب المغرب، بأدوار على قدر كبير من الأهمية سواء على مستوى استتباب الأمن وتثبيت سلطة الدولة وتوسيع دائرة نفوذها المخزني بين القبائل القاصية والدانية، أو على مستوى تعقب وملاحقة كل من يروم المساس برموزها أو عدم الامتثال لمطالبها. تولى الباشا غازي بوحفرة إدارة الحكم في مدينة مراكش وإقليمها بعد وفاة الباشا عبد الكريم بن

منصور التكني، وحظي يومها بسلطات واسعة في تدبير شؤون المناطق والمجموعات القبلية التي كانت تقع ضمن مجال نفوذه وتحت مراقبة عيونه، إذ جمع، في ذات الوقت، بين المهام الأمنية والإدارية والعسكرية، لأن منصب الباشا في النسق الإداري للدولة الإسماعيلية كان متعدد الاختصاصات والمسؤوليات. ويعود ذلك، كما هو معلوم، إلى كون بنية هذه الدولة ذاتها وتركيبة هياكلها لم تكن تقوم أو تشتغل بالأحرى على أساس الفصل الوظيفي بين السلطة المدنية والسلطة العسكرية.

وإذا لم تحتفظ كتب التاريخ إلا بأخبار محدودة عن الباشا غازي لا تتجاوز في عمومها بعض الإشارات الشاردة، فإن ذلك لا يعني البتة أن مسار حياته في سلك الخدمة المخزنية كان محدود الآثار وغير ذي شأن يذكر، بل على العكس من ذلك، ساهم الباشا غازي، بحكم مكانته الوازنة كنائب للسلطان في مراكش، مساهمة فعالة في إقرار الأمن بين الناس وعبر المسالك والطرقات وفي زجر المعتدين والمخالفين والتصدي للمارقين والمتمردين تجسيدا لحضور رمزية الدولة وتأكيدا لهيبتها المخزنية. ومما ينهض دليلا على مكانته وكبير حظوته لدى السلطان المولى إسماعيل ما جاء في الرسالة التي وجهها هذا الأخير إلى شيخ زاوية تاسفت الحاج إبراهيم الزرهوني بهدف جبر خاطره والاعتذار له عما صدر عنه من مواقف وأفعال أقر فيها على سبيل الإبانة والنصح مانصه : ".. ولا تقطع كلامك عن مملوكنا الأحظى الباشا غازي لأنه هو العوض منا، والنائب عنا والسلام". مما يؤكد أن سلطة الباشا كانت من القوة والشمول ما جعلها حقا موضع رهبة وتوجس من قبل عامة الناس، بل وأحيانا من طرف رموز الوسط الصوفي حتى، التي كانت تتمتع بنفوذ روحي قوي وتحظى بتأييد قبلي واسع كما هو الحال بالنسبة لشيخ زاوية تاسافت الذي كان يرقب من داخل وادي نفيس بعين الريبة والحذر حركات الباشا غازي وأعوانه وعيونه المنبثين في كل مكان رغم صفح السلطان عنه وزوال ما كان قائما بينهما من توتر وجفاء. وتفيد المحوليات التاريخية في هذا الصدد، أنه بسبب هذه الحظوة البالغة التي نالها الباشا غازي لدى المولى إسماعيل، فإنه لم يتردد كلما دعته الظروف إلى ذلك في ملاحقة وتعذيب واعتقال حتى العناصر التي كانت تحظى بتقدير وإجلال كبيرين في أوساط المجتمع، بل وحتى في قتل بعض الرموز المنتمية إلى النخبة المخزنية ذاتها كما حدث بالنسبة للكاتب الخياط بن علي بن منصور وأخيه عبد الرحمن اللذين ذبحهما الباشا بسجن مكناسة سنة 1125.

وقد توفي الباشا غازي في آخر شهر صفر من عام 1113 بوادي بهت وهو في طريقه إلى العاصمة السلطانية، وإن كان صاحب الجيش العرمرم يجعل وفاته بوجدة في شهر محرم من نفس السنة. وقد خلفه على رأس باشوية مراكش الباشا المدعو حمو طرف.

ع. الكريم بن موسى الريفي، *زهر الأكم*، 150 ـ 200 ؛ ع. الله بن إبراهيم التاسافتي، *رحلة الرائد*، 217 ـ 218 ـ 219 ـ 226 ـ 229 ؛ أ. القاسم الزياتي، *البستان الظريف*، 186 ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *المنزع اللطيف*، 87 ـ 260 ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، ج 4 : 128 ؛ آ. عبد الله محمد الكنسوسي، *الجيش العرمرم*، ج 1 : 155.

الفقيه الإدريسي

الغازي، الشاوي، المزامزي أو المزيمزي. ولي عمالة العدوتين الرباط وسلا وعرب الويدان والشاوية في 17 ربيع الأول 1220 كما في تاريخ الضعيف. تنسب إليه العرصة الغازية المشهورة، وذكر الضعيف أنه جاء الأمر السلطاني عام 1228 بأنه حبس سانية الباشا الغازي المذكور التي على البحر على الحزابين بالجامع بالرباط وجامع سلا الكبير.

الفاسي *مدينة الرباط*، ص. 111، دينية *مجالس*، ص. 210، *الضعيف*، ت. العماري، ص. 337.

عبد الإله الفاسي

الغازي (سيدي -) بن **قاسم** الأسفي. أحد الأولياء الصالحين بأسفي، ربما كان من جملة المرابطين على هذه المدينة في فترة احتلالها من قبل البرتغاليين في النصف الأول من القرن السادس عشر. يوجد ضريحه في حي القصبة بأسفي بجوار المسجد والزاوية الحمدوشية.

م. الكانوني، *جواهر الكمال في تراجم الرجال*، ج 2، مخطوط.

عبد الرحيم العطاوي

غازي، محمد (الفقيه الوطني) أحد قادة الحركة الوطنية المغربية المنظرين المناضلين الكبار منذ البداية إلى بزوغ الاستقلال. ولد بمدينة مكناس سنة 1901. وتعلم بجامعة القرويين في حلقات كبار علماء عصره وكان من العصاميين النبهاء فوعى علوم الدين وعلوم الآلة على اختلافها. كان ولوعاً بالاصلاح العقائدي فتابع الدعوة السلفية بالشرق العربي على يد الافغاني ومحمد عبده وتشرب بها وأصبح من دعاتها. كما مارس الكفاح الوطني مع رفاقه الأوائل علال الفاسي، الهاشمي الفيلالي. عبد العزيز بن إدريس الخ ... وهو في طور التحصيل.

وما أن أتم دراسته حتى أنشأ مدرسة حرة بفاس : مدرسة الناصرية، كانت إلى نشرها لتعاليم العقيدة واللغة العربية تناهض الانحراف خاصة الطرق المنحرفة والشعوذة وأشياعها الذين كانوا يتعاونون مع رجال الحماية الفرنسية. فتضايقت منه الإدارة فنفته إلى الدار البيضاء حيث أسس مدرسة حرة ثانية : مدرسة عكور وانشأ جماعة أحياء السنة ومناهضة البدع.

بعد صدور الظهير البربري 1930 الرامي إلى تمزيق وحدة المغرب عاد إلى مكناس وأخذ يقوم بدروس دينية وتوعوية بمساجدها وأسس جماعات وطنية لمناهضة الاستعمار. ثم

التحق بالرباط حيث ساهد في تحرير دفتر المطالب الوطنية وترأس الوفد الذي قدمها سنة 1934 إلى الصدر الأعظم (الوزير الأول) بالقصر السلطاني في الرباط. وقعت له كثير من المضايقات بعد ذلك.

ثم رحل إلى مدينة آسفي حيث زاول مهنة وكيل شرعي لدى المحاكم الشرعية، ثم انتقل نهائياً إلى مدينة الرباط سنة 1936 حيث اندرج في قيادة كتلة العمل الوطني ثم بعد حلها على يد السلطات الفرنسية وقمع قيادتها ومسيريها أصبح من قادة الحزب الوطني. وكان من أبرزهم تجربة وتفكيراً وأقدرهم على الإشارة بالرأي وصياغته. وكانت السلطات الفرنسية تدرك خطره وقد اعتقلته مرات عديدة وقضى سنوات طويلة في سجون البلاد ومنافيها سنة 1937 و1944 و1952. كان عن اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال ومن الذي ينسقون مع جلالة، محمد الخامس العمل في الخفاء بالقصر المواقف التي أفضت إلى تحرير وثيقة 11 يناير 1944 للمطالبة بالاستقلال وتحرير المذكرات والخطب التي كانت تصدر عن القصر إبان الأزمة المغربية ـ الفرنسية 1952. نفي أثناء قمع دجنبر 1952 إلى آسا بگلمين وبقي بها إلى عودة محمد الخامس واستقلال المغرب وكان له دور بارز غداة الاستقلال، ثم عينه محمد الخامس سفيراً بالمملكة العربية السعودية. وكانت منتهى آماله. توفي بها سنة 1972.

قاسم الزهيري

ابن **غازي، محمد** بن **أحمد** بن محمد بن علي بن العثماني المكناسي. ولد بمكناس على الأرجح سنة 841 / 1437، يحدثنا ابن غازي عن نشأته قائلاً "نشأت بهذه المدينة كما نشأ بها أسلافي، وقرأت بها ثم ارتحلت إلى مدينة فاس في طلب العلم أظنه سنة ثمان وخمسين ثمانمائة، فأقمت بها ما شاء الله تعالى، ولقيت من الأشياخ بالمدينتين جماعة ذكرت مشاهرهم في الفهرست [...]، ثم عدت إلى مدينة مكناسة فأقمت بها بين أهلي وعشيرتي زمانا، ثم انتقلت إلى مدينة فاس كلاها الله تعالى فاستطونتها.

وكان ما كان مما لست أذكر فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر

أما عن أمه فيقول بأنها "رحمة بنت الجنان [...] وكانت رحمها الله تعالى ملازمة لدرس القرآن العزيز في المصحف".

أجمع معاصرو ابن غازي وتلامذته والمؤرخين له على أنه كان عالم عصره وجهبذ وقته، وصدر زمانه في جميع العلوم الفقهية والعقلية، "رحل الناس للأخذ عنه وتنافسوا فيه، كان عذب المنطق حسن الإيراد والتقرير، فصيح اللسان عارفا بصنعة التدريس، ممتع المجالسة جميل الصحبة، سري الهمة نقي الشيبة، حسن الأخلاق والهيئة عذب الفكاهة معظما عند الخاصة والعامة" على ما قال التنبكتي، أسند له كرسي بالقرويين لتدريس الحديث والفقه وكان الكرسي من وقف أبي فارس الورياغلي.

ولم يقتصر ابن غازي على نشر العلم دراسة وتدريسا وتأليفا، بل كان نموذج المثقف العضوي الملتزم بقضايا أمته، "فلم يزل باذل النصيحة للمسلمين محرضا لهم في خطبه ومجالس إقرائه على الجهاد والاعتناء بأموره" وقرن في ذلك القول بالفعل فقد شارك في الجهاد مراراً "وحضر فيه بنفسه مواقف عديدة ورابط مرات" فقد جاهد ضد الاحتلال البرتغالي إلى جانب السلطان محمد الشيخ الوطاسي (ت. 910 / 1505) وابنه السلطان محمد البرتغالي (ت. 932 / 1524) والذي كان يقرب ابن غازي من مجلسه.

واستمر ابن غازي على الجهاد ضد البرتغاليين إلى آخر أيامه، فقد خرج ـ كما يقول تلميذه عبد الواحد الونشريسي (ت. 955 / 1548) ـ "رحمه الله في آخر عمره لقصر كتامة المذكور [= القصر الكبير] بقصد *الحراسة* فألم به مرض فآب لفاس واستمر مرضه إلى أن توفي.

ترك ابن غازي ذخيرة مهمة لا يستغني عنها، ذات طابع شمولي : في الفقه والحديث والتاريخ والآداب والحساب الخ ... فاقت الثلاثين، نذكر منها على سبيل المثال ثلاثة مؤلفات تعكس توجه ابن غازي واهتماماته الفكرية المتنوعة..

1 ـ *التعلل برسوم الإسناد، بعد انتقال أهل المنزل والناد* : وهو فهرس من أشهر الفهارس بالمغرب في القرن 10 / 16. فهو صورة جامعة للأحوال الثقافية والتعليمية بالمغرب في عصر ابن غازي. يضم هذا الفهرست أسماء الشيوخ المغاربة الذين أخذ عنهم ابن غازي وأجازوه، والكتب التي كانت تدرس ويفوق عددها ثلاثمائة كتاب، وفي نهاية الفهرسة يذكر ابن غازي مؤلفاته التي تم إنجازها أو التي كان قيد إنجازها.

2 ـ *الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون* : خصه لتاريخ مدينة مكناس، وقسمه إلى ثلاثة أقسام : قسم جغرافي وآخر تاريخي، وثالث خاص بترجمة الأعلام. والكتاب إلى جانب أهميته التاريخية فهو مهم من ناحية الجغرافية المحلية والحياة الاقتصادية وقد ترجم جزء منه المستشرق "هو داس" في المجلة الأسيوية.

3 ـ *الكليات في الفقه* : ويندرج هذا الكتاب ضمن المشروع المجتمعي للفقيه ابن غازي كمثقف مجاهد. حيث أن الكتاب ـ في تقديرنا ـ ليس مجرد عرض لقواعد فقهية في صيغ كلية، وإنما هو كتاب ملتزم بالمجال التداولي لصاحبه (عقديا وسياسيا ومجتمعيا)، ضمن مشروع يهدف لشرعنة الدولة الوطاسية (876 / 1471 ـ 961 / 1553) من خلال تقعيد الشريعة من أجل وحدة تنظيمية سياسيا واجتماعيا بالمغرب.

توفي بفاس إثر صلاة الظهر من يوم الأربعاء تاسع جمادى الأولى سنة تسع عشرة وتسع مائة [= 919 / 1513] وصلى عليه ولده أبو العباس سيدي أحمد بالمقابر بالغادين [يعرف بالقرادين] الموضع المعروف داخل باب الفتوح عدوة

فاس الأندلس ... واحتفل الناس لحضور جنازته احتفالا عظيما حضرها السلطان ووجوه دولته ..."

ابن غازي محمد بن أحمد، *الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون*، طبعة حجرية، د. ت ؛ الكليات في الفقه، طبعة حجرية، د. ت ؛ *التعليل برسوم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل والناد*، تح. محمد الزاهي، ط 1، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الدار البيضاء، 1979 ؛ أ. بابا التنبكتي، *نيل الابتهاج*، (طبع بهامشي، الديباج لابن فرحون) ط 1، مصر، 1351 ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، ج 4، الرباط، 1929 ـ 1933 ؛ ع. الله گنون، *النبوغ المغربي*، ط 1، بتطوان، د. ت ؛ م. الأمراني، مداخلة في ندوة مراكش الحلقة الثانية، نونبر، 1990.

محمد الأمراني

الغازية، طائفة صوفية أسسها الشيخ أبو القاسم بن محمد بن عمر بن أحمد السوسي الهرغي مولداً، السجلماسي داراً ومقبراً، المعروف بسيدي الغازي، المولود عام 901 / 1494 والمتوفى 981 / 1574.

ويتصل سياق نشأة هذه الطائفة بتاريخ دخول الطريقة الراشدية إلى المغرب وانتشارها به، والذي اتخذ في مساره الجغرافي اتجاهين رئيسيين، انتهى أولهما إلى التمركز في زرهون وبعض المداشر الزروالية ومواضع من القطر التادلي، وامتد ثانيهما على شكل هلال يصل طرفاه ما بين السواحل الشمالية المتوسطية والسواحل الأطلسية الصحراوية مروراً بالأقاليم الشرقية والجنوبية، من بني يزناسن ففجيج ووادي غير والرتب وكرزاز وتوات وسجلماسة ودرعة إلى الساقية الحمراء. وقد استغرق هذا الانتشار القرنين 10 و11 / 16 و17 بأقسامها، وتوج جهود أجيال متعاقبة وطبقات متتالية من مشايخ وإخوان الراشدية المغاربة، الذين جمعت بينهم وحدة السند وفرقت بينهم الاختلافات المذهبية.

وتنتمي الطائفة الغازية في جغرافيتها إلى الاتجاه الثاني الأكثر امتداداً واتصالا، وتحتل مكانا متقدماً في تاريخ حلقات تسلسله وانتشاره. وتكاد تكون هي والطائفة السهيلية الأصلين اللذين تفرعت عنهما جل الطوائف والزوايا المشكلة لهذا الاتجاه، وعلى رأسها الكرزازية والشيخية والناصرية.

ويحسب الشيخ الغازي على الطبقة الراشدية الثانية، وقد انتسب إلى الشيخ علي بن عبد الله السجلماسي (ت. 940 / 1533)، أي في حياة شيخ شيخه أحمد بن يوسف الراشدي الذي توفي في العام الذي يليه 931 / 1524. وصرف الغازي عقداً كاملاً من عمره في ملازمة شيخه السجلماسي إلى أن أتاه اليقين في العام المذكور، وورث عنه المشيخة وقد بلغ أشده وبلغ أربعين سنة.

ويشبه المذهب الصوفي الذي تصدر الشيخ الغازي لنشره، والمبثوث في ثنايا التراجم المفردة فيه، صورة الظل الماحل الذي يبرز بعض رسمه وينطمر معظمه. ويوافق بعض ما بقي منه مذهب الشيخ الراشدي، ويتفق مع نظرته إلى العلاقة التي تنظم بين الله والوجود والإنسان. ومنه قوله : "الجنة جنتان : جنة في الدنيا هي معرفة الله عز وجل، وجنة الفردوس في الآخرة. من دخل جنة المعرفة لا يحتاج إلى جنة الفردوس، إذ جنة الفردوس ليس فيها إلا حظ النفس (كُلُوا وَاشْرَبُوا)، وجنة المعرفة (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ). وقال أيضاً ـ والقول منسوب للشيخ أحمد بن يوسف الراشدي قبله ـ "شتان ما بين من همته الحور والقصور وبين من همته رفع الستور ودوام الحضور، وما افترقت الناس إلا في الهمة". والتهوين من شأن الجنة يأد في هذه الأقوال المتصلة بالمعرفة والهمة، وهو هروع على أثر موقف الراشدي من الخلدين، والذي يقول إن العارف غايته من الله لاسكنى الجنة، وإنما التوجه الخالص إلى خالق الكونين، وأن العبادة إحسان بلا علل، وعلى رأسها الخلدان.

وصدر الشيخ الغازي في مشيخته عن تعاليم الشيخ الراشدي، فكان يسعى في رضى الناس وإطعامهم وإيوائهم والاحسان إليهم، وبالأخص طلبة العلم، وقال : "كان سيدي أحمد بن يوسف الراشدي يقول : أيأوي الغريب، أيأوي الغريب ؟ ! أي يعظم أمر من يأوي الغريب، لكثرة أجره ولايحصيه إلا الله، فإن في إطعام الطعام رضاء الله تعالى". وأقام الشيخ الغازي طريقته على الذكر، لأهميته في الطريقة الراشدية ومدارها عليه، باعتباره أرقى وسائل الطلب والرجاء التي تعين السالك على تلقي النور وبلوغ الغاية واحتلال أعلى المقامات.

وكان مثل الشيخ الراشدي يؤثر الذكر بالجمع والجهر، وذكر بعض أصحابه أنهم كانوا جلوساً عنده، "والفقراء في الحضرة يذكرون لا إله إلا الله حتى وصل العصر، فقال بعضهم : نسكتهم يا سيدي حتى يصلون العصر، فقال الشيخ : إنا لا نقول لمن يذكر الله اسكت". وكان يحذر من الغفلة التي تتربص بالأعضاء القائمة بالذكر من الانسان من لسان وقلب وجوارح، وقال : "أشد المصائب الغفلة، قال تعالى (وَلاَتَكُنْ من الْغَافِلِينَ)، وقال صلى الله عليه وسلم : لاظلمة أشد من عمى القلب"، وكان يستشهد بالحديث القدسي القائل على لسان الحق "أنا جليس من ذكرني".

وجمع الشيخ الغازي مثل الشيخ الراشدي بين المعرفة والشطح، وصدرت عنه شطحات في مقالات لم نقف عليها، والشطح علامة بلوغ مرتبة العارف. وقد أسلفنا قول الشيخ الغازي يجعل المعرفة جنة الدنيا التي لا يحتاج العارف معها إلى جنة الفردوس.

واستمرت الطائفة الغازية وتفرعت وانتشرت على يد العديد من أتباع الشيخ الغازي وأتباعهم، ومن أكابر تلامذته ولد أخيه أحمد بن يوسف السجلماسي، ونجل شيخه محمد بن علي بن عبد الله السجلماسي وكان يخرج إلى توات وتنبكت للتجارة، والفقيه الصوفي عبد الله الدليمي، ومسعود بن بركة، وعبد الواحد الجاوزي، وأبو القاسم بن مولود الجاوزي وأبوه مولود من أصحاب الشيخ أحمد بن

يوسف الراشدي، ومحمد الفيلالي وأخوه أحمد دفيني مراكش، وأحمد بن محمد الفيلالي دفين بني بوزرا.

واشتهر من بين تلامذة الشيخ الغازي مسعود بن مبارك الفيلالي الذي تصدر للمشيخة بفاس، وأسس بها زاوية غازية وافرة التلامذة والأتباع والأشياع. وتوفي في أوائل القرن (11 / 17)، ودفن خارج باب الشريعة المعروف بباب المحروق من فاس القرويين، وبنيت عليه قبة. ونبتت قريباً من روضته نخلة، ولذلك عرف عنه أهل فاس "بسيدي مسعود مول النخلة". وظلت روضته معمورة من قبل الفقراء الغازيين، ولم تنقطع عمارتهم منها إلا بعد أن أسس الشيخ العربي الرندي الأندلسي (ت. 1177 / 1763) زاوية بداره براس الشراطين من فاس القرويين، فتحولوا إليها. وقد أحيى هذا الشيخ ذمامة الطائفة الغازية بفاس خلال القرن (12 / 18)، وشد المطا إلى تافيلالت وأخذ عن المشايخ الغازيين بزاوية تبوبكرت قبل أن يؤسس زاويته المذكورة.

ومن مشاهير الطبقة الغازية الأولى الشيخ أحمد بن علي الحاجي الدرعي (ت. 998 / 1589)، صاحب الزاوية المعروفة "بزاوية جبار المكسور" بقصر أولاد الحاج على الضفة الشرقية لنهر درعة. وتؤرخ مشيخته لانتقال الطريقة الزروقية بوجه عام والطائفة الغازية بوجه خاص من تافيلالت إلى درعة، حيث انتقل عليه الناس من مزگيطة إلى محاميد الغزلان على مشارف الصحراء. وورث عنه مشيخة الطائفة الغازية تلميذه عبد الله بن حسين الرقي المدعو القباب (ت. 1045 / 1635)، الذي انتقل من زاوية سيد الناس بفزواطة من درعة إلى زاوية تامگروت الأنصارية، والتي أصبحت حسينية لعلو صيته وكثرة أتباعه، وعن طريق تلميذه محمد بن ناصر الدرعي (ت. 1085 / 1674) ستتصل السلسلة الغازية بالطائفة الناصرية.

ومع هذا الاتصال تطوى الصفحات المستقلة من تاريخ الطائفة الغازية، والسابقة لنشأة الناصرية وتطورها المتعاظم، الذي غبر في وجه العديد من المشايخ، وجرف في طريقه العديد من الزوايا، وعفال معه أثر العديد من الطوائف. ويشرع التأريخ الناصري للغازية باعتبارها توطئة وتمهيداً للناصرية، ويحتب الشيخ أبو القاسم الغازي مكانة مكينة في سلسلة الأقطاب التي تصل الشيخ محمد بن ناصر قطباً عن قطب بالرسول (ص). ويسلم له الناصريون بالامامة، ويقولون إنه رأس طريقهم الأكبر، وأصلها الأشهر، وسندها الأعلى في الشاذلية. ويجعلونه أمجد أهل الطريق، وأبجلهم وأشرفهم وأصلهم، وأولى أهل الطريق وأفضلهم، ورئيس الأولياء وصنديدهم. وعنوا بشد الرحال إلى روضته بتبوبكرت. وتنافسوا في تعليق قصائد مدحه بجدرانها، وتواطأوا على أكبار من صافحهم وانتسب في حرمها إلى شيعتهم.

وصبغ الناصريون تاريخ الغازية بصبغة ناصرية محضة، وأقحموا العمل على أحياء السنة في سياق نشأتها وصلب دعوتها، وحاولوا سدل الأستار بينها وبين الشبهات التي حامت حول الطريقة الراشدية شيخاً ومذهباً وأتباعاً. ومع ذلك فان نفراً من أتباع الزاوية الناصرية تبرأوا من الشيخ محمد بن ناصر لما حدث بقولة " من رأى من رآني إلى سبعة ضمنت له الجنة" بسنده إلى الشيخ الغازي، وكتبوا في ذلك كراسة، وأضرموا على الناصريين نار الفتنة في سجلماسة بالذات. وقالوا إن هذه المقالة توقع الناس في الأمن، وفي الاعراض عن علم التوحيد، زيادة على أنها لا وثوق بها ولا يعول عليها بحال. ولم تصرف هذه الفتنة الناصريين عن إشاعة هذه القولة بين خاصة وعامة أتباعهم، والاذن بروايتها لأشياعهم من الشرقاويين، واستمر الناس على خلافهم في شأنها، وانقسموا إلى معتقدين ومنكرين.

ولاشك أن الناصرية قد كسفت بدر الغازية، وزاحمتها شيئاً فشيئاً إلى أن اضمحلت ولم يبق منها إلا مزار تبوبكرت. وقد تم احصاء الغازيين بالمغرب خلال النصف الأول من القرن (14 / 20) فكانوا أقل من ألف مريد، نصفهم بتافيلالت، وقريباً من المائتين بمكناس، وقريباً من المائة بالرباط، وبضع عشرات في كل من فاس ومراكش وآسفي والأطلس المتوسط.

م. المهدي الفاسي، *تحفة أهل الصديقية*، 72 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، 122 ـ 130 ؛ م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، تح. نوحي، 315 ؛ نفس المؤلف، *الروض الزاهر*، تح. م. الغالي، 92 ؛ أ. المنالي الزيادي، *سلوك الطريق الوارية*، تح. ن. بنونة، 354 ـ 360 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 3 : 193 ـ 195 ؛ م. المختار السوسي، *رجالات العلم*، 24 ؛ *المعلمة*.

L. Rinn, *Marabouts et Khouans*, 274 - 275 ; O. Depont et X. Coppolani, *Les confréries religieuses*, 468 ; G. Spillman (G. Drague), *Esquisse d'histoire religieuse*, 75, 120, 122, 186, 190, 277.

عبد الله لحبي

ابن أبي **غافر**، أبو زيد **عبد الرحيم** بن مسعود عرف بابن أبي غافر، من أهل سبتة، سمع وتفقه بها، وارتحل إلى مصر ولقي أئمة المالكية بها مثل بكر بن أبي العلاء القشيري وأبي حفص الإسكندراني وغيرهما. أخذ عنه كثير من مشيخة بلده سبتة منهم عبد الرحيم ابن العجوز الكتامي (راجع في المعلمة مادة "بنو العجوز").

توفي ابن أبي غافر بعد سنة 390.

عياض، *المدارك*، 6 : 276.

أحمد عزاوي

الغافقي، أبو إسحاق **إبراهيم بن أحمد** بن عيسى بن يعقوب الغافقي الإشبيلي السبتي. وغافق قبيلة من الأزد، وإليهم ينسب حصن غافق من أعمال فحص البلوط بالأندلس غير بعيد عن قرطبة.

ولد الغافقي بإشبيلية سنة 641 / 1243 وحُمل صغيراً إلى سبتة سنة 646 / 1248 عندما تغلب النصارى على إشبيلية. وبسبتة نشأ وتربى على العلم وعلى مصاحبة

العلماء. فأخذ علم العربية على كبير النحاة أبي الحسين بن أبي الربيع فتقدم فيها، ونهل من علم القراءات عن استاذها أبي الحسن بن الخضار، وسمع الحديث عن الفقيه محمد بن عبد الرحمن بن جرير، وقرأ *الموطأ والشفا* على القاضي محمد بن عبد الله الأزدي وعلى الحافظ أبي يعقوب يوسف الحساني، وقرأ بالتيسير والكافي على أبي بكر محمد بن شلبون وعلى أبي العباس أحمد بن ثابت المازري، وروى عن الفقيه أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن سليمان والأديب الفرضي أبي الحكم مالك بن المرحل المالقي والقاضي أبي عبد الله بن أبي موسى عمران وغيرهم من علماء المشرق والمغرب والأندلس. تصدى الغافقي للتدريس وخاصة علوم العربية بمدارس سبتة فصار شيخها وأستاذ أهل المغرب فيها، وألف فيها كتباً وتقاييد نافعة. كما برز في تدريس علوم القراءات وتفنن فيها حتى أصبح من كبار شيوخها وصنف تأليفا في قراءة نافع. وكان يحج إليه طلبة العلم فتتلمذ على يديه علماء كبار في قراءة القرآن وعلوم العربية من أمثال المقرئ أبي القاسم بن يحيى بن محمد الوَازَرْوالي بن درهم، والخطيب أبي جعفر الزيات، وشيخ النحاة بغرناطة أبي عبد الله محمد بن علي الخولاني، والقاضي أبي بكر محمد بن أحمد بن شبرين والقاضي أبي إسحاق إبراهيم بن يحيى بن زكرياء والقاضي أبي القاسم الشريف الغرناطي وأبي القاسم بن عمران الحضرمي. تولى الغافقي إلى جانب التدريس قضاء سبتة مدة من الزمن إلى أن توفي بها في آخر ذي القعدة من عام 716 / 1316.

النباهي، *المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا*، تح. ليفي بروفنسال، بيروت، بدون تاريخ، ص. 133 ـ 134 ـ 153 ـ 154 ـ 176 ؛ ابن خلدون، *التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً*، *العبر*، ج 7، بيروت، 1978، ص. 831 ؛ ابن الجزري، *غاية النهاية في طبقات القراء*، بيروت، 1980، ج 1، ص. 8 ؛ ابن حجر العسقلاني، *الدرر الكامنة*، بيروت، د. ت. ج 1، ص. 13 ؛ السيوطي، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، بيروت، د. ت. ج 1، ص. 405 ؛ ابن القاضي، *درة الحجال في أسماء الرجال*، طبعة القاهرة، تونس، 1970 ؛ ج 1، ص. 176 ـ 177 ؛ ابن العماد الحنبلي، *شذرات الذهب*، بيروت، د. ت، ج 6، ص. 38.

الغافقي. محمد بن إبراهيم شيخ النحاة المترجم أعلاه. كان فقيها راوية ومشاركاً في فنون شتى. يعد من أشهر الوراقين بسبتة والمغرب الأقصى. له مصنفات كثيرة في علوم مختلفة.

توفي قبل عام 750 / 1350.

مجهول، *بلغة الأديب ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب*، الرباط، 1984، ص. 31 ؛ م. المنوني، *تاريخ الوراقة المغربية*، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1991، ص. 60.

رشيد السلامي

الغاق والغاقة كما في اللغة وفي المعاجم وكما ينطق به في بعض المناطق المغربية، طائر بحري أسود الريش من رتبة كفيات القدم البجعيات Pélicaniformes ومن فصيلة Phalacrocoracidae، يألف الشواطئ والأماكن الصخرية الساحلية ويتغذى من الأسماك البحرية. منه نوعان يعيشان في المغرب.

الغاق الكبير Phalacrocorax carbo sinensis ويسمى أيضاً غراب الماء، وغراب البحر لسواد ريشه المعدني اللمعان. يسمى بالفرنسية Cormoran وبالإنجليزية Cormorant وبالإسبانية Cormoran grande وبالإيطالية Marangone. يتميز بريش أسود معدني اللمعان على جسده وبخصلة من الريش الأبيض على عنقه من الجهة الأمامية، ذيله طويل نسبيا بقربه غدتان تفرزان مادة زيتية تجعل الريش كتيمة، عنقه طويل ممتد نحو الأمام. للقوائم أربعة أصابع، ثلاثة منها ملتحمة بواسطة غشاء سباحي والرابع الخلفي حر. قده بين البجعة والبط، ويحسن السباحة والغطس حيث يبلغ أعماقاً تتعدى 20م ليبحث عن الأسماك وتدوم مدة الغطس دقيقة واحدة. المنقار مسطح وممتد نسبيا، رمادي مصفر. الإناث شبيهة بالذكور ويبلغ طول بسطة الجناحين 130 ـ 140 سم وطول الجسم 90 سم ويزن الكبار 1700 ـ 2900 غرام. طائر اجتماعي يعيش في مجموعات متعددة الأفراد. عدة مجموعات أوروبية تشتي على السواحل المتوسطية وخاصة منها رأس كبدانة وصبخة بوعرك ومصب نهر ملوية وسد محمد الخامس، بينما معظم مجموعات المناطق الساحلية الأطلنطية مستقرة في الجهات لوسطى والجنوبية من البلاد وتتوالد قرب الصويرة وماسة وسيدي إفني والداخلة منذ أبريل إلى يونيو. توضع الأعشاش متقاربة على الصخور الساحلية وتفرش بالأعصان اليابسة وقطع الطحالب البحرية. يبلغ عدد البيض 3 ـ 5 زرقاء شاحبة، طول قطرها 6.6 سم وتزن 50 غرام. يحضن البيض بالتناوب مدة 28 ـ 29 يوماً. يقتات الصغار من الأسماك يأتي بها الآباء وتغادر العش بعد خمسة أسابيع وتحسن الطيران بعد شهرين.

الغاق المتوج Phalacrocorax aristotelis ويسمى بالفرنسية Cormoran huppé وبالإنجليزية Shag وبالإسبانية

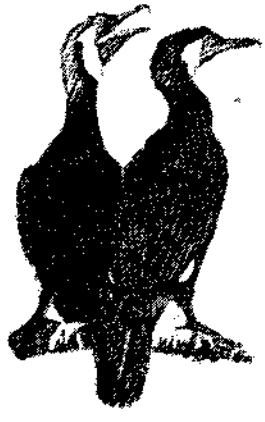

Cormoran monodo وبالإيطالية Marangone dal ciuffo. يختلف عن الغلق الكبير بريشه الأسود الموحد على سائر الجسد وعدم وجود خصلة الريش الأبيض على العنق، تبلغ بسطة الجناحين 90 ـ 100 سم وطول الجسم 76 سم. طائر اجتماعي يعيش في مجموعات يتراوح عدد أفرادها بين 4 ـ 20. تشتي المجموعات الأوروبية على طول السواحل المتوسطية والأطلنطية تضاف إلى مجموعات مستقرة في المناطق الممتدة بين الواليدية وماسة وهناك بضع وحدات تتوالد قرب الصويرة وماسة وسيدي إفني والداخلة منذ أبريل إلى يونيو. نمط العيش والتوالد لهذا النوع شبيه بالغاق الكبير.

م. رمضاني، *البط، معلمة المغرب*، الجزء 4، ص. 1264 ـ 1265 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*. 1979, 320 p. ; C. Harrison, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleurs*. Elsevier, 1977, 420 p.

محمد رمضاني

ابن **غالب، عبد الله** بن غالب بن تمام بن محمد الهمذاني : عالم صالح ورع من أسرة علمية يرجع أصلها إلى مدينة نكور، وسكنت سبتة واشتهرت بها. كان أبوه عالما متضلعا في الوثائق والفقه والحساب والفرائض، وله في ذلك تآليف.

أخذ أبو محمد بن غالب عن أشياخ بلده سبتة، ورحل إلى الأندلس، فسمع من أبي محمد الأصيلي، وأبي بكر الزبيدي. ثم يمم شطر المشرق نحو سنة 380 / 990، فدخل القيروان صحبة بلديه عبد الرحيم بن العجوز الكتامي، وسمعا معا من أبي محمد بن أبي زيد القيرواني كتبه، وتابع ابن غالب طريقه إلى المشرق فسمع بمصر من أبي بكر ابن إسماعيل بن المهندس وابن الوشاء، وكانت له أسفار كثيرة ربما وصل خلالها إلى العراق.

وصف بالتفنن في علوم كثيرة، وكان قائما على المذهب المالكي، "نظارا حافظا بليغا أديبا شاعرا مجيدا" *المدارك*. فضلا عما اشتهر به من الصلاح والدين. وللتأكيد على شهرته العلمية وتضلعه في الفقه ذكرت المصادر أن رجلا من أهل سبتة رفع مسألة إلى القيروان، فقيل له أليس ابن غالب حيا ؟ قال نعم. فقيل له : ما ينبغي لبلد فيه مثله أن يرفع منه سؤال. شاوره قاضي سبتة ابن زويع، ثم اعتمده قضاتها بعده إلى أن مات.

أخذ عنه جماعة من أهل سبتة، منهم ابنه القاضي أبو عبد الله، وإسماعيل بن حمزة، وأبو محمد المسيلي، والقاضي ابن حجاج، والقاضي ابن جماح وابن علا قومه وابن البربا، وغيرهم.

توفي في صفر سنة 434 / 1042.

القاضي عياض، *ترتيب المدارك*، تح. سعيد أعراب، الرباط، منشورات وزارة الأوقاف، 1983، ج 8، ص. 188 ـ 189 ؛ ابن بشكوال، *كتاب الصلة*، القاهرة، 1955، ج 1، ص. 288 ؛ ابن الزبير، *صلة الصلة*، تح. عبد السلام الهراس وسعيد أعراب، الرباط، منشورات وزارة الأوقاف، 1993، ق 3، ص. 154 ؛ ابن فرحون، *الديباج المذهب*، تح. محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة، دار التراث، ج 1، ص. 435 ـ 436.

ابن **غالب، محمد** بن عبد الله بن غالب بن تمام الهمذاني : من أسرة علمية سبتية، ومن أهل الفضل والورع. أخذ عن أبيه ومن شيوخ بلده، ثم حج فسمع من عدد من علماء مصر مثل الحوفي، وأخذ بمكة عن أبي ذر الهروي. نفي صحبة جماعة من فقهاء سبتة إلى مالقة فيما يبدو خلال ظروف الاضطراب التي عرفتها مدينتهم إبان حكم الحموديين. وعاد إلى سبتة فعين قاضياً خلال عصر لمرابطين، ثم نقل إلى قضاء الجماعة بمراكش. وقد أدركته محنة أخرى فأخرج مع أهله إلى بادس، وبعد رجوعه إلى سبتة تفرغ للفتوى إلى وفاته. وكان حسن السيرة متثبتا في قضائه.

القاضي عياض، *ترتيب المدارك*، تح. سعيد أعراب، الرباط، منشورات وزارة الأوقاف، 1983، ج 8، ص. 170 ـ 171.

محمد المغراوي

غالي، أحمد بن محمد ولد سنة 1917 بمدينة الدار البيضاء، عمل الشهيد في صفوف المقاومة السرية المغربية، وشارك مشاركة فعالة في تحرير البلاد واسترجاع سيادتها.

ألقت السلطات الاستعمارية عليه القبض بتهمة امتلاك بعض الأسلحة وتخزينها (بندقية ومسدس وقنبلة) وعذبوه كثيرا ولما أعياهم البحث معه، ولما لم يقر لهم بشيء رموه من أعلى مركز الشرطة (كومسارية المعارف) فسقط رحمه الله شهيداً مقدما روحه ثمنا للحرية والاستقلال.

وكان ذلك بتاريخ 15 شتنبر 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 524708.

الغالية عرفت الغالية بالمغرب منذ أقدم العصور، وكانت تدخل ضمن أصناف الأطياب المستوردة إليه من المشرق العربي والحوض المتوسطي. وقد نقل العرب صناعتها عن حكماء اليونان القدامى، وبرعوا فيها لعدة قرون، وجعلوا منها مادة رفيعة وثمينة تهدى للملوك والحكام دون غيرهم، واستعملها الأطباء منهم في علاج عدة أمراض ذات الصلة بالأبدان والغرائز الجنسية. وذكر البكري أن المولى إدريس الأول قُتل غدرا بغالية مسمومة، وقال إن الخليفة العباسي شكا إلى يحيى بن خالد البرمكي دخول المولى إدريس إلى بلاد المغرب وإقامته بها، فتولى يحيى المذكور عملية قتله بواسطة سليمان بن جرير الجزري.

إلا أن المغاربة يطلقون أحيانا اسم "الغالية" على مسك الزبادة وقد ذكر عبد الرحمن السعدي في هذا الصدد أن

"السلطان مولاي أحمد الشريف الهاشمي ـ [أرْسَلَ] ـ رسوله إلى أسكيا الحاج بهدايا عجيبات له، وقصده في ذلك الاطلاع على حال بلاد التكرور، لأنه عزم على بعث رسوله إلى كَاغُ فتلقاه أسكيا بالإكرام، وأرسل له عند رجوع مرسوله أضعاف ما أُرْسَلَ هو من الهدايا من خدام وسنانير الغالية وغير ذلك". وقد شكلت مادة الغالية ـ (الزبادة) ـ إحدى أهم المواد التجارية التي كانت تنقلها القوافل المغربية من إفريقيا الغربية إلى حدود نهاية القرن الثالث عشر (19 م). وذكر دُ زُورارَا / De Zurara أن المغاربة كانوا ينقلونها إلى بلدانهم وإلى قلعة أرگوين / Arguin إلى حدود منتصف القرن الخامس عشر الميلادي، وأكد ڤالنتين فرنَانْدشْ / Valentin Fernandes صحة تلك الشهادة، وأشار إلى أن مصادرها تقع في المناطق الممتدة من كَرَآمنسا بجنوب السنگال إلى غاية السِّيرَاليون الحاليتين.

وقد حظيت الغالية ـ (الزبَادة) ـ باهتمام التجار المغاربة بصفة خاصة في البلاد السودانية، واحتكروا تجارتها بشكل كبير خلال القرن التاسع عشر الميلادي، فذكر محمد بن عثمان الحشائشي أن عدداً من أعيان التجار الغدامسية وصلوا إلى بلدة غات الليبية سنة 1896، وقد قدموا من بلاد السودان ـ (الأوسط) ـ "وكانوا يقيمون بكَانُو ـ [بنيجريا] ـ منذ ثماني عشرة سنة، وصلوا أثناءها إلى مكانة طيبة جدا، وكان لأحدهم يدعى (ابن حمود) بكَانُو أربعون قطا من النوع المنتج للزباد، يملكها لحسابه الخاص وتنتج له يوميا كمية كبيرة من الزباد السوداني دون اعتبار ما كان يشتريه من الزباد من التجار الآخرين". ومن المحتمل أن تكون هذه الطريقة هي الأكثر انتشاراً عند التجار المغاربة المقيمين في البلاد السودانية، في إنتاج وجمع وتصدير الزباد إلى المغرب.

أبو عبيد الله البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب*، تح. تر. دوسلان، باريس، ميزونوف، 1965 ؛ داوود بن عمر الأنطاكي، *تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب*، المكتبة الثقافية، بيروت، جزءان ؛ عبد الرحمن السعدي، *تاريخ السودان*، تح. تر. هوداس وبنوة، أنجي، بريدن، 1898 ؛ محمد بن عثمان الحشائشي، *الرحلة الصحراوية عبر أراضي طرابلس وبلاد التوارق*، تقديم وتعليق ومراجعة، محمد المرزوقي، الدار التونسية للنشر، 1988.

Gomes Eanes de Zurara, *Chronique de Guinée*, Mem. n° 60, Dakar, 1960 ; Valentin Fernandes, *Description de la Côte d'Afrique*, Paris, Larose, 1938 ; Raymond Mauny, *Tableau géographique de l'Ouest Africain au Moyen Age*, Mem. n° 61, Amesterdam, Swets et Zeitlonger N.V. 1967.

خالد أوشن

غَانم، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Janem - Ganim - Ganem.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1213.

ابن **غَانم، محمد** قائد مشارك في معركة وادي المخازن بجانب السلطان المتوكل وقد فر يوم 4 غشت 1578 إلى أصيلا التي كانت آنذاك بيد البرتغال، ومنها التحق بعاصمة لشبونة حيث انضم إلى حاشية الأمير مولاي الشيخ بن السلطان المتوكل وظل بجانبه إلى أن اعتنق الأمير دين الكفر.

Archivo General de Simancas (España), Guerra antigua

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **غَانم، يحيى** بن علال القرشي العمري المالكي (ت. 945 / 39 ـ 1538) ينسب إلى قبيلة بني مالك. إمام في العلم والعمل. من أجل تلامذة الشيخ التباع. وأخذ كذلك عن أحمد الحارثي عن الإمام الجزولي. وكانت له زاوية بموضع يقال له تيزغوين من بلاد أزغار (قريب من واد الردم، حيث كان الخلط يستقرون آنذاك). ودفن بوصية منه في فاس. وحضر السلطان أحمد الوطاسي لجنازته.

توفي سنة 945 / 1539.

ابن عسكر، *دوحة*، ص. 140 ؛ ع. الفاسي، *ابتهاج*، ص. 130 ـ 144 ـ 148 ؛ م. ع. الفاسي، *مرآة*، ص. 190 ؛ م. م. الفاسي، *ممتع*، ص. 55 ـ 109 ؛ ابن عيشون الشراط، *الروض العطر الأنفاس*، ص. 70 ـ 71 ؛ م. القادري، *التقاط الدرر*، ص. 68 ؛ أ. ابن يوسف الفهري الفاسي، *الفتح الصفية*، ص. 13.

المصطفى البوعناني

غانية (بنو ـ) تنتمي أسرة بني غانية إلى قبيلة مسوفة، عاصرت دولتي المرابطين والموحدين، وتوارث أفرادها الولاية والحكم في الأندلس وجزر البليار وإفريقية. قادت مقاومة عنيفة ضد الدولة الموحدية على امتداد حوالي قرن من الزمان، إلى أن توفي آخر ثوارها : يحيى بن إسحاق 633 / 1235 ـ 1236.

ومسوفة التي ينتسب إليها بنو غانية، إحدى قبائل صنهاجة ؛ كانت مواطنها في شمال إفريقيا، وأمام ضغط القبائل الأمازيغية البترية، اتجهت إلى الغرب والجنوب عبر موجات بشرية، شأنها في ذلك شأن القبائل الصنهاجية الأخرى، لتستقر في الصحراء، بين المغرب والسودان الغربي، في مناطق قاحلة تقع بين سجلماسة في الشمال وأودغشت في الجنوب، وكانت بعض بطونها توغل شرقا حتى تصل تادمكة وكوكو، مما جعلها تبسط سيطرتها على الطريق الحيوي للتجارة العابرة للصحراء ؛ وظلت كذلك إلى زمن ابن بطوطة (القرن 8 / 14).

ساهمت مسوفة في الأحلاف الصنهاجية التي مهدت السبيل لقيام دولة المرابطين، وانخرطت في الدعوة التي قادها عبد الله بن ياسين، فوفدت على المغرب الأقصى ضمن القبائل الصنهاجية الأخرى، خاصة لمتونة وجدالة، استجابة للدعوة التي وجهها إليها أمراء المرابطين للهجرة إلى الشمال

والاستقرار إلى جانبهم حتى "أصبح للكثير منهم في دولة المرابطين حظ وجاه" (ابن خلدون).

كان علي بن يوسف أول من برز من أسرة بني غانية على المسرح السياسي المرابطي، فقد أهلته كفاءته ومكانته بين قومه، ليكون قريباً من الأمير يوسف بن تاشفين. وربما كان تقريب الأمير المرابطي له مما أثار غيرة بعض رجالات لمتونة، تطورت إلى خلاف، مما اضطره إلى النجاة بنفسه واللجوء إلى الصحراء موطنه القديم. غير أن يوسف بن تاشفين استرضاه بعد سنين وأعاده إلى مكانته السالفة، التي يرجح أنها منصب مهم في البلاط ؛ وزوجه امرأة من بيته تدعى "غانية"، ومنها استمدت تسمية الأسرة.

وبعد تعيين يحيى بن علي بن يوسف من قبل الأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين، حاكماً للأندلس سنة 520 / 1126، أول بروز سياسي فعلي لأسرة بني غانية. فقد ظهر محمد بن علي بن يوسف، الذي عهد إليه أخوه يحيى بحكم جزر البليار، عقب اندلاع ثورة هناك في السنة ذاتها.

وهكذا كان بروز كل من يحيى ومحمد ابنا علي بن يوسف بمثابة تأسيس لأسرة حاكمة، تحت حكم المرابطين، ومستقلة بعد انهيارهم، في الحوض الغربي للبحر المتوسط.

خاض بنو غانية الصراع ضد المتمردين على الدولة المرابطين في السنوات الأخيرة من عمرها، حيث شهدوا انفصال معظم المدن الأندلسية عن المرابطين، وحاولوا الوقوف في وجه التدخل المسيحي الإسباني من الشمال، والموحدي من الجنوب، وعرف نفوذ بني غانية بعض التراجع بسبب عجز يحيى بن علي عن منع تطور الأحداث في الأندلس لصالح الموحدين، وتوفي في خضم ذلك في غرناطة، في شعبان 543 / دجنبر 1148.

وفي البليار، كان إعلان سقوط دولة المرابطين يعني استقلال الجزر استقلالا نهائيا تحت حكم محمد بن غانية، الذي انصرف إلى العناية بشؤونها ؛ وآوى فلول المطاردين في الأندلس، من أتباع المرابطين، وربط علاقات ودية وتجارية مع المدن الإيطالية (بيزا وجنوة)، إلى أن قاد ابنه إسحاق انقلابا ضده، رداً على إعلانه ابنه الأكبر عبد الله ولياً للعهد.

وهكذا أصبح إسحاق بن محمد حاكماً للبليار منذ سنة 550 / 1155، يدير أمورها بمعزل عن الصراعات التي شهدتها الأندلس بين الموحدين والثوار الأندلسيين والإسبان، مما أتاح له القيام بتحصينها وضبط شؤونها، بمساعدة أولئك الذين فضلوا الحفاظ على ولائهم للمرابطين، وبفضل هؤلاء أيضاً قاد حملات عسكرية في البلاد المسيحية. ووعيا منه بأن استقرار جزر البليار رهين بانشغال الموحدين بأحداث الأندلس، وبأن خضوع الأندلس للسيطرة الموحدية، يعني تفكير الخلفاء في التوجه إلى الجزر غير البعيدة منها، قام بمهادنة الخليفة يوسف ابن عبد المؤمن عبر إرسال الهدايا والأسرى المسيحيين، لكسب مودته.

وحدث ما توقعه بن محمد من تطلع الموحدين إلى جزر البليار، ففي سنة 578 / 1182 / 1183 دعا الخليفة الموحدي يوسف، زعيم بني غانية إلى الدخول في طاعته والدعاء له على المنابر. وأحدثت هذه الدعوة انشقاقا في صفوف بني غانية، وانقسموا بين راغبين في الاستجابة لها وبين آخرين فضلوا الاستقلال وقيادة المقاومة ضدها. وأمام تردد إسحاق في اتخاذ القرار المناسب، فكر في إشغال أتباعه بالحرب ضد المسيحيين، فكانت تلك آخر حملة في هذا الاتجاه، حيث قتل فيها سنة 579 / 1183.

غير أن تأجيل الرد على الدعوة الموحدية لم يعد مقبولا لدى خلفه محمد بن إسحاق، الذي وجد نفسه أمام خيارين : الاستجابة وما قد تثيره من حرب أهلية بين أنصاره، أو الرفض وتبعاته، إذ لن يكف آنذاك الموحدون أيديهم عن إمارته.

أظهر محمد بن إسحاق ميله إلى الخضوع للموحدين، فأعلن طاعته لهم. وسارع الخليفة الموحدي إلى إيفاد أحد قادته، و علي بن الريرتير، إلى جزر البليار للوقوف على جدية قرار بني غانية والاطمئنان إلى صدقه. وكان ذلك إيذانا بإشعال نار الفتنة في ميورقة، حيث دبر في السر انقلاب ضد محمد بن إسحاق، تزعمه إخوته، وعلي رأسهم علي، فقاموا بسجنه ومبعوث الخليفة، واستولوا على السفن التي حملته من سبتة. وجرت هذه الأحداث فيما بين محرم وربيع الثاني من سنة 580 / أبريل - يونيوز 1184.

اعتقد علي بن إسحاق وقد تولى زعامة بني غانية، أن بإمكانه الوقوف في وجه الموحدين، شرط أن يكون ذلك خارج جزر البليار، وبالضبط في إفريقية، مستغلا ظروفهم هناك. ومن هنا جاء تفكيره في غزو ممتلكات الخلافة الموحدية في المغرب.

واتخذت مقاومة بن غانية للموحدين في بلاد المغرب أبعاداً خطيرة، وذلك بنجاحها في عقد تحالفات مع الأتراك الأغزاز ومع عرب بني هلال، وفي الحصول على دعم بربر الإمارات السياسية السابقة كبني حماد، واستقطاب مجموعات بربرية مازالت على ولائها للمرابطين.

وهكذا تمكن علي بن إسحاق من تحقيق انتصارات سريعة في المغرب الأوسط،لكنها سرعان ما تحولت إلى انتكاسات بمجرد تحرك القوات الموحدية، براً وبحراً، في المنطقة ؛ ليضطر بنو غانية إلى التوجه إلى إفريقية، خاصة في الجنوب، في قفصة وتوزر... مما استدعى تدخل الخلافة الموحدية من جديد.

وتوالت جولات المواجهات بين بني غانية والموحدين في إفريقية، أسفرت إحداها عن هزيمة موحدية (موقعة عمرة 583 / 1187)، ثم هزيمة بني غانية (موقعة الحمة في السنة ذاتها)، ليتوالى سقوط مدن وقواعد إفريقية في يد الموحدين، مثل قابس وقفصة وتوزر ونفطة وتقيوس ...

وفي الوقت الذي كان فيه علي بن إسحاق يعمل على تجميع قواته لمواجهة الموحدين واستعادة ممتلكاته في إفريقية،

فاجأه الموت سنة 584 / 1188 / 1189، ليخلفه في زعامة بني غانية أخوه يحيى بن إسحاق.

وهددت حركة بني غانية بقيادة يحيى بن إسحاق، مرة أخرى الوجود الموحدي في إفريقية، فقد قاد هذا الزعيم انطلاقا من الصحراء حملات عسكرية، تمكنت من إخضاع طرابلس، مؤقتا، ثم قابس والمهدية، مما مهد السبيل أمامه لاكتساح مدن باجة وقسنطينة وبسكرة وبونة، ولم يبق أمامه سوى مدينة تونس مركز الوالي الموحدي.

وتفسر انتصارات يحيى ابن غانية تلك بقوة حركته وانبعاثها من جديد، كما تفسر بظروف الخلافة الموحدية التي كانت تعرف تدهوراً كبيراً، بفعل ثورات داخلية كثورة عبد الرحيم الجزولي في سوس، وبفعل انشغالها بفصل قاعدة بني غانية الأولى، وهي جزر البليار، عنهم، وهو ما تم فعلا، لتسقط الجزر نهائياً في يد الموحدين، ولم تعد للملثمين أية سيطرة عليها.

وتوجه يحيى بن إسحاق، من المهدية إلى تونس آخر معقل للموحدين بإفريقية، سنة 599 / 1203، فحاصرها في جيش كثيف لمدة أربعة أشهر، وحين لم تصلها الإمدادات، أعلنت استسلامها في 7 ربيع الثاني 600 / 14 دجنبر 1203، فدخلها ابن غانية ونكل بأهلها.

ولم تكن الانتصارات العسكرية التي حققها يحيى ابن غانية كفيلة بضمان استقرار الوضع لصالحه في المناطق التي خضعت له، خاصة وأن السياسة التي سلكها في تدبير شؤونها كانت تقوم على الشدة وقوة السلاح وقسوة المغارم. مما ولد شعوراً بالتذمر الشديد، تطور إلى إعلان عدة جهات التمرد عليه، مثل جبل نفوسة بعمل طرابلس، وطرة بإقليم نفزاوة والحمة وقابس. ووجدت الخلافة الموحدية نفسها مضطرة إلى القيام بحملة عسكرية حشدت لها جيشاً كبيراً وأسطولاً بحرياً، سيرهما الناصر الموحدي باتجاه بجاية وتونس. وحمل هذا التحرك إنعاراً لبني غانية بعزم الموحدين على استئصال حركتهم.

وهكذا قرر يحيى إخلاء تونس والتراجع إلى القيروان ومنها إلى قفصة التي دخلها الموحدون، ومنها إلى قابس حيث عقدوا العزم على مطاردته مهما كلفهم ذلك من ثمن. والتقى الطرفان في معركة تاجرا، قرب قابس، سنة 602 / 1205، أسفرت عن هزيمة زعيم بني غانية، أمام الشيخ عبد الواحد بن أبي حفص الهنتاتي قائد الموحدين، وفراره في جماعة قليلة من أتباعه، في وقت كان فيه الناصر الموحدي محاصراً للمهدية، التي استسلمت له بعد مقاومة عنيدة، في جمادى الأولى 602 / 1205. ثم عاد الناصر إلى مراكش، بعد أن عين الشيخ عبد الواحد والياً على إفريقية.

لم يكن نصر تاجرا انتصاراً مبرما على ثورة بني غانية، وإن كان قد أعلن العد العكسي لنهايتها. فقد توغل يحيى ابن غانية في الصحراء، وظل هناك يترقب الفرصة السانحة. وأمام ظهوره من جديد، بادر الوالي الموحدي عبد الواحد بن أبي حفص سنة 604 / 1207 إلى التصدي له، وأرغمه على التراجع مرة أخرى، والبحث عن مناطق ضعف في الامبراطورية الموحدية غير إفريقية : وهو ما تحقق له في تلمسان حيث نجح في استقطاب قبيلة زناتة المناوئة للموحدين، التي أوته وبفضل دعمها تمكن من هزم الوالي الموحدي، خارج المدينة. وفضل يحيى عدم دخول تلمسان لامتناع أهلها عن دعمه، فاستولى على تاهرت مؤجلا تلمسان إلى فرصة أخرى.

وتحركت الخلافة الموحدية من جديد، بعد أن تيقنت أن حملة الناصر لم تكن كافية للقضاء نهائيا على بني غانية، فقرر يحيى التراجع مرة أخرى خوفاً من تضييق الموحدين الخناق عليه شرقاً (الهنتاتي) وغرباً (أبو زيد بن يوجان والي تلمسان). لكن الشيخ عبد الواحد الهنتاتي اعترض طريقه فهزمه، وجعله يلجأ إلى جبال طرابلس، بل ويواصل مطاردته في عقر داره جبال نفوسة، وهو ما تم له سنة 606 / 1209 / 1210، مما أسفر عن هزيمة منكرة لحقت يحيى ابن غانية وأتباعه.

استغل ابن غانية وفاة عبد الواحد الحفصي، والي إفريقية، في غرة المحرم 618 / 1221 ليعاود الظهور من جديد من معاقله الصحراوية، منتهزاً ما رافق ذلك من اضطراب الوضع في إفريقيه. فقاد جولات من الصراع ضد الوالي الموحدي الجديد (أبو العلاء إدريس بن يوسف بن عبد المؤمن)، امتدت من طرابلس إلى بسكرة وتونس والقيروان. وبدا أن بني غانية عادوا لاكتساح إفريقية من جديد، فانتشر الهلع بين أهلها، غير أن هزيمة أخرى ليحيى ابن غانية قرب قرية مجدول، بين قفصة والقيروان أرغمته على التراجع من جديد إلى الصحراء.

وظهر يحيى ابن غانية في مناطق بجاية وبعض سواحل المغرب الأوسط، التي استطاع اكتساحها، غير أن تصدي والي إفريقية الجديد عبد الله بن عبو بن عبد الواحد الهنتاتي له، دفعه إلى الاتجاه صوب سجلماسة، مما أعجز الموحدين عن مطاردته، لكن إلى حين.

وتولى أبو زكريا الحفصي أخذ زمام المبادرة، فلم ينتظر ظهور يحيى بن إسحاق بل سارع إلى ملاحقته وأنصاره من عرب بني هلال وبني سليم وغيرهم، في المنطقة الواقعة بين طرابلس وورقلة.

وأمام شدة وطأة هذه المطاردة، لم يبق مع يحيى ابن غانية في أواخر أيامه سوى قلة قليلة من أتباعه المخلصين، فقد تخلى عنه إخوانه وأقرباؤه، وقتل ابناه في إحدى المواجهات : ومع ذلك لم يفكر في الاستسلام، إلى أن توفي على ضفاف الشلف، غير بعيد عن مليانة، سنة 633 / 1235 / 1236، ودفن هناك. مخلفا وراءه ثلاث بنات، استأمنهم لدى خصمه الأمير أبي زكريا الحفصي، فحظين بمعاملة طيبة، وجعلت إقامتهن في قصر خاص بمدينة تونس، عرف بقصر البنات. وبذلك أسدل الستار على حركة بني غانية، وانقطعت أخبارهم.

شجرة نسب بني غانية

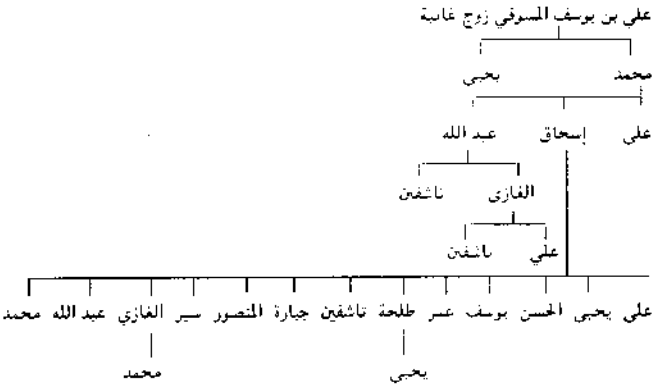

ابن **غانية، علي بن إسحاق** : ينتمي علي بن إسحاق إلى أسرة بني غانية الصنهاجية الشهيرة، التي قادت مقاومة عنيفة ضد الموحدين. فهو علي بن إسحاق بن محمد بن علي بن يوسف المسوفي، الملقب بالميورقي. تولى زعامة ثورة بني غانية في جزر البليار في ظروف مضطربة، فانتقل منها إلى المغرب الأوسط وإفريقية، حيث وجه من هناك ضربات موجعة للسلطة الموحدية، فتت في عضدها. وصفته المدونات التاريخية بالجرأة والبسالة والحكمة والحزم.

لم تسجل المصادر معلومات تهم حياة علي بن إسحاق قبل توليه قيادة حركة بني غانية في ميورقة سنة 580 / 1184 ؛ ففي هذه السنة حدث انقلاب في جزر البليار ضد زعيم الحركة محمد بن إسحاق، الذي اتخذ قرار إعلان ولائه للموحدين دون استشارة بقية إخوته، الذين نقموا عليه انفراده بالرأي، فقرروا التخلص منه، ورموه في السجن وعينوا مكانه أخاه علي. ويرجح وقوع هذه الأحداث بين تاريخ توجه الخليفة الموحدي يوسف إلى الأندلس في محرم 580 / أبريل ـ ماي 1184، وبين وفاته يوم السبت 12 ربيع الثاني 580 / 23 يوليوز 1184.

كان أول عمل أقدم عليه علي بن إسحاق وقد تولى زعامة الحركة، هو اعتقال علي بن الربرتير موفد الخليفة الموحدي وإيداعه السجن، ليتفرغ لتنظيم الدفاع عن جزر البليار، مستشعراً خطورة خطوته ومستغلاً انشغال الموحدين بشؤون الأندلس.

رغم الإمكانيات المادية والبشرية التي وفرتها جزر البليار لبني غانية، فقد ارتأى زعيمهم الانتقال منها إلى بلاد المغرب، لأنها توفر مجالاً شاسعاً للمقاومة والمناورة في انتظار المواجهة الحاسمة، كما أن مواجهة الخصم في عقر داره يحمل دلالة نفسية قوية، سواء بالنسبة لأتباعه أو لخصومه.

وتنم خطوة الانتقال عن جزر البليار إلى المغرب عن حس سياسي كبير، فقد عول علي بن إسحاق على دعم مجموعة من القوى، على رأسها عرب بني هلال وبربر الإمارات السابقة كإمارة بني حماد، بالإضافة إلى عدم جهله ببقاء مجموعات بربرية على ولائها للمرابطين. كما أنه بإعلانه الحرب على الموحدين سيجبرهم على استدعاء قسم كبير من قواتهم من الأندلس، فيصرف بالتالي نظرهم عن ضرب جزر البليار، قاعدته الخلفية.

كانت إفريقية تعيش اضطرابا سياسياً كبيراً في خلافة أبي يوسف يعقوب المنصور، إذ لم يكن الوضع قد استقر فيها لصالحه بعد، نتيجة بقائها في الظل أمام انشغال الموحدين بالأندلس والمغرب الأقصى (ثورة غمارة)، وبعدها عن مركز الخلافة في مراكش. وتعزز هذا الوضع بظهور الزعيم الأرمني قراقوش، أحد رجال صلاح الدين الأيوبي، على رأس مجموعات تركية مصرية، ابتداء من سنة 568 / 1173، جعلت هدفها الاستقرار في إفريقية، وتأسيس إمارة بها. وهو ما تحقق لها بدعم من العرب هناك.

عجل خبر موت الخليفة الموحدي أبي يعقوب يوسف ببداية تنفيذ علي بن إسحاق لمشاريعه، فقد استغل انشغال الخليفة الموحدي الجديد بتوطيد سلطته، ليقوم بإسناد حكم البليار لأخيه طلحة، وليجهز أسطولا، قاده بنفسه صحبة بعض إخوانه كيحيى وعبد الله والغازي وجبارة. وكان الأسطول يتكون من 32 سفينة ومائتي فارس وأربعة آلاف من الرجالة، ساعدته رياح مواتية على مغادرة ميورقة والتوجه عرضا في البحر إلى الشرق. وبعد مرور عدة أيام وصل الأسطول إلى بجاية، واستولى عليها في 6 شعبان 580 / 12 نونبر 1184.

انضم العرب الهلاليون إلى زعيم بني غانية، خاصة منهم الأثبج وجشم ورياح ـ في حين ظلت زغبة وفية للموحدين ـ مما شجعه على تنظيم استقراره بمدينة بجاية والمنطقة المجاورة لها، فعين أخاه يحيى حاكما للمدينة، وعين الفقيه عبد الحق ابن الرحمان الأزدي خطيباً بالجامع الكبير. وعمل على كسب ود القبائل عبر توزيع الغنائم على أفرادها، ثم فتوحات جديدة خارج المدينة باتجاه الغرب، فتمكن من الاستيلاء على مدينة الجزائر، وولى عليها ابن أخيه يحيى بن طلحة، ثم واصل زحفه غربا، لتسقط كل من مدينتي موزية ومليانة في قبضته.

وكانت مدينة مليانة الحد الذي لم يتجاوزه علي بن إسحاق في فتوحه الغربية، باعتبار أن هذه المنطقة تعد مجال ولاء قوي للموحدين، وهو ما تؤكده برودة استقباله في مليانة نفسها، وباعتبار سماعه بخبر انتقال الخليفة يعقوب المنصور من الأندلس إلى المغرب.

عاد علي بن إسحاق إلى الجبهة الشرقية عبر قلعة بني حماد، التي اقتحمها بعد حصار دام ثلاثة أيام ؛ وبدعم من العرب وصل إلى أسوار قسنطينة الحصينة، التي استعصت عليه.

وأغرت هذه الانتصارات السريعة ابن غانية ودفعته إلى مواصلة زحفه، دون أن يلتفت إلى أن حلفائه من العرب وغيرهم لم يكونوا مستعدين للصمود معه في أول نكسة يتعرض لها، وهذا ما حدث فعلا.

عاد الخليفة يعقوب المنصور من الأندلس بعد أن اطمأن إلى استقرار الوضع نسبيا هناك، ليتفرغ لحركة بني غانية التي تهدد دولته. فقام بإعداد حملة عسكرية برية وبحرية، ضمن 20 ألف رجل، واتجهت شرقاً. وكانت أخبار هذه الحملة كافية لبداية تصدع صفوف بني غانية. فقد نزع أهل ميانة ولاءهم لعلي بن إسحاق، وعادوا إلى الطاعة الموحدية، مما اضطر حاكمها إلى الانسحاب منها ليلا، وهو ما عرضه للملاحقة التي انتهت بمقتله. وما حدث في ميانة تكرر في الجزائر، فقد قام أهلها بأسر حاكمها واستقبال الأسطول الموحدي بحفاوة وقدموا إليه الأسرى عنوانا لولائهم. ثم جاء دور مزية التي فتح أهلها أبوابها للموحدين.

أثرت هذه الأحداث في القبائل المناوئة للموحدين، ودفعتها إلى التخلي تباعا عن بني غانية، مما عجل بسقوط بجاية نفسها، التي انسحب منها يحيى وعبد الله ليلتحقا بأخيهما على المحاصر لمدينة قسنطينة، وذلك أمام تقدم القوات الموحدية براً وبحراً. وهكذا سقطت بجاية بدورها في يد الموحدين في صفر 581 / ماي 1185 بعد أن ظلت سبعة أشهر بيد بني غانية.

وكان إقدام الأسطول الموحدي على مهاجمة مدينة بجاية خطأ كبيراً، عندما لم ينتظر وصول القوات البرية، مما وفّر لبني غانية فرصة تجميع صفوفهم ورفع الحصار عن قسنطينة واللجوء إلى الصحراء ؛ حيث لم تتمكن القوات الموحدية من اللحاق بهم.

واخترق علي بن إسحاق الأطلس الصحراوي عبر بعض الواحات ليصل إلى بلاد الجريد، وهناك بدعم من عرب جشم ورياح قام بفرض الحصار على توزر، التي استسلمت له بعد مقاومة عنيفة، سنة 582 / 1186، فصادر أملاك أهلها وباع سبيها في الأسواق. ومن توزر قصد ابن غانية قفصة التي فتحت له أبوابها دون مقاومة، ومنها إلى طرابلس التي عقد بها حلفا مع قراقوش وأنصاره الغز وعرب رياح.

ولم يهمل علي بن إسحاق جزر البليار، فأمام تطور الأوضاع بها لغير صالحه، منذ تدبير مبعوث الخلافة الموحدية علي بن الربرتير السجين انقلابا ضد الأمير طلحة ونجاحه في إرجاع محمد بن إسحاق إلى مكانه حاكما للجزر، وإعلانه ولاءه للموحدين سنة 581 / 1185 ؛ أو كل علي بن إسحاق إلى أخيه عبد الله مهمة استعادة الجزر، وهو ما تم له في ظروف غامضة.

واستشعرت الخلافة الموحدية خطورة الموقف فوجهت أسطولها المرابط في بجاية إلى الجزائر الشرقية، وفرضت الحصار عليها. غير أن رد فعل علي ابن غانية كان سريعا، فقد أوفد، مطمئناً إلى تحالفه مع قراقوش، أسطوله بقيادة أخويه عبد الله والغازي، اللذين وصلا إلى ميورقة وتمكنا بمساعدة أهلها من فك الحصار الموحدي عنها، في نهاية سنة 582 أو بداية 583 / 1187.

وأمام استفحال سيطرة بني غانية والعرب على جل جهات إفريقية عدا المهدية وتونس، قام الوالي الموحدي عبد الواحد الهنتاتي بمراسلة الخليفة الموحدي مستنهضا إياه لإنقاذ البلاد، خاصة وأن زعيم بن غانية علي بن إسحاق أصبح يتصرف في المناطق الخاضعة له باعتباره الأمير الشرعي للدولة المرابطية، فقد اعترف بولائه للخليفة العباسي الناصر بن المستضيء بالله، وراسله أملا في الحصول على دعمه، بل قام بإيفاد ابنه على رأس وفد إلى بغداد إلحاحا منه في طلب العون.

واستجاب الخليفة العباسي، فعقد لابن غانية على سائر ما تحت يده من أقطار وأمصار، ثم أصدر أمره إلى حاكم سوريا ومصر صلاح الدين الأيوبي بدعم ابن غانية، وهو ما حصل عليه علي بن إسحاق من قراقوش، الذي سارع إلى التحالف معه ضد الموحدين.

ودفعت هذه التطورات المتلاحقة الخليفة الموحدي يعقوب المنصور إلى تجهيز حملة عسكرية، بلغ تعداد أفرادها 20 ألف فارس. وفي بداية سنة 583 / 1187 غادر الخليفة العاصمة مراكش باتجاه إفريقية. واستعد علي بن إسحاق للمواجهة الحاسمة، بتجميع قواته في بلاد الجريد في الجنوب، حتى يكون قريبا من الصحراء، في حال انكساره. واستقر المنصور الموحدي بمدينة تونس، ومنها بعث بحملة تتكون من 6 آلاف فارس، دخلت في مواجهة مع بني غانية، في سهل عمرة، قرب قفصة، في 15 ربيع الأول 583 / 25 ماي 1185، أسفرت عن هزيمة الموحدين وفقدانهم أعداداً كبيرة من الجند، ولجوء الباقين إلى قفصة، حيث أمنهم ابن غانية ثم قتلهم.

وقرر الخليفة الموحدي المقيم في تونس القيام بنفسه وقيادة الحملة، وهو ما أحدث اضطرابا في صفوف بني غانية، اضطر علي بن إسحاق إلى الانسحاب إلى موقه حصين قرب قرية الحمة، بين قابس ونفطة، خاصة بعد انكسار العرب أمام الزحف الموحدي. وهناك التقى الطرفان في 9 شعبان 583 / 14 أكتوبر 1187، في معركة عنيفة، خلفت العديد من القتلى من بني غانية وأتباعهم العرب ؛ ليترك علي بن إسحاق إفريقية وبقصد الصحراء، وليتوالى سقوط مدن وقواعد إفريقية بيد الموحدين ؛ مثل توزر وقابس وقفصة وتقيوس والحمة ونفطة ...

وأغرت هذه الانتصارات الخليفة الموحدي، فترك مطاردة بني غانية وقرر العودة إلى الأقصى معتقداً أن إفريقية أصبحت آمنة. غير أن علي بن إسحاق ظهر صحبة قراقوش من جديد في جنوب إفريقية، وقام بتجميع قواته وترميم صفوفها ؛ لكن الموت فاجأه في وقت كان يستعد فيه لبداية جولة جديدة من الصراع ضد الموحدين.

ويكتنف الغموض تاريخ وفاة علي بن إسحاق ابن غانية وظروفها، إذ يتراوح ذلك بين روايتين : الأولى لعبد الواحد المراكشي التي تشير إلى وفاته متأثراً بجراحه في معركة الحمة، في خيمة عجوز أعرابية ؛ والثانية لابن خلدون التي ترجعها إلى صابته بجراح في معركة ضد نفزاوة سنة 584 / 1188 / 1189. ثم إن روايات أخرى تذهب إلى أنه كان

حيا سنة 591 / 1195. ويشمل الغموض قبره أيضا، فهو موجود لدى نفزاوة، وفي روايات أخرى تم حمل جثته إلى ميورقة، ودفن بها. ومرد هذا الغموض هو تعرض المعلومات المكتوبة والأثرية إلى الإتلاف، أو انعدامها أساساً.

ولم تكن وفاة علي بن إسحاق لتنهي مقاومة بني غانية، فقد تسلم قيادتها خلفه يحيى بن إسحاق.

ابن **غانية، محمد** بن **علي** (ت. 550 / 1155) ينتمي محمد بن علي إلى أسرة بني غانية المسوفية الصنهاجية، التي اضطلع بعض أفرادها بدور فاعل في تاريخ الأندلس قادة للجيوش وولاة على بعض الجهات، واستمر هذا الدور بعد زوال الدولة المرابطية، في جزر البليار وإفريقية. وغانية، التي انتسب إليها هؤلاء - ومن ضمنهم محمد بن علي - هي قريبة يوسف بن تاشفين وزوجها يوسف كان أحد زعماء قبيلة مسوفة الصنهاجية.

تلقى محمد بن علي بن غانية تربيته الأولى في بلاط مدينة مراكش المرابطية، وأصبح موضع ثقة الأمير علي بن يوسف بن تاشفين، الذي أرسله إلى الأندلس، صحبة أخيه يحيى الوالي على بلنسية وقرطبة. وعهد إليه أخوه هذا بولاية بعض أعمال قرطبة التابعة له. وتذهب بعض المصادر إلى القول إن الأمير المرابطي عينه والياً على الجزائر الشرقية سنة 520 / 1126، عند قيام ثورة أهلها ضد الوالي وانور بن أبي بكر، وإن كنا نجهل الكثير عن السنوات الأولى من حكمه للجزر.

وتلقي ظروف المرحلة الانتقالية بين المرابطين والموحدين في الأندلس بظلالها على ولاية محمد بن غانية على جزر البليار، وإن كانت هذه الولاية سجلت فاتحة عهد جديد في تاريخها. فقد عمل على ضبط شؤونها بحزم كبير، جعل حكمه لها يمتد زمناً طويلاً إلى ما بعد وفاة الأمير المرابطي علي بن يوسف سنة 537 / 1143. بل إنه نجح في توطيد نفوذه بجزر البليار بمعزل عن تطور أحداث الدولة الموحدية، فقد حافظ على ولائه للمرابطين، واستمر في الدعوة لهم على المنابر إلى جانب خلفاء بني العباس.

وهكذا غدت جزر البليار تحت حكم محمد بن علي بن غانية ملاذا لفلول المرابطين، من أمثال ابن هلال والي لاردة. وشجع استقرار الأوضاع في الجزر أميرها على التحكم في شؤونها، فعهد إلى ابنه الأكبر عبد الله بولاية عهده.

وتختلف الروايات التاريخية بشأن مصير محمد ابن غانية بين قائلة بوفاته وتولية ابنه عبد الله بعده، وأخرى تقول بقيادة ابنه إسحاق انقلابا ضده وضد ولي عهده، انتهى بمقتلهما، وبتوليته أمور الجزائر الشرقية سنة 550 / 1155.

وقد حقق حكم محمد ابن غانية للجزائر الشرقية نوعاً من الاستقرار بفضل حنكته الإدارية والدبلوماسية، فقد ضبط شؤونها بمساعدة مجلس يسهر معه على تدبير أمورها. كما حافظ على علاقات طيبة بأخيه يحيى في الأندلس، وهو ما يعبر عنه مغادرته جزره سنة 538 / 1143 - 1144 نحو الأندلس مهنئا أخاه بمناسبة تعيينه قائداً عاماً لها. كما نجح في ربط ولايته بعلاقات ودية وتجارية مع المدن الإيطالية، خاصة بيزا وجنوة، منذ سنتي 544 - 545 / 1147 - 1150.

مجهول، *الاستبصار في عجائب الأمصار*، 1985 ؛ ع. الواحد المراكشي، *المعجب في تلخيص أخبار المغرب*، 1978 ؛ ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 10 : 1995 ؛ ابن أبي زرع الفاسي، *الأنيس المطرب بروض القرطاس*، 1973 ؛ ع. الله بن محمد التجاني، *رحلة التجاني*، 1981 ؛ ع. الرحمن ابن خلدون، *كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر*، 6 - 1992 ؛ م. عبد الله عنان، *عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس*، 2 : 1964 ؛ م. العروسي المطوي، *السلطنة الحفصية*، 1986.

Alfred Bel, *Les Benou Ghânya*, 1903.

عبد الإله بلملیح

غَجُو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Gallo نسبة إلى المدينة الإسبانية التي تحمل نفس الاسم.

غجو، محمد بن أحمد، كان يعتبر أمهر مدفعي بحامية تطوان سنة 1246 (1831).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1217.

محمد ابن عزوز حكيم

غدات (واد وحوض -) مجرى مائي بالسفوح الشمالية للأطلس الكبير الغربي، ينبع عند حدوده الشرقية بمنطقة فج تيزي ن تيشكا، يعتبر من أهم روافد نهر تانسيفت، ويقال إن التسمية معربة ومشتقة من كلمة أمازيغية : تاغدوت التي تعني جذع شجرة، وقد اشتهر سرير الواد بأشجار الصفصاف. تبلغ مساحة حوضه الجبلي 537 كلم^2 وطول مجراه الجبلي 50 كلم والسهلي بشرق الحوز 24 كلم. يبلغ معدل ارتفاع مجراه الجبلي 1825 متر ودرجة انحداره 15 درجة.

تبدأ منابع روافده من سفوح سلسلة أعراف أنرار أوزليم وأدرار تيغشت 3578م، تكون حاجزاً صخرياً بين الواجهة الأطلنتيكية الشمالية الغربية والواجهة الصحراوية الجنوبية الشرقية، تتجاوز بعض قممها 3500 م، يقطعها اثنان من أهم فجاج الأطلس الكبير هما : تيزي ن تلوات 2415 م الممر التاريخي نحو تافيلالت ودرعة، وتيزي ن تيشكا الممر الجديد الذي تعبره الطريق الوطنية رقم 9 بين مراكش وورزازات علوه 2200 م.

تتكون هذه الجبال المركزية من شبست قديم يرجع إلى الزمن الجيولوجي الأول توضع خلال نظامي الفحمي والكامبرو أوردوفيسي، تتوزع حول نوايا گرانيتية وصخور صهيرية اندفاعية : الريوليت، ترجع إلى ما قبل الكامبري.

ساهم اندفاعها خلال الانتهاض الهرسيني على رفع وتحويل الشيست إلى شيست متبلور، وإعادة تشكيل الكتل الكبرى بفعل ما تخللها من الفوالق والانزلاقات. ويبدو أن الأغطية الرسوبية للأزمنة اللاحقة، أزيلت بفعل عوامل التعرية القوية هنا. يلي هذه القمم نحو السافلة مجالات ترجع إلى الزمن ج 1، توضعت بها مواد البيرموترياس : حث وطين وهي مواد هشة، شكل فيها واد غدات وروافده مجراه الرئيسي، كانت تشكل الغطاء الرسوبي لما بعد الفترة الهرسينية تغطي القاعدة القديمة، تعرض خلال الحقبة البيرينية والألبية إلى حركات لي قوية، كونت به مقعرات واسعة تنفصل عن بعضها بمحدبات ضيقة وتدفقات بركانية قديمة مازالت تتمثل في سطوح من اللافا فوق بعض القمم. ونجد بسافلة الحوض مقعرات وأحواضاً أكثر اتساعا خاصة بصخور البيموترياس وسلاسل من الطبقات الكربناتية. يتعاقب فيها الكلس والصلصال والحث وقليل من الرصيص، تكون كتلا وأعرافا يخترقها الواد مكونا أحواضا صغيرة وخوانق ضيقة متوالية تشرف عليها أجراف يبلغ علو بعضها مئات الأمتار. وتتراوح الارتفاعات في الجبال المتوسطة 1500 ـ 2000 م. وأهم ما يميز هذا الحوض الجبلي أنه ظل محافظاً على بنيته الأصلية رغم معاودة نشاط التعرية بقوة خلال الحركات التكتونية التي خلفت التواءات وانكسارات وانزلاق أغطية رسوبية ترجع إلى الزمن ج 2. فهو نهر سالف كجل وديان الأطلس الغربي، بالمقارنة مع أهم الحوادث الأطلسية. وتسمح المدرجات والسطوح الغرينية النهرية بتتبع أهم مراحل الحفر والترسيب التي عرفها الحوض خاصة بسافلته. وبعدها يعبر الوادي منطقة الدير التي تتكون من مجموعة تلال مقدمة الأطلس : 900 إلى 1200 م، وينتهي الواد بعبور آخر ثغرة له بمخرجه إلى السهل عند مركز سيدي رحال مكوناً مروحة مخروط غير منتظمة تتميز بقطاع مستعرض مقبب، ينحرف الواد عن محورها نحو شمالها الغربي ليصل إلى مستوى قاعدته : تانسيفت، كما تتلاصق مع مروحة واد لاغ ومروحة واد تازارت.

المناخ : تتميز المنطقة بتباينات مناخية ومطرية كبيرة من فصل لآخر ومن سنة لأخرى، خاصة في العقدين الأخيرين من القرن العشرين، حيث صارت السنوات الجافة أكثر من الممطرة. يسود حوض غدات مناخ متوسطي يخضع لمؤثرات أطلنتيكية تميل إلى القارية، وصحراوية أحياناً، تتبدد تساقطاتها من سنة لأخرى. ويصنف هذا المناخ في إطار شبه الجاف ودون الرطب، تتزايد مقادير الأمطار من منطقة الدير بسافلة الواد حيث سجل في محطة سيدي رحال على علو 700 متر : 340 ملم / سنة وذلك في الفترة 1975 ـ 1996. لكن معدل الأمطار يزيد في الجبال الوسطى، ذلك أن الكتل الهوائية الرطبة التي تأتي من الشمال الغربي تصعد مع الوادي إلى أن تصطدم مع جبهة عالية تتكون من جبل إيفروان وجبل گدروز، فتتوقف جل السحب مما يكون فضاءاً مضبباً طيلة أسابيع عديدة من أشهر الشتاء، وهنا يقع المركز الغابوي الاصطيافي لتوفليحت على علو 1450م حيث يسجل أكبر معدل مطري بالأطلس الكبير الغربي 884 ملم خلال الخمسينيات والستينيات لكنه انخفض في الفترة 1978 ـ 1994 إلى 676 ملم (سجل به في السنة الفلاحية 94 ـ 95 : 426 ملم وفي السنة الموالية 95 ـ 96 : 1218 ملم). يبدأ تساقط الثلوج بعد علو 1400 ـ 2000م حسب السنوات إن كانت رطبة أو جافة، لكن بعد 2500م تكون جل التساقطات من الثلج التي تدوم طيلة أشهر الشتاء، مما جعل جل المجال الجبلي العالي خالياً من الغابات. يتميز شتاء حوض غدات بقساوته، إذ تنخفض حرارة الأحواض الداخلية والقمم العالية إلى ما دون الصفر خاصة في شهري دجنبر ويناير. وتزداد البرودة مع الارتفاع حيث تبقى الثلوج طيلة الشتاء، وكثيراً ما أغلقت فج تيشكا خلال الستينيات والسبعينيات. أما الصيف فيعرف اعتدالاً نسبياً عندما تسود رياح "أزاغار". لكن عندما تهب عليه الرياح الشرقية الجنوبية ترتفع حرارة أحواضه إلى ما فوق 40 درجة أحيانا، وقد تتسبب في عواصف رعدية عنيفة لتصادم كتل هوائية متناقضة وتخلف كوارث كما حدث في صيف 1995.

التربة : تسود القمم والمنحدرات العالية تربة هيكلية معدنية خشنة تفتقر إلى الدبال ذات سمك بسيط، ذلك أن شدة الانحدار وقساوة المناخ لا تسمح بنضجها أو تراكمها، أما على السفوح المغطاة فتستقر تربة أفضل لكنها ناقصة التطور والنضج، تحتفظ بالركيزة الصخرية، فهي تربة شيستية رمادية في الجبال العالية وطينية حمراء على منحدرات الجبال المتوسطة، تعمل جذور النباتات على تثبيتها وإغنائها. ويغلب على المنخفضات وأسرة المجاري تربة طينية أكثر سمكاً تغنيها محلياً الإرسابات تشكل مصطبات ومدرجات تعرف تفاوتا في مساحتها وجودتها، فهي بعالية الوادي فقيرة تتطلب تسميداً عضوياً كثيفاً قبل كل عملية زراعية، أما بوسط الحوض فتنتشر مصطبات أكثر اتساعاً ذات تربة متوسطة الجودة تتخللها أتربة رملية ناتجة عن عمليات الغمر المائي المؤقت، وهناك مدرجات قليلة تتوفر على تربة طينية جيدة تسمح بزراعات شجرية مهمة.

الجريان المائي : يكون واد غدات شريان الحياة في هذا الحوض، يتميز بدوام جريانه لكنه يجف صيفاً بعد مخرجه إلى السهل اللهم عندما تنبثق عين بضفافه تأسرها السواقي حالاً. يتلقى روافد على طول مجراه الجبلي أهمها : بالضفة اليمنى واد أسيرس إيغي وإيفردان وأسوال وبالضفة اليسرى: تازليدا وإيموزار وتيسخت. لكن طبيعة صخوره تجعل نسبة خزن المياه ضعيفة مما يقلل صبيبه صيفاً، لهذا فإن تساقطاته تصرف مباشرة بعد سقوطها عل شكل سيول جارفة خطيرة في بعض الأحيان تؤدي إلى اقتلاع الأشجار ونقل المفتتات بل الصخور الضخمة مما ينشط التعرية المائية ويزيدها حدة شدة الانحدار وضيق قعر الوادي وكثرة المعرجات. وباستثناء

السواقي التقليدية فإنه لم ينشأ عليه أي منشأة لخزن مائه والتخفيف من حدة فيضانه. ولازال واد غدات يعرف فيضانات ربيعية قوية عندما تتآزر لتغذيته أمطار رعدية ربيعية مع ذوبان متسارع للثلوج بسبب ارتفاع مفاجئ للحرارة. كما يعرف أحياناً صيفاً طويلاً حاراً خاصة بمجراه الأعلى تنعدم فيه الأمطار طيلة 6 . 7 أشهر (مايو - نونبر). يتميز فيضانه بحمولة طينية كبيرة لأن 53٪ من مساحة حوضه صخور هشة : بيرموترياس، مما يرفع حمولة مياهه إلى 4.5 كلغ / م3 فتبلغ حمولته السنوية الصلبة 500.000 م3.

يتميز واد غدات بصبيب غير منتظم فهو واد موسمي مرتبط أساساً بالتساقطات وكثيراً ما تجف منه مقاطع بمجراه الجبلي صيفاً لقلة العيون المغذية وارتفاع نسبة التبخر. يبلغ معدل صبيبه 2.42 م3 / ث في الفترة 1977 . 1992، لكنه سجل 0.41 سنة 82 . 83. وسجل به كأكبر صبيب عند فيضانه بتاريخ 13 . 8 . 182 : 685 م3 / ث. يبلغ معدل جريانه السنوي 120 مليون م3 خلال الخمسينيات والستينيات، لكنه تناقص خلال الثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين إلى 91 مليون م3، مع تذبذب كبير من سنة لأخرى. ولم يستفد واد غدات من أي تجهيزات أو مشاريع مائية سواء في عهد الحماية أو بعد الاستقلال.

المياه الجوفية : تتميز الأحواض وقعور الأودية بوجود جريان باطني وفرشات مائية منعزلة غير عميقة على مستويات متباينة، تزود القرويين بآبار مياه الشرب، لكنها لا توفر إمكانية خلق مشاريع سقوية مهمة، كما تتميز العيون بسفوح الجبال وقعور الأودية بتغيرات فصلية كبيرة تصل إلى درجة الجفاف صيفاً، وقد جف بعضها منذ سنوات لتوالي السنوات الجافة.

الغطاء الغابوي : يعتبر حوض غدات من أهم المجالات الغابوية بالأطلس الكبير الغربي، تعرف أشجاره ونباتاته تنوعاً كبيراً تبعاً للارتفاعات واختلاف نوعية الصخور ومقادير الأمطار والتوجهات ودرجة انحدار السفوح، ومما ساعد على انتعاشها قلة سكانه قديماً، كما تتباين في تراجعها أو بقائها، فإذا كانت المناطق الغربية بالجبال الوسطى لا زالت تحتفظ بإحدى أجمل وأكبر الغابات : غابة اگلاوة الشمالية الغنية بالبلوط الأخضر وأنواع من العرعار وأشجار ثانوية ومحلية كانت مساحتها 36165 هـ، فإن الغابة بالمناطق الشرقية بالحوض والجنوبية والعالية تراجعت كثيراً بسبب الاستقلال الجائر ولم تعد تغطي الغابة سوى 40٪ من مساحة "زرقطن" بعالية الحوض التي تحتضن أكبر المجالات الغابوية.

السكان : يعتبر غدات مجال قبيلة هسكورة التاريخية وبعد تفتتها واندثارها في القرن السابع الهجري بزيادة سكانها واتجاههم إلى الاستقرار وممارسة الزراعة، حلت محلهم مجموعة قبائل استطينانية صغيرة معظمها من نسلهم، أهمها بسافلة الحوض "تگانة" بالضفة اليسرى و"غجدامة" بالضفة اليمنى وبعالية الحوض "مسفيوة" بالضفة اليسرى و"گلاوة" بالضفة اليمنى. وكان معظم الحوض منذ القرن (17 هـ) يخضع لقائد زمران المقيم بسيدي رحال. لكن القرنين الأخيرين (13 و14 هـ) تميزا بتوسع نفوذ قبيلة گلاوة المنطلقة أصلاً من حوض تلوات بالسفوح الجنوبية الشرقية للأطلس الكبير الأوسط نحو المنحدرات الشمالية للأطلس الكبير وذلك عبر واد غدات وقد استوطنوا عاليته منذ قرون. وفي سنة 1856 أسندت سلطات المخزن قيادة آيت أوزاغار بوسط الحوض إلى قائد تلوات أحمد أمزوار الگلاوي فأقام سوقاً أسبوعية قرب مركز زرقطن. وبعد عقود قليلة تسرب نفوذ گلاوي إلى سافلة الحوض بل إلى سهل الحوز الشرقي : زمران وذلك على حساب نفوذ مسفيوة وغجدامة وتگانة. وامتلك رؤساؤهم مساحات شاسعة بأراضي حوض غدات والدير والحوز الشرقي. وبنشر الأمن الاستعماري تدعم نفوذ قواد وشيوخ گلاوي بحوضي واد غدات وواد الزات وبقسم كبير من الحوز الشرقي والأوسط. وكان حوض غدات خاضعاً لقيادة گلاوة بتلوات يمثلها عدد من الخلفاء بعدة مراكز مثل سيدي رحال وتازارت. وبعد الاستقلال أعيد تنظيم الإدارة بالحوض عدة مرات.

اقتصاد فلاحي تقليدي متدهور :

يتميز اقتصاد الحوض بسيادة النشاط الفلاحي الذي يتمثل في زراعة الحبوب والأشجار المثمرة وتربية المواشي إضافة إلى أنشطة غير مهيكلة أو غير مشروعة كالتجارة والاستغلال الغابوي والعمل المنجمي وبوادر أنشطة سياحية. لكن هذا الاقتصاد لا يحقق اكتفاءاً ذاتياً بسبب شح مصادر المياه والتدهور البيئي والتزايد السكاني، فضلاً عن ظروف استغلال معقدة بسبب تخلف التقنيات وأساليب العمل والعجز المالي للأغلبية عن شراء أدوات حديثة وبذور منتقاة، يضاف إلى كل التفتت المتوالي للأرض وحقوق السقي بتوالي عمليات الإرث والتقسيم عبر الأجيال، وهجرة مستمرة للطاقة الشابة الطامحة إلى تغيير واقعها المتحجر خاصة الشباب المتعلم، وأخيراً تأخر تطبيق برامج تستهدف التحديث الزراعي. وينتشر الآن بجماعة غدات عدد من التعاونيات والجمعيات غير الحكومية يتلقى بعضها مساعدات إنسانية خارجية تهدف إلى تحديث البنية وإدخال مهن جديدة لرفع المستوى المعاشي.

الملكية : تتلخص في نموذجين :

- الملكية الجماعية الموروثة عن التنظيم القبلي تهتم أساساً بالأرض الرعوية وحقوق الرعي حتى بالمجالات الغابوية وإن كانت غير معترف بها رسمياً، فكل ما ليس ملكية خاصة هو ملكية للدولة.

- الملكية الفردية : تخص الأراضي الزراعية، تتميز بالتفتت والصغر وتوزيعها بعدم تكافؤ.

تربية المواشي : تتكامل مع الزراعة، فهي توفر المادة العضوية المخصبة للأرض إضافة إلى مساهمتها في تغذية الأسر. وتتنوع تربية الماشية بالحوض، حيث يأتي في

مقدمتها الأغنام ثم الماعز والأبقار والدواجن والدواب، وقد تأثرت بظروف الجفاف وتراجع ظاهرة التعزيب وارتفاع تكاليف العلف، وتتم تربيتها في إطار عائلي فكل أسرة تعتني بقطيعها الذي يتكون غالباً من بقرة أو بقرتين وبعض رؤوس الأغنام والماعز. تقدر نسبة الأغنام بـ 50٪ من مجموع الرؤوس والماعز 40٪ والأبقار 10٪. ويلاحظ أن الكثير من العائلات صارت تعوض تراجع رعي المواشي الصغيرة بتربية بقرة حلوب رومية أو مهجنة. ويقدر قطيع الأغنام بالحوض الجبلي بحوالي 40.000 رأس والماعز 38.000 والأبقار 8500 رأس. أما الدواب خاصة البغال فلا زالت تعتبر وسيلة نقل أساسية ولا زال عددها يكتسي أهمية : 4650 بغلاً إلا أنه عرف مع ذلك تراجعاً لضعف إمكانيات تربيتها ثم لاستخدام سيارات الأجرة في النقل خاصة بالنسبة لكل القرى المتصلة بطريق مرصف.

الاستغلال المعدني : تمثل الثروة المعدنية عنصراً جديداً في اقتصاد الحوض الذي يتميز بتوفر منتوجين أساسيين هما : الملح والباريتين، ذلك أن صخور البيرموترياس تحتوي على طبقات ملحية كثيرة اهتم السكان باستغلالها وذلك إما عن طريق ملاحات تقليدية تقوم على تجفيف المياه المالحة أو مناجم تنتج ملحاً صخرياً، ويوجه كل إنتاجها للأسواق المحلية. كما يتخلل الصخور الصهيرية اندفاعات لعروق الباريتين، أنشئت عليها استغلالات منجمية لكنها لا تعمل إلا موسميا خاصة في الصيف إذا ارتفع ثمن البارتين في السوق العالمي لأنها توجه للتصدير.

استطلاعات ميدانية ؛ كتب جغرافية المغرب ؛ مونوغرافيات ودراسات قطاعية من الجماعات المحلية بحوض واد غدات ؛ بحوث طلبة السنة الرابعة بكلية الآداب بمراكش ؛ خرائط طوبوغرافية.

Etude monographique de la probvince d'Alhaouz. PNUD octobre1997, Direction de la programmation, Rabat.

أحمد هوزلي

غداوي، عباس. ولد سنة 1938 بمدينة وادي زم بإقليم خريبگة. كان من الشباب المغربي الذي وقف سدا منيعا ضد الهجمة المسعورة التي قامت بها الإقامة العامة على إثر الانتفاضات الشعبية، فبالرغم من تفوق الآلة العسكرية الاستعمارية حاول هؤلاء الشرفاء بجهادهم واستبسالهم خلق توازن القوى التواقة إلى التحرر والسلطات الفرنسية آنذاك.

ومدينة وادي زم التي ينتمي إليها الشهيد غداوي عباس احتضنت داخل دروبها ثورة كبيرة ضد الحجر والعدوان وذلك يوم 20 غشت 1955 فكان غداوي عباس من بين الوطنيين الذي برزوا كمؤطرين ومنظمين في ذلك اليوم العظيم. ولما تدخلت القوات الفرنسية بالقوة للحيولة دون انفجار الوضع من جديد وبشدة، قتل عدد كبير من الضحايا الذين فضلوا الاستشهاد في سبيل الله وخدمة العرش العلوي المجيد على أن يظلوا تحت السيطرة الأجنبية. وقد استشهد غداوي بتاريخ 20 غشت 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 524147.

الغُدّان، نوع من التين مازال معروفاً بهذا الاسم في شمال المغرب وتحديداً في بلاد جبالة، ولهم عنه حكايات ونوادر، وهو من أجود أنواع التين، لبياض بشرته ورقة قشرته وحلاوة لبه ودقة عجمه وقابليته للتحول إلى زبيب (شريحة) منتظم في خيوط على أن استهلاكه طرياً أفضل.

لم يرد له ذكر في المصادر التي اهتمت بالمنطقة الشمالية خاصة في العصر الوسيط مثل المقصد الشريف واختصار الأخبار فقد قرب لنا هذا الأخير مدينة سبتة ومحيطها وما تحتويه من مرافق وبنايات ومتاجر ومصانع وما يحيط بها من مزارع وبساتين وقدم لنا جرداً بمنتجات مدينتي سبتة وبنيونش الفلاحية ؛ وعند ذكره للفواكه (ص. 92) صنفها إلى صيفية وخريفية وشتوية لكنه لم يذكر الغدان ولا أي اسم آخر للتين بل أشار إلى أن الموجود منه في سبتة وبنيونش 28 نوعاً وهذا رقم كبير لكنه غير مستبعد بالنسبة لمنطقة سبتة في عهده (ق 9 : 15)، ولاشك أن الغدان من ضمنها.

الإشارة الوحيدة إلى الغدان وردت عند ابن غازي فقد استعرض ما تنتجه مكناسة الزيتون وأحوازها من فواكه وغلال وأطنب في وصفها وأبراز خصائصها ومميزاتها وأصولها، وبخصوص التين قدم لنا لائحة بالأنواع التي كانت موجودة في عهده لكنه لم يحصرها : "... وفيها من التين أنواع منها الشعري كشعري إشبيلية ومنها نوع يقال له السبتي وهو أبيض للطول رقيق البشرة وهما نوعان طيبان إذا أكلا أخضرين ومنها نوع جليل أبيض للخضرة مستدير يقال له الانبضار يشرح فتأتي شريحته في غاية الطيب وغير ذلك من أنواع التين كالأشكوز والشبلي والحمراء والغدان والحافر والنقال وغيرها ...". وما يلاحظ من قراءة نص *الروض الهتون* أن كثيراً من الفواكه مستوردة أصولها من الأندلس وبقيت تحمل اسم المكان القادمة منه، كالاشكور، والشبلي وغيرها ولاشك أن الغدان من ضمنها، وفي المصادر التاريخية إشارات كثيرة إلى استيراد التين من الأندلس إلى المغرب فقد كانت تجارة مربحة لشدة الإقبال على استهلاكه طرياً، و"شريحة". لكن ذلك لا يعني أن المغرب لم يكن ينتج تيناً، بل أن المسألة تتعلق بالتفاوت ما بين العرض والطلب، فالاستهلاك خاصة لبعض الأنواع يفوق الانتاج كما أن الجودة والنوع تلعب دوراً في التسويق، يضاف إلى ذلك فترات الجفاف. والملاحظ كذلك أن استيراد التين كان يتم بحراً وحتى لو استوردت دكالة مثلاً التين براً من شمال المغرب فإن ثمنه سيكون مرتفعاً لتكاليف السفر وجودته أقل بسبب ظروف النقل البري وطوله، بينما نقله بحراً يجعله يحافظ على طراوته وجودته لأن ظروف النقل أسرع وأحسن، من هنا كانت تجارته مربحة.

وبرجوعنا للمصادر في مختلف العصور تبين لنا من

خلال الإشارات أن التين (الفلاحي) كان في جميع مناطق المغرب جباله وهضابه وسهوله وحتى واحاته وأن انتشاره انطلق من الشمال من بلاد جبالة ـ وخاصة الأنواع الجيدة والجديدة المستوردة من الأندلس ـ ليعم باقي الجهات.

الإدريسي، *نزهة المشتاق*، الطبعة الإيطالية، نابولي، بدون تاريخ، ج 3، سوس وقاعدتها تارودانت، ص. 227، جبل درن، 230، مكناسة، 245 ؛ مجهول، *الاستبصار*، الإسكندرية، 1958، تازة، 186، مطماطة امسكور، 193 ؛ التادلي، *التشوف*، الرباط، 1956 و 1984، شفشاون، شفشاون، 62، أزمور، 169، ايروجان، 200، مغيلة، 296 ؛ الأنصاري، *اختصار الأخبار*، تطوان، ع 3، 1958، 1956، سبته وبنيونش، 92 ؛ ابن غازي، *الروض الهتون*، الرباط، 1964، مكناسة الزيتون، 6.

محمد حجاج الطويل

غدة ولد الرايس من رياس أواخر عهد سيدي محمد بن عبد الله، ويبدو أنه لم يكن في سنة 1198 / 1784 إلا من بين الثانويين منهم، إذ لم يذكر من بين الرياس العاملين بسلا والذين حصلوا على إنعام السلطان، رغم أن المعطيات تشير إلى انتسابه إلى طائفتهم، حيث كان البحارة المذكورون ضمن طاقمه غالبيتهم من الأسر السلاوية.

العسري، *كناش*، ص. 49.

حسن أميلي

الغراب يجمع على غربان وأغرب وأغربة وهي طيور سوداء من رتبة الجواثم Passeriformes ومن فصيلة الغرابيات Corvidae منها خمسة أنواع تعيش في المغرب : الغراب الأسود الكبير Corvus corax والغراب الأسمر Corvus ruficollis وغراب الزرع Corvus monedula والغراب أحمر المنقار Pyrrhocorax pyrrhocorax والغراب أصفر المنقار Pyrrhocorax graculus.

الغراب الأسود الكبير Corvus corax يسمى في الشرق العربي غراب أسحم وغراب حاتم وفي شمال إفريقيا الغراب وبالفرنسية Grand corbeau وبالإنجليزية Raven وبالإسبانية Cuervo وبالإيطالية Corvo imperiale ؛ وهو طائر بري شديد السواد يعيش على النصف الشمالي من الكرة الأرضية وشائع في شمال إفريقيا وأوروبا وأمريكا الشمالية. يعد من أكبر أنواع رتبة العصفوريات في شمال إفريقيا وأوروبا. المنقار محدب طويل وقوي، اللسان غضروفي، يبلغ طول الجسم 50 ـ 63 سم وبسطة الجناحين 117 ـ 130 سم ويزن 1000 ـ 1300 غرام.

طائر مستقر وينتقل قليلا في نفس المنطقة دون أن يبتعد عن مكان ولادته. يألف الجبال والغابات والصخور الساحلية ونادر جدا في السهول. يعيش مزدوجا ولا يفترق الزوجان طيلة الحياة. يتوالد في فبراير ـ مارس، يبني عشه غالبا بين شقوق صخور الجراف ونادرا على الأشجار، وهو عش ضخم يبلغ علوه مترا وقطره مترا ويتكون من فرشة من الأغصان الكبيرة متبوعة بفرشة من الأغصان الدقيقة ومن الأعشاب اليابسة وقطع من الصوف أو القطن يأتي بها الزوج وترتبها الزوجة. تضع الإناث 3 ـ 6 بيضات خضراء تميل إلى الأزرق ومنقطة بالبني الداكن وتزن 23 ـ 33 غراما، تحضن طيلة 20 ـ 23 يوما ويقوم الزوج بتقديم الأكل لزوجته خلال هذه الفترة. تنمو الفراخ ببطء مدة 5 ـ 6 أسابيع ثم تغادر العش. يعمر الغراب حوالي 70 سنة.

الغراب الأسود قارت يتغذى من الحبوب والثمار والطيور الصغيرة والحيوانات اللبونة الصغيرة وجثث الغنم والمعز. يبحث عنها في مسافات قد تتعدى 10 كلم ويأكل أيضا الحشرات والديدان ويصيد أحيانا صغار الأرانب والفئران. يألف أماكن تجمع الأزبال المنزلية بجوار المدن والقرى ليبحث عن الأكل.

يبلغ طوله 62 سم ويزن 1000 ـ 1300 غرام ؛ تبلغ بسطة جناحيه مترا، منقاره طويل ومقوس قليلا وقوي، القائمتان قويتان. ريش عنقه طويل ومستدق الرأس، الريش والمنقار والقوائم سودا، لها انعكاسات معدنية بنفسجية زرقاء عند الجنسين، الذيل دائري. يضرب به المثل في الشؤم ولا يأكله الإنسان.

الغراب الأسمر Corvus ruficollis أحمر العنق يسمى في مصر الغراب النوحي نسبة إلى النبي نوح ويسمى بالإنجليزية Brown-necked raven وبالفرنسية Corbeau brun، موطنه النصف الجنوبي من الكرة الأرضية، يألف سهوب وفيافي المناطق الصحراوية والجافة وشبه الجافة المغاربية والإفريقية والجزيرة العربية والعراق وسوريا وإيران والهند. طائر مستقر، ريشه أسمر محمر على مؤخرة الرأس والرقبة يصعب تمييزه من بين الريش الأسود الطاغي على الجسم. يبلغ طوله الأقصى 50 سم، منقاره طويل، أسود اللون ومقوس قليلا إلى الأسفل وأقل قوة من منقار الغراب الأسود الكبير. الجناحان مستدقا الرأس، الأرجل قصيرة وبنية.

يتوالد في فبراير ـ مارس ويصنع عشا ضخما بين كسور صخور الجرف وأحيانا على الأشجار يفرشه بقطع الأعشاب والريش والصوف. تضع الإناث 3 ـ 6 بيضات زرقاء شاحبة مزركشة بخطوط معوجة سمراء، يبلغ طول قطريها 32 X 47 ملم وتحضنها 20 ـ 21 يوما ؛ تغادر الصغار العش بعد حوالي خمسة أسابيع. يتغذى من مختلف الثمار ومن الحشرات والقواقع والزواحف الصغيرة وجثث الغنم والمعز وغيرها.

الغراب أحمر المنقار Pyrrhocorax pyrrhocorax يسمى أيضا الغراب الأعصم وزميت وغراب الزرع وبالإنجليزية Chough وبالفرنسية Crave à bec rouge، وبالإسبانية Chova piquirroja، يتميز عن سائر أنواع غرابيات المغرب العربي بمنقار وقوائم حمراء. موطنه المناطق الجبلية بالريف والأطلس ويقتصر توزيعه الجغرافي على شمال المغرب والجزائر وأوروبا الجنوبية في كل من إسبانيا والبرتغال وجبال الألب ومناطق نورماندي الغربية والجزر البريطانية وإيطاليا

واليونان وتركيا والشرق الأوسط وإيران. لا يتعدى طوله 39.5 سم ويألف صخور الجرف والغابات الجبلية. منقاره طويل ومقوس ؛ ريشه أسود لامع يميل إلى الأزرق.

طائر مستقر في المغرب ويتنقل قليلا، يعيش في أسراب ويتوالد خلال أبريل ـ يونيو ويضع عشه بين كسور صخور الجرف الشديد الانحدار ويفرشه بقطع الأعشاب والقطن والريش والصوف. تضع الإناث 3 ـ 6 بيضات بيضاء إلى خضراء مصفرة منقطة بالأسود وتحضنها 17 ـ 18 يوما. تغادر الصغار العش بعد خمسة أسابيع.

الغراب أصفر المنقار Pyrrhocorax graculus يسمى بالإنجليزية Alpine Chough وبالفرنسية Chocard des Alpes - Chocard à bec jaune - وبالإسبانية Chova piquiamarilla، يتميز عن سائر أنواع غرابيات المغرب الغربي بمنقار أصفر قصير وبقوائم حمراء داكنة، ذيله قصير وريشه أسود قليل اللمعان، لا يتعدى طول الجسم 38 سم. ويألف كسور صخور الجرف والغابات الجبلية. يعيش في مجموعات قليلة الأفراد ويخفي عشه بين الكسور الصخرية. تبيض الإناث 3 ـ 6 بيضات ملساء لامعة تميل إلى الأبيض المخضر الباهت ومنقطة بالأسمر الداكن، يبلغ طول قطريها 25.5 X 39 ملم. تدوم مدة الحضانة 19 ـ 21 يوما وتهجر الصغار الأوكار بعد ثلاثة أسابيع.

طائر مستقر منه عدة مجموعات تعيش في المناطق الجبلية بالأطلس المتوسط ونادر في الأطلس الكبير. يقتصر توزيعه الجغرافي على جبال البرانس والألب وجبال اليونان وتركيا وإيران.

غراب الزرع Corvus monedula يسمى بالإنجليزية Jackdaw وبالفرنسية Choucas des tours وبالإسبانية Grajilla وهو الغراب الأسود الوحيد الذي يملك ريشا رماديا على مؤخرة عنقه. لا يتعدى طوله 33 سم ويألف كسور صخور الجرف والمزارع والغابات غير الكثيفة ويقترب أحيانا من المدن والقرى. يعيش في أسراب متعددة الأفراد ويحدث ضجيجا بأصوات جماعية متتالية. يعد من الطيور المهاجرة ويوجد بكثرة في مناطق الريف وشمال الأطلس المتوسط وخاصة على الجرف الساحلي بالبحر المتوسط ـ الرأس الأسود والحسيمة ومليلية ـ، يتوالد من مارس إلى يونيو. يوضع العش على الأشجار وبين كسور الصخور، تحضن الإناث 4 ـ 6 بيضات حوالي 18 يوما. تغادر الصغار العش بعد 4 ـ 5 أسابيع.

شائع في أوروبا وآسيا وشمال المغرب والجزائر وتونس ومنه عدة مجموعات تشتو جنوب المغرب الشرقي.

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*, 1979, 320 p. ; C. Harrisson, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleurs*, Elsevier, 1977, 430 p.

محمد رمضاني

الغراب سفينة من الأنواع المتوسطية المجذافية شائعة الاستعمال منذ العهد القرطاجي، ويبدو أن التسمية مأخوذة من الأصل اللاتيني (Corvus) الذي انحدرت منه سفينة الحراقة أو القربيطة (Corvette). والغراب سفينة حربية طولية تسير بالمجاذيف (180 مجذافا في الأقصى) وبالأشرعة (صاريان إلى ثلاثة)، وتحمل في المتوسط مائتي رجل، متسمة بدقتها وبطلاقتها باللون الأسود وبجؤجؤها البارز على هيئة رأس غراب، ولذلك أصبح اسمها يحيل على الغراب من الطير، وفي ذلك يقول ابن الساعاتي (ت. 604) :

وركبت بحر الروم وهو كحلبة ... والموج تحسبه جوادا يركض
كم من غراب للقطيعة أسود ... فيه، يطير به بجناح أبيض

ويقول يحيى ابن أبي حجلة التلمساني :

غربانها سود وبيض قلوعها ... يصفر منها العدو الأزرق

وقد شاع استعمال الغراب في المغرب منذ العهد المرابطي، وظل يمثل جزءا رئيسيا في الأنواع المكونة للأسطول المغربي في العهد الموحدي ويشكل ثلث الأنواع المستعملة على الأقل، وكانت دار الصناعة بمدينة سبتة مركزاً رئيسياً لإنشاء العدد الأوفر من وحداته. واستمر العمل به حتى العهد المريني.

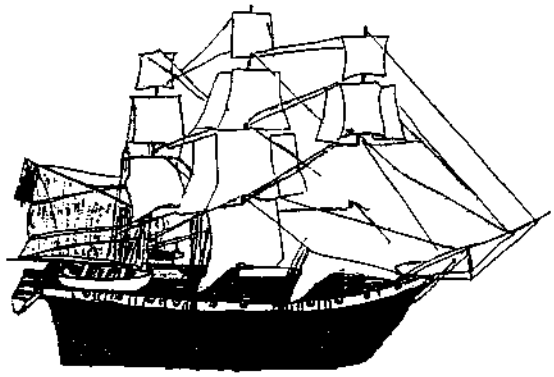

وقد ورد ذكر الغراب في أشعار العهد الموحدي، وجاء في مدح الشاعر أبي عمر ابن حربون للأمير أبي حفص عمر بن عبد المؤمن الموحدي أثناء عبوره إلى جبل طارق سنة 560 :

بحر كأن أبا حفص بصهوته ... لقمان والمركب الجاري به لبد
تعجبوا من غراب فوق غاربه ... نهلان ذو الهضبات الشم أو أحد

وأيضاً مدح الشاعر أحمد بن يحيى بن أبي حجلة التلمساني للسلطان أبي عنان المريني :

فلله ما أنشأته من مراكب ... ترادفها في البحر منه تكاوس
قطانعها مثل النجوم قلوعها ... وغربانها قطع من الليل دامس
كأن مجاذيف الغراب قوادم ... يطير بها والنسر في الأفق كانس

ع. الواحد المراكشي، *المعجب في تلخيص أخبار المغرب*، ص. 214 ـ 15 ؛ ابن خلدون، *العبر*، ج 4، ص. 165 ؛ الحميري، *الروض المعطار*، ص. 188 ـ 89 ؛ عبد العزيز سالم ومختار العبادي، *تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس*، ص. 243 ـ 281 ـ 288 ـ 89 ـ 297 ؛ النخيلي، *السفن الإسلامية*، ص. 104 ـ 12.

حسن أميلي

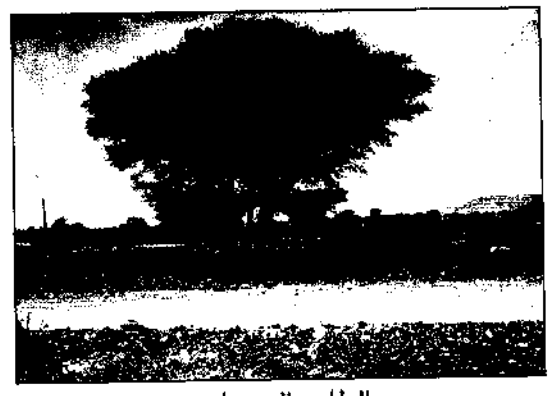

الطلح الصحراوي

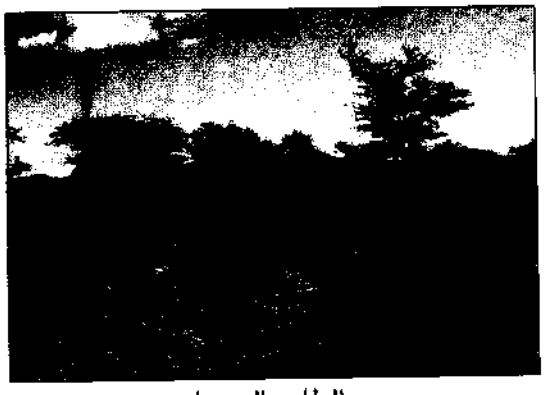

الطلح الصحراوي

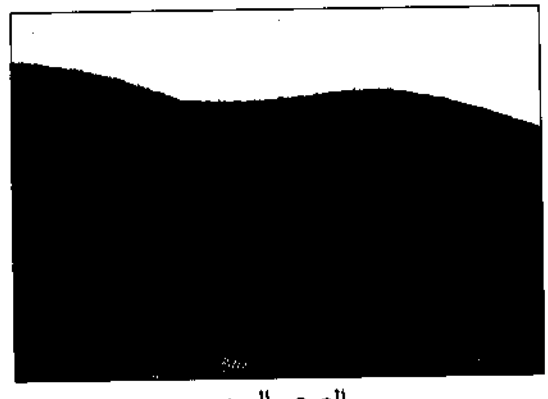

العرعر البري

الطرفاء

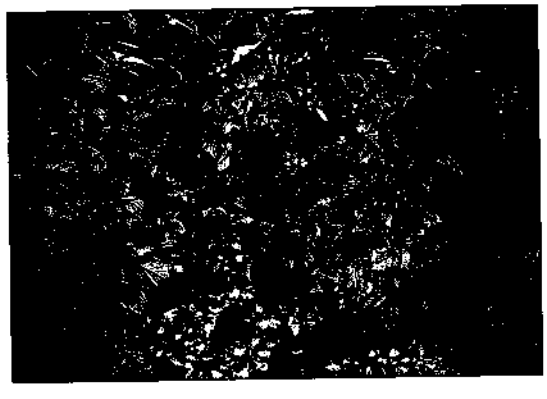

العليق

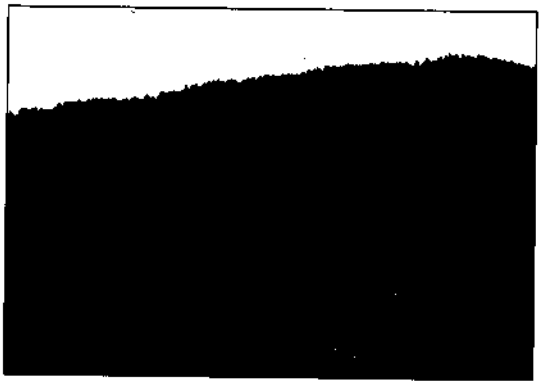

غابة الصنوبر المغربي

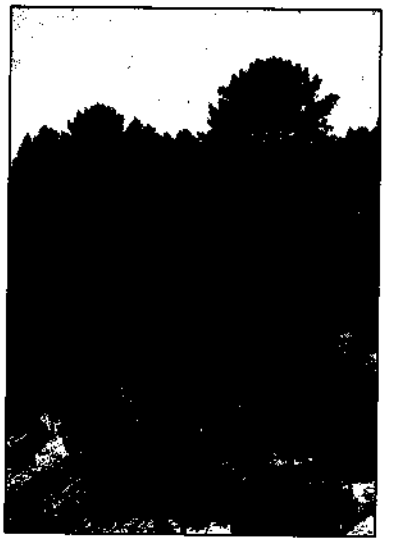

غابة
الصنوبر المغربي

غابة العرعر الفواح

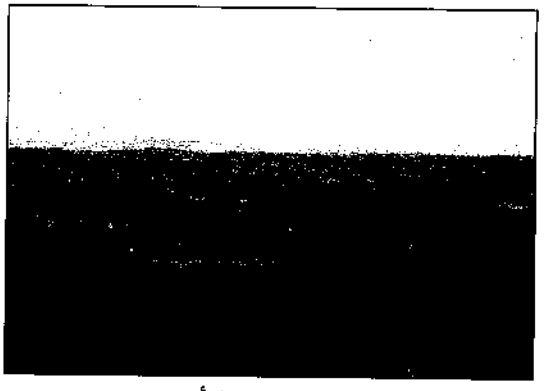

غابة العرعر الأحمر

غابة الشوح

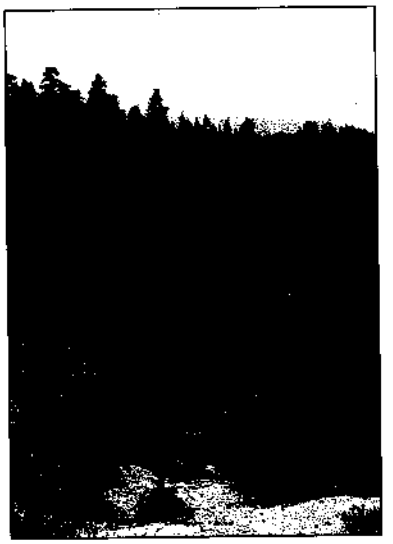

غابة
الأرز

غابة الأوكالبتوس

غابة البلوط الفليني
(تازا)

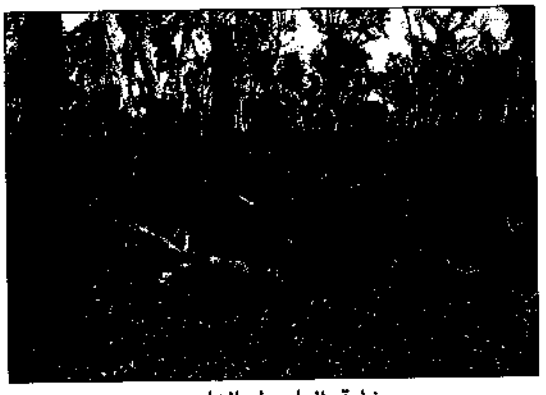

غابة البلوط الفليني
(المعمورة)

غابة البلوط الأخضر

تـــم طبـــع الجـــزء 18 مـــن معـلـمـــة الـمـغـــرب
بـمـطـابـــع ســـلا وبـمـطـبـعـــة النـجـــاح الجـــديـــدة
في شعبان عـــام 1424 / أكتوبر 2003

مـــطـــــــابـــع ســـــــلا
قـسـمـة 14، زنـقـة عـثـمـان بـن عـفـان
الحي الصـنـاعـي لـتـابـريـكـت
ص.ب. 596 ســـلا

Directeur de publication : Feu Mohamed **Hajji**

Comité de rédaction : Ahmed **Toufiq**
Mohamed **Hajji**

Comités scientifiques :

Pour les sciences humaines

Mohamed **BENCHERIFA**, Faculté des Lettres, Rabat.
Brahim **BOUTALEB**, Faculté des Lettres, Rabat.
Salem **YAFOUT**, Faculté des Lettres, Rabat.
Mustapha **NAIMI**, Institut Universitaire pour la Recherche Scientifique, Rabat.

Pour la géographie et les sciences de la nature

Abdellah **LAOUINA**, Faculté des Lettres, Rabat.
Dris **EL-FASSI**, Institut Agronomique et Vétérinaire Hassan II, Rabat.
Mustapha **AYAD**, Faculté des Lettres, Rabat.
Abdelmalek **BENABID**, Ecole Nationale Fôrestière, Salé.
Mohamed **RAMDANI**, Institut Scientifique, Rabat.

Tous droits réservés, y compris le droit de traduction ou de reproduction

même partielles sous quelque forme que ce soit.

IMPRIMERIE DE SALÉ
Lot 14, Rue Othman Ibnou Affane
Zone Industrielle de Tabriquet
B.P. 596 SALÉ

Encyclopédie du Maroc

Dictionnaire alphabétique des connaissances sur le passé et le présent du Maroc.

Publiée par

L'Association des Auteurs Marocains pour la Publication

Editée par

L'Imprimerie de Salé

"SALA"

2003 - 1424

Copyright © IMPRIMERIE DE SALÉ "SALA" 2003
ISBN 9981 - 03 - 000 - 7 (Ensemble)
ISBN 9981 - 03 - 025 - 2 (Tome 18)

Encyclopedie
du
Maroc

معلمة المغرب

قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف
الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى

من إنتاج
الجمعية المغربية
للتأليف والترجمة والنشر

نشر
مطابع سلا

2004 - 1425

رقم الإيداع القانوني
بالخزانة العامة للكتب والوثائق ـ الرباط
1984 / 0629

جميع حقوق النقل والترجمة ـ جزئيا أو كلياً بأي شكل كان ـ محفوظة
للجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر ولمطابع سلا

رد مك 7 - 000 - 03 - 9981 (المجموعة)
رد مك 0 - 026 - 03 - 9981 (الجزء 19)

المغرب الأقصى

19

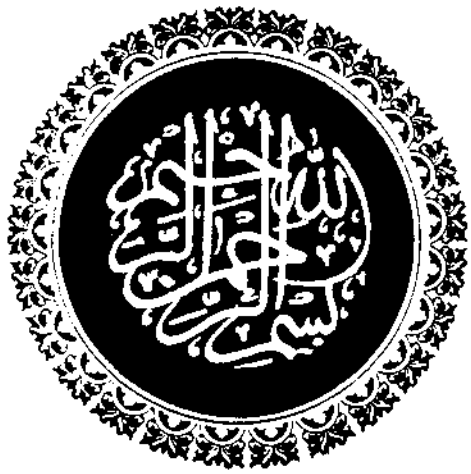
بسم الله الرحمن الرحيم

أعـد هـذا الجـزء من مـعلـمـة المـغـرب بـدعم من وزارة الثـقـافـة ويسعد الهيـئـة العلمـيـة للمعلـمة أن تتـقـدم للسـيـد الوزير بأصـدق عبـارات الشكـر والامتـنـان.

المدير المشرف : **محمد حجي** رحمه الله

لجنة التحرير : **أحمد التوفيق**، أستاذ التاريخ بكلية الآداب. الرباط

المرحوم **محمد حجي**

لجنة العلوم الإنسانية : **محمد بنشريفة**، أستاذ الأدب العربي والأندلسي بكلية الآداب وعضو أكاديمية المملكة المغربية، الرباط

إبراهيم بوطالب، أستاذ التاريخ بكلية الآداب. الرباط

سالم يفوت، أستاذ الفلسفة بكلية الآداب، الرباط

مصطفى ناعمي، باحث في التاريخ الاقتصادي بالمعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط

لجنة العلوم الطبيعية والجغرافية : **عبد الله العوينة**، أستاذ الجيمورفولوجيا بكلية الآداب، الرباط

مصطفى عياد، أستاذ الجغرافية البشرية بكلية الآداب، الرباط

إدريس الفاسي، أستاذ علم التربة والبيئة بكلية الآداب ومعهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة، الرباط

عبد المالك بنعبيد، أستاذ بالمدرسة الوطنية الغابوية، سلا ومعهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة، الرباط

محمد رمضاني، باحث في البيولوجيا الحيوانية بالمعهد الوطني وأستاذ بكلية العلوم، الرباط

اختصارات

ت.	= توفي
تح.	= تحقيق
تر.	= ترجمة
خ. ت.	= خزانة تطوان
خ. ح.	= الخزانة الحسنية (الملكية) بالرباط
خ. ص.	= الخزانة الصبيحية بسلا
خ. ع.	= الخزانة العامة بالرباط
خ. ق.	= خزانة القرويين بفاس
خ. ي.	= خزانة ابن يوسف بمراكش
د. ت.	= دون تاريخ
د. د. ع.	= دبلوم الدراسات العليا
د. م.	= دون مكان
ط.	= طبعة
←	= انظر

* عندما يكون للكاتب مادتان أو مواد متتابعة لا يذكر اسمه إلا في آخرها.

المشاركون في هذا الجزء

محمد **أبو إلياس**، باحث ـ الرباط

ميلود **أحمن**، كلية الآداب ـ مراكش

محمد **الأخضر**، باحث ـ بني ملال

مصطفى **أعشي**، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية ـ الرباط

عمر **أفا**، كلية الآداب ـ الرباط

إبراهيم **أقديم**، كلية الآداب ـ فاس

المختار **الأكحل**، كلية الآداب ـ المحمدية

حسن **أميلي**، كلية الآداب ـ المحمدية

حسن **أنشاد**، باحث ـ الرباط

إبراهيم **أنوار**، باحث

خالد **أوشن**، باحث

محمد **أيت حمزة**، كلية الآداب ـ الرباط

عبد اللطيف **بربيش**، أكاديمية المملكة المغربية ـ الرباط

ثريا **برادة**، كلية الآداب ـ القنيطرة

عباس **برادة**، باحث ـ الرباط

بلكامل **البضاوية**، كلية الآداب ـ الرباط

الحسين **البعاوي**، وزارة التربية الوطنية ـ البهاليل

عبد العزيز **بل الفايدة**، كلية الآداب ـ القنيطرة

عبد الإله **بلمليح**، كلية الآداب ـ فاس

حفيظة **بلمقدم**، معهد الدراسات الإفريقية ـ الرباط

رقية **بلمقدم**، كلية الآداب ـ القنيطرة

محمد **بنبراهيم**، كلية الآداب ـ وجدة

زليخة **بنرمضان**، كلية الآداب ـ المحمدية

عبد المالك **بنعبيد**، المدرسة الغابوية للمهندسين سلا

عبد الرحيم **بنعلي**، كلية الآداب ـ مراكش

حليمة **بنكرعي**، كلية الآداب ـ القنيطرة

أحمد **البوزيدي**، كلية الآداب ـ فاس

محمد **بوسلام**، وزارة التربية الوطنية ـ الرباط

إبراهيم **بوطالب**، كلية الآداب ـ الرباط

المصطفى **البوعناني**، كلية الآداب ـ القنيطرة

أمينة **البوعيشي**، كلية الآداب ـ فاس

عبد المجيد **بوكاري**، باحث

محمد **بوكبوط**، باحث

أحمد **بومزكو**، وزارة التربية الوطنية ـ تيزنيت

جامع **بيضا**، كلية الآداب ـ الرباط

نجيب، **تقي**، باحث

عبد اللطيف **جبرو**، صحافي وباحث ـ الرباط

حسن **جلاب**، قيدوم كلية اللغة العربية ـ مراكش

الحسين **جهادي**، باحث ـ الدار البيضاء

محمد **حاتمي**، كلية الآداب ـ فاس

محمد **الحاتمي**، كلية الآداب ـ أگادير

حسن **حافظي علوي**، كلية الآداب ـ الرباط

محمد **حجاج الطويل**، كلية الآداب ـ بنمسيك ـ الدار البيضاء

محمد **حجي**، كلية الآداب ـ الرباط

عبد الرحمان **الحرادجي**، كلية الآداب ـ وجدة

عبد الجليل **حليم**، كلية الآداب ـ فاس

محمد **حمام**، كلية الآداب ـ الرباط

محمد **حنداين**، وزارة التربية الوطنية ـ أگادير

عبد اللطيف **الحوتة**، باحث

علال **الخديمي**، كلية الآداب ـ الرباط

خالد **الخضري**، وزارة الثقافة ـ الرباط

عبد العزيز **الخمليشي**، كلية الآداب ـ الرباط

نجاة **الخياطي**، كلية العلوم ـ الدار البيضاء

مارية **دادي**، كلية الآداب ـ وجدة

محمد بن **عبد العزيز الدباغ**، باحث ـ فاس

عبد الإله **الدحاني**، المدرسة العليا للأساتذة ـ الرباط

نفيسة **الذهبي**، كلية الآداب ـ القنيطرة

علال **رگوگ**، كلية الآداب ـ بني ملال

محمد **رمضاني**، المعهد العلمي ـ الرباط

محمد المصطفى **الريسوني**، باحث

أحمد **زروال**، كلية الآداب ـ مراكش

قاسم **الزهيري**، باحث ـ الرباط

عبد النبي **زين العابدين**، باحث ـ الرباط

محمد **السعديين**، وزارة التربية الوطنية ـ سلا

عبد القادر **سعود**، باحث

رشيد **السلامي**، كلية الآداب ـ مراكش

محمد **الشريف**، باحث ـ تطوان

محمد **الشياظمي**، باحث ـ الرباط

عبد العزيز **الضعيفي**، كلية الآداب ـ بني ملال

أحمد صالح **الطاهري**، المعهد الوطني للآثار ـ الرباط

محمد **الظريف**، كلية الآداب ـ المحمدية

عبد العزيز بن **عبد الجليل**، وزارة الثقافة ـ مكناس

سعد الدين **العثماني**، باحث ـ الرباط

محمد ابن **عزوز حكيم**، باحث ـ تطوان

محمد **رضوان العزيفي**، باحث

عبد الرحيم **العطاوي**، كلية الآداب ـ الرباط

أحمد **عمالك**، كلية الآداب ـ مراكش

محمد **عمراني**، كلية الآداب ـ القنيطرة

الحاج موسى **عوني**، كلية الآداب ـ فاس

عبد الله **العوينة**، كلية الآداب ـ الرباط

مصطفى **عياد**، كلية الآداب ـ الرباط

حياة **الغراس**، باحثة ـ مراكش

إدريس **الفاسي**، كلية الآداب ـ الرباط

عبد الإله **الفاسي**، كلية الآداب ـ القنيطرة

محمد **فتحة**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء

حسن **الفگيگي**، كلية الآداب ـ القنيطرة

أبو بكر **القادري**، أكاديمية المملكة المغربية ـ الرباط

علي **قاسمي**، باحث ـ الرباط

عبد الرحمن **القياج**، باحث ـ الدار البيضاء

عبد الباسط **الكراوي**، باحث ـ سطات

جمال **الكركوري**، كلية الآداب ـ فاس

لطيفة **الكندوز**، معهد البحث العلمي ـ الرباط

محمد **ماگامان**، باحث ـ مراكش

أحمد **متفكر**، باحث ـ مراكش

محمد **مجدوب**، كلية الآداب ـ المحمدية

نجاة **المريني**، كلية الآداب ـ الرباط

أحمد **مزيان**، كلية الآداب ـ فاس

مينة **المغاري**، كلية الآداب ـ الرباط

محمد **المغراوي**، كلية الآداب ـ الرباط

أحمد **المكاوي**، كلية الآداب ـ الجديدة

عبد الرحمن **الملحوني**، باحث ـ مراكش

مصطفى **ناعمي**، معهد البحث العلمي ـ الرباط

أحمد **هوزالي**، كلية الآداب ـ مراكش

أحمد **الوارث**، كلية الآداب ـ الجديدة

محمد **وحيد**، باحث ـ الدار البيضاء

حسن **الوزاني**، المعهد الوطني للاحصاء ـ الرباط

عبد الرحيم **وطفة**، كلية الآداب ـ الرباط

إبراهيم **ياسين**، باحث

سالم **يفوت**، كلية الآداب ـ الرباط

Listes des principales abréviations des périodiques

A.A. : *L'Afrique et l'Asie.*
A.A.N : *Annuaire de l'Afrique du Nord.*
Acad. Sc. Col. : *Académie des Sciences Coloniales.*
A.E.S.C : *Annales, Economie, Sociétés, Cultures.*
A.F : *Afrique Française.*
A.F : R.C : *Afrique Française : Renseignement Coloniaux.*
A.I.E.A : *Archivos del Instituto de Estudios Africanos.*
A.I.E.O : *Annales de l'Institut d'Etudes Orientales.*
A.M : *Archives Marocaines.*
A.M.S : *Archives Marocaines de Sociologie.*
And. : *Al-Andalus.*
Ann. Rech. Forest. Maroc : *Annales de la Recherche Forestière au Maroc.*
Ant. Afr. : *Antiquités Africaines.*
B.A.M : *Bulletin d'Archéologie Marocaine.*
B.A.R : *British Archeological Reports.*
B.C.T.H : *Bulletin du Comité des Travaux Historiques.*
B.E.P.M : *Bulletin de l'Enseignement Public au Maroc.*
B.E.S.M : *Bulletin Economique et Social du Maroc.*
B.G.M : *Bulletin de Géologie du Maroc.*
B.I.D.M : *Bulletin de l'Informatique et de la Documentation Marocaine.*
B.I.F.A.N : *Bulletin de l'Institut Français d'Afrique Noire.*
B.M.S.A.P : *Bulletin et Mémoires de la Société d'Anthropologie de Paris.*
B.L.O.A.B : *Bulletin de Littérature Orale Arabo-Berbère.*
B.L.S : *Bulletin de Liaison Saharienne.*
B.S.G : *Bulletin de la Société Géographique* (Paris).
B.S.G.A : *Bulletin de la Société de Géographie d'Alger.*
B.S.G.A.O : *Bulletin de la Société de Géographgie et d'Archéologie d'Oran.*
B.S.H.M : *Bulletin de la Société d'Histoire du Maroc.*
B.S.O.A.S : *Bulletin of the School of Oriental and African Studies.*
B.S.P.M : *Bulletin de la Société de Préhistoire du Maroc.*
Bull. Archéol. : *Bulletin Archéologique.*
C.A.A : *Cahiers de l'Afrique et de l'Asie.*
Cah. Rech. Agron. : *Cahiers de la Recherche Agronomique.*
C.A.T.A.N : *Cahiers des Arts et Techniques d'Afrique du Nord.*
C.B.E.T : *Cuadernos de la Biblioteca Española de Tetuan.*
C.C.E.J : *Collection des Centres d'Etudes Juridiques.*
C.E.A : *Cuadernos de Estudios Africanos.*
C.H.I : *Cuadernos de Historia del Islam.*
C. Méd. : *Cahiers de la Méditerranée.*
C.R.A.I.B.L : *Comptes-Rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
C.R.A.S : *Comptes-Rendus des Séances de l'Académie des Sciences de Paris.*
C.T : *Cahiers de Tunisie.*
E.B : *Encyclopédie Berbère.*
E.I.1 : *Encyclopédie de l'Islam.* (1ère édition).
E.I.2 : *Encyclopédie de l'Islam.* (2ème édition).
E.T.A.M : *Etudes et Travaux d'Archéologie Marocaine.*
Et. Medit. : *Etudes Méditerraniennes.*
F.M : *France - Maroc.*
F.S.S.A.N : *Fédération des Sociétés Savantes d'Afrique du Nord.*
G.E.M : *Grande Encyclopédie du Maroc.*
Hesp. : *Hespéris.*

H-T : *Hespéris-Tamuda.*
H.T.E : *Hommes, Terre et Eaux.*
I.G : *Information Géographique.*
I.H.E.M : *Institut des Hautes Etudes Marocaines.*
I.H.E.M : N-D : *Institut des Hautes Etudes Marocaines : Notes et Documents.*
Inst. Gen. Franco de Est. e Invest. Hisp. Ar. : *Instituto General Franco de Estudios e Investigaciones Hispano Arabe.*
I.S.C : *Institut Scientifique Chérifien.*
Isl. Cult. : *Islamic Culture.*
I.S.P.M : *Institut Scientifique des Pêches Maritimes.*
J.H.S.N : *Journal of the Historical Society of Nigeria.*
M.A.I.B.L : *Mémoires de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
Medit : *Méditerranée.*
M.E.F.R : *Mélange de l'Ecole Française de Rome.*
N.A.M.S.L : *Nouvelles Archives des Missions Scienfitiques et Littéraires.*
P.I.H.E.M : *Publications de l'Institut des Hautes Marocaines.*
P.S.A.M : *Publications du Service des Antiquités du Maroc.*
P.S.H.M : *Publications de la Section Historique du Maroc.*
R.A : *Revue Africaine.*
R.A.P : *Revue de l'Action Populaire.*
R.C.C : *Revue de la Chambre de Commerce.*
R.D.M : *Revue des Deux Mondes.*
R.E.A : *Revue des Etudes Anciennes.*
R.E.I : *Revue des Etudes Islamiques.*
R.E.L : *Revue des Etudes Latines.*
R.G.L : *Revue de Géologie de Lyon.*
Rev. Geo. Phys. Géol. Dyn. : *Revue de Géographie Physique et de Géologie Dynamique* (Paris).
R.G.M : *Revue de Géographie du Maroc.*
R.H.C.M : *Revue d'Histoire et de Civilisation du Maghreb.*
R.H.E : *Revue d'Histoire Economique.*
R.H.M.C : *Revue d'Histoire Moderne et Contemporaine.*
R.M.D.E.D : *Revue Marocaine de Droit et d'Economie du Développement.*
R.M.E : *Revue Maroc-Europe.*
R.M.F : *Revue Militaire Française.*
R.M.F.P.E : *Revue Marocaie des Finances Publiques et d'Economie.*
R.M.M : *Revue du Monde Musulman.*
R.P.P : *Revue Politique et Parlementaire.*
Rev. Int. Hist. Mil. : *Revue Internationale d'Histoire Militaire*
S.G.L : *Sodiedade de Geografia de Lisboa.*
S.I : *Studia Islamica.*
S.I.H.M : *Sources Inédites de l'Histoire du Maroc.*
Soc. Sc. Nat. Phys. Mar. : *Société des Sciences Naturelles et Physiques du Maroc.*
Trav. Inst. Sc. : *Travaux de l'Institut Scientifique.*

الـغرابلي، أحمد (الحاج -) من شعراء الملحون في فاس، ومن كبار أشياخها. أبدع الكثير في "المرمَّات" التي كانتْ تجري عليها قصائده، حتى لُقّب عند أهل الملحون في وقته بشاعر "التَّضمين" ويتَّضح ذلك من قصيدته "مَلكَة".

كان يشتغل حرفة "الدَّرازة" ثم تركها للاشتغال بكتابة "الحروز، والتَّمائم". وظهر أيام مولاي الحسَن الأول، وأدرك مولاي عبد العزيز. وشعره مشهور ومحفوظ عند شيوخ القريحة. ويذكر الأستاذ محمد الفاسي في معلمته، أنَّه كان بين الشيخ الغرابلي، وبين الشَّاعر بريسول، مُساجلات شعرية، أدَّتْ إلى عداوتهما. ولما كان الشَّيخ الغرابلي في فراش مَوته، أتى عنده بريسول لطلب المسامحة، وكانا لم يتكلَّما قبلَ ذلك بسبع سنين، فتسامحا. وفي هذا السِّياق تذكر العامة أن الشيخ الغرابلي انتَقل من "الحياكة" إلى كتابة " الحروز" لأسباب، منها ادِّعاء بعض محترفي هذه الصِّناعة الصَّولةَ في قَرض الشعر الملحون، والعمل على إخفاء مكانته بين مُعاصريه، إلا أنَّه ظلَّ فارساً من فرسان "الزَّجَل"، وأبدعَ في النَّظم مالم يستطع مُعاصروه الإتيان به، كالتَّضمين، وبراعة "نشب" الكلمتين، على حدّ ما تثبت هذه الأشطار من قصيدته "عِينْ الرَّحْمَة" التي تقول بعض أبياتها ما يلي :

أعِينْ الرَّحْمَة الرَّاحْمَة، يَاقُرْتْ لنْيَامْ
يَاقُرْتْ لَنْيَامْ، جُدلي بابحْرْ التَّعْظِيمْ
يابحْرْ التَّعْظِيمْ، والفَضَلْ، يَاعِينْ الرَّحْمَا ...

ويُشير الدكتور عباس الجراري في كتاب *القصيدة*، إلى ما حدث من مساجلة بينه وبين شاعر مراكش، المَدني التَّركماني، دارتْ حولَ "الإيمان" و"العَمل"، وأثارتْ جَدَلاً فقهياً بين النَّاس.

توفي بفاس عام 1340 .

عبد السلام ابن سودة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج 8 : 2927.

عبد الرحمن الملحوني

غرّابو، من أكثر القوارب المحلية انتشاراً على امتداد عموم الساحل، اعتباراً لشيوع استخدامها وليس استعمالها وملاءمتها للأعمال الملاحية الاعتيادية وللصيد البحري. وكان الغرابو يتسم باختلاف أحجامه وهيئاته بحسب طبيعة أماكن الرسو، مع تشابه القارب البربري والريفي في أبعادهما (طول ثمانية أمتار / عرض متر ونصف)، وفي الارتفاع النسبي للجؤجؤ والكوثل، وفي تجهيز هيكليهما عادة بصالب وداعم صالب، وبمجاذيف تصل إلى سبع وحدات. وفي تميزهما برونتهما وأهليتهما للرسو على الساحل حتى وسط الأمواج.

وبالمقابل يختلف عنهما ما يشبههما من قوارب منتشرة في مراسي الساحل الأطلنتيكي (من طنجة إلى شمال أسفي) بطولها الفائق (حوالي خمسة عشر مترا)، وبهيئتها الواسعة والعميقة، وبتميزها بكونها أقل خفة وأقل يسرا في الانقياد رغم مضاعفة وحدات مجاذيفها (أربعة عشر مجذافا)، وإن كان حجمها يمنحها قابلية أكبر على التحمل واقتحام أمواج الأعاصير.

Brunot Emile Laoust, Pêcheurs berbères du Sous, in *Hespéris*, vol. 3, 1923, p. 249 ; Robert Montagne, Coutumes et légendes de la côte bérbère du Maroc, in *Hespéris*, vol. 4, 1924, p. 190.

حسن أميلي

الـغرارة والغرائر جمع غريرة وهي نوع من الأكياس لحمل الحبوب ونقلها من مكان إلى آخر. وقد جاءت الإشارة إليها في المصادر على النحو الذي ذكرناه. لكن *كتاب التشوف* للتادلي استعمل مصطلحين لنفس الشيء فجاءت الغرائر مرادفة "للتليس" وهو كيس مستطيل يحمل منه الجمل زوجين لثقله، ولا يمكن لدابة أخرى أن تحمله لطوله : وهذا ما أفادته الكرامة المنسوبة إلى أبي محمد عبد الجليل : "...كنت بدكالة فقال لي الفقيه أبو حفص أريد أن أبعث بقمح إلى عبد الجليل ... فأحضر لي جملين عليهما غرائر

من قمح..." إلى أن قال المتحدث : "... فناولته كتاب أبي حفص فقرأه وأنزلت الغرائر عن الجملين فدخل داره ثم خرج وجعل ينظر يميناً وشمالاً فقال لي قرب الغرائر فجعلت أدحرجها واحدة بعد واحدة إلى أن قربتها من باب داره فلم أشعر إلا وهي في داخل الدار ...".

وفي المصادر ما بعد العصر الوسيط اختفت كلمة غرائر لتحل محلها كلمة تليس، وحتى في كتاب *التشوف* نفسه حيث ذكر التليس في أكثر من مكان : في رجراجة وعند أهل أسافو وفي تينمل ... والغرائر أو التليس عبارة عن كيس كبير مستطيل ومتين ينسج من خليط من خيوط شعر الماعز والصوف أو الوبر ويكون من لون واحد أو من لونين وعادة ما يكون التليس "مطرقاً" أي مخططاً بالطول. قال : "استترت (زوجة أبي محمد صالح) بشق غرارة خلق كانت تحت جنبها فلما أصبحت أرسلت إلى الفقراء فباعوا تلك الثياب واشتروا بثمنها بقرة صفراء...".

والغرائر أو التليس تعادل الحمل والوسق ومقدراه 3 قناطر. على أن كلمة غرارة المتداولة اليوم والواردة في (*المسند*) أعلاه تبعد عن الغرائر التي وصفناها أو أن العلاقة تكمن في كيل (إكتيال) الحبوب وما في حكمها كالتمر والزبيب وغيره فهي مكيال صغير يكوّن إثنان منه ما يعرف في أسواق الحبوب "العبرة" وتعادل ما بين 16 إلى 18 كلغ من الحبوب، ونصف العبرة هي الغرارة التي تسمى في مناطق أخرى "بالنصاصية"، ومن الفلاحين من يطلق اسم (لغرارة أو لغرابر) وأحياناً (لغرور) على الأواني التي تحملها "الناعورة" أو "السانية" والتي تغرف الماء من البئر المستطيل وتفرغه في الصهريج أو الساقية للاستفادة منه في السقي والشرب، والشبه بين الشكلين الأخيرين واضح فكلاهما من قصدير إلا أنهما يختلفان من حيث الحجم والشكل.

التادلي، *التشوف*، الرباط، 1956 و1984 ؛ الأنصاري، *اختصار الأخبار*، مجلة، تطوان، 1958-1959، العدد 3 ؛ البادسي، *المقصد الشريف*، الرباط، 1982 ؛ ابن مرزوق، *المسند الصحيح*، الجزائر، 1981 ؛ الماجري، *المنهاج الواضح*، الطبعة المصرية، 1352-1933 ؛ أبو العباس اللخمي، *إثبات ما لابد منه لمريد الوقوف على أحوال الدينار والدرهم* ؛ العزفي، *الصاع والمد*، قطعة من مخطوط، خزانة خاصة، الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1980 ؛ محمد الطويل، *النقل والتنقل في المغرب*، مرقون، كلية الآداب بالرباط، 1998 ؛ الفلاحة المغربية في العصر الوسيط، مرقون، كلية الآداب بالرباط، 1988.

محمد حجاج الطويل

الـغـرامة، لغة من فعل غرِم يغرَم غُرما وغرامة وهي الدَّين، أي ما يلزم أداؤه من المال. وفي ذلك أنشد الشاعر :

دار ابن عمك بعتها تقضي بها عنك غرامة

وقد أشار صاحب *لسان العرب* إلى أحاديث وردت في شأن هذا اللفظ، من ذلك الحديث في التمر المُعَلَّق : "من خرج بشيء منه فعليه غرامة مثليه والعقوبة". وقد علق ابن الأثير على هذا الحديث بقوله : "قيل : كان هذا في صدر الإسلام ثم نسخ، فإنه لا واجب على متلف الشيء أكثر من مثله، وقيل : هو على سبيل الوعيد لينتهي عنه". ومنه الحديث الآخر : "في ضالّة الإبل المكتومة، غرامتها ومثلها معها".

وهكذا، إذا كان هذان الحديثان يندرجان ضمن سياق ردع وتذعير كل متطاول ومعتد على حقوق الآخرين، وضمنه بيت المال، وذلك بتضعيف الغرامة على محدث الضرر، فإن الغرامة، حسب ما يتضح من الوثائق المغربية خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، كانت من عدة أنواع :

من بينها، أولاً، الأموال التي تغرمها القبائل كرهاً لحساب المخزن المركزي وبيت ماله متى خالفوا أمره ولم يمتثلوه، أو بسبب تمرد قامت به. ومن أمثلة ذلك أن المولى الحسن غرم سنة 1893 قائدي الرحامنة، عيسى بن مبارك الرحماني وإبراهيم بن الحسين الرحماني، بمبلغ عشرة آلاف ريال، مناصفة بينهما، بسبب مباشرتهما عملية الدرس قبل إحصاء زرع الدارسين من قبل أصحاب الخرص. وبعد هذا التاريخ بسنة وإثر تمرد قبيلة الرحامنة برمتها، غداة وفاة المولى الحسن، فرض عليها خلفه المولى عبد العزيز غرامة بلغت 420.000 ريال.

ومن بينها، ثانياً، الغرامات التي كانت تفرض على الأفراد والجماعات متى ارتكب بعضهم عدواناً على غيره سواء تعلق الأمر بجرائم القتل أو السرقات أو إتلاف ممتلكات الناس. وفي هذه الحالة فإن الغرامات المفروضة على مقترفي هذه الأفعال كانت تختلف بحسب نوع التعاقدات والتحملات المتفق عليها، المسماة بـ "الرفود". ولأخذ فكرة ملموسة عن نوع تلك التعاقدات، وما يكتنفها من أعراف، نكتفي بمثال واحد ينطلق من رسم إشهاد - موقع من قبل عدلين - مؤرخ في شهر رجب 1313 / دجنبر 1895، حيث يتضح منه ما يلي :

أولاً، أن هذا التعاقد جاء نتيجة أمر سلطاني موجه إلى عامل الرباط محمد السويسي وذلك بهدف "الحرص على حفظ طرقات رباط الفتح وأحوازه وجوانبه كلها من النهب والسرقة والقطع والإخافة وإغارة أعراب بواديه بعضهم على بعض واختطاف للبهائم وغيرها [...] حتى تأمن المارة في الطرق وتسرح البهائم في مسارحها". وقد عين السلطان كبير قواد قبيلة جيش الأوداية، علال بن بوعزة الأودي، للوقوف على تنفيذ هذا الأمر (باعتبار أن من بين الوظائف الأساسية التي كانت تقوم بها هذه القبيلة حماية الطريق الواقعة جنوب الرباط من هجمات زعير وغيرها).

ثانياً، انعقاد مجلس عامل الرباط، وخليفته الصديق بركاش، والقائد الأودي آنف الذكر، وسبعة عشر عاملاً من قبيلة زعير، من فرق المزارعة، وتسعة عمال من قبيلة أعراب الرباط، وخمسة شيوخ من قبيلة الحوزية (كانوا تحت نفوذ عامل الرباط)، وعامل بني وري، وعامل الزيايدة، وقائدين من جيش الأوداية "وتوافقوا وتعاقدوا على حفظ ما

ذكر[...] ومن تعدى أحد من إخوانه المذكورين طوره أو أضاف طريقاً أو سرق أو قطع أو نهب [...] فهو المؤاخذ بذلك والملزم بما وقع عليه الاتفاق من الذعائر" وذلك وفق الآتي :

ففي حالة السرقة أو إتلاف شيء، فالمتهم ملزم أولاً بغرم ما أتلفه أو سرقه، وبأداء ذعيرة للمخزن قدرها 300 ريال، وأخرى قدرها 200 ريال للمتقاعدين (الرفادة). وإذا ألقي القبض على السارق، فيلزمه أداء - علاوة على ما ذكر - 50 ريالاً أو أن يدفعها عنه أهله، ويطلق سراحه. أما إذا تعرض للقتل، فيؤدي من قتله 50 ريالاً فقط لوليه.

أما في حالة قتل نفس عمداً، فعلى الجاني أداء 500 ريال لولي المقتول وهي الدية، و300 ريال لجانب المخزن، و200 ريال للرفادة. بيد أن عمال زعير من فرق المزراعة أشهدوا على أنفسهم إشهاداً خاصاً مفاده أن مبلغ الذعيرة على القاتل عمداً هي 1000 ريال، تؤدى للمخزن وللرفادة، فضلاً عن دية 1000 ريال أخرى، تؤدى لولي المقتول.

ثالثاً، ما العمل مع من أنكر تهمة من هذه التهم ؟ يضيف رسم الإشهاد، في خصوص هذه النازلة، أن المتهم لا تبرأ ذمته إلا بعد أداء يمين القسم من قبل خمسين رجلاً من إخوانه.

وأخيراً، أشارت الوثيقة إلى أن أجل هذا التعاقد هو عام واحد، يبتدئ من التاريخ المثبت في الرسم.

يتضح مما ذكر أعلاه أن الأمر يتعلق بنوعين أساسيين من أنواع الغرامات : أولاهما، غرامات تؤديها القبائل لحساب خزينة الدولة ؛ والثانية، يؤديها الأفراد والجماعات لثلاثة أطراف : لصاحب أو لأصحاب الحق، وللمخزن، وللرفادة.

غير أن ما يجب إضافته أنه مع مطلع ستينيات القرن التاسع عشر، وفي سياق التكالبات الاستعمارية على سيادة البلاد، ظهر نوع جديد من أنواع الغرامات : يتعلق الأمر بالغرامات التي أصبح المخزن يؤديها كرها، إما لحساب بعض الحكومات الأوربية، أو لحساب الأجانب المقيمين في المغرب.

وأول تلك الغرامات وأشهرها الغرامة الثقيلة التي فرضتها إسبانيا إثر حربها العدوانية، فيما سمي بحرب تطوان (1859 - 1860). فمن أجل انسحابها من احتلال مدينة تطوان اشترطت على المخزن - من بين ما اشترطت - أداء مائة مليون بسيطة أي عشرين مليون ريال. وهو ما كان يفوق طاقة البلاد. ذلك أنه بمجرد تسديد نصف هذا المبلغ - بعد الاستعانة بقرض من بريطانيا سنة 1862 ؛ بلغ مليونين من الريال - حتى تعرضت البلاد إلى نزيف. وعلى حد تعبير جرمان عياش فإن "هذا النزيف لم يترك الدولة مفلسة فحسب، بل أدمى مجموع الاقتصاد المغربي محدود الموارد".

وقد استمر هذا النزيف قائماً، إذ كان على المغرب لأجل تسديد النصف الثاني من الغرامة أن يسمح للموظفين الإسبان بالإقامة في الموانئ الثمانية المفتوحة للتجارة الخارجية لاقتطاع نصف مداخيل الجمارك وذلك إلى حدود العام 1884.

وبعد مرور تسع سنوات على هذا التاريخ استغلت إسبانيا مرة ثانية حوادث الاصطدامات التي وقعت بين الريفيين والإسبان بحدود مليلية سنة 1893 لتفرض على البلد غرامة جديدة بلغت أربعة ملايين ريال.

وفيما يخص الغرامات التي كان يفرضها القناصل على المخزن بدعوى تعرض مواطنيهم إلى أذى من قبل المغاربة فلا تكفي المجلدات لملئها، وقد ساهمت بدورها في تعميق النزيف. ومن بين الأمثلة الدالة على ذلك أنه إثر تعرض أحد التجار الألمان إلى حادثة قتل سنة 1895، فإن قيمة التعويض بلغت 200.000 فرنك، هذا فضلاً عن تهديد السفير الألماني طاطنباخ بقنبلة البلاد في حالة عدم الاستجابة إلى تنفيذ الطلب، وفي أقرب الآجال.

أما الغرامات التي فرضتها فرنسا لضحايا أحداث الدار البيضاء (غشت 1907) وكذا الغرامة المتعلقة بالنفقات العسكرية التي تحملتها في عدوانها على الدار البيضاء ومجموع الشاوية، فقد كانت من بين أسباب القرض المفروض على المولى حفيظ سنة 1910 الذي بلغ 90 مليون فرنك، وإن لم يحصل منه المغرب فعليا على أي شيء.

والخلاصة أن هذا النوع الجديد من الغرامات بقدر ما كان أداة فعالة لنهب البلاد وتفقيرها والدفع بها إلى حالة الإفلاس الشامل بقدر ما كان، في الآن ذاته، سببا في تفجير التناقضات بين الدولة والمجتمع من جراء إثقال كاهل الناس بالمكوس والجبايات والذعائر والغرامات.

وثائق الخزانة الحسنية : مديرية الوثائق الملكية ؛ وثائق خزانة تطوان ؛ أ. التوفيق، إينولتان، 1850 - 1912 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 9 ؛ ج. عياش، *دراسات في تاريخ المغرب* ؛ ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 3 ؛ م، بن منظور، *لسان العرب*.

عبد العزيز الخمليشي

المغرب (تاريخ -) لعل أول تقسيم إداري جرى في المغرب هو ذلك الذي أحدثه الأمير الإدريسي محمد بن إدريس الثاني عندما قسم جهات الإمارة الإدريسية بين إخوته، واستقر هو بفاس. وكيفما كان الاختلاف بين ما جاء عند البكري وما جاء عند إدريس الفضيلي، فإن بلاد الغرب كانت من نصيب القاسم الذي ولي "البصرة وطنجة وما والاها" حسب تعبير البكري، أو نواحي طنجة وما والاها من القبائل الهبطية" حسب تعبير الفضيلي. ولأن الإدريسي، في منتصف القرن (6 هـ)، يقول عن هذه الجهة : "وكانت هذه البلاد [يقصد سبتة وقصر مصمودة وطنجة وتشمس وأزيلا والقصر الكبير والبصرة والأقلام وقرت] منسوبة إلى بلاد طنجة ومحسوبة منها". وكما سنرى فإن القصر الكبير والبصرة والأقلام وقرت معدودة من منطقة الغرب.

وذكر "لوي ماسينيون"، بالنسبة للمرابطين، أن يوسف بن تاشفين قسم، في القرن (5 هـ / 11 م)، البلاد كلها إلى أربع قيادات عسكرية، ولكننا لا نعرفها جيداً، مع العلم أن

الناصري ذكر أن يوسف بن تاشفين، في سنة 467 بعد أن فتح مجال غياثة وبني مكود وبني رهينة، فرق عماله على بلاد المغرب بهذا الشكل :

- مدائن مكناسة وبلاد فازاز وبلاد مكلاتة تحت قيادة سيرين بن أبي بكر اللمتوني.

- فاس وأحوازها تحت قيادة عمر بن سليمان.

- سجلماسة ودرعة تحت قيادة داوود بن عائشة.

- مدينة مراكش وأغمات وبلاد سوس والمصامدة وتادلا وتامسنا تحت قيادة ابنه تميم بن يوسف.

ولما فتح تلمسان سنة 474 عين عامله محمد بن تينغمر المسوفي على تلمسان ووجدة وبلاد بني يزناسن وما والاها.

فأين نضع منطقة *الغرب* في هذا التقسيم الإداري ؟

في عهد الموحدين، كان محمد بن يحيى بن تاكفت المسوفي عاملاً على مدينة القصر الكبير، عند مرور الخليفة الناصر بها سنة 607 ، وهو نفسه العامل على مدينة سبتة. وجاء عند ابن عذاري أنه في أواخر سنة 635 عندما استقامت الأمور نسبيا للرشيد الموحدي 630 / 640 ، وأطاعته سبتة وطنجة، عين ابن وانودين على البلاد الغربية بما فيها قبائل غمارة. وقال بأن وانودين أقام في ولاية الغرب سنتين تقريباً، وكانت مدينة القصر الكبير هي مركز إقامته. وكان أكثر سكان هذا الإقليم من عرب رياح.

وعدد عبد الواحد المراكشي ولايات الدولة الموحدية التي تدفع الخراج لبيت المال، هكذا : إفريقية - بجاية وأعمالها - تلمسان وأعمالها - المغرب (= الغرب) - سلا وأعماله - سبتة وأعمالها - جزيرة الأندلس - مراكش وأعمالها. وأضاف قائلاً : "وحد عمل المغرب (= الغرب) عندهم الذي يطلقون عليه هذا الاسم من مدينة تدعى رباط تازا إلى مدينة تدعى مكناسة الزيتون، طول هذه المسافة وعرضها نحو من سبع مراحل، وهي أخصب رقعة على الأرض فيما علمت، وأكثرها أنهاراً مطردة، وأشجاراً ملتفة، وزروعاً وأعناباً".

وعلى الرغم من أن المرينيين، خاصة في عهد الخليفة يعقوب بن عبد الحق (657 / 685 / 1259 / 1286)، أحدثوا تقسيماً إدارياً لعمالات بلاد المغرب والأندلس، فإن مكانة منطقة الغرب لم تكن واضحة فيه. ولاندري أين نضعها في ذلك التقسيم الإداري :

- مراكش وأعمالها وجميع بلاد السوس. أغمات وتينمل وجبالها. مدينة سلا وأحوازها ومراسيها. مدينة مكناسة وأحوازها. مدينة فاس. رباط تازة وجميع أحوازها. مدينة سجلماسة. بلاد درعة وأحوازها. بلاد الأندلس.

وابتداء من مطلع القرن (10 هـ)، بدأت بلاد الأزغار - أي منطقة الغرب فيما بعد - تظهر كإقليم قائم الذات. وهكذا، فإن مملكة فاس آنذاك كانت تتكون من نفس عدد الأقاليم الموجودة في مملكة مراكش، وهي : تامسنا - فاس - أزغار - الهبط - الريف - كرط - الحوز. وتوجد في إقليم أزغار مدن : الجمعة (أي جمعة القرواش) - العرائش - القصر الكبير. وعاصمته أو مركزه، حسب ما جاء عند مارمول، هو القصر الكبير بعد أن كانت العرائش من قبل هي مركزه. و "يبدأ هذا الإقليم من نهر أبي رقراق غرباً [= جنوباً]، ويمتد في الجانب الآخر إلى أحد جبال الريف، منتهيا في بعض المواضع إلى جبلي زرهون وزلاغ. يحده المحيط شمالاً [بل غرباً] ونهر بونصر جنوباً [بل شرقاً] [...] طوله عشرون فرسخا من الشرق إلى الغرب، وعرضه عشرون من الشمال إلى الجنوب. يخترقه من طرف إلى طرف وادي سبو الكبير".

وكان يشرف على هذا الإقليم، في بداية عهد السعديين، عامل واحد. يقول مارمول : "وليس للشريف الذي يحكم اليوم، سوى عامل واحد للمدن الثلاث : أصيلا والقصر الكبير والعرائش. ومعه خمسمائة فارس وأكثر من ألف من رماة البنادق لشن الغارات على طنجة. ويقيم عادة بالقصر، وإن كان يذهب، مرة بعد أخرى، لتفقد الحدود كلها".

وفي عهد السلطان أحمد المنصور السعدي 986 - 1012 / 1576 - 1603 أصبحت منطقة الغرب مضافة إلى فاس. لأن هذا السلطان كان قد فرق عمالات المغرب على أولاده فاستعمل الشيخ - يعني المامون - على فاس والغرب، وولاه عهده. واستعمل زيدان على تادلا وأعمالها. واستخلف، عند نهوضه إلى فاس، ابنه أبا فارس على مراكش وأعمالها.

وفي بداية عهد الدولة العلوية، خاصة في عهد المولى الرشيد، كان أخوه إسماعيل نائباً عنه في فاس ومكناس والغرب، ويحمل لقب "الخليفة". وكانت المصادر غالباً ما تستعمل صيغة" الخليفة على بلاد الغرب".

واتبع المولى إسماعيل أسلوباً خاصاً في إدارة المملكة، حيث قسمها إلى مدن كبرى وعدة وحدات إدارية. فمن المدن الكبرى : مكناس العاصمة - فاس الجديد - سلا والرباط - أسفي. أما الأقاليم الكبري فهي : الإقليم الشمالي - الإقليم الشرقي - إقليم توات - إقليم سجلماسة - إقليم درعة - إقليم سوس - إقليم مراكش - إقليم تادلا - إقليم دكالة.

كانت أراضي الإقليم الشمالي تمتد من وهران على البحر الأبيض المتوسط حيث الحدود بين الإمبراطورية المغربية والممتلكات الجزائرية إلى المعمورة التي تقع على ساحل المحيط الأطلسي. كما تمتد من البحر المتوسط إلى نهر سبو على مساحة تعادل مساحة مملكة البرتغال. ومدنه الرئيسية، هي : تطوان - طنجة - أصيلا - العرائش - القصر الكبير. وقد أسند المولى إسماعيل هذا الإقليم الشاسع إلى أسرة الريفي، حيث تناوب عليه القائد عمر بن حدو الريفي (ت. 1092 / 1680)، وابن أخيه القائد علي بن عبد الله (ت. 1125 / 1713)، وأخيراً الباشا أحمد بن علي بن عبد الله.

وعندما زار "وندوس" (Windus) هذه المنطقة عام 1721 كان الإقليم مقسما على الشكل التالي : فقد كان القسم الشرقي منه وباديته تحت قيادة عبد الكريم بن عبد الله، الذي كان يدعى بعامل إقليم الريف. وكان عبد الواحد بن علي قائدا لمدينة تطوان، وعبد الكريم بن علي قائدا

للعرائش، وعزوز بن علي قائدا لمدينة طنجة، والكل تحت إشراف القائد العام وهو الباشا أحمد بن علي. وكان ابن الأشقر أمير الزراهنة وعلى يديه أعشار القبائل من أهل الغرب وبني احسن.

وانطلاقاً من عهد السلطان المولى عبد الله بن إسماعيل، خاصة عندما تولى الحكم في المرة الرابعة، عُين، في أواخر ربيع الأول 1161 ، الباشا الحبيب الحمادي المالكي على قبيلة بني مالك، وكان يستقر في مدينة القصر الكبير، لأنه أضاف إليه قبائل الجبل كلها. وعين القائد عبد الله بن محمد المعروفي السفياني على قبيلته سفيان ومن انضاف إليهم من قبائل تلك الجبال والنواحي.

وسيبقى نفس التقسيم في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله (صفر 1171 ـ رجب 1204 / 1757 / 1790)، حيث كانت البلاد مقسمة إلى 17 عمالة، من بينها الغرب، الذي كان تحت نظر القائدين الحبيب الحمادي المالكي، وعبد الله بن محمد المعروفي السفياني، الذي سيعوض بالهاشمي السفياني. وأنشأ السلطان عمالة جديدة هي المهدية، تضم قبيلة بني احسن، وعين عليها القائد محمد بن علي العروسي سنة 1175 / 1761 وجعل الكل تحت ولاية نجله أبي الحسن، ووجهه إلى فاس الجديد سنة 1179 / 1765. وسوف تعرف تقسيمات المغرب الإدارية تغيرات كثيرة بعد هذه المرحلة.

ففي عهد السلطان المولى سليمان (رجب 1206 ـ ربيع الأول 1238 / 1792 ـ 1824 سيتم فصل عمالة بني احسن عن منطقة الغرب لأنها أصبحت تابعة لعمالة العدوتين، التي أضيفت إليها الشاوية والدار البيضاء وعرب الويدان. وأصبحت منطقة الغرب ككل، أي قبائل بني مالك وسفيان، بما في ذلك العرائش، في عمالة واحدة، تولاها الفقيه حمدون بن عبد الرحمان ابن الحاج السلمي (ت. 1232 / 1817) ابتداء من سنة 1219 / 1808 ، وكان يستقر في العرائش إلى عام 1221 / 1806.

وفي سنة 1223 / 1808 ، ستصبح منطقة الغرب بما فيها القبائل والجبال ضمن عمالة الثغور البحرية، أي منطقة الشمال، من تطوان وطنجة والعرائش والقصر الكبير والقبائل المجاورة من أهل الجبل وبني مالك والخلط وطليق. وولى عليها السلطان القائد محمد السلاوي البخاري، الذي سيعزله، ويولي مكانه الأمير مولاي عبد السلام الضرير ابن السلطان سيدي محمد بن عبد الله، ويكلفه، بالنيابة عنه، فيما يخص الأجانب.

وفي عهد السلطان المولى عبد الرحمان (ربيع الأول 1238 ـ محرم 1276 / 1824 ـ 1859) وابنه سيدي محمد (صفر 1276 ـ رجب 1290 / 1859 ـ 1873) كانت عمالة الغرب تضم سفيان وبني مالك مجتمعين، وعليهم قائد واحد هو عبد السلام بن عبد الكريم السفياني، إلى أن استشهد في حرب تطوان في شعبان 1276.

وفي عهد السلطان المولى الحسن (رجب 1290 ذو الحجة 1311 / 1873 ـ 1894) ومن خلال رسالة مؤرخة في 3 جمادى الثانية 1300 / 1883 ، يتكرر ذكر عاملي الغرب، وعمال الغرب عدة مرات. ويذكر عبد العزيز بن عبد الله أن المغرب كان مقسما إلى (6) عمالات، من ضمنها عمالة الغرب، وهي :

ناحية الشمال (تضم تطوان وطنجة وأصيلا والقصر الكبير والعرائش ووزان) ومركزها هو فاس.

ـ الغرب، مركزه مكناس.

ـ المغرب الشرقي (من وجدة وتازة إلى تافيلالت).

ـ ناحية الحوز (مراكش وآسفي والصويرة).

ـ العدوتان وتامسنا (الرباط وسلا والشاوية ودكالة).

ـ الجنوب، ويمتد من المحيط إلى حدود الجزائر، ويندرج فيه أقصى الجنوب إلى نهر السنيغال. وفي بداية القرن (20 م)، خاصة مع الاستعمار الفرنسي، أصبح مصطلح الغرب يطلق على جزء من حوض نهر سبو السفلي، الذي يستقر فيه مالك وسفيان. وبهذا وقع التمييز بين الضفة اليمنى لنهر سبو، مجال استقرار بني مالك وسفيان. وبين الضفة اليسرى مجال استقرار قبيلة بني احسن.

وكان لاستقرار جزء من قبائل الشراردة فيما بين مدينتي سيدي قاسم وسيدي سليمان أن برز اسم جديد سينضاف إلى الاسمين السابقين، وهو الشراردة، وأصبحت التسمية الثلاثية : "الغرب، الشراردة، بني حسن "ذات مدلول مجالي وبشري ؛ فالغرب يعني الأراضي الواقعة شمال نهر سبو وقبيلة بني حسن ذاتها. وكذلك الأمر بالنسبة للشراردة، فالاسم يعني القبيلة ثم مجال استقرارها حالياً في المنطقة.

وقد أنشأ الفرنسيون، ابتداء من 1913، منطقتين مدينتين في الجهات المحتلة مبكراً (وجدة، الدار البيضاء) وعدة لجان بلدية مختلطة في المدن الساحلية، ثم في المدن الداخلية بمقتضى ظهير 1917، ليصبح مجموعها 16 بلدية، منها بلدية القنيطرة. كما أحدثوا، بمقتضى مرسوم للمقيم العام سنة 1919 ثلاث نواحي مدنية، هي : الدار البيضاء ووجدة والرباط، ألحقت بها سنة 1921 ناحية الغرب. وبعد تعديلات 1940 / 1947 أصبح التراب المغربي ينقسم إلى 7 نواحي تضم 17 إقليماً، وهي :

ـ ناحية الرباط (الرباط، القنيطرة، الغرب، وزان). ناحية الدار البيضاء (الشاوية، الدار البيضاء، الجديدة، واد زم، تادلا). ناحية مراكش (مراكش المدينة، بادية مراكش، أسفي، ورزازات). ناحية فاس (فاس المدينة، تازة). ناحية مكناس (مكناس المدينة، مكناس البادية، تافيلالت، إفران). ناحية وجدة. ناحية أگادير.

وفي عهد الاستقلال، بادر المغرب إلى تعويض هذه النواحي السبع، بمقتضى مرسوم 19 دجنبر 1955، بحاضرتين مستقلتين (الرباط، الدار البيضاء) و13 إقليماً. ثم صدر، بعد بضعة أشهر، ظهيران يعيدان تقسيم المغرب إلى 5 عمالات و19 إقليماً، حيث كان إقليم الغرب يضم إليه

إقليمي العرائش وسيدي قاسم ووزان. وظل الوضع كذلك إلى أن صدر ظهير 2 دجنبر 1959 الذي قلص من عدد العمالات إلى عمالتين، والأقاليم إلى 16 إقليم. وظلت خريطة التقسيم الإداري تتغير باستمرار إلى سنة 1994 ، حيث أصبح عدد العمالات 22 ، والأقاليم 43 ، منها عمالة القنيطرة التي انفصل عنها إقليم العرائش وأصبحت تضم إقليمي القنيطرة وسيدي قاسم ووزان فقط.

وبمقتضى ظهير 16 يونيو 1971 تم تقسيم المغرب إلى سبع مناطق اقتصادية، وهي :

- الشمال الغربي (مركزه الرباط، ويضم أقاليم الرباط، القنيطرة، تطوان، طنجة). الوسط الشمالي (فاس). الوسط الجنوبي (مكناس). الوسط (الدار البيضاء). الشرق (وجدة). الجنوب (أگادير). تانسيفت (مراكش).

وفي غشت 1997، صدر المرسوم المحدد لعدد الجهات (16 جهة اقتصادية) وأسمائها ومراكزها ودوائر نفوذها ... منها جهة الغرب الشراردة بني حسن التي تضم إقليمي القنيطرة وسيدي قاسم ووزان، ومركزها هو القنيطرة.

يتضح مما سبق، أن إقليم الغرب التاريخي هو إقليم أوسع من إقليم الغرب في وقتنا الحاضر. ويمكن أن نجعله يتطابق مع المجال الذي انتشرت فيه القبائل الاعرابية، الهلالية والمعقلية وغيرها من البطون الصغيرة، التي دخلت إلى المنطقة في فترات زمنية متفاوتة منذ القرن (6 هـ / 12 م) إلى حدود القرن (13 هـ / 19 م). وكانت حدوده تمتد، شمالاً، من جنوب مدينة العرائش (كانت هذه المدينة، أحيانا، هي مركزه الرئيسي، ويعوضها القصر الكبير أحيانا أخرى) مروراً بالمجرى الأسفل لوادي اللكوس إلى حدود مدينة القصر الكبير، وتجاور شرقاً جبال بلاد الهبط والقبائل المستقرة فيها، وهي على التوالي : سريف - رهونة وجبل صرصر - مصمودة وزان - أهل الربوة وبنو مستارة - بنو مزكيلدة - سطة. وفي الجنوب الشرقي : بلاد شراگة - حجاوة - جبل زرهون - كروان الشمالية. وفي الجنوب، يقسم مجال غابة المعمورة بين بني احسن وزمور. أما في الجهة الغربية، فهناك الحدود الطبيعية المتمثلة في المحيط الأطلنتي، أي المجال الذي كان ينحصر في فترات سابقة بين المراكز الحضرية : العرائش والقصر الكبير وسيدي قاسم والمهدية.

م. البوعناني، *مساهمة في دراسة تاريخ منطقة الغرب من القرن (6 هـ / 12 م) إلى القرن (11 هـ / 17 م)*، أطروحة دكتوراه الدولة في التاريخ، مرقونة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 1423 / 2002.

المصطفى البوعناني

الـغرب - الـشراردة - بني احسن (جهة) أحدثت جهة الغرب - الشراردة - بني احسن بموجب التقسيم الجهوي لسنة 1997، عندما أصبح المغرب مقسما إلى ست عشر جهة. تشغل مساحة تقدر بحوالي : 8805 كلم2، يتكون إطارها المجالي من سهل الغرب وهوامشه المكونة من تلال مقدمة الريف في الشمال ومرتفعات ما قبل الأطلس المتوسط في الجنوب - الشرقي والشرق وهضبة المعمورة في الجنوب وتنفتح على المحيط الأطلنتي غربا.

استقرت بالإطار الترابي لهذه الجهة بعض القبائل الرعوية وأبرزها : بنو مالك وسفيان في الشمال والشمال - الشرقي لنهر سبو وهي قبائل عربية متفرعة عن بني هلال استقدمها الموحدون إلى هذه المنطقة منذ القرن 12م، وكذلك قبيلة بني احسن وهي أيضا قبيلة عربية من بني معقل، نزحت من شرق المغرب في أواخر القرن 18م واستوطنت جنوب نهر سبو وأجزاء من غابة المعمورة على حساب بني مالك وسفيان في الشمال وقبائل زمور في الجنوب التي كانت تتطلع للسيطرة على غابة المعمورة، ثم قبيلة الشراردة وهي خليط من العرب والبربر الذين نقلهم المخزن من حوز مراكش سنة 1829 ووطنهم حول سدي قاسم للقيام بخدمات عسكرية ومن ثم تسميتهم بقبيلة "الجيش".

على صعيد التقسيم الإداري تتألف جهة الغرب - الشراردة - بني احسن من إقليمين هما : إقليم القنيطرة وإقليم سيدي قاسم، وتتألف على صعيد التقسيم الجماعي من : 12 جماعة حضرية و61 جماعة قروية.

تحتل هذه الجهة موقعا متميزا ضمن المجال الجغرافي الوطني بفضل وجودها في ممر رئيسي بين شمال وجنوب المغرب، فضلا عن مجموعة من المزايا التي يتيحها هذا الموقع نذكر منها بالخصوص : الأهمية النسبية للتهاطل المطري السنوي على الجهة ومحيطها الجغرافي (تتلقى مختلف أرجاء الجهة كميات مطرية تتراوح معدلاتها السنوية ما بين 520 مم غربا و450 مم شرقا) ومن ثم وفرة الموارد المائية ولا سيما السطحية المتمثلة في نهر سبو وروافده ومن أهمها ورغة وبهت، ويبلغ الوارد المائي السنوي لهذه الشبكة 6 ملايير متر مكعب وهو ما يعادل 27٪ من الإمكانيات المائية السطحية الوطنية، إضافة إلى الأتربة الخصبة التي تكسو أرجاء واسعة من السطح المتميز في جزئه الأكبر بالانبساط الذي يوفر تسهيلات في ميدان الربط الطرقي والمواصلات بصفة عامة، فبالإضافة إلى السكة الحديدية التي تتكون من محورين : محور يربط بين القنيطرة وسدي قاسم ومكناس ثم محور يربط بين سدي قاسم وطنجة، فإن شبكة الطرق المعبدة بجميع أنواعها بالجهة تمتد على مسافة 1850 كلم منها 313 كلم من الطريق السيار، إلا أن من عيوب هذا الطريق كونه لا يساهم في فك العزلة عن البوادي التي يمر بها، إذ من القنيطرة حتى مولاي بوسلهام على مسافة 74 كلم لا يوجد أي محول انطلاقا من الطريق السيار. وعموما تساهم المحاور الطرقية القائمة بمختلف أنواعها في تقوية مردودية الإنتاج الاقتصادي وخاصة الإنتاج الزراعي المسقي الذي تشتهر به الجهة وتجعل مجالها الجغرافي ملتقى ومنطلقا لمجموعة من التيارات التبادلية بحكم الانفتاح القوي على عدة تجمعات حضرية كبرى على الصعيد الوطني الموجودة

على مسافات غير بعيدة : الرباط ـ سلا، والدار البيضاء ـ المحمدية، وفاس ـ مكناس، ثم طنجة ـ تطوان. لكن هذا الانفتاح يقتصر على المجالات الوسطى والنطاقات المحاذية للمحاور الطرقية الكبرى بينما ما زالت الكثير من المجالات الهامشية خاصة بإقليم سدي قاسم تعيش في عزلة بسبب النقص في الطرق المعبدة، كما أن انفتاح الجهة ما زال غير مكتمل في ظل التراجع المستمر الذي عرفه الرواج التجاري بميناء القنيطرة النهري بعد الاستقلال، فعدم تجهيزه وتأهيله بالشكل المطلوب حرم الجهة من اتصال مباشر بالعالم الخارجي من شأنه أن يمنح قيمة مضافة لاقتصاد الجهة خاص والاقتصاد الوطني بوجه عام.

بخصوص الجانب الديمغرافي فقد قدر مجموع ساكنة جهة الغرب ـ الشراردة ـ بني احسن سنة 2001 بحوالي 1.837.000 نسمة منهم :768.000 حضريين (41,8) و1.069.000 ريفيين (58.2 ٪). وهكذا فإن الكثافة السكانية العامة في مستهل القرن الحادي والعشرين بهذه الجهة تناهز 209 نسمة / كلم^2 ، في حين كانت لا تتعدى 20 نسمة / كلم^2 في بداية القرن العشرين فإنها تضاعفت بحوالي عشر مرات ونصف. وبالقياس مع معدل الكثافة السكانية العامة على الصعيد الوطني، وهو تقريبا 42 نسمة / كلم^2، فإن هذه الجهة تعتبر من الجهات ذات الثقل الديمغرافي القوي، علما بأن السكان داخل هذه الجهة يتركزون أساسا بالنطاقات القريبة من الأودية وخاصة سبو وبهت وبتلال مقدمة الريف بشمال الجهة في حين مازالت الكثافات السكانية معتدلة إلى واطئة بالساحل غربا وبالمعمورة جنوبا وبعدة نطاقات سهلية وسط الجهة. وتعزى هذه التباينات في الكثافة السكانية بالأساس إلى التغييرات الجذرية التي أحدثها المستعمر الفرنسي في الهياكل العقارية إذ استحوذ على ما يناهز 210.000 هكتار من أجود الأراضي. ونتيجة لذلك فإن جزءاً كبيراً من الفلاحيين المحليين إما سيلجأون إلى استغلال أراضي زراعية ورعوية أقل خصوبة في الهوامش أو سيتحولون إلى عمال بالاستغلاليات الفلاحية الكبرى التي أصبحت في حوزة المعمرين أو بالأوراش، في حين سيضطر آخرون إلى الهجرة فرادى وجماعات خاصة نحو أقرب المدن والمراكز التي أصبحت تتوفر على بعض الصناعات الخفيفة كمدينة القنيطرة. وجل هؤلاء المهاجرين سيتخذون البيوت الصفيحية مأوى لهم. ومن ثم ظهرت ونمت تجمعات صفيحية ضخمة بجل مدن منطقة الغرب كتجمع الساكنية بالقنيطرة ودوار أولاد الغازي بسيدي سليمان ودوار كليطو بسوق أربعاء الغرب .. ومنذ فترة الاستعمار والتجمعات الصفيحية بمدن الجهة في تنامٍ مستمر بفعل تضافر مجموعة من العوامل في مقدمتها سوء الأحوال المعيشية واتساع دائرة الفقر والبطالة في بادية الجهة مما يغذي باستمرار تيارات الهجرة إلى المدن وخاصة مدن الجهة، ومن ثم تحويل جزء من مشاكل البوادي إلى المدن عل شكل معوزين وعاطلين إلى كتلة العاطلين بالمدن إذ قدرت نسبة العاطلين بالوسط الحضري لجهة الغرب ـ الشراردة ـ بني احسن سنة 2001 بـ 23.3 ٪، مما يساهم في توسع التجمعات الصفيحية التي تطبع المشهد الحضري لمعظم مدن ومراكز الجهة بل إن العديد من الدواوير القريبة من المدن تختلط فيها الدور المبنية بالمواد الطينية والمواد الصلبة بالدور الصفيحية.

ويعتمد اقتصاد الجهة أساسا على النشاط الفلاحي بنطاق الري العصري، فهذا النطاق بالغرب يعتبر الأهم من نوعه على الصعيد الوطني بحكم أنه الأوسع والأكثر تطوراً وإنتاجا بفضل شساعة الأراضي الخصبة القابلة للري وعزم الدولة القوي على تنفيذ برنامج سقوي طموح بالمنطقة يرتكز على التوسيع التدريجي للمساحات المجهزة للسقي وفق الأساليب والتقنيات المتطورة التي يؤطرها جهاز تابع للدولة وهو المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي للغرب. لقد شرع في تجهيز أول نطاق سقوي بمنطقة الغرب إبان الفترة الاستعمارية وهو نطاق بهت المجاور لمدينة سدي سليمان الذي كان يمتد على حوالي 11000 هكتار حيث شيد لهذا الغرض سد القنصرة على واد بهت الذي أصبح جاهزا للاشتغال سنة 1935. وبعد الاستقلال قامت الدولة بتشييد سدود كبرى خاصة على روافد سبو، بهدف التحكم في المياه التي تصل إلى الغرب قصد حمايته من الفيضانات المدمرة التي عانى منها لمدة طويلة، ثم لتعبئة هذه المياه من أجل توسيع الدوائر السقوية المجهزة، ومن أهم هذه السدود : سد إدريس الأول على وادي إينان وقد أنجز سنة 1973 وسد الوحدة على وادي ورغة الذي أنجز سنة 1997 ويعد أكبر خزان للمياه بالمغرب.

ولحد الآن مكنت الأشغال والتجهيزات المائية الكبرى من سقي حوالي 107.400 هكتار بجهة الغرب ـ الشراردة ـ بني احسن منها 92.000 هكتار بواسطة الري الكبير والباقي عن طريق الري المتوسط والصغير، ومن المنتظر أن تصل مجموع المساحات المسقية مستقبلا بهذه الجهة إلى 270.000 هكتار.

وعلى صعيد الإنتاج الفلاحي فإن الحيز الأوفر من المساحة القابلة للزراعة بالجهة تخصص للحبوب والقطاني وكذا المزروعات العلفية، وهذه الأخيرة ساعدت على التطوير الكمي والنوعي لتربية الماشية ولا سيما الأبقار الحلوب ذات المردودية العالية التي تصل إلى 5000 لتر من الحليب في السنة والتي نجدها بوجه خاص عند الحيازات الكبيرة التي تتوفر على مختلف الإمكانيات. كما تنتج بالجهة المزروعات الزيتية والمزروعات الصناعية التي يتصدرها الشمندر السكري وقصب السكر، وكل هذه الزراعات ساهمت في رفع مستوى الاكتفاء الذاتي الوطني في بعض المواد الغذائية وخاصة السكر وزيت المائدة والحليب ؛ وتشغل الأشجار المثمرة مساحة : 44.400 هكتار مع هيمنة الحوامض التي تحتل مساحة 18.400 هكتار. لكن مردودية مختلف المزروعات والمغروسات وكذا مردودية الماشية تقل بشكل كبير داخل المجالات البورية للجهة حيث تبقى رهينة عوامل متعددة منها الظروف المناخية.

وتشكل غابة المعمورة بالجهة (حوالي 133.000 هكتار) ثروة ذات أهمية اقتصادية واجتماعية وبيئية ثمينة فهي مصدر لعدة مواد أولية : الخشب الصناعي وخشب التدفئة والفلين والفحم، وهي أيضا مصدر للكلأ، ولعدة أعشاب طبية وعطرية ومجال مناسب لتربية النحل وللاستثمار في السياحة البيئية ... ومن ثم دورها في خلق فرص الشغل وفي تحقيق مداخيل لصالح الجماعات المحلية المعنية، فضلا عن كونها تشكل مجالا للترفيه على السكان من عناء المدن وحزاما أخضرا طبيعيا يقاوم ترمل التجمعات الحضرية الكبرى للرباط وسلا والقنيطرة وكذلك الأراضي السقوية للغرب ولذلك يتعين الحرص بقوة على استغلال هذه الغابة بأساليب عقلانية تعمل على الحد من التراجع والتدهور الذي تعاني منه منذ مدة طويلة.

أما النشاط الصناعي العصري بجهة الغرب ـ الشراردة ـ بني احسن فلا زال متواضعا كما ونوعا بسبب تعدد الإكراهات التي تعترض تطويره ومنها : غلاء الأراضي وتعقد الخريطة العقارية وما يتبع ذلك من تعثر في تهيئة مناطق صناعية جديدة إضافة إلى تعقد المساطر الإدارية المتبعة في قبول أو رفض ملفات الاستثمار..

وتمثل الصناعات الغذائية ضمن النشاط الصناعي بالجهة ما يقارب 22٪ من النسيج الصناعي وتحقق حوالي 95٪ من رقم معاملات القطاع. وتجسد مدينة القنيطرة القطب الصناعي الجهوي، إذ تتركز به بعض الأنشطة الصناعية بنسبة تصل إلى 100٪ كصناعات النسيج والورق وتعليب الأسماك ... كما نجد معامل في باقي مدن الجهة كمعمل السليلوز بسدي يحيي الغرب ومعمل صغير لتكرير البترول بسيدي قاسم ومعامل للصناعة الغذائية المرتبطة أساسا بالزراعة السكرية والزيتية بمدن سدي سليمان ومشرع بلقصيري ودار الكداري وسيدي علال التازي ...

وعلى المستوى السياحي : تتوفر الجهة على مؤهلات متنوعة لكن معظمها يعاني من الإهمال وسوء الاستغلال. ومن هذه المؤهلات : الساحل الذي يمتد على 140 كلم وغابة المعمورة ومنطقتان تندرجان ضمن المحميات الطبيعية الدولية وهما : بحيرة المرجة الزرقاء بمولاي بوسلهام وبحيرة سيدي بوغابة، ومناطق مشهورة للصيد البري بعرباوة وبقرية ابن عودة ثم قصبة المهدية وكذلك العمران العتيق والصناعة التقليدية بمدينة وزان فضلاً عن المآثر التاريخية الموروثة عن الفترة الرومانية كتاموسيدا وبناصا..

وعموما فإن أهم ما يطبع المجال بجهة الغرب ـ الشراردة ـ بني احسن هي تجربة السقي الكبير التي أدت إلى التغيير الجذري للمشهد الريفي بها. إن هذه التجربة التي تحتل الصدارة من بين تجارب مماثلة على الصعيد الوطني قد ساعدت بشكل فعال على الحد من وطأة الجفاف الذي أصبح، منذ بداية الثمانينيات من القرن العشرين، يتواتر على المغرب بمعدل مرة كل ثلاث سنوات، كما مكنت المنتجين بالجهة من التفتح على التجديدات التقنية وعلى اقتصاد السوق، فضلاً عن مساعدتها على الرفع من مستوى الاكتفاء الذاتي الوطني في بعض المواد الغذائية الأساسية. لكن هذه التجربة عملت من جانب آخر على تعميق الفوارق الاجتماعية والمجالية بشكل صارخ، خاصة وأن البرنامج السقوي لم يتضمن مشروعا جريئا لإصلاح البنيات العقارية الموروثة عن العهد الاستعماري كما أن النظام العقاري مازال

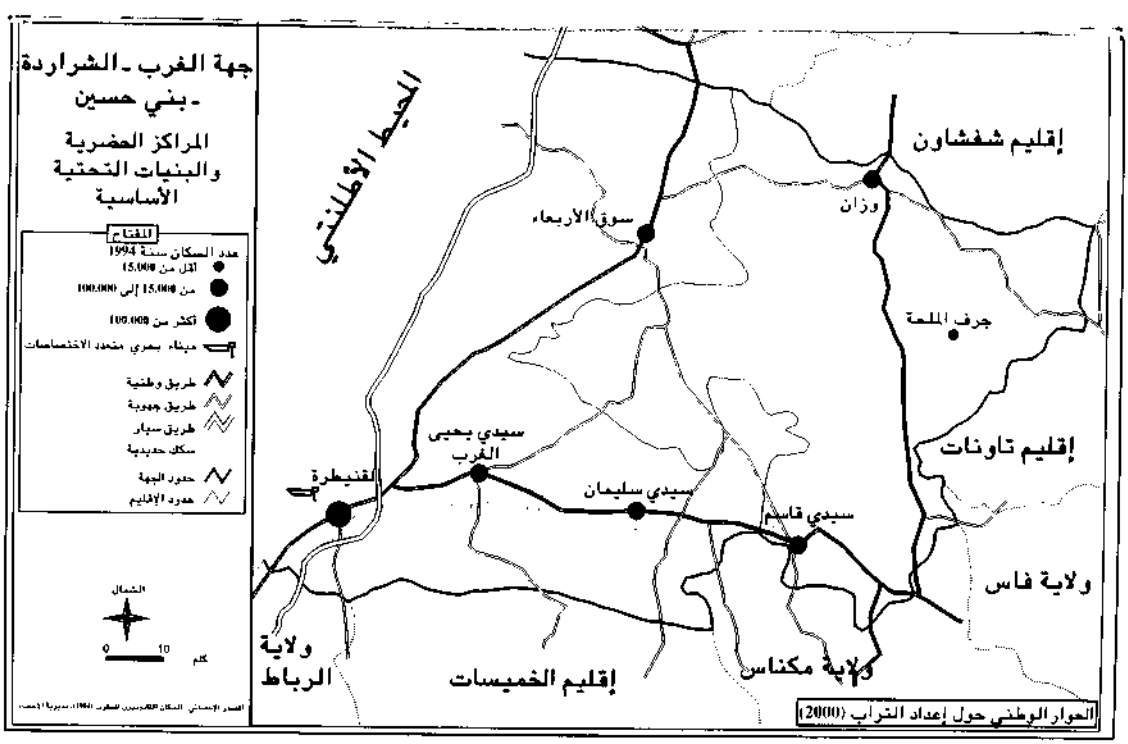

مطبوعا بتعدد الحالات التي تعيق الاستثمار. فإلى جانب مجالات الري العصري المحظوظة نسبيا على صعيد التجهيزات الأساسية الكبرى توجد مجالات بورية فقيرة (الغرب الأعلى والساحل والجنوب ...) وتجمعات سكنية ذات كثافات سكانية مرتفعة تحيط بالنطاقات المسقية (دار الكداري ودار بلعامري والخنيشات ...) تعاني كلها من الخصاص على صعيد التجهيزات الاقتصادية والاجتماعية الأساسية بما في ذلك الماء الشروب والكهرباء والمدارس والمستوصفات ويسودها العوز والبطالة مما يجعل كل هذه المجالات والتجمعات السكنية مصدراً للهجرة القروية التي نالت منها القنيطرة النصيب الأوفر.

م. كرزازي، *جوانب من التحولات الاجتماعية المجالية الحديثة في أرياف سهل الغرب*، ندوات ومناظرات، 1994، كلية الآداب الرباط.

J. Lecoz, *Le Rharb, fellahs et colons, Etude de géographie régionale*, Thèse d'Etat, 2 tomes, Rabat, 1964 ; J. Martin [et al.], *Géographie du Maroc*, France, 1970 ; Collecttif, *Le Gharb, l'Espagne et l'Homme*, Pub. de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines de Kénitra, 1997.

المختار الأكحل

الغرياوي، أحمد أحد رواد الجغرافيا الحديثة بالمغرب. خصص أكبر قسط من أعماله للبحث الجغرافي الطبيعي، مع اهتمام خاص بتقنيات وضع الخرائط. اضطلع وقتا غير يسير بمهام رآسة شعبة الجغرافيا بكلية الآداب والعلوم الإنسانية لجامعة محمد الخامس بالرباط، وهو يرأس شعبة الجيومرفلوجيا والخرائطية بالمعهد العلمي بنفس الجامعة، وعمره دون الستين.

جمع بين هاجس العلم أعباء السياسة. فنشأ على مبادئ الاشتراكية العلمية منذ متم الخمسينات إلى أن أصبح من الأركان القياديين لحزب التقدم والاشتراكية، كما أنه التزم بخط نقابي ثابت، فناضل بدون كلل وهو عضو في المجلس التنفيذي للاتحاد المغربي للشغل.

لم يكن بالإمكان التحقق من أولى اهتماماته بين السياسة والبحث والتدريس. كما أن تقلبه بين مختلف المهام والأنشطة التي زاولها جاء متسلسلا، به منطق داخلي يرقى دائما إلى الأفضل.

لما كان طالبا بباريس، تولى التسيير في "جمعية الطلبة المسلمين الشمال إفريقيين". ولما التحق بجامعة محمد الخامس بالرباط، انخرط في النقابة الوطنية للتعليم العالي، وعُرف بوفائه النشيط، حتى النهاية، لكل المواعيد العمالية، وعلى رأسها تجمعات الفاتح من ماي.

تلقى تقنيات الخرائطية الجيومرفلوجية على يد الأستاذ فرنان جولي، بمقر مختبره المتخصص بمعهد الجغرافيا التابع لجامعة الصربون، قبل أن يعود إلى المغرب ليرأس شعبة الجيومرفلوجية والخرائطية بالمعهد العلمي بجامعة محمد الخامس.

لا شك أن أهم أعماله العلمية المكتوبة هي رسالة دكتوراه الدولة في الجغرافية التي قدمها بعنوان "الأرض والإنسان بشبه الجزيرة الطنجية"، والتي طُبعت من ضمن أعمال المعهد العلمي بالرباط 1981. فجاءت مكرسة لتخصصه الطبيعي، واهتمامه البشري الوطني، ووفاء لمسقط رأسه ومراتع طفولته بالريف الغربي.

يُعتبر الأستاذ الغرياوي من أغزر المعلمين تأطيراً للبحث العلمي بتخصص الجغرافيا الطبيعية، إذ أشرف على ما يناهز المائة عمل جامعي. ولا شك أن في الأمر تجاوبا مع النزعة الجماهيرية التي طبعت حياته.

صحيح أنه أطّر البحث العلمي، بالمستوى الأول، في مجال تخصصه الطبيعي، لكنه، على غرار رواد المدرسة الفرنسية الطبيعية القديمة، اهتم كذلك بالجانب البشري، بنسبة تناهز ثلث الحالات تقريبا. لذا وجد نفسه، تلقائيا، من أوائل الذين جمعوا بين الإنسان والأرض في إطار الدراسات البيئية.

أبانت كتاباته على تنوع المشارب.

فجاءت ماسحة للعديد من المواضيع، فيها أولا التخصص الدقيق، من خلال دراسات عن الكتلة الجبلية الكاربوناتية بالريف الغربي، وأخرى في السواحل، وغيرها في الأترية.

مواضيع ثانية بارزة تناولت عنده الخرائطية ووسائل التعريف العريض بالمجال المغربي، على أساس وضع الخرائط الجدارية 1980، والمقاربة الخريطية لـ "إسهام المغرب في الحرب العالمية الثانية"، وكذا المشاركة في "الموسوعة الكبيرة للمغرب" 1987. وقد رافقتها معالجات أخرى تنم عن فضول حضاري مشكور، من قبيل "زدوس من حرب الريف الشعبية ضد الاستعمار" 1975 أو "الخرائطية والجغرافيا العربية الإسلامية أثناء الازدهار" 1998.

وقد تعامل كذلك مع مواضيع بشرية، يخامر جلها حسٌ نضالي، منها "البروليتاريا المغاربية النازحة إلى ضاحية باريس الشمالية الغربية" أو البحث الجغرافي والالتزام السياسي بالمغرب".

أما الذين خبروا منا، عن كتب، شخصية المترجم له، فقد أنسوا منه، بالإضافة إلى انسجام مراحل حياته على النحو المذكور، مجموعة من المفارقات.

ذلك أنه، هو الذي ألف جل ما كتبه باللغة الفرنسية، صادف أن جل الأعمال التي أطرها جاءت باللغة العربية.

وهو الذي تبدو أعماله مشاركة، رابطة بين الإنسان والأرض، كان في واقع منهجه جيومرفلوجيا بنيويا محافظا، وخرائطيا نمطيا ثابت المعالم. لا شك أنه ورث قناعاته البنيوية من طبيعة سلسلة جبال الريف، ذات البنيات الشديدة التعقيد، والتي كان، هو شخصيا، من القلائل الذين يتقنون استنباط دقائقها.

أما تمكسه بالنمطية الخريطية فلم يكن مجانبا، بل كان له وقع إيجابي ذو بال، إذ أكسب البلاد مجموعة محترمة من الخرائط الجيومرفلوجية، أنجزها طلبته، بمقياس : 50000 : 1، يمكن أن تعتبر نواة لتغطية وطنية في المادة.

ألصقُ السمات بشخصية الأستاذ الغرباوي، والتي عُرف بها الأكثر عند معاصريه، هي نوعٌ من التلقائية يسلُكها كيف ما كانت الأوضاع. وهي تتجلى في أسلوبه الشفوي الذي تغلب عليه البساطة والمباشرة، يرفعه إلى مستمعيه بصوت جهوري، يأتي دائما مُدويًا ساخراً. لكن الرجل الباحث هو في الواقع على خلاف الظاهر تماما. أية رحلة دراسية معه في جبال الريف تكشف بالتأكيد عن العالم الدقيق والمثقف المشارك الزاخر المعارف الرقيق الأحاسيس.

آخر المفارقات أنه كان أخضر العود يانعه، يبدو وكأن السنين لا تأخذ أي شيء من تقاطيعه الخالية من التجاعيد ولا من ناصيته الغزيرة الطبيعية السواد. كان يبدو أصغرنا جميعا، يوحي بأنه سيعيش مائويا، غير عابئ بصروف الدهر. وفجأة اختطفته المنية.

قضى أحمد الغرباوي كل حياته عنصرا نشيطا، منذ أن كان صبيا يجدُّ في أحضان أودية وقمم الريف، إلى أن تحول إلى أستاذ جامعي عالم، يُستشار في قضايا ذات بال، انطلاقا من أمور البنيات الصخرية وبنائية القشرة الأرضية بشمال المغرب وبالأندلس، تحسبا لإقامة مشروع الربط القار الكبير بين العدوتين، إلى شؤون إصلاح التعليم ببلادنا. وقد كان يعتز أيما اعتزاز بتواضع المنشأ ومدى أصالة ارتباطه بالأرض.

وهو، خلال حياته القصيرة التي كانت في الواقع شبابا طويلا، يخطب في العمال ويكون الأجيال ويؤسس، بدعم من أتباعه، لتراث خرائطي وطني نموذجي، صدقة جارية من أجل رفاه البلاد ونمائها.

توفي في 18 نوفمبر من سنة 2000.

إدريس الفاسي

الغرباوي، الجيلالي ولد سنة 1930 بجرف الملح قرب مدينة سيدي قاسم. فقد أبويه وهو لم يتجاوز العاشرة من عمره فتكفل عمة بتربيته ثم وضعه في إحدى دور الأيتام وتعلم بها ثم رحل إلى فاس للالتحاق بالتعليم الثانوي.

بدأت حياته الفنية باهتمامه من الناحية الموضوعية بما يحيط به من أشياء وأماكن، وعادات. لكن شغفه بفن التشكيل جعله يشد الرحال إلى الديار الفرنسية لمتابعة دراسته هناك حيث تم احتكاكه بنماذج كبيرة من الفنانين والنقاد ورجال الدين قبل أن يعود إلى المغرب.

وفي سنة 1957 ، انتمى إلى مجموعة السرياليين الفرنسيين.

انطلق في رحلته الفنية من الفن التشخيصي واتجه إلى التعبير عن طريق التجريد المطلق مارا على درب تجربة جديدة في العالم التشكيلي وكان يمثل طوال خمس عشرة سنة تجربة طلائعية عانق فيها الإنسان ابتداءً من الرجوع إلى ذاته، وهمومه، وقضاياه.

والغرباوي كفنان واع، ملتزم ومؤطر في مدرسة واتجاه، كان يفكر كما يرسم وكان يرسم بالفكر.

تحتضن العديد من المتاحف الكبرى في فرنسا، وبلجيكا، وهولندا، وأمريكا انتاجاته الفنية التي تعتبر من النتاجات الفنية ذات القيمة الانسانية الهامة.

توفي الجيلالي الغرباوي في مدينة باريس يوم 2 أبريل 1971 بعد أن كان يستعد لافتتاح معرضه الفني بالديار الفرنسية.

جريدة العلم، ذكرى الغرباوي ؛ م. أديب السلاوي، *الفن التشكيلي العربي في المغرب*.

الغرباوي، مصطفى وُلد بالدار البيضاء يوم 16 نوفمبر 1914 ، في أسرة فقيرة نزحت في فترة مبكرة من منطقة الغرب (قبيلة المناصرة). كان والده يتعيش من بيع الخضر، فلم يتمكن من إلحاقه بإحدى المدارس الابتدائية العصرية. درس بكتاب قرآني في "المدينة" (المدينة القديمة)، ثم التحق بالقرويين في أوائل الثلاثينيات من القرن الماضي، واتصل بالشباب الوطني القادم من مختلف جهات المغرب إلى فاس.

بعد عودته إلى الدار البيضاء، أخذ يلقي دروساً في الحديث بجامع الشلوح في المدينة القديمة، وعمل على نشر القراءة الجماعية للقرآن الكريم هناك، اقتداء بما كان يجري

في سلا والرباط، وذلك من خلال تأسيس جمعية المحافظين على القرآن الكريم التي تولى كتابتها العامة. وكان من بين أعضائها البارزين الحاج عبد القادر بن الهاشمي الوسيط بينها وبين كتلة العمل الوطني.

وساهم في التقريب بين الشباب المغربي المتلقي تكوينا غربياً عصرياً والشباب المغربي المتلقي تكويناً إسلامياً أصيلاً. وفي هذا الإطار، عمل على التوفيق بين الجناحين المتصارعين داخل الكتلة، من خلال جمعية الإخوان المسلمين التي تأسست في بدايات الثلاثينيات من القرن الماضي، وفي وقت سابق على ظهور هذا الاسم في المشرق. وكان إلى جانبه في هذه الجمعية الساعية إلى تذليل الخلاف بين جناح علال الفاسي وجناح محمد حسن الوزاني عدد من رجال الوطنية بالدار البيضاء، مثل الحاج محمد بن جلون التويمي "شوكولا" وعبد القادر بن الهاشمي وعبد السلام بن جدية وحميد المكاوي وعبد المجيد الديوري وأخويه التهامي والمدني.

وأسس مدرسة أطلق عليها اسم "محل للتعليم والتربية الإسلامية" في المدينة القديمة، بعد أن أغلقت إدارة الحماية مدرسة السلام التي كان يسيرها الشاعر محمد بن اليمني الناصري. وربما صار اسم هذه المدرسة فيما بعد مدرسة النهضة التي كانت تقع في زنقة خروبة رقم 52، والتي ظلت تحت إدارته حتى دجنبر 1954 على الأقل.

وكان، إلى جانب الحاج محمد ابن كيران والمختار "بو الصبع"، في قيادة المظاهرة التي خرجت من جامع السوق في المدينة القديمة سنة 1936 ، على إثر اعتقال قادة الوطنية كعلال الفاسي ومحمد حسن الوزاني في أعقاب اجتماع انعقد للمطالبة بحرية الصحافة. وكان أيضاً من الجماعة التي تعرضت للاعتقال مدة قصيرة أثناء المواجهة مع الشرطة.

وشارك في الوفد الذي ندبه رجال الحركة الوطنية بالدار البيضاء، إلى جانب الحاج محمد ابن كيران والحاج محمد بن جلون التويمي، للسفر إلى فاس لإصلاح ذات البين بين علال الفاسي ومحمد حسن الوزاني. قضى الثالوث ما يقارب أسبوعاً بفاس، دون حصول الفائدة، فقرر، حسب شهادة عبد الرحمان بناجح، "... قراراً عملياً وإيجابياً وذلك من أجل مواصلة الاتصال بالشعب البيضاوي قصد الحفاظ على الروح الوطنية وتقويتها. وعلى هذا توجه الحاج محمد بن كيران إلى ميدان المسرح وأخذ الحاج محمد بن جلون التويمي ميدان الرياضة كما توجه الأستاذ مصطفى الغرباوي إلى ميدان التعليم ومحاربة الأمية". وهناك من يقول إن الغرباوي كان من الفريق الذي مال إلى صف الوزاني، بعد فشل المساعي الرامية إلى الحفاظ على وحدة كتلة العمل الوطني، فانخرط في الحركة القومية التي أسسها سنة 1937، بل وكان مسؤولاً عنها بالدار البيضاء مع تكليفه بمنطقة "المدينة".

وإلى جانب نشاطه الحزبي في فترة الثلاثينيات من القرن العشرين، نشر في بعض الصحف المغربية، مثل *الوحدة المغربية* و*الوداد* ، مقالاته الاجتماعية والسياسية وقصائده الوطنية، كما كتب عدداً من المسرحيات التي شارك في تمثيلها ضمن فرقة الشمس، ومنها مسرحية اجتماعية تحت عنوان *"أنا القاتل"* سنة 1937 ، ومسرحية دينية وطنية تحت عنوان *في المولد النبوي* تم طبعها سنة 1935 وتمثيلها سنة 1939. ومما طبع من إنتاجه القصة التي اختار لها عنوان *عجائب الأقدار*، و*عواقب الإصرار* والتي طبعت سنة 1938.

ظل مصطفى الغرباوي وفيا للوزاني بعد الحرب العالمية الثانية، حيث واصل نشاطه السياسي في حزب الشورى والاستقلال الذي تأسس سنة 1946 على أنقاض الحركة القومية. وقد عين مفتشاً عاماً للحزب لمدينة الدار البيضاء ونواحيها، مع مسؤوليته عن منطقة المدينة القديمة. وفي هذا الإطار، سعى إلى نشر أفكار حزبه وكسب السكان إلى صفه، بدليل شهادة عبد الرحمان بناجح أحد الأطر الشورية المعروفة في الدار البيضاء فيما بعد، والتي جاء فيها أن انخراطه في الحزب وأداءه "يمين الإخلاص للروح الوطنية" كانا على يد مصطفى الغرباوي. إلى جانب ذلك، لم يتوقف عن الإنتاج الأدبي، فقد ألف سنة 1950 مسرحية اختار له عنوان *"الهادي العباسي"* ، للرد على تمثيل مسرحية *"طارطوف"* الفرنسية المعروفة، كما نشر عدداً من المقالات في أسبوعية الرأي العام لسان حزب الشورى والاستقلال. وتشهد الوثائق الرسمية أن نشاطه الوطني الدائب كان سببا فيما لحقه من مضايقات السلطات الفرنسية المحلية. فقد تعرض للاعتقال والسجن عدة مرات، سواء في عين الشق أو السجن المدني بالدار البيضاء، كما صدر في حقه وحق مجموعة من الوطنيين من الدار البيضاء في بداية شهر ماي 1954، أمر رسمي بإبعاده من هذه المدينة. وقد وصفته الجهات الفرنسية الرسمية، كما وصفت غيره من هؤلاء المبعدين بأنهم "وطنيون متطرفون من الدرجة الثانية إلا أنهم عناصر خطيرة". لم يبعد مصطفى الغرباوي إلى خارج الدار البيضاء، وإنما تقرر فرض الإقامة الجبرية عليه، حسب شهادة ابنه.

سافر مصطفى الغرباوي إلى باريس سنة 1955، في الوفد الذي قرر حزب الشورى والاستقلال إرساله لتهنئة السلطان سيدي محمد بن يوسف على عودته من منفاه في مدغشقر. وقد كان من جملة الذين استقبلهم السلطان في قصر سان ـ جيرمان ـ أون ـ لي، بل وتولى "تقديم الوفود المهنئة إلى جلالته" ومناقشه في مسألة ترتيب عودته إلى المغرب وما يستدعيه ذلك من تنظيم لحركة السير والمرور.

واستقدمه أحمد بن سودة للعمل إلى جانبه في وزارة الشبيبة والرياضة، بعدما تكلف بهذه الحقيبة في أول حكومة مغربية برئاسة امبارك البكاي يوم 7 دجنبر 1955. لكن هذه المسؤولية الرسمية انتهت بحل الحكومة يوم 27 أكتوبر 1956 وعدم مشاركة حزب الشورى والاستقلال في الحكومة الثانية المكونة بعد ذلك. فأسند إليه المكتب السياسي للحزب وأمينه العام محمد بن الحسن الوزاني مهمة الإشراف على "مدرسة الإطار" في عرصة ابن مسيك ابتداء من 11 فبراير

1957 ، من أجل تكوين و"تخريج المسيرين الشوريين ... وإعدادهم للعمل النافع في دائرة الحزب". ويظهر أن مصطفى الغرياوي قد تخلى عن كل نشاط سياسي، خاصة بعد الأزمة الخطيرة التي عاناها الحزب من جراء انسحاب أحمد بن سودة وعبد الهادي بوطالب والتهامي الوزاني وعدد آخر من أطره البارزة من قيادته وانضمامهم إلى الاتحاد الوطني للقوات الشعبية الحزب الجديد الخارج من رحم حزب الاستقلال. وساهم في ابتعاد مصطفى الغرياوي ومجموعة أخرى من الأطر الشورية ما خلفه ذلك الانسحاب من صدمة قوية وتصدع كبير في صفوف الحزب، وما ترتب على ذلك من انزواء الأمين العام في فاس وانهيار البناء الذي أسسه سنة 1947. وقد اضطر مصطفى الغرياوي، من أجل التعيش، إلى إعطاء دروس خصوصية في اللغة العربية لأبناء بعض الأسر، ومنها أسرة الكتاني. ثم عين قاضياً بمحكمة الاستئناف في الدار البيضاء إلى إن أحيل على التقاعد سنة 1979 ، فالتحق بخطة العدالة التي مارسها مدة تقرب من عشر سنوات، إلى أن ألم به المرض الذي أقعده مدة طويلة قبل أن يتوفاه الأجل المحتوم في الفاتح من شهر نوفمبر 2000.

أ. زياد، *دفتر أيام في الدار البيضاء*، الدار البيضاء، ؛ أ. زيادي، *تاريخ الوطنية المغربية في القصة القصيرة* ؛ دراسة ونصوص، الدار البيضاء، ط 1 ؛ 1998 ، م. معروف الدفالي، حزب الشورى والاستقلال من التأسيس إلى الانهيار، 1946 ـ 1959، *أمل*، عدد مزدوج، *10 ـ 11* ؛ جون جيمس ديمس، *حركة المدارس الحرة بالمغرب*، 1919 ـ 1970، تر. س. المعتصم، الدار البيضاء، ط 1، 1991 ؛ م. ح. الوزاني، *خط* ، مؤسسة محمد حسن الوزاني، فاس، ط 1، 1408 / 1988 ؛ *رواية شفوية*.

نجيب تقي

الغَرْبي ، أسرة أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Garbi ؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Algarbe وهو اسم مقاطعة بجنوب البرتغال ومعناه غرب الأندلس ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

الغربي، أحمد بن عبد الله : قيل إن بيت الغربي بالرباط لم يعرف بيت سواه بقي به العلم مدة تزيد عن مائتي سنة. وأحمد الغربي عالم محدث ورحالة، أول من أتى من دكالة إلى الرباط واستوطنه، ذكره سليمان الحوات في كتابه *الروضة المقصودة والحلل الممدودة* في ترجمة يوسف الناصري، وذكره في *ثمرة أنسي في التعريف بنفسي*، كما ترجم له الحفيد العكاري الذي قال إنه أخذ عن جده الشيخ العكاري بالرباط ولازمه أكثر من اثني عشر عاماً. وأولع بالتصوف، وهناك شبه إجماع على أنه لم يبق في العدوتين أعلم منه على الإطلاق في وقته. من شيوخه ابن ناصر وخليفته مولاي الحسين بن محمد الشرحبيلي الدرعي والشيخ سيدي أحمد بن يعقوب الولالي والعلامة الشهير محمد بن عبد السلام البناني الفاسي.

رحل إلى الشرق سنة 1140 فأخذ عن شيخ مصر والحرمين منهم عالم المدينة آنذاك الشيخ أبو الطاهر الكوراني الذي أخذ عنه الحديث المسلسل بالأولوية وعدة أحاديث وفاوضه في علم الكلام والسير والأصول واصطلاح الحديث. وفي مكة أخذ عن الشيخ تاج الدين القلعي وحضر مجلسه في التفسير والبخاري وسرد عليه بقصد الرواية كراريس اشتملت على أوائل كتب الإسلام المشاهير الحديثية الصحاح وغيرها من الأجزاء والمسانيد والموطئات. وفي مصر أخذ عن شيخ المالكية في وقته أحمد الصماوي وحضر مجالسه في التفسير والفقه وقرأ عليه المواهب وأوائل الكتب الستة وشيئاً من أول الموطأ والشفا، وأخذ عن الشيخ سالم بن سالم البصري والشيخ سيدي عبد الله السجلماسي والفقيه سليمان بن أبي سلهام الحصيني. وقد ذكر ذلك في رحلته إلى الحجاز التي اقتبل فيها بحفاوة كبيرة من قبل العديد من الشيوخ أمثال أحمد الجوهري الخالدي الشافعي المصري الذي نوه به تنويهاً عظيماً. ومدحه شيخ المالكية العماري بأبيات شعرية.

له عدة تلاميذ من المشرق والمغرب منهم راوية سوس الأقصى محمد بن أحمد الحضيكي المتوفى سنة 1189 وقاضي القضاة عالم مكناس قاسم بن سعيد العميري وعالم فاس وشيخ علمائها التاودي بن سودة ولكل هؤلاء فهاريسهم التي ذكروه فيها. ومنهم الفقيه محمد بن عمر الاسغركيسي الذي ذكره من مشايخه في فهرسته، ومنهم الهاشمي اشكلاط الأندلسي الرباطي الذي ذكره في تقييده المسمى *منهاج التوضيح في صلاة التسبيح* ، ومنهم الفقيه القاضي محمد بن حجي زنيبر السلاوي المتوفى 1194 صاحب الشرح على همزية البوصيري الذي جمعه من تقرير شيخه أحمد الغربي والتي كان يمليها على الهمزية المذكورة عند تدريسه لها. وعثر محمد بن علي دينية على أبحاث بخط يده على بعض الشروح والحواشي مثل "شرح السعد لتلخيص المفتاح" وله حواش على "المواهب اللدنية" للقسطلاني كما عثر على بعض فتاويه.

اشتغل عدلاً، فقد رأى دينية المذكور رسمين مؤرخين بعام 1173 أحدهما مكتوب بخطه وموقع بتوقيعه، وكان يقرئ التفسير بالزاوية الناصرية.

توفي سنة 1178 ودفن بالزاوية الشهيرة المنسوبة إليه إزاء ضريح مولاي إبراهيم بالرباط.

بوجندار، *الاغتباط*، ص. 8 ؛ م. بن علي دينية، *مجالس الانبساط*، ص. 101 ـ 107.

الغربي، أحمد بن الغربي من العدول المبرزين كذلك. فقيه صوفي. اشتغل بالتدريس فكان يقرئ رسالة أبي

زيد القيرواني بمسجد النخلة وختمها عدة مرات. كان يحضر مجلسه علي دينية العالم الشهير. رحل إلى المشرق عام 1244 ورجع إلى مسقط رأسه. واشتغل كاتباً مع القائد عبد اللطيف فرج المتوفى سنة 1267.

توفي سنة 1274.

بوجندار، *الاغتباط*، ص. 50 ؛ دينية، *مجالس*، ص. 184.

عبد الإله الفاسي

الـغربي، أحمد بن الـمختار من العدول الرباطيين المبرزين. زاول خطة الشهادة ما ينيف عن العشرين عاماً. تولى القضاء بالرباط على سبيل النيابة عن قاضيه الحسن بن فارس أوائل ربيع الأول 1242، تاريخ وفاته مجهول.

بوجندار، *الاغتباط*، ص. 49.

الـغربي، الـحسن القاضي أحمد بن عبد الله بن أحمد الغربي نسبةً إلى غربيّة دكالة، فهو الدكالي أصلاً الرباطيّ منشأً وداراً، وجدّه عبد الله المذكور هو أول من جاء إلى الرباط، فهو جدّ عائلة أولاد الغربي بهذا الثغر وهي من البيوتات الشهيرة بالفضل والعلم والعرفان وناهيك ببيت آهل بالعلم مدّة تنيف عن القرنين حتى الآن، ولو لم يكن من مفاخر هذا البيت سوى والد صاحب الترجمة أبي العباس الغربي الحافظ الراوية المسند الحجة المحدث الرحالة الشهير لكان كافياً وهو عمدة المترجم لازمه في القرآن والأخذ روايةً ودرايةً في كثير من العلوم العقلية والنقلية من عربية ومنطق وبيان وأصول وفقه وتفسير وحديث وقرأ عليه الصحيحيْن وكتاب *الموطأ* أربع مرات قراءة تحقيق وكتاب *الشفا* مرات عديدة. كما حكى ذلك كله في إجازة عامة أجازه بها وحلاّه فيها "بولدنا الفقيه النجيب الدرّاك الأريب اللّوذعي الأديب السيد الحسن الخ".

ولما رحل المترجم إلى المشرق سنة ست وسبعين ومائة وألف أخذ عن شيوخ مصر والحرمين الشريفين واستجاز أبا الحسن السندي المدني وأبا عبد الله محمد الحفناوي وأبا عبد الله بن أبي بكر الطرابلسي الملقب بالسوداني وغيرهم وكلهم أجازوه إجازات حفيلة في سائر مروياتهم من معقول ومنقول، خصوصاً الجامعيْن وباقي الكتب الستة الحديثية وكتب الأثر والأسانيد، ووصفوه بأوصاف سامية أطالوا فيها ممّا يدل على شفوف قدره وشرف مكانته في العلم والأدب والفضل.

تولى القضاء بالرباط بعد سابقة ولم تطل مدّة ولايته وإنما دامت بضعة أشهر حتى رجب عام ستة وثمانين ومائة وألف. ويضيف بوجندار أنه لم يقف بعد البحث على تاريخ وفاته.

م. بوجندار، *تعطير البساط بذكر تراجم قضاة الرباط*.

محمد الشياظمي

الـغربي، الـعربي ابن القاضي محمد بن أحمد، عالم من علماء الرباط الذين عاصروا القاضي محمد بن الطيب بسير والأديب بن عمرو. وكانوا جميعاً أقراناً في طلب العلم ومن الملازمين لمجالس والده القاضي، ولهم في ذلك محاورات علمية ومذاكرات تشهد بتفوقهم على سواهم، له فتاوى وأوراق منها رسم عقد صداق ابنته عائشة بالفقيه مولاي عبد السلام بن السلطان مولاي سليمان بتوقيع عدلين رباطيين وخطاب القاضي بسير.

توفي عام 1250.

بوجندار، *الاغتباط*، ص. 417 ؛ دينية، *مجالس*، ص. 160.

عبد الإله الفاسي

الـغربي، محمد القاضي بن أحمد بن عبد الله بن أحمد الغربي الدكالي ثم الرباطي فهو أخو القاضي الحسن الغربي. ذكره سليمان الحوات من جملة من أخذ عن الشيخ بناني وحلاّه بقوله : "العلامة الحجة الدهقان الحافظ قاضي رباط الفتح أبو عبد الله محمد بن الشيخ الإمام الراوية الصالح أحمد بن عبد الله الغربي الدكالي المحتد الرباطي المنشأ والمولد أيّدني الله وإيّاه بالتقوى بصدق الوجهة في السّرّ والنجوى".

كان المترجم من جهابذة العلماء الحاملين راية التدريس والإفتاء. تداول بالرباط خطة القضاء كما أنه في آخر عمره ولي على دكالة حينما أمره السلطان مولاي سليمان بالذهاب إليها مع رفيقه الفقيه المير السلاوي برسم ان يعملا عليها، وذلك أواخر ذي الحجة عام أربعة عشر ومائتين وألف ثم ولاّه عليها قاضياً آخر السنة، وجلس للحكم بها أول عام ستة عشر ومائتين وألف.

وكان في أول أمره من خواص العلماء الملازمين لمجلس السلطان سيدي محمد بن عبد الله الذين كانوا يقرأون معه الحديث ويؤلفونه له طبق إشاراته وعلى مقتضى ما كان يجمعه ويستخرجه من كتب الحديث التي جلبها من المشرق كمسند الإمام أحمد ومسند أبي حنيفة وغيرهما، كما في كتاب *الاستقصا* وتاريخ *الجيش العرمرم* لأكنسوس. وعلى قدر هذه الألفة التي كانت بينه وبين السلطان سيدي محمد كان من الأنَفَة بينه وبين السلطان مولاي سليمان حتى إنه مراراً هَمَّ بالبطش به، وفي المرة الأخيرة كتب بكتاب خاص لأهل الرباط في شأنه تُلِيَ على منبر المسجد الأعظم، فإذا مُضمّنه التهديد عليه بالنفي من الرباط والأمر بملازمة داره ومنعه من الخروج والتدريس والإفتاء، وإعطاء الإذن لعامل الرباط القائد المكي بركاش ليفتك به إن لم يمتثل، إلى أن تَشَفَّعَ فيه العامل المذكور وحضرا معاً لدى السلطان بفاس، عند ذلك عفا عنه وأصفح وكلفه بالذهاب لدكالة مع الفقيه المير كما ذكرنا.

والحاصل أن صاحب الترجمة كان من أجَلّ علماء الرباط ومن مفاخرهم وخزانة كتبه وكتب والده كانت عديمة النظير

وكان يضرب بها المثل في الرباط بل في المغرب ولكنها الآن ضاعت كلها، وحسب ما جاء في تاريخ الضعيف أن ولايته دامت نحو أربع سنوات وكانت وفاته بعد رجوعه من دكاله عام ثمانية عشر ومائتين وألف (1803) ودفن مع والده بزاويتهم التي كان قد آدارَ دَيْرها وشيَّد قبّتها الرئيس الشهير المعطي بريطل، وهي التي بإزاء ضريح مولاي إبراهيم الشريف، وقد صارت اليوم مكتبا للصبيان يتعلمون فيه القرآن.

م. بوجندار، *تعطير البساط بذكر تراجم قضاة الرباط*.

محمد الشياظمي

الـغربي، الـمعطي مفتي الرباط، عالم وفقيه، تفقه عن شيوخ بلده فأخذ عن عمدته أحمد دينية وكان يحضر مجلسه. كما أخذ عن محمد الرندى الذي أصبح قاضياً بعد ذلك. تصدى للشهادة والإفتاء، تصدر للتدريس والإقراء أيام ولاية القاضي محمد البريبري. توجه للدار البيضاء نائبا عنه في القضاء فمكث هناك مدة وتوجه للحج سنة 1310 ولما أدى الفريضة وهم بالعودة وافته المنية بجدة في صفر 1311.

بوجندار، *الاغتباط*، ص. 355 ؛ دينية، *مجالس*، ص. 234.

عبد الإله الفاسي

الـغربية ، (قبيلة -) تقع قبيلة الغربية في نواحي أصيلا، في مجال سهلي خصب يخترقه وادي الغربية والخروب، وينحصر بين جبل حبيب شرقاً والمحيط الأطلسي غرباً وواد تاهدارت شمالاً وواد عياشة جنوباً. يحدها من الشمال والشرق قبيلة بني عروس ومن الجنوب الخلط ومن الغرب جزء من قبيلة الساحل وساحل البحر المحيط إلى مدينة أصيلا. تتفق المراجع على أن أصل سكان الغربية من دكالة، نزحوا من موطنهم الأصلي على إثر الاحتلال البرتغالي، وتتألف القبيلة من أربع فرق هي أولاد خلوف على الشريط الساحلي واسبيطة في الوسط وأولاد حباس وأولاد عروس، ومن إحدى وخمسين قرية.

اشتهرت الغربية في التاريخ بوظيفتها العسكرية منذ استقرارها في هذا الماجل، وتتجلى في مراقبة تحركات البرتغاليين بطنجة ومنعهم من التوغل في الداخل وحراسة الطريق المخزني الرئيسي المؤدي إلى المدينة في إطار التنظيم المخزني المعروف في العهد العلوي بالإدالة، كما شاركت القبيلة في المحلات المخزنية المجتمعة عادة في مجالها الترابي إلى جانب قبيلتي الخلط وطليق تحت إشراف عامل طنجة، وشكلت درعاً واقياً أمام زحف قبائل الجبال المجاورة على السهول الأطلنتيكية.

E. Michaux-Bellaire et G. Salmon, *Les tribus arabes de la vallée du Lekkous, A.M.*, vol. 5, 1908, p. 114 ; A. Lechatelier, *Notes sur les villes et les tribus du Maroc en 1890*, Angers, 1902, p. 15.

محمد عمراني

الـغربية ، (مدينة -) قديمة من مدن دكالة، "تقع على بُعد سبعة وثلاثين كيلو متراً شرقيَ كُونْتي (رأس القُنْط) وعشرين كيلومتراً جنوب شرقيّ قصبة الوليدية، ولاتزال آثار المدينة الغربية ماثلة للعيان. ولما كانت دكالة الكبرى تمتد جنوباً إلى نهر تانسيفت، كانت المدينة الغربية هي عاصمتها.

أسّست قبائل دكالة هذه المدينة في فترة غير محدّدة قد تكون هي صدر الاسلام أو قبله حسب بعض الروايات، وقد سُمّيت بالغربية لكونها توجد في غرب البلاد، بينما كان يطلق على أزمور المدينة الشرقية.

ويروي صاحب *الترجمانة الكبرى* عن ابن قنفذ أن الشيخ أبا بكر بن العربي المعافري الأندلسي ـ وكانت سنه لا تتجاوز آنذاك السادسة والعشرين ـ مَرّ بمدينة الغربية، عندما كان متوجهاً لدى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين اللمتوني سنة أربع وتسعين وأربعمائة، وأنه تعجب من قلة مائها وكثرة ثمارها وخيراتها ورخص أسعارها وطيب زرعها وضروعها وكثرة عدد سكّكها التي بلغت مائة ألف سكّة.

ويضيف إلى ذلك ابن خَلّكان ان ابن العربي استضاف أهل مدينة الغربية، فلم يضيفوه لسبب لا نعلمه وبات طَاوِياً، فهجاهم ودعا عليهم بقوله :

فَأَبْدِلْ يَاذَا الْعُلاَ عِمَارَتَهُمْ قَفْرَا
حَتَّى يُرَى الذِّئْبُ بِأَرْضِهِمْ عَاوِيَا

أما فيما يرويه صاحب *الترجمانة الكبرى* من أنّ ابن قُنْفُذ اجتمع مع ابن العربي في مدينة الغربية، فهذا كلام لا يمكن تصديقه، لأن هناك بوناً شاسعاً في الزمن بين الرجلين. إذ أن ابن العربي توفي سنة 543 / 1148 وابن قنفذ كان قاضياً بهذه المدينة في القرن الرابع عشر، بحيث لا يوجد أي أثر في كتابه *أنس الفقير وعزّ الحقير* لذلك الاجتماع. والغريب أن الأستاذ سعيد أعراب لم ينتبه لهذا الخطأ وأعاد ذكر ذلك الاجتماع المستحيل في المقالات التي كتبها في دعوة *الحق* عن الشيخ أبي بكر ابن العربي.

وفي سنة 667 / 1268 ، تعرضت مدينة الغربية للتخريب أوّل مرة لأسباب نجهلها، وظلت كذلك مدة من الزمن إلى أن قام أبو عنان المريني بإعادة بنائها في القرن الرابع عشر. ولقد وصف الشيخ أحمد ابن قنفذ هذه المدينة التي ظل يقيم فيها طيلة أربعة عشر عاماً بصفته قاضياً لدكالة، كما يلي : "مدينة عظمى بها خمسة وعشرون مسجداً وخمس وعشرون مدرسة معمورة بطلبة البربر من صنهاجة، أهلها قلّما تجد فيهم من يتكلم بالعربية".

وخربت المدينة مرة ثانية حوالي 919 / 1513، أثناء الهجومات الأولى التي شنّها البرتغال على الناحية. ويقال إن الذي خرّبها ونَقَل جميع سكانها إلى ناحية فاس خوفاً عليهم من البرتغاليين هو الناصر أبو علي بن محمد الشيخ الوطاسي.

ويقول الحسن بن الوزان الذي زار ناحية دكالة في ذلك العصر وشاهد بعينه كثيراً من الأحداث التي جرت بها، ما يلي :

"يحيط بهذه المدينة سور مبني على الطريقة المتبعة في البلاد، أي بمواد غير متقنة ومنظره كئيب. وسكان المدينة جهال يرتدون بعض الملابس الصوفية المصنوعة في عين المكان وتتحلى نساؤهم بكثير من حلي الفضة والعقيق الأحمر، ورجالهم شجعان يملكون عدداً من الخيل، وقد نقلهم ملك فاس إلى مملكته حذراً من البرتغاليين، وظلت المدينة فيما بعد خالية، وقد جرى ذلك عام 921 / 1515".

ولقد شك البعض في كون الملك الوطاسي نقل جميع سكان مدينة الغربية إلى ناحية فاس، لأن الحسن ابن الوزان كان قد غادر المغرب من هذا التاريخ، فلم يكن يعلم ما إذا عَمرت المدينة بعد "حَركة" الوطاسي أم لا.

ويؤكد مَارْمُول الذي زار المغرب في أواخر القرن السادس عشر أن مدينة الغربية بقيت مخرّبة بعد أن كانت قبل تخريبها كثيرة الغنى آهلة بالسكان، وبعد أن كانت عاصمة لهذه المنطقة التي لا توجد ناحية أخرى في جميع مملكة مراكش تضاهيها في خصوبة ترتبها وكثرة إنتاجها للقمح والكلإ.

ويعزو مَارْمُول أسباب خُلوّ هذه المدينة من السكان إلى القَحط الذي أصابَ البلاد في عام 1521 قائلا إن السكان أصابهم قحط مُهْوِل، فاضطر أكثرهم إلى بيع أنفسهم وأولادهم للحصول على ما يقتاتون به، بحيث أصبحت المدينة خالية من أهلها، ثم يضيف : "وإنه لمنظر كئيب حقا أن يرى الإنسان هذه المدينة الفائقة الجمال الطيبة الموقع المحاطة بالعديد من البساتين تستحيل إلى هذا الركام من الأطلال وإلى هذه الجدران المنهارة".

وزار كذلك دُوتي أطلال المدينة الغربية في أوائل القرن العشرين، فوصفها كما يلي : "إن أطلال هذه المدينة تغطي مساحة ثلاثين هكتاراً، وجدرانها مربعة الشكل ولها باب مُلْتَوٍ إلى الواجهة الجنوبية الغربية، ولا تزال ماثلة للعيان آثار حُصينات تبعد عن بعضها بعشرين متراً وآثار مَلاّح كان يقيم به اليهود، ويسكن اليوم بعض الأهالي من قبيلة الغربية داخل سور المدينة في بيوت من حجر".

ويقول الكانوني إن مدينة الغربية كانت متسعة الأرجاء واسعة المساحة يوجد لها الآن ثلاثة أبواب : باب مراكش، باب أسفي، باب الوليدية، وعلى كل باب منها برج وفي كل ربع ثلاثة أبراج، الجميع 18 برجاً. وبها مات الواثق المعروف بأبي دبّوس آخر ملوك الموحدين سنة 666. فتفرقوا حينئذ في أقطار الأرض وانتقل أكثرهم إلى مراكش وتحَضّروا بها ؛ ومازال الجمّ الغفير من أعيانها من العلماء والصلحاء والأولياء وأهل الخير ... ولاتزال بمدينة الغربية أسوار وأطلال عادية، وبها دار القائد الشهير محمد بن حميدة الغربي الذي كان قائداً لقبيلة الغربية أيام الحماية.

عبد العزيز بن عبد الله، *مظاهر الحضارة المغربية* ؛ الحسن ابن الوزان، *وصف إفريقيا*، تـ. حجي والأخضر ؛ ابن قنفذ، *أُنسُ الفقير وعزّ الحقير* ؛ مارمول، *إفريقيا* ؛ دوتي، *مراكش* ؛ الزياني، *الترجمانة الكبرى*، الكانوني، *أسفي وما إليه*.

محمد الشياظمي

الغرديس (آل -) بيت من أقدم بيوتات فاس الكبرى، ينتسبون إلى بني تغلب، جدهم الداخل إلى المغرب هو بكار بن برهون بن غرديس، نزل بسجلماسة، ومنها انتقل إلى فاس، فاستوطنها أولاده وحفدته الذين تأثلو الثروات وتصدروا المراتب في الكتابة والعدالة والقضاء منذ القديم. وبيدهم ظهائر التوقير والاحترام التي دأب الملوك ينعمون بها عليهم على تتابع العصور، وقف صاحب *زهرة الآس* على بعضها، أولها للسلطان أحمد المريني بتاريخ عام 789، والثاني للمولى الرشيد العلوي عام 1081، وثلاثة منها للمولى إسماعيل عام 1103 و1104 و1138، وآخر للسلطان المولى عبد الله عام 1143، وآخر للسلطان سيدي محمد بن عربية عام 1149، وآخر للمولى سليمان عام 1206 وآخر للمولى عبد الرحمان عام 1247. ولم تكن هذه الظهائر تمنح إلا لذوي الجاه والشهرة، ممن كانت الدولة ترفع عنهم الكلف المخزنية وتستغني عن زكواتهم وأعشارهم على أن يعودوا بها على ذويهم وأقربائهم من تلقاء أنفسهم. ودار آل الغرديس أشهر من نار على علم في زنقة حجامة بفاس. وزادها شهرة أنها كانت منزل القاضي عياض لدى مقامه في فاس. وكانت خزانة الكتب فيها من الكثرة والنفاسة بحيث منها ألف الونشريسي كتاب *المعيار*. إلا أنها اليوم مفرغة مهملة، رحل عنها أفراد الأسرة وتفرقوا في البلاد على قلتهم.

الكتاني عبد الكبير بن هاشم، *زهرة الآس في بيوتات أهل فاس*، الدار البيضاء، المطبعة الجديدة، 1422 / 2002.

الغرديس، أحمد الكاتب الأديب الشاعر، أبو العباس أحمد بن محمد بن القاضي محمد، كان ذا ملكة تامة بعلوم اللغة العربية وآدابها، مؤرخا نسابة. استكتبه محمد الشيخ المامون بن السلطان أحمد المنصور الذهبي أيام خلافته عن والده في مدينة فاس وبعد مبايعته أيام الصراع على الملك مع باقي إخوته. فشاهد من تلك الحروب ومن تصرفات أميره ما شاهد من الأهوال. قال العربي الفاسي بأن المترجم استعار منه كتاب *الأنباء في شرح الأسماء* للإقليشي، ثم مرض مرض موته. فعاده فوجد الكتاب عند رأسه، ومعه كراريس منسوخة وأخرى معدة للنسخ. فقال المريض لعائده : "إني إن وجدت راحة كتبت منه ما قدرت عليه، فإذا غلبني ما بي أمسكت". فسأله العربي الفاسي عن سبب تكليف نفسه ذلك. فأجابه قائلا : "إني عصيت الله تعالى بهذه الأصابع ما لا أحصيه، فرجوت أن يكون ما أعانيه على هذه الحالة من نسخ هذا الكتاب خاتمة عملي بها وكفارة لذلك". وقد كمل الله قصده.

توفي سنة 1021 بعد مرض أقعده سنتين. وفي ذلك قال هذه الأبيات الدالة على طول الباع في الإنشاء نظما ونثراً وعلى خفة الروح والإحساس المرهف :

فلما انقضى سبعون حام حماميا ... وأذهلني ماذا ألاقي أماميا
وتبدّل مني كل وصف بضده ... وأقعدني عما أروم سقاميا
فلا أنا حي أرتجى للمة ... ولا أنا ميت أكفى همّ ملاميا

وقال القائل فيه بيتين يوحيان بما كان في عصره من الفتن والإحن :

تمتعت يا غرديس والدهر راقد ... وأنت بفاس وابن حيون واحد
لسعدك راحت خيزران لقبرها ... مصائب قوم عند قوم فوائد

وإذا كنا لا نعلم من هو ابن حيون، فإن الخيزران هي أم الأمير السعدي محمد الشيخ المامون، السيء السمعة حيا وميتا.

محمد الصغير الإفراني، *نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي*، تح. عبد اللطيف الشاذلي، 1419 / 1998.

إبراهيم بوطالب

ابن **الغرديس، بكار** بن برهون بن عيسى التغلبي، أبو محمد : جد أسرة بني الغرديس الشهيرة بفاس. سكن مدينة سجلماسة. له رحلة إلى الحج، وتجول في الأقطار فسمع من عدد من العلماء، مثل المحدث أبي ذر الهروي سمع منه *صحيح البخاري* ، وعمر طويلا حتى انفرد بروايته. وسمع أيضاً من أبي الحسن المبارك بن سعيد الأسدي البغدادي المعروف بابن الخشاب أحد الرواة عن أبي بكر الخطيب البغدادي، وأبي عبد الله القضاعي وغيره.

كان ابن الغرديس مبرزاً في علم الحديث بالخصوص، ومن أجل علو روايته صار الطلبة والعلماء يحرصون على الرحلة إليه بسجلماسة للأخذ عنه، وممن رحل إليه وأخذ عنه أبو القاسم بن ورد قاضي الجماعة بغرناطة في عهد علي بن يوسف، رحل إليه سنة 493 / 1100 ، وأخذ عنه روايته *لموطإ* الإمام مالك. ومحمد بن علي بن أحمد ابن الصيقل الأنصاري (ت. 500 / 1107) ؛ وإبراهيم بن أحمد بن فرتون السلمي الفاسي (ت. بفاس 538 / 1143) لقيه سنة 493 / 1100 وسمع منه *صحيح البخاري* ؛ ويوسف بن عيسى بن علي بن الملجوم الأزدي أخذ عنه *صحيح البخاري* أيضاً.

عمر طويلا حتى أربى على المائة، ولم تذكر المصادر سنة وفاته.

ابن الأبار، *التكملة لكتاب الصلة*، نشر عبد السلام الهراس، الدار البيضاء، دار المعرفة، ج 1، ص. 331 ؛ ابن الأبار، *معجم أصحاب الصدفي*، بيروت، دار صادر، ص. 24 ؛ ابن الأحمر، *بيوتات فاس الكبرى* ، نشر عبد الوهاب بنمنصور، الرباط، دار المنصور، 1972، ص. 69 ؛ ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة* ، تح. محمد بنشريفة، الرباط، منشورات أكاديمية المملكة المغربية، 1984، ج 8، ص. 429 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس* ، نشر عبد الوهاب بنمنصور، الرباط، دار المنصور، 1973، ج 1، ص. 84 ؛ القضيلي، *الدرر البهية*، طبعة وزارة الأوقاف، ج 2، ص. 346.

الغرديس، محمد بن **محمد** الفقيه العلامة الأصولي، أبو عبد الله محمد بن محمد، أخذ المنطق والأصلين عن أبي زكرياء يحيى السوسي.

توفي سنة 876.

محمد المغراوي

الغراس، الصديق بن أحمد، ولد بمراكش سنة 1922، تعلم بمدرسة "المكتب الإسلامي" الحرة من 1931 إلى 1938. وبفضل الرصيد الثقافي الممتاز الذي حصله في هذه المدرسة اجتاز بتفوق امتحان الدخول لابن يوسف، عند إحداث النظام به سنة 1938 ، وتابع دراسته الثانوية والعليا إلى أن حصل على شهادة العالمية، شعبة الآداب، وذلك سنة 1947. وأثناء دراسته في الجامعية اليوسفية، سهر على خلق أنشطة هادفة ثقافية ورياضية ووطنية تمثلت في :

- تأسيس جمعية أدبية طلابية أصدرت أعداداً من مجلة "الشرارة" ونشرت عدة مقالات ومقطعات شعرية.
- تأسيس فرقة لكرة القدم سميت "الشبل اليوسفي".
- نشر الأفكار الوطنية في صفوف الطلبة وتنظيم خلايا من بينهم.

وهكذا أصبح الصديق الغراس مسيراً للعمل الوطني داخل جامعة ابن يوسف، وذلك بفضل التربية الدينية الوطنية التي تلقاها في وسطه العائلي وفي مدرسة المكتب الإسلامي. وقد توج جهوده بالإشراف، رفقة زميله عبد النبي بن العدل، على توقيع عريضة تأييد طلب الاستقلال، فكان ذلك سببا في اعتقاله في يناير 1944 مع الموقعين، وكلهم أساتذته في العلم والوطنية.

وقد ساهم بدور فعال في الجهود الأولى من أجل تعليم الفتيات، منذ كان طالبا. وبعد تخرجه عمل أستاذاً بالقسم الثانوي "بمدرسة الفضيلة" الحرة للبنات. وبالإضافة للتعليم، كان يقوم بالتوعية والتأطير من أجل التحرر، حتى صارت تلميذاته "نواة الحركة الوطنية" في صفوف النساء.

وبسبب عمق تأثيره في مجال التوعية الوطنية وحيويته في تأسيس وتأطير الخلايا، منعت السلطات الفرنسية توظيفه، وصارت تترصد خطواته، فغادر مراكش واستقر في

الدار البيضاء التي انتقلت إليها الأسرة سنة 1951 بعد نفي أخيه مبارك.

في الدار البيضاء، واصل القيام بنشاط مكثف للتوعية الجماهيرية، كما كلفته قيادة الحركة الوطنية بالقيام بدور المنسق مع من بقي في مراكش من الوطنيين الذين لم يشملهم قرار نفي أو سجن. هكذا صار يتردد على مراكش لعقد اجتماعات سرية مع مسيري الخلايا. ثم أنشأ قيادة سرية للمقاومة الأولية بمراكش سنة 1953، تضم ثلاثة أعضاء هم : حامد الغراس، عمر مبتهجي، محمد بن إبراهيم الحميدي، والصديق الغراس رئيسا. وقد هيأ ظروفا عملية تقرر أن تنفذها "جماعة مسلحة" تأتي من الدار البيضاء إلى مراكش، وذلك في حال إعلان بيعة ابن عرفة يوم الجمعة 14 غشت 1953 ، وهو مالم يتم. وفي الغد، وبعد إعلان البيعة، نظم الوطنيون مظاهرة، وقتل شرطيان فرنسيان، فبدأت حملة اعتقالات شرسة شملت أعضاء "القيادة السرية" ثم رئيسها الصديق الذي ألقي عليه القبض في الدار البيضاء في 1 ـ 9 ـ 1953 ، فنقل إلى مخفر الشرطة المركزي بمراكش وبقي تحت العذاب شهراً، ثم حكم عليه بالسجن سنتين قضاهما في السجن المدني بمراكش ثم السجن المدني بالبيضاء، ثم السجن الفلاحي، عين علي مومن، بسطات، ما بين أشغال وعلاج بعدما أصابه السل وثقبت إحدى رئتيه في السجن. وأطلق سراحه في 28 ـ 9 ـ 1955.

بعد الاستقلال انخرط في الحقل السياسي واهتم بالسعي إلى تطوير الفكر والممارسة في هذا المجال. وقد كان كاتبا إقليميا للشبيبة الاستقلالية بمراكش. وبعد الانفصال انضم إلى حزب "الاتحاد الوطني للقوات الشعبية"، وظل عضواً في مجلسه المركزي. وقد عرف بالاتزان والاعتدال والنزاهة ورفض الانتهازية. لكن ظروف الستينيات والسبعينيات جعلت موجات الاختطاف والاعتقال تجرفه عدة مرات : اختطف في 1960 وفي 1961 لمدة أيام قصيرة ؛ اعتقل في غشت 1963 في مخفر جامع الفنا حيث عانى ألوانا من العذاب، ثم نقل إلى مخفر باب أغمات، وأطلق سراحه في نهاية شتنبر 1963، إذ لم يقدم إلى المحاكمة لأن التحقيق أثبت عدم صلته بأي اتهام.

وفي فبراير 1970 اختطف من منزله، ثم أطلق سراحه في يوليوز 1970 ولم يتعرض لأي تعذيب "لأن اختطافهُ كان خطأ ولا تهمة ضده" لكنه أصيب بأمراض مختلفة جلدية وتنفسية.

وفيما يخص أنشطته العملية والتربوية بعد الاستقلال، نذكر أنه رفض المناصب الرسمية التي عرضت عليه، وقال : مجالي هو التعليم، وعمل في ابن يوسف بمراكش أستاذاً ثم مراقبا إلى أن أحيل على التقاعد سنة 1983. ثم عمل في التعليم الخاص، وساهم في إنشاء ودادية التعليم الخاص بالمغرب، وانتخب رئيساً لفرع الودادية بمراكش، واستمر كذلك إلى أن توفي.

ولم يترك ميدانا من ميادين النشاط الهادف إلا ساهم فيه :

ـ كان عضواً في المجلس المركزي للكشفية الحسنية، وقد ساهم في إنشاء فرع مراكش في عهد الحماية، وبعد الاستقلال سهر على إصدار مجلة باسم الفرع سماها "مستعد" وقام هو برسم تصميم غلافها.

ـ سبق أن حصل على دبلوم في التدريب، وفي إدارة المخيمات، في سنة 1952 ، الشيء الذي أهله لإدارة مخيمات صيفية في الفترة من 56 ـ 1961 تابعة "للجمعية المغربية لتربية الشبيبة" التي كان عضواً في مجلسها المركزي.

ـ ساهم في إنشاء "جمعية أبناء الشهداء" وأشرف عليها.

توفي بسكتة قلبية في الساعة الواحدة من صباح الأحد 4 ربيع الأول 1417 / 20 ـ 7 ـ 1996 بمراكش.

الصديق الغراس، *مذكرات*، مخطوط.

الـغـراس، مـبـارك بن أحمد بن الصديق (المعروف بالفقيه سي بريك) من "علماء الشباب" رواد الحركة الوطنية، وأحد رموز التعليم الحر.

ولد بمراكش أواخر سنة 1906. حفظ القرآن ودرس في كلية ابن يوسف، وسرعان ما ظهر تفوقه وتمكنه من اللغة، لذلك صار الأساتذة يكلفونه بسرد الكتب المدروسة وينظم قصائد حفل اختتام الدروس. وقد أجازه شيوخه في مختلف العلوم العربية والشرعية ومنهم أحمد بن الحاج المحجوب، وأحمد أكرام، وأحمد العلمي، وعلي السباعي. لكنه لم يكتف بذلك، إذ أن شغفه بالمطالعة والتفتح على النهضة الحديثة، خاصة في الشرق العربي، جعله يهتم بفنون وعلوم شتى، على رأسها التاريخ والأدب. وقد حضر في هذا الباب بعض دروس المختار السوسي سنة 1929. ثم صار يتطوع بإلقاء دروس في السيرة والتفسير وغيرهما في بعض المساجد، لكن اهتمامه بتطوير التعليم جعله يكرس حياته للتعليم الحر الذي كان الشغل الشاغل للحركة الوطنية آنذاك.

في سنة 1933 بدأ بالتدريس ثم تولى الإدارة في "المكتب الإسلامي"، وهو أول مدرسة حرة بمراكش افتتحت على يد المختار السوسي سنة 1931، وفي سنة 1934 أسس الغراس مدرسة حرة في حي باب الدبغ، ثم ضم تلاميذها إلى "المكتب الإسلامي" في نهاية موسم 35 ـ 1936.

وبالإضافة إلى متانة التعليم وتفتحه كان يحرص على تربية النشء تربية دينية وطنية، لذلك عانى من اضطهاد السلطة ومن صعوبات كثيرة كانت تعرقل أحيانا تسييره للمدرسة. وكمثال نذكر مشكلة مقر المدرسة، فقد أغلقت ورمي بالمقاعد وباقي التجهيزات في الشارع عقب مظاهرات 1937 واعتقال منظميها وعلى رأسهم أحد الأساتذة بهذه المدرسة وهو عبد القادر حسن. كل ذلك لم يثنه عن مواصلة العمل وتطوير التعليم بإدخال مواد علمية كالحساب واجتماعية كالتاريخ والجغرافيا، وهي مواد كانت سلطة الحماية تمنع تدريسها في المدارس الحرة قبل 1937.

أما يوم 11 يناير 1944 فكان متميزاً وخالداً لأسباب منها :

- أن مبارك الغراس من الموقعين على وثيقة الاستقلال،
- اعتراف السلطات الفرنسية بمدرسته كمدرسة عصرية للبنين، رخص لها بتدريس المواد المقررة في التعليم الرسمي، ومنها اللغة الفرنسية، لذلك غير اسم "المكتب الإسلامي" باسم "مدرسة الحياة".

ومن أبرز جهوده أثراً، تعليم البنات، اللواتي أسس لهن "مدرسة الفضيلة" للبنات، وذلك بعد إخراجهن من المكتب الإسلامي في 11 يناير 1944.

وبعد تقديم وثيقة الاستقلال اعتقلت السلطات الفرنسية مبارك الغراس وباقي الموقعين في مراكش.

في سنة 1945 زار ولي العهد مدرسة الحياة، بعدما رفضت سلطة الحماية طلب مديرها زيارة محمد الخامس، وكان هذا الرفض أساس فكرة الغراس المتمثلة في إخراج المدرسة إلى شارع كبير وبناء مقر عصري. وقد نجح في بلورة الفكرة فأصبحت "مشروع مدارس بني دغوغ"، وتشكلت لجنة لمتابعته، حظيت بتأييد محمد الخامس الذي وضع الحجر الأساسي للمشروع في 4 أبريل 1950.

في بداية شتنبر 1951 صدر قرار بنفي مبارك الغراس خارج مراكش والأقاليم الجنوبية. وأسباب النفي غير المعلنة هي : نجاح مدرسة الحياة، أقدم وأهم مدرسة بمراكش، في تخريج أفواج من الشباب المتعلم والمتشبع بالروح الوطنية، ونجاح مشروع مدارس بني دغوغ الذي اقترب اكتمال إنجازه. وبعد نفيه، خلا الجو لسلطة الحماية، فانتزعت مدارس بني دغوغ من اللجنة، ثم استولت على مدرستي الحياة والفضيلة في صيف 1953.

استقر في الدار البيضاء تحت رقابة السلطات، ومع ذلك استمر يناضل في منفاه، فأسس سنة 1952 مدرسة حرة : "الفتح" ثم "السعادة". وقد ألهمه تأزم الأوضاع الوطنية والعائلية بعد 1953 قصائد تميزت بحرارة العاطفة، منها نونية في 18 نونبر 1954 تعد سجلا لأخطر وأهم المحطات في تاريخ المغرب، بلغ عدد أبياتها 150.

وفي نونبر 1955 قررت السلطات الفرنسية رد المدارس الحرة لأصحابها لكنها اشترطت حضور المدير الرسمي، مبارك الغراس، لتسلم المفاتيح، لذلك عاد إلى مراكش في دجنبر 1955 وتسلم مفاتيح مدرستي "الحياة" و"الفضيلة" وبعد ذلك مدرسة بني دغوغ بروض العروس، التي سماها "مدرسة محمد الخامس".

في دجنبر1958 ، عين قاضيا شرعيا في الدار البيضاء، ثم نقل لآسفي في مارس 1960. لكنه ألح على طلب إعفائه من القضاء ليعود للتربية والتعليم. ولما عُين بابن يوسف، طلب منه الرئيس الرحالي الفاروقي أن يؤسس وينظم إدارةً لمعهد الفتيات التابع لابن يوسف، لخبرته في هذا المجال، ثم اشتغل بالتدريس إلى أن أحيل على التقاعد في دجنبر 1971.

كان الغراس يتطوع بإعطاء دروس دينية في المساجد متى سنحت ظروف العمل، وذلك في كل المدن التي أقام بها وحتى التي يزورها في عطلة. ولما تقاعد تفرغ وواظب على هذه الدروس في مسجد سيدي مسعود وفي جامع باب دكالة. وفي سنة 1982 عين واعظاً رسمياً في هذا الأخير، باسم المجلس العلمي. ولم تكن دروسه تقتصر على الوعظ بالمعنى الضيق، بل تتناول مواضيع علمية واجتماعية سياسية، ويحضرها عدد من الطلاب الشباب، بالإضافة للعامة من الحرفيين وغيرهم. ولقد افتقد رواد الجامع دروسه الحافلة حتى بكاها أحد الشعراء في قصيدة رثاء.

توفي بمراكش في 22 . 1 . 1996.

م. المختار السوسي، *الإلغيات*، 3 : 115 . 118، 1963 ؛ مبارك الغراس، *مذكرات حياتي*، مخطوط ؛ *تاريخ التعليم الحر*، مخطوط.

حياة الغراس

الغُرّة والغراء كما في اللغة والمعاجم، طائر مائي أسود من فصيلة التفلقيات Rallidae ، يألف البحيرات القارية والشاطئية ومصبات الأنهار ومنه نوعان شائعان في مختلف البحيرات والسدود المغربية :

. الغرة السوداء Fulmica atra تسمى بالفرنسية Foulque macroule وبالإنجليزية Coot وبالإسبانية Focha comun وبالإيطالية Folaga . والغرة في اللغة بياض على قدر قطعة الدرهم على رأس الفرس وينطبق هذا الوصف على

هذا الطائر أبيض المنقار وعلى جبينه ومقدمة رأسه قطعة لحمية ناصعة البياض. ريشه أسود معدني اللمعان على سائر جسده، ذيله قصير جدا وأصابع قائمتيه طويلة. الجناحان دائريان وقصيران. يحسن الطيران والسباحة والغطس ليبحث عن براعم النباتات المائية والديدان ؛ وكثيرا ما يتنقل فوق سطح الماء راكضا محدثا بذلك ضجيجا يسمع من بعيد. يكثر نشاطه أثناء طلوع النهار وغروبه ويتكون قوته من النباتات والديدان. يبلغ طول جسمه 38 سم وتزن الكبيرة 500 - 800 غرام. طائر اجتماعي يعيش في مجموعات يفوق عددها أحيانا عشرات الآلاف ومنه عدة مجموعات أوروبية تشتي في مختلف البحيرات والمستنقعات والسدود المغربية إلى جانب المجموعات المغربية المستقرة. يكثر في فصل الشتاء في بحيرة الناظور والمرجة الزرقاء وسيدي بوغابة والواليدية وسيدي موسى وخنفيس والداخلة وجميع السدود المغربية. يتوالد مرتين إلى ثلاث مرات في السنة منذ مارس إلى يونيو في كل من بحيرة سيدي بوغابة والمرجة الزرقاء وضاية أفوركاغ وضاية عوا والضويات وسيدي علي وماسة وغيرها من السدود والبحيرات القارية بالأطلس المتوسط. توضع الأعشاش متقاربة مع بعضها على ضفاف البحيرات الغنية بنبات السمار وقصب الماء وتفرش بالأغصان اليابسة وقطع أوراق الأعشاب. يبلغ عدد البيض 6 - 9، طول القطر 5.3 سم. يحضن البيض بالتناوب مدة 21 - 24 يوما وتغادر الصغيرة العش بعد أربعة أيام من التفقيس. تتعلم الطيران بعد سبعة أسابيع ثم تصير بعدها مستقلة. يعيش هذا النوع في إفريقيا الشمالية وأوروبا وآسيا ومنه عدة مجموعات تشتي في أفريقيا الوسطى وتعود صيفا إلى أوروبا لتتوالد.

. الغرة المتوجة Fulica cristata تسمى بالفرنسية Foulque à crête وبالإنجليزية Crested coot وبالإسبانية Focha cornuda وبالإيطالية Folaga crestata. يختلف عن النوع السابق الذكر بزائدتين لحميتين على مقدمة الرأس ناصعتي البياض، لونهما أحمر. يصعب على الإنسان العادي التمييز بين النوعين لكثرة التشابه. يبلغ طول الجسم 41 سم وتزن الكبيرة 600 - 1000 غرام. طائر اجتماعي يعيش في مجموعات يفوق عددها أحيانا مئات الأفراد ومنه عدة مجموعات أوروبية تشتي في مختلف البحيرات والمستنقعات بالأطلس المتوسط وسهول الغرب إلى جانب المجموعات المغربية المستقرة. يكثر في فصل الشتاء في بحيرة المرجة الزرقاء وسيدي بوغابة. يتوالد منذ مارس إلى يونيو في بحيرة سيدي بوغابة وضاية أفوركاغ وضاية عوا وضاية حشلاف. يوضع العش بين نبات السمار وقصب الماء ويفرش بالأغصان اليابسة وأوراق الأعشاب. يبلغ عدد البيض 4 - 6، طول القطر 5.1 سم. يحضن البيض مدة 21 - 24 يوما وتغادر الصغيرة العش مباشرة بعد التفقيس تتعلم الطيران بعد ستة أسابيع ثم تصير بعدها مستقلة. يقتصر التوزيع الجغرافي لهذا النوع على المغرب وجنوب إسبانيا ويعد من الطيور المحمية.

م. رمضاني، *البط*، *معلمة المغرب*، الجزء، 4، ص. 1264 - 1265 ؛ *التفلق*، الجزء، 8، ص. 2492 - 2493 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*, 1979, 320 p. ; C. Harrisson, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleurs*, Elsevier, 1977, 430 p.

محمد رمضاني

الغُرّي، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Algora وهو اسم مدينة إسبانية ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

الغُرّي، أبو علي ويعرف أيضاً بأبي الفضل : قائد أصله من لندراش قرية من قرى جبل شلين المطل على مدينة غرناطة بالأندلس، كان يزعم أنه من ذرية أبي الوليد ابن زيدون وزيرالمعتمد ابن عباد ؛ وقد غادر مدينته متوجها إلى عاصمة الجزائر حيث تعرف على عبد الملك السعدي عندما كان هناك مازال يطالب بعرش والده.

ويبدو أن عبد الملك بعث القائد الغري إلى المغرب للقيام بدعاية من أجل إيجاد أنصار يبايعونه في الوقت المناسب ؛ إلا أنه ما أن وصل القائد الغري إلى فاس حتى التحق بالأمير المتوكل الذي كان آنذاك خليفة لأبيه بالعاصمة العلمية وقد عينه قائداً على جيش الأندلس وبهذه الصفة شارك في معركة الركن بالقرب من فاس والتي جرت يوم 16 ذي الحجة 983 / 17 مارس 1576 حيث كان بجانب المتوكل، ولكنه عند الملحمة فر إلى معسكر عبد الملك الذي أقره على رأس جيش الأندلس، ومنذ ذلك الوقت وهو يشارك في جميع المعارك التي جرت بين عبد الملك وابن أخيه المتوكل بما في ذلك معركة وادي المخازن.

غير أنه لم يمر سوى شهر واحد على المعركة المذكورة حتى نكبه أحمد المنصور الذهبي في شهر رجب 986 / سبتمبر 1578.

ع. العزيز الفشتالي، *مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا*، تح. كريم، الرباط، 1972.

Luis de Ojeda, *Comentario que trata de la infelice jornada del Rey Don Sebastian* (*S.I.H.M. France* I. p. 575 - 627) ; J. Franchi Consetaggio, *L'union du Royaume de Portugal à la couronne de Castille*, (*S.I.H.M.*) France, p. 506-574) ; Jose Maria de Murga, *Recuerdos marroquies del moro vizcaino*, Bilbao 1868, Madrid 1906, Barcelona, 1907.

غُرَيْطْ ويكتب أيضاً غَرْنِيطْ أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Gorreta - Gerret ؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم

Gorrita - Gorrite - Garret وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1191 / 1777.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

غرّيط بيت (آل غرّيط -) وبه يكتب نسبهم، أو غرنيط وبه تنطق الألسن، من البيوتات الأندلسية الكبري في المغرب، لا يعرف متى انتقلوا إلى المغرب وهل هم من غرناطة على ما يوحي به لقبهم. نزلوا بمدينة مكناس، وفيها ذاع صيتهم، وتقدموا في المراتب المخزنية منذ عهد المولى إسماعيل. ثم إنهم انتقلوا إلى مدينة فاس، واستقرت بعض فروعهم في مدينة مراكش في القرن التاسع عشر. وبيتهم بيت علم وفقه وأدب، كان فيهم الأطباء والكتاب ذوو الخط الجميل والوزراء، وهم على ما قال صاحب *بيوتات فاس* : "أهل تسجيع وتوريق وتزويق". وقال عنهم أديبهم صاحب *فواصل الجمان* : "هؤلاء الإغريطيون كانو ممن هاجر بدينهم من الأندلس إلى المغرب لما لحقهم من الحادث المكرب بإنحاء الأصبنيول عليها، ومدهم يد الوبال إليها. فحلوا بمكناسة الزيتون، واستغنوا بهم لا ترضى بالدون، إلى أن اتصل خلفهم بالسلطان الأعظم الجليل المولى إسماعيل. فاقتعدوا أريكة العز في دولته، وبلغوا ما أملوا في ظل صولته. فكان منهم علماء ألباء وأدباء، وأطباء وتجار أمناء بحضرته نائلون نضرة العيش بنظرته. ولم تزل أعقابهم عند أعقابه الملوك الكبار في مقام التنويه والاعتبار. وشرفوا منه ومن أبنائه الكرام بظهائر تضمنت مزيد التوقير والاحترام. "وآخر من كان منهم في رفقة الملك، السيد عبد الله غرنيط الذي تخرج من الثانوية المولوية في رفقة المغفور له الحسن الثاني وكان من وزرائه مدة من الزمن.

ع. الكتاني، *زهرة الآس في بيوتات فاس*، 1423 / 2002 ؛ م. غريط، *فواصل الجمان في أنباء كتاب ووزراء الزمان*، فاس، 1929.

غرّيط، محمد (فتحا) بن **إدريس** : فقيه جليل، مهر في الطب واشتهر، حاز من العلوم على ما قال صاحب *بيوتات فاس* : "أحلاها وأعلاها، ومن الصنائع أرقاها وأغلاها"، كان قاطنا بمكناس، وكانت له نية صادقة في ولي الله سيدي قدور العلمي دفينها، وكان من خاصة خدمائه فانتفع به، وظهرت عليه بركاته. ولما ذاع صيته، وجد الحظوة الكبرى مع السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام الذي استوزر أحد ولديه الآتي الترجمة، محمد بن محمد الذي تنسل منه مشاهير البيت في الحقبة المعاصرة.

غرّيط، محمد (فتحا) بن الكاتب **محمد** بن الوزير محمد غريط. قال عنه ابن عمه صاحب *فواصل الجمان* بأنه "كاتب ذرب اليد واللسان على الإساءة والإحسان، مصيب المقالة محظوظ الحبالة، ماجن يضحك الثكلى، ذو خط رفيع في وجهه ألف شفيع، وفعائل تبسط يد العائل، ونوادر لجلب السرور بوادر، استكتب في الخارجية، ثم نقل إلى الداخلية. ولما صحا من سكرة الشباب ونومته وصغى إلى نصح الشباب ولومته هدأ هياجه واشتد اعتناؤه بطلب العلم وابتهاجه، حتى أصبح علمه يلوح وروح نثره ونظمه يفوح".

توفي في رجب عام 1326 ، ودفن بمقبرة أولاد الموفق بالقباب، خارج باب الفتوح في فاس.

غريط محمد بن المفضل، *فواصل الجمان في أنباء ووزراء الزمان*، فاس، 1928.

غرّيط، محمد بن **محمد** العالم الأديب، والفقيه المشارك المقتدر. اشتغل بالكتابة أول الأمر مع الوزير محمد الصفار في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان. ثم انتقل في عهد المولى حسن يكتب مع الحاجب موسى بن أحمد إلى أن توفي، فصار يكتب مع خليفته في الوزارة محمد الجامعي الذي كان له معه حظوة كبرى. ذكره ابن أخيه صاحب *فواصل الجمان*، قائلا عنه بأنه "أديب نافذ اليراعة، نافق البراعة، شاعر مليح المساجلة، رجيح المجاملة، ذو خط كالدرر المنظومة والخبر المرقومة، بيد أن نظمه أجود من نثره وليس قله بأحسن من كثره. وله أهاجي يقصر عنها ذيل الفرزدق وجرير، ومداعبات جاوزت حد التعريض والتنذير".

توفي يوم الأحد 10 شوال سنة 1296 ، ودفن بضريح سيدي علي بوغالب بفاس.

غريط، محمد بن المفضل، *فواصل الجمان في أنباء وزراء وكتاب الزمان*، فاس، 1928.

غرّيط، محمد بن **محمد** العلامة المشارك الكاتب المقتدر الشاعر المجيد، يدعى بوغنبور، الأندلسي الأصل المكناسي النشأة والدار، الفاسي النقلة والإقبار. قال عنه حفيده صاحب *فواصل الجمان* : "رجل الوقار والجد، أصيل السؤدد والمجد، شاعر تنبع الحكم من لسانه، وتمد أكف التسليم لإحسانه، كاتب حسن الشمائل، ذو رأي لا متأود ولا فائل، وحال عن العرض الزائل مائل، وحظ تحسده الخمائل، ويحفه القبول عن اليمين والشمائل، وتبتهج العيون برونقه، وتنعطف النفوس لنسقه. كانت له يد في الرباعيات والأزجال، وحظوة لدى صلحاء الرجال كسيدي قدور العلمي وسيدي حفيد بن عدو ومولاي الطيب الكتاني. قدم من مكناس مسقط رأسه إلى فاس مطلع شمسه. فاستكتب لعامله الوديني إلى أن عزل العامل لسيئة اجترحها وفتنة اقتدحها. فعزله السلطان المولى عبد الرحمان، ونقل كاتبه غريط إلى الكتابة في دار المخزن، فكان كمن أغناه الله بالبحر عن النهر. وحظي لدى السلطان بما كان له من القدرة

على الاختصار والتجافي عن الإسهاب والإكثار، فكان ينقح للسلطان المذكور ما استطوله ويوضح ما استشكله. وازداد حظوة لديه بوقوفه بجانبه وقفة الخادم المخلص في فتنة الودايا، يوم خرج السلطان من فاس خروج المضطر، إذ تغير شكل موكبه، ونهب ما عدى علمه المقدم ومركبه، واشتد عليه الظمأ حتى لا ساقي ولا ما، فالتفت فلم ير سوى (المترجم) فاستدناه وآواه، فاسقاه بخفه حتى أرواه، ودخل صحبته إلى مكناسة الزيتون فأحله حيث تحله العيون". كما أنه حضر بعض المناوشات من تلك التي جرت بين الجيوش المخزنية بقيادة ولد السلطان وخليفته سيدي محمد وأنصار الأمير عبد القادر بن محيي الدين. ثم لما أقدم المولى عبد الرحمان سنة 1269 على عزل المختار الجامعي عن الوزارة، فإنه أسندها إلى المترجم. لكنه ما لبث أن رأى أن صاحب هذا المنصب على غرر وإن استخرج منه الدرر، ومقتعده في همّ وتعب، وإن افترش السندس ومشى على الذهب. فاستعفى السلطان فأعفي بعد أن أشار بتولية الوزير محمد الصفار. ويثبت صاحب *إتحاف أعلام الناس* أنه كان زاهداً ناسكاً يتورع عما بيد الناس ولو كان على سبيل الهدية. وله شعر جيد في احتلال تلمسان وتطوان.

خلف ثلاثة أولاد وهم محمد ومحمد المفضل ومحمد المهدي، ذاع ذكرهم وتأتي ترجمتهم.

توفي سنة 1280 ودفن بضريح سيدي علي بوغالب.

م. غريط المفضل، *فواصل الجمان في أنباء وزراء وكتاب الزمان*، فاس، 1928 ؛ ع. ابن زيدان الرحمان، *إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس*، الجزء الرابع، فاس، 1929 - 1933.

غريط، محمد بن الوزير **محمد المفضل** بن الوزير محمد بن محمد (فتحا) غريط. قال عنه عبد السلام ابن سودة في وفياته بأنه خاتمة أدباء المغرب من غير مدافع، أديب شاعر مبدع مكثر على نمط أهل الأندلس نثرا ونظما، في أسلوب سلس ليس فيه غريب لغة ولا خشونة، له مشاركة في العلوم الآلية واللغوية وأيام العرب وأحوالهم وجيّد شعرهم، مع الإلمام بالتاريخ. ولد بفاس في ربيع الأول سنة 1298، وسار على النهج الذي يسير عليه أدباء العصر. وأول شيوخه والده الوزير الذائع الصيت الذي كان يحفظ الشعر الأندلسي بكامله عن ظهر قلب. كما تخرج على يد أمثال العباس بن أحمد التازي، والكامل بن محمد الامراني الحسني، وعبد السلام بن محمد الهواري، ومحمد (فتحا) بن محمد كنون، ومحمد (فتحا) القادري، استكتب لدى الخليفة السلطاني المولى عرفة، ثم لدى الخليفة المولى علي، ثم لدى الخليفة المولى المامون في عهد السلطان المولى يوسف. وكان ذلك بقصد كسب العيش. أما انصرافه الكلي فكان لناحية الكتابة نظما ونثرا. فله تآليف كلها من إبداعه، منها *فواصل الجمان في أنباء وزراء وكتاب الزمان*، *وآداب المجالس*، نظم ألمّ فيه بتاريخ الأندلس والمغرب، وديوان شعر تحت عنوان *الرخيص والثمين واليسار واليمين*، وذيل عليه بعنوان *الغث والسمين في ذيل الرخيص والثمين*، وله أيضا *محاضرة النديم بالموجز النظيم*، وذيل عليه سماه *تزيين المسامرة لتذييل المحاضرة*، وله *نزهة المجتلي في أنباء أبي الحسن علي*، نظم الدولة العلوية، و*الصادح المغرب في أمداح قطب المغرب*، و*وسيلة المحتدي في مدح الجناب الأحمدي ومن بهداه يهتدي*، ومجموعة نثرية سماها النزر اليسير من *إنشاء*

الفقير إلى الكثير. بيد أنه لم يطبع من كل ذلك إلا *فواصل الجمان*، طبعه والدي الشهيد سيدي عبد العزيز بوطالب. ولم يلاق في حينه ما كان ينتظر منه من الرواج. ولقد فتحت عيني على غرفة مكدسة بنسخ من *فواصل الجمان* تكسوها الغبرة إلى أن غابت عن نظري بعد استشهاد الوالد رحمه الله وتقلب ظروف الحياة بالأسرة. حتى إذا دارت الأيام دورتها واشتغلت أنا بالتاريخ، فاضطررت إلى اقتناء نسخة من الكتاب في سوق الكتب البالية بأعلى ثمن. أما شعره فقد نشرت منه بعض القصائد عند محمد بن العباس القباج وفي بعض مقيدات الزعيم علال الفاسي. فمن ذلك نشيد مدرسي للنشء الصاعد يقول فيه :

يابني العصر أجيبوا داعي النصح المنير
واستجدوا ذكر قطر كان ذا صيت شهير

وقوله في الحكم :

إن تكن تطلب آدابا فكن قانعا واصرف عن المال الطلب
قلما تلقى أديبا مثريا أو ترى من هو مثر ذا أدب

توفي يوم الجمعة 7 شوال 1364، ودفن بضريح سيدي علي بوغالب في حي صريوة بفاس.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع*، *سل النصال للنضال بالأشياخ وأهل الكمال*، ضمن *موسوعة أعلام المغرب*، ت. تح. محمد حجي، *دار الغرب الإسلامي* ؛ م. بن العباس القباج، *الأدب العربي في المغرب الأقصى*، الرباط، 1929.

غريط، محمد المفضل بن محمد الكاتب السلطاني بن محمد الوزير الصدر، المدعو السي فضول، الفقيه العالم المشارك والوزير الذائع الصيت، عيّنه السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان وزيراً لدى ولي عهده المولى حسن عندما أمره بالحركة إلى سوس، سنة 1280 / 1863، في أول اختبار للأمير ولمواهبه العسكرية والسياسية. وهكذا صار السي فضول باكراً من خدام المولى حسن، الذي ما أن انتقلت إليه الأمانة الكبرى حتى جعل المترجم من كبار وزرائه. ولقد وكّل به أمر إحداث وزارة شؤون البحر، وهي أول صيغة لوزارة

الشؤون الخارجية في تاريخ المغرب. فكان السي فضول هو الذي أقام بنائقها وأول من استقل بها، وصار هو صلة الوصل بين المخزن والسفراء والقناصلة الأوربيين. وتزخر الوثائق المخزنية لتلك الحقبة بالمراسلات الصادرة عنه باسم السلطان أو الواردة إليه ليرفعها إلى علمه. ثم إنه أبعد عن كرسي المسؤولية غداة وفاة المولى حسن سنة 1894، يوم استحوذ الحاجب أبّا احماد بن موسى على زمام الحكم باسم السلطان الشاب المولى عبد العزيز، بعد أن نحّى آل الجامعي الذين كان السي فضول من شيعتهم. بيد أنه ما أن توفي أبّا احماد سنة 1900، حتى عاد الفقيه المترجم إلى الوزارة، بل وإلى الصدارة العظمى في دولة المولى عبد العزيز، إلى جانب عبد الكريم ابن سليمان في وزارة البحر والمهدي المنبهي في شؤون الحرب والشيخ التازي على بيت المال. ولقد ظل متربعا على كرسيها إلى أن وافته المنون يوم الأربعاء 19 حجة عام 1344/ يونيو 1926، ودفن بزاوية الشيخ سيدي ابن رحمون البخاري.

ولما كان السي فضول مكلفا بالعلاقات مع الأوربيين، فإن تقاريرهم مشحونة بذكره ووصفه جسديا ومعنويا. قال عنه كابرييل شارم Gabriel Charmes الذي جاء في سفارة فرنسية إلى بلاط المولى حسن سنة 1885، عندما رآه إلى جانب الوزير الصدر يومئذ محمد العربي الجامعي، مايلي : "لم يأت السي محمد بن العربي (الجامعي) لزيارة المسيو فيرو Féraud (السفير الفرنسي) بمفرده، بل كان في رفقته السي فضول، ساعده الأيمن في الشؤون الخارجية. وقد جلس السي فضول إلى جانب الوزير الأعظم، لكنه يختلف عنه تمام الاختلاف. وإني لم يسبق لي أن رأيت إنسانا توحي ملامحه بمثل ما توحي به ملامح السي فضول من تأملات الرهبان. فإنه قصير القامة نحيف الجسم، ملفوف كله في السوسدي الأبيض، يبدو وكأنه زاهد من الزهاد، بمحيا مستطيل شاحب السحنة، وأنف عظيم متطاول، وعينين واسعتين مرفوعتين إلى السماء إلى درجة انسحاب البؤبؤين من وسطيهما وسيطرة البياض عليهما وامتداده حتى الجفن الأسفل [...] وما أن رأيناه يتقدم على حذر في خطى الوزير الأعظم، حتى أدركنا أنه يفوق بكثير كل من التقينا بهم إلى ذلك الحين في المغرب. وكان هذا الارتسام الأول صائبا، ولم يتغيّر فيما بعد". هذه صورة السي فضول سنة 1885. أما صورته سنة 1903، فجاءت على يد القنصل الفرنسي ديسكوس Descos، صاحب كتاب *مغرب اليوم*، قال : "لم يكن السي فضول ممن يفرض حضوره بالدخول في مناقشة الأقوال والوقائع التي تميزت بها السنوات الأخيرة، فإنه شويّخ تجاوز السبعين من العمر متآكل البنية، مصاب بالشلل من أحد جانبيه، قضى حياته في الدسائس المخزنية السخيفة، مطوي على الكياسة والارتياب وخفة الروح. وصل إلى أعلى مرتبة في الدولة بإشارة من السي المهدي المنبهي الذي أراد أن يتخلص من تنبيهات الوزير الأعظم السابق فجعل مكانه رجلا على درجة من الخنوع والحذر حتى لا يفسد لدى سيد البلاد أعمال الوزير صاحب الحظوة. وقد امتثل السي فضول لهذا الأمر غير المشرف بدون مقاومة، إذ مرتبته ثقيلة في اللسان، لكن بنيقته تظل فارغة، وداره خالية من الموالين. ولا يسمع له حسّ إلا من خلال بعض الانتقادات المحتشمة اليائسة. بيد أن الجلوس إليه لا يخلو من متعة لما يتميّز به من الظرف. فإن ملامحه دقيقة، تحيط بها لحية بيضاء في منتهى الأناقة. ولباسه من ألطف وأنصع البياض. ورزته التي هي في ضخامة مرتبته الكبرى ملفوفة أتقن لف. وهو من أولئك الشيوخ النحفاء المهذبين الذين يحلو لهم ذكر نوادر الماضي ويفيضون في ذلك لعلمهم بما أوتوا من خفة الروح. وهو وإن لم يخرج من المغرب أبدا، إلا أنه يستشف من أحوال أوربا ما يكفي ليتكلم عن أحوال المغرب بما ينبغي أن يسمعه زواره الأجانب. وينتسب السي فضول لتلك الطبقة من رجالات الدولة الظرفاء المنقادين غير المكترثين، الذين يتصدرون تلقائيا في ساعة انحلال الدول الإسلامية، والذين رأى جيلنا هذا نماذج منهم في اسطنبول أو القاهرة".

Gabriel Charmes, *Une ambassade au Maroc*, Paris, 1885 ; Aubin Eugène (Descos), *Le Maroc d'aujourd'hui*, Paris, 1904.

غرّيط، المهدي بن محمد بن محمد (فتحا)، ثالث الثلاثة من أبناء وزير السلطان المولى عبد الرحمان، الذين علا كعبهم وذاع صيتهم، واستكتب منهم من استكتب واستوزر منهم من استوزر قبل عهد الحماية وبعدها. وكان محمد المهدي هذا فقيها كاتبا مقتدرا، من المحبين في آل البيت النبوي الشريف. اشتغل مدة حياته في دار المخزن بمدينة مراكش، ففيها عقبه من أبنائه عبد الهادي وأحمد ومحمد وعبد العزيز، وفيها مات وثوى إلى مثواه الأخير في ربيع الثاني من سنة 1363.

ابن سودة عبد السلام، *أتحاف المطالع بوفيات القرن الثالث عشر والرابع* ؛ الكتاني عبد الكبير بن هاشم، *نزهة الآس في بيوتات أهل فاس*.

إبراهيم بوطالب

الغرْسَة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Garza ؛ وكانت هذه الأسرة بتطوان تحترف بصنع الفخار منهم : أحمد بن محمد الغرسة الذي كان يزاول خطة العدالة سنة 1171 (1758).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

غَرْسِيَّة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Garçia - Garsya ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Garcia وهو اسم مدينة إسبانية منهم :

الحاج العربي غرسية الأمين الذي أصدر بخصوصه السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام ظهير فاتح جمادى الثانية 1259 (29 يونيو 1843) يأمره بالتوجه من تطوان إلى الدار البيضاء "لإنقاذ الموقف بديوانتها".

عبد السلام الأمين غرسية الذي كلفه السلطان بتحديد الدور والعزائب الساحلية الواقعة بين مدينتي الجديدة والرباط في 30 ربيع الأول 1299 (19 فبراير 1882) وفي سنة 1305 (1887) عين أمينا بديوانة الصويرة.

عبد السلام بن أحمد غرسية فقيه كان ناظراً بالمسجد الذي كان يحمل اسم مؤسسة محمد غيلان بحومة المطامر وأصبح يعرف بمسجد غرسية.

وافته المنية سنة 1322 (1904).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

غرسية بن **أنطون** أو **أنطول** Garcia ben Antoun، قائد فرقة جند النصارى التي عملت في الجيش النظامي المريني وفي خدمة كل من السلطانين أبي عنان وأبي سالم. يرجع أصله إلى منطقة قطلونية بشمال شرق إسبانيا. ويبدو من الأخبار التي أوردتها المصادر حول شخصيته أن الرجل كان مشهوراً بذكائه ودهائه وكذلك بشجاعته، وقد شهد له بذلك معاصره لسان الدين بن الخطيب الذي قال فيه : "وكان فتى حمي الأنف، شديد الصَلَف، مترامياً إلى أقصى حدود البسالة محتقراً للأمة".

بعد وفاة السلطان أبي عنان سنة 759 / 1358 نشبت نزاعات دموية بين الأمراء والوزراء حول السلطة والحكم. وقد برزت هذه الفرقة من جند النصارى لتزيد الوضع تدهوراً والأزمة استفحالاً بسبب تدخلاتها ومؤازرتها لطرف دون آخر من أطراف الصراع. وقد لعب غرسية هذا بحكم منصبه القيادي دوراً أساسياً في التأثير على أحداث الصراع الذي احتد بين السلطان أبي سالم المريني ووزيره عمر بن عبد الله بن علي بن سعيد اليابانى الذي تمرد على سلطانه واستولى على دار الملك بفاس. وقد قرر الوزير الثائر استقطاب قائد جند النصارى غرسية إلى جانبه فعقد معه تحالفا ليلة السابع عشر من ذي القعدة عام 762 / 1361 بهدف محاربة السلطان وخلعه. وعلى إثر هذا الاتفاق قام الوزير وحليفه غرسية بالدعوة لأخ السلطان الأمير أبي تاشفين بن أبي الحسن الملقب بالموسوس، فبايعوه وعينوه سلطانا على المغرب الأقصى مكان السلطان الشرعي أبي سالم. فقامت من جراء ذلك الفتنة وعمت الفوضى بعاصمة بني مرين وكثر النهب والقتل، وأمام تصاعد وتيرة الأزمة وفشل أبي سالم في السيطرة عليها وفي أن يستعيد نفوذه خاصة بعد فرار مناصريه من حوله، أسرع المتآمرون إلى أخذ زمام المبادرة وتربصوا بالسلطان وتمكنوا من اعتقاله مع بعض وزرائه وأعوانه خارج فاس. وتكفل أحد جند النصارى بإيعاز من غرسية بذبح السلطان أبي سالم وكان ذلك يوم الخميس 21 ذي القعدة سنة 762 / 22 شتنبر 1361. وأبقى المتمردان على حياة بعض وزراء السلطان المغتال خاصة مسعود بن رحو بن ماساي وسليمان بن داود فحبساهما في مكانين متفرقين، فكان معتقل سليمان بن داود بدار غرسية بن انطون ومعتقل ابن ماساي بدار الوزير عمر.

لم يكتب لهذا التحالف بين الوزير والقائد الرومي أن يستمر طويلاً إذ سرعان ما انقلب غرسية على حليفه القديم واتفق مع مقدم الموالي والجند سليمان بن ونصار (أو نزار) وتفاوضا معاً في قتل الوزير عمر عدوهما المشترك على أن يجعلا لسليمان بن داود المعتقل بدار غرسية الوزارة مكانه. فنمي الخبر إلى الوزير الذي استجمع قواته واستعان بقائد الموكب السلطاني من الرَّجْل الأندلسيين إبراهيم البطروحي وبشيخ بني مرين وصاحب شوارهم يحيى بن رحو فأعدوا كمينا لغرسية في داره ثم انقضوا عليه وقتلوه في نهاية شهر ذي القعدة من عام 762 / نهاية شتنبر من عام 1361 أي بعد أسبوع من مقتل السلطان أبي سالم. وبعد ذلك استلحموا من وجدوا بالدار من جند النصارى ففر عدد كبير منهم إلى معسكرهم بالملاح جوار البلد الجديد. وعندما علم أهل فاس بما كان قد عزم عليه غرسية من الغدر بالوزير عمر، فإنهم طاردوا جند النصارى حيثما وجدوا في سكك المدينة، وزحفوا إلى الملاح للفتك بمن به من النصارى ونهبوا أموالهم وأمتعتهم إلى أن تدخل بنو مرين لحماية جند الروم من هيجان العامة.

ابن الخطيب، *نفاضة الجراب في علالة الاغتراب*، الدار البيضاء، 1985، ج 2، ص. 271 ـ 278 ؛ ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1978، ج 7، ص. 651 ـ 654 ؛ الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954، ج 4، ص. 38 ـ 41 ـ 42 ؛ نشاط، *الارتزاق المسيحي بالدولة المرينية*، ندوة الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى، الرباط، 1995، ص. 126 ـ 127 ؛ ر. السلامي، *الروم في الجيش المغربي*، *معلمة المغرب*، مطابع سلا، 2001، ج 13، ص. 4487.

J. Alemany, *Milicias cristianas al servicio de los sultanes musulmanes del maghreb*, in "Homenaje à D. Francisco Codera", Zaragoza, 1904, p. 151-153.

رشيد السلامي

الغَرْغَاري، أحمد بن عبد الله : قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلته بني سلمان. انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي تزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني وقد شارك في مؤتمرات الثورة التي عقدت :

- بضريح سيدي يسف التليدي يوم 7 ماي 1914
- عين الدالية يوم 11 من نفس الشهر
- ضريح مولاي عبد السلام بن مشيش يوم 20 يوليوز 1913
- قرية الزوة يوم 11 يناير 1915

وقد شارك في 11 معركة

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب*، الرباط، 1981.

Capaz Fernando, *Cabecillas rebeldes de Gomara*, 1949..

محمد ابن عزوز حكيم

الـغـرْغـر وحـبـيش ودجـاج حـبـشي ودجـاج فـرعـون في الشام ودجاج التدرجية كما في اللغة والمعاجم، طائر بري من رتبة الدجاجيات وفصيلة التدرجيات يسمى في بعض المناطق المغربية الحجل الرومي المربى. منه ست سلالات في العالم أشهرها الغرغر الرمادي الشائع مهده الأصلي غابة المعمورة والأطلس المتوسط. عرفت هذه السلالات تدجينا في ميدان تربية الطيور الأهلية إلى جانب الدجاج في مختلف دول العالم. وكان الرومان أول من أدخل هذه السلالة المغربية إلى أوروبا.

كان الغرغر الوحشي يعيش في أدغال وغابات المعمورة وأعالي نهر أبي رقراق وضواحي عيون أم الربيع بالأطلس المتوسط. وعرفت المجموعات المغربية مضايقة شديدة من الإنسان خلال النصف الأخير من القرن المنصرم وانقرضت بعد سنة 1970.

يدعى الغرغر علميا Numida meleagris وبالفرنسية Pintade وبالانجليزية Guinea Fowl . يتميز برأس صغير ومنقار أبيض قوي وعرف أحمر أسفل المنقار وزائدتين لحميتين على الرأس. العنق والرأس رماديان وبدون ريش. الريش رمادي داكن مزركش بالأبيض وذيله قصير جدا وأصابع قائمتيه طويلة. الجناحان دائريان وقصيران. لا يحسن الطيران ويفضل المشي والركض. يبلغ طول جسمه 63 سم وتزن الكبيرة 1200 غرام. طائر اجتماعي يعيش في مجموعات قليلة الأفراد ويحدث ضجيجا متواصلا أثناء إزعاجه. يكثر نشاطه أثناء طلوع النهار وغروبه ويتكون قوته من الحبوب والديدان والحشرات. يتوالد منذ مارس إلى يونيو ويوضع العش متسترا بين الأعشاب ويفرش ببعض قطع الاغصان. يبلغ عدد البيض 10 ـ 20، طول القطر 4.8 سم. يحضن البيض مدة 24 ـ 28 يوما، وتغادر الصغيرة العش مباشرة بعد خروجها من البيض. تتعلم الطيران بعد بضعة أسابيع ثم تصير بعدها مستقلة وتعيش في مجموعة عائلية وكثيراً ما تنضم إلى مجموعات أخرى لتكون أسرة متعددة الأفراد. تعتني الأم بتربية الصغار وحمايتها ولا تفارقها مدى الحياة كما تفعل الطيور الأخرى. يعيش هذا النوع في إفريقيا الشمالية.

م. رمضاني، التدرج، التفلق، الدجاج، *معلمة المغرب*. الجزء 7 ـ 8. 12 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية 1988.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*, 1979, 320 p. ; C. Harrison, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleurs*, Elsevier, 1977, 430 p.

محمد رمضاني

غرم العلام، ارتبط ظهور وتشكل غرم العلام كنواة للاستقرار والتجمع البشري بالقصبة العسكرية التي ترجع الرواية المحلية تأسيسها إلى السلطان المولى إسماعيل. ومما لاريب فيه، أن هذه القصبة قد لعبت، منذ أن تم بناؤها إلى جانب القصبات العسكرية الأخرى القريبة منها في كل من فشتالة وفم ودي وبني ملال وداي وتادلة التي كانت تمثل يومها قاعدة عسكرية وإدارية للإقليم برمته، أدواراً على قدر كبير من الأهمية سواء فيما يتعلق بتطويق تحركات صنهاجة الأطلس، أو فيما يتصل بإقرار الأمن بين القبائل المتنازعة، أو فيما يخص مراقبة وتأمين الطريق السلطانية والمسالك الفرعية الموازية لها، أو فيما يرجع لتحصيل مستحقات الضرائب وتجميعها. وهي أدوار لا ندري بالضبط المدى الزمني الذي استمرت فيه هذه القصبات تضطلع بها كلا أو جزءا، لأن أغلب الإشارات التاريخية الواردة في الحوليات الإخبارية والوثائق المخزنية ابتداء من نهاية القرن الثاني عشر (18) إلى غاية مطلع القرن الرابع عشر (20) لا تتحدث بكيفية واضحة إلا عن قصبة تادلا والقصبة الزيدانية. مما يفيد على الأرجح أحد أمرين في هذا الخصوص : إما أن هذه القصبات الفرعية قد فقدت أهميتها وإشعاعها الوظيفي مباشرة بعد وفاة واضع مخططها السلطان المولى إسماعيل فتحولت تدريجيا إلى بنايات هامشية اندرست معالمها مع مرور الوقت فغدت وكأنها لم تغن بالأمس، وإما أنها استمرت تمارس بعض وظائفها التقليدية كما هو الحال بالنسبة لقصبة غرم العلام التي حظيت في عهد السلطان الحسن الأول بوضع إدالة عسكرية يرأسها القائد زيدان بن علي الغيغائي وذلك بهدف دعم وتعزيز الأدوار الطلائعية التي كانت تنهض بها على أكثر من واجهة كل من قصبة تادلة والقصبة الزيدانية التي كانت تضم إلى جانب فرقة عسكرية مستقرة أكبر المخازن والأمراس الجهوية في منطقة تادلا بأتمها.

وإذا كان من الصعوبة بمكان، في ظل محدودية المعطيات التاريخية المتوفرة حاليا، ترجيح أحد هذين الاحتمالين بكل ثقة ويقين، فإن الأمر المؤكد، من دون شك، هو أن الموقع الذي احتلته قصبة غرم العلام في منطقة الدير يتميز بعمق استراتيجي غاية في الأهمية، وذلك لكونه يشكل حلقة وسطى بين مجالين جغرافيين وبشريين متباينين هما مجالا الجبل والسهل، يسمح بمراقبة أوسع وأدق لما يجري من تحركات وتموجات بشرية سواء أكانت تهم المجموعات القبلية الأمازيغية في العالية أم التجمعات العربية في السافلة. ولعل هذا الواقع هو ما يفسر ميدانيا تركز مجموعة من الإنشاءات والمعالم العسكرية على امتداد نطاق الدير يعود إلى حقب تاريخية مختلفة، وهو ما يبرر، في الوقت ذاته أيضا، تمحور ظاهرة الصراع والتوتر الاجتماعي المتجدد منذ القدم سواء بين القبائل المحلية أو بين هذه القبائل مجتمعة والقوى الغازية من الخارج حول مجال الدير بغية الانفراد بالسيادة عليه والتحكم من ثمة في ما يزخر به من موارد وخيرات شتى.

لذلك فإن استيلاء الإدارة الفرنسية زمن الحماية على مركز غرم العلام بعد الإجهاز على قصبة بني ملال والتمكن

من تمهيد تادلا ومحيطها قبل ذلك، كان يمثل في هذا السياق خطوة ضرورية لا مناص منها للتحكم التدريجي والفعلي في الدير كقاعدة خلفية للانتقال بعد ذلك مباشرة لتنفيذ خطة التوغل الشامل في الجبال المجاورة. وقد أفادت الكتابات العسكرية الفرنسية في هذا الصدد، أن احتلال غرم العلام من قبل الكولونيل "تفيني" (Theveney) يوم 6 أكتوبر 1917 لم يتم بالسهولة المتوقعة، إذ تطلبت العملية حشد فيلق عسكري مكون من 3200 جندي مزودين بالأسلحة المتطورة الخفيفة منها والثقيلة. وقد انتهت الحصيلة العامة لهذا الاحتلال بهلاك 58 جنديا و28 جريحا من القوات الفرنسية وعدد غير معلوم في صفوف المقاومة الويراوية بقيادة موحا وسعيد التي وصل تعدادها يومها 8000 مجاهد.

م. بن البشير بوسلام، *تاريخ قبيلة بني ملال*، 172 . 187 . 217 . 222؛ ف. الإدريسي، *استراتيجية الاحتلال الفرنسي للقصيبة ورودود فعل المقاومة المحلية*، ندوة المقاومة بجهة تادلا - أزيلال 1908 . 1956، السياق والحصيلة، 230.

R. Peyronnet, *Tadla, pays zaian*, Moyen Atlas, Alger, 1923, p. 206-209 ; G. A. Guillaume, *Les berbères marocains et la pacification de l'Atlas central (1912-1933)*, Paris, éd. Julliars, 1946, p. 172 - 173.

الفقيه الإدريسي

الغَرْنَاطي، أسرة تطوانية أصلها من غرناطة بالأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم هكذا Granadino ؛ ومازالت باسبانيا أسر تحمل اسم Algranati وGrantino نسبة إلى مدينة غرناطة Granada ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1207 / 1792.

الغرناطي، محمد بن علي، كان يتعاطى خطة العدالة إلى أن وافته المنية سنة 1207 (1792).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

الغرناطي (الطرب -) يطلق مصطلح "الطرب الغرناطي" على التراث الموسيقي الأندلسي المنتشر في مدينتي وجدة والرباط وفي مدن الجزائر وخاصة منها المحاذية لحدود المغرب الشرقية.

ويعتبر المجموع الذي وضعه المطرب اليهودي بالجزائر إدمون يافيل عام 1902 المرجع المعوّل عليه لمن يُريد التعرف على الأشعار المستعملة في الطرب الغرناطي، وبذلك فهو بمثابة *كناش الحايك* بالنسبة لمستعملات "الآلة المغربية".

ترجع بدايات انتشار الطرب الغرناطي في الجزائر والمغرب إلى الفترات التي أعقبت سقوط حاضرة غرناطة في يد الاسبان (1492 . 1610) والتي تميزت بنزوح الموريسكيين إلى مناطق الشمال الإفريقي.

وقد زاد من التمكين لهذا الفن بالمغرب نزوح بعض الأسر التلمسانية إليه خلال فترات الحكم العثمانية ثم الاستعمار الفرنسي. ومن بين هذه الأسر برز فنانون جزائريون اضطلعوا بتلقين مستعملات الطرب الغرناطي وفق تقاليد المدرسة التلمسانية، واشتهر منهم خاصة محمد بنغبريط (ت. 1940) الذي حل بالرباط في العشرينيات، وبها أخذ عنه جماعة من الهواة الذين سرعان ما حملوا بدورهم مشعل هذا الفن وأخذوا يلقنونه في المجالس الخاصة أو في معهد مولاي رشيد، أو في إطار أجواق الطرب التي أنشأوها بالمدينة. وقد برز من بين هؤلاء الحاج عبد السلام بنيوسف، وأحمد بناني، وأحمد بن المحجوب زنيبر، والمكي امبيركو، ومحمد بن الحاج أحمد الدكالي الشهير بلقب "احبيبي امبيركو"، وأحمد الشافعي، والحسين بن المكي، ومصطفى المعروفي، وبنعيسى العوفير، والصديق بن الشرقي، والعربي الدكالي، وأحمد لمزارو، والفقيه محمد السبيع، وأحمد بيرو.

وإلى جانب العناصر التلمسانية ساهم اليهود المغاربة في نشر الطرب الغرناطي بالرباط وبغيرها من مدن المغرب، ومنهم الشيخ "عبوش" الذي نسب إليه جلب "الصنعة" الجزائرية. ويراد بها تقاليد الطرب الأندلسي المتداول بعاصمة الجزائر، وعصريّه الصويري داقيد بن باروخ المعروف بلقب "أفلاح"، والشيخ الزجال انيسم النقاب، وجوزيف بانون الشهير بلقب "بيشان" من الدار البيضاء.

وقد حقق الطرب الغرناطي بفضل فناني الرباط تطوراً منقطع النظير، فأسسوا سنة 1957 جوقا عتيدا بدعم من جمعية هواة هذا الطرب، خصصت له حصة أسبوعية منتظمة بدار الاذاعة الوطنية، وكان على رأس هذا الجوق يومئذ الفنان الرباطي الحاج أحمد بناني، ثم خلفه بعد وفاته الفنان الحاج أحمد بيرو.

وبوفاة جل أعضاء هذا الجوق أو إحالتهم على المعاش يدشن عهد تراجع الطرب الغرناطي وبداية أفول نجمه بالرباط لولا خيط أمل يمسك اليوم بطرفه الفنان الحاج أحمد بيرو، ومن حوله عناصر "جوق شباب الأندلس" بهذا المدينة.

ومثلما ينسب إلى محمد بنغبريط أنه نشر مستعملات الطرب الغرناطي بالرباط، فكذلك ينسب إلى محمد ابن إسماعيل أنه نشر هذه المستعملات ذاتها بمدينة وجدة حيث شكل في العشرينيات أول خلية لهذا الفن ورأسها بنفسه. ومنذئذ أولت الأوساط الفنية بهذه المدينة للطرب الغرناطي عناية خاصة تجلت في تعدد مراكز تلقينه، كما تجلت في الإقبال على تشكيل المجموعات الفنية والتي كان من أولها "الجمعية الأندلسية للطرب الغرناطي" التي أسست عام 1921، ثم تلتها مجموعات أخرى بلغ عددها في الثمانينيات نحو العشر، غير أنها عرفت في السنوات الأخيرة نوعا من التراجع والنكوص.

ويبدو أنه لامناص للنهوض بالطرب الغرناطي سواء في وجدة أو في الرباط من أن تلجأ المصالح المعنية بالتراث

الموسيقي إلى فتح معاهد تضطلع بتلقين مستعملاته عزفا وغناء وفق التقاليد والطرق الفنية الأصلية.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الغَرْنَدي ، ويكتب أيضاً الغراندي أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Grande - Grandi - Garandi. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1088 / 1677.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

غريبة الحسين أحد طبوع الموسيقى الأندلسية المتفرعة عن طبع المزموم. نسب استخراجه إلى غريب الفارسي. ويضيف التادلي أن لغريبة الحسين من الأوقات طلوع الفجر، ونغماتها وألحانها تثير في قلوب المستمعين الرأفة والتحنن والبكاء.

يرتكز هذا الطبع على نغمة الذيل، فهو شبيه بسلم ضو الكبير.

ومن جهة أخرى تطلق نفس التسمية على إحدى النوبات الاحدى عشرة، وهي السابعة في ترتيب محمد الحايك للنوبات.

وتذكر بعض المصادر أن مستعملات ميزان القائم ونصفاً من نوبة غريبة الحسين تعرضت للضياع شأنها كشأن كثير من صنعات ميازين النوبات الأخرى. وقد عمد شيخ جماعة فاس الحاج حدو بن جلون إلى تلحين ميزان جديد كبديل للميزان الضائع، وكان ذلك في منتصف القرن الثالث عشر.

وقد دأب أرباب الفن منذ ما قبل عهد الحايك على إلحاق الصنعات اليتيمة المتبقية من نوبتي الصيكة والغريبة المحورة بنوبة غريبة الحسين، وذلك لما بين طبوع هذه النوبات الثلاث من تجانس.

إ. التادلي، *أغاني السقا ومغاني الموسيقا*، الباب السابع، ص. 80 ؛ ع. العزيز ابن عبد الجليل، *معجم مصطلحات الموسيقى الأندلسية المغربية*، ص. 50 ؛ *الموسيقى الأندلسية المغربية*، فنون الأداء، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1983، ص. 72.

عبد العزيز بن عبد الجليل

غريس (واد -) من بين الوديان الرئيسية المنحدرة من مرتفعات الأطلس الكبير الشرقي شبه الجاف في اتجاه النطاق الصحراوي جنوب واحة تافيلالت بالجنوب الشرقي المغربي. يخترق وحدات تضاريسية متنوعة ومتدرجة تتباين من حيث ارتفاعها وبنيتها وظروف تشكالها وهي : الأطلس الكبير الشرقي المكون من صخور كلسية نفوذة ذو بنائية حديثة، الذي يشرف على المجال الهضبي الكريطاسي للأخدود الجنوبي الأطلسي بفضل الحادث الجنوبي الأطلسي وأخيراً الكتلة القديمة ذات الصخور البلورية للأطلس الصغير الشرقي (صاغرو وأكنات). وهذه الوحدات جميعها تكون حوض تصريف واد غريس الذي ساهم منذ استقراره خلال نهاية الزمن الثالث في بناء المشهد الجيومرفلرجي والإكلوجي على طول مجراه، الذي يبلغ 185 كلم إلى حدود نقطة التقائه بواد زيز بمنخفض الرملية جنوب سهل تافيلالت، حيث يكونان واد الداورة.

وينبع واد غريس قريبا من منطقة أسيف ملول، جنوب هضبة البحيرات، بالأجزاء العليا من الأطلس الكبير الشرقي حيث منابع واد زيز أيضا. كما يتميز حوض تصريفه باتساعه وامتداده. ويضم إليه روافد مهمة هي : واد تدغة بمنطقة تنغير وواد فركلة إلى الغرب من منطقة كلميمة، اللذين ينحدران من السفوح الجنوبية للأطلس الكبير الشرقي، وروافد أخرى منحدرة من السفوح الشمالية لجبلي صاغرو وأكنات. وهذه الروافد كلها تتميز بطول مجاريها واتساعها حيث تتخللها مصاطب من الرباعي الأوسط والأعلى مكونة عموما من مواد فتاتية ذات نفاذية ومسامية عاليتين تسمح بالتسرب السريع للحمولة السائلة، الشيء الذي يساهم في انخفاض منسوبها في اتجاه واد غريس وعدم تمكين هذا الأخير من ديمومة الجريان به.

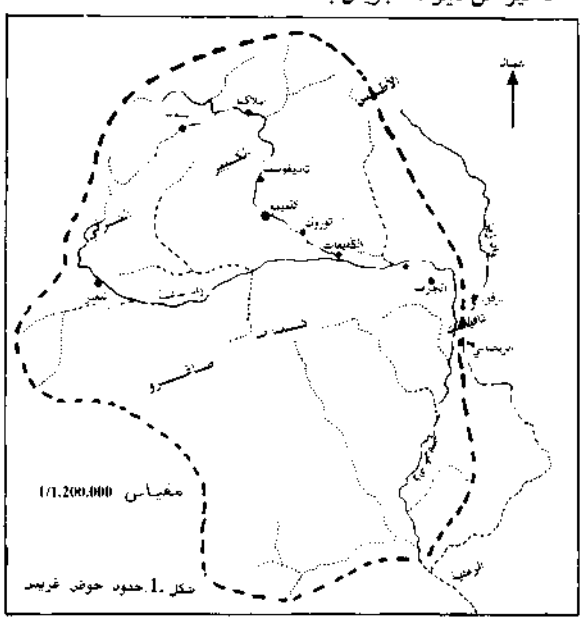

شكل 1. حدود حوض غريس

يجري واد غريس من الشمال الشرقي في اتجاه الجنوب الغربي بالقسم العلوي من الحوض حيث يتخذ أشكالا متعرجة وأودية ضيقة تقلص من ظروف الاستغلال الفلاحي، كما هو الشأن في حوضي أمدغوس وأسول على ارتفاع 1600 متر. ويحمل واد غريس تسمية واد سيدي بويعقوب، نسبة إلى زاوية سيدي بويعقوب، عند اختراقه لخوانق أملاكو وامسيد وأخيراً تاديغوست عند ارتفاع 1200 متر لينتقل إلى منطقة أقل ارتفاعا وأكثر انبساطا تتمثل في حادور نشر تازوميت ـ كلميمة. بعد واحة كلميمة ينحرف واد غريس نحو الجنوب الشرقي مخترقا واحات تالوين وتوروك وفزنة والجرف

قبل دخوله سهل تافيلالت الذي يقترب فيه من واد زيز بأقل من ثلاثة كيلومترات لكن بانحدار يقل عن مستوى جريان هذا الأخير بحوالي 12 متر، أي ما يعادل 1.67 بالألف.

وتعزى مصادر مياه واد غريس إلى الاضطرابات الأطلنطية التي تعترضها مرتفعات الأطلس الكبير الشرقي في فصل الشتاء وإلى ذوبان الثلوج في فصل الربيع، إلى جانب الاضطرابات التي تنشأ خلال فصلي الصيف والخريف فوق هذه المرتفعات مؤدية إلى ظروف امتطاح على طول المجرى الرئيسي.

ويصل المعدل المطري بحوض غريس 161 مم في السنة أي ما يعادل 160 ألف متر مكعب في السنة وفي الكيلومتر المربع، كما أن قياس الحجم السائل للمعدل السنوي لواد غريس بتافيلالت لا يتعدى 160 ألف متر مكعب في السنة وفي الكيلومتر المربع. وتعتبر عموما معدلات السنوات الأقل مطراً بالحوض أكثر من معدلات السنوات المطيرة. غير أن قياس صبيب واد غريس يبقى عموما أقل قياسا من واد زيز وذلك لعدم توفر محطات قياس على طول الواد قبل السنوات السبعين من القرن الماضي.

ولا يستثنى نظام جريان واد غريس عن باقي المجاري المنحدرة من السفوح الجنوبية للأطلس الكبير الشرقي، إذ يتميز بفصلين للطمو هما الخريف والربيع يتخللهما فصلين للبراض وهما الشتاء والصيف ينخفض أثناءهما الصبيب السائل أو ينعدم ويعوض بما تذره بعض العيون المحلية وخاصة منها تلك الموجودة في عالية واحة كلميمة في حين يجف وادي غريس عند نقطة التقائه بوادي فركلة في اتجاه الجنوب ولا يجري به الماء إلا في الفترات المطيرة المركزة محليا أو أثناء الامتناح. ويبقى المتوسط السنوي لهذا النظام نسبيا نظرا للتغايرات التي يعرفها من سنة لأخرى والتي تخص كميات المياه الجارية وليس توزيعها في السنة. كما ان معامل جريان واد غريس لا يتناسب غالبا واستدلالي المحل داخل الحوض وهذه حالة تحصل خلال الأمطار العنيفة والمستمرة لفترة طويلة.

وقد عمل الإنسان منذ عهد بعيد على استغلال مياه واد غريس عبر إقامة سدود أو "أكوك" على طول المجرى، تنطلق منها سواقي في اتجاه الحقول، كما أنه بحث في استخلاص المياه التحتسطحية للوادي بفضل تقنيات تقليدية تتمثل في "الخطارات". وفي العصر الحديث عملت الدولة، بفضل مصالح هندسة المياه والمكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي بتافيلالت، على توسيع استغلال مياه واد غريس التي تضيع غالبا خلال فترات الامتتاح وذلك بترميم وتهيئة المنشئات الهدروفلاحية الصغرى والمتوسطة من سواقي وقنوات وسدود (مثال : سد رأس صراف وسد بلاد شتام وآيت لزام ثم سد الكارة). وفي إطار توسيع مجال سقي سهل تافلالت بالقسم الأسفل لوادي غريس تم إنجاز مشروع تحويل فائض مياه هذا الأخير نحو واد زيز عبر منشأتين هما : قناة "لحميدا" التي تسمح بتحويل ما يعادل 15 مليون متر مكعب في الثانية عبر قناة مبنية طولها 16 كيلومتر، وسد مولاي إبراهيم الذي يسمح بتحويل صبيب يعادل 20 مليون متر مكعب في الثانية عبر قناة "لغريسية" نسبة إلى واد غريس.

وتمثل الموارد المائية السطحية لحوض غريس ما يعادل 82 مليون متر مكعب، تحول نسبة 31.2 مليون متر مكعب منها إلى المجال المسقي في حين يتسرب ما يعادل 5.6 مليون متر مكعب إلى الفرشة المائية للمجرى وتبقي نسبة 46 مليون متر مكعب غير مستغلة.

محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، *كتاب مختار الصحاح*، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1978، ص. 745.

M. Ben Brahim, *Le sillon de Boudenib (SE. Maroc), Structuration morphotectonique. Hamadas tertiaires et paléoaltérations associées. Morphogenèse quaternaire et aridité actuelle*. Thèse de Doctorat d'Etat, 281 p., Institut de Géographie, Paris I, Université Panthéon, Sorbonne, France, 1994 ; D. Jaques-Meunié, *Le Maroc saharien des origines à 1670*, 2 tomes, Librairie Klincksieck.

محمد بنبراهيم

غْرِيسُو ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Garisa ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

الغريسي، الحسين أبو القاسم المعروف بأبي زايدة (بسكون الياء)، عالم أديب، احتل مكانة متميزة من بين علماء سلا خلال القرن الثاني عشر (18 م). ذكر مترجموه أنه "كان حسن الإلقاء والتعليم، ذا حفظ تام"، كما كان كثير المداعبة، تولى القضاء بدمنات قبل أن ينتقل إلى مدينة سلا ليتفرغ لتدريس العلم بها. تخرج على يده عدة طلبة، أبرزهم أحمد بن عاشر الحافي السلاوي. خلف المترجم عدة قصائد شعرية، أورد الحافي بعضها في فهرسه، ومنها البائية التي كتبها الحسين الغريسي لأبي محمد عبد الله ابن الخطيب.

توفي صاحب الترجمة في جمادى الأولى عام 1115 / شتنبر ـ أكتوبر 1703. أشار ابن علي الدكالي إلى أنه دفن بضريح سيدي أحمد الطالب، قرب المسجد الأعظم بسلا، لكن الراجح هو ما ذهب إليه ابن عاشر الحافي حيث ذكر أنه دفن قرب روضة الشيخ أحمد بن عاشر الجزيري السلاوي.

أ. بن عاشر الحافي، *فهرس*، تح. م. السعديين، د. د. ع، كلية الآداب بالرباط، 1991، ص. 212. 215 ؛ *كناشة*، ضمن الروض لأحمد الصبيحي، مخ، خ. ص. رقم 428، ص. 149 ؛ م. بن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، تح. م. بوشعراء، ط 2، 1996، ص. 127 ؛ *وإتحاف أشراف الملا*، مخ. خ. ع، 11 د، ص. 68.

محمد السعديين

الغْرِيّشْ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل

بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Garis.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

الـغـزال ، جنس حـيـوان رشـيق الجسم من الحافـريات مزدوجات الأصابع ومن البقريات (Bovidae) العاشبة المجترة ذات معدة مقسـمـة إلى أربعة أجزاء، تكيفت حوافرها مع الجري السريع والقفز والركض. القرون مجوفة، الأسنان غير متكاملة تنقصها الأنياب العلوية والقواطع، صيغتها : 0/3 قواطع، 0/1 أنياب، 3/3 أضراس أمامية، 3/3 أضراس = 32 سنا. تقتات من الأعشاب وأوراق الشجر والتبن الذي تبتلعه دون مضغ وتتحمل العطش مدة طويلة، شديدة الحذر وتلتجئ إلى الفرار بسرعة فائقة للتخلص من أعدائها ولكن الصيد المكثف العشوائي كان وراء انقراضها في معظم أماكن توزيعها الطبيعي بشمال إفريقيا.

ثلاثة أنواع تعيش في المغرب :

غزال آدم ـ يجمع على أدم ـ كما ينطق به في المغرب وفي الجزيرة العربية والغزال الأحمر في الجزائر، ويسمى أيضا الجرجر وغزال الصحراء وبالأمازيغية أجدير وأزنكوض وتاملالت. اسمه العلمي Gazella dorcas (Linnaeus, 1758) وبالفرنسية والإنجليزية Gazelle dorcas وبالإسبانية Gacela comun . ظبي صغير لطيف ورشيق الجسم، كفله أعلى من الغارب، شعره قصير ناعم إلى أصحر على الظهر والقوائم، أبيض على البطن والعنق والجوانب الداخلية للقوائم ؛ تميزه لفافة طويلة من الشعر الأسمر الداكن على جانبيه. القرنان محلقان منحنيان إلى الخلف ثم إلى الأعلى، متقاربان في الوسط ومتباعدان في القاعدة وفي مؤخرتهما. يعد هذا النوع من أصغر الغزلان حجما، يتراوح علوه عند الغارب بين 55. 65 سم وطوله جمعا بين الرأس والجسد 90. 110 سم، ويبلغ وزنه 18. 25 كيلو غراما، طول قرن الذكور 25. 38 سم وطول الذيل 15. 22 سم ينتهي بخصلة صغيرة من الشعر الأسمر الداكن.

يتوالد في الربيع وتدوم مدة الحضانة 164. 174 يوما. تلد الإناث صغيرا واحدا يبلغ وزنه 1000. 1700 غرام ويعمر حوالي 18 سنة.

يألف سهوب وفيافي خصور جبال الأطلس الكبير الجنوبية الممتدة من المحيط الأطلسي إلى الحدود الجزائرية. يعيش أيضا في سهوب إفريقيا الشمالية والجزيرة العربية وإيران. انقراض في معظم مناطق المغرب بعد منتصف القرن العشرين وقد كان شائعا في مختلف أنحاء المغرب في القرن السادس عشر الميلادي حسب قول Léon l'Africain. تعيش عدة وحدات في المنتزهات الوطنية : سوس ماسة وتزكا ودرعة السفلى والداخلة وإيريقي في المحمية البيولوجية لسيدي شيكر جنوب غرب تازة وفي محمية جبل كروز شمال فكيك ومحمية وادي ميرد قرب زاكورة وفي بضع محميات الصيد الملكية.

ـ غزال الجبل أو غزال أغيس Gazella gazella cuvieri (Ogilby, 1841) يسمى بالأمازيغية أهرموش وهرموش وهرماس ودمي وبالفرنسية Gazelle de cuvier وبالإنجليزية Edmi Gazelle وبالإسبانية Gacela comun . وهو ضرب من الغزال Gazella Gazella موطنه شمال إفريقيا فقط رشيق الجسم وأكبر من غزال آدم وأصغر من غزال مهر، شعره كثيف وطويل نسبيا ناعم أغبر إلى مصفر شاحب وأشهب رمادي على الظهر والجانبين، أبيض البطن والعنق والجوانب الداخلية للقوائم ؛ يحمل بقعة داكنة على جانبيه قصبة الأنف تميزه عن سائر أنواع الغزلان المغربية. القرنان مستقيمان، متشعبان قليلا ويحملان عدداً قليلا من الحلقات (12. 17 حلقة). يبلغ علوه عند الغارب 60. 80 سم وطوله جمعا بين الرأس والجسد 95. 105 سم، طول قرن الذكور 25. 37 سم. ينتهي الذيل بخصلة صغيرة من الشعر الأسمر الداكن ويبلغ طوله 15. 20 سم.

نمط عيشه شبيه بنمط عيش غزال آدم، يألف المناطق الجبلية وخصورها ذات الكسور باستثناء جبال الريف. يصادف في حواشي الهضاب الوسطى والغربية لجبال الأطلس الكبير ـ جبل تافنكولت ـ وفي المنتزه الوطني للأطلس الكبير الشرقي بين إملشيل وجبل أمردوز وفي محمية آيت أو مربيط بين جبل باني ووادي درعة وفي المنتزه الوطني لدرعة السفلى بالأطلس الصغير وفي هضاب جبل بوناصر بالأطلس المتوسط وهضاب المغرب الشرقي. يحتمل انقراضه بالهضاب الوسطى للأطلس المتوسط خلال الثلاثة عقود الأخيرة.

ـ غـزال مـهـر Gazella dama mhorr (Bennet, 1833) يسمى بالفرنسية وبالإنجليزية Gazelle dama وهو ضرب لنوع غزال داما الذي يعيش في المناطق الصحراوية بإفريقيا الشمالية الغربية ؛ يسمى أيضا أريل وأدرع ويدعى لمهور وأنير في الصحراء المغربية وفي موريتانيا. جسمه رشيق، قرناه متقاربان جدا في قاعدتهما ويحملان 20. 30 حلقة. يعد هذا النوع من أطول الغزلان قامة، يتراوح علوه عند

الغارب بين 90 ـ 120 سم وطوله جمعا بين الرأس والجسد 140 ـ 165 سم، ويبلغ وزنه 72 كيلو غراما، القوائم والعنق طويلان، طول القرن 20 ـ 43 سم، ذيله طول (25 ـ 35 سم) ينتهي بخصلة صغيرة من الشعر الأسمر الداكن. شعره قصير أملس ناعم، العنق والجانبان والظهور سمر محمرة والبطن والذيل والجانب الداخلي للقوائم بيضاء، بقعة بيضاء على أسفل الصدر. الإناث شبيهة بالذكور.

يألف سهوب وفيافي المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية المتوفرة على شجر الطلح ونادر في الهضاب الشمالية للحمادة وتندوف. يتنقل في مجموعات صغيرة بحثا عن الأكل والماء. غزال مهر مهدد بالانقراض في المغرب وتعيش منه بضع وحدات في المنتزه الوطني لسوس ماسة ينتظر من تكاثرها إعادة انتشاره في بيئته الأصلية.

م. رمضاني، *الأيل، معلمة المغرب*، ج 3، ص. 942 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

A. Lakhdar Ghazal, J.P. Fartouat et M. Thevenot, *Faune du Maroc, les mammifères, Albums didactiques*, Rabat, 73 p. ; A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, Evaluation et présentation de la biodiversité*, Editions Ibis Press, 2000, 359 p. ; J. Dorst et P. Dandelot, *Guide des grands mammifères d'Afrique. Les guides du naturaliste*, Delachaux et Niestlé, éditeurs, Neuchatel, Paris, 1973, 286p.

محمد رمضاني

غزاوة، (قبيلة ـ) تقع شمال مدينة وزان، يحدها من الشمال الشرقي غمارة ومن الشمال الأخماس ومن الشمال الغربي بني زكار ومن الشرق بني أحمد ومن الجنوب بني مسارة ومن الغرب رهونة. وتنتمي من الناحية السلالية إلى صنهاجة الشمال، وتتألف من ثلاث فرق كبرى هي : بني مدراسن وبني فلغوم وبني عمر، وأكبر قراها الحرايق مقر الزاوية البقالية.

اقترن تاريخ غزاوة بهذه الزاوية وعرف سكانها بخدام المؤسس الشيخ علي الحاج البقال ت. 981 / 1573، أحد كبار مشايخ القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي في بلاد الهبط، بزغ نجمها بفعل الدعم المادي والسياسي الذي تلقاه شيخها من السلطان السعدي عبد الله الغالب، وتحولت في ظرف وجيز إلى قوة جهوية كبرى مقابل استغلال السلطة السعدية لنفوذها الديني في القبائل الواقعة بين ورغة وشفشاون إلى حدود غمارة، وأصبح شيخها يتنزل منزلة الأمراء في الأمر والنهي ونفوذ الإرادة على حد تعبير ابن عسكر، ومن الطبيعي أن ينعكس نمو الزاوية البقالية على القبيلة وتستفيد منه.

واستمر الدعم المخزني للزاوية البقالية وتحولت في ظل الحكم السعدي إلى قوة جهوية كبرى، واستظل بها سكان القبيلة، وخصوصاً سكان مدشري الحرايق وفيفي. شكل هؤلاء لحمة توحدها رابطة الانتماء الديني، وأصبحت القبيلة تمثل على الصعيد الجهوي قوة لا يستهان بها، وخصوصاً حينما أصبح شيخ الزاوية البقالية محمد بن علي البقال ت. 1019 / 1610، يشرف على الإصلاح الديني في غمارة استناداً إلى ظهير السلطان أحمد المنصور الذهبي. وتكونت حول الزاوية مدرسة شهيرة لتعليم الرمادية، مما أضفى على تاريخ القبيلة الطابع الجهادي.

وظهر بها خلال القرن العاشر والحادي عشر الهجريين علماء تخرجوا من القرويين جلهم من الأسرة البقالية أمثال محمد بن أحمد الأغصاوي ت. حوالي 92 / 1511 وعلي الحاج سالف الذكر وابنه محمد قتيل المامون، وخلال الفترة المعاصرة ظهرت أسر علمية أخرى ذائعة الصيت مثل أسرة العبودي بمدشر دار الوادي.

وتدل الوثائق المخزنية أن قبيلة غزاوة المستفيدة من حرم أولاد البقال والمستظلة به، ظهرت أحياناً بظهر سلبي حينما انخرطت في دائرة الصراع القبلي الذي ساد في منطقة جبالة خلال القرن التاسع عشر، وتشهد الأحداث والوقائع أنها تبادلت العنف مع الأخماس وشكلت حلفاً مع بني مستارة ضد رهونة ومصمودة الواقعين في ناحية وزان وخلقت بدورها متاعب أمام المخزن، مما تسبب في اهتزاز علاقتها بالسلطة المركزية. وفي بداية عهد الحماية ناصرت القبيلة بزعامة الفقيه محمد العبودي (1886 ـ 1950) ثورة الشريف أحمد الريسوني، ثم انتقلت إلى صف محمد بن عبد الكريم الخطابي تحت تأثير الفقيه نفسه وشاركت بفعالية في الثورة الريفية. وبعد احتلال وزان سنة 1925 خضعت القبيلة للسطرة الاستعمارية، وتم تقسيمها بين فرنسا وإسبانيا.

م. بن عسكر، *دوحة الناشر*، تح. م. حجي، ص. 40، الرباط، 1977 ؛ ع. السلام البكاري، *الإشارة والبشارة في تاريخ أعلام بني مسنارة*، الدار البيضاء، 1984، ص. 258 ـ 264.

محمد عمراني

الغزاوي، محمد من الخدام الأوفياء للعرش المغربي، وأحد الوطنيين المخلصين وواحد من رجال الأعمال العصاميين. ولد بفاس سنة 1324 / 1906. بعدما أتم دراسته بثانوية مولاي إدريس بفاس إلى جانب من نبغ من رجال العلم والقانون وكبار الشخصيات الذين كانت روابط المودة والعمل الوطني تربطه بهم، دخل ميدان الأعمال فكان موفقاً

حيث كانت له حاسة صادقة فأسس من جملة ما أسس شركة نقل كبرى للمسافرين والبضائع. تعرف منذ حداثة سنه بالمغفور له جلالة محمد الخامس فأصبح موضع ثقته وكلفه بتموين القصور ثم اتخذه مساعداً للقيام ببعض المهام، منها الاتصال بقادة الحركة الوطنية.

توثقت صلاته مع رجال "كتلة العمل الوطني" ثم مع قادة "الحزب الوطني" وفي مقدمتهم الزعيم علال الفاسي وأحمد بلافريج وعمر بن عبد الجليل، وكان ممّن شهدوا تأسيس "حزب الاستقلال" والموقعين الأوائل على وثيقة 11 يناير 1944 ومن جلساء شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي وأصدقاء النخبة المثقفة بفاس : مَحمد الزغاري، عبد الكريم بن جلون، أحمد الحميماني وغيرهم. أصبح معروفاً بالوطنية والأعمال الاجتماعية فأدرجه الاستعمار في لائحة العاملين الخطرين على نفوذه وكان يتتبّع خطواته. فزج به في سجن "برج النور" بفاس سنة 1937 ثم في سجن "العاذر" سنة 1944. فلما أفرج عنه منع من العودة إلى فاس بفرض الإقامة الاجبارية عليه في مدينة الجديدة لمدة طويلة.

من أعماله الاجتماعية تأسيس جمعية النجاح الرياضية بفاس وإنفاقه عليها وكانت لها شهرة واسعة في الأربعينيات. وكان يقدم المنح للطلبة المعوزين كي يتابعوا دراساتهم في الداخل والخارج. وكان من ضمن الذين ينفقون على نشاطات الحركة الوطنية.

في 7 ديسمبر 1950 حين كانت الأزمة على أشدها بين المغرب وفرنسا، رشحته الحركة الوطنية لـ "مجلس شورى الحكومة" في عهد مقيم فرنسا العام الجنرال جوان هو وجماعة من الوطنيين، فألقى في المجلس تقريراً أدان فيه سياسة الحماية الفرنسية مبيناً إفلاسها في شتى الميادين. فاستشاط الجنرال جوان غضباً ووجه للسيد الغزاوي الخطاب قائلاً : "إن هناك حداً للوقاحة والاستفزاز. أطلب منك أن تخرج من المجلس". فخرج وتبعه عدد من أعضاء المجلس وقصدوا جميعاً القصر حيث أطلعوا جلالة المغفور له محمد الخامس على ما جرى إثر هذا الحدث. وازدادت الأزمة شدة بين العرش والإقامة العامة فأوعزت إلى عميلها باشا مراكش الإقطاعي التهامي الأكلاوي بالتحرك .. فكانت مقابلة جلالة محمد الخامس له يوم 21 دجنبر حين عاتب جلالته على علاقته بحزب الاستقلال الذي يناهض سياسة الحماية الفرنسية وأعرب عن وفائه للحماية وشجبه لموقف العرش منها وعطفه على خصومها وكانت القشة التي قصمت ظهر البعير. فطرد الأكلاوي من القصر واشتدت الأزمة التي أفضت إلى قمع الحركة الوطنية وخلع جلالة محمد الخامس ونفيه، ثم في النهاية إلى الاستقلال.

خلال الأزمة ارتحل محمد الغزاوي إلى أوروبا ثم إلى الولايات المتحدة وهيئة الأمم المتحدة للالتحاق بوفود حزب الاستقلال التي كانت تقوم بالتشهير بسياسة فرنسا. وقام في الولايات المتحدة بمشاريع اقتصادية كان يسدد منها قسطا من نفقات الوفود الوطنية.

وبعد الاستقلال عاد إلى سالف سيرته في خدمة العرش ثم تقلد مناصب هامة في الدولة منها : إدارة الأمن الوطني، وسفارة المغرب في فرنسا وأنجلترا، وإدارة المكتب الشريف للفوسفاط، ووزارة التجارة.

توفي بالرباط سنة 1419 / 1998.

معرفة شخصية.

قاسم الزهيري

الغزالي والمغرب : كان الإمام أبو حامد الغزالي الطوسي (ت. 505 / 1111) أحد العلماء المتميزين في طروحاتهم الفكرية التي أثرت تأثيراً قوياً في مسيرة الفكر الإسلامي، سواء بمجهوده في علم الأصول أو في التصدي لأفكار الباطنية والفلاسفة أو في مجال التصوف.

وقد ارتبط المغرب بفكر الإمام الغزالي في سياق عرف تحولات فكرية وسياسية عميقة مست المغرب تحت حكم المرابطين والموحدين. وظهرت علاقة الفكر المغربي بتراثه في عدة مستويات :

1 ـ تتلمذ بعض العلماء المغاربة عليه : أشارت كتب التراجم إلى تتلمذ عدد من العلماء والصوفية المغاربة والأندلسيين على الإمام الغزالي بالمشرق، فمنهم من أخذ عنه سنده الصوفي مثل أبي محمد صالح بن حرزهم الفاسي الذي التقى به في بعض قرى بيت المقدس، وأبي بكر بن العربي المعافري الإشبيلي، وعن طريق هذين الرجلين دخلت تعاليم التصوف الغزالي وسنده إلى التصوف المغربي. ومن تلاميذه أيضا أبو الحسن علي بن أحمد بن حنين الكناني الذي أخذ عنه *موطأ الإمام مالك* وسكن مدينة فاس منذ عودته من المشرق سنة 503 إلى وفاته سنة 569 ؛ ومحمد بن جابر الماجري.

وحاولت الأدبيات الموحدية أن تثبت لقاء محمد ابن تومرت بالإمام الغزالي بواسطة مجموعة من الروايات لا تخلو من شبهة الانتحال. ويظهر أن ابن تومرت لم يعول في علاقته بالغزالي على الجانب الصوفي، بل اختار أن يرتبط به على طريق الأشعرية التي كان الإمام الغزالي أحد أئمتها الكبار.

2 ـ إعجابه بالتجربة المرابطية : لم يتردد الإمام الغزالي في الإشادة بالتجربة المرابطية، وذلك ما تؤكده بجلاء الرسالة التي بعث بها صحبة أبي بكر بن العربي إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين سنة 498 / 1105 ، وذلك بناء على ما كان يصله عن جدية أمير المرابطين والتزامهم بالشريعة وحماسهم للجهاد في الأندلس. وبلغت درجة إعجابه بالمرابطين إلى حد عزمه على زيارة المغرب للالتقاء بيوسف ابن تاشفين، لكن خبر وفاة الأمير سنة 500 / 1107 بلغه وهو يستعد في الإسكندرية لرحلته فأثناه عن عزمه.

3 ـ دخول كتاب *إحياء علوم الدين* إلى المغرب والضجة التي أثارها : على إثر دخول كتاب إحياء علوم الدين إلى الأندلس، وقع الفقهاء فيه على ما اعتبروه أخطاء علمية،

منها إيراده لبعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة، ولومه للفقهاء الذين فرقوا بين العلم والعمل، ودعوته إلى الربط بين الفقه والتصوف، فقرر بعض الفقهاء إحراق الكتاب، وتولى قاضي الجماعة بقرطبة ابن حمدين تنفيذ ذلك، فوقع إحراقه في كل من المغرب والأندلس سنة 503 / 1109، وتم حظره في جميع الدولة المرابطية، وجمعت نسخه من أصحابها، واستحلف من تشككت السلطة في حيازته لنسخة منه. وقد استدعت هذه الحملة مواقف مناقضة خاصة من الصوفية في العدوتين الذين سارعوا إلى الانتصار لكتاب الإحياء مثل أبي الفضل ابن النحوي التوزري الذي كان يقيم بسجلماسة والذي بعث برسالة إلى أمير المسلمين علي بن يوسف يلومه فيها على فعله. ورغم موقف الغزالي من المرابطين فإن ذلك لم يشفع له عند أمير المسلمين علي بن يوسف الذي تبنى موقف الفقهاء وترجمه إلى قرار سياسي بإعدام الكتاب ومنع تداوله.

4 ـ موقع الغزالي في البرنامج الفكري للموحدين : كان تركيز ابن تومرت على الانتساب للإمام الغزالي أمرا له دلالته في الصراع ضد المرابطين، ورغم ذلك فلا نلمس حضورا لكتاب *الإحياء* ضمن برنامجه الإصلاحي، لأن الفقيه المصمودي لم يسلم من الناحية العلمية بفكر الغزالي كله، واكتفى بتوظيف اسمه سياسيا.

غير أنه حصل خلال العصر الموحدي نوع من إعادة الاعتبار للإمام الغزالي ولكتابه *الإحياء*، خاصة وأن الحكم الموحدي نفسه كان يعلن نوعا من القرابة الفكرية مع تراث الغزالي. ويعود نشر فكر الغزالي خلال هذا العصر بالخصوص إلى الإقبال المتزايد للصوفية على كتابه *الإحياء*، وكان من أكثر المتحمسين لتدريسه أبو الحسن بن حرزهم (ت. 559 / 1164)، الذي "أحكم كتاب *إحياء علوم الدين* وضبط مسائله"، على أساس نسبة غزالية أخذها عن عمه أبي محمد صالح بن حرزهم تلميذ الإمام الغزالي، واستمر أثر هذا التوجه بالخصوص مع أبي مدين تلميذ أبي الحسن بن حرزهم، الذي كان شديد الملازمة لكتابي *الإحياء* و*قوت القلوب* لأبي طالب المكي، وكان يشرح هذا الجمع بين الكتابين بقوله : "كتاب *الإحياء* يورثك العلم، وكتاب *القوت* يورثك النور"، كما يظهر أثر *الإحياء* جليا في ابن الزيات صاحب *التشوف* الذي قال عن الطاعنين في الكتاب : "فما طعن عليه إلا علماء الدنيا الذين أظهر عوارهم".

وقد عم تأثير الإمام الغزالي التصوف المغربي، حيث أصبح طابعه غزاليا في جوانب عديدة ؛ جانب الأسانيد التي ربطت كبار صوفية المغرب بالغزالي مثل ابن حرزهم وأبي يعزى، وجانب الثقافة الصوفية التي أصبح اعتمادها قويا على كتاب *الإحياء* ؛ وجانب الممارسة الصوفية التي ركزت على العلم والعمل، وعلى الأخلاق بنفس الطريقة التي رسمها الغزالي في كتابه.

وانتشرت كتب أخرى للغزالي مثل كتابه *المستصفى في أصول الفقه* الذي أدخله إلى الأندلس تلميذه أبو بكر بن العربي المعافري، إضافة إلى كتبه الأخرى، وكان شديد الاهتمام بها. وقد وجد هذا الكتاب في عصر الموحدين سياقا مناسبا للانتشار نظرا لدقته وعمقه، فهو من الكتب التي أضافت جديدا إلى علم أصول الفقه، ومن مميزاته أيضا أنه شجع علم الخلاف الذي ظهر جليا في كتاب ابن رشد *بداية المجتهد ونهاية المقتصد*. لذلك أولاه الفيلسوف أبو الوليد ابن رشد عناية خاصة فقام باختصاره رغم معارضته للغزالي في مجال علم الكلام وفي جانب انتقاده للفلسفة. واختصر *المستصفى* أيضا أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن أبي جنون التلمساني (ت. 577 / 1181) قاضي الجماعة بمراكش، في كتاب سماه *المقتضب الأشفى من أصول المستصفى*.

لقد صارت كتب الغزالي نماذج للبرامج الإصلاحية في الفكر والسلوك خلال عصر الموحدين، وقد انزعج الفيلسوف أبو الوليد بن رشد من انتشار الفكر الكلامي والصوفي للغزالي وموقفه من الفلسفة اليونانية، ووجه له نقدا لاذعا في كتابه *الكشف عن مناهج الأدلة* استهدف موقفه العقدي المستند إلى المذهب الأشعري. كما انتقد بعنف مواقفه من الفلسفة اليونانية وطريقة تقبلها عند فلاسفة الإسلام، فرد على كتاب *تهافت الفلاسفة* للغزالي بكتاب سماه *تهافت التهافت*.

وعلى العموم فإن تقبل فكر الإمام الغزالي خاصة في الأوساط الصوفية بصيغ ومستويات مختلفة قد استفاد من تعاطف الموحدين معه، وساهم في تجاوز أزمة *الإحياء* التي خلقتها الثقافة الرسمية في عصر المرابطين، إلى الحد الذي يمكن القول معه إن التصوف المغربي قد أصبح تصوفا غزاليا.

ابن الأبار، *التكملة*، ج 1، ص. 288 ـ 290 ؛ ابن الزيات، *التشوف*، ص. 36 ـ 169 ؛ ابن عطاء الله، *لطائف المنن*، ص. 103 ؛ ابن عيشون، *الروض العطر*، ص. 65 ؛ ابن قنفذ، *أنس الفقير*، ص. 13 ؛ الغبريني، *عنوان الدراية*، ص. 33 ـ 34 ؛ ع. المجيد الصغير، *الفكر الأصولي وإشكالية السلطة العلمية في الإسلام*، بيروت، دار المنتخب، ص. 350 ؛ م. القبلي، *رمز الإحياء وقضية الحكم في المغرب الوسيط*، ضمن : *مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط*، الدار البيضاء، دار توبقال، 1987، ص. 21 ـ 51 ؛ م. مخلوف، *شجرة النور*، ص. 162 ـ 163.

محمد المغراوي

الغزّ أو الأغْزاز أو الأغُز، وهم طائفة من مماليك الترك المصريين وردوا على بلاد المغرب في القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي.

ويبدو وأن لفظ الغز لم يكن معروفاً في بلاد المغرب قبل هذه الفترة كما هو الشأن بالنسبة للفظي الأتراك والأكراد. وتفيد بعض المصادر بأن هؤلاء الأتراك قدموا إلى بلاد المغرب في القرن (5 / 11) قبل الغز واستخدمهم المرابطون وبنو زيري في جيوشهم. لكن الأمر اختلف بعد ذلك عندما أصبح لفظ الغز يطلق أيضاً على الأتراك أو الاكراد والعكس

صحيح مما جعل التمييز بين هذه الألفاظ صعباً خاصة في العهد الموحدي والمريني.

دخل الغز إلى بلاد المغرب عبر إفريقية قادمين من مصر في القرن (6 / 12) خلال مرحلتين : في المرحلة الأولى دخلت أول فرقة من هؤلاء منطقة برقة واستولت على مدينة طرابلس الغرب سنة 568 / 1172 بقيادة شرف الدين قراقوش. ويرى بعض المؤرخين أن صلاح الدين الأيوبي كان وراء إرسال هذه الحملة الغزية إلى بلاد المغرب لتنفيذ سياسته التوسعية في اتجاه المناطق الغربية لمصر ووضع حد لنفوذ الموحدين الذي بدأ يهدد دولة بني أيوب. لم يقف قراقوش عند طرابلس بل استمر في حملته على بلاد الجريد أيضاً مستغلا اضطرابات المنطقة وتمرد قبائلها ضد الموحدين.

وفي هذا الاتجاه تحالف زعيم الغز مع ابن الرند الثائر بقفصة سنة 575 / 1180 أيام الخليفة أبي يعقوب يوسف الموحدي ونجحوا في توسيع نفوذهم ليشمل إلى جانب طرابلس الغرب مدنا أخرى كقابس وقفصة، وازدادت قوة قراقوش بانضمام قبائل عربية وكذلك بنو غانية إلى حلفه لتندلع بذلك ثورة عارمة ساهمت كثيراً في تخريب البلاد ونهبها وهددت النفوذ الموحدي في حدوده الشرقية خاصة بعد قطع بني غانية لدعوة الموحدين بافريقية وإعلان تبعيتهم لبني العباس وذلك على إثر هزيمة الجيش الموحدي أمام هذا التحالف بفحص عمرة قرب قفصة في يوم 15 ربيع الأول من سنة 583 / 25 مايو 1187.

أمام هذا التحول الخطير في موازين القوى اضطر الخليفة الموحدي الجديد يعقوب المنصور إلى قيادة جيوشه بنفسه في حملة عسكرية كبرى إلى المنطقة في نفس السنة ومواجهة الغز والمتحالفين معهم، فالتقى الطرفان بالقرب من مدينة قابس ودارت الحرب على الغز وتمكن يعقوب من فتح المدينة في يوم الجمعة 9 شعبان من سنة 583 واعتقل أولاد قراقوش وأهله وأرسلهم إلى مراكش، ثم توجه إلى مدينة قفصة وحاصرها ثلاثة أشهر ليقتحمها بعد ذلك ويأسر من بها من الغز ويبعث بهم إلى الثغور لحمايتها حتى يكونوا تحت المراقبة المباشرة للمخزن الموحدي.

عندما استقر الغز في المغرب الأقصى شرع يعقوب المنصور ومن أتى بعده من خلفاء الموحدين في الاستفادة من خبرتهم وقوتهم العسكرية فألحقوهم بالجيش الموحدي النظامي وأشركوهم في حروبهم ضد النصارى بالأندلس فكان لهم ذكر في معارك عديدة خاصة معركة الأرك سنة 591 / 1195 ومعركة العقاب سنة 609 / 1212 ، كما استخدموهم في صراعهم مع بني مرين والقبائل المنافسة لهم خاصة في الفترات المتأخرة لدولتهم. ويفهم من كلام ابن خلدون أن هناك فرقة ثانية من الغز أو الاكراد دخلت المغرب الأقصى في مرحلة ثانية فراراً من هجومات هولاكو على بغداد بعد سنة 656 / 1258 ونزلوا على الخليفة الموحدي المرتضى بمراكش. وتتألف هذه الفرقة من عشيرتين هما بنولوين وبنوتابير فأكرمهم وأحسن استقبالهم وربما اندمجوا مع عناصر الفرقة الأولى وشكلوا مجموعة واحدة. ومباشرة بعد انهيار امبراطورية الموحدين وانقسامها إلى دول مختلفة تفرق الغز الذين كانوا في الجيش الموحدي بين هذه الدول ولجأوا إلى الخدمة في دولة بني عبد الواد بتلمسان وفي دولة الحفصيين بتونس وفي دولة بني الأحمر بغرناطة بينما بقي جزء كبير منهم في المغرب الأقصى في خدمة بني مرين سواء ضمن الجيش النظامي أو كمرتزقة إلى جانب العرب والروم يقومون بحراسة السلطان.

وتؤكد المصادر المرينية بكل وضوح أهمية حضور الغز في سياسة المخزن المريني وطبيعة استخدامهم لتحقيق طموحاته السياسية والعسكرية. فهذه المصادر لم تتكرقط مساهمات الغز في حروب الجيش المريني منذ قيام دولة بني عبد الحق سواء لدعم نفوذها بالمغرب الأقصى وحمايته من الثوار والمعارضين أو لمواجهة استفزازات بني عبد الواد بتلمسان وقبائل العرب بافريقية. إضافة إلى ذلك فقد أشادت نفس المصادر بالبلاء الحسن الذي أبلاه الغز في حروب الجيش المريني بالأندلس وما أبدوه من شجاعة حيث كانوا يتقدمون الجيوش المغربية لمحاربة النصارى في معارك عديدة خاصة معركة شريش سنة 684 / 1285.

ومع تعاظم أهمية السلاح الناري بدأ الغز يفقدون دورهم العسكري في المغرب في نهاية العصر الوسيط وبداية العصر الحديث، ولم تعد مصادر القرن (10 / 16) تتكلم عن أي حضور لهؤلاء الغز في الحياة العسكرية أو السياسية للمغرب ولكنها تتحدث عن الأتراك بصفة عامة علماً بأن وجود هؤلاء أصبح قوياً في شمال إفريقيا خلال العهد السعدي. ومن غير المستبعد أن يكون ما تبقى من الغز القدامى قد اندمجوا وانصهروا مع القادمين الجدد من الأتراك وبذلك لم يعد لهم أي ذكر يميزهم عن بني عمومتهم.

من الأسباب التي جعلت هؤلاء الغز يحظون بعناية واهتمام ملوك المغرب كونهم عرفوا بتجربتهم العسكرية ودرايتهم بفنون الحرب والقتال وتميزوا في استعمال نوع من السلاح كانت له أهمية قصوى في حروب العصر الوسيط وهو الرماية بالأقواس أو القسي حتى أن اسمهم أصبح لصيقابها فاشتهرت بأقواس الغز، وفي ذلك يقول الزهري : "... ومن عجائب هؤلاء القوم ما بلغنا من رمايتهم، وأنهم يرمون كورة في الهواء فيرمونها بالنبال فلا تقع في الأرض، وأنهم يرمون بالأقواس العربية رماية لا يرمي بها أحد غيرهم".

ولكفاءتهم تلك استعملهم ملوك المغرب إما كحراس لهم أو كجنود في جيوشهم النظامية حيث كانوا يتقدمون جميع الأجناد أثناء المعارك إلى جانب الرماة الأندلسيين والرماة السبتيين، وقد وصف المؤرخون في العصر الموحدي والمريني ما كان يتمتع به هؤلاء الغز من صبر وبلاء في الدفاع عن السلطان وفي محاربة العدو. وعند ولاية سلطان جديد نجدهم كباقي القبائل الأخرى يقدمون البيعة العامة ويضعون أنفسهم في خدمته وحراسته ومرافقته في جل تحركاته كما كانوا

يفعلون مع الخلفاء الموحدين الذين كانوا يصحبونهم في زياراتهم الخاصة لقبر المهدي بن تومرت بتينمل.

ويبدو من خلال الإشارات المصدرية أن هؤلاء الغز قد تميزوا عن باقي الفرق العسكرية العاملة في الجيش المغربي بتنظيمهم لعروض عسكرية خاصة بهم عند الاستعداد للحرب. فمثلاً عندما كان السلطان أبو عنان المريني يتهيأ لحملته إلى قسنطينة وبلاد الزاب اصطفت الجيوش أمامه في ساحة خارج فاس الجديد سنة 758 / 1356 ، وكان في مقدمة الموكب قواد الجيش من بني مرين والعرب والأندلسيين والأعلاج والوصفان والأغزاز، كل قائد له علمه ونظامه الخاص به، وتميز قواد الأغزاز عن غيرهم بالطبول والمزامير كعادة المماليك في مصر، وجعلوا بأعلى أعلامهم شعارهم الذي عرفوا به منذ مجيئهم إلى المغرب وحافظوا عليه وهو عبارة عن خصلة من الشعر كانت تسمى في مصر وبلاد الشام أيام الايوبيين والمماليك بالجاليش.

ومن العادات والتقاليد الأخرى التي حافظوا عليها بالمغرب إبقاؤهم على لحاء طوال يضفرونها كشعور النساء، إذا أسبلها الواحد منهم تبلغ لحيته إلى بطنه وربما بلغت إلى سُرّته.

لا نعرف بالضبط عدد الغز الذين دخلوا بلاد المغرب أو الذين استخدموا في الجيش المغربي، والإشارة الوحيدة التي نتوفر عليها تخص عهد السلطان أبي الحسن المريني حيث بلغ عدد الغز في جيشه 1500 فارس وكثير منهم استقروا في جهات معينة من المغرب الأقصى كفاس ومراكش والسوس الأقصى وكانت لهم بها مقابر خاصة.

من مظاهر عناية ملوك المغرب بالغز أن منحوهم امتيازات وإقطاعات مهمة، وخصصوا لهم إنعامات ورواتب عالية ومنتظمة. ففي عهد الموحدين مثلاً كان الغز يتقاضون راتباً شهرياً سمي بالجامكية بينما كان الاجناد المغاربة يأخذون رواتبهم ثلاث مرات في كل سنة أي مرة واحدة في كل أربعة أشهر، إضافة إلى ذلك خص الخليفة يعقوب المنصور الموحدي فرقة الغز بما سمي بالبركة وأوصى الموحدين بإبقائها لهم حسب وصيته المشهورة : "... وهؤلاء الأغزاز أمرنا لهم بهذه البركة يأخذونها فاتركوها على مارتبنا وربطنا لأن الموحدين لهم سهام يرجعون إليها وليس للأغزاز سهام". وبدون شك استمر الغز في الاستفادة من نفس الامتيازات والرعاية عند ملوك بني مرين.

اشتهر من غز بلاد المغرب شخصيات معدودة كقواد عسكريين وسفراء وأدباء ووزراء وولاة، ومن أبرز هؤلاء نذكر شخصاً كان يدعى شعبان بن كوجبا أو كوحيا الذي ولاه يعقوب المنصور على ولاية مدينة بسطة بالأندلس وأقطعه بها قرى كثيرة تغل في كل سنة نحواً من تسعة آلاف دينار، وكانت لشعبان هذا محاورات شعرية مع المؤرخ عبد الواحد المراكشي، ثم خضر بن محمد قائد عشيرة بني لوين من الغز في جيش يعقوب المريني، وسلمان بن حسن وأخوه علي قائدا عشيرة بني تابير الغزية في عهد نفس السلطان المريني، وكان لعلي هذا ولد اسمه موسى كان السلطان يوسف المريني اصطفاه من بين قواد الغز وربي بين حريمه وكشف له عن داره لينتقل بعد ذلك إلى تلمسان لخدمة ملوك بني عبد الواد الذين ولوه الوزارة والحجابة وقيادة جيوشهم حيث كانت له صولات وجولات ضد الحفصيين بإفريقية.

ومن بين هذه الشخصيات أيضاً المدعو أيدغدي الشهرزوري الذي قربه السلطان يوسف المريني إلى مجلسه وقدمه حتى صار في منزلة وزير وبعثه بالهدية إلى صاحب مصر في ركب المغاربة المتوجهين للحج. كما اشتهر عند الحفصيين شخص يدعى محمد بن يحيى ابن القالون الحاجب والمزوار في دولتهم.

الزهري، *كتاب الجغرافية* ، تح. م. صادق، مكتبة الثقافة الدينية، الظاهر، د. ت، ص. 60 ـ 61.

E. Fagnan, *Extraits inédits relatifs au Maghreb*, Alger, 1924, p. 416 ; Ghuzz, *Encyclopédie de l'Islam*, 1977, T. II, p. 1132 - 1137 ; R. Dozy, *Supplément aux dictionnaires arabes*, Beyrouth, 1981, T. 2, p. 210 ; M. Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du moyen âge*, Paris, 1986, p. 230 ; A. Khaneboubi, *Les premiers sultans mérinides*, éd. L'Harmattan, Paris, 1987, p. 57, 138 - 139, 156, 166.

رشيد السلامي

الغزّال، أحمد بن **المهدي** الغزال المالقي الحميري ثم الفاسي من الأسر الأندلسية المهاجرة إلى المغرب وهو من بيت علم ووجاهة مخزنية، فأبوه المهدي اشتغل كاتبا بالبلاط الإسماعيلي إلى حين وفاته بعد سنة 1140. وأما ابنه أحمد فتلقى دراسته بالقرويين وكانت نشأته بين فاس ومكناس بجانب والده الذي اهتم بإعداده لخطه الوظيفة المخزنية. ويحدثنا المؤرخ أبو القاسم الزياني بأن أحمد الغزال كان من جملة رفاقه أيام الطلب بالقرويين وممن التحقوا بخدمة السلطان محمد بن عبد الله لما تولى الملك سنة 1171، فقال عنه في كتابه *الترجمانة الكبرى* : "ولما سألنا عمن كنا نألفه من الطلبة في القراءة والأنس وجدنا أكثرهم تعلق بخدمة السلطان سيدي محمد بن عبد الله لما بويع كالفقيه أحمد بن ناصر العباشي والفقيه الأديب أحمد الغزال و.... ". وجل المترجمين له يصفونه بالكاتب الفقيه الأديب الأريب.

وحلاه صاحب *سلوة الأنفاس* بقوله : "كان رحمه الله فقيهاً أديباً بل كان آخر أدباء الوقت".

والحديث عنه باعتباره أديباً وكاتباً مخزنياً وسفيراً يعكس نموذجا من النخبة المغربية التي احتضنها المخزن وتعلقت به وخضعت لتوجيهاته في سبيل خدمة بلادها والدفاع عن قضاياها في المحافل الدولية. ورغم تعرفه على الحضارة الأوربية وتقدمها العلمي والعسكري من خلال سفارته لإسبانيا سنة 1179 ، فإنه لم يبد انبهاره بها بل ظل محافظا على قيمه الروحية ومعتزاً بالآثار الإسلامية بالأندلس ومباهيا بوفرة خيرات المغرب وازدهار اقتصاده معجباً بقواته وفرسانه. ولعل رحلته المسماة *نتيجة الاجتهاد*

في *المهادنة والجهاد* تعبر عن مواقفه وآرائه وثقافته واهتماماته الفنية والاجتماعية، ويقدم فيها كذلك صورة عابرة عن المجتمع الإسباني.

خلف أحمد الغزال أربع رسائل ورحلته السفارية لاسبانيا وهي :

- الرسالة الأولى : *الأطروفة الهندسية والحكمة الشطرنجية الانسية* وهي في حجم كراسة في أربعة فصول في شكل غريب الصنع.

- الرسالة الثانية : تحت عنوان *نتيجة الفتح المستنبطة من سورة الفتح* وهي في مدح السلطان محمد بن عبد الله استنبط فيها ما اشتملت عليه حروف أول سورة الفتح

- الرسالة الثالثة : *اليواقيت الأدبية بجيد الملكة المحمدية*.

- الرسالة الرابعة : وهي ترجمة للشيخ أبي عبد الله محمد بن عيسى شيخ الطريقة العيساوية ودفين مكناس وهي تقع في سفر صغير وقد طبعت بمصر سنة 1348 / 1929 وعنوانها *النور الشامل في مناقب فحل الرجال الكامل*.

- *نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد* وهي رحلته السفارية إلى إسبانيا نحا فيها منحى سلفه الوزير الغساني سفير السلطان المولى إسماعيل إلى إسبانيا أيضاً والذي دون رحلته تحت عنوان *رحلة الوزير في افتكاك الأسير*.

أشار أحمد الغزال في بداية رحلته إلى رغبة كارلوس الثالث ملك إسبانيا في استقبال مبعوث السلطان محمد بن عبد الله فقال : "ومن جملة ما طلب من سيدنا المنصور بالله أن يتفضل عليه ليبعث أحد خدام حضرته العلية ليطأ بالنعل أرضه ويستوعب من إقليمه جله وبعضه ..." فحظي طلبه بموافقة السلطان "أن ما طلبه الطاغية من بعث أحد خدامنا لبلاده هو هنا على بال غير أن القصد منا مخالف لما قصد مباين لما ارتقب ورصد. وانما اهتمامنا بذلك أوجبته الرحمة والشفقة بأسارى المسلمين ..." وقد عين السلطان خالبه القائدين أبا يعلى عمارة وأبا عبد الله محمد بن ناصر سفيرين عنه لكارلوس كما عين أحمد الغزال كاتبا لهما. ولعل الغزال ادرك بحدسه أن صاحبيه يصعب عليهما القيام بمهامهما فكتب لأحد الوزراء طالبا منه أن يشرح للسلطان هذا الأمر ومما جاء في قوله : "إني أريد منك أن تعرف أمير المؤمنين أن هذين الرجلين لا معرفة لهما بقوانين النصارى واني قد خفت عاقبة الأمر فيما ينشأ عن رأيهما" فلا يؤاخذني أمير المؤمنين بشيء من ذلك إن كان. وأخيراً تم اختياره لرئاسة البعثة والاحتفاظ بصاحبيه عضوين فقال معتزا بهذه المهمة المنوطة به وبمكانته المخزنية :

"وقدم لهذا الأمر المعتبر والغرض المحتم بالعقل والنظر أحد كتابه وخديم أعتابه وملازم أبوابه والمحافظ على أوامره في ذهابه وإيابه غزال أمداحه والمضاهي لنجباء مداحه لخلوص محبته وصدقه في خدمته" واستغرقت سفارته ثمانية شهور ذهابا وإيابا انتهت بعقد الهدنة وفك 290 أسيراً مغربياً واسترجاع 290 مخطوطا وعند رجوع البعثة المغربية صاحبها السفير الاسباني فتم استقبالها مع الاسرى بمراكش.

ولما أنهى السفير الاسباني مهمته كلف الغزال بتوديعه ومرافقته إلى مدينة الصويرة التي مكثا فيها شهرين في انتظار وصول السفينة.

وفي سنة 1182 استطاع السلطان محمد بن عبد الله أن يفك الاسرى المسلمين بإسبانيا وكلهم جزائريون وعددهم 1600 فعهد إلى كاتبه أحمد الغزال بالإشراف على تبادل الأسرى الاسبانيين والجزائريين، فتوجه إلى الجزائر لهذه المهمة الانسانية والسياسية.

لم يدم صعود نجم أحمد الغزال طويلا، فرغم حذره من النصارى وادعائه معرفة قوانينهم ومناوراتهم فإنه أدى ثمن غفلته وتقصيره في تحرير المواثيق والعهود حسب زعم المؤرخين فكان ضحية تزوير العقد الذي أمضاه مع الإسبان ولم ينكشف هذا التزوير إن صحت روايته إلا بعد أن حاصر السلطان مدينة مليلية في فاتح محرم سنة 1185 وقصفها بالقذائف عدة أيام. وأمام هذه الحالة ذكره الملك كارلوس الثالث بعقد الهدنة والصلح المبرم مع الغزال. وحسب الوثيقة التي بيد الإسبانيين فان الهدنة تكون بحراً وبراً حيث عمدوا إلى إبدال لام الالف بالواو في حين يعتقد السلطان أن الهدنة معهم في البحر لا غير وانتهى الأمر برفع الحصار ومعاتبة الغزال وعزله من وظيفته. وعقب المؤرخ الناصري على هذا التزوير بقوله : "وكان من حقه أن يأتي بعبارة مطولة ومفصلة حتى لا يمكن تحريفها ..."

وبعد هذا العزل، أقام أحمد الغزال بقية حياته بفاس مغتماً وفاقدا بصره إلى أن توفي بتاريخ 15 جمادى 1191.

دفن بزاوية الشيخ عبد القادر الفاسي.

أ. المهدي الغزال، *نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد*، تح. إسماعيل العربي، أبو القاسم الزياني، *الترجمانة الكبرى*، ص. 60، نشر عبد الكريم الفيلالي، *تاريخ محمد بن عبد السلام الضعيف*، تح. أحمد العماري ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 8، 8 ؛ 24. 8 ؛ 38. 8 ؛ 40 ؛ م. بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 1 ؛ 331 ؛ عبد الرحمان ابن يدان، *إتحاف أعلام الناس*، ج 3 ؛ العباس بن إبراهيم، *الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات في الاعلام*، 2 ؛ 293، تح. عبد الوهاب بنمنصور ؛ عبد السلام بن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى* ؛ ل. بروفنصال، *مؤرخو الشرفاء*، تر. عبد القادر الخلادي ؛ م. الأخضر، *الحركة الأدبية في عهد الدولة العلوية*، ص. 312.

محمد ماكامان

الغَزّالْ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Algatzel ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان منها : علي الغزال كان له سفن قرصانية بوادي مرتين سنة 929 (1523).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

الغزّي، أبو الحسن علي من متصوفة فاس خلال النصف الثاني من القرن السادس الهجري / الثاني عشر للميلاد. لم يرد له ذكر فيما رجعنا إليه من المصادر باستثناء كتاب *المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد* لمحمد التميمي الفاسي المتوفى سنة 603 أو 604 / 1207 . 1208 . أصله من بلاد الأندلس واستوطن مدينة فاس وتوفي بها في النصف الثاني من القرن السادس الهجري على ما نرجح. وقد أورد التميمي ترجمته استناداً على رواية أبي محمد عبد الحق المومناني أحد "أصحاب" الشيخ الغزي من الفاسيين ؛ ومنها يتضح أن أبا الحسن الغزي قد خرج عن الناس وهو ابن سبْع سنين، وأقام مع الأولياء والسياح ثمانية عشر عاماً، وبعد ذلك رجع إلى الناس وخالطهم.

م. التميمي، *المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد*، مخطوط، ورقة، 68 . 69.

محمد الشريف

الغزو ، نمط إنتاج، يشكل هذا المفهوم إطارا نظريا عاما لتوصيف وتنميط التشكيلة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي انتظمت سيرورة تطور بنيات المجتمع العربي الإسلامي بصفة عامة، والمجتمع المغربي بصفة خاصة، خلال أزمنة التاريخ الوسيط. وقد صاغ هذا المفهوم المفكر المغربي محمد عابد الجابري في إطار مقاربته للإشكاليات التاريخية والسوسيولوجية المعقدة والحاسمة التي يطرحها الفكر الخلدوني فيما يرجع تحديدا لطبائع "*منظومة العمران البشري* " وما يلحق بها من عوارض وتبدلات ضمن مجال حيوي مخصوص هو مجال انتقال المجتمع العصبي من طور البداوة إلى طور الحضارة. وقد حظي هذا المفهوم النسقي باهتمام خاص من قبل الدارسين والمتخصصين في تاريخ المغرب السياسي والاجتماعي والاقتصادي والأنثروبولوجي نظراً لما يقدمه من أدوات إجرائية وتفسيرية، ليس لفهم خصوصية التجربة الحضارية والتاريخية للمجتمع المغربي فحسب، وإنما أيضا لإدراك خواص التجارب العربية الإسلامية ككل سواء في إطار ماضيها البعيد أو في اتجاه امتداداتها إلى الواقع. على أن ما يميز هذا الأسلوب من الإنتاج إنما يتمثل عموما في الثوابت التالية :

إن القوى التي يرتكز عليها هذا النمط من الاقتصاد وتمثل قوام هويته الاجتماعية، هي قوى حربية مجبولة على القتال والمنازلة، عارفة بفنونهما ومتمرسة على أساليبهما، أكثر مما هي قوى اقتصادية تمارس أنشطة إنتاجية صرفة. لذلك فإن العلاقات الناشئة في ظل هذا الصنف من الاقتصاد بين مختلف الأطراف الاجتماعية ليست في أصلها علاقات مادية تابعة لاختلاف المواقع الاجتماعية أو تكاملها في بنية الإنتاج العامة كما هو الحال بالنسبة للمجتمعات الزراعية أو الصناعية مثلا، وإنما هي علاقات عصبية تلعب فيها روابط القرابة والنسب المشترك دور المنشط لكل مظاهر التلاحم أو التعارض بين الأفراد والجماعات البدوية.

إن الأساس الذي يمثل عصب هذه النحلة المعاشية ومصدر نموها وقوتها وتوسعها هو أساس الجاه باعتباره "القدرة الحاملة للبشر على التصرف في من تحت أيديهم من أبناء جنسهم بالإذن والمنع والتسلط بالقهر والغلبة ليحملهم على دفع مضارهم وجلب منافعهم في العدل بأحكام الشرائع والسياسة وعلى أغراضه فيما سوى ذلك" على ما قال ابن خلدون. لذلك فهو أساس هش وغير منتج، لأنه لا يقوم على إرادة استثمار واستغلال أوجه المعاش المتاحة بقدر ما يقوم على نهب الخيرات الجاهزة والمتوفرة طبيعية كانت كالمراعي ومنتجات الحيوانات أو غير طبيعية، كالجبايات والمغارم وأصناف المصادرات والاحتجانات.

وتبعا لذلك، فإن الملك بوصفه الغاية التي تجري إليها العصبية، لا يتحقق في سياق هذا الأسلوب من الإنتاج إلا من خلال أواصر التعاضد والترابط العصبي التي تفضي بالجماعات القبلية متى بلغت درجة قصوى من النعرة والغلبة، إلى الاستحواذ على الملك والاستئثار بثمراته ومكاسبه. ولذلك، فإن عملية الانتقال من خشونة البداوة إلى رقة الحضارة التي هي في الأصل عملية تحول في أنماط الحياة وسبل تحصيل المعاش وكيفيات إدارة الملك، لا تتم على أساس تطور كيفي وتدريجي في وسائل الإنتاج وطرق تحصيلها وأشكال استثمارها وإنما على أساس آليات الغزو وتغريم الأموال والزيادة في أنواع المجابي بضروب شتى.

وبالجملة، فإن هذا النوع من الاقتصاد القائم على حضارة الاستهلاك والغزو المنظم والاحتكار الفاحش للخيرات والممتلكات والأموال العامة هو في نهاية الأمر اقتصاد نخبوي استهلاكي ترفي مغلق تقتسم موارده النخبة الحاكمة وبطانتها من الجند ورجالات الدولة. ولذلك فهو اقتصاد غير قابل للنمو والتطور والتراكم لأنه مرتبط دوما بمصادر دخل مؤقته وغير ثابتة، وبظروف سياسية غير قارة، هي ظروف قوة السلطة السياسية ومدى تمكنها من محكوميها.

ابن خلدون، *مقدمة*، 279 .289 . 389 . 393 ؛ م. عابد الجابري، *فكر ابن خلدون*، 405 . 421 ؛ م. عابد الجابري، *العقل السياسي العربي*، 57 . 197، علي أمليل، *الخطاب التاريخي*، 147 . 170 ؛ عبد الله العروي، *ثقافتنا في ضوء التاريخ*، 38 . 44 ؛ ن. نصار، *الفكر الواقعي عند ابن خلدون*، 189 . 279.

الفقيه الإدريسي

الغزْواني، أحمد بن المختار، قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلته بني گرفط (انظر إلى حركة المقاومة المسلحة التي تزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني) وقد شارك في مؤتمرات الثورة التي عقدت :.

- بضريح سيدي يسف التليدي يوم 7 ماي 1913.
- عين الدالية يوم 11 من نفس اليوم.
- ضريح مولاي عبد السلام بن مشيش يوم 20 يوليوز 1913.

- قرية الزوة يوم 11 يناير 1915.
وقد شارك في 19 معركة.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة بشمال المغرب*، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

الغزواني، الحسن ولد سنة 1904 بآيت عتاب دائرة ابزو إقليم ازيلال.

كان من الرعيل الأول لرواد الحركة الوطنية حيث إن مهنته كمساعد مقدم مع السلطات الفرنسية بالمنطقة خلال فترة التلاثينيات سمحت له بالاطلاع عن قرب على ما كان يمارسه المستعمر على المغاربة من مضايقات وأعمال وحشية، فنشأت لديه أفكار نضالية بحيث أصبح يعمل على عقد الاجتماعات السرية بمنزله لتوعية السكان والتنسيق بين بعض الخلايا السرية التي تكونت بآيت عتاب، ورغم المضايقات التي كان يتعرض لها من حين لآخر من الفرنسيين فقد ظل متشبثا بوطنيته الصادقة إلى أن نال المغرب استقلاله.

وقد وافته المنية رحمة الله عليه يوم 26 . 12 . 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 509127.

الغزاوني، صفية ولدت سنة 1920 بالسماعلة إقليم خريبگة من أبويها الغزاوني وفاطنة بنت أحمد.

شاركت في الحوادث الدامية التي عرفتها مدينة وادي زم يوم 20 غشت 1955 أثناء الانتفاضة الشعبية العارمة التي نظمت تخليدا للذكرى الثانية لنفي جلالة المغفور له محمد الخامس وأسرته الملكية. فخرجت جموع المواطنين في انتفاضة نضالية تطالب بالاستقلال وبرجوع رمز الأمة. وعندما تدخلت قوات الاحتلال الفرنسي لتفريق جموع المواطنين بقوة السلاح، سقط العديد من الضحايا في ساحة الشرف، كانت من بينهم الشهيدة صفية الغزاوني.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 520936.

الغزواني، عبد الله بن عجال، ينتسب لغَزْوان قبيلة من عرب تامسنا (الشاوية). قيل إنه علوي وهو قول لا يستند إلى دليل. كان يدرس أول أمره بمدرسة الوادي من عدوة الأندلس بفاس، فسمع بأبي الحسن علي بن صالح الأندلسي وذهب إليه ولازمه أياما. وطلب منه أن يسلك به طريق التربية النبوية فأشار عليه بالشيخ التباع (صاحب الوقت).

فسافر إلى مراكش ولازم شيخه الجديد يشتغل في زاويته. واستعمله على حياطة بستانه. فأظهر في ذلك خضوعا وطاعة وجدية. وأذن له بعد عشر سنوات من الخدمة بفتح زاوية له ببني فزكار بالهبط. وذاع صيته بها وكثر أتباعه، خاصة وأنه ينتمي إلى المنطقة.

وكان والده تنبأ له بذلك، اذ كان يردد في المجامع "عندي ابن تركته يقرأ العلم سيكون له شأن، وله من الأتباع عددما في صابة الزبيب من حبوب كبيرها حلو وصغيرها حلو".

وتضايق السلطان أبو عبد الله محمد بن الشيخ من هذه الشعبية، خاصة وأن الدولة كانت تمر بفترة ضعف واضطراب، فأمر حاكمه على الهبط بارساله إليه مكبلا. وسجن مدة بفاس، ثم أطلق سراحه على أن يفتح زاويته بفاس لتكون تحت مراقبة السلطة. فأسسها داخل باب الفتوح.

ومع ذلك لم تتحسن علاقته مع الوطاسيين، فقد اصطدم بالناصر أخ السلطان المريني بسبب شقه لساقية من وادي اللبن إلى فاس لمساعدة الناس على السقي خلال سنة من سنوات القحط.

فقرر مغادرة فاس إلى مراكش. وتنسب إليه أثناء ذلك عبارة (أيا يا سلطنة من فاس إلى مراكش) يفسرون بها انتقال الحكم من المرينيين إلى السعديين في هذه الفترة بالذات. ووقف إلى جانب السعديين يشجع الناس على الصمود والتصدي لمواجهة الوطاسيين أثناء حصارهم لمراكش الذي انتهى بالكرة الحديدية التي تحطمت على صدره !!!

والغزواني هو وارث سر التباع، مع وجود عدد من كبار تلامذته، أمثال عبد الكريم الفلاح، ورحال الكوش، وعلي بن إبراهيم، وسعيد بن عبد المنعم. وقد اجتمعوا لدى الفلاح لاختيار خليفة للشيخ ودار بينهم حوار أبدى فيه كل واحد إمكاناته ومواهبه.

وكانت مداخلة الغزواني (أنا سلطانكم، وصاحب سكتكم، عندي تضرب. فمن طبعت درهمه أو دينار جاز، ومن لا فلا). فسكتوا استنكاراً إلا أنه أقنعهم بكرامة من كراماته. وقد سبق أن ذكرنا طبع التباع لدرهم ابن عيسى، بمعنى أن الغزواني ورث الطبع (او المشيخة والتربية) عن شيخه. وما زال الناس يطلقون على الغزواني (مول الطابع).

طريقته الصوفية :

طريقته شاذلية جزولية تقوم على حب الرسول (ص) والصلاة عليه والمداومة على ذكر الله تعالى، فقد روى الإمام القصار أن الغزواني كان من كبار المحبين لرسول الله (ص). وأوصى مريديه وأتباعه بترك الفضول والأشتغال بالدنيا بسلطانها وحكامها وحثهم على الاهتمام بالسبحة ولا إله إلا الله محمد رسول الله (ص).

وهكذا جاءت وظيفته جامعة بين آيات الذكر الحكيم وترديد الصلوات على النبي.

يتصل الغزواني بالجزولي عن طريق شيخه عبد العزيز التباع واتصال الجزولي بالشاذلي معروف فقد أخذ عبد الله محمد أمغار - عن سعيد الهرتناني - عن أبي زيد عبد الرحمان الرجراجي - عن أبي الفضل الهندي - عن أحمد عنوس البدوي - عن أحمد القرافي - عن أبي عبد الله محمد المغربي - عن أبي الحسن الشاذلي.

الدور التربوي والعلمي :

نهض الغزواني كغيره من الصوفية بدور تربوي علمي، إذ تصدر للتدريس وتربية المريدين.

وقد احتفظ ابن عسكر بوثيقة مهمة عن دروس الغزواني وعلاقته مع مريديه.

وقال الهبطي كذلك : (وكان إذا رأى من تحرك في حلق الذكر أو يقصر في خدمته ضربه بعصا لا تفارقه. وكل من ضربه يفتح الله عليه في الحال) وعلق ابن عسكر على هذا قائلاً : (رأيت ضربة فوق حاجب الشيخ سيدي أبي محمد الهبطي هشمت العظم كان ضربه إياها الشيخ الغزواني، وكانت تثور عليه إلى آخر عمره وكان أبو محمد الهبطي يقول كل ما فتح علي به إنما هو من بركة الغزواني.

وكانت له زاويا بالهبط وفاس ومراكش.

وكان الغزواني وصوفية مراكش يدرسون الكتب الفقهية والدينية كمختصر الشيخ خليل، والإحياء والحكم العطائية وشرح ابن عباد لها إلى جانب قصائد التصوف.

الدور الاجتماعي

تتعاقب على الإنسان حالات يشعر فيها بالخوف من البشر أو الطبيعة أو يعجز عن تحقيق رغباته فيكون اللجوء إلى الولي هو السبيل الوحيد للتخلص من الخوف ومقاومته أو تحقيق الرغبة، ويصبح الأمر أكثر أهمية عندما تصير هذه الحالات تهم مجتمعا بكامله.

ويكون الاعتماد على الولي مبنيا على اعتقاد راسخ في قدرته الخارقة على الإغاثة والإنقاذ بواسطة الكرامة. لهذا حرص المجتمع على ان يكثر أولياؤه، منهم من يحمي البلاد أو يحمي مدنا بعينها أو أحياء ودروبا ومداشر.

وأهم الادوار التي نهض بها الغزواني :

ـ الإطعام : لم يكن خاصا بالطلبة والمريدين وإنما يشمل عامة الناس خاصة في وقت المجاعات والأوبئة، فمنذ سنة 922 / 1516 ظهر ضعف في الإنتاج بسبب الجفاف الذي استمر سنة 923 / 1517 وتسبب سنتي 926 ـ 927 / 1519 ـ 1525 فيما سماه صاحب (*الاستقصا* بالغلاء الكبير حتى كادت المدينة أن تفرغ من السكان سنة 929 / 1522 وتعاقبت عليها الأوبئة ما بين 927 و930 / 1520 و1523 فكان الغزواني لا يحتفظ بشيء يذكر من أسباب الدنيا بل كل ما تيسر له دفعه لذوي الحاجات.

التجهيز الفلاحي

لم يكن الإطعام كافيا لتدهور الوضع الاقتصادي بالمغرب في مطلع القرن (10 / 15م) بسبب ضعف الدولة والصراع بين ملوكها والاحتلال البرتغالي والإسباني لبعض المدن، وتردد الاوبئة والمجاعات. فكان لا بد من القيام بعمل مضمون النتائج يلبي حاجيات الناس.

فعن أبي عبد الله الدقاق أن شيخه الغزاوني كان دأبه الحركة في أسباب الحراثة واستخراج المياه.

وكان التقليد أن كل من حفر ساقية صنع طعاما للناس (وسيلة للتخفيف من آلامهم في فترة المجاعة) وتشير المصادر إلى الساقية العظيمة التي أخرجها من وادي اللبن لم تكن في سواقي السلطان وغيره مثلها. وكانت سببا في خصامه مع أخ السلطان. وقد وجه الغزواني مريديه نحو الاهتمام بالسقي والفلاحة لإطعام المحتاجين ومساعدتهم فكان له الفضل في تعمير بعض المناطق سواء تلك التي لم يكن فيها سكان أصلا أو التي غادرها سكانها منذ العصر الموحدي.

وفي الحوز أمر مريديه عبد الله بن ساسي وعبد الله بن حسين الأمغاري بفتح زاويتين الأولى على ضفة نهر تانسيفت، والثانية بتامصلوحت، وأذن لأبي يعقوب التلبدي بفتح زاويته ببني تليد، وأمرهم بشق السواقي، وتجهيز الأراضي، وحفر الآبار، وإطعام الوافدين.

مؤلفات الغزواني

يضم كتاب (*النقطة الأزلية في سر الذات الإلهية*) آثار الغزواني كلها. لهذا اعتقد بول نويا في حديثه عنه أنه عبارة عن كتابين (*أضواء على التصوف المغربي من خلال آثار الشيخ عبد الله الغزواني*) ففي الكتاب :

ـ مجموع شعر الغزواني ما يناهز 2400 بيت.

ـ مراسلات مع بعض مشايخ العصر كاللقاني والهبطي حول موضوعات صوفية وأجوبة على تساؤلات بعض مريديه في حلقات الذكر والدرس.

ـ دعواته وأوراده.

ـ كلامه عن الطريقة والمقامات والتربية والمشيخة.

ـ سيرته الذاتية وعلاقته بشيخه التباع وشيوخ عصره.

توجد منه نسخ بالخزانة العامة بالرباط والخزانة الحسنية وخزانة ابن يوسف إلا أنها غير تامة، وتوجد نسخة تامة عند حفدة الشيخ.

وللتعرف على موضوعات شعره، وتحليل كتابته الصوفية ومجموع آثاره العلمية بتفصيل يرجع إلى كتاب *الحركة الصوفية بمراكش وأثرها في الأدب*، الجزء، 2.

أ. بن خالد الناصري، *الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى*، الدار البيضاء، 1954 ؛ ع. بن إبراهيم المراكشي، *إظهار الكمال في تتميم مناقب أولياء مراكش سبعة رجال*، مخطوط، خ. ح. رقم 233 ؛ أ. بن محمد الشريسي، *أنوار السرائر وسرائر الأنوار*، مخطوط، خ. ع. الرباط، 984 ؛ م. الغالي بن المكي الأندلسي، بادرة *الاستعجال في مناقب السبعة رجال*، مخطوط خاص، بالرباط ؛ م. المهدي الفاسي، *تحفة أهل الصديقية بأسانيد الطائفة الجزولية الزرقية*، خ. ع. الرباط، ج 76 ؛ ح. جلاب، *الحركة الصوفية بمراكش وأثرها في الأدب*، الجزء الثاني، مراكش، 1994 ؛ م. بن عسكر، *دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر*، تح. م. حجي، ط. دار المغرب، الرباط، 1976 ؛ م. بن محمد المؤقت المراكشي، *السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية*، ط. حجرية، 1335 ؛ م. الصغير الإفراني المراكشي، *صفوة ما انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر*، ط. حجرية بفاس ؛ م. المهدي الفاسي، *متع الأسماع في ذكر الجزولي والتباع ومالهما من الاتباع والالماع*. ط. حجرية بفاس، 1313 ؛ م. بن العباس السوسي الجزولي، *المواهب*

القدسية في أسانيد بعض المشايخ الصوفية، مخطوط، خ. ع. الرباط، ج 97.

Paul Pascon, *Le Haouz de Marrakech* ; G. Deverdun, *Marrakech dès origines à 1912*, Rabat, 1959.

حسن جلاب

الغزواني، المسعطي ولد سنة 1903 بقبيلة أولاد السلاوي، وادي زم، إقليم خريبگة.

شارك في حوادث 20 غشت 1955 بوادي زم، وكان من بين المواطنين الذين عبروا عن نشاطهم الفدائي وقاموا بأعمال تخريبية ضد مصالح المعمرين الأوربيين بالمنطقة.

وقد صرعته رصاصة العدو في يوم ثورة الملك والشعب.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 520880.

الغساني ← **الوزير الغساني**

عصاوة ← **اغصاوة**

العصاوي ← **الاعصاوي**

غساسة، سكان قلعة ومدينة أثرية بقبيلة قلعية بالشمال الشرقي المغربي، ينتمي تجمعها إلى تحالف نفزة، احتكر سكنى الساحل الغربي من قلعية ما قبل الفتح الإسلامي إلى جانب ورتدى البطوئيين، وجماعات من مطماطة وبني يفرن، يعرفون محليا بإخساسن، وإغساسن كان لهم دور في استقبال التجارة الصحراوية، مما مهد لظهور القلعة والمدينة في بداية القرن السابع الهجري على يد المرينيين المستقرين بقلعة تازوطا منذ عام 609.

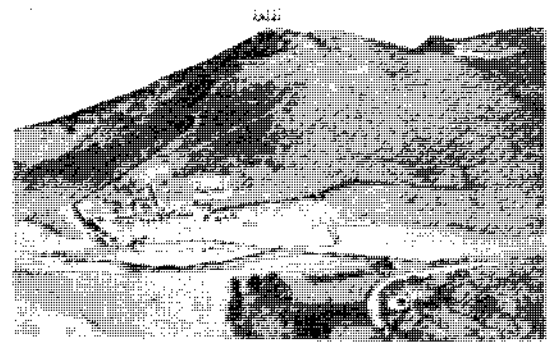

. اختار المرينيون بناء المدينة على كدية بساحل خميس بني بوغافر في حدوده مع خميس بني شكر. تعرفنا على عمرانها من خلال البحث الأركيولوجي وبعض الرسوم والزيارة الميدانية. وهي مكونة من قسمين :

القلة : لفظ محول عن أصله العربي القلعة ليفيد معنى القمة التي تعلو الكدية. وباسم الكدية والكدية البيضاء عرفت في التواريخ والوثائق الأراغونية. تقع القلعة أو الحصن بالقسم الأعلى من الكدية بارتفاع نحو 70 مترا. تبدو قاعدة الحصن الصخرية بما يشبه مائدة معلقة منعزلة بارتفاعها عن سفوح الكدية، لذا كان الصعود إليها يتم عبر سلم صخري منحوت في الصخر بالحافة الجنوبية من القاعدة، وما تزال ستة عشر منها ماثلة للعيان.

المدينة : تغطي مساحتها السفوح الثلاثة الشرقية والجنوبية والغربية من الكدية، وقد كشفت عمليات الحفر عن أهم معالمها من أسوار ومرافق. وأظهرت أن أهم قسم عمراني هو الواقع بين أنقاض الزاوية الجنوبية الغربية من محيط الكدية بجوار ملتقى كل من مياه واد حلوبة وواد غساسة.

وتغني الرسوم والأسوار الملحقة عن كل وصف. وتدل مجموعة البقايا الأثرية الراقدة بالمكان على أنه القسم التجاري الذي كان مقصد تجار الأندلس وجنوة والبندقية وأراغون وجزر البليار. وكشف الحفر أيضا عن وجود ورش معدني لم يتم التعرف على نوع تخصصه.

وتقابل المرافق التجارية مجموعة أخرى من الأنقاض بجوار الزاوية الشرقية الجنوبية من سور المدينة، وربما كانت مخصصة لسكنى الأعيان.

ويحيط بالمدينة سور يصل طوله إلى كيلومترين كان في بداية القرن العاشر الهجري قائما، ولا يزال رسمه وبعض الأجزاء منه بارزة إلى اليوم. ويتتبع خطه نلاحظ امتداده على طول السفح الجنوبي من الكدية على شكل مثلث، قاعدته الكبرى مسايرة لمجرى واد حلوبة.

وهناك سور آخر يبدأ من زاوية انتهاء السابق باتجاه جنوبي طوله مائتا متر، يبرز منه برجان كبيران يواجهان كدية سيدي مسعود الغساسي (أروف إرسحن وكدية الأنقاض). وهذا هو الجانب المهم من المدينة. ويوازي السور المذكور من الداخل امتداد سور آخر طوله خمسون مترا، لبشكل اقترابهما فراغا يصبح ممراً ينتهي إلى الباب الرئيسي النافذ إلى قلب المدينة. اختير لهذا الباب الاتجاه الجنوبي المقابل لالتقاء واد حلوبة بواد غساسة، ويبدو أن المرينيين اعتنوا بتحصين المدينة من حدها الجنوبي الموازي لمجرى واد حلوبة بالإكثار من الأبراج والزيادة في عرض السور وعلوه.

والجدير بالملاحظة أن التحريات الأثرية كشفت النقاب عن

وجود قرية صغيرة تقع خرائبها مقابل كدية غساسة، تدعى محليا بتاعرورت، وهو ما يقابل الكدية، لا يفصلها عن المدينة سوى مجرى واد حلوية، بينما تشرف من ناحيتها الغربية على واد غساسة، ومن المعتقد أنها شكلت النواة الأولى للمدينة.

تلك هي المدينة التي قال عنها ابن خلدون : "ومنهم غساسة، وبقية منهم لهذا العهد بساحل بطوية، حيث القرية التي هناك حاضرة البحر ومرسى لأساطيل المغرب، وهي مشهورة باسمهم"، ولهذا السبب دبرت مليلة المحتلة وسيلة اغتصابها في أقرب الآجال.

ولا بد من العودة إلى تصور الظروف الوطنية والمحلية المساهمة في تسهيل مهمة الإسبان. وفي حال غساسة كان محمد الشيخ الوطاسي قد توفي سنة 910 / 1504. ففي أواخر ذي القعدة أو أوائل ذي الحجة من سنة 911 / أبريل 1506 استولى حاكم مليلة على حين غفلة على القلعة والمدينة معاً. وقد سرد الحسن الوزان طريقة الاستيلاء الإسباني بما يشبه احتلال مليلة، متعللا بانشغال السلطان المريني الحديث العهد بثورة أحد أقربائه.

استمر الاحتلال الإسباني لغساسة إلى غاية سنة 939 / 1533، حيث تمكن القلعيون من استرجاعها بوسائلهم الخاصة. وقد وصل إليها القائد علي العطار الأندلسي يوم 14 جمادى الثانية 939 / 11 يناير 1533 موفدا من فاس، لكنه غادرها بعد أسبوع بعد أن ترك حامية مؤلفة من ثمانين فارسا وخمسين من الرماة.

غير أن هذا لم يمنع من اختفائها فقد غابت عنا أخبارها منذ أواخر خمسينيات القرن العاشر الهجري إلى أن أعلن مارمول كاربخال عن تخريبها على عهد عبد الله الغالب وذلك قبل سنة 979 / 1571 ، وكان التخريب قد أسلمها للنسيان ليستمر إلى الوقت الحاضر.

ح. الفكيكي، *المقاومة المغربية للوجود الإسباني بمليلة*، الدار البيضاء، 1997 ؛ مليلة حاضرة قلوع كرط، *دار النيابة*، 7 : 1985 و9 : 1986 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1980 ؛ مارمول كاربخال، *أفريقيا*، الرباط، 1984 ؛ ضابط الأمور الوطنية، تطوان، 1952.

Fernando de Castro, *Historia y exploracion de las ruinas de Cazaza*, Madrid, 1943.

حسن الفكيكي

الغسال، الحسن بن محمد الشياظمي أصلا، الطنجي منشأ وداراً، المراكشي مدفنا. ولد في 16 جمادى الآخرة عام 1283 / 1866 ، وتربى في حجر والده الذي كان أمينا بثغر طنجة، فحفظه القرآن الكريم، وحبب إليه العلم وأهله، فقرأ ما تيسر له من العربية والفقه على علماء بلده، ثم شد الرحلة إلى مدينة فاس في أوائل القرن الحالي، وأدرك بقية الصدور من علماء القرن الثالث عشر كالشيخ محمد بن المدني كنون، والشيخ أحمد بن أحمد بناني كَلاَّ، والشيخ محمد بن عبد الواحد بن سودة، وغيرهم. وعاد إلى بلده طنجة سنة 1305 / 1887 حين بلغه مرض والده الذي لم ينشب أن توفي في السنة نفسها.

اشتغل بالكتابة بدار النيابة السلطانية، والنائب يومئذ هو الحاج محمد الطريس وذلك سنة 1309 / 1891، ولم يزل يترقى إلى أن أصبح الكاتب الأول للنائب. وبعد ذلك عين لفصل بعض دعاوى الأجانب بمرسى الدار البيضاء، وقضى في هذه المهمة سنة كاملة. ثم عين في سنة 1319 / 1901 ناظراً للأوقاف بطنجة، وفي السنة التي بعدها عين عضواً في الوفد الذي مثل المغرب في حفلة تتويج (إدوارد السابع) ملك انجلترا، برياسة الباشا عبد الرحمن بن عبد الصادق. وماكملت هذه السنة حتى زار الملك المذكور جبل طارق، فعين مع الباشا المذكور علاقاته.

وفي أواخر سنة 1322 / 1904 انتدب مع بعض الشخصيات من مختلف أنحاء المغرب للمداولة مع سفير فرنسا (سان رينى طاياندييه) بفاس، واستغرقت هذه المهمة 18 شهراً حتى انتهى مؤتمر الجزيرة الخضراء.

وفي سنة 1325 / 1907 عين معتمداً للجنة التعويضات عن خسائر وقعة الدار البيضاء المشهورة.

وفي السنة التالية كلف مع جملة من الأمناء بتصفح ديون الأجانب بدار النيابة بطنجة، ثم كلف بالوقوف على بعض الأراضي المتنازع فيها بين بعض المواطنين وإحدى الشركات الفرنسية بالمغرب.

وفي سنة 1331 / 1912 عين خليفة أول لباشا طنجة إلى أن استقال طلبا للراحة، ثم أعيد تعيينه في نفس الوظيفة سنة 1336 / 1917 وبقي فيها إلى سنة 1340 / 1921 حين أعفي منها بطلبه. وأنعم عليه بكثير من الأوسمة.

وبالجملة فالرجل كان مجموعة كفايات ومزايا، فهو من أهل العلم وحملة القلم، وهو رجل سلطة.

توفي رحمه الله يوم الجمعة 16 جمادى الآخرة عام 1358 / 1939 بمدينة مراكش فجأة ودفن يوم السبت بروضة الولي الصالح سيدي علي بن قاسم المجاورة لجامع الكتبية.

مؤلفاته : ترك إحدى وخمسين رسالة أو تأليفاً أو تقييداً، اشتملت على مواضيع مختلفة من فقهية، وأدبية، وتاريخية، واجتماعية، يختلف نفسه فيها بين المحافظة، والتجديد، ويتراوح أسلوبه بين التسامح والتجويد.

جريدة *الميثاق* لرابطة علماء المغرب، عدد 253 و254، سنة 1977؛ *موسوعة أعلام المغرب*، ج 8، ص. 3068 ؛ *فهرس المخطوطات العربية*، 2 : 240 ؛ معجم المؤلفين، 3 : 288.

أحمد متفكر

الغساني، أبو **القاسم الوزير** بن محمد : عرف به الأستاذ حجي في *الحركة الفكرية*، فقال : " شيخ الأطباء ونقيبهم، وعميد الصيادلة وخبيرهم"، ونعته ابن القاضي في *درة الحجال* : بـ "الأديب الناظم، الناثر، المؤلف، له في الطب موضوعات، وله كتاب في الأعشاب". أما المقري فقد خصه بترجمة مختصرة في كتابه *روضة الآس*، وكان قد لقيه بمدينة فاس، وروى له أشعاراً، وموشحة فريدة في المدح، نعته بقوله : "تفرد حفظه الله بعلم الطب بالحضرتين، وشارك في سائر العلوم".

أخذ علم الطب عن أبيه، وسائر العلوم عن الإمام المنجور والقاضي الحميدي وغيرهما، وقد ترك جملة من المؤلفات أهداها إلى السلطان أحمد المنصور السعدي منها : *حديقة الأزهار في الأعشاب والعقار*، *والروض المكنون في شرح أرجوزة ابن عزرون*، *ومغني الطبيب عن كتب أعداء الحبيب*.

ذكر المقري في *روضة الآس*، ص. 222 "أن الوزير الغساني رحل إلى المشرق، وقرأ على جملة من علمائه ومنهم القاضي بدر الدين القرافي، والإمام السنهوري، مشيراً إلى انقطاع أخباره في المشرق".

المقري، *روضة الآس*، ابن القاضي، *درة الحجال*، 3 : 289 ؛ *نفح الطيب*، تح. إحسان عباس، 2 : 249 ؛ ابن إبراهيم، *الإعلام*، 10 : 23، م. حجي، 2 : 381 ؛ ع. الجراري، *موشحات مغربية*، ص. 127 ؛ ابن منصور، *أعلام المغرب العربي*، 2 : 144، ن. المربني، *شعر الفشتالي*، ص. 66.

نجاة المربني

الغساني، الوزير محمد بن **عبد الوهاب** الفقيه المشارك المتفنن أبو عبد الله محمد المدعو حمّ بن عبد الوهاب الغساني الأندلسي نجاراً الفاسي داراً كان من كتاب السلطان المولى إسماعيل، تميز لديه بما كان عليه من جودة الأسلوب وحسن الإدراك وسرعة التنفيذ في صناعة الترسيل. كان السلطان يأمره بكتابة رسائل عديدة للعمال وغيرهم فيذهب الكاتب إلى منزله ويحرر ما أمر بكتبه ثم يأتي بذلك ويعيده على مسامع السلطان فيرضى عليه. وكان من علامة رضاه عليه أن أوفده في سفارة إلى إسبانيا لدى ملكها كارلس الثاني لافتكاك أسرى المسلمين عام 1102 / 1690 ـ 1691. وكان من ثمرات تلك السفارة تقييد مفيد عنوانه *رحلة الوزير في افتكاك الأسير*. يعتبر على شكل باقي الرحلات المغربية بمثابة تقرير عن إسبانيا وعن غرائبها في نظر المغاربة بداية القرن الثاني عشر من الهجرة الموافق للعقد الأخير من القرن السابع عشر من الميلاد. فمما أثار انتباه السفير قيام الفنادق على طول الطرق الإسبانية فقال : "فعند كل مسافتين أو ثلاثة مسافات يجعلون فندقاً أو داراً معدة لنزول الضيوف والمسافرين فإذا وصل المسافر إلى موضع منها ينزله ويجد فيه من الطعام ما يشتهيه وما تبلغ إليه مقدرته كل على قدر وسعه ويجد العلف لدوابه والفراش لنفسه فيأكل ويستريح ويطعم دوابه ..." كما وصف نظام المطاعم العمومية قائلاً : "من عادة النصارى أن لا يخبز أحد منهم بداره وجميع مونته إنما هي عالة على السوق من كل شيء وبالسوق عدة حوانيت لطبخ الطعام وصنعه للغرباء والضيوف والمسافرين الذين ليس لهم موضع معهود فيدخل الرجل للحانوت فيحتكم على المرأة التي به ويطلب منها من الطعام ما يشتهيهُ [...] فيأكل ويشرب ويدفع للمرأة ما يجب عليه في ذلك". ويتعجب من نظام البريد فيقول : "وبسوق مادريد أيضا موضع للرسائل والبراوات الواردة من جميع البلدان والأقاليم والأقطار، فإن في كل يوم من أيام الجمعة ترد رسائل بلد من البلدان، فمن كان يرتجي ورود براءة يمضي إلى الحوانيت المعدة لذلك وينظر هل أتاه شيء، أم لا [...] وكذلك من يحب بعث رسالة إلى بلاد يكتبها أيضاً ويطرحها في الموضع المعلوم ولا يعطي عليها شيئاً فإن الذي يتسلمها هو الذي يخلص كراءها". ويتكلم على سياسة إسبانيا الداخلية وعن "الانكسيون" التي تبحث "عمن فيه لمزة يهودية ولو بأدنى سبب" ويشير إلى ما يتوقع من النزاع بين القوى الأوربية حول وراثة العرش الإسباني لأن الملك القائم كارلس الثاني كان لا ينجب. وتلك إشارات تدل على فطنة الكاتب وعلى قدرته على بسط الأمور بأسلوب سلس مبسط.

وقد توفي سنة 1119.

الغساني محمد بن عبد الوهاب، *رحلة الوزير في افتكاك الأسير*، ح. فريد السبتاني، طنجة، 1940 ؛ ابن سودة عبد السلام، *موسوعة أعلام المغرب*، تح. محمد حجي، بيروت، دار الغرب الإسلامي.

إبراهيم بوطالب

الغساني، محمد بن **محمد** بن يحيى بن محمد يحيى بن جابر، أستاذ فقيه علامة، نزيه محقق، له باع طويل في الفقه والحديث والتفسير. يقول عنه ابن زيدان : "فقيه عالم، ذكي، واعية حافظ متضلع مطالع نقاد ... غساني الأصل، نسبة إلى غسان ... وهي قبيلة كبيرة من الأزد شربوا من ماء غسان وهو باليمن فسموا به". أخذ عن والده العالم محمد، وعن الشيخ يحيى بن يحيى.

أخذ عنه الإمام محمد ابن غازي العثماني الذي قال عنه في *الفهرس* : "جالسته بمكناسة واستفدت منه كثيراً ومن أغبط ما أخذت عنه المصافحة المروية من طريق الخضر. كما أخذ عنه الإمام سقين العاصمي.

ويشير عبد الرحمن ابن زيدان أنه لم ير من تعرض لولادة المترجم ولا ولوفاته ممن ترجموا له كأحمد بابا في *نيل الابتهاج* وابن غازي في *الفهرس*. ويظهر على حد قول ابن زيدان أنه عمر طويلا.

ابن زيدان، *الإتحاف*، 4، ص. 46 ؛ ابن غازي، *الفهرس*، التحلل برسوم الإسناد، تح. م. الزاهي، دار المغرب، الدار البيضاء، 1979.

الغساني، محمد بن **يحيى** بن محمد بن يحيى بن جابر الغساني، فقيه علامة، له في العلم مشاركة حسنة،

رفيع القدر والشأن، أستاذ في القراءات السبع وتجويد القرآن والحديث والتاريخ والطب. كما أن له عارضة كبيرة في النثر والشعر. تحدث عنه تلميذه ابن غازي في *الفهرس والروض الهتون* قائلاً ما نصه : "الأستاذ المقرئ، الشاعر المجيد المحسن شيخ شيوخنا ... ذو التصانيف الحسان والقصائد العجيبة ...". ويقول عنه ابن القاضي في *الجذوة* :"الفقيه الأستاذ من أهل مكناسة، دخل مدينة فاس، وأخذ عنه الإمام القوري، له نظم رحال الحلية، وله في علم التعبير نظم فائق وله نزهة الناظر". أما ابن زيدان في *الإتحاف* فيحليه بـ "فقيه عالم ناظم ناثر وشاعر مجيد، محسن، حافظ، لا فظ ذكي واعية، متقن متضلع نقاد، أستاذ مقرئ .. راوية ذو دين متين واطلاع كبير ورسوخ وتضلع زائد واقتدار وإمامة كاملة في المعقول والمنقول..."

أخذ العلم عن شيوخ عصره الكبار أمثال الفقيه عبد الله بن محمد الذكواني الأندلسي، والشيخ ابن قاسم بن داوود السلوي، والشيخ الإمام محمد بن علي المراكشي، والشيخ الفقيه الأديب أحمد بن يحيى بن عبد المنان كاتب السلطان وغيرهم ... وأخذ عنه عدة علماء منهم قاسم بن محمد القوري ومحمد بن قاسم القوري وعبد الرحمن بن محمد العبدوسي.

من مؤلفاته :

نظم المراقبة العليا في تعبير الرؤيا، و*نزهة الناظر* وهي عبارة عن رجز بديع في التعريف ببلده مكناس اقتبس منه صاحب الروض الكثير في حديثه عن مكناس، وتأليف في رسم القرآن، وتسميط البردة للبوصيري، ونظم رحال الحلية، وشرح على منظومة التلمسانية في الفرائض وهو شرح حفيل ملأه درراً وفرائد.

وقد أورد كل من ابن القاضي وابن زيدان في *الإتحاف* بعضا من نظمه الجميل.

وهناك كتاب باسمه يقع بحومة التوتة بمدينة مكناس محمولاً على سقايتها مبني على الطراز المريني، مازالت آثار جماله بادية للعيان ولا يستبعد ان ابن جابر كان يلقي به بعض دروسه لذا حمل اسمه.

توفي بمدينة مكناس عام 827 / 1424.

ابن زيدان، *الإتحاف أعلام الناس*، ج 3، ص. 590. 594 ؛ ابن غازي، *الروض الهتون*، ص. 57 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، ج 1، ص. 317 ؛ ر. بلمقدم، *أوقاف مكناس*، ج 1، ص. 139. 141.

رقية بلمقدم

الـغضبان (أولاد -)، مركز شاطئي بعيد عن الجديدة بحوالي 11 كلم نحو الجنوب، قد اتخذ هذه الصفة الحضرية منذ إحصاء 1994 وبعد إنهاء مدّ شبكة الماء والكهرباء (1988) بتجزئة سكنية لها طابع حضري وسط فضاء ريفي محاذ لدوّار أولاد الحاج علي وللتجمع القروي الذي يحمل اسمه (أولاد الغضبان أو الغضابنة). وهو موقع محصور بين الطريقين السّاحلية والشاطئية عند الحدّ الشمالي لامتداد منطقة الجرف الأصفر الصناعية.

وقد أنشيء المركز لامتصاص قسم من السّاكنة المجاورة التي اضطرت إلى الرحيل عن أراضيها الفلاحية ومساكنها الريفية على إثر نزع 3000 هكتار من جماعة مولاي عبد الله لإقامة مشروع الجرف الصّناعي. ويتعلق الأمر بسكّان خمسة دواوير كاملة وبجزء من سكان دوارين، أي بمجموع 2468 نسمة و4899 أسرة إلى حدود إحصاء 1994.

في الأصل كان مشروع التجزئة قائماً على تجهيز 8,5 هكتارات تضمّ 216 بقعة ذات التصميم الموحّد وفي فئة 132 $م^2$ ترصد منها 42 $م^2$ لإيواء الماشية. غير أنه تدريجياً وقع تقسيم الكثير من البقع إلى مسكنين أو تحويل الخظائر إلى مساكن إضافية. وذلك راجع إلى مجموعة من الأسباب الأساسية :

- إقبال الناس على اكتراء هذه الدور بجميع مرافقها أو ببعضها بنسبة تقترب من نصف المنازل ؛
- الارتفاع النّسبي لثمن شراء الأرض المجهزة بسعر 150 درهم للمتر المربّع ؛
- ضعف التعويضات عن نزع الملكية المدفوعة من وزارة التجهيز والمكتب الشريف للفوسفاط، بقيمة 10 000 درهم للهكتار البوري و50 000 درهم للهكتار المسقي.
- هزال الموارد الطبيعية والاقتصادية بالمنطقة والطابع الموسمي لبعض الأعمال غير الفلاحية، حيث إن أكثر بقليل من نصف المشغّلين ينتمون للقطاع الصناعي و17٪ يمتهنون الصيد ولقط الطحالب.

والآن، قد اكتمل تشييد تقريباً كلّ المساكن المبرمجة وبموادّ صلبة ووفق تصميم منتظم، فإن وجه المشهد المعماري تغيّر، بل وأخذت تمثل التجزئة نموذجا يقتدى به في تحسين الإطار العمراني للدوارين المجاورين قصد تكوين مركز ضاحوي حقيقي في امتداد مولاي عبد الله (4 كلم) وغير بعيد عن الجرف الأصفر (5 كلم). على أنّه مازال ثمة نقص في التجهيزات الجماعية والبنيات التحتية (الترصيف والتصريف) وتباين في المستويات الاجتماعية والمعمارية، كما لازال السّكان النازحون لم يستأنسوا بعد بالحياة اليومية والاقتصادية الجديدة التي قطعت الأواصل الوثيقة باستغلال الأرض.

زيارات ميدانية ؛ س. نصيف، *ظاهرة التمدين والأنشطة الاقتصادية بساحل منطقة دكالة*، دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب، الرباط، 1998. 1999.

مصطفى عباد

ابن **الـغضبان، صالح** من مواليد سنة 1930 بخنيفرة شارك في حوادث الانتفاضة الشعبية العارمة التي نظمتها حركة المقاومة المغربية في مدينة خنيفرة يوم 20 غشت 1855 بمناسبة الذكرى الثانية لنفي محمد الخامس وأسرته الشريفة.

وخلال هذه الانتفاضة قام الشهيد بأعمال جريئة كإحراق وإتلاف مصالح المستعمر.

ولما تدخل جنود الاحتلال لقمع جموع المتظاهرين وتفريقهم بقوة السلاح سقط في ساحة الشرف العديد من الضحايا من بينهم صالح بن الغضبان وذلك بتاريخ 20 غشت 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 511825.

الغضفة بنت المدني رحال مثال حي على كفاح المرأة المغربية. فهي من مواليد قلعة السراغنة سنة 1935 من أبويها المدني رحال وآمنة بنت القائد أحمد، وهي زوجة الشهيد عبد الرحمان المخنت المعروف ببطولاته في المقاومة ورئيس منظمة اليد السوداء.

وعند انتقالها صحبة أسرتها إلى مدينة الدار البيضاء بدأت في عملها مع المقاومة السرية بالمدينة فكانت تنقل السلاح وتوزعه على الفدائيين. كما كان منزلها من أهم المعاقل لإخفاء الفدائيين الفارين. وقد عملت مع المقاومين بكل شجاعة إلى أن افتضح أمرها أثناء تربص الشرطة الفرنسية بزوجها عبد الرحمان المخنت حيث ألقي عليها القبض بمنزلها. غير أنها لم تبح بأي سر عن نشاط زوجها ومنظمته.

وبمجرد إحساسها بقدوم زوجها لمنزله صرخت بأعلى صوتها تحسسه بوجود العدو الدخيل بالمنزل حتى يتسنى له الهروب وذلك ما تم فعلا فما كان أمام رجال الشرطة إلا إطلاق النار عليها، سقطت إثره شهيدة ملبية واجبها الوطني، وكان ذلك بتاريخ 28 يناير 1956.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 524141.

الغطاس كما في المعاجم طائر مائي من رتبة كفيات القدم Podicipédiformes ومن فصيلة Podicipitidae، يألف البحيرات ويتغذى من الأسماء الصغيرة. منه ثلاثة أنواع تعيش مع البط والإوز في البحيرات والسدود ومصبات الأنهار المغربية.

- الغطاس المتوج Podiceps cristatus يسمى بالفرنسية Grèbe huppé وبالإنجليزية Great crested grebe وبالإسبانية Somormujo lavanco وبالإيطالية Svasso maggiore. يتميز بخصلة من الريش الأشقر المسود على رأسه، رمادي أسمر على الجناحين والصدر وأبيض على بطنه وأسفله، ذيله قصير يحمل غدتين تفرزان مادة زيتية تجعل الريش كتيمة، عنقه طويل ممتد نحو الأمام. للقوائم أربعة أصابع، ثلاثة منها ملتحمة بواسطة غشاء سباحي والرابع الخلفي حر. يحسن السباحة والغطس وكثيراً ما يحجب عن الأنظار تحت الماء أزيد من دقيقتين. المنقار مستدق الرأس وكبير. الإناث شبيهة بالذكور ويبلغ طول بسطة الجناحين 75. 85 سم وطول الجسم 48 سم وتزن الكبيرة 700. 1100 غرام. طائر يفضل العزلة يعيش منفرداً أو مزدوجاً ومنه عدة وحدات أوروبية تشتي في بحيرات وسدود الأطلس المتوسط وخاصة منها ضاية عوا وإفراح وسيدي علي وتكلمامين والعزيزة، وشائع أيضا في مصب نهر ملوية وسد محمد الخامس وسد سيدي محمد بن عبد الله وبحيرة سيدي بوغابة وسوس ماسة والمنصور الذهبي وغيرها من السدود الكبرى والبحيرات القارية. بعض الأفراد مستقرة في المغرب وتتوالد في عدة بحيرات منذ أبريل إلى يونيو. توضع الأعشاش بين الحشائش الكثيفة الملتفة وسط البحيرات ومصبات الأنهار. يتراوح عدد البيض بين 3. 5، طول قطرها 5.5 سم وتزن 38 غرام. يحضن البيض مدة 25. 29 يوماً. تغادر الصغيرة العش مباشرة بعد التفقيس وتحسن الغطس والطيران بعد شهرين.

- غطاس أسود العنق Podiceps nigricollis ويسمى بالفرنسية Grèbe à cou noir وبالإنجليزية Black necked grebe. يختلف عن الغطاس المتوج بحجمه الصغير حيث لا يتعدى طول الجسم 30 سم بريش أشقر خلف العينين. تشتي المجموعات الأوروبية في مختلف البحيرات القارية والسدود ومصبات الأنهار. منه عدة وحدات مستقرة في مختلف المناطق المغربية.

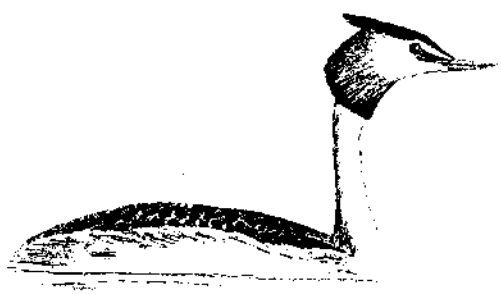

- غطاس صغير Tachybaptus ruficollis ويسمى بالفرنسية Grèbe castagneux وبالإنجليزية Dabchick. لا يتعدى طول الجسم 27 سم وله خصلة صغيرة من الريش

الأبيض أسفل العين. شائع في مختلف البحيرات القارية طيلة الشتاء والربيع ومنه عدة وحدات مستقرة في المغرب.

م. رمضاني، *البط*، *معلمة المغرب*، الجزء 4، ص. 1264 ـ 1265 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*, 1979, 320 p. ; C. Harrison, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleurs*, Elsevier, 1977, 430 p.

محمد رمضاني

غُطّيس، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Cortes ؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Cotes ؛ نسبة إلى مدينة إسبانية تحمل اسم Cortes.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

الغفارة وتجمع أيضاً على صيغة غفارات (*معجم البلدان*) ومفردها غفارة وهي لباس خفيف شفاف يلبس فوق الثياب شبيه بالعباءة إلا أنه أخف منها وأرق (*لسان العرب*) وقد اختص بلباسه منذ العصر الوسيط علية القوم من أفراد المخزن وأعوانه وباقي الأعيان ولبسه الخلفاء الموحدون واختصوا بلون مُعين لا يزاحمهم فيه أحد، لكن بعض السادة والأعيان وبعض أشياخ الموحدين تجاوزوا الأعراف والتقاليد ولبسوا غفائر بألوان الخلفاء فامتعض من ذلك الخليفة يعقوب المنصور، يقول ابن عذاري : "ولما كان الزوال برباط تازة التفت المنصور إلى ساقته فرأى أكثر القرابة من الإخوة والعمومة قد اصطفوا واختصوا لباس الغفائر الزيبيبة والبرانيس المسكية فأنكر عليهم ملازمة ذلك الزي لكونه من زي الخليفة في حالتي ركوبه وجلوسه في كل موطن ... فجمعهم (السيد أبو زيد) وذكرهم بعوائد الأمر والمحافظة على آدابه ... ويتجنبوا أفعال الخليفة المختصة به فلم يعد أحد منهم بعد ذلك للباس تلك الألوان المختصة بالسلطان".

وكانت الغفائر ألبسة رفيعة ينعم بها السلاطين على أعوانهم مثل ما فعل أبو يعقوب يوسف الموحدي في إحدى المناسبات "... ثم أنعم عليهم بالكسوة التامة من العمائم والغفائر" (*المن*)، لكن ذلك لا يعني أن هذا النوع من اللباس ظهر في العهد الموحدي، فقد عرفه المرابطون ولبسه أمراؤهم وأعيانهم. لكن الانتشار الواسع لهذا اللباس كان في العهد لموحدي. "... ولما وصل إليها (أغمات) أبو بكر بن عمر بعث إليه (يوسف بن تاشفين بهدية أهداها إليه وكان معظم ما فيها 25 ألف دينار من الذهب ومنها 100 غفارة" (*الحلل*).

ولم تكن الغفائر تستورد إلى المغرب رغم أن أصلها ليس من المغرب. فقد صنعها المغاربة وبرعوا في نسجها وخياطتها كما يفهم من حديث صاحب (*معجم البلدان*) عن سجلماسة : "... ولنسائهم يد صناع في غزل الصوف فهن يعملن منه كل حسن عجيب بديع من الأزر تفوق القصب الذي بمصر يبلغ ثمن الإزار 35 ديناراً وأكثر كأرفع ما يكون القصب الذي بمصر ويعملون منه غفارات يبلغ ثمنها مثل ذلك ويصبغون بأنواع الأصباغ".

اختفى اسم الغفائر في المصادر اللاحقة واختفت الغفارات نفسها، فاللباس الرفيع مرتبط بالازدهار والازدهار مرتبط بالاستقرار وهذا فقده المغرب منذ العصر الوسيط الأدنى.

ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة*، بيروت، 1964 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، تطوان، 1960، بيروت، 1948 و1985 ؛ مجهول، *الحلل الموشية*، الدار البيضاء، 1979 ؛ ياقوت الحموي، *معجم البلدان*، طبعة مصر، 1906 ؛ ابن الزيات، *التشوف*، الرباط، 1956 و1984 ؛ العمري، *مسالك الأبصار*، فاليان الجزائر، 1924 وورقات محمد المنوني ؛ المقري، *أزهار الرياض*، نشر اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي، *معجم لسان العرب*.

محمد حجاج الطويل

الغلاسة (Galléasse) أو الجلاسة، سفينة من الأنواع المتوسطية المجذافية شائعة الاستعمال منذ القرن 9 / 15، وهي أثقل من القادس وأكثر السفن الطويلة شبها بالمراكب الدائرية. ولذلك اعتمدت منذ القرن 10 / 16 في أساطيل شمال إفريقيا كنوع انتقالي بين القادس المجذافي والغليون الشراعي، لا سيما وقد جهزت بثلاثة صوار وبتجسير الهيكل. وبمقابل هذه الامتيازات اتسمت بطول وعرض

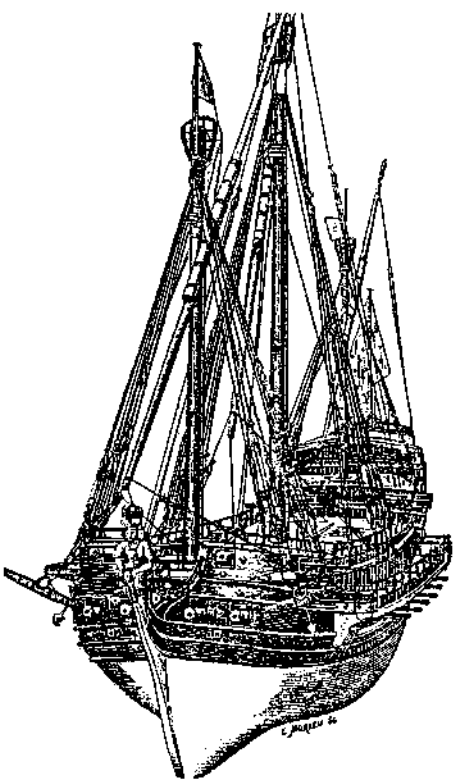

وارتفاع واضح، مما كان له تأثير كبير على بطئها وعلى صعوبة تسييرها، وعدم ملاءمتها بالتالي للعمل في الأعماق الضحلة، مما سيجعلها أقل حضورا في الأسطول المغربي خلال القرن 11 / 17، ومن ثم اندثارها تماما.

النخيلي، *السفن الإسلامية*، ص. 27.

A. Du Sein, *Histoire de la marine de tous les peuples*, éd. Firmin/Didot, Paris, 1879, p. 38 ; Stanley Lane Poole, *The Barbary corsairs*, Darf publishers ltd, London 1984 (1e éd. 1890), p. 206 note et 231.

حسن أميلي

غلايب، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس من أفرادها : عبد الله بن قاسم غلايب فقيه كان ناظراً على أحباس جامع سيدي بن مسعود العيون سنة 1059 (1649) وقد تولى خطة العدالة بالمدينة سنة 1071 (1661).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

الغلاوي، محمد بن عبد العزيز بن حَامَّنّ الغلاوي. ولد بشنقيط حوالي سنة 1284 / 1867. أخذ العلم على يد عمه ابن حَامَّنّ. لما قدم على الشيخ ماء العينين اتخذه قاضيا له وأستاذاً لأبنائه ومريديه وكاتبا من كتابه. شارك في كثير من المعارك التي شنها أبناء الجنوب المغربي في الصحراء على الجيش الفرنسي في أدرار كالمينان ودامان وانيملان واگجوجت وغيرها. بعد وفاة الشيخ ماء العينين ظل يمارس نفس المهام التي كان ينهض بها في السمارة، فلازم الشيخين أحمد الهيبة ومربيه ربه. كما مارس التدريس في مسجد إيفني، وظل بها إلى أن توفي في العاشر من ذي القعدة سنة 1375 / 1955.

خلف عدة أعمال أدبية وعلمية منها بعض *الأجوبة الفقهية* وكثيراً من الأشعار في الحكم والأمداح النبوية والإخوانيات وغيرها، توجد عند ابنه السيد ماء العينين مربيه ربه بآيت المقدم بوجان ناحية تزنيت.

ترجم له : الشيخ أحمد بن الشمس في *النفحة الأحمدية*.

الشيخ النعمة في كتابه، *الأبحر المعينة*، ج 1، ورقة، 43 ؛ أ. المختار السوسي من كتابه، *المعسول*، ج 4، ص. 299.

محمد الظريف

الغلاوي، محمد بن عبد الله ولد سنة 1327 / 1908 بمنطقة حاسي البيّض بشنقيط. تلقى تكوينه الأول في قبيلة الأغلال التي ينتمي إليها، وعندما اجتاحت القوات الفرنسية بلاد شنقيط هاجر إلى الساقية الحمراء وانخرط في حركة الجهاد التي عرفتها أقاليم المغرب الجنوبية ضد الوجود الأجنبي. تولى القضاء ضمن مجموعة من الفقهاء الذين عرفتهم الصحراء مثل الشيخ محمد بن عبد العزيز ولد حامَّنّي وسيدي عثمان ابن حسن وماء العينين بن العتيق والشيخ يحجبُ بن خطر وولد حيْبَلتي ومحمد عبد الرحمان الرّباني وغيرهم.

توفي يوم 16 فبراير 1976 عند جبل بولوتاد (60 كلم غربي أو سرد) ودفن به.

له ديوان شعر كان ينوي جمعه يتناول مختلف أغراض الشعر العربي ورحلة نظم فيها رحلة الشيخ محمد الإمام إلى تطوان سنة 1947 لمقابلة الخليفة السلطان ورجال الحركة الوطنية.

م. الظريف، *الحياة الأدبية في زاوية الشيخ ماء العينين*، ص. 403، منشورات مؤسسة الشيخ مربيه ربه، 2003.

محمد الظريف

الغلاوي، يحظيه ولد سنة 1921 بطرفاية من والده عمار بن الغلاوي وأمه مريم بنت إبراهيم.

التحق بصفوف جيش التحرير منذ انطلاقته بمركز سيدي إفني حيث عمل تحت قيادة إدريس بن بوبكر. وقد شارك في عدة معارك من بينها معركة تلوين وبريغث وثلاثاء صبويا، وبعد أن أحرز المغرب على استقلاله انضم إلى صفوف القوات المساعدة إلى أن أحيل على التقاعد.

وافته المنية يوم 30 شتنبر 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 526750.

غَلْيَانْ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Galian وGaliana ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

الغليوطة (Galiote) تدعى أيضا قليوطة. وهي في الأصل مركب مجذافي. شراعي خفيف شاع استعماله

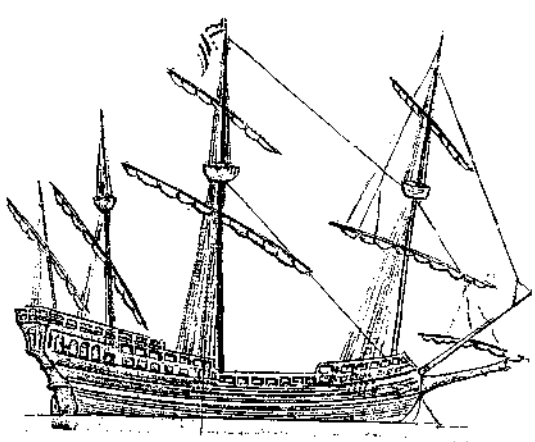

متوسطيا منذ القرن 6 / 12 م، وكان من الأنواع الأكثر ملاءمة للعمل في الأعماق الضحلة وفي مراسي المصبات، بسبب غاطسه الضعيف وسرعته الفائقة وانقياده السهل، واعتماده في الأساس على قوة المجاذيف بمقابل تجهيزه بصار واحد.

وقد تم تبني الغليوطة في المساحلة منذ أواخر القرن 10 / 16 م، وفي اختراق مياه المحيط مع نشاط الأسطول الجهادي في القرن الموالي، بعد إخضاعها لتحسينات وتحويرات مست أبعادها، بالتقليص من طولها الذي كان يصل إلى خمسة وعشرين مترا، مع الاحتفاظ بعرضها الأصلي (حوالي ثمانية أمتار ونصف)، الأمر الذي جعلها تبدو شبه دائرية وأكثر خفة، من حيث عدم تجاوز حمولتها المائة طنة إلا نادرا. وهكذا أصبحت أكثر قدرة على احتواء طاقم يتراوح بين مائة ومائة وعشرين بحارا، وبقوة مجذافية تتراوح بين ستة وعشرين وثمانية وثلاثين مجذافا، يسير كل منها رجل واحد.

وقد أصبحت الغليوطة مع توالي مواسم القرنين 11 و12 / 17 و 18 نوعا رئيسيا ضمن وحدات الأسطول المغربي، لا سيما في مرافئ الشمال (تطوان وطنجة)، وتطورت نسبة تمثيليتها من 33٪ من حجم الأسطول في سنة 1680 (5 / 15 مركبا) إلى 50٪ في سنة 1112 / 1700، الشيء الذي حافظت عليه أواخر عهد سيدي محمد بن عبد الله، حتى أضحت تسميتها تطلق جزافا على مختلف أنواع السفن متوسطة الحجم.

مارمول، *إفريقيا*، ج 2، ص. 189 ؛ ومجهول، *الرناسة*، ص. 1. 2 ؛ الناصري، *الاستقصا*، ج 8، ص. 70 ؛ وابن زيدان، *إتحاف*، ج 3، ص. 258. 60.

Chenier, *Journal*, p. 103-104, 111-112, 117-118 ; *Recherches*, p. 244 ; *S.I.H.M.* 2 France, T. I, p. 516 ; T. IV, p. 231 note 511 ; Lane Poole, *The Barbary*, p. 218.

الغليون (Gallion) أو القليوم، من المراكب الدائرية عالية السطح والمعدة للعمل في أعالي البحار. وهو في

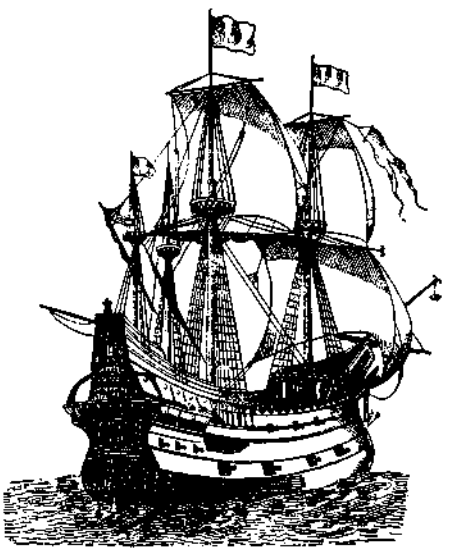

الأصل سفينة تجارية ضخمة اعتمدت منذ أواسط القرن 10 / 16 كمركب أكثر كفاءة وقوة ـ قياسا بالكرافيل ـ للربط بين إيبيريا ومستعمراتها الأمريكية والأسيوية، خاصة وأنها كانت أكثر تصرية من باقي السفن الكبرى الأخرى. وقد اعتمدت سفينة الغليون في البحرية المغربية خلال القرن 11 / 17 بعدما تعرضت لتعديلات هامة على مستوى الحجم والحمولة، واقتصر في تصريتها على صاريين إلى ثلاثة، وعلى طاقم لا يتعدى مائة رجل. لكنه رغم ذلك كان ثقلها لا يتناسب وطبيعة المراسي المحلية، مما جعل اعتمادها ضعيفا ومتوقفا على فترات استثنائية من القرن المذكور.

النخلي، *السفن الإسلامية*، ص. 112 ـ 114.

Champs, *Pirates et flibustiers*, p. 30.

حسن أميلي

غمارة، اسم دال على حلف قبلي تابع لبربر مصمودة بالشمال وعلى مجال جغرافي جبلي جد فسيح مساحته وحدوده غير ثابتة ولامضبوطة من الوجهة التاريخية، فبلد غمارة في المصادر خضع للتوسع تارة وللتقلص مرات أخرى، تبعا للظروف السياسية السائدة. ويبدو الاضطراب في تحديد المجال فيما نستخلصه من المصنفات الجغرافية القديمة وخلاصات بعض المؤرخين، فغمارة حسب البكري كانت تعني المنطقة الممتدة من طنجة غرباً إلى سهل نكور شرقاً، غير أن هذا التحديد لا يعني سوى الجانب الطولي، وهوبذلك يفتقر إلى تعيين الحد الجنوبي الغماري، المشار إليه فقط بجبال الكواكب، كما في *نزهة المشتاق* للإدريسي.

وربما كان التحديد الذي وضعه ابن خلدون لمنطقة غمارة أهم من التحديدين السابقين، فغمارة في نظره "تمتد من عن يمين بسائط الغرب من بلاد غساسة فنكور فبادس فتجساس فتطاوين فسبتة فالقصر إلى طنجة خمس مراحل أو أزيد، أوطنوا فيها جبالاً شاهقة اتصل بعضها ببعض، سياجا بعد سياج خمس مراحل أخرى في العرض إلى أن ينحط إلى بسائط قصر كتامة ووادي ورغة من بسائط الغرب".

وإذا تجاوزنا ما هو من قبيل المبالغة في تقدير ابن خلدون بإدماجه كل من غساسة ونكور وبادس وما لم يشر إليه تجاوزاً أو اختصاراً فيما يخص مثلاً المساحة الواقعة بين تجساس وتطوان، وإذا استثنينا كذلك الأراضي التي كانت تشغلها صنهاجة وكتامة، واستفدنا مما ذكر البكري والإدريسي وجدنا أن أراضي غمارة هي التي كانت تمتد جهاتها الأربع من البحر المتوسط شمالاً وبوغاز جبل طارق غرباً وبادس شرقاً وبسائط الغرب وورغة جنوباً أو ما كان يعرف خلال الفترة الرومانية بموريطانيا الطنجية.

وبتأملنا في تقدير ابن خلدون الطولي والعرضي لمجال غمارة، يمكننا مقاربة المساحة الداخلية المتميزة بجبالها وعناصر سكانها وجرد أسماء القبائل المنضوية في حظيرة الكتلة الغمارية القديمة وهي (مجكسة وتجساس وبني سعيد وبني حزمار وأنجرة وواد راس وبني زكار وغزاوة وبني أحمد

وبني زروال وبني مشارة وبني بوزرة وبني جرير وبني سميح ومتيوة وبني رزين وبين منصور وبني سلمان وبني سدات والأخماس وبني بوشداد وبني مصور وجبل حبيب وبني عروس وبني جرفط وسماتة وبني يسف وأهل سريف).

وبعد عصر ابن خلدون توزع مجال غمارة حسب التقسيم الإداري الوطاسي بين إقليمي الهبط والريف التابعين لمملكة فاس، وهو يشمل حسب الوزان مساحة ناحية الهبط التي تبتدئ جنوباً من نهر ورغة لتنتهي شمالاً على المحيط وتتاخم غرباً مستنقعات أزغار وشرقاً الجبال المشرفة على أعمدة هرقل. وكلما تقدمنا في الزمن ازداد مجال غمارة في التقلص، لينحصر خلال الفترة المعاصرة في مساحة ضيقة، بين الشاطئ الغربي من البحر المتوسط، وجبل تيزاران الفاصل الطبيعي بين غمارة وكتامة وبني أحمد وبني زروال.

وكانت تتقاسم هذا المجال قبل التقسيم الإداري الاستعماري قبائل جبلية صغيرة هي من الغرب إلى الشرق (أسراس وبنو زيات وبنو بوزرة وبنو جرير وبنو سميح وبنو سلمان وبنو مصور وبنو زجل وبنو خالد وبنو رزين) احتفظت بانتمائها لغمارة القديمة، يحدها من الشمال واد لو ومن الشرق واد أرنيغة. والملاحظ أن هذه القبائل اندمجت خلال القرن الثامن عشر والتاسع في قبيلة واحدة هي غمارة التي كانت تابعة من الناحية الإدارية لعمالة تطوان.

أبو عبيد الله البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب*، باريس، 1985، ص. 100 ـ 102 ـ 104 ـ 108 ؛ م. الإدريسي، *نزهة المشتاق*، باريس، 1965، ص. 10 ؛ عبد الرحمان بن خلدون، *العبر*، الجزء 6، ص. 436، لبنان، 1983 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الجزء 2، تح. م. حجي وم. الأخضر، ص. 237، الرباط، 1980.

محمد عمراني

الغماري، أحمد بن محمد بن قاسم الغماري الحسني، ينتمي إلى أسرة إدريسية النسب انتقلت إلى المنطقة منذ القرن العاشر (16 م)، وهو جد الأسرة الصديقية الغمارية التي اشتهرت بالعلم والتصوف. كان من تلاميذ الشيخ مولاي العربي الدرقاوي، ومن الشيوخ المربين بجبال غمارة. ألف كتاباً في آداب المريدين وعدة رسائل في التصوف. تفرغ للتربية الصوفية في زاوية أسسها بتجكان بمنطقة غمارة. من تلاميذه الشيخ الهاشمي بوزيد.

أ. بن محمد بن الصديق، *التصوف والتصديق بأخبار الشيخ سيدي محمد بن الصديق*، القاهرة، ط. 2، 1980، ص. 15 ـ 17.

الغماري، مرزوغ. على إثر وفاة عبد المومن بن علي الگومي، أعلنت بعض قبائل غمارة الثورة ضد الدولة الموحدية مستغلة غياب هذا الخليفة الشديد الذي قمع خلال عهده عشرات الثورات في جميع أنحاء دولته الشاسعة. وقد انطلقت ثورة غمارة سنة 559 / 1164 بزعامة شخص يدعى مرزوغ الغماري الصنهاجي، من صنهاجة مفتاح حسب ابن أبي زرع. أما البيدق الموالي للموحدين فأورد اسمه بصيغة التصغير "مريزوغ" تحقيراً له.

كان مرزوغ من شيوخ وكبراء صنهاجة، أعلن عصيانه في واگرارن ثم تغلب على المنطقة المجاورة له بمن التف حوله من جموع غفيره من صنهاجة وغمارة وأوربة. وحاول توسيع دائرة نفوذه إلى الجنوب فزحف في اتجاه فاس، ووصل إلى بني تاودا على مقربة منه فعاث فيها فساداً وقتل كثيراً من أهلها لرفضهم الانصياع له.

تميز هذا الثائر عن غيره من ثوار عصر الموحدين بإقدامه على ضرب السكة باسمه وكتب عليها "مرزوغ الغريب، فتح الله قريب"، مما يعطي الانطباع بأن هذه الثورة كانت تحمل مشروعاً سياسياً، ولاشك أنها استفادت من تجارب الانتفاضات المتتالية التي عرفها جبل غمارة.

تختلف المصادر حول نهاية مرزوغ الغماري، فابن أبي زرع يقول إنه قتل وحمل رأسه إلى مراكش. لكن الراجح هو ما ذكره البيدق المعاصر للأحداث والمقرب من الموحدين، حيث قال بأن الخليفة يوسف بن عبد المومن أرسل إلى الثوار جيشا بقيادة الشيخ يوسف بن سليمان (من أهل الجماعة) فقاتلهم حتى بدد قواتهم، ثم أذعن مرزوغ للتوحيد، وسمح له بالجواز إلى الأندلس، فنزل قرطبة. لكننا لم نسمع عنه بعد ذلك.

وليس مستبعدا أن يكون الموحدون قد سلكوا مع الثائر الغماري مسلك العفو اعتباراً لمكانته في قومه، وللحيلولة دون انتشار التوتر خارج المنطقة، في وقت كان على الخليفة الجديد فيه أن يحسن ترتيب أوراقه لمواجهة ما تفرضه تحديات الحكم.

البيدق، أخبار المهدي بن تومرت، تح. د. عبد الحميد حاجيات، الجزائر، 1986، ص. 126 ؛ ابن أبي زرع، *الأنيس المطرب بروض القرطاس*، الرباط، دار المنصور، 1973، ص. 209 ـ 210 ـ 264 ؛ الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، دار الكتاب، 1954، 2 : 147.

محمد المغراوي

غمران، محمد ولد بمدينة الدار البيضاء سنة 1923. كان من المقاومين الأوائل الذين هبوا إلى ميدان الكفاح والمقاومة من أجل تحرير البلاد وحصول المغرب على استقلاله حيث شارك في العديد من العمليات الفدائية التي استهدفت ضرب مصالح المستعمر وطرد فلوله من التراب الوطني.

توفي يوم 13 شتنبر 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 503140.

الغمّاد، محمد بن علي الوجدي، كنيته أبو عبد الله، ولقبه الغماد، لا نعرف من خلال المصادر التي ترجمت له أو أشارت إليه سنة ميلاده أو ظروف نشأته بمدينة وجدة، وإن كانت اهتمت باسمه وكنيته ولقبه، وهو نفسه يعتز

بانتمائه إلى مدينة وجدة، وفي ذلك يقول أثناء مدحه للأمير المأمون السعدي :

وإليكها يا ابن الرسول خريدة ... عذراء ترفل في إزار وقار
وافى بها الوجدي عبدكم وقد ... فلت حجاه صوارم الإقتار

ويشير صديقه المؤرخ الأديب محمد بن يعقوب الآيسي إلى انتسابه إلى مدينة وجدة في قوله :

تألم هذا القلب من ألم الوجد ... ولا غرو في وجد أتانا عن الوجدي
فتى العلم والآداب والخط والحجى ... ونظم القريض والسيادة والمجد

صنفه الدكتور محمد حجي ضمن أعلام مدينة وجدة، عندما تحدث عنها كمركز من مراكز العلم في عهد السعديين، فهي : "لم تخل من حلقات التدريس - على قلتها - ولم تعدم علماء أعلاماً من أبنائها أمثال محمد بن علي الوجدي الغماد"، ويذكر الدكتور حجي أنه لقب بالغماد تمييزاً له عن عالمين آخرين من المدينة هما أحمد بن المهدي الوجدي (ت. 930) وأحمد بن جوهر الوجدي (ت. 1000)، أما المقري وقد لقيه بمدينة فاس فقال : "إنه من أهل فاس"، والمرجح أن غلبة كنية الوجدي عليه تأكيد لانتسابه إلى المدينة وهو بمدينة فاس، إذ وفد عليها طلباً للعلم والشهرة، فنعته أبناء فاس بالوجدي فيما يظهر.

في مدينة فاس، يتألق نجم هذا الشاعر، وفيها يلتقي بأبي العباس أحمد المقري سنة 1009، في رحلته الأولى، فأعجب به، وروى شعره مشافهة، وسجل ما رواه في كتابه : *روض الآس*، وهو المصدر الوحيد الذي حفظ لنا شعره من الضياع. وعن هذا اللقاء، يقول المقري : "لقيت هذا الفاضل حفظه الله بفاس، وأولاني من بساتين إيناسه زهر صفاء عاطر الأنفاس، وسلاني عن الأهل والوطن والإخوان، وشربت من عقار براعته، فها أنا من ذلك نشوان"، تفيد هذه التحلية أن الشاعر الوجدي كان من فرسان البلاغة وأمراء الشعر، فلم يكن سنة 1009 في سني الطلب الأولى، وإنما وفد إلى فاس شاعراً قد نال قصب السبق، راغباً في الحظوة عند الأمير المأمون، ومن ثم سيخصه بمدائحه وأشعاره. وعلى الرغم من علو كعبه، فإنه - كما يشير إلى ذلك المقري - سيأخذ العلم عن علماء منهم، القاضي الحميدي والشيخ القصار وعن الوزير الغساني وغيرهم، مع "مشاركة حسنة في العلوم".

حلاه المقري بقوله : "الكاتب البارع، الذي سن البدائع وشرعها، وولد عقائل المعاني واخترعها، وافتض أبكار المحاسن وافترعها، حاز قصب السبق في النظم والنثر"، كما يحظى بتحلية المؤرخ القادري في كتابيه، *الإكليل والتاج ونشر المثاني* : "فهو الفقيه الأديب، العلامة المشارك".

يذكر المقري أن الوجدي ترك مؤلفات نثرية نعتها بقوله : "أما نثره فغاية في بابه، وقد ألبسه البيان من جلبابه"، أما مؤلفاته فلم يبق منها غير أسمائها وهي :

- *تميمة الألباب ورتيمة الآداب*، قال عنه المقري : "أجاد فيه غاية، كتاب عظيم، جامع للأدب، اشتمل على فنون شتى".
- *الألباب الطائشة في مناقب أم المؤمنين عائشة*
- *العنبر الشحري فيما أنشدنيه صاحبنا أبو العباس المقري*

- أما شعره، فيمكن اعتبار *روضة الآس* أهم مصدر حفظ لنا شعره من الضياع، وإن لم يكن كل شعره، ذلك أن ما أورده المقري منتقيات أعجب بها وأشعار لقيت من نفسه هوى فسجلها، لذلك لا يمكن اعتبار ما في *روضة الآس* من الأشعار هو كل شعر الغماد، إضافة إلى أن المقري لم يخبرنا إن كان له ديوان شعري أم لا ؟ كما أن المصادر الأخرى التي أشارت إلى الوجدي إشارات عابرة لم تشر إلى الديوان، وأغلب الظن أن الديوان ضاع كما ضاعت الكثير من الدواوين الشعرية في العصر السعدي عندما وقعت القرصنة على الخزانة الزيدانية بعد تنازع أبناء المنصور على السلطة، أو أن الإهمال لحقها - أي الدواوين الشعرية - فضاعت، أو أنها ما تزال مجهولة المظان في خزائن خاصة. وقد عملت على صنع ديوانه وتصنيفه في أطروحتي الجامعية *الشعر المغربي في عصر المنصور السعدي*، وقد توزعت أشعاره بين المدح والغزل والوصف، إضافة إلى قصائد ومقطوعات في موضوعات مختلفة.

أجمل ما في شعره قصائده الغزلية، فيها يحكي عن تجربة ومعاناة، وعن أجمل ما في الحب، وعن الحبيب وصباحته وملاحته، وعن غنجه ودلاله، إلى غير ذلك.

وللوجدي موشحة يتيمة في الغزل أوردها المقري في *روضة الآس*، ولاشك أن له موشحات أخرى إلا أنها ضاعت كما ضاع شعره، وكما ضاع كتاب *مدد الجيش* للفشتالي الذي جمع فيه أزيد من ثلاثمائة موشحة لم يصلنا منه غير إحدى عشرة موشحة.

ويعتذر المقري عن عدم إيراد موشحات أخرى للوجدي بقوله : "وموشحاته التي خجل منها ابن زهر، وهي كثيرة".

أ. المقري، *أزهار الرياض في أخبار عياض*، تح. جماعة من الأساتذة، ج 4 : 302 ؛ *روضة الآس*، ص. 71 - 99 ؛ *الإكليل والتاج*، م. خ. م، الورقة 39، القادري، *نشر المثاني*، ج 1 : 261 ؛ الإفراني، *نزهة الحادي*، طبعة حجرية، ص. 167 ؛ محمد حجي، *الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين*، ج 2 : 432 ؛ المقري، *نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب*، ج 6 : 58، كناشة الزجالي، م. خ. ع ؛ عبد العزيز الفشتالي، *مناهل الصفا للفشتالي*، تح. عبد الله گنون، *شعر عبد العزيز الفشتالي*، ن. المريني، *الشعر المغربي في عصر المنصور السعدي*، ص. 311 - 351.

نجاة المريني

الغمّاس أو **الغمّاسة** كما في اللغة والمعاجم، طائر بحري كبير الجثة حسن المنظر من رتبة كفيات القدم وفصيلة Gaviidae ، يألف أعالي البحار بالمناطق الباردة بالقطب الشمالي وأوروبا الغربية وينزح في فصل الشتاء إلى البحر المتوسط والمحيط الأطلنطي بشمال المغرب. سمي بالغماس لكثرة انغماسه في الماء مدة طويلة ولا يذكر له اسم في المغرب لندرته وقلته.

يسمى علميا Gavia stellata وبالفرنسية Plongeon catmarin وبالإنجليزية Red throated diver وبالإسبانية Colimbo chivo وبالإيطالية Strolaga minore. يتميز بريش رمادي على جوانب العنق والظهر والجناحين وأسود على الجانب الخلفي للجناحين. تظهر على عنق الذكور في فصل الصيف خصلة من الريش الأشقر، ذيله قصيرجداً يحمل غدداً تفرز مادة زيتية تجعل الريش كتيمة. للقوائم أربعة أصابع، ثلاثة منها ملتحمة بواسطة غشاء سباحي والرابع الخلفي حر. يحسن الطيران والسباحة والغطس ليبحث عن الأسماك

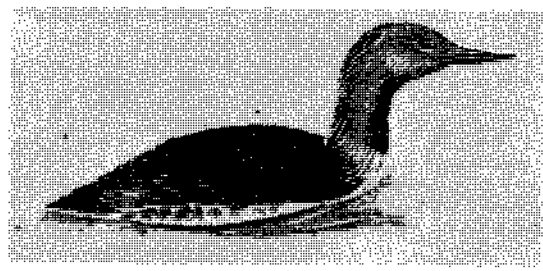

البحرية. يبلغ طول بسطة الجناحين 97 ـ 110 سم وطول الجسم 53 ـ 61 سم وتزن الكبيرة 800 ـ 1750 غرام. وهو طائر يفضل العزلة ومنه عدة أفراد أوروبية تشتي في أعالي البحار المتوسطية والأطلنطية بين الدار البيضاء وطنجة ولا يقترب من الشواطئ إلا نادراً. كل المجموعات تتوالد في أوروبا الشمالية والقطب الشمالي منذ مايو إلى يونيو حيث تغادر البحار وتعيش في البحيرات القارية والشاطئية بالمناطق الاسكندنافية. توضع الأعشاش متقاربة على ضفاف البحيرات وتفرش بالأغصان اليابسة وقطع أوراق الأعشاب. يبلغ عدد البيض 2، طول القطر 7.4 سم وتزن 100 غرام. يحضن البيض بالتناوب مدة 24 ـ 29 يوما. يعدّ من الطيور النادرة في المغرب ويصعب تمييزه بين الطيور البحرية في أعالي البحار.

م. رمضاني، *البط، معلمة المغرب*، الجزء 4، ص. 1264 ـ 1265 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*, 1979, 320 p. ; C. Harrison, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleurs*, Elsevier, 1977, 430 p.

محمد رمضاني

الـغنباز (لباس ـ) يجمع على غنابيز، لا وجود لذكره بالقاموس، كما أن مفهومه الأمازيغي بعيد عن التعريف الوارد في المصادر فإنها تجعله نوعا من اللباس يختلف شكله وطريقة ارتدائه من بلد إلى آخر.

ذكره المقري، وهو يتحدث عن أبي عثمان سعيد بن حكم القرشي حاكم منورقة فحين ركب هذا الأخير حصانه بمعية أحد ضيوفه نظر لحمالة سيف ضيفه قد أثرت في عنقه، فأمر له بإحسان وغنباز وكتب معه :

حمالة سيف توهي جيد حاملها ... لا سيما يوم إسراع وإنجاز
وخير ما استعمل الإنسان يومئذ بجسم ... علتها لباس غنباز

وكان الغنباز من جملة الألبسة التي غنمها المغيرون البرتغال من بيوت دواوير بسهل أزرو السوسي، حيث أخذوا "البدن والأخنفة والملايط والجلاليب والغنابيز".

وفي المشرق العربي ذكر الغنباز في الكتابات الأجنبية.

ونخلص إلى أن الغنباز صنف من الملبوس ميز الحضارة العربية الإسلامية، واستعمل في بلاد المغرب والأندلس لوقاية العنق من تأثيرات حمالة السيف وهو من صوف خشن أو من جلد. كما لا يستبعد استعماله في البلدان ذاتها كملبوس قصير.

وفي المشرق عرف الغنباز بكونه رداء أعيان أهل البادية. يتميز بكونه يغطي الجسم كله وهو من حرير أو من قطن ويلبس فوق القميص القطني الخشن. وارتدته كذلك نسوة مدينة بيروت.

Al Makkari, *Histoire d'Espagne* ; R. P. A. Dosy, *Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les Arabes*, Amsterdam, 1845, p. 324 - 326 ; *Chronique de Santa Cruz du Cap de Gué*, texte portugais du XXI sicèle, traduit et annoté par Pierre de Cenival, Paris, 1934, p. 38 et 39.

الـغنباز (نبات ـ) يعني باللغة الأمازيغية نوعا من الزهور البرية لونها ما بين الأحمر والأصفر وعندما تزهر تشبه القرنفل. كما يزرع الغنباز في البيوتات المغربية التقليدية بمعية زهرة الحَبَق وتصنع منه كذلك العطور.

حليمة بنگرعي

الـغنبور، لفظة أمازيغية أصلها "أغنبور". والكلمة لا علاقة لها في اللغة العربية بالخمار الذي يدل على ما تغطي به المرأة رأسها دون وجهها.

والغنبور منديل من ثوب أو قطن أو كتان أو حرير أو غيره، طوله وعرضه لا يتعدى نصف متر، لونه أسود داكن وغير شفاف في الغالب الأعم، حتى لا يكشف عن فم المرأة وشفتيها وملامح وجهها. وهو يغطي مطلع العنق والرقبة وكل الوجه باستثناء العينين، وقد يغطي عينا ولا يترك إلا واحدة للنظر. يُشَد طرفه الأيسر إلى الأيمن بقطعة خيط تُمرر من موضع القفا في مؤخرة الرأس، ويمد فوق كل المحيا بكيفية تطمس ملامح الوجه ولا تمنع التنفس. وقد كان هذا الرداء قطعة أساسية في لباس المرأة. ولا يجوز أن تنزعه سائر النساء وهن خارج البيوت، ماعدا الصغيرات واليافعات من البنات ممن لم تبلغن بعد سن الرشد فلا جناح عليهن في تركه.

وقد بدأ التخلي المرحلي عن الغنبور منذ مطلع النصف

الثاني من القرن الماضي (القرن 20) مع بداية تراجع ارتداء الحائك وتعويضه بالجلباب من لدن المرأة. وما أن حلت الستينيات من القرن (20) حتى تنافست نساء فترة مابعد الاستقلال في تطويره والتغلب على الإكراهات التي كان يفرضها عليهن. وباستمرار البحث عن أنجع الأساليب للتخفيف من إكراهاته استطعن تنويع أشكاله وأحجامه حتى تحول بالتدريج من قطعة كانت مخصصة أصلا لصد نظر الذكور إلى حلية موشاة بأنواع التطريز والتشبيك ومهدلة بالتجديل والتخريم تثير إعجاب الناظرين.

وبعد أقل من ربع قرن من الزمان، ومع توالي اكتساح اللباس الأجنبي لسائر البلدان العربية والإسلامية ومنها المغرب، عزفت الشابات العصريات من النساء ممن التحقن بالعمل خارج البيت للمساهمة في التنمية الوطنية عن ارتداء الجلباب التقليدي الذي حل سابقا محل الحائك وعوضنه بالجلباب بدون قَبٍّ قبل التخلي بصفة نهائية عنه بدوره واخترن "الملابس الرومية" جملة وتفصيلا. وهذا بالضبط هو ما أشار إليه محمد أفيلال في مؤلفه *تنبيه الأكياس* حيث قال : "تنافست نساء الوقت في استعمال أنواع الثياب الباهظة الأثمان السريعة التغيير ... ويا ليتهن اقتصرن على ثياب وطنية بل تراهن يترامين على المنسوجات الخارجية ترامي الفراش على النار":

محمد بن التهامي أفيلال، *تنبيه الأكياس للاقتصاد في المآتم والأعراس*، تطوان، 1976 ؛ أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، *حجاب المرأة ولباسها في الصلاة*، دون مكان النشر، 1393 ؛ أحمد ابن طوير الجنة، *فيض المنان في الرد على مبتدعة هذا الزمان*، مخطوط الخزانة العامة بالرباط، رقم 3651 ؛ محمد بن عبد الله، ابن المؤقت المراكشي، *الرحلة المراكشية أو مرآة المساوئ الوقتية*، القاهرة، 1351 ؛ فاطمة الزهراء أزريويل، عائشة بلعربي وآخرون، *الجسد الأنثوي*، الدار البيضاء، 1990 ؛ محمد المهدي الحجوي، *المرأة بين الشرع والقانون*، الدار البيضاء، 1967.

André Adam, *Casablanca, essai sur la transformation de la société marocaine au contact de l'Occident*, Paris, 1972 ; Fatna Aït-Sebbah, *La femme dans l'inconscient musulman*, Paris, 1982 ; M. Alahyane, A. Belarbi [et al.], *Portraits de femmes*, Casablanca, 1987 ; Navarro Albarracine, *El Haik en la zona atlantica del marruecos*, español, Tetuan, 1954 ; Henri Amic, *Le Maroc hier et aujourd'hui*, Paris, 1925 ; M.M. Barde, *Coiffures féminines du Maroc*, Aix-en-Provence, 1990 ; Martine Bertrand, *Le voile et les parures, essai sur le regard du Maghreb*, Université de Paris 10, 1981.

محمد برسلام

الغَنْدُورْ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Gandur ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

الغندور (سيدي -) صاحب الضريح بالركن الأيمن للداخل من باب الأحد بالرباط بين السورين القديمين الموحدي والأندلسي، ولعله أندلسي. اشتهر بلقب الغندور. والغندور يعني لدى المغاربة ذو النخوة والإباية.

بوجندار، *الاغتباط*، ص. 453.

عبد الإله الفاسي

الغنم مجموعة سلالات وضروب من جنس الضأن باعتبار المعز جنسا مستقلا. وتشمل كلمة الغنم في اللغة الضأن والمعز إلا أنها في الدارج تتضمن الضأن فقط وتسمى الأنثى المسنة النعجة أو الشاة، تجمع على شياه وأشوه ؛ ينعت الذكر المسن بالكبش والخروف للصغير في السنة الأولى من عمره. تدعى صغار الغنم والمعز في اللغة سخلة ذكراً كان أم أنثى بعد الولادة (ج. سخال) ثم تصير بهمة (ج. بهم وبهائم). والغنم من الحيوانات الأهلية اللبونة العاشبة المجترة الصغيرة تصنف إلى فصيلة الغنميات Ovidae وتسمى علميا ضائن Ovis aries . وهي حيوانات لبونة من الحافريات مزدوجات الأصابع. تتميز الذكور بقرون قوية وملولبة والإناث المسنات بقرون قصيرة ومنحنية قليلا إلى الوراء.

تتوفر معدة الغنم على أربعة جيوب، الخطم طويل وضيق، الأذنان مستدقتا الرأس، الذيل طويل نسبيا والدسم مغطى بالصوف. ويتوفر الفم على شفتين متحركتين وعلى أسنان غير متكاملة تنقصها الأنياب والقواطع العلوية وعددها 32 سنا صيغتها كالتالي :

3/0 قواضم، 1/0 أنياب، 3/3 قواضم أمامية، 3/3 أضراس = 32 سنا.

يبلغ الطول الأقصى للجسم جمعا بين الرأس والجسد 1,5 ويختلف الوزن بين الذكور والإناث وكذلك بين السلالات.

يرجع انحدار أصل الضأن إلى نوع الأروية الشرقية Ovis ammon orientalis وقد أثبتت علوم الأثريات أن تاريخ علاقة الإنسان بالغنم يرجع إلى حوالي 11000 سنة قبل ميلاد المسيح، وأكدت الأبحاث أن أول علامات تدجين الضأن الوحشي ظهر في الشام بشمال العراق. تعتبر سلالة ضأن الشام Ovis aries asiaticus من السلالات الأولى التي انتشرت في الشرق الأوسط في البداية ثم في إفريقيا وأوروبا عن طريق التبادل التجاري وتربية المواشي عند القبائل الرحل.

تطورت طريقة تدجين الضأن مع تطور الفلاحة في عهد الفراعنة والرومان ونتج عن هذا التهجين فرز وعزل عدة سلالات لتلبية حاجيات الإنسان من اللحوم والحليب والجبن والصوف والجلد. وتعرف حاليا للغنم حوالي 350 سلالة في العالم منها أزيد من 800 ضروب محلية تأقلمت في مناطق

معينة حسب معطيات المناخ. طور الإنسان تربيتها بطريقة علمية ليرفع من إنتاجها ويلبي مختلف الحاجيات البشرية.

ومن أشهر السلالات في العالم سلالة مرينوس المنتجة للصوف الممتازة. مهدها إفريقيا الشمالية ثم إسبانيا حيث تم انتقاؤها في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي وتعيش حاليا في أستراليا ونيوزيلندا وأمريكا الجنوبية وإفريقيا الجنوبية وتمثل حوالي 50٪ من مجموع رؤوس الغنم في العالم.

تختلف مرحلة التوالد بين السلالات وتدوم مدة الحضانة حوالي 5 أشهر. يبلغ عدد الصغيرة بين 1 ـ 4 وتعمر زهاء عشرين سنة.

تعد السلالات المعاصرة نتيجة انتقاءات وتصالبات بين مختلف الضروب قام الإنسان بتحقيقها عبر آلاف السنين. تنحدر مجموعة السلالات والضروب التي تعيش في المغرب إلى صنف الضأن الشحمي الذيل الذي يتميز بخزن كمية كبيرة من الشحم في الرداف والذيل وبإنتاج قوي للحليب. خيوط الصوف شديدة الالتواء ومتوسطة الغزارة. يوجد هذا الصنف في إفريقيا والشرق الأوسط وآسيا الجنوبية الغربية.

وتربى ستّ سلالات وعدة ضروب منذ زمن بعيد في مختلف مناطق الرعي المغربية :

ـ السردي أو الصردي : كما هو شائع في المغرب، سلالة من الضأن مشهورة في مناطق الشاوية، مهدها على وجه الخصر هضاب الفوسفات وسطات وقلعة السراغنة وبني ملال وخريبگة. تتميز بقامة كبيرة يفوق ارتفاعها عند الغارب 60 سم ويبلغ وزنها 70 ـ 80 كغم للذكور و45 ـ 50 كغم للإناث. تربى أيضا في السهول الساحلية لمغربية. يتراوح عدد رؤوس هذه السلالة في المغرب بين 70000 ـ 80000.

ـ بن حسن : سلالة تعيش على سهول الغرب وغابة معمورة، تتميز بقامة كبيرة وبصوف بيضاء مكثفة تغطي سائر الجسم. تقلص عدد رؤوس هذه السلالة بسبب تقلص المراعي وتحولها إلى أراضٍ فلاحية سقوية بسهول الغرب.

ـ الدمان سلالة من الغنم تربى على وجه الخصر في الهضاب والسفوح الجنوبية للأطلس الكبير والصغير وخاصة منها مناطق الرعي على حوض وادي زيز ووادي درعة وواحات وارزازات وتافلالت. قامتها صغيرة، وإنتاجها للصوف ضعيف نسبيا ؛ يختلف اللون من فرد لآخر : أسمر داكن، أبيض موحد، أسود موحد، أسود وأبيض، أسمر وأبيض. تتميز سلالة الدمان بخصب مرتفع في التكاثر يبلغ 220 ـ 280٪ إذا توفرت لديها الظروف المناسبة للعيش والاعتناء الكامل. يتوالد طول السنة ويتراوح عدده في المغرب بين 60000 ـ 90000 رأس تربى لاستهلاك لحومها وتعتمد تربيتها أساسا على الرعي وأكل الفصة التي يخصص لها الفلاحون حوالي 30٪ من مساحة المزروعات السقوية في الواحات. تجنى الفصة 8 مرات في السنة وتقدم للغنم طول السنة مباشرة بعد جنيها أو يحتفظ بها ككلأ جاف.

ـ بوجعد : سلالة غنم تعيش على وجه الخصر في ضواحي دائرة أبي الجعد ويتراوح عدد الرؤوس في السنوات الأخيرة بين 35000 ـ 45000. القامة كبيرة والصوف بيضاء مصفرة رقيقة. تتوفر على إنتاج جيد للحوم وللصوف.

ـ بني كيل : سلالة شائعة على الهضاب العليا الشرقية الممتدة من فكيك إلى وجدة وسهول ملوية العليا وكرسيف وتاوريرت وميدلت وبولمان وتازة. تتميز بصوف بيضاء مصفرة خالية من البقع السوداء وبرأس وقوائم سمراء بنية داكنة. متوسطة القامة يبلغ وزن الذكور 50 ـ 78 كغم والإناث 30 ـ 40 كغم، يبلغ العلو عند الغارب حوالي 60 سم. جودة لحومها الممتازة ترجع إلى تناولها لأعشاب الشيح التي تتوفر عليها مناطق الرعي في المناطق الشرقية من البلاد. يفوق عدد رؤوس هذه السلالة في المغرب 1 500 000.

ـ تيمحضيت أو تيمحديت : سلالة هضاب وجبال الأطلس المتوسط شائعة في مراعي خنيفرة وأزرو وإفران ومكناس. الرأس بني داكن، الصوف بيضاء وغزيرة، القامة متوسطة يبلغ معدل العلو عند الغارب 60 سم وتزن الذكور 50 ـ 60 كغم والإناث 30 ـ 40 كغم. يفوق عدد أفراد هذه السلالة في المغرب 750 000.

ـ السلالات والضروب الأطلسية : ترعى على الهضاب الجبلية بالريف وبالأطلس المتوسط والكبير وتوجد بكثرة في نواحي أزيلال. تأقلمت جيدا بالمناطق الجبلية وتعودت على المسالك الجبلية الصعبة. تعيش مندمجة مع قطيع المعز وتتميز بقامة صغيرة ؛ يبلغ الوزن الأقصى للذكور 50 كغم ولا يتعدى وزن الإناث 30 كغم. ألوانها مختلفة جدا بين الأفراد. يبلغ عدد مجموع هذه الضروب في المغرب 500 000 رأس.

تعتمد تربية الغنم في المغرب بالأساس على الرعي ويقوم مربو الماشية الرحل بتنقلات فصلية من المناطق الجبلية إلى السهول والسفوح في فصل الشتاء ثم يعودون إلى المناطق الجبلية في فصل الصيف. يتراوح معدل إنتاج لحوم الغنم في المغربي بين 50000 ـ 60000 طن في السنة ويتراوح عدد رؤوس الغنم خلال سنوات العقد الأخير بين 15 ـ 20 مليون.

M. El Jerrari, Le *marché de la viande ovine*, 17ème journée de l'ANPA, Rabat, 1987 ; Ministère du Plan, Direction de la Statistique, *Annuaire statistique du Maroc, 1989 et 1998* ; A. Eddbbarh, La production animale au Maroc, *Grande Encyclopédie du Maroc*, Agriculture-Pêche, 1987.

محمد رمضاني

غَنّام، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا - Ganana - Gannem Jennem.

غنام، أسرة رباطية لا يعلم بالضبط أصلها فهناك من يقول إنها من الأسر الأندلسية وهناك من يرجع أصلها إلى

قبيلة الغنائمة الموجودة بالشاوية وعلى كل حال برزت بعض الشخصيات المخزنية فيها منذ عهد السلطان محمد بن عبد الله، فاشتهر عباس غنام كرئيس من رؤساء البحر، أما في عهد السلطان مولاي عبد الرحمان وابنه سيدي محمد فقد عرف أحمد غنام الذي أسندت إليه نظارة الأحباس الكبرى خلفا للحاج محمد وازهرا من سنة 1265 / 1848 إلى 1284 / 1867.

ت. العماري، *الضعيف*، ص. 338 ؛ الفاسي، *مدينة الرباط*، ص. 78. 126. 127.

Brunot, *La mer dans les industries indigènes de Rabat et Salé*, p. 236-238.

غنام، بناصر بن أحمد ابن الناظر المذكور. ولد سنة 1262 / 1845 بالرباط وخلف أباه في النظارة بعد وفاته سنة 1290 / 1873 . وأظهر كفاءة وجدية فأصبح مقربا إلى السلطان مولاي الحسن الذي كان يكاتبه مباشرة. وفي سنة 1876 كان من أعضاء السفارة التي ترأسها محمد بن الطاهر الزبدي إلى بعض البلدان الأوربية لتدارس أمر الحماية القنصلية، ثم عينه أمينا للمال فكان قيما على ضرب الريال المغربي مع من شارك في العملية. وفي أوائل سنة 1300 / 1883 أسند إليه السلطان وظيفة أمين الاختيار بالمراسي وهي من أرقى الوظائف ولا يتبوأها إلا من حظي بثقة السلطان وبرهن عن كفاءة ونزاهة كبيرتين. وكان مع محمد الرزيني من الذين أشاروا على السلطان باتخاذ التدابير الكفيلة بتنمية الموارد المالية كرفع مرتبات الموظفين وعزل الأمناء الذين دلت التحريات على عدم صلاحيتهم وإصلاح مرافق المراسي. وفي سنة 1318 / 1900 عين مستشارا للنائب السلطاني محمد بن العربي الطريس بطنجة وبعث في السفارة إلى فرنسا وروسيا صحبة عبد الكريم بن سليمان وزير الخارجية سنة 1349 / 1901 ثم أرسل إلى الجزائر سنة 1902 لتحية رئيس الجمهورية الفرنسية بمناسبة زيارته للجزائر ووهران. وتفقد المنشآت الفرنسية الواقعة على الحدود المغربية في أرض الجزائر والأراضي المغربية التي اغتصبتها فرنسا وألحقتها بممتلكاتها. واستمر يعمل بدار النيابة. وكان السلطان مولاي عبد العزيز قد استدعاه في الشهور الأخيرة من ملكه من جديد فعينه معتمداً في اللجنة المكلفة بالتعويضات المتعلقة بالأضرار التي لحقت الدار البيضاء التي احتلها الفرنسيون سنة 1907. ولما بويع مولاي عبد الحفيظ أقره على منصبه وحاول أن يعينه خليفة لمحمد الجباص النائب الجديد بطنجة للاستفادة من معرفته وخبرته لكن السفارة الفرنسية ثارت على هذا الترشيح لأنها اعتبرت بناصر غنام رجلا متعصبا فلم يتم تعيينه. وفي سنة 1327 / 1909 عينه السلطان عضواً في سفارة أحمد بن المواز إلى إسبانيا. ولما حلت الحماية تقاعد. ويقال إنه جمع ثروة كبيرة من عمله الطويل بالمخزن وكانت وفاته سنة 1915 بمدينة الرباط.

ع. الوهاب بن منصور، *أعلام المغرب العربي*، ج 1، ص. 217، م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية*، ج 1، ص. 410 ؛ الفاسي، *مدينة الرباط*، ص. 233.

غنام، العباس من الرياس الرباطيين العاملين في صفوف أسطول مولاي سليمان، وقد تميز في سنة 1220 / 1805 بمهمة قيادة سفينة أوربية مصادرة من السلطات المغربية لقيامها بوسق الزرع من منطقة الريف دون ترخيص من السلطان، وكان على الرايس غنام التوجه بها إلى إسبانيا قصد بيعها، لولا أنه اضطر إلى الدخول إلى طنجة حيث منعتها البوارج الإنجليزية المحاصرة للمراسي الإسبانية من استكمال طريقها. وبعد هذه المهمة، صدر الأمر إليه في سنة 1226 / 1811 بتجهيز سفينته في العرائش هو ورياس آخرين، قصد الاستعداد لحمل الزاد من طنجة إلى الأمير مولاي إبراهيم بالإسكندرية، وإعادته إلى المغرب. وفي سنة 1226 نصبه الوزير محمد السلاوي مشرفا على أنشطة مرسى الرباط بمعية زميله إبراهيم لباريس خلفا للرايس السبيع أثناء تغييره لطاقم نظارة الرباط وأمانة جماركه.

الضعيف، ص. 338. 356. 361. 367. 373.

حسن أميلي

غنام، عمر ولد في 23 شتنبر 1930 بمدينة الرباط. ويعتبر أحد رواد السينما المغربية الأوائل. بعد حصوله على شهادة الباكالوريا بثانوية الليمون بالرباط، التحق بمدرسة محمد الخامس سنة 1950 لتدريس فن الرسم واللغة الفرنسية إلى غاية 1955. بعد ذلك سافر إلى القاهرة لقضاء تدريب سينمائي بالمركز الدولي "سيرس إليان" للسمعي البصري رفقة المخرج المرحوم أحمد المسناوي وكان ذلك سنة 1956. وفور عودته إلى المغرب عين رئيسا لقسم السمعي البصري بوزارة التربية والفنون الجميلة سنة 1957 ، بعدها التحق مباشرة بوزارة الإعلام.

ويعد المرحوم عمر غنام ثاني مدير مغربي للمركز السينمائي المغربي - بعد أحمد بلهاشمي - شغل هذا المنصب في مرحلة أولية من 1960 إلى 1963 ، حيث غادره ليعمل لحسابه الخاص، ثم عاد إليه بنفس الصفة انطلاقا من سنة

1967 ليظل هناك إلى أن وافته المنية في أحداث الصخيرات في يوليوز 1971.

ونظراً لانشغالاته الإدارية كمدير للمركز، لم ينجز عمر غنام أعمالاً سينمائية كثيرة بصفته كمخرج وإنما اكتفى بإدارة إنتاج عدد من الأفلام الوثائقية القصيرة التي كان المركز السينمائي المغربي ينتجها في تلك الآونة، وبالتالي اقتصرت فيلمغرافيته على الأعمال التالية :

- الإخراج :

1960 (سفر محمد الخامس) إلى الشرق الأوسط. 1961 (مؤتمر إفريقيا). 1968 (طنجة أيام المهرجان). 1970 (المغرب 70). وكلها أفلام وثائقية قصيرة

- إدارة الإنتاج :

- قام بإدارة إنتاج مجموعة من الأفلام منها على الخصوص :

1963 (العودة إلى المنابع) لعبد العزيز الرمضاني. 1967 (أطياف من خيوط الذهب) لأحمد المسناوي. 1968 (البساط) لمحمد الزياني. 1968 (الحياة كفاح) لمحمد التازي وأحمد المسناوي .. وهو فيلم روائي طويل.

توفي بالرباط في العاشر من يوليوز 1971.

دليل المخرجين السينمائي المغاربة، ص. 186 - 187.

خالد الخضري

غنام، محمد كان من بين أعيان تطوان الذين شهدوا بأن الباشا السابق عبد الكريم ابن زاكور قد تصرف في أموال بيت المال لصالحه في صفر 1180 (1766).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

غنام، محمد بن عبد القادر رشح للخدمة بمرسى الرباط أمينا للديوانة الجديدة وولي أيضاً ناظراً على الأحباس الكبرى به من 1320 إلى 1327 / 1902 - 1909. ويرجح أن الأمين بمرسى الرباط بين سنة 1862 و1865 هو أبوه.

الفاسي، ص. 153 و193، *دينية، مجالس*، ص. 245.

غنام، مَحمد ابن الناظر أحمد ولي بدوره نظارة الأحباس الكبرى مدة ابتداء من 1285 / 1868. أورد محمد دينية رسالة وجهها العالم القاضي محمد بن إبراهيم الرباطي المتوفى سنة 1297 / 1880 يصفه فيها بأوصاف سامية ويحضه على المزيد من العناية بأمر الأحباس وخصوصا ما يتعلق بالمساجد. استخدم أخيراً بمرسى الصويرة.

توفي في رمضان 1312 / 1894 ودفن في الزاوية المباركية.

دينية، مجالس، ص. 244 ؛ الفاسي، *مدينة الرباط*، ص. 153.

عبد الإله الفاسي

الغنيمة، ج. غنائم وهي مصدر أساسي من مصادر دخل بيت مال الدولة المغربية منذ بدايات تأسيسها، إذ كانت عائداتها تتزايد كميا وبوتيرة مطردة كلما توالت في الزمان حملات الجهاد واتسعت بموازاتها جبهات المواجهة مع دار الكفر. لذلك صنفت مداخيلها بحكم تلازمها الدائم والمستمر بالعمل الجهادي المقدس الذي كان يتقوى ويشتد طوراً، ويخبو ويتراجع طورا آخر، ضمن الموارد المالية الظرفية غير العادية التي كانت تتغذى منها باستمرار مالية الدولة المغربية.

وعند استقراء الحوليات المغربية التي راعت أخبار وأطوار المواجهات المسلحة التي خاضها السلاطين المغاربة على الساحة الأندلسية إبان التاريخ الوسيط، يتبدى بكيفية واضحة، أن تلك المواجهات كانت تنتهي ليس فقط بإلحاق أشنع الهزائم بالقوات المسيحية المتحالفة، بل كانت تكبدها أيضا خسائر فادحة في الأرواح والمعدات والفوز علاوة على غنائم وأسلاب بالغة الأهمية تفاوتت كمياتها وقيمتها بحسب الظروف من جواز مغربي إلى آخر ومن لقاء عسكري إلى آخر.

فعلى إثر الانتصار الساحق الذي حققه المغاربة مثلا في معركة الزلاقة (479 / 1086) بقيادة الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين على ملك قشتالة ألفونسو السادس وحليفه سانشو الثاني ملك أركون، عاثت فرق الجيش المشاركة في معسكر العدو ومحلاته نهبا وتدميرا وسبيا "تهدم بناءها وتستلم ذخائرها وأسبابها وتربه (أي يوسف بن تاشفين) رأي العين دمارها ونهابها" إذ تحصلت لديها غنائم وافرة فضلا عن قتل ما يزيد عن 20 ألف محارب. وقد تجددت ملامح هذا المشهد الحربي الجهادي بأشكال متفاوتة من حيث قوة الاندفاع وقيمة المغنم في معظم الجوازات التي سارع إلى النهوض بها السلاطين الموحدون فيما بعد، استجابة لصريخ ملوك الإمارات الطائفية المتداعية، بعدما صارت الممالك النصرانية تضيق الخناق على الحصون والمدن الإسلامية بأشد ما تكون أشكال المضايقة والحصار. وقد مثلت غزوة الأرك (591 / 1195) الشهيرة بزعامة يعقوب المنصور الموحدي في هذا الخصوص، أبرز معركة فاصلة حصد فيها المسلمون "الأموال والذخائر والأرزاق والأسلحة والعدد والأمتعة والدواب والنساء والذرية" إضافة إلى قتل" ألوف لا تعد ولا تحصى من الغزاة الكفرة" وأسر" أربعة وعشرون ألف فارس". وقد تكررت نفس هذه المظاهر الحربية سبيا وتقتيلا، وإن بصور أقل ملحمية، في مناسبات متعددة خلال القرن السابع (14) في لجة الحملات العسكرية التي قادها الأمراء المرينيون في أكثر من موضع داخل العدوة الأندلسية. ولم تشذ معركة وادي المخازن (986 / 1578) التي حقق فيها السعديون انتصاراً عز نظيره في العصر الحديث على الجيوش المسيحية بقيادة الأمير البرتغالي سيباستيان عن هذا المسار، إذ حصل على إثرها المغاربة على أموال طائلة من عمليات

افتداء الأسرى جعلت أحمد المنصور يأمر ".. بضرب السكة وجعلها منحسة وسميت دراهم سنة"، وذلك في الوقت الذي لم تقسم فيه حصيلة غنائم هذه المعركة بين المجاهدين على الوجه الشرعي إذ "انتهبها الناس كما اتفق لهم بحسب القوة والبخت الدنيوي". وفي سياق ما شهده النصف الأول من القرن الحادي عشر (17) من تصدع في وحدة السلطة السعدية وظهور إمارات جهوية مستقلة، أصبحت غنائم الجهاد البحري تمثل مصدراً أساسياً لتمويل النشاطات العسكرية للأمراء السعديين الأواخر، حيث استأثروا في هذا الإطار - بعد أن غدت عمليات الجهاد البحري تنظم تحت إمرتهم - بحصة الخمس بدل العشر كما كان عليه الأمر سابقا فضلا عن نصف بقية الغنائم وجميع الأسارى. ومع تواصل حركات تحرير الثغور والمدن المغربية المحتلة في العهد العلوي حصل المغاربة، أجنادا ومتطوعة مجاهدين، على كميات هامة ومتنوعة من الغنائم والسبايا عددت المصادر المعاصرة حصيلاتها ونوعياتها في أسلوب حماسي جياش. إلا أن المشكلة التي ظلت تطرح نفسها بصورة دائمة ومتجددة عبر تاريخ الحركات الجهادية المغربية سواء في الأندلس أو على جبهات الثغور الداخلية أيام الاحتلال الإيبيري وانعكست أصداؤها بكثافة في حقل الآداب الفقهية النوازلية، هي مشكلة تقسيم الغنائم بين المحاربين، والأنصبة التي ينبغي أن يحصل عليها كل من الجندي النظامي والجندي المتطوع وتلك التي ينبغي أن يحصل عليا المحارب الراجل والمحارب الفارس إلى غير هذا وذلك من النوازل الأخرى الكثيرة والمتعددة.

أ. القاسم البرزلي، *جامع مسائل الأحكام*، م. خ. ع. رقم 3907، ورقة 144 - 149 ؛ إ. عذاري، *البيان المغرب* ؛ ابن أبي زرع الفاسي، *الأنيس المطرب*، 191 - 167 - 126 ؛ عبد العزيز الفشتالي، *مناهل الصفا*، 39 ؛ م. مجهول، *تاريخ السعدية*، 65 ؛ عبد العزيز الزياتي، *الجواهر المختارة*، م. خ. ع. ج 66، ج 1 : 72 - 66 ؛ م. الأفراني، *نزهة الحادي*، 150 ؛ أبو القاسم الزياني، *البستان الظريف*، 176 - 179 ؛ عبد الكريم الريفي، *زهر الأكم*، 166 - 170 ؛ أ. الناصري، ج 5 : 82 ؛ ر. كواندرو، *قراصنة سلا*، 55.

الفقيه الإدريسي

الغنيمي، أحمد بن عبّاد أحد مشاهير الأولياء الصالحين بعبدة. تحكى عنه كرامات غريبة وأحوال عجيبة، وهو من أهل القرن الحادي عشر الهجري. يوجد ضريحه بجوار أضرحة أخرى لبعض أفراد أسرته بالزاوية الغنيمية شمال مدينة أسفي.

م. الكانوني، *جواهر الكمال في تراجم الرجال*.

الغنيمي، أحمد بن علي أحد الفقهاء الغنيميين العبديين، عاش خلال القرن الثالث عشر الهجري. كان بارعاً في علم القراءات وشاعراً رقيقاً في الملحون، له أزجال في المدح النبوي وأخرى في موضوعات اجتماعية عامة.

توفي عام 1290. ودفن بمقبرة أسرته بالزاوية الغنيمية شمال مدينة زسفي.

م. الكانوني، *جواهر الكمال في تراجم الرجال*، ج 2، مخطوط.

عبد الرحيم العطاوي

الغنيمي (سيدي -) دفين سطات اسمه الطاهر بن عبد الملك بن عبد السلام بن فلاح بن أحمد بن الحسن بن رحو ويعتبر من أشهر أولياء سطات. كما اشتهرت سطات نفسها بموسمه. لكن رغم ذلك يعرف عنه الشيء الكثير. بل إن كثيراً من الناس يسمونه خطأ سيدي لغليمي باللام بدل سيدي الغنيمي بالنون.

إنما الأكيد أن هذا الرجل من سلالة الشرفاء الغنيميين الذين ينتسبون إلى الشيخ الحسن بن رحو مؤسس ودفين الزاوية الغنيمية الكبرى في عبدة. مما يعني أنه رحل عن هذه الزاوية، وانتقل إل سطات حيث أسس زاوية خاصة به. كما أننا لا نعدم بعض الأخبار التي تفيد بأنه عاش في أيام حكم السلطان العلوي سيدي محمد بن عبد الله، وأنه كان يحظى عنده بمكانة سامية. بل ترجح نفس الأخبار أن يكون عام 1195 هو تاريخ وفاته.

ومما يؤثر عنه في باب المكارم إسهامه الهام في نشر الثقافة الصوفية بالمنطقة، ويقال عنه في هذا الصدد إنه كان من أهل الحضرة والأحوال. كما يذكر في باب مكارمه أيضا اشتراكه في الغزوات إلى جانب المغاربة لتحرير الثغور المحتلة، والمقصود هنا، دون شك، مشاركته إلى جانب الجيش المغربي في حصار وتحرير مدينة الجديدة من الاحتلال البرتغالي، زمن السلطان سيدي محمد بن عبد الله.

ولعل من أهم السمات التي مازالت قائمة في ضريح سيدي الغنيمي : قراءة دلائل الخيرات والأمداح النبوية والأحزاب الغنيمية، كما لا ننسى الموسم الشهير الذي يعمر حول ضريحه كل سنة.

ع. العزوزي، *الاستبصار بما فات في أخبار الشاوية وسطات*، مخطوط في ملكية عائلة العزوزي بسطات، ص. 50 ؛ ف. لموني، *الزاوية الغنيمية ودورها الاجتماعي والسياسي*، بحث لنيل الإجازة في التاريخ، تحت إشراف أحمد الوارث، كلية الآداب بالجديدة، 90 - 1991، ص. 20 - 22 ؛ ن. صافي الدين، *دراسة إحصائية تحليلية لمختلف مظاهر التصوف بسطات*، بحث لنيل الإجازة في التاريخ، تحت إشراف أحمد الوارث، كلية الآداب بالجديدة، 94 - 1995، ص. 26 - 29.

أحمد الوارث

الغنيمية، رقية للاّ أم علي إحدى الوليات الصالحات بمدينة أسفي، وهي زوجة الفقيه السيد عبد الله القليعي المدعو "الكَبْريتْ" الذي توفي عام 1180. فهي بالتالي من أهل النصف الأخير من القرن الثاني عشر الهجري. يوجد ضريحها بدرب القوس بالمدينة القديمة ويُعرَف بضريح "للاّ امُّوعْلي".

م. الكانوني، *أسفي وما إليه* ؛ أ. بن محمد الصبيحي، *باكورة الزيدة من تاريخ أسفي وعبدة*، تقديم وتعليق، عبد الرحيم العطاوي ومحمد الظريف، مطبعة الأنباء، 1994.

عبد الرحيم العطاوي

الغوث، أبو مدين شعيب بن حسين بن أسعد الأندلسي التلمساني، والده (الحسن) يلقب أيضاً بإمام الزهاد والعباد، وشيخ الشيوخ لأنه تخرج على يديه ألف تليمذ.

ولد في قطنيانة على بعد ثمانية أميال من إشبيلية وذكرت المصادر سنة 520 / 1126 تاريخا لميلاده، وجعلها عبد الحميد التلمساني بين 514 و 523 / 1120 و 1128.

نشأ يتيما يرعى غنم أخيه، وكان يصادف النساء والعباد في البرية. فتتوق نفسه إلى تقليدهم في العبادة وقراءة القرآن. فكان يهرب من أهله قاصداً المدينة، فيلحق به أخوه ويرجعه إلى البيت. وقد تمكن من الفرار فعلاً وقطع البحر إلى المغرب فحل بسبتة وطنجة وانتقل منها إلى مراكش للانخراط في سلك الجندية. وانتهى به الأمر إلى مدينة فاس، حيث أخذ على علمائها ومتصوفيها وعلى رأسهم علي بن حرزهم.

وسافر إلى الديار المقدسة لأداء فريضة الحج، فالتقى في مكة بالشيخ عبد القادر الجيلاني وأخذ عنه.

ثم تردد في بلاد إفريقية، واستوطن في الأخير مدينة بجاية، حيث تصدر للتدريس والتربية والإرشاد، فظهرت بها ولايته، وبرز علمه، وكانت المدينة حاضرة المغرب الأوسط. ففضلها على غيرها لأنها ـ حسب رأيه ـ تعين على طلب الحلال.

وقد أخبره شيخه أبو يعزى أنه ستهدى له جارية حبشية وستلد له ولداً، لذلك قبل الزواج بها عندما أهديت له، وبعدما ولدت، أصبحت عبئا عليه فطلقها فتزوجت تلميذه عبد الرزاق الجزولي، (*أنس الفقير*، *والمعزى*).

واختلفت الآراء حول علاقته بالموحدين. فقد مالت أغلب المصادر إلى القول بأنها كانت متوترة بسبب التفاف الناس حوله وخوفهم من ذلك، وبسبب ما كان يدرسه لطلبته ومريديه من أمور مخالفة للمذهب الموحدي، وقد أوشى به الشيخ أبو عمر الحباك، وقال بأنه يشبه الإمام المهدي، فأوصى يعقوب المنصور أن يحمل إليه من بجاية إلى مراكش إلا أنه توفي وهو في الطريق إليه بالعباد قرب تلمسان فدفن هناك سنة 594 / 1198.

وفي *المعزى* أن الشيخ أبا عمر قد تاب عن عمله، وأن السلطان عوقب فمات بعده بحوالي سبعة أشهر، وهي سنة الله مع أوليائه لا يروعهم أحد إلا روعه الله وهذا مجرب من أيام أويس القرني إلى الآن.

وهنالك رأي مخالف ورد في كتاب *المعزى* يذهب إلى أن المنصور قد عانى من مرض عضال بسبب قتله لأخيه عمر وعمه سليمان اللذين خرجا عليه سنة 582 / 1186 فلم يفلح الأطباء في معالجته، فأشار عليه بعضهم بأن شفاءه عند أبي مدين سيد الطائفة في ذلك الزمان. فسعى إليه : إلا أنه مات بتلمسان وهو في طريقه إليه كما أسلفنا، وقال لمرافقيه بأن دواءه عند أبي العباس السبتي الذي كان في خلوة بجبل جيليز آنذاك. وبسبب ذلك استدعى المنصور أبا العباس السبتي.

ورواية المعزى غير مقبولة لأن حادثة القتل ومرض الخليفة كانت في بداية حكم المنصور 582 / 1186 بينما استدعاء أبي مدين لم يتم إلا في آخر الحكم 594 / 1198.

أخذ أبو مدين عن كبار شيوخ العصر بالمشرق والمغرب وهم :

1 ـ أبو الحسن علي بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن حرزهم (ت. 559 / 1202)، درس عليه بفاس كتاب : *الرعاية لحقوق الله*، لأبي عبد الله الحارث ابن أسعد المحاسبي (ت. 245 / 859)، وإحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي (ت. 504 / 1110).

2 ـ أبو الحسن علي بن غالب (ت. 568 / 1172) درس عليه بفاس كتاب *السنن* للترمذي، ولازمه وتفقه على يديه (*أنس الفقير*، 26).

3 ـ أبو عبد الله الدقاق : أخذ عنه علوم التصوف، قال (أنا أول من أخذ منه الشيخ أبو مدين علم التصوف). درس عليه الرسالة القشيرية. التي كانت من الكتب المفضلة لدى أبي مدين، وكان الدقاق يتردد بين فاس وسجلماسة.

4 ـ عبد القادر الجيلاني : قرأ عليه في الحرم كثيراً من الحديث، وألبسه الخرقة، وأودعه كثيراً من أسراره، وحلاه بملابس أنواره، فكان أبو مدين يفتخر بصحبته ويعد من أفضل مشايخه.

5 ـ أبو الصبر أيوب بن عبد الله الفهري السبتي : درس عليه بمدينة فاس، وله كتاب عرف فيه بأبي مدين وذكر فيه فضله.

6 ـ أبو يعزى يلنور الهسكوري (ت. 572 / 1176) أخذ عنه التصوف العملي، وسلك الطريق على يديه. وكانت تتسم ببعض القسوة والشدة، لأن الشيخ اشتهر بعدم المداراة ومواجهة الناس بعيوبهم، كان يتردد عليه ويأخذ عنه، فهو شيخه قدوة وتصوفا وخرقة وصحبة، وكان الشيخ يعظمه ويثني عليه ويهتم به ويشير إلى أنه سيكون خليفته في التصوف.

وقد تمكن أبو مدين من تكوين نفسه في العلوم الشرعية وفي التصوف على السواء وبرز فيهما معا، حتى قيل عنه بأنه جمع بين علمي الشريعة والحقيقة، وأفتى ببلاد المغرب على مذهب الإمام مالك بن أنس وناظر وأملى.

وقيل عنه كذلك : أنه كان من أعلام العلماء وحفاظ الحديث، وكانت ترد عليه الفتاوى في مذهب مالك فيجيب عنها.

أما في التصوف فإن أبا مدين يعد من صدور المقربين،

وعظماء العارفين، وأصحاب الحقائق والمعارف، وذوي التمكين والتصريف، وخرق العوائد مما جمع له بين علمي الحقيقة والشريعة، وانتهت إليه رياسة هذا الشأن. وتخرج به جماعة.

وكان أبو مدين زاهداً فاضلاً عارفاً بالله تعالى، خاض بحار الأحوال، ونال أسرار المعارف خصوصاً مقام التوكل لا يشق غباره ولا تجهل آثاره.

وداوم على تلقين الذكر للمريدين والمريدات. وقد أنكر عليه بعضهم تلقين النساء وإعطاءهن الورد والكشف على صدورهن وبطونهن لكي يتفل عليها، فتصدى أبو مدين للرد على هؤلاء قائلاً : لو كان الأمر متعلقا بطبيب ألا يحق له ذلك ؟ فكيف به وهو الشيخ المربي الزاهد.

كما كانت له مجالس في الوعظ بعد صلاة الصبح ببجاية، يجتمع عليه غفير من الناس، لا يتكلم فيه إلا على أهل التصوف ومناقبهم وأخبارهم وزهدهم وورعهم، ويذكر رجال الرسالة القشيرية ويحث الناس على السير على نهجهم، وتتبع طريقتهم.

ويعتقد أبو مدين أن الأساس في التصوف هو الزهد والاجتهاد، ويبدأ الطريق عنده بالتوبة، ثم الإرادة، لأن طلب الإرادة قبل التوبة غفلة. ومن تخلى عن التزام الطاعات والقيام بالفرائض ضاع.

وعلى المرء أن يحاسب نفسه ليصل مقام المراقبة، فإذا ادعى المريد المقامات، مع تقصيره في الفروض وفي الذكر، فإنه من المبتدعة الذين يجب تجنبهم.

ويعتبر أبو مدين الغوث محطة مهمة في الربط بين الجنيد والشاذلي وذلك بواسطة ثلاثة أسانيد : عن طريق شيوخه : ابن حرزهم والجيلاني وأبي يعزى.

السند الأول :

عن شيخه علي بن إسماعيل بن حرزهم رأس المدرسة الغزالية بالمغرب عن عمه صالح بن حرزهم عن الإمام الغزالي عن أبي المعالي إمام الحرمين عن أبي طالب المكي عن الجنيد.

السند الثاني :

عن شيخه عبد القادر الجيلاني مؤسس الطريقة القادرية عن أبي سعيد مبارك المخزومي عن أبي القاسم القرشي عن أبي بكر التميمي عن أبي بكر الشبلي عن الجنيد.

السند الثالث :

عن شيخه أبي يعزى يلنور الهسكوري عن أبي سعيد أيوب بن سعيد الصنهاجي عن أبي ينور بن عبد الله الدكالي الاغماتي عن أبي الفضل عبد الله الجوهري عن أبي بكر الدينوري عن أبي الحسين بن محمد النوري عن الجنيد (*أنس الفقير، المواهب القدسية، المعزى*).

وتتفرع الأسانيد عن أبي مدين لكثرة تلامذته، فقد جاء في (*التشوف*) عن محمد بن إبراهيم الأنصاري أن أبا مدين خرّج ألف تلميذ ظهرت على يد كل واحد منهم كرامة، وقد ذكر ابن قنفذ مجموعة منهم، وأسس تلامذته طرقاً بالأندلس والمغرب.

ويصل أبو مدين الطريقة الشاذلية بالجنيدية بواسطة سندين مشهورين :

السند الأول : يسمى عند الناصريين بسلسلة العلماء عن طريق تليمذه أبي أحمد بن سيد بونة عن عبد الرحمن المدني الزياتي عن عبد السلام بن مشيش عن أبي الحسن الشاذلي.

السند الثاني : عن طريق تليمذه تقي الدين الفقير عن عبد الرحمن المدني الزيات عن عبد السلام بن مشيش عن أبي الحسن الشاذلي.

وكان أبو مدين يربي مريديه بكتاب *المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى* للغزالي لقوله عنه (إنه بث فيه بعض أسرار علم المكاشفة) كما كان يداوم على تدريس كتاب *إحياء علوم الدين*.

وقد تخرج على يديه ـ كما أسلفنا ـ ألف تلميذ نذكر بعضهم : بلال، خديم الشيخ أبي مدين سلك الطريقة على يديه. جعفر بن عبد الله بن محمد سيد بونة الخزاعي من شاطبة أبو علي حسن بن محمد الغافقي الصواف، لازمه ثلاثين سنة، وحدث عنه أخباراً وانتفع به، ونسب كل فضيلة ظهرت على تلامذته إليه.

أبو الزهر ربيع الانصاري البجائي. أبو محمد صالح بن أبي القاسم السجلماسي وصالح الدكالي الماجري القرشي المخزومي. أبو محمد صالح بن ينصارن الماجري. ظاهر الجدوعي. أبو محمد عبد الجليل بن موسى بن عبد الجليل الأنصاري القصري. أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الاشبيلي الحافظ، صاحب *الأحكام الكبرى والصغرى* في الحديث، و *العاقبة في التذكير* . أبو محمد عبد الخالق التونسي. أبو تميم عبد الرحمن الهزميري، كان حافظا للمسائل .عبد الرحيم بن حجون المغربي. عبد الرحيم القناوي. عبد الرزاق الجزولي، من كبار تلامذته، لازمه طويلاً وتزوج طليقته الحبشية وربى ولده محمدا. أبو محمد عبد العزيز بن أبي بكر القرشي. أبو محمد عبد الله بن ماكسن الصنهاجي. عبد الله البوني. أبو محمد عبد الله الصنهاجي المعروف بالزرهوني. أبو الحسن علي بن إبراهيم الصنهاجي. أبو علي عمر الصباغ. فاطمة الأندلسية القصرية. محفوظ بن جعفر. أبو عبد الله محمد بن حماد الصنهاجي، ذكر في فهرسته أنه أخذ عنه *المقصد الأسنى* ببجاية. أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأنصاري من كبار تلامذته، كان كثير الرواية عنه. أبو عبد الله محمد بن إبراهيم القرشي الأندلسي. أبو عبد الله محمد التاودي. أبو مسعود بن عريف من جبل شلف. أبو علي منصور الملياني. أبو عمران موسى بن ندراس الحلاج. أبو زكريا يحيى بن أبي علي الزواوي، كان عالماً صالحاً أبو علي يعزى بن الشيخ أبي يعزى (*أنس الفقير والمعزى*)

ولم يقتصر مجهود أبي مدين على التربية والتعليم

وتكوين المريدين وإنما سمت به همته إلى التأليف، من إنتاجه العلمي :

1 ـ ديوان شعر : فقد كان له شعر كثير في موضوعات دينية وصوفية أورد د. عبد الحليم محمود مجموعة بلغت 12 قصيدة (*أبو مدين الغوث*، 106 ـ 132).

ومن أكثر شعره انتشاراً قصيدته التي قال في مطلعها :

ما لذة العيش إلا صحبة الفقراء هم السلاطين والسادات والأمراء
فاصحبهم وتأدب في مجالسهم وخل حظك مهما قدموك ورا

ولجمالها خمسها محي الدين بن عربي إرشادا للسالكين.

2 ـ *مفاتيح الغيب وستر العيب*

3 ـ *أسس التوحيد*

4 ـ *حرز الأقسام*، مخطوطة مكتبة بايزيد بإسطنبول عدد 253، والمكتبة السليمانية عدد 398.

5 ـ *رسالة في التصوف* : نفس المكتبة رقم 1810

6 ـ حكم أبي مدين نفس المكتبة رقم 613 (*الإعلام*، 10 : 178، هامش، 105)

وقد صدرت عنه كرامات تتبعها بتفصيل ابن قنفذ في *أنس الفقير* والصومعي في *المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى*.

توفي سنة 594 / 1198 ، وهو في طريقه من بجاية إلى مراكش ودفن بالعباد قرب تلمسان.

ع. الحليم محمود، *أبو مدين الغوث*، شيخ الشيوخ، ط 2 ؛ ع. ابن إبراهيم المراكشي، *الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام*، المطبعة الملكية، 1983 ؛ خير الدين الزركلي، *الإعلام*، قاموس تراجم، ط 8، 1989 ؛ ابن قنفذ، *أنس الفقير وعز الحقير*، تح. م. الفاسي وادولف فور، الرباط، 1965 ؛ ي. التادلي، *التشوف إلى رجال التصوف*، تح. أ. التوفيق، كلية الآداب بالرباط، 1984 ؛ م. الحفناوي، *تعريف الخلق برجال السلف*، ط 2، 1985 ؛ م. المنوفي، *جمهرة الأولياء وأعلام أهل التصوف*، القاهرة، 1967 ؛ م. ابن المؤقت، *السعادة الابدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية*، 1336 ؛ ع. التلمساني، *السعادة الابدية لأبي مدين شعيب فخر الديار التلمسانية*، فاس، 1935 ؛ الغبريني، *الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية*، تح. عادل نويهض، بيروت، 1969 ؛ أ. التادلي الصومعي، *كتاب المعزى في مناقب أبي يعزى*، تح. علي الجاوي، الرباط، 1996 ؛ ع. التليدي، *المطرب في مشاهير أولياء المغرب*، ط 2 : 1987 ؛ ع. الحنفي، *الموسوعة الصوفية*، دار الرشاد، 1992.

حسن جلاب

الغواص اليمني، مولاي عبد السلام أحد أولياء الله الصالحين بالوليدية. أصله من اليمن حسب الكثير من الروايات، وقد يكون رحل إلى المغرب خلال القرن الثامن للهجرة. يقول عنه الكانوني : "... كتب في طريقه من بلده إلى المغرب رحلة ذكر فيها خروجه من اليمن وما رآه في طريقه من المدن، وقد كانت (هذه المخطوطة) موجودة بضريحه إلى حدود العشرين وثلاثمائة بعد الألف، ثم فُقدت، ولم يوقف لها على أثر. وقد ذكر لي صاحبنا البحاثه المؤرخ المعتني أبو عبد الله السيد محمد بن علي الدكالي السلاوي أن وروده المغرب كان صدر المائة السابعة وأن هذه الرحلة تُرجمت إلى اللغة الإنجليزية ..." غير أنني لم أقف لا على المخطوطة ولا على الترجمة الإنكليزية المزعومة.

وللتهامي الوريري قصيدة فيه مطلعها :

خليلي عرج نحو القباب قباب من أبان لنا الرحمن فضله كالشمس
همام كريم فاضل متفضل تقي نقي فاق فضلاً بني الجنسِ
سليل رسول الله مولاي عابد السلام بها الغراص يدعى لدى اللبسِ

وضريحه معروف في الوليدية وبه مسجد وكتاب، ويُقام حوله موسم سنوي في الصيف.

م. الكانوني، *جواهر الكمال في تراجم الرجال*، ج 2، مخطوط.

عبد الرحيم العطاوي

الغيرانية، عملة مغربية لها عدة أسماء في الوثائق المغربية، فهي تسمى سكة الغيران وسكة الكهوف، وسكة الحداد، وسكة برشم بوعثمان، وكلها منسوبة إلى منطقة إفران بالأطلس الصغير ويَرد ذكرها في عقود الناس ووثائق الفقهاء في منطقة سوس والأطلس الصغير وهي أكثر السكك القديمة رواجاً، وترجع نشأتها ـ كما يذكر عبد الله التِّملي ـ إلى القرن التاسع للهجرة. وهي سكك لا تنسب إلى الملوك وإنما تنسب إلى منطقة ايفران معرّبة بالغيران أو الكهوف، وهي إما فضية وإما ذهبية، ولم نعثر على القطع الفضية والذهبية بعينها وإنما تتبعناها من خلال الوثائق والمخطوطات، وهي السكك الرائجة في الغيران (ايفران) منذ العهد المريني إلى بداية العهد العلوي. وتروج مع الغيرانية السكك : الاشقوبية والكُتَامية والرشيدية.

وكانت السكة الفضة الغيرانية ـ كما حدد عمر الكرسيفي ـ تزن بحبات الشعير 20 حبة أما عيارها فهي تتركب من سبعة أثمان النقرة (الفضة) وثمن النحاس. وقد نقص وزنها في القرن الثامن عشر إلى 18 حبة (= 0,79 غ) كما نقص عيارها، وكان الفقهاء يفرقون بين عيار السكة الفضية التي تحتوي على ثمن النحاس فقط باسم "درهم الغيران" بدون نسبة أما السكة الفضية التي تحتوي على نصف وزنها من النحاس والنصف الآخر من الفضة فيطلقون عليها اسم "الدرهم الغيراني" منسوبة بالياء، ويصفونه بالدرهم البالي.

أما السكة الذهبية الغيرانية، فتسمى بالذهب المطبوع، احترازا من الخلط بينها وبين استعمال التبر "غبار الذهب" في التعامل بالوزن بدل العملة، أما العملة الذهبية الغيرانية فقد عرفت في هذه الجهة منذ سنة 940 / 1533 فما بعد، وقد اختلف وزنها وعيارها كما اختلفت أسعار صرفها، كما هو الشأن في أوزان الفضة وعيارها وصرفها. يجب الإشارة إلى ملاحظة هامة لما يرد في الوثائق من ذكر السكك الفضية، فيعتقد أنها سكك ذهبية لأن الفقهاء يستعملون كلمة "الدينار"، أو كلمة "الذهب" عند ذكر سكك الفضة، فيقولون مثلاً : خمسة عشر ديناراً من الفضة أو خمسة عشر ذهبا.

فمرادهم به هو قدر معلوم من الدراهم التي تصرف إلى الذهب وليس الذهب الحقيقي.

ع. أفا، *النقود المغربية في القرن الثامن عشر*، ص. 53. 100. 168 ـ 129. 171 ؛ *تقييد في سكك الغيران يوجد في آخر مخطوط الأجوبة الفقهية*، لعبد الرفيع التونسي، الخزانة الحسنية، الرباط، رقم 8086 ؛ *بَيان السكك الجارية في الغيران*، ذيل به عبد الله بن إبراهيم بن علي التملي مخطوط أجوبة المتأخرين، الخزانة العامة بالرباط، رقم 298 ق صفحات، 318 إلى 323 ؛ *النقود في العهد السعدي*، نماذج ببليوغرافية، مجلة تاريخ المغرب، عدد 7 و8 سنة 1997، ص. 32. 35.

عمر أفا

غيس (واد ـ) يقع في إقليم الحسيمة بشمال المغرب ويعتبر أحد أهم الأودية التي تجري في الجزء الشرقي من الريف الأوسط. يمتد الواد على مسافة 70 كلم ويجري حسب اتجاه عام جنوبي ـ غربي، شمالي شرقي. ينبع المحور الرئيسي للمياه عند جبل بوغرضة (1750م) ويتجه بداية من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي ثم يغير مجراه فجأة عند اصطدامه بكتلة جبل حمام (1949 م) ليتجه نحو الشمال الشرقي حيث يصب في البحر الأبيض المتوسط. يبلغ حوض صرف واد غيس حوالي 805 كلم^2 ويحد من الشرق بحوض صرف واد النكور ومن الجنوب بحوض صرف واد ورغة ومن الغرب والشمال الغربي بظهير كتلة بقوية.

تتشكل تضاريس الحوض الهدروغرافي من أعراف جبلية في الجنوب الغربي (جبل تيموزاي 1577م، جبل إكار ملت 2040 م، جبل حديد 1550 م) تتخللها بعض المنخفضات

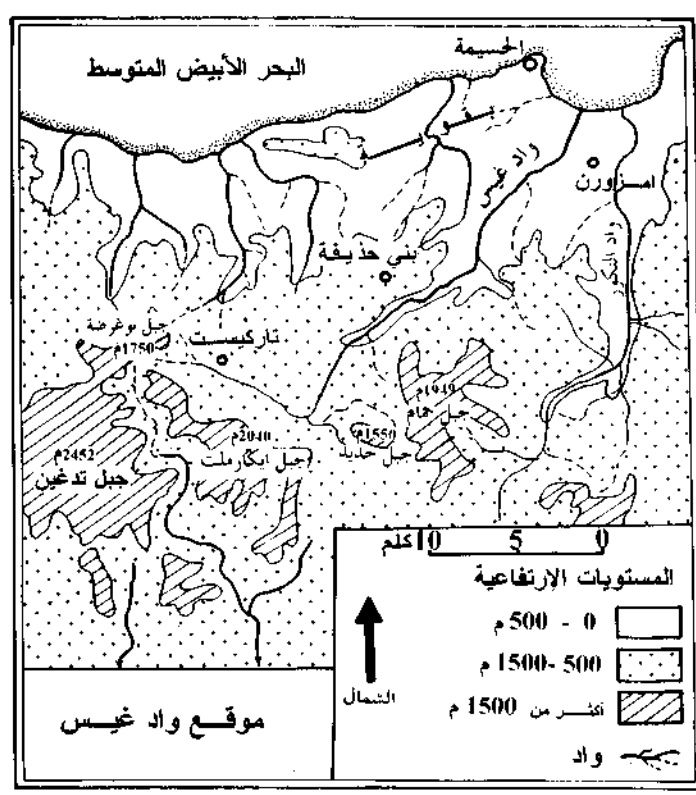

(منخفض تاركيست (1000 م) ومنخفض بني عمارت (1150 م). ويقل الطابع الجبلي كلما اتجهنا نحو الشمال الشرقي حيث لا نجد سوى بعض القمم المنعزلة (جبل تكفرين 686م، جبل آيت قمرة 528م ودهار بوحمود 478م) وبعض المنخفضات منخفض تماسينت، 400م وسلسلة من الهضاب المتدرجة باتجاه البحر (هضبة تيكارت 250م، وهضبة تفراست 100 م). في أقصى الشمال الشرقي بجري الواد، قبل أن يصب في البحر، في منطقة سهلية (سهل سواني) أزغار 100م تشكل الجزء الشمالي الغربي من سهل النكور.

يشكل واد غيس، على طول محوره الرئيسي، منطقة اتصال بين ثلاث وحدات جيولوجية كبرى، تتراكب الواحدة فوق الأخرى انطلاقا من الشمال نحو الجنوب على الشكل التالي : وحدة تيزيرين المكونة أساسا من الصلصال والحث ووحدة شوامات الصلصال ـ شستية ووحدة كتامة المكونة من الشست والكوارتزيت على الخصوص، وتعود صخور هذه الوحدات الثلاث إلى الزمن الجيولوجي الثاني. وقد استغل الواد عدة انخلاعات وانكسارات ليشق مجراه باتجاه الشمال الشرقي.

في علاقة مع التنوع التضاريسي تتميز أراضي واد غيس بتنوع مناخها، فجزؤها الجنوبي الغربي ينتمي للطابق البيومناخي شبه الرطب حيث يبلغ معدل الأمطار 400 ملم (محطة تاركيست) أما جزؤها الشمالي الشرقي فيدخل ضمن النطاق نصف الجاف ولا يزيد به معدل الأمطار عن 300 ملم (محطة مطار الحسيمة). هذه الكميات المتواضعة من التساقطات لا تسمح إلا بجريان موسمي للواد حيث لا يتجاوز معدل صبيبه 3م3 / ثانية. أما من حيث الغطاء النباتي الطبيعي فقد كانت تكسو المنطقة أشجار العرعر على الخصوص لكنها تعرضت للاجتثاث خاصة خلال فترة الاستعمار الإسباني.

تنتمي ساكنة حوض واد غيس إلى قبيلة آيت ورياغل ما عدا تلك التي تستقر في عالية الواد والتي تنتمي إلى قبائل صنهاجة. أما إدارياً فإن الواد يقطع مجموعة من الجماعات القروية تنتظم من العالية إلى السافلة على الشكل التالي : زرقات، تاركيست، سيدي بوتميم، زاوية سيدي عبد القادر، بني حذيفة، بني عبد الله، إمرابطن، لوطا، آيت يوسف وعلي. وتقدر ساكنة هذه الجماعات بـ 66256 نسمة (الإحصاء العام للسكان والسكنى 1994)، أما مساحتها فتقدر بحوالي 828 كلم^2 مربع ويبلغ معدل الكثافة السكانية بأراضي واد غيس 80 ن / كلم^2.

يعيش سكان المنطقة عموما على الموارد الفلاحية بحيث تبلغ المساحة المزروعة 66٪ من مجموع أراضي وادي غيس (الإحصاء الفلاحي 1996) يخصص أكثر من نصفها لزراعة الحبوب بينما تخصص المساحة المتبقية للقطاني أو الخضروات. كما تحتل الأشجار المثمرة حيزاً مهما من هذه الأراضي تقدر بـ 8813 هكتار أي ما يعادل 20٪ من

الأراضي الصالحة للزراعة. تشكل أشجار اللوز والتين أهم الأنواع المغروسة. وتستعين ساكنة المنطقة بتربية الماشية لسد حاجياتها من اللحوم وللرفع من مداخيلها بحيث يقدر عدد رؤوس الأغنام بالمنطقة بحوالي 30 ألف رأس وعدد الأبقار 9789 رأس وعدد الماعز حوالي 10641.

وارتباطا بقلة الموارد المتاحة بأراضي واد غيس، تعرف المنطقة منذ سنة 1960 هجرة مهمة لليد العاملة خاصة نحو الدول الأوربية. وقد مكنت عائدات المهاجرين من خلق دينامية محدودة في اقتصاد المنطقة وساهمت في تطور مجموعة من المراكز السكنية مثل تاركيست وبني حذيفة وبني عبد الله وقاسنيت. وتعد مدينة تاركيست أهم تجمع سكاني على طول واد غيس بحيث يقدر عدد سكانها بأكثر من 10000 نسمة حالياً.

بالإضافة إلى الهجرة يتعاطى بعض سكان المنطقة خاصة في عالية الواد لزراعة الكيف مما يمكنهم من الرفع من مداخيلهم، خاصة وأن الأثمنة التي تباع بها المحاصيل مرتفعة مقارنة بباقي الأنواع الزراعية المنتشرة بالمنطقة.

جمال الكركوري

الغَيْضَة ويكتب الغَيْدَة أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Algaide وهو اسم مدينة إسبانية. ومن أفرادها : الحاج عبد الكريم الغيضة كان يرأس فرقة المدفعية بحامية تطوان سنة 1246 (1831).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

الغيطة (آلة -) موسيقية من ذوات النفخ. عرّفها قاموس الموسيقي العربية فذكر أنها هي "الصّرنَايْ" أو "السرناي"، وهي صنف من المزامير، غير أنها أحَدّ تمديداً من سائر أصنافها". وإلى السرنايات أشار ابن بطوطة في الرحلة وهو بصدد وصف موكب السلطان أبي سعيد ببغداد فقال : "وتُسمى عندنا (أي بالمغرب) بالغيطات"، كما قال بصدد حديثه عن استقبال زوجة محمد أوزبك قبيل وصولها إلى القسطنطينية : "الصرنايات، وهي الغيطات".

والغيطة اليوم آلة هوائية، تحمل منفخا صغيراً ينفخ فيه فيؤدي الريح إلى أنبوب خشبي مخروطي الشكل، دقيق في أعلاه، طوله حوالي ثلاثين سم، يتسع بالتدريج إلى أن يبلغ عند طرفه الأسفل نحو عرض كف اليد، وبه ما بين سبعة وعشرة ثقوب يحدث عقفها بالأصابع أصواتا موسيقية متفاوتة الدرجات.

ويعتمد استخدام الغيطة على تقنية خاصة تتطلب تخزين كمية وافرة من الهواء داخل الفم، وأثناء تصريف الهواء في جوف الغيطة يتنفس النافخ عن طريق الأنف معوّضا بذلك الكمية المصرفة، وتلك عملية شاقة بتحول معها الفم بشدقيه إلى ما يشبه قربة هواء.

تستخدم الغيطة في أنماط متعددة من الموسيقى الشعبية، ومنها أغاني رقصات غياتة، وأغاني جبالة المعروفة بالقطوقة الجبلية، كما تستخدم في عروض المجموعات الشعبية الشهيرة باسم "الطبالين والغياطين"، وذلك في الأعياد الدينية ومواسم الأولياء وفي المناسبات العائلية كحفلات العقيقة والختان وختم القرآن، أو لإيقاظ الناس للسحور في ليالي رمضان.

وقد كان من عادة "الطبالين والغياطين" بفاس حتى أوائل القرن العشرين أن يقوموا في أيام الجمع بمسيرة موكبية عبر الأسواق تنتهي عند ضريح المولى إدريس الأزهر : فخلال الجمع الأربع من كل شهر قمري تقوم المجموعة بضرب "النوبات" وهي عبارة عن معزوفات موسيقية كانت تؤدى أمام الضريح الادريسي على النحو التالي :

- نوبة بيماريشال، ونوبة هالي في الجمعة الأولى من الشهر.
- نوبة شابور أو شنبر الكبير، والمربع في الجمعة الثانية.
- نوبة بشرف، وتركبد الخمسة في الجمعة الثالثة.
- نوبة الحربي الفاسي، والحربي الوزاني في الجمعة الرابعة.

ومن خلال أسماء هذه المعزوفات يتبين أنها تعكس مفاهيم إيقاعية ونبوية مشرقية الأصل، مما يقوّي احتمال أن تكون من المستعملات الموسيقية التركية التي تسربت إلى المغرب من الجزائر بعد احتلالها من الأتراك، وهي مستعملات لا يتطرق الشك إلى نسبتها التركية، فإن "البشرف" يعني المقدمة الآلية المؤلفة من خمسة أجزاء يطلق عليها "الخانات"، بينما يعني "الشنبر" في الطرب الغرناطي بالجزائر المقدمة الآلية التي يمهد بها لأداء "نوبة الانقلابات".

وإلى طائفة "الطبالين والغياطين" يشير التادلي في كتابه فيقول : "ولأهل الطبل والغيطة طبوع أولها رأس النوبة، ثم بشراف ... ثم حربي ..."

ابن بطوطة، *الرحلة*، وتقديم وتعليق، د. علي المنتصر الكتاني، 1399 / 1979، ج 1، ص. 252 و384، ج 2، ص. 456 ؛ إبراهيم التادلي، *أغاني الشقا ومغاني الموسيقي*، خ. غ. رقم 3285 د، ص. 43 ؛ ح. علي محفوظ، *قاموس الموسيقى العربية*، بغداد، 1977، ص. 83 و106.

Chottin Aexis, *Tableau de la musique marocaine*. p. 166-167.

عبد العزيز بن عبد الجليل

غيغاية (واد -) ينبع الواد وروافده الأولى من حلبات جليدية قديمة، تكونت فوق صخور صهيرية ترجع إلى ما قبل الكمبري، ويتسع مجراه ويستوي سطحه بفعل التعرية الجليدية والصقيعية التي خلفت به مقعرات صغيرة طمرتها الرواسب وتحولت إلى مروج ندية، لكن مجراه يضيق ويتعمق

بعد عدة كلومترات من منابعه خاصة عندما يعبر كتلا گرانيتية وصخوراً كلسية صلبة ترجع إلى الزمن ج 1، ثم يتسع قليلاً عند إمليل، حيث يلتقي برافدين مهمين من ضفتيه اليمنى واليسرى، وبعد ذلك يتعمق في صخور حتية وگرانيتية وكلسية، يلتقي في نهايته بمجراه الرئيسي إمنان عند مدخل حوض آسني، الذي هو عبارة عن بهرة تمتد على طول الواد لمسافة 6 كلم، تتكون من صخور هشة : طين وطفل، حفرها الواد مستغلا وجود فالق طولي يشرف عليه من الجهة الغربية إفريز هضبة كيك من علو 300 متر، ومن جهة الشرق إفريز مقابل لهضبة إفغان أو سيدي فارس.

وعند خروج الواد من حوض آسني يتعامد مع ثنية محدبة من الشيست الصلب ترجع إلى فترة الفحمي بالزمن ج 1، فيتعمق بها مشكلاً خوانق ضيقة على طول 3 كلم تعرف بخوانق مولاي إبراهيم، لا تتسع لغير مجرى الواد. وبعد خروجه إلى السهل يجد سحنة هشة من الطين والطفل ترجع إلى البرموترياس، فينحتها وينثر عليها رواسبه مكوناً مخروطه الذي تعمق فيه، ويفعل الحت الجانبي لثنيات سريره، يكون حوضاً فلاحياً صغيراً انتشرت به بساتين تاحناوت منذ القديم. وهنا يتسع قليلاً عند ملتقاه بآخر رافد له وهو : واد سيدي فارس، الذي ينبع من سفح جبل تيزراك. وتظهر هنا عدة سطوح نهرية عند مخرجه. وعندما يترك مخروطه الحديث عند دوار سيدي امحمد أو فارس بنقطة ارتفاع 960 متر يخرج إلى سهل الحوز عابراً بقايا مخروط قديم يتسع مجراه مكوناً سريراً رملياً واسعاً، وهنا تجف مياهه إذ تستنفد السواقي ما تبقى منها. ويلاحظ أن واد غيغاية وإن كان يعتبر من روافد واد تانسيفت فإنه لم يعد يتصل به إلا نادراً إذ يتفرع بعد اجتيازه تلال موسخة قرب تامصلوحت إلى فرعين هما : البهجة القديمة الذي تضيع مياهه الفيضية في جريان منتشر على بعد عدة كيلومترات، والبهجة الجديدة الذي لازال يحتفظ بمجرى يربطه بواد تانسيفت. ويلاحظ أن الواد يتغير اسمه حسب مقاطعه، ففي العالية يعرف بأسيف آيت ميزان، وبمجراه الأوسط بحوض آسني يعرف بواد مولاي إبراهيم، وبمخروط تاحناوت يعرف بواد غيغاية، وبمجراه الأسفل يعرف بواد البهجة.

ويعتبر غيغاية من الوديان التي خضعت لمراقبة مبكرة منذ 1927 ، إذ يتوفر على خمس محطات لقياس الأمطار ومحطتين لقياس الجريان والحرارة موطنة في الأماكن الحساسة على طوله. يبلغ معدل جريانه السنوي 58 مليون م^3، أما التصريف اليومي فيتراوح بين 1.2 م 3 / ث إلى 470 م^3 ث، لكن معدل الجريان يعرف تباينا حادا من سنة لأخرى، فقد عرف الواد فترة مطيرة في عقدي الستينيات والسبعينيات، لكن بعد الثمانينيات تناقصت أمطاره كثيراً، مما يؤثر على مشاريع الري، إذ يبلغ معدل الجريان السنوي الأدنى والأعلى1 . 11.

وتبلغ الحمولة الصلبة حوالي 3.5 كلغ / م^3، إذ يقتلع حوالي 5200 طن / كلم^2 من مساحة حوضه، لكن نسبة أملاحه ضعيفة تقل عن 0.5٪.

ويعتبر واد غيغاية من أقدم الوديان التي أقيمت عليه شبكة ري تقليدية سواء داخل الجبل أو بسهل الحوز، وكان كذلك من أول الوديان التي خضعت للاستغلال الاستعماري، إذ أقيم عليه سنة 1936 حاجز من الإسمنت بتاحناوت لتحويل مياهه إلى قناة جديدة : الباشية (الرومية) بالضفة اليمنى طولها 15 كلم، معدل تصريفها 1 م 3 / ث لسقي التجزئة الاستعمارية بأغواطيم جنوب مراكش، وهذا ما أدى إلى استغلال أكثر من 80٪ من مياه جريانه السنوي. كما أن أول منشأة عصرية لتزويد مدينة مراكش بالماء الشروب، وهي خطارة أزوگار، حفرت بمجرى واد غيغاية للحصول على قسم من مياه جريانه الباطني، حفر بئر رأسها عند دوار آزرو بتاحناوت.

أحمد هوزلي

غيغاية (حوض -) يرتبط بالأحواض المجاورة عن طريق مجموعة من الفجاج العالية يتجاوز علوها 3000 م، أهمها : تيزي ن وگان، وتيزي ن تاغرات، وتيزي ن مزيك، المشهورة في مسارات السياحة الجبلية المزدهرة بهذه المنطقة. يبلغ طوله من منبعه بتيزي ن واگان إلى مخرجه إلى السهل عند تاحناوت 40 كلم، ومساحة حوضه 225 كلم^2 يتلقى أهم روافده بضفته اليمنى وهو واد إيمينان عند لالا عزيزة بمدخل حوض أسني على علو 1244 م. تعرض حوضه الجبلي لعوامل تعرية متنوعة قوية طيلة الزمنين ج 3 وج 4 وذلك بسبب انتهاض الكتلة الجبلية بفعل الحركة الألبية، وانخساف سهل الحوز، مما جعل الواد يتعمق في واديه مكوناً خوانق ضيقة. وهو واد سلفي اتخذ مكانه مبكراً مما يفسر عدم تكيف مجراه مع البنية الجيولوجية عموماً، إذ نجده يقطع أعرافاً وطيات وفوالق بشكل عمودي. يتكون مجراه الأعلى من حوض متعمق في كتلة توبكال المرتفعة، تتكون من صخور الحث والرصيص والبازالت ترجع إلى ما قبل الكمبري، تظهر بها دكات خضراء داكنة من اللافا ترسم بالمنحدرات الحمراء أفاريز متقطعة. أما بقعور الوادي فيكثر الشيست والحث : البرموترياس. ويسود بالقمم العليا الشيست الأخضر والرمادي الكمبرو أردوفيسي تعلوه أحيانا دكات من الكوارتزيت. وهذه البنية هي نتاج عملية تسوية في الدورة الهرسينية. تناولتها عوامل تعرية لاحقة ولم يبق منها إلا شواهد صلبة مثل : هضيبة تاز اغارت ومحدبات بأعلى قمم وانوكريم وتوبكال المكونتين من صخور الأنديزيت والريوليت ترجع إلى ما قبل الكمبري. وتظهر بجوانبها كتل گرانيتية متقطعة تتخللها أحيانا تدفقات اللافا التي تظهر خاصة على مستوى بعض أودية الروافد. ويوجد بجوانب القمم والهضيبات المعلقة بقايا بنيات صخرية ترجع إلى أزمنة مختلفة أهمها :

أماكن تنتمي صخورها إلى الزمن ج 2 : سحنات من الرصيص والحث الترياسي ذات لون أحمر، بالإضافة إلى سحنات كاربونية وصلصالية ترجع إلى الليلياس والكريتاسي تكون بعض الهضيبات المجاورة مثل كيك.

المناخ : إذا كان مناخ الحوز يتميز بالقارية وقلة الأمطار، فإن عامل الارتفاع يجعل المناخ بأودية الأطلس الكبير المراكشي أكثر اعتدالاً ومطراً، وينتمي حوض واد غيغاية حسب تصنيف أمبرجي إلى المناخ شبه الجاف ودون الرطب، إذ يعترض الرياح الشمالية الغربية الرطبة فيتلقى مقادير من الأمطار تزداد كميتها من الهوامش الشمالية نحو عالية الحوض كما يتضح ذلك في الجدول التالي :

المحطة	الارتفاع بالأمطار	معدل الأمطار (ملم)
تحناوت	925	465
آسني	1200	486
أرمد	1850	609
ماوى تويكال	3200	896

ويكون التساقط بعد علو 2000 متر مزدوجا ما بين أمطار وثلوج، وبعد 2500 متر يكون التساقط على شكل ثلوج تبقى على السطح في الفصل البارد عدة أسابيع، وبتغذية إضافية تبقى على السطح بالقمم والسفوح المحمية عدة أشهر، وتبقى بالمناطق المحمية من الرياح وأشعة الشمس إلى يوليوز وغشت خاصة في بعض السنوات الكثيرة التساقطات. وهناك أماكن تبقى فيها الثلوج متصلبة على شكل ارتجاج لا تكاد تتناقص في الخريف حتى يعاد تطعيمها بالثلوج الجديدة، أهمها بهذا الحوض : أخدود صغير بحلبة جليدية قديمة : أمغراس ن إگلوا.

والجدير بالذكر أن معظم الأمطار تسقط في الفصل البارد، حيث يتوقف الإنبات، مما يقلل من أهميتها، وفي الصيف عندما ينشط الإنتاج الزراعي بالجزء المسكون ابتداء من حوض قرية أرمد فإن الأمطار تنحبس مما يجعل الري ضرورياً للحياة الزراعية. وهنا يقوم الواد بدور حيوي.

الحرارة : يطغى عليها الطابع الجبلي والقاري، تعرف معدلاتها تقلبات حادة، حيث تنتقل ما بين 5 و10 دون الصفر كنهايات دنيا شتاء بمجراه الأوسط والعالي إلى أكثر من 40 درجة صيفاً بحوض آسني وتاحناوت خاصة. لكنها بصفة عامة يطغى عليها تأثير الجبل المتميز بطابع المناخ الجبلي البارد شتاء والمعتدل صيفاً إذ قلما تتجاوز 25 درجة نهاراً مع وجود مدى حراري يومي كبير سواء في الصيف أو الشتاء، كما يتعرض واديه الأعلى وقممه أحيانا لموجات من البرودة الشديدة وتساقط الثلوج التي تغطي كل القمم والسفوح الدنيا بل تتجاوز الجبل أحيانا إلى الدير، إذ كانت تسقط حتى بمركز تاحناوت في بعض السنوات الرطبة.

التربة : تتميز بفقرها وعدم تماسكها، لأنها هيكلية قريبة في صفاتها من الصخرة الأم، كثيرة المفتتات الرملية، ولا تكون متماسكة إلا بسافلة توضعات الميوبليوسين، يميل لونها إلى الاحمرار، تختلط بالحصى، لكن حوض آسني يتميز بتربة خصبة نسبيا، تتكون من رواسب الواد وتوضعات السفوح الحمراء المتكونة من الطين والطفل وكلس الأيوسين.

يكتسي الغطاء النباتي الطبيعي بهذا الحوض أهمية بالغة إذ يميزه عن بقية الأحواض ويمنحه جمالاً ورصيداً سياحياً مهماً. كما يوفر مجال رعي وتشغيل واسع. تبلغ نسبة التغطية الغابوية بهذا الحوض حوالي 57٪. تنتشر الأشجار على السفوح الشمالية إلى علو 2200 متر، تقوم بوظائف بيئية واقتصادية مهمة، لكن تزايد السكان المعتمدين في حياتهم على الرعي قلص من مساحتها، إذ استؤصلت الأشجار من كثير من السفوح والأحواض. وتتوزع الغابات على الجماعات القروية كما يلي :

- غابة غيغاية : تنتشر بجماعتي تاحناوت وآسني، مساحتها : 25334 هكتار، تتكون في معظمها من أشجار البلوط الأخضر : 18450 هكتار.
- غابة سگنانة بجماعة تاحناوت : مساحتها 1564 هكتار، تتكون في معظمها من إعادة التشجير : اللوز والأوكاليبتوس.

ومن العوامل المتحكمة في توزيع أنواع الأشجار التنطيق حسب العلو الذي يغلب عليه الترتيب التالي :

- 900 . 1300 متر : تنتشر أشجار الثويا تختلط في طبقاتها العليا بالعرعار الأحمر وأشجار محلية ثانوية.
- بعد علو 1300 متر تنتشر أشجار البلوط الأخضر، ورغم استئصال مساحات كبيرة منها فإنها مازالت تمثل أكثر الأنواع انتشاراً.
- وبعد علو 1800 متر تبدأ طبقة العرعار الفواح في الظهور، وتتسلق المنحدرات إلى علو 2400 متر. ثم تظهر بعدها طبقات الأعشاب "الألبية" التي تتكون من نباتات شوكية وأعشاب قصيرة، ولا تجد عند علو 2500 . 3300 متر حسب التوجهات سوى أراضي صخرية موحشة. أما بمخروط الدير فإن النبات الطبيعي الغالب هو السدرة وأحيانا الدوم، بالإضافة إلى بعض مناطق التشجير بالأوكاليبتوس وصنوبر حلب واللوز والصبار.

يتميز حوض غيغاية باستقرار قديم، تؤكده درجة تهيىء المجال وتعدد المدرجات والسواقي والقرى والحصون. وقد كان هم سكانه الأساسي تحقيق أقصى درجة ممكنة من الاكتفاء الذاتي، يهتمون خاصة ببناء الحظائر لحماية مواشيهم التي تتكون في معظمها من الماعز والأغنام، ترعى بالأودية العليا والغابات والهضيبات المعلقة صيفاً. وقد كانت لهم مراعي شتوية بسهل الحوز، لكن صارت المواشي اليوم تقضي شتاءها بالغابات والأحواض القريبة من الدوار. وكانت

المراعي الجبلية تثير صراعات مزمنة بين القبائل خاصة مع قبائل السفوح الجنوبية الأكثر جفافا، التي استولت منذ قرون على مراعي عالية وادي غيغاية. وزادت الصراعات بين القبائل في النصف الأخير من القرن (19) بإذكاء نزاعات قواد الأطلس الكبار لبسط نفوذهم على أكبر قدر من المجال الجبلي. لقد أضفى كل هذا على المنطقة طابعاً من العداء المتبادل بين القبائل والفخذات، بل بين القرى وأحيانا حتى بين الأسر بسبب التنازع على تقسيم الإرث، مما يتسبب في تقليص سكان الوادي إما بالموت أو الهجرة إلى مراكش أو سهل الحوز، خاصة إلى مخروط واد غيغاية، الذي عرف توسعا وتكثيفا لفلاحته بعد دحر قبائل الرحامنة عنه في منتصف القرن (19)، وبدأ السكان الجبليون يعودون إلى قراه لإحياء زراعته المسقية : بلاد أغواطيم.

وينتشر اليوم على طول واد غيغاية ثلاث جماعات قروية هي : (إحصاء 1994)

- جماعة آسني : مساحتها 102 كلم^2، سكانها 16216 نسمة، تتكون من مشيختين، و30 دواراً، أكبرها أكادير إسمير 1297، وأرمد 873. أما مركز آسني الجديد فلا يتجاوز سكانه 483 نسمة، لأنه مركز تجاري وإداري أكثر منه سكني. أما دوار آسني القديم الموجود بعالية الحوض فيبلغ سكانه 1061 نسمة.

- جماعة تاحناوت : مساحتها 272 كلم^2، سكانها 21112 نسمة، تتكون من أربع مشيخات و90 دواراً، يبرز بينها خاصة مركز تاحناوت : 4462 نسمة، الذي ارتقى منذ عقود إلى مستوى مركز حضري وزادت أهميته بعد تحوله إلى عاصمة إقليم الحوز.

- جماعة تامصلوحت : مساحتها 265 كلم^2، سكانها 17138 نسمة، تنتشر أراضيها فوق المجرى السهلي لواد غيغاية المعروف هنا بواد البهجة، وتبرز هنا مدينة تامصلوحت القديمة : 4758 نسمة.

الأنشطة الاقتصادية : تلعب الزراعة المسقية دوراً رئيسياً في اقتصاد الوادي، إذ يعتمد على سقي دائم لمروجه بسرير الواد وبساتينه المنتشرة بأحواضه ومدرجاته. ولكل مالك نصيبة من الأرض وماء الري، الذي يستمد من ماء الواد وأحيانا من بعض العيون.

وتدير مياه الواد والسواقي في جريانها عدداً من مطاحن الحبوب التقليدية. ويغذي واد غيغاية 8 سواقي رئيسية تاريخية عند مخرجه بتاحناوت، أهمها : الساقية الباشية المرصفة التي تتغذى من السد الحاجز على الواد. وهناك عيون تلعب دوراً رئيسياً في السقي، وخاصة في تزويد القرى بالماء الشروب باعتبار نقاء مائها ودوام صبيبها، إذ قلما يجف بعضها صيفا، وأنشئت لها مؤخراً صهاريج وجمعيات تنظم استغلال مياه السقي وتقوم بإنجاز بعض المشاريع كتبليط أقسام من الساقية أو بناء صهاريج أو خزانات وأحيانا توزيع الماء بسقايات الدوار وتوزيعه عبر شبكة من الأنابيب على بعض المنازل.

أهم المزروعات : الحبوب الشتوية، وهي الشعير والقمح والحبوب الربيعية وهي الذرة، ثم المزروعات الصيفية أي الخضر وقد كانت قديماً تتكون من اللفت والبصل والقرع، والآن يوجه الاهتمام إلى زراعة تسويقية للبطاطس والطماطم. كما تزرع دائماً الفصة لتغذية المواشي، وتتزود هذه المزروعات التي تحظى بعناية كبيرة بمياه الواد وذلك بتحويل قسم من مجراه إلى ساقية عن طريق سد مؤقت من الحجارة والرمال والأغصان، تستبدل أحياناً بأكياس بلاستيكية مملوءة بالرمال مما أعطاها فعالية كبيرة صارت تهدد سكان السافلة بحرمانهم من مياه الواد الذي يستنفده سكان العالية خاصة وأنهم صاروا يعتنون بزراعات شجرية ذات مردودية عالية هي البرقوق وحب الملوك والتفاح. وتنفصل غالباً ملكية الأرض عن ملكية الماء، ويقسم كلاهما بين الورثة بتوالي الأجيال إلى حدود اللامعقول، وليست هناك وسيلة لإصلاح الأوضاع ودمج الملكية إلا جزئيا بالبيع والهجرة. وكانت الوسيلة التاريخية لإعادة دمج الملكية، هي ما يقوم به بعض القواد والشيوخ وأصحاب النفوذ بالشراء المفروض والمصادرة وطرد الخصوم أو إبادتهم، ولهذا لازالت أهم الملكيات الواسعة نسبيا هي ما كونوه واشتراه منهم بعض المعمرين وحولوه إلى ضيعات، وتتعرض هي الأخرى إلى التفتيت بإعادة التقسيم بين الورثة إذ لم يسلم منها إلا الضيعات المسترجعة التي انتقلت ملكيتها إلى مؤسستي "صوديا" و"صوجيتا"، إذ لا زالت تكون مزارع نموذجية عصرية لزراعة التفاح وحب الملوك وغيرهما من المزروعات التسويقية الجديدة. ولازال لأشجار الجوز أهميتها بعالية الوادي، ويجري استبدال الأشجار الهرمة التي تقطع وتباع أخشابها لنجارة ثمينة، بنوعيات جديدة مستوردة سريعة النمو. أما زراعة القطنيات فإنها تراجعت كثيراً. وأما الكمون والشوم والحناء التي اشتهرت بها منطقة تاحناوت ويقال إنها استمدت اسمها منها، فقد أشرفت على الاندثار.

تعرف الزراعة الشجرية تحولاً مهماً إذ انتشرت أشجار البرقوق والإجاص والتفاح وحب الملوك في مزارع كثيرة واستقطبت رؤوس أموال حضرية وأموال الهجرة، بالإضافة إلى استثمارات بعض الموظفين المحليين وأبناء الأعيان. ويهتم الملاكون الصغار بإعادة تجديد مزروعاتها بإزالة الأشجار الهرمة للزيتون وغرس أشجار التفاح، وأنشئت مخازن مبردة لحفظه قصد توجيه إلى الأسواق الحضرية خاصة مراكش والدار البيضاء. إن زراعة أشجار التفاح توسعت كثيراً لدرجة إفرازها لثورة زراعية غيرت أساليب الإنتاج بل والعلاقات الاجتماعية برسملة العمل والمياه وغيرهما. لكن المجال الزراعي ضيق جداً والملكية صغيرة إن لم تكن قزمية، تتميز بكثافتها واستعمال الأسمدة الطبيعية والاصطناعية، وهي مهددة دوماً بتخريب فيضان الواد والسيول وأحيانا

تتعرض لعواصف مطرية أو ثلجية وفيضانات قوية، ولازال السكان يذكرون فيضان يوم 19 غشت 1995، حيث نقل الواد رمالاً كثيرة أطمر بها مساحات مزارع كثيرة وترك فوقها جلامد ضخمة واقتلع الكثير من الأشجار ببساتين سريره خاصة.

ولازال الرعي يكتسي أهميته رغم تدهور المراعي باستفحال الجفاف والرعي الجائر وندرة الرعاة الجادين. ويجد الماعز في السفوح وغابات العرعار والأودية العليا مراعي صيفية غنية يرافقه عادة بعض الأغنام الجبلية التي تتميز بصغر حجمها. كما تتوسع تربية الأبقار في الحظائر التي لم تعد تكتفي في غذائها بأعشاب المروج الطرية وبقايا المنتوجات الفلاحية والفصة والتبن. بل تتغذى كذلك بالعلف المصنع خاصة الشمندر والنخالة، لأن الفلاحين صاروا حريصين على تربية الأبقار الرومية والمهجنة لإنتاج الحليب إذ تأسست عدة تعاونيات لتسويق الحليب بكل من آسني وتاحناوت.

ويعرف الوادي استغلالات معدنية تتجلى في أوراش الباريتين والموزاييك ومناجم قديمة صغيرة للنحاس أهمها : منجم تاشديرت، توقف العمل به منذ الثمانينيات. وأهم مناجم الباريتين المستغلة حالياً هي منجم سيدي فارس بهضبة أفغان، كما يستغل الجبس بحوض آسني حيث توجد له خمسة أفران موزعة بهوامشه، تحرق صخور الجبس بحطب الغابات المجاورة لتحويله إلى جبص.

ولعل أهم نشاط يشتهر به حوض غيغاية اليوم هو السياحة الجبلية التي يكون الوادي أحد أهم محاورها بالمغرب، إذ يوجد بعاليته عدد من المآوي الجبلية أهمها : مأوى تويكال الذي أعيد بناؤه وتحول إلى فندق جيد لمبيت حوالي 140 شخصاً من العازمين على الصعود إلى قمة تويكال وقمة وانوكريم. كما يكون مركز إمليل أهم قاعدة لانطلاق الرحلات الجبلية، يوجد بها المرشدون الجبليون والبغال للقيام بجولات عبر الأودية العالية وعبور عدد من الفجاج العالية التي تصل بين الروافد العليا لواد نفيس وأوريكة وتيفنوت، ويعرف هذا النشاط توسعاً كبيراً وذلك بزيادة عدد غرف المبيت لدى السكان القرويين، كما يجتذب إليه استثمارات محلية كثيرة وطاقات شابة طامحة.

أ. هوزلي، *التحولات المجالية والاقتصادية وحركة التمدين بالأطلس الكبير المراكشي : تدبير الموارد المائية بحوض غيغاية*، بحث للطالبة نادية المرسلي، شعبة الجغرافيا، كلية الآداب، مراكش ؛ *بحوث ميدانية ودراسات قطاعية حول السياحة الجبلية وإعداد المجالات الجبلية، وإعداد موارد المياه*.

أحمد هوزلي

الغيغائي، محمد بن عبد الله يتعلق الأمر بمؤلف رحلة حجازية اسمه محمد بن عبد الله بن مبارك بن الحاج علي بن محمد الغيغائي، أصله من قبيلة غيغاية الواقعة في أحواز مراكش، غير أنه كان يقطن بقرية اسْگُرْ بأوريكة.

ويبدو أنه كان من حاشية قائد قبيلة أوريكة آنذاك مَحمد القُرشي. قام برحلتين صوب الحجاز : الأولى عام 1263 / 1847، والثانية عام 1274 / 1858، وقد دون أخبار رحلته الثانية - في مخطوط يقع في 454 صفحة من الحجم المتوسط - بإلحاح من بعض أصدقائه بمدينة مراكش وعلى رأسهم المؤلف المشهور محمد الأمين الصحراوي، انتهى من تدوين رحلته في 12 شعبان عام خمسة وسبعين ومائتين وألف.

وكان الغيغائي قد غادر داره بقرية اسْگُرْ بأوريكة في منتصف شعبان عام أربعة وسبعين ومائتين وألف رفقة القائد محمد القُرشي المتوفى بالمدينة المنورة أثناء أدائه لمناسك الحج. ورغم أهمية مضمون هذه الرحلة، فإنها ظلت غير معروفة في المصادر، فباستثناء إشارة بسيطة أوردها المَختار السوسي (في الجزء التاسع من *المعسول*، ص. 153)، فلا نجد لها ذكراً في مصادر أخرى، فالعباس بن إبراهيم، صاحب *الإعلام*، لم يُترجم له، بالرغم من كونه كان من الداخلين إلى مدينة مراكش، لذلك تبقى الرحلة المصدر الوحيد لاستقاء معلومات عن حياته، ويبدو أنه من مواليد بداية القرن التاسع عشر، وذلك حسب ما أورده في الرحلة من كونه "... أدرك الذين حجوا أثناء حملة نابليون على مصر (1798 - 1801). أما عن تكوينه الثقافي، فيبدو من خلال قراءة نص الرحلة أنه يمتلك نصيباً مهماً من ثقافة عصره، ويتجلى ذلك من خلال سرده لمجموعة من الاستشهادات التي استقاها من مؤلفات متنوعة سواء لمعاصريه أو للقدامى : مغاربة ومشارقة، وذلك في شتى أنواع المعرفة المتداولة في عصره، وهو كذلك شاعر، له عدة قصائد بالعربية تضمنتها الرحلة، كما نظم قصيدتين بالأمازيغية تدل الأولى على ما يقع من السرور للحجاج عند رؤية المدينة المنورة، وهي قصيدة طويلة في نحو ثلاثمائة بيت، والقصيدة الثانية كذلك مثلها (*الرحلة*، ص. 15 - 16)، كما أن هناك إشارة في الرحلة تفيد أن المؤلف له معرفة بعلم الفلك الذي لا يمكن تعلمه إلا بعد اكتساب معارف أخرى، كما أشار في الرحلة بأنه ناصري الطريقة. ومع كل هذا فالغيغائي لا تعرف له تآليف أخرى سوى هذه الرحلة الحجازية ولا يتناقض هذا الحكم مع ما أشار إليه في مقدمة الرحلة من كونه "... ليس ممن يجمع التآليف ولا ممن يصدر منه الكلام المنيف ...". أما أهم ما تضمنته الرحلة من أخبار، فالذي يكاد ينفرد به الغيغائي عن غيره من مؤلفي الرحلات الحجازية خلال القرن التاسع عشر هو إسهامه في وصف التقنيات الحديثة كالباخرة والتلغراف والقطار والمطبعة، وأبرز تردي أوضاع المسلمين أمام تفوق الأوربيين، كما تضمنت الرحلة المقارنة بين الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية بين مصر والمغرب خلال تلك الفترة.

أما تاريخ وفاته فهو غير معروف، غير أن إحدى التقاريظ في مؤلفه تفيد أنه كان يقيد الحياة في جمادى

الأولى عام 1282 / 1865 ، أي سبع سنوات بعد عودته من الديار المقدسة.

م. بن عبد الله، *رحلة الغيغائي*، مخطوط مصور على الميكروفيلم بالخزانة العامة بالرباط، رقمه، 12.

حسن أنشاد

غيلان ، بيت الجهاد والعلم والولاية بالشمال الغربي المغربي. أصل الأسرة القديم غامض، إلا أن هناك من يرده إلى قيس غيلان. ومما يرجح هذا الأصل العربي القديم وجود الأسر الغيلانية بمكة المنورة واليمن، ويتصل بهذا الأصل بناء على ما قيل من انحدار الأسرة الغيلانية المغربية من قاضي مولاي إدريس المدعو الفقيه عمر بن محمد بن سعيد القيسي. ومن المرجح أيضا أن أعقاب القاضي تركوا مدينة فاس إثر انتشار الأدارسة بالشمال للاستقرار ببني كرفط.

غير أن ابن رحمون رشح في *"شذور الذهب في خبر النسب"* انتماء أولاد غيلان إلى القطب الشيخ عمر الحسني الميموني الفجيجي، المتوفى سنة 1026 / 1617 ، أو التي تليها. وهذا هو ما ورد أيضا في كتاب التشوف لرجال التصوف، أحد مصادر القرن العاشر الهجري، عن الولي إبراهيم الكرفطي الحسني الفجيجي.

وأغلب قرارات الأسرة الغيلانية في الوقت الحاضر يوجد بمدشر الزراق الكرفطي، بجوار سوق السبت من ناحية الشمال الشرقي، حيث مدفن الشهير عمر بن إبراهيم غيلان الحسني الميموني الفجيجي رفيق سيدي علي الشلي السريفي، وهو من أتباع الطريقة الشاذلية وعلي بن علي وسيدي رزوق وسيدي داود. ومن أعيانهم بنفس المدشر في مستهل القرن العشرين كل من محمد الهاشمي غيلان، وسيدي عبد الله غيلان الذي عزله الشيخ أحمد الريسوني، وأيضا سيدي الطاهر وسيدي الوافي وسيدي إبراهيم من القائمين بإدارة الزاوية الغيلانية بنفس المدشر.

ونجد بدار القرمود قبر سيدي العربي المعروف بسبع القبب. وبمدشر الرملة يوجد قبر سيدي إبراهيم غيلان. وبقبيلة الساحل بمدشر كيسان نجد قبة سيدي محمد بن علس غيلان. وعدد منهم بمدشري الرواح والريحيين. بينما عاش أحمد غيلان بعزيب بن ريسون، بعماير الخلوط على الضفة اليسرى من واد المخازن. وهناك مجموعة من الغيلانيين التطوانيين المهاجرين من الأندلس. ومن الأسر القديمة العالمة، واحدة منها تدعي الانتساب إلى أحمد الركينة وزير السلطان المولى عبد العزيز. ومن الغيلانيين عدد من الأسر بمدينة القصر الكبير.

التادلي، *التشوف إلى رجال أهل التصوف*، مخ. خ. ع. بالرباط ؛ أ. قدور، *تيطاوين المدينة والمجتمع في العصرين الوسيط والحديث*، أطروحة مرقونة، القنيطرة، 2004 ؛ عبد السلام بن أحمد غيلان، *زاوية أولاد غيلان*، القنيطرة، 1987 ؛ *زيارة ميدانية لبني كرفط*، سنة 1993 و1996 و2000.

Archives Marocaines, *Le Rais El-Khadir Gailan*, v. 18,aris. 1912, p. 1-105.

حسن الفكيكي

غيلان، إبراهيم بن علي بن محمد بن مسعود بن عيسى بن عثمان بن إسماعيل بن عبد الوهاب بن يوسف بن غيلان، ينتسب إلى مولاي إدريس، حفيد سيدنا الحسن بن علي بن أبي طالب، ويعرف بغيلان نسبة إلى أحد أجداده.

ويفهم من هذه السلسلة أن إبراهيم غيلان شريف النسب، ويؤكد أولاده هذا الانتماء بما لديهم من ظهائر سلطانية. ولذلك يحلو لهم، كما يحلو لبعضهم أن ينعت أحد أفراد هذه العائلة باسم ابن غيلان الحسني أو الغيلاني الحسني. ومن جهة أخرى يذكر البعض أن إبراهيم غيلان ينتمي إلى عائلة أندلسية، وأنه كان أول من انتقل إلى المغرب، من أولاد غيلان، واستقر ببادية بني جرفط في غمارة، وذلك حوالي القرن العاشر الهجري (16م)، فنسب إليها، وصار يعرف بالجرفطي. كما نسب أبناؤه إليه وعرفوا بأولاد غيلان الجرفطي.

وتذكر بعض الروايات أنه كان مجاهداً في الساقية الحمراء، ضد الاحتلال الإيبيري، وأنه استقر بها زمناً، وتزوج هناك، وأنجب أبناء اشتهروا بعده بالعلم والصلاح والجهاد. ولما علم أن البرتغاليين توغلوا في بعض المدن والضواحي في شمال البلاد، رحل إلى غمارة، واستقر في بني جرفط.

وتذكر الأخبار المتعلقة بحياة هذا الرجل أنه مر في طريقه إلى بني جرفط، عبر وزان، ثم الأخماس السفلى، وأنه نزل هناك في قبيلة بني تليد، في زاوية الشيخ يوسف التليدي، أحد كبار أولياء الطائفة الجزولية، ومن رجال الجهاد في غمارة ضد الغزو البرتغالي. وتضيف نفس الأخبار أن الشيخ التليدي احتضن إبراهيم غيلان، فتعاونا في تأطير العمليات الجهادية الشعبية. ولعل أهم ما أثمره هذا التنسيق انتصار المغاربة على البرتغاليين في معركة تسمى الدبنة، نسبة إلى محل يدعى بهذا الاسم بأعلى جبل بني جرفط، على حوالي 30 كلم من مدينة العرائش، وكان البرتغاليون قد شيدوا به ثكنة عسكرية، لمراقبة قبائل بني جرفط وسماتة، وذلك في عام 948.

وإلى جانب الجهاد، يوصف إبراهيم غيلان بالولاية والصلاح، ويصنف ضمن مريدي الشيخ يوسف التليدي. وهذا يعني أن إبراهيم غيلان كان من زعماء الجهاد المنضوين تحت لواء الطريقة الجزولية، التي اشتهر أمرها كثيراً في مقاومة الاحتلال الإيبيري للسواحل خلال القرن 10 هـ / 16 م. وقد ظل إبراهيم غيلان مجاهداً، وشيخاً مربياً على هدي التصوف الجزولي، في زاويته، التي أسسها بمدشر دار القرمود ببني جرفط، في بلاد غمارة (قبيلة سماتة حالياً).

توفي حوالي 985 / 1587 ، ودفن بهذا المدشر. ويقام بضريحه موسم متواضع كل سنة.

عبد السلام غيلان، *لمحات من تاريخ زاوية غيلان*، مطبعة معمورة، القنيطرة، 1987 ؛ ع. اللطيف الشاذلي، *الحركة العياشية ـ حلقة من تاريخ المغرب في القرن 11 هـ* ، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1982.

Peretie, *Le Rais el-Khadir Ghailan*, in *Archives Marocaines*, volume 18.

أحمد الوارث

غيلان، أحمد الخضر يعد من أبرز المجاهدين داخل هذه الأسرة، ولد حوالي عام 1026 / 1617 بمدشر الرزاق من قبيلة بني كرفط. كان من أتباع المجاهد العياشي، فلما توفي هذا الأخير سنة 1641 ، خلفه على رأس المجاهدين. وصفه الاوربيون بالشجاعة والتيقظ والميل إلى الزهد والتقشف. اصطدم بالدلائيين فهزمهم في معركة "بوحريرة". لكنه لم يتمكن من إخضاع مدينة تطوان لنفوذه إلا بعد وفاة حاكمها المقدم عبد الكريم النقسيس الذي ظل طيلة حياته وفياً للدلائيين. وقد انعقد الصلح بين غيلان وحاكم تطوان الجديد المقدم أحمد بن عيسى النقسيس عام 1072 / 1661. وبمقتضى هذا الصلح احتفظ هذا الأخير بحكم تطوان لكنه التزم بأن يقدم عدداً من الجنود لمساعدة غيلان في عملياته الجهادية. عمل الخضر غيلان على توفير الامكانات المادية اللازمة للقيام بعملياته، فإلى جانب الضرائب الشرعية، ذكر بيريتيي أنه قام بفرض المكوس على التجار في المدن. وغطت غنائم الجهاد جانباً من حاجيات غيلان. وتجدر الإشارة إلى أن أسلحة المجاهدين كانت عبارة عن بنادق خفيفة وأسلحة بيضاء، لذلك كانت أغلب عملياتهم تعتمد على مباغتة العدو كلما سنحت الفرصة. لقد قاد الخضر غيلان الجهاد ضد البرتغاليين ـ ومن بعدهم الانجليز ـ بطنجة، وضد الاسبان المحتلين للمدن القريبة منه أي العرائش والمعمورة. ومن المعلوم أن طنجة احتلها البرتغاليون سنة 1471 ثم فقدوها لصالح الاسبان عقب معركة وادي المخازن سنة 986 / 1578. فلما استعادوا وحدتهم سنة 1641 ، عادت إليهم ممتلكاتهم بالمغرب، باستثناء سبتة التي احتفظ بها الاسبان. وكانت بذلك طنجة ضمن المدن التي استرجعوها.

هاجم الخضر غيلان البرتغاليين بطنجة سنة 1651، ورد الحاكم البرتغالي لطنجة بإسال جنوده لإحراق المحاصيل الزراعية، وبعد مفاوضات بين الطرفين، أبرما اتفاقية هدنة سنة 1653. غير أن ذلك لم يمنع غيلان من إعادة الكرة ومهاجمة البرتغاليين بطنجة بمجرد انتهاء الهدنة. ولما انتقلت السيادة على طنجة إلى الانجليز حوالي سنة 1661، عقب زواج الأميرة كاترين دي براكانص من ملك انجلترا شارل الثاني، واصل غيلان التضييق عليهم، لكنه اضطر إلى التوقيع على هدنة معهم رغم الجهود التي بذلها الاسبان لإفشال المفاوضات. ذلك أن الاسبان، الذين عانوا من قبل بدورهم من العمليات الجهادية لغيلان وأتباعه ضد المعمورة والعرائش، نجحوا في إقناعه بالتوقيع على معاهدة للصلح والهدنة، تمهيداً لتحريضه على مهاجمة الانجليز بطنجة. ولئن نجحت محاولاتهم الأولى في ثني غيلان عن التقرب من الانجليز ومهادنتهم، فإن غيلان قبل التوقيع سنة 1666 على معاهدة مع الانجليز، خاصة وأنها كانت تتضمن التزام هؤلاء بتزويده بكميات من الأسلحة.

إن فهم هذا النوع من المعاهدات أو اتفاقيات الهدنة التي وقعها غيلان مع الأجانب يتطلب وضعها في إطار تطور الأوضاع الداخلية للمغرب ؛ فالخضر غيلان كان يسيطر على منطقة واسعة في شمال البلاد، لذلك كان قريباً من الاسبان المحتلين للعرائش والمعمورة وسبتة، والانجليز المحتلين لطنجة ؛ وكان عليه أن يستمر في مواجهة الدلائيين وأتباعهم خاصة من أندلسيي سلا وقبائل شراكة. أضف إلى ذلك ظهور الشرفاء العلويين كقوة ما فتئ نفوذها يتسع ويتزايد. كل هذه التطورات جعلت المجاهد غيلان أمام أخطار متعددة، فلم يكن بإمكانه سوى العمل على مهادنة طرف قصد التفرغ لمواجهة طرف آخر. وعلى ما يبدو فإن تلك المعاهدات كانت مناورات سياسية مؤقتة، بدليل أن غيلان كان يعود لمهاجمة الأجانب، بمن فيهم الانجليز والاسبان، بمجرد انتهاء الهدنة.

وقد أنجبت هذه الأسرة بعد الخضر غيلان، عدداً من العلماء والوطنيين الأجلاء، منهم الحاج أحمد بن محمد بن عبد السلام الذي جدد له السلطان مولاي عبد العزيز عام 1320 ظهائر التوقير والاحترام، وسيدي أحمد غيلان أحد الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال.

عبد السلام غيلان، *لمحات من تاريخ زاوية أولاد غيلان*، المعمورة، القنيطرة، 1987 ؛ ح. بنسودة، *الخضر غيلان وحركته الجهادية*، بحث لنيل دبلوم المدرسة العليا للأساتذة، الرباط، السنة الجامعية، 1994 ـ 1995.

Pereté, *Le Rais el-Khadir Ghailan*, in *Archives Marocaines*, volume XVIII, Paris, 1912 ; *Sources inédites de l'histoire du Maroc*, 2° série, France, t. I, II et III, Pays-Bas, t. I.

عبد الإله الدحاني

غيلان، العربي ولد سنة 1920 بمدينة أصيلة من والديه محمد بن الصادق ورحمة بنت المهدي غيلان.

كان الفقيد من الوطنيين الغيورين مما جعله ينخرط في الهيئات السياسية الوطنية كحزب الإصلاح الوطني وحزب الاستقلال منذ سنة 1936 وفي سنة 1953 عند ما اشتعلت شرارة المقاومة المسلحة انضم إلى صفوفها تحت رئاسة المختار البقالي. وقد نشطت أعماله بالخصوص في محاربة الجاسوسية الفرنسية في الشمال. بالإضافة إلى ذلك فقد كان يزود خلايا المقاومة بطنجة بالسلاح بواسطة المقاوم علال بن عزوز ومحمد اطريباق وعبد السلام الصنهاجي وقد سخر نفسه ومنزله وكل ما يملك في سبيل استرجاع كرامة الوطن.

وافته المنية يوم 18 يناير 1996.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 519752.

غيلان، عمر بن إبراهيم الأندلسي ثم الجرفطي اقتدى بوالده فدخل عالم التصوف. وكان شيخه في طريق القوم هو

أبو الحسن علي الشلي الشدادي، دفين مدشر بوجديان بجبل سريف في غمارة، وكان أحد رفاق إبراهيم غيلان، والد أبي حفص، في صحبة شيخهما أبي الحجاج يوسف التليدي. بل لا يبعد أن يكون أبو حفص قد أخذ عن والده. والمهم في الأمر أنه كان جزولي الطريقة مثلهم جميعا.

والملاحظ كذلك أن أبا حفص لم يطب له المقام في زاوية والده بمدشر دار القرمود ببني جرفط، في بلاد غمارة. فإنه أسس زاوية جديدة خاصة به في مدشر يسمى الزراق، أحد مداشر بني جرافط.

وقد بلغ عمر بن إبراهيم غيلان مقاماً عالياً في العلم والتصوف، وكانت زاويته دار علم وتصوف، بشهادة تلميذه الشيخ أبي العباس أحمد بن الحاج البقال، الذي وصفه : بالولي الصالح، الشيخ الأستاذ الورع الزاهد الناصح، الخليفة الوارث لطريقة الكمال ... سيدي عمر بن إبراهيم غيلان ..."، بل اعتبره بعضهم من الأقطاب في مملكة الأولياء والصوفية. ومن ثم، حظي بمكانة سامية وبشعبية واسعة لدى عامة الناس وخاصتهم، في قبيلته وخارجها، حتى إن جنازته حضرها نحو خمسة آلاف شخص، وأن دفنه تأخر في انتظار حضور تلاميذه ومريديه وأصحابه الآخذين عنه طريقته الصوفية، ولم يوصل الشيخ إلى قبره إلا بمشقة لكثرة الازدحام، وحملت السيوف من أجل حمل نعشه، كل يريد التبرك بحمله. ولاشك أنه كان من المجاهدين أيضاً، مثل والده، وابنه المجاهد الشهير الخضر بن عمر غيلان، وغيرهم من أفراد هذه الأسرة.

وكانت وفاته في يوم الأربعاء ثاني ربيع الأول 1028 / 1608 ، وليس عام 1027 ، كما أرخ ذلك القادري، ودفن بزاويته في مدشر الزراق أحد مداشر بني جرفط في غمارة، بإقليم العرائش.

م. بن الطيب القادري، *نشر المثاني* ، تح. محمد حجي وأحمد التوفيق، الرباط، 1972 ؛ عبد السلام غيلان، *لمحات من تاريخ زاوية غيلان*، مطبعة معمورة، القنيطرة، 1987.

أحمد الوارث

غيلان، محمد بن عبد الصمد عالم من قبيلة بني گرفط الهبطية كان يرأس جماعة من مجاهدي قبيلته وقد انضم إلى صفوف الحركة الوطنية التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني ؛ شارك في مؤتمرات الثورة المنعقدة بضريح سيدي يسف التليدي يوم 7 ماي 1914 وبقرية عين الدالية يوم 11 من نفس الشهر حيث انتخب عضواً في المجلس الاستشاري للمقاومة ؛ كما شارك في المؤتمر المنعقد بضريح مولاي عبد السلام بن مشيش يوم 20 يوليوز 1913 ومؤتمر الزوة بقبيلة جبل حبيب ليوم 11 يناير 1915 وتقول عنه الوثائق الاسبانية إنه شارك على الأقل في 14 معركة رغم كبر سنه.

م. ابن وعزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب*، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

غيلانة، اسمها آمنة بنت الفقيه محمد غيلان التطواني، وعرفت بلالة غيلانة، من أهل تطوان. نشأت في أسرة علمية، وقد حرص أبوها على تعليمها فأخذت بحظ وافر من علوم القرآن والحديث والفقه، حتى صارت عالمة مفتية. فكانت تعلم نساء بلدها أمور دينهن، وكانت إلى جانب ذلك امرأة صالحة.

توفيت عام 1189 / 1775 بمدينة تطوان، واتخذ الناس قبرها مزاراً تبركاً بصلاحها وعلمها.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 3 : 93 ؛ عبد العزيز بن عبد الله، *معطيات الحضارة المغربية*، الدار البيضاء، دار الكتب العربية، د. ت. 2 : 19 ؛ م. حجي، *موسوعة أعلام المغرب*، 7 : 2406 ؛ عبد الهادي التازي، *المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي*، ص. 98.

محمد المغراوي

غينيا والمغرب ، تقع جمهورية غينيا في غرب إفريقيا، في ما بين خطي العرض 9 و 17 غربا، ويحدها في الشرق ساحل العاج ومالي، وفي الشمال مالي والسنيغال وغينيا بساو، وفي الغرب المحيط الأطلسي، وفي الجنوب ليبريا والسيراليون، وتبلغ مساحتها حوالي 250.875 كلم^2، وهي على شكل هلال. ويقدر عدد سكانها بحوالي 5.300.000 نسمة، إلى حدود أواسط الثمانينات من القرن العشرين . وقد برزت غينيا في الخريطة السياسية الدولية سنة 1893 ، وصارت ضمن المناطق الخاضعة لنفوذ الحاكم العام ـ الممثل للحكومة الفرنسية ـ لغرب إفريقيا، واتضحت معالمها المختلفة بحلول سنة 1900 بعد قضاء الفرنسيين على مملكتي فوت ـ جالون (1896)، وساموري (1898).

ولمّا أُعلن عن استقلال غينيا عن فرنسا يوم 2 أكتوبر 1958 ، وأصبحت دولة مستقلة ذات سيادة، وانضمت إلى هيئة الأمم المتحدة، كانت المملكة المغربية من بين الدول الأولى التي اعترفت باستقلالها، وأقامت علاقات ديبلوماسية معها، وعملت على تطويرها وتعزيزها على مختلف المستويات وساعدت على إخراج تلك البلاد من الأزمة المالية التي عرفتها، نتيجة العواقب السلبية الناتجة عن الموقف الفرنسي الرافض للاستقلال والمؤيد لسياسة اتخاذ الإجراءات العقابية التي تبنتها المؤسسات الخاصة، وبنك إفريقيا الغربية أيضاً.

أبرمت المملكة المغربية عدة اتفاقيات مع غينيا، منها : اتفاقية دفعة مالية بتاريخ 9 مارس 1960 ، واتفاقية تجارية بتاريخ 21 أكتوبر 1960 ، واتفاقية تجارية أخرى بتاريخ 1 فبراير 1961 ، واتفاقية اقتصادية بتاريخ 15 فبراير 1961. وقد جاءت تلك الاتفاقيات بناء على المبادئ والأهداف التي

تبنتها الدول الإفريقية التي تحررت من الاستعمار الأوربي، والتي ستستجيب لنداء الدكتور نكروما أول رئيس جمهورية لغانا المعاصرة بعقد أول مؤتمر إفريقي بأكرا استجابت له الدول الآتية : المغرب، وتونس، والجمهورية العربية المتحدة (مصر)، وليبيا، والسودان، وإثيوبيا، إضافة إلى البلد المنظم (غانا)، وعبرت الوفود المشاركة فيه عن رغبة حكومات بلدانها في اتباع سياسة خارجية مشتركة قائمة على "الحفاظ على الاستقلال، والسيادة، وسلامة الأراضي الوطنية" للدول المشاركة. وبعد ذلك، انعقد مؤتمر الدار البيضاء بالمغرب في الفترة الممتدة بين يومي 3 و7 يناير من سنة 1961، وضم الدول التي وصفت بـ "التقدمية"، استجابة لدعوة جلالة الملك محمد الخامس رحمه الله، سلطان المغرب، وهي : غانا، ومالي، والجمهورية العربية المتحدة (مصر)، وليبيا، وممثلين عن جبهة التحرير الوطني الجزائرية ؛ ورفضت الطوكو، وليبريا، وإثيوبيا، ونيجريا، والصومال، والسودان الحضور. ويعود سبب ذلك إلى مواقف الدول الكبرى، واختلاف الاتجاهات السياسية للدول الإفريقية المتحررة من الاستعمار إلى غاية سنة 1961. وكانت غينيا وغانا قد اتفقتا على إقامة وحدة بينهما على أساس إعلان أكرا بتاريخ 23 يناير من سنة 1958 ، ثم انضمت إليهما الجمهورية السودانية (مالي) في دجنبر سنة 1960، وسمي الاتحاد باسم "فيدرالية مالي" إلا أنه فشل بسبب الاختلافات السياسية والإيديولوجية، وخاصة بعد تحسن العلاقات الغينية مع مجموعة الدول الإفرقية الناطقة باللغة الفرنسية المنضمة إلى مجموعة منروفيا التي تكونت بليبريا بناءً على طلب نيجريا رداً على انعقاد مؤتمر الدار البيضاء، والذي ضم 20 دولة، من بينها : السنغال، وموريتانيا، وساحل العاج، والداهومي (بنين)، وفولطا العليا (بوركينا فاسو)، وذلك في الفترة الممتدة من 8 إلى 12 ماي سنة 1961.

ويمكن القول بأن أسس العلاقات المغربية ـ الغينية قد ترسخت منذ تلك الفترة، وتطورت بشكل سريع وإيجابي، ولم تعرف توترات قوية، كتلك التي عرفتها العلاقات المغربية ـ الغانية منذ استقبال نكروما لأول رئيس للجمهورية الموريتانية، في وقت احتاج فيه المغرب لدعم الدول الإفرقية من أجل استكمال وحدته الترابية، وكذلك العلاقات المغربية ـ المالية منذ إمضاء اتفاق يوم 18 فبراير 1963 الذي يحدد الحدود السياسية لدولتي مالي وموريتانيا.

تأسست الوكالة الغينية المغربية للتعاون L'Agence Guinéenne et Marocaine de Coopération، في يوم 8 يونيو من سنة 1984، وتم إنشاء مقرها بمدينة الرباط. وكان هدفها هو "تقوية وتطوير العلاقات الاقتصادية، والتقنية، والعلمية، والثقافية، وتنسيق كل الجهود المبذولة في هذا الاتجاه بين السلطات العمومية للجمهورية الغينية وللمملكة المغربية، ومتابعة تنفيذ وتسيير القرارات المتفق عليها". وقد جاء ذلك، حسب المادة الثانية من القانون المنظم للجمعيات والوكالات الصادر في الظهير الشريف بتاريخ 15 نونبر من سنة 1958.

وقد عرفت العلاقات الثنائية بين البلدين تطوراً مهما، وقفزة نوعية بعد التاريخ المذكور، وتمثل ذلك في زيادة التعاون بين الفاعلين السياسيين والاقتصاديين والثقافيين، وكان من ذلك مساهمة المغرب في إصلاح وتوسيع مشتل الشاي ببلدة ماسنتا الغينية، وتقديم مساعدة تقنية في مجال النقل الجوي لفائدة شركة الطيران الغينية، وتكوين الأطر من طلبة وموظفين، الذين ازداد عددهم فيما بين سنتي 1990 و1994 (من 49 إلى 90 إطارا)، وتقديم قروض مالية كالقرض المقدم لغينيا في غشت سنة 1984 بفائدة 10٪ وإرسال الأساتذة المتخصصين في تدريس بعض المواد العلمية في المدارس والثانويات، وخاصة في اللغة العربية والتربية الإسلامية. وقد بلغ عدد الإتفاقيات التي أبرمها البلدان في الفترة الممتدة من سنة 1972 وسنة 1987، ثماني اتفاقات من بينها :

- اتفاقية 17.5.1976 في مجال التعاون الثقافي والعلمي والتقني،
- اتفاقية 31.10.1977 في مجال التبادل التجاري،
- اتفاقية 17.1.1979 في نفس المجال السالف الذكر،
- اتفاقية 7.11.1982 في ميدان النقل الجوي،
- اتفاقية 16.8.1984 في المجال المالي،
- اتفاقية 17.6.1982 في المجالين الإعلامي والسياحي،
- اتفاقية 3.12.1987 في مجال السكن.

ويمكن القول بصفة عامة بأن العلاقات المغربية ـ الغينية لم تعرف إقلاعا ملموساً إلا بعد اجتماع قمة منظمة الوحدة الإفريقية بالرباط سنة 1972، إثر التغير الملحوظ للسياسة الإفريقية التي نهجها المغرب. فمنذ ذلك التاريخ، استطاع المغرب أن يقيم شبكة من العلاقات الثنائية مع عدة دول افريقية، وخاصة تلك التي تقع في وسط وغرب القارة، رغم عدم تمكنه من الحصول على الدعم المطلوب لتحقيق مطالبه بخصوص استرجاع أراضيه الجنوبية.

وقد بقي المغرب متشبثا بهذا الموقف حتى بعد انسحابه من منظمة الوحدة الافريقية سنة 1984، وعمل على تعزيز وتقوية تلك العلاقات التي عرفت قفزة نوعية جديدة بعد مؤتمر القمة الفرانكفونية بالدار البيضاء سنة 1988، وكان من نتيجة ذلك الاختيار أن ترسخ حضور المغرب في الدول السالفة الذكر، ومن بينها بصفة خاصة جمهورية غينيا، كما ازداد حضوره قوة على الساحة الافريقية بصفة عامة (*أبحاث*، 171 ـ 172).

مجموعة من المتخصصين، *العرب وأفريقيا*، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1993 ؛ *التقرير الاستراتيجي للمغرب*، 1995 / 1996، الطبعة الثانية، *مجلة أبحاث*، عدد خاص، 36 ـ 37 ـ 38، السنة 13، 1997 ؛ محمد العربي المساري، *المغرب ومحيطه*، الجزء الأول، شركة توب للاستثمار والخدمات للطباعة والنشر، الرباط، 1998.

Georges Hardy, *Géographie de l'Afrique Occidentale Française*, éd. du Bulletin de l'enseignement de l'A.O.F., 1913 ; *Annuaire de l'Agence Economique de l'Afrique Occidentale Française*, Imp. Thovon - Thèse, 1931 ; R. et M. Corvin, *Histoire de l'Afrique des origines à nos jours*, Payot, Paris, 1956 ; H. Suret-Canale, *La République de Guinée*, Ed. Sociales, Paris, 1970 ; *Le Maroc et l'Afrique*, Actes de la journée d'étude organisée par l'Institut des Etudes Africaines et le Département de Droit Public de la Faculté des Sciences Juridiques, Economiques et Sociales de l'Université Med V., Agdal, Rabat 26-11-1994, Pub. de l'I.E.A., 1996.

خالد أوشن

الغيوان، ناس، أول مجموعة غنائية ظهرت على الساحة الفنية بالمغرب في إطار ما أطلق عليه "ظاهرة الأجيال".

انبثقت هذه المجموعة وسط جماعة من الأشخاص كانوا منذ 1967 يقومون بأداء أغنيات من التراث الشعبي في بعض مسرحيات الفنان الطيب الصديقي كالحراز، وسيدي عبد الرحمن المجذوب، وهو بدير - يومئذ - ورشة التمثيل بمسرح الدار البيضاء البلدي.

وفي عام 1970 انفصل عن الصديقي كل من عمر السيد وأحكور بوجمعة اللذين استقدما العربي باطما، وأقبل الثلاثة على تأسيس فرقة أطلقوا عليها اسم "ناس الغيوان" ؛ ثم لما حلت سنة 1971 اكتملت تشكيلتها لتصبح قائمة على عدد من الفنانين يتراوح بين الستة والثمانية، وهم : عمر السيد مؤسس الفرقة وضابط الإيقاع بالبندير، وبوجمعة احكور منشد الفرقة وصاحب الهراز، وقد اشتهر بلقب بوجميع، والعربي باطما ضارب الطبيلة، وعلال يعلى ناقر العود والبانجو، وعبد العزيز الطاهري الذي تحول بعد حوالي عامين إلى فرقة "جيل جيلالة" ليخلفه في موقعه كعازف على السنتير عبد الرحمن قيرش الذي اشتهر بلقب "باكو". وقد التحق بالفرقة عنصران آخران هما الطيب الجامعي ومحمود السعدي، غير أنهما لم يعمرا طويلاً معها.

وقد حاولت المجموعة - منذ انطلاق نشاطها بتسجيل أغنية "الصينية" في استوديوهات التلفزة المغربية - أن تربط ظهورها على الساحة بالطموح لتأسيس أغنية مغربية جديدة تكون بديلاً للأغاني التي تبثها وسائل الأعلام، وذلك في مواكبة ضجة إعلامية عرفتها حقبة السبعينيات حول ما أسمته "تداعي الأغنية العصرية" التي كان قد أرسى أسسها الرواد الأوائل : أحمد البيضاوي، والمعطي البيضاوي، وعبد الوهاب أكومي، وعبد القادر الراشدي.

وفي حماس نادر أقبلت الفرقة على إصدار أشرطة ضمت زخما من الأغاني التي تمحورت موضوعاتها حول معاناة الإنسان في الحياة، "ومقاومته للتسلط الطبقي وشبح الفقر"، وجال بعضها "في رحاب التوسل والابتهال إلى الخالق من أجل أن يرفع الظلم والألم". وعبْر ثلاثة عقود تقريباً توالى نتاج الفرقة غزيراً من خلال مجموعة كبرى من الأغاني، من بينها : الصينية - الرغاية - انادى انا - المحبوب اللي نريد - يوم فرحي وهنايا - اعلاش احنايا عديان - الزين والثبات - حلاب حلاب - يوم ملقاك - فين غادي بيا آخويا - الماضي فات - لحصادا - الهمامي - مزين أمديحك - صيفنا ولى شتا - گولو ليامنا - فاضت الرشوة - السلام - فلسطين - صبراوشاتيلا - غير خدوني - زاد الهم - ياصاح.

ومما وضعته الفرقة حديثا شريط أصدرته تكريما لروح العربي باطما. وهو يضم تسع أغنيات هي : مايدوم حال - تعالى - خليني - هاجت الاحزان - الضر الواعد - علوله - أعلام لقبيلة - دكة - قالت. كما أنجزت المجموعة أعمالاً حاولت أن تتعامل فيها مع الأغنية الحمدوشية والگناوية. ومثال ذلك يتجلى في أغنية "غير خدوني" التي تحمل ملامح الأغنية الحمدوشية، وأغاني "الصدمة، ونرجاك أنا، والضهصيص" التي تحمل طابع الموسيقى الگناوية.

وقد هزَّكيانَ الفرقة - عبر مسيرتها الفنية - حَدَثان مؤلمان، تمثل أولهما في وفاة بوجميع يوم 26 أكتوبر 1974. وفيه فقدت المجموعة أحد أبرز عنا صرها المؤسسين ودعامة من دعاماتها الرئيسة في الإنشاد. وكان الحدث الثاني يوم 7 يبراير 1997 عندما رزئت في وفاة العربي باطما الذي فقدت فيه مبدعاً أثرى رصيد المجموعة بأزجاله وألحانه، والمخرج الذي كان يعد بنفسه سيناريوهات عروضها الفنية.

وقد صارعت الفرقة متاعب الاستمرار بعد هذين الحدثين من أجل أن تبقى وفية لالتزاماتها وهي اليوم تعاني أكثر بعد انسحاب عازف السنتير عبد الرحمن باكو من صفوفها لاقتناعه بأن المجموعة لم تعد تعطي جديداً. وأنه بات من الضروري أن تراجع ذاتها.

والواقع أن مجموعة ناس الغيوان التي استقبل ميلادها بكثير من التفاؤل حتى عُدَّ اتجاها يحاكي تجربة "إمام نجم" التي اعقبت نكسة 1967 في مصر، وتجربة مارسيل خليفة مع فرقة المبادين في لبنان، لم تكد تدرك الثمانينيات حتى واجهتها موجة من الانتقادات يرى بعضها "أن تجربتها الفنية عجزت عن أن تتحول إلى تعبير مساهم في تأصيل الثقافة المغربية وتركيز سيادتها بعيداً عن الأغاني الشعاراتية". و"أن ألحانها بكائية سوداوية" و"أنها أغفلت - إلا في حالات نادرة - الجوانب الفنية للعمل الموسيقي، فجاءت البنية التحتية والإيقاعية للأغنية الغيوانية ضعيفة، وذلك أمر يبرره اعتماد عناصر المجموعة أساساً على الموهبة ونكوصهم عن استكمال تكوينهم الفني بالبحث، فبارت الموهبة واستنفدت كل إمكانياتها".

ومن أجل أن تتلافى المجموعة هذا الوضع يسعى رئيسها عمر السيد اليوم إلى استقطاب عناصر جديدة، كما أنه لا يستبعد إمكانية توظيف آلات عصرية بدعوى إضفاء طابع الحداثة على أعمال الفرقة، وهو اتجاه يشكل - في رأي باكو - الضربة القاضية عليها.

ومهما يكن، فقد استطاعت مجموعة ناس الغيوان خلال فترات ازدهارها أن تستقطب إعجاب جماهير واسعة، كما استطاعت أن تفرض حضورها في محافل عربية وأروبية، وأن تحصل على جوائز تقديرية كان من بينها "الاسطوانة الذهبية" بألمانيا. كل ذلك بالإضافة إلى توظيف بعض أغانيها في مسلسلات تلفزيونية وأفلام سنمائية مرموقة.

م. بغداد، *جريدة العلم*، 17.7.1983 ؛ ج. بلعرج، 6.9.1987 ؛ م. حنون، *الأغنية الشعبية الجديدة ظاهرة ناس الغيوان*، منشورات عيون، الدار البيضاء، ط 1، 1987 ؛ *معلمة المغرب*، ج 5، ص. 1644 ؛ ح. نجمي، *جريدة الاتحاد الاشتراكي*، 3.9.1983.

عبد العزيز ابن عبد الجليل

ابن **غياث، عمر** المعروف بسيدي مغيث، اشتهر بمدينة سلا خلال القرن (8 / 14م) في ميدان الطب. ذكر ابن غازي أن المترجم كان من شيوخ أبي عبد الله بن قاسم القوري المكناسي. ولما شيد أبو عنان المريني المارستان، أو المدرسة العنانية الطبية ـ المعروفة بفندق أسكّور ـ بحي باب احساين بسلا، عين له أطباء مهرة، أشهرهم ابن غياث. ورتب لهم الجرايات والصلات. لقد كان هذا الأخير يدرس بهذا المارستان الطب ويعالج المرضى. وأشار ابن علي الدكالي في أحد تقاييده إلى أن عمر بن غياث كان يعطي كذلك دروساً في الطب والتصوف بالمدرسة المرينية بطالعة سلا. إلا أن شهرته الحقيقية كانت بالمارستان المشار إليه. وقد أعجب ابن الخطيب أيما إعجاب بالخدمات الجليلة التي أسداها ابن غياث للمرضى الموجودين به. وعبر عن ذلك في قصيدته العينية التي بعث بها من غرناطة إلى سلا قائلاً :

وابنُ غَيّاث غَيّاثٌ وشِفًا ... جُمْلَةَ الخَلْقِ بِهِ اللهُ نَفَعْ

زار أبو عنان المريني هذا المارستان عام 758 / 56.1357. وتشهد حوالات الأحباس بالريع الوافر الذي كانت تتمتع به هذه المدرسة العنانية، والتي كانت تشتمل على بيوت كثيرة، بعضها لإيواء المرضى، وبعضها الآخر للمعتوهين. ولم تسعفنا المصادر في معرفة المرحلة الأخيرة من حياة عمر ابن غياث. فهل هو الذي أسس زاوية سيدي مغيث، الموجودة شرقي المسجد الأعظم بمدينة سلا ليتفرغ للتدريس بها ؟ أم أنه ظل يزاول نشاطه كطبيب ومدرس بالمارستان المذكور ؟

توفي عمر بن غياث في النصف الأول من القرن (9 / 15م)، ودفن بالزاوية المشار إليها. كما دفن بها بعض كبار العلماء السلاويين خلال القرن (12 / 18م)، أمثال : محمد السوسي المنصوري، وأبي بكر الفرجي.

ابن الخطيب، *معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار*، ط. فضالة، 1977، ص. 152 ؛ ابن مرزوق، *المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن*، تح. ماريا خيسوس بيغرا، الجزائر، 1401 / 1981، ص. 415 ؛ م. ابن غازي، *فهرس*، تح. م. الزاهي، الدار البيضاء، 1399 / 1977، ص. 72 ؛ *حوالة أحباس مدينة سلا*، مخ. ح. ح، رقم 593، ص. 119 ؛ م. بن علي الدكالي، *تقييد حول المدرسة المرينية*، ضمن *الإتحاف الوجيز*، ط 2، 1996، ص. 62 ؛ م. بن أبي بكر التطواني، *كناشة*، مخ. خ. ص. رقم 407، ص. 35 ؛ م. المنوني، *دور الأوقاف المغربية في التكامل الاجتماعي عبر عصر بني مرين*، *دعوة الحق*، يوليوز ـ غشت، 1983، ع 230، ص. 29.

محمد السعديين

غَيّاثة فرقة موسيقية شعبية تنتمي إلى قبيلة غياثة المقيمة بنواحي مدينة تازة في مجتمعات سكنية متعددة من بينها أهل بني بوقطون، وأهل الواد، وأهل واد الحضر، والبرانس.

تتكون فرقة غياثة من الرجال خاصة، وهم يرتدون جلابيب صوفية بنية اللون، وعلى رؤوسهم رزات بيضاء، وفي أرجلهم نعال جلدية خفيفة.

وعند قيام هؤلاء لأداء عروضهم الفنية يعمدون إلى حمل بنادقهم بأيديهم، ثم ينخرطون في حركات راقصة على إيقاع الطبول ونغمات الغيطة، وهم خلال ذلك يتلاعبون بالبنادق، تارة يضعونها فوق هاماتهم، وتارة على أكتافهم، وأخرى يديرونها بأيديهم، أو يرفعونها في وضع مواز لقاماتهم، أو يوجّهونها نحو الأرض، أو يصوّبون فوهاتها نحو الفضاء، ثم يطلقون بارودها في لحظة واحدة، ترافقها زغاريد النساء، وصيحات الرجال، كل ذلك في استعراض تطبعه الرشاقة والخفة، وتتجلى فيه الشجاعة والفتوة، وكأنه مشهد من مشاهد العراك في ساحات الحرب.

يطلق على فرقة "غياثة" أيضاً اسم "الباردية" نسبة إلى اللعب بالبارود، وهي من المجموعات الفنية التي تشارك بانتظام في دورات المهرجان الوطني للفلكلور بمراكش. وقد مثلت المغرب في لقاءات دولية متعددة.

بطاقة خاصة ؛ العلوي الباهي محمد، مج. *التراث الشعبي*، العدد الثاني، السنة التاسعة، بغداد، 1978، ص. 135.140.

عبد العزيز بن عبد الجليل

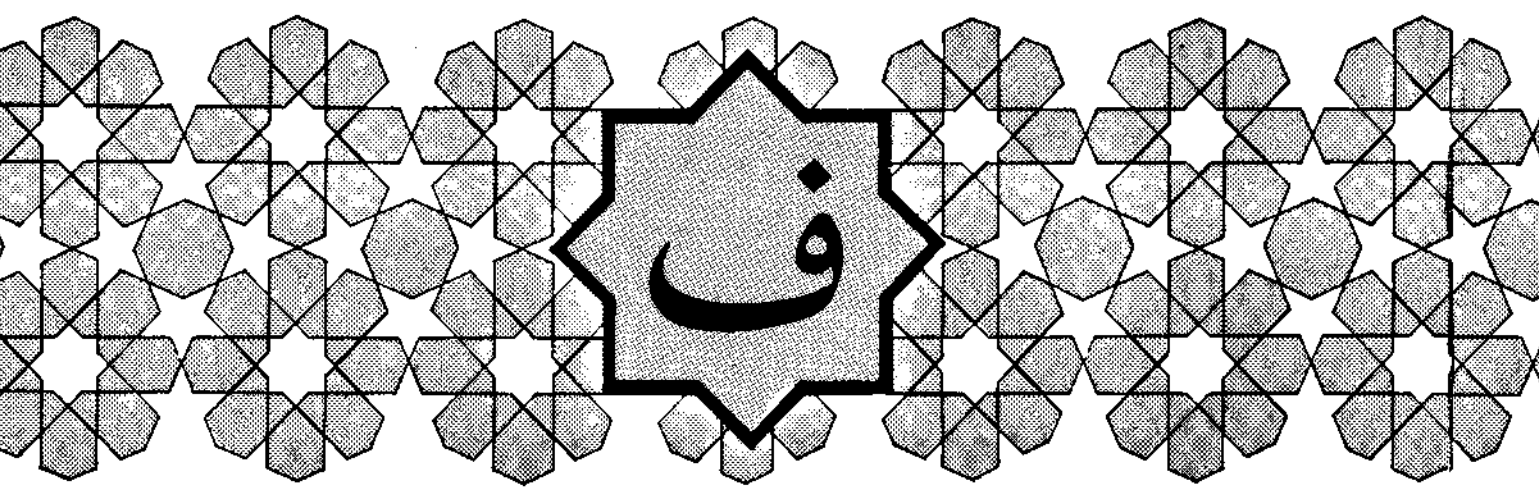
ف

فاتح (سيدي -) اسم ضريح وشارع يخترق مدينة الرباط القديمة من باب البويبة إلى شارع العلو في غرب المدينة. وسيدي فاتح يسمى أيضا بفتح الله أوقانيا الأندلسي، يقال إنه من قدماء الأولياء بالرباط، وكان ضريحه صغيراً ثم جدد وزيد فيه أيام الناظر مَحمد غنام.

م. بوجندار، *الإغتباط*.

عبد الإله الفاسي

الفأر كما هو في كتب اللغة وكما ينطق به في مختلف الأقطار العربية، دابة قارضة من الثدييات الوحشية. يصنف إلى رتبة القوارض Rongeurs Rodentia وعشيرة الفئران تضم الجرذان والفأر وعضلان الشجر وعضلان الماء، وهي أنواع متجانسة ومتشابهة فيما بينها من حيث الشكل وتركيب الأعضاء الباطنية. مقاييس الفئران في المغرب صغيرة القد وتتوفر القوائم على خمسة أصابع ذات براثن. تتميز عشيرة الفئران بقدرتها الإنجابية المرتفعة حيث تلد الأنثى ما بين 5 و10 صغار عدة مرات في السنة. وأهم خاصيتها تتمثل في أسنانها الأمامية الموزعةإلى أربع قواطع متواصلة النمو وغاية في التطور وهذه الخاصية تفسر كون الفأر يضطر دائما لقرض كل ما يجده أمامه لتفادي النمو المطرد للقواطع وحفاظا على فعاليتها. يستعمل الأسنان الأمامية للقطع والقضم وتفتيت كل مادة كيفما كانت صلابتها.

تكيفت أنواع الفئران مع جميع الأوساط والبيئات وتوزعت في جميع أنحاء المعمور بفضل قدرتها الفائقة على التكيف والتكاثر فهناك أنواع تعيش في الحقول والمزارع وأخرى تعيش في المنازل ومنها ساكنة أشجار ومغاوير. كل هذه الأنواع مضرة باقتصاد الإنسان حيث تقضم جذور النباتات الزراعية والحبوب والثمار مما يدفعها إلى إتلاف الزراعة كما أن معظم الأنواع تنقل أمراضا تكون أحيانا خطيرة على صحة الإنسان. تسعة أنواع باستثناء اليربوع والزباب يعيشون في المغرب ويختلف توزيعهم الجغرافي حسب نمط العيش والتكيف مع البيئة :

- الفأر المنزلي من الحيوانات المزعجة للإنسان لما يلحقه من أضرار بمئونته، تسميه العامة في المغرب زغيدة ويسمى علميا Mus musculus Linnaeus, 1758 وبالفرنسية Souris grise وبالإنجليزية House mouse وبالإسبانية Raton casero ، يتميز بخطم مسنن وبذيل أطول من الجسم، يبلغ طوله 10.7 سم وجسمه مكسو بزغب رمادي داكن ضارب إلى السواد. عيناه واسعتان مكيفتان مع الظلام حيث لا يكاد يبصر بالنهار. سمعه وشمه غاية في الحدة والتطور موطنه الأصل أوروبا وأسيا الشمالية وشمال إفريقيا وهو شائع حاليا في مختلف بقاع العالم بفضل تنقلات الإنسان.

- الفأر المتوحش، يسمى علميا Mus spretus Linnaeus وبالفرنسية Souris sauvage وبالإنجليزية Algerian mouse وبالإسبانية Raton moruno ، يختلف عن الفأر المنزلي بذيل أقصر من الجسم، يبلغ طوله 8.7 سم وشعره رمادي على الظهر وأبيض على البطن. يعيش بعيداً عن المنازل ويألف الأدغال والسهوب الساحلية والغابات والمزارع، نادر في الواحات ولا يعيش في المناطق الصحراوية. يقتصر توزيعه الجغرافي على حوض البحر المتوسط الغربي. شائع في الريف والأطلس المتوسط والكبير والمناطق الساحلية من السعيدية إلى سيدي إفني. يأكل الحبوب والثمار اليابسة. سمعه وشمه غاية في الحدة والتطور. موطنه الأصل أوربا وأسيا الشمالية وشمال إفريقيا وهو شائع حاليا في مختلف بقاع العالم.

- الفأر الشائك يسمى علميا Acomy cahirinus (Desmaret, 1819) وبالفرنسية Rat épineux وبالإنجليزية Spiny mouse وبالإسبانية Raton espinoso، ويسمى في الشرق العربي قنفع، والفأر الشائك لصلابة شعره على العنق والظهر. يكثر نشاطه نهارا ويألف الأماكن الصخرية بالمناطق شبه الصحراوية ويعد من الحيوانات النادرة في المغرب حيث لا يمكن مشاهدته إلا في سهوب حوض درعة منذ زاكورة إلى

السمارة ونادر جدا في المناطق الصحراوية المغربية. موطنه على وجه الحصر المغرب والجزائر والجزيرة العربية وفلسطين ومصر. لونه بني مصفر على الظهر والجوانب أبيض على البطن. يبلغ الطول جمعا بين الرأس والجسم 9 . 12 سم وطول الذيل 9 . 11 سم وهو قليل الشعر.

- الفأر متعدد الأثداء يسمى علميا Mastomys erythroleucos (Timmink, 1853) وبالفرنسية Rat à mamelles multiples وبالإنجليزية Western multimammate لوجود عشرة زوجات من الأثداء عند الإناث على صفين متواصلين على كل جانب من البطن، الذيل خال من الشعر وعليه قشور، شعره ناعم مصفر شاحب على الظهر ورمادي على البطن. يبلغ الطول جمعا بين الرأس والجسم 11 . 12 سم وطول الذيل 13 . 14 سم. يكثر نشاطه ليلا ويألف الأماكن الطينية بالمناطق الفلاحية ويعيش في جحور عموما غير عميقة. يعد من الحيوانات النادرة في المغرب حيث يقتصر توزيعه على الحصر بين أسفي وتيزنيت وفي هضاب سوس فقط. فهو إلى جانب السنجاب السنغالي الذي يتعايش معه في هذه المنطقة يعدُّ من الحيوانات الواصلة بين الشمال الأفريقي وأفريقيا الاستوائية قبل ظهور الصحراء الغربية الكبرى.

- الفأر البربري المخطط يسمى علميا Lemniscomys barbarus (Linnaeus, 1766) وبالفرنسية Rat rayé وبالإنجليزية Barbary striped mouse، يتميز بأحد عشر خطا طوليا على الظهر والجانبين وبأذنين قصيرتين وبعينين واسعتين، لونه مصفر شاحب مخطط بالرمادي الداكن. يبلغ الطول جمعا بين الرأس والجسم 9 . 11 سم وطول الذيل 10 . 13 سم. يكثر نشاطه نهاراً يألف الغابات فقط وشائع في مختلف المناطق الغابوية المغربية بالريف والأطلس المتوسط والكبير. يأكل الثمار اليابسة كثمار البلوط والحبوب وبعض أنواع الحشرات.

- فأر سنجابي يسمى علميا Eliomys quercinus (Linnaeus, 1766) وبالفرنسية Blérot وبالإنجليزية Garden dormouse ، يتميز بسنبلة من الريش الأبيض على مؤخرة الذيل وبخطين أسودين يجمعان بين العين والأذن، لونه بني أشقر على الظهر وأبيض على الجانبين والبطن. صيغة أسنانه كالتالي : 1/1 أسنان، 0/0 أنياب، 1/1 أضراس أمامية، 3/3 أضراس = سنا. الذيل خال من الشعر وعليه قشور، شعره ناعم مصفر شاحب على الظهر ورمادي على البطن. يبلغ الطول جمعا بين الرأس والجسم 9 . 13 سم وطول الذيل 10 . 13 سم. يكثر نشاطه ليلا ويألف الغابات والمناطق الفلاحية الغنية بالأشجار وفي المنازل المهجورة ويعيش في الجحور وبين شقوق الجدران والصخور يختفي في الشتاء بداخل الجحور أو ينطوي على نفسه بين أوراق الشجر الساقطة ويمتنع عن الأكل طيلة الأيام الباردة ويستأنف نشاطه في بداية الربيع. يأكل الثمار والحبوب وبعض أنواع الحشرات كالجراد.

- فأرة الحراج أو فأرة الحقول ودثيمة في الشرق العربي وفي اللغة تسمى علميا Apodemus sylvaticus (Linnaeus, 1758) وبالفرنسية Mulot وبالإنجليزية Wood mouse وبالإسبانية Raton de campo ، تتميز بأذنين طويلتين، يتغيرلون شعره حسب مناطق عيشه فهو رمادي داكن بالنسبة للنماذج الجبلية ومصفر شاحب لمجموعات السهول والهضاب المنحدرة. يبلغ الطول جمعا بين الرأس والجسم 8 . 11 سم. يكثر نشاطه ليلا ويختفي نهارا، يألف الغابات فقط وشائع في مختلف المناطق الغابوية المغربية بالريف والأطلس المتوسط والكبير وشائع أيضا في أوروبا والمغرب العربي. يأكل الثمار اليابسة كثمار البلوط والحبوب وبعض أنواع الحشرات.

- فأر أسود يسمى علميا Rattus rattus (Linnaeus, 1758) وبالفرنسية Rat noir وبالإنجليزية Black rat وبالإسبانية Rata negra ، يتميز بجسم كبير وشعره رمادي داكن ضارب إلى السواد. يبلغ الطول جمعا بين الرأس والجسم 14 . 20 سم وطول الذيل 15 . 23 سم. يكثر نشاطه ليلا وعند الغروب، يألف الغابات والبساتين والواحات وشائع في مختلف المناطق الغابوية المغربية بالريف والأطلس المتوسط والكبير وشائع أيضا في أوروبا والمغرب العربي. يأكل الثمار والحبوب والحشرات والبيض ويتخذ له أعشاشا من بين أغصان الأشجار.

- فأر نرويجي يسمى علميا Rattus norvegicus (Berkenhout, 1769) وبالفرنسية Surmulot وبالإنجليزية

Brown rat وبالإسبانية Rata comun ، وهو أكبر الفئران حجما في المغرب، شعره رمادي بني على الظهر وأبيض على البطن. يبلغ الطول جمعا بين الرأس والجسم 24 ـ 27 سم وطول الذيل 20 ـ 21 سم. يكثر نشاطه ليلا ويألف المناطق الرطبة بجوار المدن والقرى ويوجد بكثافة في قنوات مياه الصرف وعلى ضفاف الأنهار وقنوات الري والواحات. شائع في مختلف المدن والقرى المغربية. يأكل الثمار والحبوب والحشرات والبيض.

ويصعب على الإنسان العادي التمييز بين الفئران القوارض وأنواع فصيلة الزباب Soricidae التي تصنف إلى رتبة آكلات الحشرات Insectivora. تشبه الفأر في الظاهر ولكنها ليست منه ولا من رتبته إذ تتميز بخطم حاد ينتهي بخرطوم ومنها سبعة أنواع تعيش في المغرب، اسمها في الدارج المغربي خرطوش وخردموش أي فأر ذو خرطوم وبالبربرية تاخرطموشت والزباب في الشرق العربي. صيغة الأسنان كالتالي : 1/1 أسنان، 2/3 أنياب، 0/1 أضراس أمامية، 3/3 أضراس = 28 سنا. تتغذى من الحشرات وتألف الأماكن الصخرية والجدران وأماكن تجمع الأحجار ولا يضرون بالإنسان. يكثر نشاطهم ليلا ويخشون الكواسر الليلية التي تلتهمهم بشراسة مفرطة :

ـ زباب طرفاية يسمى علميا Crocidura tarfayensis وبالفرنسية Musaraigne de Tarfaya وبالإنجليزية Tarfaya's shrew موطنه على وجه الحصر طرفاية ووادي الذهب والساقية الحمراء.

ـ زباب إفريقي يسمى علميا Crocidura whitakeri وبالفرنسية Musaraigne de Whitaker وبالإنجليزية North African shrew موطنه شائع في السهول والهضاب والمناطق الجبلية المغربية ومنعدم في المناطق الصحراوية.

ـ زباب شائع يسمى علميا Crocidura russula وبالفرنسية Musaraigne musette وبالإنجليزية Greater shrew شائع في المناطق الشمالية والوسطى وموجود أيضا في شمال إفريقيا وأسيا وأوروبا.

ـ زباب موريتاني يسمى علميا Crocidura lusitanica، يعيش في المناطق الصحراوية بجنوب المغرب وموريتانيا والسنغال.

ـ زباب بوليفاري يسمى علميا Crocidura bolivari، ويعيش في المناطق الساحلية الجنوبية من أگادير إلى الداخلة.

ـ فأر الزباب يسمى علميا Suncus etruscus (Savi, 1822) وبالفرنسية Pachyure étrusque وبالإنجليزية Pigmy white toothed shrew ، وهو أصغر الثدييات حجما في المغرب العربي حيث لا يتعدى طوله جمعا بين الرأس والجسم 5 سم وطول الذيل 3 سم. ينتمي إلى رتبة آكلات الحشرات وفصيلة الزباب Musaraigne ويختلف عن القوارض في نمط العيش. يتميز بخرطوم ممتد على شفته العليا وبقوائم قصيرة. لونه بني على الظهر والجوانب وأبيض على البطن. نادر في المغرب يمكن مشاهدته في ضواحي فگيگ ووبني إزناسن وتطوان، وشائع في أوروبا. صيغة الأسنان كالتالي : 3/3 أسنان، 1/1 أنياب، 4/4 أضراس أمامية، 2/2 أضراس = 40 سنا.

ـ زباب صحراوي يسمى علميا Elephantulus rorozeti (Savi, 1822) وبالفرنسية Macroscélide de Rozet وبالإنجليزية North-african Elephant shrew. صيغة الأسنان كالتالي :

1/ 1 أسنان، 2/4 أنياب، 0/1 أضراس أمامية، 3/3 أضراس = 30 سنا.

ـ يعيش في شمال أفريقيا على وجه الحصر، يألف المناطق شبه الجافة وشبه الصحراوية من المغرب الشرقي إلى ضواحي طرفاية ويخشى المناطق الرطبة.

المعلوف أمين، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

L. Lyneborg, *Mammifère d'Europe*, Nathan, 1972, 237 p. ; A. Lakhdar Ghazal, J.P. Fartouat et M. Thevenot, *Faune du Maroc, Les Mammifères*, Albums didactique, Rabat, 73 p. ; S. Aulanier et M. Thevenot, *Catalogue des mammifères sauvages du Maorc*, Trav. Inst. Sci., série Zoologie, n° 41, Rabat, 1986.

محمد رمضاني ونجاة الخياطي

فأرة الخيل وابن عرس كما هو في المعاجم وتازلدمان وتازكاكة وتازكطا في المناطق الجنوبية المغربية وفي المغرب العربي، حيوان من أصغر الثدييات الوحشية اللاحمة، يكثر نشاطه ليلا وفي مطلع النهار وعند الغروب. ينصف إلى فصيلة السرعوبيات أو السموريات (العرسيات) Muselidae ويسمى علميا Mustela nivalis numidica (Pucheran, 1855) وبالفرنسية Belette de Numidie وبالإنجليزية Numidian weasel وبالإسبانية Comadreja، موطنه أفريقيا الشمالية (المغرب والجزائر) ويعيش نظيره السرعوب الأوروبي Mustela nivalis (Belette d'Europe) في أوروبا وآسيا الشمالية باستثناء المناطق الشديدة البرودة.

قوائمه قصيرة تنتهي بمخالب قوية تساعده على حفر الغيران. جسمه ممدد ونحيل، مسطح الرأس طويل العنق، ذيله أسمر ينتهي بخصلة من الشعر الطويل. شعره قصير، أسمر داكن على الظهر وأبيض مصفر على البطن وأسفل العنق وعلى الواجهة الداخلية للقوائم. صيغة أسنانه

كالتالي : 3/3 أسنان، 1/1 أنياب، 3/3 أضراس = 34 سنا.

يتراوح وزن الكبار بين 75 و130 غراما ويبلغ الطول جمعا بين الرأس والجسم 20 ـ 27 سم وطول الذيل 3 و 6,5 سم ؛ علوه عند الغارب 3.5 ـ 5 سم. الذكور أكبر حجما من الإناث.

يعيش مزدوجا أو في مجموعات عائلية تشمل الصغار والأبوين ويتكون غذاؤه من الضفادع وفراخ الدجاج وصغار الأرانب والحشرات والقواضم وبالأخص منها فئران الحقول يبحث عنها ليلا وخلال الأيام الغائمة. تساعده نحالة جسمه وصغرها على اقتحام الجحور ليزعج طريدته ويفترسها. يحسن السباحة ويصعب عليه تسلق الأشجار. يفضل العيش في المناطق الغابوية وخواصر الجبال ذات الكسور والحقول المزروعة والمنازل المهجورة في الأرياف. شائع في سهول وهضاب وجبال معظم المناطق المغربية والجزائرية باستثناء الأوساط الصحراوية الحارة. يخشى الكواسر الليلية والإنسان.

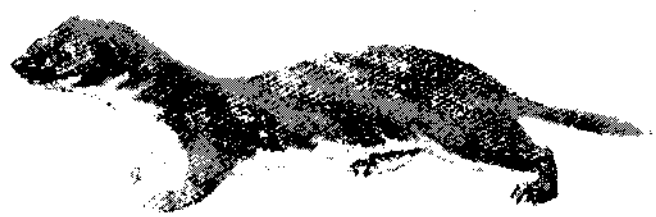

يتوالد مرتين في السنة : في مارس ـ أبريل وفي يوليوز ـ غشت ؛ تدوم مدة الحمل حوالي 35 يوما وتلد الإناث 4 ـ 7 صغار تفتح عيناها بعد 21 ـ 25 يوما وتدوم مدة الرضاعة 4 ـ 5 أسابيع. تصير بالغة بعد سنة وتعمر حوالي 7 سنوات.

م. رمضاني، *باقع، معلمة المغرب*، ج 3 ؛ ص. 1010 ـ 1011 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية* ، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

A. Lakhdar Ghazal, J.P. Fartouat et M. Thevenot, *Faune du Maroc, Les Mammifères*, Albums didactiques, Rabat, 73 p. ; S. Aulanier et M. Thevenot, *Catalogue des mammifères sauvages du Maroc*, Trav. Inst. Sci., série Zoologie, n° 41, Rabat 1986.

محمد رمضاني

ابن **فارس**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث لا زالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Faras وAlférez.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

الفارس، أحمد بن **محمد** ولد سنة 1930 بالشاوية انضم إلى صفوف المقاومة المسلحة منذ سنة 1951 حيث أن مهنته في صفوف رجال المطافئ سمحت له بحرية التحرك داخل مختلف مناطق المغرب حيث أصبح محور اتصال بين مجموعة من المقاومين بالدار البيضاء والرباط والقنيطرة المنضويين تحت لواء منظمة "اليد السوداء"إلى أن القي عليه القبض حاملا لبعض الأسلحة فاقتيد حينئذ إلى مراكز التعذيب بباب الحد بالرباط حيث حكمت عليه المحكمة العسكرية بالسجن لكن حصول المغرب على استقلاله وعودة المغفور له محمد الخامس من المنفى عجل بالإفراج عنه.

توفي بتاريخ 18 / 10 / 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 518553.

ابن **فارس، الحسن** الشريف الحسني الفاضلي الرباطي الفقيه العالم العلامة القاضي. استوطن الرباط مدة تولى فيها القضاء عام 1242 ، كان ينوب عنه فيه الفقيه أحمد بن المختار الغربي. وكان يتقلد خطة الكتابة مع السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام العلوي، الذي ولاه، أيضا ، فاس الجديد.

توفي يوم 14 ربيع الأول عام 1259.

م. بوجندار، *الاغتباط بتراجم أعلام الرباط*.

المصطفى البوعناني

ابن **فارس، محمد** بن **العربي** كان يزاول خطة العدالة من سنة 1197 إلى سنة 1234 (1783 ـ 1819). وفي سنة 1225 (1810) ناب عن قاضي تطوان. الحسن بن فارس الذي زاول خطة القضاء بتطوان سنتي 1230 و1231 (1815 ـ 1816).

م. ابن عزوز، حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1990). تطاون 1999.

محمد بن عزوز حكيم

فارس، محمد بن **محمد** ولد سنة 1909 بدوار تسلوين ملحقة أجدير ناحية تازة. التحق بصفوف جيش التحرير بشمال البلاد بمركز بسكور تحت قيادة السرجان عبدالسلام، واستمر في كفاحه ونضاله ضمن صفوف جيش التحرير من أجل وحدة البلاد إلى أن استشهد بتاريخ 28 يناير 1956.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 524218.

أبو **فارس المريني** ، عبد العزيز بن علي، آخر ملوك بني مرين الكبار. نظرا للدور الذي قام به من أجل النهوض بالدولة، بعدما اعتراها من أزمات سياسية واقتصادية. حينما وصل عبد العزيز إلى الحكم، كان مشايخ الدولة المرينية وكبار الوزراء قد انفردوا بتسيير مقاليد الحكم، وتعودوا على مصادرته من ملوك الدولة. فكانوا يبايعون إما أمراء صغار السن، أو بعض من لا تتوفر فيه شروط الإمامة.

وقد بويع عبد العزيز المريني في هذه الظروف، حيث كان الوزير عمر بن عبد الله الباباني قد تعود على الاستبداد بالسلاطين، فلما تخلص من سلطانه السابق أبي زيان، بعث في طلب عبد العزيز بن علي وأجلسه على العرش واستكمل إجراءات البيعة في ذي الحجة من سنة 767 / 1366. وكان عبد العزيز بن علي قبل ذلك في شبه اعتقال بقصبة فاس. وكانت إصابته بمرض مزمن منذ صغره قد أنقذته من موت محقق، حينما جمع أخوه السلطان أبو سالم إبراهيم كل الأمراء المرينيين وأمر بإغراقهم في بحر المجاز.

وعلى الرغم من علته فقد باشر أبو فارس عبد العزيز الحكم، بكثير من القوة ورباطة الجأش، ورفض الانقياد لوزيره المذكور، وعمل عى تصفيته، فنصب له كمينا بالقصر وقتله، ثم تخلص من رجالات هذا الوزير بالاعتقال أو بالقتل. فلما تمكن من إرجاع هيبة السلطان بفاس، بدأ يتشوف إلى ضبط أحوال المغرب كافة. ومعلوم أن المغرب كان آنذاك في أسوأ حال، مقسما إلى مجالات نفوذ متعددة؛ فقد كان عامر بن محمد الهنتاتي يسيطر على جبل درن ومراكش، ونصب للإمارة هنالك أبا الفضل ابن السلطان أبي سالم إبراهيم. وكان لذرية أبي علي بن أبي سعيد شفوف ببلاد القبلة بسجلماسة وما والاها، وتوارثوا النفوذ بها بمساعدة عرب المعقل، وبقي الأمر هكذا بين مد وجزر إلى أن توجهت همة السلطان عبد العزيز بضبط أحوال المغرب والقضاء على منافسيه. فاستهدف في البداية غريمه أبا الفضل الذي سلك بدوره سياسة لا تكاد تختلف عن سياسة عبد العزيز. فقد تخلص من كافله عامر الهنتاتي وقتل الأمير عبد المؤمن صاحب سجلماسة.

وطارد السلطان عبد العزيز المريني أبا الفضل في جبال تادلا وأقنع القبائل التي أجارته بتسليمه وحصل ذلك في رمضان سنة 769 / 1368. وبعد هذه الخطوة الأولى، أتى دور عامر الهنتاتي المعتصم بحصنه في جبال الأطلس الكبير. فحاصره مدة سنة كاملة، إلى أن اشتدت الحال بعصبته وأشياعه، فاختلفوا عليه وسلموا الجبل للسلطان عبد العزيز في سنة 770 / 1369. أما عامر الهنتاتي فقد طورد مدة بالجبل وأعاقت الثلوج حركته، فقبض عليه واعتقل بفاس ثم امتحن بسبب ما ثبت عليه من اتصال بأبي حمو الزياني، وقتل هو وجماعة من الثوار. هكذا إذن تمكن عبد العزيز من إعادة الاستقرار لدولته واستبد بالأمر ومنع أفراد مخزنه من البت في أمور الحكم دون الرجوع إليه. حينها فقط بدأ يفكر في علاقاته بالكيانات المجاورة، وابتدأ أولا بإنعاش مجهود الجهاد بالأندلس فاسترجع الجزيرة الخضراء سنة 770 / 1369 مستفيدا من ظرفية مواتية تمثلت في التطاحنات التي كان يعرفها المعكسر المسيحي آنذاك. وقد كانت تكاليف هذه الحملة على نفقة السلطان المريني الذي عبأ أيضا أسطوله بسبتة لفرض الحصار على الجزيرة، فسهل استرجاعها على ابن الأحمر الذي ولي عليها من قبله. وهو ما يؤكد أن السلطان عبد العزيز كانت تحذوه رغبة خالصة في الجهاد، ولم يبحث كغيره من سلاطين هذه الدولة، عن التوفر على رأس جسر بالأندلس بل يبدو أن المرينيين كانوا يتحاشون الدخول في خلاف مع بني الأحمر الذين يتوفرون على وسائل قوية للضغط على الأسرة المرينية، وتتمثل في عدد من الأمراء المرينيين المبعدين إلى الأندلس. وفي جيش الغزاة الذي كان يرأسه آنذاك ابن عم السلطان، عبد الرحمن ابن أبي يفلوسن. فكدر ذلك نفس السلطان عبد العزيز، لاسيما بعد وقوفه على مراسلات غريمه المذكور إلى بعض شيوخ بني مرين، فانساق على مضض وراء الأمور الداخلية بالأندلس وأوعز لابن الخطيب باعتقال خصومه بالأندلس، وتم له ما أراد.

فلما ضاق ابن الخطيب ذرعا بسعايات خصومه غادر الأندلس واستقر بفاس مشمولا برعاية السلطان الذي وفر له الجراية والإقطاع، ورفض تسليمه لابن الأحمر. وكان ذلك سببا للتدخل الأندلسي المباشر في المغرب بعد وفاة السلطان عبد العزيز.

كما كان على السلطان عبد العزيز الاهتمام بمشكل مزمن في تاريخ دولتهم، ويتمثل في إمارة بني عبد الواد، ومن كان ينظم إليها بحسب الظروف من قبائل بني معقل الذين عاثوا فسادا في المناطق الشرقية خلال ضعف الدولة. وعلى الرغم من الاتصالات التي تمت بين عبد العزيز وأبي حمو الزياني بشأن رجوع أولاد حسين والأحلاف للطاعة، فإنه أبى، وكان ذلك سببا في الحملة على تلمسان والاستيلاء عليها في سنة 772 / 1371، بعد أن خذل بنو معقل أبا حمو، فانسحب إلى الصحراء.

وكان عبد العزيز كسلفه أبي الحسن وأبي عنان، يتطلع إلى حكم شامل ببلاد المغرب يسمح بالاستقرار وتوفير الوسائل المادية للحكم. غير أنه اصطدم كسابقيه بالقبائل العربية المتمسكة بامتيازاتها وبإقطاعاتها، فخرجت عليه حينما رفض الإذعان لمطالبها، وبدأت بعض القبائل الهلالية والمعقلية تشغب عليه، ليس فقط بالمغرب الأوسط حيث انحازت من جديد لبني عبد الواد، بل بالمغرب الأقصى أيضا. فاضطره ذلك إلى بعض المرونة حيث استمال البعض منهم بالإقطاعات رغبة في تهدئة أوضاع المغرب الأوسط، وتوفق في ذلك، وضيق الخناق على أبي حمو وأجبره على الانسحاب إلى تيكورارين. لكن وفاة السلطان عبد العزيز بظاهر تلمسان في ربيع الثاني سنة 774، عجلت برحيل الجيش المريني نحو فاس وهو ما سهل عودة أبي حمو إلى حكم تلمسان في نفس السنة.

وقد أبان السلطان عبد العزيز عن طاقة كبيرة في إنهاض الدولة المرينية من كبوتها، ورد إليها الاعتبار كدولة قوية بالغرب الإسلامي، وتحدثت عنه المصادر كسلطان قوي وحازم لم يتردد أبدا في تصفية معارضيه ومعاونيه وإذا كان هذا محققا ووقفنا على جوانب منه، فإن رسالة ابن عباد الرندي لهذا السلطان تكشف عن معطيات تخالف هذا التصور.

فالوضع الداخلي بالبلاد لم ينل حظه من الإصلاح، خصوصا في المجال الجبائي الذي تضرر منه الناس كثيرا، وقد أشار ابن عباد إلى أحد تلك المغارم ؛ وهي الرتب التي أحدثت بطرق المسافرين وكان يلحقهم منها أذى كبير، وقد كان العمال يجنون من ورائها أموالا جمة. يختصون بها، ولا يصل منها لبيت المال إلا القليل. إن الأمر يتعلق هنا بمسألة هيكلية في تاريخ المغرب همت كل دولة وتتجاوز قدرات أبي فارس. وقول ابن عباد بالنصح لهذا السلطان في هذا الباب يعبر عن الآمال التي عقدتها كثير من الشرائح الاجتماعية على هذا السلطان في مجال إصلاح الدولة، وهو ما تؤكده أيضا إهداءات وتصديرات كثير من المؤلفات التي رفعت إليه، ككتاب العبر والمسند الصحيح والسلسل العذب والدوحة المشتبكة التي تعكس مقامه في نفوس النخبة.

ع. ابن خلدون، *العبر*، ج. 7 ؛ إ. ابن الأحمر، روضة النسرين ؛ م. المنوني، *ورقات عن الحضارة المغربية*.

Ch. E. Dufourcq, *Commerce du Maghrib médieval*, Tunis, 1979 ; M. Kably, *Société, pouvoir et religion*, Paris, 1986.

محمد فتحة

الفارسي (سيدي -) ، **أحمد** بن الطاهر بن الحسن، أحد الأولياء الصالحين بعبدة ودكالة في النصف الأخير من القرن الثاني عشر وبداية القرن الثالث عشر للهجرة. وهو حفيذ سيدي فارس بن الحسن الوريكي من أصحاب الشيخ سيدي عبد الله بن حسين الأمغاري. يقول الفقيه الكانوني عن أحواله : "...كان أحد فضلاء عصره، معدودا في الفرسان النبلاء، مرجوعا إليه في ركوب الخيل والمعرفة بأنواعها وتذليلها...".

يوجد ضريحه بقصبة أيّير على شاطئ البحر غير بعيد من الوليدية.

م. الكانوني، *جواهر الكمال في تراجم الرجال*.

عبد الرحيم العطاوي

فارمر، جورج هانري Farmer, George Henrry، موسيقي إنجليزي اشتغل لفترة طويلة أستاذاً محاضراً وقائداً للاوركسترا السنفوني بجامعة گلاسگو الشهيرة في إيكوسيا شمال انجلترا (1902 - 1928). تخصص في دراسة الموسيقى العربية وتاريخها.

أهلته معرفته بهذه الموسيقى لتمثيل المملكة البريطانية في المؤتمر الأول للموسيقى العربية الذي انعقد بالقاهرة ربيع عام 1932 ، حيث رأس لجنة تاريخ الموسيقى والمخطوطات، وكان فارمر - وإلى جانبه الباحث الفرنسي الأب كولانجيت (Collangettes) يمثل تيار الاستشراق المهتم بالبحث في تاريخ وأصول الموسيقى العربية.

أنجز فارمر دراسات وأبحاثا عدة حول الموسيقى العربية اهتمت بنشرها كبريات الدوريات والمجلات والإذاعات وألف كتبا متعددة، منها المترجم من مصنفات عربية تراثية، وما خصه بوصف مؤلفات عربية في الموسيقى، وما حقق فيه بعض المخطوطات أو عالج فيه موضوعات متفرقة كالآلات والتأثير الموسيقي وتاريخ الموسيقى العربية عموما.

وقد كان نصيب الموسيقى المغربية من أعماله مهما، ومن ذلك :

1) التعريف بالموسيقى الأندلسية ونوباتها في المغرب، وذلك من خلال سلسلة المقالات التي نشرها في مجلة "المستمع العربي" لهيئة الاذاعة البريطانية.

2) كتاب *معلم عود مغربي قديم* An old moorish lute tutor يضم هذا الكتاب أربعة نصوص مغربية تتعلق كلها بموسيقى الآلة، وقف عليها بالمكتبة الوطنية بمدريد. وقد نشرها كاملة وأرفقها بترجمتها إلى اللغة الانجليزية والتعليق عليها شرحاً وتحليلاً. وهذه النصوص هي :

أ - *معرفة النغمات الثمان* - مكتبة مدريد رقم 2. cccxxxiv. والمقالة هي ذاتها رسالة الأديب والموسيقي محمد البوعصامي المتوفى حوالي 1150 والتي ضمنها محمد بن الطيب العلمي (ت. 1133 / 1721) كتابه *الأنيس المطرب فيمن لقيه مؤلفه من علماء المغرب*. وقد وهم فارمر عندما أرجع هذه الرسالة إلى القرن السادس عشر زاعما أن البوعصامي اقتبس نصها من مصدر سابق. وهو ادعاء يفنده تنصيص العلمي في كتابه المذكور على أنه تلقى نصها من شيخه البوعصامي إملاء.

ب - في الطبائع والطبوع الأصول - مدريد 1889 رقم 3. cccxxxiv. منظومة للشيخ الفقيه سيدي عبد الواحد الونشريسي المتوفى عام 955 / 1549. وتوجد هذه المنظومة بأبيات للإمام الوجدي في مقدمة كناش الحايك، وفي مجامع متعددة من بينها مجموع بالخزانة الحسنية رقم 650.

ج - الطبوع - مكتبة مدريد رقم 4 bis. cccxxxiv. عبارة عن فقرة قصيرة تتكون من حوالي أربعة عشر سطرا، تتحدث عن الطبوع التي قل أن يحفظ لها شيء ما عدا في إنشاد الستينات، مع الإشارة إلى أن الطبوع عند أهل المغرب تنتهي إلى ثلاثمائة وستة وستين.

وتوجد هذه الفقرة ذاتها في نهاية المخطوط المودع بخزانة المرحوم الفقيه محمد داود بتطوان تحت رقم 144 والذي انتهى منه جامعه عام 1202.

د - كتاب *المجموع في علم الموسيقى والطبوع* لعبد الرحمن الفاسي توفي عام 1096 : عبارة من منظومة قوامها 105 بيت. وقد تعددت نسخ هذه المخطوطة، ومنها بالخزانة الحسنية المخطوط رقم 650.

3) فصلات متفرقة في كتابه *تاريخ الموسيقى العربية*، تحدث فيها عن نشأة النوبة ونظامها، وعن بعض أعلام الموسيقى الأندلسية من المنظرين ومن شهيرات المغنيات بالأندلس.

فارمر. ج هـ : *تاريخ الموسيقى العربية* A History of *Arabian*

Music to the XIIth, Century Londres, 1929، تر. د. حسين نصار، القاهرة، 1956.

An old moorish lute tutor, the Civic Press Glasgow, 1933.

عبد العزيز بن عبد الجليل

فازاز، موقع أثري ترتفع بقاياه على بعد حوالي عشر كلمترات شرق مدينة خنيفرة، بموضع يعرف حاليا بـ "الكارة" أو "مدينة السلطان الكحل". يتشكل الموقع من تحصينات سميكة بنيت بالحجارة الكبيرة بالجهات المطلة على المنخفضات والحجر الدبش المردوم بباقي الأسوار. تتبع هذه الأخيرة في تخطيطها الأجراف الصخرية، وتدعمها أبراج نصف دائرية وأخرى دائرية شبيهة بتلك الموجودة بأسوار مدينة البصرة وقلعة أم گو وبني تاودة، مما يدفع إلى تصنيفها ضمن البنايات الإسلامية الأولى بالمغرب.

يستنتج من خلال النصوص التاريخية أن بلاد فازاز، أي المنطقة الشمالية الغربية لجبال الأطلس المتوسط، قد اشتهرت بقلعة حملت تسميات عدة من أبرزها "قعلة مهدي" و"قلعة مهدي بن تَوالَة" أو "مهدي بن تبالا" و "قلعة ابن تاولَة" وقلعة فازاز" و"مدينة مهدية". وفي القرن الثاني عشر الميلادي وطنها الإدريسي على الطريق الرابطة بين فاس وسجلماسة، على بعد مرحلتين من مدينتي صفرو وتادلة، ووصفها بأنها "حصن حصين فوق جبل شامخ ولها أسواق وعمارات ومزارع وغلات وبقر وغنم وأحوال صالحة واسعة"، يسكن في قبلتها "قبائل من زناتة من بني سمجون وبني عجلان وبني تسكدلت وبني عبد الله وبني موسى وبني ماوري وتكلمان وأربلوش وانتقفاكن وبني سامري" . كما أورد الحميري، في بداية القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي أن بجبل فازاز ببلاد المغرب "قلعة تنسب للمهدي بن توالا في نهاية المنعة، أقام عليها عسكر الملثمين سبعة أعوام وبناؤها بالألواح" وأضاف أنها عند وادي وانسيفن وهو " "المعروف بوادي أم ربيع".

ورغم تعدد الإشارات التاريخية حول الموقع، فإنه يبقى من الصعب تتبع ورصد مراحله التاريخية بسبب شح المعلومات وتضارب مضامينها. فإذا كان صاحبا كتاب *مفاخر البربر وروض القرطاس* قد أرجعا تأسيس القلعة إلى القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي إثر وصول قبائل مغراوة وبني يفرن إلى المغرب الأقصى على يد الثائر "مهدي بن توالي بن سرجم اليجفشي [نسبة إلى بني يجفش أو بني يحفش، فخذ من زناتة] وكانت ثورته بالقلعة المنسوبة إليه بفازاز"، فإن الناصري قد ذهب إلى غير ذلك مشيراً إلى أن القلعة قد كانت مقراً لأبيه تولى أو توالة "ووليها ابنه من بعده" حيث احتمى بأسوارها حتى عهد يوسف بن تاشفين. أما الحسن الوزان فقد جعل من الموقع مدينة وأرجع تأسيسها إلى أحد زعماء المنطقة حيث يروي أنها "مدينة مبنية في الأطلس وسط غابات وبجوار عيون حتى لكأنها في السهل (...) وقد أسسها داعية ولد في هذه الجبال أيام كانت قبائل زناتة تسيطر على مدينة فاس".

من جهة ثانية، ذكر ابن أبي زرع أن "المهدي بن كلاتو بن توالي" قد استطاع سنة 452 / 1060 أن يوسع رقعة نفوذه ويسيطر على "مدائن مكناسة". ومما يدفع إلى الاعتقاد بأن شوكة بن توالي قد تقوت وأن تأثيره قد عم المنطقة وأن قلعته قد تميزت بالمناعة والحصانة، قرار الأمير المرابطي، أبي بكر بن عمر، عدم المغامرة والهجوم على الحصن سنة 452 / 1060 والاقتصار على ضم المناطق الجبلية المجاورة لها. وفي سنة 454 / 1062 حسب رواية الناصري أو سنة 456 / 1064 حسب رواية ابن أبي زرع أو سنة 461 / 1069 حسب رواية ابن عذاري قاد يوسف بن تاشفين عسكرا كبيرا، ضم عددا من أشياخ لمتونة، وحاصر "قلعة مهدي بفازاز"، قبل أن يبرحها ويترك عليها جيشا من المرابطين لتشديد الخناق عليها، ويتوجه نحو فاس لمواجهة معنصر بن حماد المغراوي. ونظراً لأهمية القلعة الاستراتيجية على الطريق المباشر الرابط بين مراكش وأغمات وفاس، وحصانة عمارتها خلال القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، اضطر الجيش المرابطي لحصارها بضع سنوات قبل دخولها سنة 465 / 1071 - 1072 ، وتغريب المعتمد محمد ابن عباد إليها من طرف يوسف بن تاشفين قبل ترحيله نحو مدينة أغمات.

وعلى عهد الموحدين، تحولت القلعة إلى قاعدة لعدد من ثوار المنطقة حيث ثار بها هادي بن حنين وسلام بن حمامة الصنهاجي، مما دفع بالخليفة عبد المومن إلى بعث جند تحت قيادة الشيخ أبي حفص للاستيلاء عليها. لكن الثائر سلام بن حمامة أمر بهدمها قبل أن يفر في اتجاه القبلة، وبذلك فقدت القصبة مكانتها وتدهور حالها ولم يبق منها في النصف الأول من القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي "سوى جامع في غاية الجمال وما تبقى من السور".

ابن أبي زرع، *روض القرطاس*، الرباط، 1999 ؛ ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1959 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، بيروت، 1967 ؛ الإدريسي، *نزهة المشتاق*، 1983 ؛ البيدق، *أخبار المهدي بن تومرت وبداية الموحدين*، الرباط، 1971 ؛ الحميري، *الروض المعطار*، بيروت، 1984 ؛ *كتاب الجغرافية*، تح. محمد حاج صادق، دون تاريخ ؛ ليفي بروفنصال، *نبذ تاريخية من أخبار البربر في القرون الوسطى من كتاب مفاخر البربر*، الرباط، 1934 ؛ مجهول، *الاستبصار*، الدار البيضاء، 1985 ؛ الناصري، *الاستقصا*، ج 2، الدار البيضاء، 1954 ؛ الحسن الوزان، *وصف إفريقيا*، ج 1، الرباط، 1980.

L. Massignon, *Le Maroc dans les premières années du XVIe siècle, Tableau géographique d'après Léon l'Africain*, Jourdan, Alger, 1906.

أحمد صالح الطاهري

فاس (الجغرافية)، تعتبر مدينة فاس من أهم المدن المغربية المدروسة على مستوى الأطروحات الجغرافية سواء في الجامعة المغربية أو في المحافل الأكاديمية الدولية. فحظيت

بذلك بالتحليل المفصل لحركية المجال والمجتمع وبدراسات تطبيقية حول قضايا التهيئة والتعمير والبيئة الحضرية. وقد استفادت المدينة من تصنيفها من طرف اليونسكو ضمن التراث الحضاري العالمي سنة 1981، لتصبح منذ ذلك الوقت موضع اهتمام وطني ودولي لا سيما في معالجة القضايا التي تطرحها على مستوى التهيئة والإنقاذ ومواجهة التحديات البيئية والتنموية الناتجة عن التوسع السريع للمدينة وتفاعلها مع المحيط الجهوي (استقطاب المهاجرين، وظائف اقتصادية واجتماعية وثقافية، وإدارة، إلخ). وقد استفادت المدينة منذ القدم من مؤهلات الوسط الجغرافي والموقع (مكانتها المركزية في خريطة المغرب الشمالي، وقربها من الكتل البشرية والاقتصادية المهمة للريف والأطلس المتوسط وسهل سايس)، وتفتحت على المحيط الوطني والدولي بفضل شبكة مكثفة من طرق المواصلات (طريق سيار، سكك حديدية، مطار سايس) واستفادت أيضا من الموضع الذي تم اختياره منذ التأسيس لكي تتمتع بإيجابيات الوسط (طبغرافيا، عيون، تصريف، أمن، الخ). وقد تبلورت اقتصاديات المدينة وتشكلت حضارتها المنفتحة (فيها مئات المساجد وثلاث كنائس مسيحية ومعبد يهودي). لكن التوازن العمراني والاقتصادي الملحوظ عبر التاريخ يتعرض حاليا لخلل واضح في النمو. ولم يستمر التوازن الحضري المعروف قديما بفعل العجز الناتج عن تعاظم الاستقطاب البشري وضعف البنيات ووسائل الاستقبال (الحاجيات تفوق الإمكانيات). ونشأت بفعل ذلك منظومة حضرية تضم ساكنة تبلغ 769034 نسمة (إحصاء 1994). وهي منظومة معقدة من حيث التدبير الحضري لأن إشكالياتها مرتبطة بتراكمات الماضي ومستجدات الحاضر. ويستعرض هذا المقال مجموعة من المحاور الهادفة إلى تقديم الواقع الحالي للمدينة، انطلاقا من نقد عناصر النسيج الحضري، ومناقشة مسألة التفكك المجالي المميز لهذا النسيج، وطرح قضايا المدينة الأصيلة من زاوية الانقاذ، واستعراض الوضع البيئي الحالي للمدينة والتوجهات العامة لتنميتها مستقبلا.

1 ـ مسار تطوري طويل لإنتاج النسيج الحضري الحالي :

يصعب فهم الواقع الحالي لمدينة فاس دون استيعاب أبعادها التاريخية والجغرافية وضبط مراحلها التطورية التي تركت رواشم دالة في المجال الحضري. فمنذ تأسيسها في القرن الثامن الميلادي من طرف المولى إدريس الثاني، نمت المدينة بشكل مطرد في المراحل التاريخية اللاحقة بفضل إشعاعها السياسي والاقتصادي والثقافي والديني على المستوى الجهوي والوطني. وكان لهذا الإشعاع امتدادات خارجية على الصعيد الدولي لا سيما منه الافريقي والإسلامي، حيث لعبت فاس أدوارا قيادية باعتبارها عاصمة المملكة في مراحل مختلفة، خاصة في عهد الأدارسة والمرينين والعلويين. فكانت مكانتها رئيسية في الترتيب الحضري الوطني. كما كانت لها وظائف اقتصادية وإدارية جهوية في الحقب اللاحقة، سواء في عهد الحماية أو ما بعده. فارتبط النسيج الحضري للمدينة بهذه الأدوار، سواء في نموه أو شكله أو هيكلته أو تنظيمه أو خصائصه العمرانية. ونشأت تبعا لذلك وحدات مجالية متجاورة، سهلة التشخيص بفصل التمايز الجوهري بين مكوناتها. فنجد منها المدينة الأصلية

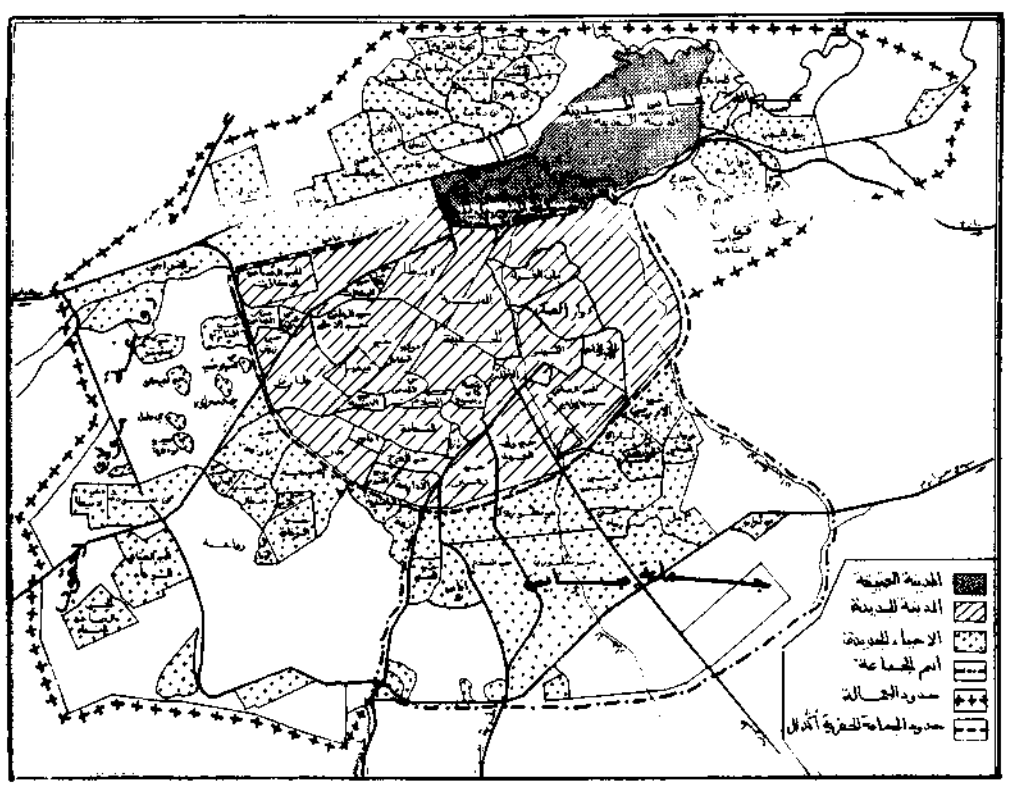

بشقيها التاريخيين (فاس البالي حول النواة الإدريسية، وفاس الجديد حول النواة المرينية). وقد عرفت المدينة تحولات مجالية واجتماعية متواصلة عبر الحقب المختلفة، واغتنت بوفود الهجرة التي صقلت حضارتها كما هو الشأن بالنسبة للهجرة الوافدة بعد سقوط الأندلس. لكنها احتفظت باستمرار بطابعها الأصيل وعززت عبر التاريخ بنياتها الاقتصادية والعمرانية والاجتماعية، رغم أنها مرحليا تعاني في مناحي كثيرة من ضغوط وازنة. ونشأت حول المدينة الأصلية في فترة الحماية، مدينة عصرية كثيراً ما وصفت في الكتابات بطغيان الطابع المعماري الأوربي. وعرفت فاس في العقود الخمسة الأخيرة، توسعا منقطع النظير ساهم في تكشيل المدينة الحالية، سواء في ظاهرها المرفلوجي أو من حيث مكونات منظوماتها المجالية والاقتصادية والاجتماعية. فبرزت تبعا لذلك أحياء كثيرة ذات أوضاع قانونية مختلفة، ودرجات متباينة من حيث وفرة التجهيزات الأساسية.

2 ـ فاس الكبرى : التفكك والاندماج وعلاقات المركز بالهوامش

تؤكد جل الدراسات المنجزة منذ بداية الثمانينات، بقصد التهيئة والإنقاذ (مخططات التهيئة الحضرية، تصاميم حضرية، المخطط المحلي للإسكان والتنمية الحضرية، الخ) على التفكك المجالي لمدينة فاس الكبرى. حيث تضخم التفاوت بين مكونات المدينة وتبلورت نتيجة لذلك أقطاب حضرية ذات خصوصيات عمرانية واقتصادية ووظائف حضرية مختلفة نذكر منها على الخصوص المدينة الأصلية وفاس الجديد، ثم المدينة العصرية وامتداداتها الجنوبية والجنوبية الغربية والشرقية ثم الأحياء الهامشية التي تمت في مناطق خارج المدار الحضري أو بداخله تبعا لآليات التعمير العشوائي التي انتعشت بشكل سريع، لا سيما في عقد الثمانينيات. فتطورت تبعا لذلك مجموعة من الأحياء ضعيفة التجهيز وأحياء السكن غير اللائق من أصناف متعددة (أحياء القصدير، دواوير هامشية، أحياء غير منظمة) مثل حي زواغة، بن سودة، صهريج گناوة، الحي الحسني، دوار العسكر، القصبة وغيرها من الأحياء التي ظلت في العقدين الأخيرين تشكل مصدر الكثير من مشاكل التدبير الحضري. لأن إدماجها المفروض يتطلب إمكانيات مادية ضخمة في وقت تتزامن فيه هذه المتطلبات مع حاجيات إنقاذ المدينة الأصلية، الذي شرعت السلطات وبقية الفاعلين في إنجازه بوتيرة لم تكن دائما بالسرعة المرجوة. ورغم الصلات الاقتصادية الوثيقة بين هذه المكونات المجالية لفاس الكبرى حيث ظلت المدينة الأصلية تحتفظ بإشعاعها خاصة في قطاع الصناعة التقليدية وبعض الخدمات (خاصة تجارة التقسيط)، فإن المدينة العصرية ظلت مركزاً للخدمات الإدارية والثقافية وموطنا لأهم الأحياء الصناعية (حي سيدي إبراهيم، حي الدكارات) كما تطورت في بعض الهوامش أقطاب حضرية مهمة بفعل التوجيه والاستثمار العمومي والخاص. ويعتبر القطب الحضري ابن سودة من أهم هذه الأقطاب الناشئة في الضاحية الجنوبية الغربية لفاس.

3 ـ المدينة العتيقة وتحديات الإنقاذ

تتسم المدينة الأصلية بخصوصيات التعمير المميز للمدن الإسلامية والمتوسطية سواء في نسيجها أو في نظامها الوظيفي ومكوناتها الاجتماعية والاقتصادية. لكن هذه المكانة الثقافية والعمرانية والاقتصادية تتعرض حاليا لتدهور بالغ بفعل الضغط السكاني وتلاشي البنيات التقليدية بما فيها المآثر ذات القيمة العمرانية والمصنفة ضمن التراث العالمي لليونسكو، التي تساير في كثير من المناحي هذه التحولات وتعطلت بعض وظائفها لفائدة المدينة العصرية وهوامشها. ورغم الدينامية الديموغرافية المالية للمدينة الأصلية فقد عرفت مكانتها تراجعها بالمقارنة مع حجم المكونات المجالية الأخرى لفاس الكبرى.

النمو الديموغرافي للمدينة الأصلية فاس

سنة الإحصاء	عدد السكان	نسبة سكان المدينة الأصلية / فاس الكبرى (بالنسبة المئوية)
1960	155.000	75
1971	180.000	60
1980	170.000	40
1994	182.000	23
2000	191.000	20

المصدر : مجلة البرج 2001

ورغم تراجع نسبة ساكنة المدينة الأصلية بشكل متواصل مقارنة بحجم ساكنة فاس الكبرى، فقد تزايدت مع ذلك كثافة السكان في الهكتار، حيث تفوق 600 بل تصل أحيانا 2000 نسمة في الهكتار. وظهرت في المدينة تناقضات غير معهودة منها مثلا خصاص في الإنتاج السكني اللائق وتزايد الدور المهجورة التي سرعان ما تتحول إلى خراب مهجور، وتزايد ظاهرة الدور المهددة بالانهيار. فكانت هذه الأوضاع من دواعي اهتمام السلطات العمومية بمشاكل الإنقاذ لا سيما بعد خطاب الملك الحسن الثاني بتاريخ 21 يوليو 1980. وعرفت نفس السنة نداء اليونسكو من أجل إنقاذ المدينة الأصلية. وصارت مسألة الإنقاذ من أولويات اهتمام الفاعلين. وخلقت وكالة التخفيف من الكثافة وإنقاذ المدينة كما وسعت الوكالة الحضرية اهتماماتها لتشمل قضايا الإنقاذ. وشرع في تهييء الدراسات القطاعية ووثائق التخطيط الحضري واستراتيجيات الإنقاذ. وأنجز في سنة 1991 التصميم المديري للتهيئة الحضرية صودق عليه سنة 1995 . ورسمت الاختيارات الكبرى لتوجيه النمو الحضري وعمليات الإنقاذ ضمن إثبات الطابع التاريخي للمدينة، وظروف التخفيف من الكثافة السكانية، والتحكم في

التوسع العمراني في اتجاه الشمال وشرق المدينة والتحكم في وفود الهجرة وتثمين التراث المعماري والاقتصادي والثقافي وفك العزلة عن المدينة الأصلية. كما أن تصميم التهيئة حدد مجموعة من الاختيارات العملية لتحقيق تلك الأهداف (الولوجيات، إنعاش الصناعة التقليدية وتنظيمها، إنقاذ المآثر، المحافظة على البيئة ضوابط البناء، الخ). كما تم تصنيف المجال إلى مناطق مختلفة للتدخل تبعا لخصوصياتها (مناطق الترميم والمحافظة ورد الاعتبار ومناطق التجديد). وبدأت كل المؤسسات المعنية توجه تدخلاتها لمعالجة قضايا الإنقاذ، وتطلب الأمر البحث عن شراكات مع القطاع الخاص وبقية الفاعليين لترميم عدد من المآثر وإنجاز المشاريع. كما جرت أيضا تدخلات كثيرة خارج الأسوار وفي الأحياء الهامشية بقصد تخفيف الضغط على المدينة الأصلية واستقبال المنتقلين منها من جهة وإدماج تلك الأحياء في النسيج الحضري العام من جهة أخرى. وفي هذا الإطار تندرج العلميات المتعددة لإعادة هيكلة الأحياء الهامشية ومحاربة السكن غير اللائق وتشجيع برامج السكن الاقتصادي وغيرها من البرامج الهادفة إلى تأهيل العمران والبيئة الحضرية.

4 ـ الهيكلة المجالية والإدارية وقضايا البيئة والتأهيل

بفعل التعديل الأخير للميثاق الجماعي سنة 2003، تحققت وحدة المدينة، وتحولت بلديات فاس الخمس (بلدية سايس، بلدية أگدال، بلدية المشور، بلدية فاس المدينة، بلدية زواغة) إلى جماعة حضرية تخضع لتدبير مجلس المدينة وعمدتها. وصار التحدي كبيراً لتلبية حاجيات ساكنة وصلت في مجموعها حوالي 898198 نسمة منذ سنة 1998. وأصبح مجلس المدينة مسؤولا عن تدبير وتنمية مجال حضري يتسم بتواجد ما يفوق 35000 متدخل اقتصادي (مقاولة أو وحدة إنتاجيه أو خدماتية) 45 في المائة منهم في التجارة، وحوالي 24 في المائة في الصناعة والصناعة التقليدية، و26 في المائة في الخدمات، وحوالي 3 في المائة في البناء والأشغال العمومية وحوالي 2 في المائة في باقي القطاعات.

والصناعة التقليدية هي من الأقطاب الاقتصادية المشغلة بفاس بعدد يقارب 50000 صانع ومتعلم موزعين على ما يقارب 205 مهنة. وتتوفر المدينة، في أحيائها الحديثة، على مجموعة من الأقطاب الصناعية ممركزة خصوصا في خمسة أحياء هي الحي الصناعي سيدي إبراهيم 1 و2 على مساحة 112 هكتار، الحي الصناعي النساء (100 هكتار)، الدكارات (83 هكتار)، حي الوفاء (53 هكتار)، عين قادوس (16 هكتار).

ورغم تعدد المبادرات الهادفة إلى معالجة قضايا البيئة، فإنها تظل من أهم المشاكل المطروحة حاليا في تدبير المدينة. وذلك لاستفحال الأحياء الهامشية وكثرة المقذوفات الصناعية، خاصة منها المواد الكيماوية التي تصرف في اتجاه واد سبو، وعدم كفاية تجهيزات الصرف الصحي والنقص المسجل في المساحات الخضراء. وبخصوص هذه الأخيرة تم تقدير نسبة المساحة الخضراء بالنسبة لكل مواطن بحوالي 4 امتار للفرد بينما يصل المعدل العالمي إلى 10 أمتار. لهذه الاعتبارات فقد كانت مسائل البيئة الحضرية من بين اهتمامات المسؤولين منذ سنوات، حيث تمت دراسات، وتحققت إنجازات بخصوص تهيئة ضفاف واد فاس، ووضع مشروع لبناء القناة الباطنية لصرف المياه العديمة ومياه المطر من أحياء زواغة وابن سودة على طول 3 كيلومترات، وتهيئة وحماية المساحات الخضراء، ونقل الصناعات التقليدية الملوثة في المدينة القديمة إلى حي النقبي خارج الأسوار وخلق منطقة صناعية في حي ابن سودة، ومعالجة إشكاليات السكن غير اللائق، وتنظيم جمع النفايات الحضرية، والتحكم في مشاكل التلوث الغازي والسائل، وحسن تدبير محطة عين بيضاء للنفايات الصلبة، وخلق مجال أخضر حول فاس، وغرس الزياتين على طول مخرج الطرق الرئيسية، وحماية فاس من خطر الفيضانات. وهذه قضايا أساسية تبقى مطروحة باستمرار لمسايرة إفرازات الواقع.

5 ـ المشروع الحضري المندمج والتوسع المستقبلي لفاس

من الصفات الواعدة للمرحلة الراهنة في التخطيط التنموي لمدينة فاس، ظهور بوادر نقاش حول التخطيط للمشروع الحضري لدى عدد من الفاعلين. ويستهدف المشروع تحقيق التوجهات الاجتماعية والسياسية المرسومة وطنيا لمحاربة الفقر والتهميش، وتحقيق الأهداف الاقتصادية (الاستثمار، السكن، التنافسية الترابية)، والغايات العمرانية (عقلنة استعمال المجال والتحكم في نمو المدينة وتأهيلها وإدماج هوامشها والمحافظة على معمارها الخ). وعلى المستوى المؤسساتي يسمح المشروع بتأطير التحولات والتنمية في إطار منسجم يجسد وحدة المدينة ويحقق تنسيقا كاملا بين الفاعلين ويسمح بخلق ظروف الحوار البناء حول القضايا المادية والثقافية وغيرها، المؤثرة في مختلف التوازنات. ومن جهة أخرى فإن المشروع الحضري يكون متطوراً في الزمان والمكان ويستوعب حالات وقضايا ومقاييس مختلفة تتفاوت مقاصدها بين الشمولي والجزئي (حي معين) والموضعي (تدخل في موقع محدد). ومراعاة لما سبق فجل المشاريع المطروحة للنقاش، خاصة منها مشروع الوكالة الحضرية وإنقاذ فاس يلخص عدداً من التدخلات الإجمالية التي يفرضها واقع المدينة ومنها :

ـ إنقاذ التراث المعماري التاريخي والتجديد الحضري.

ـ إعادة هيكلة أحياء السكن غير اللائق ومحاربة السكن الصفيحي.

ـ تأهيل النسيج الحضري بمحاربة الظواهر السلبية ودعم الاستثمار وخلق أقطاب التنمية المندمجة ودعم بنيات الاستقبال الصناعي والاقتصادي.

ـ الإنعاش الحضري بتهيئة المجالات والمرافق العمومية والمراكز التجارية ومحاور المواصلات والتركز الاقتصادي المهيكل للمدينة.

- تحسين طرق المواصلات والنقل.
- تحسين المناظر والمشاهد وظروف العيش والبيئة ومحاربة أشكال التلوث.

ونظراً لأهمية الشراكة في تحقيق المشاريع، فقد شرع في تفعيلها بفاس في كثير من القطاعات، لا سيما منها مشاريع محاربة السكن غير اللائق. فنجد محليا، نماذج متعددة للتعامل بين فاعلي القطاع العام والخاص كما هو الشأن بالنسبة للمشاريع التالية :

- نموذج شراكة الإنتاج من أجل الفئات الاجتماعية ذات الدخل المحدود بين الوكالة الوطنية لمحاربة السكن غير اللائق ومؤسسة التاج.

- نموذج تسوية مشكل حي الصفيح ظهر المهراز (خاصة السكن الصفيحي في دوار العسكر) الذي كانت سيناريوهات التدخل فيه تواجه مشاكل عقارية (حي فوق أرض في ملكية المؤسسة العسكرية) وغياب التجهيزات ومشاكل الأمن وضخامة التكلفة المالية للتدخل واختلاف مصالح المعنيين خاصة منها رغبة الساكن في اقتناء البقع المجهزة وتشبث المالك الأصلي بحقوقه العقارية. ولم يكن ممكنا معالجة هذا الوضع لولا بلورة الشراكة متعددة الأطراف بين المؤسسة الجهوية للتجهيز والبناء، والمصالح الاجتماعية العسكرية، وصندوق الحسن الثاني للتنمية الاقتصادية والاجتماعية، والجماعة المحلية، والسكان. وتطلبت بلورة هذه الشراكة سنوات متعددة مكنت أخيراً من توافق دعمته الاتفاقية المبرمة مع صندوق الحسن الثاني للتنمية الاقتصادية والاجتماعية بإشراف ملكي في مراكش يوم 28 يناير 2002. وكانت مساهمة الصندوق والدعم الوارد من ميزانية الدولة والمداخيل المنتظرة من بيع المنتوج والإسهام المالي للساكنة المستفيدة هي العناصر التي مكنت من استكمال تصور المشروع وسمحت أخيراً بانطلاق أشغاله.

- نموذج إعادة هيكلة منطقة زواغة السفلى التي تضم أحياء التازي وميكو والسفروشني وصحراوة، المرجة وسيدي بوظهر حيث ظهرت منذ البداية صعوبات قانونية ومالية وتنظيمية تمكنت مصالح الإسكان من تجاوزها بفضل دراسة أولية استخلصت توجهات جيدة لتجاوز إكراهات تصميم التهيئة والتجهيزات الأساسية فتم التدخل على أساس تحويل اتجاه بعض الطرق التي تخترق البنايات، وتغيير مواقع عدد من التجهيزات العمومية وكذا الطريق المحوري الذي تم تكييفه ليمر عبر كل الأحياء السكنية المبرمجة في إعادة الهيكلة مع تفادي هدم البنايات وأخيراً تم إدماج المنطقة في التصميم المديري للتطهير ليتم ربطها بشبكة الصرف الصحي عن طريق القناة الكبري للتطهير التي تكلفت الشركة الوطنية للتجهيز والبناء بإنجازها.

- نموذج عملية التطهير الكبرى لمنطقة زواغة ابن سودة التي كانت تستهدف فتح المنطقة الجنوبية الغربية بفاس للتعمير والقضاء على السكن غير اللائق وتهيئة القطب الحضري ابن سودة وذلك بإحداث قناة رئيسية للصرف الصحي بالمنطقة. وقد تم ذلك بتنسيق لعدد من المتدخلين على الصعيد المركزي والمحلي لتجاوز الصعوبات المالية والتقنية والإجرائية التي كانت تواجه المشروع في بدايته.

إلا أن قضايا التدبير الحضري تواجه مشاكل متعددة أهمها مثلا مشاكل العقار. وهي مشاكل يمكن تجاوزها بمدينة فاس وضواحيها، حيث يتوفر خزان عقاري عمومي هام (أراضي المؤسسات الفلاحية وأراضي الحبوس) التي بإمكانها الإسهام في حل عقد متعددة في ميدان التعمير والإسكان.

وبالفعل هناك تصورات واقعية للتوسع من أجل ضم هذه الأراضي، فبرزت مقترحات التوسع في اتجاهات مختلفة منها مثلا التوسع الجنوبي الغربي للمدينة لاستيعاب منطقة زواغة مولاي يعقوب، والتوسع الشرقي في اتجاه طريق سيدي حرازم، والتوسع الجنوبي في اتجاه جماعات أولاد الطيب وعين الشقف وطريق صفرو، والتوسع الشمالي فوق سفوح جبلي تغات وزلاغ. وتندرج في هذا الإطار مشاريع المناطق الصناعية الجديدة التي ستبرمج مستقبلا في نادي الطيران بالطريق الدائرية إلى سيدي حرازم (56 هكتار)، ومناطق صهريج گناوة (24 هكتار)، عين النقبي (40 هكتار)، السخينات (29 هكتار) ابن سودة 3 (40 هكتار)، سيف (38 هكتار)، رأس الماء (17 هكتار)، حمرية (3 هكتارات).

خلاصة

يظهر مما سبق، أن فاس غنية بتاريخها وتنوع محيطها الطبيعي والبشري والاقتصادي والثقافي، وقد نمت تبعا لذلك بوثيرة مختلفة حسب الفترات. فتشكل بها نسيج حضري معقد بسبب اختلاف مكوناته، يعاني من خلل محلي في بعض الأحيان، ارتباطا بالتفكك المادي أو درجة الاندماج الاجتماعي والاقتصادي أو قضايا البيئة مثلا. ومن هنا تحاول المقاربات الجديدة للتدبير الحضري أن تطبق منظوراً شموليا لمعالجة القضايا وتجاوز التقسيم الجبري بين الإسكان والعمران لتعتبرها في الواقع عناصر مترابطة لإشكالية موحدة لا يجوز فصل مكوناتها لأن السكن اللائق لا يتحقق فقط بالإيواء، بل يستلزم توفير الخدمات والتجهيزات والأنشطة المنتجة وظروف العيش المطابقة للمواصفات المقبولة دولياً.

كما أن الإطار الجديد لتدبير المجال الحضري في ضمن وحدة المدينة يمكن أن يكون ملائما لحل عدد من القضايا المطروحة لتحقيق اندماج أفضل بين مكونات النسيج الحضري.

وفي الأخير يمكن القول بأن بوادر تصور المشروع الحضري لمدينة فاس بدأت تظهر في خطاب عدد من الفاعلين، وهو تحول إيجابي لأن المشروع هو أداة فعالة لتوجيه التدخلات في إطار محكم وبرمجة مدروسة وجدولة واضحة. وتبقى

التصورات مشروطة بوفرة الوسائل ومتطلبات الإنجاز، مادية كانت أو قانونية أو مؤسساتية أو بشرية.

أمينة البوعيشي وإبراهيم أقديم، الفاعل وقضايا البيئة في استراتيجية التهيئة الحضرية، تطبيق في ميدان معالجة السكنى المهدد، *مجلة المؤنل*، 2002، العدد 17 ؛ محمد أمياي وإبراهيم أقديم، دراسة المجال المغربي عبر أطروحات الجغرافية، *مجلة الصباحية*، العدد 3، كلية الآداب سايس، 1999 ؛ علي فجال، *فاس الأرض والديناصية الحضرية المعاصرة*، أطروحة (بالفرنسية) تم تقديمها بجامعة تور، 1992 ؛ محمد عامر، *المضاربة العقارية بفاس*، أطروحة (بالفرنسية) تم تقديمها بجامعة تولوز، منشورات مركز الأبحاث والدراسات حول تمدين العالم العربي، ملف رقم 25، 1993 ؛ *البنك الدولي والحكومة المغربية*، دراسة سوسيو اقتصادية لمدينة فاس، دراسة قبلية لتهيئ ملفات الإنقاذ ؛ وزارة إعداد التراب الوطني والاسكان والبيئة، *المخطط المحلي للتنمية الحضرية والاسكان بفاس*، دراسة توجيهية، 2002 ؛ *مجلة البرج*، إنقاذ الإنقاذ، عدد خاص عن فاس، 2001 ؛ *وثائق التهيئة والتعمير الخاص بفاس* ؛ منوغرافيات ووثائق إحصائية وتقارير خاصة من الوكالة الحضرية وإنقاذ فاس، وكالة التخفيف من الكثافة وإنقاذ فاس، مصالح وزارة السكنى، ومؤسسات مختلفة.

إبراهيم أقديم

فاس (التاريخ)، حاضرة المغرب التاريخية، وعاصمة من عواصمه الكبرى، تحتل في جغرافيته وفي تاريخه مكانة متصدرة. فإن المغرب عند العثمانيين كان لا يعرف إلا بملكة فاس. وإن محرري أول مشروع دستوري سنة 1908 جعلوا فاس عاصمة للبلاد على أن لا يكون "لهذه العاصمة امتياز بشيء عن سائر مدن السلطنة". فما هي أسباب هذه المكانة المتميزة ؟ وكيف اتسعت رقعة المدينة قبل فترة الاستعمار ؟ وكيف قطعت مرحلة الحماية ؟ وما هي الخطوط العريضة لنموها بعد الاستقلال في النصف الثاني من القرن العشرين ؟

الموقع والموضع

أقيمت مدينة فاس في موضع ليس هو مركز المغرب. فهي من حيث خطوط العرض في الدرجة 34 شمالا بالتقريب، ومن حيث خطوط الطول في الدرجة 5 غربا، في بلاد تمتد على الإجمال عرضا بين خطي 20 و36 عرضا، وطولا بين 2 و17. بيد أن فاس توجد في ملتقى الطرق التي تحكمت في تاريخ المغرب منذ القدم، فإنها توجد على مدخل باب من أخطر الأبواب الجبلية المغربية شأنا وهو باب مدينة تازة بين سلسلة الريف وجبال الأطلس المتوسط، وهو المضيق الذي يربط بين شرق البلاد وما وراء ذلك من أقطار إفريقيا الشمالية والبلاد العربية، وبين السهول المنفتحة على شواطئ المحيط الأطلسي. وهي أيضا طريق رابطة بين جنوب المغرب وواحة تافيلالت وما يليها من الصحراء الكبرى، وبين الأقاليم الشمالية المطلة على البحر الأبيض المتوسط والمفضية إلى الأندلس وإلى القارة الأوربية. ففاس هي الطريق السهل الرابط بين المغرب والجزائر، كما أن موضعها ممر طبيعي بين طنجة والتخوم الصحراوية، علما بأن مصير البلاد ارتبط في كثير من الحالات بملتقى هذه الطرق. ويتعزز هذا الموضع بموقع يتميز هو كذلك بما حبته الطبيعة من خيرات. فقد أقيمت المدينة في مقعّر من الأرض بين جبلي زالاغ وتغات الذين يحميانها من جهة الشمال، وبين جبل كندر المنتسب إلى الأطلس المتوسط الذي يحميها من جهة الجنوب. كما أقيمت

وسط سهل سايس الذي هو من أخصب سهول المغرب، وتمتد أحياؤها على ضفتي نهر فاس الذي هو رافد من روافد نهر سبو الكبير. فلقد نشأت المدينة بين الماء والخضرة في مكان حصين، منفتحة على كل الأفاق، قادرة على الاكتفاء الذاتي عند الاقتضاء.

نشأة المدينة

تتفق المصادر التاريخية المتوفرة عن نشأة فاس أن واضع أسسها هو المولى إدريس الثاني، وذلك في نهاية القرن الثاني من الهجرة (بداية التاسع من الميلاد). ولكن المؤرخ المعاصر يستغرب عدم قيام حاضرة مما أومأنا إليه من مميزات الموضع والموقع قبل قيام الدولة الإدريسية، علما بأن التاريخ احتفظ بأسطورة تفيد أن المكان لم يكن خلوا من السكان في غابر الزمان، وعلما أيضا بأن البحث التاريخي الحديث قد أثبت أن واضع الأسس الأولى هو إدريس الأول الداخل وليس ابنه وولي عهده إدريس الثاني، الذي يقال إنه أراد بناء حاضرة متميزة عن وليلي الحاضرة الرومانية السابقة التي اعتمدها والده عاصمة لمملكته، فذهب يبحث عن مكان صالح لذلك، حتى إذا وقف بموقع فاس فأعجبه وعثر فيه على فأس من ذهب، فأطلق لفظ فاس على المدينة، مما يستروح منه ريح الأساطير التي كثيرا ما تطمس ما سبقها من التاريخ. ومهما كان من أمر، فإن الثابت هو أن أول نواة حضرية لفاس بعد انتشار الإسلام في المغرب، أقامها المولى إدريس الأول سنة 172 / 789 على الضفة اليمنى من النهر الذي يخترق الموقع المقعر، وتلك الضفة ربوة مشرفة على الوادي. وكان سكانها من الأمازيغ، بدليل أسماء أحيائها الأولى التي لاتزال متداولة، وهي كرواوة ومصمودة وتامدارت. ولكن المولى إدريس الأول قتل قبل أن تتسع المدينة وتمتد. فقام بالأمر بعده ولده إدريس الثاني الذي التف حوله أفواج متلاحقة من عرب إفريقيا والأندلس في الوقت الذي كان المغرب فيه متأرجحا بين سلطانين متنافرين، سلطان الأغالبة ثم الفاطميين في تونس وسلطان الدولة الأموية في قرطبة. ولذلك قامت فاس الأولى على شكل حاضرتين متجاورتين متميزتين، جهة الأندلس على الضفة اليمنى من وادي فاس التي استقر بها مهاجرة الأندلس بعد انصهارهم مع القبائل الأمازيغية، وجهة القيروان على الضفة اليسرى التي انصهر بها الأعراب القادمون من إفريقيا والجاليات اليهودية على اختلاف مشاربها فضلا عن القبائل الأمازيغية، وذلك بدليل الأحياء التي لاتزال تحمل إلى يومنا إسم درب اليهودي واللمطيين. وصارت المدينتان تتسعان وتستقطبان الساكنة من كل حدب وصوب حول المسجدين الجامعين اللذين أقامتهما أختان هما فاطمة ومريم الفهريتين عند منتصف القرن الثالث (التاسع الميلادي). وظلت المدينتان منفصلتين بأسوار حصينة ولا يجمع بينهما إلا قنطرة لاتزال تعرف "بقنطرة بين المدن". حتى إذا قامت الدولة المرابطية، أقدم مؤسسها يوسف بن تاشفين على هدم الأسوار الأولى وبناء أسوار تضم العدوتين وتجعل من فاس مدينة موحدة تدور على مركز واحد هو حي القرويين. كما أنه بنى قصبة لإيواء جنوده في الحي الذي لايزال معروفا بحي أبي الجنود غربي المدينة (وصار بلسان العامة بوجلود)، ذلك بأن فاس أضحت قاعدة استراتيجية لفتح ما وراءها من الأقاليم الشرقية بما في ذلك ما هو اليوم في التراب الجزائري. وازدادت فاس بذلك امتدادا وتحضرا بما نعمت به في العهد المرابطي من العناية السلطانية ومن الطمأنينة، مما حملها على معارضة الدولة الموحدية عند قيامها والوقوف في وجه مؤسس أمجادها عبد المؤمن بن علي الذي لم يغفر لها ذلك، فأمر بهدم أسوارها وهدم قصبة أبي الجنود. لكنه ما لبث أن جعلها هو كذلك قاعدة لفتح المغربين الآخرين، وأيضا محطة للعبور إلى الأندلس. فبلغت فاس من الرقي والازدهار ما لم يسبق له نظير في تلك العصور، إذا ما اعتمدنا ما ورد في *زهرة الآس* وفي *روض القرطاس* من أنها كانت في عهد أبي يعقوب المنصور الموحدي تنطوي على 785 مسجدا و93 حماما و80 سقاية و372 أرحى و89.236 دارا و467 فندقا و9082 حانوتا وقيسارتين و3.064 درازا و47 معملا للصابون و86 دارا للدبغ و12 مصهرا و116 مصبغة و135 فرنا للخبز و11 معملا للزجاج و186 معملا للخزف. وقد تعززت هذه الحيوية الاقتصادية بما أضفى ملوك الدولة المرينية على المدينة من الإشعاع السياسي، ذلك بأنهم جعلوها قاعدة ملكهم فأقاموا عند مشارفها الغربية مدينة جديدة، تعرف إلى يومنا بفاس الجديد، بنيت فيها القصور السلطانية ومسجد جامع كبير ودور الخدام والعسكر وما يتصل بذلك من أسواق ودكاكين. ولم يهملوا مع ذلك المدينة القديمة التي رسخوا مكانتها العلمية والروحية بما شيدوا فيها من المدرسات الطلابية كالمصباحية ومدرسة اللبادين والسبعيين والصفارين والعطارين والبوعنانية نسبة إلى آخر كبار ملوكهم أبي عنان، فضلا عن مدرسة دار المخزن المقامة في فاس الجديد، وكل هذا في العصر المريني الأول. أما في العصر الثاني الذي ابتدأ غداة وفاة أبي عنان 759 / 1359، فإن المدينة نالت نصيبها مما حل بالمغرب من النكسات في قعر دياره أو في الأندلس. ولا أدل على ذلك مما جرى سنة 837 / 1437، من خروج اليهود من المدينة القديمة التي كانوا يقطنونها جنبا إلى جنب مع المسلمين إلى حارة متميزة في فاس الجديد أقيمت بجوار القصور السلطانية على ملاحة مهجورة، فانضافت نواة حضرية أخرى إلى الأنوية السابقة، وصار لفظ الملاح من يومئذ عبارة عن حارات اليهود في المغرب. ثم إن الأزمة العامة أدت إلى الإطاحة بالدولة المرينية على يد الشرفاء الأدارسة الذين انتهزوها فرصة لتجديد العهد بقبر المولى إدريس الثاني باني المدينة الذي كان قد انطمس في العصور السالفة. وكان ذلك تعبيرا عما انهار من معنويات أهل فاس فتمسكوا بما احتفظ لهم بمكانتهم من الأسباب المقدسة.

فاس في عهد الشرفاء السعديين والعلويين

كان لفقدان الأندلس أثر مشوب على المدينة، ذلك بأنها انقطعت عن مرجعيتها الحضارية بسبب تغلب النصارى هنالك. لكن الكثير ممن فرّ بدينه من مدن وقرى الضفة الأندلسية قصد إلى فاس واستقر بها معززا فيها الحضارة العربية. فدخلت المدينة عصرا من الانتعاش الثقافي والعلمي، لولا ما لحقها من عسف ملوك الدولة السعدية الذين اختاروا مراكش عاصمة لهم، ثم دخلوا فاس عنوة ونكلوا بسكانها وأقاموا في الربوتين المطلتين عليها من الشمال ومن الجنوب قلعتين أو بستيونين شامخين باتت فاس معرضة لفوهات مدافعهما. ولما توفي أكبر ملوكهم أحمد المنصور الذهبي في مطلع القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي)، فإن فاس وقعت فريسة بين أبنائه المتنازعين على الملك. وترتب على ذلك اقتتال بين أحياء المدينة أتى على الأخضر واليابس جراء عجز وانهيار المخزن المركزي. واستفاد مرابطو الديلاء من ذلك ليمسكوا بزمام الأمور، إلى أن قام الشرفاء العلويون، واستطاعوا بسط نفوذهم على المغرب قاطبة. فاسترجعت فاس شيئا من إشعاعها. فقد بنى المولى الرشيد فيها مدرسة الشراطين. كما أنه بنى قنطرة الرصيف. وخلفه المولى إسماعيل الذي أنّت فاس من صرامة حكمه، لكنها استفادت مما أحاط به الشرفاء والحرم الإدريسي من العناية، فإنه جدد صرح هذا الحرم على الشكل الذي هو عليه اليوم من جلال المقام والإبداع الزخرفي والهالة القدسية. فحق لفاس أن تسمى من ثم فصاعدا مدينة المولى إدريس. وعلى الرغم مما تأزم من أحوالها في الفترة التي تلت وفاة هذا السلطان بسبب اقتتال أبنائه على الملك، إلا أنها ما لبثت أن عادت إلى سابق حيويتها في عهد السلطان محمد بن عبد الله. وقد تعززت صدارتها الروحية والعلمية في ظل الدولة العلوية التي دأب ملوكها على التنقل بين كبريات الحواضر لتفقد أحوال الرعية. واستفادت فاس من ذلك فوائد معمارية مرموقة، منها في عهد المولى سليمان (1792 - 1822) بناء ثلاثة مساجد في حي الرصيف وعند باب عجيسة وفي أبي الجنود. ومنها في عهد المولى حسن (1873- 1894) معمل السلاح المعروف بدار الماكنة حذاء دار المخزن في فاس الجديد.

وهكذا كانت فاس في مطلع القرن العشرين، ليلة انعقاد الحماية الفرنسية على المغرب، تصور للمعمار الإسلامي في القرون الوسطى بأحسن ما يكون من التصوير. فكانت مدينة تنبض بالحيوية الرتيبة الرصينة حول مساجدها وأضرحة صلحائها التي تنطلق منها الأزقة المؤدية إلى الأحياء التجارية مثل القيصارية والعطارين والشماعين والسبيطريين والقطانين والصفارين والشرابليين والصباغين والشراطين ودور الدبغ وما يلي ذلك من الأحياء السكنية كالبليدة والعيون وكرنيز واللمطيين وفندق اليهودي والزنجفور والطالعتين وحي الدوح، هذا في عدوة القرويين، وسوق الحدادين والصفاح والطرافين والفخارين ومعصرات الزيت وما يتصل بذلك من الأحياء السكنية كالرميلة والكدان والحبيّل شرقي عدوة الأندلس، والمخفية والأقواس والجزيرة ودرب الشيخ في غربيها. ونقف على مثل ذلك في فاس الجديد حيث تحفل التجارة والمعاملات في الشارع الكبير حول المسجد الجامع الذي يفصله عن القصر السلطاني أحياء سكنية مثل حي مولاي عبد الله وبوطويل وبرج سيدي بونافع والملاح (حارة اليهود). ويحمي المدينة أسوار عالية تنفتح وتنغلق على الأحواز من كل الجهات بأبواب ضخمة كباب السمارين وباب الساگمة في فاس الجديد، وباب الحديد والباب الجديد وباب أبي الجنود وباب المحروق وباب عجيسة في عدوة القرويين، وباب فتوح وباب الخوخة وباب سيدي بوجيدة في عدوة الأندلس. ومن مميزات هذا الأسلوب المعماري أنه يراعي فضائل التساكن بقدر ما يراعي ضرورات السكن، في منظومة اقتصادية قائمة على الاكتفاء الذاتي والمبادلات مع الأحواز أكثر مما هي قائمة على التجارة البعيدة المدى. كما أنها معتمدة على السير على الأقدام وعلى البغال والحمير لنقل الأثقال، فلا رواج فيها للعجلة والعربات التي لا تتسع لها أزقة يشفع لضيقها علو أسوار الدور فيحميها ذلك من القر في فصل الشتاء ومن الحر في فصل الصيف. علما بأن الدور مبنية على النسق الإسباني الإسلامي حول صحن يسمى وسط الدار فيه نافورة أو سقاية، وينفتح عليه غرف متقابلة، يفضي من بعض جوانبه إلى المطبخ، ومن جانب آخر إلى الدرج المؤدي إلى الفوقي أو الطابق العلوي الذي تطل غرفه وصالاته على وسط الدار السفلي من وراء درابزون (أو دربوز) من الخشب المخروط. ومن الفوقي يصعد إلى السطح الذي تنكشف منه باقي المدينة وما يحيط بها من البساتين والجبال. ولشدة التصاق سطوح فاس بعضها ببعض، فمن الممكن الانتقال من خلالها من حي إلى حي، لا سيما وأن بعض الدور تغطي الأزقة التي هي عبارة عن أنفاق في بعض الحالات، يستحيل على الغريب عنها أن يسير عبرها من غير دليل. وكان ذلك من وسائل دفاع السكان عن أنفسهم وعن مصالحهم، فيغلقون بوابات المدينة ويقيمون الحرس والرماة على الأسوار ويركنون في قعر ديارهم إلى أن تمر العاصفة. أو كان هذا أسلوبهم في حروبهم قبل انتشار سلاح المدفعية وإقامة الدولة السعدية للبستيونين المذكورين اللذين صارت المدينة ترمى بوابل من نيرانهما كلما مالت إلى العصيان. وكان حكم المدينة بيد عامل، يساعده خلفان يقومون مقامه في مختلف الأحياء، وقاضيين واحد في المدينة العتيقة، وثان في فاس الجديد، ومحتسب يراقب سلامة المقاييس والمكاييل والأوزان في الأسواق وسلامة الأخلاق بوجه أعم، والجميع تحت أنظار خليفة ينوب عن السلطان عند ظعنه. وهذه المدينة المخلصة إلى ماضيها وأعرافها إلى حد الجمود، وهذه الحاضرة الإسلامية التي لم يتغير شيء من هندستها المعمارية على مر

العصور هي المدينة التي دخل عليها القرن العشرين بكل ما دخل به من العواصف وأسباب الانقلاب والتبديل دفعة واحدة جراء الاستعمار الفرنسي. فامتنعت عن ذلك وظلت جاثمة على إرثها، وتركت العصر يفعل ما يريد في أرباضها الغربية فاتسعت بإضافة مدن جديدة أقيمت على النسق الأوربي العصري.

فاس في القرن العشرين

لايزال البحث التاريخي يفتقر إلى مؤلف عن فاس في القرن العشرين يذكر بالتفصيل ما طرأ على المدينة من التغيير ويقف على كيفية تفاعلها مع ذلك، ذلك بأنها احتفظت على أصالتها حتى يخيل للمرء أنها لن تقلع عنها أبدا، وتمسكت بأسباب الحداثة حتى يبدو وكأنها لا تريد إلا الطليعة موقفا. وهي بكل ذلك إنما تجسد في حدودها ما يجري في المجتمع المغربي برمته منذ مطلع القرن العشرين.

فقد اصطدمت فاس بالاستعمار منذ دخول الجيوش الفرنسية إليها في ربيع سنة 1911. وفي يوم 30 مارس من سنة 1912 التالية، وقع السلطان عبد الحفيظ على عقد الحماية. وثارت ثائرة أهل فاس على ذلك، ففتكوا بكل ما وقع بين أيديهم من الأوربيين المقيمين في المدينة طيلة ثلاث أيام (17 - 19 أبريل 1912). ورد الفرنسيون بتمام العنف والقساوة. ثم إنهم اتخذوا القرار بحرمان فاس من وظائف العاصمة السياسية. كما أنهم اتجهوا إلى بناء أحياء سكنية خاصة بهم في الأحواز الغربية. وأطلقوا عليها بلغتهم إسم "لافيل نوفيل La ville nouvelle "، وسماها الفاسيون "دار دبيبغ"لانتظام أحيائها قرب قصر سلطاني هنالك يحمل هذا الاسم، واتخذته الجيوش الفرنسية مقرا لقيادتها عند حلولها بالمدينة. وهكذا اتسعت رقعة فاس مرة أخرى على طريقتها المعهودة بإضافة مدينة رابعة إلى المدن الثلاث السابقة. وقد أقيمت هذه المدينة لفائدة الأوربيين وبناء على حاجياتهم المعمارية والعسكرية، بشوارع تتسع لمرور العربات والسيارات، وفيلات وعمارات متعددة الطبقات، وملاعب رياضية وحدائق تتوسطها مدارس ابتدائية وثانوية، ومحطة للقطار ترتبط بها مخازن وأهراء كبرى والحي الصناعي، ومطار بربوة ظهر المهراس في الجنوب الشرقي أقيمت بجواره الثكنات العسكرية. بيد أن هذه المدينة الأوربية لم تزدهر إلا بسبب حرب الريف، ذلك بأن القيادة العامة للعمليات العسكرية الفرنسية أقيمت بها. وكان المجاهدون الريفيون قاب قوسين أو أدنى لانتزاعها من أيدي الفرنسيين الذين أدركوا مكانتها الاستراتيجية وما كان في التنقيص من شأنها من خطورة على مصالحهم في المغرب. وبذلك صارت فاس تسترجع أنفاسها من صدمة الاستعمار. وتعززت ساكنتها بمن هاجر إليها من أبناء باديتها القريبة والبعيدة. فصارت الأنوية الحضرية القديمة والجديدة تمتد بشكل حثيث. وتمت المرحلة الأولى من الامتداد في عهد الحماية بين 1912 و1956 بأن ألغي شيئا فشيئا كل ما كان موجودا داخل الأسوار العتيقة من البساتين والميادين العارية باستثناء المقبرات، وذلك لإقامة الدور والأهراء والحوانيت والمقاهي مثلما جرى في أحياء باب الخوخة وباب سيدي بوجيدة والزنجفور وباب الحديد والباب الجديد وبورجوع. وجرى مثل ذلك في فاس الجديد في باب الدكاكين والسمارين. وكانت نخبة الجالية اليهودية أول من بادرت إلى الفرار من الاكتظاظ ومن الأزقة الضيقة المظلمة لمساكنة الأوربيين في دار دبيبغ التي اتجهت حركة العمران فيها إلى ملء ما كان في الأصل حقولا وبساتين تفصل بينها وبين المدينة المرينية. وقد تصرف الفرنسيون في هذه المجموعة الحضرية المتناثرة بأسلوب الحكم العسكري، إذ كان حكم فاس وإقليمها الشاسع بيد ضابط برتبة جنرال، يساعده ضباط الاستعمالات والمراقبون المدنيون الذين كانوا بدورهم يستعينون بالموظفين المخزنيين السابقين يتقدمهم الباشا ومن يقوم مقامه من الخلفان في مختلف الأحياء، هذا من جهة قمة السلم الإداري. وأما من جهة السكان، فإن الفرنسيين أدخلوا النظام البلدي على المدينة، معتمدين الانتخاب في المدينة الأوربية، وشكلا من الانتقاء الإداري فيما يرجع لأهل فاس مسلمين ويهود. وكان عدد السكان على الإجمال في نهاية الحماية 179.372 (إحصاء 1952). مما يعني أن هذا العدد تضاعف في ظرف أربعة عقود، إذ يجمع الباحثون على أن عدد سكان فاس قبل الحماية كان يتراوح بين 90.000 و100.000 نسمة.

وأي سبب أقوى في التغيير من النمو الديموغرافي، ذلك بأن 180.000 نسمة الذين كانوا يقطنون المدينة عند إلغاء الحماية صاروا في مطلع القرن الواحد والعشرين يفوقون المليون بكثير أغلبيتهم مسلمون، ذلك بأن الجالية اليهودية لم يبق منها إلا أفراد معدودون. ولا يقطن بالمدينة من الأوربيين إلا بعض المستخدمين في السلك القنصلي أو التربوي. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على امتداد العمران الفاسي في كل اتجاه بما لم يسبق له نظير. فقد حصل في فاس العتيق وفاس المريني من الاكتظاظ ما يشبه فيضان القدر على جنباتها جراء الغليان. ففاضت المدينة العتيقة حتى اكتسح السكن مقابر القباب في الجنوب الشرقي، وكهوف ظهر الخميس في الشمال الغربي والجنانات الممتدة بين باب الخوخة وباب عجيسة. وخرجت فاس المرينية إلى ما وراء أسوارها من باب الساكمة وعين قادوس ومرتفعات جبل تغات كما زحفت خارج باب أبي الجنود وفي دار دبيبغ التي امتدت في اتجاه ظهر المهراس وسهول زواغة في الشمال الغرب. وتشكلت هنالك وترعرعت مدينة أخرى بل مدن أخرى تضم مختلف الصناعات العصرية وتحمل اسم مالكي تلك الأراضي من آل بني سودة، كما امتدت نحو الجنوب الغربي في أحياء سكنية على الطرق المؤدية إلى قلب الأطلس المتوسط وإلى شرق المغرب. مما يوحي بصعوبة انصهار أسباب المحافظة مع أسباب التغيير في مدينة أنشئت قبل إثنى عشر قرنا فلا تزال متمسكة بحيويتها الاجتماعية

ووظائفها الاقتصادية. ولم يتغير شيء من مظاهر فاس العتيق وفاس المريني إلا باعتبار ما صار يخترق شوارعهما من الحافلات والشاحنات والسيارات التي تصل اليوم إلى قلب النواة الحضرية العتيقة بعد تغطية وادي الجواهر (بوخرارب) في الستينات من القرن العشرين. وقد أجبر أرباب الحرف على تغيير أساليب عملهم، فهم اليوم يعملون بالمواكن الكهربائية وبالمواد الكيماوية العصرية. ولذلك عواقب وخيمة على المعمار العتيق جراء ما يكون من الاهتزاز القوي من المحركات ومن أخطار الانفجارات المذمرة، هذا فضلا عن النمو الديموغرافي الذي هو كذلك ضرب من الانفجار ولو بأسلوب الدبيب.

بيد أن المدينة تحتفظ في النسيج العمراني المغربي بتمام حيويتها ورتبتها المتميزة، فإنها تشكل بعد الدار البيضاء ثاني قطب صناعي وتجاري في البلاد. وهي عاصمة إحدى الجهات الست عشرة التي تنقسم البلاد إليها، وتسمى جهة فاس بولمان وتتركب من أربع عمالات (فاس ومولاي يعقوب وصفرو وبولمان). ويمثل الدولة فيها وال عام يساعده مجموعة من العمال، كما يمثل السكان مجلس بلدي يرأسه عمدة، ويحيط به مجموعة من المقاطعات يقوم بتدبير شؤونها المنتخبون المحليون. ولاشك أن فاس تعاني من مشاكل انتقال العمران العتيق إلى العمران العصري. ولكن ما تبديه من الحيوية ومن القدرة على التكيف يحتفظ لها بماضيها وبالمستقبل. ولذلك أدرجتها منظمة اليونسكو من جملة مآثر الحضارة الإنسانية منذ سنة 1981.

ليطورنو روجي، *فاس قبل الحماية*، تعريب محمد حجي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1986 (مجلدان).

Mohammed Yakhlef, *La municipalité de Fès, 1912 - 1956*, Thèse d'Etat, Université Libre de Bruxelles, 1990 (Ronéo).

إبراهيم بوطالب

فاس البالي، موقع أثري إسلامي ترتفع بقاياه بقبيلة فشتالة، على الضفة اليسرى لوادي ورغة، على بعد حوالي 58 كلم شمال غرب مدينة فاس (قيادة قلعة سلاس، إقليم فاس)، مما يجعل منه نقطة استراتيجية لمراقبة مشرع الخميس والولجات الخصبة لضفتي النهر وروافده. ومما يبرز أهمية هذه المدينة الأثرية كثرة بنياتها المعمارية، من آجور منشوي وقرميد وأحجار منجورة وقطع خزفية، تغطي مساحة يزيد محيطها عن خمس كيلومترات.

يحتل الموقع هضبة يصل ارتفاعها إلى 202 مترا، وموضعا استراتيجيا مما يسمح بمراقبة جل المناطق السهلية المجاورة، لبشكل مع قصبة أمرگو التي تبعد عنها بحوالي ثماني كيلومترات، أحد أبرز الحصون المشيدة لمواجهة قبائل غمارة وحماية الطريق الرئيسية بين فاس وطنجة وسبتة في اتجاه عدوة الأندلس. ويتضح من خلال المكونات الأثرية أنه لعب دوراً عسكريا هاما، إذ ينتظم وراء سور من الحجارة المدكوكة بحاذي المنحدرات ويتبع سطح الهضبة ليسيج مساحة شاسعة يتوسطها مركب صغير محصن أو محْرَز، قد يستعمل من طرف قائد القلعة أو ساكنتها في انتظار وصول الإمدادات. ويصل علو بعض بقايا هذه الأسوار إلى خمس أمتار وتتخللها بعض الأبراج نصف الدائرية مما يدفع، ـ اعتمادا على تصميمها وتقنيات بنائها ـ إلى ربطها بأسوار كل من قلعة أمرگو ومدينة البصرة الإدريسية، وبالتالي إلى افتراض تشييدها خلال القرون الأولى للفترة الإسلامية.

ولقد ذهبت أغلب الدراسات التي اهتمت بالموقع إلى أن هذه البقايا تعود لمدينة بني تَاوْدة أو بني تاودا أو بني تودة أو بني تودي التي وردت عند عدد من مؤرخي وجغرافيي العصرين الوسيط والحديث. ففي القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي جعل منها مؤلفا كتاب *الاستبصار ونزهة المشتاق* مدينة من بناء المرابطين، على الطريق الثانية الرابطة بين فاس وقصر كتامة مرورا بجبل غمارة، إذ يروي صاحب الاستبصار "أنك إذا أقمت من وادي سبو، أخذت على يمينك في عمائر متصلة إلى مدينة تاودا، وكانت مدينة كبيرة أسسها الملثمون ليملكوا منها جبل غمارة لتتابع نفاقه عليهم". وإذا كانت رواية صاحب *الاستبصار* تشير إلى أن المدينة قد فقدت، رغم إقامة ولاة المغرب بها مع العسكر، بعضا من ازدهارها دون الإفصاح عن الأسباب الكامنة وراء ذلك، فإن نص الإدريسي كان أوضح منه وأعطى تفاصيل هامة، إذ يؤكد أن مدينة بني تاودا، التي "كانت بمكان شبه الثغر سدا مانعا من طغاة غمارة العابثين بتلك النواحي المغيرين على جوانبها"، قد خربت من طرف الموحدين، وهجرت من ساكنتها، فكانت "أول مدينة من مدن المغرب التي حل بها الفساد، ونزل بها التغيير، واستأصلها المصامدة، وهدموا أسوارها وصيروا قائم مساكنها أرضا، ولم يبق منها إلا مكانها. وقد تراجع إلى مكانها نحو من مائة رجل، فعمروها وزرعوا في أرضها لطيب ترابها ونمو زرعها وجودة حنطتها".

من جهة أخرى، تبقى روايتا الحسن الوزان ومارمول كاربخال فريدتين من حيث مضمونهما، إذ تذهبان إلى أن المدينة من إنشاء "الأفارقة القدامى" وقد دمرت من طرف خلفاء إفريقية. ومن الإشارات النادرة التي تفرد بها مارمول كاربخال عن الحسن الوزان، مصدره الأساسي الذي نقل عنه العديد من الأخبار، أن بني تاودا قد عرفت بأسماء أخرى، إذ يروي أنها "كانت تدعى بابا أو جولبا كامبيستري حسب بطليموس الجديد، الذي يجعلها في الدرجة الثامنة والدقيقة العاشرة طولا، وفي الدرجة الرابعة والثلاثين والدقيقة العشرين عرضا". ويشير مارمول إلى أن المدينة، على عكس ماذهب إليه صاحبا كتاب *الاستبصار ونزهة المشتاق*، قد تعرضت للتدمير على عهد بني إدريس أيام حربهم ضد الخليفة الشيعي القائم بأمر الله (322 ـ 334 / 934 ـ 945)، "عندما غزا هذا الإقليم، بحيث لم يبق منها سوى الأسوار، وبقايا بعض المباني القديمة الرائعة، فيها ثلاث سقايات ذات

أحواض كبيرة من الرخام والمرمر، وبعض الأضرحة كذلك تدل على أنها قبور شخصيات مرموقة".

وبالرغم من اختلاف الروايات وتضاربها، فإن قلعة بني تاودة قد لعبت أدواراً طلائعية خاصة على عهد آخر المرابطين. ويذكر البيدق أن القلعة كانت سنة 536/ 1141 مقرا وقاعدة للأمير المرابطي تاشفين بن علي بن يوسف والأبرتير أحد أبرز القواد الموالين للسلطان علي بن يوسف بن تاشفين أيام صراعهم ضد جيوش الخليفة عبد المومن بن علي الكومي، التي عسكرت على ضفة الوادي لأيام عدة ثم رحلت دون القضية. وفي سنة 559 / 1163 - 1164 ثار مزيزدغ الغماري بإقليم غمارة كله على الخليفة يوسف بن عبد المومن، وتبعته قبائل من صنهاجة وأورية، ودخل مدينة بني تاودة وقتل - على قول ابن أبي زرع - جل سكانها وأسر ما تبقى منهم. فخرج إليه على رأس جيش من الموحدين، "يوسف بن سليمان وبدد شمله"، وربما إليه يرجع تدمير القصبة كما ورد ذلك عند الإدريسي، لتفقد بذلك هاته الحاضرة أهميتها، وفي نفس الوقت تسميتها ويظهر، كما ذهب إلى ذلك محقق كتاب البيدق، اسم فاس البالي للدلالة على قرية صغيرة احتمت بأسوار القلعة المهدومة.

الإدريسي، *المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق*، باريس، 1983 ؛ مجهول، *الاستبصار*، الدار البيضاء، 1985 ؛ ابن أبي زرع، *الأنيس المطرب*، الرباط، 1999 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، ج 1، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، الرباط، 1980 ؛ مارمول كاربخال، *إفريقيا*، ج 2، الرباط، 1984 ؛ البيدق، *أخبار المهدي*، الرباط، 1971.

E. Fagman, *Extraits inédits relatifs au Maghreb : géographie et histoire*, Ancienne Maison Bastide-Jourdan, Alger, 1924 ; E. Lévi-Provençal, Les ruines almoravides du pays de l'Ouargha (Maroc septentrional), dans *Bulletin archéologique, 1918, p. 194 - 200* ; H. Saladin, Note sur un essai d'identification des ruines de Beni-Teude, Mergo, Tansor et Angala, situées dans la région de l'Ouergha, dans *Bulletin archéologique, 1916, p. 118 - 131*.

أحمد صالح الطاهري

فاست، اسم مكان استراتيجي (مراقبة الممر) في نهاية سلسلة جبل باني من جهة الغرب، في جنوب آيت باعمران، وهو المدخل الرئيسي الطبيعي الذي يربط عبر الطريق الرئيسي بين مدينتي سيدي إفني وأگليم. وهو عبارة عن خانق طويل ضيق شديد الانحدار حسب تعريف معجم المصطلحات الجغرافية بالضبط (يوسف توني مادة خنق).

وفيه يتجلى التتابع التاريخي لتكوين الصخور والطبقات، حيث تبرز الطبقات الرسوبية بشكل أفقي كأنها لوحة فنان تستوقف المارين وتغري عدسة السياح.

وكلمة فاست، مؤنثة فاس، تعني باب الخانق، ومحليا تسمى ثمي ن فاست. وأظن أن الكلمة من لهجة قبيلة لمطة من قبيل صنهاجة، وما أكثر أسماء الأعلام الجغرافية في آيت باعمران بلهجة لمطة.

والذي يهم هنا هو التنبيه إلى أهمية الخانق من حيث المواصلات ومن حيث البحث الجغرافي والجيولوجي... وقد تكون فاست أقدم زمانا من الطبقات في منطقة آيت ؤرير ؟.

بحث ميداني وصور للموقع سنة 1990.

الحسين جهادي

الفاسوخ، يستخرج الفاسوخ من البوبال أو الكلخ أو عصا الراعي وهو جنس زهر من فصيلة البطباطيات. ومكان نبته، المروج الرطبة في الجبال. وهي عشبة يصل ارتفاعها إلى نحو متر، أوراقها طولانية، معقوفة الرأس تنبت بساق طويلة من الجذر مباشرة في ماي - يونيو ويوليوز، على رأس ساق طويلة أزهارها صغيرة وردية بمجموعة سنبلة مبرومة، جذرها معقد ومقوج ولونه في الداخل أحمر أسمر. تمتاز الجذور بمواد دابغة، ومواد قابضة وموقفة للنزف. استعمالها طبيا : من الخارج يستعمل المغلي باردا لوقف النزف في الجروح والقروح، وفاترا للمضمضة لمعالجة نزيف اللثة والرائحة الكريهة في الفم، ومن الداخل يشرب المغلي لمعالجة الإسهال المدمن (تيفوئيد) ويعمل المغلي بالطرق المعروفة بنسبة 5 غرامات من الجذور المفرومة لكل فنجان من الماء، ويشرب فنجانان في اليوم.

كيفية استخراج الفاسوخ من البوبال أو الكلخ أو عصا الراعي يتم بحفر حفرة في جذر النبتة ووضع إناء أو قطعة من البلاستيك ثم يتم جرح الجذر فإذا بسائل يخرج من الجذر أبيض كالحليب. وبعد أسابيع يتم جمع القطع البلاستيكية المملوءة بهذه المادة التي تجفف وتصبح صفراء اللون مائلة إلى اللون البني أو الأسود وهي على شكل عجين يلتصق. وهذه المادة هي التي نسميها الفاسوخ. والفاسوخ المغربي أحسن فاسوخ ويتم تسويقه في الجزيرة العربية ودول الشرق الأوسط ويستعمل للبخور.

الدكتور أمين رويحة، *كتاب التداوي بالأعشاب*، ص. 218.

الحسين البعاوي

الفاسي، أسرة علم وصلاح، أصلهم من الأندلس من نسل بني الجد الفهريين نسبة إلى فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، وهو بطن من بطون قريش العدنانية.

اشتهر بنو الجد خلال المرحلة الأندلسية بالضلوع في ميداني العلم والسياسة. وكان لعدد وافر من أبنائهم حظ المشاركة والوجاهة في إشبيلية ولبلة وغرناطة وملقة.

نزحت الأسرة الفاسية إلى المغرب بعد التحولات التي عصفت بالمسلمين كافة وأول من قدم منهم عبد الرحمان بن أبي بكر بن الجد وأخوه أحمد اللذين اختارا مدينة فاس واستقرا بها سنة 880 / 75 - 1476. وقد توفيا معا بعد اجتياح وباء الطاعون سنة 887 / 82 - 1483 فمات أحمد عن غير عقب بينما خلف عبد الرحمان ولده يوسف المكنى بأبي الحجاج وهو الذي اشتغل في التجارة وتردد من أجل ذلك

على حاضرة القصر الكبير فنسبه أهلها لمدينة فاس وهو اللقب الذي جرى على عقبه من جده.

قدمت الأسرة الفاسية أسماء لامعة في تاريخ الحركة الصوفية منذ تأسيس الشيخ أبي المحاسن لزاوية المخفية، كما قدمت عددا من العلماء الذين طبعوا الحياة الفكرية في تاريخ المغرب الحديث.

الفلفشندي، *نهاية الأرب*، القاهرة، 1959 ؛ ع. كحالة، *معجم قبائل العرب القديمة والحديثة*، بيروت، 1968 ؛ الهمذاني، *عجالة المبتدئ*، القاهرة، 1965 ؛ المقري، *نفح الطيب*، بيروت، 1968 ؛ ع. الفاسي، *مرآة*، 144 ؛ م. ع. الفاسي، *ابتهاج*، 101 ؛ ع. الفاسي، *رياض الجنة*، فاس، 1931 ؛ م. القادري، *نشر* ؛ مولاي سليمان، *عناية أولي المجد*، المقدمة ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*.

الفاسي، أحمد بن **أحمد** بن أبي المحاسن، ولد حوالي سنة 1021 / 1612 ونشأ في رعاية عمه وأبناء عمه، فكان أكثر أخذه للعلوم عن الشيخ محمد بن أبي عسرية. كما أنه حظي بلقاء عمه محمد العربي وكان ممن عمتهم إجازته.

أقبل بعد مرحلة التكوين على التدريس في القصر الكبير لكنه أظهر ميلا واضحا نحو أمور التربية والعبادة، فتح زاويته لإطعام الطعام واستقبال الزوار.

توجد زاوية الشيخ أحمد الفاسي مقابلة لمسجد الشجرة بحي القطانين وهي المركز الصوفي الثاني للزاوية الفاسية في القصر الكبير. أما شهرتها فتقترن بدورها الروحي التاريخي وبتصميمها الهندسي والقبتين الموجودتين في ضريح الشيخ.

توفي الشيخ أحمد في زاويته سنة 1094 / 1684.

م. القادري، *نشر* ؛ أ. أشعبان، *أبحاث تاريخية وأثرية* حول القصر الكبير، د. د. ع، الدار البيضاء، عين الشق، 1988، في جزءين ؛ ن. الذهبي، *الزاوية الفاسية*.

نفيسة الذهبي

الفاسي، أحمد بن أبي **جيدة** بن أحمد. ولد بفاس سنة 1165 ، وبها نشأ في حجر أبيه، وقرأ كتاب الله، ثم العربية والأصول والبيان والمنطق والكلام والفقه والحديث وغيرها على جماعة من الأئمة، فحصل في الزمن اليسير على حظ من العلم الكثير.

وكان يدعى في قومه بالعارف، غير أن الأجل استعجله قبل كمال إهلاله، فصار إلى رحمة الله ورضوانه سنة 1194، ودفن في زاوية جده.

مولى سليمان العلوي، *عناية* ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*.

المصطفى البوعناني

الفاسي، أحمد بن **علي** بن أبي المحاسن. ولد في مدينة القصر الكبير يوم 4 صفر سنة 997. وبها أخذ عن والده وأخيه أبي عسرية وغيرهما. ثم رحل إلى فاس، فأخذ بها عن عم أبيه، وعن عميه العربي وأحمد، وعن أحمد وأبي القاسم ابني القاضي، وغيرهم. ورجع إلى القصر الكبير بعلم غزير، فدرس وأفاد. فكان مشهورا بحسن الإلقاء والتعليم، متسع العارضة في الحفظ والفهم. انتفع به خلق كثير.

واستوطن مكناسة الزيتون. ثم استوطن، آخر عمره، فاسا إلى أن عاد إلى القصر الكبير زائرا، فأدركته المنية يوم 13 شعبان سنة 1062، فحمل إلى فاس.

م. القادري، *نشر الثاني* ؛ *إلتقاط الدرر* ؛ ع. الرحمان الفاسي، *ابتهاج القلوب* ؛ *أزهار البستان* ؛ المولى سليمان، *عناية أولي المجد*؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*.

المصطفى البوعناني

الفاسي، أحمد(الموسيقى) بن محمد بن عبد القادر من علماء فاس في القرن الثاني عشر. له مشاركة في جملة من علوم وفنون عصره، ومنها "موسيقى الآلة"، فقد كان يعرف قواعدها وأصولها حتى قال عنه صاحب "*عناية أولي المجد*" إنه لا يكاد أحد يحسن الطبوع على كثرتها مثله.

يقال إن محمد بن الحسين الحايك أخذ عنه بعض أشعار الآلة لما أقدم على تأليف مجموعه الشهير.

ويعزى لأبي العباس الفاسي هذا أنه هو الذي اقترح تخصيص طبع رمل الماية لأشعار المديح النبوي. فقد كان رواد الزاوية الفاسية بالقلقليين ـ وهو يومئذ القائم عليها ـ يجتمعون بحضوره على إنشاء الموشحات والأزجال والبراول مما نظمه المغاربة المتأخرون في هذا الغرض أو انتخبوه من دواوين شعراء المديح، يدرجون ذلك في ميازين موسيقى الآلة وخاصة منها ميازين القدام.

وقد مهد ذلك للقرار الذي ستتخذه لجنة الوزير الجامعي المكلفة بمراجعة كناش الحايك في مطلع القرن الرابع عشر، وهو القرار القاضي بتحويل أشعار نوبة رمل الماية وما ألحق بها من صنعات ـ وكانت موزعة بين الغزل ووصف العشي ـ إلى أشعار في المديح النبوي والتشوف لزيارة قبره الشريف.

وتقديراً لجهود أبي العباس الفاسي في هذا المضمار فقد دأب المسمعون بعد وفاته على إحياء ليلة المولد النبوي وصباح يوم العيد حيث يجتمعون بضريحه فينشدون سائر موازين رمل الماية اعترافا بفضله "وقد استمرت هذه العادة إلى أوائل القرن العشرين ثم توقف العمل بها بعد وفاة كبار المسمعين".

وتوفي أحمد الفاسي سنة 1164 / 1750 ـ 1751.

ع. العزيز، بن عبد الجليل، *مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية*، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1983 ؛ م. الفاسي، *الموسيقى المسماة أندلسية*، مجلة تطوان، ع 7.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الفاسي، البشير بن عبد الله. ازداد سنة 1315 / 1898 بفاس، وشب وترعرع في بيت علم ودين، فتعلم مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم على يد الفقيه محمد

العلمي بدرب العيون، ثم التحق بجامع القرويين فأخذ عن ثلة من العلماء منهم أحمد بن الخياط الزگاري، وأحمد بن الجيلالي المغاري، وعبد السلام بن محمد بناني وعبد الله الفضيلي، أخذ عنه علم البلاغة وعلم المنقول، وعن محمد الراضي السناني أخذ الفقه وأصوله والنحو ولازمه كثيرا وهو عمدته، كما أخذ عن والده الشيخ عبد الله التفسير والحديث. وعن هؤلاء أحرز على إجازة علمية عامة.

ويعتبر محمد البشير الفاسي من العلماء والفقهاء الذين كانت لهم يد طولى في النوازل والأحكام، حيث قضى في مهنة العدالة والقضاء ما يقرب من الأربعين سنة، زاول خلالها أولا خطة العدالة بسماط القرويين بفاس والإفتاء الشرعي، ثم عين بعدها كاتبا بأحواز فاس مع القائد علي العياشي، ثم تولى قضاء قبيلة بني زروال وبني ورياگل مركز غفساي وذلك سنة 1346 / 1927، ثم قضاء مدينة الجديدة وقبيلة أولاد بوعزيز بالناحية سنة 1354 / 1935.

وإلى جانب القضاء والفتوى كان المترجم له خطيب الجمعة بجامع غفساي، كما تصدر للوعظ والحديث والتدريس بصفة تطوعية بجامع التازي بحي مرشان بالجديدة.

ترك البشير عدة مؤلفات طبع بعضها ولازال أغلبها مخطوطا، نذكر منها قبيلة بني زروال : *مظاهر حياتها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية* ؛ *النوازل البشيرية* ؛ *شذ أزهار الأحكام والحيال* ؛ *بحث تاريخي عن مدينة مشنزاية* العتيقة بقبيلة دكالة.

توفي إثر حادثة سير قرب سوق الأربعاء في طريقه إلى مدينة طنجة بصحبة شقيقه عبد السلام، وذلك يوم 8 جمادى الأولى عام 1383 الموافق لـ 23 شتنبر 1963، ودفن بالزاوية العيساوية بالرباط.

ع. الجراري، *أعلام الفكر المعاصر*، 2 : 278 ـ 279 ؛ م. الفاطمي ابن الحاج، *إسعاف الراغبين*، 72 ـ 73 ؛ *موسوعة أعلام المغرب*، 9 : 3375 ؛ بلماحي الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، 268 ـ 269 ؛ *روايات شفوية* لناصر الفاسي ابن المترجم له.

الفاسي الحلفاوي، أسرة تطوانية استوطنت مدينة تطوان قديماً قادمة من فاس وأصبحت تعرف بأولاد الفاسي الحلفاوي إلا أنهم يصرحون بنسبة الحلفاوي للفرق بينهم وبين الفاسيين الفهريين وهم كثيرون بتطوان.

الفاسي الحلفاوي، محمد بن عبد السلام، المهندس الوزير السفير. ولد حوالي سنة 1914 بمدينة تطوان، وبها تلقى مبادئ التعليم، ثم تابع دراسته الثانوية بمدينة نابلس بفلسطين، بعدها التحق بالجامعة الأمريكية باسطنبول حيث تخرج من قسم الهندسة المدنية سنة 1357 / 1938، عاد بعدها إلى مسقط رأسه مدينة تطوان حيث شغل منصب مهندس بالبلدية، لكن سلطات الحماية سرعان ما عزلته من منصبه بسبب أفكاره المعادية للاستعمار، فالتحق حينها بحزب الإصلاح الوطني، وانتخب عضوا في اللجنة التنفيذية لهذا الحزب. وبعد استقلال البلاد عين من طرف محمد الخامس عاملا على إقليم تطوان، وفي سنة 1385 / 1965 أصبح وزيرا للبريد والمواصلات السلكية واللاسكية، بعدها شغل منصب المدير العام لشركة الخطوط الجوية الملكية، ثم سفيرا للمغرب في كل من الأرجنتين والشيلي.

توفي بمدينة تطوان ليلة الأربعاء 21 رجب 1398 / 28 يونيو 1978، ودفن بمسقط رأسه.

موسوعة أعلام المغرب، 9 : 3475.

الفاسي، الصديق بن أحمد بن الطاهر بن عبد المجيد بن العربي يرتفع نسبه إلى أبي المحاسن يوسف الفاسي الفهري من سلالة آل الجد.

ولد بفاس عام 1322 / 1904 ، تعلم مبادئ القراءة والكتابة بالكتاب، ثم انخرط في سلك طلبة المعرفة الأصلية بجامع القرويين وبغيره من الزوايا والمساجد التابعة له، حتى اجتاز بتفوق امتحان التخرج بالمجلس التحسيني العلمي بالقرويين، وسجل اسمه في لائحة العلماء، وبدأ يلقي الدروس العلمية في القوانين الفقهية واللغة والمنطق.

زاول الصديق الفاسي العديد من الوظائف، ابتدأها مدرسا بمدرسة اللمطيين الرسمية بفاس ثم بالمدرسة الثانوية الإدريسية، بعدها عين نائب عضو مجلس الاستيناف الشرعي الأعلى بالرباط، ثم قاضيا بأحواز الرباط، ومنها قاضيا بسطات ثم بمقصورة الرصيف الشرعية بفاس القديمة، بعدها استوطن مدينة سطات وصار يزاول بها خطة الإفتاء الشرعي، ثم عين عضوا بالمحكمة الإقليمية بالدار البيضاء، ثم رقي إلى النيابة بنفس المحكمة وبقي بهذه الوظيفة إلى أن أحيل على المعاش.

له مجموعة من المحاضرات والأبحاث نشرت بالعديد من المجلات المغربية بالإضافة إلى فتاويه الشرعية.

توفي الصديق الفاسي بمدينة سطات يوم السبت 10 ذي الحجة 1395 الموافق 13 دجنبر 1975، ونقل جثمانه إلى فاس حيث دفن بروضتهم بالقباب.

موسوعة أعلام المغرب، 9 : 3463 ؛ م. بن الفاطمي ابن الحاج، *إسعاف الإخوان*، 337 ـ 339.

الفاسي، العابد محمد بن عبد الله بن عبد السلام بن علال الفاسي الفهري. كانت ولادته بفاس يوم السبت 21 شعبان عام 1320 / 22 نوفمبر 1902، وتربى ونشأ في حجر والده العالم الفقيه عبد الله ففرف من منهل العلم منذ صغره، حيث أخذ العلم بفاس عن والده وهو عمدته، وعن عمه الشيخ عبد الواحد الفاسي. وبعد انتهائه من الدراسة الأولية، التحق بجامع القرويين فأخذ العلم عن مشايخها منهم أحمد بن الخياط، وأبو شعيب الدكالي، وعبد الله

الفضيلي، وأحمد بن الجيلالي الأمغاري، وأحمد بن المامون البلغيثي، ومحمد بن عبد الرحمان العراقي وغيرهم.

وقد كان محمد العابد يطوف على المجالس العلمية ويحضر مختلف الدروس، حتى تكون له رصيد هائل من المعرفة والثقافة الأصلية فأدرج في مرتبة العلماء، حيث أجيز إجازة عامة شفوية من طرف محمد بن جعفر الكتاني، كما أجازه العديد من شيوخه.

ولما حج المترجم له سنة 1351 / 1932، اغتنم الفرصة فزار كلاً من دمشق وبيروت والقاهرة، وحضر حلقات الدروس العلمية بها، فأخذ العلم عن عدة أشياخ أجازوه إجازة عامة بمصر والشام والحرمين الشريفين، وأجازه بعض الأشياخ من طرابلس الغرب والعراق التقى بهم في الحرمين، منهم بمصر الشيخ طنطاوي الجوهري والشيخ بخيت المطيع، وبدمشق الشيخ بدر الدين، كما اجتمع بالأدباء الشباب ومنهم بمصر الدكتور طه حسين.

شغل محمد العابد الفاسي عدة مناصب استهلها كاتبا بمحكمة قائد أحواز فاس عام 1351 / 1932 ثم اشتغل بالتعليم الحر بفاس في الفترة ما بين عامي 1355 و1361 / 1936 و1942، ثم تولى نظارة أوقاف زاوية الشيخ عبد القادر الفاسي، ثم عينته وزارة الأوقاف برفقة المؤرخ عبد السلام ابن سودة باحثا ومنقبا في الكتب المتلاشية بخزانة القرويين، ثم نائبا لقيم الخزانة عام 1371 / 1951، ثم محافظا لها عام 1376 / 1956، كما عين أستاذا للتعليم العالي بكلية الآداب بفاس عام 1382 / 1962، فدرس مواد التشريع الإسلامي وفقه اللغة والبلاغة والعروض وعلم الاجتماع، كما عين أستاذا بكلية الشريعة وبدار الحديث الحسنية وذلك سنة 1385/ 1965. وقد عينه محمد الخامس عضوا في مجلس الدستور الذي أنشأه في 13 جمادى الأولى عام 1380 / 1960 من أجل وضع إطار دستوري للمغرب. وكان أيضا عضوا بمجلس جامعة القرويين، وعضوا بهيأة أحدثت من أجل تحضير موسوعة المغرب العربي تحت إشراف المكتب الدائم لتنسيق التعريب بالدول العربية، وكذلك بلجنة معجم ألفاظ القرآن الكريم وذلك سنة 1388 / 1968.

خلف محمد العابد الفاسي عدة مؤلفات لازالت معظمها مخطوطة نذكر منها : *تاريخ آل الفاسي* ؛ *حياة الوزير* ؛ *رحلته الحجازية* ؛ *مذكراته مع أشياخه وأقرانه*...

بالإضافة إلى مجموعة مختلفة من الأبحاث السياسية والثقافية نشرت في العديد من الصحف والمجلات المغربية والمشرقية.

توفي بالدار البيضاء ليلة الجمعة 2 ذي الحجة الحرام عام 1395 / 6 دجنبر 1975، ودفن بفاس بروضة جده أبي المحاسن يوسف الفاسي بأعلى القباب خارج باب فتوح.

م. الفاطمي ابن الحاج، *إسعاف الإخوان*، 340 - 343 ؛ *موسوعة أعلام المغرب*، 9 : 3461 - 3462.

لطيفة الكندوز

الفاسي، العباس بن عبد القادر بن عبد الرحمان، الفقيه الكاتب. ترقى من الكتابة إلى وزارة الخليفة بمراكش، ثم ناب عن الصدر بفاس. وكانت تصدر منه تواقيع بليغة نيابة عن السلطان المولى عبد الحفيظ.

توفي يوم 5 جمادى الثانية عام 1327.

م. غريط، *فواصل الجمان* ؛ العباس بن إبراهيم، *الإعلام*.

المصطفى البوعناني

الفاسي، عبد الحفيظ بن **الطاهر**، ولد بمدينة فاس عام 1296 / 1879 ، وبدأ تعليمه بزاوية سيدي عبد القادر بالقلقليين حيث أخذ على عدد وافر من أبناء أسرته ومن علماء فاس وقد أورد في معجم مشايخه ما ينيف على المائة شيخ وأستاذ ممن أخذ عنهم العلم أو تبرك بأسانيدهم العالية في الرواية ويمتاز الشيخ عبد الحفيظ بحرصه على الدرجات العلمية والإجازات مع توثيق مروياته وضبط أسانيده المغربية والمشرقية، لذلك يعد فهرسه *"رياض الجنة"* من أهم الفهارس المتأخرة إن لم يكن آخرها.

تولى خطة القضاء الشرعي في فاس زهاء عشرة أعوام ثم أصبح عضوا بالمحكمة الجنائية العليا. وتولى قضاء مدينة سطات قبل أن ينقطع عن العمل في فترة الاستقلال ويعتكف على الكتابة في منزله بالرباط إلى وفاته.

ألف الشيخ عبد الحفيظ كتباً غزيرة المادة منها : *فهرسه رياض الجنة في تراجم من لقيت أو كاتبني من الجلة* (أو *المدهش المطرب بأخبار من لقيت أو كاتبني بالمشرق والمغرب*)؛ *الآيات البينات في شرح وتخريج الأحاديث المسلسلات* ؛ *الترجمان المعرب عن أشهر فروع الشاذلية بالمغرب*؛ *تأليف في ذكر الطرق الصوفية بالمغرب* ؛ *كناشة خاصة*.

وذكرت له مؤلفات أخرى.

توفي الشيخ عبد الحفيظ 1383 / 1964.

خ. الزركلي، *الأعلام* ؛ *فهرسه المدهش المطرب*، المطبعة الوطنية، فاس، 1931، في جزءين ؛ *رحلته إلى بعض المراسي المغربية* سنة 1910، مخطوط، خ. ع. 4400 د ؛ كناشة خاصة بالرباط.

نفيسة الذهبي

الفاسي، عبد الحفيظ بن أبي **مدين** بن أحمد، الفقيه العلامة الخطيب البارع، العدل الموثق. تولى الخطابة بعد والده للسلطان محمد بن عبد الله العلوي.

وكان خطيبا بالمسجد الأعظم بفاس، ويصحب السلطان في أسفاره. ألف شرحا مفيدا على عقيدة الرسالة.

توفي في الرباط يوم 29 رمضان عام 1194.

م. بوجندار، *الاغتباط بتراجم أعلام الرباط* ؛ العباس بن إبراهيم، *الإعلام*.

المصطفى البوعناني

الفاسي، عبد الرحمان بن مَحمد (العارف)، ولد بالقصر الكبير في محرم سنة 972 / 1564 وقد توفي والده قبل أن يتجاوز سنه الثانية فتربى في كنف أخيه أبي المحاسن يوسف. وقد كان قرينا لولده أبي العباس أحمد في السن وفي كثير من الصفات العلمية والخلقية.

تعلم في فاس منذ سنة 986 / 1578 وأدرك أشهر أئمتها فأتقن العلوم، وتصدر للتدريس في الزاوية الفاسية القديمة قبل أن ينشئ زاويته بجوار دار سكناه في حي القلقلين سنة 1027 / 1617 أي بعد وفاة أخيه أبي المحاسن وبعد أن اجتمع حوله عدد مشجع من المريدين والأصحاب.

كانت للشيخ عبد الرحمان مع أخيه أبي المحاسن علاقة التربية والرعاية وعلاقة التلقين والتكوين الصوفي وقد اقتنع الشيخ أبو المحاسن بكفاءة أخيه وأشار إلى مؤهلاته وصفاته وردد من الأقوال والإيحاءات ما يفيد اقتناعه به كوارث له يظهر أن الشيخ عبد الرحمان كان مقتنعا بهذا الاختيار بدوره فقد نفى أن يكون لولاية أخيه وارث غيره، كما ألح على وجود تقاليد خاصة برجال الصلاح حول مسألة الوراثة التي لا يعتمد فيها النسب أو القرابة ولكن يقدم الانتساب والتحقيق والتربية والتأهل وقال بأنها تحتمل تأويلا صوفيا متشعب الدلالة إذ قد تظهر صفات الاضطلاع بها مباشرة بعد وفاة الشيخ وقد يتطلب الأمر فترة زمنية قد تطول وقد تقصر لبقع التوافق بين التأهل النظري والالتفاف حول الشيخ الوارث.

حافظ الشيخ عبد الرحمان على طابع الطريقة الفاسية، وعمل على مسايرة الظرفية التاريخية الانتقالية التي واكبت نشاط زاويته. والملاحظ أنه تجاوز ظرفية الأزمة التي شهدتها فاس في بداية القرن الحادي عشر (17 م)، وحقق في غمرتها عمقا اجتماعيا وحضورا عند رجال السلطة وقد جاء ذلك بفعل المكانة العلمية أولا وبفعل الدور الذي قام به بين أهل فاس وطوائفها المتنافرة فقد ساهم في أدوار الوساطة، والمصالحة، والاستشارة، واختيار الرجال أحيانا وبذلك خرجت الزاوية آمنة بل إنها غدت حرما كما صرح بقوله : "ومن دخله كان آمنا وأشار إلى زاويته".

ألف الشيخ عبد الرحمان مجموعة هامة من المصنفات أغلبها عبارة عن حواشي.

توفي الشيخ يوم 27 ربيع الأول عام 1036 / 16 دجنبر 1626.

عبد الرحمان الفاسي *أزهار البستان*، خ. ع 2074 د الكتاب كله ؛ ابن القاضي التودي، *النور القوي*، خ. ع 2301 ك ورقة 92 وما بعدها ؛ م. القادري، *النشر*، ج 1، 266 ـ 269 ؛ م. حجي، *الحركة*، ج 2، 366 ؛ ن. الذهبي، *الزاوية الفاسية*، 179.

نفيسة الذهبي

الفاسي، عبد الرحمان (الموسيقي) هو أبو زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي. ولد بمدينة فاس عام 1040 في أسرة مولعة بالعلم وحب المعرفة. أقبل منذ يفاعته على الدراسة وملازمة مشايخ العلوم العقلية والنقلية، فنبغ فيها، مثلما نبغ في علوم اللغة.

وعندما شب طوقه أقبل على التأليف، فوضع كتبا ومنظومات ضمنها حصيلة معارفه.

وإلى جانب ذلك فقد تفتقت عبقريته الفذة عن موهبة في الموسيقى، فدرس أصول "الآلة الأندلسية"، وخبر مستعملاتها الغنائية، ثم ماعتم أن أقبل على الإسهام في إغنائها ممارسة وتنظيراً.

أما الممارسة فتتجلى فيما أبدعه من مقطعات شعرية اتخذها المغنون من أصحاب هذا الفن مطية لألحانهم حتى اعتبر في أعداد الشعراء الموسيقيين ممن تعتمد أشعارهم في إنشاد ميازين النوبات الأندلسية. وفي هذا الصدد نسب محمد الصغير البفراني في كتابه *"المسلك السهل"* صنعة يجري إنشادها على طبع رصد الذيل، كما ساق له صاحب مجموع *"الروضة الغنا في أصول الغنا"* ثلاثة توشيحات، اثنان منهما في قدام عزيبة الحسين، والتوشيح الثالث في بسيط الحسين، ونصه :

قم انظر الغصون ترقص في البساتين
والطيوع غنت في غصون الرياحين
ما أبدع ذلك الزهو والمحاسن
حفظ الله زمانا للوصال جمع الشمل أرى فيه حسن حال

وأما على مستوى التنظير فقد ترك الفاسي ثلاثة مباحث موسيقية هي :

1) منظومة رجزية بعنوان "علم الموسيقى"، وأخرى بعنوان "طب الألحان"، ضمنهما كتابه الموسوم بـ *(الاقنوم في مبادئ العلوم)*. وهو عبارة عن دائرة معارف عصره تحدث فيها عن مائة وخمسين علما من بينها علم الموسيقى.

وهو في منظومته "علم الموسيقى" يقدم تعريفا لهذا الفن باعتباره أثراً صوتياً قائماً على عنصري اللحن والايقاع فيقول :

علم به يعرف أحوال النغم ومالها من بُعد أو كيْف وكَمْ
وما به يقع نقرتان أقله ياتي من الازمان

وتحتوي المنظومة على ثلاثة وسبعين بيتا يعرض فيها للايقاعات وما يعدل ضروبها، وما تتألف منه الألحان، وكميات النغم وكيفياتها، والبعد وأقسامه، وتضعيف الأبعاد وتصنيفها وتركيبها، وطرح بعضها من بعض، والأبعاد الكبار والصغار، والجنس القوي وأقسامه، واللين وأنواعه.

ويبدو العلامة عبد الرحمن الفاسي ـ من خلال تسع أبيات هذه المنظومة ـ متأثراً بليغ التأثر بمقولات المنظرين المشارقة القدماء، وخاصة منهم الموسيقي البغدادي صفي الدين عبد المومن الأرموي المتوفى عام 693، فلقد حفلت المنظومة عند شرح الإيقاعات بالمصطلحات المشرقية كالموصل والمفصل والمزج والثقيل، وبذلك جاءت لتكون صياغة رجزية للتحليل المرسل والمفصل الذي أورده الأرموي في كتابه *الرسالة الشرقية*، في الوقت الذي ظهرت فيه خالية من ذكر

المصطلحات السائدة بين أرباب "موسيقى الآلة، سواء منها ذات الصلة بعلم العروض كالسبب والوتد والفاصلة، أم المرتبطة بطبيعة النقرات المحدثة على الأكف أو على آلتي الإيقاع كالتوسيد والزنج والدف والندف والدور.

2) المبحث الثاني بعنوان : المجموع في علم الموسيقى والطبوع". وهو عبارة عن منظومة قوامها من الأبيات مائة وخمسة، تتضمن في معظمها ما جاء في المنظومة المعنونة "علم الموسيقى المدرجة في كتاب *"الاقنوم"*، ثم تزيد ببحث قوامه ستة عشر بيتا تناول الناظم فيه طبوع موسيقى الآلة الأصلية وطبائعها وفروعها وأول هذه الأبيات :

وتنسب الطبوع للطباع تحسن عند الاستماع

وقد عرض في هذه الأبيات لبيان طبوع الموسيقى الأندلسية على عهده، فجعلها واحدا وعشرين طبعا.

3) ثالث المباحث عبارة عن رسالة في نحو صفحتين في العود وأوتاره والرباب وأوتاره. وقد ضمّن القسم الخاص بأوتار العود أسماء درجات السلم في البعد الذي بالخمس والبعد الذي بالكل، وكذا أسماء مواقع الأصابع على الأوتار بالأربعة، وذلك وفق الاستعمال المشرقي القديم، مما يعكس سعة اطلاعه على كتب المنظرين القدماء كالفارابي والأرموي.

توفي عبد الرحمن الفاسي عام 1096 / 1684 عن سن يبلغ الستين.

عبد المومن الأرموي، *الرسالة الشرفية*، العراق، 1980 ؛ عبد الرحمن الفاسي، *الأقنوم* ، مخ. خ ع، رقم 15، خ. ص بسلا، رقم 4223، مجموع خ. ح، رقم 650 ؛ مجهول، *الروضة الفنا في أصول الغنا* ، خ. ع، عدد 193 ؛ محمد المنوني، البحث العلمي، ع 14 و15 ؛ عبد العزيز بن عبد الجليل، *الموسيقى الأندلسية المغربية*، فنون الأداء، سلسلة عالم المعرفة، ع 129 ، سبتمبر، 1988 ؛ محمد الصغير البغراني، *المسلك السهل*، الملزمة السادسة.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الفاسي، عبد الرحمن بن **يوسف** بن أحمد، رئيس الموقتين. ولد بفاس سنة 1154 وبها نشأ وأخذ العلم. كانت له اليد الطولى في علم التوقيت وأحكام آلاته، لا يقاومه فيه أحد.

لقي كثيراً من الأولياء في المغرب والمشرق، وتردد إليهم وانتفع بهم.

توفي بالطاعون في بداية ذي الحج عام 1213.

المولى سليمان، *عناية أولي المجد* ؛ محمد بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس*.

المصطفى البوعناني

الفاسي، عبد السلام بن عبد الله بن عبد السلام بن علال الفاسي الفهري من آل المجد. الفقيه الأستاذ الأديب الوزير والخطيب.

ازداد بمدينة فاس عام 1318 / 1900، نشأ وشب داخل بيت اشتهر بالدين والعلم المتين، فالتحق منذ صغره بكتاب الفقيه عبد السلام الحياني، ثم كتاب الفقيه محمد العلمي حتى تعلم مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم، توجه بعدها للدراسة العلمية بجامع القرويين فدرس على العديد من علمائها منهم أحمد بن الخياط الزكاري، وعبد الله الفضيلي، وأحمد بن المامون البلغيثي، وأحمد بن الجيلالي الأمغاري، ومحمد بن عبد الكبير ابن الحاج السلمي، وأخذ عن والده الأديب الشيخ عبد الله الفاسي، وعمه الخطيب المفتي عبد الواحد الفاسي.

وقد أدرج صاحب الترجمة في لائحة العلماء بعد حصوله على إجازة المعرفة والدراية من طرف شيوخه بالقرويين.

تقلد عبد السلام الفاسي العديد من المناصب العلمية والإدارية، حيث اشتغل في مستهل حياته العملية مدرسا بالمدرسة الحرة العربية بضريح سيدي الحاج الشعير الواقع قبالة ضريح جده عبد القادر الفاسي، ثم أستاذا بثانوية مولاي إدريس بفاس، ثم مفتشا للكتاتيب القرآنية بالشمال المغربي، ثم مندوبا في العلوم والمعارف الإسلامية من 1940 إلى 1955 ، ثم وزيرا للخليفة السلطاني بفاس، عين بعدها رئيس قسم الشكايات بالقصر الملكي بالرباط، ثم رئيس جامعة القرويين. وقد كان صاحب الترجمة يتولى في نفس الوقت خطبة الجمعة بالجامع الكبير بفاس الجديد، وكذا خطبة العيدين بالمصلى الأميرية بباب الساگمة بفاس. كما شغل منصب مندوب امتحانات الشهادة الثانوية بجامعة القرويين. وقد قدمه السلطان محمد بن يوسف خطيبا لصلاة الجمعة بالجامع الكبير بباريس في ربيع النبوي عام 1351 / يوليوز 1932 ، كما عينه رئيسا للوفد الرسمي المتوجه لأداء فريضة الحج خلال موسمي عامي 1368 و1369 / 1948 و1949، ثم مرات أخرى متعددة لمرافقة العائلة الملكية لنفس الهدف.

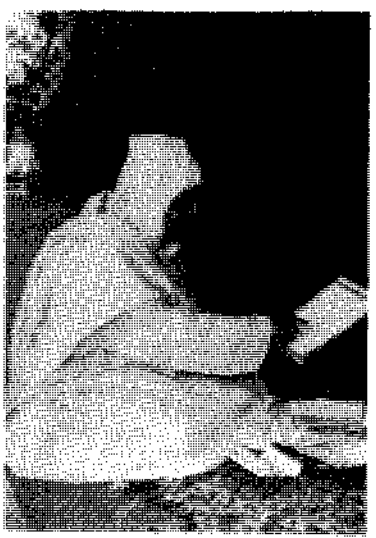

كان صاحب الترجمة فقيها مشاركا وخطيبا بليغا، متخصصا في علوم الأدب والنحو واللغة خصوصا في فن الخطابة حيث ترك مجموعة من الخطب الوعظية لازالت جميعها مخطوطة، أشهرها خطبته لصلاة الجمعة بمسجد

باريس التي وجه فيها نصائح للسلطان محمد بن يوسف وضمنها انتقادات لبطانته ولبعض رجال المخزن ألبت عليه العديد منهم. كما ترك عدة تقاييد في التعليم والأدب والبلاغة (كلها مخطوطة).

توفي عبد السلام الفاسي بالرباط صبيحة يوم الأحد 30 صفر عام 1402 / 29 دجنبر 1981، ونقل جثمانه إلى فاس حيث دفن بروضة جده أبي المحاسن يوسف الفاسي بأعلى القباب قرب المصلى خارج باب الفتوح.

م. الفاطمي ابن الحاج، *إسعاف الإخوان*، 434 - 435 ؛ روايات شفوية لعائلته.

Daniel Rivet, *Le Maroc de Lyautey à Mohammed V*, 147 et 287.

لطيفة الكندوز

الفاسي، عبد القادر بن أبي **جيدة** بن أحمد. ولد بفاس سنة 1171، وظهر عليه في صباه أثر الفتح، وأخذ في قراءة العلم عن عدة شيوخ حتى ظفر منهم بحظ من المشاركة غير قليل. ثم رحل للحج والزيارة مرتين، ولقي هناك أشياخا من أهل الشريعة والحقيقة.

ولازم، في آخر عمره، الشيخ العالم محمد الهادي بن زين الدين العراقي في خدمة الطريقة النقشبندية، وانقطع إليه. وعمر زاوية بداخل حومة القلقليين، كان له فيها أتباع يعتقدون فيه.

وكان له فتح كبير في علم القوم نظما ونثرا حتى كان يدعى بحاتمي الوقت، وكان يرجع إليه في حل مشكلاته وفتح رموز الكتاب والسنة، ويتكلم في الحقائق الربانية.

ترك كتابا غير مكمول في علم الحقائق هو "ذوق البداية ولمحة الهداية" وحكما في التصوف وتقاييد كثيرة في علم القوم، وأرجوزة في سلسلة أشياخه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وتائية، وتخميسا على عينية الجيلي.

توفي بالطاعون أواخر ذي القعدة سنة 1213.

المولى سليمان، *عناية أولي المجد* ؛ محمد بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس*.

الفاسي، عبد القادر الشيخ بن **عبد الرحمان**، الفقيه العلامة الكاتب. ولد بفاس سنة 1238. أخذ العلم عن شيخ الجماعة محمد بن عبد الرحمان الحجرتي، والجد أبي المواهب عبد الكبير. وعنه أخذ الشيخ جعفر الكتاني وغيره.

عُين كاتبا في وزارة الداخلية، وترقى إلى أن تم تعيينه خليفة للوزير، فكان يتقابل مع السلطان عند الضرورة.

كان فصيح القلم واللسان، متواضعا ذا أخلاق حسنة.

توفي بمكناس يوم 3 شعبان عام 1296، ونقل جثمانه إلى فاس.

العباس بن إبراهيم، *الإعلام*.

المصطفى البوعناني

الفاسي، عبد القادر بن **علي** (أبو السعود)، ولد الشيخ بالقصر الكبير سنة 1007 / 1599. وبعد المرحلة الأولى من التعليم انتقل إلى مدينة فاس بقصد الدراسة سنة 1025 / 1616 فلم يبرحها بعد ذلك أبدا. وقد حظي بنصيب وافر من العلم إذ تخرج على يد عدد من العلماء الأكفاء في مقدمتهم عم والده الشيخ عبد الرحمان، وعمه الشيخ أبو حامد محمد العربي، والشيخ القاضي أبو القاسم بن أبي النعيم الغساني الأندلسي، وأغلب مروياته في علوم الحديث والأصول والعقائد واللغة عن هؤلاء الثلاثة. كما أخذ عن الشيوخ عبد الواحد بن عاشر وعلي بن الزبير السجلماسي، وأحمد المقري، ومحمد ابن أحمد الجنان وغيرهم.

لعل أبرز الصفات التي توفرت للشيخ عبد القادر هي الصلاح والعلم فقد بلغ في فاس درجة عالية من الصلاح لم يمل معها لأي نوع من العصبية أو التشدد بل كان مثالا للمرونة والورع وتشهد بذلك علاقاته الواسعة وبعض الأمثلة من سلوكه ومن ذلك موقفه من الشيخ الحسن اليوسي الذي استاء من كل الفاسيين حتى تبادلوا الهجاء أحيانا ماعدا الشيخ عبد القادر ورغم كونه وصل إلى فاس عالما متمكنا فقد طلب إجازته تبركا، كما كان زوار فاس يقصدونه للزيارة دون غيره سواء كانوا بدوا أو من أهل الحواضر. وإجازة الشيخ عبد القادر شاهد آخر على بعد صيته وعلى الشبكة الهائلة من الطلبة الذين استجازوه فهي أكثر فهارس القرن الحادي عشر (17 م) شهرة وتداولا وتوثيقا للأسانيد الأندلسية المغربية كما أنها حاملة لما يمثل أسس تكوين الشيخ الذي جمع بين الموروث الأسري وبين حسن الاستفادة من إمكانيات مركز علمي إسلامي مثل فاس.

تألقت شخصية الشيخ عبد القادر بفضل مشاركته وضبطه فقد كان "آية من آيات الله في تحقيق العلوم على اختلاف أنواعها" باعتبار المدة الطويلة التي قضاها في التدريس والحفظ والفهم والانتساخ يستدرك أحيانا على كبار المحدثين مثل الحافظ السيوطي كما أن ممارسته لهذا الفن جعلت دروسه عالية ومتميزة في الدراية والرواية.

أما زاويته فقد بعد صيتها واشتهر ذكرها أكثر لكونه ظل ملازما لمكان تدريسه لا يفارقه ولذلك يضطر الناس للحضور إليه من أجل الرواية والسماع والإجازة والتبرك.

شارك المترجم في الحياة الفكرية بشكل فعلي فقد سخر زاويته لنشر الثقافة الإسلامية فكان أحد أعلام المغرب الثلاثة المبرزين في هذا المنحى، كما أنه اعتمد في معاشه على انتساخ صحيح البخاري ولم يقبل غيره موردا فقد رفض الأحباس والهبات وكل أنواع الهدايا.

ساهم الشيخ عبد القادر في حل قضايا عصره فكتب الفتاوى وألف في الإمامة العظمى ووضع كراسة في الفرائض والسنن وسجلت أجوبته وكتاباته بقلم ولده عبد الرحمان وأشهرها إجازته الشهيرة. ومؤلفاته على قلتها تنم عن جانب مهم في إطار مشاركته وهو الاستجابة لحاجات الناس وتيسير أمورهم.

أما شخصيته الصوفية فقد تميزت منذ حلوله بمدينة فاس، فقد اعتمد على عم والده الشيخ عبد الرحمان (العارف)، ولم يأنف من الانتقال لخدمة الشيخ محمد بن عبد الله معن بعد وفاته. كما أنه امتنع عن التصدر للمشيخة الصوفية، ولم يقبل تلقين الأوراد والأذكار إلا على سبيل الرواية والتبرك لمن يشاء ذلك.

تميزت عناية الشيخ عبد القادر بالتصوف بتحقيقه كعلم وبدراسة كتبه واستحضار إشكالاته ولم يغب هذا التوجه في طريقته التي قامت على إقامة الصلوات، والمواظبة على الذكر وتنشيط الحياة التعليمية وبذلك يمكن الحديث عن الزاوية الفاسية في طورين متميزين الطور الأول ثم مرحلة مشيخته التي تشخصت خلالها الطريقة والمدرسة التي تخدم الحياة الفكرية مع المحافظة على الطابع الصوفي الزهدي.

حظي الشيخ عبد القادر بعناية فائقة من السلطان المولى إسماعيل الذي كتب في حقه ما ينم عن الاحترام والتعظيم والذي استدعاه إلى مكناسة سنة 1091 / 1680 واستقبله بكثير من مظاهر الحفاوة والترحيب وسرح المساجين الذين كانوا في طاعته كافة إكراما لوفادته.

توفي الشيخ عبد القادر في 9 رمضان 1091 / 3 أكتوبر 1680 ودفن بزاويته في موضع تدريسه بوصية منه.

عبد الرحمان الفاسي، *تحفة الأكابر*، خ. ع. 2330 ك الكتاب كله ؛ م. الطيب الفاسي، *أسهل المقاصد*، خ. ع 2843 د ثالث مجموع ؛ ن. الذهبي، *الزاوية الفاسية*، 205، 2001.

نفيسة الذهبي

الفاسي، عبد القادر بن **عبد الواحد** الفهري، الفقيه المرابط العدل الخطيب الناسك. حفظ القرآن الجليل وجل الأمهات المتداولة كمختصر خليل. توفي عنه والده وهو ابن ثلاث عشرة سنة فانكب على تحصيل العلم حتى حصل منه على ما قسم له.

ولما علم السلطان المولى سليمان بما هو عليه من النجابة والذكاء والديانة نفذ له حينئذ ما كان بيد والده قبله من إمامة القرويين والخطبة بها وهو ابن ثمان عشرة سنة أو نحوها. ثم أخر عن الخطبة وحدها في صدر خلافة السلطان المولى عبد الرحمان لضعف صوته وكبر الجامع المذكور، وأعطاه مكانها خطبة جامع الشرابليين. وولي خطة الشهادة في أحباس القرويين مع ناظرها.

وأخذ الطريقة الشاذلية الدرقاوية عن الشيخ أحمد بن دحمان البلصوتي (ت. 1266).

توفي يوم 18 ربيع الأول عام 1263.

محمد بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس*.

المصطفى البوعناني

الفاسي، عبد الكبير بن **عبد الحفيظ**، رجل ثقافة وقانون وعمل وطني. تربى في مناخ علمي في بيت آل الجد الفهريين تحت رعاية والده الفقيه عبد الحفيظ الفاسي المعروف بغزير علمه. ولد بفاس سنة 1900. وتعلم بجامعة القرويين ثم بالمدرسة الإدريسية وأخيرا بمعهد الدروس العليا وحصل على الشهادة العليا في القانون. كانت له ميول منذ صباه إلى الآداب والتاريخ، خاصة تاريخ الأندلس. كما كان له ولوع بالكتابة الرصينة المركزة فنشر عدة مقالات وأبحاث في الصحف السيارة آنذاك : مجلة "*المغرب*" لصالح ميسة، الملحق الثقافي لجريدة "*المغرب*" لصاحبها سعيد حجي، جريدة "*العلم*" منذ صدورها إلخ... وأصدر مجلة "*العدوتين*" بمدينة طنجة.

تولى بعد تخرجه وظيفة بوزارة الأملاك المخزنية، انتقل منها إلى إدارة الشؤون الشريفة ثم إلى باشوية الدار البيضاء وباشوية مراكش. وعين بعد ذلك عضوا (قاضيا) في المحكمة العليا قسم الجنايات. كان من رفاق قادة الحركة الوطنية وزملائهم في الدرس، فساهم في الكفاح بجانبهم. وكان من الموقعين على وثيقة 11 يناير 1944 للمطالبة بالاستقلال. اختار طنجة مقرا بحكم مصاهرته مع عائلة المنبهي الوزير السابق، وكان له بها نشاط أدبي ووطني مذكور حيث تعاون مع حركة الفداء والمقاومة المسلحة المنبعثة من هناك ضد الحماية الفرنسية بعد خلع جلالة محمد الخامس ونفيه.

وبعد الاستقلال، أسندت له مناصب مهمة نظراً لكفاءته ومؤهلاته : خليفة مدير التشريفات الملكية، سفير بإيران ثم بالاردن حيث مكث بهما إثنتى عشرة سنة، عاد من بعدهما إلى إدارة القسم الثقافي في وزارة الشؤون الخارجية بوصفه سفيراً.

وفي آخر حياته استقر بمراكش مهتماً بالكتابة. وخلف مكتبة مهمة.

توفي بعاصمة الجنوب سنة 1981.

قاسم الزهيري

الفاسي، عبد الكبير بن **عبد الرحمان** المجذوب، من حفدة الشيخ عبد القادر الفاسي. الإمام العلامة المشارك الخطيب المدرس المرابط الرحالة الراوية. ولد سنة 1221.

أخذ العلم عن أشهر علماء وقته. وأخذ الطريقة الدرقاوية عن الشيخ محمد الحراق وعبد السلام الميسوري عن الشيخ العربي الدرقاوي. وأخذ طرقا صوفية أخرى.

كان يدرس رسالة ابن أبي زيد والشمائل. وجلس للتوثيق والعقود، وتصدر للمنابر والمشاهد، وأتقن صناعة الوراقة، واعتنى بالتاريخ والوفيات.

من مؤلفاته : تذكرة المحسنين، وهو في الوفيات والأحداث التاريخية إلى سنة 1262، وشرح على مقدمة جده، وتأليف في الرد على ابن زكري في تفضيل العجم على العرب، والكشف والبيان في قصة الوداية مع مولاي عبد الرحمان، وغير ذلك من مقامات وخطب وشروح.

كانت له حظوة عند الملوك العلويين، ومنحوه عطاياهم، وكان من جملة الأعيان الخمسة عشر المتوجهين لبيعة السلطان المولى الحسن من فاس إلى مراكش، وهو الذي أنشأ تلك البيعة.

وحج عام 1287 ، وحظي بلقاء أعيان علماء ذلك العهد واستجازهم، وأجازوه عامة ما لهم، وتدبج مع بعض شيوخ مصر.

توفي يوم 27 رمضان عام 1295، ودفن بشالة.

فهرس الكامل المراني ؛ معجم أصحاب الرضوي ؛ محمد ابن الحاج، الدر المنتخب ؛ محمد بوجندار، الإغتباط ؛ العباس بن إبراهيم، الإعلام.

المصطفى البوعناني

الفاسي، عبد الكبير بن **المهدي** أحد رجال النضال السياسي وقادة الكفاح المسلح ضد الحماية الفرنسية ومن أجل عودة جلالة محمد الخامس من المنفى وفي سبيل الاستقلال، ولد بفاس سنة 1920، وأحرز على شهادة عليا في الرياضيات والفيزياء. وكان من أنبغ الرجال ذكاء وذاكرة، يتقن خمس لغات. قام أول الأمر بالتدريس في جامعة القرويين، ثم في ثانوية ليوطي بالدار البيضاء.

انخرط في الحركة الوطنية مبكرا، فكان من الشباب الناشطين المكلفين بتأطير الشبيبة المدرسية في دائرة الوطنية وإعدادها للكفاح ضد الاستعمار، وكان عملهم يشمل أهم الحواضر المغربية : فاس، الرباط، الدار البيضاء وغيرها بحيث يشكل شبكة من الخلايا. ما لبث أن ارتقى في سلم العمل الوطني فأصبح من رجال الطائفة الذين كانوا يخططون ويقومون بأخطر الأعمال. ساهم في تحضير وثيقة 11 يناير 1944 للمطالبة بالاستقلال ومن الموقعين عليها، اعتقل أثناء قمع حزب الاستقلال بفاس وسجن بالعذير وبقي سجينا سنتين. عاد إلى نشاطه الوطني مع ممارسته للتدريس في الدار البيضاء. ولما احتدت الأزمة بين القصر والحركة الاستقلالية من جهة والحماية الفرنسية وحكومة باريس من جهة أخرى كان ممن فكروا في الكفاح المسلح وأخذ يعد له، خاصة بعد قمع حزب الاستقلال في دجنبر 1952 تمهيدا لخلع جلالة محمد الخامس ونفيه.

تولى هو وبعض رفاقه من المسيرين الاستقلاليين الشباب مهام اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال بصفة موقتة. وواصلوا العمل الوطني تحت جناح السر، وظل هو وشقيقته السيدة مليكة الفاسي المرأة الوحيدة الموقعة على وثيقة المطالبة بالاستقلال على اتصال بجلالة محمد الخامس إلى ليلة خلعه ونفيه. هاجر هو وعائلته إلى المنطقة الشمالية التي كانت تحت الاحتلال الإسباني في أغطسطس 1953، ومنها إلى مدريد حيث استقر. نظم هو والزعيم علال الفاسي الذي كان بالقاهرة آنذاك الفداء والمقاومة المسلحة داخل المنطقة الجنوبية تحت الاحتلال الفرنسي. وقد أبلى البلاء الحسن في هذا السبيل حيث كان المحور الذي تدور عليه المقاومة وكان الأساس في تأسيس جيش التحرير هو وجماعة من المخلصين الأوفياء إلى أن اضطرت فرنسا إلى إعادة محمد الخامس والاعتراف بالاستقلال تحت ضغط الكفاح الوطني والنضال المسلح معا في 16 نوفمبر 1955.

عاد عبد الكبير الفاسي من ميدان الكفاح المسلح إلى العمل الحكومي والدبلوماسي فعينه الملك محمد الخامس مديرا للشؤون الصحراوية، حيث رسم خريطة الحدود الطبيعية للمغرب وعمل على استرجاع الأجزاء التي كانت ماتزال تحت الاحتلال الفرنسي والإسباني، ثم عين بعد ذلك ابتداء من 1958 سفيرا في الجمهورية الألمانية والجمهورية المصرية والاتحاد السوفياتي والجمهورية التونسية قبل أن يشغل منصب مدير الوكالة النووية بفيينا مدة أربع سنوات ابتداء من 1968 ، ثم عينه جلالة الحسن الثاني في النهاية مديرا منتدبا لوكالة كوزرمار.

وتوفي سنة 1997 بالدار البيضاء.

قاسم الزهيري

الفاسي، عبد المجيد بن عبد الله بن عبد السلام بن علال الفاسي الفهري من آل الجد. الأديب الشاعر القاضي، أصغر أنجال الوزير عبد الله الفاسي الذي سبقت ترجمته.

إزداد عبد المجيد بفاس سنة 1327 / 1909 ، ونشأ وترعرع داخل أسرة اشتهر رجالها بالعلم الراسخ والدين المتين والخطابة والفصاحة، فكان من الطبيعي أن يسير عبد المجيد على خطى والده وإخوته محمد البشير وعبد السلام والعابد، حيث استهل دراسته بالكتاب القرآني حتى أتقن القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم، فالتحق بالقرويين وأخذ على كبار علمائها آنذاك علوما وفنونا متعددة نذكر منهم والده عبد الله الفاسي، والفقيه النحوي محمد بن عبد الرحمان العراقي، وأحمد بن الجيلالي، والمفتي القاضي العباس بناني وسواهم من علماء القرويين. كما تتلمذ على يد نخبة أخرى من العلماء المبرزين منهم محمد المدني ابن الحسني، وأحمد بن المامون البلغيثي، إلى جانب عمه عبد الواحد الفاسي، وشقيقه عبد السلام الفاسي.

ولما أسس النظام الدراسي بجامع القرويين سنة 1350 / 1930 ، انخرط المتجرم له في سلك طلبته بالأولى من القسم النهائي الشرعي، وفي السنة الثانية التحق بالقسم الأدبي تشجيعا لهذا القسم الذي كان الإقبال عليه منعدما، وأنهى دراسته بحصوله على العالمية في رجب 1353 / 1934 بالإضافة إلى إجازاته المتعددة، حيث أجازه كتابة والده الوزير عبد الله إجازة عامة بكل مروياته وأسانيده، وشقيقه محمد العابد إجازة سند كتابية بخط يده وتوقيعه فيما صحت له روايته، كما أجازه العلامة محمد المدني ابن الحسني إجازة عامة، وعمه عبد الحفيظ الفاسي إجازة عامة

مطبوعة في كتابه *الإسعاد بمهمات الإسناد*، وأجازه مشافهة الشيخ محمد نصيف بمنزله بجدة عند أدائه مناسك العمرة في رمضان عام 1387 / 1967.

زاول عبد المجيد الفاسي العديد من الوظائف استهلها بخطة العدالة والخطابة بفاس، ثم عين كاتبا بمجلس الاستيناف الشرعي الأعلى بالرباط عام 1355 / 1936، ثم دخل سلك القضاء فعين قاضيا بالقنيطرة عام 1362 / 1943، فقاضيا بوادي زم عام 1375 / 1956، بعدها التحق بميدان التعليم حيث اشتغل أستاذا بثانوية محمد الخامس بطنجة ابتداء من عام 1376 / 1957، ثم مديرا للمعهد الأصيل بنفس المدينة ابتداء من عام 1380 / 1960، ثم عاد بعدها إلى سلك القضاء حيث عين في الغرفة الشرعية بالمحكمة الإقليمية بطنجة سنة 1382 / 1963، ثم مستشارا بمحكمة الاستيناف بنفس المدينة عام 1384 / 1965، وأخيرا مستشارا بالمجلس الأعلى بالرباط ابتداء من عام 1387 / 1967 وهو المنصب الذي بقي به إلى وفاته.

وإلى جانب الوظائف الإدارية، كان صاحب الترجمة يقوم باستمرار بنشاط ديني وثقافي واجتماعي في كل المدن التي استقر بها، فكان يعقد المجالس العلمية بالمساجد، ويلقي المحاضرات في جميع المناسبات، كما كان يعطي دروسا دينية وأحاديث ثقافية وتربوية بإذاعة طنجة طيلة وجوده بها، بالإضافة إلى ترأسه للجمعية الخيرية الإسلامية بالقنيطرة لمدة طويلة.

ترك عبد المجيد الفاسي العديد من الدراسات والبحوث الفقهية والأدبية، وفتاوي شرعية وخطب وعظية، وأحاديث نبوية كلها لازالت مخطوطة، بالإضافة إلى ديوان شعر حاول جمعه في حياته لكن وفاته حالت دون ذلك، وقد صدر أخيرا عن مطبعة دار المعارف الجديدة بالرباط عام 1418 / 1997، في 497 صفحة بتحقيق سعيد الفاضلي.

توفي بمدينة مالقة الإسبانية يوم السبت 28 جمادى الأولى عام 1390 / فاتح غشت سنة 1970، ودفن بالزاوية العيساوية بالرباط إلى جانب شقيقه محمد البشير.

م. الفاطمي ابن الحاج، *إسعاف الإخوان*، 409 - 427 ؛ *موسوعة أعلام المغرب*، 9 : 3425 ؛ ع. الجراري، *أعلام الفكر المعاصر*، 353 - 354 ؛ *ديوان عبد المجيد الفاسي*، تحقيق سعيد الفاضلي، 11 - 17 ؛ ق. الوطاسي، *بين ظلال الأصالة*، 130.

الفاسي، عبد الله بن عبد السلام بن علال بن عبد الله الفاسي الفهري من آل الجد. الفقيه المدرس، العالم المشارك، الشاعر المبدع، الخطيب البليغ، الوزير السفير.

ازداد عبد الله الفاسي عام 1278 / 1861 بفاس، أخذ العلم عن والده عبد السلام وعن جده الشيخ علال الفاسي، وهو الذي رباه وكان ينيبه عنه في الخطابة قيد حياته.

منذ سنة 1304 / 1886 التحق عبد الله الفاسي بجامع القرويين، فأخذ عن شيوخها المشهورين في ذلك العصر حتى منحته الهيئة العلمية إجازة التعليم والانخراط في سلك العالمية. ومن بين الشيوخ الذين أجازوه نذكر الشيخ ماء العينين الذي أجازه إجازة عامة.

انكب صاحب الترجمة في بداية حياته على ميدان الأدب والشعر فألف رسالة عن رحلة السلطان مولاي الحسن للديار الصحراوية سنة 1311 / 1893 ضمنها وصفا لهذه الرحلة ذاكرا مقاصد السلطان منها، وما كان يقوم به في كل قبيلة حل بها من إصلاح وعدل. فنالت هذه الرسالة استحسانا وقبولا كبيرا لدى السلطان الذي وجه ظهيرا سلطانيا لجده علال الفاسي يذكر له فيه توصله بمؤلف حفيده ويثني عليه الثناء الجميل.

تقلد عبد الله الفاسي عدة مناصب، ففي سنة 1312 / 1894 أنابه جده عنه في العيدية بعدما خطب بالحضرة السلطانية بالمسجد الأعظم بفاس. فكان لخطبته دوي كبير فصار من وقتها ينوب عن جده في سائر خطب الجمعة والعيدين إلى أن توفي الجد سنة 1314 / 1896 فاستقل بالخطبة وقام بجميع الخطط الدينية التي كانت بيد جده. وفي نفس الوقت عين عدلا بأحباس فاس الجديد ثم نقل بالصفة نفسها لأحباس القرويين. وفي عهد السلطان المولى عبد الحفيظ، تولى عبد الله الفاسي خطة الكتابة المولوية ثم نائبا عن السلطان في الأمور الخارجية، ثم عين في رتبة النائب السلطاني بثغر طنجة مع خطة المندوبية بالبنك المخزني، وفي سنة 1327 / 1909 عين سفيرا بباريس في سفارة كان على رأسها وزير المالية آنذاك محمد المقري، بعدها تولى خطة القضاء بفاس الإدريسية بمقصورة جامع الرصيف عام 1328 / 1910 ألف خلالها رسالة في موضوع القضاء الإسلامي وما له من المكانة في الإسلام، منتقدا حالة القضاة المغاربة حينئذ من قلة علم وعجز عن حل المسائل العويصة. وآخر مهامه الإدارية، تولي منصب الوزارة مع خليفة السلطان المولى يوسف بفاس، وهو المنصب الذي بقي يزاوله إلى أن وافاه القدر المحتوم.

ألف عبد الله الفاسي عدة تآليف نذكر منها : المسلك البهي الحسن ؛ الشمات العنبرية...

توفي عبد الله الفاسي صبيحة يوم الثلاثاء 27 ذي الحجة متم عام 1348 / 26 مايو 1930، ودفن داخل روضة جده الشيخ أبي المحاسن الفاسي بالقباب.

م. بن عبد الكبير الكتاني، *زهر الآس في بيوتات أهل فاس*، تح. علي الكتاني، 2 : 84 ؛ *موسوعة أعلام المغرب*، 8 : 2993 - 2994 ؛ م. بن العباس القباج، *الأدب العربي في المغرب الأقصى*، 1 : 31 - 41 ؛ م. النميشي، *تاريخ الشعر والشعراء*، 1 : 101 ؛ إ. بلماحي الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، 266 - 267 ؛ *حياة الوزير*، مخطوط لابن صاحب الترجمة محمد العابد.

الفاسي، عبد الواحد بن عبد السلام بن علال الفاسي الفهري من آل الجد. الفقيه العلامة المشارك المفتي

المحقق، ولد بفاس سنة 1294 / 1877، وأخذ العلم عن شقيقه عبد الله الفاسي (سبقت ترجمته) وعن مجموعة من علماء فاس فأجازوه إجازة عامة.

كان صاحب الترجمة خطيبا بليغا ينوب عن أخيه عبد الله في الخطابة المولوية، كما كان يتعاطى للفتوى ويتعين لفصل الدعاوى من قبل الشرع. تولى العضوية بالمجلس العلمي بفاس مدة، ثم التحق بسلك القضاء بأحواز الدارالبيضاء، لكنه عزل من منصبه بسبب النشاط السياسي لنجله الزعيم علال الفاسي، فرجع إلى فاس ولزم داره إلى أن توفي وذلك يوم الاثنين 5 رجب 1361 / يوليوز 1942، ودفن بروضتهم بالقباب خارج باب الفتوح ولم يحضر جنازته ولده الوحيد علال حيث كان حينها في المنفى.

موسوعة أعلام المغرب، 9 : 3165 ؛ م. بن عبد الكبير الكتاني، *زهر الآس*، 2 : 85.

لطيفة الگنـدوز

الفاسي، عبد الواحد بن محمد بن أحمد. ولد بفاس سنة 1172 ، وبها نشأ في حجر أبيه، وقرأ القرآن، وحفظ المتون، واجتهد في تحصيل الفنون، فأخذ عن جماعة من الشيوخ بقريحة نافذة وهمة عالية.

درس أعواما دروسا مباركة يشهدها جمع حافل من طلبة العلم في العربية والفقه والحديث. وكان فصيح العبارة مليح الهيأة والشارة.

كان يحاضر في الأدب، وينظم الشعر، وينثر الرسائل والخطب. وهو أول من خطب بجامع الرصيف الذي شيد بنيانه السلطان المولى سليمان.

له تآليف، منها : ارتقاء الرتب العلية في ذكر الأنساب الصقلية.

توفي بالطاعون في أواخر ذي القعدة عام 1213.

المولى سليمان، *عناية أولي المجد* ؛ محمد بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس*.

المصطفى البوعناني

الفاسي، عبد الوهاب بن العربي بن يوسف، ولد بفاس يوم 13 ذي القعدة عام 1009 ، وبها نشأ وتعلم. كانت له اليد الطولى في الأدب وغيره من فقه وحديث وتفسير وحساب وفرائض وتوقيت وهندسة وهيئة وجدول ومساحة.

اشتغل بالتدريس، له أشعار كثيرة ومقطعات وتآليف في أغراض مهمة. ومن عجائب إبداعه أن جعل علم العروض كله مرسوما في جدول شرح به الخزرجية، واستخرج، أيضا، جدولا في المنطق كان لا يستغني عنه أحد من أهل عصره.

ولي نظارة أحباس القرويين نحوا من عشر سنين، ثم تخلى عنها صونا لمروءته، وولي القضاء بتطوان مدة، ثم رجع إلى فاس، وناب عن خطيب القرويين بها.

توفي يوم 5 محرم سنة 1078.

م. الفاسي، *المورد الهني* ؛ م. الإفراني، *الصفوة* ؛ م. القادري، *نشر المثاني* ؛ *إلتقاط الدرر* ؛ المولى سليمان، *عناية أولي المجد* ؛ ع. الرحمان الفاسي، *أزهار البستان*.

الفاسي، علال بن **عبد الله** بن المجذوب الفهري، الفقيه الخطيب، الصارف لاقتناء الكتب وتقييد الفوائد، الساعي في تحصيل الضبط والدراية.

كانت له وجاهة عند الملوك والأمراء، وتعظيم كبير في قلوب العموم والكبراء. وكان كذلك في جملة الأعيان الخمسة عشر الذين توجهوا من فاس إلى مراكش ببيعة المول الحسن.

تولى الخطابة بأمير المؤمنين المولى عبد الرحمان، ثم بابنه المولى محمد، ثم بابنه المولى الحسن، وأجازه.

كان ينتمي إلى الطريقة التيجانية إلا أنه كان شديد الإنكار على بدعهم المختلفة.

إدريس الفضيلي، *الدرر البهية* ؛ أحمد بن الحاج، *الدر المنتخب* ؛ العباس بن إبراهيم، *الإعلام*.

المصطفى البوعناني

الفاسي، علال بن **عبد الواحد** (الشخصية الوطنية)، من أقطاب الحركة الوطنية المغربية، وأبرز زعمائها في القرن العشرين، فبالإضافة إلى زعامته السياسية التي اشتهر بها، يعدّ عالما فذاً، وأديباً منتجاً، وشاعراً فحلاً ذواقاً، ومفكراً عملاقاً، ومنظراً كبيراً، فهو شخصية متعددة الأطراف، متنوعة المواهب، كثيرة الطموح، له مشاركة في كثير من المجالات.

نسبه هو محمد علال بن عبد الواحد بن عبد السلام بن علال بن عبد الله الفاسي الفهري من آل الجد، ينتهي نسبه إلى أبي المحاسن الفاسي بن محمد بن يوسف بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن الجد الفهري. كان أجداده يقيمون في الأندلس بمدينة إشبيلية ومنها انتقلوا إلى مدينة مالقة، وكان أول أجداده الذين انتقلوا من عدوة الأندلس إلى عدوة المغرب، هو عبد الرحمن، وذلك في حدود عام 880.

ولد علال الفاسي في مدينة فاس ونشأ وترعرع في بيت يتوارث فيه العلم أباً عن جد، والتحق بالقرويين، وتدرج في المستويات الدراسية، وكان وحيد أقرانه في الفطنة والذكاء وقوة الحافظة، وسرعة البديهة، والتفوق في مختلف العلوم الشرعية، واللغوية، والأدبية، حيث بزّ أقرانه وتفوق عليهم، حتى علا كعبه في مضمار العلم وهو لا يزال بعدُ في مَيْعة الشباب، وتصدى لإلقاء الدروس في القرويين، فاجتمعت حوله الجموع، ولفت الأنظار إلى مواهبه وملكاته، وما رزق من قدرة فائقة على التبليغ، فكان هذا أول الطريق إلى البروز، واكتساب الزعامة، عن طريق دروسه التبليغية في القرويين، التي كانت نمطاً فريداً لفتت الانتباه إليه من جميع طبقات الشعب.

انخرط علال الفاسي في العمل الوطني منذ شبابه اليافع، فكان من مؤسسي الخلية الأولى في فاس في حدود عام 1927 والتي جمعت طليعة من الشباب الوطني، الذين كان أغلبهم من طلبة القرويين، والتي اتجهت منذ الفترة الأولى إلى تحديد الفكر، والتفتح على العصر، والاهتمام بالقضايا العامة لبلادها. وبعد أحداث ما يعرف في تاريخ المغرب بـ "الظهير البربري" التي انطلقت في عام 1930، اتجه مع زمرة من إخوانه، إلى توضيح معالم الطريق في العمل الوطني، فكانت كتلة العمل الوطني، التي كان من أبرز أفرادها، وأقوى دعاتها، وكان تحضير مطالب الشعب المغربي، التي شملت أهم ما تتطلبه الحياة المغربية من إصلاح في مختلف المجالات. ومع تبلور الفكرة الوطنية وتصاعد الأخطار التي كانت تهدد مقدسات الوطن، ولدى انتشار الوعي الوطني في مختلف الطبقات، كان تأسيس "الحزب الوطني" في عام 1937 للمطالبة بالإصلاحات المستعجلة، وفي طليعتها الحريات العامة. وكان علال الفاسي قائداً لهذه المبادرات السياسية جميعاً، وزعيماً للحزب الوطني، انزعجت من قوته سلطات الاستعمار، ووقفت الحماية له ولإخوانه بالمرصاد، وشنت عليهم حملة عاصفة من القمع، نتج عنها حلّ الحزب الوطني، ونفي علال الفاسي إلى الغابون في مجاهل إفريقيا في أكتوبر عام 1937، كما نفي الزعيم محمد بن الحسن الوزاني، رئيس الحركة القومية إلى إحدى القرى بالصحراء، ثم إلى قرية إيتزر، وزجّ بقادة الحزب، وقواعده في غياهب السجون.

قضى علال الفاسي في المنفى تسع سنوات، منقطعاً عن العالم، في قرية نائية معزولة من قرى الغابون، وظل السنة الأولى من منفاه محروماً نهائياً حتى من القراءة، إلى أن سمحت فرنسا لوالده المرحوم العلامة عبد الواحد الفاسي بإرسال بعض الكتب إليه، حيث وصله منه ثلاثة كتب هي : *القرآن الكريم*، و *الأحكام الصغرى* للقاضي بن العربي المعافري، و *ديوان ابن هانئ الأندلسي*، ثم انقطعت عنه الكتب لمدة سنة كاملة، إلى أن وصله من والده كتابان، هما *يتيمة الدهر*، للثعالبي، و *الكامل للمبرّد*، فاعتكف على هذه الكتب طوال فترة نفيه اعتكاف الظامئ إلى العلم، فكتب شرحاً لديوان ابن هانئ (منشور)، وحواشي على الأحكام الصغرى لابن العربي (منشور) اعتماداً على محفوظه العلمي الغزير، فكان آية في الاستحضار.

عاد علال الفاسي من منفاه إلى المغرب في صيف عام 1946، ولم يمكث به إلاّ قليلاً، ليبدأ رحلة طويلة إلى خارج المغرب للدعاية للقضية الوطنية بدأت في شهر ماي عام 1947، زار في أولها فرنسا لفترة قصيرة، ثم قصد مصر حيث أقام بها في المرحلة الأولى، سنتين، لم تهدأ خلالهما الحركة التي قام بها في العاصمة المصرية للدفاع عن القضية المغربية، وفضح المؤامرة الاستعمارية على المغرب. وتعرف إلى أقطاب الحركة الوطنية والمثقفين في مصر، الذين اكتشفوا فيه المناضل الصلب، والعالم الموهوب، والمثقف المشارك، والداعية الإسلامية البارز.

وفي تلك المرحلة، كتب علال الفاسي كتابه "*الحركات الاستقلالية في المغرب العربي*" بطلب من الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية، وألقى المحاضرات في معهد الدراسات العربية العليا، التابع لجامعة الدولة العربية، جمعها في أربعة كتب هي : "*المغرب العربي منذ الحرب العالمية الأولى*"، و" *حماية إسبانيا في مراكش من الوجهة التاريخية والقانونية*"، و"*الحماية في مراكش*"، و"*السياسة البربرية في مراكش : عناصرها ومظاهر تطبيقها*". وانتهت هذه المرحلة في عام 1949، حيث عاد إلى المغرب، وأقام في مدينة طنجة، التي كانت عهدئذ خاضعة للإدارة الدولية. وتميزت إقامته بطنجة التي استغرقت سنتين، بتأليف كتابه المذهبي، الذي لم يسبق إليه غيره من القادة الوطنيين، والذي يشرح فيه مشروعه الفكري، والأهداف التي يقصد إليها، لتوجيه المجتمع المغربي، ليسير في الطريق التي تنهض به في مجال التجديد والتحديث، مع المحافظة على الأصالة التي تربط حاضره بماضيه، وهذا الكتاب هو "*النقد الذاتي*" الذي تعددت طبعاته وترجماته إلى لغات كثيرة. وكان في الأصل فصولاً نشرها تباعاً في جريدة "*رسالة المغرب*" التي كانت تصدر من الرباط.

وفي المرحلة الثانية من زيارته للقاهرة، والتي امتدت أربع سنوات، (1951 . 1955)، قام علال الفاسي بعمل فكري وسياسي واسع النطاق، عميق التأثير، دفاعاً عن القضية المغربية التي كانت قد دخلت في تلك الفترة منعطفاً خطيراً، خصوصاً بعد سنة 1953، حيث نفت سلطات الحماية جلالة الملك محمد الخامس، رحمه الله، والأسرة الملكية إلى خارج الوطن، وأدرك في الدقائق الأولى، الأخطار التي تهدد المغرب بإبعاد ملكه الشرعي، فبادر بتوجيه "نداء القاهرة" من إذاعة صوت العرب، ودعا فيه الشعب المغربي ليقوم بواجبه في النضال السياسي والفدائي ضد قرار النفي والإبعاد. وتُعدُّ هذه الفترة الحرجة من حياة علال الفاسي، من أخصب مراحل حياته الفكرية والسياسية والنضالية، فقد

طاف خلالها بعدة دول عربية وآسيوية وغربية، إذ زار الولايات المتحدة الأمريكية، وبعض دول أمريكا اللاتينية، لفضح السياسة الاستعمارية في المغرب، وحضر المؤتمر التأسيسي لمجموعة عدم الانحياز الذي عقد في عام 1955 في مدينة باندونغ بأندونيسيا، وكان له موقف نضالي مشهود، في أوساط هذا المؤتمر، ندّد فيه بالدولة التي فرضت حمايتها على المغرب، وفضح سياستها الاستعمارية، وطالب قادة الدول الآسيوية والإفريقية المجتمعين في المؤتمر بمساندة المغرب في كفاحه من أجل الاستقلال.

وانتهت هذه المرحلة النضالية من حياة علال الفاسي بالعودة إلى المغرب في عام 1955 ، واختار أن يُقيم في طنجة، يتابع تطور الأحداث الوطنية من هناك، إلى أن عاد في عام 1958 إلى الرباط ليواصل نضاله الوطني في إطار حزب الاستقلال، داعياً بكل قوة إلى الحفاظ على وحدة الكفاح الوطني.

وتعدّدت مجالات العمل الذي قام به علال الفاسي في حياته، لموسوعية معارفه، وتنوّع مواهبه، فقد كان شاعراً فحلاً له ديوان شعر مطبوع في ثلاثة أجزاء، وكان عالماً عميق التفكير متبحراً في أصول الفقه مقتفياً آثار الشاطبي ومن في طبقته، ويعبّر عن ذلك كتابه "*مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها* " الذي طبع عدة مرات، وكان مفكراً سياسياً واسع الأفق، منفتحا على أفكار عصره، ومذاهبه، وإيديولوجياته، استنبط نظرية سياسية تقوم على مبدإ العدل والعدالة الاجتماعية نَحَت لها مصطلح "التعادلية"، ويتجلى ذلك في كتابه *النقد الذاتي*، وكان مفكراً إسلامياً مستنيراً، ويتضح فكره الإسلامي بصورة عامة في كتبه : "*دفاع عن الشريعة*"، و"*مهمة علماء الإسلام*"، و"*مدخل في النظرية العامة لدراسة الفقه الإسلامي ومقارنته بالفقه الأجنبي*"، إضافة إلى العديد من دراساته ومحاضراته ومقالاته التي نشر بعضها في كتب ورسائل مستقلة، و"*الغرة في أصول الفقه* ". وكان زعيماً سياسياً قائداً لمعارك وطنية دافع فيها عن المغرب ومقدساته، ويتجلى ذلك بالخصوص في طائفة من مؤلفاته السياسية، منها "*منهج الاستقلالية*"، و"*معركة اليوم والغد*"، و"*دائماً مع الشعب*"، و"*عقيدة وجهاد*"، و"*دفاعاً عن وحدة البلاد*".

ويعدّ علال الفاسي في الطليعة من أبرز مفكري المغرب وعلمائه ومنظّريه في القرن العشرين، خلف ثروة فكرية، ومدرسة سياسية، ورصيداً من المؤلفات التي تنيف على خمسين كتاباً في مختلف فروع الثقافة العربية الإسلامية، والدراسات السياسية، والفقهية، والقانونية، والأدبية، واللغوية والتاريخية بالإضافة إلى ديوانه الشعري الواقع في ثلاثة أجزاء وجميع هذه المؤلفات قد نشرت في المغرب، وفي بعض البلاد العربية، ما عدا القليل من البحوث والدراسات والمحاضرات، وطائفة من المقالات، التي لا تزال مبثوثة في بطون الصحف والدوريات.

ولم يكن علال الفاسي زعيماً وطنياً سياسياً فحسب، ولكنه بالإضافة إلى ذلك، كان يشعر بمسؤولياته المتعددة في مختلف المجالات الإنسانية، والثقافية، والعلمية والأدبية، والشعرية والدينية، وفي كل هذه المجالات صال وجال، وكتب وحاضر، وخطب وناظر.

يقول علال الفاسي عن شعوره بمسؤوليته الإنسانية : "إننا نؤمن أننا على ثغرة من ثغور الجهاد الإنساني". لم تكن أفكاره السياسية أفكاراً مبهمة، وإنما كانت له نظرات وتوجّهات واضحة تتجلى في كثير مما كتب وحرر من خطب في كثير من المناسبات وبالأخص في كتابه "*معركة اليوم والغد* ". آمن بالإسلام، وأنه القادر على إنقاذ المسلمين من سيطرة الرأسمالية وروحها المادية الملحدة، وآمن بالقومية المغربية وأنها الحصن الحصين لرفض الاندماج. وفي المجال الفقهي وأصوله، جلّى التجلية العلمية الاجتهادية التي جعلته في صفوف المجتهدين الأصلاء أمثال الشاطبي والقرافي وغيرهما من الفقهاء الحقيقيين. وكتابه "*مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها* "، يعدّ من أهم المصادر الحديثة في التشريع الإسلامي ومقاصده، والذي بذل فيه كل جهده خلال أربعة أعوام، بحث خلالها كثيراً من المصادر الإسلامية، والكتب العلمية الصحيحة، مجتهداً كل الاجتهاد في تفهم آراء المسلمين والتوفيق بينها، وتوضيح مواطن الضعف في كتابات المعاصرين منهم.

أما في المجال الأدبي والشعري فقد لفت إليه الأنظار، مما جعل المرحوم محمد بن العباس القباج يقول عنه سنة 1929 في كتابه "*الأدب العربي في المغرب الأقصى*"، وهو لا يزال إذ ذاك شاباً يافعاً لم يتجاوز العشرين من عمره : "تفتحت قريحته، وترقّت مداركه، وبلغ مرتبة الشفوف بين الشعراء الشباب".

وتراث علال الفكري في السياسة والعلم والفكر والأدب والشعر تراث لا نظير له لدى الزعماء وغيرهم. فقد كان مشغول الفكر بمستقبل بلاده، وكيف ينبغي أن يبنى هذا المستقبل، وما هي أحسن السبل للوصول إلى تطويرها والنهوض بها في مختلف ميادين الحياة. وكان يتتبع تطورات الأمم الناهضة قبلنا والطرق التي سارت فيها، والمناهج التي اتبعتها، لتسير في النهج المستقيم، الذي يحقق الأهداف التي تقصد إليها، حتى يستطيع أن يبلور أفكاراً ومبادئ وتوجهات. تحقق ما يود أن تسير عليها بلاده، وقد تتبع كما قال في تصديره لكتابه "*النقد الذاتي*" دراسة "عشرات المؤلفات العربية والمعربة والفرنسية والمنقولة إلى اللغة الفرنسية من لغات أوروبا الشرقية والغربية وأمريكا وآسيا، ودرس وجهات النظر المتباينة، وقارن بينها بقدر الاستطاعة، ثم عرضها على تجاربه في الكفاح، وتقلباته بين الكادحين في أقطار عديدة، طيلة خمسة وعشرين عاماً، وحاول أن يستخلص من كل ذلك التوجيهات التي وضعها بين يدي إخوانه، لينظروا فيها ويستفيدوا منها

داعياً إلى تكوين النظرية، ووضع البرنامج المفصل، الذي يسهل تحقيق الإصلاحات العميقة، التي تنشدها أمته في مختلف فروع الحياة".

كان علال الفاسي مفكراً ذا رؤية إنسانية عميقة، يقول عن شعوره بمسؤولياته الإنسانية : "إننا نؤمن أننا على ثغرة من ثغور الجهاد الإنساني، في سبيل الحق والحرية، ومسؤوليتنا في تحرير هذا الثغر، ودفع تلك الآفات عنه، تضاهي مسؤولية من يقود المعركة في واجهة لا يبرئه نجاحه فيها من مسؤوليته المشتركة في خط القتال بأجمعه. لذلك لن نحاول أبداً أن نقاوم أمراضنا بما يعرقل سير الإنسانية، أو يقف في سبيل التفاهم بين الشعوب، وإقرار سلام دائم بينها. كنا دائماً جزءاً من الإنسانية، نعيش في وسطها، ونتفاعل معها، غير أننا مازلنا نملك خميرة نافعة من إيماننا بالله وبتعاليم الإسلام، وهي التي سهلت لنا قبول أبعد النظريات الثورية، لصالح الوحدة الكونية، ومهدت لنا سبيل الخلاص، إذا نحن أردناه، لأن الإسلام في ذاته إصلاح ثوري، لديانات كتابية، وتجميع حضاري لأحسن ما في الحضارات السابقة، ودعوة خالصة للتوحيد في جميع مظاهره، ونداء للناس ليدخلوا كافة في سلام أبدي".

توفي علال الفاسي يوم 13 ماي عام 1974، في اللحظة التي كان يجري فيها لقاء مع رئيس جمهورية رومانيا في مكتبه، حيث فاضت روحه إلى بارئها إثر جلطة في القلب، بينما كان يتحدث عن القضية الفلسطينية وقضية الصحراء المغربية.

أبو بكر القادري

الفاسي، علال بن عبد الواحد (الشخصية التاريخية) بن عبد السلام الفهري، ينحدر من أسرة بني الجد الفهرية. ازداد بمدينة فاس سنة 1326 / 1908.

- بدأ تعليمه في الكتاب ثم في المدرسة العربية الحرة، ثم انتقل للدراسة في القرويين.

تميّز منذ أيام الطلب بحضور قوي في كل المناسبات، فقد كان ضمن مجموعة طلبة القرويين الذين طالبوا بتحديث هذه المؤسسة وتنظيم الدراسة فيها مع المحافظة على جوهر التعليم الأصيل ودفع الرواتب للأساتذة الذين كانوا يعيشون على منح الأوقاف والمحسنين، ومنح شواهد للمتخرجين.

دخل علال الفاسي خضم العمل السياسي فشارك في كل الاحتجاجات والتظاهرات ضد الوجود الفرنسي مما جعله يسجن عدة مرات، كان أبرزها بمناسبة الاحتجاج على صدور الظهير البربري في 16 ماي 1930 فسجن مع رفاقه ونفي إلى مدينة تازة مدة أربعة أشهر.

كان أعضاء الحركة الوطنية في فاس والرباط وتطوان وطنجة ينسقون العمل بينهم، ففي سنة 1933 ألقى علال الفاسي خطابا ملتهبا ضد الاحتلال الفرنسي والاسباني، ولكي لا يتعرض للاعتقال على يد سلطات الاستعمار في المغرب، سافر إلى إسبانيا عن طريق سبتة ومنها إلى فرنسا وساهم في إصدار مجلة *"Maghreb" "المغرب"* التي كان يصدرها في باريس بعض الفرنسيين الأحرار للدفاع عن حقوق الدول المستعمَرة. ثم سافر إلى جنيف حيث كان له لقاء مع الداعية العربي شكيب أرسلان. ثم عاد لمواصلة النضال في المغرب.

فقد عمل مديرا للمدرسة الناصرية التي أسسها الفقيه غازي. ثم كان أستاذا بالقرويين.

وكان من المؤسسين لـ "كتلة العمل الوطني" التي بدأت تنظم العمل السياسي بالمغرب، فساهم في تحضير دفتر "المطالب" وكان من أعضاء الوفد الذي قدمه سنة 1934 لمحمد بن يوسف والإدارة الفرنسية.

- وكان عمله في الكتلة يدفعه للنضال في كل الواجهات الشعبية والعمالية والثقافية والعلمية والسياسية، فكان خلال إلقاء دروسه بالقرويين يثير حماس الطلبة الحاضرين وينشر الأفكار ويهاجم الاستعمار وأذنابه ويطالب الجماهير بالعمل على تحرير البلاد، كما أن مقالاته في جريدة *"الأطلس"* كانت تلهب حماس القراء. فكان بذلك هدفا للاحقة الشرطة والاعتقال عدة مرات.

فقد ترأس سنة 1936 في مدينة الرباط أول مؤتمر للكتلة الوطنية، حيث صدر بيان "المطالب المستعجلة". وبدأ زعماء الكتلة يقومون بمهرجانات خطابية للتعريف بهذه المطالب في المدن المغربية الكبرى مما أدى إلى اعتقال جلهم بما فيهم علال الفاسي ثم أفرج عنهم بعد شهر.

ولما جرت حوادث "بوفكران" بمكناس سنة 1937 وقامت الحركات الوطنية بالاحتجاج، فإن المقيم العام "نوكيس" وقف "كتلة العمل الوطني". فقام الزعماء الوطنيون بتأسيس "الحزب الوطني لتحقيق المطالب" في 22 يوليوز 1937 في المقر السابق للكتلة.

وكان علال الفاسي من بين القادة الذين اجتمعوا في الرباط وأصدروا بتاريخ 7 شعبان 1356 الموافق لـ 13 أكتوبر 1937 ميثاقا وطنيا طالبوا فيه بحرية الصحافة وتأسيس الجمعيات واستنكروا فيه الممارسات الاستعمارية. وسلم الميثاق للإقامة العامة. فكان جوابها اعتقال كل الزعماء الوطنيين وعلى رأسهم علال الفاسي. وفي 25 أكتوبر نفي الجميع إلى ميدلت ومنها إلى قصر السوق. أما علال الفاسي الذي كانت الإقامة العامة تعتبره أخطر العناصر الوطنية، فقد نقل في 3 نونبر 1937 بطائرة خاصة إلى "الغابون" حيث قضى أربع سنوات في قرية صغيرة تسمى Mouila "مويلا" بجنوب الغابون. ثم نقل بعدها إلى برازافيل بالكونغو. وقد جرت أثناء الحرب العالمية الثانية اتصالات بينه وبين الجنرال دوگول بصفته زعيم التحرير الفرنسي، وعرض عليه تعاون المغرب مع فرنسا إن هي قبلت بمنح المغرب استقلاله.لكن الفرنسيين لم يكترثوا لعرضه.

وأفرج عنه سنة 1946 بعد تعيين "إيريك لبون Eirik

Labonne" مقيما عاما بالمغرب، فعاد إلى المغرب واستقبله السلطان محمد بن يوسف. ثم سافر إلى فرنسا ومنها إلي القاهرة حيث عمل بنشاط في "مكتب المغرب العربي"متحدثا باسم "حزب الاستقلال"، وقد اتخذ مصر مقرا رسميا له وكان على اتصال دائم بزعيم المقاومة المغربية محمد بن عبد الكريم الخطابي. وكان يتنقل بين العديد من الدول من أجل إبلاغ صوت الحركة الوطنية إلى كل المؤسسات التحررية.

وبعد نفي السلطان محمد بن يوسف في 20 غشت 1953 وجه علال الفاسي نداءه الشهير من إذاعة القاهرة يدعو فيه المغاربة لإشهار السلاح في وجه المستعمر. فإنه كان مقتنعا بضرورة المقاومة المسلحة إلى جانب الحوار والعمل السياسي. وقد ساهم في إنشاء ما عرف بجيش التحرير المغربي في منطقة الريف وكان أول من أعلن من إذاعة القاهرة البلاغ الأول لهذا الجيش في 4 أكتوبر 1955. وكان رافضا لما سماه تنازلات القوى الوطنية في"إيكس ليبان" وكذا لتوقيع محمد بن يوسف مع الحكومة الفرنسية لاتفاق "لاسيل سان كلو" في نونبر 1955. إلى أن اتصل به أعضاء اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال في مدريد لتوضيح ما جرى.

وإنه عاد إلى طنجة بعد عودة محمد الخامس إلى العرش في 16 نونبر 1955. ولم يدخل الرباط إلا بعد أن وقعت اتفاقية الاستقلال في 2 مارس 1956. ولم يوافق على إيقاف عمليات جيش التحرير إلا على مضض، وأمر بنقل الكفاح إلى الجنوب لتحرير الصحراء وموريتانيا، التي ظل يطالب بها، فهو صاحب القول بأن المغرب يمتد من البحر المتوسط إلى نهر السنيغال في الجنوب. وقد أصدر مجلة أسبوعية بعنوان "*صحراء المغرب*" كانت منبرا لكل الصحراويين المغاربة.

وظل حاضرا في كل المناسبات والتظاهرات رغم عدم تقلده لأي منصب وزاري في الحكومات الأولى لعهد الاستقلال. فكان يكتب يوميا في جريدة العلم عمودا في الصفحة الأولى تحت عنوان "رأي مواطن" ويوم كلفه محمد الخامس بتشكيل الحكومة في ماي 1958 فإن المشروع ظل حبرا على ورق لأسباب غير معروفة.

وبعد تعرض حزب الاستقلال للانشقاق في 25 يناير 1959 استطاع بحزمه وحنكته وقوته الوقوف في وجه المنشقين، وحفظ للحزب كيانه.

ولذلك عين في المؤتمر الأول للحزب بعد الانفصال في 1960 رئيسا له بعد إبعاد أحمد بلفريج الذي كان هو الأمين العام.

تقلد وزارة الشؤون الإسلامية في الحكومة السادسة سنة 1962.

- شارك في إعداد أول دستور للمغرب ووافق على التصويت لصالحه.
- انتخب في فاس في أول برلمان للمغرب في نفس السنة.
- قدم استقالته من الحكومة مع أعضاء من حزبه للحسن الثاني ودخل معترك المعارضة "المعتدلة"

وإنه كان في سنة 1970 من المؤسسين "للكتلة" التي جمعت المعارضة المغربية مع عبد الرحيم بوعبيد باسم الاتحاد الوطني للقوات الشعبية وعلي يعتة باسم الحزب المغربي الشيوعي. قاطع انتخابات 1970. وصوّت بلا على دستور 1972.

وقد وافاه الأجل المحتوم إثر سكتة قلبية في "بوخارست" برومانيا سنة 1974 ونقل جثمانه حيث ووري في مقبرة الشهداء بالرباط.

من مؤلفاته : *الحركات الاستقلالية في شمال إفريقيا والنقد الذاتي ودفاعا عن الشريعة ومقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها ونداء القاهرة ورأي مواطن* وغيرها من المؤلفات.

أفكاره :

كان علال الفاسي عالما ملما بأمور الدين والشريعة الإسلامية وكان من دعاة "السلفية" التي أخذ آراءها عن جمال الدين الأفغاني وبعض أساتذته كالعالم أبي شعيب الدكالي والشيخ بلعربي العلوي.

كان أديبا وشاعرا رقيقا وسياسيا محنكا، وإذا حاولنا تتبع أفكاره السياسية، نجد أنها تميزت بثلاث مراحل أساسية هي : "الألوكة" التي طرحها في مؤتمر الحزب سنة 1960 و"الاستقلالية" في مؤتمر يناير 1962، و"التعادلية" بعد الخروج إلى معترك المعارضة سنة 1963 ويمكن تلخيص هذه الأفكار فيما يلي :

تقوم الاستقلالية على دعامتين أساسيتين : الدين هو التوحيد وهو المحافظة على الإسلام ومبادئه وهو التطور والأخذ بالنظريات الحديثة إذا كانت لا تتعارض مع الإسلام بل تساعد على تطوره.

والقانون هو الدولة بمعنى أنه لا بد من التكامل بين الدين والدولة. يقول علال الفاسي : "ولتحقيق هذين المظهرين يجب استمرار الكفاح في إطار سلفية تجدد التوحيد واستقلالية تجدد القانون والنظام وهما دعامة كل حكومة".

والدولة في نظر الاستقلالية هي دولة القانون التي تتوفر على دستور يضمن الديمقراطية للجميع وإشراك المواطنين في حكم أنفسهم ومراقبة سير أمور بلادهم.

ودولة القانون هي الدولة الإسلامية التي تقوم على قواعد الإسلام وتمتاز بالتحرر الكامل من كل مخلفات الاستعمار في الفكر والأرض والمدرسة والإدارة والاقتصاد، ولهذا يجب مواصلة الكفاح والنضال من أجل التحرر الكامل كالتحرر الاجتماعي والاقتصادي، والتحرر الاجتماعي هو مقاومة الإقطاع بكل أنواعه والمساواة أمام القانون في نيل الحقوق والقيام بالواجبات، وإقرار الملكية الخاصة "بشرط ألا تطغى حتى تحرم البعض من الأرض وتكدسها في يد الباقين".

والتحرر الاقتصادي يقوم على وجوب اشتراكية إسلامية

"تناقض الديمقراطية الفردية والرأسمالية الفردية" فهي تحترم الملكية الخاصة وتدعو لتأميم المنشئات الكبرى وتؤمن بتدخل الدولة في القطاعات الحيوية الخاصة، فهي اشتراكية تقوم على ديمقراطية الشغل للجميع "والذي لا يعمل لا يستحق الحياة إلا أن يكون عاجزا". وفرص العمل يجب أن تتاح للجميع وخيرات البلاد يجب أن يستفيد منها الجميع وهو ما يسمى بالعدالة الاجتماعية.

كل هذه القوانين يجب على الدولة أن تقوم بنشرها بين الجماهير ليعرفوا حقوقهم وواجباتهم ويدافعوا عنها متى تعرضت للانتهاك.

كما أن الاستقلالية ليست مذهبا منعزلا بل مذهبا متفتحا ومتطورا، متفتحا على الدول الشقيقة والصديقة، وعلى العروبة والقومية العربية التي تقوم على نفس مبادئ الإسلام دون علمانية، وعلى احترام قانون الآخر.

ولتحقيق هذه الأهداف والوسائل لابد من أربعة شروط هي : 1 ـ التعادلية الاقتصادية 2 ـ الاستقلال الاقتصادي 3 ـ بناء المغرب العربي 4 ـ التعاون الدولي.

ولكي تستطيع الدولة تحقيق ذلك، يجب عليها اتخاذ عدة تدابير، منها تكوين الأطر اللازمة في كل المستويات، وفي جميع الميادين وتطبيق الإصلاح الفلاحي ومساعدة الدولة للفلاحين في ميدان التجهيز والقرض، وزيادة الاهتمام بالتصنيع العمومي والخاص، وتأميم ثروات باطن الأرض وخلق تعاون صناعي بين الدول المتخلفة فيما بينها، وتبسيط الطرق التجارية ومراقبة أسعار البضائع، وحماية السوق الداخلية من المنافسة الخارجية، والاقتصاد في الواردات باستثناء المواد الضرورية، ثم تعبئة الأمة وتشغيلها وفرض الخدمة المدنية وتشجيع التوفير، وإحداث اللامركزية، وتوزيع المشاريع الاقتصادية على الأقاليم، بطريقة ديمقراطية.

عبد الكريم غلاب، *الماهدون الخالدون*، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1991، ص. 303 ؛ *تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب*، ج. الأول والثاني، مطبعة الرسالة، الرباط، 1987، ص. 931 ؛ *الفكر التقدمي في الإيديولوجية التعادلية*، مطبعة الرسالة، الرباط، 1979 ؛ أبوبكر القادري. *رجال عرفتهم* ؛ *الألوكة، الخطوط الرئيسة لبرنامج حزب الاستقلال*، قسم التوجيه والنشر، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1959 ؛ *المجلس الوطني لإطارات حزب الاستقلال*، اجتماع فاس 29 نونبر 1959 ، لجنة النشر والدعاية، المطبعة الاقتصادية، 1959 ؛ علال الفاسي، *الحركات الاستقلالية في المغرب العربي*، الطبعة الأولى، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1948، ص. 560 ؛ *محاضرات في المغرب العربي منذ الحرب العالمية الأولى*، معهد الدراسات العربية، جامعة الدول العربية، 1955 ؛ *النقد الذاتي*، مطبعة كريماديس، تطوان، الطبعة الثانية، بدون تاريخ، ص. 340 ؛ *نداء القاهرة* ، مطبعة الرسالة، الرباط، 1981، ص. 223 ؛ *منهج الاستقلالية* ، المكتبة الاستقلالية، 1962، ص. 154 ؛ م. ضريف، *تاريخ الفكر السياسي بالمغرب*،الطبعة الثانية، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء،1989، ص.319.

Les Africains, t. 12 , 1977, Id, I.A. p. 45 - 59 ; Delanoe (Guy), *Lyautey, Juin, Mohammed V Fin d'un protectorat*, Impri- –merie Fedala, Edition Eddif. Casablanca, 1993, 223p ; El Alami (Mohamed), *Mohammed V Histoire de l'Indépendance du Maroc*, Arrisala, Rabat, 1981, 213 p ; Julien (Charles-André), *L'Afrique du Nord en Marche*, René Julliard, Paris, 1953, 414 p. ; *Le Maroc face aux impérialismes*, 1415 - 1956, Jeune Afrique, Paris, 1978, 549p. ; July (Pierre), *Une République pour un Roi*, Fayard, 1974, 285 p. ; Lacouture (Jean et Simone), *Le Maroc à l'épreuve*, Seuils Paris, 1958, p. 171.

حفيظة بلمقدم

الفاسي، علي بن أبي المحاسن، ولد بالقصر الكبير في منتصف رمضان عام 960 / 26 غشت 1553. اعتمد على والده في التربية، وانتفع بعدد من شيوخه في الصلاح. كانت له مكانة علمية فقد رحل إلى فاس وأخذ بها عن عدد من الشيوخ منهم : ابن مجبر، والقدومي، والمنجور، والحميدي والسراج وغيرهم لكنه عرف بالميل إلى الانقباض وملازمة زاويتهم بالقصر الكبير، وكان يسهر على شؤونها بالتنسيق مع أخيه أبي العباس أحمد ويقوم بالإشراف على نشاطها الديني وعلى إقامة الأوراد والأذكار المرتبة.

توفي في 16 جمادى الأول عام 1030 / 8 أبريل 1621 ودفن بروضة تدعى روضة سيدي الخطيب، وهي المقبرة المعروفة الآن بمقبرة سبعة رجال.

م. القادري، نشر، ج. 1، 236 ؛ المولى سليمان، *عناية أولي المجد*، 25.

نفيسة الذهبي

الفاسي، عمر بن عبد الله بن عمر. ولد حوالي 1125 في فاس ونشأ بها، وقرأ القرآن. ثم أخذ في العلوم، فقرأ شيئا منها على أبيه وعلى قريبه الشيخ أبي عسرية محمد بن أحمد الفاسي، ثم توسع في الدراسة على يد عدة شيوخ أخذ عنهم العربية والكلام والأصلين والبيان والمنطق والتفسير والفقه والحديث. ثم اقتصر على شيخ الجماعة أبي العباس بن مبارك، فلزمه إلى أن صار علامة الدنيا جامعا لأدوات الاجتهاد.

كان منقبضا عن مخالطة الأمراء مباعدا عن الرؤساء والكبراء والوزراء.

توفي يوم 29 رجب عام 1188.

محمد الزيادي، *سلوك الطريق الوارية* ؛ المولى سليمان، *عناية أولي المجد* ؛ محمد بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس* ؛ *طبقات ابن عجيبة*.

الفاسي، محمد بن أحمد. ولد بفاس سنة 1121. قرأ القرآن وجوده، وأخذ في قراءة العلم على جماعة من الشيوخ حتى حصل على علم كثير وحظ من المشاركة.

كان كثير التقييد والاعتناء بكل مفيد. شرح عقيدة جد أبيه شرحا جيدا سماه تحفة الوارد والصادر في شرح العقيدة التوحيدية للجد سيدنا عبد القادر.

توفي في أواخر شعبان عام 1164، ودفن بزاوية جده.

م. القادري، *نشر المثاني* ؛ *إلتقاط الدرر* ؛ المولى سليمان، *عناية أولي المجد* ؛ محمد بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس*.

الفاسي، محمد بن أحمد بن أبي المحاسن. ولد يوم 9 محرم عام 1009. كان متضلعا في جميع العلوم، قائما بتدريس الفنون قيام محقق ضابط محرر. يستظهر تسهيل ابن مالك ومختصر ابن الحاجب الأصلي، وغير ذلك، لا يجارى في ذلك في سائر الفنون.

استوطن مكناسة الزيتون، وتقلد قضاءها مدة، فحمدت سيرته إلى أن نقله السلطان المولى الرشيد إلى فاس سنة 1077 ، وولاه الفتيا والخطابة بالقرويين، وتصدى للتدريس بفاس.

واعتنى، في آخر أمره، بالقراءات السبع. وألف عدة تآليف، منها : شرحه على مختصر خليل وشرحان على نظم المراصد لعمه العربي الفاسي، وشرحه لنظمه أيضا في المنطق، وغير ذلك.

توفي يوم 12 ربيع الأول من عام 1084.

ع. الرحمان الفاسي، *أزهار البستان* ؛ م. الفاسي، *المورد الهني* ؛ م. الإفراني، *الصفوة* ؛ م. القادري، *نشر الثاني* ؛ *إلتقاط الدرر* ؛ المولى سليمان، *عناية أولي المجد* ؛ م. بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس* ؛ العباس بن إبراهيم، *الإعلام*.

المصطفى البوعناني

الفاسي، مَحمد بن أحمد بن مَحمد بن عبد القادر من أشهر من اعتنى في فاس بالتاريخ والأنساب في عصره وكان له إلى جانب ذلك تقدم ملحوظ في الحساب، والفرائض، والتوثيق، والنوازل وبذلك كان مرجعاً لأهل فاس في القضايا العسيرة، كما كان "القاضي العربي بوخريص إذا تفاقم الأمر بين الخصوم من ذوي الفضل والمروءة يرفعهم إليه فينفصل بينهم بوجه يرضي الجميع".

عينه المولى عبد الله في خطة الإمامة والخطابة بجامع الأندلس العتيق، كما ولي الشهادة في أوقاف القرويين سنين، وقد عرف بحرصة الشديد على ضبطها وعلى حسن استغلالها في إصلاح المساجد. وفي نفس السياق حفظت سيرته الأسرية فضله في صيانة الزاوية الفاسية بالقلقليين إبان المسغبة التي شهدتها فاس في منتصف القرن (18 م) عندما مرت بمرحلة حرجة بين التداعي والتعرض للنهب، وقد لجأ من أجل ذلك إلى الاستعانة بمداخيل بيع القبور حيث كان يشتري رباعاً يوقفها عليها ويصرف من ثمنها على مصالحها.

لم ينقطع المترجم عن مهمة التدريس بل إنه اعتنى بالطلبة وبالكتب الدراسية التي اهتم بتبسيطها حيث ألف ما يناهز الثمانين مصنفاً ما بين الحواشي، والشروح، والمختصرات سجل عدد منها ضائعاً.

ولادته بفاس سنة 1118 / 1706 ووفاته بها سنة 1179 / 65 . 1766 ودفن بالزاوية.

م. القادري، *نشر*، ج 4 : 163 . 168 ؛ ن. الذهبي، *الزاوية الفاسية*، 300 . 301 ؛ المولى سليمان، *عناية أولي المجد*، ص. 58 . 59.

نفيسة الذهبي

الفاسي، محمد بن طاهر، سيبويه زمانه. ولد بالقصر الكبير ونشأ به في حجر أبيه، وقرأ القرآن وحفظه، وأخذ في حفظ المتون العلمية في أكثر الفنون على أبيه وبعض أقاربه، وغيرهم.

ارتحل إلى فاس واستوطنها، وأكثر العناية بالعلوم العربية على شيوخها في وقته حتى برع فيها وانفرد بتحقيقها، وانتهت إليه الرياسة فيها، مشاركا في غيرها.

وكان مجلسه في العربية غاصا بنجباء الوقت، كثير الحفظ والضبط، حسن العبارة والخط. ودرس الرسالة للعوام بمسجد جزاء ابن عامر في فاس.

وكان كثير المطالعة والتقييد. توفي سنة 1177.

م. القادري، *نشر الثاني* ؛ المولى سليمان، *عناية أولي المجد* ؛ م. بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس*.

الفاسي، محمد الطاهر بن عبد الكبير، من أجلة العلماء الحفاظ، وذوي المشاركة والتمكن في كثير من العلوم، موفور الحظ في الحديث والسير والتوحيد والفقه والعلوم العربية، متقدما في التاريخ والوفيات والحوادث والأخبار.

كان يعتمد في دروسه على حفظه، فيؤيد ما يلقيه من المسائل الفقهية بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

وكان خطيبا بليغا، شهيرا بمعرفة المناسبات الزمانية، والتكلم على الحوادث الوقتية، يلبس لكل حال لبوسها. بل ربما خطب ارتجالا. ولهذا، كان الناس يتسابقون إلى استماعها، ويتنافسون في كتابتها ونقلها. ولم يكن للخرافات في عقله أدنى سلطة، شديد الشكيمة في قول الحق.

حج مع والده عام 1287 ، فلقي عددا من أئمة المشرق علماء وصوفية، فأخذ عنهم.

توفي يوم 2 شوال عام 1324.

العباس بن إبراهيم، *الإعلام*.

المصطفى البوعناني

الفاسي، محمد الطيب بن مَحمد بن عبد القادر. قام مقام أبيه في تدريس التفسير والفقه، كما قام بالإمامة بالزاوية عندما لازم والده داره. وقد تأكدت مكانته العلمية وبلغ مستوى التحقيق والإفادة في علوم الحديث والأصول والتاريخ والتصوف إلى جانب ما ذكر.

كان لتكوينه العلمي دور في تألق شخصيته فقد أخذ بزاويتهم عن جده عبد القادر بن علي، وعن عمه أبي زيد عبد الرحمان وعن والده مَحمد، كما نال إجازة الشيخ أبي سالم العياشي، وكان لحضوره ومكانته الفكرية تأثير طيب جعل السلطان المولى إسماعيل يستدعيه لمرافقة ولده مولاي عبد المالك من أجل عقد الهدنة مع أتراك الجزائر في حدود عام 1103 / 1692 بعد وقعة المشارع على وادي ملوية، وقد

شارك في هذه المهمة الديبلوماسية عدد من أعيان الدولة ومن علمائها من بينهم الفقيه المؤرخ محمد ابن عبد الوهاب الوزير الغساني الأندلسي.

ذكرت للمترجم تآليف منها شرح على مقدمة جده في الأصول، وكتاب "مطمح النظر ومرسل العبر بالذكرى بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر" بلغ فيه إلى السنة الثالثة عشر، وله تقاييد وأجوبة، وما وقفنا عليه من كتبه هو فهرسة والده التي جمعها تحت عنوان "أسهل المقاصد لحلية المشايخ رفعة الأسانيد الواقعة في مرويات شيخنا الوالد.

توفي في حياة والده في 19 ربيع الثاني عام 1013 / 25 شتنبر 1701.

م. القادري، *نشر*، ج. 3، 131 ـ 133 ؛ المولى سليمان، *عناية أولي المجد*، 46 ـ 47 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، ج. 1، 318 ـ 319 ؛ ن. الذهبي، *الزاوية الفاسية*.

نفيسة الذهبي

الفاسي، محمد بن **عبد السلام** بن مَحمد. ولد بفاس وبها نشأ. كان حافظا جامعا راسخ الملكة في أكثر الفنون كالنحو والتصريف واللغة والحساب والعروض والتاريخ وأنساب العرب وأيامهم والبيان والمنطق والكلام والأصلين والفقه والحديث والتفسير وعلوم القراءات وأحكام الروايات.

واعتمد في ذلك على جماعة من العلماء النحارير يطول ذكرهم. وأخذ عنه هو الكثير، منهم : السلطان المولى سليمان.

ألف تآليف، منها شرح لامية الأفعال لابن مالك، وحاشية على شرح الجعبري لحرز الأماني، وحاشية على شرح الجرابردي لشافية ابن الحاجب التصريفية، وطبقات المقرئين، وفهرسة أشياخه، وغير ذلك من التآليف والتقاييد والأجوبة.

توفي يوم 12 رجب 1214.

المولى سليمان، *عناية أولي المجد* ؛ محمد بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس*.

المصطفى البوعناني

الفاسي، مَحمد بن عبد القادر، ولد الشيخ بفاس سنة 1042 / 1632 وبها تخرج على يد والده، ونال إجازة عم أبيه الشيخ محمد العربي كما نال إجازات استحقاق من علماء هذا الدور أمثال أحمد بن عبد الرحمان ابن جلال، وأحمد الزموري الأصغر وحمدون الأبار وعبد الرحمان ابن القاضي وعلي الزرهوني. كانت له فرصة مشرقية خلال رحلته الحجية سمع فيها وأجيز من قبل عدد من المشارقة المرموقين نذكر من بينهم الشيخ إبراهيم بن محمد الميموني والشيخ عبد السلام بن إبراهيم اللقاني وغيرهما.

تألقت شخصية الشيخ مَحمد العلمية بفضل مشاركته الحسنة في التدريس والتأليف وحل معضل القضايا، والسهر على تكوين الطلبة. وقد ألف كتبا وشروحا وأنظاما في الحديث والفقه والمنطق، وله رسالة في علم الكلام. عمت الإفادة من دروسه وكتبه وزادت من حظوته بالسمعة الطيبة وخاصة عند السلطان المولى إسماعيل الذي راسله بخصوص العديد من القضايا، وكان يقدمه ويستشيره، ويطلب منه الفتاوى، ويحيل عليه ما يتطلب الضبط والتحقيق إلى جانب صلاحيات أخرى. ويظهر هذا الجانب في سيرة الشيخ من زاوية المودة والحظوة، لكنه لم يخل من متاعب فقد عاصر الشيخ فترة حرجة من تاريخ فاس عندما طلب من علمائها الإفتاء لصالح مشروع تأسيس جيش العبيد.

عانى الشيخ مَحمد كغيره من نظرائه من جراء الوقوف مع الشرع دون إلغاء مشروعية البرنامج العسكري الإسماعيلي وكان عليه أن يخوض مخاضا للقيام بهذا الواجب دون التخلي عن مساندة السلطان الذي كان يلح عليه في الوضوح.

ومن قراءة جوابه يظهر أنه استطاع تجاوز هذا المخاض بفضل مواقف الحياد ومسايرة الرأي العام. وربما من أجل هذه الصعوبة لزم الشيخ داره سبعة أعوام حتى ظن الناس أنه مقعد.

توفي الشيخ مَحمد سنة 1116 / 1704.

م. الطيب الفاسي، *أسهل المقاصد*، خ. ع. 2843 ثالث مجموع ؛ م. الإفراني، *صفوة*، 215 ـ 217 ؛ أ. الدلائي، *مباحث الأنوار*، تح. ع. بوعصاب، الطبعة الأولى، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1999، 299 ؛ م. القادري، *نشر*، ج. 3، 151 ـ 154 ؛ مولاي سليمان، *عناية أولي المجد*، 48 ـ 50 ؛ أ. ابن الحاج، *الدر المنتخب*، ج. 7، 165 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، ج. 1، 316 ـ 318 ؛ ن. الذهبي، *الزاوية الفاسية*، 253 وما بعدها.

نفيسة الذهبي

الفاسي، محمد بن **عبد القادر** الشهير عند سكان قصبة تامنوگالت بدرعة بالفاسي. لا نعرف أي شيء عن ميلاده أو تكوينه كما نجهل تماما الظروف الذي جعلته يستوطن درعة. ويظهر من إشارة الفقيه محمد بن لحبيب التمنوگالي، أن الطالب محمد بن عبد القادر الفاسي، قد وصل إلى درعة في زمن غير معروف خلال العقود الأخيرة من القرن الثاني عشر الهجري (18 م)، فاستوطن قصبة تامنوگالت، حيث صاهر أسرة آل القائد التمنوگالي على عهد القائد عبد الله، وبعد وفاة القائد عبد الله، كاد الأمر أن يخرج من يد آل القائد، لولا تدخل محمد بن عبد القادر الفاسي، الذي استطاع أن يجمع حوله أنصار آل القائد، فتمكن من ضبط أحوال قصبة تامنوگالت ثم استقدم الطالب الحسن من مكان قراءته بناحية تازرين فنصبه قائداً على واحة مزگيطة. وهكذا يكون محمد بن عبد القادر الفاسي قد انقد قيادة آل تامنوگالت، خلال العقود الأولى من القرن (13هـ / 19م) من الانهيار.

توفي محمد بن عبد القادر الفاسي بقصبة تامنوگالت في زمن غير معروف من أواسط القرن (13 هـ / 19م). وما تزال ذريته إلى اليوم بتامنوگالت.

محمد لحبيب التمنوگالي، *العقود الجوهرية* ؛ *العلمة*، المجلد السابع.

Spillmann, Les pays inaccessibles du Haut Dra.

أحمد البوزيدي

الفاسي، محمد بن عبد الواحد، واحد من صنف العلماء الموسوعين الذين لا يتجلى تحسنهم في نوع واحد من أنواع المعرفة. فإلى جانب تضلعه في التاريخ كان شديد الإلمام بالأدب واللغة والفنون على اختلاف أنواعها، يبدع فيها كاتبا ومحاضرا ومؤلفا. كان شخصية فذة فرضت وجودها في الميدان الثقافي بوجه خاص على مدى ستين سنة في الداخل والخارج. فضلا عن عمله الوطني وتضحياته إبان الكفاح من أجل الاستقلال ومنجزاته في الميدان الحكومي والحقل الدولي بعد ذلك، فكان بحق أستاذ الجيل، ولا يدعى إلا بالأستاذ القاضي عند الخاص والعام.

ولد بفاس سنة 1908 وبدأ دراسته بها ثم التحق بفرنسا حيث حصل على شهادة الليسانس من جامعة السوربون وشهادة دبلوم مدرسة اللغات الشرقية بباريس. وصادف وجوده بفرنسا نشوء الحركة الوطنية، فأسس هو وجماعة من رفاقه الطلبة المغاربة جمعية للدفاع عن قضية بلاده، وكان معهم من المؤسسين لمجلة "*Maghreb* مغرب" باتصال مع المتعاطفين مع القضية الوطنية من الفرنسيين. كما ساهم في تأسيس "جمعية طلبة شمال إفريقيا" التي قامت بدور سياسي وثقافي إذ ذاك. وكان من المؤسسين كذلك لـ"جمعية الثقافة العربية" التي كانت ترمي إلى تحقيق وحدة طلبة العرب من الخليج إلى الأطلس. ثم مر بجنيف بعض الوقت وتعرف بالأمير شكيب أرسلان وتعاون معه في الدفاع عن القضية العربية، وقضية المغرب بالأخص.

ولع بأدب الرحلات والرحالين المغاربة منذ عهد الطلب بفرنسا، وتخصص في ذلك بعد رجوعه إلى المغرب سنة 1934، أثناء ممارسته للتعليم، عين على التوالي أستاذا في ثانوية بالدار البيضاء وثانوية مولاي يوسف بالرباط ثم بمعهد الدروس العليا والمعهد المولوي الذي أنشأه محمد الخامس لتعليم وتربية الأمراء ومديرا لجامعة القرويين. كان يلقن الآداب والترجمة، والحضارة الإسلامية، وبدأ عطاؤه العلمي يبرز على أعمدة الصحف والملحقات الأدبية والمجلات التي صدرت تباعا في أيام الحماية الفرنسية. كما أخذ يحقق وينشر العديد من رحلات المغاربة، ويعنى بالأدب المغربي الشعبي "الملحون" والأمثال المغربية والأمازيغية.

وبموازاة نشاطه العلمي، لعب الأستاذ محمد الفاسي دوراً بارزاً في الحقل الوطني حيث أصبح بحكم تدريسه في المعهد المولوي أداة وصل بين محمد الخامس وقيادة الحزب الوطني. فكانت الاجتماعات السرية تنعقد بين الجانبين ونشأت عنها وثيقة المطالبة بالاستقلال في 11 يناير 1944، وكان من الموقعين عليها مع وجوه المناضلين إلى أن استقل المغرب في أواخر سنة 1955. وقد اعتقل مرتين ونفي في 1944 و1952.

بعد الاستقلال، عين في الوزارتين الأولى والثانية وزيراً للتربية الوطنية والشبيبة والرياضة، سنة 1955 ثم رئيسا للجامعة المغربية والبحث العلمي سنة 1958. وانتخب عضوا ثم رئيسا للمجلس التنفيذي في اليونيسكو 1958 ـ 1966. وعين عضوا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة وفي المجمع العلمي العراقي، إلى جانب تعيينه وزيرا للدولة مكلفاً بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي بالمغرب 1968 ـ 1971. وفي نفس الوقت كانت اليونيسكو تتعاون معه، وكان من المؤسسين لـ"جمعية الجامعات التي تدرس جزئيا أو كليا باللغة الفرنسية" وأسندت إليه رئاستها. وأحدثت جائزة باسمه، كما أصبح عضوا في جامعتي دمشق وعمان ورئيسا لرابطة الجامعات الإفريقية، وغيرها من الجامعات الأمريكية والكندية والأندونيسية. وعين عضوا في أكاديمية المملكة المغربية. وأخيرا عين عضوا في الديوان الملكي.

بلغ ما أنتجه الأستاذ محمد الفاسي أزيد من ثلاثمائة ما بين مؤلفات وأبحاث ودراسات باللغتين العربية والفرنسية بالإضافة إلى ما ترك من مسودات وجذاذات في شتى أنواع المعرفة. وقد دأبت الأكاديمية الملكية المغربية على إصدار بعضها.

توفي من آخر سنة 1991 بالرباط.

قاسم الزهيري

الفاسي، محمد العربي (أبو حامد)، ولد بحي العيون من عدوة فاس القرويين يوم 6 شوال 988 / 13 نونبر 1580 أي قبل حوالي سنة واحدة من تاريخ تأسيس والده للزاوية الفاسية الشيء الذي يجعله بحق نموذجا لأحد المتخرجين منها. تخرج المترجم على يد عدد هام من شيوخ المرحلة ونخص منهم بالذكر أخاه أبا العباس أحمد وعمه عبد الرحمان بن مَحمد والشيخ محمد بن قاسم القصار الذي لازمه وحظي بإجازته.

تميز بشغفه بالتعلم، لذلك لم تخل سيرته من مجالس الدرس والتدريس سواء بزاويتهم أو في حلقات القرويين وحتى أثناء زياراته للقصر الكبير، وتاصروت، والزاوية الدلائية أو عندما أقام بزاويتهم في تطوان بعدما خرج من فاس حتى لا يمالئ محمد الشيخ المامون بعد تسليم مدينة العرائش للإسبان.

ألف الشيخ محمد العربي كتبا تعليمية مفيدة نذكر منها مراصد المعتمد في مقاصد المعتقد (نظم في التوحيد) منظومتين في ألقاب الحديث، وتلقيح الأذهان بتنقيح البرهان وقصائد في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي النحو، والفقه، والمنطق ومجموعة هامة من الفتاوى.

تخرج على يده عدد هام من علماء المغرب منهم بنوه الأربعة، وابن أخيه عبد القادر، وأبناء الزاوية الدلائية وشهد له بالتفوق في التدريس والإفتاء علماء معاصرون وعلماء من طبقته من جملتهم الشيخ عبد الواحد بن عاشر الذي أعجب بصراحته وصلابته في الحق وقال عن كتابه حول قضية التبغ : "الناس يدورون على العلم، والعلم يدور على العربي الفاسي" (م. الإفراني، صفوة، 71).

ومن أهم فتاويه التي اهتم فيها بتيسير معاملات أهل البادية بالخصوص الرسالة التي كتبها حول إباحة التعامل بشهادة اللفيف.

توفي المترجم سنة 1052 / 1642 بتطوان ونقل رفاته بعد سنتين إلى فاس فدفن بجوار قبر والده.

فهرسته المختصرة في آخر كتابه مرآة المحاسن ؛ م. الإفراني، *صفوة*، 71 ؛ م. القادري، *نشر*، ج. 2، 10 ؛ مولاي سليمان، *عناية أولي المجد*، 29 ـ 32 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، ج. 2، 315 ؛ م. حجي، *الحركة*، ج. 1، 265 ـ 297 ؛ ن. الذهبي، *الزاوية الفاسية*، 344 ـ 353.

الفاسي، مَحمد بن علي (أبو عسرية)، حفيد الشيخ أبي المحاسن، ولد بالقصر الكبير في 3 محرم سنة 995 / 15 دجنبر 1586. بدأ تعليمه على شيوخ القصر الكبير في المستوى الأولي وهو المستوى الذي كانت تضطلع به زاوية والده الشيخ علي حيث كانت تسهر على نشر العلم قبل أن يتوجه المتعلمون وخاصة من أبناء الأسرة في المستوى الثاني إلى فاس أو مكناسة. استكمل تعليمه في فاس وعاد إلى القصر الكبير ليواصل دور والده في تسيير الزاوية وتطوير نشاطها حتى نسبت إليه. وقد وصفه أخوه عبد القادر بما يفيد الاعتكاف على الإرشاد الحضر على الخير والصلاح. ولازالت زاويته تواصل دورها الديني.

توفي بالقصر الكبير سنة 1048 / 1638.

م. القادري، *نشر*، ج. 1، 372 ؛ ن. الذهبي، *الزاوية الفاسية*، 154.

نفيسة الذهبي

الفاسي، محمد الفاطمي بن المهدي من آل الفهري ابن الجد. ولد بفاس سنة 1914، وبها تابع دراسته الابتدائية والثانوية بثانوية مولاي إدريس حتى حصل على شهادة البكالوريا، فالتحق بكلية الطب بباريس إلى أن نال شهادة الدكتوراة في الطب، ثم التحق بعدها بكلية الطب في الجزائر العاصمة للتخصص في الجهاز الهضمي، ولما عاد إلى أرض الوطن، اشتغل بإدارة الصحة العمومية ثم بمستشفى كوكار COCARD بفاس.

شب محمد الفاطمي الفاسي وترعرع داخل أسرة عرفت بالعلم والوطنية حيث انضم منذ شبابه المبكر إلى الحركة الوطنية، وكان يعمل ضمن خلاياها السرية مع مجموعة من طلبة ثانوية مولاي إدريس. ويعتبر صاحب الترجمة أول من وقع على وثيقة المطالبة بالاستقلال سنة 1944.

فتح الفاطمي عيادته الطبية أولاً بمدينة مكناس، ثم انتقل إلى فاس فكان الإقبال عليه كبيراً خصوصاً من طرف الوطنيين، حيث كان يقوم بعلاجهم ومساعدة أبنائهم في نفس الوقت.

انتخب عضواً في المجلس البلدي بفاس، فكانت له مواقف وطنية واضحة، دافع من خلالها عن مصالح المواطنين، منديداً بالسياسة الاستعمارية العنصرية، رغم ما تعرض له من اضطهاد.

تعرض الفاطمي الفاسي لحادثة سير خطيرة خلال شهر دجنبر 1952 في طريق عودته من الدار البيضاء إلى فاس، حيث كان في مهمة وطنية، فظل ملازماً الفراش عدة شهور.

توفي يوم 23 يونيو 1953 إثر فشل عملية جراحية أجريت له، ودفن بمدينة مكناس حيث كان والده يزاول مهنة القضاء بها.

خمسون سنة على تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال (11 يناير 1944 ـ 11 يناير 1994) تراجم الموقعين.

لطيفة الكندوز

الفاسي، أبو مدين محمد بن أحمد بن مَحمد بن عبد القادر وسم بصفات الكفاءة في علوم اللغة، والحديث، والفقه، لكنه تميّز في مجال الأدب شعراً ونثراً، وفي البلاغة خطيباً، وفي ما وهب من حسن الصوت، وسلامة التعبير.

شغل منصب الإمام والخطيب بجامع القرويين منذ أن ولاه المولى عبد الله إلى وفاته، وبحكم عادة فقهاء فاس الذين كانوا يقدمون إمام مسجد القرويين في الخطبة والصلاة في العيد عندما تكون خارج فاس القرويين كان يؤم السلطان في صلاة العيدين بفاس الجديد.

حُفظت للمترجم مؤلفات غلب عليها الطابع الأدبي فقد كتب في فوائد الأدب وفي الملح، والنوادر، والمنتخبات، والرسائل كما كتب شروحاً ومختصرات في التصوف والسيرة النبوية وغيرها إلى جانب ديوان شعر وخطب الأعياد والجمعة التي جمعت غررها في مجلد توجد منه عدة نسخ.

كانت للمترجم علاقة علمية واجتماعية متينة بعلماء الزاوية العياشية (زاوية سيدي حمزة) وأهلها فهو يروي عن حمزة بن أبي سالم العياشي عن أبيه، وقد سجل هذه المرويات في إجازته العامة لولديه عبد الحفيظ، وأخيه أبي جيدة. كما أنه اختار هذه الزاوية قبلة له عند ما عزم على الهجرة من فاس زمن المسغبة التي عانى منها أهلها في منتصف القرن (18م) (1150 / 37 ـ 1738).

كانت ولادته بفاس سنة 1112 / 1701 ووفاته بها عام 1182 / 1768.

ع. العياشي، *الإحياء والانتعاش*، 345 ـ 347 ؛ م. القادري، *نشر*، ج 4، 181 ـ 182 ؛ المولى سليمان، *عناية أولي المجد*، ص. 59 ـ 60؛ م. الكتاني، *سلوة*، ج 1، 322 ـ 323 ؛ ع. الكتاني، *فهرس الفهارس*، ج 2، 588 ـ 771 ؛ ن. الذهبي، *الزاوية الفاسية*، 300.

301 ؛ منى نعيمة، *مجموع الطرف وجامع الطرف*، تحقيق وتقديم، د. د. ع، الرباط، 1989.

نفيسة الذهبي

الـفاسي، مسعود أبو سرحان جموع الفاسي ثم السلاوي، وأصله من سجلماسة. عاش في مدينة فاس، ووصف بكونه الولي الصالح والمحدث الراوية والعلامة الحافظ الدراكة. وله عدة مؤلفات.

وقد نقل الأستاذ مصطفى بوشعراء عن القادري في *نشر المثاني* فقرة تصفه بما يلي : (كان عالما بالحديث والسير والفقه والتصوف والنحو والبيان والتفسير واللغة، خيرا دينا ورعا لا يرى إلا مدرسا أو تاليا أو ناسخا، جيد الخط، وهو ممن أخذ عن سيدي عبد القادر الفاسي وولده سيدي محمد وعن ولد عمه سيدي محمد بن أحمد. وله تآليف منها : " *نفائس الدرر، في سير البشر* "، في سفرين و"*الروضة الوسطى*" و" *الروضة الصغرى* " وكلاهما في السير، وله تآليف في القراءة والرسم، وله حاشية على "*الصغرى*" وشرح على "السلم" في المنطق وشرح على "*الأجرومية*" وحواشي على "*الألفية*".

عاش أوائل الدولة العلوية وعصر مولاي إسماعيل. وحل بسلا في ربيع النبوي عام 1118 / 1706 أو 1707 وهو جد آل الفاسي الموجودين بها، واستقر بزاوية سيدي أحمد حجي ودرس بها البخاري و"الشفا" و"الشمائل"، وتوفي بها يوم الثلاثاء 7 جمادى الأولى سنة 1119 الموافق لسنة 1707 أو 1708 بعد إصابته بالحمى. وحضر جنازته أهل العدوتين سلا والرباط. ودفن بالزاوية نفسها، وكان الناس يقصدونه للتبرك في حياته ولما مات ظل قبره مقصدا للتبرك، وحلاه المؤرخ الناصري بالشيخ الإمام العلامة ذي التصانيف المفيدة في كل فن.

وأتى الأستاذ مصطفى بوشعراء أيضا بهذه الفقرة من فهرسة الحافي توضح سبب حلوله بسلا وهي : "ولما أراد الله ظهوره وانتفاع الناس به أتى زائرا لصلحاء سلا فنزل بزاوية الولي الصالح سيدي أحمد حجي، فاجتمع عليه طلبة سلا من أهل الزاوية المذكورة لنشر العلم فساعفهم في ذلك ولازم التدريس بها وبالمسجد الأعظم بسلا" وتتلمذ عليه تلامذة بالرباط وسلا وأجاز بعضهم كابن عاشر الحافي وأبي مدين حجي وغيرهما.

أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 7، ص. 110 ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، تح. مصطفى بوشعراء. منشورات الخزانة الصبيحية بسلا، 1986، ص. 107.

عبد الإله الفاسي

الـفاسي، يوسف بن مَحمد (أبو المحاسن)، ولد بمدينة القصر الكبير في 19 ربيع الأول عام 937 / 10 دجنبر 1530. وبها بدأ مرحلة تعليمية مبكرة على يد الشيخ أبي الحسن علي الشهير بالعربي، ثم تابع مع أستاذه أبي زيد عبد الرحمان الخباز القصري. أما المرحلة الفاسية في تكوينه فتنقسم إلى فترتين : الأولى قبل سنة 960 / 1553 حين رحل بصحبة والده وأدرك عددا من شيوخ العلم المرموقين. وأما الثانية فقد كان له فيها نفس أطول في التعمق وتحصيل المكانة العلمية في اللغة والتفسير والفقه، والعقائد وهي المواد التي تصدر لتدريسها بالقصر الكبير أزيد من عشرين سنة.

بدأت سيرة السلوك واكتساب الذوق في حياة الشيخ منذ مرحلة الطفولة، حيث تبرك، واقتدى وتأثر بالجو الأسري فجده يصل سنده بأحد خدام الشيخ أحمد زروق، ووالده تأثر بالنهج الجزولي بواسطة الشيخ أبي العباس أحمد بن قاسم الشرفي الأندلسي عن الشيخ أبي الحسن علي بن محمد صالح الأندلسي عن الشيخ التباع. أما شيخه المعتمد فهو الشيخ عبد الرحمان ابن عياد المجذوب (*ت.* 976 / 1569) فقد جمعت الرجلين مرحلة طويلة من الصحبة والاقتداء مر خلالها المترجم بكل شروط التلقين وأحوال الإرادة من طاعة ومجاهدة وملازمة ليصل إلى مرحلة التأهل واستحقاق الوراثة. وقد شهد سلوك الشيخ والمريد على نوع من التوافق في النهج والطريقة والأسلوب، غير أن عددا من فقهاء القصر الكبير وجدوا في بعض مظاهر السلوك الملاماتي خروجا عن الشخصية العلمية التي يمثلها الشيخ في المدينة والتي جعلته محط إقبال وجعلت حلقاته مجالا للتنافس. وقد بلغ أمر الاعتراض حد النقمة والاحتكام بعد أن رفعت فئة منهم القضية إلى فاس، وقد أكدت المحاكمة التي جرت في هذا الإطار أن الشيخ متمسك بموقفه، وأن له في فاس مؤيدين وأصحابا بالإضافة إلى عناية الجانب الرسمي وهي عوامل شجعت الشيخ على اختيار مدينة فاس لتأسيس زاويته (انظر مادة الزاوية الفاسية).

تعتبر طريقة الشيخ أبي المحاسن طريقة مجذوبية مهذبة فقد نجح في الملاءمة بين أهداف التصوف المجذوبي القائم على البساطة والمشاركة الاجتماعية، وبين تصوف العالم الذي يسهر على التربية من موقع حياة الاستقرار ويخاطب مريدين في بيئة مثل فاس، ويعتني بالتصوف ونشر العلم معا. وهي أهم مقومات التطور والاستمرار الذي تحقق للمؤسسة الصوفية الفاسية.

كان للشيخ أبي المحاسن حس صوفي متميز فقد تبنى طريقة شاذلية توفيقية أسست لنهج زروقي جزولي ومال إلى أسلوب المرونة في التعامل فلم يكن يصد قاصد مجالسه ولم يكن يرفض الهدايا التي تصله من أبناء الدنيا بل كان يصرفها بنوع من التوازن مراعيا حاجات الناس الدينية والدنيوية. وبذلك يعتبر التسامح والإغضاء عنصرين أساسيين في بناء شخصيته وفي تميز ما اتسمت به طريقته من اعتدال.

كانت للشيخ أبي المحاسن مشاركة إيجابية في معركة

وادي المخازن فقد عمل ضمن تيار المقاومة التي قادها رجال الصلاح في منطقة الهبط، وكان حاضرا بشكل فعلي أثناء المعركة وقد وصف ولده محمد العربي هذا الحضور، فهو حامل اللواء، والمنادي في المجاهدين بالصبر والمبشر بالنصر.

ألفت في ترجمته سبعة كتب.

توفي الشيخ أبو المحاسن سنة 1013 / 1604، ودفن بروضة خارج باب الفتوح.

المولى سليمان، *عناية أولي المجد*، فاس، 1928 ؛ أ. الفاسي، *المنح الصفية*، خ. ع. 1234 د ؛ عبد الحفيظ الفاسي، *الترجمان المعرب* ؛ عبد الرحمان الفاسي، *ابتهاج القلوب* ؛ م. العربي الفاسي، *مرآة المحاسن*؛ م. المهدي الفاسي، *روضة المحاسن الزاهية*، خ ع 976 ج ؛ *تحفة أهل الصديقية*، خ ع 2990 د ؛ *متع الأسماع* ؛ ن. الذهبي، *الزاوية الفاسية*.

الفاسية (الزاوية -)، من أكبر زوايا المغرب شهرة وتأثيرا وحضورا واستمرارية. عاصرت مختلف التحولات التي شهدها تاريخ المغرب الحديث واستطاعت أن تحافظ على وزنها الشعبي والمخزني.

تقع الزاوية الفاسية الأم في حي المخفية من عدوة فاس الأندلس، أسسها الشيخ أبو المحاسن يوسف بن مَحمد الفاسي سنة 989 / 1581 ، وقد بدأ مشروعه الصوفي بنواة بسيطة وهي عبارة عن دار سكن الشيخ وأهله في الطابق العلوي منها، وأخذ الناس يجتمعون للذكر والصلاة في الطابق السفلي، ثم توسع حواليها حتى خلصت الدار الأولى للسكنى وصار المريدون والأصحاب يجتمعون بدويرة مجاورة، ثم أضاف دارا ثانية من الجهة الجنوبية سنة 1003 / 1595 ليصل مقر الزاوية أقصى اتساع فبشرع الشيخ بعد ذلك مباشرة في بناء المسجد بتاريخ 5 شوال عام 1004 / 2 يونيه 1596 ثم يحوز أثناء انتشار وباء الطاعون الروضة التي يوجد بها ضريحه خارج باب الفتوح على سبيل الهبة من أحد أصدقائه، وبذلك تكون الزاوية الفاسية الأم قد استكملت أهم مرافق المؤسسة الصوفية قبل وفاة مؤسسها.

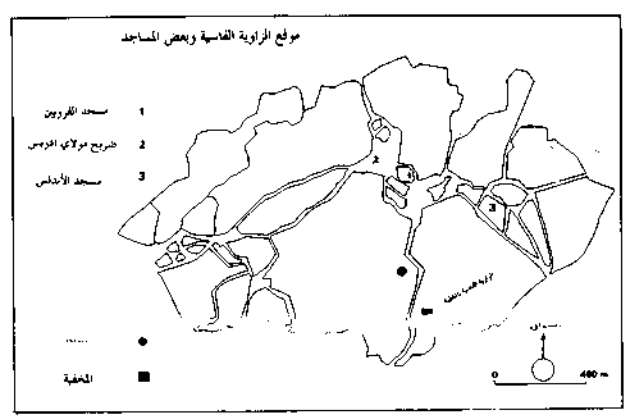

أهم فروع الزاوية الفاسية حضرية منها مركزان بالقصر الكبير، ينسب أولهما للشيخ مَحمد بن علي ابن أبي المحاسن المكنى أباعسرية، والثاني لحفيد الشيخ المؤسس أيضا وهو أحمد بن أحمد بن أبي المحاسن. أما بتطوان فيرجح أن تكون الزاوية الفاسية هي أول زاوية تأسست بحي العيون منذ سنة 1003 / 94 ـ 1595 وكان ذلك بأمر من الشيخ أبي المحاسن وبرئاسة أحد مريديه وهو الشيخ محمد أنوار الأندلسي. ثم تأسس فرع آخر في حي الأطرنكات إلى الجنوب من المركز الأول وذلك في النصف الأول من القرن الحادي عشر (17 م) وينسب للشيخ مَحمد بن علي أبي عسرية وإن كانت المؤشرات توحي بأنه أذن بالتأسيس وسهر عليه بينما الذي اضطلع بأمور هذا الفرع هو أخوه عبد العزيز بن علي بعد أن ارتحل إلى تطوان واستوطنها معظم هذا القرن. وبذلك كان للزاوية الفاسية امتداد في ثلاث حواضر دون أن تكون لها فروع في البوادي رغم العلاقات الواسعة مع أهلها.

أما الحديث عن الزاوية الفاسية في فاس منذ سنة 1027 / 1617 فإنه يعني حتما المركز الفاسي الثاني وهو زاوية القلقليين التي أنشأها الشيخ عبد الرحمان بن مَحمد الفاسي (العارف) بحي القلقليين من عدوة فاس القرويين بعد أن لقي إقبالا كبيرا من سكان هذه العدوة.

وقد شهد هذا المقر توسيعا سنة 1062 / 1651، ثم اتسع أكثر سنة 1071 / 60 ـ 1661 بزيادة دور مجاورة، إلا أن أعظم زيادة هي التي تمت بأمر من السلطان المولى إسماعيل سنة 1091 / 1680.

حملت زاوية القلقليين في البداية اسم الشيخ عبد الرحمان (العارف) لكن شهرتها اقترنت باسم حفيد أخيه الشيخ عبد القادر بن علي، فسميت به إلى الآن.

جمعت الزاوية الفاسية بين السندين الجزولي والزروقي كما جمعت أهداف النهجين أيضا فخدم شيخها العوام، وحرص على نفعهم، وبسط لهم أمور دينهم. وحقق بعلمه وبتعليم أبنائه مستوى مخاطبة النخبة المثقفة، والمشاركة في الحركتين التعليمية والفكرية.

اضطلعت الزاوية الفاسية كغيرها من الزوايا بدور ديني وعظي ودور اجتماعي تكافلي، فكانت مركزا للتربية، وإطعام الطعام وإقامة المناسبات الدينية، واستقبال ذوي الحاجات، وحماية المظلومين، كما قامت بدور علمي فكانت موئلا متألقا بفضل شيوخها العلماء، وبفضل عنايتها بعلم الحديث، ونجاح أبنائها في توارث أدوار التعليم والتأليف والانتساخ وبذلك حققت مكانتها، وعمقها الاجتماعي رغم الأزمات التي عصفت بعدد آخر من المؤسسات وأثرت على أحوال فاس بالتحديد.

نجحت الزاوية الفاسية في تجاوز أزمة حادة مثل أزمة تمليك حراطين فاس في نهاية القرن الحادي عشر (17 م) بفضل اعتدال شيوخها ودورهم التوافقي ؛ فهناك مراعاة

لمتطلبات المرحلة الانتقالية، وهناك حرص على تجاوز الصراعات الفئوية المحلية، وهناك احترام للرأي العام ولقواعد الأصول الشرعية والاجتماعية، وبذلك غدت مركزا صوفيا له حضوره على المستوى الشعبي وعلى مستويات التقدير المخزني.

ن. الذهبي، *الزاوية الفاسية*، 2001.

نفيسة الذهبي

فاضل الرايس (الحاج -) من رياس مصب أبي رقراق خلال العهد الدلائي، كان في سنة 1654 يقود سفينة كرافيل مجهزة بخمسة صواري وبسبع قطع مدفعية، وتحت إشرافه طاقم من مائة مجاهد وثمانية أسرى مسيحيين، لما سقط مركبه غنيمة في يد القبطان الهولندي ثونيس بوسط (Th. Post) في مياه قاديس ؛ ورغم توفره على جواز سفر من القنصل دو فريس (De Vries) لم يطلق سراح سفينته إلا بعدما تم الاستحواذ على بضائعها وعلى أسراها، وقدرت قيمة الخسائر بحوالي ألفين وخمسمائة ريال. وأدى هذا التجاوز إلى إثارة حنق أهالي الرباط لدى عودة سفينة الحاج فاضل ضد القنصل، حيث تعرض للعنف، وللاعتقال في مطمورة المدينة بعد طرده من منزله.

Les S.I.H.M., 1° série, Pays-Bas, t. V, p. 442 et 536.

حسن أميلي

فاضل، عبد الحق بن فاضل بن حامد بن حديد العراقي، لغوي، مترجم، قصاص، روائي، شاعر.

ولد في بغداد سنة 1330 / 1911 من أبوين موصليين، ودرس الابتدائية في الموصل، والثانوية في بغداد، وتخرج من كلية الحقوق في بغداد. وكان أبوه فاضل الصيدلي شاعرا وطنيا، وأصبح أخوه الأصغر أكرم فاضل أديبا. ترجم أعمالا أدبية ولغوية من التركية والإنجليزية.

مارس عبد الحق فاضل المحاماة في الموصل خلال عام 1938 و1939 أصدر أثناءهما مع زميله المحامي يوسف الحاج إلياس *المجلة*، وهي أدبية ثقافية عامة. وفي عام 1940 دخل الخدمة الخارجية العراقية. وتنقل في عدة وظائف دبلوماسية : تبريز - إيران (1941 - 1943)، طهران - إيران - 1946) (1943، أنقرة وإسطنبول - تركيا (1946 - 1948)، طهران - إيران (أواخر عام 1948)، القاهرة - مصر (1951 - 1953)، دمشق - سوريا (1953 - 1954)، روما - إيطاليا - 1957) (1955. وبعد قيام الحكم الجمهوري في العراق أصبح وكيلا لوزارة الخارجية عام 1959، ثم أول سفير للعراق في الصين الشعبية (1960. 1963). وبعدها ترك العمل الحكومي وتفرغ للبحث والكتابة فأقام في مدينة الدار البيضاء بالمغرب، واشتغل بضع سنين خبيرا غير متفرغ في مكتب تنسيق التعريب بالرباط، ثم انتقل إلى مدينة مراكش التي لاءم هواؤها صحته إذ كان يشكو من هشاشة العظام، فأقام بها زهاء ربع قرن وأقعد في السنوات الخمس الأخيرة من حياته، وعندما أحس بدنو أجله غادر مراكش إلى بغداد حيث توفي بعد بضعة أشهر.

أخذ عبد الحق فاضل ينظم الشعر وهو فتى، مقتديا بوالده الشاعر الذي نشر ديوانا بعنوان "هدية الأحرار". وقد تأثر بأحمد شوقي حتى عده أستاذه في قصيدة رثاه بها عام 1932.

ثم استهوته بعد ذلك الأقصوصة، فأخذ يكتب القصة القصيرة إلى جانب نظم الشعر حتى غلبت القصة على الشعر، ثم كتب رواية "*مجنونان*" التي تعالج حرية المرأة وبعض القضايا الاجتماعية والوطنية الأخرى بأسلوب ساخر سلس. ويضعها بعض النقاد في قمة اكتمال نضج القصة العراقية قبل الستينات من القرن العشرين. كما يجمع النقاد على أن عبد الحق فاضل هو من بين رواد الأدب القصصي الحديث في العراق. وقال سهيل إدريس عن قصصه إنها "تبشر بولادة الجيل الجديد من القصاصين والروائيين العرافيين".

وإضافة إلى الشعر والقصة والرواية، كتب عبد الحق فاضل مسرحية بعنوان "*4 نساء و3 ضفادع*" وهو من أدب اللامعقول، نقل فيها الإنسان المعاصر إلى القرن الثلاثين، وجعله يلتفت خلفه ليرى نفسه من مسافة ألف سنة بعد تجرده من المؤثرات التي تزعزع صحة حكمه على الأشياء المحيطة به والمشتبكة بمصالحه وعقده.

وفي ميدان الترجمة، نشر عبد الحق فاضل كتابا بعنوان "ثورة الخيّام"، وهو دراسة عن الخيّام ورباعياته، وترجمة شعرية أمينة للرباعيات من الفارسية. ومن الأمثلة على ترجمته الشعرية للرباعيات الرباعية التالية :

إنني ابتعت من الكواز كوزا ذات مره
فحكى لي الكوز ما لاقي وأفشى لي سره
قال إني كنت سلطانا من العسجد جامي
وغدوت الآن للحمار، يا ويلي، جره

ولا يعزى نجاح ترجمة عبد الحق فاضل للرباعيات إلى تمكنه من اللغتين الفارسية والعربية ومقدرته على النظم فحسب، وإنما إلى تقاربه مع الخيّام فكرا ومزاجا كذلك.

كما ترجم عبد الحق فاضل مسرحية "*جوليوس قيصر*" لشكسبير من الإنجليزية. وفي طبعة مراكش لهذه المسرحية، قدم عبد الحق فاضل لها بدراسة ضافية تقع في 284 صفحة أكد فيها أن هذه المسرحية هي أروع روائع شكسبير، مخالفا بذلك جمهور النقاد الذين يضعون مسرحية "هاملت" في قمة أعمال شكسبير، كما خالف معظم المتخصصين في الدراسات الشكسبيرية من حيث نظرتهم إلى موقف شكسبير من شخصية "بروتس" في هذه المسرحية، إذ ذهبوا إلى أن شكسبير صوره شخصية تتسم بالنزاهة والإخلاص والوطنية، في حين دلل عبد الحق فاضل على أن القراءة المتأنية الذكية لهذه المسرحية تظهر لنا أن بروتس رجل دنئ نذل، وأن

شكسبير كان يكن له كراهية عميقة بغطاء من الألفاظ والعبارات التي يصعب فهم مغزاها الحقيقي. فشكسبير كان صديق بروتس في الظاهر عدوه في الباطن، وعدو قيصر في الظاهر صديقه في الباطن.

ويقول الدكتور جبرا إبراهيم جبرا عن عبد الحق فاضل : "....قرأت بإعجاب ترجمته لمسرحية يوليوس قيصر، التي ضاهيتها بالنص الإنجليزي سطرا سطرا، ودهشت لمدى صحتها ودقتها، فضلا عن لغته الجميلة".

وأعد عبد الحق فاضل ترجمة شعرية للملحمة "قلقميش" معتمدا فيها على ترجمة مؤرخ الآثار العراقي طه باقر الذي ترجم الملحمة نثرا، وعلى ترجمتين إنجليزيتين أعدهما N.K. Sandars و James B. Pritchard . وقد كتب مقدمة لترجمته تقع في 172 صفحة حلل فيها الملحمة وظروفها التاريخية.

ويمكن إيجاز منهجية عبد الحق فاضل في الترجمة بأربعة أمور : اختيار الأعمال الأدبية الكبرى، ودراسة معمقة لمؤلف النص وأسلوبه، والإلمام بالظروف التاريخية للنص، ومضاهاة الترجمة للنص من حيث الدلالة والجنس الأدبي، فالشعر يترجم بالشعر.

وفي ميدان البحث اللغوي، أسهم عبد الحق فاضل في تطوير البحث التأثيري، إذ نشر سلسلة من الدراسات بعنوان "دخيل أم أثيل" في مجلة "اللسان العربي" تناول فيها ألفاظا عربية فأرجعها إلى إثلها (أو أصلها) في اللغات العربية القديمة كالآرامية والآشورية وغيرهما، وهذا ما كان يسميه اللسانيون العرب بـ"الإيتمولوجي" مستعيرين المصطلح من اللغات الأوربية. وما إن نشر عبد الحق فاضل دراساته تلك حتى وجدوا فيها ضالتهم. فقد زودهم عبد الحق فاضل بمصطلحين هما : التأثيل الذي يعنى بتطور نطق الكلمة ودلالتها في عدة مراحل من حياتها وردها إلى أمها المباشرة أو جدتها المباشرة أو القريبة، والترسيس، الذي يتتبع نطق الكلمة ومعناها أثناء انتقالها عبر لغة أو عدة لغات وإرجاعها إلى رسها، أي بدايتها وأصلها. ومن الأمثلة على دراساته التأثيلية هذه الفقرة من كتابة *"دخيل أم أثيل"* :

"الدرب : الطريق. آرامية : دربو. أصل معنى الدرب هو الباب الأكبر، وباب السكة الواسع الذي صرنا نسميه البوابة. أما أثل اللفظة فهو (الدار) بالعربية و(دور) بالآشورية. وتوجد الكلمة بشكليها العربيين في الفارسية : (در، درب)، وبشكلها الآشوري في الإنجليزية (door) بمعنى الباب أيضا.

وهذا ينبئ بكل وضوح أن (الدار) كانت تعني الجدار الذي (يدور) أي يحيط بالبيت أول الأمر، ثم أطلقت على البيت نفسه، ثم على باب البيت، ثم على باب السكة، ثم على السكة أي الطريق. وعندئذ ظهرت في الآرامية بصيغة (دربو) بهذا المعنى الأخير".

من مؤلفاته المطبوعة :

- *مجنونان*، رواية (الموصل، مطبعة أم الربيعين، 1939) ؛ *مزاح وما أشبه*، مجموعة قصصية (الموصل، مطبعة أم الربيعين، 1940) ؛ *ثورة الخيام* (القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1951) ؛ *حائرون*، مجموعة قصصية (بغداد، مطبعة الرابطة، 1958) ؛ *طواغيت*، مجموعة قصصية (بغداد، مطبعة الرابطة، 1958) ؛ *4 نساء و3 ضفادع* (بيروت، دار العلم للملايين، 1968) ؛ *مغامرات لغوية* (بيروت، دار العلم للملايين، 1969) ؛ *هو الذي رأى، ملحمة قلقميش* (بيروت، دار النجاح، 1972) ؛ *تاريخهم من لغتهم* (بغداد، وزارة الثقافة، 1977) ؛ *الأعمال القصصية الكاملة* (بغداد، دار الرشيد، 1979) ؛ *أخطاء لغوية* (بغداد، وزارة الثقافة، 1979) ؛ *قصصي* (بغداد، دار الثقافة، 1984) ؛ *مع شكسبير في يوليوس قيصر* (مراكش، المطبعة والوراقة الوطنية، 1988)، دراسة عن المسرحية وترجمتها ؛ *العربية أم الألمانية* (الدار البيضاء، 1988)، في التأثيل اللغوي : *ديوان عبد الحق فاضل*، مراجعة وتعليق أحمد متفكر (مراكش، 1995).

علي قاسمي

الفاضلي، سعيد ولد سنة 1960 بمدينة الرباط من عائلة تنحدر من نواحي مراكش. تابع دراسته الجامعية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس، حيث حصل على الإجازة في الأدب العربي سنة 1985 وعلى دبلوم الدراسات العليا سنة 1991 عن موضوع "تحقيق وتقديم كتاب من شعراء المغرب المعاصرين لعبد الله الجراري". كما ناقش، سنة 2000 / 2001 بحثا لنيل دكتوراه الدولة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة شعيب الدكالي، في موضوع "الإحياء الشعري في المغرب الحديث بين الأصالة والتقليد : من نهاية القرن 19 إلى منتصف القرن 20. اشتغل بالتدريس بالتعليم الثانوي بتمارة، ثم عمل أستاذا مكونا بالمدرسة العليا للأساتذة بالرباط.

دخل سعيد الفاضلي مجال النشر قاصا بصدور مجوعتيه "إرم ذات العناد" و"أيام مغلقة" سنتي 1997 و1999. ونسج لنفسه مسارا سرديا خاصا، من علاماته بحثه عن لغة مغايرة وعن بنية حكائية تنبني على خلق المفاجأة وعلى معاكسة أفق انتظار القارئ وعلى حوار نصوصه مع مرجعيته الثقافية المتعددة.

وإلى جانب كتاباته القصصية، استطاع الفاضلي أن ينجز، خلال فترة وجيزة، ملامح مشروع علمي خاص. وهو مشروع يرتكز أساسا على عودة عاشقة إلى عدد من النصوص المغربية عبر رحلة التحقيق. ومن علامات هذا المشروع تحقيقه لديوان الشاعر المغربي عبد المجيد الفاسي (1997) وكتاب *"وادي الجواهر ومجموع المكنون من الذخائر"* لعلال الفاسي (2000) وتحقيق *"أبيات الأبيات من ديوان ابن هانئ"* (2002) للشاعر نفسه والذي أنجزه رفقة الباحث المغربي الراحل عبد الرحمان بن العربي الحريشي. وبالإضافة إلى عودته للأعمال الشعرية، حقق الفاضلي جزءاً من طموحاته على مستوى الإسهام في مشروع سلسلة ارتياد الآفاق الذي أطلقته مؤسسة السويدي بالإمارات العربية

المتحدة، عبر تحقيقة لكتاب *الرحلة الأوربية*" لمحمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، وقد حصل به، سنة 2003، على جائزة في إطار الدورة الأولى لجائزة ابن بطوطة للأدب الجغرافي التي تنظمها نفس المؤسسة.

توفي ليلة الأحد 13 يونيو 2004.

تحريات خاصة.

حسن الوزاني

فاطمة بنت **أحمد** من مواليد سنة 1924 بدوار اد منصور قبيلة آيت اعزة جماعة تيوغزة بسيدي افني. لقد أبرزت مرحلة تحرير الوطن بأن المشاركة في المعركة لم تقتصر على الرجال وحدهم بل كان للنساء فيها نصيب فعال ومشهود به. والشهيدة إحداهن إذ نبتت لديها هذه الروح الوطنية فانطلقت تقوم بدورها البطولي المتأصل لدى كل سكان المنطقة الجنوبية رجالا ونساء.

وإنه لمن الصعب حصر أعمال الشهيدة في ميدان المعركة والبطولة التي خلدت بها اسمها في سجل الكفاح الوطني بعد أن وافتها المنية إثر إصابتها برصاص العدو في إحدى اشتباكات قبائل آيت باعمران والجيش الاسباني بالمكان المدعو تكَراكَرة بتاريخ 11 / 11 / 1957 أسكنها الله فسيح جناته.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 503253.

فاطمة بنت **حمدون** الشقوري الأندلسي، سيدة عابدة صالحة قانتة. هي زوجة الطيب القادري الحسني وأم العالمين أبي عبد الله محمد العربي وأبي محمد عبد السلام ابني الطيب القادري الحسني. توفي عنها زوجها المذكور وتركها في زمن كثير الأهوال والشرور والغلاء المفرط والقتل على أبواب الديار، فكانت تجتهد في قوتهم وقوتها من عمل يدها وكانت تغزل الغزل وهي معه تذكر الله حتى تجمع منه ما تنسج به شقة تبيعها وتصرف ثمنها في أجرة معلم ولديها القرآن.

كانت من الزاهدات العابدات المجتهدات، ربت ولديها على الديانة والعبادة والمروءة والصيانة واجتهدت في إرشادهما، وحرصت على إقرائهما، فأعانها الله على ذلك وأكمل مرادها في ولديها فكانا معا من أكمل الناس علما وعملا.

توفيت في ذي الحجة من عام مائة وألف بمدينة فاس، ودفنت بجوار بعلها المذكور، قرب ضريح سيدي محمد بن عباد داخل باب فتوح.

م. القادري، *الإكليل والتاج*، تح. م. دادي، ص. 601، رقم 763 ؛ *النشر*، 2 : 359 - 361.

مارية دادي

فاطمة بنت **عبد الرحمن** الأندلسية سيدة عابدة صالحة من أهل قصر كتامة، نزلت به أسرتها صحبة مجموعة من الأسر الأندلسية التي استوطنت المدينة في أواسط القرن السادس الهجري (12 م.) وتذكر الرواية الشفوية أنها عمة أشهر أولياء القصر العالم الزاهد أبي الحسن علي بن خلف بن غالب القرشي الشلبي (ت. 568 / 1173) شيخ الصوفية في عصره، والذي كان يلقب بالعارف.

تعتبر فاطمة الأندلسية من صلحاء الشمال القلائل الذين ذكرهم ابن الزيات التادلي في *التشوف* وحكى عنها الكشف وبعض الكرامات. عاصرت عدداً من صلحاء قصر كتامة كأبي محمد بن جميل القصري المعلم، وأبي الحسن بن غالب، وأبي محمد عبد الجليل بن موسى القصري. اشتهر صلاحها وورعها في كل أرجاء المغرب، فكان الصوفية والزهاد يقصدونها لزيارتها والتبرك بها، ومن بين من كان يزورها أبو عبد الله التاودي أحد كبار صوفية فاس في وقته.

توفيت بمدينة قصر كتامة أو قصر عبد الكريم كما كانت تعرف خلال عصر الموحدين، ودفنت بطرف حي باب الواد، وبنيت عليها قبة في العصر المريني أو بعده كانت آية في الزخرفة والنقش. وأصبح الحي الذي فيه قبرها يحمل اسم للافاطمة الأندلسية إلى اليوم.

ي. ابن الزيات التادلي، *التشوف*، الرباط، ص. 331، تر. 167 ؛ *الرواية الشفوية*.

محمد المغراوي

فاطمة الفهرية هي السيدة فاطمة بنت محمد الفهري القيرواني الذي وفد على المولى إدريس سنة 172 ضمن الوفود التي جاءت إلى فاس بعد بنائها.

توفي زوجها فورثت عنه مالا كثيرا فرغبت أن تنفقه في مشروع خيري يرجع على الأمة بالنفع وعليها بالفضل والثواب.

وكانت تعيش في عهد يحيى بن محمد بن المولى إدريس الذي تولى الحكم بعد أخيه يحيى بن محمد عام أربع وثلاثين ومائتين.

ويذكر المؤرخون أن مدينة فاس في أيامه كثرت عمارتها وازدهر اقتصادها وأصبحت قبلة لعدد من الوافدين من الأندلس والقيروان الشيء الذي كان يستلزم التفكير في بناء مسجد يوازي التضخم السكاني فقررت أن تقوم بذلك وأن يكون بناؤه تنفيذا للمشروع الخيري الذي كانت ترغب فيه.

وفي الحين اشترت أرضا مناسبة لما أرادت وكانت أرضا متحجرة فاستخرج العمال منها الحجارة الصالحة للبناء وحفروا الكهوف لاستخراج الرمل والبئر لاستخراج الماء وشرعوا في البناء عام 245. وتوالت الأعمال بجد ونذرت أن تصوم تقربا لله جميع الأيام التي يستغرقها البناء وحين الانتهاء من إنجازه صلت فيه شكرا وكان يشتمل على أربع بلاطات وصحن صغير ثم وقعت فيه زيادات بعد ذلك.

وصار منذ بنائه إلى الآن منهلا للعلم والثقافة ومركزا للعبادة أضاء على العالم بإشعاعه الفكري واقترن وجوده باسم تلك المرأة التي خلدها التاريخ بعملها الإحساني كما خلد أختاً لها اسمها مريم قامت بنفس العمل بعدوة الأندلس في فاس حيث بنت جامع الأندلس الذي مازال إلى الآن يعتبر من أهم مساجد فاس العامرة.

ابن أبي زرع، *الأنيس المطرب* ؛ ع. الهادي التازي، *جامع القرويين* ؛ حسن السايح، *على هامش تاريخ القرويين*.

محمد بن عبد العزيز الدباغ

الفاطمي (آيت -) الطالب ولد سنة 1930 بقلعة السراغنة انخرط في صفوف جيش التحرير بالصحراء الشرقية سنة 1957 ضمن الفرقة التي كان برأسها السيد منير بوشعيب بمركز أوفود بمنطقة فگيگ، وقد شارك في عدة معارك بالمنطقة منها معركة جبل كروز سنة 1958 ومعركة عبو الكحل.

توفي يوم 14 مارس 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 506722.

فاطمي، العربي ولد سنة 1903 بأولاد بوزرارة وفي سنة 1948، انخرط الفقيد في صفوف حزب الاستقلال فاطلع على مبادئه علما أن الأقليم كان مركزا لقادة من الحزب الذين اشتغلوا بالتدريب أو التجارة وهذا الوعي السياسي والوعي بالواجب الوطني دفعاه إلى الانخراط في إحدى خلايا المنطقة السرية للمقاومة بمنطقة سيدي بنور حيث تسلم مسؤولية خلية صغرى بأولاد بوزرارة بقبيلة فطناسة وكانت تعليمات التحرك والتنفيذ والاجتماع والتخطيط تعطى إليه من أحد المسؤولين بالرباط حيث كانت تقوم خليته بتوزيع المناشير والمساهمة والتحريض على إشعال النيران في ضيعات المعمرين وإتلاف خطوط الهاتف، وبسبب نشاطه الفدائي ألقت سلطات الإقامة الفرنسية القبض عليه حيث قضى مدة رهن الاعتقال وعندما أحرز المغرب على استقلاله عاد لممارسة مهامه إلى حين.

توفي يوم 29 / 7 / 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 519195.

الفاطمي (ابن -) **ميلود** ولد سنة 1910 بالعونات إقليم الجديدة من أبويه ميلود واسليمة.

كان وطنيا مخلصا، شارك في صفوف المقاومة السرية المغربية وعمل ضمن منطقة جيش التحرير بالعونات تحت مسؤولية البوعزاوي بن أحمد.

وقد عرف بين رفاقه في المنطقة باسم الخلاق إذ جعل منزله مركزاً للتجمع بالإضافة إلى مساعدة المنظمة ماديا، وبقي كذلك إلى أن افتضح أمره حيث بدأت قوات الاستعمار تترصده إلى أن اغتالته بتاريخ 31 / 8 / 1954.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 509115.

الفاطميون والمغرب، ارتبط الوجود الفاطمي في بلاد المغرب بالدعوة التي تزعمها أبو عبد الله الشيعي موفدا من قبل الإمام الشيعي الإسماعيلي، حيث نجح في مرحلة أولى في استقطاب قبيلة كتامة، ثم التمهيد لوصول الإمام عبيد الله المهدي إلى المغرب، وإعلان قيام الخلافة الفاطمية.

الدعوة الشيعية بالمغرب :

تعرضت الحركة الشيعية منذ نشأتها إلى شتى أصناف الاضطهاد والقمع ؛ فقد حفلت فترة حكم بني أمية وبداية دولة بني العباس بثورات وانتفاضات شيعية، كان مصير أغلبها إلى الفشل، مما ألجأها إلى العمل السري، الذي فرض عليها عدم الاقتصار على نشر الدعوة في قلب الخلافة فحسب، بل التوجه نحو الأطراف.

ويعتبر قيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، إحدى ثمرات العمل السري للفرع الحسيني من الشيعة ؛ إذ ينتسب الفاطميون إلى الشيعة الإسماعيلية، نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، أحد حفدة الحسين بن علي بن أبي طالب. ويرجع تاريخ دخولها مرحلة العمل السري إلى ما بعد وفاة الإمام جعفر الصادق، 148 / 765، نتيجة التصدع الذي عرفه الفرع الحسيني في السنوات الأخيرة من حياة جعفر الصادق، بسبب وفاة ابنه إسماعيل سنة 145 / 762، وانقسام أنصاره حول خلفه في الإمامة، بين منادين بشرعية تولي محمد بن إسماعيل بن جعفر، وهم الذين عرفوا بالإسماعيلية أو السبعية ؛ وبين منادين بإمامة موسى الكاظم بن جعفر الصادق، وهم الذي عرفوا بالموسوية أو الإثنا عشرية.

وهكذا قامت الحركة الإسماعيلية - في إطارالعمل السري - ببعث الدعاة إلى الأطراف في خراسان والسند والهند واليمن واليمامة والبحرين ومصر والمغرب، انطلاقا من مدينة سلمية في الشام، مركز الدعوة وإقامة الإمام، في حين كانت بلاد اليمن مقراً لتكوين الدعاة قبل إرسالهم إلى مناطق الدعوة.

حظيت بلاد المغرب باهتمام الحركة الشيعية منذ وقت مبكر، فقد قام الإمام جعفر الصادق بإرسال داعيين إثنين إليها، هما أبو سفيان الذي نزل موضعا يعرف باسم "تالا"، ثم الحلواني الذي استقر بالمغرب الأوسط في موضع يعرف باسم "الناظور".

وإذا كانت المصادر لا تسعفنا في محاولة تتبع خطوات الدعوة الشيعية في بلاد المغرب بقيادة هذين الداعيين، فإنه يمكن اعتبار وصول أبي عبد الله الشيعي موفدا من قبل الإمام الاسماعيلي البداية الفعلية للدعوة الاسماعيلية في بلاد المغرب.

حل أبو عبد الله الشيعي باليمن لتلقي مبادئ الدعوة وأساليبها، حيث ظل هناك حوالي سنة واحدة، ثم التحق بمكة صحبة الحجيج، ولقي بها بعض شيوخ كتامة، وجلس بينهم محدثا بفضائل الإمام علي بن أبي طالب وأهل البيت. وانتهت العلاقة بين الداعي الشيعي وشيوخ كتامة إلى اصطحابه معهم إلى بلادهم، التي وصلها في منتصف شهر ربيع الأول من سنة 280 / 893.

شغلت الفترة الواقعة بين وصول أبي عبد الله الشيعي إلى بلاد كتامة بالمغرب الأوسط وبين دخوله القيروان 296 / 909، جهوده من أجل تكوين جبهة داخلية متماسكة، وكذا من أجل اقتطاع مناطق على حساب نفوذ الأغالبة تمهيدا للمواجهة الحاسمة معهم. وهكذا أثمرت هذه الجهود نجاحا كبيراً تمثل في إخضاع مناطق هامة، امتدت رقعتها الجغرافية بين سطيف غربا والقيروان شرقا وبين طبنة جنوبا وقالمة شمالا.

وشهدت المنطقة صراعا مفتوحا بين الحركة الشيعية وبين دولة الأغالبة، انتهى بهزيمة الأربس 296 / 909، التي تؤرخ لنهاية الدولة الأغلبية وزوال النفوذ العباسي من بلاد المغرب.

وتبدأ علاقة الدعوة الشيعية بالمغرب الأقصى - أو بالأحرى أقصى المغرب كما كان يعرف آنذاك - عندما قرر الداعي أبو عبد الله الشيعي التوجه إلى سجلماسة لتخليص الإمام عبيد الله المهدي من سجن اليسع بن مدرار الصفري.

وإذا كان مسير أبي عبد الله الشيعي نحو سجلماسة، قد انتهى إلى استقدام الإمام الاسماعيلي إلى إفريقية، حيث دخل رقادة سنة 297 / 910 وأعلن قيام الخلافة الفاطمية، فإن هذه الرحلة - التي لم تستغرق أكثر من سبعة شهور - مكنت الداعية الشيعي من القضاء على إمارتي بني رستم في تاهرت وبني مدرار الصفرية في سجلماسة ؛ وإن كان الخلفاء الفاطميون سيعتمدون على أمراء الإمارة الثانية في حكم المنطقة، فيما بعد.

كما استطاع أبو عبد الله إخضاع القبائل البربرية التي مر من مواطنها في طريقه إلى سجلماسة، وعلى رأسها زناتة، يتقدمها أميرها محمد بن خزر، وإن كان ذلك بشكل مؤقت، إذ سوف تشكل هذه القبائل خطرا كبيراً، ظل العائق الأكبر أماما مد النفوذ الفاطمي في مجموع بلاد المغرب.

الحضور العسكري الفاطمي في المغرب الأقصى :

ينبئ اتخاذ مناد بن منقوش الصنهاجي، في أواخر عهد الدولة الأغلبية، لقلعة حملت اسمه، تقع قرب مدينة سجلماسة، عن عزم صنهاجي على الوقوف بشدة في وجه التحركات الزناتية، وحماية قبيلته من غاراتها المستمرة على مجالاتها.

وأهلت انتصارات زيري بن مناد على زناتة وعلي بعض فروع صنهاجة المعارضة لقيادته، لكي يتبوأ مكانة رفيعة وسط القبائل الصناجية، كما فتحت المجال أمامه لتحقيق مكاسب جديدة، في طريق توغله في المغرب الأوسط. وكان كل ذلك الخطوة الأولى نحو بروز الدور السياسي الصنهاجي مع الخلافة الفاطمية، الذي سرعان ما عرف نموا مطردا بلغ في نهايته إلى ولاية بلاد المغرب كلها، مروراً عبر محطتين رئيستين، هما : الاستماتة في مواجهة زناتة حلفاء أمويي الأندلس، ثم إنقاذ الخلافة الفاطمية من ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد اليفرني.

ويسجل العقدان الأخيران من الوجود الفاطمي في بلاد المغرب تأكيد الدور الصنهاجي في تثبيت نفوذ الدولة ليس في المغرب الأوسط فحسب، وإنما أيضا باتجاه الغرب نحو المغرب الأقصى، وهو ما يعبر عنه صراحة احتدام الصراع الصنهاجي المغراوي، على وجه الخصوص.

حظي المغرب الأقصى باهتمام الخليفة الفاطمي المعز لدين الله، عندما كان بصدد إعادة النظر في التنظيم الإداري للولايات. فقد قام بتزكية ولاية زيري بن مناد على مدينة أشير وأعمالها، مع انتزاع مدينة باغاية وأحوازها منه، مما يفهم منه الرغبة في توجيه اهتمام صنهاجة نحو أقصى بلاد المغرب على حساب المغرب الأوسط. كما قام الخليفة ذاته بتوزيع ولايات برقة وسرت وأجدابية وقابس، إلى جانب فاس وسجلماسة، على رجال من صقلية وكتامة.

وعموما يمكن رصد الحضورالعسكري الفاطمي في المغرب الأقصى عبر ثلاث حملات :

1 - حملة مصالة بن حبوس 307 / 919، ونجاحه في كسب تأييد موسى بن أبي العافية، الذي عمل على التمكين للفاطميين في الطرف الغربي من بلاد المغرب على حساب الأدراسة (الأمير يحيى بن إدريس).

2 - حملة جوهر الصقلي 347 / 958، التي تمكنت من اقتحام مدينة فاس ودخول سجلماسة، وبالتالي امتداد النفوذ الفاطمي في معظم بلاد المغرب، دون المساس باستقرار الحسن بن كنون في حجر النسر.

3 - حملة بلكين بن زيري 362 / 973، التي نجحت في كسب تأييد صريح من الحسن بن كنون، الذي خطب باسم الخليفة الفاطمي، وتمكن من هزم جيش أمويي الأندلس عقب عودة بلكين من حملته.

قلد المعز لدين الله ولاية المغرب لبلكين بن زيري بن مناد 361 / 972. ويكشف سحبه منه كلا من صقلية وطرابلس، عن امتداد هذه الولاية لتشمل بلاد المغرب ببيئاتها الثلاث : الأدنى والأوسط والأقصى. وقد رأى مجموعة من الدارسين في إسناد ولاية المغرب لبلكين تعبيرا صريحا عن الإحباط الذي مني به الفاطميون في بلاد المغرب.

دور المغرب الأقصى في رحيل الفاطميين إلى مصر :

كانت حملة جوهر الكاتب على مصر 358 / 969 رابع محاولة فاطمية لدخول البلاد المصرية. وجاء انطلاق حملة جوهر من بلاد المغرب بعد استيفاء الإعداد لها، ومتزامنا مع اضطراب الوضع السياسي في مصر، وما ترتب عن ذلك من فوضى أفضت إلى أزمة اقتصادية تمثلت في ارتفاع الأسعار

وغلاء المعيشة، مما أوجد تذمرا شعبيا كبيرا. هذا في وقت كانت فيه الخلافة العباسية في بغداد عاجزة عن التدخل، لانشغالها بالصراع القائم بين بني بويه حول السلطة.

ولم يأت رحيل المعز لدين الله إلى مصر، إلا بعد تأكده من توازن القوى في بلاد المغرب بين صنهاجة وزناتة، ومباشرة عقب تحقيق بلكين بن زيري انتصارا ساحقا على زناتة 360 / 971، وهو أمر له دلالته في السياسة الفاطمية والمعزية خاصة، إذ ضمن الخليفة بذلك اشتداد حدة الصراع بين المعسكرين، وفي ذلك تأمين لاستمرارية نفوذه على بلاد المغرب.

وتم لجوهر الكاتب دخول مصر في 18 شعبان 358 / 7 يوليوز 969 في جيش كثيف مكنه من صد مقاومة أتباع الإخشيد. وهكذا أصبحت مصر ولاية فاطمية تابعة للخلافة في المغرب؛ وهي الوضعية التي لم تدم إلا ثلاث سنوات فقط، إذ سرعان ما عزم الخليفة المعز لدين الله على الرحيل إلى مصر، التي دخلها في رمضان 362 / يونيه 973.

وإذا كانت المصادر والدراسات الحديثة تتفق على أن رحيل الفاطميين إلى مصر راجع إلى الصعوبات التي واجهتها دولتهم في حكم بلاد المغرب، رغم تحالف إحدى القوى القبلية الكبرى معهم، وهي صنهاجة، فإن للمغرب الأقصى نصيب وافر في اتخاذ هذا القرار. فقد استعر الصراع الفاطمي الأموي في المغرب الأقصى أساسا، ورأى الطرفان معا أن خضوعه لأحدهما يعني تهديدا مباشرا للطرف الثاني. كما أن السيطرة على المغرب الأقصى تمكن من الاستفادة من المحور التجاري الغربي، الرابط بين البحر المتوسط وبلاد السودان عبر مدن سبتة وفاس وسجلماسة.

لذلك كله لم تأل الخلافة الأموية بالأندلس جهدا من أجل دعم كل حركة مناوئة للوجود الفاطمي في بلاد المغرب عامة، والمغرب الأقصى خاصة، وهو ما ساهم بنصيب وافر في التوجه الفاطمي نحو مصر.

القاضي النعمان، *رسالة افتتاح الدعوة*، 1970 ؛ الشريف الإدريسي، *نزهة المشتاق*، المجلد 1، د. ت. ابن خلدون، *العبر*، المجلدان 6 ـ 7. 1968 ؛ ابن أبي دينار، *المؤنس في أخبار إفريقية وتونس*، 1993 ؛ ابن تغري بردي، *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة*، الجزء 3. 1963 ؛ ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، المجلد 8 ؛ 1966 ؛ ابن حماد، *أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم*، 1927 ؛ المقريزي، *كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار*، الجزء 1، د. ت. أبو الفداء، *المختصر في أخبار البشر*، ج 2، د. ت ؛ الكندي، *كتاب الولاة وكتاب القضاة*، 1908 ؛ حسن إبراهيم حسن، *تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب*، 1958 ؛ حسن حسني عبد الوهاب، *ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية*، ق 3. 1972 ؛ عبد الكريم بيصعين، *الصراع الفاطمي الأموي في المغرب الأقصى خلال القرن 4*، رسالة د. د. ع. 1984، مرقونة ؛ عبد الإله بنمليح، *إفريقية الزيرية*، رسالة، د. د. ع، 1987، مرقونة، رشاد الإمام، عبيد الله المهدي ومشكلة النسب الفاطمي، *المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية*، ع 40 ـ 43. 1975 ؛ الحبيب الجنحاني، الخليفة الاقتصادية للصراع الفاطمي الأموي في المغرب، ضمن *كتاب دراسات مغربية*، 1980.

F. Dachraoui, *Le califat fatimide au Maghreb*, 1981 ; H. R. Idris, *La berbérie oriental sous les Zirides*, t. 1, 1962 ; A. Pavy, *Histoire de la Tunisie*, 1977.

عبد الإله بنمليح

فاگار، الرايس علي من رياس البحر الرباطيين العاملين في منتصف القرن (17 م) على عهد السلطة الدلائية، في فترة تعددت فيها الملاحقات الأوربية المختلفة لسفن الجهاد. وقد سقط مركب هذا الرايس في قبضة القبطان الهولندي فيليب راس (Ph. Ras) سنة 1654، وعلى متنه أربعة وأربعون مجاهدا وثلاثة أسرى، حيث تبين أنه لم يكن يتوفر على أي إذن أو شهادة إبحار، وأودع رهن الاعتقال في مدينة قاديس.

Les S.I.H.M., 1° série, Pays-Bas, t. V, p. 336.

حسن أميلي

الفاكوات (الباكوات أو الواكوات)، يذكر الجغرافي بطليموس بأن مواطنهم تقع بين الكاوني من جهة الشمال، والماكينيت من جهة الجنوب. بينما يضع صاحب مسالك أنطونين مواطنهم مع الماكينيت والباربار (تحريف للبافار). وهو بهذا يقترب من أصحاب لوائح القبائل الموضوعة في نهاية القرن الثالث والقرن الرابع الميلاديين. فصاحب لائحة فيرون (Liste de Vérone) المحررة حوالي سنة 297 م، يذكرهم بعد البافار على أساس أنهم كلهم موريون. ويذكر بالضبط : المور الباربار (البافار) والمور الباكوات. بينما يجمع صاحب Liber Generationis بين الباكوات والماسيت (الماكينيت) ويشير على أنهما مور. أما القديس جيروم (Saint Gérome) الذي تنسب إليه (Excepta Latine)، فيذكر القبائل على نفس الترتيب السابق. وإذا انتقلنا إلى يوليوس هونوريوس (Julius Honorius) فنجده يذكر بأن الباربار (البافار) والباكوات لا يفصل بينهما إلا نهر مالڤا (ملوية).

والغريب في الأمر أن العالم الطبيعي بلينوس الشيخ لا يشير إليهم في كتابه *التاريخ الطبيعي* (*Histoire Naturelle*)، الذي خصص جزءاً منه للحديث عن موريطانيا الطنجية. وقد تعرض فيه مرات عديدة إلى الأوطولول، فلا ندري سبب هذا التجاهل. فهل يعود إلى أنه في الوقت الذي حرر فيه كتابه لم يكن للباكوات وجود ؟ أم أن الباكوات لم يكونوا يلعبون في ذلك الوقت الدور الذي يدفع بلينوس الشيخ للحديث عنهم ؟ أم أن الباكوات كانوا يحملون اسما آخر ؟ أو ربما أنهم كانوا عبارة عن عشيرة من عشائر الأوطولول ؟ وعندما تقووا انفصلوا عن القبيلة الأم (الأوطولول).

وبالإضافة إلى المصادر الكلاسيكية، فقد عثر على عدد من الوثائق الإبيغرافية التي تتحدث عن الباكوات أغلبها استخرج من موقع وليلي وذلك انطلاقاً من سنوات 1919 ـ 1920. وأقدم كتابة تتحدث عنهم عثر عليها بموقع كارطينا

(تينيس الحالية Tenes بالجزائر) بموريطانيا القيصرية، وتعود هذه الكتابة إلى ما بين 117 و122 م، يعني إلى عهد هادريان.

وقد جمع فريزول النقائش البالغ عددها خمس عشرة ودرسها. وتذكر هذه الكتابات الباكوات أحياناً بمفردهم، وأحيانا أخرى بمشاركة الماكينيت والباقار، وهذا تأكيد لما ذكره بطليموس من أن الباكوات يقعون شمال الماكينيت، لأنه لكي يكون قائد الباكوات زعيماً في نفس الوقت للباكوات والماكينيت فيلزم أن تكون القبيلتان متجاورتين جغرافياً. كما أن هناك نقيشة أخرى تتعلق بالباقار والباكوات تؤكد تقاربهما جغرافياً، وهذا ما ذكره بوليوس هونوريوس عندما قال بأن الباقار والباكوات يفصل بينهما نهر مالفا (ملوية).

إذن، فاعتماداً على المصادر والكتابات الكلاسيكية يقع الباكوات بين الماكينيت من ناحية الجنوب، والباقار من ناحية الشرق، ؛ وبما أن الماكينيت في الجنوب يقعون عند منابع نهر بورگراگ والأطلس المتوسط الجنوبي، والباقار شرق نهر ملوية، فتكون مواطن الباكوات تمتد من وسط شمال الأطلس المتوسط إلى نهر ملوية. إلا أن حدود الباكوات من ناحية الشمال صعبة التحديد نظراً لانعدام وجود الليمس. فهل تتضمن ممر تازة وملوية السفلى ؟ أم أن مواطنهم لم تكن تتجاوز وسط شمال الأطلس المتوسط ومراعيه الصيفية وتنتهي عند ممر تازة ؟

ولكن، ماذا يعني هجوم الباكوات على كارطينا ؟ فهل انتقلوا من الأطلس المتوسط إلى موريطانيا القيصرية لمحاصرة هذه المدينة رغم البعد الشاسع ؟ أم أنهم كانوا مستقرين في غرب موريطانيا القيصرية ؟ وبعد هذا الهجوم على كارطينا بين سنوات 117 و122 م اضطروا لمغادرة موريطانايا القيصرية واتجهوا إلى الغرب واستقروا بالتدريج بين الأطلس المتوسط ونهر ملوية.

وإذا افترضنا هذا الرأي، فهل مغادرتهما للقيصرية كان بمحض إرادتهم أم أنه كان مفروضا عليهم ؟ هذه تساؤلات من الصعب الإجابة عليها على ضوء المكتشفات الأثرية الحالية.

ونظراً لأن قبيلة الباكوات لعبت دورا مهما في تاريخ المغرب القديم بصفة عامة وموريطانيا الطنجية بصفة خاصة، فقد حاول بعض المؤرخين المحدثين البحث عن اسمها بين القبائل الحالية أو التي كانت موجودة في العصور الوسطى، آملين من وراء ذلك إيجاد استمرار لقبائل الباكوات. من هؤلاء كاركوبينو (J. Carcopino) الذي حاول أن يربط اسم الباكوات واسم برغواطة، وذلك بعد أن حذف حرف (ر) من بورغواطة وأصبحت بغواطة، إلا أن هذا الرأي عارضه گالان (L. Galand) في الوقت الذي يرى تيراس (Terrase) أن الباكوات أقرب إلى بقوية من برغواطة، وهي قبيلة كانت تستوطن في العصور الوسطى جزءاً من الريف وناحية تازة. وسار في نفس الاتجاه غيريلي الذي درس قبيلة بقوية التي استقرت منذ القرن الحادي عشر في الريف الشمالي، وجعلها ترتبط بقبيلة قديمة كان مجالها متسعاً ويتضمن حتى منطقة تازة.

واسم بقوية لايزال موجودا إلى اليوم في شمال المغرب قرب خليج الحسيمة على شاطئ البحر الأبيض المتوسط. أما برغواطة فقد قضى عليها المرابطون والموحدون خلال القرون الوسطى.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، تر. محمد حجي والأخضر غزال، ط. 2، 1989، بيروت، ج. 1 ؛ ابن خلدون، *تاريخ العرب والبربر*، ط. 2، بيروت، م. 6 ؛ م. أعشي، *العلاقات السياسية والعسكرية بين المور والرومان في موريطانيا الطنجية ما بين 140 و285 م*، د.د.ع. كلية الآداب، الرباط، 1980 ؛ م. مقدون، *قبيلة المكنيسيين من خلال النقائش والنصوص الإغريقية واللاتينية*، *أعمال ندوة المحاضرة الإسماعيلية*، منشورات كلية الآداب، مكناس، 1988، ص. 149 - 157 ؛ أبو عبد الله البكري، *كتاب المسالك والممالك*، قرطاج، 1992.

Pline l'Ancien, *Histoire naturelle*, V, 1-64, 1ère partie (L'Afrique du Nord), Texte établi, traduit et commenté par J. Desanges, Paris, 1980 ; Pachet Maguerite, *Rome et les berbères*, Collection Latomus, n° 110, Bruxelles, 1970 ; Roget Raymond, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Rabat, 1924 ; *Index de topographie antique du Maroc*, publications du service des antiquités du Maroc, Fasc. 8, Paris, 1938 ; Ptolémée, *Géographie*, ed. C. Muller, 1901, V, 1 - 5, p. 585 et p. 587 ; S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, 8 volumes , 1913 - 1928 ; J. Desanges, *Catalogue des tribus africaines dans l'antiquité classique à l'Ouest du Nil*, Dakar, 1962.

مصطفى أعشي

فاكهاني، أحمد بن الغالي المراكشي، أول حكم مغربي لكرة القدم، وأحد معالم الرياضة المغربية عامة، ومراكش خاصة. ولد حوالي سنة 1907 بمدينة مراكش، في الفترة التي شهد فيها المغرب بداية الاحتلال، حيث أقدمت فرنسا على اختراق الحدود المغربية الشرقية، مستغلة اغتيال الطبيب موشان بالمدينة المذكورة.

وعلى عادة المغاربة، بدأ المترجم بتعلم القرآن الكريم في أحد كتاتيب المدينة، فحفظه مبكرا. ثم انخرط في سلك التعليم الرسمي، في مدرسة القنارية، قبل أن يلتحق بالقسم الصناعي، في مدرسة عرصة المعاش. فحصل على دبلوم التأهيل المهني سنة 1932. وقد امتاز بسرعة الحفظ، وقوة الحافظة ؛ حيث استمر قادرا على استحضار الشواهد من القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر، وكثير من الحكم والمواعظ، باللغتين العربية والفرنسية.

وكان رحمه الله حركيا، كثير النشاط، متعدد التوجهات، محبا للعمل ومتفهما لروح المسؤولية. وتشهد المهام المتعددة التي اضطلع بها على ذلك. وقد ساعده على النجاح في الجمع بين ما وهبه الله من بسطة في الجسم وسلامة في الفطرة. ويبدو من المفيد أن نقسم تلك المهام إلى ثلاثة جوانب.

- أما فيما يخص الحياة المهنية، فقد أهله حصوله على شهادة التأهيل المهني للاشتغال في مؤسسة "مفر" للنجارة،

قبل أن يؤسس معملا خاصا به، اعتبر الأول من نوعه بالمغرب. وإلى جانب ذلك، تعاطى المترجم استعمال آلات اللحام العصرية، فكان كذلك من أوائل مستعمليها. وتخصص في صناعة هياكل الشاحنات والحافلات ؛ فشارك في إنجاز عدد من المشاريع في ميدان البناء بصفة خاصة. وفي هذا السياق، لا بد من الإشارة إلى أنه أشرف على إعادة بناء المسجد الجامع بالحي الذي كان يقطنه. ونظرا لسبقه وألمعيته، فقد انتخب للاضطلاع بأمانة صانعي هياكل الحافلات والشاحنات، وعضوية غرفة الصناعة التقليدية. وكان هو الرئيس المؤسس لأول تعاونية للنجارين بمراكش، وأمينا لنفس المؤسسة، بعد ذلك عين عضوا للجنة الدائمة لمعرض الجنوب الكبير، ومعارض الصناعة التقليدية.

- وبصدد حياته السياسية، فقد انخرط المترجم في الحركة الوطنية، وكانت الواجهة الرياضية هي المضمار الذي استبد بعمله الوطني، كما سيتبين وشيكا. ومع ذلك فقد ناضل تحت لواء حزب الاستقلال. وبعد انفراط عقد الحماية، انتخب عضوا في أول مجلس بلدي لمدينة مراكش. فأثنى الناس على نزاهته وتفانيه في خدمة الصالح العام.

- وأما حياته الرياضية، فإن أعماله المتعددة لم تنسه الاهتمام ببدنه، حيث استهوته كرة القدم، فانضم إلى نادي الصام المراكشي، ولم يتجاوز بعد الخامسة عشرة من عمره. فحصل، مع ذلك الفريق، على ميدالية البطولة الوطنية في سنوات 1931 و1932 و1933 . ويظهر أنه استمر لاعبا حتى سنة 1937 ، حيث حصل على شهادة التأهيل الرياضي التي خولته ممارسة التحكيم. وبذلك كان أول حكم مغربي في عهد الحماية، إذ كانت تلك الوظيفة حكرا على الفرنسيين. ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل دفعه شعوره المفعم بالوطنية إلى تأسيس لجنة التحكيم بالجنوب، مقابل اللجنة الموجودة بالشمال ؛ والتي كانت تحت الهيمنة المطلقة للفرنسيين. ولما بلغ مصدر القرار، وظهرت العصب، ساهم بقسط وافر في تأسيس العصبة الحرة المراكشية لكرة القدم. ونتيجة لسلوكه القويم، فقد مارس التحكيم بنزاهة، تستشف من المراسلات التي وقعت بينه وبين محمد بلحسن، الملقب بالأب جيگو، وغيره من المسيرين والحكام واللاعبين الكبار. ومن ثم لم يكن من الصدفة أن ينال المترجم ميدالية التحكيم سنة 1948.

وقد وقفنا على عدد من الوثائق في ملكية أسرته، تفيد المهتم بهذا الجانب من التاريخ. وفي هذا الإبان ظهر فريق الكوكب المراكشي الذي أسهم في تأسيسه. كما أطلق اسمه على إحدى القاعات الرياضية بمدينة مراكش، تخليدا لذكراه.

وإلى جانب هيامه بكرة القدم، لاعبا وحكما ومسيرا ومتفرجا، فقد مارس رياضات أخرى، كألعاب القوى، والصيد والقنص. مع العلم بأن ذلك كله لم يكن ينسيه تلاوة القرآن والذكر والصلاة، ومختلف أعمال الخير ؛ لا سيما الوساطة لإصلاح ذات البين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وفي سنة 1960 ارتحل إلى المشرق، على متن الباخرة، لأداء فريضة الحج، وزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم. وتبينا من خلال مستندات أسرته، أنه كان شديد الحرص على حفظ وثائقه، وتنظيم وقته، وحسن تدبير أموره، بما في ذلك تربية أبنائه التسعة الذين بلغ جلهم أعلى المراتب في الثقافة والمناصب الإدارية والتربوية. وبذلك كان نموذج الإنسان الذي جمع بين العمل لدنياه ولدينه ووطنه. وكانت وفاته رحمه الله يوم السبت 4 أبريل سنة 1998.

وثائق ومستندات الأسرة ؛ *الرواية الشفوية*.

Journaux, *Le Petit Marocain*, *La Vigie*.

أحمد عمالك

فاكيانوس Pacianus، قائد عسكري روماني تدخل في موريطانية سنة 82 ق.م.

كلفه القائد صولا Sulla بمساعدة الملك الموري أسكاليس Askalis. وذلك في ظروف الحرب الأهلية الرومانية الأولى التي قامت بين مريوس Marius وصولا.

ففي هذه الأثناء قامت ثورة بموريطانية، نتيجة تفاقم التناقضات الداخلية بين السلطة ومؤيديها ضد المعارضين للانفتاح على الرومان وجعل البلاد عرضة لتأثيراتها الاقتصادية والسياسية.

ونرجح أن السبب المباشر في اندلاع هذا الصراع هو وفاة الملك بكوس Bocchus الأول، الذي وقف من قبل بالمرصاد لمعارضيه، وظل متشبثا بسياسته، ومتعلقا بالسير في فلك الرومان. وبما أنه كان صديقا لصولا فإن هذا الأخير ساند الملك الجديد، لأنه يسير على نفس النهج الذي رسمه بكوس.

غير أن الثوار الموريين استماتوا في المواجهة، وبمساعدة القائد الروماني سيرطريوس Sertorius تمكنوا من تحقيق هدفهم، فقتلوا أسكاليس وفاكيانوس وولوا ملكا جديدا أغفل المصدر ذكره اسمه.

لكن هذا الانتصار لم يدم طويلا، إذ سرعان ما كلف صولا قائدا جديدا يدعى بومبيوس Pompeus بالتدخل في موريطانية وتسوية شؤونها لصالحه. وقد نجح في مهمته، ونصب على موريطانية ملكا جديدا هو مستانسسيوس Mastanesosus.

م. مجدوب، *أضواء على أوضاع موروسية*، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، العددان 2 ـ 3، ص. 61 ـ 82، 1990 ؛ *ملكة الموريين وعلاقاتها مع رومة لغاية سنة 33 ق. م.*، ر. د. د. ع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1990، فاس، مرقونة.

Plutarque, *Sertorius*, 9, 6 - 10 ; S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, tome 8, Paris, 1928 ; M. Majdoub, Pompeus Magnus et les rois maures, dans *Africa Romana*, 12, p. 1312 - 8, 1998.

محمد مجدوب

فال ولد عمير من أمراء الترارزة البارزين الذين قاوموا الاحتلال الفرنسي لبلاد شنقيط. تلقى تكوينا محضريا جيداً كسائر أهل شنجيط، فكان يجيد الشعر والأدب إلى جانب

الثقافة العصرية التي حصلها في المدارس الحديثة والتي مكنته من إجادة الحديث بالفرنسية ومعرفة الثقافة الأجنبية. تولى الإمارة سنة 1951 بعد وفاة والده الديد الذي قاوم التغلغل الفرنسي في بلاد شنقيط لمدة طويلة.

بعد معركة إكوفيون التي شنها التحالف الإسباني الفرنسي على جيش تحرير الجنوب المغربي من أبريل 1958 انسحب من حكومة المختار ولد دادة التي نصبها الاستعمار الفرنسي في بلاد شنقيط لمواجهة ما كان يسميه آنذاك بالمطامع التوسعية للمغرب والتحق بالمغرب رفقة مجموعة من أعضاء هذه الحكومة الصورية مثل الداي ولد سيدي بابا ومحمد المختار ولد بّاه وإسماعيل ولد اعبيدنا وغيرهم، ووضع نفسه رهن إشارة الملك محمد الخامس والحركة الوطنية المغربية.

قضى مدة في سجن بموريتانيا نقل بعدها إلى داكار للعلاج حيث توفي بإحدى مستشفياتها، فنقل إلى نواكشوط ليدفن في تنْدَگْسَمِّي (80 كلم جنوب شرقي نواكشوط) بجانب أحد أشياخه وهو محمد سالم ولد ألْمًا.

- محمد بنسعيد آيت ايدر، *صفحات من ملحمة جيش التحرير الجنوب المغربي*، ص. 39 - 68 - 165 - 166 - 209، الدار البيضاء، 2001.

- وقد استقيت باقي المعلومات عنه من الأستاذ ماء العينين الطالب أخيار من نواكشوط عن طريق الأستاذ ماء العينين مربيه ربه.

محمد الظريف

ابن **فائدة** (القائد محمد) أحد قواد صدر العهد الحفيظي على أولاد سيدي رحال من السراغنة، وفائدة التي ينتسب إليها هي إحدى جداته، وهو شريف حسني ينتمي إلى الولي بويا عمر بن عبد العزيز بن سيدي رحال دفين زمران. اشتغل في عهد السلطان مولاي الحسن مقابلا لفلاحة المخزن بتمسلالة القريبة من مقر آبائه، كما أشرف على الساقية السلطانية وتسييرها ؛ وقد حسنت سيرته وكفاءته، فازدادت حظوته. كما تعاطى للتجارة بين مراكش وفاس واستعمل في ذلك وسطاء اليهود خاصة، ولتطلعه لمزيد من التألق في الخدمات المخزنية ربط علاقات صداقة وود مع قواد گلاوة وآل محمد الصغير السرغيني بقلعة السراغنة ؛ فتم تعيينه قائداً عام 1325 / 1907 من طرف المولى عبد الحفيظ ضمن قواد جدد بالسراغنة وزمران، كرحال بن الگديدة ورحال بن بوشعيب الخيراوي ومحمد اليعگوبي ... وكانوا من المؤيدين لبيعته، بعد ذلك شرع ابن فائدة في تنظيم إيالته وتنصيب شيوخه وأعْوانه عليها، كما جعل أخاه لفضالي خليفة له، إلا أن الإيالة لم تكن لتركن له فقام ضده الغوغاء من أولاد سيدي رحال وقتلوه بعد مهاجمته في داره قرب تمالت، في نفس سنة تنصيبه أي عام 1907، ولعل ذلك بسبب بقاء جلهم وفياً للمولى عبد العزيز، وهو ما جعلَ السلطان المنصب يحث أكثرية شهر دجنبر وسط زمران والسراغنة لمؤاخذتهم على عنادهم، الذي واجهه قواد گلاوة منذ عام 1903.

ح. شوقي، *قبيلة زمران خلال القرن التاسع عشر، (1822 - 1912)*، ج 1، مرقون، الرباط، 2002.

C. Huot, Situation politique en chaouia, *R.G.M., t. III, 1922, p. 233* ; M. Segonzac, *Au cœur de l'Atlas*, Paris, 1910, p. 16.

الحسن شوقي

الـفائجة، كان اسم الفائجة مصطلحا مخزنيا ترابيا يطلق إجمالا في القرن التاسع عشر على الأراضي والقبائل الواقعة بين السفح الجنوبي لأطلس مراكش والصحراء، ويطلق بمعنى أكثر تحديداً على مناطق الأطلس الصغير الواقعة بين جبل سيروا شمالا وجبل باني جنوبا ووادي درعة شرقا، وهي مناطق تضم مجمل القبائل التي شملها نفوذ القادة المزواريين.

إبراهيم ياسين، *جنوب أطلس مراكش تحت حكم الفرنسيين والقادة الگلاويين*، أبي رقراق، الرباط، 2003، ص. 71.

إبراهيم ياسين

فايضي، خليفة بن محمد ولد سنة 1921 بأولاد عمور الغربية دائرة خميس الزمامرة إقليم الجديدة.

كان من المؤسسين للمقاومة السرية بالدار البيضاء ومن الذين شاركوا في الكفاح المسلح بروح حماسية وصمود كبير.

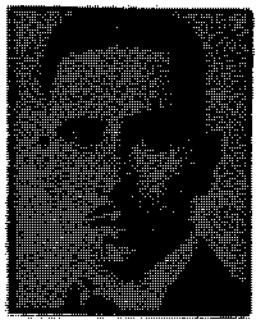

وقد قام بعدة أعمال تخريبية ضد المستعمر منها حسب ما ورد بملفه 13 آغتيالا، وتوزيع أربعة قنابل تستهدف ضرب مصالح المستعمر، كما شارك إلى جانب المرحوم بوشعيب لحريزي والمرحوم عبد القادر في عدة عمليات إلى جانب توزيع السلاح والربط فيما بين الخلايا الأخرى.

وفي سنة 1956 اختطف من طرف مجهولين من منزله حيث عثر عليه مقتولا رحمة الله عليه.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 520943.

الـفتاش، في بعض المناطق في المغرب يذكر هذا النوع من السرج بصيغة المؤنث "فتاشة" وهو مصباح تقليدي شبيه

بقنديل الزيت، بسيط في صناعته وتشغيله، وقد ظهر مع ظهور البترول ومشتقاته وخاصة الغاز السائل ؛ وهو عبارة عن علبة من القصدير أسطوانية الشكل بها ثقب في وسطها تخرج منه فتيلة مشبعة بالغاز الذي يملأ العلبة ويتم إشعال الفتيل الذي لا ينطفئ إلا إذا أراد المستعمل ذلك أي أن الرياح الشديدة لا تطفئه ومن هنا جاءت التسمية "الفتاش" أي أنه يساعد على البحث وتفقد الأماكن ورؤية الأشياء في الهواء الطلق والتنقل به وبواسطته من مكان إلى آخر حتى في الأجواء العاصفة.

ومن الفتاش التقليدي المصنوع في الغالب من علب المصبرات الأسطوانية الفارغة إلى الفتاش العصري المتقن والذي يستعمل الگازوال وهو أكبر حجما وأكثر إضاءة ودخانا، ويستعمل عادة في الليل من قبل عمال الأوراش والأشغال الجارية على جنبات الطرقات وغيرها لتظهر حدود الأوراش ومعالم الأشغال تجنبا للحوادث.

ابن أبي زرع، *روض القرطاس* ؛ الحسن الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ م. الطويل، *النقل والتنقل* (أطروحة)، مرقون ؛ مذكرات خاصة.

محمد حجاج الطويل

فتحون البزازية، امرأة صوفية صالحة ورد ذكرها كثيراً عند كل من ترجم للولي الصالح بمكناس سيدي محمد بن عبد الرحمن بصري، الذي أخذ التصوف وعلم الباطن على يد امرأة صالحة وذلك ما أشار إليه كل من صاحب الدوحة وصاحب *الإتحاف* : "... غير أنه يزعم أنه أخذ طريقة التصوف عن امرأة هنالك ويدعي لها أسراراً ومناقب ونحوه في *ابتهاج القلوب*. إلا أن المصادر اختلفت في تسمية تلك المرأة، فالبعض يميل إلى القول بأنها : "السيدة الجليلة ذات الأحوال الباهرة، والخوارق الظاهرة مريم بنت عبود الأندلسية دفينة رأس التاج خارج باب عيسي أحد أبواب مكناسة الزيتون". بينما يذكر البعض الآخر أن المرأة المتصوفة المقصودة هي فتحون البزازية دفينة رأس التاج، وذلك اعتمادا على ما جاء في منحة الجبار لمحمد العربي بصري : "وأخبرني بعض الأندلسيين من أهل القورجة أنها السيدة فتحون البزازية وأن السيدة مريم هي التلميذة، وللسيدة فتحون أيضا روضة براس التاج مشهورة هنالك".

ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 4، ص. 28-34، ج 5، ص. 515 ؛ البصري محمد العربي، *منحة الجبار* ؛ ابن عسكر، *الدوحة*، ص. 84.

رقية بلمقدم

الفتنة والفتان، تفيد اللغة أن فتن معناه أعجب وأمال وولّه إلى حد الخروج عن الجادة والوقوع في الضلال. والمفتون بالدنيا أو المفتتن بها من لا يهتم بسواها. والفتان أصلا هو الشيطان. ويقال بين القوم فتنة أي حرب. وقيل بنو ثقيف يتفاتنون أبدا أي يتحاربون. ودينار مفتون دينار فتن بالنار. والفتانان الدرهم والدينار. ويقال : إن كنت من أهل الفطن فلا تدر حول الفتن. ولقد نزلت آيات عديدة في القرآن تحذر من مغبة الفتنة بشتى معانيها. قال الله عز وجل في سورة الأعراف : يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون (آية، 27). وقال عز من قائل في سورة طه : ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمان فاتبعوني وأطيعوا أمري (آية، 90). وفي هذه السورة أيضا : ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى (آية، 131). وجاء في الفتنة بمعنى الحرب قوله عزّ وجل في سورة البقرة : والفتنة أشد من القتل (آية، 191) وفيها أيضا : والفتنة أكبر من القتل (آية، 217). وقال في سورة الأنبياء في عبارة جامعة لكل معاني الفتنة : كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون (آية، 35).

وفي *صحيح البخاري* كتاب عن الفتنة في عدة أبواب، منه باب الفتنة التي تموج كموج البحر، فيه عن حذيفة قال : "بينا نحن جلوس عند عمر إذ قال أيكم يحفظ قول النبي (ص) في الفتنة. قال فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره تكفّرها الصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال ليس عن هذا أسألك ولكن عن التي تموج كموج البحر. قال ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين، إن بينك وبينها بابا مغلقا. قال عمر أيكسر الباب أم يفتح " قال بل يكسر. قال عمر إذا لا يغلق أبدا". ويفهم من هذه الشواهد أن الفتنة فتنتان فتنة الفرد وفتنة الجماعة. أما فتنة الفرد فهي ميل عن الوسط إفراطا في العبادة بالتخلي عن نصيبه من الدنيا أو تفريطا في الواجبات الدينية بالانصراف المطلق إلى الماديات والشهوات. وأما فتنة الجماعة فهي خروج عن العقيدة السليمة وعن النظام الجماعي وإثارة البلبلة بالمغالاة على أولي الحل والعقد والتطرف في انتقادهم وتشغيب العامة عليهم. وكل من يدخل هذا الدرب فهو فتان يجوز للإمام محاربته ورد كيده في نحره. وما أكثر صفحات الفتنة في تاريخ المغرب. فإنها تسجل انفجار التناقضات السياسية التي ينطوي عليها المجتمع. وحيث لا يسمح المقام بتتبع ما جرى من ذلك عبر القرون والعصور، فيكفي أن نذكر أن مفهوم الفتنة ملازم للمفهوم الشرعي للدولة الإسلامية فيرمى بإثارة الفتنة كل من يروم الثورة عليها. وتنطلق أسباب الفتنة إما من أعلى الهرم الاجتماعي وإما من أسفل الطبقات. كما تنبعث من الدوائر السلطانية المركزية أو تشتعل في الأطراف النائية. وتأتي الفتنة من أعلى أو من المركز الحاكم في الغالب من اضطراب أحوال الدولة القائمة ومن انتقالها إلى طور الأفول والهرم بناء على النظرية الخلدونية أو لما كان من عادة الملوك من تقسيم ممالكهم بين ذريتهم المتعددة، فتندلع الحروب بينهم حتى يفوز بالملك

أقواهم عصبية أو تتغلب عليهم دولة جديدة. وقد حصل ذلك في تاريخ المغرب مراراً وتكراراً فعقد له صاحب الاستقصا أبوابا متلاحقة، مثل باب حدوث الفتنة بين بني إدريس في القرن الرابع (العاشر من الميلاد). وباب فتنة الخلط مع الرشيد الموحدي واستيلاؤهم على حضرة مراكش في القرن السابع (الثالث عشرم.)، وباب حدوث الفتنة بين السلطان يعقوب المريني وابن الأحمر وما نشأ عن ذلك من حصار الجزيرة الخضراء، وحدوث الفتنة بين السلطان أبي سعيد والسلطان أبي فارس الحفصي سنة 827 / 1423. كما عقد المؤرخ المذكور بابا عن رياسة اليهوديين هرون وشاويل وما نشأ عن استبدادهما من المحنة والفتنة في السنوات الأخيرةمن الدولة المرينية. ثم كان من الفتن ما كان بعد وفاة المنصور الذهبي السعدي فعقد الناصري بابا عن انحراف أهل مراكش عن طاعة زيدان وبيعتهم لأخيه أبي فارس وما نتج عن ذلك من الفتن. وفيه ذكر الحديث القائل إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الأخر منهما، ذلك بأن الفتنة هي الفوضى ولا سبيل إلى عبادة الله وإلى قضاء حاجات الدنيا بدون سلم وسكينة. وينعدم ذلك بمجرد ما تضطرب أحوال إمارة المؤمنين مثلما جرى بعد وفاة المنصور الذهبي (مطلع القرن 11هـ / 17م) وبعد وفاة المولى إسماعيل العلوي (القرن 12هـ / 18م) عندما قام أولاده يتناحرون على الملك بمعاونة عبيد البخاري وقبائل الجيش وغير الجيش (بعقد الجيم). ومما يثير الانتباه أن المؤرخين وسموا تلك المرحلة من تاريخ الدولة العلوية بأنها "الفترة"، ذاكرين كل ما وقفوا عليه مما تخللها من أسباب الفتنة العظمى. وكان الذي أخمد نيرانها هو السلطان محمد بن عبد الله (1170 - 1204 / 1757 - 1790). بيد أنه ما أن وافاه الأجل المحتوم حت قامت الفتنة بين ورثته إلى أن تغلب منهم المولى سليمان فاجتمعت الكلمة عليه وامتد حكمه زهاء ثلاثين سنة كانت السنوات الأخيرة منها كلها فتن وقلاقل. وكان آخر ما تجلى من الفتن بسبب اضطراب أحوال الدولة من جهة رأسها هو قيام المولى عبد الحفيظ على أخيه السلطان المولى عبد العزيز سنة 1325 / 1907. أيام اشتداد الحصار الاستعماري على البلاد فتزعزعت الأعمدة في المركز والأطراف على حد سواء. وكان من اضطراب الأطراف يومئذ ثورة الجيلالي الزرهوني المدعو بوحمارة الذي يمكن اعتباره آخر تجسيد للفتان على ما وصف عليه منذ قيام الدولة الإسلامية في المغرب، بدءاً بمحمد بن هود السلاوي المعروف بالماسي في عهد عبد المؤمن الموحدي إذ وصفه ابن عطية بأوصاف لم يفتأ المؤرخون يرددونها بحسب ما تيسر لكل واحد منهم من البلاغة فقال: "وكان مقدمهم الشقي قد استمال النفوس بخزعبلاته فأتته المخاطبات من بعد وكثب واستلب إليه الرسل من كل حدب وصوب واعتقدته الخواطر أعجب العجب" (ج 2، ص. 11). ثم لما صارت الدولة الموحدية إلى الانتشار، قام عليها محمد ابن أبي الطواجين الكتامي المتنبي، عرف بأبي الطواجن لكثرة ما كان يستعمل منها فيما ينتحله من الكيمياء فتتبعته الغوغاء ثم ادعى النبوة وشرّع الشرائع وأظهر أنواع الشعبذة فكثر أتباعه ثم اطلعوا على خبثه فنبذوا إليه عهده" وذلك سنة 625 / 1227. وكان من ذلك أيضا سنة 993 / 1584. ثورة الحاج قرقوس تسمى أمير المؤمنين ولم يكن في أول الأمر سوى حائك تلبس بالزهد والصلاح واعتقدته العامة إلى أن "أخذ وقتل وحمل رأسه إلى مراكش وانقطعت مادة فساده فلم تبكه أرض ولا سماء" (ج 5، ص. 117). وفي القرن الثاني عشر / الثامن عشر تصدى السلطان محمد بن عبد الله لفتان مماثل اسمه أبو الصخور الخمسي. قال الناصري: "كان يظهر التنسك والعبادة ويزعم أنه يستخدم الجن فكان للعامة فيه اعتقاد كبير ثم صار يقول للناس هذا السلطان لا تطول مدته فأخذه السلطان وقتله وبعث برأسه إلى فاس". وجرى مثل ذلك في القرن اللاحق في عهد محمد بن عبد الرحمان مع الجيلالي الروكي الذي ذكرنا ثورته في هذه المعلمة فلتنظر في مكانها.

بيد أن الفتنة ليس لها دائما رأس معيّن. فقد تقوم جراء شغب القبائل أو الزوايا أو الحواضر التي يتشكل منها المجتمع المغربي. فمن ذلك فتنة قبائل الخلط العربية مع الرشيد الموحدي واستيلاؤهم على مراكش سنة 632 / 1234. ومنها فتنة قبائل الشاوية ووصولهم إلى المغرب في نهاية العهد المريني. ومنها ظهور بدعة الشراقة من الطائفة اليوسفية. قال الناصري: "واعتقد هذا المذهب الخسيس كثير من الغوغاء وأجلاف العرب وأهل الأهواء من الحواضر" (ج. 5، ص. 50). وافتتنت قبائل آيت إدراسن بالأطلس المتوسط أيام الفترة في القرن الثاني عشر / الثامن عشر. وتجددت فتنة القبائل الأمازيغية بتلك الجبال حول الزاوية الحنصالية في السنوات الأخيرة من عهد المولى سليمان في طليعة القرن الثالث عشر / التاسع عشر. أما الحواضر فالذي جرى فيها من الفتن أكثر من أن يحصى على اختلاف المكان والزمان. وسبب ذلك كثافة العمران واختلاط الملل والنحل التي كانت تكبث غضبها وأهواءها تحت السلطان القوي وتفجر كل ذلك عند انخضاد شوكة الدولة، مثلما حدث غداة وفاة المنصور الذهبي السعدي أو في مطلع عهد المولى إسماعيل العلوي وكأن العامة تريد اختبار قوة كل سلطان جديد. قال الناصري: "وهاجت فتنة بفاس قتل فيها نفر من أولاد الثائر المقدم أبي الربيع سليمان الزرهوني مولاي حفيد بن إدريس أخا الشريف المذكور فكان ما كان مما لست أذكره" (ج 7، ص. 48). وكذلك ثار الضباغون على السلطان المولى حسن بعد مبايعته سنة 1290 / 1873، مطالبين بإلغاء المكوس ولكنهم سرعان ما أدركوا أن لا طاقة لهم بحزمه وعزمه. وقد تشتعل نيران الفتنة لأدنى سبب أو ميلا مع ما يشاع من الإشاعات في العامة: قال الناصري: "في سنة إثنين وثمانين ومائتين وألف (1865) حدثت فتنة بفاس وذلك أن الناس كانوا في صلاة الجمعة بمسجد القرويين خامس ربيع

الأول وكان فيهم التاجر الأمجد أبو عبد الله الحبيب بن هاشم ابن جلون الفاسي فلما سجد مع الناس شدخ بعض اللصوص رأسه بحجر كبير من أحجار التيمم التي تكون بالمسجد ثم انحنى عليه بخنجر كان بيده فقطع به صفاق بطنه وساوره التاجر المذكور وما بالعير من قماص. ولما وقعت الضجة قطع الناس صلاتهم وخرجوا فارين من المسجد وتركوا ثيابهم ونعالهم ومصاحفهم وغير ذلك فقائل يقول إن الإمام المهدي قد خرج وآخر يقول إن الناس يذبح بعضهم بعضا في الجامع واهتزت المدينة ثم تراجع الناس بعد حين. وأما اللص فإنه خرج شاهراً سلاحه حتى وصل إلى باب المسجد فإذا به قد أدار حبالا كثيرة من تحت الثياب على بدنه فقتلوه هنالك [...]" (ج 9، ص. 115). وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن الفتنة كانت نائمة في المجتمع المغربي قبل الحماية، ويكفي أدنى سبب لإيقاظها فتنفجر التناقضات وتضطرب الأحوال وتتجلى هشاشة البنيات الاجتماعية. أما بعد الحماية، فإن مفهوم الفتنة سوف يختفي من القاموس السياسي المغربي بسبب ما أدخل على البلاد من التغيير. فإذا اعتبرنا أن الفتنة كانت قديما تعبيرا عن حيوية المجتمع ومتنفسا يمكنه من الصدع بهواجسه وتظلماته وتشوفاته، فإن المجتمع المغربي خرج من مقاومة الاستعمار ومن معركة استرجاع سيادة البلاد والاستقلال بوسائل جديدة للتعبير عن حيويته والصدع بما يختلج في الصدور. فالدستور والحزب والنقابة والجمعيات على اختلاف مشاربها والصحافة والمظاهرات السلمية في الشوارع والأزقة وما إلى ذلك من الوسائل النظامية الرصينة لإبلاغ الحكام بما تريد الجماهير الشعبية إبلاغهم به، كل ذلك يوحي بثقافة سياسية تختلف تماما عما كانت عليه الأمور في السابق فكأن الفتنة استحالت باستحالة الافتتان على الوجوه التقليدية، مما لا يعني أن الشارع المغربي قد التزم السكينة المطلقة، فإنه هاج وماج في عهد الملك الحسن الثاني عدة مرات في الدار البيضاء وتطوان ومراكش وفاس. ولكن ذلك سمي بالشغب أو بالاحتجاج أو بالانتفاض ولم يوسم بالفتنة إلا على سبيل المجاز.

أ. بن خالد الناصري، *الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى*، دار الكتاب، الدار البيضاء، 9 أجزاء، 1960.

إبراهيم بوطالب

الفْتُوحْ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Fath. ومن أبرز أفرادها : محمد بن محمد كان من بيت عدول تطوان سنة 1052 (1642) ومحمد بن عبد السلام كان من أبرز فقهاء تطوان وكان على قيد الحياة سنة 1162 (1652).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

الفتوح (باب -) يعد من الأبواب الرئيسية بفاس، وهو يقع بالسور الشرقي لعدوة الأندلس، شيد في مرحلة عسيرة من تاريخ المدينة تمثلت في الصراع المرير بين الأخوين الشقيقين : الفتوح وعجيسة ابني دوناس بن حمامة. فبعد وفاة هذا الأخير عام 452 / 1060 ، تولى ابنه الأكبر الفتوح شؤون المدينة واتخذ عدوة الأندلس مقرا له، في حين أسند إلى أخيه الأصغر عجيسة أمر عدوة القرويين. وبما أن هذا الأخير كان طموحا، فقد أعلن الثورة ضد أخيه مستفيداً من مورفولوجية المدينة وتكوُّنها من عدوتين مستقلتين عن بعضهما البعض. وأمام احتدام الصراع بين الطرفين قام الأمير الفتوح ببناء قلعة منيعة وباب جديد بعدوة الأندلس بغية تعزيز الوسائل الدفاعية لمدينته، وبالمقابل قام أخوه عجيسة بإنشاء قلعة وباب بعدوة القرويين، وقد أخذ كل باب اسم صاحبه وبانيه. وهكذا يتبين بأن باب الفتوح شاهد على إنجاز مجموعة ثانية من الأبواب بأسوار عدوتي فاس وذلك بعد الأبواب الأصلية التي أقيمت أثناء إنشاء المدينة خلال العهد الإدريسي.

ومنذ تشييده قام باب الفتوح بأدوار مختلفة ذات طابع عسكري واقتصادي وتواصلي (خروج الجيوش المتوجهة نحو المناطق الشرقية، ودخولها، تجمعها بجواره، إدخال السلع والبضائع، تنقل من وإلى المدينة الخ) ومع أن عدداً من أبواب فاس أغلقت بسبب الفتن والمجاعات التي توالت على فاس خلال العقدين الثالث والرابع من القرن السادس الهجري، فإن باب الفتوح استمر في أداء وظيفته.

وتعرض باب الفتوح لتحول كبير خلال الفترة العلوية، ذلك أن السلطان العلوي المولى سليمان أمر عام 1213 / 1798 بفتح باب آخر بإزاء باب الفتوح أكبر منه على قدر باب المحروق ... وخط الباب الجديد بإزاء باب الفتوح.

الظاهر اذن أن باب الفتوح القديم كان صغير الحجم قبل أن يتم بناء باب ضخم بإزائه أيام العلويين. وتدخل عملية توسيع باب الفتوح والزيادة فيه في إطار مشروع كبير للمولى سليمان استهدف ترميم أسوار فاس وأبوابها، علما بأنها تعرضت عام 1142 / 1729 لعمليات الهدم من قبل حمدون الروسي عامل السلطان المولى عبد الله على فاس.

يمثل باب الفتوح إحدى المعالم التاريخية والأثرية بفاس، وهو يعطي نموذجا حيا لمدى قدرة المعلمين والفنانين المغاربة على تكييف المعمار مع التطورات التاريخية. فالبالرغم من تعدد التدخلات وعمليات الترميم لباب الفتوح فإنه ظل منسجما ومتناسقا مع المشاهد المعمارية والعمرانية الأصلية المحيط به.

ابن أبي زرع، *الأنيس المطرب*، الرباط، 1970 ؛ الجزائي، *جنى زهرة الآس*، ط 1، 1971 ؛ الزياني أبو القاسم، *البستان*، الرباط، 1992 ؛ الضعيف الرباطي، *تاريخ الضعيف*، الدار البيضاء، جزءان، 1988.

الحاج موسى عوني

الـفـتـوى ، تعني لغة الإبانة والإجابة عن مسألة من المسائل، وتفيد اصطلاحا الإخبار بحكم شرعي من غير إلزام حول واقعة من الوقائع سواء أكانت هذه الواقعة متكررة أم نادرة الحدوث، أو كانت قديمة أم مستجدة، أو كانت حقيقية أم افتراضية. والفتاوى بهذا المعنى، ترادف النوازل والمسائل والأجوبة مع فارق بسيط يتمثل في كون النوازل تختص حصرا بالحوادث والقضايا التي جرت في الواقع، في حين تتضمن الفتاوى الأحكام الشرعية التي وقع الإفتاء بها حول مسألة من المسائل المسؤول عنها، سواء حدثت أم لم تحدث. وتتردد في القرآن الكريم في مواضع متعددة وعبر سياقات مختلفة لفظتا الفتوى والسؤال بمعاني متشابهة. يقول الله تعالى في سورة البقرة "يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير" (الآية، 215) ثم "يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس" (الآية، 217) وأيضا "ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير" (الآية، 218) وفي سورة النساء يقول عزّ شأنه "ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن" (الآية، 127) ثم "يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة" (الآية، 176).

وتتألف الفتوى في بنيتها العامة من سؤال وجواب. فأما السؤال فيعرض إلى تفاصيل النازلة وملابساتها كما جرت في زمان ومكان محددين. وأما الجواب فيتضمن الحكم الشرعي الذي يقدمه الفقيه المستفتى على ضوء الضوابط الجامعة والنصوص المقررة في القرآن والسنة وكتب شيوخ المذهب المالكي التي ظلت تمثل مراجع ثابتة فيما يتصل بأبواب الفقه والفتوى في منطقة الغرب الإسلامي بأنها. كما يعرض الجواب أحيانا أخرى كذلك، لآراء بعض الفقهاء، قدامى كانوا أو معاصرين، ممن كان لهم نظر واجتهاد وتحقيق بخصوص نفس النازلة، إما على سبيل الاستئناس والمحاججة تارة، وإما على سبيل القياس والمقارنة تارة أخرى، وذلك لاستنباط الأحكام الفقهية وتحقيق المناط الشرعي. وينتهي مساق الفتوي بذكر اسم الفقيه الذي جرى استفتاؤه أحيانا، وبإثبات أسماء الشهود الذين حضروا الفتوى وتاريخ البث فيها وهي حالة قلما تتكرر عبر ثنايا الفتاوى.

أما تبويب كتب النوازل والفتاوى فقد كان يتم وفق نمط ترتيبي معلوم تركه مالك ابن أنس وتبعه خليل في ذلك فيما بعد، حيث كان يخصص القسم الأول منها للعبادات فيما كان يخصص القسم الثاني للمعاملات. وبالنسبة لجامعيها فقد يكون فقيها واحدا أو مجموعة من الفقهاء معاصرين لجامعها أو سابقين لعصره وقد يكون تلاميذ الفقيه المفتي أو أقاربه، إلا أن ما يلاحظ في هذا الشأن هو أن عملية الجمع هاته لم تكن تقف عند مستوى التصنيف والتبويب فقط، وإنما كانت تتعداها أحيانا إلى التدخل لإبداء الرأي حول نازلة من النوازل إما من خلال تأييد الحكم الوارد في شأنها وتعزيزه بأدلة تفصيلية جديدة أو من خلال معارضته والرد عليه ببيان أوجه القصور التي تعتري محتواه وبناءه، وقد يصل هذا التدخل، في أحيان أخرى، إلى حد صياغة تأليف قائم بذاته حول مسألة من المسائل المطروحة في سياق من السياقات إما في صيغة خطبة أو رسالة أو تقييد مستقل.

أما فيما يتصل ببنية الفتاوى فإن حجمها عموما كان يختلف بين الطول والقصر تبعا لنوعية النازلة المستفتى عنها (نظرية أم واقعية) ومكانة المفتي بين معاصريه ومستوى تكوينه الفقهي وكفاءته العلمية.

ولما كانت خطة الإفتاء من الخطط الدينية جليلة القدر والرتبة، عظيمة الحرمة والقداسة لما لها من دور مؤثر في توجيه حياة المجتمع وتنظيم أحواله ومجرى معاملاته وفق مقتضي أحكام الشريعة الإسلامية ومقاصدها النبيلة، فإن تقلد شأنها لم يكن أمراً مرسلا مفتوحا في وجه كل من أنس من نفسه القدرة على الإفتاء، وإنما اشترط العلماء في من يتولى أمرها أن يكون عدلا عارفا بكتاب الله عز وجل وبناسخه ومنسوخه وبمحكمه ومتشابهه وبتأويله وتنزيله وبمكيه ومدنيه، محيطا بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ملما بعلوم اللغة العربية وبالفقه وأصوله، مستحضرا نصوص المذهب الذي يفتي به، مميزاً بين عامها وخاصها ومطلقها ومقيدها، مستوعبا اصطلاحات العلماء، مطلعا على أحوال الناس وعاداتهم وأعرافهم وبما يجري به عملهم، متعودا على مراجعة كتب الفتاوى وأقوال الأئمة، حتى يكتسب ملكة الفتوى ويمتلك الدربة وحسن الصنعة التي تؤهله لتنزيل الأحكام على القضايا تنزيلا محكما وتطبيق كليات علم الفقه على جزئيات الوقائع تطبيقا سليما ومتصبرا ... الخ.

وبحكم ما عرفته بلاد المغرب منذ أن أشرقت على أرضها شمس الإسلام إلى يوم الناس هذا، من حوادث وملمات ومشكلات مختلفة مست كافة شؤون حياتها الدنيوية والأخروية من عبادات ومعاملات، فإن أهلها لم يكفوا عن سؤال أهل العلم والورع والتقوى من الفقهاء والعلماء واستفتائهم عن حكم الشرع وموجباته فيما يعرض لهم من وقائع ونوازل ويجدّ في حياتهم من مستجدات ومسائل. فكان بذلك أن نشأت خطة الفتيا وتطورت في تاريخ المغرب وصارت من الخطط الدينية الست التي يقوم عليه وجود الدول وانتظام شؤونها، وأصبح للمنتصبين لها في المجالس العلمية والحلقات الدراسية والجوامع الكبرى شأن وازن ومميز في مختلف مناحي الحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية بل والسياسية كذلك. وإذا كانت هذه الخطة قد بقيت مطلقة من كل قيد أو حجر غير خاضعة لأي تنظيم أو تقنين من قبل السلطة الحاكمة يمارسها كل من حمدت سيرته بين الناس من جمهور الأئمة والفقهاء والقضاة وأدرك درجة عليا من العلم والمعرفة، فإنها تحولت مع أواسط القرن الثامن الهجري (14م) إلى وظيف رسمي خاضع لإشراف الدولة وتوجيهها. وهو تحول لم تكتمل ملامحه التنظيمية والعلمية بصورة أوضح وأوثق إلا مع مجيء دولة الأشراف السعديين مطلع القرن العاشر الهجري / 16 (م). حيث صار المفتي شأنه شأن

القاضي يعين بظهير رسمي من قبل السلطان في كل حاضرة من الحواضر الكبرى الثلاث التي كان يوجد بها قاضي الجماعة وهي فاس ومراكش والمحمدية، (تارودانت) وأمسى يومها كل من يترقى هذا المرقى يحظى بمكانة عالية من التقدير والإجلال حتى وإن لم يكن من اختصاصه إصدار أحكام إلزامية، لأنه كان هو أول قاض بعد السلطان، إليه ترفع أحكام القضاة من طرف المتقاضين على وجه الاستئناف لتقويمها أو الإفتاء ببطلانها، وإليه كان يلجأ المتداعون للاستشارة القانونية في أمهات القضايا وأدق الملمات للحصول على فتاوى قصد عرضها على أنظار القضاة للاستناد إليها في صياغة الأحكام الابتدائية أو للطعن في أحكام صادرة عن المحكمة بدت غير منصفة، وهي مهمة استمر المفتون يضطلعون بها أيما اضطلاع إلى غاية عهد الحماية.

على أن تولي خطة الإفتاء لم يكن ليمنع بأي حال جماعات المفتين على امتداد فترات تاريخ المغرب من مزاولة وظائفهم وأنشطتهم الأخرى الموازية. حيث كان بعضهم يزاوج في آن واحد بين مهمة الإفتاء ومهام القضاء والتدريس في حين كان البعض الأخر يجمع بين وظيف الفتيا والتدريس والإمامة والخطابة ونظارة الأحباس .. الخ. ومع ما كانت تستوجبه هذه الخطة الدينية من تحر للصدق والعدل والنزاهة سواء في إنشاء وتقرير الأحكام الشرعية أو في الجهر بها والدعوة إلى الالتزام بها باعتبار أن "المفتي مخبر عن النبي وموقع للشريعة على أفعال المكلفين بحسب نظره كالنبي ..." (الموافقات، 4. 244. 246)، فإن كثيراً من المفتين من أهل الصلاح والفضيلة كانوا يتبرمون من تولي هذا المنصب ولا يأتونه إلا وهم مكرهين في أغلب الأحيان، وذلك حتى يبقون بعيدين عن ساحة المخزن ورموزه تجنبا لكل إحراج ناقم أو تفريط مخل بالأمانة، ومن جهة أخرى، حتى لا يختلطوا مع من كان يسند إليه هذا الوظيف وهو يفتقد لشروط الأهلية والكفاءة اللازمة لتقلده علما واستقامة ونزاهة.

ومما تجدر إليه الإشارة في هذا الإطار، أن جمهور المفتين على اختلاف طبقاتهم ومراتبهم قد لعبوا عبر مسيرة تاريخ المغرب أدواراً على جانب كبير من الأهمية والخطورة. فبالإضافة إلى مهمة الإفتاء في كل ما يعرض لحياة الناس من مشاكل ونوازل سواء أكانت تهم دينهم ودنياهم أم عقائدهم ومعاملاتهم أو تتعلق بسكان المدن والبوادي أو بالأفراد والجماعات، كان المفتون يساهمون مساهمة فعالة في استقرار الحياة السياسية وانتظام أحوالها، وذلك من خلال حضور عقود البيعة وإقرار مشروعيتها إلى جانب هيئة أهل الحل والعقد، وكذا من خلال استصدار فتاوى تزكي مواقف السلطة أحيانا من بعض القضايا والمستجدات السياسية الطارئة على البلاد، فضلا عن المشاركة العملية والهادفة في بعض الاستشارات السياسية التي كان يجريها بعض أولياء الأمور خاصة في بعض الظروف الدقيقة والاستثنائية حينما يقر عزمهم مثلا على القيام بعمل من الأعمال ذي بال أو إصدار قرار من القرارات البالغة الشأن والخطورة. علاوة على هذا وذاك، كان المفتون بوصفهم الضمير الحي للمجتمع والهيئة المؤتمنة قولا وعملا على قداسة وحرمة الشرع الإسلامي، يدعون إلى الجهاد وتعبئة الناس للانخراط فيه حينما يحدق بالبلاد خطر من الأخطار الأجنبية، كما لم يكونوا يتورعون في مناسبات عديدة عن الدعوة إلى الإصلاح والتغيير حينما يشيع بين الناس أو يصدر عن الماسكين بالسلطة ما يدعو إلى ذلك ويستوجبه.

ونظراً لما تكتنزه مجموعات كتب النوازل والفتاوى من معلومات وإفادات هامة ومتنوعة حول ما كان يجري داخل واقع المجتمع من قضايا ومستجدات عارضة أو متجددة على مر الحقب والأزمنة سواء على الصعيد الديني أو الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي، فإنها صارت اليوم تشكل مصدراً معرفيا وتاريخيا لا محيد عنه بالنسبة للباحثين والمختصين في مختلف حقول المعرفة الاجتماعية والدراسات الفقهية، إلا أن استغلالها الاستغلال الأنجع والأفضل لازال، مع ذلك في بداية الطريق، نظراً لما تطرحه المادة العلمية والأدبية التي تحتويها هذه المصنفات الفقهية الجامعة من مصاعب منهجية وعلمية معقدة.

إ. منظور، *لسان العرب*، بيروت، م 15 ؛ إ. خلدون، *مقدمة*، بيروت، 1981 ؛ إبن قيم الجوزية، *أعلام الموقعين*، راجعه وقدم له وعلق عليه طه عبد الرؤوف سعد، بيروت ؛ عبد العزيز الزياتي، *الجواهر المختارة*، مخ، خ. ع. رقم 66 ؛ أبو العباس أحمد الونشريسي، *المعيار المعرب*، خرجه جماعة من الفقهاء، بيروت، 1981 ؛ ابن رشد، *فتاوى*، تح. المختار التليلي، بيروت، 1987 ؛ ق. عياض، *مذاهب الحكام*، تح. محمد بن شريفة، بيروت، 1990 ؛ إ. فرحون، *الديباج المذهب*، تح. مأمون بن محي الدين الجنان، بيروت، 1996 ؛ المهدي الوزاني، *المعيار الجديد الجامع المعرب*، قابلة وصححه، عمر بن عباد، الدار البيضاء، 1996 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، المحمدية، 1976 ؛ *نظرات في النوازل الفقهية*، الدار البيضاء، 1999 ؛ ع. الجيدي، *محاضرات في تاريخ المذهب المالكي*، الدار البيضاء، 1987 ؛ م. فتحة، *النوازل والمجتمع*، الرباط، 1999 ؛ ل. اليوبي، *الفتاوى الفقهية في أهم القضايا*، المحمدية، 1998 ؛ ح. العبادي، *فقه النوازل*، الدار البيضاء، 1999 ؛ *ندوة النوازل الفقهية وأثرها في الفتوى والاجتهاد*، الرباط، 2001 ؛ م. مزين، التاريخ المغربي ومشكل المصادر : نموذج النوازل الفقهية، مجلة، كلية الآداب، فاس، 1985.

الفقيه الإدريسي

فْتيتَحْ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Fatih ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان ؛ مع الإشارة إلى أنه إلى غاية سنة 1257 (1841) كانت بحومة الطرانكات دار تحمل اسم هذه الأسرة.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

فتيح ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Fatih ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

الفج (معركة -) وقعت المعركة قرب المكان المسمى بسهب الرياح الواقع بين قبائل أولاد علي وأولاد خليفة وأولاد عمران بتاريخ 29 يوليوز 1911، وكانت معركة حامية الوطيس استشهد فيها العديد من المجاهدين الزعريين. وإثر هجوم شديد نفذه مجاهدوا زعير على معسكر (مارشان) يوم 31 غشت 1911 قتل فيه أربعة جنود من المحتلين، تقدمت قوة كبيرة من جيش الاحتلال إلى الشرق وخيمت قرب عين الفج. بفرقة الهداهدة من قبيلة أولاد خليفة. وفي منتصف ليلة 2 شتنبر 1911 شن المجاهدون الزعريون هجوما شديدا في الساعة الثانية بعد منتصف الليل واستمرت المعركة إلى مطلع النهار حيث تمكنت قوات الاحتلال من إبعاد المجاهدين بواسطة المدفعية ؛ بعد أن تكبدت خسائر محسوسة ذكرت منها الرواية الفرنسية 9 قتلى و31 من الجرحى وكان من بين القتلى القبطان كريستيان الذي أطلق اسمه على قرية الزحيليكة والليوطنان تييري دي مونكلان.

ع. الخديمي، *مقاومة زعير للاحتلال الفرنسي*، ندوة أگادير ؛ ع. المجيد التركي، *مقاومة زعير*، مخطوط مرقون ؛ *تحريات ميدانية*.

علال الخديمي

الفجر (جريدة -) ظهرت أول الأمر بطنجة في 27 يونيو 1908 لمناصرة المولى عبد الحفيظ ضدا على أخيه المولى عبد العزيز. ولما كانت تبشر بعهد جديد، فإنها كانت تحلي صفحتها الأولى بجملة تنم عن ذلك، ونصها : "لولا سواد

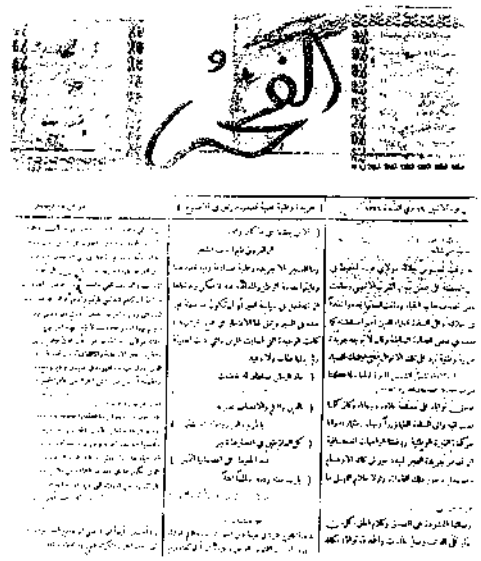

الليل ما طلع الفجر". وفضلا عن ذلك، تقدم الفجر نفسها كـ"جريدة سياسية أدبية تجارية اقتصادية صادقة وفية". أما صاحبها فهو المدعو "وافي"، وهو اسم مستعار لرجل أعمال فرنسي اسمه الحقيقي "إرنست فافيي بولي" Ernest Vaffier-Pollet. وقد أوكل هذا الأخير مهمة تحرير الفجر إلى الصحفي الشامي المسيحي نعمة الله الدحداح.

ولما كان الخط السياسي لهذه الأسبوعية مناوئا للمخزن العزيزي، فإن دار النيابة قد بادرت إلى حظر صدور الجريدة بعد عددها السابع لكن، بمجرد أن استتب الأمر للمولى عبد الحفيظ، استأنفت *الفجر* نشاطها في فاس، وذلك بتاريخ 14 دجنبر 1908. غير أن هذه "السلسلة الجديدة" لم تعمر طويلا إذ لم تتجاوز عددين اثنين (14 و20 دجنبر 1908). ذلك أن بعض الشخصيات المغربية قد فطنت إلى الدور المريب الذي كان يقوم به "الوافي" في حاشية المولى عبد الحفيظ، حيث كان يتجسس على حركات السلطان وسكناته لفائدة الوزارة الخارجية الفرنسية. وفي هذا الصدد أنشد أحمد البلغيثي البيتين التاليين :

أقول مقال فتى عـــارف يجاهر بالحق عن ملء فيه
إذا طلع الفجر من مغرب فقرب القيامة لا شك فيـه

وأردف البلغيثي في ديوانه قائلا بأن شيوع هذين البيتين على ألسنة الكبار والصغار في حاضرة فاس هو الذي جعل المولى عبد الحفيظ يأمر بتوقيف إصدار جريدة *الفجر*.

ديوان أحمد البلغيثي، مخطوط، ج 1، ص. 287، المكتبة الوطنية، الرباط، رقم : د 3662 ؛ جامع بيضا، صحافة طنجة، مرآة للصراع الدولي حول المغرب، 1900 - 1912، في طنجة في التاريخ المعاصر، 1800 - 1956، نشر كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ومدرسة الملك فهد العليا للترجمة بطنجة، 1991، ص. 205 - 218.

L. Mercier, La presse arabe au Maroc, in la *Revue du Monde Musulman, janvier-février 1909*, p. 128 - 133 ; *Archives du Quai d'Orsay*, Paris, Nouvelle Série-Maroc, vol. 196.

جامع بيضا

الفجل أو علميا رافانوس ساتيفوس Raphanus sativus نبات من فصيلة اللفتيات Brassicaceae وهو يعتبر من النباتات الحولية أو ثنائية الحول التي تنتمي إلى الخضراوات التي تخزن غذاءها الإحتياطي في الجذر والتي تأكل عادة نيئة أو ممزوجة بعصير الحوامض، وفي بعض الأحيان مطبوخة. ويعتبر الفجل عنصراً لكثير من السلطات، وهو يساعد على الهظم.

يزرع الفجل قديما في المغرب وخصوصا في ضواحي المدن العتيقة كفاس ومكناس ومراكش حيث يكون عنصرا مهما في الموائد الغذائية للأسر الموسرة، لما له من فوائد طبية وغذائية.

يشمل الفجل ضروبا عديدة تختلف فيما بينها خصوصا من حيث الشكل وحجم ولون الجذور، وكذلك من حيث المذاق. هناك أصناف صيفية وأخرى شتوية. من أشهر الأصناف

الفجل ذو الجذر الكروي الأحمر من الأعلى والأبيض من الأسفل، وكذلك الصنف ذو الجذر الطويل الأحمر.

يزرع الفجل عن طريق البذور وهو يتناسب مع التربة الخفيفة الغنية بالدبال. ويحتاج للسقي ولايتحمل الحرارة القوية أو البرودة وبالأخص الجليد. إلا أن الفجل ذا الجذر الكبير يعتبر أكثر تحملا للحرارة والبرودة.

ألبيرت هيل، 1962، *النبات الاقتصادي*، تر. زاهر عبد المجيد وآخرون، القاهرة، نيويورك : *معلومات شخصية*.

J.M. Clement, *Larousse Agricole*, édition Larousse, Paris, 1981.

عبد النبي زين العابدين

الفحصي، محمد بن عبد الكريم بن محمد، استوطن أجداده قبيلة الفحص بمدشر قلعية ناحية طنجة قادمين إليها من قبيلة بني سيدل بالريف، ولد بمدشر قلعية حوالي (1322/ 1904) وانتقل مع والده إلى تطوان وعمره عام واحد، وبها نشأ ودرس فالتحق بالكتاب القرآني حيث تعلم مبادئ الكتابة والقراءة، ودرس القرآن الكريم على يد ثلة من فقهاء مدينة تطوان الأجلاء.

وبعد أن قضى أربه من الدراسة القرآنية توجهت عزيمته للدراسة العلمية فأم عام (1335 / 1916) الجامع الكبير بتطوان حيث أخذ عن عدد من الشيوخ العلماء من أمثال الفقيه عبد الرحمن بن محمد أقشار، والفقيه المهدي التطواني وشيخ الجماعة أحمد الزواقي والفقيه المؤرخ أحمد الرهوني.

وبعد أن توفرت لديه مسكة وافرة من العلم نزح إلى مدينة فاس عام (1344 / 1925) والتحق بجامع القرويين فقرأ على كبار شيوخ عصره كالعلامة العباس بناني، والعلامة العباس المسطاري والعلامة محمد بن عبد الرحمن العراقي، والعلامة محمد بن عبد الكبير السلمي والعلامة مولاي أحمد البلغيثي والعلامة مولاي عبد الله الفضيلي وغيرهم.

وغادر حلقات الدراسة بعد أن حصل على الإجازة كتابة من قبل جل شيوخه، ورجع إلى تطوان أواخر عام (1350 / 1932) وصار يقدم دروسا تطوعية بجامع السوق الفوقي.

تقلد المترجم وظائف متعددة حيث عين أستاذاً بالجامع الكبير بتطوان، ثم أضيف إليه وظيف الكتابة بالعدلية بتطوان عام (1354 / 1935) ثم نقل إلى خلافة القضاء الشرعي، ثم عين عضواً بالمحكمة العليا للاستيناف الشرعي حوالي عام (1366 / 1946) تم نقل إلى وظيف مستشار بالعدلية عام 1372 / 1952) وبقي على ذلك إلى أن عين قاضيا شرعيا بتطوان عام (1376 / 1957) مع القيام ببعض الدروس في المعهد الديني، ثم عين قاضيا بالقسم الاقليمي لاستيناف أحكام القضاة بتطوان عام (1378 / 1959) كما عين خطيبا بجامع السوق الفوقي وظل كذلك إلى أن أحيل على التقاعد عام (1390 / 1970).

توفي في 17 جمادى الأولى عام (1393 / 1975) ودفن بباب المقابر بتطوان.

محمد بن الحاج، *علماء المغرب المعاصرين*، ص. 242.

رقية بلمقدم

الفحل، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس منهم علي الفحل، شيخ صوفي اعتراه الجذب حيث كان ينطق بأشياء تحدث كما يذكرها، ترجم له ابن عسكر في *دوحة الناشر*.

توفي بالوباء سنة 964 (1557) وضريحه مشهور بباب المقابر بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

الفحلي، أحمد شوقي الدكالي : الأديب الشاعر أحمد بن العربي الدكالي، لقبه العائلي الفحلي، اشتهر في الأوساط الأدبية بأحمد شوقي الدكالي، والذي أطلق عليه هذا اللقب هو أستاذه محمد المختار السوسي مع ثلة من رفاقه لنبوغه الأدبي والشعري. ولد بالرباط سنة 1337 / 1918 ، تلقى تعليمه الأولى بكتاب الفقيه الشاذلي، وبعد سنتين انتقل إلى كتاب الفقيه محمد الأزرق، ومنه إلى كتاب الفقيه بنقاسم، ولما انتقل والده من قضاء الرباط إلى آسفي صحب والده رفقة الأسرة فألحقه بكتاب السيد محمد الخنبوبي وعنده ختم القرآن الكريم. ثم انكب على تعلم مبادئ اللغة العربية والدينية على يد السيد بوبكر المسفيوي. وعندما عين والده قاضيا بقبيلة المذاكرة قرب الدار البيضاء انتقلت العائلة وبصحبتها الأستاذ المسفيوي الذي يسهر على تعليم الطفل.

ومنذ ميعة شبابه ظهر اهتمامه بالشعر، وانكبابه على حفظ ما يقع بين يديه من شعر لمختلف العصور. ثم انتقل رفقة الأسرة إلى مراكش التي كان له فيها شأن، وبزغ نجمه كشاعر تزدان به المحافل الأدبية. وتشاء الأقدار أن تسكن الأسرة بالدرب الذي توجد فيه زاوية المختار السوسي أو مدرسته بحي باب دكالة، فيلتحق الطفل بهذه المدرسة التي وجد فيها كل العناية والرعاية لما أبداه من استعداد كبير للتحصيل والفهم، ولما لمسه فيه المختار السوسي من موهبة شعرية، فدرس عليه بالزاوية مواد مختلفة، من نحو وأدب وتاريخ وجغرافية ... إلى غير ذلك من المواد. كما كان يصحب شيخه في كل الدروس التي كان يلقيها على تلاميذه خارج الزاوية مثل : مختصر *خليل* بالجامعة اليوسفية بعد صلاة الصبح. ظل المختار السوسي يرعاه ويوجهه إلى أن نفي من طرف المستعمر الفرنسي سنة 1355 / 1936، ورغم هذا البعد لم ينس الأستاذ تلميذه النجيب حيث كتب له ولزميله البونعماني رسالة سماها [الشوقية والبونعمانية] وقد طبعت. وفي أحداث الظهير البربري سنة 1349 / 1930

تعرض لعدة مضايقات وتعسفات من طرف الباشا الگلاوي، وخليفته البياز مما اضطر والده لإرساله إلى تونس لإتمام دراسته بجامع الزيتونة ليدرس المواد الدينية، لكن ميوله الأدبية طغت عليه فقرر الالتحاق بالجامعة الخلدونية، واستغل تواجده بتونس للاتصال بالشخصيات التونسية أمثال المجاهد الحبيب بورقيبة، والمجاهد الثعالبي وغيرهما، لإطلاعهم على مستجدات القضية المغربية. وعندما أدركت السلطات الإستعمارية بتونس موقفه المعادي للإستعمار الفرنسي طلبت منه مغادرة تونس في الحين. فعاد إلى وطنه ليساهم مع إخوانه في الحركة الوطنية في مراكش في الجهاد ضد الإستعمار الفرنسي، وجبروت الباشا الكلاوي. ومن مواقفه الوطنية توقيعه مع زميله مولاي عبد الله إبراهيم رسالتين بتاريخ 21 يونيه 1937 ، رفعها رجال الوطنية إلى صاحب الجلالة محمد الخامس، والثانية إلى المقيم العام الفرنسي يستنكرون فيها بشدة التصرفات الهمجية التي يقوم بها الباشا وأعوانه. وبعد مضايقة السلطات الاستعمارية له ذهب إلى دكالة، موطن أسرته، وحتى في هذه المنطقة لم يسلم من سين وجيم من طرف المستعمر الفرنسي وفي خضم هذا الصراع تشاء الأقدار أن يصاب بمرض لزمه بقية حياته، وشلت يده ورجله اليمنى، وبهذا المرض تنطفيء شعلة ذكاء ووطنية صادقة ويخبو فيه قبس الشاعر المغرد.

كانت له رحمه الله مراسلات ومساجلات مع بعض الأدباء والشعراء، وخاصة أستاذه المختار السوسي ورد ذكرها في كتاب *الإلغيات* ، وفي كتاب *الشوقية والبونعمانية* . أما شعره فضاع ولم يبق منه إلا مقطعات استطعت أن أجمع منها ما أمكنني جمعه، وصدر في كتيب صغير، مذيل بترجمة عن حياته الوطنية والأدبية.

توفي رحمه الله يوم الأربعاء 13 ربيع الأول 1422 موافق 6 يونيو 2001، ودفن بالزاوية الدرقاوية.

مقدمة كتاب من شعر أحمد شوقي الدكالي الفحلي، جمع وتقديم وتعليق أحمد متفكر، مراكش، 2001 ؛ أحمد متفكر، *ذيل الإعلام*.

أحمد متفكر

الفخّار، حسن المدعو الشّهْري هو أحد مشاهير أولياء الله الصالحين بمدينة أسفي، ولقد اختلف المهتمون بتاريخ أسفي حول اسمه الشخصي، فقال الكانوني حَسَن المدعو الشاهري، وجاء عند الصبيحي عبد الرحمن الفخار الشاهري. ولقد ورد في كتاب *المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح* ذكر رجل إسمه حسن الفخار وذلك في رواية إحدى كرامات الشيخ، ومفاد الرواية أن مجموعة من الحجاج المغاربة تاهوا في الصحراء واشتد بهم العطش. وليس معهم ماء، وأيقنوا أن ساعتهم الأخيرة قد وصلت، فقصد أحدهم سدرة ليموت تحتها وبدأ يستغيث بالشيخ. فإذا به يجد رجلاً جالساً تحت السدرة ومعه كوز ماء أخضر من عمل أسفي، فتروى منه كما تروى أصحابه، وتركهم الرجل وانصرف. ولما رجعوا وقدموا على الشيخ وجدوا الرجل معه وعرفوا أن اسمه حسن الفخار. وإذا ما ثبت أن حسن الفخار المذكور في *المنهاج الواضح* هو السيد الشهري فإن هذا الولي الصالح يكون من أصحاب الشيخ أبي محمد صالح. أما اسم "الشهري" فربما عُرف به لكونه كان يراقب الهلال ويضبط أوقات الصلاة وبداية الشهور ونهايتها. ويوجد ضريح سيدي الشهري بالدرب الذي يحمل اسمه بالقرب من ضريح الشيخ أبي محمد صالح. وكان على مرّ العصور مدرسة لتعليم القرآن الكريم وعلومه ومجالاً يلتقي فيه الفقهاء من أسفي وخارجها.

أ. الماجري، *المنهاج الواضح*، القاهرة، 1352 / 1933 ؛ م. الكانوني، *جواهر الكمال في تراجم الرجال*، ج 2 ، مخطوط ؛ أ. الصبيحي السلاوي، *باكورة الزبدة من تاريخ أسفي وعبدة* ، مطبعة الأنباء، 1994.

عبد الرحيم العطاوي

الفخذة أو العظم أو الموضع، هي مجموعة من الدواوير (انظر مادة دوار)، من ثلاثة إلى أربعة حسب دراسة مونطاني لمنطقة سوس.

تتميز هذه الوحدة القبلية بوجود بعض المؤسسات كالمسجد الذي تقام به صلاة الجمعة، ومخزن جماعي يعرف بأگادير، وكذا مراعي وغابات جماعية.

من الناحية الإنسانية تنتسب كل العائلات المكونة للفخذة إلى نفس الجد الأعلى. وقد يكون هذا النسب حقيقياً أو وهمياً، ولكنه ـ في جميع الحالات ـ يوجد بين مختلف أفراد الفخذة، الذين ينتخبون جماعة يعهد إليها بتسيير شؤونهم الداخلية.

عبد الجليل حليم

فداء الأسرى ، اكتسى فداء أو افتداء الأسرى أهمية خاصة في تاريخ العلاقات المغربية الأوربية خلال العصر الحديث، ومعلوم أن المسألة تجد جذورها في العمليات البحرية المتبادلة بين المراكب الجهادية المغربية والتركية من جهة والمراكب الأوربية من جهة أخرى. ورغم العداء المستحكم حينا والحذر والتوجس حينا آخر بين المغرب والبلدان الأوربية، فإن عملية افتداء الأسرى ظلت وسيلة لبقاء خيط الإتصال بين الطرفين. ومن الفترات التاريخية التي اشتهرت بافتداء الأسرى عهد مولاي إسماعيل الذي كانت بسجونه أعداد من الأوربيين وقعوا في أسر المجاهدين، فشهدت أوربا حملات لجمع التبرعات قصد افتدائهم وألفت كتب كثيرة للتعريف بمأساتهم. من جانب آخر لم يغفل السلطان مولاي إسماعيل الأسرى المسلمين في أوربا، فبعث وزيره محمد بن عبد الوهاب الغساني سفيراً لدى ملك إسبانيا كارلوس الثاني سنة 1690 ـ 1691 في مهمة متصلة بافتداء الأسرى، ألف عنها الغساني كتابه "*رحلة الوزير في افتكاك الأسير*".

ويبقى أن عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1757 - 1790) هو الذي اقترن بأكبر عملية افتداء للأسرى المسلمين والأوربيين في العصر الحديث، إذ أولى هذا السلطان عناية خاصة لمصير مئات من الرعايا المسلمين المحتجزين في مختلف بلدان أوربا أغلبهم من غير المغاربة، فبعث السفراء وأبرم معاهدات وخصص مبالغ طائلة لهذا الغرض. وفي هذا الصدد يجدر ذكر سفارة أحمد الغزال إلى إسبانيا سنة 1766، التي ألف عنها كتابه الموسوم "*نتيجة الإجتهاد في المهادنة والجهاد*"، أورد فيه أن هدف السلطان من هذه السفارة "الرحمة بأسارى المسلمين ... وأن يتفقد من أعينه لذلك أحوال الأسارى ويختبر أمورهم". ومما له دلالته في هذا الصدد أن تطبيع العلاقات المغربية الإسبانية انطلق من مسألة الأسرى، إذ أفضت سفارة الغزال عن مباشرة عملية الإفتداء. وبعد الغزال لمع نجم سفير مغربي آخر هو محمد بن عثمان المكناسي الذي اقترن اسمه بعمليات افتداء الأسرى على عهد هذا السلطان نفسه، فكانت مهمة أولى سفاراته مرتبطة بهذا الموضوع حين بعثه سيدي محمد في شوال سنة 1193 / 1779 - 1780 إلى إسبانيا مكلفا بتوزيع صلات مالية على الأسرى المسلمين الموجودين بإسبانيا وجنوة ومرسيليا وغيرها، فأدى السفير المهمة أحسن أداء وتمكن من تحرير 122 أسيراً جزائرياً. وعن هذه السفارة ألف ابن عثمان رحلته "*الإكسير في فكاك الأسير*".

ومنذئذ عول عليه السلطان في المهمات الحساسة المتصلة بفداء الأسرى وإبرام معاهدات السلم مع القوى الأوربية، ففي سنة 1195 / 1781 توجه ابن عثمان على رأس سفارة إلى جزيرة مالطة للتفاوض حول افتداء الأسرى بها، ومن خلال رحلته التي ألفها عن هذه السفارة والموسومة "*البدر السافر في هداية المسافر إلى فكاك الأسرى من يد العدو الكافر*" نقف على الملابسات التي أحاطت بالعملية، حيث أبان السفير عن مهارته الدبلوماسية التي مكنته من افتداء ستمائة وثلاثة عشر أسيرا بعثهم في مراكب إلى طرابلس ليبيا وتونس. وبعد نجاح مهمته في مالطة واصل ابن عثمان سفارته في مملكة نابولي التي أبرم مع ملكها فرديناند الرابع في 18 أكتوبر 1782 معاهدة صلح وسلام وافتك عدداً آخراً من الأسرى.

إلى جانب هذه الجهود الدبلوماسية والإمكانيات المالية التي رصدها السلطان سيدي محمد بن عبد الله، تكشف نصوص المعاهدات والإتفاقيات التي أبرمها مع مختلف الدول الأوربية عن أن هذا السلطان كان سابقا لعصره بخصوص افتداء الأسرى ووضع حد لمعاناتهم، إذ نصت العديد من مواد هذه المعاهدات على آليات الإفتداء، وفي شتنبر 1777 أعلن لكافة الدول سواء التي توجد في حالة سلم أو حرب معه عن استعداده لحل هذا المشكل وفق شروط محددة وثابتة تتمثل في تبادلهم أسيراً بأسير، وفي حالة انعدام أسرى لدى طرف ما يتعين دفع 100 ريال عن كل أسير، بل اقترح على الدول الأجنبية الإلتزام بعدم بقاء الأسرى أكثر من سنة واحدة في الأسر، وإذا وجد أسير من أية دولة في ملك أحد رعاياها فيجب إرغامه على تسليمه طبقا للشروط السابقة، أما إذا كان الأسير شيخا هرما أو امرأة كيفما كان عمرها فيسلمان فورا دون أن يعانوا من العبودية. وهكذا حق لجريدة المونيتور الفرنسية أن تكتب في معرض تعليقها على المعاهدة المغربية الإسبانية المبرمة على يد ابن عثمان المكناسي سنة 1799 : "إن مبادىء الحقوق الدولية المقدسة قد انتقلت من كتب الفلسفة إلى دواوين الممالك المغربية ... فلم تبق الخلافات الدينية بين الشعوب تقف حجر عثرة في سبيل التقارب بينها ... وباختصار فإن امبراطور المغرب يكتب أنه يتمنى أن تزول لفظة الإسترقاق البغيضة من ذاكرة البشر ويوقع على ذلك باسمه".

م. الفاسي، *الإكسير في فكاك الأسير*، الرباط، 1965.

M. Arribas Palau, Cartas Arabes de Mawlay Muhammad B. Abd Allah, relativas a la embajada de Ibn Utman de 1780, *Hespéris Tamuda, 1961, vol. 2, fasc. 2-3, p. 328* ; P. Grillon, *Un chargé d'affaires au Maroc. La correspondance du consul Louis Chénier 1767-1782*, vol. 1, Paris, 1970, p. 577 ; J. Caillé, *Les accords internationaux du sultan Sidi Mohammed ben Abdallah 1757-1790*, Rabat, 1960, p. 221.

محمد بوكبوط

فدْريكُو، ويكتب فدْريكُ أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Fedrich ؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Federico وFederiqui ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1088 (1677) ولم يذكر اسمها إلا في المثل التطواني الذي يقول "الله يرحم عمي فديكو اللّي خلا كل شي في طريقو". ومن أشهر أفرادها : عبد الرحمن بن أحمد فدريكو كان يصنع الورق حسب تقنية ورثها عن أجداده وعلمها لابنه عبد السلام وكان بقيد الحياة سنة 1035 (1626). قاسم بن أحمد فدريكو كان يصنع الورق حسب تقنية ورثها عن أجداده وعلمها لابنه عبد القادر، وكان بقيد الحياة سنة 1040 (1631). عبد القادر بن قاسم بن أحمد فدريكو كان يصنع الورق مثل والده وكان يكلف الطلبة بنسخ القرآن الكريم في عدة مصاحف يهديها إلى مساجد البادية، وكان بقيد الحياة سنة 1126 (1714). عبد السلام بن عبد الرحمن بن أحمد فدريكو كان يصنع مثل والده الورق وقد علّم تقنية صنعه لابنتيه عوالي وفاطمة، وكان بقيد الحياة سنة 1126 (1714). عوالي بنت عبد السلام بن عبد الرحمن فدريكو كانت تصنع صحبة أختها فاطمة الورق حسب تقنية ورثتها عن والدها وكانت بقيد الحياة سنة 1126 (1714). فاطمة بنت عبد السلام بن عبد الرحمن فدريكو كانت هي الأخرى تصنع صحبة أختها عوالي الورق، وكانت بقيد الحياة سنة 1126 (1714).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

فراج، (الحاج -) **مبارك** من مواليد سنة 1921 بدوار باحسان إقليم تزنيت. انضم الفقيد إلى صفوف المقاومة السرية بالاخصاص والدار البيضاء حيث عمل تحت مسؤولية المسمى بن الطالب ومبارك بن محمد بن مبارك الباعمراني.

وقد تكللت أعماله النضالية بعمليات فدائية عديدة ضد مراكز العدو إلى جانب مجموعة من إخوانه المجاهدين حيث أسفرت عن استقلال الوطن وطرد المستعمر الغاشم.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 507271.

فرانسيسكو دي أندرادي، ارتبط موضوع المقاومة المغربية بالثغور الشمالية المحتلة بظهور حوليتين خاصتين بعهد جواو الثالث، الأولى منهما لصاحبها فرانسيسكو دي أندرادي (Francisco de Andrade) وعنوانها : *Chronica do Muito poderoso Rei d'estos reinos de Portugal D. Joao III d'esto nome* المنشور بلشبونة سنة 1613.

تكمن ميزة المؤلف في معالجته لمسألة الجلاء عن مدينتي أصيلا والقصر الصغير. ويمكن من خلال قراءة ثلاثة عشر فصلا تتبع المراحل التي درجت فيها المسألة إلى نهايتها سنة 1550.

حسن الفگيگي

فراي، جواو ألفريس Frei Joao Alvares برتغالي ألف كتابه بأمر من الأمير هينريكي المتوفى عام 1460، وظهر بعنوان : Chronica do Infante Santo D. Fernando وطبع بلشبونة عام 1567 ثم أعيد طبعه سنة 1960. والمؤلف رفيق الأمير فيرناندو في الأسر لم يطلق سراحه بعد وفاة الأمير إلا سنة 1448 ، بمناسبة استبداله بأسير مغربي يدعى الفقيه الكزنائي ورفيقه المدعو عبد الله.

يتألف الكتاب من 43 فصلا. وابتداء من الفصل التاسع شرع المؤلف في تقديم المعلومات عن أسير بني مرين بفاس المشهور إثر اندحار الجيش البرتغالي بساحة طنجة سنة 1437 ، سواء أثناء الاحتفاظ بالأسير في أصيلا أو بعد نقله إلى فاس. والتأليف ذو قيمة لا تقدر بالنسبة للأحداث التي تلت الهزيمة البرتغالية بميدان طنجة ومارافق ذلك من المحادثات المغربية البرتغالية المتعلقة باسترجاع المغرب المريني لمدينة سبتة لقاء إطلاق سراح الأمير فيرناندو. ونضيف إلى ذلك أن المصدر مرجع هام لكل من أراد دراسة فاس المرينية ما بين 1437 و1443 بفضل الاطلاع المباشر لمؤلف الكتاب أثناء مقامه بمعتقلها.

ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبري بالثغور الشمالية الغربية*، أطروحة مرقونة، الرباط، 1991 ؛ سبتة المحتلة، ذروة الوعي الوطني، الرباط، 2004.

Frei Joao Alvares, *Chronica do Infante Santo D. Fernando*, Lisboa, 1567.

حسن الفگيگي

الفرايطة، منطقة تقع بالجزء الشمالي الشرقي من سهل الحوز الشرقي غرب مقرن وادي لخضر وتساوت. يحدها من الشمال الحاشية الجنوبية للجُبيلات الشرقية، ومن الغرب الساقية اليعقوبية والطريق الرابطة بين مدينتي العطاوية وقلعة السراغنة. كما تحتل منطقة الفرايطة كذلك الجزء الشمالي الشرقي من القطاع السقوي الحديث لتساوت الوسطى (العليا في اللغة الرسمية).

من الناحية الطبغرافية يوافق مجال الفرايطة الأطراف السُّفلى لمخروط واد تساوت الشاسع. وفي التفاصيل يُظهر السطح تموجات كبيرة الشعاع، إذ تتعمق فيه قليلاً شعاب كشُعْبتي المصور والمساخين اللتين كانتا تُمثلان مَجْرَيين قديمَيْن لواد تساوت أو لفرعين منه.

من الناحية البنيوية تتكون ركيزة منطقة الفرايطة من صخور أولية مُغطاة بصخور برْمُونزيّاسية عبارة عن بازلت ورصيص وطين. نجد فوق هذا الغطاء بالحاشية الشمالية المحاذية للجبيلات كلساً بُحَيْرياً يَرجع عمره للعصر الميوسيني. وفوق الكل نجد مواد فتاتية بليوسينية ورُباعية. يعتبر الغطاء النيوجيني والرُّباعي حَمَلْمَاً جيدا إذ تزخر المنطقة بالعديد من العيون التي تَنْبَجِسُ بقعور الشعاب أو بحاشية الجبيلات حيث الجدار الأولي ـ الثانوي الحاجز غَير عميق وعُمْقُ السديمة المتوجَة أقل من 10 م. ومن هذه العيون نجد عين أولاد سيدي علي، عين گازولي، غير أن أهمها عين غَبْري التي يبلغ صَبِيبُهَا 362 ل / ث.

من الناحية البيومناخية، تتميز منطقة الفرايطة بتساقطات مطرية متواضعة (حوالي 250 ملم) وغير منتظمة زمانيا، وبمتوسط حراري سنوي مُرتفع (19,8°)، وبرطوبة مُنخفضة (43,5٪) خلال شهر غشت)، وبمتوسط تبخر عالي 2300 ملم (مقياس Piche). كل هذه المعطيات تجعل من مناخ الفرايطة مناخاً جافاً خاصة خلال فصل الصيف، وأن القيام بأي نشاط زراعي خلال فصلي الصيف والربيع أمر غير مُمْكن بدون رَي وبدون توفير الماء الذي يُعتبر العامل المُتحكِّم في الانتاج الفلاحي. لذا فكر سكان الفرايطة بتحريك جزء من مياه واد تساوت الذي يَحُدُّها من الشرق. وذلك منْذ القديم وبواسطة سواقي تقليدية هي من العالية نحو السافلة، الساقية الفرايطة، ساقية بوزنقة، الساقية العيساوية وساقية گرطبط. هذا بالإضافة إلى استغلال مياه العيون عبر شبكة من السواقي والمصارف. وقد أدى ذلك إلى إيجاد نظام سقوي تقليدي متجدر في البنيات السوسيو اقتصادية، مما سيطرحُ مُشكلا أمام عملية الإصلاح الزراعي لأن الفرايطة كانت بعد تشييد سد مولاي يوسف (آيت

عـادل) على وادي تسـاوت هدفـاً لذلك. لذا احْتُفظَ به كوسيلة لتوزيع الصبيب المُنظم.

وبما أن منطقـة الفـرايطة هي جزء من القطاع السـقوي العصري لتساوت، فإنها كانت مسرحاً لعدد من التجهيزات الهيدروزراعية والتنظيمـات المجالية التي واجهتها صعوبات عريضة :

من هذه التجهيزات حفر آبار جماعية لضَخِّ مياه السديمة بالحاسـية الشـمالية واسـتغلالها اسـتغلالاً عقلانيـا بدل الاسـتغلال الفوضوي، مما أدي إلى استنزافها بسبب تكاثر الآبار التقليدية بكيفية خطيرة. وفي الحالتين أدى استغلال المياه الباطنيـة إلى نزول مستواها وإلى تجفيف العديد من العيون. وأمام ذلك تم التفكير في تغذية السـديمة عن طريق استغلال مياه السد بواسطة خلق نظام سقوي عصري غمري بجوار مجال الضخ. لكن حسب عمق التربة ونسبة الحمولة الخشنة (1٪ الحجـارة)، وحسب أنسـجة الأتربة إذ توجد بالفـرايطة أتربة متنوعـة النسـيج ومتـفـاوتة القـابليـة للري والمزروعات، فإنه تم اعتبار الانتاجية الفلاحية فقط. وبذلك تم تخصـيص كميـة سنوية للمـياه تقدر بحوالي 800 م^3 / للهكتار / السنة لري 1400 هكتاراً بنظام الغمر العصري، منها 300 هـ بواسطة تقنية الرش.

وهكذا تم إعداد الأراضي الجماعيـة لمنطقة الفرايطة ذلك أن هذا النوع من الأراضي هو المسيطر بها. ويعتبر هذا النظام عـرقلة أمـام التنميـة. ومما زاد من حـدة المشكل أن هذه الأراضي تعرف كثافة سكانيـة عالية وساد بها نظام تحكمه قوانين خاصة، فإلى حدود 1967 كانت الأرض تُوزَّعُ سنوياً على ذوي الحقوق وحسب معايير تحددها الجماعة. كما تُوجدُ على طول السـواقي بساتين وجنان لعبت العيـون كـذلك بها دوراً في تطور زراعة شجرية مُختلطة أساسها الزياتين والتين والرمـان. وهي مظاهر مـتـجـدرة في البنيـة الاجـتـمـاعـيـة والاقتصادية من الصعب إزالتها.

لكن التزايد الديمغرافي أدى إلى تفتيت الأرض، بحيث مرّتْ المساحة المخصصة للفرد النشيط (20 ـ 65 سنة) من 5,3 هـ سنة 1965 إلى ثلاثة (3) هكتارات فقط سنة 1975. وهي الآن أقل من ذلك بكثير بالتأكيد.

وقـد صـاحب هذه التـحـولات الهـيـدروزراعـيـة، تطورات سـوسـيـو اقتصادية تمثلت في التجهيزات الجماعية لتلبية حاجيات السكان والعمل على تجميعها :

ـ بخلق مركز دوار سيدي موسى بالأراضي الجماعية التي كانت في الأصل بورية ومجالاً لزراعة حبوب هزيلة أو للرعي الواسع، حيث تم توزيع بقع أرضيـة على الفـلاحين وتجـميـع السكن بهدف توفيـر حـاجيـاتهم من الصـحـة والتـعليم والكهرباء والماء الشروب ....

ـ تعزيز مـركـز أحـد الفرايطة الذي عـرف عـدة تطورات تتـمـثـل في كونه مـقـر جـمـاعـة قـروية تحـمل اسم "جـمـاعـة الفرايطة" التي بلغ عدد سكانها 10222 نسمة حسب إحصاء 1994، ويبلغ عدد الأسر بها 1496 أسرة وهي إحدى الجماعات التابعـة لدائرة العطاوية التابعـة لإقليم قلعـة السراغنة. كـمـا يُعْقد بهذا المركز سوق أسبوعي "سوق أحد الفرايطة". وقد شهد المركز تطوراً عمرانيا من حيث المظهر والمساحة. وتركزت فيـه المدارس والأنشطة التجارية الدائمة. كـمـا ظهرت حرف جديدة مرتبطة بالفلاحة.

ـ إنشـاء بنيـة تحتيـة طرقيـة إضـافيـة للربط بين هذين المركزين والمراكز الأخرى الموزّعـة بالدائرة السقوية العصرية لتسـاوت، والتي تنتـمي إليـهـا منطقـة الفرايطة كالطريق الرابطة بين مركز أحد الفرايطة ومركز سيدي موسى وقلعة السـراغنة والعطاوية، أو الطريق الرابطة بين أحـد الفـرايطة ومراكز الجمعة، وارگي والصهريج من جهة ومنطقة صنهاجة شـرقـا من جـهـة ثانيـة. هذا بالإضـافـة إلى شـبكة الطرق الثلاثية.

وقد لعبت هذه الطرق دوراً في تنقل الأشـخاص وحركة المنتـوجـات وربط المنطقـة بأهم مراكـز الاسـتـهـلاك القـريبـة والمتـمـثلة في مـدينـة قلعـة السـراغنة أولاً ثم مـدينة مـراكش ثانيا.

أ. زروال، *دراسة جيومورفولوجية لدير أطلس مراكش بين وادي الزات وتساوت*، الرباط، 1987 ؛ مـشكل الماء ووسـائل جلبـه وتقنيات استغلاله وقسمته بالمجال الريفي لجهة مراكش ـ تانسيفت ـ الحوز، جماعة أولاد يعقوب أنموذجاً، *أعمال ندوة مجموعة البحث في تاريخ المجال والإنسان بتانسيفت، مراكش، 2002* ؛ النظام الخطاراتي، أسلوب من أساليب تدبيـر الميـاه البـاطنيـة بالحـوز المراكشي، *مجموعة البحث في تاريخ المجال والإنسان بتانسيفت، مراكش، 2002*.

A. Lahlimi, Les terres irriguées et le monde rural de la Tessaout moyenne, *R.G.M., n° 11, Rabat, 1967* ; M. Ducrocq et P. Pascon, La mise en valeur du périmètre de la Tessaout (Haouz de Marrakech), in *Revue Hommes, Terres et Eaux, n° 6, 1er trimestre 1973* ; Direction de l'Hydraulique, *Carte hydrogéologique de la plaine du Haouz* (Maroc occidental) au 1/200.000, Notes et mémoires du service géologique du Maroc, Rabat 1980 ; P. Pascon, *Le Haouz du Marrakech*, 2 tomes, Rabat 1983.

أحمد زروال

فربيون (Euphorbe) نبات طبي، هو من عـدة أصناف اشتهر منه الصنف المعروف بين النباتيين باسم (Euphorbia resinifera) سمي هذا النبات في المصادر الإغريقية اللاتينية باسم الأوفـورب (Euphorbe) نسـبـة إلى طبـيـب عـاهل الموريطانيتين الإغريقي أوفورب أخ الطبيب المشهور موزا (Musa).

كان أوفورب هو مكتشف هذه النبتـة "ببلاد الأوطولول حيث جبل أطلس (حول مادة الأطولول انظر *المعلمة*) :

وقد ألف حولها يوبا الثاني بحثا (Traité) ضاع ولكن تتـوزع شذرات منه عبر مـؤلفات عـديدة أهـمـهـا مـؤلفـات الموسوعي اللاتيني بلين الشيخ (القرن الأول الميلادي).

استعملت عصارة هذه النبتة لعلاج العديد من الأمراض كتـسـوس الأسنان، وأمـراض العيـون والنسـاء وضـمـاد للذغ الثعابين.

لقد تواتر الحديث عن هذه النبتة في المصادر العربية فحافظت على نفس التسمية، إذ حملت اسم الفربيون وأشهر من ذكر مزاياها ابن البيطار الذي أضاف بها خاصيات أخري مثل علاج آلام الظهر والمفاصل وما إلى ذلك.

لا يختلف القدماء والمحدثون في التنبيه لمخاطرها لاحتوائها على مواد سامة. وتطرح المشكلة بالنسبة لتعريفها فهل هي تكاوت ؟ فهي حسب الوزير الغساني من فصيلة اليتوع أو الينبوع بما أنها تعطي مادة لزجة بيضاء يدرجها المختصون في عائلة الأوفربيكاكي (Euphorbiceae). وهي حسب يعزى الزرهوني تعطي المادة المشهورة بالبربرية باسم تكيّوتْ. وتكيوت هي غير تاكوتْ وبذلك فالعشابة بالمغرب يقدمون للمشتري مادتين مختلفتين : الفربيون الذي تدهور استعماله إذ أصبح يستعمل في الشعوذة وتكاوت التي تصلح للصباغة وسمومها معروفة لدى الخاص والعام.

مخطوطات بقسم الوثائق بالخزانة العامة، يعزى الزرهوني، *عمدة الطبيب في معرفة النبات لكل لبيب* ؛ مؤلف مجهول، *تحفة الأحباب في ماهيات النبات والأعشاب*.

B. Bel Kamel, Histoire de la médecine du Maroc antique, *Revue Histoire des Sciences Médicales, XXVI, n° 4, 1992, p. 271-279* ; Id., *L'Euphorbe plante miltenaire : propriétés thérapeutiques, essai d'identification*, Italie, 1999.

بلكامل البضاوية

الفرتالة في اللهجة الدارجة المغربية لا يعرف لها أصل في العربية الفصحى، ويقصد بها تلك الأداة المساعدة على جر المحراث بواسطة الأبقار والدواب، وتختلف تسميتها من منطقة إلى أخرى في المغرب ففي سهول الغرب وسايس وأحواز الرباط وسلا تنتشر الفرتالة. أما في مناطق أخرى مثل الشاوية والحوز ودكالة وتادلة فلا وجود لهذه الكلمة ؛ وتقابلها مصطلحات أخرى (القوس، الدير).

الواقع المشاهد اليوم في الفلاحة التقليدية أن المحراث يربط إلى دواب الجر بشكل مختلف ؛ فقوة الجر عند الدواب: (حمير بغال خيول) موجودة على مستوى الصدر ولذلك يضع الفلاح (الحراث) الفرتالة على كتف الحمار أو البغل أو الفرس ومنهم من يضع الفرتالة بشقين العلوي والسفلي بحيث تحيط بأسفل عنق الدابة ؛ وبخصوص الأبقار فقوة الجر عندها توجد على مستوى الرأس. ولذلك تربط الفرتالة على قرون الثيران.

في المناطق الأخرى المشارإليها يستعاض عن الفرتالة بأشرطة من ظفائر الدوم مغلفة بقطع من القماش وتربط إلى صدور الدواب ويسمونها "الدير". وإذا كان الجار للمحراث جملاً ـ وقد كان ذلك شائعاً قبل السبعينيات من القرن الماضي ـ فالفرتالة غير ممكنة ويستعاض عنها بالدير الذي يستعمل على كتفه أسفل السنام، فقوة الجر عند الجمل توجد في هذا الجزء من الجسم.

استعمل القوس ومنهم من يسميه "القربوس" وهو من خشب مبطن استعمل على ظهر الدواب ومربوط بأشرطة جلدية إلى مراكز القوة في أجسامها وفيه يربط المحراث وغيره من الأدوات الفلاحية، وحتى العربات، ووجدت صناعة متخصصة للفرتالة (أو الأقواس والقرابيس) إزدهرت في المدن الكبرى منذ العصر الوسيط قبل أن تنتشر في الزمان والمكان.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1980 ؛ مارمول كربخال، *إفريقيا*، الرباط، 1987 ؛ م. الطويل، *النقل والتنقل في المغرب خلال العصر الوسيط*، مرقون، كلية الآداب، الرباط ؛ *أبحاث وزيارات ميدانية*.

محمد حجاج الطويل

فرتلة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس وقد انقرضت بتطوان سنة 1250 (1834). ومن أشهر أفرادها الحاج محمد فرتلة، كان من فرقة البحرية التابعة لحامية تطوان سنة 1246 (1830).

محمد ابن عزوز حكيم

فرج، أسرة رباطية يجعلها البعض ذات أصل دكالي والبعض الآخر يرجع أصلها إلى الأندلس. وعلى كل حال تألق فيها شخصيات سواء مع المخزن أو في ميدان التجارة والأعمال.

عبد الإله الفاسي

فرج، الرايس من شخصيات الرباط، ومن بين الرياس الأوائل المعتمدين في أسطول سيدي محمد بن عبد الله. حقق قبل سنة 1762 غنيمة رست عملية بيع محتواها على التاجر الجزائري علي خوجة. وقد كان الرايس فرج قبل سنة 1766 من العاملين في المياه المتوسطية، يقود سفينة غليوطة مجهزة بثلاثين مجذافا وثلاثة مدافع، وبطاقم مؤلف من مائة رجل انطلاقا من مرسى تطوان. ويذكره القنصل الفرنسي شينيي ضمن الرياس الذين حصلوا منه على جواز السفر وعلى الهدية المعتادة في سنة 1767 و1768، وقد ظل على رأس غليوطته محافظا على فعاليته، رغم تقلص أعداد طاقمه إلى ستين رجلا فقط سنة 1772.

ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، 3 : 260 ـ 264.

Chenier, *Journal du consulat...*, pp. 96 - 97, 103-104, 111-112 et 125 - 127.

حسن أميلي

فرج (سيدي ـ)، صاحب الضريح قرب باب القنانيط من الأولياء الذين لا تعرف لهم ترجمة، ولعله من آل فرج البيت الشهير بالرباط.

بوجندار، *الاغتباط*، ص. 457.

فرج، عبد الخالق، شخصية فذة، تقلب في عدة وظائف مخزنية، كان داعقل راجح وأمانة كبيرة ودبنامية

جعلت سلاطين الفترة يعتمدون عليه ويكلفونه بعدة مهام وخدمات مخزنية، داخلية ودبلوماسية. كان في بداية أمره يشتغل بالتجارة بجبل طارق ثم عينه السلطان محمد بن عبد الرحمان أمينا بمرسى الرباط وأعفي من هذه الوظيفة سنة 1864. اختاره السلطان مولاي الحسن محتسبا للرباط ابتداء من سنة 1298 / 1881 فظل في وظيفته تسعا وعشرين سنة حيث لم يعف منها سوى سنة 1328 / 1910 في عهد مولاي عبد الحفيظ، وهذا يدل على أنه نجح في مهمته حيث كان أمر التجارة والحرف والصنائع والأسواق يسير على أحسن ما يرام مدة ولايته، سواء في العهد الحسني أو في عهدي ولديه مولاي عبد العزيز ومولاي عبد الحفيظ. وأثناء قيامه بالحسبة عينه مولاي الحسن أمينا لمستفاد الرباط سنة 1893 كما عينه مولاي عبد العزيز أمينا بمرساه سنة 1896. وبعد ذلك عينه مولاي عبد الحفيظ ناظرا على الأحباس الكبرى بالمدينة نفسها سنة 1911 زاولها إلى سنة 1912.

الفاسي، *مدينة الرباط*، ص. 193 و196.

فرج، عبد القادر، أبوه هو العربي التاجر الكبير وأمين السلطان مولاي الحسن. ولد حوالي سنة 1866، تصاهر مع أسرة برگاش، ورث التجارة عن أبيه وكان من أغنى الملاكين بالمدينة، عين سنة 1922ع ضوا في اللجنة البلدية الرباطية بعد أن اشتغل أمينا للمرسى.

ملف 688 : تجديد أعضاء اللجن البلدية لسنة 1927 ؛ وثائق الحماية، الخزانة العامة بالرباط.

فرج، عبد اللطيف، أقره السلطان عاملا على الرباط سنة 1845 بعد نزع العامل السابق محمد بن الطاهر الزبدي متزعم الانتفاضة التي قادها أعيان المدينة ضد القائد محمد السويسي. وظل عبد اللطيف فرج ست سنوات في العمالة إلى وفاته سنة 1267 / 1851 ودفن بالزاوية القادرية.

الناصري، *الاستقصا*، 9 : 55 ؛ دينية، *مجالس*، ص. 171 ؛ الفاسي، *مدينة الرباط*، ص. 114.

عبد الإله الفاسي

فرج، عبد المالك سليل أسرة أندلسية عريقة تنتسب إلى بني نصر الغرناطيين الذين استوطنوا فاس بعد 1492.

كان أول طبيب مغربي تخرج من الجامعة الفرنسية وأول وزير للصحة بعد الاستقلال وأول مدير مغربي للمعهد الوطني للصحة وأول عميد لأول كلية للطب في المغرب.

ازداد في فاس سنة 1906 ففتح عينيه على نازلة الحماية الفرنسية مما أثار فيه باكرا المشاعر الوطنية ؛ وكان من الأفواج الأولى التي التحقت بالثانوية الفرنسية الإسلامية. وكانت يومئذ لا تعد للباكلوريا فلما تخرج منها سافر إلى فرنسا للحصول على هذه الشهادة ولمتابعة الدراسة العليا في الطب. وقد كان ما يتشوف إليه، على ما روى صديقه المرحوم إبراهيم الكتاني، هو أن يأخذ بيد مواطنيه ليتغلبوا على ما كان يفتك بهم من الأمراض. وذلك لأن والده توفي قبل مولده بسبب التيفوس الذي لم يكن يعرف له يومئذ علاج، فتربى يتيما على يد جده ومنه أخذ ركائز الأخلاق النبيلة المبنية على روح التفاني في خدمة الناس. وقد ظلت هذه السمة من أبرز ما تميز به عبد المالك فرج إذ ستكون سببا في وفاته شهيدا في واقعة الصخيرات.

وحصل على الباكلوريا سنة 1928 ثم التحق بكلية الطب التي تخرج منها في يونيو 1935 بعد مناقشة أطروحة عنوانها : "العلاقات الطبية الإسبانية المغربية في القرن الثاني عشر م". وأثناء أيام الطلب قام بنصيبه من النضال الوطني مع أقرانه من أمثال محمد الفاسي وعبد القادر بنجلون وأحمد بلفريج وغيرهم. ولما عاد إلى المغرب التحق بصفته أول طبيب مسلم تخرج من الجامعة الفرنسية بإدارة الصحة العمومية في أكتوبر 1935 فألحق بفريق كان مكلفا بمكافحة حمى المستنقعات وكان من مهامه على وجه التخصيص مكافحة ذلك في منطقة الغرب التي كانت تلك الحمى تفتك بأهلها فتكا ذريعا.

وعين بعد ذلك بناحية تازا ضمن الجماعات الطبية المتنقلة التي كانت مهمتها تتبع الأسواق الأسبوعية للتقرب من الساكنة ومن المرضى. وقضى هكذا سنين طويلة يكافح الأوبئة مثل التيفوس والجدري والأمراض المعدية الأخرى، فنجده طبيبا في الدار البيضاء (المدينة الجديدة) ثم في مستشفى موشان بمراكش (ابن طفيل حالياً) وبمستوصف سيدي فاتح بالرباط. وفي كل مكان كان عبد المالك فرج يمارس مهامه بمنتهى التفاني وتمام الاحترام لمرضاه إذ كان يعتبر الطب رسالة سامية وواجبا على المرأ أن يقوم به أحسن قيام. وكان من الطبيعي بعد الاستقلال أن تسند مهمة وضع أسس وزارة الصحة المغربية إليه ابتداء من دجنبر 1955 وكان إلى جانبه عبد القادر بنجلون في المالية ومحمد الفاسي في التربية الوطنية وأحمد بلفريج في الشؤون الخارجية. وقد وفق في مهمة المحافظة على البنيات التحتية الطبية التي تخلفت عن فترة الحماية إذ كان يقول بأن هدفه الأول هو أن تبقى "الدار قائمة". ولكنه اهتم كذلك بإنماء تلك البنيات وبجعلها قادرة على تلبية حاجيات الجماهير المغربية المتزايدة وهكذا

فإنه وضع برامج شاملة للنهوض بالطب في الأرياف ويشؤون صحة الأطفال وبضرورة مكافحة المخدرات ومختلف التسممات. وقضى على رأس تلك الوزارة ثلاث سنوات عين بعدها مديراً للمعهد الوطني للصحة وهنالك واجهته كارثة صحية ذهب ضحيتها أكثر من عشر آلاف نسمة تسمموا بزيوت فاسدة بعد استهلاكها في مكناس ونواحيتها. وهو الذي سهر على بناء وتجهيز مستشفى العياشي بسلا بقصد مساعدة من أصيب من الضحايا بالشلل على استرجاع حيويتهم. ثم إنه عين سنة 1962 أول عميد لأول كلية طب بالرباط وكعادته فإنه انصرف إلى تلك المهمة بما كان معهوداً فيه من الإقدام والتبصر فطاف بمختلف كليات الطب بفرنسا ليتعرف على مشاكلها وعلى أنظمة الدراسة فيها واستخرج من ذلك استراتيجية مناسبة لتلك المرحلة التأسيسية في المغرب وتغلب شيئا فشيئا على الحواجز والصعوبات إلى أن صدرت النصوص القانونية المنظمة للدراسات الطبية في المغرب 1967، مستعينا بثلة ممن كان يوجد من أطباء بالمغرب من بين فرنسيين ومغاربة أمثال (سيمون دي لونس) (وجورج فرانكي) والمرحوم عبد الهادي مسواك وحسن التازي، فضلا عن الأساتذة الفرنسيين الذين كان يستقدمهم من فرنسا في بعثات محصورة في الوقت تتراوح بين ستة وثمانية أسابيع يلقنون فيها للطلاب معلوماتهم بشكل كثيف واشتغل في ذات الوقت بإعداد الفوج من أطباء الأساتذة المغاربة في دجنبر 1967 ، كما أن أول أطروحة لنيل درجة الدكتوراة في الطب نوقشت وهو عميد سنة 1969. وتدين له كلية الطب بالرباط بالجو السليم الذي بثه فيها فجعلها مثالا احتدت به باقي كليات الطب التي أنشئت في المدن المغربية الأخرى.

هذا ولم يكن اهتمام عبد المالك فرج منحصراً عند شؤون الطب والصحة بل كان ككل طبيب نطاسي حكيما يحبّ البحث في الأصول ويستريح من متاعب المستشفى بالنظر في تاريخ الطب وحياة الأطباء، تجلى ذلك في أطروحته التي تعالج موضوعا تاريخيا صرفا كما تجلى في اتصاله منذ أيام الطلب ببعض وجوه الثقافة الفرنسية من أمثال لويس ماسنيون وإميل ديرمنكيم وهنري دي مونترلان. وبعد رجوعه إلى المغرب انكب على دراسة كتاب من أكبر كتب الطب العربي وهو كتاب *التيسير* لعبد المالك بن زهر فوقف على جميع رجال آل ابن زهر الذين اشتغلوا بالطب والفلسفة وتمكن من نسخ المخطوطات الأربعة لكتاب *التيسير*، الأولي من الزاوية الناصرية بتامگروت والثانية من المكتبة الوطنية بباريس والثالثة من أكسفورد والرابعة من فلورنسا ووضع لكل ذلك مقدمة باللغة العربية لم تر النور في حياته ولكن أكاديمية المملكة المغربية أبت إلا أن تخرج تلك الأعمال إلى حيز الوجود فوكلت للفقيه محمد الروداني القيام بذلك فنشر الكتاب سنة 1991.

وكانت وفاة عبد الملك فرج شهيدا في أحداث الصخيرات يوم 10 يوليوز 1971، ذلك بأنه بادر إلى إغاثة أحد زملائه ممن أصيب بالرصاص ومنعه المتمردون من ذلك فلم يمتنع فرمى بالرصاص فأردي قتيلا.

عبد اللطيف بريش

فرج العربي، عينة السلطان محمد بن عبد الرحمان أمينا في الصويرة سنة 1865 ثم أمينا لمرسى آسفي سنة 1283 / 1867 ثم أمينا للتعشير بالدار لبيضاء كما كلفه بسفارة إلى مدريد نظرا لأسفاره ومعرفته بأحوال الأوربيين. جمع بين المهام المخزنية والأعمال الحرة وخصوصا التجارة، فكان له وكلاء في الخارج منهم أخوه أحمد بلندن سنة 1875. ولما كان متغيبا عن الرباط بسبب مهامه المخزنية المذكورة فإنه ترك ابنه محمدا مكلفا بتجارته التي كانت تشمل السكر والزيت والأثواب، وكان يستورد السكر من مرسيليا، وأرسل ابنه الثاني أحمد إلى منشستر ليتاجر هناك وليستقبل منها الصوف المغربي ويبعثه إلى لندن. وكان مشتركا مع العربي بريشة التطواني الذي كان يتاجر مع مرسيليا ولندن، وتشارك أيضا مع العربي العفير في تجارة الأثواب. وكان له وكلاء في عدد من المدن المغربية مثل مراكش والجديدة ومكناس والدارالبيضاء. وفي غير التجارة كان له مع بريشة المذكور اشتراك في الفلاحة حيث امتلكا قطعانا من الأغنام والأبقار. وكان ملاكا كبيرا. وفي أكتوبر سنة 1886 أوكل إليه السلطان مولاي الحسن أمر التفاوض مع السفير الألماني بطنجة قصد توقيع معاهدة تجارية.

الفاسي، *مدينة الرباط*، ص. 202 ـ 204 ؛ عبد الرحيم بن عبد الله، *الحاج عبد الخالق فرج، محيطه العائلي*، أميريكلور، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 1989، ص. 50.

فرج، محمد من كبار تجار الرباط أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. ربما هو أخ العربي السابق. استخدم من طرف المخزن أمينا بمرسى العرائش من 1904 إلى 1909. كانت له تجارة كبرى امتدت داخل البلاد وخارجها، فكان يستورد أثواب منشستر ولندن على يد التاجر الإنجليزي لام Lam والسكر من مرسيليا والحديد من انجلترا وآلات الطباعة من القاهرة والكتب من الإسكندرية وكان يصدر سلعا عديدة منها البطانيات والبلغة إلى مصر. شمل نشاطه الميدان الفلاحي أيضا فامتلك الأراضي الزراعية في ضواحي الرباط والجديدة. كما أن كناشاته تبين ـ لما كان يقرضه للتجار ـ أنه كون شبه مؤسسة للقرض. درت عليه هذه النشاطات المختلفة أرباحا كثيرة أضافها إلى ميراثه العائلي وكان له من الأملاك ما جعله يدخل من أكريتها وإيجاراتها دخولا إضافية تطلبت منه تكليف معاونين له لقبض الأكرية. كما كانت له عدة عرصات بوادي أبي رقراق كان يسوق غلالها الشتوية والصيفية. إلى جانب كل هذه الأنشطة كان محمد فرج كاتبا في نيابة القنصلية الأنجليزية بالرباط. توفي سنة 1909 غرقا بالسفينة التي كانت تقله إلى الديار المقدسة والتي غاصت في مياه ساحل مالطة.

الفاسي، *مدينة الرباط*، ص. 204. 220 ؛ نقلا عن كنانيش خاصة لعائلة فرج.

فرج، محمد من أمناء مرسى الرباط في عهد السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام. كان متوليا لهذه الخطة وأعفي منها سنة 1842. ثم أصبح أمينا بمرسى الجديدة ابتداء من 1298 / 1880.

وثائق الخزانة الملكية : محفظة التجارة الداخلية والخارجية رقم 5، رسالة 20 محرم 1258 ؛ الفاسي، *مدينة الرباط*، ص. 193 و224.

فرج، محمد بن **إبراهيم**، أحد مشايخ الرباط، كان مفتيا ومدرسا، من تلامذة المفتي المكي البناني. تعرض لمحنة أيام مولاي اليزيد إذ سجن لاتهامه بمال وزير السلطان محمد بن عبد الله المسمى قادوس سنة 1205. تولى نظارة أحباس الرباط سنة 1209 / 1795، ثم ولي قيادة المدينة عام 1230 نيابة عن الباشا العربي بن بلال، ثم استقل بقيادة الرباط عام 1231، فجمع بين النظارة والعمالة، كما كان من بين أمناء المرسى سنة 1232 أو ربما شغل هذه الوظيفة أو الوظيفتين الأخيرتين أي الأمانة والنظارة شخص آخر له الاسم نفسه. ذكره الفقيه المكي بناني في نوازله وحلاه بالشيخ العلامة. ليس هناك خبر عن تاريخ وفاته.

بوجندار، *الاغتباط*، 158.

فرج، محمد بن **عبد القادر** القاضي، فقيه خطيب، تتلمذ على البدوي السرايري وآخرين، وكان رجلا ناسكا ورعا، تعاطى للعدالة، فرشح عدلا بمرسى العرائش، زاول الكتابة مع المخزن فكان أولا بدار عديل سنة 1302 / 1884 وثانيا في بنيقة الصائر بمراكش ثم ببعض الثغور. ولي القضاء بالدار البيضاء نيابة عن قاضي الرباط والدار البيضاء محمد البريبري سنة 1892 لكنه لم يستمر فيه سوى بضعة أشهر.

توفي سنة 1330 / 1912.

دينية، *مجالس*، ص. 301 ؛ بوجندار، *الاغتباط*، ص. 232 ؛ الفاسي، *مدينة الرباط*، ص. 227.

فرج، المكي، أحد أعيان الرباط الذين لعبوا دورا سياسيا مهما في مدينة الرباط بعد وفاة السلطان مولاي اليزيد سنة 1792، حيث كان مناصرا للمحتسب الحاج عباس مرينو في قيادة أهل حي الكزا الذين كانوا شيعة مؤيدة للأمير مولاي هشام أخ مولاي اليزيد معارضين بذلك قسما آخر من سكان المدينة والذي كان مناصرا للأمير مولاي سليمان، وقامت الفتنة وتصارع الفريقان ولكن بيعة مولاي سليمان من طرف أهل فاس وضعت حدا للفتنة التي انتهت بقتل المكي فرج والمحتسب سنة 1792.

الفاسي، *مدينة الرباط*، ص. 32.

عبد الإله الفاسي

فرج (مارستان سيدي -) هو أشهر المارستانات في تاريخ المغرب وأكثرها أهمية. أسسه بمدينة فاس السلطان أبو يوسف يعقوب المريني حوالي 685 / 1286 على الهندسة المعمارية المرينية المستوحاة من الطريقة الإسبانية، وأعاد ترميمه السلطان أبو الحسن المريني. وهو واحد من سلسلة مستشفيات أنشأها المرينيون في المدن المغربية المهمة آنذاك، مثل مكناس وسلا والرباط وآسفي. كما كان واحدا من عدة مستشفيات بنيت بمدينة فاس.

يقع مارستان سيدي فرج في مركز المدينة القديمة بفاس بجوار ضريح مولاي إدريس ما بين سوق العطارين وسوق الحناء الذين يفصل بينهما باب يسمى باب الفرج. ومن الراجح أن اسم المارستان سيدي فرج مأخوذ منه. ويظن كثير من الناس إلى الآن أن هذا اللقب مأخوذ من اسم أحد "الأولياء"، لكن من المؤكد أنه ليس هناك أي قبر في بناية المارستان.

وكان المارستان يتكون من طابق أرضي يحتوي على 18 غرفة صغيرة مخصصة للرجال، وطابق أعلى به 22 غرفة مخصصة للنساء، ويحتوي على حديقة للمرضى من أجل النزهة وإقامة الحفلات الموسيقية الأندلسية الأسبوعية. ويشرف على تنظيم المارستان مدير يساعده كاتب ويتولى ناظر الأحباس مهمة مراقبة صرف الأموال.

وقد ساهمت جامعة القرويين وهي من أعرق الجامعات في العالم التي لا تزال تؤدي دورها العلمي، وهي موجودة على بعد مائة متر من المارستان في تخريج متخصصين ماهرين في الطب. وقد ذهب بعضهم إلى إسبانيا لتعميق الخبرة أو للتخصيص في الجراحة مثل علي بن أبي شلب الإدريسي أو محمد بن قاسم قرشي المتوفي سنة 757 / 1356 الذي كان مديراً بمارستان سيدي فرج. وكانت تمارس بالمارستان تخصصات عدة، كالطب النفسي وطب العيون والجبارة والطب البيطري ويقوم المسؤولون بالمستشفى في إطار دوره الاجتماعي بتوزيع الملابس والأكل على العجزة والفقراء والمعسرين.

كما كان المارستان ملجأ لطير اللقلاق، فكان كل من أتى به جريحا أو مصابا وعالجه ينال مكافأة على ذلك.

أما فيما يخص الموارد المالية للمارستان فهي تتكون من عائدات أراضي الأحباس ومساهمات الدولة والعطاءات والهبات والصدقات المقدمة من قبل المحسنين.

كان مارستان سيدي فرج لفترة طويلة معلمة حضارية يعتز بها سكان فاس. فمن المستحيل أن يزور زائر المدينة ولو لمدة قصيرة دون العلم بوجوده. ومن الراجح أن الأب جيلبير جوفر Le père Gilbert Jofre عندما جاء إلى مدينة فاس من أجل استرداد الأسرى في الحرب المسيحية في نهاية القرن السادس عشر قد استفاد من هذه المعلمة الحضارية مما حفزه عند عودته إلى إنشاء جمعية أسست أول ملجأ للمرضى عقليا في إسبانيا سنة 1410 مما يعتبر مثالا بارزاً لنقل العلم والمعرفة من العالم الإسلامي إلى أروبا.

وكان المارستان يعالج مختلف المرضى العضويين والنفسيين، إلا أنه أصبح بعد ذلك ملجأ للمختلين عقليا مع دخول المغرب في حالة من الجمود والانحطاط منذ القرن الخامس عشر. فقد شرع السلطان المريني أبو سعيد عثمان في بيع ورهن ممتلكات المستشفى من أجل تجهيز الجيش، مما أدى إلى تدهور حالته وتحول شيئا فشيئا إلى ملجأ للمجانين، وقد عمل به أبو الحسن الوزان كاتبا لمدة سنتين في بداية القرن السادس عشر وأعطى صورة عن وضعيته غير الجيدة في تلك الفترة، وأشار إلى أنه "لا طبيب فيه ولا علاج". وذلك على الرغم من أنه كان يتوفر على "كل ما يحتاج إليه من كتاب ومرضين وحراس وطباخين وغيرهم ممن يهتمون بالمرضى، ويتقاضى كل واحد من هؤلاء المستخدمين أجرا حسنا". وقد ازدادت الحالة سوءا مع مرور الوقت، والشهادات التي وصلتنا من قبل كل من سالمون Salmon وميشو ـ بيلير Michaux-Bellaire سنة 1906، والدكتور دو مازيل Du Mazel سنة 1922 تعبر عن حالة يرثى لها، بحيث أصبح المرضى العقليون فيه شبيهين بالسجناء. وبقي على هذا الحال إلى سنة 1943 عندما تهدم جزء منه فتم إغلاقه. وعندما ثم فتحه بعد فترة حول إلى قيسارية تباع فيها الملابس والأثاث المنزلية وقد بقي كذلك إلى يومنا هذا وفي سنة 1949 أنشئ مارستان جديد بباب خوخة بفاس سمي "مارستان سيدي فرج الجديد" ونقل إليه مرضى المارستان القديم، إلى أن حول إلى إدارة عمومية سنة 1987 بعد أن أنشئ أنشئ مستشفى حديث للطب النفسي بفاس.

عبد الواحد المراكشي، *المعجب في تلخيص أخبار المغرب*، مطبعة الاستقامة بالقاهرة، ط 1، 1368 / 1949 ؛ الحسن بن محمد الوزان، *وصف إفريقيا*، ج، 1 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1983.

J. Luccioni, Les maristanes du Maroc : le nouveau maristane de Sidi-Frej à Fès, *Bulletin Economique et Social du Maroc, vol. XVI, n° 58*, 1953, p. 461-470 ; D. Moussaoui et S. El Otmani, Introduction des hôpitaux dans les pays arabes et musulmans, in *Histoire de la médecine au Maroc et dans les pays arabes et musulmans*, sous la direction de Driss Moussaoui et Michel Roux Dessarps, 1ère Edition Association Marocaine d'Histoire de la Médecine, 1995 ; B. Belkamelia et B. Raouyane, Les bimaristanes au Maroc, *idem, p. 47* ; A. Chakib, O. Battas, D. Moussaoui, Le maristane Sidi Frej à Fès, *idem, p. 59* ; Du Mazel, Visite au maristane de Sidi Frej à Fez, exposition coloniale de Marseille, *Service de la santé et de l'hygiène publique au Maroc*, 1922.

سعد الدين العثماني

الفرجي، أبو **بكر** السلاوي، من أبرز علماء سلا في القرن الثاني عشر (18م)، شهد له مترجموه بعلو كعبه في الفقه والبيان والمنطق وأصول الدين، فضلا عن ولعه بالتاريخ. "لم يكن يبالي بنفسه في مأكل وملبس وفراش". كان كثير الصدقة على المساكين والطلبة، معظما لآل النبي، ومكرما لهم بما يستطيع، إلا أن في خلقه شكاسة في بعض الأحيان، كان يسكن قرب عقبة المغيلي بطالعة سلا.

خصص ابن علي الدكالي للمترجم إثنين وعشرين بيتا في رجزه *إتحاف أشراف الملا* أبرز فيها مكانته العلمية المتميزة في المجتمع السلاوي. قرأ أبو بكر الفرجي على أخيه القاضي محمد بن علي، وعلى شيخ الجماعة بمراكش أحمد العطار المراكشي، وعلى ابن خالته أحمد بن إبراهيم. كان حسن الإلقاء، يقرر كتاب الشفا لعياض أحسن تقرير، ويفسر آياته ويذكر ما فيها من علم البيان البديع ويأتي من ذلك بالعجب العجاب.

تخرج عل يده عدة طلبة من سلا أمثال محمد ملاح وأحمد بن عاشر الحافي الذي قال عن شيخه الفرجي : "إنه خاتمة المحققين في جميع الفنون".

ألف أبو بكر الفرجي فتح الباب المغلق، إلى شرح السلم المرونق للأخضري، كما ترك عدة تقاييد. كانت تربطه بالتستاوتيين علاقات متينة، لاسيما مع العياشي بن عبد القادر التستاوتي. ويتجلى ذلك في الرسالة التي بعثها عام 1118 / 6 ـ 1707 إلى هذا العالم التستاوتي بمناسبة وفاة ولده يعفور، وهي عبارة عن نثر بليغ أردفه بقصيده بائية تشتمل على أربع وأربعين بيتا يتجلى من خلالها طول نفسه في الشعر.

توفي ضحى يوم السبت 8 ذي القعدة عام 1139 / 27 يونيو 1727 ، ودفن قرب داره بزاوية سيدي مغيث بحومة الطالعة بسلا. وقد رثاه تلميذه أحمد بن عاشر الحافي برائية بليغة تتكون من ثلاثين بيتا.

أحمد بن عاشر الحافي، *فهرس*، تح. م. السعديين، د.د.ع.، كلية الآداب بالرباط، 1991 ، ص. 273 ـ 280 ؛ أحمد الصبيحي، *تقييد ضمن كناشة الروض* ، مخ. خ. ص، رقم 428، ص. 151 ؛ *وثيقة مصادرة أملاك فناشة* بتاريخ 15 جمادى الثانية عام 1180 / 18 نونبر 1766 ، ضمن ملحق الإتحاف الوجيز لابن علي الدكالي، تح. م. بوشعراء، ط 2، 1996، ص. 319 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 7: 114 ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، ص. 139 و*إتحاف أشراف الملا*، مخ. خ. ع. 11 د، ص. 64 ـ 65 ؛ أبو بكر بوشنتوف، *كناشة*، مخ. خ. ص.، رقم 438، ص. 2.

محمد السعديين

ابن **فـــرجي، بلال** ولد سنة 1937 بدوار تورضي ادموسكنة آيت الخمس، أيت باعمران إقليم تيزنيت. انخرط الشهيد المذكور في صفوف جيش التحرير سنة 1957 بالمقاطعة 13 وكان مثالا للرجل المجاهد في سبيل الله، وكان نشيطا في عمله، متحمسا في إيمانه معروفا بغيرته الوطنية لاسترجاع ما تبقى من أرض وطنه.

اشترك في عدة معارك ضد العدو إلى أن استشهد في معركة بيبري بآيت باعمران وذلك بتاريخ 05 / 12 / 1957.

الفَرَجية، قميص تقليدي طويل خاص بالرجال لا أكمام له أو لا تتعدى أكمامه حدود المرفقين إن كانت. وهو يتخذ من صوف أبيض شفاف أو من قطن أو كتان ناعمين ويفتح ويغلق بواسطة أزرار من مجدول حرير.

استمدت الفرجية اسمها من اللغة العربية لأنها رداء منفرج واسع ومنفتح من ثلاثة جوانب، من العنق إلى الخصر ومن السرة إلى ما قبل أسفل الساقين وكذا من الجانبين الأيمن والأيسر.

ويرى محمد بن أحمد شماعو أن "لبسها وعدم لبسها سواء، إنما هو يزيد في أناقة المظهر". ويصفها موريس هيم فيقول أنها "رداء رقيق شفاف يلبس فوق القفطان الفاقع ليخفف من حدة اللون ويضفي بهاء خاصا على الهندام التقليدي الأصيل". وقد كان لباسها سائد الانتشار عند العرب قبل الإسلام وبعده، وكان يرتديها خاصة الناس من النخبة وأهل العلم.

والفرجية رداء يشكل دائما ثنائيا مع رداء آخر يكون أسفله. فالسواد الأعظم من الناس يلبسونه فوق التشامير ذي الأكمام الطويلة التي تصل إلى حد الكوعين في حين ترتديه الطبقات المتوسطة والعليا فوق القفطان. وكانت أحسن أنواع الفرجيات التي ترتديها النخبة من أهل المخزن من صوف شفاف أو حرير ناعم وتدعى "فرجية الثلج على الجبال" من فرط نصاعة لونها. كما كان القفطان والفرجية إضافة إلى السلهام الأبيض هو لباس العمال والقواد والباشوات وغيرهم من سامي الموظفين المخزنيين الممثلين للمخزن المركزي الذي كان ينعم سنويا على جلهم بنصيب معين من خزانة الملابس السلطانية. وفي هذا الإطار تسلم عامل سوس حميدة بن علي الشرگي من أمين هذه الخزانة في عهد السلطان مولاي الحسن الأول هدية تتكون من "قفطان عجمي وسلهام ملف سكري وفرجية وتشامير وسروال وعمامة". وكان "أصحاب المحفة" وهم المرافقون للسلطان أثناء تنقلاته وتحركاته في المناسبات الرسمية والاستقبالات والأعياد يمشون إلى جانبه وهو يمتطي صهوة جواده "مترجدين في القفطان والفرجية".

وعليه، فقد كانت الفرجية على الدوام ملازمة للقفطان وما كان بوسع أحد أن يلبسه بدونها كما كان لا يقبل أن يتعدى طولها طول القفطان. وابتداء من مطلع الأربعينات من القرن 20 بدأ الكثير من الناس ممن لا ينتمي إلى صفوف المخزن والفئات الموسرة يتخلى عن ارتداء الفرجية محتفظا بالقفطان وحده مع إحاطته على طول الخصر بحزام من جلد مزين بسفيفة مجدول حرير أو مضمة رفيعة.

م. بن أحمد شماعو، *المجتمع المغربي كما عرفته*، الرباط، 1980 ؛ محمد الحلوي، *معجم القصحى في العامية المغربية*، الدار البيضاء، 1988 ؛ عبد العزيز بنعبد الله، *معجم الألوان*، الرباط، 1975 ؛ عبد الرحمان بن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، مكناس، 1931 ؛ *العز والصولة*، الرباط، 1961.

Maurice Heim, *A travers le vieux Maghreb*, Paris, 1929 ; Louis Brunot et Elie Malka, *Glossaire judéo-arabe de Fès*, Rabat, 1940 ; R. Dozy, *Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les arabes*, Amsterdam, 1845.

محمد بوسلام

الـفرخ، كما هو شائع في اللسان الدارج المغربي جنس أسماك بحرية تصنف إلى طائفة شائكات الزعانف وفصيلة كونقريدي Congridae. يدعى أيضا الغرنوك وصفاغ وغوغونك والصنور في كل من المحمدية والدار البيضاء والرباط والقنيطرة ومولاي بوسلهام والعرائش وطنجة وآسفي والصويرة وأگادير ويدعى قرنقو في الأسواق السمكية التونسية. يسمى الكنجر في المعاجم والكلمة مأخوذة من الإنجليزية Conger.

سمك رمادي أو أسمر داكن، بطنه ناصع البياض وجسمه شبه أسطواني جهة الأمام، مضغوط جانبيا جهة الخلف ومتمدد جدا يحتوي على 148 ـ 153 فقرة. العينان كبيرتان والفك العلوي أطول من الفك السفلي وتحمل الشفة العليا ثنية جلدية. المنخر الأمامي أنبوبي يفتح قرب مؤخرة الخطم. المنخر الخلفي أمام العين وأحيانا فوق أو أسفل مستوى العين، لكن لا يفتح بتاتا في الفم. الأسنان على الفكين وعلى عظم الميكعة. الفتحات الخيشومية جانبية لها أقل من 15 شعاعا خيشوميا غير متراكبة جهة البطن. الزعانف الظهرية والشرجية ممتدة على طول الجسم وتلتقي بالزعنفة الذيلية. الزعانف الصدرية جد نامية والزعانف الحوضية منعدمة. الخط الجانبي كامل وخال من الحراشف.

ثلاثة أنواع من سمك الغرنوك تعيش قرب السواحل وفي أعماق تصل إلى 800 م في بحار المناطق المعتدلة وشائعة في

البحر المتوسط والأماكن الدافئة من المحيط الأطلسي. تألف الأماكن القاعية الصخرية والرملية بالهضبة القارية والجرف القاري العلوي وتفضل العزلة. صيدها تقليدي على طول السواحل المغربية وتصاد بالجيبيات العمقية والشاطئية وبالشباك المستقيمة وحبال الصنانير العمقية وشباك الحواجز وصنارة اليد. موجودة بانتظام في الأسواق السمكية الوطنية وتستهلك طرية ومبردة ومملحة.

الفرخ العادي يسمى علميا Conger conger وبالفرنسية Congre d'Europe وبالإنجليزية European conger وبالإسبانية Congrio comun. يتميز بأشعة عريضة ومجزأة على الزعانف الظهرية والشرجية.

جسمه طويل جدا وشبه أسطواني مضغوط جانبيا خلف الشرج الموجود في النصف الطولي الأمامي للجسم، تتكون الشفة العليا من ثنية جد عريضة. يحمل الفكان صفا خارجيا من الأسنان القاطعة مضغوطة وملتحمة تشكل جانبا حادا وصفا داخليا من الأسنان الصغيرة مخروطية الشكل وحادة. الفتحات الخيشومية نصف جانبية وهلالية الشكل. يحمل الخط الجانبي 44 ـ 47 مسامة قرب الشرجية و6 مسام صدرية ومسامة واحدة صدغية. يبلغ طوله الأقصى 3 م وشائع بين 60 ـ 150 سم. يبدأ النضج الجنسي بعد 5 سنوات ويتوالد في فصل الصيف تبيض الإناث 3 ـ 8 ملايين بيضة وتدوم مرحلة الصغار فترة طويلة. لاحم، يتكون غذاؤه من الأسماك والقشريات والرخويات.

الفرخ البلياري يسمى علميا Ariosoma balearicum وبالفرنسية Congre des Baléares وبالإنجليزية Baleares conger وبالإسبانية Varga. يتميز بأشعة غير مجزأة على الزعانف الظهرية والشرجية. جسمه طويل نسبيا وشبه أسطواني. يحمل الفكان والميكع صفوفا من الأسنان الصغيرة المخروطية الشكل. الفتحات الخيشومية جانبية. يحمل الخط الجانبي 43 ـ 53 مسامة قرب الشرجية و9 مسام صدرية و3 مسام صدغية. يبلغ طوله الأقصى 50 سم وشائع بين 30 ـ 40 سم. سمك لاحم يتغذى من الحيوانات اللافقرية القاعية.

الفرخ رقيق الشفة يسمى علميا Gnathophis mystax وبالفرنسية Congre bec fin وبالإنجليزية Thinlip conger وبالإسبانية Congrio dulce . يتميز بأشعة مجزأة على الزعانف الظهرية والشرجية. جسمه طويل وأسطواني. يحمل الفكان والميكع صفوفا من الأسنان الصغيرة المخروطية الشكل. الفتحات الخيشومية جانبية. يحمل الخط الجانبي 30 ـ 33 مسامة قرب الشرجية و6.5 مسام صدرية و3 مسام صدغية. يبلغ طوله الأقصى 60 سم وشائع بين 20 ـ 50 سم. سمك لاحم يتغذى من الأسماك الصغيرة والحيوانات اللافقرية القاعية. يتوالد في فصل الصيف.

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988.

D. Lloris & J. Rucabado, *Guide d'identification des ressources marines vivantes du Maroc*, FAO, 1998, 263 p.

محمد رمضاني

فرخانة، فرقة مندرجة ضمن خميس مزوجة، أحد أقسام قبيلة قلعية، وذلك منذ أن تعرفنا على وجود هذا الاسم عام 939 / 1533، حسبما وصلنا من المجهول صاحب تقييد "نسب قبيلة قلعية". تشغل فرخانة القسم الشمالي من أراضي مزوجة، وتنطبق مساحتها على الفراغ المنحصر بين حوض واد فرخانة من لدن منبعه إلى نقطة التقائه بواد المدور بمقربة من مدشري سمّار والورياشيين شمالا إلى ظهر مدشر إزروالن جنوبا كحد فاصل بينها وبين جماعة بني انصار. وتستند مداشر تجمعات فرخانة إلى توزيع الأراضي المجاورة لوادي فرخانة في مجراه الأوسط وهي تظهر موزعة بالوادي من الغرب نحو الشرق حسب الترتيب التالي :

ـ آيت يخلف التراريون المستقرون بأعلى الوادي من جهة اليمين بجوار إعمرانن، وإعمرانن أو العمارنة من الطائفة المعقلية الداخلة إلى قلعية على العهد المريني. استقرت بالمكان الموازي لآيت يخلف على الجانب الأيمن من الوادي، وإجهرتن وهم يستقرون على الجانب الأيمن من وادي فرخانة غرب المركز الإداري. وفي سنة 1209 كان بنفس المدشر نحو 216 ساكن. وإحاجيون وهم من الجماعات التي لم يلتفت إليها المجهول صاحب النسب، غير أن وجودها بالمكان لا غبار عليه، ورسائل حكام مليلة خلال القرن العاشر الهجري تؤكد موقعها الحالي، وهو يشمل الأراضي المحيطة بمجرى واد أضرضور (واد فرخانة) من مباني المركز الإداري الحالي إلى نقطة الحدود مع مليلة المحتلة. وحسب أ. موليبرا Auguste Mouliéras فإن فرخانة، التي يدعوها جنادة باسم قصبتها كانت أواخر القرن الماضي فرقة تتألف من 200 كانون، أي ما يقارب 1000 نسمة. ولم يختلف هذا مع ما قاله دلبريل Delbrel أيضا.

ويمكن تتبع تاريخ فرقة فرخانة ضمن مقاومة الوجود الإسباني بمليلة المحتلة منذ احتلالها سنة 903 / 1497 إلى سنة فرض الحماية الإسبانية، مما أدرجناه في كتابنا المرتبط بالفترة المتراوحة بين 1497 و1859 . وتحتضن أراضيها قصبة فرخانة المعروفة بجنادة أو دار المخزن. ودورها بارز في أحداث الحدود مع مليلة إلى سنة 1912. ونخص بذلك ما عرف بحرب سيدي ورياش ما بين سنوات 1890 و1893 . وما أبدته من مقاومة حركة الروكي بوحمارة ما بين سنوات 1903 و1908.

تقييد لمجهول عاش خلال النصف الأول من القرن العاشر الهجري (16 م) ؛ ح. الفكيكي، *المقاومة المغربية للوجود الإسباني بمليلة*، الرباط، 1997، ص. 43 ؛ سيدي محمد بن عبد الله *وقضية مليلة المحتلة*، ص. 59، الرباط، 1996 ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، ص. 101، تطوان، 1951، وثائق قيادة فرخانة، عام 1975.

A. Moulieras, *Maroc inconnu*, 2 : 164.

الفرخاني، محمادي بن الطاهر بن محمد، أصله من فرقة مجاور من قبيلة بني سعيد الريفية، وهو ناشر الطريقة

العلاوية بقبيلة قلعية. انتقل به والده إلى بني شكر واستقر بآيت عـلا حيث نشأ وتربى. وبعد وفاة والده توجه إلى زاوية مستغانم وبقي هناك في رعاية شيخها أحمد عليوة إلى أن أمره بالتوجه إلى فرخانة آذنا له بالتلقين ونشر الطريقة. فنزل بمدشر إجهرتن واشتغل بالإمامة في مسجده ثم إلى مسجد مولاي إدريس المجاور لدار المخزن.

غير أن الحظ لم يبتسم له بسبب منافسته للطريقة القادرية على يد شيخها آنذاك الحاج محمد بن أحمد القادري، آتي الترجمة، وما واجهه من الاستنكار للبدع الصوفية التي أتى بها. وكان من ذلك أن استدعي للمناظرة مع الشيخين عبد القادري الفكيكي آتي الترجمة وشيخ زاوية ورك البغدادية، بناء على الدعوة الموجهة إليه من طرف قائد بني شكر عبد القادر بن الحاج الطيب الشكري، سابق الترجمة بهذه المعملة.

وما نعلمه أن الغلبة في المناظرة كانت ضد الفقيه محمادي وأتباعه، ولكن الذي لم يصل إلينا هو القبض عليه من طرف السلطات الإسبانية وزجه في السجن بتيزطوطين أولا ثم بمليلة بعد سجن زايو، حيث بقي نحو سبع سنين. والثابت أيضا أن نشاطه في نشر الطريقة العلوية قد استمر خلال مدة سجنه بالسجون التي أحيل إليها، وشاع أمره بعد أن خرج من السجن بتوسط من أصدقائه لدى الإقامة العامة بتطوان.

وبمجرد خروجه من السجن توجه لمستغانم لزيارة شيخه أحمد عليوة برفقة 500 فقير وأمر بتأسيس زاوية بفرخانة. ومن خلصائه الشيخ سليمان الشريف الحسني الودغيري المقيم ببني بوكافر، علاوة على ما كان له من أتباع بقبائل عموم الريف الشرقي. وعندما توفي شيخه العلاوي حول زاويته من آيت عـلا إلى داخل حدود مليلة، حيث بقي إلى وفاته يوم الخميس 13 يوليو 1946 ودفن بالزاوية.

الشيخ البوزيدي، *إتحاف ذي النهي والبصائر بتراجم الشيخ العلاوي وشيوخه وبعض خلفائه الأكابر*، 1990 ؛ عبد القادر الفكيكي، مخطوطة بيد حفيده حسن الفكيكي ؛ *أرشيف مديرية الوثائق الملكية*.

الـفرخاني، محمد بن علي أزريوح، المعروف بالفقيه. أولى المعلومات التي وصلتنا عنه أنه كان في أول أمره أمين جماعة فرخانة، ثم حولته حرب بوحمارة بالشمال الشرقي المغربي إلى قائد حربي عزيزي. ويبدو من جهة أخرى أنه كون جماعة عسكرية من المتطوعين الفرخانيين وانخرط بهم في سلك المحلة. وكانت تلك الجماعة من ضمن رجال المحلة الذين حاربوا أنصار محمد الشاذلي المناصر لبوحمارة.

دأب محمد بن علي الفرخاني ما بين سنوات 1904 و1907 على حرب أنصار بوحمارة بقلعية وعلى رأسهم محمد الشاذلي، سابق الترجمة والاتصال بعبد الرحمن بن عبد الصادق وانتظار قدومه من وجدة، كما ألتحق به رجاله حين وصوله إلى ملوية للمشاركة في معارك تقدمه نحو أربعاء أركمام وأخيراً عمهم ما شمل المحلة المخزنية من الحصار بالجزيرة إلى أن تم نقلهم إلى مليلة.

وتم تعيينه أمينا لديوانة مليلة إلى جانب كل من عبد السلام بن يحيى الفاسي والطالب محمد فرطوط في 26 شعبان 1324 / 13 ديسمبر 1906 وإلى غاية 17 قعدة 1324/ 2 يناير 1907 كان مازال بتلك الصفة.

وفي مايو 1908 أبحر الفقيه محمد الفرخاني برفقة القائد الجيلالي إلى أسفي للدفاع عن شرعية المولى عبد الحفيظ. وفي أواخر 1909 كان ما يزال بفاس في انتظار أوامر المخزن، في وقت كان بها محمد الشاذلي، والشريف القادري في مهمة البحث عن المساعدة الحربية لحركة الشريف محمد أمزيان. ولا نعرف شيئاً عن موقف محمد الفرخاني تجاه مقاومة الشريف محمد أمزيان وبعده. ونعلم فقط أنه توفي في أكتوبر 1920.

الكناش السعيد لكاتيب العمال ؛ وثائق مديرية الوثائق الملكية ؛ عدد يوم 13 فبراير من جريدة *Telegrama del Rif*.

A. Riera, *Espana en Marruecos, Cronica de Guerra de 1909*, p. 379 ; José Antonio Cano Martin, *Buhmara y Melilla*, Melilla, 1989, p. 59 ; Gabriel Morales, *Datos para la historia de Melilla*.

الـفرخاني، ميمون بن المختار، أمين جماعة فرخانة من قبيلة قلعية ومراقب مراسي الريف الشرقي خلال فترة كل من مولاي الحسن وابنه مولاي عبد العزيز، كانت سكناه بمدشر سيدي محمد المجاهد من بني أنصار. تم تعيينه في الغالب في نطاق زيارة مولاي الحسن لقلعية عام 1291 / 1876. وخلال واحد وعشرين سنة من الخدمة المخزنية برزت في وجهه عدة مشاكل، أولاها تلك التي قادته إلى مقاتلة مبارك بن الطاهر الرحماني، قائد المحلة المخزنية بالريف الشرقي في آخر شعبان 1307 لتسريح محمد بن عبد الله الشكري، أمين خميس بني شكر، من سجنه، فبادر المولى الحسن إلى استبدال قائد المحلة في شهر رمضان 1307 / أبريل ماي 1890 بالقائد حمان السعيدي.

ولم يقبل ميمون بن المختار الفرخاني تولية محمد بن العربي السعيدي فاستمر النزاع بينهما بسبب مشاكل حدود مليلة. ومن أهم تلك المشاكل التي سببتها أحداث 20 يوليوز 1890 / 4 ذي الحجة 1307 حين داهمت جماعة من القلعيين فيلقا من فرسان مليلة، وانضاف إلى تلك الأحداث تخريب المزوعات وسطو القلعيين على الأغنام والحبوب. ومن أجل ذلك بعث السلطان القائد علي إكدر الحاحي الذي وصل إلى مليلة في نهاية غشت السنة.

وبما أن علي إكدر كان قد قبض على المتسببين في أحداث 20 يوليو 1890، وكان منهم أفراد من عائلة الأمين، فإن هذا الأخير لم يتأخر عن محاصرته بدار المخزن بفرخانة، وتلا ذلك مقتل المبعوث السلطاني قبل 17 حجة 1307 / 4 أكتوبر 1890. والنتيجة أن أصوات التنديد بأعمال ميمون المختار المزوجي ورفيقه الحاج حدو المزوجي، قائد مزوجة كانت

قد رجحت كفة القائد حمان السعيدي سواء بقلعية أو على الصعيد المخزني المركزي.

ونتيجة لتلك التهمة تحركت مزوجة ضد الأمين الفرخاني وألجأته إلى بني شكر. أما المخزن الحسني فلم يتخذ موقفا معاديا من الأمين، مما سمح له بالتردد على فاس محاولا منع خميس مزوجة من الحصول على تعيين حم بن العربي الحفظلاوي قائدا عليها. ونعلم في الأخير أن ميمون المختار الفرخاني أعاد طلب الانتقال إلى فاس غير أن طلبه رفض من طرف السلطان قائلا : "ثم أولى وأنفع".

وقد تخطت الأخبار الواردة عن ميمون المختار فترة حرب سيدي ورياش، (1311 / 1893) وبعد ذلك بتسع سنين وجدنا الأمين الفرخاني مازال رسميا قائما بمهمته حسب مراسلة 10 جمادى الأولى 1319 / 25 غشت 1901. وبعد هذا التاريخ لم نتمكن من العثور على معلومات أخرى دالة على مصيره الأخير.

أرشيف مديرية الوثائق الملكية ؛ وثائق الخزانة الحسنية.

G. Morales, *Datos para la Historia de Melilla*, Melilla 1909.

حسن الفكيكي

الفردال ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس وقد انقرضت بتطوان سنة 1088 (1677). ومن أفرادها : إبراهيم بن قاسم الفردال من أعيان تطوان، كان من أرباب البصر في الشؤون العقارية سنة 1079 (1668).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

فردي، فيجي ، مقاوم ولد سنة 1917. انخرط في صفوف جيش التحرير بالجنوب المغربي منذ سنة 1956 وقد أبان عن شجاعة كبيرة من خلال مشاركته حيث شارك في عدة معارك كوادي الصفا والساقية الحمراء بالصحراء المغربية وكذا الخنفوف وثلاثاء صبويا وتولاشت ضد الوجود الفرنسي والإسباني إلى أن تحقق الاستقلال وتم استرجاع ما تبقى من الأراضي المغتصبة.

انتقل إلى رحمة الله بتاريخ 31 يناير 1996 بمدينة أسا.

فرّ، محمد بن مبارك، رزئت أسرة المقاومة وجيش التحرير يوم 24 دجنبر 1995 في أحد أبطالها البارزين إبان فترة الكفاح الوطني وهو المقاوم محمد بن امبارك فر.

كان الفقيد من الرعيل الأول من الوطنيين الذين انخرطوا في صفوف جيش التحرير ضمن المقاطعة التاسعة بمركز الساقية الحمراء تحت إمرة السيد صالح بن عسو الجزائري وقد أبلى البلاء الحسن خلال مشاركته رغم كبر سنه حيث أن الفقيد من مواليد سنة 1900 بمدينة طانطان. وقد ظل الفقيد وفيا لمبادئه الوطنية.

الفران ، فران الخبز أنواع وأشكال تختلف من منطقة إلى أخرى في البوادي المغربية وتختلف عن غيرها في المدن، ففي السهول وجد فران بسيط في شكله وفي استعماله ووقوده يعرف ببوجيهة، وكما يدل عليه اسمه : فهو مقسم إلى جزءين جزء للحطب وجزء للعجين، وشكله كالقبة الصغيرة تبنيها النساء عند الحاجة بخليط من الطين والتبن أو الحلفاء أو ما يقوم مكانها، وتستعمل في ذلك تقنية بسيطة لكنها لا تخلو من ذكاء، وتستخدم في تسخينه وإنضاج الخبز المواد المتوفرة في المنطقة : الحطب، والتبن أو روث الأبقار وغالبا ما تستعمل في السهول بقايا المواد ويستعان بسنابل الحبوب (الخشلاع) وقد عرف بوجيهة في السنوات الأخيرة تطورا شمل شكله وطريقة استعماله سماه أصحابه "عويطة" لسرعة تسخينه وإنضاجه للخبز ويختلف عن بوجيهة اختلافا دقيقا ففي الفران السريع تستعمل كل الأشياء القابلة للإشتعال لتوليد حرارة عالية من بلاستيك وكارطون وغيرها وعند بلوغ الحرارة درجة مرتفعة بعد أن تأتي على المواد المشتعلة يتم إدخال أقراص العجين وتغلق الفتحة الوحيدة الموجودة بقطع من الخرق المبللة وبعد حوالي ربع ساعة ينضج الخبز.

هذان النوعان كانا مستعملين في الغالب عند الرحل وأنصاف الرحل في السهول والهضاب والجبال، أما في مناطق الاستقرار وخاصة في شمال المغرب فالفران بناية قارة إما عائلية أو خاصة بأسرة معينة وأحيانا شخصية وتستخدم الحطب والأخشاب وشكلها مكعب وتبنى بالحجارة أو قاعدتها من الحجارة وأعلاها من طين مخلوط بالحلفاء والتبن وهو أكبر حجما من الشكلين السابقين ويستعمل هو والنوع السريع وقوفا. أما بوجيهة فتستعمله النساء جلوسا.

وفي الجنوب ينتشر نوع آخر من الفران عرف "بالتنور". مكون من جزئين علوي مبني بالحجارة أو الطين وسفلي عبارة عن حفرة لإيقاد النار، ويختلف عن الأنواع الأخرى بشكله الأسطواني وبطريقة استعماله إذ تلصق أقراص العجين غير السميكة بجدرانه.

هذه الأنواع من (الفران) انتقلت إلى المدن حسب أصل ساكنتها لكن التطور أدى إلى ظهور أفران عمومية واختفاء الأفران العائلية، وأصبحت للفران أهمية كبرى في حياة الحي أو الدرب، أو "الحومة" لتلبية حاجيات السكان العادية وغير العادية "إنضاج الخبز ـ الحلويات ـ المشويات وغيرها". وأصبحت علاقته "بالحومة" حميمية لأن العاملين فيه من معلم "بيت النار" وطراحة وأحيانا حتى رب الفران يعرف خبز كل بيت بيت : عدد أقراصه ونوعه ويعرف المناسبات المقامة والمبرمجة في كل بيت أو دار وما تحتاجه من الفرن من خدمات ؛ وانتقل رب الفران من شخص عادي وأحيانا دون العادي إلى رتبة الأعيان وكانت له مكانة اجتماعية متميزة بعد تطور الفران إذ أصبح يقوم بإنتاج الخبز والحلويات وما شابهها للسوق.

وقد لحقت الأفران التقليدية في المدن بعض التغيرات التي حسنت من خدماتها ومن ظروف العاملين بها إذ أدخلت أفران تشتغل بالكهرباء أو بمشتقات البترول، لكن الفران التقليدي فقد أهميته وعلاقته الحميمية بالحومة منذ ظهور الأفران المنزلية المشغلة بالغاز أو بالكهرباء منذ الثمانينات من القرن الماضي، وانتشار المخابز العصرية التي تبيع جميع أنواع الخبز والحلويات الجاهزة. ومع هذا التطور أصبح السوق والمنازل تعرف نوعين من الخبز والحلويات "البلدي والرومي أو العصري" ولم يعد الفرن ذلك الذي يدخل في المثل الشعبي "فران وقاد بحومة".

ابن أبي زرع، القرطاس ؛ التادلي، *التشوف* ؛ الونشريسي، *المعيار* ؛ ابن الخطيب، *معيار الاختيار* ؛ الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ الضعيف، *تاريخ الضعيف* ؛ م. الطويل، *الفلاحة المغربية*، مرقون ؛ *النقل والتنقل* ؛ *الرواية الشفوية*.

G. Deverdun, *Marrakech des origines à 1912* ; J. Caillé, *La ville de Rabat jusqu'au protectorat* ; Letourneau, *Fès avant le protectorat*..

محمد حجاج الطويل

الفرّوج، بوجمعة، فنان شعبي كبير. اشتهر خلال الخمسينيات من القرن العشرين، وغلب عليه بين معارفه لقب "الفروج".

كان ينظم الكلمات بنفسه، ثم يغنيها بصوته على ألحان شعبية. وأغلب أغانيه تستمد موضوعاتها من قضايا الناس الاجتماعية، فتأتي معبرة عن معاناتهم وحاملة لهمومهم.

لقيت أغاني الفروج نجاحا كبيرا، وحظيت بإعجاب الناس واستحسانهم بفضل الأسلوب الذي اختاره لأدائها والذي كان يزاوج بين الحوار والمشهد التمثيلي الذي يطبعه النقد الساخر وروح الفكاهة.

ومن أنجح أغانيه في هذا السياق محاورته الغنائية "المفتاحة" وأدوار اعبيدات الرما الفكاهية التي كانت تستقطب الجماهير الوافدة على حلقاته في كريان بنمسيك بالدار البيضاء أو في ساحة جامع الفنا بمراكش.

ويعتبر بوجمعة الفروج بحق الفنان الذي مهد سبيل الشهرة والنجاح للأعمال التي يبدعها معاصره وخلفه في مجال الأغنية الشعبية الفنان الحسين السلاوي.

مجلة الفنون، السنة الثانية، العدد 5 و6، 1975، ص. 125، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية ؛ معلومات خاصة.

عبد العزيز بن عبد الجليل

فرس البحر، حيوان من الأسماك العظيمة البحرية ينتمي إلى فصيلة زمارات البحر Sygnathidae، يشبه الفرس في رقاع الشطرنج. تضم الفصيلة أربعا وعشرين نوعا تعيش في البحار المعتدلة والإستوائية، منها نوعان يعيشان بالسواحل المغربية :

- حصان البحر المبقع يدعى علميا Hippocampus guttulatus وبالفرنسية Hippocampe moucheté وبالإنجليزية Sea-horse. سمك بيوض يختلف عن باقي أنواع الأسماك في الشكل حيث يتميز بذيل أخاذ يمكنه من التشبث بالنباتات البحرية. بظهره زعنفة واحدة، وزعنفتان صدريتان. الزعانف الذنبية والبطنية منعدمة. الفم أنبوبي وطويل خال من الأسنان. تكسو جسمه صفائح قرنية خشنة تحميه من أعدائه.

- حصان البحر اللين يدعى علميا Hippocampus ramulosus كثير الشبه بالنوع الأول. ويحتمل وجود أنواع أخرى من السواحل المغربية.

يعد التناسل عند أنواع حصان البحر من الغرابة إذ يبتدئ بالتلاطف من طرف الزوج للأنثى فتضع هذه الأخيرة أنبوبها البطني داخل الجراب البطني للزوج لتبيض بداخله من مائة إلى مائتي بيضة مما يجعل الذكور تقوم بمهمة الحضانة التي تدوم من ثلاثين إلى ثمانية وثلاثين يوما. تخرج الصغار من جراب الذكور بعد التفقيس وطولها لا يتعدى اثني عشر ملم ويبلغ طول الكبار ما بين 15 ـ 20 سم.

وحصان البحر حيوان بطيء التنقل يسبح عموديا ويقضي معظم أوقاته بين الحشائش والطحالب البحرية القريبة من الشواطئ ويتغذى من الهائمات ومن الحيوانات والنباتات الدقيقة السابحة.

إنه من الحيوانات النادرة يقبل العيش بداخل الأحواض السمكية الصغيرة.

أحمد شفيق الخطيب، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، 1988، لبنان.

R. Ch. Dollfus, *Première contribution à l'établissement d'un fichier ichtyologique du Maroc atlantique*, Trav. Inst. Sci. Zoologie n° 6, p. 136, 1924 ; J. Anthony, *Grande Encyclopédie Alfa des Sciences et Techniques*, Zoologie II, 1984, p. 229.

محمد رمضاني

ابن **الفرس**، أبو **القاسم عبد الرحيم** بن إبراهيم بن عبد الرحيم الخزرجي. عالم أندلسي من أعيان غرناطة، كان فقيها جليل القدر لغويا أديبا شاعرا، موصوفا بالذكاء المفرط وسرعة البديهة والتقدم في الفلسفة والعقليات والعلوم القديمة. زار مراكش وتقرب من الموحدين فحضر مجلس الخليفة المنصور، ولاعتداده بنفسه صدرت عنه بعض الأقوال

فاختفى عن الأنظار خوفا من عاقبتها، ثم ظهر بعد وفاة الخليفة.

تحدثت مصادر ترجمته عن طموحه الجامح إلى الملك، فقد كان "جاريا على أخلاق الملوك في مركبه وملبسه وزيه". وانتهى به المطاف أن أعلن الثورة ضد الدولة الموحدية بمنطقة السوس الأقصى. فما هي إذن ظروف وملابسات ثورة هذا الرجل ؟

عاين ابن الفرس أثناء وجوده بمراكش مخلفات ثورة أبي قصبة الجزولي التي كانت قد اندلعت بالسوس سنة 597 / 1200 ، وكان يخرج مع بعض أصدقائه لرؤية رأس الجزولي ورؤوس أتباعه معلقة بإحدى أبواب المدينة، فكان يبدي إعجابه بهم وتقديره لهم ويصرح بذلك لأصدقائه. ويظهر أن هذه الثورة قد غذت طموحه في خوض مغامرة طالما حلم بها.

وتوسم في فشل هذه الثورة بعض العناصر الصالحة للاستغلال، فهيأ الظروف للانتقال إلى منطقة جزولة، وتحديدا إلى حصن تيونوين معقل أبي قصبة، فعمل في ظرف دقيق على استغلال مشاعر الحقد والنقمة التي كان سكان المنطقة لايزالون يكنونها للموحدين نتيجة العنف والإبادة اللذين تعرضت لهما حركة الجزولي. ومن العوامل التي وفرت النجاح لابن الفرس في جمع الناس بأعداد غفيرة حوله مؤهلاته الشخصية وقوة تأثيره.

وتقليدا لأغلب ثوار عصره، فقد بحث عن مبرر ديني لثورته، فتسمى بالقحطاني، الذي ورد ذكره في الحديث النبوي "لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يقود الناس ويملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا"، فتبعه خلق كثير من أهل جزولة، وأعلن ثورته في حدود سنة 600 / 1203، وتسمى بالخليفة، وكان أتباعه يحيونه بتحية الملك.

وقد أورد ابن الآبار في *الحلة السيراء* لابن الفرس بعض الأبيات الشعرية يتوعد فيها الموحدين، ويدعو إلى نفسه، منها :

قولوا لأبناء عبد الموحد بن علي ... تأهبوا لوقوع الحادث الجلل
قد جاء سيد قحطان وعالمها ... ومنتهى القول والغلاب للدول
الناس طوع عصاه وهو سائقهم ... بالأمر والنهي نحو العلم والعمل
فبادروا أمره فالله ناصره ... والله خازي أهل الزيغ والميل

نلاحظ أن فكرة "المهدوية" وظهور المخلص، كانت قد استهوت عددا من الثوار منذ نجاح المهدي بن تومرت، كابن قسي بالأندلس، وابن هود الماسي الذي تسمى بالهادي. ولكن فهم هذه الثورات يحتاج إلى وضعها في سياق أوسع بتجاوز الخلفيات الفكرية إلى طبيعة التطور الاجتماعي والسياسي والاقتصادي بمغرب القرنين 6 و7 هـ. وجدير بالتذكير أن ابن الفرس قد كرر مفارقة عرفها المغرب الوسيط، وتتمثل في اختيار بعض العرب الخلص لبيئات أمازيغية لإعلان الثورة بها.

لقد تزامنت ثورة ابن الفرس مع اندلاع ثورة أخرى بجبال ورغة شمال مدينة فاس تزعمها رجل يدعى محمد بن عبد الله بن العاضد، ادعى أنه فاطمي عبيدي، وقتل سنة 600 / 1203.

وكان ابن الفرس ثاني عالم أندلسي يركب مغامرة الثورة ضد الدولة الموحدية في بر العدوة بعد الثائر الجزيري الذي تحدى الدولة في أوج عزها، وقتل سنة 586 / 1190.

كباقي الثورات التي اندلعت ضد الدولة الموحدية، فإننا لا نعرف عن ثورة ابن الفرس شيئا من الداخل، لا عن أفكار صاحبها، خلا ما ذكر، ولا عن تنظيماتها، ولا عن طبيعة علاقة العالم الأندلسي بالبيئة السوسية. وعلى كل حال فقد كانت نهاية هذا الثائر مشابهة لنهايات جميع الثوار، حيث جهزت الدولة جيشا لقتاله، فأحدقت به العساكر من كل جانب وهزم ومن معه، ثم حزّ رأسه ونقل إلى مراكش ليعلق بباب الشريعة إلى جانب رؤوس الثوار من قبله ـ على العادة الموحدية ـ وبقي معلقا في شبكة حديد مدة عشرين سنة. وكان عمره يوم قتل 36 سنة.

وقيل فيه بعد قتله :

لقد طمح المهر الجموح لغاية ... فقطع أعيان الجياد السوابق
جرى وجرت رجلاه لكن رأسه ... أتى سابقا والجسم ليس بسابق

ابن الآبار البلنسي، *الحلة السيراء*، تح> حسين مؤنس، القاهرة، ط. 1، 1963، 2 : 270 ؛ ابن سعيد المغربي، *المغرب في حلى المغرب*، تح. د. شوقي ضيف، القاهرة، ط 3، 1978، 2 : 111 ؛ ابن الزبير الغرناطي، *صلة الصلة*، تح. د. عبد السلام الهراس وذ. سعيد أعراب، الرباط، 1993، 3 : 228 ؛ ابن عذاري المراكشي، *البيان المغرب*، تح. جماعة من الأساتذة، الدار البيضاء، 1985، ص. 348؛ ابن الخطيب السلماني، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، تح. محمد عبد الله عنان، القاهرة، 1975، 3 : 473 ـ 476 ؛ ابن خلدون، *تاريخ ابن خلدون*، بيروت، 1981، 6 : 296.

محمد المغراوي

فرشادو، ويكتب أيضا فرشاضو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Fajardo ؛ ومازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Fajardo ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1175 / 1762.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **الفرضي، عبد الله** بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي القرطبي، أبو الوليد، ولد في ذي القعدة من سنة 351 / 963، كان أبوه من العلماء المهتمين بعلم الفرائض حتى غلب عليه اسم "الفرضي"، وسمي ابنه بـ "ابن الفرضي"، أخذ عبد الله عن الكثير من العلماء بالمغرب والمشرق الإسلاميين، نذكر منهم بالأندلس أبا عبد الله محمد بن مفرج القاضي، وأبا محمد عبد الله الثغري، وأبا محمد بن أسد، وخلف بن قاسم، وعبد الله بن يحيى الليثي، ومحمد بن عمر بن

القوطية، وغيرهم كثير. كما استفاد خلال رحلته إلى المشرق في سنة 382 / 992 من ثلة من كبار المشايخ، ففي مكة أخذ عن يوسف بن أحمد بن يوسف بن الدخيل المكي، وعلي بن عبد الله جهضم، وأحمد بن عمر بن الزجاج، وغيرهم. ومن المرجح أنه أخذ عن بعض شيوخ المدينة المنورة. وفي مصر أخذ عن أحمد بن محمد بن إسماعيل البناء، وأبي بكر الخطيبي، وإبراهيم بن علي بن سيخت، وسواهم. وفي القيروان أخذ عن عبد الله بن عبد الرحمان بن أبي زيد، وأحمد بن دحمون، وأحمد بن نصر الداودي، وعلماء آخرين. يقول أحمد اليزيدي عن اختلاف الاهتمامات العلمية والأدبية لهؤلاء العلماء" أن شيوخ ابن الفرضي لم يكونوا من طبقة واحدة، ولا من صنف واحد من العلماء، وانما هو خليط، فيهم المحدث والمفسر والمقرئ والفقيه، وفيهم الاخباري والأديب والشاعر واللغوي والنحوي، وفيهم المشارك، كما أن فيهم الحافظ والحجة والثقة ومن هو أقل درجة من ذلك...". ومن تلامذته الكثيرين نذكر أبا عمر بن عبد البر، وأبا عبد الله الخولاني، وابن حيان القرطبي، وابن حزم الظاهري. وقد تولى ابن الفرضي منصب القضاء ببلنسية في دولة محمد المهدي المرواني. وكان فقيها ومحدثا ومؤرخا وأديبا. وتتضح أهمية تكوينه العلمي والأدبي من خلال شهادات بعض كبار العلماء، فقد قال فيه تليمذه ابن عبد البر "كان فقيها عالماً في جميع فنون العلم في الحديث وعلم الرجال، وله تواليف حسان". وقال فيه أبو عبد الله الخولاني وهو من تلامذته أيضا "كان من أهل العلم، جليلا، ومقدما في الآداب، نبيلا مشهوراً بذلك". أما ابن بشكوال الذي عني بترجمته فقد ذكر أنه "لم يرد مثله بقرطبة من سعة الرواية وحفظ الحديث ومعرفة الرجال والافتنان في العلوم إلى الأدب البارع والفصاحة المطبوعة"، ووصفه الذهبي بكونه "الإمام الحافظ" البارع الثقة". أما مؤلفاته فمتعددة منها أخبار شعراء الأندلس، المؤتلف والمختلف في الحديث، تاريخ علماء الأندلس، رسالة في الفقه، ديوان شعر. قتل ابن الفرضي أثناء فتنة البربر بقرطبة في شوال 403 / 1012.

ابن الفرضي، *تاريخ علماء الأندلس*، تح. إبراهيم الابياري، القاهرة، ج 1 : 7 ـ 15، ابن بشكوال، *الصلة*، بيروت، الطبعة الأولى 1410 / 1989، ج 1 : 391 ـ 393 ، محمد بن أحمد الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرنؤوط ؛ محمد نعيم العرقسوسي، بيروت، الطبعة الثامنة، 1412 / 1992، ج 17 : 179 ـ 180 ؛ المقري، *نفح الطيب*، حققه ووضع فهارسه يوسف الشيخ محمد البقاعي، بيروت، الطبعة الأولى، 1406 / 1986، مج. 2 : 333 ـ 335 ؛ أحمد اليزيدي، *أبو الوليد ابن الفرضي*، القرطبي، *حياته وآثاره العلمية*، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1415 / 1995، ج 1: 73 ـ 142، ج 2 : 4، الزركلي، *الإعلام*، بيروت، الطبعة السابعة، 1986، مج 4 : 121.

عبد العزيز الضعيفي

فرطوط، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس انقرضت بتطوان، وقد جاء ذكرها في القصيدة المشهورة للحاج عمر لوقش ؛ وتوجد بحومة الطرانكات دار تعرف بدار الفقيه فرطوطة. ومن بينهم أحمد بن عبد السلام فرطوط، من أعيان تطوان، كان من أرباب البصر في الشؤون الفلاحية سنة 1263 / 1847.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

فرطوط، محمد تاجر تطواني انتدبته نيابة طنجة بصفته أمينا ليقوم بمتابعة أخبار بوحمارة بالمغرب الشرقي من مقره بمليلة من جهة، والإشراف على مؤونة الباخرة المغربية "التركي" من جهة ثانية. عين بتلك المهمة حسب مراسلة 24 محرم 1321 / 22 أبريل 1903، إثر سقوط قصبة فرخانة بأيام بيد أنصار بوحمارة من قلعية. ويمكن متابعة دور محمد فرطوط في تلك المهمة المتمثلة في ربط الاتصال بعمال قلعية بحرا، نتيجة استحالة وصول البريد البري، والتعريف بدور الباخرة المغربية في المعركة مع بوحمارة على طول ساحل المغرب الشرقي الممتد من مليلة إلى السعيدية.

وعين محمد فرطوط في تلك المهمة ليقوم بماله الخاص بتسديد المصاريف التي كانت الباخرة في حاجة إليها، ثم يطالب نيابة طنجة بأداء النفقات التي سبق صرفها. وتمثلت تلك المصاريف في الغالب في تزويد الباخرة المغربية التركي وزوارق إفراغ الحمولة وتوفير البحارة، وغير ذلك مما كانت في حاجة إليه خلال وجود بوحمارة بقصبة سلوان إلى حين انسحابه منها.

وما عرف عن محمد فرطوط أنه عين أمينا لديوانة مليلة إلى جانب الفقيه محمد بن علي أزريوح الفرخاني، والفقيه عبد السلام بن يحيى الفاسي وذلك بتاريخ 26 شعبان 1324 / 15 أكتوبر 1906. وكان في آخر سنة 1324 / فبراير 1907 مازال في المهمة. الغالب أن مهمته انتهت مع زوال خطر بوحمارة عن قلعية في أواخر السنة الموالية.

وثائق الخزانة الحسنية ومديرية الوثائق الملكية ؛ كنانيش الخزانة الحسنية.

حسن الفكيكي

فرفرة، المكي، فنان موسيقي وعازف ممتاز على القانون. وهو من الفنانين الأوائل الذين دعوا للالتحاق بالجوق الملكي أواخر العقد الرابع من القرن العشرين وهو يومئذ تحت رئاسة العازف المصري على القانون مرسي بركات.

وبعد توقف نشاط الجوق الملكي إثر حوادث غشت 1953 التحق المكي فرفرة إلى دار الإذاعة الوطنية فاشتغل عازفا في الجوق العصري برئاسة المرحوم أحمد البيضاوي قبل أن يتحول إلى جوق المتنوعات.

وفي عام 1959 أدمجت العناصر العاملة في الجوق العصري وجوق المتنوعات في مجموعة واحدة أطلق عليها

اسم "الجوق الوطني" فكان ذلك بداية تحول المكي فرفرة إلى جوق الطرب الأندلسي برئاسة المرحوم مولاي أحمد الوكيلي.

وعلى هامش عمله في الأجواق المذكورة مارس المكي فرفرة التدريس خلال الستينيات في كل من المعهد الوطني للموسيقى بالرباط والمعهد البلدي للموسيقى بالدار البيضاء، فكان يعلم العزف على القانون ويلقن دروسا في النظرية الخاصة بهذه الآلة.

ومن أجل صقل تجربته في مجال التعليم انتدب للمشاركة في البعثة المغربية الموفدة إلى باريس في صيف 1957 لحضور التدريب التربوي بمركز التربية الموسيقية الذي كان يديره موريس مارتونو.

وقد تخرج على يده ثلة من أجود العازفين اشتهر من بينهم ـ خاصة ـ الطالب النابغة المرحوم عبد الوهاب بن سعيد الواشري الذي عاجلته المنية وهو في ريعان الشباب.

توفي المكي فرفرة يوم 22 يوليوز 1975.

أحمد البيضاوي، *مجلة الفنون*، ع. 5 و6، السنة الثانية، محرم وصفر 1395 / يبراير ـ مارس 1975، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، الرباط.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الفرقاطة (Frégate) تدعى أيضا فرغاطة وفلگاطة وفلفاطة، وهي سفينة مجذافية متوسطية الأصل تندرج ضمن فصيلة القادس، مترتبة كسفينة أصغر من الدعومة التي تشابهها بناء وتصرية وتجهيزا. وتمتاز بخفة وزنها، حيث يتراوح طولها ما بين سبعة عشر وسبعة وعشرين مترا، وعدد مجاذيفها بين ستة واثني عشر مجذافا. وتتميز بسطحها المجسر والمكشوف والمفتقد إلى الأحواض. وقد اعتمدها المغاربة كمركب أساسي بديلا عن القادس، ولا سيما منذ أواخر القرن (16م) بعدما جهزت بالأشرعة. ويشير جان لوي ميج (J.L. Miège) إلى أن اسمها أطلق جزافا على مختلف المراكب الحربية المتفاوتة الأحجام على امتداد القرنين الموالين.

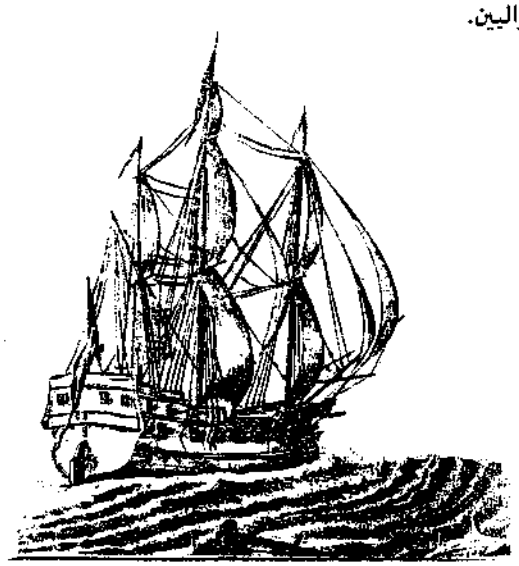

وقد استنسخت الفرقاطة المغربية عن نظيرتها الأوربية، وكانت من النماذج الأكثر إنشاء بالأوراش المحلية، واختلف حمولتها بين ثلاثين طنة في الأدنى ومائتين في الأقصى. وكانت الأنواع شائعة الاستعمال في الأسطول المغربي، حيث كانت نسبتها من مجموع الأسطول العامل أزيد من 70٪ سنة 1669 (8 / 11 مركبا)، و40٪ سنة 1671 (7 / 16)، و60٪ سنة 1700 (7 / 11).

غير أن كفاءتها صارت تقل عن نظيرتها الأوربية وخاصة إبان عهد سيدي محمد بن عبد الله، الشيء الذي جعل أعدادها تتراجع ضمن قطع الأسطول. وربما كان هذا هو دافع السلطان ـ في محاولة منه لمواكبة التطور العالمي ـ إلى إصدار أمره سنة 1174 / 1761 بإنشاء فرقاطة ذات طابقين بلغت تكلفتها حسب الضعيف ما يناهز الأربعين قنطاراً من الذهب.

النخيلي، *السفن الإسلامية*، ص. 115 ـ 116.

Dan, *Histoire de Barbarie*, p. 307 ; Chenier, *Journal...*, p. 111-112, 117-118, 125-127 : Les *S.I.H.M.*, 2° série, France, T. I, p. 278-280 ; T. III, p. 3, 528 ; T. VI, p. 98 ; Brunot, *La mer dans les traditions*, p. 116, 168, 250, 295 ; Clas Broder Hansen et Peter Knuth, *ABC de la marine à voile*, Trad. de l'allemand par Anne-Marie Tattevin, ed. Arthaud, Paris, 1990, p. 51-52.

حسن أميلي

الفرقة أو الخُمس، هي مجموعة من الفخذات (انظر هذه المادة)، من ثلاث إلى خمس، تمثل (مقارنة مع الدوار والفخذة) وحدة سياسية، إذ تنتخب جماعة تمثل سطلة سياسية، إدارية، تشريعية وتنفيذية، من أهم مهامها السهر على مصالح الساكنة والدفاع عن حدود الفرقة، وهي حدود قارة لا تتأثر بالتغيرات التي تطرأ على عدد السكان. وليس من الضروري أن تنحدر الفخذات المكونة للفرقة من نفس الجد. إن الأمر يتعلق بوحدة تعاقدية، الشيء الذي جعل بعض الإثنولوجيين الكولونياليين ينعتونها بالجمهورية.

عبد الجليل حليم

فركلة (أولاد ـ) من الأودية الصحراوية بالجنوب الشرقي للمغرب، ينبع من السفح الشرقي للأطلس الكبير الأوسط، وبالضبط من الكتلة الجبلية الواقعة بين تاديغوست شرقا وأغبالون كردوس غربا، ويمتد على طول 155 كلم متخذا اتجاها جنوبيا غربيا ثم جنوبيا داخل مرتفعات الأطلس، ولدى خروجه من الكتلة الجبلية يغير اتجاهه نحو الشرق عند بلدة إزرقان، مجتازا المنبسط الفاصل بين قدم الأطلس الكبير الشرقي والسفوح الغربية لجبل أوكنات، وفي هذا المنبسط يلتقي مع واد تودغا عند الأطراف الغربية لواحة أسرير التي تشكل بداية الواحات المنسوبة للوادي الذي يسقيها.

ولعل ما اشتهر من فركلة بالذات هي واحاته التي لعبت أدواراً مهمة في تاريخ الجنوب الشرقي المغربي، باعتبار

موقعها الإستراتيجي على محور تافيلالت مراكش ودرعة، ولكونها مجالا لإحدى أهم القبائل الأمازيغية المكونة لاتحادية آيت يافلمان، ونقصد بها آيت مرغاد. فبفضل مياه واد فركلة استوطن الإنسان الواحات المحيطة به منذ القدم، حيث انتظم السكان في إيغرمان أو قصور عديدة لعل أشهرها هو إيغْرَمْ نْ أسْرِيرْ الذي يتكون من ستة قصور هي آيت فراح وآيت عيسى وآيت بوحدوك وآيت حمو وآيت لبزام وآيت بوتغسايين. أوردت المصادر التاريخية ذكر أسرير كمحطة على طريق القوافل التجارية المتجهة والآتية من الصحراء، وظل يلعب هذا الدور التجاري إلى عهد قريب، حيث كان يقام فيه سوق مرتين في الأسبوع (الأحد والخميس) يؤمه سكان المناطق والقبائل المحيطة بالواحة. إلى جانب أسرير توجد قصور عديدة أخرى في فركلة أهمها الخربات وآيت عاصم، لكن شأن قصور كل الواحات الجنوبية الشرقية فإن تأزم اقتصاديات الواحات والهجرة القروية وتحولات الحياة في المراكز الحديثة أثر بعمق في أوضاع قصور فركلة، بحيث تعرف تدهوراً مطرداً ترجم في إخلائها من طرف السكان لحساب مدينة تنجداد التي أصبحت المركز الإداري لفركلة منذ فترة الحماية. (M. Laaouane, *Evolution récente des ressources en eau et des paysages dans la plaine de Ferkla*).

M. Laaouane, M. Amyay [et al.], Les khettaras de Ferkla : un patrimoine agonisant. *Communication présentée au colloque : "Eau et environnement au Maroc aride et semi-aride", El-Jadida le 30-31 octobre 2000* ;. Naciri, Les Ksouriens sur la route. Emigration et mutation spatiale de l'habitat dans l'oasis de Tinejdad. Colloque *"Habitat, Etat et Société au Maghreb"*. Publication du C.N.R.S., p. 348-364, 1988 ; My Lhassan Ouzaouit, L'eau et les transformations socio-spatiales des oasis, cas de l'oasis de Ferkla, in *Espace et société dans les oasis marocaines*, Publication de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines Meknès, série colloques n° 6, Meknès, p. 83-95, 1993.

محمد بوكبوط

فرناشو ، ويكتب فرنيشو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Fornazo وHornachos ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1216 / 1802.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

فرن الجير ، يستخرج الجير من حجر الكلس، إذ يتم إحراقه في فرن يتميز بتركيبة خاصة تتراوح فيه الحرارة ما بين 200 و300 درجة. ويعود استغلال الجير إلى أقدم الحضارات سواء قصد البناء أو كسماد للأرض، واستمر استغلال هذه المادة إلى الوقت الحاضر مع إدخال تكنولوجيا حديثة. ونظرا لأهمية هذه المادة فقد خضع استخراجها واستغلالها إلى قوانين مضبوطة تعود أولى نصوصها إلى القرن الثاني ق. م. ويقدم المزارع اللاتيني كاطون الشيخ نماذج من هذه العقود كما أنه عمد إلى تقديم وصف دقيق لبناء فرن الجير. يتبين من خلال هذه العقود أنه يتم استخراج أحجار الجير من المقالع التي يتم كراؤها من عند الدولة أو الخواص، إذ تحدد عقدة الاستغلال المدة الزمنية وكمية الأحجار التي سيتم استخراجها، كما يتم شراء الخشب الذي تحتاجه الأفرنة. بعد توفير هذه المواد الأساسية، بالإضافة إلى كل ما يحتاجه فرن الجير، ويتم التعاقد مع متخصص في استخراج الجير، وتنص العقدة بين الطرفين على أن يتولى صاحب الفرن كل العمل بما في ذلك وضع وتصفيف الحجر في الفرن وإزناد النار وتغذيتها بالأخشاب طوال مدة الطهي ثم إخراج الجير من الفرن ووضعه رهن إشارة صاحبه. ومن أجل بناء فرن الجير يقدم لنا المزارع اللاتيني كاطون الشيخ وصفة دقيقة تكشف أن الرومان كانوا متمرسين في بنائها، ويعتبر هذا النص من أقدم النصوص التاريخية على الإطلاق حول تقنية بناء فرن الجير. يتكون الفرن من أربعة عناصر ضرورية تنطلق من القاعدة التي يصل قطرها إلى حوالي 10 أقدام، تكون على شكل دائري وغالبا ما يتم ترصيفها بأحجار الجير ثم تبليطها قصد دفع الحرارة في اتجاه أفقي. إلى جانب القاعدة يتوفر الفرن على المدخنة التي يضيق قطرها كلما صعدت، على أن لا تقل فوهتها عن ثلث القاعدة في الأعلى. يضاف إلى هذا، مدخل متصل بالقاعدة لإدخال مواد الإحراق وأخيرا مخرج لتصريف الرماد. تشكل هذه العناصر العمود الفقري لبناء فرن الجير ويراعى في حجمها كمية الأحجار التي سيتم بناؤها من أجل إحراقها. ويتم بناء الفرن من حجر الكالكير من النوع الأبيض إذ توضع الكبيرة في القاعدة ويتم تصفيف الباقي حسب حجمها بشكل دائري في اتجاه القمة. وبعد ذلك، تتم عملية تلميط الواجهة الخارجية بالطين والجير حتى لا تخرج ألسنة النار والحرارة وتتجه بشكل عمودي في المدخنة. تساعد هذه التقنية على توجيه ألسنة النيران من الأسفل نحو الأعلى وبالتالي يتم إحراق الأحجار وتحويلها إلى جير. وحتى تتم العملية في ظروف

جيدة يجب أن لا تنطفئ النار طوال مدة الطهي والتي قد تستمر أزيد من ثلاثة أيام حسب نوعية الحجر إلى أن تصبح الأحجار العليا بيضاء ويعمها شقوق. وحين ينقطع خروج الدخان من الأعلى وتبدأ شرارات اللهب تخرج من المدخنة فإن ذلك يعني أن العملية قد تمت بنجاح، فيتم إخماد النار لتبدأ عملية فسخ الفرن لاستخراج الجير. ونشير إلى أن هذه التقنية لاتزال متبعة في كثير من مناطق حوض البحر الأبيض المتوسط ومنها المغرب خاصة بالأطلس المتوسط الغربي حيث تتوفر مقالع الكلس والغابات.

R. Goujard Caton, *De l'agriculture*, Paris, les Belles Lettres, 1975, p. 16 et 38.

سعيد البوزيدي

فرنسا والمغرب. تضرب العلاقات بين فرنسا والمغرب بجذور عريقة في القدم. ولئن أتى عليها حين من الدهر كانت فيه متناثرة منحصرة عند المبادلات التجارية بين بعض موانئ البلدين، فإنها أضحت في القرن العشرين علاقات على جانب كبير من الاسترسال والعمل المشترك. بحيث يحتاج المؤرخ إلى جهد جهيد للوقوف على ما يشهد لقدم هذه العلاقات في عصورها الأولى مثلما يحتاج إلى جهد مماثل لئلا يغرق في ما تراكم من الوثائق عنها في الفترة المعاصرة. ويمكن أن نميز في المسار العام لذلك بين عدة مراحل.

فالمرحلة الأولى هي مرحلة العلاقات التجارية المتناثرة. ويعود أول اتصال بين البلدين إلى الرحلة التي قام بها تاجر من مرسيليا، أيام كانت مستعمرة يونانية، لا يعرف عنه سوى اسمه فهو أوثمين Euthymène (بالنطق الفرنسي) قام برحلة فيما بين القرن السادس والقرن الرابع قبل الميلاد بقصد اكتشاف البحر الكبير والبحث عن الذهب والفضة والعاج والجلود النفيسة التي كان الفنيقيون والقرطاجيون يحرصون على أن تبقى حكرا على تجارتهم. ولاشك أن أوثمين هذا لم يصب إلا الفشل بدليل ما يكتنف رحلته من الغموض فلا يعرف عنها إلا ما تناقله الرواة في العصور اللاحقة. ولا تعود الصلات بين البلدين إلى الطفو على سطح التاريخ إلا بعد انهيار الإمبراطورية التجارية القرطاجية على يد الرومان الذين جعلوا الممالك الأمازيغية في إفريقيا الشمالية تحت حمايتهم في لحظة أولى ثم لم يلبثوا أن ألحقوها بالحكم الروماني مباشرة، إذ أقدم الإمبراطورية كاليكولا على اغتيال بطلموس آخر الملوك الأمازيغ، وذلك في مدينة لوكدنوم Lugdunum، وهي مدينة ليون اليوم، مما ترتب عليه ثورة الأمازيغ فشارك في قمعها جنود من بلاد الغال (فرنسا فيما بعد) الذين كان بعضهم سابقا من جنود يوبا جد بطلموس. وتشهد الوثائق الرومانية على وجود أولائك الجنود الغاليين في بانسة وفي جوار وليلي. وكان والي موريطانيا الطنجية في مطلع القرن الثالث رجلا من بلاد الغال. وأدى الأمر في القرن الرابع بعد إصلاحات الإمبراطور قسطنطين إلى إدماج البلدين في مقاطعة إدارية واحدة، مما زاد ولاشك في وثاقة الاتصال بينهما علما بأن الأمر لم ينحصر في المجالات العسكرية والمدنية، وإنما كان له ذيول تجارية، فإن الأبحاث الأركيولوجية كشفت في جزيرة السويرة وفي بناسة وليكسوس عن أدوات خزفية من بلاد الغال التي تحولت فرنسا بعد استقرار قبائل الفرنج الجرمانية فيها، وبلاد الفرنج هاته هي التي دخلتها الجيوش الإسلامية غازية في العقود الأولى من القرن الثامن من خلال واديي الرون Rhône والسون Saône وتوقفت عن غزوها بعد معركة بواتيي Poitiers في أكتوبر 732. وغني عن البيان أن معظم جنود الإسلام هنالك كانوا مغاربة. ولقد استقر بعضهم بقصد الجهاد على الشواطئ المتوسطية لفرنسا. ولا يزال جبل شرقي مرسيليا يحمل اسم جبل المور Maures. بيد أن المعلومات عن هذه الحقبة مختزلة مهزوزة، فمن قائل إن صيادي مرسيليا جاؤوا منذ القرن التاسع إلى سبتة لصيد المرجان، وقائل بأن الراهب جربير من قرية أورياك Aurillac مرّ من جامعة القرويين قبل أن يصبح بابا تحت اسم سيلفستر الثاني (999-1003)، مما يغدي الأساطير ولا يشفي غليل المؤرخ الذي يمكن أن يطمئن إلى ما تثبته الوثائق عن المبادلات بين تجار إقليمي بروفانس Provence ولانكدوك Languedoc في القرنين الثاني والثالث عشر من الميلاد انطلاقا من ميناء مرسيليا ومونبلييه وناربون في اتجاه سبتة التي كانت هي باب المغرب التجارية الكبرى في تلك العصور. ولقد احتفظت الرائد بأسماء بعض التجار وأسماء المراكب المرسيلية التي دخلت سبتة خلال النصف الأول من القرن الثالث عشر، كانت تأتي بالمنسوجات المختلفة وبالتوابل والأدوات المعدنية والخمور وتذهب محملة بالجلود والشموع والصوف والخيول والمرجان والرقيق. ويؤدي تجار مرسيليا الأعشار على كل ذلك ولهم فندق خاص بهم يترأسه قنصل يتوسط بينهم وبين السلطات المغربية، ويقضي في ما يقوم بينهم من النزاع. كما أنهم أقاموا أول هيئة دينية لفداء الأسرى. ومن علامات انتظام العلاقات وغزارتها بين فرنسا والمغرب من ثم فصاعدا قيام أولى الاتصالات الرسمية بين الأمراء والملوك. فقد رام الكونط ريمون السادس حاكم إقليم تولوز Toulouse الاستنجاد بمحمد الناصر الموحدي في صراعه مع القبائل الإفرنجية الزاحفة من شمال فرنسا. كما أن أبا يوسف يعقوب المريني كتب رسالة مطولة إلى ملك فرنسا فيليب الثالث سنة 674 / 1275. يعرض عليه فيها التعاون لمساعدة ملك قشتالة ألونسو العاشر الذي كان يعاني من تمرد بعض الأمراء من أتباعه عليه. ولم تسفر هذه المبادرة الديبلوماسية الأولى عن نتيجة تذكر. ودخل القرن الرابع عشر، ودخلت فرنسا خلاله في حرب المائة سنة. ولم نعد نعثر على ما يثبت استمرار الصلات بين البلدين إلا ما كان من ظهور بعض مراكب تجار نورماندي Normandie من موانئ ديبب Dieppe وروان Rouen على شواطئ المغرب الأطلسية. ولكن ما أن وضعت حرب المائة سنة أوزارها حتى صار ملوك

فرنسا يهتمون بالتجارة مع إفرقيا الشمالية، فقد كاتب الملك شارل السابع السلطان عبد الحق آخر ملوك بني مرين فيما بين 1455 و1461 . ولكن المغرب كان بدوره قد دخل مرحلة متأزمة من تاريخه بسبب انهيار الدولة المرينية وبسبب فقدان الأندلس، فأصيبت العلاقات بين البلدين بفتور لن تتخلص منه إلا بعد استتباب الأمور للدولة السعدية، فانطلقت مرحلة ثانية من تلك العلاقات هي مرحلة اتصال الملوك بشكل رسمي والتعامل بين التجار بشكل مسترسل.

وتندرج العلاقات بين الدولتين في القرن السادس عشر ضمن الصراع الدولي بين أقطاب البحر الأبيض المتوسط الذي حذا بفرنسا إلى تدشين سياستها الإسلامية بالتحالف مع الدولة العثمانية ضدا على إمبراطورية النامسا وإسبانيا الموحدة يومئذ في شخص الملك كارلوس الخامس، مثلما حذا بالدولة السعدية إلى التقرب من إسبانيا لحماية نفسها من الخطر العثماني الجاثم على حدودها الشرقية. ففي ظل هذه المفارقات الديبلوماسية كان المغرب حليفا ضمنيا لفرنسا بصفة كونه دولة مسلمة مثلما كانت فرنسا حليفة موضوعية للمغرب وإن لم يبرم بينهما أدنى معاهدة. وهكذا توفرت شروط التواصل بين الدولتين وإن لم تنتظم وتسترسل أسبابها. فنرى عبد الله الغالب السعدي يسعى في مفاداة الأسرى وفي مساعدة عسكرية فرنسية على يد الأمير أنطوان دي بوربون بعد مباركة ملكي فرنسا هانري الثاني وخلفه فرانسوا الثاني. ولكن الأمر لم يتم. ونرى المنصور الذهبي يتبادل المراسلات والسفارات مع فرنسا، فقد ذكر مؤرخ الدولة عبد العزيز الفشتالي السفارة الفرنسية التي جاءت تقدم التهاني للمنصور بعد مبايعته وانتصاره في معركة وادي المخازن فقال : "وكان ممن وصل أيضا على تفئة ذلك عامئذ أرسال الإفرنجة ويقال افرنصة وبه يعرفون اليوم فقضوا فرض التهنئة" (ص. 51). أما المبادلات التجارية فإنها ظلت مسترسلة من جهة مرسيليا، وإن كان مستواها دون ما كانت عليه تجارة إنجلترا والأراضي المنخفضة. ولعل أبرز ما يحفظ من أسباب التواصل في هذه الحقبة اعتماد الملوك السعديون على بعض الأطباء الفرنسيين مثل كيوم بيرار Guillaume Bérard الذي اصطحبه عبد المالك من اصطنبول. وقد سفر له في فرنسا، ثم صار قنصلا لجنسه في المغرب. وخلفه أرنو دي ليل Arnous de Lille الذي كان يساعده بيير تريير Pierre Treillaut . ولما عاد أرنو دي ليل إلى فرنسا فإنه اشتغل بتدريس اللغة العربية في الكوليج دي فرانس. وقام مقامه في المغرب الطبيب إيتيين هوبير Etienne Hubert الذي تضلع هو كذلك في علوم اللغة العربية. ومما يذكر أيضا أن الصيدلي أو العشاب جان موكي Jean Moquet زار المغرب مرتين سنة 1601 وسنة 1606 وكتب رحلة بذلك. كما طفت على وجه الأحداث بعد وفاة أحمد المنصور صلات المولى زيدان بالقنصل والتاجر جان فيليب كاسطلان Jean-Philippe Castellane الذي تكلف بنقل حريم السلطان وخزانته من أسفي إلى أگادير، ففر بالكل، ووقع في قبضة الإسبان الذين أودعوا تلك الخزانة في قصر الإسكوريال، وكان ذلك سبب نزاع مطوّل بين المغرب وإسبانيا وفرنسا. ومن خدام المولى زيدان الفرنسيين أيضا مهندس اسمه أنطوان دي ساليط Antoine de Sallette يذكر أنه أشار ببناء ميناء في الوالدية لم يخرج إلى حيز الواقع. ومما زاد العلاقات بين الدولتين تذبذبا انقسام المغرب إلى عدة إيالات وانشغال فرنسا بمشاكلها الداخلية والأوربية، بحيث لم تنتظم أسباب التواصل المسترسل إلا بقيام الدولة العلوية ودولة المولى إسماعيل على وجه الخصوص في المغرب وبجلوس لويس الرابع عشر على عرش فرنسا.

فابتدأت مرحلة ثالثة من تاريخ العلاقات المغربية الفرنسية مواكبة لما جرى من انقلاب في الظرفية السياسية العامة بعد منتصف القرن السابع عشر. فإن الدول الأوربية التي كانت مهيمنة إلى ذلك الحين مثل إسبانيا والإمبراطورية العثمانية والأراضي المنخفضة صار نجمها إلى الأفول، بينما صار نجم فرنسا وانجلترا إلى الطلوع بدون مزاحم. وتجلى ذلك في ظهور أساطيل هاتين الدولتين في كل البحار وفي امتعاضهما المتزايد مما كانت تتعرض له مراكبها التجارية من عمليات الجهاد البحري المغربي التي بادر المولى الرشيد والمولى إسماعيل من أول ما بادرا إليه إلى جعلها حكرا على الدولة وتحت أوامرها. فصارت العلاقات مع فرنسا تدور على ذلك، فرنسا تطالب بإيقاف ما كانت تسميه قرصنة وبإطلاق سراح الأسرى المسيحيين المحتجزين في المغرب ساكتة على ما بيدها من أسرى المسلمين الذين كانوا يجدفون على الأساطيل الفرنسية، والمغرب يطالب بمفاداة أولائك الأسرى على قدم المساواة ويرغب في اقتناء الأسلحة النارية الجديدة والمعدات البحرية الضرورية لمراكبه ويستفيد من خبرات من كان بيده من الأسرى الأوربيين. مما يوحي بما دارت عليه العلاقات بين الدولتين وبين الملكين العظيمين المولى إسماعيل ولويس الرابع عشر من التقارب تارة والتنافر تارة أخرى. ولقد حاصرت أساطيل فرنسا مرسى الرباط وسلا لعدة شهور سنة 1680 ـ 1681. وكانت المفاوضات تجري من جهة أخرى لإبرام حلف رفض لويس الرابع عشر إمضاءه، فأوفد المولى إسماعيل سفيراً هو الحاج محمد تميم إلى قصر فرساي سنة 1682 لإبرام معاهدة ود وتجارة بين الدولتين، هذا في الوقت الذي لم تكفّ فيه المراكب المغربية عن الجهاد البحري. فعادت العلاقات إلى التوتر إلى أن جاء سفير فرنسي هو بيدو دي سانطولون Pidou de Saint-Olon إلى مكناس سنة 1689 ولم يحصل على طائل. وكذلك كان شأن السفارة المغربية بقيادة الرئيس ابن عائشة سنة 1698 التي تعثرت مرة أخرى في قضية مفاداة الأسرى على قدم المساواة. وذاع صيتها في التاريخ بسبب ما تقدم به السفير المغربي من خطبة الأميرة دي كونتيDe Conti إحدى بنات لويس الرابع عشر على المولى إسماعيل واستخف بها البلاط الفرنسي.

ونتج عن ذلك تقلص التجارة الفرنسية في المغرب التي سيطر عليها تجار فرنسيون من المذهب البروطسطانتي لكونهم كانوا يحقدون على لويس الرابع عشر قامع مذهبهم في فرنسا فكانوا لا يترددون عن بيع الأسلحة والمعدات البحرية للمولى إسماعيل. وظل البلاط الفرنسي يحتج على ذلك إلى أن حلت سنة 1718 فانقطعت العلاقات الديبلوماسية بين البلدين. ودامت القطيعة إلى سنة 1767 في عهد سيدي محمد بنعبد الله الذي نهج سياسة الانفتاح على التجارة العالمية، فجدد الاتصال بفرنسا وأبرم معها معاهدة شاملة في يوليوز من تلك السنة دارت عليها العلاقات بين الدولتين لأمد طويل، مثبتة ما أضحت عليه تلك العلاقات من التكافؤ في الظاهر ومن انعدامه في الواقع. وتتجلى مظاهر التكافؤ في العبارات الديبلوماسية الصقيلة المعسولة وفي الهدايا الفاخرة وفي الصدع بمبدأ المساواة في المعاملات التجارية والملاحية. أما سوء التكافؤ في الجوهر فيتجلى في عجز المغرب عن إنتاج السلاح الناري والمعدات الملاحية وفي حاجته إلى اقتناء كل ذلك من فرنسا ومن غيرها من بلدان أوربا، وفي اكتفائه بتصدير بعض المواد الخام فكان الميزان التجاري دائما لصالح فرنسا التي كان لها قناصل في العديد من المراسي المغربية، ولم يكن للمغرب ولو قنصل واحد في فرنسا، ذلك بأن فرنسا كانت يومئذ قد دخلت طور التصنيع وصارت قطبا من أقطاب قيادة هذا المعمور برمته، بينما ظل المغرب ملتزما ببنياته التقليدية ووسائل إنتاجه العتيقة، وزاده إدراكه لتفوق الأوربيين حبا في الانطواء وخوفا من مخالطتهم لا سيما بعد الذي تعرض إليه القطر المصري من غزو الجيوش الفرنسية بقيادة نابليون بونبارت. وخطة الانطواء هاته هي التي سار عليها المولى سليمان وولي عهده المولى عبد الرحمن بن هشام، إلى أن نزلت الجيوش الفرنسية بالجزائر العاصمة في يوليوز 1830 وانطلقت تفتح القطر المجاور برمته حتى صارت جاثمة على الحدود بينه وبين المغرب. وبادر السلطان إلى مدّ يد العون والمؤازرة إلى الإخوة الجزائريين. ولكن الجيوش المغربية منيت بهزيمة نكراء في أحواز مدينة وجدة (معركة وادي إيسلي في غشت 1844)، فصارت العلاقات الفرنسية المغربية بالضرورة علاقات غالب ومغلوب، تتخللها مبادلات تجارية غير متساوية وسفارات فرنسية تقوي جوانب الاستخبار عن أحوال المغرب، تقابلها سفارات مغربية لا تزيد المسؤولين المغاربة إلا تأرجحا بين الانبهار والتوجس. وأبرمت أوفاق بين البلدين مثل وفق بيكلار(1863) فتحت أبواب الحماية القنصلية على مصارعها فصارت الحماية الفرنسية تباع أو تمنح بالتقسيط للآحاد من المغاربة قبل أن تفرض بالجملة على الدولة. ومن يوم فرضت فرنسا حمايتها على القطر التونسي سنة 1881، بات شغلها الشاغل هو إدخال المغرب تحت سيطرتها بعدها وبعد الجزائر. واستطاع السلطان المولى حسن إرجاء الضربة الاستعمارية ردها من الزمان، وعجز من خلفه من أبنائه عن إحباط المناورات الديبلوماسية والعسكرية الفرنسية التي انتهت بعقد الحماية على المغرب يوم 30 مارس 1912، فانطلقت مرحلة رابعة من العلاقات بين البلدين خفيفة في الميزان لانحصارها في أربع وأربعين سنة، لكنها ثقيلة في الميزان بما كان لها من المضاعفات التاريخية.

فلقد امتدت تلك الحماية من 1912 إلى 1956 مدة أقل من خمسة عقود تبدل فيها وجه المغرب جملة وتفصيلا، واتخذت فيها العلاقات بين الدولتين مجرى مجدداً، وذلك بناء على البند الأول من المعاهدة التي يقول بأن : "جلالة السلطان ودولة الجمهورية الفرنسوية قد اتفقتا على تأسيس نظام جديد بالمغرب مشتمل على الإصلاحات الإدارية والعدلية والتعليمية والاقتصادية والمالية والعسكرية التي ترى الدولة الفرنسوية إدخالها نافعا بالإيالة المغربية". وبناء على ذلك فإن أحوال المغرب المعاصر بما لها وبما عليها وليدة فترة الحماية، سواء في ذلك الجوانب المادية والجوانب المعنوية. فعلى الصعيد المادي تم تجهيز المغرب مما كان يفتقر إليه من أدوات التواصل العصري. وانكب المعمرون الفرنسيون يستثمرون خيرات البلاد الظاهرة والباطنة لفائدتهم، ضاربين مع ذلك الأمثلة الصالحة للمغاربة عن فوائد الاستثمار العصري، ومعتمدين أساليب الإدارة الصارمة التي كان لا بد أن يتأثر بها الجهاز المخزني العتيق، وموحدين بين أطراف البلاد وإن لم يتورعوا عن اقتسامها مع الدولة الإسبانية ومن انتزاع أقاليمها الصحراوية منها لإلحاقها بباقي مستعمراتهم شمال الصحراء وجنوبها. أما على الصعيد المعنوي فإنهم نشروا في المغرب لغتهم وثقافتهم وعوائدهم فتسربت شيئا فشيئا في جميع شرائح المجتمع المغربي عن طريق العمال الذين كانوا يشتغلون في معاملهم وأوراشهم، أو عن طريق الجنود الذين قاتلوا في جيوشهم في الحربين الكبريين وفي حروبهم الاستعمارية، أو عن طريق طلاب العلم الذين انخرطوا بأعداد متزايدة ابتداء من ثلاثينيات القرن العشرين في الجامعات الفرنسية، أو من خلال الأحزاب والمنظمات العمالية التي اقتدت بما كانت تراه من نشاط الأحزاب والمنظمات الفرنسية المماثلة. فإن الحماية الفرنسية كانت بمثابة مدرسة قاسية أدخل المغاربة إليها مكرهين ومورست عليهم فيها شتى أشكال العنف فقاوموها بكل ما أوتوا من أسباب المقاومة الكريمة من أول لحظة إلى آخرها، ثم خرجوا منها مرفوعي الرأس مسلحين بمختلف أدوات الرقي والحداثة، قادرين من ثم فصاعدا على أن يعدلوا كفة الميزان بين البلدين ليقفوا إلى جانب فرنسا وقفة الصديق والشريك الذي يعي حاجته بصديقه وشريكه بقدر ما يعي حاجة ذلك الصديق والشريك به. ولقد استفاد المغاربة من الفرنسيين أثناء عهد الحماية مثلما استفادوا هم كذلك من المغاربة الذين بذل العديد منهم النفس والنفيس من أجل الدفاع عن فرنسا في ساحة الوغى أكثر من مرة.

وهكذا تحولت العلاقات بين البلدين بعد استرجاع المغرب

لاستقلاله سنة 1956 علاقات تجمع بين مختلف طبقات الشعبين، إما بالمشاركة في المقاولات وإما بالمشاركة في الأعمال العلمية وإما بالمصاهرات بين الأفراد والعائلات. وهذه مرحلة خامسة من تاريخ العلاقات الفرنسية المغربية تنمّ عن شكل غير مسبوق لعلنا نستشرف في هذا العقد الأول من القرن الواحد والعشرين ما سيكون عليه في المستقبل. فإن الوشائج بين البلدين صارت على درجة من التكامل والشمول بحيث لا يمكن أن تتأثر بما قد يقوم من التنازع في أمر من الأمور. فلقد وقع شيء من الفتور في العلاقات الديبلوماسية فيما بين 1965 و1970 بسبب اختطاف الشهيد المهدي بن بركة في قلب باريس. ولكن ذلك لم يعرقل باقي العلاقات التي تجعل فرنسا أول زبون تجاري للمغرب تصديراً واستيراداً، كما تجعل المغرب حليفا مميزاً لفرنسا التي تعدّ سفارتها في الرباط ثاني أكبر السفارات الفرنسية في العالم بعد سفارتها في واشنطن. ولئن قلّ عدد الفرنسيين المقيمين في المغرب، فإن المغاربة المقيمين في فرنسا وصل عددهم ما يفوق خمسمائة ألف نسمة، منهم من لا يزال محتفظا بجنسيته المغربية ومنهم من يحمل الجنسية الفرنسية، والجميع جالية فاعلة وسط باقي الجاليات المسلمة التي جعلت فرنسا دولة مسلمة بالفعل وليس بمقتضى الاستعمار. أما في المغرب فبفرنسا حاضرة بلغتها التي لا تزال الإدارة ومختلف وسائل الإعلام والمعامل والأبناك والجامعات تستعملها. وقد خرج من ذلك خليط من اللغتين ومزيج من المنطقين صار دارجاً بين عموم المغاربة.

ع. العزيز الفشتالي، *مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا*، تح. عبد الكريم كريّم، الرباط، 1972 ؛ أ. بن خالد الناصري، *الاستقصا لتاريخ دول المغرب الأقصى*، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1960 ؛ ع. الهادي التازي، *التاريخ الديبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم*، المحمدية، 1408 / 1988.

Sources inédites de l'histoire du Maroc, série France, 6 vol. ; Chovin Gisèle, Aperçu sur les relations de la France avec le Maroc des origines à la fin du Moyen Age. *Hespéris, 1957, p. 249-299.*

إبراهيم بوطالب

فرون، ويكتب الفرون، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Ferron.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

فريج، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Farag ـ Farach ـ Farache ؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Farach وFarache وFarage ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1160 / 1747.

ويوجد بتطوان مارستان يحمل اسم سيدي فريج، كما أن أقدم مسجد بالمدينة الواقع بحومة السويقة يحمل اسم للافريجة.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

فريجة، مدينة قديمة بسوس، تقع على بعد عشر كلم شمال شرق مدينة تارودانت. ويبدو من الصعب تحديد تاريخ ظهورها. فلم تشر إليها مصادر العصر الوسيط، كالبكري (ق. 11) وصاحب *الاستبصار* (ق. 12) وابن عذاري (ق. 13) وابن خلدون (ق. 14) التي اهتمت بسوس، مشيرة بالخصوص إلى المراكز الحضرية في سوس، كإيكلي وتيبوت وتيويوي، من دون أن تشير إلى هذا المركز.

وبخصوص مدلول إسم فريجة، فهو على ما يبدو ذو أصل عربي، حيث صادف ظهورها وجود القبائل العربية التي استقرت بضواحي مدينة تارودانت، بعد أن استقدمها علي الزكندري من شمال المغرب لمساندته في تمرده ضد الموحدين والمرينيين بعد ذلك. ويشير ابن خلدون إلى تحكم هذه القبائل العربية في سوس. ويشير الحسن الوزان كذلك إلى أنها كانت تفرض الضرائب على سكان تارودانت قبل ظهور الشرفاء السعديين.

ويبدو أن مركز فريجة، نشأ على أنقاض المراكز التجارية التي ازدهرت واشتهرت في العصر الوسيط، مثل إيكلي وتيويوي، وزكندر، واندثرت خلال فترة الاضطرابات التي عمت إقليم سوس في منتصف القرن الثالث عشر والنصف الأول من القرن الرابع عشر والذي يتوافق مع عهد الإمارة الزكندرية (1252 ـ 1334). وفي ظل هذه الأوضاع المضطربة، اختفت بعض المراكز الحضرية التي كانت سائدة آنذاك، وبعد ذلك ظهرت مراكز جديدة. وتشير مونيي إلى اختفاء مدينة إيكلي واقتران ذلك بظهور اسم مركز جديد هو إفري Ifri في القرن الثالث عشر، واختفى بسرعة في القرن الرابع عشر.

وعلى ضوء هذه المعطيات، فإن تأسيس مركز فريجة، قد يكون راجعا إلى القرن الرابع عشر والخامس عشر، لتعويض المراكز الحضرية المندثرة. وقد تعرض بدوره للتخريب، مما جعل الأمير السعدي يأمر بإعادة ترميمه.

ولاشك أن أول من أشار إليها هو مارمول (1575) إذ يقول عنها : "مدينة صغيرة على بعد فرسخ ونصف من تارودانت، أعاد بناءها الشريف محمد قبل أن يبايع ملكا على مراكش، ولابنه عبد المالك الحالي عامل يقيم بها عادة مع ثلاثمائة فارس في الأماكن المجاورة، للسهر على الأمن في هذه البوادي التي يملك جزءا منها ملكا خاصا. وتلوح قريبا منها آثار مدينة عتيقة كانت آهلة بالسكان أثناء عهد ازدهار المصامدة، لكن الأعراب خربوها".

ومن الأمور الغامضة في تاريخ هذه المدينة، عدم ورود اسمها عند الحسن الوزان، بينما أشار إليها مارمول، وهو الذي كان يعتمد على كتاب الوزان بشكل كبير. هل هذا راجع إلى إغفالها فقط، أم يرجع إلى عدم أهمية هذا المركز أثناء مرور الوزان في هذه المنطقة قبل أن يأمر الأمير

السعدي بإعادة ترميمه ؟ ومهما يكن من أمر، فقد أعاد محمد الشيخ بناءها قبل أن يصبح سلطانا على مراكش سنة 1544. وليس من المستبعد أن تكون إعادة بناء فريجة، تدخل في إطار حملة محمد الشيخ لإعادة بناء تارودانت سنة 1516 وضواحيها. وعن هذه الحملة، يقول التمنارتي : "إن محمد الشيخ قدس الله روحه أذن للناس عامة وقت تخطيطها [تارودانت] في إحيائها بالبناء والغرس قصدا لعمارتها حتى حكي عنه (...) أن كل من بنى موضعا أو غرسه فهو له حسبما ذكر ذلك صاحب *الروض والقرطاس*".

لقد لعبت فريجة دورا مهما في تثبت سلطة المخزن السعدي في هذه المنطقة التي لازلت لم تتعود بعد على حياة الاستقرار. ويستفاد من شهادة مارمول أن هذه المدينة كان بها عامل يقيم بها مع ثلاثمائة فارس بهدف السهر على الأمن، وتأمين الطرق التجارية ومزارع السكر. غير أن هذ الدور سرعان ما انتقل إلى مراكز أخرى كتيوت وتيدسي، لذلك لم يرد اسم فريجة عند صاحب ديوان قبائل سوس (1580) إبراهيم بن علي الحساني. وبعد انهيار المخزن السعدي، لم يكن أحد يتحدث عن مدينة اسمها فريجة، وتحولت إلى قرية تحكي أطلالها الآن أن السعديين قد مروا بها.

ع. الرحمان التمنارتي، *الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة*، مخطوط؛ إبراهيم بن علي الحساني، *ديوان قبائل سوس*، مخطوط، تح. عمر أفا، الدار البيضاء، 1988 ؛ الحسن الوزان، *وصف إفريقيا*، تر. م. حجي وم. الأخضر، الطبعة الثانية، 1983 ؛ مارمول كربخال، *إفريقيا*، تر. م. حجي وم. زنيبر وم. الأخضر وأ. التوفيق وأ. بنجلون، 1984 ؛ م. حنداين، *تارودانت ومحيطها التاريخي، (1603 . 1790)*، د.د.ع. كلية الآداب، الرباط، : 1993

D. Jacques Meunié, *Le Maroc saharien des origines au XVI siècle*, Librairie Klincksiech, 1982.

محمد حنداين

ابن **فريحة** ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Frexa وFreixa.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

فريخ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Faraig . Faraix.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

فرير ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Ferrer وهو نفس الاسم الذي تحمله بعض الأسر الإسبانية حاليا ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

فرير، أوبير (اللواء) Le Gl .Aubert Frère لقد تركت معاهدة للامغنية لسنة 1845 أمر الحدود غامضا بين المغرب والجزائر ما عدا شريط يبلغ طوله حوالي 100 كلم ويمتد من البحر إلى ثنية ساسي. وقد فتح هذا الغموض المجال لفرنسا قصد تحقيق أطماعها التوسيعية انطلاقا من الجزائر وهكذا تم احتلال مجموعة من الواحات نذكر منها : تيدكلت، كورارة، توات، تيميمون في أواخر القرن (19) وبداية القرن (20).

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل إن فرنسا عينت العقيد ليوطي حاكما على غرب الجزائر بمهمة التوسع في شرق المغرب وإعداد خطة لاحتلال المغرب واستقر بعين الصفراء على مقربة من الحدود المغربية منذ 1903، وقد أحاط ليوطي نفسه بمجموعة من الضباط وذلك لتطبيق سياسيته التوسعية. وشرع في تطبيق سياسة "بقعة الزيت" باحتلال أراضي مغربية واستبدال أسمائها كإطلاق اسم كلومباشار على قرية مغربية حتى يتجنب احتجاج المخزن والدول الأوروبية، وكان من بين الضباط المساعدين للعقيد ليوطي الملازم "أوبير فرير Le Gl .Aubert Frère " الذي التحق بالجزائر بمجرد تخرجه سنة 1902 وعينه ليوطي على رأس الفوج الثاني من الرماة الجزائريين وعزز هذا الفوج بقوات غير نظامية من المخازنية. وقد اشتبكت قوات "فرير" المغيرة مع جيوش المقاومة التي قادها مولاي الحسن بن أحمد السبعي. ورغم صمود هذه الأخير وإلحاقه أضراراً بالجيوش الاستعمارية المغيرة فإنه انهزم سنة 1908 وبذلك يزغ نجم "فرير" وترقى إلى رتبه نقيب كما نال مجموعة من النياشين ورسائل التنوية العسكري.

واستمر فرير في تطبيق خطة ليوطي في المغرب الشرقي إذ أشرف على تأسيس مجموعة من المراكز والحاميات العسكرية في العرجة وتاوريرت ودبدو. كما واجه مقاومة بني يزناسن بالحديد والنار وسياسة الأرض المحروقة، وإبادة القرى بالمدافع والقنابل، وفي نفس الوقت حاول جلب الأعيان إليه لتلاقي الخسائر في الجيوش الفرنسية. كما قام بدراسة ميدانية لقبائل بني يزناسن وملوية السفلى، وهكذا ساهم في تركيز الاستعمار الفرنسي في المغرب الشرقي إلى أن انتهت مهمته سنة 1912 بعد توقيع معاهدة الحماية فالتحق بفرنسا.

La Koumia bulletin de l'association des anciens Goums marocains et des A.I. de France, n° 123-124, année 1991 : Historique des confins algéro-marocains (non édité), Amicales des anciens des confins algéro-marocains, 1979 ; *Rapports d'opérations* ; *Archives* du service historique de l'armée de terre, Vincennes.

عبد القادر بوراس

فريرو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Ferrero ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

فريش، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Ferriz ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

فسيفساء المغرب القديم، تتباين آراء الباحثين المعاصرين حول أصول الفسيفساء، ولكنهم يجمعون على التمييز بين ثلاثة أصناف هي على النحو التالي : فسيفساء بدائية (من الأصول إلى العصر الإغريقي)، فسيفساء قديمة (ماينعث بالفسيفساء الريفية ـ الرومانية)، ثم المعاصرة (وهي التي أعقبت الأنواع السالفة ولازالت متداولة).

وبما أن المغرب القديم عرف التركيب المميز بمكعباته الصغيرة التي لا يتعدى حجمها سنتمترا وسنتمتر ونصف، فهذا يحصر تاريخ ظهور فسيفسائه خلال العصر الروماني. لأن هذه النوعية تطورت على يد الرومان لدرجة اعتبرت من طرف بعض المتخصصين وعلى رأسهم الفرنسي هنري سطيرن (H. Stern) بمثابة "ثورة تقنية".

بالفعل، ففسيفساء التيسلاتوم (Mosaïque de Tescèles) هي رسم بالحجارة في غاية الإتقان. جمعت بين الوظيفتين النفعية بصلابتها والجمالية بزخارفها واستطاع بعضها أن يقاوم عوادي الزمن على عكس الرسوم الجدارية.

وإذا كنا حصرنا كرونولوجيا فسيفساء المغرب القديم خلال العصر الروماني. فكما هو معلوم، امتدت المرحلة الرومانية بالمثلث المحصور بين مدن طنجيس سالا (شالة) وليلي. أولا بشكل غير مباشر منذ القرن الأول قبل الميلاد ثم استمرت طويلا بعد ذلك بالنسبة للمثلث من القرن الأول إلى الثالث الميلاديين، وشمال نهر اللوكوس بعد ذلك.

ليس من الهين القيام بتحديد أدق أو تاريخ مطلق، وما نضيفه في هذا الباب هو المقاربات الغنية من جهة، وربط الفسيفساء بالمبنى الذي وجدت به من جهة ثانية شجع على حصر معظمها بين القرنين الثاني والثالث الميلاديين.

ومن خلال استعراض مختلف الأشكال الزخرفية لفسيفساء المغرب القديم نلاحظ حضور الأنواع الثلاثة المعروفة بباقي بلدان العالم القديم. ونقصد بها : الفسيفساء الهندسية والنباتية والمصورة أو المشخصة. ولكن تتفاوت أهمية وقيمة وعدد كل نوع على حدة وبذلك نلحظ حضورا قويا للمشاهد الأسطورية وأساسا أساطير العالم الإغريقي ـ الروماني. وكأن موريطانيا الطنجية (المغرب القديم) لم تتجاوز البدايات بالمقارنة مع جاراتها القيصرية والبروقنصلية من جهة والبتيك (Betique) من جهة ثانية.

فهل يبرر وجود هذه النوعية من الموضوعات الأسطورية اختيارات الملاكين لمشاهد معينة دون أخرى ؟ بعبارة أخرى، هل الاقتصادر على الأساطير الإغريقية ـ الرومانية مرتبط بمسألة الأذواق ؟

هل نعزو أسباب اختيار الموضوعات الأسطورية أساسا وغياب المشاهد النوعية (Scènes de genre) أي تلك الخاصة بالمعيش اليومي (La vie quotidienne) لتكلفة الفسيفساء إذا كانت من هذه النوعية ؟...

وعندما نستحضر المواقع التي انتشرت بها الفسيفساء بالمغرب القديم نجد بأنها لا تتعدى المثلث السالف الذكر، ويضاف لهذا موقع موكادور (Mogador) جنوبا. وكما نعلم فالرومان اهتموا بهذا الموقع الأخير الذكر لأهميته الاقتصادية وقد بلغوه بحرا.

ويظهر من تعداد أسماء المواقع المغربية ومحاولة ضبط

عدد فسيفسائها بأن أهمها على الإطلاق المواقع الثلاثة : وليلي ـ بناصة ـ ليكسوس، بل إن المواقع السالفة الذكر تتميز أيضا بأنواع فسيفسائها وألوانها وموضوعاتها. كما أننا نجد نوعية من التراكيب (Compositions) متشابهة بالمواقع الثلاثة. فهل نفترض أن الصناع انتقلوا بين الخط المذكور (وليلي ـ بناصة ـ ليكسوس) مخلفين بذلك بصمات واضحة أو دالة على التأثر والتأثير ؟

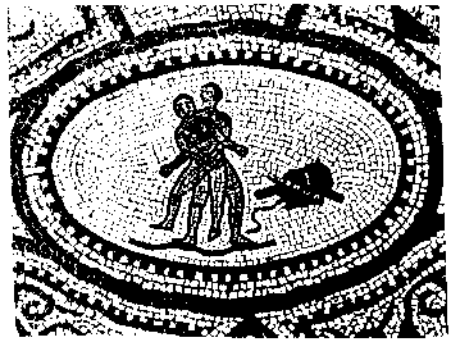

سبق وذكرنا توزع أشكال الفسيفساء بين هندسية ونباتية ومصورة بصور مستوحاة أساسا من الميتولوجيا الإغريقية ـ الرومانية. فما هي خصوصيات الشكلين السائدين : الهندسي والمصور ؟

نعرف بأن الأشكال الهندسية متنوعة ولا تقل أهمية عن الفسيفساء المصورة وهي تكرار لمربعات ومستطيلات ودوائر وزخارف أخرى. هي جمع بين هذه العناصر الأساسية أو تكرار لما لا نهاية لتفس العنصر الزخرفي (Le motif décoratif). وقد وضعت ـ كالمصورة ـ حينا باللونين الأبيض والأسود.

وأحيانا عديدة بألوان متعددة : ثلاثة فأكثير ؛ أما عن نوعية فصوصها (مكعباتها / Tessèles) فهي من حجارة طبيعية واصطناعية (انظر اللوحات 1 ـ 3).

فهل يقتصر دور الفسيفساء (La Mosaïque Géométrique) على ملء وتزيين المساحات التي بدونها ستكون فقيرة وجرداء على حد قول الباحث الفرنسي بروسبر ريكار (Prosper Ricard) ؟ وهل نذهب مذهبه فنقول بأن الهدف الأساسي من الفسيفساء الهندسية نفعي ليس إلا ؟ هل نعطي لبعض العناصر الزخرفية كعقدة سليمان (Nœud de Salomon) والصليب المعقوف (Svastika) بعدا وقائيا (Rôle prophylactique) كما فعل توفنو (Thouvenot) أحد أبرز المهتمين بالفسيفساء المغربية. لقد وضع لائحة طويلة بالزخارف والتشخيصات ذات الدلالة الطلسمية في نظره. فكأن الفسيفساء مجرد ترسانة للوقائيات ليس إلا !

إذا حملنا الفسيفساء دورا زخرفيا، أو أسند لبعضها البعد الوقائي، فهل نعتبر الفسيفساء المصورة مجرد لوحات فنية (Des tableaux) خالية من الدلالات فنقتصر على تأملها ؟ هل يلزمنا أن نسائلها ونحاول فهم مكنوناتها وخباياها ؟

طبيعي أن تتفاوت الإجابات حسب القناعات الشخصية لكل مهتم. ومن جهتنا نؤمن بما أقره غيرنا من الباحثين بأن أي عمل فني لا يستطيع أن يعفي نفسه من أن يكون شاهدا للمجتمع الذي ينتجه، وشاهدا عليه.

عندما نرتب مشاهد فسيفساء موريطانيا الطنجية نسجل الحضور القوي لآلهة وثنية وأنصاف آلهة كديونيسوس (Dionysos) إله الخصوبة والكرمة، وفينوس (Venus) إلهة الحب والجمال، وديانة (Diane) إلهة القنص، ثم عرائش البحر

(Nereides). وحوريات الماء (Nymphes) فإله البحر أوقيانوس (Ocean)، وإله الحرب مارس (Mars)؛ فالأبطال (أي أنصاف الآلهة) هرقل (Hercule)، أنطي (Antée)، هيلاس (Helas) (انظر اللوحات 4 إلى 6).

وعند التمعن في وظائف وأدوار هذه المعبودات الوثنية نجد بأن لمعظمها علاقة وطيدة بالماء في كافة تجلياته، والأرض بأشجارها ونباتاتها. وكلها عناصر حيوية بالنسبة لسكان المغرب القدماء. فكان من الطبيعي أن يلجأوا لاستدرار عطف الآلهة المشرفة عليها.

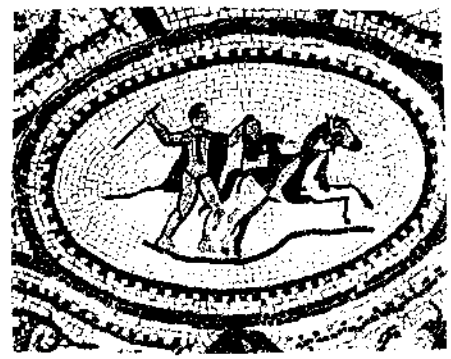

ولا ننسى بأن المصادر القديمة جعلت أرض الليبيين من شرقها إلى غربها (الليبيون مصطلح عام يدل على كل سكان الشمال الإفريقي) مسقط رأس العديد من الآلهة أو محطة من محطات حلهم وترحالهم بين ضفاف البحر الداخلي (البحر الأبيض المتوسط).

وهكذا، فعدم تنوع فسيفساء موريطانيا الطنجية، وقلتها العددية لا يلغيان لمسات الإبداع والتميز فهذا ما يتأكد من خلال دراسة كل نموذج على حدة بشكل عميق ومتأن وليس سريع ومتسرع. وبذلك فلا تغيب الأصالة والتفرد عن فسيفساء موريطانيا الطنجية مقارنة بنظيراتها بمواقع إفريقية ومشرقية وأوربية متى نبذنا الأحكام القيمية.

ب. بلكامل، الفسيفساء : تعريف، تاريخ وتقنية، *مجلة تاريخ المغرب* 3، 1983، ص. 63 - 67 ؛ الهوية من خلال نموذج أثري : فسيفساء أعمال هرقل بوليلي، *ملتقى برغرطة* 10، الكاف (تونس)، 1992 (لم ينشر) ؛ *من أشكال تبليط الأرضيات بموريطانيا الطنجية الفسيفساء، تاريخ العمارة بالمغرب*، جامعة القاضي عياض، مراكش، 1992 (لم ينشر) ؛ *مظاهر اقتصادية من خلال فسيفساء الشمال الإفريقي*، أطروحة لنيل د. د، كلية الآداب، الرباط، 14 يونيو 2000 (جزآن) ؛ فسيفساء المغرب القديم بين ضراوة الأحكام المسبقة، هاجس التخصص وتعددية المشارب، يوم دراسي حول التاريخ القديم نظمته *الجمعية المغربية للبحث التاريخي*، *الرباط في 18 ماي 2001* (قيد الطبع).

J.P. Darmon, L'Italie, ou le disciple devenu maître, *Les dossiers de l'archéologie, n° 15, 1976, p. 26 - 42* ; P. Ricard, Note au sujet de mosaïque à décors géométriques de l'antiquité, *Hespéris XXXIV, 1947, p. 267-268* ; R. Thouvenot, L'art provincial en Maurétanie Tingitane, *M.E.R.F. LIII, 1936, p. 26-27* ; Id., Les mosaïques de Maurétanie Tingitane. *C.M.G.R. (1963), 1965, p. 267-274*; Id., Mosaïques à motifs prephylactiques en Maurétanie Tingitane, *Actes du 79 congrès des sociétés savantes, 1954, p. 187 - 196.*

البضاوية بلكامل

فشتالة، قبيلة صغيرة ضمن منطقة جبلية في حوض ورغة شمالي مدينة فاس. وموضع فشتالة الحالي هو نفسه الذي تحدث عنه ابن خلدون قبل قرون، وقد اعتبرها قبيلة بربرية من صنهاجة البز، وأشار إلى انسلاخها عن حكم الموحدين سنة 1237 ودخولها تحت طاعة المرينيين الذين أخذوا في جباية الضرائب من هذه القبيلة، التي تعربت، حسب صاحب كتاب العبر، خلال القرن الرابع عشر الميلادي. وعلى العموم، كانت قبيلة فشتالة من قبائل الطاعة بحكم قربها من فاس، لكنها كانت عرضة لتعديات القبائل القوية القريبة منها ولا سيما قبيلة بني زروال القوية والكثيرة العدد. وتشتهر فشتالة بضريح مولاي بوشتى الخمار الذي يقام به موسم سنوي كل فصل خريف، وكان هذا الولي المتوفى عام 997 / 1589 قد أسس زاوية بجبل أمرگو من هذه البلاد، وإليها لجأ محمد الشيخ المامون لما تمرد على أبيه أحمد المنصور السلطان السعدي.

تجاور فشتالة عدداً من القبائل : بني مزگلدة، الجاية، سلاس ومزيات، كما خضعت لتأثيرات قبائل قوية، بني مسارة وبني زروال أساسا. وتتكون فشتالة من عدة بلدات هي الصافيين وتوجد على وادي فشتالة أحد فروع نهر ورغة، وهي مقر زاوية مولاي بوشتى الخمار الشهيرة، القليعة، الزغيرة، البهاليل. وتمتاز فشتالة بمحاصيلها الشجرية المتنوعة حيث تتوفر القبيلة على عدة أشجار مثمرة مثل التوت، العنب، البرتقال، التين، الزيتون، وأخرى غير مثمرة مثل الصفصاف، كما اشتهرت القبيلة ببعض الصناعات التقليدية ولا سيما نسج الألبسة الصوفية. وكانت تستقبل عدداً من طالبي العلوم الشرعية "الطلبة". وكان الرحالة الفرنسي Auguste Mouliéras قد زار هذه القبيلة سنة 1897 وخصص لها وصفا دقيقا إذ تحدث عن مقوماتها بتفصيل وقدر عدد سكانها وقتذاك بنحو 5600 نسمة. وإلى هذه القبيلة ينتسب علماء مشهورون منهم المؤرخ عبد العزيز الفشتالي (ت. 1621) شاعر البلاط السعدي ومؤرخ السلطان أحمد المنصور حيث تنسب إليه مؤلفات تاريخية عديدة تعتبر مفقودة ولا يعرف منها إلا "*مناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفا*". ومنهم كذلك أبو عبد الله محمد بن علي الفشتالي الشاعر والمؤرخ، الذي عاش بدوره في البلاط السعدي، وصحب سنة 1595 الشيخ علي التمكروتي خلال سفارة إلى البلاط العثماني، وخلف أرجوزة في التاريخ تحت عنوان "*الوفيات*".

أ. الناصري، *الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى*، ج 5، الدار البيضاء، 1955 ؛ ل. بروفنصال، *مؤرخ الشرفا*، تعريب ع. القادر الحلادي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1977، ص. 80 - 82.

Auguste Mouliéras, *Le Maroc inconnu*, deuxième partie, Paris, Auguste challamel éditeur, 1899, p. 5 - 27.

أحمد المكاوي

الفشتالي، سليمان بن أحمد، الشيخ العالم العارف، القاضي المفتي. كان فقيها عالما حكيما جامعا للفنون الغيبة، متوغلا في معرفة العلوم القديمة على طريق أهل الحكمة بما لا يخالف الشرع مع المشاركة في غيرها أتم مشاركة.

أخذ عنه عدد من العلماء الحساب والميقات بالآلة وبدونها والطب وغير ذلك.

من تآليفه : شرح سلك اللئالي في مثلث الغزالي.

توفي يوم فاتح رمضان عام 1208.

محمد الزيادي، سلوك الطريق الوارية ؛ س. الحوات، *ثمرة أنسي في التعريف بنفسي*.

المصطفى البوعناني

الفشتالي، عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم الصنهاجي، ويكنى أبا فارس وينتسب إلى قبيلة فشتالة، وهي قبيلة بالشمال الغربي لفاس من صنهاجة، ولد سنة 956 كما ذكر ابن القاضي والمقري، وهي السنة التي انتصر فيها الخليفة السعدي محمد الشيخ على الوطاسيين بفاس بعض حصارها، وبذلك أصبح المغرب خاضعا لسلطة السعديين بعد أن كان موزعا بينهم وبين الوطاسيين فترة من الزمن.

أخذ الفشتالي عن علماء عصره المشهود لهم بالتفوق، أئمة الفقه والحديث واللغة، وقد تحدث عن بعضهم ابن القاضي في درة الحجال، فقال : "أخذ عن جماعة كأبي العباس المنجور والحميدي والزموري، وهم من علماء الوقت"، وعن هذه الجماعة أيضا أخذ السلطان أحمد المنصور السعدي علوم عصره من فقه وحديث ولغة وغير ذلك.

ويشتهر أمر عبد العزيز الفشتالي في بلاط السلطان أحمد المنصور، فيشغل مهمة رئيس ديوان الإنشاء، ورئيس الكتاب، ثم وزير القلم الأعلى ومؤرخ الدولة الرسمي، وعن مهمته يقول المقري : "هذا الوزير صاحب الإنشاء هو سابق الحلبة بالمغرب، وحائز قصب السبق، وبمثله يفتخر أهل المغرب عند أهل المشرق"، ويضيف قائلا : "هو آية من آيات الله في النظم والنثر، ولو لم يكن من محاسن الأحمدية أيدها الله غيره لحصل لها الفخر".

أما ابن القاضي فيصفه في درة الحجال بقوله : "فقيه أديب، ناثر ناظم، وهو متولي تاريخ الدولة المنصورية"، وعن صفاته العلمية والخلقية يقول : "وهو أبقاه الله، واسع الإيثار، عالي الهمة، متين الحرمة، فصيح القلم، زكي الشيم، ركن البلاغة والبراعة، وفارس الدواوين والبراعة".

وعبد العزيز الفشتالي من شعراء السلطان أحمد المنصور السعدي ومن أبرزهم وأكثرهم حظوة عنده، ساعده على ذلك ما امتاز به من قدرة على مواكبة الأحداث وبراعة في التعبير ودقة في التلاعب بالمحسنات البديعية وإتقان لصنعة الكلام، فهو لا يترك مناسبة دينية أو سياسية أو غيرها إلا وخلدها في شعره، ومن ثم أصبح شعره وثيقة تاريخية لأحداث عصره ولسياسة سلطانه، وأغلب أشعاره في مدح السلطان أحمد المنصور ولي نعمته، خاصة بعد انتصاره في معركة وادي المخازن سنة 986 ، وفي قضائه على الثورات الداخلية التي كانت تهدف إلى زعزعة الأمن في البلاد، أو في تهنئته بالفتوحات المتعددة في بلاد السودان أو تحريره للشواطئ المغربية من الاحتلال المسيحي أو غير ذلك، من مدحياته قوله :

كتب الإله على عداتك أنهم ... قنص لسيفك غربوا أو شرقوا
ضلت ملوك ساجلوك على العلى ... سفها ، وشأوك في العلى لا يلحق

وفي كثير من الأحيان يغرق الفشتالي في نعت الممدوح بصفات تكاد توحي بأنه من غلاة الشيعة، فهو الإمام الذي يعقد عليه المسلمون آمالهم، وهو موحد شملهم، وفي ذلك يقول :

تقلدوك إماما لا تنازع في ... تفضيله بين أقيال وأملاك
وخصصوك بتشريف حباك به ... من صاغ مجدكم من معدن زاك

بل أكثر من ذلك، يدعوه إلى تخليص الشرق مما يعانيه من ظلم وجور، يقول :

فأدرك مصر والعراق ويمسم ... حرم الحي آلكم خير آل
إن شرق البلاد يرجوك شوقا ... مثل ما يرتجى طلوع الهلال

ويشارك عبد العزيز الفشتالي في تخليد ليلة إحياء المولد النبوي الشريف، مباريا غيره من شعراء البلاط متفوقا عليهم، مادحا الرسول عليه السلام، متشوقا إلى ديار نجد، يقول :

سر العوالم نكتة الكون الذي ... هتفت به الأحبار قبل ولاد
هو مجتبى الرحمان من أرساله ... وإمام جمعهم وبدر النادي
هو أول هو آخر هو جامع ... هو فارق للغي عن إرشاد
متقدم متأخر متوسط ... ناهيك من أوصافه الأضداد

كما تناول الفشتالي في شعره موضوعات كثيرة كالوصف والغزل والرثاء والمدح بنوعيه السياسي والديني، إلى غير ذلك من الأشعار السجالية التي كانت زبدة حلقات اللقاء بين شعراء البلاط حول موضوع معين أو موضوع أثار اهتمامهم، من شعره في الوصف ما قاله في قصر البديع بمراكش :

معاني الحسن تظهر في المغاني ... ظهور السحر في حدق الحسان
مشابه في صفات الحسن أضحت ... تمن بها المغاني للغواني

وقد عملت على جمع شتات أشعاره المتفرقة من المصادر المختلفة في ديوان سميته *"شعر عبد العزيز الفشتالي"*، وقد صدر ضمن منشورات مكتبة المعارف سنة 1986.

والفشتالي هو رئيس ديوان الكتاب أو وزير القلم الأعلى، وهو منصب لا يرقى إليه إلا السياسي المحنك، والمتمكن الثقة في عمله، وبذلك كان مكلفا بتحبير رسائل السلطان أحمد المنصور المختلفة، بلغة راقية بليغة، وأداء

محكم وصنعة مقبولة. وقد جمع الأستاذ عبد الله گنون هذه الرسائل ونشرها ضمن مجموعة من الرسائل في كتاب سماه *"رسائل سعدية"* سنة 1954 ، وعدد رسائله ثلاث وثلاثون رسالة، وعن أهميتها يقول الأستاذ عبد الله گنون : "ولا تخفى فائدة هذه الرسائل للأديب والمؤرخ معا ، فالأول يجد فيها من النصوص الجميلة ما يعينه على تتبع حياة اللغة والإنشاء في هذا العصر ، ويقف على آثار لأدباء لم تكن معروفة من قبل، فتتكون له بذلك فكرة عنهم، ولا سيما عبد العزيز الفشتالي، والثاني يجد فيها تفصيلا لوقائع حربية، وحديثا عن علاقات دبلوماسية وحوادث وماجريات أخرى، لها كثير من الأهمية بالنسبة إلى البحث التاريخي المجرد ، وأكثر هذه الرسائل صادر عن مفخرة الدولة السعدية أبي العباس أحمد المنصور السعدي".

والفشتالي هو مؤرخ الدولة الرسمي، يتابع الأحداث ويدون الأخبار ويؤلف فيما بعد كتابه التاريخي الهام *"مناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفا"* للتعريف بتاريخ المغرب في عهد دولته وبمنجزات ملوكها وأعمالهم، وخاصة ولي نعمته أحمد المنصور، وفي هذا الكتاب تبرز شخصية السلطان قوية واضحة المعالم، تسعى إلى توحيد كلمة المسلمين وإلى الجهاد في سبيل نصرة الإسلام ورد غارات المسيحيين في المغرب بصفة خاصة، وعن هذا الكتاب يقول ابن القاضي : "تاريخه المذكور في مجلدات، اشتمل على تاريخ ساداتنا الشرفاء من أولها إلى وقتنا هذا، اشتمل على وقائعها ومغازيها وحوادثها وغير ذلك، وعلى محاسن أبي العباس المنصور"، غير أن هذه المجلدات قد ضاعت، ولم يصلنا غير مختصر الجزء الثاني، وقد قام بتحقيقه وضبط فهارسه الأستاذ عبد الله گنون وصدر سنة 1964 عن المطبعة المهدية بتطوان، أما الجزء الثاني فقد حققه الأستاذ عبد الكريم كريم وصدر ضمن منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة سنة 1972.

وللفشتالي إضافة إلى هذه الآثار مؤلفات أخرى منها : ترتيب ديوان المتنبي، وهو مايزال مخطوطا، توجد منه نسختان، إحداهما بقسم الوثائق والمخطوطات بالرباط والثانية بالخزانة العامة بتطوان، وهو عمل متميز، لم يكتف فيه بترتيب قصائد المتنبي على حروف المعجم، بل أبدى ملاحظاته وآراءه حول الأبيات الشعرية وحول السرقات المتعددة معنى وأداء، إضافة إلى تعليقات وشروح وتضمينات كان يثري بها عمله في هذا الترتيب.

كما أن للفشتالي مصنفا آخر شرح فيه مقصورة المكودي، غير أن هذا المؤلف من بين المؤلفات الضائعة.

أما مؤلفه *"مدد الجيش"* فقد ذيل به *"جيش التوشيح"* لابن الخطيب، وقد قال عنه المقري : "أخبرني أبقاه الله أنه ذكر فيه موشحات أهل العصر في مدح مولانا نصره الله ما ينيف على الثلاثمائة، وذكر فيه جملة من موشحات أمير المؤمنين نصره الله، وذكر ذلك مع جملة ما أغفله الإمام ابن الخطيب"، غير أن هذا الكتاب قد ضاع، ولم تبق منه إلا ورقات توجد بالمكتبة الناصرية بسلا، وتضم إحدى عشرة موشحة، ليس فيها غير اثنتين منسوبتين لشعراء مغاربة، إحداهما لعبد العزيز الفشتالي.

لقد كان الفشتالي ممثلا لحقبة أدبية نشيطة في تاريخ الأدب المغربي، وفي كتاباته النثرية وأشعاره ما يفيد ذلك ويؤكده، ويمكن القول بأنه كان يلخص تطور الحركة الشعرية والكتابة النثرية في العصر السعدي بصفة عامة. أما وفاته فكانت سنة 1031 ، وعنها يقول المقري : "وقد بلغتني وفاته رحمه الله تعالى ، وأنا في مصر بعد عام ثلاثين وألف" كما يشير المكلاتي إلى سنة وفاته في "وفياته" بكلمة "شلا" في البيت الشعري :

يد النثر أمست وهي شلا لصاحب
به جيد هذا الدهر غير معطل

المقري، *روضة الآس*، ص. 112 ؛ *نفح الطيب*، تح. إحسان عباس، ج. 5 : 22، 29، ج. 6 : 49، 59، ج. 7 : 68، 81 ؛ ابن القاضي، *درة الحجال* ، تح. الأحمدي أبو النور، ج. 3 : 130 ؛ *المنتقى المقصور*، تح. محمد رزوق، في أماكن متفرقة ؛ *كناشة الزجالي*، م خ ع، في أماكن متفرقة ؛ *لقط الفرائد*، م خ ع، ص. 173 ؛ الخفاجي، *ريحانة الألبا* ، تح. عبد الفتاح محمد الحلوج، 1 : 290، 296، 365، ج. 2 : 179، 180 ؛ ابن معصوم، *سلافة العصر*، ص. 582 ؛ المحبي، *خلاصة الأثر*، ج. 2 : 425 ؛ القادري، *نشر المثاني*، تح. م. حجي وأ. التوفيق ؛ *التقاط الدرر*، م خ ع، ص. 14 ؛ *الإكليل والتاج*، م خ م، ص. 60 ؛ اليفرني، *نزهة الحادي*، طبعة حجرية، ص. 148 ؛ *أزهار البستان* ، م خ م لابن عجيبة، م خ م، ص. 239 ؛ الزياني، *الروضة السليمانية*، م خ ع، ص. 126 ؛ محمد مخلوف، *شجرة النور*، ص. 297 ؛ م. الأزهري، *البواقيت الثمينة*، ص. 222 ؛ ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 4 : 152 ؛ الناصري، *الاستقصا* ، ج. 5 : 90 ؛ عبد الله گنون، *النبوغ المغربي*، ج. 1 : 262 ؛ *ذكريات مشاهير رجال المغرب*، العدد 1 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، ج. 2 : 400 ؛ بروكلمان، *ذيل*، ج. 2 : 680 ؛ بروفنسال، *مؤرخو الشرفا* ، ص. 80 ؛ عباس الجراري، *موشحات مغربية*، ص. 154 ؛ م. بن تاويت وم. عفيفي، *الأدب المغربي*، ص. 322 ؛ ابن تاويت، *الوافي بالأدب العربي*، ج. 3 : 681، 690 ؛ عمر رضا كحالة، *معجم المؤلفين*، ج. 5 : 260 ؛ *شعر عبد العزيز الفشتالي*، جمع وتحقيق ودراسة نجاة المريني.

Charles-André Julien et Magali Morsy, *Les Africains*, t. 2, p. 233 ; *L'Encyclopédie de l'Islam*, t. 1, p. 60.

نجاة المريني

الفشتالي، محمد العربي بن **أحمد** بن عبد الكريم الفقيه العلامة المشارك، الولي الصالح، الناظم الناثر. كان من أكابر الأولياء، مناقبه كثيرة ومشهورة.

وكان أستاذاً مشاركاً في الفنون، له معرفة بالتجويد والأداء وأحكام الرسم. أخذ عن عبد الرحمان ابن القاضي وعبد القادر الفاسي والحسن اليوسي وغيرهم. وأخذ الطريقة عن الشيخ محمد ابن ناصر الدرعي، ثم عن محمد بن مبارك، والتزمه.

وكان إماماً ومدرساً للرسالة وغيرها في مسجد رأس الجنان، ويقرئ القرآن للصبيان. وكان في بعض الأوقات،

منصبا للشهادة بحانوت من حوانيت شهود فاس القرويين، وكان زاهداً في الدنيا، طالما راودوه على القضاء وغيره، فامتنع منه، لأنه كان يرى في خطة القضاء صداعا في الرأس، وسما قاتلا في الجوف، وسلسلة في العنق، وسنارة في الحلق.

مات بالطاعون يوم آخر جمادى الثانية عام 1092.

م. الفاسي، *رحلة عبد المجيد المالي* ؛ *المورد الهني* ؛ م. الإفراني، *صفوة من انتشر* ؛ م. القادري، *نشر المثاني* / *إلتقاط الدرر*، *فهرسة إدريس المنجرة* ؛ محمد بن جعفر المثاني، *سلوة الأنفاس*.

المصطفى البوعناني

الـفشتالي، محمد بن **علي** بن إبراهيم، نشأ في قبيلته فشتالة، وهو ابن عم الشاعر عبد العزيز الفشتالي ويلديه، "أخذ عن أبي العباس المنجور وأبي العباس الزموري والحميدي والسراج" كما ذكر ابن القاضي في *درة الحجال*.

ومحمد بن علي الفشتالي من الشعراء الذين نالوا الحظوة في بلاط السلطان أحمد المنصور السعدي، فتبوأ رئاسة القلم ليشارك المؤرخ الوزير المنصب مدة من الزمن، وقام بالسفارة - إلى جانب علي بن محمد التمكروتي - إلى الخليفة العثماني بتركيا أكثر من مرة، وهناك التقى بالأديب الخفاجي الذي تحدث عنه في ريحانته كسفير للسلطان قائلا : "وزير مولاي أحمد، أديب فاس وريحانة فضلائها الأكياس، تقدم فيها متقلدا قلادة إنشائها، فائقا برسائله على سائر أدبائها، وكان في عصره من أجل وزرائها".

حلاه ابن القاضي في كتابه *درة الحجال* بقوله : "وزير القلم الأعلى الكاتب الأديب البليغ، الشهير الذكر بالمغرب، وهو علم في الفضيلة ومكارم الأخلاق، وكرم النفس، واسع الإيثار متين الحرمة، عالي الهمة، كاتب بليغ، أديب، شاعر، حسن الخط، مؤثر لأهل العلم والأدب، بر بأهل الفضل والحسب".

كان أبوعبد الله محمد بن علي الفشتالي من خاصة جلساء المنصور ومن كتابه المقدمين، حدث مرة أن تغيب عن العمل لوفاة ابنه، وقد روى القصة عبد العزيز الفشتالي في *مناهل الصفا*، فقال : "وأطنب أيده الله في السؤال ووليي وصاحبي أبو عبد الله يجيبه عن الحال إطنابا تاما".

اشتهر أبوعبد الله بأشعاره الرقيقة في مدح مخدومه السلطان أحمد المنصور، وبمولدياته التي كان ينشدها في الاحتفال بليلة المولد النبوي الشريف، كما أن له أشعارا في الوصف والغزل، وله مساجلات شعرية مع غيره في موضوعات مختلفة.

من شعره في مدح السلطان أحمد المنصور والإشادة بالانتصار في معركة وادي المخازن، قوله :

إمام يهاب الموت حد حسامه ... ويفني العدى فما يقيها سلاح
وحسبك من وادي المخازن إذ طمت ... بحار الردى والخيل فيها جماح
له حالتا سيف وسيب كأنما ... تجمع في يمناه سم وراح
هو الملك المنصور، لازال عدله ... تروى به الغبرا ربى وبطاح

ومن مولدياته، قوله في مدح الرسول عليه السلام :

يا خير من نيطت بعروة عزه الـ ... أسباب وهي وثيقة لا تفصم
يا خير من حطت رواحله الدجى ... بفنائه واليوم صعب أيوم
أوصاف قدرك منهل متهيب ... وعليه أطيار المدائح حوم

وقد حظي محمد بن علي الفشتالي بعناية الأديب الخفاجي الذي خصه بترجمة وافية في كتابه *ريحانة الألبا*، إذ كان من أصدقائه المقربين كما يذكر، مشيدا بشاعريته وبراعته، وفي ذلك يقول : "فكنت إذا جاذبته أهداب الآداب، وأجلت في ناديه قداح الخطاب، كأني جاث بين يدي الفرزدق أو جرير، لأنه بصير بعورات الكلام خبير".

ومن أشعاره الوصفية، قوله على لسان القبة الخمسينية في قصر البديع بمراكش :

وإني كعبة المحاسن كلها ... وليس علي في العموم جناح
فما الشعب والزهراء والصنعة التي ... بصنعاء تلك فخرهن مزاح
فهذا البديع قد تناهى نضارة ... وعندي المحلى إذ تجال قداح

ومن غزلياته :

غزال يميس خوط بان وإنني ... لأنجد دأبا في خواه وأتهم
فهبني أروم كتم نار صبابتي ... فإن لسان الحال عنها يترجم

وقد عملت على جمع أشعاره المتفرقة وضبطها وتحقيقها من مصادر العصر وغيره في كتابي *"الشعر المغربي في عصر المنصور السعدي"*، وصنعت له ديوانا شعريا جعلته ضمن ملحق الكتاب، ويضم هذا الديوان عشر قصائد وسبع مقطوعات في سبع وثلاثين وثلاثمائة بيت، توزعت بين الموضوعات الآتية : أربع قصائد في المدح السلطاني، ثلاث مولديات، قصيدتان في الوصف، أربع مقطوعات سجالية، ثلاث مقطوعات في الغزل، ومقطوعة في التهنئة.

وللفشتالي موشحة يتيمة في المدح انفردت بروايتها *"درة الحجال"*، يقول في مطلعها الغزلي :

أحسنوا عذري في طلعة كالصباح ... في قضيب البان
قوس الحواجب وترها المزاح ... قتل الهيمان

وقد أشاد بأشعاره وكتابته النثرية القادري في *نشر المثاني* فقال : "صاحب الأنظام الرائقة، والإشارات الفائقة، أعجوبة الدهر، وفريدة عقد العصر، يأتي في رسائله بالعجاب، ويسحر في ترسله الألباب".

أما بلديه وابن قبيلته الشاعر المؤرخ عبد العزيز الفشتالي فقد أشاد به أكثر من مرة في كتابه *مناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفا* وهو يقدم لقصائده، من ذلك قوله : "شعلة الذكاء ومحرز خصل السبق في مضمار الإنشاء، النابه النزيه، العزيز المكانة، المغدق السجية، المسترسل الطبع، العذب الفكاهة، الحلو النادرة، المبرز في أشتات الفضائل، الأخ الكريم، الولي الحميم، أبو عبد الله محمد بن علي الفشتالي".

أما نثره، فأغلب ما نتوفر عليه رسائله السياسية ضمن كتاب *رسائل سعدية* الذي اعتنى بجمعه وتبويبه عبد الله گنون وصدر سنة 1952، وتقع هذه الرسائل في ثمان عشرة رسالة كتبها عن السلطان المذكور، بعضها إلى سلطان

الأتراك وبعضها إلى جيش الجزائر وبعضها إلى أهل توات وأشياخهم، وتمتاز هذه الرسائل بدقتها وضبط تواريخها وأسلوبها الأنيق المسجوع، من ذلك رسالة كتبها على لسان السلطان مخاطبا جيش الجزائر على ولائه وطاعته : "أما بعد حمد الله الذي جعل الملة الإسلامية نورا في البسيطة وهاجا، وأمطر من سحائب الائتلاف على نصرتها ماء لا يزال بمنة الله ثجاجا، واصطفى لذلك من خلقه عصائب لا تنفك على الحق ظاهرة، وفي اجتثاث أصول الكفر متناصرة متظاهرة"، إلى أن يقول : "هذا وقد تأدى لمحفلنا العلي من مدرجكم المعتبر ما فض عن ليل نقسه ختامه، وحسر عن وجه مقتضاه لثامه، فلاح بتضاعيفه من وداداكم المحض لهذا الجناب، والخلوص الذي لا يتطرق إلى صفوه كدر ارتياب، ما أسفر لكم عن وجه الإقبال وسيما، وأعبق لولائكم به عرفا عاطرا ونسيما" الخ...

وينبه ابن القاضي إلى ولوع الشاعر بالأدب واقتناء الكتب، وفي ذلك يقول : "وله ولوع بالأدب، وصبابة باقتناء الكتب، صحبه في قفوله من القسطنطينية ما ينيف على المائة تأليف، أقلها في مجلد، وأما ما هو في مجلدات فمما لا يحصى جمع أمهاتها العتيقة، وأصولها الرائقة الأنيقة، ما لم يجمعه في هذه الأعصار أحد سواه.

وفي مقامة لابن عيسى الوزير أثبتتها *رسائل سعدية* في تقريظ أدباء عصره، تنويه بالشاعر بن علي الفشتالي، جاء فيه : "أخو علقمة ولبيد، وذو المقول المحبي المبيد، يوثر المذق والبيد، على الرياض والنبيذ،

وأكرم الشعر أكرمه رجـــالا وشر الشعر ما قال العبيـــد

جزالته في وصف المهامه والقفار، وذكر المرخ والعفار، وعلى ذلك فرمحه في المدح مقوم الأنابيب، لا يقصر فيه عن ابن الحسين وحبيب".

وله رسالة قصيرة في الشكوى انفردت بها *ريحانة الألبا*، بعثها إلى صديقه الخفاجي الذي قدم لها بقوله : "وكتب إلي وقد أصابته حمى فافتصد، يذكر اشتياقه، ويذكر ما منعه من ملاقاتي وعاقه، يقول الفشتالي : أنا في غربتي وعلتي، ونار خليل لم تبل بملاقاته غلتي، لا أظن نسيان الإخوان، وأعتذر لتقصير الزمان.

كأن زماني خاف لحنا فلم يكن ليجمع بين الساكنين بأوطان

ومن مؤلفاته أيضا منظومة من البحر الطويل على روي اللام نظم فيها وفيات ابن قنفذ القسنطيني *"شرف الطالب"* و*"وفيات ابن القاضي"* و*"لقط الفرائد"* وتقع في مائة وأربعة وتسعين بيتا، وفيها استوعب وفيات الأعيان من ظهور الإسلام إلى تمام المائة العاشرة للهجرة، وهي مخطوطة في نسختين، إحداهما بقسم الوثائق والمخطوطات بالرباط، والثانية بالخزانة الحسنية بالرباط.

كان مولده في *درة الحجال* سنة 956، أما وفاته فكانت سنة 1021 كما في *نشر المثاني*.

ابن القاضي، *درة الحجال*، تح. الأحمدي أبو النور، ج. 2 : 190 ؛ الفشتالي، *مناهل الصفا*، تح. عبد الله گنون، في أماكن متفرقة، تح. عبد الكريم كريم في أماكن متفرقة ؛ المقري، *روض الآس*، نشرها عبد الوهاب بن منصور، ص. 7، 9، 27، 29 ؛ الخفاجي، ريحانة الألبا، تح. عبد الفتاح محمد الحلو، ج. 1 : 309 ؛ الإفراني، *نزهة الحادي في أخبار ملوك القرن الحادي*، طبعة حجرية، في أماكن متفرقة ؛ القادري، *نشر المثاني*، تح. م. حجي وأ. التوفيق، ج. 1 : 174 ؛ *رسائل سعدية*، تح. عبد الله گنون ؛ الناصري، *الاستقصا*، ج. 5 : 119، 152، 188 ؛ المراكشي، *الإعلام*، ج. 5 : 221 ؛ برونفسال، *مؤرخو الشرفا*، تر. م. الخلادي، ص. 82 ؛ بروكلمان، *ذيل*، ج. 2 : 680 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، ج. 2 : 399 ؛ ابن تاويت، *الوافي بالأدب العربي*، ج. 3 : 692 ؛ نجاة المريني، *الشعر المغربي في عصر المنصور السعدي*، ص. 417 ؛ الزركلي، *الأعلام*، ط. 7، ج. 6 : 293.

نجاة المريني

الفشّار، بوعزة بن العربي البخاري السفياني، فقيه نبيه وحيسوبي متضلع، ومن أبرز سماته ـ حسب ابن زيدان في *الإتحاف*، التواضع، والصلاح والورع والزهد والإعراض عن الدنيا، وشدة حبه لآل البيت. وكان إلى جانب ذلك كثير الصمت لا يحضر الولائم ولا يأكل طعام أحد، محافظاً على الصلاة في أوقاتها مع السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام (1822 ـ 1859) وقراءة الحزب بكرة وعشية كما كان كثير الأذكار لا يرى إلا تاليا للقرآن الكريم، مواظبا على قراءة دلائل الخيرات. يقوم الليل ويصوم الدهر ولا يفطر في غير الجمع والأعياد.

كان وصيفاً للسلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام الذي استخدمه في حنطة فراشه، ولما آنس السلطان رشده ونباهته كلف من يدرسه الحساب فتضلع في جميع أنواعه وفنونه وظهرت نجابته وصلاحه، عندئذ رشحه السلطان للأمانة العامة فجعله أميناً كبيراً على جيوشه في حركته بمنطقة سوس.

وفي عام (1248 / 1833) شغل بوعزة الفشار مهام متعددة منها : كبير أمناء الجيوش بالحضرة المكناسية، والوصي الرسمي على أبناء السلطان، وكبير أمناء القصر السلطاني، فتمتع بسلطة مطلقة حيث كان أمناء القصر على حد قول ابن زيدان : "يأتمرون بأوامره وينتهون بنواهيه مفوضا إليه في تنفيذ كل ما يحدث من زيادة أو نقص في المئون والرواتب الشهرية بالدار السلطانية بالحضرة المكناسية ... وغير ذلك من كل ما هو من متعلقات داره وما هو منضاف إليها، ولا يقبل زمام صائر الأمناء على الدار العلية إلا بعد اطلاعه عليه وتسليمه له بإمضائه عليه بخط يده" ويضيف قائلاً : "وأنابه السلطان عنه في تولي قبض مفتاحه على بيت مال المسلمين وفتحه عند إرادة الإدخال إليه والإخراج منه في ظعن السلطان وإقامته وذلك زيادة على المفتاح الذي بيده بصفة كونه أمينا"...

وقد ظل بوعزة الفشار يشغل تلك الوظائف السامية محبوبا مبجلا بعد وفاة السلطان عبد الرحمن بن هشام في

عهد ابنه السلطان مولاي محمد (1859 ـ 1873) وحفيده مولاي الحسن (1873 ـ 1894) إلى أن توفي في 12 ذي الحجة عام 1300 / 1883 ، ودفن بجامع الأقواس المعروف اليوم بالزاوية الدرقاوية بحومة بين العراصي بمكناس.

ابن زيدان، *الإتحاف*، 2، ص. 77 ـ 78 ـ 515 ؛ م. الشابي، *النخبة المخزنية*، ص. 208.

رقية بلمقدم

فشّور، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Faxar.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

الفصة أو علسا ميديكاكو ساتيفا "Medicago sativa" أحد أنواع جنس نباتي من فصيلة الفوليات "Fabaceae" وهو ممثل بعدد كبير من الأنواع في المغرب. إنه نبات معمر ثلاثي الأوراق، ذو وريقات مسننة. الأزهار مجتمعة وتختلف ألوانها حسب الأصناف. تعتبر الفصة من أقدم النباتات العلفية المهمة التي تنتشر خصوصا في المناطق السقوية حيث توجد تربية الماشية بشكل مكثف وهي مفيدة للرعي وللتخزين وكذلك لتحسين التربة.

تشمل الفصة عدة سلالات وضروب نتجت عن التهجين والإنتقاء، يرجع أصلها إلى الهضاب العليا لإيران.

تتكيف الفصة مع المناخ المعتدل حيث الحرارة أعلى من درجة (1°C) التي تعتبر الحد الأدنى للإنبات، أما النمو فيكون جيدا عند (30°C). إن الفصة شديدة الحساسية للبرد والجليد.

تتطلب الفصة كميات مهمة من الماء والأملاح المعدنية من أجل نمو وإنتاج جيدين. أما التربة فيجب أن تكون جيدة مهوية وغير حمضية. تزرع الفصة مختلطة مع الحبوب أو غير مختلطة في فصل الربيع أو الصيف بكمية تتراوح ما بين 15 و20 كلغ من البذور في الهكتار.

تؤثر طريقة استغلال الفصة على كمية الإنتاج وجودته واستمراره، ومن أجل تمكين الفصة من النمو والإنتاج الجيدين يستحسن أن يكون الإنتاج الأول غير مفرط وذلك من أجل تمكين الفصة من تقوية الجذور. كما يستحسن أن تكون المدة الفاصلة بين استغلالين بعد السنة الأولى لا تقل عن 5 إلى 6 أسابيع.

تنتج الفصة ما بين 17 و18 طن من المادة الجافة للهكتار، وتستهلك خضراء طرية أو مجففة.

ألبيرت هيل، النبات الاقتصادي، تر. زاهر عبد المجيد وآخرين، القاهرة، تيبورك، 1962 ؛ معلومات شخصية.

J.M. Clement, Larousse Agricole, édition Larousse, Paris, 1981.

عبد النبي زين العابدين

فضالة، نسبة إلى المحمدية، تندرج في عداد إقليم تامسنا الفسيح، منتسبة إلى منطقة زناتة نسبة إلى الفصيل الذي استوطنها تاريخيا ؛ وتنتمي جغرافيا إلى المنضدة الساحلية، يحدها شمالا المحيط الأطلنتيكي، وغربا هضبة ابن سليمان، وشرقا واد النفيفيخ، وجنوبا منطقة الفضالات وسهل الشاوية، على بعد 25 كلم إلى الشمال الشرقي من مدينة الدار البيضاء، وحوالي 56 كلم جنوب مدينة الرباط.

وهي تحتل موقعا متميزاً على ساحل المحيط الأطلنتيكي، مشرفة عليه بخليج طبيعي محمي من الرياح الشمالية الغربية، ومن ارتطام الموج بفضل شريط صخري ذي اتجاه جنوبي ـ غربي / شمالي ـ شرقي، جعلها تبدو كشبه جزيرة يكاد لا يرى من جهة البحر، وشكل حاجزاً وقائيا لحوض الرسو من تراكم الترسبات الرملية، ومن التعرض لأية حركة معادية، حتى بدا ملجأ جيدا للمراكب التي لا تتعدى حمولتها 150 طنة، جذب إليه أنظار الملاحين والصيادين منذ أمد بعيد. ورغم تعرض هذه المرسى الطبيعية لمعوقات تؤثر سلبيا على إمكانياتها الملاحية بفعل الأعاصير الحائلة بينها وبين عرض البحر، فإن خطورتها مع ذلك لم تكن مماثلة لما كان عليه الأمر في المراسي المغربية الأخرى.

وإذا كانت المعلومات التاريخية تنعدم حول أهمية الموقع الاستراتيجي لفضالة خلال الفترة القديمة، فإن وجودها كجزيرة على الطريق الملاحية القديمة التي اجتازتها الرحلات الفينيقية والقرطاجية والرومانية منذ القرن 7 ق. م. رجح قيامها بدور الربط الملاحي بين محطات الاستراحة الأطلنتيكية، لا سيما وقد تأكد الحضور البشري البارز في هذه المنطقة كما أثبتته الحفريات الأثرية.

وبحكم وجودها عند حدود التماس في العصر الإسلامي بين المدى الإشعاعي للعاصمتين التقليديتين فاس ومراكش، وعلو إنتاجيتها الاقتصادية ووجودها في موقع متميز وسط الساحل الأطلنتيكي، عرفت المنطقة توالي القبائل والأجناس.

فقد برز موقع فضالة منذ فترة قديمة كجزء من المجال المصمودي، وكمنطقة خاضعة لنفوذ قبائل برغواطة، بفضل مواصفاتها الفلاحية وملاءمة مرساها لاستقبال السفن ؛ وغدت منذ القرن 8 م قاعدة رئيسية للأسطول البرغواطي،

ومركزا مشهورا للمبادلات التجارية الخارجية مع بلاد الأندلس بلغ أوج ازدهاره في عهد الأمير البرغواطي أبي منصور عيسى بن أبي الأنصار أواسط القرن 10 م.

وقد تأثرت فضالة بعد ذلك بالحروب الطويلة التي خاضتها الإمارة البرغواطية مع الأدارسة، ومن بعدهم ولاة الأمويين من الأمراء الزناتيين، كما اكتسحتها القوات الفاطمية مما عرضها للتخريب. ولن تعرف خضوعا فعليا إلا عند سقوطها في يد القوات المرابطية بقيادة عبد الله بن ياسين سنة 452 / 1060 ، ومن بعده يوسف بن تاشفين سنة 472 / 1079 الذي أباح لجيشه عموم إقليم تامسنا طيلة ثمانية أشهر، ونجح في إبادة القبائل البرغواطية، وهجر فلولها إلى فاس، وخرب مراكزها وعلى رأسها فضالة.

وخلال العهد الموحدي أقدم يعقوب المنصور الموحدي على توطين قبائل من أعراب جشم المستقدمة من إفريقية أواخر القرن 6 هـ / 12م بمنطقة فضالة، وخاصة قبيلتا مقدم والعاصم، وألحق بهما بعض فصائل الخلط من بني معقل، وهو ما كان له الأثر الشديد على إخضاع المنطقة للتعريب، وعلى اندثار ما تبقى من عوائدها العمرانية والحضارية، حيث أصبح النشاط الرعوي المتنقل هو السائد، وانمحت إمكانية انبعاث البلدة، تاركة دور الملجإ والملاذ لركب الحجاج وقوافل التجار والمسافرين لمدينة المنصورية شمالها.

وخلال العهد المريني أهدى ملوكه منطقة فضالة لقبائل زناتة وهوارة البربرية، الأمر الذي شجع على الانصهار بين القبائل العربية المقيمة ونظيرتها البربرية النازحة حديثا، ويسر عملية مزاوجة النشاط الاقتصادي بين الرعي والزراعة، حيث عرفت فضالة منذ الربع الأخير من القرن 14 م استعادة لرواجها التجاري السابق مستقطبةالتجار الإيبيريين، تنافسها في ذلك جارتها أنفا. غير أن قيام بعض المجموعات بنشاط قرصاني ضد السفن التجارية الأوربية انطلاقا من ساحل الشاوية قد عرضها للهدم والتخريب سنة 891 / 1486 على غرار ما تعرضت له جارتها أنفا سنوات قبل ذلك، الأمر الذي يفسر إعراض الحسن الوزان عن الحديث عنها.

ومع الهدنة الوطاسية ـ البرتغالية، شجع الملوك الوطاسيون تجار أوربا على تسويق المنتوجات الفلاحية لمنطقة الشاوية انطلاقا من مرساها. وظل موقعها مع ذلك محدود التأثير جراء سيادة أسلوب الظعن والترحال على الساكنة المحيطة به، ولم تعرف أحداثا تاريخية بارزة إلا حينما نشبت معركة خندق الريحان بين جيشي محمد المتوكل وعبد المالك السعدي في يوليو 1576 على مقربة من التلال المتعرجة لوادي الشراط.

وفي عهد مولاي زيدان بن المنصور برزت فضالة كإحدى القواعد الخاضعة لسلطته، ولا سيما أثناء التنسيق مع القبطان الهولندي يان إفريتسن (Everetsen) سنة 1614 للتباحث في شأن ثغر المعمورة ؛ ودامت تحت النفوذ السعدي إلى حين سقوطها في يد المجاهد العياشي عقب انتصاره على القوات السعدية المجردة لمساعدة أندلسيي الرباط عند حدود فضالة سنة 1637 ، حيث أضحت مرسى أساسية له على الواجهة الاطلنتيكية في ظل افتقاده لمنفذ بحري. ومع مقتل العياشي وانتقال السلطة إلى الامارة الدلائية سنة 1051 / 1641 . أضحت فضالة تحت الإشراف المباشر لأمير سلا عبد الله الدلائي، مساهمة في تنشيط التجارة الخارجية والجهاد البحري، دون أن يسمح لها ذلك بتحقيق أي انبعاث عمراني، بل ظلت خزانا للحبوب والدواجن والأنعام المعدة للتصدير، وقاعدة خلفية للسفن الجهادية على امتداد القرن (17م)، وتعرضت بذلك لتعدد المبادرات الأوربية الرامية إلى احتلالها، سواء الانجليزية منها أو الفرنسية.

وقد واصلت فضالة دوريها الفلاحي والملاحي بمنأى عن أي تطور من الناحية الاجتماعية خلال العهد العلوي حتى أواسط القرن (18 م)، حينما تكاثر وفود السفن التجارية الإسبانية والفرنسية إلى مرساها لشحن الحبوب، الأمر الذي حذا بالسلطان سيدي محمد بن عبد الله في إطار اهتمامه بانفتاح المغرب على الواجهة الأطلنتيكية إلى تأسيس قصبتها الصغيرة سنة 1182 / 1768 على امتداد خمسة هكتارات غير بعيد عن الساحل، عززها بسور متوسط السمك والارتفاع، ووفر لها بابين يتجه أحدهما صوب أنفا، والثاني نحو الرباط، وحصنها بأربعة أبراج تشرف على الواجهات المختلفة قصد مراقبة التحركات المضطربة للقبائل البدوية المنتشرة جنوبها وشمالها من الزيايدة والمذاكرة، وشيد بها منشآت أساسية من مخازن وحمام وسجن وقصر لاستراحة السلطان أثناء تنقلاته عبر المنطقة.

ومن أجل تعمير المدينة الجديدة عمد السلطان إلى منح التجار الأوربيين، وعلى رأسهم البرتغاليين، امتياز تصدير القمح منها، واتخاذ الأهراء والديار بالقصبة، وأقر بها العدول والأمناء من أهل سلا والرباط ومن اليهود. وأردف ذلك، مع بداية ازدهار نشاطها التجاري، بتشييد مسجد جديد "الجامع الأبيض"، ومستودعات شاسعة ومحلات تجارية ميسرا للتجار الأوربيين سبل الاستقرار المتواصل بها، قبل أن يقدم في السنة الموالية على جعل كافة الامتيازات التجارية حكرا على الشركة المدريدية الإسبانية (Los Cincos Gremios de Madrid).

ولضمان استتباب أمن أولئك التجار بادر السلطان إلى تعيين قائده الكبير الباشا محمد بن أحمد الدكالي على كافة إقليم تامسنا، وأوكل له مهمة تطوير مدينة فضالة، متمما ذلك بترحيل الجزء الأكبر من قبيلة زناتة المستقرة تاريخيا بمنطقة فضالة إلى بلاد اشتوكة والشياظمة قرب أزمور تحت إشراف ولده الأمير المأمون، ورحل جزءا من هذه القبائل الأخيرة إلى المنطقة بغية إضعاف العصبية القبلية بها. ومع تنامي ازدهارها بادر السلطان سنة 1193 / 1779 إلى إقرار فرقة من عبيد الرباط بالقصبة لحماية المرسى، وأمر التجار الأوربيين بالاستقرار بها بدلا من المراسي التقليدية كسلا

والعرائش لولا الاعتراض الذي تقدم به القناصل الأوربيون.

بيد أن هذا الوضع المزدهر لم يلبث أن عرف انتكاسة جراء الكوارث الطبيعية التي تعاقبت على المنطقة من جراد وجفاف وارتفاع الأسعار، الأمر الذي حدا بالسلطان إلى إعلان الإقليم خارجا عن السلطة. وزاد من مصاعب القصبة تفضيل السلطان لمرسى الصويرة في العلاقات التجارية مع أوربا، مما أدى إلى تراجعها السريع. ومن سخرية القدر أن اختارت فضالة أن تستعيد سكونها التاريخي مع وفاة السلطان المذكور بنواحيها بين وادي الشراط ووادي يكم سنة 1204 / 1788. وظلت فضالة متقوقعة على نفسها طيلة القرن (19م)، معرضة للاضطرابات القبلية السائدة في أنحاء الشاوية وتامسنا، لا سيما بين قبائل أولاد حريز ومديونة والمذاكرة والزيايدة، مما كان يترتب عنه أحيانا خضوعها لحركات تأديبية على يد عرب الدولة، على غرار نزول جزء من قبيلة بني حسن تحت قيادة القائد سليمان القرشي بقصبتها سنة 1226 / 1810، دون أن يكفل ذلك استتبابا للأمن.

ومع اشتداد الضغط الأوربي على المغرب، وتنامي ظاهرة المحميين خلال النصف الثاني من القرن (19م)، شهدت منطقة فضالة تطوراً فلاحياً مهماً مع بداية ظهور ما يشبه نظام الجمعيات الزراعية وبروز طبقة من ملاك الضيعات من المغاربة بالتعاون مع الفرنسيين والألمان، دون أن يؤثر ذلك في نسيجها العمراني، حيث كانت وحتى مطلع القرن (20م) عبارة عن قصبة صغيرة تحتضن داخل أسوارها عناصر زناتية لا يزيد تعدادهم عن الثلاثمائة نسمة، تقوم على حراستها وعلى تأمين الطريق الساحلية بين الرباط وأنفا حامية صغيرة من المخزن، وتمتد حواليها خيام بطون هذه القبيلة على طول ثلاثين كيلومتر.

ولن تتمكن فضالة من الانبعاث حقيقة إلا عقب دخول الاستعمار الفرنسي إلى المنطقة في غشت 1907، حيث عرفت انطلاقا من السنة الموالية اهتماما مباشرا من طرف سلطات الحماية مع إقرار أول حامية عسكرية بها داخل حصن منيع على يد الجنرال الفرنسي داماد (D'Amade) ؛ واستقطبت بوجودها على مقربة من الدار البيضاء اهتمام الشركة الألمانية مانسمان (Mannesman) سنة 1910 في إطار ضغط الدولة الألمانية على المصالح الاستعمارية الفرنسية، حيث بادرت إلى اقتناء الأراضي المحيطة بالقصبة وإلى إعداد المشاريع الاقتصادية الملائمة بها.

ومع فرض الحماية على المغرب سنة 1912، انتقلت فضالة من مجرد مرفإ يستقطب بضعة صيادين محليين إيبيريين، إلى الحظوة باهتمام متزايد من طرف الإدارة الاستعمارية، ولا سيما على يد رجل الأعمال الفرنسي جورج هرسنت (Hersent)، الذي باشر اقتناء الأراضي الفلاحية المملوكة لشركة مانسمان وباقي ضيعات المنطقة، حيث بلغت ممتلكات شركته أزيد من 1500 هكتار أواسط سنة 1914، سرعان ما أضحت معها فضالة خلال الثلاثينات منطقة إنتاج زراعي مركز بفعل تجميع الحقول الصغيرة في هيئة مزارع عصرية ممكننة على النمط الأوربي، ومعتمدة على نظام سقوي محكم، حيث تركز الإنتاج - إلى جانب الحبوب - في تحصيل الخضروات والبواكر والكروم والمشتقات الرعوية، مع بداية ناجحة في إنتاج الجديد من المواد الموجهة للتصنيع وخاصة القطن والتبغ.

ومن جهة أخرى، بادر هرسنت إلى تأسيس شركة فرنسية - مغربية قامت بتشييد الميناء الحديث لفضالة سنة 1913، بتحويل الجزيرتين الطبيعتين إلى رصيف متصل بالبابسة، وكان من نتيجة هذا التطور استقطاب فضالة للعديد من رجال البحرية من مختلف المناطق المغربية، ولا سيما من الرباط والدار البيضاء، بشكل أهل فضالة لخلق أعراف ملاحية حقيقية. ومن ثم برزت كأحد الموقعين المقترحين لإنشاء الميناء الأطلنتيكي الكبير لشمال إفريقيا قبل أن يرجح جانب مرسى الدار البيضاء لهذا الغرض.

لقد أنشأ هرسنت شركة ميناء فضالة للبناء واستغلال الميناء تابعة للشركة الأم بعدما حصل من السلطان مولاي يوسف سنة 1914 على حق احتكار الميناء، استخدمه في البداية في استقبال البوارج الحربية الفرنسية، قبل أن يمتد إلى تنشيط المبادلات الخارجية. وشرع من جهة ثانية في تجهيز ميناء صيد مهم بجميع احتياجاته وفق مقاييس عصرية.

وزاد من أهمية مينائها، أنه اختير - نظراً لبعده عن التجمعات الحضرية الكثيفة، ولقربه من الدار البيضاء - كأفضل موقع لإقامة قاعدة لرسو ناقلات البترول، ولتخزين الوقود بالمغرب سنة 1924، حيث فرض هذا الوضع بناء خزانات عظيمة للوقود على اليابسة بسعة إجمالية قدرها 15 ألف هكتولتر و70 ألف متر مكعب من المواد النفطية ؛ ولهذا الغرض أسست بها الشركة المغربية - الأسيوية للبترول، ثم الشركة المغربية للوقود سنة 1927. وأضحى ميناؤها بذلك من أهم الموانئ النفطية في إفريقيا الشمالية في ظرف وجيز، وتطلب من السلطات المختصة إدخال تحسينات هامة على بنياته الأساسية خلال الأشغال التي امتدت من 1931 على 1933.

أما على المستوى الصناعي، فإن توافد المعمرين على فضالة وناحيتها جعلها تستفيد من استثمارات مهمة في هذا القطاع، حيث صارت في مدة وجيزة موقعا متميزاً لأولى المصانع العصرية المختصة في تصبير الخضراوات والبواكر والأسماك، وكذا مصانع نسيج القطن ؛ وأنشئت بها المخازن ومستودعات التبريد، وخاصة بروز الشركات الكبرى : سيفان (S.E.F.A.N.) وكاسكاديك (CASCADEC) وإيكوما (I.C.O.M.A.). وزاد إنتاج معاملها ازدهاراً خلال فترة ما بين الحربين جراء اللجوء الكثيف لرؤوس الأموال الفرنسية الهاربة من السياسة الضريبية المطبقة في البلد

الأصلي، مما أسهم في عمران الجهة الجنوبية للمدينة مع إقرار حي صناعي جديد استقطب آلاف العمال بأسرهم ونوالاتهم.

وقد بدت فضالة منذ ثلاثينات القرن العشرين كأحد المراكز السياحية المفضلة لدى المعمرين بفضل مناخها المعتدل وشاطئها الجميل، ولعبت شركة هرسنت والمصالح البلدية بعد ذلك دوراً حيويا في تجهيز فضالة بصورة أنيقة، بفعل تحويلها للأراضي المتاخمة للشاطئ إلى تجزئات سكنية فخمة ومنشآت وحدائق، فرضت معها جملة من الإجراءات على المنعشين العقاريين لخلق مركز سياحي عصري.

وعلى الجانب الاجتماعي لم يخف هذا التطور الوضع غير المناسب لساكنة فضالة من الأهالي، حيث ظلت منذ انبعاثها تدين بالتبعية المطلقة للدار البيضاء، حتى غدت أشبه بمركز ضاحية منه إلى مركز حضري كامل المواصفات، وزاد من استفحال هذا الأمر استقبالها لهجرة قروية مكثفة من مختلف المناطق، ولا سيما خلال عام البون سنة 1945، أي بزيادة قدرها حوالي 44 ضعفا في غضون 34 سنة. وقد كان من نتائج ذلك تطور مواز لا متكافئ في عمران المدينة، حيث أنشئ خارج القصبة الأصلية الحي الأوربي للمعمرين وفق مواصفات حديثة وجميلة، كما ظهرت أحياء الصفيح في منطقة العاليا.

وكان أغلب العمال يستقرون حوالي القصبة غير بعيد عن الحي الأوربي مع ما يحمله ذلك من تناقضات مظهرية وحياتية، فرضت على سلطات المدينة التفكير في إعداد تصميم حضري جديد في نهاية الأربعينات، مؤسس على تصاميم التهيئة المعدلة منذ سنة 1928 بهدف الفصل بين الفئتين الاجتماعيتين غير المتطابقتين، ومن ثم شرع في استحداث حي عمالي "فضالة ـ العاليا" سنة 1948 يوفر حدا أدنى من الشروط الوقائية والعمرانية، شاركت في تمويله المؤسسة الإسلامية الخيرية (S.M.B.) وشركة فضالة العاليا (S.I.F.A.) التابعة لمجموعة هرسنت. وحقق هذا الفصل تشطير المدينة إلى جزأين متوازيين من المدينة، يتميز كل منهما عن الآخر مظهرا وفئات اجتماعية، يشكل خط السكة الحديدية حدا فاصلا بينهما.

ح. أميلي وأحمد سراج، *فضالة أو عودة الذاكرة*، مركز الدراسات والبحوث التاريخية والأثرية، كلية الآداب، المحمدية، 2000 ؛ عبد اللطيف الشاذلي، مساهمة في التعريف بتاريخ فضالة، *مجلة بحوث*، ع 2 ـ 3، *كلية الآداب*، المحمدية، 1990.

Michaux-Bellaire, Casa et les Chaouia. *Villes et tribus du Maroc*, t. II, éd. Lerous, Paris, 1915.

حسن أميلي

الفضة، فلز أبيض ساطع غير قابل للصدأ والتأكسد، سهل التصنيع يذوب في درجة 960°. دخل مبكرا في صناعة الحلي والنقود خاصة حتى سميت باسمه في لغات عديدة (Argent) وهي كلمة لاتينية. توجد فضة نقية مولدة على شكل عروق صغيرة في شقوق بعض التكوينات الصخرية النارية لكنها نادرة، إذ توجد غالبا في مركبات معدنية عديدة يدخل فيها غالبا الكبريت والرصاص. كانت تصنع منها الحلي والنقود وبعض الأدوات الدقيقة منذ أقدم العصور، تزايد إنتاجها كثيرا بعد اكتشاف الإسبان لمناجم غنية لها بأمريكا الجنوبية واستغلالها بكثافة، وصنعوا منها نقودهم "الريال" التي راجت في أوربا والعالم. وبتكاثر إنتاجها صارت تصنع منها الأدوات المنزلية للطبقات الغنية بأوربا في القرنيين 18 و19 . لكن حل محلها اليوم أدوات الإينوكس. ولازالت الفضة تستعمل كحلي كما تستعمل في صناعات كثيرة : المرايات، حشو الأسنان، ورق التصوير، تجهيزات علمية وطبية، وإلكترونية.

كان يعرفها عامة المغاربة بـ"النقرة" ويظهر أنها كلمة أمازيغية. كانت واسعة الانتشار بالمغرب خاصة خلال وبعد حكم الموحدين، تدخل في منتوجات مهمة : النقود والحلي. وكان الحلي الفضي بالإضافة إلى قيمته الجمالية، يمثل رمزا لسمو المكانة الاجتماعية، كما يكون احتياطا اقتصاديا للطوارئ، إذ عد وسيلة لاختزان قيمة نقدية. كما كانت النقود الفضية نفسها تعلق في أعناق النساء باعتبارها حليا. كان الحلي الفضي واسع الانتشار يصنع بأمكنة عديدة من طرف اليهود خاصة، وقد اشتهرت مراكز عديدة بسوس مثل تاهلة بأملن وإفران وتارودانت وتاگموت حيث يشتغل بصناعة الحلي هنا مسلمون داعت شهرة حليهم بمراكش، أطلق اسمهم على أحد أسواق الحلي التاريخية المشهورة به، بالسمارين. واشتهرت كذلك تازناخت والداي بصناعة الحلي الفضي، بل عرف المغرب في مختلف عصوره صناعا يهودا يتنقلون بين أحياء المدن والقرى بأدواتهم يصنعون الحلي حسب طلب الزبون الذي يقدم لهم فضة خاما أو نقودا أو حليا قديما، فيذيبونه ويعيدون تصنيعه حسب الطلب.

ويلاحظ أن أهم المناجم التاريخية التي اشتهرت بالمغرب كانت تنتج معادن متعددة العناصر تعتبر الفضة من أهم عناصرها وكان معظمها يشتغل خصيصا لاستخراج الفضة. وأهم هذه المناجم : جبل عوام بالمنحدرات الشمالية للهضبة الوسطى. وزكوندار بجبل سيروا قرب إسكاون، والعدانة قرب تامدولت بسوس وإيميتر بجبل صاغرو غرب تودغة والكدية الحمراء بالجبيلات قرب مراكش. وكانت هذه المناجم تستغل تحت إشراف الدولة والأسر الحاكمة، تقيم حولها حصونا لحمايتها، كما تظهر بجانبها تجمعات سكنية أقرب ما تكون إلى قرى معدنية. كما استغل المغاربة أفرادا وعائلات مناجم صغيرة للفضة بشكل عرضي بجهات عديدية خاصة بسوس وتافيلالت والمغرب الشرقي.

عرف المغرب سك النقود الفضية منذ منتصف القرن 8م وأقدمها نقود ضربت بتودغة وزيز من طرف "الخوارج" ثم في نواحي فاس من طرف الأدارسة، كما ضربت بمراكز قرب جبل عوام الذي كون أكبر مصدر لفضة النقود الإدريسية. وضربت نقود كثيرة متباينة بتافيلالت باستغلال فضة مناجمها

الصغيرة. أما المرابطون والموحدون فقد سكوا نقودهم بعواصمهم وبالمدن المخزنية خاصة مراكش وتارودانت. واستمر سك النقود الفضية إلى بداية القرن العشرين. لكن تزايد استيراد الفضة على شكل نقود، وهي ظاهرة بدأ يعرفها المغرب منذ القرن 16 حيث كانت ترد من إسبانيا، أدى إلى تراجع تدريجي لإنتاج الفضة المغربية. وصارت الفضة الأجنبية تدخل في مضاربات نقدية، وأخذ استعمالها يتوسع إلى أن تحولت عملة المغرب الرئيسية إلى "الريال" وهي كلمة إسبانية تعني الملكي. لقد مكنت النقود الفضية من خلق سوق وطني للتبادل التجاري ودفع الرواتب وتجهيز الجيوش. وذاعت النقود الفضية في جميع الأوساط الغنية والفقيرة بالمدن والأرياف، وكانت أهم ما يبحث عنه السراق وقطاع الطرق بالإضافة إلى ما تيسر من القطع الذهبية النادرة، وهذا ما كان يدفع أربابها إلى إخفائها إلى حين الحاجة إليها في قدور تحت أرضية منازلهم أو بمقابر أو بجوار أضرحة الأولياء، وكثيرا ما يموتون دون إخبار ورثتهم بسرها فتبقى هناك لتتحول بعد مدة إلى كنوز يعثر عليها المحظوظون، وأدى انتشار هذه الظاهرة إلى بروز الفقهاء الباحثين عن الكنوز، ينتزعونها من "الجان" حسب ادعاءاتهم، وترتب عن ذلك شعوذة أدت إلى تخصص في اكتشاف الكنوز وانتشار قصص الاكتشاف، والغنى المفاجئ... أو انتقام الجان.

وينمو الاستغلالات المنجمية الحديثة في فترة الحماية أقبل المستثمرون على استغلال مناجم الفضة المختلطة بالرصاص غالبا عن طريق شركات خاصة أوربية صغيرة وأحيانا بمشاركة BRPM مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية، الذي تأسس سنة 1928 كممثل لمصالح الدولة. واستغلت مناجم عديدة لرصاص مختلط بالفضة بشرق المغرب والأطلس الكبير، وانكب المكتب على دراسة واستغلال مخلفات المناجم التاريخية بإيمتر، وبتقدم الدراسة الجيولوجية اكتشفت بجانب الأنفاق التاريخية مكامن غنية، استمر استغلالها إلى نهاية عقد السبعينات حيث كانت تنتج حوالي 20 طن في السنة. وبتطبيق الخوصصة والمغربة في بداية الثمانينات حصلت شركة مناجم تابعة لمجموعة "أونا" على ملكية 80٪ من منجم أيمتر وبيعت 20٪ من الأسهم الباقية بالبورصة. وأعادت هذه الشركة تجهيز المنجم ابتداء من 1980 فتوسع إنتاجه تدريجيا باستغلال ترسبات غنية على عمق يصل أحيانا إلى 200 م تحتوي على 800 . 1200 غرام من الفضة في الطن، فصار من أهم مناجم الفضة بإفريقيا مما جعل المغرب أول منتج لها بإفريقيا، إذ ينتج سنويا حوالي 300 طن من الفضة المعالجة النقية بنسبة 99,96٪ منها 240 طن من إيمتر والباقي من مصاهر مناجم الرصاص، خاصة معمل زليجة بواد ملوية، ويصدر معظم الإنتاج. وقد أنتج المغرب 277,88 طن سنة 1999 (مقابل 306,1 طن سنة 1998) أصدر منها 265,4 طن بقيمة 462 مليون درهم وبلغت المبيعات الداخلية 175 كلغم بقيمة 313 ألف درهم.

تبلغ كمية الإنتاج العالمي 130 ألف طن أي عشرة أضعاف إنتاج الذهب لكن الذهب أغلى منها بحوالي 40 مرة. ورغم تزايد الإقبال على الفضة فإن سعرها بقي منخفضا منذ عقود وذلك بسبب التوسع في إنتاجها واستغلال مناجم غنية لا تتجاوز تكلفة إنتاج الأوقية 1,5 دولار. كما أن قسما كبيرا من إنتاجها يأتي كناتج ثانوي لمعادن أخرى، بالإضافة إلى إعادة استغلال الحلي والأواني الفضية القديمة بصهرها وإعادة تصنيعها. ويتأرجح سعر الأوقية من الفضة بين 4 و8 دولار (وهي تقاس بأوقية Troy التي تساوي 31,1 غرام) بلغ سعرها في فبراير 1998 : 7,5 دولار للأوقية ثم انخفظ إلى 5 بعد بضعة أسابيع. ولتجنب المضاربات في سعرها صارت الشركات المشترية تتفق مع المنتجين على شراء كمية معينة سنويا بثمن ثابت قبل الإنتاج.

أ. هوزلي، *الموارد المعدنية والتنمية بالمغرب*، مطبوع كلية الآداب مراكش ؛ *وزارة الصناعة والتجارة والطاقة والمعادن، إدارة المناجم*، تقارير سنوية ونشرات صحفية ودراسات قطاعية حول المناجم والاقتصاد المعدني بالمغرب ؛ وزارة التوقعات الاقتصادية والتخطيط، *مديرية الإحصاء*، المغرب في أرقام 1999.

B. Rosenberger, Les anciennes exploitations minières et les anciens centres métallurgiques du Maroc, *R.G.M., N° 17 et 18*, Rabat, 1970.

أحمد هوزلي

الفضلي، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة أرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا : Fadal ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

فضول (عائلة -) كبيرة بمدينة البهاليل القريبة من صفرو، اشتهر أفراد منها بالعلم والتحصيل والوقار والسمعة الطيبة، سكن أجدادهم القدامى بمدشر بني ملالة القريب من قلعة ميمط، ثم استقروا ابتداء من القرن العاشر الهجري بالبهاليل الحالية، شأنهم في ذلك شأن باقي البهلوليين.

منهم الفقيه النحرير محمد بن إدريس بن لحسن فضول الكاتب والعدل المعروف، وقد ازداد بالبهاليل سنة 1913 وحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة وتتلمذ بمسقط رأسه على يد الفقيه الحاج بوعلي خلوق وكذا العباس الباشا، والفقيه المساوي أو العيساوي الذي لقنه النحو العربي كما أنه درس بالصخينات قرب زرهون قبل أن يتردد على جامعة القرويين فنهل من معينها في شتى علوم العصر سنة 1941 إلى 1953، عمل كاتبا للقائد بن قاسم بن إدريس وابنه من بعده أي محمد بن قاسم شقوندا. وابتداء من 1953 ولج خطة العدالة فبزغ نجمه بها وكان نموذجا لمحترفي هذه المهنة. وهذا ماجعله يرتبط ارتباطا وثيقا بالقاضي البلغمي، أب الأستاذ

عبد اللطيف الفيلالي. امتاز الفقيه محمد فضول بحسن سلوكه وبخطه العربي المغربي الأصيل الحسن، كما أنه خلف نسخة من للقرآن الكريم بخط يده. وفي سنة 1989 التحق بالرفيق الأعلى ودفن بمسقط رأسه البهاليل.

ومن عائلة فضول كذلك الفقيه أحمد فضول الذي يذكره كل أهالي البهاليل وصفرو لما أسداه من أعمال جليلة في التدريس، إذ تخرجت على يده نخبة كبيرة من الدارسين خصوصا بمسقط رأسه البهاليل التي ازداد بها سنة 1920. ودرس تعليمه الأولي بكتاتيبها قبل أن يلتحق بجامعة القرويين ليدرس بها لسنوات. فكد واجتهد في كل صنوف ومواد عصره لاسيما علم الفرائض الذي كاد يكون تخصصه الأول. ولا نعلم إن كان حصل أم لا على شهادة العالمية من جامع القرويين. وقد عاكسته الظروف ليلتحق بسلك التدريس والتعليم بمسقط رأسه ابتداء من تاريخ فاتح أكتوبر 1947، فكان نعم المدرس والمربي، كما أنه ظل طوال حياته مرجعا متضلعا في أمور الفقه والدين الإسلامي الحنيف، يفتي السكان في أمور دينهم كما أنه أم الصلاة بمسجد البهاليل لمدة طويلة، وكان القضاة يلجأون إليه في أمور المناسخة خصوصا وعلم الفرائض عموما. استمر في التدريس بكل من البهاليل وصفرو.

توفي سنة 1981 فدفن بمسقط رأسه.

الملف الإداري للمعني ؛ بحث شخصي.

الحسين البعاوي

الفضيلي، أسرة نسبهم شريف من أصرح الأنساب، وأصولهم عريقة متأصلة كما هو بين في مختلف المصادر وكما تؤكده العقود والرسوم المختلفة التي بحوزتهم هذا علاوة على الظهائر الملوكية المختلفة التي تجزم بثبوت النسب واشتهاره.

وأسرة الفضيلي من بين الشرفاء المدغريين أشهر من نار على علم، وليسوا من الفضيليين الذين هم فرقة من الأشراف العلويين السجلماسيين وإنما شهروا بالفضيليين لأن جدة والدة الشيخ إدريس بن أحمد العلوي الفضيلي شريفة فضيلية ولأن والده كانت سكناه بدار أصهار والده الفضيليين بعقبة ابن صوال من حي راس الجنان. ويدل على ذلك كما قال ابن الحاج محمد بن الفاطمي، أن مولاي عبد الله الفضيلي كان يوقع على جميع ما يتطلب التوقيع هكذا : عبد الله بن إدريس العلوي، أمنه الله.

وقد تألق من أسرة الفضيلي في فاس ثلة من العلماء الذين تميزوا بسعة العلم والإتقان والمشاركة في أنواع المعارف والفنون، وكثر فيهم طلبة العلم وحملة الكتاب، ودارهم دار علم ودراية وصلاح وولاية، لم يزل يعرف في أحوالهم، وفي أبنائهم ورجالهم.

ابن الحاج محمد بن الفاطمي، *إسعاف الإخوان الراقين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين*، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1992، ص. 391.

الفضيلي، إدريس بن **أحمد** بن أبي زكري العلوي السجلماسي الفاسي، ولد حوالي عام 1260 / 1844 بفاس، انتقل إليها والده من مدغرة بعد أن أقام مدة في مكناس. وبمسقط رأسه فاس تلقى أكثر علمه على شيوخ أجلاء لهم القدم الراسخ في المنقول والمعقول. أخذ في زمن الصبا على الفقيه محمد بن عمر الريفي ثم الشريف عبد القادر بن علي الصقلي الحسيني، ثم على الشريف المجذوب السالك أحمد بن محمد المشاشتي أخذ قدرا من القراءات، وكان يتردد على الفقيه المجود محمد التازي المدعو أبا حنيفة للتجويد، وقرأ ألفية ابن مالك على الفقيه المحقق أبو النصر بن إدريس البدراوي الورديغي، وأخذ عن الفقيه المشارك المؤرخ أحمد بن محمد بن الحاج السلمي، وأخذ عن الفقيه اللغوي النحوي محمد بن محمد التلمساني، وعن الفقيه شيخ الجماعة محمد بن عبد الرحمان السجلماسي الحجرتي. وقرأ المختصر من صدر العبادة إلى النكاح على الفقيه المشارك قاضي الحضرة السلطانية المكناسية أحمد بن الطالب بن سودة وكذا ألفية ابن مالك من البدء إلى التمام، وعن الشريف أبي محمد عبد الملك بن محمد الضريرالعلوي الحسني في عدة فنون فقها ونحوا وطرفا وافرا من المعقول، وحضر مجالس الفقيه أبي عيسى المهدي بن الطالب بن سودة المختصر والتفسير، وكذا مجالس الحديث للعلامة محمد گنون الفاسي، وقرأ منظومة الأخضري في المنطق من البدء إلى التمام على الفقيه القاضي حميد بن محمد بناني، وعن الشريف جعفر بن إدريس الكتاني الحسيني جملة وافرة في النحو وموطأ الإمام مالك.

من مؤلفاته *الدرر البهية والجواهر النبوية في الفروع الحسنية والحسينية*، تكلم فيه على الأنساب بفاس، *وإزالة اللبس عن حقيقة النفس*، فرغ منه أوائل رمضان 1310، وله غير ذلك.

توفي المترجم عام 1316 / 1898 ، ودفن بروضتهم في القباب.

تاريخ الشعر والشعراء بفاس، 93 ؛ *إتحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب*، 8 : 2814 ؛ *معجم المؤلفين*، 2 : 216 ؛ *معجم المطبوعات*، 767 ؛ *معجم المطبوعات المغربية*، 279 ؛ *مؤرخو الشرفا*، 267.

الفضيلي، عبد الله بن **إدريس** بن أحمد العلوي الحسني الشهير بالفضيلي، أصله من العلويين المدغريين. ولد بفاس سنة 1291. وبعد وصوله إلى سن الإدراك التحق بالكتاب لتعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن كما هو متداول في ثقافتنا. وقد زاول ذلك على يد الفقيه أحمد البرنوسي المدعو بولحية بالمسيد المزوق المقابل لعقبة ابن صوال ومسجد ابن البياض برحبة الزبيب قرب درب ابن شلوش من حومة راس الجنان. بعد ذلك التفت إلى تعميق معارفه فالتحق بالقرويين عام 1304 ، وأخذ عن فحول العلماء بفاس منهم والده الشيخ إدريس بن أحمد (1316)، وعن الشيخ أحمد بن الخياط، وهو عمدته، وعن الشيخ أحمد بن الجبلالي

الأمغاري، وعن الشيخ محمد ـ فتحا ـ كنون، وعن الشيخ محمد ـ فتحا ـ القادري، وعن الشيخ عبد المالك الضرير، وعن عبد الله بن إدريس البدراوي، وغيرهم من الأشياخ. وبقي عاكفا على تلقي العلوم والمعارف إلى أن ظفر بالطلب وظهرت نجابته، وتخرج من أبهاء المعهد العلمي وانتظم في صف المرتبة الثالثة من مراتب العلماء وفقا للنظام المعمول به وذلك عام 1320 ، وصار يقوم بمهنة التدريس بالقرويين ثم ارتقى إلى سلم المرتبة الأولى عام 1326 ، وبقي يلقي دروسه إلى عام 1330.

تقلب في عدة مناصب في القضاء والتدريس، حيث تولى القضاء بمدينة الجديدة عام 1330 وأقام على ذلك مدة قصيرة ثم استعفي منه فأعفي عام 1332 ، وفي القرويين تصدر للتدريس في القسم النهائي منذ بداية النظام، متفانيا في خدمة العلم وأهله، قائما بشروطه، خاصة في ذلك الوقت الذي تعسرت فيه أمور التعليم التقليدي وتعالت الأصوات لضرورة إصلاحه، ونشله من وهدة الجمود والتحجر وإصلاح هياكله، وكل إليه دراسة علم الأصول وذلك بجمع الجوامع بشرح المحلي بالقسم العالي النهائي الشرعي. أسندت للفضيلي رئاسة المجلس العلمي لكلية القرويين حوالي 1353 مدة ثم أعفي منه وبقي يدرس متطوعا إلى أن صدر الأمر ثانيا برجوعه إلى منصب الرئاسة ليستقر فيه إلى آخر أيامه "حتى يتمتع الفكر العام بالاستمداد من مدده" على ما عهد فيه من استقامة.

وممن أخذ عنه المؤرخ عبد السلام بن سودة، قرأ عليه المختصر وجمع الجوامع بشرح الإمام المحلي، وقرأ عليه محمد الطاهري المختصر بالزرقاني والألفية بالأزهري التصريح ورسالة الوضع وجمع الجوامع بالمحلي، وأخذ عنه عبد المالك بن أحمد بن المامون البلغيثي (من شعراء المغرب، 113) وأحمد بن عبد الرحمان بن شقرون، (من شعراء المغرب، 40)، ومحمد بن علي الوكيلي، (من شعراء المغرب، 191)، وممن أخذ عنه محمد الجواد الصقلي درس عليه المختصر الخليلي بالزرقاني وبناني وبالخرشي كذلك وجمع الجوامع بالمحلي وتلخيص المفتاح بالمطول والسلم ببناني ورسالة الوضع بشرح العضد وطرفا من شمائل الترمذي بجسوس، وغيرهم ممن لهم مشاركة في الحياة الفكرية بالمغرب وأبدوا نبوغا في شتى الفنون.

توفي عبد الله الفضيلي في ثالث عشر شوال عام 1363، ودفن بروضتهم الكائنة بالقباب قرب ضريح سيدي الغياثي.

ع. الجراري، *شعراء المغرب الأقصى وأدبائه*، تح. سعيد الفاضلي، مرقونة، ص. 24 ؛ ابن سودة، *سل النصال للنضال بالأشياخ وأهل الكمال* ؛ *موسوعة أعلام المغرب*، 9 : 3180 ؛ ابن الحاج، *إتحاف ذوي العلم والرسوخ*، الدار البيضاء، 1978، ص. 199 ؛ ابن زيدان، *الدرر الفاخرة*، ص. 165 ؛ ع. التازي، *جامع القرويين*، 3 :821 ؛ *إسعاف الإخوان الراغبين*، الدار البيضاء، 1992، ص. 390 ـ 393.

عبد المجيد بوكاري

فطاسين بن يگلدان، أول من عرف في سوس من أجداد الگرسيفيين خلال القرن السادس الهجري، صالح يقصد بالزيارة باگني إيحراش بمنطقة توغزيفت قبيلة إيداوسملال. ويبدو من خلال آثار محراب قديم حول مشهده، أن ذلك المقام يقصد بالزيارة، لما كان يتمتع به من هالة. لهذا عرف بـ "أكال العفو" أي تراب العفو.

محمد المختار السوسي، *المعسول*، ج 17 : 45 ـ 54 ؛ *رجالات العلم*، 11.

L. Justinard, Notes sur l'histoire du Sous au XVI siècle, A.M., 1933, p. 209.

أحمد بومزگو

فطاط، أحمد بن عبد السلام، ولد سنة 1938 باكنول، إقليم تازة. انضم إلى صفوف جيش التحرير، وعمل تحت مسؤولية السرجان عبد السلام، وكان يزود جيش التحرير بشمال المغرب بالذخيرة، ويقوم بتهريب الجنود المغاربة من صفوف اللفيف الأجنبي، إلى أن ألقي عليه القبض من طرف السلطات الاستعمارية، فصدر في حقه حكم الإعدام، ونفذ سنة 1956، وبالضبط بتاريخ 29 شعبان 1376 إلى جانب ثلاثة من أصدقائه رحمهم الله جميعا.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 524163.

فطناسة، فخذة سرغينية شرق واد تساوت على الطريق بين مراكش ودمنات، تحتل منطقة سهلية خصبة عبارة عن مخروط انصباب لأودية تساوت وارگي وإيسيل، وتتكون من أربعة عشر دوارا منها أولاد مبارك وأولاد عيسى. استقرارهم قديم، ولهم إخوة بنفس الاسم في دكالة وحتى في تونس، يرجع هؤلاء نسبهم إلى الشرف النبوي حيث إخوتهم من بني مَحمد يوجدون في درعة وتافيلالت أيضا. كان عدد سكان فطناسة في إحصاء 1936 يصل إلى 2.046 نسمة، وهم حاليا حوالي 10.000 نسمة.

ولمجاريها المائية المشتقة من نهر تساوت فالبلدة وافرة الغلال والثمار خاصة الحبوب وأشجار الزيتون والخضروات،

وقريبا منها هناك عين غبري الغزيرة ومجرى الساقية اليعقوبية الموحدية، ومن الأسواق التي يرتادها الناس هناك خميس سيدي أحمد بالعطاوية وأربعاء الحمادشة وسوق الأحد بدمنات، كما تاجروا مع الشاوية وتبادلة...

كان من حكام فطناسة في القرن التاسع عشر القائد علال الشرقاوي (1860 - 1867)، وبعده القائد أحمد بن المؤذن (1867 - 1885) ثم ابنه محمد العربي (1885 - 1891)، وبقيت فطناسة هاته تحت نظر ابنه الجيلاني إلى مطلع العهد الحفيظي، وكان من شيوخه عليها محمد بن الحاج من أولاد مبارك : بعد ذلك آلت إلى القائد محمد اليعقوبي (توفي سنة 1911)، ثم أخيه الفاطمي المتوفى عام 1954، وأخيرا القائد أحمد اليعقوبي حتى 1956.

اشتهرت فطناسة عبر تاريخها بكثرة عنايتها بالعلم والعلماء ووفرتهم بها، ومن الأسر المعروفة بذلك آيت سيدي بومهدي الذي أصبح مدرسا بمدرسة المعطي بن الشيخ هناك، فلما توفي عام 1853 بنى الناس عليه مزارة مشهورة، وقد أحيا العلم بتساوت، وقد توفر أبناؤه على ظهير بالتوقير والاحترام من العهد الإسماعيلي مؤرخ في 15 قعدة عام 1102 / 1690 ، أما أسرة المعطي بن الشيخ الفطناسية فمن آيت باعمران بالصحراء شرفاء أدارسة يذكرون أن لهم ظهائر سعدية، استقروا شرق تساوت وبمراكش فأنجبوا العلماء الفطاحل الذين تغنوا بجمال المنطقة حيث محمد بن المعطي ذكرها في كتابه حديقة الأزهار في ذكر معتمدي من الأخيار كما يلي :

أيا قاصدا دمنات عرج نحو بلدة ... وسلم وبصحبتك حتى سلامها
تساوت بها استواء قلبي وراحتي ... وأول أرض مس جلدي رغامها

وكان من علماء فطناسة في القرن التاسع عشر الفقيه محمد بن الطالب اشتغل بالتدريس بزمران والفقيه محمد بن عبد الكريم دفين الصهريج سنة 1865 ثم فقهاء كثيرون عجت بهم المنطقة وغذوا كبريات المدن المغربية بالمدرسين والوعاظ ؛ من أمثال الفقيه أحمد بن المكي صاحب المدرسة الشهيرة والمتوفى عام 1976 وغيره.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، تح. د. حجي ود. الأخضر، ج. 2، الرباط، 1980 ؛ الدمناتي، *القول الجامع في تاريخ دمنات وما وقع فيها من الوقائع*، مخطوط ؛ ح. شوقي، *قبيلة السراغنة خلال القرن 19*، الرباط، 1990.

G. Spillmann, *Les Aït Atta du Sahara et la pacification du Haut Draâ*, Rabat, 1936, p. 25.

الحسن شوقي

فطواكة، قبيلة بربرية مصمودية، تنتمي إلى اتحادية هسكورة الظل المندثرة. أصلها إتفضواك، لكنها عربت إلى الصيغة الحالية (فطواكة). تمتد مواطن قبيلة فطواكة على خيز من السفح الشمالي لغربي الأطلس الكبير الأوسط، غير بعيد عن منطقة الاتصال بين هذا الجزء وبين جبال الأطلس المتوسط ؛ قريبا من الطريق الشهيرة العابرة لممر تلوات. يحدها من الغرب قبيلة غجدامة، ومن الشرق قبيلة إينولتان، ومن الشمال زمران والسراغنة، ومن الجنوب إمغران ومگونة. ومن ثم ففطواكة، شأنها شأن إينولتان، تقع في منطقة انتقالية جغرافيا وتاريخيا. وأهم ما يجلي هذا المجال الانتقالي هو لغة أهلها التي هي مزيج بين تشلحيت وتمزيغت.

والراجح أن هاته القبيلة، كسائر قبائل السفح الشمالي للأطلس الكبير الغربي، كانت تعيش على التجعة بين السهل والجبل حتى زمن بدء الدعوة الموحدية ؛ قبل أن تصل إلى غايتها لتستقر في المواطن التي تحتلها اليوم.

تنقسم قبيلة فطواكة إلى ثلاثة عشر عظما هي : الدراع، وأهل تاسوت، وأهل تيديلي، وآيت عتيق، وآيت عيسى، وآيت بوولي، وآيت فلالاد، وآيت معلا، وآيت مَحمد، وآيت مديوال، وآيت أومديس، وآيت الربع، وآيت سورن. ويكاد الاختلاف بين مداخل مكوناتها (أهل، آيت) يحيلنا إلى القول بوجود عناصر بشرية مختلفة.

ويغلب الطابع البدوي على القبيلة، حيث يتجمع كل سكانها في مداشر وقرى. وفي المجال الاقتصادي يعيش أولئك السكان على الزراعة والرعي واستغلال الغابة، إذ تغطي ترابها غابات ممتدة، تتكون من العرعر الأحمر والبلوط والصنوبر.

وقد أنجبت فطواكة رجالا خلدوا بصماتهم على صفحات التاريخ المغربي ؛ نذكر منهم الشهيد حمان الفطواكي. وتتبع فطواكة اليوم لبلدية دمنات التابعة بدورها إلى إقليم أزيلال.

البيذق، *أخبار المهدي* ؛ الفليتي، *الدرة الجليلة* ؛ أ. التوقيق، *إينولتان، التحري الميداني*.

Répertoire alphabétique des agglomérations de la zone française...

أحمد عمالك

الفطواكي، حمّان بن بريك. مقاوم ذاع صيته، ولد بتيديلي بفطواكة، دوار تسوقت. ولا يعرف بالضبط تاريخ ولادته، لكن من المرجح أن يكون ذلك في بداية القرن العشرين، لأنه عندما شارك في المعارك التي كانت تدور بين قوات التهامي الأگلاوي من جهة، وقوات قبائل آيت عطا وآيت حديدو من جهة ثانية كان يبلغ من العمر السادسة

● محمد بن بريك (حمان الفطواكي)

عشرة، ومن بين المواجهات التي شارك فيها معركة بولخماس التي انهزمت فيها قوات الأگلاوي.

هاجر المغرب إلى إسبانيا وانخرط في الجيش الإسباني، ورقي إلى رتبة ملازم، وقد كشفت المخابرات الإسبانية تعاطفه الكبير مع حركة محمد بن عبد الكريم الخطابي، فاضطر للعودة إلى المغرب.

التحق حمان الفطواكي بمراكش، بعد سنة قضاها ببلدة تيديلي، باحثا عن عمل لاسيما وأن أسرته كانت متواضعة جدا. وقد تمكن من إيجاد عمل في شركة "موبيل" للغاز، ثم بشركة للنقل الحضري ليتفرغ أخيرا لتجارة المواد الغذائية والخشب والحبوب.

خلال إحدى زياراته للدار البيضاء وبالضبط للمدينة القديمة تعرف في أحد البيوت بدرب التازي على مجموعة من رجال المقاومة المنتمين للمنظمة السرية، وقد أثمرت اتصالاته بهم تأسيس فرع للمنظمة بمراكش التي التحق بها عمر الساحلي لنفس الغرض.

وكان من أبرز رجال تنظيم حمان الفطواكي المسلح بمراكش الحسين البزيوي وبوجمعة المزملي ومحمد السوسي وعمر بن لحسن وعلال بن أحمد الرحماني وامبارك بن بوبكر الدكالي. وقد أنجز هذا التنظيم عمليات مسلحة ضد رموز الوجود الفرنسي من مفتشي شرطة وأعوانهم، وأعوان السلطة خاصة المقدمين، بل أقدم أفراد من التنظيم على مهاجمة محمد بن عرفة الذي جرى تنصيبه يوم 16 غشت 1953 سلطانا بديلا لسيدي محمد بن يوسف، وقد جرت المحاولة يوم 5 مارس 1954 بمسجد برجة، وانتهت بالفشل ليقوم التهامي الأگلاوي بإفراغ ذخيرة سلاحه الناري في المقاوم احماد أقلا، بينما نجحت عملية تصفية المندوب "موني" يوم 14 ماي 1954 ، كما تم تفجير قنبلة أثناء مرور موكب المقيم العام الجنيرال "أوغستان گيوم" يوم 15 ماي 1954 ، وتصفية المتعاون محمد بن الجيلالي يوم 7 يوليوز 1954 ، وكان القتيل قيد حياته قد حاول إلقاء القبض على المقاوم علال الرحماني الذي نفذ مع آخرين عملية تصفية الجنيرال "دي هو طفيل" الحاكم العسكري لناحية مراكش صباح يوم الأحد 20 يونيو 1954 عندما كان يقوم بجولة عبر أحياء مراكش كعادته في نهاية كل أسبوع.

اعتقل حمان الفطواكي يوم 9 غشت 1954 بعد أن أشيع أن والدته على سرير الموت، ولما حاول زيارتها تمكنت مصالح شعبة مكافحة "الإرهاب" من اعتقاله، واتضح لاحقا أن الخبر كان كاذبا، كما اعتقل مقاومون آخرون منهم امبارك ابن بوبكر بن حمادي ومحمد بن العربي بن حميد، ومولاي امبارك بن مولاي الناجي وحسن مولاي أحمد، وقد أصدرت الهيئة العسكرية الملتئمة بمراكش يوم 6 نونبر 1954 حكمين بالإعدام، الأول في حق حمان الفطواكي والثاني في حق امبارك بن بوبكر، وجرى تنفيذ الحكم في حق الفطواكي يوم 9 أبريل 1955 بسجن العاذر، والملاحظ مرور خمسة أشهر بين تاريخ صدور الحكم وتاريخ تنفيذه لاعتقاد السلطات في تورط حمان الفطواكي في عمليات أخرى للمقاومة.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، الجزء 1.

محمد وحيد

الفطواكي، مبارك ابن بوبكر الدكالي، ولد بدكالة سنة 1342 / 1923 ، ونشأ بمراكش. وتحمل أسرته اليوم اسم بنطريق، قضى الشهيد فترة من شبابه في الجيش الفرنسي في فيتنام، اشتغل عاملا في القاعدة الجوية الأمريكية بابن جرير آنذاك، ولما تآمر الاستعمار الفرنسي مع أذنابه على المغرب وعرشه في 20 غشت 1953 فإن الفقيد انخرط في صفوف المقاومة ضمن فرقة الشهيد حمان الفطواكي وقام بعدة عمليات جريئة إلى أن تم اعتقاله في غشت 1954 وقدم إلى المحاكمة في 27 / 01 / 1955 وأصدرت في حقه الإعدام الذي نفذ فيه بتاريخ 09 / 04 / 1955 بسجن العاذر بالجديدة.

محمد الحبيب الفرقاني، *صفحات من تاريخ المقاومة وجيش التحرير*، ج.1 ؛ المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *ملخصات عن حياة وكفاح شهداء الاستقلال*.

محمد ماگامان

الفقاي، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Alfucay ؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Alfocai وAlfocay.

الفقاي، عبد العزيز من أعيان تطوان، كان يزاول خطة الحسبة إلى أن عزله الباشا الحداد يوم 28 شعبان 1267/ 28 يونيو 1851 ؛ وعلى إثر استرجاع تطوان من يد الاسبان عينه الباشا عبد القادر أشعاش في نفس المنصب وأخبر السلطان بذلك فأجابه بالموافقة يوم 19 ذي القعدة 1278 / 18 ماي 1862.

محمد ابن عزوز حكيم

الفقه والفقهاء، الفقه في الأصل هو الفهم والعلم ويعني من حيث دلالته في حقل المعرفة الشرعية" معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحذر والندب والكراهة والإباحة وهي متلقاة من الكتاب والسنة ومانصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة". وتنقسم مباحث الفقه عموما حسبما أجمع على ذلك أغلب فقهاء التشريع الإسلامي إلى قسمين كبيرين : قسم العبادات وتندرج فيه تمثيلا لا حصرا موضوعات الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج والعمرة والمساجد وفضلها وأحكامها والنذور والجهاد.. الخ. ثم قسم المعاملات ويشتمل من بين ما يشتمل على موضوعات الزواج

والطلاق والعقوبات والبيوع والقرض والرهن والمساقاة والمزارعة والجعالة والشركات والأوقاف والفرائض.. الخ. ولما كان الفقه شديد الصلة بحياة الناس اليومية وأقضيتهم الطارئة ومشكلاتهم المتجددة، فقد تداوله المغاربة، درسا وإنتاجا وتشريعا وتطبيقا، منذ فترة مبكرة من تاريخهم الاجتماعي والديني والثقافي. فقبل أن تستقر ركائز المذهب المالكي في منطقة الغرب الإسلامي قبل القرن الثالث الهجري / 9 م. و ... يصبح لفقهائه نفوذا متميزا في الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية كان المغاربة موزعين بين مذاهب ونحل شتى خارجية وإسماعيلية وأوزاعية ومعتزلية وبرغواطية وذلك بسبب الصراعات الأموية الفاطمية من جهة، واقتسام مجموعة من الدويلات الخارجية والإمارات المستقلة مجال السلطة السياسية والمذهبية للمنطقة لمدة ليست بالبسيرة من جهة ثانية. ولاشك أن انتشار المذهب المالكي بالمغرب على عهد الدولة المرابطية وإقراره من طرف أمرائها كمذهب رسمي لها، إنما يعود الفضل فيه إلى حركة التأثير الواسعة التي مارسها فقهاء المالكية بالأندلس على المغاربة عن طريق تلامذتهم وطلاب العلم الذين كانوا يشدون الرحلة من المغرب إلى الأندلس للتعلم وأخذ قواعد الفقه المالكي، ونذكر من بين هؤلاء الفقهاء يحيى بن يحيى الليثي وعبد الملك بن حبيب وعيسى بن دينار وزياد بن عبد الرحمن الذين تلقوا دروس الفقه عن مالك بالمدينة بمناسبة ترددهم عليها قصد الحج، كما يعود الفضل في وصول هذا المذهب وذيوعه في المغرب كذلك إلى الدور الذي نهضت به بعض الشخصيات منذ أوائل القرن الثالث / 9 في نقل مذهب مالك من علماء مشهورين في المشرق ونخص من بينهم بالذكر هنا الأصيلي ودراس بن إسماعيل، يضاف إلى هذا وذاك، طبعا، المساهمة الواسعة والنوعية التي قامت بها رموز فقهية وازنة عاصرت المرابطين في تجذير وإرساء مبادئ المذهب المالكي بالمغرب ونذكر من بينها على وجه الخصوص وجاج بن زلو وأبي عمران الفاسي وعبد الله بن ياسين والقاضي عياض.

وإذا كان الدارسون والباحثون قد اختلفوا في تحديد أسباب ودواعي انتشار المذهب المالكي في الآفاق شرقا وغربا، فإن أغلبهم قد أجمع على أن انتشاره ببلاد المغرب، إنما يعود إلى تناسبه مع طبيعة فطرة المغاربة وبساطة بيئتهم ووضوح رؤيتهم دون تكلف أو تعقيد، فضلا عن كونه مذهباً فقهياً عملياً يأخذ في الاعتبار عادات الناس وأعرافهم ويبتعد عن التأويلات المعقدة والآراء النظرية المتطرفة. وهكذا ونتيجة لإقبال أبناء الغرب الإسلامي على المذهب المالكي منذ فترة مبكرة، تعلما ومدارسة وتشريعا وعملا، تكونت لديهم مع توالي الأحقاب حصيلة فقهية عتيدة أكمل فيها اللاحق عمل واجتهاد السابق. ففي الوقت الذي كان فيه تلاميذ مالك يتداولون كتاب "*الأسدية*" لأسد بن الفرات بالقيروان جاء أبو سعيد عبد السلام سحنون التنوخي فدون انطلاقا من "*الأسدية*" كتاب "*المدونة*" فصارت يومها المرجع الفقهي الأساس للمالكية في التأليف والتدريس والفتوى والنوازل. ثم بعد ذلك ظهرت تآليف أخرى كتبت على شاكلة "*المدونة*". ففي الأندلس كتب أبو مروان عبد الملك بن حبيب كتاب "*الواضحة*" ثم من بعده كتب وبشكل أكثر توسعا وشمولا تلميذه أبو عبد الله العتبي كتاب "*العتبية*". وبعد هاذين المؤلفين ظهر إبان القرن الرابع كتاب "*النوادر*" لأبي عبد الله بن أبي زيد القيرواني جمع فيه كلا من "*المدونة*" و"*الواضحة*" و"*المستخرجة*"، وتلاه في أوائل القرن السادس كتاب "*البيان والتحصيل*" لأبي الوليد ابن رشد شرح فيه كلا من "*المستخرجة*" و"*العتبية*". وقد اختصر ابن الحاجب في "مختصره" كل هذه المجاميع والمتون الفقهية وجاء من بعده خلال القرن الثامن الإمام أبو الضياء خليل بن إسحاق فشرح "مختصر" ابن الحاجب فكان أفيد الشروح وأشملها فروعا وأوسعها فائدة.

وإذا كان المذهب المالكي قد عرف خلال العصر المرابطي درجة عالية من التمكن والنفوذ بفعل علاقة التحالف الوثيق التي جمعت أمراء الدولة المرابطية منذ نشأتها مع فقهاء المالكية وما استتبع ذلك من تعاظم أوسع لسلطة الفقهاء تجاوز نطاق حدودها ممارسة أنشطة التدريس والتأليف والفتوى إلى التدخل في شؤون الحكم وتوجيه ماجرياته، فإن هذا الوضع سيتغير إلى حين مع الدولة الموحدية التي شن منظر عقيدتها المذهبية ومؤسس حركتها السياسية محمد المهدي ابن تومرت حربا شعواء ضد فقهاء المرابطين المالكية بسبب إسرافهم المفرط في الاهتمام بفقه الفروع وإهمالهم للأصول الحديثية للمذهب المالكي وإغراقهم في الاعتماد على أقوال الفقهاء المستندة في جملتها على مجرد الرأي. فكان من نتيجة هذا التوجه الجديد أن تمت مصادرة كتب الفروع وإحراقها بهدف منع تداولها وتشجيع العودة إلى فقه الأصول القائم على الكتاب والسنة والقضاء على فقه الرأي والمسائل المتسم بتشعب الأحكام واختلاف الأقوال. ومن بين كتب المذهب التي تم إحراقها تكريسا لهذا التوجه نذكر على سبيل المثال : "*الواضحة*" لابي حبيب و"*المدونة*" لسحنون و"*التهذيب*" للبراذعي و"*النوادر والزيادات*" و "*المختصر*"لأبي زيد القيرواني .. الخ. وهي حادثة فسرت من قبل أغلب المؤرخين على أنها انتصار للمذهب الظاهري الذي شهد مع الموحدين صحوة غير مسبوقة بما صار لفقهائه من شغوف وحظوة على أكثر من صعيد. وعلى خلاف هذا الواقع سجلت المالكية عودة قوية مع العصر المريني حيث أصبح الفقه المالكي يتبوأ مركز الصدارة سواء في مجال التشريع أو المعاملات وصار لفقهاء المذهب، بموازاة ذلك، السيادة الكاملة في توجيه الحياة الدينية والاجتماعية والذهنية دون أي منافس من مذهب أو نحلة مخالفة، وإن كان ميدان التعليم والتأليف قد عرف بوجه عام ميلا شديدا نحو ثقافة الفروع والتبسيط وشرح المختصرات تأليفا وتدريسا.

ولم يحد العصر الوطاسي الذي اتسم فقهاؤه بالجمع بين علوم متعددة عن نفس المنحى في دراسة الفقه وتداوله فكرا وممارسة. كما لم يشذ العصر السعدي عن نفس المسار في التعاطي مع الفقه وامتداداته في مختلف مناحي الحياة، حيث استمر الفقه المالكي يمثل المرجع الأساس سواء في الأحكام الشرعية أو في الدراسات الفقهية أو في الكتب المصنفة ضمن المقررات التعليمية، لدرجة أن فقهاء الحنفية والشافعية الذين وفدوا من المشرق إلى المغرب في هذه الفترة لم يجدوا من يقبل على فقههم "فكفوا عن تدريسه وانصرفوا إلى التفسير والحديث". ومن أبرز المؤلفات الفقهية التي أجاد مؤلفوها في صياغتها على أسس مذهب مالك نذكر : كتاب "*الكليات*" للإمام ابن غازي و"*سنا المقتبس لفهم قواعد الإمام مالك بن أنس*" لعبد الواحد الونشريسي الذي نظم فيها كتاب والده "*إيضاح المسالك إلى قواعد مذهب مالك*" ثم أرجوزة "*المرشد المعين على الضروري من علوم الدين*" لعبد الواحد ابن عاشر .. الخ. أما في العصر العلوي، فعلى الرغم من ظهور الحاجة الماسة إلى تجاوز التقليد والاكتفاء بترديد آراء وأقوال المتقدمين من علماء المذهب وشرحها واختصارها والتعليق عليها، وعلى الرغم كذلك، من ظهور أسماء فقهية وعالمة عديدة ومتميزة تألق نجمها في هذا العهد في ميادين العلوم الشرعية والعقلية على السواء أمثال : محمد بن أبي بكر الدلائي وعبد القادر الفاسي والحسن اليوسي وابن رحال المعدني وأبي سالم العياشي وإدريس العراقي ومحمد الرهوني وحمدون ابن الحاج ومحمد الطيب ابن كيران وعبد الرحمن المنجرة الصغير ومحمد بن إدريس العمراوي ومحمد الطاهر الفاسي ومحمد گنون وعبد السلام العلمي.. الخ، فإن الاشتغال بالفقه ومباحثه ظل، أسوة بباقي العلوم الدينية الأخرى، يراوح مكانه سواء من حيث الاستمرار في تكرار ما قاله الأول وكتبوه في شروح حواش وذيول أو من حيث تجميع المسائل الفقهية ونظمها في أراجيز ومنظومات أو من حيث اختصار الأصول والكتب المطولة وصياغتها في مختصرات يصعب إدراكها وفهم ألغازها. ولعل هذا الواقع هو ما عكس حالة الانغلاق والجمود وانسداد آفاق الاجتهاد والتجديد التي ظلت تجثم على صدر الثقافة والفكر المغربيين منذ زمن بعيد. وهي حالة وإن وجدت من الأصوات الرسمية (كما هو الحال مع سيدي محمد بن عبد الله ومولاي عبد الرحمن بن هشام وسيدي محمد عبد الرحمن ومولاي الحسن) وغير الرسمية (كما هو الشأن مع الحسن اليوسي ومحمد بن الحسن الحجوي الثعالبي ..الخ) من يدعو إلى إصلاحها وضرورة مجاوزتها من خلال تجديد مناهج التعليم وفتح أبواب الاجتهاد دونما اتباع أو تقليد أو اكتفاء بالفروع وإهمال تام للأصول، فإن هذه الحالة ظلت مع ذلك، تنيخ بكلكلها على الحياة الفكرية والتعليمية بالمغرب إلى عهد قريب.

ومما ينبغي الإشارة إليه في محصلة هذا المسار التاريخي، أن جمهور الفقهاء المغاربة على اختلاف طبقاتهم ونحلهم وتفاوت مراتبهم وحظوتهم، قد اضطلعوا بأدوار طلائعية غاية في الأهمية والحيوية عبر سيرورة تاريخ المغرب. ويمكن إجمال هذه الأدوار عموما في المستويات التالية :

التربية والتعليم سواء داخل المؤسسات التعليمية الرسمية التي كانت توجد تحت إشراف الدولة ومراقبتها أو داخل المراكز البدوية النائية أو داخل الزوايا والرباطات الصوفية أو داخل المساجد والجوامع العامرة التي كانت تنتشر في مجموع التراب المغربي.

- تولي مناصب الفتيا والقضاء والإمامة والعدالة والحسبة وغيرها من الخطط الدينية الأخرى، فضلا عن مناصب أخرى في سلك مؤسسات الدولة وأجهزتها الإدارية كالكتابة والأمانة.. الخ. وهي مناصب تورد بشأنها كتب الأخبار والتراجم والمناقب معلومات على قدر كبير من الأهمية إفادة وتفصيلا.

- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقد مورس هذا المبدأ الشرعي من قبل جمهور الفقهاء بأشكال وتعبيرات مختلفة. فتارة عن طريق الكتابة والتأليف في مواضيع البدع والمحرمات والعوائد والسلوكات المنحرفة عن جادة الشرع ومهباته، وهي ظاهرة طالما تكررت أصداؤها في فترات تاريخية مختلفة. وتارة أخرى عن طريق التواصل المباشر مع المجتمع من خلال حلقات التوجيه والوعظ التي كانت تعقد في المساجد والجوامع أو من خلال الاتصال الميداني بهم في أماكن وجودهم.

- الدعوة إلى الجهاد. وهو أمر ساهم فيه الفقهاء مساهمة فعالة ونشطة عبر تاريخ المغرب، وذلك كلما داهم البلاد عدوان خارجي أو بادرت الدولة إلى القيام بعمل عسكري ما لتحرير جيب من جيوب الاحتلال أو غزو أرض من أراضي دار الكفر. ولم يقتصر دور الفقهاء في التحريض على الجهاد وبيان فضائله ومشروعياته وتجييش الناس وتحميسهم للانخراط فيه فرادى وجماعات، وإنما شاركوا هم أيضا بمالهم وأنفسهم في ساحات القتال ولقي فيها كثير منهم الشهادة.

- حفظ وحدة المذهب المالكي ورعاية تراثه الفقهي. وذلك من خلال الاهتمام بكتب علمائه وشرح مروياتهم ومحفوظاتهم نظما ونثرا، وأيضا من خلال الترجمة لأعلام المذهب وشيوخه كما فعل القاضي عياض أول الأمر في موسوعته التراجمية "*ترتيب المدارك*" وتبعه ابن فرحون في كتابه "*الديباج المذهب*" وأعقبه بدر الدين القرافي فذيل عليه في كتابه "*توشيح الديباج*" ثم تلاه أحمد بابا التنبكتي فذيل على "*توشيحه*" بكتابي "*نيل الابتهاج*" و "*كفاية المحتاج*".

- التصدي للفتوى. وهي عملية لم تكن متاحة لعموم الفقهاء، وإنما مارستها نخبة مخصوصة من كبار العلماء المشهود لهم بالأهلية والدراية بأحكام الشرع وضوابطه ومقرراته. وقد تراكم نتيجة لممارسة خطة الإفتاء عبر تاريخ الفقه بالمغرب رصيد هام ومتنوع من المجاميع والكتب

النوازلية نذكرمن بينها : "*مذاهب الحكام في نوازل الأحكام*" للقاضي عياض، و"*نوازل ابن هلال*" لإبراهيم بن هلال، و"*المعيار المعرب*" لأحمد بن يحيى الونشريسي، و"*الأجوبة الناصرية*" لمحمد الناصري الدرعي، و"*مواهب ذي الجلال في نوازل البلاد السائبة والجبال*" لمحمد الكيكي السكتاني، و"*المعيار الجديد*" لأبي عبد الله محمد المهدي الوزاني.. الخ.

- المطالبة بالإصلاح والإقلاع عن المفاسد والمظالم. وهي مسألة اعتمد الفقهاء في تصريفها والدعوة إليها أساليب وطرق مختلفة تتناسب مع مقام المخاطب وخصوصية الرسالة المزمع إيصالها إليه والموضوع الذي تدور حوله هذه الرسالة. وقد شغلت في هذا الخصوص، قضايا المظالم وتجاوزات الحكام وولاتهم وقوادهم وجباتهم حيزا هاما في الرسائل والمكاتيب الموجهة من قبل الفقهاء على مر التاريخ إلى سلاطين زمانهم. كما احتلت، من جهة أخرى، قضايا إصلاح الإدارة والجيش والجباية .. مكانة لا تقل عن الأولى أهمية خصوصا وأن مثل هذه القضايا كانت تطرح غالبا حينما يمسي مصير البلاد والعباد قاب قوسين أو أدنى من الانهيار المحقق.

إ. منظور، *لسان العرب*، بيروت، ص. 13 ـ 522، ؛ إ. خلدون، *المقدمة*، بيروت، 1971، ص. 445 ؛ إ. بشكوال، *الصلة*، تح. عزت العطار الحسيني، القاهرة، 1955 ؛ ق. عياض، *مذاهب الحكام*، تح. محمد بن شريفة، بيروت، 1990 ؛ إ. رشد، *الضروري من أصول الفقه*، تح. جمال الدين العلوي، بيروت، 1994 ؛ إ. حزم، *الفصل في الملل*، بيروت، 1975 ؛ أ. حامد الغزالي، *المستصفى*، بيروت، 1993 ؛ إ. فرحون، *الديباج المذهب*، مأمون بن محي الدين الجنان، بيروت، 1996 ؛ أ. بابا التنبكتي، *نيل الإبتهاج*، ليبيا، 1989 ؛ *كفاية المحتاج*، تح. محمد مطيع، فضالة، 2000 ؛ أ. بن يحيى الونشريسي، *المعيار المعرب*، بيروت، 1981 ؛ ع. بنعلي الحسني العلمي، *النوازل*، المحمدية، 1983 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، المحمدية، 1978، ج 1، ص. 87 ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، الدار البيضاء، 1985 ؛ *ورقات عن حضارة المرينيين*، الدار البيضاء، 1996 ؛ م. الحجوي الثعالبي، *الفكر السامي*، القاهرة، 1396 ؛ ح. العبادي، *فقه النوازل*، الدار البيضاء، 1999، ص. 48 ـ 50 ؛ ع. الجيدي، *العرف والعمل*، المحمدية، 1984 ؛ *تاريخ المذهب المالكي*، الدار البيضاء، 1987 ؛ م. القبلي، *مراجعات*، الدار البيضاء، 1987، إ. حركات، *المغرب عبر التاريخ*، الدار البيضاء، 1984 ؛ م. فتحة، *النوازل، الفقهية والمجتمع*، الرباط، 1999 ؛ أ. العماري، *نظرية الاستعداد*، *المعهد العالمي الفكر الإسلامي*، 1997.

الفقيه الإدريسي

فقيرة (ابن -) **عبد الواحد** بن محمد المكناسي فقيه متمكن، وأديب شاعر وناثر، قال في حقه ابن زيدان في *الإتحاف* : "حاد الذكاء، سريع الادراك، جيد الاصابة، فصيح اللسان، ثبت الجنان، غزير الاطلاع، عدل رضي، موثق ماهر".

ولد ونشأ بمدينة مكناس، استكتبه السلطان مولاي الحسن (1873 ـ 1894). ثم أدرج في سلك الطلبة الذين ينسخون الكتب، وانتظم بعد ذلك في سلك كتاب الحضرة المولوية بالصدارة، إلا أنه أبعد عن الوظائف المخزنية لأعمال دس قام بها.

كانت له مقيداته وفوائده العلمية والأدبية التي لوجمعت لجاءت في مجلدات وقد أصيب بكسر في ظهره على إثر سقوطه من علو دار كان يسكنها بمراكش، وكانت وفاته بمكناس في 2 ربيع الأول عام 1317 / 11 يوليوز 1899) وبها دفن.

ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 5، ص. 395 ؛ *النزع اللطيف*، ص. 214.

فقيرة (ابن -) **محمد** بن محمد الأنصاري المكناسي من أسرة مكناسية ذات أصول عربية، ورد ذكرها في ديوان تحقيق أنساب ساكني الحضرة المكناسية في عهد المولى إسماعيل (1672 ـ 1727) وهم من الأنصار، لذا يكنون أيضا بالأنصاري.

وهو فقيه علامة متقن، محرر متبحر مدرس نفاع ذو سر وبركة على حد تعبير ابن زيدان في *الإتحاف*. ولد بمدينة مكناس وبها نشأ وتعلم، فأخذ عن الشريف القاضي مولاي أحمد بن عبد المالك العلوي المضغري، وعن العلامة العباس ابن كيران، كما لقي الشيخ الرباني أبا العباس أحمد التجاني، وصحبه وانتفع به، وكان من أخص أصحابه، وعنه أخذ التصوف وطريق القوم. اشتغل بالتدريس واستفاد منه كثيرون نذكر من بينهم سيدي العربي بن السائح العمري دفين مدينة الرباط.

ولا يعرف لوفاته تاريخ.

ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 4، ص. 262 ؛ *النزع اللطيف*، ص. 214.

رقية بلمقدم

الفقيه، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Alfaqui ؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Alfaqui.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

فقيه الدين، عائلة علم وتقوى وفلاح بالبهاليل القريبة من مدينة صفرو، مما جعل السكان يخصونهم باسم أولاد فقيه الدين. تنحدر هذه العائلة العالمة من بلاد بني سريف، إذ يعرفون هناك بأولاد النوينو. وقد حضر جدهم الأول ويدعى سيدي الهاشمي إلى البهاليل بتوصية من الشيخ ماء العينين الذي أجاز هذا الطالب في أمور الفقه والقراءات القرآنية بعد أن تيقن من متانة معارفه العلمية ودماثة أخلاقه. كان قدوم هذا العالم إلى بلدة البهاليل حوالي سنة 1843، حسب ما يرويه حفيده الدكتور التهامي الراجي، فنال حظوة كبيرة لدى الساكنة ؛ وهكذا أم الصلاة بالجامع الأعظم وأفتى في أمور

الدين ودرس على يديه رعيل بأكمله من الفقهاء والطلبة. وقد دفن بالزاوية الحراقية بحارة أغرديس.

خلف سيدي الهاشمي ابنا يدعى عبد السلام، فكان من أنجب وأعلم وأفقه من تتلمذ على العالم السابق الذكر، إذ خلف أباه في الإمامة بالمسجد الكبير بالبهاليل.

أما سيدي الهاشمي بن سيدي عبد السلام فكان علامة قوي الشكيمة، إذ درس بمسقط رأسه وبجامع القرويين، ثم تولى إحدى الوظائف بنظارة أحباس صفرو، وكان في نفس الوقت يؤم الصلاة بالمسجد الأعظم بالبهاليل، ويترك صلاة الجمعة لأبيه سيدي عبد السلام، وبعد بناء مسجد حي أغرديس بنفس البلدة تولى الإمامة به. وقد كان قوي الحضور في شتى أصناف الفتوى والقراءات القرآنية والفقه واللغة وعلوم أخرى كالتنجيم. وبعد إقامة أول مدرسة نظامية بالمدينة حوالي 1919 (Ecole Forraine) من طرف المستعمر، درس بها اللغة العربية والدين الإسلامي، حيث استمر في استعمال الألواح الخشبية والصلصال وأقلام القصب والصمغ، كما أنه كان لا يعطل خلال العطلة الصيفية، وقد عرضت عليه مهمة عدول قسرا من طرف السلطات الاستعمارية فأخذ في البكاء في كل مناسبة إلى أن أعفي.

تآليف سيدي الهاشمي غزيرة في شتى أصناف العلوم، والمؤمل أن يجمعها ويحققها ابنه البار الأستاذ التهامي الراجي الهاشمي، خصوصا وأن هذا الابن قد أشار إلى بعض القراءات القرآنية (الفريدة !)، كما سمع أباه سيدي الهاشمي وجده سيدي عبد السلام يتلوانها.

معلومات عن ابن عائلة فقيه الدين، الأستاذ حازم ؛ بحث *ميداني* : ح. البعاوي، *الشافي من التفاصيل عن ماضي وحاضر البهاليل*، فاس، 1991 ؛ مجلة التدريس، الجزء 8، 1979.

الحسين البعاوي

الفقيه بن صالح (مركز -) ينتمي لجهة تادلا أزيلال، ويقع على الضفة اليمنى لنهر أم الربيع مشكلا أكبر تجمع سكني بقطاع بني عمير، الذي يكون القسم الشمالي من سهل تادلا.

يخترق هذا المركز الطريق الرئيسية رقم 22 الرابطة بين مدينة بني ملال والبيضاء عبر خريبگة. يتميز بموضع طبغرافي شديد الانبساط وبخصائص مناخية يطبعها الجفاف، نظراً للطابع القاري الذي يميز المنطقة ككل.

قبل الاستعمار الفرنسي، كان مجال الفقيه بن صالح يخضع لنمط النظام الموروث المتكيف مع خصائص المجتمع القبلي، حيث كانت خلال هذه الفترة عبارة عن تجمع قروي يضم حوالي 2167 من السكان، لم تكن له أية أهمية إدارية لتأطير السكان ومراقبتهم.

بعد استحواذ المعمرين على تادلا، أصبح المراقب المدني الفرنسي يتردد على هذا المركز يوم انعقاد السوق الأسبوعي (الأربعاء) للبث في بعض القضايا المتعلقة بسكان قبيلة بني عمير. لذلك تمت ترقية الفقيه بن صالح في الثلاثينيات لتحتضن بصفة دائمة مركز المراقب المدني وقيادتي بني عمير وبني موسى. غير أن بوادر تشكيل النواة الأولى للمركز الحضري، لم تبدأ إلا مع انطلاق مشروع السقي العصري بقطاع بني عمير اعتماداً على سد الزيدانية.

في سنة 1942 اختارت السلطات الفرنسية مركز الفقيه بن صالح مقرا لمكتب ري بني عمير وبني موسى، عندئذ وضع المعمر أول تصميم حضري للمركز، شمل في البداية الحي الإداري ثم الحي الأوروبي، بعيداً عنهما ظهرت بعض الدواوير كأولاد احديدو ودوار الرجاء وآيت الراضي، التي استقر بها السكان الوافدون من الأقاليم الفقيرة كالسراغنة والرحامنة.

شكلت فترة الاستقلال أهم مرحلة في توسع المركز الحضري للفقيه بن صالح نتيجة انتشار السقي بالمجال التادلي ككل، مما أثر بشكل قوي في تطور الظاهرة الحضرية وتنامي الهجرة القروية من الأقاليم البورية الفقيرة المجاورة لسهل تادلا. فظهرت عدة أحياء هامشية، توسعت على حساب أراضي الجموع. وارتبط مركز الفقيه بن صالح بهذه التحولات، حيث عرف إتجاها نحو إنتاج تجزئات سكنية غير قانونية خاصة في السبعينيات. كما عرف ظهور تجزئات أخرى قانونية في العقدين الأخيرين.

سمح كل ذلك بانتقال محيط المدينة من 880 هكتار سنة 1962 إلى 1700 هكتار سنة 1994 ليصل سنة 2001 إلى حوالي 19 كلم^2. لهذا تصنف الفقيه بن صالح كمدينة صغيرة داخل جهة تادلا أزيلال، حسب توقعات مديرية الإحصاء، وكنتيجة للتطور السكاني الذي عرفه المركز كما هو مبين من خلال الجدول التالي :

1960	1971	1982	1994
13484	20918	47540	74697

وقد ساهم في تطور ساكنة المركز النمو الديموغرافي وعامل الهجرة الداخلية خاصة خلال فترات الستينيات والسبعينيات. كما بلغت نسبة المستقرين خلال عقد الثمانينيات حوالي 40٪ من المهاجرين، في وقت لم تتطور فيه المساحة المسقية بقطاع بني عمير كثيراً ؛ إذ يعزى ذلك إلى حدة الجفاف بأرياف الزراعة البورية.

وإذا كانت الهجرة الداخلية قد لعبت دوراً مهماً في دينامية وتوسع هذا المركز الحضري فإن العائدات المالية للهجرة الخارجية إلى إيطاليا وإسبانيا، قد ساهمت بدورها في توسيع الرقعة الحضرية، التي وصلت بعض القرى والبوادي المجاورة للمركز ؛ وذلك نتيجة الاستثمار المكثف لهؤلاء المهاجرين في الميدان العقاري.

هكذا وبشكل مزامن مع تطور الهجرة الدولية عرفت مدينة الفقيه بن صالح مضاربة عقارية قوية جعلتها في مرتبة

المدن الأكثر نشاطا في الميدان العقاري ؛ فقد أدت عائدات الهجرة الدولية إلى تطور عدد الملاكين، مما أدى إلى ارتفاع الطلب على العقار. فتوجه الاستثمار إلى قطاع البناء، مشكلا نوعا من الاستراتيجية المتبعة من طرف المهاجرين من أجل المضاربة ؛ فبعضهم يشيدون المنازل ثم يقومون ببيعها أو يشترونها جاهزة ليعيدو بيعها من جديد، وغالبا ما تتم عمليات البيع بين المهاجرين فقط. إن هاته الدينامية التي يعرفها الجانب العقاري، أدت إلى ارتفاع الطلب وبالتالي ارتفاع ثمن الأرض بشكل يفوق كل التوقعات. وخير مثال على ذلك هو أن عدد تجزئات الخواص عرفت تطوراً ملحوظاً، انتقل من 58 تجزئة سنة 1986 إلى 200 سنة 2000. وتمت معظم هذه التجزئات على حساب الأراضي الفلاحية.

ويُسجل غياب التحفيز والمبادرة عند المهاجرين، بسبب ضعف النسبة من العائدات المالية، التي تستثمر في إقامة مشاريع ذات أهمية اقتصادية على المنطقة كخلق بعض الوحدات الصناعية الصغرى المرتبطة بالقطاع الفلاحي أو إنشاء مقاولات تجارية وفلاحية. في حين تظل المشاريع البسيطة كبعض المقاهي والمحلات التجارية المتوسطة والصغرى هي محط اهتمام النسبة الغالبة من المهاجرين.

وقد فرض التوسع المجالي لمركز الفقيه بن صالح ارتفاع الطلب على مجموعة من المرافق الاقتصادية وظهور عدد من المحلات المهنية، لمزاولة مختلف الأنشطة. ذلك بأن موقع المدينة قريب من القطب الاقتصادي للبلاد، مما جعلها تابعة بدورها إلى مدينة الدار البيضاء القطب المهيمن، الذي يوفر شروط الاستثمار الناجح، الشيء الذي انعكس سلبا على الأنشطة الحضرية الثانية بها.

إن ارتباط السكان بالسوق الأسبوعي من حيث التزود بحاجياتهم المتنوعة، يقلص من دور الأنشطة الحضرية الثابتة، ليساهم في تراجعها من حيث التطور، وتتجلى هذه السيطرة من خلال المداخيل التي يوفرها السوق الأسبوعي.

	1992	1994	2002	2003
المداخيل بالدرهم	5676500	2932500	782300	8060200

كما يتضح من خلال بنية الأنشطة، سيادة تجارة المواد الغذائية، وتعكس بنية الخدمات مدى هشاشتها، نظراً لهيمنة الأصول الريفية وضعف المستوى الاقتصادي للسكان.

وعموماً تتميز وظيفة المركز الحضري للفقيه بن صالح بطابعها التجاري، وتأثيرها المحدود الذي يشمل فقط مجالها الريفي.

مخطط توجيه التهيئة العمرانية والمراكز الحضرية بالمدار السقي لتادلة ؛ منوغرافية المجلس البلدي للفقيه بن صالح ؛ م. مداد، *الجهاز الحضري بتادلة*، كلية الآداب، الرباط، 1990.

عبد الرحيم بنعلي

ابن **الفقيه، محمد** بن **محمد** بن محمد بن عيسى الزجني الفاسي من قبيلة مصمودة، يُعرف رهطه قديماً بأولاد ابن عمر، ثم أصبحوا يُعرفون بابن الفقيه، لأن جد المترجم له كان يقرأ عليه من الطلبة جم غفير، وكانوا لا يقولون إلا الفقيه، فلقب أولاده به. وهم شرفاء النسب من ذرية الإمام عمر ابن إدريس.

كان من أرسخ المحققين في علم الطريقة، عالماً عاملاً ماهراً في أصول الدين وفروعه، سالم المذهب. وكان يجالس علماء وقته ويسألونه عن المسائل، فيجيبهم على البديهة بما يمتعهم ويفرحون بجوابه. وكان لا يفتر لسانه عن الذكر.

أخذ عن الشريف عبد الله الوزاني، ورباه صغيراً، وكان يأتيه من قرية أزجن إلى وزان. قدم إلى فاس، وكثر صيته واجتمعت عليه الخلائق، واشتهر النفع على يده لكثير من الفقراء والمريدين والأشياخ الراسخين مثل الشيخ داود التواتي وأحمد بوالسباع وأبو سلهام الضعيفي المالكي وولده الطاهر وأبو القاسم اليازغي العتابي وعبد الله ابن يخلف.

له عدة تآليف، منها : *شمس القلوب وخرق المحجوب في معرفة علام الغيوب*.

توفي يوم 7 ربيع الأول عام 1136 ، ودفن بزاويته في حومة العيون، ودفن معه جماعة من ذريته وأحفاده.

م. الزيادي، *سلوك الطريق الوارية* ؛ أحمد حسنون الطاهري الجوطي، *تحفة الإخوان* ؛ م. القادري، *نشر المثاني* ؛ عبد الله ابن يخلف، *سلوة المحبين* ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*.

المصطفى البوعناني

الفكسلاني عمر (الحاج -) بوطيب، قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلة بني سيدال، انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف سيدي امحمد امزيان ضد التدخل العسكري الإسباني بناحية الناظور، وقد شارك في عدة معارك إلى أن فقد بصره في المعركة التي جرت بتيفسور بقبيلة بني بوگافر يوم 10 مارس 1912.

أعمال ندوة الشريف أمزيان والمقاومة المسلحة في الشمال الشرقي (1909 - 1912) تطاون 1996.

محمد ابن عزوز حكيم

الفكاع والفگيع والفقيع كما ينطق به في مختلف مناطق المغرب والجزائر وتونس، جنس من الفطور له قبعة وقاعدة، يسمى في الشرق العربي عيش الغراب. والكلمة مشتقة من الفقع ومعناه في اللغة شدة البياض ومنه نوع فقع الذئب وهو فطر مستدير الرأس ناصع البياض.

ينتمي الفگاع إلى مملكة النبات ويصنف إلى طائفة اللازهريات ورتبة الدعاميات التي تضم الفطور الطفيلية على النبات والفطور الرمامة ذات القبعة وأشهرها فصيلة الفقعيات التي تتكون من 850 نوعا من الفكاع في المغرب، منها الأكيلة والسامة والقاتلة. والفطور ذات القبعة هي التي

تتبادر إلى ذهن أغلبية الناس حين يجري الحديث عن الفطريات بصفة عامة. والفكاع جزء من الفطر يظهر فوق التربة ويمثل العضو المنتج لخلايا التناسل فقط ويتكون من قاعدة وقبعة. ينشأ عن المشيجة Mycélium التي تعيش عادة مدفونة تحت التراب كما هو الشأن عند الترفاس وجنس فوزاريوم الذي ينتج عنه مرض البيوض عند النخيل. ومنه فصائل وأنواع عديدة تصنف إلى مجموعة المشوريات الفطريات السامة لا يظهر من أجسامها التمييز من جذور وساق وأوراق كما هو الشأن بالنسبة للنبات العادي ؛ الشيء الذي يجعل هذه المجموعة خاصة وشاذة داخل العالم النباتي.

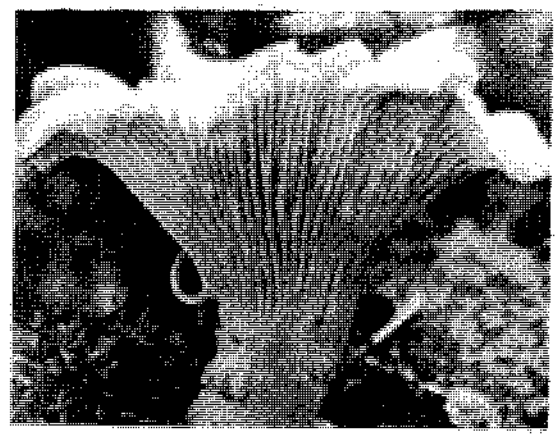

يتميز الفكاع بقبعة وقاعدة يختلف لوناهما وشكلاهما حسب الأجناس. كل الأنواع عضوية التغذية مجردة من اليخضور وغير قادرة على تحويل ثاني أكسيد الكربون إلى السكريات كما يفعل النبات المتطور. معظم أنواع الفكاع يعيش على العضويات بداخل التربة الرطبة ومنه أصناف تقتات من النباتات المتفسخة وتدعى الطفيليات. يرتبط وجود الفكاع بالمناطق الغابوية والساحلية الرطبة وتنمو معظم الأنواع في أيام الخريف والشتاء وخاصة بعد سقوط الأمطار. تعرف خلايا التناسل عند الفكاع بالأبواغ تحملها دعامات خارجية تقع على أطراف هيف ملتصقة بالصفيحات الرقيقة المصففة على شكل أشعة واضحة على الواجهة الباطنية للقبعة. تعطي الأبواغ مشيجات تنمو بداخل التربة الغنية بالمواد العضوية ينتج عنها الفكاع مباشرة بعد الأيام المطرة الباردة.

يتم التمييز بين أنواع الفكاع على أساس بنية الغشي فهي أنبوبية عند فرع السميات وصفيحية عند فرع الغاريقونيات. تتكون السميات من أنواع شهيرة وغاية في الجودة الغذائية نذكر من بينها البوليطس كمأة Boletus edulis يدعى بالفرنسية Bolet، لذيذ الطعم ويتكاثر في ظل أشجار البلوط بغابة المعمورة وغابة العرائش وبنسليمان والزعير، قاعدته قصيرة وغليظة ومغزلية، لونه أبيض مصفر.

ومن أشهر أنواع الفكاع الأكيل الشائع في أسواق الخضر بالمدن الكبرى المغربية فكاع البسباس ويدعى علميا Champignon وبالفرنسية Pleurotus ergingii var. ferulae de fenouil يكثر في الخريف والشتاء في مختلف المناطق الغابوية بجبال الريف والأطلس المتوسط والمعمورة، تصدر معظم كمياته إلى أوربا.

من بين الأصناف الأكيلة المحبذة لدى المتذوقين في المغرب نذكر نوع الأمانيت القيصرية Amanita caesaea يمكن التعرف عليه من خلال القاعدة والغشي الصفراوين والقبعة الحمراء البرتقالية ويتميز في بداية مراحل النمو بشكل بيضوي أبيض وصغير الحجم، وفي المراحل الأخيرة يمزق الغشاء الأبيض وتبقى القشرة ملتصقة بأسفل القاعدة على شكل حلقة. ويضم جنس Amanita كذلك أنواعا سامة قاتلة منها الأمانيت قاتلة الذباب أو الفطر الأحمر الكاذب يسهل التعرف عليه عند بلوغه مراحل النمو المتقدمة حيث يصير لون القاعدة والغشي أبيض ولون القبعة أحمر فاقعا تشوبه بقع بيضاء ويصعب تمييزه من الأمانيت اللذيذة الطعم في المراحل الأولى من النمو لكثرة الشبه بينهما. ويشمل جنس الأمانيت 32 نوعا في المغرب تعيش بين أشجار الفلين والأرز والبلوط الأخضر والصنوبريات، منها عشرة أنواع تؤكل وهي Amanita vaginata, Amanita rubescens, Amanita avoidea, Amanita mairei, Amanita lividoparallescens, Amanita inaurata, Amanita curtipes, Amanita crocea, Amanita codinae, Amanita boudieri.

وهناك أيضا نوع كانثاريلس الشائع في غابات الأطلس المتوسط والريف والعرائش وطنجة وغابة المعمورة وغابة بنسليمان وسيدي بطاش. يسمى علميا Cantharellus cibarius ويتكاثر في المرتفعات بين يونيو ونونبر وفي السهول بين دجنبر ومايو. شائع في كثير من أسواق الخضر بالمدن الكبرى المغربية.

ويشمل جنس الوسفية Lepiote حوالي أربعة أنواع تؤكل في المغرب وشائعة في المناطق الغابوية : Lepiota clypeolaria, Lepiota mastoidea, Lepiota procera.

وتحتوي غابات شجر الأرز وشجر التنوب أو الشح وشجر الصنوبر والبلوط، بجبال الريف قرب الشاون وكتامة وباب برد، على أنواع شاذة ونادرة على الصعيد الوطني، يكثر الإقبال عليها وقد عرف ثمنها ارتفاعا كبيرا نظرا لجودتها المرتفعة ولمذاقها الرفيع ولقيمتها الغذائية العالية، نذكر من بينها : Psalliota arvensis, Limacella illinita, Amanita lividoparallescens Dryophylla adiposa.

ينصح الأطباء عدم تناول الفكاع في حالة عدم التأكد من تمييزه من الأنواع الأكيلة أو السامة القاتلة، ومن المعلوم أن معرفة الأنواع الأكيلة تتطلب خبرة وتجربة كبيرة وليس هناك قواعد علمية واضحة تميز لأول وهلة الأنواع السامة من غيرها وذلك لكثرة التشابه بينها.

ن. الخياطي، بيوض، *معلمة المغرب*، ج. 6، ص. 1981، 1998 ؛ ع. المالك بنعبيد، الترفاس، *معلمة المغرب*، ج. 7، ص. 2332، 1999.

L. Najim, Les champignons, Flore et végétation, *Grande Encyclopédie du Maroc*, 21-25, 1986 ; G. Malençon et R. Bertault, *Flore des champignons supérieurs du Maroc*, Tome I, 601 p. et Tome II, 539 p., Trav. Institut Scientifique Chérifien, série botanique, n° 33, 1970.

نجاة الخياطي

فگيگ (جغرافيا -)، يكتب أيضا "فيجيج" و"فجيج" وهي الأصل أو "إفيّيّ" حسب النطق المحلي بالأمازيغية، واحة تقع في أقصى الجنوب الشرقي من الجهة الشرقية في التخوم المغربية الجزائرية، على بعد 370 كلم جنوب مدينة وجدة عبر الطريق الوطنية 17. ويبدو أصل الكلمة عربيا مهما كثرت التأويلات، ومعناه مرتبطة بالجذر "فجج" و منها فج وفجاج وكذلك إفجيج ومعناه ممر مصروف يخترق جبلا، يقابله في الأمازيغية "تاغيّا" الشائعة الاستعمال في الأطلس الصغير، وقد يكون تصغيرها "تاغيّت" محرفا إلى "تاغيت" التي تطلق على الممر الجنوبي الذي يفصل بين عرفين وهما جبل تاغيت وجبل تاغلة موصلا فگيگ ببني ونيف.

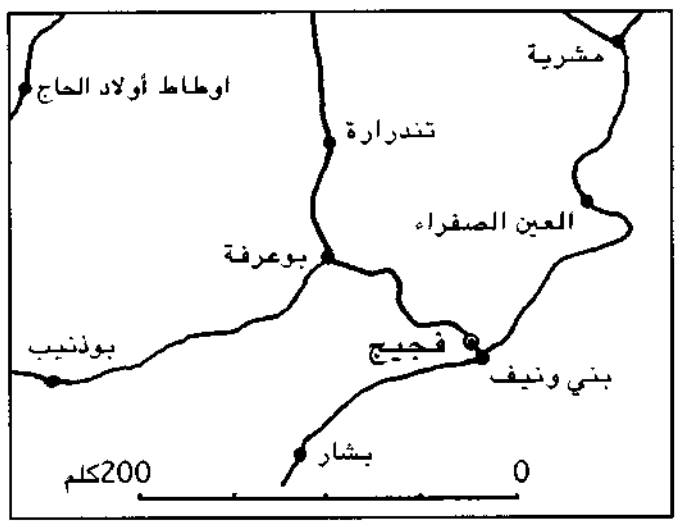

تنبع أهمية فجيج من موقعها الإستراتيجي ودورها الحضاري عبر التاريخ الوطني، وسوف نتعرض لفجيج من خلال مجالها الجغرافي وتنظيماتها المجتمعية، والمراحل التاريخية الكبرى للمنطقة وتراثها العلمي والفكري من خلال أعلامها وعلمائها.

فگيگ المجال والمجتمع :

تحتل فگيگ موقعا وموضعا متميزين، إذ يمكن اعتبارها نقطة التقاء بين وحدات طبيعية متباينة. ففيها تنعطف سلسلة أطلسية ملتوية، حيث يمتد الأطلس الكبير الشرقي من الشرق إلى الغرب، بينما يمده الأطلس الصحراوي نحو الشمال الشرقي. ويمتد الدرع الإفريقي بتغليفاته المائدية الحديثة القليلة السمك، في الحد الجنوبي للواحة الذي يمر به الانكسار الجنوبي الأطلسي الضخم والذي يتفرع هنا ليهب الواحة ينابيع هامة قد تكون السبب في وجودها، في نطاق سهوبي متوسطي قاحل وعلى أبواب نطاق صحراوي حقيقي، ومنها تشكل هذه الواحة حدا شماليا لنطاق التمر، بمناخ تتميز حرارته بالبرودة شتاء (بين 3 و5 درجات مئوية للحرارة الدنيا المتوسطة) والحرارة المرتفعة صيفا (بين 41 و42 درجة مئوية لمتوسط الحرارة العليا)، فيما لا تتجاوز كمية الأمطار 120 ملم في معدلها السنوي، مع العلم أنها شديدة التغاير. وباستثناء جرف انكساري يجزئ الواحة إلى قسمين يبلغ ارتفاعهما 870 و900 متر، يتميز السطح بانبساط عام، وتحيط به مجموعة من الأعراف الحادة التي لا يتجاوز ارتفاعها النسبي بضع مئات من الأمتار، تفصل بينها أفاجيج كثيرة.

تتكون واحة فگيگ من تجمعات سكنية تحيط بها أو تجاورها بساتين من النخيل المثمر التي تضم أيضا أشجاراً مثمرة وزراعات من البقول والحبوب من قمح وشعير، إضافة إلى الأعلاف التي تغذي أعداداً هامة من المواشي المستقرة التي تشمل الأبقار والأغنام، وخاصة منها صنف "الدمان" المعروف بخصوبته المرتفعة. وكان أصل هذه التجمعات نوىً شكلتها القصور قديما وعددها سبعة، أكبرها قصر ازناگة (أو "إزنايّن" وتطور لنطق "إصنهاين" وهي "إصنهاجن"، من صنهاجة) الذي يقع وسط سهل فيضي تتقاسمه رواسب غرينية وكلسية شبه سطحية، بين وادي زُزفانة شرقا ورافده وادي تاغيت غربا. أما القصور العليا فتتربع على درْجة مُشرفة على ازناگة عبر حافة كلسية رصراصية لا يتجاوز مداها 30 مترا. وتنتظم هذه القصور في ثنائيات منفصلة وهي من الشرق إلى الغرب : الحمّام الفوقاني (آيت عامر) والحمّام التحتاني (آيت واداي) ثم المعيز (آيت المعز) وأولاد (آيت) سليمان وأخيرا لوداغير (آيت عدّي) والعبيدات (آيت النجْ). وتفصل هذه القصور كلها عن الحافة (جرف أزرو) بساتينُ محاطة عادة بجدران، تسقى بواسطة عيون سيقت مياهها عبر "خطارات" (قنوات باطنية)، شكلت مياهها عبر تاريخها الطويل مصدر خصومات ونزاعات دامية أحيانا بين سكان القصور، ولا سيما المتجاورة منها.

لا تستقيم الزراعة بهذه الواحة إلا بالسقي الذي يعتمد على حوالي ثلاثين عينا، يُفرز جلُّها مياهاً دافئة عميقة ومنتظمة تتغذى من بعيد، ويصل مجموع أصبابها إلى حوالي 200 لتر في الثانية، وتوزع بطريقة هندسية باهرة عبر قنوات وصهاريج خازنة في نظام دوري محكم. أما حول الواحة، فتنتشر حقول كان يُعتمد في سقي جلها على مياه وادي ززفانة وعين تاغلة في السافلة، وعين المليلس غرب الواحة وعين تاغيت جنوبها، قبل أن تصادرها السلطات الجزائرية سنة 1976. أما في العالية (العرجة) فيعتمد السقي على آبار قليلة العمق في ضفتي الوادي. ورغم قحولة المناخ،

كان سكان فگيگ يستغلون المعابر في زراعة الحبوب، حيث تفيض مياه السيول والأودية فوق السطوح المستوية والمنخفضات المغلقة، يوجد أهمها جنوب بني ونيف في التراب الذي أصبح محط نزاع بين المغرب والجزائر والذي نشبت حوله "حرب الرمال" التي دارت رحاها سنة 1963.

تعتبر النواة السكنية القديمة "القصر" بواحة فگيگ بمثابة وحدة اجتماعية واقتصادية وسياسية بلورها السكان المستقرون، نسجت حولها عصبيات لا تقوم على أي انتماء عرقي، بل على وحدة المحاط والموارد، وخاصة منها مصادر المياه. وهكذا نشأت مُحاطة بأسوار تكللها مجموعة من أبراج المراقبة شيّدت لتحصين القصر ولحمايته من الأعداء والخصوم من القصور المجاورة ومن الأعراب الرحل الذين كانوا يغيرون على السكان المستقرين في القصور، وخاصة في فترات القحط والمجاعات. وتصطف المساكن متراصة على جانبي أزقة مسقوفة وضيقة لا تتسع إلا لدابة محملة تتكون هذه البنايات عادة من طابق أو طابقين، كانت تستعمل في بنائها مواد محلية، من حجارة وطين صرف ورمل وجير وأخشاب النخيل والدفلى، وكانت تضم عدة غرف يتوسطها فناء تحيط به سواري، وتؤوي عادة السكان وذخائرهم ومواشيهم وبهائمهم على السواء. ظلت هذه الخصائص تطبع السكن المحلي بطابع معماري لم يبق منه في نهاية القرن العشرين سوى شذرات نادرة، بسبب التحولات الاجتماعية والمجالية التي طرأت في كل المناطق التي طالها التغلغل الاستعماري.

يتكون سكان فگيگ من فئات مختلفة توجد داخل كل القصور، وتشمل ذوي الأصول الأمازيغية الزناتية والصنهاجية وذوي الأصول العربية المختلفة وذوي الأصول الإفريقية السوداء، كما كانت تضم مجموعات يهودية سكنت أحياء خاصة داخل القصور حتى بداية الستينيات. ورغم هذا التنوع، يبقى استعمال الأمازيغية هو السائد، مع أن الواحة محاطة بقبائل عربية من الرحل من بني گيل والعمور وذوي منيع وأولاد جرير، مما يرجح كون فگيگ واحة قديمة "بناها البرابرة" كما ذكر ابن خلدون (زناتة ـ مطغرة)، ليلتحق بها ويندمج بها سكان قدموا من جهات مختلفة خلال فترات متلاحقة. فحتى السكان النازحون من القصور التي خرّبت داخل الواحة كان يتم توزيعهم داخل القصور حيث ينصهرون مع مكوناتها.

شهدت فگيگ مع بداية القرن العشرين أولى مظاهر تحولها بارتباط اقتصادها وانفتاحه على السوق الدولية وتحويل مبادلاتها نحو مسارات الامبريالية التجارية الفرنسية، إثر تمديد خط السكة الحديد إلى بني ونيف التي أصبحت تسمى رسميا "محطة بني ونيف فگيگ"، إذ كانت المنطقة كلها تسمى لدى المستكشفين الفرنسيين "بلاد فگيگ" (Le Figuig، Pays de Figuig). تغيرت بعض العادات وظهرت حاجيات جديدة، واستتب الأمن فتلاشت الأسوار والأبراج تدريجيا بفقدانها لوظيفتها الدفاعية، و"انفجرت" القصور فظهر السكن الحديث داخلها وخارجها بمواد دخيلة شملت الإسمنت والحديد والأخشاب الصناعية، وشُوّهت الخصائص المعمارية المحلية.

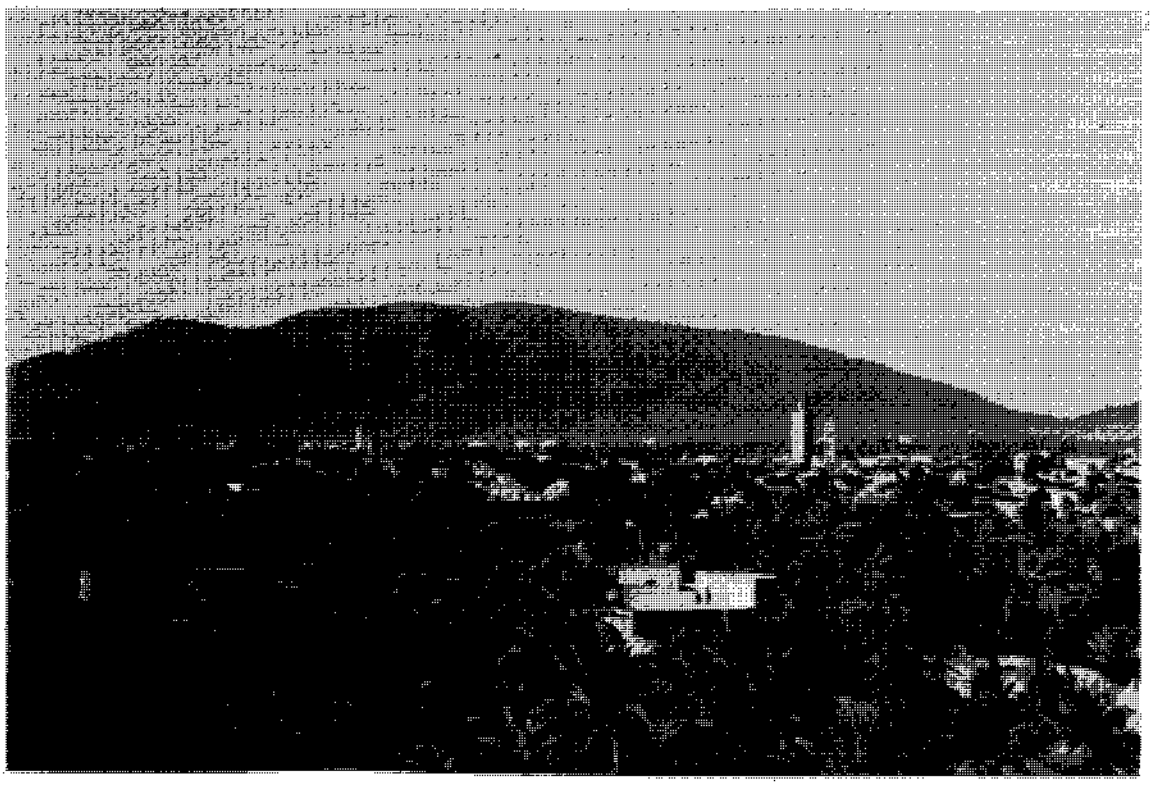

لا تتوفر واحة فگيگ على قطاع صناعي لافت، رغم أنها آوت منذ القديم صناعات تقليدية هامة من الفخار والحلي والجلود التي لم يعد لها أي وجود، إلى جانب النسيج الصوفي الممتاز الذي اشتهرت به حتى في الأسواق البعيدة، والذي أصبح يعاني من الكساد. لكن تطور حركة البناء أفرز وحدات للنجارة، وكذلك الحدادة العصرية وما يرتبط بها من أجهزة منزلية وغيرها من التراكيب المختلفة التي أصبحت تزود بها حتى السوق الوطنية. أما الصناعة السياحية فلازالت شبه منعدمة بالواحة رغم مؤهلاتها التراثية الطبيعية والثقافية الهامة، وذلك بسبب انعدام شبه كلي لمرافق الاستقبال، وغياب في البرامج والمستندات الإشهارية.

العربي هلالي، *فجيج، تاريخ، وثائق ومعالم*، ص. 154، طنجة، 1981 ؛ ليون الإفريقي الوزان، *وصف إفريقيا*، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت، ط 2، 1982 ؛ أ. مزيان، *مساهمة في دراسة المجتمع الواحي المغربي خلال القرن التسع عشر*، مطبعة فجر السعادة، ص. 592 ؛ عبد الكريم مرزوق، *المجال والمجتمع بالواحات المغربية*، كلية الآداب، ص. 182، الرباط، 1996 ؛ عبد الرحمان العثماني، *البيئة المحلية لواحة فجيج*، ندوة جمعية النهضة، ص. 135 ـ 148 ؛ عبد الرحمان الحرادجي، *قراءة في موقع فجيج*، 2003؛ محمد بوزيان، *أعلام الفكر والأدب بين العصرين المريني والعلوي*، وجدة، 2000.

M. Bonnefous, *La palmeraie de Figuig, étude démographique et économique d'une grande oasis du sud marocain*, Rabat ; A. Bencherifa et H. Popp, *L'oasis de Figuig, persistance et changement*, Univ. Md V., Passau-Rabat, 109 p.

عبد الرحمان الحرادجي

فگيگ (تاريخ -) من خلال الإستقراء العميق للدراسات : الجيولوجية، الأركيولوجية، الأنطروبولوجية والتاريخية المتعلقة بإفريقيا الشمالية والصحراء وضمنها منطقة فجيج، نستخلص ما يأتي :

ظهور الحضارة الإبروماورية (Iberomaurusiennes) البدائية بالمنطقة منذ العهد الباليولوتي الأوسط أي منذ حوالي سبعين ألف سنة ق. م.

انتشار الحضارة الكابسية (Capsienne) بالمنطقة منذ حوالي خمسين ألف سنة ق. م. ذات الأصول الشرق الأوسطية، وذلك على حساب الحضارة الإبروماورية.

شهدت منطقة الصحراء منذ نهاية فترة الفورم (Wuerm) منذ حوالي عشرة آلاف سنة ق. م، تحولات مناخية جوهرية، حيث ساد الجفاف الحاد، صاحبه انتشار ظاهرة التصحر، مما أجبر الساكنة على الهجرة في جميع الاتجاهات، ومنها الشمال، حيث امتزج السكان الصحراويون بالمحليين الكابسيين، مكونين ما يمكن تسميته بالنواة الأولى للأصول النيوليتية لساكنته، أو ما سوف يعرف فيما بعد بالشعوب الليبية، كما أشار إلى ذلك قدماء المصريين منذ الألفية الثالثة ق. م.

مباشرة بعد امتزاج الحضارتين الكابسية والصحراوية، حصل تطور سريع تقنيا واجتماعيا بمنطقة فجيج، فتحول أسلوب حياة الإنسان من الإستهلاك المحض المعتمد على الصيد إلى أسلوب أميل إلى الإنتاجية، حيث اشتغل بالفلاحة وتربية المواشي، مما ألزمه أيضا تطوير صناعته كي يواجه متطلبات نمط الحياة الجديدة. وبذلك ابتدأ العهد النيوليتي في منطقة فجيج (5000 إلى 8000 سنة ق. م).

شهدت منطقة فجيج في الفترة النيوليتية تطوراً ثقافياً وروحياً أيضا، الشيء الذي تسجله النقوش المنتشرة في منطقة فجيج، وأقدمها نقوش صخرة "حمو هكو شيطا" بفج زناقة جنوب فجيج، حيث نلاحظ من بين الرسوم المتنوعة تواجد خروف يحمل فوق رأسه قرصا ذا زوائد يشبه إله "آمون رع" بمصر والذي ظهر فيما بعد، في الألفية الثالثة ق.م.

في مرحلة لاحقة حيث تقدم التصحر شمال الصحراء وجنوب المغرب ومنها منطقة فجيج، استعمل إنسان المنطقة الإبل (حوالي 4000 ـ 5000 ق.م)، كما تسجل ذلك نقوش كدية الحيتمة، شمال فجيج.

اسطاعت ساكنة منطقة فجيج أن تطور هذه الحضارة، حيث فكروا في إقامة أهرام بدائية على شكل كراكر حجرية "Tumelus" فوق مقابرهم، والتي أثبتت الدراسات أن فتحاتها متجهة نحو شروق الشمس، وتم العثور بداخلها على أدوات وبقايا من الحبوب، الشيء الذي يؤدي إلى الاعتقاد بأن سكان المنطقة كانوا يؤمنون بالبعث مرة ثانية، كما هو الشأن في المعتقدات الفرعونية. نلاحظ هنا بأن التطور الحضاري في المنطقة الغربية من شمال إفريقيا وضمنها منطقة فجيج تقدم بخطى بطيئة ومتقطعة بينما في مصر تقدم بوتيرة أكثر ديناميكية واستمرارية، حتى وصل إلى ما وصل إليه من أهرام ومسلات ... ونعتقد بأن ذلك يرجع إلى أسباب أهمها الظروف المناخية الحادة التي ضربت المنطقة والتي أدت إلى انقراض الوديان التي كانت تنبع من الصحراء، بينما نهر النيل الذي ينبع من مناطق جنوب الصحراءاستمر، مما ساعد على استمرار تطور الحضارة المصرية القديمة.

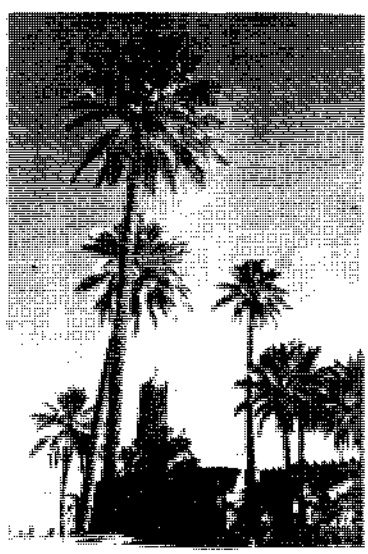

في الأزمنة الموالية مباشرة، تقاطرت على المنطقة شعوب أخرى : يمانية منذ الألفية الثالثة ق. م. كنعانية منذ الألفية الثانيةق.م. وكوشية في القرن الثامن ق.م. (الأسرة الخامسة والعشرين ...)، حيث انصهر الجميع في الساكنة المحلية وحضارتها وكونوا نواة ما يمكن تسميته بالحضارة والعرق الأمازيغي. وتجدر الإشارة إلى أن تأثير الحضارات المتعاقبة فيما بعد، مثل الإغريقية، الفنيقية، الرومانية وحتى العربية منها بقي آثارها محدودا في الجانب الثقافي.

يرجع الفضل في انتشار فن الكتابة السامية بين الشعوب المتوسطية بصفة عامة، منذ الألفية الثانية ق. م. إلى الفنيقيين. وهنا تجدر الإشارة إلى أنه عثرنا مؤخرا في فجيج وما حولها على مؤشرات يمكن الإستدلال بها على استعمال الحروف الفينيقية (الأوغارتية ـ البيبلوسية) في المنطقة منذ الألفية الثانية ق.م.

هناك مؤشرات تدل على أن اليهودية وصلت إلى المنطقة في وقت مبكر. أما المسيحية فنجد لها في المنطقة آثارا واضحة، وأهمها ما سجلته الكتابات المنحوتة على صخرة في جبل ميمون، جنوب الواحة، والتي تشير إلى تواجد تجمعات إخوانية مسيحية منذ القرن الخامس الميلادي، وأن بعضهم هاجر من فجيج إلى أمريكا عبر مدينة تيط (مدينة الجديدة حاليا) في القرن الخامس الميلادي، وذلك خوفا من بطش الوندال الذين كانوا يلاحقون المسيحيين، كما يشير إلى ذلك أيضا ما وجد في الكتابات على الصخور في غابة (Cockaponset) بأمريكا. وذلك استنادا إلى أعمال الباحثين الأمريكيين الثلاثة (John Gallacer, Barry Fell et Norman Totten)، وذلك ما أشار إليه أيضا الباحث المؤرخ الأستاذ عبد الهادي التازي.

ومن الجدير بالذكر أنه يشار على أن الإسلام وصل إلى منطقة فجيج عن طريق مجموعة من الحجيج المسيحيين الفجيجيين الذين صادف وجودهم في فلسطين زمان وقعة اليرموك سنة 25 / 645، فأسلموا وحملوا إلى قومهم تعاليم الدين الحنيف، قبل فتوحات عقبة بن نافع للمغرب بحوالي 37 سنة. ومنذ بداية النصف الثاني من القرن الثاني الهجري (بداية الثامن الميلادي) ومنطقة فجيج تخضع للنفوذ الخارجي سياسيا ومذهبيا، حيث كانت نقطة تماس بين إمارتين خارجيتين : مكناسة الصفرية (بني مدرار) بسجلماسة (تافلالت) غربا والإباضية (بني رستم) بتهرت (تيرت) شرقا. وعندما تم القضاء عليهما في بداية القرن الرابع الهجري، (العاشر الميلادي) أصبحت المنطقة تحت النفوذ الفاطمي سياسيا ومذهبيا أيضا.

ولم يكن من باب الصدفة أن يتواجد أحفاد إدريس في منطقة فجيج منذ بداية القرن الرابع الهجري (النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي) وذلك بالكثرة المعلومة، لولا أنهم لم يكونوا على علم بأهمية المنطقة، وما كان يروج فيها، حيث اندمجوا في البطون الزناتية مركزين على نشر تعاليم الدين الإسلامي الصحيحة، جماعات وأفرادا، الشيء الذي تبلور في القرون الموالية عل شكل زاوايا علمية عمت المنطقة، وبرزت بشكل أوضح ابتداء من القرن الثامن الهجري، لأن المنطقة تعرضت منذ بداية النصف الثاني من القرن الخامس الهجري إلى القرن السابع الهجري لهزات عنيفة متوالية وتطاحنات مهولة سواء في ذلك ما تم بين البطون الزناتية نفسها أو بينها وبين القبائل العربية القادمة من الشرق أو ما بين الدول المتعاقبة على السلطان شرقا وغربا مثل صنهاجة والمرابطين والموحدين... إلخ.

ومع بداية القرن الرابع الهجري (بداية العاشر الميلادي) أصبحت منطقة فجيج مهيأة للتمذهب بالمذهب السني، نظرا لتواجد الأدارسة فيها بكثافة. ونظرا للعلاقة الوطيدة التي تربط منطقة فجيج بسجلماسة التي رفضت مذهب الخوارج منذ أن تولي أمرها أحمد ابن الفتح بن ميمون الملقب الشاكر بالله سنة 321 / 933 والذي أخذ بالمذهب السني خلافا لأسلافه الخوارج. إضافة إلى أن المنطقة تجاورت مع الإنتفاضة العارمة التي عمت المغرب الأقصى ضد الشيعة أيام حكم المستنصر بالله صاحب الأندلس في بداية النصف الثاني من القرن الرابع الهجري (961 م). وباعتناق المذهب السني من طرف المعز بن باديس الصنهاجي بالقيروان في بداية النصف الثاني من القرن الخامس الهجري / بداية النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي، بدل المذهب الشيعي (الرافضة) الذي فرضه العبيديون على أسلافه، أعلن سكان المنطقة تشبثهم الصريح بمذهب السنة.

عند الزحف المرابطي نحو الشمال استقر منهم فخذ زناقة في منطقة فجيج، ليضمنوا بذلك بسط نفوذ الدولة المرابطية على المنطقة الجنوبية الشرقية، فأسسوا الحصون، ووطدوا للسلطة المرابطية الجديدة. ثم انتقل جزء كبير منهم إلى تزناقت بإقليم ورزازات. وعندما تم بسط نفوذ الموحدين على المنطقة، استوطنت أغلب بطون زناتة ومن انضاف إليهم في القصور ما بين فجيج وتوات، بينما استقر عرب معقل في ضواحيها.

ونتيجة للاستقرار الذي ساد المنطقة في عهد الموحدين، أصبحت هذه المنطقة الطريق المفضلة والرئيسية للقوافل التي تتجه نحو السودان.

وفي عهد السعديين وحتى قبل أن يقدم السلطان أحمد المنصور الذهبي (990 / 1582) على إخضاع السودان، فإنه أعاد بسط نفوذ الدولة على منطقة فجيج وركز سلطانه فيها ماديا ومعنويا كما فعل أسلافه قبله محمد الشيخ، عبد الله الغالب وعبد المالك حيث أعاد بناء دار الإمارة وهيأ ظروف الاستمرارية حيث أصبغ على الزوايا في المنطقة الصبغة التمثيلية، سواء في ذلك الصوفية منها أو العلمية حيث تم ربط الصلة برجالات الزاوية العملية لآل عبد الجبار، حتى أصبح الإمام أبو القاسم بن محمد ابن عبد الجبار من علماء البلاط في مراكش، وشد عضد الزاوية البوشيخية الصوفية

بمنطقة فجيج، حتى أصبح نفوذها متوغلا إلى تخوم توات وتيگورارين جنوبا وسجلماسة غربا والغواط شرقا وبني يزناسن شمالا. وبلغ ذلك النفوذ ذروته العبد الوافية إحدى أعمدة الاستقرار والتوازن بفجيج.

لقد حاول الأتراك غير ما مرة، بسط نفوذهم على المنطقة فلم يفلحوا، وكانت آخر محاولاتهم في هذا العهد سنة 991 / 1593 حيث تم الصلح بينهم وبين أهل فجيج على أن يبتعد الأتراك عن المنطقة، كما تسجل ذلك الوثائق والتقاييد المحلية.

اتخذ الفقيه العالم أحمد بن أبي محلي من منطقة فجيج نقطة انطلاقه لثورته ضد السعديين، حيث توجه منها سنة 1019 / 1610 إلى سجلماسة، ومنها إلى مراكش قصد الاستيلاء على الملك.

اهتم السلطان العلوي مولاي امحمد الأول بمنطقة فجيج قصد تثبيت النفوذ السياسي للسلطة الجديدة منذ 1051 / 1640 (الوثائق المحلية).

وفي سنة 1089 / 1679 عرج جيش السلطان إسماعيل على منطقة فجيج وهو في طريقه لإخضاع القبائل الصحراوية وتأديبها، مثل العمور وذوي منيع وأولاد جرير وحميان، حيث تمت المعركة الفاصلة في المكان المسمى مولاي الحران، 30 كيلومتر شمال فجيج، وتم القضاء نهائيا على ثورة إخوان المولى إسماعيل (مولاي الحران، مولاي هشام ومحمد) كما تشير إلى ذلك التقاييد المحلية المعاصرة.

ولما تولى الداي التركي محمد بن عثمان الكبير ولاية وهران سنة 1192 / 1779 بسط نفوذه على الأقاليم الصحراوية الواقعة شرق المملكة المغربية مثل إقليم فجيج وتوات وكورارة وحميان (بني عامر)، ويرجع ذلك إلى أن السلطان محمد بن عبد الله خلال هذه الفترة وقبلها كان مشغولا بتهدئة الأوضاع ومحاربة الفتن والفوضى التي عمت المملكة. ومنها ثورة أحمد الخضر بن الزبير الفتان في بداية السبعينات من القرن الثاني عشر الهجري / نهاية الخمسينات من القرن السابع عشر الميلادي والذي اتخذ مدينة فجيج محورا لها.

وفي سنة 1205 / 1792 ساهم أهل فجيج في تحرير ثغر وهران من يد الإسبان نهائيا وذلك بتلغيم أسواره.

ولما استقام الأمر للمولى سليمان، وذلك بعد القضاء على إخوانه وتهدئة الأوضاع في المناطق المختلفة، اتجه عزمه نحو إرجاع الأمور إلى نصابها في الجهة الشرقية والجنوبية الشرقية من المملكة، فتوجه سنة 1218 / 1803 إلى تازة، ومن هنالك جهز جيشا تحت قيادة محمد الصريدي عامل سجلماسة، فتوغل في الصحراء حيث استرجع نفوذ الدولة على إقليم فجيج. وفي عام 1221 / 1807 عين القائد عياد بوشفرة لإدارة شؤونها.

وفي سنة 1222 / 1808 استرجع إقليمي توات وگورارة.

وفي سنة 1254 / 1838 استنجد الأمير عبد القادر المختاري الإدريسي بأهل فجيج من أجل تلغيم الطرق والمسالك أمام الجيش الفرنسي.

وفي سنة 1276 / 1859 دعاهم السلطان مولاي عبد الرحمان للمساهمة في محاربة الإسبان بتطوان تحت قيادة أخيه الأمير المولى العباس بن هشام من أجل زرع الألغام وتفجيرها.

منذ بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي وفجيج هدف من أهداف السلطة الاستعمارية الفرنسية، إذ كانوا يعتبرونها مصدرا رئيسيا للمقاومة التي كانت تقض مضجعهم في الجنوب الغربي من إيالتهم، حيث تعددت المواجهات: معركة المعدر، ومعركة أسمان 1299 / 1881، معركة فج اليهودية 1300 / 1882، معركة تاغلة 1320 / 1902، ومعركة تاغيت 1331 / 1903 وبعدها مباشرة تمت قنبلة فجيج بتاريخ 08 / 06 / 1903 وبذلك تم بسط النفوذ الفرنسي على المنطقة نهائيا، إلا أن المقاومة المعنوية والمادية من طرف أهل فجيج، لم تتوقف، فانخرطوا في الحركات الوطنية المنظمة منذ بدايتها، فأسسوا المدارس الحرة وانخرطوا في جيش التحرير إلى أن تم إخراج المستعمر.

وخلاصة القول فإن لفجيج دورا حضاريا وتقاليد متميزة، أسس لها رصيدها التاريخي البعيد والعميق والمشبع بالحضارة العربية الإسلامية، ويظهر ذلك بجلاء في تقاليدها وثقافاتها وصناعاتها، وفي طبيعة ساكنتها المتميزة بالتعايش والتفتح ورحابة الصدر والبساطة دون الانصهار أو التنكر للأرض والإنتماء.

وتمتد جذور التميز الحضاري للمنطقة إلى ما قبل التاريخ حيث يلاحظ قدم حضور الإنسان البدائي وملامح تطوره الحضاري والثقافي.

منذ القرن التاسع الهجري وطوال القرون التالية ومنطقة فجيج تدافع عن ذاتية الدولة المغربية في الجنوب الشرقي، فلا الدولة العثمانية ولا النفوذ الفرنسي فيما بعد استطاع التحكم في تلك المنطقة رغم المحاولات المتكررة.

يتجلى بوضوح من خلال الدراسة التحليلية والمعمقة لتاريخ فجيج، أن حساسية موقعه جعلت منه منطقة استراتيجية، ونقطة تماس وخط احتكاك، بين القوى المختلفة المتعاقبة والتيارات المتباينة. ولم يقتصر ذلك على العهود المتأخرة بل يمكن تتبع جذور هذه الظواهر عبر التاريخ البعيد للمنطقة. إذ كانت منطقة فجيج تمثل دائما مركز تبادل واحتكاك بين ما هو شمالي وجنوبي أو شرقي وغربي سواء في ذلك ما يهم المعتقدات أو المذاهب أو الأنظمة أو القبائل، الشيء الذي عرض المنطقة لهزات عنيفة وتحركات قوية تخللتها محطات استقرار تطول وتقصر تبعا لنفوذ الدول الكبرى التي تعاقبت على السلطان شرقا، غربا وشمالا.

محمد بوزيان بن علي، *واحة فجيج تاريخ وأعلام*، الدار البيضاء، 1987 ؛ أحمدبن عبد الله بن أبي محلي، *الإسليت الخريب في قطع بلعوم العفريت النفريت*، م. خ. ح. 100 ؛ *منجنيق الصخور*، م. خ. ع. 338 ق ؛ محمد بن عبد السلام بن ناصر الدرعي، *الرحلة*

الكبرى، م. خ. ع. 1327 د ؛ أحمد بن محمد بن داوود الهشتوكي، *هداية الملك العلام إلى بيت الله الحرام*، م. خ. ع. 147 ق ؛ عبد الرحمان بن محمد بن خلدون، *العبر*، سبعة أجزاء، دار الكتاب اللبناني، 1959 ؛ محمد بن محمد ابن ناصر، *الرحلة الناصرية*، المطبعة الفاسية، 1320 ؛ أبو القاسم بن أحمد الزياني، *الترجمانة الكبرى*، مطبعة فضالة، 1961 ؛ العربي هلالي، *فجيج : تاريخ وثائق ومعالم*، طنجة، 1981 ؛ علي بن محمد السوسي، *منتهى المنقول ومشتهى العقول*، خ. ع. 633 د ؛ أحمد بن خالد الناصري، *الاستقصا*، تسعة أجزاء، تح. محمد وجعفر الناصري، دار الكتاب، 1956 ؛ محمد داوود، *تاريخ تطوان*، تطوان، 1964 ؛ عبد الرحمان العثماني، العربي هلالي، عمرو عبو وإبراهيم باهو، منشورات جمعية النهضة بفجيج، 1997 ؛ العربي الصقلي، *ذاكرة المغرب*، الجزء الأول، 1983 ؛ أحمد مزيان، *فجيج مساهمة في دراسة المجتمع الواحي المغربي خلال القرن التاسع عشر الميلادي*، 1988 ؛ العشرات من المراجع والمصادر الأجنبية، جلها مثبتة بفهرس مراجع الكتاب : العربي هلالي، *فجيج تاريخ، وثائق ومعالم*، المطابع المغربية والدولية، طنجة 1981 ؛ *وثائق العربي هلالي ووثائق عبد الكريم الفلالي*.

العربي هلالي

الفگيگي، إبراهيم بن إبراهيم الأنصاري نسبة إلى الأنصار حسبما ذكر الرحالة الهشتوكي يعرف في الوثائق بإبراهيم بن آمنة، يتحدث عنه الهشتوكي حديثا ندیا زكيا فيقول : ... طالب عالم، كان بفاس يلازم مجالسنا العلمية خلافة السلطان الرشيد، وقد حج بيت الله الحرام، وزار رسول الله عليه السلام، وما تزوج قط، وكان ذا دين قوي، وأخذ العهد عن شيخنا القطب سيدي محمد بن ناصر ـ نفعنا الله به آمين.

ويستنتج من ترحم الهشتوكي عليه أنه توفي قبل عام 1096 / 1685، وهو مدفون بالمسجد الكبير إلى جانب عيسى بن عدي بقصر الوادغير.

أحمد الهشتوكي، *رحلة هداية الملك العلام إلى بيت الله الحرام*، م. خ. ع. 147 ق ؛ العربي هلالي، *فجيج تاريخ وثائقه ومعالم*، ص. 109.

الفگيگي، إبراهيم بن إبراهيم بن عبد الجبار، أبو إسحاق، ولد حوالي 860 / 1455. تلقى علومه الأولى في زاوية والده على السنن المعروف آنئذ من حفظ القرآن الكريم، وإتقانه رسما وتجويداً واداءً، وتلقين بعض المتون الضرورية في الفقه، وتعلم مبادئ العربية. وفي مرحلة لاحقة انتقل إلى فاس للاستزادة والتوسع، فأخذ عن ابن غازي (ت. 919 / 1513) وأبي العباس الونشريسي (ت. 914 / 1508) وأحمد بن محمد بن يوسف الدقون (ت. 921 / 1515)، وفي تلمسان لقي ابن مرزوق الكفيف (ت. 901 / 1490) ومحمداً بن يوسف السنوسي (ت. 895 / 1490) ومحمد ابن عبد الكريم المغيلي (ت. 909 / 1503) ... وفي مصر جلال الدين السيوطي (ت. 911 / 1505) وكمال الدين الطويل ... وفي الحرمين الشريفين جلس إلي حلقات شمس الدين السخاوي (ت. 902 / 1497) وعمر بن عبد الرحيم الشافعي، وأحمد بن موسى بن عبد الغفار المالكي، وأبي الحسن الأشموني الذي أهداه نسخة من تعليقه على نظم جمع الجوامع وعليها إجازته مؤرخة في الثاني والعشرين من ربيع الثاني سنة 903.

رحل المترجم إلى المشرق أكثر من خمس مرات طالبا ومطلوباً، ومفتيا وقاضيا حتى قل بلد لم يطأها من الأمصار" على حد تعبير ابن أخيه أبي القاسم، ثم انتهى به المطاف إلى مسقط رأسه (فجيج) قبل أن يجبره اختلال حبل الأمن، ومقتل صديقه القاضي عبد الحق السكوني على الهجرة الأبدية نحو السودان الغربي سنة 920 فاستقر في مدينة (جنى Dgenné)، شاهداً على إشعاع المغاربة في هذا الصقع، وأثرهم المحمود في انتشار الإسلام بين أبنائه.

ترك أبو إسحاق خلفه عدة مصنفات بلغنا بعضها، وضاع بعضها في الضائعات، ومنها :

ـ تأليف على قواعد الإسلام : ذكره تليمذه الوادي آشي. وأشاد بمنهجيته قائلاً : "ومثل فيه هذا البيت المبني المستعار في الحديث ببيت شعر له أعمدة وعماد، وحبال وأوتاد، على مثال لم يسبق إليه، ومنهاج لم يسلك أحد قبله عليه..." ويعتبر في حكم المفقود.

ـ مفيدة اللبيب : منظومة فقهية طويلة بلغت 817 بيتا أبدع فيها وأجاد، وضمنها من عيون الفقه ونوادر المسائل مالم يوجد في غيرها. منها نسخ خطية متعددة في الخزانات العامة (الناصرية رقم 1804) والخاصة.

ـ شرح دلائل الخيرات : ذكره صاحب الموسوعة المغربية (ج 2، ص. 9).

ـ منظومة في نسب بني إدريس : وهي من المطولات أيضا. نقل منها علي السوسي في رحلته منتهى النقول ومشتهى العقول أبياتا كثيرة. وهي موجودة لدى الخواص.

ـ روضة السلوان : قصيدة عينية في الصيد، صدرها بمقدمة مؤثرة تؤرخ للفوضى العارمة التي عمت فجيج صدر المائة العاشرة. أبياتها 214 من الطويل، ومطلعها :

يلومونني في الصيد والصيد جامع لأشياء للإنسان فيها منافع

وقد عدها الدكتور عبد الهادي التازي من المبادرات الأدبية المغربية الفريدة ؛ ذلك أنها تناولت موضوعا طريفا لم يكن من المعهود طرقه ولاعلاجه بالمغرب الأقصى على ما في علمنا. بل هي من القصائد العربية التي انخرطت في سلك الآداب العالمية بامتياز فعرفها الفرنسيون والإسبان والألمان والانجليز، واستشهدوا بأبياتها ومن الدلائل التي ترسخ سيرورتها وشهرتها عناية الأدباء والنقاد بشرحها والتعليق عليها، ومن الشروح المعروفة لدينا :

1 ـ شرح أبي القاسم بن مَحمد بن عبد الجبار المطبوع بعناية الدكتور عبد الهادي التازي تحت عنوان : الفريد في تقييد الشريد وتوصيد الوبيد.

2 ـ تكميل الفريد، لأبي القاسم بن الهاشمي الفزكاري، منه نسخة مخطوطة ضمن مجموع بالخزانة الحسنية تحمل رقم 506.

3 ـ الشقائق النعمانية في شرح الروضة السلوانية للعلامة محمد بن أحمد الراشدي المشهور بأبي راس المعسكري، المتوفى عام 1238 / 1823. منه نسخة فريدة في دار الكتب المصرية بالقاهرة، رمز "متب تيمور ـ 3 ـ فروسية".

4 ـ الوصيد في شرح سلوانة الصيد، له أيضا، ذكره عبد الرحمن بن محمد الجيلالي في تاريخ الجزائر العام، ج 3 ص. 574. ومنهم من تصدى لها بالمعارضة كقول أحد شعراء فجيج :

يلومونني في الصمت والصمت دافع ... لأشياء للإنسان فيها موانع
وقد وردت في الصمت في غيرما يعني ... أحاديث للمختار وهي قواطع

أما النقل عنها فمشاهد في كثير من المؤلفات كمنجنيق الصخور لابن أبي محلي والكوكب الأسعد لابن حمزة المكناسي. والابتهاج بنور السراج لأبي العباس البلغيثي، والتراتيب الإدارية للكتاني ... الخ.

وهذه الأسباب تحتشد متضامة إلى غيرها لتزرع فينا شجاعة تلقيب هذا الشاعر القناص بأمير شعر الطرديات في المغرب حتى يظهر من يدفعه عن المكانة واللقب.

ولإبراهيم قصائد أخرى يعبر بعضها عن عقيدته الصلبة ومواقفه الثابتة الحازمة، فكان طرفا فاعلاً في قضية يهود توات إلى جانب شيخه المغيلي فأوجب مثله هدم كنائسهم، ووصفهم مثله بأوصاف تجعلهم ناقضين للعهد (المعيار المعرب ج 2، ص. 214 وما بعدها) بل هجا المسالمين من أهل توات هجاء مراً يسفههم ويطعن في عقيدتهم، يقول :

أيا قاطني توات فاصْغوا إلى قولي ... فقد آن أن أبوح بالبعض والكل
أأنتم على دين النبي محمد ... أم القوم واليهود شكل إلى شكل ؟
فما بالكم شرفتموهم عليكمو ... والإسلام أولى أن يشرف في الأصل
فإن كان هذا الرأي رأي فقيهكم ... فما الظن بالسفيه والناقص العقل ؟ !

وحينما قتل صديقه عبد الحق السكوني قال قصيدته المشهورة التي مطلعها :

تغيرت البلاد واحلولك الليل ... وشب ضرام الشر وانهمر السيل
وآن الرحيل من بلاد تأمرت ... بها المفسدون واستمر بها الهول

ولا تزال هناك جوانب خفية عن حياته العلمية خاصة في السودان حيث قضى أزيد من ثلاثين عاماً.

توفي حوالي 954 / 1547.

الفريد في تقييد الشريد (مقدمة عبد الهادي التازي) ؛ أحمد بن القاضي، جذوة الاقتباس، الحفناوي، *تعريف الخلف* ؛ محمد بوزيان بنعلي، *فجيج أعلام الفكر والأدب بين العصرين المريني والعلوي*.

الفگيگي، أحمد بن أبي **زيان** بن يعقوب الجراري. من أهل النصف الثاني من القرن 13 / 19م. لا نعلم له رحلة علمية خارج فجيج، ولا شيوخا، ولا تلاميذ. إلا أنه أشار في أحد مصنفاته أنه تخرج على يد شيوخ متمرسين في علوم القرآن. مارس التدريس في جامع بني جمال ثم المسجد الكبير بقصر الوداغير.

اشتغل بعلم القراءات، وبرع في مسائل الوقف والابتداء. وله فيها رسائل حسان. وعلى هذا العلم قامت شهرته في فجيج ونواحيها، وقصده الناس، واستفادوا منها، وزاد هذه الشهرة ألقاً واتساعا دخوله في مناظرات ومعارك فكرية مع علماء زمانه، بذهم جميعاً وأسقطهم، لولا أنه كان يتحامل على معارضيه بعنف، ويتهمهم بالعجرفة والعناد، والابتداع، والبلادة والسفه، والخروج عن سبيل الحق : "... ومن المتكبر الذي يعقد دعواه بالكذب والجور أم من الجاهل الجهل المركب والذي اتصف بجميع ما وصفته به في كتابك ؟ ومن الذي قلب الحقائق ؟ ومن المتبع من المبتدع ؟ ومن الذي ثبتت قراءته على الشيخ ومن الذي يأخذها من الأوراق ؟ ... الخ".

ويبدو من كتاباته أنه كان شديد الاعتداد بنفسه، معجبا بها، ضيق الصدر، كثير النقد، وكان محيطا بعدد من فنون المعرفة، وخصوصا في النحو واللغة والعروض والفقه، وكان ذا خط رائق بديع.

من مؤلفاته :

ـ رسالة التنوير في الرد على من منع وقف هذه الآيات من أهل الشكير.

ـ رسالة النقاد في الرد على المبتدع ابن الرقاد (وهما معا محققتان في العدد الأول من سلسلة تراث فجيج تحت عنوان : *فجيج نصوص من التراث الفكري* : تحقيق العربي هلالي، محمد بوزيان بنعلي).

ـ رسالة الجواب في الرد على أحمد الجبلي الخارج عن الصواب (مخطوط خاص).

مؤلفات المترجم المذكورة أعلاه ؛ العربي هلالي وبوزيان بنعلي، فجيج نصوص من التراث الفكري، دار الجسور، وجدة، 2003.

الفگيگي، أحمد بن **سليمان** بن الرقاد الودغيري قرارا. فقيه ورع، زاهد قنوع، مجتهد في أعمال البر، وخطاط ماهر حاذق. انتظم في سلك الطريقة الدرقاوية، وصار من أقرب مريديها إلى شيخه، يزوره كل عام تقريبا، ويطيل المكث عنده ليتبرك بطلعته وينسخ له ماجد من مؤلفات منها :

ـ تقييد مبارك لأحمد بن محمد بن عجيبة الحسني (ت. 1224 / 1809)، كان الفراغ من كتبها عشية يوم السبت ثاني جمادى الثانية 1209.

ومن منسوخاته أيضا :

ـ الاغتباط في شرح نزهة الاستنباط للعلامة المشارك عبد الرحمن الفاسي (ت. 1096 / 1685).

ـ المصباح ونزهة الأرواح في أسرار علم المفتاح لابن أيدمر الجلدكي. فرغ منه ضحى يوم السبت منذ نصف شعبان 1217.

ـ معونة الصبيان على الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع : مما عني بجمعه وتأليفه سعيد بن سعيد بن داوود بن سليمان بن الحاج الجزولي ... نسخها عام 1200.

بقي المترجم منهوما بين نسخ الكتب وصلة شيخه الدرقاوي والاجتهاد في العبادة إلى أن لبى داعي الله عام 1226.

وثائق مخطوطة، خاصة : محمد بوزيان بنعلي، *بيوتات العلم والأدب بفجيج*.

الفكيكي، أحمد بن عاشور السمغوني الأصل، قال فيه صاحب كشف الحجاب : العلامة الكبير الذي طار صيته في كل الأقطار، وتفجرت من صدره ينابيع الأسرار، أخذ الطريقة التجانية عن صاحبها مباشرة، وأسهم في نشرها في الصحراء الشرقية حتى توفي بفجيج".

كان معاصراً للعالم الأديب محمد بن الصديق بن حمادي. وكانت بينهما مناظرات تشي بعلو كعبه في علوم الفقه والعربية.

توفي في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري / 19.

عبد العزيز بنعبد الله، *الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية*، مطبعة فضالة، 1975.

الفكيكي، أحمد بن عبد الرحمن بن بودي. من أخص تلاميذ الشيخ الصوفي عبد القادر السماحي، وأنجب مريديه، لمع اسمه منذ بدايات القرن 11 / 17، حين اعتبره أحمد بن أبي محلي طرفا فاعلاً في صراعه المزمن ضد السماحي المذكور. ويستنتج من خلال كثرة الإشارة إليه في المنجينق والمهراس أنه كان نجما لامعاً في سماء العلم، ولسنا بليغا يُخشى جانبه، حتى إن أبا محلي كان في كثير من خطاباته يلاينه ويجامله طمعاً في استقطابه، بل ويصفه بألقاب علمية جليلة "وقاك الله يا ابن بودي سوء الخاتمة ... وأرجو الله تعالى أن يلهمك سبيل هدايتك، فإنه أخونا في الطلب العلمي، والنسب العلمي، فأين النحو ؟ وأين الحديث ؟ وأين الفقه الذي تفرق به بين الطيب والخبيث ؟ فبحق الله عليك إلا ما رجعت حلمك، واستنصحت علمك، واخل بنفسك وحدك واستصفها تصدقْك، وحسبك ما عندك فإنك لبيب عاقل ... وأشقى الأشقياء عالم لم ينفعه الله بعلمه".

تعاطى ابن بودي التدريس، ومارس الفتيا والقضاء إلى عام 1036 / 1627. ويبدو مما وصلنا من شعره أنه كان أديبا ظريفا. وأن شعره في ريعان الشباب ومرّة العزوبة كان مطبوعا بالتماجن، وتزيق جلبات الحياء والتَصاون. من ذلك قوله في بائيته وفيها من الغزل الفاحش ما فيها : (متقارب).

ألا ليت دهري يساعدني ... فأنزل ضيفا بتلك القباب
لعلي أشفي بلعب البنات ... غليل قلبي، وأروى الخراب
فيا ابن سعيد تذم الكرام ... فهلا رأيت الكريم يعاب
تكرمن جوداً لحق العزيب ... فصيح الكلام مليح الشباب

وله تائية طويلة رثى بها شيخه السماحي، سماها : "روضة الأحزان، ومهجة قلوب الإخوان، لتعلم كيف تنل الزمان، شيخنا وقدوتنا نجل أبي داوود سليمان" ومطلعها : (طويل).

طلبت من الرحمن عون استقامة ... على روضة الأحزان نظم الرثاثة

ويستنتج من ترحم صاحب تقوية إيمان المحبين عليه أنه توفي قبل عام 1056 / 1646.

أحمد بن أبي محلي، *منجنيق الصخور*، م. خ ع، 338 ق ؛ أحمد بن محمد بن عبد الرحمن السكوني، *تقوية إيمان المحبين* ؛ *وثائق وقصائد شعرية*، مخطوطة خاصة.

الفكيكي، أحمد بن العربي بن أبي زيان ابن رحو، من آل الإمام عبد الجبار. ولد حوالي 1222 / 1807. بدأ حياته العلمية في معاهد فجيج، فحفظ القران الكريم، وأتقن رسمه وضبطه وأخذ مبادئ اللغة والفقه عن جماعة من الشيوخ، ثم خرج في غربة طويلة إلى تافيلالت حيث لقي الغازي بن العربي السجلماسي، ومحمد العربي بن قاسم الحسني وإلى فاس موئل الطلاب وكعبة القصاد. ولئن عجزنا أن نعدد شيوخه فإن في كتاباته ما يؤكد أنهم كثيرون، كقوله : "قاله شيخ شيوخنا سيدي عبد الله العياشي في أول شرح نظمه للبيوع ابن جماعة. وتقدمه الأدبيات المحضرة للاستدلال "فقيها نبيها لبيبا، وعالما جليلا، وكاتبا بارعا، وأديبا أريبا، وشيخ المشايخ، ... الخ"، ولا غرو، فقد كان متصوفا عاملا، وعالما كبيراً يتخذ السيوطي نعم المقتدى به، ويحرص أن يقاديه في ثقافته الموسوعية، فهو به معجب إلى حد الهوس.

صاحب وراسل عدداً من مشاهير وقته في العلم والأدب والسياسة والتصوف منهم الأمير عبد القادر الجزائري، ومحمد العربي الهاشمي (ت. 1309 / 1891) وعبد الواحد ابن فقيرة الأنصاري المكناسي (ت. 1317 / 1899) وعبد الله بن محمد بن جعفر الشريف الحسني، وغيرهم.

تولى خطة الأحكام بفجيج ولقب بقاضي الجماعة، وانتصب للإقراء والإمامة والخطابة والفتوى، ولم يشغله ذلك عن نسخ عدد من المؤلفات بخطه الزاهي، والتصنيف في الفقه والنحو والتصوف والتاريخ، نعدد منها ما سلم من عوادي الزمان أو ماوقعت الإشارة إليه في وثيقة أو تقييد.

- روضة الأنس فيمن لا يسأل في الرمس : وهي نظم من 29 بيتا. عدد فيه موتى المؤمنين الذين أمنوا فتنة القبر وسؤال منكر ونكير، شرحها شرحا مستوفيا حافلا بالنوادر، والفرائد، والتنبيهات، والتعليقات ... (حققه الأستاذ بناصر جباري من نسخة خزائنية نادرة وهو قيد الطبع).

- الذخيرة : في سيرة جده التاسع، كما يحلو له أن يسميه الإمام عبد الجبار وبعض أولاده وأحفاده. وهو الآن في حكم المفقود وإن ذكروا لنا أنه لدى أحد أعقابه.

إضافة إلى أراجيز نظم فيها أقوال الفقهاء والنحاة، ومثال ذلك نظمه قول ابن مالك في اسم المصدر، ومنه :

وبعد، فالمفعول أعني المطلقا ... مؤكدا .. مبينا .. قد حققا
والأصل فيه أن يكون مصدراً ... وقد ينوب عنه دال قررا
فناب عن مبين فيما أثر ... ثلاثة عشر فحصل ما ذكر ...

وله أيضا قصائد شعرية منها رائيته في مدح الأمير عبد القادر الجزائري.

لا نعرف سنة وفاته بالضبط والمؤكد أنه كان في عداد الأموات عام 1322 / 1904 بدليل ترحم ابنه عليه في إحدى رسائله الصوفية.

روضة الأنس فيمن لا يسأل في الرمس للمترجم ؛ وثائق ومراسلات وقصائد مخطوطة خاصة ؛ محمد بوزيان بنعلي، فجيج أعلام الفكر والأدب.

الفكيكي، أحمد بن علي بن حموش الفخار الودغيري سكنا. شيخ الفخارين ورئيسهم بلا منازع، خلال القرن الثاني عشر (18 م). تنسب له الوثائق المحلية مهارة لا حدود لها في تشكيل الطين والتفنن في تحويله إلى تحف نادرة، حتى إن شهرته تعدت مجال فجيج. جاء في إحدى رسائل الفقيه عبد القادر بن محمد بن بوزيان من آل عبد الجبار (ت. 1176 / 1763) إلى صديقه بقصر "استيتا"، .... وبعد ... على شأن أحمد بن علي بن حموش الفخار، كل صنعة يريد الإنسان من أجل الفخارة فهي عنده، أنْهَلّ فيه يضع لكم ما شئتم.

والمعروف عند أهل فجيج أجمعين أن "آل حموش" هم مشايخ المتخصصين في هذه الصناعة توارثوها كابراً عن كابر، وقد وجدنا بعض الوثائق تنعت آباءهم بخُدام مَحمد بن عبد الجبار (ت. 956 / 1549) وبناء على التواتر الشائع بأن أسلاف آل حموش وردوا على فجيج من المدينة المنورة في القرون الأولى للهجرة.

وثائق ورسائل (مخطوطة).

الفكيكي، أحمد بن علي السعيزي، المعلم، من ذوي المهارة والخبرة العميقة في البناء، كان الناس يتحاكمون إليه في تقويم الأبنية، وتقدير أثمان الجدران، وتكلفة البناء، وكما تقول الوثائق "ترفع إليه أمور الأبنية".

كان حيا عام 1324 / 1906.

وثائق خطية (خاصة).

الفكيكي، أحمد بن أبي القاسم بن مَحمد (فتحاً) بن عبد الجبار وريث والده في ثقافته الموسوعية دون سائر إخوته، أديب شاعر، فقيه نوازلي، مدرس نفاع، تاجر، مزارع، وقناص كعمه إبراهيم.

نأى بنفسه عن الصراع الذي توسعت فصوله بين السماحي وابن أبي محلي، ووزع وقته بين دينه ودنياه. ولم نسمع عنه أخباراً بعد عام 1036 / 1627.

وصلنا من إنتاجه فتاوى وأحكام وأجوبة، وهائية مبتورة في فقه الصيد، إلى بائية في نقد المجتمع الفجيجي مع شرحها (مبتورة أيضا) ورائية مطلعها :

إذا رحلوا من فجيج الظعـون فأم لياس لهم قـدرا

ومنها :

وعنهم سألنا فقيل لنـا تلاشت منازلهم في القـرى
وقد شتت الدهر شملهـمُ وصَيّرهم للورى عبـرا
فلم تبق في البيت باقية وهيهات : قاسَمَهم أشطـرا
منازلهم قد عفت آيـة فلم تبق فيها عدا الأحجـرا ...

وله قصائد في المولد النبوي الشريف لم يبق منها إلا مقطعات ونتف. وكوالده وأعماله ساهم في تأثيث خزانة دار العدة بمنسوخات لا يزال بعضها موجوداً إلى الآن ومثالها :

- تنبيه الأنام لاب عظوم القيرواني، فرغ منه أواخر المحرم سنة إحدى عشرة بعد الألف (يحمل في خزانة سيدي عبد الجبار رقم 17).

رسائل وفتاوى وأحكام ، مخطوطة خاصة ؛ رائية المترجم، خزانة عامة ميكروفيلم، 754.

الفكيكي، أحمد بن محمد بن عبد الرحمن السكوني، نجهل تاريخ ميلاده، وأطوار حياته العلمية، ولولا الإفادات التي احتفظت بها بعض مؤلفاته الباقية ما استطعنا معرفة طبيعة تكوينه الفكري. ونرجح على ضوء ما بأيدينا من قرائن أنه رأى النور حوالي 1018 / 1609، ولم تخرج بدايات تلقيه العلمي عما كان مألوفا في زوايا فجيج من تحفيظ القرآن الكريم، وجملة من المتون الضرورية... ثم التحول إلى مدينة فاس... ثم الرجوع إلى مسقط الرأس للاشتغال بالإقراء. وتولي الفتوى والقضاء، وبعض ذلك أشار إليه الهشتوكي في رحلته، بل إنه ذكر ما يفيد أن المترجم كان كثير التردد على فاس بعد سني الطلب حيث رآه بها خلافة الرشيد.

أخذ التصوف عن شيخ الزاوية الناصرية محمد بن محمد بن ناصر الدرعي (ت. 1085 / 1674) الذي زارفجيج غير ما مرة ولخص إعجابه بها وبأهلها في هذا البيت :

ديار عليها من بشاشة أهلهـا أثار نسر النفس حسنا ومنظرا

وصحب جماعة من فضلاء الوقت ونبهائهم وأدبائهم كأبي سالم العياشي، وأحمد بن سيعد المجيلدي، ومحمد بن إسماعيل المسناوي الذي أهداه نسخة من كتاب تيسير الوصول إلى جامع الأصول لابن الربيع، وأحمد بن محمد ابن ناصر، والهشتوكي وغيرهم.

انتهت إليه رياسة التصوف في زمانه بفجيج، وكان إلى ذلك فقيها ضليعا متمكنا، حتى إن أبا سالم العياشي سماه "فقيه البلد"، بيد أن ابن ناصر يتهمه بالقصور في علوم العربية، يقول : "وله معرفة بالفروع والتوحيد، ومارس ممارسة ما علوم العربية، غير أنه لم يبالغ فيها..." ويترجع صدى هذه التهمة في ما بلغنا من مؤلفاته التي يغلب عليها الطابع الصوفي والفقهي والمناقبي، ومنها :

- حبل الاعتصام في كشف ما سدل من الرواق على معاني كلمات تنبيه الأنام : يشرح فيه تنبيه الأنام في بيان علو مقام نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام،

للشيخ ابن عظوم القيرواني المتوفى عام 960 / 1553. ومنه نسخ خطية بفجيج.

- إتمام النعمة وسبب نيل الشفاعة والنجاة بكشف القناع على ألفاظ دلائل الخيرات : وهو شرح دلائل الخيرات للجزولي (ت. 870 / 1465)، ومنه نسخة بالخزانة الحسنية تحت رقم 3290.

- *تقوية إيمان المحبين والصديقين* : من المؤلفات المناقبية الخالصة، ركم فيه (154) كرامة من كرامات الولي الصالح عبد القادر السماحي (ت. 1025 / 1616)، حققه الأستاذ عبد الله طواهرية.

- نزول الرحمة وسبب نيل الاصطفا، في مناقب ساداتنا الخلفا، والصحابة وأهل البيت وأمة المصطفى، ضرب إليه العياشي بقوله : "وأطلعني سيدي أحمد ابن أبي بكر على تأليف له جمع فيه مناقب الخلفاء الأربعة" وهو مخطوط بخزانة مسجد مولاي عبد الله الشريف بوزان، رقم 376.

وله غير ما ذكر كتاب البركة وخزانة الرحمة، منظومة على صغرى السنوسي ذكرها ابن ناصر في رحلته وله قصائد ومقطوعات هي إلى شعر الفقهاء أقرب.

توفي في بدايات القرن الثاني عشر الهجري.

أبو سالم العياشي، ماء الموائد ؛ أحمد بن مَحمد بن ناصر الدرعي، *الرحلة الناصرية* ؛ أحمد الهشتوكي، هداية الملك العلام ؛ محمد بوزيان ينعلي، *بيوتات العلم والأدب بفجيج* ؛ العربي هلالي، *فجيج تاريخ وثائقه ومعالم*.

الفكيكي، أحمد بن محمد بن مَحمد الراشدي.

ولد حوالي 1210 / 1795. وتلقى علومه الأولى في زاوية أسرته، وزاوية آل عبد الجبار، واختلف إلى مجالس الفقيه الصوفي عبد الله بن فريحة السادات، فأعجب به، ولازمه، وأخذ عنه علوم الباطن ورأي من طلعته ويديه خيراً كثيراً حتى عده إمامه وقدوته وحسنة زمانه، بل ووصفه بعوض الوالد، وقوة الساعد، قبل أن ينشب بينهما الخلاف.

انتقل الراشدي إلى فاس ليبدأ مرحلة جديدة من مراحل الطلب، هي مرحلة التوسع والتعمق والتنوع، ومخالطة المشهورين من رجالات العلم والأدب، إلا أننا للأسف لا نعرف من شيوخه هناك إلا واحداً، هو أبو الفضل العباس بن أحمد بن التاودي بن سودة (ت. 1241 / 1826). قرأ عليه مختصر خليل، وموطأ الإمام مالك، ولم ينفصل عنه إلا بعد حصوله على إجازة تامة مطلقة عامة (مخطوط خاص).

بعد هذه الرحلة التي استغرقت خمس سنوات، عاد إلى فجيج إماما وخطيبا، وقاضيا ومفتيا، ومدرسا، بيد أن حنينه إلى فاس كان يكبر بين جوانحه يوما عن يوم مثلما يظهر من خطاباته البليغة الرقيقة إلى شيخه ابن سودة.

أصيب في مرحلة متقدمة من عمره بمرض ألزمه الفراش وكدر عليه المعاش ما يزيد على العامين كما صرح بنفسه في رسالة مؤثرة إلى "مولانا سليمان بن مولانا عبد الرحمن"، وتوفي أواخر القرن الثالث عشر.

وحتى نأخذ فكرة عن أدبه الترسلي نقرأ هذا الخطاب الذي بعثه إلى شيخه عبد الله بن فريحة لسبب نستشفه منه : "عوض الوالد، وقوة الساعد، قدوتنا أبو محمد السيد عبد الله بن فريحة، سلام عليك ورحمة الله، يتوجانك تاج العناية ويجيرانك من قبول السعاية. وبعد أيها السيد مذ قَرَّ لي في الأرض قرار، وكلفتُ بما يقربني من الجنة ويبعدني من النار، أنت الوالد وأنا الولد البار، حتى لم يبق لي ولك إلا الرحيل، ولقاء الملك الجليل، جاءك من أمرت بمقاطعته، ونهيت عن مواصلته. فأفسد بنميمة لحظة ما أسداه الود، وقطع في هذه المدة ما بلغه الجهد. فإلى الله المفزع منه والمشتكى فهو الذي أضحك وأبكى، ومنع وأعطى، ووفق من أصاب، وأضل من أخطأ، وليس العجب ممَن نمّ، بل العجب مما رامه كيف تمّ، وأنت من ذوي الأحلام، والصلحاء الأعلام الذين يعلمون أن الإجازة أقبح من السعاية، وهَبْ أنك حكمت على من أخبرك أنه صادق، أليس قد سماه الله فاسقْ، وقال عليه السلام : لا يدخل الجنة نَمّام. وهَبْ أن ما قيل لك كان، فأين ما أمرَ به مثلك مع مثلي من الآيات ؟ وأين حلمك مع جهلي ؟ [...] وكان الظن بسيدنا لما بلغه عني ما ساءه، أن يخلص لي دعاءه ويزيل رداءه، لينقذني من بحر الردي، وينزلني في سفينة الهدى، إذ هو الواجب على كل من اهتدي، لا سيما وقد بلغت بي محبتك حتى استولت على حسي تارة أعاتب فيها نفسي، وتارة أستفتي فيها خالق يومي وأمسي. وما كنت أظن أن بحر المودة الذي بيننا تكدره الدلاء، ولا حبل محبتنا يدركه البلاء، ولو أخبرني عنك خاطري بمثل هذا لقلت : إنه وسواس، أو إنسان لقلت : شر من الخناس، وأقول له :

لا أرْأمُ البَوَّ النفوخ ولا أري وأبيك قعقعة الشنان مهيدي

(البيت للحسن اليوسي من داليته في مدح شيخه ابن ناصر).

فو الله ما عرفتك إلا لله، ولا قصدت فيك إلا الله، وغاية القول مني لكل معارض، قول ابن الفارض :

أحبتي أنتم أحسن الدهر أم أسا فكونوا كما شئتم، أنا ذلك الخل

وما منعني من الأخذ عنك إلا خشية ألا أفي بحقك، فاكتفيت بالمحبة مع السلامة، لئلا يحصل لي من طلب الربح ندامة، ولا من التردد إليك إلا أمر ديني، يعلم ذلك مولاي مني.

وكتابي هذا استعفاء واسترضاء، لا عتاب واستعلاء.

وكتب من لا يصدق عنك قول الوشاة، ولا مكائد البغاة، لما لك عنده من الخصوصية، ولو استقبلته بحرب القادسية".

ومعلوم من أدبياتهما أن هذا الشيخ كان طرقيا درقاويا، وأن الراشدي امتنع من الأخذ عنه بعد عودته من فاس لنبذه الطرقية، وتأثره بالسلفية، فأشاع الحساد أن التلميذ يستقل علم شيخه، ويستخف بصوفيته، وما زالوا يكررون الشائعة حتى رجح لديه أنهم على حق فجفاه، ونبذه نبذ النواة.

إجازة ابن سودة للراشدي، خطية خاصة ؛ *مراسلات بين الراشدي*

وشيخيه ابن سودة وابن قريحة، خطبة خاصة ؛ العربي هلالي، فجيج *تاريخ وثائف ومعالم*.

الفكيكي، أحمد بن محمد بن موسى البريشي، المشهور بسيدي حدوش البريشي. لا ذكر له في كتب التراجم المغربية، وإنما استخرجنا بعض أخباره من كتابات ابن أبي محلي. ولد حوالي 965 / 1587، وجل تحصيله تم على أشياخ فجيج كأبي القاسم بن امحمد بن عبد الجبار (ت. 1011 / 1602)، ومربيها كرأس متصوفة وقته الشيخ عبد القادر السماحي (ت. 1025 / 1616)، كان في عداد مريديه وخدامه المخلصين، بل ثاني اثنين يضرب بهم المثل في الولاء له بعد ابن بودي : وإنك أيها البريشي وصاحبه المنتفان بزعم بنانهما ريشي...

وكانت بينه وبين أبي محلي مراسلات عديدة تشي بعلو كعبه في كثير من فنون المعرفة وحذقه في علوم الآلة. كما كان من أجل أصحاب ابن مريم التلسماني صاحب البستان وبينهما أيضا مراسلات حسان.

ويظهر أن ولاءه للسماحي تفتت تحت إلحاح ابن أبي محلي وإصراره على استقطابه فصار كما قال شخصيا (أي المترجم) في إحدى رسائله "إنه لا يخفاكم حالنا معكم، ونسبتنا منكم كنسبة الفيء لقامته... وحين زل بنا القدم حل بنا حينئذ الندم...

لم يبق من كتاباته إلا رسائل معدودة، وأشار ابن أبي محلي إلى أن له كرامة أجاب فيها عن أسئلة طرحها عليه.

توفي قبل عام 1056 / 1647.

أحمد بن أبي محلي، *مهراس رؤوس الجهلة*، مخطوط خ ع 192 ك؛ أحمد السكوني، *تقوية إيمان المحبين* (مطبوع).

الفكيكي، أحمد بن موسى والد الإمام عبد الجبار (انظر ترجمته). "القرم العظيم، والبركات العظمى، والملاذ الأحمى، أبو المواهب العرفانية، والأسرار الربانية..." من أهل القرن التاسع (15 م) نجهل عنه الكثير. ولكنه عند أهل فجيج معلوم الولاية والصلاح والفقه، تصدر للإصلاح الاجتماعي، ومحاربة المذاهب المنحرفة. حفر متوضأ تحت الأرض لازال إلى يومنا يعرف بالبَحْبُوحَة، وشيد فوقه جامعا للعبادة والتدريس والوعظ، خرج أجيالا من الفقهاء والعلماء، وكان موردا مورودا إلى بدايات القرن الرابع عشر الهجري (أواخر 19 م).

توفي خلال النصف الثاني من القرن التاسع، وقبره مشهور على يسار النازل إلى البحبوحة في قصر المعيز.

الروايات الشفوية ؛ *رسالة* (مخطوطة خاصة).

الفكيكي، بلقاسم بن أحمد بن أحمد بن محمد بن الحاج موسى العثماني الزناگي دارا ومنشأ الفاسي أصلا. هكذا يقدم نفسه في كتاباته، تلقى علومه في معاهد زناگة وفي زاوية بني عبد الجبار بقصر المعيز، على يد رئيسها وذؤابتها محمد بن أحمد بن الصديق.

كان من النبهاء البارزين في علوم اللغة والنحو، مع التضلع في علوم الفقه، وكأغلب رجال العلم بفجيج تعاطى المترجم نساخة الكتب، ومثال ذلك :

- حاشية أبي النجاء المصري على شرح الأزمري (ت. 905 / 1500) للأجرومية.

- شرح البردة للأزهري أيضا، سماه : الزبدة في شرح قصيدة البردة، فرغ من نسخها يوم الخميس عشية عند غروب الشمس 14 ذي القعدة 1291. وهما معا في مجموع (خاص).

ولعله توفي في نهايات القرن الثالث عشر أو بدايات الرابع عشر.

وثائق مخطوطة (خاصة) ؛ *حاشية أبي النجاء وشرح البردة* (مجموع خطي خاص).

الفكيكي، بوزيان بن أحمد بن محمد بن محمد... ابن عبد الجبار. قاضي الجماعة بفجيج، ومفتيها، وخطيب جامعها الأعظم. لا ذكر له في كتب التراجم والرجال، ولد حوالي 1150. من شيوخه خاتمة المحققين أحمد بن عبد العزيز هلالي (ت. 1175 / 1761)، ومحمد بن عبد الرحمن بن عمر التواتي. أخذ علوم الظاهر والباطن على الشيخ أحمد التجاني مباشرة (ت. 1230 / 1815).

وصفوه بالعالم النحرير، اللوذعي الكامل، الفقيه النبيه، البركة الإكسيرية... إلخ.

توفي عام 1209 / 1794 . وبقي من آثاره مجموعة معتبرة من الأحكام القضائية، والفتاوى، ونظم فاتحة مختصر خليل، ومطلعه :

قال بوزيان هو ابن أحمدا نجل عابد الجبار المجدا...
سميته ياقوته اللوامع لمن يريد النفع كي يطالع

أحكام وفتاوى (مخطوطة خاصة) ؛ *ياقوتة اللوامع* (بقي منها الصفحة الأولى).

الفكيكي، بوفلجة بن عبد الرحمن بن يحيى الجمالي، ولد في بداية السبعينات من القرن التاسع عشر. من كبار تجار فجيج ووجهائها خلال النصف الأول من القرن العشرين، كان على رأس مؤسسي المدرسة الحسنية عام 1947. وهي المدرسة التي بذل المترجم مجهودا عزيزا في رعيها حتى خرجت أجيالا من المثقفين النبهاء والمواطنين الصالحين.

تعرض لمضايقات عديدة من طرف المستعمر، ونفي سنة 1953 إلى مدينة وجدة حيث وضع تحت المراقبة، ولم يعد إلى فجيج إلا في نهايات 1955.

توفي سنة 1959.

العربي هلالي، *فجيج تاريخ وثائق ومعالم* ؛ محمد بوزيان بنعلي، *بيوتات العلم والأدب*.

الفگيگي، بومدين بن **أحمد** بن مرزوق، رجل سياسة وزعامة، محنك أريب، من كبراء قصر زناگة وأعيانها. تولى قيادة هذا القصر في مرحلة حساسة ودقيقة جدا، بظهير حسني نصه : "خدامنا الأنجاد جماعة زناگة كافة من قبيلة فجيج، وفقكم الله، وسلام عليكم، وبعد، فقد ولينا عليكم أخاكم خديمنا الحاج بومدين الزناگي، وأسندنا إليه النظر في أموركم، فنأمركم أن تسمعوا وتطيعوا فيما أوليناه من الأمر والنهي في أمور خدمتنا الشريفة، أسعدكم الله به وأسعده بكم، ووفق الجميع بما فيه رضاه، والسلام". في 3 ربيع الثاني عام 1307 / 1889.

العربي هلالي، فجيج تاريخ وثائقه ومعالم.

الفگيگي، أبو حامد محمد الفگيگي نزيل فاس، لم يترجم له أحد ـ فيما نعلم ـ وسنحاول أن نصنع له ترجمة من كتابه "*مفيد الفوائد في خير العوائد*" بعدما حصلنا على مصورة من أصله المخطوط ببطرسبورغ في روسيا. ونبدأ من التحلية المثبتة غلافه : ... الفقيه الأجل الزاهد" لنؤكد أنه كان فقيها متمرسا وصوفيا صالحاً. ومن أخباره في هذا الكتاب أيضا أنه فگيگي أمازيغي قح، ولكنه لا يعتز إلا بالعروبة والعربية حتى إنه جعلها حسبه ونسبه : (وكتابي هذا بحمد الله تعالى ما جعلت نصوصه إلا باللسان العربي كيلا أخرج عن نسبي وحسبي ... فتركت لذلك لسان زناتة).

عاش في عصر الموحدين مشاركا ومؤلفا في كثير من العلوم وخصوصا الكيمياء وعلم الأحجار وخصائصها، موضوع هذا الكتاب والرسائل الخمس الملحقة به. ويلوح من الرسالة الثانية، وهي عبارة عن منظومة من صفحتين ـ أن اسمه قاسم بن نصر، وأنه اشتهر بين الأصحاب والعلماء بـ "محمد المغربي" شهرة أنستهم أصله وفصله :

نظمتها يا ماح في عـش درج أرجو بها من مالك الملك الفرج
من نظم قاسم بن نصر المغربي محمد المشهور بين العـرب

وأنه فرغ من نظمه عام 577 / 1181 ـ 1182 كما أشير إليه بحساب الجمل "عشر درج" أي في زمن السلطان يوسف بن عبد المومن الموحدي.

ويلوح أيضا أن منزلته في بلاد يعقوب المنصور كانت رفيعة جداً، فهو الذي انتدبه لتأليف هذا الكتاب "أما بعد، سألني من أسبغ الله نعمه على الأقطار السعيدية إلى مفرق أرض المهدية ... مولانا السلطان يوسف ... أن أجمع له مصنفا شريفا، وموئلا طريفا، جامعا لفوائد جمة، محتويا على أمور مهمة ... وخدمت به الخزانة السامية ... وجعلته كالخادم بين يديه".

أما شيوخه فقد ضرب إلى أنهم كثيرون ومتضلعون وان لم يذكر إلا اثنين هما مثله هَيَّانَ بن بَيَّانَ في كتب التراجم ومعاجم الرجال وهما :

ـ إبرهيم بن يوسف بن أحمد المراكشي الشهير بالسكاج، حلاه بإمام عصره في الدين والتقوى وأكد أنه كان من الأعلام الأفذاذ في الكيمياء، وأن تجاربه وطرقه تقع موقع الحقيقة.

ـ أحمد التازي : عده من أساتيذه في علوم الحكمة ولم يزد على ذلك.

ونستبين من مقدمة المؤلف أنه أخضع كتابه لمنهج غاية في الصرامة والضبط والدقة حتى يتحقق به الهدف الأسمى، ويكون به عند حسن ظن الخليفة، ولا تعجب بعد هذا إن هو طالع على كتابه أكثر من ألف كتاب، ومائتي كتاب في هذا الفن، واجتمع بعلماء هذه الصناعة من الجم الغفير.

ونستبين منها أيضا أنه كان معتزا بكتابه ضنينا به، فهو عنده "سيد كل كتاب لأني بينت فيه غاية البيان، وجعلته هداية للحائر، ومحملاً للسائر، هذبت نصوصه وألفاظه، كيلا يغمض مطالعه دون تفهم ألحاظه ... جمعت فيه الأصح المعتبر، ونزهته عما تضمنه غيره من الكتب المشتملة على العجر والبجر، لكني حذفت منه الأساتيذ، خشية التطويل البعيد ... أقدمت فيه على ما لم يقدم عليه غيري من المصنفين، وبينت فيه ما يحل رموز الحكماء السالفين ...".

والذي يستوقفنا في الكتاب تكتم صاحبه وتحفظه وحرصه الشديد على ألا يتجاوز نخبة معلومة من أهل العلم والفلسفة وصناعة الأكسير، معللا ذلك بقوله : "واعلم أن مبنى هذا العلم على كتمان السر، وصون العمل عن أعين الأغيار، فهذا شرط لازم ذُمَّ من ترك العمل به ... واعلم أن الحكماء يشيرون إلى أشياء غامضة صعبة المنال، عزيزة المأخذ من التعمية القادحة المستورة عن الجهال، ومن لا هو منهم كيلا يفسد نظام الدنيا فتتعطل الأحوال، فلو علمها كل الناس على الأمر الذي ينبغي وأصابوا، حصل الخلل في الدنيا إذ لا يبقى الحائك حائكا، ولا الحداد حدادا، ولا النجار نجاراً، ولا الحراث حراثا، ولا الزراع زراعا ... أعزها عن الولد الوالدُ خيفة الوقوع في المحظور، وكيلا ينشأ علمها وعملها بين الناس، لأنها سبيل الأكياس، فوضعوا عليها الرموز البعيدة المرمى، فكأنها العنقاء أو بيض الأنوق".

ويقدم تعليلا آخر مفاده أن هذا العلم الجليل يقوم في كبره على التجارب واستعمال مقادير محددة ومركبات معينة لتحويل مادة إلى أخرى أو معدن إلى آخر، فلا بد ـ إذن ـ في تقدير الأخلاط وتدبيرها من دقة واستيفاء، ولا سبيل إليهما إلا مع أمانة ولا أمانة إلا مع إيمان راسخ ينزه صاحبه عن الغش الذي لا يرضاه الله ولا رسوله ولا الناس، وإنما هذا من عمل اليهود ـ لعنهم الله ـ حتى يتلفوا المعاملة على المسلمين ويضرب في موضع آخر إلى ما لحق أهل الورع والزهد من غبن اجتماعي مشين، فيقول : "والذي حملني على ما سيذكر (أي تدبير معادن العامة) أحوال أهل عصري من الفقر المستحقين، فإني شاهدت كثيراً من أهل الدين والتقوى اضطروا إلى سؤال الغمرة الأغبياء في أمر المعيشة من الضنك والضيق الذي أحاط بهم سرادقه، فأحببت أن أذكر في هذا الكتاب ما به السعة والراحة للطلاب ...".

والحقيقة أن لهذا الكتاب النادر قيمة علمية وأدبية وتاريخية ليس هذا محل بسطها، وهو - كما أسلفنا - صدر لأربع رسائل لا خمس كما ثبت على الغلاف لأن الخامسة مكررة) هي كما يلي :

مجمع المجربات في تسهيل المستصعبات وقد سماها كتابا، وأعيد نسخه منذ ص. 195 تصغيرة نافعة، منظومة من صفحتين.

مجموع في علم الصنعة.

كتاب خير مجموع في حسن مصنوع.

بقي أن نعترف بصعوبة تحديد سنة وفاة الكيميائي المتميز، والمؤكد أنه كان على قيد الحياة عام 593 / 1197.

أبو حامد الفگيگي، *مفيد الفوائد في خير العوائد*، نسخة مصورة في ملك الأخ أفضل حاجة).

الفگيگي، أبو زيان بن هقّة. فقيه عدل موثق، موسوم بالضبط والنزاهة، من أحسن النساخين الفجيجيين خطاً، حسبما شاهدناه في منسوخاته ومنها :

- تقريض (كذا) المسامع بشرح الكتاب الجامع : وكان الفراغ منه عصر يوم الثلاثاء الثاني من المحرم الحرام فاتح سنة اثنين وتسعين ومائتين وألف ...

ولم نقف له على أخبار بعد هذا التاريخ.

وثائق عدلية، مخطوطة ؛ *تقريض المسامع*، مخطوطة خاصة.

الفگيگي، زينت بنت إبراهيم بن حسون السليمانية، صالحة فاضلة، عاشت في النصف الأول من القرن الحادي عشر. من مريدات الشيخ الصوفي عبد القادر السماحي (ت. 1025 / 1616). أخذت عنه السر والعهد.

شهدت على وثيقة توكيل قبض صداق رقية بنت السماحي من مطلقها أحمد بن أبي محلي عام 1019 / 1610. وشهدت معها عمتها : فضيلة بنت حسون، وعلّ بنت علي بن رحمون.

أحمد بن أبي محلي، *مهراس رؤوس الجهلة*، ص. 225 (م خ ع 192 ك).

الفگيگي، سليمان بن أبي **سماحة** البكري، يرتفع نسبه إلى أبي بكر الصديق. ترك موطنه مراكش بحثا عن شيوخ العلم والتربية الروحية، فأقام مدة بفاس، ثم جاز إلى غرناطة، وتحول بعد سقوطها إلى المغرب الأوسط، فلقي مربي المريدين الشيخ أحمد بن يوسف الملياني الراشدي (ت. 927 / 1521) ولزمه طويلا حتى صار من مذابيحه السبعة.

ألقى عصا التسيار بقصر الوداغير من فجيج حيث تولى إمامة المسجد العتيق، وتصدر للإقراء به، وفي أخريات حياته توجه إلى قرية بني ونيف (تبعد عن فجيج حوالي 6 كلم) فأنشأ بها زاوية صغيرة تعد النواة الأولى لزوايا آل سيدي الشيخ، وبقي هناك إلى أن وافاه الأجل المحتوم عام (946 / 1539)، فدفن بمقبرة الوداغير قرب روضة الولي الصالح عيسى بن عبد الرحمن الوتدغيري، وذلك بوصية مكتوبة.

كان ذا شمائل يتنافس فيها أصلح الصالحين، ونموذجا يقتدى به في الفضل وحب الخير، حتى قال فيه ابن أبي محلي : "لا يسمع عنه من الخير إلا ما يطيل جيده، ويرتفع به بنده".

أما حظه من العلوم فيكاد يكون محصورا في التصوف والفقهيات، وشيء من شعر المديح الديني يتحرك في روعه كلما أطل شهر ربيع، فينساب زجلا يجمع بين الرقة والضعف. ولكنه باق إلى الآن يتلى في نفس المناسبة.

ابن أبي محلي، *مهراس رؤوس الجهلة*، م خ ع 192 ك ؛ العربي هلالي، *فجيج تاريخ وثائق ومعالم*.

الفگيگي، سليمان بن **محمد** بن محمد بن سعيد من أشهر رجالات الونشريسيين بفجيج، وأغزرهم علما وأوسعهم اطلاعا، تتلمذ على الإمام عبد الجبار في زاويته قبل أن ينشئ بدوره زاوية بقصر الحمام، شع ذكرها، وتخرج منها أفواج من أصحاب العلم.

كان قاضيا ومفتيا، ومدرسا ومحدثا. ومن كثرة ما كان يكتب صار خطه معروفا لدى عدد من أهل العلم المتأخرين، قال العلامة أحمد بن العربي بن رحو في ذلك : "تكرر لدينا خطه في كتبه قالها عارفا ومعرفا به أحمد..." ومما نسخه :صحيح البخاري، فرغ منه في تاريخ 22 محرم 954.

ولم نسمع عنه أخبارا بعد ذلك التاريخ، والغريب أن زاوية الونشريسيين خفت ذكرها نهاية القرن العاشر.

وثائق مخطوطة (خاصة) ؛ صحيح البخاري (نسخة خطية خاصة).

الفگيگي، الشادلي بن **حمادي** بن محمد بن عبد الجبار، المعروف لدى العامة بسيدي الشادلي، وقبره مشهور تحت قبة جنائزية بيضاء تستقبل الزائر أول خروجه من البوابة الشمالية من قصر المعيز.

ولي صالح، من مريدي السماحي. ويظهر من مراسلاته أنه بلغ شأواً محموداً في طريق القوم والمجاهدة والسلوك، وانفرد بأتباعه ومريديه يخدمون ويجددون به العهد، ويستمنحون خيره وفضله.

توفي قبل عام 1056 / 1646 إذ ترحم عليه صاحب تقوية إيمان المحبين المؤلف في ذات التاريخ.

رسائل خطية (خاصة) ؛ أحمد السكوني، *تقوية إيمان المحبين*.

الفگيگي، الشيخ بن عدو مشراوي. مولده في العشرينات من القرن العشرين.

من أقطاب الحركة الوطنية الذين سجلوا أسماءهم بمداد الفخر والاعتزاز في تاريخ المقاومة بفجيج، غداة انطلاق شراراتها الأولى. مثقف، متوقد الذكاء، سديد الوعي،

متسامح، كان رجل تربية يتميز بأسلوب بسيط وفعال، لازال يتذكره كل من درس على يديه في المدارس الرسمية، ومدرسة النهضة المحمدية والمدرسة الحسنية.

ولأنه كان من أقطاب الحركة الوطنية ـ كما سبق ـ فقد وضعه المستعمر نصب عينه، وأخذ يضيق عليه المسالك منذ الأربيعات، ثم عومل معاملة وحشية فعذب وسجن ونفي، وتحمل ما لا يتحمله أعتى الأقوياء رغم ضآلة بنيته الجسدية.

وذكرياته مع الاستعمار، ومواقفه الصلبة لايزال صداها يرفرف فوق أسماع مجايليه وتلامذته، فيرتد عبارات زاهية من الإكبار والإعجاب.

الروايات الشفوية.

الفكيكي، عبد الجبار بن **أحمد** بن موسى بن أبي بكر بن محمد بن عبد الله البرزوزي الورتضغيري الفجيجي بجيمين بربريتين. هكذا قدمه تليمذه الأعلى به عيناً، أبو جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي آشي حين لقيه بتلمسان عام 895 / 1490 ، قبل أن ينغمر في مقاربة منزلته العلمية والسلوكية بسلسلة من التحليات الجليلة، فهو في نظره : "سيدنا وشيخنا، وبركتنا ومفيدنا، الإمام الأستاذ، المقرئ، العلامة، المحقق الجليل، الراوية، المرشد الناصح، الخطيب، القدوة، الحجة، الحاج الرحال، الصدر الجليل، العالم الصالح، العارف المجيد، المجدد ..." [ثبت 380 ـ 398]، وقال فيه ولده مَحمد :

غرائب علم، ثم حلم، وحكمة ... حواها، ولو سارت بها العيس تَحَلَّت
يسرك مظلوما، ويرضيك ظالما ... كريم إذا لاقيته بالمودة

فمن يكون صاحب هذه المواصفات العظيمة ؟

ولد الإمام عبد الجبار حوالي عام 820 / 1417 ، في أسرة مشهود لها بالعلم والصلاح، ولئن كنا لا نعلم شيئا عن تفاصيل حياته العلمية الأولى، فلقد عرفناه في فاس طالبا نجيبا ألمعيا بشهادة شيخه أبي عبد الله محمد بن الحسن بن محمد بن حمامة الأوربي النيجي (ت. 887 / 1482) الذي أجازه عام 842 / 1439 ، جميع ما يحمله عن شيوخه من قراءة وسماع ومناولة. في مجلس علمي وقور حضره نخبة من شيوخ هذا الطالب كالشيخ عبد الرحمن القرموني (ت. 864 / 1460) وأحمد بن سعيد الحباك (ت. 870 / 1466) وشيخ الإسلام محمد بن قاسم القوري، (ت. 872 / 1462) وخطيب جامع الأندلس علي بن عبد الرحمن الأنفاسي (ت. 860 / 1456) وسواهم (الإجازة في رق غزال : مخطوطة خاصة).

وليس لنا أن نعدد كل شيوخه، فهم كثيرون جداً في فاس، وتلمسان ووهران وبجاية، وتونس، وطرابلس وتاجورا، ومصر، ومكة والمدينة ... ذكر بعضهم في تفسيره، وبعضهم في فهرسته، واحتفظ ببعضهم الآخر الوادي آشي في ثبته، ومنهم من له في سماء العلم طالع لمّاع كابن مرزوق شارح البردة، وقاسم العقباني الحافظ الحجة، وإبراهيم التازي قطب المتصوفة، وأبي الحسن القلصادي آخر أئمة الأندلس، وتقي الدين الشمني شارح المغني، وجلال الدين السيوطي المجتهد المشهور ... الخ.

هؤلاء هم الذين استمد منهم الإمام عبد الجبار مواصفاته السابقة، ونقلها بدوره إلى عدد كبير ممن تخرجوا على يده كالوادي آشي، وأولاده الثلاثة، وأحمد بن محمد بن مرزوق الكفيف، وأبي الحسن العقباني، وأبي القاسم أزروال...

وإلى جانب تصدره للإقراء، تولى المترجم خطتي القضاء والفتوى في بعض المراكز العلمية التي تردد عليها. واشتغل بالتأليف، وقرض الشعر. من ذلك قوله في إحدى مولدياته.

لقد عاد عيدك باليسر أحمد ... بيمن وبشر وبالسعد الأسعد
بطه البشير النذير الشفيع ... بيس مذ مذ سميت يا أحمد
ملأت الوجود بجود أثيل ... ونوديت رفعا بوصف ممجد

ونذكر من مؤلفاته ما يلي :

1 ـ مختصر حياة الحيوان : اختصر فيه كتاب حياة الحيوان لأبي البقاء محمد بن موسى الدميري المصري (ت. 808 / 1405) وأفصح عن منهجيته وتاريخ تزليفه بقوله : "انتهى ما قصدت من اختصار حياة الحيوان بلفظه غالبا، وبمعناه تارة، وبتقديم في بعض، وتأخير في بعض. وكان الفراغ منه عشية الأربعاء في شهر شوال عام أربعة وتسعين وثمانمائة ..."

ومنه نسخ خطية في الخزانة الحسنية والخزانات الخاصة بفجيج والرباط وديدو. وقد قام بتحقيقه الأستاذ الشاعر بناصر جباري، وهو قيد الطبع.

ـ الفهرست : ترجم فيها حياة مشايخه ذاكراً أسانيدهم، ومروياته عنهم، وإجازاتهم له. ومكان لقائهم وما إلى ذلك مما يتصل بمسيرته العلمية. وقد كانت متداولة إلى عام 1251 كما أكد أحد الناقلين عنها، وهي الآن ضائعة.

ـ مختصر تفسير القرطبي : سماه مختصر الجامع لأحكام القرآن، وألفه بعد عام 897 ، في إثنى عشر جزءاً، وبسببه ذاع صيته لتنوع معلوماته، وعمق استدراكاته حتى أن المرحوم محمد حجي اعتبره أهم تفسير في عصره، وبعضده كثرة الإشارة إليه، والنقول عنه في عدد من التآليف والكنانيش، ومبالغة المطلعين عليه في تقريظه كالهشتوكي في هداية الملك العلامة وابن ناصر في الرحلة الكبرى. ولم يبق منه الآن إلا أضابير تبلغ 750 ورقة.

ويذكر الدكتور محمد عابد الجابري أن المستشرق الفرنسي جاك بيرك حدثه في لقاء معه خلال ندوة بواشنطن في أبريل 1982 أنه (أي بيرك) يتوفر في خزانته بفرنسا على عدة مخطوطات لسيدي عبد الجبار، وقال : إنها مهمة جداً، وإنه ينوي تحقيقها عندما يسمح له الوقت بذلك، وقد مات جاك بيرك قبل أن يفعل.

توفي الإمام عبد الجبار عام 918 / 1512 ، بعد حياة فياضة بالعطاء الفكري المتميز جعل منه بحق مؤسس الصرح

الثقافي في فجيج بإنشاء خزانة كتب عظيمة، ومعهد علمي لم يتوقف نشاطه إلا في أخريات القرن التاسع عشر.

أحمد بن علي البلوي الوادي آشي، *ثبت*، تح. عبد الله العمراني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983 ؛ محمد بوزيان بنعلي، *فجيج أعلام الفكر والأدب بين العصرين المريني والعلوي*، دار النشر الجسور، وجدة، 2000 ؛ *وثائق خاصة*، إجازة النيجي للمترجم، إجازة التازي للمترجم.

الفگيگي، عبد الحق بن محمد بن عبد الحق السكوني. شهيد الحق والعدل، من أشهر فقهاء فجيج خلال النصف الثاني من القرن التاسع وبدايات العاشر الهجري. انتصب للقضاء فكان ـ كما وصفه أبو القاسم الفجيجي ـ "صادعا بالحق الملائم ولا يخاف في الله لومة لائم". عدا عليه أحد السفهاء حوالي 920 / 1514، فاغتاله بعد إصداره حكما لم يصادف هوى في قلبه المريض، وقد رثاه صديقه إبراهيم بن عبد الجبار بقصيدة لامية مطلعها :

تغيرت البلاد واحلو لك الليل وشب ضرام الشر وانهمر السيل
وآن الرحيل من بلاد تأمرت بها المفسدون واستمر بها الهول

ومنها :

فتكتم بعبد الحق لا درّ دركم على قوله للحق، وهو له أهل
هنيئا له نيل الشهادة منكم وويل لكم من حاكم حكمه العدل

أبو القاسم بن مَحمد بن عبد الجبار، *الفريد في تقييد الشريد*.

الفگيگي، عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر السكوني، من أهل القرن العاشر الهجري (16)، توفي في حدود 980 / 1572، فقيه متأدب، وصاحب التائية المشهورة في فجيج حول نقد الأوضاع الاجتماعية المنحرفة، قدم لها بمقدمة رائعة أشار فيها إلى معاناته منها قوله : "... وكنت ممن ضغطوه بالظلم والفجور، واستوطأوه بالغم في الورود والمرور، واستهانوه بالضيم في مهمات الأمور، فأعرضت عنهم إعراض المستهام العديم الناصر، وتغافلت عنهم تغافل المتغيظ الباسر، وتعاميت تعامي من استبان له أن الرابح منهم أقل من الخاسر، ثم نهضت بعده نحوهم نهوض المنتعش الكاسر، وانتفضت انتفاضة المتعسف عن وجه التحاجج جاسر... ولم يكن بآلة الحرب استلامي، بل بفطنة العقل وأدب الفكر ورصافة كلامي..." ومطلعها :

حمدت إله الخلق رب البرية بما هو أهل عاقد الأحدية

ومنها :

زمانا كظمت الغيظ عنهم ولم أفُه بما يوجب التلويث منهم بقولة
وإني وإن آثَمْتُ سيف قتالهم فسيف لساني فيهم الآن سُلّت

ومجموعها : 187 بيتا.

العربي هلالي، *فجيج تاريخ وثائقه ومعالم*.

الفگيگي، عبد العزيز بن أبي **زيان** ابن رحو، من ذرية الإمام عبد الجبار، فقيه جليل عارف. مجاهد في سبيل الله. أرخ ابن أخيه أحمد بن العربي وفاته قائلا :

"ومات عمنا الفقيه الأجل مولاي عبد العزيز في الجهاد الذي وقع في وهران في زمن الباي محمد وأخرج الكفار منه، وهي بيد الترك إلى أن دخل الكافر مدينة الجزائر في سنة 1245 / 1830 أعادها الله للإسلام، ولم أقف على السنة التي مات فيها" ثم عاد فقال : "وقفت عليها بعد ذلك وهو عام 1205 / 1790.

مخطوط رقم 56 بخزانة الإمام عبد الجبار.

الفگيگي، عبد القادر بن سليمان بن محمد بن عبد الجليل. من أكبر فقهاء فگيگ علما واطلاعا وإحاطة بالمذهب، وأحسنهم قدرة على الحجاج والاستدلال، حتى إن أهل الحل والعقد في جميع القصور الفجيجية اختاروه ليرد على رسالة الجنرال ليوطي، وموضوعها : طلب الصلح وإعادة النظر في الإجماع الفگيگي على تحريم التعامل مع المستعمر، فجاء جوابه حكيما صريحا وطنيا، خلاصته : أن لا مفاوضة بيننا، إذ نحن رعايا سلطان دولة يجب أن يتوجه إليه الخطاب لا إلى غيره.

زاول خطة العدالة، ثم تقلد القضاء والفتوى والإمامة.

توفي حوالي 1322 / 1904، تاركا عددا من الفتاوى والأحكام.

وثائق ومراسلات (مخطوطة خاصة).

العربي هلالي، *فجيج تاريخ وثائقه ومعالم*.

الفگيگي، عبد القادر بن محمد بن سليمان بن أبي سماحة. البكري الصديقي نسبة إلى أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ ولد بالشلالة الظهرانية عام 940 / 1533. وبفجيج أخذ العلم عن مشايخها الأجلة كأبي القاسم بن مَحمد بن عبد الجبار وعبد الرحمن السكوني، ثم تحول للملازمة شيخه في التربية الروحية والمجاهدة الصوفية محمد بن عبد الرحمن السهلي.

اشتهر ـ رحمه الله ـ بتوقد الذكاء، وحضور البديهة، وحدة الخاطر منذ طفولته، واشتهر في كهولته متصوفا شاذلي الطريقة في مشرق المغرب وغربه، وفي مصر والشام والحجاز، ومكنته هذه الشهرة من الاتصال بالملوك السعديين والوزراء والمشايخ والعلماء وأصحاب المكانة المرموقة، وكانت زاويته بفجيج قبلة نفر كبير من المريدين وطلاب السر والطريقة. ومن أشهر الطارئين عليها أحمد بن أبي محلي الذي انشرح صدره لسر صفائه القاطع لكل خاطر مريب، وتبين زبده الأصفى من لين الخاصة فصاحبه مدة، وصاهره مدة، ثم لبس له جلد النمر، فعرض به وشنع عليه في مقالات وقصائد ومصنفات مثل منجنيق الصخور، ومهراس رؤوس الجهلة، والسيف البارق مع السهم الراشق .. وكلها تعكس بعض نفايا الصراع الضاري الذي نشب بينهما : وممن طرأ عليها أيضا في أخريات القرن العاشر.، وأشاد بسمت الشيخ وكرمه ونبله وحسن شيمه الرحالة يوسف بن عابد بن محمد

الحسني الفاسي، ولأنه أقام بفجيج مدة مؤثرا في نسيجها الثقافي والاجتماعي سميناه فجيجيا.

وفي هذا الشيخ ألف أحمد السكوني كتابا خصصه لكراماته الباهرة، وفيه أنه توفي من جراء جروح أصيب بها في قتاله ضد الإسبان بناحية وهران، يوم الجمعة ثاني ربيع الأول 1025 / 1615 عن عمر يناهز خمسة وثمانين عاما، بمنطقة حدها العياشي في رحلته بأنها في منتصف الطريق بين كراكدة وأربا، ونقل بناء على وصيته إلى بلدة الأبيض سيدي الشيخ (نسبة إليه) حيث دفن يوم الأحد الرابع من نفس الشهر.

له تائية مطولة انخرط بها في سلك المتصوفين سميت بالياقوتة تارة وبالسلسلة تارة أخرى، ومطلعها :

بدأت بحمد الله قصدا لنجح ما أروم من استفتاح نظم قصيدتي
وأهدي صلاة ثم أزكي تحيـــة إلى المجتبى الهادي شفيع البرية

كما له مقطعات شعرية وأذكار صوفية متفرقة، ورسالة إلى الأمير زيدان السعدي.

مؤلفات أحمد بن أبي محلي المشار إليها : *الياقوتة*، تح. عبد الله طواهرية ؛ *رسالة السماحي إلى الأمير زيدان*، العربي هلالي ومحمدبوزيان بنعلي، *سلسلة تراث فجيج*، العدد 1 : 1903 ؛ يوسف بن عابد الفاسي، *الرحلة من المغرب إلى حضرموت*، تح. عبد الله محمد الحبشي وإبراهيم السامرائي، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1993.

العربي هلالي ومحمد بوزيان بنعلي

الفكيكي، عبد القادر بن محمد بن عبد الله بن بوبكر (1875-1960)، الودغيري الإدريسي. من بيت علم وشرف، ينحدر من أسرة الشيخ عمر الفجيجي الوسمادني، عالم ومتصوف خريج مدرسة اسمارة للشيخ ماء العينين وزاويتها. ولد بقصر أولاد سليمان بفجيج حوالي سنة 1875. وقد عبر، بعد حفظ القرآن وقراءة مبادئ العلوم الدينية، عن طموحه لتنمية معارفه خارج موطنه، ونفذ تلك الرغبة حوالي سنة 1307 / 1889 بالتوجه إلى فاس. وإذا كانت رغبته في البداية لم تخرج عن الالتحاق بجامع القرويين، إلا أن اتصاله بالشيخ أحمد الشمس الشنكيطي، أحد أعلام الزاوية المعينية غير اتجاه رحلته العلمية. ومما ساعد على ذلك أن الطالب الشاب الفكيكي كان على دراية جيدة بشؤون البناء على عادة أهل فكيك، مما رشحه للتوجه إلى اسمارة ضمن مجموعة المعلمين البنائين الذين وجههم المولى الحسن إلى الشيخ ماء العينين للمشاركة في بناء المدينة وزاويتها سنة 1308 / 1890 لتكون مركز مقاومة للغزو الفرنسي الإسباني للصحراء المغربية. وقد اتفقت المصادر التي تعرضت لبناء مدينة اسمارة على أن رأسة البنائين كانت بيد المعلمين الحاج علي الوجدي وحماد بن علي الفاسي والحسين الوادنوني وعبد القادر الفكيكي.

بقي عبد القادر الفكيكي باسمارة في خدمة الزاوية المعينية والدراسة بها في نفس الوقت زهاء ثلاث عشر سنة، هذا موافق لتاريخ التحاقه باسمارة سنة 1890 وتخرجه منها سنة 1902. ونعلم أنه حاز رضى الشيخ ماء العينين إلى أن أصبح في مرتبة أحد أبنائه، ومن ذلك جاءت صداقته الحميمة مع أنجاله أحمد الهيبة ومصطفى مربيه ربه ومحمد الإمام، والنعمة، ومن كان معهم من الأحفاد أمثال محمد حجب بن الخضر والشيخ ماء العينين بن العتيق.

ويقول عنه هذا الأخير : "وقد تتلمذ على شيخنا باسمارة وصحبه مدة وجد في خدمته حتى صدره".

ونستدل على بقائه في اسمارة بالحصيلة العلمية التي استوعبها قبل تصديره إلى قبيلة قلعية من الريف الشرقي سنة 1320 / 1902 . ويلخص هذه الحصيلة الأستاذ ماء العينين بن العتيق في كتابه *الرحلة المعينية* بقوله : "كان صاحب أحوال وأشواق وهمة عالية، لاسيما في تحصيل الأسرار والحكم، خصوصا تآليف شيخنا ماء العينين... وظهرت عليه البركة الكثيرة وانتفع به خلق كثير، وأمره في بلده شهير".

كان الفقيه الفكيكي متمكنا بعلوم الفقه، باحثا في العلوم الدينية، ومشتغلا بنسخ كتب الشيخ ماء العينين ونجله مربيه ربه، فقها وأدبا. وجرت العادة بمدرسة اسمارة أن يكلل الشيخ ماء العينين جهود تلامذته بإجازتهم وتصديرهم. وهذا هو ما سلكه مع الفقيه عبد القادر الفكيكي، حينما قرر توجيهه إلى قبيلة قلعية بالريف الشرقي أواخر سنة 1902 ليصبح في خدمة الزاوية المعينية بالريف الشرقي.

كان للزاوية المعينية بقلعية حضور قبل هذا الوقت في شخص مقدمها محمد بن عبد السلام الوسياني، وبتصدير الفقيه الفكيكي إلى القبيلة توفرت الزاوية على عالم في الشؤون الدينية سرعان ما علا صيته بها. وقد توجست سلطات الحماية بمليلة من تحركاته في مجال التوعية الدينية، ولم ينج من الملاحقة إلا بفضل توسط كل من محمد المصطفى بن إدريس بنيعيش بتطوان، وهو من مريدي الشيخ ماء العينين وتدخل الشيخ مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين من تيزنيت.

ولم ينفرد الفقيه عبد القادر الفكيكي بتسيير الزاوية إلا في بداية الثلاثينيات، فأولى إجازة معلنة عن تعيينه مقدما للزاوية المعينية هي المؤرخة بيوم 28 جمادى الأولى من عام 1352 / شتمبر 1933 ، موقعة بطابع الشيخ محمد المصطفى امربيه ربه، يجيز له إعطاء الأوراد لمن شاء من العباد. وليس ما نسميه بزاوية عبد القادر الفكيكي بمنزله بأغمير من خميس بني بويفرور سوى مكان بسيط ملحق بمنزله خاص بعموم زواره الوافدين عليه في المناسبات المقتصرة على الأعياد الدينية، مما عايشه حفيده كاتب هذه الترجمة. يستقبل فيه محبيه ومريديه ووجهاء القبيلة ورجال السلطة الذين كانوا يفدون عليه طلبا للمذاكرة والاستشارة في قضية من القضايا الدينية. كان للفقيه عبد القادر الفكيكي اتصالات بمريدي الشيخ ماء العينين بالشمال المغربي بالمنطقة

الخليفية، مثل وزير الأحباس أحمد بن موسى وأسرة إدريس بن يعيش وأسرة عبد الكريم بريشة وغيرهم، يقوم بزيارتهم في أوقات معلومة من السنة، ونحتفظ ببعض المراسلات المتعلقة بتلك العلاقة الحميمة. توفي رحمه الله بالمدينة المنورة سنة 1961 بعد أن حقق له الله أمنيته الغالية في مجاورة الحرم النبوي.

صرف الجد عبد القادر الفگيگي وقتا طويلا في تثبيت المكانة العلمية للزاوية المعينية بالريف الشرقي، بدأه منذ تصديره باستنساخ مؤلفات شيخه ماء العينين وهو ما لازمه طيلة حياته، إذ أن خزانته كانت تحتوي على جميع تلك المؤلفات، وكان قد سبق له أن اشترى منه عددا. ومما حصلنا عليه من خزانة عبد القادر الفگيگي النسخة الأصلية من فتوى محاربة البدع الطرقية بقلعية، وهو تأليف ما يزال مخطوطا. كان رحمه الله مناهضا بشدة واستنكار للبدع الظاهرة بقبيلة قلعية على يد محترفي التصوف من الطرق الرائجة بالقبيلة، مثل العلوية والدرقاوية والعيساوية. حرر الفتوى سنة 1941 بعد طرح الموضوع للمناقشة سنة 1920 في جمع من الطلبة بحضور الشريف الحاج محمد (حم) القادري، شيخ زاوية ورك القادرية ببني شكر منذ 1918، وكان على نفس المذهب الصوفي واستمر خلال السنوات التالية إلى أن بينت مراسلة 23 قعدة 1341 / 8 يوليوز 1923 الصادرة من القائد عبد القادر بن الحاج الطيب الشكري انتصار الفقيه عبد القادر الفگيگي على مناوئيه أرباب الطرق، فأذن له بإحياء الشعائر الدينية والسنة النبوية وإماتة حوادث البدعة الموسمية، حسب تعبير المراسلة الموجهة إليه، وهو إذن رسمي بمتابعة تنقية أجواء السلوك الصوفي.

ولعبد القادر الفگيگي فتوى لاتزال مخطوطة متعلقة بالسدل والقبض في الصلاة، يقول بالمناسبة :

"فقد كنت في عام تسعة وثلاثين (1339 / 1920) أسئل كثيرا عن حكم القبض في الصلاة، وكنت أجيب كذلك بأن ذلك لا حرج فيما هنا وهناك، لما رأيت ذلك من الخلافات، مع أني لم أفعله قط في النافلة فضلا عن الفريضة، ولا رأيت من أشياخي المعلمين والمربين من يفعله". لكن الداعي إلى الرد على تلك الأسئلة هو الرسالة التي جاءته من نائب الصدر الأعظم بالمنطقة الخليفية بالمنطقة الشرقية الحاج عبد القادر بن الطيب بتاريخ 27 ذي الحجة عام 1341 / 10 غشت 1923 ، للحث على الفصل برأيه في القضية. وكان الرد متضمنا لترجيح السدل على القبض بحجج فقهية وشهادات أشهر الرواة والعلماء في استعراض منهجي فياض وزاخر بالأقوال والأحاديث والأسانيد.

وثائق حسن الفگيگي ؛ *وثائق* بوبشر الطاهر وبوبكري عبد القادر ؛ اسمارة، *معلمة المغرب*، *1* : *442* ؛ *شهادات أسرة الشيخ ماء العينين* ؛ ماء العينين بن العتيق، *الرحلة المعينية*، تح. محمد الظريق، الرباط، 1998 ؛ ضابط الأمور الوطنية، تطوان، 1952.

حسن الفگيگي

الفگيگي، عبد الله (عبو) بن **عبد الرحمان** الودغيري. ولد في نهاية القرن التاسع الهجري بقصر الوداغير من فجيج، ينتهي نسبه إلى الشيخ عبد الرحمان الودغيري، الجد الجامع للشرفاء الودغيريين الإدريسيين.

هاجر من فجيج في بداية القرن العاشر الهجري وهو في مقتبل عمره تاركا وراءه صبيه الوحيد محمد الملقب حمو وهو جد آل عبو الملقبين حاليا بهلالي، وبناءً على ما ورد في الوثائق المحلية وفي الأحياء والانتعاش في تراجيم سادات زاوية آيت عياش فإن عبد الله هذا هاجر فجيج إثر نزاع حاد بينه وبين أخيه زيان، فنزل أول ما نزل بحامد الغزلان من وادي درعة، وكان حافظا لكتاب الله ملما بمختلف العلوم الدينية، عاملا بمقتضاها، يدعوا الناس للنهج القويم والطريق المستقيم، مما جعله ملحوظا محترما من العامة والأكابر على السواء. لم يطل به المقام كثيراً في المحامد، فقد التحق بخنق ملوان من الأطلس حيث استقر محبا ومحبوبا داعيا ومرشدا وموجها، فعلم القرآن ومبادئ الدين والتوحيد، وتلك كانت هي بداية انطلاق الزاوية العياشية أو الحمزاوية الشهيرة بجبل آيت عياش من دائرة ميدلت، برجالاتها وخزانتها العلمية والتي تبلورت بكيفية أكثر وضوحا في عهد حفيده أبي بكر بن يوسف، وبلغت أوج ازدهارها في عهد عبد الله أبي سالم العياشي بن محمد بن أبي بكر. وتوفي في بداية النصف الثاني من القرن العاشر الهجري مخلفا وراءه ابنه يوسف بملوان وكان حاملا لكتاب الله أيضا محبا لأوليائه وناهجا طريق والده في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وهو جد العياشيين أو الحمزاويين. أما ابنه محمد الملقب حمو والذي تركه وراءه بفجيج فقد تربى وترعرع في أحضان عمه الشيخ زيان الودغيري حتي أصبح مثالا للشهامة والكرامة، مما أهله لأن يصبح من أكابر شيوخ فجيج المبجلين (انظر رسالة الإمام أبي القاسم بن محمد بن عبد الجبار سنة 956، ومنه تنسل بفجيج أولاد عبو الملقبين بآل هلالي).

عبد الله بن عمر بن عبد الكريم، *الإحياء والانتعاش في تراجم سادات زاوية آل عياش*، خ ع 1344 د ؛ *وثائق* العربي هلالي.

الفگيگي، عبد الله بن **فريحة** السادات. بناء على عدد من القرائن نستطيع أن نحصر مولده في محيط 1195 / 1781. ثم نسكت عن تفاصيل حياته العلمية التي يظهر أنها تمت في معاهد فگيگ دون غيرها.

استهواه علم الباطن منذ وقت مبكر من حياته، وانجذب إلى طريق القوم انجذابا غريبا، ولعل ذلك سبب القطيعة بينه وبين تلميذه أحمد بن محمد الراشدي الذي تأثر بالسلفية في فاس.

وتحت أبصارنا مراسلات بينه وبين شيخه مولاي العربي الدرقاوي (ت. 1239 / 1823) تؤكد أنه كان ينصحه بالتفقه في الدين ومعرفة فضل العلم، والأخذ بنصيب وافر من علم الشريعة، وأقله في الفقه رسالة ابن أبي زيد القيرواني، وربع

العبادة من مختصر الشيخ خليل، والمرشد المعين لابن عاشر، وفي القرآن قراءة ورش. "نحبكم ـ أحبكم الله ـ أن تجمعوا بين العلمين الظاهر والباطن لتكون قدمكم على قدم الأنبياء عليهم السلام، وعلى قدم الصحابة رضي الله عنهم، إذ كانوا جميعا سكرى صحاة... إلخ".

ونلتقط من إشارة وردت في أحد ظهائر أنجاله أنه توفي في عهد المولى عبد الرحمن أي قبل عام 1276 / 1860.

وثائق ورسائل وظهائر (مخطوطة خاصة) ؛ محمد بوزيان بنعلي، *بيوتات العلم والأدب بفجيج*.

العربي هلالي، فجيج تاريخ وثائقه ومعالم.

الفكيكي، عبد الوافي بن أحمد، ينتمي إلى أسرة شريفة، يتصل نسبها بمحمد بن إدريس، تاريخ ولادته غير معروف، عاش في القرن العاشر (16 م)، وهو أشهر فرد من أسرة آل عبد الوافي. أسس زاوية صوفية متعددة المرافق، واستطاع بصلاحه وحسن سمته أن يضمن لها نشاطاً لفت اهتمام الملوك السعديين، فأصدروا في شأنها، وشأن صاحبها والقائمين عليها، ظهائر توقير واحترام، وهذا واحد منها : "... يستقر هذا المجدد الكريم، المنوط بالبر العميم، بيد المرابط الخيِّر الدين أبو محمد عبد الوافي بن أحمد الفجيجي وإخوته وأولاده، وولد أخته عمر بن عبد الرحمن الشريف، ومن لاذ به من الخدام المتعلقين به، ليتجدد له به حكم ما استظهر به من أوامر سلفنا الكريم المتضمنة احترام الجميع بالاحترام التام المطلق الشامل العام، حيث لا سبيل لمن يطوف بساحتهم، بضيم ولا باهتضام. رعيا لما هم عليه من خدمتنا، وما عرفوا به من محبتنا، تجديداً يطرد حكمه، ولا ينخرم بحول الله رسمه. ومن وقف عليه من خدامنا بالبلاد الفجيجية فليعمل بمقتضاه، ولا يخالفه أو يتعداه، ولابد والسلام. وفي ثالث ذي القعدة الحرام من تمام اثنين وتسعين وتسعمائة عرفنا الله بركته".

وكما لعب المترجم دوراً هاماً في تثبيت سلطة السعديين سلك أبناؤه وأحفاده من بعدهم نفس الجادة مع الدولة العلوية واجتهدوا في خدمتها حتى قال فيهم ظهير المولى إسماعيل 1101 : "... ومن طاف بهم أو بساحتهم أو بجميع من تعلق بهم من ذريتهم وخدامهم ... نحفر جذره، ونمحو آثاره، ونشتت شمله، وأخرجناهم من زمرة فجيج ... فتلك الزاوية زاويتنا، ولاسبيل لأحد عليها ... الخ". وبحوزة أحفاده الآن أزيد من 13 ظهيراً.

ولا نعرف لهذا المرابط مساهمات علمية، إذ يكاد ينحصر نشاطه في زعامته الروحية التي تعدى إشعاعها حدود المنطقة، وجهت حوله حشداً من المريدين والخدام.

وتجعل منه الروايات المتواترة مصلحا اجتماعيا من الطراز الرفيع. ووليا من الأولياء المتمسكين بالكتاب والسنة بعيداً عن شطحات بعض المتصوفة الذين عاصروه.

توفي قبل عام 1008 / 1599 ودفن بمقبرتهم الخاصة.

شجرة نسب آل عبد الوافي، مخطوطة خاصة ؛ *ظهائر التوقير الصادرة عن الملوك السعديين والعلويين*، مخطوطة خاصة ؛ العربي هلالي، *فجيج تاريخ وثائقه ومعالم*.

الفكيكي، العربي بن خليل بن أبي غرارة من فقهاء الحمام السفلي، زاول خطة العدالة.

وكان بقيد الحياة عام 1183 / 1769.

عقود وأحكام (مخطوطة).

الفكيكي، علي بن حمادي بن الصغير بن علي بن عيسى. من أسرة شرف وعلم وورع، زاول خطة العدالة في بداية أمره، ثم صار ناظر المسجدين الكبير والعتيق بالوداغير، وسهر على تصريف شؤونهما بحكمة وحنكة حققت لهما أوفارا مستفيضة، وأوقافا كثيرة، جعلتهما من أغنى مساجد فجيج.

كان بقيد الحياة عام 1188 / 1774.

عقود أحباس مساجد الوداغير (خطية خاصة).

الفكيكي (سيدي -) **علي بن عيسى بن محمد**، من أهل القرن العاشر الهجري (16 م). ولي صالح، وعالم عامل، ذو نفوذ روحي مشع. أنشأ زاوية علم وتصوف بقصر الوداغير، وتصدر للتدريس فيها، ولاتزال تعرف بحي آل سيدي علي بن عيسى.

كما تولى الإمامة والتدريس في المسجد العتيق. لا نعلم تاريخ وفاته بالضبط، إلا أن قبره مشهور يزار، وعليه قبة جنائزية أعيد ترميمها مؤخرا على يد أحد أحفاده المهتمين بحفظ تراث الأجداد. وقد ترك ذرية وأحفادا كانوا على طريقته في العلم والصلاح.

وثائق خطية خاصة ؛ العربي هلالي، *فجيج تاريخ وثائق ومعالم* ؛ محمد بوزيان بنعلي، *بيوتات العلم والأدب بفجيج*.

العربي هلالي ومحمد بوزيان بنعلي

الفكيكي، عمرو بن محمد بن علي، مدرس ومتصوف، من أحياء مستهل القرن التاسع الهجري. ينتمي إلى الأسرة الادريسية المستقرة بفجيج منذ القرن الخامس الهجري. ونسبه ارتباطه بالوافد عبد الرحمن الودغيري معروف. ففي قصر الوداغير نشأ وتلقى تكوينه الأولى، بينما لا نعرف عن تكوينه إلا على خارج فكيك شيئا، على الرغم من أنه أمر جد متوقع فهذا ما توحي به شهرته المبكرة بالقصر المذكور، حيث أصبح إثر عودته من رحلته العلمية خطيبا بالمسجد العتيق خلال مدة لا نستطيع تقديرها أو تحديد فترتها من شبابه. ونعلم بعد ذلك أن الشيخ عمرو انتقل من حي الوداغير إلى سكنى حي قصر آيت بارا، وهو جزء من قصر المعيز، حيث أضيف إليه لقب الوسمادني.

ولا يمكن إبعاد ذلك الانتقال عن عزم الشيخ عمرو

للمساهمة فيما كانت فجيج مقبلة عليه من التطور الديني والثقافي. ومن سمات ذلك التحول ظهور المعلمتين الأوليين بقصر المعيز، المتمثلين في المسجد والزاوية اللذين وضع أسسهما الشيخ أحمد بن موسى البرزوزي خلال النصف الثاني من القرن الثامن الهجري. وعلمنا بتولي الشيخ عمرو الوسمادني إمامة المسجد، والتدريس بالزاوية البرزوزية.

ولا ريب أن ما اضطلع به من النصح والهداية، سواء كان ذلك من منبر الخطابة بقصر المعيز، أو النزول إلى الساحة الميدانية لخدمة المجتمع الفگيگي بمحاربة البدع والمتفشي من بقايا المذهب الخارجي الإباضي خلال سنوات النصف الثاني من القرن الثامن الهجري كان استمرارا لعمل رفيقه الشيخ العالم أحمد البرزوزي. ويعد الشيخ عمر الفگيگي رأس الأسرة الإدريسية البوبكرية الفگيگية، التي منها عقب البوبكريين السليمانيين الفگيگيين، وأحدهم محقق التسلسل النسبي، كاتب هذه الترجمة.

ونعلم من جهة أخرى أن الشيخ عمرو الوسمادني كون أملاكه بالقصر المعيزي والحمام وبني ودرن، وبقي هو بمنزله بآيت برا إلى وفاته قبل سنة 829 / 1426. ودفن في بيته، حيث لا يزال ضريحه إلى اليوم مزارة مشهورة. والأثر الموثق الوحيد الذي تركه لنا الشيخ عمرو الوسمادني الذي أضيفت إليه كنية المعيزي هو رسم التحبيس والصدقة المؤرخ في ذي الحجة عام 829 / أكتوبر 1426، وهو مصدرنا الأساسي في التعريف به وبنسله. تم تسجيله بعد وفاة الشيخ، اعتمادا على ما ذكره نص العقد من الترحم عليه أولا، ومن حيازة المستفيدين أقساطهم ثانيا.

أ. مزيان، فجيج، مساهمة في دراسة المجتمع الواحي المغربي خلال القرن التاسع عشر، الدار البيضاء، 1988 ؛ بنعلي محمد بوزي، *واحات فكيك* ؛ العربي هلالي، *فجيج، تاريخ ووثائق ومعالم* ؛ *وثائق البوبكريين* ؛ وثائق حسن الفگيگي ؛ ح. الفگيگي، *مشروع كتاب عن البوبكريين الفجيجيين*، مرقون.

حسن الفگيگي

الفگيگي، فاطمة بنت عبد الله. والدة الفقيهين المتصوفين أحمد بن رحو وأخيه إبراهيم، من ذرية الإمام عبد الجبار، ملأت وقتها بالعبادة، صالحة عريقة في الفضل، تيجانية الطريقة، بينها وبين أحمد التيجاني مراسلات.

توفيت على الأرجح في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري.

محمد بوزيان بنعلي، *بيوتات العلم والأدب بفجيج*، ص. 129 - 130.

الفگيگي، أبو **القاسم** بن **أحمد** بن زيان، من ذرية الشيخ زيان بن محرز أحد فروع شرفاء وتدغير. ولد حوالي 1235 / 1819. وباقي المعلومات عنه تستقى من كتاباته، تتلمذ على خيرة علماء فجيج وأساتيذها كالإمام أحمد بن محمد الراشدي، والعلامة محمد بن أحمد بن الصديق اللذين كان يمدحهما بأروع شعر، كقوله في رائيته التي خاطب بها الراشدي (طويل) :

لقد كان هو والسري نظيره ... محمد الصديق بحراً سقى بحراً
يدان لدين قل يمينا ولا تقل ... لإحداهما اليمنى ... وأخراهما اليسرى

زاول في بداية حياته العملية خطة العدالة، ثم تولى القضاء والفتوى، وارتقى في العلم والأدب حتى صار أشهر من علم على نار.

توفي سنة 1323 / 1905 . وخلف وراءه ذخيرة مفيدة وقيمة من الفتاوى والرسائل والأحكام والخطب والقصائد التي شهدت له بجودة قريحته، وحسن سبكه، من ذلك عينيته في مدح مولاي عرفة (أخ السلطان مولاي الحسن) رئيس الوفد الذي قدم إلى فجيج عام 1301 / 1883، للوقوف على مشاكل الحدود، ومطلعها :

أكهف الورى مهما تعذر مفزع ... بقيت بعون الله في العز ترتع
نشرت جلال الدين بالعدل قائما ... وقومت دين الله لازلت ترفع
وأصبح هذا القطر يزهو مسرة ... عليه جمال من جمالك يلمع
ومازلت في تشبيه نورك حائراً ... ولم أدر في تمثيله كيف أصنع ...

قصائد وفتاوى للمترجم، *مخطوطة خاصة* ؛ العربي هلالي، *فجيج تاريخ وثائق معالم*.

الفگيگي، أبو **القاسم** بن **مَحمد** بن عبد الجبار. نقدر استناداً إلى بعض القرائن أنه ولد حوالي 920 / 1514 أخذ العلم في زاوية جده على شيوخ كثيرين، منهم والده الذي أقرأه حرز الأماني (الشاطبية) قراءة تحقيق وتدقيق، وتلقى عنه كتب الحديث المشهورة كالبخاري ومسلم .. وشفا القاضي عياض بسنده المشهور، ارتحل إلى المراكز العلمية الموروثة في المغرب والمشرق فلقي عدداً كبيراً من خيرة علماء الوقت جمع جلّهم تلميذه أحمد بن أبي محلي في كتابه *الإصليت* نذكر منهم ـ على سبيل المثال ـ عبد الواحد الونشريسي (قتل 955 / 1548) وعبد الوهاب الزقاق (قتل 921 / 1515) وأحمد العبادي التلمساني (ت. 985 / 1577) وعبد الرحمن التاجوري (ت. 960 / 1553) وناصر الدين اللقاني (ت. 958 / 1552) وأبا الحسن البكري (ت. 952 / 1545) وعلي بن عراق الكناني (ت. 965 / 1558) ... الخ.

أما تلاميذه فكثيرون جدا، ولا سيما في فجيج وتلمسان ومراكش وفاس التي كان يطيل بها المكث حتى إن المنصور السعدي عهد في عام 996 / 1588 إلى واليه على فاس أن يعين له داراً تناسب مكانته، ومدرسة لقراءة من يقرأ من أولاده، وأرضاً طيبة لاستغلالها (ظهير خطي خاص).

تميز أبو القاسم بشخصية علمية موسوعية يمكن معها التأكيد على أنه أعظم رجل علم درج على أرض فجيج بعد جده الإمام عبد الجبار يشهد لذلك ما قيل في حقه من نعوت، فهو عند ابن أبي محلي : "محدث المغرب في وقته"، وعند الإفراني : "إمام عالم كبير. أحد المشاهير، ومن له الصيت في كل أفق ... ومدحه الشيخ العالم محمد بن الزبير بن عبد الرحمن بقوله :

لولا وجودكم الأعلي وريحته ... لطار مغربنا في العلم بالعدم
من للبديع سواكم إنه تلف ... مع الفرائض والحساب في ضرم ؟

وخاطبه الأديب العلامة أبو عبد الله سيدي محمد بن علي بن آبهلول فقيه ناحية زواوة والجزائر بقصيدة منها :

بيدي غرائب آيات الكتاب كما ... من الحديث بلين خالص النـدر
قد سابق القوم في ميدان سبقهم ... فحاز قصب استباق غير مفتخر

ويبدو من الأدبيات المتعلقة به أنه كان ـ أيضا ـ شخصية اجتماعية وسياسية وحربية ودينية واقتصادية .. فحضر مجالس المنصور السعدي .. وخاض معه معركة وادي المخازن .. وقضى .. وأفتى .. وعقد صفقات تجارية كبيرة .. وربّى الطيور .. وقنص بها .. ولا غرو بعد هذا أن يكون أكثر الفجيجيين حظا في كتب التراجم المغربية.

ألف أبو القاسم في الحديث والفقه والأصليْن (الدين والفقه) والمنطق والأدب، وأبدع شعراً ونثراً، لكن المصادر لا تذكر له إلا كتابه الموسوم بـ " *الفريد في تقييد الشريد وتوصيد الوييد*"، وهو من الشروح الأدبية المطبوعة المتداولة. وقد حاولنا في غمرة اهتمامنا البالغ بتاريخ فجيج أن نبحث عن غيره في الخزائن العامة والخاصة، فانتهى بنا البحث إلى ما سنركمه هاهنا :

ـ *الحاوي المنوط بالفتاوي* : وهو من كتب النوازل الفقهية المنبثقة من الحياة العامة، والمشكلات المستجدة داخل مجال فجيج بصفة خاصة. لم يبق منه إلا نقول كثيرة في وثائق الأحكام والفتوى مما يدل على أنه كان مصدراً هاماً لفقهاء فجيج.

ـ نظم اللآلئ الحسان : أرجوزة من (8500 بيت) نظم فيها مختصر الشيخ خليل، وهو نظم فريد سلس عذب على حد تعبيراً ابن ناصر في رحلته الكبرى. منه نسخة في الخزانة الحسنية رقم 1407، وأخري بالخزانة العامة : د 2815.

ـ الحد المطرد في ضبط مصطلح فن المعتقد : منظومة في علم أصول الدين، نص على الهدف منها بقوله :

وبعد ، فالقصد بنظمي ما انعقد ... عليه مصطلح فن المعتقد
سبكاً للفظ، أو لحَدّ قاعده ... أو نكتة مسفرة عن فائده
قد ألف الأئمة الأجله ... فيها تآليف حوت أدله
ما بين منظوم ومنثور بسيط ... لهم عليه، ووجيز ووسيط
فهذبوا الصفات والأسماء ... فارتفعوا لذا سما سناء
في روعي لاح أن أقفو أثرهم ... عسى بأن يلحق نظمي نثرهم..

وقد فرغ منها عام 996، ولا يوجد منها إلا نسخة مبتورة في ملك أحد الخواص.

ـ رجز رسالة ابن أبي زيد القيرواني.

ـ رجز السنوسية الصغرى. ذكرهما معاً أحد أحفاد أخيه حمادي، وهو الشيخ عبد الجبار بن محمد بن حمادي.

ـ محاجّاة سَوّال معرض للجواب في الحال. بائية من بحر الرجز في أصول الدين أيضا، ومطلعها :

يا من جرى يسبح في بحر الأدب ... ويرتقي في العلم أعلى مرتب
يسحب ذيلا في الكلام الأصوب ... مُسَرْبِلاً ثوب جمال الكتب

ولم يبق من هذه المنظومة غير أبيات معدودات.

ـ التحليل وإبراء العليل في شرح خليل : وقد شرح فيه منظومته اللآلئ الحسان المذكورة آنفاً، يعتبر الآن في حكم المفقود عدا أوراقاً من أوله.

ـ الفهرست : جمع فيه مقروءاته ومروياته وشيوخه، ذكرها ابن أبي محلي في *الإصليت*، ولم نقف لها على خبر.

ـ تأليف في تاريخ فجيج : أشارت إليه إحدى الوثائق الجامعة لأنساب بعض شرفاء فجيج، وهو مفقود أيضا.

ولأبي القاسم أنظام أخرى في الفقه وبعض الأحاديث الشريفة. كما له إبداعات شعرية كقوله من قصيدة طويلة :

ألا ناصر للدين ينصر ناصرا ... له قائم بالحق والحق ساد
لقد عيل صبري واشمأز فؤادي ... وفَوْدَايَ شابا ، واستطال سهادي

توفي عام 1011 / 1602 ، على ما حققه تلميذه ابن أبي محلي. لا عام 1021 كما أجمعت كل كتب التراجم والطبقات المغربية وتواتر تقليداً في كتابات المعاصرين وأبحاثهم.

ابن أبي محلي، *الإصليت*، م. خ. ح 100، *منجنيق الصخور*، م خ ع 338 ق ؛ أبو القاسم الفجيجي، *الفريد* ، بعناية، د. عبد الهادي التازي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط 1983 ؛ محمد بوزيان بنعلي، *فجيج أعلام الفكر والأدب بين العصرين المريني والعلوي*، مطبعة الجسور، وجدة، ط 1، 2000 ؛ القادري، *التقاط الدرر*، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط 1، 1983.

الفكيكي، مبارك بن هبة الله. الشهير بسيدي امبارش بن هيبة. من أهل العلم والصلاح والكرامات الظاهرة والمتواترة، عاش في النصف الثاني من القرن الحادي والثلث الأول من الثاني عشر الهجريين، أخذ العلم في عدد من المراكز المعروفة كفاس، ووصل إلى تغازى، ومكث بها طويلا، ولقي بها صاحبه وشيخه أحمد الهشتوكي، وإلى ذلك يشير قوله : "...ومن جملة من أكرمنا وأحسن ضيافتنا ببلدة فجيج أبو العباس السيد أحمد بن زروق ابن عم صاحبنا السيد الحاج مبارك بن هبة الله الفجيجي وصهره، وقد كنت اشتقت لملاقاته غاية ؛ لكونه من أفضل الأصحاب وأخلص التلامذة والأحباب، انتظمت معه في سلك المحبة والقراءة ببلاد تغازى حرسها الله تعالى سنين عديدة...".

لم ينفق المترجم حياته في الخلوة والعبادة فقط وإنما كان مدرسا مميزا بأسلوبه، فنراه عميقا بليغا مع الطلبة المتفرغين كما نراه بسيطا مع المبتدئين، وخاصة النساء اللائي انتفعن بمنظوماته في الدين وفقه العبادات لأنه كان يتوجه إليهن باللسان الأمازيغي، وهذا مطلع إحداها :

بسم الله الرحيم ... وبالله الرحمن
الصلاة والسلام ... خَفْ النبي العدنان
أَنْصَحْ تِسدْنَانْ ... سْلفْرايَضْ دسْنَنْ...

(خَفْ آي على تِسدْنَانْ : أي النساء،والباقي مفهوم).

أحمد الهشتوكي، *رحلة هداية الملك العلام إلى بيت الله الحرام* (م خ ع 147 ق) ؛ *منظومة في الفقه* (مخطوطة خاصة مبتورة).

الفكيكي، محمد بن إبراهيم بن أحمد بن مرزوق. شخصية سياسية بارزة، عينه مولاي الحسن الأول قائدا على قصر زناگة عام 1309 / 1892. وبعد قيام ثورة بوحمارة،

أصدر ظهير تعيينه في نفس المهمة عام 1321 / 1903. ثم أعيد تعيينه في عهد السلطان عبد الحفيظ سنة 1327 / 1909 وظل كذلك إلى عام 1912 ، حيث نُفي إلى أفلو بالجزائر.

توفي بالجزائر عام 1930.

العربي هلالي، فجيج تاريخ وثائق ومعالم ؛ كناش رقم 467 بالخزانة الحسنية.

الفگيگي، محمد (فتحا) بن **إبراهيم** بن **عبد الجبار** بن معلي الجمالي الودغيري. ولد حوالي 1120 / 1708 . تلقى تكوينه في معاهد فجيج، ثم جامع القرويين، ولم ينفصل عنه إلا بعدما أدرك شأوا بعيدا في الفقه، أهله للتقلب في عدة مناصب جليلة منها : القضاء والإفتاء والإمامة والتدريس، مهد لها بمزاولة خطة العدالة والتوثيق.

خلعوا عليه ألقابا علمية محترمة فهو "الفقيه القروي المحدث، القاضي الأعدل، الورع، الذكي الأفضل، العلامة الأكبر... إلخ.

ترك وراءه ذخيرة معتبرة من الأحكام والكتابات العدلية، والمنسوخات العلمية، ويستنتج من بعضها أنه كان وزاني الطريقة، وصاحب خط بديع رائع.ومما نسخه :

- نظم اللآلئ الحسان لأبي القاسم بن امحمد بن عبد الجبار (ت. 1011) فرغ منه بعد ظهر الخميس الأول من ربيع الثاني عام 1194 ، برسم خزانة أبي العباس أحمد بن الشيخ مولاي الطيب الحسني الوزاني (ت. 1195) (وهو مخطوط بالخزانة الحسنية رقم 1407).

توفي عام 1197 / 1783.

عقود وأحكام (مخطوطة) ؛ محمد المنوني، *تاريخ الوراقة المغربية*، ص. 151 ، مطبعة النجاح الجديدة، ط. 1، 1991 ؛ العربي هلالي، *فجيج تاريخ وثائقه ومعالم*.

الفگيگي، محمد بن أحمد بن الصديق، من أغزر أحفاد الإمام عبد الجبار علماً، وأوسعهم اطلاعا، تتلمذ على شيوخ كثيرين في فجيج وفاس، وتنقل بين تافلالت ومكناس وفاس ووهران مفتيا ومدرسا ومناظراً ألمعيا. ولما استقر به المطاف بفجيج تدفق نشاطه في زاوية جده علما وفقها وأدباً.

وحافظ على رسالتها العلمية في وقت طغى فيه ماء الطرقية، وتخرج على يديه جل فقهاء النصف الثاني من القرن 12 / 18. وخلعُوا عليه باقات طيبة من النعوت والألقاب شعراً ونثراً، فهو الشيخ الإمام، العالم القدوة، المتفنن المدرس، الناظم الناثر ... وقال فيه أحد تلاميذه من شعراء فجيج (طويل) :

وفي فجنا الفجيجي حبر مزيد ... حسيب نسيب زاد فخراً على فخر
زكي وجيه، فاضل وابن فاضل ... علا نوره قدما على كل من بدري
فلازمْ نجاه وجهه متأدبا ... تنال بذاك ما تريد من الخير
وألق عصا التسيار يا صاح عنده ... فقد ضل من رام التجاوز للغير
لتحضر هداك الله مجلس درسه ... لمختصر الخليل تحظى بما يُسْري ..

ومن مؤلفاته :

- لقط الفوائد في الرد على من اعتقد جواز بعض العقائد : كشف فيه عن وجوه بعض ما يجب اعتقاده من عقائد التوحيد، مما ضلت فيه آراء طلبة الوقت ... وأثبتوا الجواز لأربع من العقائد أولها : حدوث العالم بأسرة، ثانيها : نفي الغرض عن الله تعالى في أفعاله وأحكامه، ثالثها : نفي التأثير بالقوة عن الكائنات، رابعها : نفي التأثير بالطبع عن الممكنات، وقد حققناه ضمن العدد الأول من سلسلة *تراث فجيج*.

- الكواكب الدرية في شرح شواهد المكودي على الألفية : اكتشف مؤخراً في إحدى خزانات فجيج، وشارك به صاحبه في جائزة الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق سنة 2002.

كان ابن الصديق على قيد الحياة عام 1287 / 1870. ولا ندري كم امتد به العمر بعد ذلك، والغالب على الظن أنه توفي في العشرة الأخيرة من القرن 13 / 19.

لقط الفوائد للمترجم، تحقيقه في العدد الأول من سلسلة تراث فجيج، نصوص من التراث الفكري ؛ محمد بوزيان بنعلي، *فجيج أعلام الفكر والأدب بين العصرين المريني والعلوي*.

الفگيگي، محمد بن أحمد بن عبد الجبار، يلقب بأمزيان (أي الصغير) تمييزاً له عن أخيه محمد الحاج المعروف بأمقْران (أي الكبير). ولد حوالي 910 / 1504. تلقى علومه الأولى في زاوية أسرته، وتحول إلى مراكز علمية كثيرة، ولقي شيوخا عدة، درس عليهم علوم الآلة والغاية والفلك والحساب، نذكر منهم على سبيل المثال : ناصر الدين اللقاني (ت. 957) وأبا الحسن البكري (ت. 952) وعبد الرحمن التاجوري (ت. 999) وعبد العزيز اللمطي (ت. 964) ... الخ، وتتلمذ عليه خلق كثير على رأسهم أبو القاسم بن مَحمد بن عبد الجبار الذي وصفه في مقدمة إحدى إجازاته بقوله : "ومن مشايخي الذين أخذت عنهم بفجيج ... الجهبذ النقاد، مفتي الحاضر والباد أبو عبد الله ... (الإجازة خطية خاصة). ونعتوه بالفقيه العالم العلامة الضابط الراوية ... الحجة الحافظ، الناظم الناثر ...

لم يبق من نظمه ونثره إلا فتاوى محدودة ومقطوعات شعرية وقصيدة مولدية طويلة رقيقة، مطلعها :

يا ربيع قد فقت قدرا ... عن ذويك حدث فخراً
فاعتزز قد طبت ذكراً ... إذ بدا فيك محمد

ولم يزغ عن نهج ذويه في ولعهم بنسخ الكتب وإثراء خزانتهم دار العدة، من ذلك :

- مختصر الشيخ خليل : نسخه كما قال : كتبتها بالمدرسة العينية في الحومة الأزهرية في عام سبعة وأربعين وتسعمائة / 1540.

توفي بعد عام 995 / 1587.

وثائق وقصائد، مخطوطة خاصة ؛ محمد بوزيان بنعلي، *فجيج أعلام الفكر والأدب*.

الفگيگي، محمد بن **أحمد** بن **فرج**، السكوني نسبا، الزناگي داراً ومنشأ. ولد سنة 1900، تلقى العلم على والده الذي كان عالما وقاضيا، وعلي علامة فجيج وقاضيها ومفتيها محمد بن إبراهيم أمزيان المشهور بين تلاميذه بسيدي محمد القاضي (ت. 1346 / 1327). قضى حوالي 9 أشهر بالقرويين، وسافر إلى مدينة المشرية (بالجزائر) بإيعاز من السيد محمد بلحسن المدغري لتدريس العلوم الدينية بأحد مساجدها، ولما عاد إلى فجيج أسندت له مهمة القضاء بظهير ملكي مؤرخ في 22 / 7 / 1931. ولأنه كان لا يخشى في الله لومة لائم، ولا يذعن لمشيئة المستعمر، فقد عزله هذا الأخير يوم 24 . 6 . 1933.

في عام 1946 ، قابل المغفور له جلالة الملك محمداً الخامس "ليؤكد عواطفه الولائية ويعرض عليه رغبته في إحداث مدرسة قرآنية عربية بفگيگ تكون جارية على منهاج الموجودات بمعظم مدن الإيالة الشريفة" (نص الرسالة الملكية)، واختار لها بعد الفراغ من إنشائها اسم "مدرسة النهضة المحمدية"، وانطلقت لتؤدي رسالتها الوطنية السامية بأحسن وجه وأدقه. لكن المترجم لقي بسبب هذه الخطوة المباركة عنتا شديداً من لدن المستعمر انتهى بنفيه إلى الدار البيضاء. وفي غمرة الأحداث الوطنية الكبري اعتقله من جديد في منفاه ونقله إلى سجن آيت أورير قرب مراكش ثم إلى سجن تزناگت. ثم فم ازگيد ثم فم الحنش، وبقي مدة في معاقله الصحراوية يقاسي كل أنواع التعذيب النفسي، ويعاين المشاهد المكربة. فقد شاهد - مثلا - المرحوم محمداً الديوري قائد الحركة الوطنية بالقنيطرة يستشهد أمامه في نفس الزنزانة بسبب الإهمال الصحي ...

والحقيقة أن الحديث عن المترجم ذو شجون يتشعب في كل اتجاه ويلتقي في ولائه المقدس لوطنه، وحميته في خدمته .. فقد كان قاضيا فعزل، ومصلحا اجتماعيا فضيِّقَ عليه وتوبع .. وغداة الاستقلال ثم تعيينه باشا على مدينة فجيج بتاريخ 10 / 1 / 1956.

وقد وافاه الأجل المحتوم يوم 18 / 12 / 1964، ودفن في مقبرة علال بن عبد الله بالرباط في جنازة مشهورة حضرها زعماء الحركة الوطنية على رأسهم الفقيدان المرحومان : علال الفاسي وعبد الرحيم بوعبيد.

أحمد سعد الدين وبوبكر لرگو، الحاج محمد فرج، *رائد الحركة الوطنية والنهضة التعليمية*.

الفگيگي، محمد بن **بلقاسم** بن ناصر السعيدي الثوري. ينحدر من بني ثور بن عبد مناة بن مضر. والسعيدي نسبة إلى سعيد بن مسروق الثوري والد سفيان الثوري أمير المؤمنين في الحديث. لا نجد له ذكرا في مصادر تاريخ الرجال. وهو ثاني اثنين برزا في علمي المعقول والمنقول، والأخ الآخر هو منصور شارح صغرى السنوسي (م خ ع 2989 د).

عاصر أفول الدولة السعدية وبزوغ نجم العلويين، وبينهما أقام بفاس منقطعا إلى مجالس العلم حتى مَتُن تكوينه الفقهي، وتوسعت ثقافته الدينية بصفة عامة، ثم عاد إلى فجيج مدرسا في زواياها العلمية قبل أن يؤسس هو وأخوه زاويتهما بقصر زناگة.

لا نعرف إلا ثلاثة مؤلفات هي :

- شرح السنوسية الصغرى : هو أشهر مؤلفاته على الإطلاق إذ به ذاع صيته العلمي وأسرف المهتمون في انتساخه وتحبيسه، وفي الخزائن الخاصة والعامة عشرات منه، وسنعمل على تحقيقه قريبا إن شاء الله. وقد فرغ من تأليفه بفجيج عام 1048 / 1639.

- شرح أسماء الله الحسنى، وهو رسالة لطيفة، منه نسخة خطية بفجيج.

- شرح التسبيح : أي التسبيح الذي يستحضره المؤمن دبر كل صلاة، ومنه أيضا نسخة خطية بفجيج.

ويستدل من ترحم السكوني قبل عام 1056 / 1647.

السكوني، *تقوية إيمان المحبين : وثائق مخطوطة* (خاصة).

الفگيگي، محمد بن **بنعيسى** بن **الستاج**. من ذرية الإمام عبد الجبار، ولد عام 1927، وحفظ القرآن الكريم وهو صغير، وفي مرحلة لاحقة تحول إلى القرويين لاستكمال تحصيله في العلم والفقه، كان - رحمه الله - من رواد الحركة الوطنية والمستميتين في الدفاع عن الفكر الإسلامي والهوية الوطنية، انتقل إلى فرنسا عام 1948 لمزاولة الصحافة، فجعلت منه هذه المهنة كاتبا بارعا وناقدا عميق الرؤية، تولى منصب رئيس التحرير في جريدة العرب.

انتقل إلى القاهرة وعدد من العواصم جريا وراء القضية الوطنية وعدالتها. سجن بوجدة ومورس عليه أقسى أنواع التعذيب، وأشدها وحشية، فلما لم يؤثر ذلك في شخصيته الحديدية، لجأ المستعمر إلى حقنه بحقنة خبيثة اغتالت فكره ودماغه، وحولته إلى شبه مجذوب ساقط التكاليف يجوب الأزقة والحواري بفجيج إلى أن أخذه أهله القاطنون بتاوريرت فتوفي بها عام 1998.

كان إلى جانب نبوغه العلمي وكفاحه الوطني يتقن أربع لغات هي : الأنجليزية والعبرية والفرنسية والروسية، وكان من أصدقائه المفضلين الأستاذين أحمد بلافريج ومحمد عزيز لحبابي وآخرون. (جريدة *العلم*، 1998).

الفگيگي، محمد بن **بوزيان** بن **عبد الرحمن** بن أفضل العباسي الحسني. من أعلام النصف الثاني من القرن الحادي عشر. ينحدر من أسرة مشهود لها بالعلم والصلاح. ولي عابد، قانت خاشع، ذو كرامات، فقيه عارف، مربٍّ مصلح، محب للعلم والعلماء، جماعة للكتب، يحبسها على طلبة العلم.

لا تذكر الوثائق شيئا آخر عن تفاصيل حياته العلمية، ولا تشير إلى تاريخ وفاته.

وثائق مخطوطة خاصة.

الفكيكي، محمد بن (الحاج -) **اللحياني**. من فقهاء قصر زناگة. متصوف وزاني الطريقة، بينه وبين شيوخها مراسلات. اشتغل بنساخة الكتب.

ويستنتج من أحد منسوخاته (السلم المرونق للأخضري) ورسالته في نعي الحاج العربي الوزاني أنه كان بقيد الحياة عام 1267 / 1850.

وثائق ورسائل، مخطوطة خاصة.

الفكيكي، محمد بن **حمادي** بن أبي عثمان الجابري ثم العبيدي، رجل خير فاضل، وولي صالح عامل، وفقيه ماهر في علمي المعقول والمنقول، من أهل التربية والمداومة على تلاوة كتاب الله عز وجل، أرخ صاحبه العالم المفتي قاضي الجماعة بفجيج بوزيان بن أحمد ابن عبد الجبار وفاته بقوله : "توفي الفقيه الأجل، الذكي الأمثل، التالي كتاب الله عز وجل، الولي الصالح أبو عبد الله...

توفي عند طلوع الفجر ليلة الثلاثة (الثلاثاء) الثامنة عشرة من ذي الحجة سنة أربع وسبعين ومائة وألف".

وثائق خطية خاصة.

الفكيكي، محمد بن **الصديق** بن حمادي. من آل الإمام عبد الجبار. كان مثل جده المذكور قوي الذاكرة، حاضر البديهة. كثير الحفظ. أثار انتباه شيوخه ورفاقه في التحصيل فلقبه أحدهم (يَازيضْ) أي (الديك) لأنه كان يلتقط كل ما يسقط من أفواه أساتيذه كما يلتقط الديك حبه من الأرض.

من معاصري العلامة أحمد بن عاشور السمغوني (انظر ترجمته)، بينهما معارك فكرية ومناظرات ومساجلات كانت تنتهي أحيانا إلى هجاء وغلظة في القول، كقول صاحبنا يرد على هجوه :

فهجوك لي زَيْلٌ وعَرضيَ روضة تَزَيَّلْ، فإن الزيل للروض نافع

وكانت تنتهي أحيانا أخرى إلى مؤلفات رصينة جادة حينا وحادة حينا آخر. منها مصنفان للمترجم :

- البرهان الوجودي في الرد على من أفسد إعراب المكودي.

- مطلع النور، وإبطال الإفك والزور في الرد على المماري بالباطل ابن عاشور

وهما في حكم المفقود، وقد شوهدا من قبل لدى أحد الخواص.

توفي عام 1264 / 1847.

وثائق خطية خاصة ؛ روايات شفوية ؛ محمد بوزيان بنعلي، فجيج أعلام الفكر والأدب.

الفكيكي، مَحمد (فتحاً) بن **عبد الجبار** ثالث أبناء الإمام عبد الجبار، وأصغرهم، وخاتمة مواليده الذكور، نجهل كثيراً من تفاصيل حياته العلمية، ونعرف أنه بلغ درجة سامقة في سلم التصوف السني العلمي، لازم أحمد بن يوسف الراشدي حتى صار من مذابيحه السبعة، ولقبوه بالقطب الجامع بين الشريعة والحقيقة، وأخذ في فاس عن شيوخ كثيرين كأحمد الصنهاجي الشهير بالدقون، والونشريسي وابن غازي، وقد طالت ملازمته لهذين الأخيرين حتى ذكر صاحب فهرس الفهارس أن الونشريسي ألف فهرسته باسمه، وما رأيت أحداً ترجم للونشريسي إلا وجعل محمداً صدر تلاميذه ورأسهم.

ومن تلامذته محمد بن أحمد بن داود العطافي التلمساني. وابنه أبو القاسم.

حلاه التنبكتي بالفقيه المحدث، ونعتوه بتاج العارفين وناصر الدين ورئيس العلوم المتبحر في مدارك الفهوم، العالم العلم الصدر الولي ...

وهو صاحب الحبس المشهور الذي قيد استغلال الإناث بالاحتياج، والإبارة من الأزواج. لم يبق من إنتاجه إلا فتاوى فقهية، وقصائد ومقطعات شعرية، منها تائيته في رثاء والده ومطلعها :

لتبك العيون الجامدات على الذي حوى كل فضل من علوم ورفعة

لتبكه أرياح البلاد : دبورها صباء وشمال، مع جنوب وقبلة

ليبكك من كانت حياتك عزه فأصبح لما بِنْتَ غص بغصة

توفي في شهر رمضان 956 / 1549. ودفن إزاء روضة أبيه تحت قبة جنائزية شماء.

ثبت الوادي آشي ، تح. عبد الله العمراني ؛ الكتاني، فهرس الفهارس ؛ محمد بوزيان بنعلي، فجيج أعلام الفكر والأدب بين العصرين المريني والعلوي.

الفكيكي، محمد بن **عبد الجبار** بن ميمون بن هارون المسعودي، من أولياء الله الصالحين، صاحب كرامات مشهورة، له منظومة في مدح الرسول - صلى الله عليه وسلم - أخذ عن سيدي أحمد بن يوسف الراشدي (ت. 927 / 1521) ومحمد بن عبد الرحمن الكفيف السويدي، وأحمد الحاج النميش العامري، وله زاوية في وطنه المعروف بحدوش من تاسالة. كان قد بنى مسجدا على عين، وبيتا للفقراء المريدين ينفق عليهم، ويمونهم، وكان قد باع جميع ما له من الأرض، وأنفقها على المريدين الذاكرين لله على الدوام، لا يفتر عن القراءة والذكر، حتى صار قطبا يأتيه الزوار من كل بلد.

ومن تلامذته أحمد الغماري التلمساني، فقيه موحد، وله أصحاب كثيرون لا يحصون، كان شاعرا ماهرا في الشعر.

ابن مريم التلمساني، *البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان.*

الـفكيكي، محمد (فتحاً) بن **عمر** بن عبد القادر الإدريسي. يشار إليه بالصلاح، أخذ عن أبي القاسم بن حم بن عبد الوهاب الغساني الملقب بالوزير، ودفن معه داخل قبته، ليس بينهما إلا قبران.

توفي في شهر ذي الحجة عام 1213. (من تذكرة المحسنين)

موسوعة أعلام المغرب، تنسيق وتحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، 1996.

الـفكيكي، محمد (فتحاً) بن **عمرو** بن يدير الإدريسي. ولد حوالي 935 / 1528. أخذ علومه الأولى في زاوية بني عبد الجبار. ولم يذكر له أحد رحلة علمية خارج فجيج، وصفته المصادر بالولي الذي انعقد الإجماع على ولايته، ونسبت له فتوحات كثيرة، وفوائد غزيرة، وكرامات منها : أن بعض الأعراب الذين دأبوا على زيارته كل عام بصلات معلومة اشتكو إليه "ظلم الطاغي من بعض الدول الساري حكمه عليهم من أعمال أتراك تونس، فقضى الله على من ظلمهم بإهلاكه" كما اشتكوا إليه قلة البركة في بلدهم فدعا لهم بالغيث والرخاء..

ومن تلامذته الملازمين لمجالسه وحلقات ذكره خليل بن عثمان بن عبد الوافي.

توفي حوالي 1020 / 1611. وقبره مشهور يزار بقصر المعيز.

وثيقة نسب المترجم (خاصة) ؛ أحمد السكوني، *تقوية إيمان المحبين*.

الـفكيكي، محمد بن مَحمد بن أحمد بن محمد الراشدي. لا تذكر المصادر شيئا عن تاريخ ولادته ونشأته وتربيته ومكان دراسته، إلا أن انتسابه إلى بيت مشهور بالصلاح والعلم من جهة ووصفه بألقاب علمية صريحة من جهة أخرى، يؤكد أنه كان شخصية علمية واجتماعية مرموقة في المنطقة كلها، فالسلطان المولى رشيد انعم عليه عام 1082 بظهير توقير واحترام وإعفاء من سائر المغارم والوظائف، وفي عام 1104. وأصدر المولى إسماعيل مرسوما عينه بمقتضاه قاضيا على فجيج ونواحيها، ونصه : "حامله الفقيه العالم الخَيِّر الدين السيد محمد بن مَحمد الراشدي الفجيجي، ولييناه قضاء فجيج عن آخرها، وأسندنا إليه أمرها، فلا كلام لأحد غيره فيها، على أن يفصل بين الخصوم بالشريعة المحمدية، وينفذ أحكامه فيها من غير معارض له فيها ولا منازع، ولا مزاحم ولا مدافع. وعليه بتقوى الله في السر والعلانية، والله تعالى يوفقه، آمين، والسلام. وكتب في أواخر جمادى الأولى عام أربعة ومائة وألف. وأقررناه على شرطه المعلوم له ولغيره من قبل على حسب العادة في ذلك والله يوفقه، آمين".

وقد استمر في هذه الخطة صادعا بالحق الملاتم إلى أن عزله، وصادر أمواله خليفة السلطان على فجيج المولى عبد الملك وذلك عام 1121. فخرج من البلد لإراحة نفسه على حد تعبير ابن ناصر في رحلته. وما أن تناهت أخبار هذا الخلاف إلى أسماع المولى إسماعيل حتى أنهض من يحقق فيه، ولما ثبت لديه ورعه واستقامته وعلو همته ومعلوم عدالته، رد إليه الاعتبار في ظهير مؤرخ بالرابع من ذي القعدة عام 1122 / 1710، يقضي بإعادته إلى منصبه.

ونظراً لكبر سنه فإن الراشدي اعتزل القضاء عام 1130 / 1718، ووافته المنية بعد ذلك بقليل.

العربي هلالي، فجيج *تاريخ وثائقه ومعالم* ؛ أحمد بن محمد ابن ناصر الدرعي، *الرحلة الناصرية* ؛ *ظهائر ووثائق*، مخطوطة خاصة.

الـفكيكي، محمد بن محمد بن بلغير بن عبد الحق الجمالي الودغيري. من رواد النهضة الحديثة الذين تركوا بصمات واضحة على كافة مجالات الحياة الفجيجية. تلقى علومه بالمغرب والجزائر حيث اتصل بأعلام الإصلاح كالشيخ عبد الحميد بن باديس، والبشير الإبراهيمي، وتوفيق المدني، وعبد الرحمن الجيلالي.

من أبرز منجزاته بفجيج توليه إدارة المدرسة الحسنية في عهد الاستعمار، ومساندته لرجال الحركة الوطنية. أما في المجال الفكري فيحمد له أنه أول من فتح باب الاهتمام بتاريخ فجيج وأعلامها بما كان ينشر من مقالات في المجلات الوطنية مثل دعوة الحق، وصحراء المغرب، كما أن له مؤلفات في الفقه والتوحيد كانت مقررة على طلبة المدارس.

توفي عام 1988.

روايات شفوية.

الـفكيكي، محمد بن محمد بن الـحسن المخلوفي الودغيري، بناء على ما أمكن استخلاصه من خلال القراءة المتأنية لمؤلفيه : *الدر النثير وبهجة الأبصار*، تكون ولادته بوادي أمليل في نهاية القرن الثاني عشر الهجري في قبيلته أولاد اخليفة.

ولقد غادر أسلافه فجيج قصد المشاركة في معركة وادي المخازن وبعد انتهاء المعركة استقروا بوادي أمليل 986 / 1578 ، وهم أصول أولاد خليفة الذين أصبحت لهم مكانة مرموقة بين قبائل المنطقة، لشرفهم وعلمهم ودينهم، كما تشهد على ذلك الوثائق السلطانية، السعدية والعلوية، والتي لا يزالون يحتفظون بها. في تلك البيئة المتميزة بالعلم والدين نشأ المخلوفي، إلى أن اشتد عوده وتفتحت مطاميحه، مما دفعه وهو في عنفوان شبابه إلى الالتحاق بفاس حيث أكمل تكوينه ووسع مداركه حتى أصبحت له مكانة مرموقة في الأوساط الفاسية ولا سيما الودغيرية منها، فتعاطى التدريس بمراكزها العلمية ولا سيما جامع الرصيف منها كما ذكر جعفر الكتاني في فهرسته، وأصبح مرجعا من مراجع الأنساب الإدريسية، مما أهله لأن يكون من بين الثقاة الذين كلفهم السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام

بإحصاء وتصنيف الأشراف الأدراسة المقيمين بفاس (1238 / 1822 ـ 1240 / 1824) وذلك قصد التوزيع العادل للصلات السلطانية العيد الرحمانية.

وكان متصوفا، حيث جمع بين الحقيقة والشريعة كما كان ذكر جعفر الكتاني أيضا، وكان من رواد الطريقة التجانية، فلربما انتسب إليها في شبابه في حياة مؤسس الطريقة الشيخ أحمد التجاني. وكان محبا لألي البيت إلى حد التشيع حيث سجل ذلك في مؤلفيه المشار إليهما. وله أرجوزة مطولة في النسب الشريف، استشهد مرارا بمقاطع منها في كتابه *بهجة الأبصار*.

توفي سنة 1300 / 1882 عن سن يناهز المائة.

جعفر الكتاني، الفهرس، خ. ع. مخطوط ؛ م. المخلوفي، *بهجة الأبصار في جميع من وقفنا على تحقيق نسبه من آل البيت المختار*، 1268 / 1851، خ. ع. ك. 1265 : 3 ؛ *الدر النثير فيمن صح واشتهر نسبه من شرفاء لودغير*، 1264 / 1847، تح. العربي هلال، مطبعة المحمدية، 2003 ؛ العربي هلالي، *الشرفاء في فجيج كعنصر لتحقيق التواصل وكعامل لنشر المعرفة عبر التاريخ*، مطبعة المحمدية، 2003.

الفكيكي، محمد بن **محمد** بن **حَمُّ**. فقيه متمرس، وعدل ثقة رضي، من أشهر نُظار المسجد الكبير بقصر زناگة، ساهم بفعالية في تنمية أوقافه.

كان بقيد الحياة عام 1198 / 1784.

رسوم أحباس، مخطوطة خاصة.

الفكيكي، محمد بن **محمد المالقي**، وهي نسبة ترجع انتماءه لأسرة نزحت من الأندلس. متصوف عابد لازمته صفة المرابط حتى صارت لا تفارق اسمه، وفقيه متمكن، وشاهد عدل رضي، سكن قصر الحمام قبل أن ينقسم إلى قسميه الأعلى والأسفل.

وكان على قيد الحياة عام 998 / 1590.

وثائق، مخطوطة خاصة.

الفكيكي، محمد بن **محمد** بن **محمد** بن **العربي** بن الحاج المعضادي، من آل عبد الجبار المستوطنين زناگة. ولد في حدود 1245 / 1830. عاصر جملة من أعلام الأدب والفقه والتصوف. لا نعرف شيوخه في العلم، ولا المراحل التي قطعها في التحصيل، إلا أن كتاباته المتفرقة تدل على أنه كان أديبا، ناثرا شاعرا، وفقيها ضليعا، وعدلا مرضيا، وجماعة للكتب ناسخا، ودرقاوي الطريقة.

أغلب شعره في مدح رجالات التصوف والسياسة، من ذلك ما قاله غداة زيارة الشيخ محمد العربي بن الهاشمي المدغري (ت. 1309 / 1892) لفجيج صحبة أولاده ومريديه :

محمد العربي قطب زمانه ... إمام لأهل الله في حضرة الأصل
بثغر فجيج أصبح السعد مقبلا ... وأصبح محفوظ الجناب من الهول

وله في الأمير مولاي عرفة لما بعثه السلطان مولاي الحسن ليقف على مشاكل المياه والحدود عام 1301 :

أيا معشر الحضّار فاصغوا إلى قولي ... فقد آن أن أقول أهلا لذي أهل
ألا حبذا الأنوار من طلعة الرضى ... بثغر فجيج بالمهابة والفضل

ومما نسخه لنفسه :

ـ شرح همزية البوصيري للشيخ محمد بن أب بن أحميد بن عثمان المزمري نسبا التواتي مولدا ومنشأ وموطنا فرغ من نسخها كما قال :

تاريخه خمسة وسبعونا ... ومئتان ألف ثابتونا
من وسط شهر ربيع الأول ... فيه بدا محيا خير مرسل

ـ حاشية بناني على الزرقاني وكان الفراغ من نقله عند صلاة الظهر من يوم الثلاثاء 17 جمادى الأولى 1287.

توفي عام 1326 / 1908.

وثائق وقصائد، مخطوطة خاصة.

الفكيكي، مسعودة بنت (الحاج ـ) أحمد بن زيان بن يوس، خديمة الطريقة الوزانية بقصر المعيز، أخذت العهد عن الطيب بن العربي بن عبد السلام الوزاني الحسني، وأصبحت "مقدمة" تجمع الفقيرات والمريدات للوعظ والذكر.

كانت راجحة العقل، سديدة الرأي، رضية المعشر، ذات اجتهاد في العبادة، متصدقة من أهل الخير والأريحية.

وكانت بقيد الحياة عام 1340 / 1922، بينها وبين شيخها مراسلات.

مراسلات ووثائق خاصة.

العربي هلالي ومحمد بوزيان بنعلي

الفكيكي، مصطفى بن **عبد القادر**، أحد وجهاء وعلماء إقليم الناظور وقضاته، كناه والده عبد القادر الفكيكي سالف الترجمة بماء العينين. ولد سنة 1909 بقرية أغمير، من خمس بني بويفرور بالناظور، وهو والد كاتب هذه الترجمة. استهل دراسته في العلوم الدينية بالانضمام سنة 1915 إلى طلبة مسجد بني سيدال بمدشر تانوت الرمان الذي كان بمثابة المعهد الديني بقبيلة قلعية كلها، إثر تأسيسه على يد شيخ الجماعة الشيخ علال التانوتي السيدالي، المتخرج سنة 1915 من جامع القرويين.

كان أمل والده كبيرا في مستقبل نجله المصطفي ماء العينين فشجعه في أول فرصة أتيحت له للتوجه إلى جامع القرويين حوالي سنة 1926. ومن مرافقيه المعروفين في الرحلة العلمية القاضي المؤلف العربي الورياشي. ومن الشهادات المروية عنه أثناء حضوره بفاس مشاهدته سنة 1927 مراسيم تولية المغفور له محمد الخامس عرش أسلافه، مستغربا حال تولية ملك شاب في تلك السن المبكرة. ومن تلك المشاهدات ما ذكره عن استماعه إلى بعض الخطب التي كان الطالب علال الفاسي يشير بها حماس رفقائه الطلاب بساحة القرويين بمناسبة المطالبة بإصلاح الوضع التعليمي بالقرويين، وننبه إلى ما بلغته الاحتجاجات سنة 1929 والمترجم له بساحتها.

ومن أساتذة ذلك الوقت المذكورين من طرف المترجم له ورفيقه الحاج العربي الورياشي بجامع القرويين العلماء : عبد السلام العلوي، مدرس شرح الدردير، وعبد العزيز بن أحمد بن الخياط، مدرس شرح الخرشي، والحسن مزور ملقن شرح الزرقاني. والحسين العراقي، أحد علماء الرتبة الأولى بالقرويين سنة 1930 ، وإدريس المراكشي، وعبد الرحمن بن القرشي.

اشتغل الفقيه مصطفى الفگيگي بعد الأوبة إلى بلدته في مستهل عام 1931 بالتدريس في مسجد القرية، إلى أن نودي عليه لتولية منصب العدالة من غير رضى والده، وقد شاءت سنة الحياة أن يسير منطق الأبناء عكس ما يرسمه لهم الأباء، ليعمل بجانب رفيقه القاضي العربي الورياشي سنة 1932 في خطة العدالة متنقلا بين أسواق خميس تيزطوطين وثلاثاء أفسو وأربعاء حاسي بركان.

ومما نعرفه من لحظات حياة الفقيه مصطفى الفگيگي رحيله المفاجئ إلى إسبانيا بعد قيام الحرب الأهلية الإسبانية (1936 . 1939) إثر الحملة التي قام بها نائب الصدر الأعظم الخليفي بالمنطقة الشرقية (إقليم الناظور حاليا) عبد القادر بن الحاج الطيب الشكري لتعبئة الفقهاء والعدول والقضاة قصد تلبية الحاجات الدينية للمشاركين المغاربة في الحرب. منها انتقاله حسب روايته، بحرا من مرسى مليلة إلى مدينة طريف Tarifa والنزول بمرساها سانتا ماريا Santa Maria، بقادس ثم متابعة زحف الجيش نحو مدن مدريد وطليطلة ومدينا دل كامبو (Medina del Campo) ، الواقعة خارج مدريد، التي احتفظ عنها رحمه الله ببعض ذكرياته عن أخطار الحرب وطرقها.

وتولى الفقيه مصطفى الفگيگي منصب خليفة القاضي إثر نجاحه في المباراة المعلن عنها سنة 1947 بتطوان، فعين ببني سيدال بالمركز الإداري المعروف بقرية أربعاء ثلاث.

والمعروف عن الفقيه مصطفى الفگيگي أنه كان عطوفا على رجال المقاومة المغربية المهاجرين إلى الناظور بعد أحداث 20 غشت 1953 ، من اللاجئين من مدن بركان ووجدة وتاوريرت، وكانت له علاقة خاصة بالمقاوم عبد الله الوكوتي مما أدى إلى توجس السلطات الإسبانية في شأنه، وكاد أن يؤدي ذلك إلى عزله لولا تزكية صديقه قاضي الناحية الفقيه عبد الرحمن التوزاني. وفي سنة 1956 تولى القضاء أولاً بمركز دار دريوش، ومنه انتقل إلى قبيلة تمسمان، حيث بقي إلى أن استجيب لرغبته للانتقال إلى مدينة فكيك التي مكث بها من سنة 1963 إلى سنة 1965 ، معاصرا الهجوم الجزائري على تلك الواحات. ثم انتقل إلى جرادة، ومنها إلى تاوريرت فمدينة وجدة، حيث تمت إحالته على التقاعد سنة 1976.

لم يكن الحاج مصطفى الفگيگي من صنف المتقاعدين المخلدين للتواكل والراحة، فقد كان هناك ما يدفعه مما ورثه من حب الانتفاع بالعلوم الدينية إلى استمرار حضوره في الوسط الذي عاش فيه. ولا تزال مشاركته في خطب الجمعة وفي حلقات التوعية والإرشاد الدينيين، ضمن برنامج المجلس العلمي بعدد من مساجد مدينة وجدة مشهورة بين أهل المدينة. فإلى جانب درايته بشؤون القضاء وفتاويه، كان رحمه الله ميالا إلى القراءة ومطالعة مصنفات تفاسير القرآن والحديث، وهو معروف بالتبسيط في الشرح مع الاجتهاد والتجديد. ولا تزال خزانته محتوية على مجموعة خطب الجمعة ودروس الوعظ والإرشاد مما يشكل تأليفا ضخما، مثلما كان محبا للتاريخ ورجاله وهذا هو ما حدا به لكتابة نبذة عن سيرة الفقيه القاضي العربي الورياشي في كتابه الكشف والبيان عن سيرة البطل الأول الشريف محمد أمزيان.

توفي بوجدة يوم 23 أبريل 1992.

مستندات مصطفى الفگيگي : العربي الورياشي، الكشف والبيان ؛ الجريدة الرسمية بالمنطقة الخليفية ؛ الرواية الشفوية المستندة من أنجاله وأخيه النعمة وبعض مرافقيه ؛ م. عمراني، جامعة القرويين ما بين 1914 و1934.

حسن الفگيگي

الفگيگي، هلالي محمد بن أبي القاسم الودغيري المعروف بابن عبو، ولد في بداية القرن الرابع عشر الهجري / بداية الثمانينيات من القرن التاسع عشر ميلادي. لما حفظ القرآن الكريم وبعض المتن الفقهية والنحوية تحت إشراف والده الفقيه البركة هلالي أبو القاسم بن أبي ناصر بن عبو، حيث كان متفرغا ومتطوعا لتعليم القرآن للصبيان في بيت أجداده بحي أولاد زيان من قصر الوداغير بفجيج، أسوة بسنة أجداده، أخذ يتردد على الحلقات العلمية التي كانت تعقد بالجامع الكبير بقصر الوداغير من طرف خيرة فقهاء البلدة من مثل الفقيه القاضي الحاج محمد بن حدو والفقيه القري أحمد بن أبي زيان بن يعقوب الجراري والفقيه الأديب أبو القاسم بن أحمد بن زيان والفقيه القاضي أحمد بن أحمد الراشدي، وعلى المسجد العتيق الذي كان يتصدر حلقاته العلمية الفقيه الفلكي القاضي محمد بن إبراهيم أمزيان الجباري والفقيه العدل محمد بن رقاد وغيرهما.

وفي سنة 1324 / 1906 التحق بجامعة القرويين حيث وسع مداركه وأكمل شخصيته العلمية، وتبلورت ميولاته الذاتية ولا سيما الجانب الصوفي منها حيث وثق صلاته بالفقيه العالم الصوفي محمد بن الحبيب المغاري الفاسي شيخ الطريقة الدرقاوية.

ولما عاد إلى فجيج سنة 1326 / 1908 تولى إمامة مسجد آل عبد الوافي خطيبا، كما تولى والده أبو القاسم إقامة صلوات الخمس وتعليم القرآن بالزاوية الملحقة بالمسجد.

وفي سنة 1334 / 1915 ألحقه الفقيه القاضي جلول بن عمارة بكتابة المحكمة الشرعية بفجيج، وفي سنة 1339 / 1920 رشح لخطة العدالة، وفي سنة 1351 / 1932 عين قاضيا على مدينة فجيج وقبائل بني جيل.

ولقد كان منذ نعومة أظفاره يتحلى بالتقوى والالتزام، متسامحا إلى حد كبير، وكان منهجه في معالجة القضايا التي تعرض عليه هو منهج الصلح والسداد، وساعده على ذلك معرفته العميقة بعرف أهل فجيج وعملهم، ولقد رثاه الفقيه المدرس محمد بن عبد الحق الودغيري في خطبة الجمعة التي تلت وفاته، نورد منها بعض المقتطفات : "ولقد كان قصر الوداغير الذي نحن فيه أكثر علماء من غيره ولم يبقَ شيء من ذلك، وقد أدركنا في شبابنا (بداية النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري) من أولائك : الفقيه القاضي جلول بن عمارة، الفقيه العدل محمد بن محمد بن غزال بن رقاد، الفقيه القري محمد بن أبي زيان بن يعقوب، الفقيه النقيب الحاج محمد بن معلي، الفقيه الإمام عبد الرحمن بن البشير بن عزة، الفقيه محمد بن محمد بن جبور السني، الفقيه الضرير الطاهر بن التاج بن عبو هلالي، الفقيه الحاج محمد بن محمد بن بلعيد بن خليفة، الفقيه أبو علم بن حدو والفقيه الرحالة يحيى بن أبي القاسم بن عيسى. وكانوا كلهم مصابيح يضيئون على الأمة بشخصياتهم ومعارفهم وحسن سلوكهم وتبليغ رسالة العلم والتربية الدينية السليمة لقومهم، وفي فترة وجيزة (1348-1365) التحقوا جميعا بالرفيق الأعلي ولم يبق منهم إلا فقيدنا الفقيه القاضي محمد بن أبي القاسم هلالي، وهو أصغرهم سنا، وأرجحهم عقلا، وأجملهم صبرا، وأكثرهم احتمالا لمشاق الأعمال، والتجاوز عما يلاقيه من بذاءة الأقوال، فاجتمعت فيه نورانيتهم ومكانتهم العلمية ومرتبتهم الدينية، إذ كان هو المرجع في المسائل الدينية والأحكام الشرعية في المحروسة فجيج، فقد كان متقلدا لرئاسة الخطة الشرعية في منطقة فجيج، قضى مدتها مثالا في النشاط والعفة والحكمة والعدل والتواضع والرحمة، ومن آثاره الفتاوى والنوازل الفقهية".

ولقد كانت له مواقف وطنية هامة نذكر منها على سبيل المثال موقفين :

1 - في سنة 1946 صممت السلطة الاستعمارية الفرنسية، على أن تجعل حدا لنشاط مدرسة النهضة الحرة وذلك بدعوى أنها تبنى على عقار تم الترامي عليه دون موجب قانوني، وفعلا فلقد تمت المعارضة مشافهة بين المحسن الجليل جلول بن هكو وجماعة قصر زناقة، ولم يتم تثبيت ذلك بعقد عدلي، وكانت السلطة الاستعمارية تعلم ذلك، فاحتدم النزاع في الموضوع وادعى مدير المدرسة الفقيه المربي الحاج محمد بن أحمد بن افرج وجود العقد الذي يثبت عملية التعاوض. ولما قربت ساعة الفصل وأدرك القاضي خطورة ما ترمي إليه السلطة الفرنسية من إخماد الشعلة الوطنية بفجيج، ساعد في هدوء وبكيفية محكمة على توفير العقد الفيصل، مما أثار حفيظة السلطة الفرنسية على الفقيه القاضي وجعلته عرضة لمضايقات كثيرة وكانت تصفه في تقاريرها الداخلية بعدو فرنسا المستتر، ولقد سجل هذا الحدث بحذافيره في تقارير السلطة الفرنسية الإقليمية والمحلية.

2 - أما الموقف الثاني فقد حدث في نفس الفترة وذلك بعدما أخفق الفرنسيون وأذنابهم في موضوع مدرسة النهضة، أرادوا أن يسكتوا صوت الفقيه الحاج محمد بن افرج الذي كان يشع من مسجد ومنبر قصر زناقة، فصدرت الأوامر للفقيه القاضي بصفته المسؤول على المساجد شرعيا، بأن يعزل الإمام الحاج محمد بن افرج ويولي إماما آخر مكانه، وبعد مناورات متعددة، امتنع إثرها القاضي وبهدوء أيضا من تنفيذ رغبة المسؤولين الاستعماريين بحجة أنه لا يوجد أعلم منه في البلدة الفجيجية وأن الجانب السياسي من المشكل لا يدخل في نطاق اختصاصه.

وبعد تقاعده سنة 1378 / 1958 أصبح مرجعا ومستشارا للقضاة الذين تعاقبوا على قضاء فجيج. تقديراً لعلمه وخدماته الجلا فقد أنعم عليه الحسن الثاني سنة 1970 بوسام العرش من درجة فارس.

توفي سنة 1394 / 1974.

العربي هلالي *فجيج، تاريخ، وثائق ومعالم*، المطابع المغربية والدولية، طنجة، 1981 ؛ محمد بن علي والعربي هلالي، *سلسلة تراث فجيج*، العدد الأول، 2003 ؛ *وثائق* محمد بن عبد الحق، *وثائق* العربي هلالي *وثائق* عمرو عبو.

الفكيكي، يايا زانّة ، خادمة العلم والمجاهدين. "الزعيمة.. تَوَطَنَيْتْ" هكذا كان يطلق عليها سكان قصر زناگة. لازمت المجاهدين منذ اندلاع المقاومة وكانت مكلفة - ضمن مجموعة من النساء - بغسل ثيابهم، وإعداد طعامهم.

ومع افتتاح مدرسة النهضة المحمدية تكفلت بتنظيف أقسامها، وإعداد الوجبات الصباحية للتلاميذ، وحثهم على الاجتهاد والمثابرة، ولاتزال صورتها على هذه الصفة عالقة بأذهان قدماء هذه المدرسة.

تعرضت للاعتقال من طرف المستعمر إثر قرار إغلاق مدرسة النهضة عام 1953، وتعرضت للتعذيب، ومنعوا عنها الزيارات.

وبعد خروجها من السجن استمرت في أداء مهمة التنظيف بمدرسة أحمد بن عبد ربه بقصر زناگة.

مصطفى لالي، *رواية شفوية*.

العربي هلالي ومحمد بوزيان بنعلي

الفكيكي، يوسف بن عيسى يصفه ابن عسكر بالولي ذي "الكرامات الظاهرة" وأسماه، "أبا الحجاج يوسف بن أبي مهدي عيسى الفكيكي"، لم نعثر على ما يفيد عن تاريخ ميلاده وسنة وفاته، بيد أن الإشارات الواردة في الترجمة المختصرة التي خصصها له ابن عسكر في الدوحة تقربنا من تحديد الفترة التي عاش خلالها حيث ذكر أنه التقى به (بدون تحديد للمكان) عام 955 وتوجه بعد عامين من ذلك (975) إلى المشرق بقصد الحج مرة أخرى أو للمجاورة والإقامة الدائمة، إذ انقطعت أخباره منذئذ عن ابن

عسكر ولم يسمع بعدها عن وقت وفاته وكان سنه آنذاك ما يزيد عن ثمانين سنة، وعلى هذا الأساس يكون المترجم له قد عاش ما بين الربع الأخير من القرن التاسع الهجري والنصف الثاني من القرن العاشر، وأشار ابن عسكر إلى أن أبا يوسف بن عيسى أقام بمكة قبل حجته الأخيرة مدة ست عشرة سنة حج خلالها واعتمر عدة مرات.

تتلمذ يوسف بن عيسى على يد كبار مشايخ العلم كأبي محمد عبد الله الغزواني والشيخ الحطاب وابن عيسى الفهدي المكناسي وغيرهم، حسبما ورد عند ابن عسكر، ويظهر من خلال اختياره الأخذ عن العلماء المذكورين أن رغبته كانت متجهة نحو عالم التصوف والترقي في مدارجه، تعلما وتعبدا ورحلة، استنادا على إشارات ابن عسكر حيث اصطحبه لمدة من الزمن وشاهد له "كرامات كثيرة" وتأكد لديه ما عند شيخه يوسف بن عيسى من "علم الأحوال (...) وأسرار الذكر الخاص الشأن التي لا تدرك "حسب قوله. وقد ذيل ابن عسكر في آخر ترجمته لشيخه بسلسلة للأشياخ الذين أخذ عنهم أسرار التصوف بدءاً بشيخه محمد بن عيسى الفهدي المكناسي "بالعهد والصحبة" إلى أقطاب التصوف كسليمان الجزولي وعبد الله الغزواني وأبي الحسن الشاذلي بالتسلسل.

م. الشفشاوني، *دوحة الناشر لمحاسن من كان من مشايخ القرن العاشر*، تح. محمد حجي، دار الغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1976.

أحمد مزيان

الفكيكيون المهاجرون تؤكد النصوص المتوفرة أن فجيج عرفت هجرات عديدة منها وإليها. فشرق أهلها وغربوا وسكنوا السودان الغربي ومصر والشام والقدس ومكة والمدينة، كما نزحوا إليها من أمصار مختلفة من فاس والقيروان والأندلس وتلمسان ... والذين خرجوا من فجيج فرضوا أنفسهم على الأوطان التي سكنوها، وساهموا بامتياز في تنشيط الحركة الثقافية بها. ومن هنا لا يحسن بنا أن نغفل هذه الشريحة التي اعتزت بأصلها فلا تذكر إلا مهورة بالفكيكي، ومنهم :

- عبد الرحمن بن عبد الله الفكيكي، كان معاصرا للإمام عبد الجبار وبنيه، رحل إلى المشرق ونزل دمشق وصار من أهلها. قرأ على شيخ الإسلام صاحب التآليف العديدة المفيدة بدر الدين الغزي المتوفى 984 / 1576، قرأ عليه الجرومية في النحو وغيرها. وذكر أنه مات مطعونا سنة 930 / 1524.

- محمد بن أحمد أدفال : انتقل إلى لكتاوة على ضفاف وادي درعة جنوبي زاگورة. فأنشأ بها مركزاً علميا غذاه أولاده وأحفاده من بعده، كان من ألمعهم وأغزرهم علما أحمد بن محمد أدفال الصوفي المؤلف صاحب المكتبة الشهيرة (ت. 1023 / 1614). ولم تنقطع الصلات العلمية بين فجيج ولكتاوة حتى ما بعد العصر السعدي.

- أحمد الفكيكي التازي : فقيه، متخصص في القراءات وعلوم القرآن، تصدر للإقراء في تازة فجاءه الطلبة من كل فج عميق، توفي بعد عام 1023 / 1614).

- إسماعيل بن عبد الرحمن الفكيكي الأصل الأغواطي الدار، من معمري الأغواط، ولد سنة 1108 / 1697. أخذ عن المسناوي، والوجاري، والحسن بن رحال، وابن عبد السلام بناني، وأبي العباس أحمد بن المبارك اللمطي، له حماسة في الفنون العقلية، رقيق القلب، سائل الدمع. حج عام 1142 / 1729 صحبة صديقه محمد بن الحسن بناني. ويذكر صاحب الرحلة الكبري أنه أجازه في رحلته إلى الحج عام 1196 / 1789 إجازة عامة بشرطها المعتبر حسبما أجازه شيوخه المذكورون.

- أبو عبد الله محمد بن الحاج محمد بن يعگوب (بقاف معقودة) بن القاسم السليماني الفكيكي، الگراوي، الدرقاوي طريقة، كان من خاصة أصحاب الشيخ الأكبر مولاي العربي الدرقاوي وفضلائهم، وله تلامذة وأتباع. أخذ عن غير واحد من الشيوخ. وله تآليف في علم الباطن منها :

- *مرتع القلوب من حضرة علام الغيوب*، أخبر فيه بأشياء مما منّ الله بها عليه.

- *المواهب اللدنية في العلوم الغيبية من حضرة الألوهية* : وهما مفقودان.

أصيب في بصره حتى توفي بحضرة فاس بين العشاءين من يوم الاثنين 17 ذي القعدة عام 1264.

- سيدي الحاج عاشور الفكيكي : الولي الصالح، الذاكر، الصائم القائم، الصابر، القانت الخاشع، الشريف البركة الخاضع، كان قاطنا بزاوية محمد بن إبراهيم الخياطي التي بدرب الحرة من طالعة فاس، وكان يصوم الدهر، ويقوم الليل، كثير الذكر والقراءة والتلاوة في المصحف، وله كرامات عجيبة وأحوال غريبة توفي في التاسع من شهر ربيع الأول، عام 1264، وشهد جنازته خلق كثير، ودفن بعد الصلاة عليه بالقرويين بالروضة المذكورة.

ومن الأسر التي استقرت بفجيج، وساهم أبناؤها بهمة في تفعيل المشهد الثقافي نذكر :

- أسرة بني منصور التونسية : أصلها من القيروان لا ندري متى نزحت إلى فجيج، ومن أبنائها الداودي بن أحمد بن منصور، من تلامذه شيخ القراء بالمغرب وأكثر أهل زمانه جمعا للروايات أبي القاسم بن القاضي (ت. 1082 / 1671). كان إلى نبوغه في علم القراءات، فقيها متمرساً، وخطاطا ماهراً مجوداً، من منسوخاته "التنقيح للزركشي".

- أسرة آل الخياط، أصلها من الأندلس، استقرت بفاس، وتحول أحد أبنائها إلى فجيج هو الفقيه الزاهد محمد بن الجيلالي بن البشير ابن الخياط بن الطاهر الفاسي الأندلسي النازل في بلاد فجيج ثم المعيز في أوطان سيدنا عبد الجبار، كما يحلو له أن يختم بعض منسوخاته، ومنها :

- الطريقة الواضحة إلى أسرار الفاتحة.

- الفوائد والصلات والعوائد المسمى بكتاب فوائد المائة.

وكان تكميله وتوفيته ضحوة يوم الإثنين في 22 شعبان عام 1269.

ـ الفقيه عبد الله الكبير بن أحمد بن رزوق الكرزازي، استقر بالوداغير حيث مارس التدريس وتولى الإمامة بمسجده العتيق، ومن آثاره الباقية فتاوى وأحكام تدل على أنه زاول الخطتين، وتحيل إلى أفقه الواسع في علوم الشرع. ورصانة أسلوبه وقوة لغته.

ـ ومن الذين أدركتهم الوفاة بفجيج المرابط الناسك، الحاج المبرور سيدي محمد بن عبد الرحمن بن داود الگرسيفي الدار، الكشتيمي النجار، حج بعد أن طعن في السن، ولقي بمصر الأجهوري الأخير وأخذ عنه وأجازه. توفي بفجيج مرجعه من المشرق وقبره هناك مشهور يزار. ووفاته إما في سبع أو ثمان وثلاثين بعد الألف.

الرحلة، ص. 79 ؛ *فهرس الفهارس*، ص. 219 ؛ الحفناوي، *تعريف الخلف بالسلف*، ص. 114 ـ 574 ؛ نجم الدين الغزي، *الكواكب السائر بأعيان المائة العاشرة*، ص. 463 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2، ص. 435 ؛ *أعمال ندوة المغرب الشرقي*، 1986، ص. 469، 470 ؛ العربي هلالي، *فجيج : تاريخ وثائق ومعالم*، ص. 113 ؛ *مخطوطات خاصة*.

العربي هلالي ومحمد بوزيان بنعلي

الفلاحة المغربية، بمناخه المتوسطي، يتميز المغرب بقحولة تتزايد من الشمال إلى الجنوب ومن الغرب إلى الشرق، ولا تخرج عن هذه القاعدة سوى المرتفعات الجبلية. فمن مساحة 71 مليون هكتار (710850 كم^2)، 9,5 مليون هكتار فقط هي التي تحمل أنشطة زراعية ورعوية وغابوية، أي ما يمثل 5,5٪ من التراب الوطني، والمساحة القابلة للزراعة، والتي كانت لا تغطي سوى 7,8 مليون هكتار سنة 1980 ، عرفت توسعا حقيقيا على حساب المراعي والأراضي الموات، وكذلك على هوامش الغابات عن طريق الاجتثاب. إلا أن امتداد المساحة الزراعية ليس بلا حدود ، حيث امتدت تلك المساحة ابتداء من 1985 على أراضي هامشية، تتميز بأنها أكثر هشاشة ؛ ومنذ 1992 ، هناك نزعة نحو استقرار المساحة الزراعية، دلالة على أن هذه الأخيرة قد وصلت إلى حدودها القصوى.

تتميز الظروف الطبيعية بابتعادها كل البعد عن التجانس. فالموقع من خطوط العرض والقارية والتضرس، كلها عوامل تتدخل بشكل حاسم في الإمكانات الزراعية لمختلف الأقاليم الطبيعية. والمناخ والتضاريس يحدان من امتداد المساحة الزراعية، التي تغطي في مجملها سهول وهضاب المجال المغربي وبعض سهول الساحل المتوسطي. وما عدا ذلك، تتجزأ المساحة الزراعية إلى قطعات مجهرية في الجبال والواحات، إضافة إلى الاقتصاد الرعوي الواسع.

ومن الظروف المساعدة على الرفع من الإمكانات الزراعية، امتداد السهول ذات الأتربة العميقة في المجال الأطلنتي، والتي تجتازها شبكة نهرية دائمة، وتحتوي على فرشة مائية باطنية غنية، إضافة إلى ارتفاع رطوبة الجو واعتدال المناخ : في هذا المجال، تمتد زراعة الحبوب المغلالة ويدخل السقي تنوعا المزروعات.

ويشير توزيع المساحة الزراعية إلى نوعين كبيرين من المجالات.

ـ في مدرج المغرب الأطلنتي، تتسع المساحة الزراعية إلى ما يفوق 30٪ من المساحة الإجمالية للأراضي في كل الجماعات.

ـ في السلاسل الجبلية والمجالات السهوبية والصحراوية، لا تمثل المساحة الزراعية سوى أقل من 30٪ . ففي الجبال، تمتد الغابات على ما يتعدى ثلث المساحة، بينما لا تتسع الرقعة الزراعية إلا في الجماعات الهامشية (قدم الجبل والأودية السفلى) ؛ في المغرب الشرقي والجنوب، تصبح المراعي والأراضي الجرداء هي الغالبة، بينما تتركز الرقعة الزراعية في الواحات.

يتواجد في المغرب نوعان من الفلاحة، الأول فلاحة بورية (مطرية) تخضع لظروف مناخية تتميز بعدم الانتظام في الهطول مع توزيع مجالي غير متكافئ، والنوع الثاني فلاحة مسقية، ناتجة عن مجهودات عمومية استثمارية كبرى منذ الاستقلال.

ويهم السقي العصري 9 قطاعات كبرى، سبعة منها تساهم بشكل كبير في الإنتاج الزراعي الوطني (تادلة، الحوز، سوس، الغرب، لكوس، دكالة، ملوية السفلى). أما في الجبال وسفوحها وفي الصحراء، فإن السقي موزع إلى قطاعات صغرى، لها رغم ذلك، أهمية كبرى على مستوى الاقتصاد الزراعي المحلي. أما الإمكانات السقوية فتقدير مساحتها يصل إلى 1,6 مليون هكتار، 1,3 مليون منها في إطار ري دائم (850000 هـ من القطاعات البكرى و510000 هـ من المشاريع الصغرى والمتوسطة) و300000 هـ من الري الفصلي. وباعتبار أهمية السقي في التنمية السوسيو ـ اقتصادية للبلد، ونظراً لامتداد المجالات الجافة، فإن المتاح من الرقعة القابلة للسقي محدود نسبيا، خاصة إذا اعتبرنا التزايد الديغرافي. فالمساحة المسقية بالمياه الدائمة سوف تتضاءل من 34 هـ لكل ألف نسمة اليوم إلى فقط 25 هـ سنة 2020.

وفي المناطق حيث تقل الأمطار عن 300 مم، يصبح الري ظرفا ضروريا للزراعة، وهي المناطق الموجودة جنوب عرض الجديدة وخاصة منها المجالات قبل الصحراوية والصحراوية. لكن السقي أساسي كذلك في المناطق الأخرى، بغرض تكثيف الإنتاج والرفع من المردود. وارتفاع الإنتاج في القطاعات السقوية قد ساهم بشكل وافر في اشباع الحاجيات الوطنية لبعض المواد الغذائية الأساسية وفي تقويه الصادرات الفلاحية. ورغم أنها لا تغطي سوى 10٪ من الرقعة الزراعية، فإن القطاعات السقوية تساهم بحوالي 45٪ من القيمة المضافة الزراعية وبنسبة 75٪ من الصادرات الفلاحية.

مجالات الزراعة البورية لها امتداد كبير (8 مليون هكتار) في إطار عدد كبير جدا من الاستغلاليات وبساكنة هامة مقدارها 35٪ من الساكنة الوطنية و82٪ من ساكنة الأرياف. أما إمكاناتها الزراعية فهي جد متنوعة بتنوع الأتربة والظروف، وتجعل منها قطاعا استراتيجيا لضمان الأمن الغذائي للبلاد (إنتاج الحبوب والقطاني والزيوت والسكر، والفواكه والعلف). إلا أن هذه الإمكانات ليست كلها مستغلة بسبب عوائق، أهمها عوائق بنيوية.

وفي المناطق حيث تقل الأمطار عن 300 مم، يصبح الري ظرفا ضروريا للزراعة، وهي المناطق الموجودة جنوب عرض الجديدة وخاصة منها المجالات قبل الصحراوية والصحراوية. لكن السقي أساسي كذلك في المناطق الأخرى، بغرض تكثيف الإنتاج والرفع من المردود. وارتفاع الإنتاج في القطاعات السقوية قد ساهم بشكل وافر في أشباع الحاجيات الوطنية لبعض المواد الغذائية الأساسية وفي تقويه الصادرات الفلاحية. ورغم أنها لا تغطي سوى 10٪ من الرقعة الزراعية، فإن القطاعات السقوية تساهم بحوالي 45٪ من القيمة المضافة الزراعية وبنسبة 75٪ من الصادرات الفلاحية.

مجالات الزراعة البورية لها امتداد كبير (8 مليون هكتار) في إطار عدد كبير جدا من الاستغلاليات وبساكنة هامة مقدارها 35٪ من الساكنة الوطنية و82٪ من ساكنة الأرياف. أما إمكاناتها الزراعية فهي جد متنوعة بتنوع الأتربة والظروف، وتجعل منها قطاعا استراتيجيا لضمان الأمن الغذائي للبلاد (إنتاج الحبوب والقطاني والزيوت والسكر، والفواكه والعلف). إلا أن هذه الإمكانات ليست كلها مستغلة بسبب عوائق، أهمها عوائق بنيوية.

فالمصالح الزراعية في المغرب تفرق بين بور ملائم (متوسط تهاطل يفوق 400 مم) وبور غير ملائم (300-400 مم) وبور صدفوي، تكون فيه الزراعة عرضية. يضم البور الملائم سهول الشمال المغربي (الغرب - سايس) والهضبة الوسطى وبعض أجزاء قدم جبال الأطلس إضافة إلى جبال الريف والأطلس المتوسط والأطلس الكبير الغربي والأوسط وبعض المواقع بجوار وجدة. أما البور غير الملائم فهو يبتدئ من السهول الأطلنتية الوسطى ويغطي تادلة وهضاب الفوسفاط وشمال المغرب الشرقي. ويغطي البور الصدفوي جزءاً من الحوز وسوس والقدم الجنوبي للأطلس ومقدمة الصحراء.

ويتواجد في المغرب نوعان من المجالات ومن الاستغلاليات الزراعية. من جهة أراضي مجزأة إلى استغلاليات صغيرة وحيث التطوير صعب لأسباب عقارية وحيث التقنيات العصرية عامة تقليدية والإنتاج موجه للاستهلاك الذاتي. ومن جهة أخرى، أراضي حيث التقنيات العصرية مستعملة من أجل إنتاج يهدف إلى تزويد السوق.

فأراضي المعمرين قد تم استرجاعها من طرف شركات للدولة أو من طرف الخواص، أو أعيد توزيعها على مستغلين متوسطين مجتمعين في إطار تعاونيات. وتساعد الدولة على عصرنة الزراعة (مكننة، تجميع الأراضي، سقي) وتتدخل في القرى (توزيع المياه والكهرباء) أو من أجل التشجيع على إقامة بعض المزروعات أو تحسين بعض القطاعات.

ويتوفر المغرب على تقليد زراعي أصيل. ولذا نجد المجال القروي متميزاً بتماسكه ضمن مجموعة قروية أو قبلية، قوامها الاستفادة من التكامل بين القطاعات الزراعية والمراعي. كما ينتظم المجال القروي، متميزاً بمشاهد أصيلة، عناصرها نوعية الاستغلال، نوعية السكن (قصر صحراوي، دوار كبير، دوار صغير أو "دشر"، ضيعة معزولة) وكذا علاقته مع الأسواق الأسبوعية المجاورة.

وتتوزع المجالات المغربية إلى مجموعات كبرى حسب إمكاناتها الزراعية.

سهول وهضاب المغرب الأطلنتي كانت إلى بداية القرن العشرين أراضي يسكنها رعاة، منتظمون في إطار مجموعات نطاقية. ومنذ بداية القرن تقدمت الزراعات، على الخصوص مع التعمير الأجنبي للأراضي. حاليا الاقتصاد مبني على الزراعة والرعي، مع دور هام للأشجار في التلال ومقدمة الجبال (مناطق الدير). وتشير الأنظمة الفلاحية إلى تنوع كبير في الدورات الزراعية، حسب الظروف البيومناخية وتقالبد السكان. وقد ائتلفت عدة مزروعات مع الحبوب (قطاني، زراعات علفية، مزروعات صناعية). وتتعمم التقنيات الحديثة للحرث وخاصة في القطاعات السقوية.

الجبال تمثل وسطا زراعيا صعبا بسبب تعددعوائقه الطبيعية. فبسبب صعوبة المواصلات، ظلت الجبال في منحى عن مجهودات الإعداد الحديثة. وتمثل الجبال أوساطا مختلفة من حيث درجة الاستقرار، حيث التكيف الحديث في السكن، تسبب في تزايد وتيرة اقتلاع الموارد. لكنها تمثل كذلك تراثا زراعيا، جد غني على المستويين الثقافي والطبيعي.

نطاق المراعي والزراعات الصدفوية يتوافق مع المجالات حيث تقل الأمطار عن 300 مم وتتسم بعدم انتظام فصلي بيسنوي كبير. في هذه السهوب الممتدة، لا تشغل الزراعات الا مساحات محدودة، بعضها في إطار الري الصغير والمتوسط.

النطاق الصحراوي يمثل ولا شك الوسط الأكثر صعوبة، بسبب عوائق صعبة التجاوز. إلا أن هناك موارد عديدة تساهم في جاذبية هذه المناطق، خاصة الواحات كثيفة الاستغلال والتي تعرف حاليا تحولات عميقة، لكن التصحر يهدد هوامش هذا المجال، الشيء الذي يحتم ضرورة وقاية متزايدة للتربة والغطاء النباتي وتدبيراً أكثر فعالية للمياه.

الرقعة المخصصة للزراعات السنوية (حبوب، قطاني، زراعات صناعية، علفية وخضروات) تساوي حوالي 6,5 مليون هكتار، خمسة منها مغطاة بالحبوب. أما المغروسات الشجرية فهي تهم 700000 هـ، أكثر من نصفها مخصص للزيتون.

قيمة الإنتاج الزراعي معدل 24.5 مليار درهم، أي 50٪ من مجموع الإنتاج الفلاحي، لكن يختلف هذا الإنتاج حسب السنوات. وتمثل الحبوب 47٪ من القيمة الخام للمنتوج النباتي، والخضروات 38٪. أما السقوي الذي لا يغطي سوى 10٪ من المساحة الزراعية فهو يساهم بـ 45٪ من القيمة المضافة.

إلا أن هذا الإنتاج لا يغطي إلا قسطا من حاجيات البلد (60٪ من الحاجيات للحبوب، 52٪ في ميدان السكر و20٪ من الزيوت) بينما الخضر والفواكه تنتج فائضا يتم تصديره.

في الغالب، يظل التكثيف الزراعي متواضعا : فالمكننة مازالت دون الحاجيات (1 جرار لحوالي 230 هكتار، مقابل 1 جرار لـ 45 هـ في مصر). أما استعمال المخصبات فمعدله حوالي 36 كيلوا قنطار (مقابل 64 بالنسبة لتركيا و94 في إسبانيا).

J. Le Coz, *Le Rharb, fellahs et colons*, Etude de géographie régionale, INFRAMAR-CURS, Rabat, 2 vol., 1005 p. + cartes h.t, 1964. ; P. Pscon, *Le Haouz de Marrakech*, 2 vol., Rabat, 693 + 165 p., 1977 ; H. Popp, *Effets socio-géographiques de la politique des barrages au Maroc*, Rabat, 2 vol., 266 p. + atlas, 1984 ; A. Laouina, Dynamiques agraires et dégradation des terres dans les régions de montagne au Maroc, la perspective d'un développement durable, in *La montagne marocaine*, Publ. Chaire Unesco-Gas Natural, vol. 1, p. 5 - 34, 2000 ; J.F. Troin, *Le Maroc, région, pays, territoires*, Paris, Maisonneuve - Larose, 504 p, 2002 ; M. Ferass (édit.), *Atlas du Maroc*, Edition Jaguar, 2002.

عبد الله العوينة

الفلاحة البورية، تشمل المساحات الفلاحة البورية بالمغرب ما يناهز 5.400.000 هـ، أي حوالي : 90٪ من الأراضي القابلة للزراعة ؛ وهذه المساحات، التي يعتمد إنتاجها النباتي على مياه الأمطار بالدرجة الأولى، تؤمن خلال السنوات المناخية العادية ما يزيد عن 90٪ من الإنتاج الوطني من الحبوب والقطاني والمزروعات الزيتية وحوالي 60٪ من الإنتاج الحيواني ؛ في وقت تضم فيه هذه المناطق حوالي 80٪ من سكان البادية، وما يعنيه ذلك من موارد هائلة للطاقات البشرية المنتجة ومنافذ لا يستهان بها لترويج المنتوجات الصناعية..

وانطلاقا من المعطيات السالفة يتضح بأن للمناطق البورية أهمية بالغة تستمدها من الوظائف المتعددة التي يمكن أن تقوم بها لصالح تحقيق التوازن الديموغرافي الاجتماعي والاقتصادي والمجالي على الصعيد الوطني، إلا أن أغلب الفلاحين بهذه المناطق لازالوا يتعاطون لفلاحة الكفاف والإستهلاك الذاتي في المقام الأول، وما يتبع ذلك من تدني المردودية وضعف الدخل..، ومع اتساع دائرة الفقر وقلة فرص النمو والتطور وكذا التهميش الذي تعرضت له المناطق البورية لعدة عقود، فقد تعمقت الهوة بين البوادي والمدن ثم بين المجالات المسقية والمجالات البورية التي ضاعف من أعبائها ومعاناتها بعد السبعينيات من القرن العشرين تواتر سنوات تميزت بالجفاف الحاد ؛ كل ذلك يدفع سنويا بحوالي : 271.000 فردا من سكان البادية، معظمهم من المناطق البورية، إلى شد الرحال نحو المدن. وتعتبر تيارات الهجرة الريفية الواسعة والمتواصلة من العوامل الرئيسية التي جعلت ساكنة الأرياف سنة 1994، ولأول مرة في تاريخ المغرب، أقل عددا من ساكنة المدن ويترتب عن هذه المسألة تداعيات وصعوبات متعددة على صعيد التوازن والتكامل داخل التراب الوطني، فضلا عن التهديدات التي يشكلها ذلك على صعيد الأمن الغذائي للبلاد.

إن المنهجية الإنتقائية التي تبنتها الدولة في الميدان الفلاحي بعد حوالي عشر سنوات من الاستقلال والقاضي بإعطاء الأولوية في الإستثمارات الفلاحية لمناطق السقي الكبير كان لصالح فلاحة التصدير بالدرجة الأولى، وعلى حساب المناطق البورية التي تنتج أساسا من أجل تلبية الحاجيات الغذائية الداخلية وخاصة الحاجيات من المواد التي لازالت تشكل أساس التغذية عند معظم المغاربة وعلى رأسها الحبوب، حيث تعتبر المجالات البورية موطنها الرئيسي. فبالنظر لعدد سكان المغرب الذي تفيد بعض التوقعات بأنه تجاوز عتبة 30 مليون فردا سنة 2000، فإن حاجياتنا السنوية من الحبوب بداية من هذه السنة لا تقل عن 60 مليون قنطار، وبديهي أن هذا المقدار يتصاعد تبعا لوتيرة التزايد الديموغرافي، والحالة هذه أننا لا نصل إلى الحجم السالف إلا في المواسم الفلاحية التي نستقبل فيها أمطارا كافية، أما في المواسم الجافة فإن حجم المنتوج من الحبوب ينزل إلى أقل من 20 مليون قنطار، علما بأن مردوديتها لم يطرأ عليها تحسن واضح بالمقارنة مع ما كانت عليه في بداية الاستقلال حيث كان المغرب يصدر القمح. لكن منذ أوائل عقد الستينيات من القرن الماضي، ومع التزايد المستمر في عدد السكان، تم اللجوء بصفة تصاعدية إلى استيراد الحبوب لتدارك الخصاص في هذه المادة، فقد كنا نستورد خلال عقد الستينيات : 3 مليون قنطار في السنة في المعدل، وأصبحنا في السنوات الأخيرة نتجاوز 30 مليون قنطار مستورد في السنة، علما بأن اللجوء المتزايد لاستيراد الحبوب يعني ثقلا متزايدا على خزينة الدولة أي صرف أموال من الأجدر أن تصرف في حاجيات أخرى، ثم إن الاستمرار في استيراد الحبوب بكميات متزايدة لا يخلو من خطورة بالنسبة للأمن الغذائي الوطني، خاصة وأن الأسعار الدولية لهذه المادة مهيأة للارتفاع، في وقت انتقل فيه معدل استهلاك الفرد سنويا لدقيق القمح الرطب من 30 كلغ سنة 1973 إلى 80 كلغ سنة 1985.

إن النزيف البشري المرفوق بتراجع الإنتاج الفلاحي الذي يصيب المناطق البورية بالدرجة الأولى يؤدي بطبيعة الحال إلى خلق ضغوطات وانعكاسات سلبية ليس فقط على المناطق البورية نفسها بل أساسا على التوازن والتكامل بين الأرياف والمدن والعلاقات بينهما، وما يتبع ذلك من آثار سلبية على مستوى إعداد وتنمية البوادي والحواضر على

السواء. ولذلك نرى بأن تزويد المناطق الفلاحية البورية بمستلزمات النهوض والترقي على جميع الأصعدة أضحى أمرا لا يقبل التأجيل، وذلك عن طريق وضع أسس سياسة جديدة للتخطيط للفلاحة ولإعداد المجال الريفي والتراب الوطني بوجه عام، تتوخى بلوغ العدالة المجالية التي تقتضي توزيعا جغرافيا متكافئا للسكان والتجهيزات والأنشطة والثروات، في أفق تدعيم التنمية المحلية بكل أبعادها وتقوية أسس اللامركزية والجهوية، وهي سياسة من شأنها أن تساعد على مواجهة تحديات العولمة وكسب رهانات التنمية المستدامة خلال القرن الواحد والعشرين.

المختار الأكحل، المناطق الفلاحية البورية بين التهميش وإمكانيات التطوير، *مجلة المجال الجغرافي والمجتمع المغربي*، عدد 5 : 2000، ص. 29 . 37.

Ministère de l'Intérieur, *Analyse des données de la migration interne à partir du R.G.P.H. de 1994*, 1997, p. 16 - 25 ; Direction de la Statistique, *Population légale du Maroc - Recensement de 1994*, Rabat, 1995, p. 22 ; *Annuaire statistique du Maroc* de 1998 (p. 618) et 2001 (p. 606).

المختار الأكحل

الفلس (عملة -) وتجمع على أفلس للقلة، وفُلوس للكثرة، وتستعمل الكلمة إسما لجنس النقود يقال هل عندك فلوس ؟ بمعنى هل تملك نقوداً، والكلمة من أصل يوناني Follis وهي قطع من النقود النحاسية.

من حيث قيمة الفلوس فإنها تعتبر سواء في المغرب أو في المشرق أو في البلاد الأوربية مجرد عملة تكميلية، وكان المخزن في مختلف السلالات المغربية الحاكمة إنما يتعامل بقطع الفلوس النحاسية بهذا الاعتبار، منذ الفتح الإسلامي إلى أواخر القرن التاسع عشر، عند حدود 1868، كما كتب بذلك السلطان محمد بن عبد الرحمان إلى ابنه مولاي الحسن يؤكد له "بأن الفلوس لم تجعل إلا للفرق بين الناس، وتدفع في الضروريات من اللحم والخضر وشبهها"، بمعنى أن المخزن لا يعتبر الفلوس نقوداً تفي بمختلف الالتزامات كما هو الشأن في النقود الذهبية والفضية. ويؤكد جرمان عياش أن هذا الاعتبار بالنسبة للفلوس مخالف للواقع ابتداء من سنة 1868 بالذات، و"أن البرنز (أي النقود النحاسية) لم يكن عملة تكميلية كما كان الشأن بأوربا، بل كان عملة حقيقية تستعمل لتأدية حسابات لا حد لها". وهذا ما تؤيده التطورات النقدية التي أدت إلى جعل النقود النحاسية قاعدة للسكة المغربية في العقد الأخير من القرن التاسع عشر ابتداء من سنة 1891. ويهمنا أن القطع النقدية في هذه المرحلة كانت تُصنع إما من النحاس أو من النحاس والتوتيا أو من النحاس والرصاص مما يسمى النقود البرنزية في الدراسات الحديثة، وكانت تصنع بثلاثة أحجام وبأوزان غير دقيقة :

قطعة كبيرة : تزن ما بين 21 گراما و9,3 گرامات، وتصرف بـ 4 فلوس.

قطعة متوسطة : تزن ما بين 8,4 غ و4,9 غ، وتصرف بفلسين.

قطعة صغيرة : تزن ما بين 9 غ و1,5 غ، وتصرف بفلس واحد.

وكلها قطع رديئة الصنع ومتشابهة الشكل رسم على وجه كل منها النجمة السليمانية وعلى الظهر يكتب مكان الضرب وتاريخه، وكانت لها أجزاء كسرية صغيرة تدعى الزوالغ، كانت تروج إلى سنة 1884 حيث ألغاها السلطان مولاي الحسن.

ومن حيث أوزان الفلوس فإنها ليست ذات أوزان مضبوطة، ويرجع سبب عدم انضباطها للوزن إلى عدة عوامل أهمها : كون النقود النحاسية "البرنزية" لا يدخل معدنها ضمن المعادن الثمينة فهي لا تعد من النقود المزكاة شرعا ولا يشملها النظام الفقهي الذي رتب الزكاة على نظام "النقدين : الذهب والفضة" مما جعل الفلوس لا تنضبط للوزن الشرعي كما هو الشأن في وزن الدينار والدرهم، وأن الفلوس تصنع بطريقة "الإفراغ" وهي من طرق ضرب النقود التي يصعب معها ضبط الوزن، كما أوضحنا سلفا في أوزان القطع النحاسية الثلاث. أضف إلى هاذين العاملين الاختلاف الموجود بين قيم الفلوس الحسابية وقيمها الذاتية أثناء الصرف : فالموزونة من الفضة وهي ربع الدرهم تقابل وزن 24 فلسا، وبما أن الأوقية تعادل أربع موزونات فهي تقابل وزن 96 فلسا نحاسيا. ولكون وزن الفلس غير مضبوط أكد جرمان عياش "إننا لم نتمكن من الوزن الحقيقي للأوقية لحد الساعة"، عكس ما ذهب إليه بول باسكون عندما حدد وزنها بـ 30,594 غ، وهو وزن يعسر تطبيقه على واقع النقود النحاسية بالمغرب. وقد حاولنا تطبيقه على النقود النحاسية من كتاب بريث لما يقابل الموزونة الفضية فحصلنا على أوزان مختلفة جاءت على التوالي : 31,2 غ و32,4 غ و43,8 غ و52,2 غ. وللحصول على الأوزان المحتملة للأوقية يضاعف كل من هذه الأوزان أربع مرات مما لا يؤدي بالتأكيد إلى نتيجة حاسمة. وقد أوردنا هذا لصرف النظر عن أي ترجيح.

ومن حيث نظام صرف الفلوس النحاسية، فقد أوردنا أن الفلوس عملة تكميلية، إلى جانب نقود الذهب والفضة اللذين يكونان "القاعدة النقدية". وبما أن الفلوس ليست ذات أوزان محدودة، فهي بذلك نقود "معدودة" وليست نقوداً "موزونة". فصرفها يعتبر حسابيا معدوداً، فليس للفلس قيمة صرفية في ذاته وإنما يمثل جزءا من وزن الفضة أو الذهب. وتتكون الفلوس من ثلاث قطع (فلس كبير وفلس متوسط وفلس صغير). ويستعمل الفلس الكبير في الحساب ويساوي أربعة فلوس والمتوسط فلسان والصغير واحد. وللفلس مضاعفات وهي : الأوقية ونصفها وثلثها وربعها ولها أجزاء وهي الزوالغ والحبات، ويأتي الصرف كما يلي : فالأوقية النحاسية تساوي الدرهم الفضي الشرعي وتصرف حسابيا بـ 96 فلسا، والموزونة الفضية هي ربع الدرهم تساوي ربع الأوقية وهي 24 فلسا والفلس الواحد = 12 زلاغي والزلاغي = 12 حبة وهو كسر حسابي ضئيل، وواضح أن المثقال الفضي وهو عشرة دراهم يصرف بـ 960 فلساً.

وقد عرفت عملية الصرف تقلبات في أسعارها، فقد كانت الموزونة تصرف بـ 48 فلسا وحولها السلطان مولاي رشيد العلوي إلى 24 فلساً سنة 1082 / 1672. ولا بد من الانتباه إلى استعمال الفلس الكبير في الصرف لفهم ما يرد في الوثائق منذ عهد السلطان مولاي سليمان من أن الموزونة تساوي 6 فلوس، وهو ما ذهب إليه ميج Miège، فصرف الموزونة بـ 6 فلوس مضروبة في أربعة = 24 فلساً.

وإن تطور العلاقة الصرفية بين النقود الفضية والنحاسية أدى إلى أزمة نقدية خاصة بعد عهد السلطان مولاي سليمان خلال القرن التاسع عشر بعد حرب تطوان ودخول أعداد هائلة من النقود الأجنبية الفضية من الريال الأجنبي إلى المغرب.

وكان المخزن يصدر النقود النحاسية "البرونز" بإسراف لتعويض قلة النقود الفضية إلى حد إذابة نحاس بعض المدافع وتحويله فلوساً، فكان تضخمها يثير مشاكل كثيرة، جعلت صنفا من التجار ينقلون الفلوس كسلعة بين المدن للاستفادة من فارق صرف الريال الفضي بين تلك المدن والحصول على أرباح طائلة، وغالبا ما تمارس عملية إذابة الفلوس للحصول على النحاس بأرخص من ثمنه كمادة خام.

وأصبحت فلوس النحاس في هذه الأزمة تتبوأ مكانة جعلتها قاعدة حقيقة للعملة المغربية بدلاً من الذهب والفضة، نتيجة التطور الواسع للعلاقات التجارية بين المغرب وأوربا، وخروج كميات هائلة من النقود الفضية والذهبية إلى أوربا من جراء هذا التداول ومن جراء دفع مختلف الغرامات.

وابتداء من سنة 1903 قرر السلطان مولاي عبد العزيز انتهاج النظام العشري الأوربي، فضرب النقود النحاسية في كل من فاس وباريس ولندن وبرلين قاصداً بذلك إحلالها محل الفلوس القديمة، وجعل قيمة الفلس تعادل قيمة السنتيم في النظام الفرنسي وسماها الموزونات، فالريال الفرنسي يصرف بـ 500 سنتيم يقابله 500 موزونة من الفلوس النحاسية. وهذه نماذج من الفلوس المضروبة في هذا العهد.

وقد أساء السكان تطبيق النظام العشري وطبقوا نظام الموزونات على نظام صرف المثقال بالأواقي، فوقع اضطراب وهرج في مجال التداول في الأسواق مما جعل السلطان يلغي النظام العشري ويقرر رواج صرف الريال بـ 14 مثقال أي 140 أوقية من فلوس النحاس، وتعرض صرف العملة إلى خسارة فادحة، حيث فقدت في آخر القرن 94٪ من قيمتها الأصلية قبيل وقوع المغرب تحت الاحتلال سنة 1912.

الكرملي اسطاس، *النقود العربية وعلم النميات*، القاهرة، المطبعة العصرية، 1939 ؛ رسالة السلطان محمد بن عبد الرحمان لابنه مولاي الحسن يشير عليه بعدم قبول فلوس النحاس في مختلف الجبايات بتاريخ جمادى الأول 1285 / 13 شتنبر 1868 (*ملف مديرية الوثائق الملكية*) ؛ عياش جرمان، جوانب من الأزمة المالية بالمغرب، ص. 27، 29 ؛ محمد أكنسوس، *الجيش العرمرم*، طبعة فاس الحجرية، ج. 1، ص. 61 ؛ أحمد الناصري، *الاستقصا*، طبعة 1956، ج. 9، ص. 163 ؛ رسالة السلطان مولاي عبد العزيز إلى عبد الله بن سعيد السلاوي 6 شوال 1318 (*وثائق عائلة ابن سعيد*)؛ عمر أفا، *مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر*، الدار البيضاء، 1988.

J. D. Brethes, *Contribution à l'histoire du Maroc par les recherches numismatiques*, Casablanca, 1939 ; Miège, *Le Maroc et l'Europe (1830-1894)*, t. 3, p. 105, 97 ; Paul Pascon, Le commerce de la maison d'Ilig Tazrwalt (1850 - 1875), in *Annales, n° 3, 4, 1980*, p. 710.

عمر أفا

فلسطين والمغرب، شكل الاستنفار الشعبي الكبير ضد الظهير البربري الحدث الذي نبه النخب الوطنية المغربية الشابة لحجم وقوة دعم الرأي العام العربي والإسلامي للقضية المغربية. فالوطنيون أضحوا على بينة من أن توطيد علاقات الأخوة والتضامن مع شعوب المشرق مسألة إيجابية في اتجاهين الأول هو ضبط العناصر الروحية والثقافية والحضارية المكونة للشخصية المغربية، والثاني هو توسيع دوائر السند السياسي في مواجهة مخططات إدارة الحماية والدولة الفرنسية. وعليه، اقتحمت الإحالات القومية الخطاب الفكري المغربي في جميع أشكاله ومضامينه (السلفي والليبرالي وحتى الشيوعي)، وأوليت قضايا الشرق العربي أهمية خاصة. وصادفت هذه النقلة انتقال الصراع بين عرب فلسطين (مسلمين ومسيحيين) والجماعات الصهيونية حديثة الاستقرار بالأرض المقدسة (عقب أحداث الخليل سنة 1929) من طور المشاجرة الداخلية إلى طور المواجهة الوجودية. فالشعوب الإسلامية باتت تعتبر مساندة الإخوة العرب في محنتهم ضد الصهيونية المؤازرة بالقوى الإمبريالية واجبا دينيا لا يقبل المساومة. وفي المغرب، أخذ التعاطف مع القضايا الفلسطينية أشكالا عديدة ؛ فالوطنيون دأبوا على تنظيم حملات هدفت إلى تحصيل المساعدة المادية عبر جمع التبرعات، والرفع من المعنويات عبر قراءة اللطيف وتنظيم الصلوات الجماعية. وتأكد منذ البدايات أن الصراع بين الصهاينة وعرب فلسطين يثير فضول الجمهور المغربي، وأن الوقوف إلى جانب "الإخوة" يساهم إلى حد كبير في تجنيد الرأي العام ضد القوة المستعمرة وتوطيد روح الوطنية. ولتنظيم الدعم وتفعيل بعض مظاهر السند، تأسست في أغلب المدن لجن لدعم الإخوة الفلسطينيين، قامت بتعميم الإخبار والاطلاع على المستجدات. والأكيد، كان لشخصية ولفكر الأمير شكيب أرسلان الأثر الكبير في تصور الوطنيين المغاربة للصراع العربي الصهيوني، ووعيهم بطبيعة وحجم وراهنية وخطورة التحديات التي يشكلها بالنسبة للأمة الإسلامية والمصير العربي. فالعلاقات المتميزة التي ربطها الزعيم المشرقي مع أقطاب الحركة الوطنية ـ والتي اتخذت في بداية الثلاثينيات مظاهر احتفالية تاريخية خلال زيارته لتطوان ـ، وكذلك وقع كتاباته على الأوساط المغربية المتعلمة، أمور جعلت النخب الوطنية تتنبه لحجم المضاعفات السلبية للصراع في المشرق على المغرب، وهي مضاعفات تزداد حدة كلما حقق المشروع الصهيوني مكاسب ميدانية في فلسطين، ودبلوماسية في عواصم القوى الكبرى.

فالصهيونية بنفس قدر تهديدها للوضع في فلسطين مثلت خطرا على التعايش بين الجماعات اليهودية والأغلبية المسلمة.

وقد أبان العديد من الشباب المتعلم خلال عمليات تحصيل التأييد عن مهارات في فنون التأطير والخطابة والتأثير (محمد اليزيدي وأحمد بلافرج والحاج أحمد الشرقاوي). فهؤلاء وغيرهم، شددوا في كلماتهم التوجيهية على إلزامية "الجهاد"، وجدوى مساندة التنظيمات الإسلامية الفلسطينية (خاصة فصائل الحاج أمين الحسيني). وقد تحولت المدن الكبرى في مناسبات عديدة إلى مسارح لمظاهرات نظمت خصيصا لمساندة الفلسطينيين ضد "العصابات الصهيونية"، خلالها وزعت مناشير أكدت على أمور حساسة، مثل حماية الأماكن المقدسة والتنديد بقرارات الدولة المعادية للمصالح العربية في فلسطين.

ومن جهتها، طورت الجماعات اليهودية المغربية قنوات وأساليب خاصة لدعم بني ملتها في فلسطين. وقد سعت سلطات الحماية إلى الحد من مظاهر تعاطف وسند اليهود للمشروع الصهيوني، ونجحت نسبيا في مساعيها. وإجمالا، لم تؤثر مناسبات الاصطدام القليلة بين اليهود والمسلمين المغاربة بسبب المواقف من تطور الأحداث في المشرق العربي، على العلاقات بين الجماعات اليهودية المغربية والأغلبية المسلمة. ودل على تزايد اهتمام الرأي العام المغربي بالقضية الفلسطينية في عقد الأربعينيات، الحيز المهم الذي دأبت الصحافة الوطنية المكتوبة على تخصيصه لتطور الأحداث وعرض مكامن خطر المخططات الصهيونية. فصحف المنطقة الخليفية، وبشكل أقل حدة نظيراتها في المنطقة السلطانية، تجندت للدفاع عن "المجاهدين الفلسطينيين" وللتنديد بدعم القوى العظمى "للعصابات الصهيونية".

وقد أثارت هزيمة الجيوش العربية في حربها ضد القوات الإسرائيلية سخط الشارع المغربي، فاضطر السلطان إلى الإعراب عن موقف المخزن من الصراع الدائر فوق أرض فلسطين، حيث ندد بالخطط الصهيونية، وناشد يهود المغرب بالتزام الحياد، كما نادى بضرورة ضبط النفس والتحلي بالانضباط. وعرفت المنطقة الشرقية (وجدة وجرادة) أحداث عنف استهدفت الجماعة اليهودية؛ فالمسلمون اتهموا يهود وجدة بتسهيل عمليات مرور الصهاينة الراغبين في التوجه إلى فلسطين عبر الحدود الجزائرية. وقد تصاعدت وتيرة هجرة يهود المغرب في اتجاه إسرائيل منذئذ، خاصة بعد أن سمحت إدارة الحماية بفتح مكاتب هيئة صهيونية (كاديما) كلفتها الوكالة اليهودية بتنظيم الهجرة.

ومنذ الحصول على الاستقلال، جعلت الدولة المغربية من مساندة ودعم المقاومة الفلسطينية واجبا وطنيا، وجندت طاقاتها للوقوف إلى جانب دول المواجهة. وبعد التحاق البلد بجامعة الدول العربية (1958)، التزمت الحكومات المغربية بمقتضيات المقاطعة ورفض أشكال التطبيع، كما انخرطت في موائيق الأمن والدفاع المشترك. وضغط ملك المغرب بثقله خلال مؤتمري القمة المنعقدين في مصر 1963 و1964 لفرض تمثيلية فلسطينية تعبر عن آمال الفلسطينيين.

وشكلت نكسة يونيو 1967 منعطفا في تعامل المملكة المغربية مع القضية الفلسطينية؛ وجهت المساعي إلى الحد من آثار الهزيمة عبر دعم دول المواجهة (مؤتمر الخرطوم)، خاصة مصر في حرب الاستنزاف (مؤتمر الدار البيضاء 1969). ودشن الملك الحسن الثاني لسلسلة من اللقاءات السرية (استقبال ناحوم غولدمان رئيس المؤتمر اليهودي العالمي) والعلنية بهدف تهيئة الأجواء لحصول مفاوضات مباشرة بين الأطراف المتنازعة قصد الوصول إلى سلام عادل ودائم، وهو مبدأ أسس للسياسة الرسمية للمملكة خلال العقدين الموالين. ومن جهتها، أسست مجموعة من الفعاليات السياسية المنتمية لحزب الاستقلال والاتحاد الوطني للقوات الشعبية "الجمعية المغربية لمساندة الشعب الفلسطيني"، لتنظيم السند الشعبي وتوجيهه في اتجاه إيجابي. ووافقت غايات الجمعية ما يرمي إليه الملك. فالفعاليات السياسية المغربية على اختلاف قناعاتها وتوجهاتها الإيديولوجية، سعت إلى دعم منظمة التحرير الفلسطينية للتحرر من وصاية الأنظمة العربية. وبعد حادثة إحراق المسجد الأقصى، بادر الملك الحسن الثاني إلى عقد مؤتمر إسلامي بالمغرب، تأسست على إثره منظمة المؤتمر الإسلامي، وهي هيئة إضافية لتنسيق العمل المشترك لصالح القضايا الإسلامية، وعلى رأسها القضية الفلسطينية.

وعلى المستوى العسكري، ولتحقيق تغيير في موازين القوى والدفع بالقوى العظمى (الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي) للتدخل بشكل إيجابي والضغط على إسرائيل في اتجاه القبول بصيغة "السلام مقابل الأرض" والاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، ساند المغرب سوريا ومصر في حرب أكتوبر 1973، فبعث بتجريدتين للجولان وضعهما تحت القيادة العسكرية السورية. بعد ذلك، وللاستفادة من آفاق العمل العربي، ضغطت الدبلوماسية المغربية في اتجاه تحقيق الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطيني ممثلا وحيدا للشعب الفلسطيني (مؤتمر الرباط 1974). ووظف الملك مصداقيته الدولية للعب دور الوسيط بين الدولة العبرية ومصر، فنظم في قصوره سلسلة من المفاوضات السرية بين وزير الخارجية الإسرائيلي (موشي ديان) ومبعوث عن الرئيس أنور السادات (حسن التهامي)، أدت بالزعيم المصري إلى القيام بزيارته "التاريخية" للقدس (1977)، والانخراط في منطق كامب دافيد (1979). ولم يمنع السند الأخلاقي والفلسفي لمبادرات الرئيس أنور السادات الملك الحسن الثاني من قبول رفض باقي الدول العربية لصيغة السلام المنفرد بين مصر وإسرائيل. وقد رفعت الصحف المغربية من حدة الانتقادات ضد ما اعتبرته مقايضة للحقوق التاريخية للشعب الفلسطيني مقابل استرجاع مصر لسيناء.

وقد سعت الديبلوماسية المغربية خلال عقد الثمانينيات إلى اختلاق مناسبات للاتصال المباشر بين الإسرائيليين والفلسطينيين. ففي وقت أول، نجحت في تحقيق إجماع عربي في موضوع "مشروع فهد"، إلا أنها فشلت في إقناع الإسرائيليين بضرورة الاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني من خلال تأسيس دولة مستقلة ذات سيادة (لقاء الحسن الثاني بشمعون بيريس بإيفران في صيف 1986). ولتجاوز هذا الفشل، وجهت الخارجية المغربية مجهوداتها لتفعيل برامج "لجنة القدس"، وتقديم مساعدات إضافية لدعم ميزانية "بيت مال القدس".

ومنذ انطلاقة الانتفاضة الأولى، أعربت جميع مكونات الرأي العام المغربي عن دعمها لمقاومة فلسطينيي الداخل، وباركت جميع المبادرات ومسلسل مدريد ومفاوضات أوسلو التي أدت إلى لقاء الرئيس ياسر عرفات بالوزير الأول الإسرائيلي (إسحق رابين) في حديقة البيت الأبيض. وفي هذا الإطار، ربط المغرب علاقات ديبلوماسية مفتوحة مع الدولة العبرية، فسمح بفتح مكتب للاتصال الإسرائيلي بالمغرب، وكثفت الأحزاب السياسية وهيئات المجتمع المدني من جهتها من مظاهر التضامن والتعاون مع المؤسسات الرسمية وغير الرسمية الفلسطينية للتأكيد على مواقفها الثابتة تجاه الخيارات التكتيكية والاستراتيجية للسلطة الفلسطينية وطرق عملها في التأسيس للدولة الناشئة. واستمر الشارع المغربي في التعبير عن شجبه ورفضه لسياسة القمع والتنكيل التي تنهجها إسرائيل ضد رموز السلطة الفلسطينية وقوى المقاومة، فالمظاهرات الشعبية الكبيرة التي عرفتها الدار البيضاء والرباط لدعم الانتفاضة الثانية عبرت بشكل واضح عن تضامن المغاربة مع القضية الفلسطينية.

والحاصل، أن القضية الفلسطينية تندرج ضمن القضايا الأكثر حساسية عند الرأي العام المغربي، والتي في موضوعها حصل إجماع وطني. فالقائمون على السياسة الخارجية يراعون إلى أقصى الحدود اتجاهات الرأي العام وإغلاق مكتب الاتصال الإسرائيلي، ويعتمدون الشفافية لشرح مبادراتهم وتحفزاتهم وغاياتهم المباشرة والبعيدة. وإجمالا، التزمت الدولة المغربية، نظاما وشعبا، بالعمل على الدفع بالقضية في اتجاه إنشاء دولة فلسطينية مستقلة وذات سيادة، وتحقيق سلام عادل ودائم بين إسرائيل وجيرانها العرب.

أبو بكر القادري، المغرب والقضية الفلسطينية منذ عهد صلاح الدين إلى إعلان الدولة الفلسطينية، الدار البيضاء، 1989.

محمد حاقي

الفلسفة بالمغرب، نقترح هنا القيام بعملية رصد لجوانب الفكر الفلسفي بالمغرب المعاصر، من منتصف الخمسينات إلى نهاية القرن العشرين وذلك من خلال الإنكباب على الإنتاج النظري الفلسفي. فقد ارتبط ازدهار هذا الإنتاج بتأسيس الجامعة المغربية الحديثة، خصوصا جامعة محمد الخامس، وكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط.

سنعتمد في تناولنا للفكر الفلسفي بالمغرب أسلوب التناول التاريخي المركز على أجيال هذا الفكر. وقد استقر النظر على أن ثمة جيلين في الفكر الفلسفي المغربي : جيل الرواد المؤسسين، وجيل الموجات الجديدة.

إنه تقسيم مدرسي فرضته ضرورة التصنيف والتحقيب الزماني.

جيل الرواد والمؤسسين :

ويتكون من أربعة أعلام هم : المرحوم محمد عزيز الحبابي، والأساتذة عبد الله العروي ومحمد عابد الجابري وعلي أومليل.

في نهاية الخمسينات من القرن العشرين، ناقش الأستاذ محمد عزيز الحبابي أطروحته لنيل الدكتوراه في الفلسفة في جامعة باريس، وكانت بعنوان : *من الكائن إلى الشخص، دراسات في الشخصانية الواقعية*. ولما عاد إلى المغرب عين عميدا لكية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس بالرباط. فكان ذلك بمثابة الانطلاقة الأولى لترسيخ دعائم تعليم فلسفي جامعي بالمغرب، فقد أسس المرحوم العميد شعبة الفلسفة وزودها بأساتذة أكفاء مشاهير جلبهم من الشرق والغرب. ودعما لكل ذلك أسس جمعية الفلسفة بالمغرب، وكانت لها مجلة تنطق بلسانها هي *دراسات فلسفية وأدبية*.

يمكن القول أن هذه الفترة عرفت طفرة نوعية، ذلك أن المرحوم العميد قام بعملية توطين للفلسفة ولخطابها في الفكر المغربي المعاصر من خلال اهتمامه بترجمة أعماله التي كانت مكتوبة في الأصل بالفرنسية، إلى العربية، وعلى رأسها : *من الكائن إلى الشخص وحريات أم تحرر ومن المنغلق إلى المنفتح*... وكذا من خلال الانشغال بالمصطلح الفلسفي وهو ما يعكسه إصداره لكتاب *مصطلحات فلسفية* الذي ظل معتمد المهتمين بالفلسفة في المغرب لفترة طويلة. وقد رافقت عملية التوطين تلك عملية أخرى ندعوها تعبئة الفلسفة في مجتمع مسلم. وتمثلت في إصدار كتاب بالفرنسية ترجمه فيما بعد إلى العربية، يبحث فيه عن النزوع الإسلامي نحو الشخصانية، وهو كتاب *الشخصانية الإسلامية*.

وقد عرف التطور الفكري للمرحوم الحبابي مرحلة ثانية مع بداية الثمانينات، استقطب اهتمامه فيها مستقبل العالم الثالث، وسميت هذه المرحلة بالفلسفة الغدية (نسبة إلى الغد). وأهم مؤلف يعكسها هو المؤلف الصادر بالفرنسية والمترجم إلى العربية فيما بعد *"العالم الثالث يتهم"*.

غير أنه مع منتصف الستينات، لمع نجم جديد في سماء الفكر الفلسفي بالمغرب، ينتمي إلى جامعة محمد الخامس، وإلى شعبة التاريخ. إنه فيلسوف لا كالفلاسفة ومؤرخ لا كالمؤرخين. يتعلق الأمر بالأستاذ عبد الله العروي الذي رفعته جهوده الفكرية المنظرة للتاريخ ولقضايا الفكر العربي

المعاصر إلى أرقى مصاف الفلاسفة. نذكر هنا بالذات مؤلفين : *أزمة المثقفين العرب والعرب والفكر التاريخي* (1973)، تحضر فيهما جملة من المفاهيم الفكرية الفلسفية في صيغة تركيبية وضمن إشكال محدد يهدف إلى بناء تصور نظري للكيفية التي يمكن بها تجاوز التأخر التاريخي في المغرب وفي العالم العربي.

وقد تلاحقت إصدارات العروي محدثة دويا كبيرا في الساحة الثقافية العربية والعالمية، من بينها *الإيديولوجية العربية المعاصرة* (1967)، وسلسلة كتبها حول المفاهيم مثل : مفهوم الدولة ومفهوم الأدلوجة ومفهوم الحرية ومفهوم التاريخ ومفهوم العقل.

جمعت هذه الأعمال بين الانفتاح النظري على صميم الواقع وأسئلة المرحلة، وبين عمق التحليل النظري والفلسفي للمفاهيم وتناولها تناولا نقديا جديدا غير معهود ذا مرجعية فلسفية متميزة تجمع بين الانفتاح على أسئلة الفلسفة السياسية المعاصرة ومعطيات المنزع الفلسفي التاريخاني. إضافة إلى تشبعه بقيم الفلسفة الحديثة في بعدها الحداثي وروحها التاريخية والنقدية ومن خلال الانخراط البارز في معارك تحديث الذهنيات وتحديث المجال السياسي في الثقافة المغربية والمجتمع المغربي والثقافة العربية عامة.

ونستطيع القول أن الخلفية التاريخية ومسألة النجاعة التاريخية، والاعتقاد بدور المثقف والسياسي في التاريخ، تعد بمثابة مقدمات صريحة ومضمرة في النصوص الفلسفية للجيل الأول خصوصا : العروي والجابري وأومليل. ومن هنا فإن الأسئلة الكبرى التي وجهت الإنتاج الفلسفي المغربي، يمكن بلورتها في إشكاليتين كبيرتين : إشكالية الحداثة وإشكالية الموقف من التراث. إذ في إطار هاتين الإشكاليتين وفي ترابطهما، وتكاملهما وتقاطعهما، يمكن فهم الهموم الفلسفية المغربية واجتهادات الرواد الأوائل ومواقفهم الرامية إلى توظيف النظر الفلسفي المنهجي والتاريخي للمساهمة في تجاوز التأخر التاريخي المغربي والعربي وكذا العمل على استنبات وتوطين اللغة الفلسفية في الفكر المغربي. وبذلك تولد مس في الفكر الفلسفي المغربي جعله ينخرط في تاريخ الفلسفة دون أن يفقد وشائجه وصلات قرابته بالواقع الراهن المحلي. لذا ظلت أسئلة الحداثة والتاريخ والتراث حاضرة في مختلف نصوص الفكر الفلسفي المغربي، مع تنويع، بطبيعة الحال، في أشكال التناول والمرجعيات الموجهة للتأمل والنظر، وانفتاح على تاريخ الفلسفة المعاصرة في مدارسه الجديدة ومباحثه في مجال العلوم الإنسانية وكذا في مجال البحث في الابستمولوجيا والمنطق وفلسفة اللغة وتاريخ العلوم. هذا الانفتاح هو ما طبع أبحاث الجيل الثاني أكثر من الجيل الأول.

إن قوة مشروع الفكر لعبد الله العروي تتمثل في المرجعية التاريخية التي تسنده وتحدد أرضيته ومنطلقه. فقد كان الرجل في تكوينه الأول مؤرخا، والمعرفة التاريخية في تكوينه لا تستقيم بالإطلاع على التاريخ المحلي قدر ما تحصل وتكون لها قيمة أكثر عندما يتم تجاوز المحلي فيها نحو فهم أشمل للتاريخ العالمي كما تكون أكثر عمقا ببحثها في التاريخ المقارن. وقد ساعده تكوينه النظري والفلسفي على الاستفادة من قراءاته لفلسفة هيغل وماركس ولأصول الفلسفة السياسية الليبرالية ونصوص فلسفة الأنوار في تصوره لأسئلة التاريخ والفكر والنهضة في بلادنا.

ويعتبر الأستاذ محمد الجابري أحد رواد الفلسفة بالمغرب، فهو من أوائل المتخرجين من شعبة الفلسفة بجامعة محمد الخامس (1963) وأحد ثمارها العلمية البارزة.

يعود إليه الفضل، هو وثلة من أساتذة التعليم الثانوي في الستينات في النضال من أجل تعريب تدريس الفلسفة، وتهييئ الأدوات الكفيلة بإنجاح العملية. وفي هذا الصدد عمل بمعية الأستاذين أحمد السطاتي ومصطفى العمري على إصدار أول كتاب مدرسي متكامل في الفلسفة موجه إلى طلبة البكالوريا، اعتمدته الوزارة حيث كان مكلفا بالإشراف التربوي على برامج ومناهج تدريس الفلسفة. وقد أهله هذا الأمر للقيام برسالة محددة تروم الانتقال بقيمة الدرس الفلسفي من مستوى الدرس التعليمي الذي يكتفي بتلقين جملة من المعارف والمعلومات المجردة والعامة إلى درس مرتبط بأسئلة التاريخ والمعرفة والإنسان، أسئلة المجتمع والمدرسة، وهو الأمر الذي لم تكن ملامح الوعي التربوي به داخل المجتمع المغربي قد نضجت بعد في المدى الزمني البعيد إلى بلورة مشروع مغربة الفلسفة وربطها أكثر بهواجس مجتمعنا والمجتمع العربي عموما.

في هذا السياق انخرط منذ السبعينات من القرن العشرين في قراءة التراث العربي الإسلامي قراءة جديدة موجهة بهواجس وأسئلة ذات صلة بتاريخنا المعاصر. تبلورت ملامح تلك القراءة منذ كتاب نحن والتراث ثم اكتملت هيئاها في سلسلة "*نقد العقل العربي*" : *تكوين العقل العربي وبنية العقل العربي والعقل السياسي العربي، العقل الأخلاقي العربي*.

لقد آمن الجابري بأن سبيل الحداثة يبدأ من نقد العقل العربي، من انكشاف الذات أمام ذاتها انكشافا مرآويا. كما آمن أن تشريح العقل هو منطلق كل نهضة، وأن أدوات ذلك التشريح لا بأس إن كانت مستجلبة من خارج ذلك العقل. وهذا ما نجد الجابري يقوم به، فعلا، حين عكف في منتصف السبعينات على دراسة الابستمولوجيا حيث نشر كتاب *مدخل لفلسفة العلوم* (1976) في جزئين. وكان همه من ذلك هما : هم تربوي تلقيني وهم وظيفي توظيفي يحدوه البحث في الفكر الغربي عن أدوات يمكن توظيفها في قراءة التراث. وقد عثر على ضالته في مفهوم ورد لدى فيلسوف العلم الفرنسي باشلار هو مفهوم القطيعة الذي استخدمه في أطروحته في *نحن والتراث* (1980) حيث التأكيد على وجود قطيعة بين الفكر المغربي والفكر المشرقي. وقد استهله بمقدمة

مطولة تعد مقالة المنهج في تناول التراث. كما سار على نفس الخط في كتاب *الخطاب العربي المعاصر* (1982) الذي يعتبر تمهيدا لرباعية *نقد العقل العربي* (1984 . 2000).

أما *إشكالات الفكر العربي المعاصر* (1989) و*قضايا في الفكر العربي المعاصر* (1997)، فإنهما مصنفان يجتهدان ضمن الأفق الفكري العام الذي استوت ملامحه في نحن والتراث والخطاب العربي المعاصر ثم رباعية نقد العقل العربي. كما أصدر تباعا كتبا في موضوعات : *المسألة الثقافية* (1994) و*الديمقراطية وحقوق الإنسان* (1994) ثم *مسألة الهوية* (1995)، و*الدين والدولة* (1996).

وكما هو ملاحظ، هذه الأعمال الأخيرة يهيمن عليها الهاجس السياسي مثلا في أسئلة التاريخ والمجتمع والرغبة في الفعل والتأثير في الواقع. لذا فإن أعمال الجابري تروم الدفاع عن الحداثة كأفق في النظر والعمل مفتوح على مكاسب التاريخ المعاصر وذلك انطلاقا من مدخل نقد التراث ونقد آليات الفكر السائدة في الثقافة العربية. فمعركة التأخر الشامل والتأخر الثقافي في مجتمعاتها تقتضي مواجهة الذهنيات المتصلبة، باستعمال التشريح النقدي من أجل المساهمة في تفتيت النواة الصلبة لتلك الذهنيات المستعارة من أزمنة لا صلة لها بحاضرنا ومستقبلنا.

لقد اختار الجابري في مؤلفاته الأخيرة الأكثر ارتباطا بأسئلة السياسة، طريقا قوامه فحص آليات عمل العقل التراثي ومحاولة حصرها بتعيينها للتمكن في نهاية المطاف من محاصرة استمرار حضورها في فكرنا المعاصر، لكن ذلك لا يعني القطيعة التامة والكاملة مع الماضي والتراث. وفي هذه النقطة، بالذات، يختلف الجابري عن العروي. لا فصل بين التراث والحداثة دون وصلهما. وفي هذه النقطة، بالذات، يتهم الأستاذ العروي الأستاذ الجابري بأنه يمارس نوعا من التوفيقية على طريقة محمد عبده، ويدرجه ضمن الاختيار الفكري الذي رسمت ملامحه العامة كتابات الشيخ الإمام محمد عبده. ويعني هذا، في نظر العروي، أنه آن الأوان للقطع كلية مع لغة المخاتلة في مواجهة التراث والماضي، وفي التفكير في وصل الحاضر بالماضي والمستقبل بالماضي ؛ لا خلاص من التأخر التاريخي إلا بإعلان القطيعة والانخراط الواعي في تأسيس ما يضمن تكريسها بما يمكنها من تجاوز تيارات التقليد والتوفيق المحافظة.

إن عقلانية بعض أعلام الفكر المغربي - الأندلسي التي اعتبرها الجابري قطعت مع الفكر المشرقي، لا يرى فيها العروي سوى عقلانية محدودة بنظام الفكر الإسلامي، فالخلدونية والرشدية وكل التيارات المتميزة في العصور الوسطى لم تشكل قطيعة مطلقة مع نظامها المرجعي. لذا يستحيل، في نظر العروي، الاستفادة من عقلانية عصورنا الوسطى ؛ وكل محاولة للاستنجاد بها تجعلنا نبني المفارقات. ذلك أن عقلانية الأزمنة الحديثة تتطلب القطع مع كل ما سبق من أجل التمكن من استيعاب ما هو متاح اليوم للبشرية جمعاء.

يعتبر الجابري هذا النقد الذي يوجهه له العروي، صادراً عن موقف جوهره الهروب إلى الأمام والتخلي عن التاريخ بغية تبني موروث الآخرين.

أما الأستاذ علي أومليل، فإنه التحق في مطلع الستينات، كأستاذ للفلسفة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية. أصدر سنة (1977) كتابه : *الخطاب التاريخي*، دراسة لمنهجية ابن خلدون ركز فيه على محدودية ما سمي بالعقلانية الخلدونية مبينا أنها لم تخرج عن طوق الآليات الفكرية التقليدية الموروثة من منهجية علم الحديث. ثم توالت إصداراته في الثمانينات والتسعينات كما يلي :

الإصلاحية العربية والدولة الوطنية (1985)، *التراث والتجاوز* (1990)، *في شرعية الاختلاف* (1991)، *السلطة الثقافية والسلطة السياسية* (1996)، *مواقف الفكر العربي من المتغيرات الدولية : الديمقراطية والعولمة* (1998).

ولا تخرج اهتمامات علي أومليل عن الإطار العام الذي تبلورت في سياقه أفكار العروي والجابري أي سؤال التراث وسؤال الحداثة في الحاضر المغربي والعربي.

يشتغل علي أمليل بموضوع التراث : يقرأ ابن خلدون وابن رشد ؛ كما يقرأ إشكالات الفلسفة الإسلامية. لكنه يواجه في الوقت ذاته إشكالات الفكر العربي المعاصر في مظهرها السياسي. وهو يقرأ هذه الإشكالات انطلاقا من تمرسه بقراءة نصوص وأسئلة الحداثة السياسية كما تبلورت في التاريخ الأوربي ابتداء من القرن 17.

أبان علي أومليل في الخطاب التاريخي عن طريقة في التفكير قوامها الدقة في بلورة الأسئلة. وهي خصلة لا ينفرد بها هذا الكتاب، بل تطبع كل كتبه ومقالاته.

يدافع أومليل فيما يخص التراث عن ضرورة التجاوز، أي القطيعة مع الإرث. لا يتعلق الأمر لديه بشعار انفعالي، بل بقناعة مبنية على أسس نقدية فلسفية تستخدم عدة فكرية مستمدة من القراءة المتمعنة لأصول الفكر الفلسفي الحديث ومن اعتماد المنظور الحداثي خصوصا في تناول قضايا السياسة.

ينتقد أومليل النزاعة التراثية، مثلما ينتقد القراءات الحديثة للتراث التي تنحو منحى التوفيق أو الإسقاط : إسقاط أسئلة الحاضر على الماضي. إن الموقف المعقول من التراث، يتمثل، في زعمه، في الاستيعاب التاريخي للتراث، وهو ما يفضي، في سياق التعقل النقدي، إلى تجاوزه.

لابد، إذن، من التجاوز والانفصال والقطع مع الأزمنة القديمة. وتشكل هذه الأطروحة روح وجوهر كل أعمال أومليل خصوصا التراث والتجاوز والسلطة الثقافية والسلطة السياسية، والخطاب التاريخي.

وفي هذا السياق رفض أومليل كل أشكال اللبس والالتباس التي تخلقها مماثلة مفاهيم من الفكر السياسي الحديث بأخرى مستمدة من التراث.

في الإصلاحية العربية والدولة الوطنية يقدم وجهة نظره في الفكر السياسي النهضوي بمختلف مشاربه.

يقرأ أوملیل نصوص الليبراليين العرب كاشفا مفارقاتها ومحدودية تأويلاتهم باعتبارهم يركبون، في نظره، جهازا من المفاهيم لا يعي حدود استعمال تلك المفاهيم التي يقتطعونها من سياقها ومنظومها الفلسفيين والسياسيين لليبرالية ويصنعون لها مماثلات مستمدة من التراث السياسي الإسلامي دون ممارسة النقد الذي تقتضيه عملية التأويل.

يفكر أوملیل والعروي في موضوع واحد، كل بطريقته الخاصة وجهازه النظري والفلسفي الخاص. يؤسس العروي رؤيته التاريخانية لسبل تجاوز التأخر التاريخي والثقافي العربي، ويعمل أوملیل بوسائل النقد الفلسفي على التفكير في المسألة ذاتها مستندا إلى المرجعية التاريخانية مغنيا لرؤيتها ومواقفها ومدعما لاختيارات تتوخى التفكير في سبيل الانخراط الفاعل في الأزمنة الحديثة.

الفكر الفلسفي بالمغرب في مساره الثاني :

نقصد بالمسار الثاني الاتجاه الذي رسمته كتابات جيل الشباب أو الجيل الفلسفي الجديد الذي وإن ظلت أسئلة الحداثة والتراث حاضرة في مختلف نصوصه، إلا أنها تميزت بتنويع بارز في أشكال التناول، وفي نوعية المرجعيات الموجهة للتأمل والنظر. كما تميزت بانفتاح أكبر على تاريخ الفلسفة المعاصرة في مدارسها الجديدة وفي مباحثها المرتبطة بمجال العلوم الإنسانية ؛ وكذا في مجال البحث في الابستمولوجيا والمنطق وتاريخ العلوم. وقد ترتب عن هذا الانتفاح على تاريخ الفلسفة توسع في شبكة المفاهيم وتعدد في آليات التناول. وهو الأمر الذي سيكون له تأثيره القوي ونتائجه الهامة في مستقبل الفكر الفلسفي المغربي.

إن ما يطبع فكر المسار الثاني هو إرادة الإبتكار المتمثلة في الاستيعاب النقدي لتراث الآخرين المشفوع بطموح التجاوز الخلاق.

سنعمل على إبانة التحولات التي لحقت الفكر الفلسفي بالمغرب بفضل جهود صانعي مساره الثاني.

ساهم الأستاذ عبد الرحمان طه بدور بارز في تطوير البحث الفلسفي المنطقي والفلسفي اللغوي منذ ثلاثة عقود، أي منذ سنة 1969 عندما التحق بهيئة التدريس بشعبة الفلسفة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط. زيادة على علمه، اشتهر الأستاذ بجديته وتفانيه وإخلاصه في العمل.

أصدر سنة (1979) مؤلفا بالفرنسية بعنوان : *اللغة والفلسفة* ثم أصدر *المنطق والنحو الصوري* (1983)، في *أصول الحوار وتجديد علم الكلام* (1987)، *العمل الديني وتجديد العقل* (1989)، *تجديد المنهج في تقويم التراث* (1994)، *فقه الفلسفة* (1998 و1995)، *القول الفلسفي* (1999)، *سؤال الأخلاق* (2002).

يهتم هذا الكتاب الأخير بالنقد الأخلاقي للحداثة الغربية. إنه نقد يتجه، كما يتصور المؤلف، إلى استحضار أهمية التجربة الأخلاقية في مقاومة النزاعات المادية الجاهلة والغافلة قصد رد الاعتبار في الفكر وفي الحياة لمبدأ العقل المؤيد، وهو أعلى مراتب العقل في نظره.

يقوم مشروع الأستاذ عبد الرحمان طه على استنبات الفلسفة في الإسلام استنادا إلى محددين اثنين هما : العقيدة واللغة العربية. ونعني بالاستنبات هنا تأصيل الفلسفة وتوطينها في أرضية تكون أرضيتنا. ذلك أن الدرس الذي يقدمه كتاب اللغة والفلسفة هو أن قضايا الفلسفة الغربية لا تنفصل قط عن بنية لغاتها. وادعاء شمول تلك القضايا والقول بأنها قضايا كل إنسان، ادعاء كاذب. من هنا هجوم عبد الرحمان طه على ما يعتبره تغريبا وتغربا في الفكر الفلسفي المغربي. وفي هذا الصدد يمكن القول أن كتاب *سؤال الأخلاق* هو بمثابة تتويج لمشروع الأستاذ طه، وفي الآن ذاته، لا ينوب عن المؤلفات السابقة عليه أو يقوم مقامها.

يعد مشروع الأستاذ عبد الرحمان طه محاولة لوضع معالم على درب الاستقلال الفلسفي، وهو أمر لا يتأتى، في اعتقاده، إلا بالعمل على إقامة فكر إسلامي جديد يحصن اليقظة الدينية والصحوة الحاصلة اليوم. فالفلسفة أداة أو وسيلة في خدمة العقيدة والقناعة الدينية. إن كل تجديد يجب أن يرتكز إلى شرط التجربة الإيمانية كتجربة صوفية تخلقية، وشرط التعقل كتملك لإدراكات النظر المنهجية التي تمكن التجدد من السند العقلي.

يتمثل مقصد عبد الرحمان طه، في نهاية المطاف، في الرغبة في تشييد فكر ديني متجدد ومتكامل، استنادا إلى كمالات التجربة الصوفية.

يمكن اعتبار اهتمامات عبد الرحمان طه انعكاس نوعا ما لاستمرارية في فضاء الفكر الفلسفي المغربي مثلما تبلور مع الجيل الأول، إذ ما تزال الإشكالات الفكرية المرتبطة بالحداثة والمتصلة بمسألة الموقف من التراث مهيمنة.

صحيح أن التفكير في الحداثة يعد أفقا في التاريخ مفتوحا على مصراعيه أمام الجميع، ولم يسلم منه أحد ؛ لكن ما نعنيه هو أن طه يقابل، مثلما فعل رواد التأسيس، التراث بالحداثة وبخاصمهما، لكن مع امتلاك لناصية المنطق وفلسفة اللغة وعمق روحي. ثمة، إذن، مع الأستاذ عبد الرحمان طه، تجاوز داخل الاستمرار.

عرف الفكر الفلسفي بالمغرب بعد الجيل الأول موجات فلسفية جديدة سائدة اليوم. إنها لا تشكل اتجاهات ومذاهب، بالمعنى القوي للعبارة، ففي الفكر الفلسفي المعاصر، لم يعد بالإمكان، بعد الفلسفة الوجودية، الكلام عن مذاهب فلسفية، بالمعنى التقليدي للكلمة.

لذا فإن لفظ الموجة، في هذا السياق، يفيد كثيرا من حيث أنه يساعد على استلهام نوعية العلاقة بين الموج والبحر واليابسة، أي علاقة المد والجزر والذي يعكس حركة التموج الحاصلة في الفكر الفلسفي المغربي اليوم.

اتسم البحث الفلسفي المغربي في مساره الثاني بمسعاه الرامي إلى الانخراط بكيفية أعمق في تاريخ الفلسفة. ففي الثمانينان عرف هذا البحث نوعا من الانفتاح في مختلف إنتاجات تاريخ الفلسفة المعاصرة ومختلف قطاعات المعرفة الإنسانية وغيرها. فقد انعكست الثورة التي أصابت العلوم الإنسانية على الفلسفة، كما نعلم. وكان لذلك صداه لدى المشتغلين بالفلسفة بالمغرب. ولعل هذا ما يفسر الاهتمام المتزايد لدينا بالابستمولوجيا والبنيوية والحفريات الفوكوية، والتفكيك.

لذا، إذا كان المنزع التاريخي السياسي قد وجه، بصورة عامة، الاختيارات الفلسفية في الفكر الفلسفي المعاصر وطبعها، فإن الموجات الفلسفية الجديدة التي عمل الجيل الثاني من المؤسسين على ركوبها واستثمار لغاتها ومفاهيمها، ضيقت من مساحة حضور ذلك المنزع التاريخي لصالح عناية كبرى بقضايا الميتافيزيقا وأساليب التحليل البنيوي والسيميولوجي والابستمولوجي.

إن إلقاء نظرة على نوعية الترجمات والأطروحات والمصنفات التي أصدرها محمد سبيلا وسالم يفوت وعبد السلام بنعبد العالي ومحمد وقيدي وعبد الرزاق الدواي كاف ليؤكد انخراط هؤلاء جميعا، مع بعض التفاوت، في الموجات الجديدة : ألتوسير، ليفي ستروس، ميشال فوكو، دولوز، هايدغر، دريدا، نيتشه، باشلار، تومس كون... فقد ترجم محمد سبيلا خلال عقد السبعينات بعضا من نصوص ألتوسير مقتبسة من كتاب *لينين والفلسفة* ؛ ونشر سالم يفوت، في العقد نفسه، كتيبا ناقش فيه مجمل أطروحات ليفي ستروس ؛ ونشر محمد وقيدي أطروحته في موضوع *فلسفة المعرفة عند باشلار* ؛ كما نشر بنعبد العالي بعد ذلك أطروحة في موضوع *أسس الفكر الفلسفي المعاصر* (1991) ؛ ونشر عبد الرزاق الدواي أطروحة في موضوع : *موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر* (1992) ؛ يضاف إلى كل ذلك الترجمات العديدة التي أنجزها أقطاب الجيل الثاني. فقد ترجم سالم يفوت كتاب *حفريات المعرفة* لميشال فوكو، كما ترجم مع آخرين كتاب *الكلمات والأشياء* لميشال فوكو، وكذا كتاب جيل دولوز حول فوكو بعنوان *المعرفة والسلطة*، كما ترجم محمد سبيلا *نظام الخطاب* لفوكو، وترجم بنعبد العالي كتاب *درس السيميولوجيا* لرولان بارط، *والرمز والسلطة* لبوردیو، ويتعاون مع الأستاذ أحمد السطاتي كتاب *جينيالوجيا المعرفة* لفوكو.

أتاحت هذه الترجمات للثقافة المغربية فرصة استنشاق هواء جيد تمثل في الانفتاح على مناهج جديدة اعتمدت لا في المجال الفلسفي، فحسب، بل وكذا في مجالات النقد والدرس الأدبي واللساني. وفي مختلف مجالات العلوم الإنسانية والتراث. فقد طبق سالم يفوت المنهج الحفري في دراسة التعليل الفقهي في كتابه حفريات المعرفة العربية الإسلامية (1989)، كما كان قد فعل الشيء ذاته في تناوله لقضايا الإبستمولوجيا وتاريخ العلوم في كتابه *فلسفة العلم المعاصرة ومفهومها للواقع* (1985)، ولقضايا الفلسفة في الأندلس في كتاب *ابن حزم والفكر الفلسفي*، نستطيع أيضا تبين ملامح هذه المساهمات المجتهدة في كتابات محمد سبيلا بخصوص الأفكار والظواهر السياسية، ونعثر على الشيء ذاته في مصنفات بنعبد العالي الأخيرة مثل *ثقافة العين وثقافة الأذن* (1994) و*ميثولوجيا الواقع* (1999)، وكذا في قراءة سالم يفوت لبعض قضايا الفلسفة المعاصرة، مثلما هو الشأن في كتابه *الزمان التاريخي* (1988) *والمناحى الجديدة في الفكر الفلسفي المعاصر* (2000).

تتحدد المجالات التي يمكن اعتبارها اليوم فضاءات معرفية تستقطب النظر الفلسفي المغربي أولا في مواصلة العناية بسؤال التراث كما تتحدد، من جهة ثانية، في الحضور البارز لرؤى ومفاهيم ومناهج الفلسفة المعاصرة. إضافة إلى العناية بالقضايا الابستمولوجية وإشكالات تاريخ العلوم والأفكار العلمية وما تجدر الإشارة إليه بهذا الخصوص هو أن البحث الابستمولوجي بالمغرب تحول في السنين الأخيرة إلى عمل جماعي نتيجة تكون فريق بحث من الأساتذة : سالم يفوت وبناصر البعزاتي وعبد السلام بن ميس ومحمد المرسلي وحمو النقاري ومحمد أبلاغ ومحمد أبطوي وإدريس المرابط وعبد النبي مخوخ ومحمد الفايز... وقد أصدر الفريق عدة مؤلفات ضمن منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط مثل : *دراسات في تاريخ العلوم والابستمولوجيا*، *كيف يؤرخ للعلم*، *التفسير والتأويل في العلم*، *الخيال ودوره في تقدم المعرفة العلمية*، *آليات الاستدلال في العلم*، *جوانب من الفكر العلمي في العصر الوسيط*، *العلم والفكر العلمي في الغرب الإسلامي في العصر الوسيط*، *العلم : المحلية والكونية*.

هذا فضلا عن إصدارات كل عضو من أعضاء الفريق على حدة. فقد أصدر الأستاذ البعزاتي كتابا في موضوع : *الاستدلال والبناء* (1999) ثم : في *النهضة الحضارية في أوربا* (2000) ؛ كما أصدر سالم يفوت كتاب *نحن والعلم*، وأصدر عبد السلام بن ميس كتاب *قضايا في المنطق والابستمولوجيا*، كما أصدر الأستاذ إدريس المرابط دراسة موضوعها *تاريخ الرياضيات بالمغارب*، ونشر الأستاذ محمد أبلاغ دراسة بخصوص *رفع الحجاب عن وجوه أعمال الحساب لابن البنا المراكشي*، وأصدر كتابا حول ابن البنا باشتراك مع أحمد جبار بعنوان *حياة ومؤلفات ابن البنا المراكشي* ضمن منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط.

بخصوص مسألة التراث أنجزت أبحاث جديدة هامة نذكر منها على الخصوص أعمال المرحوم جمال الدين العلوي الذي اختطفته يد المنون وهو في أوج عطائه. لقد بلور منهجية جديدة في قراءة نصوص ابن رشد وابن باجة، هذا فضلا عن تحقيقه للعديد منها، نذكر على سبيل المثال النصوص الرشدية التالية : *تلخيص السماء والعالم* (1984)، *مقالات في المنطق والعلم الطبيعي* (1983)، *تلخيص الآثار العلوية*

(1994)، *الضروري في أصول الفقه تلخيص الكون والفساد*. أما *كتابه المتن الرشيدي* (1986) فقد انطوى على قراءة جديدة لابن رشد مثلما انطوى على أطروحة جديدة في فهم التطور الفكري للرجل. ومـايزال هذا العـمل حـتى الآن، وسيظل، عمدة دارسي ابن رشد.

ونذكر أيضا أعمال سعيد بنسعيد العلوي وخاصة *دولة الخلافة : دراسة للفكر السياسي لأبي الحسن الماوردي والخطاب الأشعري* ؛ وأعمال الأستاذ عبد المجيد الصغير وخاصة *الفكر الأصولي وإشكالية السلطة العلمية في الإسلام* (1994) الذي يعتبر فتحا في مجال الدراسات الإسلامية ببلادنا وبالعالم العربي ؛ وكذا أعمال محمد المصباحي بخصوص ابن رشد والرشدية والتي تتسم بالقراءة النصية التحليلية المتابعة للمتن الرشدي والمتحررة من كل الأحكام القبلية.

وللأستاذ بنسالم حميش أعمال فكرية تتقاطع فيها الاهتمامات التراثية بالاهتمامات المنصبة على بعض جوانب الفلسفة الحديثة والمعاصرة، إضافة إلى كتابته الشذرية التي تعكس رغبته في تبني لبوس الكتابة النشتوية. وهو ما اعتمده في كتاب *الجرح والحكمة* (1988) وله أعمال أخرى منها : في نقد الحاجة إلى ماركس (1983)، *والاستشراق في أفق انسداده* (1992) و *الخلدونية في ضوء فلسفة التاريخ* (1998).

نلاحظ لدى جيل المسار الثاني عناية قصوى بالفلسفة المعاصرة وبأقطابها المرموقين أمثال هايدغر وألتوسير وفوكو ودريدا وباشلار وغيرهم من كبار فلاسفة العصر. تجلى هذا الاهتمتم في أعمال سالم يفوت ومحمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي... إما ترجمة أو تأليفا أو هما معا.

كما نشر سبيلا وبنعبد العالي سلسة من الدفاتر الفلسفية في موضوعات : *الطبيعة والثقافة والمعرفة العلمية ثم اللغة والحقيقة والحداثة والإيديولوجيا وحقوق الإنسان*. وهي دفاتر اعتنت بجمع وترجمة نصوص هامة جدا لا يمكن تجاوزها.

لابد من الحديث عن الاجتهادات في مجال الفكر العربي المعاصر حيث العناية بإشكالات هذا الفكر في مستواها النصي الخطابي وفي نوعيات العلاقة التي تقيمها مع التاريخ المؤطر لوجودها. لابد هنا من التنويه بأعمال عبد اللطيف كمال التي أضفت من التأصيل والتأسيس على أعمال جيل المؤسسين، في هذا المضمار، مع التأكيد على أن المرجعية الكونية إطار لبناء تفاعلات إيجابية ونقدية تتيح لهذا الفكر إمكانية انخراط أفضل في المعاصرة. وهو الأمر الذي يعني تحقيق مصالحة الذات مع ذاتها ومع العالم بجوارها وفي قلبها. حيث لم تعد الحدود قائمة ولا فاصلة بصورة قطعية بين ثقافات العالم المتعددة. فقد أصدر عبد اللطيف كمال كتاب *سلامة موسى وإشكالية النهضة* (1982) و *التأويل والمفارقة : نحو تأصيل فلسفي للنظر السياسي العربي* (1987) و *مفاهيم ملتبسة في الفكر العربي المعاصر* (1992) و *قراءات في الفلسفة العربية المعاصرة* (1994) والعرب والحداثة السياسية (1997) والمغرب وأزمة الخليج (1997) و *في تشريح أصول الاستبداد* (1999) و *قراءات في أطروحة نقد العقل العربي* (1999) و *درس العروي، في الدفاع عن الفكر التاريخي* (2000)، و *التفكير في العلمانية* (2000).

من بين الأسماء التي علينا ذكرها هنا الأستاذ أحمد العلمي حمدان بكلية الآداب بفاس، وقد أعاد أخيرا تحقيق *كتاب المكلاني لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول*.

كان الغرض من كل ما تقدم، تقديم حصيلة أربعين سنة من العطاء والإنتاج في حقل الفلسفة بالمغرب ؛ وهو الزمن الذي يتطابق وإنشاء كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط وتأسيس أول شعبة للفلسفة في الجامعة المغربية.

ورغم أن العقد الخامس على وشك الانقضاء، فإنه لا توجد بالمغرب إلا ثلاث شعب للفلسفة : بالرباط وفاس ومراكش. ونتمنى أن يرفع الحصار المضروب على الفلسفة فتفتح لها شعب بكل الجامعات المغربية.

سالم يفوت

الفلفل من أهم النباتات المكونة للتوابل والبهارات أو الخضر. أغلب أنواع الفلفل تنتمي لجنس كابسيكوم مثل كابسيكوم أنويوم وكابسيكوم فريتيسانس "Capsicum annum" و"Capsicum frutescens"، وهو ينتمي إلى فصيلة الباذنجانيات "Solanaceae" . يتوطن الفلفل في المناطق الحارة ويرجع أصله إلى أمريكا الإستوائية، ويزرع في بقاع كثيرة من العالم. وهو نبات حولي أو معمر يصل إلى متر من الإرتفاع، أزهاره بيضاء أحادية. ويشمل الفلفل أصنافا وضروبا عديدة في حجم الفاكهة، ولونها ودرجة الحرافة. ومن الضروب الحريفة (الحارة) المشهورة في المغرب هناك "قرن الغزال أو قرن العنزي" و"السودانية أو قلياطة".

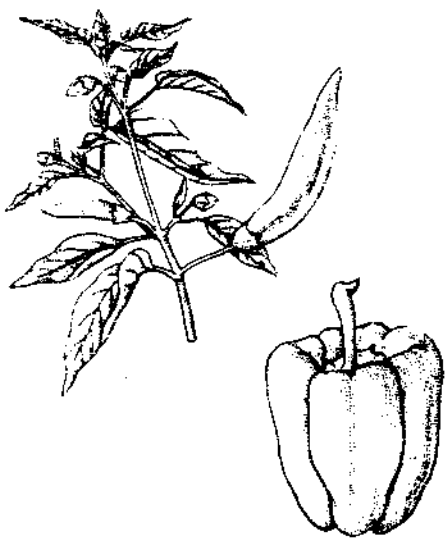

يعتبر الفلفل الحلو والبابريكا من أصناف الفلفل الأكثر استعمالا في الطهي وفي تحضير السلاطة، ويسمى هذا الصنف في المغرب "منبورة أو نيورة". كما يفضل استعمال الفلفل الحريف لدى كثير من الناس لما له من تأثير إيجابي على شهية الأكل وبالأخص لأكل الوجبات المحضرة من القطاني أو السمك. بصفة عامة يستعمل الفلفل طازجا، مطهيا، مقليا، مشويا، مخللا، أو مطحونا كبهار. وهناك أنواع تزرع من أجل التزيين بسبب شكل الفاكهة ولونها، فمنها الفلفل الشيلي، والفلفل الصيني وفلفل الثلاثي الألوان.

توجد في المغرب أغلب أصناف الفلفل وتشتهر زراعتها في السهول الشرقية والسايس وكذلك المناطق المسقية من الحوز وتادلة واللكوس وسوس.

يمكن زراعة الفلفل في المناطق التي تتراوح فيها الحرارة بين 20 و30 درجة نهارا و15 إلى 20 درجة ليلا، ويقف النمو عندما تنزل الحرارة إلى أقل من 10 درجات. يحبذ الفلفل التربة العميقة المهوية والغنية بالدبال ولا يتحمل الرطوبة المستمرة. يتم التكاثر عن طريق البذور (1 غ من الحبوب يحتوي على 200 بذرة).

يستغل الفلفل حسب طريقة استعماله أخضر أو حينما يصل إلى نهاية طور نموه. ويصل الإنتاج إلى 70 طن للهكتار وذلك حسب طريقة زراعته. يعتبر فطر الفيطوفطورا (Phytophthora) من أشد أعدائه، فهو يؤدي إلى ذبل كلي للنبتة بسبب تأثيره على الجذور وبالتالي تلفها.

ألبير هيل، *النبات الاقتصادي*، تر. زاهر عبد المجيد وآخرون، القاهرة، نيويورك، 1962 ؛ *معلومات شخصية*.

J.M. Clement, *Larousse Agricole*, édition Laroysse, Paris, 1981.

فلفل البهار، هو الإيزار أو علميا بيبير نيكروم "Piper nigrum" ينتمي فلفل البهار لفصيلة الفلفليات "Piperaceae" وهو رغم استعماله المنتشر في المغرب إلا أنه لا يزرع نظرا لعدم تكيفه مع مناخ هذا البلد. وهو من النباتات المعمرة بمناطق من الهند والملايو، ويزرع في كل المناطق الحارة الشرقية من إفريقيا والهند وسيام وجزر الفلبين وجزر الهند الشرقية وجزر البحر الجنوبي.

يعتبر الإيزار من أقدم التوابل استعمالا، ولقد عرف في الشرق منذ القدم وكان من التوابل الهامة في العصور الوسطى مما جعله من أحد الدوافع الرئيسية للبحث عن طريق الهند، ولا يوجد لحد الآن بهار آخر أكثر منه ذيوعا أو استعمالا.

يتميز فلفل البهار برائحة قوية بسبب الزيوت الطيارة التي يحتوي عليها، أما الحرافة فترجع إلى وجود مواد راتنجية. من فوائد فلفل البهار تنشيط اللعاب والسوائل المعوية، وله كذلك أثر مرطب، كما يستخدم في الطب.

ألبير هيل، *النبات الاقتصادي*، تر. زاهر عبد المجيد وآخرون، القاهرة، نيويورك، 1962 ؛ *معلومات شخصية*.

J.M. Clement, *Larousse Agricole*, édition Laroysse, Paris, 1981.

عبد النبي زين العابدين

الفلك بالمغرب (علم -)، يعرف أصحاب الهيئة - منذ علماء اليونان - مصطلح "الفلك" بأنه جسم سماوي محصور بين كرتين متراكزتين، وهو تعريف ساد لقرون عديدة، وارتبط بالتصورات الكوسمولوجية التي اعتقدت بسكون الأرض في مركز العالم، وجعلت من الحركات الدائرية المنتظمة أصلا لكل الحركات السماوية.

وبالنسبة إلينا، فالمقصود بعلم الفلك العلم الحسابي الذي اشتمل فروعا متعددة، منها علوم الهيئة، والأزياج، ووضع آلات الرصد والتقويم والعمل بها، ورؤية الأهلة، وسمت القبلة، والتوقيت والأنواء...

أما لفظ "المغرب"، فالمراد منه مجموع الرقعة الجغرافية التي خضعت لسلطة الدولة المغربية في حقبة تاريخية معينة، فاعتبرنا على سبيل المثال بلاد الأندلس جزء من المغرب عندما ضمها إليه يوسف ابن تاشفين، وكذلك اعتبرناها بعدما استعادها الموحدون.

تكتنز الخزانات في المغرب وخارجه كمّا هائلا من الأعمال الفلكية التي صنفها علماء المغرب، ويتضح منها اهتمام هؤلاء بمختلف فروع علم الفلك التي ذكرنا، وسنحاول فيما يلي ذكر أهم ما ألف في الموضوع، والحديث عن السياقات والتوجهات العامة في ذلك، مع الإشارة إلى المضامين الرئيسية لأبرز المؤلفات الفلكية المغربية.

1 - علم الهيئة

يعرفه ابن خلدون بأنه "علم ينظر في حركة الكواكب الثابتة والمتحيرة، ويستدل بكيفيات تلك الحركات على أشكال وأوضاع لزمت عنها هذه الحركات المحسوسة بطرق هندسية".

يفهم من هذا القول إذن، بأن علماء الهيئة يحاولون - انطلاقا من تأويل ما يرصدونه من حركات ظاهرية في السماء - تصور ما ينبغي أن تكون عليه أوضاع مختلف الأفلاك. ومن تم، يمكن وصف هذا العلم بأنه "علم بنية الكون".

تبين مؤلفات علماء الفلك في المغرب تمسكهم بالنماذج القائلة بسكون الأرض ومركزيتها للعالم، وقد أبرزنا صمود هذا التصور حتى القرن العشرين لدى بعضهم، كالشيخ محمد بن محمد العلمي الإدريسي الحسني (ت. 1373 / 1954)، وأحمد بن محمد الحوزي الجديدي (ت. 1369 / 1950)، والأستاذ محمد بن عبد الوهاب ابن عبد الرازق موقت مراكش حاليا.

لقد كان لكتاب المجسطي (Megale Syntaxis Mathematique)، الذي ألفه كلوديوس بطلميوس منتصف

القرن الثاني الميلادي، الدور الأهم في ترسيخ القول بمركزية الأرض، حيث انبهر علماء العرب الأوائل في الفلك بما وجدوه فيه من استدلالات وبراهين هندسية، فبوؤوه منزلة تكاد تضاهي تلك التي تبوأها عند أهل الرياضيات كتاب إقليدس في الأصول، لذلك انصرف الجيل الأول من أولئك الفلكيين إلى إصلاح هفوات المجسطي وسد ثغراته. لكن، وابتداء من القرن الخامس (11 م)، ظهرت مؤلفات تعرضت للنموذج البطلمي بانتقادات طالت جوهره وشككت في أسسه، فانطلق بعض العلماء إلى البحث في إيجاد هيئات بديلة، أهمها في الشرق ما اقترح بمدرسة مراغة ومن ساروا على نهجها، أما علماء المغرب الأندلسيون فقد نحوا - متأثرين بفلسفة أرسطو - باتجاه رفض الأفلاك الخارجة المركز وأفلاك التدوير. ومن هؤلاء أبو بكر محمد بن عبد الملك ابن طفيل (ت. 582 / 1185)، طبيب ووزير أبي يعقوب يوسف الموحدي، وأبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد ابن رشد (ت. 594 / 1198) الذي له *اختصار للمجسطي* و*رسالة في حركات الأفلاك* ومقالة في جوهر الفلك. ويعد أبو إسحاق نور الدين البطروجي (ت. 600 / 1204)، وهو تلميذ ابن طفيل، صاحب أبرز محاولة في هذا المنحى، لكن نموذجه لم يكن موفقا لما بدا من الخلل بين نتائجه وما أظهره الرصد.

وعلى ما يبدو، فإن إخفاق محاولات المدرسة المغربية في الهيئة لم يكن السبب الوحيد في عدم استمراريتها، بل كانت وراء ذلك أيضا - في رأينا - أسباب أخرى، منها بعض توجهات هذه المدرسة التي أوصلتها إلى الباب المسدود، كالإفراط في التمسك بالمرجعية الأرسطية، وعدم التركيز بما يلزم من الجدية على التراكمات الرصدية والحسابية المتوفرة آنذاك؛ ومنها أيضا ما شهدته الأوضاع العامة في المغرب من تحولات عقب هزيمة الموحدين بالأندلس في معركة العقاب (15 صفر 609 / 16 يوليوز 1212).

وكتقويم عام، نرى بأن إخفاق تلك المحاولات لا يقلل من أهميتها العلمية والإبستملوجية، فهي على الأقل قد أرجعت إلى الواجهة ضرورة الأخذ بالمقولة التي ترى بأن أمر الهيئة لا يمكن أن يستقيم بالاقتصار فقط على المركبة التعاليمية، وأن الاعتبارات الطبيعية والكيفية تبقى مسألة جوهرية في أي بناء كوسمولوجي يراد له القبول.

بعد محاولة البطروجي، لوحظ تراجع بين لدى علماء المغرب في الاهتمام بمسائل الهيئة وقضاياها، واكتفي في هذا الباب بتداول مؤلفات مشرقية تكاد تخلو من أي جديد أو إبداع، من تلك المؤلفات نذكر "*الملخص في الهيئة*" لأبي علي محمود بن محمد بن عمر الجغميني الخوارزمي (ت. 618 / 1221)، وشرحه لصلاح الدين موسى بن محمد بن محمود الملقب بقاضي زاده الرومي (كان حيا 835 / 1432). هذا إلى جانب مؤلفات مغربية قليلة لم تتجاوز إطار الشرح أو التعليم، كشرح *كتاب المجسطي* لأبي عبد الله محمد بن هلال السبتي (وهو معاصر لأبي العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي المعروف بابن البنا المراكشي (ت. 721 / 1321))، و"*المدخل إلى علم الهيئة*" لأبي زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي الفهري (ت. 1096 / 1685).

2 - علم الأزياج

كتب الأزياج مؤلفات تتضمن - أساسا - مجموعة من الجداول الفلكية التي منها تحسب حركات الأجرام السماوية ومواقعها وما يلحقها من ظواهر، كاستقامة المتحيرة ووقوفها ورجوعها والاقترانات والكسوفات والخسوفات. وإذا كانت الجداول تشغل الحيز الأهم من كتب الأزياج، فإن هذه الأخيرة تخصص في مستهلها أبوابا لبيان طرق العمل بتلك الجداول.

يبدو أن المشتغلين بعلم الفلك في المغرب قد استعملوا أزياجا متنوعة؛ بعضها من المشرق مثل زيج محمد بن علي بن إبراهيم ابن زريق الخيري الجبرتي (ت. 803 / 1400) الموسوم *بالروض العاطر في مختصر زيج ابن الشاطر*، وزيج السلطان ألغ بيك السمرقندي (ت. 853 / 1449) أو مختصراته؛ وبعضها من الأندلس مثل زيج محمد بن إبراهيم بن الرقام الأوسي المرسي (ت. 715 / 1315)؛ وأخرى من باقي أقطار المغرب العربي *كالزيج الكافي* لأحمد بن علي التميمي المعروف بابن إسحاق التونسي (القرن 7 / 13)، و*تسهيل المطالب في تعديل الكواكب*، وهو زيج صغير لأحمد بن حسين بن الخطيب الملقب بابن قنفذ القسنطيني (ت. 810 / 1407).

ويعتبر ابن البنا العالم المغربي الرائد في علم الأزياج، حيث ألف في ذلك "*منهاج الطالب في تعديل الكواكب*" و"الزمام" الذي عرف كذلك بالمستطيل، و"*اليسارة في تعديل السيارة*" وهو زيج جد مختصر يشتمل على "12 بابا قصيرا و14 جدولا"، والواضح من عنوان هذا السفر ومضمونه أنه موجه للمبتدئين في علم التعديل، لذلك انتهج فيه المؤلف طريق التقريب لتيسير العمل به.

وضع ابن البنا منهاجه على مذهب ابن إسحاق التونسي الذي يندرج ضمن تقليد فلكي ساد في الأندلس والمغرب العربي بين القرنين 5 / 11 و8 / 14، وهو التقليد الذي ظهر مع العالم الأندلسي الكبير أبي إسحاق إبراهيم بن يحي النقاش المعروف بابن الزرقالة (ت. حوالي 494 / 1100)، وترتبط شهرة هذا العالم بابتداعه "الصفيحة الزرقالية"، واكتشافه حركة أوج الشمس الذاتية وتغيرات ما بين المركزين (مركز العالم ومركز فلك الشمس الخارج)؛ غير أن قوله بحركة إدبار الفلك بعد إقباله شكل نقطة الضعف العظمى في نظريته لهيئة الشمس.

كان طبيعيا - إذن - أن ينعكس ذلك على زيج ابن البنا، فظهر فيه الخلل بعد مرور أقل من قرن على تأليفه، وفي هذا الشأن يقول أبو الحسن علي بن موسى بن عبد الله المعروف بابن هيدور التادلي (ت. 816 / 1413): "والمعتبر في التعديل زيج ابن البنا المعمول على رصد ابن إسحاق التونسي، وإن كان في زماننا هذا قد ظهر في بعض تعاديله

خلل، وإنما الحق في التعديل، أن يعدل بالرصد القريب للوقت المطلوب منه التعديل، ولا يعتبر غير ذلك ؛ والواضح من كلام ابن هيدور أن ما ظهر في المنهاج لم ينل من ثقته بتقليد ابن الزرقالة، فلم يفطن لذلك إلى السبب الحقيقي للخلل، ورده فقط إلى ما يلحق الأزياج من قصور بعد تطاول الأزمان عليها.

ونشير في ختام هذه الفقرة إلى أن آخر ما ألف في الأزياج بالمغرب "*تقريب البعيد من الجامع المفيد على أصول الراصد الجديد*" الذي وضعه الشيخ محمد العلمي سنة 1348 / 1929 انطلاقا من مؤلفات مصرية بنيت على أعمال الفلكي الفرنسي Joseph-Jérome de Lalande (ت. 1222 / 1807)، ويقتصر تقريب البعيد على دراسة حركة النيرين (الشمس والقمر) وما يعرض لهما من كسوف أو خسوف، إضافة إلى مباحثه في رؤية الأهلة. ولايزال هذا الزيج معتمدا لدى أغلب الموقتين بالمغرب.

3 ـ وضع الآلات الفلكية والعمل بها

اهتم العلماء في مشرق العالم الإسلامي ومغربه بوضع آلات الرصد والتقويم واستعمالها، وصنفوا في ذلك العديد من المؤلفات، لكن يبقى أبو علي الحسن بن علي بن عمر المراكشي (كان حيا 686 / 1287) صاحب "أعظم ما صنف في هذا الفن" حسب تعبير حاجي خليفة، فكتابه "*جامع المبادئ والغايات*" كتاب جامع بكل المقاييس في مجال الآلات الفلكية، وفي شأنه يقول David A. King بأنه يحمل عنوانه بكل جدارة، وأنه "كتب لهذا المؤلف أن يحدد مسار علم الميقات لقرون عديدة"، مشيرا إلى أنه "وحتى الآن، لم يحصل من المؤرخين على الاهتمام الذي يستحقه"، بالرغم من كونه "المصدر الأهم فيما يتعلق بالآلات الإسلامية". هذا مع العلم بأن الفرنسي Jean-Jacques Sédillot قد قام بترجمة الجزء الأول من عمل الحسن المراكشي سنة 1834 ـ 1835، وأن ابنه Luis-Amélie Sédillot أصدر موجزا مشوشا ـ حسب تعبير كنج ـ للجزء الثاني.

توحي الأمثلة التي تفحصناها في جامع المبادئ والغايات بأن تأليفه قد يكون بدأ سنة 680 / 1281 ، وأنه استمر إلى ما بعد 686 / 1287 ، ولعل وجود الحسن المراكشي بالقاهرة آنذاك كان وراء استعماله التقويم القبطي (إلى جانب التقويم الهجري وتقويم الإسكندر)، لكن مادة الكتاب الفلكية تؤكد انتماء المؤلف وتبرز تمسكه بتقليد ابن الزرقالة الذي تحدثنا عنه.

يشتمل جامع المبادئ والغايات على حوالي 214 شكلا توضيحيا، وقد قسمه المراكشي إلى أربعة فنون، أولها "في الحسابيات" وهو 87 فصلا، خصصت للمعارف الرياضية والفلكية الأساسية في صنع آلات الرصد والتقويم واستعمالها، وثانيها "في وضع الآلات" وهو سبعة أقسام، وثالثها "في العمل بالآلات" وهو 14 بابا، ورابعها "في المطارحات" وهو أربعة أبواب، قدم فيها المؤلف 101 مسألة لتدريب وتقويم القارئ.

كان تأثير كتاب الحسن المراكشي كبيرا في الشرق الإسلامي، وبشكل خاص في مصر وسوريا وتركيا، ويبدو ـ للأسف الشديد ـ أن تداول هذا الكتاب بالمغرب كان منعدما أو يكاد، وذلك ما يعززه قول الشيخ محمد العلمي في حاشيته : "ولم أقف على نسخة منه تامة بالمغرب بالعربية بعد البحث الشديد".

إلى جانب الحسن المراكشي، صنف كثير من العلماء المغاربة كتبا ورسائل في الآلات الفلكية عني معظمها بجانب الاستعمال، فيما اهتم الباقي بوصفها أو بيان كيفية صنعها. من أشهر المؤلفين في مجال الآلات الفلكية نذكر ابن البنا (*رسالة في الأسطرلاب*، *رسالة في العمل بالصفيحة الزرقالية*، *رسالة في العمل بالصفيحة الشكازية*، *رسالة في العمل بالشبيهة التي ترسم على الأسطرلاب*...) ؛ وعبد الرحمن الفاسي (*الانتخاب في وضع الأسطرلاب*، *كشف الحجاب في علم الأسطرلاب*، *كفاية المطلوب في ربع المجيوب*، *عقد الجوهر في الربع المقنطر*، *الغرة في بيت الإبرة*...). ومن المصنفات المتأخرة في هذا الباب "*إرشاد الخل لتحقيق السعة بربع الشعاع والظل*"، وقد ألفه مبتكر آلة ربع الشعاع والظل عبد السلام بن محمد بن أحمد الحسني العلمي (ت. 1323 / 1905)، إضافة إلى أعمال الشيخ محمد العلمي في العمل بالربع المجيب، وتخطيط الربع المقنطر، وصناعة المزاول...

4 ـ رؤية الأهلة

تعلن بداية الشهر العربي عند أول رؤية للهلال ـ عشية ـ بعد خروجه من شعاع الشمس ؛ لذلك اعتبر الغروب مبدأ اليوم العربي، أي أن ليلته تسبق نهاره.

ويعتبر التنبؤ بإمكانية رؤية الهلال أو عدمها من أصعب مسائل علم الفلك، ويلجأ فيها إلى كتب الأزياج وصيغ علم الفلك الكروي لحساب ما يعرف بضوابط رؤية الهلال بعد غروب الشمس الذي يعقب اجتماع النيرين ؛ من هذه الضوابط ارتفاع الهلال عند مغيب الشمس ومكثه وقوس النور وقوس الرؤية...

تتناول مسألة رؤية الأهلة عادة في باب خاص بكتب الأزياج، لذلك لا يوجد إلا عدد جد محدود من المؤلفات المغربية المستقلة في الموضوع. من هذه المؤلفات "*تلخيص الأعمال في رؤية الهلال*" للحسن المراكشي، و"*النهاج في رؤية الأهلة*" لابن البنا، و"*العذب الزلال في مباحث رؤية الهلال*" لابن عبد الرازق، وهو مؤلف في جزئين تغلب عليه القضايا والنقاشات الفقهية.

5 ـ تعيين سمت القبلة

تبرز أهمية سمت القبلة أساسا عند تشييد المساجد، ويتطلب حساب ذلك بدقة معرفة طول البلد وعرضه (أي ما نسميه اليوم بالإحداثيات الجغرافية)، واستعمال صيغ علم المثلثات الكروية المناسبة. ففي "*اقتطاف الأنوار من روضة الأزهار*" مثلا، يقدم المؤلف طريقة عامة يوضح تحليلها بأنها ترتكز على أربع استعمالات متوالية للصيغة التي عرفت بالشكل المغني.

لقد سهلت كتب الأزياج أمر القبلة بتخصيص معظمها جداول بأطوال أهم البلدان وعروضها وسمت قبلتها، كما تذكر كثير من مؤلفات التوقيت جهة القبلة لأهم مدن العالم الإسلامي بكيفية سهلة وتقريبية، وندرج كمثال لذلك ما جاء في "*اليواقيت في المبتغى من صنعة المواقيت*"، وهو رجز من 428 بيتا نظمه سنة 1058 / 1648 أبو القاسم علي بن محمد الدادسي (ت. 1094 / 1683) :

قبلة مغرب بلا امتـــــــراء ... ما بين برج الحوت والعـــذراء
إن فيهما حلت بدون خلـــــل ... فمطلع الشمس إذن فاستقبـــل
عصر إلى غروب شمس فاستبن ... أو في المصيف استقبلن ذلك من

ويتناول نفس الرجز كذلك في أبيات لاحقة قبلة المدينة المنورة ومنى والمزدلفة وعرفة والطائف والشام.

إن ما أوردناه في شأن القبلة يعطي فكرة عامة حول الجانب الفلكي ـ الرياضي للمسألة، ونرى أن جانبها الفقهي يخرج عن إطار هذا العمل.

6 ـ علم التوقيت

لا يقتصر علم التوقيت على حساب أوقات الصلاة، بل يبحث كذلك في تحديد أجزاء الليل والنهار، وقد حظي هذا العلم في المغرب بمكانة متميزة، ونال أهله أسمى مراتب التقدير وأعلى درجات الشرف.

استعمل علماء المغرب ـ كما في باقي أقطار العالم الإسلامي ـ نوعين من الساعات :

ـ الساعات المعتدلة : تقيس الواحدة منها 24 / 1 من اليوم ؛

ـ الساعات الزمانية : هي نوعان، نهارية وليلية، فالساعة الزمانية النهارية هي 12 / 1 من مدة النهار (أي من طلوع الشمس إلى غروبها)، والليلية هي كذلك 12 / 1 من مدة الليل. إذن، فالساعات الزمانية تختلف حسب فصول السنة باختلاف الليل والنهار.

لتحديد الأوقات، يتم اللجوء إلى علم الأزياج إذا تطلب الأمر الدقة (كما في حساب أوقات الكسوف والخسوف مثلا)، أو إلى الآلات الفلكية كالأسطرلابات والأرباع (المجيبة أو المقنطرة) والمزاول، أو إلى مختلف الطرق التي تقدمها كتب التوقيت، والتي تتفاوت مستوياتها من حيث دقتها ومن حيث المادة الفلكية والوسائل الرياضية المستعملة فيها. لذلك نرى أن نميز في علم التوقيت بين تقليدين، يندرج أحدهما ضمن ما يسمى "علم الفلك الرياضي"، فيما يندرج الآخر ضمن "علم الفلك الشعبي".

1.6. علم التوقيت "الرياضي"

يقدم هذا التقليد في حساب الأوقات صيغا رياضية متنوعة، بعضها دقيق (Formules exactes) مثل الصيغة التي قدمها ابن البنا في منهاجه :

$$S(H) = S\left(\frac{J}{2}\right) - S\left(\frac{J}{2}\right)\frac{\mathrm{Sinh}}{\mathrm{Sin}\Gamma}$$

(حيث $x \to \mathrm{Sin}x$ هي "دالة" الجيب الستيني، و $S : x \to$ Sinx - 60 "دالة" السهم، و J قوس النهار، و h ارتفاع الشمس و Γ غايته) والبعض تقريبي مثل الصيغة :

$$\mathrm{Sin}\,(15\theta) = \frac{\mathrm{Sinh}}{\mathrm{Sin}\Gamma}$$

(θ الساعات الزمانية الماضية من شروق الشمس أو المتبقية لغروبها) وقد قدمها الجادري في "*روضة الأزهار في علم وقت الليل والنهار*" وكذلك في "*اقتطاف الأنوار...*"، هذا بالإضافة إلى الصيغة التقريبية التي توجد في كثير من مؤلفات التوقيت، مختلف شكلها حسب وحدة القياس المستعملة فيها، ويمكننا كتابتها في شكلها العام :

$$\theta = \frac{6u}{u + s - g}$$

(حيث s هو طول الظل المحسوب له الوقت، و g طول ظل الغاية و u عدد يرتبط بوحدة قياس الأطوال، فيكون u = 12 بالأصابع و u = 7 (أو u = 6) بالأقدام)...

إن صرف الساعات المعتدلة إلى الزمانية (أو العكس) يقتضي حساب الفضل f بين قوسي "النهار والليل، وإذا كانت الصيغة الدقيقة لذلك هي :

$$\mathrm{Sin}\frac{f}{2} = \frac{\mathrm{Tan}\varphi\,\mathrm{Tan}\delta}{60}$$

(حيث $x \to \mathrm{Tan}x$ هي "دالة" الظل الستيني و φ عرض البلد و δ ميل الشمس) فإن ما يثير الانتباه فعلا هو الصيغ التقريبية التي أعدت لهذا الغرض. من هذه الصيغ نذكر :

$$f = \frac{11\,b\,(90 - \varphi)\,\delta}{60}$$

(حيث b هي "دالة" الظل المبسوط الإثني عشري) ومن بين من أورد هذه الصيغة ابن البنا في تقييده والجادري في

الروضة والاقتطاف : والصيغة :

$$f = \frac{\varphi\delta}{24}$$

التي توجد في عملي الجادري المذكورين وفي يواقيت الدادسي : والصيغة :

$$f = \delta + \frac{\delta}{2} - 1$$

وهي صالحة لعرض فاس، وقد عبر عن ذلك الجاديري في الروضة بقوله :

أو تأخذ الميل ونصف الميـــل وحُط منه واحدا بالعـــدل
لكنه اختص لعرض فـــاس وما يكون مثله للنـــاس

تثيرهذه الصيغ كثيرا من التساؤلات حول مصادرها وحول الطرق التي أوصلت إليها، وهي تنم في جميع الأحوال عن عبقرية أصحابها. وبالمناسبة، نذكر بأن رجز "الروضة" الذي يعد من أهم ما اعتمد في التوقيت بالمغرب، قد نظمه الجادري وسنه لا يتجاوز الثماني عشرة سنة، وإلى ذلك أشار بقوله :

وإن أكن أخطئ أو أقصر فابن ثمان عشرة قد يعذر

2.6. علم التوقيت "الشعبي"

لفظ "الشعبي" هنا كناية على شيوعه بين العامة لبساطته وسهولة مأخذه، وقطب هذا التقليد هو محمد بن علي البطيوي الملقب بأبي مقرع، وهو عالم لا يعرف عنه شيء سوى رجزه الذي نظمه على ما يبدو سنة 719 / 1319، فاشتهر بين الناس إلى درجة سمي معها هذا التقليد بعلم أبي مقرع، وفيه نظمت أراجيز عديدة صنف على أهمها بعض الشروح. ومن بين أشهر الأراجيز في هذا الباب نشير إلى رجزي الدادسي "*بداية الطلاب في علم وقت اليوم بالحساب*" (وهو من 239 بيتا) و"*اليواقيت...*"، وكذلك إلى رجز أبي عبد الله محمد بن سعيد المرغتي (ت. 1089 / 1976) الذي سماه "*المقنع في علم أبي مقرع*" (وهو من 99 بيتا، نظمه عام 1040 / 1631).

يتناول المضمون العام لهذه الأعمال تحديد مداخل الشهور العربية والعجمية، وتاريخ دخول الشمس إلى كل منزلة من منازل القمر الثماني والعشرين، وذكر أهم "أيام" السنة كأيام الحُسوم والنبسان والعَنْصَرة...، وتحديد أطوال ظلال الظهر والعصر والساعات النهارية (بالأقدام أو وحدات أخرى كالأشبار والأصابع)، وتحديد المنازل الطالعة (أو المتوسطة أو الغاربة) لوقتي العشاء والفجر وباقي أجزاء الليل.

ولتكون فكرة حول طرق هذا التقليد، نورد مثالا على نهج المقنع لتقدير وقت الظهر والعصر يقول المرغتي :

قد وُضعَت للظهر والعصر حروف طَزَهْ جَبا أبْدَهْ حيٌّ للصفوفْ

وتشير الحروف الإثنتا عشر "طزه جبا أبده حي" إلى أطوال ظل الظهر لمداخل شهور التقويم اليوليوسي يناير، فبراير، مارس الخ. فيكون ظل الظهر في مدخل أكتوبر مثلا هو الهاء أي 5 أقدام، وللحصول على ظل العصر تُضاف 7 إلى أقدام الظهر، فيجتمع من ذلك 12 قدما.

7 . علم الأنواء

يعتبر علم الأنواء من أقدم العلوم الفلكية (إن لم يكن أقدمها)، وقد اختُلف في معنى النوء، فقيل إنه سقوط النجم بالغداة، كما قيل إنه طلوع نظيره عند الغروب.

ارتبطت أنواء المنازل القمرية عند العرب قبل الإسلام بما يشبه اليوم علم الطقس أو المناخ، حيث نسبوا إليها نزول الأمطار وهبوب الرياح واشتداد القيظ أو القر.

تتناول مؤلفات الأنواء المغربية فصول السنة وتواريخها والمهمات من الأيام فيها. ولمّا كان ذلك يتزامن مع تقلبات جوية معيَّنة، فإن جلّ كتب الأنواء تخوض في مواقيت الفلاحة من حرث وغرس وجني للمحاصيل، وقد يطال اهتمامها أحيانا بعض أمور الحياة اليومية.

من المُرَجَّح في تقديرنا أن يكون علم الأنواء الأصل الذي تفرع عنه علم التوقيت الشعبي، ومما يوحي بذلك، تشابه مادتهما الفلكية ومنهجهما الذي يعتمد الملاحظة وما تثبته التجربة، وتفاديهما الأدوات الرياضية التي يعسر على العامة التعامل معها. وما يعزز قولنا أيضا اعتماد علم التوقيت الشعبي على كثير من معارف الأنواء، وفي ذلك نسوق مثال الدادسي الذي يقول في بداية الطلاب :

أيامها سبع بلا بهتـــانِ إبريل كزْ منه للنيســـانِ
وللّيال يَب من دجنبـــرٍ عَنْصَره في كدّ يُنبه حَمِر
والحرث يَز أكتُبْرَ مـلازمْ كذا يُليُر ترى السمائـــمْ

من بين ما ألف بالمغرب في علم الأنواء نذكر "*كتاب الأنواء*" لابن البنا، ورجزا في المنازل لمحمد بن عبد الله الأزموري (ت. 981 / 1573)، وقصيدة من فن الملحون من نظم الشيخ عبد العزيز المغراوي (سنة 1020 / 1611) اعتمد فيه أنواء ابن البنا ؛ هذا إلى جانب أعمال كثيرة بعضها لا يعرف مؤلفوها.

خلاصة واستنتاجات عامة

غطت المؤلفات الفلكية المغربية ـ على ما يظهر ـ مختلف فروع ومباحث علم الفلك، وتوحي ندرة تلك المؤلفات في الفروع النظرية، خاصة في الهيئة والأزياج، باستئثار الفروع العملية بقدر أعلى من الاهتمام، ربما لأن هذه الأخيرة تجد لها تطبيقات مباشرة في الحياة اليومية والأمور الدينية.

ولاشك أن للمعطيات السياسية والاقتصادية والاجتماعية دوراً أساسياً في تشكيل المشهد الفكري، وتشجيع البحث العلمي، وضمان قدر من التفاعل بين العلماء واستفزاز النقاشات والسِّجالات بينهم، والظاهر أن سمات التراجع في مضامين الأعمال الفلكية المغربية قد غدت واضحة منذ نهاية القرن (7 / 13)، وهو ما أكده انصراف العلماء إلى الأمور العملية والتطبيقية، واقتصارهم في التأليف على مصنفات الشرح والتعليم. وفي الوقت الذي بدأ "السُّبات" يتسرب إلى البحث والإبداع في علم الفلك العربي

وباقي العلوم، لوحظ تزايد في الاهتمام بترجمة ودراسة المؤلفات العربية في أوربا. هكذا هي شمس الحضارة، لا تكاد تغرب عند قوم حتى يلوح فجرها في أفق غيرهم، وتلك الأيام نداولها بين الناس.

عبد اللطيف الحوتة

الفلاّح، عبد الكريم بن عمر الحاحي المراكشي. كان يعيش في حاحا. وقد وصلتنا بعض أخباره وهو صبي صغير عندما بعثه والده لزيارة الجزولي الذي كان يعيش في المنطقة. فأجلسه الشيخ في حجره وجعل يمسح بيده على رأسه. وكانت له قصة من شعر، فأخذ الشيخ المقص وجزها. فلما رجع إلى البيت أخبر والديه بذلك. وصار كلما سئل ردد قوله "إكس أگرام تگرطنو" بالبربرية (أي أزال الفقير قصتي).

وفي المحافظة على هذه القصة وروايتها إشارة إلى :

- اتباع والده للطريقة الجزولية.

- ما لقيه الفلاح منذ صغره من عناية ورعاية لدى كبار صوفية عصره، خاصة وأن له قصة أخرى مع شيخه التباع تبين ما حدث في أول لقاء بينهما. فقد غادر بلاده حاحا بعد مقتل والده في فتنة عمرو المغيطي بينهم وبين الشياظمة. ودخل المدينة حوالي سنة 880 / 1475. وسأل عن الشيخ التباع بصفته وارث الطريقة الجزولية بالمدينة وممثلها. وظل ينتظر بباب أغمات إلى أن أذن له بالدخول على الشيخ في زاويته رابطة الصالحين بحي النجارين. وكانت عبارته فيه (نرفد عبد الكريم من العسل، ونغمسه في السمن) سببا - في اعتقاد المترجمين - فيما لقيه من قبول واعتبار لدى الناس ولازم زاويته يتعلم ويتلو الأذكار والأوراد.

ويبدو أن الفلاح قد استقل بسكناه، وبدأ في تأسيس نواة زاويته خلال حياة شيخه التباع، إذ كان يستأذنه في استدعاء الفقراء إلى بيته عن غيابهم.

واستمر في أداء هذه المهمة خلال حياة شيخه، ذلك أن ما جرى على لسانه في مناظرة خلافة التباع (وأنا مائدتكم، من أحب الطعام فليأتني). يعني أنه كان يقوم به منذ زمن، والإطعام دليل على وجود المريدين والفقراء والوافدين على الزاوية.

وإذا كانت المصادر لا تشير إلى موقع هذه الزاوية فالراجح أنها كانت داخل باب إيلان. فقد جرت العادة أن يدفن الشيوخ في زواياهم - في الغالب - والفلاح قد دفن في هذا الحي.

ويبدو أنه فاق شيخه في أسلوب الإطعام ونوعيته، ففي الممتع أنه "كانت له مائدة مديدة في إطعام الطعام للوارد والصادر، مع جودته، وكثرة الفواكه، وأصناف اللحوم وأنواع الطبخ، شيء يعجز عنه الوصف. وكذلك كان أصحابه من بعده".

والإشارة هنا إلى تلميذه أبي عمرو القسطلي الذي سار على نهجه في الإطعام.

وأدرك الفلاح مكانة جعلت السلطان أبا العباس أحمد بن محمد وأخاه عبد الله محمد الشيخ يترددان على زاويته للزيارة والتبرك.

وإضافة إلى الإطعام والتعليم وتربية المريدين كان الفلاح مهتما بإحياء الأرض وشق السواقي وغرس الأشجار فقد قال الحلفاوي في ترجمته لأبي عمرو - تلميذ الفلاح - (من كلامه ما شهدنا صدقه بعد ستين سنة كقوله سأغرس في موضع كل سدرة شجرة. ولا يزال مراكش يعمر حتى يباع معطن البقرة بقيمة البقرة). وهو اهتمام شارك فيه تلميذ آخر للتباع هو الغزواني. وكانت وفاة الفلاح يوم الثاني من ربيع الأول سنة 933 / 1556 ودفن داخل باب إيلان بالقرب من قبر القاضي عياض.

وامتد نفوذ زاوية الفلاح عن طريق المشاهير من مريديه، وهم :

- أبو عمرو القسطلي المراكشي المتوفى بمراكش سنة 974/ 1566 ؛

- أبو محمد عبد الله الكوش هو والد زهراء بنت الكوش أشهر متصوفات مراكش في القرنين العاشر والحادي عشر المتوفي سنة 961 / 1553.

- أبو عبد الله محمد بن ويسعدن السكتاني المتوفى سنة 985 / 1577.

أ. الناصري، *الاستقصا*، ط. دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954 ؛ ع. المراكشي، *إظهار الكمال في تتميم مناقب أولياء مراكش سبعة رجال*، مخطوط الخزانة الحسنية، رقم 232 ؛ *الإعلام بمن حل مراكش واغمات من الاعلام*، المطبعة الملكية، 1974 - 1983 ؛ م. الفاسي، *تحفة أهل الصديقية بأسانيد الطائفة الجزولية الزروقية*، مخطوط الخزانة العامة بالرباط ؛ *متع الأسماع*، ط. حجرية بفاس، 1313، تح. عبد الحي العمروي وعبد الكريم مراد، 1994 ؛ محمد بن عسكر، *دوحة الناشر*، تح. م. حجي، ط. دار المغرب، الرباط، 1976 ؛ الحلفاوي أبو محمد قاسم بن أحمد، *شمس المعرفة في سيرة غوث التصوفة*، مخطوط خزانة ابن يوسف، 171.

حسن الجلاب

الفلاّق، محمد بن محمد السفياني، قيل إنه سجلماسي الأصل. والفلاق لقب له، وليس من الفلالقة بالغرب الذين هم فرقة من سفيان. وقيل إنه من معيطن من سفيان، ويعرف بالصوبيي.

كان قاضيا مشهورا. قرأ بقبيلة الغرب على العلامة النوازلي أحمد بن إدريس بن الزيزون الشهير.

وكان له تعلق بصنعة الإكسير. وكتاب الجواهر لابن شاس لا يفارقه. استقضي بفاس الجديد نحو عامين، ثم استدعاه السلطان المولى الحسن لمراكش واستقضاه بها. وكان يسكن بدرب عزوز بالمواسين. كانت فيه غلظة في الأحكام نشأت عن اتصاله بالمخزن.

كان يلقي دروسه في المحافل والمساجد سواء في ناحية سوق أربعاء الغرب حيث كانت قبيلته أو في مدينته فاس حينما كان قاضيا بها.

ألف كتابا في الدعوة إلى إعداد جيش منظم لازال مخطوطا بخزانة القرويين بفاس، عدد 1997، تحت عنوان : *تاج الملك المبتكر ومواده من خراج وعسكر*.

توفي يوم 26 ربيع الثاني من سنة 1310 / 92 - 1893، ودفن بضريح أبي شامة بوادي السبع قرب معيطن من سفيان.

العباس بن إبراهيم، *الإعلام* : محمد بن محمد الفلاق السفياني، *تاج الملك المبتكر ومواده من خراج وعسكر*، 1984 ؛ ع. أفا، الاستشارات السلطانية في مجال الإصلاحات بالمغرب في القرن 19 م. ع 16، ص. 43 - 69، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 1991.

E. Michaux-Bellaire, Le Gharb, *Arcjives Marocaines.*, *v. 20, p. 271 - 272.*

المصطفى البوعناني

الفلّوس، أحمد ابن **أحمد** كان قاضياً على مدينة طنجة في عهد المولى سليمان. وعندما بايع أهل فاس ابن أخيه المولى إبراهيم بن اليزيد مكانه في 1820، بعد خلع جيش العبيد والأودايا له إثر هزيمته في وقعة ظيان 1819، انحاز إلى جانبه ضد سلطان البلاد هوّن عليه دخول طنجة، لكن عاملها آنذاك العربي السعيدي منعه من ذلك وطرده منها. وفي هذا الصدد يذكر محمد أكنسوس، وهو معاصر للمترجم، أن المولى إبراهيم عندما بويع بفاس في 24 محرم 1236 / نوفمبر 1820 اشترط عليه أهلها إخراج الأودايا من المدينة، ولما فشل في ذلك توجه به البربر إلى المدن الساحلية. وفي أثناء الطريق "كتبوا لأهل العرائش فأجابوهم بالمنع والرد وكذلك أهل طنجة إلا قاضيها السيد أحمد الفلوس أجابهم بالقبول سراً واستدعاهم وهون عليهم دخولها إذا قدموا إليها فلما تحقق عاملها العربي السعيدي وأعيانها فعل القاضي أخرجوه وطردوه وولوا موضعه السيد خالد [الطنجي] فلم يقبلهم إلا أهل تطوان فذهبوا إليها وأخذوا ما في خزائن السلطان من مال المرسى والسلاح والملف والكتان...".

وعلى الرغم من وفاة المولى إبراهيم، فقد ظل المترجم منحازاً إلى جانب المطالبين بالحكم من أبناء اليزيد. لذلك عندما بايع أهل تطوان ابنه المولى السعيد مكان أخيه المتوفى انضم إليه. وكان الذي انضم إلى هذه البيعة، التي تمت في 12 جمادى الثانية 1236 / 17 مارس 1821، من ثغر طنجة كما جاء في نصها : "السيد محمد ابن الحاج بوعزة أحرار والفقيه سيدي أحمد ابن أحمد الفلوس [المترجم] وقائدها الشاب السيد محمد بن عبد المالك والقائد محمد بن عمر الشرقي والقائد محمد بن عبد السلام وجم غفير ..." (*تاريخ تطوان*، مجلد 3 : 262).

ولما علم أشياع المولى السعيد بقرب وصول السلطان إلى تطوان قادما إليها من مراكش خرجوا به نحو فاس فأخبر عامل طنجة العربي السعيدي المولى سليمان بذلك، فرجع هذا الأخير "يؤم فاسا ويسابق السعيد إليها فوافياها في يوم واحد". ولا نعرف ما إذا كان يوجد المترجم ضمن هؤلاء، لأن أخباره اختفت من المصادر منذ هذا التاريخ.

أ. الناصري، *الاستقصا*، 8 ؛ م. أكنسوس، *الجيش العرمرم*، ج 1، ط. فاس ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، مجلد 3 ؛ *معلمة المغرب*، ج 15.

ميلود أحمنّ

الفلّوس، أحمد بن علال، قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلته بجبل حبيب. انظم إلى حركة المقاومة المسلحة التي تزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني وقد شارك في مؤتمرات الثورة المنعقدة بضريح سيدي يسف التليدي يوم 7 ماي 1913 ؛ عين الدالية يوم 11 من نفس الشهر ؛ ضريح مولاي عبد السلام بن مشيش يوم 20 يوليوز 1913، حيث انتخب عضوا في القيادة المركزية للثورة ؛ قرية الزوة يوم 11 يناير 1915. وقد شارك في 29 معركة.

م. ابن عزوز حكيم، الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

الفلّوس، عبد الكريم ولد يوم 25 دجنبر 1926 بمدينة الرباط وتلقى تعليمه على علمائها وشيوخها، كما تربى في أحضان الحركة الوطنية منذ تأسيسها، بدأ حياته المهنية كمدرس ومسير لإحدى مدارس التعليم الوطني الحر بالرباط، انتقل بعد ذلك للتدريس بمدرسة إعداد المعلمين التي كان مقرها بالثانوية اليوسفية، وفي سنة 1944 تم توقيفه عن العمل بسبب نشاطه الوطني رفقة رجالات الحركة الوطنية المغربية، وفي مقدمته الإشراف على تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال يوم 11 يناير 1944 فكان مصيره الاعتقال والسجن، وبعد خروجه من السجن عاد إلى حقل التدريس كأستاذ بمدرسة محمد گسوس في الرباط. وخلال الحوادث التي عرفها المغرب بمناسبة تضامنه مع الشعب التونسي لاغتيال الزعيم النقابي فرحات حشاد تم نفيه إلى منطقة آيت باعمران جنوب المغرب، لمدة خمس سنوات، وبعد عودته من المنفى عهد إليه بالإشراف على لجن التنظيم والمحافظة على الأمن استعدادا لاستقبال المغفور له محمد الخامس خلال رجوعه وأسرته الشريفة إلى أرض الوطن، وبعد الاستقلال انتخب عضواً في اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال، وعهد إليه بتنظيم حركة الشباب الاستقلالي فكان من مؤسسي (الشبيبة الاستقلالية) وفروعها المتعددة، (كالشبيبة المدرسية، والطفولة الشعبية وبناة الاستقلال) التي قامت بأعمال وطنية كبرى في طليعتها المساهمة في بناء (طريق الوحدة) التي شارك فيها يومئذ صاحب السمو الملكي الأمير ولي العهد، جلالة الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه، وتبلور نشاطه في الشبيبة الاستقلالية في حضور وتأطير الكثير من مؤتمراتها.. وأسس لها جريدة (الشباب)، ولا تفوتنا الإشارة

إلى أن عبد الكريم الفلوس بحكم اهتمامه بقضايا الشباب ساهم في تأسيس العديد من منظمات الشباب وطنيا وعربيا ودوليا، وتحمل من خلالها مسؤوليات قيادية وإدارية، كما حظي بعضوية المجلس الاستشاري الذي أحدثه المغفور له محمد الخامس بعد الاستقلال والذي كان عهدئذ بمثابة برلمان.

- ثم عين بالمجلس الأعلى للإنعاش والتخطيط.
- وعضوا في البرلمان المغربي مرات عديدة.
- ورئيسا للمجلس البلدي لمدينة الرباط، وعضواً في مجلسها الإقليمي.
- وعضوا في المكتب الدائم لمنظمة المدن العربية.
- وعضوا بالمجلس الإداري لصندوق تنمية المدن العربية.
- وعضو مؤتمر ميلانو لرؤساء بلديات كبرى مدن العالم.
- ورئيسا لجمعية الفتح الرياطية.
- وقد زاول الفلوس مهنة المحاماة بالرباط، فكان من الأوائل الذين ساهموا في إثراء الفكر القانوني وفي إغناء العمل التشريعي بأبحاثه الجيدة، وشكلت مذكراته ومرافعاته مدرسة للكثير من زملائه وإخوانه، فكان بحق المحامي المحنك الذي عشق الحق وتفانى فيه فدافع عنه بثقة مطلقة أضفت على شخصيته قوة ومهابة.
- كما كان كاتبا متميزاً ذا أسلوب متين سلس جذاب، في التعبير، تشهد بذلك مقالاته المتعددة المنشورة بمختلف الجرائد الوطنية وخاصة جريدة العلم الغراء حيث كان يحرر مقالاته زمن الحماية باسم "وديع".
- أما في عهد الاستقلال فكان يكتب باسمه الصريح من خلال أعمدة دائمة منها "أشياء صغيرة" و"أنت والقانون"، عدا مواضيع مختلفة وأبحاث ودراسات تهم الشباب والمجتمع والكشفية.

وقد مارس عبد الكريم الفلوس نشاطه الكشفي منذ نعومة أظافره، حيث انخرط في صفوف الكشفية الحسنية المغربية سنة 1933 تاريخ نشأتها، وبعد أن اشتد عوده وأصبح عنصرا قياديا بدا يهتم بمجالات التكوين وإعداد الأطر وإغناء المكتبة الكشفية بالدراسات والأبحاث والأناشيد، وفي سنة 1955 نظم أول تدريب لأطر الجمعية بمنزله بتمارة حيث انطلقت الخطة الجديدة لسير الجمعية في عهد الاستقلال، وقد أنيطت به في البداية مهمة الكتابة العامة للجمعية، وبعدها تقلد مسؤولية القائد العام بها وبعد تأسيس الجامعة الوطنية للكشفية المغربية شغل منصب رئيس لها سنة 1961 ، وفي نفس السنة ترأس وفد المملكة المغربية إلى مؤتمر لشبونة العالمي، حيث تسلم وثيقة الاعتراف بالكشفية المغربية كعضو في المنتظم الكشفي العالمي، وترأس عدة بعثات إلى المؤتمرات العربية التي نظمت في مختلف الدول العربية، وفي 17 أبريل 1968 سلم في حفل كشفي كبير بطاقة التنصيب لولي العهد الأمير سيدي محمد جلالة الملك محمد السادس نصره الله كشبل أعظم للكشفية الحسنية المغربية، وترأس التجمع الكشفي العربي الخامس سنة 1962 والتجمع الكشفي العربي 13 سنة 1978 اللذين نظما بالمغرب.

- وساهم في عدة بعثات إلى المؤتمرات العالمية في كل من لشبونة وهيلسينكي وطوكيو ومونريال.
- وترأس بعد ذلك كل المهرجانات التي أقيمت لتخليد ذكرى تنصيب ولي العهد شبلا أعظم للجمعية.
- وآخر نشاط كشفي قام به هو العرض القيم الذي قدمه في دراسة السنديان الثالث الذي نظم بالمعمورة بتاريخ دجنبر 1979.
- وكان من المنتظر أن ينال الوسام الكشفي، الذئب البرونزي باقتراح من اللجنة الكشفية العربية والذي كان سيقدم له في الصيف اللاحق أثناء المؤتمر الكشفي العربي 14، لكن الموت وافاه يوم الاثنين 31 مارس 1980.

محمد المصطفى الريسوني

فلورة المغرب ، "فلورة" مصطلح علمي مأخوذ عن اللاتينية Flora الذي يعني مجموع الأنواع النباتية لمنطقة أو بلد أو قارة، كما هو الشأن بالنسبة لمصطلح "فونة" Fauna الذي يشمل مجموع الأنواع الحيوانية. ولمصطلح فلورة عدة مرادفات. ويقول البعض بالعربية "النبيت" أو "النبات". لكنه من الممكن أن يحدث الخلط بين ما يتعلق بلائحة الأنواع النباتية Flora باللاتينية ما يعني التشكيلات النباتية Végétation أو Formations végétales بالفرنسية أي أنماط الغابات وشبه الغابات والماطورالات والسهوب وشبه السهوب... وتجدر الإشارة إلى أن بعض الباحثين العرب في المشرق العربي حاولوا في العقود الأخيرة تخصيص لفظي "نبات" و"نبيت" للدلالة على الأنواع النباتية أي فلورة، ولفظ "نبت" للتداول عن التشكيلات النباتية أو النبتية أي Végétation بالفرنسية وما شابهها باللغات اللاتينية والأنجلوساكسونية.

فمعنى "فلورة المغرب" اللائحة التي تشمل جميع الأنواع النباتية الطبيعية أو شبه الطبيعية الموجودة بهذا البلد.

ففي هذا المجال يعتبر المغرب في المنطقة المتوسطية من أغنى البلدان من الناحية الفلورية وذلك بالرغم من أن الأبحاث الاستكشافية مازالت تأتي بإضافة أنواع جديدة.

وقبل إعطاء نبذة وجيزة عن فلورة المغرب ارتأينا أن نقدم لمحة عن أهم مراحل تاريخ الاستكشافات المتعلقة بالأنواع النباتية المصادفة بهذا البلد.

الاستكشافات الفلورية في المغرب

كان المغرب آخر بلد من المنطقة المتوسطية انفتح على العالم الغربي. وذلك بسبب اعتبارات تاريخية ودينية وجيومورفلوجية وغيرها. فلهذا لم يعرف الاستكشافات الفلورية بصفة شاملة إلا في القرنين التاسع عشر والعشرين.

كان ابن البيطار الطبيب المصري الشهير أول من ذكر في سنة 1229 وجود أرگان بالمغرب فسماه لوز البرابرة. ومن بعده بعدة قرون، لم يعرف المغرب أي استكشاف فلوري، باستثناء ناحيتي طنجة والصويرة النافذتين اللتين بقيتا مفتوحتين. ثم جاء في سنة 1675 بإيطاليا صدور مؤلف "تاريخ النبات Historia botanica" لزانوني Zanoni الذي أنجز لائحة الأنواع النباتية التي جمعها في منطقة طنجة التاجر المغربي ابن العم. وفي سنة 1696 ألف الطبيب الإنجليزي سبوطسوود Spotswood كتابه تحت عنوان "فيتولوجيا طينيجيتانا Phytologia tingitana " الذي أتى بذكر عدة أنواع نباتية لشبه الجزيرة الطنجية حيث أقام لعدة سنوات. وفي فترة ما بين 1795 و1801 تعرف بروسوني Broussonet أستاذ مدرسة الطب بمونبوليي على فلورة مناطق الصويرة وأسفي وسلا والعرائش وطنجة وتطوان ومكناس وفاس ومراكش. وفي نفس الفترة وبعد قيامه بجولة في المغرب ألف النباتي الدانماركي شوسبو Shousboe كتابا عن "ملاحظات من عالم النبات بالمغرب Observations sur le règne végéral au Maroc " ويعتبر هذا المرجع الصادر سنة 1801 أول محاولة لإنجاز مؤلف شامل لفلورة المغرب. وواصل هذا الباحث استكشافاته النباتية بالمغرب حتى وفاته بطنجة سنة 1832.

ومن أهم باحثي القرن التاسع عشر الآخرين الذين اشتغلوا في هذا الميدان، نذكر : سالزمان Salzmann في منطقة طنجة ما بين 1823 و1824، وويب Webb سنة 1827 في جبال تطوان، وبلانصا Balansa في الأطلس الكبير سنة 1867 ، وهوكر Hooker وبال Ball في مناطق تطوان وطنجة والصويرة ومراكش وتوبقال. لكن أشهرهم في هذه الفترة يبقى كوصون Cosson الذي استعان فيما بين 1872 و1889 ببعض المغاربة لجمع العينات النباتية من جل أنحاء المغرب، وذلك لدراستها والتعرف عليها. كما قام بتصحيح أسماء كل العينات الفلورية التي جمعت قبله.

ثم تكاثرت الاستكشافات في بداية القرن العشرين من طرف عدة باحثين، نذكر من بينهم :

جولي Joly سنة 1905 في منطقة شفشاون، وبيتار Pitard سنة 1912 الذي جال في مناطق شفشاون وأصيلة وطنجة وتطوان، وكذلك موري Mouret الذي قام في ما بين 1911 و1913 بجمع الأنواع النباتية في مناطق فاس ومكناس والأطلس المتوسط. وبعد فرض الحماية على المغرب وخلق المعهد العلمي بالرباط، بدأت مرحلة جديدة من الاستكشافات النباتية الممنهجة التي شملت جل المناطق المغربية وذلك بفضل أكبر العلماء النباتيين في المنطقة المتوسطية والأوربية. ونذكر في مقدمتهم :

- في المغرب الخاضع للحماية الإسبانية : پاو Pau وكبالييرو Caballero ، وفيدال Vidal، ولوبيش Lopez، ماوريشيو والإخوان سينين Sennen وموريسيو Mauricio، وفونت كير Font-Quer...

- في المغرب الخاضع للحماية الفرنسية : بطانديي Battandier، وترابو Trabut ، وكاتفوسي Gattefossé، وليتارديير Litardière، وبراون بلانكي Braun-Blanquet، وجهانديز Jahandiez، وموربيك Murbeck، وماير Maire، وأومبرجي Emberger، وسوفاج Sauvage، وكيزيل Quézel، وفانت Vindt. ويعتبر الخمسة الأخيرون في هذه اللائحة أكبر الباحثين في ميادين الفلورة والعشائر النباتية والبيئة المغربية والمتوسطية.

وبعد بضعة عقود من استقلال المغرب، برز عدد من الباحثين المغاربة في هذه الميادين، وذلك في المعاهد ومؤسسات التعليم العالي المختصة، فأنجزوا عدة منشورات علمية (انظر المراجع).

محتويات فلورة المغرب

نظرا لتنوعه البيئي يتميز المغرب بفلورة جد غنية مقارنة مع البلدان المتوسطية الأخرى. فعدد أنواعه النباتية الطبيعية يقدر بحوالي 7000 أو أكثر، 400 نوع أو أكثر من الطحالب، 820 نوع أو أكثر من الفطريات، 700 نوع أو أكثر من الأشنات، 350 نوع أو أكثر من الخز، 60 نوعا أو أكثر من السراخس، 4500 نوع أو أكثر من النباتات المزهرة.

تشمل الفلورة المزهرة 940 جنس و135 فصيلة. وأهم الفصائل من حيث عدد الأنواع فصيلة المركبات أو النجميات Asteraceae التي تحوي 600 نوع، وفصيلة الفلوليات Fabaceae الجامعة لأكثر من 370 نوع، وفصيلة النجيليات Poaceae الشاملة لأكثر من 350 نوع، وفصيلة الصليبيات أو اللفتيات Brassicaceae المشكلة من أكثر من 240 نوع، وفصيلة القرنيات Caryophyllaceae المكونة من أكثر من 240 نوع، وفصيلة الشفويات Lamiaceae التي تشمل أكثر من 225 نوع.

أصول فلورة المغرب

تتأصل فلورة المغرب من عدة مصادر، أهمها الأصل المتوسطي السائد والمتواجد برفقة الأصول الأوروسيبيرية، والإيرانية الطورانية، والصحراوية السندية، والمدارية، والماكارونيزية، إضافة إلى الأنواع القبسية أي الخاصة والتي يقدر عددها بحوالي 800 نوع أو أكثر.

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*. Ibis presse, Paris, et Kalila wa Dimna, Rabat, 2000 , 360 p. ; Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*. Larose, PARIS, 317 P., 1938 ; Emberger et Maire, *Histoire de nos connaissances botaniques sur le*

Maroc, Mémoire de la Société Scientifique Naturelle du Maroc, 38, Larose, Paris, 1934 ; *Catalogue des plantes du Maroc*. Minerva, Alger, Supplément aux vols. 1, 2 et 3, 4 : 915 - 1181, 1941 ; Fennane, *Présentation du monde végétal marocain*. In Grande Encyclopédie du Maroc, vol. Flore, Rabat, 1987 ; Fennane, Ibn Tattou, Mathez, Ouyahya, El Oualidi, *Flore pratique du Maroc*, vol. 1, Travaux de l'Institut Scientifique, Rabat, 1999 ; Jahandiez et Maire, *Catalogue des plantes du Maroc*, Tome 1, 2 et 3 Lechevalier, Paris, 1931 - 1934 ; Maire, *Flore de l'Afrique du Nord*, vol. 1 à 16, Lechevalier, Paris, 1952 - 1968 ; Nègre, *Petite flore des régions arides du Maroc occidental*, 2 tomes, CNRS, Paris, 1961-1962 ; Quézel, *La flore du bassin méditerranéen : origine, mise en place, endémisme*. Ecologia mediterranea, Marseille, XX (1/2) : 19 - 39, 1995 ; Sauvage, la richesse de la flore marocaine. *Bull. Ens. Pub. Maroc, 216 : 6 - 11, 1952* ; Sauvage, *Flore des suberaies marocaines*, Trav. Inst.. Sci., Rabat, Série Bot, n° 22, 1961.

عبد المالك بنعبيد

فلوريش، إبراهيم، من الرياس القلائل العاملين في الأسطول السلاوي أواخر العهد الدلائي. برز في سنة 1659 بنشاطه في مطادرة السفن الإسبانية رغم شدة التضييق الأوربي، وقد نجح في تلك السنة في إجبار طاقم إحدى السفن على الفرار على متن قارب، ولدى ملاحقته وأسره لأحد عشر أسيرا، تعرضت له أثناء عودته سفن هولندية، توجه إليها لإبراز شهادته وجواز السفر المسلم من طرف القنصل، لكن قباطنتها قاموا بإطلاق سراح الأسرى الذين حققهم بمشروعية.

S.I.H.M., 1° série - Pays-Bas, T. VI, p. 540.

فلوريش، المعطي، من الرياس الرباطيين، ومن العاملين في الأسطول العلوي مطلع القرن التاسع عشر على عهد مولاي سليمان. كلفه السلطان هو ورياس آخرين بتجهيز سفنهم في مرسى العرائش، وبالتوجه إلى طنجة لنقل الزاد منها إلى الأمير إبراهيم بالإسكندرية.

الضعيف، *تاريخ*.

حسن أميلي

فلول، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Fillol ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1088 / 1677.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

فلون، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Fallon ؛ وكانت هذه الأسرة قد هاجرت أول مرة إلى قبيلة بني سعيد الغمارية ومنها انتقلت إلى تطوان.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

الفليبو (Flibot) سفينة شراعية من المراكب الخفيفة التي اعتمدت أصلا في ملاحة المساحلة في المياه الأطلنتيكية الشمالية خلال القرن (17 م)، ولا سيما للربط بين سواحل الأراضي المنخفضة، وبين ضفتي بحر المانش. وقد تم اعتمادها في الأسطول المغربي، ولا سيما من لدن رياس البحر السلاويين نظراً لما تتميز به من مواصفات ملاحية تتلاءم وطبيعة المراسي المحلية النهرية الطابع، بما تستلزمه من ضعف الغطاس لغاطس وخفة الحمولة التي لا تزيد عن مائة طنة. وقد كانت تجهز عسكريا لغرض الجهاد البحري بطاقم يتراوح بين ثمانين ومائة رجل، وبكفاءة مدفعية من حوالي عشرين قطعة خفيفة.

Les *S.I.H.M.*, 2° série, France, t. I, p. 279-280.

حسن أميلي

ابن **فليح الحضرمي**، عبد الله بن محمد من جلة أهل قصر كتامة في القرن السادس (12 م)، لم تترجم له كتب التراجم الأندلسية لعدم دخوله الأندلس، لكن أبا جعفر بن الزبير تنبه إلى تردد اسمه في تراجم من رووا عنه من الأندلسيين والداخلين إليها، فخصص له فقرة بليغة في ترجمة تلميذه يونس بن طريبة القصري. ونقل ابن الأبار في *التكملة* عن ابن فليح ما قيده في أحوال شيوخه وأخباره.

أخذ المترجم بمدينته عن عالمها في العصر المرابطي أبي عبد الله بن المدرة الكتامي (ت. 530 / 1136)، وعن الشيخ الزاهد أبي الحسن علي بن خلف بن غالب القرشي الشلبي (ت. 568 / 1173)، وعن أبي الحسن عباد بن سرحان نزيل طنجة. ولازم القاضي أبا الفضل عياض بن موسى اليحصبي مدة وأخذ عنه كثيرا، كما أخذ عن أبي بكر بن العربي المعافري. ثم رحل إلى فاس لاستكمال تعليمه، وروى بها عن جماعة من العلماء كأبي موسى عيسى بن يوسف بن الملجوم، وأبي علي منصور بن فوناس بن مسلم بن عبدون الزرهوني الفاسي (472-556 / 1079-1161). وأجاز له أبو بكر بن طاهر.

اعتنى طلبة العلم بالأخذ عن ابن فليح لعلو أسانيده، فكانوا يترددون عليه بقصر كتامة. ومن تلاميذه الذين نبغوا في العلم أبو محمد النامسي الطنجي، أخذ عنه وعن الشيخ أبي محمد عبد الجليل القصري. ومنهم أيضا أبو بكر ابن محرز، وأبو محمد بن حوط الله الأنصاري، وأبو محمد عبد الله بن إدريس القضاعي المعروف بابن شق الليل (ت. 607 / 1210)، وأبو الوليد يونس ابن يوسف بن طريبة القصري.

ولي أبو محمد بن فليح قضاء كتامة، وكان حيا به سنة 591 / 1195.

ابن الأبار البلنسي، *التكملة لكتاب الصلة*، الدار البيضاء، (د. ت.)، ج. 2، ص. 306، ج. 4، ص. 181 ؛ ابن عبد الله المراكشي، *الذيل والتكملة*، تح. إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، 1956، ج. 5، ص. 209، وج. 8، ص. 309، 371 ، تح. م. ابن شريفة، الرباط، 1984 ؛ ابن الزبير الغرناطي، *صلة الصلة*، تح. عبد السلام الهراس وسعيد أعراب، 1995، ج. 5، ص. 304.

محمد المغراوي

فْليّو ، يطلق لفظ "فليو" على نوع مانْتا بوليجيوم Mentha pulegium وأنواع أخـــري من نفس الجنس (انظر مانتا) أو أجناس أخرى من فصيلة الشفويات Lamiaceae.

إنه عشب معمر، ذو جذور سطحية ينبعث منها سيقان حولية جد عطرة. أوراقه متقابلة. ازهراره كثيف، ذو أزهار بيضاء وردية أو ذات لون بنفسجي باهت.

ينتشر فليو في جنوب أوربا والمنطقة المتوسطية. أما في المغرب، فإنه يصادف في الأراضي المستنقعية في فصل الشتاء من مناطق السهول والجبال بسيطة الارتفاع. وذلك في المناطق شبه الجافة وشبه الرطبة والرطبة، الدافئة والمعتدلة، وفي مستويات الطابقين النباتيين للمتوسطي الدافئ وتحت المتوسطي.

تجمع كميات كبيرة من فليو في سهول الغرب ومقدمة الريف لاستعمالها في التقطير كنبات عطري وطبي، وذلك في معامل سيدي قاسم ووزان وغيرهما.

تستعمل الأوراق المجففة في التطبيب التقليدي المتعلق بأمراض فصل الشتاء كالزكام وأوجاع الحلق وأمراض الرئتين وأمراض المعدة وغيرها. كما يستخدم عطر فليو في عدة أدوية أو مأكولات أو مواد غذائية أو مشروبات.

ذكر فليو من طرف ابن البيطار والوزير الغساني وعبد الرزاق وفي تحفة الأحباب.

J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle, Médecine arabe ancienne et savoirs populaires*. Ibis Press, Paris, 1997, 779 p. ; A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, Evaluation et préservation de la biodiversité*. Ibis Press, Paris et Kalila wa Dimna, Rabat, 2000, 360 p.

عبد المالك بنعبيد

فم لرجم (مدافن -)، مدافن من الفرع المعروف بالقبور التلية واسمها بالأمازيغية كركور. وهي مدافن يعلوها كوم من التـــراب والطين، كـــانت على شكل نصف دائري ثم أصبحت دائرية وصارت كوما من الأحجار.

تقع هذه القبور التلية عند منطقة مهمة جداً، وهي المنطقة التي يحول فيها وادي درعة اتجاهه من الجنوب إلى الغرب مكونا ما هو معروف بحقفة النهر أو المرفق. تقدر الباحثة جاك ـ مونيي عدد القبور التلية في موقع فم لرجم وما يحيط به بالمئات. وقد أجرت فيها تنقيبات، ونشرت عنها تقريراً في مجلة *هسبريس الجزء 35 سنة 1958*. تحدثنا عن فم لرجم قائلة :

"شكل قبور فم لرجم تلي أو مخروطي، مبنية من حجر جاف أسود اللون، ويبدو أن التراب الذي ملأ الفتحات الموجودة بين الأحجار حملته الرياح. تختلف أبعاد القبور حسب شكلها، إذ يتراوح القطر بين 4 م و12 م والعلو بين 2 م و4 م... يتوفر عدد من القبور في جهته الجنوبية الشرقية على فتحة مربعة الشكل طول ضلعها 0,5 م، مغلقة بكتلة صخرية كبيرة. هذه الفتحة (أو الكوة) ضيقة لدرجة أن أي شخص بالغ لا يمكنه الولوج منها إلا بصعوبة".

"اتضح أن خمسة من هذه القبور التلية يتضمن كل واحد منها غرفة دفن مبنية فوق الأرض، وليست محفورة فيه، ويمكن أن تكون مغطاة أو غير مغطاة ببلاطات حجرية. وأكبر هذه القبور لا يتضمن غرفة جنائزية، وليس به بقايا عظمية مهمة. ولذلك يبدو أنه لم يستعمل للدفن". وهذا ما يمكن أن نطلق عليه قبر شخص مات بعيداً عن عشيرته، فأقامت له هذا القبر لتتذكره وربما لعبادته.

ثم تستعرض جاك ـ مونيي أنواع القبور التلية التي يتضمنها فم لرجم والتي هي ثلاثة :

أ ـ النوع الأول : ذو أبعاد متوسطة مع غرفة جنائزية يعلوها قبر خشن.

ب ـ النوع الثاني : غرفة جنائزية مستطيلة الشكل مقامة فوق سطح الأرض، وتغطي الغرفة الجنائزية ببلاطات أفقية تغلق التابوت.

ج ـ النوع الثالث : قبر تلي ذو أبعاد صغيرة، توجد غرفة الدفن في المستوى الأعلى ولا وجود فيه للقبو أو الفتحة التي تسمح له بالاتصال مع العالم الخارجي.

ولم تنس جاك مونيي الإشارة إلى الصلات التي يمكن أن تكون موجودة بين هذه القبور التلية والأخرى الشبيهة في مناطق أخرى من المغرب، بل وفي كل المغرب الكبير. وفي منطقة قريبة من فم لرجم، في مكان يسمى "إيميركاك" يوجد حوالي خمسة عشر قبراً تليا تشبه من ناحية الشكل والبناء قبور فم لرجم.

والواقع أن المنطقة الواسعة الممتدة بين زاگورة ومحاميد الغزلان عبر وادي درعة تتضمن العديد من القبور التلية.

ويبدو أن فم لرجم يعود لعصر البرونز لأن جاك ـ مونيي عثرت على سوار من البرونز في أحد القبور، مقاييسه من الداخل 49 X 43 ملم ومن الخارج 57 X 51 وسمكه 4 ملم. ولا يتضمن هذا السوار أي زخرفة أو نتوءات يمكن استعمالها في دراسة مقارنة.

لكن بجانب المواد البرونزية المستخرجة في مقابر المريس وعين الدالية في منطقة طنجة فإن هذا يعني أن هناك دلالات حضارية معينة توحي بمعرفة البرونز واستعماله من طرف الأمـازيغ وأنه، ربما عبـارة عن عـصـر برونز محلي وليس

مستورد حسب ما يذهب إليه الباحثون الفرنسيون على الخصوص.

م. أعشي، *العقائد والمعبودات في المغرب القديم*، دكتوراه الدولة، فاس، ص. 58 ـ 87.

Jacques-Meunié, La nécropole de Foum Le Rjem, Tumuli du Maroc présaharien, *Hespéris, t. XLV, 1958, p. 95 - 112* ; G. Camps, *Aux origines de la berberie, Monuments et rites funéraires protohistoriques*, Actes et métiers graphiques, Paris 1961 ; Id., *Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du Nord et du Sahara*, Doin éditeur, 1970.

مصطفى أعشي

الفنار، في العربية الفصحى فنار وفي العربية الدارجة فران (بتخفيف الراء) وتقديه على النون، والفران أداة ووسيلة للإنارة إلا أنه لا يضيء من نفسه وإنما بما وضع بداخله من مصدر للضوء وخاصة الشمع، والهدف العملي منه هو حفظ مصدر الضوء من الريح حتى لا ينطفيء، أما الهدف الآخر فهو التزيين خاصة في القصور والمساجد وغيرها ـ فهو مكمل للزخرفة والنقوش والأقواس ـ ويعتبر اليوم من تحف الصناعة التقليدية في المغرب بما أبدعت فيه أيادي الصناع المغاربة من إدخال الزجاج الملون والنحاس والنقش في أشكال هندسية تسر الناظرين ـ أما دوره الأساسي فقد بدأ ـ في تقديري ـ في العصر الوسيط الأعلى ؛ وبدأ تحديدا في العهد المريني فقد رفع في أعلى الصوامع، وبه ينتهي الجامور لإشعار الناس في المدن آنذاك بمواعيد آذان صلاة المغرب والعشاء والفجر ؛ إذ يمكن ملاحظته من بعيد خاصة في المدن المحاطة بالمرتفعات مثل مدينة فاس.

جاء في رواية الجزنائي في جني زهرة الآس، 94 وصف الجامع الأندلس فقال :

"...عدد المؤذنين والقومة في هذا الجامع 20 شخصا... فنار مسرج في أوقات الليل في أعلى الصومعة وعلم أبيض بالنهار..."

ويبدو من الوصف أن الفنار هنا بداخله قنديل زيت، وهذه التقنية التواصلية التي مازال العمل جاريا بها في صوامع المغرب كانت بدايتها في العصر المريني.

واستعمل الفنار بشكل عملي وضروري عند الصيادين في البحر في القوارب وفي المراكب والسفن، ومن هذه المنطلقات والبدايات انتشر الفنار ليعم المدن والبوادي ويستعمله الخاص والعام، ووضع الصناع أشكالا منه وأنواعا من البسيط الساذج الرخيص الثمن والخالي من أية إضافات إلى التحفة، وكل هذه الأشكال ماتزال موجودة إلى اليوم في الأسواق بالبوادي المغربية وفي البازارات ومعارض الصناعة التقليدية.

الجزنائي، *جني زهرة الآس*، الرباط، 1967 ؛ الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1980 ؛ التادلي، التشوف، الرباط، 1958 و1984 ؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، الرباط، 1972 ؛ م. الطويل، *النقل والتنقل في المغرب*، مرقون كلية الآداب بالرباط.

محمد حجاج الطويل

فنجيرو، أسرة عربية أندلسية عريقة، كما موطنها ببلدة أندلسية يقال لها فَنْجيرُولاَ، وهي التي تعرف حاليا عند الإسبان باسم فَنْخيرُولاَ. انتقل أفرادها إلى المغرب مع جملة المهاجرين الأندلسيين ونزلوا بفاس وسكنوا بها، ثم انتقل بعض حفدتهم من فاس إلى الرباط واستقروا به، حيث يوجد حالياً معظم أفراد هذه العائلة.

فنجيرو، قاسم الولي الصالح من رجال التصوف بمدينة فاس. وكان من أصحاب العلامة الشيخ عبد القادر الفاسي ومن الملازمين له، يجالسه في دروس العلم وحلقات الذكر. وكانت سكناه بحي جزاء ابن عامر من عدوة القرويين. وبها دفن عند وفاته يوم الثلاثاء 4 ربيع الأول سنة 1111 / 29 غشت 1699 ، وضريحه هناك مازال مشهوراً إلى الآن يزار ويتبرك به. وإليه أشار الفاسي في منظومته عن صلحاء فاس بقوله :

وبِجَزَا ابن عامر تنويرُ أدخله قاسمنا فنجيرو

فنجيرو، محمد كان من الرجال الصالحين المتصوفين، له أحوال وكرامات، عظيم النور، جليل القدر. صواماً قواماً، كثير الخشوع والصدقة، صادق الفراسة.

أخذ صاحب الترجمة عن الشيخ القطب مولاي العربي الدرقاوي، حيث كان من فضلاء أصحابه وكبار خيارهم، اشتغل في بدايته بالتجارة في دكان لبيع الكرازي بسوق الجَوّابين قرب الجوطية بفاس، ثم ما لبث أن ترك ذلك وانقطع للعلم والذكر. انتفع به خلق كثير ومن أشهر تلامذته الصالح العارف محمد العربي المدغري الحسني الشهير بمدغرة.

توفي عن سن عالية، ويقال أنه أدرك الشيخ التاودي بن سودة المرّي وصلى وراءه. وقد كانت وفاته في 14 صفر 1289 / 23 أبريل 1872 ، ودفن بروضته برأس القليعة داخل باب الفتوح، وقبره مزار مشهور.

م. بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 1 : 292، 2 : 106 ـ 107، ط ح 1316 / 1898 ؛ *موسوعة أعلام المغرب*، 7 : 2645 ؛ *وثائق عائلية*.

لطيفة الكندوز

الفندق ، بناية ومؤسسة عرفها المغرب منذ العصر الوسيط الأوسط في بعض المدن الكبرى ولم تكن قبل ذلك موجودة. فأبو عبيد البكري في (*المغرب*، 88) يقول عن مدينة مليلة : "...وبسكنها بنو ورتدى وهم يقترعون على من يدخل عندهم من التجار فمن أصابته قرعة الرجل منهم كان تجره على يده ولم يصنع شيئا إلا تحت نظره وإشرافه فيحميه عمن يريد ظلمه ويأخذ منه الأجر على ذلك ويأخذ منه الهبة لنزوله عنده...".

ظهرت الفنادق بعد ازدهار التجارة الخارجية والداخلية

وظهور المدن وتعددها ونمو تنوع ساكنتها مثل مدينة فاس ومراكش وسلا وسبتة وغيرها، أما مدينة أغمات في العهد المرابطي فقد ضاقت بالتجار الأجانب الوافدين عليها فخصصت مدينة مستقلة لهم هي اغمات أوريكة. ثم تطورت الفنادق عددا وتجهيزا وخدمات على ما قال الجزنائي وكذا صاحب *روض القرطاس* الذي قدم إحصاء عن الفنادق في مدينة فاس في عهد الموحدين بلغ 469 فندقا وبلغ عددها في مدينة سبتة حسب صاحب.

وهكذا يمكننا من خلال المصادر تتبع موضوع الفنادق منذ نشأتها وظهورها إلى النصف الأول من القرن العشرين. والفنادق لم تكن مثل ما هي عليه اليوم : بناية خاصة بنزول الأغراب وإقامتهم وتقديم الخدمات الموازية والضرورية لهم بل كانت مؤسسة تجارية تجمع ما بين إقامة التجار والمحافظة على سلعهم ودوابهم، مكانا لعرض السلع والبضائع وللتبادل التجاري وإبرام الصفقات وكانت بناية الفندق مصممة لهذا الغرض وغالبا ما كانت مكونة من طابقين : سفلي مخصص للتبادل التجاري وحفظ الأمتعة والسلع وحراسة الدواب وتقديم الأعلاف لها وعلوي معد لإقامة التجار وخدمتهم.

وعرفت الفنادق خلال القرون المتتالية تطورات هامة حتى أصبح فيها المتخصص في سلعة أو بضاعة معينة مثل فندق الزيت بمدينة سلا وفندق السكر في مدينة مراكش وفي المدن التجارية الكبرى الأخرى. ولا نجد في المدن فندقا واحدا بل عددا من الفنادق المتخصصة، مثل فندق الجلد وفندق البيض في مدينة الرباط على سبيل المثال وماتزال بنايات بعض الفنادق في بعض المدن تشهد على ذلك خاصة في مدينة سلا وفاس ومراكش ومكناس وغيرها.

ثم تغيّرت أحوال الفنادق في العمق إذ انفصلت مهامها وتجزأت فأصبحت الفنادق المخصصة لحفظ البهائم وحراستها تستقل على الفنادق المعدة لإقامة التجار وغير التجار وإيوائهم وخدمتهم وهذه الأخيرة انتشرت أكثر وتطورت في المدن لتصبح على ما هي عليه الآن ويمثلها غالبا الفنادق غير المصنفة أما الفنادق المصنفة. والفاخرة فهي نتاج تطور صناعة السياحة العصرية.

وحتى فنادق البهائم تفككت لتصبح متخصصة : فندق البقر، فندق الغنم : قال الضعيف "...وفيها (عام 1151) ضيق قبائل بني حسن بها (مكناسة) حتى كانت محصورة من جميع الجهات ونهبوا الكثير من البقر من الفنادق...".

على أن أكثر فنادق البهائم انتشارا في المدن وفي الأسواق بالبوادي هي فنادق الحمير (مع وجود بعض البغال والخيول) واستمرت طيلة القرن 19 و20 إلى أن حدت انتشرت وسائل النقل العصرية "السيارات والطاكسيات" وغيرها. فالنازل إلى المدينة للتسوق أو غير ذلك من الأغراض والداخل إلى الأسواق الأسبوعية في القرى والبوادي لابد وأن يودع مطيته (حمار، بغل، حصان) في مستودع خاص يعرف بالفندق.

أبو عبيد البكري، *المغرب*، الجزائر، 1911، باريس، 1965 ؛ أبو الحسن الجزنائي، *جني زهرة الآس*، الرباط، 1967 ؛ السبتي الأنصاري، *اختصار الأخبار*، مجلة تطوان، العدد 3، 1958. 1959 ؛ الضعيف، *تاريخ*، الرباط، 1986 ؛ مجهول، *الاستبصار*، الاسكندرية، 1958 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، بيروت، 1948 وتطوان، 1960 ؛ الحميري، *الروض المعطار*، تطوان، 1960 ؛ ابن أبي زرع، *روض القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ العمري، *مسالك الأبصار ضمن ورقات*، الرباط، 1979 ؛ محمد الطويل، *النقل والتنقل*. مرقون كلية الآداب بالرباط ؛ الحسن الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1980.

محمد حجاج الطويل

فندلاوة (قبيلة -) اسم قديم لقبيلة أمازيغية، انتشر في المجال الممتد بين صفرو ورباط الخير (أهرمومو). كانت على غير دين الإسلام عندما اكتسحت جيوش إدريس الأول مواطنها، وأخضعتها لنفوذه.

وقد اندثر اسم فندلاوة كقبيلة، خلال العصر الوسيط، ولم يحتفظ بهذا الاسم سوى قلعة حصينة، تعرضت للهدم في زمن المرابطين، ثم عادت إلى الظهور أيام بني مرين.

والراجح أن اختفاء اسم فندلاوة كقبيلة راجع إلى اندماجها في قبيلة بني يازغة، التي استقرت في المنطقة في زمن غير معروف. ويحمل مجالها الآن اسم القلوع، لكونه يضم أربعة قلاع محصنة طبيعيا، تشرف على مدينة المنزل، هي قلعة ابن يوسف وقلعة أولاد محمد وقلعة أولاد عبد العزيز وقلعة التوامي (التوأمان).

وكشفت لنا زيارة ميدانية لهذه المنطقة عن كون قلعة أولاد محمد ربما تكون هي قلعة فندلاوة قديماً، حيث يفصلها عن قلعة ابن يوسف مجرى مائي صغير، وتستقر على مرتفع يشكل حاجزاً طبيعياً بينها وبين جوارها. كما وجدنا أهلها ينتسبون إلى النسب العربي، شأنها في ذلك شأن أهل القلاع الثلاث الأخرى.

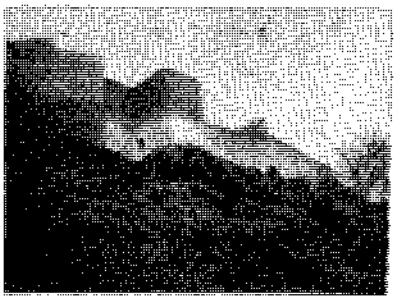

برز اسم قلعة فندلاوة مع تمرد عمر بن عثمان بن يوسف الهسكوري، سنة 685 / 1286 ، خلال بداية فترة حكم السلطان المريني يوسف بن يعقوب بن عبد الحق، الذي لم تمكنه ظروف دولته من مواجهتها، فعهد إلى مجموعة من القبائل المجاورة بمحاصرتها وإخضاعها.

ولم يُجد حصار قبائل بني عسكر وبني يازغة وسدراتة

وبني وارثين وغيرها، لقلعة فندلاوة. وعندئذ لم يجد السلطان المريني بدا من تجهيز حملة عسكرية تولى قيادتها بنفسه لمنازلتها، وفي ذلك إشارة قوية إلى خطورة التمرد.

ويبدو أنه كان للحملة السلطانية صداها في قلعة فندلاوة، حيث رأى زعيم التمرد أن لا قبل له بمواجهتها، فجمع صلحاء المنطقة ووجههم إلى السلطان لأخذ الأمان له، فتمت الاستجابة له مقابل استسلامه بشروط، منها مبايعة سلطان الوقت وصرفه بجميع أهله وأمواله إلى تلمسان. ويبدو من آثار هذا التمرد أن إحدى هذه القلاع الأربع مازالت إلى اليوم تحمل اسم قلعة ابن يوسف، نسبة إلى عمر بن عثمان بن يوسف الهسكوري، قائد التمرد ضد بني مرين.

كما يرجح أن الاسم الحالي لإحدى هذه القلاع، وهو قلعة أولاد عبد العزيز نسبة إلى الشريف الحسني سيدي عبد العزيز بن عبد الواحد، الذي خوطب هو وأبناؤه خلال الحكم السعدي، في ظهائر سلطانية بلقب الفندلاوي كما خوطب أحفاده خلال الحكم العلوي حتى عهد المولى عبد العزيز بلقب القلعاوي.

وقد أنجبت قبيلة فندلاوة مجموعة من الأسماء العلمية البارزة في علوم شتى منهم :

1 ـ أبو يعقوب يوسف بن دوناس الفندلاوي المغري المالكي. حج واستقر بالشام، إلى حين وفاته بدمشق عام 543.

2 ـ أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الكريم الفندلاوي المعروف بابن الكتاني الأصولي المتكلم والأديب، توفي بفاس سنة 596 أو 597.

3 ـ عبد الله بن محمد بن حجاج، المعروف بابن الياسمين، الذي برز اسمه في علوم الحساب والعدد والهندسة والهيئة والمنطق والتنجيم، والمتوفى بمراكش سنة 601.

4 ـ عيسى بن معنصر بن إبراهيم بن دوناس المومناني الفقيه.

5 ـ محمد بن عيسى بن معنصر المومناني، الإمام المفتي، قاضي قرطبة ومراكش، الذي توفي بها سنة 639.

6 ـ أبو بكر محمد بن محمد بن عيسى بن معنصر المومناني، الذي رحل إلى إشبيلية.

7 ـ يوسف الفندلاوي الشهير بالمكناسي، خطيب جامعي الأندلس والقرويين بفاس، توفي عام 914.

ابن أبي زرع، *القرطاس*، 1973 ؛ بن القاضي، *جذوة الإقتباس*، 73. 1974، ج 1. 2 ؛ ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، 1984، س 8، ق 1 ؛ ابن خلدون، *تاريخ*، 1992، المجلدان، 4 و7 ؛ أ. البوشيخي، الإمام الفندلاوي، ضمن كتاب : *صفرو ومنطقتها*، د. ت ؛ *رواية شفوية*، محمد كرونجار (أحد أبناء قلعة أولاد محمد) بتاريخ 28 فبراير، 2004 ؛ *زيارة ميدانية* يوم 28 فبراير، 2004.

عبد الإله بلمليح

فنزارة، أطلق هذا الاسم على مكان بين سلا ومكناس. وذهب بروفنصال إلى أن هذا المكان هو الذي يعرف اليوم بالخميسات من قبيلة زمور. وربما كانت فنزارة، في الأصل، اسما لقبيلة بربرية كانت تقطن في هذه الجهة التي كان فيها المكان المعروف بخميس فنزارة.

كما كان يطلق على جماعة يظهر أنها انتقلت من هذا المكان واستقرت بسلا منذ أيام المرابطين أو قبلهم، وإليها ينتسب بعض الأعلام السلاويين.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، ص. 165 ـ 166 ؛ *مجلة البحث العلمي*، عدد 10، ص. 66 و94.

Levi-Provençal, *Documents inédits d'histoire almohade*, p. 105 ; L. Massignon, *Le Maroc dans les premières années du 16ème siècle*, p. 213.

المصطفى البوعناني

فنيش، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Fenis ؛ ومازالت بإسبانيا أسرة تحمل اسم Feneche ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

فنيش، بفتح الفاء وكسر النون المشددة، أسرة سلاوية، أصلها ـ على ما يبدو ـ من الأندلس. وإذا رجح كوستي أن آل فنيش من عرب سفيان فإننا لم نقف على سنده في ذلك وعلى معلومات تدعم هذا الطرح، فإن صاحب *النشر* أشار إلى أن أصلهم من العلوج، الأمر الذي سطره الضعيف في *تاريخه*. ولا ندري هل لتسميتهم صلة بكلمة "الفنش" أو "الفونصو" التي تسمى بها ملك قشتالة أو غيره. على أي، فمازال السلاويون ـ إلى اليوم ـ ينبزون آل فنيش بزرقة عيونهم لتذكيرهم بأصلهم المسيحي.

وقد سطع نجم هذه الأسرة في بداية القرن 11 (17م) حيث تقلد أفرادها مناصب سامية إبان قيام جمهوريات أبي رقراق. وسجل منحنى تألقهم تصاعدا ملفتا في عدة ميادين مع السلاطين العلويين. بيد أن اسم هذه الأسرة سيطفو طفوا حقيقيا على أحداث منطقة مصب أبي رقراق غداة فترة الاضطرابات السياسية الخطيرة التي تلت وفاة المولى إسماعيل لكون بعض أفرادها استغلوا نفوذهم السياسي للتدخل في الصراع الذي دار بين بعض أبناء هذا السلطان لترجيح كفة هذا الأمير أو ذاك للظفر بالعرش. هذا علاوة على ما قاموا به من نهب لتوسيع ممتلكاتهم وتنمية ثرواتهم حتى إن بعض الحومات والأمكنة في سلا كانت تنسب إليهم مثل : عقبة فنانشة، وعرصة فنانشة، وفنادق فنانشة وغيرها من الأملاك التي تؤكد ثراءهم الفاحش خلال القرن 12 (18 م).

احتل آل فنيش مكانة متميزة في المجتمع السلاوي، فكان منهم القواد العسكريون المحنكون، والمجاهدون

البحريون المهرة، والفقهاء، والمحتسبون وكبار موظفي المخزن أمثال :

فنيش، أحمد (الحاج -)، مجاهد، شارك هو وجماعة من فنانشة في فتح الجديدة. وقد أبلوا في ذلك البلاء الحسن. وتم تحريرها من قبضة البرتغاليين صبيحة يوم السبت 2 ذي القعدة عام 1182 / 28 فبراير 1769 واستشهد الحاج أحمد فنيش خلال هذا الفتح، ودفن بالجديدة "وقبره يعرف بسيدي الضاوي".

فنيش، الحسن بن عبد العزيز، أحد قواد المولى إسماعيل. "كان سمينا بدينا أبيض طويلا". آزر المستضيء بن السلطان إسماعيل في حروبه مع أخيه المولى عبد الله. وقد ألقى أحد العبيد القبض على الحسن فنيش وقدمه إلى السلطان الأخير الذي ذكر المترجم بأنه من علوج المولى إسماعيل، وأن أباه كان عند والده علجا طبجيا، ثم قتله بنواحي وزان عام 1156 / 43 . 1744 . وسيتخذ عبد الحق فنيش - آتي الترجمة - من مقتل أخيه هذا ذريعة للتمرد على السلطان المذكور.

فنيش، الطاهر بن عبد الحق، جمع بين الحنكة الدبلوماسية والمهارة العسكرية، لاسيما في ميدان المدفعية. بعثه السلطان محمد بن عبد الله سفيرا إلى ملك فرنسا، لويس السادس عشر في 10 شوال عام 1177 / فاتح نونبر عام 1777 من أجل افتداء أسرى المسلمين الموجودين بمالطا وحول مسألة نوعية الألقاب التي ينبغي استعمالها في خطب المراسلات بين الملكين. وقد برز في هذه المفاوضات من الجانب الفرنسي لويس شينيه (L. Chenier)، قنصل فرنسا الشهير بالمغرب. ولما حل ممثل الولايات المتحدة الأمريكية طوما باركلاي على السلطان المذكور بتاريخ 19 يونيو 1786، عقد معه الطاهر فنيش معاهدة سلمية تجارية لمدة خمسين سنة تضمنت كيفية معاملة الأساطيل الأمريكية والمغربية بعضها بعضا إذا التقت في البحر أو التجأت إلى مرسى من مراسي الدولتين وكيفية تسوية مسائل الأسرى بين الطرفين. وتألق المترجم في الميدان الدبلوماسي تجلى ذلك في توجهه مرتين سفيرا إلى تركيا محملا ببعض الهدايا إلى السلطان عبد الحميد الأول في موضوع فك أسرى المسلمين عام 1191 / 1777. وقد نوه العاهل المغربي به في بعض مجالسه قائلا : "لا أوجه القراصين الحربية للعثماني إلا مع الطاهر فنيش". كما كلف السلطان محمد بن عبد الله صاحب الترجمة بسفارة أخرى إلى مالطة لفداء بعض الأسرى، الأمر الذي تحقق فعلا..

ولما توفي المولى اليزيد بمراكش في 23 جمادى الأول عام 1206 / 17 أبريل 1792، كان الطاهر فنيش عاملا على مدينة طنجة، وقد أخبر قنصل إسبانيا بها خوان مانويل غونثالث سالمون ببيعة المولى مسلمة الذي دعا لنفسه ببلاد الهبط. وكان ممن انضم إليه الطاهر فنيش، وصار هو وفنانشة سلا من شيعته. وقد فوض المولى مسلمة إلى المترجم الاتصال بإسبانيا في شأن حدود سبتة ومسائل أخرى، كما تفصح عن ذلك رسالة موجهة من الطاهر فنيش إلى حاكم سبتة لويس دي أوريينا بتاريخ 17 رجب عام 1206 / 11 مارس 1792.

وبعد اجتماع الكلمة بالمغرب على بيعة المولى سليمان رجع المترجم إليه وكان من جملة قواده وأعوانه. ولم يزل يتقلب في الوظائف الحربية البرية والبحرية إلى أن قتل في حركة الجيوش السلطانية السليمانية الموجهة لتأديب بعض القبائل البربرية، وذلك يوم الخميس 5 محرم عام 1215 / 29 ماي 1800.

فنيش، عبد الحق بن عبد العزيز، أشهر أفراد هذه الأسرة على الإطلاق، كان من وجهاء سلا. ذاع صيته بعد اعتداءات عبيد القصبة الإسماعيلية - سالفة الذكر - على أهل سلا غداة وفاة المولى إسماعيل، إذ لم يتردد في قتل أحد العبيد الذي كان قابضا على امرأة سلاوية من أهل المروءة يريد إخراجها للقصبة.

كانت هذه الحادثة سببا في إقصاء عامل سلا، محمد بن عبد الرحمان الحافي من منصبه لأن فنانشة وعلى رأسهم عبد الحق فنيش أبلغوه بالذل الذي طالهم كما أخبروه بعدم رغبتهم في ولايته عليهم. هكذا، لزم العامل المذكور داره خوفا من بطش عبد الحق فنيش الذي أجمع هو وذويه العدة لمهاجمة عبيد القصبة المشار إليها. بيد أن أولئك العبيد، وبعد أن سمعوا بالخبر، تركوها خاوية على عروشها عام 1151 / 1739 ، فقصدها المترجم وأحرقها وهدم البيوت والسقوف خوفا من الرجوع إليها والتحصن بها.

هكذا، دخل عبد الحق فنيش سلا وولي قيادتها وبقي يتصرف في أمرها في دولة المولى عبد الله وصدرا من عهد خلفه محمد بن عبد الله.

بيد أن المترجم أساء السيرة مع بلديه وضيق عليهم الخناق لدرجة أن كثيرا من أعلام سلا البارزين فروا إلى العدوة الأخرى خوفا من بطشه وعلى رأسهم محمد بن حجي زنيبر (ت. 1194 / 1780)، قاضي سلا وصاحب الشرح الشهير لهمزية البوصيري، وهي إشارة صريحة إلى أن صوت هذا العالم السلاوي ومن في شاكلته لم يخفت خلال الأزمة السياسية والاجتماعية التي كانت تجتازها سلا.

لقد أجج عبد الحق فنيش الصراع الذي جرى بين المولى عبد الله بن إسماعيل وأخيه المستضيء، ذلك أن أهل سلا وبني حسن بايعوا هذا الأخير عام 1156 / 42 . 1743، وهي السنة التي ولي فيها المترجم عمالة سلا، في حين بايع أهل الرباط المولى عبد الله. وهذا يعني أن الفارين من السلاويين إلى العدوة الأخرى لم يعترفوا لا بشرعية المستضيء ولا

بشرعية عبد الحق فنيش كعامل على سلا. وأكد الضعيف أن هذا الأخير قتل أناسا من فقهاء الرباط وسلا. ولم يقف صاحب الترجمة عند هذا الحد، بل نراه عام 1169 / 55 ـ 1756 يقفل أبواب سلا في وجه الأمير محمد بن عبد الله عندما كان في طريقه إلى مراكش. ولم يحفل به ذهابا وإيابا، وتنكب الأمير المرور بسلا وعبر مشرع المجاز أسفل العدوتين ونزل بالدار الحمراء قرب سلا. وانفرد الضعيف بخبر مفاده أن "أهل سلا خرجوا إليه مع رئيسهم [عبد الحق فنيش] بالمحاضر والألواح راغبين خانفين... فعفا عنهم"، وهناك من ذهب إلى القول بأن إعراض السلطان محمد بن عبد الله عن إصلاح دار الصناعة بسلا وعزمه على تشييد الصويرة عام 1179 / 1765 هو بمثابة عقاب للسلاويين وقائدهم على تصرفهم المذكور. بيد أن المعطيات التاريخية المتعلقة ببناء هذا الثغر لا تنسجم ـ كما هو معلوم ـ مع هذا الزعم.

لقد توج عبد الحق فنيش سلسلة اعتداءاته على بلديه بقتله لأحد أقربائه وهو محمد بن الحاج مفضل فنيش، فأعملت المواجب به وبيطشه وتسلطه على أموال الناس، فحرك كل ذلك ما كان كامنا في صدر السلطان محمد بن عبد الله الذي أمر بإلقاء القبض عليه وقتله واستصفاء أمواله وأموال فنانشة وذلك عام 1180 / 1766. ثم فرق آل فنيش شذر مذر حيث غربهم إلى العرائش والصويرة.

وتكشف وثيقة مصادرة أملاك فنانشة المؤرخة في 3 جمادى الأولى عام 1180 / 7 أكتوبر 1766 على أن هؤلاء كانوا متلصصين وأنهم أوقدوا نار الفتنة في البوادي والحواضر وأن ما حصلوا عليه من مستفاد مرسى سلا إنما حازوه عن طريق الجور والتعدي والعناد. وتجدر الإشارة إلى أن أملاك عبد الحق فنيش وذويه الكائنة داخل سلا وخارجها والتي صودرت قومت بـ 10236 مثقالا، وهو قدر له بال ويجسد الثراء الفاحش لهؤلاء. وقد اشترى نسبة هامة من هذه الأملاك الباشا محمد القسطالي بن عبد الله الغزواني العمري السلوي وذلك تحت إشراف قاضي مراكش عبد العزيز بوعبدلي الذي كلفه السلطان المذكور ببيع كل المتلكات المصادرة لهذه الأسرة.

من منجزات عبد الحق فنيش أنه بنى بأنقاض القصبة الإسماعيلية المذكورة برجين : أحدهما بباب سبتة عام 1151 / 1738، وكان يجلس فيه للفصل بين أهل سلا. أما الثاني فقد جدد به برج الدموع المجاور لضريح سيدي أحمد بن عاشر، وهو المعروف ببرج القائد، وعليه كتابة في ألواح من حجر منحوت تضمنت ذكر المستضيء والدعاء له. وكأنه [أي عبد الحق فنيش] إنما بنى هذا البرج باسمه خوفا من أن ينكر عليه هدم قصبة المولى إسماعيل.

فنيش، عبد السلام، كان من ضمن الأسرى المعتقلين بمرسيليا بفرنسا في عهد المولى إسماعيل. أطلق سراحه سنة 1120 / 1709 بأمر من ملك فرنسا طبقا لما تم عليه الاتفاق مع جمعية فداء أسرى الرهبانية في سنة 1119 / 1708.

فنيش، عبد العزيز، عين عاملا على سلا بتاريخ 10 رمضان عام 1120 / 23 نونبر 1708 وهو والد عبد الحق والحسن والحسين وعبد الرحمان ومحمد وهؤلاء جميعا تمت مصادرة أملاكهم، كما أسلفنا.

فنيش، عبد العزيز بن الحاج عبد الرحمان، فقيه وكاتب للسلطان محمد بن عبد الله الذي كلفه سنة 1203 / 1788، بمهمة في فرنسا ثم في مصر.

كان سنة 1205 / 90 ـ 1791 أمينا بمرسى العدوتين.

فنيش، عبد الله بن الحسن بن عبد العزيز، من أبرز علماء أسرة فنيش. قرأ على شيوخ العلم السلاويين. ذكر مترجموه أنه كان يحسن الدرس والإلقاء وله باع طويل في علم اللسان. وبعد تأسيس مدينة الصويرة، أمره السلطان محمد بن عبد الله بالتوجه إليها قصد تدريس العلم بها وتعليم الناس أمر دينهم، وأحسن له غاية الإحسان. ويلاحظ أن إسناد هذه المهمة إلى المترجم قد تزامن مع حدث قتل عبد الحق فنيش ـ آنف الذكر ـ واستصفاء أملاك فنانشة. فلا ندري هل إبعاد هذا العالم السلاوي عن مسقط رأسه يدخل في إطار سياسة الاحتراز منه وتجنب كل ما من شأنه أن يتيح للفنانشة فرصة إثارة قلاقل ضد السلطة بسلا ؟

ألف عبد الله فنيش أيام مقامه بالصويرة شرحا جيدا على مقدمة ابن آجروم في النحو، ألفه لولد السلطان هشام بن محمد لما سمع عن نباهته وقريحته الكاملة. توفي المترجم عام 1180 / 66 ـ 1768، ولعله دفن بالصويرة.

فنيش، عبد الله بن الحاج **محمد**، ذكر كوسنتي أن المترجم تولى عمالة سلا في عهد المولى إسماعيل وأنه كان رئيسا لديوان الأندلس السلاوي عام 1081 / 1671. أما كواندرو فقد أورد معلومات عن عبد الله فنيش مفادها أنه كان ضمن رياس الأسطول السلاوي العاملين إلى جانب عبد الله ابن عائشة. وقد نجح خلال موسم 1102 / 1691 في غنم سفينة إنجليزية محملة بالخمور كانت في طريقها إلى جزر مادييرا. وفك سنة 1105 / 1694 الحصار الذي كانت تضربه سفن برتغالية عليه. وانتهت حياته العملية خلال موسم 1106 / 1695 حين غرقت سفينته برجالها أثناء اتجاهه نحو سلا عائدة بغنيمة برتغالية.

فنيش، أبو عمرو بن الحاج **الطاهر**، تم تعيينه عاملا على سلا يوم الجمعة 23 ذي الحجة عام 1257 / 5 فبراير 1842 مكان الحاج أحمد بن محمد بن الهاشمي عواد الذي أسندت إليه نظارة الأحباس بنفس المدينة. وبعد أن تعرضت سلا للقصف الفرنسي عام 1260 / 1844 ـ وهو الخبر الذي انفرد بذكره ابن علي الدكالي في إتحافه الوجيز ـ عمل أبو

عمر وفنيش على تحصين حومات المدينة بأبواب ذات أقواس من حجر، وعوارض من خشب العرعار، حفظا لها وحراسة من أي اعتداء محتمل. كما أبدى المترجم اهتماما بالغا بتجديد وتحصين القصبة الإسماعيلية، المجاورة لضريح أبي موسى الدكالي، والتي كان هدمها عبد الحق فنيش لدوافع سنشير إليها في ترجمته. وقد أسعفه السلطان عبد الرحمان بن هشام في ذلك، لكن، ولأسباب نجهلها، زج بالمترجم في السجن وعزل من منصبه قبل أن ينفذ المشروع المذكور. لم نقف على تاريخ وفاته.

فنيش، محمد (الحاج -) من سفراء الدلائيين إلى هولندا. وفي أوائل عام 1061 / 1651 ندب حكام مدن - سلا والرباط والقصبة - الحاج محمد فنيش والحاج إبراهيم ليفاوضا باسمهم وأعطوهما "حق التصرف المطلق في التعاقد مع ضباط أسطول البلاد الواطئة". وبعد وفاة سعيد أجنوي عام 1065 / 1655 صار المترجم عاملا على سلا.

فنيش، محمد بن محمد بن الحسين، كان قائدا لطبجية سلا، قتل عام 1236 / 20 . 1821 عند حصار المولى سليمان لفاس.

فنيش، الهاشمي بن عبد العزيز، كان سنة 1225 / 1810 محتسبا بسلا، وتحمل وثيقة بتاريخ فاتح شعبان عام 1225 / فاتح شتنبر 1810، 162 توقيعا من تجار سلا وحرفييها من بينهم 20 يهوديا يشيدون فيها بنزاهة واستقامة الهاشمي بن عبد العزيز فنيش، ويبدو أن ما حملهم على ذلك هو كون هذا الأخير تعرض لانتقادات كان الهدف منها هو إبعاده من منصبه. لم نقف على تاريخ وفاته.

كوستو، بيوتات سلا ؛ كواندرو، *قراصنة سلا* ؛ براون، موجز تاريخ سلا ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية* ؛ م. السعديين، سلا في القرن 12/ 18، ضمن متنوعات محمد حجي، دار الغرب السلامي، بيروت، 1998، ص. 218 . 221.

محمد السعديين

الفنون المغربية، يتحتم - في البدء - تحديد مفهوم الفنون كمدخل للنظر في الفنون المغربية، ومن أجل ذلك فلابد من الرجوع إلى المضمون القديم للفن، والذي كان يتجه بمعناه الواسع في اللغات الإغريقية واليونانية والألمانية نحو غايات جمالية وأخلاقية ونفعية.

وفي إطار هذه الشمولية تفرعت الفنون إلى ثلاثة أقسام :

- فنون جميلة، وهي التي تختص بإدراك الجميل.
- فنون السلوك، وتختص بإدراك الخير.
- فنون عالية، تختص بإدراك النافع.

وقد ظل هذا المفهوم مشوبا بالغموض والالتباس، وأفضت كل المحاولات في تعريفه إلى نتائج حافلة بالتناقض والتعارض، إلى أن حصره المفكرون المحدثون ابتداء من القرن التاسع عشر فيما يدل على الإبداع الفني وينطبق على الأنشطة الإنسانية المتجهة خاصة صوب النزعة الجمالية ؛ ومنذئذ اتجه مدلول هذا المصطلح إلى ما يعني "الفنون الجميلة" بمعناها القديم، مع إقصاء كل ما من شأنه أن يرمز إلى الخير أو النفع.

تتفرع الفنون الجميلة إلى عدة شعب يمكن جمعها في مجموعتين اثنتين.

1) مجموعة الفنون الاستطيقية : Arts esthétiques وضمنها تندرج الفنون التشكيلية Arts plastiques (الرسم - النحت - التصوير - العمارة)، والفنون التقليدية مثل النسيج، والطرز والتذهيب، والزخرفة، والحفر على الحجر والرخام والجص، والنقش على الخشب، وصناعة الفخار والخزف، والحلي وما إلى ذلك.

2) مجموعة الفنون الدينامية : (الموسيقى - المسرح - الرقص - السينما - الشعر - الخطابة) وعلى ضوء هذا التصنيف سيكون في وسعنا أن نتلمس مدخلا إلى الحديث عن الفنون المغربية باعتبارها تشكل فرعا من الثقافة المغربية، وتترجم - كسائر فروع الثقافة الأخرى - عن حياة المجتمع المغربي وطبيعة بيئته، وتعكس مدى تنامي الحس الجمالي والإبداع الفني. ويأتي في مقدمة ما يتناوله النظر في هذا الموضوع التساؤل عن تاريخ نشوء هذه الفنون، وهو تساؤل يستلزم الفصل بين مكونات مجموعتي الفنون الجمالية الاستطيقية والنظر فيهما كلا على حدة، وذلك لأسباب ترتبط بطبيعة وخصوصيات هذه المكونات كما ترتبط بالتطور الذي عرفته الفنون الاستطيقية عامة عبر فترات تشكل المجتمع المغربي.

وتأتي في صدارة هذه المكونات الفنون الحرفية، أو ما يطلق عليه في المغرب : الصناعات التقليدية، وسيحملنا النظر في نشأة هذه الفنون على ضرورة إدماجها ضمن ما عرف عند الدارسين بالفن الإسلامي الذي بدأت نشأته الأولى في القرن السابع، ثم أخذ يتدرج في طريق التطور إلى أن بلغ نضجه واكتماله في القرنين الثالث عشر والرابع عشر.

وعبر مسيرة التطور الذي عرفته هذه الفنون فقد تعددت أنماطها وتشعبت مدارسها وأساليبها نتيجة لعوامل كثيرة منها اتساع رقعة الإمبراطورية الإسلامية، واختلاف الشعوب التي عاشت في كنفها، وطبيعة الأحداث السياسية والاجتماعية التي تعاقبت عليها.

وعلى الرغم من التفكك والانحلال الذي أصاب الإمبراطورية الإسلامية في فترات ضعفها، والذي أدى إلى قيام كيانات مستقلة وفتح الباب على مصراعيه لتسرب المؤثرات الغربية، فقد ظلت السمات العامة التي تطبع هذه الكيانات مشتركة بينها، تلتقي في أصولها وجذورها، وإن تكن قد ذهبت مذاهب شتى في دروب التنوع من جراء ما

دخلها من مؤثرات محلية أو خالطها من عناصر خارجية بفعل الاحتكاك مع الحضارات الإنسانية.

وفي هذا السياق عرفت الفنون الحرفية بالمغرب ازدهارا مطردا على مر العصور، وبلغت في كثير من المناطق درجة قصوى من دقة الصنع، وأصالة الابتكار، وروعة الإبداع. وما انفكت عبقرية الصناع الحرفيين تتفتق عن إنجازات فنية تنطق بالجمال، وتستهوي أعين الناظرين، وذلك على الرغم من الإكراهات التي تواجه أوساط الحرفيين التقليديين وفي مقدمتها تدهور أوضاعهم المادية، وهيمنة الآلة ومنافسة الصناعات الميكانيكية الحديثة.

ولقد أبدع الصانع في مجال التنميق، فاستخدم الألوان الزاهية في زخرفة المنمنمات والمخطوطات والقطع الزجاجية والمنسوجات والجدران والمصنوعات الخزفية، كما استخدم العناصر النباتية والخيوط الذهبية والفضية الدقيقة في تزيين المصنوعات المعدنية كالأباريق والشمعدانات والمباخر والمحابر وصناديق المصاحف ودلائل الخيرات.

وقد تنوعت أساليب النقش على الخشب، والحفر في الرخام والجص، وماتزال شواهد ذلك ماثلة فيما خلفه الصناع على نافورات الماء وسقوف المساجد وأقواسها ومنحنياتها وأبواب الغرف والخزائن والمرافع الحائطية ومصاريع الأبواب، فيما يراه الناظر في المدارس التي أنشئت على العهد المريني بمدن فاس ومكناس وسلا، أو في القصور الرخامية للملوك الشرفاء السعديين بمراكش، أو في ضريح محمد الخامس في الرباط، ومسجد الحسن الثاني معملة الدار البيضاء الكبرى.

ومثلما برع الصناع في الزخرفة والنقش والحفر، فكذلك برعوا في صناعة الخشب المخروط بما أبدعوه من مشربيات اتخذوها في البيوت أو في عزل مقصورات المساجد، كما برعوا في صناعة الأواني الفخارية والخزفية التي ذهبوا في تنميقها مذاهب متنوعة ما بين رسم، وطلاء بالألوان، وتجميل بزخارف بارزة تزينها عناصر هندسية ونباتية تدور حول جسم الآنية ورقبتها.

وقد تناولت يد الصانع التقليدي الزجاج، فاتخذت منه القوارير والزهريات والأباريق والأكواب كما اتخذت منه ستارات الشرفات والنوافذ بعد صياغتها بألوان ما بين أخضر وأصفر وأحمر وأزرق.

ومن جهة أخرى ازدهرت فنون الخط المغربي بأنواعه الخمسة : الكوفي، والمبسوط والجوهر، والثلث والمسند، هذه الأنواع التي اتخذت كوسائل لتزيين جدران المساجد ومحاربها وواجهات الغرف المنزلية، كما استخدمت في كتابة المصاحف والمخطوطات. وإلى ذلك كله تطورت المصنوعات الجلدية المطرزة بالحرير والمجدول، والخيوط الذهبيةالفضية، وبلغ فن تسفير الكتب وتذهيب دفاتها مبلغا كبيرا من الروعة.

وننتقل إلى المكون الثاني للفنون الجمالية الإستطيقية - ونعني بها الفنون التشكيلية - فنسجل في البدء أنها تعتبر من الفنون المستحدثة في العالم العربي، وأنها تستمد مرجعيتها من ثقافة الغرب، فقد كان للمد الثقافي الغربي الذي اكتسح العالم العربي منذ نهاية القرن التاسع عشر والذي زاد إيغالا في مطالع القرن العشرين بعد احتلال البلاد العربية أثر كبير في غرس البذور الأولى لشجرة هذه الفنون، لاسيما منها ما اتصل بمجالات الفنون التشكيلية والدينامية. وقد ظهرت في ربوع العالم العربي - وضمنه المغرب - حركة فنية تأثرت بالمذاهب والمدارس المستحدثة في أوربا وأمريكا، ثم اتسعت رقعة هذه الحركة بعد الحرب العالمية الثانية.

وتبلورت هذه الاتجاهات من خلال ما أبدعه الفنانون من أعمال تجاوزت مفهوم وحدود الكلاسيكية الرتيبة إلى آفاق هي أكثر تحررا وإيغالا في المجتمع وأبلغ تعبيرا عن واقعه وتجلياته.

على أنه مهما تكن أساليب التعبير التي ركبها الرسامون المغاربة فإنها في رأي الفنان التشكيلي "عيسى يكن" تدور حول ثلاثة توجهات رئيسية هي :

1) توجه يستمد مرجعيته من حركات الرسم في الغرب باسم النزعة الكونية، وهو توجه ينطلق من قناعة بأن الرسم في جميع الحالات مستورد. ومع ذلك فلا ينبغي أن ينظر إلى هذا التوجه كشكل من أشكال الاستلاب.

2 - توجه ذو نزعة رمزية. وهو يتخذ أسلوبين :

ب - أسلوب يعتمد على إشارات رمزية تستوحي من جذور تمثل متخيل الفضاء الثقافي المحلي وتقاليد الفنون الشعبية كالوشم.

ب - أسلوب يوظف الحرف العربي بعد انتزاعه من سياقه في الكتابة وإعادة تركيبه في إشارات مرسومة مبتكرة.

3) توجه يسمى الرسم الساذج. وهو توجه اعتبره البعض رسما تلقائيا تميز بالنزوع إلى حكاية مشاهد الحياة اليومية، فيما اعتبره آخرون من بقايا عهد الاستعمار، وهو أمر يبرره التشجيع المفرط الذي طالما لقيه رواده من طرف البعثات الثقافية الأجنبية بصفة خاصة، وذلك على حساب التراث المغربي الأصيل.

وإلى جانب فن الرسم الأصيل فقد خاض بعض الفنانين المغاربة - على قلة - تجربة الإبداع في مجال النحت، ومن هؤلاء محمد الإدريسي، وأكرام، والتهامي القصري الذي حصل على الإجازة في النحت من كلية سان خوان بإسبانيا.

وبمناسبة ملتقى الرباط لمعرض السنتين العربي الثاني الذي أقيم عام 1976 احتضن متحف الأوداية أعمال ثلاثة نحاتين مغاربة هم : عبد الرحمن رحول، وحسن السلاوي، وموسى الزكاني. وقد نعتها النحات المصري الدكتور عبد القادر مختار صاحب تمثالي محمد عبد الوهاب والسيدة أم كلثوم بأنها "تنتمي إلى المدرسة التجريدية".

لقد كان معظم أوائل التشكيليين المغاربة ممن مارسوا الفن عن طريق الهواية، ومن هؤلاء محمد القاسمي (1942 - 2003) الذي يعتبر - في رأي محمد شبعة - من الفنانين القلائل الذين استطاعوا الجمع بين الإبداع والتنظير للفنون

التشكيلية، مثلما استطاعوا تبوأ موقع النجوم المشرقة في سماء الفن التشكيلي المغربي المتقدم. وفيما عدا القاسمي وأمثاله فإن جل الفنانين الرواد التحقوا بالمعاهد الأوربية للتعلم وصقل الموهبة. ومن هؤلاء نذكر محمد السرغيني، والمكي امغارة، وعبد الله الفخار، وسعد السفاج، والتهامي القصري. وكلهم درسوا بالمدسة العليا للفنون الجميلة بمدريد، أو المدرسة العليا للفنون الجميلة بإشبيلية، كما نذكر أحمد الشرقاوي، والجيلالي الغرياوي، وفريد بلكاهية، وحسن لكلاوي، ومحمد شبعة، وعبد الله الحريري، وحميد العلوي، وعبد الكريم الغطاس، وحميد السلاوي. وسائر هؤلاء ممن درسوا بأكاديمية الفنون الجميلة بروما، أو بالمعاهد الفرنسية كالمدرسة الوطنية العليا للفنون الجميلة أو المدرسة الوطنية العليا للفنون التطبيقية، أو أكاديمية جوليان بباريس.

على أن الساحة الفنية بالمغرب شهدت منذ فترة الحماية نشوء مؤسستين :

- مدرسة الفنون الجميلة بتطوان أسست سنة 1945. وقد آلت إدارتها بعد الاستقلال إلى وزارة الثقافة.
- مدرسة الفنون الجميلة بالدار البيضاء. أسست عام 1950. وتشرف عليها المجموعة الحضرية.

وقد تعزز التكوين التشكيلي بالمغرب ابتداء من 1995 بإحداث المركز الجهوي لتكوين أساتذة التربية الفنية التشكيلية. ويضطلع خريجوه بعد سنتين من التكوين بتدريس الرسم في الإعداديات.

2) مجموع الفنون الدينامية : يتناول الحديث في هذا الموضوع الموسيقى والغناء، والرقص والمسرح أو مايطلق عليه أحيانا مصطلح الفنون الاستعراضية.

3) الموسيقى والغناء : لا مندوحة للناظر في موسيقى بلد ما من رصد الممارسات المغناة والمعزوفة في ذلك البلد، وتقصي قوالبها. وتلك أمور لا يمكن أن تتم في غياب الكشف عن أصول ومواطن نشأتها ومراحل تطورها، ووجوه تفاعلها مع غيرها من الآثار الموسيقية. ومن ثم يجد الباحث في الموسيقى المغربية نفسه منساقا إلى استقراء الأحداث التاريخية التي تعاقبت على البلاد وما أسفرت عنه من إرهاصات وتغيرات أثرت في البنيات الاجتماعية التي عرفت في ظل تلك الأحداث تمازجا مع العناصر البشرية المتوافدة على البلاد بفعل اتساع مناطق نفوذها وانفتاحها على غيرها، وهو تمازج كان من نتائجه إثراء الآثار الغنائية المحلية بأنماط مستحدثة من التعبير الموسيقي وتطعيمها بأصناف جديدة من الآلات بأنواعها النقرية والهوائية والوترية.

وفي إطار هذا التوجه الذي يستفيد من العلاقة بين الحدث والظاهرة الفنية ينطلق نظرنا في الرصيد الموسيقي المغربي من تصنيفه في صنفين اثنين هما : الموسيقى التراثية، والموسيقى الحديثة.

I ـ الموسيقى التراثية :

نريد بالموسيقى التراثية سائر الأنماط والأشكال الغنائية والآلية التي وصلت إلينا عن طريق الحفظ والتداول الشفاهي، جيلا بعد جيل وبعيدا عن وسائل التدوين المصطلح على تسميتها بالنوطة.

وتشكل هذه الموسيقى الجانب الأكبر من الرصيد الموسيقي ببلادنا، كما تشكل كنزا زاخرا بأغنى التركيبات اللحنية والإيقاعية، وديوانا حافلا بصنوف من الشعر المنظوم بمختلف اللهجات الأمازيغية فضلا عن العربية في صيغتها الفصيحة أو العامية.

ونريد هنا الإشارة إلى ضرورة الحيطة من الانسياق وراء إطلاق "الموسيقى الشعبية" أو "الفلكورية" على عموم أنماط الموسيقى التراثية بالمغرب، وخاصة حينما يتعلق الأمر بطرب الملحون، أو بالموسيقى الأندلسية بنوعيها : "موسيقى الآلة" و"الطرب الغرناطي"، أو بمستعملات المديح والسماع. أما ماعدا ذلك من الأنماط فلا مناص من تسجيل طابعها الشعبي المتميز الذي يؤكده ارتباطها الوثيق بالبيئة، واعتمادها ـ من أجل البقاء ـ على التداول الشفاهي، وانطباعها بالعفوية والانفتاح على التصرف البديهي، وقدرتها على التوفيق بين المحاكاة والإبداع، والجمع بين الأصالة والمعاصرة، وبذلك فهي تؤكد أصالتها في أشكالها وقوالبها التقليدية، مثلما تؤكد معاصرتها في الاستفادة من الوقائع والأحداث كعوامل مثيرة للإبداع والإنتاج.

وتندرج تحت الموسيقى التراثية ثلاثة أقسام كبرى، ومن خلال الجدول التالي يمكن التعرف على الأنماط الموسيقية والغنائية التي تحتويها هذه الأقسام، وكذا مواقع استعمالها ولغة إنشادها :

القسم الأول

الأنماط البدوية الأمازيغية	مواقعها	لغاتها
ـ أغاني ورقصات أحيدوس	ـ منطقة الأطلس المتوسط	ـ لهجة تامازيغت
ـ أغاني ورقصات أحواش	ـ منطقة الأطلس الكبير	ـ لهجة تاشلحيت
ـ غناء الروايس	ـ سهول سوس	ـ لهجة تاشلحيت
ـ أغاني الريف	ـ منطقة الريف وبني يزناسن	ـ لهجة تاريفيت

القسم الثاني

الأنماط البدوية المعربة	مواقعها	لغاتها
ـ أغاني الصحراء المغربية	ـ إيفني ـ طرفاية ـ الساقية الحمراء ـ وادي الذهب	ـ اللهجة الحسانية
ـ العيطة الحوزية	ـ منطقة السهول الغربية	ـ العربية العامية
ـ الطقطوقة الجبلية	ـ مقدمة الريف وغربه	ـ العربية العامية

القسم الثالث

الأنماط الحضرية المعربة	مواقعها	لغاتها
ـ العروبيات	ـ فاس / تطوان	ـ العربية العامية
ـ أغاني گناوة	ـ بعض الحواضر المغربية	ـ العامية مع عبارات زنجية

. طرب الملحون . موسيقى الآلة	. معظم الحواضر / تافيلالت . معظم الحواضر	. عربية ملحونة . تواشيح . أزجال . أشعار فصيحة . براول
. الطرب الغرناطي	. الرباط / وجدة	. تواشيح . أزجال . أشعار فصيحة
. المديح والسماع	. أغلب الحواضر المغربية	قصائد . أشعار . تواشيح . أزجال . براول
. أذكار الطرقيين	. أغلب الحواضر المغربية	قصائد . أشعار . تواشيح . أزجال . براول

ويمكن تصنيف ألحان هذه الأنماط من حيث جنس سلمها في ثلاث مجموعات :

الأولى : ألحان تقوم على مقامات خماسية (Pentatonique) أكثرها شيوعا المقام الخماسي الطبيعي (Diatonique) والمقام الخماسي الملون (Chromatique).

وتندرج ضمنها أغاني أحواش والروايس والأقاليم الصحراوية وأهازيج گناوة.

الثانية : ألحان تجنح إلى ركوب نظام السلم السباعي، غير أنها في معظمها قلما تتجاوز الدرجة الخامسة من السلم. وتندرج تحت هذا الصنف ألحان وأغاني أحيدوس، وعيطات السهول الغربية والعيطة الجبلية، والأغاني الحضرية الشعبية.

الثالثة : ألحان تعتمد على الأجناس التي تنتظمها شجرة الطبوع المغربية، وهي ألحان موسيقى الآلة، والطرب الغرناطي، وطرب الملحون، ومستعملات المديح والسماع.

وتشذ عن هذه الأصناف أغاني الريف الأمازيغية التي تجنح إلى ركوب المقامات الشرقية، ومثل ذلك واقع بالنسبة لبعض قصائد وسارب الملحون.

أما الآلات المستعملة في الموسيقى التراثية فتتنوع بتنوع أنماطها على النحو التالي :

1 ـ الأنماط الموسيقية الأمازيغية :

• الروايس : الرباب السوسي ـ الناقوس ـ النويقسات

• أحواش : الگنبري ـ البندير ـ الطبول ـ كانكا ـ المزمار (العواد)

• أحيدوس : الكمنجة ـ البندير ـ الغيطة

• موسيقى الريف : الگنبري ـ الدف (آجون) ـ الزمر (ناي مزدوج) ـ شامجا (ناي قصب)

2 ـ الأنماط البدوية المعربة :

• أغاني الأقاليم الصحراوية : التدنيت ـ آردين ـ طبل كونتا ـ طبل الگدرة ـ طبل الإيكيو ـ زوراي

• العيطة الحوزية : العود ـ الكمنجة ـ الكنبري ـ التعريجة ـ الطارة ـ المقص ـ الهندقة

• الطقطوقة الجبلية : العود ـ الكمنجة ـ الكنبري ـ الطبل ـ الغيطة

3 ـ الأنماط الحضرية المعربة :

• أغاني اگناوة : الهجهوج ـ الطبل ـ القراقب ـ النفير

• الملحون : العود ـ الكمنجة ـ السويسن ـ التعريجة ـ الدف ـ الهندقة

• الآلة الأندلسية : الرباب ـ العود ـ الكمنجة ـ الطر ـ الدربوكة

• الطرب الغرناطي : العود ـ الكمنجة ـ السنيترة ـ البانجو ـ الرباب ـ الماندول ـ الكويترة ـ الدربوكة ـ الطر

• أذكار الطرقيين : الطبول ـ الطبيلة ـ الطاسة ـ الطارة ـ البندير ـ اكوال ـ القراقب ـ الغيطة ـ النفير

II ـ الموسيقى الحديثة :

عرفت الممارسة الموسيقية بدءا من فترة الحماية بالمغرب تحولات هامة أثرت في مسار الحركة الفنية وأفضت إلى انبثاق نوعين من الإبداع الموسيقي.

+ أول النمطين ما اصطلح على تسميته منذ ثلاثينيات القرن العشرين "بالموسيقى العصرية" ويراد بها الإنتاجات الموسيقية التي تحمل خصوصيات الموسيقى الشرقية بقوالبها الغنائية والآلية ومقاماتها وأوزانها.

وقد تدرجت الأغنية العصرية ـ في طريق تطورها ـ عبر مراحل متعددة فهيمنت عليها ـ في البدء ـ طبيعة التقليد المفرط للأغنية المصرية من حيث التركيب النغمي والإيقاعي وأسلوب الأداء، وتبني نظام التخت التقليدي

ومع تزايد إحساس الفنان المغربي بهويته الوطنية فقد تبنى مصطلح "الأغنية المغربية" كبديل "للموسيقى العصرية"، ورافق ذلك محاولات الاستفادة من التراث الموسيقي المغربي من خلال توظيف ألحانه وأوزانه وإيقاعاته وآلاته فيما يغني تجربة التلحين الموسيقي.

وفي هذا السياق عرف المغرب منذ مطالع العقد السابع ظاهرة "فرق الأجيال" بكل ما واكبها من شعارات التمرد على القوالب الغنائية الشرقية وتجديد في موضوعات الأغنية وأسلوب كتابتها.

وعلى الرغم مما حققته أغنية الأجيال من ذيوع واسع فإنها ـ من الجانب الموسيقي المحض ـ لم توفق إلى تقديم النموذج الأمثل للأغنية المغربية الحديثة.

+ ثاني النمطين يتمثل في الأعمال الموسيقية التي ركبت نهج التأليف الغربي، وهذه تجربة حديثة عرفت انطلاقتها الأولى في ستينيات القرن العشرين مع مجموعة من المؤلفين الشباب الذين درسوا قواعد التأليف الغربي على أساتذة أجانب، وتهيأ لبعضهم أن يستكملوا دراستهم في معاهد التعليم العليا بالخارج.

و يتوزع أعمال هؤلاء نهجان في التأليف :

1 ـ نهج ينطلق من التعامل مع القوالب التراثية المغربية والعربية، ومن نماذج ذلك :

ـ توزيع أركسترالي لميزان بسيط الاستهلال لمحمد الرايسي (1948 / 1997)

- نوبة صغيرة للكمان والقيثارة لمصطفى عائشة

2 - نهج ينطلق من التعامل مع قوالب التأليف الغربي. ومن أمثلته :

- سوناتة "افتتاحية الوحدة" لمحمد بودرار (1937 / 1982)

- الرابسودي المغربية لمصطفى بنيس (1935....)

وقد عرفت الساحة الفنية بفرنسا منذ السبعينيات أعمال المؤلف الموسيقي المغربي أحمد الصياد (سلا، 1936....) بعدما أنهى دراسته العليا بستراسبورغ على يد ماكس دوتش أحد تلامذة المؤلف النمساوي أرنولد شوينبرج (1879 / 1951). ومن هذه الأعمال : كانتاتا "ياسمينة" - أوبرات : التوبقال، والسلطان، وقراءات - طوق الحمل وهو عمل استوحى فكرته من مقامات بديع الزمان الهمداني، إضافة إلى مؤلفات غنائية منها : "هوية" من شعر محمود ياسين، والماء من كلمات الطاهر بن جلون. وفي السنوات الأخيرة ظهر على الساحة أحد خريجي قسم التأليف بأكاديمية تشايكوفسكي بالعاصمة الأكرانية، وهو نبيل بن عبد الجليل من مواليد مكناس 1972. ومن أعماله : سنفونية "رؤيا" - قصيد سنفوني بعنوان "ايسلي وتسليت" - السنفونية المغربية - خماسي للوتريات - إضافة إلى مؤلفات للبيانو، وأغاني ركب فيها قوالب شرقية كالموشح.

أما بالنسبة للرقص، فأكثر الرقصات الشعبية التقليدية ترتبط بالفرجات والمشاهد الاحتفالية التي تغطي سائر أقاليم المغرب. وفيما يلي أبرز صنوف هذه الرقصات :

1 - رقصات أحيدوس :تغطي مناطق شاسعة تنطلق من قصبة تادلا حتى مشارف فاس الشمالية وذلك عبر المراكز الحضرية والقروية المبثوثة في مرتفعات الأطلس المتوسط وخارجه.

وتقوم رقصات أحيدوس بأنواعها على إيقاع خماسي يحدد مسارها ويؤطر الأغاني التي ترافقها على ضربات البندير. وهي تشكل تظاهرات غنائية وكوريغرافية تعبر عن معاني البطولة وتشحذ العزيمة وتوقظ مشاعر النبل والكرم.

ويحتضن "أحيدوس تمازيغت" و"أحيدوس امسرح" جماع ما تفرق في الأطلس المتوسط من رقصات فتؤدى متتالية، ويرافقها في الغالب إنشاد مقطعات وقصائد بلهجة تمازيغت.

2 - رقصات أحواش : أحواش اسم جامع لأنواع الرقصات المنتشرة في المناطق الجبلية الممتدة عبر سهول سوس ونواحي أكادير ومراكش وورزازات. وتتعدد عروض أحواش وتختلف عن بعضهاباختلاف المناطق وطبيعة البيئة التي تمارس فيها، فهناك رقصات خاصة بالرجال وأخرى يختص بها النساء، أو مشتركة بين الجنسين، غير أنها في مجملها تخضع لنسق استعراضي واحد لا يكاد يتغير، فتبدأ متباطئة، ثم تنتقل إلى نوع من الترنح الذي يتحول شيئا فشيئا - مع احتدام ضربات البنادير - إلى حركة سريعة تبلغ منتهاها في فترة معينة، ثم تعود تدريجيا إلى الهدوء والتباطؤ معلنة من خلال خمس ضربات وئيدة على البنادير عن نهاية الرقصة.

ومن أبرز رقصات أحواش : أحواش اغرم، وتالوين، وتالوات، وحاحا، ورقصات أسكا، وتسنت، وأولوز، وتاسكوين.

3 - الروايس : فرقة غنائية أمازيغية من منطقة سوس. ويحتل الرقص من عرض الروايس موقع الجوهرة من العقد، والعادة الغالبة أن تضطلع به النساء، وفي أيديهم النويقسات النحاسية.

يبلغ الرقص أوجه حينما يتوقف الغناء ويخلوالمجال للكنابر والرباب، فيعمد الراقصون - على وقع نقرات الناقوس الحديدي والنويقسات البدوية - إلى الضرب بأقدامهم على الأرض (الهرد) في إيقاعات متجددة الأنساق، تؤطرها حركات جماعية متنوعة، ثم يشرعون في هز الأكتاف في حركات رشيقة ومعقدة، وهم أثناء ذلك يقومون بقفزات خفيفة تصطدم إثرها أرجلهم بالأرض فتحدث إيقاعا له وقع بالغ في النفوس، وينتهي العرض بتوجه الراقصين نحو الجمهور في انحناءة تلتقي عندها ركبهم بسطح الأرض فيما ترتفع أيديهم إلى أعلى.

4 - رقصات الريف : لسكان منطقة الريف تعلق شديد بالغناء والرقص حتى لتكاد الممارسات الموسيقية عندهم أن تشكل النشاط الفني المفضل.

وتتعدد هذه الممارسات بتعدد القبائل القاطنة بالريف، مثلما تتنوع أشكالها، غير أنها تظل في مجملها خاضعة لطقوس وتقاليد مشتركة توحد بينها.

ومن أشهر المجموعات الفنية بمنطقة الريف "أمذيازن"، ويغلب عليهم اسم "ازفون". وهو لفظ مشتق من "الزفن" بمعنى الرقص. ومن النماذج الشائعة - أيضا - لالابويا، وهي رباعيات مغناة بمصاحبة الرقص الذي يصطلح عليه اسم "الشظيم"، فيقف الراقصون في صفين متقابلين، ويترنحون على وقع ضربات الأرجل.

5 - رقصة الگدرة : للمرأة الصحراوية دور كبير في تنشيط الساحة الفنية مغنية وعازفة وراقصة. ولعل أبرز مظاهر حضورها في هذه المجالات ما يعرف برقصة الگدرة.

تنتشر هذه الرقصة في منطقة تمتد من الحمادة شرقا حتى أقاليم درعة وزمور والساقية الحمراء، وتكاد - في واقعها اليوم - أن تكون من خصوصيات مدينة "گوليمين".

والرقصة عبارة عن مشهد احتفالي يعتمد على ثلاثة مقومات هي الرقص والغناء والعزف. وتضطلع بالرقصة امرأة أو أكثر، فتتوسط دائرة من المعجبين والمشجعين، وتجثو على ركبتيها مرتدية كساء قاتم اللون، ثم تأخذ في تحريك ذراعيها وأناملها مع إمالة رأسها يمينا وشمالا، ثم إلى أعلى وأسفل، وكل هذه الحركات عبارة عن إشارات ذات إيحاءات معينة لها في نفوس المشاهدين مدلول معين.

يلازم الغناء مشاهد الرقصة حتى نهايتها. أما العزف فعمدته طبل من الفخار تغلفه قطعة من الجلد شدت إليه

بحبل، تنقره الراقصة براحتيها أو بواسطة قضيبين من عود رقيق.

6 ـ فرجات گناوة : تقوم الفرجة الگناوية على تعاقب شخوص أسطورية على الرحبة". وقد يستغرق العرض ساعات طويلة من الليل، وخلاله يجري ترديد مقطعات غنائية تعرف "بالأبيات" وذلك على إيقاع رقصات مجموعة من الرجال وقد ارتدوا خرقات مشكلة الألوان، وربطوا القراقب المعدنية بأيديهم، يضربون بها فيحدثون دويا صاخبا يزيد من حدة الإيقاع وعنف حركات الراقصين.

أما بالنسبة للمسرح، فقد دأبت بعض الساحات التقليدية بالمدن العتيقة في مغرب ما قبل القرن العشرين، على احتضان ظواهر مسرحية شعبية كان قوامها الحكي، والحركة، والغناء، والرقص، إضافة إلى الرغبة في خلق المتعة لدى الجماهير، وشكلت تلك الظواهر نوعا من "التمثيل"، تمثل في فرجات ومشاهد كان أكثرها شيوعا واكتمالا : فرجات البساط، وسيدي الكتفي، وعبيدات الرما، وسلطان الطلبة. وقد اعتبرت هذه الفرجات بمثابة النواة الأولى لنشوء ظاهرة "المسرح" الحديث بالمغرب ابتداء من ثلاثينيات القرن العشرين بعدما توافدت على المغرب فرق التمثيل العربي كانت أولاها فرقة محمد عز الدين عام 1923. ثم تلتها فرق أخرى كان من ألمعها "الفرقة المصرية لفاطمة رشدي" سنة 1932.

وفيما بين هذين العامين تأتى لمجموعة من الشباب المغاربة أن يتولعوا بالمسرح، وأن يدخلوا غماره، فكانت سنة 1927، إعلانا عن ميلاد أول مسرحية هي رواية "صلاح الدين الأيوبي" التي قدمتها جمعية تلاميذ المدرسة الثانوية الإسلامية بفاس.

وقد سجلت هذه الفترة أحداثا فنية هامة أهمها :

• نشوء فرق مسرحية بمدينة فاس والرباط وسلا والدار البيضاء ومكناس وطنجة والقصر الكبير وغيرها.

• تشخيص روايات من تأليف شبان مغاربة باللغة الفصحى بعدما كان معول الفنانين مقتصرا على روايات مشرقية أصلا أو على الترجمة والاقتباس.

• تبني الغناء والطرب في العروض المسرحية. وهذه ظاهرة رافقت بانتظام فرق التمثيل الوافدة من المشرق العربي.

وقد تلت هذه الفترة مرحلة عرفت الحركة المسرحية خلالها ضروبا من التقلب والانقسام مما كان له انعكاسات سلبية على سير بعض الفرق وعلى مستوى عروضها، وواكب ذلك ظهور بوادر لحركة نقدية موضوعية تدعو إلى استعمال اللهجة الدارجة في بعض مواقف المسرحيات بدل اللغة الفصحى، وتنادي بالتخلي عن اجترار ما يستورد من الشرق من روايات، والعدول عن الترجمة إلى الابتكار بما يعكس واقع المجتمع المغربي ولا يجافي أخلاقه وتقاليده.

وقد عرفت الحركة المسرحية فتورا ملحوظا خلال سنوات الحرب العالمية الثانية، فلما وضعت الحرب أوزارها وقع بعض الانتعاش، وبخاصة على صعيد برامج إذاعة "راديو ماروك"، فتشكلت في عام 1949، فرقة للتمثيل يمكن اعتبارها بمثابة النواة الأولى للاحتراف المسرحي بالمغرب، وعلى رأسها يومئذ الأستاذ عبد الله شقرون، ثم اتسع نشاطها بدءا من سنة 1953 ليتجاوز استوديو الإذاعة إلى القاعات السينمائية ببعض الحواضر المغربية. وقد كان ذلك محفزا لعودة المسرح الهاوي إلى الانبعاث في المدن المغربية، ومن ورائها وعي وطني متقد ؛ فلما امتدت يد الاستعمار بالنفي إلى ملك البلاد ورمز سيادتها في غشت 1953، أسدل الستار على كل نشاط مسرحي، ولم يرفع إلا بعد عودة الملك إلى عرشه وإعلان استقلال البلاد، فانطلق العمل المسرحي من غير قيد أو مراقبة وتعززت مسيرته حتى اليوم بجملة من الأحداث والمنجزات الهامة نذكر منها :

• تأسيس المهرجان الوطني لمسرح الهواة برعاية وزارة الشبيبة والرياضة. وقد انطلقت دورته الأولى سنة 1957، وهو الذي يشكل المسار الحقيقي للتجربة المسرحية بالمغرب تأليفا وإخراجا ونقدا.

• تأسيس مسرح محمد الخامس بالرباط من طرف وزارة عموم الأوقاف. وكان افتتاحه أواخر سنة 1960. وقد تم تفويته على التوالي إلى وزارة الأنباء، فوزارة السياحة، فوزارة الشؤون الثقافية.

• انعقاد المهرجان الأول "للمسرح العربي الحديث" بالرباط في مارس 1974، برعاية وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة.

• إحداث مادة المسرح ضمن مقررات التعليم ببعض الكليات أمكن من خلالها إطلاع الطلاب على التجارب المسرحية العربية، والعالمية كما أفضى ذلك إلى إنجاز بعض البحوث لنيل الإجازة في الأدب ودبلوم الدراسات المعمقة والدكتوراه.

• إحداث المعهد العالي للفن المسرحي والتنشيط الثقافي بالرباط عام 1986.

• صدور مؤلفات متخصصة في المسرح العربي والمغربي من وضع باحثين مغاربة.

• بروز توجهات حديثة في الكتابة والممارسة المسرحية يمكن إجمال أهمها في الآتي :

أ ـ انطلاق الفرجة المسرحية الشعبية مع فرقة المسرح العمالي التي أسست بالدار البيضاء سنة 1957. ثم التحقت عام 1959 بالمسرح البلدي لهذه المدينة. وكان رائد هذا التوجه الفنان الطيب الصديقي الذي وظف الحلقة والحكواتي والظواهر المسرحية الشعبية متوسلا بالتجربة.

ب ـ انبثاق توجه مواز للسابق يمتح من الذاكرة الشعبية، ويستنطق صامتها، فيعيد صياغته في قوالب تحاكي ما ألفه عامة الناس من أقاصيص شعبية وفي أشكال تستهوي ما ألفته أعين الجماهير. وقد كان رائد هذا التوجه الأستاذ الطيب العلج.

ج ـ إعادة كتابة التراث من منظور جديد يؤسس لكتابة مسرحية احتفالية هي في أساسها مسرح شامل، يفترض جمهورا شاملا، فيمد بينه وبين الجمهور جسور الترابط، ويسعى إلى توظيف الاحتفالات الشعبية المحملة بأهازيج وتقاليد مختلفة. وقد كان الأستاذ عبد الكريم برشيد رائد هذه الإضافة النوعية في المسرح المغربي والعربي ممارسة وتنظيرا.

• صدور بيانات تهتم بالتنظير المسرحي والبحث عن صيغة عربية وطنية، ومن هذه البيانات ما قدمته جماعة المسرح الاحتفالي في بياناتها السبعة والتي كان من أعضائها المؤسسين : الدكتور عبد الكريم برشيد والدكتور عبد الرحمن بن زيدان...

• تبلور وعي نقدي جديد لقراءة المسرح بمناهج نقدية مختلفة أسست اليوم تراكما هاما في تحليل الظاهرة المسرحية بالمغرب الحديث. ومن بين المتخصصين في هذا المجال : الأستاذ عبد الله شقرون والدكتور حسن المنيعي، والدكتور محمد الكغاط والدكتور مصطفى رمضاني، والدكتور عبد الرحمن بن زيدان وآخرون.

ع. أفا، *معلمة المغرب*، ج. 11، 1421 / 2000، ص. 3748. 3753؛ ع. الرحمن بن زيدان، *خطاب التجريب في المسرح العربي*، ط. 1، 1997، مكناس، ص. 132. 134 ؛ من قضايا المسرح المغربي، طبع بمكناس، ص. 102. 103 ؛ ع. العزيز بن عبد الجليل، *مجلة المناهل*، مطبعة المناهل، الرباط، ع. 58 مارس 1998، ص. 419. 421 ؛ الاتجاه العلمي في الكتابة الموسيقية - الآلات، بحث *مقدم إلى المؤتمر الخامس عشر للمجمع العربي للموسيقى ببيروت*، لبنان، 1. 4 ماي 1999 ؛ ليمان حسن، *معلمة المغرب*، ج. 11، 1420 / 2000، ص. 3117. 3120 ؛ مج. الفنون، ع. 1 س 1غشت 1973، إصدار وزاوة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة ؛ مج. *فنون*، عدد خاص، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة، جمادى الأولى، 1397 / أبريل 1977، ص. 56. 115. 199. 201 ؛ مج. *صوت الشباب*، ع. 3 يونيو 1960، إصدار وزارة الشبيبة والرياضة، ص. 11 ؛ حسن المنيعي، مج. *الفنون*، إصدار وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، ع. 1 س 3 ربيع الأول ـ جمادى الثانية 1396 / أبريل ـ يونيو 1976، ص. 259. 261 ؛ محمد شفيق غربال، *الموسوعة العربية الموسعة*، القاهرة، 1965، ص. 1316 ؛ إ. الفاسي، *معلمة المغرب*، ج. 11، 1420 / 2000، ص. 3720. 3724 ؛ ع. الله شقرون، *ألوان من الفنون المغربية*، ط. 1، 2003، الدار البيضاء، عدة مواضيع.

Abdelaziz Benabdeljalil, *Civilisation marocaine*, Ed. Oum, Actes Sud / Simbad, 1996, p. 224-233.

عبد العزيز بن عبد الجليل

فنيكاش ويكتب فنيقش، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Vanegas ؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Venegas وVanegas ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1149 / 1737.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

الفهد كما هو في الدارج وفي كتب اللغة، ونمر في بعض مناطق أفريقيا الشمالية، حيوان بري لاحم من الثدييات الوحشية النشالة، يضايقه رعاة الغنم والماعز ويتخذ من جلده الفراء المشهورة مما تسبب في مبالغة صيد قصد تجارة غير قانونية نتج عنها تهديده وانقراضه في عدة مناطق على الصعيد العالمي. عدة أفراد منه تعيش في المحميات البيولوجية إلا أنها تتعرض لأمراض متنوعة ولمضايقة الحيوانات اللاحمة الأخرى. عرفه المصريون القدامى منذ 1500 سنة قبل المسيح وجعلوا منه حيوانا أليفا يستعمل لصيد الطرائد نظر للرزانة والحذر وشدة التلبس التي يمتاز بها.

يصنف إلى رتبة السنوريات الكبار Félidés وفصيلة Acinonychinés ويسمى علميا Acinonyx jubatus (Schreber, 1776) وبالفرنسية Guépard وبالإنجليزية Cheetah hunting leopard وبالإسبانية Guepardo، موطنه على وجه الحصر المناطق الحارة الإفريقية الأسيوية الممتدة من الهند إلى المغرب، وبعد تقلص شديد لمعظم مجموعاته في كثير من الأقطار خلال العقود الأخيرة أصبح توزيعه الجغرافي يقتصر حاليا على المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية المغربية والموريتانية ومالي وكينيا وأنكولا وبوركينا فاسو ونيجيريا والصومال والسودان وتنزانيا وتشاد وكونكو الديموقراطية وإثيوبيا وزامبيا وزمبابوي وإيران وأفغانستان وتركمانستان.

وهو حيوان في شكل قط ضخم بين الكلب والنمر على تشكل المبلغ أي السلوقي لطول قوائمه النحيلة المكيفة على الركض والقفز، القائمتان الخلفيتان أطول من الأماميتن ومخالبه لا تدخل في أكمام كمخالب النمر والقط فهو بهذا أقرب إلى الكلب منه إلى النمر، متوسط القامة وذيله طويل غزير الشعر يساعده على التوازن خلال الجري. الفروة صحراء شاحبة شيئا ما مرقطة بالسمرة ورقطه متفرقة ولا تجتمع كالحلق كما في النمر، العفرة قصيرة على العنق والرأس

قصير وعريض وموسم بخط أسمر نازل من العينين إلى الشفة العليا. الأذنان قصيرتان ودائريتان، الذيل منقط ثم محلق على مؤخرته، المخالب غير خنوسة عند الكبار كما هو الشأن عند السنوريات الأخرى. يتراوح وزن الكبار بين 30 و65 كيلوكراما ويبلغ طوله جمعا بين الرأس والجسم 110 ـ 140 سم وطول الذيل 65 ـ 80 سم وطوله عند الغارب 75 ـ 85 سم.

صيغة أسنانه كالتالي : 3/3 أسنان، 1/1 أنياب، 3/2 أضراس أمامية، 1/1 أضراس = 30 سنا متكاملة تتمثل في قواطع صغيرة وأنياب قوية وحادة معقوفة وأضراس طاحنة أمامية قاطعة لكون الضرس الأمامي الطاحن الأعلى والضرس الأمامي الأسفل يعملان إحداهما عكس الآخر على نحو نصلي مقص.

يكثر نشاطه نهارا ويصيد في بداية النهار وعند الغروب، يقترب من فريسته صامتا متلبسا ثم ينطلق كالسهم نحوها بسرعة تفوق أحيانا 100 كلم في الساعة في فترة لا تتعدى دقيقتين وتبلغ وثباته 6 ـ 8 أمتار. يلقي بفريسته على الأرض ويخنقها ثم ينتظر موتها ليشرع في الأكل. يألف الأماكن العارية السهوبية ويعيش منفرداً أو مزدوجا أو في مجموعات أسرية صغيرة لا يتعدى عددها 6 أفراد وتفضل الإناث العزلة في أغلب الحالات. يتكون غذاؤه من الغزلان والأرانب والثعالب وابن آوى والظربان والطيور الراكضة كالحبارى ويخشى الضبع. يقتصر توزيعه الجغرافي حاليا على بضعة مناطق حارة بإفريقية وآسيا ويفضل العيش في السباسب والسهوب القفرة. لقد تمت مشاهدة بضعة أفراد في نواحي فكيك ووادي درعة وكمكم خلال السبعينيات من القرن العشرين وفي الساقية الحمراء والأوساط الصحراوية المغربية سنة 1981 (Aulanier et Thevenot).

يتوالد في الربيع وبداية الصيف وتدوم مدة الحمل 90 ـ 95 يوما وتلد الإناث 2 ـ 5 صغار تحرسها وتعتني بها 18 شهرا وتصير بالغة بعد 17 ـ 24 شهرا وتعمر حوالي 14 سنة. تزن الصغار عند الولادة 250 ـ 270 كراج وتبلغ نسبة عدد الوفيات 70٪ عند الصغار. تقل نسبة الإنجاب عند الأفراد التي تعيش في المحميات البيولوجية وفي حدائق الحيوانات.

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

A. Lakhdar Ghazal, J.P. Fartouat et M. Thevenot, *Faune du Maroc, les mammifères, Albums didactiques*, Rabat, 73 p. ; S. Aulanier et M. Thevenot, *Catalogue des mammifères sauvages du Maroc*, Trav. Inst. Sci., série Zoologie, n° 41, Rabat, 1986.

محمد رمضاني

الفهدي، أبو عبد الله محمد ـ فتحا ـ بن عيسى المكناسي من فحول المشايخ الداعين إلى حضرة الحق، ومن المشايخ الذين يُقتدى بهم ويُهتدى بهديهم، مورد المريدين، تحدث أهل مكناس بكراماته، وهو صاحب الإفادة، والتنويه والرشاد، قال عنه ابن عسكر في *الدوحة* : وكان تليمذه شيخنا أبو الحجاج ابن مهدي يقول : سيدي ابن عيسى هو الإكسير الذي لا نظير له".

أخذ العلم عن الشيخ أبي العباس الحارثي. من كراماته، يقول ابن عسكر عن أبي الحجاج بن مهدي : "جاء تليمذه الشيخ أبو الرّواين وقال له : يا سيدي ! إني جعلت زمام نفسي بيدك وقد شغفت بحب النساء، فإن لم تكن لك عناية ربانية فصاحبك يعصي الله تعالى في هذه الليلة، يعني نفسه، و والله حتى أفعل، فقال الشيخ : اذهب وافعل ما شئت، فإن الله قادر على أن لا تفعل، ولن تستطيع، ولو أردت بعناية الله سبحانه. قال : فلما كان من الغد جاء أبو الرّواين وهو في غاية الضعف ووجهه مصفر فقلنا له : مالك هكذا ؟ فقال " شاهدت العجب البارحة. فقلنا له : ومالك ؟ قال : ذهبت إلى امرأة عربية وتكلمت معها أن تبيت عندي، لما سبق من يميني بالأمس، فأتت، فما كان إلا وصلتها وهممت مواقعتها فإذا أنا كالمفلوج لا أستطيع تحريك عضو من أعضائي فبقيت مستلقيا على ظهري كاليت لا نقدر على نطق ولا حركة، حتى إذا طلع الفجر سمعت صوت الشيخ وهو يقول : أتتوب إلى الله يا أبا الرّواين ؟ فقلت بصوت خفي : أنا تائب إلى الله، فقال : قم إلى صلاة الصبح، فنهضت فإذا أنا قائم كأنما نشطت من عقال، فلما دخلت على الشيخ قال : يا أبا الرّواين، ما فعلت ؟ فقلت : يا سيدي، من يكون في رعاية مثلك لا يخشى على نفسه غواية ..." وقال ابن عسكر : "وسمعت الشيخ بصري يقول : ثلاثة مشايخ لم يكن لهم نظير في المغرب : سيدي ابن عيسى وسيدي أبو محمد الغزواني والسيد أبو محمد الهبطي".

توفي ابن عيسى في أول سنة 940، وقبره مزارة مشهورة خارج مكناسة من ناحية الغرب.

ابن عسكر، *دوحة الناشر*، 71، تح. محمد حجي.

عبد القادر سعود

فهمي، علي من مواليد سنة 1930 بآيت مَحمد إقليم أزيلال. بدافع غيرته الوطنية ساهم في تأسيس خلية سرية للمقاومة بالمنطقة إلى جانب السيد مشكور احساين تضم أعضاء ينتمون إلى قبائل آيت مَحمد وآيت بوگماز وزاوية آحنصال ابتداءاً من سنة 1954 ، حيث قام بجمع الأموال والتبرعات وتأطير الأفراد وتحفيزهم للتضحية في سبيل الوطن وطرد المستعمر.

وقد كانت أغلب اجتماعاته تعقد في بيته حيث توصلت السلطات الفرنسية إلى اعتقاله وتعذيبه بمركز آيت مَحمد. ورغم ذلك واصل الفقيد عمله النضالي إلى أن حصل المغرب على استقلاله.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*.

الفواكه ، يستدعي الحديث عن الفواكه في المغرب (تاريخياً) إبداء ملاحظة أساسية : ذلك أن الكثير من الدراسات والأبحاث المنشورة في عدد من المجلات المتخصصة ترجع جل الفواكه المعروفة في المغرب ـ إن لم نقل كلها ـ إلى أصول مشرقية، فهي إما آتية إلينا من الهند أو من بلاد فارس، ودخلت المغرب في أزمنة مختلفة عن طريق مصر أو الأندلس، لدرجة أننا لا نكاد نجد بينها منتوجاً مغربياً واحداً.

ـ تتناقض هذه الدراسات مع ما ورد في كتب الجغرافية التاريخية من وصف وإعجاب بخيرات المغرب الطبيعية والفلاحية لكن الأمر في تقديري لا يخلو من مبالغة الدارسين أو عدم انتباههم إلى أن الكثير من الفواكه المعروفة اليوم في المغرب ـ ومنها عدد غير قليل معروف بأسمائه الأمازيغية الأصلية ـ قد كانت في حالة برية وأن الأنواع المذكورة في تلك الدراسات هي الأنواع الفلاحية المنتجة للسوق، وغاب عن هؤلاء الدارسين أن الكثير من تلك الفواكه قد دجنت وركبت في أصول وأنواع مغربية حتى تكيفت مع البيئة الجديدة فحققت مردودية وجودة عالية. وقد بدأ ذلك منذ عهد الأدارسة ليبلغ ذروته في عهد "الثورة الفلاحية" التي تحققت على يد الموحدين.

عرف إنتاج الفواكه بجميع أنواعها وأشكالها نمواً مضطرداً طيلة العصر الوسيط مع الذروة في الفترة الممتدة من العهد المرابطي والموحدي إلى نهاية العهد المريني الأول ؛ ويرجع هذا النمو والازدهار إلى سيادة حياة الاستقرار وانتشار الأمن وتقارب الثورتين المرابطية والموحدية بصفة خاصة والتي شجعت الفلاحة بصفة عامة ومنها البستنة، ويضاف إلى هذه العوامل التحسن النسبي الذي طرأ على المستوى العيشي، فارتفع الطلب على مواد غذائية مكملة ـ وكمالية أحياناً ـ سواء في المدن أو البوادي خاصة لدى الفئات الموسرة، ورغم ذلك بقي الإستهلاك محدوداً أمام ارتفاع الإنتاج مما خلف فائضاً في بعض الأنواع حتى أن ثمنها ينخفض بشكل كبير لتعذر تسويقها خارج مناطق الإنتاج، وأحياناً لا يصبح لها ثمن بالمرة لا نعدام المشتري أو أن ثمنها لا يغطي حتى أجرة نقلها من البستان إلى السوق. بقي أن نشير في ختام حديثنا المقتضب عن الفواكه، أن الفائض الذي أسهبت بعض المصادر في سرده وأعجب به المؤرخون لم يكن فائضاً حقيقياً بالمفهوم العصري ذلك أن الربط بين مختلف جهات المغرب كان متعذراً لأسباب تقنية تتعلق بالنقل أو لأسباب أمنية، فيبقى المنتوج مروجاً محلياً، أو قد يكون لأسباب أخرى، منها حداثة غراسة بعض الأنواع في تلك المناطق والسبب الغالب يرجع إلى سرعة فساد بعض الأنواع لضعف وسائل النقل وبطئها، ولنضوج الفواكه في فصل الحرارة المرتفعة، ولتجاوز هذه الوضعية والتقليل من خسارة المنتجين والتجار سوقت بعض أنواع الفواكه كالتفاح ، والخوخ والإجاص والبطيخ وغيرها إلى أماكن الإستهلاك البعيدة سوقت فجة وغير تامة النضج لتتحمل مشاق السفر وطول مدته مع استعمال مواد مسخنة ومسهلة للإنضاج كالرماد والنخالة وغيرها.

البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب* ؛ ابن أبي زرع، *الأنيس المغرب بروض القرطاس* ؛ الحميري، *الروض المعطار* ؛ الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ الونشريسي، *المعيار* ؛ التادلي، *التشوف* ؛ ابن قنفذ، *أنس الفقير* ؛ البادسي، *المقصد الشريف* ؛ السبتي الأنصاري، *اختصار الأخبار* ؛ ابن غازي، *الروض الهتون* ؛ العمري، *مسالك الأبصار* ؛ عبد الواحد المراكشي، *المعجب في تلخيص أخبار المغرب* ؛ الشريف الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ ابن حوقل، *صورة الأرض* ؛ *مجلة البحث العلمي*، 29 : 30 و197، ص. 97 ـ 99.

Bulletin archéologique marocain, vol. 2, 1964, p. 365, vol. 6, 1966, p. 235 ; *Bulletin d'enseignement public marocain, n° 209, 1949, p. 9-20.*

محمد حجاج الطويل

الفُودُودي، الحسن بن **عمر** ، ينحدر من أسرة الفودودي التي اختص العديد من أفرادها بالإشتغال بالوزارة في العهد المريني كأبي زيد عبد الرحمن بن ماسي المدعو رحو، وعيسى وإبراهيم ابني عمران وعمر بن موسى بن عمران ومسعود بن عمر ومسعود بن رحو بن ماسي.

كان المترجم له وزيراً للسلطان أبي عنان فارس وكان على خلاف مع غيره من معاصريه من الوزراء المرينيين خاصة الوزير عمر بن ميمون ويحيى بن موسى العقولي وزير ولي العهد الأمير أبي زيان محمد.

ولما عاد السلطان أبو عنان فارس إلى عاصمة ملكه مدينة فاس قادماً إليها من حملته على بلاد المغرب سنة 759 / 1358 أقعده المرض وألزمه الفراش وأعجزه عن القيام بالأمر ولم يجلس لتلقي التهنئة يوم عيد الأضحى على العادة. فاشتد الصراع بين الحسن بن عمر من جهة وعمر بن ميمون ويحيى بن موسى العقولي من جهة ثانية، وحاول كل طرف التمهيد للاستئثار بأمور التسيير إلى أن حالف النجاح الحسن بن عمر في استمالة شيوخ بني مرين وتأليبهم على ولي العهد أبي زيان محمد، فأجمعوا على خلعه والفتك بوزيريه والبيعة لأخيه أبي بكر السعيد. وتم لهم ذلك يوم الأربعاء الرابع والعشرين من ذي الحجة عام 759 / 1358 والسلطان أبو عنان فارس على فراش الموت.

ولما تمت بيعة أبي بكر السعيد ارتقب الناس دفن السلطان أبي عنان يوم مبايعة ابنه أي يوم الأربعاء وكذلك يوم الخميس ويوم الجمعة بعده. ولما لم يدفن ارتابوا في أمر الوزير وفشا الكلام فأدخل الحسن بن عمر إلى أبي عنان من قتله، وقيل دخل بنفسه إليه بمكانه من قصره ثم غطاه حتى أتلفه.

لم يكن اختيار الحسن بن عمر للأمير أبي بكر السعيد الذي كان في الخامسة من العمر إلا لدر الرماد في العيون والتمويه على الرعية. فقد ولاه عرش المرينيين ليستبد بالأمر والنهي دونه فحجبه عن الناس وبعث إلى إخوته بالقدوم عليه

حتى تسهل عملية مراقبتهم بعدما كان السلطان أبو عنان قد ولاهم على أعمال ملكه أثناء مرضه. فجاء المعتصم من سجلماسة وامتنع المعتمد الذي كان في كفالة عامر بن محمد الهنتاتي بمراكش فجهز إليه الحسن بن عمر جيشا أوكل قيادته لشريكه في الاستبداد الوزير سليمان بن داوود الذي سار إلى مراكش في شهر محرم من سنة 760 / 1359 ولم يفلح فيما خرج من أجله لأن المعتمد ووزيره عامر تحصنا بمعاقل هنتاتة في الجبال وبقيا بها حتى تراجعت عنهم الجيوش المرينية إثر محاصرة منصور بن سليمان لفاس الجديد قادما إليها من تلمسان رفقة مسعود بن عبد الرحمن بن ماسي.

وقد كان على الحسن بن عمر بعد استبداده على سلطانه الصبي الحفاظ على نفوذ المرينيين في المغرب الأوسط رغم ما كان يعانيه من مشاكل في المغرب الأقصى. فبعث إلى تلمسان بجيش تحت قيادة سعيد بن موسى العجيسي لمنع بني عبد الواد من معاودة فرض سيطرتهم على عاصمة ملكهم. فتمكن المرينيون من إحكام قبضتهم على تلك المناطق إلى أن نجح أبو حمو موسى بن يوسف الزياني سلطان بني عبد الواد في طردهم بمساعدة شيعته من عرب بني عامر الهلاليين واستباحهم بالقتل وأتى على ما كان لديهم بالسلب والنهب في ربيع الأول من سنة 760 / 1359.

ولما بلغ خبر هزيمة سعيد بن موسى واستيلاء أبي حمو موسي على تلمسان إلى الوزير الحسن بن عمر استشار شيوخ بني مرين في النهوض إلى المغرب الأوسط فأجابوه إلى ذلك لكنهم أشاروا عليه بعدم السير على رأس الحملة بنفسه، فعقد عليهم لقريبه مسعود بن رحو بن ماسى الفودودي، وفتح ديوان العطاء وفرق الأموال وأراح العلل. واتجهت الحملة نحو تلمسان على جناح السرعة في نفس الشهر الذي دخلها فيه أبو حمو وجموعه وأنصاره من بني عامر، حتى إذا اقتربت الجيوش المرينية منها غادرها سلطانها أبو حمو موسى في اتجاه بلاد الصحراء، فدخلها مسعود بن رحو بن ماسي في شهر ربيع الثاني من سنة 760 / 1359. ثم بعث ببعض جيوشه في طلب بني عامر أنصارأبي حمو موسى الذين لم يرافقوه إلى بلاد الصحراء بعد مساعدتهم له في فتح تلمسان فاحتلوا بمواطنهم من أنكاد بحللهم وظواعنهم كما هي عادتهم. لكن القائد الذي كلفه مسعود بن رحو بن ماسي بمهمة تأديب عرب بني عامر بن زغبة وهو عامر بن عبو بن ماسي ابن عم مسعود المذكور لم يفلح في مهمته ومني بهزيمة نكراء جردت على إثرها الأعراب فرسانه من خيولهم ومتاعهم فعادوا إلى مدينة وجدة عراة.

كان لهذه الهزيمة أثر كبير في تغير أغلب شيوخ بني مرين على الحسن بن عمر وإنقلابهم عليه، فاتفق من كان منهم بتلمسان على مبايعة يعيش بن علي بن أبي زيان محمد بن يوسف بن يعقوب بن عبد الحق. لكن قائد الحملة المرينية على تلمسان مسعود بن رحو بن ماسي رفض عقد البيعة لهذا الأمير ودعا بالمقابل لمنصور بن سليمان بن منصور بن عبد الواحد بن يعقوب بن عبد الحق مستغلا تذمر الأشياخ من ابنه عمه الوزير الحسن بن عمر المستبد بفاس، وما كان يردده الناس من أن سلطان المغرب سائر إلى منصور بن سليمان هذا بعد مهلك أبي عنان. وقد نجح مسعود بن رحو بن ماسي في مسعاه وتبعه من كان من المرينيين معه في ما ذهب إليه وتخلوا عن بيعتهم ليعيش بن علي. فتحرك رفقة السلطان المريني الجديد في اتجاه فاس واعترضت طريقه جموع العرب من بني عامر والمعقل فأوقع بهم وامتلأت أيدي عساكره من أسلابهم وظعنهم وأنعامهم ثم أغذ السير فوصل مدينة فاس في منتصف جمادى الأخيرة سنة 760 / 1359 وقد أعد له الحسن بن عمر العدة للقاء لكن أغلب من كان معه بالعاصمة إنحاش إلى القادمين وبايع السلطان منصور بن سليمان فتحصن الحسن بن عمر بالبلد الجديد من فاس وحاول منصور اقتحامها عليه ولم يفلح رغم وفرة جموعه وانضمام الجيش المريني الذي كان يحاصر عامر بن محمد الهنتاتي والأمير المعتمد بن أبي عنان بمعاقل هنتاتة بقيادة سليمان بن داوود إليه.

لم يكن منصور بن سليمان في مستوى القيام بأمر المرينيين في هذا الظرف العصيب لأنه أبدى استخفافا واضحا بالأمور وانغمس في الملذات بمكان حصاره للعاصمة فاس بكدية العرائس. وبقي على حاله إلى غرة شعبان من سنة 760 ونزع عنه عدد كبير من وجوه بني مرين والتحق آخرون بمواطنهم في حين سعى بعضهم إلى البحث عن سلطان جديد يعيد للمخزن مكانته وهيبته فكتبوا إلى الأمير أبي سالم إبراهيم في شأن القدوم عليهم إلى فاس بعد أن كان أخوه أبو عنان قد نفاه إلى غرناطة خوفا من منافسته له على ملك أبيهما أبي الحسن.

لما تلقى أبو سالم بيعة بعض أشياخ قبائل المغرب سعى لدى الحاجب رضوان المستبد في غرناطة على محمد بن أبي الحجاج يوسف سلطان بني نصر من أجل مساعدته في طلب الملك فرفض طلبه. ثم اتجه إلى ملك قشتالة في إشبيلية وطلب منه أن يجهز له أسطولا للجواز إلى بر العدوة فأجابه إلى ذلك مقابل شروط اشترطها عليه. فصار إلى مرسى مازاغان بغرض الوصول إلى مراكش، لكن عامر بن محمد الهنتاتي امتنع من قبوله لما كان يعانيه من حصار سليمان بن داوود له وللمعتمد بن أبي عنان. ثم اتجه نحو غمارة ونزل بأصيلة وبايعه أهلها على الموت دونه وكثر أتباعه هناك وبايعه أهل بعض الثغور الأندلسية.

حاول منصور بن سليمان التصدي لأبي سالم وجهز لمواجهته جيشا عقد عليه لأخويه عيسى وطلحة فتمكنا من إلحاق الهزيمة بأبي سالم وأرغماه على الاعتصام بالجبال. وانتهز الحسن بن عمر انشغال منصور بن سليمان بمحاربة أبي سالم فبادر بإرسال بيعته إلى هذا الأخير ووعده بتمكينه من العاصمة فاس وخلع سلطانه أبي بكر السعيد بمجرد وصوله

إليه. كما راسل مسعود بن رحو بن ماسي وزير منصور بن سليمان في أمر مبايعة أبي سالم والتخلي عن سلطانه ففعل، وضعفت بذلك صفوف منصور وانفض أغلب الناس من حوله فاستغل الحسن بن عمر ما آل إليه أمره وأمر رجاله بالخروج إليه لما أيقن من ضعفه فانقضوا عليه ونهبوا محلته ففر مع ولده إلى مدينة بادس في حين التجأ أخواه عيسى وطلحة ووزيره مسعود بن رحو بن ماسي إلى أبي سالم فتقبلهم ثم قرب مسعود منه ونفى عيسى وطلحة إلى غرناطة.

كان دخول أبي سالم إلى البلد الجديد بالعاصمة فاس يوم الجمعة منتصف شعبان من عام 760 / 1359 وحظي لديه الحسن بن عمر في بداية الأمر بحظوة كبيرة. فقد أبقاه على الوزارة وخصه بأحسن الأوصاف وعبارات التبجيل في مراسلاته لسلطان بني نصر أبي عبد الله محمد بن أبي الحجاج يوسف المعروف بمحمد الخامس الغني بالله ومن ذلك قوله فيه "وزيرنا الحظي لدينا الشيخ الأجل الأسنى المعظم الأكمل أبي الحسن علي بن عمر أعزه الله". ثم تغير السلطان عليه لما سعى به أعداؤه لديه فتخوف منه وعقد له على مراكش وأحوازها وجهزه إليها بالعساكر واستوزر مسعود بن رحو بن ماسي والحسن بن يوسف الورتاجني مكانه.

ولما حل الحسن بن عمر بمراكش ثقف أطرافها وصار له بها سلطان ورياسة أثارت حقد حساده من الوزراء بمجلس السلطان أبو سالم فسعوا في تنكر السلطان له حتى أظلم الجو بينهما وخاف الوزير من فتك السلطان به، فخرج من مراكش في شهر صفر من سنة 761 / 1360 ولحق بتادلا منحرفا عن الطاعة، فتلقاه عرب بنو جابر من شجم وشيخهم حسين بن علي الورديغي فناصروه وأجاروه. ثم وجه إليه السلطان أبي سالم جيشا بقيادة وزيره الحسن بن يوسف الورتاجني استطاع السيطرة على مجالات بني جابر وأرغمهم على الفرار أمامه إلى الجبال المجاورة لمجالاتهم بتادلا وقد تمكن الوزير المريني من استمالة بربر صناكة سكان تلك الجبال بالمال وحرضهم على الحسن بن عمر وأنصاره من بني جابر فثاروا بهم وانفض جمعهم وألقي القبض على الحسن بن عمر وسيق إلى مدينة فاس رفقة أفراد أسرته في يوم مشهود.

وصف ابن الخطيب امتحان الحسن بن عمر ونكبته بمدينة فاس وقال بأنه أركب جملا هزيلا أعرج بعد أن ألبس جبة من الصوف عادة ما يتخذها الساسة والملاحون، حاسي الرأس، وقد تصيب عرقا من موقف الهول. وأمر بتأدية حق الخلافة، فأومأ برأسه لثقل قيود الحديد، وتشاغله بالإمساك على السنام. وأغرى به السبابون والرعاع فنالوا منه ومن زوجته سونة زوج الوزراء قبله. ثم نقل إلى مجلس السلطان وقام بعض الحاضرين بتقريعه ومجابهته بالتهم، وهو غير ملتفت إليهم رابط الجأش، رطب اللسان، صادع الحجة، حمل السلطان على الاعتراف بحسن بلائه عنده، وضبط عاصمته وحمايتها من أعدائه إلى حين قدومه إليها. وبعد أن استوفى دفاعه، أمر السلطان بإعدامه. فسحب بالكبول على وجهه ونتفت لحيته وضرب بالعصي. قال ابن خلدون : "وحضرت هذا المجلس يومئذ فيمن حضر من العلية والخاصة فكان مقاما تسيل فيه العيون رحمة وغيرة". ثم اقتيد بعد ذلك إلى باب السبع حيث نفذ فيه الإعدام طعنا بالرماح وصلب جسده بباب المحروق، وظل هناك أياما إلى أن أمر أهله بمواراته وذلك عام 761 / 1360.

عبد الرحمان ابن خلدون، *العبر*، ج. 7، دار الفكر، بيروت، 1988 ؛ ابن الأحمر، *روضة النسرين في تاريخ دولة بني مرين*، باريس، 1917 ؛ ابن الخطيب، *نفاضة الجراب في علالة الاغتراب*، الدار البيضاء، 1985 ؛ يحيى ابن خلدون، *بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد*، ج. 2، الجزائر، 1903 ؛ ابن القاضي المكناسي، *جذوة الاقتباس*، ج. 1، الرباط، 1973 ؛ الناصري، *الاستقصا*، ج. 4، الدار البيضاء، 1955 ؛ العباس بن إبراهيم، *الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام*، ج. 3، الرباط، 1975.

حسن حافظي علوي

فور إدكار Faure Edgar ولد في بيزيي (Béziers) 18 غشت 1908 درس القانون وعين محاميا بمحكمة باريس منذ 1929. ثم شغل عدة مناصب هامة. انتخب ممثلا في البرلمان الفرنسي باسم الحزب الاشتراكي الراديكالي لإقليم الجورا (1946 - 1958). عين كاتبا للدولة في المالية 1949 - 1951 ثم وزيرا للعدل في غشت 1951 ثم رئيسا للحكومة ووزيرا للمالية من 10 يناير إلى 29 فبراير 1952. ورئيسا للجنة الشؤون الخارجية في المجلس الوطني 1952 - 1953. وزيرا للمالية بحكومة جوزيف لانيل 28 يونيو 1953. وزيرا للمالية والشؤون الاقتصادية والتخطيط لحكومة منديس فرانس. 19 يونيو 1954. وزيرا للشؤون الخارجية لحكومة منديس فرانس المعدلة 20 يناير 5 فبراير 1955. رئيسا للحكومة 23 فبراير 1955 يناير 1956. سيناتور لإقليم الجورا ثم دخل الأكاديمية الفرنسية في 8 يونيو 1978.

حينما أصبح رئيسا للحكومة الفرنسية جعل حل الأزمة المغربية ضمن برنامجه الحكومي، فعزل المقيم العام لاكوست وعين جلبير گرانفال، وأعطاه صلاحيات للبحث عن حل للأزمة المغربية. ووضع أجندة لذلك. تمت المرحلة الأولى بالاستشارات التي قام بها كرانفال مع مختلف الفعاليات المغربية وخاصة النخبة الوطنية حيث منحهم حرية أكبر، رغم تصاعد احتجاجات اللوبي الاستعماري داخل المغرب وفرنسا، ووصل كرانفال إلي الخلاصة التالية : وهي تنحية ابن عرفة وإقامة مجلس للوصاية وتأليف حكومة مغربية لتسيير البلاد ووضع إصلاحات لمدة سنتين في انتظار الإعلان عن الملك الشرعي. دافع رئيس الحكومة عن رأي كرانفال في المجلس الوطني في 2 غشت 1955. وعلى إثر ذلك كون فور "لجنة التنسيق حول شمال إفريقيا" ضمت : فور وگرانفال وبوايي دولاتور وجاك سوستيل، وبعد اجتماعات مكثفة خلصت إلى : الإبقاء على بنعرفة وإنشاء حكومة مغربية تمثل كل فئات الشعب وإعطاء الإمكانيات لتطبيق إصلاحات شاملة بالبلاد.

لكن ابن عرفة لم يستطع تأليف الحكومة المطلوبة وأرسل رسالة إلى رئيس الجمهورية الفرنسية روني كوتي بذلك.

بعدها بدأ فور بتطبيق المرحلة الثانية من خطته وهي استشارة مختلف اتجاهات الرأي العام المغربي بواسطة وفد حكومي يتركب من 5 أعضاء هم : إدكار فور وأنطوان بيني وزير الخارجية والجنرال كونيغ وروبير شومان وگرانفال وذلك للاتفاق على خطة ترضي الجميع وتزرع الثقة بين المغاربة والحكومة الفرنسية واختير منتجع "إيكس ليبان: ليكون مقراً للاجتماع.

ورغم وقوع حوادث 20 غشت بواد زم، استمرت المباحثات واستشارات الوفود التي شملت وفد حزب الاستقلال وحزب الشورى والاستقلال والتهامي الگلاوي ومجموعة من القياد والباشوات مما اصطلح عليهم بالتقليديين. وفي النهاية أعدت الحكومة تقريراً عرضته يومي 28 و29 غشت على الرئيس الفرنسي روني كوتي، اتفق الجميع بعدها على : انسحاب مشرف لابن عرفة وتأسيس مجلس للوصاية على العرش وتأليف حكومة مغربية تمثيلية وعودة محمد بن يوسف إلى فرنسا. ثم أعادت الحكومة الفرنسية ربط الاتصال بمحمد بن يوسف فأرسلت الجنرال كاترو وهنري إيريسو إلى أنتسيرابي في مدغشقر من أجل التفاوض، حيث انتهت المفاوضات بتوقيع محمد بن يوسف في 8 سبتمبر 1955 على رسالة للحكومة الفرنسية نصت على ما عرف بـ Intendépendamce تضمن الامتيازات للفرنسيين المقيمين بالمغرب وتؤكد الحفاظ على المصالح الفرنسية في مجال السياسة والاقتصاد والثقافة، ثم بدأت الاستعدادت لنقل الملك إلى فرنسا.

وبعد تنازل ابن عرفة على العرش رغم معارضة المقيم العام بوايي دولاتور وتعيين حراس للعرش، وجد التهامي الگلاوي نفسه مجبرا على الإذعان لرغبة الحكومة الفرنسية والشعب المغربي الذي بدأت بوادر تحركه تظهر في الأوساط الشعبية، فأعلن تصريحه في 27 أكتوبر عن قبوله عودة الملك إلى عرشه. وفي 2 نونبر وصل الملك إلى نيس ومنها إلى باريس حيث استقبله أعضاء الحكومة الفرنسية استقبالا رسميا ووقع مع وزير الخارجية الفرنسي اتفاقية لاسيل سان كلو في 6 نونبر 1955.

ويكون إدكارفور بذلك هو رئيس الحكومة الفرنسية الذي أخذ على عاتقه حل الأزمة المغربية ونفذ وعده بعودة محمد الخامس إلى عرشه في 16 نونبر 1955.

توفي في 30 مارس 1988.

حفيظة بلمقدم

الفوروم (أو الساحة العمومية)، عرفت هذه البناية الرومانية تطورات عدة حيث كانت في الأصل عبارة عن سوق ثم سرعان ما تحولت إلى مركز للشؤون العمومية والخاصة، وبجوار هذه البناية تقام أهم مباني المدينة الرومانية، بازيليك، معابد، كوريا وأحيانا دكاكين.

هذا التطور في الشكل الأول للفوروم سيكتسي خصوصيات اختلفت حسب تصاميم المدن، فهو يتوسط المجال الحضري في المدن ذات التصميم المستطيل عند التقاء الشارعين الرئيسيين (الديكتومانوس والكاردو) ولو أن هذه القاعدة ستعرف بعض الاستثناءات بحيث يحصل أن يكون منحرفا.

كما أن تطور هذا البناء مرتبط كذلك بتطور المدينة، فكل حاضرة تتوفر على فوروم خاص بها غير أن عدم التجانس بين هذه المدن وظهور اختلافات عليه يكون وراء التغييرات التي تحصل بالنسبة للنماذج الكلاسيكية.

لقد توفرت كل مدن إيطاليا ومدن الولايات على ساحة عمومية وهي صورة طبق الأصل للفوروم الروماني "Forum Romanum".

ظهر الفوروم في بداية القرن VII ق. م. حيث كان يلعب دور السوق ودور المركز السياسي، ومنذ البداية وجد في المفترق بين الديكومانوس وبين الكاردو إلا أنه مع العهد الجمهوري سوف يفقد دوره التجاري ليصبح مركزا سياسيادون أن يفقد دوره كمجال للفسحة.

ومع عهد قيصر أصبح مركز المباني العمومية، ومن أجل التنفيس على مركز المدينة، أنشأ أوغسطس وفسباسيانوس ونيرفا وتريانوس، فوروما أخرى شمال الفوروم الأصلي أطلق عليها اسم "الفوروما الامبراطورية" والتي تستجيب لمفهوم هندسي مخالف لأنها مغلقة شأنها في ذلك شأن الأگورات (Agora) الإغريقية.

وأنشئت فوروما أخرى ذات وظيفة خاصة مثل فوروم الثيران "Forum Boarium" وفوروم الخضر "Forum holitorium" بين الكابتول ونهر التبر، وهناك العديد من المدن التي تحيل أسماؤها على أنها كانت في الأصل عبارة عن أسواق مثل فوروم يوليوم (مدينة فريجوس Frejus) بفرنسا الحالية.

لقد تبنت أغلب المدن في الأقاليم الرومانية النموذج الكلاسيكي الإيطالي وهذا الأمر يكون سهلا في الجهات التي تبنى فيها المدن لأول مرة كما أن توسع المدينة قد يساهم أحيانا في تحويل الفوروم الأول ولو أن ذلك يبقى استثناء إذ أنه في وليلي وعلى الرغم من التوسع الذي عرفته المدينة بقي الفوروم في وضعيته وسط التجمع في مجال تحيط به البازيليك والكابتول وقوس النصر والكورية وهو مجال خصص أيضا لعرض التماثيل التي كانت تقام على شرف الأباطرة والآلهة أو أفراد الأرستقراطية المحلية.

وقد عرف هذا البناء تطورا يمكن حصره في ثلاث نماذج :

- النموذج التقليدي بساحة مبلطة يحيط بها بهو على الواجهات الأربع، ثم النموذج الذي لا يتوفر على معبد حول الساحة ثم نموذج معقد يتميز بتعدد القاعات حول الساحة ووجود حدائق وأحواض.

محمد العيوض، موقع بناصا الأثري، دراسة منوغرافية، دبلوم الدراسات العليا، الرباط 1998 . 1999.

J.C. Anderson, J.R., *The Historical topography of imperial Fora*, Coll. Latomus, Bruxelles, 1984 ; P.A. Fevrier, Urbanisation et urbanisme en Afrique, *A.N.R.W., II, 10.2, 1982, p. 321 - 379* ; S. Ben Baâziz, Les forums romains en Tunisie, *Los Foros Romanos de las provincias occidentales*, Madrid, 1987, p. 221 - 236 ; A. Akerraz, Le forum de volubilis, Eléments du dossier archéologique, *Ibid*, p. 203 - 219 ; J.C. Fredonille, *Dictionnaire de la civilisation romaine*, Larousse, Paris, 1986, p. 111.

عبد العزيز بل الفايدة

الفوسفاط مركب معدني رمزه P_2O_5 خامس أوكسيد الفوسفور، لا يذوب في الماء ولهذا لا يؤدي الغرض في حالته الطبيعية إذ لا بد من معالجته في معامل كيماوية كبيرة الحجم غالبا حيث يعالج بالحامض الكبريتي ليتحول إلى سوبر فوسفاط تستخرج منه مختلف الأسمدة والمبيدات والمطهرات والمركبات الكيماوية. فالفوسفاط عنصر حيوي في الصناعة الكيماوية تقوم عليه صناعة مهمة وحركة تجارية عالمية واسعةالأبعاد، له موانئه الخاصة وأرصفته وآليات تعبئته وسفنه المتخصصة في نقله.

يرجع تاريخ تكوين الفوسفاط المغربي إلى حقب الكريتاسي الأعلى والإيوسين الأسفل أي نهاية الزمن ج 2 وبداية الزمن ج 3 . تكون من بقايا عظام أسماك ترسبت في خلجان بحرية دافئة غير عميقة. تنتشر اليوم أهم رواسبه في منطقتين رئيسيتين واسعتين هما :

الهضاب الأطلنتيكية والسهول الداخلية الممتدة من جنوب الهضبة الوسطى إلى الحدود الشمالية لسلسلة الأطلس الكبير الغربي والأوسط.

السهول الساحلية بالصحراء المغربية الممتدة من الساقية الحمراء : منطقة بوكراع إلى بئر أنزران قرب خليج الداخلة. وتحتوي المنطقتان على أكبر احتياطي عالمي مؤكد للفوسفاط يقدر بحوالي 70 مليار طن يكون 65٪ من الاحتياطي العالمي.

تتميز هذه المدخرات بجودة فوسفاطها الذي يتكون من رمال هشة تتراوح نسبة احتوائها على المركب الفوسفاطي 50 .80٪ ولا يسوق إلا بعد معالجته بعمليات بسيطة تتلخص في تنقيته من الحجارة غير المعدنة وتخليصه من الرطوبة لتخفيف وزنه. وتتميز رواسبه بسمك طبقاتها ووجود الطبقات العليا على بعد قريب من سطح الأرض مما يسهل ظروف الاستغلال السطحي الذي يشكل 78٪ من الكمية المستخرجة حاليا، مما يظهر مستوى ارتفاع المكننة والمردودية. كما أن الاستغلال عبر الأنفاق يتميز بمردودية عالية وسهولة تقنية ذلك أن الفوسفاط يوجد على شكل طبقات رملية أفقية يتراوح سمكها بين 1.5 . 4 متر وعددها من 3 إلى 6 حسب المكامن يفصل بينها رواسب ترابية ـ صخرية عقيمة، إلا أن جل المناجم الباطنية تسير نحو الإغلاق النهائي لضعف مردوديتها. ويبلغ السمك الإجمالي للبنية الفوسفاطية بخريبگة مثلا حوالي 200 متر تتكون من أربع طبقات فوسفاطية تفصل بينها طبقات عقيمة من الكلس والطفل والرصيص أحيانا.

وقد وردت أول إشارة لوجود الفوسفاط بالمغرب من طرف باحث جيولوجي A. Bribves سنة 1908 عندما لاحظ وجود طبقة من الفوسفاط ظاهرة بأحد سفوح هضيبة الگرگوري (دوار أگرگور بالسفوح الغربية لهضبة كيك ببلاد وزگيتة جنوب مراكش) ولم يثر هذا الخبر أي رد فعل وبعد ذلك بثلاث سنوات لاحظ صيدلي عسكري فرنسي كان منكبا على تحليل مكونات التربة بـ "گيسر" بأولاد عبدون ش. ش. الشاوية العليا وجود الفوسفاط. وظهر أول إعلان رسمي عن اكتشاف الفوسفاط بالمغرب يوم 3 دجنبر 1912 وذلك بمنطقة البروج وتوالت بعد ذلك أخبار اكتشاف مكامنه. وفي أبريل 1914 أعطت مصلحة المعادن أولى المعلومات الجيولوجية عنه ثم أغنتها بمعطيات أخرى أكثر دقة في خريف 1917. وفي سنة 1919 أصدرت خريطة عامة للمغرب، مقياس 1/ 500000 تبرز أهم التكوينات الجيولوجية لطبقات الميوسين التي يرجع احتضانها لمدخرات الفوسفاط وذلك بأولاد عبدون والگنتور وإمين تانوت، وأعطت الدراسات نظرة عن الأهمية الكبيرة لاحتياطات الفوسفاط المغربي. ولحمايتها من السقوط بين أيدي شركات أجنبية، أصدرت الحكومة ظهير 7 غشت 1920 المؤسس للمكتب الشريف للفوسفاط O.C.P الذي سيحتكر استغلال ثروات الفوسفاط المغربي. ولم يتناول الاستغلال في البداية سوى مكامن أولاد عبدون والگنتور ذلك أن ضخامة احتياطيهما وسهولة استغلالهما قللا من أهمية القطاعات الأخرى باعتبارها بعيدة عن ميناء التصدير الرئيسي الدار البيضاء. وما هي إلا سنوات قليلة على استغلاله وتصديره حتى اتضحت الأهمية العالمية لمدخراته في المغرب حيث صار ثان منتج له في العالم الولايات المتحدة وهذه نظرة تفصيلية عن أهم مناجمه المستغلة حاليا :

ـ مكمن خريبگة (أولاد عبدون) يتكون من 3 . 4 طبقات رسوبية معدل سمكها 2 م تفصل بينها طبقات عقيمة من الطفل والكلس، يتباين سمكها من 1 . 5 م. طبقاته أفقية مستوية ميلها 1٪ في اتجاه ج. غ تتعرض محليا لتموج ضعيف ويظهر الفوسفاط على شكل رمال دقيقة الحبيبات متراصة رطبة بها 14 . 16٪ ماء، لونها أصفر يميل أحيانا إلى السمرة لكنها تكتسب لونا أبيضا، عندما يجف يصبح تركيبه كالتالي : 75٪ فوسفاط و8.5٪ كاربونات الكالسيوم و3٪ سولفاط الجير و2٪ مادة سياسية بالإضافة إلى بعض الشوائب.

يستغل عن طريق مناجم باطنية تبدأ بنفق رأسي للدخول مائل بنسبة 20٪ ويحفر نفق رئيسي بالطبقة الفوسفاطية، تتفرع منه أنفاق ثانوية وثلاثية متوازية يفصل بينها 30م وطولها 300م، تحفر بالفؤوس العادية أو المكانيكية لهشاشة الفوسفاط دون استعمال متفجرات، تتلقفه أحزمة متحركة توصله إلى خارج المنجم. ولهشاشة البنية تدعم جدران وأسقف الأنفاق بأخشاب، وتحفر المناجم السطحية عندما يكون سمك الطبقة السطحية العقيمة لا يتجاوز 8 . 10م وهذه

الطريقة شاعت فيما بعد خاصة في مناجم واد زم ثم في بن گرير لكنها تتطلب استعمال المتفجرات بكثرة وتستهلك آلياتها طاقة كهربائية كبيرة وتتطلب آلات ضخمة تغني عن كثرة الأيدي العاملة، استعملت لأول مرة سنة 1951 في منجم سيدي الضاوي حيث استعملت آلة ضخة Dragligne. الطبقات العقيمة المهشمة بالمتفجرات. وتستغل مكامن خريبگة عبر مجموعة مناجم باطنية مجهزة بآليات ومنشآت خارجية مشتركة تبتعد عن بعضها بعدة كيلومترات تعرف بمحطة وهي : محطة بولنوار افتتح أول مناجمها 1923. محطة بوجنيبة افتتحت أول مناجمها 1921. محطة سيدي الضاوي : احتضنت أول منجم سطحي سنة 1951. يعمل بكل هذه المنشآت 7710 عاملا منهم 117 مهندسا و5552 تقنيا سنة 1999. ويعتبر فوسفاط أولاد عبدون من أجود الفوسفاط في العالم ترتفع درجة تركيزه إلى 82٪ بعد غسله وتجفيفه. ينقل الفوسفاط من مناجمه على عربات القطار وغالبا على الشاحنات إلى مركز المعالجة بخريبگة حيث يعالج على عدة مراحل لرفع درجة تركيزه وفصله عن الصخور والتربة العقيمة ثم تجفيفه في أفران خاصة لتحفيض رطوبته إلى 2٪ ثم يخزن في مخازن سعتها 100.000 طن ثم ينقل على عربات صندوقية خاصة من الحديد أو الألومنيوم على السكة الحديدية إلى الدار البيضاء حيث يودع في مخازن خاصة، يخرج منها بالضخ الهوائي عبر أنابيب لتعبئة مخازن بواخر خاصة بنقله.

- مكمن الگنتور (لوي جونتي سابقا واليوسفية حاليا) : يوجد شمال غرب مدينة مراكش، تتعدد طبقاته، يشبه في تركيبه وظروفه الجيولوجية فوسفاط خريبگة، لا يختلف عنه نسبيا سوى في نسبه تركيزه المنخفضة 68 ـ 70٪ ، كما تعرضت بنيته لحركة باطنية أكثر قوة مما جعل طبقاته متموجة وكذلك سطح الأرض يستغل عن طريق محطتين منجميتين، افتتحت الأولى 1934 والثانية 1951، وتتصل الأخيرة بمركز التخزين والمعالجة بمركز اليوسفية بناقل هوائي طوله 8 كلم. وتنتج بعض مناجمها فوسفاطا أسود مشبعا بمواد عضوية يحتاج إلى الكلسنة (حرق) لتنقيته. يعمل بها 4294 عاملا منهم 58 مهندسا و604 تقنيا.

- مكمن بن گرير : هو امتداد شرقي للطبقات الفوسفاطية لهضبة الگنتور الممتدة من اليوسفية على طول 120 كلم وعرض 4 كلم نجد هنا ست طبقات فوسفاطية لتداخلها مع امتداد طبقات أولاد عبدون. شرع في الإنتاج 1980 بفتح منجم حديث بشمال وسط المكمن، استغلت به الطبقتان 5 و6. وفي سنة 1994 شرع في وضع تجهيزات ومنشآت جديدة باستغلال كل الطبقات من 1 ـ 6 في إطار برنامج استغلال لفترة 1994 ـ 2018. يتكون من منجم سطحي واحد يتوسع باستمرار. وفي بداية التسعينيات فتح منجم سطحي آخر في بوشان يعتبر رسميا تابعا له رغم كونه أقرب إلى اليوسفية. يوجد في مركزه قرب بن جرير منشآت لغربلته

ثم يوجه الفوسفاط عبر القطار إلى اليوسفية لتجفيفه بمعاملها ومنها ينقل إلى آسفي أو الجرف الأصفر. يعمل به 1025 عاملا منهم 23 مهندسا و233 تقنيا يسكنون بحي خاص كنواة لمدينة فوسفاطية جديدة تبعد عن بن گرير بعدة كيلومترات على طريق قلعة السراغنة.

- مكمن بوكراع اكتشف سنة 1947 وشرع في استغلاله سنة 1962 من طرف شركة إسبانية. ويستغل حاليا من طرف شركة مختلطة : "فوس بوكراع" التابعة للمكتب الشريف للفوسفاط. يتكون من منجم سطحي يعالج إنتاجه محليا بالغربلة والتجفيف ثم ينقل عبر بساط متحرك إلى ميناء العيون. له احتياطي مؤكد 1.5 مليار طن، تركيزه أقل من المكامن السابقة، ومردوديته أقل من سابقيه، يعمل به 2067 عاملا منهم 44 مهندسا و400 تقني.

- الإنتاج المغربي والعالمي للفوسفاط : تزايد إنتاج المغرب بتوالي السنوات لتزايد الطلب العالمي على الفوسفاط. ففي 1978 أنتج 20 مليون طن و21.3 مليون طن سنة 1987 ثم ارتفع الإنتاج إلى 29 مليون طن سنة 1997. يصدر المغرب نصفها ويبيع النصف الآخر لمركباته الكيماوية. ويلاحظ أن إنتاجه يختلف من سنة لأخرى حسب الطلب الخارجي، ففي سنة 1999 انخفض إنتاجه إلى 22.7 مليون طن من الفوسفاط الخام (نقص بـ 12.7٪ عن سنة 1998). استخرجها من : خريبگة 15.20 مليون طن - اليوسفية 2.96 مليون طن - بن گرير 2.58 مليون طن - بوكراع 1.4 مليون طن. بلغت صادراته 11.38 مليون طنة سنة 1999 بقيمة 4462 مليون درهم، وبيع للمركبات الفوسفاطية بآسفي والجرف الأصفر (وهي في ملكية المكتب الشريف للفوسفاط مع بعض الشركاء الأجانب) 10,94 مليون طن بقيمة 2749 مليون درهم.

وأنتجت مركباته الكيماوية بآسفي والجرف الأصفر 2.69 مليون طن من حامض الفوسفاط الذي أعطى بعد إعادة معالجته 1.88 من حامض الفسفور المخفف و2 مليون طن من الأسمدة الصلبة المتنوعة، وفي هذه السنة افتتح معمل حديث بالجرف الأصفر لإنتاج حامض الفسفور المطهر، أنتج 92000 طن وجهت كلها للتصدير. وبلغت صادراته من حامض الفسفور 1.66 مليون طن والأسمدة الصلبة 1.84 مليون طن وبلغت المبيعات الداخلية لأنواع الأسمدة 385000 طن بقيمة 491 مليون درهم. وبذلك حصل O.C.P المكتب الشريف للفوسفاط على 16.98 مليار درهم من عائدات بيع الفوسفاط ومشتقاته بما فيها عمليات البيع لفروعه الداخلية أي المركبات الكيماوية ومعامل الأسمدة. وبلغت صادراته 13.34 مليار درهم منها 6,66٪ من مشتقاته المصنعة.

أ. هوزلي، *الموارد المعدنية والتنمية بالمغرب*، كلية الآداب، مراكش ؛ نشرات صحفية ودراسات قطاعية وتقارير حول المناجم والاقتصاد المعدني بالمغرب.

A. André et J. Lecoz, *Economie minière : notes explicatives de l'Atlas du Maroc*, Rabat, 1961 ; Ministère

de l'Energie et des Mines, *Panorama de l'industrie minière*, t. I, 1988, t. II, 1990 ; *BRPM Maroc*, Rapport d'activités 1999.

أحمد هوزلي

فونط، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Fonte ، وهو اسم مدينة إسبانية؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

فواح، أحمد من مواليد سنة 1930 ببني مكاد جرو غفساي إقليم تاونات. انخرط الفقيد بدافع الغيرة الوطنية والنضال من أجل حرية بلاده في صفوف جيش التحرير عند انطلاقته ضمن فرقة محمد المكناسي.

وقد شارك في جميع المعارك التي خاضتها وحدات جيش التحرير بالمنطقة ضد الاستعمار الغاشم أهمها معركة اللبابنة، وعندما أحرز المغرب على استقلاله واصل الفقيد دوره الوطني وذلك بانخراطه في صفوف القوات المسلحة الملكية إلى أن أحيل على التقاعد.

توفي في 16 ماي 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 523833.

الفوّارات (واد -) يعني اسم الفوارات كثرة عيون الماء المتدفقة. وهذا ما يؤكده المسنون الذين عاشوا وعرفوا وادي الفوارات خلال النصف الأول من القرن العشرين، حيث كانت العيون الكثيرة لا تنضب خلال فصل الشح، مما يجعل جريان الوادي شبه دائم، على الرغم من طبيعة الصخور والتكونات السطحية الرملية والمنفذة.

ويعتبر الفوارات واديا محليا، ينطلق من سطح هضبة المعمورة عند مركز العرجات حاليا، ويتجه نحو الشمال الشرقي بموازاة خط الساحل، حيث أجبرته الكثبان الحيفتاتية المتصلبة، التي تشكل السطح المتموج لهضبة المعمورة على السير ضمن منخفض بيكثيبي إلى حدود مدينة القنيطرة لينعرج بعدها غربا ويرفد وادي سبو.

يبلغ طول الوادي حوالي 35 كلم، تعرض للاجتثاث منذ القديم وأصبحت غابة البلوط الفليني تحيط به من جانبيه. تبلغ مساحة حوضه حوالي 46 كلم^2 بدون "وادي فوي" الذي يرفد ضفته اليسرى قبل اقترانه بسبو. يتميز الوادي بحداثته فهو يتعمق في هضبة المعمورة بحوالي 50 إلى 60 م، تنتشر في قعره توضعات المصطبة الغربية (الهلوسينية)، ويعرف أقصى اتساع له شمال سيدي مبارك "أكثر من 500م". يغلب على سفوحه عموما التحدب مع تقعر بسيط في الأسافل، ويبدو الوادي حاليا جافا، والجريان المائي ضعيف وجد موسمي، ما عدا في الحالات الاستثنائية، ويعود ذلك لعمليات الأسر التي تعرضت لها الينابيع والفرشة المائية الباطنية.

يشكل وادي الفوارات منظومة بيئية خاصة بالمقارنة مع سطح الهضبة الجاف، لذا فإنه كان منذ القديم مجالا مفضلا للاستقرار والاستغلال بفضل رطوبته، وتوفره على تربة أكثر خصوبة، ويبدو أنه عرف الاستقرار البشري مبكرا خلال التواجد الروماني بالمغرب. ولم ينقطع استغلال هذه المجالات مع دخول القبائل العربية للمنطقة خلال العصور الوسطى، إلا أن فترة الاستعمار الفرنسي، والتي أثرت بشكل كبير على المنظومة البيئية للوادي، عن طريق القوانين الجديدة لاستغلال المجال الغابوي والوضع العقاري وحدة استغلال المياه الباطنية.

يتشكل الوادي في بنية جيولوجية مؤلفة من صخور الحث الكلسي الساحلي المنفذة، والتي تشكل خزانا مائيا مهما فوق الصخور الصلصالية المسينية، وبحكم ميل الطبقات نحو الشمال (سهل الغرب) فإن هذه الصخور تضم فرشة مائية مهمة تنحدر نحو الشمال والشمال الغربي تظهر مع تعمق وادي الفوارات على شكل عيون وينابيع.

وقد تم التفكير في إمكانية استغلال هذه المياه منذ النصف الأول من القرن العشرين، لتغذية مدن القنيطرة والرباط وسلا بالماء الصالح للشرب، وذلك بأسر مياه العيون عبر قنوات تمتد من سافلة الوادي إلى هذه المدن. وبالفعل فقد تم إنجاز هذا المشروع في بداية الخمسينيات من القرن العشرين وكانت عمليات الحفر مناسبة للجيولوجيين أمثال Choubert وآخرين 1948 لاكتشاف إرسابات بحرية وكثيبية بليوسيني فريدة في عين عريس. وإن تخدد الإرسابات البحرية للبليوسين الأسفل والأوسط، انطلق منها اسم طابق جديد في التصنيف الجيولوجي المحلي بالمغرب، يعرف باسم الطابق الفواراتي، الذي يوافق البليوسين الأعلى، ويتوافق مع الإرسابات القارية الفيلافرانشية في الهضاب الساحلية.

تتحكم الانحدارات في توزيع التربة على سفوح الوادي، حيث يمكن أن نميز ثلاثة أنواع أساسية :

- في أعالي السفوح، تتوفر تربة متحدسلة ذات مسكة A ضعيفة السمك في طريق البتر.
- أما في الجزء الأوسط من السفح فتظهر تربة حمراء متحدسلة مبتورة بحكم الإزالة المستمرة، حيث تبرز مسكات Bt المتطينة، الحمراء، على السطح مباشرة.
- بينما في القدم يميل السفح إلى التقعر مع انحدار خفيف، ويصبح عل شكل حادورات صغيرة الامتداد، تلتقي مع ضفاف الوادي حيث يتوفر مجال استقبال وتراكم، تمتد فوقه تربات سيدبالية مشبعة بالكربونات، تستغل كمجال أساسي للزراعة حاليا.

يقطن هذا الوادي حاليا إحدى فخذات قبيلة بني حسن العربية، وهي موزعة على طول الوادي من الجنوب إلى الشمال "أولاد العياشي، أولاد طالب، أولاد نصر، أولاد مبارك" ويتم استغلال سفوح الوادي في إطار ملكية جماعية للأرض، وبحكم التكاثر السكاني فإن التقسيم العقاري للأرض يتم على شكل قطع أرضية صغيرة، تمتد على طول السفح من عاليته إلى سافلته لكن عرضها لا يتعدى عشرات الأمتار وهذا بدوره يتحكم في طبيعة الاستغلال في الوادي الذي يتم على الشكل التالي :

- تمتد على هوامش الهضبة المشرفة مباشرة على الوادي غابة البلوط الفليني.
- تخصص السفوح العليا بين الغابة والمجالات المزروعة للرعي لقربها من الغابة.
- تزرع المجالات العليا والوسطى من السفوح بالحبوب الشتوية والربيعية.
- تنتشر في أسافل السفوح وقعر الوادي زراعة الخضر المسقية.

هذا مع العلم أن الجزء الأساسي من قعر الوادي من عاليته حتى مشرع الكتان، يوجد في ملكية المكتب الوطني للماء الصالح للشرب، وهو مسيج، ويمنع استغلاله على المواطنين. إلا أن السكان المحليين يقومون برعي قطعانهم خلسة فيه.

وعلى الرغم من ضعف حدة الانحدارات وقلة تعمق الوادي فإن الاجتثاث القديم من جهة، وتزايد حدة التدخلات البشرية من جهة ثانية، جعلا مظاهر التدهور البيئي تبدو واضحة في وادي الفوارات من خلال ما يلي :

- بروز مظاهر التخديد على مجالات واسعة من سفوح الوادي.
- تكاثر المجالات التي أصبحت عقيمة عل شكل أساحل) بفعل التعرية السيلية.
- تتركز أشكال التعرية عل سفوح الضفة اليمنى أكثر من الضفة اليسرى بحكم التوجيه.
- توجد أهم مظاهر التدهور في الحوض الأوسط، والذي يتوافق مع وجود أقوى الانحدارات.
- يشكل الانحدار 10 ـ 15٪ عتبة انطلاق تدهور السفوح والتعرية الخطية فوقها.
- أصبح قعر وادي الفوارات بعد أسر مياهه السطحية والجوفية مجال استقبال للرمال المنقولة بواسطة السيل النازل على سفوح الحوض، مما يوفر خزانا رمليا مهما يعاد تحريك رماله خلال حالات النشاط الريحي الاستثنائي في السنوات الجافة، التي يزداد فيها طول الفصل الجاف بشكل يسمح بتشكيل وتكوين نبكات وكثبان صغيرة ذات أحجام ديسمترية وأحيانا مترية، تنتشر على جوانب الطرقات وفي قعر وأسافل سفوح الحوض.

هضبة المعمورة وساحل سلا ، التكونات السطحية والتطور الجيومورفولوجي ، منشورات اللجنة الوطنية الجغرافية بالمغرب، سلسلة رسائل وأطروحات.

G. Beaudet, *Le plateau central marocain et ses bordures, étude géomorphologique*, Imp. Inframar, 480 p., Rabat, 1969 ; G. Choubert, Ennouchie et J. Marçais, Contribution à l'étude du pliocène de la région de port Lyauty "Ouest Fouarat", *note serv. géol. Maroc, n° 71, t. 1, p. 15-30, 1948* ; R. Nafaa, *Dynamique du milieu naturel de la Mamora et ses bordures : paléoenvironnement et dynamique actuelle*, Thèse d'Etat en Géographie, F.L.S.H., Rabat.

عبد الرحيم وطفة

الفوّة ، يطلق لفظ "الفوة" على جنس روبيا Rubia الممثل بأربعة أنواع نباتية طبيعية بالمغرب، والمنتمي لفصيلة الفوبات Rubiaccae التي تشمل نبات القهوة. ومعروف أن الموطن الأصلي للقهوة هو اليمن وبلدان القرن الإفريقي.

من بين أنواع الفوة "فوة الصباغين" أو بالفرنسية Garance des teinturiers أوعلميا روبيا تانكتوريا Rubia tinctoria نظرا لكونها كانت تعتبر من أهم مصادر الصبغات الطبيعية للصوف وللجلد بالمغرب والبلدان المتوسطية الأخرى العربية والأوربية.

فوة الصباغين نبات عشبي معمر لمدة ثلاث أو أربع سنوات بجذوره فقط، لأن سيقانه وأوراقه النفطية تندثر في فصلي الخريف والشتاء لتتجدد وتنمو في فصلي الربيع والصيف. الأوراق مجتمعة على الساق على شكل حلقات. الأزهار أنبوبية الشكل.

تتواجد فوة الصباغين طبيعيا في المنطقة المتوسطية وآسيا الصغرى حيث شاعت زراعتها في جميع أنحاء هذه المنطقة وخاصة بإيطاليا وتركيا والمغرب مثل مناطق مراكش وفاس، وذلك لإنتاج الصبغة المستخلصة من الجذور التي عمرها ثلاث أو أربع سنوات ذات اللون القرمزي الزاهي المعروف بأحمر الديك الرومي أو الأحمر البدوي أو الأحمر التركي المتميز عن الأحمر البلدي المستخرج من حشرة القرمز التي تعيش على شجرة البلوط القرمزي Quercus coccifera. غير أن هذه الزراعة تقلصت كثيرا حتى كادت أن تندثر تماما لأن الصبغات الصناعية أصبحت موجودة بكثرة في السوق.

من حيث الاستعمالات، تستخدم جذور أو أزهار الفوة لعدة أغراض في ميادين التطبيب التقليدي والصناعة

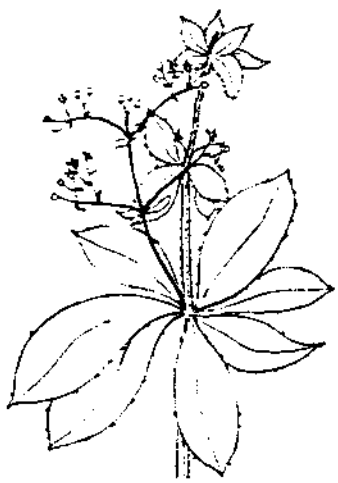

التقليدية. ولهذه الأغراض تباع الفوة من طرف العشابين للتداوي ضد جل أمراض الدم والكبد والجهاز الهضمي، ولاستعمالها في وصفة "راس الحانوت" ووصفات أخرى تتعلق بإذكاء الشهية الجنسية. أما في حالة استعمالها كصبغة للصوف والجلد فإنها تخلط مع الشب والترتر أو التخت. ويفضل قبل استخدام هذا المحلول كصبغة للون الأحمر أن تدهن الجلود بزيت الزيتون.

J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle. Médecine arabe ancienne et savoirs populaires*. Ibis Press, Paris, 1997, 779 p.

عبد المالك بنعبيد

فويتح، محمد ولد الفنان محمد التدلاوي بمدينة فاس سنة 1929 من أب كان يمتهن حرفة الحلاقة اسمه الحاج فاتح.

وقد نسج الأهل والأقارب من اسم الوالد لقب "فويتح" وأطلقوه على الفتى، فغدا علما له واشتهر به دون غيره.

التحق فويتح بالمدرسة الابتدائية طفلا، غير أن وفاة والده حالت دون أن يتابع دراسته، فالتحق بمتجر لبيع أجهزة الراديو، وفيه تناهت إلى مسمعه الأغاني الشرقية، فوجد فيها ضالته، واشتد ولعه بها.

وتمضي الأيام لتتكشف عن تعلق الفتى بالموسيقى والغناء، فأخذ يتردد على الأندية الفنية حيث يستمع إلى أشياخ الملحون أو إلى أرباب "موسيقى الآلة"، كما لم يفته أن يحفظ غير قليل من الأناشيد مما كان أبناء المدينة يصدحون به في تجمعاتهم الوطنية.

وقد أحس الفتى في نفسه الرغبة في تعلم الموسيقى. فأخذ يجالس رفيقه وجاره في "حي المخفية" الفنان الفاسي محمد بن عبد العزيز بوزيع، وهو يومئذ عازف العود في جوق المرحوم محمد البريهي، فتعلم على يده مبادئ العزف على هذه الآلة وتلقى عنه بعض صنعات موسيقى الآلة.

ثم تعرف على سيدة فرنسية تدعى ريتا ديستيل (Rita Destel) كانت تدير مدرسة للموسيقى بالمدينة، فكان يحضر دروسها وبمعيته رفيقاه في الشباب أحمدالطيب العلج وعبد الواحد الصميلي، وعنها أخذوا مبادئ قواعد الصولفيج.

ومافتئ فويتح أن اشتهر بين أصدقائه مغنيا وعازفا، غير أنه بدا متميزا بجنوحه إلى الموسيقى الشرقية، فكان يحفظ أغاني المطربين المصريين كمحمد عبد الوهاب وسيد درويش، فإذا اجتمع بخلانه انطلق يغني بصوته ويصاحب غناءه بالعزف على العود.

وفي منتصف الأربعينيات دخل فويتح مجال التلحين، فجاءت محاولته الأولى لتكرس نزعته الشرقية، وهي قصيدة من نظم شاعر الحمراء محمد بن إبراهيم مطلعها : رددوا لحن التهاني.

وكان قد غناها بمناسبة زفاف أحد أصدقائه بفاس بمصاحبة جوق الشعاع الفاسي.

في أواخر سنة 1949 رحل فويتح إلى العاصمة الفرنسية، وهناك كان عليه خلال فترة امتدت حتى سنة 1955 أن يواجه متطلبات الحياة اليومية وأن يرضي في ذات الوقت ميوله الفنية، فكان يشتغل نهاره بأحد المصانع، وفي المساء يتحول إلى "حي المدارس" أو يتردد على "مطعم الكتامي" و"صومعة حسان"، وهي مواقع كانت مجحا للمغاربيين وملتقى لطلبة الشمال الإفريقي وهناك يتحلق حوله عشاق الموسيقى العربية، فيستمعون إليه وهو يردد أغاني محمد عبد الوهاب بمصاحبة عوده.

وقد ظل فويتح - حتى بعد رحيله إلى فرنسا - وفيا للمدرسة الشرقية عندما لحن قصيدتين أخريين وسجلهما باستديو الإذاعة الفرنسية وإذاعة مونتي كارلو. القصيدة الأولى من كلمات شاعر عراقي يدعى عبد القادر رشيد الناصري، وقد تعرف عليه فويتح في باريس، وأولها :

مبعث الحر من سنا عينك

أما القصيدة الثانية فكان أولها :

يا حبيبي ظمئت روحي

وتشاء الصدف - يوما - أن يزور محمد فويتح الفنان المصري محمد عبد الوهاب خلال إقامته الفنية بباريس، وأن يسمعه إحدى قصائده. وكانت المفاجأة عندما صارحه محمد عبد الوهاب بأنه كان يفضل أن يسمع منه أغنية تحمل خصوصيات الموسيقى المغربية، وأن يوجه اهتمامه إلى تأليف أغاني أكثر تعبيرا عن طبيعة موسيقى بلاده.

منذ ذلك اليوم لم تنفك أصداء كلام محمد عبد الوهاب تتردد بين جوانحه إلى أن كانت سنة 1953 عندما امتدت يد الاستعمار الفرنسي إلى الجالس على العرش بالمغرب المغفور له محمد الخامس، فنفته وأسرته خارج الوطن، فتحركت أعطاف الفنان محمد فويتح، وأمسك بعوده، وانطلق في لحظات من الإلهام يرتجل أول مقطع من أغنيته الناجحة "أو مالولو". وتتوالى كلمات هذه الأغنية، وتتوالى معها ألحانها في تدفق معبر لتسفر في النهاية عن عمل فني متكامل يشق طريقه إلى آذان الجماهير الواسعة بعد أن تم تسجيله في فرنسا برعاية شركة باتي ماركوني وتشجيع من مديرها الفني يومئذ الأستاذ أحمد حشلاف.

وقد توقف فويتح عن التلحين زهاء ثلاث سنوات تهيأ خلالها لهذه الأغنية أن تصبح على كل لسان، يرجعها الصغار والكبار في غفلة عن رقابة الحكام، ويجدون في طبيعتها البكائية رمزية تختزل مشاعر التعلق بالأسرة الملكية المبعدة، وتوحي بالتطلع إلى ساعة الفرج.

وعندما دقت ساعة الإعلان عن رجوع محمد الخامس من منفاه كان ذلك إيذانا بميلاد ثاني أغنية شعبية لمحمد فويتح، وهو - يومئذ - من بين جموع المغاربة الذين كانوا في استقبال الملك بفرنسا قبل عودته إلى المغرب هذه الأغنية التي مطلعها :

ملي امشيتي سيدي اوراك جيتي والنار شاعلة في قلبي

بهاتين الأغنيتين دشن فويتح توجها جديدا في التلحين طبعه التخلي عن تقليد قوالب الغناء الشرقي، في مقابل استلهام التراث الموسيقي الشعبي وتبني خصوصياته الإيقاعية والمقامية.

رجع فويتح إلى المغرب بعيد الاستقلال، والتحق بجوق الإذاعة الوطنية ملحنا ومغنيا وعازفا. وفي أجواء النجاح الذي حققته أغنيتاه الشعبيتان وجد نفسه مقبلا على تلحين مجموعة جديدة من الأغاني التي أسست لنشوء الأغنية الشعبية الحديثة واتسمت بالتعبير العميق عن الأصالة وعن غنى وتنوع موروثنا الموسيقي.

وفي هذا السياق لحن فويتح ما يربو على تسعين مقطوعة موزعة بين مواضيع وطنية وعاطفية، بعضها من كلماته، وجلها من نظم شعراء وزجالين مغاربة منهم أحمد الطيب العلج، والطاهر سباطة، وحسن الجندي، ومحمد الطنجاوي، وحمادي التونسي.

غنى فويتح جل أعماله بصوته. وممن غنى له : المطربة بهيجة إدريس (خايف قلبي لا يبوح بسري) والمعطي بلقاسم (الله الحباب) وعبد الحي الصقلي (خليلي). ومن أنجح أغانيه وأكثرها شيوعا طالت الغيبة ـ ما بيني وبينو والو ـ لحبيب لحبيب الي والفتو ـ عندك تساني ـ هاني هاني ياللي ناداني ـ أومالولو ملي امشيتي سيدي ـ البرگي اهواني ـ انحبو بلا اخبارو ـ قولو لي مال لشكر...

وترقى بعض هذه الأغاني إلى مستوى أن تكون عنوانا لأحداث تاريخية كبرى عاشتها البلاد في فترة الحماية الفرنسية كما هو شأن أغنيتيه الأوليين.

لقد كان المرحوم محمد فويتح على خلق سام، طيب المعشر، سموحا، كبير الوفاء لأصدقائه، كما كان مثلا حيا لنكران الذات وإيثار الآخر. وقد انتقل إلى مدينة طنجة بعد إحالته على المعاش عام 1989، وبها أقام إلى أن وافاه أجله المحتوم بعد مرض عضال ظل يقاومه في صبر وجلد، وكان ذلك يوم الأربعاء 4 جمادى الأولى 1417 / 18 شتنبر 1996.

حسن الحويلي، أومالولو، الأغنية الرمز، جريدة *العلم*، 29 ـ 11 ـ 1992 ؛ محمد الزموري، الفنان محمد فويتح المؤسس الرائد، جريدة *العلم* 29 ـ 9 ـ 1996 ؛ *مجلة صوت الشباب* : مع فويتح، العدد 2، مارس 1960، ص. 32 ـ 33 ـ 44 ؛ المهدي المنجرة، فويتح ذلك الرائع، جريدة *العلم* 22 ـ 9 ـ 1996 ؛ خالد مشبال، السيد محمد فويتح كما أعرفه، جريدة *الاتحاد الاشتراكي*، 22 ـ 9 ـ 1996 ؛ *معلومات شخصية*.

عبد العزيز بن عبد الجليل

فوينطش وفوينطس، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Fuentes وهو نفس الأسم التي تحمل بعض الأسرة الاسبانية ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1088 (1677).

م. ابن عزوز حكيم، كشاف عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

الفياشية، قصيدة شعرية يذهب أكثر الأشياخ إلى نسبتها إلى الشيخ أبي البقاء عبد الوارث الياصلوتي، دفين فاس عام 1076 في زاويته الكائنة في زقاق الحجر، فيما يذهب آخرون إلى نسبتها للشيخ أبي عبيد الله محمد الشرقي دفين الزاوية الشرقاوية بأبي الجعد عام 1010.

تحتوي القصيدة على ثمانية وأربعين قسما يضم كل قسم أربعة أبيات، الأولان منها معربان، والأخيران زجل ملحون، وتفصل بين الأقسام لازمة زجلية على نسق الحربة في قصيدة الملحون ومطلع القصيدة كالآتي :

ـ اللازمة :

أنا ماني فياش آش عليا مني
نقلق من رزقي لاش والخالق يرزقني

ـ القسم الأول :

أنا عبد رب له قـــــدرة
يهـون بهـا كـــل أمرعســـير
فإن كنت عبدا ضعيف القوى
فربـــي علـى كـل شـيء قديـــر
مني آش عليا آنا عبد ملوك
والأشيا مقضية ما في التحقيق اشكوك
ربي ناظر فيا. وأنا نظري متروك
في الأرحام والأحشا من نطفة صـورني

يشكل الجمع بين النظمين المعرب والملحون في هذه القصيدة ـ علي حد تعبير الدكتور الجراري ـ ظاهرة لم يعثر عليها في غير هذه القصيدة.

يقوم النظم المعرب في سائر أقسام القصيدة على بحر المتقارب ووزنه :

فعولنْ فعولنْ فعولنْ فعـولْ فعولنْ فعولنْ فعولنْ فعـولْ

وقع في أعاريضه وأضربه علة بحذف النون.

وقد توخى الناظم أن يستقل كل قسم معرب بقافية خاصة، كما توخى أن تكون قافية الأشطار الثلاثة من كل جزء ملحون واحدة، فيما تكون قافية الشطر الرابع من سائر الأجزاء على قافية النون.

في القصيدة نفحات من الإشراقات الصوفية، والشطحات الربانية والأحوال الصادقة، وفيها أدعية وابتهالات وكلام في المعارف الحقيقة تحلق بالعارفين إلى معارج ربانية روحية. وهي فيض ينبض بالحكم البليغة والوصايا الصادقة، وكأنما يتلو علينا صاحبها طريقته في السلوك من مجاهدة للنفس، وإخلاص في الصحبة والخدمة، وخنوع للخالق في السر والعلن.

وهو يوصي بالقناعة لأن من يقنع بالقليل يستغن ويأته الله بالكثير ؛ ويوصي بإسعاف المحتاج والمعسر، والعفو عن المسيء ؛ إن العفو عنده من شيم المؤمن الذي يقابل الإساءة

بالصبر والحسنى ويتخذ النخل مثلا يحتذى، فهي إذا رماها رام بالحجارة رمته رطبا، وإن بعض مكارم الأخلاق لما يرضي الخلاق.

والناظم لا يستنكف من العمل، ففي الشغل شرف، وفي التواكل ندم، وليس يشفي الغليل غير التشمير عن السواعد.

وتتعدد في القصيدة شواهد الاقتباس من القرآن الكريم، ومن ذلك قوله : "يقول لمن شاء كن فيكون" فهو يقتبس من قوله تعالى : "إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون".

ومن صور الاقتباس الرائعة في المنظومة :

لا تغتب ولا تسمع غيبة ففيها وعيد شديد أتى
فغيبة من أنت تغتابه كأكلك من لحمه ميتا

فإنه يقتبس من الآية الكريمة : "ولا يغتب بعضكم بعضا. أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه".

تتميز القصيدة بكونها من الآثار الشعرية المغناة، ويبدو أن إنشادها كان يجري على طريقة أداء الملحون في مراحله الأولى، وهي طريقة أقرب إلى التلاوة والإلقاء منها إلى التلحين المنغم، وتعرف بالسرادة ؛ ثم حدث في السنوات الأخيرة أن تناولها جوق الإذاعة الوطنية للموسيقى الأندلسية بشيء من الصناعة والتلحين، ومنذئذ أصبحت أجواق الآلة تتغنى بها في المناسبات العامة، وكأنها جزء من التراث الغنائي الأندلسي.

يقوم لحن الفياشية ـ كما سجلها جوق الإذاعة الوطنية ـ على طبع الاستهلال، وهو شبيه بمقام العجم الشرقي، ومقام دو الكبير حسب المصطلح الغربي.

أما إيقاع المقطوعة فهو رباعي على ميزان الدرج في الآلة الأندلسية، وحركته متوسطة على امتداد أبيات القصيدة، لا يسبقها بطء الموسع ولا يعقبها الانصراف السريع.

ولا مكان للشغل في إنشاد أبيات الفياشية من قبيل التراتين، وبذلك تختلف عن إنشاد صنعات الموسيقى الأندلسية.

وقد أعاد المرحوم عبد الصادق شقارة في أواخر ثمانينيات القرن السابق تسجيل الفياشية على نفس النموذج المذكور وذلك في إطار نشاط "جمعية مرتع الأذواق لشباب زاوية الحراق" التي أنشأها بتطوان عام 1988.

ومن جهة أخرى فقد أصدرت كتابة الدولة المكلفة بالثقافة ـ في إطار الاهتمام بالتراث الموسيقي المغربي ـ تسجيلا ضم ثلاثة أشرطة يحتوي ثانيها على الفياشية بأداء مجموعة من المادحين والمسمعين تحت إشراف الشيخ سيدي عبد اللطيف بنمصور.

ومما حوته الأشعار المرفقة بالأشرطة حديث إذاعي سبق أن سجلته الإذاعة الوطنية في نونبر 1967 مع الأستاذ بنمنصور جاء فيه أن الفياشية من نظم الولي الصالح عثمان بن يحيى الشرفي الشهير بسيدي بهلول الذي عاش بفاس على عهد السلطان المولى سليمان، وتوفي بها ودفن بمقبرة"سيدي العربي المعافري"، وحسب بنمنصور فإن ناظم القصيدة هو الشرفي بالفاء وليس الشرقي، وحجته على ذلك أنها مذيلة بتوقيع صاحبها على طريقة أهل الملحون، وذلك عند قوله في ختامها :

كما يحبى الشرفي المبدا سيدي عثمان نقلق من رزقي لاش والخالق يرزقني

غير أن كلام الأستاذ بنمنصور يبقى في حاجة إلى مرجعية موثوقة يستند إليها، خاصة وأن بعض الكنانيش المتداولة بين الناس أثبتت على وجه غلافها نسبة القصيدة إلى الشرقي بحرف القاف، فضلا عن أنها تسوق البيت المستشهد به على نحو مغاير هو الآتي :

عمل يحيى الشرقي سبع اسد عثمان
نقلق من رزقي لاش والخالق يرزقني

وفي ذلك ما قد يفيد أن نظم الفاشية عمل يبعث الحياة في الشرفاء.

يأتي عمل بنمنصور في سياق اجتهاداته بخصوص مستعملات المديح والسماع، وبذلك فقد أخضع إنشاد أقسام الفياشية لسبعة طبوع هي على التوالي : رمل الماية ـ الأصبهان ـ الحجاز الكبير ـ الحصار ـ الرصد ـ العشاق ـ عرق العجم.

تتخلل أقسام القصيدة مواويل ومقطعات شعرية مختارة من بين مستعملات الزاوية المغربية، ويجري إنشادها على ألحان هذه المستعملات، وبذلك جانب بنمنصور العمل بوحدة الطبع في إنشاد الفياشية.

ع. المجيد بوكاري، *معلمة المغرب*، ج. 16، سلا،1423 ـ 2000، ص. 5351 ـ 5352 ؛ ع. الجراري، *القصيدة*، ص. 82، 597 ـ 598، 601 ـ 602 ؛ *كتابة الدولة المكلفة بالثقافة، المنفرجة والفياشية*، دار المناهل، الرباط، 1418، ص. 34 ـ 37 ؛ الشريط رقم 2 رمضان 1418 ؛ ع. العزيز بن عبد الجليل، *معلمة المغرب*، ج. 16، سلا، 1423 ـ 2000، ص. 5393 ـ 5397 ؛ *القصيدة الفياشية للولي الصالح سيدي بهلول الشرقي*، دار إحياء العلوم، الدار البيضاء، دون تاريخ.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الـفيجل، أو حشيشة الحن أو الروتا أو أورمي أو شجرة الربح أسماء تطلق على عدد من النباتات البرية لفصيلة السذابيات Rutaceae الشاملة لجنس سيتروس Citrus (انظر "الحوامض" و"رنج" و"ترنج" و"ليم" و"ليمون") والمماثلة بجنسين نباتيين طبيعيين بالمغرب وهما هابلوفيلوم Haplophyllum وروتا Ruta. ومن أنواع روتا بالمغرب نذكر روتا مونتانا Ruta montana وروتا گرافيولينس Ruta graveolens وروتاكالوبينزيس Ruta chalepensis.

وأنواع الفيجل أعشاب معمرة كريهة الرائحة بالنسبة لبعض الناس، ذات أوراق مجزأة. جلها نباتات سامة.

يصادف بعض أنواعها في المناطق الرطبة الجبلية وبعضها في المناطق الجافة وشبه الجافة، وبعضها في المناطق الصحراوية...

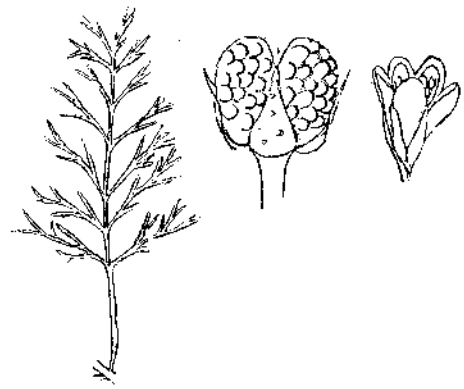

تستعمل أنواع الفيجل أو الروتا في التنجيم والتطبيب التقليدي للتداوي ضد أمراض البرص والروماتيزم والجهاز الهضمي والجهاز السمعي وكذلك للاجهاض عند الحوامل.

وينتج أحيانا عن محاولة القيام بهذه العملية بعض التسممات التي تؤدي إلى الوفيات في حالة تجاوز القدر اللازم. كما يحدث عند بعض الناس انتفاخات جلدية متعفنة وذلك عند تلمسها بأي منطقة من جلد البشر.

ونظراً لتعدد وقدم هذه الاستعمالات، ذكرت هذه الأنواع من طرف ابن ابيطار والوزير الغساني وعبد الرزاق وفي "عمدة الطبيب" و"تحفة الأحباب".

J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle, Médecine arabe ancienne et savoirs populaires*, Ibis Press, Paris, 1997, 779 p. ; A. Benabid, *Flore et Ecosystèmes du Maroc. Evaluation et préservation de la biodiversité*. Ibis Press, Paris, et Kalila wa Dimna, Rabat 2000, 360 p.

عبد المالك بنعبيد

الـفيريبكاي أو الويربيكاي، يحدد بطليموس مواطنهم بين الميطاگونيط في الشمال والسالينسي (نسبة إلى سلا ونهر سلا وهو الذي يحمل حاليا اسم بورگراگ) والكاوني في الجنوب، وليس من المستبعد أن تكون للفيريبكاي علاقة بمدينة فوبريكس أو بيريكس التي حدد بطليموس إحداثياتها على الشكل التالي : 9,30° و34,15°، يعني عند خط طول موقع تموسيدا مع الاتجاه قليلا نحو الشرق أو شمال شرق وليلي. ومع ذلك فمن الصعب تحديد موقع هذه المدينة التي قد تكون، نظرا للتشابه الموجود بينها وبين اسم القبيلة، أهم مدينة لدى الفيريبكاي.

أما بالنسبة لمواطن الفيريبكاي، فإشارة بطليموس تدفعنا إلى وضع مواطنهم في سهل الغرب حوالي المجرى الأوسط لنهر سبو، وغرب قبيلة الڤيرڤ (الوريوري) التي تستوطن ورغة. ويبدو أن كلمتي الفيريبكاي والڤيرڤ تشيران إلى وجود تشابه بينهما، وبالتالي تقارب بين القبيلتين. فهل هما تحريفان لاسم قبيلة واحدة، أم أنهما قبيلتان مستقلتان لا رابط بينهما إلا القرابة الجغرافية فقط ؟

وفيما يتعلق بالفيريبكاي، أفلا يمكن الربط بينها وبين قبيلة أوربة التي كانت تستقر في القرن التاسع الميلادي بكتلة جبل زرهون ووليلي ؟ والتي التجأ إليها إدريس بن عبد الله مؤسس الدولة الإدريسية بالمغرب. كما يلاحظ وجود آثار لاسم أوربة وفيريبكاي في اسم قبيلة أيت أوريبل إحدى القبائل القوية في اتحادية زمور بالخميسات، والتي لا يزال أبناؤها يعتقدون بأنهم منحدرون من قبيلة أوربة التي استقبلت إدريس الأول وتزوج منها.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، ترجمة من الفرنسية محمد حجي والأخضر غزال، ط. 2، 1989، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج. 1؛ ابن خلدون، *تاريخ العرب والبربر*، ط. 2، بيروت، م. 6 ؛ م. أعشي، *العلاقات السياسية والعسكرية بين المور والرومان في موريطانيا الطنجية ما بين 140 و285 م*، د.د.ع. كلية الآداب، الرباط، 1980 ؛ م. مقدون، *قبيلة المكنيتيين من خلال النقائش والنصوص الإغريقية واللاتينية*، أعمال ندوة الحاضرة الإسماعيلية، منشورات كلية الآداب، مكناس، 1988، ص. 149-157 ؛ أبو عبد الله البكري، *كتاب المسالك والممالك*، قرطاج، 1992.

Pline l'Ancien, *Histoire naturelle*, V, 1-64, 1ère partie (L'Afrique du Nord), Texte établit, traduit et commenté par J. Desanges, Paris, 1980 ; Pachet Maguerite, *Rome et les berbères*, Collection Latomus, n° 110, Bruxelles, 1970 ; Roget Raymond, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Rabat, 1924 ; *Index de topographie antique du Maroc*, Publications du service des antiquités du Maroc, Fasc. 8, Paris, 1938 ; Ptolémée, *Géographie*, ed. C. Muller, 1901, V, 1 - 5, p. 585 et p. 587 ; S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, 8 volumes , 1913 - 1928 ; J. Desanges, *Catalogue des tribus africaines dans l'antiquité classique à l'Ouest du Nil*, Dakar, 1962.

الـڤيرڤ ، يشير إليهم الجغرافي بطليموس مرتين في نفس الفقرة، يضعهم في المرة الأولى جنوب السوكوسي، وفي المرة الثانية شمال الوليليين. وقد يعني هذا أن مواطنهم تمتد بين مواطن السوكوسي على البحر الأبيض المتوسط، وبين مواطن الوليليين (نسبة إلى وليلي). وهذا التحديد جعل بعض المؤرخين، وعلى رأسهم ديزانج، يربط بين كلمة الڤيرڤ (الوريوري) ونهر ورغة. ونظرا لما ذكره بطليموس وما ذهب إليه ديزانج، فليس من المستبعد أن تكون مواطنهم حوالي ضفاف نهر ورغة الذي ينبع من جبال الريف وهو الرافد الأيمن لنهر سبو.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، تر. محمد حجي والأخضر غزال، ط. 2، 1989، بيروت، ج. 1 ؛ ابن خلدون، *تاريخ العرب والبربر*، ط. 2، بيروت، م. 6 ؛ م. أعشي، العلاقات السياسية والعسكرية بين المور والرومان في موريطانيا الطنجية ما بين 140 و285 م، د.د.ع. كلية الآداب، الرباط، 1980 ؛ م. مقدون، *قبيلة المكنيتيين من خلال النقائش والنصوص الإغريقية واللاتينية*، أعمال ندوة الحاضرة الإسماعيلية، منشورات كلية الآداب، مكناس، 1988، ص. 149. 157 ؛ أبو عبد الله البكري، *كتاب المسالك والممالك*، قرطاج، 1992.

Pline l'Ancien, *Histoire naturelle*, V, 1-64, 1ère partie (L'Afrique du Nord), Texte établit, traduit et commenté par J. Desanges, Paris, 1980 ; Pachet Maguerite, *Rome et les berbères*, Collection Latomus, n° 110, Bruxelles, 1970 ; Roget Raymond, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Rabat, 1924 ; *Index de topographie antique du Maroc*, Publications du service des antiquités du Maroc, Fasc. 8, Paris, 1938 ; Ptolémée, *Géographie*, éd. C. Muller, 1901, V, 1 - 5, p. 585 et p. 587 ; S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, 8 volumes , 1913 - 1928 ; J. Desanges, *Catalogue des tribus africaines dans l'antiquité classique à l'Ouest du Nil*, Dakar, 1962.

مصطفى أعشي

الـفـرنيسور، محمد بن الـمكي، أحد شهداء الاستقلال الذين أعدموا بسجن العادر الواقع بين مدينتي الجديدة وأزمور. ولد بمدينة الدار البيضاء سنة 1933 في أسرة حريزية الأصل. لا نعلم عن طفولته ودراسته شيئا، وربما اشتغل في سن مبكرة من عمره في صناعة الأثاث، وخاصة طلاء الخشب بالبرنيق "فرنيسور". كما أننا لا نعلم شيئا عن ظروف انخراطه في العمل الوطني، إلا أنه كان من السباقين إلى حمل السلاح ضد الاستعمار، حيث انتمى إلى تشكيلة اليد السوداء الديمقراطية بالمدينة الجديدة في الدار البيضاء، واشتغل فيها تحت إمرة أحمد دادون بعد نفي السلطان ابن يوسف.

استعمل السلاح الأبيض في العمليتين الفدائيتين اللتين قام بهما في ظرف وجيز لم يتعد أسبوعا، وكان الهدف غنم السلاح الناري :

1) العملية الأولى يوم 20 أكتوبر 1953 ضد روني موت René Moutte حارس الأمن الملحق بإدارة الشؤون الحضرية : جرت العملية بمشاركة محمد بن جلون الملقب "ولد البوليس" عند ملتقى زنقة هو بايي Haut Bailly وزنقة سولاك Soulac (بين طريق مديونة والسجن المدني). فقد باغث الفدائيان الشرطي الفرنسي عند وصوله على دراجته النارية حوالي الساعة التاسعة والنصف ليلا، وهاجماه قبل أن يطعنه أحدهما ("الفرنيسور") بخنجره في أعلى منكبه الأيمن فيصيبه بجرح بليغ. خارت قوى الشرطي فانهار أرضا أمام دكان بقال مغربي حاول إنقاذه. وقد تمكن الفدائيان من الفرار، قبل أن يتدخل مفتش شرطة لتقديم الإسعافات الأولية له ونقله على جناح السرعة إلى مستشفى جول كولومباني وعلاج الثقب الذي أحدثه الطعن في رئته اليسرى والإصابة البسيطة في أسفل ترقوته. وصفت الصحافة الفرنسية حالته بالخطورة، على الرغم من تحسنها الطفيف، ومع ذلك تمكن من تقديم أوصاف المهاجمين، من مثل ارتداء الطاعن جلبابا أبيض وتلثمه بنقاب أبيض أيضا.

2) العملية الثانية يوم 25 أكتوبر 1953 ضد تيزي حدو حارس الأمن المغربي : جرت هذه العملية غير بعيد من موقع العملية الأولى وبالضبط في طريق مديونة. تختلف الروايات حول ظروف العملية. فحسب ما ورد في شهادة لأحد المساهمين في العملية مقيدة في ملف المترجم بالمندوبية السامية "هجمنا على الشرطي طريق مديونة طلبنا منه السلاح فخرج (فأخرج) الشرطي مسدسه وبدأ يضرب الرصاص فضربه الشهيد محمد بن المكي إلى رقبته...". أما الصحافة الفرنسية، فتحدثت عن انقضاض ثلاثة أفراد على الشرطي المغربي أثناء عودته من عمله إلى بيته في حي عين الشق وعن "غرز أحد القتلة سكينه في ظهره أصاب أعلى رئته اليمنى مما أدى إلى انهياره. ومع ذلك، تمكن الشرطي من سل مسدسه... وإفراغ ما فيه من رصاص نحو المهاجم"، فأصاب محمد بن لحسن (أحد شريكي المترجم في العملية) في فخذه. فلاذ الفدائيون الثلاثة بالفرار، دون أن يسحبوا دراجتهم.

كانت إصابة محمد بن لحسن قاتلة، لسبب تأخر علاجه وتأخر نزع الرصاصة من فخذه، في حين انكبت "فرقة محاربة الإرهاب" على التحقيق في الحادثة، بالاعتماد على الدراجة، فاتصلوا بباعة الدراجات ومؤجريها في المدينة. وقد أفضى التحقيق إلى التعرف على هوية "الفرنيسور" الذي لم يتأخر في الاعتراف بضلوعه في ضرب الشرطي الفرنسي، بعد اعتقاله يوم 27 نوفمبر 1953 واقتياده إلى كوميسارية المعاريف وتعذيبه. وفي الوقت نفسه، أثارت وفاة رفيقه المشبوهة بحث الشرطة التي توصلت إلى أصلها.

وجهت إليه تهمة "تكوين عصابة مجرمين ومحاولة القتل العمد لحارسين للأمن والتهديد بالقتل"، وأودع بالسجن المدني المعروف في الدار البيضاء باسم "حبس اغبيلة"، قبل أن تصدر المحكمة العسكرية الدائمة للقوات المسلحة بالدار البيضاء يوم 4 ماي 1954 الحكم عليه بالإعدام، بينما حكمت على محمد بن جلون بالسجن خمس سنوات مع وقف التنفيذ. وتقدم دفاعه بطلب الاستئناف إلى المحكمة الدائمة للنقض التابعة للقوات المسلحة بالجزائر، لكن هذه الهيئة قررت يوم 18 ماي 1954 تأكيد الحكم الابتدائي. ولعل صاحب الترجمة لم يستفد من طلب العفو الذي تقدم به دفاعه إلى روني كوتي René Coty رئيس الجمهورية الفرنسية، فتم سوقه إلى سجن العادر لإعدامه على الساعة الثامنة إلا ربعا من صبيحة يوم 9 دجنبر 1954.

بطاقة الشهيد محمد بطالي (الفرنيسور)، رقم 526004، المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الرباط ؛ *ملف عن سجن العادر*، المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الرباط ؛ *ملخصات عن حياة وكفاح شهداء الاستقلال*، المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الرباط، ج. 1، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط. 2، ص. 35 ؛ *المقاومة*

وجيش التحرير سلسلة أحداث ملحمة الاستقلال الوثيقة الأولى، المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الرباط، مطبعة الرسالة، الرباط، ط. 2، دون تاريخ (1984) ؛ ص. 113 ـ 114 و115 ـ 116 و131 ؛ *المقاومة وجيش التحرير سلسلة أحداث ملحمة الاستقلال الوثيقة الثانية*، المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الرباط، مطبعة الأنباء، الرباط، رمضان 1404 / يونيو 1984، ص. 93 و292 ؛ *مجلة المقاومة وجيش التحرير*، ع. 51، يونيو 1998، ص. 70 ؛ جريدة *التحرير*، 18 ـ 6 ـ 1959.

Le Petit marocain, 21-10-1953, 22-10-1953, 26-10-1953 et 27-10-1953.

نجيب تقي

فيسجيربير (الدكتور) Dr. Fritz Weisgerber طبيب وصحافي فرنسي من مواليد 1868 بمنطقة الألزاس. تخرج طبيبا من جامعة ستراسبورغ سنة 1892، ومارس مهنته في باريس ولندن وجاوا وسومطرا قبل أن يحل بالمغرب أواخر 1896 ليستقر بالدار البيضاء. وخلال سنتي 1897 ـ 1898، شارك في بعض الحركات المخزنية في ورديغة والشاوية ودكالة والرحامنة بصفته طبيب الصدر الأعظم أحمد بن موسى. وتوفرت له بعد ذلك فرص التعرف على مناطق مغربية أخرى سجل ملاحظاته وخواطره عنها في بعض المجلات الفرنسية مثل L'Illustration، وكذا في كتاب صدر له تحت عنوان :"Trois mois de campagne au Maroc".

وخلال سنوات 1902 ـ 1906 قام برحلات إلى الشرق الأقصى. وأثناء احتلال الشاوية وضع فيسجيربير تجربته المغربية رهن إشارة الحكومة الفرنسية، وذلك بتزويدها بالمعلومات والخرائط المتوفرة لديه عن المنطقة. وفي العام 1909 حل بالمغرب من جديد مراسلا لجريدة Le temps. ولم يكتف فيسجيربير بمهمة الصحافي، بل تجاوزها، بفضل معرفته باللغة العربية وبعادات المغاربة، ليسدي خدمات غالية للقوات الغازية إبان المفاوضات والمناورات التي أدت إلى فرض الحماية على المغرب سنة 1912. وهو الشيء الذي مهد السبيل لكي توكل إليه بعد ذلك مهام في إطار المراقبة المدنية في منطقتين كان يعرف شعابها جيدا وهما الشاوية ودكالة، وهي مسؤوليات تقلدها حتى أحيل على التقاعد في فاتح أبريل 1926.

وتختزن كتابات فيسجيربير معلومات بالغة الأهمية فيما يتعلق بحالة المغرب وساكنته وتطوره منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين. ولعل أهمها جميعا كتابه المعنون *"على عتبة المغرب الحديث"* 1947 والذي هو خليط بين التأريخ والسيرة الذاتية، نشرت طبعته الأولى شهوراً قليلة بعد أن رحل الدكتور فيسجيربير إلى مثواه الأخير في دجنبر 1946.

La disparition du Dr. Weisgerber, un grand français, in *Bulletin d'Information du Maroc, n° 1, 15 janvier 1947*, p. 116-122 ; Dr. F. Weisgerber, *Au seuil du Maroc Moderne*, Ed. La Porte, Rabat, 1947.

جامع بيضا

فيكوس Ficus ، جنس نباتي من فصيلة التينيات أو التوتيات Moraceae، ممثل في المغرب بنوع طبيعي واحد وهو التين أو فيكوس كاريكا Ficus carica (انظر التين) وعدة أنواع أخرى دخيلة استوردت من المناطق المدارية الأسيوية.

ومن بين هذه الأنواع نذكر :

ـ فيكوس نيتيدا أو ريتوزا Ficus retusa (=F. nitida) وهو النوع الشائع كشجرة تزيين الشوارع الرئيسية بالمدن المغربية كشوارع محمد الخامس في الرباط أمام فندق باليما وبمحيط مسجد السنة، وفي القنيطرة ومكناس، والدار البيضاء وغيرها. وتجدر الإشارة إلى أن التصنيف وضعها في نفس الجنس مع التين لأن أزهارها وثمارها متشابهة ولكن في حجم صغير يقارب حجم الجلبانة وغير صالحة للأكل من طرف الإنسان.

ـ فيكوس إلاستيكا Ficus elastica أو الفيكوس المطاطي لأنه وعدة أنواع أخرى من هذا الجنس تعطي بواسطة عصارتها المستخرجة من لحائها مادة المطاط يتميز هذا النوع بحجم أوراقه الكبيرة، وباستعماله كشجرة زينة في الحدائق الخاصة والعمومية.

استطلاعات ميدانية وأبحاث شخصية.

عبد المالك بنعبيد

فيلالة ، يطلق اللفظ على أهل تافيلالت عموما وعلى الأشراف العلويين باعتبارهم ينحدرون من المنطقة. ويجدر التنبيه إلى ضرورة التمييز بين المعنى الجغرافي الأصلي للفظة تافيلالت والمعنى الإداري الذي اشتهرت به المنطقة والذي يشمل إقليم الراشدية الحالي. فتافيلالت التاريخية يقصد بها الواحة المحيطة بمدينة سجلماسة الأثرية ومدينة الريصاني الحالية، تحدها شمالا واحة تيزيمي المحيطة بمدينة أرفود ووادي غريس غربا ووادي أمربوح شرقا وهوامش الكتلة القديمة القاحلة جنوبا، وتشمل تافيلالت مجموعة من المقاطعات مثل السفالات والغرفة ووادي إيفلي وتانيجوت، وفي كل مقاطعة توجد العديد من القصور.

ولفظ تافيلالت أمازيغي يعني منخفضا من الأرض تحيط به الجبال، والعارف بالمنطقة يقف على أن الواحة تشكل

حوضا يلتقي فيه واديا زيز وغريس مكونين سهلا رسوبيا تحيط به مرتفعات جبلية من الجنوب والغرب أهمها جبل واوفيلالت تنتمي كلها للكتلة القديمة، وأعراف الحمادة من الشرق والشمال، مما يفند ما تواتر في بعض الكتابات المعتمدة على الرواية الشفوية المعولة بدورها على اشتقاقات وتخريجات لغوية عربية تحيل على قصة عدم وفاء أهل المنطقة بما تعاقدوا عليه مع الأشراف العلويين.

ومن ثم فإن فيلالة أو الفيلاليون هو الاسم الذي يطلقه سكان الواحات المحيطة بتافيلالت على سكان قصور هذه الواحة حسب التحديد السالف الذكر، إذ لا يشمل مثلا أهل تيزمي المجاورين لهم شمالا. ومع قيام الدولة العلوية وإعادة توحيد سلاطينها الأولين للمغرب، اشتهروا بالفيلاليين أو فيلالة نسبة للمنطقة التي انطلقوا منها، تمييزا لهم عن الأشراف الآخرين القاطنين بجهات أخرى من البلاد.

وبشتهر الفلاليون - أي سكان تافيلالت - بتقاليدهم الزراعية العريقة ومهارتهم التجارية، بحيث برعوا في تقنيات الفلاحة الواحية المتميزة بتدبير محكم للثروة المائية في وسط شحيح من حيث هذه المادة، وتزخر كتب التاريخ بمعطيات تشهد بثروة تافيلالت الزراعية خصوصا ثمورها الجيدة ومختلف المنتوجات التي تجود بها أرض تافيلالت. أما تقاليدهم التجارية فلعل شهرة سجلماسة تكفي عناء البرهنة عنها، إذ اكتسبوا مهارة بفضل الدور الذي لعبته منطقتهم في المبادلات التجارية بين المغرب والسودان الغربي، ولازالوا إلى اليوم يقومون بنفس الدور جهويا حيث يلتئم سوق الريصاني ثلاثة أيام في الأسبوع يحج إليه مختلف سكان المناطق المحيطة بالواحة للتزود بمختلف حاجياتهم.

حسن حافظي علوي، *سجلماسة وأقليمها*، المحمدية، 1997، ص. 90.

محمد بوكبوط

الفيلالي، أحمد أبو **العباس**، أحد الصلحاء المعروفين بغمارة في بداية القرن الحادي عشر الهجري. قضى مدة طويلة في تلقي العلوم الدينية وأخذ عن شيخه الغازي بن علي بن عبد الله.

كان له دور هام في تلقين دروس التربية الصوفية بمسجد تيزي عدنيت ببني سعيد الريفية. حل بالمكان قبل 996، وحظي بعناية أسرة عيسى بن محمد بن يحيى البطوئي صاحب كتاب *مطلب الفوز والفلاح*. وكان مقامه هناك إلى ما بعد 1.000 مناسبة لتوافد مجموعة من الطلبة من بني سعيد، وبني أوليشك وبني توزين وبقيوة. منهم أحمد بن إبراهيم الرامي (ت. 1039) وأحمد بن جعفر السوسي، وعلي بن قاسم الجريري التوزيني، وعيسى بن محمد البطوئي. وقد حفظ عنه تلميذه البطوئي ستة أبيات قالها في ذم الدنيا :

تبا لطالب دنيا لابقاء لهـــا ... كأنها في تصرفاتها حلـم
صفاؤها كدر وشرها كـــدر ... أمانها غدر أنوارها ظلـم
شبابها هرم صحتها سقـــم ... لذاتها ندم وجدانها عـدم
لا يستفيد من الانكاد صاحبها ... ولو قلك ما قد جمعت إرم
تخل عنها ولا تركن لزهرتهـا ... فإنها نعم باطنها نقـــم
واعمل لدار نعيم لا نفاد لهـا ... ولا يخاف بها موت ولا هرم

انتقل في بداية القرن الحادي عشر الهجري إلى بني بوزرة بغمارة حيث توفي بها ما بين بني سلمات وبني حميد.

عيسى بن محمد بن يحيى البطوئي، *مطلب الفوز والفلاح في آداب أهل الفضل والصلاح*، مخطوط بالخزانة الحسنية، وبالخزانة العامة.

حسن الفگيكي

الفيلالي، أحمد بن **محمد** بن عبد الملك الأنصاري، ولد في زمن غير معروف من القرن (11 هـ / 17م) بأحد قصور سجلماسة، فلما شب التحق بزاوية تامگروت لإتمام تعليمه على يد علماء الزاوية الناصرية، وبعد أخذه لقسط من العلم مالت نفسه إلى التبحر في علم القراءات، فلازم الشيخ أبا إسحاق إبراهيم بن منصور حتى تخرج عليه.

كان أحمد الفيلالي يقرض الشعر، ويتمتع بحافظة قوية، يستحضر الآيات القرآنية كأنه يقرأها في مصحف شريف، ومن أشهر مؤلفاته "*سمط الجمان في قراءة السبعة النعمان*" وتذييل على الوسيلة للشيخ مَحمد بن ناصر. بالإضافة إلى مقطعات شعرية في مدح آل بناصر.

توفي أحمد الفيلالي سنة 1135 ، ودفن بمقبرة الأشياخ بزاوية تامگروت الناصرية.

محمد المكي بن موسى الناصري، *الدرر المرصعة*.

أحمد البوزيدي

الفيلالي، اسويلم ولد سنة 1914 بآسا إقليم گلميم. ولاسترجاع ما تبقى من تراب البلاد في يد المستعمر انخرط اسويلم الفيلالي في صفوف جيش التحرير سنة 1956 بالمقاطعة السابعة بقيادة آيدا ولد التامك.

وقد كان مثالا للرجل المجاهد في سبيل الله معروفا بغيرته الوطنية شارك في عدة معارك كمعركة أم لعشار ووادي الصفا بناحية الساقية الحمراء التي استشهد فيها سنة 1958.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 509915.

الفيلالي، محمد بن **سعيد** بن اليسع الرباطي، كان نقادة في الفقه ومن قادة الفقهاء في وقته، لازم الإفتاء بالرباط نحو العشرين سنة وكانت فتواه مطلوبة ولها نفوذ تام بالعدوتين وغيرهما. ويقول بوجندار : أخبرني صاحبنا أبو عبد الله الدكالي أنه عثر بسلا على عدة فتاو من فتاويه كلها في غاية التحرير والتحبير، ومما قيدته عنه منقولا من كناشة بعض المؤرخين الرباطيين أن القاضي الفيلالي المترجم والقاضي عبد الله البناني والقاضي محمد الغربي كانوا

جميعا يتناوبون قضاء الرباط واحدا بعد واحد، لكل واحد منهم ثلاثة أشهر، ثم يتنازل للآخر وهلم جرا، ثم يضيف قائلا : ورأيت من كلام الضعيف الرباطي ما يفيد أن صاحب الترجمة في بعض ولاياته على الرباط إنما بقي نحو الشهرين فقط، وذلك بعد إعفاء القاضي الغربي، ولي أواخر جمادى الثانية وعزل أوائل رمضان من عام أربعة عشر ومائتين وألف. أما تاريخ وفاته فلم أقف عليه بعد البحث.

م. بوجندار، *تعطير البساط بذكر تراجم قضاة الرباط*.

محمد الشياظمي

الفيلالي، محمد المكي بن الخَضِر الفيلالي الفقيه العلامة أصله من قصر گاوز بتافيلالت في دائرة الريصاني الحالية، لا نعرف أي شيء عن ميلاده ومراحل تكوينه، إلا أن شهرته العلمية جعلت السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام يعينه قاضيا على واحتي مزگيطة وتينزولين سنة 1260 وقد أسند له السلطان "في تصفح الرسوم وفصل الخصوم والحكم بمشهور مذهب إمامنا مالك".

وقد نزل مكي بن الخضر الفيلالي بقصبة تامنوگالت بواحة مزگيطة إلى جانب القائد التمنوگالي، ويذكر الفقيه محمد بن لحبيب التمنوگالي أن القاضي المكي بن الخضر الفيلالي، سار في خطته سيرة الصالحين. وعلى عادة القضاة بوادي درعة، كان الفقيه بن الخضر الفيلالي يتصدر للتدريس بين العشاءين بمسجد قصبة تامنوگالت حيث كان يلقي دروساً في الفقه والحديث النبوي، وقد أخذ عنه جم غفير من علماء واحة مزگيطة، وظل يمارس القضاء والتدريس.

توفي بقصبة تامنوگالت في زمن غير معروف عام 1270.

محمد بن لحبيب التمنوگالي، *العقود الجوهرية في الأنباء الدرعية*، مخطوط خاص ؛ *رواية شفوية* ؛ وثائق محلية من توقيع الفقيه ابن الخضر الفيلالي.

الفيلالي، المدني بن مبارك (المدرس)، ولد بقصر الغرفة بواحة تافيلالت في زمن غير معروف من النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري. أخذ القرآن الكريم عن بني قومه بالغرفة، وبعد اتقانه لحفظ كتاب الله وتجويده بحرف ورش تطلع إلى إتمام تعليمه، فتوجه إلى فاس، فنزل بإحدى المدارس يقرأ بها، ويمكن أن نفهم من هذه الإشارة أن الفيلالي المدني بن مبارك لم يتمكن من الالتحاق بجامع القرويين لسبب من الأسباب، واكتفى بأخذ العلم عن أحد الفقهاء الذين كانوا يتطوعون لإلقاء بعض الدروس في هذا المسجد أو ذاك من مدينة فاس. ولعل ما يؤكد ما ذهبنا إليه أنه لما أسند إليه منصب القضاء بالقصبة من مراكش خلفا للقاضي محمد بن العربي الحاجي الدرعي، لم تكن له معرفة بالأحكام على حد تعبير صاحب *الإعلام*.

ولما قرر المخزن العزيزي، إرسال وفد عنه إلى الصحراء المغربية سنة 1323 برئاسة الشريف مولاي إدريس كان المدني بن مبارك الفيلالي كاتبا ضمن رجال الوفد المخزني.

توفي الفيلالي المدني بن مبارك بالصحراء سنة 1324.

العباس إبراهيم، *الإعلام*، ج 7 ؛ م. السوسي، *المعسول*، ج 4 ؛ ابن عزوز حكيم، *السيادة المغربية في الأقاليم الصحراوية*، ج 1.

أحمد البوزيدي

الفيلالي، منصور، قائد شارك في معركة وادي المخازن بجانب السلطان مولاي عبد الملك وقد ذكره كل من الفشتالي في مناهل الصفا والطبيب اليهودي الذي كان يعالج السلطان المذكور وقالا أنه كان من بين قواد جيش السلطان مولاي أحمد المنصور الذهبي.

ع. العزيز الفشتالي، *مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا*، تح. كريم، الرباط، 1972، ص. 137.

Medico Judio, Carta a su (*S.I.H.M.*, t. I, p. 312-321).

محمد ابن عزوز حكيم

الفيلالية (مدرسة مرينية بمكناس) أكبر المدارس المرينية بمدينة مكناس أسسها أبو يوسف يعقوب المريني (1258 - 1286)، وكانت تسمى آنذاك بمدرسة الشهود لأن سماطهم قديما كان مجاوراً لها، ثم بمدرسة القاضي لأن القاضي أبا الحسن بن عطية الونشريسي كان يدرس بها، أما تسميتها بالفيلالية فجاء نتيجة لسكنى طلبة فيلالة بها.

تقع قبلة باب الحجر أحد أبواب الجامع الكبير، وتبلغ مساحتها 433 $م^2$، بها قاعة للصلاة يقال لها قبة المدرسة يبلغ طولها 9,2م وعرضها 4,2م، وأمام القبة صحن مساحته 102م تقريبا (8,7 x 11,7) في وسطه بركة ماء من الرخام الأبيض وعلى جانبيه مباحان، وفي غربه دار للوضوء بها سقاية.

ويشمل الطابق الأرضي إضافة إلى ما ذكر اثنان وعشرون غرفة للطلبة تتراوح مساحة كل منها بين 3 و7 أمتار ؛ أما الطابق الأول فيضم 17 غرفة محمولة على الغرف السفلى، وتعلو الصحن حلقة تحيط بها مقربصات خشبية جميلة الصنع فوقها مظلل مكسو بالقرميد الأخضر الجميل، وللمدرسة باب واحد قبالة باب الحجر يعلوه مظلل مكسو بحلة من خضراء القرميد. وقد جددها المولى إسماعيل (1672 - 1727) وأصلح ما حل بها من تخريب بدليل ما هو منقوش على جدارها الشرقي في زليج أخضر على صورة محراب قبالة الداخل إليها ومما جاء فيه :

تأنق في البنيان والوشي صانعي ... أنا منزل القراء حزت بذا فخرا
عن أمير المومنين الذي سما ... ينسبته للمصطفى وعلا قدرا
أبي النصر إسماعيل كمل بهجتي ... بناظره السهلي قد سهل الامرا
وكملت عام الألف مائة ورد ... ثلاثين شهر المولد أحبب به شهرا

تعرضت المدرسة بعد ذلك للاهمال والتخريب وتوقفت عن

أداء مهمتها التعليمية، وأصبحت اليوم ناديا نسويا تابعا للتعاون الوطني.

ابن غازي، *الروض الهتون*، ص. 36 ؛ ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 1 ؛ *المنزع اللطيف*، ص. 329 ؛ ر. بلمقدم، *أوقاف مكناس*، ج 1، ص. 234.

رقية بلمقدم

ڤينوس Venus ، تعتبر من الآلهة التي حظيت بمكانة هامة سواء في روما أو في الولايات الرومانية. فهي وريثة أفروديت الإغريقية وتينوس جبل إريكس بصقلية وعشتارت الفينيقية ـ البونية.

إنها ربة الخصوبة، وربة بحرية وجهنمية وأحيانا أخرى ربة تجارية. احتلت عبادتها مكانة متميزة في شمال إفريقيا ويبدو أنها وجدت مجالا خصبا في ميدان النحت والفسيفساء حيث عثر على عدد كبير من التماثيل التي تجسدها وخاصة في موريطانيا ـ ففي قيصرية عثر على عشر تماثيل اعتبرت تقليدا للتماثيل الهيلينية التي انجزها كبار النحاث الاغريق أمثال Cnide de Praxitèle وLysippe، كما جسدت في تماثيل اكتشفت في كل من وليلي، بناصا وتوسيدا هذا إضافة إلى الفسيفساء التي عرفت هي الأخرى حضوراً متميزاً للربة فينوس (فسيفساء بناصا، وليلي ولكسوس).

أما من خلال النقائش، فيبدو من دراستها أن الربة قدست تحت أشكال مختلفة كما يتجلى من خلال نعوتها وألقابها، فهي المنتصرة (Victrix) والربة الأم (Genetrix) ووليدة جبل إريكس (Erycina) والمقدسة (Augusta)، والمراقبة للعمليات التجارية (Adquisitrix).

وعثر بمدينة قيصرية على نقيشة عبارة عن إهداء تقدم به بروقنصل إفريقيا، گالبا (Galba)، وهو يعبر عن ارتباط سكان هذه المدينة بعبادة فينوس وتشبثهم بمعبودة كانت محبوبة لدى أمرائهم السابقين.

واكتشفت بوليلي نقيشتان على شرف الربة فينوس، إحداها تقدم بها شخص يدعى L. Caecilius Vitalis بمناسبة حصوله على منصب "Sevil" الذي مهمته الإشراف على العبادة الامبراطورية. إنه عبد معتق قدم لهذا الإهداء في إطار خصوصي شأنه في ذلك شأن العديد من المعتقين الذين قدموا إهداءات على شرف ربات أخريات أمثال ديانا، مينرفا وايزيس.

وإجمالا يمكن القول إنه من الصعب تحديد طبيعة هذه المعبوده المعقدة التي اتخذت مظاهر متعددة، وقد أشار إلى هذه الطبيعة والصورة المعقدة المؤرخ أبوليوس (Apuleius) إذ يقول "هي أم قديمة للطبيعة، وأصل العناصر الأولى في السكون (الماء، النار، الهواء، الأرض) وهي مغذيته كذلك، وباختصار هي القوة الكونية التي قدسها معاصروه".

M. Le Glay, Les religions de l'Afrique Romaine au II ap., d'après Apulée et les inscriptions. *Africa Romana*, Atti del I convegno di studi sassari, 1983, p. 47-61 ; Une dédicace à Venus offerte à Calsarea par le futur empereur Galba, *Mélanges Carcopino*, 1966, p. 629-640 ; R. Schilling, La religion romaine de Venus des origines jusqu'au temps d'Auguste, *BEFAR*, 178, Paris, 1954.

عبد العزيز بل الفايدة

الفينيقيون بالمغرب من الشعوب السامية القديمة التي كانت تقطن خلال الألف الأول ق. م الشريط الساحلي الذي يشمل حاليا كل لبنان وجزءا من سوريا وفلسطين. وقد تميزت حضارة هذا الشعب بالتجارة البحرية، التي نشطتها وطورتها أهم المدن الفينيقية، مثل صور وصيدا وجبيل وأرواد. غير أن مدينة صور تعد بدون منازع أهم هذه الحواضر وأغناها، والمبادرة الرئيسية في هذه التجارة. كما تعتبر المدينة المسؤولة دون غيرها عن التوسع الفينيقية نحو الحوض المتوسطي، والوصية عن نشأة المستوطنات الفينية في المغرب.

وإذا كانت السّيماء البيّنة لتاريخ الفينيقيين هي توسعاتهم البحرية، فإن أهم نتيجة تمخضت عن هذا التوسع، تمثلت في ربط علاقات تجارية مع العديد من الشعوب المتوسطية، بما فيهم السكان القدامى للمغرب. وفي هذا الصدد، خلّف الفينيقيون العديد من الآثار الدالّة في جهات مختلفة من المغرب، نذكر منها مركز ليكسوس، ومنطقة فحص طنجة، ومدينة شالة، وجزيرة موكادور. كما نضيف مناطق أخرى كشفت مؤخرا عن مخلّفات فينيقية، من بينها منطقة "كشكوش" بوادي لاو، ومنطقة سيدي إدريس بالقرب من الناظور، وربما منطقة "عزيب السلاوي" بإقليم العرائش. علاوة على اكتشاف حطام سفينة فينيقية وحمولتها غرقت في عرض مياه مدينة الفنيدق بشمال المغرب.

صحيح أن ملف الوجود الفينيقي بالمغرب في حاجة إلى دراسة تركيبية حتى نتمكن من إسقاط المعلومات المتوفرة على السواحل المغربية برمتها. غير أن المعطيات المصدرية التي تيسرها النصوص، والنتائج الأركيولوجية المتاحة حاليا حول هذا الوجود في فحص طنجة وليكسوس وجزيرة الصويرة، تمكن من تسطير اللبنات الأولى لتاريخ المغرب خلال الحقبة الفينيقية.

فمنطقة طنجة تعد المنطقة الوحيدة التي كشفت لحد الساعة عن آثار أركيولوجية حول طبيعة الوجود الفينيقي بالمغرب، ونوعية العلاقات التي جمعت السكان المحليين بالتجار الفينيقيين. فقد خلّفت من جهة قبوراً فينيقية، ومن جهة ثانية خلّفت أعداداً كبيرة من المدافن المحلية التي كانت بالقرب منها، تؤرخ جميعها بمرحلة تمتد وقتا غير محدد من القرن الثامن ق. م إلى أواسط القرن السادس ق. م ويتحدد موقع هذه المدافن في شمال غرب شبه الجزيرة الطنجية بمنطقة يحدها من الشرق رأس ملاباطا، ومن الشمال مضيق جبل طارق، ومن الغرب رأس اسبارتيل، ومن الجنوب مستنقعات وادي تهدارت والمهرهر. هذه المدافن، سواء الفينيقية منها

مثل مدفن "رأس أشقار" أو المحتملة أن تكون فينيقية مثل ضريح "المغوغة الصغيرة" ومقبرة "مرشان"، أو المدافن المحلية مثل مقبرة "جبيلة" و"عين الدالية الكبيرة" ودار زهيرو"، احتوت على أعداد كبيرة من مواد التجارة الفينيقية. فعلاوة على بعض الكسرات الخزفية الفينيقية وبيض النعام، كانت هذه المواد تتألف في غالبيتها من الحلي الفينيقية الذهبية والفضية والبرونزية أو المصنوعة من عجين الزجاج الفينيقي، نذكر منها المناجد على شكل الصاع وحلقات الأذن وخزائم الأنف والاختام المطبوعة، ويمكن تبريره بموقع المنطقة في الطريق الملاحية التي فتحها الفينيقيون صوب الساحل الأطلنطي للمغرب، حيث توجد أهم منشأة فينيقية، وهي ليكسوس بالقرب من مدينة العرائش.

وبالفعل تعد ليكسوس أهم مركز مغربي يرتبط في الايستوريوغرافيا القديمة والحديثة ارتباطا وثيقا بالتوسع الفينيقي بصفة عامة، وبالوجود الفينيقي بالمغرب بصفة خاصة، نظرا لتوفره على جميع المقومات والخصوصيات التي تميزت بها المستوطنات التي قام الفينيقيون بتشييدها. فقد وردت أولى المعلومات حول منطقة ليكسوس منذ القرن السادس ق. م مع "هيكاتيوس الميليتي" (Hécatée de Milet). وأورد "سكيلاكس" (Scylax) حرفيا أن ليكسوس كانت مدينة فينيقية . ورغم أن حنون لم يشر إلى مدينة ليكسوس في رحلته، فإن الأوصاف التي ذكرها حول الليكسيين ذوي المعرفة الملاحية والتجارية واللغوية والاثنوغرافية بالساحل الأطلنطي للمغرب، تدفع إلى اعتبار أن المقصود بهم سكان ليكسوس الفينيقين. كما يتبيّن أن ليكسوس كانت تتوفر على منطقة نفوذ خاضعة لها من خلال إشارة "بوليبيوس" (Polybe) إلى "خليج ساكيكي"، وإشارة "استرابون" إلى "خليج الوكالات التجارية الفينيقية". ومن خلال الماضي الميثولوجي لليكسوس الذي عكسه "بلينيوس" (Pline) عبر أسطورة هرقل وأسطورة حدائق الهيسبيريديس، ومن خلال ذاكرة قدم تأسيس ليكسوس وربطه بتاريخ تأسيس معبد ملقارت في قادس، تتبين الجذور القديمة لليكسوس وبالتالي أصولها الفينيقية.

وإذا كانت المصادر القديمة تتضمن العديد من الإشارات والرموز حول الجذور الفينيقية لليكسوس، فإن مخلفات الفينيقين بها جاءت لتؤكد على قابلية تصديق هذه المصادر. فالخزف الفينيقي ذو البرنيق الأحمر كان موجوداً في ليكسوس بجميع أصنافه المعهودة، كالصحون والجفنات التي تصلح للاكل، والأباريق ذات القرص التي تستعمل لحمل السوائل كزيت الزيتون، والقناديل التي تصلح للانارة. كما أن الجرار المصبوغة المتعددة الألوان من نوع "كروز ديل نيكرو" (Cruz del Negro) ومن نوع pithoi ، والتي كانت تستخدم لتخزين البضائع وأيضا لحملها، كانت حاضرة كذلك في ليكسوس، علاوة على الامفورات وثلاثيات الارجل وقارورات العطر الفينيقية. غير أن السكان الفينيقين بليكسوس لم يخلفوا فقط منتوجهم الخزفي، بل تركوا آثارا أخرى غير الخزف، مثل مساكن المستوطنين الفينيقين الأوائل، وبعض المواد النادرة نذكر منها خنفساء مصرية ومغرفة برونزية مستوردة من قبرص.

من خلال هذه المعطيات، وعند مقارنة ليكسوس بأنواع المنشآت الفينيقية فيما وراء البحار، يتبيّن أنها كانت تجمع من جهة بين عناصر مستوطنة الاستقرار والاستغلال الفلاحي والسمكي والغابوي، ومن جهة أخرى بين عناصر المستوطنة التجارية. فقد كانت تتميز باتساع رقعتها التي ناهزت 12 هكتارا، وبوفرة في أعداد سكانها الذين كانوا يقاربون 2400 نسمة. كما خضعت لمميزات المواقع التي كان يفضلها الفينيقيون للاستقرار، أي بتشييدها في الجهة العليا لتل مرتفع محصّن مطل على بحيرة شاسعة تصلح لرسو المراكب. كما كانت تحظى بمجال محلي غني من الناحية الفلاحية والسمكية والغابوية، موفرا الموارد الضرورية التي تحتاجها الساكنة الفينيقية في الاستهلاك والاستغلال. فمن خلال الدراسة الكاربولوجية (Carpologie)، أي العلم الذي يقوم بدراسة بقايا العناصر الناتجة عن تحول النبات، تبيّن أن السكان الفينيقيين لليكسوس كانوا يمارسون زراعة بورية خفيفة، تعتمد على زراعة نوعين رئيسيين من الحبوب، وهما الشعير والقمح. كما كانوا يزرعون العدس واللوبياء والزيتون. وبفضل الاركيولوجيا الحيوانية (Archéozoologie)، برزت مكانة تربية الأبقار، باعتبارها أهم المواشي التي كانت تزود سكان المستوطنة الفينيقية باللحوم، وخصوصا لحوم العجول. واستنادا لعلم الاسماك الاركيولوجي (Ichtylogie archéologique) وعلم الرخويات (Malacologie)، تبيّن أن الصيد البحري الممارس خلال المرحلة الفينيقية كان مخصصا للاستهلاك المحلي، ويوحي بأن الصناعات السمكية التي تعتمد خصيصا على التمليح، مثل صناعة الكاروم التي اشتهرت بها ليكسوس، لم تكن

قد تطورت بعد على ضوء بقايا الأسماك المدروسة. ومن خلال علم "الأنطراكولوجيا" (Anthracologie)، أي العلم الذي يدرس بقايا الأخشاب المتفحمة، تبيّن أن جوار ليكوس عرف غابة قوامها البلّوط والفلّين والصنوبريات، كانت توفر للساكنة الفينيقية أنواعا مختلفة من الأخشاب، للاستعمال في البناء والفلاحة والوقود، وربما في صناعة السفن. كما أن تنصيص المصادر القديمة على حضور مؤسسة المعبد في ليكسوس، المتجسدة في معبد ملقارت الذي يرمز إلى المؤسسة المسؤولة في صور عن تنشيط تجارة أعالي البحار، يوحي بأن ليكسوس كانت واحدة من المستوطنات ذات البعد التجاري التي أسستها مدينة صور. وهو البعد الذي يفسّر بموقعها الاستراتيجي في الطريق الملاحية والتجارية التي أراد الفينيقيون فتحها في اتجاه الجنوب بحثا عن الموارد التي كان يتوفر عليها المغرب القديم، وتنشيطها في التجارة الفينيقية بالساحل الاطلنطي للمغرب، كتجارة المعادن وتجارة العاج والخمور والجلود.

واستنادا للدينامية الداخلية لتاريخ الفينيقيين، التي لم تكن تسمح قبل القرن التاسع ق. م بحدوث ظاهرة التوسع البحري بتبعاته الاقتصادية والاجتماعية والديمغرافية، وتبعا للمعطيات الاركيولوجية المتوفرة، يتضح أن تأسيس ليكسوس حدث في نهاية القرن التاسع ق. م أو بداية القرن الثامن ق. م، وليس في القرن الثاني عشر ق. م أو بداية الالف الأولى، كما كان يُعتقد من قبل. وعند تأسيسها، يبدو أن ليكسوس نشأت منذ الوهلة الأولى مستوطنة ثابتة شاسعة الأطراف، دون أن تعرف ظاهرة التدرج الوظيفي التي عرفتها العديد من المنشآت الأخرى التي مرّت من مرحلة المحطة إلى مرحلة المستوطنة. الأمر الذي يجعل منها واحدة من أقدم المستوطنات الفينيقية في المغرب، وأقدم منشأة فينيقية تُشيَّد على الساحل الاطلنطي للمغرب، حيث تم تشييدها بقرن من الزمن قبل ثاني منشأة فينيقية هامة تعرف لحد الآن، وهي جزيرة موكادور.

وبالفعل، أثبتت الفحوصات الاركيولوجية التي شملت جزيرة موكادور ابتداء من الخمسينيات من القرن العشرين، أن الفينيقيين أسسوا منذ القرن السابع ق. م وكالة تجارية بالجهة الجنوبية الشرقية للجزيرة، كانوا يترددون عليها بشكل دائم إلى حدود أواسط القرن السادس ق. م. ومن الشواهد الدالة على وجودهم، نشير إلى مآت الكسرات الخزفية المختلفة الاشكال والمصدر، تنتمي عموما إلى نفس الأصناف التي عرفتها ليكسوس، نذكر منها الخزف الفينيقي ذي البرنيق الأحمر بما يعادل 500 كسرة (صحون ـ جفنات ـ قناديل ذات مشعلين ـ مبخرات ـ أباريق ذات القرص ...)، والخزف الفينيقي غير اللامع المتمثل بحوالي 400 كسرة (أمفورات ـ ثلاثيات الارجل ـ قارورات العطر ـ أباريق إجاصية الشكل ...)، والخزف المصبوغ المتعدد الألوان بحوالي 272 كسرة. وإذا كان العثور على هذه الأنواع كافيا للاعتقاد بوصول الفينيقيين إلى جزيرة موكادور، فإن ما يزيدنا تأكيدا على ذلك هو احتواء 125 كسرة من هذه الكسرات على كتابات فينيقية. وهي عبارة عن خربشات (Graffiti) كتبت فوق إحدى أطراف الآنية بأبجدية فينيقية، لا تتعدى بعض الأسماء، عادة ما تكون على شكل فلان ابن فلان. من هذه الأسماء التي استطاع المتخصصون في علم اللغات السامية القديمة قراءتها نذكر "ماكون" و"حنون" و"عبد لبنان" و"عبد تانيت" و"بن تانيت" و"بعل يعطون" و"إشمون يعطون"، و"جار سكن" و"حيبلك بن أدون" و"حامي القرت". وكانت هذه الأسماء بمثابة توقيعات الفخّارين الذي صنعوا الأواني، أو علامات التجار المصدّرين للسلعة الموجودة بداخلها.

ومن الشواهد الدالة الأخرى على توافد الفينيقيين على جزيرة موكادور، نذكر مجموعة من المواقد المتفحمة كانت مكدسة على الصخر الأم، والتي قد تكون من بقايا المدفئات التي استعملها الفينيقيون داخل مساكن اندثرت نهائيا، أو مخلفات مكان الطبخ، أو بمثابة دليل عن تلك التجارة البكماء التي وصفها المؤرخ الاغريقي "هيرودوت". كما نشير إلى مجموعة متعددة من الحصى الصغيرة، لم تنتج عن تكوينات جيولوجية، بل وصلت إلى المركز بواسطة الفينيقيين الذين نقلوها من الشاطئ القريب، والتي كانت تصلح على ما يبدو إما للترصيف، أو تستعمل لكسر العظام، أو لكسر محار الأرجوان، أو كانت من بقايا الكوانين التي استعملها الفينيقيون لطهي طعامهم. وفي منطقة توجد في التل الأثري، تم العثور على عمود حجري منحوت مربع الزوايا، يبلغ طوله 1,47 م وعرضه حوالي نصف متر، كان يمثل على ما يبدو إحدى الأنصاب الدينية المعروفة في فينيقيا باسم "بيت إيل"، والتي كانت بمثابة معابد في الهواء الطلق تقام أمامها الصلوات وتقدم بجنبها الذبائح.

من خلال هذه البقايا، يبدو أن المركز الذي استقر فيه الفينيقيون لم يكن محطة ثابتة أو مدينة مبنية كسائر المراكز

نماذج من الخزف الفينيقي بليكسوس

الفينيقية الكبرى المعروفة، مثل ليكسوس وقادش وقرطاجة، بل عبارة عن محطة تجارية مؤقتة. غير أن ذلك لا ينفي وجود مركز دائم بالمنطقة، يمكن البحث عنه في مدينة الصويرة، التي كانت على شكل جزيرة كبرى تبعد عن الجزيرة الحالية بتسع مائة متر، اتصلت فيما بعد باليابسة. ومما يرجح ذلك، اكتشاف سور بالمدينة تم اعتباره سورا فينقيا حسب تقنية بنائه.

وكيفما كان الحال، فإن قدوم الفينيقيين إلى منطقة الصويرة يمكن تفسيره بالبحث عن محار الأرجوان لاستخراج صبغته الشهيرة، بحكم العثور على أعداد كبيرة من محار "الموريكس" المهشم في عدة نقط من اليابسة المقابلة للجزيرة، وبحكم الصيت الذي اشتهرت به جزيرة موكادور خلال عهد "يوبا الثاني" في صناعة الأرجوان. كما يمكن تفسير هذا التوافد، بالبحث عن مادة الصمغ المستخرجة من شجر العرعار الذي عرفه الإقليم منذ بداية العصر الجيولوجي الرابع. ويمكن تعليله كذلك بالبحث عن المعادن، بدليل الكشف في الطبقة الأركيولوجية الفينيقية، عن قوالب فخارية تستخدم لصهر المعادن، وعن بعض الشظايا المعدنية المشتتة. ومما يرجح ذلك، أن ناحية الصويرة لم تكن بعيدة عن مناجم الأطلس الكبير وسوس، حيث لدينا عدة دلائل حول استغلال هذه المناجم منذ القدم. كما أن المنطقة كانت قريبة من جبل كان يحتوي على منجم الحديد يدعى "جبل حديد"، يبعد عن مدينة الصويرة في اتجاه الشمال الشرقي بحوالي 25 كلم.

وفي حالة اعتبار جزيرة موگادور آخر محطة أسسها الفينيقيون على الساحل الأطلنطي للمغرب، تطرح مسألة المراسي الأخرى التي كانوا يتوقفون بها خلال مساحلتهم، خصوصا بعد الكشف عن آثار فينيقية بشالّة. والغالب على الظن أن عدم العثور لحد الآن على المواقع المفترض وجودها بين سلا والصويرة، رغم الاستكشافات التي قام بها كل من "بيير سانتاس" (P. Cintas) و"أرمان لوكي" (A. Luquet)، يعزى إلى ندرة التنقيبات الفينيقية بالمغرب بعد الاستقلال. والحالة هذه، أن علامات المنشآت الفينيقية التي كانت موجودة بالسواحل المغربية، والتي كانت وافرة حسب المصادر القديمة، بدأت تنكشف مؤخرا بعد العثور سنة 2001 على منشأة فينيقية جديدة بناحية الناظور.

م. رضوان العزيفي، الفينيقيون بفحص طنجة وعلاقاتهم بالسكان، R.E.P.P.A.L.، ع. 6، تونس، 1991 ؛ السلع المتبادلة بين الفينيقيون والمغاربة القدماء، منشورات كلية الآداب، عين الشق، الدار البيضاء، 1992.

M. Tarradell, Notas acerca de la primera época de los Fenicios en Marruecos, *Tamuda, t. VI, Simestre 1, Tetuán, 1958* ; *Marruecos púnico*, Tetuán, 1960 ; A. Jodin, Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, *E.T.A.M., t. II*, Tanger, 1966 ; L'archéologie phénicienne au Maroc : ses problèmes et ses résultats, *Hespéris-Tamuda, vol. V, fasc. II, 1966* ; Bijoux et amulettes du Maroc punique, *B.A.M., t. VI, 1966* ; J. G. Février, Inscriptions puniques et néo-puniques, in *Inscriptions Antiques du Maroc*, Paris, éd. du C.N.R.S, 1966 ; M. Ponsich, Nécropoles phéniciennes de la région de Tanger, *E.T.A.M., t. III, Tanger, 1967.*

محمد رضوان العزيفي

فيّاق، عمر بن **محمد** من مواليد سنة 1920 بأولاد ميمون بإقليم تازة. انخرط الفقيد في صفوف جيش التحرير بتازة منذ انطلاقته بتاريخ 1 أكتوبر 1955، وقد شارك في عدة هجومات ومعارك كأدرج ومسكري تحت رئاسة السيد عبد العزيز، وعين رئيسا لفرقة من فرق جيش التحرير حيث كافح وناضل بكل إخلاص وتفان من أجل الوطن والعرش العلوي المجيد إلى أن استعاد المغرب سيادته واستقلاله.

توفي يوم 11 مارس 1995 بمدينة الدار البيضاء.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 520724.

فييل (هنري) Henri Vielle أسقف الكنيسة الكاثوليكية بالرباط بين 1927 و1946. من مواليد فرنسا في يونيو 1866، شارك في بعثات تبشيرية إلى الشرق الأقصى قبل أن يعينه الفاتيكان سنة 1927 على رأس أسقفية الرباط، خلفا للأسقف دريير Dreyer الذي أسندت إليه مهمة في مصر. وكان لتعيين هنري فييل أثر في إعطاء الأسقفية الكاثوليكية بالمغرب توجها تنصيريا جريئا، لا سيما وأن الجو قد صفا أمامها بعد نهاية مأمورية ليوطي. وقد انعكس ذلك جليا فيما كانت تنشره المجلة الفرانسيسكية *Le Maroc Catholique* من مقالات داعية إلى تكثيف العمل التبشيري في أوساط القبائل.

لم تكن وزارة الخارجية الفرنسية راضية كل الرضى على هذا التعيين الذي لم تستشر في شأنه، كما لم تكن موافقة على حملات التنصير التي كانت تخشى أن تجلب على سلطات الاحتلال قلاقل هي في غنى عنها في وقت مازالت فيه الجيوش الغازية تواجه مقاومة مستميتة في مناطق مختلفة من البلاد. غير أن تحفظ الإدارة الفرنسية لم يثن الأسقف عن عزمه، فأسس في فبراير 1929 في أحضان أسقفية الرباط معهدا لدراسات الأديان الذي وكلت مهمة الإشراف عليه إلى الأب هنري كوهلير Henri Koehler.

حلت سنة 1930 وحملت معها عدداً من الأحداث المحلية والجهوية التي عملت كلها على تشجيع هنري فييل في توجهاته. ومن تلك الأحداث محليا تدشين أربع كنائس في كل من مراكش ومكناس والدار البيضاء والرباط، وإصدار ظهير 16 ماي 1930 الساعي إلى التفريق بين العرب والأمازيغ. وأما جهويا، فيمكن الإشارة إلى الاحتفال بالذكرى المائوية لاحتلال الجزائر، وانعقاد المؤتمر الإفخارستي الثلاثين في قرطاج، وتخليد ذكرى مرور خمسة عشر قرنا على القديس أو غسطين Saint Augustin المحتفى به كشخصية "أمازيغية ورومانية".

وقد شكل صدور ظهير 16 ماي مناسبة للحركة الوطنية المغربية للتنديد جهارا بحملات التنصير في المغرب وبالسياسة التي سارت عليها أسقفية الرباط منذ أن تولى هنري فييل شؤونها. ووجد هذا التنديد أصداء واسعة في صحافة عدد من الأقطار الإسلامية التي عبرت عن تضامنها مع الحركة الوطنية المغربية. كما وجد الوطنيون مؤازرة لدى مناضلي اليسار الفرنسي ولدى أتباع الحركة الماسونية الذين كانوا جميعا يناهضون من مواقعهم المذهبية ما كان فييل يعبئ له في المغرب كل طاقاته.

لم تثمر المجهودات التنصيرية أية نتائج ذات شأن عظيم، ولم يؤد اعتناق الشاب محمد بن عبد الجليل للمسيحية سنة 1928 إلا للمزيد من الريب والحذر من مشاريع الأسقفية في المغرب من لدن عامة المسلمين. وفي سنة 1932، لم يتجاوز عدد المتنصرين من المغاربة 26 نفرا، وهو ما جعل هنري فييل يخبر الفاتيكان بأنه لم يستطع أن يقتحم بعد "حديقة الإسلام المحصنة" وأن سبب ذلك يكمن في المعارضة التي واجهته من أطراف مختلفة كالإقامة العامة والماسونية وجمعيات حقوق الإنسان وجمعيات التعليم العلماني. ولم تغير الصرخة التي أطلقها الوطنيون أواخر 1934 في دفتر مطالب الشعب المغربي من السياسة التي نهجها الأسقف أي شيء. بل على العكس من ذلك تماما، فقد استمر الرجل في خطته واصفا تلك المطالب الوطنية بالمثيرة للسخرية والشفقة. وفي خضم أحداث الحرب العالمية الثانية، اختار هنري فييل الولاء لحكومة فيشي ونظام الثورة الوطنية ضدا على فرنسا الحرة وعلى الحلفاء. وقد أملى هذا الاختيار على أسقفية الرباط بعض المواقف السياسية التي وجب على هنري فييل أن يحاسب عليها بعد أن وضعت الحرب أوزارها. وقد عبرت الحكومة الفرنسية عن رغبتها في رحيل هنري فييل من الرباط، غير أن الفاتيكان، وحتى لا يعطي انطباعا بالخضوع لرغبات باريس، فضل المراوغة الدبلوماسية ربحا للوقت. وبينما كانت المفاوضات جارية بين الطرفين، باغتت المنية الأسقف فييل في 7 ماي 1946، مما فتح المجال لتعيين ممثل جديد للفاتيكان في الرباط، وهو الأسقف أميدي لوفيفر Amédée Lefèvre الذي أعطى للكنيسة الكاثوليكية بالمغرب توجها جديداً.

Jamaâ Baïda, *La presse marocaine d'expression française des origines à 1956*, Publications de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, Rabat, 1996 ; Gilles Lafuente, *La politique berbère de la France et le nationalisme marocain*, Ed. L'Harmattan, Paris, 1999 ; Jamaâ Baïda et Vincent Feroldi, Une mémoire commune en devenir : chrétien et musulmans au Maroc, 1856-1985, in Chrétiens et Musulmans en dialogue : les identités en devenir, L'Harmattan, Paris, 2003, p. 53-83.

جامع بيضا

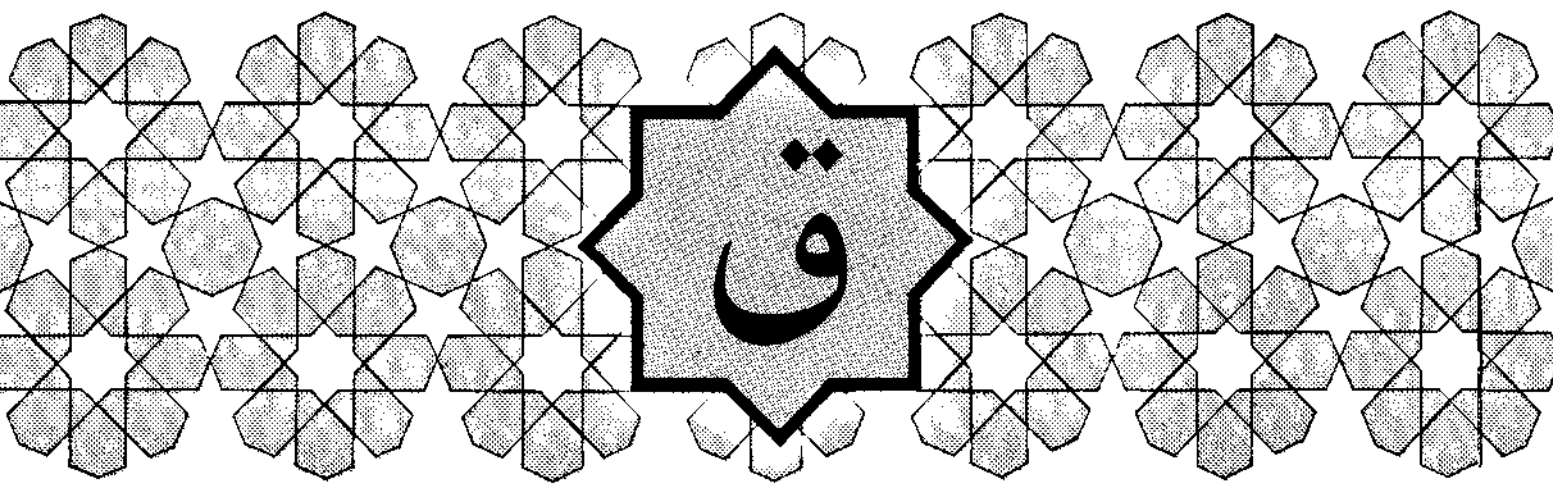
ق

القابلة في العربي الفصيح وتجمع عل صيغة قوابل وفي الدارجة المغربية "قابلات"، وهي المرأة التي تستقبل الجنين عند خروجه من بطن أمه فيسمى مولوداً وتسمى العملية كلها ولادة. والقابلة هي الأساس في صناعة التوليد كما جاء عند العلامة ابن خلدون في مقدمته : "وهي صناعة يعرف بها العمل في استخراج المولود الآدمي من بطن أمه من الرفق في إخراجه من رحمها وتهيئة أسباب ذلك ثم ما يصلحه بعد الخروج ..." *(المقدمة)*.

لا يقتصر دور القابلة على استقبال المولود وتخليصه مما علق به وفحصه ومتابعته في أطوار نموه وإصلاح ما قد يكون لحق به من اعوجاج أو تشويه أثناء عملية الولادة ؛ وهل هو طبيعي وعادي في رضاعته ونومه وما إلى ذلك ... إلى أن يبلغ الفطام، أي طيلة سنتين على الأقل : "وفصاله في عامين" (لقمان، 14) أي أن القابلة تقوم بدور طب الولادة والرضع ؛ بل إنها تهتم بالمرأة الحامل قبل الوضع : زيارتها والاطلاع على أحوالها ومعرفة موعد ولادتها المحتمل وظروفها وتقدير الوضعية هل ستكون الولادة عادية سهلة أم عسيرة ؛ إلى غير ذلك من الأعمال الممهدة، وفي حالة الوصول إلى الاقتناع بحالة معينة من الحالتين تقوم بما يلزم من تقديم بعض الأدوية ومحلولات الأعشاب عند ما يصيب المرأة المخاض (الطلق) ؛ وتساعدها بالتشجيع والدلك في بعض المواضع وحثها على إخراج مولودها ؛ تقوم بعد الولادة بما يلزم من تمريض للنفساء وتقديم النصائح والتعليمات الضرورية، والأدوية والأطعمة الخاصة لتستطيع النفساء الوقوف على قدميها بسرعة ولتدر الحليب للرضيع كما تقوم بإصلاح ما أفسدته الولادة في جسمها وتخاليصها من ما يصيب المولود أثناء خروجه من أغشية وسوائل ... أي أن القابلة هنا تقوم بطب النساء والولادة.

هذه المرأة ذات المهام الخطيرة والشأن الكبير في المجتمع منذ الأحقاب التاريخية لم تكن في المغرب تتعاطى عن عملها أجراً محدداً ومتفاوضاً بشأنه بل كانت تقوم بعملها ابتغاء "الأجر" في الآخرة والتماساً لثواب الله سبحانه إلا أن المجتمع لم يهملها بل اعترف لها بالجميل فكرمها وجعل لها مكانة متميزة يحترمها فيها الكبير والصغير ؛ وحتى المواليد الذين خرجوا للدنيا على يديها تختلف التقاليد من جهة إلى أخرى في تعاملهم مع القابلة التي تعتبر نفسها الأم الثانية لهم : ففي بعض الجهات عندما يكبر المولود ويصبح مسؤولا عن نفسه فإنه يتكفل بكسوة القابلة كسوة كاملة ولا يبخل عليها بكرمه وخاصة في الأعياد والمناسبات وفي مناطق أخرى تتوطد العلاقة مع عائلة المولود ومع المولود وأسرته ؛ ووجود القابلة ضروري في كل قرية أو دوار أو حي، ويتم إخبارها بحالات الحمل الموجودة في مجالها وتباشر عملها اعتماداً على تجربتها وحنكتها ووفق الأعراف والتقاليد السائدة وغالبا ما كانت ناجحة في مهامها إلا في القليل النادر، هذا قديما ؛ أما اليوم فالقابلات أصبحن يتخرجن من مراكز تكوين متخصصة سواء التابعة للقطاع العام (وزارة الصحة) أو للقطاع الخاص (العيادات، ودور الولادة ...) وحتى اللاتي تعمل بالطرق التقليدية أصبحت تحت وصايه وزارة الصحة، وتعمل القابلات العصريات تحت إشراف طبيب أو طبية مختصة، وفي البوادي والمناطق النائية يتم تزويد القابلة ببعض الحاجيات واللوازم الأولية الضرورية وتقوم الوزارة وبعض الجمعيات المتخصصة والمهتمة بتنظيم دورات تدريبية لبعض القوابل اللاتي تقمن بنشر ما تعلمنه بين باقي القابلات، فلم تعد المسألة خاضعة للبركة التي تستمدها القابلة من الأولياء والصالحين ومن جدودها الشرفاء كما كان الأمر من قبل إذ كانت القابلات تباشرن عملهن وهن تستغثن بالأولياء والصلحاء وتطلب من المرأة الحامل عند المخاض أن تستغيث بهم : "أمولاي عبد القادر" أمولاي إدريس ...".

ورغم عصرنة هذه الصناعة التي ذكرها ابن خلدون فإن الغالب في بعض المدن وفي البوادي المغربية في الجبال والصحارى وفي المناطق النائية، ما تزال كما وردت عنده.

ابن خلدون، *العبر*، الجزء الأول، دار البيان، بيروت، بدون تاريخ ؛ ابن أبي أصيبعة، *عيون الأنبياء في طبقات الأطباء*، بيروت، 1957 ؛ ابن الزيات التادلي، *التشوف*، الرباط، 1984.

محمد حجاج الطويل

قادر، الحسين من مواليد سنة 1933 بطرفاية انضم إلى صفوف جيش التحرير منذ انطلاقته بالصحراء المغربية ضمن الفرقة التاسعة بمركز تافودارت والساقية الحمراء تحت رئاسة ميارة اعلي بويا. وقد أبان من خلال مشاركته عن روح وطنية عالية وشجاعة كبيرة شهد بها كل إخوانه في الكفاح والنضال. وبعد أن تحقق الاستقلال انضم إلى صفوف الأمن الوطني إلى أن وافاه أجله يوم 5 يناير 1996.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 502395.

القادري، أسرة شرفاء حسنيين بفاس. جدهم هو الولي الصالح محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن سعد بن أحمد بن أحمد بن محمد بن علي بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن شيخ المشايخ وقطب الأقطاب عبد القادر الجيلاني، وهو أول قادم منهم من غرناطة عند تغلب المسيحيين على تلك البلاد أواخر المائة التاسعة في أيام بني وطاس على عهد أول ملوكهم السلطان محمد الشيخ الوطاسي.

كان نزوله بفاس بمحلة الزنجفور من ناحية باب الجيسة، واستمر في فاس حيا إلى حدود سنة 950 ولما توفي، دفن خارج باب الجيسة بالروضة الكائنة عن يمين الذاهب للباب الحمراء المجاورة لجنان الخادم، وبها دُفن بعده جملة من أبنائه وأحفاده، ترك ثلاثة أبناء، هم :

- محمد، أكبرهم، كان يحترف صنعة الحرير توفي أول العشرة السابعة من القرن 10.
- أحمد، أوسطهم، كان تاجرا (كان حيا في رجب 1010).
- عبد العزيز، أصغرهم، مات مسنا. كان في صغره يحترف صناعة الحرير، ثم اشتغل بالتجارة، ثم كُفي عنهما معا في كبره.

توفي سنة 1029.

ع. السلام القادري، *العرف الظاهر* ؛ س. الحوات، *السر الظاهر*، ع. الواحد الفاسي، *منظومة إغاثة اللهفان* ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*.

القادري، أحمد بن العالم وُلد عام 1276، ونشأ بالرباط متعاطيا العلم، ورحل إلى المشرق سنة 1307، فحج وزار واستجاز واستفاد.

وكان في سنة 1304 عدلا بمرسى الجديدة. وبعد رجوعه إلى الرباط، تصدر للشهادة في سماط العدول.

توفي يوم الجمعة 27 جمادى الأولى عام 1337.

م. بوجندار، *الاغتباط*.

المصطفى البوعناني

القادري، الحسني محمد (1259 . 1331) بن قاسم العلامة المشارك المحقق الدراكة، شيخ الجماعة في وقته له تآليف منها حاشية على شرح الطيب ابن كيران على توحيد ابن عاشر وأخرى على شرح گنون على الشمائل وأخرى على شرح الأزهرى على البردة وأخرى على الأربعين النووية، ومنها تأليف في "رفع العباب والملام عمن قال العمل بالحديث الضعيف حرام"، وفهرسة عنوانها "إتحاف أهل الهدايات بما لي من الأسانيد والروايات، وله أيضا البستان السني في النسب الحسني والحسيني. دفن في زاوية الصقليين داخل باب عجيسة بفاس.

ابن سودة، عبد السلام، *إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع، وسل النصال للنضال بالأشياخ وأهل الكمال*، ضمن *موسوعة أعلام المغرب*، تح. محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1417 / 1996.

القادري، الطائع بن إدريس بن محمد بن الغالي بن عبد الواحد بن محمد (فتحا) بن الطاهر بن الشيخ عبد السلام القادري الحسني، فقيه علامة مشارك أديب شاعر من شيوخه محمد (فتحا) بن قاسم القادري وأحمد بن محمد ابن الخياط وجعفر بن إدريس الكتاني ومحمد بن التهامي الوزاني وعبد السلام بن محمد الهواري ومحمد بن رشيد العراقي وعبد المالك بن محمد العلوي الضرير والشيخ ماء العينين الشنگيطي وعبد السلام بن محمد اللجائي العمراني. وقد أجازه القاضي أحمد بن الطالب ابن سودة.

له تآليف في التاريخ وأنظام وأشعار يقول عبد السلام ابن سودة إنها ضاعت كما قال عنه إنه كان ماهراً في لعب الشطرنج.

توفي عام 1362 يوم 10 ذي القعدة ودفن بزاويتهم بگرنيز حومة سيدي موسى بفاس.

ابن سودة، عبد السلام، *إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع، وسل النصال للنضال بالأشياخ وأهل الكمال*، ضمن *موسوعة أعلام المغرب*، تح. محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1417 / 1996.

إبراهيم بوطالب

القادري، عبد الرحمن بن محمد بن أحمد السلوي. من أسرة سلوية عريقة، تلقى تعليمه الابتدائي بالكتاب القرآني ثم بمدرسة أبناء الأعيان بسلا، والثانوي بثانوية مولاي يوسف "وليسي كورو" (الحسن الثاني) بالرباط، ونال شهادة الباكلوريا سنة 1952.

انقطع عن الدراسة سنتي الأزمة المغربية الفرنسية 1953/ 1955، ليهتم بتسيير ثانوية النهضة بسلا والإشراف على تلاميذ المؤسسة بعد أن سجن مديرها الأستاذ أبو بكر القادري، مؤكدا روحه الوطنية ونضاله من أجل استمرارية الرسالة التعليمية للمؤسسة وللحركة الوطنية.

وفي سنة 1955 سافر إلى فرنسا ليتابع دراسته العليا،

فقضى سنتين في كلية الحقوق والعلوم الاقتصادية بباريس، عاد بعدها إلى المغرب ليقضي سنة كاملة رئيسا للاتحاد الوطني لطلبة المغرب، وبهذه الصفة عينه الملك محمد الخامس رحمه الله عضواً بالمجلس الوطني الاستشاري، ثم عاد إلى باريس ليتابع دراسته، فحصل على الإجازة في القانون العام وعلم السياسة سنة 1960 ، من كلية الحقوق والعلوم الاقتصادية، جامعة باريز، وعلى دبلوم الدراسات العليا في القانون العام سنة 1963 ، ودكتوراة الدولة في الحقوق سنة 1969 من نفس الجامعة.

التحق بسلك التعليم العالي بكلية الحقوق بجامعتي محمد الخامس بالرباط والحسن الثاني بالدار البيضاء، فدرّس مادة القانون الدستوري والمؤسسات الدستورية، وأشرف على حلقات دراسية متعددة حول النظام النيابي في أوربا الغربية وفي الأقطار الاسكندنافية والهند واليابان، كما أشرف على حلقات دراسية حول النظام السياسي الفرنسي منذ سنة 1875 إلى 1993 مع طلبة السلك الثالث، إضافة إلى إشرافه على العديد من رسائل دبلوم الدراسات العليا وأطاريح دكتوراة الدولة في القانون العام.

وكان عضواً نشيطاً في اللجنة الإدارية الوطنية للاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية، وعضواً في اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية، وعضو أمؤسساً ورئيساً سابقاً للاتحاد الوطني لطلبة المغرب، عضواً مؤسساً ورئيس جمعية الحقوقيين المغاربة وعضو أمؤسس وكاتباً عاماً للنقابة الوطنية للتعليم العالي، وعضواً مؤسساً وكاتباً عاماً بالنيابة للجمعية المغربية لمساندة الكفاح الفلسطيني، وعضو الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، ونائباً برلمانياً لمدينة سلا/ المريسة سنة 1993.

أما آخر أنشطته العلمية فمشاركته في ندوة نظمتها جريدة *العلم* بمدينة سلا لتكريم عمه الأستاذ أبي بكر القادري في مايو 1993، موضوعها : "عقد الثلاثينيات من هذا القرن : صفحة مجيدة في كفاحنا الوطني".

له دراسات متخصصة منشورة في مجلات منها :

اللامركزية ومزايا الإصلاح الإقليمي (إثراء الظهير الشريف الصادر بتاريخ 12 . 9 . 1963 الخاص بالميثاق الإقليمي) والإصلاح الجهوي وذلك في خريف 1975 قبيل تحديد موعد الانتخابات الجماعية التي عرفها المغرب في خريف 1976 ، وقبيل صدور الظهير الشريف المؤرخ بـ30 / 9 / 1976 والمتعلق بالميثاق الجماعي.

القضاء الدستوري أو الاجتهاد القضائي للمجلس الدستوري الفرنسي "منذ بداية السبعينات إلى 1981"، *المجلة المغربية للقانون والسياسة والاقتصاد* ، العدد 9 / النصف الأول في سنة 1981.

القضاء الدستوري في القانون المقارن، (ألمانيا الاتحادية والولايات المتحدة وإيطاليا والمغرب)، *مجلة كلية الحقوق، الدار البيضاء*.

طبيعة العلاقات الفرنسية الإفريقية في عهد الرؤساء الأربعة لفرنسا منذ 1958 إلى أواخر مايو 1983.

دراسة حول مشروع الإصلاح الدستوري الأخير بتاريخ 6 / 8 / 1992.

الدستور المغربي الجديد "نص لم ينشر"

الغرفة الدستورية بالجزائر في جريدة الاتحاد الاشتراكي سنة 1990.

كانت له أنشطة متعددة في الجمعيات الحقوقية وفي المؤتمرات الدولية والندوات العلمية، كما كانت له مشاركة فعالة في الحياة السياسية والاجتماعية المغربية منذ أزمة 20 غشت 1953.

كان عبد الرحمن القادري رجلا مثاليا في كل شيء، مؤمنا بالقيم الإسلامية في أبهى صورها، لا تأخذه في الحق لومة لائم، حريصا على القيام بالواجب مع أسرته وأصدقائه، طلابه ومعارفيه، ذا أخلاق دمثة، مؤثرا للمصلحة العامة على الخاصة، مناضلا في جبهات عديدة، أهمها العمل الوطني السياسي الذي يتغيى بناء دولة مغربية ديموقراطية عصرية، بإصلاح المؤسسات وتطوير بنيات المجتمع وانفتاحه على الحضارة العالمية مع التمسك بالمقومات الإسلامية والعربية للشخصية المغربية، ملتزما بمنهج صارم في الحياة يبلوره سمو الأخلاق والقدرة على تحمل المسؤولية ووضوح الشخصية، منظما ومؤطرا وقائدا، كما كان مخلصا لرسالته التعليمية، باعتبار الواجب مقدسا، فلا يبخل بجهد ولا بتوجيه ولا بتضحية إذا اقتضى الأمر ذلك، كما كان رجل اللسان والفكر والقلم، باعتبارها أدوات نضالية تخدم الوطن والمواطنين، مؤكدا بذلك ما للمثقف من أدوار في بناء الوطن، ومن مساهمات في خلق الوعي وتنميته لدى فئات عريضة من الشباب وغيرهم، فجمع بذلك بين النضال السياسي والنضال الفكري والثقافي، وكان نموذجا متميزا لرجل الفكر المنفتح ولرجل السياسة المتبصر، ولرجل المجتمع الصادق في كل اللحظات مهما كانت الظروف.

توفي عام 1993.

ع. الرحمن القادري، *معلومات أسرية : مسيرة حياة*، في الذكرى الأولى لوفاة الفقيدين محمد زنيبر وعبد الرحمن القادري.

نجاة المريني

القادري، عبد القادر التلوانتي، مؤسس الزاوية والأسرة القادريتين بقبيلة قلعية. ولد بقرية تالوانت حوالي سنة 1194 / 1780 ، وقدم إلى فرقة فرخانة في القرن الثاني عشر (مستهل القرن 19م) بعد أن استكمل مرحلة من الدراسة بمركز مازونة، بالجزائر. ولم نجد في الرواية الشفوية أو شهادة النسب المحررة قبل سنة 1918 عن دواعي مجيئه إلى بني شكر أي جواب. وكل ما نستخلصه من وثيقة هو احتماؤه بالفقيهين الفرخانيين أحمد والطالب ومحمد الجواهري. وبذلك خصص له مقر للسكنى بمدشر سمار، مما يقابل كدية سيدي ورياش بجوار مدشر الورياشيين، قبل معبر واد المدور نحو الشرق من تلك الجهة. ولعل استقراره متعلق عموما بالترحاب المخصص للفقهاء وحمايتهم، على عادة إكرام شيوخ العلم بالقبيلة القلعية. فكان الحظ هذه المرة لصالح خريج مدرسة مازونة الجزائرية، والجامع بين العلم والتربية الصوفية والجهاد، وهو في العقد الثالث من عمره. وستظل مدرسة مازونة مقصد العديد من شيوخ الأسرة القادرية القلعية.

لم يبد على الشيخ عبد القادر التلوانتي بأنه فكر خلال هذا الاستقرار الأول في تأسيس زاوية، إذ أن الرواية الشفوية سجلت غيابه عن فرخانة مدة سنوات، بقصد الاستزادة من منابع العلم واستكمال المعرفة الصوفية في نطاق الطريقة القادرية. ولم يسجل عزمه لتأسيس الزاوية إلا بعد عودته من رحلته العلمية.

واللحظة الأولى البارزة في اتجاهه هي التي أعلن فيها الشيخ القادري عن تأسيس الخلوة التي هي بداية الفتح الصوفي والمشيخة العلمية وعلامة من علامات التخطيط واتخاذ القرار لمرحلة آتية. وما تزال الرواية الشفوية تتذكر الترحاب الذي خص به في قرية ميسديت من شيخها يحيى البطوئي والقطعة الأرضية التي أهديت له لبناء الدار والخلوة.

أما الخطوة الحاسمة بعد مرحلة الخلوة فهي تأسيس الزاوية بالموضع الواقع على الساحل الشرقي من شبه الجزيرة الهركية بالمكان المعروف حاليا باسم "تيفافر"، بإشارة من أحد مريديه الأوائل المدعو محند الفحصي، وذلك قبل سنة 1810، وهو تاريخ ولادة نجله البكر محمد بالمقر الجديد. ومثلما نجهل الدواعي التي ساقت المؤسس إلى إرساء قاعدة زاويته يختفي عنا الكثير من دور الشيخ القادري لتثبيت دعائم الزاوية الجديدة قبل أن يغادرها بصفة نهائية بعد معركة إيسلي، مثلما تشير إليه الرواية الشفوية، مخلفا هناك أسرة مكونة من خمسة أبناء ذكور.

ونعتقد أن الشيخ عبد القادر التلوانتي خصص لتلك المهمة على الأقل الفترة الممتدة بين 1810 وسنة 1836، تاريخ ولادة ابنه الخامس عبد القادر الصغير. وإذا صدقنا الرواية الشفوية فإننا سنضع خارج هذا الإطار الزمني الرحلة التي قام بها الشيخ القادري إلى مدينة أرضروم التركية، مما يثير بعض التساؤل، إذ أن نفس الرواية ذكرت أن الرحلة كانت من أجل تلقي المزيد من العلوم العربية، وذلك قبل سنة 1830. وحينما عاد منها وحل بقريته الأصلية تالوانت كانت فرنسا قد تمكنت من احتلال الجزائر. ويمكن أن نكون متأكدين بأنه كان آنذاك قد عاد إلى زاويته قبل سنة 1836.

ومما تذكره الرواية الشفوية أن الشيخ القادري التلوانتي لم ينس موطنه الجزائر والدفاع عنه فانخرط في حركة الجهاد على عادة رجال التصوف المجاهدين ضد الفرنسيين ضمن حركة الأمير عبد القادر الجزائري. فالرأي الراسخ لدى جامع أنسابهم أنه كان يغادر زاويته من حين لآخر ليشارك في الجهاد، ومازال سيفه في حوزة القيِّم بالزاوية شاهدا على تلك المشاركة. وانتهى الأمر بالشيخ عبد القادر القادري بعد أن تجاوز الستين من عمره إلى الوفاة حاجا بمكة المكرمة بعد سنة 1844.

بتأسيس الزاوية تجدرت ذرية القادريين البغداديين بخمس بني شكر، وقد جعلهم المهتم بجمع أنسابهم عبد القادر شقيقي القادري في مذكراته على خمسة فروع، بدءا من المؤسس إلى الأحفاد الحاليين، وهو يقوم بإحصائها وتثبيت نسبها في الوقت الراهن.

شهادة النسب المحررة سنة 1338، *مذكرات عبد القادر شقيقي القادري* ؛ *وثائق الزاوية القادرية* بحوزة عبد القادر شقيقي ؛ *معلمة المغرب* ؛ ضابط الأمور الوطنية، تطوان، 1952.

القادري، عبد القادر بن عبد القادر التلوانتي رابع أبناء مؤسس الزاوية عبد القادر التالوانتي سابق الترجمة (1836 / 1903) تولى مشيخة الزاوية سنة 1888 إثر وفاة أخيه عبد الرحمن. كان له دور الوساطة في نتائج حرب سيدي ورياش، مناصرا لرأي المخزن وممثله على قلعية بوشنافة الجامعي. وقد تدخل للتوصل إلى تهدئة الأحوال التي انتهت باتفاقي 1894 و1895. ونعلم من وثيقة خاصة أن بوحمارة أثناء سياحته الأولى زار مقر الزاوية أثناء مشيخة عبد القادر القادري في محاولة استطلاع الأوضاع، وذلك يوم 28 ربيع الثاني 1317 / 5 شتنبر 1899 ، وسمى نفسه محمد الجلالي القادري البغدادي، وهو أقدم تاريخ يكشف عن استطلاعاته بالمنطقة قبل أن يعود إلى الغرب الجزائري في السنة التالية.

وحسب الرواية الشفوية فإنه كان كاتبا بقصبة فرخانة أيام كان الشيخ أبو شعيب الدكالي قاضيا بدار المخزن. وأثناء حصار القلعيين لقصبة فرخانة بزعامة محمد الشادلي الموالي لبوحمارة ظهرت محاولتان للتوصل إلى نتيجة حاسمة، إحداهما سلمية والأخرى حربية، ولم يشأ المرابط القادري التدخل في محاولة استسلام البشير بن السناح المحاصر بالقصبة، مثلما اقترحت بني شكر عليه لميله إلى جانب المخزن العزيزي. وربما لهذا السبب تعرض مقره بدوار بوعنانة بفرخانة للتخريب من طرف محاصري القصبة، وضاعت بذلك الودائع التي كان مؤتمنا عليها.

وتاريخ انسحابه من ميدان المشيخة أو وفاته يحتاج إلى تحقيق، إذ أنه كان يوم 29 غشت 1903 مازال على قيد الحياة وتشير الرواية الشفوية إلى توجهه إلى الحج ووفاته هناك. وكيفما كان الأمر فقد ترك الزاوية لمحمد بن محمد الصغير آتي الترجمة في أواخر تلك السنة.

وثائق عبد القادر شقيقي القادري ومذكراته ؛ أرشيف مديرية الوثائق الملكية ؛ الرواية الشفوية.

Gabriel Morales, *Datos para la historia de Melilla*, 1909.

حسن الفكيكي

القادري، العربي بن **الطيب** بن محمد القادري الحسني، ولد في 6 رجب 1056 / 18 غشت 1646، (هو عم والد محمد القادري صاحب كتاب *نشر المثاني* وجدّه لأمّه)، عالم علامة، ضابط للعلوم سيما التاريخ والأنساب والفقه والحديث، مرجوع إليه في كلها، ثقة متفنن، مع الزهد والورع ولزوم الذكر والعبادة والخلوة، ظهرت عليه أحوال وبركات، وكان لا يقبل إلا الصدق لشدّة صلابته في الحق.

قرأ النحو والحديث والبيان والمنطق والكلام والأصول، فبرع في الحديث والعربية. أخذ عن مشايخ أهل فاس منهم الشيخ عبد القادر الفاسي، وابنيه، أبي عبد الله محمد وأبي زيد عبد الرحمن، وأخذ عن أبي علي الحسن اليوسي، وعن القاضي محمد بن أحمد الفاسي، ولقي الشيخ سيدي قاسم لخصاصي، وتبرك بجماعة من أهل الصوفية منهم سيدي أحمد اليمني، وصحب الولي سيدي أحمد بن عبد الله معن ما ينيف عن عشرين سنة وكان من المحبين فيه ومن المولهين به، ورافقه إلى الحج فأدى الفرض في رفقته.

ألف كتاب "*الطرفة في اختصار التحفة*"، قصد به اختصار "*التحفة الصديقية في الطائفة الجزولية والزروقية*"، للمهدي الفاسي، وله تأليف صغير فيه ولادات ووفيات أولاد الشيخ عبد القادر الجيلاني، وجمع كناشا فيه تقاييد نفيسة (توجد منه نسخة بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم 2389).

وهو صاحب التأليف المنسوب لابن عيشون الشراط في صالحي فاس، وذلك أن صاحب الترجمة لما أتمّ التأليف المذكور طلب من ابن عيشون أن ينسخه له ثم سافر إلى الحج، وبعد عودته شغله المرض. وبعد مدة أخبره الفقهاء أن ابن عيشون نسب التأليف المذكور لنفسه وذلك بأن حذف منه وزاد نسبته لنفسه وترجم لوالده. وعلق محمد القادري على ذلك بقوله" وابن عيشون المذكور ممّن يعجز عن فهم الألفاظ التي فيه فضلا عن جمعه".

نزل به مرض في آخر عمره فدام به نحو أربع سنين إلى أن توفي آخر شهر ذي الحجة عام 1106، ودفن خارج باب فتوح بفاس قرب قبّة سيدي أحمد اليمني. وترك من الذكور ولدا واحدا.

ع. السلام القادري، *الدر السني*، ص. 62 ؛ م. القادري، *الإكليل*، تح. مارية دادي، ص. 510. 511 ؛ *نشر*، 3 : 67. 72 ؛ *الزهر الباسم*، ورقة 79 ؛ ل. بروفنسال، مؤرخو، 194. 195 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 2 : 354 ؛ الزركلي، *الأعلام*، 4 : 224.

مارية دادي

القادري، مَحمد (المكنى بالحاج حم)، بن **أحمد** بن عبد القادر التلوانتي شيخ الزاوية القادرية البغدادية ببني شكر، عالم ومتصوف وقاضي قلعية والمنطقة الشرقية من الشمال المغربي خلال فترة الحماية الإسبانية. ولد بالزاوية سنة 1281 / 1864 ودرس بمساجد الريف الشرقي ثم توجه إلى معهد مازونة الجزائري وعاد إلى الالتحاق بتطوان، وأخيراً توجه إلى القرويين. ومن حياة شيوخه بالقرويين نتعرف على فترة دراسته، فقد درس على الأساتذة : محمد القادري وأحمد بن الجيلالي الأمغاري (1352 / 1934) وعبد الله حمدون وصالح بن المعطي التادلي (1308 / 1891).

تصدر بعد تخرجه للدراسة بمسجد الزاوية القادرية البغدادية، وكان مركزاً دراسياً وحيداً للتعليم الأولي وتدريس العلوم والوعظ والإرشاد وتلقي التربية الصوفية في آن واحد منذ أن أسسه جده عبد القادر القادري التلوانتي، سابق الترجمة. وأولى الإشارات الدالة على ممارسة التدريس متمثلة في الحوار الذي سجله مع بعض طلبة بني يزناسن في آخر ربيع الأول عام 1311 / 11 أكتوبر 1893 بعد إثارة مسألة الطعن في نسب الشرفاء، وهو ما نتج عنه رده بعد سنوات في التقييد المخطوط المؤلف بعنوان "الشهاب الصائب بمن طعن في ذرية علي بن أبي طالب".

ونعلم من الحاج محمد القادري أنه قضى وقتا في زاوية أحمد بن عليوة الجزائري بمستغانم، حسبما أخبر به هو بنفسه. ومستغانم هي المنطقة الجزائرية التي تضم جالية ريفية قوية ناتجة عن الهجرة، تتمثل بها جميع قبائل الريف الشرقي، لا سيما المستقر منها في جهة أرزيو. ونقدر أن تلك الإقامة كانت قبل أن تؤول إليه مشيخة الزاوية سنة 1918 وطرح السؤال المتعلق بما أحيطت به شخصية شيخ مستغانم وزاويته من تهمة التعامل مع المخابرات الفرنسية، مما نفاه الحاج محمد القادري. حين اعتبر الشيخ عليوة الأب الروحي، وعبر عن تقديره له بقصيدة نشرت في قسم الشهائد التونسية تمجيدا لشيخه.

عاش الحاج محمد القادري الفترات العصيبة التي مرت بها قبيلة قلعية منذ بداية القرن العشرين، نتيجة انتقال ثورة بوحمارة إلى الشمال الشرقي المغربي، كما عاين الغزو الإسباني لقلعية وبني شكر خاصة (1909. 1912) وما رافقه من مقاومة الشريف محمد أمزيان، وآنذاك لم يكن سوى مساعد ابن عمه شيخ الزاوية محمد القادري.

ولم تتحول مشيخه الزاوية إلى الحاج محمد القادري إلا إثر وفاة عمه سنة 1918، كان الشيوخ السابقون قد وسعوا نفوذ الزاوية خارج حدود القبيلة. ومما كان يتحسر له انتشار البدع التصوفية، وكان له دور في الدعوة إلى محاربتها.

ومن ذلك ما كتب به بتاريخ 13 رمضان 1338 / 31 مايو 1920 إلى أعيان قبيلة قلعية. قائلا : "لا مشورة في اتباع سنة، ولا نهي في انتهار صاحب بدعة، فاستعينوا بالله وتوكلوا عليه إن كنتم فاعلين، وما أظنكم تفعلون لصعوبة تغيير العوائد". وفي تلك السنة حضر الاجتماع المنعقد بدار المخزن أو قصبة فرخانة بمناسبة احتدام الجدال الواقع بين أصحاب الطرق بقلعية، وخاصة تلك التي قادها المدعو محمادي الفرخاني، سابق الترجمة، ضم الشيخين الحاج محمد القادري وعبد القادر الفكيكي، سابق الترجمة، بناء على ما جاء في تقييد هذا الأخير.

وكان الحاج محمد القادري من المهتمين بالرابطة الأسرية التي تشده إلى الأسرة القادرية المغربية المقيمة بفاس، ولا سيما أستاذه محمد القادري. وما لدينا من هذا القبيل اتصاله كتابة بأحمد بن محمد بن الحسن القادري الصويري، بتاريخ 3 شعبان 1339 / 12 أبريل 1921 طالبا منه إمداده بالوردين الكبير والصغير لينتفع بهما عامة المريدين. ويبدو أن الحاج محمد القادري طلب منه أيضا شجرة نسب القادريين العامة. ومن جواب هذا الأخير يتأكد أن رأس الأسرة القادرية بالمغرب هو عبد الوهاب البغدادي نجل عبد الرزاق بن عبد القادر الجيلاني.

وسبب اشتهار الفقيه العالم الحاج محمد القادري كان اختياره للوظيفتين العدليتين : منصب قاضي قلعية ثم نائب قاضي القضاة بالمنطقة الشرقية على نمط إدارة الحماية الإسبانية. ومن المعلوم أن إنشاء أول نظام قضائي بالمنطقة الخليفية المحتلة يعود إلى سنة 1913، وبه أنشئ ما سمي "إدارة العدلية الإسلامية بالمنطقة الإسبانية" (Oficina de Justicia Islamica) ، وهي بمثابة وزارة العدل التي لم يشأ الإسبان التصريح باسمها، وقد استمر العمل بهذا النظام إلى سنة 1935 حيث ظهر أول إصلاح عدلي معترف بالإستقلال الشكلي للقضاء الشرعي.

وخلال هذا الطور الأول من التنظيم القضائي بالمنطقة الخليفية الذي عمل فيه الفقيه الحاج محمد القادري كان زمام التسيير المركزي في نطاق إدارة الحماية بيد "الإقامة العامة" بتطوان. وبناء على توجهاتها قسم شمال المغرب إلى منطقتين : غربية، (متيوة وبني رزين المتاخمتين لسطاسة وبني كميل) وشرقية ممتدة من تلك التخوم إلى أن تعم جميع أراضي الريف الشرقي من واد النكور إلى حدود واد ملوية. وقد اقتطعت منها بعد ذلك المساحة التي أطلق عليها "منطقة الريف" المنحصرة بين غمارة وواد النكور لتشكل ما سمي بالمنطقة الريفية، تمييزا لحدود جارتها المنطقة الشرقية.

تقلد الحاج محمد القادري في ظل هذا التنظيم القضائي أول الأمر على قبيلة قلعية وأخماسها سنة 1922 على أكثر تقدير، وعلى ما يظهر كان الخلف المباشر لسابقه القاضي محمد أشهود البوگافري، الذي تولى القضاء قبل سنة 1319 / 1902 على عهد المولى عبد العزيز، وثبت ترشيحه حسب تقييد بتاريخ 12 جمادى الأولى 1329 / 11 مايو 1911 وآخر بتاريخ 25 جمادى الثانية عام 1329 / 23 يونيو 1911 . وبصفة عامة فقد كان تعيين الحاج محمد القادري قريبا من ذلك إن لم يكن متصلا بتاريخ إعفاء سابقه أو وفاته. وأول ما بدا للقاضي القادري الجهر به لدى وزارة العدل بالمنطقة الخليفية هو الإدلاء برأيه بما شاهده من فساد القضاء والعدل الناتج عن تهور الإدارة الاستعمارية في تطبيق الأحكام، حسبما ورد في رسالته إلى وزير العدلية أحمد الرهوني بتاريخ 18 رجب 1341 / 6 مارس 1923.

لم يطل مكث الحاج محمد القادري في هذا المنصب، إذ أن كفاءته أهلته لتحمل مسؤولية أعظم وأوسع، بناء على ما اهتدت إليه الإقامة العامة سنة 1924 من تقليص مدلول وزارة العدلية وتحويله إلى مستوى "قاضي القضاة". وعملاً بهذا التنظيم أصبح الحاج محمد القادري نائب قاضي قضاة بإدارة العدلية الشرعية الإسلامية على المنطقة الشرقية الموافقة إداريا لمنطقة الكرط حسب الاصطلاح الوقتي، وموازية لما نصطلح على تسميته بالريف الشرقي (إقليم الناظور فيما بعد). وقد تردد في قبول هذا المنصب حسب الرواية الشفوية وما انعكس في كتابته أيضا. فقبل أن يوافق على تحمل المسؤولية اتصل بشيخه أحمد علوية على وجه الاستشارة فأجابه : "إن ظننت أنك تقيم حدود الله فأنت بها أحرى، صونا لشرع الله ووفاية لقومك، وإلا فاحذر".

عين الحاج محمد القادري بظهير خليفي بتاريخ 10 جمادى الثانية 1343 / 6 يناير 1925 قاضيا متمتعا في الجهة الشرقية بصفته نائب قاضي قضاة المنطقة الخليفية، ما بين 1925 و1935 . وبقبوله المنصب توفر لدينا دليل استعداد الشيخ القادري لتجاوز العقبات المعترضة مسلك تطبيق الأحكام الشرعية التي لم تتوان الإدارة الاستعمارية الإسبانية عن خلقها طوال مدة بقائه في القضاء، ومن ذلك التغاضي عن تنفيذ أحكام الجنايات بأخماس قبيلة قلعية. ومما دل على استعداده لتجشم المسؤولية ما سجله في وقت من أوقات النجوى لطلب النجاح في مهمته، حيث قال : "اللهم مهما أمنت علينا بتوفيق لعمل صالح فتولنا فيه، واجعله خالصا لوجهك الكريم، واحفظنا فيه من الشيطان والنفس والهوى فإنك لا ينودك حفظنا وأنت العلي العظيم".

وكانت مدينة مليلة المحتلة منذ فرض نظام الحماية مقر نيابة الإدارة الشرعية الإسلامية بالمنطقة الخليفية، إذ أنها كانت العاصمة الإدارية لعموم الريف الشرقي المحتل، وقد اختير للإدارة القضائية المبنى المحول إلى مسجد مليلة الحالي. وكان تحت نيابة الإدارة الشرعية الإسلامية بالمنطقة الشرقية التي يرأسها الحاج محمد القادري جميع قضاة المنطقة المحتضنة بقبائل الريف الشرقي، ولم يكن آنذاك مركز الناظور قد خرج بعد في سنة 1925 من طور التجمع القروي. وقد حصلنا على مجموعة أسماء القضاة بصفتهم خلفاء نائب قاضي القضاة، وكانوا موزعين على قبائل الريف الشرقي،

وبقي أغلبهم يعمل تحت إشراف النائب محمد القادري إلى غاية 1931.

اختص الحاج محمد القادري بنيابة قاضي القضاة بالمنطقة الشرقية خلال عشر سنوات، بصفة مراقب تطبيق الأحكام الشرعية بمنطقته تحت إمرة أحمد الرهوني ثم أحمد غنمية الذي تم في عهده الإصلاح القضائي، وكان نائب قاضي القضاة قد بلغ سنة 1935 من العمر 71 سنة، مما حتم عليه تقديم طلب إعفائه من المهمة. فكان له ما أراد بظهير خليفي بتاريخ 5 حجة 1353 / 15 مارس 1935، غير أنه فوجئ بعدم التخلي عن كفاءته بصفة تامة وذلك بصدور تعيينه قاضيا على مدينة الناظور وتافرسيت في اليوم التالي من تاريخ الإعفاء، وحينما أصر على اعتزاله القضاء أسندت إليه نيابة المدير العام للأحباس بالمنطقة الشرقية بتاريخ 28 صفر 1354 / 1 يونيو 1935، دون موافقته.

يعد الحاج مَحمد القادري نموذج العالم المثقف بالريف الشرقي في العلوم الدينية والأدبية، فهو عالم ومتصوف وصاحب قلم مستنير. ترك عدة آثار مكتوبة، ضاع أغلبها، وما بقي منها ينم عن آرائه في الأدب والتصوف وإصلاح شؤونه وأدواته. ونشير إلى بعض من تلك الآثار التي لا زالت مخطوطة، مثل : "الشهاب الصائب بمن طعن في ذرية علي بن أبي طالب" و"إحداث الألف والمد في الإسم الشريف"، وهو مقيد بتاريخ 15 محرم 1356 / 28 مارس 1937 وقصائد "التأنيب" و"إيقاظ البنين" و"تأديب" و"مدح الإجاص"، علاوة على كل هذا وله جملة من القصائد في موضوعات مختلفة.

توفي الحاج محمد القادري بقرية تاوريرت الشكرية مساء يوم الخميس 29 جمادى الأولى عام 1357 / 27 يوليو 1938، ودفن بمقبرة الشرفاء بالزاوية.

وثائق عبد القادر شقيقي القادري : تقييد الفقيه عبد القادر الفگيگي، مخطوطة خاصة ؛ ح. الفگيگي، مع الفقيه الحاج حم الشكري، القنيطرة، 2003 ؛ محمد بن محمد بن عبد الباري التونسي، *كتاب الشهائد فيما صح لدى العلماء من أمر الشيخ العلاوي*، تونس، 1925 ؛ *معلمة المغرب*، 6 : 2009 ؛ عبد الهادي التازي، *جامع القرويين*.

Boletin Oficial de la Zona de Protectorado Español en Marruecos, 1925, 1935.

حسن الفگيگي

القادري، محمد بن إدريس بن محمد بن الغالي القادري الحسني، الشيخ العلامة المحدث المطلع النحرير المؤلف المشارك، ولد بالجديدة سنة 1291. أخذ عن مجموعة كبيرة من الشيوخ منهم الشيخ محمد ـ فتحا ـ بن الشيخ قاسم القادري والشيخ أحمد بن محمد بن الخياط والشيخ جعفر ابن إدريس الكتاني الحسني والشيخ أحمد بن الطالب بن سودة والشيخ محمد بن التهامي الوزاني والشيخ التهامي بن المدني گنون والشيخ عبد الهادي ابن أحمد الصقلي الحسني، والقائمة تطول فصل فيها الذكر ابن سودة في كتابه "*سل النصال*". كما أجازه جماعة من الشيوخ منهم الشيخ يوسف ابن إسماعيل النبهان نزيل دمشق، وتبرك أيضا بجماعة من الأفاضل منهم الشيخ محمد بن محمد بن الشيخ الصقلي المعروف بالسبد، وأجازه بالطريقة الدرقاوية الشيخ محمد بن الأعرج عن الشيخ بوعزة الحشمي عن الشيخ العربي الدرقاوي. وأما الطريقة القادرية فأجازه بها الشيخ الأستاذ البركة المسن التهامي بن محمد الحداوي البيضاوي، يقول ابن سودة عن هؤلاء الشيوخ الذين أخذ عنهم المترجم : "كل هذه التفاصيل عن أشياخ صاحب الترجمة نقلتها من إجازته للشيخ المكي بن محمد البطاوري الرباطي وهي شبه فهرسة له : له عدة تآليف منها : الأحاديث المستطابةفي بعض ما ورد في فضل الدعاء وشروط الإجابة، وإزالة العنا عن المتحير في مسألة هل شرع من قبلنا شرع لنا، والإعلام بتعليق في قول المحادي الكلام، والإلماع بما يتعلق بشيء من مسألة الرقص والسماع، والإلهامات المنامية بالفيوضات الإلاهية، والإلمام بشيء مما يتعلق بالإختام، واستجلاب الإمداد بذكر آداب الأوراد، والقول الراقي في حل ما أشكل من ألفية الحافظ العراقي، وأسباب الإيضاح لتنويم الأرواح، وبلوغ الرضى بشرح الدرة البيضا، وشرح سنن الترمذي، وتأليف في حديث "ماء زمزم لما شرب له" وتحريك كامن الأشواق إلى معرفة بعض كرامات قطب العراق، والحلل السندسية إلى طلب الإذن في الطريقة المحمدية القادرية، وخلاصة الأصفيا على حديث "كنت نبيا" والخير المدرار على حديث "من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار"، والدرر المبتهجة في شرح القصيدة المنفرجة إلى غير ذلك من الكتب التي أشار إليها ابن سودة بقوله : "ألف تآليف عديدة ذكر بعضها في آخر تأليفه الذي سماه : *إزالة الدهش* ... وهو مطبوع بمصر سنة ثلاثين وثلاثمائة وألف، ونأتي على ذكرها إتماما للإفادة..."

توفي المترجم بمدينة الجديدة التي هي مسقط رأسه، وكان من أهل العلم والعمل بهاإلى أن قبض رحمه الله، سنة 1350 ودفن بزاوية القادريين.

ابن سودة، *سل النصال*، و*دليل مؤرخ المغرب*، 1 : 265، ط 1 ؛ الزركلي، *الأعلام*، 6 : 28.

عبد القادر سعود

القادري، محمد بن الطيب بن عبد السلام بن الطيب ابن محمد القادري الحسني، فقيه زاهد، مؤرخ نسابة.

ولد بمدينة فاس في 7 ربيع الأول عام 1124 / 14 أبريل 1712، وتربى في حجر والده الطيب بن عبد السلام القادري الذي كان فقيها متميزا بالقناعة والزهد في ملذات الحياة، شأن كافة أفراد عائلته الذين لم يكن لواحد منهم حرفة سوى حفظ القرآن وتعلم العلم.

درس علوم الفقه ومصطلحات الحديث، وعلوم القرآن، وعلوم العربية، بالإضافة إلى علم التصوف والعقائد والمنطق

والحساب على يد علماء أجلاء بمدينة فاس، منهم : محمد بن عيسى الميسوري (ت. 1150) وأبو جيدة بن محمد المشاط (ت. 1148)، ومحمد التاودي بن الطالب بن سودة (ت. 1209) وعبد القادر بن العربي بوخريص (ت. 118) ويوسف المجيلدي (ت. 1148) وعبد المجيد بن علي الزبادي (ت. 1163) وغيرهم. وأخذ بالإجازة فقط عن علماء بعيدين عن مدينة فاس منهم محمد الحفناوي المصري (ت. 1182)، وعيد بن علي النمرسي (ت. 1140)، وأحمد بن محمد المؤقت المقدسي (ت. 1171).

هذا إضافة إلى شيوخ آخرين أخذ عنهم علوم التصوف والتربية الطرقية منهم : محمد المدرع الأندلسي (ت. 1147) وأبو بكر بن محمد الدلائي (ت. 1149) وعبد السلام التواتي (ت. 1155).

إلا أن أهم شيوخه هو محمد الكبير السرغيني (ت. 1164) الذي لازم القادري مجلسه سنين طويلة وأصبح ساردا فيه، وانطبع بشخصيته، مما جلعه يحذو حذوه في اهتمامه بتراجم الرجال.

حصل محمد القادري على أول إجازة علمية على يد شيخه محمد بن الحاج التلمساني سنة 1164، ثمّ أخذ إجازة أخرى عن الشيخ الحفناوي المصري سنة 1175، وثالثة على يدي الشيخ محمد جسوس. بعد ذلك بدأ بإعطاء دروس للطلبة في بعض مساجد فاس خاصة مسجد لأندلس، إلا أن قلمه كان أبلغ من لسانه كما ذكر تلميذه الحوات.

من تلامذته : سليمان الحوات (ت. 1231) وأبو القاسم الزياني (ت. 1249) وابنه يحيى الذي توفي سنة 1205.

تعاطى محمد القادري لقرض الشعر بإيعاز من والده، بدأ أول أمره بالرثاء فأنشأ قصيدة رثى بها محمد الخديم الدلائي (ت. 1149) وأخرى رثى بها ابن عمه القاسم بن عبد السلام القادري (ت. 1151)، ثم بعد ذلك أصبحت قصائده تشمل المدح والوصف وغيره، فلم يترك القادري فرصة تمر إلا وأنشأ قصيدة في موضوعها حيث نجد عدداً من القصائد في ثنايا كتبه، بل نجد مؤلفات كلها منظومة، إما عبارة عن أراجيز وإما عبارة عن قصائد منظومة في مئات الأبيات، مثل كتاب "*فريدة الدر الصفي في وصف الجمال اليوسفي*" الذي يشكل 310 أبيات، وكتاب "*درة المفاخر*" الذي يشمل 736 بيت.

ألف محمد القادري حوالي 30 مؤلفا في مواضيع متنوعة، أكثرها في التراجم والأنساب والتاريخ والتصوف، وبعضها في السير وعلوم القرآن والأدب، منها "*الزهر الباسم في مناقب سيدي قاسم*"، و"*نشر المثاني*"، و"*الإكليل والتاج*"، و"*التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر*" في الأنساب، و"*درة المطالب في نسب أبي غالب*"، وغيرهم.

تزوج محمد القادري في بداية حياته بفتاة من أسرة الشرفاء الصقليين وأنجب منها ابنه يحيى، ثم انقطع لخطة العدالة بسماط عدول القرويين بمدينة فاس، وعاش طول حياته زاهدا متقشفا متصفا بالصلاح والتصوف، وفي آخر أيامه تولى خطة الإمامة والخطابة بجامع الأندلس العتيق عن تكليف من سلطان الوقت المولى محمد بن عبد الله

توفي محمد القادري وهو خطيب بمسجد الأندلس عشية يوم الخميس 25 شعبان 1187 / 11 نونبر 1773، وتمت الصلاة عليه يوم الجمعة بمسجد الأندلس، ودفن بمقبرة أسلافه بأعلى الجنان خارج باب الفتوح بمدينة فاس. وقد أرخ تلميذه سليمان الحوات ولادته ووفاته بحساب الجمل بقوله :

والقادري شيخنا أكبر الأجلّ ولد في العلم بدره استهلّ
وسارَ بعْدُ لجنان الخلد مُنذُ قضى فغابَ بدر المَجد

خلف محمد القادري ولدا واحدا هو يحيى، وكان خيّرا فاضلا بصيرا بأخبار النوادر حسن المحاضرة مع الأكابر، غير أنه لم يعمّر طويلا فتوفي سنة 1205. وخلف يحيى كذلك ولدا واحدا اسمه محمد، غير أنه توفي بالطاعون عن غير عقب وذلك سنة 1214 ، وبوفاته انقطع عقب محمد بن الطيب القادري.

محمد بن الطيب القادري، *الإكليل والتاج*، تح. مارية دادي ؛ *التقاط الدرر*، تح. هاشم العلوي ؛ *نشر المثاني* ؛ س. الحوات، *ثمرة أنسي*، مخ. خ. ح. رقم 11861، ص. 19 ـ 20 ؛ *السر الظاهر*، م. 20، ص. 30 ؛ الكتاني، *سلوة*، 2 : 351.

مارية دادي

القادري، محمد بن **محمد** الصغير، ولد حوالي سنة 1864 ، وخلف عمه عبد القادر القادري سابق الترجمة، على مشيخة زاوية هرك القادرية في أواخر سنة 1903 ومن مراسلة موجهة إليه بتاريخ 6 شوال 1321 / 26 ديسمبر 1903 نستطيع التأكد من تسلم زمام المشيخة بصفة نهائية. عاصر الشيخ القادري أحداث بوحمارة وحركة الشريف محمد أمزيان وأخيراً عاش الفترة الأولى من عهد الحماية الإسبانية.

لم يختلف موقف محمد بن محمد الصغير القادري تجاه الأحداث الدائرة بقلعية عما سبق من موقف شيوخ زاوية هرك المزدوج، الحريص على إبقاء الدور المخزني في المقام الأول ضمن السياسة المتبعة من طرف المؤسسة القادرية، دون التخلي عن فكرة المقاومة التي كان لمحمد الصغير رأي خاص في معالجة أوضاعها.

وما ذكرته الرواية الإسبانية يؤيد هذا الموقف المزدوج، ففي الوقت الذي كان فيه اسم شيخ الزاوية الراهن مخيفا للإسبان، ومن الذين يحسب لهم حسابهم في مجال المقاومة، عبر في مستهل يوليو 1909 عن ضرورة تأجيل العمليات الحربية التي كانت تدبر ضد مليلة وتعديل أساليبها إلى حين اكتمال الشروط الحربية، مما جعله أخيراً يفضل التزام الحياد. والحياد الذي يشير إليه الشيخ محمد القادري لا يعني سوى الجانب الحربي المنذر بعدم التكافؤ الصارخ بين القلعيين والإسبان.

ونحن نعلم من جهة أخرى سبب دعوة الشريف القادري إلى الانضمام الفعلي لحركة مقاومة الإسبان، إذ أن الشريف

محمد أمزيان ورجاله كانوا يعدون بمهاجمة منشآت السكة الحديدية المنجزة بأرض فرقة بني أنصار إلى غاية مستهل يوليو 1909 ، لا سيما وأن بني شكر كانت قد شاركت بشيخها عبد القادر بن الحاج الطيب العبدوني في ذلك الحدث الهام. لكن هذا الموقف لم يمنعه من مشاركة الحركة في البحث عن حلول أملت الحركة أن تكون أكثر نجاعة، منها طلب المساعدة من السلطة المخزنية المركزية الحفيظية. هذا هو ما يوضحه قبول محمد الصغير القادري المشاركة في الوفد المتوجه إلى فاس.

وعلى الرغم من إنكار الرواية الشفوية توجه القادري رفقة محمد الشادلي على رأس الوفد القلعي إلى فاس، فإننا نعلم أنه كان بالمدينة يوم 25 أكتوبر 1909 وبقي بها إلى مستهل ديسمبر 1909 . وهناك ما يساند توجهه إلى فاس مما وجدناه في سياق الرسالة الموقعة من طرفه في أواخر أكتوبر 1909 . جاءت تلك الزيارة بعدما عرض حاكم مليلة الجنرال مارينا على الشريف محمد أمزيان الاتفاق على استغلال معدن جبل إكسان، وكان جواب الشريف ما نعلمه من المصادر الأجنبية وما نقله الحاج العربي الورياشي من أفواه الشهود المعاصرين للأحداث.

وإذا ما أردنا معرفة ما ذا جرى بعد ذلك في ساحة زاوية هرك وعن رئيسها صاحب الترجمة، فإننا لن نخرج عن إثارة الأحداث التي جعلت فرخانة وبني شكر تتعرضان للغزو الإسباني. وعن هذا الغزو نجد ما ساهمت به الرواية الشفوية التي أوضحت نزول القوات الإسبانية بساحات الزاوية واتخاذها قاعدة للانطلاق نحو داخل شبه جزيرة هرك. فقد تحدثت تلك الرواية عن نزول 24000 جندي إسباني في نهاية شتمبر 1909 أثناء غياب شيخ الزاوية بفاس. وهذا يجعلنا نقر أن دور الزاوية السياسي حيال الوجود الإسباني كان قد انتهى. وعلينا أن نتابع ما أسفر عنه الغزو بما نعرفه من مسالمة بني شكر على يد قائدها عبد القادر بن الحاج الطيب الشكري إلى الإعلان عن وفاة محمد القادري الصغير سنة 1918 وصعود نجم خلفه الحاج حم القادري سابق الترجمة.

وثائق عبد القادر شقيقي القادري ؛ *مذكرات عبد القادر* شقيقي القادري ؛ العربي الورياشي، *الكشف والبيان* ؛ حسن الفكيكي، *الحاج حمو الشكري*، القنيطرة، 2003.

Riera, *España en Marruecos, Cronica de la Guerra de 1909*, p. 379.

حسن الفكيكي

القادرية، أسرة وزاوية : بالشمال الشرقي المغربي، من قبيلة قلعية بإقليم الناظور. تعرف الأسرة والزاوية بالقادرية البغدادية إشارة إلى نسبهما الأصلي المتصل بالشيخ عبد القادر الجيلاني البغدادي. ومعلوم أن القادريين شرفاء مندرجون ضمن السلالة الحسنية انتقلوا من الكوفة إلى المغرب إثر النزاع الذي احتد في آخر العهد المريني، وبعد إعراض السعديين عنهم بسبب علاقتهم مع أتراك الجزائر انتعشوا مع ظهور العلويين وبرزوا في ميدان التصوف والعلم والتجارة.

وما يهمنا منهم رب الأسرة الذي قصد قبيلة قلعية للاستيطان، فمؤسس الزاوية من الأسر التي سبق لها أن استقرت بالمغرب الجزائري، بقرية تالوانت، الواقعة بجوار مدينة معسكر ربما في أواخر العصر المريني، على أثر استقرار الأسر القادرية بمدينة فاس في نفس الفترة. ومن قرية تالوانت تحول مؤسس الزاوية البغدادية عبد القادر القادري آتي الترجمة، بمفرده في ظروف نجهلها إلى خميس بني شكر بقلعية. وتقع الزاوية على الشاطئ الشرقي من شبه جزيرة هرك، على بعد كيلومترين فقط من حدود مليلة المغتصبة، وهي تابعة حاليا للجماعة القروية بفرخانة.

ويمتاز السلوك الصوفي للقادريين القلعيين بالبساطة والاعتماد على الاتجاه السني، بعيدا عن المبالغات والبدع، ولذلك حرص الشيوخ على الدعوة إلى الالتزام بالأخلاق الصوفية النقية الهادئة وترك البدع. وقد برز عدد من شيوخها في المجال الصوفي.

وإذا كان المؤسس عبد القادر التلوانتي قد ارتبط جهاده بالجزائر فقد ساهم الشرفاء القادريون الهركيون بحكم الجوار للخلية الأجنبية المرابطة بمليلة في نظام المقاومة التي كانت قلعية تخوضها ضد الإسبان المحتلين. هذا هو ما تبين بوضوح بعد وفاة المؤسس على يد ابنه البكر محمد القادري الكبير (1810 . 1878) كما أن ابنه الثالث أحمد القادري استشهد بحدود مليلة سنة 1871 في معركة بجوار رباط مليلة قادها القلعيون من أجل الحيلولة دون حفر وادي المدور ما بين يونيو وديسمبر السنة.

ولم تنج الزاوية من طغيان مليلة بسبب دعم المقاومة المغربية المعنوي والمادي، ففي سنة 1308 / 1891 هاجمت السفن الإسبانية الزاوية من جهة البحر أثناء مقدمات حرب سيدي ورياش. وقد لعبت الزاوية إلى جانب المخزن الحسني والعزيزي دوراً في حل المشاكل الناجمة عن تحرشات مليلة وتوسيع حدودها. كما كان لها دورها في حركة الشريف محمد أمزيان وقام محمد الصغير القادري بزيارة مولاي عبد الحفيظ بمعية محمد الشادلي قصد إشعار السلطان بخطر الزحف الإسباني على أراضي قلعية. وقد تابع الشرفاء القادريون تقاليد الزاوية ومؤسسها في المجالين العلمي والروحي خلال الفترات التالية، ونبرز لاحقا من أعلامها المرموقين ترجمة القادري عبد القادر التلوانتي والحاج القادري.

أرشيف مديرية الوثائق الملكية بالرباط ؛ *شهادة النسب* المحررة سنة 1338، *مذكرات عبد القادر* شقيقي القادري ؛ *وثائق الزاوية القادرية* بحوزة عبد القادر شقيقي ؛ *معلمة المغرب* ؛ ضابط الأمور الوطنية، تطوان، 1952. ؛ وزارة الشؤون الخارجية الفرنسية، إدارة الشؤون السياسية والاقتصادية، *وثائق* مصورة بمديرية الوثائق الملكية بالرباط.

حسن الفكيكي

القادس (Galère) يدعى أيضا الشيني والجاليز والغاليز، وهو مركب مجذافي من النوع المتوسطي المستعمل قديما. ويمتاز بهيئته المستطيلة والدقيقة، وبامتداده الطولي البارز الذي يتراوح ما بين خمسة وسبعة أضعاف عرضه، حيث يصل في الأقصى إلى خمسين مترا وعرض ضيق بمتوسط عشرة أمتار، وبقلة ارتفاع سطح هيكله عن سطح الماء. ونظرا لاعتماده على المجذاف كان القادس يحتوي على خمسة وعشرين مقعدا من كل جانب، يبلغ طول كل منها ثلاثة أمتار ونصف، وتشغل خمسة جذافين في القادس العادي، وأربعة في نظيره الحربي، لتسيير مجاذيف يصل طولها إلى أزيد من خمسة عشر مترا.

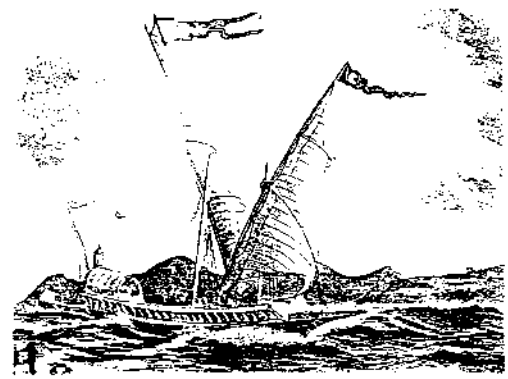

وقد عرف القادس منذ القرن (16 م) تطوراً إيجابياً ناجماً عن تدعيمه بالأشرعة، مما جعله أكثر يسرا في المناورة، وذا إمكانية أفضل في التحكم في المسارات تقدما وتراجعا، وعدم الخضوع للرياح، مما جعل الأب دان يفضل تسميته بملكة البحر وبالنسر.

وبالمقابل، اتسم بعجزه عن مقاومة التيارات المائية وضعف قابليته للإبحار أثناء رداءة الأحوال الملاحية، الأمر الذي أظهر عدم أهليته للعمل في المياه الأطلنتيكية رغم مبادرة رجال الجهاد البحري إلى التقليص من حجمه وحمولته، حيث أن اعتماده على القوة العضلية، وعجزه عن مواجهة أمواج الأطلنتيكي، وعن تحمل الرحلات طويلة المدى سرعان ما أدى به إلى التراجع في قائمة السفن المعتمدة، ولم يبق له حضور متميز إلا في مرفأي تطوان وطنجة خلال القرن (17 م)، وامتد العمل به على الأقل حتى نهاية العهد الإسماعيلي.

النخيلي، *السفن الإسلامية*، ص. 21. 81. 83. 85. 118.

Dan, *Histoire de Barbarie*, p. 306-308 ; Stanley Lane-Poole, *The barbary corsairs*, Darf publishers Ltd, London, 1984 (1ère éd. 1890),, p. 206-214, 229 ; Bono, *Les corsaires ...*, p. 97.

حسن أميلي

قادوس ، مصطلح القادوس لم يكن معروفا في اللغة العربية القديمة، لكن نجد مصطلح القَدَس أو القُدُسّ الذي يشرحه القاموسيون بالسَّطل أو القدح الصغير. وفي القرون الوسطى ظهر في اللغة العربية مصطلح القادوس الذي يُفسر "ما يجعل فيه الحب عند الطحن وتُسميه العامة الكوز (المنجد في اللغة والأعلام). وهو كذلك "إناء يُخرج به الماء من السواقي".

وفي اليونانية واللاتينية تعني كلمة قادوس "إناء من الطين المطبوخ يُستعمل لاستخراج الماء من الآبار". وفي اللغة المغربية الحديثة يعني مُصطلح قادوس "أنبوباً من الطين المطبوخ" يستعمل لإجراء الماء. ويعني تارة أخرى آنية فخارية تستعمل لدفع الماء من الآبار.

على العموم فالقادوس تقنية من التقنيات التي استُعملت في المغرب كوسيلة لاستعمال الماء الذي لعب ولازال دوراً أساسياً وحيويا في حياة الإنسان المغربي عبر التاريخ، سواء لاستخراجه من الآبار أو إفراغه من المناجم أو لإجرائه إلى الأجنة والبساتين أو لتزويد المدن العتيقة بالمياه لتلبية حاجيات البيوت والحمامات والفنادق والجوامع. وقد اتخذ القادوس عدة أشكال وتسميات أحياناً من جهة لأخرى.

ففي الأرياف المغربية يُطلق مصطلح القادوس أحياناً على بناء يسمح بحمل الماء من ضفة وادي إلى الضفة الأخرى كما هو الحال ببلاد السراغنة. وهي تقنية تتخذ شكلين :

الشكل الأول تكون فيه الساقية أو القناة التي توجه الماء محمُولةً لتجاوز المشاكل التي تطرحها الطبغرافية أمام مَدِّ قنوات الري من سواقي وغيرها. ويكون القادوس في هذه الحالة على شكل جدارٍ متين مبني بالحجارة المرصوصة بالجير المخلوط بالطين ومقامٍ بكيفية متعامدة مع تيار السيل. ولتحاشي نجخات هذا الأخير ودفعاته القوية، والتي قد تقوضه، يتم تشييده على الشكل التالي :

- بناء مخارج للماء السيلي تُدعى محليا "بالخرَّاجات" وهي أقواس معززة بجدار قصير مائل مدعم بقاعدتها. وهي شبيهة بالأقواس التي نجدها بالقناطر الطرقية العتيقة أو بأسوار المدن القديمة.

- فوق المخارج تشيَّد القناة المحمولة التي تربط جانبي الوادي. ومما يزيد "القادوس" متانة أنه يتم تبليطه بالجير والطين على شكل طلاء أملس شبيه "بتادلاكت".

الشكل الثاني يكون فيه القادوس عبارة عن قناة مدفونة تحت سرير أو سليل الواد يتم تشييدها أثناء فترات الشُح، بحيث تحفر وتبنى بالحجارة المسلحة بالجير المخلوط بالرمل والطين، مما يجعله بنياناً مرصوصاً وقوياً يتحمَّل الثيار المائي القعري. ويتكون القادوس في هذه الحالة من :

- القناة المدفونة

- تربط القناة بين بئرين : واحدة بالضفة اليُمنى والأخرى بالضفة اليسرى للوادي، على أساس إمكانية مرور الماء من إحداهما للأخرى إذ لابد من انحناء خفيف أو استغلال التوازن الهيدروستاتي).

في جهات أخرى من الأرياف المغربية القادوس عبارة عن آنية فخارية لها شكل مكون من ثلاثة أجزاء : عريضة من جهة الفم، ضيقة في الوسط، وعريضة في المؤخرة مع قاعدة

ذات رأس مستدير. وهو شكل شبيه بالقادوس اليوناني ـ اللاتيني. وفي هذه الحالة كانت القواديس تشكل سلسلة من الأواني الفخارية المركبة على الدائرة في الناعورة أو الساقية التي يستقى بها الماء. وقد انتشرت هذه التقنية على ضفاف الأنهار بضواحي فاس مثلاً، أو بضواحي المدن بالاجنة و"السواني" كما هو الحال بأرياض سلا والرباط. وبالرباط نجد مصطلح "قلوش" الذي يعني "أنبوب قناة ماء" أو قنطرة ماء.

كما استُعمل القادوس على شكل آنية فخارية لاستخراج الماء الفائض المعرقل للاستغلال المنجمي بمناجم الفضة بالعهد الموحدي على الخصوص. والقواديس هنا عبارة عن "كيزان" طينية (جرات) استعملت في الدواليب كتقنية لتفريغ مياه السديمة كما هو الحال بمنجم زكندر بالأطلس الصغير خلال العهد الموحدي.

وبالمدن المغربية العتيقة استعملت القواديس كتقنية لتوزيع المياه أو تصريفها كما هو الحال بمدن مراكش وفاس. وقد أشار أبو عبد الله الشطيبي في كتابه *"صناعة الفلاحة"* إلى صناعة القواديس وهندستها وكيفية وضعها وإجراء الماء فيها. وبهذه المدن كانت القواديس تستعمل لجر الماء من الأنهار والعيون والخطاطير لغسل المراحيض أو كقنوات لتصريف مياهها ومياه المنازل والدور حيث تشيد القواديس لتصب في الأنهار المجاورة، كما هو الحال بمدينة فاس. كما كانت القواديس وسيلة لملء الصهاريج الموجودة بالدور والفنادق والحمامات أو حمل الماء إلى العراصي والخصات والحدائق.

وقد استعملت هذه التقنية في المدن العتيقة كفاس، ومراكش وسلا والرباط. وقد تحدثت المصادر عن أعمال هائلة في هندسة توزيع المياه بفاس وصلت إلى مستوى تقني وتنظيمي محكمين، حيث جُمعت مياه نهر مصمودة في سد ووُزعت في قنوات موصلة بهدف تزويد البيوت الكبرى والمساجد والمدارس والسقايات. وهي تقنية مبتكرة سهرت عليها حرفة منظمة متخصصة في وضع القنوات "القواديس" وإصلاحها وكنسها تدعى "بالقوادسية".

وفي الأخير نشير إلى أن مصطلح "قادوس" أطلق كذلك على الأنابيب الخشبية أو الفخارية أو القصديرية، وحاليا البلاستيكية التي تستعمل لتصريف مياه الأمطار من عالي سطوح المنازل وغيرها.

م. فتحة، *نازلة وادي مصمودة بفاس*، منشورات كلية، الآداب والعلوم الإنسانية، عين الشق، *سلسلة ندوات ومناظرات، رقم 11*، 1999 ؛ المرساوي العجلاوي، *تقنيات استخراج المياه الباطنية في مناجم الفضة بالمغرب*، (2 هـ ـ 7 هـ / 8 ـ 13 م).

L. Brunot, *Noms de récipients à Rabat*, in *Hespéris*, 1921, p. 133 ; G.P. Colin, *Etymologie maghrébine*, n° 46, in *Hespéris, t. VI, 1926, p. 79* ; *La Noria marocaine et les machines hydrauliques dans le monde arabe*, *Hespéris, t. XIX, 1er trimestre, 1932*, p. 23 - 60.

أحمد زروال

قارة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Caras ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان ومن أشهر أفرادها : الحاج محمد قارة قائد العسكر بحامية تطاون سنة 1246 (1830).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

قارة (حبس)، هو الاسم الشائع الذي يطلق على المطبق أو الدهليز ـ على حد تعبير الزياني في الترجمانة ـ الذي بناه السلطان مولاي إسماعيل تحت الأرض. بجوار دار المخزن، ويصفه ابن زيدان في *الإتحاف* بقوله : "ومن تأسيساته السرداب الهائل الكائن تحت أرض فسيح قبة الخياطين، ذو الأساطين المحكمة البناء والأقواس الضخمة الشاهقة ..." وكان هذا السرداب يمتد تحت الأرض في مساحة شاسعة مهولة مما جعل العامة تنسج حوله الحكايات وتعتقد أنه يمتد تحت القصبة ـ الاسماعيلية وله منافذ تفضي إلى مخارج المدينة الأربعة.

أعد هذا المطبق ليكون سجناً للأسرى الأوربيين الذين كانت تعجُّ بهم مدينة مكناس ولذوي الجرائم العظيمة فكانوا يبيتون فيه ليلاً ويخرجون نهاراً للخدمة. ومن أشهر الأسرى الذين ضمهم ذلك السجن جرمان مويط Germain Mouette صاحب الرحلة المشهورة الذي قضى به ما يقرب من 10 سنوات (1672 ـ 1681).

ومدخله الأول ما يزال مجهولا وإنما يُنزل إليه من نقب في سطحه على مقربة من قبة الخياطين وهو محمول على أقواس تتخلل أوائلها نوافذ سقفية للاضاءة. أما تسميته بحبس قارة فلا يعرف لها سبب.

وقد قامت السلطات بغلق منافذ ممراته بجدران تحول بين الزائرين له والتيه في سراديبه المخيفة، وما زالت أساطينه تحمل آثار السلاسل الحديدية التي كانت تغل السجناء.

ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 1، ص. 135 ؛ *المنزع اللطيف*، ص. 359 ؛ م. المنوني، *دليل القصبة الاسماعيلية* ؛ *دعوة الحق*، ع 4، ص. 109 ؛ *زيارة شخصية لعين المكان*.

رقية بلمقدم

ابن **قاسم**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Çaçim - Casim - Bolcasim ، ومازالت باسبانيا أسر تحمل اسم Benicasim، وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان. وكان من بين أفرادها : عبد الله بن قاسم الذي زاول خطة العدالة سنة 1156 (1743). أحمد بن قاسم الذي كان أسيراً بفرنسا منذ سنة 1128 (1716) يحمل رقم 1501 وقد أطلق سراحه يوم 12 ماي 1717.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

قاسم (ابن -) **أحمد** بن عيسى بن عبد الكريم السفياني، المعروف بأبي عسرية وبابن اللوشة، إليه تنتسب مدينة سيدي قاسم، اشتهر عند مترجميه باسم : اللوشي، اللوشة، بلوشة، للوشة. ويلقب عند مريديه وأصحابه وغيرهم بأبي عسرية، لأنه كان يعمل بيده اليسرى.

وهو الولي الصالح الأكثر شهرة في بلاد الأزغار، موطنه الأصلي هو دوار الزوايد السفياني في بلاد حروش. كان في شبابه يعد من أشجع رجال قبيلته وأحسن فرسانها. وعندما مسته الرحمة الربانية والنور الرباني، فارق كل شيء، وفقد ذاكرته، ورافق الحيوانات المتوحشة.

التقى في فاس الشيخ يدر، وحصل على بركته، وذلك أثناء سفر قام به صحبة والده إلى فاس لبيع السمن. أخذ الطريقة الجزولية، وضمنها الشاذلية والزروقية، عن شيخه محمد الشرقي عن عبد الله بن ساسي عن عبد الله الغزواني عن التباع عن الجزولي بسنده إلى أبي الحسن الشاذلي. وقيل إنه أخذها عن الشيخ عبد السلام بن مَحمد الشرقي.

وعندما ذاعت شهرة ابن اللوشة قصده الناس من كل الجهات للأخذ عنه. ولقي في فاس كذلك عدداً كبيراً من الأولياء أخذوا عنه، وانتفعوا ببركته، منهم : الصالح منصور، المدعو أبو حفرة، دفين الحفارين من فاس، والشيخ علي عزوز التونسي، والشيخ أحمد السوسي المراكشي والشيخ محمد بن أحمد المكناسي المسطاري، الذي أسس زاوية في مدينة بنزرت التونسية لنشر الطريقة القاسمية في أواخر القرن (11 هـ / 17م).

ولكنه ترك عدداً كبيراً من المريدين والتلاميذ والزوايا في عدة أماكن، منها زاوية في سلا قبالة مسجد الإمام ابن عباد، وزاوية في بلاد حروش. على أن أهمها هي الموجودة على ضفة واد الردم في بلاد الأزغار حيث مدفنه وخدامه ـ وهم متنوعون، منهم بعض الخلط ـ الذين تسموا باسمه، وأصبحوا يعرفون بـ "أولاد سيدي قاسم" وهم موقرون، ويتقبلون الهدايا والهبات.

م. بن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، ص. 103.

Michaux-Bellaire, *Le Gharb*, p. 258, 261 et 263 ; *Villes et tribus du Maroc. Rabat et sa région*, t. 3, p. 324 et 352

المصطفى البوعناني

القاسم (أبو -) **القبتوري** أبو القاسم خلف بن أبي الأصبغ عبد العزيز بن محمد بن خلف بن عبد العزيز بن محمد الغافقي الإشبيلي القبتوري، قد يكون من أصل عربي نسبة إلى قبيلة غافق اليمنية التي رافقت مجموعات منها حركات الفتح الإسلامي الأولى في إفريقية وخصوصا الأندلس، ويلقب بالإشبيلي نسبة إلى إشبيلية لكونها مسقط رأسه، والقبتوري نسبة إلى قرية قبتورة أو كبتورة الواقعة في الجنوب الغربي من إشبيلية على الوادي الكبير والتي ربما شكلت إحدى أماكن استقرار عائلته قبل نزولها في إشبيلية.

ولد في إشبيلية في شهر شوال من سنة 615 / 1218 وبها قضى طفولته وشبابه، ولم يغادرها مجبراً مع باقي أعيانها وأهاليها إلا في سنة 646 / 1248 حينما استولى عليها الإسبان. تتلمذ بإشبيلية على أبيه الذي وصفه التجيبي في رحلته بـ "الشيخ الصالح الحافظ"، كما أخذ بها عن المقرئ والنحوي أبي الحسن الدباج وابن أبي الربيع النحوي الشهير، وجلس للاستماع بالقاهرة أثناء رحلاته الحجازية إلى النجيب بن الصيقل، وأبي الحسن الغرافي بالإسكندرية، والرضي بن البرهان بمكة.

اشتغل لدى الإمارة العزفية في سبتة عند وفوده عليها ككاتب لديوان أبي القاسم العزفي طيلة مدة إمارته التي امتدت مدة ثلاثين سنة، واستمر في مهنته في عهد ابنيه أبي حاتم الذي لم تدم ولايته أكثر من سنة وأخيه أبي طالب بعد ذلك في سنة 678 / 1280 . نعلم أن القبتوري ظل في سبتة إلى حدود سنة 686 / 1287 تاريخ كتابته لثاني الإجازتين اللتين بعثا بهما مع الفقيه ابن رشيد لأبي الفضل التجاني التونسي، إلا أننا لا نعلم أي شيء عنه خلال عشرة السنوات التالية أي إلى حدود سنة 696 / 1297 حين خرج حاجا للمرة الثانية ومجاوراً بالديار المقدسة، من المحتمل أن يكون قد اقتبل خلال هذه الفترة في تونس حيث مكث للتدريس مدة طويلة يصعب تحديدها، وحيث جلس للسماع عليه ابن جابر الوادي آش وغيره. وخلال إقامته بالديار التونسية ترك نسخة من مختارات رسالاته التي كتبها حينما كان كاتبا في ديوان الإمارة العزفية، وهو ما يفسر في حد ذاته وجود النسخة الوحيدة لرسائله الديوانية بمكتبة جامع الزيتونة. ولم ينقطع عن التدريس حتى وهو مجاور بمكة والمدينة، حيث أخذ عنه الفقيه فتح الدين بن سيد الناس، بينما يذكر من تلامذته السبتين والأندلسيين ابن رشيد السبتي وابن جابر الوادي آشي وحيان الأندلسي وعبد المهيمن الحضرمي وخصوصا أبو القاسم التجيبي رفيقه في رحلته الحجازية والجامع الحافظ للكثير من آثاره. وتجمع التراجم التي خصها تلامذته لشيخهم على أنه كان من أهل الصلاح والفضل والتقوى. كما أنه بالرغم من تصنيفه ضمن جماعة النحاة والمحدثين، فلم يذكر له أي تأليف في هذين العلمين، ولم يخلف سوى مقتطفات من رسائله الديوانية من الأمراء العزفيين، وبعض المقطوعات الشعرية التي تتوقف أغراضها عند المديح النبوي والتعبير عن حالات نفسية صادقة.

توفي في المدينة المنورة في أواسط سنة 704 / 1304 (*برنامج*، 63 ؛ *مستفاد*، ص. 53 ـ 451 ؛ *نفح*، ص. 595).

ابن حجر العسقلاني، *الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة*، تح. محمد سيد جاد الحق، ط 2، الجزء 2، 1385 / 1966، ص. 174 ؛ ابن جابر الوادي آشي، *برنامج الوادي آشي*، تح. محمد محفوظ، بيروت، 1400 / 1980 ؛ القاسم التجيبي، *مستفاد الرحلة*

والاغتراب ، تح. عبد الحفيظ منصور، ليبيا ـ تونس، 1395 / 1875؛ المقري، *نفح الطيب*، تح. إحسان عباس، بيروت، الجزء 2 : 1388 / 1968، ص. 595 ـ 596 ؛ ابن القاضي، *درة الحجال في أسماء الرجال* ، تح. محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة، الجزء 1 : 1390 / 1970 ؛ خلف الغافقي القبتوري، *رسائل ديوانية*، تح. محمد الحبيب الهيلة، الرباط، 1399 / 1979 ؛ أ. بابا التنبكتي، *كتاب الديباج*، بيروت ـ لبنان، ص. 222.

زليخة بنرمضان

القاسمي ، ويكتب أيضاً القصمي، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Cosme.

وبتطوان أسر غير أندلسية تحمل نفس الاسم. ومن أفرادها : محمد بن عمر القاسمي فقيه كان يزاول خطة العدالة من سنة 1172 إلى سنة 1198 (1759 ـ 1789). محمد بن عبد السلام القاسمي فقيه كان إماما بجامع المسيندي بحومة النيارين وكان بقيد الحياة سنة 1315 (1897).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

القاسمي، الطاهر (مولاي ـ) ينتمي إلى القواسم، أحد فروع البيت المشترائي الشهير في دكالة. ويذكر النسابة أن مولاي الطاهر القاسمي من حفدة الشيخ أبي الحسن علي بن قاسم السنجائي، الملقب بأبي سجدة، دفين مراكش.

مولاي الطاهر القاسمي ولد ونشأ في منطقة أولاد افرج بدكالة. وفي هذه المنطقة تربى وتعلم، ثم التحق بزاوية الشيخ الحاج أحمد التاغي الحمداوي (ت. 1268 و1276)، الواقعة في بزام ببلاد الشاوية، حيث واصل تعليمه، وأخذ عن شيخها التصوف والبركة.

وإذا علمنا أن الشيخ التاغي من أصحاب أبي عبد الله محمد العربي بن المعطي الشرقاوي (ت. 1234 / 18 ـ 1819)، وأن هذا الأخير كان من الشرقاويين الذين جمعوا في تصوفهم بين الطريقتين الناصرية والشرقاوية، فمن تحصيل القول بأن مولاي الطاهر القاسمي كان شرقاويا ـ ناصريا في تصوفه، مثل شيخه التاغي، وشيخ شيخه محمد العربي الشرقاوي.

وبعد أن أكمل مولاي الطاهر القاسمي تكوينه، عاد إلى أولاد افرج بدكالة، وأسس زاويته، التي غدت من أكبر الزوايا في المنطقة، كما غدا مولاي الطاهر القاسمي من مشاهير الأولياء. وكان عنوان هذه الشهرة اهتمام مولاي الطاهر بالتدريس. وكان أهم ما اهتم بتدريسه علوم القراءات، اقتداء بشيخه التاغي، الذي اهتم بتدريس هذا العلم كثيراً، على غرار شيوخ المراكز الصوفية التي تفرعت عن زاوية أبي الجعد الشرقاوية، زمن الشيخ محمد العربي الشرقاوي. وفي هذا الصدد كتب الفقيه الكانوني عن مولاي الطاهر ما يفيد عنايته الفائقة بالتدريس، ولا سيما بعلوم القراءات فقال : "الأستاذ المقرئ مولاي الطاهر القاسمي، ذو المدرسة الشهيرة في القراءات، التي قامت بواجب عظيم في بابها".

وإلى جانب التربية والتعليم، اشتهر مولاي الطاهر بمقامه العالي في طريق أهل الله، فقصده المريدون المتشوفون إلى التصوف، واعتقد كثيرون في بركته، وتسابقوا لخدمته، ولم يقتصر الأمر، هنا كذلك، على القواسم، بل تعداهم إلى قبائل أخرى في دكالة وخارجها. غير أن أكثر خدام زاوية مولاي الطاهر شهرة، هم : أولاد زيد بأولاد افرج، والغنادرة بالزمامرة، والمعاشات بأولاد الحاج إبراهيم الفيض، وكلهم في دكالة. وسكان دواوير كثيرة من الشتوكة وغيرها في الشاوية، ثم قبيلة أولاد لبعور، وهي تابعة لجمعة فوكو في عبدة.

ويبدو أن مولاي الطاهر قد حظي بتقدير المخزن العلوي أيضا، كما يفهم من الظهائر السلطانية التي خص بها السلاطين العلويون خلفاءه.

هذا وقد توفي مولاي الطاهر في صدر القرن الرابع عشر الهجري. ويذكر الرواة أنه لم يعقب.

محمد ابن عسكر، *دوحة الناشر*، م. حجي، الرباط، 1977 ؛ م. الكانوني، *آسفي وما إليه* ، مصر، 1353 ؛ م. الحمداوي، من الحلقات المفقودة في تاريخ المساجد المغربية، *دعوة الحق*، ع 1، أكتوبر، 1962 ؛ أ. بوشرب، *دكالة والاستعمار البرتغالي*، الدار البيضاء، 1984 ؛ أ. بوكاري، *الزاوية الشرقاوية : زاوية أبي الجعد*، 1406 ـ 1985 ؛ أ. الريساني، *الزاوية القاسمية بأولاد افرج بدكالة*، كلية الآداب، الجديدة، 90 ـ 1991.

أحمد الوارث

قاسمي علوي، محمد من مواليد مدينة الراشدية سنة 1921 . التحق بصفوف المقاومة السرية بمدينة خنيفرة منذ اندلاع الشرارة الأولى للمقاومة حيث عمل تحت رئاسة اكريدان الحاج علي والمرحوم المگوني محمد بن عمر. وقد شارك في عدة عمليات فدائية استهدفت ضرب مصالح المستعمر بمدينة خنيفرة، كما كان له دور كبير ومشاركة فعالة في أحداث 20 غشت 1953 التي عاشتها مدينة خنيفرة. ونتيجة نشاطه الفدائي تم اعتقاله من طرف السلطات الاستعمارية حيث تعرض للتعذيب والتنكيل وبعد إطلاق سراحه تابع مسيرته النضالية إلى أن تحقق استقلال المغرب.

توفي في 9 / 11 / 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 510808.

القاسمي، محمد ولد سنة 1942 بمدينة مكناس وبها تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي. بعد ذلك شارك في العديد من التداريب الفنية الوطنية والدولية وخلال هذه التداريب تمكن من زيارة أروبا والعالم العربي والتعرف على الحركة الفنية فيهما.

يعتبر القاسمي أحد الوجوه المشرقة في عالم التشكيل المغربي، وأحد الفنانين الذين تعاملوا مع اللوحة كعقل مبدع، لا كعاطفة هائجة. لقد حاول في العديد من أعماله أن ينبه ذاكرة التاريخ إلى تعبير ظواهر الإنسان ومسيرته الحضارية الطويلة كما حاول عبر أعماله أن يطرح العديد من الأسئلة اللامتناهية حول مصير هذا الإنسان.

يعتبر عمل القاسمي تجريدي ولكن تجريديته عقلانية صارمة. تنبض بأحاسيس العقل وتتحدث لغته ولأجل ذلك توفرت لهذا الفنان المبدع مكانة مرموقة في ساحة التشكيل المغربي.

اهتمت بالقاسمي العديد من الأقلام الناقدة والفنية فأولت لأعماله الكثير من الاهتمام.

وهكذا يبقى الفنان القاسمي في البداية والنهاية أحد الوجوه المناضلة في عالم الفن تشده إرادته وحبه للجماهير لتعميق البحث في اتجاهه المعبر عن الوجود وعن العدم عن الذات ... وعن الفناء.

توفي محمد القاسمي يوم فاتح رمضان 1424 الموافق 27 أكتوبر 2003.

محمد أبو إلياس

قاضا، محمد بن أحمد ولد سنة 1937 بعين حرودة ناحية الدار البيضاء. دفعه حماس الشباب وغيرته الوطنية للانضمام إلى الخلايا السرية التابعة للمقاومة المغربية، وقد كان عضوا بمنظمة أسود التحرير بالدار البيضاء والتي كانت تحت مسؤولية شكري مبارك. فقام بعدة أعمال فدائية بطولية إلى جانب إخوانه المقاومين فكان تارة يقوم بإضرام النار في ضيعات المعمرين وتارة أخرى يقوم بتوزيع المناشير، وشارك مع كل من شكري مبارك وقاضا بوشعيب وخموري المكي والتياب بوشعيب في الهجوم على دكان لبيع التبغ (صاكا مادام جان) بطيط مليل، وحاول إطلاق الرصاص على من كان بداخل الدكان إلا أن الحراس تمكنوا من إلقاء القبض عليه، وفي محاولة للفرار أطلق عليه الحراس الرصاص سقط على إثره شهيدا وذلك يوم 15 / 9 / 1954.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 512806.

ابن **القاضي**، أسرة تنتمي إلى موسى ابن أبي العافية المكناسي الزناتي، وتشتهر بابن القاضي، لأن أحدهم، وهو أبو العز كان يتولى منصب القضاء في مكناسة سنة 824 في عهد السلطان عبد الحق بن أبي سعيد (823 ـ 869).

كانت أسرة ابن القاضي تتمتع، في مدينة مكناس، بنوع من الحظوة على المستوى المادي والمعنوي. فما هي الأسباب التي جعلتها ترحل عن مدينتها الأصلية وتستقر في مدينة فاس ؟ وفي أي تاريخ كان ذلك ؟

يكمن السبب، حسب رواية القادري وابن عيشون الشراط، في أن السيدة آمنة (ت. 960) بنت الفقيه القاضي أبي العباس أحمد بن علي ابن القاضي (ت. 955). كانت ذات اعتقاد ومحبة وإخلاص في خدمة الشيخ الصوفي أبي الحسن علي بن أحمد الدوار الصنهاجي، وكانت تخدمه وتتبعه، وأهلها ينكرون عليها ذلك. فسجنوها مدة في غرفة، وجعلوا على رجلها قيدا من حديد. وجاء شيخها المذكور، ووقف وسط الدار، وناداها، فقالت : نعم، باسيدي، فقال : اهبطي، فسقط القيد من رجليها، وخرجت وهم ينظرون، والغرفة على حالها مسدودة. فمن يومئذ سلموا لهما حالهما. فانتقلت الأسرة إلى فاس لتكون السيدة آمنة على مقربة من شيخها الذي اتخذته قدوة وإماما.

إلى أي حد يمكن اعتماد هذا التبرير كسبب في انتقال أسرة بكاملها من مدينة إلى أخرى تاركة مصالحها وعقاراتها وغير ذلك ؟ ألم يكن الحدث قد شجع الأسرة على تحقيق رغبة سابقة في الانتقال إلى فاس لسبب من الأسباب الأخرى، خصوصا وأن مدينة فاس شهدت نزوح عدة أسر إليها، سواء من المغرب أو خارجه، خلال القرن (10 هـ) لأسباب متعددة.

أما تاريخ انتقال هذه الأسرة إلى فاس، فيمكن استنتاجه، على وجه التقريب، من خلال مقارنة مجموعة من التواريخ : زواج السيدة آمنة كان بمكناس في 5 شوال 911، وفاتها كانت بفاس في حدود سنة 960، ووفاة والدها بفاس كذلك سنة 955، ووفاة شيخها كانت في العشر الخامسة من القرن (10 هـ). ويكون، بالتالي، انتقال الأسرة قد حدث فيما بين سنتي 911 و950.

كانت أسرة ابن القاضي تتمتع، سواء في مكناسة أو فاس، بنوع من الامتياز الاجتماعي على عدة مستويات : تاريخية، علمية ووظيفة، ومادية.

فالأسرة تفتخر، كيفما كان الحال، بإرثها التاريخي والسياسي. فقد أعطت، في فترة سابقة، أمراء حكموا جزءا مهما من بلاد المغرب، وساهموا في توجيه تاريخه.

وكان كثير من أفراد هذه الأسرة على جانب كبير من العلم والمعرفة. يشهد لهم بذلك ما ساهموا به في حلقات الدروس المنعقدة لهم في أكبر مساجد فاس، وما ألفوه من كتب في مختلف أنواع العلوم النقلية والعقلية على الخصوص. وتسلسل القضاء فيهم لمدة طويلة حتى التصق بهم لقب ابن القاضي.

وكانت الأسرة ترتكز على موروث مادي كذلك. ويظهر أن إمكانياتها المادية قد توسعت عندما انتقلت إلى فاس، حيث اشتغل بعض أفرادها بالبيع والشراء، فأصبحت تمتلك دوراً متعددة للسكنى بعدوة الأندلس، وأجنة، وروضة خاصة بأولاد ابن القاضي، بالإضافة إلى ما ظلت تحتفظ به من أملاك في مدينتها الأصلية مكناس. ولعل ما يؤكد أهمية المكانة الاجتماعية لأسرة ابن القاضي أنها عندما انتقلت إلى فاس اتخذت سكناها بحي "سبع لويات" قرب جامع القرويين وهو اختيار يحمل أكثر من معنى.

اشتهرت هذه الأسرة، سواء عندما كانت مستقرة في مكناسة أو عندما انتقلت إلى فاس، بنبوغ عدد من أفرادها، فبرز كثير منهم في مجال العلوم العقلية كالحساب والهندسة والتوقيت، وحظوا بتقدير السلطة السياسية وكانوا من المقربين إلى الملوك ومن أشهرهم :

- أحمد بن أبي العافية : قاضي مكناسة

- محمد بن أحمد بن أبي العافية : (كان حيا سنة 684). فقيه، خير صالح ناسك. عُرضت عليه خطة القضاء في مكناسة، بعد أبيه، فرغب عنها. ألف "موضوع في المسائل الواقعة في المدونة في غير مواضعها".

- علي بن أحمد بن أبي العافية : (كان حيا سنة 684) تولى قضاء مكناسة في عهد يعقوب بن عبد الحق المريني.

- سعيد بن محمد بن أبي العافية : (ت. 788) الفقيه المعمر العدل، شيخ ابن الأحمر.

- أبو العز بن أحمد بن أبي العافية، ابن القاضي : (كان حيا سنة 824) الشيخ الفقيه الأرضى الأعدل الخير الدين. تولى قضاء مكناسة بظهير سلطاني سنة 824. وبسبب قضائه جرى على بني ابن أبي العافية المكناسيين لقب ابن القاضي.

- أحمد بن علي بن عبد الرحمان بن أبي العافية ابن القاضي (ت. 955) كانت له معرفة بالفقه المالكي. تولى قضاء مكناسة. وهو أول من توفي بمدينة فاس من آل ابن القاضي.

- آمنة بنت أحمد بن علي بن عبد الرحمان بن أبي العافية ابن القاضي (توفيت في حدود 960) كانت من الأوليا، وأهل الحظوة. أخذت عن شيخها أبي الحسن الدوار الصنهاجي.

- محمد بن قاسم بن علي بن عبد الرحمان ابن القاضي (ت. 962). كان يستظهر مختصر ابن الحاجب، ويقوم على الرسالة قياما تاما. وكان أستاذا نحويا.

- محمد بن محمد بن قاسم ابن القاضي (ت. 965). الفقيه الأستاذ النحوي. جلس مجلس أبيه في الرسالة بجامع القرويين بعد وفاة والده.

- محمد بن محمد بن أحمد بن علي بن عبد الرحمان ابن القاضي (ت. 981). فقيه نوازلي، فرضي، حيسوبي، علامة نبيه. أخذ عنه ولده أحمد الفرائض والحساب وشيئا من منية الحساب للإمام ابن غازي، وقرأ عليه الحوفي والحصار وأوائل الأصول لأقليدس.

- عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبود بن علي بن عبد الرحمان ابن القاضي (ت. 987). فقيه علامة، كان يستظهر مختصر خليل ورسالة ابن أبي زيد وألفية ابن مالك عن ظهر قلب.

- عبد العزيز بن محمد بن محمد بن قاسم بن علي بن عبد الرحمان ابن القاضي (ت. 1006). فقيه صرف من علماء القرويين. يستظهر مختصر ابن الحاجب.

- أبو القاسم بن محمد بن محمد بن قاسم بن علي بن عبد الرحمان ابن القاضي (ت. 1022). الفقيه الحافظ المجود، نحوي رئيس اللغويين في وقته، فرضي، حيسوبي، مدرس. كان وحيد عصره في معرفة مذاهب النحاة وحفظ أقوالهم. له تعليق على المرادي، وشرح على ألفية ابن مالك، وشرح علي مقدمة ابن آجروم.

كان له مزيد وجاهة مع السلطان أحمد المنصور السعدي. وعندما شرح تصريف الشيخ المكودي، رفعه، وغيره من مصنفاته، إلى هذا السلطان بمراكش. وكان قد عُين، مع آخرين، لاستقبال السلطان المنصور عندما قدم إلى فاس آخر مرة في حياته سنة 1012.

كما ألف برسم خزانة السلطان زيدان بن المنصور فهرسه *"تنوير الزمان بقدوم مولانا زيدان"*. وأهداه إليه حين قدومه إلى مدينة فاس بعد أن تعذر عليه الذهاب إلى مراكش لتهنئته بتولية الملك بعد أبيه.

- علي بن أبي القاسم ابن القاضي (ت. 1036). فقيه. أخذ عن أبيه، وابن عمه أحمد السابق، وعمه عبد العزيز.

- محمد بن أبي القاسم بن محمد بن محمد بن قاسم بن علي بن عبد الرحمان ابن القاضي (ت. 1040) فقيه عالم ومحصل، حيسوبي فرضي، مشارك، مدرس، رحالة. كان واحد عصره في علم الحساب والفرائض والتوقيت والتنجيم والجدول. وله مخالطة لعلم الحدثان. وهو من تلامذة ابن عمه أحمد السابق. له مؤلفات في الفقه والفرائض والحساب والهندسة والتوقيت، وله رحلة. قيل في سبب قتله ما اتهم به من موافقته على تمكين النصارى من ثغر العرائش.

- محمد العربي بن علي بن أبي القاسم ابن القاضي (ت. 1074). فقيه. قرأ على يد الشيخ عبد القادر الفاسي، وحضر عليه في كثير من الفنون.

- أبو القاسم بن علي بن أبي القاسم ابن القاضي (ت. 1075). فقيه. قرأ على يد الشيخ عبد القادر الفاسي كذلك، وحضر عليه في الحديث والأصول، وغير ذلك.

- محمد بن عبد العزيز ابن القاضي (كان حيا سنة 1086). من الذين أجازهم الحسن اليوسي بخطه على أول ورقة من فهرسة.

- سيدي الصغير ابن القاضي (ت. 1089). فقيه عدل. كان إماما بمسجد الحوات من حومة رأس الجنان، عدوة فاس القرويين.

- الطيب بن عبد الرحمان بن أبي القاسم ابن القاضي (ت. 1124). فقيه، أستاذ علامة، صالح، مدرس متقن. كان مولعا بتقييد المسائل. وأكثر تدريسه الشفا للقاضي عياض. كان من أصحاب سيدي أحمد اليمني وسيدي أحمد بن عبد الله معن الأندلسي، وظهرت عليه بركتهما.

- محمد بن عبد الرحمان ابن القاضي (ت. 1150) ذكره ابن زيدان في إتحافه.

- امحمد، المدعو المخفي ابن القاضي. (كان حيا سنة 1314). الفقيه العدل الأرشد.

أ. ابن القاضي، *المنتقى المقصور على مآثر الخليفة أحمد المنصور*، تح. م. رزوق، الرباط، 1986 ؛ *رائد الفلاح بعوالي الأسانيد الصحاح*.

المصطفى البوعناني

ابن **القاضي، أحمد** من مواليد سنة 1924 بتيزي وسلي دائرة اكنول إقليم تازة. انخرط في صفوف جيش التحرير منذ تأسيسه تحت قيادة محمد العجوري الغابوشي. وقد أبلى البلاء الحسن خلال مشاركته في العديد من الهجومات إلى جانب إخوانه المجاهدين نذكر منها هجوم تيزي وسلي يوم ثالث أكتوبر 1955.

توفي يوم 12 / 4 / 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 525115.

القاضي (ابن -) **أحمد** بن **محمد** (المؤرخ) ينتسب أحمد بن القاضي إلى أسرة موسى بن أبي العافية المذكور في القرن الهجري الرابع محاربا للأدارسة. وهذه الأسرة تنتمي إلى قبيلة زناتة المكناسية (نسبة إلى مكناسة القبيلة الأمازيغية) وقد أنجبت هذه الأسرة كثيراً من العلماء والفقهاء، كما تسلسل فيها القضاء ردحا من الزمان.

ولد بفاس عام 960 ، وبدأ تعليمه في بيته على يد أبيه الذي كان فقيهاً وفرضياً وحيسوبياً. وبعد أبيه جلس إلى جملة من الشيوخ الأجلاء بفاس ومراكش، أحصى منهم محمد زروق محقق المنتقى المقصور سبعة عشر شيخا، منهم أحمد المنجور الذي لازمه عشرين سنة فكان له التأثير القوي على تفكيره وعقليته وتوجيهه، ومنهم راشد يعقوب اليدري الذي أخذ عنه الفرائض والحساب والعروض، ومنهم أبو زكريا السراج، وعبد الواحد بن أحمد اليحمدي...

ولم يكتف ابن القاضي بما أخذه عن شيوخ الحضرتين : مراكش وفاس، فأعمل الرحلة إلى المشرق مروراً بالجزائر وتونس وليبيا، واتصل بشيوخ هذه المناطق وأخذ عنهم، ومن هؤلاء : بدر القرافي ومحمد بن إبراهيم الأنصاري وإبراهيم بن عبد الرحمان العلقمي وسالم بن عبد الله السنهوري ومنصور المنوفي وأبو زكريا يحيى الحطاب وسجاع فلقة ومحمد بن علي شلبي.

ولما حصل ما قسم له من العلوم والمعارف رجع إلى بلاده واستقر بفاس وتصدر بها لتدريس العلوم الشرعية والعربية والرياضية، واتبع في تدريسه طريقته "المبنية على التركيز والتحصيل والابتعاد عن المباحث اللفظية، وما لاتدعو الضرورة إليه من شروح وحواش وتعاليق".

ارتحل المترجم إلى مراكش، وانضم إلى بلاط المنصور الذهبي بوساطة شيخه الحطاب. ونظراً لعلمه الغزير ومعرفته الواسعة، واطلاعه على أحوال المشرق حظي لدى المنصور بمنزلة رفيعة، فأراد رد جميل مخدومه فجمع كثيراً من مفاخر دولته ومآثرها وأمداحها وفتوحاتها. وحمله إلى المشرق لينشره هناك بعد إذن سيده، فأبحر نحو المشرق لهذه الغاية، ولسوء حظه وقع في أسر القراصنة الكاثوليك الذين سجنوه بمالطا سنة ذاق فيها من العذاب أصنافا وألوانا، ولم يطلق سراحه إلا بفدية عظيمة من المنصور. وقد ضاع منه في هذا الأسر كل ما جمعه من تآليف وأشعار وغيرها.

رجع إلى مراكش واستقر بها ثانية في كنف المنصور يكتب ويؤلف تآليف تشيد بدولته وتدون مآثرها وتاريخها.

غادر مراكش زمن الفتنة، وقصد زاوية الدلاء، ومكث بها مدرسا لفترة من الزمان، وأخيراً رجع إلى فاس وبها استقر مدرسا للتفسير والحديث إلى أن وافته المنية عام 1025.

وتجدر الإشارة إلى أن ابن القاضي قد امتهن القضاء والخطابة أول الأمر بالقصر ثم عمل قاضيا بسلا ومكناسة فترة من الزمان قبل توجهه إلى مراكش.

خلف ابن القاضي عدداً من التلاميذ النبهاء أمثال أحمد المقري صاحب *نفح الطيب* ، ومحمد بن أبي بكر الدلائي، ومحمد بن يوسف الفاسي...

وإلى جانب هؤلاء التلاميذ خلف ابن القاضي العديد من المؤلفات التي تدل على طول باعه في مختلف العلوم، وهكذا ألف في التاريخ والفقه والفرائض والحساب والهندسة والمنطق، ومن مؤلفاته : فهرسته : *رائد الفلاح لعوالي الأسانيد الصحاح* ، التي ترجم فيها لشيوخه، وذكر فيها أسانيده ومروياته، وقد أجاز بها زيدان بن أحمد المنصور الذهبي.

أ. المقري، *روضة الآس* ؛ س. الحوات، *الروضة المقصورة* ؛ الحضيكي، *طبقات* ؛ الكتاني، *فهرس الفهارس* ؛ ع. الله گنون، *النبوغ المغربي* ؛ المراكشي، *الإعلام*، الزركلي، *الأعلام* ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية بالمغرب على عهد السعديين* ؛ ع. الله المرابط الترغي، *فهارس علماء المغرب* ؛ أبي القاضي، *المنتقى المقصور* ؛ ليفي بروفصال، *مؤرخو الشرفاء*.

محمد الحاتمي

ابن **القاضي، أحمد** بن **محمد** بن أبي **العافية** (الأديب) المكناسي، كنيته أبو العباس، ينتمي إلى أسرة بني العافية الشهيرة بمدينة مكناس، ولد بمدينة فاس حيث استقرت أسرته، لقيه المقري وأخذ عنه واستفاد منه.

اشتهر ابن القاضي برحلاته إلى الشرق للحج وللقاء الأعلام من العلماء وفي إحدى رحلاته أسره قراصنة مالطة، فافتداه السلطان أحمد المنصور السعدي، وفكه من ربقة الأسر، وذلك سنة 995 ، ولابن القاضي في مدح السلطان المذكور أشعار كثيرة، إضافة إلى كتابة تاريخ دولته اعترافا بفضله وحسن صنيعه في مؤلف سماه *"المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور"*.

لابن القاضي مؤلفات عديدة في موضوعات مختلفة، في التراجم والتاريخ والفرائض والحساب والهندسة، إضافة إلى

ممارسته القضاء بمدينتي مكناس وسلا مدة من الزمن، وبعد وفاة السلطان أحمد المنصور السعدي سنة 1012، لجأ إلى زاوية الدلاء للتدريس بها، ثم عاد إلى فاس إلى أن وافاه أجله سنة 1025 ، فأقام الصلاة على جثمانه تلميذه أبو العباس أحمد المقري.

من شعره في مدح السلطان أحمد المنصور :

يا أيها المنصور أبشر بالعلى ... الله بلغ في العدى المأمولا
أنضاكم سيفا لحتف عدائه ... ويكم عدا سيف الردى مفلولا
وهزمتم الشرك المتين بعزمكم ... من غير ما سيف يرى مسلولا

مولفاته :

منها المطبوع ومنها المخطوط، فمن مؤلفاته المطبوعة :

المنتقي المقصور على مآثر الخليفة المنصور : كتاب يؤرخ لفترة حكم السلطان أحمد المنصور السعدي اعترافا بفضله بعد أن افتداه من الأسر سنة 995، وفي هذا المؤلف يعرض ابن القاضي للخلافة وشروطها ولآداب الرعية مع الحاكم، ليخلص إلى الحديث عن السلطان أحمد المنصوروعن خلقه وكمال عقله، وعن عمله وحلمه وكرمه إلى غير ذلك مما اشتهر به في ميدان البناء والتشييد والفتوحات والانتصارات، أو في النهوض بمجالس العلم والدرس، وقد صدر هذا الكتاب سنة 1986 بالرباط في جزأين بتحقيق الأستاذ رزوق.

درة الحجال في أسماء الرجال : وهو كتاب في التراجم ذيل به كتاب *وفيات الأعيان* لابن خلكان، يقول المؤلف : "جمعت فيه من حضرني من الأعيان، الذين لهم فضل قد شهد به العيان، وذكرت من وفاة ابن خلكان إلى آخر العاشرة وأول الحادية عشرة مما حفظته من الأعيان"، صدر في طبعتين، الأولى سنتي 1934 ـ 1936 ، واهتم بنشر الكتاب الأستاذ علوش بالرباط، في جزأين، والثانية سنة 1970 بتحقيق الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، في ثلاثة أجزاء، عن دار التراث بالقاهرة.

جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس : ظهرت طبعتها الأولى (وهي طبعة حجرية) سنة 1895 بعناية الأستاذ محمد الفاطمي الصقلي، والطبعة الثانية بعناية الأستاذ عبد الوهاب بن منصور سنة 1974، عن دار المنصور للطباعة والنشر بالرباط في جزأين.

لقط الفرائد من لفاظة حقائق الفوائد : صدر ضمن كتاب *ألف سنة من الوفيات* ، وجعل ذيلا لوفيات ابن قنفذ القسنطيني إلى سنة 1009 ، وحققه الدكتور محمد حجي، وصدر سنة 1976 بالرباط عن الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر.

أما مؤلفاته المخطوطة، فقد أحصاها الدكتور محمد حجي في كتابه *"الزاوية الدلائية"* أثناء ترجمته، ويوجد ثبت لهذه المؤلفات في صفحة 98 من هذا الكتاب.

المقري، *روض الآس*، ص. 240 ؛ *درة الحجال*، 1 : 5 ؛ ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس*، ط 2، 1990 ؛ إ. المراكشي، *الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام* ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس* ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية بالمغرب على عهد السعديين*، 2 : 368 ؛ *الزاوية الدلائية*، ط 2، ص. 92 ؛ الكتاني، *سلوة الأنفاس* ؛ ابن مخلوف، *شجرة النور الزكية*، ص. 297 ؛ رضا كحالة، *معجم المؤلفين*، 2 : 147 ؛ الفشتالي، *مناهل الصفا*، تح. عبد الله گنون ؛ *المنتقي المقصور*، تح. م. رزوق، تر. عبد القادر الخلادي، ص. 86 ؛ القادري، *نشر المثاني*، تح. محمد حجي وأحمد التوفيق، 1 : 128.

نجاة المريني

ابن القاضي، عبد الرحمن بن أبي القاسم ابن القاضي، من أسرة المؤرخ الشهير أحمد ابن القاضي مؤلف *جذوة الاقتباس* وغيرها من كتب التراجم. وكان علامة مشاركاً، متضلعاً في علم القراءات، متمتّعا بالحظوة عند ملوك وقته، كما يدلّ على ذلك ظهير التوقير والاحترام الذي منحه لأبناء هذا العالم، السلطان عبد الملك بن المولى إسماعيل. وقد جدّد السلطان مولاي عبد الرحمن هذا الظهير لحفدة عبد الرحمن ابن القاضي. وكان المترجم من خواصّ مستشاري السلطان مولاي الرشيد بن الشريف.

ألّف عبد الرحمن ابن القاضي كتابا في تراجم صلحاء مدينة فاس بعنوان :

1 ـ *تقاييد في التعريف بصلحاء مدينة فاس وأضرحتهم.*

وتتعلق سائر مؤلفاته الأخرى بعلم القراءات، وهي :

2 ـ *الإيضاح لِما يَنْبَهِم على الورى*، في قراءة عالم أمّ القرى،

3 ـ *بيان الخلاف والشهير والاستحسان*، وما أغفله مورد الظمآن،

4 ـ *تأليف في قراءة الإمام ابن كثير*،

5 ـ *قصيدة في رسم المكي في القرآن*،

6 ـ *قصيدة في القراءات السبع للقرآن الكريم*

كان هذا العلامة أيضا أديبا ينظم مقطعات في التصوف

ع. ابن زيدان، *إتحاف* ، الرباط ؛ عبد السلام بن عبد القادر ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، الدار البيضاء، 1960 و1965 ؛ محمد بن جعفر الكتاني، *سلوة أنفاس*، فاس، 1316 ـ 1898.

M. Lakhdar, *La vie littéraire au Maroc sous la dynastie alawide (1075-1311/1664-1894)*, Editions Techniques Nord-Africaines, Rabat, 1971, p. 62-63 et passim ; E. Lévi-Provençal, *Les historiens des Chorfa, Essai sur la littérature historique et biographique au Maroc du XVe au XXe siècle*, Paris, E. Larose, 1922, p. 263 et n° 2, 266.

محمد الأخضر

القاطبي، محمد بن الأمين قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلته بني أحمد الغمارية انظم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يرأسها الشريف مولاي أحمد الريسوني، وحضر مؤتمرات الثورة المنعقدة بضريح سيدي يسف التليدي يوم 7 ماي 1913 وبقرية عين الدالية يوم 11 من نفس الشهر وبضريح مولاي عبد السلام بن مشيش يوم 20 يوليوز من نفس السنة حيث عين عضوا في القيادة المركزية للثورة ؛ وقد شارك في أكثر من أربعين معركة

واستشهد في معركة جرت بقبيلة بني حسان في أكتوبر 1920.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة*، الرباط، 1981.

Capaz Fernando, *Cabecillas Rebeldes de Gomara*, 1949.

محمد ابن عزوز حكيم

قاع قلة أو قاقلة (نبات -) يشبه القصب، له ثمار علبية تحتوي على عدة بذور. وهذه البذور هي قاع قلة أوحب الهال أو حبهان في المعاجم، وهو نبات عطري موطنه الهند وسيلان. وهو من التوابل العريقة والعطرية في القهوة والحلويات، وهو مضاد للمغص وطارد للغازات، ويقوي القلب، ويزيد في الباه، ويدر الحيض.

ويوصف بمقدار 3 غرامات من مسحوقه في كأس مغلي لمدة 5 دقائق، ثم يترك يختمر 10 ـ 15 دقيقة ويشرب منه 3 إلى 5 فناجين موزعة كل يوم.

وقاع قلة من التوابل الرئيسية في وصفة رأس الحانوت، ويدخل في تركيبة المساخن المشهورة. وهو معطر للفم ومهضم للأكل، ويمكن إضافة مسحوق حبوبه إلى الشربة أو إلى الحليب ومضغ بعض حبوبه يعطل رائحة الثوم، ومنظف للأسنان. وهذه صفة لتقوية الجنس من نبات قاع قلة :

تأخذ حمص مقلي ومطحون مقدار (100 غ) عسل النحل (160 غ) قاع قلة (10 غ) خوه نجال (10 غ) زعفران (غرام واحد) الكل مطحون، وبعد غلي العسل وإزالة رغوته وبرده، يخلط الجميع ويؤخذ منه ملعقة صغيرة صباحا وأخرى مساء.

المصطفى زهويلي، *كتاب التداوي بالأعشاب المغربية* بتصرف لصاحبه، ص. 161.

الحسين البعاوي

القاعة أو الگاعة مصطلحان ليسا مختلفين في نطق حرف القاف فحسب ولكنهما في اللهجة الدارجة المغربية مختلفان اختلافاً بيناً فالگاعة ـ (بنطق القاف جيما مصرية) ـ موضع يدرس فيه الفلاح محاصيله من حبوب وقطاني وفيها تُجمع وتبرز غلات السنة بعد الدرس والتذرية والتصفية، ويقابل الگاعة في العربية الفصحى كلمة بيدر (جمعها بيادر).

أما القاعة فمصطلح شائع حتى اليوم في بعض المدن وعند بعض التجار والمستهلكين، ويتعلق الأمر بمحلات عرض وبيع بعض المنتجات الفلاحية الخاصة مثل الزيت والسمن والعسل والزبد الطري، وفي تقديري أن المصطلح كثر تداوله بعد احتكاك المغرب بالدول الأوربية وتهافتها النصف الأول من القرن العشرين ليختفي بالتدريج بعد ظهور الأسواق العصرية والمتاجر الكبرى والفضاءات التجارية الكبرى على الطرق الأمريكية، فالقاعة أدت وظيفتها حيث كانت تجمع وتعرض ما حصل عليه التجار والوسطاء من المواد التي ذكرناها وما جمعوه منها من كميات من مختلف الأسواق الأسبوعية في البوادي ؛ ولا تعني غرفة واحدة كما قد يتبادر إلى الذهن بل يمكن القول إنها تماثل (القيسارية) المكونة من عدة دكاكين متخصصة في سلعة أو بضاعة معينة.

ولعل القاعة كمحل تجاري متخصص هي تطور وانفصال عن الفندق بمفهومه الوسيطي حيث كان يتوفر على محلات إقامة التجار في الطابق أو الطوابق العلوية ومحلات لعرض المنتجات والبضائع والسلع في الطابق السفلي الذي كان جانباً منه خاصا بإيواء بهائم التجار. وأصبح الفندق اليوم يعني مكان إقامة الأغراب عن المدن والقرى وأحيانا يستبدل بمصطلح نزل وأوطيل واحتفظت القاعة بوظيفة الطابق السفلي دون إيواء البهائم.

الضعيف الرباطي، *تاريخ الضعيف*، الرباط، 1986 ؛ ابن الزيات التادلي، *التشوف*، الرباط، 1984 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1980.

Brignon [et al.], *Histoire du Maroc*, Paris, Casa, Hatier, 1967.

محمد حجاج الطويل

قَاعَسْرَاسْ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Caxeres ؛ وما زالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Cáceres وCazeres وCasares ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1088 / 1677.

ومن المعلوم أنه يوجد بقبيلة بني زيان الغمارية مدشر اسمه قاعسراس.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

القافلة، تمثل القافلة الكبيرة أو الصغيرة أزلاي المتخصصة في حمل الملح وتوزيعه على المحطات التجارية، كلا متكاملا يجعل منها شبه قرية متنقلة. فهي تشتمل على رئيس مسؤول عن أمنها وسلامة مرافقيها. ويعتبر هؤلاء أول مكون أساسي يشمل التجار والأعوان المصاحبين للرئيس من أجل التأطير والمحاربين والصيادين والرواد والطهاة والممرضين. إلى هذا المكون الأول ينضاف العدد الكافي من الأبل والبضائع والتجار. فلا يمكن تعريف القافلة إلا انطلاقا من مكوناتها البشرية والحيوانية والسلعية. وهو ما لا يتأتى إلا من خلال مراحل تشكلها الأولى. تتجلى هذه المراحل مع بداية التفاوض بين رئيس القافلة والتجار الذين يؤسس حجم سلعهم لحجم وأهمية وعدد الأعوان الذين يجب إلحاقهم بالقافلة. ولاشك أن التجارة ترتبط بأهمية الحركية التي يعرفها المحور الذي يتفق المتفاوضون على اتخاذه كمسار. إذ يجب أن لا ننسى بأن المعرفة الجيدة بمحور تنقل البضائع وقدرة القافلة ومؤطريها على اتخاذ المبادرات اللازمة عبر مختلف مراحل الرحلة ومستجداتها، يعد أمراً مدروساً منذ البداية. يعلم أصحاب السلع بأن الجانب الدفاعي يمثل

مقياسا أساسيا في التأطير للقافلة. فالجانب الدفاعي الحربي يرتبط مباشرة بخبرة رئيس القافلة المسؤول الأول عن حل المشاكل المختلفة والمكونات الدفاعية المأطرة لسير القافلة. من هنا فالانضمام إلى القافلة لا يتم إلا بعد استطلاع حقيقي لأهمية الرئيس و لمدى قدرته على تأمين وتنظيم عملية العبور إلى الضفة الأخرى للصحراء. يمثل المنيرون والحماة والتجار المكون البشري الذي يولى أهمية كبرى لرئيس القافلة ومعاونيه الأقربين. وهو ما يجعل من القافلة بنية متكاملة الأبعاد تعتمد العنصر البشري كمكون أساسي. عندما يأخذ الرئيس في اختيار معاونيه الأقربين، فإنه يكون بصدد الإعداد لبنية تنقلية تشمل علاوة على سابقي الذكر الصيادين وحاملي السلع. وهذا ما يكشف عن قدرة الرئيس المسبقة على تقدير العدد الكافي من العاملين انطلاقا من حجمها. وهو ما يدخل في إطار الادراك الفعلي لنوعية العلاقة بين الرؤساء والمرؤوسين داخل القافلة. وهو عامل هام يوضح أهمية إحكام التنظيم ومدى اقتناع الجميع بمشروعية دور الرئيس الفعلي للقافلة.

تمثل البضاعة العقدة الأساسية الأولى بين مالكيها ومنظم القافلة وحاميها. على أن أجرة الأعوان والحراس والعاملين والحماة لا ترتبط بنسبة الأرباح ولا بنجاح عملية العبور. عند التعاقد بين التجار ورئيس القافلة ما يشترط أساساً هو توفير السلم والأمن والغذاء الضروري والكافي لمدة العبور. هذه الشروط تطرح على الرئيس ضرورة توفير الغذاء دونما إخلال بقدرة الإبل على الحركية والسير بسرعة اعتيادية. فلا بد له من تجنب الاحمال الثقيلة التي تنهك الجمال أو تنقص من إيقاع السير. على أن الايقاع يرتبط أيضاً بنوعية المنطقة ومدى وعورة المسالك وكذا الظروف المناخية المصاحبة للرحلة.

وهو ما يمكن ترجمته بمدى قساوة المجال الطبيعي حيث تمثل الصحراء درجة عالية من الصعوبة الميدانية. إذا كانت القافلة تقتفي أثر مسلك قديم أو حديث فهي تتمتع بظروف أقل صرامة. أما إذا كانت تعتمد على مؤهلات المنير والقدرات الاستكشافية لرئيسها، فهي تعتبر في عداد العمليات الجريئة التي تلعب فيها المخاطرة دوراً كبيراً. خلال موسمي الصيف والشتاء لا يعرف المناخ تغيراً كبيراً يذكر. وهو ما لا ينطبق على فصلي الخريف والربيع حيث التقلبات المناخية على أكبر درجة من التفاعل.

تتجلى أهمية رئيس القافلة وطاقمه الدفاعي في القدرة على مواجهة مختلف أنواع المخاطر الممكنة خلال كل رحلة. لهذا فخلال كل رحلة يجب على الرئيس أن يقوم باستطلاعات وكشوفات مسبقة لترقب نوعية المخاطر المرتبطة بالظرفية السياسية والمناخية ونوعية التقلبات التي يمكن أن تلعب دوراً حاسماً في سرعة الرياح وتكون الكثبان الرملية على امتداد شهرين من السير. يطور الطاقم المحارب قدراته الدفاعية في مواجهة مختلف العينات من الأخطار المحدثة كالكمائن والوحوش الضارية ومناوشات بعض الحيوانات المفترسة التي تقتفي أثر القافلة لمدة طويلة. من المعروف لدى رؤساء القوافل أن القدرة الدفاعية للمحاربين تتناقص باستمرار بعد كل عملية دفاعية وعلى امتداد مراحل. والمؤكد أن هذه القدرة تصل إلى أقل مدى عند اقتراب القافلة من نقطة الوصول.

ومن بين الأمور التي على رئيس القافلة أن يأخذها بعين الاعتبار هو دور العمليات الدفاعية بعد كل هجوم في تعطيل السير. وهو تعطيل يؤثر بشكل كبير على وثيرة السير ويقلل من المسافة المقطوعة. ومن أهم المخاطر التي قد تؤدي إليها هذه الهجومات هو تيهان القافلة داخل الصحراء مما قد يتسبب في هلاكها في هذه الحالة يكون على الرئيس أن يوقف عملية السير لمدة يرسل خلالها الرواد إلى مختلف الاتجاهات مركزاً على أهمية الاستكشافات داخل الصحراء. وقد يتطلب هذا العمل معرفة كبيرة بقوة واتجاه الرياح ثم التأثيرات البحرية القريبة أو البعيدة ومدى ملوحة الأرض ونوعية النبات الذي يكشف عن الحدود المناخية بين الأقاليم والجهات الطبيعية.

على أن المصادفات قد تلعب أيضاً دوراً إيجابياً حين تلتقي قافلتان قادمتان من اتجاهين مختلفتين فتكون كلاهما بمثابة النفس التي تتنفس به الأخرى. تتحول القافلتان في تلك اللحظات إلى برهة لتبادل الأخبار والتداول في حيثيات العمل التجاري. يكون في نفس الوقت على رئيسي القافلتين أن يأخذا بعين الاعتبار وثيرة السير مما يحتم ضرورة التحكم في مدة اللقاء. وهكذا يكون بمقدور الرئيس أن يحسب وثيره السير ومدتها والتقلبات والأخطار التي حدت منها والتأخير الذي طرأ عليها. من بين هذه التقلبات والأخطار ضياع بعض الجمال الناقلة. وهو وإن لم يكن خسارة نهائية، فإن هذا الضياع يمثل عاملا مؤثرا على نفسية المسافرين وعلى وثيرة سيرهم. مهما سعى تجار القافلة ومرافقيها إلى الرفع من وثيرة السير، فإنهم في أمس الحاجة إلى استراحات بالمحطات الطرقية المعروفة من واحات وملاحات ومداشر طرقية. وهو ما يعني أن قدرة الرئيس على إنجاح العملية تتجلى أيضاً في مدى معرفته للمسالك وقدرته على ضبط عملية السير وتحديد أماكن وزمن الوقفات للاستراحة.

مصطفى ناعمي

القالة : مقياس من مقاييس الطول استعملها التجار المغاربة لقياس أطوال المنسوجات والأثواب المختلفة ومقدار طول القالة مأخوذ من قياس طول ذراع الإنسان أصلاً وقد وقع تحديد طول القالة بـ 55 سنتيم، وكان الذراع / القالة في بداية الاستعمال متفاوتا فلكل تاجر مقياس خاص به من خشب، وغالبا ما يلتجئ بعض التجار إلى استعمال ذراعه بدون أية وسيلة. وكان للذراع أجزاء منها "الشبر الكبير" : نصف الذراع، وهو البعد ما بين نهاية الإبهام والخنصر من أصابع اليد الممتدة ومقداره 27 سنتيم تقريبا، و"الشبر

الصغير" : تلث الذراع، ويسمى "فم الكلب" وهو البعد ما بين نهاية الإبهام ونهاية السبّابة من أصابع اليد الممتدة ومقداره 18 سنتيم تقريبا، كما يستعمل من الأجزاء "عرض الأصبع" ومقداره : 23 ملم تقريباً، وهو جزء من اثني عشر من الشبر.

وقد تنبه الملوك المغاربة إلى ضبط مقياس "القالة" لحفظ حقوق الناس على أيدي "المحتسب" الذي كان يراقب المقاييس والأوزان والمكاييل في الأسواق.

ومنذ العهد المريني حدّد الملوك المرينيّون طول القالة رسمياً، وأمروا بصنع صفحتين من الرخام الأبيض حددوا على كل منها المقياس بدقة، فوضعوا إحداهما قرب مارستان سيدي فرج في فاس بجانب مكتب المحتسب، وكان طول هذه القالة يبلغ 46 سنتيم وهي خاصة بتجار الأنسجة الصوفية التقليدية ولذلك تسمى "القالة الدرّازية" أو "القالة الإدرسية" نسبة إلى فاس التي بناها مولاي إدريس، وهذه القالة أصغر من الذراع. كما وضعوا القالة الثانية بجدار بسوق العطارين وطولها 55 سنتيم ويستعملها تجار الأجواخ القطنية والحرير والكتان ولذلك تسمى "القالة الكتانية" أو "القالة السوسية" تمييزا لها عن القالة الفاسية الإدريسية.

وفي العهد العلوي جدد السلطان مولاي سليمان بن محمد رخامة القالة سنة 1234 / 1819 وأثبتها على جدار أحد دكاكين الأقمشة في ساحة القبة بفاس القديمة، وهي قطعة مستطيلة طولها 55 سنتم وعرضها 35 سنتيم كتب عليها في سطرين بخط الثلث المغربي :

"الحمد لله، هذا قياس قالة القيسارية بالحضرة الإدريسية، حققها محتسب أمير المومنين مولانا سليمان نصره الله وأيده وخلد في الأنام وجوده، وذلك عام أربعة وثلاثين ومائتين وألف".

وقد استمر وجود هذه الرخامات في أماكنها بفاس حتى العقود الأخيرة وقد عاينها وصورها الباحث المستعرب : ألفريد بيل Alfred BEL فكتب عنها سنة 1917. وتعتبر الآن هذه القالات ضائعة نتيجة حريق شب في أسواق فاس خاصة في سنة 1945 فأتلفها.

وكان نظام القالة معروفا في عموم أسواق الأتواب بالمغرب حيث كان التجار يستعملون "الدرازية من 46 سنتيم عند قياس الأتواب الصوفية من الصناعة البلدية، ويستعملون "القالة الكتانية" أو "القالة السوسية" بطول 55 سنتيم عند قياس الأتواب المستوردة المصنوعة من القطن والكتان والحرير، ولكل قالة أجزاء هي : النصف والربع والثمن.

وقد استمر استعمال "القالة" بهذا المقياس في عموم الأسواق المغربية حيث يوضع على جدار في مكان عمومي لتضبط به "قالات" التجار، منذ العهد المريني في القرن الثالث عشر إلى العهد العلوي عند منتصف القرن التاسع عشر حيث وقع يومئذ اختلال في مختلف المقاييس بين التجار المغاربة والتجار الأجانب، وعرفت سجلات المخزن وحدات قياس جديدة ومماثلتها بالوحدات المغربية، كل ذلك نتيجة المستجدات التي عرفها هذا القرن بسبب التدخل الأجنبي بالمغرب وادخاله بالتدريج في دائرة النظام الاقتصادي الأوروبي بعد إبرام عدة معاهدات تجارية غير

متكافئة خاصة مع بريطانيا وفرنسا وإسبانيا وألمانيا، اضطر معها التجار المغاربة إلى استعمال وحدات القياس الأجنبية في الأطوال مثل "الياردة" و"القدم" من المقاييس الإنجليزية، كما استعملوا الوحدات الفرنسية المرتبطة بالنظام المتري.

وعند خضوع المغرب للحماية الفرنسية سنة 1912 أصبح استعمال "النظام المتري" مفروضاً بقوة القانون، وقد صدر ظهير سنة 1914 بالجريدة الرسمية بنفس السنة يهدف إلى توحيد المقاييس والمكاييل والأوزان، وصدرت المراسيم التنظيمية بموجب ظهير 1923 المنشور بالجريدة الرسمية لسنة 1925.

وفي مرحلة انتقالية وقع اعتبار الذراع 55 سنتيماً والقالة 56 سنتيما، ثم وقع ضبط القالة بصفة نهائية حيث أصبحت تساوي 50 سنتيم أي نصف المتر بعد تطبيق النظام المتري، وأصبح المتر وحدة لقياس الأطوال تدريجيا في مجموع البلاد، وله أجزاء ومضاعفات.

وما تزال القالة مستعملة عند تجار الأتواب إلى اليوم، على شكل مسطرة خشبية بطول 50 سنتيم، وضعفها هو المتر الذي يعتبر الوحدة الشائعة في الاستعمالات اليومية في تجارة الأتواب.

ع. أفا، نظام المقاييس والمكاييل والأوزان وتطورها نحو النظام المتري، انظر كتاب *فكر وتاريخ* ضمن منشورات كلية الآداب بالرباط، طبعة 1998، ص. 185 ـ 200 ؛ م. المنوني، *ورقات عن حضارة المرينيين*، منشورات كلية الآداب بالرباط، 1996 ؛ روجي لوتورنو، *فاس قبل الحماية*، تر. محمد حجي ومحمد الخضر، مطبعة دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص. 404 ؛ ظهير تنظيم المقاييس الصادر *بالجريد الرسمية بتاريخ 26 مارس 1914* ؛ ظهير المراسيم التنظيمية الصادر *بالجريدة الرسمية، عدد 645، سنة 1925*، ص. 406.

Bel Alfred, Inscriptions arabes de Fès, *Journal asiatique*, t. 9, p. 312, 197.

عمر أفا

القانون من بين الآلات الوترية المستخدمة في الموسيقى الشرقية. حمله العرب الفاتحون إلى المغرب والأندلس حيث أطلق عليه اسم القانون حينا، والسنطير أو السنطورآنا آخر.

ذكره الشقندي المتوفى عام 629 تحت اسم القانون، وبعد سنوات قليلة ذكره ابن خلدون وأتى في نعته بما يجعله أقرب إلى هيئة العود منه إلى صورة القانون كما نعرفه اليوم. وقد تجدد ذكره مع محمد بن الطيب العلمي، ومحمد الضعيف باسم السنطير، ثم تلاهما التادلي في مطلع القرن الرابع عشر فأسماه القانون.

وهذه الآلة عبارة عن مربع منحرف من خشب، ضلعه اليسرى أطول من اليمنى، وجهه مصنوع من الأرز أو الكرگاع، وعليه فتحات تغطي عليها شماساتٌ من عود رقيق، وتغطي سفلاها قطعٌ من الجلد.

وللقانون 78 وتراً تمتد على طوله، أطرافها مربوطة باللوالب، وتجري تسويتها بواسطة قطعة معدنية شبيهة بمفتاح الساعة الدقاقة تسمى "الساروت".

ويتم العزف على الآلة بواسطة ريشة من قرن الحيوان تدس بين السبابة وبين حلقة نحاسية مولجة في كل من يدي العازف.

ويبدو أن استعمال القانون كان شائعا في العصور المتأخرة بين أرباب الطرب الغرناطي بالرباط، يدل على ذلك شهادة التادلي الذي منح هذه الآلة المرتبة الرابعة من بين أحسن آلات الطرب، كما يدل عليه مشاهدة سجلها محمد الضعيف في كتابه عندما قال : في ليلة الأحد 17 صفر عام 1226 بعث السلطان المولى سليمان في طلب الحاج أحمد بن الطيب بناني، فطلع عليه لأنه يعرف ضرب السنطير مع الآلة، فبات يضرب السنطير مع العود والرباب.

وقد ظلت هذه الآلة ملازمة لجوق الطرب الغرناطي إلى أن تحول استعمالها إلى أوساط موسيقى "الآلة" الأندلسية على يد الفنان الرباطي المعلم أحمد بن المحجوب زنيبر الذي كان يجيد الفنين معا.

وعلى حين يستخدم القانون ـ على ندرة ـ في أجواق موسيقى الآلة حيث تُسوى أوتاره وفق نغمات الطبوع الأندلسية، فانه يُعتبر من الآلات الرئيسية في الأجواق المغربية العصرية، وهذا تقليد شرقي قديم تسرب إلى هذه الأجواق من التخت المصري منذ بدايات القرن العشرين.

وممن اشتهروا في العزف على القانون بالمغرب : المعلم أحمد بن المحجوب زنيبر، وسليم عزرا، والمكي فرفرا، وأبو بكر الطالبي، وصالح الشرقي، ومولاي إدريس الوزاني.

إ. التادلي، *أغاني السقا ومغاني الموسيقى* ؛ ابن خلدون، *المقدمة*، المكتبة التجارية بمصر، ص. 424 ؛ الضعيف، *تاريخ الضعيف*، تح. محمد العماري، ص. 370 ؛ محمد بن الطيب العلمي، *الأنيس المطرب* ؛ صالح الشرقي، *أضواء على الموسيقى المغربية* ؛ المقري، *نفح الطيب*، ج 2، المطبعة الازهرية المصرية.

عبد العزيز بن عبد الجليل

القايد، المخزن ـ (الدولة أو السلطة) ـ في المغرب، تعود أصوله إلى العهد الموحدي (500 / 1130 ـ 646 / 1266)، فقد بنى المهدي ابن تومرت مشروع دولته على النظام القبلي البربري الذي كان سائداً في منطقة المصامدة، وخاصة نظام "أگادير وإغرم" والتي أعطت ترجمتها إلى العربية مصطلح (مخزن)، وقد استكمل هذا النظام تطوره ونموه في عهد الخلفاء الموحدين الأوائل ـ (فترة القوة السياسية) ـ فكانت الإدارة الترابية في هذا النظام وعلى امتداد الأمبراطورية الموحدية أكثر انضباطاً وأمناً بالمقارنة مع ما سبقها وماحقها من دول ؛ كانت الأمبراطورية الممتدة على قارتين تدار بصفة مركزية من العاصمة مراكش، منها كانت تصدر الأوامر والقرارات إلى الجهات والمراكز، وفيها تتجمع المعطيات والمعلومات ؛ وقد اعتُمد في ذلك على التراتبية

المخزنية الصارمة ـ (التسلسل الإداري) ـ وعلى التقطيع الإداري للمغرب الموروث عن الأدارسة حيث تم اعتماد نظام الجهات والولايات والعمالات والأقاليم ووضع على رأسها أمراء الأسرة الحاكمة وأعيان العصبية القبلية المتغلبة (السيد والشيخ). وإلى جانب حكام الجهات والمراكز عين الخلفاء الموحدون عدداً من الأطر المكونة والمدربة في العاصمة مراكش، توجه إليهم الخطابات والأوامر مثلهم مثل السادة والأشياخ، وهم الطلبة والحفاظ الذين كانت مهامهم أحيانا أخطر من مهام الولاة والعمال إضافة إلى المناصب الأخرى التي اتخذت ألقاب ومصطلحات خاصة بالعهد الموحدي مثل المشرف، وصاحب الأشغال، وقائد الأسطول وصاحب الصلاة الخ...

أما مصطلح قائد فكان مصطلحاً عاماً لا يفهم إلا بالصيغة المصاحبة كما ألمحنا : قائد الجند قائد المحلة، قائد معركة أو غزوة أو (حركة) الخ .. ولم ترد في مصادر العصر الوسيط كلمة قائد قبيلة بل كان المصطلح الشائع في القبائل البربرية هو أمغار وفي القبائل العربية الشيخ وحتى رسائل التعيين أو التقديم التي كان ينصب بها المخزن الموحدي الولاة والعمال والقضاة وأشياخ القبائل كانت خالية من المصطلحات : "... والآن ولله الحمد على ما أمدنا به من الإعانة والإنجاد وسرنا إليه من أعمال الإصدار في تمشية المصالح والإيراد فقد انهضنا العسكر المبارك ... صحبة من تخيرناه من الموحدين مع أبي فلان الذي قدمناه لأشغال العرب وأهلناه لنصحه في خلوصه إلى أكرم الرتب ..." وفي المصادر العربية الوسيطية وردت كلمة أشياخ ورؤساء القبائل "... وأمر للعرب ببركتهم فخرج للفارس الكامل منهم 25 ولغير الكامل 15 ديناراً ... وخرج لأشياخ العرب لكل شيخ منهم 50 ديناراً ولكل رئيس منهم على قبيلة 200 دينار ...".

ولم تتغير الوضعية خلال العهد المريني إذ حاول سلاطينهم تقليد المخزن الموحدي في نظامه وسياسته مع إضافة بعض التعديلات والمستجدات خاصة التأثيرات الأندلسية، وقد عمد المرينيون إلى التوسع والمبالغة في سياسة الإقطاعات حتى أنها أضرت بالرعية وبالمخزن المريني ونفس الضرر ألحقته سياسة ما يشبه نظام الالتزام عند العثمانيين في توزيع المناصب الإدارية السياسية ومنها شيوخ القبائل والولاة والعمال.

ولم يغير السعديون بعدهم كثيراً في نظام المخزن الموروث ما عدا بعض الشكليات التي مست النظام العسكري ومصدرها التأثيرات العثمانية. أما في العهد العلوي وخاصة في القرون الثلاثة الأخيرة فإن مصطلح القائد (القايد) بدأ يحل محل شيخ أو رئيس القبيلة، وحملت ظهائر التعيين هذه الصفة : "... خديمنا الأرضى القائد محمد بن عمر البحتري ... وبعد وصلنا كتابك وعرفنا ما فيه وعلمنا ما طلبته من تخليف أخيك الطالب عيسى على النيابة عنك في القبيلة ... وقد أذنا لك في تخليف أخيك بكتاب شريف خاص ...".

هذا التطور في مصطلح القائد وفي مضمونه نتج عن الوضعية الجديدة لساكنة المغرب فقد تنوعت بدخول القبائل العربية الهلالية والمعقلية إبتداءً، من (ق 6 / 12) وامتزاجها بالقبائل البربرية وبباقي العناصر المكونة للمجتمع المغربي لتعطي أحلافاً وتجمعات قبلية كان على رأسها كبير الشيوخ أو شيخ الشيوخ أو رئيس القبيلة الذي كان يختار حسب أعراف وتقاليد القبائل، وتتم تزكيته وتثبيته في المنصب بظهير تعيين من المخزن. وكان (القائد) يختار من بين أعيان القبيلة المتميزين بالشجاعة والحكمة وحصافة الرأي والمعرفة والعلم والثروة والجاه، وقد تتجمع كل هذه الصفات في شخص وقد لا يتوفر إلا على بعضها أو الحد الأدنى منها ؛ وفي القرون الأخيرة كان معظم القياد أميين ومنهم من لا ينتمي إلى القبيلة لكن شخصيته القوية وتسلطه أهلاه ليكون في خدمة المخزن لتحقيق مصلحته الخاصة قبل كل شيء.

هذا على مستوى المصطلح أما على مستوى المضمون فقد انتقلت سلطة القايد وممارساته من القبيلة إلى مجموعة قبائل وكانت مناطق نفوذه تتسع وتضيق بحسب قوته ورضا المخزن عنه، وتتداخل مهامه وتتطور بحسب شخصه وقوته وتسلطه حتى أن بعض القياد في بعض المناطق والفترات فاتت قوتهم وجبروتهم الولاة والعمال وأحياناً السلطان نفسه : "وفي سنة 1166 استقر السلطان مولانا عبد الله بداره بدار الدبيبغ وضعف نهوضه عن الحركة وظهر في الغرب القائد عبد الله السليماني المعروفي من سفيان وظهر في بني مالك القائد الحبيب المالكي ... واشتهر صيتهما وخمدت نار مولانا عبد الله ولا بقى له سوى مرسى تطوان كان يقبض منها العشور".

وتعامل المخزن بدوره خاصة في فترات قوته ـ مع بعض (القياد) الأقوياء بالشدة تارة وبالمرونة في أغلب الأحوال، فكان يتدخل في كل صغيرة وكبيرة من شؤون قبائلهم حتى أنه انتزع منهم مسألة تعيين الشيوخ، وفي بعض الجهات عمد إلى تفتيت مناطق نفوذ بعض "القياد" وجعلها قيادات صغيرة وفي جهات أخرى قام بالعكس ؛ أما في فترات الضعف فيصبح طغيان القياد هو السائد ولا يستطيع المخزن أمامهم أي شيء، وقد استفحلت الظاهرة لما أصبح المغرب محط صراع القوى الأمبريالية وبعدما تأكد ضعف المخزن بل وعجزه أمام القوات الفرنسية في معركة إيسلي والإسبانية في معركة تطوان، وأصبح القياد سلاطين في مناطقهم مثل قياد الجنوب المشهورين. وتصرف معظمهم حسب مصلحته فهو مع من يحققها له سواء كان المخزن أم الأجنبي وأصبحت ظاهرة "القياد" في المغرب تستأثر باهتمام الباحثين المغاربة والأجانب ومنهم مؤرخون وعلماء الاجتماع الذين اشتغلوا بتصنيف المجتمعات وأنماط الإنتاج فوجدوا المغرب يشذ عن تصنيفاتهم المعروفة فأدخلوه في خانة خاصة هي : المجتمع

"القيادي" ونمط الإنتاج القيادي، ومازال البحث في الظاهرة يستهوي الكثير من الدارسين.

القياد اليوم لا علاقة لهم بالنظام السالف الذكر إلا من حيث الشكل فهم أدوات رئيسية في يد المخزن لإدارة الدائرة الترابية حضرية كانت أم قروية وتحتهم أدوات فعالة لا يستقيم أمرهم إلا بها ونعني. الشيخ و"المقدم" أو "الجاري" تحت وصاية وزارة الداخلية.

ليفي بروفنصال، *رسائل موحدية مرصية*، الرباط، 1941، 1 ص. 466 ؛ أحمد عزاوي، *رسائل موحدية جديدة*، كلية الآداب، القنيطرة، الطبعة الأولى، 1995 ؛ ابن صاحب الصلاة، *المن بالامامة*، بيروت، 1965، ص. 437 ؛ الضعيف الرباطي، *تاريخ الضعيف*، تح. العماري، الرباط، 1986، ص. 156 ؛ خالد الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1955 ؛ تأليف مشترك *تاريخ إقليم آسفي*، القائد عيسى بن عمر، ص. 271 ـ 332 ؛ مصطفى فنيتر، *قواد الجنوب الكبار*، د د ع، كلية الآداب، الرباط، 1988.

Brignon [et al.], *Histoire du Maroc*, Paris, 1967 ; P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*, Tanger, 1977 ; R. Montagne, *Les berbères et le Makhzen...*, Paris, 1930

محمد حجاج الطويل

القائد، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Alcalde ؛ ومازالت باسبانيا أسر تحمل اسم Alcaide ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1219 / 1804.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

القائد (ابن ـ) **إبراهيم** الأندلسي المراكشي المكناسي التونسي، اشتهر بثقافته الطبية العالية، عاش بمدينة مكناس وكان على صلة بالسلطان مولاي إسماعيل، بل يعد من أقرب أطبائه، يطري عليه عبد الرحمن ابن زيدان في *الإتحاف* بقوله : "طبيب ماهر، حكيم عظيم الشأن من أجلاء الحكماء المتقنين الكاملي المهارة الملازمين لمولاي إسماعيل المرجوع إليه في المعضلات من الداء، وكانت مسائله كلها متقنة". كان يدرس الطلبة شؤون الطب، وكانت له بمكناس حانوت يقصدها المرضى لطلب العلاج والدواء الذي كان يصنعه بيده، أو للسؤال عن مسائل طبية.

انتقل إلى تونس ولا يعرف سبب لذلك، واتخذ بها حانوتا للتطبيب، وسمى نفسه هنالك محمد الأندلسي.

ولا يُعرف شيء عن وفاته ولا عن مؤلفاته.

ومن أبرز تلاميذه عبد القادر بن العربي ابن شقرون المكناسي (ت. 1140 / 1727) الذي نبغ في الطب، أخذ عنه علم تركيب الأدوية ومعالجة المرضى، وهو صاحب أرجوزة الشقرونية في الطب التي تناول فيها الأدوية والأغذية النافعة وأنواع الثمار واللحوم وما إلى ذلك، وقد اشتهرت هاته الأرجوزة وأصبحت متداولة بين أيدي الخاصة والعامة من الناس.

ع. ابن زيدان، *إتحاف*، الرباط، 1933، 1 : 264 ؛ د. رينو، *الطب والأطباء بالمغرب*، صحيفه معهد الدراسات الشرقية، 1937، 3 : 89 ـ 99.

رقية بلمقدم

ابن **القائد، صالح** بن عبد القادر كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلة بني سعيد انظم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان برأسها الشريف سيدي امحمد أمزيان ضد التدخل العسكري الإسباني بناحية الناظور، وقد شارك في عدة معارك كانت آخرها المعركة التي جرت بقبيلة بني سيدال يوم 14 أكتوبر 1911 وقد استشهد فيها.

أعمال ندوة الشريف أمزيان والمقاومة المسلحة في الشمال الشرقي، (1909 ـ 1912) تطاون، 1996.

محمد ابن عزوز حكيم

القائم بأمر الله السعدي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن علي الملقب بالقائم بأمر الله السعدي، جدّ الشرفاء ملوك الدولة السعدية، ولد في منطقة درعة وبها نشأ على العفاف والصلاح، وحج بيت الله الحرام حيث لقي جماعة من العلماء الأعلام، واشتهر باطلاعه الواسع على شؤون الدين والدنيا، ونظرا لصفاته الحميدة اكتسب شهرة بين سكان منطقة سوس وخاصة بتاگمدارت حيث كان يعمل مؤذنا بزاويتها.

لما فشلت ريح بني وطاس في أوائل القرن العاشر الهجري (16 م)، اتفق أهل السوس بما فيهم فقهاء المصامدة وشيوخ القبائل على تقديم البيعة له بعد أن رفضها الفقيه محمد بن مبارك الأقاوي (ت. 924 / 1518)، فلبى دعوتهم وجاء معهم إلى قرية تدسي قرب تارودانت فبايعه الناس بها سنة 916 / 1510 واتفقوا معه على مجاهدة النصارى وطرد الغزاة من السواحل المغربية المحتلة. وبعد ذلك اشترط عليهم شرطا أساسيا، وهو أن تقوم كل قبيلة من القبائل ارتضت بيعته بتقديم عشرة أشخاص مجهزين بكامل الأسلحة والعتاد. فقبلوا ذلك وهيئوا له 500 رجل مجهزة (50 قبيلة) كانت بمثابة النواة الأولى للجيش السعدي.

أول ما قام به القائم بأمر الله هو مواصلة عمليات الجهاد ضد الغزاة الأجانب، فكانت أولى عملياته الجهادية ضد البرتغاليين المقيمين بمرسى فونتي، فحالفه النصر واعتبر الناس ذلك من يُمْن الدولة الناشئة. ولما كان القائم بأمر الله شيخا مسنّا أقدم على تقديم البيعة لابنه الأكبر المولى أحمد الذي أصبح يلقب في المصادر البرتغالية بملك سوس.

واصل القائم بأمر الله مع ابنه أحمد عمليات الجهاد، ولم ذاع صيته في البلاد طلبه سكان الشياظما وحاحا للانتقال إليهم نظرا لاكتوائهم ـ هم كذلك ـ بنار البرتغال، فلبّى طلبهم وانتقل إليهم مسرعا هو وولي عهده أحمد الأعرج وذلك سنة 1513 واستقر بآفغال من بلاد حاحة، وترك ولده الأصغر محمد الشيخ بالسوس يرتب الأمور ويمهد المملكة ويباكر العدو بالقتال ويراوحه.

استمر القائم بأمر الله بمكانه من آفغال محترما مسموع الكلمة، إلى أن توفي به سنة 923 / 1517 فدفن هناك بجوار قبر الشيخ الجزولي. وفي حدود سنة 930 / 1525 عندما دخل أحمد الأعرج إلى مدينة مراكش نقل جثمان أبيه القائم بأمر الله والشيخ الجزولي إليها.

م. القادري، *نشر*، 1 : 369 ؛ أ. الإفراني، *النزهة*، تح. ع. الشاذلي، ص. 40 وما بعدها ؛ الناصري، *الاستقصا*، 5 : 7 ؛ ع. المراكشي، *الإعلام*، 5 : 111 ؛ إ. حركات، *المغرب*، 2 : 274.

مارية دادي

القباب(مركز -) تجمع سكني على بعد 30 كلم جنوب شرق خنيفرة. تقع على ارتفاع 1249 م فوق سفح متقطع ينحدر في اتجاه الضفة اليمنى لواد سرو. يمكن ولوجه باستعمال طريق ثانوية تنطلق من الطريق الرئيسية رقم 33. شكل إلى مطلع القرن العشرين أحد تلك التجمعات المتميزة للدّير مثل زاوية آيت إسحاق وزاوية الشيخ وغيرهما ؛ وكان عبارة عن قصر يعمره سكان من أصول مختلفة وصل عددهم في نهاية العقد الثاني من القرن العشرين إلى 1500 نسمة. كان للمركز إشعاع ثقافي وديني عن طريق شرفائه ونشاط تجاري عن طريق سوقه الذي ينعقد يوم الإثنين.

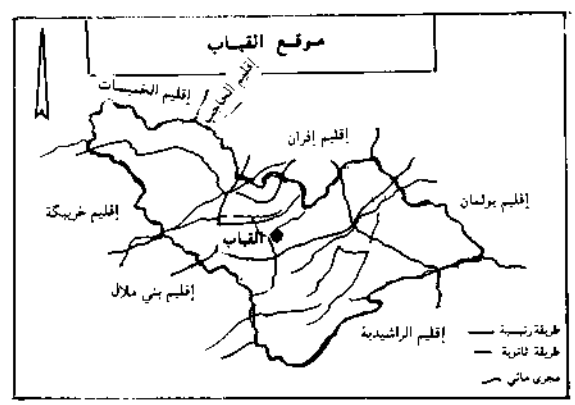

تأثر المركز بوضعية عدم الإستقرار التي دامت عدة سنوات خلال عمليات اكتساح جيوش الاستعمار للمنطقة في العشرينيات من القرن العشرين ولعل ذلك هو السبب في استقرار عدد سكّانه إن لم نقل تراجعهم. ففي 1936 لم يصل هذا العدد سوى 1341 نسمة أي أقل مما تحدث عنه بيروني Peyronnet.

وقد عمل استتباب الأمن منذ الثلاثينيات من القرن العشرين، واتخاذ المركز كمقر لمكتب شؤون الأهالي (Bureau des Affaires Indigènes) أيام الاستعمار وكمقر للقيادة وللدائرة في التقسيم الإداري الخاص بإقليم خنيفرة منذ نشأته، وكمقر للخدمات الأساسية (التعليم، الصحة ...) على نموه فساكنته تضاعفت بـ 3,12 مرة بين 1936 و1971 وبحوالي مرتين بين 1971 و1994.

وأصبحت كما ورد أعلاه تمثل أكثر من نصف ساكنة الجماعة بعدما لم تكن تمثل منها سوى 35,8٪ في 1971 و24,3 فقط في 1936.

لكن عزلة هذا المركز وضيق إمكانياته فيما يخص التشغيل وضعف الرواج تشكل اليوم عوامل أزمة نستشفها من التباطؤ الذي سجله النمو الديموغرافي منذ السبعينيات. فإذا كان هذا المعدل قد وصل إلى 4,3٪ خلال الفترة 1960 ـ 1971، فهو قد نزل إلى 3,66٪ خلال الفترة 1971 ـ 1982. ولم يسجل سوى 2,22٪ خلال الفترة 1982 ـ 1994.

ـ *الإحصاءات العامة للسكان والسكنى*، 1960 ـ 1971 ـ 1982 و1994.

Ministère de l'Agriculture, du Développement Rural et des Pêches Maritimes, *Recensement Général de l'Agriculture, Résultats par commune, Région : Fès - Boulemane, Meknès - Tafilalet, Oriental, Taza - Al Hoceïma - Taounat*, Direction de la Programmation et des Affaires Economiques, Rabat, Janvier 2000.

محمد كربوط

القبالة هي في الأصل، الضريبة التي تُدفع لبيت المال. وأطلق هذا اللفظ على الضرائب الزائدة على ما يقضي به الشرع. وكانت الكلمة تستخدم في المغرب والأندلس للدلالة على الضرائب التي كان يؤديها أهل الحرف أو بائعو السلع الرئيسية.

وتعني، كذلك، كراء أرض فلاحية بقدر معلوم من المال، ينعقد بواسطة المزايدات العلنية. فالمتقبلون، هم عبارة عن مستثمرين وسطاء يكترون الأرض، ثم يُسندون العمل فيها لغيرهم مقابل أجر نقدي أو عيني، ويحققون بذلك الربح.

دوزي، *القواميس العربية*، ج 2، ص. 305 ـ 306 ؛ ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة*، ص. 166 ؛ ابن القطان، *نظم الجمان*، ص. 193 ؛ أ. الطاهري، *عامة قرطبة*، ص. 92.

المصطفى البوعناني

القبّاب، أسرة من الأسر العريقة بمدينة مكناس الذين ورد ذكرهم في ديوان تحقيق أنساب وأحساب ساكني العاصمة الإسماعيلية المؤرخ بـ (1121 / 1709) وفيه تمت الإشارة إلى أن أولاد القباب المكناسيين أندلس من المرية.

وقد اشتهر بنو القباب المكناسيون بالمروءة والحياء، والنسك والعلم، إذ يذكر ابن زيدان في *إتحاف أعلام الناس* أن محمد القباب كان من العلماء المدرسين بالجامع الأعظم الذين يقبضون المرتب العلمي حسب ما جاء في سجل الأحباس بتاريخ (1149 / 1736) كما يشير ضمن قائمة العلماء المبرزين إلى العالم الشيخ عبد الجليل بن عبد السلام القباب. ويذكر الفقيه محمد العرائشي أن محمد بن محمد القباب كان له مكتب في حومة صدراتة يدرس فيه الصبيان القرآن. ومازالت هاته الأسرة موجودة بمكناس إلى الآن، وانتقل بعض من أفرادها إلى الرباط واشتغلوا بالتدريس وبالمحاماة في الغالب. ولا أحد يشير إلى العلاقة بين أسرة القباب المكناسية وأسرة القباب الفاسية.

فأسرة القباب في مدينة فاس يصعد تاريخهم إلى عهد إسماعيل ابن الأحمر الذي أشار إلى أنهم ربما كانوا من البربر ويضيف : "وهم من الأندلس الواردين على أمير المومنين إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل، وكانت ديارهم بالجميزيين من فاس الأندلس حيث اليوم المقابر داخل باب

الفتوح، وكان بعضهم يسكن بسويقة مغراوة، وتعرف ديارهم بديار القبابين.." كما ينعتهم بأنهم "بيت فقه وعدالة وعلم وثروة" وأنهم كان يملكون أجنة بخندق التمر. وأن عقبهم قد انقرض. وينبه إلى أنهم ليسوا من بني القباب أهل الحرفة وهذا يعني أن هناك بيتين لبني القباب في مدينة فاس. وهذا ما أكده عبد الكبير بن هاشم الكتاني (1263 ـ 1350 / 1846 ـ 1931) الذي ذكر أن أولاد القباب قحطانيون وقال : "اعلم أن بيتهم قديم بفاس، كانوا أهل علم وثروة، وقدموا على فاس من قرطبة أيام مغراوة (في حدود القرن 5 هجري) واستوطنوا عدوة الأندلس منها، ولازالت أجناتهم منسوبة إلى الآن، منها القبابية بخندق التمر، ومنها بداخل باب الفتوح ديارهم، كانت تعرف بالقبابيين ... أما الموجود الآن من أولاد القباب فلا أدري هل من بيت الأول أو الثاني" ويضيف ابنه محمد بن عبد الكريم الكتاني (1295 ـ 1362 / 1878 ـ 1943). "ومازالت بقية منهم بفاس من سكان الجزيرة وحومة الأقواس ،جلهم يحترفون الخرازة والنجارة، وفي عهدي كان أحد منهم بالقبابين .."

واعتمادا على كناشة لبعض علماء فاس يؤكد الكتاني أن بني القباب أندلسيون وأن خلفهم يسكنون بحومة فندق اليهودي ويضيف : "والغالب على الظن أنه لازالت بقية من أولاد القباب لهذا العهد".

إ. ابن الأحمر، *بيوتات فاس الكبرى*، الرباط، 1972، ص. 44 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، ط 2، 1990، 4 : 303 ؛ *العز والصولة*، الرباط، 1962، ص. 182 ؛ م. الكتاني، *تحفة الأكياس*، الدار البيضاء، 2002، ص. 444 ؛ ع. الكتاني، *زهر الأس*، الدار البيضاء، 2002، ص. 100 ـ 102.

رقية بلمقدم

القبّاب، أحمد بن محمد ولد بمدينة فاس عام 724 / 1324 في وسط مغمور ويظهر من خلال لقبه أن أحد آبائه امتهن صناعة القباب وهي نوع من الهوادج، والراجح أنه التحق بالدراسة بجامع القرويين أو الأندلس بين 742 و744 / 1342 ـ 1344 حيث كان سنه بين 18 و20 سنة لينهي دراسته بين 747 و749 / 1346 ـ 1349 ، بمعنى أن دراسته العليا كانت على عهد السلطان أبي الحسن المريني 731 ـ 749 / 1331 ـ 1349 ويظهر من عناصر ترجمته كما ورد عند تلميذه يحيى السراج أنه "ولي قضاء جبل الفتح ثم تأخر عنه واشتغل بتدريس مختصر البرادعي بالمدرسة البيضاء (مدرسة فاس الجديد)، وبقراءة كتاب الموطأ بالجامع الأعظم من مدينة فاس ... ثم زهد وانقبض وصحب الصالحين وآثر الزهد ..." وإذا حاولنا تقصي هذه الأخبار ورصدها في الزمن بالاعتماد على عناصر أخرى، منها اتصاله بابن الخطيب الذي ترجم له، في الإحاطة واتصاله بأبي العباس أحمد بن عاشر في مدينة سلا يتضح أن الرجل زار مدينة سلا أو هو يمارس الشهادة (عدل) بفاس مدة إقامة ابن الخطيب عام 761 / 1360 على الأرجح وهو ما تؤكده *رسالة الطريقة لذم الوثيقة* التي انتقد فيها لسان الدين ابن الخطيب مهنة الشهادة نقدا لاذعا لا لشيئ إلا لاعتذار القباب عن ضيافة ابن الخطيب حين زيارته لمدينة سلا الشئ الذي أغضبه فكتب مستفزاً القباب الذي تعفف في الإجابة، وكان وصول القباب لمدينة سلا في ..." غرض اختيار واستطلاع أحوال سلطانية" بمعنى أنه وصل المدينة في مهمة مخزنية ربما من قبل السلطان أبي سالم إبراهيم. ودخل غرناطة بعدها أي عام 762 / 1360 مبعوثا من نفس السلطان. وهذا الاتصال مؤكد أنه وقع 761 / 1360 لأن دخوله غرناطة عام 762 / 1360 رتبه ابن الخطيب بعد هذا التاريخ، وابن الخطيب أقام بسلا بين 761 و763 / 1360 ـ 1362 وربما خلال زيارته لسلا 761 / 1360 اتصل بابن عاشر كما اتصل بقاضي المدينة العقباني.

في عام 762 / 1360 سافر في مهمة إلى غرناطة تتلخص في إيصال صدقة السلطان أبي سالم إبراهيم عهد بها لبعض الربط.

بعد 762 / 1360 تنقطع أخباره إلى 773 / 1372. يقول صاحب بلغة الأمنية ..."ولي قضاء سبتة، ودرس بها بمسجد زقاق ابن عيسى الأعلى ... كان شديد السطوة في أحكامه مغلظا على الظلمة مهينا لهم، وتخلى عن القضاء... وانصرف إلى بلده فاس وذلك في أواخر عام 773 / 1372. إذن بعد الاختفاء من ساحة الخدمة المخزنية بعد 63 / 1362، تظهر أخبار القباب من جديد كقاض بسبتة بعد تخليه عن خدمة بني مرين إثر وفاة أبي سالم سنة 762 / 1360، صاحب خلالها الزهاد وعلى رأسهم أحمد ابن عاشر المتوفى بسلا سنة 765 / 1363 ليعود إلى خدمته من جديد، ويصادف تخلي القباب عن قضاء سبتة سنة 773 / 1372 بقصد التوجه إلى المشرق لأداء فريضة الحج دخول لسان الدين بن الخطيب المغرب طالبا اللجوء لأبي فارس عبد العزيز. وفي طريقه اتصل بمحمد بن عرفة الورغمي بتونس، والراجح أن هذا الاتصال تم خلال عام 774 / 1373.

وانقطعت أخبار الرجل مرة أخرى إلى أن استقر الوضع في المغرب على يد المستنصر بالله أحمد بن سالم 776 ـ 786 / 1375 ـ 1385 فتذكر المصادر أنه تولى الخطابة بالجامع الأعظم أي بالمدينة البيضاء (فاس الجديد) خلال ذي الحجة عام 778 / 1377 ليلتحق بالرفيق الأعلى بعدها سنة 779 / 1378 على أرجح الأقوال.

فالقباب عاش 55 عاما عاصر خلالها 10 سلاطين : وقد سجلت المصادر خدمته لأبي سالم وأبي فارس المستنصر، فهل مد وجزر القباب في خدمة السلاطين حكمته قوتهم وضعفهم ؟.

خلف القباب آثارا قليلة وشارك في نقاشات فكرية تدل على رسوخ قدمه في العلم ومعظم آثاره فقهية ذات لمسات صوفية وهي :

1 ـ شرح ببوع ابن جماعة.

2 ـ شرح قواعد الإسلام للقاضي عياض.

3 ـ اختصار أحكام النظر لابن القطان.

4 ـ فتاوي متفرقة في المعيار للونشريسي، وجامع الأحكام للبرزلي.

5 ـ ناظر العقباني.

م. الحضرمي، *السلسل العذب والمنهل الأحلى*، القاهرة، ج. 1، المجلد 10 ؛ ابن الخطيب لسان الدين، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، تح. عبد الله عنان، القاهرة، 1973 ؛ مثلا الطريقة في ذم الوثيقة، تح. عبد الوهاب بنمنصور، دار المنصور، الرباط ؛ مجهول، *بلغة الأمنية*، تح. عبد الوهاب بنمنصور، المطبعة الملكية، الرباط 1984 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، تح. عبد الوهاب بنمنصور، الرباط، 1973 ـ 1974 ؛ أ. ابن قنفذ، *أنس الفقير وعز الحقير*، تح. محمد الفاسي وأدولف فور، الرباط، 1965 ؛ *الوفيات*، تح. عادل نويهض، بيروت 1980، ط. 3 ؛ يحيى السراج، *فهرسة*، مخطوط الخزانة العامة بالرباط، ك 339 ؛ أ. المقري، أزهار الرياض، تح. جماعي، الرباط ؛ كريم اعميراش، *شرح بيوع ابن جماعة*، رسالة جامعية لنيل د. د. ع. بالرباط

إبراهيم أنوار

القبّاب، الشيخ الصوفي الكبير عبد الله بن حُسَيْن، المشهور عند عامة أهل درعة وخاصتهم بسيدي عبد الله بن حسين القبابْ ويعرف في كتابات الناصريين بسيدي عبد الله بن حسين الرقّي، حيث تذهب هذه الكتابات إلى أن أسلاف سيدي عبد الله بن حسين، نزحوا من الرقة بالعراق إلى المغرب حيث استوطنوا زاوية سيدي الناس بواحة فزواطة بدرعة إلا أن الفقيه الحسين الشرحبيلي، وهو أحد كبار أتباع الشيخ أحمد بن ناصر، يؤكد بأن أسلاف سيدي عبد الله بن حسين الركي قد نزحوا من واد الرّگ، بالسفوح الجنوبية لجبل وگنات إلى درعة ولعل ما يرجح هذا الرأي هو تلك الهجرات المتكررة لسكان واد الرگ إلى وادي درعة على مر العصور.

ولد سيدي عبد الله بن حسين القباب بزاوية سيد الناس بضاحية قصر تامگروت بواحة فزواطة، في زمن غير معروف خلال العقود الأخيرة من القرن العاشر الهجري (16 م). ولم يتجاوز تعليمه حفظ كتاب الله، إلا أنه كان طيلة حياته يحرصُ على مجالسة العلماء ويحضر مجالس العلم.

تأثر سيدي عبد الله بن حسين القباب بالجو الصوفي السفعم بحلقات الذكر وحلقات الوعظ بمختلف زوايا واحة فزواطة خلال النصف الثاني من القرن العاشر الهجري (16 م) وردحا من القرن عشر (17 م)، فنشأ نشأة صالحة وكان يميل منذ شبابه المبكر إلى عبادة ربه والتحلي بالإعراض عن الدنيا كلية والاكتفاء من نعمها بما يسد رمقه في ورع وزهد تامين، بحيث كان مضرب الأمثال بهذا السلوك الذي يذكر بكبار المتصوفة في القرون الخوالي. فقد كان قوت يومه لا يتجاوز ثنتي عشرة تمرة ولقم من الحساء.

وبعد ما أسس سيدي عمرو بن أحمد الأنصاري، زاوية تامگروت سنة 983 (هذه الزاوية التي سيعرفها التاريخ ابتداء من أواسط القرن الحادي عشر الهجري (17 م) بالزاوية الناصرية) انتقل سيدي عبد الله بن حسين القباب صحبة سيد عمرو بن أحمد إلى الزاوية الجديدة بتامگروت.

ورغم أن الزوايا الكبرى بواحة فزواطة مثل زاوية تاگمادارت وزاوية سيدي علي محمد الشيخ البكري، كانت ترتبط بالورد الشاذلي بواسطة أتباع الطريقة الجزولية الذين انتشروا بواحة فزواطة منذ مطلع القرن العاشر الهجري (16 م)، فإن شيوخ زاوية سيدي عمرو بتامگروت، قد ارتبطوا بالورد الشاذلي أيضا لكن بواسطة أتباع الطريقة الغازية الزروقية التي طرأت على بلاد درعة من جهة سجلماسة.

وكان عراب الطريقة الغازية بدرعة، خلال النصف الثاني من القرن العاشر الهجري (16 م)، هو الشيخ سيدي أحمد بن علي حاجي الذي يعرف محليا بجبار المكسور (معلمة)، وعنه أخذ سيدي عبد الله بن حسين القباب الورد الشاذلي في إطار الطريقة الغازية الزروقية.

وقد لاحت على سيدي عبد الله بن حسين القباب، منذ انخراطه المبكر في الطريقة الغازية مخايل الخصوصية، لفنائه التام في ذكر الله والانقطاع للعبادة، فكان مداوما على قيام الليل والصوم إلا في يوم الجمعة، وكان في كل سلوكه اليومي يحرص على ملازمة ماورد في السنة المطهرة، فكان يسترزق الله من ممارسة مهنة النجارة بالزاوية (من هنا التصقت به صفة القباب)، ومن علامات زهده إقلاله في قوته اليومي.

تنبه الشيخ سيدي إبراهيم بنعبد الله الأنصاري، شيخ زاوية سيدي عمرو في وقته إلى السلوك الصوفي العالي لسيدي عبد الله بن حسين القباب، فكان كثيراً ما يردد على مسامع الفقراء بزاوية تامگروت قوله : إذا أراد الله بعباده خيراً يظهر لهم صاحبنا هذا يعني سيدي عبد الله بن حسين القباب ويقلده سياسة القلوب. وقبل وفاة الشيخ سيدي إبراهيم أوصى بأن يتولى سيدي عبد الله بن حسين القباب، مشيخة زاوية سيدي عمرو.

تصدر القباب، بعدما قلده الله أمر الزاوية العمرية، لتربية المريدين، فتضاعف عدد المنتسبين للطريقة الغازية بمختلف واحات درعة، ويرجع ذلك بالأساس إلى الشخصية الصوفية المتميزة للشيخ القباب، فقد كان يعطي المثل للمريدين بالتقشف والورع والزهد، وعرف عنه أنه شديد الشكيمة على الظلمة معرضا عما في أيديهم. ومن أقواله الدالة على سلوكه الصوفي النقي : إن الظهور نقمة والنفس ترضاه والخمول نعمة والنفوس ترضاه، كما كان يؤكد على أتباعه بأنه قد أخذ على الله عهداً ألا يسوق إليه شقيا.

ومن أشهر الآخذين عنه بدرعة على الأطلاق تلميذه والمتكفل بخدمته قيد حياته الشيخ سيدي أحمد بن إبراهيم، والشيخ الفقيه مَحمد بن ناصر، الذي تولى مشيخة الزاوية العَمْرية منذ أواسط العقد السادس من القرن الحادي عشر الهجري (17 م) والذي اشتهرت معه زاوية تامگروت وأصبحت تعرف بعد ذلك بالزاوية الناصرية.

توفي سيدي عبد الله بن حسين القباب بعد حياة صوفية حافلة استمرت حوالي أربعين سنة، يوم الجمعة الثاني عشر

من جمادى الأخيرة سنة 1045 ، ودفن بروضة الأشياخ بتامگروت.

م. المكي بن موسى الناصري، *الدرر المرصعة*، مخطوط ؛ محمد بن حبيب التمنوگالي، *العقود الجوهرية*، مخطوط ؛ الحسين بن م. الناصري، *فهرست سيدي الحسين الناصري*، مخطوط ؛ المهدي الصالحي، *أعلام درعة*، الدار البيضاء، 1974 ؛ القادري محمد بن الطيب، *نشر المثاني*، ج 1، الرباط، 1977.

G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse*, Paris, 1951.

أحمد البوزيدي

القباج، أسرة توجد أغلبيتها في ثلاث عواصم حضارية فاس والرباط ومراكش، وهي فرعان ـ حسب ما يروى تاريخيا ـ فرع نزح من أرض الحجاز عن طريق تركيا، ثم تونس، إلى فاس إبان الدولة الموحدية، وتحديداً في عهد الخليفة الرشيد أبي محمد عبد الواحد الموحدي، أي ما بين سنتي 630 / 1232 و646 / 1242، وفرع نزح من الأندلس إلى الرباط، ربما كان ذلك ضمن الأسر المهاجرة من هناك في القرن العاشر الهجري (16 م).

ومن المؤكد أن عددا هاما من منتسبي هذين الفرعين الفاسي والرباطي اتجهوا إثر ذلك صوب مراكش قصد الاستيطان، والتجارة، أو العمل في دواليب الدولة

ولم تكتف هذه الأسرة بالعيش داخل أسوار العواصم المذكورة أعلاه، ولكنها حلت وارتحلت بالعديد من المدن الأخرى، والحواضر المغاربية، وحتى بلاد الأناضول والأرمن.

واسم القباج يعني خياط القباء (بالهمزة) أي القفطان ـ استنادا إلى ما أفاد به الدكتور عبد الهادي التازي ـ وهو من الألقاب العائلية، أو أسماء صناع الحرف اليدوية، وغير ذلك من الأسماء التي لها اشتقاق لغوي صحيح كالتيال والنجار والكيال...إلخ.

أما المعنى الآخر للفظ القباج، فهو الصياد، لارتباطه اللغوي باسم طير القبج الذي يطلق عليه المغاربة دجاج الحبش، وهذا الاسم وارد في معاجم اللغة القديمة والحديثة.

وقد جاء في القاموس المحيط للفيروزبادي (مج 1) حول لفظ القبج أنه عربي أصالة، وصرح غيره أنه ليس عربياً، بل هو كبج، ويؤيده قولهم لا يجتمع القاف والجيم في كلمة واحدة من كلام العرب.

ولعل المعنى الثاني هو أقرب إلى الصواب كما يتردد سلفاً عن خلف لدى العديد من أفراد هذه الأسرة، والله أعلم.

القباج، أحمد بن **محمد** بن المدني، ازداد بفاس سنة 1290 / 1873 حيث تلقى مبادىء القراءة والكتابة. ولما اشتد عوده تزوج، ثم شد الرحال إلى وهران بالجزائر سنة 1320 / 1902 قصد التجارة التي كانت تتعاطاها عائلته أبا عن جد، فمكث هناك أربعة عقود، كان فيها مثال الجدية والاستقامة والمعاملة الحسنة. وفي أواخر حياته عاد إلى مسقط رأسه حيث توفي سنة 1362 / 1943، وعمره 71 عاما.

الكتاني، *زهرة الآس من أهل بيوتات فاس*، مخطوطة خاصة.

القباج، الحسين بن المدني، ولد بمراكش سنة 1868 حيث تابع دراسته بكلية ابن يوسف. اشتغل بتجارة التصدير والاستيراد سنة 1914، ثم اتجه نحو الفلاحة. كان عضواً في المجلس البلدي للمدينة سنة 1929 ، ثم عضواً في لجنة استخلاص الضرائب على المواد الغذائية.

عبد الرحمن القباج

القباج، حمادي ولد بالرباط سنة 1890. تلقى تعلميا أوليا. عين من بين الأعيان لتمثيل المغرب في معرض ليون الذي نظمته الحماية سنة 1925. وكان يحظى باحترام الناس مكنت تجارته التي كان له فيها باع طويل من فرص ربط علاقات مع بعض الشخصيات المهمة مثل قواد الجنوب. رشح لعضوية اللجنة البلدية الرباطية. كان خليفة لباشا الدار البيضاء واختير رئيسا للقسم المغربي بغرفة التجارة بالرباط أيضا. تولى منصب باشا العاصمة بعد وفاة الحاج عبد الرحمان برگاش في يناير سنة 1944 بقي فيه ست سنوات.

توفي سنة 1950 وبقي منصب باشوية العاصمة من بعده شاغرا مدة سبعة أشهر قبل أن يسند إلى الحاج عباس التازي.

وثائق الحماية، خ. ع. الرباط، *جريدة السعادة*، ع 6043 / 7 يناير، 1944.

Mohamed Bargach, *Une famille au cœur de l'histoire*, Editions Maghrébines, Casablanca, 1988, p. 415.

عبد الإله الفاسي

القباج، عباس ينتمي إلى أسرة عريقة في التقدم الحضاري وكان جده قد طاف، منذ منتصف القرن التاسع عشر، بمختلف أنحاء أروبا إلى أن وصل إلى منطقة القوقاز ومنها عاد بشريكة حياته وهي مواطنة من الشيشان التي ستكون جدة عباس القباج.

ولد بطنجة يوم 20 نونبر 1912 وسرعان ما انتقل والده إلى مراكش وفتح الطفل عباس القباج عيونه على الدنيا من خلال ما كانت عليه عاصمة الجنوب في العقد الأول لعهد الحماية الفرنسية بالمغرب.

وما أن كبر وصار شابا حتى بدأ يكتشف حقائق نظام الحماية من خلال مهامه بإدارة المحافظة العقارية فأدرك

طبيعة النظام الاستعماري بالمغرب. ونظراً لسياسة القمع التي كانت تمارسها السلطات الفرنسية ضد العناصر التي ربطت مصيرها بالحركة الوطنية المطالبة بالاستقلال، فقد اتخذت قراراً بإبعاده من مراكش إلى أگادير المدينة التي احتضنته واعتبرته واحدا من أبنائها.

كانت المجتمعات في المدن المغربية تتبنى - بتأثير من التنظيمات الحزبية - كل الوافدين عليها من جراء قرارات النفي والإبعاد وغيرها من الإجراءات القمعية. وبذلك أكدت الحركة الوطنية وحدة الشعب المغربي وتماسكه ضد سياسة فرق تسد.

في أگادير تحول عباس القباج من موظف في المحافظة العقارية إلى مزارع استوعب شيئا فشيئا تقنيات التجديد الفلاحي ونجح في تسويق المنتوجات وتصديرها مما أهله ليصبح ضمن المجموعة الوطنية التي زكاها حزب الاستقلال لعضوية مجلس شورى الحكومة في عهد الجنرال جوان المقيم العام لفترة 1947 - 1951.

كان القباج ضمن الذين طردهم المقيم العام من "ڤيلا لوريش" مقر مجلس الشورى والمقر الحالي لوزارة الخارجية في نهاية 1950 لأن الجنرال جوان لم يتحمل ما ورد في تقارير قدمها الوطنيون المغاربة عن الحالة في المغرب.

كانت هذه الحادثة هي بداية الأزمة التي عُرفت في تاريخ المغرب بأزمة المقيم العام الجنرال ألفونس جوان، أزمة ستؤدي في غشت 1953 إلى المؤامرة ضد العرش، مؤامرة خلع الملك الشرعي ونفيه إلى جزيرة كورسيكا مع ما سبقها وما لحقها من اعتقالات في صفوف العديد من الوطنيين عبر التراب الوطني وكان من بينهم عباس القباج مع غيره من رجالات الحركة الوطنية بمنطقة سوس.

أطلق سراح عباس القباج في سياق رفع الحصار عن الزعماء السياسيين عندما شرعت حكومة باريس تبحث عن حل للأزمة، وستتصل هذه المساعي إلى مرحلة "الانقلاب" الذي قام به باشا مراكش الحاج التهامي الگلاوي الذي كان في غشت 1953 من الغلاة المطالبين بإبعاد الملك فأصبح في أكتوبر 1955 مستعدا للقيام بأي عمل يرضى الوطنيين من أجل عودة الملك إلى عرشه. وهكذا سيربط عباس القباج وغيره من الوطنيين في الجنوب الصلة ما بين باشا مراكش وابنه عبد الصادق المعروف بتعاطفه مع حزب الاستقلال من جهة وقيادة حزب الاستقلال بالرباط من جهة أخرى بواسطة أحمد بناني.

يقول الأستاذ عبد الصادق الگلاوي في مذكراته بأن اتفاقا تم نيابة عن والده والحاج أحمد بناني نيابة عن حزب الاستقلال على نص سيكون هو التصريح الذي سيدلي به الباشا عندما سيستقبله الحاج الفاطمي بن سليمان المكلف آنذاك من طرف مجلس حفظة العرش بتشكيل حكومة انتقالية. ويقول ابن باشا مراكش بأن نص الاتفاق كُتب في ثلاث نسخ : الأولى يتلوها عبد الصادق لما يكون بجانب والده في دار المخزن يوم 25 أكتوبر 1955 ، والثانية سلمت إلى اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال، والثالثة بعثها أحمد بناني في رسالة مستعجلة إلى الزعيم علال الفاسي بالقاهرة.

بعد التصريح الذي كان بمثابة قنبلة انفجرت في المشهد السياسي لمغرب ما قبيل عودة الملك إلى عرشه، كان عبد الصادق الگلاوي وعباس القباج بمنزل أحمد بناني في حي ديور الجامع بالرباط للاحتفال بالحدث، حدث مطالبة الگلاوي بعودة الملك وبالاستقلال وحضر الاحتفال عضوا اللجنة التنفيذية المهدي بن بركة وعمر بن عبد الجليل.

عاد الملك من المنفى واعترفت فرنسا بالاستقلال وبدأت معركة المطالبة بجلاء الجيوش الفرنسية عندما شرع الفرنسيون في إعادة انتشار قواتهم المسلحة في الجنوب. هنا سنجد مرة أخرى عباس القباج في معركة إقامة الحواجز لمنع الجيش الفرنسي من انتهاك السيادة المغربية وحرية التجول في الصحراء. وفي أول يوم من رمضان موافق 29 فبراير 1960 اهتزت مدينة أگادير من وقع زلزال دمرها وقتل ما يزيد عن 15 ألف نسمة وترك باقي السكان عرضة للكوارث والنكبات فتأسست لجنة الدفاع عن منكوبي أگادير، كان عباس القباج من أبرز أعضائها.

وبعد ثلاث سنوات جرت أول انتخابات برلمانية بالمغرب فصوت السوسيون على عباس القباج كعضو في مجلس النواب دون أن يتمكن من حضور الجلسة الافتتاحية التي ترأسها الحسن الثاني بقاعة كلية العلوم في شهر نوفمبر 1963 لأنه كان ضمن المعتقلين في السجن المركزي بالقنيطرة متهما في ما سُمي بمؤامرة يوليوز 1963. وسيعود القباج إلى الحياة السياسية ليتبوأ مقعده في مجلس النواب بعد إطلاق سراحه على إثر صدور حكم ببراءته ضمن أحكام 14 مارس 1964.

سيظل عباس القباج وفيا لأفكاره ومبادئه وقناعاته يناضل في واجهات سياسية ومهنية وإحسانية إلى أن وافاه الأجل على إثر حادثة سير في طريق العودة من طانطان إلى أگادير يوم فاتح ماي 1984.

وبعد وفاته أسس أفراد أسرته وبعض أصدقائه مؤسسة عباس القباج التي تهتم باحتضان وإنقاذ مئات من الأطفال أبناء عاملات أو أمهات في وضعية صعبة لإعدادهم ماديا ومعنويا قبل وأثناء بلوغهم مرحلة التعليم الابتدائي والثانوي.

عبد اللطيف جبرو

القباج، عبد الجليل، ولد بمدينة الرباط سنة 1323 / 1905، وتابع دراسته الابتدائية والثانوية فيها، ثم انتقل إلى معهد الدروس العليا لنيل دبلوم الترجمة، وإثر ذلك التحق بكلية بوردو بفرنسا حيث حصل على الإجازة في اللغة.

ولما آب إلى المغرب سنة 1929 عين بإدارة الشؤون الإسلامية بصفته كاتبا بوزارة الأوقاف، ثم أحيل على الصدارة العظمى بدار المخزن لتقلد نفس الوظيفة.

انتخب سنة 1934 رئيسا لجمعية قدماء تلامذة ثانوية مولاي يوسف، ثم رئيسا للنادي الثقافي المغربي، كما اختير لعضوية مجلس شورى الحكومة في الأربعينيات.

وعندما قرر حزب الاستقلال المطالبة بالاستقلال كان ضمن الموقعين على الوثيقة باعتباره عضواً في "لجنة الأربعين" المكلفة بالاطلاع على ما جد من الأعمال الوطنية السرية، ومن قدماء الوطنيين الذين أقسموا اليمين في "الطائفة"، وهي الجناح السري للحزب ؛ وكانت نتيجة توقيعه على الوثيقة المذكورة توقيفه عن مزاولة الوظيف الذي كان يشغله بدار المخزن شأنه في ذلك شأن بقية زملائه الموقعين الذين شملهم مثل هذا التوقيف.

ولم تمر مدة قصيرة على هذا الطارىء حتى أخذ يشتغل بالتجارة، قبل أن تسند إليه سنة 1946 إدارة "جريدة *العلم*" باقتراح من أحد الأعضاء البارزين في الحزب إذ كان يرى في تعيينه على رأس جريدة تكون لسان الحزب ضمانة كافية للسير بها طبق الخطة التي يرسمها الحزب سواء في المجال السياسي، أو المجال الاجتماعي، أو المجال الثقافي.

لقد بقي مكلفاً بهذه المهمة طيلة الأربعينيات وأوائل الخمسينيات إلى أن وقعت أحداث اغتيال النقابي التونسي فرحات حشاد سنة 1952، فمنعت جريدة *العلم* من الصدور، وتعرض مديرها إلى كثير من الاستنطاقات والتهديدات والمضايقات من طرف السلطات الاستعمارية، كادت أن تودي به إلى غياهب السجون، لولا رباطة جأشه، وصموده المستميت.

ومع بزوغ فجر الاستقلال استأنفت الجريدة الصدور من جديد تحت إدارته كما كانت عليه من قبل، ولكن ما إن حلت سنة 1959 ، وصدر الظهير الشريف الذي يضمن لجميع الموظفين الذين فقدوا وظائفهم بسبب مواقفهم الوطنية الحق في الرجوع إلى وظائفهم حتى عاد المعني بالأمر إلى عمله بوزارة الأوقاف التي ارتقى فيها سنة 1963 إلى مفتش عام، وبقي بها إلى أن أحيل على التقاعد سنة 1972.

كان عضوا في أول مجلس تأسيسي مكلف بوضع نص الدستور في الستينيات، هذا بالإضافة إلى أنه نشر عدة مقالات وأبحاث في الصحف والمجلات، وأصدر في فترة الثمانينيات سلسلة كتيبات تحت عنوان "*نداء الضمير*"، كما ترأس "الجمعية الوطنية للإحسان ورعاية الطفل" ذات الأنشطة الخيرية والاجتماعية.

توفي يوم 26 مارس 1994 ، ووري جثمانه التراب بمسقط رأسه، رحمه الله، وأجزل له الثواب على ما قدم من خدمات لمصلحة دينه ووطنه.

القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية : قائمة الشرف للجنة الاعلام والنشر التابعة لحزب الاستقلال.

القباج، عبد السلام بن المدني، ولد سنة 1879 بمراكش حيث تابع دراسته، وتقلد عدة مناصب أثناء عهد الحماية، منها : أمين المستفاد، ثم أمين الأملاك. كان عضواً في كثير من الجمعيات والشركات، وهو حاصل على أوسمة مختلفة.

القباج، عبد الغني بن محمد، ولد سنة 1318 / 1901 بمراكش حيث تابع دراسته بالعربية والفرنسية واشتغل بالتجارة مدة، ثم تقلد عدة وظائف فيما بين سنتي 1920 و1924 ، منها : موظف بمصلحة الفلاحة، وترجمان، وكان آخرها أبا المواريث لمدينة مراكش.

عبد الرحمن القباج

القباج، عبد الله هو عبد الله بن العباس القباج، كنيته أبو محمد، ينتسب إلى عائلة فاسية، وكان مولده بمكة المكرمة بعد أن هاجر والده إليها وتزوج من إحدى بناتها، غير أن سنة ميلاده غير مضبوطة، ولعلها كانت في أواخر القرن التاسع عشر، إذ كان متمكنا من ناصية الشعر وهو في أوج شبابه سنة 1899 فمدح الصدر الأعظم أحمد بن موسى بقصيدة تردد ذكرها في المجالس إثر دخوله إلى المغرب.

نشأ بمكة المكرمة وبها تلقى تعليمه الأول من المعارف الدينية والأدبية على يد جلة من العلماء والأدباء. رحل إلى المغرب سنة 1899 في العهد العزيزي، وتنقل بين مدن كثيرة كمراكش وفاس وسلا وبها استقر وتزوج وأنجب.

اشتغل أول الأمر أمينا لمستفاد مدينة الصويرة سنة 1325 / 1906 ، ثم انتظم في سلك الكتاب بمجلس الاستئناف الشرعي بالرباط سنة 1332 / 1913 وفي الكتابة بوزارة الأوقاف سنة 1341 / 1922 في وزارة العدل إلى أن وافاه الأجل بسلا سنة 1364 / 1945.

اهتم عبد الله القباج بالصحافة أول الأمر ويذكر أنه أحد الذين اختاروا لجريدة *السعادة* اسمها، يقول عنها : "ليست جريدة رسمية للحكومة، بل إنها جريدة مغربية تصدر باللسان العربي، أبوابها مفتوحة لكل المغاربة أدباء وعلماء ومؤرخين، وهي تنهج نهج الاعتدال ولا تقبل التطرف في الأفكار والأخبار" (*جريدة السعادة*، 25 نونبر 1919).

كانت له مناظرات أدبية مع أدباء عصره وخاصة في العدوتين ومنهم محمد بن العباس القباج الذي خصه بمقال عنوانه : "شاعرنا المطبوع" يقول فيه : "كان الواجب يقضي علينا أن نبدأ بنقد شعر السيد عبد الله القباج إذ هو كما يقولون شاعر المغرب وبلبله الصداح والشاعر المطبوع الذي لا يوجد له قرين في النظم والارتجال، تلك هي الألقاب التي يتمتع بها شاعرنا".

مولفاته : تحتفظ *جريدة السعادة* بأغلب إنتاجه، ومنها : مسامرة أدبية عبارة عن محاضرة ألقاها الشاعر بنادي المسامرات سنة 1923 ونشرت بـ*جريدة السعادة* بعنوان : *الشعر والشعراء* وطبعت بالمطبعة الرسمية في نفس السنة،

وله مقالات في مختلف المواضيع، وطنية واجتماعية ودينية واقتصادية ونفسية وتاريخية وغيرها.

أشعاره كثيرة تضمها جريدة السعادة وبعض المجلات كمجلة المغرب وبعض الكتب كاليمن الوافر لابن زيدان، وقد أحصى شعره الباحث عبد القادر فرجي في رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا بالرباط سنة 1988 عنوانها "*شعر عبد الله القباج : دراسة*،" وذكر أنه توصل إلى أحد عشر ألف بيت شعري، (رسالة مرقونة بخزانة كلية الآداب الرباط).

كانت ثقافته موسوعية، متعددة المشارب، فهو ينبه إلى مصادره والكتب التي كان يستقي منها معلوماته، إضافة إلى حفظه للدواوين الشعرية القديمة كديوان المتنبي وأبي تمام والمعري وغيرهم وإلى اطلاعه على المؤلفات الأدبية كمؤلفات عبد الحميد الكاتب والجاحظ وابن العميد وغيرهم. ولعل أهم إنتاجه هو أشعاره التي تناولت موضوعات كثيرة منها المديح بنوعيه النبوي والسلطاني (عاصر أربعة ملوك هم المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ والمولى يوسف والسلطان محمد الخامس) كما مدح بعض الرؤساء الأجانب الذين زاروا المغرب كالرئيس الفرنسي ميران والماريشال ليوطي وغيرهما ومدح بعض الأعيان منهم بركاش باشا مدينة الرباط والمواز رئيس مجلس الاستئناف وأبو بكر عواد والمهدي حصار وغيرهم.

ومدح أهل الفكر والعلم كالشيخ أبي شعيب الدكالي والبلغيثي وأحمد الجريري وابن زيدان في مسامرات أدبية كانت تعقد من حين لآخر في مدن فاس والرباط وسلا، كما كانت له تفاريظ كثيرة لمؤلفات وإنتاجات معاصريه، منها تقريظ *اليمن الوافر الوفي* لابن زيدان و*عبير الآس من روض تاريخ مكناس* المعروف *بإتحاف أعلام الناس* لابن زيدان كذلك، و*الفكر السامي* للحجوي و*دروس التاريخ المغربي* للجراري وغيرها.

ونظم في الرثاء والتعازي والفخر والهجاء، وله مساجلات أدبية مع أدباء عصره منهم حركات وعواد والصبيحي، وله مقطوعات في الشكوى والعتاب والفكاهة والألغاز، كما أن له قصائد غزلية متنوعة في الحسن والعذري، مما يشير إلى وجود بيئة أدبية وثقافية مزدهرة.

م. الغربي، *جريدة السعادة*، 28 / 7 / 1945 ؛ ع. الله الجراري *جريدة الأنباء*، دجنبر، 1968 ؛ *الفكر المعاصر* : النميشي، *الشعر والشعراء*.

نجاة المريني

القباج، عبد المجيد بن الطاهر، كان خيّراً وكريماً، اعتمر دكاناً قبالة ضريح المولى إدريس بفاس لخدمة هذا الضريح والصلاة به. كان يجعل للضعفاء والمساكين الفطور في صباح أيام البرد وبقي على هذه الحال إلى أن لقي ربه راضيا مرضيا في أوائل القرن الرابع عشر الهجري.

القباج، عمر، كان يعتبر من علماء الرباط ووجهائه، وقد أعفي من وظيفته بالقصر الملكي أثناء نفي محمد الخامس لأفكاره الوطنية ثم أعيد إليها إثر بزوغ فجر الحرية والاستقلال وبقي بها مدة إلى أن أحيل على التقاعد.

التحق بالرفيق الأعلى سنة 1394 / 1974 ودفن بمقبرة سيدي الخطاب.

فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، مج. 7 ؛ عبد الهادي التازي، *التاريخ الدبلوماسي للمغرب*، مج. 6 ؛ *الكتاب الذهبي* الصادر أوائل الثلاثينيات بالفرنسية ؛ *موسوعة أعلام المغرب*، مج. 9 ، تح. محمد حجي ؛ العباس الجراري، *أضواء على الرباط*، مج. 1؛ عبد الكبير بن هاشم الكتاني، *زهر الآس في بيوتات أهل فاس*، مج. 2.

القباج، محمد المدعو بأولو، كان أحد التجار الذين ساحوا بالمشرق قبل عودته للسكنى بفاس، ويذكر عنه الفقيه الحجوي صاحب مؤلف *"العروة الوثقى"* أنه من تلاميذ جمال الدين الأفغاني، فكان يحضر دروسه الليلية التي يلقيها على محمد عبده وأقرانه. وهناك كان رفيقا للشيخ الإمام، ومحمد المويلحي، وسعد زغلون، وعبد الله نديم، وأمثالهم من عظماء الشرق.

وقد استفاد من مجالستهم فوائد لم تكن مع أحد في المغرب في وقته، وهو الذي أذاع فضل جمال الدين وعبده وأمثالهما، وعرّف المغاربة بأخبارهم وأحوالهم.

القباج، محمد بن العباس، كان يستورد السكر والشاي خلال الحرب العظمى، ويصدر الحياك إلى الجزائر والبلاغي إلى السينغال، وكانت له 8 مفاتيح و11 شريكا . أزيد من 600 مليون فرنك سنة 1918) ولاشك أنه هو الذي كان ضمن الهيأة الدبلوماسية بطنجة التي جدد تنظيمها المولى عبد العزيز سنة 1318 / 1900.

القباج، محمد بن العباس، ولد بالرباط سنة 1325 / 1906 من أبوين كريمين وأسرة محافظة، وعندما بلغ سن الإدراك والتمييز التحق بالكتاب ليتلقى مبادئ القراءة والكتابة، وحفظ القرآن الكريم، ولم تمر فترة طويلة حتى أخذ يتردد على المساجد للدراسة على يد كبار علماء الرباط،

أمثال : الشيخ أبي شعيب الدكالي، والشيخ المدني بن الحسني، والقاضي محمد بن عبد السلام السائح، وغيرهم كثير.

ويقول هو نفسه عن دراسته هاته : "لم يكن اختيار أسرتي لمتابعة دراستي بالمساجد عفوية، ولكن المسجد كان طريق المستقبل الذي ينشده الذين لم يسيطر عليهم الوجود الاستعماري البراق يومئذ، والذين كانوا يؤمنون أن المغرب في حاجة إلى رجال غير مكيفين مع الظروف، وتلك - أيضا - كانت منهجية رجال المسجد يومئذ".

ولما تمكن من ناصية المعرفة، واستيعاب علوم اللغة والبيان، اتجه نحو فن الكتابة، فبدأ ينشر مقالات نقدية تحت عنوان "لذعات بريئة" في مجلة "*المغرب*" لمحمد (فتحا) صالح ميسة الجزائري، حيث "كان يعلن فيها عن مناهضته للتقاليد البالية الموروثة، وما ينتج عن التمسك بها من تكلف وافتعال، ونسج على منوال الآخرين، وهو في ذلك يدعو إلى أن يكون الشعر فنا وتعبيرا ذاتيا مبتكرا نابعا من تجربة صادقة في نطاق الحقيقة الواقعية التي لا غموض فيها، ولا سطحية، ولا إسفاف، ويحث الشعراء من أجل ذلك على قراءة الشعر الجديد الذي يبدعه المشارقة، متلائما مع روح العصر وذوقه، وينوه في نفس الوقت بالشعراء الشباب الذين يسيرون في هذا الاتجاه".

"وقد قومت هذه المقالات من زيغ المقاييس الأدبية التي كانت متبعة إذ ذاك، وأحدثت ضجة كبيرة بين الأدباء المغاربة الذين كانوا قليلي الاطلاع على الإنتاج الأدبي الجديد في الشرق العربي".

ولاشك أن هذا هو الدافع الذي كان وراء تأليف المعني بالأمر كتابه الشهير "*الأدب العربي في المغرب الأقصى*"، وإصداره سنة 1347 / 1929 في جزئين متوسطين، يحتوي كل واحد منهما على 128 صفحة، ويتناول الجزء الأول نخبة من الأدباء الشيوخ، بينما يتناول الجزء الثاني الأدباء الشباب، فكان هذا الكتاب من الكتب الأولى التي أعطت صورة حية عن أدبنا المغربي في تلك الفترة.

كما انضم - آنذاك - إلى الحركة المسرحية، وسعى في تنشيط فرقها بالرباط، وراسل عدة صحف ومجلات في الداخل والخارج، بالإضافة إلى ما قام به من تنظيم لقاءات أدبية، ومسامرات شعرية تسابق فيها الشعراء بإلقاء قصائدهم التي تدعو إلى نبذ التزمت والانغلاق والتحلي بروح التجديد والانفتاح على العصر.

أما في الميدان الوطني فكان من أعضاء الجماعة الأولى التي تأسست سنة 1926 لمحاربة الاستعمار، وطرده من البلاد إلى غير رجعة، مما جعله يحظى بمكانة خاصة لدى المغفور له محمد الخامس، فالتحق بديوانه سنة 1950، ويتقرر إثر ذلك في حقه نقل تعسفي ككاتب بمحكمة الدار البيضاء بسبب حل الديوان الملكي، وموقف الإقامة العامة من إنشائه، وإبان أزمة 1953 تم اعتقاله لانتمائه الوطني، واحتجاجه على نفي رمز الأمة وبطل تحريرها.

وفي أوائل الاستقلال - أي سنة 1956 - عين مديرا للشؤون الإدارية بالأمانة العامة للحكومة، ثم اقتضت المصلحة أن يعين فيما بعد محافظا للخزانة العامة، وهو المنصب الذي بقي فيه إلى أن أحيل على التقاعد.

هذا، وقد ترك هذا الأديب الفذ عدة مخطوطات هامة لازالت تقبع في زاوية النسيان، وتنتظر من ينفض عنها الغبار، لمراجعتها وتقديمها إلى النشر، واستفادة الدارسين والباحثين منها، وهي كما يلي :

- دروس الشيخ شعيب الدكالي (عددها 18 درسا في مجلد).
- ابن عطية والفكر العلمي في المغرب القرن السادس الهجري.
- الأدب المغربي من دخول العرب إلى المغرب إلى العصر الحاضر.
- معجم الشعراء.
- ديوان "ألحان وأشجان" (يضم 60 قصيدة).
- تقاليد وعادات.
- أمثال شعبية.

وفي مجال التحقيق شارك - قبل رحيله - في تحقيق "*ديوان الأمير أبي الربيع سليمان بن عبد الله الموحد*" إلى جانب المرحومين محمد ابن تاويت الطنجي، ومحمد ابن تاويت التطواني، وسعيد أعراب، وهو من مطبوعات كلية الآداب بالرباط، ومعهد مولاي الحسن بتطوان.

وافاه الأجل المحتوم عن سن يناهز 73 عاما يوم الخميس 22 رجب 1399 / 21 يونيو 1979 ، ودفن بمقبرة الشهداء.

واعترافا بدوره في التعريف بالأدب المغربي، فقد أبنته كل وسائل الإعلام والثقافة الصادرة في المغرب. وفي مقدمتها مجلة "*دعوة الحق*" التي كتب فيها لعدة سنوات، و"اعتبرته من الأعلام البارزين في تاريخ المغرب المعاصر بمكانته العلمية، ودوره الأدبي الرائد، وأصالة فكره، وقوة إيمانه، وشدة تشبثه بقيم الوطن ومقدساته".

زين العابدين الكتاني، في الذكرى الأربعينية لمحمد بن العباس القباج : العباس الجراري، *أضواء على الرباط*، ج. 1 ؛ عبد الله الجراري، *التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين* ؛ عبد الله گنون، *أحاديث في الأدب المغربي الحديث* ؛ إبراهيم السولامي، *الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية* ؛ عبد السلام التازي، الأدباء المغاربة المعاصرون.

القباج، محمد بن العربي، اشتهر بالفرنساوي لإلمامه باللغة الفرنسية، وتوفق في الميدان التجاري داخلياً وخارجياً، حسب ما تشير إليه عدة مصادر تاريخية، *كالاستقصا* للناصري، *والإتحاف* لابن زيدان مما دفع بمحمد الرابع إلى تكليفه بتمثيل المغرب في معرض باريس الثاني سنة 1285 / 1867، كما عينه الحسن الأول سنة 1294 / 1877 أمين مرسى الدار البيضاء إلى جانب الحاج محمد بن محمد بريشة التطواني. وقد كان سنة 1305 / 1887 - رفقة الحاج

عبد الكريم الغنمية التطواني ، مشاركاً في مفاوضات القنصل الأمريكي بطنجة حول أربعة محميين أمريكيين من أصل مغربي.

القباج، المكي، كانت له الرياسة أيام السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام، حتى كان عنده أمين أمنائه الذين أسندت إليهم مهمة قبض المكس. وكانت له من الثروة مثل ماله من جاه المخزن في الكلمة. ثم انقلب عليه الدهر، وتغيرت الأحوال إلى أن حيزت أملاكه لجانب المخزن.

عبد الرحمن القباج

قبة، قبب البناء بتشديد الباء الأولى وفتحها أي أقام عليه قبة. والقبة بالضم جمعها قباب وقبب. وتعني بناء محدودبا مقببا من الخارج ومقعرا من الداخل. وتتألف القبة من دوران قوس على محور عمودي ليشكل نصف كرة تقريبا، ويتخذ مقطعها شكل القوس. وتقام القباب مباشرة فوق مسطحات، وهي ترتفع على رقبة مضلعة أو على حنايا ركنية أو مثلثات كروية أو في حالات بنايات رائقة على مقرنصات. وكلها تقنيات تسهل الانتقال من مساحة مربعة إلى مساحة مثمنة تنتهي بالشكل الدائري. وتختلف أشكال القباب في العمارة الإسلامية، فمنها البصلية الشكل والنصف كروية والبيضاوية والمخروطية والمضلعة ... ولعل أقدم قبة أنشأها المسلمون هي قبة الصخرة بالقدس التي تمثل نموذجا معماريا رائعا.

وتستعمل القباب في العمارة الإسلامية المغربية ـ كما هو الشأن في أقطار إسلامية أخرى ـ لتغطية مبان كاملة أو أجزاء منها. وهكذا نجدها في أعالي المحاريب بالمساجد والجوامع، وتغطي أجزاء من بعض القاعات المتميزة في بعض القصور، كما نجدها تعلو القاعات الأساسية في الحمامات وتتوج مناور صوامع المساجد والجوامع. وتتعدد أغراض بناء القبة، فهي وسيلة للإنارة بواسطة النوافذ التي تتوزع حول الدائرة الأسطوانية في القسم الأسفل الذي تقام فوقه القبة. كما تساهم القبة في العناصر الجمالية للمبنى الذي ترتفع فوقه. والقبة علاوة على كل ذلك ذات دلالة روحية إذ ترمز إلى السماء في بعض الحالات. فنجد مثلا نماذج رائعة من القباب المقرنصة على طول البلاطة المحورية في جامع القرويين بفاس.

وتكثر القباب في المباني الدينية، خاصة منها الأضرحة حتى صار مصطلح "قبة" مرادفا لها (قبة مولاي إدريس). وهناك مكان بفاس يسمى "القباب" لوجود العديد من الأضرحة المغطاة بقباب فيه. ومن القباب الأخرى المشهورة في المغرب قبة جامع علي بن يوسف بمراكش التي تغطي فسقية بيت الوضوء والتي كانت من ملحقات الجامع. وهذه القبة التي تعود إلى عهد السلطان علي بن يوسف المرابطي تقوم على أركان مثمنة، وهي ذات زخارف جصية من العناصر النباتية والقواقع. وهي مبنية بالآجر ومكسوة بطبقة من الجبس المنقوش. وتتكون عناصرها الزخرفية من فجوات وعقود مفصصة ومتقاطعة شبيهة بتلك التي تحلي قبة جامع تلمسان بالجزائر. وتعتبر قبة جامع علي بن يوسف أهم نموذج للعمارة المرابطية بالمغرب. وقد أبدع المرابطون في زخرفة القباب التي تميز البلاط المحاذي للمحراب. وتبعا لرواية صاحب القرطاس، كانت قباب جامع القرويين في العهد المرابطي مزينة بالألوان المذهبة واللازورد وأصناف الأصبغة.

ولا تبدو القباب من الخارج كلها على هيئة نصف كروية إذ نجد بعضها يغطى بسقوف جملونية هرمية مكسوة بالقرميد الأخضر كما هو الشأن بالنسبة لضريح المولى إسماعيل بمكناس أو ضريح محمد الخامس بالرباط.

غبد الرحيم غالب، *موسوعة العمارة الإسلامية* (عربي ـ فرنسي ـ إنجليزي)، الطبعة 1، بيروت، 1988 ؛ ابن أبي زرع، *الأنيس المطرب*، الرباط، 1973.

P. Ricard, *Pour bien comprendre l'art musulman dans l'Afrique du Nord et en Espagne*, Paris, 1924 ; J. Meunié, H. Terrasse et G. Deverdun, *Nouvelles recherches archéologiques à Marrakech*, Paris, Arts et métiers graphiques, 1957 ; L. Golvin, *Essai sur l'architecture religieuse musulmane*, t. 4, L'art Hispano-Musulman, éd. Klincksieck, 1979 ; H. Terrasse, *La mosquée al Qaraouiyin à Fès, Archéologie Méditerranéenne*, III, Paris, Klincksieck, 1968.

مينة المغاري

القبجية، ذكرهم الناصري في كتاب *الاستقصا* (ج 5، ص. 163 و164) بأنهم كانوا في العسكر السعدي الساهرين على حفظ الأبواب، وغلقها وفتحها ؛ وقائدهم (مولود المضاوري) وطائفة من هؤلاء تحرس ليلا، وتطوف على مسايف السور المحيط بالدار. ومن وظيفتهم أيضا خدمة الكرسي والسرير اللذين يجلس عليهما السلطان بالإيوان، وتعاهد أنماط الجلوس وكنسها.

فريد وجدي، *دائرة معارف القرن العشرين*، النصاري، *الاستقصا*، ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس* ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية بالمغرب* ؛ الكتاني، *زهرة الآس في بيوتات أهل فاس* ؛ س. بنسعيد العلوي، *الاجتهاد والتحديث : دراسة في أصول الفكر السلفي في المغرب*.

عبد الرحمن القباج

القَبْري، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل Cabra ؛ وهو اسم مدينة إسبانية ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1161 / 1748.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

القبري، عبد القادر المدعو "السي قدور". من مشهوري فن السماع بمكناس في مطالع القرن العشرين. كان

حيا في الخمسينيات. عرف بجودة الحفظ وكثرته حتى عد خزانا للأمداح. كان بارعاً في الإنشاد جيد النفقة. واختص من بين أقرانه بكلام شيخ متصوفة الملحون سيدي عبد القادر العلمي، وكان يدرجه في الأمداح بالزاوية العلمية. ومما تفرد بإنشاده "القصيدة الإدريسية" التي مطلعها : "حق لله الحمد على نعمة الإسلام". وهي على قَدِّ قصيدة "التوسل" : يَالْواجدْ بالصَّرْخَه عنْ ضيقة الحالْ للعلمي. ومن أخذ عنه فن السماع ابنه المنشد أحمد القبري، والفقيه المكناسي محمد بن عبد القادر المزطاري المتوفى أواخر السبعينيات من القرن العشرين.

عبد العزيز بن عبد الجليل

قَبْريرَة ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Cabrena وهو نفس الاسم الذي مازالت تحمله بعض الأسر الاسبانية نسبة لمدينة Cabrera ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1162 / 1749. ومن أفرادها : محمد بن محمد قبريرة من أعيان تطوان الذين اشتروا أملاك أولاد النقسيس المصادرة من طرف السلطان في فاتح رجب 1079 (5 ديسمبر 1668). عبد الكريم بن أحمد قبريرةفقيه زاول خطة العدالة سنة 1150 (1737) أحمد بن محمد قبريرة فقيه تولى خطة العدالة من سنة 1119 إلى 1126 (1707 ـ 1714).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

قَبْريرُش ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Cobreros ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1171 / 1758.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

قَبْريرُو ، ويكتب أيضا القَبْريرُو أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Cabrero وهو نفس الاسم الذي تحمله بعض الأسر الاسبانية حاليا ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1162 (1749).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

القبلي، محمد بن أحمد بن علال ولد 1924 انخرط في صفوف جيش التحرير وعمل بمنطقة تطوان، وبعد ذلك انخرط في خلايا المقاومة بمدينة الخميسات حيث كان منضويا في الخلية التي كانت تحت مسؤولية ابن الميلودي، ومع هذه الخلية قام بعدة أعمال فدائية جليلة آخرها الهجوم الذي شارك فيه على ضيعة المعمر تيسرا والذي استشهد به أثر اصابته برصاصة قاتلة وذلك بقبيلة مصغرة قرب مدينة الخميسات في فاتح مارس 1956.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 404918.

القبور في المغرب القديم ، من المعتقد على العموم أن الإيمان بوجود حياة أخرى بعد الموت أو البعث، هو الذي دفع الإنسان إلى القيام بعملية دفن أخيه الإنسان وحفر المقابر واستعمال مادة الأوكر ذات اللون الأحمر، والبديل الشعائري للدم، والذي هو رمز الحياة. وإن المقابر تؤكد الاعتقاد في عودة الحياة. "وأن العودة يمكن أن تكون روحية محضة، يعني أنها مدركة كوجود مسبق للنفس، وهو اعتقاد مؤكد بظهور الموتى في الأحلام. غير أنه يمكن كذلك تفسير بعض المدافن كاحتياط ضد عود مفاجئ للميت، في هذه الحالات كانت الجثث تطوى وربما تحزم. ومن جهة أخرى لا يستبعد أن وضعية الطي للميت بعيدة عن إفشاء الخوف من (الجثث الحية) خوف مؤكد لدى بعض الشعوب، وتعني على العكس الأمل بولادة جديدة، لأنه تعرف حالات عديدة من الدفن مقصودة بوضعية جنينية".

ويظهر أيضا أن عملية الدفن قد تعممت في العصر الحجري القديم الأعلى مع استعمال مادة الأوكر (المغره)، وعدد من الأدوات، كالأصداف والأقراط، والعقود، وبقايا جماجم وعظام الحيوانات. ومن الراجح أن هذه الأخيرة هي "بقايا وجبة شعائرية إن لم تكن تقدمات"، كما أن وجود "أشياء كهذه لا تعني فقط الإيمان باستمرار حياة فحسب، وإنما أيضا القناعة بأن الميت سيتابع نشاطه المميز في العالم الآخر".

ويختم ميرسيا إلياد رأيه قائلا : "يمكن الاستنتاج بأن القبور تؤكد الاعتقاد بحياة أخرى سبقت الإشارة باستعمال المغره (الأوكر) الأحمر... وثمة بعض التأكيدات الإضافية : مدافن موجهة نحو الشرق، مشيرة للنية بتثبيت مصير الروح على مسار الشمس، حيث الأمل بعودة الأمل، أو من تجدد الوجود في عالم آخر، عقيدة في استمرارية النشاط المميز

وبعض الشعائر الجنائزية معينة بالتقدمات لأشياء من الزينة وبقايا وجبات الطعام".

وفكرة الاعتقاد باستمرار الحياة بعد الموت ظهرت عند كثير من الشعوب طوال العصور الماضية، وبلغت هذه الفكرة ذروتها عند قدماء المصريين. على أن إنسان العصر الحجري الحديث كان يعتقد - على ما يبدو - أن هناك شيئا غير الطعام والملابس ينقص موتاهم، فقد اعتقدوا أن السبب الحقيقي هو فقدان الدماء. وجاءت هذه الفكرة نتيجة لمشاهداتهم، وعلى أساس هذه الحقيقة استعملوا الأحجار الحمراء والرمال والأزهار الحمراء، وكان الأحمر الطوبي (الأوكر أو المغره) هو اللون الذي يعبرون به عن لون الدم.

ويمكن الاستنتاج عموما بأن القبور تعمق الدلالة بالحياة الأخرى. يدل على ذلك اتجاه المدافن نحو الشرق والقيام ببعض الشعائر والطقوس الجنائزية الممثلة بقاياها في بعض المواد بالقبر، كأدوات الزينة والأسلحة والمأكولات. كما لا ننسى وضعية "دفن الميت الجنينية بوصف القبر رحماً يعيد إطلاق الحياة مجددا في جسد المتوفى". ومن بين المقابر التي تتضمن ما ذكرناه أعلاه في المغرب مغارة الحمام بتافوغالت العائدة إلى مرحلة الثقافة الإيبيروموروسية التي عرفتها شمال إفريقيا وخاصة المغرب الأقصى والجزائر ما بين 2000 و8000 سنة ق. م. ويبدو أن الإنسان الإيبيروموروسي كان يتوفر على معتقدات دينية خاصة، منها أنه يظهر عليه أنه كان يخاف الطبيعة وغضبها وكان يقدم لها القرابين والتقدمات ويؤمن بالعالم الآخر.

وقد تم العثور على حوالي 180 جثة بمغارة الحمام بتافوغالت فقط أعطيت فيها للميت وضعيات مختلفة وفق طقوس مأتمية خاصة كصبغ أجسام الموتى بالمغره الأحمر بجانب بعض الأدوات. كما اتضح من البقايا الأثرية أن الإيبيروموروسيين كانوا متشبعين بمعتقدات بدائية تتمثل على الخصوص في استعمال الإنسان للتمائم والتعويذات الوقائية ضد الأخطار الخارجية، والتي لم تختف قط دلالتها. كما أن كثرة مدخرات المغره وكبريتات الرصاص في الموقع ليست العنصر الوحيد المعتمد عليه لطرح فرضية وجود رسوم جسدية، لأن العديد من الهياكل العظمية الإيبيروموروسية تحمل إلى يومنا هذا بقايا للمغره الأحمر. وليس هناك ما يسمح بجعل الاستعمال المأتمي هو الاستعمال الوحيد لهذه المدخرات الكثيرة للأوكر. إلا أن هذه الممارسة لن تصل إلى الأهمية التي عرفتها لدى القفصيين الذين استعملوا المغره بكميات كبيرة في أدواتهم وجثث موتاهم.

ونظرا لأهمية القبور والمدافن وما يرتبط بها من شعائر وطقوس جنائزية ومأتمية، في بروز ذهنية دينية، يبدو أنه من الضروري التعرض لبعض أنواع مقابر ومدافن ما قبيل التاريخ بالمغرب.

إن التنقيبات التي أجريت في عدة مواقع مغربية أمدتنا بمعلومات قيمة عن فترة ما قبل التاريخ والتي أجراها عدد من المهتمين والمنقبين والباحثين منهم : بول بالاري وفوانو، وجوزيف كومبرادو، وموريس أنطوان، وأرمان رولمان، وجاك مونيي، وأرمان لوكي، وجورج سوفيي، وگابرييل كامبس، وأندري جودان، وميشيل بونسيك والقس جان روش وغيرهم.

وقد شملت التنقيبات ما قبل التاريخية كل المناطق المغربية، سواء الغرب أو الشرق، أو الجبال، أو الشواطئ، أو الصحراء، مما يدل على أن الإنسان المغربي القديم كان يسكن هذه المناطق خلال فجر التاريخ.

ويبدو أن الإنسان خلال عصر ما قبل التاريخ كان يدفن الميت في حفرة صغيرة يكون فيها الإنسان عاريا أو مكسوا بالجلد. ولما لاحظ الإنسان أن الوحوش كثيرا ما تنبش القبر وتفترس جثة الميت، عمد إلى تعميق حفرة الدفن في الأرض، وإلى تغطية أعلى القبر بكتل حجرية كبيرة تجعل من المستحيل على الوحوش نبش القبر. ومع توالي الزمن وتطور العقائد والطقوس الجنائزية والشعائر المأتمية، أخذ الإنسان يقيم المقابر المتنوعة الأشكال والأحجام منها :

1 - قبور داخل الكهوف : يبدو أن الإنسان في المغرب - خلال عصور ما قبل التاريخ - كان يدفن موتاه داخل الكهوف، وقد عثر على عدد من البقايا البشرية داخل كهوف دار السلطان، وتمارة، وتافوغالت، وجبل إيغود، والهرهورة، وكيفان لغماري، وتازة، ورأس سبارتيل، وكهف سيدي أحمد لحبيب ببركان.

ويبدو أن الأمازيغ قد هجروا الدفن داخل الكهوف منذ أوائل العصر الحجري الحديث وفضلوا إقامة القبور في الهواء الطلق. وظهرت أنواع من القبور والمدافن المتعددة الأشكال والطرز منها :

2 - القبور الدائرية الشكل : فكان الدفن فيها عبارة عن حفرة صغيرة يسجى فيها الميت على هيئة الجنين في الرحم أي أن رجليه مطوية.

3 - القبور المحفورة في الصخر : تحفر عادة على شكل مستطيل أو مربع. ويعلو القبر عدد من الأحجار الكبيرة التي ترص فوق القبر على شكل كوم مربع أو مستطيل. وفي هذه القبور كان الميت يسجى على طوله أو على جنبيه. وتوضع معه أواني من الفخار وأسلحة من الحجر بالإضافة إلى الحلي وأدوات الزينة...

4 - القبور التلية : وتسمى بالأمازيغية كركور وهي القبور التي يعلوها كوم من التراب أو من الطين في البداية كانت على شكل نصف دائري ثم أصبحت دائرية وصار الكوم من الأحجار التي كانت تتماسك - في بعض الأحيان - بملاط من الطين. ويبدو أن هذه القبور التلية تطورت في أواخر فجر التاريخ إلى مقابر وهي المعروفة بالبازينا عند كابرييل كامبس. ومن أشهر القبور التلية الموجودة في المغرب قم لرجم.

5 - البازينا : وهي قبور ضخمة دائرية الشكل مغطاة بقبة مبنية من الأحجار المصقولة المهذبة. رص بعضها فوق

بعض بعناية. ويبدو أن أصل هذا النوع من المعابد مغاربية صرفة، نظرا لأن وجودها يقتصر فقط على المغرب الأقصى وغرب الجزائر، أي المنطقة التي كانت تكون مملكة موريطانيا في عهد يوبا الثاني. بل ويبدو أنها تطور طبيعي للقبر التلي (التومولوس). ومن أشهر هذه البازينات الميدغاسن، وقبر الرومية أو النصرانية بالجزائر، وبازينا سوق جمعة الكور بالمغرب.

6 ـ قبور أسطوانية الشكل : يطلق عليها اسم المقابر التي على هيئة الشوشة، الجزء العلوي من القبر برج أسطواني الشكل لا يرتفع عن الأرض كثيرا. وهذا النوع من المقابر له صلة بنوع آخر من المدافن المعروفة بالدولمينات.

7 ـ الدولمين : عبارة عن حفرة دائرية الشكل يسجى في قاعها الميت، تبنى جدران القبر بالحجر ثم تكسى بالتراب والأحجار، ثم يحاط القبر بأحجار ضخمة تعلوه كتلة ضخمة من الحجر، وتسمى هذه المقابر بالصروح الميگاليتية، وهي منتشرة في مناطق متعددة من المغرب، في جبال الأطلس، وفي سهل سايس، وسهل الغرب، وجبال بني يزناسن. ويحاول عدد من الباحثين ربط طراز هذه القبور بقبور أخرى شبيهة لها توجد في البرتغال، وبريطانيا، والدانمارك، وفرنسا وفلسطين، وآسيا الصغرى وإسبانيا. ونظراً لأهمية هذه القبور فقد حاولوا تفسير وجودها بأنها قبور لأناس لم يدفنوا بها لأن أصحابها غالباً ما يكونوا قد ماتوا بعيدين عن مكان القبر. ونظراً لصعوبة نقلهم من الأماكن التي ماتوا فيها، وبما أنه كانت لهم مكانة مميزة بين عشائرهم فقد أقاموا لهم القبور تخليدا لذكراهم. وقد ظلت ظاهرة القبر الفارغ متواترة في جزيرة مدغشقر حتى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي حيث كانت تهيأ قبور لأناس ماتوا أو غرقوا في البحر.

والدولمين يعني غرفة مبنية من الحجر بها فتحة لإدخال جثة الميت دون الحاجة إلى المساس بهيكل البناء، وهذه القبور تتسع لإيواء عدة جثث في بعض مناطق شمال إفريقيا، إلا الموجودة بالمغرب فإن أغلبها صغيرة ولا يتسع إلا لجثة واحدة، ويعد هذا النوع من الدولمينات أكثر مدافن فجر التاريخ انتشارا في المغرب، إذ نجدها في نواحي طنجة (المريس وعين الدالية والدار الكبيرة) وفي نواحي ليكسوس والأطلس الكبير. ومن الدولمينات التي درست في الثلاثينيات دولمين امرزواست بالأطلس الكبير وهو دولمين كامل من المقطع الكلاسيكي : الصخرة الأفقية مستطيلة الشكل طولها 4 م وعرضها 2,60 م وسمكها 30 سم مدعمة بثلاث كتل صخرية عمودية على شكل منهيرات طولها ما بين 1,30 م و1,50 م.

8 ـ المنهير والكروملیك : يرى جل الباحثين أن القبور المعروفة بالمنهير تطورت من الدولمين : وأن هذا الأخير تطور إلى الكروملیك ومن أشهرها عالمياً، سطون هينك، ومغاربيا مزورة ففيما يخص الأول فيعتبر أجمل المنهيرات على الإطلاق، وتبدو المنهيرات، وهي تحيط بالحرم.

ومن خلال هذا العرض الموجز لأنواع المدافن والمقابر يتضح مدى اهتمام أمازيغ فجر التاريخ وبداية العصور التاريخية بها، والعناية التي يوجهها لدفن موتاه، والجهود الذي كان يبذلها من أجل تهييء وإنشاء المدافن، وما يصاحبها من طقوس واحتفالات، وتقاليد، خاصة بنقل الميت من عالم الأحياء إلى عالم الأموات، ومنه إلى العالم الآخر.

م. أعشي، *العقائد والمعبودات في المغرب القديم*، دكتوراه الدولة، فاس، ص. 58 ـ 87 ؛ ميرسيا إلياد، *تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية*، تر. عبد الهادي عباس، ج. 1، دار دمشق، ط. 1، 1986 ـ 1987.

Youssef Bokbot, *Habitats et monuments funéraires du Maroc protohistorique*, Doctorat, Aix-En-Provence ; G. Camps, *Les civilivations préhistoriques de l'Afrique du Nord et au Sahara*, Doin éditeur, 1970 ; Id., *Aux origines de la berbérie, monuments et rites funéraires protohistoriques*, Actes et métiers graphiques, Paris, 1961 ; J. Meunié, La necropole de Foum Le - Rjem, Tumuli du Maroc présaharien, *Hespéris, t. XLV*, 1958, p. 95 - 112 ; M. Tarradell, El tumulo de Mezora (Marruecos), *Archivo de Prehistoria Levantina, t. III*, 1952, p. 229 - 239 ; G. Ch. Picard, *Les religions de l'Afrique antique*, 1954 ; S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, 8 volumes, 1913-1928, vol. VI.

مصطفى أعشي

القبلة في اللغة، الجهة. وفي الاصطلاح، ناحية الصلاة، ووجهة المسجد ؛ والقبلة، التي يصلى نحوها. وفي حديث ابن عمر : "ما بين المشرق والمغرب قبلة" ؛ أراد به المسافر إذا التبست عليه قبلته، فأما الحاضر فيجب عليه التحري والاجتهاد.. ويجوز أن يكون أراد به قبلة أهل المدينة، ونواحيها، لأن الكعبة جنوبها. واستقبال القبلة هو الشرط الثالث لصحة الصلاة ؛ لقوله تعالى : "وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره" (البقرة، 150). والشطر، الوجهة والعين ؛ عين القبلة ؛ والسمت. والمقصود بـ"شطره"، أي صوب المسجد الحرام. غير أن العاجز عن استقبالها لخوف أو مرض ونحوهما يسقط عنه هذا الشرط. كما يسقط عن المسافر على ظهر دابته، أو على متن إحدى وسائل النقل المعروفة اليوم ؛ إذ يمكنه أن يصلي حيثما كان اتجاهه ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم رئي "يصلي على راحلته وهو مقبل إلى المدينة حيثما توجهت به".

وقد صلى المسلمون الأوائل إلى بيت المقدس طوال ستة عشر شهرا، قبل أن يتحولوا إلى الكعبة، بعد نزول الآية : "قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها" (البقرة، 144)، وكان كذلك قبل غزوة بدر بشهرين.

ولما كان لأحكام القبلة آثار مباشرة على العمران الإسلامي عامة، فقد حرص المسلمون على تحقيق استقبالها ليس فقط لتصح صلاتهم، ولكن أيضا لتوجيه بعض مرافق مساكنهم. وانتقش في أذهانهم، بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، إعطاء ذلك التوجيه الأولوية على كل الاعتبارات العمرانية، لوضع هندسة النسيج الحضري.

ومن ثم، حددوا الطرق الموصلة إليها في خمس، وهي : (أ) ـ رؤية الكعبة بالعين. (ب) ـ خبر العالم الصادق

الذي يجوز قبول خبره. (ج) ـ الاجتهاد في طلب القبلة لمن كانت عنده دلائل الاجتهاد. ومن العلامات التي استند إليها المغاربة لمعرفة القبلة : النجوم الثابتة، ومطالع الشمس ومغاربها، ومطالع القمر. (د) ـ قبلة تقليد العامي للعالم الذي عنده دلائل الاجتهاد. (هـ) ـ قبلة تردد.

وذهب أبو علي المصمودي إلى "أن قبلة أهل المغرب صعب أمرها من أجل أمرين" : ـ أحدهما أن من شرحوا الأمهات لم يستدلوا بالنجوم وغيرها مما ذكر. وكل من تكلم من العلماء عن القبلة إنما تكلم عن قبلة بلده "والمصامدة خارجون عن ذلك كله".

ـ الأمر الثاني أن مساجدهم مختلفة الاتجاه. منها من استقبل المشارق الصيفية، ومنها من استقبل موضع الاعتدال، ومنها من استقبل الشتوية، ومنها من استقبل وسط الجنوب، وهو مطلع سهيل. ولعله يقصد أهل الأندلس.

واستقبل أهل المغرب الأقصى، عند بناء مساجدهم، وسط الجنوب ؛وهو قريب من مطلع سهيل كذلك. واستندوا إلى الحديث المذكور أعلاه، "ما بين المشرق والمغرب قبلة" ؛ إذ حملوه على العموم. ولعلهم استمروا على ذلك حتى زمن ابن رشد الذي أكد أن الحديث مخصوص بأهل المدينة، لأن عمر بن الخطاب رفع التعميم حين قال : "وذلك إذا توجه نحو البيت" ؛ يقصد بيت الله الحرام. ووضح ابن العربي ذلك، فقال : "إذا كان الرجل شماليا أو جنوبيا، صح أن يقال له ما بين المشرق والمغرب قبلة، وإذا كان مغربيا أو شرقيا لم يصح له ذلك بحال". وهذا دون إهمال الميل، بأن يتياسر إلى المشرق إن كان الميل إلى الشمال، أو يتيامن إلى المغرب إن كان الميل إلى الجنوب.

ومن العلماء من استدل على القبلة بالظل، في وقت معين من السنة. ومنهم من استدل عليها بالقطب، يجعله على كتفه ـ أو منكبه ـ الأيسر. وهذا ما بنيت عليه مساجد القيروان مثلا ؛ واتفقوا عليه بالإجماع.

ومن ثم فقبلة أهل المغرب الأقصى بين الشمال والجنوب، مع مراعاة الميل حسب العرض والطول. لكن أبا علي المصمودي لا يني عن التأكيد على القول : "ونحن المصامدة قليل من تكلم من العلماء على قبلتنا". ويذهب إلى أن العلماء إنما رجحوا "أقوال الفقهاء على آراء المهندسين، لأن الهندسة قليل من يعرفها". وبناء على ذلك، لم يعتمد أهل المغرب ما كتبه أبو الفضل ابن النحوي في قبلة أهل المغرب، لأنه مبني على الهندسة ؛ "وقل من يفهمه".

ومهما يكن من أمر، فإن قبلة أهل المغرب تلتمس، بعد التحري، في وسط الغرب. ولا يجوز طلبها البتة وسط الجنوب، بإجماع العلماء. قد بذلت قصارى الاجتهادات في نصب المساجد، وتحقيق قبلتها ؛ وجوّز العلماء الانحراف القليل، ونهوا عن "التشديد المؤدي إلى افتراق الكلمة مع إمكان مقاربة الصواب". وإذا كان الانحراف يسيرا، انحرف الإمام والناس فيه إلى القبلة، حسبما رأى الإمام مالك. وإن كان كثير الانحراف عن القبلة هدم، إن لم يخف الفتنة على هدمه. فإن لم يتفق الناس على هدمه، صلوا فيه وانحرفوا ؛ أو بدلوا محرابه إلى القبلة.

ومن الدلائل على تحري المغاربة الشديد في تصحيح قبلة مساجدهم ما وتر في موضوع بناء المساجد الأولى. ذلك أن عقبة بن نافع لم ينصب محراب مسجد القيروان إلا بعد أن استدل على سمت قبلته بالنجوم والمطالع، والاجتهاد والتحري ؛ واتفق هو وجماعة من التابعين وخمسة عشر رجلا من الصحابة ؛ فرفعوا قبلته إلى مطلع الشمس في الشتاء ؛ أي فيما يوافق اليوم السادس عشر من دجنبر.

ومن المساجد التي أجمع الفقهاء على "تصويب قبلته" جامع علي بن يوسف بمراكش. فقد جمع الأمير المرابطي أربعين فقيها، فيهم مالك بن وهيب وأبو الوليد ابن رشد، من أجل نصب محراب ذلك المسجد. فنصبوه إلى مشارق الشمس الصيفية، أي مطالع الشمس في الاعتدال. وقد تحرى بعضهم في ذلك، فرصد الوجهة بالنجوم، فوجد القطب على المنكب الأيسر. وهو أيضا توجه صحيح، حسب فلكيي ذلك العصر. وعدد المؤلف مساجد كثيرة، وضعت محاريبها وضعا صحيحا، متوجهة نحو القبلة، منها مساجد فاس، كمسجد الرصيف.

وعلى العموم، فإن قبلة مساجد المغرب الأقصى تلتمس فيما بين الجنوب والشمال ؛ وحددوا ذلك بـ"المشارق الشتوية، وهي ما تطلع فيه الشمس ستة أشهر من اليوم الثامن عشر من شتنبر، وهو الاعتدال الخريفي ؛ فتمر حتى تصل أقصى مطالعها في الشتاء في اليوم السادس عشر من دجنبر... فترجع في مطالع الشتاء أيضا من ناحية الجنوب إلى ناحية الشمال إلى يوم الخامس عشر من مارس... وهو الاعتدال الربيعي". أما "المشارق الصيفية فثلاثة أهشر، ترجع الشمس من أقصى مطالعها في الصيف في اليوم السابع عشر من يونيه... ومن استقبل في صلاته، بالمغرب الأقصى من مطالع الاعتدال إلى آخر المطالع الشتوية، فقد صادف القبلة، في قول أكثر العلماء".

واقترح الموقت محمد بن سعيد الميرغثي مطلع الشمس في اليوم التاسع أو العاشر من مارس ؛ أو اليوم العاشر أو الحادي عشر من شتنبر، لأنها تطلع فيها في مشرق الاعتدال. وهذا "عين القبلة على الحقيقة بلا شك، كما ذكره المحققون من أهل الفن". وهي قبلة مساجد أهل المغرب الأقصى الواقعة في عروض ما بين حاحا وأقا. ولاحظ الميرغثي أن كثيرا من المساجد القديمة، سيما مساجد الموحدين، مائلة عن عين القبلة إلى جهة الجنوب. لكنه ميز بين الميل القليل الذي يميل عن العين ولا يتجاوز الجهة، والميل الكبير الذي يصدف عن الجهة تماما. فإذا كانت الصلاة في الحال الأولى غير فاسدة ؛ فإنها في الحال الثانية تكون باطلة.

ويحدد ذلك بالضبط، فيقول : "وإذا ملْتَ عن الحد الشمالي إلى الشمال أو عن الحد الجنوبي إلى الجنوب..

بأكثر من خمسة وأربعين درجة، الذي هو ربع الدائرة، باعتبار الجهة الصغرى (90 درجة).. فقد ملت إلى غير جهة القبلة، فتبطل صلاة من صلى لكلتا الجهتين".

ومن التمس القبلة على المنهاج الفلكي، يمكنه تحري رجلي الجوزاء. وهذا ما أكده كثير ممن استند إلى علم الفلك، كالدادسي صاحب اليواقيت، والرسموكي صاحب الشرح. وذهب الإمام سحنون، قبلهما، إلى أن "قبلة أهل المغرب مطلع الجوزاء". ولا شك في أنه قصد قبلة مساجد أفريقية.

وقد انشغل المغاربة، زمنا غير يسير بقضية القبلة، سيما لما اكتشفوا انحرافا في بعض المساجد الكبرى كالكتبيين والقرويين، وجامع الأندلس، وجامع تلمسان. فلا يصلي فيها إلا إذا مال عن محاريبها جهة الشمال. ولعل أوج تلك الضجة كان في القرن الثاني عشر (18 م)، حين هجر المصلون بعض المساجد، كما حدث في وادي نفيس عام 1118 / 1706.

ومهما يكن من أمر، فإن كثيرا من التساؤلات تبقى واردة ؛ نقتصر على أبرزها : إذا كان المغاربة قد بلغوا درجة كبيرة من التهمم بقضية تصحيح قبلة مساجدهم، فوضعوا الرسوم والخرائط لبلورة ذلك، فلماذا جاء كثير منها منحرفا عن القبلة ؟

أ. الجزائري، *منهاج المسلم* ؛ ابن حجر، *فتح الباري* ؛ ع. الزرهوني، *رحلة...* ؛ م. المنوني، *حضارة الموحدين...* ؛ م. ابن حموش، *فقه العمران الإسلامي*.

M. Rius, *La Alquibla en al Andalus y al Magrib al Aqsa*, Barcelona, 2000.

أحمد عمالك

قَبيسَة ويكتب أيضا قَبيشَة أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Cabeça ؛ ومازالت باسبانيا أسر تحمل اسم Cabeza ؛ ومعناه الرأس ؛ وقد انقرصت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

القبيلة، يعتبر مفهوم القبيلة من المفاهيم التي تعددت بشأنها آراء المتخصصين في العلوم الاجتماعية ولاسيما الأنثربولوجيين والمؤرخين وعلماء الإجتماع. ومهما تعددت التصورات حول مفهوم "القبيلة" أو "المجتمع القبلي" فإن مضامين ومحددات هذا المفهوم تظل نسبية ولا يمكن تعميمها نظرا لتعدد أصناف القبائل تبعا للملابسات والظروف التاريخية العامة : السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي نشأ وتطور فيها المجتمع القبلي.

والقبيلة في البلاد المغربية ظلت عبر التاريخ بمثابة إطار ترابي وسياسي لحياة اجتماعية، ومن ثم فهي الإطار الذي يتحدد فيه النظام القانوني والاجتماعي وكذا مختلف العلاقات بين الناس. تضم القبيلة بالمغرب مجموعة من الفخذات، ونادرا ما يرمز إسمها إلى جد أعلى يعتقد أفراد القبيلة بانتسابهم إليه، وهو أمر بديهي طالما أن القبائل في مختلف الجهات المغربية قد عرفت اختلاطا كبيرا في أصولها. ولعل مثل هذه الوضعية عند المجتمع القبلي هي التي جعلت ابن خلدون يرى بأن النسب هو الإنتماء الفعلي إلى جماعة معينة، أي إلى عصبية ما، وليس فقط الإنتماء إلى جد مشترك، ومن هنا حسب رأيه، فإن تعصب الفرد لعصبية ما (قبيلة أو جماعة) إنما يرجع إلى الألفة وطول المعاشرة وما ينتج عن ذلك من تشبعه بعاداتها وتقاليدها وبالروح الجماعية السائدة فيها، ومن ارتباط مصلحتها ووجوده بوجودها.

وتتميز القبيلة بعموم البلاد المغربية في فترة ما قبل الاستعمار بالخصائص الرئيسية التالية : وجود حدود مجالية لكن متفاوض بشأنها، لذلك تظل غير مستقرة في المكان وفي الزمان، إذ قد تتمدد أو تتقلص حسب ميزان القوى مع القبائل المجاورة ومع المخزن، ثم هيمنة روح التضامن بين أفراد القبيلة لضمان التلاحم والدفاع المشترك خلال الصراعات والمعارك التي تدور حول المراعي والحدود مع القبائل المجاورة، وهي صراعات غالبا ما تحاول القبيلة تلافيها بإبرام معاهدات الصلح وحسن الجوار وأحيانا بربط علاقات تبادل ومصاهرة وغيرها مع الأطراف المعنية. وكذلك وجود "جماعة" القبيلة التي تتكون من أفراد منتخبين ينتمون إلى مختلف الأسر بالقبيلة وتتكلف هذه "الجماعة" بتوزيع المراعي والأراضي الزراعية على الفخذات وتسوية النزاعات مع القبائل الأخرى وتنظيم الدفاع وتوزيع واجباته على الفخذات، وكذا الحرص على تطبيق القوانين العرفية والتقاليد القبلية وإبرام المعاهدات مع القبائل الأخرى واستقبال الأجانب. واستعداداً لكل طارئ تسهر "جماعة" القبيلة على تربية الشباب وتدريبه على ركوب الخيل وحمل السلاح وتهيئته للذود عن العرض والأرض والدين وشرف الوطن بتشجيع وتحفيز من طرف العلماء والصلحاء وأولي الأمر بالقبيلة. وهكذا كانت اختصاصات مجلس "الجماعة" على مستوى القبيلة أكثر شمولية وذات طابع سياسي وعسكري بالدرجة الأولى.

ونتوخى من خلال الجدول التالي إعطاء صورة ملخصة حول مرتكزات وأبعاد التراتب والتناسق الذي ميز التنظيم الإجتماعي والترابي عند القبائل المغربية قبل التدخل الإستعماري المباشر في أوائل القرن العشرين.

ومن خلال المعطيات العامة التي يتضمنها الجدول نستنتج بأن التنظيم الإجتماعي والإقتصادي والمجالي عند القبائل المغربية قبل التدخل الإستعماري، كان مؤسسا على تصور عقلاني وقواعد منهجية تهدف، كما عبر عن ذلك ألبير عياش، إلى "تحقيق التوازن بين الموارد ووسائل الإنتاج والبنية الإجتماعية".

تراتب وتناسق التنظيم الإجتماعي والترابي عند القبائل المغربية قبل التدخل الإستعماري المباشر

الوحدات الاجتماعية المجالية المترابطة	ملكية المراعي والغابات	ملكية الأرض الزراعية	السلطة المسيرة	الوظيفة الأساسية
القبيلة	جماعية	خاصة	جماعة القبيلة	إيديولوجية، سياسية وعسكرية
الفخذة	جماعية	خاصة	جماعة الفخذة	اقتصادية، دفاعية وتنسيقية
الدوار	جماعية	خاصة	جماعة الدوار	اجتماعية، اقتصادية وتنظيمية
الأسر الممتدة	جماعية	مشتركة	الأب أو ابنه الأكبر	بيولوجية، اقتصادية وتدبيرية

وإذا كانت مؤسسة "الجماعة" على صعيد القبائل ثم الفخذات قد اندثرت تدريجيا تحت ضغط الإكراهات السياسية والإجراءات القانونية والإدارية والتقطيعات الترابية التي ما فتئت تتعدد منذ الفترة الإستعمارية، فإن هذه المؤسسة (أي "الجماعة" التقليدية) لازالت صامدة ومؤكدة وجودها لحد الآن على صعيد بعض الدواوير في مناطق مغربية مختلفة وكذلك في بعض القصور بالواحات، لكن وظيفتها أصبحت محصورة في بعض الجوانب ذات الطابع التعاضدي والترفيهي داخل الدوار أو القصر بعد اندماج "الجماعة" الحالية في شبكة المراقبة والتحكم التابعة للدولة. هكذا، وبفعل تأثير التطورات السياسية والإجتماعية والإقتصادية المعاصرة بدأت الروابط الإجتماعية والثقافية القبلية القديمة في البوادي المغربية تضمحل وتختفي تدريجيا لتحل محلها شبكات زبونية وعلاقات ولائية تحكمها المصالح المتبادلة والتي تلعب أدواراً هامة على صعيد بناء جزء من الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المحلية في الظروف الراهنة.

أ. التوفيق، *المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر*، الطبعة الثانية، 1983 ؛ م. عابد الجابري، *العصبية والدولة*، الدار البيضاء، 1987 ؛ ع. صدقي، *النسب والتاريخ وابن خلدون*، الرباط، 1985 ؛ م. الأكحل، *المجال الريفي المحلي بالمغرب : حصيلة التنمية بين الموروث والمعاصر*، تونس، 1999 ؛ ع. الخديمي، *نشر المحاسن والمآثر لرجال الشاوية*، الدار البيضاء، ألبير عياش، *المغرب والإستعمار*، الدار البيضاء، 1985 .

M. Godelier, Le concept de tribu, crise d'un concept ou crise des fondements de l'anthropologie, in *Diogène n° 81*, Gallimard, Paris, 1973, p. 3 ; Le tribu, in *Encyclopaedia universalis*, Corpus 18, 1988, p. 251-256.

المختار الأكحل

قَبِيُّو ويكتب أيضا قَبيُّ أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Cabellos ؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Cabello وCavello ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1088 / 1677.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

قُجّاري، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Cuchar ؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Cujar وGojar نسبة إلى قرية قُجَّر أو قرية قُلْجر اللتان كانتا بأحواز غرناطة المسلمة ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

قُجّان ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Cuchan ؛ انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

القُجّاني ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Cuchani.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999 ، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1310.

محمد ابن عزوز حكيم

قدار، محمد الملقب بـ قدار (لقبه بذلك صبيان وقته) بن الشيخ أبي زكرياء يحيى بن علال بن موسى بن محمد بن يحيى ابن الشيخ غانم أبي خصيب، ينتسبون إلى عمر بن الخطاب، ويعرف فخذهم في بني مالك بأولاد أبي خصيب، ولهم فيهم الرياسة الكبيرة.

أخذ عن الشيخ أبي المحاسن الفاسي. وكان شديد الحب فيه والتعظيم له، كثير الزيارة والمجالسة معه والاستفادة والاستشارة. وكانت بينهما مصاهرة ؛ إذ صاهر محمد قدار بابنته أحد أبناء أبي المحاسن وهو الشيخ عبد الرحمان. دخل مكناسة. ولقي بها أبا الروابن. ثم عاد إليها مرة أخرى، فصحب الشيخ سعيد بن أبي بكر المشتراتي، وأخذ عنه، ولازمه إلى أن مات. فذهب إلى مراكش، ولقي بها الشيخ أباعمرو القسطلي. وذهب إلى تامصلوحت، فلقي بها الشيخ عبد الله بن حسين.

طال عمر الشيخ محمد قدار، وكان لا ينام الليل، فيقال إنه كان من حراس المغرب. ويظهر أن الشيخ محمد قدار كانت له مواقف من بعض أحداث وقته. شُكي إليه أولاد

مطاع لما كانوا عليه من الفساد، فقال لهم : يأتيهم أحمد. فكان كذلك، وأتاهم السلطان أحمد المنصور السعدي، فأخذهم وفرق جمعهم. كما عاش أحداث الخلاف بين أبناء هذا السلطان. وعارض بشدة تسليم المامون العرائش للإسبان. ويظهر أنه كان ضد وجود أي نفوذ سواء للمامون أو لزيدان في فاس. ولسبب ما سجن ولد الشيخ مع ابن عمه في أحد سجون الأمير زيدان.

توفي سنة 1024 / 1615.

ع. الفاسي، *ابتهاج*، ص. 125 ـ 205 ـ 408 ـ 411 ؛ م. ع. الفاسي، *مرآة*، ص. 216 ـ 217 ؛ م. الفاسي، *متع*، ص. 105 ـ 119 ـ 152 ـ 154 ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، ج 1، ص. 202 ـ 204، ج 2، ص. 12، *إلتقاط الدرر* ؛ ابن عيشون الشراط، *الروض العطر الأنفاس*، ص. 55، م. الإفراني، *نزهة الحادي*، تح. ع. الشادلي، ص. 148 ـ 149 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج 5، ص. 251 ـ 253.

المصطفى البوعناني

القدس والمغرب، لا يمكن أن نتحدث عن القدس في معزل عن القضية الفلسطينية بكاملها، لذلك فإننا نحيل القارئ على مراجعة المادة المخصصة لفلسطين في المعلمة، حتى تكتمل الصورة لديه بالنسبة لموضوع القدس الذي سنفصل الكلام عنه حسب المعطيات الآتي ذكرها :

أولاً : القدس ماضياً وحاضراً :

بحث أوضاع القدس تبرز أهميته لدى تفكيرنا في أولى القبلتين وثالث الحرمين وهي تربض أسيرة لجبروت الاحتلال الصهيوني، يعبث فيها هدماً وتنكيلا، وتشويها. ومصادرة. العدوان الصهيوني يتصاعد في القدس ويزداد شراسة وتوحشاً، في محاولة يائسة للتشكيك في عروبة المدينة المقدسة وإسلاميتها، وتغيير الطابع الديوغرافي والحضاري فيها، وحصرها ضمن جدار الفصل العنصري لتجزئتها، وعزلها عن محيطها الفلسطيني، للاستفراد بها، ومصادرة ما تبقى من أراضيها، واغتصاب بيوتها وعقاراتها، وزرع المستوطنات الصهيونية فوق ترابها، ومنع الزاور والمتعبدين من ممارسة شعائرهم الدينية في مساجدها وكنائسها، وفرض الضرائب الباهظة على سكانها، ومنعهم من دخولها، واعتبارهم غرباء في وطنهم، يتوفرون على بطاقة دائمة للإقامة، تبقى مرْهونة بمزاج المحتل، وحاجته لاستقدام مهاجرين جدد، دون أن يسمح لهم بالمشاركة في انتخاب بلديتهم، أو تكوين المؤسسات التي تعنى بشؤونهم وتدبير أمورهم.

كل ذلك يتم في خرق تام للقيود القانونية والأخلاقية والدينية والإنسانية. ولابد أن نذكر هنا أن الصهاينة يتذرعون في تنفيذ سياساتهم العدوانية تلك، بأكاذيب تشكك في عروبة القدس وإسلاميتها، والحال أن تاريخ القدس منذ الألف الثالثة قبل الميلاد، تميز بأهم ظاهرة في تاريخ الشرق الأدنى : أعني تلك الموجات المتتالية لجماعات مهاجرة من الجزيرة العربية إلى الشام والعراق، وأن إحدى هذه الجماعات وهم الكنعانيون، اشتهروا في أرض كنعان، ثم جاء يَبُوس، أحد أولاد كنعان، وتخير موقعا وضع فيه اللبنة الأولى لمدينة سيكون لها شأن عظيم هي يبوس، أو القدس، أو إيلياء، أو أورشاليم، وتعني في اللغة الكنعانية منشأة الإله سالم، أو الإله السلم عند اليبوسيين.

ورغم أن النبي موسى عليه السلام لم يأت القدس، ولم يدخلها، فإن حَمَلَة الفكر الصهيوني حاولوا إثبات أهمية القدس كرمز لكيان الدولة الموحدة على عهد داود وسليمان، والحال أن مدة حكم هذه المملكة لم تزد عن ثلاثة وسبعين عاماً، كانت خلالها واقعة تحت حماية مصر من جهة، وملك صور من جهة أخرى، إلى أن تفسخت بعد موت سليمان، وانقسمت على نفسها. ومنذ ذلك الوقت أي ستة قرون قبل الميلاد، انتهى التاريخ السياسي لبني إسرائيل في القدس وفلسطين وظلوا خاضعين لدولة الفرس ثم اليونان، وبعدهم الرومان، إلى أن دخل المسلمون إلى المدينة في عهد خلافة أمير المومنين عمر ابن الخطاب عام 17 / 636.

كان فاتح القدس هو القائد العربي المسلم أبوعبيدة ابن الجراح، وكان من تسلم المدينة من حاكمها الروماني صفرنيوس هو أمير المومنين عمر ابن الخطاب. الذي أعطى الأمان والعهد على نفسه "بالمحافظة على سكانها ومنشآتهم وأملاكهم، ودور عبادتهم". وبذلك دخلت القدس في نطاق الخلافة الإسلامية الرشيدة ثم الدولة الأموية، فالعباسية، ثم الأتراك العثمانيون بعد أن كانت الحملة الصليبية قد غشيتها ما بين 1096 ـ 1291 للميلاد، فعاثت جيوش الغز والصليب في الأرض والسكان فساداً، وسفكاً للدماء إلى أن جاء صلاح الدين الأيوبي، محرراً للقدس، ومعيداً لها ما كانت قد افتقدته من فضائل التسامح، واحترام المعابد والديانات.

ثانياً : دور القوى العظمى في دعم سيطرة إسرائيل على القدس :

منذ تحرير القدس على يد صلاح الدين الأيوبي لم يحدث في التاريخ ما يشكك في عروبة القدس وإسلاميتها حتى

صدور وعد بلفور بتاريخ 2 نوفمبر 1917، وفحواه "أن بريطانيا تتعهد بتمكين اليهود من إنشاء وطن لهم في فلسطين".

وعند قيام الانتداب البريطاني على فلسطين منذ عام 1920 ، لم تدخر بريطانيا جهداً في سبيل تنفيذ وعد بلفور إلى أن انتهى الأمر بها إلى إحالة القضية الفلسطينية على الجمعية العامة للأمم المتحدة، التي أصدرت تحت ضغوط بريطانية وأمريكية قرارها رقم 181 بتاريخ 29 نوفمبر 1947 القاضي بتقسيم فلسطين إلى دولة عربية وأخرى يهودية وتدويل مدينة القدس بكاملها، الأحياء القديمة منها والحديثة، يضاف إليها القرى والمدن المحيطة بها، والتي تشكل معها منطقة واحدة، حددت بخريطة ألحقت بالقرار.

إلا أن النظام الدولي للقدس لم ير النور نظراً لمعارضة الدول العربية وكذا إسرائيل، فبقي التدويل حبراً على ورق.ولم تفلح جيوش الدول العربية المتاخمة عند دخولها إلى فلسطين في حسم الموقف وإعادة الأمور إلى نصابها، وأضحت القدس مقسمة إلى قسمين : القسم الأول داخل السور وهو ما يعرف بالقدس القديمة بما فيها الأماكن المقدسة كلها وقد سيطرت عليه القوات الأردنية، والقسم الثاني خارج الأسوار، وكان يعرف بالقدس الجديدة وقد احتلته إسرائيل. وفي 7 يونيه 1967 احتلت إسرائيل المدينة بأكملها عقب عدوان 5 يونيه في نفس السنة. وفي غشت 1980 أقدمت إسرائيل على ضم القدس المحتلة واعتبرتها عاصمتها الموحدة في انتهاك صارخ لمبادئ القانون الدولي.

ثالثاً : موقف القانون الدولي إزاء قضية القدس ورأي دولة القطبية الأحادية في ذلك :

ليس من شك أن قرارات مجلس الأمن الصادرة على عهد الحرب البادرة أدانت كلها ضم القدس الشرقية، ولم تعترف بإعلانها عاصمة موحدة لإسرائيل. وأكثر من ذلك فإن مجلس الأمن كان يتابع تطورات احتلال إسرائيل للقدس عن كثب، ويصدر في كل مرة ما يراه مناسباً من قرارات لمواجهة الموقف : وفي مقدمتها القرار 250 بتاريخ 2 مايو 1968، والقرار 253 لعام 1968 الذي اعتبر جميع الإجراءات الإدارية والتشريعية التي قامت بها إسرائيل، بما في ذلك مصادرة الأراضي والأملاك التي من شأنها أن تؤدي إلى تغيير في الوضع القانوني للقدس، إجراءات باطلة ولا يمكنها تغيير الوضع فيها، والقرار 267 لعام 1969 الذي أكد فيه المجلس بأن جميع الأعمال الإدارية والتشريعية التي قامت بها إسرائيل لتغيير وضع القدس لاغية تماما، والقرار 465 لعام 1980 الذي دعا لإزالة المستوطنات الإسرائيلية القائمة في الأراضي المحتلة، ومن بينها القدس الشرقية، والقرار 478 لعام 1980 والذي دعا جميع الدول إلى عدم نقل بعثاتها الدبلوماسية إلى مدينة القدس، مع اعتبار جميع التدابير والإجراءات التشريعية والاستيطانية الرامية إلى تغيير الوضع القانوني للمدينة لاغية ومخالفة للقانون، والقرارات 672 لعام 1990، و 673 لعام 1990 و904 لعام 1994 التي أدانت إسرائيل لارتكابها أعمال عنف ضد الفلسطين في المذبحة التي شهدتها ساحة المسجد الأقصى في أكتوبر 1990، والخليل عام 1994. ووصفت القدس في تلك القرارات بأنها أرض محتلة، وطُلبَ بمقتضاها من إسرائيل اتخاذ إجراءات من بينها مصادرة الأسلحة بهدف منع أعمال العنف غير المشروعة من جانب الإسرائيليين.

هذه القرارات التي وافق عليها المجتمع الدولي لم يكن لإسرائيل أن تتجاهلها أو تتعنت في التعامل معها لولا ما تلقاه من تأييد ودعم من الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها، فقد انحازت انحيازاً كليا للمخططات والمؤامرات الإسرائيلية، ونصبت نفسها مدافعاً عن سياساتها التوسعية.

وتجلى ذلك بوضوح بعد نهاية الحرب الباردة، وفي أثناء التحضير لمؤتمر مدريد المنعقد فيما بين 30 أكتوبر و1 نونبر 1991 الذي تعمد الأمريكيون في الرسالة التي وجهوها إلى الفلسطين بتاريخ 18 أكتوبر 1991 أن يصرحوا بأن الولايات المتحدة تفهم الأهمية التي يعلقها الفلسطينيون على مسألة القدس الشرقية ولهذا تريد أن تطمئنهم أن لاشيء مما سيقوم به الفلسطينيون في هذه المرحلة من عملية السلام سيؤثر على مطالبتهم بالقدس الشرقية، أو يشكل حكماً مسبقاً أو سابقة لما سينتج عن المفاوضات".

والواقع أن هذه التطمينات إنما هي من باب التمويه والتغطية على النية المبيتة لأمريكا وإسرائيل وحلفائها كي يسقطوا حق الشعب الفلسطيني في استعادة أراضيه المحتلة في القدس، والحال أن مؤتمر أو سلو لم ينظر إلى مسألة القدس وأن إعلان المبادئ الفلسطيني ـ الاسرائيلي الموقع في واشنطن بتاريخ 13 سبتمبر 1993 جاء مؤكداً في المادة 315 منه الخاصة بالفترة الانتقالية ومفاوضات الوضع الدائم : "أنه من المفهوم أن هذه المفاوضات سوف تغطي القضايا المتبقية بما فيها القدس، واللاجئون، والمستوطنات، والترتيبات الأمنية، والحدود، والعلاقات، والتعاون مع جيران آخرين، والمسائل الأخرى ذات الاهتمام المشترك".

ونصت الفقرة الرابعة في نفس المادة على اتفاق الطرفين على أن "لا تجحف أو تخل اتفاقيات المرحلة الانتقالية بنتيجة مفاوضات الوضع الدائم".

إلا أن إجراء مفاوضات الوضع الدائم كان النظر فيه يؤجل بسبب محاولات إسرائيل لتصفية القضية الفلسطينية بدعم أمريكي.

وفي يوليوز ـ غشت عام 2000 التأمت قمة كامب ديفيد بين رئيس السلطة الفلسطينية، ورئيس الولايات المتحدة الأمريكية، ورئيس وزراء إسرائيل للبدء في مفاوضات الوضع الدائم. متأخرة عن موعدها الأصلي بأربع سنوات.

وبعد اجتماعات متواترة لم تتوصل القمة إلى حل يذكر بالنسبة لمختلف الملفات المطروحة عليها بسبب إنحياز الوفد الأمريكي لوجهة نظر إسرائيل بالنسبة لقضية القدس، واللاجئين، وقضايا أخرى.

كل ذلك وما يضاف إليه من اختلال موازين القوى لصالح إسرائيل المتمادية في عدوانها، يدل على الاسقاطات السلبية لاتفاقيات أو سلو، وإعلان واشنطن على مصير القدس ومستقبل القضية الفلسطينية بأكملها. ساعد عليه وشجعه تهاون الدول العربية والإسلامية إزاء التأييد والدعم المطلق الذي تلقاه إسرائيل من الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها، وبخاصة منذ نهاية الحرب الباردة.

رابعاً : معطيات عن الوضعية المأساوية للقدس تحت الاحتلال الاسرائيلي :

بلغ نمو السكان الفلسطينيين في المنطقة المحتلة من القدس الشرقية في عام 2003 حسب الإحصاءات الإسرائيلية نفسها ما قدره : 252948 نسمة بزيادة تبلغ نسبتها 223٪ عما كان عليه الوضع عام 1967.

تتراوح نسبة الشباب الذين تقل أعمارهم عن سن الثامنة عشرة بين هؤلاء ما يقارب نصف السكان الحاليين أي حوالي 49٪ من المجموع.

وبالمقابل، فإن سياسة التمييز والتضييق والإقصاء والمصادرة والهدم المتبعة من طرف إسرائيل أدت إلى انتشار البطالة بين السكان الفلسطينيين القادرين على الشغل بنسبة 30٪ وسيمنع جدار الفصل العنصري عند انتهائه 60٪ من العاملين للوصول إلى مقار عملهم في مناطق السلطة الفلسطينية.

وهكذا يلاحظ أن ما تقوم به إسرائيل من جرائم في حق الشعب الفلسطيني يتجاوز كل جرائم الغزاة عبر العصور ؛ كل ذلك يتم كما سبق ذكره بتواطؤ وتأييد من بعض القوى العظمى، بهدف تهويد مدينة القدس، وتدمير مقدساتها ومآثرها الشاهدة على هويتها العربية والإسلامية، وتقرير مستقبلها السياسي كإجراء منفرد، بما يضمن بقاءها مدينة يهودية وعاصمة أبدية لإسرائيل، وإلغاء إمكانية عودتها للسيادة الفلسطينية، فبالأحرى أن تكون عاصمة للدولة الفلسطينية المنشودة.

والأدهى والأمر أن هذا المناخ يشجع المنظمات اليهودية المتطرفة الساعية إلى هدم المسجد الأقصى على تسريع الخطى نحو تحقيق هدفها الرامي إلى وضع حجر الأساس الذي صنعوه للهيكل المزعوم. محاولة منهم منذ بضع سنوات لزرعه في ساحة الحرم القدسي.

وهاهم يفكرون في الذهاب أبعد من ذلك حسب الأخبار المتواترة عن وضعهم لصواريخ موجهة إلى قبة الصخرة المشرفة، وما نشر عن سيناريوهات أخرى لكيفية تدمير المسجد الأقصى بهجوم جوي بالطائرات، كما تفعل دولة الصهانية حاليا مع الأحياء والمنازل ومخيمات اللاجئين في سائر المدن والمحافظات الفلسطينية دون استثناء.

خامساً : موقف الأمة العربية والإسلامية من قضية القدس :

لا بد من الإشارة هنا إلى الاتجاهات التي ظهرت في العالم العربي والإسلامي بعد أن أقدمت إسرائيل على ضم القدس وإعلانها عاصمة أبدية موحدة لإسرائيل ؛ وهي اتجاهات كانت تدعو لاستخدام مختلف الوسائل لتحرير المدينة المقدسة، بدءاً من المساعي الدبلوماسية، مروراً بتنظيم مسيرة إسلامية سلمية إلى القدس، وصولا لاستخدام القوة إذا لزم الأمر.

وقد ساعد على هذا التوجه حينئذ، تصميم الشعوب العربية والإسلامية ودفعها بالانتصار للقضية الفلسطينية وتحرير القدس الشريف بمختلف وسائل الدعم والمساندة والمشاركة، وكذا مسايرة حكومات بعض الدول العربية الإسلامية لهذه المقاربة، ناهيك عن تعنت إسرائيل وتشبثها بسياساتها العدوانية وما ترتكبه من حماقات وممارسات أقلها تهويد المعالم الدينية للمدينة، وإصدار أحكام عن المحاكم الصهيونية تسمح لليهود بالصلاة في المسجد الأقصى، وتجول أعضاء الحكومة الإسرائيلية والكنيست مدعومين بقوة الجيش في رحاب الحرم الشريف، والمحاولات المتكررة لنسف المسجد الأقصى أبرزها في أعوام 1980 ـ 1983 ـ 1984 والاقتحام المسلح وإطلاق النار على المسلمين في المسجد الأقصى ثلاث مرات كانت تسفر في كل مرة على العديد من القتلى والجرحى، لا سيما عندما حاولت القوات الصهيونية في 8 أكتوبر1998 أن تحمي أمناء الهيكل وهم يحاولون وضع حجر أساس الهيكل المزعوم في باحة الأقصى، فاستشهد من الفلسطين وهم يدافعون عن حرمة المسجد عشرون شهيداً وجرح 115 فلسطيناً. أما عن الحفريات الصهيونية وعمليات التنقيب لتخريب المسجد وتصريع جدرانه، وإزالة الأبنية الإسلامية المجاورة لحائط البراق فحدث ولا حرج.

كل هذه الممارسات الإجرامية وكثير غيرها خلقت شعوراً حادا لدى الشعوب العربية والإسلامية، بضرورة غسل العار وإزالة الإهانة، والانتقام للمقدسات الإسلامية من التدنيس الصهيوني الذي لحق بها.

وإذا أخذنا المواقف المغربية الشعبية والحكومية نموذجاً فسنجد أنها تتجلى في مظاهر غنية بالدلالات، وذلك منذ أن سقطت القدس في مخالب الصهيونية إلى الآن.

فعلى المستوى الشعبي كانت الحركة الوطنية المغربية حتى قبل احتلال فلسطين في أواسط العشرينيات تعتبر القدس أرضاً مقدسة تهم جميع مسلمي العالم، وتستنكر الانتداب البريطاني عليها، وترى أن الحركة الصهيونية حركة استعمارية عدوانية. وعند الإعتداء البريطاني ـ الصهيوني على حائط البراق في أوائل سبتمبر 1929، قامت المظاهرات في العديد من المدن المغربية، وتوجه الوطنيون بعرائض الاحتجاج لرئيس الوزراء البريطاني إذ ذاك ماكدونالد، كما كانت الحركة الوطنية المغربية تشارك في جميع المؤتمرات الإسلامية التي كانت تدافع منذ ذلك الحين على عروبة

وإسلامية القدس، ومنها المؤتمر الإسلامي بالقدس بتاريخ 5 سبتمبر 1931 . وبعد الاستقلال المغرب واستلاب فلسطين والإعلان عن تأسيس حركة فتح كبرى فصائل منظمة التحرير الفلسطينية، عملت معها الحركة الوطنية اليد في اليد من أجل الدفاع عن القضية الفلسطينية، وتوعية الشعب المغربي بتطوراتها، والعمل على توحيد الرأي بشأنها، وذلك بهدف "تأييد الكفاح الفلسطيني لإقامة الدولة الفلسطينية تأييداً مطلقاً بدون قيد ولا شرط بعيداً عن التدخل في شؤون الثورة. أو محاولة احتوائها واستغلالها..." ولهذه الغاية قررت الحركة الوطنية باتفاق مع منظمة التحرير الفلسطينية في غضون عام 1968 تأسيس الجمعية المغربية لمساندة الكفاح الفلسطيني.

وأسست الجمعية فروعاً لها في كثير من مدن المغرب، وكانت تعتمد في توعية الجماهير على المقالات والمحاضرات والندوات، وتنظيم اللقاءات والمهرجانات وإحياء الذكريات، ومعارض الكتب والأعمال الفنية، وتحضر المؤتمرات التي تعتمدها منظمة التحرير الفلسطينية، وتصدر في كل شهر صفحة موحدة في جميع الصحف المغربية في يوم واحد وتهتم الجمعية أيضاً بجمع التبرعات النقدية والعينية التي توجه بانتظام لمنظمة التحرير الفلسطينية. ومما ساعد على نجاح تجربة الجمعية التي كان المؤسسون يأملون تعميمها على نطاق الوطني العربي كله، أنها اكتسبت صفة الجمعية ذا النفع العام، ما أسهم في توسيع نشاطها نظرياً.

أما على المستوى الرسمي المغربي، فيذكر في سياقه تأييد محمد الخامس لدخول الجيوش العربية إلى فلسطين في ماي 1948 "دفاعاً عن أهلها، وردعاً لعدوان الصهيونية المعتدية". وبعد استقلال المغرب زار الملك محمد الخامس مدينة القدس وصلى في الحرم الابراهيمي، وكذلك فعل خلفه الملك الحسن الثاني الذي أهدى السجاد المغربي والثريات إلى المسجد الأقصى ...

وعندما تجرأ الصهانية على إحراق المسجد الأقصى وتدمير منبر صلاح الدين الأيوبي على يد اليهودي الاسترالي (ايكل روهان) بمساعدة مجهولين بتاريخ 21 / 8 / 1969، دعا الملك الحسن الثاني باستعجال إلى عقد مؤتمر إسلامي بالرباط في سبتمبر 1969 لتحمل الرؤساء فيه مسؤولياتهم "إزاء قبلة المسلمين الأولى وثالث الحرمين، ومسرى الرسول". ولدى إعلان القدس عاصمة موحدة لإسرائيل جاء الرد الإسلامي سريعاً وحاسماً، فأسس المؤتمر الإسلامي عام 1979 لجنة القدس وأسند رئاستها للملك الحسن الثاني الذي اعتمد في عملها على التخطيط والتنظيم والاتصالات المباشرة.

ونحن لو نظرنا إلى التجربة المغربية في مجال دعم تحرير القدس لوجدنا مثيلات لها في بعض الدول العربية والإسلامية، لكنها ومثيلاتها إن كانت تعبر في الحد الأدنى عن طموحات فصائل من الشعوب العربية، فإنها لا ترتقى إلى استراتيجية المواجهة التي لا مناص في رسمها، والسير بخطوات ثابتة على هديها لانقاذ القدس الشريف وبقية المناطق الفلسطينية المحتلة من المحن التي تتعرض لها عل يد العدو والصهيوني.

وباختصار شديد فإننا نعتقد أن استراتيجية المواجهة تلك لابد أن تقوم على عدة ركائز : استمرار القوة الدافعة للقرارات الدولية بشأن القدس، دعم العرب المقيمين بالقدس بهدف العمل على إحياء التراث الإسلامي بالمدينة العمل على أن تبقى قضية القدس حاضرة في الذاكرة من خلال حملات إعلامية دولية ووطنية والأهم من ذلك أن يبقى العرب والفلسطينيون متشبثين مهما كلف الثمن بالعمل الدائم الدؤوب على استعادة القدس أكان ذلك بالتفاوض حول الوضع النهائي، أو في حالة استمرار التعنت الإسرائيلي بإحياء انتفاضة الأقصى، وبتقييد أو الغاء سبل ومجالات التعاون فيما بين الدول العربية والإسلامية ذات العلاقات مع إسرائيل وبين الحكومات الصهيونية الرافضة لجهود والسلام.

م. الكتاني، *القدس تاريخيا وفكريا*، أكاديمية المملكة، الدورات، مارس، 1981، ص. 45. 48 ؛ أ. الدحاني، *القدس تاريخيا وفكريا*، أكاديمية المملكة، الدورات، مارس، 1981، الرباط، ص. 86. 92 ؛ جريدة *السعادة*، 24، مارس، 1948 ؛ المركز الفلسطيني للدراسات السياسية بواشنطن ؛ مؤسسة الدراسات الفلسطينية : قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين والصراع العربي الإسرائيلي نقلا عن المحاضر الرسمية للجمعية العامة للأمم المتحدة ؛ قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين المجلد الأول والرابع.

عباس برادة

ابن **قدور، أحمد** ولد بنقدور بن محمد سنة 1905 دوار اهروش بأجدير. التحق بصفوف جيش التحرير سنة 1955 وشارك في عدة معارك ومن أشهرها الهجوم على مركز بورد، واستشهد وأثناء معركة جبال أغبال اهروش بتاريخ 5. 10. 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 505377.

قدور(ابن -) **أحمد بن علي** المولود سنة 1940 ببني سمير إقليم خريبكة شارك مشاركة فعالة في مظاهرة 20

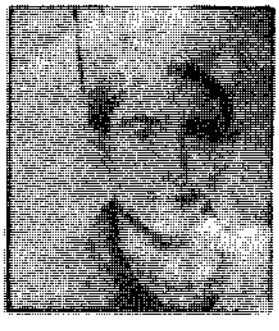

غشت 1955 بوادي زم احتجاجا على الأعمال الاجرامية لقوات الاستعمار الفرنسي وقد لاذ بالفرار على متن شاحنة مع مجموعة من المقاومين ليختفوا بمنزل الضاوي، وبعد البحث الذي قامت به قوات المستعمر حاصرتهم في مخبئهم في نفس يوم المظاهرة فقتلت العديد منهم، وكان من بين الذين لفظوا أنفاسهم حيث بقيت جثثهم بدون دفن مدة ثلاثة أيام لعدم تمكن أهل الشهداء من دفنهم بسبب الحصار المضروب من طرف جيش المستعمر على مكان استشهادهم.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 525188.

ابن **قدور، العربي** بن **الكبير** من مواليد سنة 1934 بالسماعلة إقليم خريبگة. بروح وطنية غيورة اندفع إلى صفوف الوطنيين الذين استنهضوا لهمم في الذكرى الثانية لنفي محمد الخامس عن عرشه المجيد فنظموا مظاهرة عارمة بوادي زم يوم 20 غشت 1955 والتي شارك فيها بحماس كبير إلى أن أصيب برصاص العدو حيث لفظ أنفاسه الأخيرة.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 520847.

قدور، (ابن -) **الغازي البخاري**، أحد وصفان المخزن بمكناس غلبت عليه نسبة ابن الغازي حتى عفت عن أصله البخاري. نال ثقة السلطان المولى عبد العزيز فولاه مناصب عدة، كما كلفه بالعديد من المهام ؛ وكان أول ظهور له على مسرح الأحداث لما عينه هذا الأخير قائدا لمشوره في 1319 / 1901 بإشارة من الوزير المهدي المنبهي. وفي أثناء إرساله من مراكش في ربيع الأول من نفس السنة للقبض على القائد عيسى بن عمر العبدي واستصفاء أمواله ولى المولى عبد العزيز مكانه القائد إدريس ابن يعيش بإيعاز من الوزير فضول غريط.

وكان السلطان قد عين المترجم في نفس التاريخ عاملا على مدينة تطوان التي قابله أهلها بأجمل مقابلة وسار فيهم بأحسن سيرة جعلت معاصره ومؤرخ تطوان أبا العباس أحمد الرهوني يصفه بقوله "وكان رجلا فاضلا محبا للشرفاء والعلماء والصلحاء، متواضعا سهل الحجاب، لين الجانب، كثير الصدقات ؛ لا يذخر شيئا، بل يأكل هو وأهل بيته وأحبته، ويتصدق بما زاد. هاذا دأبه إلى أن مات رحمه الله ؛ غير أنه كان مصابا بالفتنة حيثما ذهب". هذا ولم يمر على حكمه لتطوان سوى وقت قصير حتى اتقدت فيها فتنة عظيمة قال عنها محمد داود : "ومضمن الحادث أن قبيلة بني يدر قد ثارت ضد مدينة تطوان وأعلنت الحرب، ثم انضم عدد من القبائل الجبلية إلى بني يدر، وأرسل السلطان بعض جيشه لإعانة أهل تطوان، فكان بين الطرفين قتال وحصار وهجوم ودفاع وقتلى وجرحى وغنائم وأسرى، وكانت في تطوان فتنة ومحنة والأمر لله. وكان ذلك في سنتي 1321 - 1322 (1903 - 1904).

وقد استمر المترجم في حكم تطوان إلى أن قرر المولى عبد العزيز توجيهه في سفارة إلى إسبانيا في 1906 للنيابة عنه في حضور حفل زفاف عاهلها الفونصو الثالث عشر (1886 - 1931)، وكان قد أرسل قبلها سفارة بمناسبة تتويج نفس الملك في 1902 قادها الحاج أحمد الطريس ابن النائب السلطاني بطنجة. وضمت البعثة المغربية الجديدة، حسب ما كتب به الحاج محمد الطريس إلى الوزير عبد الكريم ابن سليمان في 14 أبريل 1906 ، بالإضافة إلى قدور بن الغازي، كاتب السفارة محمد بن الفقيه الوزير على المسفيوي والأمين الصديق أحرضان وأربعة قواد عسكريين تم تقليصهم فيما بعد إلى اثنين بطلب من السفير الإسباني زيادة على بعض الأعوان الآخرين، وقد رافق أعضاء البعثة المغربية في طريقهم نحو أسبانيا ترجمان المفوضية الأسبانية بطنجة سابيدرة.

ومباشرة بعد عودة المترجم ولاه المولى عبد العزيز عاملا على مدينة طنجة بعد إعفائه من حكم تطوان. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على المكانة التي أضحى يتمتع بها داخل المخزن المركزي بالنظر إلى أهمية طنجة أثناء هذه المرحلة، ليس فقط لكونها العاصمة الدبلوماسية للبلاد وبوابة المغرب على الخارج تضم أكبر جالية أجنبية في البلاد. بل لكونها أصبحت أيضا تعاني من تدهور الأوضاع الأمنية فيها باستمرار، بسبب تردي حالة أغلبية سكانها الاجتماعية بما فيهم عسكر المدينة. هذه الفئة المكلفة بحفظ الأمن بطنجة لم يعد لديها ما تسد به رمقها، وأصبحت كثيرة التردد على الحاج محمد الطريس للفت أنظار المخزن المركزي إلى أوضاعها المزرية كما هو واضح من هذا الكتاب الذي وجهه إلى المولى عبد العزيز بتاريخ 11 رمضان 1324 / 28 أكتوبر 1906 يقول فيه : "أن قائد محلة الفحص القائد محمد بن بوشتى ابن البغدادي قدم البارحة هو وجميع العمال وقواد

أرحى العسكر وقواد المائة والمقدمون على دار النيابة السعيدة في موكب حافل وهرج عظيم متشكين مما لحقهم من عدم المؤنة السعيدة متوجعين من آلام الجوع والعرى وفقد الغطاء والوطاء قائلين بلسان واحد إذا كان لسيدنا نصره الله بنا غرض فها نحن على أهبة الاستعداد لامتثال أمره المطاع فليشفق أعزه الله منا وليمنن علينا بما يكفينا وان اقتضى نظره السديد تسريحنا لحال سبيلنا فعلى السمع والطاعة". ولعل هذا الوضع هو ما حدا بالمولى عبد العزيز إلى تولية المترجم على مدينة طنجة لما اتصف به ـ كما سبقت الإشارة ـ من فضل وتواضع ولين وكرم وكذلك من تمرس على أساليب الحكم. لقد اضطر إلى استعمال القوة منذ اليوم الأول من تسلمه لمقاليد الأمور في 15 غشت 1906 حيث صادف تنصيبه عاملا على المدينة وقوع مشاجرة بين بعض الأنجريين وبعض الفحصين "أفضت إلى الضرب بالبارود من الجهتين وحين رأى العامل ابن الغازي ـ يقول ج محمد الطريس ـ اتصال المضاربة خرج بالعسكر الذي قدم معه وبالذي كان بالبلد وفرق ذلك الشمل وصار حتى أدخل أهل أنجرة ترابهم.

هذا وقد استمر قدور بن الغازي في حكم مدينة طنجة إلى أن عين المولى عبد العزيز في 7 أبريل 1907 القائد علال بن عبو الريفي "خليفة عنه في عمالة طنجة إلى أن يرد العامل المعين لها". بينما توجه هو وعياله وعسكره في 4 ماي 1907 في البابور جبل موسى إلى آسفي قبل نهوضهم منه إلى مراكش لتهدئة الأوضاع بها، بعد أن سادها الاضطراب نتيجة قبول المخزن للمطالب الفرنسية بشأن حادثة مقتل الدكتور موشان في 19 مارس 1907. "وعبر سكان مراكش وخاصة قبائل الرحامنة عن رفضهم لعزل باشا المدينة، وصمموا على منع الباشا الجديد قدور بن الغازي البخاري من الالتحاق بمراكش، فاضطر للبقاء بآسفي حتى عاد منها لطنجة"، بعد أن عينه المولى عبد العزيز عاملا عليها من جديد في مطلع سبتمبر 1907 مكان الحسن بوعشرين. وتزامنت التولية الثانية للمترجم على طنجة بوصول أصداء الحركة الحفيظية إليها و"لم يبال ـ يقول محمد الطريس ـ أحد بذلك ولم يلتفتوا له"، وأيضا بتأزم أوضاع السكان الاجتماعية مما يساعد هذه الحركة على الانتشار. وهو أمر حاول النائب السلطاني أن ينبه من وقوعه في رسالة منه إلى المولى عبدا لعزيز في 7 شعبان 1325 / 15 سبتمبر 1907، بشأن تنصيب المترجم على طنجة وعمالتها يقول فيها : "ننهى لشريف العلم أن القائد قدور بن الغازي قد وصل زوال أمس وقبض على زمام الخدمة الشريفة وقرئ كتاب إقراره على منبر الجامع الأعظم وسعادة مولانا دام علاه جميع هذه النواحي في غاية الاطمئنان والسكون وإخلاص الطاعة لمولانا دام عزه إلا ما كان من العسكر المخيم هنا وخارج البلد فإنه مفتقر للمؤنة لتبقى الأحوال كما هي وينقطع تشوف الغير ..".

ويذكر بعض الباحثين أن قدور بن الغازي ظل في منصبه بطنجة إلى أن عاجله الموت في يوليو 1908، وهذا يتعارض مع رواية أحمد الرهوني الذي كان يشتغل كاتبا بدار النيابة السعيدة مع الحاج محمد الطريس منذ 1906، ولما توفي في 1908 استمر في وظيفه مع خلفه محمد الجباص. ومؤدى هذه الرواية أن المترجم "ولي بعد طنجة على آسفي، ثم على الصويرة وبها توفي عام 1326 ودفن في الزاوية القادرية ثمة".

الحسن بوعشرين، تنبيه المعرب عما عليه الآن حال المغرب، تقديم وتصحيح محمد المنوني ؛ م. داود، مختصر تاريخ تطوان، ج 2 ؛ أ. الرهوني، عمدة الراوين في تاريخ تطاوين ، تح. جعفر ابن الحاج السلمي، ج 2 ؛ ع. الخديمي، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب، 1894 ـ 1910، نشر إفريقيا الشرق، 1991 ؛ جمال الدين العسراني أشطيار، طنجة بين سنتي 1900 ـ 1912. د. د. ع. رسالة مرقونة، الرباط، 1996.

ميلود أحمنّ

قدور (بنت -) **فاطنة** ولدت سنة 1919 بواد زم دفعتها غيرتها الوطنية إلى المشاركة في حوادث الانتفاضة الشعبية العارمة التي عرفتها مدينة واد زم يوم 20 غشت 1955.

وقد كانت مشاركتها فعالة إلى جانب إخوانها المتظاهرين إلى أن أصيبت برصاص العدو فسقطت في ساحة الشرف في نفس اليوم.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 524150.

قدور (ابن -) **محمد** من مواليد سنة 1926 بوجدة. من أجل تحرير الوطن والدفاع عن مقدساته عرفت مدينة وجدة انتفاضة شعبية عارمة بتاريخ 16 غشت 1953 لإدانة السياسة الاستعمارية.

وكان قدور بن محمد من بين أولئك الذين خرجوا إلى الشارع للتعبير عن سخطهم وشجبهم للإدارة الفرنسية حيث كان منخرطا ضمن الخلية التي يرأسها زجلي عبد الله.

أبان خلال هذه الانتفاضة عن جرأة وإقدام في الدفاع عن كرامة البلاد وقام بعدة أعمال فدائية استهدفت مصالح المستعمر، وقد واصل كفاحه بكل نزاهة إلى إن سقط في ساحة الشرف وذلك بتاريخ 16 غشت 1953.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 512640.

القدومي، أحمد بن قاسم الأندلسي الأصل، الفاسي النشأة، كان أستاذاً نحوياً، وإماماً في العربية في عصره، وهو من شيوخ السلطان أحمد المنصور السعدي في علم النحو، وله ألف كتاب *الهادي إلى حل مقفلات المرادي*، ترجم له ابن القاضي في *درة الحجال*، فقال : "أستاذ نحوي، انتهت إليه رئاسة النحو في عصره، وله تقييد على *ألفية* ابن مالك

في نحو أربعة مجلدات، رفعه للخزانة المنصورية عمرها الله تعالى"، وقال عنه السلطان المنصور رواية عن الفشتالي في *مناهل الصفا* : "وقرأت علم العربية على الفقيه الأستاذ نحوي زمانه بلا مدافع أبي العباس أحمد القدومي".

من مؤلفاته *حاشية على شرح المرادي لألفية* بن مالك، *وحاشية على شرح المكودي* للألفية أيضا، ذكرهما المنجور في فهرسته.

توفي بفاس سنة 992 ودفن خارج باب فتوح، وكانت جنازته مشهورة كما ذكر ابن القاضي في الجذوة.

ابن القاضي، *درة الحجال*، 1 : 156 ؛ *جذوة الاقتباس*، 1 : 135 ؛ الفشتالي، *مناهل الصفا*، تح. كنون، ص. 188 ؛ المقري، *روضة الآس*، ص. 34 ؛ القادري، *الإكليل والتاج*، م خ ح. ص. 6 ؛ *نشر المثاني*، تح. حجي، 1 : 43 ؛ الحضيكي، *طبقات*، 1 : 218 ؛ *لقط الفرائد* ؛ *ألف سنة من الوفيات*، تح. حجي، ص. 319، ابن عجيبة، *أزهار البستان*، م خ ح، 1 : 205 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 2 : 281 ؛ الأزهري، *المواقيت الشمسية*، ص. 151 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 359 ؛ ابن منصور، *أعلام المغرب العربي*، 5 : 194 ؛ *فهرس المنجور*، تح. حجي، ص. 35.

نجاة المريني

القرابين لدى الأمازيغ في القديم تعتبر القرابين المكونة من القرابين الدموية وغير الدموية والهبات المقدمة الآلهة عملية تطهير النفس يمارسها الناس، سواء كانوا ملوكا أو من عامة الشعب. وفي نفس الوقت عبارة عن عملية تستهدف كسب حظوة لدى الآلهة من أجل التكفير عن الخطايا والتخفيف من غضبها. ولربما كذلك لاعتقاد الإنسان أن التقدمات تسبب توالد وتكاثر الحيوانات إذا كانت التقدمة عبارة عن حيوان ؛ وازدياد المحصول، إذا كانت التقدمة عبارة عن غلة من الغلال. وهي عبارة عن ممارسة أساسية في طقوس وشعائر الديانات القديمة. وقد ورد ذكر التقدمات للأرباب في نصوص أو غاريت تحت اسم (ذ ب ح) ذبيحة للرب، عندما تكون هذه التقدمات من الحيوانات. كما ورد ذكرها باسم (م ن ح) منحه عندما تكون من غلال الأرض. وكان العبرانيون يقدمون نسبا معينة من أبكار الغلال والحيوانات لدرجة أنه أصبح تشريعا ونظاما اقتصاديا حرمة لديهم. رغم أنها، على ما يبدو، كانت في الأساس عبارة عن تقدمة شكر وطلب سلام، للتعبير عن رغبة مقدمها قبل أن تصبح شريعة.

تنقسم القرابين إلى نوعين كبيرين : قرابين غير دمويه، وقرابين دموية.

- بالنسبة للقرابين غير الدموية تتراوح ما بين بناء المعابد الضخمة أو الهياكل المنزلية أو معابد الأحياء، والهدايا والهبات المكونة من الحلويات والمرطبات، والطعام وبواكير محاصيل الغلال، والزيت للعتبة ومصراع وقفل الباب والرتاج والأبواب ؛ وإراقة الجعة والخمر والحليب التي كان لها مكانة خاصة في العبادات المنزلية وفي الطقوس المرتبطة بالموتى ؛ كما يمكن أن تكون عبارة عن بخور أو عطور.

- أما القرابين الدموية فتتضمن بالطبع الحيوانات أو طائراً أو إنساناً. وتؤكد العديد من الشهادات وجود الذبائح الدموية أو الأضحيات منذ أزمنة سحيقة في التاريخ الإنساني، في الهلال الخصيب، ولدى الرومان، والإغريق، والأمازيغ. ويلاحظ أن جميع هذه التقدمات كانت حاجات إنسانية يقتطعها المؤمن من مؤونته للرب. بل هو يختار أعز ما لديه للتدليل على عمق إيمانه واحترامه للرب. وإن التقدمة للرب ليست فريضة ملزمة، بل هي تعبير عن حس داخلي وعلاقة شخصية مع الآلهة. إنها علاقة عاطفية يتساوى فيها العطاء بالأخذ. وهناك العديد من النصوص الكلاسيكية تتحدث عن هذه الطقوس منها إشارة لهيرودوت : وأخرى لترتوليان والقديس أو غسطينوس وكوريبوس.

يذكر هيرودوت في الفقرة المتعلقة بالناسامون عن طقوس معينة متبعة من طرف الناسامون عندما يقربنون للشمس والقمر : "إن طريقة البدو والرعاة في تقديم القرابين هي قطع جزء من أذن الضحية من أجل بواكير المحصول وإلقائه فوق البيت. وعندما يتم هذا يلوون عنق الضحية إلى الوراء. وهم لا يقربنون لأرباب سوى الشمس والقمر ..." ويتحدث هيرودوت هنا عن طقس خاص بهذه المجموعة البشرية الأمازيغية في القرن الخامس ق. م. وهذا يعني أن هذه الطقوس أقدم بكثير من هذه الفترة.

إذن كانت هناك طريقة معينة يجب احترامها واتباعها لكي تقبل التقدمة الدموية، وإلا فإن هذه الممارسة تصبح دون فائدة. ولن تكون لها أية فعالية في حالة حدوث أي مخالفة في الطقوس. وحول مصير الأضحية فإن هيرودوت لا يمدنا باية معلومات حولها، ولا ندري هل كان يترك للكهنة، أو كان يوزع بين الكهنة وأصحاب الأضحية وفق تقاليد معينة ؛ أو كان يترك لأصحاب الأضحية ليقدموه في وليمة لأفراد العائلة والأصدقاء وضيوف المناسبة. وهناك سؤال آخر يفرض نفسه، وهو من كان يقوم بذبح الأضحية هل صاحبها أو رجل الدين المتخصص في القيام بهذه الممارسات ؟ هذه أسئلة يسكت نص هيرودوت عنها. أما فيما يتعلق بطبيعة الأضحية فيبدو أن الأمر يتعلق بحيوان من الثدييات إما كبش، أو عنزة، أو عجل، أو ثور، أو بقرة. يعني أنه عبارة عن حيوان من القطيع الذي يمثل ثروة الجماعة البشرية التي ينتمي إليها مقدم الأضحية وهو الناسامون الرعاة.

ويذكر هيرودوت في آخر نفس الفقرة "غير أن القاطنين منهم من البحيرة التريتونية يقربنون لأثينا خاصة ثم من بعدها لتريتون وبوسيدون". ويتحدث هيرودوت عن تقديم القرابين لأثينا وتريتون وبوسيدون دون أن يذكر أي شيء عن الطريقة والطقوس المتبعة، ولا عن نوعية التقدمة. فهل يمكن أن نعتبر أنهم يمارسون نفس الطقوس ويقدمون نفس الأضحيات لنفس الأرباب التي يقربن لها الناسامون ؟ هذه أسئلة ستظل بدون رد إلى حين اكتشاف نصوص أخرى أو مواد أثرية وخاصة نقائش تساهم في وضع أجوبة للتساؤلات السابقة.

أما تيرتوليان فيذكر : "في إفريقيا كان الأطفال يقدمون علانية كقرابين لساتورن [= بعل] حتى عهد بروقنصلية تيبيريوس الذي أمر بصلب الكهنة، الذين كانوا يقومون بعملية ذبح الأطفال، تحت نفس أشجار المعبد الذي كانوا ينفذون فيه جرائمهم ... ورغم هذا المنع فإنه حتى الآن [القرن الثاني الميلادي] فإن نفس الطقوس لا تزال تتبع بطريقة سرية".

يشير ترتوليان إلى وجود قرابين بشرية ظلت تمارس إلى غاية القرن الثاني الميلادي في شمال إفريقيا رغم المنع الذي تعرضت له هذه الممارسة في أواخر القرن الأول ق. م. وبداية القرن الأول الميلادي. وأن الأمر يتعلق بقرينة الأطفال لإرضاء الرب بعل ساتورن. وهذا يعني أن هذه الممارسة التي كانت في الأصل شرقية وبونية، ظلت موجودة رغم مرور أكثر من ثلاثة قرون ونصف على تدمير قرطاج. وهذا يؤكد تشبث السكان الأصليين في جزء من إفريقيا المترومنة بممارساتهم الدينية المقتبسة بدون شك من العقيدة الفينيقية البونية.

وإذا انتقلنا إلى القديس أوغسطينوس الذي عاش في القرنين الرابع والخامس الميلاديين (354-430) فإنه يذكر أن "الرومان لا يحبون أن يقوم سكان مدينة قرطاج بتقديم أبنائهم قربانا لساتورن". نحن في القرن الخامس الميلادي ولا يزال أبناء شمال إفريقيا يقربون أطفالهم للرب ساتورن وذلك على الرغم من أن الرومان يحاربون هذه الظاهرة، بل وأكثر من هذا رغم انتشار المسيحية في شرق شمال إفريقيا.

وهذا ما يعيدنا إلى ما قلناه سابقا حول تمسك السكان بمعتقداتهم وارتباطهم بأربابهم رغم محاولات الرومان الذين يعتبرون أجانب بالنسبة للسكان الأصليين.

وفي القرن السادس الميلادي واعتمادا على كوريبوس يذكر أن "الليبيين [الأمازيغ] كانوا يقدمون أضحيات في معسكراتهم لأربابهم : گورزيل وآمون وسينيفير وماستيمان. كانوا يقدمون قرابين حيوانية لهذه الأرباب ولكن ماستيمان كان يلزمهم بتقديم قرابين بشرية". هذا هو النص الوحيد الدقيق الذي حدثنا فيه كاتب كلاسيكي عن القرابين البشرية المقدمة لرب أمازيغي بينما كانت هذه القرابين البشرية على العكس من ذلك، كثيرة ومتعددة لدى البونيين تقدم للأرباب القرطاجية.

ويتعلق الأمر هنا أيضا بتقدمات دموية كانت تقع ليلا، في المعسكرات وليس في المعابد. فباستثناء هذه المعلومة المتعلقة بنوع الأضحية الدموية وطبيعتها ووقتها ومكانها فإننا لا نعرف أي شيء عن الطقوس والشعائر المتبعة.

في الشعائر الأمازيغية، إذن كانت التقدمة الدموية تحتل مكانة متميزة. ولكنها لم تكن هي التعبير الطقوسي الوحيد، لأنه كانت هناك تظاهرات أخرى تقام على شرف الربة أثينا حول بحيرة تريتونيس أشار إليها هيرودوت كذلك ؛ حيث يقول : "تنقسم عذاراهم فريقين يحارب أحدهما الآخر بالحجارة والهراوات، وبهذا "على حد قولهن" يظهرن إجلالهن على نمط الأسلاف ـ نحو تلك الربة الوطنية التي ندعوها نحن أثينا. وتعتبر الفتيات اللواتي يمتن متأثرات بجراحهن غير أبكار. وقبل أن تبدأ الفتيات في القتال يختار القوم جميعا أملحهن ويلبسونها خوذة "كورنثية" وعدة حرب إغريقية ثم يركبونها عربة ويجرونها على ساحل البحيرة".

هنا هيرودوت يشير إلى طقوس وممارسات دينية حربية بين العذارى يمكن أن نعتبرها نوعا من التقدمات الدموية لأن هذا الصراع يقام على شرف الربة أثينا ويؤدي في الأخير إلى التضحية ببعض العذارى اللواتي يمتن متأثرات بجراحهن. وأن اختيار أملح الفتيات والطواف بها حول البحيرة تشير بدون شك إلى أن هذه الفتاة المليحة تتقمص شخصية الربة التي تقام طقوس الحرب بين العذارى على شرفها.

هذه كلها طقوس دموية تقام على شرف ربة أمازيغية ؛ وعلى الرغم من أنها تختلف عن طقوس التقدمات البشرية والحيوانية، إلا أنها تنتهي بدورها ـ بدون شك ـ بمقتل بعض العذارى أو على الأقل إصابتهن بجروح. والجروح تعني سيلان الدم، والتضحية أو التقدمة الدموية في حد ذاتها هي عبارة عن ذبح حيوان معين أو إنسان معين، وإراقة دمه، والتضحية بروحه لحماية الروح أو الأرواح الأخرى التي تتغذى بالدم المسال وتتقوى به. فإذا كان الدم يحمل روحا فذلك يعني البعد القدسي في الدم.

وعلى ما يبدو فقد نجد في المعتقدات الأمازيغية بقايا التقدمات الدموية وخاصة البشرية تقدم خلال الطقوس الزراعية أو خلال الطقوس الخاصة لطرد الشر والتي تبدو لنا اليوم كأضحيات بديلة الإنسان.

م. أعشي، *العقائد والمعبودات في المغرب القديم*، دكتور دولة، كلية الآداب، فاس ؛ سيد محمد القميني، الأسطورة والتراث، سينا، النشر، ط 2، القاهرة، 1993 ؛ و. ديورانت، *قصة الحضارة*، ج 2، تر. محمد بدران الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، القاهرة، 1961.

Hérodote, *Histoire*, IV, 180-187 ; Tertullien, Apologique ; Saint Augustin, *La cité de Dieu*, VII, 9 ; Corippus, *Johannide*, III, 300 ; Doutté, *Magie er religion dans l'Afrique du Nord*, Jourdan, Alger, 1908 ; C. Bonnet, Les divinités de Lixus, dans *Actes du colloque international de Lixus*, Collection de l'Ecole Française de Rome, n° 166, 1996 ; Mazel, *Enigmes du Maroc*, Robert Laffont, 1971.

مصطفى أعشي

القراقش من آلات الموسيقى الايقاعية التي تستخدمها فرق گناوة في عروضها الفنية، وهي عبارة عن أربع صنجات كبرى من حديد (قراقش) أو من خشب (قراقب) تكون على شكل رقم 8، ومُحيط الواحدة 13 سم.

وطريقة استخدام القراقش أن يمسك الناقر بيمناه زوجين، وبيسراه زوجين، بواسطة خيطين يولج في أولهما إبهامه، وفي الثاني بقية أصابع اليد، ثم يضرب إحدى الصنجتين بالأخرى محدثا بذلك دويا قويا يزيد من عنف الرقصة وصنجها، ويضبط الإيقاع في أدق جزئياته.

ويستعمل هذه الآلة أحيانا أصحاب الملحون، وهم يسمونها "الهندقة".

ع. بن عبد الجليل، *طرب الملحون المغربي*، مجلة التراث الشعبي، 1980.

V. Paques, *La religion des esclaves, Recherches sur la confrérie marocaine des Gnaoua*, Berganno Moretti et Vitali, 1991, p. 216.

عبد العزيز بن عبد الجليل

ابن **قربال، صالح** ولد سنة 1929 بأولاد سمير قبيلة السماعلة، ناحية وادي زم إقليم خريبگة. كان من الذين نالو شرف المشاركة في الثورة الشعبية التي زعزعت كيان المستعمر بعد أن فشلت محاولاته اليائسة والرامية إلى إبعاد رمز الوطنية ملك البلاد.

وعندما سارت الجماهير يوم 20 غشت من سنة 1955 بدروب وأزقة وشوارع مدينة وادي زم الشجاعة رافعة رايات الوطن وحاملة صور جلالة الملك محمد الخامس عاليا مناشدة الهيئات الدولية والإقليمية النظر في المسألة المغربية أبي صالح بن قربال إلا أن يكون من الرواد المساهمين في هذه المظاهرة الشعبية الظافرة .. ولما تأزم الوضع أمرت السلطات الفرنسية قواتها بالتدخل المسلح لتفريق المتظاهرين فاستشهد على أثر ذلك عدد كبير من الوطنيين الغيورين على وطنهم من بينهم صالح بن قربال.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 526114.

قَرْبُوس، جمعهُ قرابيس، وهو جِنْوُ السرج، أي قسمه المقوس المرتفع من قُدَّام المقعد ومن مؤخره. وكانت صناعة القرابيس من اختصاص النجارين. كما كانت مهمة بالمدن العتيقة كفاس ومراكش وسلا لشدة الطلب عليها. فالقربوس هو القطعة الخشبية التي تشكل الهيكل الأساسي للسروج، تكسوه قطع متنوعة مزوقة ومطرزة ومُرصَّعة.

ويطلق مصطلح قربوس كذلك على أكوام التبن بالأرياف المغربية. مثلاً بأرياف سهول السراغنة والحوز وبلاد الرحامنة نجد القرابيس منتشرة بجوار الدواوير أو بالزرائب أو ببعض المجالات الجماعية. ويتم بناؤها كما يلي :

بعد عملية الدرس، يُجمع التبن بالبيدر "الگاعة" أو بالمجالات المشار إليها أعلاه، ثم يتم دَكُّ التبن، ويُستعمل في ذلك أعمدة من القصب والمدراة وأرجل ووزن الأشخاص. وتتخذ القرابيس في قاعدتها شكلاً مستطيلاً في الغالب، ثم يتم تقويسها شيئاً فشيئاً نحو الأعلى إلى أن تصير مُقببة. وبعد ذلك يتم تبليطها بالطين المخلوط بالتبن لحماية التبن من مياه المطر ومن الحيوانات. وتقنية بناء القرابيس هي وسيلة للحفاظ على مادة التبن ليُستعمل أثناء السنوات الجافة حيث يصبح الطلب على هذه المادة مهما. كما كان بناء القرابيس في المجالات الجماعية وسيلة لتمليك الأرض بعد مرور مدة زمنية معينة.

م. الطويل، *السرج، معلمة المغرب*، ج 15، مطابع سلا، 2002 ؛ *المعاينة الميدانية*.

أحمد زروال

قَرْدُوسَة، ويكتب قَرْدُوشَة أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Cardosa وCardoso ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1088 / 1677.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

قَرْدُونَة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Cardona ؛ ومازالت بعض الأسر الإسبانية تحمل نفس الاسم نسبة إلى مدينة Cardona ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

القَرّ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Garro - Garru ؛ ومازالت بإسبانية أسر تحمل اسم Caro ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1145 / 1733 منهم : علي بن محمد القر فقيه كان يزاول خطة العدالة من سنة 1078 إلى سنة 1092 (1667 - 1682) وناب عن القاضي سنة 1102 (1691). ومحمد القر فقيه زاول خطة العدالة سنة 1169 (1756).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

قُرّار، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Corral وهو نفس الاسم الذي تحمله بعض الأسر الإسبانية اليوم نسبة إلى مدينة Corral ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1088 (1677) وإليها تنسب حومة رأس القراور الواقعة خارج باب النوادر.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

القرّي، محمد، فقيه، شاعر، مسرحي ووطني، ينحدر من قرية بني قره إحدى فروع قبيلة صنهاجة الظل بحوض ورغة (تاونات). ولد في 6 يناير عام 1900، وقد تتلمذ أول الأمر على والده الفقيه أحمد بن عبد الرحمان الصنهاجي، فحفظ القرآن والمتون قبل التحاقه بالقرويين ضمن أول فوج

للنظام الجديد بها، وحصل فيها على شهادة العالمية (القسم الأدبي) عام 1351 / 1932. وكان من أبرز شيوخه أحمد بن الخياط وأبو شعيب الدكالي ومحمد بن العربي العلوي وعبد السلام السرغيني، وبعد تخرجه زاول مهنة التعليم، فأضحى مدرسا بالمدرسة الناصرية ثم بمدرسة أبي مدين قبل انتقاله للتدريس بالقرويين، وإلى جانب ذلك عكف على كتابة المقالات في مواضيع مختلفة نشرت في العديد من المجلات الثقافية ولا سيما مجلة "*المغرب*" لمحمد صالح ميسة الجزائري، وفي جريدة "الدفاع" تحت عنوان "صوت المضطهد" ووقعها تارة باسم "بدوي"، كما نظم الأشعار ذات المضامين الاجتماعية والوطنية ومنها ما تعلق بمحاربة بدع بعض الطرق مثل العيساوية والحمدوشية متأثرا في ذلك بأفكار زعماء الدعوة السلفية منهم الدكالي وابن العربي العلوي. شارك القري، وهو الوطني الغيور، بحماس في حوادث أكتوبر المناهضة للسياسة الاستعمارية، فخلال المظاهرات التي1937 اجتاحت فاس وغيرها، تنقل بين مسجد القرويين ومسجد الرصيف خطيبا معبئا الناس ضد الاستعمار، ومتنكرا، أحيانا، في زي النساء لتضليل السلطات الاستعمارية خلال قيامه بهذه المهمة. وبعد عودة الهدوء تمكنت السلطات من

إلقاء القبض عليه، وحكم عليه بالسجن لمدة سنتين مع الأشغال الشاقة، ورحّل لقضاء العقوبة إلى سجن گولميمة رفقة عدد من الوطنيين. وقد وصف رفيقاه في هذه المحنة محمد بن إبراهيم الكتاني وعبد الهادي الشرايبي بتفصيل صنوف العذاب التي عاناها نزلاء سجن گولميمة وظروف استشهاد القري. فبسبب الضرب الشديد من قبل الگوم وبأمر من الحاكم الكومندان كيار رئيس دائرة گولميمة أصيب في عروق ركبته اليمنى وتعذر عليه وضعها على الأرض، وبما أنه كان محكوما بالأشغال الشاقة كان لزاما عليه، رغم عطبه، السير وقضاء الأشغال القاسية، وهو ما لم يتمكن منه، فتعرض للضرب والتمثيل بتهمة تظاهره بالمرض قبل وضعه في مربط للدواب في حالة فظيعة وبقي يحتضر بضعة أيام قبل أن يلفظ أنفاسه يوم الأربعاء 4 شوال 1356 الموافق 3 ديسمبر 1937. وقد رثاه صديقه الكتاني بالكلمات التالية "فكان موته خسارة لا تعوض ورزية وطنية عظمى، إذ كان مؤمنا سلفيا صادق الإيمان مكثرا وكاتبا وخطيبا مؤثرا، وعلامة لغويا مطلعا متبحرا ومكافحا متفانيا...". ولما شاع خبر استشهاده أقيمت له صلاة الغائب في المغرب بأجمعه، وأقام له نادي الوحدة المغربية بتطوان برئاسة المكي الناصري حفلا تأبينيا مؤثرا، أما قبره فظل مجهولا إلى أن شيد في عهد الاستقلال من قبل القائد عدي وبيهي. وقد عرف القري بلقب "دفين الصحراء".

اشتهر القري بأنه رائد التأليف المسرحي في المغرب، فقد أخذ اسمه يلمع في مجال المسرح منذ سنة 1923 إلى جانب أسماء أخرى أمثال المهدي المنيعي ومحمد بن الشيخ وعبد الواحد الشاوي، وقد صرح بعض الراصدين والمعاصرين لهذه الفترة أن القري كان يكتب مسرحيات ويوقعها أحيانا باسم عبد الواحد الشاوي كي يتجنب عقاب السلطات الاستعمارية، ومن مسرحياته التي عرضت في مختلف مدن المغرب ولاقت نجاحا كبيرا "مجنون ليلى"، "اليتيم المهمل والمثري العظيم"، "الأوصياء"، "العلم ونتائجه"، "المكر والخداع"، ويظهر أنه كان متأثرا بالمسرحيات التي عرضتها الفرق المسرحية المصرية في المغرب، حيث سلك فيها مسلك نجيب الحداد إذ مزج الحوار بالشعر. وترك القري عدداً من القصائد منها قصيدة إلى "مارتي" المسؤول عن التعليم بفاس، شكا فيها حاله وانتقد المحاباة وخاصة في أوساط العلماء. ومنها قصيدة "مالقومي" دعا فيها إلى تعليم ما لقومي الفتاة، كما أنشد قصيدة في الذكرى الأربعينية لوفاة الشاعر أحمد شوقي عام 1932. وقرظ كتاب الفقيه الوزير محمد بن الحسن الحجوي "*الحق المبين والخبر اليقين بما في قراطيس حجة المنذرين مما يخالف الدين*". ومن الأمور المشهورة عنه أنه استدعي من قبل الصدر الأعظم للقدوم إلى الرباط قصد مباشرته للعمل في الوظيفة التي عين فيها بمقر الصدارة العظمى لكنه امتنع عن الالتحاق.

إ. الكتاني، *من ذكريات سجين مكافح في عهد الحماية الفرنسية البغيض أو أيام گوليما*، الرباط، 1977، ص. 145-156 ؛ ع. الهادي الشرايبي، *ثمن الحرية*، 1978 ؛ أ. معنينو، *ذكريات ومذكرات*، ج 2، ص. 57-60 ؛ ح. الوزاني، *مذكرات حياة وجهاد*، ج 5، ص. 149-154 ؛ ع. الكريم غلاب، *تاريخ الحركة الوطنية*، ج 1، ص. 465 ؛ عبد القادر السميحي، *نشأة المسرح والرياضة في المغرب*، الرباط، 1986، ص. 279-286-291 ؛ عبد الرحمان القباج، م. القري أول شهيد للحركة الوطنية في المغرب، *مجلة البحث العلمي*، الرباط، ع 47، 2001، ص. 116-126.

أحمد المكاوي

قَرِّيبَان ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس ؛ وقد انقرضت بتطوان سنة 1172 (1759).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999.

قَرِّيرُو، ويكتب قَرِّيرْ أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس Carrero الذي معناه سائق عربة. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1088 / 1677.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999.

قُرَّيطْ، ويكتب كُرَّيطْ أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Coret ؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Coriat ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1173 / 1760.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999.

قُرَّيطْ، أحمد بن عبد النور قائد كان يرأس فرقة من المجاهدين من قبيلته بني گرير انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي تزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني، وقد شارك في مؤتمرات الثورة المنعقد.

- بضريح سيدي يسف التليدي يوم 7 ماي 1913.
- عين الدالية يوم 11 من نفس الشهر.
- بضريح مولاي عبد السلام بن مشيش يوم 20 يوليوز 1913 حيث انتخب عضو بالقيادة المركزية للثروة.
- قرية الزوة يوم 11 يناير 1915.

وقد شارك في 4 معارك فقط لأنه استشهد في المعركة التي جرت باشروطة يوم 17 نوفمبر 1924.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة بشمال المغرب*، الرباط، 1981.

Capaz Fernando, *Cabecillas rebeldes de Gomara*, 1949.

محمد ابن عزوز حكيم

القرشي (ابن -) **عبد الرحمان** ولد بقصر السماطي بسجلماسة حوالي 1250 / 1835 وهو تاريخ يعتمد على تاريخ وفاته لأنّه كان يكره أن يسأل عن سنّه ويقول أنّه نهي عن ذلك.

تتلمذ على أبيه الذي كان مدرسا في ضريح مولاي علي الشريف، وعلى القاضي والعالم سيدي الهاشمي الأنصاري. ثم التحق بجامعة القرويين بفاس حوالي 1280 / 1863 واستقر بالمدرسة الرشيدية حيث جرت العادة أن ينزل الطلبة القادمون من سجلماسة. وكان من بين من درس معه مولاي عبد المالك الضرير ومولاي عبد السلام بن عمر العلوي. ثم قام بالتدريس في نفس الجامعة، وفي ضريح سيدي أحمد الشاوي. وكان يحضر دروسه عدد من كبار الدولة كالوزير عليّ المسفيوي. وقد طلب هذا الأخير من السلطان مولاي الحسن أن يولّي الفقيه بلقرشي خطة القضاء لما كان يعرف عنه من نزاهة وصرامة وصلابة ولكنّ هذا الأخير رفض رغم احترامه للعالم قائلا "إن فيه حرارة صحراوية لا تجتمع مع البرودة الفاسية. ولسنا مقيمين بها دائما لشدّ عضده". وبعد وفاة مولاي الحسن وتولي مولاي عبد العزيز صار الفقيه بلقرشي من بين العلماء الذين كانوا يحضرون المجلس العلمي الذي كان ابا حماد يقيمه عشيّة كل يوم جمعة واشتهر الفقيه داخل هذا المجلس بغزارة علمه. وتضلّعه في الفقه والعلوم الدينية. وداع صيته على الخصوص بعد القضية التي اشتهرت لدى أهل فاس باسم "تحريف المحجّة لنيل المدجّة" وهي قضية تسميم زوجة لزوجها هزّت مدينة فاس واختلف فيها فتاوى العلماء والقضاة وتورّط فيها بعضهم بالرّشوة. وعلى إثرها أسند له القضاء في مقصورة السماط بفاس. حيث اشتهر بالنزاهة والعدل وعدم الخضوع لأيّ ضغط. وتدل رسالته للخليفة السلطاني آنذاك مولاي عرفة الذي اتهمه بأنه "يمزّق مكاتبه ويطلق لسانه فيه" على أنه لم يكن "يخاف في الله لومة لائم". ومن بين ما جاء في رسالته "وتا الله لو احتجت إلى من يكنس ارواك لكنت أول فاعل وأعتقد أن ذلك قربة وطاعة وأما مكاتبك فعندي منها ما يزيد على حمل جمل فاذكر لي أي كتاب أحضره لك محفوظا مصونا. نعم سيدي إن الدعاوي والقضايا الشرعية لا أرفع لجنابكم فيها رأسا ولا أقيم لأوامركم فيها وزنا وقد أنيط بي أن أحكم بالمشهور من مذهب مالك أو بالراجح أو ما به العمل وأن لا أخرج عن تلك المسالك فإن كان هذا مخالفة توجب عقوبة فعجل بها لتريح ونستريح. على خالص المحبة والطاعة الشرعية. والسلام". وكان يتصدى لمظاهر الأبهة والشعوذة التي كان بعض شيوخ الزّوايا يظهرون بها. فقد دخل في أحد الأيام [العالم محمد بن عبد الكبير الكتاني القرويين في موكب ضخم فأرسل له أعوانه] يسأله "هل هذه الهيأة هيأة

الأمراء أو هيأة الفقهاء". وكان بلقرشي يعتبر محمد الكتاني رغم تقديره لوالده عبد الكبير "رجلا فاسد الاعتقاد يجب الانتقاد عليه والتحرّز من ثورته. كما ذكر في رسالة أرسلها إلى مولاي عبد العزيز وعلى إثرها استدعى ابا حماد محمد بن عبد الكبير الكتاني لمناظرة علمية في مراكش لم يخلصه منها إلا تدخل الشيخ ماء العينين. وكان الفقيه بلقرشي من بين قضاة فاس الثلاثة الذين قاموا باستجواب والده العالم عبد الكبير الكتاني حول ادعاءاته بأن ولده مطهّر يمكنه الصلاة بالناس دون وضوء. وأنه هو الذي حمل النبي "صلعم" من سدرة المنتهى، حيث أنزله جبريل بعد الإسراء، إلى غير هذا من الاتهامات، وقد نتج عن مواقفه الصارمة إعفاؤه من قضاء فاس واستقدامه إلى مراكش حيث كان في شبه منفى.

وكان من بين ما قاله للوزير باحماد "وليتموني بلا طلب واستقدمتموني بلا سبب .. هل ثبث أن قبضت من أحد درهما أو حرّفت حكما. ولكن يوم يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم يوم لا يكون لمولاي عبد العزيز سلطان ولا وزير ولا خليفة ولا عبد الرحمان أحد الرعية، في ذلك اليوم تظهر الحقائق ويحق الله الحق ويبطل الباطل".

وبعد مدة أو كل له اباحماد مراقبة قضاة الدير ونظار الأحباس ولكنه طلب الإعفاء من مهمته لما ظهر له من تفشّي الفساد وبقي في مراكش مدة سنتين قام أثناءهما بإلقاء دروس في جامع ابن يوسف والمواسين، وبالفصل في بعض القضايا المعقّدة التي طالت أمام المحاكم. وكان أحد الأربعين الذي عيّنهم مولاي عبد العزيز بمجلس الأعيان لمواجهة الضغط الأجنبي. وفي عهد مولاي عبد الحفيظ اشتهر بمجادلاته معه ومع أبي شعيب الدكالي أثناء الجلسات الحديثية التي كان السلطان يقيمها. وبعد تعويض مولاي حفيظ بأخيه مولاي يوسف صحب هذا الأخير إلى الرباط. وبعد مدة ولاه قضاء مقصورة الرصيف بفاس العليا في 22 رجب 1330 / 1911 وفي سنة 1341 / 1922 ولاه المجلس الشرعي للاستيناف. وفي رجب 1342 / 1923 عيّنه وزيراً للعدل وإدارة شؤون المعارف الإسلامية. وقرّرت الإقامة العامة إقالته من هذا المنصب لرفضه إمضاء كثير من القرارات من بينها عدم تدخل القضاة في الديون وأن يكتب لقضاة النواحي الأمازيغية بالسماح للسكان أن يتحاكموا أمام أزرف وليس أمام المحكمة الشرعية. وكان جوابه" يريدون أن يتحاكموا للطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به". ومن الجدير بالذكر أن مولاي يسوف لم يوقّع على المشروع الفرنسي الذي قدمته له الإقامة العامة في هذا الشأن والذي أتى فيما بعد في شكل ما عرف بالظهير البربري. وبعد إقالته رجع الفقيه عبد الرحمان بلقرشي إلى خطة القضاء بمقصورة الرصيف إلى أن أعفي منها عند وفاة مولاي يوسف. وظل محل احترام الخاص والعام. وكان الأعيان والعلماء وعامة الناس يلتجؤون إليه في وقت الأزمات. فعند الإعلان عن الظهير البربري في 12 ماي سنة 1930 الذي أثار احتجاجات وحوادث عنيفة في مختلف أنحاء البلاد، وصدور الرسالة السلطانية التي تطالب السكان بالهدوء وتبرر الظهير البربري وقراءتها في مساجد فاس وعدد من المدن المغربية، اختير رئيسا لوفد مركب من عشرين شخصا انتخب في اجتماع عقده بعض علماء فاس وأعيانها وشباب الحركة الوطنية بدار المجلس البلدي في 22 غشت 1930 لتحرير عريضة وتقديمها للسلطان محمد بن يوسف وفي الاستقبال الذي خصّص لهذا الغرض بالرباط، "تكلم الشيخ الوقور المهيب بما يفتت القلوب ألما ولم يستطع السلطان أن يحبس دموعه مما سمعه... وكان هذا المنظر يذكرنا بعهود الإسلام الأولى يوم كان العلماء ينصحون ويعظون الملوك الذين كانوا خدّام الرعية". وبعد رجوعه من مهمته التي صار سكان فاس يلقبونه على إثرها "برئيس الوفد البربري" شاع الخبر بأن الفرنسيين ألقوا عليه القبض فتجمهر الناس أمام بيته بسيدي أحمد الشاوي. وبقي يجلس عدة أيام في باب منزله لتكذيب الخبر منعا لوقوع حوادث. وكان سكان فاس يعتقدون في "بركته" فقبل وفاته بقليل لجؤوا إليه لإقامة صلاة الاستسقاء. وبعد انتهاء الصلاة تهاطلت أمطار طوفانية. وكان هذا أصل المقولة التي لازالت معروفة في فاس "الفقيه بلقرشي خرج يطلب الغيث وغرّق كلّشي".

لم يخلف عقبا رغم زواجه مرتين الأولى من فاطمة الشرقاوية، وبعد وفاتها من فاطمة أخت التهامي عبابو حاجب مولاي يوسف. وقد يفسّر هذا تبنيه لمولاي أحمد الشبيهي الذي كان يتيم الأمّ والذي صار فيما بعد من العلماء المرموقين.

توفي عبد الرحمان بلقرشي بفاس في 20 محرم 1358 موافق 1938 عن سن تناهز مائة وأربعة سنة. وهكذا يكون قد عاصر 6 ملوك ابتداء من سيدي محمد بن عبد الرحمان.

أ. الشبيهي، *إرشاد الراغب المنشي إلى ترجمة أبي زيد بن القرشي*، مخطوط ؛ أبو بكر القادري، *ذكرياتي في الحركة الوطنية المغربية*، ج 1، الدار البيضاء، 1993 ؛ ع. الفاسي، *الحركات الاستقلالية في المغرب العربي*، طبعة جديدة، مؤسسة علال الفاسي، 1993 ؛ م. بن الحسن الوزاني المنوني، *مظاهر المغرب الحديث*، مطبعة الأمنية، 1973 ؛ ع. الرحمان بن زيدان، *العزّ والصولة في معالم نظم الدولة*، ج 2، الطبعة الملكية، الرباط، 1961 / 1962.

ثريا برادة

القرض، لغة القطع، نقول قرض الثوب المقراض، وقرض الشيء بنانه قطعه، ومنه البعير يقرض جرته يمضغها. والشاعر يقرض لأن الشعر كلام ذو تقاطيع أو لأنه جرة في المجاز. ومنه قرضت القوم أي جزتهم، قال الله جل جلاله في سورة الكهف (آية 17) وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال. وفي مجال المعاملات نقول استقرضته فأقرضني أي استسلفت منه وقارضته مقارضة أعطيته المال مقارضة. ومن ذلك قول الله عز وجل في سورة الحديد (آية 11) من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له. وقال الشاعر : إن

الغني أخو الغني // وإنما يتقارضان ولا أخا للمقتر. والقراض في لغة الحجاز المضاربة. وقد عقد له مالك ابن أنس بابا في الموطأ قائلا بأنه أخذ المال من صاحبه على أن يعمل فيه، وبأنه لا يصلح إلا في العين من الذهب والورق (بكسر الراء) ولا يكون في شيء من العروض والسلع والبيوع، وذاكرا ما يجوز فيه وما لا يجوز مما يشكل "قراض المسلمين" في قوله. وجاءت نوازل التعامل به في المغرب والأندلس في كتب الفقه الأولى وفي نوازل الونشريسي (10 هـ/ XVI م) ونوازل الوزاني (13 هـ / XIX م) في العصور القريبة. ولكننا ما زلنا نفتقر إلى دراسة شافية عن تاريخ القراض في المغرب قبل الحماية. أما بعد انعقادها فقد انتشر التعامل بالقرض بما عم من الرواج الرسمالي المعاصر في الأسواق المغربية وبما تكاثر من الأبناك التي يستودعها الزبناء أموالهم ويقترضون من فائضها عند الحاجة. وقد أجملنا القول في ذلك في هذه المعلمة في مادة بنك قبل سنوات. وكان من الممكن أن نكتفي بذلك ونحيل عليه، لولا ما طرأ على شروط القرض من التغيير الجذري منذ تاريخ كتابة تلك المادة، فلا مناص من التنبيه إلى ذلك من باب الاستدراك وليس الإفاضة.

لقد عملت الدولة المغربية في الثمانينات من القرن العشرين بخطة عرفت ببرنامج التصويب الهيكلي قوامه التخفيف من مراقبة الدولة الضيقة للدورة الاقتصادية وترك السوق تعمل بأكثر مما كان سابقا من التلقائية، وذلك لحفز المبادرة الفردية واستنهاض الاستثمار الناجع وحثه على العمل في الميادين المحتاجة إلى المال أو المثمرة أكثر. ولا وسيلة أنجع للتصرف في النشاط الاقتصادي من بذر الأموال بحسب الحاجة إليها. ولذلك اتجهت الدولة بخطى حذرة لكنها ثابتة إلى التخلي عن التأطير الضيق لسياسة القرض، سعيا في الإنماء والتشغيل وإقرار الأسعار في الداخل وتسوية المعاملات مع الأسواق الخارجية، وجعل ذلك أرضية لحركة نمو سريع متواصل. وغني عن البيان أن هذه المراجعة للسياسة المالية ترتبت على ما جرى في السبعينات من زعزعة الأسواق الدولية بسبب الزيادة في أسعار النفط التي نجم عنها تضخم في الرواج النقدي، فصار من اللازم ترك العرض والطلب في الأسواق يتوازنان من تلقاء حركتهما. وهكذا توجهت السلطات المالية بالتدريج نحو سياسة أكثر مرونة، ففضلت مراقبة الكتلة النقدية والمعاملات من خلال ما يتطلبه السوق تلقائيا من القروض. وصارت ابتداء من 1991 تتخلى شيئا فشيئا عن التأطير الضيق للقروض، فتحررت أسعار القروض الدائنة ثم أسعار القروض المدينة. وألغيت تباعا التوظيفات الإجبارية التي كانت تضطر الأبناك إلى تخصيص حصص معينة من أموالها للسكن مثلا أو لسندات الخزينة أو للديون على الخارج. وتمت هذه الإصلاحات ضمن أخرى منها إماطة الفواصل بين سوق الرساميل وإعادة النظر في تنظيم السوق النقدية وبرصة القيم وتحرير العمليات المالية مع الخارج بإقرار قابلية الدرهم للتحويل بالنظر إلى العمليات الجارية، وذلك سنة 1993، وبإحداث سوق للصرف، وذلك سنة 1996. وأجمل القول بالتوجهات العامة لهذه الإصلاحات في ظهير صدر بتاريخ 15 محرم 1414 (6 يوليوز 1993)، جدد صرح مؤسسات القرض وشروط الاقتراض وأدوات حماية المهنة البنكية من الغش والزيغ.

والغاية من هذا الظهير هي حماية المؤسسات البنكية والشركات المالية وزبنائها من كل الآفات بعد أن صارت أسعار القروض رهنا بما يترتب على السوق من الحاجيات. فقد أضحى تتبع السياسة النقدية يتم بشكل غير مباشر، وليس من خلال تحديد أسعار القرض والخصم من قبل البنك المركزي كما كان الحال سابقا. وبناء على ذلك لم يعد يفرق بين الأبناك والمؤسسات المالية المتخصصة أي فارق، وإنما اعتبر الجميع مؤسسة ائتمانية على ما لكل مؤسسة من الوظائف المتميزة فتتصرف في القروض بحسب حاجيات السوق ليس إلا.

إبراهيم بوطالب

القرطاجيون والمغرب القديم نعرف الوجود البوني القرطاجي في موريطانية بواسطة نص وحيد هو رحلة حنون التي وقعت في أواخر القرن السادس قبل الميلاد، نقتطف منها الفقرة التالية : "... استحسن القرطاجيون فكرة إبحار حنون وراء أعمدة هرقل ليؤسس مدنا يعمرها الليبيون الفنيقيين Libyphéniciens. أبحر إذن على متن ستين سفينة يسير كل واحدة منها خمسون جذافا على متنها عدد هائل من الرجال والنساء يناهز عددهم ثلاثين ألف فرد مزودين بالمؤونة واللوازم الضرورية ...".

ورد في النص أن حنون شيد ست مستوطنات، ما بين مضيق أعمدة هرقل ونهر لكسوس. والراجح أن حنون شاء أن يخلد المدينة الفينيقية تمياتربة لما أطلق اسمها على أولى مستوطناته وهي تمياتربون Tumiatérion. أما اسم المستوطنة الثانية كاركون طيخوس Teichos ومعناها السور "الكاري"، فيوحي بذكرى الآثار الإغريقية بالناحية، والتي ترجع في الغالب إلى فترة المنافسة بين الإغريقيين والفينيقيين في استيطان الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط. غير أن الوجود الإغريقي في موريطانية لا نجد له صدى واضحا في النصوص بينما تحدث إفورEphore عن هذه المدينة في القرن الثالث قبل الميلاد قائلا : "كاركون طيخوس مدينة ليبية تقع على يسار أعمدة هرقل". والراجح أن ذكر الكاتب المذكور لهذه المدينة يوحي بأنه علم من مصادره بالأثر الكاري في موريطانية، وهذا شأن تاريخي يهم الكاتب لكونه ينتمي إلى مدينة كوميس Cumes الواقعة في هذه المنطقة الآسيوية من العالم الإغريقي.

وهنا ندلي برأي بلنيوس الشيخ المتوفى سنة 79م. حول هذه المستوطنات، وهذا قوله وهو يتحدث عن مدينة لكسوس: "إن معظم الكتاب الإغريق وكتابنا أيضا يتحدثون

عن أساطير من بينها أن حنون أنشأ عدة مدن في هذه الناحية. لكن ليس هناك أي أثر لها ولا أحد يتذكرها".

ثم هناك نص هيرودوت حول تجارة الذهب بين القرطاجيين وسكان المغرب. وهذا قوله : "يتحدث القرطاجيون عن بلد في ليبيا وراء أعمدة هرقل. فعندما يصلون إليه يعرضون بضائعهم على الشاطئ ويعودون إلى سفنهم حيث يشعلون نارا. وحينما يراها السكان يأتون بالذهب ويعرضونه بجانب السلع القرطاجية وينسحبون بعيدا عن المكان. بعدئذ ينزل القرطاجيون لفحص كمية الذهب، فإذا كانت كافية أخذوها وانصرفوا تاركين أمتعتهم. وإذا كانت ناقصة تركوها وعادوا إلى مراكبهم. وحينئذ يأتي السكان فيضيفوا شيئا من الذهب وقد تتكرر العملية إلى أن يحصل التراضي في صمت ويؤكد القرطاجيون أن الطرفين يلتزمان الإخلاص في معاملاتهما، فهم لا يمسون الذهب إلا إذا وجدوه كافيا لقيمة سلعهم، والسكان بدورهم لا يأخذون شيئا من البضائع قبل أخذ القرطاجيين للذهب".

وآخر ما ندلي به في الشأن القرطاجي بموريطانية، إشارة إلى مقارنة الكتاب الإغريقيين واللاتينيين بين لكسوس وقرطاجة، في نص قال فيه بلنيوس الشيخ ما يلي : "لا داعي للاستغراب كثيراً من تخيلات الإغريقيين حول موضوع حدائق الهسبريات ونهر لكسوس، إذا علمنا أن كتابنا ألفوا مؤخرا حول المدينة روايات خارقة للعادة وإذا صدقنا كلامهم فإن لكسوس كانت أكثر قوة وأعظم من قرطاجة الكبرى". وهذه إشارة هامة في تقديرنا، نرجح أنها تعكس المنافسة بين القرطاجيين والموريين، الذين حرصوا على مصلحتهم في السيطرة على الملاحة التجارية بالمحيط، بمنع غيرهم من ارتياد بحارهم.

وهذا ما يعكس نص هيرودوت حول تجارة الذهب بشروط عن قيود فرضها الموريون على زبنائهم في تبادل هذه المادة وهو ما نلمسه من الفراغ الذي شهدته جزيرة موگدور بعد اتصال الفينيقيين بها بين القرنين السابع والسادس قبل الميلاد. ثم إن واقعة عقاب الموريين للتاجر والمكتشف أودكس الكوزيكي Eudoxe de Cyzique ، توضح بما لا يدع مجالا للشك أن الموريين تحكموا في الملاحة بالمحيط الأطلسي، وكانوا يزجرون كل من لم يحترم مجال نفوذهم أولا يراعي مصالحهم. قال سترابون في هذا الصدد : "لما وصل (أدوكس) سلبما إلى موريسة Maurusia باع مراكبه وقصد بگوس Bogos (بكوس الأول) وهو ماشيا، وعرض عليه أن يتولى الإشراف على الرحلة البحرية التي كان يعتزم القيام بها. لكن أصدقاء بكوس تشبثوا بالرفض، محذرين ملكهم من مغبة جعل البلاد عرضة للغزو إذا صار الطريق معروفا عند الغزاة الأجانب ... فقرروا نفيه إلى جزيرة مهجورة".

إن هذه المؤشرات تعكس فرضيتنا حول الوساطة الموريةبين العالم المتوسطي وبلاد الإثيوبيين الغربيين، التي اشتهرت بثرواتها ومن بينها الذهب. ولعدة اعتبارات لا يسمح المجال بالإسهاب فيها هنا، فإننا نرجح أن الموريين باحتكاكهم مع الفينيقيين وغيرهم من الشعوب، قد لمعوا في ميدان الملاحة التجارية قبل خضوع البلاد للرومان.

وبالنسبة للعلاقات السياسية بين الموريين وقرطاجة، فأقدم خبر حول هذه النقطة يفيد أن جنودا موريين كانوا ضمن قوات قرطاجة في صقلية سنة 406 قبل الميلاد، والراجح أنهم مرتزقة مثل الموريين الذين شاركوا مع القرطاجيين في الحروب البونية ثم نعلم أن ملكا موريا أغفل المصدر ذكر اسمه، قد ساعد ثائرا قرطاجيا يدعى حنون، في تاريخ قدّر بحوالي منتصف القرن الرابع قبل الميلاد. وهذا يدعو إلى الاعتقاد بأن العلاقة كانت سيئة بين البلدين. ونجد امتداد لعداوة مضمرة في مساعدة الموريين للملك الماسيسولي سيفكس Syphax سنة 213 ق. م لما هاجمه الملك الماسولي گايا Gaïa بدعم من قرطاجة ثم ساعد الملك الموري باگا Baga الأمير ماسنيسا Massinissa بن گايا سنة 206 ق. م لكي يعود إلى بلاده لاسترجاع ملكه الذي سلبه سيفكس بتأييد قرطاجة أيضا. والواضح أن هذه المساعدات الموريةللجيران النوميديين، تنعكس سلبيا على الأهداف التوسعية لقرطاجة، ولا ريب في أن هذه المواقف تدل على عدم انسجام الموريين مع تطلعات القرطاجيين في فرض هيمنتهم على الملوك الأفارقة.

نعلم كيف تورط الملوك النوميديون في الحرب البونية الثانية، حيث تحالف الملك الماسولي گايا مع قرطاجة، فكلف ابنه ماسنيسا بقيادة النوميديين الذين بعثهم إلى إسبانيا لنصرة القرطاجيين. بينما كانت رومة تراود الملك الماسيسولي سيفكس بالتحالف. وبعد وفاة گايا سنة 206 قبل الميلاد تمكنت قرطاجة من التحالف معه وقبلت باستيلائه على مملكة الماسوليين واحتلال عاصمتهم كيرتة Cirta. وهذا ما حتم علي الأمير ماسنيسا التحالف مع سكيبيو في إسبانيا بعد انتصاره على القرطاجيين بها. وقد اشترك ماسنيسا مع سكيبيو في حملته على قرطاجة بين سنتي 204 و202 قبل الميلاد وأفضت هذه الحملة إلى تمكن ماسنيسا من إلقاء القبض على سيفكس وسلمه أسيرا لسكيبيو، وذلك ما سنح للأمير الماسولي بتولي عرش أسلافه واسترجاع مملكته وضم مملكة الماسيسوليين. وقد توج ذلك بمعركة زاما التي انتصر فيها الرومان على القرطاجيين. ونصت اتفاقية السلم بينهما على حق ماسنيسا في استرجاع ممتلكات أجداده من قرطاجة. ثم ظل ماسنيسا وفيا للرومان إلى وفاته، قبيل قضاء الرومان على قرطاجة، حيث شارك أبناؤه في الحرب البونية الثالثة لصالح الرومان.

أما الموريون فلا نتوفر على نص صريح يفيد أن ملوكهم تدخلوا في هذا الصراع. غير أن بولبيوس أكد على وجود أشخاص موريين في جند القائد القرطاجي حنبعل سنة 218 قبل الميلاد، وقد ترك هؤلاء الموريين لأخيه حسدر بعل في إسبانيا. والغالب أن الأمر يتعلق بمرتزقة لا تتحمل المملكة

المورية مسؤولية مشاركتهم في هذه الحرب مثل الموريين الذين حسبهم نفس المؤرخ من بين المرتزقة مع الليگوريين والغاليين والبلياريين، وعددهم جميعا يقدر باثني عشر ألف رجل ونفس الشيء بالنسبة للموريين الذين ذكرهم نفس المؤرخ في معركة زاما، حيث أفاد تيتوس لفيوس أنهم مرتزقة أيضا، وقد ورد نفس الخبر عند أبيانوس، الذي أشار إلى أن القرطاجيين كانوا يأملون في مساعدة الموريين في الحرب البونية الثالثة. والواضح أن هذا الأمل يبرره ما التزمه الموريون من الحياد للحفاظ على استقلالهم السياسي والاقتصادي.

ثم إن الشاعر الروماني سليوس إيطالكوس الذي عاش ما بين سنتي 25 و101 م. قد تحدث عن وجود عناصر وشخصيات مورية ضمن قوات حنبعل يتعلق الأمر ببنيور Baniurae والأوطلول Autololes وأهل طنجة ولكسوس، بالإضافة إلى شخصين غير معروفين هما شاب يدعى لكسوس Lixus وشخص سماه بالموري سكيس Saces. كما ذكر أشخاصا يحملون أسماء الملوك الموريين هم باگا وبكوس وبگوس Bogus ، فأشار إلى أن بگوس كان يكشف الغيب وقد قتل في الحرب مثل باگا والشاب لكسوس. وفي تقديري أن ما أورده الشاعر المذكور اقتضته المبالغة الشعرية وصورها الفنية، في ملحمة تسمو عن الزمان والمكان والواقعية، كرسها لتمجيد الأبطال الرومان الذين هزموا حنبعل.

بالنسبة للمبادلات التجارية بين موريطانية وقرطاجة فإن حصيلة البحث الأثري ضئيلة جدا سواء في التنقيبات أو التحريات فالمنقبون بالمغرب يشكون من قلة المواد التي تندرج في هذا الإطار. والحصيلة منذ بداية البحث الأثري في فترة الحماية وحتى الآن هي بضع نقود قرطاجية وبضع أمفورات من الأنواع التي كانت رائجة في المجال البوني. يضاف إلى ذلك تقليد لبعض النماذج من الأواني التي توصف بالبونية مثل الأمفورات المورية من النوع Dr 18 التي ظهرت في قرطاجة قبل تحطيمها. وفي موريطانية استمر صنعها خلال القرن الأخير قبل الميلاد. وهناك من ظن أن هذا التأثير جلبه قرطاجيون التجأوا إلى موريطانية بعد إحراقها سنة 146 قبل الميلاد. فهل يجوز أن نعزو لهذا الحدث تغلغل التأثيرات الثقافية البونية، التي تتجلى في استعمال الكتابة البونية بموريطانية في العملة والنقائش، إضافة إلى اتباع نظام الشوفيط الذي كشفت عنه نقيشتان من وليلي واحدة بونية وأخرى لاتينية.

ع. اللطيف لبرينسي، *رحلة حنون*، كلية الآداب، 1990 ؛ مجدوب، *أوضاع موريطانية من خلال رحلة أودكس الكوزكي في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد*، كلية الآداب، مكناس، 1993 ؛ *دراسات عن الحياة الاقتصادية بموريطانية في القرن الأخير قبل الميلاد*، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، للمحمدية، 1998.

Hérodote, 4, 196 ; Polybe, Livre 3 et 5 et 11 et 14 et 15 et 31 et 38 ; Diodore de Sicile, 13, 80, 3 ; Strabon, 2, 3, 4 ; Tite Live, livre 23-24 et 27-31 et 34-35 et 40 et 42-45 ; Pline l'Ancien, 5, 4 et 8 ; Silius Italicus, 2, 110-5 ; 160-5 ; 3, 225-60 ; 280-5 ; 300-10 ; 4, 130-5 ; 5, 400-10 ; Appien, Iber, 16 et 29 et 37 ; Lib 26-7 et 10 et 41 et 51 et 68 et 70 et 105 et 110 et 111 et 126 ; Justin, 21, 4, 7 ; S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, tome 2 et 5, Paris, 1912-28 ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; A. Jodin, Note préliminaire sur l'établissement préromain de Mogador, dans *B.A.M.*, 2 p. 9-40, 1957 ; Idem, Le tombeau préromain de Mogogha Es Srira Tanger, dans *B.A.M.*, 4, p. 27-46, 1960 ; Idem, Mogador comptoir phénicien du Maroc atlantique, dans *E.T.A.M.*, 2, 1966 (1) ; Idem, Bijoux et amulettes du Maro punique, dans *B.A.M.*, 6, p. 55 - 90, 1966 (2) ; Idem, Un brûle parfum punique à Volubilis dans *B.A.M.*, 6, p. 505-10, 1966 (3) ; Idem, Carthage et le Maroc punique, dans *B.A.M.*, 11, p. 65-78, 1978 ; R. Rebuffat, Recherches sur le bassin du Sebou, 2, Le Périple d'Hannon, *BAM*, 16, p. 257-84, 1985-6 ; M. Kbiri-Alaoui, A propos de la chronologie de la nécropole d'Aïn Dalia Lekbira (région de Tanger Maroc), dans *IV Congreso internacional di Studi Fenici y Punici*, Cadiz, p. 1185-95 ; M. Majdoub, Nouvelles recherches sur l'époque maurétanienne à Volubilis, Actes des 1ères Journées d'Arcgéologie et du Patrimoine, *SMAP*, p. 198-213, 2001 (1) ; La Maurétanie et Carthage, dans *IV Congreso internacional di Studi Fenici Punici*, Cadiz, p. 1217-21, 2001 (2) ; M. Habibi, L'époque dite punique au Maroc, *Actes des 1ères Journées d'Archéologie et du Patrimoine*, SMAP, p. 73-84, 2001.

محمد مجدوب

القُرطُبي، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Cordoba ؛ ومازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Cortovi وCordobés ؛ نسبة إلى مدينة قرطبة ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان منهم : محمد القرطبي من أعيان تطوان الذين شهدوا ضد الباشا السابق عبد الكريم ابن زاكور بأنه تصرف في أموال بيت المال لصالحه في صفر 1180 (10 يوليوز 1766). ومحمد بن علي القرطبي كان يملك الطاحونة الوحيدة التي كانت بتطوان سنة 1235 (1820).

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

القرطبي، الرايس أحمد "الرجل البدين" الأندلسي الأصل، وأحد كبار الرياس الرباطيين العاملين في عهد الإمارة الدلائية. كان في خريف 1651 يمتطي سفينة حمالة مجهزة للجهاد البحري تدعى "الأرض الموعودة"، لما سيطر على السفينة الهولندية ڤيتي فالك (Witte Valck) في مياه رأس سان فانسان، جردها من صواريها واستولى على شحنتها وأوسع قبطانها وبحارتها ضربا.

كان هذا الرايس بطل حادثة السفينة الهولندية "النبي دانيال" (Le Prophète Daniel) سنة 1658 التي اعترضت مركبه رغم توفره على جواز مرور قانوني، وقتل إثر ذلك بعض من رجاله وأسر خمسون منهم، كما أتلف المركب وأحرق، مما شكل خرقا للمعاهدة الموقعة مع السلطة الدلائية. وقد حذا هذا بالولايات الهولندية إلى الحكم باعتقال القبطان المذنب وبتعويض الرايس القرطبي عن خسائره (9400 فلورين)، ومصادرة وبيع السفينة الهولندية لفائدة القرطبي، وتحميل المذنب مصاريف إقامة هذا الأخير بالأقاليم المتحدة وعودته إلى الرباط.

Les *S.I.H.M.*, 1° série, Pays-Bas, t. V, p. 310-11, 327 ; 2° série, France, t. I, p. 406-07 ; Coindreau, *Les corsaires de Salé*, p. 90.

القرطبي، الرايس محمد نجل المتقدم ذكره. سيطر سنة 1670 رفقة محمد الرايس على الفرقاطة الفرنسية لاروايال (La Royale). وكان في سنة 1672 يقود سفينة عالية الكفاءة، مجهزة ببطارية مؤلفة من ستة عشر مدفعا وبطاقم مكون من مائتي رجل. وقد استمرت حياته المهنية حتى أواسط الثمانينيات.

Les *S.I.H.M.*, 2° série, France, t. I, p. 406-07 ; Coindreau, *Les corsaires de Salé*, p. 90.

حسن أميلي

القرعة، هي عدة أنواع من جنس الكوكوربيتا الذي ينتمي إلى القرعيات "Cucurbitaceae"، وهي من أصل أمريكي، وكانت لها أهمية في الزراعة البدائية مدة قرون. إلا أنها تزرع الآن في كثير من أنحاء العالم حيث المناخ معتدل.

القرعة نباتات حولية خشنة زاحفة ذات أزهار كبيرة صفراء وثمار مختلفة الأشكال. تنمو حين يكون الجو معتدلا، وتشمل أصنافا كثيرة تختلف من حيث شكل الفاكهة ولونها وحجمها ومذاقها وكذلك توقيت نضجها.

تنتمي أصناف القرعة إلى ثلاثة مجموعات :

- كوكوربيتا ماكسيما "Cucurbita maxima" : تتميز بكبر حجم الفواكه (10 ـ 25 كلغ)، حمراء من اللب وتستهلك عادة في فصل الشتاء وهي قابلة للتخزين بعد بلوغها النضج التام.
- كوكوربيتا بيبو "Cucurbita pepo" : صغيرة الحجم وتستهلك خضراء.
- كوكوربيتا موسكاطا "Cucurbita moschata" : لا تتحمل التخزين.

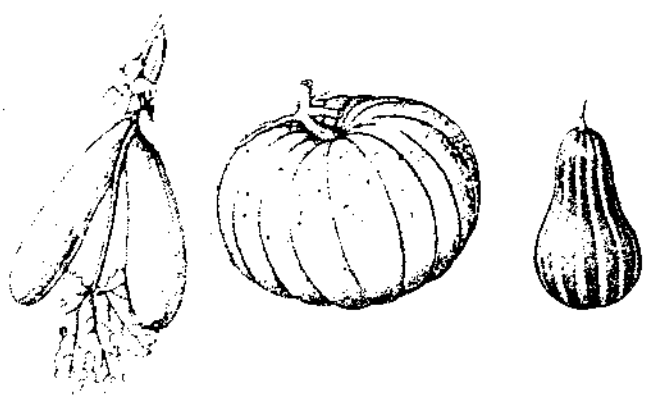

زراعة القرعة تتطلب مناخا معتدلا وتربة غنية بالذبال وكثير من الماء. وهي كثيرة الحساسية للصقيع والبرد، ولا يتم الإنبات إلا عندما تكون الحرارة أعلى من 20 درجة. يتم تلقيح الأزهار بواسطة الحشرات. يصل الإنتاج إلى 70 ـ 90 طن للهكتار.

تستعمل ثمار القرعة غير الناضجة كخضر طازجة أو مطهوة في الطواجن، أو مسلوقة أو مقلية، بينما تخبز الثمار الناضجة أو تعلب أو تعطى للماشية، وتستعمل كذلك مسلوقة أو مقيلة، ومنها ما يستعمل للتزيين. من أشهر الأصناف المزروعة في المغرب : السلاوية، الرصاصية، الحرشة، الشرگية، البسيبسي.

بذور القرعة غنية بالدهون والبروتينات، وتستعمل كمصدر لإخراج زيت نباتي، وتستهلك كذلك مقيلة بعد تمليحها.

ألبيرت هيل، *النبات الإقتصادي*، تر. زاهر عبد المجيد وآخرون، القاهرة، نيويورك، 1962؛ *معلومات شخصية*.

J.M. Clément, *Larousse Agricole*, édition Larousse, Paris, 1981.

عبد النبي زين العابدين

القرفي، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Querfe. ومن أشهر أفرادها : محمد بن قاسم القرفي معلم ماهر في صنع الفسيفساء كان بقيد الحياة سنة 1158 (1745).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

القرقورة (Caraque) وتدعى الكراكة أيضا، وهي من السفن الشراعية التي ابتكرها البرتغاليون خلال العصور الوسطى، وكان نشاطها الملاحي في بادئ الأمر مقصوراً على البحر الأبيض المتوسط، وكانت عبارة عن مركب مستطيل عالي السطح، ذي أبعاد تصل إلى خمسين متراً طولا وخمسة عشر عرضا، وتتسم بثقل حمولتها التي بلغت مئات الطنات أحيانا، الأمر الذي جعلها تندرج في البداية ضمن المراكب التجارية المخصصة لنقل البضائع والأنعام.

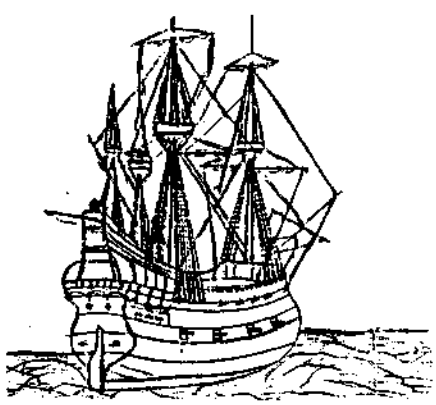

ومع احتياجات التأمين التي تطلبتها الملاحة التجارية أواخر القرن (16 م)، من حيث ملاءمة السفن المدنية للدور الدفاعي قصد مواجهة الهجمات القرصانية واللصوصية،

خضعت القرقورة للعديد من التحويرات التي جعلت منها سفينة مسطحة الغاطس وأكثر استدارة وخفة، مع تجهيزها بصارين إلى ثلاثة بشكل يسر عليها تحقيق المناورات المطلوبة، والتمتع بالسرعة الفائقة.

وبهذه المواصفات تم تأهيلها للقيام بالدورين المدني والعسكري، سرعان ما أهلها رياس الجهاد البحري للعب الأدوار الهجومية في المغرب عموما، ومصب أبي رقراق على وجه الخصوص خلال القرن (17 م)، واعتمدوها كإحدى الأنواع المستعملة في الملاحة الشبجية، وفي الوقت ذاته في ملاحة المساحلة وفي الإبحار حتى في الأعماق الضحلة لمصبات الأنهار. ولم تعرف القرقورة تراجعا لحضورها في الأسطول الجهادي إلا مع اشتداد أزمة التجهيزات الملاحية خلال عهد مولاي إسماعيل.

النخيلي، *السفن الإسلامية*، ص. 120 ـ 25.

Dan, *Histoire de Barbarie*, p. 209 ; Les S.I.H.M., 1 série, Pays-Bas, t. V, intro. p. XIII ; Des Champs, *Pirates et flibustiers*, p. 30 ; Chack, Du Maroc à..., p. 5.

حسن أميلي

القرقوري، المعطي الشاوي المسكيني. الشاوي نسبة إلى الشاوية، والمسكيني نسبة إلى قبيلته بني مسكين. من أولياء الله الصالحين العارفين الذين نزعوا عن الدنيا ومحوها في القلب بالكلية، ذلك ما تؤكد عليه المصادر، وكما جاء في *إتحاف أعلام الناس* " يحب في الله ويبغض فيه، لباسه حائك صوف ويرنس منه وقميص وعمامة صغيرة ... نفقته من الفيض الوهبي نزيه عالي الهمة كثير الخشية لا تأخذه في الله لومة لائم ...". كما كان مشاركاً في علوم كثيرة إلا أنه ركز في دروسه على التوحيد.

انعزل المترجم في أول أمره عن الناس في خلوة بعيدا عن أهله وقبيلته ؛ ثم انتقل إلى فاس والسبب يعود كما أخبر بذلك ابن زيدان : "لمسألة اعتقادية حيرت ذهنه وعسر عليه فهمها، فرحل لفاس بإشارة من بعض أهل الخصوصية الربانية" ..." وحضر دروس العلامة الحاج محمد بن المدني جنون، ومن عجيب الصدف على ما قال صاحب *الإتحاف* : "أنه أول ما حل بفاس حضر درس جنون ووجده يقرر المسئلة التي أشكلت عليه وكانت سبب رحلته ..." والتزم من حينه مجالس العلامة المذكور حتى حقق غايته واكتمل تكوينه العلمي ومهر في فنون شتى، عندها رحل لبلده وأسس بها زاوية تصدر للتدريس بها فأفاد منه خلق كثير، إذ اشتهرت تلك الزاوية وتوافد عليها طلاب العلم من كل صوب، وعندما مر السلطان مولاي الحسن (1290 ـ 1311 ـ 1873 ـ 1894) بتلك الزاوية أكرم المترجم له ورفع المغارم وسائر الكلف المخزنية عنه وعن أقاربه مما أو غر صدر عامل بلده فكاد له وأدخله السجن. "ولما علم بذلك السلطان المذكور قبح فعل المتولي الخبيث ... وأمر بتسريحه حالاً والإتيان به إليه على كامل المبرة والإكرام لحضرته" وعند إقامة المعطي القرقوري بمدينة مكناس تصدى للتدريس فاستفاد منه الكثير ومن أبرزهم الطاهر السوسي.

وظهرت عليه أثناء مقامه في مدينة مكناس ـ على ما تقول التراجم المتناقلة ـ كرامات وخوارق عادات وتذكر له في ذلك أقوال وتنبؤات الأمر الذي زاده شهرة وجعله يتمتع بالتعظيم من لدن العامة والخاصة على حد سواء.

رجع المترجم له لبلده ثم ولي بعد ذلك خطة القضاء بمدينة سطات وبها توفي.

ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 1990، الرباط، 4، 314 ؛ أ. الناصري، *الاستقصاء*، 1956، الدار البيضاء، 9، 148 ـ 152 ـ 162.

رقية بلمقدم

قَرْمُونَة ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Carmona نسبة إلى مدينة قرمونة. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1145 / 1733.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

القَرَنْفُل ، يطلق لفظ "القرنفل" على عدة أنواع أو منتوجات نباتية مثل ما يسمى عود النوار الذي يستورد من آسيا ويستعمل بهاراً أو لتعطير الحليب. أما الأنواع النباتية الموجودة بالمغرب فهي تسعة من بينها ستة طبيعية والأخرى دخيلة تستخدم للزينة، وكلها تنتمي لجنس دِيَانْتُوسْ Dianthus وفصيلة القرنفليات Caryophyllaceae.

وأهم نوع من بينها هو دِيَانْتُوسْ كَارْيُوفِيلُوسْ Dianthus caryophyllus الذي هو مصدر جل الأصناف البستانية.

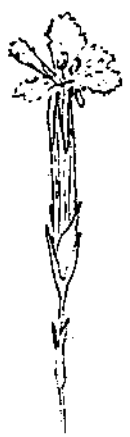

إنه نبات عشبي معمر، يوجد طبيعيا على الأجراف في المنطقة المتوسطية حيث استعملت ضروبه لاستنباط وتحسين سلالات يستخدمها الإنسان كنباتات عطرية أو للزينة. فطورت أشكال الزهور وأحجامها وألوانها لزراعتها في

الحدائق. وتبقى السلالات الغنية بالرائحة تلك التي لم تبتعد كثيراً عن السلالات البرية وذلك لا ستخدامها كنباتات عطرية يستخلص منها الزيت بالمذيبات.

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, Evaluation et préservation de la biodiversité*, Ibis Press, Paris et Kalila wa Dimna, Rabat, 2000, 360 p.

عبد المالك بنعبيد

القرنيع أو القوق كما هو شائع عند العامة حسب المناطق المغربية، نوع نبات خضري من فصيلة النجميات أو المركبات الأنبوبية الزهر Compositae Tubuliflorales وطائفة كاردووي Cardueae . يسمى علميا كيناراسكوليموس Cynara scolymus ؛ وهو نوع يختلف عن الخرشوف الذي يدعى علميا Cardunculus . يدعى القوق في فاس ومكناس والرباط والدار البيضاء والجديدة والقرنيع في وجدة وبركان وفگيگ والناظور ويسمى القنارية في تطوان وطنجة وشفشاون والعرائش ومراكش والصويرة. ويدعى في الشرق العربي حرشف بستاني ـ بالحاء ـ وأرضي شوكي وكنكر الفارسية الأصل. يسمى بالفرنسية Artichaut وبالانجليزية Artichoke المستنبطة من العامية الشرقية أرضي شوكي ؛ يسميه اليونانيون سكوليموس وقنارة.

حوض البحر المتوسط هو الموطن الأصل لهذا البقل وكانت بداية انتشاره شمال إفريقيا وفرنسا في القرن الخامس عشر الميلادي. نبات معمر تطورت زراعته خلال العقود الأخيرة في مختلف المزارع المغربية السقوية كالشاوية ودكالة وسايس وتريفة. منه حوالي عشرة ضروب تغرس في المغرب وتختلف في الحجم واللون المتراوح بين الأخضر والبنفسجي. يفضل هذا البقل العيش في الأتربة الغنية بالطين بالسهول والهضاب.

موجود بانتظام في جميع أسواق الخضر المغربية في فصلي الربيع والصيف. ترتبط أوراقه مباشرة بالجذور ويتوسطها برعوم لحمي غليظ وطويل ينتهي برأس كروي يدعى القوق. جذوره طويلة وأوراقه خيطية محيطها مقسم. يتكون الرأس الكروي من مجموعة من الحراشف ورقية الشكل تحيط بالأزهار الملتفة على سطح القاعدة.

تستهلك قاعدة الإزهار النباتي لهذه الرؤيسات الكروية غير الناضجة إما نيئة أو مطهوة مع الجلبان أو البطاطس وغيرها ويستعمل في أطباق مختلفة في عالم الطبخ المغربي. يؤكل في أغلب الأحيان مسلوقا مع خلطه بقليل من الخل أو من عصير الليم الممزوج بالزيت والملح.

مكوناته الغذائية كالأتي :

الماء : 82٪

البروتينات : 3,7 . 4٪

الدهنيات : 0,2 . 0,3٪

السكريات : 12٪

السيلولوز : 0,6 . 1,5٪

ويحتوي أيضا على كميات هامة من المنغنيز والكالسيوم والنحاس والحديد والبوتاسيوم وفيتامين C و B1 وA. القوق فاتح لشهية الأكل ويرجع سواده بعد طهيه إلى مادة الدبغ سينارين Cynarine التي تستعمل في العلاج الطبي كمادة مساعدة على إفراز البول، كما أنها تؤثر على خلايا الكبد لإفراز مادة الصفراء.

ع. بنعبيد، *الخرشوف، معلمة المغرب*، ج 11 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، الطبعة الثالثة، 1988.

A.G. Akoka, Le médical du 20ème siècle, *Encyclopédie médicale*, t. 7, éd. EDILEC, Paris, 1996, p. 2521-2522.

نجاة الخياطي

قروّان، أحمد بن المختار قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلته بني مصور انظم إلى حركة المقاومة المسلحة بزعامة الشريف مولاي أحمد الريسوني وقد شارك في مؤتمرات الثورة المنعقدة :

ـ بضريح سيدي يسف التليدي يوم 7 ماي 1913.

ـ عين الدالية يوم 11 من نفس أشهر.

ـ ضريح مولاي عبد السلام بن مشيش يوم 20 يوليوز 1913.

ـ قرية الزوة 11 يناير 1915.

م. ابن عزوز حكيم، الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة بشمال المغرب، الرباط، 1981.

Capaz Fernando, *Cabecillas rebeldes de Gomara*, 1949.

محمد ابن عزوز حكيم

القروي، عبد العزيز بن محمد الفاسي الفقيه العلامة، المدرس المفتي، الولي الصالح. كان معاصراً للشيخ أبي الحسن الصغير شارح المدونة، وأخذ عنه، وجمع شرحه على المدونة بخطه، وحبّسه بفاس، وهو أحسن التقاييد وأصحها، ووقع النقل عنه في المعيار في غير ما موضع.

وكان ناظرا على المارستان بفاس، يتولى تجهيز الموتى بيده.

وقعت له حادثة مع سلطان وقته أبي الحسن المريني، انتهت بأن أصبح ذلك السلطان يزوره بداره.

ابن القاضي، *درة الحجال ؛ جذوة الاقتباس* ؛ أ. بابا السوداني، *نيل الابتهاج ؛ كفاية المحتاج* ؛ ع. الرحمان الفاسي، *ابتهاج القلوب* ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*.

المصطفى البوعناني

القرويين (جامع بفاس) يعد من أكبر المباني الدينية الأصلية بالغرب الإسلامي. وقد اشتهر بدوره الثقافي

والفكري لاحتضانه جامعة القرويين التي تعتبر من أقدم المراكز العلمية والمؤسسات التربوية بالعالم الإسلامي، ونظراً لضاخمة المسجد وتعدد مرافقه وتنوع وظائفه الفكرية والتعليمية، فقد حظي بدراسات عدة، بل إن ما كتب في شأنه من مؤلفات ودوّن من وثائق ونشر من أبحاث قديماً وحديثاً يفوق بكثير غيره من المعالم التاريخية والمباني الأثرية.

يمثل جامع القرويين نموذجا حيا للعمل التطوعي والإحساني الذي هو أحد سمات المجتمعات الإسلامية، فقد شيدته المرأة الفاضلة الورعة فاطمة الفهرية خلال أواسط القرن الثالث الهجري. وإذا كان المسجد الأول صغير الحجم، فإنه مالبث أن توسع وزاد حجمه بعد قرن من الزمن خاصة لما تشرف باحتضان صلاة الجمعة التي كانت فيما سبق تقام بجامع الأشراف القريب منه والذي شيده المولى إدريس باني المدينة. ويحتفظ الجامع بصومعته المربعة ذات القامة المتناسقة، وهي شاهدة على اختراق الآذان منها لأسماع الناس منذ القرن الرابع الهجري. وبالتالي تشكل النموذج المرجعي لنمط الصومعة الذي انتشر ببلاد المغرب والأندلس لاحقا.

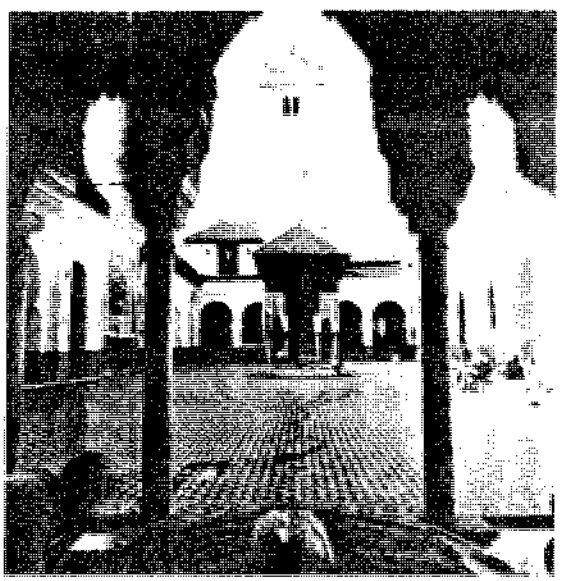

وقد شهد جامع القرويين أهم وأضخم توسعة خلال العهد المرابطي بحيث زاد امتداده في كل الاتجاهات تقريباً، ويمكن إرجاع حدوده الحالية إلى تلك الفترة لأن ما شهده الجامع من عمليات خلال العصور الموالية اقتصر على إضافة مرافق وتشييد ملاحق وإقامة تجهيزات لم تعدل من الحدود التي رسمها له المرابطون.

ويتكون تصميم الجامع المرابطي من قاعة الصلاة وصحن مستطيل الشكل، تحيط به أروقة من الجهات الثلاث. تحتوي قاعة الصلاة على إحدى وعشرين بلاطا. ويتميز البلاط الأوسط، الذي يمتد من العنزة إلى المحراب، باتساعه وقبابه المتنوعة الأشكال والزخارف وهي مزينة إلى يومنا هذا بثريات بديعة الشكل، أصل بعضها نواقيس جلبت كغنائم من الأندلس أيام الموحدين والمرينيين. وتعد الثريا الكبرى المعلقة في القبة الوسطى من أضخم الثريات المغربية وأجلها قدرا وأتقنها صنعة وأغناها زخرفة. ويحتفظ الجامع بعينات فريدة من الفن المرابطي كالمحراب والقبة التي تعلوه والقبة المحاذية له. وقد صنعت "بالجص المقربص الفاخر الصنعة والنقش ... ورفش ذلك كله بورقة الذهب واللازورد وأصناف الأصبغة وركب في الشماسات التي بجوانب القبة أشكال متقنة من أنواع الزجاج وألوانه".

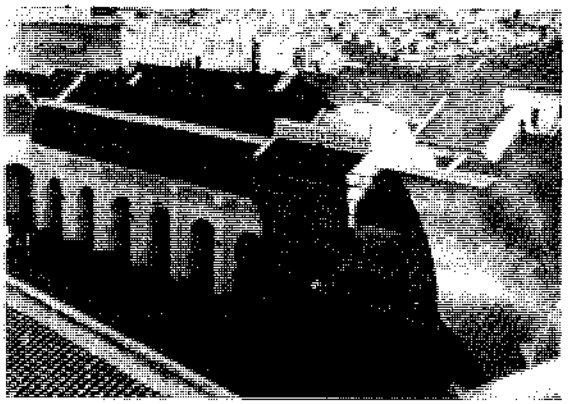

وخص المرابطون الجامع بمنبر في غاية الروعة والجمال، وهو إلى يومنا هذا من التحف الفنية الفريدة بالمغرب. كما شيد واخلف جدار المحراب إلى يمين جامع الجنائز، وهو فضاء فسيح نسبيا يوضع فيه نعش الميت لأداء الصلاة عليه. وهو حسب التازي، أقدم جامع من نوعه في كل بلاد المغرب.

واستمرت الدو ل التي تعاقبت على حكم المغرب في التدخل في جامع القرويين بتزيينه وتجهيزه وترميمه، وتفننت أيضا في نقش كتابات لتخليد أعمالها. فإن كان الموحدون شيدوا والمستودع بالركن الشمالي الشرقي للجامع وأقاموا الخصة الحسناء العجيبة المنظر، فإن المرينيين جهزوا الجامع والجامعة بمكتبتين أيام السلطان أبي عنان : الأولى للمصاحف أقاموها بجوار المحراب والثانية للكتب العلمية فوق المستودع الموحدي السالف الذكر.

وبالرغم من قصر حكم الوطاسيين وانحصار نفوذهم السياسي ونذرة منجزاتهم المعمارية، فإنهم لم يغفلوا الاعتناء بالقرويين، ويظهر ذلك من خلال ترميم بعض أجزائه المتلاشية

وتشييد مصرية لتكون سكنى إمامه الخطيب. وتوجد المصرية خلف الركن الجنوبي الشرقي للجامع.

ولما جاء السعديون إلى الحكم زودوا الجامع بخزانة جديدة لازالت قبتها ماثلة للعيان خلف جدار المحراب إلى اليسار، وهي من أعمال أحمد المنصور، وقد حبس عليها أمهات الكتب والمخطوطات والتصانيف حتى تستجيب للحاجيات المتزايدة للطلاب الذين يحجون بكثرة إلى القرويين طلبا للعلم.

وعلاوة على القبة، أنشأ السعديون على مرحلتين قبتي الصحن،وبعث المنصور بخصة حسناء جلبها من فرنسا لتركب تحت القبة الشرقية، وقد قدر وزنها بمائة قنطار من الرخام، وهي من محاسن المدينة.

وتذكر القبتان من حيث التصميم وتوزيع عناصرهما وترتيب إشكالهما الزخرفية، بساحة الأسود بغرناطة والراجح أن السعديين استفادوا في بناء القبتين من تجربة الموجات الأخيرة من النازحين الأندلسيين نحو المغرب.

ومع الملوك العلويين شهد الجامع عدة إصلاحات وعمليات الصيانة والتنسيق (إقامة العنزات، بناء قاعة كبرى لخزانة القرويين ...) وأسهمت تلك العمليات في استمرار المعلمة في أداء وظيفتها الدينية والتعليمية والتربوية.

فكرة مقتضبة عن الاشعاع العلمي للجامع :

ويجمع أغلب الباحثين على قدم جامعة القرويين، لكن هناك تضارب فيما يتعلق بتاريخ تأسيسها. والظاهر أن الدروس كانت تلقى برحاب المسجد منذ تأسيسه خلال القرن الثالث الهجري، لكن بلورة نظام تعليمي في إطار الجامعة لم يتأكد إلا خلال العهد المريني، وذلك بتنظيم الدروس والامتحانات وبناء المدارس لتوفير السكن للطلبة الافاقيين وبناء المكتبة العلمية وتعيين جهاز إداري تحت إشراف القاضي.

وقد عرفت جامعة القرويين باهتمامها بشتى العلوم المتداولة آنذاك من علوم شرعية وعلمية وفنون أدبية وسير الخ. واشتهرت باحتضانها لحوالي مائة وأربعين كرسي علمي كانت موزعة في جنبات البناية المتسعة الاكناف وفي المدارس والمساجد الأخرى التابعة لها، يقول الوزان : "وفي داخل الجامع على طول الجدران يشاهد المرء كراسي مختلفة الأشكال يدرس عليها العديد من العلماء والأساتذة ...".

شكلت جامعة القرويين كعبة العلماء من المغرب والأندلس وغيرهما، وقد أسهمت في تربية وتكوين الأجيال دون توقف بالرغم من التحولات السياسية التي شهدتها البلاد. وكانت رحاب الجامعة ميدانا للاحتكاك ومجالا للابداع والعطاء. وقد ترك علماؤها الفطاحل تآليف وتصانيف في مختلف العلوم، وهي تمثل جانبا أساسيا من تراثنا المخطوط.

وينبغي الإشارة إلى أن الطلبة الأجانب من غير المسلمين استفادوا من التجربة العلمية للقرويين ونهلوا منها، وشكل أولئك الطلبة أداة لنقل العلوم الإسلامية إلى أوربا.

ابن أبي زرع، *روضة القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ الجزناني، جني زهر الآس، تح. عبد الوهاب بنمنصور، الرباط، 192 ؛ ع. التازي، *جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس*، 3 م، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1972.

(M.B.A.) Benchekroun, *Le milieu marocain et ses aspects culturels, étude sociologique, institutionnelle, culturelle et artistique à l'époque mérinide et wattasside*, Rabat, 1970 ; H. Terrasse, *La mosquée al-Qaraouiyin à Fès*, Paris, 1968.

الحاج موسى عوني

قرية با محمد تنتمي مدينة قرية با محمد لتراب إقليم تاونات. وقد تم تصنيفها كبلدية منذ التقسيم الإداري لسنة 1992. وتعود نشأة المدينة إلى القرن الثامن عشر باستيطان بعض القبائل العسكرية من طرف السلطة والتي أصبح نفوذها يتقوى حول ما كان يسمى بـ "القرية القديمة".

وقد أخذت الميزة الحضرية للمركز تتجلى منذ فترة الحماية وذلك مع إدخال التجهيزات الإدارية.

1 ـ معطيات ديمغرافية :

تؤكد إحصاءات 1982 و1994 وكذا التحقيق حول الأسرة لسنة 2000 بأن ساكنة المدينة تشهد تطوراً ملحوظا وتنمو بوتيرة متصاعدة. بحيث انتقل معدل النمو السنوي من 4,8٪ بين سنتي 1982 و1994 إلى 15,2٪ بين سنتي 1994 و2000.

ويتضافر النمو الطبيعي للساكنة مع أهمية رصيد الهجرة نحو المدن المجاورة لتعليل هذا التطور.

وهذه بعض المؤشرات الدالة على تطور ساكنة مدينة قرية با محمد (1982. 2000).

	1982	1994	2000
عدد الساكنة	7540	13271	15080
عدد الأسر	1340	2355	2540
أقل من 14 سنة	٪41	٪39	٪32
بين 15 و59 سنة	٪53	٪54	٪61
نسبة الأمية	٪45	٪41	٪28

2 ـ البنية الاقتصادية :

يقوم الاقتصاد المحلي على النشاط الفلاحي. ويساهم إنجاز المدار المسقي في تكريس هذا التوجه. وتعتبر المدينة مركزا رئيسيا لتسويق المنتجات الفلاحية وذلك عبر السوق الأسبوعي الكبير الذي يجذب أكثر من 10000 زائر. ويعتبر موقع السوق في مركز المدينة مصدر إشكالات عديدة ترتبط بالبيئة وبحركة النقل ويتوسع وهيكلة مركز المدينة. ولهذا فإن مشروع ترحيل السوق هو قيد الدراسة.

أما النشاط الصناعي فهو شبه غائب.

3 ـ الوعاء العقاري :

تهيمن الملكية الخاصة على البنية العقارية لمدينة قرية با محمد فهي تشغل 91٪ من المساحة العامة للمدينة. وتشكل

الأراضي المخزنية 6٪ فقط وقد تم فتح جزء منها للتمدين.

ويضغط على النظام العقاري للمدينة إشكال هيمنة أراضي الخواص غير القابلة للقسمة "الشيوع" وهي تغطي 55٪ من المساحة الإجمالية للمركز. وتعتبر هذه الأراضي مصدرا لبعض المشاكل المرتبطة بالتجزيء غير القانوني وتنامي السكن غير المنظم.

4 ـ وضعية التجهيز :

ـ التجهيزات الإدارية والمرافق العمومية : تتوفر مدينة قرية با محمد على عدة تجهيزات إدارية، تعليمية وصحية وعلى مرافق سوسيوثقافية وغيرها. لكن هذه التجهيزات لم تعد تستوعب الفائض السكاني إذ أصبحت طاقتها الاستيعابية محدودة الشيء الذي يلزم برمجة وإسقاط تجهيزات إضافية.

ـ التجهيزات التحتية : شبكة التطهير الموجودة هي من الصنف الأحادي وتؤمن 60٪ من حاجيات الساكنة. وتعاني شبكة التطهير من عدة إشكالات مرتبطة بغياب الصيانة، وبتدهور حالة الطرق المعبدة وبغياب معالجة صرف مياه الأمطار. وهناك حاليا دراسة قيد الإنجاز حول المخطط المديري للتطهير.

وتقدر نسبة الارتباط بشبكة الماء والكهرباء بـ 70٪ إلى 80٪ . وتتوطن أغلب البنايات غير المرتبطة بهذه الشبكات في الأحياء الهامشية التي تم إدماجها في المركز منذ 1992.

كما تتميز الشبكة الطرقية بهيمنة الممرات غير المعبدة التي تمثل حوالي 76٪ من مجموع الطرق. وبفضل سلسلة من المشاريع المنجزة من طرف البلدية تعرف هذه النسبة تقلصا تدريجيا ملموسا.

5 ـ التعمير والإسكان :

يؤمن الإنعاش الخاص إلى جانب القطاع العام إنتاج السكن بمدينة قرية با محمد. وينعكس تدخل الدولة عبر تفعيل مشاريع مؤسسات الإسكان التابعة لوصاية الدولة.

وباستثناء هذه العمليات تشهد المدينة وتنامي أنوية سكنية غير قانونية وعمليات التجزيء "المتستر". ويخضع البعض منها لدراسات إعادة الهيكلة من أجل إعادة تنظيم وتأطير ومراقبة وتدبير امتداد وتوسع الإطار المبني. ويطغى عموما على المشهد الحضري للمدينة النمو الأفقي للإطار المبني.

حصيلة عامة :

يتضح من خلال ما سبق أنه رغم المؤهلات الفلاحية والديمغرافية فإن مدينة قرية با محمد تعاني من إشكالات عديدة تستوجب التدخل من أجل خلق وتفعيل شروط تنمية محلية مستديمة. ويمكن تلخيص هذه الإكراهات في النقط التالية :

ـ هشاشة الاقتصاد المحلي، مما يشجع على الهجرة القروية ؛

ـ التبعية الاقتصادية لمدينة فاس في غياب تفعيل محلي لآليات الإنتاج ؛

ـ هيمنة أراضي "الشيوع"، الشيء الذي يعرقل تثمين التراث العقاري ؛

ـ تشتت واضح للنسيج الحضري ؛

ـ تنامي وحدات السكن "المتستر" مما يحتم تفعيل عمليات إعادة الهيكلة ؛

ـ بنية تحتية من مستوى متوسط الجودة تستوجب التعميم ورد الاعتبار ؛

ـ توزيع غير متكافئ للتجهيزات والمرافق الموجودة.

تحريات ميدانية.

أمينة البوعيشي

الـ قريضة "القَرِّيضَة" أو "القَسْتُوس" بالعربية أو "إرْجَل" أو "تُوزَالْتْ" أو "شْتَابَّة" بالأمازيغية والعامية أو بالفرنسية أسماء لأنواع نباتية من جنس سيسْتُوسْ Cistus الذي ينتمي لفصيلة القستوسيات Cistaceae. ويمثل الجنس عدد كبير من الأنواع الجَنْبِيَّة والجُنَيْبِيَة والجُنَيِّبِيَّة في المغرب كما هو الشأن بالنسبة لكامل المنطقة المتوسطية. وتجدر الإشارة إلى أن هذه الفصيلة تعتبر من الفصائل النباتية التي تتميز وتنفرد بها المنطقة المتوسطية. فالستوسيات وخاصة أنواع قستوس هي التي تنظم وتسود تشكيلات الماطورال في أغلب الحالات على الأراضي الحمضية، تاركة الأراضي الكلسية لأجناس نباتية أخرى من الشفويات Lamiaceae أو الفوليات Fabaceae . وتعتبر تشكيلات الماطورال من القستوس من مؤشرات تردد الحرائق لأن هذه النباتات تتطلب في غالب الأحيان النيران لتمكنها من التجديد والتوسع لتسود المنطقة المحترقة. ولهذا وُصِفَت هذه النباتات بالتوسعية والانتهازية والمستعمرة والرائدة والاستيلائية، لأنها باعتمادها على استراتيجية التكاثر تتمكن من غزو الأراضي والاستيلاء عليها بسرعة فائقة بعد اندثار غطائها النباتي بسبب عوامل التدهور الشامل وأهمها الحرائق.

يوجد طبيعيا بالمغرب اثنتا عشرة نوع من جنس القستوس. وهي جَنْبَات أو جُنَيْبَات أو جُنَيِّبَات. أوراقها

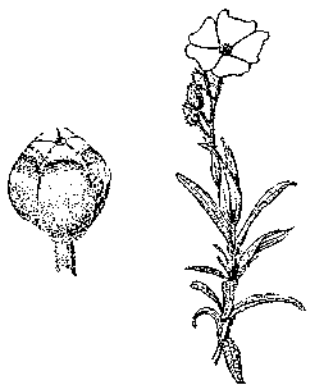

متقابلة، وبدون لذين، مزغبة على وجهها السفلي. لأزهارها ثلاث أو خمس سبلات، وخمس بتلات غير متلاحمة بيضاء أو ووردية، وعدد كبير جدا من الأسدية. ثمارها علبية.

تعيش هذه الأنواع حسب متطلبات كل نوع منها في البيوميناخات شبه الجافة وشبه الرطبة والرطبة والرطبة جدا، وفي الطوابق النباتية المتعلقة بالمتوسطي الدافيء والمتوسطي وفوق المتوسطي واستثنائيا تحت المتوسطي والجبلي المتوسطي.

من حيث الاستعمال تستخدم ثمار أو بذور بعض أنواع القستوس في التغذية أو في التطبيب التقليدي. كما يستخلص من أوراق بعضها بواسطة عملية التقطير زيوت تستعمل في إنتاج مواد سامة لمحاربة الحشرات وغيرها.

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, Evaluation et préservation de la biodiversité*, Ibis Press, Paris, et Kalila wa Dimna, Rabat, 2000, 360 p. : J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle, Médecine arabe ancienne et savoirs populaires*, Ibis Press, Paris, 1997, 779 p.

عبد المالك بنعبيد

قُزْمَان، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Guzman. وهو نفس الإسم الذي تحمله اليوم بعض الأسر الاسبانية ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1077 / 1667 ومن أشهر أفرادها : عائشة بنت علي قزمان فقيهة كانت بقيد الحياة سنة 1100 (1689).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999.

القسَادْري، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس كان جل أفرادها يتعاطون حرفة الصفارين، وقد انقرضت بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999.

قسُّوطة ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس وقد انقرضت بتطوان سنة 1088 (1677).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999.

القُسْطَالْ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Costal وCostales وCastano ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1088 / 1677.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

القسطل أو القسطال أو الكستناء أو البلوط الرومي بالعربية أو Chataigne بالفرنسية أسماء لثمرة كَاسْتَانْيَا سَاتِيفَا Castanea sativa الذي ينتمي لفصيلة البلوطيات Fagaceae.

يتراوح علو شجرة القسطل ما بين 20 و35 م. أوراقها بيضية أو بيضية رمحية الشكل، ذات حواف مسننة. ثمارها مكسوة بقمع مشوك.

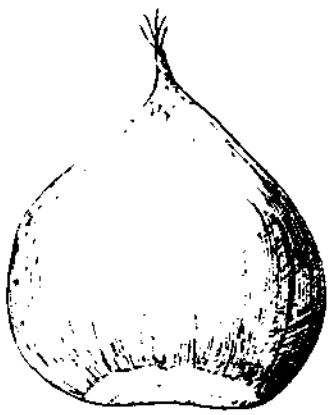

توجد شجرة القسطل طبيعيا في المناطق المعتدلة من آسيا وأوروبا وأميريكا وبصفة جد نادرة بشمال إفريقيا في الواجهة البحرية من الريف الغربي بالمغرب ومن جبال القبائل الشرقية بالجزائر. لكن عملية غرسه كشجرة مثمرة جعلته ينتشر في مناطق أخرى لم يكن موجوداً بها بصفة طبيعية.

علاوة على كون ثماره تستخدم كغذاء للبشر إمانيئة أو مشوية أو مطبوخة، يعطي القسطل خشبا ثمينا يتميز بلونه ورخاوته وحفته وتعريقه المفتوح وقوة احتماله وسهولة تشغيله. مما جعله يستعمل في البلدان التي يكثر بها في صناعة الخراطة والأثاث والعلب والآلات الموسيقية وغيرها.

لكن عدد أشجار القسطل الطبيعية بالمغرب لا يتجاوز العشرين وهي موجودة في عالية واد لاو شرق تطوان.

صورة

أبحاث واستطلاعات ميدانية شخصية.

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, Evaluation et préservation de la biodiversité*, Ibis Press, Paris, et Kalila wa Dimna, Rabat, 2000, 360 p.

عبد المالك بنعبيد

القَسْطَلّي، ويكتب أيضا القَسْطَلُوني أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Castani ؛ ولازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Castellon نسبة إلى مدينة قسطلونة بناحية فلينسيا وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1191 / 1777.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

القسطلي، أحمد الأمين بن أبي القاسم المراكشي، ذكر الحلفاوي انه قرشي الأصل، أموي يرجع نسبه إلى الخليفة عثمان بن عفان وترفع وثيقة خاصة نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، ومع ذلك ظل ابنه أبو عمرو يوصى مقدمي الزاوية بعدم التباهي بالنسب الشريف. وفي *ممتع الاسماع* أنه من ذرية الشاعر ابن دراج القسطلي.

لم تذكر المصادر تاريخ ميلاده ولا تاريخ وفاته. وكل ما نعرفه : أنه كان من أعيان مدينة مراكش في منتصف القرن التاسع الهجري (15 م)، وصاحب أملاك بها بمنطقة زعير.

وكان حرارا كما كان من مريدي الشيخ التباع، ولما أراد الشيخ المذكور أن يسكن بحي القبابين وهب له الأرض، وامتنع من أخذ ثمنها، فدعا له أن يرزقه الله ولدا صالحا، فحملت أم أبي عمرو في تلك الليلة.

وقد حمل المولود أبو عمرو إلى الشيخ فيما بعد لمباركته فسأل عن اسمه وقيل له "أبو عمرو" فقال "نعمره ونثمره" ثلاث مرات، ودعا له.

وكان لأحمد الأمين ابن آخر اسمه الوالي. ففي (الوثائق البوعمرية) ان أبا عمرو القسطلي وهب لأبناء أخيه الوالي أرض (الكفيان) ببلاد زعير وهي أكبر من أراضي مراكش، في حين خص أبناءه بأملاك مراكش وأحوازها، تجنبا لاي خلاف بينهم بعد وفاته.

توفي بمراكش في العشرة الثانية من القرن العاشر الهجري (16 م).

ح. جلاب، *أضواء على الزاوية البوعمرية بمراكش*، مراكش، 1996 ؛ الحلفاوي محمد قاسم بن أحمد، *شمس المعرفة في سيرة غوث المتصوفة*، مخطوطة ؛ محمد المهدي الفاسي، *ممتع الاسماع في ذكر الجزولي والتباع وما لهما من الأتباع والاتباع*، فاس، 1994.

القسطلي، محمد الكامل بن أبي عمرو المراكش أحيط مولده وطفولته بهالة من القداسة والإجلال (كما كان الأمر بالنسبة لوالده أبي عمرو). فقد بشر أبو عمرو زوجته بميلاده، وقال عنه : "في مقام الحرار أربيه، ويبلغ رشده في مقام الجزولي، وعلى خده علامة. وفي سابع أعوامه بشارة، وله فضائل كثيرة". وكان ميلاده سنة 960 / 1556 بحومة حمام الذهب. وهو آخر أبناء الشيخ الذي توفي بعد أربع عشرة سنة من هذا التاريخ. فهل كانت هده الفترة القصيرة كافية لظهور ولايته ؟ أم أنها عناية الشيخ ـ الخاصة ـ بآخر أبنائه خصوصا وأن الطاعون قد فتك بأغلب إخوته. هذه الرعاية المبالغ فيها جعلت الشيخ يغضب لبكاء ابنه المذلل. فقد منع من ذبح كبش بعد ختمه لسورة من القرآن، فلجأ إلى والده باكيا، وكان جواب أبي عمرو (ماتركت لك على أي شيء تبكي ـ كذا ـ كلما أطلعني الله عليه فهو لك، ولا غاب عني إلا ما غاب في ذات الحق ... وجعل يكررها.

وأبدى الكامل رغبته في العلم منذ صغره إذ كان كثير التردد على خزانة جامع ابن يوسف الواقع في الحي الذي يسكنه. وفيها اجتمع بالولي أحمد بن عبد الرحمن الخطيب. ومن الكتب التي علقت بخاطره وأدمن على مطالعتها : *إحياء علوم الدين*، *وقوت القلوب*.

ولم يكن يهتم بمال أو دنيا، مع العلم ان أسرته كانت غنية ولها أملاك وضيع. لهذا قال عنه الحلفاوي (ولم يفرح من الدنيا بسوى درهم أنفقه على الإخوان والمساكين، أو سد به خلة يجب سدها، ولاسره شيء مثل ما يسره بذل المال. فكان ينفق أضعاف خراج أملاكه. ولا يلج المحافل والأعراس، ولا يزور الأشياخ.

ومع صغر سنه كلفه والده بخلافته على الزاوية بعد وفاته، وصرح للمريدين بذلك بقوله (محمد الكامل المحفوظ من الصغائر، المعصوم من جميع الكبائر، المرشح لتنوير البصائر). وجعل لذلك علامات تحققت كلها، منها :

ـ لقاؤه بعبد الله بن حسين الذي ألبسه عمامة الصالحين.

ـ دأبه على تقديم نقود "العوائد" لوالده، وطلب الدعاء منه.

واستمر الكامل في الاهتمام بالمريدين والفقراء والوافدين على الزاوية بعدما آل إليه أمرها. فحققت تطوراً في مجالات التعليم والتربية والإطعام :

ـ ففي التعليم : سجل الحلفاوي ـ تليمذ الكامل ـ ما كان يدرس بها من علوم ومعارف : مختصر الشيخ خليل، حكم بن عطاء الله، شرح ابن عباد عليها، وكان الكامل يثني على المؤلفين الآخرين ويعلق على أرائهما، ويثني على زروق في "الحقائق القلبية"، ومنها تنوير ابن عطاء الله، ورائية الشريشي، وشرح محمد الدقاق عليها. ويتعرض لبعض كلام والده أبي عمرو ويشرحه. ويكون هذا كله في الصباح.

وبعد صلاة الظهر يقرأ بين يديه القرآن الكريم.

وبعد ورد العصر يتلو أحمد بن محمد الخطيب الوراق نبذة من الشفا. ونبذة من كلام محمد بن عباد على الحكم، ومن التنوير، ويقوم الكامل بالتعليق على ذلك كله، فيأتي (بما يذهل العقول، بكلام صادر عن همة عالية بعبارة نورانية، وحكم روحانية، فيعطي كل ذي حق حقه من النفحات الرحمانية).

قال الحلفاوي فما كملت سنة لنا على هذا الحال حتى صارت الدائرة كلها فقراء وفقهاء.

ـ الأوراد والأذكار : كانت موزعة على مختلف أوقات النهار

ـ فورد الصباح : يشتمل على قراءة حزب الفلاح، وحزب البحر، ومجموعة من التصليات وسورة يس، ووظيفة النجا لزروق.

ـ ورد الظهر : حزب الفلاح، الهيللة، والشهادة، ومجموعة من التصليات

ـ ورد المغرب : حزب الفلاح، فاتحة الكتاب، سورة الإخلاص، والمعوذتين، وآية الكرسي ومجموعة من التصليات والدعوات.

وفي بعض الليالي تردد أذكار الششتري. وليلة الاثنين والجمعة تتلى البردة (توجد هذه الاوراد مفصلة عند الحلفاوي في *شمس المعرف*.

نلاحظ أثر الجزولي والفلاح على الطريقة القسطلية في اعتماد آيات قرآنية وأحزاب الشاذلي، وفي الإكثار من التصليات والدعوات التي تقوم عليها الطريقة الجزولية (دلائل الخيرات خاصة). كما يبدو أثر السند الثاني للطريقة في اعتماد وظيفة زروق (النجا لكل من إلى الله التجأ).

ـ الاطعام :

بالرغم من وصية أبي عمرو بسد باب الزاوية لصعوبة تعرض أبنائه لما كان يقدم عليه من إطعام، فان الكامل قد سار على نهج والده بنفس الحماس والتنوع، معتمدا في ذلك على أملاكه وما كان يصل الزاوية من هدايا وعطاءات.

وعلى غرار والده كذلك، كان شديد الانتقاد للسعديين، وما كانوا عليه من فساد وضلال. فكان المنصور يسايره أحيانا، ويعنفه أحيانا، متعجبا لحيازته المحاسن وهو شاب.

وكان القصر السلطاني يقدره ويحترمه، فمع وجود صوفية غيره لجأت إليه الحرة مسعودة عندما خرج ابنها المنصور إلى فاس لاخماد ثورة بعض أقاربه. وزاد من هولها وقوع الزلزال بالمدينة سنة 995 / 1586 فطمأنها وخفف من روعها وأعادها إلى قصرها.

وكانت وفاة الكامل يوم السابع عشر سوال سنة 997 / 1588 بمراكش، ولم يبلغ بعد الأربعين من عمره، بعدما أغنى الطريقة بمقالاته وأوراده وأذكاره وأشعاره الصوفية التي احتفظ لنا بها تلميذه الحلفاوي في كتابه (*شمس المعرفة*).

ح. جلاب، *أضواء على الزاوية البوعمرية بمراكش*، مراكش، 1996 ؛ عباس بن إبراهيم المراكشي، *الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام*، تح. عبد الوهاب بنمنصور، الطبعة الملكية، 1974 ـ 1983 ؛ الحلفاوي محمد قاسم بن أحمد، *شمس المعرفة في سيرة غوث المتصوفة*، مخطوط.

حسن جلاب

القسنطيني، أسرة تطوانية أصلها من مدينة قسنطينة بالجزائر، وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1158 (1745) ومن أشهر أفرادها : أبو القاسم بن سلطان القسنطيني عالم كان يعنى بعلم المنطق وتولى خطبة الجمعة بجامع القصبة حيث كان يلقى بها دروس الوعظ والإرشاد، ولعله كان بقيد الحياة سنة 995 (1587) قاسم القسنطيني فقيه زاول خطة العدالة من سنة 1155 إلى سنة 1158 (1742 ـ 1745).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

القسنطيني، الرايس أحمد من الرياس الجزائريين الذين وفدوا على المغرب للانخراط في صفوف أسطول سيدي محمد بن عبد الله. كان في سنة 1773 على رأس غليوطة جهادية. وقد استقر بعد ذلك بالرباط عاملا تحت إشراف عبد الله العسري. وكان في سنة 1784 ضمن الرياس العاملين.

العسري، ص. 34 ؛ وابن زيدان، الإتحاف، ج 3، ص. 261.

حسن أميلي

القسنطيني، محمد العربي بن علي قاضي الرباط وخطيب مسجدها الأعظم العلامة المدرس المفتي الشريف الحسني. قال في حقه العلامة الشهير المحدث جعفر الكتاني ما يلي : ومنهم العلامة المحصل الدراكة المجرّح المُعَدَّل المشارك النبيل أتمَّ مشاركة وتحصيل، المتولي لحظة القضاء في كثير من حواضر المغرب فاس ومكناسة ومادونهما أبو عبد الله سيدي العربي بن علي القسنطيني الشريف كان رحمه الله ممن انقادت له العلوم وتوقفت عليه الآراء والفهوم. سيّد علماء زمانه وصدر أهل وقته وأوانه، أصيب في آخر عمره وهو بمكناسة بفالج كان لا يستطيع معه حركة أعضائه في تناول جميع أسبابه، فصبر وعَدَّ ذلك من جملة النّعم وشكَرَ إلى أن توفي رحمه الله.

كانت ولايته بالرباط أول القرن الثالث حسبما ببعض الرسوم وكانت وفاته مما أصيب به من داء الفالج في جمادى الأولى عام ثمانية ومائتين وألف.

م. بوجندار، *تعطير البساط بذكر تراجم قضاة الرباط*.

محمد الشياظمي

القشّابة والقشاب لفظة أمازيغية أصلها أقشاب. وهي رداء بدائي خاص بالرجال يتخذ من صوف خشن ذي لون طبيعي أسود أو أبيض أو ممتزج سواده ببياضه مما يعرف في اصطلاح النساجين والدرازين وعامة الناس باللون "الأشخم" أو "صباغة الرحمان".

والقشابة تُنْسَج خرقة واحدة على المنوال التقليدي ثم تُفَصَّل قطعتين على طول وقياس الشخص وتخاط من جانبها الأيمن والأيسر بغرز من نفس سدى المنسوج الأصلي الذي قُدَّت منه. وهي حين تلبس تتخذ شكل معطف صوفي يغطي مقدمة الجسم ومؤخرته من مطلع العنق إلى أسفل الحوض ومن مهبط القفا إلى حدود الركبتين.

والقشابة قطعة لباسية عتيقة جداً في المغرب وتضرب بجذورها في عمق تاريخ سحيق. وهي تعتبر رداء وسيطاً بين اللباس الملتحف والمخيط. وقد أصبح وجودها اليوم كلباس منعدماً أو يكاد في سائر المدن والبوادي وحل محلها ما يماثلها من ملابس الكتان التي انتشرت انتشاراً واسعاً في مختلف أرجاء البلاد بسبب انتشار اللباس التقليدي الحضري المغربي والملابس "الرومية" العصرية.

وقد كانت القشابة ورديفها السروال البلدي في سائر بوادي المغرب هي الرداء المفضل لدى الفلاحين أثناء ممارسة مختلف الأشغال الزراعية. كما كان يرتديها الصناع والحرفيون والقائمون بأعمال الشحن والتفريغ والنقل والحمل

وجلب الماء واستحضار الحطب والمؤونة وغيرها. وهذا مارآه دوسيگونزاك أثناء تجولاته في ربوع المغرب في نهاية القرن (19) ووصف العديد من السكان الفقراء وهم لا يلبسون غير قشابة خشنة وسروال قديم وبلغة بسيطة وقال بأن أشدهم عوزاً كان يكتفي "بمجرد قشابة قصيرة من صوف خشن ويغطي رأسه بعمامة بالية ويلبس سروالاً متلاشياً ويحتذي بلغة مقطعة الأوصال، وقد يسير حاسر الرأس حافي القدمين ويقتصر على ارتداء القشابة وحدها بدون سروال" (De Segonzac, Voyages au Maroc, p. 46).

وكان العديد من الطرقيين من أتباع حمادشة وهداوة ودرقاوة وعيساوة ممن يستهينون بمتاع الدنيا ويزهدون في نعيمها من مأكل ومشرب وملبس لا يرتدون غير القشابة فكانوا لا يشاركون غيرهم حلقات "الذكر والجذبة والحضرة" إلا بها، ومنهم من كان لا يرتدي غيرها في الأسواق والمساجد والزوايا والطرقات. ومازال أتباع الطريقة العيساوية في مكناس وغيرها إلى اليوم يحافظون على ارتدائها ويسمونها "العيساوية".

Emile Laoust, *Mots et choses berbères*, Paris, 1920 ; René Brunel, *Essai sur la confrérie religieuse des Aissaoua au Maroc*, Paris, 1926 ; Marc De Lamaziere, *Promenade à Fès*, Casablanca, 1934 ; Commandant Larribe, *Le Maroc pittoresque*, Paris, 1917 ; P. F. Rabbe, *Par les rives Bouregreg*, Paris, 1922 ; Vincent Monteil, *Le Maroc*, Paris, 1962 ; De Segonzac, *Voyages au Maroc 1899-1901*, Paris, 1903.

محمد بوسلام

القَشْتَلي، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Casteller نسبة إلى مدينة القشتلي الواقعة قرب مدينة جيان Jaén، فلا علاقة لهذه الأسرة بمقاطعة قشتلة Castilla الواقعة شمال إسبانيا ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1088 (1677) ومن أشهر أفرادها : أحمد بن محمد القشتلي الذي كان من بين أعيان تطوان الذين شهدوا بظلم والحاج محمد بن علي القشتلي اللذان كانا من أعيان تطوان الذين شهدوا بظلم أولاد النقسيس وطغيانهم في السنة المذكورة في شوال 1078 / أبريل 1668.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

قَشْطِيلْيُو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا - Castillo Kastali ؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Castillo وCastelló نسبة لمدينتين إسبانيتين تحملان الاسمين المذكورين.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

القَشْقَاشْ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Cascar ؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Cascajo وCascante ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1194 / 1780 ومن أشهر أفرادها : محمد القشقاش الذي كان من بين أعيان تطوان الذين شهدوا ضد الباشا السابق عبد الكريم ابن زاكور بأنه تصرف في أموال بيت المال لصالحه في شهر صفر 1180.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

القَشْتِير، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس وقد انقرضت بتطوان سنة 1088 (1677).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

قشُوشُو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس وهناك من يدعي أنها بقية أولاد النقسيس الذين اختفوا وغيروا اسم عائلتهم عندما لجؤوا إلى ناحية غمارة على أثر مقتل جل أفرادها بتطوان ومصادرة أملاكهم بأمر من السلطان مولاي إسماعيل في سنة 1088 (1677) وعلى كل حال فلازالت بمدينة الجبهة الغمارية أسرة تحمل اسم قشوشو.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

قصب السكر بالمغرب، عرف المغرب زراعة قصب السكر منذ وقت مبكر. ومن الصعب التأكد من ظهوره في المغرب، غير أن الإشارات الأولى لقصب السكر في النصوص ترجع إلى العصر الوسيط، حسب ما يبدو. وقد أشار البكري (ق 11) إلى وجود قصب السكر في مدينة إيكلي بسوس. كما يشير الإدريسي (ق 12) إلى انتشار قصب السكر حيث لفت انتباهه حلاوته إذ "...ليس على قرار الأرض مثله طولا وعرضا وحلاوة وكثرة ماء". ويقول المختار السوسي بأن "زراعة السكر قديمة بسوس كانت قبل القرن 4 هـ (10 م) ومازالت إلى القرن 11 هـ إلى عصر بودميعة، ولم ينقطع السكر هنا إلا في عهد مولاي إسماعيل فإننا لم نر له ذكرا منذ تولت الدولة العلوية في سوس عام 1081. وعرفت زراعة السكر أوج ازدهارها في عهد السعديين، إذ ترك لنا صاحب مناهل الصفا وصفا دقيقا لمصانع السكر. وقد ورد اسم أحد اليهود الذي يشرف على مزارع السكر في سوس في بعض المصادر ويتعلق الأمر بجون واكمان Jahon Wakeman. كما تشير المصادر إلى وجود حوالي 17 إلى 18 مصنعا للسكر بضواحي تارودانت تدل على انتشار واسع لزراعة قصب السكر. غير أنها مافتئت أن تدهورت بعد موت المنصور الذهبي.

إن الغموض الذي يلف تحديد تاريخ بداية زراعة قصب السكر في المغرب، هو الذي يحيط نفسه بمسألة الاختفاء المفاجئ لهذه المادة خلال القرن السابع عشر. فقد أشار بيرتيي Berthier إلى عدة فرضيات تتعلق باختفاء مادة قصب السكر في المغرب، تتعلق بالحروب الأهلية التي تلت موت المنصور الذهبي والمجاعات والأوبئة التي صاحبت ذلك. ومنها، أيضا، اكتشاف قصب السكر في جزر الآنتيل بأمريكا الوسطى، إلى جانب تحويل العبيد الذين يشكلون اليد العاملة في مزارع قصب السكر إلى جيش عبيد البخاري خلال القرن السابع عشر (P. Berthier, *Hespéris*, 1969). وتؤكد رسالة مأخوذة من المصادر الدفينة لتاريخ المغرب أن زراعة قصب السكر قد اختفت نهائيا بعد الحروب الأهلية التي تلت موت المنصور الذهبي.

لقد كانت مادة قصب السكر من المواد الأولية التي ميزت تاريخ المغرب، خاصة، خلال القرن السادس عشر، وشكلت أحد أعمدة الاقتصاد المغربي للدولة السعدية.

أبو عبيد الله البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب*، نشر دوسلان، ط 2، الجزائر 1911 ؛ م. السوسي، *خلال جزولة*، الجزء الرابع، مطبعة النجاح الجديدة، 1963.

Haj Sadok Al Idrissi, Le *Maghreb au XIIe siècle*, éd. Publisud, Paris, 1983 ; *S.I.H.M.*, Angleterre, t. III ; D. Jacques-Meunié, *Le Maroc saharien*, t. 2, é. Klinsksiech, 1982.

محمد حنداين

القصباوي، حمود بن إدريس السوسي المكناسي من أبرز شيوخ الملحون المعاصرين بمكناس. ولد بقصبة هدراش في العقد الثالث من القرن الحالي، وبها نشأ وترعرع، واشتغل بقالا، ثم احترف البناء.

أخذ فن الملحون عن شيوخ القصبة منذ شبابه. وعلى رأس هؤلاء الشيخ النظام الشهير بلقب "بابادي". وكان أكثر هؤلاء من الشدادة والگنابرية والعراجة، يتناشدون في مسامراتهم القصائد والسرابات، وقليل فيهم من يتقن العزف على العود أو الكمنجة.

وقد تفتقت موهبة حمود القصباوي الفنية، فاشتهر في مسقط رأسه، ومافتئ أن تجاوزت شهرته أسوار القصبة إلى رحاب المدينة، فاشتهر عازفا على الفرخ ومنشدا حَسَنَ الأداء، وناظما في أغراض الملحون. ومنذئذ غدا مقصد هواة الملحون يأخذون عنه ويتناشدون قصائده. ومازال يواصل نشاطه الفني إلى أن انقطعت أخباره فجأة في أواخر العقد السادس بعد أن غادر مسقط رأسه إلى غير رجعة.

وقد أفاد منه ثلة من رجال الملحون بالمدينة من بينهم محمد المربوح المولود بمكناس عام 1928، والحاج الحسين التولالي، وأحمد أگومي، ومولاي عبد العزيز العبدلاوي، ومحمد العناية.

وله قصائد أخرى غزلية من بينها : حليمة ـ الباتول ـ زهرا ـ نعيمة راحه ـ زايدا، وأخرى وطنية من بينها قصيدة نظمها بمناسبة عودة السلطان محمد الخامس من المنفى، وأخرى نظمها حول حادث الطائرة التي كانت تقل الزعماء الجزائريين الخمسة.

عبد العزيز بن عبد الجليل

القصبات الإسماعيلية، أقام السلطان مولاي إسماعيل عَددا من القصبات بالنقط الاستراتيجية والحيوية من البلاد، تمتد عبر الساحل من مهدية إلى بوزنيقة، وفي الداخل على طول كل الطرق التي كانت تصل العاصمة بمختلف مناطق البلاد مثل قصبات الدير التي كانت تحرس السهل والطريق بين مراكش ومكناس وسلسلة القصبات من مديونة إلى مكناس. وكانت كل قصبة مسورة ومجهزة بأبراج مربعة الشكل أو مستطيلة في أحد جوانبها. وتتضمن مسكن القائد والمسجد ومستودع المؤن، ولم يكن للقصبة في الغالب أكثر من سور واحد عدا قصبتي حميدوش وتادلا اللتين كانت لهما حظيرة مزدوجة.

وترابط في كل قصبة حامية من جيش العبيد ـ غالبا ـ يتراوح أفرادها بين 400 و3000 رجل مصحوبين بخيلهم ونسائهم وأولادهم. وتمدها القبائل بالمير والمؤن، وكان القائد في كل قصبة هو المسئول عن سلامة منطقة حراسته حيث يجب أن تسود الطمأنينة والهدوء "فمن وقع شيء في ترابه يعاقب عليه قائد القلعة".

أما عن عدد تلك القصبات فيحددها الزياني : "وعدد القلع التي بنى إسماعيل بالمغرب ستا وسبعين قلعة لازالت قائمة بآفاق المغرب، ظاهرة العين والأثر يعرفها الخاص والعام". ولا يتسع المجال هنا لتعدادها ونكتفي بالإشارة إلى بعض القصبات المهمة التي مازالت قائمة إلى الآن مثل قصبة أدخسان في الشعاب الشمالية للأطلس المتوسط وأگوراي التي مازالت تحتفظ أكثر من غيرها بشكلها الأصلي، وقصبة تادلا، وقصبة حميدوش (على مسافة 30 كلم من أسفي) وقصبة بولعوان (على بعد 60 كلم من آزمور) وقصبة مديونة.

هذه القصبات كانت تذكر القبائل دائما بوجود المخزن وبوجوب أداء الزكوات والأعشار خاصة وأنها كانت ملزمة بدفعها مباشرة لجيش العبيد المرابط في القصبات التي بأرضها، كما كان عليها ـ كما سبق الذكر ـ السهر على توفير الخيل والحاجيات لهم مما جعل البلاد تعيش في بحبوحة من الأمن الاستثنائي جعلت أبا القاسم الزياني يقول إن المرأة والذمي كانا يخرجان من وجدة إلى وادي نون ولا يجد من يسألهما من أين ؟ وإلى أين ؟

أ. الزياني، *البستان*، تح. رشيد الزاوية، الرباط، 1992، ص. 185 ؛ ع. ابن زيدان، *المنزع اللطيف*، الرباط، 1990، ص. 333. 339 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1962، ص. 62 ؛ ث. برادة، *الجيش المغربي وتطوره*، الدار البيضاء، 1997، ص. 85. 86.

رقية بلمقدم

القصبة، يراد بالقصبة في المغرب بناية محصنة بأسوار متينة، وهي التي تقابلها كلمة القلعة الشائعة في الشرق العربي. وتستعمل القصبة باللسان الدارج المغربي في صيغ مختلفة : القصيبة للتصغير والقصابي للجمع. وهناك تجمعات حضرية تحمل اسم القصبة، ولعل أهمها قصبة تادلة. ومازالت الكلمة مستعملة في شبه الجزيرة الإيبرية للدلالة على بقايا حضرية وسيطية : Alcazaba بالإسبانية وAlcazova بالبرتغالية.

وتستعمل كلمة قصبة للدلالة على أشكال معمارية قاسمها المشترك التحصين، إلا أنها تختلف في بعض التفاصيل. ففي الأصل تعني كلمة القصبة ـ بحكم وظيفتها ـ أهم بناء في المدينة، وتتميز بتحصينها ومناعتها إذ توفر مكانا صالحا للمقاومة مدة زمنية طويلة. فهي تشكل ملجأ آمنا لممثل المخزن في حالة هجوم طارئ أو ثورة محلية. وكثيراً ما يكون موقع القصبة استراتيجيا يمكن من الدفاع عنها. فالإدريسي يحدثنا عن قصبات أندلسية تشرف على المدن. وكثيراً ما يقترن موقع القصبة بآخر دفاعي قديم كما هو الشأن بالنسبة لقصبة الوداية مثلا التي ترتفع فوق برج قديم كان يعرف باسم برج السيراط. فعادة ما يتم اختيار الأماكن المشرفة كربوة الجبل العالية (قصبة المهدية) لبناء القصبات، مما يجعل أسوارها تزاوج الأشكال الطبوغرافية للمنطقة وكانت القصبة المرابطية بفاس المعروفة بقصبة بوجلود منفصلة تماما عن باقي المدينة وتشرف عليها إشرافا مباشرا.

أما القصبات التي تحتل المناطق المنبسطة، فهي تكون منتظمة الحدود وتتخذ أشكالا هندسية معروفة (المربع أو القريب منه أو المستطيل). ونجد هذا الشكل من القصبات في مدن معروفة تكوّن بعض أحيائها الحالية. فمدينة فاس مكونة من عدد من القصبات كقصبة الشراردة وقصبة النوار وقصبة فيلالة...

ونجد داخل القصبات، خاصة منها الوسيطية التي كانت تشكل مقرات للسلطة، أهم المرافق التي تيسر حياة ممثلي المخزن. فهي شبيهة بمدن صغيرة محصنة بمساجدها ومخازنها ودورها ... وتبرز وسط جميع هذه المرافق دار السلطان أو دار القائد بمقاييسها الكبيرة وبناياتها المحكمة وبمشورها المتسع. ويشكل فاس الجديد أهم نموذج القصبات المغربية المرينية.

وأثبتت الدراسات الأثرية أن أهم القصبات المغربية المعروفة كانت تتوفر على باب رئيسي واحد متميز وبارز (قصبة الوداية وقصبة مراكش وقصبة المهدية وقصبة النصراني...) وعلى أبواب ثانوية مخفية (باب الغدير) تصلح في حالات الطوارئ كمنافذ للهروب، كما تستغل للتزويد بالمؤن والأسلحة بعيداً عن الأنظار.

ونجد بالمغرب نوعا آخر من القصبات أقل أهمية من الناحية المعمارية تبنى لتأمين الطرق. وقد ظهرت سلسلة منها خلال العهد العلوي، إذ قام المولى إسماعيل بعد أن بنى قصبته بمكناس على توفير قصبات أخرى تمتد من نواحي وجدة حتى وادي نون، وبلغ عددها حسب المؤرخ الزياني ستة وسبعين قصبة. وهذه القصبات ربما كانت ترتفع فوق حصون أو قلاع قديمة (فقصبة أدخسان مثلا بنيت فوق موقع قلعة مرابطية). وكان معظمها مشيدا في مناطق استراتيجية فهي مراصد لمراقبة القبائل المجاورة وضمان ولائها، كما تيسر الإشراف على الطرق والممرات التجارية.

وخلال القرن التاسع عشر وبداية العشرين كثيرا، ما اقترن مصطلح قصبة بالدور الكبرى التي كانت في حوزة القواد الكبار. وهذه البنايات الشاسعة والمحاطة بجدران محصنة، مازالت بقايا بعضها يميز المظهر الأثري في بعض المناطق المغربية كقصبة القائد الكوندافي وقصبة الكلاوي وقصبة باسو أميمون ...

عبد الرحيم غالب، *موسوعة العمارة الإسلامية* (عربي ـ فرنسي ـ إنجليزي)، الطبعة 1، بيروت، 1988 ؛ الزياني أبو القاسم، *الترجمان المعرب* ؛ الإدريسي الشريف، *نزهة المشتاق*، بيروت، د.ت.

J. Caille, *La ville de Rabat jusqu'au protectorat français*, Paris, 1949, 3 vol. ; G. Deverdun, Kasaba, *E.I. nouvelle édition*, t. IV, Maisonneuve & Larose, 1978 ; R. Le Tourneau, *Fès avant le protectorat*, Casablanca, 1949 ; G. Marçais, *L'architecture musulmane d'Occident*, Paris, 1954 ; P. Ricard, *Pour bien comprendre l'art musulman dans l'Afrique du Nord et en Espagne*, Paris, 1924 ; H. Terrasse, *Kasbas berbères de l'Atlas et des oasis*, Paris, 1938.

مينة المغاري

القصبة الإسماعيلية بمكناس، اختار السلطان مولاي إسماعيل (1672 ـ 1727) مدينة مكناس حاضرة للدولة العلوية الفتية، نظرا لطيب التربة وعذوبة الماء وصحة الهواء وسلامة المختزن من التعفين، ولموقعها المتوسط المؤدي إلى الأطلس المشرف على المنافذ الشمالية لفازاز وتادلا الشارعتين إلى مراكش وأقصى الجنوب. ولم يفته لما جبل عليه من الدهاء السياسي وما نشأ فيه من سيرة الملوك، أن

عظمة الدولة تتصور في عظمة ما تقيم من البناء الفاخر. لذلك أنشأ قصبة فاخرة ـ داخل مكناس ـ جعلها مستقراً وحصنا له ولخزنه الجديد، وأشرف بنفسه على تنسيق قصورها وتنسيق حدائقها مستعينا بالأسرى المسيحيين، حيث تؤكد المصادر أنه كان شديد العناية بشؤون البناء، شغوفا به، لم ينقطع عن التشييد منذ توليه العرش إلى حين وفاته، من ذلك شهادة جون وندوس John Windus "الامبراطور مولع بالبناء بشكل مدهش ... وقد لاحظ المقربون منه منذ بداية حكمه أنه دائم التشييد والهدم ... وقد رأيت قطعة أرض يظهر لي أنها ضعف أراضي فنادق لنكولن أربع مرات، مخصصة لبناية جديدة..."

اختار مولاي إسماعيل موقع قصبته فوق أرض القصبة المرينية، وما أضاف إليها من الأملاك التي اشتراها من أصحابها، وابتدأ بناؤها حسب الأسير مويط Mouette سنة 1672 . ويبدو أنها كانت متسعة المساحة إذ بلغ طول السور المحيط بها بعد إتمامه 25 كلم وترتبط بضواحيها الشمالية والجنوبية والشرقية والغربية بمجموعة من الأبواب السامقة المقبوة تعلوها أبراج معززة بالمدافع والمهاريس.

صُممت القصبة الاسماعيلية حسب تخطيط هندسي محكم، يشمل عدداً من العناصر أو المرافق تتوزع داخلها بشكل دقيق، فهناك البنايات المخصصة للسكن وتلك الخاصة بالمؤسسات الدينية والثقافية وأيضا تلك المخصصة لمخازن السلطان وإصطبلات الخيول ودور الصناعة إضافة إلى الباحات والمراعي والبساتين والجنان والتجهيزات المائية.

المباني السكنية : بالرغم من شساعة مساحة المدينة السلطانية (أودار المخزن) فلم يكن مهيأ منها للسكن سوى جزء صغير يقع معظمه شمالها، وهو مخصص لاستعمال السلطان وكبار رجال المخزن وكذا لسكنى الجند والخدم. ويحتوي على المجمع الفخم المعروف بـ "الدار الكبيرة" و"قصر المحنشة" و"قصر المدرسة" ثم "قصبة هدراش" المخصصة لسكنى جيش الودايا و"قصبة باب مراح".

أما "الدار الكبيرة" فتشغل مجالا يقدر بنحو 420 م طولا و320 م عرضا، وهي أول إقامة شيدها مولاي إسماعيل بعد اعتلائه العرش، ويحدد الزياني موضعها بقوله : "أسس الدار الكبرى العظيمة التي بجوار ضريح الشيخ المجذوب"، وقد استمرت مدة بنائها 8 أعوام (1672 / 1680)، وكانت تحتوي على قصر الستينية "الفسيح الفائق ذو المنظر البهيج" وقصر النصر الذي بناه مولاي إسماعيل أيام كان خليفة لأخيه مولاي رشيد بمكناس (1664 ـ 1672) وعرف هذا القصر "بدار لالاباني"، ثم هناك "قصر مولاي زيدان" و"قصر الشعشاع"، وكلها ذات طراز هندسي رفيع فلا يقل قصر عن آخر في الأبهة والزخرف والصنعة. ومن قصور "الدار الكبيرة" أيضا "قصر الكشاشين" وكان معدا للطبخ وشؤونه ولخزن لوازمه وسكنى القيمات بمباشرة ذلك، وتتخلل هذه القصور أزقة مستطيلة الشكل مقبوة "ذات أبهة ومهابة في سقوفها كوات ينفذ منها الضوء". وأحاط مولاي إسماعيل هذه الدار بثلاث نطاقات من الأسوار الضخمة والأبراج العالية حسب ما ورد عنه مويط : "ولهذا القصر ثلاثة أسوار من جهة الشمال الشرقي ... وهي محصنة ببروج مربعة ومسننة".

وعند الخروج من الدار الكبيرة مروراً بباب الرايس يوجد ممر طويل يسمى "أسراگ" ويشتمل على قصري "المدرسة" و"المحنشة" وهما الوحيدان اللذان ما يزالان صالحين لسكنى الحرم الملكي، وقصر المدرسة فيما يظهر ـ حسب رأي محمد المنوني ـ جاءت تسميته من وجود مدرسة بداخله، أما القصر الثاني فيبدو أن نعته بالمحنشة أتى من وجود جهاز مائي يحمل هذا الاسم.

ويقابل باب هذا القصر البابَ الداخلي لقصبة هدراش (انظر *المعلمة* مادة هدراش). ومن قصور القصبة الإسماعيلية أيضا :

ـ قصر المنصور المحمول فوق هري "سبع قبب" المحتوى على 20 قبة تشرف على بسائط مكناس وجبالها، ويصفه الزياني قائلا "وفوق هذا الهري من أعلاه، قصر يقال له المنصور لا يقصر ارتفاعه عن مائة ذارع، خمسون في الأسفل وخمسون في الأعلى فيه عشرون قبة ... وكل قبة بالبرشلة والقرمود، منها أربع قبب متقابلات سعة كل واحدة سبعون شبرا تربيعة وباقي العشرين سعة كل واحدة أربعون شبرا تربيعة" كل ذلك وسط بستان شاسع الأطراف.

ـ قصر "دار لا لاصفية" الذي كان بابه في عهد المؤرخ عبد الرحمن ابن زيدان يقابل باب منصور العلج.

ـ القصر المعروف بـ "بين القبب" الذي يحدد المؤرخ المذكور موضعه "بباب ابن القاري" الداخلي المجاور لجنان السلطان المسمى "البحراوية".

ـ القصر المسمى "دار البقر" ويتصل بقصر المحنشة والمدرسة ويجاور "باب مراح" ويقال أنه حمل هذا الاسم في عهد السلطان مولاي الحسن (1873 ـ 1894) الذي جعل منه مقراً للبقر الحلوب لتموين داره العلية بالحليب.

وفي جوار "قصر المحنشة" على ميمنة "باب الناعورة" توجد القصبة المعروفة بـ "قصبة باب مراح" وكانت معدة لسكنى وصفان السلطان لكل وصيف دار يسكنها بعائلته.

المؤسسات الدينية والثقافية : لم يصرف مولاي إسماعيل همته لبناء قصور قصبته فحسب بل اعتنى عناية فائقة ـ لما يتحلى به من خصال الأمير المسلم ـ ببناء مساجد جديدة وإصلاح القديمة كما يبرز هذا النص "وحين بوأه الله المراتب العليا صرف همته لتشييد المساجد وتشهير المعاهد". وما يعنينا هنا هو ما بناه في قصبته المخزنية ومنها : جامع الأنوار الذي أفاضت المصادر في وصف محاسنه "فمن سواري رخامية يقارب عددها المائتين، ومن صحن بديع الشكل بهي المنظر رحب المتسع عديم النظر بالعدوتين، وبوسطه قبة ارتفعت على أن تقاس بمثال ..." ولم يبق من هذا الجامع الذي يضيق المجال عن ذكر ما قيل عن محاسنه إلا بابه

الجميل الذي يحادي باب منصور العلج. إلى جانب هذا تم بناء مسجد الرخام وقد ذكرناه في *المعلمة* فالينظر في مكانه. كما قام المولى إسماعيل بإحداث تغييرات كبيرة في جامع "لا لا عودة" المريني وجعله جزءا من قصبته، وفتح بالقرب من المحراب بابا كان السلطان يدخل منه بعد أداء الفروض إلى قصر "السّتينية". كذلك لم يكن يخلو قصر من قصور القصبة من مسجد أو مدرسة. واعتنى السلطان أيضا بإنشاء مكتبة داخل قصبته اشتملت على نحو 12000 مجلد، وكان مكانها في قبلة جامع الأنوار في دار تعرف بـ "دويرة الكتب" وصفها العياشي في *زهر البستان* قائلا : "ومن محاسن هذا الجامع [الأنوار] الآخذ من الإحسان والصنع بالمجامع ... خزانة الكتب مشتملة على قبتين مصونة حلقتها بشباك من حديد، قائمة على أربعة قوائم من الرخام، وبها من الكتب العلمية ألوف عديدة...."

المخازن : خصص قسم من القصبة الإسماعيلية لمخازن المؤن منها هري عظيم لخزن الزرع وكان يشتمل على 345 أسطوانه، طوله ينيف على 180 م وعرضه لا يقل عن 69 م، وهو الأثر الذي يقول فيه الزياني : "... وجعل بها هريا لخزن الزرع مقبو القنانيط يسع زرع أهل المغرب كله ..." ومازالت أطلال هذا الهري قائمة بقرب "صهريج السواني".

الأصطبل : تمتد مرافقه بضعة كيلومترات تسع آلاف الخيول، وقد سماه اليفراني بـ "قصر الخيل" ويصفه الزياني قائلا : "وجعل بها إصطبلا لربط خيله وبغاله طوله ثلاثة أميال مسقف الدائرة بالبرشلة على سوار وأقواس هائلة كل فرس مربوط في قوس وبين الفرس والفرس عشرون شبرا، يقال إنه كان مربط إثني عشر ألف... وفي هذا الأصطبل ساقية الماء مقبوة الظاهر وأمام كل فرس محل مفتوح كالمعدة لشربه ...".

مستودع السلاح ودور الصناعة : وخلف الإصطبل من جهة السور كانت توجد مسلحة مربعة لإيداع العتاد، وهو بناء شاهق في أسفله عدة أهراء منها "هرى سبع قبب" الذي يعلوه قصر المنصور ويحدثنا "جون وندوس" عن أحد مخازن السلاح بقوله : "بهذه المخازن طبر مستطيل وفؤوس حربية وأسلحة من جميع الأنواع، من طبنجات مختلفة الأحجام ذات أنابيب برونزية، وخوذات في صناديق ملفوفة في ورق، وأنواع أخرى من الأسلحة ... رأينا هذا العدد الكبير من مخازن السلاح التي لم يكن أحد منا يتصور أن هذا الأمير يمتلكها ..." أما عن دور الصناعة فيقول : "قمنا بزيارة ثانية للقصر... فوقفنا على غرف واسعة بها رجال وخدام منهمكون في الشغل يصنعون السروج وأغشية المسدسات وأغمدة السيوف، وعندما رأو السفير أخذوا يشتغلون جميعا مما كون أصواتا منغمة رائعة وأظهر أن الصناعة بهذا القصر الامبراطوري متقنة جداً".

البساتين والجنان : تشمل الجزء الأوسع من القصبة وهي عبارة عن جنان فسيحة في غاية الإبداع مجهز بعضها ببحيرات تجري فيها المراكب الصغيرة، يصفها الأمير عبد السلام قائلا : "وهذه القصور كلها متصلة بعضها ببعض، قد حف بجوانبها بساتين في غاية ما يكون من الهندسة وحسن الغراسة وقد سطر على أطرافها اللرنج والسرو فجاءت في غاية ما يكون من الإتقان وضخامة الأبهة وعظيم الشان" منها : "بستان المشتهى" الذي كان بجوار الأصطبل، غُرس فيه من شجر الزيتون وأنواع الفواكه كل غريب مما جعل الشعراء يتغنون بجماله وهذا البستان هو الذي صار فيما بعد حي الزيتون وبه بنيت الدار البيضاء التي أصبحت الأكاديمية العسكرية، ومنها أيضا "جنان الاترنجية". كان يقع غرب "صهريج السواني" ويمتد منحدراً عن الأرض إلى باب "ابن القاري" الداخلي وهو الذي تحدث عنه ويندوس : "دخلنا روضا كبيرا تحيط به أشجار من السرو، وذلك الروض منحدر عن الأرض 20 متراً يفصل هذا الجنان جدار طوله نصف ميل تقريبا يسمى الإترنجية سعته نحو خمسة أمتار وفوق ذلك الجدار سرائر لدالية العنب و غيره...."، يضاف إلى ذلك عرصة البحراوي التي كانت تتصل بقصر المدرسة، وجنان الروى وغيرها.

تزويد القصبة بالماء : زود المولى إسماعيل قصبته بمصادر ثلاث للماء :

المصدر الأول، أنه أمر بإصلاح قواديس عين تاگما التي أصابها الإهمال في الفترات السابقة وخصص ثلث مياهها للمسجد الأعظم بينما أدخل الثلث الباقي لدار المخزن.

المصدر الثاني، اختصت به القصبة الاسماعيلية وحدها، وهو الحوض المائي الكبير المعروف بـ "صهريج السواني"، طوله 300 م وعرضه 140 م، وكانت تغذيه مجموعة من الآبار يذكر ابن زيدان أنها كانت في غاية العمق، ذات مياه عذبة طافية، وجعل لكل بئر دولابا عظيما ينقل منه الماء ويصبه في المجاري المعدة له إلى أن يصب في الصهريج، وكانت مياهه تسقي بساتين المخزن وجنانه، وقد حرص السلطان على تحصين تلك الآبار داخل بناية مقبوة (على مقربة من باب الناعورة) وفوقها صقالة (حصن) مستديرة تصوب مدافعها نحو الجهات الأربع للمدينة.

المصدر الثالث، ماء "واد بوفكران" الذي يعد إدخاله إلى القصبة الإسماعيلية والمدينة القديمة، من أكثر أعمال المولى إسماعيل أهمية، فقد حول ماء النهر المذكور عند نقطة قرب "ضريح سيدي بوزكري" بواسطة ساقية مكشوفة كانت تتفرع عند المحل المسمى "بالشريشرة" إلى ساقيتين، ساقية تتجه نحو الغرب تنقل الماء إلى بساتين المشتهى والروى. أما الساقية الثانية فكانت تسير نحو الشرق فتزود "قصبة هدراش" ثم "الدار الكبيرة". وشيدت داخل القصبة مجموعة من سقايات السبيل على أهم مناطق المرور كسقاية باب الرايس، وسقاية باب الناعورة...

وخلاصة القول أن السلطان مولاي إسماعيل كان في التخطيط المعماري لقصبته رائعا منطقي التوزيع، عرف كيف

يصمم مواقع القصور وأماكن العسكر وأجنحة رجال الدولة ومرابض الخيول وغيرها في بحبوحة متناسقة الأجزاء مستمدا العناصر الفنية من الهيكل الأندلسي وخص الجانب المتعلق بالزينة بكامل العناية لا سيما الزخرف الكتابي، والزخرف البناني والهندسي.

حوالة أحباس كبرى مكناس، 5 : 280 ـ 295 ـ 298 ؛ *حوالة أحباس صغرى مكناس*، 4 : 199 ـ 280 ؛ أ. الزياني، *البستان*، تح. رشيد الزاوية، الرباط، 1992، ص. 148 ـ 181 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 1990، 1 : 125 ـ 175 ؛ *المنزع اللطيف*، الرباط، 1993، ص. 300 ـ 323 ؛ ج. وندوس، *رحلة إلى مكناس*، تح. زهراء إخوان، مكناس، 1993، ص. 72 ـ 118 ؛ *رحلة الأسير مسويط*، تر. م. حجي والأخضر، 1990، ص. 73 ؛ م. المنوني، دليل القصبة الاسماعيلية، مجلة *دعوة الحق*، ع 4، 1967، ص. 107 ـ 120 ؛ ر. بلمقدم، تنظيم توزيع مياه وادي بوفكران في عهد مولاي إسماعيل، *أعمال ندوة مياه واد بوفكران*، مكناس، 1993، ص. 71 ـ 82.

رقية بلمقدم

قصبة تادلة (مركز ـ) تقع قصبة تادلة في القسم الشمالي الشرقي من سهل تادلا، عند مفترق الطرق الرئيسية رقم 24 الرابطة بين فاس ومراكش والطريق رقم 13 الرابطة بين بني ملال والدار البيضاء. تنفرد بموضع طبغرافي مرتفع، أكسبها طابعا هضبيا، تعرض للتقطع على أشكال متون نتيجة تعمق الشبكة المائية المنحدرة من القسم الجنوبي الشرقي للهضبة الوسطى.

يرجع ظهور النواة الأولى لمركز قصبة تادلة إلى عهد السلطان المولى إسماعيل، الذي أمر ببناء القصبة، حيث أقام فيها محله مع حوالي 3000 جندي من جيش البخاري، قصد حراسة قنطرة عبور موكب السلطان على نهر أم الربيع. كما لعب هذا المركز دوراً عسكرياً حمائيا يتجلى في مراقبة تحركات بعض القبائل المتمردة.

استرعى موقع قصبة تادلة انتباه السلطات الفرنسية، فتم اتخاذها قاعدة عسكرية للإستيلاء على باقي الإقليم، حيث احتفظت بنفس الوظيفة التاريخية خلال فترة الاستعمار ؛ فلعبت بذلك دوراً أساسياً في انطلاق العمليات العسكرية لإخضاع القبائل الجبلية المجاورة (الأطلس المتوسط، زيان). فمنها تم التصدي للإنتفاضة القبلية التي انطلقت من بني ملال يوم 15 مايو 1915. وانطلاقا منها أيضا زحفت الجيوش الفرنسية في اتجاه بني ملال التي تم احتلالها سنة 1916.

ويصعب الحديث عن قصبة تادلة كمركز حضري قبل الاستعمار الفرنسي. فقد كانت مركزاً ريفياً تتقاسمه بعض قبائل آيت الربع وسمگت وگطاية. عند دخول الفرنسيين إليها لم توجد بها سوى القصبة الإسماعيلية ثم الزرايب، التي هي عبارة عن دور ريفية تحيط بها نوالات مثل دوار المرس. بعد ذلك خضعت قصبة تادلة لتصميم هندسي عصري من طرف الفرنسيين، حيث شيدت بها المدينة الحديثة فوق منبسط طبغرافي، وضمت بالإضافة إلى الدور السكنية العصرية للأوروبيين المحلات التجارية والمرافق الترفيهية والخدماتية، ثم شيدت القنطرة الجديدة على نهر أم الربيع والبريد والثكنة العسكرية التي تضم مطاراً عسكرياً. كما شيد بها قصر البلدية بالمدينة القديمة المعروف حاليا بحي الزرايب. وقد اتخذت قصبة تادلة خلال فترة الاستعمار عاصمة إدارية لمنطقة تادلا ككل.

بعد خروج الفرنسيين لم تشهد قصبة تادلة تطوراً عمرانيا ملحوظا، خاصة في سنوات الستينات، إذ بقيت تفتقد لمجموعة من الخدمات والمؤسسات الإدارية، نتيجة الإهمال الذي لحقها خلال هذه الفترة، لكونها لا تدخل في نطاق الدائرة السقوية لقطاعي بني عمير وبني موسى من جهة، ولكون العاصمة الإدارية انفردت بها مدينة بني ملال، التي أصبحت تلعب دور القطب الجهوي للإقليم.

بدأ هذا المركز يعرف بوادر التطور العمراني في السبعينيات وبداية الثمانينيات نظراً لأهمية الوافدين من الأقاليم المجاورة الفقيرة، فظهرت على إثر ذلك مجموعة من الأحياء السكنية كالمرس، اليام، مجاط، وحي العمال التابع لمعمل النسيج. بعد ذلك توالت حركة البناء والتعمير لكن بوتيرة أقل بالمقارنة مع مدن المدار المسقي كالفقيه بن صالح وسوق سبت أولاد نمة مثلا. هكذا ظهرت بعض الأحياء الجديدة كحي المهيرزات والراشيدية والشهداء، إلى جانب هيكلة بعض الدواوير كدوار براكة، مما أهلها لاستقبال بعض المؤسسات التعليمية والمرافق الاجتماعية كالمستشفى المركزي. وأصبحت المدينة تعرف نموا ديموغرافيا ملموسا، فبعد ما كان عدد السكان لا يتعدى 7000 نسمة سنة 1952 و10.000 نسمة سنة 1960، انتقل إلى 14000 سنة 1971 وحقق قفزة كبيرة سنة 1982 بحوالي 27000 نسمة .ثم تضاعف هذا العدد تقريبا في التسعينيات ليبلغ حوالي 42000 نسمة سنة 1994. على مستوى الأنشطة : أمام غياب الموارد المالية اللازمة للنهوض بالنمو الاقتصادي وازدهار المدينة، ونظرا لهيمنة مجال بوري فقير يحيط بالمدينة ويؤثر فيها بقيت قصبة تادلة تابعة باستمرار لمدينة بني ملال والدار البيضاء من أجل تلبية الحاجيات الأساسية مثل الخدمات الطبية والاقتصادية، الشيء الذي انعكس على أنشطتها العادية التي تنمو ببطء شديد خاصة الأنشطة المتوسطة النذرة.

ولا يمكن إغفال المكانة التي يحتلها ويلعبها السوق الأسبوعي ليوم الاثنين في ربط الاتصال المباشر ما بين المدينة وأريافها، حيث يدعم مجال استقطابها بتوفيره المواد الضرورية للاستهلاك اليومي، كما يوفر بعض الخدمات إلى جانب تجارة الحبوب والمواشي، وتجارة الذهب التي تكون على موعدها الأسبوعي مع السكان. إلى جانب خدمات أخرى تتمثل في الحدادة والنجارة. ويجد التجار والصناع في السوق الأسبوعي متنفسا ومورداً أساسياً يضمن لهم مزيداً من الدخل المادي.

كما تكثر بالمدينة ظاهرة الباعة المتجولين نتيجة غياب المنشآت الصناعية وتفشي ظاهرة البطالة والإنقطاع عن الدراسة والنمو الديموغرافي المتزايد وتدني مستوى العيش داخل الوسط القروي، مما يسهل الإندماج السريع داخل هذا القطاع وتطوره.

تحريات ميدانية.

عبد الرحيم بنعلي

قصبة (أبو -) **الثائر بسوس**، خلال سنوات 597 - 598 / 1201 - 1202 اندلعت ثورة عارمة، شملت كل إقليم سوس تزعمها أبو قصبة، حيث جمع عددا مهما من الأنصار، وتحصن في حصن تيويوين. وتمكن من هزم عدة حركات عسكرية موحدية، مما دفع السلطان الموحدي محمد الناصر لتجهيز جيش قوي تمكن به من إلحاق الهزيمة بالثائر أبي قصبة الذي قتل، وعلق رأسه بباب مراكش في صيف 1202.

وبالرغم من قوة الموحدين، وعزمهم على قطع دابر أي تمرد، فإن ثورات إقليم سوس لم تنقطع. فبعد مرور حوالي اثني عشر سنة من ثورة أبي قصبة، ثارت مرة أخرى قبائل جزولة سنة 615 / 1215 ونشرت الفوضى في البلاد، لكن سرعان ما تم احتواء هذا التمرد.

وفي سنة 636 / 1238 - 1239 اندلع تمرد آخر في حصن تيويوين تزعمه ثائر مغمور، معروف باسم ابن يوجا. وقد جمع حوله عددا كبيرا من عرب معقل، وأعلن معارضته للعامل الموحدي الذي تمكن في نهاية الأمر من القضاء عليه بالاستعانة بزعماء جزولة. وقد أرسل رأسه ويده إلى السلطان الموحدي الرشيد.

D. Jacques-Meunié, *Le Maroc saharien*, t. 1, Ed. Klinsksiech, 1982.

محمد حنداين

قصبة القنيطرة أثناء عملية تجديد بناء القصبة (التي كانت نواة مدينة القنيطرة الحالية ابتداء من سنة 1914، عثر المهندسون على جدار قديم وحجرة قديمة كذلك كانت منصوبة على قبر هنالك بالموضع الذي أنشئت به القصبة مكتوب فيها ما نصه : "يوم الجمعة الأخيرة من محر عام 749. قال محمد بن علي الدكالي في كناشته : "فاستدل بذلك على أن القصبة الأصلية التي بقي جدارها معروفا هناك، وبنيت هذه على أساسها كانت موجودة في ذلك العهد، وصاحب هذا القبر من جملة سكانها حينئذ ...".

محمد بن علي الدكالي، *كناشة*، خ ع د 4257.

المصطفى البوعناني

القُصْبُر أو القُصْبُرَة أو الكُزْبُرَة نبات معطر يعرف علميا باسم كُورِيَانْدْرُومْ سَاتِيفُوم Coriandrum sativum وهو من فصيلة الخيميات Apiaceae.

إنه نبات عشبي وحولي، ذو عطر قوي. تتراوح قامته ما بين 30 و80 سم. أوراقه السفلى عريضة ومفصصة بينما العليا رفيعة. ثماره كروية الشكل ومضلعة، بُنِّية اللون أو مائلة إلى الاصفرار.

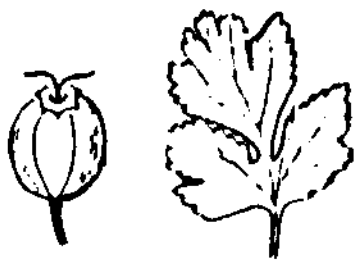

الموطن الأصلي للقصبر هو حوض البحر الأبيض المتوسط، حيث يستعمل كنبات معطر للعديد من وصفات الطبخ مثل الحريرة والشربة والقديد وغيرها، وكذلك في التطبيب التقليدي. ولهذه الأغراض يزرع القصبر في جميع أنحاء العالم. أما في المغرب فإن مساحاته المزروعة جد محدودة بضواحي المدن وفي الحدائق والبساتين العائلية، وعلى نطاق واسع في منطقة الغرب ووزان حيث من الممكن أن تتراوح مساحاته المزروعة ما بين 5 و8 آلاف هكتار سنويا، وذلك لإنتاج الحبوب.

J. Bellakhdar, La pharmacopée marocaine traditionnelle, Médecine arabe ancienne et savoirs populaires, Ibis Press, Paris, 1997, 779 p.

عبد المالك بنعبيد

القصدير وينطقها عامة المغاربة بالقزدير، كلمة شائعة تطلق على كل مصنوع من صفائح حديدية رقيقة كالصحون والبراميل، خاصة إذا كانت صدئة، بل تطلق حتى على وجه الإنسان : وجه القزدير إذا كانت ملامحه جامدة، لا تفصح عن خجل أو كان لونه غير طبيعي.

والقصدير عنصر فلزي خفيف نسبيا كثافته 7.3، سهل التصنيع والخلط، سهل الذوبان 231.9° يوجد في الطبيعة على شكل أكاسيد خاصة في خام يعرف بالكستيريت على شكل عروق ممعدنة تكونت بعملية رشح في صخور الگرانيت بفعل سوائل غرينية مشتقة، وهناك احتمال وجوده كعروق بصخور الگرانيت الكثيرة بالمغرب، لكن وجوده بوفرة في السوق العالمي لا يشجع على البحث عنه واستغلاله وهو قليل الانتشار في الطبيعة. ويعد من أقدم المعادن التي عرفها الإنسان إذ كان يخلط بالنحاس لإنتاج البرونز. واستخرج من جنوب إنگلترا منذ أيام الفينقيين الذين كانوا يطلبونه في تجارتهم مع البريطانيين القدامى. ومن مميزات القصدير مقاومته للصدأ، لا يتأثر بالأحماض، ولهذا يدخل

أساسا في صناعة علب حفظ الأغذية إذ تطلى به صفيحتها الرقيقة من الداخل بالترسيب الكهربائي لمنع تفاعل الأطعمة مع الصفيحة التي قد تكون من الحديد أو النحاس أو الألمنيوم، إذ يحميها من التأكسد. يشتري المغرب من الصفائح القصديرية كميات مهمة لاستعمالها في صناعات تعليب الأسماك والخضر والفواكه. كما يستعمل القصدير في صناعة أنابيب المياه وفي كثير من السبائك المعدنية وصناعة الورق كما تستخدم سبائكه في اللحام وذلك بخلطها بالرصاص.

اكتشفت له بعض المكامن البسيطة بالهضبة الوسطى، وهناك مؤشرات وقرائن تدعم فرضية استغلال بعضها منذ أيام الرومان، إذ اكتشف بأوراش قديمة نقود رومانية وقنديل روماني. ومن المؤكد استغلال بعض المكامن هنا أيام السعديين حيث صار القصدير من أهم صادرات المغرب لديهم لاشتداد الطلب عليه بأوربا لصناعة المدافع البرونزية. لكنها تبدو اليوم ضعيفة المستوى ولم يستغل منها سوى ورش صغير بـ "القاريت" قرب أولماس، حيث يوجد خام القصدير في صخور شيست متحول مرتبط بكتلة گرانيتية تتخللها عروق من الكوارتز، ولم ينتج هذا الورش خلال سنوات إنتاجه في الخمسينات سوى بضع عشرات من الأطنان سنويا، وكان يعالج بالتنقة والصهر في عين المكان بأفران تقليدية لتخليصه من ثقل شوائبه قبل تصديره، وقد وصل إنتاجه إلى 15 طن سنة 1960 . لكنه أغلق في نهاية عقد الستينيات وبذلك توقف إنتاج هذه المادة بالمغرب. لكن تزايد الطلب على القصدير مؤخراً لتوسع صناعة حفظ الأطعمة يشجع على البحث عن مكامن جديدة له بالمغرب خاصة وأن احتياطه العالمي المؤكد قليل حوالي 12 مليون طن.

أ. هوزلي، *الموارد المعدنية والتنمية بالمغرب*، مطبوع كلية الآداب، مراكش ؛ *أبحاث واستطلاعات وتقارير من الصحف المغربية عن الإنتاج المعدني بالمغرب* ؛ وزارة الصناعة والتجارة والطاقة والمعادن، نشرات صحفية ودراسات قطاعية وتقارير حول المناجم والاقتصاد المعدني بالمغرب.

A. André et J. Lecoz, *Economie minière : notices explicatives de l'Atlas du Maroc*, Rabat, 1961.

أحمد هوزلي

القصر (السكن -) مرآة تعكس علاقة الإنسان بمجاله الجغرافي ومعالم حياته في يُسره وعُسره، في استقراره وترحله. والقصر صنف من السكن تشتهر به الواحات الجنوبية الممتدة بين الأطلس وتخوم الصحراء، بدءاً بوادي درعة الأسفل والأوسط ومرورا بتافلات حتى فگيگ، بل إن معالم هذا النمط من السكن تجد استمراراً لها على هوامش الصحراء الكبرى في كل من الجزائر وتونس وليبيا . ويمثل القصر نمطا معماريا فريدا من نوعه سواء من حيث الشكل أو المضمون.

تعتبر ندرة الأراضي المزروعة والماء وعنصر الأمن، بالمجال الواحي، من العوامل الحاسمة في تنبيت معالم القصر، فمراقبة وتدبير وحماية مصادر الماء والسدود والسواقي والغلال، حتم استقرار القصر وسط الحقول أو على هوامشها، غير أن قلة الأراضي الزراعية حتمت عدم تبذيرها والاعتماد على الانتشار العمودي للبنايات بدل الانتشار الأفقي، كما أن انعدام الأمن وقلة الإمكانيات فرض التماسك العشائري والتآزر عند البناء أو الصيانة ويفرض علاقات ملأها الاحترام والتآخي.

يتكون القصر من مجال مشترك قوامه السور الخارجي والأبواب الرئيسية والساحات العمومية والأزقة ودار القبيلة والمسجد والمصلى، ومجال خاص يشمل المنازل وملحقاتها. فالقصر عبارة عن بنايات أغلبها ذات طابق واحد، تحتمي وراء أسوار عالية محفوفة بأبراج للمراقبة، ولا تتصل بالخارج إلا بواسطة أبواب ترعاها أعين حراس انتدبوا لهذه الغاية.

مباشرة بعد تخطي المدخل الرئيسي يوجد بهو فسيح تصطف على جنبات أسواره كراسي تستغل من طرف مسني القبيلة أثناء مناقشاتهم لمراسم تدبير القصر أو استقبال الزوار الأجانب. وللدخول إلى ساحة القصر يحتاج المرء أن يُعرج إما ذات اليمين أو ذات الشمال. وهذه جزئية معمارية بالغة الأهمية حيث تحمي القصر من التيارات الريحية القوية كما تحمية من أنظار ذوي الفضول من المارة الأجانب وتخلق الارتباك لدى الغزاة المعتدين. ينفتح هذا البهو على ساحة متعددة الاختصاصات حيث تستغل للأنشطة الاقتصادية كالتبادل واستقرار بعض الحرفيين (الحداد)، وبزاوية من زواياها يربط الثور الجماعي، وبها أيضا توجد دار القبيلة (الضيافة) والمسجد، كما تستغل لأقامة كل أفراح القصر ومآتمه وكملتقى للأطفال والشبان قُبيل وبعيد مغرب شمس كل يوم للعب وتبادل الحكايات.

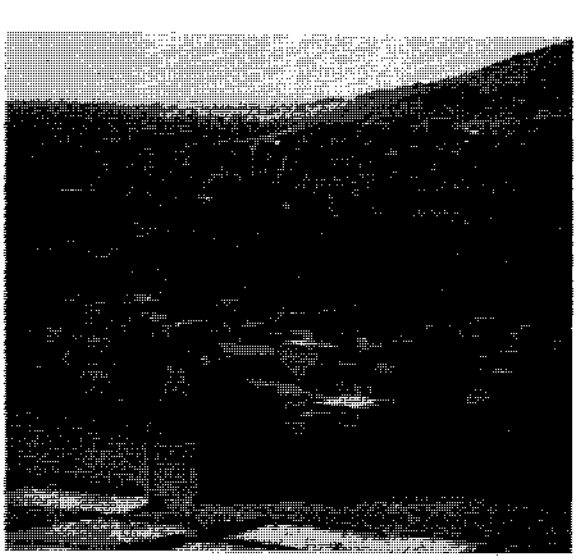

انطلاقا من هذه الساحة تتفرع أزقة طويلة شبه مظلمة، حيث يتعمد السكان تسقيفها لحماية القصر من العواصف

الرملية ومن أشعة الشمس المحرقة وللتمكن من استغلال مستواها العلوي للسكن. ويرسم تناوب مجالات الإشعاع ومجالات الظل داخل هذه الأزقة لوحة فنية فريدة من نوعها، وقد صممت أطرافها لحماية العين من الإشعاع القوي وحماية الأجسام من الحرارة المفرطة ومن الذباب المتناسل، لذا تؤمها النساء بعد عودتهن من أشغال الحقول وإنهائهن للأعمال اليومية داخل المنزل، للجلوس أو للاشتغال في أعمال يدوية كصناعة القفاف والسلال أو لحلج الأصواف. تلعب هذه الأزقة أيضا دور الرابط بين أجزاء القصر ودور قنوات التصريف لمياه الأمطار. وتتفرع الأزقة الرئيسية إلى دروب تنفتح عليها أبواب المنازل.

يتكون المجال الخاص من الدور وملحقاتها. ويتكون كل منزل من عدد كبير من الغرف تنتفح أبوابها وكواتها على فناء تتوسطه أعمدة تمكن من تسقيف حواشيه والسماح لضوء عمودي من إنارة المنزل دون نفاذ أشعة الشمس إليه. ويستغل هذا الفناء لمزاولة الوظائف اليومية العادية كالطهي والنسج كما يستغل مكانا للأكل بل وحتى للنوم في فترات من السنة. وتستغل الغرف أساسا لتخزين الحبوب والثمار والخضر المجففة وخشب التدفئة والأعلاف والأدوات الفلاحية، ولإيواء بعض رؤوس الماشية ومن تم لتجميع روث البهائم قبل نقله إلى الحقول ليستغل كسماد. عندما يتوفر السكن على طابق علوي يتم التراقص بين الطوابق حسب تعاقب الفصول وتعاقب الليل والنهار، حيث تستغل السطوح والطوابق العلوية للنوم وتجفيف الفواكه وبعض الغلال كالحناء والذرة بينما تستغل الطوابق السفلى للاحتماء من حرارة الشمس نهارا والاحتماء من قسوة البرد أيام الشتاء.

تنعدم المرافق الصحية بمعناها المتداول داخل المنزل، لكن الواحي يتخلص من كل فضلاته إما برميها وسط روث البهائم لتختمر أو خارج المنزل وسط الحقول حيث تتحول إلى مادة عضوية وإلى سماد.

تتحكم في تنظيم القصر "الجماعة" وهي مؤسسة تنبثق من العشائر التي تقطن القصر وتنتخب لمدة معينة يتم الاتفاق عليها مسبقا. ويراعى في انتخابها تمثيلية جميع مكونات المجتمع داخل القصر. تسهر هذه المؤسسة على صيانة المرافق الجماعية داخل القصر كالمسجد والساحات العمومية والأسوار الخارجية والأبواب والبئر ودار القبيلة كما تشرف على تسيير المجالات الاقتصادية المشتركة كالثور الجماعي والخزان الجماعي ومصادر المياه والتجهيزات المستعملة في استغلالها، وتسهر على حراسة الحقول والغلال والمراعي وعلى تدبير العلاقات الاجتماعية بشكل يضمن التوازن والاحترام وحسن الجوار ويجعل كل فرد يعتز بانتمائه إلى القصر ويساهم في تنميته والدفاع عنه. الجماعة تتدخل إذن في تعيين إمام المسجد وتحديد حقوقه وواجباته وتتدخل في تنظيم الحفلات والمآتم التي يصعب على الفرد القيام بها (حفلات العيد، حفلات الختان، الزواج الجماعي، المآتم، الاستقبال الجماعي لضيوف القصر، أداء واجبات الزوايا) والاستجابة للإتاوات المخزنية ومختلف الكلف التي يفرضها. الجماعة أيضا كانت تنظم دوريات لحراسة الأبراج والثغور وحماية الرعاة والماشية وتفرض عقوبات قاسية على كل من أخل بالقانون أو تعدى على عرض الآخر أو ممتلكاته. وانطلاقا منه فإن الفرد داخل القصر يحس بالأمن والأمان سواء على نفسه أو ذويه أو ممتلكاته، لكنه وبالمقابل ملزم بالخضوع للجماعة والتنازل عن جزء كبير مما نسميه اليوم "حرية الفرد". فالفرد داخل القصر لا يستطيع أن ينفلت من المراقبة الدقيقة في كل تصرفاته ولا يقوم إلا بما تسمح به أعراف العشيرة سواء تعلق الأمر بحياته الخاصة أو بحياته العامة.

وقد تعرض القصر، كإطار للحياة، وما أفرزه من مؤسسات ونمط العيش، لتآكل كبير بسبب عوامل داخلية ؛ وأخرى خارجية نذكر منها :

- النمو السريع للسكان ؛
- تآكل المؤسسات التقليدية واستبدالها بمؤسسات دخيلة؛
- الانفتاح على اقتصاد السوق وما صاحبه من الدعوة إلى الاغتناء وحرية الفرد ؛
- الاحتكاك بالعالم الخارجي عن طريق الهجرة والمدرسة ووسائل الإعلام وما صاحبه من تغيير في نمط التفكير والسلوك ؛
- الاستهلاك الواسع للسيارة والمواد المصنعة الحضرية.

كل هذه العوامل أدت إلى ظهور سكن لاحق للقصر تكمن معالمه الكبرى في تغيير الموضع والانتشار على جنبات الطرق وفي الانتشار الأفقي وسيادة السكن الفردي والاعتماد على المواد المستوردة بدل المواد المحلية والانفتاح على الخارج بواسطة نوافذ واسعة وشرفات، كما أدخلت مرافق جديدة كالمرأب والدكان والمرافق الصحية. فانفلت تنظيم القصر من يد اجماعة ليصبح في يد المجلس الجماعي والسلطة المحلية وأصبح للسياسة وللجاه والمركز الاجتماعي دور أساسي في تنظيمه.

أمام هذا الوضع طرحت إشكالية القصور ومآلها كجزء من الذاكرة المحلية والوطنية وجزء من التراث تجب حماية ما تبقى منه وتأهيله، وطرحت معها إشكالية من الذي سيقوم بذلك وما هي القصور التي يجب أن تحمى وترمم، ولأية غاية سترمم، ومن سيدبر أمرها بعد الترميم، وما وضعيتها العقارية ؟ أسئلة قد يتطلب حلها وقتا طويلا، وبموازاة ذلك تختفي القصور الواحد تلو الآخر. مما دفع ببعض المنظمات بتعاون مع وزارة الثقافة إلى ترميم بعض النماذج بكل من ورزازات وزاكورة والرشيدية (آيت بن حدو، تاوريرت، تسركات السفلى، لمعضيض...) وهي بادرة حميدة لأنها حفزت بعض المقاولين الخواص للاهتمام بهذا المعمار واستغلاله في السياحة لكن واجب المراقبة يظل قائما لتفادي التلاعب بتراث حضري جماعي وتشويهه.

M. Aït Hamza, *L'habitat dans le Dades et le rôle de l'émigration dans son évolution récente*, in La recherche scientifique au service du développement, *Actes de la 3ème rencontre universitaire Maroco-Hollandaise*, série Colloques et Séminaires, 22, Faculte de Letters, Rabat, 1992 ; *Projet de réhabilitation du Ksar Aït Ben Haddou, (Ministère des Affaires Culturelles)* ; Centre de Conservation et de réhabilitation des Kasbas du Sud "CERKAS" Ouarzazate : *PNUD, (Rapport), 1992 ; Mobilité socio-spatiale et développement local au sud de l'Atlas marocain* (Dadès-Todgha), Maghreb Studien 13, Passau, 196 p. plus cartes et photos, 2002 ; Said Mouline et J. Hensens, *Habitats des qsours et qasbas des vallées présahariennes*. Ministère de l'Habitat, 119 p. plus illustrations, 1991.

محمد آيت حمزة

قصر زاوية آيت سيدي الحاج (أو زاوية البئر) اسم قصر يوجد في وسط دادس على الضفة اليمنى لوادي دادس في تراب قبائل إورتگين التي صنفها أبو بكر الصنهاجي البيذق في *كتاب الانساب في معرفة الأصحاب* ضمن قبائل صنهاجة القبلة. وزاوية الحاج ـ حسب الرواية الشفوية المتداولة في دادس ـ تم بناؤها في هذه المنطقة في بداية عهد السعديين من طرف ولي صالح اسمه سيدي الحاج أحمد. وهو شريف إدريسي من عقب سيدي محمد بن إدريس الثاني. تلقى العلم عن الشريف مولاي محمد بن بلقاسم الذي كان صوفيا مشهورا في زمانه بقرية أمريدل بمنطقة سكورة على بعد أربعين كيلو متراً تقريباً شرقي مدينة ورزازات الحالية.

ولما أنهى سيدي الحاج دراسته عند هذا العالم انتشر صيته في المنطقة كلها إذ ظهرت عليه أمارات الصلاح والشياخة بعد أن نال رضى شيخه فأخذ الناس يتبركون به ويرجون لقاءه. وهكذا، فإن أحفاده إلى اليوم بنوا تقليدا يتمثل في القيام بزيارة ضريح شيخ جدهم في منتصف شهر محرم من كل سنة تيمنا وتبركا به.

أما عن استقرار سيدي الحاج أحمد بدادس فتضيف نفس الرواية أنه بعد إتمامه للدراسة عند الشيخ المذكور، شد الرحلة إلى مدينة مراكش التي صادف وصوله إليها أن وجد الناس فيها في صراع بين مؤيد ومعارض لسلطان كان يدعى مولاي المهدي. وأثناء ذلك الصراع كان سيدي الحاج يردد العبارة التالية : "اللهم انصر هذا السلطان إذا كان قائما على العدل والإحسان، ولا تكن له وليا ولا نصيراً إذا كان قائما على الباطل". ومعلوم أن هذه العبارة سببت له المتاعب فزج به في السجن. غير أن ذلك لم يزده إلا تشبثا بأفكاره الشيء الذي عرَّض حياته للخطر إذ تقرر إعدامه لكن ذلك لم يتم ـ حسب الرواية ـ بفضل تدخل شيخه سيدي مَحمد أبلقاسم لصالحه. وجاء في نفس الرواية أن السيد الحاج أحمد لما أُخبر بما تقرر في مصيره سره ذلك مما أثار استغراب أحد السجناء الذين سجنوا معه. فسأله هذا السجين عن عدم حيرته أمام ما كان ينتظره. فرد عليه سيدي الحاج قائلا : "ما يجي دباح حتى يجي فتاح". وعنه توارثت الأجيال هذه العبارة الحكيمة. ولما كان إعدام سيدي الحاج وشيكا كان هذا الأخير ينادي شيخه مولاي مَحمد أبلقاسم الذي سمعه على الفور فلبى نداءه فأخرجه من السجن فأنقذ حياته وأخذ بيده وأعانه في الوصول إلى منطقة دادس بعيداً عن المتربصين به.

وعند وصول سيدي الحاج إلى منطقة دادس قادما إليها من مراكش جال بها طولاً وعرضاً وفي آخر المطاف استقر به المقام في المكان المدعو أتسفال في سافلة الوادي بتراب آيت إحيا السدراتيين (حاليا). وهناك أقام زاويته الأولى على الضفة اليمنى للوادي وسميت باسم المكان (أي زاوية أتسفال). وقبل تشييد الزاوية ـ تقول الرواية ـ أن سيدي الحاج أحمد طلب من جميع الحيوانات المتوحشة والهوام الموجودة بهذا المكان أن تغادره. وكان ـ كما قيل ـ عبارة عن غابة صغيرة. وقد استجابت تلك الحيوانات كلها لطلبه إلا أفعى عمياء واحدة. فبادرها سيدي الحاج بالسؤال عن السبب الذي جعلها لم تلب نداءه. فأجابته بأنها عمياء ولديها أبناء صغار لا يمكنها مفارقتهم ولهذا يستحيل عليها مغادرة هذا المكان. ولما بدا له إصرارها على البقاء دخل معها في مفاوضات أسفرت عن توقيع معاهدة الصداقة وحسن الجوار بينهما وبين أولادهما بعدها ويجري العمل بها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. وهكذا ومنذ ذلك التاريخ فإن الأفاعي لا تؤذي ولا تلذغ أبناء سيدي الحاج أحمد في كل من زاويتي أتسفال، الزاوية الأولى لسيدي الحاج وبنتها زاوية آيت سيدي الحاج (أو زاوية البئر) ومقابل ذلك فإن الأفاعي (حظيت) وتحظى عند سكانهما بالاحترام والتقدير ولا يمسونها بسوء.

غير أن سيدي الحاج أحمد لم يدفن في زاوية أتسفال التي بناها، بل دفن ـ حسب الرواية ـ بزاوية آيت سيدي الحاج (أو زاوية البئر) التي رأت النور بعد وفاته. ومرد ذلك كما هو متوارث في عقبه إلى كون سيدي الحاج كان قد طلب من سيدي بويوسف صديقه أيام الدراسة (باني زاوية تحمل اسمه شمالي زاوية آيت سيدي الحاج بدادس جنوب قبيلة أشراحيل الحالية) بعد موته أن يحمل جثمانه على ظهر بغلة عائلة آيت القاضي بقصر الحَرْطْ ويوجه تلك البغلة في اتجاه أسفل الوادي ويدفنه في المكان الذي تتوقف فيه عن المسير. وقد كان ذلك سببا في ظهور زاوية آيت سيدي الحاج (بنت زاوية أتسفال) في الموضع الذي توجد به الآن في دادس الأوسط.

وهكذا، وبينما كان سيدي بويوسف، ذات يوم، يعمل في أحد بساتينه، تذكر وصية صديقه سيدي الحاج، فذهب مسرعاً إلى المكان الذي كان قد نبهه إليه، وهناك وجد سيدي الحاج ميتا. وعلى الفور استعار بغلة أسرة آيت القاضي بقصر الحَارْطْ عملاً بوصية سيد يالحاج، وحمل جثمانه عليها وقادها نحو سافلة الوادي إلى أن توقفت عن المسير عن طيب خاطرها في المكان الذي توجد به الزاوية. وما أن أُخبر أبناء سيدي الحاج بهذا الخبر المفجع حتى جاء البعض منهم فوراً إلى هذا المكان وحفروا به بئراً وأقاموا بجواره زاوية وضريحا لأبيهم سيدي الحاج. ولهذا السبب تسمى هذه الزاوية إضافة إلى زاوية سيدي الحاج زاوية البئر.

وإذا افترضنا أن بعض المعلومات التاريخية الواردة في هذه الرواية يمكن الأخذ بها فإننا نلاحظ ما يلي :

أولاً : أن سيدي الحاج أحمد كان معاصراً لأولياء آخرين أنشأوا بدورهم زوايا خاصة بهم تحمل أسماءهم في أماكن متفرقة ويتعلق الأمر أساساً بسيدي بويوسف وسيدي داود. فالأول توجد زاويته على الضفة اليمنى لوادي دادس في منطقة تماس بين قبيلة أشراحيل وقبيلة آيت حمو. أما الثاني فتقع زاويته على الضفة اليمنى في عالية نفس الوادي في قبائل آيت سدرات نيغيل قريبا من المضايق. وكما سبق الذكر، فكلاهما كانا زميلي الدراسة لسيدي الحاج أحمد بأمريدل في منطقة سكورى لدى العالم الصوفي سيدي مَحمد أبلقاسم. وبتعبير آخر، يبدو أن هؤلاء الأولياء الثلاثة كانوا ينتمون إلى نفس الطريقة الصوفية كان قد اعتمدها أستاذهم والتي لا نعرف عنها شيئاً نظراً لانعدام المصادر.

ثانياً : جاء في الرواية أن سيدي الحاج أحمد لما وصل إلى مراكش وجد الناس فيها منقسمين بين مؤيد ومناهض لسلطان يقال له مولاي المهدي. وهذا السلطان لن يكون إلا محمد الشيخ (أمغار) السعدي الذي كما هو معروف سمي أيضاً بالمهدي وكما هو معروف أيضاً فقد كان لمحمد الشيخ المهدي السعدي صراع مسلح على السلطة مع أخيه أبي العباس أحمد الأعرج الذي تمكن من التغلب عليه وإلقاء القبض عليه وسجنه. وبعد ذلك اتخذ محمد الشيخ المهدي مدينة مراكش عاصمة لملكه وقاعدة لانطلاق عملياته لبسط نفوذه على المناطق المغربية الأخرى. ومعلوم أن دخوله إلى مراكش - حسب المصادر - لم يكن هينا. وهذا المعطى التاريخي يتطابق مع ما ورد في الرواية الشفوية التي أوردناها. وهذه المعلومات التاريخية كفيلة بأن تجعلنا نرجح أن زاوية سيدي الحاج أحمد (زاوية البئر) وزاويتي سيدي بويوسف وسيدي داود بدادس ربما أقيمت خلال فترة بداية الحكم السعدي. وما يزيد هذا الرأي ترجيحا هو أن هذه الفترة شهدت في المغرب كله ظهور حركة صوفية مهمة زادتها قوة الانقسامات السياسية وما نجم عنها من تردي الوضع الداخلي خصوصاً بعد اختلال أمر المرينيين وصعود الوطاسيين إلى الحكم واحتلال الأسبان والبرتغاليين للعديد من المدن والثغور المغربية الشاطئية.

ثالثاً : إن التوزيع الجغرافي لهذه الزوايا الثلاث (زاوية سيدي الحاج، وزاوية سيدي بويوسف، وزاوية سيدي داود) في تراب ثلاث قبائل متباينة (إورتگيين وآيت حمو وآيت سدرات نيغيل)، وأماكن متباعدة نسبياً يعطي الانطباع كما لو أنها قامت بدور التأطير السياسي والديني في فترة حرجة من تاريخ المغرب عموماً وهي فترة انتقال السلطة من الوطاسيين إلى السعديين.

رابعاً : يستخلص أيضاً من نفس الرواية أن الولي الصالح سيدي مَحمد أبلقاسم دفين قرية أمْريديل بسكورة، الأب الروحي لهؤلاء الأولياء جميعاً ربما كانت له علاقة طيبة مع محمد الشيخ المهدي السعدي الذي دام حكمه من سنة 946 إلى سنة 964 (1539 / 1556). وخلال مدة حكمه هذه، كانت سياسته الدينية تجاه الصلحاء والفقهاء - رغم دورهم الفعال في قيام الدولة السعدية - تتسم بالحيطة والحذر إلى درجة أن ألتجأ إلى امتحان العديد منهم وإعدامهم كما هو حال الفقيه عبد الوهاب بن الزقاق والشيخ حرزوز المكناسي خطيب أحد جوامع مدينة مكناس وغيرهما. ومن المحتمل أن سيدي الحاج أحمد ربما كان من جملة من تعرضوا لامتحان محمد الشيخ المهدي وكان سيعرف نفس المصير الذي عرفه الصلحاء والفقهاء الذين قتلهم بعد امتحانهم إلا أن ذلك لم يقع بفضل تدخل سيدي مَحمد أبلقاسم لديه.

ومهما يكن من أمر، فما يزال قصر زاوية أيت سيدي الحاج يعتبر في وقتنا الحالي من أكبر وأهم قصور وادي دادس إن على مستوى كثافة سكانه أو مستوى عيشهم.

م. حمام، *وثائق من آيت سدرات*، الرباط، 1978 ؛ وثائق غميسة تبرز أهمية زاوية أتسفال بوادي دادس خلال القرن التاسع عشر، مجلة دار النيابة ؛ *تحريات ميدانية* ؛ إ. حركات، *المغرب عبر التاريخ*، الدار البيضاء، 1993 ؛ أبو بكر بن علي الصنهاجي، *المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب*، تح. عبد الوهاب بن منصور، الرباط، 1971.

محمد حمام

القصر الصغير، مرسى وموقع أثري من أهم وأبرز المواقع الإسلامية بالمغرب بسبب دوره المحوري بين ضفتي المضيق من جهة، وتصميمه الدائري الفريد من جهة ثانية. ترتفع بقايا بناياته المعمارية على الضفة اليمنى من مصب وادي القصر بالبحر الأبيض المتوسط، قبالة جزيرة طريفة، على بعد 35 كلم شرق مدينة طنجة و20 كلم غرب مدينة سبتة. ونظرا لموقعه الاستراتيجي ومؤهلاته الملاحية، استقطب الموقع نشاطا ملاحيا منذ العصور القديمة حيث وجدت بأحوازه عدة مصانع لتمليح الأسماك، وربما شكل موضعه أو ضاحيته منطقة مدينة ليسا (Lissa) أو إكسيليسا (Exilissa).

خلال العهد الإسلامي، تحول الموقع ابتداء من نهاية القرن الأول الهجري / بداية القرن الثامن الميلادي إلى مرسى للمجاز نحو عدوة الأندلس وتجمعت حوله قبائل مصمودة مما جعله يعرف بقصر مصمودة والقصر الأول. وفي القرن الخامس / الحادي عشر، أورد البكري أن بني طريف استقروا بـ"القصر الأول" حيث تدخل المراكب "إلى حائط القصر" وجمع بينه وبين "مدينة اليم" أو "مرسى باب اليم"، شرق مدينة طنجة، والتي تبعد عن هذه الأخيرة بثلاثين ميلا، مما يدفع إلى الاعتقاد بأن الموقع كان يتكون من مرسى وتجمع بشري، وصفه البكري بالرباط، بينما جعل منه صاحب الاستبصار "قرية تعرف بقصر مصمودة، ولها نهر يصب في البحر عذب، ومنه يقرب الجواز إلى جزيرة طريفة ثمانية عشر ميلا".

استعمل قصر المجاز أو قصر الجواز طيلة حكم المرابطين والموحدين والمرينيين للعبور نحو الضفة الشمالية للمضيق.

وفي سنة 686 / 1287 أمر السلطان المريني، أبو يعقوب يوسف، بتسوير المدينة وتحصينها وبناء أبوابها وتشييد مرافق مدنية عديدة وترميم وتوسيع بعضها كالمسجد والحمام. سقط ساحل طريفة 1291 / 692 تحت سيطرة المسيحيين، فتغيرت وظيفة الموقع وتحول هذا الأخير إلى رباط متقدم في مواجهة الإسبان. ونظرا للضعف الذي دب إلى السلطة المرينية ونزول القوات الإيبيرية بنقط متعددة من السواحل المغربية، ظهرت مراكز جهادية عديدة بسلا وتطوان والقصر الصغير، مما دفع ملك قشتالة، هنري الثالث، إلى قيادة حملة عسكرية سنة 802 / 1399، انتهت بتدمير مدينة تطوان، وفي سنة 818 / 1415 احتل البرتغاليون مدينة سبتة، وركزوا على استغلال المنطقة اقتصاديا وعسكريا. ويظهر من خلال بعض المعطيات الأثرية أن القصر الصغير لم يتضرر من ذلك، بل عرف حركية تجارية، وبقي المرسى الوحيد الرابط بين فاس ومملكة غرناطة وأصبح قاعدة متقدمة للجهاد البحري وتنظيم الغارات على سفن المسيحيين وعلى مدينة سبتة.

كان هذا الدور سببا مباشرا في دفع الأمير هنري لقيادة جيش ضم حوالي 25.000 جندي، وانهالت مدفعيته بوابل من القذائف على القصر فأدت إلى انهيار جزء هام من الأسوار التي لم تصمد أكثر من يومين، قبل أن يقبل السكان بالتخلي عن الموقع. وفي 18 أكتوبر من سنة (1458 / 863) دخل الملك ألفونسو الخامس القصر، فأمر بتحويل المسجد إلى كنيسة (Sainte Marie de la Miséricorde) وعيّن Dom Duarte de Meneses قائدا على الحامية التي ضمت 3.000 جندي برتغالي. وخوفا من الهجومات المتكررة على الحصن، قام "دوم دوارتي" بتحصين باب البحر وزوده بممر محصن (Couraca) يربط القلعة بالبحر، ويضمن بذلك حماية الإمدادات البحرية، وأصلح باقي التحصينات، وجعل من الموقع منطلقا لاحتلال أصيلة وطنجة سنة 876 / 1471، وإحكام السيطرة على المضيق والهيمنة على المنطقة لمدة تسعين سنة. وفي سنة 957 / 1550، وأمام نجاحات الجيوش السعدية وسرعة تقدمها أو كما قال مارمول "لقلة النتيجة وكثرة النفقة"، أخلى البرتغاليون القصر بعد أن هدموا عددا من بناياته وتحصيناته، وتركوا بعضها شاهدا على بعض الحقب التي مر بها القصر الصغير، من أبرزها مجموعة من التحصينات والبنايات العامة والخاصة.

تنتظم تحصينات القصر الصغير في شكل دائري شبيه بشكل بغداد العباسية، بنيت أسوارها بالحجر الكبير والحجر الدبش المردوم والآجور الطيني، ويبلغ علوها حوالي ثمانية أمتار وسمكها 1,80 متر، تقويها أبراج نصف دائرية مفتوحة على داخل القلعة، وتتكون من طابقين، يستعمل الأول لخزن الذخيرة، في حين يخصص الثاني للرماة والعسكر. وخلال الاحتلال البرتغالي للموقع، أدخلت عدة تعديلات وأضيفت بعض المرافق التي تتماشى مع التطور الذي عرفته الأسلحة وخاصة المدفعية. وبسبب قوة هذه الأخيرة شيد البرتغاليون حائطا مائلا (Glacis) على طول التحصينات المرينية وحفروا خندقا يصل عمقه إلى أربع أمتار على طول الجهات المقابلة للبابسة، شبيه بذلك المتواجد "بالباستيونات" السعدية بفاس وتازة والعرائش والتحصينات الإسبانية بقصبة المهدية بحلق سبو.

ورغم وظيفته العكسرية، يتوفر القصر على ثلاث بوابات، يظل أكبرها المدخل الشمالي أو باب البحر الذي يشكل هيكلا متقدما عن السور، مدعما ببرجين مستطيلين، ينفتح بواسطة عقد منكسر ومتجاوز ومنعرج مرفقي على غرفة مسقفة بقبة نصف دائرية وأخرى مكشوفة مما يؤكد تصميمه الدفاعي. ولتقوية مناعته، قام البرتغاليون ببناء حصن حيث تم تطويق الباب بسور منيع ليتحول إلى "باستيون" للمؤن والأسلحة والعتاد وحامية للجند والسكان، وعززوه بتهييء إحدى غرف الباب الإسلامي وتدعيمها من الداخل ببنية من الأحجار والملاط، وجعلوا منها بنية تحمل سطيحة عالية تتحكم في مختلف جوانب المدخل. ومن أجل ضمان وصول التعزيزات حتى داخل القصر، تم بناء ممر محصن ومسقف (La Couraca) يبلغ طوله حوالي 110 متر، يربط الحصن بالبحر ويوفر حماية كاملة لنقل الإمدادات.

أما الباب الثاني فينفتح في الجهة الشرقية، ويعرف بباب سبتة. يتشكل هذا الأخير من قوس منكسر ومتجاوز محاط ببرجين مستطيلين، يؤدي عبر منعرج مرفقي إلى غرفتين شبيهتين بتلك الموجودة بباب البحر. وفي الجهة الجنوبية الغربية تم فتح باب فاس، وهو عبارة عن بوابة بارزة أقل ضخامة من سابقتيها، غُير تصميمها قبل الاحتلال البرتغالي للقلعة، على شكل منعرج مرفقي قبل أن يغلق من طرف البرتغاليين بسبب تواجده بالجهة المقابلة للبابسة، والتي تبقى أكثر عرضة للهجومات المحلية.

من ناحية ثانية، كشفت التنقيبات الأثرية المغربية الأمريكية خلال حفرياتها ما بين سنتي 1975 و1980 بالجزء الشمالي الغربي للموقع عن بقايا مسجد وحمام، ربما شكلت مركز المدينة الوسيطية. ترتفع بنيات الجامع على شكل مستطيل يصل عمقه إلى 30 مترا وعرضه إلى حوالي 17 مترا، وينقسم إلى وحدتين متباينتين، تحتل الأولى الجزء الجنوبي الشرقي للبناية، وهي عبارة عن قاعة للصلاة تتكون من ثلاث بلاطات موازية لجدار القبلة، ترتكز على دعامات مستطيلة من الآجر المشوي. وتتميز هذه القاعة باتساع البلاط الأوسط وتواجد محراب يقابل المدخل الرئيسي بالجهة الشمالية الغربية للجامع، ويشكل معه المحور الطولاني للبناية. أما الوحدة الثانية، فتحتل الجهة الشمالية وتضم صحنا مكشوفا، وقاعدة مربعة الشكل قد تكون أساسات الصومعة، ورواقا مسقفا موازيا للجدار الجنوبي الغربي للجامع. وتمثل البناية الثانية بقايا الحمام، وترتفع جنوب شرق المسجد. يتخذ المبنى شكل مستطيل، وينقسم وفق نمط التصميم الكلاسيكي للحمام الموري إلى أربع قاعات

متتالية، تفضي إليها بوابة ملتوية، وتنتظم في قاعة مربعة الشكل لخلع الملابس، وثلاث قاعات مستطيلة خصصت على التوالي للماء البارد (البراني) والدافئ (الوسطي) والساخن (الدخلي أو السخون).

وتؤكد الحفريات التي أجريت بالموقع ما ورد بوثيقة ترجع إلى سنة 863 / 1458 من أن البرتغاليين قد حولوا المسجد إلى كنيسة، إذ تم الكشف عن بناية استعملت أساسات المسجد، يبلغ طولها 20 مترا وعرضها 12 مترا، يتم الولوج إليها بواسطة درج نازل مباشرة من الساحة العمومية، وتضم مذابح وبرجا للأجراس. ومما يبرز التعديلات الهامة التي عرفها القصر الصغير خلال الاحتلال البرتغالي عثور الأثريين على بقايا معمارية عديدة، من أهمها مجموعة من البنيات تبين أن الحمام قد تغيرت وظيفته وبنيته وخصص للحبس، وأخرى توضح أن البرتغاليين قد غيروا مجال القلعة وبنوا دارا للبلدية وكنيسة ثانية بين باب البحر وباب فاس، ودورا سكنية بلغ عدد الوحدات التي تم الكشف عنها إلى سبعين وحدة تضم حوالي مائتي غرفة.

ابن أبي زرع، *روض القرطاس*، الرباط، 1999 ؛ الإدريسي، *نزهة المشتاق*، 1983 ؛ الحميري، *الروض المعطار في خبر الأقطار*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1984 ؛ مجهول، *الاستبصار في عجائب الأمصار*، الدار البيضاء، 1985 ؛ الناصري، *الاستقصا*، تح. جعفر ومحمد الناصري، ج 2 ، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954 ؛ الحسن الوزان، *وصف إفريقيا*، ج 1، الرباط، 1980 ؛ مارمول كاربخال، *إفريقيا*، ج 2، الرباط، 1988 ، 1989.

E. Fagnan, *Extraits inédits relatifs au Maghreb : géographie et histoire ancienne*, Maison Bastide-Jourdan, Alger, 1924 ; Charles L. Redman, *Qsar es-Seghir, an archaeological view of medieval life*, Academic Press, 1986 ; G. Yver, *Al-Kasr al-Saghir, E.I.*, 2ème édition, tome IV, p. 759.

أحمد صالح الطاهري

القصر الصغير (القديم) يتضمن في الواقع ثلاثة مواقع :

1 ـ الموقع الإسلامي المعروف تحت أسماء متعددة منها قصر المجاز وقصر مصمودة والقصر الصغير والذي أجرت فيه البعثة الامريكية التابعة لجامعة ولاية نيويورك التنقيب سنوات 1974 و1975 و1976 و1977.

2 ـ موقع على الشاطئ شرق مصب وادي صغير وجدت به أثار لمعمل الگاروم وتمليح السمك يبدو أنه يعود إلى القرن الثالث الميلادي، وقد نقب فيه بعض الإسبان سنة 1958.

3 ـ موقع ثالث يحمل الاسم ويقع داخليا على بعد كيلومتر واحد شرق مصب نفس الوادي، يتضمن آثاراً تعود لفترة الاحتلال الروماني، اكتشف عام 1943. ومن اللقى الأثرية السطحية 22 عملة رومانية من البرونز تعود، للقرنين الثالث والرابع الميلاديين ومصباحان يعودان للقرن الرابع الميلادي. وفي سنة 1953 أجرى طارديل اسباراً سمحت باكتشاف تحصينات، كانت على ما يبدو، تحيط بكل الموقع وحتى الشاطئ. وفي الجزء العلوي من نفس الموقع أجرى طارديل اسباراً أخرى أدت إلى العثور على غرف بالأعمدة. وتعود المواد المستخرجة إلى القرنين الثاني والثالث الميلاديين على الخصوص وإلى مرحلة نهاية الاحتلال الروماني شمال المغرب.

M. Tarradell, Contribution à l'Atlas archéologique du Maroc, Région de Tetuan, *B.A.M.*, VI, 1966, p. 431, n° 3 ; Id., Marruecos antiguo, Nuevas perspectivas, Zephyrus V, 1954, p. 130 ; Id., Guia del Marruecos español, Tetuan, 1953 ; Tarradell et Ponsich, *Garum et industries antiques de salaison dans la méditerranée occidentale*, Université de Bordeau et Casa de Velasquez, Paris, 1965 ; P. Quintero Atauri et G. Gimener Bernal, *Excavaciones en Tamuda, Memoria resumen de las practicodas en 1943*, Tetuan, 1944 ; R. Raymond, *Index de topographie antique du Maroc*, Publication du Service des Antiqués du Maroc, 4, 1938.

مصطفى أعشي

القصر الكبير (خلال العصرين الوسيط والحديث). مدينة قديمة تعتبر من الحواضر الأولى في المغرب لازالت قائمة، إذ تؤكد الأبحاث التاريخية والأركيولوجية الحالية بأن مدينة القصر الكبير بنيت على أنقاض مدينة رومانية كانت تسمى "أوبيدوم نوفوم" (Oppidum Novum) بمعنى "المدينة المحصنة الجديدة" يرجع تاريخ تأسيسها إلى ما بين القرن 6 ق. م. والقرن (1 م). توفرت لها شروط تأسيس المدن. وكانت تعرف بقصر كتامة، وقصر عبد الكريم، والقصر، والقصر الكبير، تمييزاً لها عن القصر الصغير، الذي كان يسمى كذلك بقصر مصمودة وقصر المجاز أو الجواز، بنيت على أرض سهلية على واد كبير شتوي يقال له لُكُّس بالعدوة الشمالية منه. واختلف المؤرخون في تاريخ تأسيسها ؛ فمن قائل إنها بنيت سنة 102 من طرف أمير كتامة عبد الكريم، وقائل : إن يعقوب المنصور الموحدي هو الذي بناها أواخر القرن (6 / 12) . وأمام هذا التناقض يقترح أحد الباحثين، بعد تحليله للإشكالية، أن تاريخ 102 لا يمكن الاعتماد عليه كمعطى صحيح لإثبات تاريخ تأسيس القصر الكبير، خصوصا على يد كتامة في فترة كان فيها المغرب الأقصى يعيش المراحل الأولى من الفتح الإسلامي. وأن يعقوب المنصور لم يكن مؤسسا لها، بل كان، مثل باقي الملوك بعده، مهتما بها، فأضاف إليها مجموعة من البناءات. يرى أن تأسيس المدينة تم فيما بين القرنين 3 و4، وهي الفترة القريبة من استقرار كتامة بالمغرب الأقصى. وأن المدينة ظهرت، أول مرة، في شكل سوق أسبوعي، ثم سوق دائم. وهذا ما جعل التأسيس لا يرتبط بفترة محددة أو سنة معينة، ويفسر، أيضا، الاختلافات السابقة حوله.

ومن الراجح، أن نمو هذا السوق أعطى مركزاً حضرياً يختلف في ذلك عن أصول تأسيس المدن المغربية. وهذا ما يمكن توضيحه من خلال المسافة الفاصلة بين موقع السوق المركزي والجامع الأعظم. إذ أن السوق متمركز وسط المدينة المسورة، بينما يحتل الجامع موضعا متطرفا قريبا من السور.

وعلى إثر وفاة الأمير إدريس الثاني، وتوزيع أقاليم المغرب على أبنائه سنة 213 - 827 ، ظهرت نهضة عمرانية أدت إلى تعمير كثير من المواقع، منها قصر كتامة، الذي أصبح قاعدة لأحد الأمراء الأدارسة - إدريس بن القاسم بن إبراهيم - "كبيرة شريفة على نهر والكس لها سوق عامرة وجامع". ورغم ذلك، يلاحظ أن المدينة كان لها دور ثانوي طيلة الفترة الممتدة إلى نهاية القرن 54 نظراً لقربها من مدينة البصرة المركز الاقتصادي والسياسي والفكري الهام في عهد الأدارسة، الشيء الذي ساهم في عرقلة تطور مدينة قصر كتامة إلى جانب الأضرار الكبيرة التي تكبدتها من جراء المواجهات العسكرية التي واكبت الصراع الأموي الفاطمي حول الهيمنة على المغرب الأقصى منذ أواسط القرن الرابع حتى غدت في حكم القرى إن لم تكن قد أصبحت قفرا لفترة معينة، مما أدى إلى إعادة بنائها لما تم تعمير المنطقة من جديد، من طرف كتامة. لكن هذا المشروع لم يكتب له أن يذهب بعيداً في خضم التطورات التي فرضها الزحف المرابطي، خاصة بعد فتح مدينة فاس سنة 462 / 1069.

وإن ظروف عدم الاستقرار التي عرفتها منطقة الشمال المغربي عموماً أوائل عصر المرابطين قد انعكست على المدينة إلى حد إهمال ذكرها في مصادر هذه الفترة. ولم تبدأ الحياة تعود إليها، من جديد، إلا مع استتباب الأمر للمرابطين بالمغرب وعودة الهدوء، وأصبحت محطة يتوقف فيها المجاهدون القادمون من مراكش والمتوجهون إلى الأندلس، مما دفع بعض سكان البادية المجاورة إلى التوجه إلى القرية وتعميرها. إلا أن ذلك لم يجعلها تتبوأ مكانة المدينة، لأن عهد المرابطين كان قصيراً، وسرعان ما مسته الاضطرابات بسبب ظهور الحركة الموحدية في وقت مبكر - سنة 514 / 1121 - خاصة المواجهات التي امتدت من سنة 535 إلى سنة 541. وأثر ذلك على الشبكة الحضرية كلها بما فيها قصر عبد الكريم مما جعله يبقى في حكم القرى. وقد سجل هذه الحالة الوفد الأندلسي، الذي توجه إلى سلا لمقابلة الخليفة الموحدي عبد المومن سنة 545 / 1151 حين مر بالموقع، فلاحظ بأن ليس فيه إلا القليل من الناس في خيمات وحانوت واحد كان سوقهم به، وأن الأراضي المجاورة أصبحت موحشة مقفرة بسبب الفتن، والطريق مخيفة ترعب المارين منها بوجود الحيوانات المفترسة.

وتحسنت حالة القصر حينما وضع الموحدون الأوائل سياسة عمرانية كانت تهدف إلى ترميم المدن المخربة ونشر العدل والأمن والاستقرار، فعاد السكان إلى مواطنهم القديمة. ولجأ إلى المدينة بعض أهل الأندلس، وعمروه، وتفرغوا للزراعة والبناء والتجارة" فاتسع فناؤه، وكثر جزاؤه، وأسمع نداؤه، وارتفع بناؤه، فصار في عداد البلاد، وصلح لاتخاذ الطريف والتلاد، وكان ذلك على أيام يعقوب المنصور أو أبيه يوسف". ولعل هذا ما دفع الإدريسي إلى وصفها بالمدينة الصغيرة" بها أسواق على قدرها يباع بها ويشترى، والأرزاق بها كثيرة، والرخاء بها شاملة". وكان نهر اللكوس يساهم في إنعاش اقتصاد المدينة بما يصل عبره من المراكب قادمة من مدينة تشمس.

إن أهم فترة عرفت فيها مدينة القصر الكبير انتعاشا ونهضة على عدة مستويات - اقتصادية، عمرانية، دينية، فكرية - هي فترة خلافة يعقوب المنصور الموحدي، الذي أولاها عناية خاصة إلى درجة أن بعض المصادر ربطت تأسيسها به. ومن الإجراءات التي قام بها ومست المدينة ونواحيها استقدامه لقبيلة رياح العربية من بلاد إفريقية، وإقرارها في منطقة الهبط وأزغار، فيما بين القصر الكبير وحوض اللكوس وسبو إلى ساحل البحر المحيط، وذلك سنة 584 / 1188. ولكن لا نتوفر على ما يدل على طبيعة علاقة القبائل العربية بالمدينة خلال هذا العصر، إذ يظهر أنهم تفرغوا، مدة لا بأس بها، للتكيف مع المنطقة التي تغريهم بإمكانياتها الفلاحية للتحول من رعاة رحل محاربين إلى زراع مستقرين. لكن، من الأكيد أن الفضل يرجع إلى هذه القبائل، إلى جانب الهجرات الأندلسية في تعريب المدينة.

ويبدو أن نزول هذه القبائل كان له بعض النتائج السلبية على المنطقة، فلا نعرف إلى أي حد ساهموا في العيث في مخازن الدولة المملوءة بالحبوب وغيرها، والتي وجدها الخليفة الموحدي الناصر فارغة سنة 607 / 1210 أثناء التهييئ لمعركة العقاب. وازدادت حالة المنطقة، والبلاد ككل، تدهوراً بعد هزيمة العقاب سنة 609 / 1212 إلى درجة أن أغلب المؤرخين يعتبرون هذا الحدث بداية النهاية للدولة الموحدية، حيث ظهرت بعد هذا التاريخ ثورات هنا وهناك، كانت أشدها الحركة المرينية الصاعدة، التي زحفت مبكراً إلى بلاد أزغار والهبط، فصارت تهاجمها باستمرار منذ سنة 614 / 1217، وبذلك دخلت في حرب مع قبائل رياح القوية المساندة للموحدين، والتي كانت أقوى قبائل عرب المغرب وأشجعها وأكثرها خيلا وأموالا ورجالا. وقد قتل في إحدى هذه المواجهات الأمير المريني عبد الحق بن محيو وابنه إدريس سنة 614 / 1217 ، فثأر ابنه الآخر عثمان لهما، وهزم رياح سنة 620 / 1223، وكرر الهجوم عليهم مراراً.

وقد زاد من شدة الصراع الموحدي المريني أن المدينة عرفت حركات انفصالية، خاصة حركة أبي الطواجين سنة 625 / 1228، وحركة ابن وانودين سنة 635 / 1238. وبذلك خلا الجو لبني مرين بالمنطقة، فتمكنوا من السيطرة على الغرب، ودخلوا مدينة القصر الكبير، وفرضوا على سكانه ضريبة سنوية يؤدونها للأمير أبي سعيد عثمان بن عبد الحق مقابل حمايتهم ودفع غارات القبائل عنهم وتأمين الطرق.

ولما حل عهد بني مرين، استفادت المدينة من عنايتهم، وجعلتها الأحداث السياسية عاصمة المنطقة، خاصة وأنها أصبحت المدينة الوحيدة في هذه الجهة بعد أن هدمت مدينة أصيلا سنة 663 / 1262 بأمر من أبي القاسم العزفي حاكم سبتة إلى جانب التخريب الذي أصاب المدن التي كانت

تجاورها، فازداد عدد السكان، إذ جعله "فالنشان فيرناندس" بـ 3000 نسمة، واتسع العمران، وانتظم بسبب وجود العامل أو صاحب البلد بها، وأقيمت بها قصور كبيرة لسلاطين بني مرين الذين نزلوا بها حينما كانوا يقصدون هذه الناحية لمواجهة المتمردين. ويبدو أن قصر السلطان كان متميزاً عن قصور الفئات الأخرى، فنعت بالقصر الكبير، وبه سميت عوض قصر كتامة وذلك منذ القرن (9 / 15 م) وقد ازدادت مكانة المدينة لما أصبحت مقر الحكام من أسرة بني اشقيلولة التي نقلها الخليفة يوسف بن يعقوب المريني من الأندلس حسما للنزاع بينها وبين بني الأحمر. وعرفت ازدهاراً كبيراً في عهد أبي الحسن المريني وابنه أبي عنان نظراً للعناية التي حظيت بها في عهدهما، مثل بناء المدرسة الكبيرة، والمارستان، ومؤسسات تجارية، مما ساهم في تزايد إشعاع المدينة العلمي والحضاري والاقتصادي.

وعلى إثر احتلال البرتغال لمدينة سبتة 1415 وسقوط مراكز أخرى في يدهم، مثل : القصر الصغير 1458 وأصيلا وطنجة ـ 1471 أصبحت مدينة القصر الكبير قاعدة بلاد الهبط الإدارية والحربية. ومما عزز مكانتها وجود أسرة العروسيين على رأس إدارتها. وكان لهذه الأسرة، بزعامة أول واحد نعرفه منها هو عبد الله العروسي، دور كبير في مساندة حركة محمد الشيخ الوطاسي ضد آخر سلطان مريني ـ عبد الحق ـ 823 / 1420 ـ 869 / 1465 في أصيلا ابتداء من سنة 866 / 1463 . ومنذ ذلك الوقت، واتت العروسيين فرصة الاستقلال بمنصب القيادة بالقصر الكبير طوال العهد الوطاسي.

ازداد اهتمام محمد الشيخ الوطاسي بالمدينة رغبة منه في ترتيب مقاومة الوجود الأجنبي بالمنطقة انطلاقا منها خاصة بعد استقراره في فاس سنة 879 / 1470، لأن مشروع المقاومة، الذي وضعه، كان موجها أساسا نحو استرجاع أصيلا، التي كانت مهد سلطته. وفوق ذلك، لأن القصر الكبير كان قريباً منها، ومؤهلا لتلك المهمة بفضل عمرانه، وتزايد عدد سكانه منذ العهد الموحدي وبمن انضاف إليهم من الفارين من بواديهم على إثر احتلال أصيلا خاصة من الخلط، الذين أصبحوا يملأون حوز القصر الكبير وأطراف الطريق العسكري الرابط بين القصر الكبير وأصيلا والذين كانت تتجلى مكانتهم في أن شيخا واحدا منهم كان بمقدوره أن يساهم بـ 500 فارس خلال عمليات الجهاد ضد أصيلا وطنجة. ولهذا كان اعتماد القواد العروسيين على عدة مقدمين وشيوخ من الخلط.

وخلال الصراع الوطاسي السعدي حول الحكم، تراجع دور القصر الكبير في عمليات الجهاد لينساق قواده مع خطة السياسة الوطاسية على عهد السلطان أحمد بن محمد البرتغالي الهادفة إلى توحيد الجهود من أجل مواجهة الخطر الذي أصبح يمثله الزحف السعدي نحو الشمال.

رغم ظروف الاحتلال، والصراع الوطاسي السعدي، فقد أصبحت مدينة القصر الكبير منذ عهد الوطاسيين مركزاً تجارياً رئيسياً في المنطقة وفي الشمال المغربي كله. فقد وصفها الحسن الوزان بأنها مدينة كبيرة فيها عدد كثير من الصناع والتجار، وأراضي باديتها خصبة جدا، غير أن الناس لا يستطيعون أن يزرعوا سوى منطقة تقارب مساحتها ستة أميال لأن البرتغاليين المحتلين لأصيلا يضايقونهم. ووصفها محمد العربي الفاسي بأنها" سوق تجلب إليها بضائع العدوتين وسلعها [...] وتحط به تجار المسلمين من آفاق المغرب وتجار الحربيين من طنجة وأصيلا والقصر الصغير وسبتة. مما كان يدر عليها دخلا يفوق 150 ألف أوقية. وكان بها ملاح، ويشرف على تسييرها، في حدود سنة 1593، قائد يتبعه أكثر من 900 مخازني فرسانا ومشاة وفضلاً عن ذلك كانت مركزاً ثقافياً هاماً شهد ظهور عدد مهم من العلماء كانوا يجمعون بين الدرس والتحصيل والرباط والجهاد.

وبعد السعديين، كانت مدينة القصر الكبير تابعة لإمارة المجاهد العياشي. وبعده، تغلب عليها الخضر غيلان، الذي ظل مستقلا بها إلى أن أخرجه منها المولى إسماعيل.

وفي منتصف القرن (12 / 18 م)، وصفها أحد الرحالة ـ وهو ابن حمادوش ـ بأنها كانت مهدمة.

م. البوعناني، *مساهمة في دراسة تاريخ منطقة الغرب من القرن (6 / 12 م) إلى القرن (11 / 17م)* ، أطروحة دكتوراة الدولة في التاريخ، مرقونة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2002.

المصطفى البوعناني

القصري، حسونة من أهل القرن الثاني عشر الهجري. من شيوخ الرباط توجه إلى تونس بقصد التجارة وكان عالماً وله محل بالربع في تونس لوضع سلعه على اختلافها. وكان كل صباح يلقي درسين في جامع الزيتونة احتسابا. وبعدهما يتوجه لموضع سلعه، ورغب الطلبة في دروسه، ولما جعل الباشا علي باي الحسيني مرتبا للمدرسين نظم في سلكهم لكنه لم يرض بقبول المرتب فأحضره الباي وسأله عن سبب امتناعه فأجابه قائلا بأن الله أغناه بتجارته فلا يسوغ والحالة هذه أخذ الأجرة على العلم ثم قال فإني أبث العلم لله خالصا فاعط ذلك من هو أحوج منا.

توفي عام 1199.

بوجندار، *الاغتباط*، ص. 289.

عبد الإله الفاسي

القصري، عبد الجليل بن موسى بن عبد الجليل الأنصاري ويعرف بالقصري وهو من أصل أندلسي حلت أسرته بالقصر الكبير قادمة من الأندلس خلال القرن الخامس الهجري.

وعبد الجليل من الشخصيات الفذة المعروفة لدى علماء الشرق والغرب. تناولته عدة كتب للتراجم والفهارس، أحسنها *سراج الدلجة* لصاحبه عبد العزيز بن محمد بن

الصديق حيث يقول "فهذا الإمام الجليل الذي يفخر المغرب ويتطاول به على الشرق".

حمل المترجم لواء المعرفة في مدرسة شيخه أبي غالب بعد موته بالمسجد الأعظم بالقصر الكبير، وألف كتاباً كبيراً سماه "*شعب الايمان*"، الذي حلل فيه خمسا وسبعين شعبة انطلاقاً من الحديث الشريف الإيمان 75 شعبة...، هذا المؤلف الذي طار صيته واعتمده علماء الشرق والغرب وأكثر النقل منه. وقد أكد الكتاني في *فهرسه* أن ابن ليون التجيبي سعيد بن أحمد من المرية ألف فيه *أرجوزة* واختصر شعب الإيمان لعبد الجليل. والكتاب المذكور يوجد بالخزانة الملكية مخطوطاً تحت رقم 4066 و2325، وهو مبتور الأول.

ويظهر أن عبد الجليل احتاج إلى مدة طويلة من الحل والترحال لتحصيل العلم، كما أنه عمل على نشر العلم بين تلاميذته بالقصر الكبير، ولازال أحد المساجد بالمدينة يحمل اسمه إلى الآن وهو موجود بدرب العلوج، ويفيدنا صاحب *سراج الدجلة* أن عبد الجليل كان كثير التردد على أصدقائه العلماء بكل من فاس وسبتة وطنجة وكان يأنف من الإقامة عند أحد حفظاً لكرامته ودينه ويفضل الإقامة في المساجد..

ومن أشهر من كان على صلة بهم من الشيوخ، أبي مدين الغوث دفين تلمسان. وقد نقل صاحب *كتاب الفرق الإسلامية* عن مقصد البادسي عن عبد الجليل القصري عندما تحدث عن رأي عبد الجليل عن الروح الكلية في رأي الغزالي والمتصوفة...

وقد كانت نهاية عبد الجليل القصري في مدينة سبتة، حيث يفيدنا صاحب *تاريخ سبتة* أنه دفن في مقبرة الربط البراني بمدينة سبتة، ومن تلاميذه العالم ابن رشيق عبد الوهاب بن يوسف بن محمد بن خلف الذي ولد بالقصر الكبير وانتقل إلى القطر المصري وتصدر للتدريس به إلى أن توفي عام 650 / 1252. وهذا يفيدنا أن عبد الجليل القصري كان لا يزال على قيد الحياة في المنتصف الأول من القرن السابع الهجري. أمّا صاحب *الطريق لمعرفة القصر الكبير* فيشير إلى 613 كتاريخ لوفاته.

م. بن تاويت، *تاريخ سبتة*؛ عبد العزيز بن محمد بن الصديق، *سراج الدجلة*؛ محمد بوخلفة، *المدارس والتعليم بمدينة القصر الكبير من بداية القرن السادس الهجري وما بعده*، 1989؛ *الطريق لمعرفة القصر الكبير*، 1972؛ القسطنطيني، *أنس الفقير وعز الحقير*؛ محمد بن عبد الرحمان بن خليفة، *القصر الكبير، أعلام أدبية، فكرية وتاريخية*، مطبعة طنجة، 1994.

الحسين البعاوي

القصري، محمد المكناسي الأصل والنشأة والوفاة، عالم مشارك نحوي متمكن من قواعد اللغة والآداب والخطابة، أشاد ابن زيدان في *إتحاف أعلام الناس* بعلمه وكفاءته فقال: "فقيه علامة مشارك، مدرس نفاع ... كانت له ملكة كاملة يقتدر بها على التدريس بدون مطالعة ... مع همة عالية ونفس آبية". كما نعته ابن إبراهيم في الاعلام بـ "الفقيه العالم النحوي المدرس الوجيه".

ولد بمدينة مكناس وكان في أول أمره يحترف عمل الخبز، ثم توجهت عزيمته للدراسة فقصد حلقات الدروس لإرواء غلته من موارد العرفان وأكب على طلب العلم بجد واجتهاد فأخذ عن شيوخ مدينته المشهود لهم بالتفوق أمثال: العلامة المهدي ابن سودة، والعلامة فضول ابن عزوز، والشيخ فضول السوسي والعلامة محمد الجيلاني السقاط وهو عمدته وغيرهم.

وبعد أن قضى وطره من الدراسة وحصل على مبتغاه من ثمار المعارف تصدر للتدريس فانتفع بعلمه كثير من بينهم على سبيل المثال لا الحصر: قاضي أحواز مكناس أبو العباس الناصري، والعلامة محمد الواستري والشيخ محمد بن مبارك الهيلالي والشيخ الحسن بن اليزيد شيخ المؤرخ عبد الرحمن ابن زيدان ووالده محمد بن عبد الرحمن ابن زيدان (ت. 1300) كما أخذ عنه المؤرخ نفسه وغير هؤلاء من نجباء فقهاء مدينة مكناس. وكان في درسه على حد تعبير صاحب *الإعلام*: "عجيبا في حسن الإلقاء والفصاحة، لطيف المجالسة، وعجيب المحاضرة". ويشير أيضا إلى أنه تولى الخطابة بجامع الأروى وبزاوية الشيخ عبد القادر العلمي نائبا، كما تولى خطة العدالة، وكانت له عند أبناء موسى بن أحمد مكانة فرشحوه لإقراء العائلة الشريفة الملوكية، فكثرت أسفاره مع السلطان مولاي الحسن لإقراء الشرفاء، وسكن بمدينة مراكش سنين.

وعانى بعد ذلك من ضائقة مالية وكان على حد تعبير ابن زيدان مقترا عليه في الرزق، فرشحه السلطان مولاي عبد العزيز لتعليم إخوته وأعمامه، ونفذ له مؤنة ضافية طعامية يومية وشهرية تحسنت بها أحواله المادية، ثم تبدلت الأحوال "وأسقطت عنه تلك المؤنة ورجع لأشر مما كان عليه، ولم يزل صابرا محتسبا إلى أن لقي الله".

وكانت وفاته حسب ابن زيدان في 5 صفر عام 1324 / مارس 1906 ودفن بضريح سيدي الدغوغي في حومة جامع الزرقاء بمدينة مكناس، بينما يشير صاحب *الإعلام* إلى أن وفاته كانت في رجب عام 1327 / غشت 1909 ونرجح هنا رواية ابن زيدان.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، تح. عبد الوهاب ابن منصور، ج 7، الرباط، 1977، ص. 153، 154؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، ط 2، ج 4، الرباط، 1990، ص. 283.

رقية بلمقدم

القصرية، إناء أو ماعون يستعمل لأغراض منزلية متعددة في مقدمتها تقديم الطعام للأكل، وتختلف القصرية عن القصعة من حيث الصنع فالأولى من فخار أما الثانية فهي منحوتة من جذع شجره (قطعة واحدة) وتختلفان من حيث تاريخ استخدامها فالأولى أحدث من الثانية. فالقصعة

ورد ذكرها في مصادر العصر الوسيط الأعلى والأوسط وما قبله وذكرت باسماء مرادفة : الصحفة والجفن ... أما القصرية فوردت عنها إشارة يتيمة في مصادر العصر الوسيط : "... قصرية مقلوبة وسط الدار تحتها لحم أهدي إلى الشيخ من عرس ...".

والقصرية اليوم أكثر استعمالاً في الأوساط الشعبية من القصعة التي أصبحت من تحف الصناعة التقليدية المغربية وتستعمل القصرية في أغلب البيوت في البادية والمدن من قبل النساء للعجين ولتقديم الكسكس وما شابهه، ومنها في الأسواق اليوم : البسيطة الخالية من التزويق ومنها اللامعة المطلي داخلها بالبرنيق. وتوجد بأحجام مختلفة، أما أصلها فيدل عليه اسمها : فهي إما من القصر الكبير أو من قصر المجاز (القصر الصغير).

البادسي، *القصد الشريف*، الرباط، 1982 ؛ التادلي، *التشوف*، الرباط، 1958 و1984 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، الدار البيضاء، 1985 ؛ الماجري، *المنهاج الواضح* ، مصر؛ الضعيف، *تاريخ الضعيف*، الرباط، 1986 ؛ م. الطويل، *النقل والتنقل*، مرقون.

محمد حجاج الطويل

القصّار ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Alcazar وAlcasar ؛ والغالب على الظن أن اسم هذه الأسرة ينتسب إلى قرية القصر التي كانت بأحواز غرناطة المسلمة وأطلق عليها الإسبان اسم Alcazar ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

القصّار، محمد بن قاسم الفاسي محمد بن قاسم بن مد بن علي الملقب بالقصار الأندلسي القيسي الأصل الفاسي الدار، قدم جده من غرناطة في شهر ربيع الأول من سنة 897 واستوطن مدينة فاس، ولد صاحب الترجمة في 11 جمادى عام 939، محدث المغرب في وقته، سيد علماء زمانه وصدر أهل وقته وأوانه إمام المحققين في العلوم العقلية والنقلية، إمام عالم دراك محصل يحسن أكثر من عشرين علما.

أخذ جل مقروآته عن العالم رضوان الجنوي وأخذ عن علماء أجلاء آخرين منهم خروف التونسي، وأبي عبد الله اليستني وعبد الرحمن بن إبراهيم الدكالي، وولده سيدي أبي شامة، والشيخ محمد بن مجبر، وأحمد التسولي وآخرين.

أخذ عنه وتخرج به جماعة، كالشيخ عبد الرحمن بن محمد الفاسي، وأحمد بن يوسف الفاسي وأخيه محمد العربي الفاسي، والعلامة عبد الواحد بن عاشر الأنصاري، ومحمد بن أبي بكر الدلائي والحسن بن يوسف الزياتي والحافظ أحمد المقري، وأحمد ابن القاضي وغيرهم. ولي الفتوى بفاس وخطابة مسجدها الأعظم وول تفريق صدقة المساكين بها.

كان في لسان صاحب الترجمة ضيق في عبارته فضاع بذلك كثير من علمه، ولذلك لم يتصدّ للتأليف وإنما كانت في بطاقات يُذكر أنها بيعت بعد موته بالوزن بالأرطال، وله تقاييد في الأنساب سيما أنساب العلويين التي كان إليه المرجع فيها، وله فهرسة في نحو ورقة كبيرة (منها نسخة خطية بالرباط خ. ع. ك 1427، ص. مج).

قال عنه الحجوي : "عالم فاس بل المغرب ومفتيه ورحلته ومحدثه ومعقوليه وهو الذي أحيا المعقول بفاس هو والإمام المنجور بعدما كان اندث، وإليه مرجع شيوخ المغرب دراية ورواية".

خلف السراج في الإفتاء والخطابة والكراسي العلمية، واشتهر بدقة التفكير والتعمّق في البحث. خرج من فاس إلى مراكش وبه مرض مات به في الطريق بزاوية ابن ساسي، فحمل إلى مراكش ودفن بإزاء باب رضة سيدي أبي العباس السبتي، وذلك في شعبان أو رمضان سنة 1012 / 1604.

القادري، *الإكليل والتاج*، تح. مارية دادي، ص. 306. 307 ؛ ابن القاضي، *درة*، 2 : 153 ؛ المقري، *روض الآس*، ص. 316. 332 ؛ العربي الفاسي، *المرآة*، ص. 148 ؛ الإفراني، *نزهة*، ص. 192 ؛ المراكشي، *الأعلام*، 5 : 208. 217 ؛ الكتاني، *سلوة*، 2 : 63 ؛ الحجوي، *الفكر السامي*، 2 : 273 ؛ م. حجي، *الحركة*، 2 : 363.

مارية دادي

قصّارة، علي بن امحمد الحميري المفتي النوازلي، الموقت بمنار القرويين. كان إماما بمسجد الأبارين بعد عبد المجيد المنالي، يدرس الألفية والجرومية ومختصر خليل، وغير ذلك.

وكان ينوب في القضاء عن قاضي فاس عبد القادر بوخريص، وله أخوة وصحبة مع الشيخ العارف العلامة علي بن عبد الرحمان الدرعي التادلي، وينتسب في الطريق إليه. فقد بصره في آخر عمره.

توفي بفاس يوم 8 محرم عام 1185.

م. الزيادي، *سلوك الطريق الوارية* ؛ م. القادري، *نشر المثاني* ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*.

المصطفى البوعناني

القصيبي، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Qasibi ؛ ومازالت بإسبانية أسر تحمل اسم Alcoceba نسبة إلى قرية القصيبة التي كانت بأحواز غرناطة المسلمة ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

القصيدة (في الموسيقى المغربية) استعمل لفظ "القصيدة" للدلالة على قالب من القوالب الغنائية، ويختلف

مفهوم "القصيدة" في الموسيقى المغربية باختلاف أنماطها، كما تتعدد قوالبها بتعدد هذه الانماط وفيما يلي أبرزها :

1 ـ القصيدة في طرب الملحون :

يراد بالقصيدة في الشعر الملحون أبيات شعرية ملحونة يخضع عروضها لبحور أربعة هي : المبيت، والمشبت، ومكسور الجناح، والسوسي.

تتكون القصيدة من ثلاثة عناصر هي الدخول والحدبة، والأقسام. وقد يستغنى عن الدخول فتبدأ القصيدة بحربتها وتسمى أكثر القصائد بحرياتها. ويُمهد لإنشاد هذه الأجزاء بمقدمة آلية تعرف باسم "لـمْشالْيَه" أو بمقطوعة غنائية خفيفة تسمى "السرابة".

ـ الدخول : هو مطلع القصيدة وهو يغنى على طبع من طبوع طرب الملحون.

ـ الحربة : هي من القصيدة بمثابة اللازمة من النشيد. وترجُعُ بين أقسام القصيدة من طرف الشداة، وهم مجموعة المنشدين، سُمّوا بذلك لأنهم يشدون أزر المنشد المنفرد والعادة تقضي بإعادة لحن الحربة عزفا ودون كلام.

ـ الأقسام : هي فقرات القصيدة. وتغنى في العادة من طرف منشد واحد.

تنشد سائر الأقسام على لحن واحد لا يُغيّر من رتابته سوى استبدال طبعه الموسيقي، وهو ما يعرف لدى أشياخ الملحون باسم "لَقْلُوبْ" أو "لَبْدالْ". ومعناه تحويل مقام اللحن الموسيقي من نغمة إلى أخرى كالانتقال من نغمة "الاستهلال" إلى نغمة "المشرقي".

وتختم القصيدة بانشاد فقرة تدعى "الدّريدْكة"، وهي إنشاد القسم الأخير منها مرات متعددة مع المصاحبة الآلية والضرب بالأكف والتعارج عبر حركة حثيثة تعلن عن نهاية القصيدة.

2 ـ القصيدة في العيطة الجبلية :

أغنية جماعية ينفرد بإنشادها الرجال، وبها يستهل عرض العيطة المنتشرة في المناطق الشمالية الغربية من المغرب والتي تغلب عليها تسمية "الطقطوقة الجبلية" فتطرق كلمات القصيدة في "العيطة الجبلية" لموضوع المديح النبوي أو لمدح الولي الصالح المولى عبد السلام بن مشيش دفين جبل العَلَم. ويتميز أداؤها بقيامه على إيقاع هادئ.

3 ـ القصيدة في فن السماع :

أكثر القصائد المدحية تداولا بين أرباب السماع قصيدتا البردةوالهمزية للإمام البوصيري، والبغدادية لابن رشيد البغدادي والمنفرجة لابن النحوي.

ويجري إنشاء هذه القصائد ـ في العادة ـ دون مصاحبة آلية إلا في حالات نادرة. ويستخدم في ضبط موازينها الضرب بالأيدي على الأكف أو على الركبة.

وقد تواضع رجال السماع بالمغرب على انشاد "البردة" على طبوع الموسيقى الأندلسية، وذلك وفق نسقين اثنين ينتمي أولهما إلى الزاوية الفاسية، وينتمي الثاني إلى الزاوية الدلائية بالرباط (انظر مادة : "السماع").

4 . القصيدة في الموسيقى العصرية :

يعتبر الإقبال على تلحين القصيدة الفصيحة في قالبها الشرقي من الظواهر الفنية المستحدثة بالمغرب. وقد تم ذلك في سياق تعامل الفنانين المغاربة مع الموشحات والطقاطيق والأدوار والبشارف والسماعيات الشرقية التي تسربت إلى المغرب منذ العشرينيات وهو تعامل أفضى إلى نشوء ممارسات موسيقية اصطلح على تسميتها منذئذ "بالموسيقى العصرية".

وقد كان الفنان أحمد البيضاوي (ت. 1989) من السباقين إلى تلحين القصيدة وغنائها في قالبها الشرقي. ومن أعماله في هذا الصدد : نونية ابن زيدون، وقصيدة "يا صاحب الصولة والصولجان".

وقد حذا حدو البيضاوي ملحنون آخرون من أوائلهم :

ـ المعطي البيضاوي (ت. 1987) الذي لحن وغنى من شعر ابن زيدون قصيدتي "قلب جمالك"، و"يانائما".

ـ عبد الوهاب أگومي (ت. 1989) الذي لحن وغنى من شعر وجيه فهمي صلاح قصيدة "ربوع المغرب"، ومن شعر الدكتور كريم المهندس المصري قصيدة "التائة".

ومن الفنانين المغاربة المتأخرين الذين تعاملوا مع قالب القصيدة العربية عبد السلام عامر (ت 1979) الذي لحن من شعر عبد الرفيع الجواهري قصيدتي "القمر الأحمر" و"الشاطئ".

وقد أفضى تبني قالب "القصيدة" الشرقية إلى نشوء أسلوب جديد في الأداء يتميز بالتعامل مع الكلمة الفصيحة وفق مقاييس مبتكرة تراعي الوعي بقيمتها الجمالية وتقطيعها على نحو لا يخل بمواقع المد والقصر ؛ وبذلك فهو يختلف اختلافا بينا عن الأسلوب المتبع في إنشاد قصائد السماع المديحية والصنعات العروضية أو الموشحة في "طرب الآلة".

عبد العزيز بن عبد الجليل

القصيري، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعضٌ أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Caçeri - Casiri ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

القُصَيِّر، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Caçer ؛ وما زالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Alcocer وهو إسم مدينة إسبانية؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

Directeur de publication : Feu Mohamed **Hajji**

Comité de rédaction : Ahmed **Toufiq**
Mohamed **Hajji**

Comités scientifiques :

Pour les sciences humaines

Mohamed **BENCHERIFA**, Faculté des Lettres, Rabat.
Brahim **BOUTALEB**, Faculté des Lettres, Rabat.
Salem **YAFOUT**, Faculté des Lettres, Rabat.
Mustapha **NAIMI**, Institut Universitaire pour la Recherche Scientifique, Rabat.

Pour la géographie et les sciences de la nature

Abdellah **LAOUINA**, Faculté des Lettres, Rabat.
Dris **EL-FASSI**, Institut Agronomique et Vétérinaire Hassan II, Rabat.
Mustapha **AYAD**, Faculté des Lettres, Rabat.
Abdelmalek **BENABID**, Ecole Nationale Fôrestière, Salé.
Mohamed **RAMDANI**, Institut Scientifique, Rabat.

Tous droits réservés, y compris le droit de traduction ou de reproduction

même partielles sous quelque forme que ce soit.

IMPRIMERIE DE SALÉ

Lot 14, Rue Othman Ibnou Affane
Zone Industrielle de Tabriquet
B.P. 596 SALÉ

Encyclopédie du Maroc

Dictionnaire alphabétique des connaissances sur le passé et le présent du Maroc.

Publiée par

L'Association des Auteurs Marocains pour la Publication

Editée par

L'Imprimerie de Salé

"SALA"

2004 - 1425